العربي

العدد ٩٨ – ٢٠ رمضان ١٣٨٦ – يناير (كانون الثاني) ١٩٦٧



بائعة الورد

عدد ممتاز



هذا الشهر

« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذى أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ
هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ »

صدق الله العظيم

عزيزي القارئ

● لك أصدق التهنئة بهذا العام الجديد ، عام ١٩٦٧ .

● ثم ان هذا العدد من « العربي » صدر هذه المرة بين عيدين : بين عيد السيد المسيح ، وقد مضى ، لأهل الغرب . وهو يستقبل لأهل الشرق . وبين عيد الفطر المبارك ، ويحلّ بعد مرور نحو خمسة وخمسة من الأيام ، بعد صدور هذا العدد . فللمسلمين ولأهل الكتاب ، في مشرق الأرض ، ومغربها ، من « العربي » أخلص التهاني .

● وقد ميزنا هذا العدد ، كعادتنا ، بزيادة في المواد نافعة ، وصور زدناها كثيرة ، سوداء بيضاء ، وذات الوان اربعة ، وزدنا ما يطبع من هذا العدد ، فزاد على ١٥٠ الف نسخة . والسوق يطلب مائتي الف فما فوقها ، وسوف تسعف المطابع الجديدة .

● ومع هذا العدد الممتاز من « العربي » ، هدية رائعة ، ملونة ، منفصلة عنه ، بالمجان ، هي زينة الحائط في منتدى البيت العامر . واخترناها ثقافية ، لتنسجم مع « العربي » الذي نؤكد دائما انه كتاب ثقافي شهري ، لا غير ذلك .

● ومع هذا العدد ، فهرس عام . وان كنت ، أيها القارىء الكريم ، قد قرأت « العربي » في هذا العام المنصرم مفصلا ، فانت تراه في هذا الفهرس مجملا . انها نظرة الطائرة من علٍ ترى خطوط المدينة وتقسمها وتوزعها وترابط اجزائها ، وهي نظرة عزّت أن تتيسر للسائر على رجليه في المدينة ، في شوارعها وحاراتها والأزقة .

● ثم المستقبل : ليس له عندنا الا الرجاء ، والا الدعاء ، أن يبدّل الله الناس من خوفهم امنا ، ومن فقرهم غنى ، ومن ضيقهم سعة ، وأن يراب الصدع ، وينير السبيل لمن ضل ، وأن يجمع كلمة العرب على ما فيه الخير كل الخير .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

أدب ولغة :

اسلاميات

ركن الذرة والفضاء :

طب .. وعلوم :

تربية وعلم نفس :

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 98 January 1967 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »

الإعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

طبع من هذا العدد الممتاز

١٦٠,٠٠٠ نسخة

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٢ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٢ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



حديث الشهر

في العيد الثامن أقمناها:

بقلم رئيس التحرير

■ بهذا العدد من « العربي » ، العدد الثامن والتسعين ، يكون « العربي » قد طوى من عمره ، وعمر محرّريه وكتابه ، وعمر قرائه الذين صاحبوه منذ ولادته ، ثمانية أعوام كاملة ، ازدادت شهرا .

فالعربي الآن يقف من زمانه وقفة ، يقفها كلّ حي ، يودع فيها دورة عاشها للارض حول الشمس كاملة غابرة ، ويرحّب فيها بدورة للارض حول الشمس بدأت ويَرجّى اكتمالها .

وهي وقفات يسميها الناس اعياد ميلاد ، فكأنما الحيّ منا يعود ، فيولد من جديد . وما هي الا حياة متصلة ، صفحة من كتاب تطوى لتظهر صفحة . او هي فصول الكتاب الواحد ، لا ينتهي فصل منها الا ويبدأ فصل . وتطول الفصول ، عشرة أو عشرين . فاذا بلغت الفصول المائة ، فقد ينطوي الكتاب كله . ثم يكون من بعد كتاب كتابٌ .

وهي وقفات ينظر فيها صاحبها الى الامام ، فيؤمل . وينظر صاحبها الى الوراء ، فيحصى . وتطول نظراته الى الوراء . انه يحصى ما حصّل ، مما يحمد كثيرا ، ومما يحمد قليلا ، ومما لا يحمد ابدا . وهو ينتفع بكل هذا .

انه النقد الذاتي الذي يتحدث عنه الناس هذه الايام . وحسبوه جديدا في الايام ، وهو عريق قديم .

و « العربي » اذ ينظر الى الوراء ، يرى الكثير الذي يحمد ، ويرى الكثير الذي لا يحمد . ولكنها نظرات الناقد نفسه ، لا تخلو من خطأ . وقديما قالوا : « صديقك مرآتك » .

ولقد تراءى لـ « العربي » هذا العام ان يطلب الصديق ، تلك المرآة الصادقة ، التي يرى فيها وجهه على حقيقته ، مغسولا بالصابون ، غير مزوّق بأشتات الدهون ، فلم ير خيرا من قرّائه ، مرايا عاكسة لصور منه صادقة .

ندوة من قراء « العربي »

من اجل هذا عقدنا ندوة من القراء ، على البعد فيما بيننا ، وعلى البعد فيما بينهم ، بداها « العربي » برجاء توجهنا به ، في العدد السابق للذى مضى ، الى كل قارىء « للعربي » ، أن يدلنا على اى تغيير يود أن يراه في « العربي » ، فـ « العربي » له ، وهو منه ، وقلنا : « فاقترح ما تشاء .

ولكن اذا زدت بابا فاذكر ما تحذف

مِنْ مِيلاد العربي

نَدْوَةٌ مِنَ القُرّاءِ حافِلَة

من الابواب الحاضرة ليحل محله .

واذا انقصت بابا فاذكر ما تضيف من جديد الابواب ليحل محله .

وفي السياسة راع اننا نتجنب الحديث في ما بين العرب من خصومات ليدخل « العربي » كل باب .

ولا تنس ان « العربي » كتاب شهري للثقافة اكثر منه صحيفة ، واكثر كثيرا .

ولك الشكر على كل حال » .

استجابة

وقد استجاب الكثيرون . اعداد غفيرة من الرسائل وصلتنا ، من كل قطر ، ومن مدن عدة من القطر الواحد . وهي رسائل ذات الوان ، أشربت جميعا بالنية الخالصة ، والعاطفة الطيبة ، والرغبة الصادقة في تحسين « ما هو عندهم بالحسن » .

حمدٌ مشكور

وبالطبع ،سرّ « العربيَّ » اول ما سرّ ، حمدٌ اسبغوه عليه في سخاء ،وسرّه اكثر ان هذا الحمد لم يمنعهم من اسداء النقد البنّاء . ومنهم من أرضته الابواب كلها فلم يزد عليها . ومنهم من أرضته وزاد عليها ، ومنهم من أرضته ومع ذلك راى فيها ما جاز حذفه .

وتنشر هنا من كل نوع من الاقتراحات المتشابهة التي وصلتنا ، مثلا ، يكون نموذجا لأمثال له تكررت في الكثير من الرسائل . ولا نرى ضررا من أن نبدأ برسالة أو رسالتين من رسالات التقدير، نلتقطها عفوا ، غير متخيِّرين .

« العربي السفير »

من السيد عبدالرضا كاظم الشمري، ببغداد :

« أن العربي هو السفير المتجول للامة العربية ، وهو يجوب أقطار الدنيا ، مشرقا ومغربا ، ويرفع راسنا عاليا بين اوساط تلك الامم » .

« العربي مكتبتي »

ومن السيد شاكر صالح دياب من ليبيا :

« ان مكتبتي مكونة من مجلة « العربي » فقط ، وهي عندي كالجوهرة الثمينة »



« العربي كتاب شهري متكامل »

ومن الآنسة عزيزة حامد أسعد عاشور بالمعهد العالي التجاري بالقاهرة :

« ان « العربي » كتاب شهري متكامل من جميع النواحي الثقافية والاجتماعية والعلمية ، ولو اردت اضافة شيء الى كتابي العزيز لما وجدت ثغرة استطيع ان انفذ من خلالها لاحذف بابا من ابوابه الشيقة . ولكن عندي اقتراح ... » .

« العربي شهادة ثقافة »

ومن السيد يحيى عبد الحميد سليم بكالوريوس علوم ، بالاسكندرية :

« أما الاعجاب فيكفي أن اقول فيه انني اعتبر « العربي » شهادة ثقافة ، فما اقتناها الا مثقف أو مبتغي ثقافة ، وما تلك الاحصائيات الخاصة بعدد ما يطبع من « العربي » سوى رصد لدرجة الثقافة التي وصل الى مستواها العرب . فاذا كان الترمومتر مقياس حرارة ، فان « العربي » مقياس ثقافة » .

وكم يسعدني أن اعبر عن اعجابي وتقديري لـ ... (ونقف عند هذا الحد من التقدير ، لاننا، مع شكرنا الجزيل ، لا نود ان يتطرق الحديث الى تقدير شخص بذاته أو أشخاص بذواتهم ، وانما التقدير نريده للشيء المتنوع جملة ، ذلك « العربي » . وكل تقدير « للعربي » هو بطبيعة الحال تقدير لكل العاملين فيه ، والعاملين لـه ، والطابعين والرؤساء ، والبلد الكريم الذي خطط له ورعاه . ولقد تحدثت في العدد الماضي مـن « العربي » عن حوافز الحياة ، وانا اعتبر مـا ننشر هنا من تقدير ، انما هو بعض حوافز الحياة. فليس حافز كالكلمة الطيبة تـسدى للعاملين ، لكل العاملين) .

بابـاً للفـن

من السيد سليمان مرشد ، جامعة دمشق :

« يقترح أن تهتم « العربي » بفن الرسـم ، فتعرض لوحة من لوحات الفنانين العالميين مـن امثال : ليوناردو دا فنشي ، وامثال فان جوخ ، وامثال ديجا ، مع نبذة قصيرة من حياة الرسام وفنـه » .

مع الاستطلاعات العربية ، أخرى غير عربية

السيد عبد اللـه غانم محمد بشرق افريقيـا :

« يقترح اعداد استطلاع شهري عن الاسلام والمسلمين في مشارق الارض ومغاربها على غرار استطلاع « اعرف وطنك أيها العربي » .

ومن السيد سلمان عثمان الاسماعيل من البصرة :

« الاستطلاعات التي يقدمها « العربي » محلية أو عربية . لماذا لا نرى اليابان والصين والامريكتين على صفحات المجلة »

مسابقة للقصة والشعر

السيد عبد الحميد عليان من الكويت:

« يقترح « مسابقة القصة والشعر » بدلا من مسابقة « العربي » ، وبنشر أحسن قصة واجمل قصيدة ، لتشجيع الادباء والشعراء الناشئين » .

بابـاً للرياضـة

من السـيد عدنان حلبي من طرطوس :

« يريد بابا جديدا بعنوان « الرياضة » واهم أحداثها في شهر ، يحوي البطولات التي سجلها الملاكمون والسباحون ولاعبو الكرة سواء العرب منهم والاجانب » .

الامراض الشـائعة والمستوطنة

ومن السيد عبد الربيعي من بغداد :

« يقترح على طبيب الاسرة ان يقدم موضوعا عن احد الامراض الشائعة والمستوطنة في العالم العربي ».

باباً لأحداث الشهر

ومن السيد سليم الألوسي من العراق:

« يقترح بابا لأهم الاحداث التي وقعت خلال الشهر ، مثل افتتاح متحف بغداد الجديد وما يحويه من حضارات أجدادنا العرب » .

أبواب يريد بعض القراء حذفها أو تعديلهـا

والى جانب ما وصـلنا مـن حمد واضافة ، وصلتنا اقتراحات بحذف او تعديل .

ونجمل هذه فنقول :

الاعلانات في « العربي »

ان الهجوم كان شديدا على الاعلانات التى تظهر في « العربى » . ومن المعتدلين في القول من كتب يقول : « ان المكان المخصص للدعاية (يقصد الاعلانات) يزداد شهرا بعد شهر ، واخشى ان يصل يوما الى نصف المجلة » .

والآنسة نادية عبد الوهاب يوسف المسلم ، بالكويت ، تقول « ان من شان « العربى » ، وهي ارقى المجلات العربية على الاطلاق ، ان تخفض عدد صفحات الاعلان ، وتخصص ما انخفض لباب جديد نافع » .

والسيد صالح رضا ، المساعد الاول المتقاعد بالكويت ، يقول : « اذا كان الهدف تغطية نفقات المجلة فالافضل ان يرفع سعرها ، فهي كتاب ثقافة شهرى لا مجلة كسائر المجلات » .

ثم آخرون يريدون حذف الاعلانات بالمرة وابدالها بمقالات ثقافية انفع واجدى .

باب اضحك

ويأتى النقد بعد ذلك لباب « اضحك » فيقول السيد عبد اللطيف عوض موسى من الاسكندرية : « ان باب طرائف عربية يؤدى نفس الغرض . ويقول السيد لفتة حسون والسيد فاضل مطران من العراق بان تستبدل هذا الباب باخبار الاختراعات العلمية والكشوف الفنية الحديثة » .

مرآة الرأى العربى والغربى

يقترح السيد احمد القحف ، بدمشق ، حذف مرآة الرأى العربى والغربى ، « وكل شيء يمت الى السياسة حتى تصل الينا «العربي» كاملة » .

ويقترح مثل ذلك السيد طه عمرين من دوما بسوريا ، ويعلل ذلك « بان المقال الذى ينقل عن اى جريدة يكون قد مضى على صدوره ايام واسابيع بحيث يفقد قيمته الصحفية » .

مقترحات اخرى

وهي كثيرة . نذكر منها : المزيد من الطرائف العربية

بريد القراء الادبى ، ينشر فيه افضل ما يرسله القراء من انتاج ادبى .

لقاء شهرى مع احد الكتاب او النقاد العرب الافذاذ

كلمات متقاطعة

المزيد من قضية فلسطين

المزيد من مشاكل المجتمع

صور ملوك العرب والرؤساء

باب للمسرح والسينما والنجوم

هدايا لكل عدد ، وتستحب الخرائط العربية

موضوع عن البترول في العالم العربى

موضوعات اقتصادية

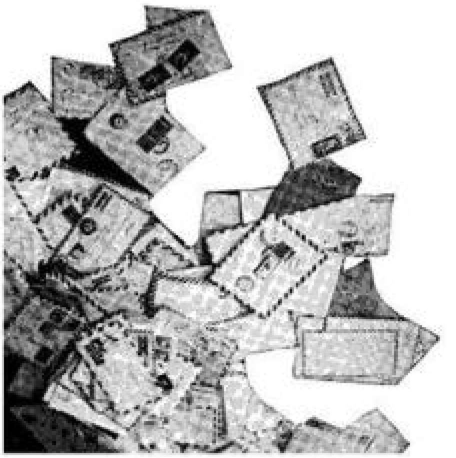
أشياء لم يذكرها القراء

هذا بعضٌ قليلٌ من كثير . نماذج انتقيناها تكرر مقترحوها .. وهناك اشياء قل مقترحوها لم نر لها خطرا كبيرا .

والعجيب الذى نحمد ، ان احدا لم يذكر اننا في هذا العام لم ننشر عن شئون العرب الحاضرة كثيرا ، لأنها شئون ، اما ان تعالج صراحة ، فتغلق دونها ابواب من الدول العربية وتفتح أبواب ، واما ان تعالج باللف والدوران ، وهذا شر ، والخير كل الخير في تركه ، الى ان تصفو الاجواء .

ان « العربى » يريد ان يدخل بالثقافة الى كل بلد عربى حيثما كان، ولو بتضحية واجب يكون من التشبث به الحرمان .

والقراء لم يذكروا شيئا من هذا .



واحسبهم عرفوا ، وفقهوا ، وعلموا أن من الاشياء ما يكون الخيرُ في تركه .

والحق اننا لو قلنا الحق ، في الشئون العربيـة غير مبالين ، لم تكد تدخـل « العربى » بابا من الابواب . ففى كـل بلد ما يقال فيُحمَد ، وفي كل بلد ما يقال فلا يُحمَد . والصدور قد تتسع وقد تضيق . والسعة مران في التنفس لا تتسع به الصدور ، الا اذا هو طال . وعلى الله ، وعلى الزمن وهو من صنع الله ، تبديل الاحوال .

وكذلك من الطريف أن نـرى مـن كانـوا ينتقدون صـور الغـلاف قـد كفـوا عن نقدها . لقـد كانت تأتينـا اقتراحات ، ولو قليلة ، تود لو تستبدل بصور الغلاف ، وهي زهراتٌ من بناتنا حية ناطقة ، محتشمة، صورا من الحجر الاصم ، نخرج بها من المتاحف ، اثرا من الآثار المحفوظة المكتوبة ، لترى النور .

واذ لم يأتنا من القراء في هذا الصدد الا خطاب جاءنى من واحد ، تبينتُ انها رواسب قليلة ، انتهت الى ان استقرت في القاع . فصفا الكأس من بعد اعتكار .

وشكا شاكون من ان بلادهم لم تنل من الاستطلاع حظهـا . ونسـوا ان استطلاعات « العربى » في العام انما هى اثنا عشر ، عدا الكويت . وبحثنا عـن الاستطلاعات ، فوجدناها تقسمت على النحو الآتى بين البلاد . وجعلناه احصاء ضم السنوات الخمس الماضية ، لتكون الصورة اشمل ، واعدل واصح .

اسم البلد	عدد الاستطلاعات
الاردن	١٢
الجمهورية العربية المتحدة	١١
المغـرب	٨
السـودان	٦
العـراق	٨
السعودية	٧
الجزائر	٦
تونـس	٦
سـوريا	٥
لبنـان	٥
الصومال	٢
الاندلس	٣
حضرموت الكثيرية	٢
حضرموت القعيطية	٢
اليمـن	٢
ليبيـا	١
البحـرين	١
عـدن	١
غـزة	١
ابو ظبي	١
دبـي	١
قطـر	١
لحـج	١

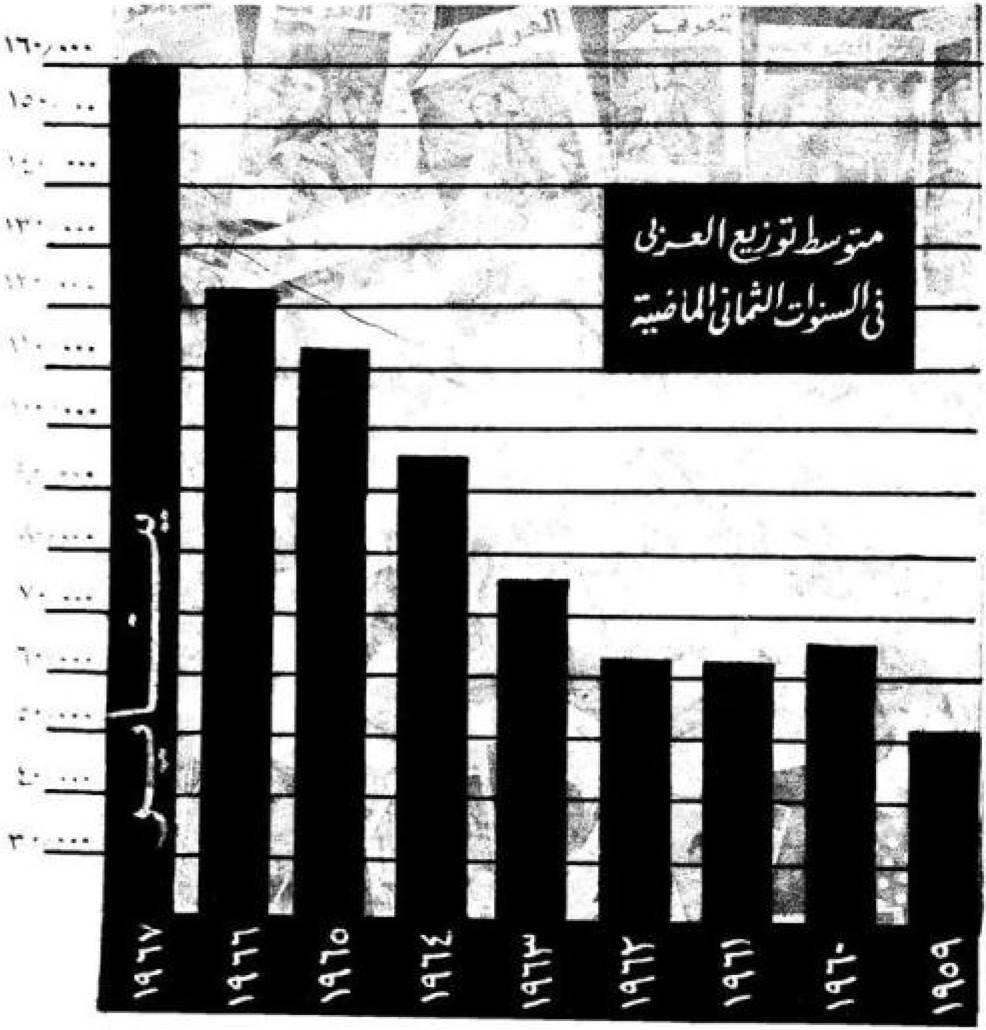
واختلفت الارقام ، لأسباب ظاهرة . منها اختلاف أحجام البلاد ، وكثرة مـا يستطلع فيها .. ومن البلاد ما استُطلع حتى لم يكد ان يبقى منه ما يُستطلَع . ومع هذا نبغى المزيد ان شاء الله .

شـكر جزيل

واختتم بان اشكر اجزل الشكر كـل من شارك في ندوْة القراء، من كل صوب. وسوف ننتفع ان شاء الله بكل رأى . و « العربى » ، ككل شيء ، في تطـور مستمر ، وموعدنا العام القادم ، احياكم الله واحيانا . ولكل ممن كتب ، السلام العاطر ، خاصا به .

●●

أحمد زكي



ماخوذ من مضابط الحساب الرسمية

ويظهر منه اننا بدانا (العربى) فكان متوسط ما بيع فعلا منه شهريا ٥٢ الف نسخة في عام ١٩٥٩ . وظل هذا العدد يزيد متدرجا على السنين حتي بلغ ما بيع فعلا منه في عام ١٩٦٦ ، أى هذا العام المنصرم ١٢٢٠٠٠ نسخة .

أما الاعداد الممتازة ، أعداد أول يناير ، فقد وصلت الى ٠٠٠ ١٥٠ نسخة ، لم يرجع الينا منها شيء . وهي لهذا العام ، اى من هذا العدد الذى بيدك ، ٠٠٠ ١٦٠ نسخة .

وناسف لاننا لا نستطيع، بامكانات الطبع الحاضرة ، استجابة السوق الى ما يطلبه ، وهو ٠٠٠ ٢٠٠ نسخة شهريا ، ونحن في سبيل ارساء مطابع جديدة سريعة تصل بنا الى استجابة رجاء الجمهور الكريم .



كيف أنساك ؟!



أَبداً أنتَ في فؤادي وفكري — تتهادى وفي حديثي وشعري
لم تزدني النوى، وعينيكَ، إلاّ — لهفةً دونها توقّدُ جمرِ
ويميناً وما حلفتُ جزافاً — أنت أغلى من ناظريَّ وعمري
كيف أنساك، من يقول بأن أنساك والحبُّ في عروقي يجري ؟ !
أنت شمسي فلستُ أعبأ بالشمسِ وبدري في كلِّ طلعةِ بدرِ
والهواءُ الذي يزفُّ إلى النفسِ أريجاً يفوق أطيبَ عطرِ
والرجاءُ الذي يباركُ أحلامي — فأبني من المنى ألفَ قصرِ
كيف أنساك حاشَ لله أنسى — رشأً صيغ من دلالٍ وسحرِ
فانتظر ساعة اللقاء قريباً — وستدري بما أعاني ستدري
ولئن كنتُ قدشكوتُ من الوجدِ — فحالي حالٌ يبرر عذري
كم كتمتُ الهوى، ولما تعدّى — حدّه ما استطعتُ كتمان سري
فتحكمْ كما تشاء فما الحكمُ — بحكمي والأمر ليس بأمري
ولقدْ بتَّ آسري فهنيئاً — وتمتعْ مدى الحياة بأسري
واعتقادي أنّا وإن مسّنا البعدُ — على موعدٍ مع الحبِ مغري

الكويت ـ احمد السقاف

نتيجة مسابقة العدد: ٩٦

الأجوبة الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

■ أسفرت عملية الاقتراع على الجوائز بين الاجابات الصحيحة لمسابقة العدد السادس والتسعين عن فوز السادة الآتية أسماؤهم :

١ ـ **الجائزة الاولى** وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : عبدالحافظ عبدالرحمن على : شارع ٦٤ ڤيلا رخا ـ سموحة ـ الاسكندرية ـ ج.ع.م.

٢ ـ **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها : الآنسة هدى محمد حسين قاسم ـ القدس ـ الاردن .

٣ ـ **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : روحى الذوق ـ بنك بيبلوس ـ ص.ب ٧١١ ـ طرابلس ـ لبنان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

(١) عبد الواحد هنداوى ـ الجميلية ـ حلب ـ سوريا .

(٢) بشير نعيم الاغا ـ مدرسة الصحيفة ـ جدة ـ السعودية .

(٣) عزة جرير القدوة ـ بنغازى ـ ليبيا .

٤ ـ عابد ابراهيم ـ ص.ب ٧١٣ الدوحة ـ قطر .

٥ ـ حميدة حسن احمد ـ مدرسة الفروانية المتوسطة ـ دولة الكويت .

٦ ـ محمد عثمان خلف الله ـ مكتب السفريات ـ البريد والبرق ، الخرطوم ـ السودان .

٧ ـ قتيبة حمود السعدون ـ مصلحة الموانى ـ البصرة ـ العراق .

٨ ـ احمد غلاب : ١٥ شارع بروقانس ـ اجدال ـ الرباط ـ المغرب.

أما الاجابات الصحيحة فهى :

١ ـ ايكمان : (ولد ١٨٥٨ . ومات ١٩٣٠) .

٢ ـ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم .

٣ ـ مندلبوم

٤ ـ الخرطوم

٥ ـ غرناطة ـ محمد بن الاحمر ـ القرن الثالث عشر

٦ ـ تاج العروس: الزبيدى ـ القاموس: الفيروزابادى

٧ ـ ما بين النهرين (دجلة والفرات)

٨ ـ شاه جيهان ـ ممتاز محل

٩ ـ لويس التاسع ـ قصر لقمان ـ بالمنصورة

١٠ـ ابو جعفر المنصور

١١ـ القاهرة ـ بغداد ـ دمشق ـ الخرطوم (على نهر) الجزائر ـ طرابلس ـ الكويت ـ بيروت (على بحر) الرياض ـ عمان ـ صنعاء ـ مراكش (لا على هذا ولا على ذاك) .

الأرض في التاريخ
بين بسيطة ومكورة

■ في اللغة العربية ، وفي كل لغة من لغات الأرض ، تعبيران مختلفان ، احدهما يعبّر عن المعرفة الظاهرة البادهة ، التي تراها العين اول وهلة ، او تسمعها الاذن ، او تحسها الأحاسيس جميعا ، وثاني التعبيرين ، يعبر عن المعرفة الباطنة ، التي يكشف عنها البحث ، وتكشف الدراسة . وهي كثيرا ما تتعارض مع الشيء الباده والتعبير الباده .

ولغة الكلام ، عندما تخرج على افواه الناس ، تعبر عمّا جرى عليه العرف من المعارف الظاهرة البادهة ، ولو خالف المعرفة الباطنة التي يكشف عنها الجهد العقلي ، تلك التي تظل رغم تكشّفها غريبة على لسان السواد من الناس .

فنجان وقع فانكسر

ومن امثلة ذلك ان اقول ان فنجاني سقط على الارض فانكسر . وتقول ما الذي اسقطه ؟ ويأتيك الجواب بأن الارض جذبته .

وهذا هو التعبير الباده عن هذه الظاهرة . وتستطيع انت نقده على الفور . فأولا انت تقول ان الجاذبية لا معنى لها . لفظ ابتدع لسقوط شيء زعمنا انه انجذب ، جذبته الأرض . وتقول انك تجذب اخاك بأن تمسكه فتشده اليك . وليس بين الارض والفنجان رابطة تشده اليها .

ويستطيع حتى العالم الفزيائي نقده كذلك على الفور : ان الجاذبية عنده قوة لا تراها العين ، اثبت وجودها بتجاربَ في المختبرات ، ارته في غير ابهام ولا غموض ، ان الجسم ينجذب الى الجسم كائنا هذا وذاك ما كان . وعنده اذن ان الفنجان الذى انكسر ، كان انكساره ، لا بجذب الارض للفنجان وحده ، وانما بتجاذب الاثنين معا . انه

تفاعل لا فعل . وهو يقول لك ان الفنجان يجذب الارض ، كما تجذب الارض الفنجان. وهو يقول لك، ان صح تعبيرك بأن الارض جذبت الفنجان ، فقد صح ايضا التعبير بأن الفنجان جذب الارض اليه فانكسر .

وتأبى انت بالطبع ان تكون هذه لغة الناس . وتهدف الى اللغة البادهة ، لغة العين التي ترى الفنجان يتحرك الى الارض فينكسر .

وينسى العالم ما كان بينك وبينه من نقاش .

وبعد ايام تعود فتضبطه يعبر ، غير ذاكر ، عن سقوط فنجان الى الارض ، فيقول : انه سقط بجذب الارض اياه . لم يقل بتجاذبهما .

درج على ما درج عليه التعبير الانساني الذى يجرى فى السواد من الناس . التعبير عن بواده الظواهر ، ببواده الكلام .

واستيقظ مع طلوع الشمس

ومثل آخر .

عالم من علماء الفلك تسأله فى اى ساعة استيقظ فى الصباح ، فيقول لك انه استيقظ مع « طلوع الشمس » !

الشمس اذن تطلع ياسيدي الاستاذ ، وهي التى تغيب ، وانتم تقولون ان الشمس هي التي ثبتت لتدور حولها الارض ؟!

فيقول لك طبعا انه انما يعبر عن الظاهر الباده السهل فى نقل المعاني . لغة البداهة لغة الناس . وادخال لغة الباطن ، لغة الحقيقة غير الظاهرة ، يعقد مجارى الحياة .

والارض البسيطة

ونأتي على المثل الذى اردنا ، من كل هذا الكلام .

تقول ان ابن بطوطة ، فى رحلاته الشهيرة ، ظل يقطع الارض البسيطة قطعا .

الارض البسيطة !

وتسأل : وهل انبسطت الارض ؟

ويأتيك الجواب : لا . ان الارض ما انبسطت . ولكنها فى النظر الباده هي بسيطة . وهى بسيطة لكل من سار ويسير وسوف يسير عليها .

وتقول بل هي مكوّرة . .

ويقول صاحبك ، ولو كان عالم ارض، نعم اعلم انها مكورة ، ولكنه تكوّر لايحسه السائر عليها ابدا . السائر الذى همه هم الحياة على هذه الارض ، زارعها ، وباني المساكن عليها . ان الذى يحس التكوّر دارس السماء والارض . وانا ان قلت ان ابن بطوطة ظل يقطع الارض المكورة قطعا ، لثقل هذا حتى على الرجل الفلكي .

الارض في التاريخ

ولندخل بعد هذه المقدمة فى الموضوع الذى قصدناه ، ذلك كيف تخيل الانسان صورة هذه الارض التى عاش عليها القرون الطوال .

الارض عند البابليين

خال البابليون الارض قرصا مفرطحا منبسطا طافيا فوق ماء . واحاط الماء القرص الارضي ، فتلك هي البحار . ومن وراء البحار قامت جبال تحمل قبة السماء هذه من اطرافها .



هذه صورة الكون التي تصورها المصريون القدماء : السماء قبة ترفعها الالهة نط بجسمها وامتداد ذراعيها ورجليها . ويَعتمد الالهةَ نط في هذا الوضع الهٌ الهواء ، شو . وهكذا خلط المصريون الرصين من علمهم ، بغير الرصين من تعاليم دينهم .

ونجوم السماء ، كيف تظهر وتختفي ؟ تدخل من ثقوب في القبة السماوية ، ومنها تخرج .

وخارج القبة السماوية كان ماء ، ودليله المطر الهابط من السماء . وبمثل هذا الرأى اخذ العبرانيون .

والبابليون رصدوا الشمس والكواكب والنجوم فى حركاتها رصدا مرضيا ، ولكنهم لم يذكروا لماذا كانت تتحرك هكذا النجوم .

وراوا حول القمر شيئا كالضباب فسموه هالة . وكانت عندهم هالة حول القمر نفسه ، فهي ظاهرة سماءٌ ، ونحن اليوم نعلم انها ظاهرة هواء .

والمذنب ، راسه وذيله ، ظنوه ظاهرة هواء . وهكذا خالوا الشهب ، ونحن نعلم اليوم انهما جميعا آتيان من السماء .

الارض عند قدماء المصريين

والارض عند قدماء المصريين لم تختلف كثيرا عما كانت عند البابليين ، وكان بينهما تجارة واتصال . وذلك بالرغم من سبق المصريين فى صناعة وفن وهندسة وحساب .

خالوا الارض قرصا بيضاويا مبسوطا ، ومن فوقه قبة حملت الشمس والقمر والنجوم ، وزركشوا هذا الخيال بأن ادخلوا الى الصورة شيئا من عقائدهم الدينية ، وصَوَّروا من آلهتهم ، سماوية وارضية . ولعلهم ادخلوا الآلهة لحاجتهم الى القوة التى تحمل السماء ، والقدرة التى تثبت بها الارض .

هذا على الرغم من انهم عرفوا ما السنة ، وانها ٣٦٥ يوما ، وقسموها اثنى عشر شهرا ، كل شهر ٣٠ يوما ، وزادوا خمسة ايام يستتم فيها العام . وادركوا كذلك ان العام لا يكتمل بغروب النجم سوثيس Sothis (النجم سيريوس Serius عند الاغريق ، او الشِّعرَى اليمانية ، وهي المع نجوم السماء ، وكوكب الزهرة المع منه) ، لا يكتمل بغروب هذا النجم الا اذا اضافوا الى الـ ٣٦٥ يوما ربع يوم ، فصار ٣٦٥¼ (معنى السنة الكبيسة اليوم) . وهم ادركوا فوق ذلك ان دورة السماء لا تعود سيرتها الاولى فتطلع النجوم ساعة أن كانت تطلع ، وتغرب ساعة ان كانت تغرب الا بعد دورة كاملة تستغرق ١٥٠٠ عام (٣٦٥ × ٤) . واسموها الدورة السوثيسية ، اى التى فى آخرها يغرب النجم سوثيس (أو الشعرى اليمانية) فى نفس الوقت الذى كان يغرب فيه فى أول الدورة .

تقدم فى الحساب الفلكى ، يتناقض مع صور خالوها عن الارض والسماء ، دخلت الآلهة فيها تحمل وترفع ، وتسد الثغرات .

أفكان للمصريين علمان ، علم الكهنوت ،



ثاليز ، ابو الفلسفة اليونانية ، في دلتا النيل . فقد زار مصر في شبابه ، وعاد الى بلده ميليتس « مليئا بالروعة لما شاهد هناك . وعاد من مصر القديمة بتلك المعرفة التي بنى عليها اليونانيون علم الهندسه». وينكر أهل الغرب اليوم ذلك وامثاله ، لان عندهم ان علم الاغريق انما نبت شيطانيا وبقدرة قادر في ارض الاغارقة . وكيف ينبت في ارض الشرق علم عليه بنى اهل اوروبا ، اهل الغرب ، حضارتهم الحاضرة !! ولد تاليس في نحو ٦٢٥ قبل الميلاد .

وعلم الافلاك ؟ . وافترق العلمان ، ومع هذا تعايشا ، مثل هذا التعايش السلمى الذى يراد ان يقام اليوم بين الروس والأمريكان .

الارض عند اليونان

بدأ اليونان ، فى العهد الهومرى Homer (فى نحو القرن التاسع قبل الميلاد) بتصور الأرض والكون كما تصورهما المصريون والبابليون : قرصا قد استقر فوق ماء ، ومن فوقه قبة السماء. ولكن ، بما انه من عمد الجمال عند اليونان ، تماثلُ الأشكال ، والكون لا بد ان يكون جميلا ، فمتماثلا ، فقد تراءى لهم انه ، بما ان فوق قرص الارض قبة ، فلا بد ان يكون من تحتها قبة مثلها تماما ، واليها تذهب ارواح البشر عند الموت .

وعلى هذا النحو بدات فكرة الارض التى تتوسط كونا مكوّرا ، هى مركز الكرة فيه .

وجاء فيلسوفهم الاول ثاليز Thales وتبعه الفيلسوف اناكسيمندر Anaximander ولم يغيرا من هذه الصورة كثيرا: أرضٌ مبسوطة كالقرص، من فوقها قبة ، ومن تحتها قبة .

الفيلسوف فيثاغورَس

وجاء فيثاغورس Pythagoras فى القرن السادس قبل الميلاد ، فكان اول من قال بأن الأرض نفسها كرة . وكان هذا على الأرجح استجابة لمطالب الجمال ، فكونٌ مكور يستدعى ان يوجد فى أوسطه ارض مكورة . وهى كرة عنده ثابتة ، حولها تتحرك الأجرام جميعا .

ولكن كيف تتحرك الاجرام السيارة حول كرة الأرض الثابتة ، وهى تختلف في دورانها السنوى عن سائر نجوم السماء الثابتة مدارا ؟ قال انها تتحرك في اكثر من مدار . فالشمس تدور فى دائرة حول الارض تقطعها فى يوم . وهى



الكون كما رسموه في القرون الوسطى، قبل عهد جاليليو . الارض كرة في الوسط، وهي مركز الكون . والكون نفسه من حولها كرة . وحول الارض افلاك سبعة ، تبدأ بالقمر ، ثم الشمس وسائر الاجرام السيارة . وبعد ذلك تأتي النجوم . وبعد النجوم حل ، في زعمهم ، الله والقديسون

في نفس الآن تدور في دائرة اخرى حول الارض تقطعها في عام . في الدائرة الاولى اختلاف الليل والنهار ، وفي الثانية اختلاف الفصول .

ولقد سيطرت هذه الصورة على خيال اهل الارض ، منذ كان فيثاغورس ، وامتدت ١٦ قرنا بعد السيد المسيح ، مع قليل من التغيير والتحوير .

افلاطون

فقد جاء افلاطون ، واقر ما خال فيثاغورس ، ولكنه راى فيما يختص بمنطقة البروج (١) انها كانت دائرة واحدة ، ثم انقسمت الى دوائر سبع . في الأولى دار القمر ، وفي الثانية دارت الشمس ، وفي الثالثة عطارد ، فالزهرة ، فالمريخ ، فالمشترى ، واخيرا زحل ، كل في دائرة له (مدار) خاصة (٢) .

ارسطو

وجاء ارسطو من بعد افلاطون ، فراى ان من الفلاسفة (وهم علماء ذلك الزمان)

---

١ ـ دائرة البروج هي الحزام الذى خالوه يعلو عن مدار الشمس الظاهر في السماء ثماني درجات، ويهبط عنه ثماني درجات ، وهو يتضمن مدارالقمر ومدارات الكواكب الاساسية كذلك . وقد قسموه الى أقسام اثنى عشر اسموها أبراجا ،كل برج سمي باسم كوكبة من نجوم السماء . وهي برج الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والعذراء والميزان والعقرب والقوس والجدى والساقي والحوت .

٢ ـ كتب الينا السيد ميخائيل عبد الأحد ،عضو الجمعية الملكية الفلكية بلندن ، مشيرا الى مقالنا « الكوكبان التوأمان ، الارض والزهرة »المنشور في عدد نوفمبر ١٩٦٦ ، يقول اننا قلنا ان عدد الكواكب عند القدماء سبعة ، مع ان العدد الصحيح خمسة" اذا لم يكن مخطئا . والحقيقة هي انها كانت سبعة في علم الفلك القديم ، ففيه اتخذت الأرض مركزا ثابتا للكون ، وكانت عندهم القمر والشمس وعطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل ، كلها تدور حول الكرة الأرضية (انظر دائرة المعارف البريطانية تحت كلمة Planet وغيرها من كتب تاريخ الفلك) . ثم جاء القرن السادس عشر ، وفيه اتخذت الشمس مركزا تدور حوله الكواكب لا الارض، وأتبع القمر بالأرض ، فصارت الكواكب ، عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل ، أى ستة . زادتها العصور الحديثة ثلاثة كواكب هي يورانيوس ونبتيون ، وبلوتو ، فصارت الكواكب تسعة .

كذلك نسجل هنا انه في مقالنا المذكور ، قلنا ان الكواكب تسعة ، وسميناها ، الا واحدا ، سقط عند النقل . فهذا هو « نبتيون Neptune » . وقد ذكرناه عدة مرات سبقت في « العربي » مع اخوته الثمانية .

من يتشكك فى صورة الأرض ، وانهـا مكوّرة ، تلك التى خالها فيثاغورس ، ووافقه عليها افلاطون . فطلب ارسطو لتكور الارض البراهين . وهذه البراهين اليومَ معروفة مشهورة . منها اختفاء سفينة الشراع التى تخرج الى البحـر ، تختفى عن البصر ويظل شراعها مرئيا . ثم يختفى الشراع رويدا رويدا بسبب انحناء الارض .

ومن البراهين . التى جاء بها ارسطو بنـاء على ملاحظتـه أن السـائر فى الأرض جنوبا ، الى مصر مثلا يرى مـن النجوم جنوبا ما لم يكن يراه وهو في اليونان ، دليلٌ تكور الأرض .

والعــرب

والعرب أخذوا الفلك عن اليونان ، وكان عمادهم الأكبر كتابا كتبهبطليموس المسمى عندهم المَجَسْطِى، وهوتحريف للفظ Mageste ، اى المصدر الأكبر. وبطليموس هذا فلكي وجغراف يونانى من اهل الاسكندرية عاش فى القرن الثانى الميلادى ، وكتب كتابه هذا ، كتابا جامعا لعلم الفلك اليونانى ، ولمجهودات له هو بذلها كثيرة .

واستقر عند العرب ، كما استقـر عند اليونان ، ان الارض كرة ، هى مركز الكون وتدور حولها الأجرام السماوية جميعا .

وبقيت مسألة : « هل تدور الشمس حول الارض ، او تدور الارض حـول الشمس » ، مسألة معلقة . .

كان ارسطو داعب هذه المسألة فكرا، ثم اطرحها . فأصاب ولم يكد . وذلك في القرن الرابع قبل الميلاد . وجاء الفلكي اليوناني ارسطارخس Aristarchus فى القرن الثالث قبـل الميـلاد ، فعلّم أن الأرض هى التى تدور حول الشمس ، وكذا الكواكب .

وتسى كل هذا . وساد ان الأرض هى الأصل الذى يدور حوله الكون كله.

حتى جاء القرن السادس عشر واثبت أن الشمس هى المركز الذى تدور عليه الكواكب،والارض معها ، ولم تزدالقرون التى جاءت بعد ذلك الى اليوم الا تثبيتا لهذا .

استطراد

ولقد استطردنا حتى خرجنا عـــن موضوعنا الأصلى ، ذلك شكل الارض ، تكوُرها او انبساطها .

ويعتذر عنا في هذا ، ان شكل الارض وحركتها ، شيئان متلازمان ، يسـند أحدهما ، عند الحِجاج ، الآخر .

الارض مكورة

الأرض اذنمكورةمنذ عهد فيثاغورس فى القرن السادس قبل الميلاد . لـم يجادل أحد فى تكورها .

وجاءت البحوث الجغرافية الحديثة تؤمِّن على حقيقة مألوفة حتى صـار تكوُّر الارض من البديهيات . ولـف الانسان حول الارض لفا . من غـرب وشرق ، ومن جنوب الى شمال . وجاء عصر الطيران ، فاتخذ الانسان منالطائرة دابة « يحزم » بها الارض حزما ، ويدور بها حولها، حلقة فحلقة . وعرف الأرضَ مكورة كما عرف بيته مربعا .

ومع هذا لم ير الانسان كرة الأرض ابدا .

حتى جاء عهد الصواريخ ، وعصـر الفضاء ، فرآها .

كان لا بد لرؤيتها من الخروج بعيدا عنهـا .



وخرجت مراكب الفضاء برجالها فراوا ما لم يكن رآه من قبل حيٌ .

وصوروها فاذا هى كرة حقا .

واذا هى كالقمر نصف يضيء ونصف يظلم .

انها اول صورة فى تاريخ البشر للارض مكوَّرة . انها تؤرخ للارض وللانسان على السواء .

صوَّرتها مركبة الفضاء الامريكية .

وهى تدور حول القمر تلف حوله لفات كثيرة متتابعة ، وهى على بعد ٢٩٠.... ميل من الارض .

وهذه الصورة التقطتها عبر الفضاء المحطة العلمية التى يديرها الامريكان في اسبانيا . وذلك يوم الثلاثاء ٢٥ اغسطس عام ١٩٦٦ .

في هذا اليوم امر علماء الفضاء فى كلفورنيا ، بالولايات المتحدة ، المركبة الفضائية ان تأخذ صورة الارض فأطاعت .. وعلى الفور دارت حتى صارت العدسة التى تحملها في مواجهة الارض ، واذ كادت المركبة ان تختفى وراء حرف القمر الشرقى وهى سائرة حوله ، اخذت عدستها اول صورة للارض اخذها مخلوقٌ كان ما كان .

وترَى الارض في يسار الصورة ، كالهلال ، لم يبن منها الا جزؤها المنير . وفي اعلاها يوجد قطبها الشمالى ، ببعض انحراف الى اليسار . ومن تحته امريكا الشمالية . اما القمر فهو الذى الى يمين الصورة،وهو ضخم كبير بالنسبة للارض لانه قريب من العدسة . والخط المنحنى الذى يحدُّه هو افقه ، افق القمر .

بقى اسم المركبة الفضائية وهو « الفالِكُ القمرى » ، اى الذى يدور في فلك حول القمر . هكذا سموها . وهو بالانجليزية Lunar orbiter . ●●



افتتاح جامعة الكويت

عاشت الكويت لحظات تاريخية ، عندما افتتح صاحب السمو الامير صباح السالم الصباح ، امير الكويت، اول جامعة في الخليج ، في مساء يوم ٢٧ نوفمبر عام ١٩٦٦ ووقف يعلن في قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة امام المئات من ضيوف الكويت ، وزراء ، ومديري جامعات ، واساتذة ، من الدول العربية الشقيقة والدول الاجنبية الصديقة ، افتتاح هذا الصرح الشامخ الذي توجت به الكويت هامة التعليم في بلادها .

ومجلة « العربي » ترفع التهاني لصاحب السمو امير الكويت . وتشارك الشباب فرحته بجامعته الفتية ... الجامعة التي قال عنها امير الكويت : « هي حصن راسخ ، ذخيرته العلم والبحث العلمي ، تحمي به نهضتنا وتقيها عوامل التخلف او الجمود ، ونصعد بها سلم المجد درجة من بعد درجة ، على دعائم قوية من عقول وسواعد ابناء البلاد » .

و « للعربي » عودة .





سمو امير الكويت ، يلقي خطابه ، ويعلن افتتاح اول جامعة تعتز بها الكويت وتفخر .



طالبات الجامعة يسرن في طابور امام صاحب السمو امير البلاد ، واعضاء مجلس الوزراء ، والمدعوين ، والى يمينهن على المنصة وزير التربية واعضاء هيئة التدريس بالجامعة .

ابن سينا (١)

■ اذا ذكر العرب اعلام الفلسفة فى المشرق العربى ، ذكروا الكندى ، وذكروا الفارابى ، وذكروا ابن سينا .

واذا ذكر العرب اعلام الفلسفة في المغرب العربى، ذكروا ابن باجة، وذكروا ابن طفيل ، وابن رشد .

واكبر هؤلاء الفلاسفة اثرا في الفلسفة هو بلا جدال ابن سينا .

وهو الى الفلسفة جمع الطب .

ومؤلفاته الفلسفية ، وكذا الطبية ، نشرت جميعا في أوروبا اللاتينية ، باللاتينية، اى يوم كانت هذه لغة الدرس هناك ، ولغة العلم . وشاعت ، وذاعت ، وكانت من مراجعهم الكبرى في هذه الشئون .

وقد اقامت الجامعة العربية مؤتمرا تحيي فيه ذكرى مولده بعد الف عام ، وجعلت مكانه بغداد، وذلك في عام ١٩٥٢ ميلادية .

ونشر اثر المؤتمر « الكتاب الذهبى » لابن سينا ، مطبعة مصر ١٩٥٢ ، وقد تضمن البحوث التي القيت فيه ، وفى حياته وانجازاته ، في مؤتمر بغداد .

مختصر من حياته

وابن سينا هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا .

وهو ولد في قرية قريبة من بخارى ، في تركستان اليوم ، وذلك في عام ٣٧٠ هجرية ، وتوفي في عام ٤٢٨ هـ (٩٨٠م ــ ١٠٣٧م) .

وانتقلت الاسرة الى بخارى ، وفي بخارى بدأ تعلمه . وتعلم الحساب على يد رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند . وجاء الى بخارى أبو عبد الله الناتلى ، فأنزله ابوه دار الاسرة رجاء ان يتعلم ابن سينا منه . وقبل قدوم الناتلي اشتغل ابن سينا بالفقه وتردد فيه الى اسماعيل الزاهد .

وبدأ في الفلسفة بكتاب اساغومي ، قراه على الناتلي . ثم اخذ يقرأ الكتب على نفسه ، وطالع الشروح حتى احكم علم المنطق. وكذا كتاب اقليدس. وانتقل الى المجسطي Almagest ، وفرغ من مقدماته ، وانتهى الى أشكاله الهندسية. وعندها قال له الناتلي اقراها وحلها بنفسك ، واعرض عليّ ما اشكل . « وكم من مشكل ما عرفه الناتلى الا وقت ما عرضته عليه وفهمته اياه » (٢) .

وفارق الناتلى . واشتغل ابن سينا بتحصيل الكتب من النصوص والشروح، من الطبيعي والالهي . وصارت ابواب العلم تتفتح عليه . ثم رغب في علم الطب، وصار يقرأ الكتب المصنفة فيه . وتعهد المرضي .

وكان مع ذلك يختلف الى الفقه ويناظر فيه .

---

(١) صورته بالالوان هدية هذا العدد من« العربى » ، وهي منفصلة عنه .

(٢) اكثر هذا ماخوذ عن حكاية ابن سينا نفسه عن حياته .



صورة ابن سيناء صغيرة ماخوذة من هدية العدد الملونـة الكبيرة

ثم توفر على القراءة سنة ونصفا ، فاعاد قراءة المنطق وجميع اجزاء الفلسفة.

وترك ابن سينا بخارى . وتنقل بعد ذلك من بلد الى بلد ، ومن امير الى امير. « وقد يعجب المرء من وفرة تآليفه وغزارة علمه على الرغم من عدم استقراره وتفرغه للعلم، فهو اما على سفر في طريق، او محبوس في سجن ، او متوار في داره ، او وزير يصرف الامور » .

ومرض بالكولنج،وحاول مداواة نفسه بشتى الطرق ، ولكن عاجلته المنية ، وله من العمر ٥٨ سنة .

مؤلفـاته

واشـهر مؤلفاته كتابان : الشـفاء والقانون .

وكتاب الشفاء (قصد به شفاء النفس من عللها واخطائها) كتاب مقسم اربعة اقسام ، هي المنطق ، والطبيعة ، والرياضة ، وما بعد الطبيعة . وكتاب النجاة له ايضا ، وهو مختصر كتاب الشفاء . وليس فيهما من علم الاخلاق او السياسة شيء . وقد ترجم الكثير من هذا الى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر الميلادى، الى القرن السادس عشر، وكان يدرّس فى جامعات اوروبا .

وكتاب القانون في الطب ، وهو موسوعة طبية مؤسسة على علم الطب فى اليونان ، وفى العهد الرومانى الامبراطورى ، وعلى مؤلفات عربية . والقليل منه كان من نتائج تجاربه هو . والذى تعلمّه هو من تجاربه الخاصة ، فقد أكثره اثناء تنقله الكثير .

وقد شاع استخدام كتاب القانون هذا في الدولة العربية ، وكذلك في أوروبا ، فقد ظلت الجامعات تدرسه هناك قرونا. وترجمه الى اللاتينية أولا Gerad of Cremona في القرن الثانى عشر،واعيد طبعه ١٥ مرة ، وذلك الى عام ١٥٠٠م . وأعاد ترجمته Andrea Alpagon في عام ١٥٢٧ ميلادية ، وكان لهذه الترجمة في اوروبا طبعات عدة .

انتساب ابن سينا

وابن سينا ادعاه العرب ، وادعاه الفرس ، وادعاه حتى الترك .

والحق انه فارسي عرقا ، وعربي لغةً وثقافة ، واغريقي روماني فلسفةً وطبا .

ولكن بيئته الكبرى هي الدولة العربية الاسلامية .

●●

مسابقة العربي

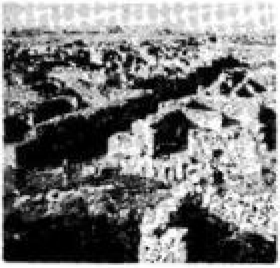
١٠ صور

... وجوائز ١٠٠٠ دينار

هذا هو عدد يناير السنوى الممتاز ،وبه تبدأ ((العربى)) عاما جديدا ، كما يبدأ العالم كله بهذا الشهر ايضا عاماجديدا .. وقد راينا ان نجعل موضوع مسابقة هذا العدد،عشر صور ، اخترناهامن بين أعداد ((العربى)) صدرت في العام المنصرم ١٩٦٦ ، كل منها تمثل أثرا عربياقديما أو حديثا ، أو صورة من صور الحياة الحاضرة فى هذا القطر العربيأو ذاك .

عد بذاكرتك الى اعداد ((العربى))فى العام الماضى ، وحاول أن تعرف ثمانية على الأقل من هذه الصور ، فقد تربح جائزة .

١



اوغاريت ، مدينة قديمة ، تعد من أعظم الاكتشافات الأثرية فى العصر الحديث ، اذ يرجع تاريخها الى ١٧٠٠ عام قبل الميلاد ، وكانت فيها حضارة راقية،كما كانتمحط أنظار الملوك والأمراء وقد امتلا متحف دمشق بقطع الآثار التى تثبت هذه الحضارة .

فى أى بلد من بلاد سوريا اكتشفت اوغاريت ؟

٢



اشتهر أهالى مديرية كردفان فى السودان بعدة رقصات وطنية منها رقصة ((الكمبالا)) ورقصة النقارة ، الأولى تمثل حركات الثيران والثانية ترمز الى حركات البقر ، ويشترك فيها الرجال والنساء معا .

ما اسم عاصمة مديرية كردفان؟وبأى شىء تشتهر ؟

٣



« الجيرالدا Giralda » من أروع ما ترك العرب فى الأندلس من آثار . بناها يوسف بن عبد المؤمن عام ١١٨٠م ، لتكون صومعة لمسجده الذى اندثر ولم يبق منه غير هذه المئذنة ، التى أضاف اليها فيليب الثانى ٤ طوابق ووضع فيها ٢٥ جرساً من أجراس الكنائس ، يسمع رنينها على بعد عدة كيلو مترات .

ففى أى مدينة تقع ؟ !

٤



هذا هو ضريح الامام أبى حنيفة النعمان ، كما يبدو من الخارج . كان أول من بناه شرف الملك أبو سعد مستوفى مملكة السلطان الب أرسلان السلجوقى ، ولما تداعت أرجاؤه أمرت والدة السلطان عبد العزيز بتجديده وتوسيعه .

أين يقوم مشهد الامام أبى حنيفة ؟

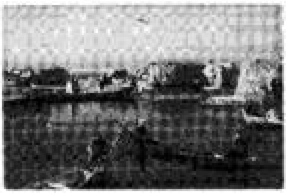
٥



« بهو السباع » ، مجموعة فنية كاملة تتميز بالأقواس الصغيرة المدببة ، والاعمدة الرفيعة ، والنقوش الدقيقة التى تعتبر من خصائص الفن العربى أيام بنى نصر والذى يرجع أن هذا البهو بنى فى عهدهم، أو قبله بقليل.ويتميز بهو السباع كذلك بنافورة فى وسطه تصب فى حوض من الرخام يحمله ١٢ سبعا هى أقل ما فى البهو جمالا .

فأين يقع بهو السباع ؟

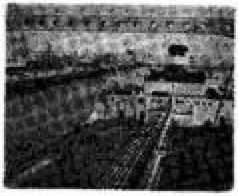
٦



من أغرب المناطق فى الوطن العربى منطقة تغمرها المستنقعات لأنها تعيش فى فيضانات دائمة منذ عرف التاريخ . يقيم أهلوها فى أكواخ يصنعونها من القصب ويسمونها « صرائف » ، ويقيمونها على جزر من صنع الانسان ، يتنقلون بينها على زوارق انسيابية ، تسمى « المشاحيف » ،وتؤدى مهمة الجندول فى مدينة البندقية .

ما اسم هذه المنطقة ، وأين تقع ؟

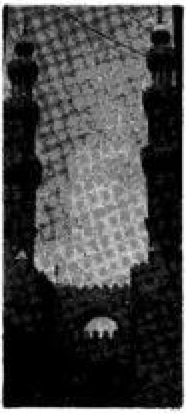
٧



على أثر اشتداد المنافسة الحالية بين الشركات المنتجة للنفط ، لتوفير الناقلات وخفض أجور الشحن ، قرر المسئولون عن النفط فى الكويت بناء ناقلات جديدة وكبيرة تنضم الى الأسطول الكويتى للناقلات ، وهو أول أسطول من نوعه فى العالم العربى ، وذلك للصمود أمام خطر تلك المنافسة .

ما اسم أول ناقلة بترول كويتية ؟

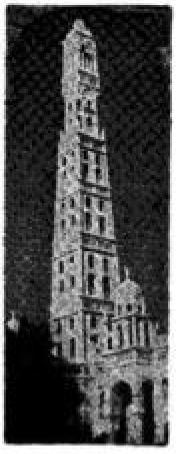
٨



كان للقاهرة القديمة سور عظيم له عدة أبواب ضخمة كباب الفتوح،وباب الوزير ، وباب النصر، وباب زويلة ـ المعروف ببوابة المتولى ـ ، وباب الخلق ، وباب الشعرية . وهذه الصورة تمثل احد هذه الأبواب بمئذنتيه الخاصتين بمسجد المؤيد وعنده أعدم السلطان سليم التركى ، طومان باى ، آخر السلاطين المماليك عام ١٥١٧ .

ما اسم هذا الباب ؟

٩



مئذنة عمر المحضار أروع مآذن الجوامع العربية، وهى أعجوبة من أعاجيب الدنيا، ترتفع ١٧٥ قدما، بداخلها سلم للصعود الى أعلاها . وتقوم فى بلدة يبلغ عدد مساجدها ٣٦٥ مسجدا .

فأين تقع هذه المئذنة ؟

كان عبد الرحمن الداخل « صقر قريش » اول من اسس دولة عربية فى اسبانيا ، واتخذ قرطبة عاصمة لها وبنى مسجدها التاريخى . ثم زاد فيه بعد ذلك وزينه امراء وخلفاء آخرون، مكث احدهم فى الخلافة نصف قرن ، وبنى مدينة الزهراء ، وجعل من مسجد قرطبة أحد معالمها الكبرى حتى قال فيها الشاعر :



بأربــع فاقتِ الأقطارَ قرطبـةٌ
وهُنّ قنطرة الوادى ، وجامعُهـا
هاتان ثِنتـان ، والزهـراء ثالثـة
والعلم أكبر شيء ، وهو رابعهـا

فما هو اسم هذا الخليفة ؟

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٩٨ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر فبراير (شباط) ١٩٦٧ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

كوبون مسابقة

الحياة معركة

شاملة قاسية ضارية

بقلم الدكتور أحمد زكي

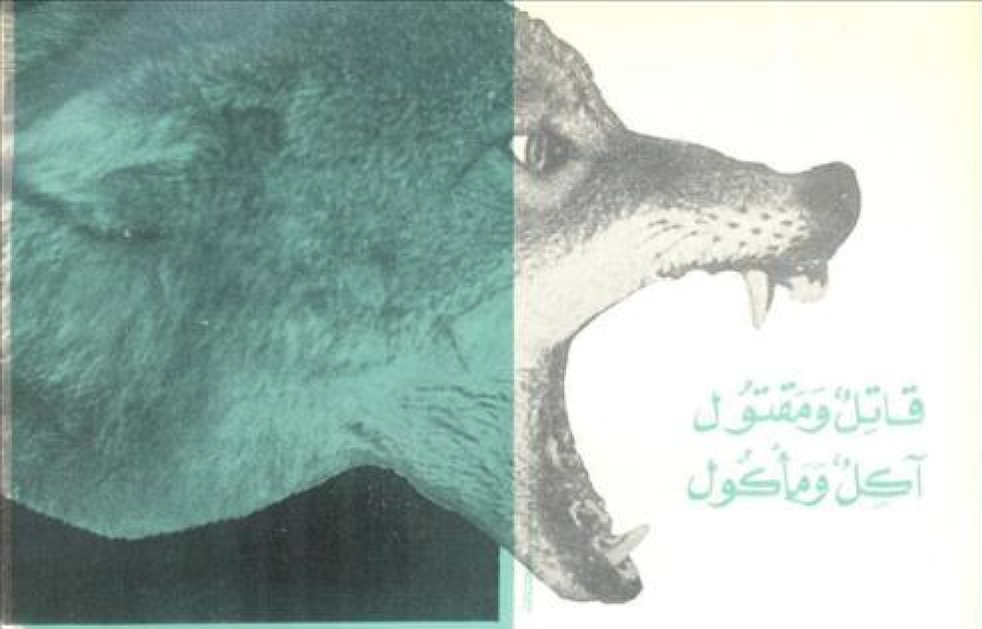
■ منذ سنوات ثلاث ، رأيت على شاشة التلفاز رحلة جماعة من العلماء ، خرجوا الى برارى افريقية الوسطى وادغالها ، يدرسون ما بها من صنوف الحيوانات . واتخذوا لهذه الرحلة الطائرة التى تسير في بطء ، على مقربة من الارض، تلك التى سموها الهيلوكبتر ، وعجز العرب ، في عجزهم الشائع عن اتفاق ، عن ابتداع اسم لهذه الطائرة ، له الجرس العربى ، يرضونه جميعا .

ومن هذه الطائرة راى الراكبوها ما يجرى في تلك البرارى والادغال من احداث صغار واحداث كبار . ورأت معهم العدسة التلفازية بالكمرة التى حملوا ، وبها سجلوا كل ما راوا .

وكان ما راوا ، ورأيت معهم بعد ذلك على الشاشة ، مناظر قطعان ، مئات احيانا ، من ذوات الحافر ، قابعة على سطح الارض ، وسائرة حينا ، ترود في ارض الله الواسعة المعشبة ما لا بد منه من طعام .

ورأيت من هذه القطعان ، قطيعا كبيرا، كأنه البقر ، وقد انتفض من مراقده على حين بغتة ، واطلق للريح سيقانه ، وما لبثت ان رأيت جماعة من الذئاب تجرى وراءه تطلب منه صيدا . ولحقت الذئاب باطراف القطيع ، واخذت تفصل عنه البقر الصغير الرضيع ، وتفترسه افتراسا . وكانت ساعة ذهلت فيها كل مرضعة من البقر عما ارضعت ، فلم تتريث الأمهات لتحميها ومضت لا تلوى على شيء .

واخذت العاطفة احد رجال الطائرة اخذا ، فهم بان يطلق على ذئب من الذئاب الرصاص وقد هم ان ينال فريسته الصغيرة الثائرة الجائعة المرتاعة . فقال له آخر : بالله لا تحرم الذئب من غدائه ، فلعله قد مضي عليه أيام اهلكه فيها الجوع .



وما أفلت ، لحقه بالفناء الزمان

نعم : « لا تحرم الذئب من غدائه !! » .

قاتل من الحيوان ومقتول .

توزعت بينهما عاطفة الرجلين ، وتعطلت بينهما لغة الآداب ، فلم تدر ما تقول .

حين لا يكون الشيء حقا أو باطلا

ان ظواهر هذا الوجود الكبرى جلت عن ان يكون فيها ما يستطيع انسان ان يسميها حقا ، وما يستطيع ان يسميها باطلا . انها امور خرجت عن نطاق الاحكام .

انك تحمل في يدك الشيء الهش الغالي ، وينفلت من يدك فيسقط على الارض ، فيتهشم ، ولكنك لا تغضب على الارض لان كل شيء ينجذب اليها .

وقد ينهار جانب من جبل على قرية فيدفنها دفنا ، ولا يغضب احد على الجبل ، بأن انحدر منه ، بفعل الجاذبية الارضية أيضا ، ما انحدر .

والرعد والبرق قد يثوران في السماء ثورة تجرى بأذيالها على الارض ، فتصعق ، او يفيض ماؤها فتغرق ، ولا يغضب احد على برق او رعد .

فجائع ، في نظرنا ، تصدر عن قوانين ثابتة في ارض وسماء ، لا تعي جوامد الارض والسماء ، من معنى الفجيعة فيها شيئا ، ولا من معنى العدل والظلم ، ولا من معنى الذم والحمد .

وكما في عالم الجوامد ، فكذلك في عالم الاحياء . .

كل يقتل ، وكل ياكل . وكل مقتول هو في دوره قاتل . وكل ماكول هو في دوره آكل ، ولو عشب الارض ، فما خلا العشب من حياة .

انه قانون الحياة ، ليس الى انكاره من سبيل .

وهو بين قوانين الحياة ، اصدق قانون ، واشمل قانون . وهو القانون

الذي اذا تعطل ، تعطلت معه الحياة كما نعرفها .

للاغذية سلاسل تجرى فيها

وتتمثل السلسلة الغذائية في أول مثل ذكرناه : الذئب يأكل الابقار (الوليدة)، والابقار تأكل العشب .

سلسلة ذات ثلاث حلقات ، كلها من الاحياء . العشب منها .

وقد تلتقي السلسلة بسلاسل أخرى فتتفرع او تتصالب . فقد يقتل الذئب الغزلان ويأكلها ، وقد يأكل الفئران ، والاسماك . والابقار يأكلها الاسد ، ويأكلها النمر . سلاسل تلتقي في حلقة او اكثر من حلقة من حلقاتها .

والسلسلة قد تطول . فالنمر يأكل الكلب (البرى) ، والكلب يأكل الارنب . والارنب يأكل العشب .

وفي الماء كما في الارض ، سلحفاة الماء تأكل السمك ، والسمك الكبير يأكل السمك الصغير ،والسمك يأكل القشريات البحرية ، والقشريات البحرية تأكل الحشرات المائية ، وهذه تأكل من أحياء البحر ما هو أصغر ، من الحيوانات البحرية والنباتات .

ولو جمعنا هذه السلاسل ، وكتبناها على صفحة من الورق ، وأشركنا فيها المشترك من الحلقات ، لتألف عندها « شبكة » ، كل ما فيها آكل ومأكول . وتعرف بالشبكة الغذائية .

اعشاب ← ابقار ← سباع

سلسلة من ثلاث حلقات .

أولها العشب وهو لا يأكل ، وانما يؤكل .

وآخرها السبع ، وهو يأكل ، وغالبا لا يؤكل حيا .

وبينهما ذو الحافر،وهو آكل ومأكول.

ومع هذا فلا بد للعشب من اصل سبق .

ولا بد للسبع من نهاية سوف تلحق .

اما العشب فليس يسبقه اصل من حياة ، ان العشب نفسه الذى يصنع الحياة . انه يصنعها من ثاني اكسيد الكربون الذى بالهواء ، ومما في الارض من ماء ، ومما فيها من املاح معدنية ، يجمع بينها جميعا شعاع الشمس ، فيخيطها خيطا كما يخاط الثوب، ويصنع منها الحياة : خلايا حية تنمو ، ومع النماء هي تتنفس. وفيها السكر والنشا والبروتينات ، وحتى الزيوت . انه النبات الذى يغطى سطح الارض،بعشبه، وعيدانه ، وشجره ، وثمره .

والعشب والنبات جميعه قوت الحيوانات ، التى تأكل العشب ، وتأكل من الشجيرات والشجر ورقهما وحبهما، وثمرهما. والبقر منها فهو عاشب. والفيل منها،والغزال والوعل،وحمار الوحش. وبعض الحشرات . وبعض الطير .

والنبات اول أشكال الحياة ، بل هو غذاء الحياة جميعا ، من كل صنف ، وكل نوع .

ومن وراء النبات تقبع الشمس ، تمد بطاقتها الى الارض ، في صمت ، هو أجدر شيء بالمختبرات الأولى التى تجرى فيها عمليات الخلق .

حتى في البحر ، تبدأ الحياة بمثل ما تبدأ به على الارض . خلايا نباتية ، تبنى في الماء ما تبنيه خلايا النبات فى التراب . من ماء وملح، واكسيد كربون، واشعة شمس . واذ صارت نباتا ، اكلها الحيوان البحرى الصغير ، لياكله الكبير .

ويأتى بعد آكلات النبات ، في أرض او بحر ، آكلات اللحم . وهى تأكل آكلات النبات ، في أرض او بحر .

والنبات طيّع ، لا يمنع آكله أن يأكل . والحيوانات تمنع آكلها ، فتدفع عن نفسها . واذن تقوم المعركة متصلة دائمة،ميدانها الارض،والبحر،والهواء .

وتغير الحيوانات آكلات اللحم ، من ساكنات أرض او هواء او بحر ، على آكلات العشب وآكلات اللحم حيثما كانت . تغير على سمك في بحر . وتغير

على طير في هواء . والطير يهبط من هواء، جارحا أو غير جارح ، يطلب رزقه من نبات ، أو من حشرات ، او من حيوان زاحف ، أو حتى من انسان طفل رضيع.

ومعنى هذا ان آكلات اللحم تمتد معاركها الى آكلات اللحم ، التي هي اصغر منها ، او اضعف منها ، او اقل حيلة .

وآكلات اللحم تأكل الحيوانات ذات اللحم لأنها لا تستطيع اكل غيره .

فى اللحم طاقة فوق طاقة النبْت

ان الحياة مادة وطاقة .

وجسم الانسان ، وجسم الحيوان ، مادة تمس وتوزن . ولكن بها طاقة خفية هي التى تخرج منها الحركة وهي طاقة، وهي التى تجرى التبدل والتحول الجثماني من هضم ، وامتصاص ودورة دم ، ودقات قلب ، وحتى الفكر ، وهو من طاقة .

والحياة تبدأ من الشمس ، وما في الهواء من اكسيد كربون ، وما في الارض من ماء وملح . فهذا ما سبق ذكره . وهذه مواد طاقتها ادنى طاقة .

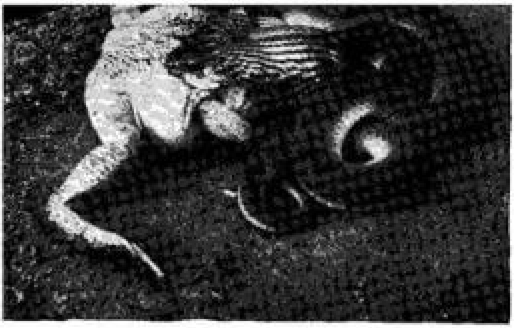
ومنها يصنع النبات مادته . فتخرج وبها من الطاقة اكثر كثيرا مما في المواد الاولية التى صنعها منها (اكسيد الكربون ، والماء ، وملح الارض) . فهى اكثر تركزا . تركزّ طاقة .

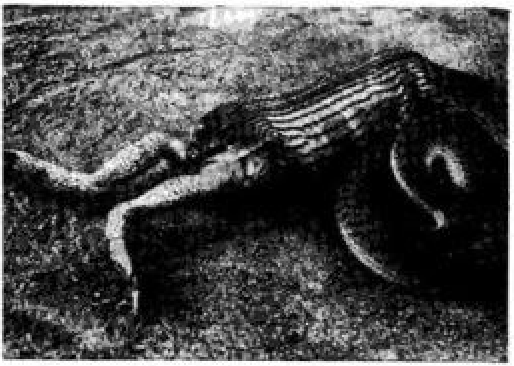
ثم يأتي الحيوان آكل العشب فيأكل هذه المادة المركزة ، ورقا ، أو ثمرا ، أو حبا . ويهضمها مفككا اياها ، ثم هو يركب منها مادة اللحم، وهي اغزر طاقة، واغزر كثيرا .

ويأتي الحيوان آكل اللحم فيلتهم اللحم ، وهو اغزر ماكول طاقة .

واثر هذا في توزع هذه الاقسام الثلاثة على الارض (النبات ، فآكلات النبات ، فآكلات اللحم) بيّن ظاهر .

النبات أوسع الاحياء انتشارا في الارض . انه طاقة مركزة نوعا .





قسوة الحياة : ثعبان يبلع ضفدعا حيا سمينا ، وقد كاد ان يختفي في بطنه . هل تلومه؟

يليه في الانتشار آكلات النبات من الحيوان . ومنها كل ذى حافر .

يلي هذه في الانتشار آكلات اللحوم . ومنها كل ذى مخلب وناب . وطعامها اكثر الاطعمة تركز طاقة . ولا ننسى الانسان .

وبسبب هذا ايضا نجد حيوانا ، آكل عشب ، كالفيل ، يحتاج الى ان ياكل من النبات في اليوم الواحد ما بين ٣٠٠ الى ٤٠٠ رطل من اخضر الطعام. وذلك لأنه طعام غير مركز . واذن فهو يقضي اكثر نهاره يطلب طعاما .

اما آكل اللحم من الحيوان ، فقد يأكل الوجبة الواحدة ، من اللحم ، وهي أشد تركزا ، فتكفيه يوما كاملا وأكثر من يوم .

ليس احد بناج ، ولا حتى الضخام من آكلات اللحوم

ونقول ان الاحياء آكل ومأكول. ولكنا

تأتي على الاسد فنتساءل ، اين آكلـه ؟ وتأتي على الفيل فنتساءل ، أين آكله . والدب وغير ذلك من اللاحمات التي تأتي في أعلى سلاسل الطعام فلا يأكلها شيء .

اتنجو ؟

والجواب : لا

انها تموت. ثم لا تلبث أصغر الكائنات الحية أن تجعل من جسمها مائدة فاخرة عظيمة . انها كائنات التحليل والتفكيك والعفن والفساد .

واهمها البكتير . وعمله حل المواد العضوية التي تتالف منها الجثة الى مواد كيماوية ابسط تركيبا. فالبروتينات تنحل الى احماض امينية مثلا . ثم تنحل هذه الى النشادر ، ثم تتأكسد هذه الى املاح الآزوتات . والآزوت المركب من هذه الاملاح سماد ينفع الحياة ، في ارض او بحر ، في نشأتها الاولى .

ومن نتائج هذا التحلل خروج ثاني اكسيد الكربون الى الجو ، ليعيد سيرته الاولى .

والبكتير وهو يصنع هذا ، ليس ينسى نفسه. انه يتغذى ، ويصبح طعاما للاحياء الحيوانية الدقيقة في ادنى صورها . تلك الحيوانات التي تتغذى بها حيوانات أعلى درجة ، فتتغذى بها حيوانات اعلى منها ، وهكذا حتى ارقى صور الحياة .

انها دورة : حياة درجات ، تهبط من أعلى درجاتها ، الى أدنى دركاتها ، ثم تعود ترتفع،لتهبط بعد ذلك منخفضة، في دورة متصلة دائمة دائبة .

الطبيعة ، لا تبالي أن يخلد الفرد ، ولكن تبالي أن يتصل الجنس

والطبيعة ، كما ترى ، يبدأ الفرد فيها ، من نبات وحيوان وانسان ، بالحياة ، لينتهي الى فناء مهما طال عيشه . حتى الشجر الكبير له يوم تسكت فيه أنفاسه (الشجر يتنفس) .

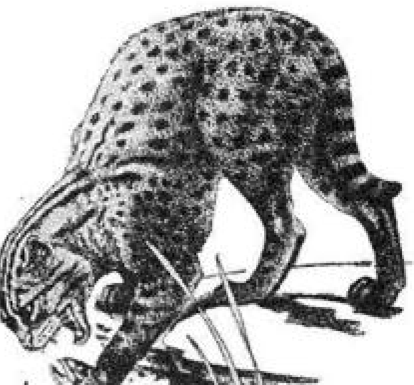
همّ الطبيعة في البذرة التي تنتج الشجرة. وهمها في البيضة الملقحة التي تنتج الحيوان . وفي اشباه هذه مما يتصل بالنسل .

هذا الاتصال هو هم الطبيعة في الحياة. وحتى الرجل ، كأنه عند الطبيعة ذو بال فقط ما دام ينتج . وكذا المرأة . فان بلغا الكهولة التي ينتهي عندها النسل ، اختصرت الطبيعة حياتهم ليتسع الكون لحياة جديدة . وتأتي الحياة الجديدة لتزول ، ليحل محلها جديد . وهكذا دواليك .

فمن جاءته الكهولة بالعجز، ثم أوشك، فليطمئن ، فهذه ارادة الله .

وحتى البكتير ، ذلك الذي يسمونه القمّام ، لانه يقوم بتحليل الاجسام بعد موتها ، فتتخلص الارض منها والبحار ، باعتبار ان الجثث قمامة ، هذا البكتير نفسه لا يعدم الموت . انه يتكاثر أسرع شيء . البكتيرة الواحدة تنتج الملايين سريعا والبلايين ، ولكنها لا تلبث أن تستهلك طعاما لغيرها أو تفنى .

ومن عجب ان يظهر البحث العلمي



وحتى القط البرى ، منه نوع يعرف بالقط السماك ، يدخل الماء ليرفع بمخلبه السمك منه .



حتى الوطواط ، منه أنواع تهبط الى الماء ، حيث السمك الصغير كثير تحت سطحه ، فتفترف منه بمخلبها .

● ● ●

الحديث ، في هذه السنوات الستينية الاخيرة ، أن من البكتير ما يتغذى بالبكتير . انه يفترسه . فحتى تحت المجهر نجد معركة الحياة قائمة

ظفر وناب

وقد ذكرنا أن النبات طيّع ، يأكله آكله ولا يمتنع .

ولكن ما هكذا الحيوان .

انها معركة . ولكن لا بد في المعركة من سلاح .

واظهر سلاح هذه المعارك الظفر والناب .

وقد حرمت العاشبات من الحيوان الظفر والناب .

الظفر في المواشي ظلف ، وفي الخيول حوافر .

والاسنان : قاطعات من أمام ، بعدها الناب يمينا ويسارا ، ثم الاضراس الطاحنات .

وهي في الحيوانات العاشبة تقطع وتطحن ، ولكنها لا تجرح لتقتل .

اما في الحيوانات اللاحمة فالانياب فيها خارجات بارزات مدببات كالخناجر متهيئات لتخرج وتبرز ، ولتدمي ولتمزّق . والفك الذى يحملها كأنه الحديد .

والفريزة علمت الأسد أين يجرح ليقتل ، وعلمت النمر والفهد ، وعلمت حتى الكلب . ان الكلب البرى أول ما ينال من الوعل رقبته . فمن يا ترى أدراه ؟ !

والفيل ، خرج من فكه الاعلى سنان علويتان قاطعتان ، فامتدتا وطالتا . وهما السلاح اذا وقعت واقعة اضطرت فيها الفيلة الى الدفاع عن اطفالها ، وهذه كثيرا ما تكون هدف القط الكبير ، اعنى الفهود والنمور . والفيل يبقر بسنّه بطون اعدائه بقرا .

ومن اجل رجحان كفه اللاحمات على العاشبات من الحيوان ، الفت العاشبات العيش فى القطيع . ان الزحام مَهيب . حتى الأسود تهابه . ولهذا هى تتلصص حتى تقترب . والأسد يدور حول القطيع ، شمالا مثلا ، ليثيره الى الهرب جنوبا ، بينا فى الجنوب قبعت اللبؤة تنتظر وصوله . وهى عندئذ تتلقف منه فريستها .

واللبؤة تقتل ، وتنتظر حتى يبدا الأسد طعامه. وتأتى هى من بعده لتأكل ، تماما كما يفعل بعض أهل الريف . اليست هى الأنثى ؟!

وجاموس انفرد عن قطيعه ، فنالته ذئاب ، والذئاب تصيد جماعات جماعات ، والتفت حوله . وأخذت تقترب على حذر . وهجم قائدهم ، وهو ذو حجم صغير اذا نسب الى حجم الجاموس الكبير . فما درى الا والجاموس يرفسه بالمؤخر من قدميه ويناله . ويذهب هذا ويأتى ثان يحاول ما خاب فيه صاحبه ، ويخفق . ويتراءى للجميع أن هذا الجاموس عصيّ عليهم فيتركونه .

ولكن كثيرا ما ترجح كفتهم ، فيكون لهم ، وهم عشر وعشرون ، من لحم الجاموس طعام هنيء .

ليس الظفر والناب كل شيء

والقرون من أدوات الدفاع ، لا شك في هذا . ولكنها لا تنفع والعدو ضخم كاسر . واكثر ما يستخدم الوعل الذكر قرونه في أهل جنسه فهو بها يدفع عن حريمه ضد كل « زير نساء » من الوعل، لا سيما وفصل الحب قائم .

والدروع من أدوات الدفاع . ومن اشهر الدروع درع السلحفاة ، فهي اذا أخيفت وتوجست شرا ، دخلت تحتمي في بيتها فلا ينالها الشر .

وجلد الفيل ، وجلد وحيد القرن ، سميك اكثر السمك ، فهو كالدرع يحمي صاحبه في القتال . فهو لا يجرح بسهولة . وللفيل من ضخامته ، وكذا لوحيد القرن ، هيبة تدركها بحكم الطبع الجارحات من الحيوان. حتى الانسان، الضخامة تخيفه . بحكم الطبع ايضا ، لاول وهلة، لا سيما اذا صحبها حركة .

والشوك، يحوط الجسم ، يدفع الأعداء فلا يحاولون غزوا . ومثال ذلك القنفذ، يكور نفسه فلا يرى الناظر اليه الا كرة من شوك .

« البقية ص ٣٨ »



مثل من قانون التوازن في الطبيعة : من المقدر أن البومة الواحدة تأكل عشرة في الوجبة الواحدة من فئران الحقول . ولا يمضي على ذلك غير ٤ ساعات ، حتى تحس بالحاجة الى وجبة أخرى . ومن المقدر أيضا أن الفأر الواحد يأكل في العام ما بين ٢٤ الى ٣٠ رطلا من محاصيل الحقول الخضراء . وإذن فالبومة الواحدة توفر على الفلاح ما بين ٢٤٠ الى ٣٦٠ رطلا من محاصيله . فكيف ان كان بالحقل ١٠٠٠ فأر ؟ . انها تأكل على الأقل ١٢ طنا من الطعام .

معركة
حياة أو موت
بين ساكن سماء
وساكن أرض



بومة من ذوات القرون لمحت ثعبانا فهبطت عليه



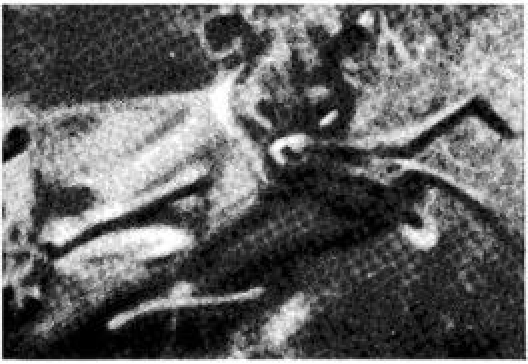
وسقطت عليه فافلتته، اذ سقطت على ذيله ، ويحاول الثعبان ان يهرب



وتعاود البومة الكرة فيشتبكان ، وتكاد البومة تقهر ، عندما حاول الثعبان ان يلتف حولها ليخنقها .

(تتمة المعركة بعد صفحتين)





وَعل" ينط نطة يائسة من فوق اسد فيظن انه نجا . وما نجا.
لأن لبؤة قاعدة بالمرصاد تلقفته، ومارست فيه صنعة الحياة.

من الدفاع : الاختفاء والتخفى

وفي الحروب يفوت الضعيف على القوى النصر، وذلك بالهرب . سلاحه في ارجل له سريعة . فهكذا الغزال . وهو ينط فوق راس الاسد كما لا يستطيع حيوان . وهو بهذا يفوز بالنجاة . الا ان يتلقاه عند هبوطه اسد آخر او لبؤة قعدت له بالمرصاد . فهذه من حيل الآساد .

ومن طرائق النجاة للضعيف الاختفاء في الجحور، فكذلك يفعل الفار والارنب ، وما هو اكبر منهما، وما هو أصغر .

والتخفى غير الاختفاء .

ان التخفى هو التمويه والتعمية على الناظر . وفي هذا تشد الطبيعة فيه ازر الضعيف من الحيوان شداً .

فالحمار الوحشى ، والمخطط اسم أصحّ له ، من خطوطه ما يتعمى به عن الانظار ، وهو في دغل من الادغال فلا يراه الناظر .

التخفى فى الحشرات

والحشرات هى أكثر سكان هذا الارض عددا . ويتمثل فيها أكثر من ثلاثة أرباع أنواع الحيوانات جميعها .

ومن أنواع الحشرات ما يتغذى بالنباتات ، وهو لو ترك له المجال لتكاثر حتى أتى علىأكثر نبات الارض ،والنبات هو الاصل الذى منه تبدأ حياة الأحياء جميعا .

لهذا كان من الحشر أنواع تأكل الحشر . وزادت الطبيعة تامينا للزرع، والشجر ، بأن جعلت لهذا الحشر ، آكل الحشر ، حيوانات تأكله . انها آكلات بعضها فوق بعض طبقات .

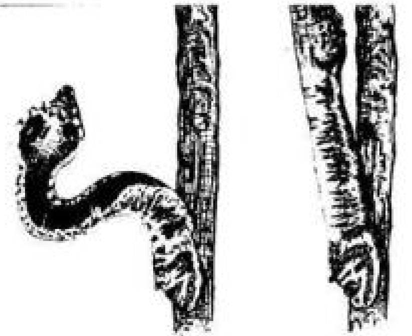
انه مثل من « ميزان الطبيعة » Balance of Nature الشهير الذى لا يأذن لصنف من الحيوان جملةأن يطغى جملة . فهو كالميزان السياسى بين امم الأرض . لا بد للقوة الغاشمة أن تقابلها في الكفة الأخرى قوة تكافئها والا انقلب الميزان ، وافترست سباع بنى الناس خرافها والنعاج .

والجراد مثل من ذلك ، فى سرعة تناسله ، والتهامه الزرع ، ومع التهام الزرع نضوب الضرع .

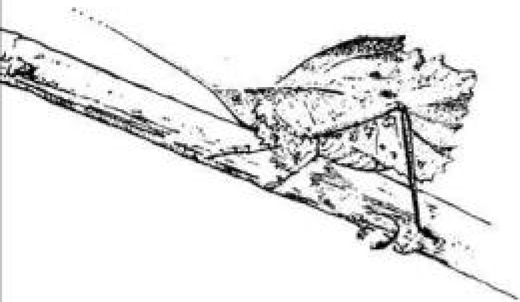
والصراع ليس قائما فى دنيا الحشر ، بين آكلات النبات فيه ، وآكلات الحشر فحسب ، فالحشر غذاء مستطاب لأنواع من الحيوان عدة ، مما هو ارفع فيجدول الحيوانات مكانة . فالطير يأكل الحشر . وتأكله كذلك السحالي،والضفادع وحتى القردة ، وانواع عدة يصعب حصرها .

ولما كان الحشر هو فى الدرك الأسفل من ضعف الحيلة ، فقد أعانته الطبيعة خاصة بالتخفى .

والحشرة قد تتخفى على الشجر ، وتموه على ناظرها ، وتتعمى ، بسبب شكلها ، أو شكل تستطيع أن تتخذه ، تقف به على فرع النبات ، فتمتزج مع الفرع امتزاجا . حتى الاجنحة قد تمتد لتشبه ورقه .



التخفى : أسروع (دودة تنقلب فراشا)، يلتصق بساق نبات ، ويتخفى بأن يمتد كأنه فرع منه . وفي الصورة الثانية نفس « الأسروع » وقد هاج فظهرت حقيقته .



التخفى : الجندب أو النطاط Grasshopper ،وقد حط على فرع شجرة، فكانت لأجنحته صورة ورق الشجر .

ومن أدوات التخفى اللون ، تعطيه الطبيعة لينسجم مع البيئة التى يسكنها الحشر .

والتخفى حيلة الضعيف .

وكذا السم . سم الثعبان ، وهو من الزواحف، يقتل به ضحيته ، أو يخدرها به ، قبل التهامها. وليس السم من سلاح ذى الناب الكاسر .

والسم من سلاح الحشر . ندرك ذلك من قرصة الطنبور والنحلة النملة .

ومن التخفى التماوت ، يلحق الكلب البرى بالابسوم Opossum (من الحيوانات ذات الثدى، لأنثاه كيس تحمل فيه وليدها) ، فيسقط بظهره على الأرض لتوه ، ووجهه الى اعلى . ويسكن سكون الموت . حتى عيناه تلمعان كالزجاج.ويعاف الكلب الموتى ، فيذهب . ويصحو الابسوم من بعد ذلك على حذر .

والتخفى والتمويه والتعمية بكل صنوفها اسلحة يمارسها الانسان . فالتخفى في حرب (الكامفلاج)، والسم في حرب وفي سلم ، والتمارض على الصحة، كلها بعض حيلة الانسان .

الانسان حيوان ضار ، هذب من طباعه الزمان

والانسان اخاله بدأ وحشيا بين وحشان ، بريًا يعيش فى البرارى .

أو هكذا يحدثنا العلماء .

بدأ لا يعرف الزرع ، فهو اذن يدور على نبات الأرض يأكل من حبه ، وعلى شجره يأكل من ثمره .

وليس للانسان ناب ، ولا ظفر ، فهو يفترس بحيلته كما تفترس السباع . أكبر سلاحه العقل ، وبالعقل ابتدع السلاح ، مصنوعا ، لا مطبوعا .

ثم تعلم كيف يزرع ، فاستنبت من تربة الأرض كل ما استطاع من طعام

(البقية بصفحة ٤٢)



أبسوم منذوات الكيس البطنى تحمل فيه الانثى وليدها Opossum ، لحق به كلب برى، فتظاهر بالموت. الرقدةُ على الظهر، والوجهُ الى أعلى. والعينان بهما بريق صامت كالزجاج . ويحس الابسوم برجوع الكلب عنه ، فتعود اليه الحياة .



((تتمة)) معركة

ثم يتم النصر للبومة ، فبمخالبها أمسكت جسمه فما استطاع

والنهاية معروفة ، وجبة



الحياة والموت

حراكا ، وبمنقارها طعنته عند رأسه طعنة قاضية .

من الطعام هنيئة .





التخفي : وتصنعه الطبيعة . فابن عرس Weasel هنا ، من ساكني الشمال ، تكسوه الطبيعةفي الشتاء كسوة بيضاء، تذوب في الثلوج ، فلا يراها الناظر، أما في الصيف فتكسوه كسوة رمداء .

ثم تعلم كيف يستأنس الحيوان ، فاستأنس الشياه والأبقار وما اليهما . ومن الطير استأنس الدجاج والبط والأوز وما اليها . ولم يستطع أن يستأنس أسماك البحار فظل على صيده اياها .

ضراوة الصيد خفتت عن الانسان .

انه يستأنس ، فيطعم الحيوان الذى استأنس من زرعه ، ويطعمه من حبه ومن ثمره . ويسمنه من شبع . ويحميه من علل . ويرأف به ويحنو عليه . حتى اذا بلغ من ذلك غاية ، ساقه الى حيث يذبح ويجزر او ينحر . وهو يذهب الى الذبح طائعا . او لم يكن قد استأنس !

ويتلطف الانسان ، يحمى احاسيسه من منظر الدم المسفوح ، فيخفى بالماء عن عينيه كل اثر من حمرة . ويعلق الجزار فى دكانه جثثا ، يضعها صفا ، لا تثير فى رائيها الا التحرق للطعام .

ويتلطف الانسان على المائدة ، ويترفق . وفى وقار الرجل المتمدين وتؤدته يقطع بالسكين ، ويلتقم بالشوكة ، ويمسح شفتيه برقيق النسيج .

جريمة تهذبت ؟

ابدا .

انه حكم الطبع . انه امتداد لقانون الحياة . قاتل ومقتول . آكل ومأكول .

انه الحلال الذى لا مرية فيه . انه العدل وان تخضّب بالدم . ظاهره القسوة ، وباطنه الحقيقة حلوة او مرة .

انها السكين تستبق عوامل الفناء ، عوامل العجز ، عوامل الشيخوخة ، تلك التى تنتهى بالحى ، الى حيث لا محيص من انتهاء .

واعود فاقول ، لا لوم على أحد فى شيء من ذلك ولا تثريب .

واعود فاقول لا لوم على الحجر اذا هو تدحرج على سفح جبل . ولا لوم على عاصفة اذا هى ابرقت وارعدت ثم اغرقت .

ظواهر فى الكون الجامد لا هى بالخير ولا هى بالشر .

وكذلك هى فى الكون الحىّ ، يأكل بعضه بعضا .

وعند الطبيعة ، وهى من ارادة الله القوىّ العلى ، انه لا بد من زوال الفرد ، حتى لا تضيق به الأرض . فهو ليس بخالد . ولكن تتصل الانواع وتخلد ، أبا عن جد ، وهى خالدة ما شاء لها الله الخلود .

وكل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام .

●●

احمد زكى

صفحة في اللغة

لُغَاتُ أَهْلِ الأَرْض

■ اللغات أصلا أصوات ، وليست كلمات .

ان الكلمة صوت يرمز الى معنى ، وكتابة الكلمة رسم يرمز الى هذا الصوت . والصوت هو الأصل .

والصوت يصنعه الهواء ، يخرج من رئة الانسان ، وتقوم الحنجرة ، ويقوم اللسان ، ويقوم الفم وحتى الأنف ، باعطائه شكلا خاصا ، هو الكلمة المسموعة .

واذن ، فالكلمات أشكال الاف ؛ لأصوات آلاف ، هي الكلام .

واللغة يتعلمها الطفل من وقت أن يستطيع ان يقول « با » ويقول « ما » .

وهو يتعلمها بالتقليد . ولولا الأب والأم ، ولولا الخال والعم ، وسائر الناس ، لنشأ الطفل أخرس ، لا يعرف ، ما الكلام .

واللغة لا دخل لها بالعرق . فالصيني لو نشأ طفلا في المانيا مثلا ، لنشأ ينطق الالمانية كما ينطقها الالماني . وكذا الالماني اذا نشأ في الصين . اعني ان اللغة شيء مصنوع . ويبقى الوجه موروثا غير مصنوع .

الحاضر والمنقرض

ونتحدث عن الحيوانات والنباتات ، فنذكر منها الذي انقرض ، ونذكر منها الذي لا يزال بيننا يجري الحياة على سطح الأرض ، في وديانها وجبالها ، وسهلها والحَزْن ، يشب وينمو ، ويمارس العيش .

والذي انقرض من الأحياء يترك بقايا من عظام ، وغير عظام ، في حفائر الأرض .

واللغات كذلك منها الحي ، ومنها الذي انقرض .

والذي انقرض من اللغات انقرض مع اقوامه . وهو ما انقرض الا لانقراض اقوامه .

والذي انقرض من اللغات لا نجد له على الاكثر اثرا ، لانه انقرض قبل أن يكون للأصوات ، أي لألفاظ الكلام ، تسجيل ، هي الكتابة . ان اللغات التي انقرضت ، ذهبت ، ولم تخلف رفاتا او عظاما .

عدد لغات العالم

وعدد لغات العالم شيء كثير ، عدوها فكانت الوفا .

والعدد يتوقف على ما نقضي عليه منها بانه لغة مستقلة ، وما نقضي بانه انما هو لهجة من لغة حية ، وما أكثر اللهجات .

فاذا نحن قلنا ان عدد اللغات اليوم ، مع ملاحظة هذا الاعتبار ، تتراوح بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ لغة ، لم نعدُ الصواب كثيرا .

أنواع اللغات

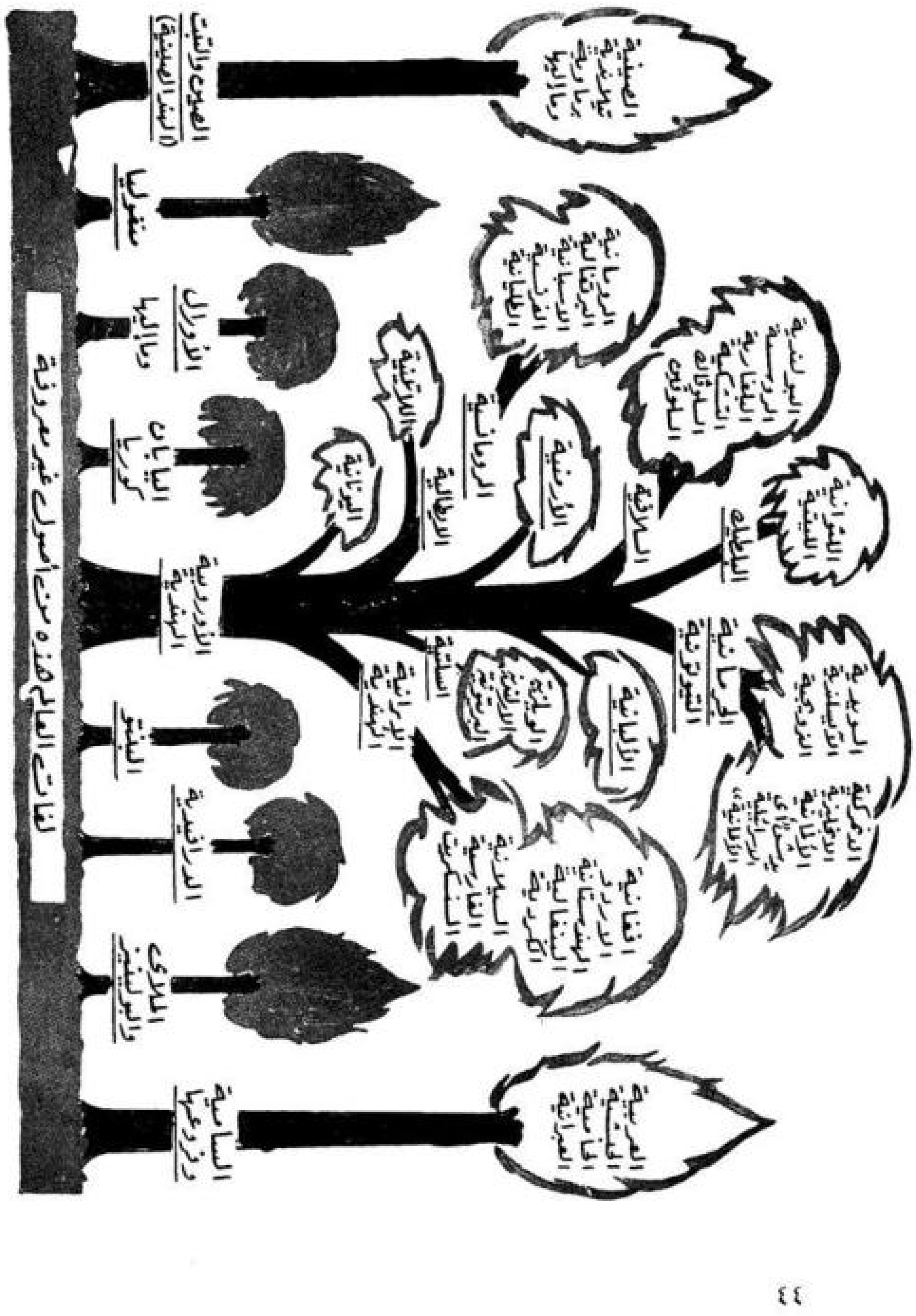
وكل باحث يطلب المعرفة ، يهدف دائما الى التصنيف والتبويب ، المبنيّ على التحليل ، ووضع المتشابهات ، كلاً في خانة .

وقد صنعوا ذلك في اللغات ، فوجدوا ان بينها اشباها ، استطاعوا بناء عليها ان يصنفوها ٣ أصناف ، على قدر الامكان .

وهي صنوف ليست متميزة ، بعضها عن بعض كل التميز ، ولا متفاصلة كل التفاصل .

اللغات العازلة

وهي لغات فيها الكلمة الواحدة غير متغيرة ، لا تشتق منها كلمات . انها اسم ، وفعل ، وصفة ،



وظرف في آن واحد . واكثر هذه اللغات كلماتها ذات مقطع واحد ، واكثرها عندها للكلمة الواحدة اكثر من صوت واحد ، تنطقها نغمة عالية ، او تنطقها نغمة منخفضة ، او تنطقها متطاولة ، او تنطقها متقاصرة . ولكل من هذه الانغام للكلمة الواحدة معنى بذاته .

وتتعدد الانغام وتختلف . فاللغة الصينية الكنتونية بها ست نغمات ، وكذا السيامية . اما لغة برما فلها نغمتان .

ومن اللغات العازلة Isolating اللغات الصينية التبتية .

ومن اللغات العازلة كثير من لغات افريقيا ، وهى تبلغ ما بين ٥٠٠ الى ٧٠٠ لغة .

ومن اللغات الهندية الاوروبية ، وهى غير عازلة (وسنتحدث عنها) ، لغات مالت الى هذا المزاج العازل بعض الشيء ، لا سيما الانجليزية . مثال ذلك لفظ Light . انه اسم ، وفعل ، وصفة : النور ، او ينير ، أو منير . ويفرق بين المعانى الثلاث موضعُ اللفظ من الجملة ، أى السياق .

اللغات اللاصقة

وهى التى تؤلف الكلمات فيها باللصق ، فيتغير معناها ويتبدل .

واللصق يكون باضافة مقطعين ، بعضا الى بعض ، فتكون كلمة لها معنى جديد . او قد تصنع الكلمة من أكثر من مقطعين .

وهذا الصنف اللاصق Agglutinative من اللغات هو أكثر الصنوف الثلاثة في اللغات عددا . وهو يتضمن اللغة السومرية القديمة ، ولغة اورال والقوقاز ، واللغات الدرافيدية ، واليابانية والكورية ، ولغات المحيط الهادى ، واللغات الافريقية ، واللغات الوطنية لمواطني امريكا الاصليين .

اللغات المتصرِّفة

وهي اللغات التي تدخل كلماتها التصريف ، فالكلمة يتغير بناؤها ، فتدل على معنى جديد : كَتَبَ ، يكتب ، كاتب ، مكتوب ، كِتاب ، كُتُب ، وما الى ذلك .

ويدخل في هذا الصنف اللغات الهندية الأوروبية ، وكذا اللغات السامية ومنها اللغة العربية ، وكذا الحامية .

ويلاحظ ان بعضا من هذه اللغات المتصرفة Inflectional ما يُضيف الى الكلمة مقطعا تُصدَّر به الكلمة فيتغير معناها Prefix أى سابقة ، أو مقطعا تُذيَّل به الكلمة فيتغير معناها Suffix ، أي لاحقة او كاسحة .

وهذا من صفة اللغات اللاصقة (لا المتصرفة) . ومعنى هذا ان اللغات قد لا تكون لاصقة خالصة او متصرفة خالصة .

ومثال اللغات المتصرفة التى مالت الى اللصق اللغة الانجليزية . فنقول Hope ومعناها الرجاء ، ونقول Hopeful ومعناها ملىء بالرجاء ، ونقول Hopeless ومعناها لا رجاء فيه . ونقول Sense ومعناها « معنى » . ونقول Nonsense ومعناها « لا معنى له » . وهلم جرا .

أصول لغات الأرض

سؤال : هل نشأت لغات الأرض من اصل واحد ، أم هى اصول متعددة ؟

هذه بحوث صعبة لم تعالج بجد الا في القرن التاسع عشر . وهى بحوث انتهت الى علم نشأ يعرف الآن بعلم اللغات المقارن Comparative Philology ، ينظر فيه العلماء عما بين اللغات من اشباه . ويصنفونها اصنافا عامة . ثم يفرِّعونها فروعا شتى .

والكثير من نتائج هذا العلم فيه الكثير من الشك ، والكثير من اليقين .

على كل حال ، قد ارفقنا بهذه الكلمة « شجرة اللغات » وهى تعطى فكرة عامة عن عائلات لغات الأرض المختلفة . وما تفرع منها ، والفرع الواحد يحمل لغات متشابهات .

ان جذورا نشأت منها هذه اللغات طواها التاريخ ، وهى اليوم ترقد في اعماقه ، يعجز الانسان عن استشفافها . انه كاستشفاف الغيب . وليس للانسان الا الحاضر من هذه اللغات . وهذه اللغات الحاضرة انما هى انسال تلك اللغات البعيدة الغابرة . والولد كثيرا ما يحمل من اجداده سماتٍ تدل عليهم ، مهما طال الزمان . ●●

ما أشبه الليلة بالبارحة

الـدولة الفاطميـة ودولة الروم البيزنطية

بقلم : الدكتور محمد جمال الدين سرور
استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ اتجهت سياسة الفاطميين بعد أن امتـد نفوذهم الى مصر فى عهد المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) الى استعادة المدن التى استولى عليها البيزنطيون فى شمال الشام ليقضوا بذلك على الأخطار التى تهدد نفوذهم فى هـذه البلاد ، وقام بتنفيذ هذه السياسة القائد الفاطمى جعفر بن فلاح الذى جهز جيشا كبيرا لاسترداد انطاكية من الروم ، ولكن الحملات الفاطمية التى ارسلت لاجلائهم عنها ، فشلت فى تحقيق هذه السياسة .

واخذ البيزنطيون يواصلون شن اغاراتهم على بلاد الشام ، فتقدم الامبراطور حنا زيمسكيس فى سنة ٩٧٥ م من انطاكية الى حمص ، ومنها الى بعلبك . واضطرت دمشق الى التسليم ودفع الجزية له ، كما سلمت له طبرية وقيسـارية . لكنه ما لبث أن عدل عن التقدم جنوبا لانتزاع بيت المقدس ، وسار شمالا حيث استولى على بعض المدن الساحلية مثل بيروت وصيدا . ولما حاول الاستيلاء على طرابلس ، اوقعت حامية المدينة يعاونها الاسطول الفاطمى الهزيمة بقواته . ثم عادت الجيوش البيزنطية الى انطاكية ، وعـاد الامبراطور الى القسطنطينية حيث توفى فى اوائل سنة ٩٧٦ م .

هدنة بين الفاطميين والبيزنطيين ، وهدية من ذهب

ظل النزاع قائما بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية حتى سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) حيث قدمت الى مصر رسل الامبراطور باسيل الثانى ، تحمل هدية للخليفة العزيز ، وتطلب عقـد صلح بين الدولتين ، واشتملت الهدية على ثمان وعشرين صينية من الذهب ، فأجاب الخليفة الفاطمى طلب هؤلاء السفراء ، واشترط للصلح عدة شروط منها ،

١ ـ أن يطلق البيزنطيون سراح من عندهم من الأسرى المسلمين .

٢ ـ أن يدعى للخليفة العزيز بجامع القسطنطينية فى خطبة الجمعة .

٣ ـ أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقـين مدة سبع سنوات .

أمير الحمدانيين بحلب ، يستنجد بالروم على الفاطميين ، ويغلب الفاطميون

لم يكن لهذه الهدنة أثر كبير فى وقف تيـار الحرب بين الفاطميين والبيزنطيين ، لأن سيد الدولة أبا الفضائل بن حمدان أمير الحمدانيين

وما جرى بينهما من حروب لم تهدأ حتى تثور واستنجد فيها العرب على العرب بالروم!

بحلب لما علم بتوغل الفاطميين فى بلاد الشام استنجد بامبراطور الروم باسيل الثانى فامده بحملة ، والتقت القوات المصرية والبيزنطية على ضفاف نهر العاصى ، ولحقت الهزيمة بالبيزنطيين سنة ٣٨١ هـ ، وعاد القائد الفاطمى الى دمشق لنفاد الاقوات ، فاستاء العزيز لذلك وامره بفتح حلب ، وأرسل اليه المؤن ، فسار اليها فى العام التالى وحاصرها حصارا شديدا حتى اضطر أميرها الى الاستنجاد بالامبراطور مرة ثانية ،وكتب اليه يقول :

« متى اخذت حلب ، اخذت انطاكية ، ومتى اخذت انطاكية ، اخذت قسطنطينية » ..

امبراطور الروم يبسط سلطانه على أكثر ساحل الشام

لما رأى باسيل الثانى الخطر الذى يهدد بلاده من جراء هجوم الفاطميين على حلب ، عول على السير اليها بنفسه ، فاستولى على حصن شيزر ، ثم فتح حمص ، وأخذ يتابع سيره حتى وصل طرابلس . ولما تعذر عليه فتحها عاد الى القسطنطينية سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) بعد أن بسط سلطانه على معظم ساحل الشام .

أسطول مصرى في البحر ، وجيش عرمرم في البر ، ولكن يموت الخليفة « العزيز »

وعندما وقف العزيز على مدى تقدم البيزنطيين فى بلاد الشام ، استقر رأيه على ان يسير بنفسه لصد قواتهم ، فجهز حملة برية ، كما أمر وزيره بانشاء أسطول يسير بحرا الى طرابلس . ولم يكد يتم اعداد هذا الأسطول حتى اشتعلت فيه النيران فى ميناء المقس ، وأحرقت منه ستة عشر مركبا ، فثار المصريون بالروم الذين كانوا يقيمون على مقربة من دار الصناعة بالمقس ، واتهموهم بتدبير مؤامرة احراقه . وما لبث العزيز أن قضى على الاضطرابات التى حدثت بالقاهرة بسبب احراق الاسطول ، وأمر بانشاء أسطول آخر . ولما تم بناؤه أبحر الى انطرطوس . غير أن معظم سفنه سرعان ما تحطمت فى البحر على أثر هبوب عاصفة عليها . وأسر الروم بعض رجال الأسطول المصرى . أما الحملة البرية ، فخرج على رأسها الخليفة العزيز الى بلبيس . لكن المرض اشتد عليه فجأة . فتخلف بها وتوفى سنة ٣٨٦هـ(٩٩٦م).

صور تخرج عن طاعة الحاكم بأمر الله ، وتستنجد بالروم ، ثم تسقط في يد الفاطميين

ظل البيزنطيون ينتهزون الفرص للنيل من الفاطميين ، فلما خرج أهل صور علىطاعة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى سنة ٣٨٨هـ بزعامة رجل ملاح يعرف بعلاقة ، اتخذ عملة جديدة ، نقش عليها هذه العبارة : « عز بعد فاقة ، للأمير علاقة » ، ارسل برجوان ــ الذى كان يلى وقتذاك الوصاية على هذا الخليفة ، حملة كبيرة الى صور، فتصدى علاقة فى بادىء الأمر لصدها ، واستنجد بالامبراطور باسيل الثانى فبعث اليه بامدادات فى البحر . ورأى برجوان من ناحيته أن ينفذ

الى مياه صور بعض سفن الأسطول الفاطمى . فحوصرت المدينة من البر والبحر ، ونشبت بين الفريقين معارك شديدة ، انتهى الأمر فيها بتسليم المدينة المحاصرة وسقوطها فى ايدى القـــوات الفاطمية وهزيمـــــة البيزنطيين وحليفهم الأمير « علاقة » الذى أسر وارسل الى القاهرة حيث قتل .

معاهدة صداقة بين مصر والدولة البيزنطية

وعلى الرغم من تتابع انتصارات الفاطميين على البيزنطيين فى شمال الشام فان برجوان عـــول على مهادنتهم ليتسنى له التفرغ للقضاء على الفتن الداخلية فى مصر ، فارسل الى باسيل الثانى يقترح عليه عقد الصلح ، فرحب الامبراطور بهذه الدعوة . وانفذ سفيرا الى الخليفة الفاطمى ليتفق معه على شروط الصلح . وبينما المفاوضات تدور فى القاهرة ، غزا باسيل بلاد الشام لوقف زحف القوات الفاطمية الى انطاكية . وكاد مشروع الصلح ينهار لولا الفشل الذى لحق الامبراطور فى هجومه الجديد ، فارتد مسرعا نحو أرمينية وآثر استتباب السلم فى حدود بلاده الجنوبية حتى يتفرغ لمواجهة البلغار .

استؤنفت على اثر ذلك المفاوضات فى القــاهرة بين رجال الدولة المصرية ، والسفير البيزنطى . ولما تم الاتفاق على شروط الصلح ، انتدب برجوان ارسطيس بطريرك بيت المقدس لمصاحبة السفير البيزنطى فى سفره الى القسطنطينية لعرض هذه الشروط على الامبراطور واقرارها منه ، فقـام ارسطيس بهذه المهمة ، وتم بذلك ابرام معاهـدة صداقة بين مصر والدولة البيزنطية ، تقـرر فيها ما يأتى :

١ ــ تظل الهدنة قائمة بين مصر والدولـــة البيزنطية مدة عشر سنوات .

٢ ــ يتمتع المسيحيون الذين يقيمون فى أنحاء الدولة الفاطمية بالحرية الدينية ويسمح لهـم بتجديد كنائسهم وبنائها .

٣ ــ يتعهد الامبراطور باسيل الثانى بامـداد مصر بما تحتاج اليه من الحبوب .

المعاهدة تبطل بسبب عداء الحاكم بأمر الله للنصارى

على ان الامبراطور البيزنطى لم يلبث أن قطع علاقته بالدولة الفاطمية حين وصلته أنباء سياسة الحاكم العدائية ازاء النصارى ، وظل الحال على ذلك الى أن توفى هذا الخليفة سنة ٤١١ هـ (١٠٢٠م) وخلفه ابنه الظاهر ، فحاولت عمتـه ست الملك ــ التى قامت بالوصاية عليه ــ توطيد العلاقة بين مصر والدولة البيزنطية. وتنفيذا لهذه الرغبة، أرسلت نيقفور بطريرك بيت المقدس سفيرا الى باسيل الثانى ليعمل على عقد أواصر الصداقة بين الدولتين وليخبره بالاجراءات التى اتخذت فى القاهرة لرفع الحيف عن النصـارى وتجـديد بناء الكنائس . بيد أن هذه السفارة لم تأت بطائل، وظلت غارات البيزنطيين تتوالى على شمال الشام حتى سنة ٤١٨هـ (١٠٢٧م) .

عقد صلح جديد

عندئذ انفذ الظاهر سفارة الى الامبراطـــور قسطنطين الثامن لعقد الصلح ، فتم الاتفاق بين الفريقين على ابرام معاهدة تضمنت شروطا ، التزم تنفيذها كل من الخليفة الفاطمى والامبراطور البيزنطى ، وفيما يلى هذه الشروط :

١ ــ أن يسمح للامبراطور البيزنطى باعـــادة بناء كنيسة القيامة ببيت المقدس .

٢ ــ أن يسمح لكافة المسيحيين باعادة بناء الكنائس التى هدمها الحاكم عدا التى حولت الى جوامع .

٣ ــ أن يعين الامبراطور البيزنطى بطريقا فى بيت المقدس .

٤ ــ ألا يقوم الفاطميون بأى عمل عدائى نحو حلب ، حتى تقوم بسداد الجزية السنوية التى كانت تدفعها للدولة البيزنطية منذ عام ٩٧٠م .

٥ ــ ألا تمد الدولة الفاطمية يد المساعدة لأى عدو من أعداء الدولة البيزنطية وخاصة أهـل صقلية الذين هددوا هذه الدولة وعاثوا فى جزر بحر الارخبيل . وكان الامبراطور البيزنطى يخشى

انضمام الأسطول الفاطمى الى هؤلاء ، فيتعذر عليه اخضاعهم .

وفى مقابل هذه الشروط ، يتعهد الامبراطور بما يأتى :

١ ـ أن يعمل على ذكر اسم الخليفة الفاطمى فى الخطبة فى جامع القسطنطينية والمساجد الواقعة داخل حدود الدولة البيزنطية .

٢ ـ أن يعيد بناء جامع القسطنطينية . وكان قد هدم ردا على هدم كنيسة القيامة فى عهد الحاكم بأمر الله .

٣ ـ أن يطلق سراح الاسرى المسلمين الذين فى قبضة الروم .

٤ ـ الا يقدم الامبراطور اية مساعدة لحسان ابن مفرج بن الجراح الطائى صاحب الرملة الذى خرج على الخليفة الظاهر الفاطمى .

البيزنطيون ينقضون الصلح ، وينضمون الى امراء العرب في الشام ، لمحاربة الفاطميين

لم يلبث البيزنطيون أن نقضوا هذا الصلح سنة ٤٢٢ هـ ، وانضموا الى بعض أمراء العرب بالشام الذين كانوا يعادون الفاطميين ، فساروا مع حسان بن مفرج بن الجراح الطائي صاحب الرملة الذى لجا اليهم بعد أن هزمه جند الخليفة الظاهر الفاطمى عند طبرية ـ ، واغاروا على افاميه وغنموا منها مغانم كثيرة ، واستولوا على قلعتها واسروا كثيرا من أهلها .

هدنة بين الخليفة المستنصر بالله وميخائيل الرابع

على أن هذا التوتر الذى ساد العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين لم يستمر طويلا ، فعقد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى هدنة مع الامبراطور ميخائيل الرابع سنة ٤٢٩ هـ (١٠٢٧م) ، وسمح له باتمام اصلاح كنيسة القيامة على أن يطلق سراح خمسة الآف أسير مسلم ، فاخلى الامبراطور سبيل الأسرى وأرسل المعماريين الى بيت المقدس وانفق كثيرا من الأموال على تجديد هذه الكنيسة.

قسطنطين يهدى المستنصر ٣٠ قنطارا ذهبا

ولما ولى قسطنطين التاسع الحكم ، حافظ على استمرار العلاقات الودية مع الفاطميين فبعث الى الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٣٧ هـ هدية عظيمة « اشتملت على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر ، قيمة كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية » .

٤٠٠ ألف أردب قمح يطلبها المستنصر من قسطنطين ، ولكن هذا يموت

استغل الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ،فرصة صفاء العلاقات بينه وبين الدولة البيزنطية للعمل على انعاش الحالة الاقتصادية فى دولته ، فارسل الى الامبراطور قسطنطين التاسع ـ على أثر المجاعة التى حلت بمصر سنة ٤٤٦ هـ ـ ، يطلب منه أن يمده باربعمائة ألف اردب من القمح ، فاظهر الامبراطور استعداده لمعونة مصر .

عداء الامبراطورة تيودورا للفاطميين

ولكنه لم يلبث ان توفى وخلفته الامبراطورة تيودورا ، فاشترطت لتقديم هذه المساعدة أن يمدها المستنصر بالجنود اذا ما اعتدى على بلادها اى معتد . غير أن المستنصر رفض الموافقة على هذا الشرط، فاجابت تيودورا على ذلك بان حالت دون ارسال الغلال الى مصر .

استغلال امبراطور الروم الفرقة بين الفاطميين والعباسيين

اثارت سياسة هذه الامبراطورة غضب الخليفة المستنصر وعول على محاربتها ، فجهز جيشا تحت قيادة مكين الدولة الحسن بن ملهم ، وما لبث هذا القائد أن نزل بالقرب من افاميه ، ثم تجول فى أعمال انطاكية . فأرسلت الامبراطورة حملة بحرية أوقعت به الهزيمة ، وأسر هو وكثير من جنده سنة ٤٤٧ هـ . وكان ذلك مما حمل الخليفة المستنصر على أن يعهد للقاضى أبى عبد الله القضاعى بالذهاب الى القسطنطينية

لتسوية الخلاف بين الدولتين ، فلم تحفل الامبراطورة بوجوده ، على حين رحبت برسول السلطان طغرلبك السلجوقى الذى قدم اذ ذاك من العراق ومعه رسالة من السلطان يلتمس فيها ان يصلى رسوله فى جامع القسطنطينية ، فاذنت له بذلك ، فدخله وصلى فيه صلاة الجمعة واقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسى .

ولما وقف الخليفة المستنصر على سياسة الامبراطورة تيودورا العدائية ازاءه والاساءة التى لحقت بسفيره ، بعث فى طلب كنوز كنيسة القيامة ونفائسها ، فارسلت اليه . وازداد بذلك التوتر فى العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين .

العداء يتصل بين الدولتين ، الفاطمية والبيزنطية

عاد العداء بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية سيرته الأولى ، وظل الحال على ذلك الى أن وجه الصليبيون حملاتهم الى بلاد الشام ، واسسوا بها امارتى انطاكية وبيت المقدس ، وصاروا يشتبكون من وقت لآخر فى معارك حربية مع القوى الاسلامية بتلك البلاد وبخاصة فى عهد نور الدين محمود أمير حلب الذى قوى أمره بضم دمشق اليه سنة ٥٥٠ هـ . (١١٥٤ م) .

أمورى ، ملك بيت المقدس ، يستنجد بملوك أوروبا

ولما اخذت الأخطار تواجه الفرنجة ببيت المقدس من جراء ازدياد نفوذ نور الدين محمود ببلاد الشام وطموحه الى بسط سلطانه على مصر ، بعث أمورى ملك بيت المقدس يستنجد بملوك أوروبا لوقف الخطر الذى يهدد الامارات اللاتينية بالشام ، لكن دعوته لم تلق استجابة منهم لانشغال غالبيتهم بمسائل تتعلق بدولهم .

حملة أمورى والامبراطور البيزنطى على دمياط

لذلك لم ير بدا من الاستعانة بالامبراطور البيزنطى مانويل الذى رحب بمد يد المعونة اليه ، واتفق معه على المسير بحرا الى مصر . وارسل اليه أسطولا يعاونه حملة من الفرسان والمشاة مزودة بالمؤن والعتاد الحربى . وتوجهت هذه القوات الى دمياط ، حيث أحاطت بها برا وبحرا فى صفر سنة ٥٦٥ هـ . (١١٦٩م) . وكان الامبراطور البيزنطى يرجو أن تحقق هذه الحملة اطماعه فى توسيع رقعة البلاد الداخلة فى دائرة نفوذه .

صلاح الدين ، وزير العاضد الفاطمى ، ينهض لصد الفرنجة والبيزنطيين عن دمياط

استقر رأى صلاح الدين وزير الخليفة العاضد الفاطمى - بعد أن بلغه مسير قوات الفرنجة والبيزنطيين الى دمياط - على النهوض لصدهم ، فارسل جنده عن طريق النيل بقيادة ابن أخيه تقى الدين عمر وخاله شهاب الدين محمود ، وامدهما بالسلاح والذخائر والمال . وبعث الى نور الدين محمود يطلب منه النجدة ، فاستجاب نور الدين لدعوة صلاح الدين وبعث اليه الامداد ، كما حرص الخليفة العاضد على مده بالمال .

الفرنجة والبيزنطيون يرحلون عن دمياط بعد حصار دام ٥٠ يوما

على أن هؤلاء المغيرين على دمياط من الفرنجة وحلفائهم البيزنطيين لم يقدموا على التوغل فى داخل البلاد المصرية ، فقد تسرب القلق الى نفوسهم من جراء ما عانوه فى سبيل تموين قواتهم ، كما وقع الخلاف بين قوادهم على الخطة التى يتبعونها لمهاجمة هذه المدينة ، وفضلا عن ذلك فان ما بلغهم عن قيام نور الدين بمهاجمة بعض الامارات اللاتينية بالشام حملهم على الاسراع فى الرحيل عن دمياط - بعد أن ظلوا يحاصرونها نحو خمسين يوما - ، والرجوع بجيوشهم الى بلادهم ، وبذلك عجزت حملة الفرنجة والبيزنطيين عن تحقيق اطماعها فى مصر . ■■

محمد جمال الدين سرور

الشباب العربي

ملامح خطيرة في شخصيته

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

الاستاذ في جامعة دمشق

- القلق
- الفردية
- سوء فهم الحرية
- الجوع الجنسي
- حب التظاهر

■ لست ادعى لهذه الخواطر التى اقدم عن بعض الملامح الخطيرة في شخصية الشباب العربى ان تكون دراسة علمية تجريبية دقيقة ، ولكنها ملاحظات املاها على اتصالى الطويل بالشباب العربى بحكم مهنتى التى تيسر لى ما قد لا يتيسر لغيرى، وبحكم اختصاصى الذى يساعد فى توجيه ملاحظاتى وايضاحها .

ولست ادعى ان هذه الملامح توضح شخصية الشباب العربى وتشملها كلها ، فهذه الشخصية معقدة متعددة الجوانب متشعبة المناحى ، وليس لمقال قصير كهذا ان يشملها بكاملها .

ثم انى لا ادعى ان هذه الملامح تنطبق بالتفصيل والتأكيد على كل شخصية من شخصيات الشباب العربى، وقديما قيل ان الشخصيات تتعدد تعدد الوجوه .

ولكنني أزعم ان هذه الملامح شائعة بقدر ما تحمل صفة الشيوع من معنى ودقة علمية .

وانا بعد ذلك أزعم انه لا بد في فهم الشباب العربي والتصدي لتوجيهه من محاولة التعرف على شخصيته العامة في اطارها الواسع من جهة ، وشخصياته الخاصة في نطاقها الضيق من جهة أخرى، وكل ذلك عن طريق دراسة علمية دقيقة شاملة ومقارنة .

١ ــ القلق :

لعل الصفة الأولى التى تميز شخصية الشباب العربي هي القلق ، فالشباب العربي لا يتمتع بالراحة الفكرية والطمأنينة النفسية التى يتمتع بها غيره من شباب العالم . ولهذا القلق مظاهر خارجية تدل عليه ، مظاهر قد تكون بسيطة ولكن لها دلالتها : ليلاحظ القارىء الكريم العدد العديد من الشباب العربي الذي يحرك رجليه مثلا في حركات عصبية متلاحقة : ولينظر في وجوه الشباب الشاحبة الكامدة وليستمع الى الأحاديث المتبرمة اليائسة او الثائرة . انها دلالات واضحة صريحة على ما يعتلج في النفوس من هموم وما يساورها من قلق وحيرة واضطراب .

قد يقول قائل ان القلق صفة يوصف بها عالم اليوم باجمله ، وشباب العالم طرا ، نظرا لما يسود العالم من اضطراب وما يخيم عليه من شبح الحروب والفتن . انه اعتراض صحيح ولكنني اذهب الى أن الشباب العربي أكثر قلقا من كل شباب العالم ، ومقارنة بسيطة بينه وبين شباب العالم كافية للبرهنة على ذلك. فالشاب الانكليزي أو الأميركي أو الافرنسي ما زال يجد من راحة نفسه واطمئنانها ما يسمح له بأن يلهو ويعبث ويعمل وينتج مما يحقق لشبابه بعض مطالبه . وانا اعتقد بعد ذلك ان عدد الشباب العربي القلق بسبب اضطراب العالم ومشاكله عدد قليل نسبيا، وان مرد قلق شبابنا الى أسباب أخرى محلية سأحاول أن أعرض لها فيما يلي :

اغلب الظن أن سبب هذا القلق هو الفارق بين الواقع العربي ومطامح الشباب العربي : معلوم ان يقظة العرب ونهضتهم الاخيرة لا يتجاوز عمرها العقود السبعة على أكثر تقدير ، وبديهي أنه من غير المنتظر ان يحقق العرب الذين كانوا حتى بدء هذه اليقظة يعيشون في القرون الوسطى اكثر مما حققوا ، ومعلوم بعد ذلك ان الشوط أمام العرب ما زال طويلا والهدف ما زال بعيدا ، أضف الى ذلك ما أحاط بالبلاد العربية خلال هذه الفترة من مؤامرات وما أصابها من فرقة وضياع لبعض اجزائها الغالية ، وما قام في البلاد العربية من حركات تحررية ونضال مستمر لم ينته بعد . فالشاب العربي عاش في هذا النضال وخاض غمار حرب قوى العدو فيها أكبر من قواه بكثير .

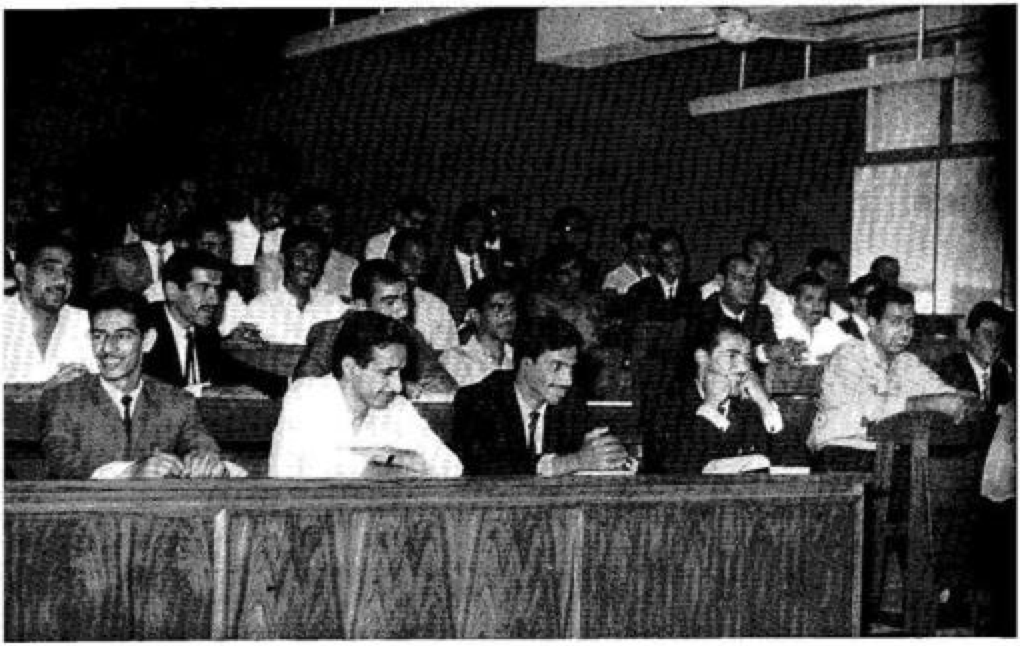
ثم أن الشاب العربي ينظر الى واقعه فيرى عظم التقصير وكثرة الاخطاء وبعد الشوط .

والشاب العربي يقارن بين واقعه وواقع خصومه فيشعر بقلق مرير أليم يتناول مصير أمته ومستقبل شعبه وبلاده .

وليس هذا فحسب بل ان الشاب العربي لا يشعر بالطمأنينة الشخصية : انه يعيش في بلاد الرزق في معظمها غير مضمون والاستقرار غير موفور والصحة سيئة والجهل مخيم والضمان الاجتماعي مفقود ، وميزان العدالة الاجتماعية مختل والمستقبل مجهول ، فيتزايد قلقه ويعظم . واذا اضفنا الى ذلك كله الهوة الواسعة القائمة بين جيله والأجيال السابقة مما يحرمه الاطمئنان في بيته ومحل عمله وملهاه ، أقول اذا فعلنا ذلك كله تكون قد رسمنا صورة صحيحة ــ ولو انها غير جامعة ولا كاملة ــ لأسباب هذا القلق ومناحيه .

ولست احب أن اترك هذه الناحية قبل أن أشير الى التأثير المتبادل فيما يتعلق بهذا القلق والاضطراب بين الشباب ومجتمعهم ، فالشباب العربي قلق مضطرب لأن مجتمعه او مجتمعاته قلقة مضطربة ، والمجتمع العربي قلق مضطرب لان شبابه قلقون مضطربون ، والبلاد العربية تدور في حلقة مفرغة ! صحيح انها تتقدم ولكن تقدم بعض اقطارها بطيء مضطرب معرقل . ومن هنا كان القلق والاضطراب والتطرف والانقلابات والهزات السياسية التى تميز عالم العرب اليوم والتى تحير العلماء والساسة وتقلقهم وتخيفهم .

كما أني لا احب أن اترك هذه الناحية قبل أن



اشير الى الاطمئنان الذى كانت تتمتع به الاجيال السابقة ، فالأب اكثر اطمئنانا من الابن ، والجد اكثر هدوءا من الاثنين ، والامر سهل التعليل على ضوء ما قدمناه من أسباب .

٢ ــ الفردية :

ولعل الصفة الثانية التى تميز شخصية الشباب العربى هى الفردية . فالشاب العربى فردى انانى لا يعرف التعاون ولا يؤمن بالغيرية . وهنا احتياط لا بد منه وهو أن الفردية صفة لا تميز الشباب العربى فحسب ولكنها عامة بين أفراد الشعب العربى لا يختلف فيها الشيوخ عن الشباب ولا الاجيال السابقة عن الأجيال الشابة . ولكنه كان من المتوقع أن يتخلص الشباب من فردية الشيوخ وانانيتهم وذلك بسبب الانتشار النسبى للتعليم وازدياد الثقافة ، فالفردية صفة المجتمعات المتأخرة ، والانانية ميزة الانسان الابتدائى على عكس التعاون والغيرية اللذين يميزان المجتمعات الراقية والفرد المثقف . وعندى أن سبب انانية الشباب العربى هو ما قدمت من قلق واضطراب يتصف بهما المجتمع العربى الحاضر والأجيال العربية الشابة . القلق انسان غير مطمئن الى سلامته ، غير متأكد من مستقبله ، غير ضامن لحياة رافهة عزيزة يطمح اليها ويتوق الى تحقيقها . وهذه الفردية خطر على الفرد العربى وعلى المجتمع على حد سواء : انها تحرم المجتمع من تضافر الجهود الذى لا بد منه لتحقيق كبير الاعمال وعظيم الغايات ، انها تبعثر الجهود وتجعل منها عوامل لا اهمية لها ولا قيمة . ثم انها تقود الى التحاسد والتباغض والتخاصم ، وبالتالى الى التخريب بدلا من الافادة والتعمير .

٣ ــ سوء فهم للحرية :

ولعل الصفة الثالثة من صفات شخصية الشباب العربى هى سوء فهم الحرية بل قل اذا شئت الفوضى والتمادى الذى يصل حد الخروج على الأدب احيانا . وانى لاستميح القارىء الكريم والشبان الاعزاء عذرا لاستعمالى هذه التعابير القاسية ، ولكن لى من الأمانة العلمية وحبى للشباب واخلاصى لقضيتهم وقضية البلاد ما يبرر هذا الاستعمال . ان الكثيرين من شبابنا فهموا الحرية على انها فوضى وتحرر من كل قيد . وما

على المتشكك اذا أعوزه الدليل على ما أقول الا الرجوع الى المربين آباء وأمهات ومعلمين ،والرؤساء في المعامل والمكاتب والدوائر ليحدثوه عما يعانونه في هذا الصدد ، واني لأعلم أن هـؤلاء المربين والرؤساء يبالغون بعض الاحيان ، واني لأعرف أن بعض الآباء يشتطون حين يطالبون أبناءهم بأن يسلكوا ازاءهم سلوكهم هم ازاء آبائهم ، واني لأعترف أن بعض المعلمين والرؤساء يسيئون حين يطالبون بتطبيق التربية العسكرية في المدارس والدوائر ، ولكنني على استعداد لسرد مئات الحوادث التي تبرهن على أن قسما كبيرا من شبابنا فهموا الحرية فهما خاطئا ، وأنهم يأتون أعمالا لا تمت الى الحرية والتحرر بصلة بل هي أقرب الى الفوضى منها الى أي شيء آخر .

وسوء فهم الحرية هذا راجع أيضا الى القلق والاضطراب اللذين أشرت اليهما في مطلع حديثي، وهو راجع بعد ذلك الى حداثة عهدنا أمة وأفرادا بالحرية . ان الحرية اذا لم يقيدها فهم وذوق وأدب ومراعاة لحقوق الآخرين وحرياتهم وكراماتهم صارت وقاحة وانقلبت الى فوضى . وما أحوج أمة ناشئة متوثبة كأمتنا الى التفريق الدقيق بين الحرية والوقاحة من جهة وبين الحرية والفوضى من جهة أخرى .

ولن يفوتني هنا أن أشير الى ما يجره هـذا الفهم الخاطىء للحرية من لا مبالاة وفقدان للهيبة. ان اللامبالاة صفة تميز الكثير من شبابنا مع الأسف فما من شيء له قيمة أو اعتبار وما من قيد اجتماعي أو أخلاقي يحترم ، ثم ان الهيبة مفقودة في البيت والمدرسة والمصنع والدوائر وغير ذلك من المنظمات والمؤسسات وفي هذا خطر لا يخفى على علماء الاجتماع والمهتمين بشؤون الاصلاح .

٤ ــ الجوع الجنسي :

واحب قبل الخوض في حديث الجوع الجنسي ان اذكر بأهمية الميل الجنسي في تكوين الشخصية البشرية ، واني وان كنت لا أدين بمبالغات فرويد في أهمية الحياة الجنسية وجعلها قطب الرحى للحياة النفسية بكاملها ، لأعتقد ــ بوصفي مشتغلا بعلم النفس ــ أن الحياة الجنسية على درجة من الاهمية لا ينكرها الا جاهل أو مغرض ، ولعل من دلائل اهمية هذه الحياة أن يحيطها البشر بما أحاطوها به من قيود وشروط وتقاليد وطقوس لم يحظ بها أي مظهر آخر من مظاهر الحياة البشرية .

ان الذي يلاحظ شبابنا العربي ، وأقصد الرجال منهم ، لا يفوته أن يلحظ عندهم هـذا الجوع الجنسي الظاهر ، واذا كان من المشروع أن يكون لدى الشباب ميل جنسي فان من الخطر أن يستحوذ هذا الميل على حياة الانسان وأن يخرجه عن اتزانه ويدفعه الى التعبير عنه بشكل غير لائق.

ولعل أنكى ما في الأمر أن شبابنا ، بالرغم من اعطائهم هذا الميل من وقتهم وتفكيرهم واهتمامهم أكثر مما يعطيه شباب العالم الآخرون ، فانهم يواربون فيه ويموّهون ويعبرون عنه ــ أحيانا ــ بشكل لا يرضى اللياقة والكياسة مما يجعله أشد خطرا وأكثر فتكا .

واذا كان صحيحا أن تقاليد المجتمع العربي ومثله الاخلاقية ونظمه الاجتماعية تحتم الحذر في هذا الصدد ، وتحيط الميل الجنسي بالكثير من الحيطة والكتمان ، فانه صحيح أيضا أن علاقة الرجل بالمرأة في مجتمعنا العربي ضائعة بين القديم وتقاليده والجديد وسوء فهمه . لقد كان مجتمعنا القديم يحيط المرأة بهالات الشرف والحرمة مما لا تتمتع به كل النساء الحديثات اليوم ، والمجتمع الغربي الذي نحاول تقليده يمنح المرأة احتراما ورعاية لا تحصل عليهما نساؤنا الحديثات، وهكذا فقد حرمت المرأة العربية قدسية الماضي التي كانت تتمتع بها أمها ، ولم تحصل على حقوق الحاضر التي تتمتع بها زميلتها الغربية .

والمهم هذا التمزق النفسي الذي يصيب الشاب العربي اليوم ، فلا هو تبنّى الحديث الذي يحاول تقليده،ولا هو تخلى عن القديم الذي يحاول التنكر له . والمرأة والرجل في هذا سواء . والنتيجة اضطراب يصيب هذه العلاقة الأساسية لكليهما . وهكذا نجد العربي يتأرجح بين الخجل (ولا أقول الحياء) والوقاحة وكلاهما مَرَض .

ويبقى ان نذكر هنا بان الميل الجنسي يُصعّد ، وأن التربية الجنسية صارت ضرورة ، وأن لها قواعدها ومبادئها التي لا بد ان يلم بها كل مرب: أب أو أم أو معلم أو رجل دين .

٥ ــ حب المظاهر :

قال كاتب غربي زار احدى العواصم العربية

الكبرى مرة انه خيل اليه أن الشباب العربى فى عيد دائم ، وعلل ظنه هذا بتأنقهم وتبرجهم ومبالغتهم بالعناية بالمظاهر فى أوقات ومناسبات يفترض فيها ان يكون الشباب فى ثياب ابسط وانسب للظرف الذى يوجدون فيه . والحق ان فتاتنا الجامعية مثلا تلبس من الثياب ما لا يُلبَس الا الى حفلة ، وتتعطر فى الحرم الجامعى وتتأنق فى غرفة الصف بشكل لا تجده فى اية جامعة اخرى .

وقل الشيء نفسه عن شبابنا الذين يتبخترون فى الشوارع واذرعتهم متشابكة وشعورهم مصففة وثيابهم انيقة مع انهم فى سبيلهم الى العمل او الى قضاء حاجة او الى التنزه .

وليس هذا فحسب ، ولكن الانكى منه حرص بعض فتياتنا على الا تتزوج الا اذا أثث لها بيت كامل وزُودت بجهاز فاخر، وانفق اهلها أو عريسها فى سبيل ذلك ما يملكون وما لا يملكون .

ولا ننسى حرص شبابنا على ابتياع الغالى من الاشياء ولو كان تافها أو غير مناسب ، واقتناء الاجهزة والالات التى قد تنوء بها ميزانياتهم . وكل ذلك لان فلانا من جيرانهم أو فلانة من معارفهم يقتنى مثل هذه الاشياء .

أليس فى هذا دليل على الانتهاء بالقشور عن اللباب والانصراف عن الجوهر الى المظهر ؟!

٦ ــ الكلام الضخم الفارغ :

وأنت لو استمعت الى بعض شبابنا وفتياتنا يتحدثون لسمعت عجبا ، كلمات من مثل : فظيع وفظاعة ، وعظيم ، وابهة ووجاهة . وغير ذلك من الكلمات التى لا تعنى شيئا بل قد تعنى عكس المقصود أحيانا . وهكذا فالجمال يوصف بالفظاعة، والقتل يوصف بالعظمة ، وغير ذلك كثير .

ولعل انكى ما فى الامر اصرار بعض شبابنا ــ ولا سيما فتياتنا ــ على حشو كلامهم بالكثير من الكلمات الاجنبية مما يكشف عن شعور بالنقص ازاء أصحاب هذه اللغات آن لنا ان نتخلص منه .

ولاعدّ الى هذا الكلام الضخم لاشير الى دلالته الواضحة على فراغ العقل ، وعدم القدرة على التعبير ، والنفاق او والكذب احيانا . فالطبيب فلان متخرج من (جامعات اميركا ومستشفياتها). وكم فى اميركا (الشمالية والجنوبية والوسطى) من جامعات ومستشفيات ! لعل صاحبنا لم يفعل اكثر من زيارته لواحدة منها . والمعلم فلان (مُرَبٍّ كبير) او (معلم الأجيال) ، والمحامى فلان (قانونى ضليع) وهكذا ..

وبعــد

فانى لا احب للقارىء أن يتهمنى بالتحامل على الشباب العربى لانى ابرزت من صفاتهم السيىء المنتقد واهملت الحسن المستحب ، لانى عممت وكان يجب ان اخصص ، ولانى اقتصرت على بضع صفات وتجاوزت عن غيرها .

ان هذا المقال لا يرمى الى أكثر من التنبيه الى بعض الملامح ، وقد قصد ان يشير الى السيىء املا فى تخليص شبابنا منه ، وقد عمم مع ان فى الشباب العرب اليوم من يمكن ان نفاخر به اية امة . والأمل ان تستطيع فى وقت لاحق الاشارة الى ملامح اخرى . والله من وراء القصد . ■■

فاخر عاقل

لا يملأ المعدة سوى الطعام

● مرت بأبى الحرث جارةله ، فحادثته ساعة ، فجاع ، فطلب الأكل ، فقالت لـه : أمـا فى وجهى مـا يشغلك عن الاكل ..؟! قال ، جعلت فداك ! فلو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه الآخر وافترقا ...



دردشة

الزواج في روسيا اليوم وفي الامس

● قد يظن المرء ان الزواج في الاتحاد السوفياتي لا يخضع لمثل التقاليد والعادات التي تتحكم به في معظم البلاد الاخرى .. وقد يحسب ايضا ان طالب الزواج هناك في غير حاجة الى موافقة شخص آخر غير صاحبة الشأن لكي يتم الزواج فورا في احد مكاتب الزواج ...

والحقيقة خلاف ذلك كما تقول صحيفة النيوستيتسمان البريطانية . فثمة جمهوريات في الاتحاد السوفياتي ما زال الزواج فيها رهنا بدفع المهور وموافقة الاهل والاقرباء !

بل ان القران لا يكتمل في بعض تلك الجمهوريات كما تقول الصحيفة البريطانية المذكورة ، الا في حفلة زفاف يدعى اليها مائتان او اكثر من الاهل والاصدقاء ، ويقدم فيها كل ما لذ من المأكولات وطاب من المشروبات ، فتكلف العريس واهله ما قد يفوق قيمة المهر ...

ولعل اطرف ما ترويه النيوستيتسمان عن هذه الحفلات هو ان هدايا العرس التي توزع فيها لا يقدمها المدعوون للعريس كما هي العادة ، وانما يقدمها العريس للضيوف المدعوين الى حفلة زفافه. ولو جمعنا الى قيمة هذه الهدايا قيمة المهر ، واضفنا الى المجموع قيمة نفقات حفلة الزفاف ، فضلا عن قيمة الهدايا النفيسة التي ينبغي للعريس ان يقدمها للعروس ، لوجدنا ان الزواج في بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي يكلف اضعاف ما يكلفه في سائر البلدان الاخرى ....!

الجنس اللطيف هل هو جنس الرجال أو النساء ؟!

● هل الرجل اقوى او المرأة ؟! ومن منهما اطول عمرا واكثر مقاومة للامراض ؟!

قد يظن المرء لأول وهلة ان المقصود من طرح هذه الاسئلة هو الدعابة ... والا فما هو المبرر لاثارة اسئلة لا تخفى اجوبتها على احد ، بل تكاد تكون اجوبتها بديهية يقينية لا يشك في صحتها احد..

بيد ان الدكتور كارل بوركلاند يقيم الدليل القاطع – على ما تقول صحيفة اخبار دالاس الصباحية – على ان جنس الرجال هو الجنس الاضعف ! فهم الذين يأتيهم الموت مبكرا ، وهم الذين يصابون بالأمراض اكثر مما تصاب بها النساء ....

ويسترسل الدكتور الاخصائي في بحثه هذا ويحاول حل هذا المشكل فلا يجد سبيلا الى حله الا باقتراح ان يتعاطى الرجال مقادير كافية من هرمونات الاناث ! الا انه يستدرك سريعا ويذكرنا بأن تعاطي هذه الهرمونات قد يؤدي بالرجال الى شيء من التأنيث والتخنيث.

سمعة فرنسا في الميزان

● تمتعت فرنسا منذ القدم بشهرة واسعة طالما حسدتها عليها الدول الاخرى . فقد ذاع صيتها بأنها التربة الخصبة التى تنجب وفرة من الاذكياء ، المحبّبين الى الغير ، نظرا لخفة ظلهم ، والمتقدمين على من سواهم في كل ما يتصل بحب الحياة والاقبال عليها ..

الا ان هذه السمعة قد أمست خرافة من الخرافات ، على حد قول صحيفة المانشستر جارديان . فقد ظهر بحث علمي مسؤول مؤخرا واثبت بالارقام والاحصائيات أن الفرنسيين ينامون اكثر من الروس والامريكيين ، ويعملون كذلك اكثر مما يعمل هؤلاء ، ولكنهم يقرأون أقل مما يقرأ هؤلاء ...!

وقد يتبادر الى الذهن ان البحث المذكور لا يخلو من تحامل نظرا لان الذى اعده ربما كان غير فرنسي .. والحقيقة هى ان الذى قام بهذا البحث هو معهد الاحصاء الوطنى في باريس ، بالتعاون مع مركز البحوث والعلوم الاجتماعية في فينا . اما البلاد التى جرى الاستفتاء فيها على أوسع نطاق فهى فرنسا ، طبعا ، وبلجيكا وبلغاريا والمجر وبولونيا والمانيا الغربية وتشكوسلوفاكيا وروسيا وبوغوسلافيا والولايات المتحدة الامريكية . وكان القصد من اعداد ذلك البحث تقديمه الى علماء الاجتماع في مؤتمرهم الاخير الذى عقد في مدينة ايفيان قبل حين .

ومن أطرف ما يسوقه هذا البحث ان ٥٪ فقط من بيوت الروس والامريكيين خالية من المكتبات . وترتفع تلك النسبة بالقياس الى بيوت الفرنسيين حتى تبلغ ٢٨٪ ! ويبين البحث المذكور ايضا ان ٢ر٢٪ فقط من الفرنسيين الكبار يتابعون تحصيلهم في معاهد وصفوف خاصة ، وان ٥٪ منهم يتوقون ويسعون الى رفع مستواهم العقلى ، اما في بلاد اوربا الشرقية فترتفع نسبة الذين يواصلون تحصيلهم على هذا النحو الى ٣٧٪ بين العزاب و ٢٥٪ بين المتزوجين ....

أثقل جسم في التاريخ

● ادعت احدى الصحف ان أثقل رجل عرف في التاريخ هو الانجليزى (جون لاف) . فقد كان وزنه ٣٦٤ رطلا (أي ١٦٥ كيلو جرام تقريبا) .

ولم يكد يمضي أسبوع على هذا الادعاء حتى نشرت الصحيفة نفسها ردا لأحد قرائها يؤكد لها ان بطلها في الوزن غير جدير باللقب اطلاقا . فثمة رجل انجليزى آخر ، عاش في مطلع القرن التاسع عشر ، وكان أجدر من (جون لاف) بلقب البطولة في وزن الاجسام . فقد بلغ وزن دانيال لامبرت هذا ٧٣٩ رطلا (اى ٣٣٥ كيلو جرام) وضرب بذلك رقما قياسيا تاريخيا يبلغ أكثر من ضعفى وزن جون لاف !! . ولو نظر القارىء الى صورة دانيال لامبرت هذا ، وقد نشرتها الصحيفة ايضا ، لارتاب في حقيقة ذلك الرقم وشعر بأنه ٧٣٩ كيلو جراما لا رطلا !



الخليفة المأمون

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

المدرس بكلية الآداب جامعة الاسكندرية

■ شهد القرن الهجري الثاني حركة عقلية ضخمة أمدتها روافد كثيرة ، أولها الثقافة العربية الاصيلة التى تتمثل في الشعر والقرآن والحديث وفقهها ، وعلوم اللغة العربية . وقد احرزت هذه الفروع جميعا تقدما كبيرا في هذا القرن ، بل ان بعضها خلق فيه خلقا جديدا كالنحو والعروض مثلا ، كما جُمع التراث الشعرى القديم لاول مرة ودون في ذلك العصر .

وهذه الثقافة العربية قد اخذت تهضم ـ منذ انتهاء حركة الفتوح ـ ثقافات الامم الأجنبية التى استولى العرب على بلادها لتصبح غير محدودة بزمان أو مكان أو جنس ، ولكنها صارت ثقافة عالمية بكل ما في هذا التعبير من معان .

وكان المامون الخليفة العالم الذى ولد عام ١٧٠ هـ وليد هذه الثقافات المصطرعة في عصره ، وكان خير معبر عنها في اقواله ومواقفه الفكرية . وكان عصره غنيا بالعلماء الافذاذ في كل فروع المعرفة ، ففيه الشافعى ، وابن حنبل ، وسفيان ابن عيينة ، وفيه الواقدى صاحب السّيَر والمغازى ، وفيه أبو عبيدة معمر بن المثنى الراوية ، وابو عمرو الشيبانى اللغوى ، والفراء امام العربية ، وقطرب النحوى ، والنضر بن شميل ، واليزيدى ، ويعقوب الحضرمى ، وابو زيد الانصارى ، وكثيرون غيرهم من علماء الفقه والحديث والشعر واللغة والسير والرواية ، الى جانب الفلاسفة واصحاب المذاهب الكلامية وفيهم اعلام مبرزون .

المامون الشاعر

ولقد اقبل المامون على انواع مختلفة من الدراسات ، ولكن ثقافته العربية كانت عميقة شاملة في الانساب واللغات وتاريخ العرب واشعارهم ، وكان اهتمامه بالادب كبيرا ، فقد كان عالما بالشعر بصيرا به ، وكان هو نفسه شاعرا منذ كان شابا صغير السن ، ويروى في ذلك ان الرشيد كان قد اراد سفرا فامر الناس ان يتاهبوا لذلك ، وأعلمهم انه خارج بعد الاسبوع ، فمضى الاسبوع ولم يخرج ، فاجتمعوا الى المامون فسالوه أن يستعلم ذلك ، ولم يكن الرشيد يعلم أن المامون يقول الشعر ، فكتب اليه المامون :

ياخير من دبت المَطِىُّ بــه
ومن تقدَّى بسرجه فرسُ

هل غايةٌ في المسير نعرفها
أم أمرنا في المسيرُ ملتبِسُ

ما علم هذا إلا إلى مَلِكٍ
من نوره فى الظلام نقتبسُ

إن سرتَ سار الرشاد متبِّعا
وإن تقفْ فالرشاد محتبَسُ

فقراها الرشيد فسُرّ بها .

المامون وجارية أبيه الرشيد

وروى منصور البرمكى قال : كان لهارون

الشاعر

بين شعراء عصره

الرشيد جارية غلامية (يعنى وصيفة على قد الغلام ، وان صح هذا فمعناه ان الامين لم يستحدث الغلاميات كما هو معروف ، بل وجده قبله) وكان المامون يميل اليها وهو اذ ذاك امرد ، فوقفت يوما تصب على يد الرشيد من ابريق معها ، والمامون جالس خلف الرشيد ، فاشار المامون اليها كانه يقبلها ، فانكرت ذلك بعينيها ، وابطات في الصب على مقدار نظرها الى المامون واشارتها اليه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ ضعى الابريق من يدك ، ففعلت ، فقال : والله لئن لم تصدقيني لاقتلنك ، فقالت : يا سيدى اشار الي عبد الله كانه يقبلني فانكرت ذلك ، فالتفت الى المامون ونظر اليه كانه ميت" لما دخله من الفزع والخجل ، فرحمه وضمه اليه وقال : يا عبد الله ، أتحبها ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين، قال : هى لك .

وفي هذه الحادثة الطريفة كتب المامون ابياتا يقول فيها :

ظبي كتبت بطرفي
من الضمير إليه
قبَّلتُه من بعيد
فاعتلَّ من شفتيه
ورد أخبث ردّ
بالكسر من حاجبيه
فما برحتُ مكاني
حتّى قدَرْت عليه

من شعر المامون

وهى ابيات تتميز بالرقة المفرطة التى عرف بها تغزل المولدين في هذا العصر: رقة في الالفاظ، وفي البحر الموسيقى القصير ، وفي القافية الواهنة . وهذه الرقة نلمحها في كل اشعار المامون التى تغزل فيها ــ على قلة تلك الاشعار ــ فقد اشتهرت ابياته التى يقول فيها :

بعثتُك مرتادا ، ففزتَ بنظرة
وأغفلتني حتى أسأتُ بك الظنا
فناجيتَ من أهوى ، وكنت مباعدا
فياليت شعرى عن دنُوك ما أغنى
وردَّدت طرفا في محاسن وجهها
ومتَّعت باستماع نغمتها أذنا
أرى أثرا منه بعينيكَ بيِّنا
لقد أخذت عيناكَ من عينه حسنا

ويشير بعض الرواة الى ان المامون قد عول في هذا المعنى على قول العباس بن الاحنف :

إن تشق عيني بها فقد سعدتْ
عينُ رسولي وفزتُ بالخبر
وكلما جاءني الرسول لها
ردَّدت عمدا في طرفه نظري
يظهر في وجهه محاسنها
قد أثَّرت فيه أحسن الأثر

خــذ مقلتي يارسول عاريــــةً
فانظــرْ بها واحتكــم على بصرى

وليس بعيدا ان يكون المامون قد اطلع على قول العباس وتاثر به ، فمن المعروف انه كان معجبا بشعره الى حد بعيد ، وكان يحفظ بعضه وربما اكثره . وبلغ من اعجاب المامون بالعباس انه تقدم للصلاة على جثمانه قبــل الكسائى وابراهيم الموصلى ـ وقد ماتوا جميعا في يوم واحد ـ وذلك تكريما للعباس اذ يقول :

يابعيــدَ الــدار عن وطنــــه
هائمــــا يبكى على شجنـــــه
كلمــا جدَّ البكـــاءُ بـــــه
زادت الأسقــــام في بدنـــــه

ومع ذلك فاننا نرى ان ابيات المامون اجود من ناحية صياغتها وروعة ادائها ، ومن ناحية تحليله لعواطفــه عن طريق الرسول الذى بعثــه الى محبوبته .

ومن رقيق غزله

ومن شعر المامون الرقيق في التنزل ايضا قوله:

لسانى كتومٌ لأســـــراركـــمْ
ودمعـــــى نَمُومٌ لسرّى مذيع
فلولا دموعى كتمــتُ الهـــوى
ولولا الهوى لم يكن لى دمـــوعٌ

وقال في الشطرنج

وكان الشعر عنـد المامون طرفة يلجا اليها في اوقات الصفو ، فهو يصف الشطرنج لعبتـــه المفضلة التى كان يخلو اليها حين لا تشغله امور الدولة فيقول :

أرضٌ مربعة حمراء مـــــن أَدَمِ
ما بين إلفَيْن معروفين بالكـــرمِ
تذاكرا الحرب فاحتالا لها فِطَنًا
بغير أن يأثمـــا فيهـــا بسفك دم

هذا يُغير على هذا ، وذاك علـــى
هذا يغير ، وعين الحزم لم تـــنم
فانظرْ إلى فطن صالت بمعرفـــــة
في عسكرين بلا طبل ولاعلـــم

وكتب لعبد الله بن طاهر

وحين اخمد عبد الله بن طاهر فتنة عبيد الله ابن السرى في مصر التى استشرت واستمرت وقتا طويلا ، كتب المامون لعبد الله بن طاهر يعبر عن صفو وده له ،ويعاتبه بطريقة اخوانية لطيفة قال:

أخــــى أنـــــت ومــــــولا
ى ومـــــن أشكرُ نعمــــــاه
فمـــا أحببتَ مـــــن أمـــر
فانى الدهـــــر أهـــــواه
وما تكـــره من شــــــيء
فــإنى لســتُ أرضــــــاه
لك الله علــــــــى ذاك
لك اللـــــه لك اللــــــــه

الصديق الحق عند المامون

وكان المامون يقـــدر الاخوة والصداقة حق قدرهما ، فهو يصف الصديق الحق بقوله :

إن أخـــاك الحــقَّ من يسعى معك
ومن يضـــرُّ نفسه لينفـــعك
ومن إذا صرف الزمان صدعك
بدَّد شمل نفســه ليجمعــــك

وبعث اليــه عنبسة بن اسحق عاملة على الرقة يصف خروج الاعراب بناحية سنجار وعبثهم بها ، فرد عليه المامون ببيتين يفخر فيهما بقوته وقدرته على اخماد الثورات ، قال :

أسمعتَ غير كَهام السمع والبصر
لايقطع السيفُ إلا في يـد الحــذر

سيصبح القوم من سيفي وضاربه
مثلَ الهشيم ذَرَتْه الريح بالمطر

امراة تشكو الى المامون ، شعرا

وجلس المامون يوما لينظر في المظالم كعادته ، فتقدمت اليه امراة بشكواها وقد صاغتها شعرا ، قالت :

يا خير منتصف يُهدَي له الرَّشَد
ويا إماما به قد أشرق البلدُ
تشكو إليك عميدَ القوم أرملةٌ
عدا عليها فلمْ يترك لها سَبَدُ
وابتزَّ مني ضياعي بعدَ منْعتها
ظلما وفرَّق مني الأهل والولد

فاطرق المامون حينا ثم رفع راسه اليها وهو يقول :

في دون ماقلتِ زال الصبر والجلد
عني وأقرح مني القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي
وأحضري الخصم في اليوم الذى أعد
فالمجلس السبت إنْ يُقضَ الجلوس لنا
ننصفك منه ، وإلا المجلس الأحد

ولا شك ان هذه الابيات على بساطتها تعبر عن ميل فطرى في المامون الى قول الشعر .

بين المامون وعمه ابراهيم بن المهدى

وشبيه بهذه الحادثة ما وقع بين المامون وعمه ابراهيم بن المهدى . فقد اراد المامون أن يعاتبه بعد أن عفا عنه لخروجه عليه . فقال له : انت الخليفة الاسود ؟ فقال : يا امير المؤمنين انت مننتَ عليَّ بالعفو وقد قال عبدبني الحسحاس :

اشعار عبدِ بني الحَسْحاس قُمنَ له
عند الفخار مقام الأصل والورق
إن كنتَ عبدا ، فنفسي حرة كرما
أو أسودَ الجلد ، إني أبيض الخُلُق

فقال المامون : يا عم خرج بك الهزل الى الجد، ثم انشا يقول :

ليس يُزري السوادُ بالرجل الشهـ
ـم ولا بالفتى الأديبِ الأريبِ
إن يكن للسواد منك نصيب
فبياض الأخلاق منك نصيبي

ويبدو ان المامون كان مغرما بالعبث بعمه الذى شق عليه عصا الطاعة ونصب نفسه خليفة ، فقد روى ان ابراهيم بن المهدى ـ وكان ذا جثة عظيمة ـ دخل يوما على المامون ، فتامل جثته وقال : يا ابراهيم عشقتَ قط ؟ قال : يا امير المؤمنين اجلك عن الجواب في هذا ، قال : بحياتي اصدقني ، قال : وحياتك ما خلوت من عشق قط . قال له : كذبت وحياتك يا ابا اسحق :

وجه الذى يعشق معروف
لأنه أصفر منحوف
ليس كمن تلقاه ذا جثة
كأنه للذبح معلوف !

بين المامون وعمارة بن عقيل

وكان المامون الى جانب كونه شاعرا رقيق الشعر سريع البديهة ، قوى البصر بالشعر الجيد والردىء ، صادقا في حكمه عليه وفهمه لصناعته .

انشده عمارة بن عقيل قصيدة يمدحه بها كانت في مائة بيت ، فكان عمارة يبتدىء بصدر البيت فيبادره المامون الى قافيته ، فقال عمارة : والله يا امير المؤمنين ما سمعها منى احد قط ، قال المامون : هكذا ينبغى ان يكون . ثم اقبل على عمارة فقال: اما بلغك ان عمر بن ابى ربيعة انشد عبد الله بن العباس قصيدته التي يقول فيها (تشيطُ غدا دارُ جيراننا) فقال ابن العباس (وللدارُ بعدَ غد أبعدُ)،حتى انشده القصيدة

يفقئها ابن العباس ، ثم قال المأمون : انا ابن ذاك .

ثم قابل الشاعر عبد الله بن ابي السمط عماره ابن عقيل فقال له : ان المأمون لا يبصر الشعر ، قال عمارة : ومن ذا يكون أعلم به منه ، فوالله انك لترانا ننشده أول البيت فيسبقنا الى آخره ، قال عبد الله : انى انشدته بيتا أجدت فيه فلم اره تحرك له ، قال عمارة : وما الذى انشدته ؟ قال : انشدته :

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا
بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قال عمارة : انك والله ما صنعت شيئا ، وهل زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها ، في يدها سبحتها . فمن القائم بامر الدنيا اذا تشاغل عنها وهو المطوق بها . هلا قلت فيه كما قال عمك جرير في عبد العزيز بن الوليد :

فلا هو في الدنيا مُضيعٌ نصيبَه
ولا عَرَضُ الدنيا عن الدين شاغله ؟

حين تزوج المأمون

وحين تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل مدحه محمد بن حازم الباهلي بقوله :

بارك الله للحسن
ولبوران في الختن
يا ابن هارون قد ظفر
ت ولكن ببنت من

احتفال المأمون بشعراء عصره

فلما نمى هذا الشعر للمأمون لم تغب عنه سخرية الشاعر فقال : والله ما ندرى خيرا اراد أم شرا . ومما يدل على احاطة المأمون الواسعة بانتاج الشعراء في عصره ، سؤاله الدائم عن هذا الشاعر او ذاك ، واستجادته لقصائد شعراء مختلفين ، فهو يثنى على شعر للعباس بن الاحنف ، ولابى نواس ، ولمسلم بن الوليد ، وللحسين بن الضحاك ، ولعلي بن جبلة ، ولابى الشيص ، وقد افرط في استحسان قصيدة لأبي الشيص ـ كما يقول ابن المعتز ـ تدل على ذوقه الأدبي الرفيع .

وكان المأمون كلما ولّى رجلا سأله : أتروى شيئا من الشعر ؟ وكلما سمع شعرا عذبا استجاده دعا بدواة فكتبه . واخباره تدل جميعا على انه كان يعقد مجالس تنشد فيها الاشعار ، ويتناقش الناس حولها ، مما يشير الى اهتمامه العظيم بالشعر وروايته . وفي احد هذه المجالس كان عند المأمون جماعة من قريش فسالهم : ايكم يحفظ ابيات عبد الله بن الزبعرى التى يعتذر فيهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال مصعب بن عبد الله الزبيرى : انا يا أمير المؤمنين، وانشده القصيدة التى مطلعها :

منع الرقادَ بلابلٌ وهمومُ
والليل معتلجُ الرواقِ بهيم

فامر له بثلاثين الف درهم وقال : ليكن القرشي مثلك .

بين المأمون والشاعر البصرى

وهكذا كان المأمون مع شعراء عصره ورواة الشعر « أجود من السحاب الحافل والريح العاصف » كما وصفه أحد عماله . ومما يروى في ذلك ان شاعرا بَصْريا من تميم كان معروفا بالظرف ، فاغراه والي البصرة بان يتوجه الى مدح المأمون ، وكان وقتها في الشام يتهيأ لغزو الروم. وفي الطريق قابل الشاعر فارسا كهلا على بغل فاره ، فسلّم عليه . وساله الفارس عن نسبه وقصده ، فقال الرجل : قصدت هذا الملك الذى ما سمعت بمثله اندى راحة ، قال : فما الذى قصدته به ؟ قال : شعر طيب يلذ على الأفواه ، قال الفارس : فانشدْنيه، فغضب الشاعر وقال: يا ركيك ، أخبرتك انى قصدت الخليفة بشعر قلته ومديح حبّرته ، تقول انشدْنيه ؟ قال : وما الذى تأمل فيه ؟ قال الشاعر : ان كان على ما ذُكر لى عنه فالف دينار . قال الفارس : فانا اعطيك الف دينار ان رايت الشعر جيدا ، فانشده قوله :

مأمون يا ذا المنن الشريفة

وصاحب المرتبة المنيفة
وقائد الكتيبة الكثيفة
هل لى في أرجوزة ظريفة
أظرف من فقه أبي حنيفة .. الخ

وما أن انتهى الشاعر من ارجوزته حتى رأى زهاء عشرة آلاف فارس قد سدأوا الافق يقولون : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ، فارتاع الرجل . فقال له المأمون : لا بأس عليك يا أخى ، فقال الشاعر : يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك، اتعرف لغات العرب ؟ قال : أى لعمرى ، قال : فمن جعل الكاف منهم مكان القاف ؟ قال : هذه حمير ، قال : لعنها الله ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم. فضحك المأمون وعلم ما أراد (١)، والتفت الى خادم الى جانبه وقال : اعطه ما معك، فاخرج له كيسا فيه ثلاثة آلاف دينار ، فاخذها الشاعر ومضى .

بين المأمون ودعبل الخزاعى

وعلى الرغم من تقبل المأمون لمديح كثير من الشعراء الاكابر والاصاغر فى عصره ، منذ كان طفلا فى عهد ابيه الرشيد حتى صار حاكما على خراسان، ثم خليفة يقيم فى مرو ، ثم فى بغداد ، الا أن صلته ببعض الشعراء الكبار فى عصره كانت تحكمها ظروف نفسية أو تاريخية معينة . مثال ذلك دعبل الخزاعى شاعر الشيعة ، فقد كانت صلته بالمأمون تحكمها علاقة المأمون بالشيعة ، فحينما صافاهم مدحه دعبل ، فلما عاداهم هجاه هجاء مرا كما فى قوله :

إنى من القوم الذين سيوفهم
قتلتْ أخاك وشرَّفتكَ بمقعد
شادُوا بذكرك بعد طول خموله
واستنقذتك من الحضيض الأوهد (٢)

بل كان دعبل يهجو العباسيين جميعا كما فى أبياته التى هجا فيها ابراهيم بن المهدى عم المأمون لما تولى الخلافة العباسية فترة من الزمان فى اثناء الاضطراب الذى حدث ببغداد ، فهو يقول فيه :

نَفَرَ ابنُ شِكْلَةَ بالعراق وأهله
فهفا إليه كل أطيشَ مائق
إن كان إبراهيم مضطلعا بها
فلتَصلحن من بعده لمُخارقِ
ولتَصلحن من بعد ذاك لزلزل
ولتصلحنَ وراثةً للمارق
أنَّى يكون وليس ذاك بكائن
يرث الخلافة فاسق عن فاسق (٣)

وعلى الرغم من هجاء دعبل للمأمون الا أن المأمون كان معجبا بشعره كل الاعجاب ، حتى بهجائه لعمه وله وللعباسيين جميعا ، فقد كان ينظر الى الشعر نظرة موضوعية ، فلا يملك الا الاعجاب بحس الشاعر المرهف والعالم البصير ، وقد ابدى هذا الرأى فى اكثر من مناسبة .

ولما دخل المأمون بغداد احضر دعبلا بعد ان اعطاه الامان ، فعاتبه على هجائه له ، وطلب اليه أن ينشده قصيدته التائية فاستعفاه ، فقال : لاباس عليك وقد رويتها ، وانما احببت أن اسمعها منك. فانشدها دعبل ، فلما انتهى الى قوله :

ألم ترأني مُذْ ثلاثين حجة
أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فَيْئَهم في غيرهم متقسَّماً
وأيديهم من فيئهم صَفِرات
إذا وُتروا مدوا إلى أهل وِتْرهم
أكفًا عن الأوتار منقبضات

---

(١) يقصد الشاعر أنه أراد بكلمة (ركيك) التى وصف بهـا المأمون دون أن يعرفه ، لفظة (رقيق) ولكنه نطقها بلغة حمير .

(٢) يشير الى أن طاهر بن الحسين قد قتل الأمين ، وطاهر مولى خزاعة قبيلة دعبل .

(٣) مخارق وزلزل معروفان بالموسيقى والغناء، ويشير دعبل الى براعة ابراهيم بن المهدى في الغناء واهتمامه به ، اما (شِكْلة) فهى أم ابراهيم .

وآل رسول الله نُحْفٌ جسومهم
وآل زياد غُلَّظ القَصَرات(٤)

بنات زياد في القصور مصونة
وبنتُ رسول الله في الفلوات

بكى المأمون وجدّد الأمانَ واحسن له الصلة .

وبين المأمون والحسين بن الضحاك

اما علاقة الحسين بن الضحاك بالمأمون فمرد سوئها أن الحسين كان نديم الأمين ، فكان يتورط في مديحه الى حد هجاء المأمون . ولما قدم المأمون الى بغداد طلب ان يُسمّى له قوم من أهل الادب يجالسونه ، فذُكر له جماعة منهم الحسين بن الضحاك ، فلما بلغ اسمَه قال :

اليس الذى يقول فى المخلوع :

هلا بقيت لسد فاقتنا
فينا وكان لغيرك التلف

لا حاجة لى به ، لا يرانى والله الا فى الطريق.

واذا صحت هذه الرواية فان المأمون لم يذكر الا أخف شعر الحسين بن الضحاك الذى يعرّض به فيه ، ذلك أن مقتل الأمين كان صدمة على الحسين فبالغ فى رثائه والبكاء عليه . حتى أن ابا الفرج الاصفهانى يقول : وبلغ من جزعه عليه انه خولط فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول انه مستتر .

ومما قاله فى رثاء الأمين وهجاء المأمون :

أطلْ حزَناً وابكِ الإمام محمدا
بحزن وإن خفتَ الحُسام المهنَّدا

فلا تمّت الأشياء بعد محمد
ولا زال شملُ الملك فيها مبدّدا

ولا فرح المأمون بالملك بعده
ولا زال في الدنيا طريدا مشرّدا

وقال أيضا :

ومما شجا قلبي ويسكب عبرتي
محارم من آل الرسول استُحلّتِ

ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها
كَعابٍ كقرن الشمس حين تبدّتِ

وسربِ ظباءٍ من ذُؤابة هاشم
هتفن بدعوى خيرِ حي وميّتِ

أردُّ يَدا مني إذا ما ذكرته
على كبدٍ حرّى وقلب مُفتّتِ

فلا بات ليل الشامتين بغبطة
ولا بلغت آمالهم ما تمنّتِ

ويذكر ابن الأثير أن المأمون قد أنته هذه الابيات فاحضر الحسين وقال له : هل رأيت هاشمية قتلت وهتكت ؟ قال : لا ، قال : فما قولك الابيات .. فقال : يا امير المؤمنين لوعة غلبتنى ، وروعةٌ فاجأتنى ، ونعمة سُلبتُها بعد أن غمرتنى ، واحسانٌ شكرته فانطقنى ، وسيدٌ فقدته فاقلقنى فان عاقبتَ فبحقك ، وان غفرت فبفضلك . فدمعتْ عين المأمون وقال : قد عفوت عنك ، وأمرتُ بادرار ارزاقك عليك ، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعى عن استخدامك .

ولكن الحسين بن الضحاك لم يسلم بهذه النتيجة فيما يبدو ، فحاول ان يسترضى المأمون بشتى الطرق ، ووسّط فى ذلك عمرو بن مسعدة كما يتضح لنا من قصيدة له . ويبدو أن الحسين انقطع عن قول الشعر فيما يجيده من الخمر والغزل والملاهى طوال عهد المأمون خشية أن يأخذه بذلك وهو غاضب عليه ، والدليل على هذا اشارته التى يقول فيها عن شعره فى احدى القصائد (بضاعة أكسدها المأمون) . ويبدو أن المأمون رضى اخيرا عن الحسين فاراد استقدامه ، وان كان قد ظل يصله وهو مقيم بعيدا عنه فى البصرة . فقد ذكر ابن المعتز ان احد البصريين قدم على

---

(٤) القصرات أصول الأعناق وهى كناية عن الرفاهية والنعمة .

المأمون فقال له : كيف ظريف شعراكم وواحد مصركم ؟ فلما انكر البصرى معرفته به قال المأمون: ذاك الحسين بن الضحاك ، اليس هو الذى يقول :

رأى الله عبدالله خير عبـــــاده
فملكـــه والله أعلـــم بالعبـــــد

ما قال فيَّ احد من شعراء زماننا ابلغ مـن بيته هذا ، فاكتب اليه فاستقدمه ، فلما اعلمه البصرى مرَضَه ، كتب المأمون الى عامل الخراج على البصرة ليعطى الحسين ثلاثين الف درهم .

المأمون وأبو تمام

وشاعر ثالث من أكبر شعراء ذلك العصر ، لم تكن صلته بالمأمون قوية ، على الرغم من انه نال شهرة واسعة فى عهد المعتصم ، وما نظن انه كان مجهول القدر فى ايام المأمون ، ونقصد به ابا تمام. لقد ولد أبو تمام عام ١٧٢ هـ . على أصح الاقوال، فهو قريب اذن من عمر المأمون (١٧٠ هـ.) أى انه صار شاعرا ناضجا معروفا حين أصبح المأمـون خليفة ، أو على الاقل حين استقر له الأمر فى بغداد عام ٢٠٤ هـ . يقول عمر فروخ فى دراسته عن أبى تمام انه قد سعى ليتصل بالمأمون وهو يومئذ فى الشام ــ وكان ذلك نحو عام ٢١٥ هـ . فيما نعلم ــ فلما دخل عليه مدحه ، ولكنه لم يظفر منه بما يؤمل ، بل بدر من الخليفة نحو الشاعر ما صرفه عن بغداد فان المأمون كان قد انقلب على آل على فاوغر صدره ان يرى ابا تمام يمدحهم ويعرض ببنى العباس فى قصيدته التى مدحه بها وهى التى مطلعها :

دمنٌ ألمّ بهـــا فقال ســـــــــلام
كم حلّ عقدة صـــبره الإلمـــام

ولكن الدكتور البهبيتى يرى ان ابا تمام مدح المأمون بقصيدتين اخريين ، الأولى :

كشف الغطاء فأوقدي أو أخمدي
لم تكمدي فظننت أن لم تكمدي

والاخـرى :

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر
وغـــدا الثرى في حليه يتكسـر

ومع ذلك لا نرى المأمون قد قرب اليه ابا تمام او ادخله فى بطانته من الشعراء ، مع ان ابا تمام كان يذكر مع شعراء اقل منه شأنا كانوا يترددون على المأمون كثيرا مثل عمارة ودعبل الخـزاعى . ويبدو لى أن السبب الذى ذكره عمر فـــروخ ليس مقنعا تماما ، أو على الاقل ليس كل ما يقال فى هذه القطيعة بين المأمون وابى تمام . بل يجب أن نضيف اليه أن وجود أبى تمام فى بطـانة أبى دلف العجلى وتردده عليه ــ كما تشير الروايات المختلفة ــ كان من الأسباب التى جعلت المأمون يجفوه ، ودليلنا على ذلك موقف المأمون من على ابن جبلة ، فقد رفض مدحه له لاختصاصه بأبى دلف ومدحه الرائع له .

وشعراء آخرون

ونستطيع ان نجد اخبارا كثيرة للمأمون مـع الشعراء ــ عدا من ذكرناهم ــ مع أبى العتاهية ، وابى نزار الضرير ، وابى العميثل ، وجحشويه ، وخالد القناص ، والعتابى ، ومن اليهم . اما ابو نواس فقد مات قبل تولى المأمون الخلافة،وكان قد يئس من الأمين فقال فى سجنه :

أما الأمين فلست أرجو دفعـــــه
عني فمن لي اليوم بالمـــــــأمون

ويقال ان المأمون لما بلغه ذلك قال : والله لئن لحقته لأغنيته غنى لا يؤمله . ولا عجب فى ذلك فقد كان المأمون يعجب بشعر ابى نواس اعجـابا شديدا حتى ليفضله على كثير من الشعراء فى القديم والحديث كما يخبرنا ابن طيفور .

ويطول بنا الحديث لو تتبعنا اخبار المأمون مع شعراء عصره ، او آراءه فى الشعراء السابقين الذين كانوا موضع نقاش دائم بينه وبين مجالسيه من اهل الادب ، وغاية ما يقال فى ذلك ان وجود المأمون العالم الشاعر فى الخلافة كان دفعة قوية للشعر فى أيامه لبصره واهتمامه به ، وإثابته للشعراء اثابة من يهتز عطفاه للشعر ويرى انه متعة حسه وعقله ، وكذلك كان المأمون . ■■

محمد مصطفى هدارة

رثاء زوجة

بقلم : ظافر القاسمي
نقيب المحامين السابق

"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة"
قرآن كريم

"ألا إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون"
حديث شريف

■ كان يستوحش من المقابر ، ويكرهها ، لا بل يخشاها . اعتراه هذا الشعور قبل اربعة وثلاثين عاما ، يوم اودع في تربها اخا له لم تنقطع خلالها له عليه لوعة ، ولم تتوقف حسرة . فلقد كان اخوه حلو الاهاب، في شرخ الشباب، وميعة الصبا ، لم يجاوز ربيعه الثالث والعشرين ، طبيبا ، اديبا ، خطيبا ، لم يكد ينال شهادة الطب ، حتى كان فريسة المرض ، ولم تمض اشهر ثلاثة ، حتى كان بين يدى ربه ، فجزع جزعا كاد يودى به ، وحسب أن الدنيا ليس فيها الا الأحزان ، بعضها فوق بعض .

وما عرف منذ اربعة وثلاثين عاما انه دخل مقبرة من المقابر . ولقد شيع افرادا من اهله واصدقائه ، فلم يجاوز باب المقبرة الخارجي . وكان اذا مر أمام المقابر، وقد مرّ امامها مئات المرات، غضّ طرفه ، واطرق ، واخذ في قراءة الفاتحة ، حتى يجتاز اسوارها ، ويبتعد عن مرآها .

كان يرى أن هذا المكان قد ذهب باحبائه وطواهم طى الأبد ، فلا يطيق ان ينظر اليه ، فضلا عن ان يجوس خلاله . كان يتصور فيه معانى الاغتيال الغادر ، الذى يبعث النفور ، ويحجب فيه النور ، لا سيما وانه كان هو يوم وفاة اخيه في ربيعه الثامن عشر ، لم تتم

مداركه ، ولم ينضـــج عقله ، ولم يبلغ مبلغ الرجال .

مضت سنون طويلة ، بلغت اربعـــا وثلاثين ، تغلب فيها سلوكه على عقله ، واستولت عليه العـــادة ، فحالت دون التفكير ، وحجبت عنه الحقائق . فلقد كان بعدُ يدرى ان الموت حق ، كما ان الحياة حق ، ولكنه لم يكن يقوى عـلى نسـخ العادة ، ولا على الغاء السلوك الذى استأثر به .

ولقد طرأ امر جديد :

لقد افتقد المسكين زوجته في التاسع مـــن نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٥ ، وكان تعلقه بها شديدا ، وكانت له كل شيء في دنيـــاه ، فاذا بالفاجعة الجديدة تنكأ كل الجراح السابقة ، وتجدد له كل احزانه .

ولكن العجيب أن سلوكه قد تغير ، وان شعوره نحو المقابر قد تحول ، فما كاد ينتهى من تقبل تعازى اناس بفقيدته على باب المقبرة الخارجي يوم دفنها ، حتى خفّ نحو قبرها ، فاحاط به اهله واصدقاؤه ليمنعوه من الوصول اليه ، فقد ظنوا انه فاعل فعل اهل الجاهلية ، ولكنه أجابهم بهـــدوء المؤمن : **لا بد من الوصول الى قبرها ، وقراءة الفاتحة لها .**

واخذ منذ ذلك اليوم يأنس بالمقابر ، فلا يرى فيها الوحشة القاتمة التى كان يتصورها . فهو يغشاها في كل يوم ، ويقف على قبور الأهل ، وبعض الاصدقاء ، فيحس انه معهم ، ويخيل اليه في بعض الأحوال انه يحاورهم ، ويتلقى أجوبتهم . انه يعرف ان هذا كله من نسيج الوهم ، ولكنه وهم قريب من الحقيقة ، فما كان الحوار الذي توهمـــه الا اســـتعادةً لذكريات حلوة مرة ، يكررها امام القبور ، وكأنها كانت بالأمس ، وكأنها تعاد اليوم .

واصبح يحب المقابر ، فلا يراها مكانا للاغتيال ، وانما أضحى يرى فيها موعدا مقررا للقاء قريب او بعيد ، يجتمع فيه الأحباب اجتماعا لا انفصام بعده ، انه لقاء لا يشبه اي لقاء آخر ، فكل اجتماع في دنيانا الى افتراق ، اما هذا اللقاء بين يدي الحق ، فانه لقاء أبدى ، ينعم فيه المحبون نعيم الأبد .

وزايلته الخشية من المقابر ! فعلام يخشاها ؟ انه اليوم لا يرى فيهـــا الا روضة دونها ما رأى في الدنيا من رياض ، حتى الغوطة التي يعشقهـــا ، وحتى الحدائق التى تأنقَ القوم في اوروبـــة بتنسيقها ، وحتى ما ســـبق ان رآه في السينما الملونة . كل هذا اصبح في عينيه لا يعنى شيئا امام جمال المقبرة التى ضمت زوجته واخاه وامه واباه وبقية السابقين من الأهل والأصدقاء . وهـــل يتعلق الانسان بغير الجمـــال ، وما دام يرى الجمال في هذه القبور فلِمَ يخشاها ؟

انه يدخل الى المقبرة ، فلا يغيب عنه ان قبورها مبعثرة ، وان هذه الأضرحة غير منسقة ، وان بعضهـــا دارس او كالدارس ، وان بعضها الآخر من طين ، وان بعضها من رخام نقشت عليه آيات من القرآن الكريم ، أو ابيات من الشعر في رثاء الراحلين . ولكنه لا يرى في هذه الفوضى الا نظاما ، ولا في هذا التفاوت الا مساواة . ان الفوضى والتفاوت من صنع هؤلاء الفانين الذين حسبوا أنهم يفرون من الحقائق الأبدية . فمهما تفاوت الناس في الدنيا ، فانهم متساوون تحت التراب !

لطالمـــا وقف في المتاحف الغربيـــة والشرقية امـــام كثير من اللوحات ، معجبا بجمالها ، ومفتونا بروعة الفـــن فيها . اما اليوم فلا والله ما يرى احلى من هذه اللوحة التي لا يشبع من التأمل فيها ، انها لوحة القبور ، التى تتزاحم على غير انتظام ، ولا مساواة . وكلمـــا امعن النظر اليها ، كلما ازداد بها تعلقا ، ولها حبا وايثارا .

وكيف لا يكون كذلك، وقد اودع فيها نفسه او شطر نفسه ؟

كان يقرأ قوله تعالى : **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »** ، وكان يفسر هذه الآية ، ويفلسفها احيانا ، وكان وما يزال يرى انها اروع صورة لوصف العلاقة بين الازواج ، وان الآداب الانسانية كافة ، من الأزل الى الأبد ، عاجزة عن ان تأتى بمثلها . ولكنه اليوم فهمها على نحو آخر ، **وادرك أن كلام الله تعالى ليس معجزا باللفظ فحسب ، ولا بالمعنى فحسب ، وانما هو معجز أيضا فى التطبيق العملى .**

لقد فهم بعد فقد زوجته أشياء كثيرة ، لم يكن يجهلها ، وانما كانت وكأن غبارا قد علاها ، فمسحه الموت . فهم لماذا قرن الله تعالى **« الذل »** مع **« الرحمة »** فى علاقة الابناء بالآباء ، ولماذا قرن **« المودة »** مع **« الرحمة »** فى علاقة الازواج فقال : **« وجعلنا بينكم مودة ورحمة »** . لم يكن كلام الله تعالى الا تعبيرا عن الحقيقة الخالدة : الزوج من النفس ، ومن فقد الزوج فقد افتقد النفس ، او شطر النفس . ومن اشقى ممن فقد نفسه او شطر نفسه ؟

والزوج « سكن » او « سكون » وسواء أكان هذا أم ذاك ، فمن اشقى ممن افتقد السكن او السكون ؟

لقد كان يردد فى كثير من المناسبات قولا يردده الخاصة والعامة على السواء وهو : « الحمد لله ، الذى لا يحمد على مكروه سواه » ولكنه لم يكن يفقه معنى هذا الكلام ، ولماذا قيل ، وما هو مدلوله . اما اليوم فانه يتذرع بايمان العجائز ، فيفهم أن الموت مكروه ، ولكن لابد للمؤمن من ان يحمد الله عليه ، ومن ذا الذى يحمد على المكروه غير الله ؟

واخذ يستعيد ما حفظ من المراثى فى أدب اللغتين : العربية والفرنسية ، فلا يرى فيها جميعا الا صورة لنفسه . فلا يقع على صورة من صور الحزن الا وقد اعتراه ما هو اشد منها ، ولا على معنى من معانى الجزع الا وقد نابه ما هو أكثر هولا ، واعظم وقعا . ولم تمر معه نصيحة فى معنى الصبر او التصبر الا وقد وجهها الى نفسه . وما قرأ كلمة فى التذكير بالايمان فى مثل هذه الشدائد ، الا وقد ذكر نفسه بها .

كذلك لم تقع عينه على فضيلة قيلت فى المرثى الا وتصورها فى فقيدته .

قال لأصدقائه يوما : ان المتنبى قد رثى اخت سيف الدولة ، ولا شك انه لم يكن يعنى ما يقول عنها :

ولو كان النساء كمن فقدنا
لفضلت النساء على الرجال

وانما كان ذلك من المتنبى كلام شاعر ، احب ان يتقرب الى مولاه .

ولكن من مزايا المتنبى انه ، كما كان يقول عنه اسعاف النشاشيبى رحمه الله ، شخص ثالث بين كل مثقفين ، فما دار حوار بين مثقفين الا استشهد أحدهما او كلاهما ببيت للمتنبى . وهذا البيت اذا لم ينطبق على اخت سيف الدولة ، فانه قد انطبق منذ الف سنة على نساء غيرها كثيرات ، ومن بينهن فقيدته . ولذا فقد بكاها ، وما زال يبكيها ، وقد جزع عليه أهله واصدقاؤه ، ونهوه عن البكاء ، ونصحوه ، فلم يأبه لنهيهم ، ولم يبال بنصحهم . وكان حائرا بين المذهبين : السيكولوجى ، والفيزيولوجى ، وكان حائرا فى خلافهما القديم : هل الانسان يحزن ثم يبكى ، ام يبكى ثم يحزن ، فلما حم القضاء ، لم يتردد فى الاخذ بالمذهب النفسى (السيكولوجى) فالحزن ليس له وصف ، وانما هو حزن وكفى ، ومن آثاره هذا الدمع .

نعم لقد بكى عليها وما زال يبكى ، ولم

لا يبكي ، وكيف لا يبكي ؟ ان هؤلاء الناصحين قد نسوا قوله تعالى : « وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى » ، وان البكاء لو لم يكن من صفات الانسان المميزة لما ورد على هذا الشكل في القرآن الكريم . لقد ثبت عنده أن الذي لا يبكي ناقص الانسانية ، ان لم يكن فاقدها . وان هؤلاء الذين يزعمون التجلد ، فلا تندَى لهم عين ، ولا يخضلُ جفن ، اما انهم لم يحزنوا واما ان قلوبهم قد قُدَّت من صخر ،ومن قُدَّ قلبه من صخر فقد انسانيته .

ونسي هؤلاء الناصحون أن البكاء (فعل منعكس) ، وليس فعلا اراديا ، وأن الذي يحاول ان يكبت بكاءه يصبح بكاؤه اكثر انفجارا ، فلا حيلة للباكي في الكبت .

ثم ما لهؤلاء القوم لا يفقهون عن هذا المحزون ؟ انهم محبون ، مخلصون ، خائفون عليه ، لا شك في ذلك ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يصلوا معه الى الاعماق التي وصل اليها ، ولا الى الاهتزازات النفسية التي كان هدفا لها .

ما لهؤلاء لا يرجعون الى السيرة النبوية؟ ان الرسول الأعظم هو الانسان الكامل ، الذي لم تنجب الانسانية مثيلا له ولا شبيها ، فضلا عن نبوته ، وتبليغه رسالات ربه . اذا بكى هذا المسكين اليوم ، فقد بكى من قبله محمدٌ مرات . دع بكاءه جزعا على أمته ، فهذا موقف من مواقف الصالح العام ، كما نقول في هذه الأيام . وانظر الى بكائه على عمه حمزة ، ودعوته النساء لندبه ، وتأملْ هذه الصورة الرهيبة التي بكى فيها ابنه ابراهيم ، حتى التبس الأمر على بعض صحابته فرد عليهم بجوابه الذي يعتبر من جوامع الكلم : « الا ان العين لتدمع ، وان القلب ليحزن،وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون» .

فهذا بكاء الوالد المفجوع على الولد ، الذي تقرحت كبده ، وتمزق فؤاده .

اما بكاء الولد على الوالد فان كتب الحديث وكتب السيرة وكتب التاريخ قد تضمنت لوحة للرسول الأعظم ، ما أظن ان الآداب العالمية ظفرت بالكثير منها . كان ذلك ولمحمد من العمر ثلاث وخمسون سنة ، ولم يسبق له من قبل زيارة قبر أبيه ، فلما زاره بكى فأجهش في البكاء،وانتحب فأغرق في النحيب ، حتى اشفق الصحابة عليه ، وكادت قلوبهم تطير جزعا على الرسول . كان ذلك بكاء الابن على ابيه ، وكان ذلك من الهواتف الانسانية الخالدة التي ما مر بها المسكين مرة ، الا وازداد تعلقا واعجابا .

هذا محمد يبكي في شؤونه الخاصة ، لأنه انسان ، ولانه رجل ، فليس يغضُّ من اقدار الرجال بكاؤهم على الراحلين ، من ذوي القربى والأصدقاء ، بل ان ذلك يزيد في رجولتهم ، ويزكّيها . ومن ذا الذي استطاع أن يجد في بكاء محمد على عمه ، وولده ، وابيه ، موضعا للنقد؟

لقد اعتاد المسكين خنق البكاء ، او ابتلاعه ، فاذا ما كان بين الناس ، عرف كيف يداري نحيبه ، وان لم يستطع مداراة دمعه . انه يبكي من غير صوت . وهو كلما هاجته ذكرى من الذكريات – وما اكثرها – سارع الدمع الى مقلتيه فنداهما . انه راض عن حزنه ، لا يريد له تغييرا ، ولا يبغي عنه حولا . ولهؤلاء الذين يعترضون عليه ويلومونه ، وفي سبيلهم ، يضرع الى الله أن يجنّبهم اللوعة ، وأن يقيَهم الحسرة .

لقد استطاع تلخيص فلسفة الحياة والموت بكلمة واحدة وردت في القرآن الكريم ، هي **« الأجل »** . وهو بانتظار هذا الاجل ، في موعد مع زوجته لايعلمه الا الله ، في الروضة العظمى ، في المقبرة ، بين يدي الحق . ■■

ظافر القاسمي
دمشق

بطلان إسلاميان



بقلم : حسن الامين

■ تتعرض الأمم احيانا الى مواقف يتزلزل فيها كيانها ويتهشم وجودها، فتغدو وكأنها شلو ممزق ، فقد الرأس والأطراف !

هنا تتجلى كوامن العزائم وتبرز مخبآت العبقريات ، فيقيض الله للأمة من لم تكن تحسبهم شيئا فاذا هم كل شيء .

هذا ما صار اليه امر العرب والمسلمين بسبب الغزو المغولى الثانى بقيادة هولاكو ، حين استطاع تدمير البلاد والعبـــاد ، وقضى على آخر رمز اسلامى قضاءه المبرم ، وحل ما كان قد بقى من روابط يمكن أن تشد البلاد بعضها الى بعض ، واخمد كل صوت يمكن أن يستصرخ مستنجدا ويستثير محمسا . فعادت الأمة قطيعا سائبا تتعاوره الذؤبان وتعيث فيه الســباع ، ونعى الاسلام نعاته ، ورثاه رثاته ، وخيل للناس ان الوثنية سادت وان لا قائمة تقوم بعد لكلمة التوحيد !

ولكن الاسلام ،وقد كان احيا بعبقريته الشعوب وخلق النور الساطع من الظلام الدامس ، لم يكن ليستسلم بمثل تلك السهولة التى حسبها الضعفاء ، فجذوته التى هزت الكون قبل اليوم ، كان لا يزال منها قبسات فى نفوس بنيه ، فمن قلب اليأس برز الأمل فى عزم رجلين اثنين قيّض لهما ان ينقذا الاسلام من أخطر بلاء أصابه . ومن المؤسف ان الجمهور الاسلامى يجهل كل شيء عنهما ، بل ان الخاصة الاسلامية نفسها لا تكاد تعرف الا لمحات خاطفة عنهما ، فى حين أن بعض من احيطت اسماؤهم بالتهويل والتطبيل فى بعض الأحداث الاسلامية ليسوا بأهل لشيء من هذا ، وكان نصيبهم من العمل نصيبا لا يستحقون عليه ذرة من هذا الاجر الضخم !

هذان الرجلان متناقضان فى كل شيء ، ولقد جرى كل منهما فى طريق لا صلة لها بطريق الآخر، وكانت وسيلة كل واحد منهما مختلفة عن وسيلة الثانى ، بل ان أى واحد منهما لم يتصل بزميله ولم يتعرف اليه ولم يدر عن خططه شيئا ، بل عمل كل فيما هيىء له وسار فى الطريق التى لا يحسن السير فى غيرها . ولو انه انحرف عنها قيد شعرة لتعسف السبيل وضل الدرب وتاه وتاه معه العروبة والاسلام !

الملك المظفر

هــذان الرجلان البطلان همـا الملك المظفر سيف الدين قطز حاكم مصر (١٢٥٩ ـ ١٢٦٠م)، والعالم الفيلسوف نصير الدين الطوسى (١٢٠١ ـ ١٢٧٤ م) .

وقصة الأول منهما كتبتهـا فى عدد سابق مـن « العربى » فلا أعيد منها هنا شيئا سوى القول ، بأن هذا الرجل العظيم استطاع أن يبطل أسطورة الجيش الذى لا يغلب ، فهزم المغول فى عين جالوت (١٢٦٠ م) هزيمة لم يتوقعها احد ، بل خاض فى الأصل معركة لم يتوقع خوضها أحد!

لقد انتصر فى عين جالوت على المغول انتصارا يمكن القول من ناحية انه كان حاسما ، هذا اذا اعتبرنا النتائج البعيدة التى أدى اليها هــذا النصر . فان الزحف المغولى منــذ تقدم بقيادة هولاكو لم يوقفه شيء وانهارت أمامه جميع القوى، حتى خيل للناس فى كل مكان انه ماض فى فتوحه حتى النهاية ، وان مصر هى هدفه الثانى بعــد الشام ، وان هذا الهــدف كغيره من الأهداف قريب المنال ، ومتى استصفى المغول مصر فانهم سيمضون حتما الى ما هو أبعد ، ولا يعلم الا الله أين سيقفون .

وفى الواقع لو قدر للمغول الانتصار العسكرى



في « عين جالوت » لكان الأمر كما ظن الناس ، ولكن المقاومة الباسلة التي لقوهـا عند حدود مصر ، والصمود الرائع الذي أعـده لهم الملك المظفر ، ثم الهزيمة الكاسحة التي الحقها بهم المصريون بقيادته : ان ذلك أثبت اولا ان المغول يمكن أن يهزموا ، ثم وضع حدا لتقدمهم ، ولم يكتف بردهم عن مصر ، بل ردهم عن الشام أيضا، ومن هنا يمكن اعتبـار النصر المصري في « عين جالوت » نصرا حاسما .

نصير الدين الطوسي

كان نصير الدين الطوسي ضحية مـن ضحايا الغزو المغولي الأول ، حينما اجتاحت جحافل جنكيز خان (١١٥٥ ـ ١٢٢٧ م) البلاد الاسلامية ودمرت ما مرت به منها . وكان من تلك الضحايا مدينة نيسابور التي كانت تعج بالعلماء وتزخر بالمدارس .

ولم يكتف المغول بتدمير المدينـة بل أعملوا السيف في الناس ، فقتل من قتل واستطاع الفرار مـن استطاع ، وكان بين الناجين نصير الدين الطوسي ، فهـام على وجهه يطلب الملجأ الأمين فوجده في قـلاع الاسماعيلية الحصينة ، تلك القلاع التي صمدت وحدها لجنكيز وصدته عـن أسوارهـا ، فظل حقـد المغول مضطرما على الاسماعيليين الى أن استطاعوا الثأر منهم في عهد هولاكو حفيد جنكيز .

ولم يكن نصير الدين وحده هو الذي احتمى بهذه القلاع ، بل لقد لجأ اليها كثير ممن استطاعوا الفرار والنجاة .

وعندما تقدم المغول في غزوهم الثاني ، وأعاد هولاكو سيرة جده ، كانت الحملة هذه المرة من القوة بحيث هابتها القلاع الاسماعيلية فلم تستطع لها صدا ، ونزل الأمير الاسماعيلي ركن الدين خورشاه على حكم المغول ، فكان حكمهم قتله وقتل اعوانه ومن لجأ اليه ، واستثنوا من ذلك ثلاثة رجال كانت شهرتهم العلمية قد بلغت هولاكو فأمر بالابقاء عليهم ، ولم يكن هذا الابقاء حبا للعلم وتقـديرا لرجاله ، بل لانه كان بحاجة الى ما اختص به هؤلاء الثلاثة من معارف ، فاثنان منهم كانا طبيبين هما موفق الدولة ورئيس الدولة ، والثالث كان مشهورا باختصاصه في أكثر من علم واحد . فهذا نصير الدين الطوسي ، وكان ممـا اختص به علم الفلك ، وكان هولاكو مقدرا لهـذا العلم تقدير حاجة لا محض تقدير ، مؤمنا بفائدته له . لذلك رأيناه بعد ذلك يعنى بانشاء مرصـد « مَرّاغة » ويوفـر له كل ما يستدعي نموه وتقدمه .

لم يكن للثلاثة خيار فيما صاروا اليه ، فامـا القتل والاستسلام للقـدر الذي حتم عليهم ، فآثروا الأمر الثاني انتظارا للمخرج وتحينـا للفرصة .

رجل الساعة

جمع نصير الدين الطوسي الى العلم الواسـع العقـل الكبير ، فتربك سيرته رجلا من افذاذ الرجال لا يمر مثله كل يوم . وتشاء الأقدار ان تعده لمهمة لا ينهض بها الا من اجتمعت له مثـل صفاته : علم وعقل وتدبير وبعد نظر ، فكان رجل الساعة في العالم الاسلامي ، هذا العالم الذي كان مثخنا بالجراح !

كانت مهمة الطوسي من اشق المهمات ، وكانت ازمته النفسية من اوجع ما يصاب به الرجال . فانه ، وهو العالم الكبير ذو الشهرة المدوية بين المسلمين ، يرى نفسه فجـاة في قبضة عـدو المسلمين ، ويرى هذا العدو مصرا على ان يبقيه في جانبه وبسيّره في ركابه . والى اين يمشي هذا الركاب !؟ انه يمشي لغزو الاسلام في دياره والقضاء عليه في معاقله ! فهل من محنة تعدل هذه المحنة؟!

ان اقل تفكير في التمرد على رغبة القائد المغولي سيكون جزاؤه حد السـيف . واننى لاتخيـل الطوسي متاملا طويل التأمل، مطرقا كثير الاطراق! لقد كان يعز عليه ان يذهب دمه رخيصا وان يكون ذلك بارادته هو نفسه ! فلو ان سيفا من سيوف المغول الجانية أودى به فيمن أودى بهم في رحاب نيسابور وسهول ايران لكان استراح . اما الآن

فلن يستسلم للقدر الطاغي ، وسيثور على حكم الزمن الغاشم !

الوضع العام

كان الطوسي ذا فكر منظم يعرف كيف يخطط ويدبر ، وهو في ذلك آية من الآيات . وقد أدرك ان النصر العسكرى على المغول ليس ممكنا أبدا ، فقد انحل نظام العالم الاسلامى انحلالا تاما لم يعد معه أمل في تجميع قوة تهاجم المغول وتخرجهم من دياره ، وكانت البلاد المحتلة أضعف من أن تفكر في ثورة ناجحة . على ان الغرب الاسلامى كان لا يزال سليما ، وكانت مصر هى القوة الوحيدةالتى تتجه اليها الانظار ، وقد استطاعت مصر أن تذيق المغول مرارة الهزيمة وان تردهم عنها ، ولكنها لم تكن مستطيعة أكثر من ذلك ، فمهاجمة المغول فيما احتلوه من بلاد بعيدة واخراجهم من تلك البلاد كان فوق طاقة مصر .

وفكر نصير الدين طويلا فايقن انه اذا تم للمغول النصر الفكرى ، بعد النصر العسكرى ، كان في ذلك القضاء المبرم على الاسلام ، وها هو يرى بأم عينيه الكتب تحرق والعلماء يقتلون ، فماذا يبقى بعد ذلك ؟!

لقد استغل حاجة هولاكو اليه ، وحرصه على أن يكون في معسكره فلكى عالم بالنجوم ، فعمل على كسب ثقته واحترامه فكان له ما أراد ، وصار له من ذلك سبيل لانقاذ أكبر عدد من الكتب وتجميعها،كما استطاع ان ينجى من القتل الكثيرين ممن كانوا سيقتلون !

ولما استتب الأمر لهولاكو خطا نصير الدين خطوته الاخرى ، وكانت هذه المرة خطوة جبارة ، فقد أقنعه بأن يعهد اليه بالاشراف على الأوقاف الاسلامية والتصرف بمواردها بما يراه ، فوافق هولاكو . وتتطلع نصير الدين فرأى أن المسلمين كانوا قد وصلوا من الانحلال الفكرى الى حد أصبح العلم عندهم قشورا لا لباب فيها ، وأنهم حصروا العلم في الفقه والحديث وحدهما ، وحرموا ما عداهما من سائر صنوف المعرفة التى حث عليها الدين العظيم،وانصرفوا عن العلوم العملية خاصة انصرافا تاما .فأعلن افتتاح مدارس لكل من الفقه، والحديث ، والطب ، والفلسفة ، وانه سيتولى الانفاق على طلاب هذه المدارس ، ولكنه سيجعل لكل واحد من دارسي الفلسفة ثلاثة دراهم يوميا، ولكل واحد من دارسي الطب درهمين ، ولكل واحد من دارسي الفقه درهما ، ولكل واحد من دارسي الحديث نصف درهم . فاقبل الناس على معاهد الفلسفة والطب ، بينما كانت تلك العلوم من قبل تدرس سرا .

النصر الأول

احرز نصير الدين النصر الاول في معارك الاسلام ، فالعلم لن ينقطع بعد اليوم ، ولن يجمد المسلمون عن طلبه ، ثم انصرف يخطط للمعركة الكبرى الكاسحة .فاذا كان انشاء المدارس المتفرقة لن يلتفت هولاكو اليها ، ولن يدرك أهميتها ، فان انشاء الجامعة الكبرى وحشد العلماء فيها وحشر الكتب في خزائنها ، سيكون حتما منبها لهولاكو ، فكيف العمل ؟

هنا تبدو براعة الطوسي ، فهولاكو استبقاه لغاية معينة هى الاستعانة به في علم الفلك والنجوم ، فراح يقنع هولاكو بانه من أجل استمراره في عمله والاستفادة من مواهبه لا بد من انشاء مرصد كبير ، فوافق هولاكو على انشاء المرصد ، وفوض لنصير الدين المباشرة بالعمل .

لقد كانت هذه الموافقة الحلم الاكبر الذى حققته الايام لنصير الدين ، وبات بعدها مستريحا للمستقبل لا يشغله شيء الا الاعداد الدقيق والتخطيط السليم الموصل الى الغاية القصوى .

يقول الدكتور فياض : « كان يعيش عند ذاك رجل يعد من أكبر المشتغلين بالعلوم العقلية بعد ابن سينا ، الا وهو نصير الدين الطوسي . فقدّر لهذا الرجل العظيمان يقوم بانقاذ التراث الاسلامى من أيدى المغول » .

ويقول الاستاذ مدرّسي : « استطاع الطوسى بتأثيره على مزاج هولاكو أن يستحوذ تدريجيا على عقله وان يروض شارب الدماء فيوجهه الى اصلاح الامور الاجتماعية والثقافية » .

الخطة الحكيمة

ضخم نصير الدين امر المرصد لهولاكو وأقنعه انه وحده أعجز من أن يرفع حجرا فوق حجر في ذلك البناء الشامخ ، وانه لا بد له من مساعدين كفاة يستند اليهم في مهمته الشاقة ،وانه لا مناص من أجل ذلك من ان يجمع عددا من الناس المختارين ، سواء في البلاد المحتلة أو في خارجها، فوافق هولاكو على ذلك .

وهنا هب نصير الدين الى اختيار رسول

حكيم هو فخر الدين لقمان بن عبد الله المراغي ، وعهد اليه بالتطواف في البلاد الاسلامية ، وتأمين العلماء النازحين ودعوتهم للعودة الى بلادهم ، ثم دعوة كل من يراه كافيا في عمله وعقله من غير النازحين .

ومضى فخر الدين يؤدي مهمته على أحسن الوجوه ، وقصد الى اربل والموصل والجزيرة والشام ، فعاد الهاربون ولبى الدعوة غيرهم فجاءوا من كل مكان . جاءوا من دمشق والموصل وقزوين وتفليس وغيرها. وتحلقوا حول نصير الدين يعدون العدة لانشاء أكبر معهد علمي عرفه العالم الاسلامي ، ساترين هدفهم بالمرصد ، مغلفين طريقهم بالافلاك والنجوم . بل لقد بلغت الدعوة اقاصي المغرب فجاء منه يحيى بن محمد بن أبي الشكر المغربي فكان أحد الستة الذين اختارهم نصير الدين ليكونوا اللجنة العليا المشرفة على العمل .

يقول الدكتور مصطفى جواد : « التحق نصير الدين الطوسي بهولاكو لينجي نفسه من الهلاك ، وليأتي بمعجزة القرن السابع وهي نشر العلوم في الشرق وتأسيس أول اكاديمية علمية فيه بالمعنى العلمي الحديث الذي تدل عليه كلمة Academie ، واقامة أعظم مرصد عرف في الشرق، وانشاء أول جامعة حقيقية من النوع المعروف اليوم بالـ Universite » .

رواية شاهد عيان

وكان في طليعة الوافدين الى مراغة العالم الدمشقي مؤيد الدين العرضي الذي ترك لنا رسالة في وصف مرصد مراغة وادارته تحدث في مقدمتها عن نصير الدين الطوسي فكان مما قاله : « ..... وذلك كله باشارة مولانا المعظم والامام الاعظم العالم الفاضل المحقق الكامل قدوة العلماء وسيد الحكماء » .

ثم يقول « .... فجمع العلماء اليه وضم شملهم بوافر عطائه وكان لهم أرأف من الوالد على ولده فكنا في ظله آمنين وبرؤيته فرحين كما قيل :

نميل على جوانبه كأنا
نميل اذا نميل على أبينا
ونقلبه لنخبر حالتيه
فنلقى منهما كرما ولينا

وهو المولى نصير الملة والدين محمد بن محمد الطوسي أدام الله أيامه » .

النتائج الخطيرة

مضى العمل منظما دقيقا ، وانصرف العلماء باشراف الطوسي منفذين مخططا مدروسا ، فلم يمض كبير وقت حتى كانت المكتبات تغص بالكتب، وحتى كانت مكتبة مراغة بالذات تضم مجموعة قل أن اجتمع مثلها في مكتبة اخرى ، وحتى كانت المدارس تقام في كل مكان ، وحتى كانت الثقافة الاسلامية تعود حية سوية ، وحتى كانت النفوس مشبعة بالامل والقلوب مليئة بالرجاء ، وحتى كان الدعاة ينطلقون في كل صوب والهداة ينتشرون على كل وجهة ...

ثم يموت هولاكو ، ولكن الاسلام الذي اراد له هولاكو الموت يظل صحيح البنية متوهج الفكر . ثم يموت ابن هولاكو وخليفته « ابقاخان » ، والاسلام لا يزال بقيادة الطوسي صامدا ، يقاتل ويقاوم ويدعو ويهدي .

ويأتي بعد أبقا خان ، ابن هولاكو الآخر (تكودار) فاذا بالاسلام ينفذ الى قلبه وعقله ، واذا به يعلن اسلامه فتسلم الدول كلها باسلامه .

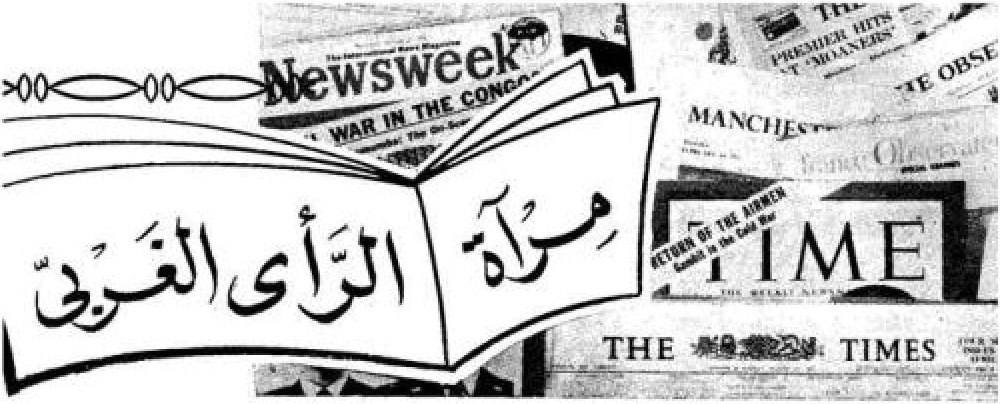
وكان الطوسي قد مات سنة ٦٧٢ هـ ١٢٧٤ م . مات قرير العين وهو يرى طلائع الظفر مقتحمة الدنيا بموكبها الرائع ، وبشائر النصر هازجة بأرفع صوت وأعلى نبرة . مات الطوسي مودعا الامر الى تلميذه واقرب المقربين اليه قطب الدين ابو الثناء محمود بن مسعود الشيرازي ، فنهض بالعبء على ما أراده نصير الدين . فلم يجد « تكودار » ، الذي أصبح اسمه «احمد تكودار»، خيرا من الشيرازي خليفة الطوسي ليكون رسوله الى العالم الاسلامي .

يقول الاستاذ عبد المتعال الصعيدي : « لم يمت نصير الدين الا بعد ان جدد ما بلي في دولة التتار من العلوم الاسلامية وأحيا ما مات من آمال المسلمين بها » .

الى ان يقول : « .... ان الانتصار على التتار لم يكن في الحقيقة بردهم عن الشام في موقعة « عين جالوت » وانما كان بفتح قلوبهم الى الاسلام وهدايتهم له » .

هكذا استطاع نصير الدين الطوسي أن يهزم بالعقل والعلم الدولة الطاغية الباغية ، وان تنجح خططه في تحويل المغول من وثنيين الى مسلمين . ■■

حسن الأمين/بيروت



مخاطر ذرية

« عن صحيفة النيويورك تايمز الامريكية »

● لم يعد خافيا ان لجنة الطاقة الذرية (في الولايات المتحدة الامريكية) تفتقر الى طريقة محكمة مرضية تكفل لها المحافظة على مخزونها من مادة اليورنيوم محافظة تامة .

حقا هنالك اجراءات ترمي الى سد الثغرات ، ومع ذلك فان مقادير لا يستهان بها من تلك المادة التى تصنع منها القنابل الذرية ، ما زالت تضيع وتختفي .. وان دل هذا على شيء فانما يدل على الاهمال واللامبالاة اللذين رسخا في نفوس المسؤولين تبعا لعدم حدوث كارثة كبيرة في هذا المجال حتى الآن .

ولعل في التقرير السنوى الاخير الصادر عن لجنة الطاقة الذرية المذكورة ما يثبت وجهة النظر السالفة الذكر . فعلى ضخامة ذلك التقرير نسبيا فان مشكلة اختفاء اليورنيوم وفقدانه لم تحظ باكثر من نصف صفحة من صفحاته الاربعمائة والاثنتين والاربعين .

ويزداد الامر خطورة ويزداد المهتمون به قلقا نظرا للتوسع المرتقب في استعمال المواد المشعة كاليورنيوم ، للاغراض الطبية من جهة والاغراض الصناعية من جهة اخرى . هذا بالاضافة الى الاقبال على اقامة المعامل والمصانع المسيرة بالطاقة الذرية في جهات عديدة من البلاد . ومن شان هذا التوسع ان يعرض الكثيرين من الناس لمزيد من الاذى بل لخطر الموت المحقق ، ما لم تتخذ الاجراءات الجدية الكفيلة بالحفاظ على اليورنيوم وما اليه من مواد .

تهمة خطيرة توجه الى الحكومة الامريكية

« عن صحيفة المانشستر جارديان البريطانية »

● لقد اخفت الحكومة الامريكية الكثير من الحقائق المتصلة بالحرب في فيتنام . فهي لم تكشف عن حقيقة الوضع العسكرى الفيتنامي ولم تفصح عن رسالة القوات الامريكية المحاربة هناك ، ان كان لها ثمة رسالة . فضلا عن ذلك فقد كانت تقاريرها عن نفقات تلك الحرب وعن الاصابات التى انزلتها القوات الامريكية ، بعيدة كل البعد عن حقيقة الواقع . اضف الى ذلك تجنبها الصراحة بالنسبة الى محاولات التقارب والمفاوضة الاولية . فحكومة الرئيس جونسون اذن كانت تتعمد تضليل الشعب الامريكي وتخفي عنه الحقائق الخاصة بحرب كبيرة يخوضها ، تنذر بأن تتحول الى حرب عالمية .

هذا هو مضمون التقرير الذى أعده وطبعه مؤخرا ممثلو الحزب الجمهورى في مجلس النواب الامريكي . والجدير بالذكر ان الغرض من هذا التقرير ليس البحث في الحرب الفيتنامية أو في ضرورة انهائها بصورة سلمية ، وانما اظهار حكومة جونسون بمظهر المضلل والمزيف . ولا يخفي أن نشر التقرير المذكور في هذه الآونة بالذات ، اى قبيل انتخابات مجلس الشيوخ ، يثبت الغرض الثاني من اصداره ، وهو الدعاية لصالح الحزب



فرنسا وبلدان شرق أوربا

« عن مجلة الايكونومست البريطانية »

● ثمة وهمٌ يعانيه الجنرال ديجول ويتخبّط فيه . يعتقد أن مواقفه المجيدة وتصريحاته العتيدة في شجب السياسة الامريكية كفيلة بدفع الآخرين، وخاصة الشيوعيين، للسير خلفه واقتفاء أثره . بل انه يشعر بأنه يكاد يُحدث ثورة عارمة داخل المعسكر الشيوعي سواء على صعيد التفكير السياسي او العسكري .

الا ان الجنرال قد نسي العقبة الكبرى التى تعترض سبيله . فهو يرفض ويأبى المساومة بشأن المانيا . واعتقاده بأن بلدان شرق اوروبا قد اصبحت صالحة او مؤهلة للمساومات السياسية، يقابله اقتناع لدى الزعماء الشيوعيين بأن الجنرال ديجول لا بد وأن يبارك وجود المانيا الشرقية علناً وبصورة رسمية . او لمْ يتصدّ لحلف شمال الاطلسي ، ويُعارضْ تسليح المانيا الغربية بالاسلحة النووية ، ويشجبِ الحربَ الفتنامية ، ويؤيد اعتبار الحدود الشرقية لألمانيا الغربية حدودا ثابتة دائمة ، فاستحق على هذا وذلك ارفع الاوسمة ؟ !

لا ، ليس كذلك ! فقد أعلن الرئيس الفرنسي بوضوح وجلاء ان فرنسا لا تؤيد فكرة الاعتراف الكامل بدولتين المانيتين ، وهو الشرط الذى يفترضه الشيوعيون لأية تسوية لمشاكل امن اوروبا .

الجمهوري ضد الحزب الديمقراطي في تلك الانتخابات وهي مرتقبة في هذا الخريف .

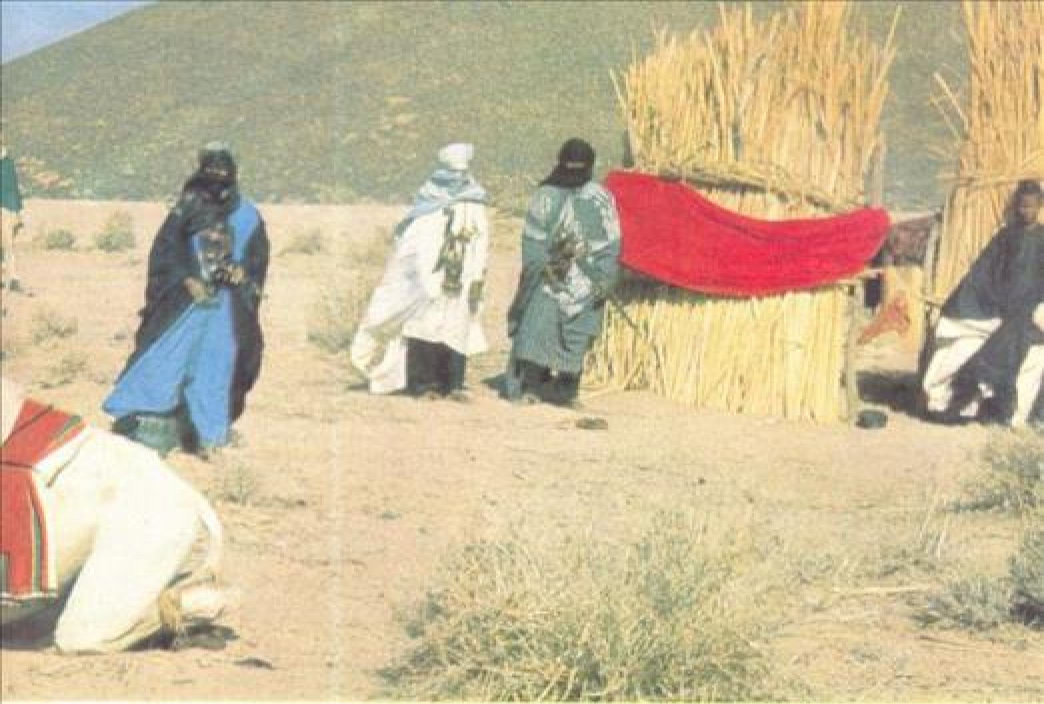
على أن السعي الى الدعاية باصدار هذا التقرير لم ينزل بمستواه ابدا . فهو حافل بالحجج الدامغة التى تكاد ان لا تترك مجالا للشك في التهم التى يوجهها الى حكومة الرئيس جونسون .

فهو يتهم الحكومة الامريكية ، مثلا ، بان ادعاءها القائل بان التزاماتها تفرض عليها ارسال قواتها المحاربة الى فتنام انما هو ادعاء باطل . ويستشهد التقرير على ذلك بتصريح هام لوزير خارجية امريكا الراحل ، جون فوستر دالاس ، يقول فيه :

« ان التزاماتنا في حلف جنوب شرق آسيا — سيتو — Seato لا تحاول ابدا ان تورطنا بالتصرف في فتنام . »

ويمضي التقرير فيبين كيف ارتفع عدد القوات الامريكية في فيتنام من (١٦ ...) سنة ١٩٦٣ الى (٣٠٠ ...) في شهر اغسطس من هذه السنة ، ثم يذكّر القارىء بتصريح ادلى به المستر جونسون نفسه وذلك في الشهر العاشر من سنة ١٩٦٤ ، اذ قال :

● « نحن لاننوى ارسال ابنائنا الى بلاد نائية تبعد عنا عشرة الاف من الاميال وذلك للقيام بعمل ينبغي لابناء آسيا ان يقوموا به .»



اعرف وطنك أيها العربي

ركن في الجزائر

الطوارق

حيث النساء سافرات .. والرجال "محجبات"

■ عرفنا الحجاب فوق وجه المراة .. ولكننا لم نعهد الرجال يتحجبون، بينما يتركون نساءهم وبناتهم سافرات الوجوه ، حتى راينا « الطوارق ».. هناك الرجال يعيشون ويموتون دون ان يزيحوا الحجاب الاسود عن وجوههم ، حتى في اوقات الطعام .. بينما النساء لا يعرفن الحجاب!

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
أوسكار متري





لا ... انهم ليسوا سكان كوكب آخر ، بل هؤلاء هم الطوارق الذين ما زالوا يعيشون في منطقة « الهوجار » بجنوب الجزائر ، على نفس النمط الذي كان يعيش عليه اجدادهم منذ الاف السنين .

رجل من الطوارق .. اياك ان تحاول ان تنزع هذا النقاب عن وجهه، لان معنى هذا انك الحقت بصاحبه اهانة لا يغسلها الا الدم !!

■ كان الوقت ليلا والسماء صافية .. والقمر يرسل أشعته ليثير الطريق الطويل وسط الصحراء الشاسعة .. وتحت ضوء القمر مضت القافلة تشق طريقها .. حدث هذا فى العام الماضى ١٩٦٥.

كانت الرحلة قد اقتربت من نهايتها بعد مسيرة طويلة وسط تيه الصحراء .. خمسة واربعون يوما ، ومن الليالى مثلها ، قضاها الرجال مع جمالهم يسيرون وينامون جنبا الى جنب ، ومعهم حملهم الغريب الذى استقر فوق ظهور الجمال .. اكداس من الملح ولا شىء الا الملح .. انه كل ثروتهم ينقلونه مئات الكيلومترات من اجل مقايضته وابداله بما يسمى « البشنة » (نوع من الذرة الرفيعة).

وشيئا فشيئا تبدو أضواء القرية التى قصدوا اليها تتراءى لهم من بعيد .. وتتجه القافلة فى حماس ، وتسرع الجمال المتعبة خطاها ، وكأنها هى أيضا قد أحست بأن نهاية الرحلة قد اقتربت .. ! ويتبادل الرجال الملثمون الحديث ، ويزداد اقترابهم من النور .

ثم تحدث المفاجأة الكبرى .. عشرات من سيارات اللاندروفر التى تقل الجنود المسلحين تظهر فجأة وتقترب من القافلة وتحاصرها من كل جانب ..

ويرتفع صوت أجش : « هذه هى نهاية المطاف ! لن تتمكنوا من عبور الحدود » ... انه صوت ضابط حرس حدود جمهورية مالى ، التى قطع الرجال الملثمون ١٨٠٠ كيلو متر من أجل الوصول اليها مع جمالهم الستمائة المحملة بالملح ..

ويرتبك البدو ، وكأنهم لم يفهموا ما سمعوا .. ولكن الصوت يأتيهم مؤكدا : « عودوا الى حيث كنتم » ..

ما أسهل هذا الكلام ، ولكن ما أصعب تحقيقه .. فالقافلة كبيرة ، والمسافة شاسعة .. ان معنى هذا أنهم سيقطعون ١٨٠٠ كيلومتر أخرى فى رحلة العذاب التى انتهوا لتوهم منها ..

ويثور البدوى الذى أنهكه التعب ويرتفع صوته من تحت لثامه قائلا : « ولكن أبى وأجدادى مروا من هنا ، فكيف تمنعنى ؟ » .

ويأتيه الرد جافا : « لقد تبدل الحال ، وتغير العالم منذ عهد أجدادك اننا نعيش اليوم فى عصر الحواجز والحدود والاستقلال » .

انها المرة الاولى التى يصطدم فيها هذا البدوى بالحقيقة المرة : « لقد تغيرت دنياه » .. أما هو فقد رفض أن يصدق شيئا من هذا الذى يحدث أمامه ، لأنه ما زال يعيش ويفكر بعقلية آبائه وأجداده ، ولا يمكن أن يكون العالم قد تبدل ؟

ألم مرير ...

وأزعجه هذا الخاطر ، فانضم الى اخوانه يشرب معهم أقداح الأتاى (الشاى الأخضر) ويفكر فى كيفية الخروج من هذا المأزق .. ولكن تفكيره لم يوصله الى نتيجة .. وفى اليوم التالى ما كادت الشمس تميل الى الغروب حتى بدأ مع اخوانه فى العودة الى حيث كانوا ، يجرون وراءهم دوابهم التى أنهكها الجوع وهدها العطش ، وقد امتلأت صدورهم بألم مرير ، وتساؤل عجيب:

ــ ان الصحراء كانت دائما أرضهم ، منها ينطلقون واليها يلجأون دون أن يتعرض لهم أحد .. فما الذى حدث ؟

أول بعثة عربية

ونتوقف هنا قليلا لنتساءل بدورنا : من هم هؤلاء الناس ؟ .. ومن أين أتوا ؟ .. وما هى قصتهم وقصة رحلاتهم الطويلة مع شحنات الملح العجيبة ؟ وما هو السر فى ارتدائهم اللثام ؟

لقد طارت بعثة « العربى » آلاف الأميال لتقدم لك الاجابة عن هذه الأسئلة .. طارت الى منطقة نائية عن العالم .. الى وسط الصحراء الكبرى .. وتسلقت صخور جبال الهوجار ــ

الى أسفل : ما زالت قوافل الجمال تنطلق





تبعد منطقة الهوجار ، التى هى تحريف لكلمة « الأحجار » مسافة ٢٠٦٠ كيلومترا من الجزائر العاصمة .. ومساحة المنطقة ٥٢٠ الف كيلومتر مربع أى نحو مساحة فرنسا كلها!

الوحيدة فى وسط الصحراء ـ وسارت فى وديانها بحثا عن معسكرات هؤلاء البدو الملثمين الذين ينقلون الملح ويسمونهم « الطوارق » .. انها أول مرة تدخل بعثة عربية تلك المنطقة المجهولة ، التي لم يكن يرتادها الا الفرنسيون وبعض الأوروبيين .

رمال .. وثروة .. وحدود

كان الطوارق يسيطرون ، دون حواجز أو حدود ، على رمال الصحراء الكبرى ، عندما كانت هذه الصحراء لا تعنى شيئا بالنسبة لغيرهم من الناس .. وفى عام ١٩٤٥ بدأت عشرات البعثات الجيولوجية المزودة بالطائرات العمودية وسيارات اللاندروفر ، تفحص كل بقعة فى هذه الصحراء .. وكانت النتيجة :حقول هائلة مليئة بالنفط ومعادن ثمينة لا حصر لها كامنة تحت الرمال .

وتركزت الأنظار كلها على الصحراء ، وأصبحت الدول الافريقية تغار على كل حبة رمل فى صحرائها .. وترفض السماح لغريب بأن يطأ أرضها بقدميه!

وبين عشية وضحاها تحولت الصحراء الجرداء الى مناطق سيادة ونفوذ ، فارتفعت الحواجز وخططت الحدود .. وأسقط فى يد الطوارق فقد وجدوا أنفسهم مشتتين بين أربع دول : ٢٥٠ الفا منهم فى جمهورية النيجر،ومثلهم فى جمهورية مالى ، و١٥٠ الفا فى ليبيا ، و ٨ الاف فقط فى جنوب الجزائر ..

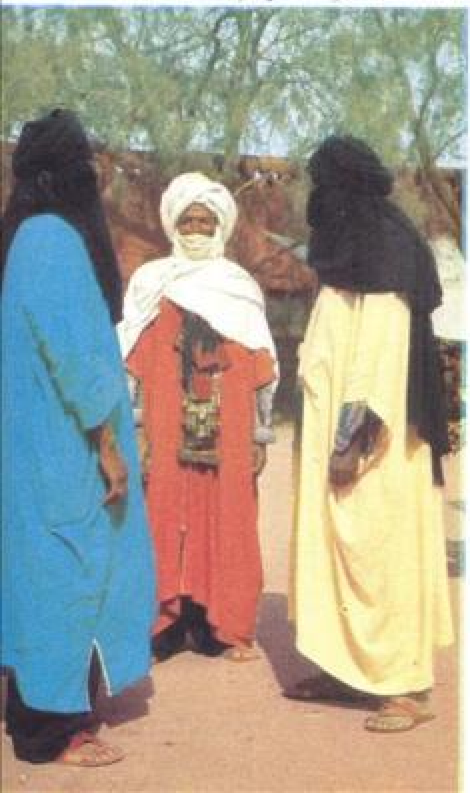
ومع مرور السنين ترك أغلب الطوارق عاداتهم وتقاليدهم ، وانصهروا فى المجتمعات الجديدة التى وجدوا أنفسهم يعيشون فيها .. ما عدا مكانا واحدا ظلوا محافظين فيه على عاداتهم الأصيلة بتعصب زائد وغيرة شديدة .. وكان هذا المكان هو منطقة الهوجار الجبلية بجنوب الجزائر ، وهى التى اختارتها « العربى » لتنقل اليك منها أول صورة لحياة الطوارق .

جار » حاملة الملح الى مالى والنيجر ..





يهوى الطوارق الاناقة والنظافة ؛ وهم دائما يحملون في « البيت » الذى يتدلى على صدورهم مرآة ، ومكحلة للعين ، وعطرا من السودان .. الى جانب التمائم التى تحميهم من المرض والجنون .. اما السحر ، فاعوذ بالله منه » !!





لم يتغير زى « الطوارق » منذ اجيال ، ولكنه فى الاحتفالات والمناسبات الرسمية يأخذ طابعا خاصا فتضاف له قطع من الاقمشة القطنية الملونة (الصورة العليا) .. اما الصورة التى الى اليسار فتبين الملابس العادية اليومية .. اما الشخص الذى تراه فى وسطها كاشفا عن جزء من وجهه ، فهو ليس من الطوارق الاصليين .



يتوقف ازدهار الفنون على مدى استقرار الشعوب ، وهذا امر لم يتعوده الطوارق الذين يعيشون في تنقل مستمر ، ومع هذا فان الطارقي عندما يعمد الى الصناعة يجيدها ويتقنها تماما .. ولكنه للأسف لا يميل اليها فتجده لا يصنع الا المصنوعات الخشبية اللازمة لحياته اليومية ، بينما تقوم النساء بعمل المصنوعات الجلدية .. أما المصنوعات الحديدية والفضية والنحاسية ، فيأخذ لجلبها خاماتها على ظهور الجمال من مالي والنيجر ، ويقوم « الحدادون » بصهرها وعمل السيوف الجميلة منها على نفس النمط القديم ، كما ترى في الصورة .

٨ أيام للوصول الى عاصمة الهوجار

لا يعيش الطارقى (وجمعها الطوارق) فى المدن انما داخل مخيمات يختار لها اماكن نائية منزوية بعيدة عن الطرق وفضول الناس .

وعاصمة الهوجار مدينــة تدعى تامنراسيت او تمنتقنت (اسم ملكة بربرية قديمة) .. انها المدينة الوحيدة فى اقصى الجنوب الجزائرى ،وهى حديثة السن عمـرها لا يتجاوز ٥٠ عاما ...

وتبعد تامنراست ٢٠٦٠ كيلومترا عن الجزائر العاصمة ، والوصول اليها من اشق الأمور سواء كان ذلك بالطائرة الجزائرية ، التى تقطع المسافة فى ١٢ ساعة دون أن تقدم لك فيها اى وجبـة طعام .. أو بسيارة اللاندروفر التى تقطع نفس المسافة فى ثمانية ايام !

وسكان تامنراست هم أعجب خليط شاهدناه فى رحلاتنا .. ان عددهم لا يتجاوز ٤ آلاف نسمة ليس فيهم من الطوارق الاصليين الا بضع عشرات، وبالرغم من ان لأميرهم ويسمونه « الامينوكال » منزلا جميلا فى تامنراست الا انه يفضل الحياة تحت خيمة من الجلد وسط الصحراء عـلى السكنى فى هذا المنزل !! وسألناه عن السبب فقال ببساطة : « أنا لا أحتمل البقاء فى أى مدينة أكثر من٥ أو٦ أيام ، والا أصابنى المرض!» .

وكذلك الحال مع جميع الطوارق ، فهم يكرهون الجلوس داخل منزل مغلق .. لقد تعودوا الحياة الطليقة الخالية من أية قيود .. يركب الواحد منهم جمله الابيض ، ويسمونه « المَهْرى » ، وينطلق به فى الصحراء الواسعة ، وينضم الى القوافل المتجهة الى الشمال والجنوب ..

من هم سكان العاصمة ؟

ولكن اذا كان الطوارق لا يعيشون فى المدن ، فمن هم اذن سكان عاصمتهم تامنراست ؟

ان غالبية سكان تامنراست والقرى المحيطـة بها هم من « الحرَّاطين » .. والحراطون يمثلون احدى الطبقات التى كان يتالف منها المجتمـع الطوارقى القديم : نبلاء وسادة واشـراف كان لهم عدد كبير من العبيد جلبوهم معهم اثناء غزواتهم القديمة ، وكانوا يستخدمونهم فى الزراعة والاعمال اليدوية الاخرى ، لان الطارقى يعتبر كل عمل آخر غير الرعى ونقل الملح هو من الاعمال الدنيا التى يتعفف عن مزاولتها .. كان الرق معروفا ، ويزاول امام اعين سلطات الاستعمار التى جبنت عن تحرير العبيد طوال مدة احتلالها البلاد .. لقد كانت تفضل ان تغض الطرف عن موقف شائن خوفا من غضبة الطوارق ذوى اللثام الأسود المخيف !!

وكان لا بد من انتظار تحرير الجزائر لتعـود الحرية لهؤلاء العبيد ..

قصة العبيد الأحرار

وروى لنا نائب عمالة الهوجار ـ أى المحافظ أو المتصرف ـ قصة تحرير العبيد بقـوله :

لم يعد فى الجزائر الحرة أحد سيدا أو عبدا ، لقد عرف الطوارق أن الجزائر حصلت على حريتهـا بالدم ، وهذه الحرية تشمل جميع من يعيشون فوق التراب الجزائرى .. ان عدد العبيد الذين حررتهم الثورة بلغ الالف تقريبا .. وكانت عملية تحريرهم أمرا عاديا فى الجزائر الحرة المستقلة ، ونحن نريد أن يكون تحريرهم نقطة انطـلاق وارتكاز ومثلا يحتذى به جيراننا لما يمكن أن يصبح عليه العبد الحر من تقدم وازدهار » .

هؤلاء العبيد « الأحرار » هم الحراطون ، الذين تحدثنا عنهم سابقا .. ولعل «الحواطون» تحريف لكلمة « الحرائون » ، فهم وحدهم الذين

خمسة من الممرضين يفحصون ٧٠ مريضا يوميا . اذ لا يوجد طبيب منذ ٦ شهور فى تامنراســت





تفضل المرأة الطارقية ان تجوع لتوفر مبلغا من النقود تشترى به الملابس المزخرفة والحلى الفضية أما الذهبية فيعتقد الطوارق أنها تجلب النحس وسوء الطالع !

كانوا يحرثون الارض ويزرعونها ... لقد اصبحوا اليوم يشكلون الجزء الاكبر من سكان المدينة والقرى .. منهم المزارع والسائق والميكانيكى الذى سمح له مرتبه المرتفع بشراء السيارات والحافلات ، فعرف حياة الترف

اصبحت صناعة السيوف والخناجر التقليدية ، رابحة بعد تضاعف عدد السائحين والسائحات .



ـ النسبى ـ لأول مرة فى تاريخه المعتم .. واصبح يرسل أبناءه الى مدارس تامنراست لتلقى العلم هناك .

لماذا لا يتعلمن العربية ؟

والتعليم فى الهوجار من الاشياء التى استجدت على هذه المنطقة التى عاش فيها المستعمر أكثر من ٥٠ عاما دون ان يفتح فيها سوى أربع مدارس فى عام ١٩٤٧ اى انه انتظر ٤٥ عاما لانشاء أول مدرسة ، لم يكن يتعلم فيها الا ابناء السادة والنبلاء من الطوارق .. أما أبناء عامة الشعب فلم يكن لهم مكان فيها .. والتعليم كان كله بالفرنسية بطبيعة الحال !!

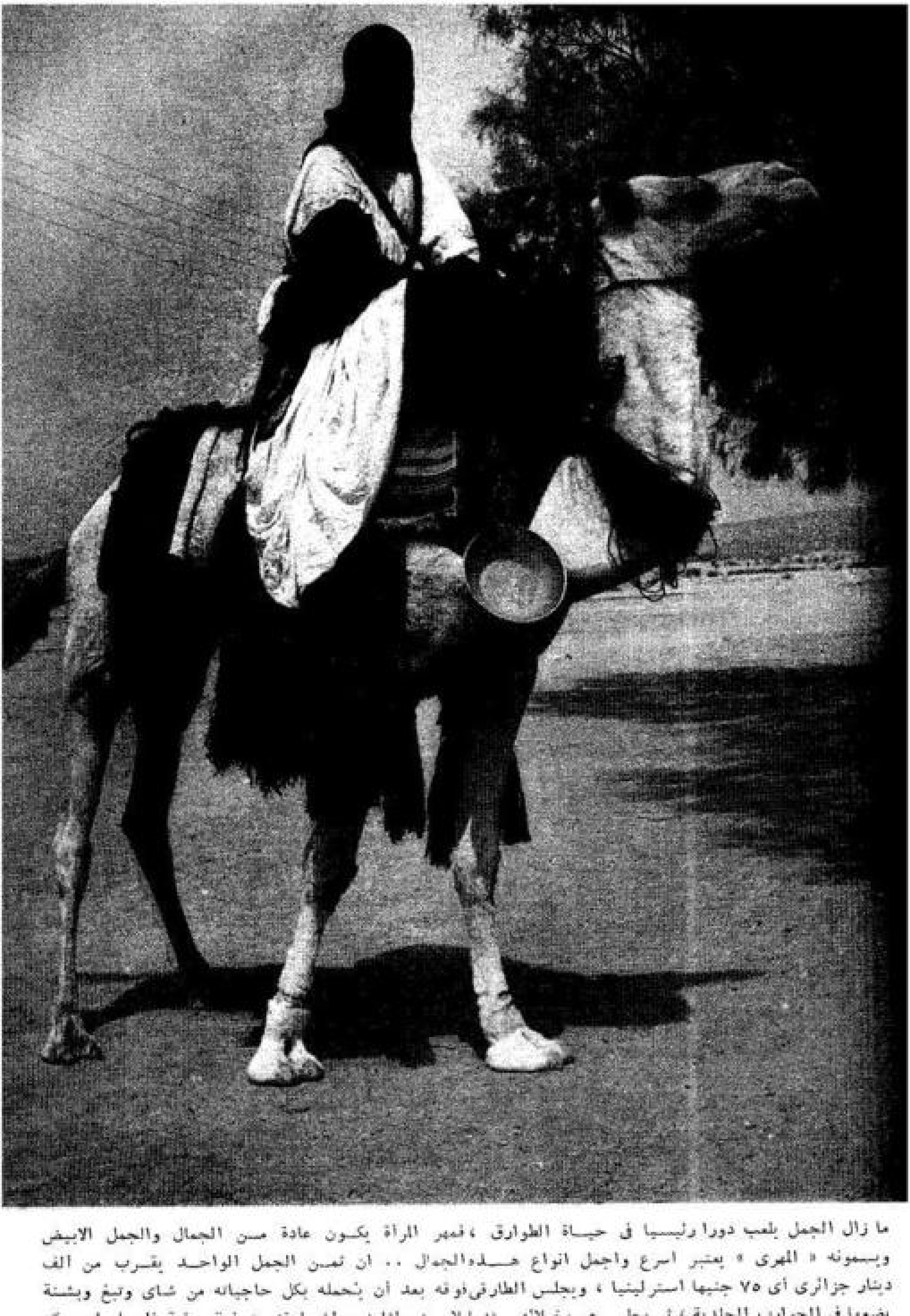
أما اليوم فقد تبدل الحال وتغير ، وقد حدثنا مولاى عبد القادر الادريسى المسئول عن التعليم فقال : « لم يكن الاستعمار الفرنسى يهدف أبدا الى تعليم الطوارق بل كان يريد الاحتفاظ بهم كاحدى غرائب الدنيا .. لقد كانت هنا أربع مدارس قبل الاستقلال أصبحت اليوم ١٥ مدرسة تضم ١٨٥٠ تلميذا وتلميذة بدلا من ٢٠٠ تلميذ .. وأصبح مستوى التعليم يوازى أحسن المستويات » .

وهنا قلنا : « حقيقة ان التعليم يسير بخطوات

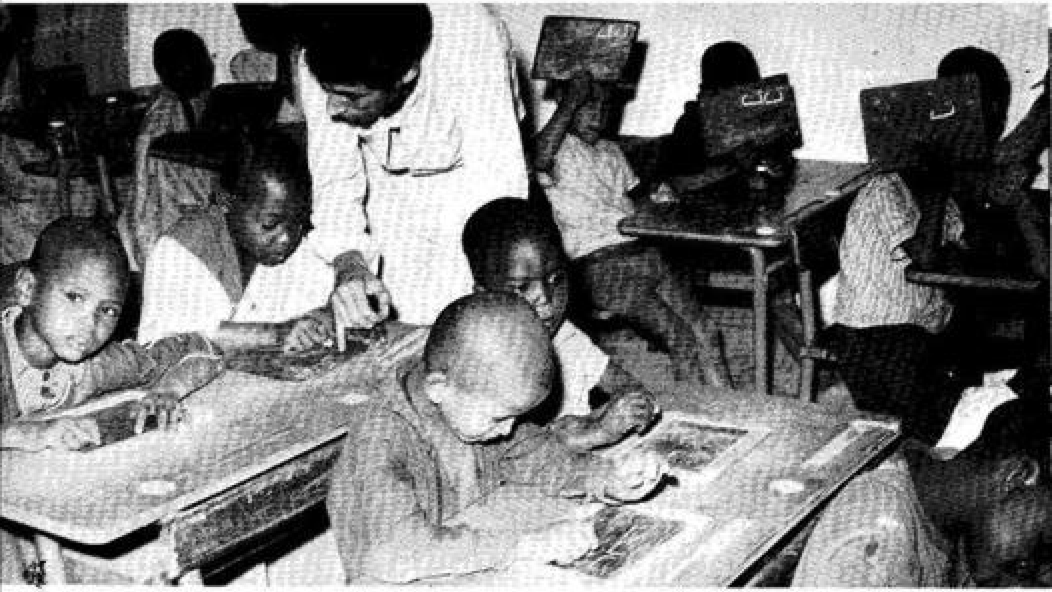




كانت مدينة تامنراست ـ أو « تاما » كما بدأوا يسمونها ـ قرية صغيرة في عام ١٩٠٥ لا تضم أكثر من ٢٠ أسرة تعيش في أكواخ من القصب على شاطىء واد يقع فوق هضبة مرتفعة ١٣٩٥ مترا عن سطح البحر .. اما اليوم فقد أصبحت هذه القرية أكبر مدينة في المنطقة تضم ٥٠٠٠ نسمة ويقيم فيها نائب العمالة والموظفون والمدرسون ويقصدها السياح من كل مكان.. ومنها تنطلق الرحلات الى الجبال والمخيمات التى يقيم فيها الطوارق ، كما تضم أكبر محطة للارصاد الجوية في الطرف الغربى من افريقيا .. أما المطار فما زال صغيرا تهبط فيه طائرتان أسبوعيا ، وبعض الطائرات الخاصة الاخرى ، ومن المنتظر افتتاح خط جوى جديد لطائرات الكارافيل يربط « تاما » بالجزائر العاصمة مباشرة .. وتضم تاما متاجر كثيرة تبيع مختلف انواع السلع بما فيها البشنة ، حتى أصبح الطارقى يقصدها لشراء معظم حاجياته التى كانت تجلبها قوافل جماله من مالى .. وتمتاز منازل المدينة بطابعها الصحراوى الاحمر الجميل ، وأشجار الحتر الكبيرة التى نجحت زراعتها في الشوارع .. ولكن المشكلة هي : هل يجعلونها مدينة سياحية ، أم مدينة عسكرية تضم الثكنات والضباط والجنود ؟ انها تعيش حاليا بين الاثنين رغم ما فيهما من تعارض ، فالسلطات العسكرية تمنع من التقاط أى صورة ، بينما السائح لا يسير الا ومعه عدسته ، حتى أصبح الجو في المدينة مكهربا رغم ضعف القوة الكهربائية التى تنقطع ابتداء من منتصف الليل حتى السادسة من صباح كل يوم !!



ما زال الجمل يلعب دورا رئيسيا فى حياة الطوارق ، فمهر المرأة يكون عادة من الجمال والجمل الابيض ويسمونه « المهرى » يعتبر اسرع واجمل انواع هذه الجمال .. ان ثمن الجمل الواحد يقرب من الف دينار جزائرى أى ٧٥ جنيها استرلينيا ، ويجلس الطارقى فوقه بعد أن يحمله بكل حاجياته من شاى وتبغ وبشنة يضعها فى الجوارب الجلدية ، ثم يجلس هو بخيلائه مرتديا ملابسه ولثامه وواضعا قدميه فوق رقبة الجمل لتحريكه يمينا ويسارا .. ان عدد الجمال في الهوجار قد انخفض من ١٥ الف الى ٧ الاف ، بعد ان استقر بعضهم داخل المدن واستعاضوا عن الجمل بالدراجة البخارية **(الصورة التى الى اليمين)**



« سى المعلم هاكا » عبارة قالها هؤلاء الاطفال .. لأول مرة دخلوا فيها المدرسة لاستاذهم ، وهو من أبناء وهران ، جاء ليلقنهم العلم مع أساتذة آخرين جاءوا من القاهرة وغزة وفرنسا

جبارة فى الجزائر ، كما اننا سمعنا عن تعريب المرحلة الابتدائية كلها ، ولكننا شاهدنا الطالبات فى مدارس البنات لا يتعلمن سوى اللغة الفرنسية ؟! فما هو السبب ؟ » .

فأجاب مولاى الادريسى : « اننا بدأنا العمل الجدى منذ أربع سنوات فقط ، وفى هذه الفترة الوجيزة لا يمكننا أن نمحو مشاكل واهمال نصف قرن فى مجال الثقافة ..

« ان مشكلتنا الكبرى هى نقص المدرسين .. لقد وجهنا نداء الى جمعية المعلمين فى فرنسا ، فلبى بعضهم النداء مشكورا .. ولكننا ما زلنا فى حاجة الى ثمانية مدرسين فرنسيين .. كما أننا فى حاجة أيضا الى ٢٠ مدرسا لتعليم اللغة العربية .. ناهيك عن حاجتنا الى أساتذة عركتهم الحياة ليستطيعوا تحمل قسوة العيش فى هذه المنطقة .

« أما عن سبب عدم تدريس اللغة العربية للطالبات فمرده الى عدم وجود معلمة عربية واحدة فى المنطقة كلها !! فمكانها ما زال شاغرا الى الآن ، ونحن فى انتظارها .. »

وخطر لنا أن نسأله لماذا لم يوجهوا نداء الى جمعيات المعلمين فى الاقطار العربية ، ولكننا لم نفعل ..

وينهى المسئول عن التعليم حديثه بقوله :

« .. والنقص ليس فى المدرسين فقط ، وانما فى الكتب والملابس والاقلام والمحابر .. ولكننا بالايمان والرجال سوف نتغلب على جميع المصاعب .. » .

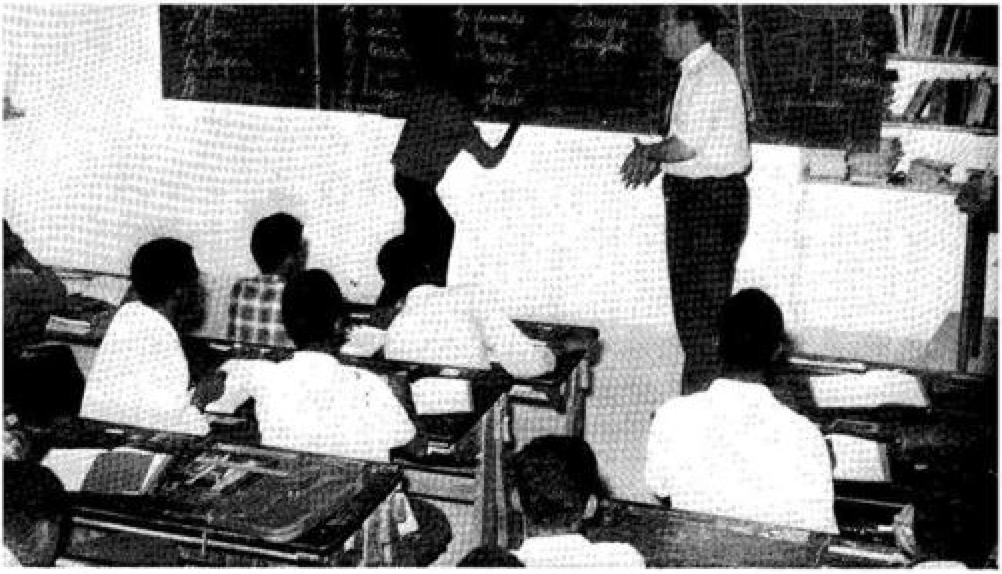
اليمين واليسار سواء

ويكمل الأساتذة الحديث بقولهم :

« .. وأعقد مشكلة تصادفنا هى جهل الأطفال الطوارق بمبادىء اللغتين العربية والفرنسية على السواء .. لأنهم لا يتحدثون الا بلغة «التماجاق» .. ولا يكتبون الا حروف التيفناغ !! » .

والتماجاق هى لغة الطوارق و « والتيفناغ » ابجديتها ، وهى مؤلفة من ٢٤ حرفا ، تكتب من اليمين الى اليسار عادة ، ولكن من الممكن كتابتها من اليسار الى اليمين بعد وضع علامة تدل على أن الكتابة ستبدأ من اليسار ... وما زالت هذه اللغة سرا مغلقا ، وحروفها لم تبح بأسرارها حتى اليوم .. وقد حاولوا معرفة أصلها أو مقارنتها بابجديات وجدت منذ ٤ آلاف عام ، ولكن دون نتيجة .. انها أبجدية شعب مجهول عاش فى مجاهل القرون الاولى .

وما زال الطوارق يكتبون هذه اللغة الى الآن ،



لبى بعض الأساتذة الفرنسيين النداء الذى وجهته لهم الحكومة الجزائرية لتعليم الأطفال والصبية .. ونرى هنا أحدهم يقوم بتعليم أبناء الطوارق الفرنسية كلغة عالمية ..

ولا يجيدون التحدث الا بها .. ويتعلمها الابناء من الآباء .

هجرات بالجملة

وكما ان الغموض يحيط باصل هذه اللغـة كذلك نجد تاريخ الطوارق يشوبه الكثير من الظلام

١٩٠ طالبة من بنات الطوارق يتلقين دروسهن باللغة الفرنسية فقط ، على يد مدرسة فرنسية !! اما مدرسة اللغة العربية فلم تحضر بعد !!؟



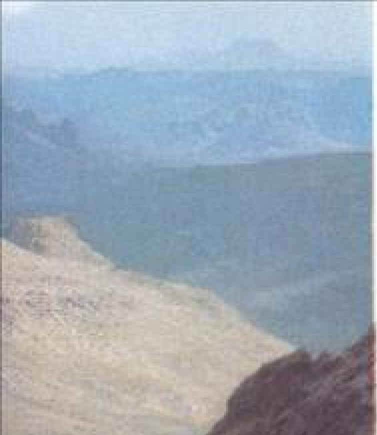
والابهام .. ان المؤلفات الفرنسية التى تبحث فى اصل الطوارق عديدة ، وقد حاول كل مؤلف منهم ان يربط تاريخ الطوارق بجذور قديمة ، فمن قائل انهم من احفاد الهكسوس الذين طردوا من مصر فى عهد الفراعنة ، ومن قائل انهم من أصل فينيقى ، والبعض يقول انهم هاجروا من بلاد البلقان فعبروا البحر الابيض وتفرقوا فى الصحراء .. وكثير من الاقوال الاخرى المتضاربة ..

والخلاصة التى يخرج بها قارىء التاريخ هى أن شعب الطوارق لا ينتمى لاصل واحد ، فقد توالت على النواة الاصلية للطوارق هجرات عديدة.

ولا بد لنا هنا من أن نذكر انه لا يمكن الحصول من الطوارق انفسهم على معلومات وثيقة عن تاريخهم ، لانه لا يوجد عندهم تاريـخ مكتوب محفوظ .. ان تاريخهم البعيد الممتد الى ما قبل العصر الحجرى لا يهمهم كثيرا ، وانما التاريخ القريب هو الذى تقصه الجدات على الاحفاد .

أسطورة حقيقية !!

ولا يعترف الطوارق الا بملكة واحدة مشتركة هى جدتهم جميعا .. انها الملكة « تين هينان » الموجود قبرها فى قرية آبالِسّة قرب تامنراست. وقصة هذه الملكة فى غاية الطرافة .. بدات



الى أسفل : تتميز جبال « الهوجار » بألوانها الجميلة المتموجة من اللون الجرانيتي الوردي ، الى لون البازلت الاسود ... وعندما تهطل الامطار تنساب مياهها الى الوديان مكونة مستودعا صغيرا للمياه يسمونه « جلتا » في بعضه الاسماك على مدار السنة ، اذ ان المياه تظل موجودة دائما .. والى مثل هذه الجلتا يقصد الطوارق ومعهم جمالهم للشرب والاستحمام .



من وسط الصحراء الكبرى ترتفع جبال الهوجار الى علو ٣٠٠٠ متر فوق سطح البحر .. انها غابة من الكتل الصخرية ... ويطلقون اسم الاتاكور على « قلب » هذه الجبال ، ومن قمة « اسكريم » تستطيع أن تشهد اروع منظر لهذا « القلب » الذي مزقته عوامل التعرية فأعطته اشكالا متباينة .. وفي هذه المنطقة النائية من العالم بنى الاب فوكو في مطلع هذا القرن خلوته عناء يقصدها السياح الفرنسيون كل عام للزيارة .. ويقول الفرنسيون ان هذه الجبال ما هي الا قاع بحر جفت مياهه ، وان قارة الاطلنطيد المفقودة موجودة هنا في الاتاكور .. قلب الهوجار !!





الى اليسار : في وادي ايلامن حيث يبلغ جمال الطبيعة ذروته ، سار هذا الطارقي بجانب جمليه على ارتفاع ٢٨٠٠ متر .. ان الطارقي يعامل جمله بكل رحمة ، فلا يركبه في الطرق الجبلية ، انما يسير أمامه .. واذا اضطر الطارقي لذبح جمله فانه لا يأكل ابدا من لحمه ! لقد ثبت ان سيارة النقل تستطيع ان تنقل في يوم واحد نفس المقدار الذي ينقله ١٠٠ جمل في ٣٠ يوما !

باسطورة كانت ترويها النساء المعمرات للابناء يقلن لهم فيها : « ان أصل الطوارق يرجع الى ملكة قديمة تدعى تين هينان ، جاءت من المغرب مع خادمتها تاكامات يرافقهما عدد من العبيد ، وكاد الجوع أن يقضى عليهم فى الطريق .. ولكن تاكامات شاهدت مجموعة من بيوت النمل ، عمدت الى نبشها ، واخرجت منها حبوبا قدمتها الى أميرتها التى كانت جالسة فى هودجها وانقذتها من الموت .. واستقر الركب فى منطقة ابالسة ، واختلط بالأهالى ، وهناك أنجبت الملكة طفلة ، بينما أنجبت تاكامات طفلتين..ومن هؤلاء البنات انحدر الطوارق الأوائل .. » .

وتنهى الجدات أسطورتهن بقولهن : « وعندما احست الملكة بقرب نهايتها أعدت قبرها ووضعت فيه بعض الحبوب والتمر ودخلته سائرة على قدميها وهى ترتدى ملابس جلدية وتتحلى بسبع اساور فضية وذهبية ! » .

وفى عام ١٩٢٥ سمع أحد المنقبين الأمريكان بالأسطورة ، فحصل على اذن من الحكومة الفرنسية بالتنقيب ، وابتسم له الحظ فاكتشف المقبرة التى تعتبر الوحيدة من نوعها فى المنطقة وتضم ١١ غرفة ، وجد فى احداها الهيكل العظمى للملكة !!. « وكانت جالسة على مقعد وعليها ملابس جلدية و ٧ أساور فضية وذهبية وعلى الأرض حبوب ونوى تمور .. » **تماما كما روت أسطورة المعمرات !!**

وقد اثبت فحص هذه الآثار ان تاريخها يرجع الى ما بين عامى ٣٠٨ و ٣٢٥ ميلادى .

البقر الوحشى وابن بطوطة

وتختلط قصة تين هينان بذكر الجمل ، الذى جاء به الرومان من سوريا الى الهوجار فى القرن الثالث الميلادى .. بينما يؤكد البعض انه جاء من مصر عن طريق ليبيا فى القرن الأول الميلادى.. والمهم فى موضوعنا ان الجمل اصبح ملازما للطوارق منذ هذا التاريخ ، لأنه يتيح لهم فرصة التنقل فى الصحراء والجبال بسرعة ٥٠ كيلومترا فى اليوم لمدة عدة أسابيع دون حاجة الى طرق معبدة !

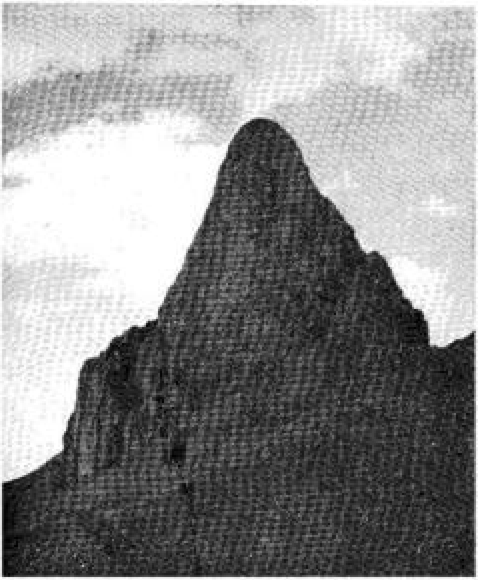
ولا تعيش الأبقار فى الهوجار ، وانما تربى بأعداد كبيرة على الحدود مع مالى .. ولكن يوجد عدد قليل من البقر الوحشى يختفى داخل مغاور منعزلة فى الصحراء ، فقد تعرض فى عام ١٩٥٠ الى شبه عملية ابادة من جانب الطوارق عندما توفرت فى أيديهم البنادق السريعة الطلقات ..

وكان قبل ذلك ينتشر فى المنطقة كلها .. فقد اشار اليه ابن بطوطة ، الرحالة المشهور ، عندما عبر الصحراء فى قافلة من الجمال ، اذ قال : « والبقر الوحشى بها كثير ، يأتى القطيع منه حتى يقرب من الناس فيصطادوه بالكلاب والنشاب .. ولكن لحمها يولد لآلهة العطش فيتحاشاه كثير من الناس.ومن العجيب أن هذه الأبقار اذا قتلت وجد فى كروشها الماء ، وقد رأيت الأهالى يعصرون الكرش ويشربون الماء الذى فيها .. » .

مياه تحت الرمال

وبينما يقول المسئولون فى الجزائر ، ان أرض الهوجار لا تصلح للرعى لقلة المياه ، وبينما الناس يحافظون على كل قطرة ماء بغيرة زائدة .. يرتفع صوت من الجانب الآخر للمحيط الاطلسى يؤكد عكس ذلك .. انه صوت خبراء الأمم المتحدة ومنظمة الاغذية والزراعة الدولية الذين يعلنون عن حقيقة مثيرة مذهلة،وهى أن الصحراء الكبرى يمكن أن تزدهر وتصبح مزرعة هائلة .. فرمالها

الى أسفل : يجد هواة تسلق الجبال متعة كبيرة فى تسلق الصخور المتناثرة فى منطقة الهوجار .. ومن أشهرها صخرة « ايلامن » أو قالب السكر .



تحتها تجاويف صخرية تحوي مقادير لاحصر لها من الماء ، تكفي لخلق مراع تتغذى عليها الماشية ، ويستقر عليها الانسان .. وقد استغل الفرنسيون كميات قليلة من مياهها ، اذ حفروا الآبار وسحبوا المياه بالمضخات ثم أقاموا المحطات لتقطيرها ونقلها الى مراكز البترول في الصحراء .

اما الطوارق فيعرفون اماكن وجود الماء بحاستهم الغريبة . فتراهم يحفرون الأرض ويشربون مباشرة من الماء ، عندما يكونون بعيدين عن عيون الماء الكبيرة أثناء رحلاتهم الطويلة مع قوافل جمالهم .

قصة القوافل

والحديث عن قوافل الجمال يعود بنا الى الماضي السحيق ، فقد ظلت الصحراء تلعب دور الجسر بين افريقيا الشمالية ، والاستوائية.

وكانت القوافل كلها تتحاشى المرور بمنطقة الهوجار خوفا من رجالها الملثمين الذين كانوا يقطعون الطريق على القوافل ..

اما القوافل التي كانت تضطر الى المرور في منطقة الهوجار فكانت تدفع ضريبة لرئيس

صخرة ايهارم : أشهر صخور الهوجار .. حاول أحد السويسريين تسلقها عام ١٩٣٧ فسقط ومات ولكن الهواة يتسلقونها الآن في ساعتين ونصف الساعة





« اعيدوا تين هينان الى تامنراست » .. ان هيكل الملكة الوحيدة للطوارق يحتل مكان الصدارة في متحف باردو بالجزائر العاصمة .

القبيلة التي تمر منها نظير حمايتها .. وكان هذا يحميها حتى حدود منطقته ، وبعدها يستلم القافلة رجال القبيلة التالية الذين يتولون حمايتها حتى حدود قبيلتهم .. ومن الطريف انه كان يحدث ان ينقلب رجال القبيلة الاولى بعد انتهاء مهمتهم ، الى قطاع طرق يسلبون القافلة ، التي كانوا يحرسونها منذ ساعات أثناء سيرها في أرض القبيلة الثانية .. وكثيرا ما قامت مشاكل بين القبائل بسبب هذا التصرف ولكنها سرعان ما كانت تسوى على حساب صاحب القافلة الاجنبي عن المنطقة!!

الملح ينقذ الطوارق

هكذا كانت القوافل في الماضي ، اما اليوم فقد تبدل الحال تماما ولم يعد بالامكان جلب الثروات القديمة من الجنوب .. فالذهب والعاج أصبحا يستغلان وفقا للانظمة الحديثة في افريقيا ... وريش النعام لم يعد له رونقه السابق ، كما أن النعام نفسه أصبح نادرا .. والطرق أصبحت حرة آمنة ، ولم يعد أحد يستعين بالطوارق لحمايته ، وهكذا اضطر الطوارق لتنظيم قوافل





يستمر السمر فى حفلات الزواج ٧ أيام ، لا ينقطع خلالها الغناء أو الرقص بجانب بيت العروس .. ويتميز الغناء باشتراك المجموعة فيه ، ترد على المغنى الذى يبدأ بطيئا ثم يتحمس على دقات الدف والطبلة .. أما كلمات الأغنية فتتناول موضوعات شتى ، وكثيرا ما تخاطب امرأة تدعى «مسعودة» يبثها الشاعر لوعته .. وعندما يشتد الطرب بالحاضرين يقفون للرقص وقد حمل كل منهم بيده عصا أو بندقية وأحيانا لا يجد ما يحمله الا نعله !

الى أسفل : كان الطوارق يهرعون بالآلاف الى معسكر أميرهم عند سماعهم دقات طبلة الحرب .. أما اليوم فان صدى الدقات يضيع مع ضجيج الحياة الحديثة التى بدأت تزحف على الطوارق ..



النساء يغنين والرجال يرقصون



تقع قرية آبالسة ، بجوار قبر الملكة تين هينان جـدة الطوارق الاولى .. ويعمل جميع سكان القرية فى زراعة
الذرة والطماطم والقمح والبصل واللوبيا ، أما النخيل فينمو تلقائيا بكمية كبيرة .. لقد أصبحت هذه القرية
مقصدا للزوار لرؤية التقدم الزراعى فيها .. وينتهز الاهالى فرصة هذه الزيارة فتتجمع النساء فى حلقـة
دائرية ويأخذن فى الغناء والتصفيق ، وينتشى بعض الرجال بصوت الغناء فيندفعون الى وسط الحلقـة
يرقصون بحماس زائد .. انها رقصة « تزانغريت » !.



بعض رجال « دَجّ غلى » وهي من قبائل الطوارق العريقة ، الواسعة الثراء .. لاحظ اختلاف الزى .. أم

خاصة بهم وبجمالهم الكثيرة .. ولكن ما الذى يمكن أن تحمله هذه القوافل ؟ ان كل شيء في الهوجار يخيم عليه الجفاف ، حتى النخيل في المنطقة مذكر لا يطرح تمرا !

ولكنهم وجدوا ضالتهم في جبل للملح، يقع في منطقة أمادور وسط الصحراء .. كان جبلا مهجورا ، لا احد يأخذ منه الملح لخطورة المنطقة ، ولكن منذ عام ١٨٩٦ اصبح هذا الملح هو المصدر الوحيد لدخل الطوارق .

حياتهم في رحلاتهم

وفي شهرى يوليو واغسطس من كل عام يهجر الطوارق مخيماتهم ـ ما عدا النساء والأطفال والعجزة ـ ويصعدون الى منطقة أمادور حيث الملح ، ومعهم جميع جمالهم وفؤوس كبيرة يكسرون بها الملح ويربطونه بالحبال على ظهور الجمال .. وبعدها يعود الجميع الى المخيم مرة أخرى ، وتبدأ الاستعدادات للرحلة الطويلة التى ستوصلهم الى مالى والنيجر ... الرجال يعدون الحبال والمرأة تعد التمر والقمح والبشنة كزاد للرحلة .. وحالما تنتهى الاستعدادات تتجمع الجمال ، التى يتراوح عددها بين المائة والستمائة ، حسب ثراء القبيلة، وتبدأ الرحلة في اكتوبر ، أى بعد فصل الأمطار حتى لا يبتل الملح .. وفي الطريق تستريح القافلة عند آبار المياه ويسمونها « حاسى » ثم تنطلق نحو تاهاووا أو دامرجو حيث تبدأ عملية استبدال الملح بالبشنة .. وتذهب كل مجموعة من الطوارق ومعها الجمال الى قرية من قرى جمهورية مالى حيث يكون الناس في انتظارها ، ويتم التبادل حسب التقاليد القديمة : الجمل الواحد من الملح بأربعة أحمال من البشنة .. ويعجز الطوارق عن حمل هذه الكمية الكبيرة فتجدهم يستبدلون الكمية الزائدة من البشنة ـ في مالى مثلا ـ بنعال جلدية وأكياس للملح وهوادج للجمال الخ ..

وتظل القافلة في المنطقة شهرين ... الرجال يستريحون والجمال ترعى الكلأ من مراعى «السودان» الفرنسى سابقا ، ثم يبدأ الرحيل في شهر يناير الى المخيمات في الهوجار ..

رحلة في أعقاب الاخرى

وعندما يصل الطوارق الى مخيماتهم بعد هذه الرحلة الشاقة يستريحون عدة أسابيع قبل ان يرحلوا ثانية .. ولكنها هذه المرة الى الشمال الجزائرى لاستبدال ما يحملونه من الاجبان المجففة والمصنوعات الجلدية والقمح الذى ينبت في أرضهم والجمال الهرمة المعدة للذبح ، يستبدلون كل هذا بالتمر والملابس والتبغ والشاى والسكر ، من مدن الشمال ، وتستمر هذه الرحلة شهرين على الأكثر ، اذ يتحتم على جميع الطوارق أن يكونوا في مخيماتهم بالهوجار في نهاية شهر ابريل ..



الشخص الرابع من اليسار ، فهو شاب لم يبلغ سن الرشد بعد ،ولذا يسير سافر الوجه خجلا لانه غير ملثم !!

ويستريح الجميع عدة أسابيع ثم يبدأ التفكير في الرحلة القادمة ..

ان هذه هي الصورة الحقيقية لحياة الطوارق على مدار السنة ، وما زالوا الى اليوم يعيشونها على نفس النمط ! رحلة في أعقاب رحلة ، في أعقاب رحلة !!؟

التماجاق فقط !

ولمعرفة حياتهم على حقيقتها عاشت بعثة « العربى » مع قبيلة « دج غلي » ، وهي من قبائل الطوارق الاصيلة ، في مخيمها الذى يبعد ٨٠ كيلومترا عن تامنراست .

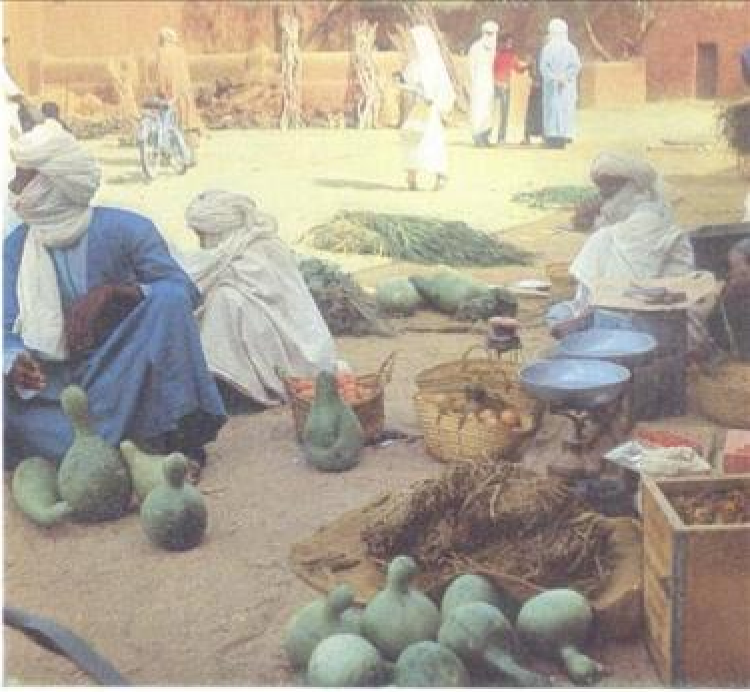
وصلنا المخيم مع الغروب دون سابق اتفاق ، وما كادت سيارتنا اللاندروفر الصحراوية تظهر حتى تجمع الرجال حولها، فنزلنا وألقينا التحية، وسألناهم : هل يجيد أحدكم التحدث بالعربية ؟ فلم نعثر على شخص واحد يتحدثها .. وعدنا نسأل : .. والفرنسية هل يتحدثها أحدكم ؟ وكان الجواب بالنفى .. ان جميع افراد القبيلة لا يتحدثون سوى « التماجاق » .. وطلبنا منهم ـ وكان سائقنا حميدو يقوم بالترجمة ـ ان يسمحوا لنا بالنوم في مخيمهم تلك الليلة.. فكان تردد مخلوط بالحذر .. استأذنوا بعده لسؤال رئيسهم سيدى محمد بن دووا الذى كان مريضا .. وجاء الرد بالترحيب .. ثم تركونا وسط الطريق وذهبوا كلهم الى ناحية اخرى ، واخذوا يتيممون بالرمال استعدادا للصلاة لعدم وجود الماء ، ثم انتظموا على قطعة أرض نظيفة محاطة ببعض الاحجار ، وبدأوا صلاة المغرب .. ان جميع الطوارق من المسلمين .. وتقول المصادر العربية ان عبد الله جعفر الضابط في جيش عقبة بن نافع، هو الذى أدخل الاسلام الى الهوجار سنة ٦٠ هجرية .

انفجارات الذرة لم توقظهم !؟

وبعد الصلاة التفوا حولنا ودعونا للاستراحه داخل « الزريبة » .. وهو الاسم الذى يطلقونه على الكوخ المصنوع من أعواد الشجر الجافة المكسوة بحصير «التهلى» اى البوص الذى ينمو بكثرة في الوديان حول آبار الماء ..

وما كادت الشمس تغيب حتى شاهدنا راعية الماعز تعود الى المخيم ومعها قطيعها الاسود الكبير الذى تنقلت معه على رؤوس الجبال للرعى .

وفي المساء جاءونا بالعشاء ، وكان مكونا من لحم مجفف ، وكسكسى ،وخضراوات مطبوخة بدهن اللحم .. ثم اداروا علينا قصعة كبيرة مملوءة بالحليب الممزوج بالماء .. كان كل واحد من الحاضرين يرشف رشفة منها ثم يناولها لجاره ..



الى اليمين : بدأ التجار العرب يستقرون في تامنراست يفتحون فيها المتاجر لبيع البنة والشاي والسكر والعطور والكحل والتبغ والملابس القطنية .. اما السوق العام فتباع فيه الخضراوات والنعناع والزعتر والفرجل ، والخوخ الصغير **والطماطم** التي يجففها الفلاحون تحت اشعة الشمس ، بعد شقها الى نصفين **(كما ترى في الصورة السفلى) .**







البشنة هى الطعام الأساسى للطوارق ... وهى نوع رفيع من الذرة كانوا يجلبونه من مالى والنيجر أما اليوم فتزرع البشنة بكميات قليلة فى الهوجار .. وبعد قطفها توضع على شكل كومة يضربها الرجال بالعصى لتنفرط حباتها (الصورة اليسرى) ثم تأخذها النساء وتدقها فى المهراس (الصورة العليا) لتصنع منها « العصيدة » و «الكسرة» .. ومن أمثالهم : الحلاوة للقمح والصحة للبشنة .. البشنة للرجال والخبز للجمال !

ومما يذكر ان الطارقي لا يأكل أبدا البيض أو الدجاج أو حتى البصل أو الثوم !!

وسألناهم ان كان عندهم راديو فتعجبوا من قولنا ... ثم عدنا نسأل عن الساعة فجاءنا الرد :

– نحن نستعمل الشمس لمعرفة الوقت !!

انهم لم يعرفوا حتى الآن الراديو او الساعة ، بالرغم من أن فرنسا كانت تفجر قنابلها الذرية في الصحراء الجزائرية الكبرى على بعد ١٦٠ كيلومترا منهم !!

أما النوم فكان على نفس السجاد الذى جلسنا عليه في « الزريبة » .. ولكننا التحفنا بالاغطية الصوفية ، لأن هواء الصحراء البارد كان يتسرب من كل مكان .. واستيقظنا مع شروق الشمس لنشرب الاتاى – الشاى الاخضر – ويستغرق ارتشاف هذا « الأتاى » اكثر من نصف ساعة ، اذ يتحتم شرب ثلاثة اقداح منه .. وفي كل مرة يتبدل طعم الشاى من ثقيل الى خفيف .. ويصنع احيانا قدح رابع يكون خفيفا يعطى للاطفال ..

سفور .. وحجاب !

أما المرأة الطارقية فلا تظهر عندما يكون هناك غرباء ، ولكننا طلبنا تصريحا خاصا ، من رئيس القبيلة لتصوير النساء وهن يرتدين أجمل ملابسهن ، حتى نرد بهذه الصور على مزاعم الصحف الاجنبية التي تنشر صورهن وهن شبه عاريات . ووافق الرئيس .. ومنذ الصباح ظهرت نساء القبيلة في أجمل حللهن ، وشعورهن مسدلة على أكتافهن في ضفائر طويلة ، بينما أهدابهن مسدلة على عيونهن خجلا ! .. وتتميز المرأة بأنها سافرة لا ترتدى لثاما ، بعكس الرجال الذى يضعون على وجوههم لثاما يبلغ طوله ١٥ مترا كاملة ! كانوا يشترونه من نيجيريا بالقرب من مدينة كانو مقابل خمس معزات ..!

سر اللثام !؟

ويجهل الطوارق سبب وضعهم اللثام على وجوههم ، ويقولون انها عادة ورثوها عن أجدادهم منذ قرون مضت .. ولعل هذه العادة الغريبة ترجع الى القرن الرابع عشر او ما قبله ، اذ ذكر ابن خلدون ذلك ، وقال : « ان جميع أهل الصحراء يضعون لثاما على وجوههم » ..

وهناك من يقول ان اللثام يوضع لأسباب صحية فهو يحمى صاحبه من الرمال والعواصف والحر .. ولكن لماذا يرتديه الرجال دون النساء ؟.. ولماذا يظل الطارقي ملثما حتى والجو صحو ؟

لا بد اذن أن هناك سببا آخر ..

وقلنا للسيد تيرهانتت ، نائب رئيس القبيلة – دج غلي – وهم من أشراف الطوارق كما ذكرنا : « اذا حاول أحدهم أن ينزع اللثام عن وجهك فماذا تفعل ؟ » .

وجاءنا الجواب بهدوء غريب : « ...أقتله!! ».

وعدنا نسأل أحد شيوخ الطوارق – في أدب ! – عن السر في ارتداء اللثام ، فاسمعنا بعد تردد عشرات القصص والاساطير التى تدور حول هذا الموضوع منها قوله : « تقول اسطورة قديمة ان أصل الطوارق يعود الى « جن » كبير تزوج « انسية » ، أى امرأة من البشر ، فجاء أولادهما مشوهي السحنة ، فغطوا وجوههم باللثام .. » .

الفم هو المقصود .. ولكن !

وسألنا استاذا في المدرسة الابتدائية من أبناء الطوارق عن سر اللثام فاجابنا : « الهدف من اللثام هو اخفاء الفم ، لأننا نعتقد ان منه يدخل رمق الحياة ، لهذا يجب علينا حمايته من الارواح الشريرة !! » .

لا تضع المرأة الطارقية أى لثام على وجهها ،ولكنها شديدة الحياء أمام الغرباء ، لهذا تسدل أهدابها على عينيها خجلا ..



وقد رأينا طارقيا اشتبك لثامه بجذع شجرة فكشف عن وجهه، فكانت أول حركة بدرت منه هي اخفاء فمه بيده ! ومن هـذا قد تكون تغطية الفم هي الهدف الاساسي من وضع اللثام ..

ولكن نعود ونتساءل ثانية : لماذا يضعه الرجل وحده ؟ .. انه السؤال الذى بقى دون جواب .

والخطيئة التى لا يمكن أن تغتفر في الهوجار هي أن ترى المرأة فم الرجل ! ولذلك تجدهم ياكلون ويشربون الشاى من تحت اللثام دون أن يخلعوه ..

والطارقى لا يجد غضاضة فى رفع طرف جلبابه، والتشمير عن ساقيه للدخول فى الماء أمام النساء، ولكنه يحرص دائما على أن يكون لثامه فوق فمه !

أما القبلات فيتبادلونها بحك الانوف بعضها ببعض !!

وعلى أية حال فان هذه القصص لم تعد ذات موضوع فى يومنا الحاضر ، لأن اللثام أصبح دليل الرجولة ، وصاحبه يتمتع بكل احترام وتقدير ..

محال" الوصول الى القمر

وحتى تكتمل الصورة عن الطوارق كان لابد من مقابلة اميرهم الكبير ، ويسمونه الامينوكال ، وهى كلمة تركية بمعنى (الذى يحكم الناس) .. وقد حذرونا من عدم وجود طريق الى مخيمه وسط الصحراء .. وفى الصباح الباكر كانت سيارة اللاندروفر تلهث بعد أن قطعت ٨٠ كيلومترا فى أربع ساعات ، وصلت بعدها الى المخيم البعيد عن كل أثر للعمران .. هدوء وسكون .. الزرائب مهجورة ليس فيها أثر للحياة .. ومن داخل احداها اطل علينا رجل مهيب طويل القامة عريض الكتفين يرتدى لثاما أبيض وكورة (جلبابا)سوداء ونعلا جلديا .. وتقدم صوبنا ورحب بنا بلغة عربية تشوبها لكنة محلية ..

كان متعبا ، بادى الارهاق ، لقد خرج أهل المخيم لجمع الملح وبقى هو بمفرده .. ان المرض يعصف به مثل الكثيرين من الطوارق ولكنه لا يميل الى الطب الحديث .

كنا نقف مع الرجل الذى كانت كلمة منه كفيلة بتجميع الآلاف من الطوارق ، والذى كان يتقاضى ضريبة عن كل جمل غريب يمر بارضه .. كنا نقف أمام الرجل الذى كان يحسب الفرنسيون حسابه فتوددوا له ، ودعاه ديجول الى باريس وفتح له أبواب أكبر جناح فى قصر بوربون ليقيم فيه .. حتى حكومة الجزائر بعد الاستقلال كانت ترسل له طائرة خاصة تنقله الى العاصمة للتشاور معه!

قلنا للذىكان مسئولا عن الثمانية الاف طارقى :

هل تعتقدون أن بالامكان تطوير الطوارق ونقلهم الى واقع القرن الذى نعيش فيه ؟

أجابنا بلهجتهالشعبية:«الوقتكِلتش تبدَّل.. البلدان كلها تبدلت ، ونحن كيف (مثل) الناس تتبدل .. » .

قلنا : .. ولكن قوافل الجمال ما زالت تسير الى النيجر ومالى ، حاملة الملح الذى لم يعد سلعة ذات ربح ، بعد أن دخل الملح من جميع أنحاء العالم الى هذه البلاد .. ثم ما هو سر اقبالكم على « البشنة » التى تزرع فى مالى ، وما سر اقبال أهل مالى على ملح الهوجار ؟

اجابنى الحاج باى : « يجب أن تفهم يا ابنى ان ملح الهوجار هو أحسن ملح فى العالم ، لاننا نحفره ونستخرجه من الصخر..ان الذى يستعمل ملح الهوجار يكتسب قوة جبارة ويشفى من الروماتزم .. وأهل « السودان » يعرفون ذلك جيدا لهذا تجدهم يحبونه ويفضلونه على الخمسة الأنواعالاخرىالتىتصلهممنمختلف أنحاء العالم .

« أما البشنة « السودانية » فهى أحسن بشنة فى العالم ، ونحن نفضلها على غيرها لخلوها

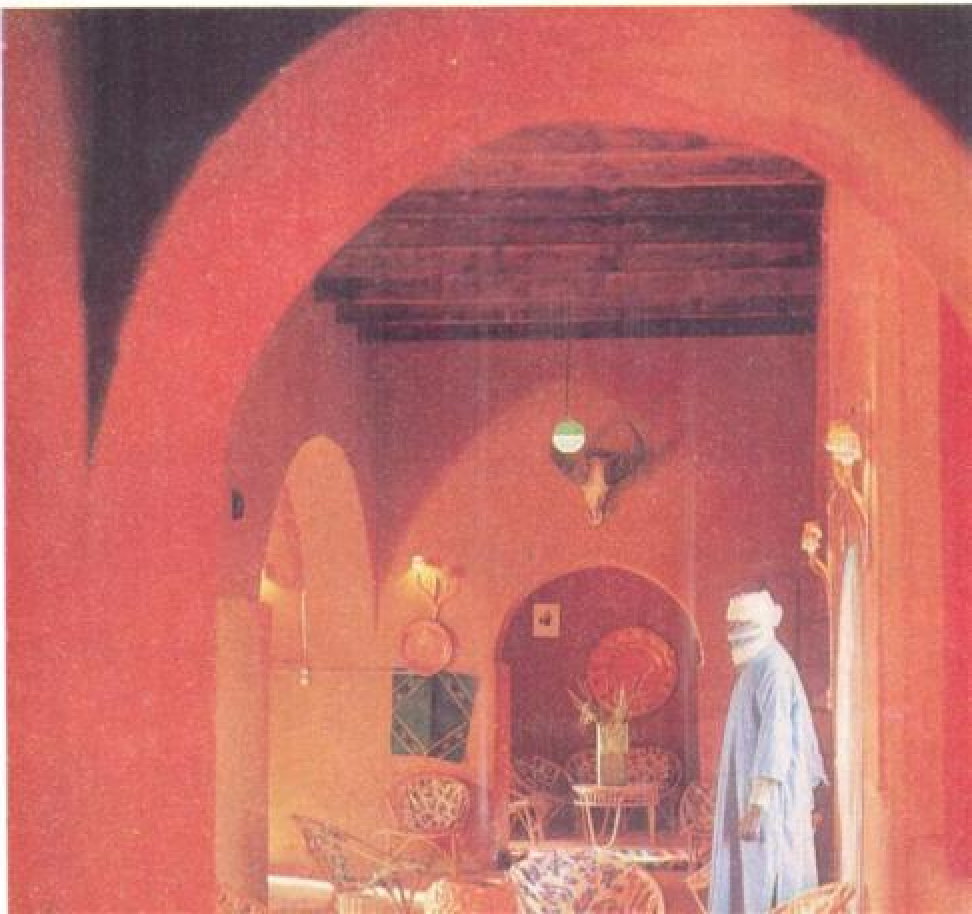
يصل طول اللثام الذى يغطى به الطارقى وجهه ، من ١٠ الى ١٥ مترا .. ويحتاج لفه الى مساعدة الزملاء .. ان المرآة لا تفارق الطارقى أبدا !



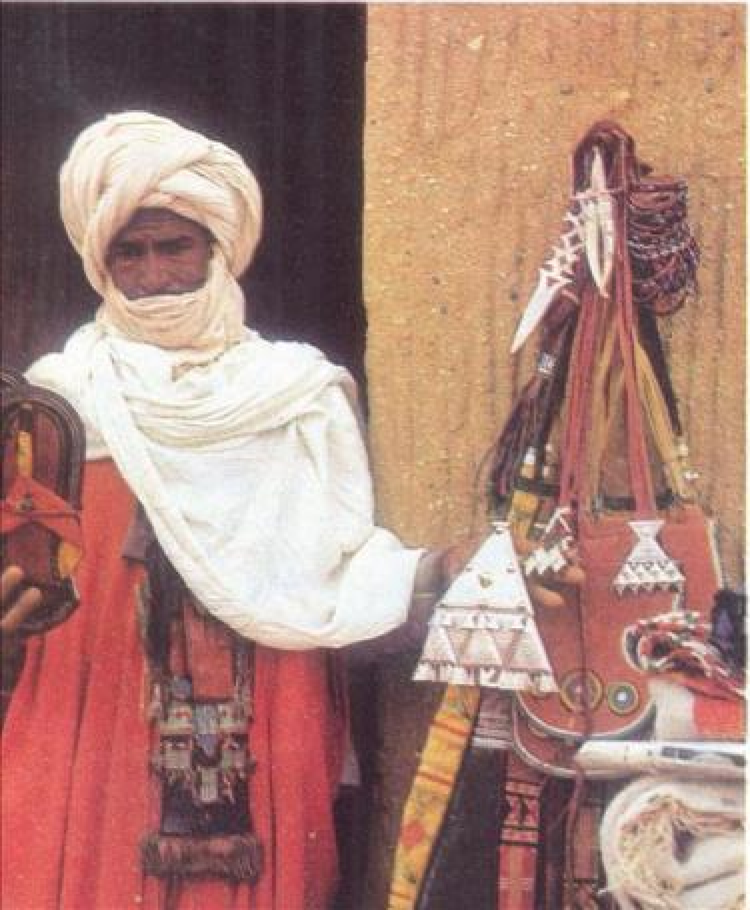




فوق ربوة تشرف على وادى اباليسه اكتشفوا القبر الوحيد من نوعه لجدة الطوارق : الملكة « تين هينان » اى « مالكة الخيام » كانت تغطيه الرمال بكميات هائلة ازاحوها عام ١٩٢٥ ليكشفوا عن القبر الذى وجدوا فيه الملكة نائمة على ظهرها وفى يديها ٧ أساور ذهبية و٧ أساور فضية ..







تلعب السياحة دورا هاما في تامنراست ، ويقول مولاى عبد الله المسئول عن السياحة هناك : ان السائحين هنا ينقسمون الى نوعين : كبار السن المعجبون بالأب فوكو ومشاهدة مخلفاته ، التى تتولى المحافظة عليها لقيمتها السياحية .. ثم الشباب الذى يأتى من انحاء أوروبا لتسلق الصخور والجبال ، أو لمشاهدة كيف يعيش الطوارق في مخيماتهم ، وشراء مصنوعاتهم الجلدية والنحاسية (الصورة اليسرى) .. وقد بلغ عدد السياح في العام الماضى ١٤٣٠ سائحا أقام جزء منهم في فندق الامينوكال ـ الصورة العليا ـ والباقى في فندق البقرة الوحشية ـ الصورة اليمنى ـ

من الأمراض الكثيرة الموجودة في القمح والأرز الذي لا تستعمله الا لوقف الاسهال !! » .

قلنا : « ما رأيكم في أن بعض الطوارق يرفضون زراعة الارض، والبعض الآخر يرفض تعليم أولاده» .

وهنا اعتدل الحاج باي في جلسته ، وقال في دبلوماسية زائدة : « الناس انواع .. البعض يميل الى تربية الماعز والجمال والبقر ، والبعض يميل الى فلاحة الارض .. والطارقي لا يميل الى النوع الثاني ..

« أما عن التعليم فاولادنا كلهم في المدارس ، والذي لا يرسل ابنه للتعليم يفعل ذلك مضطرا لأنه ليس لديه من يساعده في عمله اليومي ومراقبة الجمال .. » .

وختمنا أسئلتنا بقولنا : « العالم يستعد الآن للصعود الى القمر، فما رأيكم بالنسبة للمستقبل؟ »

وهنا احسسنا انه يبتسم من تحت لثامه ، وكأنه يسخر من سؤالنا اذ قال : « محال أن يصلوا الى القمر .. ان القمر في السماء الثالثة ، ولا يمكن أن يلحقه الا مولانا .. أما مستقبلنا فعلمه عند الله .. » ..

الطَّبل يدق لأول مرة ..

وبجوار خيمة « الامينوكال » شاهدنا طبلة كبيرة .. طبلة الحرب ، وتدعى طَبْل Tobol لا يدق عليها الا بأمر منه ، وهذا لا يحدث الا في حالة وجود عدو ، أو لتجميع الرجال .. ان هذه الطبلة كانت رمز الامارة والقوة ، وتمزيق جلدها يعتبر أكبر اهانة يمكن توجيهها للامينوكال بالذات ، كما أن استيلاء العدو عليها هو بمثابة الاستيلاء على علم البلاد في الحرب سواء بسواء !

وتقدمنا برجاء الى الامينوكال ، أن نسمع دقات هذا الطبل !! وذهل الأمير من طلبنا ، ولمعت عيناه ببريق غريب خيم بعده الصمت .. ثم قال لنا : انها أول مرة تدق فيها الطبل منذ أربع سنوات ، وهذا اكرام لكم ..

وجاء اثنان من شباب المعسكر ، أمسكا بمقبضي الطبل ، وباليد الأخرى شرعا يدقان بالمضربين المصنوعين من جلد البقر .. واستبد بهما الحماس فزادا الضرب سرعة وقوة ..

ورويدا رويدا خف الضرب حتى تلاشى الصوت تماما .. وتطلع عندئذ كل منا الى الآخر ..

وتركز نظرنا على الامينوكال فوجدناه يسرح بنظره الى الافق الواسع وقد استبدت به الذكريات ، وما هي الا لحظات حتى تربع على الارض بجوار الطَّبْل ، وجلس صامتا تعصف به الأشجان .

واحترمنا صمته فتركناه وتسللنا الى السيارة وانطلقنا الى تامنراست لمقابلة المسئول الرسمي من قبل حكومة الجزائر عن منطقة الهوجار ..

الثورة تنتقل للهوجار



انه شاب لا يربو على الأربعين .. ما زال قطعة متقدة من ثورة الجزائر على الاستعمار، تسمعه فينسيك حديثه المتاعب التي صادفتك من مسئولي الجزائر العاصمة ، ويجعلك تزداد ايمانا باصالة أهداف ثورة الجزائر .. ثورة عربية اصيلة .. انه شعبان اسماعيل ، تولى مركز نائب عمالة الهوجار منذ سنتين ، ومع ذلك استطاع أن يكتسب احترام وتقدير الجميع .. فقد اجتمعنا اليه أكثر من مرة ، وكان حديثه حديث رجل مؤمن بأن منطقة الهوجار بامكانها ان تصبح اغنى منطقة في الجزائر قال :

« عندما ترك المستعمر هذه المنطقة ، قال بحسرة كاذبة : نودعك يا هوجار وداعا طويلا بكل أسف ، ولا نظن انك ستستطيع العيش بعدنا .

« هذا ما قاله المستعمر وهو يرحل ، ولكننا أقسمنا أن ثورتنا وقد أعادت شؤون الاوطان الى بني الاوطان ، أقسمنا ان هذه الثورة ستحتل مكانها ليس في المدن فقط وانما في كل مكان بما فيها جبال الهوجار .. لقد انتقلت الثورة الى الطوارق لتقضي على ما حاولت فرنسا أن تجعلهم: قطعة من القرن السادس عشر تعيش في القرن العشرين .. كان هذا هو هدف فرنسا ، فلم تعمد الى اجراء تحسين في المنطقة ، بل على العكس حاولت أن تزيد من عزلتها ، وأن تبقى أهلها على فطرتهم .. ولكننا نقلنا ثورة الجزائر الى هنا رغم أننا ورثنا بلدا فارغا مثقلا بالمشاكل، وبدأ الهوجار يتغير ويتبدل ، وبدأ الطوارق في الاستقرار فزاد عدد البدو منهم مرتين ، وتضاعف

سكان المدن ٤ مرات ، حتى أصبح عدد سكان الهوجار ١٦ الف نسمة .. » .

وبتابع نائب العمالة حديثه بقوله :

« لقد بدأنا عملنا فى جميع الميادين ، وخاصة فى ميدانى الفلاحة والتعليم ، لأنهما مرتبطان ارتباطا تاما ... فالأب كان يعتمد على ابنه لمساعدته .. لهذا كان يجب أن نحرر الابن من سيطرة أبيه .. ولم يكن هذا بالامكان الا اذا ادخلنا المضخات الحديثة لسحب الماء .. وفعلا انفقنا ٦٤ مليون فرنك من أجل تحسين الزراعة ، ورصدنا مثلها للعام التالى ، فتفجر الماء بكميات هائلة من تحت الارض وازدهرت الزراعة ، ولم يعد الأب يعتمد على ابنه فى سحب الماء ، فسمح له بالذهاب الى المدرسة .. ولم نكتف بهذا بل أرسلنا ٣٤ تلميذا الى الثانويات فى شمال البلاد وهذا امر لم يكن احد يفكر أنه ممكن أن يحدث .

اما بالنسبة للبدوى فقد صار يندمج مع الفلاحين ويعمل الى جانبهم بل ويتفوق عليهم مثلما حدث فى قرية « ادليس » .. لقد بدأت التجربة منذ سنة ونصف ، وكانت النتائج مذهلة .. ان الدولة تقف الى جانب الطوارق بكل امكانياتها من أجل توفير غد أفضل لهم ولأبنائهم » .

القاعدة الذرية انتهت

وسألت السيد شعبان عن مشاريع المستقبل وعن القاعدة الذرية الفرنسية الموجودة قرب تامنراست ، وعن مصير العاملين فيها من أبناء الهوجار ..

فقال : أما عن القاعدة الذرية الموجودة بالقرب منا ، فهذه سينتهى الجلاء عنها بانتهاء عام ١٩٦٦ ..واما العاملون فيها من أبناء الهوجار وعددهم ٢٥٠ شخصا فقط ، فهؤلاء قمنا منذ سنة بدراسة مشروع زراعى كبير لهم،وأحضرنا المهندس المختص الذى حفر الآبار الارتوازية ، حتى يبدأوا عملهم بمجرد تركهم هذه القاعدة ..

« اما عن مشاريع المستقبل فنأمل أن يشعر الطوارق بأن « رحلات العذاب » التى يقومون بها والتى يقطعون خلالها ٣٦٠٠ كيلو متر مع جمالهم المحملة بالملح لم يعد لها معنى ، وأن ارتباطهم بالارض افضل وأجدى لهم ..

ونحن نأمل أن نرى تحقيق مشروع مد الطريق البرى الذى سيربط بين الجزائر والنيجر ومالى ، والذى سيجعل منطقة الهوجار منطقة سياحية



فى سبيل تامين مضخةماء واحدة لكل عشرة مزارعين فجرت الحكومة الجزائريةعشرات الآبار الارتوازية فى مختلف انحاء الهوجار .

عالمية ، كما سيساعد على استغلال الموارد المعدنية الموجودة فى باطن أرضها » .

لم يعد الطارقي وحيدا

وبينما العمل مستمر فى هدوء الليل بتامنراست، نجد الطارقى يجلس ساكنا امام النار الموقدة قرب خيمته يتطلع اليها تارة ، والى الاضواء المنبعثة من المدينة تارة أخرى .. ويخيم الهدوء والسكون وهو قابع فى مكانه يفكر ..

ولكن وجهه الذى اختفى وراء الحجاب الاسود يقف حاجزا امام اية محاولة لقراءة افكاره .. وفجاة خلناه يبتسم وكأنه سمع صدى لما يعتمل فى صدره ، جاءه من تامنراست يهمس فى اذنه :

« لا تخف .. انى أقف بجوارك بكل قواى وجوارحى .. ان ثورة الجزائر التى قامت ضد المستعمر من أجل هذا الشعب هى ثورتك ، وستكون دائما معك لتخلصك من جميع مخاوفك .. » .

ويخبو الهمس .. وتخمد النار التى كانت تستعر منذ لحظات قصيرة مضت .. ويهجع الطارقى فى سكون الى خيمته لينام هادىء البال .. لقد شعر أن هناك من يعمل لأجله ، ويحس بآلامه وآماله ، وانه لم يعد يقف وحيدا فى هذا العالم الكبير .. ■■

سليم زبال

استطلاع الكويت

رحلة في قلب المدينة الساهرة

تلفاز الكويت بعد خمس سنوات



قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف

وصوره
عبد الناصر شقره



الكاميرا السينمائية تسجل أحد مناظر تمثيلية « الرحلة الأخيرة » التي اشترك بها التلفاز الكويتي في المهرجان الدولي للتلفاز بالقاهرة .





الكاميرا التلفازية تلتقط فيلما لاحدى الفرق الاجنبية الراقصة ، وهي
تعرض رقصاتها على مسرح الاندلس بالكويت ، لنقلها الى الهـواء .

وزير التربية بدولة الكويت يتحدث في استوديو التسجيل رقم (٢) بمدينة
التلفاز ،في برنامج «مع المسئولين»،وفيه يجيب وزير التربية على أسئلة المواطنين



■ تنقلك « العربي » في هـذه الرحلة السريعة الى مدينة صغيرة في قلب مدينة الكويت ... عاصمة الدولة ... انهـا مدينة التلفاز او المدينـة الساهرة التى تعمل فى هدوء من وراء الستار لتقدم صورة للمجتمـع الكويتي وغير الكويتى ... مشاكل المجتمع وأمانيه ... حاضره وماضيه .. عاداته وتقاليده ، وطابعه المميز ... وأخيرا مستقبله ومشروعاته للغد القريب والبعيد .

فالحياة في مدينة التلفاز حياة كلها عمل وكلها تجديد وابتكار .. عمل متواصل لا يعرف الكسل.

هنا وسط الأضواء في هذه المدينة الصغيرة . احتفلت الكويت منـذ خمس سنوات بمولودها الجديد ، يوم افتتح العمل رسميا في اول محطة حكومية للتلفاز .

ومن داخل الاستوديوهات التى قامت وسط المدينة الساهرة ،وأمام آلات التصوير السينمائى وأجهزة التسجيل وبين الالات العلمية الدقيقة... وقف العـدد الكبير الكثير مـن الفنيين والمخرجين والمنتجين والمصورين والممثلين والممثلات .. وقفوا جميعـا يعدون البرامج للجمهور كل يوم حيث يستمتع بمشاهدتها وهو مستريح فى منزله دون أن ينتقل اليه كما تحتم عليه مشاهدة السينما .

ميزانية التلفاز

يقول الاستاذ سعدون الجاسم وكيـل وزارة الارشاد والانباء : « ان المولود الصغير اصـبح يمشي ويتكلم ويملأ كل بيت في الكويت .. وكلمـا كبر المولود كبرت معه نفقاته ويكفى أن تعلـم ان ميزانية التلفاز بلغت اليوم ٨٣٤ الف دينار في العام ، وهى التى لم تكن تتجاوز مبلغ ٢١٧ الف دينار ، عنـدما وقفنا جميعا نحتفل منذ خمس سنوات بوصول مولودنا الجديد !... فالتلفاز وكل العاملين فيه يلقون كل تشجيع ادبي ومادى من الدولة . فهى لا تبخل عليهم بشيء وتقدم لهم كافة الامكانات التى يمكن أن تجعل من هذا الجهاز الحيوى جهازا تربويا وثقافيا وترفيهيا يخـدم الجمهور ويحلق به في آفاق بعيدة داخل وخارج حدود بلاده ...

« ونحن نقدر الجهد الذى يبذله المسئولون عن التلفاز والمشرفون على العمل فيه .. وقد خطت البرامج خطوات واسـعة الى الامام من حيث الموضوع والاخراج والتصوير ، وتضاعفت ساعات الارسال ولا تزال الجهود تبذل في سبيل الوصول بالتلفاز الى مستوى لائق به بين الدول .

ونظرا لما للتلفاز من أهمية لدى المواطنين وما له من تأثير عظيم في توجيه وتثقيف وتنوير الرأى العام



الاستاذ سعدون الجاسم وكيل وزارة الارشاد والانباء والسيد جواد حسون مدير التلفاز صادفناهما وهما يستمعان لشرح رئيس المهندسين السيد عبد الرحمن الحوطي ، مزايا جهاز التسجيل الاكتروني ، الذي يسجل الصوت والصورة معا فى وقت واحد ، وهو أحدث ما انتجته مصانع أجهزة التسجيل فى العالم .

مكتبة الافلام والاشرطة والبرامج بتلفاز الكويت ، ويقوم القسم المالي بالتلفاز بشراء هذه الافلام او تأجيرها من الشركات المختلفة عن طريق تجار على اتصال مباشر بالشركات العالمية . وتؤدى المكتبة دورا هاما فى تزويد جميع مخرجي البرامج بما يحتاجون اليه مـن معلومات ويعمل فيهـا خمسة يعملون بالتناوب لمدة ١٨ ساعة يوميا



والشعب عموما بمختلف فئاته فقد نال هـــذا الجهاز اكبر قسط من الاهتمام والمعالجة من جانب اجهزة الاعلام الاخرى وخاصة الصحافة . وبالفعل كتبت صحف كثيرة ناقدة برامج التلفاز .. كان ذلك النقد هادفا بناء احيانا قليلة وقاسيا سلبيا ـ مع الأسف ـ في أكثر الاحيان ..

دعوة للمشتغلين بالاعلام

ومضى وكيل الوزارة يقول : « ولكننا لا نضيق بالنقد .. وانما نرحب بالنقد الذى يبنى ويوجه .. النقد الذى يشخص الداء ويشارك في ايجاد الدواء .. فانا افهم أن يوجه الناقد اعتراضا على برنامج من البرامج التى يقدمها التلفزيون . ولكن لا يكفى أن يقول ان هذا البرنامج لا يعجبنى ، بل يجب ان يذكر لماذا لا يعجبه البرنامج وأن يتقدم في نفس الوقتبمقترحات جديدة مدروسة لتحسين البرنامج الذى لا يعجبه أو أن يقترح برنامجا آخر بدلا منه .

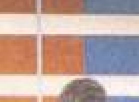
وقال الاستاذ سعدون : « هذا هو النقد الذى نفسح له صدورنا ونود ان نسمعه ونقــراه في الصحفوفي المجلات لأننا نرحب بكل اقتراح جديد وبكل برنامج جديد بل اننا ندعو كل المشتغلين في



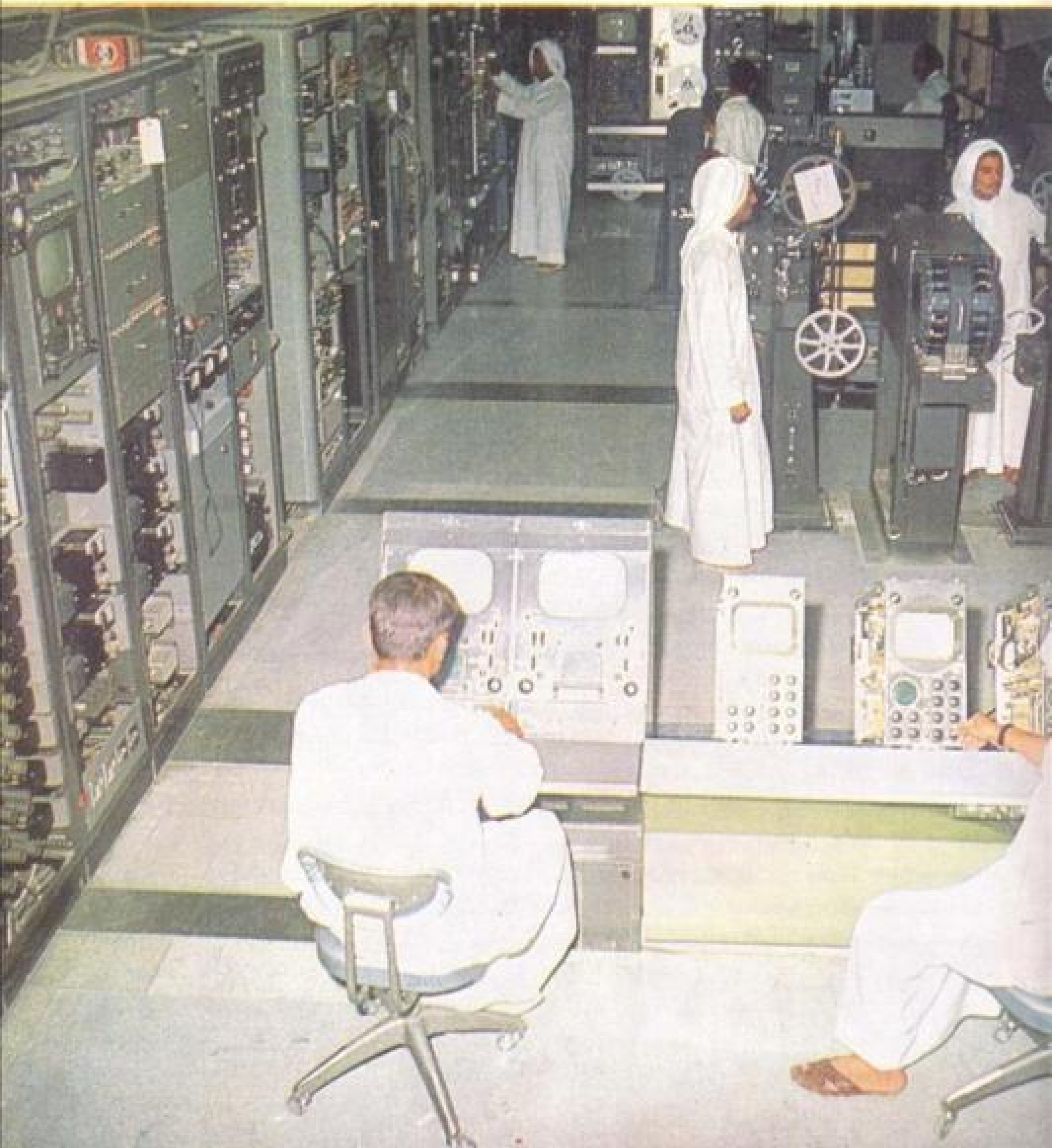


اثنان من الموظفين الفنيين بقسم السينما يقومان بعملية تركيب الفيلم في وحدة زمنية متناسقة « المونتاج » لفيلم سينمائي تحضيرا لتلفزته عبر الهواء .





السيدة فاطمة حسين احدى نجوم تلفاز الكويت اثناء تقديمها لبرامجها في الاستديو ، وقد اختصت باعداد وتقديم برنامجي دنيا الاسرة ومجلة المرأة . والسيدة فاطمة تخرجت في جامعات القاهرة وأمريكا، وكانت تعمل بوزارة الخارجية الكويتية ثم استهواها العمل في التلفاز



غرفة أجهزة المراقبة بالتلفاز وفيها يقوم الفنيون بتسجيل ومراقبة البرامج ونقلها الى محطات الارسال في المطلاع والروضتين لبثها الى جميع أنحاء الكويت وجنوب العراق . ونرى في مقدمة الصورة اثنين من الفنيين يقومان بمراقبة أجهزة ضبط الكاميرات التلفازية ، بينما ظهر في الوسط زميلان لهما يقومان باعداد وتشغيل جهاز عرض الافلام السينمائية تمهيدا لنقلها الى الهواء ، وفي آخر الصورة يظهر احد الفنيين وهو يقوم بضبط جهاز تسجيل الصورة الالكتروني .

أجهزة الاعـلام في الكويت أن يضعوا أفكارهم ومقترحاتهم في خدمة التلفاز وبرامجه .

واحب أن أقول لهؤلاء جميعا ان شعارنا دائما هو العمل . والعمل المستمر .. والذى لا يعمل ، هو وحده الذى لا يخطىء .. ثم اننا بعـد هذا لا نعرف الجمود .. اننا اليوم في بداية انطلاقة كبرى وتجديد شامل سوف يلمس الجميع نتائجه في خلال الشهور القليلة المقبلة .. فهناك عـدة مشروعات جديدة للتلفاز بعضها تنفذ بالفعل والبعض الآخر في طريق التنفيذ والبعض لا يزال في مرحلة الدراسة .. نحن مثلا نستعد لادخال التلفاز الملون في الكويت ، عندما ينضج .. ونقوم الآن بتصميم المجمع الجديد الذى سيضم التلفاز والاذاعة ، معا،وندرس امكان الاشتراك في البرامج التى تنقل عن طريق « التلستار » اى القمـر الصناعى حتى نستطيع أن ننقل برامج حية من مختلف انحاء الدنيا الى الكويت وقت حدوثها .. فنقدم العالم كله لجمهور الشعب الكويتى دون أن يبرح حدود بلاده » .

أول محطة للتلفاز بالكويت

هذه المعجزة التى حققها العلم الحديث لتكون في خـدمة الانسان ، كيف دخلت الكويت ومتى بدأت وما هى قصتها :

قال لنا الأستاذ جواد حسون مدير التلفاز :

« ان قصة التلفاز هى قصة عمل كبير بدأ يتحقق في نفس الوقت الذى تحددت فيه صورة الكويت الحديثة الناهضة .. فكل دولة آخذة بأسباب التقدم تدرك ان التلفاز هو خير جهـاز يمكن أن يخدم البـلاد في مختلف اوجه الحياة التربوية والثقافية والصناعيـة والتجارية والحكومية . وكان من الطبيعى اذن أن تهتم الكويت الحديثة بهذا الاختراع العلمى ، وهى التى خطت في سنوات قليلة خطوات سريعة مذهلة في سبيل تطوير البلاد والوصول بهـا الى مستوى لائق بـين الدول الحديثة .

وقد انشئت أول محطة للتلفاز في نوفمبر مـن عام ١٩٦١ ، وكانت في ذلك الوقت مجرد محطـة اهلية صغيرة يقتصر نشاطها على بث الافـلام السينمائية .ثم ما لبثت أن تحولت الى محطـة حكومية بعـد شهور قليلة واستخدمت في بادىء الامر كمحطة تجريبية .

مسئولية ضخمة

« ومنذ ذلك اليوم وكل فرد من أفراد أسرة التلفاز يشعر بضخامة المسئولية الملقاة على عاتقه، وصعوبة الدور الكبير الذى يقوم به ، وكلما ازداد تهافت الجمهور علىشراء أجهزة التلفاز المستقبلة، وكلما التف الناس حول شاشته الصغيرة ليرقبوا ما تحمله اليهم من برامـج .. تضاعف شعور العاملين في التلفاز بمسئوليتهم ... ذلك لأنهم يشعرون بأن كل عمـل فنى يقدمه التلفاز وكل برنامج جـديد يعرضـه ستقول آلاف العيـون الفاحصة المدققة كلمتها فيه ! » .

وقال مدير التلفزيون :« ومضى الجميع يعملون داخل اطـار برنامج محدد للعمـل ، فأرسلت البعثات من أبناء الكويت الى الخارج لدراسـة أحدث ما وصلت اليه برامج التلفـاز في مختلف العواصم العربيـة والاجنبية .. وعاد المبعوثون ليطبقوا العلم على العمل .. وبدأت مرحلة بنـاء التلفاز الكويتى على أحدث النظم العالمية ، ثم تلا ذلك خطوات كثيرة أخرى ... كان امام المسئولين والمشرفين على التلفاز مهمـة البحث عن الوجوه الجديدة التى ستقدم برامج التلفاز ... وجوه المذيعين والمذيعات ومقدمى البرامج ، ثم وجـوه الممثلين والممثـلات الذين سيضطلعون بأدوار البطولة في التمثيليات الكويتية التى يخرجهـا التلفاز في استوديوهاته ...

واختتم مدير التلفاز حديثه بقوله :

« وكانت مهمة شاقة اقيمت لها المسابقـات وعقدت اللجان لاختيار الأصلح والأنسب ..فهؤلاء هم الزائرون الذين يدخلون بيوت الناس عن طريق شاشة التلفـاز الصغيرة ، ولا بد أن يراعى في اختيارهم عدة اعتبارات ... »

برامج تلفاز الكويت

ونتنقل الآن الى البرامج التى يقدمها تلفـاز الكويت ، وهى مختلفة فهناك البرامج الثقافية والبرامج الادبية والبرامج الخاصة بالاطفال والمرأة الى آخر ما هنالك .. ولكن ثمة حقيقة اهتم بها المشرفون على تلفاز الكويت منذ سنوات ، وهى الخروج مـن نطاق الاستوديوهات الضيق الى الحياة العامة .. الى المرافق الحيوية في البلاد ... الى المدارس والمستشفيات والبـلاجات والشوارع .. الى دور السينما والمسـارح ..

لنقل صورة حية لمعالم البلد قديمها وحديثها ، وعرض كل جديد نافع على الجمهور ، وارشاده وتوجيهه وتقديم يد المساعدة له في كل مشكلة تواجهه .. وكانت اول مرة خرجت فيها كاميرا التلفاز من الاستوديو يوم١٩ يونيو من عام ١٩٦٢، لتسجيل الاحتفالات الرسمية والشعبية التى اقيمت بمناسبة عيد الاستقلال الكويتى .

البرامج غير المعدة

وقد حققت هذه البرامج الخارجية نجاحا كبيرا لانها تجيء طبيعية بلا تكلف وبلا تمثيل . فعندما تخرج كاميرا التلفاز الى شاطيء البحر مثلا لتسجل فيلما للكويت في الصيف ، والناس يسبحون في مياه الخليج الدافئة ، والأطفال يلهون على الشاطيء ، أو عندما تتجول في شوارع الكويت لتنقل صورة لنهضة البلاد او المشروعات التى انجزت ، أو تدخل عدسة التلفاز الى أحد المستشفيات لتشرح طرق الوقاية والعلاج من مرض منتشر ، وترشد الى المركز الذى يستطيع أن يقصد اليه المواطن مع أفراد أسرته .. للحصول على المصل الواقى من الأمراض ... ترى في كل هذه البرامج صورا حية ووجوها معبرة قلما وجدتها في برنامج مصنوع داخل الاستوديوهات ، مهما كان الاخراج متقنا ...

فقد أصبح التلفاز اليوم معهدا ومدرسة للثقافة والعلوم والآداب . فهو الذى يقدم للمتفرج المستمع كل ما يحتاج اليه من معلومات تهم الطالب في مدرسته ، والعامل في مجال عمله .. وهو بعد ذلك أحدث وسيلة تفتقت عنها اذهان العلماء لقتل وقت الفراغ .. وقت الزوج بعد يوم حافل بالعمل ، ووقت الزوجة التى أمضت كل نهارها فى أعمال البيت ، ووقت الأطفال الذين يقبلون على مشاهدة برامج التلفاز في ولع وشغف.

رحلة داخل التلفاز

ولنبدأ معك الآن رحلة خاطفة داخل هذه المدينة الصغيرة التى تقدم لك برامج تلفاز الكويت ... انها لا تزال تشغل مقرا مؤقتا الى أن يتم بناء المجمع الضخم الذى سيضم الاذاعة والتلفاز معا .. فتنتشر مبانى التلفاز فوق قطعة من الأرض الواقعة على شاطيء الخليج العربى ، وهى تضم عدة أقسام يجرى فيها العمل في وقت واحد،



قسم الازياء ويقوم بتصميم الملابس التاريخية والحديثة للممثلين الذين يظهرون في التمثيليات المختلفة التى يقدمها تلفاز الكويت ، ويعمل في هذا القسم فريق من مصممي الازياء والخياطين

وكأنها وحدة واحدة لا تتجزأ ...

وفي مدينة التلفاز ثلاثة استوديوهات لتصوير التمثيليات والبرامج ، لا يستغرق اعداد الواحد منها لتصوير المنظر المطلوب سوى ساعات .. سواء كان هذا المنظر داخل البيت أو في المستشفى أو المدرسة أو حتى في الشارع ... وهذه هى مهمة مهندسي زينة المسرح ، « الديكور » الذين وضع تحت تصرفهم مخزن ضخم يسمونه مخزن « الالواح » المصورة وغير المصورة (بانوهات) التى تبنى بها مناظر المسرح .

وهذه الالواح واعمدتها توجد منها في المخزن مقاييس مختلفة تصلح للمناظر المتغيرة ، ومن الواح المسرح هذه يتم تكوين المنظر الذى يريده المخرج حيث تجري حوادث التمثيلية أمام الكاميرا وكأنها من واقع الحياة .

مخزن اللواحق

ويكمل هذا القسم ، قسم آخر هو مخزن اللواحق « الاكسوار » الذى يحوى مجموعات كبيرة من الاثاثات والمعدات والاشياء المختلفة التى يحتاج اليها مهندسو « الديكور » والمخرجون لاستكمال المنظر ، فاذا كان المشهد الذى يجرى



« ماما أنيسة » مع أطفالها : « ماما » يعرفها كل أطفال الكويت، فهي التى تقدم لهم برامج « دنيا الطفل »، « طفولة ومرح »، « ومجلة الطفل »، وتقدم لهم معها المسابقات والهدايا للفائزين .

كاميرات التلفاز تسجل برنامج « مع الشباب » في الاستوديو رقم ٣ وترى في الصورة فريق نادي الجوالة ، أثناء تقديمه بعض الأغاني الوطنية والمنلوجات .







الآنسة امينة الشراح ، احدى وجوه التلفاز الكويتي ، وهي تذيع نشرة الاخبار اليومية وبعض البرامج الاخرى ، وهي أصغر مذيعة اذ لا يتجاوز عمرها التاسع عشر .

أحد الفنيين يقوم بضبط الصوت بغرفة المراقبة بالاستوديو رقم ٢ بتلفاز الكويت ، ويقوم في نفس الوقت باختيار الموسيقى المناسبة للمؤثرات الصوتية التي تصاحب التسجيلات المختلفة



تصويره داخل غرفة الصالون في بيت أسرة كويتية مثلا ، فلا بد من وضع الاثاث اللازم لها ، مثل المقاعد المريحة والسجاجيد واللوحات الزيتية والثريات الخ .. ويقوم قسم « الاكسوار » بتزويد الاستوديو بهذا كله وغيره من أثاثات أخرى حيث يستطيع المخرج أن يجد كل شيء يحتاجاليه.

الملابس والماكياج

وفي نفس الوقت الذي يكون فيه مهندسو المسرح مشغولون باعداد المنظر في الاستوديو ، تجرى عملية اعداد أخرى خاصة بأبطال التمثيلية في قسمي الأزياء والماكياج ، والقسم الأول يقوم بتصميم وتنفيذ الملابس التاريخية والملابس الحديثة على اختلافها ، وعندما زرنا هذا القسم، وجدنا كل من فيه مشغولا بتصميم ملابس مسلسلة « أسباب النزول » التي تروى قصة الأحداث التاريخية التي نزلت فيها آيات من القرآن الكريم . وقد بدأ عرض حلقات هذه المسلسلة في شهر رمضان المبارك عام ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م ، ثم يستأنف التلفاز عرض باقي الحلقات في رمضان عام ١٣٨٦ هـ ، ويعمل في هذا القسم فريق من مصممي الأزياء والخياطين ، وفيهيرتدى الممثلون والممثلات الملابس التي تتطلبها أدوارهم قبل الانتقال الى القسم الثاني ، وهو قسم تشكيل الوجوه وتزيينها « الماكياج » الذي يعتبر من أهم الأقسام التي يعتمد عليها التمثيل .

صانع الوجوه

فعملية تشكيل الوجوه عملية شاقة تحتاج الى دراسة وفن وخبرة . وهي ليست دائما للتزيين والتجميل .. وفي الغرفة المخصصة لهـا تتغير ملامح الوجوه .. وجوه الممثلين والممثلات .. لتناسب الأدوار التي يؤدونها ... وكثيرا ما يتحول وجه الشاب الى شيخ عجوز ، والصحيح الى رجل مريض .. وهكذا ...

وقد وقفنا نرقب « الماكير » أو الفنان القائم بهذا العمل في تلفاز الكويت ، وهو يؤدى عمله في هذه الغرفة التي امتلأت بالمساحيق والشعور المستعارة والشوارب واللحى الصناعية .. فلما فرغ وقف بطل التمثيلية الشاب يتطلع الى وجهه في المرآة وقد تملكته الدهشة لما صنعته تلك الأصابع بوجهه ، حتى ظن انه لا يعرف نفسه !

الرحلة الأخيرة

ولم يكن بطل هذه التمثيلية سوى الممثل الكويتي « سعد الفرج » الذي تقاسم البطولة مع « بوم » قديم أو سفينة شحن شراعية في « رحلتها الاخيرة » التي اشترك بهـا التلفاز الكويتي في مهرجان التلفاز بالقاهرة في شهر نوفمبر الماضي . وتدور حوادث هذه التمثيلية على شاطىء الخليج حيث يجرى الصراع بين القديم والجديد ،فتحكى السفينة قصتها مع الناس الذين ابحروا عليها منذ عشرات السنين .. ثم كيف كانت كل شيء في حياة التجار وصائدى السمكوالباحثين عن اللؤلؤ في أعماق البحر ... وكيف أصبحت الآن لا شيء بعد أن ورد الى ساحل الكويت من السفن الكبيرة الضخمة عابرات المحيطات ما ورد ، وبقى القارب الشراعي قابعا على الشاطىء في انزواء واستحياء، والأطفال من حوله يلعبون ويقذفون هيكله البالي بقطع الطوب والحجارة ...

وقد كانت التمثيلية جديدة في كل شيء .. في اخراجها وتمثيلها بل وفي قصتهـا ايضا . وهي تعتمد اعتمادا كليا على المؤثرات الصوتية والموسيقية بلا حوار وبلا تعليق ..

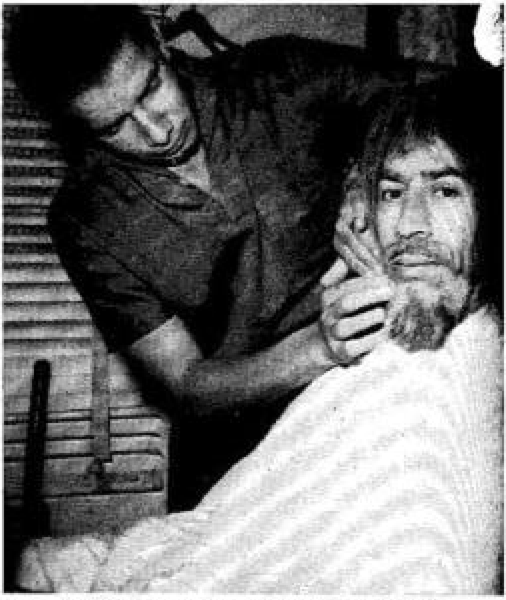
العمود الفقرى للتلفاز

ولكن هذه التمثيليات وغيرها من البرامج التي يقدمها تلفاز الكويت ، كيف تنقل وكيف يراها الجمهور على شاشة جهازه الصغير في البيت ؟ تعال معنا الآن الى قسم الهندسة الذي يتحكم في الاشارات المرئية والاشاراتالصوتية ويقوم بضبطها واعدادها وارسالها الى محطات البث .

وقسم الهندسة هو العمود الفقرى الذي يرتكز عليه العمل في مدينة التلفاز كلها .. وهو يضم عدة أقسام فرعية أو شعب ، ومن بينها قسم تشغيل الاستوديوهات ، وقسم الصيانة والتركيبات ، وقسم النقل الخارجي للتصوير ، ونقل البرامج الحية خارج مباني الاستوديوهات ، وأخيرا قسم الارسال وتتبعه محطتا الارسال في منطقتي المطلاع والروضتين .

معجزة العلم

واذا سرت وسط هـذه الأجهزة الدقيقة الحساسة ، لمست على الفور الانقلاب الذي





الى اليمين : عبد العزيز المنصور مزوّق الوجوه « الماكيئور » ، وهو يحوّل وجه شاب كويتي الى شيخ عجوز في الغرفة التي امتلأت بالمساحيق والشعور المستعارة والشوارب واللحى بمدينة التلفاز .
الى اليسار : أحد العمال الفنيين في قسم السينما يقوم بربط الصوت بالصورة اثناء اعداد الافلام التي ستذاع بالتلفاز الكويتي .

احدثته الآلة في حياة الانسان .. فكل شيء يعمل اوتوماتيكيا ولا يخطىء ابـــدا ، ويكفي أن تمعن النظر في جهاز التلفاز الذي ينقل اليك هـــذه الصور الجميلة وكأنها تعيش معك وتتحدث اليك، لتدرك ضخامة المعجزة التي حققها لك العلم .

كيف تصل اليك هذه البرامج ؟ قال لنـــا المهندس عبـــد الرحمن الحوطي رئيس مهندسي الاذاعة والتلفاز :

« ان منابع البرامج التي نراها في أجهـــزة التلفاز تنقسم الى ثلاثة أقسام . أولها المنابـــع الحية . أي البرامج الخارجية مثل مباريات القدم والحفلات وغيرهمـــا .. وفي هذه الحـــالة تنتقـــل الاشارات المرئية (الصورة) عن طريق أجهزة التصوير الالكترونية ، وتنتقل الاشارات الصوتية عن طريق الميكروفونات ، ثم تؤخذ هذه البرامج وتعدل ويتم ضبطها وتجهيزها ثم ارسالها الى محطات البث .

على شاشة التلفاز

« أما القسم الثاني فيشمل المنابع السينمائية، أو البرامج التي يتم تصويرها على افلام ، وعند عرضها عن طريق أجهزة العرض تتحول الى اشارات تلفازية ثم تعد للارسال الى محطات البث .

« بقي القسم الثالث وهو البرامـــج المسجلة التي تم تسجيلها على أشرطة مغناطيسية ، فتحمل هذه الأشرطة الاشارات المرئية والاشارات الصوتية لهذه البرامج ، ثم تفرغ وتعد للارســـال الى محطات البث .

« وتدخل جميع هذه المنابع أو البرامـــج بعد تعديلها وتنظيمها وضبطهـــــا الى أجهزة البث الميكروئية « ميكرويف Microwave Transmitters التي ترسلها بدورها الى محطات الارســــال الرئيسية فتستقبلها أجهزة « ميكروئية أخـــرى Microwave Receivers ثم تمر هـــذه البرامج في وحدات منظمة ومعدلة حيث تعد لتدخل جهاز الارســال أو البث الرئيسي الذي يقـــوم بدوره بتقوية الاشارة بدرجة كبيرة وبثها عن طريق «هوائي الارسال» حيث تصل هذه الاشارات الى «هوائيات الاستقبال » لأجهزة التلفاز في المنازل ، ثم تدخل جهاز التلفاز نفسه ، حيث يقوم بتعديلها وضبطها وتحويلها الى صور واصوات مرة أخرى » .

هذه هي قصة تلفاز الكويت..وهي قصة طويلة لم تنته بعد ... قصة عمل متواصل من أجـــل الافضل والاحسن دائما . ■■

أنباء الطب والعلم والاختراع

غاز بترولي من بحر الشمال

صار البترول اليوم أبواب أرزاق، مفاتيحها العلم. والعلم يأتي بالمفاجآت.

فمن ذا الذي كان يظن ان في البحر الشمالي، بين بريطانيا وأوروبا، يوجد غاز بترولي في بطن الأرض دفين.

ولكن بهذا تنبأ العلم. ثم قامت التكنية المتقدمة تحققه.

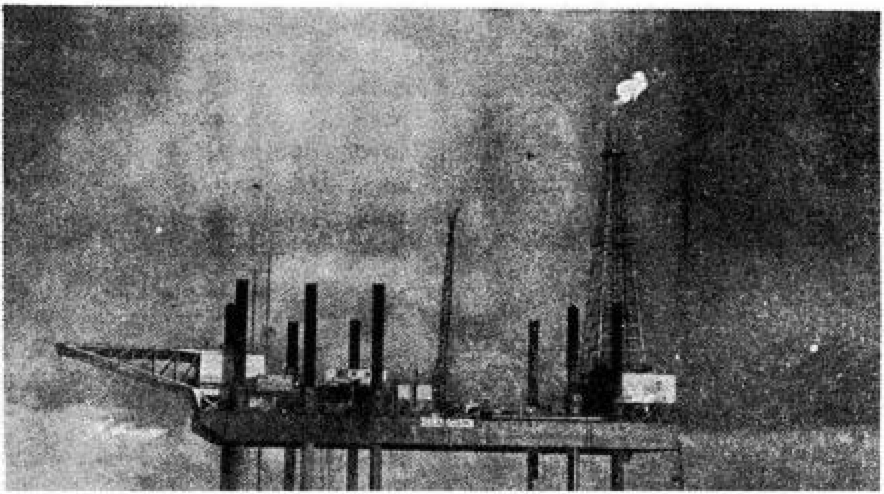
وقامت تحفر في قاع هذا البحر، على مقربة من ساحل بريطانيا، اربع مؤسسات للحفر مختلفة. وبدت البشائر، ثم تفجرت الآمال بتفجر الغاز. فمن أحد هذه الابار المحفورة تدفق الغاز بغزارة قدروها فكانت ٢٥ مليون قدم مكعب من الغاز في اليوم الواحد. وهذه بئر واحدة من آبار.

تحقق الحلم فوق ما كان خال الحالم، وبدأت انكلترا على الفور تمهد لتصنيع هذا الغاز، ومدوا الأنابيب من البحر الى الأرض، أو هم فاعلون، ليصل الغاز الى مستهلكيه. ومن مستهلكيه، ١٢ مليون بيت يطبخ ويتدفأ بغاز الاستصباح، غاز المدن. واذن سيحل هذا الغاز الطبيعي محل غاز المدن المصنوع من الفحم فيتوفر بذلك الكثير من الفحم.

الا ان هذا التحويل عمل جبار، التحول من غاز الى غاز. لهذا خواص ليست لذاك تماما. وهو عمل ذو كلفة كبيرة ويحتاج الى زمن غير قصير لانجازه.

وهو على كل حال كسب كبير.

حتى لقد قيل، ان هذا أكبر كشف وقعت عليه بريطانيا في هذا القرن الحاضر.



تنافس بين ثقافتين

انهما الثقافة الامريكية ، والثقافة الفرنسية .

لقد تحكم الامريكان في الاذاعة العالمية بفضل ما اطلقوه من اقمار اصطناعية ، تزامن دورة الأرض ، وتعيد اذاعة ما تريد الولايات المتحدة ان تذيعه على اهل الأرض .

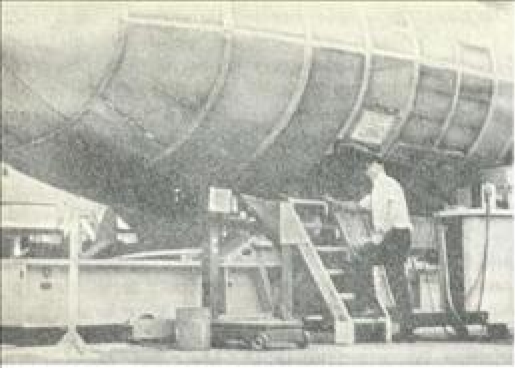
وفرنسا ترى في كل الميادين ، ان تدافع عن ثقافتها ، وتنتصر في كل مجال لكرامتها ، بحسبانها امة لها تاريخ في المدنية الاوروبية عريق .

وان يكن الامريكان لهم اللغة الانجليزية ، وهى اكثر اللغات اليوم انتشارا على سطح الأرض ، فلفرنسا بقاع من الأرض كثيرة لا تزال اللغة الثانية بها هي اللغة الفرنسية . ولها كذلك تلك الأمم التى كونت من قبل الامبراطورية الفرنسية .

ولقد اتفقت فرنسا حديثا مع روسيا في الدخول في تقارب ثقافي وتعاون علمي .

ومن هذا تعاون في الفضاء .

ورضيت روسيا ان تطلق لفرنسا اقمارها الاصطناعية ، ويؤكد العارفون ان فرنسا سوف تهدف اول ما تهدف الى اطلاق اقمار اذاعية ، تذيع على العالم باللغة الفرنسية .



البحث في اعماق البحار

هذا جسم الغواصة التى تصنعها الولايات المتحدة ، وهى للبحث في الاعماق كما يدل اسمها Deep Quest .

انها تبلغ من الطول ١٢ مترا .

وهى تزن ٣٫٦ من الاطنان .

وهى مصنوعة لتصل الى ١٥٠٠ متر من عمق البحر ، ولتتحمل ضغط الماء هناك . والمعروف ان الضغط الجوى الواحد يساوى ضغط (أو ان شئت وزن) عمود من الماء ، غير المالح ، طوله نحو عشرة أمتار . وهو اكثر من ذلك اذا كان الماء مالحا . ومن ذلك تستطيع ان تحسب الضغط الذى يقع على كل سنتيمتر مربع من سطح هذه الغواصة وهي على عمق ١٥٠٠ متر .

انه نحو ١٥٠ ضغطا جويا ، بل يزيد بسبب ملوحة الماء .

ولا ننسى ان نذكر ان جسم الغواصة مصنوع من معدن الألمنيوم الخفيف .

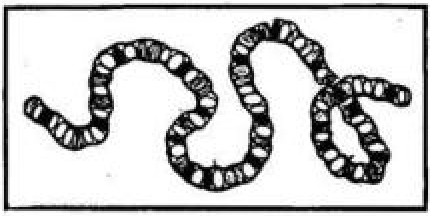
طلب الماء في الصحراء

وقع اتفاق بين المملكة العربية السعودية ومنظمة الزراعة والغذاء F.A.O. التابعة لهيئة الامم المتحدة يقضي بالكشف عن بحيرة الماء العظيمة المختبئة في الصحراء العربية على أعماق تتراوح ما بين ٣٠٠ الى ٥٠٠ متر .

تدور حول الأرض غاطسةً في ماء البحر

هذا ما حققته طائفة من الغواصات الروسية، ووقودها الذرة . ومعنى ذلك انها تظل تحت الماء اكثر من ٢٤٠٠٠ ميل . ولولا الذرة ما استطاعت ذلك .

الفيروس في مختبرات ابحاثه
هل فيه خطر على حياة الناس


كروموسوم، به عديد من الجينات، مخططات التناسل

● ان البحوث العلمية تعتمد ، فيما تعتمد ، على الحيوانات غالبا . مثال ذلك القط ، والكلب ، والفار ، وخنزير غينيا ، والارنب . وعلماء الوراثة والانسال يستخدمون ذبابة الخل في تجاربهم .

واخيرا دخل الفيروس المختبرات ، يستخدمه علماء الوراثة في الكشف عن خصائص الكروموسومات ، التى هى مخططات الوراثات ، فالكشف عن الوراثة كيف تنتقل من ذرية الى ذرية .

والفيروس ، وهو دون المكروب في تعقد تركيب ، من فضائله الأولى في هذه البحوث ان صفاته التناسلية بسيطة . ثم انه سريع التناسل جدا ، وهذا يمكن العالم التناسلى من اجراء تجارب في الأسبوع الواحد لو انها أجريت على أنواع من احياء أخرى لاستغرقت بضع سنوات ، وبعض يستغرق قرونا .

وفي أبحاث الفيروسات هذه يحاول العلماء أن يغيروا من طبائع الفيروس التناسلية . ومعنى هذا بكلام اوضح ، هم يحاولون أن يخلقوا من الفيروس الذى بين أيديهم فيروسا جديدا له طبائع جديدة .

والمعروف بالطبع أن الفيروس يسبب الكثير من الامراض ، تماما كما يفعل المكروب .

ومن اجل ذلك اطلق العالم الاسترالى مكفرلين برنت Macfarlane Burnet وهو أحد حاملى جائزة نوبل ، اطلق صيحة منذرة ، يتساءل فيها : هذه البحوث التى تجرى على الفيروس ، من يضمن لنا انها لن تنتج انواعا من الفيروس تسبب عدوى جديدة لا يستطيع الانسان دفعها ، فيكون فيها هلاكه ؟ انواعا تخرج من باب المختبر ، من حيث لا احد يدرى ، لتعيث في جماهير بنى البشر ؟

التثليج ، قد لا يحفظ الشيء المثلج

● التثليج والثلاجات وما اليهما انما قصد بهما وقف التغيرات الكيماوية في الأشياء المحفوظة ، لا سيما تلك التى تتصل بالتفاعلات الحيوية . والمفهوم دائما انه كلما انخفضت الحرارة وقفت هذه التفاعلات .

ثم يظهر في العلم شيء غريب .

تفاعلات كيماوية حيوية لا تكاد تحدث في درجة ٣٧ مئوية . ثم يترك الباحثون أمثالا لها ، بقصد المقارنة ، في ثلاجات تنزل بها الى ما دون الصفر .

ثم يأتون بعد انتهاء عطلة آخر الاسبوع .

فاذا المواد المتروكة في درجة الحرارة العادية لم تكد تتغير . لم يكد يحدث التفاعل الكيماوى المقصود ، فيها .

واذا بالمواد المحفوظة في الثلاجة ، المنتظر منها أن تظل بدون تغيير ، يبلغ بها التغير غايته ، في الثلج .

وتعاد هذه التجارب ، وتتكرر النتيجة الواحدة .

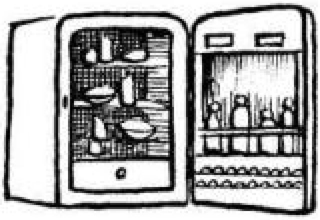
الولائد المشوَّهون

● ما زلنا نذكر الولائد التي وضعتها امهاتهم أحيـــاء مشوَّهين ، هذا فاقد ذراعا ، وذاك رجلا أو رجلين ، وغير ذلك من نقص في الخلق لم يمنـع الوليدَ ان يتم زمانه في الرحم ويخرج منه حيـا ، ولكن مشوها .

وما زلنا نذكر ربط انتاج هذه الولائد المشوهة بالعقار الذى اسمه تاليدوميد Thalidomide ، ذلك الـــذى كانت تتعاطاه الامهات في بدء الحمل ، وخروج العلماء بأنه كان السبب في هذا التشويه لهذه الولائد .

ولكن نظرية جديدة تقول ان هـــذا العقـــار لم يحدث التشويه الذى كان . ولكن التشويه حـدث لأسباب طبيعية اخرى ، وكان لا بد ان يحدث ســـواء اخذت الأم هذا العقـــار او لم تأخذه . ولكن العمل الذى قام به العقار انه منع الرحم ، وقد حدث التشويه ، مـن أن يقذف بالجنين خارجه، ويحدث اسقاطا، فهذا هو عمل الجسم العادى في التخلص من هذه البلوى اذا حدثت .

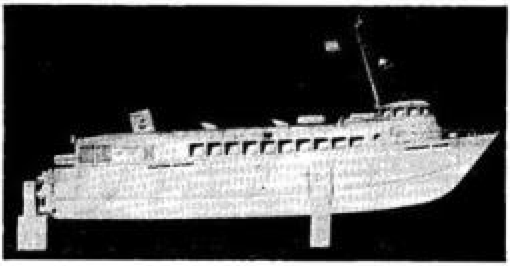
فالذى عمله العقار انه منع الجسم من ان يتخلص ، كما كان وجب .



امر جديد له خطر كبير في العلم .

وإذن فالحياة في كوكب كالمريخ جاز ان تصح في البرد القارس هناك .

واشياء اخرى كثيرة انقلب فيهـــا الميزان .



سفينة تجرى على سطح البحر كجرى الناس بأحذية التزحلق على الجليد

● هذا الجيل جيل السرعة ، فالزمن عند أهل هذا العصر ثمين جدا .

وإذن لا بد من زيادة سرعة القاطرات، وسرعة السفن ، وسرعة الطائرات .

وفي السفن رأينا كيف زاد أهل العلم وزادت التكنية سرعتها برفعها عن الماء ، وحملها على وسادة من هواء ، وبهـــذا مكّنوا للسفينة الطائرة أن تكون . وسر النجاح في تقليل التعويق الذى تلقـــاه السفينة وهى تمخر الماء ، انهم رفعوها عنه بدفعٍ متصل من الهواء يخرج منها الى أسفل ، نحو الماء . ثم نفاثات هـــواء تدفعها قدُما .

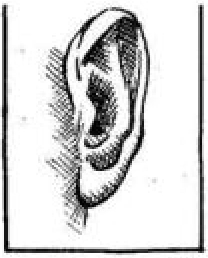
وهداهم هـــذا النجاح الى ابتـــداع سفينة اخرى شبيهة بتلك :

ان المتزحلق على الجليد يلبس حذاء الجليد .

وإذن فلنصنع للسفينة أحذية كهذه تكون هي وحدها موضع التقاء السفينة بالماء ، ماء البحر . فالسفينة لا تمخره بحجمها الكبير ، وانما تمخره بهـــذه « الاحذية » ذات المساحة القليلة ، تلك التى رفعتها عن الماء .

والاخبار تأتى بأن شركة اسبانية قد انشأت هذا الصيف الماضي خط مواصلات من هـــذا السفين يجرى بين الميـــناء الاسبانى ، برشلونة ، وبين الجزيـــرة الاسبانية المعروفة ، ماجوركا ، وهى في البحر المتوسط .

والسفينة في هذا الخط تسير بسرعة ٩٢ كيلو مترا في الساعة وتحمـــل ٨٨ راكبا . وهذه سرعة سيارة لا سفينة .



اذا خرقت طبلة الاذن ...

● اذا خرقت طبـلة الاذن فـد السمع . والأطباء ظلوا سنين يحاولون سـد الخرق بترقيعه . وكان مما يسدون به قطعة من الجلد يأخذونهـا من خلف الاذن ، أو من باطن الذراع ، ويزرعونها على طبلة الاذن . ولكن ايصالا للشعر وغددا في هذه القطع المأخوذة من الجلد كان ينتج عنهـا تولد أكياس مفسدة للغرض المطلوب . وقد استبدل الأطباء بهذا الجلد انسجة اخرى لا غدد فيهـا ولا اوعية دم ، يسدون بها خرق الاذن ، ولكنها لم تنجح ، لأنها عجزت عن توليد دورة من الدم كافية تمر بها . وكان من نتيجة ذلك ان رق هذا النسيج الراقع وانضمر وسقط ، لا سيما عندما أحلوه محل طبلة الاذن كلها .

واليوم يأتينا الدكتور بروس كورنيش Bruce Cornish ، جـراح نيوزيلندى بمستشفى جرين لين Green Lane Hospital ، بأوكلاند Aucland ، يأتينا برقعة جديدة ترقع بها طبلة الاذن فينجح بها الترقيع .

اما الرقعـة فهى صمام من صمامات القلب ، يأتى به من جسم مريض توفى . وهو قد رقع الى اليوم ٥١ اذنا لمريض . أما مقدار نجاح الرقعة وثبوتها فبلغ ٨٥ في المائة . وأما استرداد السمع فبلـغ ٩١ في المائة .

وهو اليوم حاول الابدال بصمـــام القلوب التى يأخذها من جثث الموتى ، صمامات من قلوب الثيران ؛ وقد نجح في هذا كما تدل الظواهر الى اليـوم . والسمع يعود في العادة بعد ٣ أسابيع من اتمام الجراحة .

طرق تربط الصحراء العظمى

● تقول الأخبار انه مشروع خطـا خطـواته التحضيرية الاولى ، وخططه واقره الاتحاد الدولي للطرق . وان دول شمال افريقيـا الثلاث ، اى المغـرب والجزائر وتونس ، وكذلك مصر وموريتانيا ومالى وتشاد والنيجر ، كلها تحاول الآن تمويل المشروع مشاركة بينها . ويقـدر راس المال المطلوب بنحو ٤٥ مليون جنيه استرلينى .

ولكن الصعوبة المنتظرة هى ان الرمال تسفو على الطرق فتغطيها ، والمقترح أن يغطى جانبا الطريق بأنتجة البترول التى لا تلتهب ، فيمتصها الرمل ، وهى تثبته على الجانبين كما حدث فى بقـاع مـن الصحارى أخرى .

●●



الذرة فى القاطرات

● تفكر انجلترا اليوم ، وقد تقدمت في بحوث الذرة بحسبانها وقودا تقدما محمودا ، في أن تستخدم الذرة وقودا في تسيير قطاراتها ، وذلك بابدال قاطرات الديزل الحاضرة ، بقاطرة تعمل بالذرة ، وهى تقدر انهـــا بذلك تقتصد نصف التكاليف .

طبيب الأسرة

لقاحات البرد ، كم نجاحها

● بدأ الشتاء ، وفيه تكثر أمراض البرد . وقد نصحني طبيب بان أتعاطى حقنة أتحصن بها من غوائل هذه الأمراض ، فبماذا تنصحون ؟

ــ ان كثيرا من الأمراض يتحصن منها الانسان بحقن يعطاها، من مكروب المرض بعد قتله او اضعافه ، فيجرى هذا المكروب فى جسم الانسان ، فيصنع الجسم بحكم الطبع مواد معاكسة للمكروب ولو ميتا . فاذا دخل مكروب حى الى الجسم بدخول العدوى اليه ، قامت هذه الأجسام المعاكسة التى اصطنعها الجسم بالدفاع ، والانتصار على المكروب الحى اذا جاء دوره ودخل الى الجسم نتيجة عدوى .

ومن مثل هذه الأمراض التيفود .

وقد حدثفى السنوات الأخيرة ان قام علماء اطباء ببحث امراض البرد عسى ان يجدوا لها وقاية كسائر الأمراض التى انطاعت لهذا الأسلوب من الوقاية .

وأخذ الأطباء من انوف وحلوق المرضى



عينات من جراثيم ، وصنعوا بها مثل ما صنعوا بمكروبات امراض اخرى. ويوجد اليوم منها لقاحان ضد الانفلونزة ، احدهما يعرف بلقاح «ا» والآخر بلقاح «ب». ولقاح آخر يعرف بالفيروس «س».

ولكن يوجد كثير من العلماء لا يقرون هذه اللقاحات لسببين :

اولهما : انه لم يثبت بعد أن جراثيم هذه اللقاحات هى بالضبط السبب المباشر لأمراض البرد .

ثانيهما : انه لم يثبت بعد ثبوتا قطعيا ان لهذه اللقاحات وقاية من امراض حقا وصدقا .

طفح فى الجلد قالوا انه عن حساسية

● ظهر على جلدى طفح فى الجلد ينسبه الطبيب الى حساسية عندى للبيض . وامتنعت عن اكل البيض ، فادهشنى جدا ان الطفح قل كثيرا . فهل يعقل ان البيض يسبب المرض . وهل الحساسية الا مرض . فما هى بالضبط هذه الحساسية ؟ وكيف لم نسمع عنها الا هذه الأيام فقط ؟

ــ نعم يعقل ان البيض يحدث في بعض الناس ، وهم قلة ، حساسية له. ان البيض غذاء طيب لكل الناس تقريبا. ولكن منهم حتى القليل منه يسبب فيهم ورما في الشفة ، وطفحا في الجلد ، وقد يحدث فيهم ضيقا في التنفس اشبه بالربو .

وهذه القلة من الناس أصحاء الجسم

كاملو الصحة فيما عدا ذلك .

وتعرف هذه الظاهرة المرضية بالحساسية ، وهي « الالرجية » Allergy باللفظ الافرنجي اذا عربناه.

اما سبب هذه الحساسية في كثير من الاحوال فالوراثة ، يرثها الابن عن أبيه والاب عن جده .

ومن امثلة امراض الحساسية بعض امراض الجلد ، والربو وهو ضيق التنفس المعروف وتعترى المريض به ازمات منه .

وليس في امراض الحساسية ما يُعدى .

اما قولك انك لم تسمع عنها الا هذه الايام ، فجوابنا عن ذلك أن الحساسية قديمة . فابقراط يقول في طفح ظهر في الجلد انه كان بسبب طعام ماكول . وجالينوس ، في القرن الثانى الميلادى ، يذكر اعراضا تصيب الأنف بسبب شم الورد او التعرض لرائحته .

ابنتي ترفض الاعتراف بسمات البلوغ فى جسمها

● ابنتي لا تزال فى المدرسة ، وقدأتمت عامها الثالث عشر ، وهى لم تبدأ عادة الاشهر الانثوية بعد ، وهىكبيرة برغم سنها فارعة ، ولكنى قلقة عليها بسبب رفضها قبول ما طرأعلى جسمها من تغيرات تتصل بالبلوغ. ومن ذلك كبر الثديين . انها تكره هذاالكبر الى درجة انها تخفيه بأن تشبك كلما تلبس فوقالثديين لتضمهما ليظهرا صغيرين . وقد نصحتها بلبس حاملة الاثداء فقالت انها تستحي ان تكونالوحيدة فى الفصل التى تلبس « البراسّرى » ، تخشى أن يضحكعليها زملاؤها . وقد شرحت لها حقائق الحياة الجنسية وانها يجب ان تحفظرلنفسها لتكون أهلا للزواج السعيد ، فلم تظهر عليها اية رغبة فى هـذهالناحية .

فماذا أفعل ؟

ــ حالة ابنتك لا شك غير عادية . فالمعروف عن البنات انهن لا يكدن يصلن الى درجة البلوغ الا ويتلمسن الظهور به وبآثاره . والظاهر أن ابنتك تتردد فى الاعتراف بأن عهد الطفولة قد انتهى ، وهى فى هذا التردد تحاول أن تقف فيضَ أنوثتها بانكار ما ظهر على جسمها من آثاره .

ودليل ذلك انها لم تهتم بما ذكرت لها من « حقائق الحياة » .

ان هذا يكشف عن قلق كامن فىقلب الفتاة لا تستطيع حمله ، وليس عندها الجراة بعد على أن تتحدث فى امره اليك .

حاولى أن يراها طبيب ممن تعرفين ، ابوى المظهر ، تطمئن هى اليه ، فلعله يستطيع أن يمهد لها بأن تفضي اليه بمخاوف نفسها على ثقة منه واطمئنان . ان الفتيات كثيرا ما تدلى الى الأطباء ، المتقدمى السن ، بما لا يستطعن الادلاء به الى الابوين .

وان وجدت الطبيب النفساني ، فعليك به .

او لعلها الوحيدة فى فصلها التى برز لها ثديان مثل هذا البروز . فاصبرى ، فلعلها في الاشهر القريبة الآتية أو السنة القادمة ، تجد من زميلاتها من كبرت أثداؤهن ، فهى مثلهن ، واذن يذهب ذلك بمخاوف العزلة .

الكسل ، هل يورث ؟



● أنا كثيرا ، بل دائما ، أشعر بالكسل وبالتعب ، وأميل الى الراحة. فهل الكسل من الاشياء التى تورث ؟

اسال ذلك لان ابى كان دائما يصحو متأخرا من عمله ، وكان يقول معتذرا عن ذلك بانها الطبيعة . وتقول امى بل هو الكسل . وانا الآن في الرابعة والعشرين ، وأميل كذلك الى النوم الطويل ، وأصحو بعد ميعاد عملى كثيرا ولا احس بالنشاط في اعمال يومى الذى يحس به الغير ، فهل كسلى هذا وراثة عن ابى ؟

— اولا يجب ان تستبعد ان بك مرضا عضويا ، وان الطبيب فحصك واخبرك بذلك .

بعد ذلك اقول انى لا ارى ان الكسل يرثه الابناء عن الآباء ، ولكنهم يتعلمونه منهم . فالكسل مكسوب لا موروث . واني لأجد كثيرا من الآباء ينامون طويلا ويصحون متأخرا ، ولهم ابناء وبنات يصحون باكرا ، ويعملون في النهار طويلا، وفي نشاط متصل .

وظني انك قادر على التخلص مما تسميه الكسل ،وذلك بتدريب نفسك على ان لا تكسل ، فالكسل يخضع للتربية .

مثال ذلك النوم . فالنوم في مثل سنك يحسن ان لا تزيد ساعاته في اليوم عن ثمان ، فان هي زادت وجب ان تنقص منها ، والساعة المنبهة توقظك . ومن الساعات المنبهة ساعة يضرب جرسها مرة ، ثم يسكت ، ثم يعود يضرب ، ثم يسكت . هكذا ثلاث مرات. واذا نمت فلا تضع هذه الساعة المنبهة قريبة من متناول يدك .

ان النوم الطويل يكسب الجسم بلادة ، وكذا العقل .

واجعل في حياتك نصيبا من الحركة، مشيا ، أو رياضة .

فقدت سنًا ، فهل تحل مكانها بالبرغي " سن " جديدة مصطنعة ؟

● سقطت في فمى سنة ، بل نزعها طبيب الاسنان . وقد سمعت ان من الجائز اليوم ان يركب الطبيب في عظم اللثة سنا صناعية يربطها بالعظم بالاووظ ، فتقوم بذلك مقام السن الطبيعية ..

— ان تركيب سن صناعية مكان السن الطبيعية بالطريقة التى تصف لا ينتج عنه الا التسمم الموضعى ، وذلك لأن الجسم يرفض كل شيء غريب يدخل فيه . وهذا التسم يورث الالم ، ومع الالم الورم . وينتهي الامر بتخلخل السن في موضعها ثم سقوطها .

الطريقة المثلى في هذا ، في الحالة التى يبقى فيها الجذر ، جذر السن ، سليما ، وبقية من السن ان امكن أن يركب الطبيب فوق السن بعد تنظيفها تاجا اصطناعيا يرتكز على اساس طبيعى ثابت هو الجذر الطبيعى للسن التى فسدت .

والحل الثانى ان يركب جسرا بين السنين اللتين على جانب السن التى خلعت ويحمل هذا الجسر تاجا مصطنعا.

●●

طرائف عربية

خير الكلام ..

● حكى ان عدى بن ارطاة اتى شريحاالقاضي في مجلس حكمه فقال له شريح : اين أنت ؟! قال : بينك وبين الحائط ..ثم قال : فاسمع منى.. قال : للاستماع جلست .. قال : انى تزوجت امراة .. قال : بالرفاه والبنين .. قال : فشرط اهلها ان لا اخرجها من بينهم .. قال :اوف لهم بالشرط ! قال : فانا اريد الخروج ! قال : الشرط املك .. قال :اريد ان اذهب ! قال : في حفظ الله .. قال : فاقض بيننا ! قال : قد فعلت !قال : فعلى من قضيت ؟ قال : على ابن أمك .. قال : بشهادة من ؟ قال :بشهادة ابن أخت خالك ...

مباراة في البخل

● يحكي عن بخيل قال لاولاده :اشتروا لي لحما فاشتروه ، فأمر بطبخه . فلما استوى اكله جميعه حتىلم يبق في يده الا عظمة واحدة وعيون أولاده ترمقه .. فقال ما اعطى احدامنكم هذه العظمة حتى يحسن وصف اكلها ...! فقال ولده الاكبر امشمشهايا ابتوامصها حتى لا أدع فيها مقيلا.. قال : لست بصاحبها.. فقالالوسط :آلوكها يا ابت والحسها حتى لا يدرى احد العام هى ام لعامين ..! قال : لست بصاحبها .. فقال الاصغر : يا ابت امصها ثم أدقها واسفها سفا .. قال الاب : انك صاحبها وهى لك .. زادك الله حزما ومعرفة ...!

يصوم ويده مغلولة الى عنقه

● جاء رجل الى فقيه فقال : افطرت يوما في رمضان.. فقال : اقض يوما مكانه ! قال : قضيت واتيت اهلى وقد عملوا مأمونية ، فسبقتني يدى اليها ، فأكلت منها .. فقال : اقض يوما آخر مكانه ... قال : قضيت واتيت اهلى وقد عملوا هريسة .. فسبقتني يدى اليها .. فقال : ارى الا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك ..!!

لا فضل للإنسان على

● قيل انه وضع على مائدة المأمون في يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا ، فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته . فقال يحيى بن اكثم : يا أمير المؤمنين .. ان خضنا في الطب فأنت جالينوس في معرفته ، او في النجوم فأنت هرمس في صناعته ، او في الفقه

من حكم العـــرب وأقوالهم المأثورة

* من عق والديه عقه ولده ..
* قيل لأعرابي ما الغبطة ، قال الكفاية مع لزوم الأوطان .
* شيئان اذا انت حفظتهما لا تبالي بما صـنعت بعدهما ، دينك لمعادك ، ودرهمك لمعاشك .

حينما يشعر المرء بدنو أجله

● يحكى عـــن ابى على المصرى انه قال : كان لى جار شيخ يغسل الموتى ، فقلت له يوما : حدثنى بأعجب ما رايت .. فقال : جاءنى شاب في بعض الأيام ، مليح الوجه ، حسن الثياب ، فقال لى :اتغسل لنا ميتا ؟ قلت : نعم : فتبعته حتى اوقفنى على باب ، فدخـل ، فاذا بفتاة ، وهى اشبه الناس بالشاب ، قد خرجت وهى تمسح عينيها ، فقالت :انت الغاسل ؟! قلت : نعم . قالت : بسم الله ادخل .. فدخلت الدار واذا بالشاب الذى جاءنى ، يعالج سـكرات الموت ، وقد شخص بصره ووضع كفنه وحنوطه عند راسه ، فلم أجلس اليه حتى قبض .. فقلت : سبحان الله ..هذا ولي من أولياء الله تعالى ، حيث عرف وقت وفاته فجاءني.. فأخذت في غسله وانا أرتعد، فلما أدرجته أتت الفتاة، وهى اخته ، فقبلته وقالت : اما انى سالحق بك عن قريب ... فلما أردت الانصراف شكرت لى وقالت : ارسل لى زوجتك ، ان كانت تحسن مـا تحسنه انت ، فارتعدت من كلامها ، وعلمت انها لاحقة به ، فلما فرغت مـن دفنه جئت اهلى ، فقصصت عليها القصة واتيت بها الى تلك الفتـــاة .. فوقفت بالباب واستاذنت .. فقالت : بسم الله تدخل زوجتك ، فدخلت زوجتى ، فاذا بالفتاة مستقبلة القبلة وقد ماتت ، فغسلتها زوجتي وانزلتها على اخيها رحمة الله عليهما ...

غيرها إلا بالعقل

فأنت علي بن ابى طالب رضي الله عنه في علمه ،او في السخاء فأنت حاتم في كرمه، او في الحديث فأنت ابو ذر في صـدق لهجته ، او في الوفاء فأنت السموءل بن عاديا في وفائه، فسر المأمون بكلامه وقال: يا أبا محمد ! انمـا فضل الانسان على غيره بالعقـل ، ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء .

البخر في نظر العرب

● قيـل طول انطباق الفم يورث البخر ،(اى رائحة الفم الكريهة، وريحه النتنة) ، وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه . وقيل ان الزنج اطيب الناس افواها ، اما السباع فموصوفة بالبخر ، والمثل مضروب بالاسد والصقر في البخر، والكلب من بينهما طيب الفم وليس في البهائم أطيب أفواها من الظباء !

موريليو (١)

Murillo

الفنون الجميلة ، وهي بعض الحضارة الاوروبية ، بدات في اوروبا منذ العهود القديمة ، وازدهرت اكبر ازدهار فيما نسميه بالقرون الوسطى ، وتابعت سيرها نزولا الى يومنا هذا . وهي مرّت بأحقاب تميزت كل حقبة فيها بنوع من الفن خاص ، من حيث مواضيعه واهدافه وما غلب عليه من صفات .

ومن هذه الاحقاب حقبة سماها المؤرخون بالباروك Baroque ، توزعت بين القرنين السابع والثامن الميلادى ، والباروك(٢) اسلوب من الفن جديد ، ضم الفنون الثلاثة الشهيرة ، المعمار ، والنحت والرسم التصويرى، هدف الى التأثير في المشاهد اياه ، وفي انفعالاته النفسية ، واشراكه « في آلام عاناها القديسون وتجليات وجدانية استمتعوا على الألم بها » .

والباروك صاحبُ نهضةً احياءٍ دينية ، ارادها الكاثوليك بعد ما اصاب الكنيسة من انشقاق وضعف . ومن اجل هذا نشطت هذه الحركة الجديدة في ايطاليا، وفرنسا ، والنمسا ، والمانيا، وفي اسبانيا . ولم تلق الدول البروتستانتية في الشمال لها بالا .

وفطن حكام فرنسا ، لا سيما في العهد الزاهى ، عهد لويس الرابع عشر ، الى ما في هذه الحركة الفنية الجديدة من قوة ، فاستعاروها فناً يمجد الملِكَ وينصره ويعلى قدره بين رعاياه .

وتميز هذا الفن بالغلو في الزركشة والاكثار من الزينة .

وابطال هذا العصر الاسبانى ، فيما

---

(١) صاحب لوحة الغلاف : بائعة الورد .

(٢) كلمة اختلفوا في اصل اشتقاقها . قالوا انها في لغة علم الجواهر معناها اللؤلؤة غير المنتظمة شكلا . وهو لفظ اطلقه العهد الفني الذى تلا عهد الباروك ، العهد الكلاسيكي الجديد Neo - Classicism في اوائل القرن التاسع عشر،على الفن الباروكي ، بانه فن فيه غلو كثير . ثم ارتفع عن هذا اللفظ معنى الاساءة عند المتاخرين،فلم يكن عندهم تعصب من سبقوهم .



يختص بفن التصوير Painting ثلاثة : هم فيلاثكيث Velasquez (١٥٩٩ – ١٦٦٠م) ، وثورباران Zurbaran (١٥٩٨ – ١٦٦٤م) ، وموريليو Murillo (١٦١٧–١٦٨٢م). وهي اسماء تنطق بالاسبانية كما اوردناها بالعربية ، وقد عرفوا جميعا بالفنانين الاندلوسيين . وموطنهم اشبيلية .

اما أولهم فكان رسام القصر الملكي . جمع بين الرسم للكنيسة ، والرسم للملك ، وهو اول فنان رسم المرأة الاسبانية عارية . وهذا الجمع في أمر الفن ليس بغريب .

أما ثورباران فكان رجل التقوى ، عاش عيش الصوفي ، وحلّق في عيشه فوق مستوى البشر . ولكنه لما اراد أن يعبر عن وجدانه هبط الى الارض فصوّر المحسوس الملموس . وربط وجوده بالله ، والحياة الظاهرة عنده كانت صورا لا حقيقة لها .

وثالث الثلاثة ، موريليو ، كانت تقواه من النوع المنزلي الدافيء ، والحسّ الانساني الرقيق، يشوبها شيء من حلاوة السكر . وهو ابن الاندلس ايحاء وصدقا .

وهو الفنان الاسباني الوحيد ، بعد فيلاثكيث ، الذي مسته فتنة المرأة ، ولفته فقرُ الفقراء ، لا سيما الصبية منهم والصبايا .

ومن فنه هذا الرائع ، صورة الغلاف لهذا العدد الخاص من « العربي » : بائعة الورد (١) .

انظرها كثيرا ، وانظرها طويلا ، واكشف فيها في كل نظرة من نظراتك شيئا جديدا ، يرتفع بها في عالم السمو درجات .

●●

---

(١) هي صورة من زيت على قماش ، طولها ١٢٠ سنتيمترا ، وعرضها متر ، ترقد الآن في متحف الصور في كلية دلتش Dulwich College Picture - Gallery ، بلندن .

أفلاطون والأدب والفن



● اتهم هوميروس وسائر

● أخضع الشعر والأدب

■ افلاطون أحد كبار الفلاسفة العالمين والمفكرين الخالدين ، وقد جمع بين القدرة على التفكير الفلسفي والملكات الأدبية الممتازة، وبالرغم من انه لم يقرض شعرا مثل بعض الفلاسفة الشعراء فانشاعريته تجلتفي محاوراته المشهورة، فهذه المحاورات لا تمتاز بالتفكير الصارم والمنطق المتماسك وحدهما ، وانما تمتاز كذلك بجمال الأسلوب ، وحسن اختيار الألفاظ ، والتشبيهات الرائعة ، والأخيلة اللامعة ، والاستعارات والمجازات والاشارات الموحية ، الى الأساطير والخرافات التى لا يجمع شواردها سوى شاعر قوى الحس واسع الخيال .

ويعد افلاطون في طليعة كبار الكتاب الذين تناولوا مشكلات الأدب والفن ، وكان الاهتمام بالمشكلات الأخلاقية غالبا عليه ، ولذلك كان أول ما اجتذب انتباهه واسترعى اهتمامه في الانتاج الأدبى ، والهاه عن المزايا الاخرى الموضوع الذى عرضله الشاعر أو الكاتب أو الذىتناوله الفنان.

ومعيار الاجادة الفنية عند افلاطون هى ان تكون المعرفة المستفادة من الطرائف الأدبية او من التحف الفنية مطابقة لواقع الحياة ، ولما كان قد بدا بحثه بفكرة الربط بين الفن والأخلاق لذلك ذهب الى أن الأعمال الأدبية والآثار الفنية انما هى وسيلة لاظهار الحقائق الأخلاقية .

وقد عبر عن ذلك في « الجمهورية » بقوله :

« ان حسن البيان وصحة الوزن والجزالة والايقاع كافة" تتوقف على الطبيعة الصالحة ، ولا اقصد بها السذاجة التى ندعوها ـ مجاملة ـ طبيعة صالحة ، بل أقصد بها العقل السليم سلامة حقيقية تجلت سلامته في السجية الأدبية الشريفة ... واظن ان هذه المزايا تدخل الى حد بعيد في فن النقش ، وفي كل الفنون التى تحاكيه كالحياكة والتطريز والبناء والصنائع المنوعة بمختلف الآلات ، بل في بناء الاجسام الحية ، وكل أنواع النبات ، لأن للرشاقة والمعاظلة دخلا في كل هذه الأوساط ، وفقدان الجزالة والايقاع واللحن حليف الأسلوب الفاسد والخلق الردىء ، اما وجودها فحليف الخلق الحميد ، اى الشجاعة والرزانة ، واعلان له » .

« واذا كان الحال هكذا ، افنحصر انفسنا في مراقبة شعرائنا فنوجبعليهم ان يطبعوا منظوماتهم بطابع الخلق الحميد والا فلا ينظموا ، أو نوسع نطاق مراقبتنا فتشمل اساتذة كل فن فنحظرعليهم ان يطبعوا أعمالهم بطابع الوهن والفسادوالسفالة والسماجة سواء في ذلك رسوم المخلوقات الحية او الأبنية أو أى نوع آخر من المصنوعات ، ومن لا يستطيع غير ذلك فننهاه عن العمل في مدينتنا ، لكى لا ينشأ حكامنا في وسط صور الرذيلة نشوء الماشية في مراع رديئة ، فتتسرب الأضرار الى

نفوسهم فتفسدها بما تلتهم يوما فيوما من الاقوات من مختلف المواقع ، فيتجمع في نفوسهم مقدار وافر من الشر وهم لا يشعرون . وعندئذ يجب علينا أن نستدعى فتيين من طراز آخر فيتمكنوا بقوة عبقريتهم من اكتشاف مواطن الجودة والجمال، فينشأ شبابنا بينهم كما في موضع صحى ، يتشربون الصلاح من كل مربع تنبعث منه اى الفنون ، فتؤثر في بصرهم وسمعهم كنسمات هابئة من مناطق صحية ، فتحملهم منذ حداثتهم دون ان يشعروا على محبة جمال العقل الحقيقى والتمثل به ومطاوعة أحكامه » .

الشعراء بإفساد الأخلاق والفن لخدمة المجتمع والفرد

بقلم : علي ادهم

ينتقد هوميروس وكتاب الدراما

ونرى من ذلك ان افلاطون قد اتخذ النقد وسيلة لاظهار المدى الذى يستطيع الأدب أو الفن أن يوافينا فيه بمعلومات صادقة قيمة لا تشوبها الشوائب عن حقائق الحياة . وفي اخضاعه الآثار الأدبية والفنية في عصره لهذا المعيار . لقد وجد افلاطون ان الأدب السائد الذى كان يشمل بوجه خاص اشعار هوميروس وهسيود واغانى بندار وطرائف كتاب الدراما اليونانيين لا يرتفع الى المستوى المطلوب ، ولا يعين على تحقيق الهدف المنشود ، « لأنى أرى ان الشعراء والناثرين كتاب الاقاصيص قد تورطوا في الخطأ وأوغلوا فيه حينما يقولون ان الكثيرين من الرجال غير العادلين سعداء، وان الكثيرين من الرجال العادلين اشقياء تعسون، وان عدم مراعاة العدالة يجلب النفع اذا لم يكشف امره ، وان العدالة تنفع الغير وتؤذى صاحبها . ويبدو لى ان نحظر عليهم اشاعة مثل هذه الأقاويل ونامرهم بنظم الأغانى وتأليف الاقصوصات التى تحدث في النفس تأثيرا مخالفا لذلك » .

ويسترسل افلاطون في نقده للأدب والفن فيضيف الى ما أخذه على الموضوعات الأدبية والفنية وخروجها على الأخلاق نقدا آخر موجها الى الأسلوب نفسه ، وهو في هذا النقد يكشف عن الحدود الفكرية التى فرضها عليه عصره . ان افلاطون لم يستطع ان يتبين ان النظرة الأدبية او الفنية بطبيعتها نظرة ذاتية ، وان ما عده عيبا ونقصا هو فضيلة ومزية ، فالشاعر أو الكاتب في تمثيله للواقع لا يمثله في واقعيته وانما يقدم لنا المظاهر الفعلية للواقع ، فهو يرى ان الكاتب او الشاعر حينما يصف شيئا واقعيا ـ اى حينما يقدم لنا الصورة الفعلية لهذا الشيء برموز كلماته ـ يكون أدنى مرتبة في تمثيل الواقع من الفنان الذى يقدم صورة مطابقة للشيء بخطوطه والوانه ، بل يكون كذلك ادنى مرتبة من الصانع الذى يصنع الفراش وهو المادة الواقعية التى يصورها الرسام ويصفها الشاعر والكاتب . ومعنى هذا انه لم يفرق بين صدق الحواس وصدق الفكرة او صدق المنطق وصدق الفن ، ولذا رأى ان الصور العقلية التى يجيء بها الأدب الخالق لا نصيب لها من الواقع،ومن ثم لا تصلح للأغراض التعليمية .

افلاطون ينتقد الشعراء

ولا يكتفى افلاطون بذلك ، بل يضيف الى الأدب عيبا آخر ناشئا من طبيعة الأدب الخالق ولكن بطريقة غير مباشرة ، وذلك ان الشعراء لكى يأتوا بصور للحياة بالغة التأثير يضطرون الى اختيار افاعيل رديئة ويصورون شخصيات تعصف بها الأهواء العارمة ، والعواطف الغلابة العائثة ، ويعرضون عن تصوير الأعمال الصالحة والشخصيات العادية. ويقول افلاطون على لسان سقراط تأكيدا لذلك : « من في طباعهم نزق وطيش يسهل محاكاة طبائعهم بطرائق شتى ، اما الأيسار الحازمون الذين لا تطير بلبهم الأحداث فانه من الصعب محاكاتهم ، وحينما يحاول احد محاكاتهم يكون من العسير فهمهم ، وبخاصة حينما تجتمع في المسرح حشود مختلفة المشارب والأهواء . والمحاكاة في

هذه الحالة تقدم لهم لونا من ألوان الشخصية لا يالفونه لأنهم لم يتعودوا أمثاله » .

ويتبع ذلك ان الاطلاع على الأدب الخالق يقوي في الانسان الجانب العاطفي على حساب الجانب الفكري . ويمضي افلاطون في تأكيد رأيه هذا على لسان سقراط قائلا : « ان القِسْم الذى نضبطه لدى حلول ملمة بنا ، والذى يتوق الىالاسترسال في النحيب والعويل لانه يميل الى ذلك بطبيعته ، هو القسم الذى يغذيه الشعر سدا لشوقه ، فيطرب لهذه الأوصاف ، بينما قسمنا الأفضل طبعا يقصّر في ضبط القسم المتذمر ، لانه لم يحصل على التهذيب اللازم عقلا وعادة ، لانه شهد آلام الآخرين ولأنه لا يعيبه مدح من يحسبه صالحا وان كان حزنه في غير وقته . والواقع انه يرى السرور الذى يشعر به بعده كسبا له ، ولا يسمح لاحتقاره للقصيدة في مجموعها ان يسلبه هذا السرور . وقليلون هم الذين يستطيعون أن يدركوا ان طبيعة خوالجنا لا بد ان تتأثر بالطريقة التى نشاطر بها الآخرين مشاعرهم . واذا نحن غذّينا عامل العطف على الغير في احزانهم فليس من السهل أن نكبح جماحه في حالة الاحزان التى تلم بنا » .

ولم يسأل افلاطون نفسه هل هذا هو التقدير الصادق للشعر ووظيفته . وانما اكتفى بأن يبحث هل هذا التقدير للشعر نافع للفضيلة والأخلاق أو ضار بهما . وهذه هي الناحية التى تناول منها الموضوع في جمهوريته ، ووقف الجزء العاشر منها على تناوله وتفصيل رأيه فيه .

افلاطون يخضع كل شيء لخدمة المجتمع والفرد

وقد وضع افلاطون كتاب الجمهورية ليوضح فيه مثله الأعلى للفرد من ناحية أخرى ، وحاول اخضاعكل شيء بما في ذلك الفنون والآداب لخدمة المجتمع والفرد من الناحية الأخلاقية ،.وحاول ان يزيل من طريق الدولة والفرد كل ما يعترض تحقيق المثل الأعلى للدولة والفرد ويقيم في سبيله العقبات والحواجز .

فهو من أول الأمر قد نظر الى الموضوع من الناحية الأخلاقية الاجتماعية ، واظهر انه لا يحفل بالفنون والآداب الا من ناحية تأثيرها الحسن في تكوين حياة المواطن الصالح ، فجودة الشعر واتقانه وبراعته وروعته لا تشفع له اذا رأى الحكام منعه من الاذاعة والانتشار وتحريمه لأنه يسيء الى كيان الدولة ويهبط بمستوى الأخلاق .

لذلك لم يحجم افلاطون عن مهاجمة هوميروس وهسيود ومن اليهما من الشعراء اليونانيين الذين ساروا في آثارهم ونهجوا نهجهم ، وكيف يسمح الحكام بتمثيل الآلهة تمثيلا سيئا واظهارهم في مظهر الحريصين على الانتقام والذين غلبتهم الشهوات على أمرهم ، أو في صورة الأشخاص الغلاظ القلوب الذين يسفكون الدماء، ويستحلون المحرمات ، ويحارب بعضهم بعضا لأتفه الأسباب؟ وكيف يسمح الحكام لهؤلاء الشعراء بان يصفوا الله وهو مصدر الخير والنعم بأنه موجد الشر ؟ وكيف يترك للشعراء حرية اظهار الآلهة في صورة مختلفة والتحدث عنهم بالباطل والافتراء عليهم ، والحط من أقدارهم ؟ ولا يليق كذلك بالشعراء أن يتحدثوا عن الأبطال أمثال أخيل وبريام بما يكشف ضعفهم ويظهرهم في صورة من استبد به الحزن أو من تملكه الغضب وغلب عليه حب الانتقام .

يتهم هوميروس بافساد الاخلاق

فهوميروس وهسيود متهمان بأنهما يفسدان الأخلاق ، وشعراء المأساة وشعراء الملهاة يؤخذ عليهما كذلك أنهما يقلدان أشياء غير جديرة بالتقليد ، فلا مكان لهم جميعا في جمهورية افلاطون ودولته المثالية . ولا مانع من أن تكرّم وفادتهم ، وتوضع أكاليل الغار على رؤوسهم ، ولكن ليكن ذلككله من ناحية بعيدة عن الجمهورية التى يجب أن لا يدنسها حضورهم . وهكذا وقف افلاطون في صف بعض المتشددين من العُبّاد والزاهدين الذين يرون في الفنون والآداب ما يغرى بالفساد ويهيج الشهوات ، ويحرك ميول الشر الواجمة ، ونزوات النفس المستكنة .

ولكن افلاطون لا يقف عند هذا الحد ، فهو قد انتقص الشعر من وجهة نظر الأخلاقى المتشدد ، اما من وجهة النظر الفلسفية فهو يرفض الشعر لانه في رأيه قائم على الباطل ، وأفراد جمهوريته ينشدون المثل الأعلى الأخلاقي في سلوكهم ، ويطلبون الحق في تفكيرهم ، فما حاجتهم الى الفنون الموغلة في الباطل والمحال ؟

الفنان عنده موكل بمظهر المظهر

والفنان عند افلاطون موكل بالمظهر ، بل الأمر أدهى من ذلك وأمر ، لأن الفنان في الواقع موكل بمظاهر المظهر ، فهو يتناول الدنيا التى يعرفها عن طريق الحواس ، دنيا المظاهر العارضة المتقلبة والرؤى الفانية التى تروح فيها الأشياء وتغدو ، وتبدو مرة صغيرة ضئيلة وأخرى تبدو ضخمة كبيرة ، وتكون مرة حلوة مستعذبة وأخرى تكون مرة مجتواة ، ولكنها لا تنفك في تغير دائم ، وتحول مستمر ، على حين ان الشيء الحقيقى ثابت لا يتغير وواحد لا يتعدد ، فهناك مظاهر كثيرة نصفها بأنها حمراء أو صفراء أو خضراء ، ولكن هناك لون واحد احمر ولون واحد أصفر ولون واحد اخضر ، وهو فكرة اللون الأحمر أو الأصفر أو الأخضر الكامنة خلف المظاهر المتعددة لهذه الألوان الاصلية . وهناك أشياء كثيرة نصفها بأنها أشياء جميلة ، ولكن الجمال المطلق واحد يدرك العقل حقيقته،وأما ما تراه العين فانه من صور الجمال، وهى صورة منقولة عن هذا الأصل . والفنان يقلد امثال هذه الصور ، فهو لا ينقل عن الأصل وانما يقلد التقليد .

والكرسى الذى يصنعه النجار ليس هو حقيقة، وانما هو مظهر ، وذلك لأن الكرسى المثالى واحد ليس غيره ، لأنه لو تعدد لكان وراء كل صورة كرسي الكرسي المثالى المطلق ، وهذا المثالى المطلق لا يتعدد . فالنجار اذن يحاكى الحقيقة ويتخذها انموذجا ، ومحاكاة الحقيقة مهما بلغت من الاتقان ليست الحقيقة . فالكرسى الذى يصنعه النجار اذا غير حقيقى ، والمصور الذى يصور هذا الكرسى انما يصور خيال الحقيقة أو ظلها ، فصورته فى الواقع هى خيال الخيال أو ظل الظل ، فهى من ثم أبعد عن الحقيقة لأنها محاكاة للمحاكاة .

وكالمصور الشاعر

والشاعر مثل المصور الا انه يستعمل الأفعال والأسماء والاوزان التى تستجيب لها الأذن ، كما تستجيب العين للصور ، وهو مثل المصور لا يستحضر سوى الأشباح المحكية ، والصور المرددة المكرورة ، وعمله مثل عمل المصور محاكاة للمحاكاة، وموضوعه باطل ، وطريقته ضلال فى ضلال ، لأنه لا يستجيب للعقل ، وانما يستجيب للعواطف التى لا كابح لها ، والتى نخجل فى حياتنا العامة من ان نطلق لها العنان ، ونلبى رغباتها . ومن أجل هذه الأسباب القوية لا مندوحة من ابعاد هوميروس وهسيود عن الجمهورية المثالية ، واذا سمح فيها بتلاوة شيء من الشعر فليقصر ذلك على القصائد الدينية التى تمجد الآلهة وتسبّح بحمدها .

خطأ افلاطون فى ثناياه بعض الحق

وهذا هو موجز رأى افلاطون فى الأدب والفن الذى بسطه فى جمهوريته ، ومن السهل أن تلمس فيه ناحية الخطأ وجانب الضعف والانحراف ، ولكن خطأ افلاطون مثل خطأ سائر كبار الفلاسفة والمفكرين ، يطوى فى ثناياه جانبا من الحق الذى قد ينفع المفكرين ويرشدهم الى الطريق السوى ، فافلاطون على حق حينما يقول : « ان الشاعر أو الفنان يأتى بشيء ينقص عن الحقيقة التى يريد تمثيلها ، وأقدر الناس على التصوير لا يجيء بالصورة المطابقة للأصل تمام المطابقة ، ولكنه وان كان من ناحية يرسم صورة أقل من الحقيقة والواقع، فهو من ناحية أخرى يضيف الىالحقيقة والواقع شيئا من عنده ، لم يكن فى الأصل الذى نقل عنه ، أى انه يخلق شيئا ، ويضيف جديدا، فهو يبثفكرته ويضيف احساسه الخاص ،ويكشف لنا عن ادراكه الذاتى للصفات الأصلية الجوهرية والجوانب المميزة البارزة فى الأشياء التى يتناولها وكأنه يحاول ان ينقى الصورة من التفصيلات التى لا لزوم لها والحواشى غير الجوهرية ليبرز لنا الفكرة فى صفائها ونقائها ، وهو بذلك قد استطاع ان يسبغ على القطعة الصغيرة التى استخلصها من الدنيا صفة الوحدة والنظام والاتساق والبقاء والدوام التى يكثر افلاطون من التحدث عنها .

وقد أوضح افلاطون الخلاف بين الفن والأخلاق، والكثيرون من مفكرى العصر الحاضر لا يقرون افلاطون على وجود هذا الخلاف ، فالمذاهب الأخلاقية تهذّب وتعلم ، والفن لا يحاول أن يعلّم، وانما يحاول أن يصف الحياة كما يُحِسّها الفنان . ومن حقنا ان نقبل ذلك الوصف أو نرفضه ، واذا اردنا أن نستخرج منه درسا فهذا عملنا نحن وليس للفنان شأن فى ذلك ، فهو لا يعلّم ولا يعظ ولا يبشر ، واذا تعلمنا منه ووعظنا بآرائه وبشرنا به فالتبعة فى ذلك علينا ، وليست تبعته ، فهو قد وصف لنا رؤياه وأحلامه وأوهامه وعواطفه وأحاسيسه

فلنسمها ما نشاء ، فان هذا لا يعني الفنان . اما الفنان الذى يحاول فى فنه ان يبشر بمذهب او يدعو الى فكرة فانه يسمى داعية او مصلحا او ما شئت من الأسماء ، ولكنه لا يسمى فنانا بالمعنى الأصيل للكلمة .

سلكوا الشعراء في سلك المعلمين ، فأثار هـذا افلاطون

ومـن الأسباب التى جعلت أفلاطون يحمل على الشعراء والفنانين ان أهل عصره اصروا على أن ينظموا الشعراء فى سلك المعلمين والهداة المصلحين، فلما حاول افلاطون أن يزنهم من هذه الناحية لم ترجح بهم كفة الميزان ، ووجد نفسه فى النهاية مضطرا الى طردهم من جمهوريته . وقد كان تفكير أفلاطون متجها الى ابعاد العقل عن عالم الحس لينصرف الى عالم الحقيقة الخالصة ، والفنان يصل الى عالم الحقيقة عن طريق عالم الحس ، فطريقته تخالف صميم مذهب أفلاطون الفكرى . ولا غرابة اذن فى ان يناصب أفلاطون الفنون العداء. وقد رأى أفلاطون أن الفنان يحاول تصوير الحقيقة أو ما يسميه أفلاطون المظهر، اى انه يحاول تصوير الحياة ، وهو يعمل على أن يسرنا هذا التصوير ويمتعنا، وهذا هو مصدر خطر الفن عند أفلاطون. وقد عرف أفلاطون أن التصوير لا يستطيع أن يحاكي الأصل المحاكاة كلها ، ولكنه لم يفكر فى النواحى التى قد ترجح فيها الصورة على الأصل الذى حاولت محاكاته . ومهما يكن من الأمر فانه قد أدرك الصلة بين الفنون المختلفة ، فالشاعر الذى يقرض الشعر يقوم بمحاولة كمحاولة المصور الذى يعمل على رسم الصورة ، وكلاهما عنده يحاكى الصورة ولا ينقل عن الأصل ، وكلاهما يحاول أن يمتع ويسر ويثير العواطف ويحـرك الأهواء ، وقد صرفت مشكلات السياسة والأخلاق أفلاطون عن اطالة تسليط اشعة فكره القوى على مشكلات الفن والأدب .

وحماسة أفلاطون فى الدفاع عما اعتقد انه الحق جعلته لا يرى بأسا فى التنكر لأصدقائه الشعراء والفنانين وانتقاص الشعر على اعجابه به وحبه له ، وكأنه فى حملته على الشعر والشعراء قـد بضع من نفسـه بضعة،وضحى بجزء من كيانه على مذبح الفلسفة، ولم يستطع فى جمهوريته ان يغالب الاعتراف بحبه للشعر ، وكأنه بهذا الاعتـراف كان يحاول التكفير عن هذه الخطيئة فيقول على لسان سقراط : « يجب ان اصرح بفكرى رغما عن احترامى هوميروس الذى احسبه منذ حداثتى أمير ناظمي المآسي والمراثي الأعظم ، على انه من الخطا تضحية الحقيقة اكراما للانسان ، لذلك يجب ان أقول قولى » .

رأى سن جوبتا في حملة افلاطون على الشعراء

ويقول البحاثة الهندى سن جوبتا Sen Gupta فى تعليل حملة افلاطون على الشعر فى كتابه « نحو نظرية للخيال » : « يرى بعض الناس أن حملة افلاطون على الشعر محدودة مجال التطبيق ، لأنه عاش فى وقت كانت أثينا قد غلبتها على امـرها اسبارطا فى الحرب البيلوبينزية ، ومن الطبيعى أن الأثينى فى مثل هذه الحالة يرى أن حكـومة اسبارطا هى الحكومة المثالية ، ويعزو ما أصاب أثينا الى ما أحدثه الشعر والفنون في الانة العزائم واضعاف الأخلاق » .

وكأنه لم يكتف بهذا التعليل فيمضي قـائلا : « لقد أشير كذلك الى أن اليونانيين القدامى لم يكن لهم كتب فى اللاهوت والدين تعد مراجـع محترمة يرجع اليها ويعتمد عليها ، ولذلك اتجهوا الى الشعراء ليتلقوا منهم الارشاد ويأخذوا عنهم التوجيه فى هذين الموضوعين ، وقد تادى بهم هذا الاتجاه الى التصور الأساسى الخاطىء للشعر ، فقد جعلهم يلتمسون فى الشعر الحق والدروس الأخلاقية بدلا من التماس التجربة الخاصة التى نسميها المتعة الجمالية » .

وفكرة المثل عند أفلاطون ، القائمة على اعتقاده ان فوق عالمنا هذا عالما آخر تعمره المثل الأصلية للأشياء ،،جعلت أفلاطون يتشبث بفكرة أن الفنون جميعها قائمة على المحاكاة . كما ان اعتقاده ان العقل وحده هو سبيل النفاذ الى عالم المثـل ، مال به الى الشك فى العواطف والأحاسيس التى قد تنال من سيطرة العقل وتضعف من رقابته على الانسان . ويضاف الى ذلك أن فلسفته الجمالية بوجه عام متمشية مع المذاهب الأخلاقية التـى كانت سائدة عند القدماء وجميعها ترمى الى كبت العواطف ومقاومة الأهواء والنزعات . ■■

علي أدهم

زواج الأقارب



بين خصومه وأنصاره

بقلم : الدكتور عبد القادر حميدة

وكيل كلية الآداب ـ دمشق

■ تثار منذ بضعة اعوام ، في بعض اقطار عالمنا العربي ، حملة متزايدة في قوتها وعنفوانها، في سبيل ضبط النسل Birth Control وتخطيط الاسرة Family Planing جهد الامكان . وبعد أن كانت هذه الدعوة تظهر في البدء على شكل مقالات فيها الكثير من التلميح والاشارات الخفية والاستحياء ، اصبحت ، حاليا ، صريحة ومكشوفة ، فامتدت الى الاذاعة والصحافة واخذت شكلا رسميا بكل ما في الكلمة من معنى .

واذا كانت بعض الأقطار العربية تشكو من فرط تسارع عدد سكانها بالقياس معالتنمية الاقتصادية الحثيثة فيها ، فان البعض الآخر ، على العكس ، يتعرض الى ازمة في الأيدى العاملة ، لا من ناحية المهارة والخبرات فحسب ، بل من ناحية العدد ايضا ، بحيث يعتبر هذا النقص عقبة اكيدة امام التطور .

وعلى كل سانترك لمناسبة أخرى معالجة موضوع حركة السكان في العالم العربي من الناحية الديموغرافية،لان بحثي الآن سينصب على الناحية النوعية أو الكيفية ، لا الناحية الكمية أو العددية .

واذا كان البحث الأول لم يعالج بجراة ، الا بعد تردد طويل ، لأنه يمس أمورا شخصية بحتة يعتبرها بعض المتزمتين تدخلا سافرا في صميم الحياة الخاصة وقدسية الحرمات ، فان البحث الثاني لم يتطرق اليه العلماء الا ضمن مقالات علمية ضيقة ، اقتصرت على علماء الوراثة والأجناس والطب ، دون أن تكون في متناول الجمهور ، مع انه لا يقل اهمية وخطورة ، في اي حال من الأحوال ، عن البحث الأول .

التزاوج الداخلي

الواقع هو أن بعض المجتمعات في العالم تتصف ، اكثر من سواها ، بانتشار ما يسمى بالتزاوج الداخلي Endogamic فيها . وهو التزاوج الذي يتراوح بين زواج الأقارب المباشرين، كزواج الفتى من ابنة عمه ، أو من ابنة خالته ، او من ابنة عمته ، الخ .. أو بين الأقارب غير المباشرين كزواج الرجل من ابنة ابن عمه ، أو من ابنة بنت خالته ، أو من ابنة بنت عمته الخ .. أو بين أفراد العشيرة الذين تربطهم صلات رابطة الدم .

وتتدخل التقاليد والاعراف والديانات في تحديد درجة القرابة المسموح الزواج ضمن اطارها . ولكن يندر أن نجد مجتمعا لا يضع قيودا صارمة للتزاوج بين الأقربين أي زواج المحرمات كالجمع بين الاختين ، وزواج الخالة أو العمة ، أو الأخت ، وحتى الأخت من الرضاعة ، كما هو الحال عند المسلمين .

موقف الديانات السماوية

ان الديانات السماوية الثلاث تتفاوت فيما بينها في درجة سماحها بتزاوج الأقارب .

فالديانة الموسوية تجيز زواج العم بابنة أخيه او زواج الخال من ابنة اخته ، ومبررات ذلك عند اليهود ، هو حماية البنت بعد وفاة الأخ أو الأخت . ولكن لا يجوز هذا الزواج اذا كان الولي على قيد الحياة . وفي هذا نوع من تدبير اجتماعي ضمن مجتمع شبه قبلي . ويندر حدوث هذه الظاهرة حاليا وتعتبر في طريق الزوال . ولا تزيد نسبتها في المجتمعات اليهودية عن نسبة تعدد الزوجات المألوف بالنسبة ليهود اليمن والحبشة.

اما فيما عدا ذلك فلا تختلف الحدود المسموح التزاوج ضمنها عن تشريع الديانة الاسلامية .

وتبدو الديانة المسيحية أكثر تقييدا للزواج بين الأقارب بالنسبة للديانتين السماويتين الباقيتين وان كان هناك تفاوت ملحوظ بين مختلف المذاهب المسيحية الفرعية .

فعند الكاثوليك لا يجوز زواج أبناء العمومة المباشرين ولكن يسمح ، وباذن خاص من السلطات الروحية العليا ، الزواج بابنة الخالة أو الخال او العمة ، ولظروف قاهرة جدا . كما يسمح بزواج بنت ابن العم ، أو بنت ابن الخالة أو الخال ، وطبعا باذن .

ويبدو كل من المذهب الأرثوذكسي والمذهب البروتستانتي أكثر تساهلا في هذا المجال ، اذ يرخص ، وذلك دائما بعد اذن خاص ، بالتزاوج بين أبناء العمومة والخؤولة .

ويلاحظ التزاوج الداخلي ، لدى المسيحيين ، ضمن الأوساط المغلقة وخاصة في الأوساط الريفية، كما هو شائع في الأقطار العربية الحاوية على مجتمعات مسيحية . ويندر في الأوساط الحضرية وخاصة المتعلمة .

وقد أجمل الاسلام في ثلاث آيات كريمة ، من سورة النساء ، اللواتي يحظر الزواج بهن :

« ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا . حرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ، وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان

غفورا رحيمـــا . والمحصنات من النساء .... (الآية) » .

والى جانب الآيات المذكورة آنفـــا يروى عن رسول الله (صلعم) قوله : اغتربوا لا تضوّوا. اى يأمر الرسول العربى الكريم وينصح بالابتعاد عن التزاوج بالقريبات خوفا من أن يأتى النسل عليلا سقيما . كمـــا يُروى عن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب قوله مخاطبا عشيرته وهى عشيرة عربية اشتهرت بالتزاوج الداخلى، فضعف افرادها وهزلوا : يا بنى السائب لقد ضويتم فانكحوا فى الغرائب .

عودة الى الوراء

اذا سلمنا بان أبا البشر الأول هو آدم عليـــه السلام فمن المعقول جدا ، كما تقول الروايات المختلفة ، ان الحل الحتمى للتكاثر والتناسل كان فى تزاوج ابناء الأسرة الأولى ، اى تزاوج ابناء آدم ببناته اى باخواتهم . كما تسرد بعض المصادر انه حصل تزاوج أيضا بين أبناء وبنات نوح عليـــه السلام بعد أن نجوا من الطوفان ، واستقرت بهم السفينة ولمسوا اليابسة .

ويبدو أن اشهر الأمثلة التاريخية لزواج الأخوة بالأخوات كان بين الفراعنة اذ كانت هذه القاعدة شائعة جدا فى عصرهم خلال أجيال عديدة . وربما كانت كليوباطرة ابرز مثل تاريخى عن زواج الأقارب، لأنها متحدّرة من زواج أخوة استمر نيفا وعشرة أجيال .

دواعى التزاوج الداخلى

لقد كان هـذا النوع من الزواج ، فى الماضى ، مظهرا من مظاهر الحياة القديمة وذلك لاعتبارات ومصالح متعددة أبرزها :

أولا : فقد كان هناك الزواج الملكى ، ويقوم على فكرة حفظ الدم (الدم الملكى) والنسب ، ظاهرة بارزة بين الأسر المالكة . فالمعروف عـــن الفراعنة انهم كانوا يحرصون على التزاوج العائلى لدرجة زواج الأخ بشقيقته . وظل هذا الأمـــر سائدا فيهم حتى كليوباطرة ذاتها . ويبدو أن هذا السلوك الشـــاذ لم يتوقف فى وادى النيل الا بظهور المسيحية والاسلام .

وفى أيامنا هذه نجد أن الأسرة المالكة فى تايلاند (سيام) تتحـــدر عن أصول اتصفت بالتزاوج الداخلى خـلال الاربعين قرنا الفائتة ، باستثناء الاجيال الخمسة الأخيرة .

كما ظلت الأسر المالكة فى أوروبا تتزاوج فيما بينها ، حتى عهد قريب، ومعظمها تترابط بوشائج القربى الشديدة ، رغم تباعد أقطارها ، مثل آل هابسبورغ ، وآل بوربون وسواهما ، وما زواج ملك اليونان قسطنطين بأميرة دانمركية ببعيد ، وكذلك زواج الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا بالأمير آلبرت ، وهو قريبها ، فى القرن الماضى .

ولكنا نلاحظ نوعا من تراخ فى هذه المفاهيم ،فى العصر الحاضر ، بعد أن خرقت الأميرة مرغريت ، شقيقة ملكة بريطانيا التقاليد المألوفة ، وتزوجت رجلا من عامة الشعب . وقـــد ضحى عنها الملك ادوار الثامن بعرشه عام ١٩٣٦ كى يتزوج بأرملة احبها .

والغالب أن يكون التزاوج بين الأسر المالكة ، فى الماضى ، نوعا من تحالف سياسى لا يخلو من أهداف توسعية اذ كان ينجم عنه وراثة عرش يؤول لأحد الملوك فى حالة فقـدان وريث فى احدى الأسرتين الحاكمتين المرتبطتين عن طريق التزاوج .

ثانيا : الزواج لغرض اقتصادى بحت ويرمى الى الابقاء على الثروة ضمن حدود العائلة ، وهو سبب أكيد يدفع الى الزواج العائلى . ولا يخلو هذا من تواكل ضمن أوساط لا يعتمد أفرادهـــا كثيرا على النفس وشق طريقهم فى الحياة بعرق جباههم وكد يمينهم . وكان هذا التزاوج ملحوظا جدا بين الأسر الغنية ذات الأملاك الزراعيـــة الواسعة فى بلاد الشام ، والتى لم تكن ترغب فى ادخال شخص غريب يتـــدخل ، فيما بعـــد ، بأملاكها .

ثالثا : التزاوج الداخلى على النطاق الشعبى الواسع . وينجم عن عـــدم الاختلاط واحتجاب المرأة ، والعصبية السائدة عـــادة فى المجتمعات القبلية وشـــبه القبلية ، ومكانة المرأة التى لا تسمح لها بحق اختيار رفيق الحياة . فكثيرا ما نرى فى امثال هذه المجتمعات اتفاق أهل الفتـــاة وأهل الفتى على تزويجهما بالمستقبل ، رغم انهما ما زالا فى ســـن الطفولة . أو كزواج البديلة بين

الاقارب مما يوفر على العائلتين أعباء المهور المرتفعة .

اما في ايامنا هذه فلم يعد هناك ، ما يبرر حاجة او رغبة المرء في الزواج من قريبته ، ولا يبدو أن هناك عوامل تدفع للحفاظ على الزواج العائلى ، وخاصة في عالمنا العربى ، حيث أخذت المرأة تستعيد المكانة التى كانت عليها في صدر الاسلام ، فتعلمت وتثقفت ، واخذت تخوض معترك الحياة الى جانب زميلها الرجل ، وانقلبت المقاييس نتيجة التطور العنيف الناجم عن انفجار الخلية العائلية وظهور الفردية ، واتجه الزواج الى أبعد الحدود التى عرفها في السابق . ولم يعد يتمسك بالاسلوب القديم سوى بعض المجتمعات المغلقة التى تعيش في ازدواجية بين عصر فات اوانه ، وعصر جديد وضعنا أمام حقائق جديدة لا يمكن ادراكها الا بالنظر اليها بأعين جديدة . واصبح العلم يفتح أمام شبابنا ، من الجنسين ، آفاقا جديدة ومصادر رزق جديدة .

التزاوج الداخلى ، بين الأنصار والخصوم

يحق لنا ان نتساءل الآن : هل من الصحيح القول ان زواج الاقارب يجلب الضرر على النسل الناتج عنه ؟ ان حياتنا الحاضرة تغص بالشواهد والأمثلة التى تؤيد هذا الاعتقاد ، ورغم ان الرأى العام الشعبى راح يدرك الأذى الناجم عن هذا الزواج ، فاننا ما زلنا نشاهد ، مع الأسف ، العديد منه ، حتى ليمكن القول ان التزاوج الداخلى ينتشر بنسبة ٢٥ بالمئة ، وسيطيا ، في مجتمعنا العربى .

على ان التزاوج الداخلى بين اليهود لم يؤد ، على الصعيد الفيزيولوجى ، على الأقل ، الى تدهور العرق ، وان كان بعض العلماء يرد الى هذه الظاهرة ضعف البصر الذى ترتفع نسبته عندهم أكثر من الأمم التى يعيشون بين ظهرانيها . ولكن يمكن القول أيضا ، ان اليهود ، اذا كانوا يتزاوجون فيما بينهم ، فهم بنفس الوقت ليسوا من عرق صاف لأنهم اختلطوا عن طريق القسر والسبى ، واعتناق بعض الأمم لديانتهم ، كبعض البربر في المغرب والروس في جوار بحر قزوين ، بحيث لا يمكن التأكيد أبدا بأن اليهود ، كلهم ، ينحدرون من نسل يعقوب عليه السلام . فشتان بين اليهودى الحبشي او اليمنى وبين اليهودى الروسي في السحنة والملامح والطباع ..

كما أن التاريخ بدوره يغص بالشواهد التى تستبعد مضار هذا التزاوج . فالزائر لمتحف التاريخ الطبيعى في نيويورك يجد ان ثلاثا من شجرات « العائلة » لأسر « باخ » و « هاريسون » و « كمبل » يلاحظ فيها ان زواج الاقارب كان متعددا وكثيرا ، ومع ذلك لم يؤد الى الحاق الضرر بالنسل .

فقد كان « بنيامين هاريسون » الذى ترأس الولايات المتحدة بين عامى ١٨٨٩ ، و ١٨٩٣ ، منحدرا من زواج ابناء عم وعاش ٦٨ عاما . كما قدمت اسرة باخ ، في خمسة أجيال ، عشرين موسيقيا شهيرا وثلاثة عشر آخرين موهوبين في الموسيقى . وقدمت أسرة كامبل ، في خلال فترة مماثلة ، عشرين من أشهر الممثلين والممثلات في العالم .

كما كانت كليوباطرة ذاتها باهرة الجمال ، حادة الذكاء ، عديدة المواهب ، مع انها حصيلة زواج داخلى استمر أجيالا عديدة .

فما هى اذن حقيقة مشكلة زواج الاقارب ؟

يجيب على هذا كارل جورج أستاذ علم الوراثة في الجامعة الأمريكية بقوله : « ان زواج الأقارب في ذاته ليس عاملا على اضعاف النسل أو تشويهه بالأمراض والعاهات ، فاذا لم تكن السلالة نفسها ضعيفة ، فلا يمنع ان تظل نقية قوية » .

ولكنه يستدرك فيقول : « الا ان الحالات التى تظل فيها الأسر صحيحة نادرة في التاريخ ، ولا يمكن اعتبارها مقياسا ، لا بل فهى الشواذ ويؤكد الف مرة بأن زواج الاقارب مضر من حيث انه يؤدى الى تلاقى الخصائص الفاسدة في الاقرباء » .

وكيف يؤدى زواج الاقارب لذلك ؟

من المعروف ان في كل انسان عوامل وراثية او مورثات ، تحتويها الكروموسومات ، وتنقل ميزاته وخصائصه الجسدية والنفسية الى ذريته. فاذا كان في عائلة ما اثنان مصابان بداء عمى الالوان مثلا ، فان زواجهما سيؤدى حتما الى

اصابة طفلهما بهذا الداء . في حين انه اذا قام احدهما بالزواج من طرف ثالث خارج عن العائلة، وسليم من عمى الألوان ، فان الطفل لن يصاب به وان كان سيحمل نسبة صغيرة منه .

ملاحظات شخصية

وانتقل الآن للاحظاتي الشخصية عن عدة عائلات كبيرة معروفة بزواجها الداخلي :

أ ـ عائلة كبيرة مكونة من عشرات الأسر يموت معظم افرادها بمرض السكرى .

ب ـ اما العائلة الثانية فيموت اغلب افرادها بالسكتة القلبية لاتصاف افرادها بضعف وراثي في جهاز القلب .

جـ ـ كما لاحظت في اسرة ثالثة ان ثلاثة اخوة من أربعة مات ثلاثة منهم ، بالتتابع ، وهم في سن الأربعين ، بمرض السرطان .

هذا ولاحظت في تزاوج ابناء العمومة حالات كثيرة اقتصر على ذكر اربع حالات منها :

الحالة الاولى : تزوّجَ شقيقان من بنتى عمهما ، اللتين هما بنفس الوقت بنتى خالتهما ، فكان حاصل زواجهما ما يلى : رزق الشقيق الاول ثلاثة اطفال ذكور صم وبكم وقد مات ابوهم من الحزن والغم . اما بالنسبة للشقيق الثانى فقد انجب ايضا ثلاثة أولاد ذكور ، أصحاء البنية، لكن مستواهم العقلى كان دون الوسط بحيث لم يستطيعوا متابعة تحصيلهم الثانوى رغم تحمس والدهم لتامين كل ما يساعد على نجاحهم .

الحالة الثانية : وهى حالة شاب تزوج بابنة عمه كان نتاجه اربعة اطفال محرومى البصر .

الحالة الثالثة : وهى حالة شاب تزوج بابنة عمه وهى بنت خالته أيضا ، ورغم تمتع الزوجين بصحة جيدة فقد كان نسلهما ضعيف البنية ، معلولا ، كما تعددت حالات الاجهاض عند الزوجة.

الحالة الرابعة : وهى حالة زواج رجل بابنة عمه . فكان ان انجب ابنتين مشوهتى الخلقة ، فضلا عن أن الأولاد الذكور كانوا منالاقزام تقريبا. كما ان درجة ذكائهم متواضعة جدا .

ولدىَّ العديد من هذه الأمثلة التى تعطى الدليل القاطع على مخاطر زواج الاقارب . ولعل من أبرزها الأشقاء السياميون وهم التوائم المولودون وهم ملتصقو الاجسام ، وهى حالات نادرة شوهدت خاصة في سيام حيث يكثر التزاوج الداخلى .

التزاوج الخارجي

فضلا عن أن بعض المجتمعات تحول تقاليدها المتوارثة دون التزاوج الداخلى ، كما هو الحال في جبال القفقاس التى تحتفظ بأجمل العروق على وجه الأرض وأطولها أعمارا ، كالكرج المسيحيين ، والداغستان والشراكسة المسلمين ، فان معظم الأمم الحديثة عزفت عنه بسبب محاذيره ، واستنادا الى وعيها العلمى ، وتحطم النطاق العشيري والقبلى فيها منذ زمن بعيد ، ولسهولة المواصلات، ولازدياد مجالات التعارف والاختلاط.

وربما تحقق ذلك في أكبر بوتقة ، هى بوتقة العالم الجديد ، امريكا ، ففيها انصهرت العروق البشرية المتباينة حيث أعطت أروع الأمثلة عن نجاح التزاوج الخارجي ومزاياه .

واجمالا يبدو العالم الأميركى ، ولا سيما الولايات المتحدة ، حقل دراسة غنيا جدا وذا فائدة لا ريب فيها بالنسبة لعلماء الاجناس والوراثة .

والناتج النهائى لهذا المخض البشرى هو سلسلة من شعوب جديدة لا يمكن ان نصفها مع ذلك بانها عروق جديدة تختلف كثيرا عن امم العالم القديم التى ساهمت اكثر من غيرها في تكوين هذه الشعوب الجديدة . ويبدو ان هذا المخض بين اناس مختلفين من حيث اصولهم قد ادى الى تحسين العرق كثيرا . وهكذا يبدو نموذج الفرد الأميركى عامة جيد التركيب واحيانا جميلا . وقد ابرزت الالعاب الاولومبية ومسابقات الجمال ، الى حد ما ، مزايا هذا العرق الجديد .

ونحن وان كنا نفتقر الى البراهين الدالة على تفوق الاميركان ، من ناحية الذكاء ، على امم العالم القديم ، فاننا لا ننكر عليهم حب المغامرة ، والطموح ، والروح الرائدة التى اعطتهم الكثير من الرجال الافذاذ الطلائعيين Pionniers في شتى المجالات ، امثال فورد وروكفلر في مضمار

الصناعة والمال ، وايزنهاور وكندي في المجال العسكري والسياسي .

وقد كان الرئيس روزفلت يتباهى بانه يجري في عروقه ثلاثة أصناف من الدماء هي الارلندية والبريطانية والالمانية . ترى هل نتج هذا التحسن الطبيعي التكويني بالأساس عن اختلاط أصول مختلفة ، اى عن تجدد في الدم ؟ أو هل يجب ان نمنح دورا رئيسيا للبيئة الجديدة التي عاشت فيها هذه العروق الجديدة ؟

اننا نقرأ في مجلة « العربي » عدد ٨٩ لشهر نيسان ١٩٦٦ ان جامعة هارفرد الشهيرة في الولايات المتحدة وجدت بنتيجة بحث قامت به ، ان متوسط طول الفرد الأمريكي الذكر اعلى من طول ذكور امم الأرض جميعا ، وأن كل الدلائل تشير الى أن هذا الطول مستمر في الزيادة . وكشف البحث عن ان طول الرجل هناك يبلغ في المتوسط ، بين سن ١٨ عاما و سن ٧٢ عاما ، اكثر من ٨٧ر١ مترا .

وان متوسط طول الرجال ، بين سن ١٨ عاما وسن ٢٤ عاما ، يبلغ أكثر من ٩٠ر١ مترا . وان الأمريكي في عام ١٩٦٥ زاد متوسط طوله ٨٧ر٥ سنتيمترات عن الأمريكي في عام ١٩٣٥ .

ولكن النقاش لا يزال مفتوحا بين نظرية العالم لامارك عن تأثير البيئة الطبيعية ، وبين علماء الجنس الحديثين الذين يردُّون هذا التحسن الى الوراثة والى التغذية التي يتمتع بها الفرد الأمريكي ، والتي يزيد ما يتناوله هناك من اسعار عن ٣٢٠٠ ، بينما يشكو اكثر من ثلثي سكان الأرض من نقص التغذية .

اختاروا لنطفكم فان العرق دساس

من المعلوم ان كل انسان ينشأ من تلقيح بويضة أم ، يلقحها حيوان منوي من أب . ومن المعروف علميا ان الكروموسومات (الصبغيات) التي تماثل شكلا قرون الفول ، والموجودة في بويضة المرأة وفي الحيوانات المنوية عند الرجل ، تشتمل على المكونات أو المورثات الجينات Genes وهي اشبه بحبات الفول ، تكون مكلفة بنقل الصفات الموروثة عن الابوين الى الجنين الجديد ، ، وكل مكونة ، في مكانها ، مسئولة عن صفات معينة .

ولكن كل صفات الأب والأم لا تنقل بواسطة المكونات (جينات) لأن هناك الطابع الظاهري Phenotype المكتسب عن البيئة ، كاللون البرونزي الذي يكتسبه أبناء العرق الأبيض الذين يعيشون في بلاد مشمسة نسبيا ، أو الختان الذي يمارسه المسلمون واليهود منذ قرون عديدة ، الذي لم يمكن نقله للمولود الجديد .

اما عناصر الطابع التكويني Genotype فغالبا ما تنتقل في معظمها ، ان لم نقل كلها ، كالملامح والقسمات ولون الشعر ، وحتى القدرات العقلية والاستعدادات المرضية ، أو الأمراض الجينية ومنها البله الذي يصيب الطفل وليدا .

وفي ذلك مصداق لقول الرسول الكريم «اختاروا لنطفكم فان العرق دساس » ، واذا كان المقصود من هذا الحديث الشريف التحذير من التزوج بنساء غير طيبات المعدن والأصول كما جاء في حديث آخر : « اياكم وخضراء الدمن » ، وذلك حرصا على سلامة النسل ، فليس هناك ما يمنعنا، قياسا ، من القول بان العرق الدساس الذي ينقل الصفات الخبيثة ينقل أيضا ، وبنفس الوقت ، الاستعداد لأمراض معينة ، عائلية ، اذا اتاحت الظروف .

فالزواج الخارجي يتيح المجال ، اذن ، لتغلب المورثات الصحيحة على المورثات الضعيفة وهذا ما توصل اليه علماء الطب البيطري بالنسبة لتصالب العروق الحيوانية حيث حصلوا على افضل النتائج .

وهناك من يقول ان العبقرية نتيجة زواج اثنين متقاربين في مستوى « العبقرية » فهل يؤدي الزواج المتباعد ، أو الخارجي ، بالتالي ، الى الابتعاد عن مستوى العبقرية المنشود بالنسبة للنسل ؟

الواقع هو أن العبقرية ليست بحد ذاتها مقياسا للافضلية الا اذا صاحبها الخلقوالابداع. فاذا قبلنا زواج الاقارب المتماثلين أملا بظهور عبقري واحد جديد ، فاننا نكون بنفس الوقت قد رحبنا بقدوم عشرات من المصابين بالعاهات والأمراض والقصور العقلي . ولن يستطيع هذا

العبقري الجديد ان يتحمل أعباء هؤلاء الذين يشكلون عمليا « فضلات اجتماعية » .

واذا كنا نرغب في زيادة العباقرة في عالمنا العربي فاننا نستطيع تحقيق ذلك بالدعوة الى تزاوج عباقرة متباعدين .

وقد عرف العرب ، في جاهليتهم ، مضار تزاوج الاقارب بسليقتهم . فيروى ان الرجل كان يطلب ، أحيانا ،من زوجته الاتصال برجل يتميز بشجاعته أو بذكائه المفرط ، فيقول لها اذهبي واستبضعي من فلان ، وهذا ما كان يدعى عندهم بالاستبضاع.

واذا كان الاسلام الحنيف يستنكر هذه العادة الجاهلية فان الشعر العربي غني بمثل الأبيات التالية التي لا تحبذ تزاوج الاقارب :

فتى لم تلده بنت عمٍّ قريبة
فيضوى ، وقد يضوى رديد القرائب

أو كقول أحدهم :

انذر من كان بعيد الهمّ
تزويج أولاد بنات العمّ
ليس بناجٍ من ضوىً وسقمِ

الخلاصة

نستخلص مما تقدم ان الأديان السماوية الثلاثة تتفق ، مع علم الوراثة والطب الحديثين ، على محاذير تزاوج ذوي القربى ، وان كان هناك استثناءات فهي تؤيد القاعدة التي توصل العلم اليها .

وكل ما نرمي اليه هو النصح بالابتعاد عن التزاوج الداخلي الذي لا يكفي باعطاء نسل قميء، سقيم جسميا وحسب ، وصفته بعض الصحفيات الأجنبيات عند زيارتها بعض الأحياء الشعبية في احدى المدن العربية بقولها : « رأيت رجالا كالنساء (لقصر قاماتهم) ونساء كالأطفال » ، بل تمتد مضار ذلك الى العقول التي يخبو بريقها ويتداعى ذكاؤها .

والنسل السقيم هو عبء اقتصادي ومعنوي يتحمله المواطنون جميعا لانهم يتحملون ، بحسبانهم دافعي ضرائب ، نفقات والتزامات عقيمة الجدوى ، من الناحية الاقتصادية على الاقل .

ومجتمعنا العربي في غنى عن مشاكل جديدة تضاف الى مشاكله الحاضرة التي يجابهها ، وبحاجة قصوى الى جيل قوي لأن الله يحب المؤمن القوي ، والى جيل جميل وسليم بنفس الوقت لأن الله جميل يحب الجمال . ■■

عبد الرحمن حميدة

كان بشيرا فأصبح نذيرا

● يحكى ان اعرابيا ورد على أحد ولاة الحجاج ، وكان الاعرابي من بلد ذلك الوالي. فقدم اليه الوالي الطعام،وكان اذ ذاك جائعا. فسأله الوالي عن أهله وقال ما حال ابني عمير ؟ قال : على ما تحب ، قد ملأ الارض والحي رجالا ونساء .. قال : فما فعلت أم عمير ؟! قال : صالحة أيضا ..! فقال : فما حال الدار ؟! قال : عامرة باهلها.. قال:وكلبنا ايقاع ؟! قال:قد ملأ الارض نباحا .. قال : فما حال جملي زريق ؟! قال : على ما يسرك .. ثم التفت الوالي الى خادمه وقال : ارفع الطعام ، فرفعه ، ولم يشبع الاعرابي .. ! ثم اقبل عليه الوالي يسأله وقال : يا مبارك الناحية ! أعد على ما ذكرت .. قال : سل عما بدا لك .. قال : فما حال كلبي ايقاع ؟ قال: مات .. ! قال:وما الذي أماته؟قال : اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات .. ! قال أومات جملي زريق ..؟! قال : نعم .. قال : وما الذي أماته ؟ قال : كثرة نقل اللبن الى قبر أم عمير ..! قال : أوماتت أم عمير .. قال : نعم .. قال : وما الذي أماتها ؟! قال : كثرة بكائها على عمير قال : أومات عمير أيضا ؟ قال :نعم .. قال وما الذي أماته ؟ قال : سقطت عليه الدار .. ! قال : أسقطت الدار ؟! قال : نعم .. فقام الوالي له بالعصا ضاربا ، فولى بين يديه هاربا ..



التَّوْبَة

قصة بقلم الكاتب الامريكي او . هنرى O' Henry

جاءَ حارس السجن يمشى فى خطوات متثاقلة، حتى اذا وصل الى ورشة اصلاح الاحذية حيث جلس السجين جيمى قاده الى مكتب مدير السجن . وتقدم جيمى الى المكتب ، وسلمه المدير قرار العفو عنه الذى وقعه حاكم الولاية فى الصباح . ومد السجين يده فى أدب وتخاذل وتسلم القرار .

لقد دخل جيمى السجن منذ عشرة اشهر ليقضى مدة العقوبة التى حكم عليه بها فى جريمة سرقة ، وهى أربع سنوات . ويبدو انه كان يتوقع أن يجىء قرار العفو قبل ذلك بكثير .. بعد مرور ثلاثة أو اربعة أشهر على وجوده فى السجن على اكثر تقدير . ولكنه امضى عشرة اشهر كاملة قبل أن يوقع الحاكم القرار .

قال له مدير السجن عند تسليمه قرار العفو : «والآن يا جيمى انك ستخرج من سجنك صباح غد ، وسوف تستعيد حريتك ، فحاول أن تصلح من شانك ، وكن رجلا . انك تحمل بين جنباتك قلبا طيبا ، فانس الماضى ودعك من سرقة الخزائن ، وعش حياتك شريفا » ..

واستمع جيمى الى حديث مدير السجن فى هدوء ثم قال وقد ظهرت على وجهه علامات الدهشة:

« ولكننى لم أسرق فى حياتى خزانة واحدة ! » .

وانفجر مدير السجن ضاحكا : « طبعا ... طبعا يا جيمى ، ولكن قل لى كيف حدث هذا ؟

لماذا قدمت أنت للمحاكمة بتهمة السطو على الخزانة فى مدينة سبرنجفيلد ، هل كنت تخشى أن تثبت وجودك فى مكان بعيد عن مسرح الجريمة وقت وقوعها لانك تريد أن تحمى شخصية كبيرة فى المجتمع ؟ أم أن المحلفين قسوا عليك وادانوك ؟ انها دائما لا تخرج عن احد هذين الاحتمالين . فما الذى حدث بالضبط » .

واجاب جيمى وقد ارتسمت على وجهه علامات البراءة : « أؤكد لك يا سيدى أننى لم اذهب الى مدينة سبرنجفيلد يوما فى حياتى ! » .

وابتسم مدير السجن وقال للحارس :«كرونين» عُدْ به الى سجنه وسلمه الملابس التى سيخرج بها غدا ليستقبل حريته ، وفى الساعة السابعة صباحا اطلق سراحه . اما انت يا جيمى فالتَّنين، فارجو لك حظا سعيدا ، كما ارجو أن تفكر فى نصيحتى لك » .

ولم ينم السجين فى تلك الليلة .

كانت عيناه تتعلقان بباب السجن فى انتظار اللحظة التى سيفتح فيها .



.. وأمسك جيمي الوردة في حنان ثم وضعها في جيب الصديري ، وخلع جاكتته وشمر عن ساعديه ! وفجأة : اختفت شخصية رالف سبنسر وعاد جيمي فالنتين لص الخزائن ليحل محل الرجل الجديد مرة أخرى !

وفى الساعة السابعة والربع تماما كان السجين يقف خارج مكتب مدير السجن .. كان يرتدى بدلة كئيبة المظهر وحذاء ثقيلا من ذلك النوع الذى تقدمه الدولة لمثل هؤلاء الضيوف الذين يفرضون أنفسهم عليها بحكم القانون .

وقدم اليه موظف السجن تذكرة سفر بالقطار ، وورقة من فئة الخمسة دولارات ، وهو المبلغ الذى تتوقع منه الدولة أن يستعين به فى شق طريقه من جديد فى المجتمع ، وفى البحث عن عمل يرتزق منه !

أما مدير السجن فقدم اليه « سيجارا » ثم مد اليه يده مصافحا ، وتمنى له التوفيق .

وسجل اسم جيمى فالنتين السجين رقم ٩٧٦٢ فى دفاتر السجن ووضع امامه عبارة قصيرة تتألف من بضع كلمات تقول : « صدر قرار من الحاكم بالعفو عنه » .

* * *

وهكذا استقبل جيمى فالنتين الحرية تحت أشعة الشمس الدافئة ، وسار الرجل فى الطريق غير عابىء بتغريد الطيور ولا بحفيف أوراق الشجر

ورائحة الزهور .ثم اتجه رأسا الى أحد المطاعم القريبة ، وهناك تذوق جيمى حلاوة السعادة التى يشعر بها المرء فى حريته .. وقد تمثلت فى دجاجة مشوية وفى زجاجة من النبيذ الأبيض . ثم جلس بعد الغداء يدخن سيجارا أرقى درجة من السيجار الذى قدمه له مدير السجن .

وخرج فالنتين من المطعم فى تكاسل ليأخذ طريقه الى محطة القطار ، وأمام الباب الخارجي للمحطة توقف لحظة ثم وضع يده فى جيبه وأخرج قطعة فضية من فئة الربع دولار ، ودسها بها فى يد رجل ضرير فقير ، ثم استقل قطاره .

ومضت ثلاث ساعات ، نزل بعدها جيمى فى بلدة صغيرة ثم قصد فورا الى مقهى يملكه صديق له يدعى « ميك دولان » . وما كاد يصل الى المقهى ويرى صديقه واقفا وحده وراء « البار » حتى مد اليه يده مصافحا .

وقال ميك دولان : « أرجو المعذرة ، يا جيمى ، فلم نستطع أن نحقق الافراج عنك فى وقت مبكر . آمل ان تكون على خير حال » .

وحمل جيمى مفتاح غرفته ، ثم صعد الى الطابق العلوى ، وفتح باب الغرفة .. كان كل شيء كما تركه قبل أن يدخل السجن .. حتى زرار ياقة ضابط البوليس السرى « بن بريس » الذى انتزعه من ياقة قميصه عندما قاومهم فلجأوا الى القوة لاعتقاله .. حتى هذا الزرار الصغير كان لا يزال فى مكانه فوق أرض الحجرة يحكى القصة كلها .

وفتح جيمى الدولاب الذى يحوى فراشه داخل جدار الحجرة ، وأخرج حقيبة يعلوها التراب ، ثم فتحها وراح يتطلع فى ولع الى أدق طاقم من الأدوات والآلات التى يستخدمها اللصوص فى فتح الخزائن .. لقد كان طاقما كاملا ، صنعت قطعه من الفولاذ ، ويضم أحدث أنواع المثاقيب والمشدات وأدوات أخرى اخترعها جيمى نفسه وأعد تصميمها ، وكان دائما يفخر بها . لقد كلفته هذه الأدوات مبلغا يزيد على تسعمائة دولار فى احدى الورش التى تصنع هذا النوع من الآلات والمعدات لمحترفى السرقة ولصوص الخزائن .

ومضى نصف ساعة قبل أن يهبط جيمى الدرج مارا بالمقهى ، ولكنه فى هذه المرة كان يرتدى ملابس تنم عن ذوق سليم وتناسب جسمه تماما ، وكان جيمى يحمل حقيبته بعد أن نفض عنها الغبار !

وما كاد دولان صاحب المقهى وصديقه القديم يلمحه حتى قال : « هل عولت على شيء ما يا صديقى ؟ » . وأجاب جيمى فى لهجة تشوبها الدهشة : « لم افهم شيئا .. اننى الآن امثل الشركة المتحدة فى نيويورك لانتاج الفطائر » .

وانفرجت أسارير ميك وهو يستمع الى حديث صديقه عن الشخصية الجديدة التى تقمصها ، فدعاه الى احتساء قدح من اللبن ، فقد كان يعلم أنه لا يقرب الخمر .

★ ★ ★

ومضى اسبوع على خروج السجين جيمى فالنتين رقم ٩٧٦٢ .. وفجأة وقع حادث سطو على احدى الخزائن بمدينة ريتشموند بولاية انديانا ، دون أن يترك اللص أثرا يدل عليه . وانقضى أسبوعان على هذا الحادث ثم ارتكبت جريمة سرقة أخرى فى مدينة « لونجان سبورت » . وفتح اللصوص الخزانة الحديدية رغم دقة تصميمها الذى روعى فيه مقاومة أية محاولة للسطو والسرقة .. لقد فتحوها كما تفتح علبة السردين ! وكان الصيد ثمينا فى هذه المرة ، فقد كانت الخزانة تحوى خمسة عشر ألف دولار .

ونشط رجال البوليس فى تعقب آثار اللصوص بعد أن تضاعف عدد السرقات مما جعلها ترتفع الى مستوى اهتمام ضابط البوليس السرى « بن بريس » . وبدأ بن يعمل . اخذ يقارن بين التقارير التي وضعت عن كل حادث سطو على حدة ، واكتشف ضابط البوليس تشابها عجيبا بين الاسلوب الذى اتبعه اللصوص فى سرقاتهم ... وانتقل بن بعد ذلك الى مسرح الجرائم فى المدن التي سطا اللصوص على خزائنها . وراح يتجول ببصره ، ويدقق النظر فى كل شيء حوله .

وتكلم بن بريس اخيرا ، قال : « انني ارى بصمات جيمى فالنتين » . لقد عاد يمارس نشاطه من جديد . انظروا الى جهاز اغلاق الخزانة وكيف انتزع من مكانه فى يسر وسهولة . ان جيمي

وحده هو الذى يستطيع ان يؤدى هذه العملية فى دقة واتقان ، ولن يفلت من يدى هذه المرة . سوف يدخل السجن ليقضي مدة العقوبة كاملة بلا رحمة ولا عفو .

كان بن بريس يعرف كل شيء عن جيمي وعن عاداته واسلوبه فى اقتحام الخزائن ، وحرصه على الاختلاط بالمجتمع الراقي ، وقد ساعده هذا على الافلات دائما من العقاب .

وبدأ ضابط البوليس السرى يطارد فريسته . وانتشر النبأ بسرعة . وشعر اصحاب الخزائن بشيء من الاطمئنان .. ان اللص لن يبقى طليقا بعد اليوم .

★★★

وفى عصر احد الايام هبط جيمي فالنتين حاملا حقيبته الصغيرة من احدى عربات البريد الى بلدة المور التى تقع على بعد خمسة أميال من طريق السكة الحديد بولاية اركنساس . وفى خطوات ثابتة راح يشق طريقه متجها الى الفندق . وكان يبدو بكتفيه العريضتين وقامته الطويلة مثل احد طلبة الجامعة الرياضيين فى طريق عودته الى البيت من الكلية .

ومرت به سيدة شابة ما لبثت ان عبرت الشارع ودلفت الى باب وضعت عليه لافتة تحمل اسم « بنك المور » ، وتطلع جيمي الى عيني الفتاة ووجهها الجميل ثم علت وجهه حمرة الخجل ! ان هذا الطراز من الشبان امثال جيمي يندر وجودهم فى المور .

واستوقف جيمي صبيا صغيرا كان يروح ويجيء امام درجات سلم البنك ويمشي فى اعتداد كما لو كان احد حملة الأسهم ! ثم بدأ يوجه اليه الاسئلة عن البلدة التي وصلها منذ بضع لحظات ويدس فى يده قطع النقود الصغيرة بين الفينة والفينة .

وفى هذه الآونة خرجت السيدة الشابة التي رآها منذ دقائق من باب البنك ، ولكنها لم تلتفت الى الشاب الوسيم حامل الحقيبة ... لقد مضت فى طريقها بخطوات مكينة غير عابئة بشيء مما يجرى حولها .

وأراد جيمي أن يعرف اسمها فقال ، يسأل الصبي الصغير متظاهرا بأنه يعرفها : « أليست هذه مس سمبسون ؟ » . وقال الصبي : « لا . انها مس انابل آدمز ، ووالدها يملك هذا البنك ... هل لديك المزيد من قطع النقود ؟ » .

وقصد جيمي الى فندق « بلانترز » او فندق المزارعين ، وانتحل اسم رالف سبنسر .. وحجز غرفة ، ثم سجل اسمه الجديد فى دفتر النزلاء ، ومال بجسمه على المكتب وقال محدثا موظف الاستقبال : « لقد جئت الى المور لافتتح محلا تجاريا .. ترى كيف حال صناعة الاحذية في بلدتكم ؟ » .

وترك مظهر جيمي .. ملابسه وطريقة حديثه الهادىء اثرا طيبا فى نفس الموظف الذى يستقبل النزلاء ، وكان هو الاخر شابا وسيما ، ولكنه احس بنقص كبير وهو يقف وجها لوجه امام هذا الشاب الغريب القادم الى بلدته !

ومرت لحظات قصيرة وقف فيها موظف الاستقبال يرقب منافسه الجديد .. ثم بدأ يقدم اليه المعلومات التي يريدها ويرد على اسئلته . قال : « اعتقد ان هناك مجالا طيبا فى صناعة الاحذية ، اذ ليس فى البلدة متجر مخصص لبيع الاحذية وحدها ، فهي تباع فى المحلات الكبيرة التي تجد فيها كل شيء من الاطعمة والملابس وغيرهما من السلع الأخرى . ان المور بلدة جميلة ومجال العمل فيها متسع فى مختلف الفروع . وسوف تنعم بالحياة فيها لأن اهلها اناس طيبون » .

وقرر مستر « رالف سبنسر » ان يقيم فى هذه البلدة بضعة أيام . واسرع موظف الاستقبال ينادي ساعي الفندق ليحمل حقيبة مستر سبنسر الى غرفته . ولكنه قاطعه بقوله : « لا سوف أحملها بنفسي فهي حقيبة ثقيلة ! » .

ولكن الأيام مضت ولم يغادر مستر سبنسر بلدة المور . لقد طابت الاقامة للرجل الغريب الذى خرج من الرماد المتخلف عن شعلة الحب المفاجيء الذى غزا قلبه وأحس سبنسر بتحول فى حياته ، وعاش الرجل فى المور وانتعشت تجارته ونجح فى عمله الجديد . فقد افتتح محلا تجاريا لبيع الأحذية ، وراجت تجارته وامتد نجاحه الى الناحية الاجتماعية وأصبح له بعض الاصدقاء .

واخيرا حقق امنية قلبه ، فقد قابل الفتاة التي هام بها ـ مس انابل آدمز ـ ، وازداد تعلقا بهـــا وافتتانا بجمالها .

وفي نهاية ذلك العام اصبح مستر رالف سبنسر يتمتع باحترام اهل البلدة ، وازدادت تجارتـــه انتعاشا ، وأخيرا خطب مس انابل واتفق الخطيبان على الزواج خلال اسبوعين .

ووافق مستر آدمز والد العروس ، الرجـل المكافح ، على هذا الزواج . اما انابل فقد كانت فخورة بخطيبها متيمة بحبه . ولم يعـد رالف سبنسر غريبا على الأسرة . لقد اصبح يشعر وكأنه في بيته سواء بين افراد عائلة خطيبته ، او اسـرة شقيقتها المتزوجة .

★ ★ ★

وفي احد الأيام جلس جيمي فالنتين في غـرفته بالفندق يكتب خطابا الى احد اصدقائه القدامى بمدينة سانت لويس بولاية ميسوري . وارسل جيمي الخطاب على عنوان مأمون حتى لا يكتشفه رجال البوليس . قال جيمي في خطابه :

ايها الصديق العزيز :

ارجوك ان تقابلني في بيت سوليفان بمدينة ليتل روك الأربعاء القادم ، لانني اريد منك ان تؤدي لي خدمة ، كما اريد في نفس الوقت ان اقدم لـك هدية صغيرة . هل تعرف ما هي ؟ انها طاقم ادوات اقتحام الخزائن . انني اعلم انك ستسعد بامتلاكها فهي تساوي اكثر من الف دولار .

ارجو ان تستمع لي جيدا يا بيلي . لقد هجرت عملي القديم منذ عام مضى . انني امتلك الآن متجرا جميلا واعيش حياة شريفة ، كمـا انني استعد في الوقت نفسه للزواج من اجمل فتـاة على وجه الارض . وسوف نحتفل بزواجنا بعـد اسبوعين . هذه هي الحياة يا بيلي .. الحيـاة الشريفة . انني لن اقرب مال غيري من الناس بعد اليوم ، وعندما نحتفل بزواجنا ، سوف ابيـع متجري ونسافر ـ انا وعروسي ـ الى الغرب ، لكي ابتعد عن خطر نبش الماضي مـن جديد . صدقني يا بيلي انها ملاك هبط من السماء . انها تؤمن بي وتثق في، ولن اخون هذه الثقة ما حييت . لا تنس موعدنا ، اذ لا بد لي أن اقابلك ،وسأحضر طاقم الأدوات معـي .

صديقك القديم

جيمـي

وفي مساء يوم الاثنين .. يوم كتب جيمي خطابه لصديقه القديم بيلي ، هبط ضيف جديد على بلدة المور . ولم يكن هذا الضيف سوى ضابط البوليس السري « بن بريس » ، لقد جاء بن في عربة صغيرة يجرها جواد ودون ان يشعر به احد . وراح « بن » يتجول في البلدة في هدوء الى ان اكتشف كل ما كان يريد ان يعرفه .

ومن المتجر الكبير الذي يقع على الجانب الآخر من الشارع امام متجر سبنسر للاحذية ، استطاع « بن » ان يلقي نظرة فاحصة على مستر رالف سبنسر . وقال ضابط البوليس محدثا نفسـه : « اذن فانت تريد ان تتزوج ابنة صاحب البنـك يا جيمي ؟ » .

وفي صباح اليوم التالي تناول جيمي طعـام الافطار في بيت مستر آدمز والد خطيبته . وكان يستعد للسفر الى مدينة ليتل روك في نفس اليوم لكي يشتري بدلة الزفاف ويختار هدية جميلة يقدمها لعروسه المقبلة !

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يغادر فيهـا جيمي البلدة منذ أن جاء اليها ، بعد ان انقضى اكثر من عام على آخر عمليات السطو التي قام بها عندما كان يحترف السرقة . وشعر جيمي انـه يستطيع ان يغامر ويخرج من المور في امان دون ان يتعرض لخطر القبض عليه .

وبعد تناول طعام الافطار خرج جميع افـراد الأسرة .. والد العروس وانابل وجيمي وشقيقة انابـل المتزوجـة وطفلتـاها الصغـيرتان مـاي (٩ سنوات) واجـاثا التي لم تتجـاوز عامهـا الخامس . ووصل الجميع الى الفندق حيث يقيم جيمي ، وأسرع الى غرفته ثم احضر الحقيبة التي تضم طاقم الأدوات التي يريد التخلص منهـا ، وذهب الركب بعد ذلك الى البنك . وأمام الباب

الخارجي وقفت العربة وسائقها «دولف جيبسون» الذى سيقل جيمي الى محطة القطار .

ثم دخل الجميع الى الغرفة التي تعزلها الأعمدة المصنوعة من خشب القرو المنقوش ، وجيمي بينهم ، فقد كان زوج ابنة مستر آدمز المقبل يلقى ترحيبا فى كل مكان يذهب اليه فى البنك .

وبدت علامات السرور على وجوه موظفى البنك وهم يتلقون تحية ذلك الشاب الوسيم الذى سيصبح زوجا لمس « انابل » . وأخيرا وضع جيمي حقيبته على الارض . اما انابل التي كان قلبها يخفق بالسعادة والحياة والشباب فقد وقفت تداعب خطيبها فوضعت قبعته فوق راسها الصغير وحملت حقيبته ثم قالت : « ما رأيك . الا تراني اصلح للانضمام الى فرقة موسيقية اقوم فيها بقرع الطبول ؟ ! » ولكن انابل ما لبثت ان بدت وكأنها تذكرت شيئا فقالت : « يا الهي ، ما هذا الذى تحويه حقيبتك يا رالف ، انها ثقيلة جدا ، لا بد وانك ملأتها بقوالب من الذهب !! » .

وقال جيمي فى هدوء : « انها مجموعة من لباسات الأحذية المطلية بالنيكل ، وقد قررت ان اعيدها لأصحابها ، وسوف احملها معي فى رحلتي بالقطار حتى اوفر تكاليف ارسالها بالبريد المستعجل . انني احاول ان اقتصد يا عزيزتي » .

وكان البنك قد شيد اخيرا خزانة جديدة وقبوا من الفولاذ . واتجه الجميع الى حيث كان يقف مستر آدمز صاحب البنك ويتطلع فى فخر الى خزانته الجديدة . لقد كان يريد من كل شخص ان يتفقد خزانته الفولاذية . ولم يكن القبو كبيرا ، ولكن بابه كان يغلق بطريقة مبتكرة حرص مستر آدمز على تسجيلها . فكان الباب يغلق بثلاثة مزاليج من الصلب تتحرك بواسطة مقبض واحد فى نفس الوقت ، ويتحكم فى المقبض قفل بساعة زمنية .

واخذ مستر آدمز يشرح طريقة فتح باب القبو لمستر سبنسر الذى كان يرقب العملية من باب المجاملة دون أن يبدو عليه اى اهتمام ينم عن ذكاء ! ولكن عيون الطفلتين الصغيرتين ماى وآجاثا تعلقت فى اهتمام كبير بالمزاليج المعدنية اللامعة والساعة الزمنية التي تتحكم فى قفل باب القبو .

وبينما كان الجميع مشغولين برؤية الخزانة الجديدة . كان بن بريس ضابط البوليس السرى يستند الى مرفقه على مائدة قريبة ويقف فى هدوء ويقول لموظف البنك الذى ساله عما اذا كان يستطيع ان يؤدى له اية خدمة : « انني لا اريد شيئا . ولكنني انتظر شخصا معينا اعرفه ! » .

★ ★ ★

وفجأة دوت صرخة .. وحدث هرج ومرج وعلا الصياح .. وتساءل الجميع فى لهفة : « ماذا حدث ؟ » وجاء الجواب سريعا .. لقد قامت ماى ابنة اخت العروس بدفع شقيقتها الصغرى آجاثا الى داخل القبو فى غفلة من الكبار ، وأغلقت عليها الباب كما فعل مستر آدمز منذ لحظات ، وهو يشرح للجميع مزايا خزانته الحديدية الجديدة .

وأسرع صاحب البنك يتعلق باليد الحديدية وظل ممسكا بها وهو لا يدرى ماذا هو فاعل ! ان الباب لا يمكن ان يفتح الآن ، فالساعة لم تملأ بعد !

وعادت أم آجاثا تصرخ فى هستيريا وجنون .. وتوسل مستر آدمز الى ابنته أن تكف عن الصراخ ، رافعا يده التي كانت ترتعش من هول الكارثة . وقال الأب : « ارجوكم ان تهدأوا قليلا ! » ثم راح يصيح مناديا : « آجاثا ... آجاثا ! » ثم ارتفع صياحه حتى اصبح صراخا . ومضى الرجل يصرخ : « هل تسمعينني يا آجاثا .. آجاثا » .

ثم ساد المكان صمت رهيب ما لبث أن تخلله صوت خافت من وراء الأبواب الفولاذية .. كان صوت طفلة ترتعد فى هلع وقد استبد بها خوف قاتل .

وصرخت الأم : « ابنتي .. حبيبتي .. ستموت آجاثا الصغيرة من الخوف . افتحوا الابواب فورا .. حطموها ، اليس بينكم رجل واحد يستطيع ان يفعل شيئا » .

وقال مستر آدمز والعبارات تخنقه : « ليس

هناك احد يستطيع ان يفتح باب هذا القبو الا في مدينة ليتل روك ! » .

واتجه صاحب البنك الى مستر سبنسر خطيب ابنته وقال : « ماذا تفعل يا رالف . ان هذه الطفلة لن تصمد طويلا .. فليس في القبو هواء كاف ، وستموت من الرعب ! » .

ولم تستطع ام الطفلة المسكينة ان تحتمل اكثر من هذا كله ، فانقضت على الباب الذى يحول بينها وبين فلذة كبدها .. وراحت تدق الباب بكلتا يديها في جنون ! وصرخ أحد الموجودين : « انسفوه بالديناميت ! » .

واتجهت عينا انابل الى خطيبها . لقد امتلات عيناها بالحزن ، ولكن كان فيهما بقية من امل ضعيف . فالمرأة لا تعرف المستحيل مع الرجل الذى تحبه وتعبده . قالت « انابل » : « الا تستطيع ان تفعل شيئا يا رالف ؟ ارجو ان تحاول ! » .

وتامل جيمي عينيها الواسعتين الجميلتين ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خافتة وقال : « اعطيني هذه الوردة الفضية التي تزينين بها صدر فستانك ! » وبدا عليها وكانها لا تصدق اذنيها ، ولكنها مدت يدها بطريقة الية لتنتزع الوردة من صدر فستانها وتقدمها له كما اراد ! .

وامسك جيمي بالوردة في حنان ثم وضعها في جيب الصديرى ، وخلعجاكتته وشمر عن ساعديه! وفجاة اختفت شخصية رالف سبنسر وعاد جيمي فالنتين لص الخزائن ليحل محل الرجل الجديد مرة اخرى !

وارتفع صوت جيمي في حدة : « ابتعدوا جميعا عن هذا الباب ! وامتثل الكل في دهشة ! ثم وضع حقيبته الصغيرة فوق المائدة وفتحها عن آخرها .. ومنذ هذه اللحظة لم يعد جيمي يشعر باحد او بشيء مما يدور حوله ! لقد راح يخرج الأدوات من الحقيبة بسرعة ونظام ويطلق صفيرا هادئا ، تماما كما كان يفعل وهو منهمك في عمله .. وفي هدوء عميق وقف الجميع حوله يرقبونه وكأنهم تحت تأثير سحر عجيب !

وبدأ مثقاب جيمي الذى طالما كان يعتز ويفخر به ينخر في الباب الفولاذى ، وفي اقل من عشر دقائق سجل خلالها رقما قياسيا جديدا ، استطاع جيمي ان يعيد المزاليج الى مكانها ويفتح الباب !

ووراء الباب الفولاذى الكبير كانت اجاثا ترقد على الارض مغشيا عليها ، ولكنها كانت بخير . وهرعت الام تمد ذراعيها لتضم طفلتها الى صدرها في حنان ، وقد امتلات عيناها بالدموع ..

وفي هدوء عاد جيمي فالنتين يبحث عن جاكتته ويرتديها ، ثم اخذ يشق طريقه وسط الاعمدة الخشبية الى الباب الخارجي .. وفجاة سمع جيمي صوتا قادما من بعيد .. وأدرك على الفور انه يعرف هذا الصوت ، ولم يكن صاحبه سوى ضابط البوليس السرى « بن برايس » الذى راح يناديه : « رالف .. رالف ! » ولكن جيمي لم يتوقف ، لقد مضى في طريقه غير عابيء الى ان وصل الى الباب الخارجي وهناك وجد الرجل الضخم يعترض طريقه ويقف امامه وجها لوجه . ونظر اليه جيمي وقال : « هالو بن ! » ... قالها والابتسامة لا تزال تعلو وجهه ثم أردف : « لقد استطعت اخيرا ان تكتشف مكاني ، اليس كذلك ؟ حسنا .. انني رهن اشارتك الآن يا بن ، فلم يعد هناك شيء يهمنا الآن » .

ثم مد جيمي يده في رفق يتحسس الوردة الفضية التي وضعها في جيبه . انها ستكون الذكرى الوحيدة الباقية له في سجنه لاجل سني حياته !

ثم حدثت المفاجاة . لقد وقف « بن » في هدوء يرقب الرجل الذى كان يطارده ، ثم قال في هدوء « اعتقد انك اخطات يا مستر سبنسر . انا لا اعرفك ، ولم اقابلك يوما في حياتي . ان عربتك لا تزال تقف امام الباب الخارجي في انتظارك ! »

وخرج رالف سبنسر من الباب الكبير ، ثم سار في الطريق الطويل الممتد امامه لا يلوى على شيء ! ■■

ترجمة : منير نصيف

كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني

عند الجرجاني :
ان التفاضل بين الشعراء لا يكون بانهم قدماء او محدثون

وعند الجرجاني :
ان المحدثين من حقهم ان يتثقفوا بالبيئة الجديدة التي هم فيها

بقلم : الدكتور محمود السمره
الاستاذ بالجامعة الاردنية

■ هذا كتاب هو احد اثنين هما اشهر كتابين في تاريخ النقد الادبي عند العرب. اما ثانيهما فهو « كتاب الموازنة بين الطائيين » للآمدي .

ومؤلف كتاب « الوساطة » هو ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، الذي عرف فيما بعد بالقاضي الجرجاني ، وقد وصفه الثعالبي في « يتيمة الدهر » فقال : « حسنة جرجان ، وفرد الزمان، ونادرة الفلك ، وانسان حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب . . » .

وولد ابو الحسن بجرجان في العقد الثالث من القرن الرابع الهجري ،وطوف في بلدان فارس والعراق والشام ، طلبا للعلم والأدب. ولا تسعفنا كتب التراجم بشيء عن ترحله، وحياته ، ونجد انفسنا مضطرين الى استنطاق شعره . والشعر الذي بين ايدينا له يغفل ذكر الشام اغفالا تاما ، ويقف وقفات عاطفية طويلة عند اقامته في بغداد ، قبل ان يلتحق بخدمة الصاحب بن عباد .

★ ★ ★

وفي بغداد كان ابو الحسن شابا يقبل على الحياة اقباله على العلم ، يعب منهما عبا . وهو في شعره هنا يبدو لنا شره الحواس ، مفتونا بالجمال . وهو في شعره شاعر يعجب ويطرب، تفتنه الموسيقى، ويقع على اللفظة الموحية الحافلة بالظلال ، والألوان، دون تكلف :

هـذا الهلال شبيهه في حسنه
وبهائه ! كلا !! وفترة جفنه

هبك ادعيت بهاءه ، وضياءه
كيف احتيالك في تأود غصنه !!

لولاحظتك جفونه بفتورها
اقسمت انك ما رأيت كحسنه

من ذا الغزالُ الفاتنُ الطرف
الكامل البهجة والظرف ؟

ما بال عينيه والحاظه
دائبة تعمل فى حتفى ؟

واهاً لذاك الورد فى خده
لو لم يكن ممتنع القطف !!

أشكو الى قلبك ، يا سيدى ،
ما يشتكى قلبى من طرفى

وفى بغداد شاهد أبو الحسن بعينيه ، وسمع باذنيه ، قصصا تروى عن علية القوم ، وعرف ان سبيل الوصول الى المنصب والغنى مفتوح امام من يبيع كرامته ، ويتنكر لضميره ، فآثر الفقر والحرمان ، وشكا الزمان شكوى حرٍّ ابى ان يخضع ويذل ليَغْنَى :

وقالوا : « توصلْ بالخضوع الى الغنى »
وما علموا أن الخضوع هو الفقر

وبينى وبين المال بابان حَرَّما
على الغنى : نفسى الأبيةُ ، والدهر

ومما زاد ، آله ، وجسّد مأساة العصر فى نظره، انه رأى العلماء الاجلة يقفون على الابواب ، ويُريقون كرامة العلم من اجل اعراض الدنيا ، من مال وسلطان . وقد صوَّر مأساته من عصره فى قصيدة هى قمة من قمم الشعر فى أدبنا ، وقد سبق أن نشرت فى باب « من الشعر القديم » فى مجلة « العربى » ، ومطلعها :

يقولون لى : « فيكَ انقباضٌ » ، وانما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

والنتيجة الحتمية لمثل هذا الاحساس ، الميلُ الى اعتزال الناس ، حتى اصبح النفور طبعا أصيلا فيه ، لا يستطيع منه فكاكا .

★ ★ ★

واذا كان أبو الحسن قد أبى ان يقف مواقف علماء عصره من اصحاب السلطان ، فحُرم بذلك من المال ، وعاش فى عوز ، فانه فى الوقت نفسه كان يحلم بيوم يتفتق فيه صباحه عن صاحب سلطان نبيل ، يعرف للعلماء قدرهم ، يمد له يد العون ، ويعينه على التغلب على تفاهة العصر .

وأخيرا وجد هذا الحلم فى شخص الوزير الصاحب ابن عباد ، الذى سمع بذكره ، ونقل له ادبه ، فدعاه اليه . وهنا بدأت فى حياة أبى الحسن صفحة جديدة احتفظت بكل خصائص الحياة الأولى ، ما عدا الشكوى من الزمان ، لانه فى خدمة الصاحب بن عباد حصل على ما يكفيه من مال ، ووجد عنده ما تمناه من اكرام واعزاز للعلم والعلماء .

وكان اول من ولاّه الصاحب من اعمال ان جعله قاضيا على بلدته ، ثم اراد ان يحتفظ به الى جواره ، فعينه قاضيا للقضاة فى الرى ، وبقى فى هذا المنصب .. حتى بعد وفاة الصاحب ـ الى ان لبّى نداء ربه . ويجمع الذين ترجموا له على انه كان قاضيا نزيها حكيما .

وفى سنة ٣٩٢ هـ . توقف عن الخفقان قلب خفق طويلا ، وتعذب كثيرا ، وصعدت الى بارئها نفس ما عرفت فى حياتها الا الاباء وعزة النفس . وحُمل تابوت أبى الحسن الى جرجان فدفن بها ، وسار كبار رجال الدولة فى جنازته راجلين .

★ ★ ★

وكتاب «الوساطة» صورة حية عن أبى الحسن الجرجانى ، القاضى العادل ، والشاعر المطبوع ، والناقد الذوّاقة . وقد ندب نفسه الى كتابة هذا المؤلف،بعد ان اشتدت الخصومة حول المتنبى، ليتوسط بين المادحين والقادحين.ويرى المستشرق الفرنسى الأستاذ بلاشير ان القاضى الجرجانى الف كتاب « الوساطة » لكى يرد على الصاحب ابن عباد ، حيث اراد ان يؤيد ما هو صحيح من الهجمات التى وجهت الى الشاعر ، ويبين ايضا ما يستحقه بجدارة من مدح المعجبين به . وهو رأى قال به الثعالبى وجاراه فيه بلاشير . وفى رأينا ان الحياة النقدية فى القرن الرابع الهجرى كانت تدفع أبا الحسن الى تأليف كتابه ولم يكن الصاحب سوى حافز من حوافز عدة .

ويبدو ان الكتاب استقبل عند ظهوره استقبالا حافلا ، وانتشر فى البلاد على نطاق واسع ، حتى قال فيه بعض اهل نيسابور :

أبا قاضيا قد دَنَتْ كتبه
وان أصبحتْ دارُه شاحطة

كتـابُ الوَسَـاطة فى حسنـــــه
لعِقْــــد ماليـــــك كالواسـطة (١)

★★★

وكتاب الوساطة رسالة واحدة مترابطة الأفكار، وان خفى هذا الترابط احيانا . ونستطيع ان نقسم الكتاب الى ثلاثة اجزاء رئيسية :

١) المقدمة : وفيها يقرر المؤلف موقفه من الأدب ونقده ، وفى هذا الجزء جُلُّ النظريات النقدية التى جاء بها ، واعتمد عليها .

٢) دفاعه عن المتنبى : وليس فى هـذا الجزء نقد حقيقى ، بل دفاع عن المتنبى بطريقة سالبة ، فهو لا يناقش مآخذ الخصوم على المتنبى ، ولكنه يسلم بها ، ويرد عليهم بأن كبار الشعراء وقعوا فيما وقع فيه المتنبى من اخطاء .

٣) نقد تطبيقى . يتناول فيه مآخذ الخصوم على المتنبى ـ ويناقشها ، ويرد على بعضها ويسلم ببعضها الآخر .

★★★

وانه لمن العسير هنا استعراض آراء الجرجانى كلها فى كتابه ، ولهذا فاننا سنقصر حديثنا على موقفه من القدماء والمُحْدَثين ، وهـى قضـية موجودة فى الأدب الغربى ايضا . وما دام الفن عامة تعبيرا عن نفس الفنان ، وما دامت الاصالة هى طابع الفنان الحق ، فان المعركة بين القديم والحديث امر محتوم .

وقد بدأت هذه الخصومة بين القدماء والمحدثين ببدء التدوين فى العصر الأموى : فعلمـاء اللغة والنحويون اقبلوا على وضـع قواعـد مستنبطة من الشعر العربى القديم . وبقيام الدولـة العباسية ، واشتهار طبقة المولدين مـن الشعراء الذين يتقنون العربية ، اشتدت الخصومة بين العرب المتعصبين لعروبتهم وتراثهم وبين الطبقة الجديدة التى لم تر باسا فى التجديد ، تمشيا مع التطور الذى طرأ على المجتمع العربى الاسلامى. وقد امتزجت هذه الخصومة حول القديم والحديث بعوامل اخرى سياسية ، لا صلة لها بالتراث العربى .

وقد تركزت هذه الخصومة حول عمود الشعر واستنفاد القـدماء للمعانى : فانصار القديم يدّعون ان الشعراء المحدثين قد خرجوا على نهج القصيدة العربية ، كما أدى القول الثانى الى مناقشات طويلة دارت حول ما عرف باســم « الرقات الأدبية » . ومصطلح « عمود الشعر » نجده فى كل كتاب نقدى ، وادبى ، تقـــريبا ، وهم يعنون به تقاليد الشعر الموروثة . والمبادىء التى سبق اليها الاولون ، واحتذاها من جـــاء بعدهم . وانصار القديم انما ينتقدون المحدثين لخروجهم عن هذه المقاييس .

★★★

ونستطيع أن نقسم الذين تصدوا لهذه المعركة بين القديم والحديث الى ثلاث فئات :

فئة لا ترى حسنا الا فى الشعر الجاهلـى والاسلامى المتقدم ، كالاصمعى ، وأبى عمرو بن العلاء ، وابن الأعرابى .

وفئة ثانية تقف موقفا وسطا : فهى تأخـذ بمعايير عمود الشعر ، ولكنها تترك مكانا للابداع ، وحسن الصنعة ، وقد أطلقت على اتجاهها اسم « طريقة العرب » ، ومن خير الممثلين لها صاحب كتاب الوساطة .

وفئة ثالثة تهاجم القديم ، وتتعصب للحديث : كالصولى ، وابن شرف ، وضياء الدين بن الاثير.

والجرجانى فى موقفه من هذه المعركة معتدل منصف : فهو يرى انه اذا كان يؤخذ على المتنبى والمحدثين امثاله اغلاط فى النحو والمعانى ، فقد وقع القدماء فى مثلهـا . ويعلـق على ما تكلفـه النحويون من احتجاج للقدماء ، ومحاولتهم تبرير هذه الأخطاء ، فيقول : « ان المحرك لها ، والباعث عليها ، شدة اعظام المتقدم ، والكلف بنصرة ما سبق اليه الاعتقاد ، والفته النفس » .

ومثل هذا الرأى يصدر عن القاضى الجرجانى فى زمنه يدل على جراة ، وموضوعية تحمد له . وهو يؤكد ان تعداده لأخطاء القدماء لا يعنى الغض من قيمتهم ، بل ابراز هذه الحقيقة .

ويذهب القاضى الجرجانى الى ابعد من هذا فى توضيح أن تعظيم انصار القديم للقديم لا يقـوم على اساس منطقى ، ويستشهد بقصص تبين كيف

---

(١) شاحطةٌ : بعيدة . الواسطة : واسطة العقد ، وهى أكبر حجر كريم فيه .

أن حفاظ اللغة،وجلة الرواة،كانوا يستحسنون البيت اذا سمعوه ، فاذا عرفوا انه لمحدث انكروه ، معتبرين أن نقضهم لقولهم اهون عليهم من التسليم بالاحسان لشاعر محدث .

من ذلك ما حكى عن اسحق بن ابراهيم الموصلى انه قال : انشدت الأصمعى :

هل الى نظرة اليك سبيل
فيبل الصدى ، ويشفى القليل ؟

ان ما قل منك يكثر عندى
وكثير ممن تحب القليل

فقال : والله هذا الديباج الخسرواني ، لمن تنشدنى ؟

فقلت : انهما لليلتهما . (أى لاسحق الموصلى نظمها فى الليلة الماضية) .

فقال : لا جرم والله ان أثر التكلف فيهما ظاهر !!

★ ★ ★

ومع هذا فان بعض انصار القديم قد يفيئون للحق اذا ظهر لهم ، كأبى رياش القيسى اللغوى ، الذى كان معروفا بالتحامل على المحدثين ،والغض من أبى تمام والبحترى خاصة . ويحكى عن أبى رياش انه انشد ذات يوم قول البحترى :

نظرت الى طدان ، فقلت : ليلى
هناك ، واين ليلى من طدان ؟

ودون مزارها ايجاف شهر
وسبع للمطايا او ثمان

ولما غربت أعراف ليلى
لهن ، وشرقت قنن القنان

تصوبت البلاد بنا اليكم
وغنى بالاياب الحاديان (١)

فقال:أحسن والله ، من هذا البدوى المطبوع؟

فقيل : انهما للبحترى .

فقال : أعد .

فأعيدت ، فرجع عن رأيه فيه ، وحض الناس على رواية شعره .

★ ★ ★

والشعراء المحدثون عند أبى الحسن جديرون بالاكبار « لان أحدهم يقف محصورا بين لفظ قد يضيق مجاله ، ومعان قد سبق الى جيدها». فكان القدماء عنده قد استنفدوا المعانى ، وهى حجة مكررة كان يرددها انصار القديم ، بل هى فكرة اقدم من هذه الخصومة نجدها فى العصر الجاهلى فى شعر زهير وعنترة . قال عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم
ام هل عرفت الدار بعد توهم

ويبدو لى أن القاضى الجرجانى لا يؤمن فعلا بأن القدماء قد استنفدوا المعانى ، والدليل على ذلك انه يستشهد فى كتابه بأبيات للمتنبى يرى أنها جيدة السبك ، مبتكرة المعنى . وهو يقرر ان الحكم على قيمة الشعر لا يكون بقدمه ، بل بمقدار الاسترسال للطبع . وأن التفاضل بين الشعراء لا يكون بسبب كونهم قدماء أو محدثين. «ولست افصل فى هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلى والمخضرم ، والأعرابى والمولد » ، لان التفاوت انما يكون بمقدار ما فى الشاعر من موهبة شعرية .

★ ★ ★

وخصوم المتنبى يهاجمونه بانه قد خرج على عمود الشعر ، فوقع فى الغلط واللحن والضعف والركاكة،وجاء بالمستحيل من المعانى ،وبالاستعارة السيئة .. فكانهم بهذا ينادون برد الشعر الى طبيعته القديمة . أما الجرجانى فيرى أن هؤلاء الخصوم غير منصفين ، وغير موضوعيين فى هجومهم على المتنبى . وهو لا يبخس القدماء قدرهم ، ولكنه ينصف المحدثين ، ويرى أن من حقهم أن ينتفعوا بثمار البيئة الجديدة . ومثل هذا الرأى جاء به العالم الاجتماعى الفرنسى الفيلسوف جبرائيل تارد Tarde (ت ١٩٠٤م) فى أواخر القرن الماضى ومطلع هذا القرن ، أى بعد القاضى الجرجانى بتسعة قرون .

★ ★ ★

هذا هو رأى الجرجانى فى المعركة بين القدماء والمحدثين ، وهى معركة لم تستطع أن تنتج مدرسة نقدية بالمفهوم الفنى لهذا المصطلح .ولعل أول مدرسة نقدية انتجتها هذه المعركة بين القديم

(١) طدان : اسم موضع بالبادية . ايجاف : نوع من السير . اعراف : جمع عرف ، وهو المكان المرتفع

والحديث ، هى تلك المدرسة المتأثرة بالنقد الأدبي الانجليزى فى هذا القرن والتى كونها عبد الرحمن شكرى ، والمازنى ، والعقاد ، وتلك المدرسة المتأثرة بالنقد الفرنسى التى من رجالها محمد حسين هيكل وطه حسين .

★ ★ ★

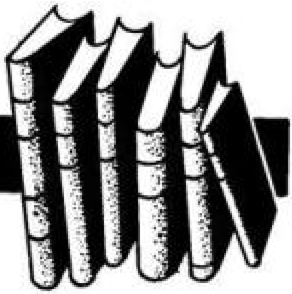
ونحن نجد هذا الصراع بين القديم والحديث فى كل الآداب المعروفة ، وهو أمر طبيعى لا غرابة فيه . واقدم معركة بين انصار القديم والحديث فى الادب الغربى تعود الى القرن الرابع قبل الميلاد ، اى قبل بدء هذه الخصومة بكثير : ففى بلاد الاغريق كان الشاعر اسخيلوس Eschyle يمثل القديم والشاعر يوربيبيديس Uripide يمثل الجديد ، وحول مسرحياتهما دار جدل عنيف بين انصار كل منهما. وقد بلغ من عنف هذه الخصومة الادبية ان دفعت الشاعر الساخر ارستوفانيس Aristophane الى تصويرها فى مسرحيته المشهورة «الضفادع».

وفى أواخر القرون الوسطى رسم شاعر انجليزى مجهول الاسم صورة للصراع الأدبى بين القديم والحديث فى قصة شعرية طويلة بعنوان « البومة والعندليب » حيث البومة تتحدث بلسان القديم، والعندليب بلسان الجديد .

ولعل معركة الكلاسيكية والرومانسية كانت آخر معركة بين القديم والجديد ، لان المعركة انتقلت بعد ذلك الى صراع بين مدارس مختلفة كلها جديد، كما هو الحال فى الأدب الغربى فى أيامنا هذه .

■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

دليل النجف الأشرف

لعبد الهادى الفضلى/مكتبة التربية بالنجف الاشرف . بمناسبة مرور ألف عام على جامعة النجف .

● صدر هذا الكتاب بمناسبة الذكرى الالفية لمولد الفقيه محمد بن الحسن الشهير بشيخ الطائفة الطوسي مؤسس جامعة النجف ، وقد ولد فى عام ٣٨٥ هـ . وهو دليل للنجف يوزع على كل من يرتاد هذه المدينة من الزائرين والسائحين والوفود .

ليالي غريب

نظم على محمد لقمان ــ الناشر مطابع دار الاخبار بعدن

● مجموعة شعرية يروى بها ناظمها ذكرياته اثناء تجواله فى بلدان مختلفة .

تحت سماء الاندلس

● تمثيلية فى اربعة فصول بقلم زكى قنصل ــ الناشر وزارة الثقافة والارشاد ــ سوريا .

الانسان بين الجبر والاختيار

لمحمد سلامة جبر ــ مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة .

● قصد الكاتب اظهار معتقد الفرقة الناجية ــ فى رايه ــ من المسلمين الذين هم على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى العقيدة والسلوك وفى الايمان بالقضاء والقدر خيره وشره .

شعراء الرس النبطيون

تأليف : فهد الرشيد ــ الناشر : المطبعة الهاشمية بدمشق

● الرس هى آبار أو موارد العرب من بنى أسد فى الجاهلية ، وفى هذا الكتاب جمع المؤلف مجموعة من شعر شعراء هذه المنطقة .

السنة السياحية الدولية ١٩٦٧

وزارة الارشاد والانباء ـ ادارة الثقافة والنشر ـ قسم السياحة

● وهو كتاب يتضمن تقرير الاتحاد الدولي للمنظمات السياحية الرسمية (الأيوتو) . ويهدف هذا التقرير الى اعطاء الصورة العامة للاهداف والخطط التي وضعت من أجل السنة السياحية الدولية ، والمبررات الموجبة لتخصيص عام للسياحة ، والاهتمام بالسياحة كعامل من عوامل التطوير الاقتصادي ، وكذلك الدور الذي تلعبه السياحة في الميادين الاجتماعية والتعليمية والثقافية. وقد اتخذ اتحاد الأيوتو شعار (السياحة سبيل السلام) رمزا لعام ١٩٦٧ لتوكيد الدور الذي تلعبه السياحة في حياة الشعوب .

وبين الكتاب أوجه النشاط خلال هذه السنة من ناحية الاعلام والتعليم وشرح دور السياحة في الحياة العصرية والتسهيلات التي يجب أن تتخذها الحكومات لتخفيف القيود عن المسافرين والعمل على تنمية المناشط الترويجية على المستويات العامة والاقليمية بغية زيادة حجم التدفق السياحي .

ويتضمن الكتاب كذلك التوصيات التي تقدمت بها اللجنة الفنية لاتحاد الأيوتو للاخذ بها في مجال التطوير السياحي والتوصيات الموجهة من الحكومات ومنظمات السياحة والسفر والعاملين في هذه الحقول .

السنة السياحية الدولية
١٩٦٧
السياحة سبيل السلام

International Tourist Year
1967
Tourism Passport to Peace

النظام المالي وتداول الثروة في الاسلام

لمحمد مهدي الآصفي / مطبعة النعمان بالنجف الثمن ١٠٠ فلس .

● عرض سريع لسير المال في جهاز الدولة وتداول الثروة خلال عمليتي الانتاج والتوزيع في المجتمع الاسلامي ، ودراسة تمهيدية عن دور المال في الدولة الاسلامية في القطاعات الحكومية والشعبية ، وأثره في تحقيق العدالة الاجتماعية. وتوفير الضمانات الاجتماعية للأمة .

مدارس بغداد في العصر العباسي

لعماد عبد السلام رؤوف ـ مطبعة دار البصري ببغداد السعر ٥٠٠ فلس عراقي .

● حاول المؤلف في هذا الكتاب البحث في تاريخ مدارس بغداد ، وذكر معظم مدارسها العلمية في اشد عصورها ازدهارا ، وهو العصر العباسي .

معجم الموسيقى العربية

تأليف : الدكتور حسين علي محفوظ
الناشر : مطبعة دار الجمهورية ـ بغداد

● هذا الكتاب يوضح الاصطلاحات والمواضعات التي استعملها العرب في الموسيقى والغناء وذكر التعريفات لاوابد الفاظ الموسيقى العربية وذكر أسماء أعلام الغناء العربي وطرائقهم في هذا الفن .

هيجل وفلسفته لرينيه سيرو

ترجمة نهاد رضا / دار الانوار ببيروت الثمن ٤٠٠ قرش لبناني .

● يحوي الكتاب فلسفة جورج ويلهم فردريك هيجل في القرنين السابع والثامن الميلادي ،والذي قيل عنه انه ارسطو الازمنة الحديثة ، كما يتناول المؤلف الفلسفات المختلفة والمسالة الدينية والسياسية من هيجل الى ماركس .

الاصلاح الزراعي في تايوان

تأليف : شن شنغ ـ الناشر : شركة النشر الصينية ص. ب ٣٣٧ تايبه ـ يطلب من مطبعة سميا ـ بيروت ـ لبنان

● يصف هذا الكتاب باسهاب واف كيف قامت حكومة الجمهورية الصينية بحل مشكلة توزيع الاراضي في مقاطعة تايوان . ويبين المؤلف وهو نائب رئيس الجمهورية ، ان النتيجة التي أسفر عنها مشروع تايوان تنطوي على فوائد مهمة لاولئك الذين يواجهون الضرورة الى الاصلاح الزراعي في بلادهم .

الفلكلور الغنائي عند العرب

تأليف : نسيب الاختيار

الناشر : وزارة الثقافة والارشاد بالجمهورية العربية السورية

● يؤلف الغناء عند العرب ثروة وطنية كبرى لما توفرت فيه من خصائص تعبر اصدق تعبير عن روح الشعب العربي . ولكن الغناء الفلكوري لم يلق اهتماما من المؤرخين القدامى وخاصة مؤرخي الموسيقى اعتقادا منهم بان الغناء الشعبي . لا يستحق منهم كبير اهتمام لا في مادته الشعرية ولا في مادته الغنائية ، ولانه لا يمثل المستوى الادبي والفني للفئة التي كان يكتب لها التاريخ في العصور الخالية . وفي هذا الكتاب تعرض المؤلف باسهاب الى الفكرة الاساسية في الغناء الفولكوري . وشرح باسهاب تطور الاغنية الفولكلورية .

القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر

للدكتور عبد الأمير محمد أمين مدرس التاريخ الحديث في كلية الآداب/مطبعة أسعد ببغداد الثمن ٢٠٠ فلس عراقي .

● يحاول المؤلف في هذا الكتاب ابراز الدور الذي لعبته القوى البحرية المتصارعة في الخليج العربي في القرن الثامن عشر وان يوضح أثر ذلك الصراع في العراق ، وكيف أدى تخلف العراق في النواحي البحرية الى حصر نفوذ حكام العراق ـ ولاة بغداد ـ داخل ولايتهم ومنع امتداده الى الخليج .

الاخطاء السائرة في اللغة العربية

لخالد قرطوش وعبد اللطيف الارناؤوط / مطابع ابن زيدون بدمشق .

● يبحث مؤلفا الكتاب في الاخطاء السائرة في اللغة العربية ووسائل درء هذه الاخطاء عن اقلام الكتاب والسنتهم ، لحماية العربية من ان تفقد صفاءها وبهاءها .

التقرير الى آباء التلاميذ

تأليف : روث سترانج : ترجمة : الدكتور محمد خليفة بركات : الناشر : دار النهضة العربية القاهرة

● كتاب يوضح فيه المؤلف اهمية التقارير وطرائقها وانواعها من حيث انها وسيلة لتوجيه النشء الوجهة السليمة . وتتميز الطريقة التي عولج فيها الموضوع بانها تجمع بين الآراء النظرية التي ينادي بها علماء التربية والنفس ، وبين التطبيقات العملية وخبرة المدرسين والنظار في تلك الميادين .

من وحي التقى

لمحمد مهدي الآصفي ـ مكتبة التربية بالنجف الاشرف .

● حديث عن التقوى يقدمه مؤلف الكتاب الى الشباب الذين آمنوا بالله . فآثروا التقوى على الضلال ، والفضيلة على الرذيلة ، والاستقامة على الانحراف ، ودفعوا ثمن ذلك باهظا .

الفن والقومية

للدكتور عفيف بهنسي ـ مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق .

● من سلسلة « كتب قومية » ، وهو بحث في مفهوم الفن القومي وفي المعالم العربية في الفن ودعوة الى بناء فن أصيل ، ويحوي الكتاب عرضا لمفهوم القومية ورسالة الفن .

ديوان عبد القادر رشيد الناصري

جمعه : ـ كامل خميس ـ مطبعة شفيق ببغداد

● ديوان شعر للشاعر الراحل عبدالقادر رشيد الناصري .



أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

لا يهمّني من يضعُ القوانين للنّاس

●● في اي عصر من العصور القديمة كانت نشأة الغناء في العالم ، وأي شعوب الأرض كان اسبق الى ذلك من سواه ؟

ثم في اي عصر بدأ الغناء العربي ، وعلى يد من ، وكيف كانت نشأته ، ثم ما طرأ عليه بعد ذلك من تطورات .

واخيرا هل عرف العرب الغناء قبل الشعر ، ام الشعر قبل الغناء ؟!

آنسة عطاف خليل / القاهرة

■ ■ ■

لا يعرف على التحديد متى واين كانت نشأة الغناء في العالم . ولكن الذى لا شك فيه انه من اقدم ما عُرِفَ من الوان التعبير الانساني في حياة الأمم والشعوب والأفراد . فبه كان الانسان ، وما يزال ، يعبر عن كثير من عواطفه واحساساته وغرائزه .. وقد لا نكون مخطئين اذا قلنا ان الانسان عرف الغناء قبل ان يعرف الشعر او الموسيقى او الرقص او غيرها من مختلف وسائل التعبير من الفرح والحزن وغيرهما من العواطف والأحاسيس .

وما يقال عن الغناء بوجه عام ، يقال مثله عن الغناء العربي . فلا يمكن تحديد الفترة التى كانت فيها نشأته الاولى ، ولا كيف نشأ ؟ وكل ما يمكن أن يقال ان الغناء عند العرب قديم قِدَمَ الشعر ، وربما كان أقدم منه ، وان كانوا قد نبغوا في الشعر بدافع البيئة الصحراوية التي كانوا يعيشون فيها والحياة البدوية التى كانوا يحيونها في الجاهلية .

ويمكن القول بان اشتغال العرب بالتجارة والتنقل بقوافل الابل ، جعل اول ما عرفوا من فنون الغناء وأحبها الى نفوسهم : الحُداء ، والنشيد .. ولما اختلطوا بالفرس والروم وغيرهما اخذوا ينقلون عنهم بعض النغمات ويتغنون باشعارهم عليها ، وكان ذلك اول عهد العرب بالغناء المُلَحّن . اما ما قبل ذلك فكان غناؤهم يجرى على الفطرة ، ولذا كان معظمه يدور حول التفاخر بالحسب والنسب ، وتمجيد المروءة والكرم والنخوة ، والاشادة بالبطولة والفروسية، واخيرا في المديح ...

اما الغزل والنسيب والتشبب بالمرأة فلم يعرف طريقه الى الغناء العربي الا بعد ان كانت هذه العناصر كلها قد استقرت وتوطدت اركانها ، مما يدل على ان الوجدان العربي في تلكم الأيام كان اصيلا في الفخر والحماسة والجود والشجاعة والفروسية ، ولم يكن يهدف الى اللهو والعبث كما غدا بعد ذلك فيما تعاقب من قرون وازمان ..

وكان الشعر بطبيعة الحال هو عماد الغناء العربي القديم ، سواء في الجاهلية او في الاسلام .





يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

بقدر ما يهمني من يضع لهم أغانيهم

"كونفوشيوس"

وقد سمع الغناء كثير من الصحابة والتابعين والأئمة الكبار ، ولم يروا في الاستماع اليه حرجا ، لانه كان غناء نظيفا بريئا من كل ما يشينه هذه الأيام من الخلاعة والمجون اللذين بدا تسللهما اليه في العصر العباسي ، وما زالا يسيطران عليه حتى الآن !

سمع عمر بن الخطاب « رواح بن المعترف » يغني الناس في الحج الأكبر فاستحسن غناءه ولم يعترض عليه او يمنعه .

وروى انه – أى عمر – مر برجل يتغنى فقال : ان الغناء زاد المسافر .

وروى عن الامام الغزالي انه قال : « سمع الغناء من الصحابة عبد الله بن جعفر ، وعبد الله ابن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، والنعمان بن بشير الانصاري ، ومعاوية » .

« وسمع الغناء من الأئمة : الامام الشافعي والامام ابن حنبل » .

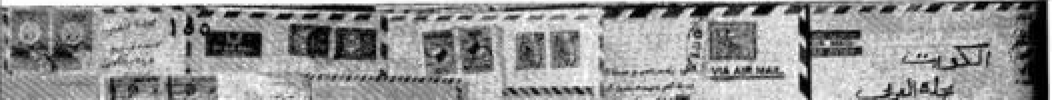
« وكان بعض الزهاد يقتات بالسماع ليقوى به على زيادة طيه . كان يطوى اليوم واليومين والثلاثة ، واذا تاقت نفسه الى القوت عدل بها الى السماع فاستغنى بذلك عن الطعام » .

ومن الخلفاء الذين عرفوا بالغناء ، وكانت لهم فيه صنعة اشتهروا بها : عمر بن عبد العزيز . الذى كان من احسن الناس صوتا ، رغم انه لم يكن يميل الى الشعر ولا يرحب بالشعراء ، او يسخو عليهم في العطاء .

ومنهم الخليفة « الواثق » الذى كان له غناء كثير عرف به ، حتى قال فيه اسحق الموصلي انه كان اعلم الناس بالغناء واحذق من غنى بضرب العود ، وكان له مائة لحن او يزيد !

وكذلك كان « المتوكل » ، و « ابن المعتز » و «ابراهيم بن المهدى» و «علية» اخت «الرشيد» التى كان يعجب بها ويفضلها في الغناء ...

وكما مرت بالغناء العربي فترات ازدهار ، مرت به فترات هوى فيها الى الحضيض ، خاصة بعد ان غلبت عليه اللهجات العامية بعد العربية الفصحى ، فطغت الأغاني التافهة الرخيصة على كل ما عداها ، دون ان يكون لها مغزى او هدف سوى اضحاك الجمهور او اثارة غرائزه ، وخاصة في النصف الاول من هذا القرن ، ثم انتهت هذه المرحلة ليبدأ الغناء العربي مرحلة جديدة ليست خيرا من سابقتها ، لأنها مرحلة الاغنية المريضة التي تدور حول الحب والهجر والسهر والدموع ، او ما هو شر من ذلك من التفاهات مثل : « ابنوح يا ابنوح .. كلب العرب مجروح » او « يابو زعيزع قوم صلي .. خلتي مرانك تقتلني » او « عمك شنتلح جالك ينطح » او « جاب لى الشبشب يقرا ويكتب روح رجعه وهات لى العنب » وغير ذلك من سخافات تفوق الحصر والعد ، وكان مؤلفي هذه الاغاني وتلك ، ومعهم محطات الاذاعة والتلفزيون التى تذيعها صباح مساء ، مسخرون لاشاعة الميوعة والضعف والتخاذل ، والقضاء على ما في تراثنا الاخلاقي والفني من قيم ومفاهيم !



المنفلوطي
بين "النظرات" و"العبرات"

●● لمناسبة ما ذكرتموه في عدد ديسمبر الماضي في مستهل الاجابة الصحيحة لمسابقة العدد ٩٥ من ان مؤلف كتاب « العبرات » هو المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي ، احب ان اسألكم كيف كان السيد المنفلوطي يترجم ما ترجم من عيون الأدب الفرنسي مثل « غادة الكاميليا » و «ماجدولين» و « بول وفرجيني » و « في سبيل التاج » ، وغيرها ، مع انه لم يكن يعرف الفرنسية ؟

واكون شاكرا ايضا لو تفضلتم بنشر نبذة موجزة عن حياته ، وفي اي سنة مات .

صالح ابو القاسم / المدينة المنورة

ــ ولد السيد مصطفى لطفي المنفلوطي عام ١٨٧٦ في بلدة منفلوط احدى مراكز مديرية اسيوط في صعيد مصر ، لابوين من الاشراف ، وتلقى علومه في الأزهر الشريف ، ثم اخذ يكتب في بعض الصحف العصرية الكبرى ويعالج القضايا الاجتماعية الهامة حتى برز بين رجال الأدب في عصره .. وكان رحمه الله جميل الطلعة ، وجيه المظهر ، يغشى مختلف النوادي الادبية في القاهرة ويختلف الى منازل العظماء الذين كانوا يجلونه ويحترمونه ، فأشار عليه بعضهم بان يجمع بعض مقالاته وينشرها في كتاب صدر في ثلاثة اجزاء باسم « النظرات » طبع عدة طبعات فنفدت كلها .

وقد شجع ذلك السيد مصطفى على ترجمة طائفة من القصص والروايات العالمية ، ولكنه لم يكن يجيد لغة اجنبية ، لا الانجليزية ولا



الفرنسية ، فكان يستعين ببعض اصدقائه الخلصاء في اختيار تلك الروايات ، ثم في اعداد ملخص لحوادثها وتسلسل وقائعها ، ويبدأ هو يكتب القصة او الرواية باسلوبة الذي كان اذ ذاك قد شاع وذاع وانتشر في الاوساط الادبية والتعليمية، لما جمع بين السلاسة والسهولة والروعة والابداع .

وقد تضمن كتابه « العبرات » طائفة من القصص القصيرة الحزينة ، بعضها موضوع وبعضها مترجم ، وقد قدم لها بعبارة قال فيها : « الاشقياء في الدنيا كثيرون ، وليس في استطاعة بائس مثلي ان يمحو شيئا من بؤسهم وشقائهم ، فلا اقل من ان اسكب بين ايديهم هذه العبرات ، علهم يجدون في بكائي عليهم تعزية وسلوى . »

ومن الروايات التي ترجمها « تحت ظلال الزيزفون » و « الشاعر سيرانو دي برجراك » و « الفضيلة او بول وفرجيني»،وذلك غير ما ذكرت في صدر خطابك . وقد اعيد طبع اكثر هذه الروايات غير مرة ولقيت من الرواج ما لم يسبقها اليه كتاب في ذلك الزمان .

وتوفي رحمه الله في نفس اليوم الذي اطلق فيه الرصاص على الزعيم الراحل سعد زغلول ، ولهذا استهل شوقي قصيدته التي رثاه بها بقوله :

اخترتَ يوم الهول يوم وداع
ونعاك في عصف الرياح الناعي



مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومؤلفاتها

●● لمناسبة مقال الدكتور قسطنطين زريق الذى نشرتموه بعدد تموز بعنوان « العلم في خدمة قضية فلسطين » أرجو ان تتفضلوا بافادتي عن أهم المؤلفات التي اصدرتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية التي ورد اسمها في المقال المذكور ، وافادتي عن عنوانها الكامل ، ومن هم مؤسسوها .

الكويت جورج غطاس

ـ أصدرت مؤسسة الدراسات الفلسطينية حتى الآن الكتب الآتية :

ـ الانسحاب من سيناء (بالانجليزية) .

ـ مجموعة قرارات الامم المتحدة الخاصة بفلسطين من عام ١٩٤٧ الى عام ١٩٦٥ (بالانجليزية)

ـ فلسطين امام الامم المتحدة عام ١٩٦٥ (بالانجليزية) .

كما أصدرت أخيرا كتابين جديدين هما :

ـ الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٤ .

ـ الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٥ في المجالين العربي والفلسطيني .

وعنوان المؤسسة هو : شارع تشيلي المتفرع من فردان ـ بيروت ـ لبنان .

ومن ابرز اعضائها المؤسسين الرئيس شارل حلو رئيس الجمهورية اللبنانية ، والاساتذة : موريس الجميل ، سعيد حماده ، وليد الخالدى ، برهان الدجاني ، انطون رباط ، قسطنطين زريق ، فؤاد صروف ، نجلا ابو عز الدين .

وكان المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح امير الكويت السابق قد تبرع لهذه المؤسسة عند تأسيسها بمبلغ عشرين الف دينار .

السندباد البحرى ، وابن بطوطة

●● يقولون ان السندباد البحرى شخصية خيالية اسطورية .. فما هو حال ابن بطوطة ، وهل هو خرافة كذلك ، أو حقيقة ؟ .. واذا كان حقيقة ، فهل يمكنكم كتابة بعض المعلومات عنه ؟

الجزائر ابراهيم صالح المزيانى

ـ اما ان السندباد البحرى شخصية خيالية فهذا في حكم المؤكد ، ويقال ان مغامراته الاسطورية التى ورد ذكرها في كتاب ألف ليلة وليلة انما نقلت عن أصل هندى ، شانه في ذلك شان « على بابا والاربعين حرامى » ، وغيره من أبطال المغامرات الاسطورية التى يحفل بها كتاب الف ليلة وليلة.

ولكن الحال يختلف بالنسبة لابن بطوطة ، الذى لا يشك أحد في حقيقة شخصيته..فقبره موجود في مدينة طنجةبشمال المغربحيثولد عام ٧٠٤ هـ. (١٣٠٤م) واسمه الكامل هو أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم اللواتى نسبة الى لواته ، احدى قبائل البربر .. الا انه اشتهر بابن بطوطة .

وقد استغرقت رحلاته زهاء ٢٩ عاما زار خلالها سائر اقطار المغربالعربى ومصر وسوريا والجزيرة العربية ، وشرق افريقيا ، وآسيا الصغرى ، وجنوب روسيا والهند والصين والاندلس والسودان .

وقد توفى ابن بطوطة عام ٧٧٩ هـ . (١٣٧٧م) وكان عمره اذ ذاك ٧٣ عاما ..

« أمزمعة" للبين ليلى » ..
و « العيون التى فى طرفها حور »

●● أمزمعة" للبين ليلى ولم تمت"   كأنك عما قد أظلك" غافــــل
ستعلم ان شطت بهم غربة النوى   وزالوا بليلى ان" لبك" زائل
وانك مسلوب التصبر والاســى   اذا بعدت ممن تحب المنازل

ارجو أن تتفضلوا بافادتي عن قائل هذه الابيات الثلاثة ، وهل هو حقا الشاعر الذى قال :

ان العيون التي في طرفها مرض   قتلننا ثم لم يحيين قتــلانا ؟

ثم ما هو مطلع القصيدة التى تضم هذا البيت الاخير ، وهل لكم ان تنشروا لنا بعض أبياتها اذا تعذر نشرها كاملة ؟

سهام ابو فارس / غزة

ـ يقول صاحب الاغانى فى الجزء الثانى ص ٧٨ ان البيتين الاول والثانى من الابيات الثلاثة هما لمجنون ليلى ، ويؤيده فى رايه كتاب « الامالى » لابى على القالى (ج ١ ص ١٦٤) كما ان البكرى فى كتابه « اللآلى » اكد هذه النسبة واضاف البيت الثالث .

على أن هنالك من يقول ان الابيات الثلاثة من قصيدة لابن الدمينة مطلعها :

هل القلب من ذكرى "أميمة" ذاهل" ؟
نعم،حين" يمشى بى الى القبر حامل

وهى احدى مقطوعات ديوانه .

وقد اختلفت رواية البيت الاول . ففى « الاشباه والنظائر » يبدأ بقوله : « أمزمعة بالبين » بدلا من « للبين » وفى « الامالى » : « امزمعة ليلى ببين ولم تمت » ، وكلها تؤدى معنى واحدا .

ومن روايات البيت الثانى :

ستعلم ان « زالت » بهم غربة النوى
« وزالوا » بليلى ان عقلك زائــل

اما البيت الذى يقول :

ان العيون التى فى طرفها « حــور »
قتلننــــا ثم لم يحيين قتــلانا

فليس لواحد من هذين الشاعرين ، لا مجنون ليلى ولا ابن الدمينة . وانما هو لجرير ، من قصيدة يهجو بها الاخطل مطلعها :

بان الخليط ولو طوعت" ما بانا
وقطعوا من حبال الوصل اقرانا

ومن أبياتها البيت الذى ذكرته ، والذى نعرف انه يصف العيون التى يتحدث عنها بالحور ، لا بالمرض كما فى رسالتك وفى بعض كتب الادب . وبعد البيت الذى ذكرت قوله :

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك" به
وهن" اضعف" خلق الله انسانا

ومن ابياتها كذلك :

حى" المنـــازل اذ لا نبتغى بــدلا
بالدار دارا وبالجيران جيرانا

تهدى السلام لأهل الغور من ملح
هيهات من ملح بالغــور مهدانا

قد كنت فى أثر الاظعان ذا طرب
مروعا من حــذار البـين محزانا

يا رب" مكتئب لو قد نعيت" لــه
باك ، وآخر مسرور" بمنعــانا

لو تعلمين الذى نلقى اويت لنـا
أو تسمعين الى ذى العرش شكوانا

كصاحب الموج اذ مالت سـفينته
يدعـــو الى اللـــه اسرارا واعلانا

يا أيها الراكب المزجى مطيتـــه
بلــغ تحيتنـا لقيت" حمــلانا

بلــغ رسائل عنا خف" محملهـا
على قلائص" لم تحملن حــيرانا

كيما نقـول اذا بلغت حاجتنـا
انت الأمين" اذا مستأمن" خـانا



حول الادب النسائي

عن صحيفة الاخبار القاهرية :

● كل الأدب النسائى قائم على الشكوى من المجتمع ، اى على الشكوى من الرجل .. لأن الرجل هو الذى وضع قوانين المجتمع .

والأدب النسائي يثور على الرجل الذى ينظر الى المراة علي انها « انثى » فقط ، على انها فاكهة يأكلها الرجل ويشبع ويبحث عن ثمرة اخرى ، او لا يبحث عنها الا اذا جاع . والمراة ، لانهاعاشت فى مجتمع من صنع الرجل ، فقد ظلت حريصة الوف السنين على ارضائه،على ان تكون « انثى » ، ولذلك اهتمت بجسمها اكثر مما اهتمت بعقلها . واهتمت بحيوانيتها اكثر من اهتمامها بانسانيتها . فأضاعت وقتها فى التجميل وفى الزينة وفى ارتداء الملابس اكثر من اهتمامها بثقافتها . وحتى عندما اهتمت بثقافتها اخفت فى كل كتاب مشطا وفى كل مجلة مرآة ، لأن الرجل يريدها جسما ويضيق بها عقلا ، فضاقت هى بعقلها ، وجعلت جسمها هو مملكتها ..

وهذا واضح فى الأدب النسائى فى لبنان وسوريا ومصر . فهو نوع من الاعترافات الصارخة . وعلى الرغم من ان المراة تعلمت وتخرجت واشتغلت ، فانها لم تتحرر من طغيان الرجل ، او من نظرته الحيوانية السطحية .

المهـور والزواج

عن جريدة « عمان المساء » الاردنية :

● الزواج عندنا يكلف على اقل تقدير (الف دينار) وهـذا قد يدفـع الشـاب الى ان يرزح تحت طائلـة الديون . والحـل لهذا الموضوع هـو وضـع حـد اقصى للمهـر عن طريـق الدولة . والأفضل هو ان تقوم الدولة باصدار قانون لتنظيم هذا الموضوع، فانها اولى الجهات التي يجب ان تتدخل لحل هذه المشكلة . وارتفاع المهور يؤدى فى المستقبل الى شقاء الزوجة لانها ستتحمل مع زوجها مشقة سداد الديون التـي تراكمت عليه بسبب الزواج ، والواجب ان يتعاون الزوجان على تكوين حياتهم الزوجية حتى لا يتحمل الرجل وحـده هـذا العمـل الصعب فعملية الزواج ليست عملية استغلال انما هى عملية تعاون ، ولو عملنا استفتاء مع الفتيات لوجدنا انهن من انصار التعاون من اجل بناء عش الزوجيـة .

قضية فلسطين فى سوق عكاظ !!

عن صحيفة صوت الخليج الكويتية :

● قضية العائدين الفلسطينيين تطرح سنويا للمناقشة أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة .. حيث يتنافس رؤساء الوفود العربية فى القاء خطابات عنترية عودونا على سماعها فى كل دورة من دورات المنظمة الدولية .. وهى خطابات تذكرنا بسوق عكاظ حيث كان شعراء العرب وأدباؤهم يتوافدون من كل فج عميق للمباراة فى عرض القريض والنفائس الأدبية ..

وهذه الخطابات الموسمية التى يلقيها رؤساء الوفود العربية فى الامم المتحدة تذكرنا بالمعلقات السبع التى دخلت تاريخ الادب العربي من ابوابه العريضة ..

فالمندوبون العرب، يشحذون قرائحهم فى الأشهر الثلاثة الاخيرة من كل عام ، وهم يعدون خطبا لا يبخلون عليها بشيء من روعة التعبير وبلاغته .. يحشونها بتعبيرات التهديد والوعيد .. يصورون بها مأساة العائدين .. يقضون الساعات الطوال وهم يخاطبون ممثلى دول لا تفهم غير لغة الواقع .. يشكون الظلم للظالمين انفسهم ، ويستعرضون ضمائر الذين ماتت ضمائرهم.. يبحثون اصواتهم وهم يستجدون العدالة ممن اغتالوهم فى فلسطين الذبيح..! وهم ـ اى المندوبون العرب ـ لا يدرون انهم بمثل هذه الصرخات الاستجدائية انما يقرِ'ون بما يجهد العدو نفسه من اجله ، وهو تصوير قضيةالعائدين بانها مجرد مأساة انسانية .. قضية رغيف خبز ، لا قضية وطن مغتصب .

اسطوانة نشاز مجّتها اسماع شعب فلسطين والأمة العربية .

هل عقليتنا ما زالت فرنسية

عن صحيفة الشعب الجزائرية :

● مر على استقلال الجزائر ما يقارب الخمس سنوات ولا يزال بعض متحجرّى الفكر ، متجمّدى الذهن يقولون «عقليتناما زالت فرنسية» ويدّعون انهم اصحاب اللغة الحية .

ان هذه الجماعة التى لا تزال تتعلق بأهداب العهد البائد سيجرفها التيار ويقضى عليها فتذوب داخل المجتمع .

ان هناك خطة موضوعة لتعريب التعليم، والادارة طبعا ، فى المدى البعيد ، وهذا لا يتنافى بالطبع وتقديرنا للثقافة الفرنسية كثقافة تحتل مكانة عالمية .

على ان هناك حدا فاصلا بين التعصب والتفتح . فتعلم اللغة الفرنسية كلغة معناه فتح نافذة على الثقافة والمعرفة ، أما التعصب لها والتخلى عن اللغة الأم التى تحمل بين طياتها تراثنا وتقاليدنا ، بل شخصيتنا ، فسينتهى أمره حتما الى مسخ الفرد والمجتمع على السواء .

ولنذكرْ قصة الغراب الذى حاول تقليد مشية الحمامة فأخفق ولم يتقن التقليد واضاع مشيته ولم يستطع العودة اليها .

اضحك



تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك

قصر نظر هذا أم ماذا ؟!

● **طبيب العيون** : دعنا نرى مدى ما تشكوه من قصر البصر .. كم عدد السطور التى تبدو على تلك اللوحة المعلقة على الجدار امامك ؟!

المريض : اى لوحة ؟!

وما أهمية المظاهر !!

● **الطالب** لاستاذ الفلسفة بلهجة يشوبها التهكم: من النادر جدا ان يصادف المرء زوجا من الجوارب كالذى تلبسه فالواحدة منه حمراء والأخرى خضراء.

أستاذ الفلسفة : اظن انى اذكر ان لدى فى البيت زوجا آخر مثله تماما ؟!

احساس مرهف

● **أحدهم لصديق له** : (في سيارة عامة كانت غاصة بالركاب) لم تغمض عينيك ؟ هل اصابك مكروه او انت تشعر بالم ما ، لا سمح الله ؟

الصديق : انا بخير ، ولكنى اكره النظر الى النساء ، وانا قاعد ، وهن واقفات فى السيارة .

القرد بعين أمه ...

● **الام للممرضة** : ترى ما الذى يجدر بالام ، الحديثة العهد بالاطفال ، أن تعرفه ؟

الممرضة : لا شيء سوى أن لغيرها من الامهات اطفالا ، بلغوا الكمال مثل ما بلغ اطفالها.

طريقة مبتكرة فى التعبير

● احدهم لصديق له وقد أفرج عنه حديثا : ماذا كان السبب الذى القوا القبض عليك من اجله ؟!

الصديق : كل ما فى الأمر انى عثرت على سيارة ..

السائل: عثرت ؟! مستحيل! اذ لا يعقل ان يقبضوا عليك لمجرد عثورك على سيارة !

الصديق : ربما ، ولكنى عثرت عليها قبل أن يفتقدها صاحبها .

لو تكرمت السيدات ...

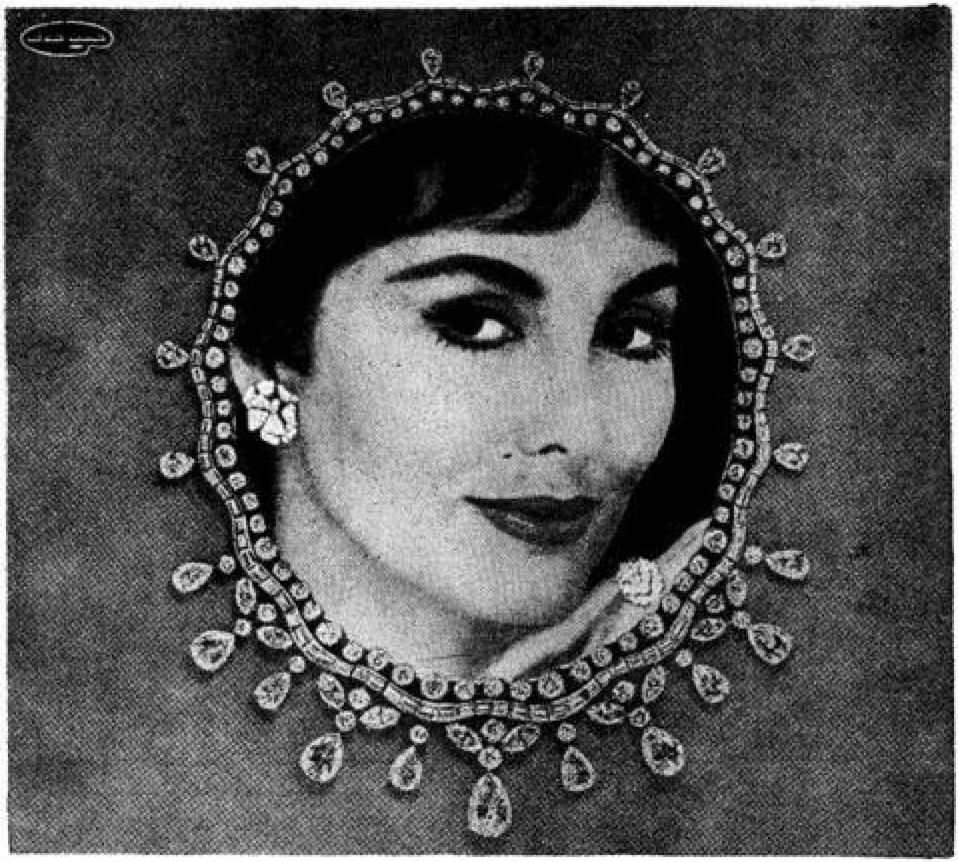
● الدليل للسائحين : وهذا سيداتي سادتي هو اضخم الشلالات فى بلادنا ، واذا تكرمت السيدات بالكف عن الكلام لفترة قصيرة ، فسوف تستطيعون سماع هدير المياه الذى يصم الآذان !

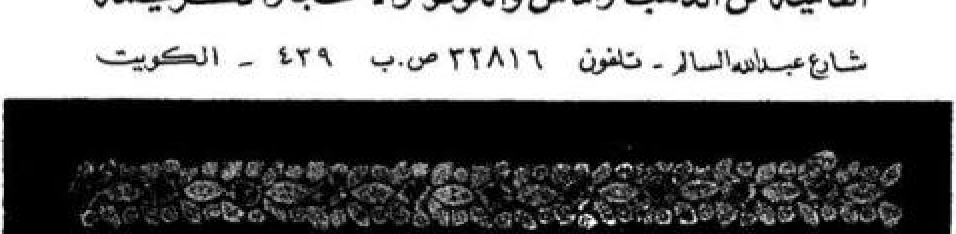
الصدقات محك الطبقات

● **الابن : ما** المقصود بالطبقة الوسطى من الناس ؟

الأب : انها الطبقة التى لا يبلغ الفقر بافرادها حدا يقبلون معه الصدقة ، كما لا يبلغ الثراء بهم حدا يجودون معه بالصدقة ..







المُشكِلة التي تُواجِه كلّ أُمٍّ في الصَّباح

هى اعداد افطار شهي لزوجها وأبنائها في أسرع وقت ممكن ..

وبالامس لم تكن تجد هـذا الافطار المغذى الذى يمكن أن يقدم لك في لحظـات ..

أما اليوم فتستطيع أنت وكل أفراد أسرتك أن تنعموا بافطار دسم لا يستغرق اعداده سوى لحظات قصيرة ..

انه الافطار الجديد المقدم لكم من خبراء فى عالم التغذية

شركة كارنيشن





- يذوب فى الحال عنـد خلطه مـع الحليب ويعطيكم التغذية الضرورية فى كل صباح ..
- يحتوى على بروتين بالاضافة الى ١١ نوعا من الفيتامينات والحديد القادرة على مدكم بالنشاط فى كل صباح ..
- يأتيكم على نكهات مختلفة منها الشكولاته والقهوة والبرتقال والموز وغيرها .

اشرب وتمتع بإفطار كارنيشن الجديد

ذو الوجبة الغذائية الكاملة !

إذَا أَرَدْتَ أَنْ تَطِيرَ مِنْ لَنْدن إِلى نيوُيوُرْك
فى ثلاث سَاعَات فى جَوّ لَطِيف



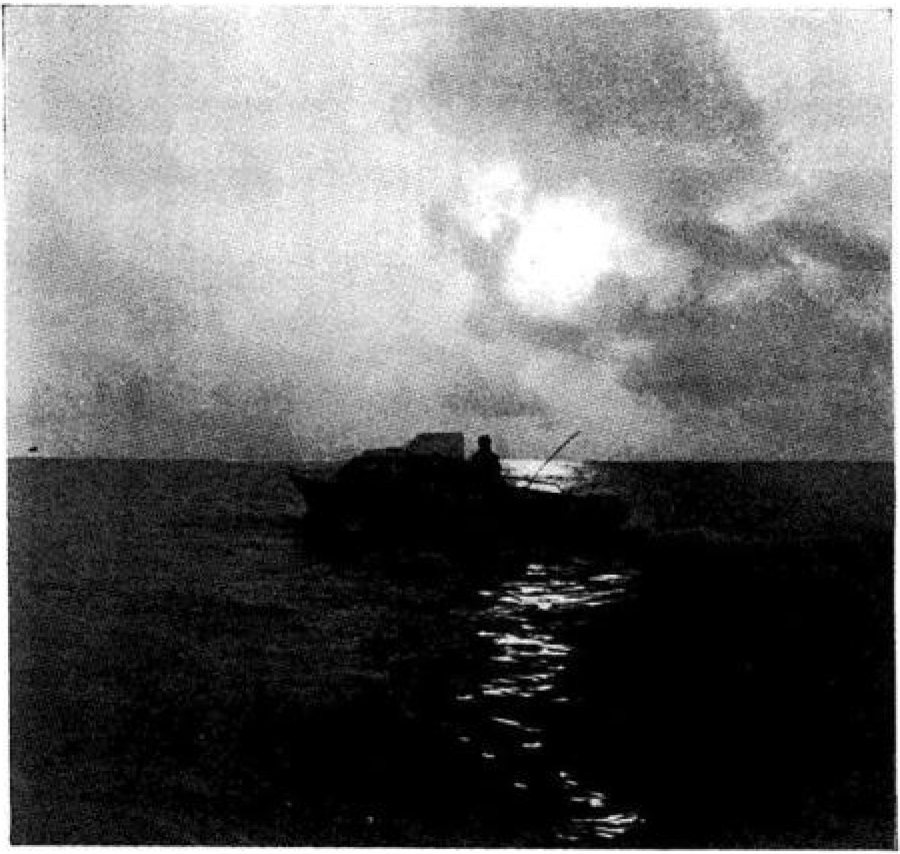


THE GREATEST NAME IN CIGARETTES

WORLD'S LARGEST SELLING KING SIZE VIRGINIA



هذه هي السيكارة التي حولت
العالم إلى تدخين سكاير
كنك سايز فلتر .
كثيرًا ما تُقلَّد ، دون
أن تُبارَى. في جميع
أرجاء العالم تجد روثمان . في
١٢٠ قطرًا . على ظهر
السفن في البحار السبعة .
على متن أكثر من ٩٠ خطًا
جويًا رئيسيًا. شارك الملايين
في الاستمتاع بتدخين
روثمان كنك سايز.
الأولى في بريطانيا .
الأولى في العالم.

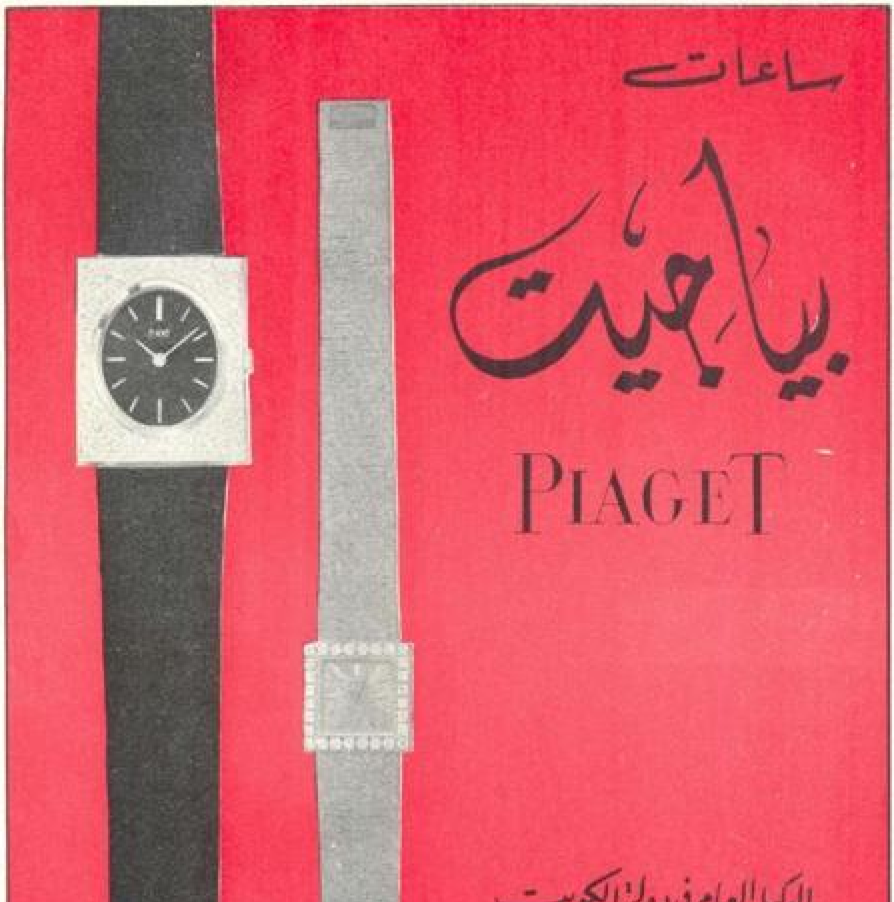


اعتمد على جونسون لايصالك الى منطقة الأسماك الكبيرة



هناك بعض الرجال الذين يعرفون شيئا او اكثر عن الاسماك الكبيرة وعن مناطق تجوالها . وبالامكان مشاهدتهم يصيدون بصناراتهم اللماعة بعيدا عن الشاطىء او يتارجحون بلطف في قواربهم عند الغسق . ان هؤلاء الرجال يعرفون شيئا او اكثر عن البحر ايضا ، لانه لو ذهبت بعيدا عن الشاطىء فانك تحتاج الى قارب جيد وماكنة جيدة . وبما أن ماكنة جونسون تاتي بالدرجة الاولى من ناحية الاعتماد فهي الماكنة التي يختارها الرجالُ الذين يعرفون جيدا ما هم مقبلون عليهِ . فانك عندما تركب ماكنة جونسون في مؤخرة القارب تحصل على القدرة في انجاز العمل وراحة البال عند الابحار . اعتمد على جونسون لتوصلك الى مناطق السعادة الكبرى . قوة الماكنات من ٢ حصان الى ١٠٠ حصان وضمان لمدة سنتين : اي ان الذين يملكون ماكنة جونسون اكثر عددا من الذين يملكون اية ماكنة بحرية اخرى . اكبر برهان على اعتماد الناس على هذه الماكنة .

Johnson يعتمد عليها بالدرجة الاولى


ساعات
بياجيت
PIAGET
الوكيل العام فى دولة الكويت
والبحرين
مراد يوسف بهبهانى
ص . ب ١٤٦ - كويت
تلفون المعرض ٣٣٧٧٠


WEST END WATCH Co.
W
EVERBRIGHT
وست إند
أجمل هدية فى جميع المناسبات
الوكيل العام بالشرق الأوسط
يعقوب يوسف بهبهانى
ساحة الصفاة تليفون ٣٣٥٨٥
ص.ب ٣٣٤ - كويت



حديث الشهر

بقلم: الدكتور احمد زكي





عن سنة ١٩٦٦
من العدد ٨٦ حتى ٩٧

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الف مصنع ومصنع تفتح الآن أبوابها لتصنع الرجال : صناعة الرجال كسائر الصناعات تخرج لك المسمار الذى ينثنى عند الدق ، والدبوس الذى لا يخرق الورق	٦٦/١٠	٩٥	٨
دنيا البيض ، ودنيا الصفر والسمر والسود : لون الجلد شطر الدنيا شطرين . الخطر الأصفر يدعمه اليوم الخطر الأسود والأسمر	٦٦/١١	٩٦	٨
الحوافز فى حياة الناس : حتى الروس أطلقوا الحوافز اطلاقا ، وكفروا بالمساواة ، وفتحوا لكل عامل باب الثراء واسعا .	٦٦/١٢	٩٧	٨

أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الأمثال عند العرب وعند الافرنج	دكتور صفاء خلوصى	٦٦/ ١	٨٦	٥١
الأنماط العالية فى التعبير	أنيس المقدسى	٦٦/ ١	٨٦	١٢٣
سومرست موم	منير نصيف	٦٦/ ٢	٨٧	٣٢
شعر البديهة فى كتاب بدائع البدائه	دكتور مصطفى الجوينى	٦٦/ ٢	٨٧	٥٥
ابن السيد البطليوسى	دكتور محمد الامين	٦٦/ ٢	٨٧	٦٧
افلوطارخس ، رائد كتاب التراجم	على ادهم	٦٦/ ٢	٨٧	١٠٧
الشعر والشعراء عند رسول الله	محمود أبو ريه	٦٦/ ٢	٨٧	١١٨
الدراسات الادبية والفلسفية والأساليب العلمية	دكتور عمر فروخ	٦٦/ ٣	٨٨	٣٦
جعيفر الموسوس	حسن الامين	٦٦/ ٤	٨٩	٤٥
شعر الديارات	أحمد السقاف	٦٦/ ٥	٩٠	٢٨
هـ. ج. ويلز ـ بقلم أ. ج. تيلر	ترجمة : أحمد الخطيب	٦٦/ ٥	٩٠	٥٧
ابو دلامة	دكتور محمد مصطفى هدارة	٦٦/ ٥	٩٠	١٢٢

الموضـــوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الاب انستاس مارى الكرملى	عبد الرزاق الهلالى	٦ /٦٦	٩١	٤٩
العتابى كلثوم بن عمرو	دكتور محمد زغلول سلام	٦ /٦٦	٩١	٦٠
معنى التسميات للشعوب السامية	الاب اسحق ساكا	٦ /٦٦	٩١	١٤٤
شعر الديارات : عود على بدء	أحمد السقاف	٧ /٦٦	٩٢	١٦
القديم والحديث يتساندان	دكتور عز الدين اسماعيل	٧ /٦٦	٩٢	٤٢
ابن بسام وكتابه « الذخيرة »	محمد عبد الله عنان	٧ /٦٦	٩٢	٦٣
المسرحية الشعرية	دكتور حسين نصار	٨ /٦٦	٩٣	٤٨
آرثر كونان دويل مبتكر شارلوك هومز	دكتور فخرى الدباغ	٩ /٦٦	٩٤	٤٦
حافظ ابراهيم	طاهر الطناحى	٩ /٦٦	٩٤	٧١
فن الشعر	انيس المقدسى	٦٦/١٠	٩٥	٥٣
فكرة الالتزام فى الفن والادب	دكتور عز الدين اسماعيل	٦٦/١٠	٩٥	١٣٢
مالارميه : راهب الفكر ، وصانع الحرف	دكتور بديع حقى	٦٦/١١	٩٦	٤٣
فوزى المعلوف	البدوى الملثم	٦٦/١١	٩٦	١٠٥
السيدة نفيسة	سنية قراعه	٦٦/١١	٩٦	١٢٧
هـ . ج . ويلز	منير نصيف	٦٦/١٢	٩٧	٧٢
شعراء المهجر	دكتورة نادرة جميل السراج	٦٦/١٢	٩٧	١٢٤

شعر

الموضـــوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
موت الشاعر	محمد الفايز	١ /٦٦	٨٦	١٣٧
بائع الاحلام	سنية قراعة	٢ /٦٦	٨٧	٤٢
بكاء شاعر	راضى عبد الهادى	٢ /٦٦	٨٧	١٢٣
من وحى الربيع	موسى كاظم نورس	٣ /٦٦	٨٨	٣٤
الرصيف وزهرة الاقحوان	سليمان العيسى	٦ /٦٦	٩١	١٠٠
الليل والكلمات	محمد الفايز	٧ /٦٦	٩٢	٥٢
نرجيلة بو مخايل فى « مشتى الحلو »	سليمان العيسى	٧ /٦٦	٩٢	١٠٤
تكلمت عيناك	خالد سليمان العدسانى	٨ /٦٦	٩٣	٣٣
ولا شىء يبقى	فدوى طوقان	٩ /٦٦	٩٤	٤٢
السر الخفى	الياس قنصل	٩ /٦٦	٩٤	١٢٢
هذا أنا فمن أنت ؟	سنية قراعة	٦٦/١٠	٩٥	٤٦
قصائد فى قصيدة	محمد أحمد العزب	٦٦/١٠	٩٥	١٠٢
رموز	محمد أحمد العزب	٦٦/١١	٩٦	٤٢
الحب الحزين	خالد السعود الزيد	٦٦/١٢	٩٧	٧٦

صفحة فى اللغة

الصفحة	العدد	الشهر / السنة	الكاتب	الموضوع
٢٧	٨٨	٣ /٦٦	ابراهيم محمود صنوبر	اكفاء ، واكفياء ، يجب ويتوجب ، راس يرأس
٦٧	٨٩	٤ /٦٦	–	اسماء اعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق
١٩	٩٠	٥ /٦٦	دكتور احمد زكى	حمِّص – زريعة – التقنية – التلفاز
١٢٨	٩١	٦ /٦٦	دكتور احمد زكى	الهمزة فى اول الكلمة وفى آخرها واوسطها
٣١	٩٢	٧ /٦٦	دكتور احمد زكى	امثال تضرب : خلا لك الجو ..
١٧	٩٧	١٢/٦٦	دكتور احمد زكى	قطعة من حجر : حجر رشيد

تاريخ

الصفحة	العدد	الشهر / السنة	الكاتب	الموضوع
١١٨	٨٦	١ /٦٦	على ادهم	التاريخ : محكمة عادلة هو ام جائرة
١١٢	٨٧	٢ /٦٦	دكتور جمال الدين سرور	الدولة العباسية والدولة البيزنطية
٤٨	٨٨	٣ /٦٦	محمد عبد الله عنان	المؤرخ ابن حيان وكتابه « المقتبس »
٦٠	٩٠	٥ /٦٦	أنيس الخورى المقدسى	الحياة العربية فى بعض اطوارها التاريخية
١٦	٩١	٦ /٦٦	حسن الامين	افريقيا السوداء فى تاريخ الاسلام
١٤٤	٩١	٦ /٦٦	الاب اسحق ساكا	معنى التسميات للشعوب السامية الثلاثة
٢٠	٩٣	٨ /٦٦	دكتور يوسف هيكل	عاش العرب فى الأندلس ثمانية قرون
٤٣	٩٤	٩ /٦٦	دكتوراسحق موسى الحسينى	حيَّ على الصلاح
٥١	٩٤	٩ /٦٦	حسن الامين	الزنوج فى معركة الاسلام
٥٩	٩٤	٩ /٦٦	عارف العارف	بين ثورتين
٤٨	٩٥	١٠/٦٦	دكتور عبدالله عبد الدايم	تأويل الاحلام عند ابن سيرين
٦١	٩٥	١٠/٦٦	على ادهم	مؤامرة كاتيلين
٣٥	٩٦	١١/٦٦	محمد عبد الله عنان	المدنية الاسلامية
٥١	٩٦	١١/٦٦	دكتور عبد الله عبد الدايم	مبادىء تأويل الاحلام عند ابن سيرين
٥٨	٩٦	١١/٦٦	دكتور محمد مصطفى هدارة	الفضل بن سهل
٦٠	٩٧	١٢/٦٦	محمد عبد الله عنان	القسطنطينية
٨٤	٩٧	١٢/٦٦	دكتور مصطفى جواد	مساجد بغداد ومشاهدها (تصوير « العربى »)

دين ورجال دين

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
قضية في القضاء الاسلامي خالدة	دكتور أحمد عبدالمنعم البهي	١ /٦٦	٨٦	١٠٧
ابو داود السجستاني ، افقه اصحاب الصحاح	الشيخ محمد ابو زهرة	١ /٦٦	٨٦	١١٤
الشعر والشعراء عند رسول الله	محمود ابو ريه	٢ /٦٦	٨٧	١١٨
الترمذي وكتابه الجامع	الشيخ محمد ابو زهرة	٣ /٦٦	٨٨	١٠٧
موقف العلماء من صحيح البخاري	دكتور احمد عبدالمنعم البهي	٤ /٦٦	٨٩	١٢
الزكاة الاسلامية	دكتور محمد عبدالله العربي	٤ /٦٦	٨٩	٥٦
السيدة نفيسة	سنية قراعة	٥ /٦٦	٩٠	٣٦
موسوعة الفقه الاسلامي المقارن	احمد مهدي الخضر	٥ /٦٦	٩٠	٥٠
افريقيا السوداء في تاريخ الاسلام	حسن الامين	٦ /٦٦	٩١	١٦
زينب بنت جحش	سنية قراعة	٦ /٦٦	٩١	١٠٢
الليث بن سعد	عبد الستار احمد فراج	٧ /٦٦	٩٢	٣٥
راسبوتين او الشيطان المقدس	علي ادهم	٧ /٦٦	٩٢	٥٤
التشريع الجنائي الاسلامي	دكتور أحمد عبدالمنعم البهي	٨ /٦٦	٩٣	٤٠
الزنوج في معركة الاسلام	حسن الامين	٩ /٦٦	٩٤	٥١
سمية ... أم عمار	سنية قراعة	٩ /٦٦	٩٤	١١١
الامام محمد عبده	دكتور عثمان امين	١٠/٦٦	٩٥	٢٠
عبد الله بن مسعود	عبد الصاحب جمال الدين	١٠/٦٦	٩٥	٣٦
السيدة نفيسة	سنية قراعة	١١/٦٦	٩٦	١٢٧
نعيم بن مسعود	الشيخ محمد عرفه	١٢/٦٦	٩٧	٨٠
صفية بنت حيي بن اخطب	سنية قراعة	١٢/٦٦	٩٧	١٠٥

تاريخ أشخاص عرب

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
عهد المغفور له الأمير عبد الله السالم الصباح	ـ	١ /٦٦	٨٦	٤
سيدة من بني أمية	علي الطنطاوي	١ /٦٦	٨٦	٤٦
ابو بكر الرازي : طبيب الدولة العربية الاول	دكتور أحمد زكي	١ /٦٦	٨٦	١١٠
شعر البديهة في كتاب بدائع البدائه لأبي ظافر الازدي	دكتور مصطفى الجويني	٢ /٦٦	٨٧	٥٥
ابن السيد البطليوسي	دكتور محمد الامين محمد	٢ /٦٦	٨٧	٦٧

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
المؤرخ ابن حيان وكتابه « المقتبس »	محمد عبد الله عنان	٣ /٦٦	٨٨	٤٨
ابراهيم بن المهدى علم من اعلام الغناء العربى	دكتور حسين نصار	٣ /٦٦	٨٨	٦٠
جعيفران الموسوس	حسن الامين	٤ /٦٦	٨٩	٤٥
ابو دلامة	دكتور محمد مصطفى هداره	٥ /٦٦	٩٠	١٢٢
عزيز على المصرى « باشا »	البدوى الملثم	٦ /٦٦	٩١	٣٦
الأب انستاس مارى الكرملى	عبد الرزاق الهلالى	٦ /٦٦	٩١	٤٩
العتابى كلثوم بن عمرو	دكتور محمد زغلول سلام	٦ /٦٦	٩١	٦٠
ابن بسام وكتابه « الذخيرة »	محمد عبد الله عنان	٧ /٦٦	٩٢	٦٣
رفاعة الطهطاوى	دكتور محمد محمود الدش	٨ /٦٦	٩٣	٥٧
المقدسى الرحالة والجغرافى والعالم	دكتور حسين مؤنس	٩ /٦٦	٩٤	٢٨
حافظ ابراهيم	طاهر الطناحى	٩/٦٦	٩٤	٧١
الامام محمد عبده	دكتور عثمان أمين	١٠/٦٦	٩٥	٢٠
الفضل بن سهل	دكتور محمد مصطفى هداره	١١/٦٦	٩٦	٥٨
فوزى المعلوف	البدوى الملثم	١١/٦٦	٩٦	١٠٥
نعيم بن مسعود	الشيخ محمد عرفه	١٢/٦٦	٩٧	٨٠

تاريخ أشخاص غير عرب

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
سومرست موم	منير نصيف	٢ /٦٦	٨٧	٢٢
افلوطارخس ، رائد كتاب التراجم	على أدهم	٢ /٦٦	٨٧	١٠٧
انديرا غاندى	منير نصيف	٤ /٦٦	٨٩	٢٩
الفرد أدلر	دكتور فاخر عاقل	٤ /٦٦	٨٩	٤٩
ديكارت امام الفلسفة الحديثة	دكتور عثمان امين	٥ /٦٦	٩٠	٢٠
هـ . ج . ويلز (بقلم أ . ج . تيلر) « ترجمة »	احمد مصطفى الخطيب	٥ /٦٦	٩٠	٥٧
راسبوتين او الشيطان المقدس	على أدهم	٧ /٦٦	٩٢	٥٤
آرثر كونان دويل : مبتكر شارلوك هومز	دكتور فخرى الدباغ	٩ /٦٦	٩٤	٤٦
مالارميه	دكتور بديع حقى	١١/٦٦	٩٦	٤٣
هـ . ج . ويلز	منير نصيف	١٢/٦٦	٩٧	٧٢

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الوراثة والبيئة وموقف عربى المستقبل منهما	محمد على عبد الجبار	٢ /٦٦	٨٧	٥٠
المرونة والتصلب والشخصية الانسانية	دكتور مصطفى سويف	٣ /٦٦	٨٨	٥٢
تنافس الامم فى رعاية المتفوقين من ابنائها الموهوبين	دكتور على احمد على	٣ /٦٦	٨٨	١٢٦
الفرد أدلر	دكتور فاخر عاقل	٤ /٦٦	٨٩	٤٩
المثابـــرة	دكتور مصطفى سويف	٥ /٦٦	٩٠	٤٢
حديث الى فتياتنا العربيات	دكتور فاخر عاقل	٥ /٦٦	٩٠	٥٤
الألوان والناس	—	٦ /٦٦	٩١	٤١
تعلم كيف تنصت الى حديث الناس	—	٦ /٦٦	٩١	٦٦
الاتزان الوجدانى	دكتور مصطفى سويف	٧ /٦٦	٩٢	٩٨
سيكولوجية الاشاعة	دكتور فاخر عاقل	٩ /٦٦	٩٤	٦٧
تخلف ابنائنا فى التحصيل	دكتور على احمد على	١٠/٦٦	٩٥	٤١
تأويل الاحلام عند ابن سيرين	دكتور عبد الله عبد الدايم	١٠/٦٦	٩٥	٤٨
مبادىء تأويل الاحلام عند ابن سيرين	دكتور عبد الله عبد الدايم	١١/٦٦	٩٦	٥١
الضحك	دكتور زكريا ابراهيم	١٢/٦٦	٩٧	١١٢

أنت تسأل .. ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب : عبد الوارث كبير

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
هل يشهد جبريل جلسات تحضير الأرواح / هيلين كيلر معجزة القـرن العشرين / أمرؤ القيس الشاعر ، وأمرؤ القيس الملك الضليل/دون كيشوت .	١ /٦٦	٨٦	١٤٦
صحيح البخارى / دبلة الخطوبة وخاتم الزواج	٢ /٦٦	٨٧	١٣٨
الغنـاء والموسيقى / لا يحرمهما الا الجهلـة والمتزمتون / الفاتيكـان / التنبؤ بالمسـتقبل	٣ /٦٦	٨٨	١٣٨
غانا ، ما هى ونكروما لم اطاحوا به ؟	٤ /٦٦	٨٩	١٤٤
هذه هى اندونيسيا/كواكب المجموعة الشمسية/ابن حيان الكيميائى السابق .	٥ /٦٦	٩٠	١٤٠
قدامى اليهود كانوا مهاجرين / المعلم الثانى من هو ؟ / من هو ذو القرنين / المزدكية والمانوية والخرمية	٦ /٦٦	٩١	١٤٠
كرامة بعض الازواج / الآباء يزرعون الشوك	٧ /٦٦	٩٣	١٤٠

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الفاتيكان أكبر أصحاب الأملاك / شوقي بين العقاد والمازني / ترك الصلاة كسلا	٨ /٦٦	٩٣	١٣٨
دعوة فاجرة وحملة مسعورة / مثل رائع تضربه سيدة	٩ /٦٦	٩٤	١٣٨
زوجان يتجبان ١٧ ولدا / فتوى بجواز التنظيم والتحديد / فارق السن بين الزوجين / حكم المسلمون الفلبين / أقدم مدن العالم	٦٦/١٠	٩٥	١٣٦
النيل والفرات / روايات جرجي زيدان / فرعون موسى	٦٦/١١	٩٦	١٣٢
عقار ل. س. د / أصحاب الفيل والطير الأبابيل / الأم بيت من الشعر	٦٦/١٢	٩٧	١٣٨

استطلاعات الكويت

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
المغفور له الأمير عبد الله السالم الصباح	–	١ /٦٦	٨٦	٤
٢٧٠ طالبا من ١٥ دولة يتلقون علومهم في الكويت	سليم زبال	٢ /٦٦	٨٧	٩٤
عالجوا أسنان أولادكم	دكتور محمدسعيدالجريدلي	٤ /٦٦	٨٩	١٢٢
بنوك الدم في الكويت	دكتور على أنسى	٥ /٦٦	٩٠	٩٦
من أين تأكل الكويت	سليم زبال	٦ /٦٦	٩١	١٢٢
الطب البيطري في الكويت	منير نصيف	٧ /٦٦	٩٢	١٢٤
الصيف في الكويت	سليم زبال	٨ /٦٦	٩٣	١٠٨
غرفة تجارة وصناعة الكويت	سليم زبال	٩ /٦٦	٩٤	١٢٣
الكويت تستعد لاستقبال العمالقة	سليم زبال	٦٦/١٠	٩٥	١١٦
شرطة النجدة : لها في الكويت مفهوم آخر	سليم زبال	٦٦/١١	٩٦	١٢٠
الارصاد الجوية في الكويت	منير نصيف	٦٦/١٢	٩٧	٢٠

استطلاعات مصوّرة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الساعة الأولى من حياة طفلك الوليد (استطلاع فريد تقوم به « العربي »)	–	١ /٦٦	٨٦	٣٤
اشبيلية العربية : عروس الأندلس (تصوير اوسكار متري)	دكتور حسين مؤنس	١ /٦٦	٨٦	٧٥

أنباء الطب والعلم والاختراع

بقلم : الدكتور احمد زكى

طب

طبيب الأسرة

صياغة : الدكتور احمد زكى

علوم

فى سبيل موسوعة علمية

بقلم: الدكتور احمد زكى

ركن الفضاء والذرة

بقلم: الدكتور احمد زكى

مجتمع واجتماع

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الامثال عند العرب وعند الافرنج	دكتور صفاء خلوصي	١/٦٦	٨٦	٥١
التعليم الفني فى البلاد العربية	دكتور عبد الله عبد الدايم	٢/٦٦	٨٧	٢٠
الانسان والاخلال بالتوازن فى الطبيعـــة	دكتور عبد الحليم منتصر	٢/٦٦	٨٧	٤٣
الوراثة والبيئة وموقف عربي المستقبل منهما	محمد علي عبد الجبار	٢/٦٦	٨٧	٥٠
الخطة الخمسية الاولى لدولة الكويت	احمد الدعيج	٣/٦٦	٨٨	٢٠
المرونة والتصلب والشخصية الانسانية	دكتور مصطفى سويف	٣/٦٦	٨٨	٥٢
تنافس الأمم فى رعاية المتفوقين من ابنائها الموهوبين	دكتور على أحمد على	٣/٦٦	٨٨	١٢٦
البناء الضوئي .. المصدر الرئيسي للطاقة والبناء	دكتور عبد الحليم منتصر	٤/٦٦	٨٩	٢٤
الحياة العربية فى بعض اطوارها التاريخية	انيس الخوري المقدسي	٥/٦٦	٩٠	٦٠
تعلم كيف تنصت الى حديث الناس	—	٦/٦٦	٩١	٦٦
الاتزان الوجداني	دكتور مصطفى سويف	٧/٦٦	٩٢	٩٨
رفاعة الطهطاوي	دكتور محمد محمود الدش	٨/٦٦	٩٣	٥٧
حي على الصـــلاح	دكتور اسحق موسى الحسيني	٩/٦٦	٩٤	٤٣
الامام محمد عبده	دكتور عثمان امين	١٠/٦٦	٩٥	٢٠

ركن الأسرة والمرأة

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
انا وزوجتي فى زيارة جيران لنا	دكتور احمد زكي	١/٦٦	٨٦	٤٣
عندما تكون مشاكل الابناء نتيجة لسوء تصرف الآباء	—	٢/٦٦	٨٧	٦٢
المرأة بين السعادة والشـــقاء	يوسف زعبلاوي	٣/٦٦	٨٨	١١٤
المرأة الانجليزية بقلم وليم ديفز	—	٤/٦٦	٨٩	١١٨
حديث الى فتياتنا العربيات	دكتور فاخر عاقل	٥/٦٦	٩٠	٥٤
الغيرة بين الاطفـــال	—	٦/٦٦	٩١	٥٦
ما كل رجل او امرأة بصالح للزواج	—	٧/٦٦	٩٢	٤٦
كيف يرى الأبناء آباءهم	—	٨/٦٦	٩٣	١٢٥
كيف نشرح للطفل معنى الموت	—	٩/٦٦	٩٤	٥٥
الطفل الوحيد مشـــكلة	—	١٠/٦٦	٩٥	١٢٨
العائلة لها اكبر الاثر فى جنوح الاحداث	ممدوح الجابري	١١/٦٦	٩٦	١١٢
حياتك الزوجية لا تحطمها	—	١٢/٦٦	٩٧	١٤٧

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
فلسفة السياسة عند هيجل	دكتور زكريا ابراهيم	١/٦٦	٨٦	٦٢
الخطة الخمسية الأولى لدولة الكويت	احمد الدعيج	٣/٦٦	٨٨	٢٠
الزكاة الاسلامية	دكتور محمد عبدالله العربي	٤/٦٦	٨٩	٥٦
غرفة تجارة وصناعة الكويت	سليم زبال	٩/٦٦	٩٤	١٢٣
يصنع اليهود ما يصنعون	ظافر القاسمي	١٠/٦٦	٩٥	١٠٤
الفكر العلمي ورفاهة الانسان	دكتور عبد الحليم منتصر	١٢/٦٦	٩٧	٥٢

فلسفة

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
فلسفة السياسة عند هيجل	دكتور زكريا ابراهيم	١/٦٦	٨٦	٦٢
التاريخ.. محكمة عادلة هو أم جائرة	علي أدهم	١/٦٦	٨٦	١١٨
الدراسات الادبية والفلسفية والأساليب العلمية	دكتور عمر فروخ	٣/٦٦	٨٨	٣٦
فلسفة الفن عند الفيلسوف الآن	دكتور زكريا ابراهيم	٤/٦٦	٨٩	٣٦
ديكارت امام الفلسفة الحديثة	دكتور عثمان امين	٥/٦٦	٩٠	٢٠
فلسفة الفن عند كاسيرر	دكتور زكريا ابراهيم	٧/٦٦	٩٢	١١٥

عروبة

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
التعليم الفني في البلاد العربية	دكتور عبد الله عبد الدايم	٢/٦٦	٨٧	٢٠
حديث الى فتياتنا العربيات	دكتور فاخر عاقل	٥/٦٦	٩٠	٥٤

فنون

حضارات سادت .. ثم بادت

قصص

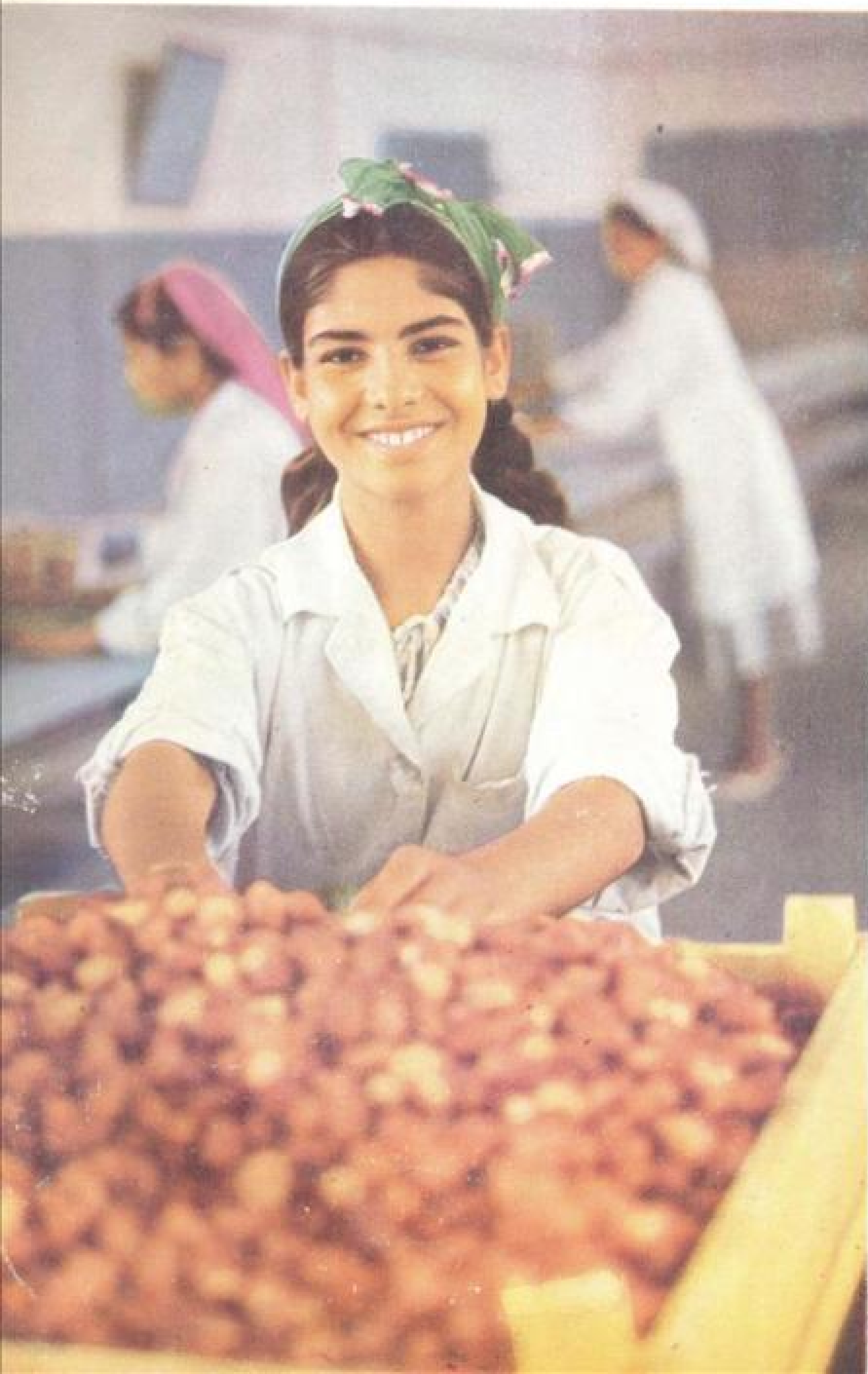
جريمة وقضاء

كتاب الشهر

بقلم: الدكتور محمود السمره

العربي

عدد ٩٩
شوال ١٣٨٦
فبراير
باط) ١٩٦٧



اطلب

ربى الصغير

هذا العدد

جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا

الحقل الى المصنع
صنع اشهى
ساعة عربية
الوادى الجديد

(صفحة ٦٨)

الثمن

ت	١١٠	فلوس
ج العربي	٢	روبية
ودية	٢	ريال
ن	٥ر٢	شلن
راق	١٢٠	فلسا
ن	١٠٠	قرش
	١٠٠	فلس
رية	١٠٠	قرش
	١٠	قروش
ان	١٠	قروش
	١٥	قرشا
	٢٠٠	مليم
	٢٠٠	مليم
	٢	درهم



صـــورة رسمها الرسام العالمى
ميشيل انجلو
رائعة من روائع الفن الغربى

انظر صفحة ١٢٣

عزيزي القارئ

لم نكد نفرغ من العدد الممتاز لأول يناير في أول هذا العام ، حتى لحقه عدد فبراير ، يريد ان يخرج الى الاســواق .

ونحن اذ نختتم هذا العدد الثاني من هــذا العام ، نغتبط للعدد الاول ، وفى نفس الوقت نأسى له .

اما الغبطة فلأن كل اعداده المائة والستين الفا ، لم يرجع منها الينا شيء ..

واما الاسى فلأن حوادث حــدثت ، بسبب تهافت الناس على اقتناء « العربي » ، وتزاحمهم ، بسبب قلة الوارد منه ، الى بعض الانحاء البعيدة من الوطن العربى .

وللذين كتبوا لنا فى هذا عاتبين نقول : ان الفــرج قريب ان شاء اللــه .

المحــرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

ادب ولغة :

اسلاميات :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 99 February 1967 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

فتاة من ريف مصر تركت الحقل وجاءت لتعمل في مصنع البلح بالوادى الجديد .. انها واحدة من مئات الفتيات اللواتى يساهمن في تصنيع هذه المنطقة الصحراوية بعد أن حولتها المياه المتفجرة من باطن الارض الى حقول خضراء ومزارع ومصانع .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



بريد القراء

نابليون في مصر

● قرأت فى العدد ٩٧ من مجلة « العربى » الغراء الصادرة فى ديسمبر ١٩٦٦ فى صفحة اللغة تحت عنوان « قطعة من حجر » ما نصه : « كان نابليون قد غزا مصر فى عام ١٧٩٥ ، واحضر معه علماء من كل صنف » .. وهذا القول ان لم يكن خطأ مطبعيا فهو خطأ ينقضه التاريخ .

القاهرة – ج.ع.م   صلاح الدين محمد الضليفي

العربى : نعم انه خطأ وقع فى النقل ، فنابليون غادر طولون بفرنسا فى ١٩ مايو عام ١٧٩٨ ، واحتل مالطة فى ١١ يونية ، والاسكندرية فى اول يولية ، وفرّق المماليك عند الهرم فى ٢١ يولية ، وضرب الانجليز اسطوله عند « ابو قير » فى الأول من اغسطس ، وكل هذا كان فى عام ١٧٩٨ .

الصابئة

● فى العدد ٩٦ (تشرين الثانى) فى ص ٣٠ تحت عنوان « مسابقة » نشرتم : « **الصابئة قوم يعبدون النجوم مايزالون ، لايحلقون شعورهم ، ولا يرتدون الملابس السوداء ، وكتابهم المقدس يحوى تعاليم هي خليط من الوثنية واليهودية والنصرانية والاسلام ، وهم يختارون كهنتهم من أجمل الرجال ... والنساء** » .

ومن أجل تبيان الحقيقة ، ارجو نشر هذا الايضاح فى مجلتكم :

ان الصابئة يعبدون الخالق جل شأنه ، ويقدسون عظمة الخالق فى الكون وسر خلقه للكون . كما أنهم لم يلبسوا جميع الملابس ذات الالوان غير البيضاء منها فى الطقوس الدينية .

أما هم فوجدوا قبل وجود اليهود (كما ذكر فى كتاب مروج الذهب للمسعودى حيث يذكر جدلا بين ابراهيم الخليل وبينهم ، وكما يذكره رجال الدين لهم) .

فكيف كانوا بتعاليمهم خليطا للمسيحية والاسلام اللذين وجدا حديثا بالنسبة لغيرهما من الاديان .

أما الوثنية فوالله لو وجدت شيئا منها فى هذا الدين الذى انا أحد أفراده لتركته .

وأما رجال الدين (الكهنة) فهم من الرجال فقط ، لهم صفاتهم الخاصة (لازيادة أعضاء فى أجسامهم ولا نقصان فيها) وعلى ثقافتهم الدينية ومرورهم بامتحان لذلك ، وعند اجتيازه يعمد

تعميدا خاصا لمدة معينة حتى يكون رجل دين .

اما المرأة فلا تدخل في أبسط الطقوس الدينية قط .

العراق . وحيد الزهيري .

وشبيه بهذا الرد أيضا جاء من رعد عواد ، ومن صابيء لايذكر اسمه ويضيف :

« اننا لانلومكم على هذا وذلك لاننا نحن الصابئة لاننشر ديننا ولا تعاليمنا مطلقا ، لذلك ترى أنه قليل جدا من غير الصابئة من يعرف بعض تعاليمنا او لغتنا ، والسبب هو أننا نعتقد أننا اذا نشرناها سوف تتحور وتتغير وتزول بمرور الزمن ، وهذا مالا نريده » .

« العربي » : جاء في سورة البقرة الاية ٦٢ (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فقد قرنوا في القرآن باصحاب الكتب السماوية ، ومع هذا نجد المفسرين ومؤلفي الملل والنحل يختلفون في تعريف الصابئة . وخطاب الصابيء الذي لايذكر اسمه قد دلنا على السر في الاختلاف فيهم . واقرب المفسرين عهدا واقربهم من طائفة منهم موطنا ، وهو الالوسي من كبار علماء العراق رحمه الله يقول في تفسيره « صابئة الروم . وصابئة الهند ... ثم يقول : فرقة عبدة الكواكب ، وفرقة عبدة الاصنام .. وقيل : هم قوم موحدون يعتقدون تأثير النجوم ، ويقرون ببعض الانبياء ، كيحيى عليه السلام ، وقيل : انهم يقرون بالله تعالى ، ويقرءون الزبور ، ويعبدون الملائكة ، ويصلون الى الكعبة .. وقد أخذوا من كل دين شيئا » حتى كتب اللغة تختلف في تعريفهم . فالمؤلفون معذورون اذا اختلفوا في حقيقة عبادتهم . وفيما كتبه الصابيء الذي لايذكر اسمه تأييد لما تقول ما داموا لاينشرون دينهم ولا تعاليمهم .

خلا لك الجو فبيضي واصفري!

أهو لطرفة بن العبد أم لكليب بن ربيعة ؟

● لقد استرعى انتباهي ما نشر بمجلة العربي العدد ٩٢ تموز ١٩٦٦ م ، في صفحة « صفحة اللغة» باب أمثال تضرب تحت عنوان «خلا لك الجو فبيضي واصفري» ونسبتم الأبيات للشاعر طرفة بن العبد وجاء في روايتكم ما يأتي :

خرج طرفة مع عمه يوما في سفر وحاول الصيد ونصب فخا فما واتاه الحظ طول نهار وجمع شباكه يتأهب للرحيل وعندئذ هبطت على الارض بقربه قبرة واخذت تنقر الأرض ولا يستطيع لها صيدا فأخذ ينظر اليها ثم قال يخاطبها وقد هم بالرحيل :

يا لك من قبـرة بمعمـر
خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري
قد رحل الصياد عنك فابشري

ورفع الفخ فما ذا تحذري
لا بد يوما أن تصادى فاصبري

ولقد سبق لي أن اطلعت على هذه الأبيات في كتاب « أيام العرب في الجاهلية » تأليف الأساتذة محمد أحمد جاد المولى ــ علي محمد البيجاوي ــ محمد ابو الفضل ، حيث نسبت هذه الأبيات لكليب بن ربيعة « كليب وائل » « أعز العرب » ٤٤٠ م ــ ٤٩٤ م. الذي يقول الكتاب انه مر يوما بمرعى فيه قبرة وقد باضت فلما رأته صرصرت وخفقت بجناحيها فقال : من روعك ؟؟ أنت في ذمتي .

(البقية على صفحة ١٥٥)

حديث الشهر

بقلم رئيس التحرير

دولة، افتقدت كل ركائز الوحدة القومية

وجه الي الحديث قائل يقول :
بعدد نوفمبر الماضي ، تحت عنوان « دنيا البيض ، ودنيا الصفر والسمر والسود » ، عددت لنا الركائز الخمس التي تقوم عليها الوحدة القومية ، فكانت :

الركيزة العنصرية .
الركيزة اللغوية .
الركيزة الثقافية .
الركيزة التاريخية .
الركيزة المصلحية .

فهل يشترط في قيام الوحدة الوفاء بكل هذه الركائز ؟

وكان جوابي على هذا ،ان الركائز قد يغيب بعضها ، او قد تغيب كثرتها . او قد تغيب جميعها الا واحدة ، فتقوم عليها الوحدة . ومن الناس من قال : وقد تغيب جميعها ، ولا تغيب الوحدة .

قال : اضرب لى مثلا .
قلت :

فى زوريخ

كنت فى مدينة زوريخ ، ارود اسواقها .

ورات صاحبتي فى مكاتبها ، كتبا بها صور من صنوف الطعام ، زاهية الالوان، تنطق بلغة الفن لا بلغة الكلام . وهي اذا لم تمتعك منها لذة الفم ، امتعتك منها روعة التزويق والتصفيف والاناقة .

وارادت صاحبتي ان تستبضع منها . واعجلنا الوقت . فقلنا نكون غدا فى مدينة جنيف ، وفى جنيف تشترى صاحبتي ما فاتها ان تشتريه فى زوريخ . والمدينتان فى دولة سياسية واحدة .

فى جنيف

وفى جنيف درنا فى الاسواق كعادة كل السياح ، ففي المتاجر كل الاخبار ، وفى باحات المخازن ما يحكى لك الكثير عن سبق البلاد ، اى بلاد ، او تخلفها .

وذكرنا كتب الطعام ، ذات الصور الزاهية ، التي تثير الجائع ، او تثير الفنان ، او هما معا . وطلبناها فى كل مكتبة ، فلم نجد لها اصلا ولا فصلا .

ووقفنا فى مكتبة شهيرة . وتحدثنا الى شاب فطن بها . وذكرنا له امر هذه الكتب ، وانها كثيرة حتى لاتكاد تخلو منها مكتبة فى زوريخ ، وقد خلت منها او حتى من اشباه لها كل مكتبات جنيف .

قال الشاب الفطن : انهما مدينتان مختلفتان كل الاختلاف .

قالت صاحبتي : احداهما المانية ، والاخرى فرنسية ؟

فنظر اليها الشاب ، وابتسم ابتسامة عريضة ، كادت ان تكون مسموعة ، ولكنه لم يقل شيئا .

فى الوقت الحاضر

والحق ان سويسرا بلد عصف بمعنى الدولة الواحدة ، والقومية الواحدة ، والامة الواجدة ، التى يتحدث عنها المذهبيون والعقائديون ، كما يسمونهم ،

ومع هذا ظلّت وحدتها قائمة

ويشترطون لكينونتها من الشروط ما يشترطون .

عصبية لغة

ونزلت منذ سنين فى زوريخ، فى فندق غير كبير ، ولكنه انيق ، وهادىء ، مطعمه خافت النور ، يوحي بالاحلام . وحدثت صاحبته بالفرنسية ، فلم تفهم . حدثتها بالفرنسية زعما اني في الدولة السويسرية ذات اللغات الثلاث . او لعله كان تخابثا مني . فلما لم تفهم حدثتها باللغة التي تفهم . وسألتها : اذن فما لغتك . قالت بالطبع الالمانية . قلت والذين حولك . قالت بالطبع الالمانية . وزادت : نحن هنا فى زوريخ . قلت والفرنسية : هل يتكلمها هنا الناس ؟ قالت فى شيء من الحدة ، النعرة القومية من بعض حرارتها : « نحن هنا فى زوريخ » . ولو ترجمت نظرتها الغاضبة الي كلاما ، لكان « ايها الغبي » .

وفى جنيف تتكلم فى المتجر بالالمانية فاكثر ما يقع ان تستمهلك الفتاة البائعة حتى تحضر لك من يفهم .

دولة عصفت بكل شروط الوحدة

واعود الى المذهبيين .

قالوا ان من شروط الامة وحدة اللغة، وهو شرطها الاول .

ولكن هذه دولة واحدة ، ولكنها متعددة اللغات .

وقالوا من شروط الدولة الواحدة وحدة التاريخ .

فهذه دولة واحدة ، خالف التاريخ بين عناصرها الثلاثة الاصيلة ، الالماني والفرنسي والطلياني .

وقالوا من شروط الدولة الواحدة وحدة الدين .

وهذه دولة واحدة ، ثلاثة اخماسها بروتستنت ، والخمسان من الكاثوليك . وتقول انها ديانة نصرانية واحدة ، واقول نعم ، ولكن بينهما من الخصومة فوق ما بين النصرانية والاسلام ، وفوقه كثيرا . ان الذى بينهما من الحماقة كالذي بين الشيعة والسنة فى بعض دول الشرق الاوسط .

حيرة المذهبيين فى امر هذه الدولة حيرة لا بد واضحة .

سر الوحدة

ويزيد فى هذه الحيرة ، ان هذه الدولة ، مع اسقاطها لكل شروط القومية تقريبا ، دولة هانئة في امنها ، رخية فى عيشها ، سابقة فى مدنيتها . وتقوم الحروب حولها ، وهي صامدة للنعرات القومية التي يعصف بها الريح من جوانبها الثلاثة .

وقلت « سابقة فى مدنيتها » .

أيكون فى هذه الجملة سر هذه الوحدة التي ناقضت شروط الوحدة القومية جميعا ، على ما يصف المذهبيون من ذلك .

اني هنا انما احدس ، ولا اقرر . وللقارىء ان يرى فى هذا الامر ما يرى .

جامعات الغرب، مفتوحةُ الأبواب اليوم،

مَرحىً للكويت، بادرت بإقامة جامعتها.

الجامعات كبيرة النفقات

ليت شعري ثم من الرجال، فى اى امة، وقفوا وقفة يتأملون فيها كم من النفقات تنفق الجامعات، ومَن ينفق عليها، ومن اى الجيوب من بين المواطنين تخرج النفقة.

ان الناس جميعا نشأوا على ان الدولة تدبر للناس كل الخدمات بالمجان: الماء الصالح. الشارع النظيف. الطريق الامين. السكة الحديد. البرق والبريد. المدرسة والجامعة. المستشفى الى آخر ما هنالك من امور لا يكاد يستنفدها احصاء.

ولكن لكل نفقة مورد تستقي منه الدولة. انها الضرائب. وحتى الضرائب قد تعجز، حتى فى الامم الاشتراكية، عن الوفاء بالحاجات.

فى يوغسلافيا

واضرب مثلا اليوم بيوغسلافيا. ان بها ازمة نفقة وانفاق. الخدمة الصحية فيها تعجز الموارد المالية الضريبية عن الوفاء بها. واذن لا بد من نقص هذه الخدمات. اولا بد من زيادة الضرائب.

والعجيب فى ذلك ان هذا الامر على وضوحه، يعجز اهل هذه البلاد عن الاتفاق عليه. ان العمال تأبى أن تزيد الضرائب. والبلد كلها ليس فيها الا عامل. وهم فى نفس الوقت يرفضون نقصا فى الخدمات الصحية والمستشفيات.

واذا نحن ذكرنا الجامعات خاصة، وجدنا ان التعليم الجامعي بالمجان في اكثر الامم المتقدمة رأيا وعاطفة، لا سيما المتخلفة ثقافة وغنىً.

وهو غير ذلك فى بلد كانجلترا. ان طالب الجامعة بها يدفع ثمنا لتعليمه.

فى انجلترا

ولقد انشأ الانجليز لجنة عرفت بلجنة روبنز Robins للنظر فى التعليم العالي، وقضت اللجنة، من بين شئون كثيرة قضت فيها، ان الطالب الجامعي عليه ان يزيد ما يدفعه للجامعة ثمنا لدراسته.

وبدأوا برسوم الطلبة الاجانب، فزادوها، وعما قريب يزيدون رسوم التعليم التى يدفعها اهل البلاد.

والذى يقوم بهذا حكومة العمال! الحكومة الاشتراكية.

وهذا التحول يتضمن مبادىء، نرضى عنها او لا نرضى، وفقا لمزاجنا الاجتماعي، فى البلد الذى نحن فيه. وانا دائما اقول كل بلد أدرى بالذى فيه ما دام حكم الشعب قائما فيه.

وعند الانجليز ان التعليم الجامعي، ليس حقا واجبا على الدولة، كالتعليم الابتدائي والثانوى، وكالماء والهواء. عندهم ان حاجة البلاد من الجامعيين محدودة. وانه ان قيل هذا شاب فقير يريد الجامعة، سألوه: كم موهبتك؟ فان هو جاز امتحان المواهب دخل الجامعة بالمجان.

وقد تضيق في وجه أهل الشرق مسالكها غداً

قبل أن تتأزم أسواق العلم والجامعات

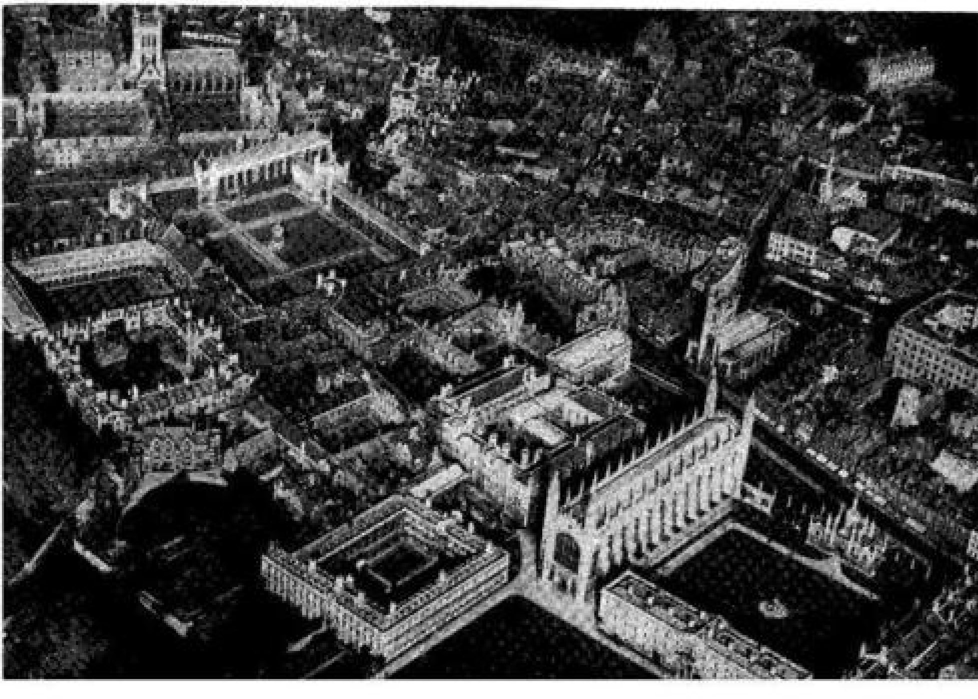
اقليمية

ولكن اخذ الانجليز بهذا التحول ، بادئين بالمقتربين ، دليل بعض جنوح الى الاقليمية التى بدات تجتاح اكثر البلاد ، الا الاشتراكية على ما ندرى ولاغراض سياسية .

وهذا درس لا بد ان يعيه العرب . فلا بد ان يسارعوا فى انشاء جامعاتهم فى بلادهم ، وان ينشئوها سريعا ، وان ينشئوها اكثر وفاء بالعتاد والرجال للقاء المستقبل الذى لن تكون فيه سوق الجامعات الاجنبية سوقا مفتوحة على مصراعيها .

لقد اوشكت الابواب ان تسد ، ومنابع العلم المفتوحة التى يغترف منها من الآن من يشاء ما يشاء ، لاتلبث ان يقف عندها حارس يأذن لبعض ، ولا يأذن لبعض ، وقد يكون من اسباب ذلك الولاء السياسي او غير الولاء . ان العلم سيصبح نادرا ، فعلى العرب ان يبنوا

صورة جامعة كمبردج ، كما راتها عدسة المصور من طائرة



له صروحه ، وابواب الاستيراد لاتزال مفتوحة .

ما يدفع طلاب الجامعات

لقد احصت اللجنة البريطانية ما يدفعه طلاب الجامعات للجامعات فبلغ فى المتوسط ٣٢ فى المائة من التكاليف . كان هذا عام ١٩٣٨ . وهبطت هذه النسبة الى ١١ فى المائة فى عام ١٩٦٣ . وهبطت دون ذلك بعد ذلك .

ولم تصنع الحكومة البريطانية شيئا فى هذا الامر منذ نشر تقرير اللجنة . ولكنها بدات الآن تنفذ ما رأته صالحا من مقترحاتها . وكان أولها تعديل لها تناول رسوم التعليم فى الجامعات .

ان متوسط ما يدفعه طالب الجامعة فى شتى البرامج يبلغ نحو ٧٠ جنيها استرلينيا فى العام . وهو مقدار دُونَ متوسط النفقة الحقيقية للجامعات دنوا كبيرا ، وصفوه فقالوا : انه بلغ درجة السخف .

واذن هم بدأوا برفع رسوم الجامعات البريطانية من اول العام القادم .

وبدأوا برفعها على الاجانب .

ورفعوها رفعا عاليا . سيصبح متوسط الرسم ٢٥٠ جنيها استرلينيا فى العام لمتابعة برامج الدراسة التى تؤدي الى نيل درجة جامعية . اما الذين لا يطلبون درجة، فرسمهم ١٥٠ جنيها . والقدماء ترفع رسومهم ٥٠ جنيها فى العام فقط .

وقدّروا ان دخل الجامعات من هذه الزيادة سيبلغ فى العام القادم ٢ مليون جنيه . ثم يبلغ بعد فترة الانتقال هذه ٥ ملايين من الجنيهات .

والمقدر ان هذه الزيادة ستغطي بعض الفرق الذى قام فى العام الماضي بين ما يدفع الطلبة المغتربون وما ينفق على تعليمهم فعلا ، وقد بلغ هذا الفرق ١٨ مليون جنيه .

عدد الطلاب المغتربين

ان الطلبة الاجانب الذين يتعلمون فى انجلترا يبلغ عددهم ٧٠٠٠ طالب ، جاءوا من بلاد غنية بها جامعات طيبة ، من مثل الولايات المتحدة وكندا واستراليا ونيوزيلندة يضاف الى هؤلاء ٢٣٠٠٠ طالب جاءوا من بلاد اكثر تخلفا .

على اني احسب ان سوف يهدىء من سرعة هذا التحول ما سوف تحسه انجلترا ، عاجلا او آجلا ، بسبب تضييق الخناق على طلاب العلم فى بلادها . اني احسب انها خطوة دعا اليها اقتصادها الحالي المتأزم ، فنسيت ما يدره انفتاح ابواب جامعاتها على الدنيا ، وبالتالي عليها هي نفسها ، من خير كثير ، يتصل بثقافة وتجارة وسياسة ، فى معترك دولي ، المتنافسون فيه كثيرون .

مرحى للكويت

وبهذه المناسبة أقول مرحى للكويت ، انْ بدات بجامعتها ، على خير ما تكون الجامعات . وهي بداتها كما بدات كل الجامعات فى الامم النامية ، وفى جامعة القاهرة خاصة،باساتذة من غير ابنائها . لقد حضرتُ جامعةالقاهرة،فيأول امري، استاذا بين اساتذة من كل دولة . الانجليزي والفرنسي والهولندى ، والسويدى . ثم فعل الزمان فعله ، وَورِثَ ذاك الجيلَ جيلٌ من ابناء البلاد لاحق .

وجامعة الكويت بدات باساتذة من ابناء اعمامها ، خلصاء ، سيكون لا شك من سرورهم ان يخرج نبت فى الجامعة الكويتية كويتي،بحكم التحضير والتجهيز والتطوير ، يزيحابناء الاعمامعن كراسيهم ليحل محلهم ابناء من أهل البلاد ، عرب ، خلصاء كرماء ، يزيدون ما بين الجامعات العربية قوة آصرة ، يؤرّجها عطرُ ذكريات ذاهبات غاليات .

عالَم الأطفال فى الدنيا، عالم أحلام
وهو عندنا، عالمُ جِدٍّ صارم

عالم الأطفال ، عالم احلام

عالم الأطفال عالمٌ ، لا يخرج منه الطفل ، اذ يدرج الى الصبي ، حتى ينساه . واشد نسيا له الرجال ، يأتي بعدهم الكهول . وغيرُ ذلك الشيوخ ، فمن عجيب امرهم أنهم يصبحون أذكر لصباهم وشبابهم مما كانوا . واذا نظروا الأطفال والصبية يلعبون ، عطفوا عليهم وادّكروا ، كأنما الحياة دائرة ، تدور على نفسها حتى ليلتقي رأس بذنب .

جيلٌ على الصغار صارم

ونحن فى الشرق نشأ جيلنا الماضي على الجد الصارم . واتخذ من ادب الرجال ادبا يؤدب به الصغار . فالظهر المستقيم عند الجلوس ، والوجه العابس عند اللقاء ، وتقبيل اليد التي ربما كانت تمسك بعصا التأديب قبل ساعات .

واللعَب ، لم يكد يكون عند الاطفال منها شيء . الا عروسا من الحلوى ، او فارسا من السكر ، فى عيد ميلاد الرسول .

الكلمة المكتوبة ، والصور المرسومة ، تدخل بيوت الناس

لقد تغير الآن الحال ، فى الشرق ، فى اكثر من بيت . ومنذ دخلت القراءة البيوت ، وتراجعت الأمية ، وجد الأطفال فى الكلمة المكتوبة ، ولا سيما فى الصور المرسومة ، شيئا جديدا عَجَبا .

الاطفال ، من كل الاعمار ، تتعلم اول ما تتعلم ،من كتب الصغار ، تلك التى تضمها مكتبة البيت





حملت الكتاب الى الفراش ونامت ، فاذا بصوره تخرج منه فتثب وتتحرك فى احلامها . ومنها الفار الذى ابتدعه دزنى

لقد تعلق الطفل ، فى البيت الحديث ، بالصور ، حمراء ، وصفراء ، وزرقاء ، هي صور غالبا ما تكون لحيوانات . والطفل ما اسرع ما ينجذب الى حيوان . قط ، كلب ، أرنب ، جدى ، بقرة . انها بعض عالمه الجديد ، فهو لذلك يريد ان يتعرف اليها . وهو ما اسرع ما يرى فيها صورة الانسان ، التي لم يعرفها بعد ، وهي فى ابسط اشكالها .

وهو يحدثها ، وهى تتحدث له . ويخال انها لا تفعل ما يريد ، فينهرها ، فتطيع . وهو هكذا يبادلها الحياة ، حيةً ، وكذلك وهى صور فى كتاب .

اقاصيص حيوانات ، ودُور نشر

وقد احدثوا فى عالم الكتب حدثا كبيرا . الف كتاب وكتاب ، من اقاصيص الحيوانات ، حتى صار للصبية دور للنشر ، واخرى للبيع ، متخصصة .

وهي حيوانات ، على الورق ، انطقوها فهي تتكلم ، وجعلوا لها آذانا فهي تسمع ، ولها عقول فهي تتصرف تصرف ذي العقل الواعي . ولها قلوب تثور فيها الانفعالات ، وتهدأ ، تماما كما تثور فى قلوب رجال ونساء ، واطفال .

وجعلوها حيوانات تستطيع ان تصنع ما لا يستطيعه انسان . انها تخرق كل قوانين الطبيعة ، فالثقيل فيها يطير ، والخفيف يهبط . والخيل لها أجنحة ، والبساط يحمله الريح .

الخرافة غذاء الأطفال والصبية

خيالات وخزعبلات ، هي غذاء الأطفال والصبية فى تلك الأعمار الطريّة الأولى . خرافة يكفيها أن تثير خيال الطفل فيخرج عن مالوف عادة الناس ، وتصورهم له فى عهد فيه تتراءى له الدنيا كلها خيالا مخلخلاً لم ينعقد بعد ليكون جرما له ثقل،فهو يحمل ويوزن.

وليس حب الخرافة والحاجة اليها مقصورا على الأطفال . فكم منا نحن الرجال ، ونحن النساء ، من يفزع كثيرا الى الخرافة نحتمى فيها من وقائع الحياة اذا اعتكر جوها وتلبّدت حتى اسودت غيومها .

ثم حدثَ فى عالم الأطفال حدثٌ ذو بال

ثم حدثفى عالمالاطفال حدثذو بال .

ففييوممن أيام خريفعام١٩٢٧ ظهر فىدار مندور السينما ، بمدينة نيويورك، فِلْمٌ من نوع غريب . ممثلوه ليسوا من الرجال . كان ممثلوه من الحيوانات ، وكان بطل القصة فار ، ظهر لأول مرة ، هو وصحبه ، يتحرك على الشاشة تحرك الرجال .

وتتوالى السنون ، فتكثر هذه الأفلام حتى تكون الفا ثم آلافا . والبطل ، الفار ، يزداد شهرة . واذ تحرك تحرك الانسان ، البسوه ما يلبس الأطفال من بنى الناس ، حتى الذنب جعلوا له فى سرواله خرقا .

ويأتي كلُ عام بأفلام جديدة ، يراها من الأطفال جيل جديد ، يزيد مشاهدى هذه الأفلام عددا . ودخلت الأفلام الى البرامج التلفازية فأصبح شهادها ملايين ، كل اسبوع ، وكل شهر ، وعلى السنين .

كان الأطفال همّهم اولا : فى الصور

على الورق ، مزوقة ، ملونة ، وبنى الكتاب حول هذه الصور قصصا . ولكن الصور ظلت على الورق ثابتة ، الا ان تحركها خيالات الأطفال .

ثم جاءت هذه الأفلام الجديدة ، فأبقت على القصص ، ولكن حركت الصور فكانت افعل في نفوس الأطفال ، وينظر الطفل الى ميكي موس (نهذا اسم الفأر الصغير) يتحرك ، فيحسب انه طفل مثله يتحرك . ويأتي الفأر بالسخف، ويضحك الطفل للسخف ، ويضحك أبوه وأمه . وليس كالسخف ما يضحك . ومما تفعل الحيوانات في هذه الصور ، من فأر ، أو اوزة ، أو كلب ، يتعلم الطفل الكثير عن حياة الرجال ، وهو غير واع لما يتعلم . وقد جعلها مؤلفها أقاصيص ، فيها الدعابة ، ولكن في غير اسفاف ، وفيها اثارة العاطفة ، ولكن للحق وحده . فيها علم ، وفيها خلق . اشياء قد لا يستسيغها الكبار ، ولكنها للأطفال في أدوار نموهم متعة وتربية وتهذيب .

وبأي لغة يتحدث ابطال هذه الاقاصيص ، الفأر ميكي وصحبه ؟ يتحدثون بخمسة عشر لسانا ، هي أكثر لغات الأرض .

ملوك اشادوا بالافلام

حضر الملك بوميفول ، ملك تيلاند ، الى هوليوود ، حيث تصنع الافلام . والتقى بصانعها الاول ، وواضعها على الشاشة اول واضع ، ومالىء الدنيا بها في شرق وفي غرب ، فأهدى لهذا الرجل الفنان الخلاق هدية ، قال له عندها : انما هذه للشكر لاني نشأت على افلامك طفلا .

وغير هذا الملك ملوك في الارض ورؤساء ، كان منهم اليه اهداء . وغير الملوك التحية والتقدير يأتيانه من كل هيئة علمية ، واخرى تربوية . وعدوا هداياه والجوائز فكانت ٧٠٠ أو تزيد .

مؤسسة ضخمة

وتضخم العمل الصغير الذي بدأ عام ١٩٢٧ حتى صار اليوم مؤسسة ضخمة . وبلغ عائدها بعد خمسين عاما نحوا من ٧٥ مليون دولار في العام .

واقامت المؤسسة مدينة عجيبة ، فيها من غرائب الاشياء الشيء الكثير ، بما يتفق وحياة الاحلام التي تثيرها تلك الافلام . وبلغ عدد مرتاديها في العام خمسة ملايين نسمة .

المبدع الاول

هذا المبدع الاول ، ذاك الذي حرك حيوانات القصص ، وجعل منها لاطفال العالم وصبيته افلاما ، فيها الفكاهة ، وفيها العبرة ، وفيها حتى العلم الكثير هذا الرجل نعاه العالم منذ اسابيع قريبة .

لم تظهر صحيفة ذات بال في ركن من اركان العالم المتمدن ، الا ظهرت وعليها : «مات وَلْت دزني» وحيته جميعا تحيات كان يبتهج لها لو انه بها درى . .

قالت كبرى مجلات لندن الاسبوعية المصورة ، تنعاه : لقد وقع خبر وفاته في العالم وقع خبر وفاة القصاص الدنمركي الشهير هنس اندرسن Hans Andersen او لعله كان كوقع خبر وفاة شارلز دكنز نفسه عندما طواه الموت . .

ولا يستطيع انسان الا ان يذكر بموت دزني رُوّادا كتبوا « للانسان الصغير » سبقوا ، وظلت اقاصيصهم الى اليوم حية في عالم الاطفال ، عالم الاحلام ، وستظل حية ، ما ولد في الدنيا طفل وتمدين ، وما بقي في الناس قارىء يقرأ .

ذكرت بدزني هنس اندرسن، وذكرت الاخوين الألمانيين ، يعقوب جريم ، وولهم جرم Grimm Brüder وذكرت من كتبوا الف ليلة وليلة ، وما كتبوا . ولقد توالى بعد هؤلاء الكتاب الاحدثون ، فكانوا كثرة لا يسهل عدها.



الفار ، ميكى موس ، يشرح للصبى كيف تصنع الافلام . انه يقول لصاحبه، انظر الى هذا الفلم . انه عبارة عن صور البومة ارشيمدس (وهى بعض اشخاص الفلم من الحيوانات) . يلزم منها ١٨ صورة تتلاحق على الشاشة لكى تظهر عليها للنظارة خفقة واحدة من جناحيها . كان دزني دائما يهدف الى ان تكون افلامه وسيلة تعليم للصغار من ابناء الناس

حيـاة بائسـة

ولد وَلْت دزني Walt Disney فى اسرة ارلندية، سكنت الولايات المتحدة . وكان ابوه رجلا مكافحا تقلب فى سبيل الرزق على اعمال شتى. بدا نجارا يعمل في شيكاغو حيث ولد ولت عام ١٩٠١ . ثم حاول ان يرتزق من بيع الاثاث. وحاول ان يرتزق من بيع المحفوظ من الطعام والمربيات . وحتى لقد حاول ان يرتزق من بيع الداخلي من ملابس النساء . واخيرا نجده قد استقر فى مزرعة يحاول فيها ان يعيش مع امراته ومعهما خمسة من الاطفال ، كان اصغرهم دزني .

واضطرت الاسرة الى ترك المزرعة والذهاب الى مدينة تكساس ، ليقوم الوالد ، الياس دزني بادارة محل لبيع الصحف . وكان عمال المحل الوحيدون ، عدا الياس ، هما ولت دزني واخوه رُوى .

كان ولت قد بلغ عند ذلك العاشرة . وكان من واجبه ان يستيقظ كل يوم فى الساعة الثالثة والنصف بعد نصف كل ليل ليتلقى كتل الصحف التي يقذفه بها سائق السيارة التى تمر بمحلهم فى تلك الساعة لا تتخلف ابدا ، وكان ابوه يفرض عليه ذلك فرضا ، لا يعفيه منه مطر يرخ او ريح عاتية باردة تهب .

ويدور ولت واخوه على البيوت فى الصباح الباكر يوزعان الصحف .

ومرض ولت ثلاثة اسابيع ، فحرمه والده من أجر هذه الايام .

وكان يغيظ الوالد ان يرى الابن ولت مولعا بالتصوير ، يَرسم على الحائط ، وغير الحائط . ومرة ، وهو طفل صغير ،

رسم ولت على حائط البيت الابيض بطة سوداء ، استخدم فى رسمها شيئا من القطران . فكان جزاؤه على ذلك العصا من ابيـه .

وحدث مرة ان رسم قطا ذا تسعة ذيول على الورق ، وقصها ، وعلقها على الحائط . ورأى ابوه ذلك ، فانزل القط ، وطلب منه ان ينزل الى البدروم فهو لاحقه ، وعلم ولت ان العصا تنتظره هناك .

ولما همّ الوالد بضرب ولده ، امسك الولد بذراع ابيه التي حملت العصا ، واستطاع ان يمنعها من ان تهبط عليه . فجرت عند ذلك من عين الاب دموع الغيظ . ولكنه علم من تلك الساعة ان ابنه شبّ عن العصا .

وباع الياس دزني محل بيع الصحف ، وبالذى تجمع معه من المال ، شارك فى مصنع لصنع المربيات والماكولات المحفوظة .

وفى هذه الاثناء انصرف ولت الى بيع الشراب والليمون فى قطارات السكة الحديد . ثم استطاع ان يلتحق بمدرسة الفنون الجميلة بمدينة شيكاجو حيث تعلم فن الكاريكاتور ، علمه اياه استاذان بارعان فى هذا الفن ، كانا رسامين فى

صورة ولت دزنى وحوله الاطفال ، احباؤه





صورة جمعت بين : اكبر راس كوميدى فى العالم واكبر راس علمي فى العالم . الاولى لشارل شابلن والثانية لاينشتين . هذا احتفال القوم بالكوميدية في الغرب . فكيف احتفالنا بها في الشرق

الصحف الشهيرة بتلك المدينة الكبيرة .

ومنذ ذلك الحين سلك ولت سبيل الجهاد الكبير ، الذى وصل به آخر المطاف الى ما وصل اليـه .

قال عن ابيه : انه ، على حرصه عند كل نفقة تطلب منه ، كان سخيّ اليد جدا عندما يطلب اليه مالٌ فى سبيل تعليمنا . وكان على الرغم من حدة طبعه ، ابا لنا طيبا حقا وصدقا .

وهكذا نجد فى حياة ولت دزني تلك العبرة التى نجدها فى حياة الكثير من الناس الذين لمعت اسماؤهم فى آخر العمر ، بينا لم يكن فى اوله الا البؤس والشقاء ، والحرمان حتى من الفرص التي تفتح الطريق لمواهب فى انفسهم دفينة ، تلك التى يخرجها بالرغم من كل ذلك الصبر ، وتخرجها المثابرة ، يساعدهما فى ذلك لا شك شيء مما يسميه الناس بالحظ ، واحبُّ الى نفسي ان اسميه القدَر المتاح . ●●

احمد زكى

بني قومي فوا خجل القوافي

للشاعر أحمد السقاف

■ كفاكِ تفجعٌ وكفتْ دموعُ … وهُبِّي فالمماتُ ولا الخضوعُ

ولاتبكي «السَّمُوعَ» وكيف ترضى … بغير الثأر قريتنا السموع «١»

ونادِي كلَّ مِقدامٍ أبيٍّ … له في كل معتركٍ سطوع

وثوري أمتي فلقد تنزتْ … إلى ثاراتها هذى الجموع «٢»

تحِنُّ إلى الرجوع ولو أقامتْ … بفردوسٍ لهيَّجها الرجوع «٣»

مضت عشرٌ وبعد العشر تسعٌ … وبعضُ مصابها مرضٌ وجوعُ «٤»

وقُربَ خيامها وطنٌ سليبٌ … تُزينه المدائن والزروع

محاه الله من ظلمٍ رهيبٍ … تنوء به الجوانح والضلوع

فلا أمنتْ قلوبُ من استكانوا … ولا هجَعوا ولا طاب الهجوع

■ ■ ■

بني قومي فوا خجلَ القوافي … وآهٍ إن تمكنت الصدوعُ «٥»

« ١ » قرية السموع هى القرية الاردنية التى غدر بها اليهود فى تشرين الثانى الماضى « ٢ » المقصود جموع النازحين الفلسطينيين « ٣ » لا يرضى النازحون الفلسطينيون بغير العودة الى ديارهم وطرد اليهود المعتدين منها « ٤ » مضت تسع عشرة سنة على كارثة فلسطين « ٥ » الصدوع جمع صدع والمقصود الانقسامات العربية .



أيظلمنا اليهودُ ونحن قـــومٌ ... أصولهم كما تبغي الفـــروعُ ؟ !

وتاريخُ اليهود يفيضُ لؤمـــاً ... وتمـلأه المهانـــةُ والخنـــوع

فلا خُلُقٌ يحثُّ علـى المعالـــي ... وليس لهم إلى مجد نـــزوع «٦»

■ ■ ■

عبيدُ المال ما عبـدوا ســـواه ... له تسبيحُهُمْ ولـــه الركـــوعُ

ولو رنَّتْ دراهمُ من بعيـــدٍ ... لجلَلْتَهُمْ لرنتها خشـــوع «٧»

ولم أرَ مثلَ ساسونٍ جبانـــاً ... وإنْ كَثُرَ التحرشُ والطلـــوع «٨»

فسيروا نحـوه بثبـات عـــزمٍ ... لِيُسْلِمَـــهُ إلى الشرك الوقـــوع

وإنْ هبُّوا لنجدتــه فكـــونوا ... كما تلقى فريستها السُّبُوعُ «٩»

■ ■ ■

بني قومي وملءُ القلبِ نـــارٌ ... يؤججهـــا التخـــاذل والقنـــوع

برئتُ من العروبة إن بقيـــتم ... على حالٍ جحافلهـــا الدمـــوع

الكويت ـ احمد السقاف

« ٦ » النزوع : الاشتياق « ٧ » عرف اليهود بحبهم الشديد للمال وهم يستبيحون كل شيء من اجله وجللهم اى اصابهم واعتراهم « ٨ » التحرش : التعرض تعرش به تعرض له ، والطلوع الاقبال، طلع على القوم: اقبل عليهم «٩» السبوع جمع سبع وهو المفترس من الحيوان، والمقصود ان الدول الاستعمارية التى تحمي اليهود ان هبت لنجدتهم فان عليكم ان تكونوا اسودا ضارية تفتك بمن يجيء لنجدة هؤلاء الغاصبين .



في سبيل موسوعة علمية

الجُبْنُ

الطعام الثاني الذي تُبنى منه الأجسام كم تعرف عنه؟

■ لقد علمتَ ، ولقد علمنا ، ولقد علم الناس ، كلٌ من تثقّف منهم ، ان البرُوتين أصل من أصول الطعام الثلاثة.

ولقد علمت لا شك وعلمنا، ان الأصلين الآخرين (من سكرىّ ، كالأرز ، أو من دُهنىّ ، كالسمن والزيت) ، ان هما زوّدا أجسام الناس بالطاقة من مثل حرارة أو حركة ، فان البروتين انما يبني هذه الأجسام بناء ، فهو اللبنة الأولى ، الآجرّة الأولى ، التى تحتاج اليها كل خلية حية من خلايا الجسم لتبنى نفسها .

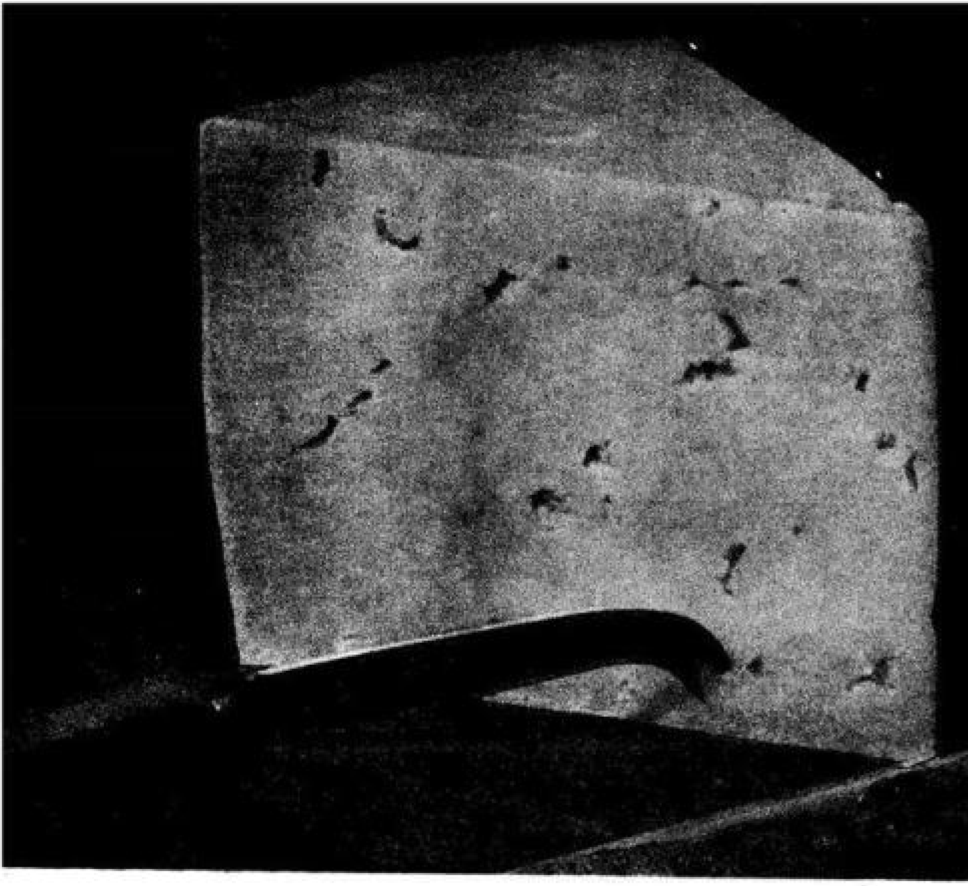
حتى لكدتُ ان أقول ان البروتين Protein وهو أصل أصول الحياة .

وليت كان لنا فى العربية اسم له عربىّ خالص . ولكنهم سبقوا وتبعنا ، ولم يكن لنا مندوحة من تعريب .

للحم المحل الأول ، وللجبن المحل الثانى

ولأن البروتين له هذا الخطر ، وحتى قبل أن يعرف الانسان خطره بالذى تفتّق له من علم ، فقد شاءت ارادة الله، صانع هذا الخلق ومدبره ، أن يتوزع على الكثرة من صنوف الطعام التى تجود بها زراعة الأرض . فحيثما أكل الانسان من نبات الأرض ، أكلَ بروتينا ، قليلا أو كثيرا .

ولكن تركّز البروتين فى اللحم، فطلب الانسان بفطرته الأولى، الهادية الهادفة، اللحم طعاما . وجعل من الحيوان غذاء ، لا عتاب ولا ملامة .



وطلب من الحيوان اللبن ، فكان أشبه شىء باللحم بروتينا .

وتخثر اللبن السائل، فأعطى الجُبن ، ذلك الذى كاد أن يكون لبنا جامدا .

والجبن جامد ، يسهل حمله ، ولا يسهل حمل اللبن السائل .

والجبن يبقى على الزمن فلا يفسد ، وما أسرع ما يفسد الحليب .

وشارك الجبنُ اللحمَ فى الوقوف فى الصف الأول من صنوف الطعام . وإذ كان للحم المكان الأول فى بناء الأجسام ، فقد صار للجبن المحل الثانى .

فمن ضاقت به السبيل الى اللحم ، فليتحول الى الجبن ، ففيه غذاء أى غذاء .

اكتشاف الجبن

يحلو لأهل الغرب أن ينسبوا اكتشاف الجبن الى العرب .

بدوى فى الصحراء ، حمل لبنه فى وعاء صنعه من معدة شاة ، ومضى النهار حارا ، فوجد البدوى أن اللبن تخثر ، بالذى كان فى معدة الشاة من آثار منفحة . وذاق البدوى الخثارة(الجبن) بعد فصلها فاستطابها طعاما . وشرب ما تخلف عنها من ماء (الشرش) فاستطابه شرابا .

الجبن فى التاريخ

والجبن فى التاريخ قديم عريق . أنه عرف قبل السيد المسيح بألفى عام

على الأقل . وحمل أهل الشرق صناعة الجبن الى أهل الغرب . وازدهرت الصناعة فى عهد الرومان . وفى القرون الوسطى أدخل رهبان الأديرة على هذه الصناعة تحسينا كثيرا .

ويذكر فى تاريخ الجبن الشهير ، الجور جنزولا Gorgonzola ، انه بدأ فى ايطاليا ، فى وادى نهر البو Po ، حول عام ٨٧٩ ميلادية .

ويذكر فى تاريخ الجبن الآخر العالمى الشهير الركفور Roquefort ، انه ذُكر لاول مرة ، فى سجلات الدير بمدينة كنك Conques بفرنسا ، عام ١٠٧٠ .

انهم يؤرخون لصنوف الأجبان العالمية الشهيرة ، كما يؤرخون لمشاهير الرجال . ولم لا ؟ وكم من جبن انفع ، على الدهر ، من قبيل من الرجال .

والجبن كان صناعة بيت . كل بيت فى مزرعة ، فى ريف ، كان يصنع الجبن ، وذلك الى نحو منتصف القرن التاسع عشر .

واذ كانت الطرق الصناعية الآلية الكبرى قد دخلت اكثر البيوت فانتزعت منها صناعاتها البيتية الصغيرة ،وجعلت منها صناعة قومية كبيرة ، فقد وقع للجبن ما وقع لغيره ، فصار يصنع فى المصانع ، لا عشرات أو مئات من الارطال فى اليوم ، ولكن الوفا مؤلفة .

الجبن يستخرج من لبن الابقار والحمير

كل لبن يستطيع الانسان أن يستخرج منه جبنا .

والجبن يستخرج عادة من لبن الابقار والجاموس والاغنام والماعز . وقد استخرج الجبن من البان الافراس والاوعال ، وحتى الحمير . وليس فى لبن الحمير ولا فى جبنها ما يورث آكله شيئا من صفات الحمار .

والالبان (١) يختلف بعضها عن بعض كثيرا او قليلا فى التركيب ، على الرغم من ان مكوّناتها الاولى لا تكاد تختلف . ومن اجل هذا اختلفت صنوف الاجبان باختلاف مصادرها .

تركيب الجبن
اللبن = جبن + شرش

اذا تجبن اللبن تحول الى جبن ، ويصفى الجبن فيخرج منه ماؤه . انه الشرش .

ومن المفيد لا شك ان نعرف مكونات اللبن ، ومقاديرها . ثم كيف تتوزع هذه المقادير عند صناعة الجبن ، بين الجبن والشرش المنفصل عنه .

البروتين

البروتين فى اللبن	٣ر٣ فى المائة (لبن بقر مثلا)
يبقى منه فى الجبن	٦ر٢ فى المائة
ويبقى منه فى الشرش	٧ر٠ فى المائة

الدهن

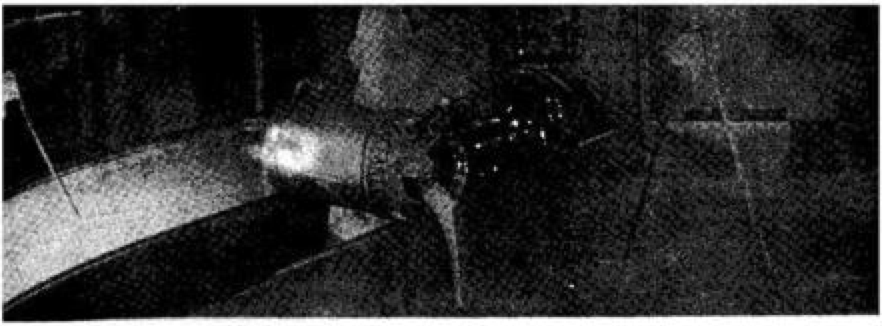
الدهن فى اللبن	٧٥ر٣ فى المائة
يبقى منه فى الجبن	٤٥ر٣ فى المائة
ويبقى منه فى الشرش	٣٠ر٠ فى المائة

سكر اللبن

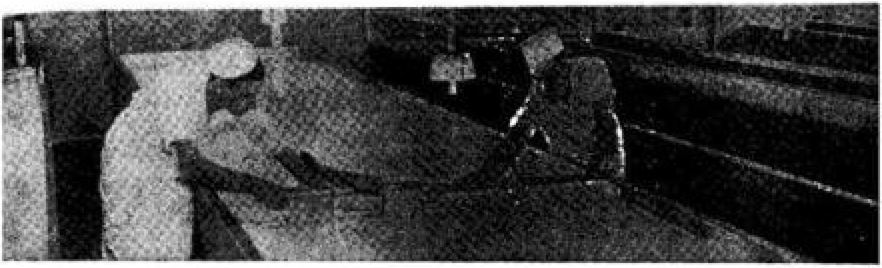
سكر اللبن فى اللبن	٧ر٤ فى المائة
يبقى منه فى الجبن	٣ر٠ فى المائة
ويبقى فى الشرش	٤ر٤ فى المائة

من ذلك نرى ان المفقود فى الشرش

(١) فى هذا المقال نستخدم لفظ اللبن بالمعنى العربي اللغوى الصحيح . وهو المعنى القرآنى . وليس بالمعنى الشائع فى بلاد الشرق الاوسط وهو اللبن الرائب . فهم إذا أرادوا اللبن باللغة الفصيحة سموه الحليب .



اللبن فى الحوض الكبير ، ويصب الشاب فيه زريعة من البكتير لتبدا عملية التخثر . وتعرف الزريعة بالبادئة Starter وهى تحتوى على عدة انواع من البكتير النافع . وهى تحول سكر اللبن الى حامض ، وهى فى نفس الوقت تعين فى عملية نضج الجبن .



بعد أن تكونت هذه الخثارة الجامدة يقوم هذان الشابان بقطعها وتقسيمها

من مكونات اللبن شىء زهيد ، اكثره من سكر اللبن .

اما الاملاح ، وهـي ضرورية لبنـاء الاجسام ، فالجبن يحتفظ عادة بنحو ٦٠ فى المائة من كلسيوم اللبن ، ونحو ٥٧٪ مـن فسفـوره . والكلسيـوم والفسفور من عناصر الجسم الهامة .

والجبن يفقد اكثر فيتامين ب الذى كان فى اللبن ، ولكنه يحتفظ بفيتامين الف ودال اللذين باللبن . يحتفظ بهما في الدهن لأنهما يذوبان فيه .

من اجل هذا كان الشرش يشـرب قديما ، شرابا مستساغا ، ولكن بطـل اليوم شربه ، ولكنهم لا يلقونه فى البالوعة، وانما يستخدم فى الصناعة ، ومن ذلك ان يضاف ، بعد تركيزه الى النصف ، الى الدقيق التى يصنع منه الخبز ، بدل الماء . وبذلك يزيد الخبز المصنوع. كـل مائة رطل من الدقيق تزيد نحو خمسة ارطال او ستة .

تجبينُ اللبن

انك اذا وضعت شيئا من اللبن فـى زجاجة ، واضفت اليه شيئا من حامض، كالخل مثلا ، تخثر على الفور ، وظهرت فيه قطع بيضاء جامدة هي الجبن ، وبها البروتين والدهن وغير ذلك .

وفى صناعةالجبن يجبن اللبن بصنوف خاصة من البكتير تضاف اليه ، كمـا نصنع اللبن الرائب (الزبادى) من اللبن، وهذا الحامـض ، كسائر الاحمـاض ، يخرج الجبن من اللبن .

وهذا الحامض هو الذى نذوق طعمه حامضا فى اللبن الرائب (الزبادى) .

والطريقة الاخرى لتجبين اللبن هي باضافة المِنفحة التي نستخلصها من

المعدة الرابعة لصفار العجول او الاغنام .

وفى الصناعة يجمع بين الطريقتين : البكتير والمنفحة . البكتير يمهد بجعل اللبن حامضا ، ثم تأتى بالمنفحة فى المجال الحامض فتفعل فعلها من حيث التجبين .

انضاج الجبن

والاجبان لها طعوم مختلفة .

والجبن الابيض ، المستخرج على الفور من لبن البقر ، نذوقه فنجد له طعما . ثم نبقيه على الزمن ، فنجد له طعما آخر .

وذلك لأنه ينضج ويطيب بفعل البكتير الذى به ، او المنفحة ، فكلاهما يؤثر فى بروتين الجبن ، واكثره البروتين المعروف بالجبنين ، Casein فيحوله الى مواد اقل تعقدا فى التركيب ، واكثر ذوبانا فى الفم ، والذ طعما .

وليس البروتين هو وحده الذى ينحل فيعطي مختلف الطعوم ، ولكن كذلك قد ينحل حامض اللبن الذى نشأ من سكر اللبن بفعل البكتير ، وكذلك الدهن ينحل فيعطينا بعض الاحماض ، تلك التي نسميها بالدهنية . وحتى البروتين يعطي من الاحماض عند تحلله . والاحماض تعطي الجبن مذاقا فى الجبن لاذعا .

ونضج الجبن يحتاج الى الزمن ، وسرعته تتوقف على درجة الحرارة ومقدار الرطوبة التى تكون فى الجبن عند اختزانه .

والخلاصة ان نضج الجبن يتضمن

فى هذه الصورة تجد الجبن منقوعا فى ماء به ملح ، فى الاحواض . وذلك لتتكون حول كتلة الجبن طبقة سميكة هى بمثابة جلد للجبن حافظ ، وذلك قبل خزنه للنضج . ولا يفوتك ان تلاحظ الجبن الهولندى الكروى ، الفلمنك ، الموضوع على الارفف .



عمليات كيماوية عضوية شتى ، لا يزال الكثير منها مستغلقا .

واذا ذكرنا ان المنفحة ، وبها الانزيمان الهاضمان الرينين Rennin والببسين Pepsin وما يفعلان بأغذية الحيوانات وهي في امعدتها ، واذا ذكرنا عمل البكتير وغير البكتير في تحويل كثير من الاطعمة وتغييرها وتبسيطها ، ادركنا على الفور ما بين عملية تجبين اللبن ، وانضاج الجبن الناتج ، وبين عملية الهضم الحيواني من تشابه ليس بالقليل .

الاجبان اصناف" مئات

لقد حاول احد رجال الصناعة احصاء انواع الاجبان التي تصنع في العالم بالقدر الكبير ، فعد منها ٣٩٠ نوعا ، وخال انه فاته في عددها نحو عشرة انواع ، واذن فهي عنده نحو ٤٠٠ نوع .

ولكنه وجد المتشابه بينها كثيرا ، وان كثيرا من اسمائها اسماء بلاد اشتهرت بصناعتها ، وانه في امكانه ردها جميعا الى مجموعات تبلغ نحو العشرين، تضم المجموعة عدة اجبان يشبه بعضها بعضا واختار اسما لكل مجموعة ، هو الاسم للجبن الاشهر بين أجبانها .

فكان من هذه الاسماء :

الجبنة البيضاء Cottage Chesse وهي التي كان ولا يزال يصنعها الريف .

والجبنة الفلمنك Edam Cheese وهي المكورة ذات الغلاف الاحمر ، صنع هولندة .

والجبنة الشيدار Chedder Cheese وهي اشهر جبن في انجلترا .

والجبنة السويسرية Swiss Cheese والركفور Roquefort ، والجور جنزولا Gorgonzola ، ويعرفان بالجبن الازرق .

وهذه الاسماء هي الاسماء التي عرفت بها هذه الاجبان في اول امرها ، ثم نقلت صناعتها الى سائر الامم ، وبقيت لها مع ذلك اسماؤها . فقد



في هذه الصورة تجد الجبن السويسري مخزونا لينضج على مهل . وترى العامل ينظفه بفرشة تنظيفا جيدا . وهو عمل يقوم به كل يوم لكل قرص ، ذو خطر كبير .

ينضج الجبن السويسري في الولايات المتحدة ويبقى له اسمه . والشيدار ، واصله انجليزي ، يصنع في امريكا ، ويبقى له اسمه .

وبسبب ان كل هذه الانواع نشأت من خبرة الناس ، وعلى التجربة التي لم يسبقها علم بحقائق ما يجري في الجبن ، تلك الحقائق التي لا يزال اكثرها غامضا لا يصلح لبناء طريقة للصناعة كاملة مؤسسة عليه ، بسبب هذا ظلت تلك الاجبان تصنع بالطريقة التي اتبعها صانعوها باديء ذي بدء ، لا ينحرف الصانع عنها خشية ان ينحرف كثيرا . ومع هذا فقد دخل العلم اخيرا فكشف شيئا من الامور الغامضة ، وأعان في تحسين بعض صنوف الاجبان مع الاحتفاظ بخصائصها التي اشتهرت بها .

ولقد ذكرنا ما ذكرنا من تجبين اللبن، ثم انضاج الجبن الناتج . وطبيعي أننا لم نذكر كل الطرق المتبعة في الصناعة ،

واحتمال السبق فيها بخطوة ، او تأخير خطوة .

وذكرنا البكتير عاملا اساسيا من عوامل النضج ، والبكتير صنوف ، يختار منها الصانع ما يختار . وغير البكتير توجد احياء اخرى صغيرة لها في النضج اساليب خاصة بها .

ثم اللبن نفسه ، من ماعز هو ، او من نعاج او بقر . كل هذا له تأثير في طعم الجبن الناضج وفي صفاته عامة .

فالجبن الركفور مثلا ،وهو في قدسمَّى باسم بلد بفرنسا، يصنع من لبن النعاج . وهو ابيض جامد به مسالك من الفطر الأزرق المخضر . وهو فطر اشبه بالفطر الذى يستخرج منه البنسلين . وهو فطر يربى على فتات الخبز ، ثم ينخل ويمزج بالجبن ثم يترك لينضج .

ومثل آخر ، الجورجنزولا ، وهي ايطالية ، تصنع من لبن البقر . ولكنها تنضج بالفطر ، ويظهر الفطر فيها الوانا زرقاء خضراء ، كأنه البقدونس مزج بها .

وقد تجد في الجبن من الصنف الجامد ثقوبا كبيرة . فهذه انما ثقبوها ليأذنوا للهواء أن يدخل الى الفطر الذى فيها ، فهو في حاجة الى اكسجينه .

وتجد في الجبن السويسري فجوات . فهذه من غاز خرج من فعل البكتير وهو يقوم بانضاج الجبن . ومن العجيب أن هذه الفجوات يقوم شكلها الخاص ومظهرها دليلا على حسن الجبن او سوئه عند الخبراء .

الجبن المشغول

وهذا من نتاج هذا العصر الحاضر .

وقد بدأ انتاجه عام ١٩١٥ .

ويصنع بخلط عدة انواع من الجبن المعروفة بمقادير معروفة لكل صنف منها . وتطحن هذه الاجبان معا ، وتخلط بالماء ، ويضاف اليها عامل مُحلِّب* Emulsifing وتسخن . والتسخين يقف كل عوامل الانضاج فلا تنضج ، وذلك حتى يكون الناتج ثابت الطعم والخواص في الأسواق .

وبهذا الخلط يتحكم اهل هذه الصناعة في المذاق ، ويؤلفون بين مذاقات الاجبان ، ليحصلوا على الطعم الذى يرضاه الناس فيروج .

وقد اصبحت هذه الصناعة كبيرة ، يصنع منها كل عام مئات الملايين من الارطال . ومنها ما يكون من الطراوة بحيث يمكن نشره على الخبز بالسكين .

الجبن غذاء

انك تنظر في الجداول التى بها تحاليل الأجبان فتخرج على انها :

اولا : تحتوى الأجبان من البروتين على ما يتراوح بين العشرين والثمانية والعشرين في المائة من وزن الجبن ، ذلك في الأجبان الجافة المعتادة .

وهذا المقدار من البروتين اكثر من ضعف ما باللحم ، نسبة وزن الى وزن .

ثانيا : تحتوى الأجبان من الدهن على مقدار يتراوح بين ٢٥ و ٣٢ في المائة من وزن الجبن .

واللبن سموه الغذاء الكامل . وقد احتفظ الجبن بكل مكوناته ، الا السكر . والزلال وفيتامين ب . ولكنه احتفظ بفيتامين أ .

والجبن يهضم منه آكله مقدارا يتراوح بين ٩٠ و ٩٩ في المائة منه .

احصاء

ولو اتخذنا مثلا ، الولايات المتحدة ، لما يستهلكه الفرد في المتوسط في العام ، لعلمنا انه يستهلك ٧ ارطال . وذلك في احصاء جرى عام ١٩٤٧ . وهو ولا شك زاد اليوم كثيرا . يدلنا على هذا انه كان ٥ ١/٢ رطل فقط في عام ١٩٣٠ .

ولا ننسى ما يستهلكه الامريكي وغير الامريكي من اللبن ، فما اللبن الا جبن سائل ، وما الجبن الا لبن جامد ، تقريبا .

٥٥

نتيجة مسابقة العدد ٩٧

٤١ دولة تشترك في المسابقة

■ تميزت اجابات القراء الذين اشتركوا في حل مسابقة العدد ٩٧ بكثرة الاخطاء ، وخاصة ما يتعلق بالسؤال الخامس فقد عجز الكثيرون عن معرفة اسم جمهورية « كنشاسا » القديم ، وهو الكونغو ليوبولدفيل ..

اما بقية الاجابات الصحيحة فهي كالآتي :

١ ـ مانيلا عاصمة : **الفلبين** .

٢ ـ رئيس وزراء الصين الشعبية : **شوان لاى**.

٣ ـ رئيس وزراء اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية : **اليكسى كوسيجين** .

٤ ـ هستنجز باندا هو رئيس **جمهورية مالاوى**.

٥ ـ كنشاسا هي **جمهورية الكونغو ليوبولدفيل**.

٦ ـ وزير الدفاع الامريكي : **روبرت مكنمارا** .

٧ ـ رئيس وزراء فيتنام الجنوبية : **كاوكي** .

٨ ـ الجمهورية الفرنسية الحالية هي **الجمهورية الخامسة** .

٩ ـ دار السلام هي عاصمة **تانزانيا** .

١٠ ـ ايرهارد **هو رئيس الحزب الديمقراطى المسيحي** .

١١ ـ آدم مالك هو **وزير خارجية اندونيسيا** .

١٢ ـ رادا كريشنان هو رئيس **جمهورية الهند**.

وقد أجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة التى انتمى أصحابها الى ٤١ دولة مختلفة هى : غانا ـ روسيا ـ الصومال ـ الهند ـ أثيوبيا ـ النمسا ـ السنغال ـ نيجريا ـ فرنسا ـ أسبانيا ـ ايطاليا ـ ليبريا ـ ألمانيا ـ يوغسلافيا ـ أمريكا ـ سويسرا ـ كينيا ـ بريطانيا ـ الباكستان ـ بولندا ومن البلاد العربية جاءتنا اجابات من الكويت ـ تونس ـ الجزائر ـ اليمن ـ مسقط ـ ج٠ع٠م ـ المغرب العربى ـ قطر ـ البحرين ـ ابو ظبي ـ راس الخيمة ـ الشارقة ـ عدن ـ دبى المملكة العربية السعودية ـ السودان ـ ليبيا ـ سوريا ـ الاردن ـ العراق ..

وكانت النتيجة كالآتى :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا :

عبد الله جمعة ـ الخطوط الجوية السعودية ـ جدة .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا :

محمد شريف زين العابدين ـ أم درمان ـ السودان .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠دنانير :

محمد محمد على حطرم ـ سوق الحب ـ صنعاء ـ اليمن .

٨ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ـ محمد السعيد محمد العشرى ـ محلة مرحوم ـ محافظه الغربية ـ ج٠ع٠م .

٢ ـ وليد هليل حسين العانى ـ متوسطة المأمون ـ بغداد .

٣ ـ غنيمة ابراهيم الجامع ـ القادسية ـ الكويت .

٤ ـ محمد الطيب عقاب ـ القبة ـ الجزائر .

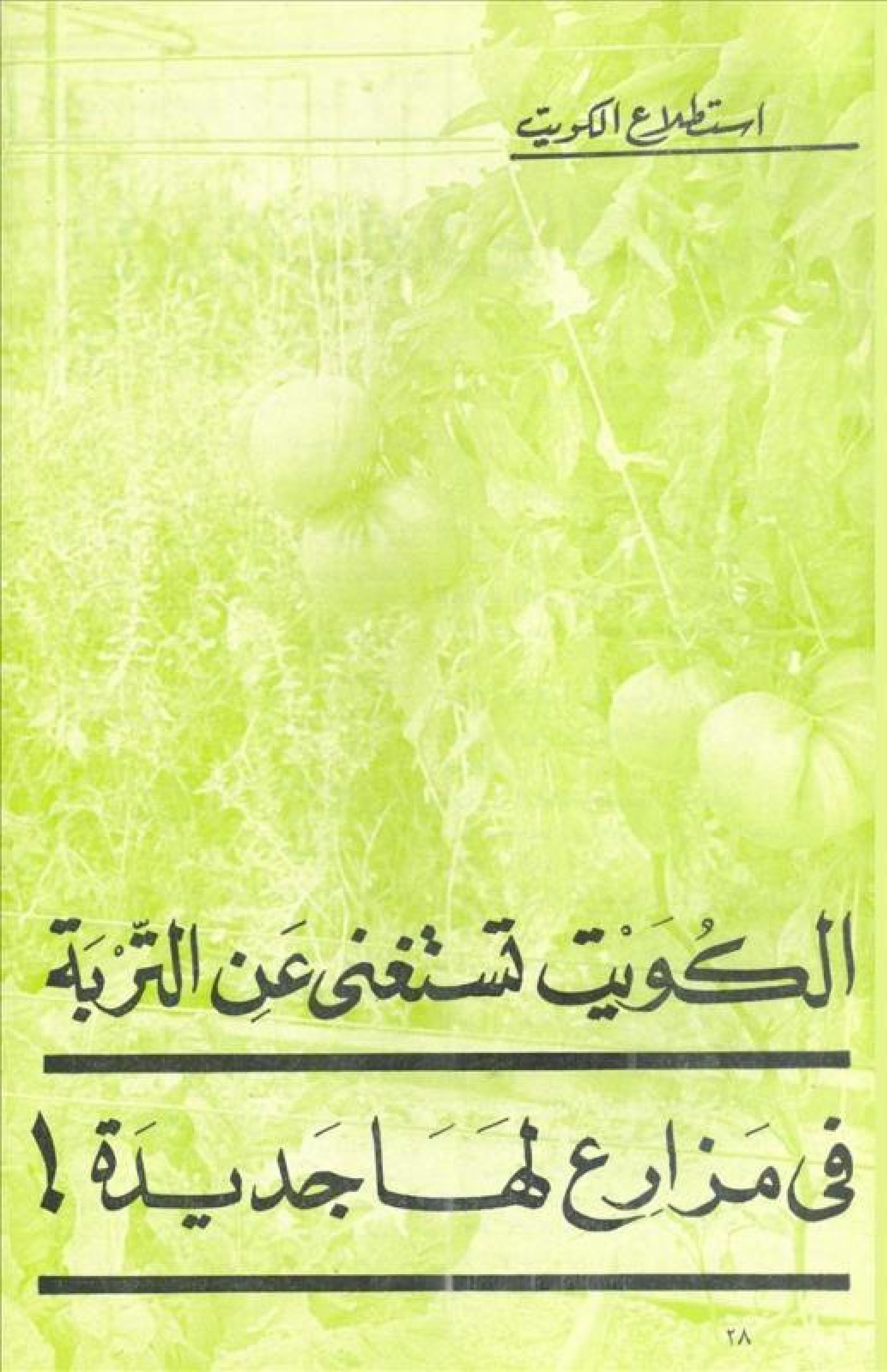
٥ ـ عبد الرحمن محمد هادى ـ الشارقة .

٦ ـ محمد فرحان الفلاح ـ درعا ـ قرية الضمين ـ سوريا .

٧ ـ يعقوب سليم بيروتي ـ عمان ـ الاردن

٨ ـ فاطمة سلمان الوزان ـ موسكو ـ روسيا.

وسترسل الجوائز الى اصحابها . ■■



الكُوَيْت تستغني عَنِ التّرْبَة

في مَزارِع لهَا جَديدَة!

الخيار يُزرع فى الشتاء وكذا الشمّام والباذنجان والفِلْفِل والفراولة.

كانت التربة على القرون ضرورة، فأصبحت للمحاصيل معوّقة !!



■ بعد عشر سنوات من التجارب المتواصلة والعمل المضنى اتخذت حكومة الكويت قرارا بتحويل وحدتها النموذجية للزراعة بدون تربة الى وحدة انتاجية استهلاكية ، مع تعميم هذا النوع من الزراعة الحديثة فى مختلف انحاء الكويت .

قرار هام يشكل تغييرا جذريا فى ميدان الزراعة بشرقنا العربى .. ولكنه قرار لم يتخذ الا بعد دراسة دقيقة لنتائج التجارب العديدة الطويلة التى اجريت خلال السنوات الماضية فى الكويت ..

ففي خلال هذه الفترة استطاع الفنيون الاجابة على جميع الاسئلة المطروحة :

هل الزراعة بدون تربة عملية اقتصادية ؟

هل تدر محصولا يوازى المحصول الذى تدره الارض العادية ؟

هل القيمة الغذائية فى المحاصيل الناتجة عن الزراعة بدون تربة توازى مثيلاتها فى الارض الزراعية العادية ؟

ان الزراعة بدون تربة هى طريقة حديثة لانماء النباتات فى احواض خاصة تملأ بالحصى والفرميكولايت Vermiculite وهو نوع من السليكات المائية تنتج عن المايكا وتوجد على صورة

قشــور ليفيــة ، اذا سخنت انتفخت وتحركت كأنما هى مجموعة من ديدان .. ومن هذا جاء اسمها (١)

وتغذى هذه التربة بمحاليل الغــذاء الضرورى للنبات على فترات متفاوتــة وبصورة دائمة ..

سبع فوائد

ولقد تبوات هذه الطريقــة مركــزا ممتازا فى عالم الزراعة فى وقتنا الحاضر . فقد ثبت ان لها ميزات لا تتوافر فــى الزراعة العادية ، كما انها افضل وسيلة للزراعة فى المناطق الصحراوية الجرداء حيث الظروف المناخية القاسية وندرة المياه ، ناهيك عن عدم صلاحية التربــة للزراعة .

× الطريقة الحديثة لانماء النباتات بدون تربة ، وذلك برفعها على قضبان حديدية لتنمو راسية بدلا من افقية على الارض مما يضاعف من انتاج المتر المربع الواحد كما يساعد على مكافحة الافات الزراعية . وهكذا ترى الطماطم محمولا على اعواد الشجر القائمــة فى هــذه « الصوبــة » .



اما عن فوائدها فقد اجملوها فى سبع نقاط .

١ ـ اعطاء محصول اوفر، يزيد كثيرا على المحصول المنزرع فى الارض العادية .. فقد اثبتت التجارب التي اجريت فى الكويت ان الطماطم ، مثلا ، يعطي ٥ر٤ كيلو جرام اذا زرع فى متر مربع واحد بالارض العادية . بينما يرتفع هذا الرقم الى ٤٥ كيلو جراما عند تطبيق طريقــة الزراعة بدون تربة فى متر مربع واحد.. اى ان زيادة المحصــول تعمل الى ١٠ اضعاف !!

٢ ـ انتاج محاصيل فى غير مواسمها العادية .. فالمحاصيل الصيفية مثل الخيار والشمام والباذنجان والفلفل والفراولة اصبح بالامكان زراعتها بنجاح فى برد الشتاء ، وهى التى لا تنمو الا فى حر الصيف . وذلك نتيجة التحكم فى حرارة الجو ، اذ تتم هذه الزراعات فى بيوت من زجاج شفافة أو شبهها .

٣ ـ توفير كبير فى كميات الميــــاه المستهلكة ان المياه المستعملة للزراعــة بدون تربة يعاد استعمالها مرات عديدة .. وقد قدروا قيمة الوفر فى استهلاك المياه بنسبة تترب من ٦٠ الى ٨٠ فى المائة .

٤ ـ الاستغناء عن معظم العمليــات الزراعية المعروفة وتوفير الايدى العاملة .. فالزراعة بدون تربة قضت علــى العمليات الروتينية مــن حرث للارض وتسوية لها ، واضافة الاسمدة العضوية وغير ذلك من العمليات التى استغنى عنها تماما . فضلا عن ان الرى يتم بالآلات التى تدفع المياه الى الاحواض الزراعيــة فترويها بمقادير معلومــة لا جزافا ، ثم لاتلبث ان تعود المياه ثانية لخزنها فى خزانات كبيرة . ان الزراعة

---

(١) لزيادة التفاصيل راجع ما نشرناه من الزراعة بدون تربة فى اعداد العربى رقم ٢٨ و ٥٣



داخل بيت هيكله من حديد يعلوه حوائط واسقف من اللدين (بلاستيك) ويسمى احيانا بالصوبة وهو مغلق للتحكم فى درجة حرارته ورطوبته بما يتفق لنمو النباتات الموجودة فى مثل هذا البيت تجرى التجارب فى احواض صغيرة لتحديد افضل المحاليل الغذائية المناسبة لمختلف انواع الخضراوات .. ويقول المهندس المختص صبحي العطار الذى عاصر تطور تجارب الزراعة بدون تربة فى الكويت : « ان محطة التجارب الزراعية قد توصلت فى هذه الغرفة الى معرفة المحاليل الغذائية المثلى المتفقة مع بيئة الكويت ومناخها » .

بدون تربة عملية آلية لا يتدخل فيها العامل الانساني الا قليلا ..

٥ ـ انتاج محاصيل ذات قيمة غذائية عالية .. فالثمار التى تنتجها الزراعة بدون تربة تعادل فى قيمتها الغذائية أجود الثمار المزروعة فى أخصب ارض فى العالم .. هذا اذا لم تكن افضل منها وذلك بسبب ضبط العمليات الحيوية التى تجرى فيها .. وقد اثبتت التحاليل التى اجريت فى مختلف أرجاء العالم صدق هذه النظرية وصحتها ..

٦ ـ الاستفادة من استثمار الارض بصورة دائمة ومتواصلة وعدم تركها تزرع عاما وتراح عاما كما يحدث فى كثير من البلاد .. ان « ارض » الزراعة بدون تربة تأخذ حاجتها من العناصر الغذائية باستمرار ، لهذا فهي لاتحتاج الى راحة لتسترد قوتها أو نشاطها .

٧ ـ سهولة مكافحة الحشرات والامراض .. لأن الزراعة بدون تربة تتم داخل بيت زجاجي او ما شابهه ، يحمى المزروعات من عوامل الجو المتقلبة ويساعد على عمليات المكافحة .. فضلا عن ان النباتات تنمو عموديا مثل الطماطم ، التى تزحف على الارض فى حالة الزراعة العادية .

كم يأكل العالم من خضراوات ؟

ان هذه النتائج المشجعة التى توصلت اليها الكويت اثبتت امكان منافسة هذه الطريقة للزراعة العادية فى انتاج الخضراوات الطازجة .

وتشير الاحصائيات الى ان استهلاك الخضراوات فى العالم يختلف باختلاف الشعوب والبلاد ، فقد قدرت كمية الخضراوات اللازمة لاستهلاك الشخص الواحد فى انجلترا مثلا بحوالي ٣٠٠ جرام فى اليوم ، اى ما يعادل ١١٠ كيلوجرامات فى السنة . كما ان استهلاك الفرد الواحد فى امريكا يتراوح بين ١٤٠ و ١٧٠ كيلوجراما سنويا . بينما اظهرت الاحصائيات التي اجريت فى الكويت على ان الفرد الواحد يستهلك يوميا ٤٥٦ غراما اى ١٦٦ كيلو جراما ونصف جرام فى السنة . وهي نسبة عالية تدل على مدى اهتمام الناس بالخضراوات الطازجة ، التي يبلغ ما تستورده منها الكويت سنويا بنحو ٥٠ الف طن !

العلم فى خدمة الزراعة

لقد ازدهرت الكويت في معظم الميادين . لهذا كان لا بد لها من الاهتمام بالانتاج الزراعي ، ولكن صعوبة المناخ ، ووجود طبقة صلبة فى ارض الكويت معروفة « بالكاتش » ، وارتفاع منسوب المياه ، وعدم الصرف الجيد ، وسقي الزرع بالمياه الجوفية المالحة .. كل هذا كان يفت فى عضد المسئولين ، ولكنهم لم ييأسوا بل عمدوا الى تحدى الطبيعة واستعانوا بالعلوم الحديثة والبحث المتصل والتجربة الدقيقة للاستعاضة عن طريقة الزراعة القديمة بطريقة الزراعة بدون تربة ، كوسيلة لانتاج بعض انواع الخضراوات على اساس اقتصادى سليم .

بين التجربة والتطبيق

ولكن العلم يصبح قاصرا عن تحقيق رسالته لو وقفت نتائجه عند حد التجريب العلمي ، فلم يخرج الى التطبيق العملي بالمساحات الكبيرة .. وهذا ما تم فعلا فى الكويت .. فقد تقرر انشاء وحدات تجارية « للزراعة بدون تربة » مشتركة بين القطاعين العام والخاص ..

ولتشجيع القطاع الخاص على الدخول الى هذا الميدان الجديد ، بدات وزارة الاشغال الكويتية فى اقامة مزرعة كبيرة مساحتها ٢٠ آلف متر مربع للزراعة بدون تربة .. وفى هذه المزرعة الكبيرة ستضع الحكومة الكويتية خبرتها الكبيرة تحت تصرف المواطنين وتدعوهم للاشتراك معها فى انتاج الخضراوات بصورة فعالة تضمن لهم النتائج الوفيرة والربح الاكيد ..

وتشجيعا للمواطنين قررت الحكومة الكويتية انشاء وحدات ارشادية نموذجية فى القرى الزراعية بالكويت حتى يطلع الاهالي على هذه الطريقة الحديثة فى الزراعة ، ويلمسوا فوائدها عن كثب ليقوموا بدورهم بتبنى هذه الطريقة فى سبيل زيادة دخلهم السنوى من الزراعة ، ورفع مستوى معيشتهم .

هذا الى جانب تحسين نوع المحصول المحلي بحيث يصبح « الكيف » فوق « الكم » هدفا ..

ان انتاج هذه المزرعة الجديدة سيبدأ من السنة الاولى وقد قدروا المصاريف الاجمالية لاعداد هذه المزرعة بنحو ١٤٠ الف دينار بينما قدروا الدخل السنوى بنحو ٤٠ الف دينار .

الهدف ..

ولا بد من كلمة اخيرة فى هذا المجال ، وهي ان هذا المشروع وان لم يحقق اكتفاء ذاتيا فى انتاج الخضراوات بالكويت ، الا ان تحقيقه سيساهم مساهمة فعالة فى تنمية انتاج الخضراوات فى البلاد على احدث الطرق العلمية ، مع الاستغلال المثمر والفعال لكميات المياه المحدودة ، وكذلك الاستثمار الناجح والمربح لرؤوس الاموال ، والحقيقة ان هذه الدراسة قد أنارت السبيل الصحيح للاستفادة من التجارب والابحاث العلمية فى تطوير الانتاج المحلي وتنمية الدخل القومي . ■■



مسابقة العربي

سؤال واحد .. وجوائز مائة دينار

▪ تقدم لك « العربي » في هذا العدد مسابقة جديدة، وهي من نوع المسابقات العالمية التي يشترك فيها ملايين القراء ، وتقدمها امثالها كبريات الصحف .

ويعتمد حل هذه المسابقة على قوة الملاحظة .. فحاول أن تختبر قوة ملاحظتك بأن تمعن النظر في هاتين الصورتين اللتين تبدوان للوهلة الاولى كأنهما نسختان من صورة واحدة .

ولكن الواقع ان الصورتين تتفقان في اشياء وتختلفان في اشياء . والمهم ان تستخرج ما يختلفان فيه ، وهي سبعة اخطاء على الاقل . ثم هناك خطأ واحد مشترك في الصورتين لا يجوز شكلا ولا موضوعا . فما هو ؟

شروط المسابقة

١ ــ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٩٩ » .
٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر مارس (آذار) ١٩٦٧ .
٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ ــ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

كوبون مسابقة
العدد ٩٩

مشكلات الترجمة

من الصميم فى

بقلم : الدكتور ابراهيم انيس
عميد كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة

■ عرض بعض الباحثين للترجمة وقصورها عن تصوير كل ما يتضمنه النص المترجم من افكار واخيلة وجمال لفظى . واحس القائمون بعملية الترجمة فى كل عصور التاريخ بتلك الصعوبات التى كانت تصادفهم ، ولكنهم مع هذا لم ينصرفوا عن الترجمة ، بل ظلوا يتابعون جهودهم جيلا بعد جيل ، وعصرا بعد عصر ، فيوفقون حينا ، ويخفقون احيانا .

حصون تقوم بين ثقافات الأمم تمنع اتصالها

ذلك لان الأمم والشعوب قد رات منذ القدم حاجتها الملحة فى اتصال بعضهم ببعض ، وفى تبادل الثقافة كما تتبادل السلع . وقد تبين للمفكرين فى تلك الأمم أن تبادل الثقافة تحول دونه حصون منيعة بين بنى الانسان ، وتلك هى التى نسميها باللغات . فأداة التفكير تختلف من امة الى اخرى ، وقد تتسع مسافة الخلف حتى ليخيل الينا ان الاتصال عسير او مستحيل ، وقد تقرب فيراها الباحث هينة يسيرة .

واستطاع دارسو اللغات البشرية ان يقسموها لنا فى صورة فصائل او اسر ، وتتضمن كل فصيلة او اسرة عددا من اللغات التى تنتمى الى ارومة واحدة واصل واحد ، ولذا يمكن الرحلة بين فروعها دون عناء كبير .

اما حين كانت الرحلة بين لغة من فصيلة واخرى من غير فصيلتها ، فقد كان العنت والمشقة .

واولئك الذين حاولوا التطلع الى ما وراء تلك الحصون التى ندعوها باللغات نفر قليل من الناس فى كل امة ، وفى كل عصر . وهم الذين قربوا بين الشعوب ووصلوا الانسان بأخيه الانسان ، رغبة فى تبادل المنافع والمعارف، عسى ان يتكون من الناس جميعا مجتمع انسانى يسوده التعاون والتفاهم .

وقد عرف أصحاب المدنيات البشرية القديمة شدة حاجتهم الى الترجمة ، ولمسوا معها صعوبة الانتقال بأفكار الصين وحكمتهم الى بيئة اليونان ، او الى بيئة المصريين القدماء ، او العكس . ذلك لأن اللغة الصينيةواليونانيةوالمصرية القديمة تنتمى الى فصائللغوية متباينة.

ثم جاء العرب فحاولوا نقل فلسفة اليونان وعلومهم الى اللغة العربية ، فصادفوا مشقةوعسرا . وكان احد علماء العربية من القدماء وهو « السيرافى » يتشكك فى صحة هذا النقل ، ويقول لأحد المترجمين المشهورين وهو «يونس ابن متى » فى مناظرة رواها « ابو حيان التوحيدى » فى رسالته :

« على ان هناك سرا ما علق بك ، ولا اسفر لعقلك ، وهو ان تعلم ان لغة من اللغات لا تطابق لغة اخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها ، فى اسمائها

طبائع اللغات

وافعالها ، وصروفها وتأليفها ، وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها .. الخ

رأى عبد القادر الجرجانى فى الترجمة

وهكذا نرى ان مشاكل الترجمة كانت موضع دراسة ومناظرة بين القدماء كما هى بين المحدثين. وقد زادها بين القدماء دراسة وتفصيلا «عبد القاهر الجرجانى» منذ ما يقرب من تسعة قرون فى كتابه اسرار البلاغة . فكان يقول ان العرب تعرف اجزاء الجسم فى الانسان والحيوان معرفة تامة ، وقد وضعت لكل جزء منها لفظا خاصا ، « فالشفة » فى الانسان هى « المشفر » للبعير و « الجحفلة » للفرس . وهذه فروق ربما وجدت فى غير لغة العرب ، وربما لم توجد .

ويعتبر « عبد القاهر » مثل هذه الاستعمالات من الاستعارات غير المفيدة التى لا تعدو أن تكون توسعا فى اللغة ، ولذلك لا يصح ان تنقل كما هى فى لغة اخرى . فالفارسى مثلا اذا اراد ان يترجم الى لغته نصا من النصوص المشتملة على « الشفة والمشفر والجحفلة » وجب ان ينقله بالمعنى ، اى بالكلمة العامة التى تدل على « الشفة » ، لا بالكلمة التى تدل على نوع الحيوان .

اما فى الاستعارة المفيدة كأن تصف رجلا بانه اسد ، او طائرة بانها عقاب او نسر ، فيرى «عبد القاهر» وجوب النقل باللفظ ومراعاة الاستعارة . ويقرر « عبد القاهر » ان نقل الاستعارة غير المفيدة بلفظها يبعث على السخرية والضحك ، وان نقل الاستعارة المفيدة بمعناها فيه حرمان من نكتة بلاغية .

فـ « عبد القاهر الجرجانى » وهو فارسى الأصل وعلى علم باللغتين العربية والفارسية ، ولعله مارس الترجمة بين اللغتين فاتضحت له بعض المشاكل التى تصادف المترجمين المحدثين ، يحاول ان يضع لنا نهجا عاما يلتزمه المترجم ولا يحيد عنه .

لا يسمى مترجما الا من سيطر على اللغتين ، مجتهدا مخلصا

وفى الحديث عن مشاكل الترجمة لا نعرض لضعف المترجم فى اللغة التى يترجم منها او التى يترجم اليها ، اذ لا يسمى المترجم مترجما حقا الا حين نفترض انه يسيطر على اللغتين كتابة وقراءة . كذلك يجدر بنا ان نفترض اخلاص المترجم فى عمله وحسن نيته ، وانه حين اخرج النص المترجم قد بذل الجهد وتحرى الصواب ، ولم يكن متأثرا بمذهب خاص قد يصبغ ترجمته بصبغة خاصة ، اى ان للترجمة مشاكل وصعوبات حتى مع اتقان المترجم للغتين، وامانته واخلاصه في عمله .

نظام الجملة يختلف بين اللغات

ومن تلك الصعوبات ما نسميه بهندسة الجملة . فاللغات تختلف فى النظام الذى تجرى عليه الجمل فى ترتيب كلماتها ، وعلاقة كل كلمة بالأخرى ، فللفعل مكان خاص من الجملة ، وللفاعل مكان آخر ، وللمفعول بانواعه امكنة معينة وهكذا . وقد يضطر المترجم الى التقديم او التأخير ، والى عملية تنظيمية خاصة حتى تبدو ترجمته جارية على النهج المألوف في اللغة المترجم اليها .

وللغات موسيقاها

كذلك من صعوبات الترجمة كل ما يتصل بجمال الالفاظ وموسيقاها . فقد يؤثر الأديب لفظا على آخر لا لشىء سوى ان هذا اللفظ له رنين خاص فى اذن الكاتب والسامع ، او لأنه ينسجم مع

فى موسيقاه مع ما سبقه من الفاظ أو ما يليه منها ، فتتكون من العبارات والجمل سلسلة من الأصوات اللغوية المنسجمة التى لا تنبو في الآذان والاسماع . وتلك هى الصفة التى نفتقدها فى كل ترجمة ، ولا سيما فى ترجمة الالفاظ العربية .

للعربية موسيقى تستعصى على الترجمة

ذلك لأن لغتنا العربية من اللغات التى عنيت بموسيقى الفاظها وعباراتها ، ولها مما يسمى بالمحسنات اللفظية فنون وفنون تعرض لها كتب البلاغة،وتسوق لها شواهد كثيرة من النظم والنثر . وبلغ تفنن الكتاب والشعراء والخطباء فى تلك العناية اللفظية انوضعلها المتأخرون من دارسى البلاغة قواعد ونظما يطلقون عليها علم البديع . ومن أشهر فنون البديع ما يسمى بالجناس ، الكامل منه والناقص ، كقول رجل للمأمون يتظلم من عامل له :

« والله يا أمير المؤمنين ما ترك لى فضة الا فضها ، ولا ذهبا الا ذهب به ، ولا غلة الا غلها ، ولا ضيعة الا أضاعها ، ولا عرضا الا عرض له ، ولا ماشية الا امتشها ، ولا جليلا الا أجلاه .. » .

ويقال ان المأمون قدعجب من فصاحته، وانعم عليه بجائزة قيمة .

فكيف السبيل الى ترجمة مثل هذا الكلام وهو كثير فى اللغة العربية ، وأى موقف يمكن ان يلتزمه المترجم حين تعرض له تلك المحسنات اللفظية التى قصدها الأدباء ، وعمدوا اليها لتزيين آدابهم،وجعلها تتصف بالروعة والجمال؟

للكلمة المترادفة فى اللغات ظلال مختلفة

ولعل أعضل المشكلات فى الترجمة تلك التى تتصل بدلالة الكلمات وحدود معانيها بين لغة وأخرى .

ذلك لأن الكلمات تكتسب دلالتها فى كل لغة بعد تجارب كثيرة من الأحداث الاجتماعية التى يمر بها المرء ، وترتبط الكلمة فى ذهن كل منا بتلك الأحداث ارتباطا وثيقا ، فتتلون دلالتها بها وتظلل تلك الدلالة بالتجارب الخاصة للانسان فى حياته . وهى لدى فرد من البيئة الاجتماعية قد توحى بظلال من الدلالة التىلاتخطر فى ذهن آخر من نفس البيئة، لان تجاربهما مع الكلمة مختلفة ، ونظرة كل منهما اليها متباينة،تبعا لتلكالأحداث التى ارتبطت بها الكلمة فى حياة كل . غير ان هناك قدرا مشتركا لدلالةالكلمات فى كل بيئة ، وهذا القدر هو الذى على اساسه يكون التعامل بالكلمات ، وعلى مستواه يكون التفاهم بين الأفراد .

فاذا تغربتالكلمة وخرجت من بيئتها الاجتماعية الى بيئة أخرى ، اى الى لغة اخرى،احتاج المترجم الى جهد للحصول على ما يناظرها او يرادفها في دلالتها ، لتؤدى في ذهن السامع الجديد في البيئة الجديدة نفس الدلالة ، او ما يقرب منها في بيئتها الأصلية . وهنا يمكن ان يقال أن المترجم قد وفق في مهمته ، وأعطى صورة صحيحة لدلالة الكلمة .

وعلى قدر شيوع الكلمة فى البيئة الاجتماعية ، وعلى قد ما تمر به من تجارب فى الأحداث الدنيوية ، تكتسب تلك الظلال الدلالية ، وتترامى حدودها وتتضح صورتها فى الأذهان ، ويقال عن الكلمة حينئذ ان دلالتها واضحة قوية لا غموض فيها ولا ابهام ، فلا تكاد الأذن تتلقفها حتى يخطر فى الذهن لها صورة بارزة المعالم والحدود، تتأثر بها النفوس، وتنفعل العواطف . وهذا هو السر فى أن بعض الكلمات ذات الدلالات المنفرة يتحايل عليها الناس فى كل بيئة باصطناع غيرها من الفاظ قليلة الشيوع أو الفاظ اجنبية عن اللغة ، رغبة فى أن تصبح الصورة مغطاة بستار رقيق يخفى شيئا من معالمها ، ويقلل من وضوحها ، فلا تخدش الحياء ، ولا تبعث على النفور والاشمئزاز . وتتضح هذه الظاهرة فى الكلمات المعبرة عن أعضاء التناسل والعملية الجنسية والفاظ الموت والأمراض والكوارث وغيرها .

ترادف الكلمات أقرب فى مجال التفكير والمجالات العلمية

اما دلالة الكلمات فى مجال التفكير والنشاط العلمى فتلتزم عادة حدودا لا تكاد تتعداها . فهى بين أصحاب الفكر وذوي الثقافات المتشابهة تكاد تتماثل او تتقارب فى دلالتها، لا سيما حين تعرض تلك الكلمات لظواهر الطبيعة والاحوال الكونية فى العالم . ولذلك نلحظ ان ترجمة العلوم أيسر واسهل ، لأن دلالة الألفاظ فيها محدودة مضبوطة ،وليست محل جدل أو نزاع فى غالب الأحوال . فأهم ما يعنى به صاحب العلم هو الفكرة والنظرة الموضوعية ، دون تأثر بذكر بشعور فردى أو بعاطفة شخصية .

أما ترادف الكلمات فى المجالات الأدبية فاعسر

أما فى ترجمة النصوص الأدبية فالمشكلة اشد واعسر . ذلك لأن الآداب تعتمد على التصوير والعاطفة ، والتأثير والانفعال ، الى جانب ما يمكن أن تشتمل عليه من افكار . ولا يكون الأدب أدبا الا بشحن الألفاظ بفيض من الصور والاخيلة وظلال المعانى . ومترجم الأدب لا يقنع عادة الا بترجمة أدبية تبرز نواحى الجمال فى النص المترجم كى يتذوق القارىء اكبر قدر ممكن من جمال النص الأصلى ، ويقف على عناصر المهارة فيه .

وليست ترجمة الآداب بمستحيلة او فوق طاقة البشر ، ولكنها تحتاج الى الجهد والمثابرة ، وتتوقف الى حد كبير على السيطرة والقوة فى اللغتين . او كما عبر الدكتور ابراهيم سلامة فى كتابه تيارات ادبية بين الشرق والغرب بقوله:

(ان لغة كل أمة ، وبخاصة اللغة الأدبية ، متحملة بعواطف خاصة قد لا تدركها الألفاظ ، ولكن يدركها الأديب وحده . وكثيرا ما نقف أمام نص من النصوص وقفة المتردد الذى يتمنى لو انه راى الأديب فيسأله عما اراد بهذا النص ، ويود ان لو كان حيا ليسأله عما يريد، بل هو يرجع بذهنه مستعرضا ظروف الأديب ، نافخا فيه الحياة من جديد ليسأله عما يريد . ذلك لأن من المعانى ما لا يزال فى بطن الشاعر كما يقولون لا نعثر عليه الا بالجهد ، والا بعد أن نتعرف على قاموسه ونفسيته ،ومقدار احترامه لمدلولات الالفاظ، ومقدار جراته فى الخروج عليها) !!

واكثر العسر فى ترجمة النصوص الدينية

فاذا كان هذا هو الشأن فى النصوص الأدبية التى هى من صنع الشعراء والكتاب ، وهم ليسوا الا طبقة موهوبة من الناس ، فماذا يكون موقف المترجم ازاء النصوص الدينية المقدسة التى لا يقف اثرها عند عاطفة عابرة ، او انفعال وقتى ، بل هى تسيطر على العقول والقلوب ، وتحاط بهالة من القداسة والطهر تسمو بها فوق مستوى الانسان.

من اجل هذا لم يكن من الغريب أن يتحرج أمهر المترجمين فى نقل هذه النصوص المقدسة من لغتها الى لغة اخرى ، لا عن تزمت أو تأثم تدفعهم اليه العاطفة الدينية وحدها ، بل لأنهم راوها من الآداب فى الذروة العليا اذا تسامت فخشوا أن يزيفوها،او يخلطوا فى تراكيبها ووصلات أجزائها .

وظل هذا الشعور يلازم الكتاب فى كل العصور حتى ايامنا هذه، اذ يرى جمهور كبير من المفكرين ان نقل تلك النصوص الدينية اشبه بنقل الزهرة من منبتها قد يعرِّضها للجفاف ونضب العبير، وانه من واجب القارىء أن يتعرف على النص الدينى فى بيئته ، فمن العسير أن يتذوقه فى غير لغته كتذوق أصحاب اللغة له . فهو من السمو والاعجاز كما يقول عبد القاهر فى اسرار البلاغة :

« بحيث اذا شاء اراك المعانى اللطيفة التى هى من خبايا العقل كأنما قد جُسِّمت حتى راتها العيون ، وان شاء لطَّف الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون ». ■■

ابراهيم أنيس

أبو المحاسن

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

■ لو وهبنى الله شيئا من فراغ الوقت بين المسئوليات والمطالب لأنشأت كتابا عن القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى ، ذلك القرن الذى جمع من حوادث التاريخ الحاسمة في الشرق والغرب ما يجعله عصرا قائما بذاته فى تاريخنا وتاريخ الانسانية عامة ، فقد استهل والدولة المملوكية في أوجها عزا وفخامة ، وقد امتد سلطانها من تخوم العراق وأعاليه الى شمال السودان واحواز طرابلس ، وتألقت القاهرة كعاصمة كبرى لعالم العرب والاسلام ، وقام بالحكم فيها مماليك ـ مهما كان رأينا فيهم وفي طبيعة حكمهم ـ فقد كانوا جنودا عظاما قاموا بواجبهم العسكرى خير قيام ، فاستنقذوا الشام من أيدى التتار وحموا بقية عالم الاسلام غربا من بلائهم الشديد .

العصر الذهبى الثانى لعلم التاريخ

وفي ذلك القرن ازدهرت كذلك دمشق وبقية عواصم الشام ، وزخرت ـ كالقاهرة ـ بالعلماء من كل صنف ، وبلغ العصر الذهبى الثانى لعلم التاريخ عند العرب أوجه : افتتحه ابن خلدون العظيم بتاريخه الخالد الذى كتبه في أوائل ذلك القرن الخامس عشر ، وفي مدرسة ابن خلدون وفي مدرسة خصومه كذلك ، خرجت طائفة من المؤرخين رفعت علم التاريخ الى أوجه الأعلى ، وأصبح فنا عظيما يتمتع المشتغلون به بمركز رفيع في المجتمع ، كما سترى في كلامنا عن أبى المحاسن تفصيلا .

قرن مدّ الاسلام فيه فتوحاته

في منتصف ذلك القرن استولى محمد الفاتح على القسطنطينية وأزال الدولة البيزنطية من الوجود ، وامتدت حدود مملكة الاسلام الى قلب اوروبا حتى شملت سهل المجر ، وبدأ فى تاريخ الاسلام عصر زاهر من الفتوح والانتصارات في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وعظم نشاط دعاة الاسلام في سومطرة وجاوة وبقية ما يعرف اليوم باندونيسيا ، وتحول جنوب آسيا وجنوبها الغربى الى بلاد ترفرف عليها راية الاسلام .

قرن ازدهر بالعلماء

ومن الظواهر الكبرى التى تجعلنا ننظر الى هذا القرن كعصر من أهم عصور تاريخنا ، تلك النهضة الفكرية الكبرى التى انارت جوانب عالم العرب إذ ذاك ، فان الامان الذى ساد مملكة الاسلام أتاح للناس فرصة الدرس والطلب ، فنجم

أمير المؤرخين المصريين في القرن التاسع الهجري

العلماء مئات في ذلك الملك الشاسع ، فمن أوائل القرن السابع الهجرى نجد أنفسنا في سياق نهضة فكرية لا تقل ازدهارا عن النهضة الأولى ، وما رأيك في عصر أطلع الذهبي وابن كثير وياقوت والقزويني وابن بطوطة وابن خلدون وابن حجر العسقلاني والمقريزي والسخاوي والعيني والسيوطي ، ويستمر فيطلع أمثال ابن فضل الله العمري والقلقشندي والنويري وابن منظور والمرتضى الزبيدي ؟

قرن شهد طلائع النهضة الأوروبية

ولكن القرن الخامس عشر الميلادي شهد أيضا طلائع النهضة الأوروبية ، وشهد في نصفه الثاني مأساة ضياع البقية الباقية من الأندلس ، وبعد ذلك بقليل جدا ـ وقبل أن تأفل شمس هذا القرن ـ اكتشف البرتغاليون رأس الرجاء الصالح وطريق الهند ، وعثر الاسبان على العالم الجديد وهم في طريقهم الى الهند والصين بحسب ما قرأوه في كتب العرب ـ وأجاد الأوروبيون في نفس الوقت استخدام البارود وتقدموا في صياغة المعادن تقدما لم تعرفه الانسانية خلال القرون الكثيرة الغابرة .

وباكتشاف العالم الجديد ووقوع أراضيه الشاسعة وخيراته التي لا تحصى في يد الأوروبيين، ونتيجة لنهضتهم الفكرية والعلمية التي أشبهت صحوة النائم من نوم طويل ، ثم نتيجة لما وصل اليه الأوروبيون من اجادة صنع الأسلحة التي تستخدم البارود ، نتيجة لذلك كله انتقلت القوة من أيدينا الى أيديهم ، وانحدرنا ـ بسبب الفقر المخيم الذى نتج عن تحول طرق التجارة عن أراضينا ـ في عصور ركود وخمول سياسيين زادت وطأتهما بعد استيلاء الأتراك العثمانيين على بلادنا جميعا أوائل القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، وما زلنا نعاني مرارتهما حتى أسعف الله بالنهضة المعاصرة ، وله الحمد الكثير .

أليس هذا القرن الخامس عشر اذن جديرا بأن يدرس في تفصيل ويؤرخ له على حدة ؟

ان دراسة كهذه تكون درسا عظيما وموعظة كبرى لنا ، فهو قرن تحول حاسم وتطور عميق ، والتاريخ ـ على ما هو معروف ـ مدرسة الأمم .

مؤرخون صحفيون نشأوا في مدرسة ابن خلدون أو مدرسة خصومه

وربما كانت ضخامة أحداث هذا القرن هى التى جعلته من أحفل عصورنا بالمؤرخين وأسفار التاريخ، فمن الواضح أن ابن خلدون الذى افتتحه بتاريخه الخالد كان يحس احساسا واعيا بالتطور الشامل الذى يجرى داخل بلاد الاسلام وخارجها ، فهذا رجل كان حاضرا بشخصه في جبهة المعركة بين الشرق والغرب في الأندلس ، وقد لقي بنفسه قائد الهجوم على ما بقى من مملكة الاسلام في الاندلس ، وهو الملك بدرو القاسى ، ثم حملته مقادير حياته الحافلة بالأحداث الى جبهة الهجوم على عالم الاسلام من الشرق فلقى تيمورلنك ، واستقر في القاهرة بعد ذلك يعلم ويتعلم ويتدبر في شئون الدنيا وعجائب تصاريف التاريخ ، ثم كتب تاريخه الكبير ومقدمته الفريدة في بابها ، وليس بعجيب

ان يجعل عنوان ذلك التاريخ « كتاب العبر » فهو انما كتبه لكى يأخذ الناس العبرة من كلامه لا لكى يتسلوا به ، وليس بعجيب أيضا أن يتلفت حوله ثم يقول : « أهل مصر كأنهم فرغوا من ساعة الحساب ! » ، وهى ملاحظة عميقة لم يقصد الرجل بها الا سلاطين المماليك وأمراءهم ممن استناموا للعز والسلطان والدنيا من حولهم فى تقلب وفوران .

وفى مدرسة ابن خلدون تخرج تلاميذ كثيرون أكبرهم المقريزى ، تقى الدين احمد بن على ، وفى مدرسة المقريزى تخرج آخرون على رأسهم أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغرى بردى ، وهكذا تتصل سلسلة الشيوخ والتلاميذ حتى تصل الى مسك الختام لمؤرخى مصر على الطريقة القديمة ، وهو عبد الرحمن الجبرتى .

أصحاب حوليات وتراجم

وهؤلاء جميعا ـ فيما عدا ابن خلدون ـ أصحاب حوليات وتراجم ، أو كانت هذه وتلك هى العمل الرئيسى فى حياتهم ، وصاحب الحوليات مؤرخ اذا رتب أحداث العصور السابقة على عصره على السنين ، وكذلك صاحب التراجم اذا أتانا بسير ناس مضت عصورهم ، ولكن كليهما يصبح صحفيا اذا كتب حوليات عصره أو كتب تراجم أهل زمانه . وقد جمعت الصفتين مدرسة المؤرخين المصريين فى القرن الخامس عشر الميلادى وما بعده فاشتغل كل منهم بتدوين أحداث أيامه والترجمة لأعلام أهل عصره ، ثم استكمل العمل بايراد حوليات التاريخ أو حوليات تاريخ مصر من بدء الخليقة أو منذ الفتح الاسلامى . وقد يسير الأمران جنبا الى جنب .

فمن الواضح مثلا أن أبا المحاسن يوسف بن تغرى بردى كان يسجل أحداث عصره يوما بيوم فى نفس الوقت الذى كان يستكمل فيه تاريخ مصر منذ الفتح الاسلامى ، وقد بلغ من حرصه على تسجيل أحداث العصر انه كان اذا تغيب عن مصر كلف أحد مساعديه بأن يتابع التسجيل . ثم جمع حوليات الماضى والحاضر كلها فى كتابه الرئيسى وزهرة تآليفه وهو كتاب « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ، وهو ذخر نفيس من ذخائر المكتبة التاريخية العربية .

« النجوم الزاهرة » لأبى المحاسن استمرار لكتاب « السلوك » للمقريزى

والمفروض أن « النجوم الزاهرة » مواصلة واستمرار لكتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » الذى ألفه المقريزى أستاذ أبى المحاسن ، ولكن الكتابين يتوافقان فى جانب كبير من مادتهما التاريخية ولا يكاد يمتاز احدهما عن الآخر الا فى البداية وتفصيل أحداث عصر المؤلف ، لأن كلا من المقريزى وأبى المحاسن ذهب مع الماضى قدر ما استطاع أو حسبما أراد ، وتجمع له من تفاصيل أحداث عصره ما لم يتجمع لصاحبه ، وفى هذين الجزأين من كل من الكتابين اختلفت مادتهما ، واتفقت فى الباقى وهو نحو النصف .

وكان المفروض أن التراجم تكمل الحوليات ، فاذا كانت هذه الاخيرة تعرض الحوادث عرضا أفقيا فان التراجم تعرضها عرضا رأسيا ، لأن الحوليات هى نسق الحوادث واحدة بعد واحدة فى ترتيب أفقى أو سطحى ، وأما التراجم فهى غوص فى الطبقات التحتية لهذه الأحداث وتتبع لسير الناس من الميلاد الى الوفاة ، فهى أشبه بقطاعات فى المجتمع .

البلاذرى أول من جمع بين التاريخ والتراجم

وأول من تنبه الى ذلك وجمع بين التاريخ والتراجم هو البلاذرى ، فكتاب « فتوح البلدان » وهو أقرب الى أن يكون تاريخا عاما لدولة الاسلام الى عصره ، ثم كتاب « أنساب الأشراف » وهو يضم سير الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم مع دراسات تفصيلية لموضوعات معينة مثل تاريخ الأذان والصلاة والصوم والزكاة وما الى ذلك ، ولم يصل احد من مؤرخينا بعد ذلك الى الجمع بين التاريخ والترجمة أو كتابة التاريخ أفقيا ورأسيا فى آن واحد كما وصل اليه أبو المحاسن ، فقد أوتى ملكة صافية فى السرد المفصل السهل الشائق ، ورزق موهبة حكاية تواريخ الناس فى أسلوب لا يختلف فى شىء عن أساليب عصرنا فى فن تراجم الرجال أو البيوغرافية ، ولم أجد فيما قرأت من كتب التاريخ عندنا كتابين يكمل أحدهما الآخر ويصوران معا عصر كاتبهما أصدق تصوير مثل كتابى « النجوم الزاهرة » و « المنهل الصافى » .

أبو المحاسن ولد غير عربي ولكنه نشأ على الأرض العربية عربيا خالصا

ومؤلف الكتابين هو أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن الأمير المملوكي سيف الدين تغري بردي مملوك يشبغا احد كبار مماليك الظاهر بيبرس ، وكان سيف الدين هذا أتابك العساكر – أى قائد عام الجيوش – بالديار المصرية ، ثم عين كافلا للمملكة الشامية – أى حاكما عاما لبلاد الشام – وهى نصف السلطنة المملوكية .

وواضح أن أبا المحاسن ليس من أصل عربي ، وأنه ينتسب الى تلك الشجرة العامة التي يسميها مؤرخونا بشجرة الترك المماليك ، ونعرفهم نحن باسم المماليك فقط ، وهى تسمية أصح ، لأن مماليك مصر والشام لم يكونوا كلهم أتراكا ، بل كان فيهم الشركسي والتركستاني والروسي والهندي والكردي والتركماني والالماني والمغولي ومن اليهم، ولكن غالبيتهم كانوا من التركستانيين والافغانيين والتركمان والمغول . واذا حكمنا بدلالة الاسم كان أبو المحاسن من أصل تركستاني او افغاني . أتى أبو تغري بردي الى مصر مملوكا اشتراه يشبغا ، وأصله تركستاني او افغاني أيضا،وربّاه في مصر تربية عربية اسلامية ، فنشأ عربي الروح والقلب والثقافة كعامة أولاد المماليك الذين ولدوا ونشأوا في المجتمع العربي الشامي أو المصري ، ثم جاء ابنه أبو المحاسن جمال الدين يوسف عربيا مصريا خالصا لا يحفظ من أصله التركستاني الا صدى بعيدا .

قدرة العروبة على صهر الأجناس

وهذه القدرة على صهر شتى الأجناس واذابتها في بوتقة واحدة وصبها على قالب عربي خالص كانت على مر العصور اظهر ميزات العروبة وقوتها وتجدد نشاطها وشبابها ، فقد نشأ على بساط العروبة روم مثل ياقوت ، وكرد مثل أبي الفدا ، والمان مثل سيف الدين لاجين ، وروس مثل الظاهر بيبرس ، وافرنج من جنوبي فرنسا وجبال البرت المعروفة بالبرانس مثل موسي بن موسى بن فرتون، وقوط مثل أبي بكر بن القوطية ، وايبيريون اسبان مثل أبي القاسم بن بشكوال ، وسودان من غرب القارة الافريقية مثل أبي الحسن بن فاطمة الجغرافي الرحالة، وناس كثيرون آخرون من أصول شتى ، ولكن هؤلاء جميعا ما كانوا يشبون عن الطوق في البيئة العربية الا عربا بالروح والاحساس واللسان . ومعظم هؤلاء الذين ضربت بهم المثل كانوا من خدام الثقافة العربية وحملة مشاعلها ، وليس بغريب أن يكون رائد النهضة الفكرية العربية المعاصرة رجلين ، أحدهما من افغانستان هو جمال الدين الافغاني ، والثاني ابن فلاح مصري من محلة نصر بمديرية البحيرة هو محمد عبده .

أبو المحاسن من طبقة « أولاد الناس »

وكان أبو المحاسن من طبقة تعرف في مصطلح تلك العصور بطبقة اولاد الناس ، أى سلائل رجال الدولة والأمراء والسلاطين ، الذين ذهب عنهم الملك والسلطان واندرجوا في غمار الجمهور واصبحوا من ابناء البلد ، لا من الترك او المماليك . فاذا كان ذهاب الملك والسلطان قد حدث نتيجة لوفاة أبيهم او جدهم وهو في امارته او وظيفته وانصراف اولاده عن وراثة منصب أبيهم وسلطانه، فالغالب ان يرثوا أمواله ويعيشوا في غنى وأمان ، بخلاف ما اذا توفى الأب مغضوبا عليه من السلطان أو قتيلا في منازعات الملك التي لم تسكن لحظة خلال تلك العصور ، ففي هذه الحالة كان الاولاد ينشأون في فقر وخمول ويختفون في غمار المجتمع ويتلاشى امرهم . ومن حسن حظ أبي المحاسن أن أباه تغري بردي توفى وهو في سلطانه نائبا للسلطنة في دمشق ، وكانت سن أبي المحاسن اذ ذاك ثلاث سنوات ، اذ انه ولد في حدود سنة ٨١٢ هـ ١٤٠٩ م وتوفى أبوه في المحرم سنة ٨١٥هـ/ابريل ١٤١٢م .

مولد أبي المحاسن ونشأته

ولد أبو المحاسن في دار الأمير منجك اليوسفي بجوار مدرسة السلطان حسن بالقاهرة ، ويراد بالدار هنا ما يشبه جزءا كبيرا من حي من أحياء القاهرة،لأن الامير من أمراء المماليك كان يبتني لنفسه قصرا في جزء من مساحة واسعة من الارض يقطعه السلطان اياها أو يشتريها ، ويبني لمماليكه وجنده وخدمه دورا لهم واصطبلات للخيل ومخازن للسلاح والمؤن في بقيتها ، فاذا توفى الأمير أو ذهب أمره تقاسم مماليكه أو ورثته الدار وأصبحت جزءا كبيرا من الحي .

وكانت احدى أخوات أبي المحاسن متزوجة من فقيه من كبار الفقهاء في الشام هو قاضي القضاة ناصر الدين بن العديم ، فتولى الشيخ تربية الغلام الصغير تربية عربية اسلامية ، ثم توفي ابن العديم وتزوج أرملته فقيه مصري هو قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقيني الشافعي، فانتقل أبو المحاسن الى رعايته ، ونشأ في بيئة علم وفقه ودراسة ، وانصرف بكليته الى الدرس والطلب ، فلم يدع شيخا متخصصا في علم من العلوم الا درس عليه ، واعانه على ذلك نسبه وثروته التي أتاحت له الفرصة ليدرس كيف شاء .

أبو المحاسن والعصر الذهبي للمدرسة المصرية في التاريخ

ويهمنا من اساتذة أبي المحاسن أربعة هم شهاب الدين احمد بن عربشاه ، وشهاب الدين احمد ابن حجر العسقلاني ، وبدر الدين محمود العيني، وتقي الدين احمد بن علي المقريزي ، فهؤلاء كانوا ائمة التاريخ في الجيل السابق على جيل أبي المحاسن . ويمكن القول بانهم كانوا ـ مباشرة او غير مباشرة ـ تلاميذ ابن خلدون او من السائرين في طريقه حريصين على آرائه وافكاره أو غير حريصين ، وواحد منهم على الاقل كان تلميذا حقيقيا مباشرا لابن خلدون ، وقد سار على طريقته في نقد التاريخ وفهمه وتعليل ظواهره وتفسيربعضها تفسيرا اقتصاديا او اجتماعيا ، وهو المقريزي .

خطوة كتاب التراجم عند رجال الدولة وأسبابها

وعلى أيدي هؤلاء الاربعة كان التاريخ قد وصل في مصر والشام الى ان يكون في مقدمة العلوم التي يتفرغ الناس للتاليف فيها كما قلنا ، واصبح المؤرخ النابه علما من اعلام العصر يجالس رجال الدولة والسلاطين ليستمعوا اليه ويأخذوا من علمه ، ويرد ذلك في الحقيقة الى الناحية الصحفية من عمل مؤرخي تلك الايام ، فكل منهم كان يسجل الحوادث يوما بيوم في سجل يقرؤه الناس تفاريق ثم يصبح مع الزمن كتابا ، وكل منهم كذلك كان يكتب تراجم المتوفين من أهل عصره ، فهو قادر على أن يسقط ذكر من يريد اسقاطه ، وهو قادر كذلك على اعلاء شأنه أو الحط من قدره ، ومن هنا فقد كان الناس حريصين على أن يكسبوا صداقتهم كما يفعل الناس في أيامنا مع كبار الصحفيين . وكان من مجاملات العصر المعروفة أن يكتب المؤرخ ترجمة صديق له ثم يعرضها عليه قبل أن يثبتها في كتابه ، وقد فعل المؤرخ ابن حجر العسقلاني ذلك مع تلميذه المقريزي ، قبل أن يثبت ترجمته في كتابه المعروف باسم « المجمع المؤسس والمعجم المفهرس » .

المؤرخ بدر الدين العيني مثل يضرب في الحظوة

ومن أظهر امثلة الجاه الذي وصل اليه الناس عن طريق التاريخ ما وصل اليه بدر الدين محمود العيني صاحب كتاب « عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » ، فقد وصل الى زعامة المؤرخين في عصره قبل المقريزي ، وكان رجلا ذكيا أريبا اتقن اللغة التركية فكان ذلك وسيلته الى الحظوة عند السلطان برسباي ، لان هذا لم يكن يعرف من العربية الا قليلا ، فكان هذا الشيخ العينتابي يقضي معه ساعات الليل يقرأ عليه التاريخ مترجما الى التركية او يفقهه في الدين ، وقد شغل العيني بفضل مهارته في التاريخ واتقانه التركية أكبر الوظائف التي كانت انظار الشيوخ تطمح اليها اذ ذاك ، بل شغل عددا كبيرا منها في آن واحد ، ومن هذه الوظائف وظيفة محتسب القاهرة والوجه البحري، وهي وظيفة يمكن أن نسميها بالمراقبة العامة للاسواق والآداب العامة فيها ، وقد انتزعها من يد مؤرخ آخر هو المقريزي ، فكان ذلك سبب الجفوة الدائمة بينهما .

أبو المحاسن أوسع باعا من العيني

وكان أبو المحاسن شديد الاعجاب بالمقريزي دائم الملازمة له ، وكان يعجب كذلك بالعيني ، ولكنه كان أميل الى المقريزي منذ كان يعتبر نفسه خليفة له في زعامة المؤرخين دون العيني ، وقد حدث ان كان أبو المحاسن يسير في جنازة هذا الاخير مع الفقيه بدر الدين البغدادي الحنبلي ، فقال له هذا : خلا الجو !! ـ يريد ان ابا المحاسن أصبح بعد العيني زعيم المؤرخين بلا منازع ، فلم يكد أبو المحاسن يعود الى بيته حتى أرسل الى بدر الدين البغدادي خطابا كان العيني قد بعث به اليه يسأله في بعض مسائل التاريخ ، ومعنى هذا انه كان يعتبر نفسه أعلم من العيني وأطول باعا في التاريخ ، وقد استنكر ذلك شمس الدين

السخاوى ، وكان منافسا لأبى المحاسن لا يعجبه فيه شيء .

على اى حال ، نستطيع الآن ان نقول ان ابا المحاسن كان بالفعل اوسع باعا من العينى فى التاريخ ، فقد كانت له فيه ملكة صافية وقدرة على الاستيعاب والنظرة العامة الى الامور لم يصل اليها مؤرخ عربى بعد المقريزى .

ترجمتان لأبى المحاسن ، مادحة وقادحة

ولدينا لأبى المحاسن ترجمتان ، كتب احداهما تلميذه الوفى الصادق أحمد بن حسين التركمانى المشهور بالرجى ، وكتب الثانية خصمه ومنافسه شمس الدين السخاوى ذو اللسان المرير والقلم الناقد العنيف .

والترجمتان نموذجان من التعصب بنوعيه ..

فاحمد بن حسين التركمانى لا يدع فضيلة الا نسبها الى أبى المحاسن ..

والسخاوى لا يرى فيه خصلة طيبة ، وحتى فى الحالات التى يضطر فيها الى أن يشهد له بشيء حرص على أن يضيف : « فيما زعم » ، « كما قال » ، « كما حكى عن نفسه » .. وما الى ذلك مما يشكك القارىء فيما يقول .

واقصى ما استطاع السخاوى أن يذكره من فضائله قوله : « وبالجملة فقد كان حسن العشرة تام العقل ــ الا فى دعواه فهو حمق" ــ لطيف المذاكرة ، حافظا لاشياء من النظم ونحوه ، بارعا حسبما كنت اتوهمه فى أحوال الترك ومناصبهم وغالب احوالهم منفردا بذلك،لاعهد له بمن عداهم، ولذلك تكثر فيه (الاصح هنا : فيهم) . وتختلط الفاظه واقلامه ، مع سلوك اغراضه ، وتحاشيه عن مجاهرة من ادبر عنه باعراضه ، وما عسى ان يصل اليه تركى !) » .

ولم ينصف السخاوى معاصره وزميله اباالمحاسن بهذا النقد الجارح والتهكم المر ، فهذه كتبه تدل على فهم واسع وثقافة عالية وادراك شامل وذوق لطيف واسلوب بديع فى كتابة التاريخ .

ولسنا نذهب فى مديحه ، مذهب تلميذه احمد ابن حسين التركمانى ، فهذا ايضا اسراف ، فلم يكن ابو المحاسن مؤرخا مبدعا عبقريا كابن خلدون ولم يكن شامل النظر والثقافة كتقىالدينالمقريزى، ولكنه كان مؤرخا مبدعا عرف كيف يبتكر فى كتابة التاريخ طريقة لطيفة واسلوبا هو غاية فى سياق الحوادث ورواية الاخبار . وبفضل هذه الطريقة وذلك الاسلوب خلف لنا ابو المحاسن الطف كتاب خلفه مؤرخ مصرى فى العصور الوسطى فى تاريخ مصر والشام .

كتاب النجوم الزاهرة

فاما الطريقة التى ابتكرها فهى أن يسوق الحوادث مرتبة حسب ترتيب ولاة مصر او امرائها أو سلاطينها منذ الفتح الاسلامى الى أيام السلطان المملوكى اينال .

وهو يبدأ الرواية بدراسة عامة لشخصية الوالى أو الامير أو السلطان وتاريخ حياتهوفضائله ونقائصه واعماله ، ودراساته كلها واسعة مطولة يتحدث فيها فى هدوء وعن ثقة وانصاف ، وسواء اكتب عن عمرو بن العاص أو عن عبد العزيز بن مروان أو عن احمد بن طولون أو صلاح الدين الايوبى أو الناصر محمد بن قلاوون أو السلطان حسن فانه يقدم لك فى كل حالة فيضا منالمعلومات والملاحظات والحكايات القصيرة التى تكشف عن خلق الرجل ما لا يكشفه الكلام الطويل .

وبعد أن يفرغ من هذه الدراسة يبدأ برواية الحوادث مرتبة حسب سنواتحكم الحاكم وموقعها من تاريخ مصر العام ، فيقول مثلا : السنة الاولى من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر ، وهى سنة ست وستين (هجرية) .

ومن الطبيعى أن تكون المعلومات التى يأتينا بها عن العصور السابقة عليه مستقاة من مراجع اخرى معظمها معروف لنا ، وقد أحصى من درسوه نحو ٢١ كتابا هى مراجعه الرئيسية ، وهى ليست بالشيء الكثير بالنسبة لتاريخ عام لمصرولكن مهارة أبى المحاسن هى أنه عرف كيف يستخلص من هذه الكتب اهم ما فيها ، ولم يغرق نفسه ابدا فى تفاصيل لا اهمية لها كما حدث للكثيرين من المؤرخين قبله وبعده .

وهو يختم حوادث كل سنة بذكر وفياتها مع تراجم مختصرة لهم،فاذا كان من سبقه من اصحاب معاجم الرجال قد ترجموا للرجل ، واكتفى هو بالاشارة اليه ، واذا كانوا اهملوه ، ترجم له هو او اشار الى انه ترجم له فى كتابه الرئيسى الثانى « المنهل الصافى » .

كتاب المنهل الصافي

وكتاب « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى »

تحفة من تحف معاجم الرجال في مكتبتنا التاريخية، وهو دليل على اتصال فروع شجرة العلم عندنا بعضها ببعض .

فقد ألف شمس الدين بن خلكان كتابه المبدع «وفيات الاعيان» ، وترجم للاعيان أو أعلام الرجال من أهل العصور الماضية .

وجاء بعده ابن شاكر فاستكمل ما فاته من التراجم ووصل بها الى اهل عصره في كتابه « فوات الوفيات » .

ثم جاء خليل بن أيبك الصفدي فاستدرك ما فات سابقيه ووصله الى ايامه في كتاب سماه « الوافي بالوفيات » .

وسار بالسلسلة خطوة أخرى أبو المحاسن بكتابه البديع « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » .

واستكمل السلسلة بعد ذلك ابن العماد الحنبلي بكتابه المعروف « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » .

هؤلاء الرجال جميعا يبدون لنا - بحرصهم على الاستمرار في العمل في خط واحد - وكأنهم أساتذة يتعاقبون على كرسي استاذية في جامعة العروبة الكبرى ، وكلما مضى منهم واحد قام بالأمر من بعده واحد .

وتراجم أبي المحاسن واسعة مسهبة مرسلة في نثر جميل حافل بالحكايات والملاحظات ، ففي حين يكتفي غيره بمولد الرجل وتاريخ وفاته وأهم من درس عليهم وما قرأ من الكتب وما ألف من المصنفات ، يصف لنا أبو المحاسن هيئة الرجل وملبسه ومطعمه ومسكنه ، وخاصة اذا كان من أهل عصره او القريبين منه .

وواضح ان أبا المحاسن كان ذا ذوق لطيف في اختيار عناوين كتبه ، فبينما كان استاذه المقريزي يختار عنوانات مثل « اتعاظ الحنفا » و « اغاثة الأمة » نجد أبا المحاسن يختار « النجوم الزاهرة » و « المنهل الصافي » و « مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة » و « نزهة الرائي » ، وما الى ذلك ..

أبو المحاسن في بيته

وليس ذلك بغريب ، فقد كان أبو المحاسن رجلا جميل الطلعة حسن الهيأة أنيق الثياب هادئ الطبع مرهف الذوق ، وما قرأت له مرة شيئا الا تصورته جالسا على أريكة وثيرة ، في منظرته الفاخرة الاثاث ، في داره الكبيرة في مكان ما في الطريق من ميدان السلطان حسن بالقاهرة الى ميدان السيدة زينب ، ربما على مقربة مما يعرف بسبيل أم عباس .

تصورته في هذه الهيأة وحوله كتبه وأمامه كرسي عال عليه دفتر يكتب فيه ، وربما جلس معه بعض تلاميذه وأصحابه ، ولكل منا - نحن المشتغلين بالتاريخ - صديق من المؤرخين يأنس الى حديثه ويستريح الى صحبته ، وما أحسب انني انصح طالب تاريخ مصر بكتابين خيرا من « النجوم الزاهرة » و « المنهل الصافي » .

وكان أبو المحاسن الى جانب انصرافه الى التاريخ ماهرا في فنون الفروسية كالمبارزة بالرمح ورمي النشاب وركوب الخيل ولعبة البولو ، وكانت له الى جانب ذلك معرفة بالطب والشعر وعلوم أخرى مما كان يشتغل به أهل عصره .

مرض أبو المحاسن ووفاته

ولم تنفع الرياضة البدنية والعلم والطب أبا المحاسن في كثير ، فقد أصيب في أوائل شيخوخته بمرض عضال قاسى منه كثيرا ، وقد وصف لنا حالته في مرضه شمس الدين السخاوي بقوله : « وابتنى له تربة هائلة بالقرب من تربة الاشرف اينال ، ووقف كتبه وتصانيفه بها ، وتعلل (أي مرض) قبل موته بنحو سنة بالقولنج ، واشتد به الأمر من اواخر رمضان باسهال دموي بحيث انتحل (صار نحيلا) وتزايد كربه ، وتمنى الموت لما قاساه من شدة الالم الى أن قضى في يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة سنة ٨٧٤ هـ / ٥ يونيو ١٤٧٠ م ودفن من الغد بتربته » .

والقولنج (بفتح اللام) المذكور هنا اسم يطلقه أطباء العرب على كل ألم شديد في الجنب يصحبه انتفاخ في الامعاء الغلاظ ، وهو في حالات كثيرة الزائدة الدودية،وربما كان قرحة في المعى الغليظ، وربما كان كذلك سرطان الامعاء ، ويسمى أيضا ايلاوش باسمه اليوناني ومعناه الجنبي؛ . والغالب ان أبا المحاسن مات من قرحة في المعى الغليظ طاولته حتى انفجرت وقضت عليه . ■■

حسين مؤنس

البلاذري

صاحب كتاب فتوح البلدان وكتاب أنساب الأشراف

بقلم : عبد الستار أحمد فراج

انساب الأشراف، وفتوح البلدان ، كتابان من أهم المراجع فى تراثنا العربي ، أولهما وهو الضخم جدا ، لم يطبع منه الا بضعة أجزاء ، لا تتجاوز فى نسبتها الى مقداره كله ثمنه او سبعه ، رغم ما له من افادة بالغة فى موضوعه السمين المتع . وثانيهما وهو الفتوح طبع أكثر من مرة .

من هو ؟

■ ومؤلف هذين الكتابين ، هو أحمد بن يحيى ابن جابر بن داود البلاذرى ، ولا ندرى أكان اصل البلاذرى عربيا أم غير عربي . فتراجمه خلت من الاشـارة الى ذلك ، ويغلب على الظن انه فارسى الأصل ، لمعرفته بالفارسية وترجمته عنها ، ولانه لو كان عربيا لالحق النسبة او الحقت باسمه . كما يغلب على الظن انه نشأ فى بغداد ، وليس فى الاستطاعة تحديد العام الذى ولد فيه ، والكتب التي بين ايدينا وترجمت له اختلفت فى عام وفاته ، أهو ٢٧٧ أم ٢٧٩ هجرية ، على أننا نستطيع القول بانه ولد قبل سنة ٢٠٠ بحوالي خمسة اعوام على الاقل ، مستندين فى ذلك الى انه ــ كما ذكر فى تراجمه ــ قد مدح المأمون الذى ولى الخلافة من سنة ١٩٨ هـ الى ٢١٨ ولا يعقل ان يدخل عليه الا اذا كان قد تجاوز الطفولة ، واذا صح ما نسب الى المقريزى من أن البلاذرى روى عن ابى عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ كان ذلك دليلا على صحة اسـتـنـادنا ، الا ان البلاذرى فى رواياته يسند الى علي الأثرم عن أبي عبيدة (١) ، لكنا نجد فى شيوخ البلاذرى عبد الله بن صالح العجلى المتوفى سنة ٢١١ هـ ، وقد روى عنه مرات ، وذكر فى احداها قوله : حدثنى عبد الله بن صالح رحمه الله (جاء ذلك فى المجلد الثالث من مخطوط

---

(١) لعل ما نسب الى المقريزى زيدت عليه التاء وكان أصله « أبا عبيد » ويراد به القاسم بن سلام فصار بعد الزيادة أبا عبيدة .

الانساب) . كما نجد من شيوخه أبا الحسن المدائني الذي قيل انه توفي سنة ٢١٥ ، ومن شيوخه هوذة بن خليفة المتوفي سنة ٢١٦ .

رحلة وانقطاع :

وقد اغفلت كتب التراجم معيشة البلاذرى فى الفترة التي استغرقت خلافة المعتصم ، (٢١٨ ــ ٢٢٧ هـ) وخلافة الواثق (٢٢٧ ــ ٢٣٢) وكثيرا من خلافة المتوكل (٢٣٢ ــ ٢٤٧) فهي لا تذكر الا انه جالس المتوكل فى آخر عهده ونادمه (اى تقريبا من ٢٤٥ ــ ٢٤٧) .

ويتبين لنا مدى اتصاله بالمتوكل مما يذكره فى كتابه فتوح البلدان : (واخبرنى أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله قال : سمعت شيخا من مشايخ بنى صالح بن علي .. الخ) فهو اذن قد بلغ من المرتبة ما يجعل الخليفة المتوكل يحدثه ، ويروى له الاخبار . ولم يحظ أحد لدى الخلفاء واصحاب السلطان الا من أوتى نصيبا موفورا من العلم أو الأدب ، يرفعه الى مرتبة المجالسة والمنادمة .

ولعل البلاذرى فى الفترة ما بين خلافة المأمون ٢١٨ الى أواخر خلافة المتوكل ٢٤٥ كان عاكفا على تلقى الاخبار ، والاستكثار من الرواية والتدوين .

والمتتبع لشيوخ البلاذرى الذين روى عنهم فى كتابيه ، وتواريخ وفياتهم ، يطمئن الى القول باشتغاله فى تلك الحقبة الطويلة بالتلقى والاستفادة . فقد توفى ــ سوى عبد الله بن صالح وهوذة بن خليفة ــ من شيوخه عفان بن مسلم فى ٢٢٠ هـ وابو عبيد القاسم بن سلام فى ٢٢٤ واسحاق الفروى فى ٢٢٦ ومحمد بن الصباح فى ٢٢٧ واحمد بن محمد بن أيوب فى ٢٢٨ وخلف بن هشام فى ٢٢٩ ومحمد بن سعد صاحب الطبقات فى ٢٣٠ ومحمد بن زياد الاعرابي اللغوى المشهور فى ٢٣١ وعمرو الناقد المحدث فى ٢٣٢ وعبيد الله بن عمر القواريرى ويحيى بن معين ومصعب بن عبد الله الزبيرى فى ٢٣٣ وابو خيثمة فى ٢٣٤ .. وهكذا الى ٢٤٦ هجرية ، ولم يتجاوز هذه الفترة من وفيات شيوخه الا يوسف القطان ٢٥٣ ، والحسين بن علي الاسود ٢٥٤ والزبير بن بكار ٢٥٦ وعمر بن شبه ٢٦٢ وقد توفى عمر وله تسعون عاما .

فلم تكن اذن المدة التى قضاها البلاذرى بين خلافة المأمون وأواخر أعوام المتوكل الا مشافهة للعلماء ، وأخذا عنهم .

ونجده فى كتابه انساب الأشراف فى المجلد العاشر صفحة ٦٩٧ يذكر ــ عند انقضاء نسب قريش وتعداد أسباب تسميتها قريشا ــ ما يأتى « ولقيت اعرابيا من كنانة بالربذة ، فى سنة احدى وثلاثين ومائتين ، فسألته عن حمار رأيته ، فقال : « هو لي أقرش عليه قوت العيال،اى أجمعه عليه».

ومن هذا النص ، ومما يذكر فى تراجمه ، نجد ان البلاذرى لم يقتصر على الاقامة ببغداد ، والاخذ عمن بها من شيوخ . بل كان يطوف فى سبيل العلم وتلقيه ، فالربذة قريبة من المدينة . وأخذ عن شيوخ بدمشق وحمص وانطاكية .

حظوة :

واذا تركنا خلافة المنتصر القليلة القلقة ، وقدرها ستة أشهر ، بعد اغتيال أبيه المتوكل ، فان البلاذرى حظى لدى المستعين ، فأغناه مدة خلافته (٢٤٨ ــ ٢٥٢) وكان ما اغدقه عليه سببا فى بحبوحة عيشه مدة ، بعد وفاة المستعين .

روى ميمون بن هارون (٢٠١ ــ ٢٩٧) قال : رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى المؤرخ ، وحاله متماسكة ، فسألته فقال : كنت من جلساء المستعين ، فقصده الشعراء فقال : لست اقبل الا ممن قال مثل قول البحترى فى المتوكل :

فلو أنَّ مشتاقاً تكلَّفَ فوق ما
في وسعه لمشى إليك المِنبرُ

فرجعت الى دارى وأتيته وقلت : قد قلت فيك احسن مما قاله البحترى فى المتوكل ، فقال : هاته . فانشدته :

ولَوْ أنَّ بُرْدَ المُصطفى إذ لبستَهُ
يَظُنُّ لَظَنَّ البُرْدُ أنَّكَ صاحِبُهْ
وقالَ وقد أعْطيتَهُ ولَبِسْتَهُ
نَعَمْ هذه أعطافُهُ ومَناكِبُهْ

فقال : ارجع الى منزلك ، وافعل ما آمرُك به . فرجعت ، فبعث اليَّ سبعة آلاف دينار وقال . ادَّخِر هذه للحوادث بعدى ، ولك على الجراية والكفاية ما دمت حيا .

على انه لم يقصّر به الحظ فى خلافة المعتز بعد المستعين (٢٥٢ ــ ٢٥٥) فقد تولى تعليم ابنه

عبد الله ، وسنّ عبد الله فى ذلك الحين بين ستة اعوام وثمانية ، ولا شـك انه كان يعلمه القراءة والكتابة ويحفظه بعض المأثورات .

ويبدو أن تلك الصلة جاءته عن طريق عبيد الله ابن يحيى بن خاقان ، الذى كان من وزراء المتوكل ، وكان فى حجـره اذ ذاك المعتـز بن المتوكل ، فالبلاذرى يقول : انه كانت بينه وبين عبيد الله حرمة منذ ايام المتوكل .

وجاءت خلافة المهتدى ، ولم تطل أكثر من عام . ثم جاءت خلافة المعتمد ، التى ظلت من (٢٥٦ – ٢٧٩) وفيها ترجَحَت حال البلاذرى بين الحظوة والاغفال لدى وزرائه ، ومنهم عبيد الله بن يحيى الذى عادت اليه الوزارة فى تلك الخلافة ، واحمد ابن صالح بن شيرزاد ، وابو الصقر اسماعيل بن بلبل ، تارة يقضون مطالبه عن طيب خاطر ، وتارة يقضونها حذراً من لسـانه ، أو لا ينجزون ما وعدوه .

ولقد حاول البلاذرى حوالى سنة ٢٦٠ هـ أن يشترك فى تعليم عبد الله بن المعتز الذى كانت سنه اذ ذاك ١٣ عاما ، فى حين كان يعلمه أحمد ابن سـعيد الدمشقي ، فتحمل البلاذرى على قبيحة (١) أو فتيحة ، جدة عبد الله بن المعتز ووسط لديها قوما ، فاذنت له فى تعليمه أو كادت ، ولا يبعد ان ممن كان من أصحاب الوساطة بينهما عبيد الله بن يحيى الوزير (توفى سنة ٢٦٣) لما كان له من صلة بقبيحة ، اذ كان ابنها فى حجره ، كما قدمنا ، وله بالبلاذرى اتصال .

واصيب البلاذرى فى أواخر أيامه بالوسواس ، فشد بالمارستان ومات فيه ، وتذكر أغلب المصادر أنه شرب ثمر البلاذر على غير معرفة ، فلحقه ما لحقه .

لكن ما نقله ياقوت عن الجهشيارى ، يدل على أن الذى شرب البلاذر هو جده جابر بن داود ، وكان يكتب للخصـيب الذى كان من ولاة مصر ، او صاحب ديوان الخراج بها فى عهد الرشيد .

البلاذر :

والبلاذر كما وصـفه داود الأنطاكى فى كتابه التذكرة «الحب الفهم وثمرته» ، والانقرد باليونانية ، وهو شجر هندى يعلو كالجوز ، وورقه عريض أغبر سبط ، حاد الرائحة ، اذا نام تحته شخص سكر . وربما عرض له السبات ، وثمرته فى حجم الشاه بلوط ، وفى راسه قمع صلب ، وقشره الى السواد ، ينكسر عن جسم كالسفنج ، مملوء رطوبة عسلية ، هي عسـله ، وتحته قشر يحيط بلب مثل اللوز حلو .. ينفع هذا العسل ... ويورث البرسام والماليخوليا » .

وانظر عنه معجم الالفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابى ص ٤٤ ومعجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى ص ٦٦ ولا يخرج ما فيهما عن معنى ما وصفه داود فى تذكرتـه .

أديب شاعر :

ولقد كان البلاذرى نسابا محدثا ، يجمع الى ذلك انه شاعر ، ومجموع شعره كما فى الفهرست فى ص ١٦٦ خمسون ورقة ، وكان ايضا من الذين نقلوا من الفارسية الى العربية ، وترجم كتاب اردشير بالشعر .

ومع ما له من فضل وسعة اطلاع ، كان كثير الهجاء ، ولم نعثر الا على عدة مقطوعات قصيرة من شعره ، اطولها ومن أحسنها ما ذكر عنه أنه قال : قال لي محمود الوراق (توفى سنة ٢٣٠ وهو شاعر كثير الحكم) : قل من الشعر ما يبقى ذكره ويزول عنك اثمه ، فقلت :

اسْتَعِدِّى يا نَفْسُ للمَوتِ واسْعَىْ
لِنجاةٍ فالحازِمُ المُسْتَعِـدُّ
قَدْ تَبَيَّنْتِ أنَّه ليس للحَـيِّ
خُلودٌ ولامِـنَ المـوتِ بُـدُّ
إنَّما أنْتِ مُسْتَعِيرةُ ماسـو
فَ تَرُدِّينَ والعَـوارِى تُـرَدُّ
أنْتِ تَسْهِينَ والحوادثُ لاتَسْـ
هُو وتَلْهِينَ والمَنايا تَجِـدُّ

(١) سميت قبيحة بضد ما برعت فيه من الجمال والحسن ، اظن دفعا للعين والحسد .

لاتُرَجِّى البقـــاءَ فى مَعْدِنِ المَوْ
تِ ودَارٍ حُتُوفُهـــا لَكَ وِرْدُ
أىُّ مُلْكٍ فى الأرضِ أمْ أىُّ حَظٍّ
لامْرئٍ حَظُّهُ من الأرضِ لَحْدُ
كَيْفَ يَهْوَى امْرُؤٌ لَذَاذَةَ أيَّا
مٍ عليه الأنفاسُ فيها تُعَــــدُّ

وكان للبـــلاذرى رزق من بيت المال . ولكن الخليفة المعتمد لم يكن له من السلطان شىء ، حتى فى رزقه هو نفسه ، بل كان كل ذلك بيد المماليك الذين كانوا يتصرفون فى شئون الخلافة . حتى قال المعتمد عن نفسه :

أليسَ من العَجائبِ أنَّ مِثْلِى
يرَى ما قَلَّ مُمتنعاً عليْــهِ
وتُؤْخذُ باسْمِهِ الدُّنيا جميعاً
وما من ذاكَ شَىْءٌ فى يدَيْــهِ

وكانت ارزاق البلاذرى تتاخر عنه ، فكان يشكو تاخر ذلك ، وما يثقله من الديون ، الى وزراء الخليفة ، وكانوا تارة يحجبونه عن الوصول اليهم ، وتارة يلومونه على الشكوى ، فيجأر بالعتاب ، او يلسع بالهجاء .

قيمته :

ولقد كان ما الفه البلاذرى مددا لمن جاء بعده ، لما فيه من غزارة ، وسعة اطلاع ، وضخامة لما تلقاه من اخبار واحاديث . والشريف المرتضى يقول عنه فى كتابه الشافى « وهو معروف الثقة والضبط » ويقول مرة أخرى عنه : « وحاله فى الثقة والضبط لما يرويه معروف » .

ومن روى عنهم البلاذرى مباشرة ، من شيوخه الذين يتجاوزون المائة ، اكثرهم من جلة الرواة والمحدثين ، وبعضهم من كبار المؤلفين . ويكفى فى قيمته أن من تلاميذه يحيى بن على بن المنجم (٢٤١ ــ ٣٠٠) مؤلف كتاب الباهر فى أخبار شعراء مخضرمى الدولتين ، ومن تلاميذه جعفر ابن قدامة ، وكانت له مؤلفات منها كتاب الخراج .

فتوح البلدان :

وكتابه فتوح البلدان يتناول البلاد ، وأسباب تسميتها ، وفاتحيها ، وقد تحدث عنه فى مقدمة له الدكتور صـــلاح الدين المنجد ، فى الطبعة التي حققها ، بعد تحقيق المســيو دخويه من قبل ، فوق الموضوع حقه ، وهذا الكتاب فى طبعته الأولى مجلد واحد .

انساب الأشراف :

اما انساب الأشراف ، فهو الكتاب العظيم حقا . الذى دل على مكانة البلاذرى ، وهو الجدير بالنشر كاملا . فهو يتناول انســـاب العرب ويشرحها ، ويتناول الاخبار ، ويستقصى فى ذلك ، فهو من جهة يُعدُّ كتاب انساب ، ومن جهة آخرى يعد كتاب اخبار او تاريخ .

محتويات الأنساب :

بدا بذكر نسب نوح عليه السلام ، ثم تكلم عن العرب ، ونزل الى عدنان الذى هو رأس عمود نسب سيدنا محمد ، عليه الصلاة والسلام ، وظل ينـزل الى أجداد النبي ، واحدا واحدا ، ذاكرا ما يتصل بكل جد على حدة ، متناولا أبناءه باختصار ، حتى وصل الى مولد الرســول ، ثم تناول سيرته باســتيفاء ، وبعد أن تكلم عن أمر السقيفة بدأ يصعد فى نسب الرسول مرة أخرى ، فتناول أبنـاء الجد الأول عبد المطلب ، واحدا واحدا ، بتفصيل ، فبنيهم وبنى ابنائهم ومَنْ نَزَلَ ، مستوفيا ما شاء من الأخبار والروايات ، حتى وصل الى عهده هو فى العصر العباسي . ثم صعد الى ابناء الجد الثانى هاشم ، ونجده ينتهي من بنى هاشم بن عبد مناف فى المجلد الرابع ، ويبدأ ببنى عبد شمس بن عبد مناف ، وهكذا يظلُّ متتبعا عمود النسب حتى يصل الى النضر ، الذى يسمى قريشا ، فينتهى من نسبه فى المجلد العاشر ، ويبدأ فى ســلسلة بنى كنانة ، وفى المجلد الثانى عشر ينتهى نسب ولد الياس بن مضر ، ويبدأ فى نسب قيس ، ثم ينزل متتبعا نسل قيس حتى يصل الى ثقيف . وفى كل ما سبق من سلاسل النسب يتعرض للرجالاتِ من قادة وعظماء وشــعراء ، فيترجم لهم فى توسع كبير . فقد ترجم مثلا لأبى بكر الصديق فى ٢٠ صفحة ولعمر فى ٧٢ ولعليٍّ وبنيه فى أكثر من ٣٠٠ ولجرير فى ١٥ وللفرزدق فى ٢٠ وللحجاج بن يوسف الثقفى فى ٤١ .

الشريف :

وقد يتبادر الى الأذهان اليوم أن الأشراف يراد بهم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن هذا الفهم لم يقصد اليه البلاذرى فى كتابه انساب الأشراف . فالشريف يطلق فى اللغة على الرجل الماجد،او من كان كريم الآباء ، وقصة جبلة ابن الأيهم ، وهو غسانى وقصة تنصره فى أيام عمر معروفة ، وحينما ندم قال :

تَنَصَّرتِ الأشرافُ مِن عارِ لطْمة
وما كانَ فيها لو صَبَرْتُ لها ضَرَرْ

فليس جبلة من قريش ، ولا من عدنان ، وانما هو غسانى ، من العرب العاربة .

والسابقون للبلاذرى الفوا كتبا ، مثل المدائنى ، من مؤلفاته اشراف عبد القيس ، وابن عبدة ، من مؤلفاته أشراف بكر وتغلب ، هذا وعبد القيس وبكر وتغلب لا تمت الى الهاشميين ولا القرشيين ولا المضريين بصلة الا فى قرب نهاية عمود النسب عدنان ، فهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

شمول الكتاب :

ومع أن الكتاب خاص بالعرب ، نجده عند ذكر الخلفاء يتكلم على من كانوا فى عهدهم من رجالات وثائرين ، ولو لم يكونوا عربا ، مثل أبى مسلم الخرسانى وابن المقفع .

وعنى الكتاب بذكر الخوارج عناية كبرى ، فلم يترك خليفة أمويا يترجم له الا بعد أن يعنون له بما يأتى « الخوارج فى عهده » وهذا بخلاف ما ذكره فى خلافة سيدنا على بن أبى طالب .

انه فى الحق كتاب له طابعه الخاص ، يختلف عن كتب التاريخ ، فهو لا يسوق الحوادث على تسلسل الأعوام ، ولا يتتبع توالى الحكام .

ويختلف عن كتب الأنساب ، فلا يسرد النسب موجزا جافا، بل يحليه بالطرفوالأدبوالأخبار ، ولم يقتصر فى ترجمته للحاكمين على مبدأ حياتهم ومنتهاها باختصار ، بل يحيط بما كان فى أيامهم ، انه كتاب يجمع بين التاريخ والتراجم والأدب وتشابك الأنساب .

ومما يذكر بالثناء ان الدكتور محمد حميد الله قد عمل فهرسا عاما لمضامين كتاب انساب الأشراف ، نشره فى نشرة المعهد الفرنسي بدمشق عام ١٩٥٤ ، وقد أثبتها انا فى تقديمي للجزء الأول من هذا الكتاب ، الذى حققه الدكتور محمد حميد الله ، مشتملا على جميع سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام .

النقل عن الأنساب :

ونحن لا ننتظر من معاصرى البلاذرى أن ينقلوا عن كتبه ، أو ينقلوا شيئا من أخباره الأدبية ، فابن قتيبة مثلا قد أهمل كثيرا من شعراء عصره وأدبائه .

أما معاصرو البلاذرى من أصحاب كتب الحديث، فانهم كانوا يتحرّوْن فى شيوخهم شروطا قد لا تتوافر جميعها فيه . فلقد كان أخباريا ، نسابة ، هجاء ، يسعى وراء الاتصال بأصحاب الجاه والسلطان ، يضاف الى ذلك انه وُسْوِس فى آخر عمره ، وبعض هذا مما يدعو رجال الحديث الى تركه ، أو اهمال ما أخذ عنه . فنحن لا نجد مثلا فى رجال البخارى ومسلم رواية عن ابن سعد صاحب الطبقات ، ولا عن الواقدى ، أو هشام بن الكلبى أو أبيه محمد بن السائب ، ولا عن مصعب ابن عبد الله الزبيرى ولا ابن أخيه الزبير بن بكار .

أما بعده من ناحية الأدب والتاريخ ، فقد نقل أبو الفرج الأصفهانى ، فى كتاب الأغانى ، عن طريق الراوين عنه ، وكذلك الصولى فى كتابه الأوراق ، كما نقل الشريف المرتضى ، فى أماليه ، وفى كتابه الشافى :

وابن عساكر فى تاريخه ، وياقوت فى معجميه ، وابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ، والزبيدى فى تاج العروس .

والحق ان كثيرا من الآثار التاريخية والأدبية شعرا ونثرا لا توجد الا فيه ، لفقدان كثير من الأصول التي نقل عنها ، ولعدم تسجيل بعضها قبله ، واخذها هو بطريق المشافهة ، فأثبتها فى كتابه .

ان هذا الكتاب كنز ثمين ، لم تبد للناس فيه الا قلة قليلة لا تقاس بالنسبة لما يحويه ، ولقد أحسن فى اختياره أستاذنا الدكتور طه حسين ، فكلف عددا من المحققين ، عن طريق الجامعة العربية ، ليكون ماثلا بين الناس كاملا ، وما بقى الا طبعه الذى ما يزال يتعثر لدى الناشرين . وانا لنرجو . والله الموفق . ■■

عبد الستار احمد فراج

فن الحكاية

بقلم : محمد عطية الابراشى

■ ضرب أمير الشعراء أحمد شوقى فى كل فن من فنون الأدب بسهم وافر ، فلم يترك غـرضـا قديما أو حديثا من أغراض الأدب الا قال فيه شعرا رائع البيان ، قوى الاسلوب ، غزير المعنى. وهام شاعرنا الفذ فى جميع أودية الخيال ،وحلق فى سماء الانشاد ، وقد أبى الا أن يكون شـاعرا عبقريا قابضا على ناصية الفصاحة والبيان فى كل موضوع أدبى ، جاعلا الشعر طيعا لأغراض الحياة. وقد أعانته ثقافته العميقة ، واطلاعه الواسع على ذخائر الادب العربى فى مختلف عصوره وروائع الأدب الفرنسى ـ على أن يتعمق فى كل غرض من أغراض الشعر .

فن الحكاية على ألسنة الحيوانات

وقد تناول شاعرنا الكبير رحمه الله فنا طريفا بالانشاد ، وذلك هو فن الحكاية الشعرية على ألسنة الحيوانات والطيور والحشرات ، وشاعرنا وان كان مقلدا فى هذا الفن،الا أنه أحسن التقليد، وأبدع فيه كل الابداع ، فقد سبقه الى هـذا (ايسوب) اليونانى بحكاياته الخرافية ، وابن المقفع بكتابه : كليلة ودمنة ، و (لافونتين) الفرنساوى بأقاصيصه القصيرة ، ثم المرحـوم الأديب المصرى الفكه محمد عثمان جلال فى كتابه : (العيون اليواقظ فى العبر والمواعظ) ، ولكن شـوقى تميز بفنه عن كل من سبقه ، وخلـع على حكاياته عبقريته الفنية ، فجاءت فريدة فى بابها . وقد اختار لحكاياته الطريفة أوزانا قصيرة مطربة،وألفاظا سهلة ، ولكنها من السهل الممتنع.

أهداف الحكاية على ألسنة الحيوانات

وكان شوقى ـ رحمه الله ـ يقصد من وراء هذه الحكايات الشعرية السهلة أن يغزو أولا ميدان الطفولة ، وأن يقدم الى الأطفال غذاء أدبيا شهيا ، سهل الهضم ، تقبله نفوسهم ، وتطرب منه قلوبهم ، وثانيا أن يتخذ من هذه الحكايات الشائقة على ألسنة الحيوانات والطيور والحشرات وسيلة لأن يدس فيها ما شاء من الحكم الاخلاقية، والآداب الاجتماعية والآراء الحكيمـة والعبر العظيمة ، التى تربى النفوس ، وتهذب الاخلاق ، وتسمو بالنشء الى مرتبة الكمال الخلقى المنشود، كما كان يرمى من ورائها الى تسلية الكبار ، وتهذيب طباعهم ، ونصحهم وارشادهم ، ولا ريب أن النفس ترتاح دائما الى القصة المحلية على



في شعر أمير الشعراء

الحكاية على ألسنة الحيوانات فن ليس عند العرب بغريب

السنة الحيوان والطير والحشرات ، لان الانسان بطبعه مشوق الى معرفة اسرار هذه العوالم ، لما بينها وبين الانسان من الحدود الفاصلة ، ولما في ايراد الحكاية على هذا النحو من طـــرافة وجدة وفكاهة .

الحكاية عند الجاهليين

والانسان منذ فطره الله مولع بهذه الحكايات من اقدم العصور . وقد ذكر الرواة شيئا من ذلك عرفه الجاهليون ، وهو قريب الشبه من هـــذه الحكايات التى انشاها شوقى ، فقد كان العرب في العصر الجاهلي يكثرون من الأمثال الفرضية في أيام الجور والاستبداد ، ليصلوا بها الى تحقيق اغراضهم مع الامن على حياتهم . وكانت هذه الأمثال تروى في صورة قصص قصيرة على السنة البهائم فقد حدثوا أن ارنبا التقط تمرة ،فاختلسها الثعلب واكلها ، فانطلقا يختصمان الى الضب ، فقالت الارنب : يا أبا الحل (وهي كنية الضب).

قال : سميعا دعوتِ .

قالت : أتيناك لنختصم اليك .

قال : عادلا حكّمتما .

قالت : لقيتُ تمرة .

قال : حلوة فكليها .

قالت : فاختلسها الثعلب .

قال : لنفسه بَغَى الخير .

قالت : فلطمته .

قال : بحقكِ أخذت .

قالت : فلطمني .

قال : حرٌ انتصر .

قالت : فاقض بيننا .

قال : قد قضيتُ

كتاب : كليلة ودمنة

وقد ترجم ابن المقفع في صدر الدولة العباسية كتاب (كليلة ودمنة) ، وقد وضع هذا الكتاب الفيلسوف الهندى البرهمي (بيدبا) في ضروب الحكمة ، وتهذيب الاخلاق ، وسياسة النفس والاهل والناس والدين ، بخيال جميل على السنة الحيوان . وهذا الكتاب جامع بين اللهو والجد ، والهزل والحكمة ، لترتاض به نفوس الخاصة ، ويقبل عليه الشبان والاحداث . وقيل ان ابن المقفع هو الذى وضع الكتاب ونحله الهند . وكيفما كان الامر ، فان الغرض من الكتاب هـو بث النصيحة في صورة قصة خيالية طريفة ، ثم نظم هذه الحكايات أبانُ بن عبد الحميد اللاحقى، وقدم كتابه ليحيى بن برمك وأولاده .

كتاب : ثعلة وعفرة

كما ان سهل بن هرون صاحب (بيت الحكمة) في عصر المأمون وضع كتابا أسماه (ثعلة وعفرة) ، اخترع قصصه ، وابتدع أمثاله ، وعارض بـه (كليلة ودمنة) ، فأثابه المأمون عليه ، واشتهر الكتاب ، وذاع صيته .

كتاب : الصادح والباغم

ثم وضع ابن الهبارية المتوفي سنة ٥٠٩هـ . كتابا في الفى بيت ، وسماه (الصادح والباغم) على

مثال كليلة ودمنة ، وحكاياته شائقة ، تذوب رقة وانسجاما .

حكاية الكلب والحمامة ، لشوقي

اطلع شوقي ـ رحمه الله ـ على هذه الكنوز الادبية ، وتأثر بها الى حد بعيد في نظم حكاياته ، التي طبعها بطابع هذا العصر ، وخلع عليها ما امتاز به من رقة وقدرة على اصطناع الاساليب الشعرية السهلة ، التي تلذها الطفولة، وتجد فيها صورة مرحة تدخل عليها السرور ، وتتخلل هذه الصورة النصيحة الغالية ، والموعظة الحسنة ، تتدسس الى القلوب من ثنايا الحكاية، واليك أيها القارىء الكريم حكاية طريفة بالغة المغزى ، وهي : حكاية « الكلب والحمامة » ، يقول امير الشعراء :

حكاية الكلب مع الحمامة
تشهد للجنسين بالكرامة
قال : كان الكلب ذات يوم
بين الرياض غارقا في النوم
فجاء من ورائه الثعبان
منتفخا كأنه الشيطان
وهمّ أن يغدر بالأمين
فرقّت الورقاء للمسكين
ونزلت توا تغيث الكلبا
ونقرته نقرة فهبّا
فحمد الله على السلامة
وحفظ الجميل للحمامة
اذ مر ما مر من الزمان
ثم اتى المالك للبستان
فسبق الكلب لتلك الشجرة
لينذر الطير كما قد أنذره
واتخذ النبح له علامة
ففهمت حديثه الحمامة
واقلعت في الحال للخلاص
فسلمت من طائر الرصاص
هذا هو المعروف يا أهل الفطن
الناس بالناس ومن يعن يعن

ان الغاية التهذيبية السامية التي يقصد اليها امير الشعراء ، تبدو في البيت الاخير من هذه الحكاية اللطيفة ، ومما لا شك فيه ان المعروف ـ وهو فعل الخير والجميل ـ يتجلى في ذلك التعاون المتبادل بين بني الانسان .

حكاية الديك الهندى والدجاج البلدى

وهذه حكاية اخرى هي (حكاية الديك الهندى والدجاج البلدى) ، وفيها تبدو وطنية أمير الشعراء في الفكرة التي اوحت اليه وضع هذه الحكاية ، التي يهدف بها الى غرس بذور الوطنية العالية في نفوس الناشئين ، كما يبين لهم ان الحرية لا تبقى لمن يتمتع بها الا بالحرص عليها ، وعدم السماح للقوى ، بفتح الباب له ، حتى يطأ بقدمه القوية أرض الوطن ، اذ ان من الصعب بعد ذلك ان يُحمَل على الخروج . والحكمة تقتضي دائما ان يعمل الانسان على تجنب الخطر قبل وقوعه ، يقول رحمه الله :

بينا ضعافٌ من دجاج الريف
تخطر في بيت لها ظريف
اذ جاء هنديٌّ كبير العرف
فقام في الباب مقام الضيف
يقول حيّا الله ذي الوجوها
ولا اراها ابدا مكروها
اتيتكم انشر فيكم فضلي
يوما واقضي بينكم بالعدل
وكلُّ ما عندكمُ حرامُ
عليَّ الا الماء والمنام
فعاود الدجاجَ داءُ الطيش
وفتحت للعلج باب العش
فجال فيه جولة المليك
يدعو لكل فرخة وديك
وبات تلك الليلة السعيدة
ممتعا بداره الجديدة
وباتت الدجاج في أمان
تحلم بالذلة والهوان
حتى اذا تهلل الصباح
واقتبست من نوره الاشباح
صاح بها صاحبها الفصيحْ
يقول دام منزلي المليح
فانتبهت من نومها المشئوم
مذعورة من صيحة الغشوم

تقـول ما تلـك الشـروط بيننا
غدرتنـا والله غـدرا بينا
فضحك الهندىُ حتى استلقى
وقال ما هـذا العمى يا حمقى
متى ملكتـم السـن الارباب
قـد كان هذا قبل فتح الباب

حكاية النملة الزاهدة

وامير الشعراء ـ رحمه الله ـ لا يترك فرصة الا انتهزها ، ليسوق الى النشء حكمة جديدة ، او مبدأ خالدا ، او دعوة الى العمل .

وهذه حكاية اخرى هى حكاية (النملةالزاهدة)، فقد ادعت هـذه النملة الزهـد ، والتقشف والتصوف . والتصوف من المذاهب الدينية المبنية على تغليب الروح عـلى شهوات الجسم ورغباته المادية . ثم راحت النملة تلتمس القوت والعيش من جيرانها ، وعندما علمت جماعة النمل امر هذه النملة التنبالة الكسلى ثارت ، وانكرت عليها هذا الفعل ، ومنعتها من طلب الصدقة ، لان في عملها مخالفة لدستور النمل ، وما دستور النمل الا الجد والداب في العمل ابتغاء الرزق ، ولذلك حكمت جماعة النمل على هذه النملة بالصوم ، وعدم سؤال الناس ، اذا اصرت على كسلها . ثم ان من ادعى الزهد جدير به ان يصوم . ولا شك ان هذه دعوة صريحة الى العمل. وللدين الاسلامى في الحث على العمل منهج قوى . قال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يراه . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » . وقال اصدق القائلين : « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرَى » . وقال صلى الله عليه وسلم : « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » . وان الاديان كلها تدعو الى العمل . قال القديس بولس : « لا طعام لمن لا عمل له » . وقال شوقى رحمه الله :

سَعْيُ الفتى فى عيشـه عباده
وقائـد يهـديه للسـعادة

لأن بالسـعى يقـوم الكـون
والله للسـاعين نِعْمَ العـوْن

فـان تشـأ فهـذه حكايـه
تعـد فى هـذا المقام غـاية

كانت بأرض نملـة تنبـاله
لـم تسْلُ يومـا لذةَ البطالة
واشتهرت فى النمل بالتقشف
واتصفت بالزهـد والتصوُّف
لكن يقـوم الليل من يقتـات
فالبطـن لا تملؤه الصـلاة
والنمل لا يسعى اليه الحبُّ
ونملتـى شقّ عليهـا الداب
فخرجتْ الى التماس القـوت
وجعلـت تطـوف بالبيوت
تقـول هـل من نملة تقيّه
تنْعـم بالقـوت لذى الوَليّه
لقـد عَيِيت بالطـوَى المبرِّح
ومنـذ ليلتـين لـم أسبّح
فصاحت الجـارات يا للعـ
لم تترك النملـة للصَّرْصار
متى رضـينا مثلَ هذى الحال
متى مددنا الكـفَّ للسـؤال
ونحن فى هذا الوجود أمّـه
ذاتُ اشتهـار بعلو الهمّـه
نحمـل ما لا تصبر الجمالْ
عن بعضـه لو انهـا نِمـالْ
الم يقل مَنْ قوله الصـواب
ما عنـدنا لسـائل جـوابْ
فامْضِى فانّا يا عجوزَ نشنوم
نرى كمـال الزّهد أن تصُومى

حكاية القطة التى وجدها الشاعر فى حجرة نومه

ولا يفوت (شوقى) ان يغرس في نابتة الوطـن بذور الشفقة على الحيوان ، والرحمة به ، وهو لا يرمى بحكاياته الى تربية عاطفة الشفقة عـلى الحيوان فحسب ، بل يقصد الشفقة بأوسـع معانيها ، الشفقة على الانسان ، والشفقة عـلى الحيوان ، فيقص لنا حكاية لطيفة عن ضـيافة قطة له ، في ليلة من ليالى رمضان ، اشتد فيها البرد ، وتطاول الليلُ تطاولَ ليالى القُطب ، وقد التمست القطة قِرىً لها في مكان دافىء ، تضع فيه اجراءها ، فلم تجد ادفأ من حجرة نوم الشاعر ، فدلفتْ اليها ، وعولت على اتخاذها

ماوى امينا ، يقيها وصغارها غائلة البرد ، ولذع الزمهرير . وحينما فرغ الشاعر من سحوره انفلت مسرعا الى حجرته، يتحسس مخدع نومه، ففوجيء بصوت يشبه الفحيح فاندفع نحو مصدره ليتبين حقيقته ، ولشد ما ذُهل حينما راى القطة قد استاسدت ، واوقفت شواربها ، وانتفخ بطنها ، وانتفش ذيلها ، تحاول الذود عنها وعن فلذات كبدها. فامّنها الشاعر - رحمه الله - على نفسها، وبالغ في اكرامها ، واحسن اليها كل الاحسان ، يقول امير الشعراء :

لستُ بناسٍ ليلةً
من رمضانَ مرّتِ
تطاولتْ مثلَ ليا
لي القطبِ واكفهرت
اذ انفلتُّ من سحو
رى فدخلتُ حجرتى
انظر فى ديوان شعـ
ـر أو كتابِ سيرةِ
فلم يَرُعنى غيرُ صو
ت كمُواء الهِرّة
فقمت ألقى السمع فى السـ
ـتور والأسِرّةْ
حتى ظفرتُ بالتى
علىَّ قد تجرَّتِ
فمذ بدتْ لى والتقتْ
نظرتها ونظرتى
عاد رماد لحظها
مثلَ بصيصِ الجمرة
ورددت فحيحها
كَحنَش بقفرة
ولبستْ لى من ورا
ء السترِ جلدَ النَّمِرة
كرت ولكن ، كالجبا
ن قاعدا ، وفرَّتِ
وانتفضت شواربا
عن مثل بيت الابرة
ورفعت كفا وشا
لت ذنبا كالِمذْرة
لم أجزها بشرَّة
عن غضب وشرَّة

ولا غَبِيتُ ضعفها
ولا نسيت قدرتى
ولا رأيت غيرَ أم
بالبنين برَّة
رأيت ما يعطف نفـ
ـس شاعر من صورة
رأيت جِدَّ الأمها
ت فى بناء الأسرة
فلم ازل حتى اطمان
جأشها وقرّتِ
أتيتها بشربة
وجئتها بكِسْرةِ
وصُنتها من جانبىْ
مَرقدها بسِترتى
وزدتها الدفء فقرَّ
بتُ لها مِجمرتى
ولو وجدتُ مِصيَدا
لجئتها بفارة
فاضطجعتْ تحت ظلا
ل الامن واسبطرّتِ
وقرأتْ أورادَها
وما دريتُ ما قرَتِ

الى ان يقول :

أنت وأولادك حـ
ـتى يكبروا فى خَفْرتى

لقد احسنت وزارة التربية فى القاهرة صنعا حين جمعت تلك الحكايات وضمتها في كتيب صغير هو (منتخبات من شعر شوقى في الحيوان) . وقد وزعته فيما مضى باعتباره من كتب المطالعة الاضافية على طلبة السنة الاولى بالمدارس الثانوية وطالباتها . وكان من الواجب تقديم دراسة شائقة عن فن الحكاية في مختلف الآداب بين يدى هذه المجموعة حين يعاد طبعها على صورة جميلة ادنى من الكمال ، مع العناية بفن التصوير .

ورحم الله امير الشعراء ، والهمنا العمل بما نبه اليه، وحث عليه في ادبه القوى البارع. ■■

محمد عطية الابراشي

الصِّحَّة النَّفْسِيَّة

تعطيك أمْن الحيَـاة ورَفَاهة العَـيْش

اثْنَتَا عَشْرَة نَصِيحَة، تَطِيب بِها الحَيَاة

بقلم : الدكتور على أحمد علي

دكتوراه في التوجيه النفسي والتربوي (جامعة كولومبيا ـ نيويورك)

■ شهد القرن العشرون تطورا كبيرا في أساليب الرعاية ، وظهرت وخرجت للعالم الكثير من الكشوف المتصلة بأسلوب تشخيص الأمراض وعلاجها والوقاية منها . وتقدمت الجراحة تقدما كبيرا حتى شملت جميع أعضاء جسم الانسان وانخفض عدد الذين يموتون بسببها .

والانسان في سعيه الى الاهتمام بصحته البدنية يهدف الى ازالة الآلام التي تلحق به أو على الأقل التقليل منها ، وذلك حتى يستطيع ان يعيش في هدوء وحتى يتمكن من اداء عمله ومواجهة مسئوليات الحياة ، لأن اعتلال الصحة يعني استنزاف طاقاته في مواجهة المرض وآلامه ومتاعبه .

صحة البدن لا تكفي

ولكن هل في استطاعة الانسان ان يحقق السعادة والطمأنينة اذا استطاع في يوم من الأيام القضاء على المرض الذى يصيب بدنه فينغص عليه حياته ويقلق راحته ؟ وهل يستطيع الانسان ان يحقق لنفسه الاستقرار وهدوء البال اذا ما استمتع بالصحة البدنية ؟

والجواب على ذلك بالنفى ، فكثيرا ما نلاحظ أن البدن قد يكون سليما معافى ومع ذلك فصاحبه في قلق وخوف وهم مستمر ، والبدن قد يكون في اتم صحة ولكن صاحبه يعاني انعدام الامن والطمأنينة ، والنظرة المتشائمة الى المستقبل . وهذا يرجع الى اختلال الصحة النفسية .

ولنقف قليلا لنعرف المقصود بالصحة النفسية .

الصحة النفسية ، ما هي ؟

المقصود بالصحة النفسية هي قدرة الفرد على التوافق مع نفسه ، ومع المجتمع الذي يعيش فيه ، وهذا يؤدي الى التمتع بحياة خالية من التأزم والاضطراب مليئة بالتحمس والتفاؤل. والصحة النفسية تعني ان يرضى الفرد عن نفسه وان يتقبل ذاته كما يتقبل الآخرين فلا يظهر منه ما يدل على عدم التوافق الاجتماعي أو يسلك سلوكا اجتماعيا شاذا ، بل يكون في كل سلوكه متسما بالاتزان العاطفي والعقلي في كل الأحوال وتحت كل الظروف .

فالشخص الذي تتوافر فيه السمات السابقة هو شخص سوي من وجهة نظر الصحة النفسية .

حديث الناس في المجتمعات البدائية ، يدور اكثر على الأمراض البدنية

وقد يدهش القارىء اذاعلم ان مرضى النفوس يزيدون كثيرا على مرضى الأبدان . ومرضى النفوس قد يبدون قلة في بعض المجتمعات المتأخرة وذلك بسبب ضعف وسائل تشخيص المرض النفسي وانخفاض مستوى الوعي بين جموع المواطنين وكذلك انشغال الناس بأمراض البدن عن أمراض النفس .

الأمراض البدنية ، والنفسية ، بينهما ترابط

والأمراض النفسية، ان كان الحديث عنها في الكثير من الأحوال يدور منفصلا عن الأمراض البدنية،الا ان هناك ارتباطا وثيقا بينها . فالكثير من الأمراض التي تصيب البدن لها أسباب نفسية .

فبعض انواع الصداع الذي يصيب الراس ، وآلام الظهر ، وقرح المعدة ، كثيرا ما يمكن ردها الى الاضطرابات النفسية . وهذا يجعل علاج مثل هذه الأمراض مستحيلا ما لم ننفذ الىأساس المشكلات التيعاني منها الفرد وتساعده على حلها والتخلص منها .

وسائل الاعلام في الامم المتقدمة

وقد اهتمت الكثير من البلدان الأجنبية المتقدمة بالصحة النفسية للمواطنين في جميع القطاعات ، في المدارس ومعاهد التعليم ، وفي المصانع ودور العمل ،وفي المؤسسات الاجتماعية ودور العبادة وغيرها . واستخدمفي هذا التوجيه جميع وسائل الاعلام من سينما واذاعة وتلفزيون وكتيبات ونشرات ومحاضرات وغيرها . وقد روعي في برامجالتوجيه النفسيالمستوى الاجتماعي ومراحل النمو للأفراد الذين توجه اليهم هذه البرامج . فالبرامج التي توجه للأطفال تختلف عن البرامج التي توجه للمراهقين أو الشباب . كما ان محتوى هذه البرامج يتوقف على مستوىالطبقة الاجتماعية المستفيدة منها .

الشعور بالأمن عماد الصحة النفسية

يعطي علماء النفس اهمية كبيرة للشعور بالأمن Sense of Security كاساس للصحة النفسية ، فالفرد الذي يخرج للحياة ، وقد اعوزه هذا الشعور، يواجه الحياة ومشاكلها بارادة ضعيفة وعزيمة خائرة ، ذلك لأن الشعور بالأمن يعطي الشخص شعور الانتماء للمجتمع الذي يعيش فيه ويزيد من قدرته على التكيف مع الظروف المتغيرة للحياة التي تواجهه .

ويلعب البيت دورا هاما في تنمية شعور الأمنفي الانسانمنذ أيام الطفولة.

فادراك الطفل بأنه مرغوب فيه ، واحساسه بأنه موضع حب الوالدين والاخوة ، يزيد شعوره بالأمن . واحساس الطفل بأن الرابطة بينه وبين والديه قوية لا تؤثر فيها الظروف المتغيرة أو المشكلات اليومية الطارئة يقلل من قلقه . ذلك لأن الوالدين يعتبران بالنسبة للطفل مصدر الأمن ، فهما اللذان يزودانه بحاجته من الطعام والشراب ، وهما اللذان يحميانه ويقيانه الشرور والأخطار ، وهما اللذان يعملان على اشباع حاجاته الاساسية . ولا شك ان نمو الطفل في بيت يسوده المحبة والوفاق والتعاون يساعده على تكوين اتجاهات موجبة تجاه الناس الذين سيتعامل معهم في مختلف مواقف الحياة .

الصحيح النفس لا يهرب من مشكلات الحياة

يعتقد البعض أن الصحة النفسية تعنى اختفاء المشكلات والمصاعب من حياتهم ، والواقع أن هذا الاعتقاد فيه مجانبة للحقيقة ، ذلك لأن الحياة بلا مشكلات تصبح خاوية لا طعم لها . فالمشكلات بالنسبة للحياة كالملح بالنسبة للطعام ، بدونه يفقد الطعام مذاقه وطعمه .

ولكن الصحة النفسية تعنى قدرة على مواجهة المشكلات اليومية التى تقابله والعمل على حلها أو التكيف معها .

والأفراد في مواجهتهم للمشكلات يتبعون واحدا من الطرق الآتية :ـ

١) مقابلة المشكلات بانفعالات شديدة ، مثل الثورة أو الغضب أو الحزن أو الاكتئاب . وهذا الأسلوب في مواجهة المشكلات يؤدى الى استنزاف طاقة الأفراد دون أن يصلوا الى حل للمشكلات التى تواجههم .

٢) الهروب من المشكلات بدلا من مواجهتها . وكثيرا ما يستخدم الانسان بعض الحيل اللاشعورية كالتبرير والاسقاط وغيرها ، هربا من مواجهة الواقع ، وحتى يعفى نفسه من المسئولية . ومن امثلة ذلك الموظف الذى يفصل من عمله بسبب فشله في هذا العمل ، فلا يعترف بفشله الذى يتمثل مثلا في انخفاض مستوى ادائه للعمل ، أو ضعف قدراته ، وانما يروح يتهم الرؤساء بالتعصب ، أو زملاء العمل بالحقد عليه ، أو العمل بعدم مناسبته لاستعداداته . وقد يكون العيب كل العيب فيه ، ولكنه يلجأ الى التبرير Rationalization حتى يعفى نفسه مواجهة الواقع الذى قد يكون مؤلما في الكثير من الأحوال . وهو لا يدرى انه باتباعه اسلوب الهارب هذا ! انما يعطل حل المشكلات حلا واقعيا حقيقيا .

٣) مواجهة المشكلات بأسلوب فيه ذكاء ونزعة علمية . فبعض الأفراد ينظرون الى المشكلات التى تواجههم في حياتهم على انها امتحان لقدراتهم وفرصة لتعلم وسائل جديدة لحل هذه المشكلات ، ويعملون على اتباع الأسلوب العلمى في حل هذه المشكلات .

ولا شك ان هذا الأسلوب في حل المشكلات يؤدى الى طريق الصحة النفسية . اما مواجهة المشكلات بسيل من الانفعالات الشديدة او الهروب منها فهذا لا يؤدى الى النتائج التى يمكن ان نحصل عليها عن طريق مواجهة المشكلات بطريقة ايجابية .

مظاهر الصحة النفسية

قد يتساءل القارىء عن مظاهر الصحة النفسية وعما اذا كان من الممكن الاستدلال عليها كما هو الحال بالنسبة للصحة البدنية .

ان من مظاهر الصحة البدنية اختفاء الألم وأداء اعضاء الجسم لوظائفها على اكمل وجه ، وسلامة مختلف اجهزة

الجسم وغير ذلك من المظاهر التى يستدل منها على صحة وسلامة البدن .

والصحة النفسية شأنها شأن الصحة البدنية لها مظاهر معينة نستدل منها على توافرها ومن هذه المظاهر : ـ

١ ـ أن يكون لدى الفرد القدرة على مواجهة مشكلات الحياة وايجاد الحلول المنطقية لها .

٢ ـ أن يعيش الفرد في سلام مع نفسه وأن يحيا في سلام مع غيره في ظل علاقات اجتماعية سليمة .

٣ ـ الا يعيش الانسان لنفسه فقط بل يحس باحساس الآخرين ويعمل على سعادتهم كما يعمل على اسعاد نفسه .

٤ ـ أن يتمتع الفرد بقدر من فهم النفس . فبعض الأفراد يعوزهم فهم النفس لذلك كثيرا ما يتخذون قرارات غير واقعية في حياتهم وينحون في سلوكهم نواحيَ شاذة .

٥ ـ القدرة على اتخاذ القرارات السليمة في مواجهة المواقف والا تكون هذه القرارات التى يتخذها الفرد في حياته خيالية بعيدة عن الواقع .

٦ ـ الاستقرار في العمل والرضا عنه وعدم التنقل من عمل الى آخر بدون هدف واضح أو خطة مرسومة .

٧ ـ اقامة علاقات أسرية سليمة . فقد وجد أن الأفراد الذين يتمتعون بالصحة النفسية يكونون عادة أقدر من غيرهم على اقامة علاقات اسرية قائمة على أساس من الحب والاحترام المتبادل والتعاون .

٨ ـ مواجهة الفرد لنتائج أعماله بشجاعة وعدم التهرب من هذه النتائج .

٩ ـ القدرة على العمل مع الآخرين في تحقيق أهداف الجماعة .

١٠ ـ القدرة على التحكم في الانفعالات . وليس المقصود بالتحكم في الانفعالات الغاءها ، ولكن المقصود تنظيم هذه الانفعالات . وصدق قول رسول الله محمد « ليس الشديد بالصُرَعة ، وانما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

١١ ـ قدرة الفرد على التكيف مع نظم وقوانين وتقاليد المجتمع الذى يعيش فيه .

ومظاهر الصحة النفسية هذه ذكرناها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر .

نصائح تضعك على الطريق الى الصحة النفسية

فيما يلي عدد من النصائح والتوجيهات التى تضعك على الطريق الى الصحة النفسية . والواقع أن هذه النصائح والتوجيهات سهلة القراءة ، ولكن تنفيذها يتطلب من الفرد جهدا كبيرا ، ولكن ما يجنيه الفرد من ورائها يبرر هذا الجهد المبذول .

أولا : اذا كانت حياتك مليئة بالمخاوف والقلق ، حاول أن تملأها بالعمل الايجابى . فعادة ما يذهب هذا العمل بالكثير من مخاوفك وقلقك . فقد وجد أن النشاط الايجابى ، أيا كان نوعه ، يفيد كثيرا في هذا المجال .

ثانيا : حاول أن تعيش في الحاضر ولا تشغل نفسك كثيرا بأحداث المستقبل . فبعض الناس يقضون أيامهم الحاضرة في قلق وخوف مما قد يحدث في المستقبل . وكثيرا ما يأتى المستقبل بخلاف ما يتوقعون . ويجب الا يفهم من هذا أن الفرد عليه أن يغفل العمل للمستقبل والتخطيط له ، بل الواجب على الفرد أن يبذل الجهد الايجابى ويحسن السعى وليس عليه بعد ذلك أن يقلق أو يعيش

في خوف من النتائج او ما قد يحدث في المستقبل . وكذا الماضي . على الفرد الا يحزن كثيرا على ما فاته ولا ييئس من الفشل ، بل يجب ان يتخذ من هـذا الفشل طريقا للنجاح ، وعليه ان يسعى وليس عليه ادراك النجاح .

ثالثا : لا تدع توافه الأمور تشغل بالك ، ذلك لأن بعض الناس يشغلون انفسهم بالأمور الصغيرة القليلة القيمة . وهذا يستهلك منهم جهدا كان يمكن بذله فيما هو اهم من ذلك واكثر نفعا بالنسبة لهم . وهم بسلوكهم هذا يعيشون عيشة مليئة بالمشاغل التى لا مبرر لها .

رابعا : حاول ان تتمتع بالصحة البدنية عن طريق التغذية السليمة والتريض والاعتدال في جميع نواحي الحياة . فالمثل يقول « العقل السليم في الجسم السليم » . وقد وجد أن هناك علاقة بين الجسم والنواحي النفسية . وكلما صح جسمك كان هناك احتمال اكبر في التمتع بالصحة النفسية .

خامسا : حاول ان تناقش مخاوفك بأسلوب منطقي ، فعادة ما تختفي الكثير من هذه المخاوف من حياتك لأنها لا تقوم على اساس من الواقع او الحقيقة .

سادسا : اذا كانت بعض المشكلات تقلق بالك وتثير الاضطراب في نفسك فلا تحتفظ بهذه المشكلات لنفسك فقط . فبعض الناس يقيمون سياجا من الكتمان حول مشكلاتهم . وقد وجد ان هـذا اسلوب خاطيء في نظر الصحة النفسية ، ذلك لأن هـذه المشكلات تثير في النفس الكثير من بخار القلق والاضطراب ، فحذار أن تفعل ذلك لأنك في حاجة الى منفذ يخرج منه بعض هذا البخار حتى لا يسيء اليك . وهذا المنفذ يكون عن طريق ان تجد من بين معارفك من يستطيع ان تحكى له مشاكلك . فقد وجد ان هذا يسبب الكثير من الارتياح لك ويخفض من توترك النفسي ويجعلك اكثر قدرة على مواجهة هـذه المشكلات وايجاد الحلول المناسبة لها .

سابعا : حاول ان تجعل اهدافك في الحياة واقعية . ونعنى بذلك الا تكون هـذه الأهداف أعلى بكثير من مستوى قدرتك واستعدادك وامكانك والا تكون هـذه الأهداف اقل بكثير من هـذا المستوى .

فكثيرا ما يضع الناس لأنفسهم اهدافا غير واقعية . وهذا يؤدى الى فشلهم في تحقيقها والوصول اليها . والفشل يسيء كثيرا اليهم ، ذلك لأنه يفقدهم ثقتهم بانفسهم ويشعرهم بالنقص والعجز .

والانسان عندما يضع لنفسه اهدافا واقعية يزيد من فرصة نجاحه في تحقيق هذه الأهداف . وهذا النجاح عادة يؤدى الى مزيد من النجاح .

ثامنا : تعلم كيف تعيش مع غيرك من الناس ، وتعلم كيف تزيد اهتمامك بهم ، وان تشاركهم مشاعرهم وان تحس باحساساتهم . واياك ان تصبح كالذئب الوحيد الذى لا صاحب له . والنصيحة الذهبية التى تمكنك من العيش في سلام ووفاق مع غيرك هى ان تتذكر دائما ان الناس الذين تقابلهم وتتعامل معهم مختلفون في اشكالهم وقدرتهم واستعداداتهم وميولهم وقيمهم وفلسفتهم فى الحياة . فلا تتوقع من الناس ان يعاملوك جميعا معاملة واحدة ، ولا تتوقع منهم ان يؤدوا جميعا اعمالهم بنفس المستوى . وعليك الا تغضب اذا رايت تفاوتا كبيرا فى سلوك الأفراد تجاه موقف واحد فهذا امر تفرضه الفروق الفردية القائمة بين هؤلاء الأفراد .

تاسعا : حاول ان تبنى لنفسك نظاما من القيم Value System يقودك في بحر الحياة المضطرب. فالانسان عندما يكون

لنفسه اطارا اخلاقيا يوجه سلوكه ويحدد علاقاته بالآخرين ويزيد من بصيرته بحقيقة الاحداث والمواقف المختلفة التي تواجهه في حياته ، يصبح اكثر قدرة على التكيف لمطالب الحياة المتغيرة ويسير في هذه الحياة باقدام ثابتة ونفس مطمئنة .

عاشرا : حاول ان تحيا حياة بسيطة سهلة لا تعقيد فيها ، ذلك لأنك تجد بعض الناس في عجلة من امرهم وياخذون جميع الأمور ماخذ الجد ، حتى ساعات اللهو اصبحت الآن مصدرا للكثير من التوتر بالنسبة للافراد . فمثلا لعبة شعبية ككرة القدم ترينا كيف ان هذه اللعبة بدلا من ان تكون مصدر ترفيه وتسلية ومتعة ، اصبحت في الكثير من الاحوال مصدر توتر نتيجة للمنافسة القاتلة والتعصب الاعمى والتحدي المستهجن . وهكذا الحال مع الكثير من نواحي النشاط في حياتنا اصبح مليئا بالتوتر والقلق والتعصب والمنافسة القاتلة .

احد عشر : حاول ان تظهر على طبيعتك ، وحذار أن تظهر امام الناس بما ليس من طبعك . فبعض الناس يخرجون للغير بما يخالف طبيعتهم ، وهذا يحملهم جهدا عصبيا ثقيلا ويسيء الى صحتهم النفسية .

اثنى عشر : حاول ان تسترخي لمدة نصف ساعة كل يوم على الاقل . وقد يتساءل القاريء ما المقصود بالاسترخاء؟ والاسترخاء هو اسلوب لتهدئة النفس والاعصاب واعطاء الجسم والعقل قسطا من الراحة الارادية والاستجمام . والاسترخاء فن اتقنه الكثير من الاوروبيين حيث يستطيع الفرد ان يجلس على مقعد مريح وقدماه ممدودتان في وضع يقرب من الافقي ويجعل جميع عضلاته في حالة استرخاء تام وعقله في حالة من السكون والخلو من كل ما يشغله .

وحالة الاسترخاء هذه يستطيع ان يصل اليها الفرد اذا توافرت لديه الرغبة ، وبعد فترة تدريب طويلة . والذين مارسوا الاسترخاء يؤكدون انه يجدد نشاطهم ويزيد حيويتهم ويقلل من توترهم النفسي ويجعلهم اكثر قدرة على مواجهة الحياة باعبائها ومشاكلها ويضيف الى اعمارهم سنوات طويلة . ■■

د . علي أحمد علي

سخاء .. ام دهاء

● خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة ، وكان فتى جميلا ، فارسلت اليهما ان يحضرا عندها فحضرا . وجلست بحيث تراهما ، وتسمع كلامهما ، فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله ، علم انها تؤثره عليه . فاقبل على الفتى ، وقال : لقد اوتيت جمالا ، فهل عندك غير هذا ؟ قال نعم . فعدد محاسنه ، ثم سكت ، فقال له المغيرة : كيف حسابك مع اهلك ؟ قال ما يخفى علي منه شيء ، واني لاستدرك منه ادق من الخردل . فقال المغيرة واني اضع البدرة الكبيرة من المال في بيتي ، فينفقها اهلي على ما يريدون ، فلا اعلم بنفادها حتى يسالوني غيرها .

فقالت المرأة : والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني احب اليَّ من هذا الذي يحصي عليَّ مثقال الذرة ، فتزوجت المغيرة .

مسلمات خالدات

ذات الهجرتين

بقلم : سنيه قراعة

■ حلوة ريانة ، متفتحة ، عبقة الشذى ، طاهرة الأريج كزهرة الاقحوان النضرة ، شقت طريقها فى قلب الصخر ، وسخرت بالجدب الرهيب، وتعالى عودها نضرا، مياسا رطبا .. تلك كانت « هند بنت ابى امية سهيل بن المغيرة بن مخزوم » الذى أسماه قومه من سادات قريش « سهيل" زاد" الركب » لجوده الفائق وكرمه الشديد ، وبره ونداه ..

ولقد عبق أريج الزهرة الندية ، ربى قريش، وحملت النسائم طيبه الى كل بيت وناد ، فتطاولت الاعناق متشوقة متطلعة ، وهفت القلوب مشوقة متمنية ، وتطلعت العيون فى فضول ولهفة ، وحومت الارواح حول بيت أبى امية وكلها ترجو لو يقبل ان يسعدها وترضى بان تكون هند صاحبة العمر ، وشريكة الحياة ..

وكانت الصبية الساذجة ذات الحسن البارع والأصل العريق ، تخطو اولى خطواتها المشبوبة نحو الصبا الريق ، غريرة مرحة ، ساذجة، لا تقيم للدنيا وزنا ولا تشعر بأعباء الحياة ، ولم يكن يدور بخلدها ، ان اكثر من يد متلهفة كانت تدق باب بيت أبيها ، تسأله أن يجود عليها بهند السعيدة ، لتصفى من سعادتها ، وصباها ، على من سوف تكون من حظه كل سعادة وهناء ..

كانت هند فى عمر الورد النضر ، على أوراقه الريانة تتألق أنداء الفجر كحبات اللؤلؤ المضيئة الغالية ، وكانت الحياة تبدو فى عينيها ربيعا دائما مونق الخضرة ندىء الأزاهير رخى النسمات ، أحست وهى تعيش فى روضه كأنما هى طيف من طيوف المرح العبق أو أغنية عذبة يشدوها أرغن فى الليل نشوان ..

ولقد عز على ابيها أن يحسده قومه عليها ، وارضى نفسه أن تتسارع جموع شبابهم نحوه تطلبها منه . ولكنه حار ماذا يصنع ؟ وايهم يرد ، وأيهم يقبل ويجود عليه بالحسب والنسب والجمال والأصل العريق !!!

ولم تطل بالاب حيرته ، اذ وجد فى عبد الله بن عبد الأسد خير زوج للشابة المحظوظة فارتضاه لها وزوجها منه ، وانتقلت من بيت أبيها الى بيته الرفيع العماد ، لتبدأ حياتها الزوجية السعيدة الموفقة فى كنف شاب مخلص ، مجد ، امين ، كان العمل على اسعادها اغلى امانيه ...

ومرت الحياة بالعروسين هانئة ، هادئة ، رضية ، حتى شاء الله أن يقوى أواصرها ، ويدعم روابطها ، فرزق الزوجين الشابين اولى بناتهما سلمة الغالية ، التى بلغ من حب أبويها لها واعزازهما أياها، ان تكنيا باسمها السعيد فاصبح عبد الله بن عبد الاسد أبا سلمة ، ولم يعد لهند من اسم غير ام سلمة ..

واستمرت الحياة فى مسيرها الرتيب الذى عرفته مكة .. ضجة وحياة وعمل فى موسم الحجيج ، ثم صمت ، وموات يخيمان على الدور، ويفسحان فى المنتديات والسوامر ، كل مكان لكل

لهو ومفاسد وشرور وآثام ..

لقد كان مجتمع قريش مجتمعا منحلا ، شديد الفساد بينه وبين الفضائل تنافر وخصام رهيبان. وبرغم كرم الرجال وجودهم ونداهم ، ومسارعتهم الى النجدة والغوث وتسابقهم نحو المكرمات ، فقد كانوا سادرين فى غيهم وضلالهم .. لا عرف ولا دين ، ولا توقير لعبادات بل اباحة لكل خطيئة وترحيبا بكل اثم ، وتفاخرا بعد هذا بارتكاب الدنايا والشرور ..

مجتمع ظالم ، ما اسرع ما يلتهم قويه الضعيف فيأتى عليه ..

مجتمع لا روابط كريمة تربط بين اهليه ، غير روابط الشراب والرذيلة وممارسة الفسوق والعصيان ..

مجتمع عاش بالشر ، وتغذى بالفساد ، وارتكس فى حماة الخطيئة ، وتفتحت أبوابه للفسق والمجون والآثام !!!

مجتمع جاور بيت الله العتيق ، فجعل منه معرض أصنام وحجارة شوهاء ، بلغ من سفاهة الناس وجهلهم ، ان سعوا اليها حاجين ، واقاموا لها مواسم واعيادا وافراحا وسوامر كانت تهرق فيها دماء كل فضيلة ، ويباح كل محظور ، حتى العرض والشرف اللذان يفتديان بالأرواح ..

مجتمع ران عليه البغى وتحكم الشيطان ... فمرت به مواكب الاعوام ، وما صحا ، او فكر فى الاستيقاظ من حماة الاثم والبغى ، لينظر حواليه ، فيرى مشارق الانوار ..

مجتمع نام كعادته ذات ليلة فى حماة التردى ليستيقظ مع الصباح ، وقد اخذته القارعة ، وهزت جوانبه صيحة الحق ، وهدم باطل أهليه صوت رسول الله محمد بن عبد الله وقد وقف على نشز من الارض يكبر ويكبر وينادى باسم الله الحق الذى لا اله الا هو وحده بلا شريك ولا صاحبة ولا ولد ، ويقول لمن تجمعوا حواليه انه هو رسول الله اليهم جميعا يدعوهم الى نبذ الشرك والى الكفران بالصنم وعبادة الله الواحد الذى لا اله غيره ، يحيى ويميت ، فالق الاصباح مصرف الرياح ، خالق الليل والنهار ، تفرد وتعالى ، وهو على كل شيء قدير ..

وصاحت قريش صيحة الدهشة والعجب .. وضجت .. ضجة الحقد والكراهية .. وزمجرت فى وعيد وتوعد .. وفقد أهلوها جادة الحلم والصواب ، وغشيهم الذهول ، فتراجع العقلاء فى ذعر وراح السفهاء يسخرون .. وانقسم المجتمع المكى على نفسه ، وبدات دعوة الحق تاخذ مكانا فى أعماق القلوب ..

واسرع ابو سلمة الى داره وقد أخذ منه الذهول والعجب كل ماخذ .. وراح يقص على مسامع زوجته المتلهفة النبأ العظيم الذى سمع به كل من فى قريش من سادة وعبيد ..

وانصتت هند فى ذهول استحال دهشة لم تلبث ان اصبحت تساؤلا وعجبا ..

انها لتكاد تستشف الصدق فيما سمعت وانها لترى فيه الخير كل الخير والصدق كل الصدق .. وانها لتحس فى أعماقها ثورة على تقاليد القوم وعباداتهم العديدة ، وما توحى به هذه الارباب من رذائل وموبقات لا يمكن أن يوحى بها دين او يأمر اله . ..

وشعرت هند بالفرحة تغمر قلبها ، ومواكب النور تتقدم فيه لتطرد حشود الظلمات .. واهتز قلبها بالبشر وراحت تصغى ثم تسأل وتستفسر ، وقد تفتح القلب للدعوة تفتح اكمام الوردة للندى الطاهر الذى أيقظها لتسعد بموكب الصباح وتشهد الحياة تدب فى الاكوان ..

وارتاحت أم سلمة عن يقين الى دعوة محمد ، وقد استقرت فى أعماق وجدانها ، فاذا هى تشهد عن اقتناع بانه لا اله الا الله حقا ، وان الصادق محمد هو رسول الله صدقا ، وان كل عبادة تدين بها قريش باطلة ولا شك ، وانه من العار ان يستذل البشر عقولهم وافهامهم ويسجدوا للحجر ويسألوا الصنم ان يمنحهم الخير وان يدفع عنهم المحن والشرور !!

وهكذا آمنت ام سلمة هند ، وكذلك آمن زوجها ابو سلمة عبدُ الله بن عبد الأسد . ثم ها هما يتركان دارهما ويذهبان الى محمد لمبايعته واعلان اسلامهما بين يديه ، وطلب نصحه وارشاده وهدايتهما الى مزيد من الدين ..

وعادت أم سلمة وزوجها ، وقد ازدادا هدى وايمانا ، واستمساكا بدعوة محمد رسول الله .. وكتبا بذلك لنفسيهما فضل السبق الى دين الله الحق فكانا من أوائل المسلمين ..

وسارت الدعوة السمحاء بعد ذلك فى طريقها ، وراح سيدنا رسول الله يجاهد فى الله حق جهاده ، ويدعو الى دينه الحق ، مسفها أحلام قريش ، ساخرا من أربابها العاجزة ، لا يمر اليوم حتى يعجزها بآية ، أو يسكتها ببيان يقوى من

يقين القلة القوية التى اتبعته صلى الله عليه وسلم ويثبت من ايمانها العميق بالله الواحد القهار ..

وكبر فى عينى السفهاء أن يقفوا من محمد ودعوته موقف المجادلة ، دون أن يقدموا على عمل حاسم يحد من سطوة هذه الدعوة القوية ،ويرهب من يتابعون محمدا على دينه ويحول دونهم والانضمام اليه .. وفى نفس الوقت يفض عنه من التفوا حوله وآمنوا برسالته .

ورأت قريش أن خير ما تحمى به مجتمعها المتحل المنهار ، هو أن تهاجم الداعية العظيم ، وتقف فى وجه دعوته بالرعبوت والطغيان ليعتز باطلها وتعلو رايته ويقل شأن المسلمين ..

وبدأت فترة الصراع الظالم ، والبطش المقيت، وعدا العادون على القلة المؤمنة المستمسكة بإيمانها، فلم يزدها العدوان الا ايمانا وسخرت بالعذاب الباطش الشديد ..

واغضب السفهاء وأحنقهم أن جبروتهم لم يأت بثمرته المرجوة ، فراحوا يمارسون الوانا اخرى من العذاب فى المسلمين ..

كان المسلمون يومذاك فئتين .. الرقيق ، والاحرار .

وراحت قريش تعذب الرقيق اقسى عذاب . وهم على ايمانهم ثابتون .. بل ان بعضهم لقى حتفه واستشهد وهو مستمسك بدينه طامع فى رضوان الله ..

لقد عجزت قريش أمام يقين الرقيق ، وذهلت وجن جنونها .. وكذلك عجزت أمام الأحرار من السادة أصحاب العصبيات .. وعز عليها أن تقف عاجزة ، حائرة ، امام هؤلاء وهؤلاء فراحت تتشاور وتدبر وتتقارب رءوس سفهائها للقيام بعمل حاسم جرىء ..

ورأى محمد المبعوث بالهدى والرحمة والحنان وهو الذى جعله الله حريصا على من اتبعوه رءوفا بالمؤمنين .. رأى صلى الله عليه وسلم أمام رهبة التحدى المكى ، وقسوة الايذاء أن يطلب من المسلمين أن يهاجروا بدينهم حتى يأذن الله بالنصر الذى وعدهم به .

وهكذا خرجت فئات من المسلمين تاركة وراءها مكة وما حوت ، مهاجرين الى الحبشة. وفى حشود المهاجرين خرج أبو سلمة مع زوجته ام سلمة فكانت تلك هجرتها الاولى الى بلاد النجاشى ناجية بعقيدتها ونفسها من ايذاء طغاة قريش ..

وثار المجتمع العابث ثورة عارمة على محمد العظيم ، وقد رأى الى أى ذروة من القوة بلغت دعوته ، والى أى مدى استمسك بها المسلمون ، وكيف هانت فى سبيلها الوشائج والصلات بل .. والوطن أيضا ..

لقد كانوا فى قريش يصدقون كل شىء ، الا ان تهون مكة لدى اعز ابنائها وبناتها ، ويتركوها عن رضى واطمئنان ، ولا يتركوا دعوة محمد ولا يكفروا بدينه ، ويعودوا الى باحة هبل واللات والعزى ومناة ..

لقد تصدع المجتمع وانه لوشك ان يتهاوى وينهار ، فماذا تبقى للقوم لضمان بقائه وحمايته ، وهاهم أولاء صفوة الاهل يخرجون مهاجرين ...

وران الأسى على المجتمع المتحل العابث ، واقفرت الدور من اعز الأهل واخلص الأحباب ، وارتد كيد قريش الى نحورها واعتزت دعوة محمد وتزايدت قوة ومنعة وجاها ...

ومرت الايام ... وتتابعت الشهور ... والذعر فى قريش يتزايد ... وحنين الأهل الى الغائبين منهم يتضاعف ويعظم حتى امسوا ولا حديث لهم الا الرغبة فى عودة المهاجرين ...

وبعثت قريش سفراءها الى بلاط النجاشى يطلبون اعادة المهاجرين ، ولكن الحاكم الطيب السمح أبى أن يعيدهم ، وابقاهم فى رعايته وبعد أن سألهم عن امرهم قال : « ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، فوالله لا اسلمهم الى أيدى الاضطهاد » (١) وفشلت سفارة قريش وعاد رسلها بالخيبة والفشل اللذين كان لهما صدى ، ودوى رهيب فى المجتمع المتصدع المنهار ! ! .

وسار ركب الحوادث قدما ... ومرت مواكب الأيام ... وعاد الى قريش بعض المهاجرين ، وعاد فيهم أبو سلمة وأم سلمة ، وقد ظنوا ان حنين الأهل لهم ، وتشوقهم الى عودتهم سيحول دونهم ومعاودة الايذاء والترصد والتعذيب ، ولكن قريشا كانت هى هى .. وكان سفهاؤها هم هم ، على عهدهم القديم ... ضراوة ووحشية ، وكراهية مقيتة لمحمد وكل من تابعوه ...

وخلال هذه الفترات الدقيقة من تاريخ الجهاد

---

(١) ابن هشام ص ٢١٧ .

الديني في سبيل دين الله ، كان اهل يثرب قد تسامعوا بالدين القيّم ، واصغوا الى دعوة الحق ، وجاء وفدهم في موسم الحجيج الى مكة ، وتلاقوا مع سيدنا رسول الله ، وآمنوا بدينه ، وبايعوه على السمع والطاعة والاسلام ، وان يكونوا دعاة الى الاسلام حيث هم ...

ولقد طالب اليثربيون محمدا بالهجرة اليهم ساعة بايعوه ، ولكنه طالبهم بالتريث والصبر حتى يأذن الله بما يريد ...

وعاد اليثربيون الى بلادهم ... ولحق بهم « مصعب بن عمير » سفير محمد ليعلمهم الدين ويفقههم فيه ، ويقرئهم القرآن ..

وعظم شأن الدعوة في يثرب ... وتكاثر المسلمون هناك ... ونجح مصعب بن عمير في هداية القوم الى الاسلام ، حتى اعتز شأن المسلمين هناك ، واصبحوا قوة يعتد بها واصبحت يثرب موئلا للدعوة وملاذا وحِمىً لمن يريد الهجرة اليها من المسلمين ...

وزاد حقد قريش على محمد والمسلمين وقد عظم شأنهم في أرض جديدة ... وعادوا الى التربص والايذاء والبطش بالمسلمين ...

ومرة أخرى طلب الرسول الكريم ممن تابعوه أن يهاجروا الى مدينة يثرب حيث بدأ يسطع نجم الاسلام ، ويعظم شأن المسلمين ... وحيث المَنَعة والحِمىَ في رعاية اخوتهم في الله والدين ...

وبدأت جموع من المسلمين تترك مكة مهاجرة الى المدينة ... وهاجرت أم سلمة هجرتها الثانية في سبيل الله ...

ومرة أخرى تركت المسلمة المجاهدة الصابرة الديار والأهل والأحبة ، ورحلت ليستقر بها المطاف في يثرب ، فكانت بهذا أول ظعينة مسلمة تدخل المدينة مهاجرة من مكة ، وفازت بقصب السبق الأول الى التضحية في سبيل العقيدة وسميت عن جدارة .. « ذات الهجرتين » ...

وعاشت أم سلمة في المدينة قريرة هانئة ... وطابت لها الحياة هناك ... وألفت المجتمع المدني ، ولم تقصّر في مخالطة أخواتها من مسلمات يثرب ، فعاشت بينهن كواحدة منهن ، وكانت لديهن حبيبة البرة ، طيبة المعشر ، لطيفة الجوار ، ذات عقل راجح ، وبديهةٍ حاضرةٍ ورأي صائب ...

ومرت الأحداث تباعا ... وبدأ ميزان الأحداث يميل في صف المسلمين وواتتهم الريح رُخاء ... وهاجر محمد الى مدينته حِمىَ دعوته ، وكبّر المسلمون وهللوا وحمدوا الله ، اذ كان انتقال المهاجر العظيم الى يثرب نقطة التحول الكبرى في الدعوة العظيمة ، فخرجت من محيط الجهاد السلمي الى ميدان الجهاد العملي ، الذي فرض على أصحابه تقاليد جديدة من تقاليد الكفاح ...

وتربص المسلمون بالكفار ... وبدأوا يخرجون اليهم في سرايا استطلاعية لتقصي أخبارهم ، وقطع السبيل على تجارتهم ، وكأنما كان محمد بهذا يمهد لموقعة كبرى فاصلة يرى كفار قريش فيها كيف أعز الله الدعوة بالمسلمين ! ! .

وأحست أم سلمة بأنه لا بد وان يكون وراء هذا الخروج الجريء ما وراءه ... وأن الغد المرجو لا بد وان يشرق على مفاجئات لم تكن في الحسبان ، والهمها عقلها الراجح أن تسر الى أبي سلمة زوجها بما جرى اليه الفكر ، وما تصورته من غد مشرق باسم المؤمنين ، وطلبت اليه أن يسهم مع المجاهدين في جهادهم ليكون له فخر السبق في ميدان الجهاد أو ... الاستشهاد الأعظم في سبيل نصرة دين الله ، فيكتب له أجر الصديقين ! ! .

واستجاب أبو سلمة لداعية الجهاد ... وخرج قوي القلب ، ثابت الوجدان ، ليتصدى لقريش ويروعها ويرعب سفهاءها ويزرع الخوف في أعماق قلوبهم اجمعين ، ليعرفوا أن الاسلام قوة ، وأن الله لا بد وأن ينصر الحق ويخذل الظالمين ...

وحقق المسلمون وفيهم أبو سلمة نصرا بعده نصر ... وحبب الله اليهم الجهاد ، واقرّ به عيونهم ، فاسرعوا يتسابقون الى ميدانه ، ليعودوا منه بزاد وافر من الامجاد يتحدثون به في سوامرهم وفي عقور ديارهم ..

واسعد امَّ سلمة المجاهدة أن ينال زوجها الباسل هذه المكانة ... وأن تكتب له في صحائف النضال الشاق ، هذه الأمجاد العظيمة الباهرة ، وراحت في غمرة اعجابها به تتصور الغد ، وقد اتسعت رقعة النضال واستطارت شرارته ، وتعالت ألسنة نيرانه ، وقد ركبت قريش العابثة راسها وخرجت في خيلها وخَيَلائها تحاول الرد على المسلمين بأسلوب الحرب والقتال ...

ولقد حدث هذا فعلا ... وكانت موقعة بدر الكبرى ذات الدوي الأعظم والأثر الكبير الواضح في تاريخ الدعوة الاسلامية، اذ أيد الله عباده بنصره ، وامدهم بجنود لم يروها ، وكتب سبحانه وتعالى للفئة القليلة المؤمنة النصر على الفئة الكثيرة الباغية ... وعادت قريش كسيرة مهزومة ، بعد

ان فقدت القادة والسـادة ، وخسرت الأمجاد والصيت العـريض ، لتفكر فى فداء اسراها ، والرضوخ لأمر محمد فيهم ...

وعاد المسلمون الى المدينـة ، يكبرون ويهللون ويحمدون الله على نعمة النصر .. وعاد معهم جرحاهم ممن كان لهم فى الجهاد شأن أى شأن وفيهم أبو سلمة الذى أصيب فى « بدر » بعديد من الجراح كانت دليل شجاعته ، وبرهان مقدرته على خوض غمار الحرب فى قوة ومقدرة واعتداد ...

وقامت ذات الهجرتين ام سلمة على رعاية زوجها وتمريضه وتضميد جراحه حتى شفى منها ، وقد امتلأ بروح جديد ، وعزيمة وثابة جعلته يسرع الى الصف من جديد مجاهدا فى سبيل نصرة ديـن الله ...

وكانت موقعة « أحد » الرهيبة ... ودارت رحاها بما روّع وأذهل وأثار الرعب ، ومال ميزانها مرة فى صف المسلمين وأخرى فى جانب قريش ... ومشى الخوف فى القلوب ، وبلغت الأرواح الحناجر ، وانتشرت الشائعات المخيفة ولولا ثبات طائفة من المسلمين الى جانب سيدنا رسـول الله وفيهم أبو سلمة الشجاع لتغير يومها وجه التاريخ ...

وعاد المسلمين من « احد » وراية النصر ترفرف فوقهم ... عادوا وهم يذكرون الوغى وأبطال اللقاء أولئك الذين جادوا بالروح ليحموا سيدنا رسول الله ، ويـردوا كيد أعداء المسـلمين ، ويتشبثوا بالنصر حتى أتمه عليهم الله ...

وقد أبت « احد » فى معمعان رهبوتها الا أن تترك فى جسد أبى سلمة آثار بطولة لا تمحى تشهد بثباته وعزيمته ، ومدى ما قام به فى حومة الصراع من كرّ ، وثبات ...

لقد كانت جـراحا خطرة ، نافذة لولا حنان أم سلمة ومقدرتها على التمريض لقضت على المجاهد الباسـل الذى لم يكد يشفى منها ، حتى عاد ليتصدر صفوف المجاهدين ويقود السرايا المظفرة التى وجهها رسول الله الى القبائل المجاورة ليثبت لها بعد « احد » أن المسلمين قوة مـا زالت فى العنفوان وأنها قادرة على أحراز النصر وخوض المعارك كل المعارك من جديد ...

وعقد سيدنا رسول الله لأبى سلمة لواء السرية التى خرجت لتأديب بنى أسد ، وكان تحت أمرته فيها بعض كبار قادة المسلمين أمثال أبى عبيدة عامر بن الجراح وسعد بن أبى وقاص وأسيد بن حضير ...

وسار أبو سلمة على رأس السرية الى مواطن النصر فحقق غايته وغاية المسلمين ، وأعاد لهم سابق هيبتهم ، ورجع بالغنائم والأسلاب ، وكان الارهاق قد بلغ منه مبلغه ، وتفجرت بعض جراحه القديمة ، فلحقه الضنى ، وعدت عليـه عوادى انتكاس الجرح ، واشتدت به العلة ، وعز الدواء ، واخذت المنية تطوف بالبيت السعيد ، وتقترب من المجاهد العظيم الذى كان يسلم الروح وسـيدنا رسول الله الى جانبه يواسيه ويثبت وجدانـه ويبشره بالجنة والرضوان ...

ومات أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد شهيدا، راضيا مرضيا عنه ... وترك وراءه السـيرة العطرة الباقية ، وقصة البطولة المجيدة ، والثبات الأكيد على المبدأ ، والاستهانة بالروح والوطـن والأهل والأحبة فى سبيل الله ...

مات أبو سلمة ... وترك وراءه أرملته ذات الهجرتـين أم سلمة ، المجاهدة الثابتـة الايمان الراجحة العقل ، الحسنة الترتيب ... تركهـا وصغاره لرعاية الله ...

وعادت الحياة تسير سيرتها فى مدينة رسـول الله ... ومرت الشهور ... واندملت بعض جراح ذات الهجرتين ... فتقدم لخطبتها أبو بكـر الصديق فردته ردا جميلا ...

ومرت شهور أخرى وحاول عمر بن الخطاب نفس المحاولة ، فتقدم لخطبتها فردته أيضا هو الآخـر .

وسمع سيدنا رسول الله بما حدث من أمـر ذات الهجرتين ، فذهب اليها مواسيا فى مصابها ، متفقدا أمورها ، وقال لها صلى الله عليه وسلم :

ـ يا أم سلمة ... سـلى الله أن يؤجرك فى مصيبتك ، ويخلفك خيرا ...

وزفرت ذات الهجرتين عن كبد حرى ثم بكت وقد راحت مع سيل الدمع المنهمر تذكر عمْرًا تولى بأحداثه وذكرياته الوضيئة الغالية ! ! .

عادت ذات الهجرتين الى شبابها الأول وأيامه ، ثم الى يوم تزوجت من أبى سلمة السمح البطل المؤمن ، الذى فتح الله قلبه للايمان كما فتح قلبها فأخلصا للعقيدة وضحيا معا فى سـبيلها ومن أجلها ، وهاجرا الهجرتين معا من أجلها حتى شاء الله لهما أن يستقرا هنا فى المدينة المنورة ، فكانت الحياة الرغدة ، وكانت حـلاوة الكفاح وروعـة النضال ، وعظم الدور الذى قام به الزوج الشهيد حتى اختاره الله الى جواره ...

وهدات هند قليلا ، ثم توقفت امام مواساة رسول الله الكريم ، وهو يقول لها :

ـ سلى الله ان يؤجرك فى مصيبتك ويخلفك خيرا ..

ووجدت نفسها تقول فى ثبات وهدوء لرسول الله :

ـ ومن يكون خيرا من ابى سلمة يا رسول الله...

وامتن محمد على قول ذات الهجرتين ... وسكت طويلا امام هذا الاجلال الرائع لذكرى الراحل العزيز وكانما كان عليه الصلاة والسلام يخاطب نفسه هو الاخر مرددا قول هند أم سلمة :

ـ ومن يكون خيرا من ابى سلمة يا رسول الله .. ؟.

اجل .. من يكون خيرا من ابى سلمة ... رجل امن عن عقيدة ، وثبت على دينه ، وهاجر ، وتحمل ايذاء قريش وقاسى لوعة فراق الوطن والأهل والأحبة . ثم جاهد وحارب ، وشهد « بدرا » وثبت فى « أحد » وناضل وكافح وقاد السرايا وحقق النصر للمسلمين .. ثم مات شهيدا ولقى ربه راضيا مرضيا عنه ؟! .

رجل ... هذه صفحته ... وقصة حياته ... من يكون خيرا منه ؟!

وكان من عادة العرب انه اذا مات سيد منهم اسرع السادات من اقرابه الى بيته يواسون أهله ويتقدم اقربهم مرتبة من المتوفى فيطلب يد زوجته ويضمها الى بيته ، لا لسبب الا لحماية اهله وتوفير اسباب الحياة الكريمة لهم ولمن تركهم من بعده .

ومرت أيام ... وشاء الله القادر ان يكرم ذات الهجرتين ... وأن يعوضها عن ابى سلمة الطاهر النقى ، الأبيض الصفحة ، فامر رسوله ان يتقدم لخطبة هند ويلحقها بنسائه ويرفعها الى مراتب امهات المؤمنين ...

وارسل محمد الى ذات الهجرتين رسولا يخطبها هو « حاطب بن بلتعة » ، فلقيته هند احر لقاء واعزه وقالت له :

ـ مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم ... وان رغبته ، لأمر مطاع ولكن ... عد اليه وابلغه عنى انى امراة مسنة ، وام ايتام ، واكثر من هذا ، فانا شديدة الغيرة ... وليس لي شاهد من اوليائي ...

وعاد اليها « حاطب » بعد ذلك يقول لها : ان محمد صلى الله عليه وسلم يبلغها أنها ان كانت مسنة ، فهو اسنّ منها ولا يعاب على المرء ان يقال تزوج اسن منه ، واما أنها ام ايتام فالله تعالى سيكفيها ايتامها ، واما عن غيرتها فسوف يسال الله أن يذهبها عنها ، اما الأولياء الشهود ، فان حاضرهم وغائبهم سيرضى أن تكون زوجة لرسول الله ...

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من « ذات الهجرتين » ، ونالت بزواجها منه عليه عليه الصلاة والسلام ، ارفع درجة واصبحت ذات الهجرتين هى ام المؤمنين أم سلمة زوج محمد رسول الله .

وكانت ، رضيَ الله عنها ، ذاتَ عقل ورأى... وكانت المرأة محببة عند رسول الله ، قسم لها كسائر نسائه ، وعاشت مع اخواتها امهات المؤمنين اطيب واهدأ حياة ...

وكان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى ذات الهجرتين ام المؤمنين أم سلمة العقل الراجح والرأى السديد وسرعة التفكير ، والاهتداء الى أسلم الحلول والخواتيم ...

ولقد صحبت ذات الهجرتين سيدنا رسول الله فى كثير من غزواته ... وكانت معه صلى الله عليه وسلم يوم « الحديبية » وقد تبلبلت الخواطر بعد أن تم صلح النبى مع كفار مكة ، وظهور رغبته فى المسالمة والتسليم بما اصر عليه القرشيون ... حتى لقد غضب بعض المسلمين ، فلما أتم عليه الصلاة والسلام كتاب التحالف قال للمسلمين :

ـ قوموا فانحروا ثم احلقوا ...

وكانت دهشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيمة ، اذ بقى المسلمون حيث كانوا فى أماكنهم ولم يقم احد منهم طاعة وتلبية لأمر رسول الله الذى كرر أمره ثلاث مرات ، دخل بعدها خيمة ام سلمة وذكر لها ما كان من أمر المسلمين ...

واصغت ذات الهجرتين طويلا الى حديث زوجها العظيم ثم رفعت رأسها وقالت له صلى الله عليه وسلم :

ـ يا رسول الله ... اخرج ولا تكلم أحدا من المسلمين كلمة واحدة حتى تنحر هديك وتدعو حالقك فيحلقك .

وارتاح النبى صلى الله عليه وسلم الى رأى ذات الهجرتين ، واسرع فترك الخيمة خارجا فنحر ذبيحته ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأى المسلمون

ذلك أسرعوا بالقيام فنحروا ذبائحهم وأقبل بعضهم على البعض الآخر يحلق له وكلهم يضمر غما لأنهم لم يلبوا أمر النبي ساعة أمرهم ولم يسارعوا الى طاعته فور ذلك الأمر ...

وعاشت ذات الهجرتين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت خلافتى أبي بكر وعمر ... وحضرت خلافة عثمان ، وراعها ما ساد الناس في عهده من قلق وتربص وانصراف عنه وتآمر عليه ورغبة في الخروج والانقضاض على خلافته ، وعز عليها أن يحدث ذلك وأن يتفرق أمر المسلمين ويثورون على أميرهم ذى النورين عثمان ، فخرجت رضى الله عنها من عزلتها لتجاهد من جديد ، وتقدم ما عليها من حق الأمومة لعثمان والمسلمين ، وكانت لا تملك وقتها أكثر من النصيحة فتوجهت بها الى أمير المؤمنين قائلة :

« يا بُنيّ ... مالي أرى رعيتك عنك نافرين ، وعن جناحك نافرين ، لا تعف طريقا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها ، ولا تقتدح كان عليه السلام اكباه .. وتوخ حيث توخ صاحباك فانهما ثكما الأمر ثكما ولم يظلما ، هذا حق أمومتى قضيته اليك وان عليك حق الطاعة » .

ولكن شاء الله ، أن تتسع هوة الخلاف أيام عثمان ... وأن تثور عليه الرعية ... فاقدم المسلمون على الفتك به خلال الفتنة الكبرى ، فذهب مبكيا عليه ، تاركا وراءه صدعا رهيبا في صفوف المسلمين ، راحوا ولسنين طويلة يحاولون رتقه عبثا ، فكان خروج وتمرد وعصيان وابدال وتغيير في أداة الحكم ...

ولقد حدث بعد مقتل عثمان رضي الله عنه أن دخل رجل من بني تميم على أم المؤمنين أم سلمة تسألها عن عثمان بن عفان فقالت :

ـ شكا الناسُ منه ظلامةً فاستتابوه فتاب وأناب ، حتى اذا صيروه كالثوب الأبيض من الدنس عمدوا اليه فقتلوه ...

وذات الهجرتين رضي الله عنها كانت صادقة الفراسة بعيدة النظرة حين تدخلت بين عثمان ورعيته وقدمت النصح الى أمير المؤمنين ، حتى يعمل على تلافى الغضب ورتق الخرق قبل أن يتسع ، وأن حكمتها في التدخل لتبين بعد ذلك ، فقد انشق المسلمون على أنفسهم ، وانكرت فئة بيعة « علي بن أبي طالب » وخرجوا عليه ، ومعهم أم المؤمنين عائشة تطالب وهم معها يطالبون بدم عثمان بن عفان ...

وكانت ذات الهجرتين هي الوحيدة بين أمهات المؤمنين جميعا ، التي خرجت على العزلة والصمت واعترضت على عائشة لخروجها على أمير المؤمنين « علي بن أبي طالب » ومشايعتها للخارجين على سلطانه ، وتوجهت اليها بالنصيحة حتى لا يتسع الصدع وتعظم المصيبة ويتفرق المسلمون وتباح دماؤهم ، ولكن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لم تأخذ بنصيحة ذات الهجرتين واستمرت في طريق أصرت على أن تسلكه (١) .

وشهدت أم المؤمنين أم سلمة مغرب شمس الخلافة الراشدة بعد قتل علي ... وتولى معاوية ابن أبي سفيان وكيف أنه أمر بلعن علي ومن يحبونه على المنابر ...

وعز ذلك على ذات الهجرتين، وكبر في عينيها أن يصل الأمر بالمسلمين الى هذا الحد ، وأن يتناسى حكامهم في سبيل شهوة الحكم ، قداسة الروابط ، ويتغافلوا عن أقدار الناس ويجعلوا عمالهم وخطباءهم ينالون من « علي » ومن يحبونه ناسين فضله على الاسلام وقربه من رسول الله بل ... ووجدت أم المؤمنين أم سلمة أمام ذلك أن تكتب الى معاوية ناصحة فأرسلت اليه كتابا قالت فيه :

« أما بعد ... فانكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب ومن أحبه وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله ...

وتسلم معاوية الكتاب ... ولم يرد بكلمة على ذات الهجرتين ...

وعاشت أم المؤمنين أم سلمة حتى بلغت الرابعة والثمانين ، تروى الحديث ، عن سيدنا رسول الله ، وعن الزهراء ابنته صلى الله عليه وسلم ، وعن عائشة وعن ثقات الرواة ... ثم ماتت عام ٦١ من الهجرة ، ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة ... وطويت بوفاتها صفحة ناصعة من أنضر وأظهر وأفضل صحائف الجهاد في سبيل الله ومجد المسلمين .. ■■

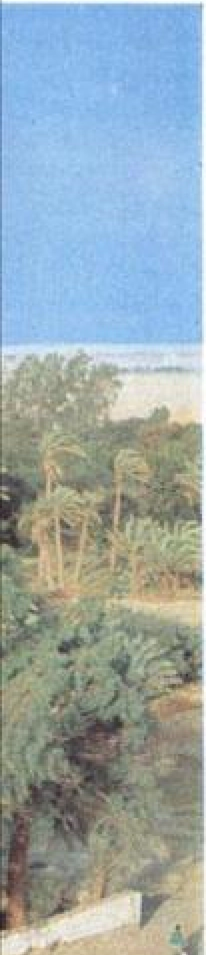
سنية قراعة

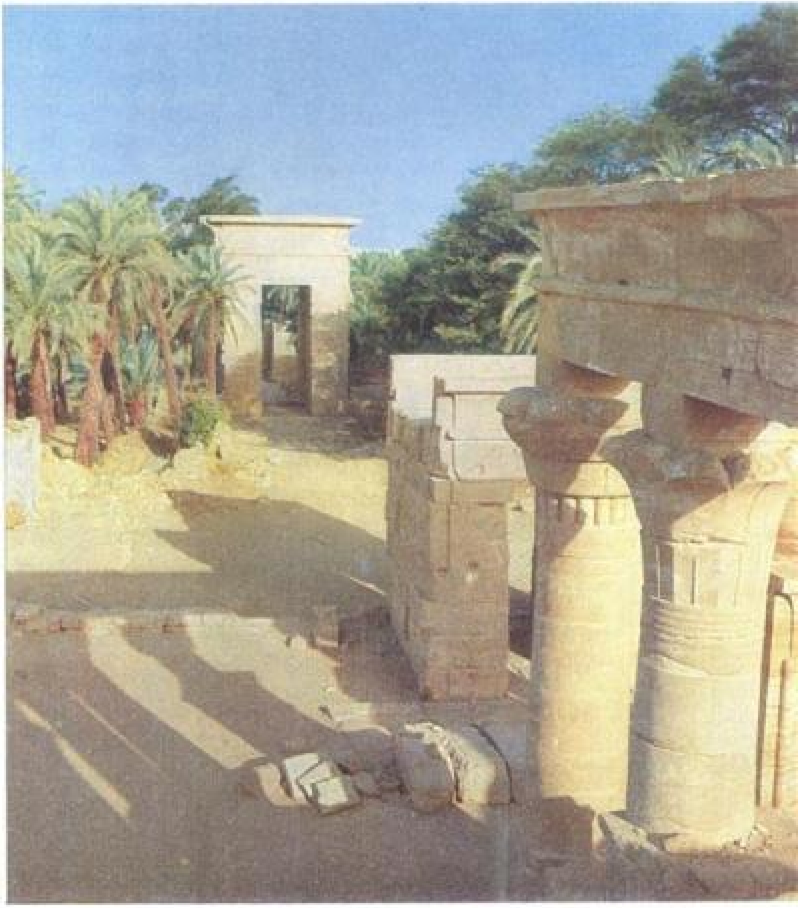
---

(١) ذكرت بعض المصادر أن أم المؤمنين أم سلمة أرسلت كتابا الى عائشة تنصحها فيه وتمنعها عن الخروج ، وأنا أستبعد تبادل الكتب بين جارتين التخاطب بينهما أقرب وأسرع وأكثر حسما للامور .

الوادي

اعرف وطنك أيها العربي





معبد هيبس .. أول ما يطالعك وأنت قادم بالسيارة من مطار الواحة الخارجة في الوادي الجديد، إلى قلب المدينة «مدينة الخارجة» التي قامت في وسط الصحراء .. ويرجع تاريخ هذا المعبد إلى آخر حكم الفراعنة الذي انتهى في عهد الأسرة ٢٢ .

إلى البساتين .. هكذا تألقت الحياة فوق رمال الصحراء .. بساتين خضراء وأشجار وارفة وأرض مستصلحة ومياه جوفية تتفجر من باطن الأرض .. والآلاف من الأيدي العاملة التي جاءت لتعمر وتطوع الأرض الطيبة تجني ثمار كدها وتعبها .

الجديد

قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف
وصوره
عبد الناصر شفره



■ تحملك «العربي» في هذا الاستطلاع الى منطقة بعيدة نائية في قلب الصحراء الغربية بالجمهورية العربية المتحدة .. الى الوادي الجديد .. لتقدم لك صورة للحياة التي قامت وسط الصحراء ، وفي وجه عواصفها العاتية وكثبانها الرملية الزاحفة .. انها صورة من صور كفاح العرب من أجل انتزاع الأرض الطيبة من براثن الصحراء ، وتوفير المياه اللازمة لريها .. انها قصة عمل كبير لا يهدأ ابدا من اجل حياة أفضل .

هناك في قلب الصحراء .. وعلى بعد ستمائة كيلومتر من القاهرة شاهدنا معالم الحياة الجديدة في «الوادي الجديد» ، ومن نافذة الطائرة التي أقلتنا استطعنا أن نلمس للوهلة الأولى ضخامة هذا العمل الذي بلغت تكاليفه منذ عام ١٩٦٠ حتى نهاية عام ١٩٦٥ ، عشرين مليونا من الجنيهات .

أين يقع الوادي

من أرض المطار في الواحة الخارجة ، وهي أكبر خمس واحات يتألف منها « الوادي الجديد » ، بدأنا رحلتنا ، لنسجل مشاهداتنا عن هذه المنطقة الجديدة من الوطن العربي الكبير .. ونبدأ بوصف هذا الوادي .

هذا المشروع يعتبر أكبر واصعب مشروع من نوعه ، يعتمد استصلاح الاراضي فيه أساسا على المياه الجوفية . لان البحث عن هذه المياه عبارة عن البحث عن المجهول ، ولان الخبرة العالمية فيه محدودة لمشقة العمل الذي يتطلبه وتعقيده .

ويقع « الوادي الجديد » غرب نهر النيل ، محاذيا واديه تقريبا ، وهو على بعد منه يتراوح بين ١٥٠ ، ٤٠٠ كيلومتر ، وهو يشمل في امتداده شمالا سلسلة من المنخفضات تشكل في مجموعها واديا كبيرا ، يبدأ من جنوب اسوان قرب حدود مصر جنوبا ، حتى منخفض القطارة في الشمال قرب ساحل البحر المتوسط ، ويضم الواحات الخارجة ، والداخلة ، والفرافرة ، والبحرية ، وسيوه .. وتبلغ مساحة هذا الوادي ٨ ملايين من الفدادين ، ومعظم أراضيه سهلة .

ولقد أثبتت الأبحاث والتجارب أن جزءا كبيرا من هذا الوادي يصلح للزراعة من حيث التربة ، وتقدر مساحة الارض السهلة الاستصلاح فيه بنحو ٢٠٪ من مساحته الكلية .

فقد ثبت كذلك أن هذه التربة التي تكاد تختفي تحت طبقة رقيقة من رمال الصحراء ، هي تربة طينية طميية ، وانها على الأقل كتربة وادي النيل من حيث جودتها وصلاحها للزراعة .

الغاية من هذا المشروع

ولنتوقف لنتساءل : « لماذا فكرت الجمهورية العربية المتحدة في هذا المشروع ؟ » .

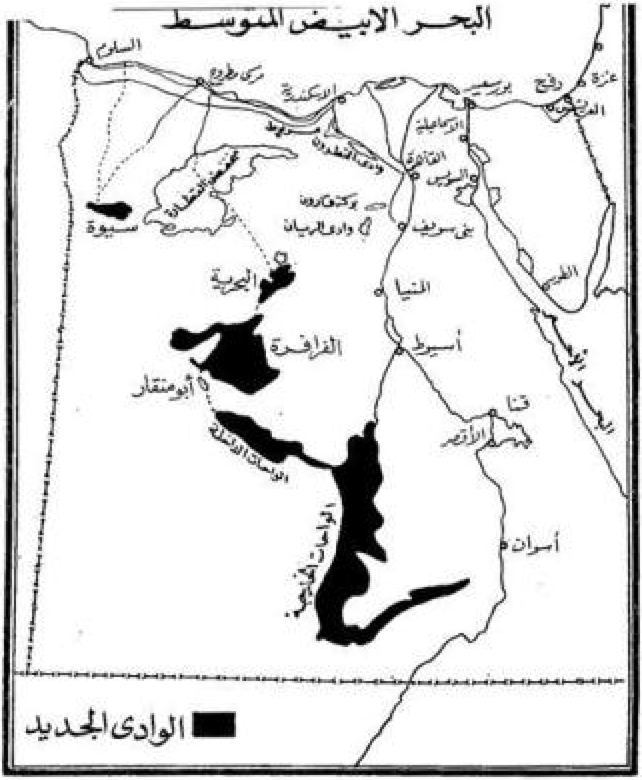
لقد كان الدافع الأساسي للنظر في مشروع تعمير

فتاتان من العاملات في صناعة المصنوعات من الصوف والخوص ، مثل الحقائب والقبعات الشعبية والحصر ، وتصدر هذه المنتجات لجميع انحاء الجمهورية



فلاحة تحتضن عنزتيها التوأمتين وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة سعيدة .. لقد جاءت مع زوجها الفلاح من مدينة سوهاج ليعيشا في الوادي الجديد





خريطة تبين موقع الوادى الجديد فى الجمهورية العربية المتحدة

الصحراء هذا ، هو زيادة متوسط دخل الفرد من ناحية ، ثم مواجهة الاعداد المتزايدة من السكان كل عام ، فقد قارب تعداد سكان الجمهورية العربية المتحدة ثلاثين مليونا ، ولعله قد فاتها الآن .

تعمير الصحراء

ويكفى أن ينظر المرء الى هذا الرقم ليدرك ضرورة البحث عن حلول سريعة لمواجهة مشكلة زيادة السكان . وقد اتجهت الدولة الى تنظيم استغلال كل مواردها ودفع عجلة الانتاج بالصورة التى تحقق أهدافها ، ووضعت الخطة الخمسية الأولى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية كخطوة أولى فى سبيل مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات . وفى سبيل التنمية الاقتصادية اتجهت الدولة الى التوسع فى استصلاح الارض الى اقصى الحدود ، معتمدة على مياه النيل المتوفرة من السد العالى ، وعلى موارد المياه الاخرى كالمياه الجوفية ومياه الامطار فى الصحارى .

وهكذا بدأ الاهتمام الجدى بتعمير ما يمكن تعميره من الصحراء الشاسعة التى تقع على جانبى وادى النيل كليهما ، وهذه الصحراء تشكل ٩٧٪ من مساحة الجمهورية العربية المتحدة ، ولا يزيد تعداد سكانها على ١٦٠ الف نسمة ينتشرون فى هذه المساحات الكبيرة من الأرض التى بقيت بلا استغلال جاد عهودا طويلة .

وفى شهر مايو من عام ١٩٥٩ ، انشئت « المؤسسة العامة لتعمير الصحارى » ، واعتمدت لها حكومة الجمهورية أول ميزانية فى أكتوبر من نفس هذا العام ، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الحياة تعرف طريقها الى الصحراء .

اليوم الاول الذى بدأ فيه تعمير الوادى

ونعود الى ذلك اليوم الاول الذى بدأ فيه مشروع «الوادى الجديد» يخرج الى حيز الوجود فى النصف الثانى من عام ١٩٥٩ لترسم صورة لبداية الحياة فى هذه المنطقة التى تؤكد آثارها التاريخية أن أعدادا كبيرة من البشر عاشوا فيها وعمروها ، فى عهد قدماء المصريين وعهد البطالسة والرومان ، حيث كانوا يزرعون القمح ويصدرونه الى مختلف أنحاء وادى النيل .

وتبدأ الصورة بتحرك قافلة من السيارات من القاهرة تتألف من ٢٠ سيارة تقل مجموعة من



مقر محافظة الوادى الجديد وهو بناء ضخم تم انشاؤه فى عام ١٩٦٥ ، ويتألف من اربعة طوابق . شيد على احدث الاساليب الهندسية ويقع على جانب شارع رئيسى بتوسط مدينة الخارجة .



المهندس عبد المجيد الجقيل ، مدير تعمير الصحارى بالوادى الجديد، انه المثل المحمود للمهندسين الشبان الذين يعملون تحت اشرافه ، فهو حركة لا تهدأ فتراه وسط الحقول وفى مناطق حفر الآبار وفى كل مكان .. وهو لا يبالى ان ينزل الى اى عمل صغر يعمل فيه بيديه ليتأسى به الآخرون .

عمارة حديثة من مئات العمارات السكنية التى شيدتها المؤسسة العامة لتعمير الصحارى على أحدث طراز وخصصتها لسكنى المهندسين والموظفين العاملين بمشروع الوادى الجديد ، وتتألف كل عمارة من عدة شقق مؤثثة ، يدفع الموظف ايجارا اسميا لها ، لا يزيد على ١٪ من مرتبه .



الجامع الكبير ويقع على مقربة من أكبر ميدان في المدينة ، ويعرف بميدان الشعلة .
وهو مسجد قديم شيد في عام ١٩٣٦ ، ويتسع لأكثر من ألف من المصلين .





أحد المهندسين الشبان الذين ساهموا في بناء الحياة الجديدة في الوادي الجديد ، يقوم بمسح للاراضي المستصلحة .

الشبان الفتيين من سلاح المهندسين . وانطلقت القافلة جنوبا في طريقها الى الوادي الجديد . ولما بلغت الصحراء الجرداء أخذت تشقها .ولكن لم تكد تنقضي بضع ساعات على بداية الرحلة حتى توقفت القافلة عن السير،فقد تعطلت السيارة الأولى اذ أصيب محركها بعطب ، ونزل ركابها ليحشروا أنفسهم متفرقين في السيارات التي تليها . ثم ما لبثت القافلة أن استأنفت سيرها حتى توقفت من جديد ، فقد تكرر الحادث وتعطلت السيارة الثانية والثالثة وما تلاها لوعورة الطريق .

عواصف ورمال

ووصلت القافلة أخيرا الى الواحة الخارجة ، بعد أن قطعت أكثر من ٧٠٠ كيلومتر هي المسافة ما بين مدينة اسيوط وبينها ، ثم نظر المهندسون الشبان حولهم .. فلم يجدوا سوى كثبان الرمال الساخنة تلمع امام أعينهم تحت وهج الشمس المحرقة ، وهبت الرياح عليهم برمالها وكادت تعصف بهم .. ولكنهم لم يتخاذلوا ، فقد كانوا يحملون جميعا قلوبا مؤمنة بالعمل الكبير الذى جاءوا من أجله .

وبداوا يعملون في جلد واصرار .. نصبوا خيامهم في وجه العواصف ، وناموا بداخلها ، فوق فرش قليلة خشنة .. وتحملوا شظف العيش الذى انتظرهم بعد ذلك . ولم تقف في وجههم عقبة .. لقد زادتهم الصعاب عزما واصرارا على المضي في عملهم حتى النهاية .

برنامج للبحوث والدراسات

كان هؤلاء الشبان المكافحون هم نواة العمل في هذه المنطقة النائية البعيدة عن كل مظاهر الحياة في الوادي الجديد . ثم مضت الأيام وعدد العاملين يتزايد ، وصورة الحياة تتكامل شيئا فشيئا .

وفي اوائل عام ١٩٦٠ وضعت « المؤسسة العامة لتعمير الصحارى » ، بالاشتراك مع مجموعة من رجال اليونسكو « والنقطة الرابعة » وهم الخبراء في ابحاث المياه الجوفية ، وضعت برنامجا للبحوث والدراسات بالوادي الجديد ، واستغرق تنفيذ هذا البرنامج ثلاثة أعوام ونصف عام .

وبدأ البحث عن العامل الأول الذى يتوقف عليه تعمير هذه الصحراء ، ذلك الماء .. فالأرض ، والزراعة ، والحياة ، والانسان .. كل شيء يتوقف وجوده ومصيره على الماء .. ومن أجل ذلك تركزت الجهود كلها في البحث عن المياه وتفجيرها من بطن الارض من ذلك الخزان الهائل من المياه الذى ثبت وجوده تحت ارض الواحات.

الخزان الجوفي الكبير

قال لنا المهندس ابراهيم الشرقاوى ، المشرف على الأبحاث الخاصة بالمياه الجوفية بالوادي الجديد ، ان هذا الخزان الجوفي يعتبر من أكبر خزانات المياه الجوفية في العالم ، ان لم يكن أكبرها اطلاقا . وهو يمتد ، فيما يمتد فيه من جوف الأرض . في الجزء الشرقي من ليبيا ، وصحراء مصر الغربية ، والمنطقة الشمالية من السودان ، وجمهورية تشاد .

اما قاع هذا الخزان فيوجد على أعماق تتراوح بين ٤٠٠ متر في جنوب قرية « باريز » بالواحة الخارجة وبين ٥ آلاف متر تحت سطح الارض عند ساحل البحر المتوسط. وتأتي المياه الجوفية التى تغذى هذا الخزان من الأمطار التى تهطل فوق مرتفعات تشاد وخاصة في منطقة جبال « تيبستي » و « عنيدى » في شمال جمهورية تشاد حيث توجد التكوينات النوبية على السطح في منطقة هطول الأمطار مما يساعد على تسرب المياه التى تتجه الى الشمال الشرقي نتيجة للانحدار الطبيعي لشمال افريقيا .

حفـر الآبار

وقال المهندس ابراهيم الشرقاوى انه عندما بدأت مؤسسة تعمير الصحارى نشاطها فى هذه المنطقة كان كل اهتمامها مركزا فى استغلال مياه الخزان الجوفى عن طريق حفر الآبار فى المنخفضات الأكثر ملاءمة للزراعة والتعمير والتطور ، وتبلغ مساحتها ١٠٠ الف كيلو متر مربع من مجموع مساحة الصحراء الغربية وهو ٥٢٠ الف كيلومتر مربع . وبعض هذه المنخفضات آهل بالسكان مثل الواحات الخارجة والداخلة والفرافرة وسيوه .

اما المنخفضات غير المأهولة فهى سهل جنوب « الخارجة » ، ووادى الريان جنوب الفيوم ، ومنخفض القطارة وهو اكبرها انخفاضا (انظر الخريطة المرفقة) . وقد كان من الطبيعى أن تركز مؤسسة تعمير الصحارى نشاطها فى المناطق المأهولة ذات التاريخ القديم ، فاعدت برنامجها الدراسى لأبحاث المياه الجوفية بالاشتراك مع الخبراء العالميين فى الواحتين الخارجة والداخلة . وبدأ العمل طبقا لهذا البرنامج فى عام ١٩٦٠ ، وينتظر الانتهاء منه فى عام ١٩٧٠ .

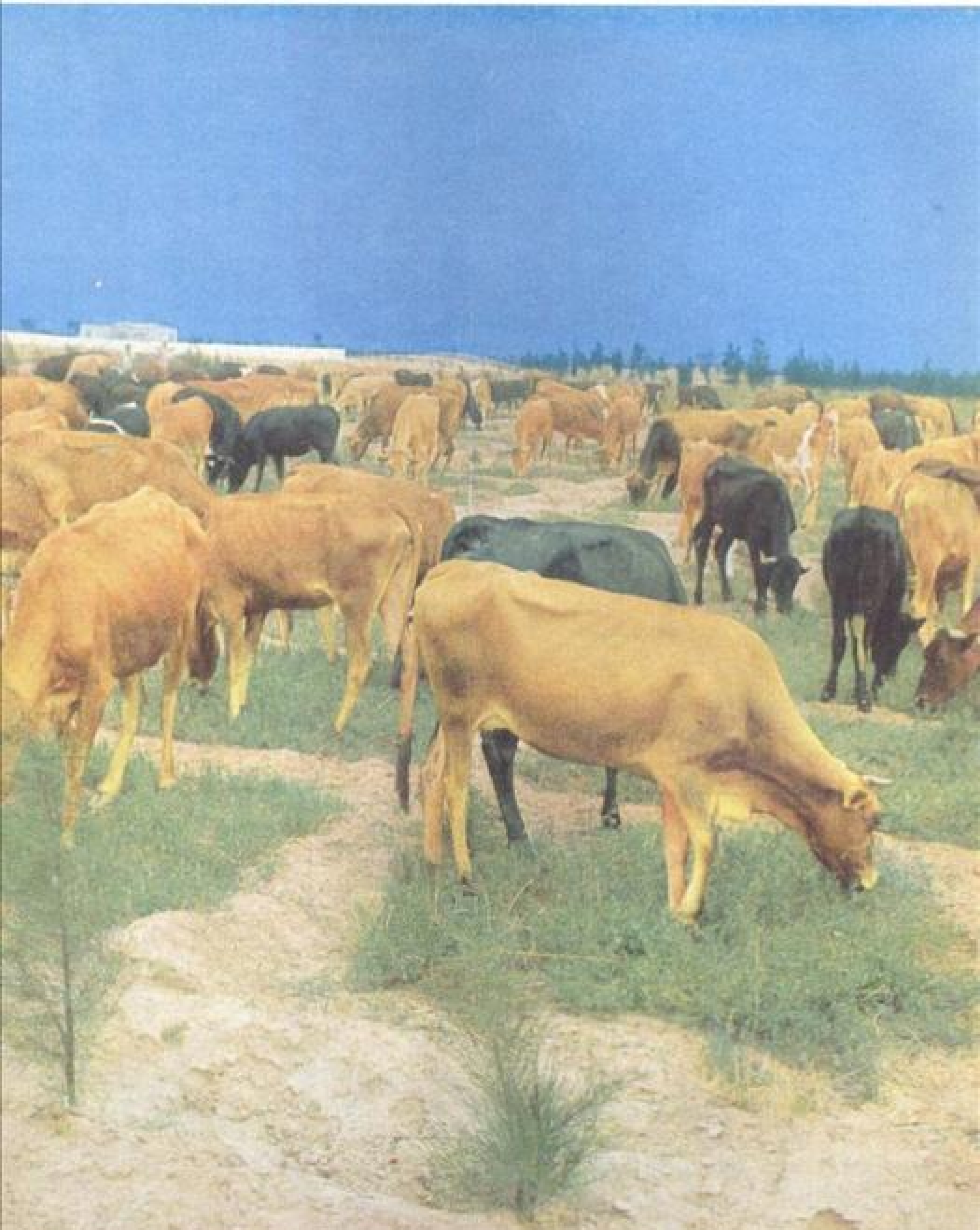
وبناء على ذلك يمكن القول بان كل مظاهر الحياة الجديدة والعمران الموجودة الآن فى الواحات ليست سوى صورة اولية لما يجب ان تكون عليه الحياة بعد عام ١٩٧٠ . بمعنى أن عملية التطوير الحقيقى للوادى ستبدأ بعد انتهاء هذا البرنامج الدراسى فى عام ١٩٧٠ .

استصلاح ٤٣ الف فدان

وفى خلال المرحلة الدراسية قامت المؤسسة بحفر عدد كبير من الآبار ، بعضها لأغراض الدراسة البحتة والبعض الآخر للدراسة والانتاج ، وحول هذه الآبار تمت عمليات استصلاح لمساحة من الأراضى بلغت فى مجموعها ٤٣ الف فدان ، أصبحت تزرع الآن بمختلف انواع المحاصيل فى الوادى الجديد كله . اما عدد الآبار التى تم حفرها حتى الآن على اختلاف انواعها ، فيبلغ ١٤٢ بئرا فى الواحة الخارجة و ١٠٦ آبار فى الواحة الداخلة ، كما تم حفر سبع آبار فى منطقة جديدة تقع بين الواحة الداخلة وواحة الفرافرة ، و ١٢ بئرا فى الواحة البحرية ويجرى العمل الآن لحفر ٣٢ بئرا فى البحرية والفرافرة .

عين باريز بالواحة الخارجة ، تحف بها أشجار النخيل من كل جانب ، ويشرب أهالى القرية من مياهها العذبة ويسقون منها زراعتهم وماشيتهم .





تربية المواشي من بين المشروعات الهامة التي عنيت مؤسسة تعمير الصحاري بها ، لتوفير الأسمدة العضوية اللازمة لتحسين خواص التربة ، وتمليك الملاك الجدد ما يلزمهم من ماشية . وقد تم استيراد أعداد كبيرة من الطلائق الأجنبية الممتازة لتحسين الإنتاج الحيواني وزيادته .



اشتهرت منطقة الوادى الجديد بانتاج الدواجن على اختلاف انواعها ، والديوك الرومية بصفة خاصة،وقد أنشئت مزارع للتفريخ فى الواحتين الخارجة والداخلة



البط البكينى ، نسبة الى بكين عاصمة الصين ، وقد نجحت تربيته بعد تفريخه فى مزارع التفريخ بالوادى الجديد ، ولا يكاد البط يكمل الشهر الأول من عمره حتى ينتقل الى بركة مليئة بالمياه الجوفية الجارية فى قرية المحاريق



ويوجد فى نفس الوقت برنامج آخر سيبدأ العمل فيه فورا لحفر ١٢ بئرا فى سهل يقع بجنوب الخارجة حتى قرية توشكا على نهر النيل فى منطقة النوبة ، والغرض من هذا البرنامج هو الدراسة والمراقبة .

الآبار الجديدة والقديمة

تلك هى الآبار الجديدة التى تم حفرها منذ بدء تنفيذ المشروع .

أما الآبار القديمة فى الوادى الجديد فيبلغ عددها الف ومائة بئر وعين ، وقد ظل الاهالى يستغلون مياهها منذ آلاف السنين .

ولكن معظم هذه الآبار القديمة تحصل على مياهها من الطبقة العليا فى الخزان المائى فى بطن الارض ، على أبعاد لا تتجاوز مائة وخمسين مترا . وقد تفادت المؤسسة عند بدء العمل فى حفر الآبار الجديدة الطبقة العليا من الخزان الجوفى ، وحفرت آبارها فى الطبقات العميقة منه ، حتى لا تؤثر الآبار الجديدة فى كميات المياه المستخرجة من آبار الأهالى ، التى كانوا يقضون فى حفر الواحد منها عشر سنوات أو تزيد ، كما يحدث الآن فى بئر الجويه الذى بدأ الأهالى يحفرونه فى عام ١٩٥٦ ، ولا تزال اعمال الحفر مستمرة فيه الى اليوم .

مشكلة حفر الآبار

وقد كانت المشكلة دائما هى التوصل الى طريقة اقتصادية وسريعة لحفر البئر الى أن تحقق ذلك أخيرا ، وبعد محاولات عديدة . ففى عام ١٩٠٥ ارادت شركة مصر للصحراء الغربية أن تقوم بمحاولة لحفر الآبار فى شمال الخارجة ، ولكن الشركة ما لبثت أن توقفت عن العمل فى عام ١٩١٤ بعد أن اكتشفت ان عملية حفر البئر غير اقتصادية، طريق استخدام البخار كقوة محركة لآلات الحفر . فقد كانت تستغرق فترة تزيد على عام كامل عن

وتلا ذلك محاولات أخرى قامت بها وزارة الاشغال فى عام ١٩٣٨ ، عندما شرعت فى حفر آبار فى الواحات الخارجة والداخلة باستخدام آلة الحفر الدقاقة Perioacussn Mhinec ولكن الآبار التى تم حفرها بهذه الطريقة لم يكن يزيد عمقها على أكثر من اربعمائة متر .

حتى جاء عام ١٩٥٢ ، عندما قام مجلس الانتاج وتفتيش رى الصحارى بحفر بعض الآبار باستخدام طريقة الحفر الدوارة Rotary ، ثم ما لبثت مؤسسة تعمير الصحارى ان طبقت هذه الطريقة مستخدمة نفس الجهاز ذى الكفاءة العالية الذى امكن عن طريقة حفر آبار على اعماق تزيد على الالف متر واصبحت عملية حفر البئر تتم فى شهر واحد على الاكثر بدلا من اثنى عشر شهرا ، وهى تعطى تصرفا يتراوح بين أربعة آلاف متر مكعب فى اليوم ، وتكفى هذه الكمية من الماء لرى ٢٥٠ فدانا فى المتوسط .

مشاكل أخرى كثيرة

ولكن المشكلة لم تنته بالانتهاء من عملية حفر البئر بطريقة اقتصادية وسريعة ، اذ نتجت بعد ذلك مشاكل اخرى، كان اولها أن المياه المستخرجة من الآبار لها خصائص سيئة تأكل بعض انواع الخامات التى تستخدم فى البئر ، ولذلك فقد كان من الضرورى التوصل الى طريقة لحفظ هذه الخامات . وقد قامت المؤسسة فعلا بدراسة هذه المشكلة الجديدة حتى توصلت الى علاج سريع نافع بعد القيام بسلسلة من التجارب المعملية والحقلية، وذلك عن طريق استخدام سبيكة خاصة من الصلب غير القابل للصدأ فى مصافى البئر .

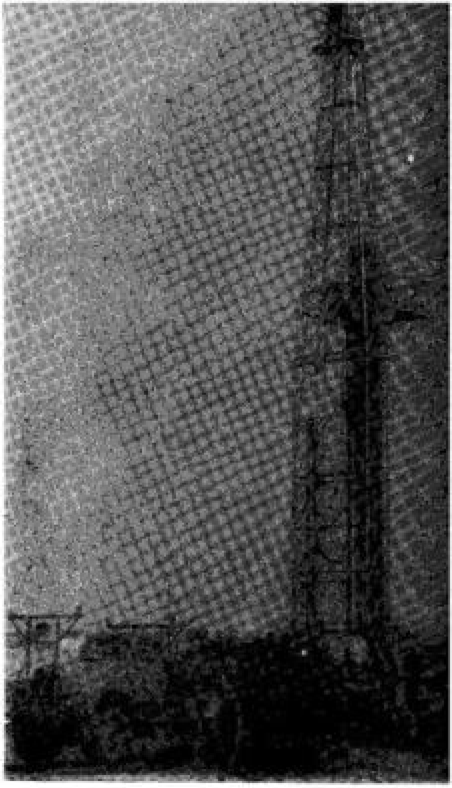
وثمة مشكلة ثانية، وكانت تتعلق بوضع التصميم المثالى للبئر ، بحيث يستطيع الاستمرار لمدة تزيد على ٢٥ عاما ، حتى يمكن أن يغطى تكاليفه التى تتراوح بين ٢٥ و ٣٥ الف جنيه للبئر الواحدة ، تبعا لعمقها ونوع الخامات المستخدمة فيها .

وهكذا تدفقت المياه من الآبار فى الوادى الجديد وبلغت تكاليف المياه الجوفية فى السنوات الخمس الأولى لبرنامج الدراسات حوالى ثلاثة ملايين من الجنيهات .

البحث عن الأجود والأصلح

وننتقل الآن الى الحياة التى خلقتها المياه فى الوادى الجديد .. الى الأرض التى روتها والناس الذين يزرعون هذه الأرض .. لقد تم تفجير المياه من جوف الأرض ، وبقى توفير الارض التى ستروى بهذا الماء وايجاد الأيدى التى ستعمل فيها .

وأرض الوادى الجديد خصبة صالحة للزراعة، كما قدمنا ، ولكنها تتفاوت فى درجة خصوبتها ، مثلها فى ذلك مثل أى أرض أخرى ، حتى لو كانت فى وادى النيل . وكان لا بد اذن من البحث عن



طريقة الحفر الدوارة ، وترى فى الصورة بريمة الحفر وهى تعمل فى الارض لتصل الى الماء .. ويتم حفر البئر فى شهر واحد ، وهى احدث طريقة لحفر الآبار العميقة .

الأجود والأصلح . ومن هنا بدأت دراسات جديدة .

تقسيم الدراسات لمراحل

قال لنا المهندس الزراعي خليل زايد ، المشرف على دراسات الأراضى والتجارب الزراعية ، ان ابحاث المياه واعمال حفر الآبار تسير جنبا الى جنب مع أبحاث الأرض وتصنيف التربة ، وهى تقوم على اساس من الدراسات والاختبارات العلمية الدقيقة التى يتولاها قسم الأراضى . وتشمل هذه الأبحاث جميع تلك المنخفضات فى هذه المناطق لتحديد انسب الأراضى واسهلها فى الاستصلاح وتصنيف التربة لاختيار الأراضى الصالحة للزراعة ، ثم تحديد المحاصيل المناسبة لكل نوع منها ، وينقسم العمل الى المراحل التالية :

المرحلة الاولى (حصر استكشافى) : والغرض منها استبعاد المناطق غير الصالحة من حيث التربة كمناطق الكثبان الرملية وغيرها .. ويتم عن طريق استخدام الصور الجوية ، حتى يمكن الحصول على نتائج سريعة تفى بالغرض ، ولكن نظرا لعدم توفر هذه الصور فى بادىء الأمر ، فقد تمت اعمال الاستكشاف على الطبيعة وبالاستعانة بالخرائط الطبوغرافية ، ما وجد منها ، الى أن قامت المؤسسة بتوفير الصور الجوية لمختلف المناطق الصحراوية .. وقد تم الآن الحصر الاستكشافى من الصور الجوية لكامل منخفضات الوادى الجديد ومرتفعاته .

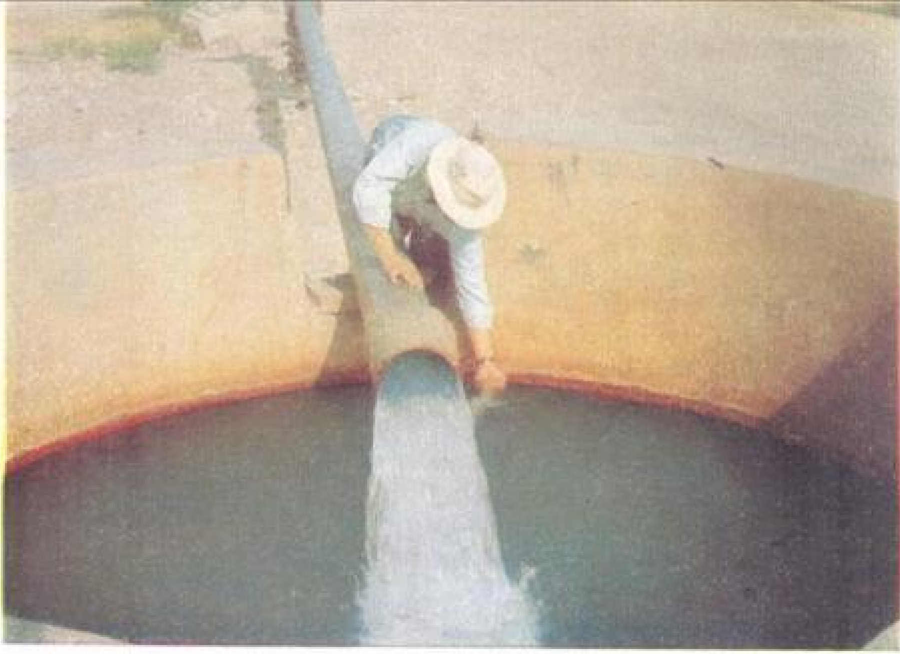
المرحلة الثانية (حصر نصف تفصيلى) : والغرض منها تحديد أراضى تصلح زمامات للآبار ، وتتم هذه المرحلة داخل نطاق الأراضى التى تم اختيارها ، وتجرى خلالها دراسة لخواص التربة بصورة اكثر تفصيلا حيث تقطع فى التربة قطاعات تتعمق فيها بمعدل ٤ قطاعات فى الكيلومتر المربع ، تؤخذ منها عينات من كل طبقة وتفحص كيماويا وفيزيائيا لتقرير صلاحيتها .. وقد تم الحصر النصف التفصيلى لمساحة تزيد على نصف مليون فدان .

المرحلة الثالثة (حصر تفصيلى) : وبناء على النتائج التى امكن التوصل اليها من هذه الدراسات فى المرحلتين السابقتين ، يتم اختيار الزمام الذى ترويه البئر التى سوف تحفر ، وعند اختيار موقع البئر من الزمام ، يراعى أن تحفر البئر حيث يكون مستوى الماء الجوفى فى هذا الزمام اعلى ما يكون ، ويعرف هذا من خرائط سبقت .. تكشف عنه مستويات المياه الجوفية فى سائر انحاء الزمام ، وذلك لكى يتسنى رى جميع الأراضى الواقعة فى الزمام بالراحة ، اى دون الالتجاء الى وسائل رفع المياه .

واذ تمهدت الارض والمياه التى سوف ترويها .. بقى وجود الانسان العامل فيها .. وقد جاء الفلاح الى الوادى الجديد يزرع الأرض الطيبة ويحصد نتاجها .. وجاء العامل ليعمل فى مصانعها .. وعاد اهالى الواحات الى بلادهم ، بعد ان كانوا قد هجروها الى وادى النيل سعيا وراء الرزق .

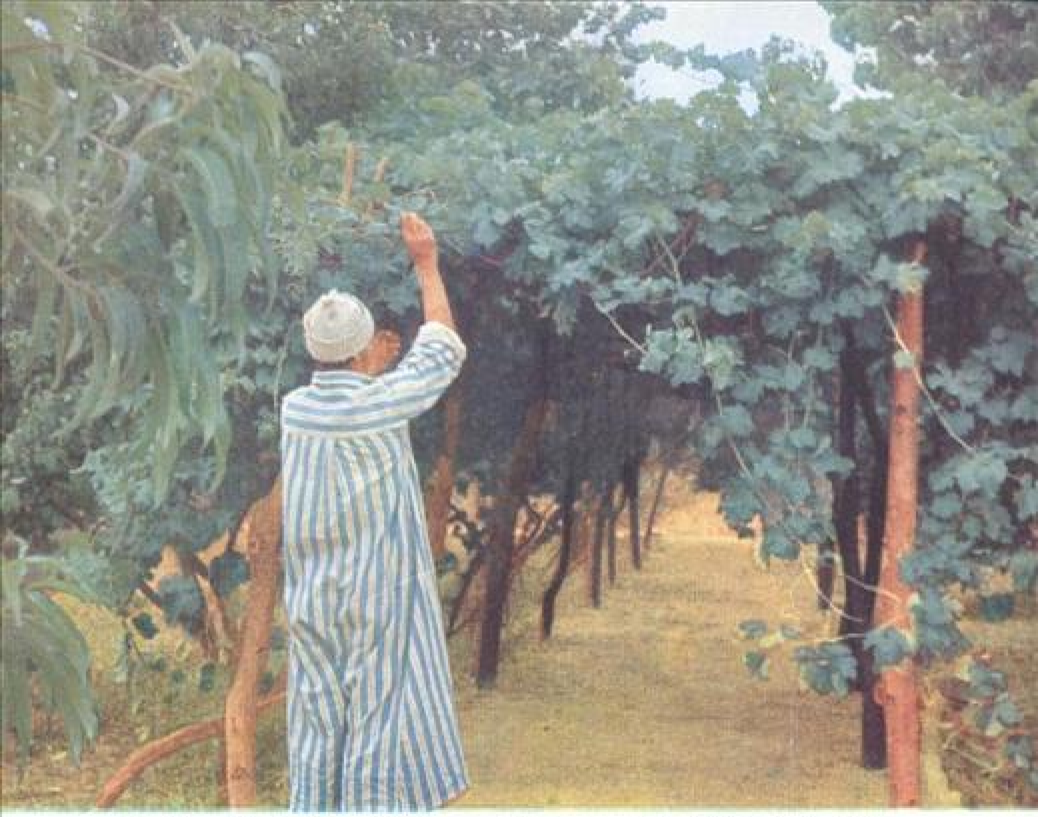
٥ أفدنة وبيت لكل فلاح

وفى هذه المنطقة الجديدة اصبح كل عائد او مهاجر جديد يمتلك قطعة ارض مساحتها خمسة



المياه تتدفق من احدى الآبار الحديثة التي تم حفرها في الوادي الجديد ويزيد عددها على الاثمائة بئر في الواحتين الخارجة والداخلة . **والى اسفل :** احدى قرى التهجير النموذجية بالوادي الجديد وترى المنازل السكنية الحديثة التي شيدتها المؤسسة ليسكنها الفلاحون وسط الحقول الخضراء الواسعة.





تزرع جميع أنواع الفواكه في الوادي الجديد ، وقد انتشرت بساتين العنب وأشجار المانجو والبرتقال واليوسفي . **والى أسفل :** فلاح من الوادي الجديد يحمل شيئا من انتاج أرضه من البصل ، وقد نجحت زراعته بصورة تدعو الى الدهشة ، فالبصلة الواحدة تزن كيلوجراما في بعض الأحيان .



افدنة ، ومنزل ريفى صغير مكون من غرفتين وملحقاتهما ، واثاث لكل مسكن فى حدود ٣٥ جنيها واعانة نقدية بواقع خمسة جنيهات شهريا لحين حصاد اول محصول ، ثم اعانة عينية تتكون من دقيق وارز وسلى وبقول ، وراس من البقر ، الى جانب خدمات الجمعيات التعاونية .

ونمضى بك الآن فى جولة سريعة لترى معنا صورة الحياة الجديدة فى الوادى الجديد . من هم الذين صنعوا هذا العمل الكبير ؟ كيف يعيش اهل هذه المناطق ؟ ما هى المشروعات التى تمت والمشروعات التى يجرى العمل فيها الآن ؟

٢٠ الف مهاجر جديد

ولا بد لنا هنا ان نشير الى حقيقة هامة ، وهى ان مشروع الوادى الجديد نجح فى توفير حياة جديدة لحوالى عشرين الف مواطن جديد حتى الآن ، وينتظر ان يتضاعف هذا العدد تدريجيا على مر السنين . فقد كان سكان الواحات التى يتألف منها الوادى الجديد قبل بدء العمل فى المشروع عام ١٩٦٠ ، ٤٠ الف نسمة ، فاصبح الآن ٦٠ الف نسمة . وهذا العدد الجديد من المهاجرين الذين جاءوا من مختلف انحاء الجمهورية العربية المتحدة ومن اهالى الواحات العائدين ، موزع الآن بين الواحتين الخارجة والداخلة ، حيث تجرى اعمال الانشاء والتعمير على قدم وساق .

١٥ قرية سكنية

وقد تم انشاء ١٥ قرية جديدة على الطريق بين مدينة الخارجة القديمة وقرية باريز، التى سميت باسم القائد الفارسى باريز ، ايام الحكم الفارسى لمصر وتحمل هذه القرى اسماء بلاد وعواصم وشخصيات عربية مثل الجزائر وبغداد وعبدالسلام عارف . والمسافة بين الخارجة وباريز ٩٠ كم تقطعها السيارة فى ساعة ونصف . وعلى جانبى الطريق تنتشر هذه القرى التى شيدت حديثا لتوطين المهاجرين الذين جاءوا ليعمروا الأرض الجديدة . وفى كل قرية من هذه القرى الجديدة يعيش عدد من الأسر يتراوح بين ٥٠ و ٦٠ اسرة فى المساكن الحديثة التى شيدت خصيصا لهم . وحول القرية تمتد الارض الزراعية التى وزعت على الأسر المهاجرة واصبحت ملكا لهم ، وتتراوح مساحتها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ فدان . وفى قلب هذه الارض تقع البئر التى تتفجر منها المياه لتمنح الحياة للارض وما فيها ومن عليها .

وفى كل قرية من هذه القرى الجديدة اقيمت وحدة صحية ، ومدرسة ، وجمعية تعاونية . ومن كل ثلاث او اربع قرى تتألف « الدائرة » او الوحدة الزراعية التى تتراوح مساحة الارض التابعة لها بين الف والفي فدان .

سور عال من الأشجار

ويحد القرية وارضها المزروعة سور عال من اشجار الجزورينا يدور حول القرية وأرضها ليصد عنها الريح والرمال ، ويمنع وصولها الى الزرع والى بيوت المزارعين . فالكثبان الرملية تحيط بالقرى من كل جانب ، ووراء هذه الكثبان ، التى تعلو احيانا وتهبط احيانا أخرى حتى تكاد تساوى بالارض ، تظهر الهضبة التى تحيط بمنخفض واحة الخارجة وواحة الداخلة معا ويتراوح ارتفاعها بين ٢٥٠ و ٣٠٠ متر .

وقد توفرت لأرض هذه القرى كل مقومات الحياة من رى وصرف واعمال تسوية ، وأيد عاملة تزرع وتحصد وتملأ الدنيا خيرا . وقد جاءت الآلة لتوفر الوقت والجهد ، فهنا جهاز تسوية الارض الخاص الذى يبلغ انتاجه حاليا حوالى الف فدان شهريا ، وهناك آلات الحرث الحديثة ، وآلات الحصاد والدريس .

وقسموا الارض ثلاثة اقسام وفى ثلث الزمام الاول تزرع الاعلاف البقولية وأهمها البرسيم ، وهو يضاعف من خصوبة الارض ، ويوفر العليقة لمشروع تربية الماشية . وسيأتى الحديث عن تربية الماشية فيما بعد .

اما الثلث الثانى من الزمام فيزرع بمحاصيل القمح والشعير .

وتدخل زراعة البساتين فى الثلث الاخير من الارض، وقد نجحت زراعة الفواكه بصورة ملحوظة واهمها المانجو والجوافة والمشمش والعنب .

كذلك الزيتون والنخيل . والنخيل اشتهرت به هذه المنطقة ، وفيها يبلغ عدد اشجاره ٤٠٠ الف نخلة والى ان تنمو اشجار الزيتون والنخيل تزرع الارض الفراغ التى حولها بالخضراوات . والطماطم والبصل بصفة خاصة .

مزرعة الأبقار والعجول

وقد تم تنفيذ مشروع تربية العجول والأبقار



فريق من المزارعين الجدد يقومون بتنظيف الارض من الحشائش الغريبة بالواحة الداخلة .. لقد جاء المئات منهم من مختلف انحاء وادى النيل ليشاركوا فى بناء الحياة الجديدة وسط الصحراء.

الذى بدأ العمل فيه مع مرحلة استزراع الأراضى، وحقق المشروع نجاحا كبيرا ، وقد كان الهدف منه هو تربية المواشى باعداد كبيرة لتوفير الاسمدة العضوية اللازمة لتحسين خواص التربة وزيادة خصوبتها من ناحية ، وتمليك المواطنين ما يلزمهم من الماشية . وقد عمد المسئولون الى استيراد الطلائق الاجنبية الممتازة لما يتيحه الخلط بها من وفرة فى انتاج اللحوم والالبان وتحسين الانتاج وزيادته ، حتى يمكن تحقيق الاكتفاء الذاتى من السلالات الناتجة عنها وتصدير الفائض منها الى وادى النيل .

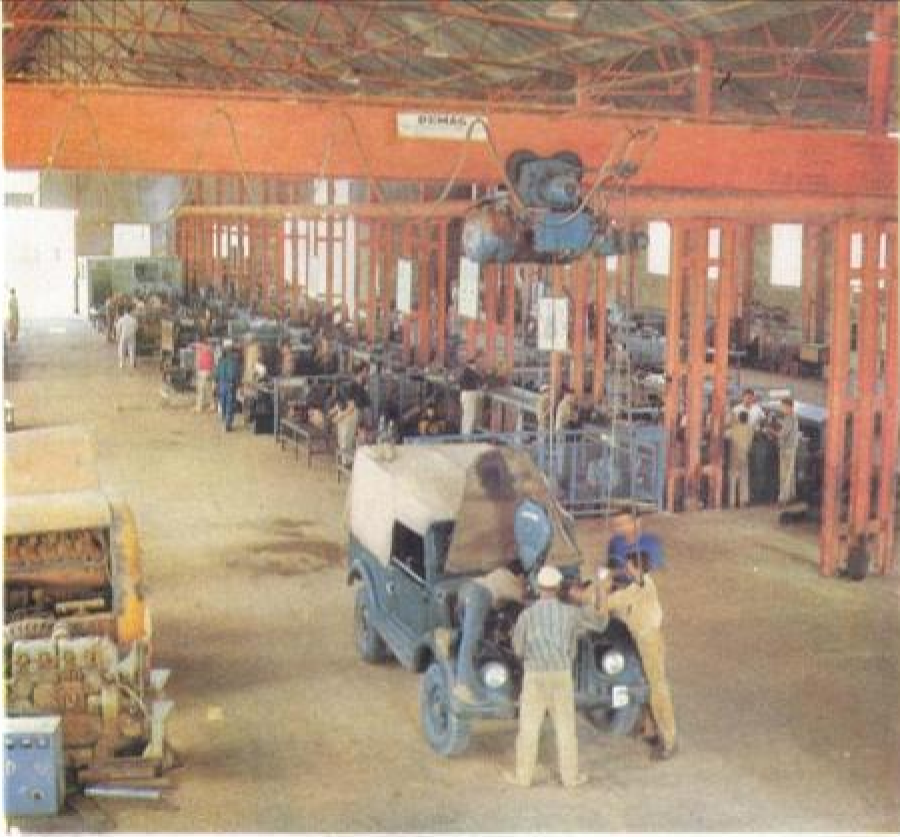
وتتم الآن عملية التدريج فى تهجين الأبقار المصرية عن طريق التلقيح بالطلائق الفريزيان « Frisian » الأصيلة ، وموطنها الاول هولندة وذلك للحصول على افضل جيل من حيث كمية ادرار اللبن وانتاج اللحم . والتجربة ما زالت مستمرة بنجاح حتى يمكن توفير احسن انتاج له ميزات الفريزيان الأصيلة ويتلاءم مع جو وبيئة الوادى الجديد .

وفى الوادى الجديد الآن ١٢ محطة لتربية الابقار والعجول ، ويتراوح عدد المواشى فى كل منها بين ٣٠٠ و ٥٠٠ رأس .

محطات لتربية الدواجن

وقد اشتهر الوادى الجديد منذ وقت طويل بانتاج الدواجن وخاصة الدجاج الرومى ، ودفع هذا المسئولين فى المؤسسة الى انشاء مزرعة لتربية جميع انواع الدجاج الفيومى والرومى الأمريكى والهولندى الأبيض . وتجرى جميع عمليات التفريخ والتحضين بالمزرعة التى تقوم ايضا بتربية البط ابكينى ، وقد سمى كذلك نسبة الى مدينة بكين عاصمة الصين وهى موطنه الاصلى .

كما تم انشاء محطة أخرى بقرية المحاريق بالوادى ينقل اليها البط بمجرد أن يكمل شهرا من عمره ، فيوضع فى بركة كبيرة ملأتها المياه الجوفية الجارية التى تأتيها من بئر المحاريق .



ورش الاصلاح الرئيسية بالوادي ، ويعمل فيها ٣٥٦ عاملا فنيا وثمانية من المهندسين . وتقوم هذه الورشة باصلاح

المهندس الزراعي محمد شفيق وعروسه .. جاءا من القاهرة ليعملا في الوادي الجديد .. وفي فلة صغيرة جميلة مصنوعة من الخشب ، أمضى العروسان شهر العسل وسط الحقول الخضراء .

السيدة جلنوات زوجة الأستاذ منصور رئيس أمناء مخازن المؤسسة العامة لتعمير الصحارى ، كانت أول سيدة تصل الى الوادي الجديد من القاهرة .. وهي تعمل بالشئون الاجتماعية وتشرف على الأسر التى تعمل لتزيد دخلها .





جميع المعدات الميكانيكية ، مثل الآلات التي تستخدم في حفر الآبار وجرارات تسوية الأرض والجرارات الزراعية



ويوجد بالبركة حاليا حوالى ٦ آلاف بطة تنتج الواحدة منها ما يزيد على ١٦٠ بيضة سنويا .

عمل متواصل لا يهدأ

ونتوقف هنا قليلا لنقدم لك هؤلاء الذين صنعوا وما زالوا يصنعون الحياة الجديدة في الوادي الجديد .. أولئك الشبان المكافحين الذين يحملون على أكتافهم مهمة البناء والتعمير في هذه المنطقة الصحراوية . انهم مجموعة من المهندسين والخبراء المصريين الذين جاءوا الى الوادي الجديد مع بدء المشروع ، وبقوا فيه يرقبون ثمرة كفاحهم ، وهي تكبر وتنضج تدريجيا .. خبراء في الزراعة والري والصرف ، وأطباء بيطريون ، ومزارعون ، وعمال فنيون .. كلهم جاءوا الى الوادي الجديد وواصلوا ليلهم بنهارهم في عمل متواصل لا يهدأ أبدا من أجل بناء حياة أفضل لهم ولأولادهم من بعدهم .

٥٧٠٠ عامل

وقد وفر المشروع لهؤلاء جميعا أعمالا جديدة .. وأصبح عدد العاملين في الوادي الجديد اليوم ٥٧٠٠ عامل فني ، ولم يكن عددهم قبل بدء المشروع يتجاوز ١٢٠٠ عامل .

ووسط الحقول الخضراء أو الواحات الصغيرة التي قامت في قلب الرمال الساخنة .. وفي قرى التهجير النموذجية التي شيدت لتوطين المهاجرين .. وفي مزارع تربية المواشي والدواجن .. وفي المعامل ومراكز الأبحاث ووراء الميكروسكوبات .. وفي الورش والمصانع ومناطق حفر الآبار .. وفوق العمارات الضخمة وفي الطرقات التي تعد للرصف .. في كل هذه الأماكن من ميادين العمل الجاد ، شاهدناهم يعملون في صمت وهدوء بعيدا عن الأضواء .

شهر عسل بالوادي الجديد

وفي فيلة صغيرة مصنوعة من الخشب تتوسط حديقة فسيحة ، على بعد ٢٨ كيلو مترا من الخارجة على الطريق المؤدي الى قرية باريز ، قابلنا المهندس الزراعي محمد شفيق ، المشرف على العمل في ثلاث آبار وفي محطة للانتاج الحيواني . وقدمنا المهندس الشاب لعروسه التي لم يمض على زواجه بها سوى بضعة أسابيع .

لقد جاء المهندس شفيق الى الوادي الجديد في أواخر عام ١٩٦٢ ، وفي العام الماضي ، سافر الى القاهرة ليبحث عن نصفه الحلو ، ولم يطل به البحث ، فسرعان ما عاد حاملا عروسه بعد أن احتفلا بزواجهما في عيد الأضحى المبارك ..

وجاء العروسان الى الوادي الجديد ليمضيا شهر العسل في هذه الفلة الصغيرة على بعد ستمائة كيلومتر من القاهرة .

العروس تشتغل بالزراعة

قالت العروس : « انني أحب الحياة في هذه البقعة الهادئة بعيدا عن المدينة وأضوائها . وأنا أملأ كل أوقات فراغي بالعمل ، فأشترك مع زوجي في زراعة الحديقة ، التي تحيط بالبيت ، بكل أنواع الزهور والخضراوات والفواكه . ونحن نذهب الى السينما في « الخارجة » كلما عرضت فيلما جديدا ، ونتبادل الزيارات مع الزملاء المهندسين وزوجاتهم . وأقضي بقية وقتي في القراءة وشغل التريكو .

وقال المهندس شفيق : « اننا نستحق اجازة لمدة أسبوع في القاهرة كل ٣٥ يوما ، وتصرف لنا المؤسسة تذاكر السفر بالطائرة ذهابا وإيابا أسوة ببقية المهندسين العاملين في الوادي الجديد . ولكننا نفضل الآن أن نقضي الاجازة وسط هذا الهدوء الذي اعتدنا عليه ووسط العمل الذي أحببناه . حقيقة انه عمل شاق ولكنه ممتع في الوقت نفسه ، فنحن نبني حياة جديدة » .

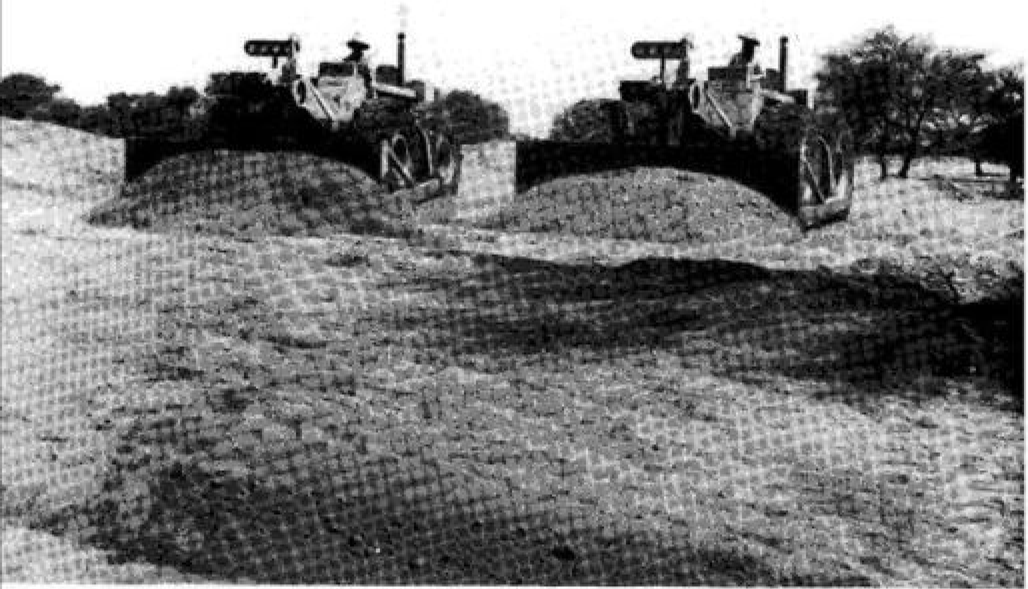
وقد ضربنا بالمهندس شفيق مثلا تعددت فيه الأمثال في هذا الوادي .

مشروعات التصنيع

وتسير مشروعات استصلاح الأراضي وبناء قرى التهجير وحفر الآبار جنبا الى جنب مع مشروعات التصنيع وبناء المساكن والعمارات الحديثة لتحقيق درجة من التعمير تساعد على الاعداد لتوسع أكبر في المستقبل . وقد ارتفعت العمارات السكنية الضخمة التي شيدت على أحدث طراز لسكنى المهندسين والفنيين العاملين في واحتي الخارجة والداخلة . والشقق في هذه العمارات مؤثثة تأثيثا كاملا ومزودة بكل وسائل الراحة ، ولا يدفع فيها المهندس أو العامل الفني سوى ايجار اسمي لا يتجاوز ١٪ من مرتبه .

٥ مدارس بالواحة الخارجة

ولا تزال حركة البناء والتعمير قائمة على قدم



استخدمت الهيئة العامة لتعمير الصحارى احدث الآلات فى استصلاح الاراضى بالوادى الجديد،وفى الصورة جراران يقومان بعملية تسوية الارض،وازالة الطبقة الرملية التى تغطيها.

وساق ، وقد تم رصف اغلب الطرق والشوارع الرئيسية التى زودت بالكهرباء لتسهيل عمليات النقل المختلفة ، وزودت القرى بالتلفونات ووسائل النقل البرى لتيسير الاتصال بينها ، كما تم توزيع الخدمات التعاونية وغيرها من خدمات اخرى صحية واجتماعية ، وشيدت المدارس لابناء المهندسين والعمال والفلاحين. وفى الخارجة وحدها خمس مدارس ، ثلاث منها ابتدائية ، ومدرسة اعدادية ، واخرى ثانوية مختلطة حيث تتلقى الفتاة علومها جنبا الى جنب مع الشاب . وقد تم افتتاح هذه المدرسة الثانوية فى العام الحالى ، ووضع برنامج الدراسة فيها بالاتفاق مع المؤسسة العامة لتعمير الصحارى ، على اساس ان تكون برامج الدراسة فيها متفقة مع حاجة المؤسسة للعمال الفنيين الذين ستتولى المؤسسة تعيينهم فى الاعمال المختلفة بعد تخرجهم .

الرحلة سهلة ميسورة

وقد تم انشاء مطار جوى بواحة الخارجة ، وتسيير خط طيران منتظم لشركة الطيران العربية، مما جعل السفر الى الوادى الجديد سهلا وميسورا بعد ان كان شاقا مجهدا ، وسيفتتح مطار جديد فى الواحة الخارجة فى أوائل عام ١٩٦٧ . وتقطع الطائرة المسافة من القاهرة الى الوادى الجديد فى ساعة ونصف . ثم ان هناك طريقا بريا معبدا يصل الخارجة بمدينة اسيوط ويبلغ طوله مائتى كيلو متر تقطعها السيارة فى ثلاث ساعات . ومن اسيوط يستطيع المسافر أن يستقل القطار السريع الى القاهرة فيصلها بعد خمس ساعات .

واهتمت المؤسسة ايضا بكل ما يهدف الى انعاش الوضع الاقتصادى بالمنطقة، وذلك عن طريق التوسع فى التصنيع لتشغيل الأيدى العاملة ، الى جانب تصنيع المنتجات الزراعية لرفع قيمتها وتصدير الفائض منها الى وادى النيل . حقيقة ان بعض هذه الصناعات أولى ، ولكن الامل معقود على اقامة صناعات كبيرة فى المستقبل القريب .

مصنع للبلح ، ومطحن للقمح

وفى مقدمة المصانع التى انشأتها المؤسسة ، مصنع تجفيف وتعبئة البلح ، اذ يبلغ انتاج الواحتين الخارجة والداخلة سنويا من البلح ٢٠٠٠ طن ، ومن اجل ذلك اهتمت المؤسسة



بنات الوادي الجديد يتعلمن شغل الابرة والتريكو ، في مركز تدريب الصناعات الصوفية وهن يصنعن الملابس والحقائب والقيمات والمفارش .





الاطفال يلهون بالعابهم الصغيرة فى دار حضانة الوحدة الاجتماعية بالخارجة ، وقد حلت هذه الدار مشكلة الامهات العاملات ، وهن يحملن أطفالهن اليها عندما يذهبن الى مكاتبهن فى الصباح .

بيت اسرة منتجة تعمل فيه ست نساء فى التطريز وشغل الابرة وصناعة شنط اليد من الخوص . وقد ساعدت هذه الصناعات اليدوية على رفع دخل الاسرة فى الوادى الجديد .

بانشاء هذا المصنع الذى تتم فيه عمليات تبخير البلح وغسيله وتجفيفه وتعبئته آليا . وينتج المصنع الآن ١٢ طنا من البلح المعبأ فى اليوم الواحد .

كما رأت المؤسسة فى نفس الوقت أن تنشىء مطحنا لانتاج الدقيق محليا بعد أن تضاعف انتاج المنطقة من القمح . ويقوم المطحن الآن بطحن ٤٥ اردبا يوميا فى المتوسط ، اى ٤٠٪ من استهلاك أهالى محافظة الوادى الجديد . وقد بدأ تشغيل هذا المصنع فى شهر مايو من عام ١٩٦٣ .

وتم كذلك انشاء وحدة تبريد ومصنع للثلج بالواحة الخارجة لحفظ المنتجات السريعة التلف، علاوة على استخدام انتاجه من الثلج فى الاغراض المعيشية لارتفاع درجة الحرارة فى هذه المنطقة .

مصانع للبناء والتعمير

وانشأت المؤسسة كذلك مصنعين كبيرين أحدهما للقنوات الخرسانية والاعمدة والمواسير والبلاط وغير ذلك من المصبوبات التى تصنع من الاسمنت المسلح . اما المصنع الثانى فيقوم بانتاج الطوب الابيض الذى يكفى عمليات البناء والتعمير فى المنطقة ، حتى يمكن توفير نفقات النقل من وادى النيل الى الوادى الجديد .

واقامت مؤسسة تعمير الصحارى ورشة كبرى لأعمال الاصلاحات الميكانيكية ، وورشا أخرى متوسطة فى الداخلة وباريز ، زودت كلها بالمكنات والمعدات وقطع الغيار اللازمة لاصلاح كافة انواع الجرارات والسيارات والآلات التى تعمل فى المنطقة كما ألحقت المؤسسة بالورشة الرئيسية بالخارجة ورشة اخرى للنجارة تمد المنطقة بحاجتها من الاثاث وتزود مساكن المنتفعين من موظفين وعمال بما يلزمهم ، هذا الى جانب الورش الاخرى المتنقلة التى تقوم بعمليات الاصلاح فى مواقع العمل .

واهتمت المؤسسة كذلك بتوفير الطاقة الكهربائية اللازمة لادارة المصانع والانارة ، فانشأت محطات لتوليد الكهرباء فى كل من الخارجة والداخلة وباريز .

الاهتمام بالانتاج الحيوانى

ولم يغفل المسئولون الانتاج الحيوانى المحلى ، فانشأوا معملا لمستخرجات الالبان فى الخارجة وآخر فى باريز ، وكذلك اهتمت المؤسسة بأمر الصناعات البيئية التى اشتهر بها سكان هذه المنطقة منذ القدم ، مثل الصناعات اليدوية التى تعتمد على منتجات النخيل والقش ، والرسم على الفخار فقامت بتنشيط هذه الصناعات وتطويرها ، لرفع مستوى دخل الاسرة . وانشأت مركزا للتدريب على هذه الصناعات وغيرها مثل شغل الابرة والكروشيه والحياكة والتطريز .

الصناعات البيئية

وفى بيت الاستاذ سيد منصور رئيس مخازن المؤسسة العامة لتعمير الصحارى ، سمعنا قصة هذه الصناعات التى انتشرت فى الوادى الجديد بفضل جهود لفيف من السيدات والآنسات اللواتى يعملن اخصائيات اجتماعيات فى ادارة التعاون بالمؤسسة .

قالت السيدة جلوت زوجة الاستاذ منصور التى كانت أول سيدة جاءت الى الوادى الجديد من القاهرة بعد وصول زوجها بثلاثة شهور فى اكتوبر من عام ١٩٥٩ ، قالت : « اننى اشرف الآن على نشاط الاسر المنتجة التى يعمل افرادها من نساء وفتيات وأطفال فى هذه الصناعات لرفع دخل الاسرة وقد اظهرت الامهات وبناتهن استعدادا كبيرا لاستيعاب هذا النوع من الاعمال اليدوية الجديدة فى مركز التدريب الذى انشىء لهذا الغرض . ولا يدخر المسئولون وسعا فى سبيل تشجيع الطالبات بعد تخرجهن فى هذا المعهد ، فهم يقدمون للفتاة التى تجتاز الامتحان بنجاح ، ماكينة حياكة ، اذا كانت قد دربت على الحياكة . اما التى تخصصت فى اشغال الابرة ، فيقدم لها مبلغ كرأسمال تبدأ به حياتها العملية الجديدة » .

الأسر المنتجة

ومضت السيدة جلوت تقول : « وقد بدأت الأسر تقدم انتاجها وتقوم بتسويقه بطرقها الخاصة ، غير ان مكاتب وزارة الشئون الاجتماعية لا تتردد فى تقديم العون للاسرة التى تصادفها عقبات فى التسويق ، فهى تقيم معرضا كل عام تعرض فيه الاسر المنتجة كل منتجاتها ، ويباع هذا الانتاج للجمهور ، كما يصدر أيضا الى وادى النيل ، ويوزع الدخل على الاسر طبقا لانتاج كل منها » .

دخل قابل للزيادة

وقد كان من نتيجة تنفيذ هذا المشروع ان اصبح

الاسر المعدمة دخل قابل للزيادة كلما ازداد الانتاج .
ولم يقتصر نشاط هذه الاسر على الانتاج وحده ، بل امتد ايضا ليشمل التدريب .. تدريب الجيران من امهات وفتيات على هذا العمل الجديد بعد ان اكتسبن فيه خبرة تؤهلهن لافتتاح «كتاتيب» كما يسمونها ، لتخريج المزيد من الامهات والفتيات العاملات .

وقد قامت وزارة الشئون الاجتماعية من جانبها بتشجيع تلك « الكتاتيب » او مراكز التدريب الصغيرة لنشر هذه الصناعات الجديدة ، ورفع المستوى الاقتصادى للاسر التى ترغب فى العمل والانتاج .

وفى منزل الاستاذ لطفى المسلمى « المحاسب » المسئول عن حسابات مصانع البلح والقنوات المعلقة ومنتجات الالبان ، لمسنا صورة اخرى من صور العمل الجاد الذى تشترك فيه المرأة جنبا الى جنب مع زوجها . وقد استقبلنا الاستاذ لطفى فى شقته الصغيرة باحدى العمارات السكنية التى يقيم فيها مع زوجته السيدة سناء عبد الحميد التى تعمل ايضا اخصائية اجتماعية بادارة التعاون بالمؤسسة وتشرف على توطين المهاجرين فى قرية باريز .

مشروع لمحو الأمية

قالت السيدة سناء انها تقدمت بمشروع لمحو الامية ، لتعليم زوجات الفلاحين ، وقد قوبل المشروع بترحيب كبير من جانب المسئولين ، ولكن السيدة سناء تواجه الآن مشكلة التقاليد التى تتمسك بها أسر الفلاحين منذ اقدم العصور ، وهى تقاليد تختلف من أسرة لاخرى تبعا للبلد الذى جاءت منه . ولكنها لم تيأس ، فهى تحاول الآن الوصول الى زوجة الفلاح عن طريق زوجها .. انها تحاول أن تقنع الزوج اولا بضرورة الاقبال على التعليم على أساس ان الزوجة المتعلمة اكثر نفعا له من الزوجة الجاهلة . فاذا اقتنع الزوج حلت المشكلة .

التقاليد فى الوادى الجديد

والتقاليد بين أهالى الوادى الجديد انفسهم تختلف فى الواحة الخارجة عنها فى الواحة الداخلة ، فالمرأة فى الثانية اكثر تحررا ، فهى تخرج الى السوق وتساعد زوجها فى الحقل ، بينما نجد المرأة فى الواحة الخارجة لا تبارح بيتها الا نادرا ، واذا خرجت حرصت على اخفاء وجهها وراء الحجاب !

والسر فى هذا الاختلاف ، كما رواه لنا أحد المسئولين ، هو ان الخارجة تقع فى طريق درب الاربعين الذى كانت قوافل الجمال القادمة من السودان ، تعبره وهى فى طريقها الى اسواق اسيوط . فكانت النساء لا يكدن يشعرن بوصول تلك القوافل حتى يسرعن الى منازلهن ويختفين فيها هربا من عيون الغرباء . وقد ظلت المرأة منذ ذلك الوقت تهرب من الغرباء ولا تكشف وجهها امامهم !

هذه هى قصة الحياة الجديدة فى الوادى الجديد الذى كان مزرعة هائلة للقمح فى عهد قدماء المصريين والبطالسة والرومان ، والذى قدر له المؤرخون اعدادا من السكان غفيرة .. ان هذه المنطقة بدأت اليوم تستعيد المكانة التى كانت تحتلها منذ آلاف السنين . ■■

منير نصيف



مصنع تجفيف وتعبئة البلح والمنتجات الزراعية فى الواحة الخارجة ، ويقوم المصنع بغسل البلح ونزع نواته وحشوه باللوز وتعبئته وتصديره لمختلف أنحاء الجمهورية



أمراض لنقص في

■ يعمل العلماء المختصون فى كل بلد من ارجاء العالم على زيادة الانتاج الزراعى ، حتى تكفى الارض قطانها ،من محاصيل وخضراوات وفاكهة . ولهذه الزيادة فى الانتاج وسيلتان ، احداهما افقية ، بزيادة مساحة الرقعة المنزرعة ، وذلك بالاضافة اليها من ارض لم تكن تزرع لنقص فى الماء ، أو زيادة فى الاملاح . فتحتاج مثل هذه الارض الى توفير الماء الصالح للرى والزراعة ، ويكون ذلك بالعمل على اعذاب ماء البحر ، بطريقة أو بأخرى ، أو بغسل ما بالارض من أملاح بطريقة او بأخرى كذلك . أما الوسيلة الثانية لزيادة الانتاج فهى ما اصطلح على تسميتها بالراسية ، اى بزيادة الانتاج من نفس المساحة المنزرعة وذلك باستنباط سلالات أوفر غلة وأكثر مناعة ، او بعلاج ما يصيبها من امراض او آفات جوية أو حشرية . ومن هذه الامراض ما تسببه كائنات اخرى تتطفل على النباتات فتعوق نموها او تسلبها غذاءها او تفسد زهورها وثمارها مما يسبب نقصا فى المحصول . على ان من الامراض أمراضا لا يسببها طفيل ما ، انما تنشأ من نقص فى هذا العنصر أو ذلك من العناصر المعدنية التى توجد فى التربة ، والتى يمتصها النبات مع محلول الماء الارضى من التربة .

ومثل هذه الامراض هى موضوع حديثنا . ومن عجب ان كثيرا من هذه العناصر التى يسبب غيابها مرض النبات ، وبالتالى يسبب نقصا خطيرا فى المحصول ، ليست من العناصر التى اصطلح على تسميتها بالاساسية ، اى التى لا يستطيع النبات ان ينمو بدونها ، ولذلك يسمونها بالعناصر الاساسية الصغرى ، أو قل انها عناصر نادرة او قليلة ، اى يحتاجها النبات بكميات ضئيلة جدا ، ولكنها تكون بارعة الاثر فى نمو النبات وازهاره واثماره ، حتى ان زيادتها تأتى بعكس المقصود ، فتؤثر تأثيرا ضارا بالمحصول . انهـا مطلوبة واساسية ، ولكن بتركيزات ضعيفة جدا حتى لا تكون سامة للنبات .

نقـص الزنـك :

لم تكن تعرف امراض نقص الزنك فى النبات ، قبل ثلاثينيات هذا القرن ، ولكن ظهرت أعراضه على اشجار الموالح فى كلفورنيا اول ما ظهر ، ولم تكن من علة تسبب هذه الاعراض التى عرضت محصول الموالح لاشد الاخطار ، ونشات عنه خسائر فادحة فى الاموال ، لم تكن من علة سوى نقص الزنك : فما أن أضيف الى التربة ، حتى زالت اعراض المرض ، وعادت الاشجار الى سابق ايناعها وايراقها وازهارها وبالتالى عاد للمحصول قدره كما وكيفا وثمنا .

يسبب نقص الزنك مرض التورد فى التفاح ، ومرض الورقة الصغيرة فى اشجار الثمار الحجرية ومرض تبرقش الاوراق فى الموالح ، كذلك يتقزم نمو الاغصان ، وتكون الثمار صغيرة الحجم غليظة القشرة . وتظهر اعراض مماثلة على الكمثرى ، والعنب والزبدية . كذلك يتأثر بنقص الزنك البرسيم الحجازى وفول الصويا والكتان وغيرها . كما ان القرع والطماطم والبطاطس واللوبيا حساسة جدا لنقص الزنك ، وتكون اعراضه برقشة" صفراء وبقع متحللة ونمو متقزم . وكذلك يصاب الذرة بهذا المرض ، وينشأ عنه ما يسمى بالبرعم الابيض ، ان هو الا اصفرار يصيب البادرات



نباتية
العناصر المغذية

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

استاذ النبات بجامعة عين شمس

فور ظهورها من التربة وتظهر بقع خالية من اليخضور ويتقزم النبات .

وليس من علاج لمرض نقص الزنك ، وتلك اعراضه فى بعض النباتات ، الا ان ترش بكبريتات الزنك ، او ان يضاف محلولها الى التربة .

نقص البورون :

عرفت امراض نقص البورون ، منذ أوائل هذا القرن،ومنذ عشرينياته ، وان الانباء لتتوالى تترى عن اثر هذا العنصر على نمو بعض النباتات كالذرة والدخان والبنجر والفول ، ان فى فرنسا او انجلترا او هولندة . فعندما غذيت هذه النباتات بمحاليل خالية من املاح البورون ظهرت اعراض خاصة لمرض معين يسمى « عفن القلب الجاف » وما هو الا التواء وتحلل وتعفن يصيب الاوراق الداخلية، وكذلك انهيار وتحلل للانسجة اللحمية فى الجذر . وعرف منذ ثلاثينيات القرن الحالى ان كثيرا من الامراض النباتية ، التى كانت مجهولة السبب ، انما ترجع الى نقص البورون ، وكانت اضافته كفيلة بشفاء النبات من هذه الامراض جميعا ، وقد عرف بعد ذلك ان البورون القابل للامتصاص ينقص فى الاراضى التى يكثر فيها الجير ، اذ يصبح اقل قابلية للذوبان ، مما يدل على وجود علاقة وثيقة بين الجير والبورون .

واحيانا يظهر ان البوتسيوم يؤثر فى استجابة النبات للبورون ، كما وجد البعض ان البورون يكون ذا فائدة اكبر لنمو النبات فى وجود تركيزات عالية من البوتسيوم وتركيزات منخفضة من الجير . وطبيعى ان لكل نوع نباتى احتياجات معينة من هذا العنصر او ذاك وأن النمو الطبيعى للنباتات يكون فى وجود توازن خاص بينها.وكذلك تستجيب النباتات المختلفة استجابات متفاوتة لنقص البورون . الا انه يغلب عليها تحلل بعض الانسجة ، ونمو غير طبيعى فى جذور بعض النباتات كالبنجر والكرنب ، وغيرهما . وقد اثبتت التجارب ان اضافة البورون تؤدى الى زيادة فى المحصول سواء فى التفاح او الدخان او اللفتاو البنجر او القنبيط او البرسيم الحجازى او البطاطا او الزيتون او الفجل.لقد ثبت ان كل هذه النباتات تصيبها امراض نقص البورون ، ولا يشفيها سواه .

نقص المنجنيز :

وكذلك تعانى نباتات كثيرة من نقص المنجنيز ، وقد يكون المنجنيز متوافرا بالتربة ، ولكنه لظروف خاصة يتحول من الصورة الذائبة الى الصورة غير الذائبة ، فلا يفيد منه النبات ، وذلك عندما يكون محلول الماء الارضى متعادلا او قلويا ، ولذلك تظهر اعراض نقص المنجنيز على كثير من المحاصيل المنزرعة فى مثل هذه الاراضى ، فيبدو على النباتات الاصفرار والتبقع والاجزاء المتحللة ، مع انخفاض فى معدل النمو ، وبالتالى نقص فى المحصول . وقد ثبت اخيرا ان بعض أنواع البكتريا هى المسئولة عن تحول المنجنيز من الصورة الذائبة الى الصورة غير القابلة للامتصاص ولذلك كان لا بد من اضافة هذا النوع من البكتير . ويؤثر مرض نقص المنجنيز على محصول الطماطم حيث تتأثر البلاستيدات الخضر فتصبح مصفرة ،وتتحلل محتوياتها ويصغر حجم الاوراق ، كذلك يصيب

المرض نبات الشوفان والبسلة والذرة واللوبيا والموالح والبنجر والسبانخ .

وانما يكون العلاج السريع لكل هذه الاعراض والامراض باضافة كميات ضئيلة نسبيا من كبريتات المنجنيز او كلوريد المنجنيز للتربة او رش النباتات بمحاليلها .

نقص النحاس :

كان الاعتقاد السائد ان النحاس ليس بذى خطر على النباتات والمحاصيل ، بل ان وجوده بنسبة ما ، يكون ساما للنباتات ، الى ان أثبت احد العلماء ان اضافات ضئيلة جدا من النحاس تشجع نمو النبات ، وتمكن من التغلب على مرض موت الاطراف فى الموالح بكبريتات النحاس وتغلب آخر على مرض الشوفان ، وعلى اصفرار شديد يصيب الخس ، تغلب على هذه الاعراض باضافة كميات ضئيلة من كبريتات النحاس كمخصب للتربة او على هيئة محلول ترش به النباتات . وتوالت الكشوف بعد ذلك عن امراض نقص النحاس ، تصيب التفاح فتسبب ذبول الاطراف ، وظهور بقع بنية على الاوراق الطرفية التى تذبل تدريجيا ثم تسقط ويموت الطرف ، ويتقزم نمو الاشجار وتأخذ شكل الشجيرات ، وتفقد قدرتها على انتاج اغصان جديدة .

نقص المولبديوم :

لم تعرف أهمية هذا العنصر بالنسبة لبعض النباتات الا منذ أربعينيات القرن الحالى ، حين لاحظ أحد العلماء النمو الشاذ لبادرات الطماطم والقنبيط والتجعد العقدى ، وكانت اضافة الجير بكثرة الى الاراضى الحمضية ، وهى طريقة تزيد فى المولبديوم القابل للامتصاص فى التربة ، وكذلك امكن الوصول الى نفس النتيجة باضافة كميات صغيرة من مولبدات النشادر ، وتظهر اعراض نقص المولبديوم على نباتات الذرة والكتان والخس والبسلة واللوبيا والموالح وغيرها ويرجح البعض أن المولبديوم ضرورى لتثبيت الازوت ونشاط بكتريا التأزت ، وانه يلعب دورا حيويا فى عمليات التحول الغذائى .

هذه بعض امثلة لامراض غير طفيلية تصيب بعض النباتات وتسبب خسائر فادحة فى المحاصيل وليس لها من سبب الا غياب هذا العنصر او ذاك وانه ليضاف بكميات ضئيلة فتزول الاعراض ويشفى النبات ليعطى أوفر غلة واوفى محصول .

انها عناصر نادرة ، تكفى منها كميات ضئيلة جدا ، يكون لها فعل السحر فى شفاء النبات ، ومع ذلك لم نعرض لامراض نقص البوتسيوم أو الحديد او المغنسيوم أو الكلسيوم ، فهذه من العناصر الاساسية الكبرى ، التي لايستغنى عنها النبات ابدا ، ومن هنا تتبين اهمية التحليل الكيماوى للتربة لمعرفة ما بها من عناصر اساسية كبرى او صغرى ، يسبب نقصها ما رأينا من أمراض ، وفى اضافتها علاج لها من هذه الادواء .



أهمية دراسة التربة :

وكذلك تتبدى ضرورة العناية بدراسة التربة ، واجراء تحليلات كيميائية لقطاعات مختلفة منها ، وعلى أعماق متباينة ، مما يكون فى متناول جذور النباتات المختلفة التى تزرع فيها ، يمتص منها الماء والاملاح الذائبة فيه ، فقد يكون نقص هذا العنصر او ذاك هو السبب فيما يعانيه النبات من مرض ، فليس هناك طفيل بكتيرى او فيروسى او فطرى ، وليست هناك آفة حشرية كما ان المناخ طيب والهواء متجدد ، سواء فى ذلك ما يحوط سوق النبات واوراقه الخضر ، أو ما يتخلل حبيبات التربة ، بين فريعات الجذر وشعيراته ، فلم ترتفع الحرارة او تنخفض عن المعدل ، ولم



ينزل البرَد مما يحدث تدميرا للاجزاء الغضة ،ولم تهب رياح عاصفة قد تسقط الزهور او الثمار ولما يكتمل نضجها ، فيتأثر المحصول بطبيعة الحال نتيجة لهذه العوامل والعوائق . وانما يكمن الداء كما تقدم بنا الحديث فى نقص الحديد او الفسفور او المنجنيز او الزنك . او يكون هذا العنصر او ذاك غير متوازن متلائم مع غيره من العناصر ، أو مع طبيعة التربة حمضية كانت او قلوية ، او مع كائنات التربة المجهرية مما يغير من طبيعة التوازن فيجعله صالحا او ضارا بالنبات .

وقد يكمن الخطر فى وجود طبقة غير منفذة غير بعيدة من سطح الارض ، مما يعوق نمو الجذور وبالتالى يقف نمو النبات ويتقزم ، ويبدو قزما قميئا وسط السوىّ الفارع ، الذى لم تعوقه هذه العوائق ، فيكون العلاج فى ازالة هذه الطبقة غير المنفذة . أو تغيير صفاتها ، بان نضيف اليها ما يفككها ، فيجعل حبيباتها هشة غير متماسكة . وقد يكمن الداء فى فساد الهواء حول الجذور نتيجة لسوء الصرف ، مما يجعل النبات يبدو مختنقا ، وتكف شعيرات الجذر عن امتصاص حاجتها من الماء والاملاح ، فيذوى النبات ويذبل ، ما لم يسعف بالعلاج ، بمتابعة الاعمال الزراعية من حرث وعزق وما الى ذلك من تعميق للمصارف، حتى يتخلل الهواء المتجدد مسام التربة ، فينعش الجذور ، ويعيد اليها حيويتها ، فتنشط الخلايا لتادية وظائفها .

وقد تكون التربة غير مناسبة اصلا لما زرع بها من محصول ، فهى رملية خفيفة ، فى حين ان ما زرعنا من نبات او اشجار تلائمه الارض الطينية الثقيلة ، خاصة وان ماء الرى ارتوازى بـه نسبة عالية نوعا من الاملاح ، تمسكها التربة الطينية فيمرض النبات وتطلقها التربة الرملية فيصح النبات .

وبعد : فهذه الوان من امراض نباتية لم تسببها الطفيليات ، وانما مردها الى نقص بعض العناصر المعدنية وقد استطاع الانسان بالعلم والدراسة أن يطب لها حتى لا تتأثر المحاصيل ، وحتى تنتج الارض بكل طاقاتها ما يكفى سكانها . ■■

عبد الحليم منتصر

أنباء الطب والعلم والاختراع

اطالة أعمار التفاح والموز والطماطم أضعافا

● ونضرب مثلا بالموز .

ان العلماء الباحثين وجدوا أن الموز يتم نضجه فى الهواء العادى وفى الضغط الجوى العادى ، فى نحو عشرة أيام . فاذا هم وضعوه فى خزانات أمرّوا فيها هواء له نصف الضغط العادى ، فانه لا ينضج الا بعد ١٨ يوما . فاذا هم انقصوا ضغط الهواء الذى يمر على الموز بالخزانة الى ثلث ضغطه الجوى ، صار لا ينضج الا بعد ٤٥ يوما او اكثر من ذلك . وذلك بغير ان يجف الموز جفافا ذا بال او ان يتغير لونه .

وهذا الأمر له نفع فى التجارة والتوزيع عظيم .

وخال العلماء أن التأخر فى نضج الفواكه ، وهو شىء محمود مرغوب ، ربما كان بسبب نقص الاكسجين فى الهواء ، وأن الاكسجين هو الذى يعجّل



بالنضج فى الهواء الجوى العادى .

واذن اجروا تجارب ، أحلوا فيها الاكسجين الخالص محل الهواء ، ليروا هل يسرع الاكسجين النضج . وامرّوا الاكسجين تحت ضغوط منخفضة ، فظهر لهم انه ، حتى هذا ، سبّب تأخيرا فى النضج . ان الاكسجين لم يزده نضجا كما ظنوا .

واذن عادوا الى الغاز المعروف فى الكيمياء العضوية باسم اثيلين Ethylene (وهو مكون من ذرتي كربون ، وأربع ذرات من الادروجين) ، يبحثونه .

لقد علموا ان هذا الغاز تخلقه الثمرة من ذات نفسها تخليقا ، وهو يعينها على النضج . فلعل الهواء المنقوص الضغط ، وهو يمر على الفاكهة ، يحمل عنها ما تخلّق من هذا الغاز ، فيسبب ذلك تأخير النضج .

واجروا تجارب على الموز ، بامرار الهواء وهو فى ثلث الضغط الجوى ، فاذا به لا ينضج الا بعد ٤٥ يوما . واعادوا التجربة ، وجعلوا مع الهواء شيئا من غاز الاثيلين ، فاذا بالموز ينضج فى ١٦ يوما فقط .

اذن فالاثيلين ، حضوره يزيد سرعة النضج ، وغيابه ينقصها .

وهنا يحسن بنا ان نذكر انه ، فى مخازن الموز الكبرى ، حينما يريدون الاسراع فى نضج الموز ، يدخلون اليه غاز الاثيلين ، فيسرع نضجا . انها عملية تجارية شائعة معروفة .

رجال الفضاء عجـزوا عن رؤية النجوم نهارا



● قبل ان نأتي على هـذا الخبر ، يجب ان نذكـر للقارىء الذى فاته علم ذلك ان السبب فى انـك لا ترى نجـوم السمـاء والشمس طالعة ، ان ضـوء الشمس تتكسر اشعتـه على جزئيات الهواء الجوى ، فيتكون من هذه الأشعة شبه ضباب ضوئي ؛ هو الذى تنظره اذ تنظر الى السماء فتقول انها مليئة بالنور ولولا هذا لكان الجو ظلاما .

ونزيد فنقول ان الشعاع الضوئى ، لا تراه عين الانسان اذا مر فى فراغ لا جو فيه . حتى اذا صادف شيئا مجسما ، جزئيات هواء مثلا ، او دقائق من تراب او اجسام كانت ما كانت ، تكسر عليها ، فأمكن العين أن تراه ، ترى تلك الهالة ، من الضياء التى احدثتها .

وننتقل الى الخبر فنقول ان رجـال الفضاء عجزوا ان يروا نجوم السماء ، وهم فى مركبات الفضاء ، وهى تدور بهم فى افلاكها نهارا . والشمس عليهم طالعة وكان المرجو كل الرجاء ان يروا هـذه النجوم اثناء نهارهم واياها يرصدون .

والسبب ؟ .

السبب أن الهواء الجوى الذى يلـف الأرض ، لا تزال منـه بقية على هـذه الابعاد الشاسعة من سطـح الأرض ، يتكسر عليها ضـوء الشمس السـاطع ، فيحجب ما وراءه . ومما وراءه نجوم السماء . نفس السبب الذى من اجله لا نرى نحن النجوم نهارا ونحن على سطح الارض .

حتى جسم المركبة الفضائية ، حتى نافذتها ، تتلقى اشعة الشـمس فتكسرها، فتحدث من الضوء المتكسر ما يكفى لحجب النجوم ، حتى القطعة التى تنفصل عن المركبة، كائنة ما كانت ، تظل تدور معها. وتتلقى اشعة الشمس ، وهى طالعة ، فتكسرها وبذا تحجب النجوم .

ونزيد نحن استطرادا فنقـول : ان سطـوع الشمس ، اذ انت تنظرها ، شديد فظيع . وتنظر الى السماء فى غير ناحية الشمس ، فتجدها اقـل سطوعا . وهى اقـل كثيرا جدا . ولا تظهر النجوم القاتمة وراء سطوع السماء الا اذا قل سطوع السماء عن جزء من مائة مليون من درجة سطوع الشمس . ومعنى هذا ان سطوع الشمس الذى تألفه لا بد ان ينخفض مائة مرة عما هـو ، عندما نراه على سطح الأرض لتبدأ تظهر نجوم السماء .

المجاعة العالمية المرتقبة بدأت ، وأخذت تنتشر

● الجوع والشبع فى الناس ، لهم عند العلماء قياس . ووحدة القياس هى السُعر الغذائى Calorie . وهى فى الأصل الوحدة التى تقاس بها حرارة الاجسام ، وهى فى التعريف عبارة عن مقدار الحرارة التى يرتفع بها جرام واحد من الماء درجة مئوية واحدة . والسُعر الغذائى هو الف وحدة من هذه . ومعنى ذلك ان الجرام الواحد من الغذاء المقيس يعطى للجسم من الطاقة ، معبرا عنها بالحرارة ، كذا من الأسعار .

والجسم الانسانى يحتاج فى المتوسط فى اليوم الواحد ، الى غذاء ، يعطيه من الطاقة ما يساوى ٢٥٠٠ سعر غذائى . فهذا المقدار هو المقدار الاصغر الذى يفرق بين الجوع والشبع .

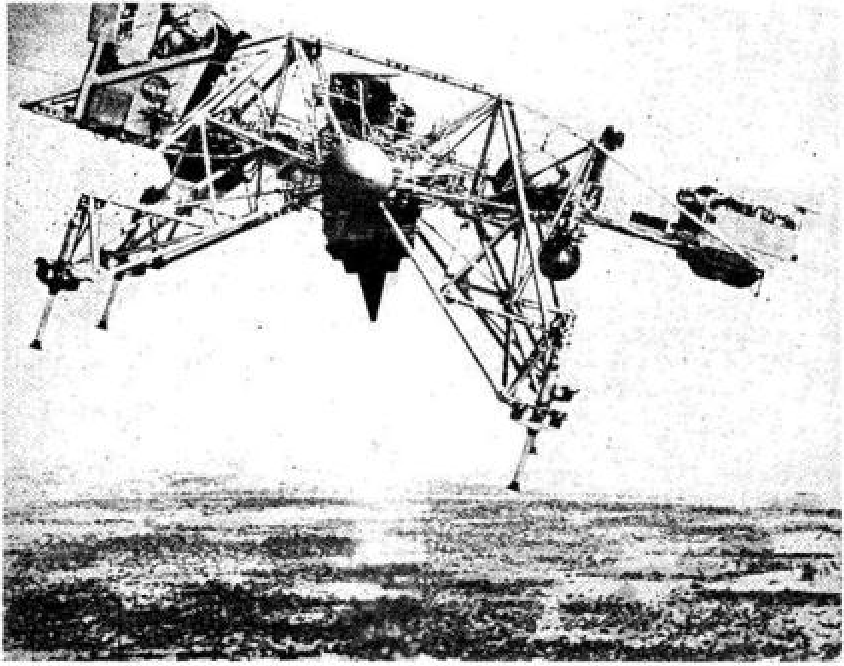
والناس فى آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية يحيون على مقدار من الاسعار دون هذا بكثير .



والناس فى الولايات المتحدة ، وكندا ، واستراليا ونيوزيلندة ، وروسيا ، وفى بقاع كثيرة فى غرب اوروبا وشرقها ، يعيشون على مقدار من الاسعار اعلى من هذا المقدار الاساسى ، اى على غذاء قيمته الغذائية اعلى من ٢٥٠٠ سعر فى اليوم . ومثال ذلك ان الولايات المتحدة يعيش الفرد منها فى المتوسط على غذاء به ٣٢٠٠ سعر .

وقد دلت الاحصاءات على ان المجاعة العالمية بدات فى العالم ، وهى آخذة فى الانتشار . وقد بدات نذرها فى السنوات الاخيرة خاصة فى الهند . ويقدر المتنبئون انها فى العشر السنوات الآتية ستمتد فى آسيا ، تليها امريكا الجنوبية ، تليها بقاع من الارض اخرى . وان يكن من بعض اسباب ذلك ، تخلف الأمطار ، كما هو الحال فى الهند ، فان السبب الاكبر الدائم المقيم المتصل ، انما هو اطلاق انتاج النسل حتى يزيد على ما تستطيع الارض انتاجه من طعام .

والامم المتقدمة فى زراعتها ، كالولايات المتحدة وكندا، عندها اليوم فائض من القمح تبيعه للامم التى ينقص عندها انتاج الطعام عن حاجتها . ولكن اليوم قريب الذى سوف لايكون عند هذه الأمم المتقدمة فائض تبيعه او تعطيه ، وحتى لو كان فهو لن يكفى سدّ حاجة المجاعة التى تزداد على السنين .



مركبة للهبوط على سطح القمر

● هذه صورة المركبة التي سوف تهبط على سطح القمر . انها مركبة لا جناح لها . وقد اطاروها في ولاية كلفورنيا ليجربوها . وقد اقتربوا في تصميمها ومحاولة انزالها من تقليد مايستدعيه الحال عند النزول بها على سطح القمر ، وقبه الجاذبية نحو سدس جاذبية الارض ، وغير ذلك من مشاكل واختلافات اخرى .

أشعة سينية تأتي من السماء

● نعرف ان الضوء يأتي من الشمس وسائر النجوم . والضوء اشعاع . بل هو مجموعة من اشعة نذكرها دائما سبعة ، هي الاحمر فالبرتقالي . فالاصفر . فالاخضر . فالازرق . والنيلي ، فالبنفسجي . وتعرف بالطيف الشمسي . ولكن ليس الضوء وحده هو الاشعاع الواحد . فمن الاشعاعات المتشابهة ، التي يضمها واياه نظام واحد ، الاشعة فوق البنفسجية وتأتي من بعدها الاشعة السينية ، فأشعة جاما . وفي الطرف الآخر من الطيف تأتي بعد الاحمر اشعة ما دون الاحمر ، وهي حرارة . ويأتي بعدها اشعة تصبح رَدْيوية او لاسلكية ، وهي اشعة الاذاعة المعروفة .

ويجمع كل هذه الصنوف من الاشعة ان سرعتها ١٨٦٠٠٠ ميل في الساعة ، وهذا دليل على ان جوهرها واحد . وهي تحدث من اضطراب يقع في دقائق المادة ، في اعماق كيانها .

ولقد علمنا ان الشمس والنجوم تشع الضوء .

واذن فقد جاز ان تشع ايا من سائر

هذه الاشعاعات التى ذكرنا . ليس هناك ما يمنع ما دام ان جوهر هذه الاشعاعات واحـد .

ولقد كشف العلماء منـذ سنوات ليست بعيدة اجراما فى السماء ونجوما تخرج منها امواج لاسلكية استطعنا ان نتلقاها فوق سطح الارض ، وجعل العلماء لها اجهزة التقاط سموها تلسكوبات رَدْيوية Radio Telescopes شاع امرها وذاع .

وفى السنين القريبة كشف العلماء عن اشعة سينية تأتي من السماء ايضا .

وآخر ما كشفه العلماء من مصادر هذا الاشعاع السينى ، اشعة اكس x ، اشعاع يأتي من نجم فى برج العقرب اسمه RX-1 . وهو اقوى مصدر عرف الى الآن لهذه الاشعة واقرب مصدر منا . وهو لا يبعد عنا اكثر من ٦٠٠ مليون مليون ميل ، وهي مسافة قصيرة فى لغة النجوم . وقد حسب هذا البعد علماء من مركز البحوث الفضائية التابع للبحرية فى واشنجطون ..

والواقع انهم كشفوا فى كوكبة العقرب عن مصدرين اثنين ، مصدر يشع باللاسلكي عند درجة حرارة ٥٠ مليون درجة مئوية ، والآخر عند درجة ما بين مليون واحد الى مليوني درجة .

وللمقارنة نذكر ان الشمس درجة حرارة سطحها الظاهر تبلغ ٦٠٠٠ درجة،تزيد كلما توغلنا فى هالتها الرقيقة الى نحو مليونى درجة .

استئصال الذباب

● لا يدرك الضيقَ الذي يسببه الذباب مثلَ اهل الشرق والمناطق الحارة عامـة .

وقد جرب العلماء عدة اشياء لاستئصاله ، وكان آخر ما وصلوا اليه ، ما يقوم به اليوم علماء استراليا من البحوث التى تهدف الى هذه الغاية .

ولفهم الخبر نقول ان الخلية المنوية للرجل ، التي بها تتلقح بيضة الانثى، بها اشياء غاية فى الصغر ، كقرون الفول ، تسمى بالكروموسومات. وهى نوعان ،نوع يلقح بيضة الانثى فينتج الطفلة الانثى ، ونوع يلقح بيضة الانثى، وينتج الطفل الذكر .

وبما ان الحيوان المنوى ، فى عمومه فى الناس ، يحتوى على اعداد متساوية من هذين النوعين ، فاحتمال انتاج الذكر والانثى ، احتمالان متساويان .

والذى يقال من ذلك فى الانسان يقال فى الحيوان . ومن الحيوانات الذباب .

والخطة المرسومة هي ان يؤتي بآلاف من الذباب الذكر ، وتطلق عليها اشعة فعالة خاصة ، ثم يجمع بينها وبين الاناث ، فالذى منها لا ينتج الا الذكران ، يعزل ، ويربى . ويجمع بينه وبين اناث ، وهكذا حتى يتجمع لدى البحاث الآلاف مؤلفة من الذباب الذكر الذى لا ينتج غير الذكران .

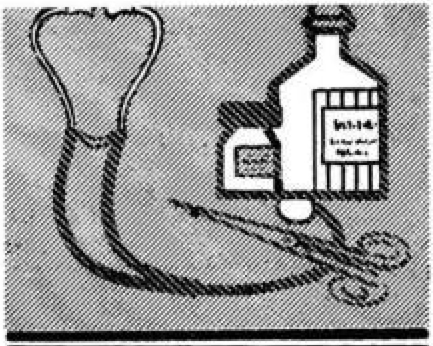
ثم تطلق هذه الآلاف فى البيئة التى بها الذباب الذى يزعج ويضر . فيكون من ذلك ان الناتج من اختلاط هذه الذكور باناث البيئة لا يكون الا ذكرانا . واذن تأخذ اناث البيئة فى القلة حتى تنعدم . وبهذا ينعدم الذباب كله ، فلا تكاثر الا بوجود اناث .

وهذه البحوث القائمة اليوم تعمل فى ذبابة خاصة ، تؤذى الاغنام الاسترالية، فتضر ضررا بليغا باقتصاد البلاد. ولكنها، عند نجاحها ، تطبق على غير هذه الذبابة من ذباب ، ولا شك تنجح .

ويذكرنا هذا بالحكم التركي الذى كان فى عهد كمال اتاتورك ، او لعله الحكم الذى خلفه . وجد اعداد الكلاب قد تكاثرت فى البلاد ، فقضى بأن تعدم كل الذكور من الكلاب ، وتترك الاناث . والاناث من دون ذكور تنعدم الذرية .

●●





طبيب الأسرة

مرض التيفـود وتحصين الناس باللقاح منــه

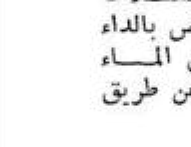
● **قرات مـرة في بعض الصـحف السيارة ان التحصن من عدوى التيفود واجب ، وانه يجب تحصين الاهالي جميعا بلقاح التيفود . ومع هذا لا نجد من رجال الطب من يستمع ؟**

ــ ان تحصين السكان جميعا بلقاح التيفود غالي الثمن ، وهو فوق ذلك تحصين قصير الامد . فمدته تمتد عاما او عامين ، ثم لا بد من تجديده لرفع المقاومة . والوقاية الصحية المدنية الشاملة خير من التحصين وافعل . والامم المتحضرة تتحصن منه ، لا باللقاح ، بقدر ما تتحصن باعطاء الناس ماء للشرب نقيا طاهرا لا سبيل الى مرض التيفود اليه فيتسرب اليه المرض . ثم نظاما للفضلات من جامدة وسائلة يحملها من البيوت الى حيث تستغل او تطهر . ثم رقابة على الاطعمة ومحلات الاكل في المدن ، وحيث يباع طعام ، في اى مخزن او دكان ، كان ما كان .

ان التحصين من التيفود ضروري لكل مَنْ مِنْ واجبه السير بين المرضى او العمل لهم ، وعندما يشتعل الوباء في منطقة من المناطق .

ولا بأس ان تذكر من نسي ، بأن التيفود مرض تصحبه الحمى ، ويصحبه تقيح الامعاء الدقاق . وسببه مكروب ، عصيات بكتيرية ، تعرف ببشلات التيفود ، وتوجد في بول المريض بالداء وفي برازه ، وتنتشر عن طريق الماء واللبن والطعام عامة ، وكذا عن طريق الخضراوات غير المطبوخة .

عصير البرتقـال
كم فيه من فيتامين ، وكم يكفى منه ؟

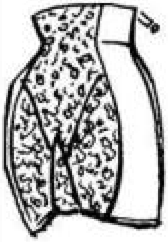


● **انا مغرم بعصير الفواكه ، ذلك الذى نجده في هذه الايام يأتينا محفوظا في العلب . واريد ان اعرف هل فيه فيتامين ج أو C تعبيرا بالحرف الافرنجي الذى اصطلحوا عليه ، وكم فيه منه . وكم يكفى من عصير البرتقال في اليوم لاعطاء الجسم ما يكفيه من فيتامين ج ؟**

ــ ان عصير الفواكه الذى تحكي عنه به من هذا الفيتامين نفس المقدار الذى كان في الفاكهة نفسها قبل عصرها . ومقداره هذا يختلف باختلاف الفاكهة الاصلية ، وحالها عند العصر ، وطريقة التعليب كذلك .

وانت واجد في نحو المائة سنتيمتر من عصير البرتقـال ، او نحو كوب زجاجي من هذا الفيتامين ما يكفيك يوما كاملا .

ولكن حذار ! اننا نعني بعصير البرتقال عصيره حقيقة . ولكن في السوق اشربة تسمي اشربة برتقال ليس فيها من هذا الفيتامين شيء .



بطني كَبُرَ عندما بلغت الخمسين

● **انا الآن في نحو الخمسين ، وقدفرغت من انجاب الاطفال ، ومع هـذا ارى ان بطني يزيد حجمه شهرا بعدشهر . فهل لهـذا الكبر علاقة بما يسميه الرجال سن اليأس ؟**

ــ أولا : ما اظن ان الرجال خاصة تسميه سن اليأس . واليأس هنا معناه انك لاتستطعين بعد هذا الانجاب الكثير الذى تذكرنيه انجابا فوق الذى كان . وقد كفاك ما كان . فأنت لا تأملين زيادة ، واليأس لا يكون الا عن امل كان ولم تستطع تحقيقه .

اما عن كبر البطن ، فكبر البطن قد يكون عن امساك وعن كثرة الغازات في الامعاء . وليس فى شيء من هذا خطر ، ولو ان فيه لا شك مضايقة كبيرة .

وليست كل امراة بلغت سن التحول هذا ، يكبر بطنها . فان هو كبر ، فقد يكون هذا بسبب ضعف يطرا عند هذه السن في عضلات البطن فترتخي . وهذا يقع بسبب الاختلال الذى يطرا في التوازن الهرموني في الجسم . هذا بالطبع على فرض ان الجسم ليس به امراض معينة اخرى .

على ان كبر البطن هذا يزول غالبا في سنة او سنتين عندما توفق المراة بين طعامها وحالها الجثماني الجديد ، فلا تصبح تلتهم من الطعام والحلوى ما يعوضها عن حلاوة اخرى في العيش فقدتها ، او خالت انها فعلت .

وكبر البطن ، ما دام ، له علاج من احزمة البطن ، شريطة ان يقوم بتفصيله وتركيبه محل من المحلات الطبية التي تقوم بصنع هذه الاحزمة . والا ضر ، بدل ان ينفع .

الاظلام يزحف على عدسة عيني

● **عندى في البصر شيء من ابهام الصور ، وقالوا لى ان ذلك راجع الى مبادىء اظلام في عدسة عيني . ومعنى هذا في المعروف من آراء الاطباء ان صاحب هذا الداء لا بد ان يصبر طويلا حتى يتم هذا الاظلام في عدسة العين ، وعندئذ فقط يستطيع الجراح ان يصنع شيئا ، وقد قال لي صديق ان الوقوف على الراس كل يوم عشر دقائق سيجعل الدم ينزل بكثرة الى الراس فالعين ، وهذا يشفى ما بها من سوء . فهل هذا صحيح ، او من بعض ماثورات عجائز الحي ؟ انى في الخامسة والستين .**

ــ من المؤسف انه لا يوجد لاظلام العدسة ، المعروفة بالكتركتة Cataract الى اليوم علاج يشفى العين منها ، او حتى يوقفه ، وذلك على الرغم من المحاولات الكثيرة التى كان بعضها يجرى على الاصول المعروفة في العلم ، وبعض لا يجرى عليها .

ولكن الغالب في اظلام العين انه يستغرق فى تمامه وقتا طويلا ، عشر سنين او عشرين او اكثر من ذلك ، حتى لقد يصبح اجراء العملية المعروفة غير ذى موضوع .

ثم آتى على نصيحة صديقك .. ان تقف على راسك عشر دقائق كل يوم . يكفى ان اقول في هذا الصدد ان الوقوف على الراس ، في مثل سنك ، سن الخامسة والستين ، شيء لا ينصح به انسان ابدا مهما كانت الغاية منه .

أخشى القيء يعاودني اذا حملت

● منذ سنتين وضعت ابنا ، ولكني عانيت قبل وضعه الشيء الكثير الذي كان سببه موعان النفس ، واستفراغها في المعدة . وطال هذا مدة طويلة كادت تساوي مدة الحمل على ما اذكر . واصبحت من اجل ذلك اخشى الحمل بسبب الذي صحبه من عذاب فهل اذا انا صرت حاملا مرة اخرى ، يعاودني هذا القيء مرة اخرى ؟

ـ لا يعرف الطب الى اليوم شيئا عن هذا القيء الذي يعتري المراة الحامل ، اعنى عن اسبابه . قال قوم انه بسبب سم معتدل يذهب الى الجهاز العصبى المركزى للام ياتي من بعض ما يفرز وليدها . وقال قوم انه بسبب نفساني .

والمحقق ان هذا القيء لا يقع للمراة الواحدة في كل حمل تحمله ، ولو انه قد يقع في حملين متلاحقين .

وعلى كل حال هو لا يضر الحامل ولا المحمول . لا يضر الام ، ولا وليدها ، الا بالطبع اذا هو زاد في شدته عن الحد .

على ان طبيبك يستطيع تخفيف هذا الحال عنك باعطائك شيئا من العقارات الحديثة ، باستثناء تلك التى اثارت في المدة القريبة شكوكا ، اذا هي اعطيت للمراة الحامل في اشهرها الاولى .

صبية المدارس ، والواجبات المدرسية

● لي ابن له ثماني سنوات من العمر ، وهو يذهب الى المدرسة ، ولكنه عندما يعود من المدرسة ، ويقوم ببعض الواجبات المدرسية الخفيفة . لا يستطيع ان يركز ذهنه على هذا الواجب . فهل عندكم اقتراح يزيد ولدى قوة على التركيز ؟

ـ ان التركيز في هذه السن شيء صعب على الاطفال ، لا سيما اذا هو طال ، الا فى عمل يكون من اختيار الطفل نفسه ، واذن هو يتركز عليه بدافع حبه اياه . وقد عرفت المدارس هذا ، ولذلك لا تعطى الا قلة من المدارس اطفالها واجبات تقوم بها في المنزل .

ان الذى يحفز بعض المدارس على اعطاء واجبات للمنزل في هذه السن ، رغبة ملحة فيهم ان يجنى تلامذتهم اكثر ما يمكن من المعلومات ليشرفوا المدرسة في السنة الاخيرة .

فان كان لا بد من هذا ، فالاب أو الام تستطيع ان تشارك الصبى فى واجباته المنزلية . تشاركه بأن تصور له انها مشاركة حقا ، وان الوالد ، كالصبى تماما ، يريد أن يحل هذه المسالة ، أو هذا المشكل ، او هذه الاحجية .

ان الصبية دائما يحبون حل الاحجيات ، لا حل المسائل . والمشاركة تعطى الجو المناسب .

وعلى كل حال ، فالتركيز مسالة تتوقف على السن ، فهي تزداد به . وتتوقف كذلك على الرغبة فيما يتركز الصبى عليه من الاشياء . انه لا يتركز على شيء يكره ابدا .

والغصب فى امر كهذا ، معناه تكريه الطفل في العلم والمعرفة جميعا . ●●



تراث الأندلس الفكري
وخاتمته المؤسية

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ لبثت قصة الكتب الأندلسية ،بعدانهيار الأندلس ، عصورا تشغل العالم الاسلامى ، وتشغل المغرب بنوع خاص ،أولا لقربه من مواطنها ، وثانيا لأن المغرب منذ انتهت دولة الاسلام بالأندلس ، غداهذا المستودع الطبيعي لتراث الأمة المغلوبة ، واليه تسرب الكثير من نفائسهذا التراث، ولا سيما فى عصور الأزمات والشدة ، وثالثا لان مكتبة مغربية عظيمةهى مكتبة مولاى زيدان الحسنى ، (١٦٠٧ ــ ١٦٢٧م) قد امتزج مصيرهابسبب حادث طارىء ، بمصير الكتب الأندلسية .

المكتبة الأموية

ويجب لكى نقدر اهمية تراثالأندلس الفكرى ، ان نعود الى عصور الخلافة الأندلسية ، حينما ازدهرت الحركة الفكرية بالاندلس ، واخذت ثمرات التفكير الاندلسى تملأ الغرب الاسلامى بروائع نفثاتها ، فى سائر ميادين العلوم والآداب، وانشئت المكتبة الأمويةالعظيمة التى لم تكن مقصورة على ثمرات التفكير الأندلسى ، ولكنها كانت تضم ثمرات التفكير الاسلامى فى المشرق والمغرب .

ويقترن ذكر المكتبة الأموية العظيمة بنوع خاص بعصر المستنصر ولد عبد الرحمن الناصر . ففى عصره (٩٦١ ــ ٩٨٦ م) اتسع نطاقها اتساعا عظيما ، وتحولت من مكتبة قصر خاصة ، الى مكتبة قومية عظيمة ، وغدت بضخامتها وتنوع محتوياتها ، من أعظم مكتبات العصور الوسطى .

ويرجع أكبر الفضل فيما بلغته المكتبة الأموية من الضخامة والعظمة ، الى شخصية الحكم المستنصر ذاته ، والى صفاته العلمية الممتازة التى نوه بها اكثر من مؤرخ أندلسى ، والى شغفه العظيم بجمع الكتب ، وهو شغف كان له اكبر الأثر في ملء خزائن الأندلس بنفائس الكتب من كل فن ومن كل قطر، من اقطار العالم الاسلامى .

وقد اختلف فى تقدير محتويات المكتبة الاموية العظيمة ، فقدرها المؤرخون بأربعمائة الف مجلد ، وقدرها البعض الآخر بستمائة الف . وكانت توجد فى قواعد الأندلس الاخرى ، عدا مكتبة قرطبة العظيمة ، زهاء سبعين مكتبة اخرى . وهذا وحده يكفى للدلالة على مدى التقدم العظيم ، الذى بلغته الحركة الفكرية فى الأندلس ، فى هذا العصر الزاهر .

الفتنة الكبرى بددت ذخائر المكتبة الكبرى

بيد ان هذا التراث الفكرى العريض ، لم يلبث مع الأسف ان لحقته يد الدمار والمحن . ففى سنة اربعمائة من الهجرة (١٠٠٩ م) وقعت الفتنة الكبرى ، وكان من حوادثها أن حاصر البربر قرطبة ، فأخرجت معظم الذخائر والكتب من خزائنها خلال الحصار ، وبيعت بأمر الفتى واضح مولى المنصور بن أبى عامر،

قصة الكتب التى خلفها العرب وراءهم، قصة حزينة .. !

ونهب ما تبقى منها حينما اقتحم البربر قرطبة ، وهكذا بددت فى لحظة محتويات المكتبة العظيمة التى تعاقب الخلفاء عصورا فى انشائها .

حركة التفكير الاندلسى تعود فتتصل ، وتزهو

على ان معظم هذا التراث المبدد بقى داخل شبه الجزيرة الاندلسية . وتلقى امراء الطوائف الكثير منه ، وزادوا عليه وفى الفترة القصيرة التى سطع فيها امراء الطوائف ، زهت الآداب الأندلسية ولا سيما فى دولة بنى عباد فى اشبيلية ، وبنى الأفطس فى بطليوس ، وبنى صمادح فى المرية . ولم تقف حركة التفكير الأندلسى فى ظل المرابطين والموحدين ، وان كانت قد خبت فى بعض النواحى ، وعرضت من آن لآخر لعصف الثورات والفتن المتوالية. وكانت القواعد الأندلسية تزخر دائما بمجموعات من الكتب الخاصة . وكلما سقطت قاعدة منها فى ايدى النصارى ، نقلت ذخائرها الفكرية الى القواعد الأخرى ، حتى سقطت معظم القواعد الكبرى ، مثل قرطبة واشبيلية وبلنسية ومرسية وغيرها فى ايدى الاسبان ، واسفرت الفتن الغامرة التى سادت الأندلس الغاربة المتداعية ، فى اوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) بعد احداث وتطورات جمة عن قيام مملكة غرناطة الاسلامية الصغيرة على انقاض الأندلس الكبرى ، فى الركن الجنوبى من شبه الجزيرة الاسبانية ، فيما بين نهر الوادى الكبير والبحر على مقربة من العدوة المغربية ، لتكون ملاذها وقت الخطر الداهم . وشاء القدر ان تنهض هذه الأندلس الصغرى وان تسطع، وان تعيد دولة التفكير والأدب فى الاندلس عصرا آخر .

المرحلة الأخيرة من نهضة التفكير الاندلسى

وفى وسعنا ان نقول ان هذه المرحلة الأخيرة من نهضة التفكير الأندلسى ، كانت من اخصب مراحله ، وانها حفلت فى مختلف الميادين بطائفة من الشخصيات البارزة التى جعلت من مملكة غرناطة الصغيرة مستودعا غزيرا للتراث الأندلسي . ومن المعروف ان ذخائر الأندلس الكبرى ، وكل ما تبقى من تراثها العلمي والفنى ، قد نقلت كلها فى اعقاب الفتنة الكبرى الى مملكة غرناطة ، واستقرت بها دهرا ، وزادت على كر الزمن بما اضيف اليها من انتاج اعلام التفكير والأدب الغرناطى .

اكوام عظيمة من التراث الفكرى العربى الأندلسى ، يحرقها الاسبان بعد سقوط غرناطة فى ايديهم

وكانت مدينة غرناطة وباقى قواعد الأندلس الأخرى، مثل وادى آش ولوشة ومالقة وبسطة والمرية وغيرها ــ كانت تزخر بمختلف المكتبات والمجموعات الخاصة، حينما شهر الملكان الكاثوليكيان فرناندو وايسابيلا ملكا اسبانيا المتحدة ــ حربهما المدمرة للقضاء على مملكة غرناطة . وفى تلك الآونة المؤلمة التى شعر فيها اهل الأندلس ، بأن مصائرهم ومصائر وطنهم ودينهم ، اضحت تهتز فى يد القدر ، غادر الكثير منهم الوطن القديم ، وعبروا البحر الى عدوة المغرب،

وحمل الكثير معهم كتبهم .

ولكن مقادير عظيمة من ذخائر الأندلس الفكرية ، لبثت تثوى في اماكنها الخاصة في غرناطة وغيرها . فلما حمّ القضاء وسقطت غرناطة آخر القواعد الاندلسية في يد الاسبان (يناير ١٤٩٢م) وانتهت بذلك دولة الاسلام في الأندلس ، وغدت بقايا الأمة الأندلسية العظيمة كالعبيد في ظل الحكم الاسباني ، لم يكن يدور بخلدهم شيئا مما دبرته السياسة الاسبانية ، من مشاريع بعيدة المدى ، للقضاء على وطنهم ودينهم وتراثهم، وكل مقوماتهم الحضارية والروحية . وبدات السياسة الاسبانية بفرض التنصير المفصوب على أبناء الامة المغلوبة .

ثم قرن الكاردينال خمنيس منفذ هذه السياسة ، عمله باجراء مدمر آخر، هو انه أمر بجمع كل ما يستطاع جمعه من الكتب العربية ، من اهالي غرناطة وارباضها ، ونظمت أكداسا هائلة في ميدان باب الرملة ، اعظم ساحات المدينة ، وفيها كثير من المصاحف البديعة الزخرف ، وآلاف من كتب الآداب والعلوم ، واضرمت فيها النار جميعا ، ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب والعلوم ، حملت الى الجامعة التى انشأها في «قلعة هنارس» وذهب ضحية هذا الاجراء الهمجى عشرات الالوف من الكتب العربية هي خلاصة ما تبقى من التفكير الاسلامي في الاندلس .

قصة مكتبة الاسكوريال

واستمرت مطاردة السياسة الاسبانية للكتب العربية بعد فعلة خمنيس ، فجمعت منها خلال النصف الاول من القرن السادس عشر مقادير عظيمة أخرى ، من غرناطة ومن مختلف القواعد الاندلسية القديمة ، ولا سيما بلنسية ومرسية ، حيث كانت لدى الموريسكيين والعرب المتنصرين منها مجموعات كبيرة . ولكنها لم تعدم ولم تحرق هذه المرة، بل لقيت سبيلها الى المكتبة الملكية في الاسكوريال ايام الملك فيليب الثاني .

وفي سنة ١٦١٢ م وقع حادث ترتب عليه أن ضوعفت المجموعة العربية بالمكتبة الملكية . وذلك ان اسطولا اسبانيا بقيادة دون بيدرو دى لارا ، كان يجوس خلال المياه المغربية تجاه ثغر آسفى ، ففاجأ قافلة من السفن المغربية كانت تصحب ملك المغرب مولاى زيدان الحسنى ، وكانت من بينها سفينة مشحونة بالتحف، وبها نحو ثلاثة آلاف سفر من كتب الفلسفة والأدب والدين ، فاستولى عليها الاسبان . وكانت هذه الكتب من محتويات المكتبة الزيدانية الشهيرة . وكان مولاى زيدان قد اضطر تحت ضغط خصومه أن يغادر عاصمة مراكش، وان يحمل معه تحفه وكتبه ، فاستلبها الاسبان على هذا النحو ، وحملت غنيمة الى قصر الاسكوريال ، وبذلك بلغت المجموعة العربية في الاسكوريال في أوائل القرن السابع عشر نحو عشرة آلاف مجلد

حريق في الاسكوريال يقضي على أكثر ذخائر الفكر العربي

ولبثت هذه الآلاف العشرة من المخطوطات الاندلسية والمغربية في قصر الاسكوريال زهاء نصف قرن ، وكانت اغنى وانفس مجموعة من نوعها في اسبانيا ، وفي أوربا كلها . ولكن محنة جديدة اصابت هذه البقية الباقية من تراث الأندلس الفكري. ففى سنة ١٦٧١ شبت النار في قصر الاسكوريال والتهمت معظم هذا الكنز الفريد ، ولم ينقذ منه سوى زهاء الفين هى التى تثوى اليوم في اقبية الاسكوريال .

وهذه البقية الباقية ، من تراث التفكير الاندلسي ، وما اختلط به من بقايا المكتبة الزيدانية هي التى قام العلامة اللبنانى ميخائيل الغزيرى بدراستها بتكليف من الحكومة الاسبانية ، ووضع عنها فهرسه الشهير باللاتينية Bibliothece Arabico - Hispana Escurialensis في مجلدين كبيرين صدر أولهما في سنة ١٧٦٠ وصدر الثانى في سنة ١٧٧٠ . ويحتوى الاول على أبواب النحو وعلوم

اللغة والشعر والفلسفة والاخلاق والسياسة والطب والتاريخ الطبيعى ، والرياضة ، والفلك ، والهندسة والفقه وعلوم الدين والقرآن . ويبلغ عددالكتب التى تشملها هذه الأبواب ١٦٢٨ كتابا . ويحتوىالمجلد الثانىعلى بابى الجغرافيا والتاريخ ، ويمتد تعداد محتوياته حتى رقم ١٨٥١ ، وهو نهاية الكتب التى قام بدراستها الغزيرى . ويوجد فضلا على ذلك نحو مائة مخطوط أخرى لم يشملها فهرس الغزيرى ، وبذلك تصل مجموعة الاسكوريال الاندلسية الى نحو الفى كتاب .

وتوجد بين هذه المجموعة الاسكريالية طائفة كبيرة من كتب المكتبة الزيدانية ينوه عنها الغزيرى من آن لآخر في فهرسه ، ويذكر انها من كتب المكتبة المغربية الملكية السابقة Exregia Bibliotheca Marochana ومنها عدة من الكتب المكتوبة بالخطوط المذهبة ، والمجلدة بجلود فاخرة لا تزال تحتفظ برونقها الملكى .

محاولات ملوك استرداد كتبهم من الاندلس بعد فراقها

ولم ينس ملوك المغرب الكتب الاندلسية ، ولم ينسوا بالاخص كتب المكتبة الزيدانية التى نهبت قسرا في عرض البحر ، فبذلوا في سبيل استردادها غير محاولة رسمية .

ففى سنة ١١٠٢ هـ الموافقة لسنة ١٦٩٠ م ارسل مولاى اسماعيل عاهل المغرب الكبير ، سفيره الوزير محمد بن عبد الوهاب الغسانى الى كرلوس الثانى ملك اسبانيا ليقوم بمهمة مزدوجة هى الاتفاق على تبادل الاسرى ، والعمل على استرداد الكتب العربية . وكان حريق الاسكوريال قد وقع قبل مقدم الوزير الى اسبانيا بنحو عشرين عاما ، فزعم الاسبان للوزير ان الحريق قد اتى على سائر الكتب العربية ، واخفوا عنه حقيقة ما تبقى منها . ولما قام الوزير بزيارة قصر الاسكوريال وشاهد آثار الحريق في المكتبة اقتنع بما ذكره الاسبان ، واكتفى بالاتفاق على تحرير الاسرى .

وبعد ذلكبنحو ثمانينعاما بعث مولاى محمد بن عبد الله ملك المغرب في سنة ١١٧٩ هـ الموافقة لسنة ١٧٦٦ م ،كاتبه احمد بن المهدى الغزّال بسفارة مماثلة الى كرلوس الثالث ملك الاسبان ، تدور أيضا حول تحرير الاسرى ، واسترداد الكتب العربية . وقد استطاع السفير المغربى أن يصل الى اتفاق مرض مع الحكومة الاسبانية لمعاملة الاسرى وان يحصل أيضا على مقادير قليلة من الكتب العربية جمعت له من مدريد وغرناطة . ولكن الاسبان اخفوا عنه ، كما اخفوا عن سلفه الوزير الغسانى ، حقيقة الأمر فيما يتعلق بمجموعة الاسكوريال .

خاتمة تبعث الأسى

وهكذا كانت الخاتمة المؤسية لتراث الاندلس الفكرى . فقد تناولته يد التدمير المنظم منذ انهارت دولة الاسلام في الاندلس ، وغدت الامة الاندلسية المغلوبة طائفة العرب المتنصرين الذليلة المهيضة ، ثم التهمت النار بعد ذلك معظم ما احتفظ به الاسبان منه ، ولم تبق منه سوى البقية القليلة التى ماتزال تثوى في اقبية الاسكوريال حتى يومنا .

بقى امل فيما يحتفظ به المغرب اليوم من كتب تكشفها الايام

بيد اننا ما زلنا نعتقد ، او ما زال يحدونا الأمل بأن المغرب ، وقد كان دائما مستودعا لتراث الاندلس ، وخصوصا ايام المحن والشدائد ، مازال يحتفظ في مجموعاته الخاصة ، سواء في حواضره او في بواديه ، بكثير من الذخائر الاندلسية النفيسة ، التى قد يكشف عنها البحث ، وقد كشف لنا البحث بالفعلفي الأعوام الاخيرة عنطائفة من الآثار الاندلسية الجليلة التى كان يظن انها قد هلكت واندثرت الى الابد .

محمد عبد الله عنان ■■

طرائف عربية

من أفضل الناس ؟

● قال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا، وأكرمهم طباعا ، وأجلهم في النفوس قدرا ، فسكت القوم فقام فتى فقال : أبيت اللعن ، ان أفضل الناس من عاش الناس في فضله . فقال : صدقت .

يتمرغ فى رياض الجنة

● كان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم امه ، فابطأ يوما على اخوته ، فسالوه عن سبب ابطائه فقال : كنت اتمرغ فى رياض الجنة ، فقد بلغنا ان الجنة تحت اقدام الامهات .

رد فى محله

● حضر اعرابى على مائدة احد الخلفاء ، فقدم جدى مشوى ، فجعل الأعرابى يسرع فى أكله منه ، فقال له الخليفة : أراك تأكله بحرد «بسرعة» كأن أمه نطحتك ، فقال الأعرابى : لعلك تشفق عليه كأن أمه ارضعتك .

شبيه بالكرم الحاتمى

● جاء رجل من الأنصار الى عبدالله ابن عباس فقال يا عبد الله انه ولد لى فى هذه الليلة مولود ، وانى سميته باسمك تبركا بك ، وان أمه ماتت . فقال له : بارك الله لك فى الهبة وآجرك على المصيبة . ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع لأبيه مائتى دينار لينفقها على تربيته ثم قال للانصارى : عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش يبس وفى المال قلة فقال الانصارى : جعلت فداك لو سبقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب .

ذكاء

● كان الرشيد فى كل سنة يكرم عبيده وجواريه يوم العيد . فجمعهم يوم عيد على عادتهم ، ووضع انواع الملابس والحرير ، والدراهم والدنانير ، وقال : من أحب شيئا فليضع يده عليه ، فوضع كل منهم يده على ما اختار الا جارية

أقوال مأثورة

* التواضع من مصائد الشرف .
* من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب .
* لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح .
* عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم .

لا ذقته ، يا أعرابى

● وقف أعرابى على ابى الأسودوهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم اقبل على الاكل ، ولم يعزم عليه فقال لهالأعرابى : اما انى قد مررت بأهلك . قال : كذلك كان طريقك . قال :وامراتك حبلى. قال كذلك كان عهدى بها . قال وقد ولدت ، قال كان لابدلها أن تلد ، قال ولدت غلامين ، قال: كذلك كانت أمها ، قال مات احدهماقال : ما كانت تقوى على ارضاع اثنين . قال : ثم مات الآخر ، قال نما كان يبقى بعد موت اخيه ، قال : وماتت الأم ، قال: حزنت على ولديها،قال : ما اطيب طعامك ، قال : لأجل ذلك اكلته وحدى والله لا ذقتهيا اعرابى .

ايثار فى وقت الشدة

● عن حذيفة العدوى قال : كنتاسقى الجند يوم اليرموك واذا انا بابن عم لى بين القتلى فقلت : اسقيكفاشار الى ان نعم . فاذا برجل يقول آه فاشار الىّ ابن عمى أن انطلق اليهواسقه ، واذا هو هشام بن العاص . فقلت : اسقيك فاشار الى ان نعمفسمع آخر يقول آه فاشار الىّ ان انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات .

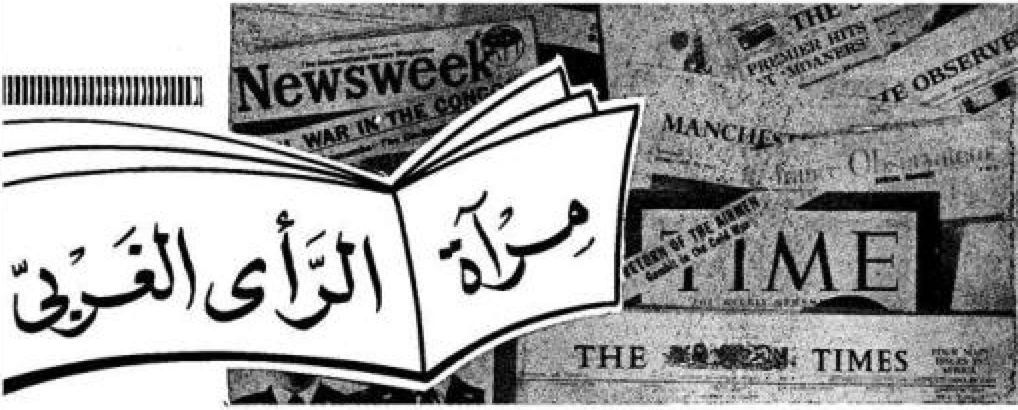
لماذا استحق السؤدد

● قال الرشيد لاعرابى : بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة . قال : بحلمه عن سفيهنا ، وعفوه عن مسيئنا ، وحمله عن ضعيفنا ، لا منان اذا وهب ، ولا حقود اذا غضب، رحب الجنان ، سمح البنان ، ماضى اللسان. قال : فأوما الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لو كانت هذه فى هذا الكلب لاستحق بها السؤدد .

جارية

منهن ، فانها وضعت يدها على الرشيد. فقال لها : ما تصنعين ؟

قالت : يا مولاى الست امرتنا بأن يضع كل منا يده على ما يحب .. فانا لا احب سواك ، فأعجبه ذكاؤها واعتقها .



العلاقات بين المعسكرين الغربي والشرقي

عن مجلة « النيوزويك » الامريكية :

تكررت دعوة الولايات المتحدةالامريكية الى تحسين العلاقات بين الشرق والغرب في الآونة الأخيرة ، وتكررمعها شعور بعض حليفات روسيا في شرق اوروبا بالاستياء الشديد . اماالاسباب الباعثة على هذا الاستياء فهي :

اولا : خوف تلك الدول الحليفة من توصل موسكو وواشنطن الى اتفاق يقضي بمعاملة دول شرق اوروبا ، لابوصفها دولا مختلفة كما هي في الواقع ، وانما باعتبارها كتلة سياسية واحدة .

ثانيا شأن ذلك الاتفاق ، كما لا يخفى ،ان يؤدى الى تخلي الولايات المتحدة الامريكية عن سياسة لها قديمة تقليديةوهي دق الاسافين بين روسيا وحليفاتها الشرقية بأن ترسل المعونات المختلفة الىهذه الدول . وان تحقق الاتفاق السالف الذكر ، لتغيرت هذه السياسة الامريكيةقليلا او كثيرا ، الامر الذى تخشى بعض دول شرق اوروبا وقوعه .

النظريات الاقتصادية البالية

عن مجلة « ول ستريت » الامريكية :

يصعب على المرء ان يفهم ما حدثمؤخرا فى بلدان السوق الاوروبية المشتركة فلقد ارتفعت اسعار الفحم الحجرى الاوروبي وزادت على اسعار الفحم الحجرى المستورد ، بحيث اضطراصحاب مصانع الفولاذ فى اوروبا الى شراء هذا الفحم واستيراده بكميات كبيرة من مصادره القريبة من اوروبا ، حتى من البعيدة منها ، كالولايات المتحدةالامريكية .

ولعلك تظن ان اقطار السوقالاوروبية المشتركة رحبت بهذا الاستيراد اذ قد ساعد مصانع الفولاذفيها على الاحتفاظ بقدرتها على المزاحمة فى الاسواق العالمية الوعرة المسالك .

ولكن هذا لم يرض دول السوقالاوروبية المشتركة فقد رات هذه الدول ان تتمسك بمبدأ الحماية الاقتصاديةالعتيق ، بالرغم مما نالت صناعة الحديد والفولاذ من منافع جزيلةبالتجائهم الى المصادر العالمية الرخيصة . وتوفيقا بين الامرين راتدول السوق ان يشترى اصحاب مصانع الفولاذ الفحم المحلىمن السوق الاوروبيةبرغم علو ثمنه ، وان تعوضهم عن ذلك بالمعونات المالية تسديها لهم .

مستقبل القوات والقواعد العسكرية البريطانية

عن صحيفة المانشستر جارديان الاسبوعية البريطانية :

● سيخضع الجيش البريطاني لتخفيض كبير . اما التخفيض الذى سيلحق الاسطول وسلاح الجو الملكي فسيكون محدودا نسبيا . وتستعد الحكومة البريطانية الى اعلان ذلك على نحو مفصل فى كتاب أبيض تصدره فى غضون هذا الشهر (شباط ـ فبراير ١٩٦٧) .

ولعل المضطلعين بأعباء التخطيط فى وزارة الدفاع منهمكون حاليا بتمرينات وعمليات يقومون بها ، تارة بمساعدة الاجهزة الالكترونية وتارة أخرى دون مساعدة ، ورائدهم فى كلتا الحالتين واحد ، هو تحرى الحدود التي يجدر بتلك التخفيضات عدم تجاوزها وذلك للحفاظ على معنويات الجيش ومستوى اقتداره .

ولا ريب فى أن الاسباب التى تفرض هذه التخفيضات انما هي اسباب مالية ، ولا ريب فى ان انتهاء تصدى اندونيسيا لماليزيا قد جعل المهنة اسهل وايسر مما يتوقع .

لذلك كان التخفيض الذى تتوقعه اوساط الجيش وتخشاه لايقل عن عشرين الفا تهبط بالقوات العسكرية من المجموع الحالي البالغ ١٨١٫٠٠٠ الى ١٦٠٫٠٠٠ . على ان المجموع الحالي هذا لم يات عفو الخاطر . فقد انقضت شهور اثر الغاء الخدمة الاجبارية والسلطات المعنية ماضية فى تفكيرها وتمحيصها لذلك المجموع باعتباره الحد الادنى لمجموع الجنود المحترفين القادرين على حماية المملكة المتحدة من جهة ، وعلى تمكين بريطانيا من القيام بالتزاماتها من جهة ثانية .

على أن هذه التخفيضات المقررة والمؤكدة قد بعثت على القلق وادت ، فى بعض الحالات ، الى انحطاط الروح المعنوية سواء فى الضباط العاملين او الرؤساء وكبار المسؤولين العسكريين .

الاستعمار فى عدن

عن صحيفة الاوبزرفر البريطانية :

● تتعرض الحكومات الاستعمارية لحملات واتهامات عديدة ومختلفة كلما تصدت هذه الحكومات للحركات الوطنية الثورية وعملت على قمعها او كبح جماحها بالقوة . ولعل أبرز التهم التي توجه الى السلطات الاستعمارية فى تلك الحال لجوؤها الى تعذيب رجال تلك الحركات ، ومعاملتهم على نحو حاطٍ بالكرامة الانسانية .

وعلى كون هذه التهم واهية مختلقة احيانا ، وموضع غلو ومبالغة فى معظم الاحيان ، فان احدا منا لايستطيع الجزم بان القوات البريطانية بريئة من تلك التهم او انها لم تعمد الى تعذيب رجال الحركات الوطنية او اساءة معاملتهم على الاقل ، فى عدد من البلاد التى قامت فيها مثل تلك الحركات ، كقبرص وكينيا ..

ويصدق ذلك على عدن ايضا ، كما يبدو . فالسياسة التى تنتهجها فيها حاليا وزارة الخارجية البريطانية كالسياسة التى انتهجتها من قبلها وزارة المستعمرات ، سياسة قاسية متزمتة وسلبية .



من أخطاء القضاء

قرية ظالمة

بقلم : حسن الجداوى

المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ ارجو ان يغفر لى صديقى الدكتور محمد كامل حسين ان استعير عنوان كتابه العظيم مع الفارق الكبير بين موضوع كتابه وهذه القضية التى انا بسبيل عرض وقائعها، ولكننى وجدت انه انسب عنوان .

نحن فى اواخر القرن السابع عشر ـ فى قرية سالم من أعمال ولاية « انجلترا الجديدة » ـ وهى قرية تبعد عشرين ميلا من مدينة بوسطون لا يزيد عدد سكانها فى ذلك الوقت ـ عام ١٦٩٢ ـ على الف وخمسمائة نسمة . وهى قرية انشاها قبل خمسين عاما ثلاثة الاف لاجىء انجليزى جاءوا الى القارة الجديدة بعد أن اصبحوا غير مرغوب فيهم فى وطنهم الأصلى لاعتناقهم مذهبا مسيحيا من المذاهب الشديدة التعصب .

ولم يكن فى هذه القرية الا شارع ينتهى الى المعبد الذى يدور حوله وينتهى اليه كل نشاط اهل القرية .

وكان جميع سكان تلك القرية من المذهب المسيحى البيوريتانى Puritans ، متزمتين لا يفرطون فى مبدأ من مبادئهم . واستطاعوا تنظيم قريتهم احكم تنظيم ، وضمنوا الأمن والسلام لسكانها وردوا عنها اعتداءات الهنود الحمر ـ سكان امريكا الاصليين ـ وحولوها الى قرية متعصبة متزمتة ، واخضعوا نظام الحكم فيها الى الاغلبية المطلقة . وكان كل من خرج على الاغلبية لايستطيع العيش فيها ، وبذلك هبط عدد سكانها الى النصف بدلا من ان يزيد على مر السنين .

* * *

وبحلول الامان والاطمئنان دبت الحياة الاقتصادية فى القرية وعاد كل فرد من أهلها الى طبيعته ، وظهر بينهم المغرور والطامع ومحب الظهور ، والذى لا يتورع عن الكذب . ونمت بينهم الفروق الاجتماعية . فالزوجة التى اغتنى زوجها تنادى بالسيدة وتلبس الدمقس والحرير ، والتى بقى زوجها فى فقره ينادونها « امراة » وتظهر فى ملابس من الصوف الخشن .

* * *

ولم يكن اهل القرية يتسامحون مع من يخرج على المبدا البيوريتاني المحض . فلما تسلل بعض من ينتمون الى جماعة الصحاب (الكويكرز) Quakers اعتبروهم زنادقة واضطهدوهم وربطوا عددا منهم خلف عربة وجلدوهم فى شوارع القرية وهددوهم بان يبيعوهم باعتبارهم عبيدا ، فلاذوا بالفرار ، وهم مسيحيون أيضا .

وكل تقصير فى اداء الفروض الدينية التى

اعتمدها سكان القرية يعامل بالشدة نفسها . فابتداء من ظهر يوم السبت الى صباح يوم الاثنين يحرم القيام بأى عمل . فلا تقاد النار ، ولا تحلب الأبقار ، ولا ترق الجوارب ولا تصلح الاحذية . وعقاب من يخالف ذلك الجلد والتشهير . وعيّن أهل القرية مفتشين يقتحمون البيوت فى أوقات الصلاة ليتأكدوا من ان المتخلفين عن حضورها تخلفوا لعذر قاهر . وقبّلت امرأة زوجها فى الشارع فى يوم أحد ، فكان جزاؤها أن جُلدت وطردت من القرية .

ومع ذلك فقد كانت هذه المظاهر لا تمثل الحقيقة بل كانت رياء . فالناس لا يتعاطون فى المقاهى الا أشربة خالية من الكحول ،ويستهلكون وراء جدران منازلهم الخمور ، شأنهم شأن غيرهم من القرى التى لا تحرّمها . ونسبة الخيانات الزوجية هى النسبة نفسها فى القرى الاخرى ، والفرق أن تلك ترتكب فى السر والويل لمن يُضبَط . ولم تكن الحياة تطيب فى القرية الا داخل البيوت،ليس فقط اتقاء تزمّت الحكام ولكن اتقاء عدوين ما من اتقائهما بد . الهنود الحمر الذين يسكنون فى الغابات المحيطة والذين كثيرا ما



وقدم تقريرا ذكر فيه أنها كانت تجلس القرفصاء على كرسى وتحرك جسمها للأمام والخلف وتهتز وتبدو وكأنها تتحدث الى شخص غير منظور وتستمع الى أجوبته .

يغيرون على القرى ، والذئاب الجائعة التى كانت تهاجم القرى حين يشتد البرد طوال أيام الشتاء.

★ ★ ★

واوجدت هذه الحياة المتزمتة والرعب الذى يحيط بالسكان وعيشتهم بين جدران الدور خلال الشتاء الطويل ، وافراطهم فى تعاطى الخمر ، حالة هستيرية غامضة فتحت الابواب على مصاريعها لتقبل جميع انواع الخرافات . ورجعت بسكان القرية الى معتقدات القرون الوسطى ، خاصة وان مؤسسى القرية كانوا من اصل اسكتلندى من الذين يعتقدون فى السحر والشعوذة .

★ ★ ★

وفى عام ١٦٤٥،أى بعد أربع سنوات من تأسيس القرية،حوكم أربع نساء بتهمة السحر،وأعدمن .

وفى عام ١٦٨٨ أعطت سيدة تدعى جيدون ملابسها لامرأة اسمها جلور ـ من أصل ارلندى ـ لتغسلها لها . فلما أعيدت لها تبين أن بها نقصا ، فاتهمتها بالسرقة،وتبادلت المرأتان السباب لدرجة أن احدى بنات السيدة جيدون تشنجت وانتقلت عدوى التشنج ـ والتشنج كالتثاؤب ـ يتعدى ـ الى شقيقاتها الثلاث أثناء الليل فتشنجن بدورهن.

فلما أصبح الصباح اتهمت السيدة جيدون جارتها الارلندية بأنها سحرت لبناتها . وأسرعت السلطات فالقت القبض على السيدة الارلندية . وكانت مكروهة من جيرانها لأنها ارلندية كاثوليكية، فتطوعوا ليشهدوا ضدها ـ زورا وبهتانا ـ وصدر الحكم باعدامها ، وتنفذ . وكان اعدامها اشارة البدء فى الهستيرية الجماعية التى تميزت بها محاكمات السحرة فى قرية سالم .

★ ★ ★

كان صاحب الكلمة النافذة فى مدينة بوسطون فى ذلك الوقت مدير جامعة هرّفرد واسمه انكريز ، ويشدّ أزره فى ضلاله ابنه كوتون ماثر أستاذ الديانات بتلك الجامعة . وكان الرجلان مشحونين بعلوم القرون الوسطى عنيدين يعتقدان أنهما قد قبضا على ناصية الحقيقة وان كل من يخالفهما اما جاهل أو كافر . وقد أتقن الابن تسع لغات وألّف مائة وثمانين كتابا ، وكان مع ذلك يؤمن ايمانا عميقا بالسحر . وقد ألف كتابا يصف فيه أعمال ابليس ويدلل عليها بان الصواعق تصيب أبراج الكنائس أكثر مما تصيب المبانى الاخرى .

فلما اتهمت السيدة جلور بأنها سحرت بنات السيدة جيدون نصب كوتون ماثر نفسه خبيرا لتحقيق التهمة فاحتجز احدى بنات جيدون فى منزله يجرى عليها اختباراته . وقدم تقريرا ذكر فيه أنها كانت تجلس القرفصاء على كرسى وتحرك جسمها للامام والخلف وتهتز وتبدو وكأنها تتحدث الى شخص غير منظور وتستمع الى أجوبته، وتزعم أن اليوم هو الأحد ، وتبقى فترة طويلة لا تتحرك كأنها فى نشوة روحية ، ثم تمتطى كرسيها كما لو كان دابة وتتحرك . وانه حاول أن يتلو عليها فقرات من التوراة ولكنها بتأثير من ابليس اللعين ـ تتشنج . وكانت على العكس تصغى باهتمام اذا تلى عليها فقرات من كتاب بابوى عثر عليه .

وعلى أساس هذا التقرير أعدمت المرأة جلور. وبمجرد اعدامها اختفت آثار السحر من الفتاة جيدون .

★ ★ ★

ولكن ابليس اللعين لم يترك القرية فى هدوئها كما اعتقد سكانها اذ ذاك . فلم تكد تمضى أربع سنوات حتى ظهرت آثار تسلطه على عدد من فتيات القرية فى منزل قسيس اسمه صامويل باريس . فقد كان يجتمع فى منزل القسيس ، فى كل ليلة من ليالى الشتاء ، عدد من الفتيات صغراهن فى الحادية عشرة من عمرها وكبراهن فى العشرين ، وعددهن عشرة ، يتبادلن الحديث ويأكلن ويشربن الروم . بينما العاصفة تزمجر فى الخارج، والذئاب تعوى ، والهنود الحمر يطلقون نداء الحرب . وكانت أخيلة لهب الشموع مع أصوات الصواعق وعواء الذئاب تبدو وكأنها أشباح مخيفة داخل القاعة الكبيرة .

وكان القسيس باريس قد عهد بتربية ابنته وبنات أخيه المقيمات معه الى جارية هندية تعرف وسائل السحر وتطبق طقوسه . وتلقفتها الفتيات اللائى عهد اليها بتربيتهن . وتحت تأثير ترتيلات الخادمة الهندية كانت الفتيات يقمن بحركات

بذيئة وينطقن بالفاظ فاحشة ، فلما عُرضن على الأطباء قرروا انهن واقعات تحت تأثير ابليس .

★ ★ ★

وافتت الخادمة الهندية انه ، لمعرفة مصدر السحر ، يجب اطعام كلب كعكة معجونة ببول احدى الفتيات ، وعندها تعرف تلك الفتاة من هو الشخص الذى سحر الفتيات . ووقع الاختيار على اليزابيث باريس ابنة القسيس . فلما اكل الكلب الكعكة ـ التى عاونت فى عجنها ـ اتهمت بدافع الجبن الخادمة الهندية . فألقى القبض عليها واودعت السجن . واعترفت الخادمة انها ساحرة وأن لها اتصالا بابليس . وكان القانون فى تلك الايام يعتبر الاعتراف توبة والتائب يكتفى بمصادرة امواله ويعفى من العقوبة .

وتفتحت شهية بنات القس باريس لهذا العبث واخذن يوزعن الاتهامات يمينا وشمالا ، بتحريض من أم احداهن ، سيدة تدعى آن بوتمان ، تنتمى الى أسرة غنية تمتلك اراضى زراعية واسعة فى زمام قرية سالم . وكانت على خلاف مستديم مع المزارعين من جيرانها وخاصة مع اثنين منهما ، كارى ونيرس ، وهما عجوزان تخطيا السبعين من عمرهما ولكل منهما زوجة فى مثل سنه .

وحرضت آن بوتمان ابنتها على اتهام زوجتى جاريها ربيكا نيرس ومارت كارى . واوعزت الابنة لزميلاتها فبدأن يصرخن ويزعمن أن شبح ربيكا ومارت يقتحم عليهن غرف نومهن ويعذبهن ويرغمهن على كتابة اسمائهن فى سجلات ابليس .

★ ★ ★

ولم يكن الامر يتطلب اكثر من ذلك لالقاءالقبض على السيدتين الفاضلتين الطيبتين ، وعجوز ثالثة تدعى سارة بلغت الثمانين من العمر ، والقائهن فى غيابة السجن . وكانت الأدلة التى قدمت ضد المتهمات الثلاث انه وجد بساق ربيكا نيرس نتوء صغير قيل انه من لمسة ابليس . وشهد شاهد انها ضبطت غلاما يسرق تفاحا من بستانها فدعت عليه بان ياخذه الشيطان . وشهدت احدى جاراتها انها رأتها ذات يوم ممطر تسير فى الشارع ومعطفها غير مبتل .

ولندرك الروح التى سادت المحاكمة والجو التى جرت فيه ، يكفى أن نذكر أن مارت كارى أثناء محاكمتها رفعت يديها الى السماء قائلة « يا الهى ساعدنى » ، فنهرها القاضى بقسوة ومنعها من رفع يديها زعما أنها بهذه الحركة تدعو الأرواح الشريرة . ولما اقترب منها زوجها ليجفف العرق المتصبب من جبينها صاح فيه القاضى « ابتعد أيها العجوز الشرير فانك بعملك هذا تلمس ابليس ! ».

★ ★ ★

كان قانون قد صدر فى انجلترا يسرى على المستعمرات ، اعتبر أن السحر جريمة ضد امن الدولة ، وتشكلت له محكمة خاصة . وكان القاضى الذى راس المحكمة صامويل سيوال يؤمن ايمانا عميقا بضرورة القضاء على اعمال ابليس ويجد له اثرا فى كل تحركات المتهمين بالسحر .

وكانت بنات باريس وزميلاتهن يحضرن المحاكمة ويشتركن فيها بالصراخ والتشنج كلما انكرت المتهمة اقوالهن .

واثناء محاكمة سارة جود البالغة من العمر ثمانين عاما تشنجت احدى الفتيات واتهمتها بأنها طعنتها ـ اثناء الجلسة ـ بواسطة شبحها بسكينة فى راحة يدها وأن النصل انكسر وقدمت بالفعل جزءا مكسورا من النصل .

وبدا السرور على وجه القضاة فهذا دليل مادى على قدرة المتهمة اذ كيف استطاعت ذلك وهى بعيدة عن الشاهدة . ولكن أحد الحاضرين فى الجلسة وجد فى نفسه الشجاعة ليقول متحديا مجازفا انه كان يلعب بالامس مع الشاهدة وكسر نصل سكينته فرمى طرف النصل تحت قدم الشاهدة . وقدم بالفعل باقى السلاح .

★ ★ ★

وبالرغم من تحيز القاضى فى تلخيصه للدعوى قرر المحلفون أن المتهمتين غير مذنبتين ، ونطق القضاة ـ على كره منهم ـ بحكم البراءة . وعندها بدأ الفتيات يصرخن ويأتين بحركات تشنجية ويزعمن أن شبح المرأتين يفقأ عيونهن بدبابيس صغيرة ويعضهن ، وأن عصفورا أصفر خرج من صدر احدى المتهمتين يطعنهن فى رؤوسهن . وانجرف الجمهور فى هذه الهستيرية الجماعية . وعبثا حاول القاضى أن يطرد الأرواح الشريرة

بمكنسته من قاعة الجلسة . فاضطر أن يعيد استجواب سؤال المحلفين . وفي هذه المرة جاء قرارهم بالعكس ، وحكم بالاعدام .

★ ★ ★

اما مارث كاري المتهمة الثالثة فقد أثنت على القضاة لما يبدون من نشاط في مقاومة افعال ابليس ولكنها طالبتهم أن يدققوا في ادعاءات الشهود . ولكن أقوالها وقعت على آذان مغلقة وكان مصيرها نفس المصير .

والقى القبض على زوجها جايلز كاري، ولما وجه اليه السؤال التقليدي « مذنب أو غير مذنب » ، قال : « انني لا أريد أن أحاكم لعلمي اولا انكم قد حكمتم علي قبل ان تسمعوا أقوالي ولانني لا أريد أن تصادر أموالي » .

ولكي يجبروه على الاعتراف بانه ساحر أمرت المحكمة بتعذيبه، وفي قاعة الجلسة ، وامام القضاة جاء الجلاد باحجار ثقيلة وضعها فوق صدره حتى مات .

وقبل أن يموت قال : « انني أدان من محكمة تقبل شهادة الاشباح . انني أحس بطعم الموت ولكنني أتقبله راضيا . ولن أقول كلمة لا تمثل الحقيقة . ان جسمي بين ايديكم عذبوه كيفما شئتم . اما روحي فلن تقووا عليها » .

★ ★ ★

وفي خلال ثمانية عشر شهرا وفي قرية لا يزيد عدد سكانها على الف وخمسمائة بلغ عدد المقبوض عليهم بتهمة السحر ١٢١ شخصا ، وعدد الذين شنقوا ثمانية وعشرين . وتتطور الأمر حتى أن كلبا تشنج في الطريق فادعت احدى الفتيات انها رأت شبح صاحبه يمتطيه. فلم يكن من صاحب الكلب الا أن فر من القرية وقبض على الكلب وحوكم واعدم نيابة عن صاحبه .

★ ★ ★

واصدر عمدة المدينة ــ براد ستريت ــ أمرا بالقبض على أربعين شخصا بتهمة السحر . ثم امتنع عن اصدار أوامر قبض أخرى فهاجت المدينة واتهمته بالتواطؤ مع ابليس ، فما كان منه ــ علما بمدى عدالة محاكمات قرية سالم ــ الا أن فر ومعه زوجته من القرية .

وبعد قليل وجهت تهمة السحر الى احد أصحاب البواخر ولكنه هدد برفع دعوى القذف على الفتيات المراهقات اللاتي وجهن الاتهام فتملكهن الخوف وأسرعن بسحب التهمة . ولم تعد المحاكم مستعدة لاصدار احكام حتى انه في يناير ١٦٩٤ قدم ٥٦ شخصا للمحاكمة فاستبعدت المحكمة ثلاثين منهم وبرأت ثلاثة وعشرين وحكمت على ثلاثة بعقوبة رمزية مع وقف التنفيذ .

★ ★ ★

وفي شهر ابريل أصدر الحاكم أمرا بالافراج عن ١٥٠ شخصا كانوا في السجن ينتظرون أن يحاكموا بتهمة السحر . واحس سكان القرية بأن عهد محاكمة السحرة قد انتهى فاتجهوا بغضبهم الى الذين تسببوا في تلك المحاكمات . وكان أول من تعرض لغضبهم القسيس باريس . فبالرغم من اعترافه علنا بانه اخطأ بحسن نية واستغفر عن ذنبه فقد هجر السكان كنيسته فلم يجد مفرا من ترك القرية .

★ ★ ★

اما القاضي ، ومدير الجامعة وابنه ، فبقوا مصرين على اعتقادهم . والف كوتون ماثر استاذ الديانات بجامعة هرفرد كتابا بعنوان « عجائب الكلمة السرية » أيد فيه جميع اتهامات مراهقات سالم وكتب مقدمته أبوه مدير الجامعة. وعارضهما تاجر موسر من المدينة بكتاب أثبت فيه بهتان هذه الادعاءات وكان هذا خاتمة المطاف .

وقررت القرية ان يصوم اهلها للتكفير عن الأخطاء التي ارتكبت . ووقع المحلفون علنا اقرارات بالندم ولات ساعة مندم ــ يسألون الله الغفران ويسترحمون ضحاياهم. كذلك فعل القاضي سيوال، واعترفت السيدة بوتمان في الكنيسة راكعة أنها اخطأت ، وأن الشيطان هو الذي أوعز اليها ، واقامت من مالها مقبرة لربيكا نيرس كتبت عليها « شهيدة الخطأ » .

اما الفتيات المراهقات اللاتي تسببن في كل هذه المصائب فلم يسمع عنهن شيء . فقد تزوجن واصبحن امهات ونسين جرائمهن . ■■

حسن الجداوي

أبو ذؤيب
يرثي أبناءه الخمسة

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ ظاهرة لم استطع ان اجد لها تفسيرا ، وماأظن احدا يستطيع أن يجد لها تفسيرا : ذلك ما فعله خويلد بن خالد بن محرّث بن تميم ، الشاعرالهذلي المعروف بأبي ذؤيب ، في قصيدته العينية الشهيرة التي رثى بها أبناءه الخمسة الـذينفقدهم في عام واحد .

فقد جرت العادة أن الانسان اذا ما فقد بعضاقربائه أو بعض احبائه تكون نفسه مليئة بالحزن والاسى مشغولة بتصور من فقد . فاذا كان يملكطاقة فنيـة فانه يخفف عن نفسـه بالشعر ينشده فيعبر به عما يجيش في نفسه من لوعةواكتئاب.وكثيرا ما يكون الرثاء من الشعر الخالد، لأن البشرية تكاد تتشابه في مثل هذا الحال .

فنحن نعرف أن مرثيـة ابن الرومي لولـديهومطلعها :

بُكاؤُكما يُشْفي وان كان لا يجْدِي
فجُودا فَقَدْ أَوْدَى نظيرُكما عِنْدِي

ومرثية أبي العلاء المعري لبعض اصـدقائهومطلعها :

غـيرُ مُجْـدٍ في مِلّـتي واعتِقـادي
نَـوحُ بـاكٍ ولا تَرَنُّمُ شـــادِ

ومرثية ابن الأنباري لابن بقية ومطلعها :

عُلُوٌّ في الحيـاةِ وفي الممَـات
لحَـقٌّ أَنْتَ إحْـدى المُعْجِـزاتِ

هذه المرثيات من أجود الشعر العربي .

لكن ابا ذؤيب خالف هذا المألوف حينما رثى أبناءه بالرغم من انه قد سلك هذا السبيل فى اول قصيدته فابدع كل الابداع حتى صارت بعض ابياتها مضرب الأمثال محفوظة على لسان كل اديب ، ذلك لان الصورَ التى جاء بها كانت صورا معبرة حقا ، فاسمعه حين يقول :

أَودَى بنىَّ وأعقبونى حسرة ... بعد الرقاد وعبرةً لا تُقلع

ولقد أرى أن البكاء سفاهة ... ولسوف يُولع بالبكى من يُفجَع

وليس من شك أن الشاعر قد صدق فى نظرته هذه فكلنا يعرف أن البكاء لا يجدى نفعا فهو لايرد مفقودا ولا يحيى ميتا ، ولكن الانسان لا يستطيع أن يمنع نفسه عن البكاء لانه يجد فيه تخفيفا عن نفسه . ثم يقول :

فغبَرت بعدهم بعيش ناصب ... وأخال أنى لاحقٌ مستتبِع

وهذه حالة كل من يفقد عزيزا عليه ، اذ ان الحزن العميق اذا ما صاحب المرء مدة طويلة فانه لا يستبعد أن يقوض حياته لان جسده سيكون عرضة للآلام والاسقام . ثم يقول :

ولقد حَرصتُ بأن أدافع عنهم ... فاذا المنيَّة أقبلت لاتُدفع

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

فالعين بعدهم كأن حِداقها ... سُملت بشوك فهى عُور تَدمع

حتّى كأنى للحوادث مروة ... بصفا المشرق كل يوم تقرع

والحق أن كل والد يحرص اشد الحرص فى أن يدافع عن أبنائه فهو لا يكاد يشعر بأنهم قد تعرضوا للمرض او الى شىء من المتاعب الا ويسعى قدر استطاعته ليبعدهم عن ما تعرضوا اليه ، ولكن لا ينفع اى جهد اذا ما حان حَين المرء .

ارأيت تشبيها احسن من هذا التشبيه للمنية؟اذ أنه شبه المنية بالحيوان المفترس اذا ما تمكنت اظافره من الفريسة فانها لا تنجو منه على الاطلاق. وما اظن انسانا يُبتلى بفقد شباب عزيز عليه الا ويردد هذا البيت :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

والثكلان يخيل اليه انه وحده فى هذه الحياة هدف للخطوب والأحداث ، أما غيره فانه بمنجاة من المصائب وذلك لشدة حزنه وتأثره . ويقول الشاعر :

وتجلدى للشامتين أريهم ... أنى لريب الدهر لا أتضعضع

والنفس راغبة إذا رغّبتها ... وإذا تُردُّ إلى قليل تقنع

ولقد كان الاصمعى مصيبا حين قال بعدما قرأ البيت الأخير ، « هذا أبرع بيت قالته العرب ، عجب من العجب جودة » . فان رغبات الانسان لا تنتهى اذا ما أعطيت النفس هواها . ولقد كان هذا البيت مجالا لكثير من الشعراء فمن ذلك قول البوصيرى :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حبّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ولقد كان من المتوقع أن يستمر الشاعر الى آخر قصيدته فى هذا التحليق والابداع فيتفنن فى

تصوير حزنه وكآبته ويذكر لنا ما توصل اليه ذهنه وعقله من فلسفة فى هذه الحياة . غير ان الشاعر يعرج على طريق آخر لا يكاد يمت الى مافيه بصلة ، الأمر الذى جعله يبتعد عن حالته النفسية كل الابتعاد ، فهو يرى ان الدهر اذا كان لم يبق على بنيه فانه لا يبقى على حدثانه هذا الحمار الوحشى. ولست اعرف وما اظن احدا يعرف اى مناسبة جعلت هذا الشاعر المجيد يجعل الحمار الوحشى من العناصر القوية التى يكون هلاكها عجبا من العجب ، يقول :

والدهر لايبقى على حدثانه ... جَوْنُ السراةِ له جدائد أربع
صخِب الشوارب لا يزال كأنه ... عبدٌ لآل أبي ربيعة مُسْبَعُ

ويستمر الشاعر فى هذا الطريق الى آخر قصيدته وعدد ابياتها ثلاثة وستون بيتا لا يخصص فى رثاء ابنائه الا اربعة عشر بيتا فتراه يبدئ ويعيد فى احوال حمير الوحش حتى لكان ذكر احوال هذا الحيوان من الامور الهامة التى يمكن ان تشغل الانسان حتى ولو كان محزونا على ابنائه . فتراه يذكر ملاعبة الذكر للانثى ومغازلته لها . ثم ما يجرى فى الصيد من احوال . كما يصف الجياد والكلاب بشعر رصين معقد يقول :

فلبثن حيناً يعتلجن بروضه ... فيجدُّ حينا في العلاج ويَشْمَعُ
حتى إذا جَزَرَت مياهُ رُزونه ... وبأى حينِ مُلاوة تتقطع

ويقول :

والدهر لايَبْقى على حدثانه ... شَبَبٌ أفزّته الكلاب مُرَوَّعُ
سعف الكلابُ الضاريات فؤاده ... فإذا يَرى الصبحَ المصدّق يَفْزع

واين هذا مما كان فيه من حالة نفسية حزينة كما تتصور . ومن الملاحظ ان شعر هذا الشاعر يغلب عليه التعقيد فهو لا يفهم الا بعد جهد ومشقة، الا ما تعلق برثاء ابنائه فان فهمها سهل ميسور على كل احد .

وانت اذا ما اردت ان تلم بحياة هذا الشاعر فانك واجد طريقك مسدودا . لأن كتب التراجم لا تذكر من اخباره الا امورا بسيطة لا تكاد تغنى شيئا . وكل ما ذكر عنه انه شاعر من فحول الشعراء ، مقدم على شعراء هذيل كلها بالرغم من ان هذه القبيلة تعد من القبائل التى تتوارث الشعر كابرا عن كابر . وانه يكثر من الغريب فى شعره ، أما وفاته فان اقوال المؤرخين مضطربة فيها اشد الاضطراب فمنها من يقول بانه مات فى ارض الروم ومنها من يقول بانه مات فى افريقية ، لكن هذه الاقوال تجمع على انه كان مجاهدا يوم وفاته فى سبيل الله ايام خلافة عثمان رحمه الله وطيب ثراه . ■■

الكويت : **عبد الرزاق البصير**



ركن الأسرة والمرأة

مهدوا لأبنائكم أن يخلوا بأنفسهم أحيانا

● زر اى مدرسة، فيما بين حصص الدراسات ، تجد الاطفال والصبية في حركة دائبة من لعب ، او زرهم في حديقة او ملعب من بعد دراسة ، تجدهم رائحين غادين، هذا يقذف بكرته ليتلقاها ذاك ، وهذا يلقفها ليردها الى صبي آخر واقف هناك ، وحتى من لا يلعب يقف مشاركا بالكلمة يصيح بها ، او بالنكتة يعلق بها على ما يرى ، او بالتصفيق لحسنة جاء بها لاعب ، او بالتجريح اللطيف الخفيف للقفة جاءت صبيا فخانته فيها يداه او رجلاه .

الصبية في الجمع لا تعرف غير التجمع ، حتى ولو كان هذا تجمعا لا حركة للعب فيه ولا صراخ ، تجمع هادىء ساكن ، رباطه الكلمة او الحكاية يحكيها من بينهم لسان وتستمع لها آذان .

ولكن مع هذا نجد من الصبية من يود لو يقف او يقعد وحده احيانا . او هو يقف او يقعد وحده حبا لذلك وعادة .

السن التى يستيقظ فيها حب الاجتماع فى الصبية والاطفال

انا كثيرا ما نجد الرغبة في العزلة عند الطفل تشكو منها الأم لصواحبها والجارات . انها تشكو ولدها الصغير ، في سن الثالثة او الرابعة ، بأنه لا يحب اللعب مع اولاد الناحية . وتنسى الام ان رغبة الصبي في ان يتصل بصبي آخر تعتمد على السن ، وهي لا تكون جامحة في هذه السن الباكرة . انها سن التفرد الذى فيه يود الطفل ان يلعب بنفسه لنفسه يتعرف على دنياه .

ان الحس بالمجتمع ، او ان شئت بالاجتماع ، يبدا عادة عند بلوغ الخامسة . ومن محاسن الصدف ان هذه هي السن التي يدخل فيها الاطفال رياض الاطفال . ومع هذا فبعض الاطفال الداخلين الى هذه الرياض اول مرة ، يندفع الى الاجتماع والمشاركة مباشرة ، وبعض يظل « عند الباب » مترددا .

ان السن التي يكون فيها حب

المشاركة قد اكتمل عادة ، انما هي السن التى بين السابعة الى الحادية عشرة . سن المدرسة الابتدائية .

وفي المراهقة يزيد المراهقون والمراهقات رغبة في التعاون والعمل المشترك ، ومن اجل هذا هم يؤلفون الفِرقَ تعمل متعاونة في شتى الاغراض . فرقة لكرة القدم . فرقة للتمثيل ، فرقة لقراءة الادب والنقاش فيه .

ومع هذا يجد المراهقون والمراهقات انهم في حاجة الى ترك اصحابهم او صواحبهن احيانا للخلود الى الراحة ، والائتناس بانفسهم او انفسهن على الوحدة ، حيث يتحدث المراهق لنفسه ولا يكون من حوله سامع غير نفسه ، حديثا لا يتردد له على جدران الحجرة المنعزلة صدى .

فضل الخلوة لا سبيل الى نكرانه

بالطبع لا يرضى الأب ولا ترضى الأم بأن يكون عند الصبي او الفلام حب الخلوة رغبة دائمة متصلة ، انها اذا اتصلت اصبحت دليلا على خلل وقع فى النفس باطن ..

انما نحمد الحلوة التي تكون من بعد اختلاط . انها خلوة نافعة . انها خلوة

عندما يثير التعزل خشية او جزعا



تترعرع فيها الشخصية بالفكر وتزيد . وليس الفيلسوف وحده هو الذى يزيد على الخلوة فكرا وحكمة . ان كل انسان منا فيه جانب فلسفي لا بد ان ينمّى . انها حكمة الحياة والتبصر فيها . والانسان منا يجمع من شئون الحياة فى الاختلاط ما يجمع ، ثم هو فى الخلوة ، وعلى الفكر ينظم ما جمع ، ويهضم ما شغله الجمع عنه وهو فيه، او استعصى.

ظروف طارئة تدفع بالصبية الى التعزل

ومن امثلة التعزل الذى يقع فى الصبية لظروف طارئة ، ما شكاه اب .

ان له ابنا سنه بين السادسة والسابعة . وانتقلت الأسرة من حي ، الى حيّ جديد بعيد . كان الصبي فى الحي القديم مختلطا مع صبية الحيّ . ولكنه كف عن مثل ذلك فى الحي المستحدَث .

وسئل الأب عن الصبي ، كيف حاله فى المدرسة . قال انه يختلط فيها ويلعب . ولكنه يتعزل من بعد مدرسة . والغريب انه وجد هناءته فى صحبة عقدها بينه وبين اسكافي عجوز فى الناحية ، يذهب اليه ، ويدردش الكبير ، ويستمع الصغير . واحيانا يدردش الصغير ويستمع الكبير . والشيخ يستمتع بممارسة الطفولة التي ذهبت عنه من قديم ، فهي الآن تلذ له وهو يراها وهو خارج عنها غير متلبس بها . والصبي يستمع الى الشيخ، يلذ له منه علم" جديد وقصة حياة تنتظره ، يستمتع بها ما بين غرزة وغرزة يغرزها الاسكافي فى الحذاء ، أو دقة يدق بها النعل على مطرقته ..

صبي كهذا لم يفقد الرغبة فى المجتمع . اليس هذا الجسر الذى اقامه بين نفسه وبين الاسكافي العجوز الا جسر مجتمع .

انه لم يكن اختلط بعد بمثل سنه من صبية الحيّ ، خشية وحذرا . انها خشية المجهول المحذور . ولعله لم يُرد أن يقحم نفسه بين صحاب سبقت لهم صلات بينهم قبل مجيئه ، واذن فهي عزة النفس .

انه ظرف طارىء لا خشية منه على الطفل ابدا .

عندما يثير التعزل خشية

ان من التعزل الذى يُخشى فى الصبية ما يكون سببه ازمة فى النفس . وهي ازمة قد تكون بسبب فراق اب او أم او كليهما . وقد تكون بسبب نزاع دائم فى البيت بينهما . وقد يكون سببها فى المدرسة . صبي أكبر يريد أن يتزعم بالارهاب والقوة ، من ذلك النوع الذى يسميه العامة بالفتوّة .

أسباب كثيرة للتعزّل ، تثير خشية ، نعم ، ولكنها ليست خطيرة . كلها ترجع الى اشياء يمكن تداركها فى بيت أو مدرسة . اما فى البيت فبادراك الأبوين ان الطفل هو بعض نتاج البيئة المنزلية التي تنشأ فيها . واول بيئة له فى الحياة هي البيت . وأما فى المدرسة فالحل حاضر سهل عند القائمين بالتبعات فيها .

عندما يثير التعزل جزعا

بقي صنف من حب اعتزال الناس دائم راتب ، ووراءه مرض نفساني لا بد من معالجته عند المختصين .

فئة قليلة من الأطفال تعجز دائما عن ربط روابط بين انفسهم وبين صبية مجتمعهم . ويكبرون ولا يزال العجز قائما .

انهم يعجزون ، ويشعرون بالعجز فينسلّون . ويَحتمون فى الوحدة ، ولكنها وحدة غير نافعة . انهم لم يحصلوا من مجتمعهم القدر الكافي الذى تعين الوحدة على هضمه وتنظيمه والانتفاع به .

صبية كهؤلاء لا بد من العناية فى تناولهم بالحمد أو الذم . والضرر أكبر الضرر فى أن نغصبهم على الخروج من قواقعهم .

لا بد لهؤلاء من الطبيب المعالج ، ومع الطبيب التوفيق ان شاء الله . ●●

الفنّ الأوروبيّ في خدمة الدين

■ ان الفن الأوروبي ، لا سيما فن العمارة ، ولا سيما فن الرسم بالزيت وغير الزيت ، بدأ بخدمة الكنيسة ، منذ العهد الروماني الأول ، بعد أن استقرت المسيحية هناك . وكانت روما عاصمة دين السيد المسيح . واستمر الفن واشتد في القرون الوسطى ، وفي عصر النهضة الذي جاء بعدها وما جاء بعد ذلك .

وتنظر فيما رسم الفنانون الرسامون في تلك العصور ، فتجد اكثر ما انتجوا يدور حول الانبياء الذين ذكرهم الانجيل ، وذكرتهم التوراة ، ويدور حول المسيح بن مريم خاصة ، ما وقع له ولهم من احداث .

ليوناردو دا فنشي (١٤٥٢ – ١٥١٩) Leonardo da Vinci

رفائيل (١٤٨٣ – ١٥٠٢) Raphael

ميشيل انجلو (١٤٧٥ – ١٥٦٤) Michel Angelo

تشيان (١٤٧٧ – ١٥٧٦) Titan

بروجل (١٥٦٨ – ١٦٢٥) Preugel

رُوبنس (١٥٧٧ – ١٦٤٠) Rubens

رَمبرانت (١٦٠٦ – ١٦٦٩) Rembrant

وقبل هؤلاء ، وبعد هؤلاء .

كلهم ارّخوا الدين المسيحي صورا . ومن اجل هذا صار الدين المسيحي ، كما يُقرأ كتابة ، يقرأ صورا . وقراه الصبية صورا قبل أن يقراوه كتبا ، فكان اثبت في قلوبهم على الزمان .

وبالطبع لم يكن بالصور التي صورها هؤلاء الفنانون ما يُصدّق على ذوات هؤلاء الانبياء والرسل وكيف وقد قامت القرون بين راسم ومرسوم .

حتى السيد المسيح اختلفت بينهم صوره اختلافا كبيرا . وكان من أهل السواد من رسمه أسود حبشيا .

واذن صارت هذه الصور للفن صادقة ، وهي من حيث الحقيقة الدينية غير صادقة ..

ومن هذه الصور صورة هذا العدد ، في الصفحة الثانية ، رسمها الفنان الكبير ، الذي ملأ الفاتيكان صورا ، ذلك ميشيل انجلو . وقد جئنا على تاريخ حياته مفصلا في « العربي » العدد ٦٨ الصادر بشهر يوليو عام ١٩٦٤ .

وصورة هذا العدد هي صورة النبي زكريا كما خالها الفنان .

زكريا في القرآن الكريم

قال المفسرون ان زكريا ولد في بيت المقدس ، حيث كان يقيم الكثير من نسل يعقوب بن اسحق ابن الخليل ابراهيم .

وولد زكريا قبل ميلاد السيد المسيح بما قارب أن يكون قرنا . وكانت زوجته ايشاع . وكانت اختها حنة امراة عمران ، أم السيدة مريم عليهما السلام (١) .

« اذ قالت امراة عمران ربِّ اني نذرت لك ما في بطني محرّرا ، فتقبلْ مني ، انك انت السميع العليم . فلما وضعتْها قالت ربِّ اني وضعتها انثى ، والله أعلم بما وضعتْ ، وليس الذكر كالانثى ، واني سمّيتها مريم ، واني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » .

وتولى زكريا أمرها بعد أن اختلف الكهنة أيهم يكفلها . واقترعوا على ذلك . وبنوا لها غرفة في المحراب .

« فتقبلها ربها بقبول حسن ، وانبتها نباتا حسنا . وكفلها زكريا . كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنّى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

وكانت امراة زكريا عاقرا ، فحَزِنَ أن لا يكون له ولد . ثم طمع في رحمة الله . وناداه :

« قال ربِّ هبْ لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدّقا بكلمة من الله وسيّدا وحَصُورا ونبيّا من الصالحين . قال رب أنّى يكون لي غلام ، وقد بلغنيَ الكِبَرُ ، وامراتي عاقر . قال كذلك الله يفعل ما يشاء » .

وكان لزكريا ما اراد .. كان له يحيى .

« يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدُنّا وزكاةً وكان تقيا ، وبرًّا بوالديه ولم يكن جبّارا عصيّا . وسلام عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث حيا » .

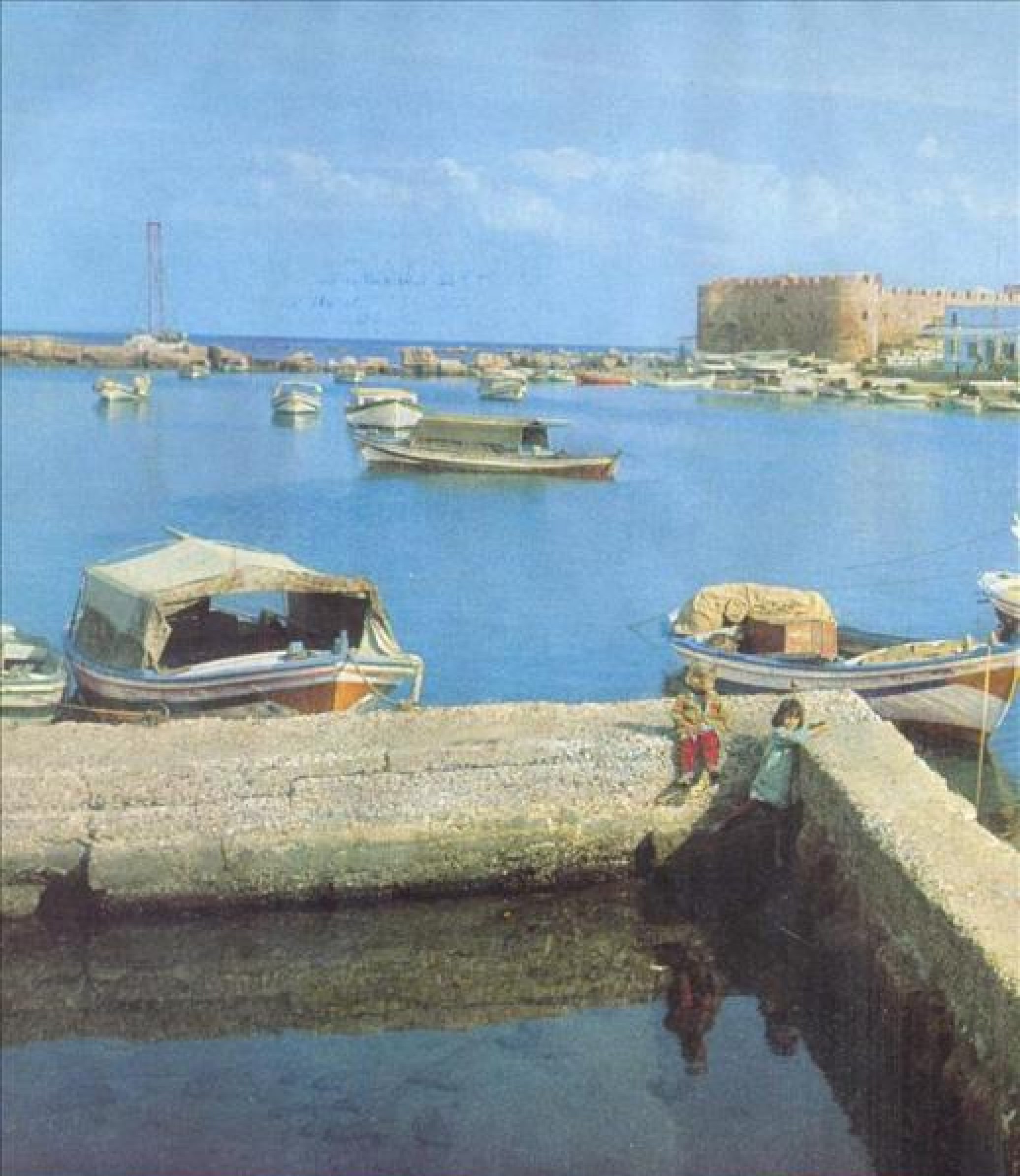
وبعد ولادة يحيى (يوحنا المعمدان عند المسيحيين) باعوام قلائل ، ولد عيسى بن مريم ، فكان يحيى مصدّقا له ومبشرا . ولكن الموت طوى زكريا قبل ذلك ●●

(١) قيل أيضا أن ايشاع هي الأخت الكبرى لمريم .



جزيرة معقل

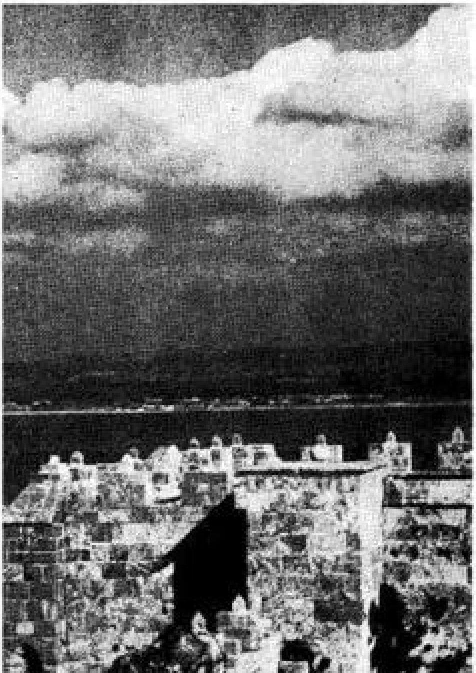
منظر لشاطئ جزيرة ارواد والاطفال يلهون في مياهه الدافئة ، ومن حولهم قوارب الصيد الصغيرة ... وترى بقايا سور الجزيرة القديم عندما كانت ارواد عاصمة هامة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وما يزال بعض اجزائه باقيا حتى اليوم ، اما الآن فقد هجرها عدد كبير من اهلها ليعملوا في موانئ اللاذقية وطرابلس بيروت،



إرواد الأحرار

الطفل فى جزيرة ارواد يتعلم السباحة قبل أن يتعلم الكلام . فالبحر بالنسبة لاهل هذه الجزيرة الصغيرة هو كل حياتهم وهو مصدر رزقهم . انهم يصطادون منه السمك .. ويصنعون على شاطئه القوارب التى يصدرونها الى جميع موانىء حوض البحر المتوسط . واذا مات احدهم قالوا : لقد أخذ البحر ضريبته ! فهو الذى يعطينا وهو الذى يأخذ منا .

ارواد
أقدم بقعة فى محافظة اللاذقية



■ هذه هى جزيرة ارواد التى حولها الفرنسيون الى معتقل لأحرار سوريا قبل الاستقلال . انها جزيرة صغيرة لاتزيد مساحتها على ٢٨٠ كيلو متر مربع . وهى تقع تجاه شاطىء مدينة طرطوس بمحافظة اللاذقية فى سورية وتستغرق الرحلة اليها بالقارب البخارى حوالى نصف ساعة .

والى هذه الجزيرة الصغيرة التي نوه « سِفرُ حِزْقيالْ » بالتوراة بشجاعة بحارتها واهمية اسطولها ، سافرت بعثة العربي لتقدم لك صورة للحياة فيها . انها اقدم بقعة فى محافظة اللاذقية فقد تحدثت عنها النصوص المعروفة باسم رسائل تل العمرانية التى تعود الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، والتى اكتشفت فى تل العمارنة بمصر فى القرن التاسع عشر الميلادى . وهى عبارة عن رسائل موجهة من ملوك الشاطىء السورى الى فرعون مصر وتشير الى جزيرة ارواد فى اجزاء عديدة منها .

ومن هذه الرسائل يمكن ان يستدل على ان ارواد كانت فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد عاصمة هامة ذات اسطول قوى ذاع صيته على طول البحر المتوسط .

عاصمة هامة

ويتحدث المؤرخ اليوناني المشهور سترابون Strabon ، عن ارواد فيقول انها كانت عاصمة لاحدى الممالك التى تمتد شمالا حتى بانياس وجنوبا حتى نهر العريضة وشرقا حتى نهر العاصى ، ويقدم لنا المؤرخ تفاصيل اخرى عن مباني المدينة وكيف كانت كلها ذات طابقين ، وكيف وصلت اليها الحياة من خارج الجزيرة .

وقد بقيت شهرة ارواد وعظمتها حتى العهد الروماني ثم الصليبى الذى اسس طرطوس وجعل منها وريثة لارواد ، ومنذ ذلك الحين بدات اهميتها تتضاءل .

ويعيش فى هذه الجزيرة الصغيرة حوالى ٥ آلاف شخص ، فقد نزح عنها عدد كبير من اهلها الذين

اول شيء يلفت نظر القادم الى ارواد ، القلعتان اللتان يرجع تاريخهما الى عهد المماليك ، وقد حوّل الفرنسيون احداهما الى سجن زمن الانتداب فى سوريا القوا فيه بزعماء الحركة الوطنية .



المسلمين المحافظين ، وهي بلدة قائمة بذاتها لم تدخلها سيارة مرة واحدة فى تاريخها الطويل ، لا لصعوبة نقل السيارة اليها ، ولكن لان شوارعها الضيقة الصغيرة لا تتسع لمرور اية سيارة فضلا عن صغر الجزيرة !

السور القديم

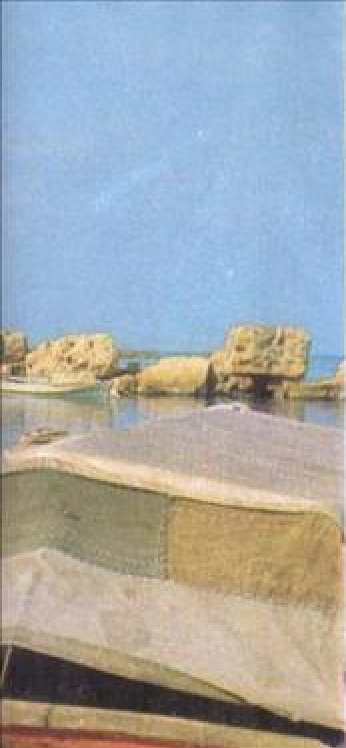
ويقطع القارب المسافة بين طرطوس وارواد فى نصف ساعة ، ولا تكاد تنزل الى شاطئها الصخرى حتى يواجهك السور الخارجي الذى كان يحيط بالجزيرة ، ولا تزال اجزاء منه باقية حتى اليوم . وقد قطعوا حجارته من الصخر المحيط بها فخلفت وراءها خندقا عميقا ، وبذلك أصبح الدفاع عنها قويا ، وقد اختلف العلماء فى تاريخ هذا السور وفى تحديد العهد الذى شيد فيه ، وظل الراى السائد حتى السنوات الاخيرة ان الفنيقيين هم الذين بنوه ، ولكن الدراسات الحديثة تؤكد ان السور شيّد فى القرون الوسطى فى نفس الفترة التى بنى فيها الصليبيون قلعتهم فى محافظة اللاذقية ، وهى قلعة « صهيون » ، وقد سميت بعد ذلك بقلعة صلاح الدين لما اخرج صلاح الدين الصليبين منها . ولذلك فيحتمل أن يكون الصليبيون هم الذين بنوا هذا السور .

من الظلام الى النور

واول شيء يلفت نظر القادم الى ارواد القلعتان اللتان يرجع تاريخهما الى عهد المماليك او الى أوائل العهد العثمانى .

يعملون فى الموانىء فى اللاذقية وطرابلس وبيروت ، فقد ثبت ان أهالي ارواد من أمهر البحارة والمشتغلين بالملاحة البحرية واكثرهم خبرة بالبحر وتجربة به .

ولاهل ارواد اغانيهم وتقاليدهم وطباعهم الخاصة ؛ وهم جميعا من





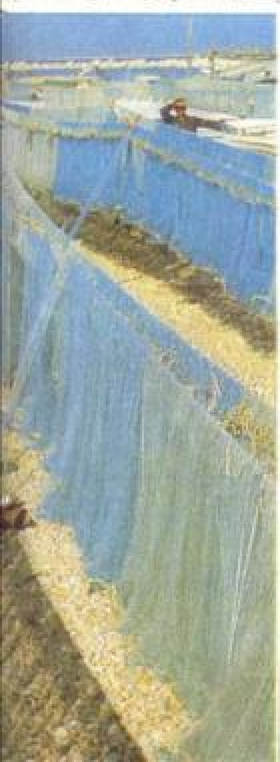
اشتهر الاهالي بصناعة نماذج للقوارب الشراعية التي كانوا يستخدمونها في تجارتهم ، ويتهافت السائحون على شرائها .

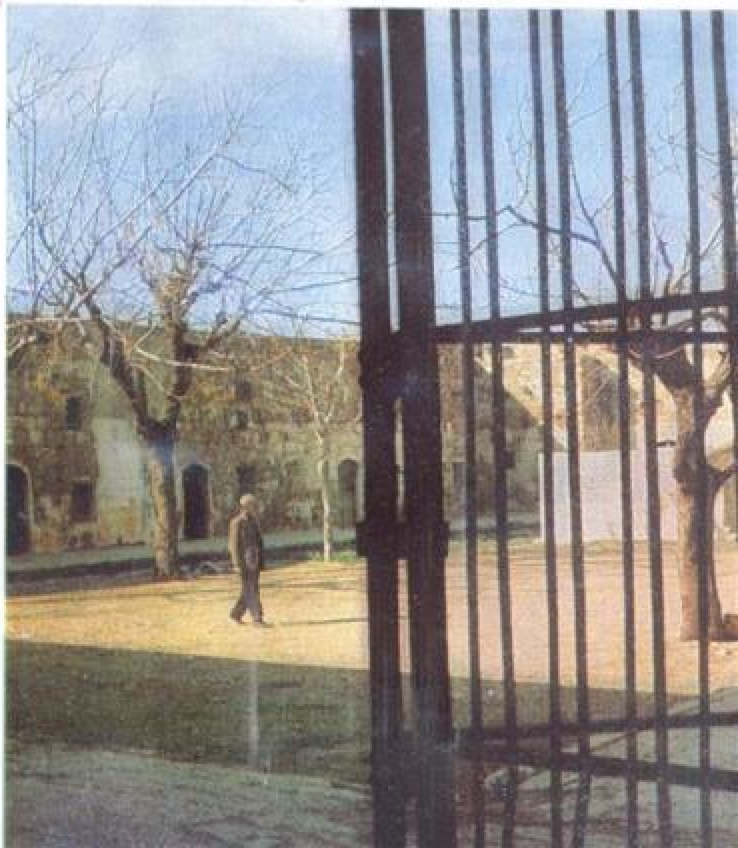
الي اليسار : منظر خارجي للقلعة التي حولها الفرنسيون الى سجن القوا فيه بزعماء الحركة الوطنية قبل الاستقلال .

حارس السجن يقف وحيدا بين جدرانه العالية .. ولم يبق في هذا السجن سوى ذكريات فصل من تاريخ سورية الوطني ؛

الي اسفل : البحر كل شيء في حيا

يستعمو، القوارب ، واعداد شبا

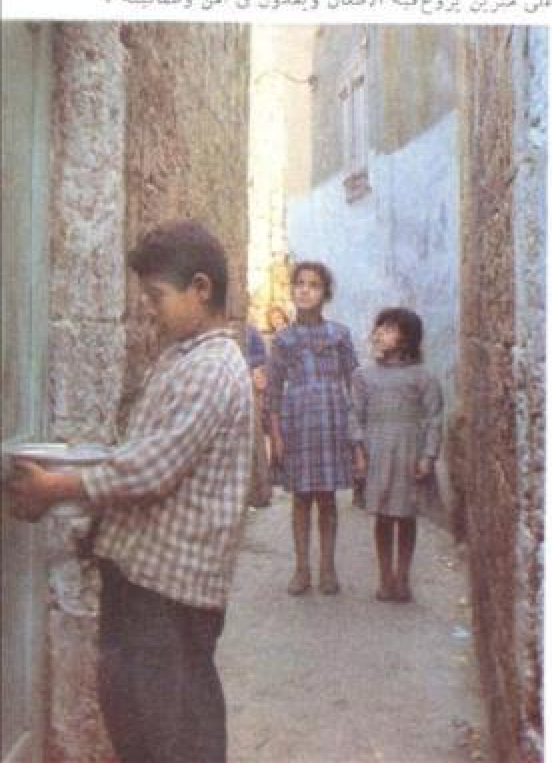


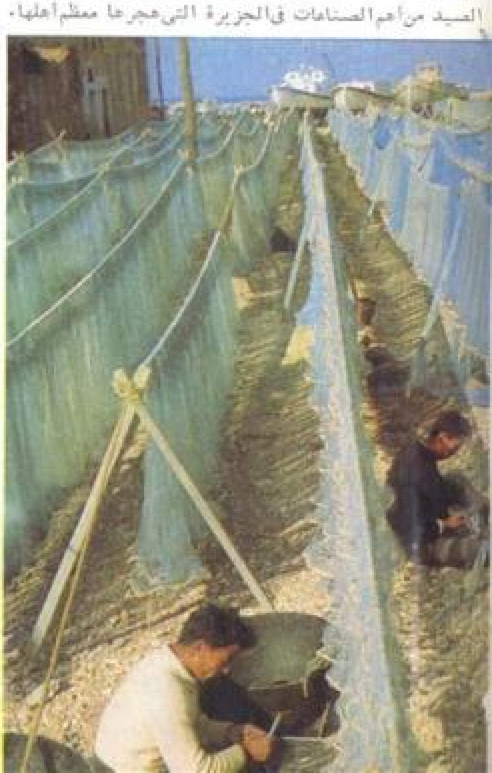


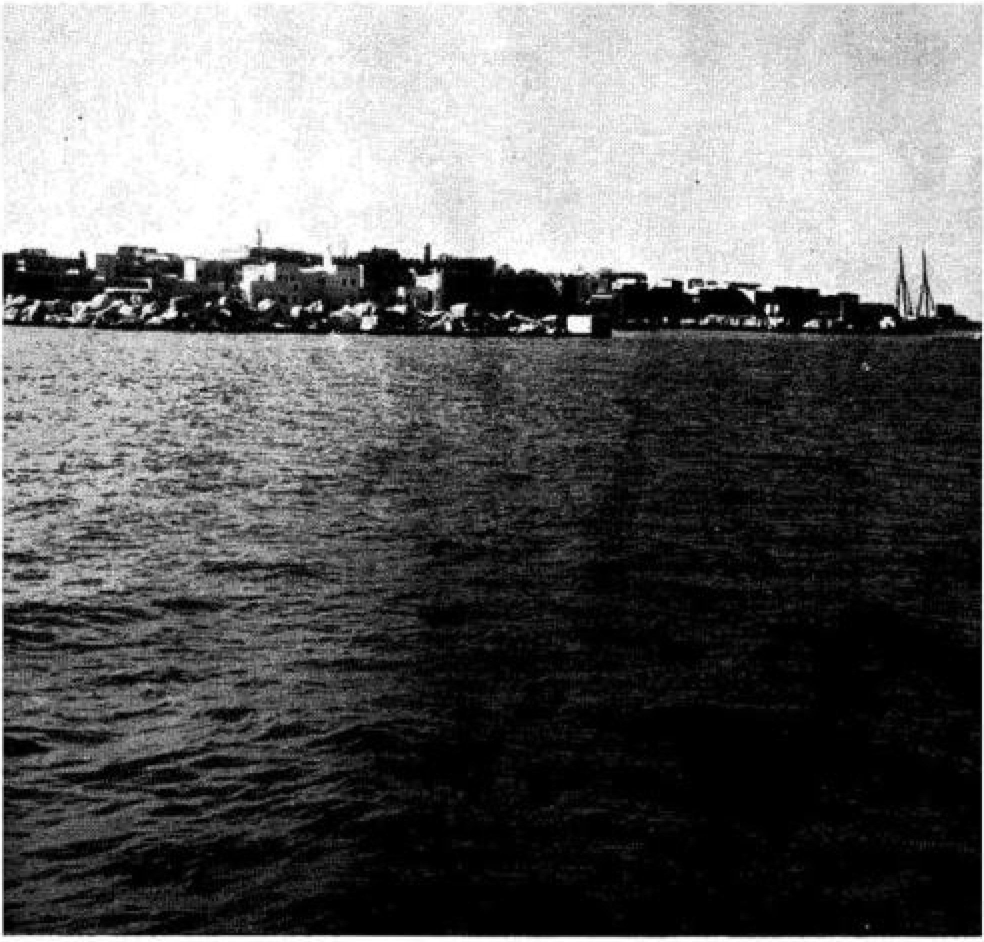


اهل ارواد .. فتية يصطادون السمك وعلى شواطئه
الصيد من اهم الصناعات في الجزيرة التي هجرها معظم اهلها.

الى اسفل : احد شوارع ارواد التي لا يزيد اتساعها
على مترين يروح فيه الاطفال ويغدون في امن وطمأنينة .







منظر للجزيرة من البحر .. وهي تقع تجاه شاطىء مدينة طرطوس بمحافظة اللاذقية ، ويستغرق القارب البخاري نصف ساعة للوصول اليها .

وقد حوّل الفرنسيون القلعة الكبيرة الى سجن فى زمن الانتداب فى سوريا القوا فيه بزعماء الحركة الوطنية السورية ويروى لك حارس القلعة او حارس السجن قصة هذا الفصل من تاريخ سورية الوطنى . وكيف وقف يستقبل فارس الخورى وشكرى القوتلى ونجيب الريس وغيرهم ثم يقودهم الى زنزاناتهم فى القلعة الاثرية المهجورة وسط ثورة اهل الجزيرة الذين خرجوا فى مظاهرة صاخبة يريدون أن يفتكوا بالفرنسيين واسلحتهم يوم وصول الزعماء المكافحين الى جزيرتهم .

لقد وقف نجيب الريس يومها ينظم قصيدته المشهورة : « ياظلام السجن خيم .. اننا نهوى الظلاما » ولكن الظلام ما لبث أن تبدد وخرج الزعماء الاحرار من سجنهم ليقودوا سورية الى النصر .. الى الحرية .. الى الاستقلال . ■■

منير نصيف

كتاب الشهر

ليدى هستر ستانهوب (1)

بقلم : الدكتور محمود السمره

استاذ النقد والبلاغة بالجامعة الاردنية

■ لا تغالى اذا قلنا ان ليدى هستر ستانهوب هى اكثر امراة عرفها التاريخ الحديث شذوذا ، على كثرةما انجبت الطبقةالارستقراطية البريطانية من شاذات وشاذين فى القرن التاسع عشر . وليدى هستر ستانهوب هى من هذه الطبقة فى الذروة : فهى الابنة الكبرى لايرل ستانهوب ، وحفيدة لورد تشاثام Chatham ، وابنة اخت وليم بت Pitt رئيس وزراء بريطانيا المشهور .

ولدت هستر فى قصور العز والترف فى الثانى عشر من مارس (آذار) ١٧٧٦ ، وتوفيت على سفوح لبنان فقيرة ، وحيدة ، فى الثالث والعشرين من يونية (حزيران) ١٨٣٩ . وخلال سنوات عمرها التى نيفت على الستين كان ما عرف عنها من شذوذ كافيا لان يحيلها الى اسطورة ، لان مثل هذه الحياة يصعب تصورها فى الواقع .

وقد عرفت هستر فى شبابها الباكر فى وسط لندن الارستقراطى بحيويتها الدافقة ، وجمالها ، واندفاعها . وعندما استقرت سنة ١٨٠٣ فى ١٠ داونتج ستريت ، مقر خالها رئيس الوزراء الذى لم يكن متزوجا ، لتكون مشرفة عليه ، ملات البيت الهادىء الكئيب بالبهجة والمرح والحفلات التى لا تنقطع ونسى رئيس الوزراء الحزين بقربها حزنه ، وقد كافاتها الدولة على هذا بان خصصت لها ، بعد وفاته ، مرتبا سنويا قدره ١٢٠٠ جنيه استرلينى ، يدفع لها مدى حياتها .

وبعد وفاة خالها وليم بت قررت سنة ١٨١٠ ان تقوم برحلة الى الشرق العربى ، ولكنها كانت رحلة لم تعد منها الى وطنها ابدا ، فقد استهواها شرقنا ، فاقامت فيه ، الى ان وافتها المنية .

★ ★ ★

وقد كتبت عن ليدى هستر ستانهوب الكتب الكثيرة ، ومن اشهرها : مذكرات ليدى هستر ستانهوب فى ثلاثة مجلدات بقلم طبيبها الخاص ميريون Meryon ، وقد نشرت سنة ١٨٤٥ ، ثم اصدر هذا الطبيب نفسه ثلاثة مجلدات اخرى بعنوان « رحلات ليدى هستر ستانهوب » سنة ١٨٤٦ . وآخر ما صدر عنها هذا الكتاب الذى نقدمه ، ومؤلفته جون هسلب ، من مواليد سنة ١٩١١ ، وهى صحفية كثيرة التجوال ، ومن اشهر كتبها كتاب « السلطان » وهو عن السلطان عبد الحميد الثانى سلطان الامبراطورية العثمانية .

(1) Joan Haslip , Lady Hester Stanhope .

وهذا الكتاب حافل بالطرائف ، ويتميز بأسلوب رشيق ، وعرض مغر بالقراءة . ومع هذا فان فيه عيوبا كثيرة ، منها : الخطأ الفاحش في ايراد التعبيرات العربية وفهمها ، وجهلها بالاسماء العربية وصدورها عن مفاهيم تبعدها عن الموضوعية العلمية .

وفي حديثنا عن هستر ستانهوب سنكتفي بالوقوف عند ذاك الجزء من حياتها الذي يبدأ بوصلها الى أرض مصر ، وينتهي بوفاتها في جونة بلبنان .

★ ★ ★

في شهر مايو (آيار) من سنة ١٨١٢ ، استقبل محمد علي بقصر القلعة هذه الفتاة الانجليزية الفارعة الطول ، الزرقاء العينين ، وقد دخلت عليه بلباس نبيل تركي ، ولما تكن ارض القصر قد جفت عليها دماء من سفك من المماليك . وقد احسن محمد علي استقبالها لانها ابنة اخت وليم بت وحفيدة لورد تشاتم ، ثم زاد في اكرامها لاعجابه بشخصيتها ، حتى انه اقام عرضا عسكريا خاصا لتشهده ، وفي هذا الحفل قدمت هي نفسها عرضا دل على براعتها في ركوب الخيل ، وبلغ من اعجاب محمد علي بها أن أهداها حصانين من خيرة خيولة الاصيلة .

ومن القاهرة كتبت الى أحد اصدقائها تقول : « لقد كان محمد علي حفيا بي ، ولم يكن يستقبلني الا واقفا . وقد سمح لي أن أزوره متى اردت ، ولم يرفض لي طلبا طيلة اقامتي في ضيافته ، حتى انه سمح لي أن أزور أرامل المماليك الذين قتلهم ، عندما طلبت منه ذلك » .

★ ★ ★

وبعد شهر من اقامتها في القاهرة ، غادرت هي وحاشيتها الى دمياط ، ومن هناك استاجروا قاربا نقلهم الى يافا ، وفي يافا كان في استقبالها حاكم المدينة والمعتمد البريطاني . وبعد استراحة قصيرة غادرت الى القدس عن طريق رام الله ، على رأس قافلة من أحد عشر جملا محملة بالامتعة ، وسبعة من الخدم ، ومملوكين ، وعدد من الجنود لمرافقتها وحراستها .

وفي الطريق الى القدس قابلت الشيخ ابو غوش الذي احتفى بها وبالغ في الاحتفاء عندما عرف انها قريبة سير سدني سميث ، الذي كانت له معه مراسلات ، عندما كان يحاصر عكا وانتصر فيها على قوة نابليون وهنا عادت الذاكرة بهستر الى تلك الايام ، يوم أن كانت ترتاد بصحبة قريبها سدني سميث حفلات الطبقة الراقية في لندن . ،انه الان اميرال في البحرية . وامعانا في الاكرام اصر الشيخ ابو غوش على أن يرافقها مع عدد من عشيرته ، الى القدس .

وفي القدس قابلت هستر اسماعيل بك ، المملوك الذي استطاع أن يقفز بحصانه من فوق أسوار القلعة ، فكان الوحيد الذي نجا من المصير الذي حل برفاقه على يد محمد علي . ومن اجله كتبت الى صديقها السفير البريطاني في استامبول ترجوه أن يتوسط لدى السلطان من اجله .

وعادت هستر الى يافا ومنها سافرت الى عكا ، ثم الى الناصرة . وهنا في الناصرة فوجئت يوما بدخول شاب غربي السمات ، عربي الملبس ، قدم نفسه لها على انه الشيخ ابراهيم ، واخذ يحادثها بانجليزية سليمة ، ولم يكن هذا الشاب سوى الرحالة الكبير بيركهارت Burckhard ، مكتشف البتراء ، وآثار أبي سمبل .

وعادت هستر الى عكا ، ومنها الى صور ، فصيدا . وفي صيدا وجدت رسالة من الامير بشير الشهابي تدعوها لزيارته في بيت الدين .

★ ★ ★

وفي التاسع والعشرين من شهر يوليه (تموز) كانت هستر على رأس قافلتها المكونة من اثنين وعشرين جملا ، وخمسة وعشرين بغلا ، وثمانية خيول ، تغادر صيدا في طريقها الى دير القمر ، حيث بيت الدين ، قصر الامير بشير . وهناك اقامت في ضيافته شهرا ، وكان الامير في الخمسين من العمر ، فارع الطول كث اللحية ، انيقا .

وبعد أن جابت أرجاء لبنان ، واتصلت برجالاته، قررت السفر الى دمشق ، ومنها بدأت اتصالاتها ببدو الصحراء ، وعقدت معهم صداقات ، وكان المال يسيل من بين أصابعها كالماء . وفي حياة هستر ستانهوب الكثير من الاحداث التي تدل على أنها كانت في مهمة سياسية ، تستطلع فيها أحوال هذه البلاد التي كانت بريطانيا تطمع

فى سلخها عن املاك الدولة العثمانية ، والسيطرة عليها ، لأن حملة نابليون على مصر علمتها انطريق الهند لن يكون فى أمان ما لم تسيطر على الارض الواقعة على ضفتى خليج السويس ، أى مصر وبلاد الشام ، وهذا ما فعلته فيما بعد .

وفى سوريا قابلت كثيرين من الفرنسيين منعيون نابليون ، واتصلت بابرزهم واخطرهم شانا ، وهو الفرنسى لسكاريس Lascaris واستمالته ليعمل جاسوسا للانجليز على الفرنسيين ، وأجرت له مرتبا شهريا ، ولكنها اكتشفت بعد سنوات طويلة انه كان يخدعها ، وانه كان فى الواقع يعمل من من اجل مصالح فرنسا ، فى الوقت الذى كان يتقاضى فيه راتبا من الانجليز .

وقامت هستر برحلة الى تدمر ابدت فيها كثيرا من ضروب الشجاعة ، واتصلت بشيوخ القبائل فى بادية الشام ، ولم تبخل عليهم بالمال ، فكانت بعملها هذا اول امراة اوروبية وطئت قدمـــاها ارض مدينة زنوبيا التاريخية .

وعادت من رحلتها لتجد أن الطاعون قد انتشر فى المنطقة الساحلية الممتدة من عكا الى جنوب اللاذقية ، فتوجهت الى اللاذقية ، وقضت الصيف هناك . وهنا حدث لها حادثان كان لهما ابلغ الأثر فى حياتها : اولهما عودة حبيبها (بروس) الذى كان مرافقا لها منذ خروجها من بريطانيا،الىبلاده. وثانيهما امتداد الطاعون الى اللاذقية واصابتها به ، وعندما شفيت منه بعد أن كاد يودى بها ، كان قد ترك آثاره فى عقلها ، وفى جسدها ، اذ بعد ابلالها من مرضها أخذت تصدر عنها تصرفات فيها شذوذ ، تدل على أن قواها العقلية لم تعد طبيعية ، كما ان رئتيها ضعفتا ، فكانت بين حين وآخر تنتابها فترات من السعال الشديد . ولكن هذه التصرفات الدالة على الجنون لم تكن فى رأى بعض من كتبوا عنها سوى ستار لجأت اليه لتخفى حقيقتها . والأرجح ان هذا الرأى هو الاقرب الى الواقع .

★ ★ ★

وفى اللاذقية قررت هستر أن هذه البلاد هى البلاد التى تحب أن تقضى حياتها فيها ، وأخذت تفكر فى شراء بيت يكون سكنالها،فحط بها خيالها عند بيت أعجبها أثناء تجوالها فى مار الياس ، على سفح الجبل المطل على البحر المتوسط فى لبنان، وهكذا كان . ولكنها بعملها هذا أثارت شـكوك الامير بشير الشهابى ، الحاكم الذكى ، ولكنـه لم يستطع عمل شىء ، والسفير الانجليزى فى استامبول يحميها .

ومن بيتها فى مار الياس ، حيث كانت تعيش كملكة غير متوجة ، استطاعت أن تثير اهتمـــام السلطان نفسه ، اذ أرسلت اليه رسالة تقول فيها انها وقعت فى رحلاتها على مخطوطة ثمينة اشترتها بمبلغ كبير ، وفى هذه المخطوطة وصف لكنز عامر بالذهب والأحجار الكريمة فى مدينة عسقلان . وصدق السلطان هذه الدعوى ، وارسل احد كبار رجال الدولة من استامبول الى مار الياس ، ليذهب بصحبتها ويضع تحت تصرفها كل ما يلزم للبحث عن الكنز . وهكذا سارت هستر محاطة بكل مظاهر الاجلال تطوف فى فلسطين ، تنفق من مال السلطان ، وتتمتع بحمايته ، الى أن وصلت الى عسقلانفىصيف سنة ١٨١٥ .وبدأت الحفريات التى امتدت الى أسبوعين ، وجمع للعمل فيهـــا مائة وخمسون من الفلاحين يعملون بالسخرة . ولما يئس الجميع من العثور على الكنز أمـــرت هستر بالتوقف ، واسترضت كل من كان فىالركب ابتداء من ممثل السلطان الى أقلهم شأنا ، بالمنح السخية التى كانت متفاوتة تفاوتهم فىالمناصب.أما السلطان فى استانبول فلم يأس على شىء ، لأنه لم يخسر شيئا ، اذ أن التكاليف كلها كان يقوم بها ولاة الولايات .

وأثناء توقف هستر فى حيفا ، حدث حـادث غريب : فقد دخل عليها خيمتها انسان رث الثياب وقدم نفسه لها بانه كان أحد ضباط سير سدنى سميث ، ولكنه تخلف عن الأسطول ، وانقطـع لدراسة النجوم ، وقراءة المستقبل ، فى جبل الكرمل . وتدليلا على قدرته فى قراءة النجــوم أخبرها انه فى الساعة التى يقف فيها امامها هرب نابليون من جزيرة ألبا . وتقول الرواية انه بعد أن وصلت أخبار هرب نابليون من البا كان يوم هربه موافقا لما قال . رافق هذا الضابط هستر فى عودتها الى بيتها فى مار الياس ، وبقى مقيما فيه الى يوم وفاتها .

والقارىء لمثل هذه القصص يدهش للطـرق التى كانت تلجأ اليها الدول الاوروبية الكبـرى

لكى تملأ بلادنا بعيونها ، بحيث لا يثيرون ريبة السلطة الحاكمة .

★ ★ ★

وعادت هستر الى بيتها فى مار الياس ، وبدأت فترة جديدة من حياتها، انقطعت فيها عن الرحلات لأنها أقامت لها عيونا فى كل مكان من بلاد الشام، يكفونها مؤونة الانتقال . وكان بيتها دوما غاصا بالعديد من الوافدين عليها من شتى أطراف البلاد الشامية ، ينقلون اليها الأخبار ، ويقبضون منها المال .

وهنا قصت شعرها ، واخـذت تقضى الأيام والليالى تستقبل وتودع زوارها ، والشيشة لا تفارق يدها . واقبلت على دراسة النجوم وقراءة الكف لكشف حجب المستقبل، واصبح هذا الموضوع الذى لا تمل التحدث فيه الى زوارها الذين لم تكن تترك لهم فرصة للتحدث . وفى ليلة كانت تسهر وحيدة مع طبيبها الخاص واستهواها الحديث عن النجوم والكف ساعات ، الى ان أغمى على الطبيب المسكين الذى ارهقه الانصات !

وفى يناير (كانون الثانى) ١٨٢٠ وهستر فى الرابعة والاربعين من العمر ، وقعت فى غرام شاب فرنسى مغامر ، حل عليها ضيفا ، لأنها رأت فى ملامحه ما أعاد الى خيالها صورة الجنرال مور ، اول من أحبت ، والذى قتل فى احدى المعارك . لقد تصورت هذا الشاب حبيبها يعود الى الحياة! وكان هذا الشاب مسرفا فى كل شىء اسرافا قضى عليه بعد سبعة شهور من لقائه بها ، فحزنت عليه حزنا شديدا ، ودفنته فى حديقة البيت ، وعندما انتقلت من بيتها فى مار الياس لتسكن فى جونه ، نقلت عظامه معها ، ودفنتها فى البيت الجديد ، واوصت أن تدفن بجانبه بعد وفاتها .

★ ★ ★

وطلبا للتغير ، او لخطة لا ندريها ، تركت هستر بيتها هذا ، لتقيم فى بيت اشترته فى جونه على صخرة مشرفة على البحر ، وفى هذا البيت قضت آخر ثمانى عشرةسنة من حياتها . وكانت التجاعيد قد اخذت تظهر على وجهها ، وكانت هى حساسة بالنسبة لها ، لدرجة أنها لم تعد تستقبل زوارها من الأوروبيين الا ليلا ، وفى غرفة باهتة النور . وهنا فى جونه اشتد الخلاف بينها وبين الأمير بشير الشهابى الذى كان يشك فى تصرفاتها وصلاتها، ولكن رسولا من السفير البريطانى فى استامبول ، وصل الى الامير بشير ، فوضع حدا لهذا النزاع!!

لقد بلغ نفوذنا حد أن يحتمى ببيتها الخارجون على السلطة ، فلا يستطيع احد الوصول اليهم ! وعندما احتل ابراهيم باشا بلاد الشام كان الفارون منه يلجأون اليها ، فتحميهم ، ولا يقدر احد أن ينال منهم !

★ ★ ★

وقد شهد بيت «الست» كما كانوا يسمونها لقاءين تاريخيين مع أديبين من أشهر أدباء أوروبا، هما الشاعر الفرنسى المشهور ، لامارتين ،والكاتب الانجليزى كنجليك Kinglake

وفى شهر سبتمبر (أيلول) من سنة ١٨٣٢ حط الفونس دى لامارتين فى ميناء بيروت ، وكانت المدينة بيد ابراهيم باشا . ومن هنا كتب الى ليدى ستانهوب رسالة يقول فيها :

« سيدتى

انا مثلك غريب هنا .

وانا مثلك جئت الى هذه البقعة من الدنيا ابحث عن الجمال ـ جمال الطبيعة ، وجمال الماضى التاريخى .. فاذا سمحت لى بمقابلتك ، اسعدتنى لانتى أكون بهذا قد حققت أمنية طالما راودتنى وهى أن أرى رائعة من روائع الشرق طالما سمعت عنها فى وطنى » .

وكان اسم لامارتين ملء الأسماع ، وعلى كل لسان ، فى أوروبا ، ولكن « الست هستر » لم تكن قد سمعت به . ويصف لنا لامارتين تلك الليلة التى قضاها فى جونه فيقول : «واستقبلنى الخدم عند الباب ، وقادونى عبر ممرات كثيرة ، ثم استقبلتنى فتاة سرت وراءها الى غرفة شبه مظلمة، جلست فيها سيدة ذات ملامح ارستقراطية لم اكن أتبينها الا بصعوبة . وكان يبدو عليها أنها فى نحو الخمسين من العمر .. » وبدأ الحديث بينهما فصارحته بأنها لم تسمع باسمه قبل اليوم، وان كانوا قد قالوا لها عندما قرأت رسالته انه مشهور جدا . وقضيا الليلة الى الصباح ،وعندما غادر الشاعر الشاب بيت الست كان يحس انه

ففي ليلة من أمتع ليالي حياته ، كما اعترف بذلك في كتابه « ذكريات من الشرق » .

وفي هذا الكتاب يعلق على ما شاع من أن هستر ستانهوب فيها ضرب من الجنون ، فيقول : « ليست ليدي هستر مجنونة ، فعيناها الذكيتان اللماعتان ليستا عيني امرأة بها مس . وحديثها رغم تشعبه ، وغرابة الموضوعات التي تطرقها ، حديث امرأة تسيطر على قواها العقلية .. وفي رأيي أن ما يصدر عنها من تصرفات أو أقوال شاذة ، انما هي تصرفات وأقوال مدروسة ، لغاية في نفسها . اما النظر في النجوم ، وقراءة الكف ، لاستطلاع الغيب ، فهي عندي أول من لا تؤمن بها . » !!

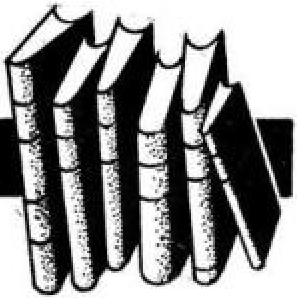
وفي أواخر خريف سنة ١٨٣٥ زارها كنجليك ، وترك لنا وصفا رائعالهذه الزيارة في كتابه المشهور « ايوثن » Eothen وعندما كتب لها من بيروت قدم نفسه لها بانه ابن صديقة طفولتها ، وأعز صديقات صباها . فاستقبلته ، وبالغت في اكرامه، وبقي في ضيافتها مدة يومين . وما كتبه عنها في كتابه يؤكد ما قاله لامارتين من انها حقيقتها ابعد ما تكون عن الجنون .

★ ★ ★

وفي الثالث والعشرين من يونيه (حزيران)١٨٣٩، وبينما كان الفلاحون في القرى المحيطة ببيت ليدي هستر ستانهوب منتشرين في الحقول ، مشغولين بالحصاد . سرى نبأ وفاة « الست » ، وأعلنته اجراس الكنائس ، فرددت صداها وديان الجبال. وحمل خدمها جثمانها مجللا بالعلم البريطاني ، وشارك القناصل الاوروبيون في دفنها بقرب حبيبها الشاب الفرنسي ، كما ارادت .

وبوفاتها انتهت حياة طليعة الرواد الانلجيز الى الشرق العربي ، في القرن التاسع عشر . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

تخطيط الجدول المدرسي عملية تعاونية بين النظار والمدرسين

تأليف دافيد اوستن ونوبل جفدن ، وترجمة الدكتور محمد الهادي عفيفي بالقاهرة ، دار النهضة العربية بالقاهرة ـ الثمن ١٩ قرشا مصريا .

● هذا الكتاب هو الخامس عشر من سلسلة « التعليم في ضوء التجارب » ، التي تعنى كتبها بفهم سلوك الاطفال وتحسين قدراتهم والتعاون بين الآباء ، والمدرسين والاطفال الموهوبين وبطيئي التعلم ، وغير ذلك من الموضوعات التي تهم الآباء والمعلمين .

اسرة شهيد

المؤلف : محيي الدين الحاج عيسى
الناشر : مكتبة أطلس : دمشق

● مسرحية شعرية استلهمت حوادثها من احداث نكبة فلسطين ، وتقع حوادث المسرحية في خمسة فصول يمكن تمثيلها معا ، ويمكن كذلك تمثيل كل فصل منها على حدة ، دون المساس بالوحدة الفنية فيها .

مباحث في الادب الشعبي

تأليف : عامر رشيد السامرائي
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد : بغداد

● دراسة عن الادب الشعبي في العراق، صفاته، والمواضيع التي يتطرق اليها هذا الادب، مع ايراد نماذج من كل لون منها وشرحها والتعليق عليها .

صخرة الرعـد

تأليف : روبرت آردري ـ ترجمة مرسي سعدالدين

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية

● مسرحية يعالج فيها مؤلفها فكرة الحرب ، ويعتبرها المشكلة الحقيقية للعالم ، وتقع احداثها على مستويين ، مستوى الواقع ومستوى الخيال. وهو يحاول على لسان بطل المسرحية ان يجد أساسا معقولا ومنطقيا للاعتقاد بان للعالم مستقبلا غير الدمار الشامل .

الريحاني ومعاصروه رسائل الادبـاء اليـه

جمعها وحققتها وقدم لها البرت الريحـــاني

الناشر : دار الريحـاني للطباعـة والنشـــر

● كتاب يحوى مجموعة من رسائل الادباء الى امين الريحاني تلقى بعض الضوء على نشاط قام به رجالات الرعيل الثاني في عصر النهضة . وهذه الرسائل مشحونة بالادب والعلـم والاجتمـــاع والفلسفة والنقد مع تباين في أسلوب هذه الرسائل، بين الاسلوب القديم المعقد ، والاسلوب الجديد السلس ، الى الرومنطيقي ، الى الرمزي .

شاعر عبقر واهازيج الفن

تأليف : عبد اللطيف اليونس

الناشر : مؤسسة الانتاج الطباعي في بيروت

● دراسة وتحليل ونقد لنتاج احد شعراء المهجر وهو شفيق معلوف، وقد قام المؤلف باختيار بعض اعماله الفنية من دواوين الشاعر العديدة ، شارحا بعض السمات التي يمتاز بها شعر شفيق معلوف ، ومبينا ما فيها من جدة ، محللا تارة وناقدا تارة أخرى .

مرافىء الظلال

ليوسف الحملاني ، هو شاعر ناشيء من طلاب الصف الخامس الأدبي لعام ٦٦ من كربلاء/مطبعة اهل البيت بكربلاء .

● يقول الشاعر الصغير ان قصائده التي كتبها ما هي الا شذرات نفسية مرهفة وشتيت انفاس معذبة ، تتلمس طريق النور وتتموسق بايقـــاع دقات قلبية ساذجة احيانا كسذاجة الأطفال .

فيضانات بغداد في التاريخ

للدكتور احمد سوسة / مطبعة الاديب ببغداد، الثمن دينار ونصف عراقي .

● بحث في تاريخ فيضانات نهر العراق وتأثيرها بالنسبة لمدينة بغداد والتدابير المتخذة للوقاية من خطر الغرق في مختلف عصور المدنية . وهو القسم الثالث والأخير من الكتاب الذي حاز القسم الاول منه على جائزة الكتاب العربي لعام ١٩٦٣ .

الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الاسـلامية

تأليف : أبو الحسن على الحسنى الندوى

الناشر : دار الندوة للتوزيع : لبنان

● محاولة لدراسة الأفكار والقيم الاسلامية وصراعها مع الافكار والقيم الاوروبية ، واعتبارها المعركة الحقيقية التي يخوضها العالم الاسلامي اليوم والموقف الذي تتخذه البلاد الاسلامية من نفوذ الحضارة الغربية المادي والسياسي .

شعراء الرابطة القلمية

تأليف : الدكتورة نادرة جميل السراج

الناشر : دار المعارف بمصر

● هذا الكتاب دراسة وتعريف بشعراء الرابطة القلمية من شعراء المهجر الذين حملوا لواء البعث الجديد في الشعر العربي وراء البحار . والمؤلفة في هذا الكتاب تلقى بعض الضوء على شعر اعضاء الرابطة القلمية وعن نواحي التجديد في شعرهم : التجديد في الموضوع ، والتجديد في الصياغة ، مع التمهيد التاريخي لأسباب هذه الهجرة المتدفقة الى العالم الجديد .

تسجيل الشركات التجارية في العراق والاردن

للدكتور صلاح الدين الناهي ، الاستاذ بجامعة بغداد/مطبعة المعارف ببغداد ـ الثمن ٥٠ فلسا عراقيا .

● بحث مستقل من مجلة التجارة التي تصدرها غرفة تجارة بغداد ، ويحوى بين ما يحوى القوانين والاجراءات الخاصة بتسجيل الشركات .

■■

اِضْحَكْ

تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك

مسكين !

● الام لطفلها : ماذا تفعل أيها الولد الشقى ؟

الطفل : « وماذا استطيع ان افعل وكلكم تراقبوننى .. انت والله وبابا نويل ؟ »

العلم « نورن » !

● جلست فتاة فى مدرسة ثانوية بجوار احد مشاهير علماء الفلك فى حفل عشاء ، وارادت ان تبدأ موضوعا للحديث ،فقالت تسال العالم الكبير : « ما هو نوع العمل الذى تقوم به ؟ » .

فأجاب العالم : « اننى أدرس الفلك »

وصاحت الفتاة:« يا للهول ! لقد انتهيت انا من دراسته منذ عامين ! » .

غـــرور

● صعدت فتاة جميلة الى سيارةالأوتوبيس المزدحمة ، ومضت بضع دقائق قبل ان يهم احد الشبان بالوقوف،ولكنها أسرعت اليه ودفعته بيدها فى رفق الى مقعده مرة اخرى وقالت له :

« اشكرك فانا لا اريد ان اجلس ! » .

وجلس الشاب ، ومضت بضع دقائق اخرى قبل ان يحاول الوقوف مرة ثانية، ولكن الفتاة عادت من جديد تدفعه بيدها الى مقعده وتشكره ثم تقول له فى اصرار :

ـ لا اريد ان أجلس ، هل فهمت ؟ .

وهنا صاح الشاب : « ومن الذى طلب اليك أن تجلسي ؟ انني أريد أن انزل ، ألا تفهمين ! » .



● **السيدة لصديقتها** : « هذه أول لوحاتى يا عزيزتى. وقد ساعدنى الأستاذ فى رسم الوجه ، اما باقى الصورة فقد رسمته كله وحدى ! » .

الدجاجة والبيضة

● **صاحب المخزن التجارى** : لا ريب فى أن حسن مظهر الموظف عامل من العوامل التى تساعد على النجاح فى الاعمال التجارية .

الموظف : حقا ولكن الا ترى معي ان النجاح فى الاعمال التجارية هو ايضا عامل من العوامل التى تساعد على حسن مظهر الموظف !!

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

قديسة أحرقوها حية !

● كثيرا ما اسمع عن سيدة تدعى « جان دارك » فالبعض يقول عنها فرنسية ، والبعض الآخر يقول عنها انجليزية . وقد حاولت مرارا ان افتش عن اى كتاب يحوى تاريخ حياتها ، ولكنني لم اوفق . فمن هي ؟

فاطمة شريف / طرابلس / لبنان

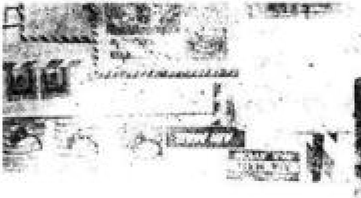
ـ جان دارك Jeanne D'arc (١٤١٢ ـ ١٤٣١) فتاة فرنسية عاشت فى فرنسا فى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى ، عندما احتل الانجليز فرنسا ودخلوا عاصمتها باريس فى عهد الملك شارل السادس ملك فرنسا فى ذلك الوقت . وهي ابنة رجل ريفي لم تكن تعرف القراءة ولا الكتابة ، ولكنها كانت فتاة غريبة الاطوار ، شديدة الايمان بالله . وكانت تؤمن وهي طفلة فى الثالثة عشرة من عمرها ان الله قد ارسلها لتنقذ فرنسا من الانجليز .

وقادت جان دارك بالفعل جنود فرنسا فى معركة مريرة ضد القوات الانجليزية التى كانت تحاصر مدينة اورليان Orleans وبدأ الفرنسيون يؤمنون بها ويلتفون حولها فى كل مكان كانت تذهب اليه بملابس الرجال العسكرية التى كانت ترتديها ، حتى تمكنت من فك الحصار عن المدينة بعد أيام معدودة من القتال . فدفعها هذا النصر الى الاستعداد للزحف على باريس وطرد الانجليز منها . ولكنها لم تعش لترى هذا اليوم . فقد شعر الانجليز بخطورة هذه الفتاة عليهم ، فراحوا يستميلون مواطنيها بشتى الطرق ، لمعاونتهم فى التخلص منها ، الى ان وقعت اخيرا فى قبضة فريق من الفرنسيين الذين سلموها بدورهم الى الانجليز .

وقدمت جان دارك للمحاكمة امام المحاكم الفرنسية الدينية . وكانت التهمة التى وجهت اليها هى القيام بأعمال السحر والشعوذة ، وهي تهمة روج لها الانجليز بين دوائر الكنيسة الفرنسية ! وظلت هيئة المحكمة التى تتألف من فريق من الاساقفة ، تستجوبها ليل نهار ، وتسألها عن تلك الاصوات الغريبة التى كانت الفتاة تقول انها تسمعها فى صلواتها ، واثناء نومها ، والتى تطلب اليها ان تهب لنجدة فرنسا .

وفى ختام محاكمتها ، وجه اليها الاساقفة سؤالا





يشرف على هذا الباب

عبد الوارث كبير

واحدا محددا : « هل تنوين اطاعة اوامر الكنيسة ام لا ؟ »

وقالت جان درك : « انني انفذ فقط ما تامرني به الاصوات التى اسمعها ، فاذا كانت اوامر الكنيسة تتعارض معها ، فلا بد ان تكون الكنيسة مخطئة » !

وادانت المحكمة جان درك بتهمة عصيان الكنيسة ، وصدر عليها الحكم بالاعدام وهي حية ، فى اكبر ميدان بمدينة روين Rouen الفرنسية . وماتت جان درك وهي شابة لم تتجاوز عامها التاسع عشر .

وبعد مرور اعوام على احراقها ، عادت الكنيسة الفرنسية واعلنتها « قديسة » !

مواطن غير عماني

● قرأت فى عدد « العربى » الصادر فى رجب ١٣٨٦ ، نوفمبر ١٩٦٦ ، استطلاعا عن دبي . وقد ذكر فيه المستطلع ان اهل هذا البلد يقلبون حرف السين شينا ، فيقولون شكّر" بدلا من سكّر" وشمك" بدلا من سَمَك" ، وهذا غير صحيح ، فلم نسمع هذا الا على صفحات « العربى » !!

مواطن عمانى/المنطقة الشرقية

ـ زار مجلة « العربى » ، اثنان من اهل عمان وعرضنا عليهما خطابك ، واسمع رايهما فيه : « ان ما كتبه المستطلع فى مجلة « العربى » صحيح . واما القارىء صاحب الخطاب ، فهو احد امرين ، اما أن يكون مهاجرا نسى لهجة بلده. واما أن يكون مواطنا ولكن غير عمانى » .

الجمعية الفابية

● هل لكم أن تكتبوا لنا موجزا عن تاريخ الجمعية الفابية ونشأتها واهدافها ؟

ا . محمد ـ بغداد

ـ هى الجمعية الاشتراكية الانجليزية الشهيرة التى بنى عليها العمال ما بنوا ، وقد تأسست فى عام ١٨٨٣ ـ ٨٤ ، وكان من أعضائها الكاتب والفيلسوف البريطانى الكبير جورج برنارد شو George Bernard Shaw ، وسيدنى وب Sydney Webb، وادوارد بيز Edward Pease و هـ.ج.ولز H.G. Welles وغيرهم .

وكان هدف هذه الجمعية هو اعادة بناء المجتمع على أسس عادلة . أما اسمها فقد اشتق من اسم القائد الرومانى الجنرال فبيوس كونكتاتور Fabius Conctator . ولم يكن لهذا القائد الرومانى القديم علاقة بهذه الجمعية بطبيعة الحال ، الا انهم راوا انه بجيشه الصغير القليل ، هزم جيشا كثيرا كبيرا بفضل اساليبه البارعة ، وبلا قتال .. وكان الفابيون قلة ، فشاءوا ان يكون لهم مثل حظ فابيوس ، فتغلب قلتهم كثرة معارضيهم ..

وفى عام ١٨٨٩ ، أصدرت الجمعية الفابية نظريتها فى الاشتراكية ، وقد كتبها برنارد شو ، ووزعت من هذا الكتاب اعداد كبيرة ، ولا يزال يباع حتى الآن بعد اضافة النظريات الفابية الجديدة اليه New Fabian Essays ، التى كتبها النائب العمالى المعروف ريتشارد كروسمان Richard Crossman .

وقد آمن الفابيون بالاشتراكية التدريجية، التى تنبثق من الشعب ، ورفضوا الاخذ براى ماركس فى الاشتراكية الثورية ، فكانوا يرون بأن التغيير الاجتماعى يمكن ان يتحقق تدريجيا بالطرق الديمقراطية عن طريق البرلمان ، وباقناع الجماهير برايهم .

من هم المعتزلة فى الاسلام وما هو مدى خلافهم مع أهل السنة ؟

● لقد قرأت فى العدد السبعين مقالا عن أبى بكر الباقلانى جاء فيه ، أنه كان يكره المعتزلين وسؤالى هو : من هم هؤلاء المعتزلون ،وفى أى عصر وجدوا ؟ وما هو الاختلاف بينهم وبين السنيين ؟

ابراهيم الشيبة
الجمهورية العربية السورية

ــ الحسن البصرى من سادات التابعين ، ولد قبل انتهاء خلافة سيدنا عمر بن الخطاب بعامين ، وتوفى سنة ١١٠ هجرية. وكانت له حلقة فى مسجد البصرة يقصدها كثير من الطلاب ، وكان واصل ابن عطاء من أولئك التلاميذ النابهين (٨٠-١٨١).

ومرة عرض الخلاف فى المؤمن الذى يرتكب الكبيرة من الذنوب ، وقد قال الخوارج فى ذلك ان مرتكبها كافر . وقال أهل السنة ان مرتكب الكبيرة فاسق بارتكابها، ولكنه مؤمن وليس بكافر. فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال : « ان الفاسق من أمة محمد لا هو مؤمن ولا هو كافر ، وانما هو منزلة بين المنزلتين .

فطرده الحسن البصرى من مجلسه،واعتزل واصل عنه ، وجلس اليه عمرو بن عبيد (٨٠ ــ ١٤٤) فقيل لهما ولاتباعهما معتزلون . ويقال ان أول من اطلق عليهم هذا اللقب هو قتادة (٦٠ ــ ١١٧) وهو من كبار العلماء ، وكان مكفوف البصر . فدخل يوما مسجد البصرة ــ بعد اعتزال واصل ومؤيديه ــ فاذا بعمرو بن عبيد ونفر معه متحلقون، ترتفع أصواتهم بالمناقشات العلميــــة . فحضرت الصلاة فامهم وهو يظن انها حلقة الحسن البصرى، فلما صار معهم عرف انها ليست هى فقال : « انما هؤلاء المعتزلة . ثم قام عنهم ، فمن يومئذ سموا بالمعتزلة » .

وقد وجد لهم اتباع كثيرون ، وبين اتباعهم بعض الخلاف فى الآراء ككل جماعة فيها مفكرون .

هذا هو مبدأ الاعتزال وعصره هو أواخر عصر بنى امية .

وأما الاختلاف بينهم وبين السنيين ، فان ابن حزم فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » أورد فى الجزء الثانى صفحة ١١١ الى آخره ، وفى اغلب الجزء الثالث مسائل الخلاف بين الفرق الاسلامية ومنها المعتزلة ، وأتى بحجج كل فريق وما يعارضها . وليس المجال هنا متسعا لتوضيح ذلك ، ويكفى ان نذكر امثلة من خلافهم غير ما كان سبب اعتزالهم ..

١ ــ ان لله تعالى علما حقيقيا لا مجازا ، وان علمه تعالى غير مخلوق ، لم يزل . وقال المعتزلة: ان علم الله مجاز لا حقيقة ، ومعناه ان اللـه تعالى لا يجهل ، وبعضهم قال : ان علمه مُحدَث مخلوق .

٢ ــ كلام الله قديم ، لم يزل ، وغير مخلوق . وقال المعتزلة : ان كلام الله صفةُ فعلٍ مخلوق. ومعلوم أن هذه المسألة ترتب عليها ما كان له أشد الفتنة فى أيام المأمون والمعتصم والواثق، وهى فتنة القول بخلق القرآن ، وابتلى فيها الامام أحمد بن حنبل وغيره .

٣ ــ افعال العباد مخلوقة ، خلقها الله فى الفاعلين لها . وقال المعتزلة : ان افعـال العباد مُحدثة ، فعلها فاعلوها ، ولم يخلقها الله عز وجل .

٤ ــ جواز رؤية الله تعالى بلا كيف ولا حـد فى الدنيا والآخرة ، واغلب المعتزلة قال : ان الله تعالى لا يرى ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وبعضهم قال ، انه يرى فى الآخرة ، ولا يرى فى الدنيا أصلا ، وبعضهم قال ان الرؤية جائزة .



● سارتر ●

الوجودية

● ما هي الوجودية ، ومن مؤسسها ، وهل لها صلة بالاديان ، أم هي مذهب اقتصادي؟ ومَنْ مِنْ كتاب هذا العصر وفلاسفته يدينون بها ؟

عدنان الحكيم/البصرة

– ليست الوجودية في الشعر الطويل الذي يطلقه بعضهم ويرخيه ، فيختلط أمرهم ، ولا يدرى احد ان كانوا نساء او رجالا ..

وليست الوجودية كذلك في الاعتكاف في المقاهي المظلمة او الأندية المعتمة او في « الكهوف » على حد تعبير بعضهم .. ولا هي بالانصراف الى نظم الشعر أو نثره ، أو القائه بصورة تداعب الغرائز وتشبع الرغبة المتُحدرية في انتحال الوجودية او تمثيلها على نحو ما يفهمها ذلك المعتكف او لا يفهمها ..

وليست الوجودية ايضا في انطلاق الفرد وتحرره من سائر القيود والاعراف واطلاقه العنان لنزواته ونزعاته ولغرائزه ، ظنا منه انه في هذا وذلك انما يمارس وجوده ، ويطبّق مبادىء الفلسفة الوجودية ..

فضلا عن ذلك ، فان الوجودية ليست وقفا على الكاتب الفرنسي جان بول سارتر Jean Paul Sartre (١٩٠٥ – .....) كما يظن البعض . فهي مدرسة فلسفية او مذهب فكري ظهر في المانيا في مطلع هذا القرن العشرين . وروّاد هذا المذهب فيلسوفان المانيان هما مارتن هايدجر Martin Heidegger وكارل ياسبرد Karl-Jaspers . اما جذور الفلسفة الوجودية فتجدها في تفكير الفيلسوف الالماني فرادريك نيتشه (١٨٤٤ – ١٩٠٠) Friederich Nietzsche والفيلسوف الدانمركي سورن كيركيجارد (١٨١٣ – ١٨٥٥) Soren-Kierkegaard . على ان جان بول سارتر وهو الكاتب القصصي كان له الأثر الاكبر في شيوع كلمة الوجودية وانتشار استعمالها ، او كما يقول بعض المفكرين ، سوء استعمالها .

اما المبادىء التي يقوم عليها التفكير الوجودي ، وهو تفكير صعب معقد كما لا يخفى ، فسوف يكون في « العربي » مقال مفصل عن الوجودية ومبادئها في مستقبل قريب ان شاء الله .

معنى الامبريالية

● ترددت في السنوات الاخيرة ، في محيط حياتنا السياسية العربية ، تعبيرات والفاظ جديدة على بعض النظريات السياسية المعاصرة ، لم يكن لنا نحن ، ابناء لغة الضاد ، اتصال بها من قبل ، واليوم اصبحت تجري على لسان كل خطيب ، وتكتب بين سطور كل مقال . ومن هذه التعبيرات الامبريالية ، فهل اجد عندك شرحا لهذا التعبير ؟

احمد محمد المطيري / الاسكندرية

– الامبريالية هي سيطرة بلد له مقومات الدولة على اراض تسكنها شعوب لم تكتمل بعد نموها السياسي والاقتصادي او هكذا يزعم ، وهذه السيطرة اما ان تكون عسكرية او سياسية او اقتصادية ، وقد تشمل النواحي الثلاث في وقت واحد في كثير من الحالات . والدول الضالعة في هذا المضمار .. مضمار الامبريالية او الاستعمار هي بريطانيا وبلجيكا وهولندا واسبانيا والبرتغال، وقد كان لكل هذه الدول مستعمرات خاضعة لها ولنفوذها في القرن التاسع عشر الميلادي وما قبله .

وما ان جاء القرن العشرين ، حتى بدات الشعوب المستعمرة تتململ وتستيقظ وتنفض عنها تراب التخلف الذي حرص الاستعمار على ابقائها فيه . وخرج الامبرياليون تحت ضغط الحركات الوطنية والثورات التي اندلعت في معظم دول آسيا وافريقيا ، وقد كانت كلها خاضعة لهم في وقت او في آخر . واستقلت معظم البلدان التي رزحت قرونا طويلة تحت نير الاستعمار ، وارتفعت اعلام جديدة معلنة مولد الحرية ونهاية الامبريالية .



المسرح العربي ومشكلة اللغة

عن صحيفة لسان الحال البيروتية :

● يشهد العالم العربي اليوم نهضة مسرحية بارزة فى معظم بلدانه ، فقد صرح توفيق الحكيم مؤخرا بانه يترك كتابة المسرحية ، وهو مطمئن الى ان جيلا جديدا قد ظهر ويؤمل منه العطاء الوفير .

ويبدو لنا ان مشكلة اللغة فى المسرحية لا تستحق الاهمية الكبرى التى تعلق عليها . ولنفرض انها تطرح مشكلة ، فحل هذه المشكلة ليس فى اعتماد العامية بشكل مطلق ، حتى ولو كانت العامية لغة الحياة ولغة الشعب .

ما هي العامية التي تعتمد ؟ وما هي الفصحى التى تنبذ ؟ هل تعتمد العامية فقط فى المسرح دون سائر الالوان الادبية ؟ لا بد لنا ان نعترف بأن اللغة كائن حى يتطور ، والتطور يعنى النمو العضوى التدريجى فى حدود طبيعة الكائن . واننا نجحف العربية حقها لو قلنا انها لا تتطور مع الايام لا سيما فى هذا القرن ، فاللغة التى تكتب بها اليوم تختلف عما كانت عليه منذ قرون فى صيغتها وبيانها وحتى مفرداتها .

اما فى حقل المسرحية فللقضية غير وجه . اذ المسرح صورة عن الحياة ماضيا وحاضرا ، ولكل انسان بل لكل موضوع لغة . فاذا عالج المؤلف موضوعا شعبيا او هزليا ، فلا ضير ان يلجأ الى العامية المتطورة ، حرصا على عفوية الحوار اذا كان الشخص الذى يقلده الممثل من طبقة غير مثقفة ، فلغة القاضي او المحامي فى ذات التمثيلية لا بد ان تختلف عن لغة الخادم او العامل البسيط . والمهم ان يكون المؤلف المسرحي مخلصا مع نفسه وموضوعه وعندئذ لن تطرح قضية اللغة كمعضلة بالنسبة اليه .

كيف تتسلل اسرائيل

عن مجلة « الاسبوع العربي » :

● لقد استيقظت القارة السوداء وحطمت النير الاستعمارى ، وها هى تظهر على مسرح الوجود فى كل عام دولة جديدة تضم صوتها الى جانب اصوات الدول الافريقية المتحررة فى الامم المتحدة . ولكن الاستعمار لم ييأس فلجأ الى قاعدته الامينة اسرائيل ، وبدأ يستخدمها فى سياسته العدوانية ضد الشعوب ، ولكن عن طريق المساعدات الاقتصادية هذه المرة . ومن اجل هذا تحاول الدول

فيلسوف امريكى يندد بسياسة بلاده نحو اسرائيل

عن مجلة فلسطين الدورية :

● كتب الفيلسوف الامريكى وليم ارنست هوكنغ مقالا ندد فيه بسياسة الولايات المتحدة نحو اسرائيل ودعا الى وقف المساعدات المالية والحربية والفنية عن هذه الدولة اليهودية الغاصبة .

ويمضى الفيلسوف قائلا ان الدعاية الصهيونية اعتادت ان تصور لنا العالم العربى بصورة المجتمع المتخلف الذى يرزح تحت وطأة التخلف الاجتماعى، ولكن الباحث الذى يزور العالم العربى لاول مرة سرعان ما يجد نفسه امام ١٠٠ مليون من السكان الذين يؤمنون بكرامتهم الانسانية ، ويعملون جاهدين فى سبيل تحقيق مجتمع عربى جديد . بل اننا نجد فى كل بقعة من بقاع العالم العربى قلوبا تنبض بحياة جديدة ونفوسا عامرة بالثقة فى مستقبل الوطن العربى .

مشكلة الكتاب الجامعى فى العالم العربي

عن مجلة المصور القاهرية :

● الكتاب الجامعى مشكلة ، ومشكلة متعددة الزوايا والجوانب . ومشكلة بالنسبة الى فوضى النشر ، فكل استاذ او مدرس يستطيع ان يطبع كتابا فى مادته ويفرضه على طلبته وينتج عن هذا :

× ان المادة العلمية لا يراجعها احد فالاستاذ هو الذى نشرها وهو الذى فرضها على الطلبة .

× ان المادة الواحدة قد يصدر منها اكثر من كتاب لاكثر من مدرس او استاذ فى كلمة واحدة .

× اسعار الكتب والملازم لا رقيب عليها وصاحب الكتاب هو وحده الذى يحدد الاسعار .

والطالب مضطر الى شراء كتاب الاستاذ او المدرس ولا يستطيع ان يعتمد على المحاضرات وحدها ، وهو فى نفس الوقت محتاج الى مرجع دائم ولا يستطيع ان يتجاهل كتاب الاستاذ ، لان اى اجابة على اسئلة الامتحان خارج الكتاب معناها الرسوب ، تلك الكلمة المخيفة التى يخشاها الطالب وترتعش لها الطالبة .

الى الدول النامية ؟

الاستعمارية ، ستر الطابع العدوانى عليها ،حيث تزعم ان اسرائيل انما تسعى الى مساعدة الدول الفتية ، فى تطوير اقتصادها الوطنى ، ولكن الوقائع والاحداث اكدت لهذه الشعوب الدور القذر ، الذى تقوم به اسرائيل فى افريقيا لمصلحة الاستعمار حيث تتسرب منه الى القارة الافريقية ، بعد ان عجزت تلك القوى الامبريالية عن الاستمرار فى نهب شعوب افريقيا ، وتكبيلها وخنق حرياتها .

دردشة



قالوا :

● التفاهم بين الزوجين : يتم عندما تضحك المراة دائما على نكت زوجها القديمة الفاترة البائخة، وعندما لا يضحك هو ابدا على قبعاتها الجديدة السخيفة !

(هارولد كوفين)

سومرست موم



● اذا اردت ان تاكل طعاما جيداً فى بريطانيا ، فاحرص على تناول طعام الافطار فى الوجبات الثلاث .

(سومرست موم)

الاصدقاء الثلاثة

● سالوا أحد فلاسفة الصين :

« من هم الاصدقاء الذين تستطيع ان تعتمد عليهم عندما تتقدم بك السن ؟ » .

فقال : « زوجتك الوفية التى امضت كل حياتها فى رعايتك ، وكلبك الأمين ، ومالك الذى ادخرته لشيخوختك » .

برنارد شو أبكم أصم !!

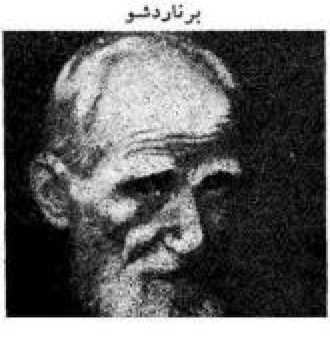
● يحكى عن برنارد شو الفيلسوف البريطانى الساخر ، انه ذهب يوما الى حفل راقص اقامته جمعية البكم والصم ، فسأل شو صديقه الذى رافقه الى الحفل : « وكيف أطلب الى الفتاة الصماء البكماء أن تراقصنى ؟ » .

فاجاب صديقه : « ما عليك الا أن تبتسم وتتقدم اليها وتنحنى امامها ! »

ونفذ « شو » نصيحة صديقه وظل يرقص مع فتاته فى الحفل ساعة كاملة ، رقصا خلالها اربع رقصات لا رقصة واحدة ! ، وفجأة اقترب أحد الشبان من الفتاة وقال يحدثها : « ارجو الا تكونى قد نسيت يا عزيزتى. لقد وعدتنى برقصة الليلة، ولكنك لم تتركى هذا الرجل منذ وصولنا ! »

وقالت الفتاة : « ليتنى اعرف كيف أتخلص من هذا الرجل الأبكم الاصم !! » .

برناردشو



الكتابة كلام على الورق

● الكتابة ليست فى الواقع سوى كلام على الورق ، والكلام ما هو الا تفكير بصوت عال ، والتفكير ليس الا كلاما صامتا !

« وانت لاتستطيع التفكير ، الا وتصحب تفكيرك الكلمات ، وانت اذ تكتب لا تستطيع ان تكتب الا بالاسلوب الذى به تتكلم . وانت لاتستطيع ان تتكلم الا وفقا للاسلوب الذى تنشأ فيه الآراء فى راسك ، والذى به تنزلق هذه الآراء الى شفتيك » .

رودلف فليش

أقصى حدود المجاملة !

● عرف لورد راندولف تشرشل والد ونستون تشرشل السياسى البريطانى الراحل ، بانه كان رجلا مجاملا الى اقصى حدود المجاملة ، فهو لم يقاطع محدثا فى يوم من الايام ، مهما كان حديثه مملا وسخيفا !

وفى مساء يوم احد ، انفرد به احد الاصدقاء الثقلاء فى النادى ، وراح يحكى له قصة طويلة مملة ! وظل لورد راندولف يستمع الى محدثه فى صبر شديد لمدة ساعة كاملة ، ولما وجد ان الرجل لا يريد أن ينهى قصته ، استاذنه فى الانصراف لارتباطه بموعد سابق ، ولكنه قال له قبل أن ينصرف : « سوف تكمل قصتك على اية حال ، وسوف اسمع نهايتها ! » ثم قصد الى احد موظفى النادى وقال له : « ارجوك أن تذهب الى هذا الرجل وتستمع الى كل حرف من حديثه اليك ، وتنقله لى فى اليوم التالى !

وفى صباح اليوم التالى كان الموظف يقف فى مكتب سير راندولف ، فساله هذا الاخير : « ماذا عندك ؟ » .

فقال : « لا شىء يا سيدى . فقد ارجا الرجل رواية بقية قصته لك الى يوم الاحد القادم ! »

ومن يومها لم يذهب سير راندولف الى هذا النادى !



بيكاسو

درس للرسام بيكاسو !

● لاحظت زوجة الرسام الاسبانى المشهور بيكاسو علامات السعادة تغمر وجه زوجها عندما وقفت بجانبه فتاة فرنسية شقراء، أثناء وجودهما فى المصعد بأحد فنادق باريس .

وقبل أن يصل المصعد الى الدور الثالث التفتت الفتاة فجاة وقد ظهرت على وجهها علامات الغضب ثم صفعت بيكاسو على وجهه بقوة ! وقالت : « سيكون هذا درسا لك حتى لا تقرص الفتيات مرة أخرى » .

ووصل المصعد اخيرا فخرج بيكاسو متابطا ذراع زوجته وقال لها: « اقسم لك اننى لم اقرص هذه الفتاة ! » .

واجابت الزوجة فى هدوء : « أعرف ذلك يا عزيزى ، فقد كنت انا الذى قرصتها ! » .

تعبيرات لاذعة

● **المنبه** : جهاز يجعلك تفزع من ضوء الصباح !

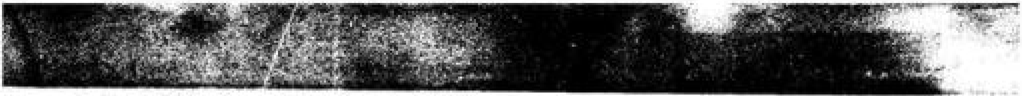
منتصف العمر : هو الوقت الذى تشعر فيه أنك قادر على القيام بكل ما كنت تقوم به فى شبابك ، ولكن ليوم واحد !

أغلى ثلاثة أشياء فى العالم : الزواج ، والمرض ، وتذكرة السفر بالطائرة فى رحلة حول العالم !

الممثل : الرجل الذى تصدقه زوجته وهو يكذب عليها !

الغرور : نوع من المرض يصيب المرء فيثير اشمئزاز كل من حوله ما عداه هو !

سر الحياة الطويلة : أن تنسى أن هناك مصعدا ينقلك الى الدور الثالث أو الرابع، وأن تبتسم لسائق السيارة المتهور الذى كاد أن يصدمك!



ـ أبتاه .. الرحمة .. سامحنى .. لن أفعـل ذلك قط ..

مَاتيُو فَالكُون ..

اذا دلفت خارجا من ميناء بورتوفيشيو ، Porto - Vecchio متوجها الى داخل الجزيرة ، جزيرة كورسيكا ، فسوف ترى الارض ترتفع بشكل مريع وبعد ثلاث ساعات من المسير ، فى شعاب ملتفة ، تسدها أحيانا كتل ضخمة من الصخور ، او تقطع انسيابها هاويات سحيقة ، بعد ثلاث ساعات من السير تجدك على حافة ادغال شاسعة . والأدغال هنا فى جزيرة كورسيكا هي وطـن الرعاة ، وكـل من ساءت بالعدالة علاقته .

ومن المعلوم أن المزارع الكورسيكى يضرم النارق مساحات من الغابة ليوفر على نفسه تسميد الارض . ولا بأس من أن تمتد النار الى مساحة أكبر من المطلوب ، ولتصل اينما وصلت ، فمن الاكيد ان المحصول سيتضاعف فى هذه الارض التى تم اخصابها برماد الاشجار الذى انتشر عليها .

وتجمع السنابل فقط ، اذ أن الفلاح يدع الهشيم فى الارض فلا يبذل مجهودا لجمعه ، وتبقى الجذور سليمة فتخرج كثيفة فى الربيع التالى . وبعد سنين قليلة ترتفع الى ثمانية أو سبعةاقدام. وبهذه الطريقة، ومن هذا النبات الكثيف ،يتشكل ما يسمى الدغل . وأنت واجد فيه أشجارا وشجيرات مختلطة متشابكة ، لا سبيل الى شق مسلك فيها الا بفأس الانسان .

فاذا أنت قتلت رجلا ، واردت ان تنجو ،فاذهب واعتصم فى أدغال المقاطعة ، مقاطعة بورتوفيشيو. وستحيا هناك بأمان ، تكفيك فيه صحبة بندقية جيدة وقليل من الذخيرة . ولا تنس معطفا ثقيلا ذا قبعة ليكون لك غطاء وفراشا . وسيمدك الرعاة هناك بالحليب والجبن والكستناء . وهنا، لن يكون لك ما تخشاه من العدالة اذا لم تنزل الى المدينة لتتزود بالذخيرة .

عندما كنتُ فى كورسيكا،كان لـ «ماتيو فالكون» منزل يبعد نصف فرسخ عن تلك الادغال ، وكان هذا احد أغنياء الجزيرة ، يعيش كأى نبيل ، اى مما تنتج قطعانه التى يسعى بها رعاة رُحّل الى الجبال لترعى . وعندما رأيته ، بعد القصة التى سأرويها بسنتين ، بدا لى فى الخمسين من عمره .

كان رجلا قصيرا ، متين البنية ، ذا شعر اسود متلبد ، وأنف كمخلب النسر . شفتان رقيقتان ، وعينان كبيرتان واسعتان جريئتان يصطبغ وجهه بلون ارجوانى باهت .

وبلغت مهارة هذا الرجل فى الرماية حد الغرابة حتى فى بلاده حيث يكثر الرماة المهرة فى فن الموت .

كان ماتيو ، مثلا ، لا يطلق النار على تيس برى ترافقه اناثه ، لكنه كان ، على بعد مائة خطوة وعشرين ، يصرعه بطلقة واحدة ، يدخلها فى رأسه أو صدره كما يريد ، وكان يستطيع استخدام السلاح ليلا أو نهارا بنفس الدقة والمهارة . وقد روى لى فى هذا الصدد ما لا يصدقه انسان لم يذهب الى كورسيكا . فقد وضعوا له ، على بعد ثمانين خطوة ، حاجزا من الورق بحجم الصحن أضيئت وراءه شمعة . ثم رفع بندقيته الى كتفه مصوبا . وأطفئت الشمعة . وفى غضون دقيقة ، فى الظلام الدامس، اطلق فأصاب الدريئة الورقية بثلاث طلقات من أصل أربعة .

وكسب ماتيو شهرة واسعة لفضله وطيبته ، فقيل عنه الصديق الطيب اكثر ما قيل العدو



ولكن « ماتيو » كان قد هيأ بندقيته وصوبها الى الطفل .. و ..

قصة للكاتب الفرنسى

بروسبير مريميه



الخطر . وهكذا كان يعيش بسلام مع جيرانه في مقاطعة پورتوفيشيو خدوما محسنا .

لكن يروى عنه انه ، في بلدة (كورت) اختلف مع رجل ، ونافسه على فتاته ، وكان هذا الرجل اشتهر بباسه في الحرب كشهرته في الحب . ثم حدث ان اطلق ماتيو بعض عيارات من بندقيته حطم بها مرآة صغيرة كانت معلقة على نافذة المنافس ، حين كان يحلق عليها ذقنه . وبذلك حسم ماتيو الخصومة القائمة وتزوج الفتاة المتنافس عليها .

وانجبت له زوجته (جيوزيبا) هذه في البدء ثلاث بنات ، أثرن سخط الاب ، ثم تلاهن صبي اسماه (فورتيناتو) ، فكان هذا أمل الأسرة ووريث اسمها . وتزوجت البنات زيجات صالحة اذ كان باستطاعة الاب ان يعتمد على خناجر أصهاره وبنادقهم عندما تدعو الحاجة . وكان الصبي في العاشرة من عمره لكن الاب كان يرتاح الى مستقبل زاهر ينتظره لولده .

وخرج ماتيو وزوجته فجر أحد أيام الخريف لتفقد أحد القطعان ، في بقعة ما من تلك الادغال. وكان الابن فورتيناتو يرغب في اصطحابهما ، لكن المكان كان يبعد كثيرا . وفوق ذلك وجب عليه الا يترك المنزل خاليا . فرفض الاب . ومضت ساعات على غياب الوالد . وكان الصغير مستلقيا في الشمس يتأمل الجبال الدكناء ، ويفكر في يوم الأحد القادم ، ففيه كان سوف يتناول غداءه في المدينة عند عمه الكابورال .(*) واذذاك قطع عليه تفكيره فجأة سماعه انفجارا صدر عن سلاح ناري . فنهض والتفت صوب الحقل الذى صدر منه الصوت . وتتالت العيارات ، واتصلت ، فاقتربت من المنزل . وظهر في الطريق أخيرا رجل على رأسه قبعة مدببة كتلك التي يلبسها سكان الجبال ، وقد استطالت لحيته ، وغطته خرق وكان يجر نفسه جاهدا متكئا على بندقية . كان قد أصابته طلقة في فخذه .

كان هذا الرجل أحد الفارين من وجه العدالة. وكان قد ذهب ليلا الى المدينة ليشتري بارودا فوقع في شرك الخيالة الكورسيكيين . وبعد دفاع مستميت ، تمكن من التراجع ملتجئا من صخرة الى صخرة ، يطلق النار من ورائها . وكانت المسافة التي تفصله عن الجنود قصيرة فلم يمكنه جرحه من بلوغ الادغال قبل أن يقبضوا عليه . فاقترب من فورتيناتو قائلا :

ـ أأنت ابن ماتيو فالكون ؟

ـ نعم

ـ أنا جيانيتو سانبيرو . ان الياقات الصفر يتعقبونني ! .. خبئني لديك ، فانا لا أستطيع السير أبعد من ذلك .

ـ وماذا يقول أبي اذا أنا أخفيتك دون اذنه ؟

ـ سيقول لك انك فعلت خيرا .

ـ من يدري ؟

ـ اخفني بسرعة ، سيصلون .

ـ انتظر حتى يأتي والدي

ـ أنتظر ؟ ما هذا الكلام ؟. سيكونون هنا خلال خمس دقائق . هيا خبئني أو اقتلك .

فاجابه فورتيناتو ببرود :

ـ ان بندقيتك غير معبأة ، وجعبتك فارغة !..

ـ لديّ خنجري .

ـ وهل بامكانك اللحاق بي .

وقفز الصبي بعيدا عن متناول يد الرجل .

ـ انك لست ابن ماتيو فالكون ـ هل ستدعني أؤخذ امام بيتك اذن ؟

وبدا التأثر على الصبي،فقال وهو يقترب منه:

ـ وماذا تعطيني اذا خبأتك ؟

ففتش الرجل الفار في جيبه وأخرج قطعة من خمسة فرنكات كان قد احتفظ بها دون شك ليشتري الذخيرة . وابتسم فورتيناتو لرؤية القطعة الفضية ، فتناولها وقال للرجل :

ـ لا تخش شيئا .

واحتفر الصبي حفرة في كومة من الشوفان قريبة من البيت ، فانطمر جيانيتو فيها ، وغطاه الصبي بطريقة تجعل له متنفسا دون أن تترك مجالا للظن ان كومة كهذه تخفي تحتها هاربا . وخطرت ببال الصبي فكرة كانت من الدقة بحيث بلغت حد الروعة في تنفيذها : احضر قطة وصغارها ومددها فوق القش ليوهم ان الكومة لم تمس من وقت طويل . ثم لاحظ ان هناك آثارا من الدم في الطريق المؤدي الى البيت فنثر عليها التراب بعناية. وبعد ان قام بهذا عاد فاستلقى في الشمس في غاية الهدوء .

وبعد دقائق ، مثل أمام المنزل ستة رجال ،

(*) الكابورال : لقب الشريف سليل الاسرة العريقة في جزيرة كورسيكا (المترجم) .

بيز'ات بنية ، وياقات صفراء ، وعلى رأسهم كبيرهم . كان هذا الرئيس يمت بقرابة بعيدة لآل فالكون (ومن المعلوم فى كورسيكا ان أهلها يعلقون أهمية كبيرة على القرابة . ويتعلقون بها مهما كانت بعيدة أكثر من أى بلد آخر) ، وكان يدعى (تيودور غامبا) ، وهو رجل نشيط ذو باس ، يرهبه الفارون من العدالة وقد قضى على الكثيرين منهم .

قال الرئيس لفورتيناتو مقتربا منه :

ـ صباحا طيبا يا ابن عمى الصغير ، يا لله كم كبرت ! هل رأيت رجلا يمر من هنا منذ هنيهة ؟

ـ لم أكبر بعد مثلك يا ابن العم .

ـ اذن سيأتى يوم تصير فيه مثلى . لكن قل لى ، ألم تر رجلا يمر من هنا ؟

ـ ألم أر رجلا يمر من هنا ؟

ـ نعم . رجل بقبعة مدببة من المخمل الأسود وسترة ذات حواشى حمراء وصفراء .

ـ رجل بقبعة مدببة وسترة ذات حواشى حمراء وصفراء .

نعم . أجبنى بسرعة ولا تكرر أسئلتى ؟

ـ مر هذا الصباح سيدى الكاهن أمام بيتنا راكبا حصانه بييرو ، وسألنى كيف حال أبيك فأجبته ..

ـ .. يا للأحمق ، أتتظاهر بالغباء ؟ قل لى من أين مر جيانيتو فهو الذى نبحث عنه . وأنا متأكد أنه قد أخذ هذا الطريق .

ـ من يعلم ؟

ـ من يعلم ؟ أنا الذى يعلم أنك رأيته .

ـ وهل يرى الناس المارة وهم نيام ؟

ـ لم تكن نائما قط أيها اللعين . فقد أيقظتك طلقات البنادق .

ـ اذن تعتقدون يا ابن العم أن بنادقكم تشيع كثيرا من الضجة ؟ ان مسدس والدى يثير أكثر منها .

ـ الى الشيطان أيها الشقى الملعون . انى متأكد تماما أنك رأيت جيانيتو ، وأجزم بأنك خبأته . هيا يا رفاق الى البيت وابحثوا عن رجلنا فلعله قد اختبأ فيه . انه ذو رجل واحدة ، وهو ذكى ، فهو لم يحاول بلوغ الأدغال ، ذلك الخبيث ، وهو يعرج . ومع ذلك فآثار الدم تنقطع فى هذه المنطقة .

وسأله فورتيناتو صائحا :

ـ وماذا سيقول أبى ؟ ماذا سيقول حين يعلم أنكم قد دخلتم منزله فى غيابه ؟

فأمسكه الرئيس من أذنه قائلا :

ـ تعلم أيها الشقى أنه لن يلومنى الا لأننى لم أغير فيك سلوكك مع الناس . قد نتكلم لو جلدناك عشرين سوطا .

وبقى فورتيناتو على سخريته،لكنه قال متعاليا:

ـ أنا ابن ماتيو فالكون !!

ـ هل تعلم أيها الشقى أن باستطاعتى اقتيادك الى (كورت) أو (باستيا) ، وحبسك فى زنزانة فراشها القش ، ووضع سلاسل حديدية فى رجليك ، وأستطيع أن أدق عنقك ان لم تعترف لى بأين يختبىء جيانيتو ؟

وانفجر الطفل ضاحكا لهذا التهديد السخيف ، وصاح :

ـ أنا ابن ماتيو فالكون ، فهل سمعت !!

وهمس أحد الرجال لكبيرهم هذا :

ـ سيدى ، لا تفسد حالنا مع ماتيو . أرجوك .

وكان غامبا يبدو مرتبكا . ثم أخذ يتكلم الى رجاله الذين كانوا قد فتشوا البيت زاوية زاوية . ولم يكن التفتيش بالعملية العسيرة الطويلة ، لأن البيت ، أو بالأحرى الكوخ الكورسيكى يتألف من حجرة واحدة فقط ، مربعة الشكل ينتشر فيها أثاث بسيط . طاولة ومقاعد خشبية وصناديق خشبية أيضا ، وأدوات صيد ، ومطبخ . وخلال ذلك كان فورتيناتو يداعب قطته متسليا بارتباك الخيالة وابن عمه .

واقترب أحدهم من كومة الشوفان وشاهد القطة . ثم غرز حربته فى الهشيم دون اكتراث وهز كتفيه ، كأنه يدرك تفاهة ما قام به . فلم يتحرك فى الهشيم ساكن . وكذلك وجه الصبى لم يرتسم عليه أى انفعال .

وتملك السخط زمرة الخيالة ، وأخذوا يستديرون بخيولهم نحو الحقل ليعودوا من حيث أتوا . كان كبيرهم مقتنعا بأن التهديد لن يؤثر فى الصبى ، ومع هذا أراد القيام بمحاولة أخيرة يجرب فيها قدرة الاغراء والهدايا. فقال الصبى :

ـ ابن عمى الصغير ! يبدو لى أنك شهم وذكى، لكنك قد ذهبت بعيدا فى سخريتك وتماديت فى مزاحك . وأنا لا أريد أن أقدم على أى عمل

يشيء الى ابن عمي ماتيو . ولولا ذلك لاقتدتك معي ..

ـ حقا ؟

ـ لكني سأقص على ابن عمي ماتيو لدى عودته ما جرى وسيجلدك بالسوط ليسيل دمك جزاء كذبك .

ـ شيء جميل !

ـ ومع هذا .. فهيا أيها الولد الطيب . انى سوف اعطيك شيئا .

ـ اما انا يا ابن عمي فساعطيك رأيا : اذا لم تزل مصرا على تأخرك هنا فسيدخل جيانيتو الأدغال .

ويلزم عندها أكثر من أبله مثلك للبحث عنه هناك .

لكن رئيس الجند أخرج من جيبه ساعة فضية تساوي أكثر من عشرة دنانير. وبعد أن لاحظ عيني الصغير ، وقد بهرتا لرؤيتها ، امسك طرف سلسلتها الفولاذية وجعلها تتدلى أمامه .

ـ لا شك انك ترغب في ساعة كهذه تتدلى من عنقك أيها الشقي لتسير في ازقة بورتوفيشيو منتفشا كالطاووس . فيسالك الناس :كم الساعة الآن ؟ فتقول : انظروا الى ساعتي .

ـ عندما أكبر سيهديني عمي الكابورال ساعة كهذه .

ـ أجل . ولكن ابن عمك يملك ساعة الآن وهو أصغر منك وليست جميلة كهذه ؟

وتنهد الصبي

ـ حسنا .. هل تريد هذه الساعة يا ابن عمي الصغير ؟

ونظر فورتيناتو الى الساعة منزاوية عينه كقط قدمت له دجاجة كاملة ، وعندما شعر انهم يهزؤون به لم يجرؤ على أن يبسط مخلبه فيها ، فحوّل عنها بصره كيلا يجرفه تيار الغواية :

في تلك الأثناء بدا الرئيس «غامبا» مطمئنا وهو يقدم الساعة. لم يمد فورتيناتو يده الى الساعة، ولكنه قال بابتسامة مريرة :

ـ لماذا تسخر مني ؟

ـ بالله ! انا لا اسخر منك . قل لي فقط أين جيانيتو فتصير الساعة لك !

وأفلتت من فورتيناتو ضحكة تنم عن عدم اقتناعه .. ولبثت نظره في عيني الرئيس جاهدا ان يستجلي صدق نيته .

وصرخ الرجل :

ـ بشرف شاراتي هذه ، اني معطيك الساعة على هذا الأساس والرفاق هم الشهود . اني لن استطيع التراجع عن كلمتي .

وكان يقرب الساعة وهو يتكلم هكذا حتى تكاد تلامس خد الصبي الشاحب ، وقد بدا جليا على وجهه الصراع المحتدم في نفسه بين الاشتهاء وحماية المستجير . كان صدره العاري يخفق بشدة ، وكانت الساعة تدق ، وهي تتارجح واحيانا تصدم انفه . وأخيرا امتدت يمناه شيئا فشيئا الى الساعة . ولامستها اطراف أنامله فتحسس ثقلها كاملا في يده . وتركها رئيس الجند تستقر في راحة الطفل . كان وجه الساعة ازرق سماويا ، وقد صُقلت علبتها حديثا ، فكانت تتوهج نارا تحت اشعة الشمس . كان الاغراء شديدا .

ورفع فورتيناتو يده اليسرى وأشار بابهامه من فوق كتفه الى كومة الشوفان التي يدير اليها ظهره. وفهم الرئيسفورا ، فترك طرف السلسلة. عندها شعر الصغير حقا انه المالك الوحيد للساعة لا ينازعه عليها انسان . ونهض بخفة الشيطان مبتعدا قدر عشر خطوات عن كومة القش التي بدا الجنود نبشها .

ولم يطل الوقت حتى تحرك القش وخرج رجل دامي الجسد ، يحمل في يده خنجرا .ولكنه لما حاول الاستواء على قدميه ، كانت جراحه قد بردت ومنعته من الوقوف فسقط . وهجم عليه الرئيس ونزع الخنجر من يده وأوثقه رغم المقاومة العنيفة التي أبداها .

وادار جيانيتو راسه وهو ممدد على الارض مكبل بالأغلال ، كحزمة حطب ، الى فورتيناتو الذي كان قد اقترب منه. فقال له بمنتهى الازدراء والغضب :

ـ أين ال ...

ورمى اليه الطفل قطعة النقود التي كان قد اخذها منه وأدرك أنه لم يعد يستحقها . لكن الهارب لم يبد عليه أنه شعر بتلك الحركة .فقال ببرود .

ـ عزيزي غامبا ، لن يكون باستطاعتي السير .

وفي تلك الحالة ستكونون مجبرين على حملي الى المدينة .

فاجاب المنتصر متجبرا :

ـ منذ برهة كنت تسابق التيس الجبلي ركضا، لكن اطمئن ، فانني مسرور بالقبض عليك وانا على استعداد لحملك على ظهري فرسخا كاملا دون تعب . ومع هذا سنحملك على عريشة من فروع الشجر وعليها معطفك . وعندما نصل الى مزرعة (كريسبولي) سنجد جيادا تقوم بباقي المهمة .

وبينما كان بعض الجنود منهمكين في صنع



كاتب القصة في سطور

ولد بروسبير ميرميه Prosper Merimée في باريس عام ١٨٠٣ . وبدأ حياته العملية موظفا بوزارة التجارة . وفي عام ١٨٢٥ بدأ اتصاله بالمسرح حيث ترجم عدة مسرحيات شهيرة . وفي عام ١٨٢٨ جارى (مرميه) عصره في كتابة القصص الغرامية ، فانتج عددا وفيرا منها . ثم انتقل الى القصص التاريخية في عام ١٨٢٩ . وبدأ بعد ذلك في نشر القصص القصيرة التي كونت أبرز ناحية في مؤلفاته ، وفي مقدمتها كانت قصة ماتيو فالكون . ثم عين مفتشا عاما للآثار ، وسافر الى جزيرة كورسيكا عام ١٨٤٠ حيث كتب أروع قصصه، تلك هي القصة الشهيرة « كارمن » . وتابع كتابة القصص المختلفة حتى عام ١٨٧٠ حيث توفي في مدينة « كان » جنوب فرنسا . وتتميز كتابة « مرميه » ، بالثقافة الاجنبية وحبه للقصص ذات الطابع المظلم العنيف وقصص الاخذ بالثأر .

العريشة ، والآخرون في تضميد جرح جيانيتو ، ظهر ماتيو فالكون وزوجته فيمنعطف أحد الشعاب الخارجة من الادغال . كانت المرأة تنوء تحت كيس كستناء كبير أحنى ظهرها ، بينما كان زوجهاحاملا بندقية في يده وأخرى تتدلى من كتفه ، لانه كان غير جدير بالرجل أن يحمل من المتاع غير سلاحه .

ولما شاهد ماتيو الجنود قفزت الى رأسه فكرة: انهم حضروا للقبض عليه . ولكن لم هذه الفكرة ؟ هل كان ماتيو في نزاع مع الخيالة ؟ كلا . فهو يتمتع بسمعة حسنة . انه كان ، كما يقال ، رجلا طيب الذكر . لكنه في كورسيكا ، وهو من سكان الجبال.وقليل منسكان الجبالمنلا يجدعندماينبش ذاكرته ، زلة ، كعيار من بندقية او طعنة خنجر. ومع هذا فماتيو كان مرتاح الضمير ، لانه منذ اكثر من عشر سنوات لم يصوب بندقيته الى انسان قط،وعلى الرغم من هذا رأى أنيتحصن بالحذر ، وشرع يأخذ مواقف دفاعية اذا لزم الأمر ، فقال لجيوزيبا زوجته :

ـ ضعي حملك ارضا يا هذه ، واستعدي .

واستجابت له بسرعة.فاعطاها البندقية المعلقة في كتفه ، خشية أن تعوقه . وهيأ التي كانتبيده ثم تقدم حذرا نحو بيته ، محتميا بكل شجرة على جانب الطريق ليختفي وراءها اذا لزم الأمر وهو يطلق النار دون أنتصيبه النار. أما زوجته فكانت تقتفي خطاه ، حاملة البندقية الأخرى وعلبة الذخيرة . فدور الزوجة الصالحة في حالة الحرب هي تذخير أسلحة زوجها. وفي الجهة المقابلة لهما، بدا رئيس الجند وهو في اشد القلق عندما شاهد ماتيو يتقدم بتلك الطريقة : خطوات متئدة ، وبندقية مصوبة الى الأمام ، والاصبع على الزناد. وفكر : ماذا لو كان جيانيتو قريبا لماتيو أو صديقا وأراد الدفاع عنه فستصرعنا بندقيتاه .

ماذا لو صوّب الي انا ، رغم القرابة التي تربطنا ؟

في هذه الحالة من التوتر والقلق ، اتخذ كبير الجند قرارا جريئا ، ذلك أن يتقدم الى ماتيو منفردا ليقص عليه ما جرى متوددا اليه كصديق قديم . لكن المسافة التي كانت تفصله عن ماتيو بدت له بعيدة جدا . وناداه :

ـ هيه يا صديقي العجوز ! .. كيف حالك

ايها الطيب . انا غامبا ، ابن عمك .

ودون ان ينبس ماتيو ببنت شفة ، توقف ، وبدا يرفع فوهة بندقيته الى اعلى . وما ان وصل اليه حتى كانت البندقية موجهة تماما الى السماء . فقال رئيس الجند مادا يده لماتيو :

ـ عم صباحا أيها الأخ ، لقد مضى وقت طويل لم أرك فيه .

ـ صباح الخير أيها الأخ .

ـ كنت مارا من هنا لتحيتك وتحية ابنة العم جيوزيبا ، وقد قمنا اليوم بمطاردة مضنية ، لكن لم يضع جهدنا سدى لاننا وقعنا على صيد عظيم . فقد قبضنا توا على جيانيتو سانبييرو .

وشهقت جيوزيبا :

ـ المجد لله ! لقد سرق منا فى الأسبوع الفائت عنزة حلوبا .

واطربت هذه الكلمات غامبا . فقال ماتيو :

ـ يا للرجل المسكين ! لقد كان جائعا .

واعقب كبير الجند متخاذلا يقول :

ـ لقد دافع الفاجر عن نفسه كالسبع ، وقتل احد رجالى ، ولم يكتف بذلك ، بل كسر ذراع الكابورال شاردرون . لكن لم تكن هذه الواقعة خطيرة جـدا ، فان الكابورال كان فرنسيا . وبعد ذلك اختفى بشكل لا يمكن معه للشيطان أن يكتشفه . ولولا ابن عمى فورتيناتو لما عثرت عليه قط .

وصرخ ماتيو :

ـ فورتيناتو ! ...

ورددت جيوزيبا :

ـ فورتيناتو ! ..

ـ اجل . كان جيانيتو مختبئا تحت كومـة الشوفان تلك . لكن ابن عمى دلنى على مخبئـه . وساحكى لعمه الكابورال لينعم عليه بهدية لقـاء خدمتنا . وسيدرج اسمه واسمك فى التقرير الذى سارفعه الى المدعى العام .

ودمدم ماتيو :

ـ اللعنة ! ..

وبلغوا مسرح الحادثة . وكان جيانيتو ممددا على العريشة مستعدا للرحيل عندما رأى مـاتيو بصحبة غامبا . وابتسم ابتسامة غريبة ثـم استدار نحو باب المنزل فبصق على عتبته قائلا :

ـ دار خائن !!

لم يكن حدث حتى تلك اللحظة ان تجرأ رجل فتوجه بكلمة خائن الى ماتيو فالكون ، الا رجـل كان قرر ان ينهى حياته . فطعنـة خنجر واحدة كافية لغسل هذه الاهانة فورا . ومع ذلك فلم يقم ماتيو باية حركة سوى أن رفع يده الى جبهته وأسقط فى يده .

وكان فورتيناتو قد دخل المنزل لدى رؤيتـه لوالده مقبلا . ثم ظهر بعد قليل وبيده وعاء من الحليب قدمه كسير العين الى جيانيتو . وصرخ السجين بصوت كالرعد :

ـ اذهب عنى !

ثم التفت الى احد الخيالة قائلا :

ـ اسقنى ايها الرفيق .

ومد له الجندى زمزميته ، فاجترع السجين الماء الذى اعطاه اياه رجل تبادل واياه اطلاق النار منذ وقت قصير . وطلب كبير الجند اليهم اخيرا ان يوثقوا يديه بحيث تصيران الى صدره بدل ان تكونا على ظهره . وقال السجين :

ـ احب ان استلقى لاستريح !

فاسرعوا لارضائه . ثم أعطى الرئيس اشارة المسير ، وودع ماتيو فلم يجبه ، وانحدر بخطوات واسعة نحو الحقل .

ومضت اكثر من عشر دقائق قبل ان يتفوه ماتيو بكلمة واحدة . وكان الطفل يرقب بعين قلقة امه تارة ، وطورا اباه ، وقد استند الى بندقيته وهو يتفحص الصبى بغيظ مستطير . فقـال اخيرا بصوت هادىء عميق ، لكنه مرعب ، يدرك رعبه كل من عرف ماتيو :

ـ لقد بدات بداية طيبة !

وصرخ الطفل وهو يتقدم نحو ابيه وقد انهمر دمعه ، يريد ان يرتمى على ركبتيه .

ـ ابتاه !

(البقية على صفحة ١٥٤)

إربح فائدة مأمونة

٦٪

في حساب الودائع

يدر عليك حساب الودائع في بنك لومبارد فائدة بنسبة جيدة مع سلامة تامة لرأس مالك تضمن لك الطمأنينة المالية. وطالما نقودك مودعة في هذا الحساب، فإنها تحظى بفائدة على الدوام، وتستطيع ان تسحبها بسهولة وفقاً للشروط التي تتفق عليها عند فتح الحساب. لا تخصم منها أية ضريبة دخل في المملكة المتحدة. ويمكنك ان تودع مبالغ اضافية في الحساب في اى وقت تشاء، مما يتيح لك طريقة ممتازة لاستثمار رأس مالك.

ولربح ٦٪ سنوياً، يبلغ الحد الأدنى لمهلة السحب ٦ أشهر، سوى ان المائة جنيه الأولى يمكن سحبها لدى الطلب. ويدعم ودائعك في مؤسسة لومبارد المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطات تتجاوز ١٢،٥٠٠،٠٠٠ من الجنيهات الاسترلينية. أطلب من المدير العام مزيداً من التفاصيل، ونسخة من كتيب حساب رقم AO.182

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, PARK LANE, LONDON, W.1.
GROsvenor 4111 (30 lines)

City Office: 31 LOMBARD STREET, LONDON, E.C.3. MINcing Lane 4111 (7 lines)

(بقية المنشور على صفحة ١٥٢)

لكن ماتيو نحّاه صارخا .

ـ هيّا خلفي !

ووقف الطفل ينشج على بعد خطوات من والده فاقتربت جيوزيبا منه وقد لمحت طرف سلسلة الساعة يتدلى من جيبه ، فسألته :

ـ من أين لك هذه الساعة ؟

ـ أعطانيها ابن عمي رئيس الجند .

وتناول ماتيو الساعة ثم قذف بها على حجر قريب فتكسرت قطعا ، وقال :

ـ أيتها المرأة ، هل هذا الصغير ابني ؟

واصطبغت وجنتا جيوزيبا اصطباغا .

ـ ماتيو ! .. بماذا تهذي . هل تدري الى من تتكلم ؟

ـ اذن هذا الطفل هو أول من يُقدم على خيانة من سلالتنا !

وتضاعف نحيب فورتيناتو ، بينما ثبت ماتيو عينيه كعيني فهد على ولده ، ثم ضرب الارض ببندقيته ، وعلقها على كتفه ، واتخذ طريق الأدغال ، وطلب الى فورتيناتو أن يتبعه .

وأطاع الطفل .

وجرت جيوزيبا وراء ماتيو فتعلقت بذراعه متضرعة اليه بصوت مرتعش وقد تعلقت عيناها السوداوان بعيني زوجها كأنها تستقرىء ما يختلج نفسه :

ـ انه ولدك !! ..

فأجابها :

ـ دعيني وشأني ، فأنا أبوه !

وعانقت جيوزيبا ولدها ، ثم دخلت منزلها ، وارتمت راكعة أمام صور للعذراء ، فصلت بحرارة ، بينما قطع ماتيو حوالي مائتي خطوة من الطريق . ولم يتوقف الا في مجرى سيل يعترض طريقه ، فنزله . وجس الارض تحت قدميه ببندقيته فوجدها لينة يسهل حفرها . وبدا له المكان مناسبا لما عزم عليه .

ـ فورتيناتو ! اذهب الى تلك الصخرة الكبيرة .

ونفذ الولد ما طلب اليه ثم جثا على ركبتيه .

ـ اتل صلواتك .

ـ أبي ! .. أبي ! .. لا تقتلني ! ..

فردد الأب بصوت رهيب :

ـ اتل صلواتك !

وتلى الطفل (أبانا) و (نؤمن) منتحبا متلعثما . وكان الأب يقول بصوت أجش (آمين) .

ـ أهذا كل ما تعرفه ؟

ـ أبي ! اعرف أيضا (الكلام الملائكي) و(صلاة الله) اللتين علمتنيهما عمتي .

ـ انها طويلة ، لكن لا بأس .

ـ هل انتهيت ؟

ـ آه .. أبتاه .. الرحمة .. سامحني . لن أفعل ذلك قط . سأرجو ابن عمي الكابورال أن يرأفوا بجيانيتو .

وكان ماتيو قد هيأ بندقيته وصوبها الى الطفل الذي ما فتىء يسترحمه . فقال :

ـ ليسامحك الله !

وبذل الطفل جهدا يائسا لينهض ويرتمي على قدمي والده لكن الوقت فاته . اذ أطلق ماتيو النار فخر الطفل صريعا يتخبط بدمه .

ودون أن ينظر الى الضحية توجه الى المنزل ليحضر فأسا ويواري ولده . ولم يمش الا خطوات حتى التقى بجيوزيبا التي هرعت فاقدة رشدها لدى سماعها النار . فصرخت :

ـ ماذا فعلت ؟

ـ العدالة

ـ أين هو ؟

ـ في الوادي . سأعود لدفنه ، وقد مات مسيحيا ، اذ جعلته يرتل قداسا . ولتخبري صهرنا تيودور بيانشي أن يأتي ليقيم معنا .

■■

ترجمة : ابراهيم صالح
ج . ع . س ـ حمص

بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

لم انشد يقول :

يا لـك مـن قبـرة « بمعمرى »
لا ترهبى خوفا ولا تستنكرى

معمر اسم حى كليب والياء مثبتة فى « معمرى» بصدر البيت .

قد ذهب الصياد عنك فابشرى
ورفع الفخ فماذا تحذرى ؟!
خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت ان تنقرى
فانت جارى من صروف الحذر
الى بلوغ يومك المقدر

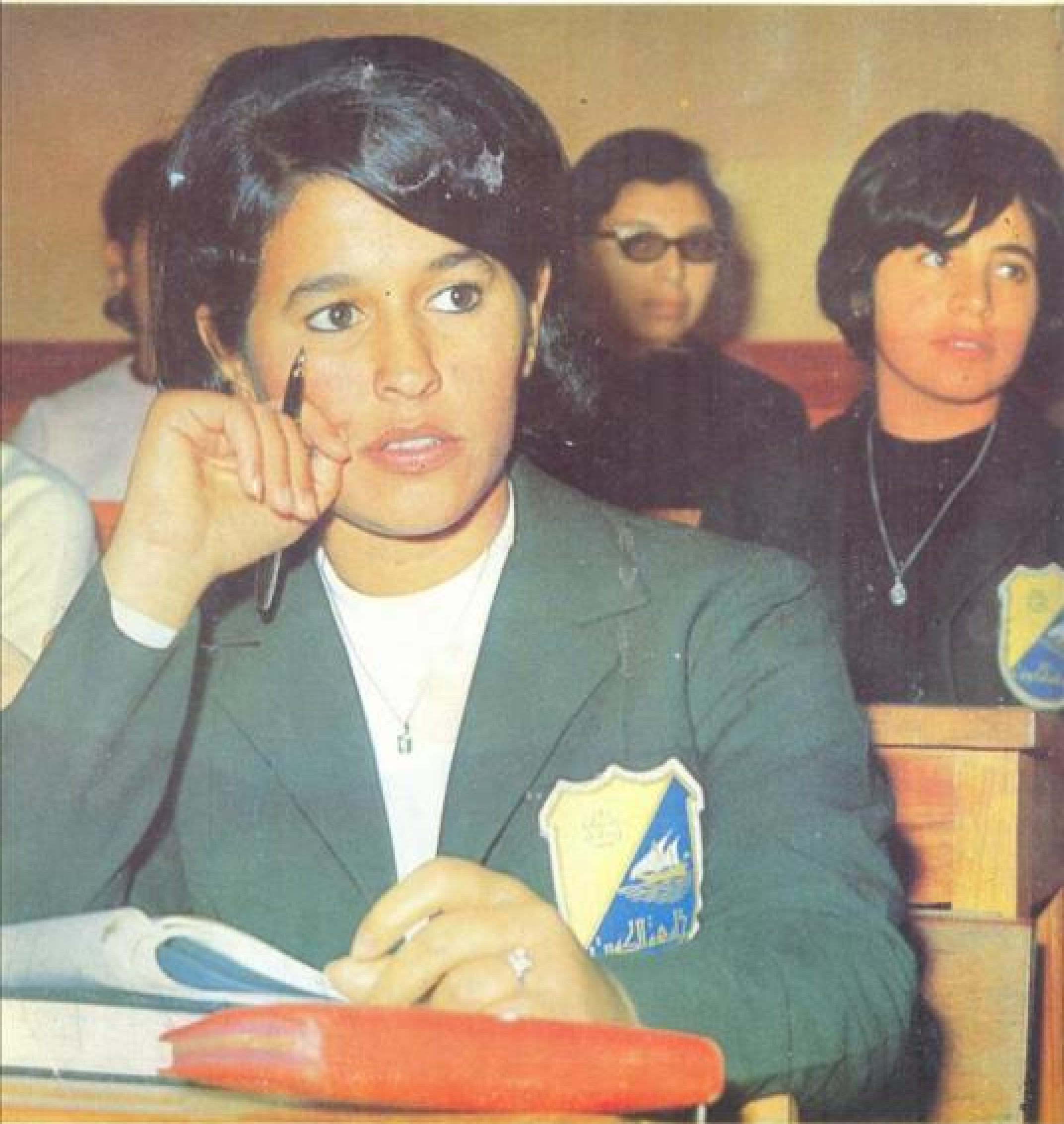
ولما كان اختلاف الروايات فى الشعر الجاهلى بخاصة ، أمر معروف من حيث النص والشاعر فلا غرابة فى اختلاف الروايتين سالفتى الذكر .

الميرغنى عثمان احمد
الخرطوم بحرى

« العربي » : هذه الشاطير وردت فى كتب الادب واللغة منسوبة تارة الى طرفة بن العبد كما ذكرنا واخرى لكليب بن ربيعة ، فمثلا فى مجمع الامثال للميدانى : قال ان طرفة اول من قالها ، وكذلك فى كتاب « جمهرة الامثال للعسكرى » وفى اللسان (قبر) تسبب لطرفة وقال ابن برى فيه انها لكليب بن ربيعة . وتختلف الرواية فيها الفاظا وترتيبا وزيادة .

العربي

العدد ١٠٠
٢٠ ذي القعدة ١٣٨٦
مارس
(آذار) ١٩٦٧

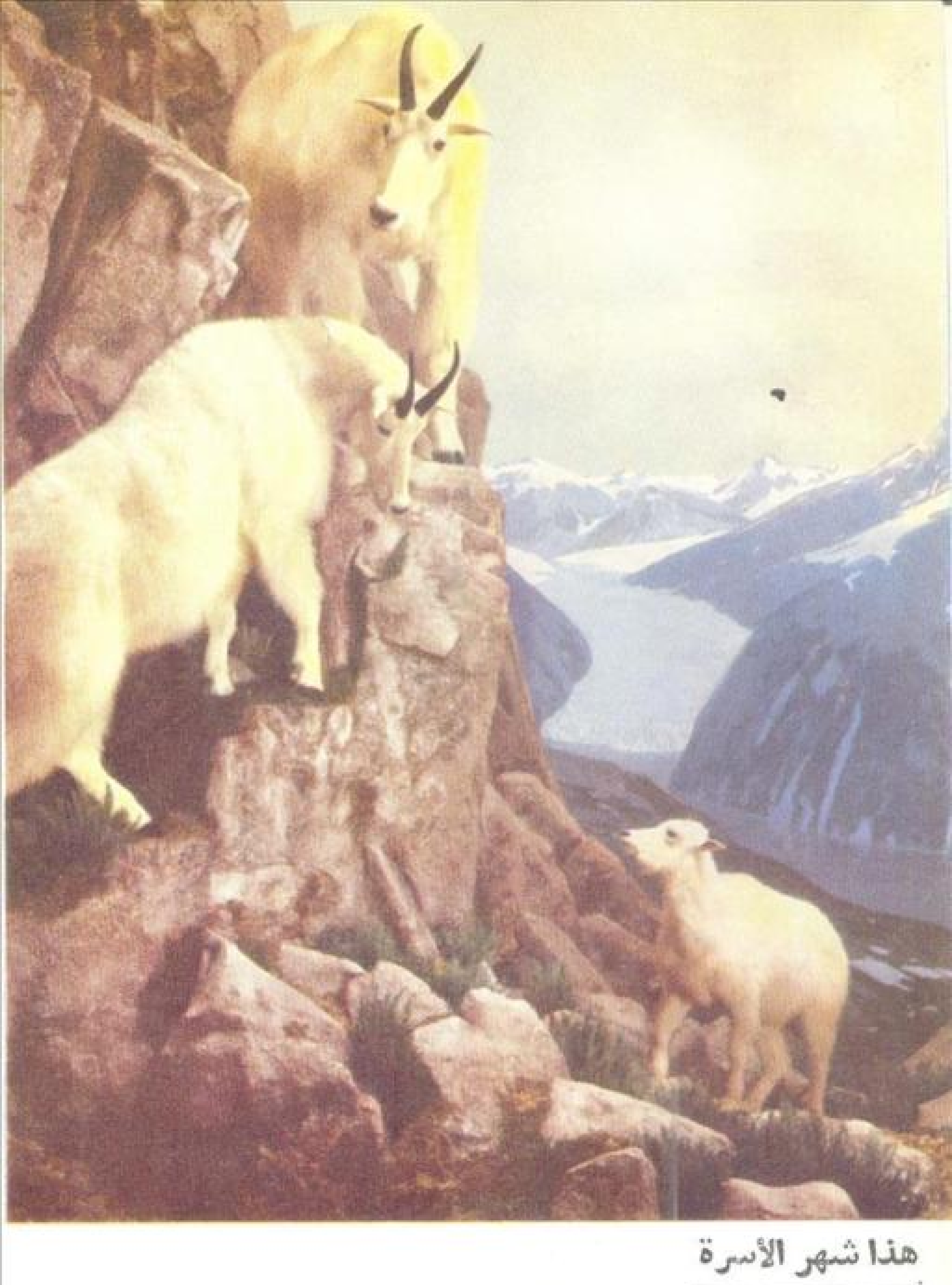


الطالبة الكويتية في جامعة الكويت .. حدث له اصداء بعيدة حميدة

جوائز ١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	١	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢ر٥	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم



هذا شهر الأسرة

حتى الحيوان فيه أمومة وأبوة .

الجدْيُ يحاول أن يصعد الجبل بأظلافٍ له مرنة ، تمسك بالصخر ، وهو ينظر الى أمه يتلمّس رأيها فيما صنع ويصنع ، والأم تنظر اليه مشجّعة ، والأب يرقب المنظرَ من علٍ فلعلّه يتدخل .

(هذه الصورة مأخوذة من صورة أصلية بالحجم الطبيعي ، هي بعض معروضات المتحف الامريكي للتاريخ الطبيعي بمدينة نيويورك) .

عزيزى القارئ

■ ان العدد من العربي يعرف ، اما بتاريخه ، واما برقمه .

اما تاريخ هذا العدد الذى بين يديك فهو اول مارس او آذار ، عام ١٩٦٧ . وهو تاريخ عند قلة قاموا اول قائمين بالتأسيس « للعربى » ، تاريخ مذكور مشكور . ذلك انهم ، بهذا العدد ، يتمون في العمل للعربى ، تسع سنين كاملة ، لا تزيد شهرا ولا تنقص شهرا .

اما رقم هذا العدد فطالعه على جلدته .

انه العدد المائة .

والاعداد تتفاوت أقدارا ، منها ما يتوقف الانسان له عندما يذكر ، ومنها ما يمر به غافلا عنه حتى كأنه لم يذكر .

ومن الارقام المذكورة السبعة . انها الاسبوع ذو الايام السبعة . والاسبوع من السبعة لفظا ومعنى .

ومن الارقام المذكورة العشرة . وهو رقم اختاره الله ، وخلده في خلقه ، فجعل اصابع اليدين عشرا ، وجعل اصابع الرجلين ، في كل من له يدان ورجلان ، من انسان ومن سائر الحيوان . واحترم الانسان ارادة الله فجعل من العشرة اساس الحساب .

وضاعفنا نحن ، بنو الناس ، العشرة ، عشر مرات فكانت المائة . وجعلنا القرن مائة عام . والقرن وحدة من وحدات الزمان . والقرن هو الحد الفاصل الذى لا يكاد يتخطاه عمر انسان . ونحسب اعمار الامم بالقرون .

فعند هذه الوقفة ، وقفة المائة من اعداد العربي ، نذكر بالشكر لك ، يا قارىء العربي ، ما واصلت من قراءة ، هي السند الاقوى لكتاب ثقافة شهرى ، كالعربي ، أن تطول به الاعمار .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام:

استطلاعات صحفية مصورة:

اسلاميات:

ركن الذرة والفضاء:

طب .. وعلوم

ادب ولغة:

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 100 March 1967 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٩٤١١ ــ تلغرافيا « العربى »
الاعـلانات: يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات
المراسـلات: تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

قامت في الكويت أول جامعة في الخليج وفتحت أبوابها لتستقبل الفوج الاول من شباب الكويت .. فتيانها وفتياتها .. وبلغت نسبة عدد الطالبات اللواتي دخلن الجامعة ٤٢٪ من مجموع عدد طلبة الجامعة ، وهي نسبة كبيرة غير معهودة .. (انظر استطلاعنا عن جامعة الكويت ابتداء من صفحة ٣٦)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس. مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

ضاعفوا أعداد العربى

● من بلدتنا كسلا الخضراء ، ومن جبالهـاالشاهقة ، نبعث اليكم بتمنياتنا القلبية وشكرنا على ما قدمتم من تحقيق عرّف العالم العربي كلهبمدينتنا كسـلا .

وقد لا تعرفون كم نتلهف عـلى شراء مجلـة« العربي » ، اننا لا نكاد نسمع انها فى طريقها الى مدينتنا حتى نرابط امام المكتبة فى انتظاروصولها . وعندما وصل العـدد الذى يحـوى الاستطلاع عن كسلا ، قامت معركة فى المكتبة اصيبخلالها ثمانية بجروح . اما الذين عادوا دون ان يحصلوا على نسخهم من « العربي » فيزيدون علىالمائتـين .

لقد كنا نتمنى لو حضر مصوركم هذه المعركةليقتنع اولو الأمر عندكم فيزيدوا الاعداد التي تصل الى كسلا من « العربي » .

عمر خضر عمر
سكة حديد كسلا ــ السودان

ما رأى النحويين وعلماء اللغة؟

● لاحظت أن الصحف ما زالت تصر على ارتكاب خطأ صرفى « كتابى » أردت التنبيه عليه اذ لا تخلو صحيفة عربية من كلمات منقوصة تستعمل وتكتب هكذا :

من معان ..، وتلك مساع .. ، وهى أراض .. ، فى أوان ذهبية ..

وها هنا يكمن الخطأ . فالذين يحذفون الياء من اواخـر هـــذه الكلمات يريدون استعمالها استعمال قاضوداع ومستدع وهاو..ولكن هيهات فهنالك مانع يمنع تلك الارادة . فنحن نحذف الياء من قاض وهاو .. اذا نونت مرفوعة أو مجرورة ، فاذا امتنع التنوين لعلة ، بقيت الياء ، ولذلك نقول : القاضى وساعى البريد بابقاء الياء لامتناع التنوين .

اما بالنسبة لكلمة معانى وأراضى وأغانى واوانى فالأمر يختلف ، فالتنوين فيها يمتنع لانها لا تصرف ولذلك تبقى الياء فيلازمها الاعراب فتكتب وتعرب هكذا :

من معانى : وهى مجرورة وعلامة جرها الفتحة بدلا من الكسرة مثل مساجد والفتحة على اليـــاء تظهر .

هذه معانى : وهى مرفوعة بضمة مقدرة على الياء كما نقول فى يمضى ويجرى ، والضمة على الياء تقدر .

حسن سالم الشريف
غزة ــ النصيرات

العربى : هذا الرأى الذى أبديتموه هو الخطأ، والشائع الذى خطأتموه هو الصحيح .

وخشية أن يفهم بعض القراء ما فهمه الاستاذ حسن نجيبه بما يأتي :

يقول ابن مالك فى ألفيتـه :

مساجد بغداد

● في مقال الدكتور مصطفى جواد (مساجدبغداد ومشاهدها) الجليل الفائدة المنشور في عدد ديسمبر ١٩٦٦ من « مجلة العربي » جاء ان الانراانسفوا باب بغداد الاثاري في ليلة الحادي عشر من فبراير (شباط) سنة ١٩١٧ وهي ليلة تركهمبغداد واحتلال الانكليز لها عنوة وقسرا ...

والصحيح ان النسف المذكور كان في ليلة الحادي عشر من شهر مارس (آذار) سنة ١٩١٧ وفي فجر اليوم المذكور احتل الانكليز بغداد عنوة وقسرا .

راجع الاستاذ محمد طاهر العمري في كتابه (مقدرات العراق السياسية) ١٢٤/١

والاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه (تاريخ العراق السياسي) ٥٧/١

والاستاذ امين السعيد في كتابه (الثورة العربية الكبرى) ٨/٢

والاستاذ محمد مهدي البصير في كتابه (القضية العراقية) ص٥٠ . وغير هؤلاء كثيرون .

احلام عبد الرزاق الحسني

الكرادة الشرقية

● وجاء من الدكتور مصطفى جواد التصحيح التالي في مقاله « مساجد بغداد » المنشور بالعدد ٩٧ .

يذكر الخطأ ، وتاليه هو الصواب .

ص ٨٦ لم يتبق : لم يبق

ص ٨٦ نهاية صدر البيت هكذا : مهدومتان

ص ٨٧ نهاية صدر البيت هكذا : للمنصفين

ص ٨٧ بليدة الظاهر : بليدة بظاهر

ص ٨٧ شلت يمينك : شلّت يمينك

ص ٨٨ خصيصا : خصيصى

ص ٩٠ السومرين والاكديون : السومريون والاكديون

ص ٩٤ جواهرُ يختار : جواهر" يختار

ص ٩٥ مصيبته أذكت : مصيبة" اذكت

ص ٩٥ اليتم المرجاني : التيم المرجاني

ص ٩٨ بغداد ومساجدها : بغداد ومشاهدها

ص ٩٩ شاه خيدر : شاه حيدر

ص ٩٩ من النعم : من الفم

وذا امتلال منه كالجواري

رفعا وجرا أجره كساري

ويشرحه ابن عقيل فيقول :

« اذا كان هذا الجمع معتل الآخر أجريته في الجر والرفع مجرى المنقوص ، كسار ، فتنونه وتقدر رفعه او جره ، ويكون التنوين عوضا من الياء المحذوفة ، وأما في النصب نتثبت الياء وتحركها بالفتح بغير تنوين » .

هذا وفي القرآن الكريم في سورة الاعراف الآية ٤١ « **لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواشٍ** » وفي الحديث « **اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوانٍ** » .

وقال الاعشى :

تقطع الأمعزَ المكوكبَ وَخْدا

بنواجٍ سريعة الايغال

وقد أنكروا على الفرزدق قوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته

ولكنَّ عبد الله مولى مواليا

وحقه ان يقول « مولى موال » لكن حملوا ذلك على ضرورة الشعر .

اما في حال النصب فان الفتحة تظهر ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة المرسلات الآية ٢٧ « **وجعلنا فيها رواسي شامخات** » .

ذلك الحذف في حال الرفع والجر ، والاثبات في حال النصب هو ما جرت عليه اللغة العربية الفصحى في قرآنها واحاديثها ، ونثرها عامة وفي شعرها الخالي من الضرورات .

وللنحاة تعليل لذلك راجعه في كتب النحو ، وكذلك راجع طريقة اعرابه ، وهذا كله اذا لم يكن اللفظ معرفا بالألف واللام ، ولم يكن مضافا والا ، فان الياء تثبت مثل « معاني القرآن » .. ومثل « الامالي للقالي ، وعلم المعاني » .




حديث الشهر

عيدان

عيد أمير وعيد شعب كريم

بقلم رئيس التحرير

■ اما الامير فهو سمو الشيخ صباح السالم الصباح ، واما عيده فعيد ارتقائه منصة الرياسة والزعامة فى البلاد .

واما الشعب فشعب الكويت، الشعب العربي الاصيل ، ذلك الشعب الذى برغم قلة عدده وبرغم حداثة مولده ، صار دولة ذات سلطان ، وفرض اسمه وفرض كينونته ، على امم هى مثل حجمه اضعافا ، وهى فى الزمان اطول اعمارا ، واطول كثيرا .

اما عيد الشعب فعيد ذكرى استقلاله ، وهى ذكرى تقع فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الثاني الميلادى .

والحق ان عيد الامير لم يقع فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الثاني ، بل سبق بنحو ثلاثة اشهر ، ولكن الامير راى بحكمته أن يرجىء الاحتفال بذكرى توليه السلطة فى البلاد حتى يلتقى باحتفال الشعب بذكرى استقلاله ، وليمتزج العيدان فى يوم مذكور فى الزمان واحد ، ليؤكد بذلك أن عيد الامير هو عيد الشعب ، وان عيد الشعب من عيد الامير .

للشعوب حظوظ ، كما للرجال حظوظ

انى اومن بان للشعوب حظوظا كما للرجال حظوظ .



وانظر فى التاريخ فأجد امما سعدت لأن المقادير هيات لها من رجالها من يسعد ، واجد امما شقيت لأن المقادير هيات لها من رجالها من يشقي . وكثيرا ما تتراءى صروف المقادير كخبطات تخبطها ناقة عشواء فى ظلام ليل . وهى تتراءى لي احيانا ، وفى شيء كثير من الايمان ، كأنها مقادير مقدرة ، خطوط مرسومة يجرى عليها الزمان بأحداثه ، بما يسر أو يسوء .

وللكويت من حظوظ هذه المقادير الشيء الكثير . فمن حظها انبثاق الزيت فى ارضها ، فما فى كل ارض ينبثق الزيت . ولكن الزيت انبثق فى مواقع كثيرة على سطح الارض ، بين شعوب لم تسعد به كثيرا . وسعدت الكويت .

ذلك لأن الزيت، منبع الثراء ، لايكفى.

لا بد من الرجال الذين أوتوا الحكمة طبعا وسجية ، لكي يعرفوا كيف يصرفون هذا الثراء تصريفا حكيما عادلا سويا .

ومن حظوظ المقادير انها وهبت الكويت ، الى جانب الزيت ، رجالا بهرهم الزيت اولا ، ثم ما لبثوا أن استفاقوا الى ان لكل نعمة من الله شكرا ، وان شكر الله انما يكون بتفريق نعمته على عباده . واتخذوا لتفريق هذه النعمة فى الشعب أشكالا والوانا . كان اولها تثقيف العقول بفتح المدارس ، وتصحيح الاجسام من عللها بفتح المستشفيات . ثم بتدبير المسكن لغير ذى سكن ، والنهوض بالشعب فى كل مرافق الحياة .

مقالة امريكى ، وجواب شيخ كريم

ولقد سمعت زائرا يزور الكويت منذ سنوات تسع يقول ، وقد رأى من النهضة التعليمية ما رأى : ان هؤلاء

القوم يبحثون عن حتفهم بظلفهم .

وعنى بذلك ان التعليم فى البلد الثرى لا بد يدعو الى الثورة . وهذا صحيح الا فى البلد الذى يجمع الى الثراء معنى العدل ما استطاعت النفوس عدلا . والذى يجمع الى الثراء معنى الرحمة والتراحم ، ويؤمن بان المال عارية لا تلبث ان تُستردّ في آخر العمر ، وما اسرع ما تتقاصر الاعمار .

وحدث بعد لقاء هذا الامريكي ان لقيت شيخا كريما من السادة شيوخ الكويت كان يشرف على التعليم فى هذا الحين وله اليد الطولى فى نشره . وحدثته حديث ممازحة بالذى قال صاحبنا ، فقال لى على الفور : لا يرجى من التعليم الا الخير ، وسنذهب به الى اقصاه ، فالعيش لا يحلو ، على فقر او غنى ، الا فى امة مستنيرة ، ونحن هنا فى هذا البلد الطيب اهل ذوو ارحام ووشائج ، وسوف نصل الرحم حتى لايكون فى قلب احد من الاهل شجن .

ولقد ذكرت بالذى قال لى الامريكى ، ما كان باشا عربي ، منذ ربع قرن من الزمان أو يزيد ، فى برلمان لدولة عربية كبرى . كان الاعضاء يناقشون امر نشر التعليم فى البلاد وجعله اجباريا . فقام الباشا الشيخ الريفى يعترض . قال : انا لا اسمح للتعليم أن يدخل قرى مزارعى لأن فيه فسادا للفلاحين وافسادا .

وذهبت كلمته هذه مثلا لصنف من الرجال معروف معهود .

وكان الباشا على ما اذكر اميا ، او كاد أن يكون .

ولنذكر امير الكويت الراحل

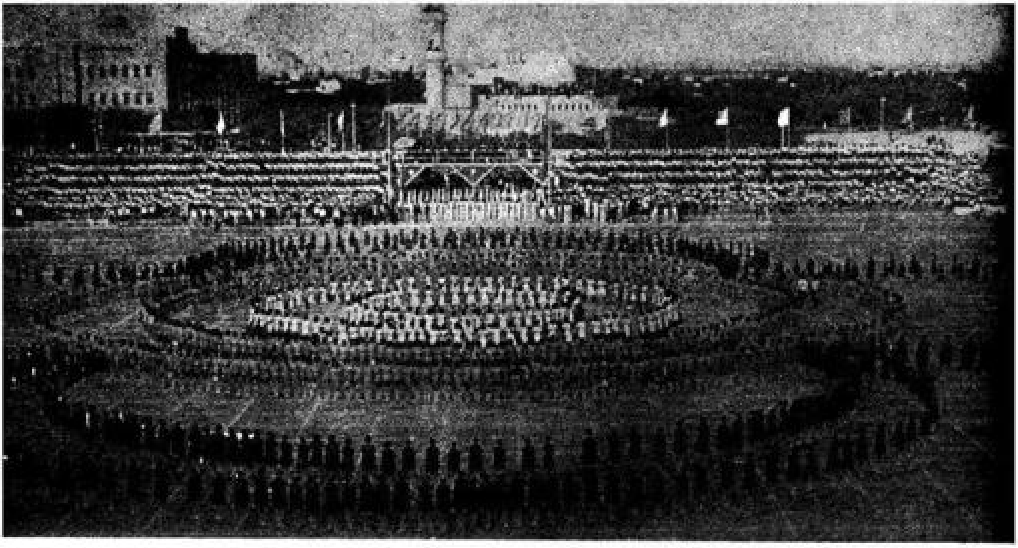
واعود الى الحظوظ والمقادير فاقول ان من حظوظ المقادير ايضا أن هيأت للكويت ، فى فترة الانتقال من الضيق الى السعة ، اميرا ، لم يتعلم الفلسفة فى جامعة ، ولكن تعلم الحكمة بحكم الطبع ومن خبرة الحياة . وقاد السفينة الى بر النجاة . واهم ما صنع ، وآخر ما صنع ، أن اسلم زمام الأمور الى ايدى الشباب من شعبه . بدأ باعلان استقلال بلاده ، وثنى بانشاء الدستور . وثلث بعقد مجلس الامة . ولحقته ازمة من تلك الازمات الاخيرة التى تفرق بين الحياة والموت وهو على منصة المجلس يخطب اعضاءه .

وقبل أن يرقى الى ربه بعدة سنوات ترك التدبير والتنسيق وادارة الامور الى الشبان من قومه ، يخطئون ويصيبون ، ومن اخطائهم يتعلمون .. ولا يتدخل الا عندما تشتبك وتتأزم الامور .

حضرت حفلا رياضيا مدرسيا رائعا رتبته وزارة التربية الكويتية فى ملاعب مدرسة الشويخ الثانوية الشهيرة ، وحشدت له من البنين والبنات ما جعل الملعب الكبير اشبه بمعرض تربوى هائل ، ضم الاطفال من كل فج ، وضم الصبية والشبان ، ومع الفتيان الفتيات ، فى الازياء الواحدة والحركات المتناسقة . ولما اعجب الجميع بالذى راوا سمعت الامير الكريم الراحل يقول للملك سعود ، وكان الحفل بادرة كريمة لتكريمه ، سمعته يقول له : ان هذا كله من عمل « الاولاد » . ونادى الامير على المسئول عن التعليم فى ذلك الوقت وهو شاب كويتي كان الساعد الاكبر فيتنمية التعليم

الامير الراحل
ذكرى عاطرة





الحفل الرياضي الرائع لطلبة وطالبات الكويت ..

وتطويره . ولما حضر قال له : قل للملك عمن يقوم بتدبير هذه الامور .

سمعت هذا من الأمير الراحل فأجللته حقا وصدقا . رجل له الكثير من الفضل يريد أن ينفي عن نفسه أي فضل . وعرفت من هذا ، وما عرفت عن الامير في غير هذا ، انها زهادة تأتي الانسان آخر العمر فيما يزعم الناس انها أفضال هذه الحياة . ولمحت غير هذا رغبة عنده في أن يحس الشبان بأنهم يعملون ، وعلى تبعتهم يعملون . وانسجم هذا تماما مع الذى بداه الامير اذ حمل الشعب تبعة الامور في برلمان ، تقنينا ، واذن وجب تحميل رجال الشعب تبعة الامور والنهضة بالصالح القومي ، اداء .

وجاء الموت يحصد . واصبح الأمير الشيخ عبد الله السالم الصباح ، ذكرى عاطرة . والذكرى العاطرة ، كالزهرة العاطرة ، يشمها الناس استرواحا . ولكن شذاها قليل العمر ، لأن الزهرة لا تلبث أن تذوى . وغير ذلك العاطر من ذكريات الرجال .

ولنذكر سمو أمير البلاد الحاضر

ومضى عاهل أمير ، وخلفه عاهل أمير ، فكان كما قال السموءل :

اذا مات منا سيد قام سيد
قؤول بما قال الكرام فعول

فذاك هو الامير الشيخ صباح السالم الصباح .

جرى على سنة اخيه ، وزادها خيرا ، وذلك بحكم العمر الاصغر ، والنشاط الاوفر ، والزمن المتطور . فتح الامير بابه لكل طارق . ووقف عند كل فرصة للقاء شعبه فانتهزها . ثلاث ليال في رمضان الماضي رأيناه فيها ، في قصره ، قائما قاعدا ، ثم قائما قاعدا ، يهز يد المهنئين من شعبه ، من كل الطبقات ، مباركين مهنئين . وكلما ذهبت طائفة حضرت طائفة ، وهو جلد لما يتضمنه ذلك من عناء جثماني غير قليل .

وجاء العيد ، وطرق بابه الناس ، فوجد من الشكر الواجب أن يطرق أبوابهم بيتا بيتا . وهذا في حكم الامراء في هذا العصر الحاضر شيء جديد . وما هو عند العرب في قديم زمانهم بالشيء الجديد . انه تقليد أكرم به من تقليد .

وكما طرق أبواب أهله في الكويت طرق أبوابا لابناء أعمامه خارج الكويت ، في بغداد ، في القاهرة ، الى عمان ، الى الرياض ، الى لبنان ، توثيقا للاواصر وتقريبا لأسباب القربى . والخليج وساكنو

الخليج ، كان لهم من الأمير زيادة توفيق وتوثيـق .

ومعنى الاسرة الواحدة فى الكـويت معنى عريق ، ولكن لم تلهج به الألسنة فى كثرة كما لهجت فى عهد الامير . معناه ان الشعب أسرة واحدة ، فيها الاختلاف وفيها الاتفاق ، وفيها دائما الحـرص على الكيان الواحد .

وشعب نهض باسرع ما تنهض الشعوب

والشعب الكويتى نهض بأسـرع مما كان يرجى من شعوب . وهو ، ككل شعب، لا بد منه ، وهو يصعد الدرجات، من عثرات. وهي عثرات عثرتها كل أمة سبقت . والشعوب كالاطفال تتعـلم من عثراتها . والطفل الذى لايتعثر لايمشى. والتبعات تتابع وتتعاضل ، ولكل معضلة حـل ما خلصت النيـات وتضافـرت الجهود ، وما سادت الكلمة المعتدلة ، وما دام الحق أحق بأن يتبع .

عاش الكويت بلـدا عربيا صميما ، لاينطوى على نفسه انطواء فى عصر تحاول كل أمة فيه أن تتفتح ، ولا يتفتح تفتحا تضيع به شخصيته ويهتز به كيانه .

واللـه الموفـق .

الفقر ، الفقر !

■ الدنيا ارزاق وارزاء .
وليست رزيئة كرزيئة الفقر .

ولست أبرىء الغنى من متاعب ، ولا حتى من مآس ، ولكنها متاعب التخمة بين اقوام جياع .

وانظر فى الفقر فلا اجد له فى الدنيا سببا ، لا سيما ذلك الفقر الذى يمنع الناس اللقمة الكافية ، واللباس السابل ، والمسكن الواقي .

ان الرجل منا يخرج الى الدنيا عاريا ، الا من جلده . وابوه يكسوه ، وامـه تحتضنه . وتطول به الحضانة . واخيرا هو يخرج الى الحياة ، الى الارض التى لا تنتج الا بعد حرث وبعد بذر . وعـلى الانسان حرثها وزرعها ، فمنها طعامـه ومنها كساؤه . وفى الامم التي ابتعد جانب من اهلها عن زراعة ، كان لا بد ان يتأهل هذا الجانب من اهلها للعمل فى غير زراعة ، فى مجال من مجالات الانتاج التى استحدثتها المدنية وجعلتها مـن الخطورة والضرورة بحيث يقبع الزرع والضرع والطعام جميعا .

العمل زاد هذه الحياة الدنيا

اذن هو التأهل لعمل الحياة ، زراعة كانت أو صناعة ، أو غير ذلك مما يكسب صاحبه الرزق ضيقا أو واسعا . فالعمل هو الأصل فى الحياة . هو مورد الحياة الأول . ولو ان قوما عندهم ذهب ، قناطير مقنطرة ، ولكل فرد قنطار ، ثم لا عمل ولا عامل بينهم ، لماتوا جميعـا جـوعا بعـد ليال . ذلـك أن الذهب لا يمضغ ، واذا بلعه بالع قتل . انمـا الذهب ، وانما المال جميعا ، اصطلاح اصطلح عليه الناس ، أن يكون واسطة تبادل نتاج بنتاج ، نتاج اصنعه بعملى تستفيد أنت منه ، ونتاج تصنعه انت بعملك ، استفيد أنا منه . وليس فى حكم الله ، ولا حكم البشر ، أن يقعـد قاعد يأكل من زاد الناس العاملـين ، وليس له هو فى جدول الانتاج اسـم مكتوب مرقوم .

العمل اذن هو زاد هذه الحياة . ولا بأس أبدا ان يجمع العامل من زاد الحياة

ما يشرى . فليس للشراء بالعمل عند الناس ، كانوا من كانوا ، عداء .

ولكن العامل لا بد ان يتعلم كيف يعمل

ولكن العامل لا بد ان يتعلم كيف يعمل ، وكيف يرتزق ، وكيف يشرى . انى ارى الفقر ، اكثر الفقر ، فى رجال اكثرهم لم يتعلم كيف يعمل لحياته .

جائنى ذات يوم نجار من ناحيتنا يطلب عندنا عملا . قلت اصنع لنا كذا وكذا . وما كنا فى حاجة . ولكنى اردت ان امتحنه لاهيئه لشيء فى النجارة ادق واعلى . وصنع ما طلبت . وشكا فقرا . فقلت له ان فقرك فقر علم . انك لا تحسن للخشب تشكيلا وتطويرا . اين تعلمت ؟ قال فى دكان فلان . اعشى يقود اعشى . فقر يجر من ورائه فقرا . وكان نجارى هذا شابا فطنا ، فتوسطت له عند اهل الخير من رجال الصناعة ، وكم فيهم من خيِّرين ، فادخله المصنع ، لا ليرتزق اصلا ، ولكن ليتعلم . وتعلم واصبح فى المصنع نجارا ماهرا ، ورضى عن الحياة . وعلمت ذلك منه بعد لقائي اياه مصادفة بعد سنوات .

ضربت بهذا النجار مثلا لاقول بعد ذلك ان اكثر الفقر الشائع فى الشرق ، وفى اهل العروبة خاصة ، انما هو قلة التعليم ، تعليم الحذق واعطاء المهارة ، لليد التى تعمل ، او الراس الذى يفكر .

العمال مهرة وغير مهرة

وقسموا العمال فى المصانع صنفين ، مهرة وغير مهرة . اما الماهر فمنه الانتاج الطيب ، واذن فله الاجر الطيب . اما غيره فليس منه عند العمل الا ما يحمل العضل وتجرى به السيقان . انتاج اشبه بانتاج الماشية . انتاج فى حكم الزمان ضئيل ، فله الاجر الخسيس القليل .

ان اكثر ما لقيت من الفقراء هم الذين لم يهيأ احد منهم لعمل من اعمال الحياة ، العمل الذى ينتج على المهارة رزقا كافيا حلالا .

ومن يتحمل وزر هذا ؟

وزر الفقر من يتحمله ؟

كانت تتحمله فى المجتمعات القديمة اكتاف فى الناس كثيرة ، اولها اكتاف الآباء والامهات .

وفي هذا العصر الحديث لا اجد اعرض من كتف الدولة أحمِّلها وزر كل فقر سببه أن لم يتمهد لصاحبه أن يتعلم ،

... هذا العصر الحديث يحترم كل عمل ، ويحترم كل عامل ، ويحيي العرق الذي يتصبب من ذي فأس ، او ذي سيف ، او ذي قلم ...



فوق تعليمه العام ، مهارة يكتسب منها رزق الحياة . مهارة من أى صنف . والمهارات فى هذه العصور الحديثة الف والف . وليست هي فى حمل المبرد وحده ، ولا فى ادارة المخرط وحده ، ولكنها فى كل منشط من مناشط الحياة، حمل الانسان فيه فأسا ، او حمل سيفا، او حمل قلما . هذا العصر الحديث يحترم كل عمل ويحترم كل عامل ، ويحيي العرق الذى يتصبب من ذى فأس او ذى سيف او ذى قلم . العصر الحديث يدرك ان الناس ليسوا جميعا سواسية ، وان مواهب وهبها الله اياهم ليست واحدة ، وهو يحترم ارادة الله ، ما بذل العبد وسعه فى عمل .

والبطالة فقر ، ووزرها على الدولة

ومن الفقر البطالة ، وهى اشد ما تكون قسوة على ذى مهارة ، يطلب العمل فلا يجد . والدول الواعية اليوم تدرك انه ما من بطالة الا وهى سوء تخطيط وتنظيم . ولهذا هى تقوم بسد حاجات اهل البطالة ، لسد بعضها ، لانها تحس بالذنب يتشبث بأعناقها .

ان المتعلم المتعطل كفاه ان يتعلم ويكتسب مهارة ، ولكن ليس فى مقدوره ، وهو الفرد ، ان ينظم البيئة التى هو فيها . والدولة هى القادرة على ذلك . الدولة كما يفهم معناها هذا الزمان . الدولة التى هى أسرة واحدة ، وهى التى أعطاها المواطنون فى هذا الزمان اذنا بالتخطيط لاحد له . تخطيط فى التعليم، وتخطيط فى الاسواق ، وتخطيط فى كل وجه من وجوه الحياة ، واجتمعت على هذا كله انظمة الحكم ، ملكية كانت ، او جمهورية أو غير ذلك .

غلبة الدولة على الفرد فى هذا الزمان

ان من شارات هذا الزمان غلبة الدولة على الفرد فيما فيه صلاح العباد . ولا أدل على صلاح الدولة كثير ارزاق الناس . ونحن اذا نظرنا الى الامم الواعية لوجدنا أنها وفرت الارزاق الى حد بعيد ، على اختلاف تلك الأمم الوانا وعقائد . فالروس ليس عندهم متعطل اذ انهم يطلبون الرجال المهرة من وراء الحدود ، ليسدوا النقص عندهم من رجال . وفرنسا بها مئات الالوف من المغرب العربى وغير المغرب العربى يعملون فيها وينتجون ويرتزقون .

وبريطانيا زادت فيها البطالة بسبب الازمة الاقتصادية الراهنة ، تلك الازمة التى سببها سوء التخطيط السابق لها والتنظيم ، ومداهنة الاحزاب الشعب فى الابقاء على رخاء كاذب .

انعدمت البطالة اذن فى بعض هذه الامم ، وفى بعضها زاد العمل على العاملين حتى دعا هذا الى استيراد الرجال . استثنى من ذلك رواسب من الرجال تعطلوا بسبب مرض او عجز ، أو ان الله لم يهبهم القدرة على عمل .

الفقر ، هم محوه ، ونستطيع نحن محوه

اذن فالفقر ، والبطالة التى هى اسوأ صنوفه ، يمكن محوه . لقد قدرت هذه الامم على محو الفقر ، ونحن العرب والله عليه لقادرون .

ما علينا الا ان نسلك ما سلكوا . لقد عبدوا الطريق لنا فأصبح سهلا سلوكه .

نخلق الاعمال خلقا ، ونجند لها الرجال ، والنساء فيما يصلحون له ، تجنيدا . ونعلمهم ، وندربهم على أرقى الاعمال فهم والله عليها قادرون ، ونكسبهم تلك المهارات العديدة التى ابتدعها العصر الحديث وجعلها ابوابا الى الرزق والرخاء . وبهذا نمحو الفقر كما محوه . نحن رجال وهم رجال . ونحن اذا آمنا بالعراقة وما ينحدر منها فى الاصلاب عبر القرون ، ولست أومن بها ، فنحن العرب من أعرق الامم نسبا ، واسبقهم الى مدنية ، وكنا يوما أوسع منهم ثقافة .

أَنْتَ.. أَمْ أَبُوكَ؟

■ الانسان حيوان عاقل مفكر. والعقل ثروة. وهي ثروة للرجل الفقير. وهي ثروة للرجل الثري يزداد بها ثراء. وهي ثروة مؤلفة من أشياء شتيتة. وهذه الاشياء بعضها القيم، وبعضها ما دون ذلك قيمة، وبعضها من سَقَط المتاع.

ولكن يجمع هذه الاشياء خزانة واحدة، مقرُّها ذلك الصندوقُ العظيم الذي يحمله كل انسان فى ام راسه، حيثما سار، وأينما قعد. ومن هذه الخزانة يستمد، اذا هو تكلم، او اذا هو صمت، والصمت لا يخلو أبدا من فكر واستهلاك لبعض ما تحتوى عليه هذه الخزانة.

واشياء هذه الخزانة، او مخزونها، حصَّله صاحب الخزانة من مصدر عظيم كبير، ذلك ثقافة قومه، يتلقاها فى البيت، وفى المدرسة، وفى الاسواق. واكثر هذه الثقافة ميراث. فهو يرث عن قومه عاداتهم وآدابهم، والصحيحَ وغير الصحيح من آرائهم، تماما كما يرث من ابيه وامه الأنف المستقيم او الأنف المعوج. وقد يكون مع الأنف المعوج صباحةُ وجه. وقد يكون مع الأنف المستقيم ثقل ظل. أخلاط هو ذلك الميراث، من ثقافة تتواءم اجزاؤها حينا، وحينا تتعارض. والرجل منا، الوارث، لا يقف بتريث ليتخير. لسببين. اولهما انه ليس لديه القدرة على ان يتخير اذا هو اراد. وثانيهما ان الميراث ينزل اليه جزافا، من جيل الى جيل، فيه اللبُّ وفيه الخشكار.

ولكن هذا الميراث لا يبقى على حال. انه ميراث عصور، تدحرج فيها من عصر الى عصر حتى وصل الينا، الى عصرنا الحاضر. ولا شك قد فعلت فيه تلك العصور السابقة ففيرت منه وحوَّرت.

ويأتي عصرنا الحاضر، فيغير منه ويحور بمقدار.

واكثر الناس يبلع زاده بلعا.

ولكن من الافواه ما يتعثر فيها الطعام اذا كان فيه رمل. وما اكثر الرمل في زاد تلك العصور. ولا يعفيها من ذلك ان بها من الزاد ذا الغذاء الكثير.

انها مناقضات يقف عندها الانسان في حيرة.

واضرب مثلا

واضرب مثلا.

مناقضة اقف عندها دائما فيما يُتصل بأصول الناس، آبائهم والاجداد.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى.

ويقول الرسول الكريم: سلمان منا آل البيت.

ويقول الرسول الصادق الصديق: كلكم لآدم، وآدم من تراب.

اقوال كريمة كلها تجب الاصول.

ومع هذا استمع الى بعض من يحيون ذكرى رجالات العروبة والاسلام، فأول ما يتحدث به عن الرجل الضخم، يتحدثون عن ضخامة اصله، وكرم منبته، ويأتون لك بأبيه وجده، وجد جده، الى الجد الخامس والسادس والعاشر، ليقولوا من بعد ذلك انهم جميعا كانوا في قومهم سادة. وذلك ليزيدوا الرجل الضخم ضخامة.

واسمع قول الرسول، واستمع لما يقول هؤلاء، فاقع في حيرة..

بلال لم يكن له اصل ولا فصل، على ما اعلم، فهل يؤخذ بلال بانه لم يكن له مجد سبق به أبوه وسبقت امه. وما



السيد المسيح في بيت نشأ فيه
تصوير الرسام الانجليزي الشهير ميلايس (١٨٤٩ – ١٨٩٦)

تبعة بلال في أن أباه كان ما كان ، من نباهة أو خمول . وما حيلة اى رجل منا ، واى امراة ، فيما كان ابوه ، وكانت امه ، او ما صنع ابوه وصنعت امه من خير او شر .

ان احب الصور عندى صورة يقف فيها المرء أمام الله ، عاريا من كل شيء ، حتى من ثوب زان أو شاه ، لا يحمل معه غير سجل عامر بالذى صنعت في هذه الحياة الدنيا يداه .

ويزيد في هذه المناقضة ..

ويزيد في هذه المناقضة بروزا الاجواء السائدة اليوم في المجتمعات الانسانية جميعا ، من غربية وشرقية وعربية .

فالناس اذا ارّخوا اليوم لرجل عصاميّ ، جاء كبيرا من أب صغير ، اكدوا هذه الحقيقة التي سبق الى تحقيقها محمد عليه السلام . فهذا كاتب نابهٌ كان ابوه حاطبا ، وذلك سياسي مصلح كبير كان أبوه عاملا في منجم فحم . ويذكر المسيحيون السيد المسيح فيقولون انه نشأ في بيت نجار . ان الابن الصالح أو النابه ، لا يؤخذ بفعلة ابيه ، ولا يأخذه بها الله ، وما كان ربك بظلاّم للعبيد .

وكما أن الولد لا يؤخذ بذنب ابيه ، كذلك لا يثاب الولد المذنب بصلاح أبيه .

« ونادى نوح ربّه فقال ربّ ان ابني من أهلي وان وعدك الحق ، وانت أحكم الحاكمين . قال يا نوح انه ليس من اهلك ، انه عمل غير صالح » .

انفصام

وزعمي أن هذه المناقضة يسببها انفصام بين العقائد والعادات . عقائد يعتنقها الناس فيجعلون لها مكانا في نصف مخهم الأيمن ، وللعادات مكانها في النصف الايسر ، واقاموا بينهما سدّا فليس بينهما اتصال والتحام . وهذه ظاهرة شائعة في الناس كذلك حلف خروشوف ، رئيس الروس ، بالله ، وهو الذى انكر وجود الله . الانكار استقر في راسه ، حيث العقائد ، في مكان ، اما الحلف فعادة لسان .

●●

احمد زكى

الجيرالدا في اشبيلية وليست في قرطبة!

أسماء الفائزين بالجوائز.. والاجابات الصحيحة

● معظم الذين اشتركوا فى هـــذه المسابقة كانت اجاباتهم صحيحة ، والخطأ الذى وقع فيه بعض المشتركين هو منارة الجيرالدا فقد ذكروا انها فى قرطبة بينما هى فى اشبيلية .. وهذه هى الاجابات الصحيحة للأسئلة العشرة المطروحة :

١ ـ اكتشفت أوغاريت فى محافظة اللاذقية بسوريا . ٢ ـ عاصمة مديرية كردفان هى الأبيض وتشتهر بانتـــاج الصمغ. ٣ ـ تقع الجيرالدا فى اشبيلية. ٤ ـ يقوم مشهد الامام أبى حنيفة فى بغداد. ٥ ـ يقع بهو السباع فى مدينة غرناطة. ٦ ـ المشاحيف موجودة فى منطقة الاهوار بالعراق. ٧ ـ كاظمة : اسم أول ناقلة بترول كويتية. ٨ ـ اسم هذا الباب باب زويلة المعروف بباب المتولى. ٩ ـ مئذنة عمر المحضار تقع فى تريم بحضرموت. ١٠ ـ اسم بانى مدينة الزهراء هو الخليفة عبد الرحمن الناصر .

الفائزون بالجوائز

اجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة ففاز الآتية أسماؤهم :

الجائزة الأولى : وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : عبد الله محمد أحمد ابراهيم ـ شندى ـ السودان.

الجائزة الثانية : وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : ناصر سالم الفرحان ـ الفيحاء ـ الكويت .

الجائزة الثالثة : وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : خيرية محمد الشريف ـ فزان ـ ليبيا .

٨ جوائز مجموعها ٤٠ دينارا وقيمة كل جائزة خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ أحمد صالح الغامدى ـ الظهـــران ـ السعودية .

٢ ـ محمد ممدوح السليم ـ دمشق ـ سورية .

٣ ـ احمد شلبى ـ الاسكندرية ـ ج.ع.م.

٤ ـ جمال جريس غانم ـ بيت ســاحور ـ الاردن .

٥ ـ محمود يوسف الحليبى ـ المنامة ـ البحرين.

٦ ـ عادل خضر فتح الله ـ سيدنى ـ استراليا.

٧ ـ مروج فخر الدين آل فليح ـ الموصـل ـ العراق .

٨ ـ على حسين نمة ـ كفرحونة ـ لبنان .

وسوف ترسل الجوائز لمستحقيها بالبريد .

دَمْعَة إلى مَثْوَاه

اليه .. حيث مضى ولم يعد ...
يناجيه قلبها الشجي ..
بدمعة الى مثواه .. !!

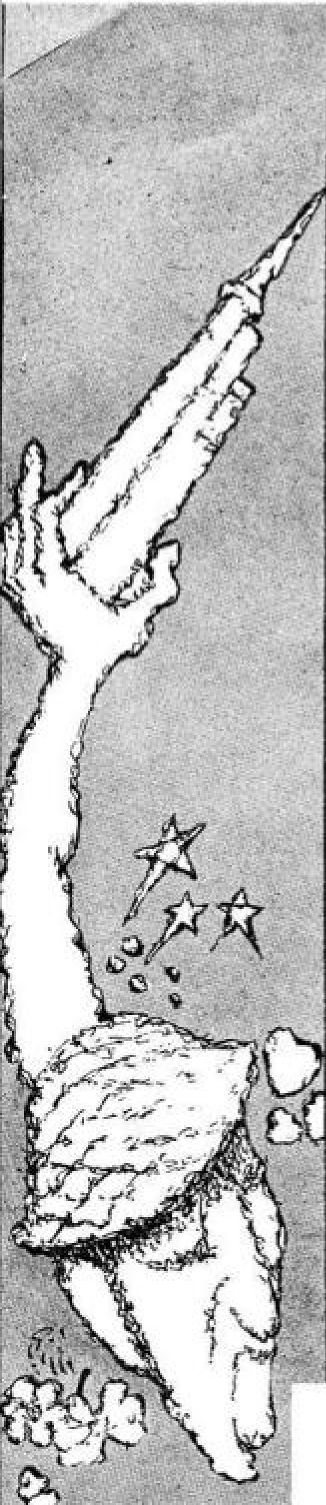
■ يمر الليل إثر الليل .... ماعطفت علىّ يداك
حننت إليك فانسابت .. مُنَى روحى تحثُ خطاك
أصدق في سكون الليل .. ترعانى نجوم هواك
وأصرخ في رياح الحب تأتينى بومض سناك
وأهتف ياحبيبي عد .. وظللنى بعطر شذاك

★★★

أحن إليك ياقمرى ... وفاض الدمع هتانا
يَسح على خدود .. كم سقتكَ العطر ريّانا
وحين همستَ فى أذنى فخلت الهمسَ تحنانا :
غدا يا حلوتى أمضى إلى الميدان قربانا
نصوغ الوبل أغنية بقلب الليل نيرانا
ومن نيراننا نسقى الردى للظلم ألوانا
ونصنع من أديم الأرض إعصارا وبركانا
وفي يافا .. وفي حيفا .. يطلُ الفجر .. فرحانا
وحين أعود نروى للوليد الطفل ما كانا
ونزرع أرضنا فُلاً .. ونبنى الكوخ بستانا

★★★

ومر العام يا حِبى .. ودربى حائر الخُطوه
أخالُكَ آتيا قُربى .. أعانقُ روحكَ الحلوه
وحين يمر عصفور .. يرتل للهوى .. غنوه
أعود لشرفة الأحلام أرضع قلبى النشوه



وقيثارى يهز الخافقَ اللهفـان في صبــوه
يمنى القلب لو تأتى ، نذيب العمر في قبلـــه

★★★

وها أنذا .. وبُعدك يا حبيبى يُشعل الوجْدا
وطفلكَ عنك يسـألنى .. فتندّى أدمعى ردّاً ....
إلى أن جاءنى نبـأ ... يَهد مضاجعى هـدّا
ويسقينى الأسى شَجَنا .. ويُطعمنى الجوى سُهُدا
قضيتَ !! تركت أحزانَ الحياة تشدّنى شـدا
وما بقيتْ سوى الذكرى تُطل على الدُّنى لحدا
حلَمتُ بحبكَ الفياض يُسعدنى ويُعطيـــنى
حلمت به .. ندى يغفو على هدبى فيرويـــنى
ونبعا صافيا .. مُدّتْ جداوله .. لتسقيـــنى
ودَوْحاً هائـلا .. مُدّت ضفائره .. لتحميـــنى
فعاد الحب ياويْلى ، أسىً .. ذكراه تُشقينى
وطفـلٌ جائـع يبكى ... أهدهده .. فيبكيـنى

★★★

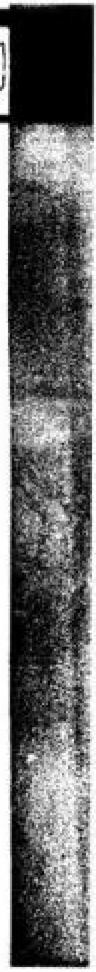
سأبقى في رُبَى الأحـلام .. أنسج للربىَ حُلُمـا
وأحكى لابنتـا قَصصا .. مُثيرا ... يُقلق النجما
من المأساة .. عن طفل يتيم .. يلعق الضيمـا
ليغدو طفلنـا .. بطلا .. مهابا .. يصنع السلمـا
حبيبى إن قضى قَدَرى .. علىّ .. لأجرعَ الهمّـا
سأبقى زهرةً عطشى .. إلى أن نلتقى يومـا ■■

مالك عبد الحميد كحيل
كلية الطب ـ جامعة القاهرة

أيها العربي :

جملك

سيارة الصحراء كم تعرف عنه ؟



بقلم الدكتور أحمد زكي

■ الخيل ، الابقار ، الجمال ، الماعز ، الشياه ، القطط والكلاب ، وسائر ما هنالك ، مما يألف الانسان ، وتقع عليه عين الانسان ، خطفا احيانا ، وتحليقا مليئا احيانا ، هذه الحيوانات من خلق الله ، لا تقع عيني على احدها ، فتحس نفسي بالحزن ، كما عندما تقع على جمل ، لا سيما عندما تلتقي عيني بعينه .

لو كان الحزن ماء لتقطر من عين جمل .



وأرى الجمل جاثما على الارض ، بجرمه العظيم ، وقد مس الارض بكلكله ، فأحسب انه الصبر قد رقد على الارض فأثقلها .

ويدعوه صاحبه للقيام من رقاد ، فيخرج صوتا كأنما يحتج به الى صاحبه من استناخة لم تطل ، وما كفت . ولعل احتجاجه دعاه على الاكثر اليه انه ليس في حكم الجمال ان تعصى اذا طلب اليها ان تفعل .

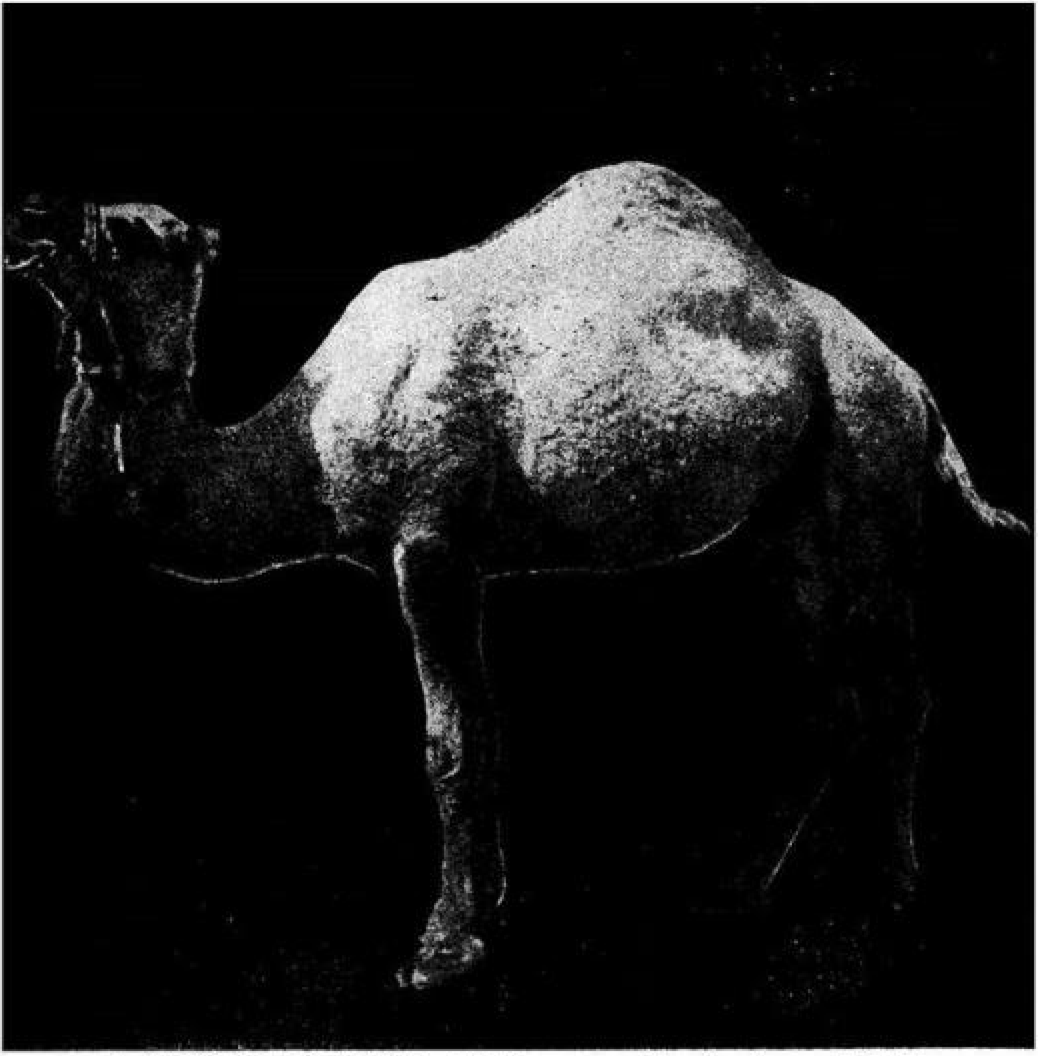
سألت بوذيا ذات مرة عن الجمل ، قال : لعله كان انسانا ثم عصى ، وتناسخت الارواح فصار جملا ، يحمل معه اوزار حياة ماضية .

لماذا نتحدث عن الجمل

وتسالني لماذا نتحدث عن الجمل .

وجوابي انا نتحدث عن الجمل لانه بعض هذه الحياة . انه شيء من اشيائها . وهو من اشيائها الحية . فمعرفته معرفة بالحياة .

وجوابي كذلك ان الانسان منا لا يطلب معرفة الحياة واشيائها لعلة . انه يرى الشيء منها ، فيهدف اليه ، لا يفكر لم



الجمل العربى ، ابن الصحراء وهو فى سجل العلماء ، Camelus Dromedarius باللاتينية .

هدف . ويأخذ يتأمل ويتفحص ، ويعي . ويلتذ علما . وهو لا يسأل فيم كانت لذاذته . انها لذاذة الطبع . والطبع لا يسأل معه الانسان عن علل . وهداية الطبع لا تزال الى اليوم خير هداية .

وجواب ثالث . ان الجمل فينا ، مخلوق حيٌ مثلنا . مثلنا فى الكثير . ما من عضو فى خلقه الا له فى خلقنا مثيل . وكذا الثور . وكذا الفرس . وكذا الشاة وكذا الجدى . وكذا كل مخلوق ، صعودا فى دوحة الخلق او هبوطا فيها . ففي المخلوق الواحد نرى ، من اعاجيب الخلق ودقته ، وانتظامه واتساقه وتكامله ، مثل الذى نراه فى خلق الانسان . وفى استعراض هذه المخلوقات مجتمعة ، والكشف عن تصاميم للخلق فيها مشتركة ، هي تصاميم المهندس قبل البناء ، نرى فيها من وحدة



التخطيط ما يهدينا الى ان المهندس واحد ، والمخطط واحد ، وان هذا الخلق جميعه ، على اختلاف انواعه ، واختلاف اصقاعه وأهوائه ، لو انه اشكال وتصاوير من حجر ، لقلنا انها ما عمل بها الا ازميل واحد ، حملته يد ماهرة لصانع حاذق واحد . بعض منها تم واكتمل ، فهذا هو الانسان . وبعض لم يتم ولم يكتمل ، ولفّه الناحتُ لفًا ، حتى يبقى وحدة كاملة بذاته ، واكتفى .

والانسان منا فى حياته يتلمس غاية ، وهذه الحقيقة التي تتكشف للانسان عن المخلوقات مجتمعة ، بالدرس ، هي فى حياته غاية الغايات .

ان الانسان فى دنياه مخلوق مسكين ، ضعيف ، حائر . كل ضعفه من حيرته . وهو يمد يديه امامه يتلمس الهدَى فى الظلام . واكثر ما يمسك به القش . ثم هو آخر الامر يلمح شعاعة من نور ، يتتبعها ، فاذا الشعاعة شعاعات ، ثم اذا هو حيث الضوء غمر ، كضوء الشمس فى غمرته ، ولكنه لا يُعمي .

انه ضوء من ضياء الله .

★ ★ ★

هذه مقدمة كان لا بد منها .

والآن ننصرف الى الجمل ، ما هو ، وكم هو ، واى مكان بين الخلائق يحتل؟ .

الجمل صحراء ، والصحراء جمل

انك تنظر الي الجمل ، فترى منه ، حاضرا ، صورة . ثم تظهر فى خيالك مع هذه الصورة صورة اخرى لا تستطيع ان تمنع ظهورها ، تلك صورة الصحراء .

انهما صورتان متلازمتان .

وقد ترى الجمل يسير فى شوارع المدينة ، فى الزّلق ، فتجد شيئا ناشزا .

ان الجمل ابن الصحراء ، والصحراء موطنه . الصحراء العربية موطنه الاول . وجملها فى سجلات العلم اسمه الجمل العربي Arabian Camel ، وهو ذو سَنام واحد . وهو احد نوعين Specias لجنس واحد Genus . اما النوع الثانى فالجمل ذو السنامين .

والصحراء تستطيع ان تشيد بجمالها ما تشيد . وهي جميلة على الثراء ، يخرج اليها المثرى بخيله ورهطه ، وبالخدم والحشم ، وبالفراش الوثير والطعام الكثير . ويقول شعرا ضاحكا . ولكن الصحراء غير ذلك لساكنها الفقير . انها الرزق الذى لا يثبت على ارض ، فيأخذ البدوى يتحسسه حيث يقع المطر . يحمل اليه اهله ورهطه ، والجمال حمّالها . وهو يطارِد فى رزقه القليل هذا ، ويطارَد فيه .

والصحراء قديما ما فتئت تجمع بين العيشة الضنك والحرب . وقال اهل البدو الشعر الكثير . وتقرأ « ديوان الحماسة » ، لأبى تمام ، فتجد اكثره استبسالا واستصراخا ، ومراثي شتى .

فهذا موطن الجمل ، وحظه من حظ صاحبه .

الجمل خلق ليعيش فى الصحراء

والمخلوقات تؤائم أوطانها .

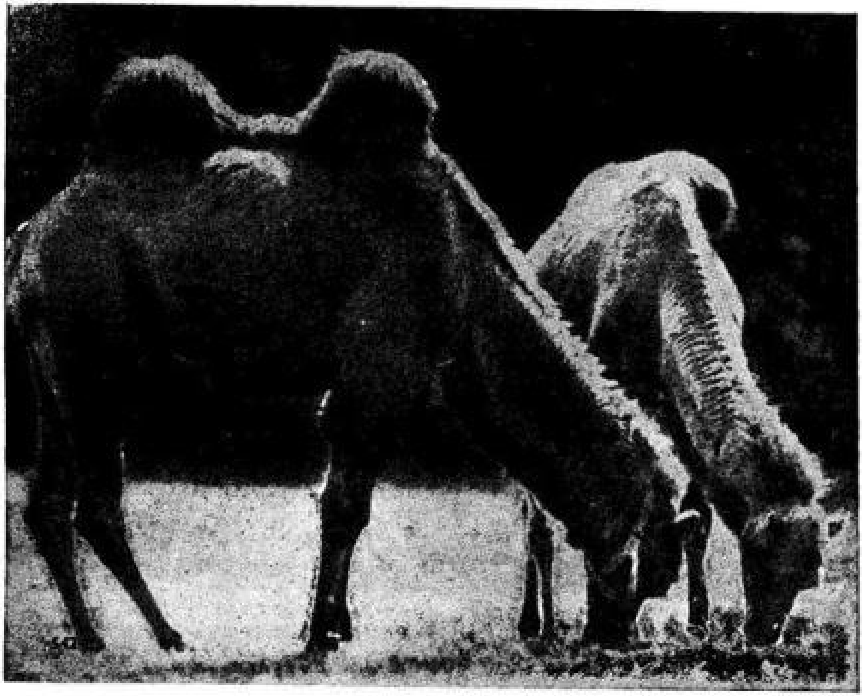
والصحراء رمل . وهي قليلة الزرع ، والكثير منه الخشن . ثم الماء وهو قلة .

الجمل فى الرمل

وبسبب الرمل كان الخفُّ .

والخف قدم . والاقدام كما سواها خالقها فى سائر الخلق ، من ذوات الثدى وغير ذوات الثدى ، تحمل اصابع خمسة . وتنضمر بعض الاصابع فى بعض الاحياء ، وتكتمل فى بعض ، وفقا للحاجة . والجمل نما في اقدامه الاصبعُ الثالث والرابع ، وتساويا ، وحمل كلٌ ظلفا .

ان الاظافر واردة فى **المخطط الاول** ، لهذا قد تبقى ولو للذكرى عندما لا تكون



الجمل ذو السنامين وهو فى سجل العلماء باللاتينية Camelus Bactrianus

اليها حاجة . تبقى تدل على الرابطة التى يجب ان لا تنفصم .

وتفرطحت العظام ، عظام هذه الاقدام ، ولبست قفازا عريضا من لحم طرى ، يلين للرمل الذى يخطو عليه ، ويمسك به ويثبت .

فكان من كل ذلك الخف ، حذاء الصحراء .

ولقد اذكر اسرى حرب ، طال بهم السير حتى ادمى اقدامهم . فلفوها ببقايا من اثواب بالية طرية كانت لاقدامهم اخفافا .

الجمل وزاد الصحراء

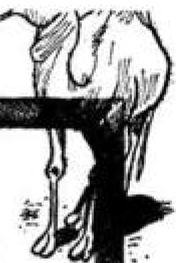
انه العشب ، ياكل الجمل منه ما يجد .

فاذا لم يجده ، وجد النبت الخشن ، وذا الشوك ، فاكله .

والصحراء فيها من احتمال الجوع ما فيها . ولهذا ياكل الجمل ، اذا انذره الجوع بالتهلكة ، كل ما يجد . انه عندئذ ياكل السمك واللحم والعظم وحتى الجلد .

ومعدة الجمل ، كمعدة كل مجتر من الحيوانات ، تتألف من خزائن . ومعدة الجمل تتألف من خزائن ثلاث ، لا اربع . وفى الاطار المرفق تفصيل ما يحدث عندما يجتر الحيوان عامة .

ومن تصاميم الخلق ، موائمة بين حيوان وبيئته ، ان حمل الجمل على ظهره سناما ، هو من عضل وشحم . وهو يزداد لحما وشحما على الغذاء ، عندما يكثر ويطيب . حتى اذا خرج



معدة الحيوانات المجترة عامة

انها خزائن اربع : الكرش . الجمبة . ذات اللفائف . الجوف

وبيدا الحيوان المجتر باكل ما يستطيع من حشيش ، في غير ابطاء ، حتى يمتلىء كرشه . ثم هو يمضي الى ناحية ، مطمئنا ، هادئة ، ليبدأ يجتر . وفي هذا ينتقل الطعام من الكرش الى القلنسوة ، وهذه تهرس الطعام ، وتجعله لقمًا ، تقذف بها الى الفم ، كما يتقيأ الانسان . وفي الفم تنطحن اللقمة بعد اللقمة . ثم هي تعود تنزل الى المعدة ، الى الخزانة الثالثة ، ذات اللفائف . وهذه ترسل ما يصلها الى الخزانة الرابعة . ولكنها تأذن فقط للناعم من الطعام ان يمر بها ، وتحبس الخشن . وفي الخزانة الرابعة يجرى الهضم ويتم .

وفي هذا كله حكمة ، من حكم التخطيط الخلقي لا تخفى على الناظر . فكل هذه المجترات صيد للحيوانات المفترسة . واذن لزم لها ان تأكل ما تجد ، عندما تجد ، عاجلا ، وتأكل منه وسعها ، ثم تطلب مكانا آمنا ، وهناك تصنع ما منعها الخوف من ان تصنعه لطعامها ، من مضغ وهرس ، قبل ابتلاعه .

واستأنس الكثير من الحيوانات المجترة على مر القرون ، والاستئناس أمن ، ولكن بقيت تلك العادة ، قائمة ، للتاريخ ، واحتياطا ، فمن يدرى ، فقد يكون من بعد استئناس استيحاش .

الجمل الى سفر ، وعزه الغذاء وكاد يتذره الجوع بالفناء ، وجد الجسم فيما حمل من شحم في سنامه غذاء يطول به العيش اياما .

الجمل والماء

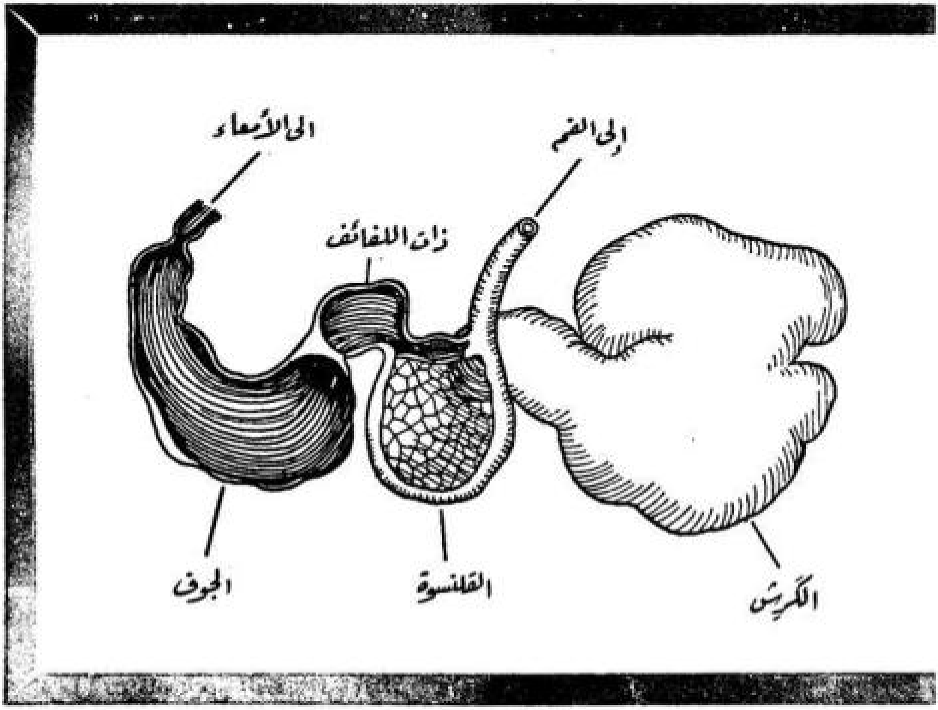
ومن زاد الصحراء الماء ، ولعله اول زاد . وفي جسم الجمل من الاحتياط مايحفظ به عليه الماء . من ذلك انه لا يعرق او لا يكاد . ومن ذلك ان انفه متصل بفمه ، والفم يحبس ما يخرج مع هواء التنفس من ماء .

وصاحب الجمل يغرى الجمل بشرب المقدار الاكبر من ماء عند القيام بسفر ، ويطعمه الملح ليزيد عطشه فيشرب الاكثر ، وعندئذ هو يستطيع البقاء بلا ماء اياما تتراوح بين ستة وعشرة . وقد يبلغ ما يشربه الجمل ستين لترا من الماء ! أفليس بمعدته خزائن ثلاث ؟ وقيل ان بمعدة الجمل خزانة او خزانات تمتلىء ماء ، ثم تنغلق ، حتى يكون منه الى الماء حاجة ، وعندها تنفتح . ويقول العلماء اليوم انه لم يقم دليل على ذلك .

الجمل وقطع الصحراء

والجمل هو دابة الصحراء الواحدة ، تحمل الرجال ، وتحمل الأثقال . هكذا كانت منذ أربعين قرنا فما فوقها . ففي الكتاب المقدس عند أهل الكتاب ان ابراهيم عليه السلام ارتحل ومعه شياه وابقار وجمال . وعندهم ان أيوب كان له ذات يوم ٦٠٠٠ جمل . وما كان لغير الجمل من الحيوانات ان يقطع الصحارى .

وتهيأ الجمل لذلك بخفة ، فهو لا يغرز في الرمل ، وتغرز الحوافر ، في حمر وخيل .



وتهيأ الجمل بقوائمه الطويلة القوية ، فهى صلبة صلدة، تحمل جسدا ضخما، فوقه سنام . وأعان ارتفاع قوائم الجمل على تخطي ما يعترضه فى الصحراء من ارض قليلة الاستواء .

ويقف الجمل بسنامه فيعلو عن الارض نحوا من سبعة اقدام، فلا تطوله الرجال كما تطول الخيل . واذ تعذر على الرجل ان يصعد ، وجب على الجمل ان ينزل . وهو يبرك عندما يؤمر . وهو يتقى خشونة الارض اذ يرقد عليها بوسادة فى صدره ، ووسادة على كل ركبة من ركبه الأربع . وعظمت الركب ، وكبرت عظامها ، فهى تلفت عين الناظر اليها .

والجمل يحمل ما بين ١٧٠ الى ٢٧٠ كيلوجراما، يسير بهاق اليوم، ٤ كيلومترا بسرعة نحو ٤ كيلومترات فى الساعة ، ويثابر على ذلك أربعة أيام .

ومن الجمال ما هى لركوب الرجال خاصة ، وتصل سرعتها عندئذ الى ١٦ كيلومترا فى الساعة ، ويقطع الجمل بهذه السرعة فى اليوم مسافة تبلغ ما بين ١٢٠ الى مائتى كيلومتر .

والجمل عندما يسير يرفع رجليه اليمنيين معا ، ثم اليسريين معا ، ثم اليمنيين، وهكذا . وراكبه يهتز من فوقه اهتزازا يحتاج احتماله الى تجربة وخبرة . وقد رايت بعض الشرطة من خفر السواحل تربط نفسها بالجمل ربطا اذا هى خرجت تطارد فى الصحراء متسللا .

ومن سائر أعضاء الجمل ما يذكر

منها عيناه . وأهل الغرب يرون فى هاتين العينين جمالا قد لا يراه أهل الشرق . وهم يقولون انهما اجمل ما فيه ، فعندهم أن الجمل ، بجرمه غير

المنتظم ، قبيح . ولعل من هذا ما كنا نقرأ فى كتب المطالعة الالمانية مما كتب شاعر الالمان جوته : مقطوعة شعرية زعم فيها أن الحصان اشتكى الى رب الأرباب زَيُوس . اشتكى له شكله ، زاعما أنه لا جمال فيه ، فما كان من زيوس الا ان غير خلقه ، فانقلب جملا . فلما راى الحصان ما صار اليه، ود لو يعود ادراجه ولكن هيهات . أو هى قصة كهذه لا اذكرها مفصلة .

وعينا الجمل عليهما رموش ثقيلة ، وهى لمنع الرمال ان تدخل الى عينيه عندما يغمضهما .

وأذنا الجمل كثيرة الشعر ، ولعل هذا لمنع دخول الرمل فيهما .

وانف الجمل. انما هو شقان ضيقان ، يسهل اغلاقهما عند الحاجة . والجمل يغلقهما حبسا للرمل أن يدخلهما .

كل شيء فى خلق الجمل يهدف الى الرمل يتوقاه ، من الخف الى الرأس .

وشفة الجمل العليا مشطورة فى الوسط فكأنهما شفتان . وبهما يحس الجمل طعامه ، وبهما يمسكه ويحسّه ، فكأنما هما أصبعان .

والعجيب أن الجمل خالف كل ذوات الفقار من الحيوان ، ومنها الانسان . خالفهما فى شكل كراته الحمراء التى فى دمه . ان هذه الكرات فى الانسان وسائر ذوات الفقار من الحيوان ، اقراص مستديرة ، اما فى الجمل ، فأقراص اهليلجية ، اى لها الشكل المسمى فى العرف بالبيضاوى . ولم كان هذا ؟ لم يتضح بعد . ومن يدرى ، لعل له صلة بالصحراء .

الجمل ذو السنامين

هذا الجمل موطنه آسيا ، وعلى الأخص تركستان الصينية ومنغوليا وسهول جوبى Gobi او سهوبها .



لامة مستانسة .

وعند انهارها ، واكثر هذه السهول فى منغوليا .

وشعر هذا الجمل لونه بنى احمر او اسود . وشعره كثير طويل ، قد يصل فوق العشرين سنتيمترا طولا . والجمل، على عادة الجمال جميعا ، يسقط شعره فيهبط منه غزيرا ، ويترك جسمه مشحوبا شائها ، كأنما سلخه سالخ .

ومن شعره ، لا سيما القصير ، تصنع



راس اللامة .

انعم العباءات والمعاطف مسا ، وادفاها فى شتاء .

والجمل ذو السنامين اقصر من الجمل العربى واعرض ، واثقل على الارض . وهو اكثر احتمالا لبرد، فهو يعيش حيث قد تنزل الثلوج .

الجمل فى مراتب الحيوانات

الجمل اسم « جنس » Genus وهو بلغة العلم العالمى ، وهى اللاتينية Camelus وهو « نوعان » Species الجمل العربى ذو السنام الواحد Camelus Dromedarius ، والجمل ذو السنامين الصينى المنغولى Camelus Bactrianus .

اللامة

واللامة جنس من الحيوانات يشبه الجمال ، وهى تعرف بجمل امريكا ، وامريكا موطنها . ولهذا يجمعها والجمال فصيلة واحدة .

وفى الصورة نوع منها مستانس . ارتفاعه عند الكتف ٤ اقدام او اكثر قليلا . وهو ذو فروة بيضاء ، او بنية حمراء ، او سوداء ، او خليط من كل هذا . وفى الصورة الصغرى راس اللامة، وبه شبه براس الجمل كثير، الا الاذنين فهما كبيرتان .

واللامات توجد فى جبال بوليفيا وبيرو، وغيرهما من اقطار امريكا الجنوبية . ولا يستغنى اهل هذه الجبال والاقطار عن اللامة دابة للحمل .

وليس للامة سنام .

وهى عندما تبرك تسقط ركبتيها الاماميتين على الارض ، ثم تثنى رجليها الخلفيتين،ثم تسقط بصدرها ،واقدامها جميعا من تحت جسمها .

ومن اللامات نوع يعرف «بالالباكا» ، وهى مصدر الصوف العالمى الجميل المعروف بهذا الاسم .

ان اللامة جديرة بحديث اكثر من هذا ، ولكن بحسبنا ان جمعنا بينها وبين الجمل ، كما جمع العلماء بينها وبينه فاسموا فصيلتهما Camelidea اى فصيلة الاجمال على عادتهم فى اسماء الفصائل .

●●

احمد زكى

المدنية الاسلامية

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ ان مساهمة المدنية الاسلامية في حضارة الغرب لم تقف عند النواحي العلمية . وان كانت النواحي العلمية كالطب والكيمياء والعلوم الرياضية هي ابرز هذه المؤثرات .

ذلك ان كثيرا من الباحثين ينوهون قبل كل شيء بمساهمة التفكير الاسلامي في حضارة الغرب في الميادين العلمية ولا يعلقون كبير اهمية على مساهمته في الميدان الأدبي .

ولكنا سنرى مما سنقدمه من عرض موجز لهذا الموضوع ، ان الآداب العربية كان لها أثرها العميق في تطور الأدب الغربي ، واننا نستطيع أن نتتبع هذا الأثر ليس فقط في أدب العصور الوسطى، ولكن ايضا في كثير من نواحي الأدب الحديث . وان ما نراه اليوم من اتساع شقة الفارق بين الأدبين ، لا يمكن ان يدحض هذه الحقيقة التاريخية التى ألقت عليها بحوث المستشرقين في العصر الاخير اعظم ضوء .

التقاء الأدب العربي بالقشتالي

وقد بدأ هذا التأثير مبكرا في اسبانيا، حيث كان الأدب العربي والادب القشتالي، يلتقيان بحكم الجوار المباشر. وفي الوقت الذى وصل فيه أدب اسبانيا المسلمة الى ذروة قوته وروعته ، كان الأدب القشتالى في مراحله الأولى .

ونحن نعرف ان الأدب الأندلسي يمتاز بطابع خاص ، من الابداع والرونق والاشراق . ونعرف أيضا ان كتاب الأندلس وشعراءها قد اضافوا الى بلاغة المشرق ، ضروبا ساحرة من الافتنان في الخيال والتعبير والوصف ، وابراز المعاني الحسية والنفسية الدقيقة ، في أساليب رقيقة مؤثرة ، وهو ما يرجع الى طبيعة جزيرتهم الساحرة ، وحضارتهم الرفيعة، وما ترتب على ذلك من رقة أمزجتهم وسلامة أذواقهم . وقد كان لهذا الأدب العربى الأندلسي الرفيع، اثر بارز في آداب شبه الجزيرة الأسبانية .

وكانت المؤثرات الأولى التى لقيت سبيلها الى الأدب القشتالى تقع في ميدان الخيال والقصص . فقد ترجم منذ القرن العاشر الميلادى كثير من القصص والحكايات العربية .

وكانت القصص العربية الذائعة في الشرق ، تنقل الى الأندلس ، وتتلى في قرطبة واشبيلية ، وسائر القواعد الأندلسية الأخرى ، وينقلها النصارى المستعربون الذين يعيشون في قلب المجتمع الاسلامى ، أو ينقلون ملخصاتها

١ ـ أنظر مقال المدنية الاسلامية أثرت في مدنية الغرب والحضارة الانسانية في العدد رقم ٩٦ من العربي.

ساهمت في بناء حضارة الغرب علمياً
أثر أدب العرب في تطوير الأدب الغربي

الى مواطنيهم في قشتالة ، حيث تصاغ بالقشتالية ، وتنشر في سائر انحاء أسبانيا النصرانية .

وكانت اهم الآثار القصصية العربية التي ذاعت يومئذ بعض قصص الف ليلة وليلة ، ومنها قصة السندباد ، التي لقيت في الأدب القشتالي نجاحا خاصا .

كتاب كليلة ودمنة

وفي الوقت الذي ذاعت فيه هذه التراجم القصصية،ترجم الى القشتالية من العربية اثر ادبي واخلاقي عظيم ، هو كتاب « كليلة ودمنة » واشرف على ترجمته الملك الفونسو العالم ، الذي شغف بالآداب العربية أيما شغف ، وترجمت في عهده آثار عربية كثيرة علمية وادبية .

تاثير القصص العربي

وكانت هذه التراجم القشتالية لآثار القصص العربي ، وسيلة قوية لذيوعها في فرنسا وايطاليا،وباقى الأمم الغربية، حيث ترجم الكثير منها الى اللاتينية وغيرها ، وكان لها اثرها في تطور الآداب الأوروبية في عصر الاحياء ومن بعده ، بل لقد ظهر أثرها واضحا في مؤلفات كثير من اقطاب عصر الاحياء ، مثل بوكاشيو وجيرالدى ، وسوتشر ، وجيشارديني، وغيرهم ، ظهر في خيالهم وفي اسلوبهم ظهورا قويا .

والى جانب هذا التاثير القصصي المحض ، كانت ثمة مؤثرات أخرى ، من طراز ارفع واعمق ، يمتزج فيها الخيال بالناحية الفلسفية والاخلاقية ، فان النقد الحديث مثلا يؤكد لنا ان دانتى شاعر ايطاليا الأكبر ، قد تأثر في كثير من كتاباته ، بتراث التفكير الاسلامي . ففى كتاب « الجحيم » يعرض دانتي من الفكر والآراء ما يمت بصلة قوية الى فكرة الاسراء الاسلامية ، والى بعض مؤلفات ابي العلاء المعرى . وفي « الكوميديا الالهية » وفي «الحياة الجديدة » يوجد ما يدل على انه قد تاثر بآراء الفيلسوف الأندلسي المتصوف محيى الدين بن عربى. وقد وصلت هذه المؤثرات الى دانتى فيما يبدو عن طريق استاذه Bruneto latini الذي كان ملما بالثقافة العربية ، او عن طريق اطلاعه على بعض التراجم اللاتينية لآثار الأدب العربى .

وقصة حى بن يقظان

وهناك أثر عربى من نوع فريد كان له اثره القوى في الأدب الأوربى وذلك هو قصة ابن طفيل الفلسفية المسماة « حى ابن يقظان» التى يصفها الاستاذ سارتون بانها كتاب من اشد كتب العصور الوسطى طرافة واصالة . وهى قصة الانسان الأول ، يتلمس سبيله فريدا مستقلا الى الحياة والمعرفة ، عن طريق الالهام والحاسة ، يتخلل ذلك كثير من المعلومات العلمية القيمة .

وقد كتب ابن طفيل قصته في القرن الثاني عشر ، وترجمت الى العبرية منذ القرن الرابع عشر ، ثم نشرت مع ترجمة لاتينية في أواخر القرن السابع عشر ، وترجمت على أثر ذلك الى الانجليزية ، وكان لها تأثير ديني وفلسفي وتربوي عميق ، في أدب القرن الثامن عشر .

وكان من اشد الآثار الأدبية التي ظهرت في هذا العصر تأثرا بها ، قصة دانيل ديفوي الشهيرة «روبنصن كروزو» التي ظهرت في سنة ١٧١٩ م ، بعد ظهور التراجم اللاتينية والانجليزية لقصة حي بن يقظان بنحو ثلاثين عاما .

وتأثير الشعر العربي

وقد كان للشعر العربي كما كان للنثر أثره العميق في الأدب الأوربي . وينطبق ذلك بنوع خاص على الملاحم الشعرية وشعر الفروسية . وقد تسرب هذا الأثر بنوع خاص من اسبانيا المسلمة ، الى الأدب القشتالي ، وانتقل بواسطته الى جنوب فرنسا وايطاليا . ويمتاز الشعر الأندلسي برقته وروعة خياله وتنوع مناحيه وأوزانه . وقد ظهر هذا التأثير بنوع خاص في الملاحم الشعرية القشتالية لا سيما فيما كتب عن السيد الكنبيطور وهو الذى اشتق لقبه Elcid من كلمة « السيد » العربية . وكذلك كان للملاحم الموريسكية ، التى تصور الأذواق والعادات الأندلسية ، أثرها في الأدب القشتالي حتى القرن السابع عشر ، بل يرى بعض الباحثين ان ثرفانتس أعظم كتاب اسبانيا ، قد تأثر بأساليب الملاحم العربية ، وتقاليد الفروسية الاسلامية في قصته الخالدة « دون كيخوتي » .

والفروسية العربية تغزو الاوربية

والى جانب تأثير الملاحم العربية في الأدب القشتالي، كانت تقاليد الفروسية الاسلامية تحدث أثرها العميق في تقاليد الفروسية الأوربية ، فقد نقلت فروسية اسبانيا النصرانية من جارتها اسبانيا المسلمة ، كثيرا من تقاليد الفروسية الأندلسية ثم انتقلت منها الى مختلف بيئات الفروسية الأوربية . وكانت الفروسية الأندلسية بتقاليدها النبيلة ، ومظاهرها الرائعة ، مثار الاعجاب والاجلال في مجتمعات العصور الوسطى ، وكانت بذلك تحدث أثرها في قصص الفروسية الأوربي .

أثر الموشحات والزجل

بيد ان أثر الشعر الأندلسي في الأدب العربي يبدو أعمق واشد وضوحا في ميدان الشعر الغنائي . فان الموشحات الأندلسية ، التى ابتكرها وبرع في نظمها شعراء اسبانيا المسلمة ، أثرت بأوزانها المبتكرة ذات القوافي الخاصة ، في الشعر القشتالي وفي أوزانه ، وتسرب هذا الأثر الى الشعر البروفنسي في جنوب فرنسا .

وكذلك كان للزجل الأندلسي ، الذى وصل الى ذروة افتنانه ، على يد ابن قزمان المتوفي سنة ١١٦٠ م ، والذى كانت تتمثل فيه تقاليد الأندلس الأدبية ابدع تمثيل ، أثره البعيد في الشعر الغنائي القشتالي والأوربي . وكان هذا الزجل يمتاز بنوع خاص بلونه الغنائي الأخاذ ، ونزعته الشعبية المحببة . وكانت الأزجال الأندلسية ، تغنى على ضفاف الوادى الكبير ، الفاصل بين الأندلس واسبانيا النصرانية . وكانت انغامها تتردد في الجانب الآخر ،وتحدث أثرها في توجيه الأساليب الشعرية والغنائية . وتسربت هذه الآثار كلها عن طريق اسبانيا النصرانية الى جنوب فرنسا ، والى شمالي ايطاليا ، حيث ظهرت قوية في نوع جديد من الشعر ، يمتاز بلونه الغنائي ونزعته الدنيوية اللادينية ، التى تتجه نحو أقاصيص الحب ونوازعه . وكان أبطال هذا النوع الجديد من الشعر ، طائفة التروبادور التى ازدهرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، في اسبانيا وفرنسا

وايطاليا . واستمر تأثير هـذه النزعة الغنائية في الشعر الأوربى ، فظلت قوية تتردد حتى القرن السابع عشر . وتسربت آثارها الى الشمال وظهرت في انجلترا واسكتلندا . وقد كشفت دراسات المستشرقين لأغانى ابن قزمان ، عن تتبع آثارها الكثيرة في الشعر الغنائي الأوربى .

الترجمة الكاملة لألف ليلة وليلة

ونلاحظ انه لم يترجم من قصص الف ليلة وليلة في العصور الوسطى سوى القليل ، وكان لهذا القليل ، الذى ترجم معظمه الى القشتالية واللاتينية ، أثره في ميدان القصص الأوربى . ثم ظهرت الترجمة الكاملة لألف ليلة وليلة لأول مرة في أوائل القرن الثامن عشر . ظهرت اولا باللغة الفرنسية ، ثم بسائر اللغات الأوربية ، فكان ظهورها حادثا أدبيا عظيما . وسرعان ما ظهر أثرها في مؤلفات كثير من كتاب القصص الأوربى ، ولا سيما كتاب القصص الخرافية مثل الاخوين « جريم » و « هوفمان » و « هانس أندرسن » وغيرهم .

الفن الاسلامى يستكمل شخصيته

وقد كان الفن الاسلامى في بدايته ، يعتمد على الاقتباس من تراث الحضارات التى ورثتها الدولة الاسلامية ، في البلاد المفتوحة ، مثل الحضارتين الفارسية والبيزنطية ، والحضارة القوطية في الغرب . ولكن ما كاد يأتى القرن الثالث من الهجرة ، حتى أخذ الفن الاسلامى يستكمل شخصيته المستقلة ، ويبدو في صوره المبتكرة الاخاذة ، وكان فن العمارة والزخارف يومئذ ، ابرز ما فيه من الصور الحية القوية ، فكانت القصور والمساجد في المدن الاسلامية تبدو نماذج فنية بديعة .

وظهر تأثير الفن الاسلامى في مدنية الغرب ، بنوع خاص ، في صقلية وشبه الجزيرة الاسبانية ، حيث كانت الحضارة الاسلامية تعيش هنالك على مقربة من امم غربية نصرانية . فمن صقلية تسربت مؤثرات الفن الاسلامى الى ايطاليا ، ومن الأندلس تسربت مؤثراته الى قشتالة ، ومنها الى جنوب فرنسا .

أثر العمارة الاسلامية في القصور والكنائس الاسبانية

وقد كان أثر العمارة الاسلامية ، اشد ما يكون داخل شبه الجزيرة الاسبانية ، فكانت القصور الملكية الأسبانية ، نماذج من القصور الأندلسية ، وكانت خطط المساكن في معظم المدن القشتالية ، تغلب عليها خطة المنزل الأندلسي ، بل لقد ظهر هذا الأثر في الكنائس ذاتها ، ففى كثير من الكنائس الأسبانية والبرتغالية الأثرية ، ترى خطة المسجد ظاهرة في عقودها واروقتها ، وقد أقيمت ابراج كثير من الكنائس الشهيرة على نمط المنارة الاسلامية ، واتخذت منارة « الخيرالدا » الشهيرة باشبيلية نموذجا لكثير من الابراج الكنسية في جنوب اسبانيا . ولما تضاءلت رقعة اسبانيا المسلمة لبث المدجنون عصورا ، ينقلون الفن الاسلامى الى صروح اسبانيا النصرانية . ومـا زال قصر اشبيلية الرائع ، الذى بنى على الطراز الأندلسي ، شاهدا خالدا على براعة الفن المدجنى ، وعلى عمق تأثير الفن الاسلامى .

وفي الزخرف الاسلامى

وتطور فن الزخرف الاسلامى حتى بلغ الذروة ، سواء في الشرق او الأندلس ، واتسع نطاقه حتى شمل كثيرا من التحف والمصنوعات اليدوية الدقيقة . وما زال اثر ذلك باقيا في بعض المدن الاسبانية ، التى كانت من قبل قواعد اندلسية زاهرة ، مثل طليطلة التى تشتهر بصناعة الأسلحة المزخرفة ، وقرطبة التى تشتهر بصناعة الجلود المزخرفة ، وغرناطة التى تشتهر بصناعة

الدانتلا الفاخرة ، وهذه كلها متأثرة بجمال الزخرف الاسلامي اعظم تأثير .

وكان تأثير الفن الاسلامي قويا في ايطاليا في العصور الوسطى ،حيث لبثت حضارة الاسلام قائمة عصرا في صقلية ، وقد ظهر هذا الأثر بالأخص ، منذ القرن الثاني عشر ، في شمالي ايطاليا ، حيث عمد الفنانون الايطاليون ، الى اقتباس النماذج والزخارف الاسلامية ، في كثير من التحف ، مثل الاغطية المحفورة،والصناديق العاجية المزخرفة، وفي نقوش السجاجيد والأقمشة ، وفي طراز الأثاث وزخرفه . وكان ذلك اشد ظهورا في اعمال المدرسة التوسكانية ، التي ازدهرت في القرن الخامس عشر .

والموسيقى

وقد كانت الموسيقى من الفنون التي عني بها المسلمون وكان لها ايضا اثرها في الموسيقى الغربية في العصور الوسطى. وكان الكندي والفارابي اقدم من كتب بالعربية عن الموسيقى ، وقد ترجمت كتبهما الى اللاتينية . ومنذ القرن الحادي عشر ، يبدو اثر الموسيقى الشرقية واضحا في الكتابات الموسيقية اللاتينية . وفضلا عن الكتابة ، فقد كانت الطرائق والمعارف الموسيقية ، تنقل الى الغرب عن طريق السماع ، والاتصال الشخصي .وينطبق ذلك بنوع خاص على اسبانيا المسلمة ، حيث ازدهرت بها الموسيقى وتنوعت طرائقها، ولا سيما منذ مقدم زرياب المغنى والموسيقى الكبير ، من المشرق الى اسبانيا .

وظهر هذا الأثر بوضوح في تطور الموسيقى والغناء في قشتالة وغيرها من انحاء اسبانيا النصرانية ، وما يزال هذا الأثر ملحوظا الى يومنا ، حيث تبدو النزعة الشرقية الى حد ما في الموسيقى والاغاني الاسبانية .

وقد كان للفنانين المسلمين في نفس الوقت ، فضل كبير ، في تطور الآلات الموسيقية المختلفة وتطور أشكالها وتراكيبها .

وفي ميدان الزراعة

اما في ميدان الزراعة ، فقد ساهمت المدنية الاسلامية بقسط وافر . وقد برع المسلمون في فنون الزراعة سواء في المشرق او المغرب ، واستحالت وديان الانهار العظيمة مثل الفرات والنيل والوادي الكبير ، على يدهم ، الى مروج يانعة . وظهرت هذه البراعة بالأخص في اسبانيا المسلمة،حيث كان نبوغ مسلمي الاندلس في الزراعة وتنظيم خطط الري والصرف ، واصلاح الأراضي،واستنباط المحاصيل ، من اهم عناصر تفوقهم الحضاري. وكانت بسائط شبه الجزيرة الاسبانية في ايامهم رياضا نضرة .وكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الامثال في الجودة والنماء .

وقد نقل العرب من المشرق الى اسبانيا ، كثيرا من الغراس والمحاصيل، كالقطن والأرز وقصب السكر والزعفران والنخيل ، ونقل كثير من هذه المحاصيل الى جنوبي فرنسا وايطاليا . وكانت حقول القمح وغابات الزيتون وحدائق البرتقال والتوت والكروم ، من ابدع ما ترى العين في وديان الأندلس ومروجها النضرة . واما نبوغ الأندلسيين في تنظيم وسائل الري والصرف، واستجلاب الماء، وتوزيعه بالطرق الفنية، فما زالت تشهد به آثارهم الباقية الى الآن ، في كثير من المناطق الاسبانية ، حيث ما زالت طرق الرى والصرف العربية تؤدى وظيفتها .

وفي ميدان الصناعة

وقد تركت المدنية الاسلامية في ميدان الصناعة أثرها العميق . وكان للمسلمين فضل في ابتكار بعض الصناعات الهامة او تحسينها . وكانت صناعة الورق في مقدمة هذه الصناعات حيث نقلها العرب من الصين منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، وبرع فيها مسلمو الأندلس

وانشأوا لها المصانع العظيمة ولا سيما في شاطبة وطليطلة ، ونقلها عنهم الاسبان ، ثم انتقلت الى أوربا عن طريق فرنسا وذاعت فيها منذ القرن الثالث عشر .

وقد طبق المسلمون تفوقهم في الكيمياء في ميدان الصناعة ، فبرعوا في صنع الأدوية والعقاقير ، واستخراج العطور ، وتركيب الاصباغ المختلفة ، ولا سيما اللون الذهبي .

كذلك ازدهرت صناعة المنسوجات ، ولا سيما الصوف والحرير على يد المسلمين ، واشتهرت دمشق ودمياط في المشرق ، ومالقة والمرية في المغرب ، بمنتجاتها الصوفية والحريرية الممتازة طوال العصور الوسطى . وانتقلت صناعة الحرير من الأندلس الى ايطاليا ، التي اشتهرت بصناعة الحرير في تلك العصور ، وما زالت تحتفظ بتفوقها فيها حتى الآن .

وبرع المسلمون ولا سيما الاندلسيون في صناعة الاسلحة ، وكانت الاسلحة الأندلسية من انفس ما يقتنى ، وما زالت مدينة طليطلة تحتفظ ببقية من تفوقها القديم في هذه الصناعة ، منذ ايام المسلمين .

الصناعات الدقيقة

وكذلك نبغ مسلمو الأندلس في كثير من الصناعات الدقيقة ، مثل المنتجات الجلدية الفاخرة ، التي ما زالت قرطبة تحتفظ حتى اليوم ببقية منها ، ومثل صناعة الآنية الخزفية الملونة والقيشاني الفاخر ، وهي ، صناعة ما زالت تزدهر الى اليوم في أشبيلية ومالقة . وقد لبث الموريسكيون منذ سقوط الأندلس، زهاء قرن يحتفظون بتراث آبائهم في الفنون والصناعات ، وهو تراث تلقت أسبانيا منه الكثير ، وما زالت المتاحف الاسبانية تغص بكثير من التحف والآنية الفخمة ، من صنع مسلمي الأندلس في مختلف العصور .

مساهمة حجبها تخلف المسلمين ، ونزعة التحامل عند الأوربيين

هذه اللمحات العابرة عن مساهمة المدنية الاسلامية في مدنية الغرب تقدم الينا فكرة عن الدور العظيم الذى قامت به المدنية الاسلامية في هذا الميدان. ولقد حجبت عصور التأخر والانحطاط ، التي توالت على العالم الاسلامي والعربى ، ولا سيما منذ بسط الترك العثمانيون سيادتهم بالنار والسيف على كثير من البلاد الاسلامية ، التى كانت تتمتع بمدنيات زاهرة : حجبت هذه الحقيقة التاريخية الناصعة، وغلبت نزعة التحامل والنكران ، على معظم البحوث الأوربية التى تناولت هذه الناحية . ولكن البحث العلمى المنزه لم يعدم أنصاره وحججه . ومنذ القرن التاسع عشر الى يومنا تلقى الاضواء تباعا على حقيقة هذه الجهود الحضارية العظيمة ، التي ساهمت بها العلوم والآداب والفنون الاسلامية العربية في ميدان الحضارة الانسانية .

لا بد من مسايرة الركب الحضارى

ونحن الآن في عصر العلم والمعجزات العلمية ، فاذا كنا نتحدث عن تراث المدنية الاسلامية ، وما تنطوى عليه من مجهودات علمية وحضارية عظيمة ، فليس ذلك لاستعراض مفاخر الماضي وأمجاده ، وان كان ذلك ذاته ممايحسن الوقوف عليه ، واستيعابه دائما ، ولكن لنقرر قبل كل شيء ، أنه ليس من المستحيل ان ينعكس الماضي على مرآة الحاضر ، وان الأمم العربية والاسلامية، التى ساهمت جميعا في بناء هذا الصرح الحضارى الشامخ، يجب عليها الا تدخر وسعا في ان تساير ركب الحضارة الحالى، وان تنزل الى ميدان البحوث العلمية الدقيقة ، لكي تستدرك ما فاتها من ضروب التقدم العلمى والحضارى، مدى عصور طويلة . ■■

القاهرة — **محمد عبد الله عنان**



حقوق الانسان أعلنها محمد منذ ثلاثة عشر قرنا

عن مجلة « السياسة » الكويتية :

● فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٩ ، وفى فورةمن فورات النفاق الدولى ، أعلن الساسة فى هيئة الأمم المتحدة حقوق الانسان . ثم احتفلوا واحتفل معهم الناس بالذكرى لهذا الاعلان . ومن قبل هؤلاء الساسة أعلن قادة الثورة الفرنسية هذه الحقوق عام ١٧٨٩ . فمن السهل على الذهن الاجتماعى ان يعلل صيحة الثوار الفرنسيين لحقوق الانسان بعد ان كابدوا ما كابدوا من استعباد النبلاء واستبداد القسس . ولكن من الصعب على المنطق أن يدرك ما يريده الأوروبيون والامريكيون من لفظ « الانسان » الذى أعلنوا له هذه الحقوق .

أغلب الظن انهم يريدون ذلك الانسان الأبيض المترف الذى تحدر من أصلاب اللاتين أو السكسون اما الانسان الاسمر فى امريكا وفى احراش افريقيا فهو فى رأيهم ضرب مهين من الخلق عليه كل واجب ، وليس له اى حق ، فانه ولد ليسخر ويروض ليستثمر .

المسلمون يعرفون الانسان بمعناه الصحيح لأنهم أبناء محمد ومحمد وحده هو الذى اعلن حقوق الانسان . فقد كفل الرزق للفقير بالزكاة ، ويسر الحرية للرقيق بالعتق ، واعلن الحق للمرأة بالمساواة . ولقد جاء محمد عليه الصلاة والسلام فاعلن المساواة بين الناس بقول الله عز وجل « انما المؤمنون اخوة » ، « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . ثم أعلن حرية العقيدة بقوله « لااكراه فى الدين » ، واعلن الاسلام حرية الفكر والرأى ووسع صدره لأهل السياسة حتى تعددت الاحزاب .

وهذه هى جميع جماع الحقوق الطبيعية التى كفلها الاسلام للانسان على اختلاف الوانه واوطانه والسنته . والأمر يومئذ للجهالة والرأى للضلالة والحكم للطغيان ، فانقذ بها الانسانية من اسار المادية والعصبية والاثرة .

مشاكل العرب الاقتصادية

عن مجلة « آخر ساعة » القاهرية :

● الارض السوداء المنتشرة فى أرجاء العالم العربى ، والتى تصل مساحتها الى ٩٠ مليون فدان ، يمكن ان تعطينا دخلا لا يقل عن عائدات البترول، ولكن متى يحدث ؟ ومتى نبدأ فى استغلال هذه الأراضى ؟

ان الجمهورية العربية المتحدة مثلا بعد مجهودات السد العالى ، ستزيد رقعتها الزراعية ٢ مليون فدان . بينما فى العراق يوجد ١٢ مليون فدان تنتظر من يزرعها . وفى السودان ٤٠ مليون هكتار أيضا (الهكتار ١٠٠٠٠ متر مربع) . وفى اليمن ١٨ مليون هكتار . وفى سوريا والمغرب وباقى أجزاء العالم العربى تنتشر الاراضى الزراعية الهائلة التى تنتظر من يستغلها .

فلو تصورنا أن هناك شركات زراعية عربية تستغل تسعين مليون فدان ، وتصدر منتجاتها الى العالم ، لعم الرخاء العالم العربى من تصدير المنتجات الزراعية لهذه الارض .

أما الاكتفاء الذاتى (فى العالم العربى) فهو موجود بالفعل (الى حد كبير) ، ولكنه يحتاج الى تنسيق فقط ، فبينما تستورد مصر القمح الامريكى مثلا ، تصدر المغرب القمح لأوروبا . وتستهلك الدول العربية بن البرازيل بدلا من بن اليمن ، والتبغ الامريكى والاوروبى بدلا من تبغ العراق وسوريا . واذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تحتاج لقمح الدول العربية ، فانها يمكن ان تصدر الارز اليها ، ففيها ٨٠٪ من أرز العرب. والاكتفاء الذاتى فى اللحوم متوافر أيضا ، فلدينا (٧٦) مليون رأس من الاغنام ، و١٨ مليون رأس ماعز و١٧ مليون رأس بقر وجاموس . فالمشكلة الأولى التى نواجهها هى التنسيق لحل قضايانا الاقتصادية ، والتنسيق لا بد من قيامه بين القوى المنتجة والعاملة .

حركة التعريب في العالم العربى

عن صحيفة « العلم » المغربية :

● نسمع كثيرا عن التعريب ، تعريب التعليم ، وتعريب الادارة ، وتعريف المصطلحات العلمية ، وحتى العبارات الدارجة على الألسن ، والتى نعبر بها عن حاجاتنا المادية البسيطة ، دون أن نحتاط لأن تكون كما ينبغى عربية المعانى ، عربية النطق ، عربية الجذور .

اذن فالتعريب حركة ، وجهد ، وعمل من أجل تعودنا على التفكير عربيا ، لأن لغة الكلام ليست الا صورة للمعانى التى تعيش فى الفكر . ومن أجل ذلك تضافرت جهود الحكومات العربية للتعاون فى سبيل تنسيق حركات التعريب القائمة فى مختلف الاقطار العربية . ففى ميدان تنسيق الجهود المبذولة لتعريب المصطلحات العلمية ، قاموا بجرد المعاجم الاجنبية من فرنسية وانجليزية لاستقراء كل المفاهيم الانسانية المعبر عنها فى أوربا، ثم وضع المقابل أو المقابلات العربية امام كل لفظ انجليزى أو فرنسى . ثم تأتى بعد ذلك مرحلة جرد المعاجم والكتب القديمة العربية التى تحتضن ذخيرة لغوية ثمينة ، وقد توجد فيها ألفاظ كان العرب فى القديم يعبرون بها عن بعض المفاهيم والمدركات العربية المعاصرة .

وقد انجز مكتب التعريب التابع لجامعة الدول العربية معجما قانونيا حيث قام بجرد مئات المعاجم الاجنبية واستقصى المصطلحات القانونية وترجمها. وقد أدرج المكتب ثلاث كلمات أو أكثر أمام المصطلح الغربى ، وترك للفاعلية الذاتية للفظ أن تعرض نفسها فى مجال الاستعمال .

كما قام المكتب بجرد الكتب المقررة فى المرحلة الابتدائية فى الاقطار العربية ، وطلب من الحكومات العربية جرد المصطلحات اقليميا ، لأن مشكلة المصطلح تعرقل العمل التربوى ، وتجعل التلميذ العربى ناقصا فى تكوينه الثقافى العام . واذا علمنا أن المصطلحات تتكاثر بنسبة ٣٠٠ مصطلح فى السنة علمنا مبلغ التدهور الذى يتهدد لغتنا التى قد لا تستطيع مسايرة الركب .



كان يوم افتتاح الجامعة ، يوما مشهودا في تاريخ الكويت ، شهده سمو أمير البلاد والوزراء وكبار رجال
الجامعات وأساتذتها ممن وجهت إليهم الدعوة ، أما أعضاء هيئة التدريس فقد جلسوا على المنصة

جامعة الكويت

تفتح أبوابها لأول مرة







الدولة ، وضيوف الجامعة من وزراء ومديري يتوسطهم وزير التربية الكويتي .

سمو امير البلاد يلقي خطاب الافتتاح معلنا مولد هذا الصرح الشامخ للتعليم في الكويت .

أميرُ الكويتِ يُشيد بالعلم في عِيده الأكبَر

كانت أمنية ثم اصبحت حقيقة واقعة وقامت في الكويت اول جامعة في الخليج .

(تصوير أوسكار متري)

■ في اليوم الرابع عشر من شهر شعبان من عام ١٣٨٦ هـ (٢٧ نوفمبر ١٩٦٦) .. وهو نفس اليوم الذى تولى فيه صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح ، أمير الكويت ، سلطاته الدستورية .. فى هذا اليوم ، وقف الأمير يعلن افتتاح أول جامعة فى هذه المنطقة من الوطن العربي الكبير .

وشهدت قاعة الاحتفالات الكبرى فى المبنى المؤقت الذى اختير ليكون مقرا لكليات الجامعة الجديدة ، مولد هذا الصرح الشامخ للتعليم فى الكويت .

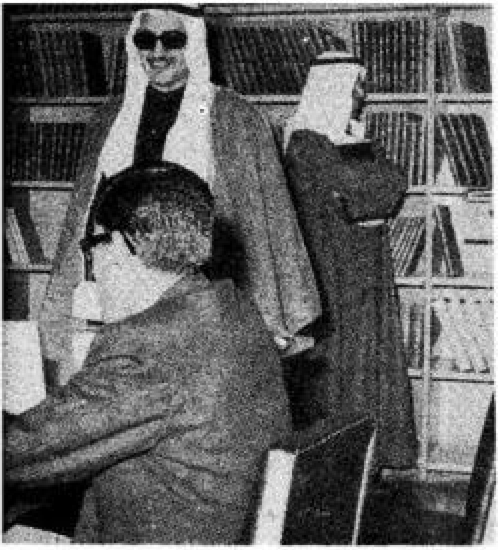
كلمة تاريخية

وفوق المنصة التي جلس عليها وزير التربية ومدير الجامعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل ، والأمين العام السيد انور النورى والاساتذة اعضاء هيئة التدريس .. فوق هذه المنصة ، وفى ابرز مكان منها ، وقف امير الكويت يلقي خطاب الافتتاح فى كلمات رائعة ، عبرت اصدق تعبير عما يعتمل فى صدره من انفعالات فى هذا اليوم التاريخي .

قال الأمير لضيوف الحفل الكبير من وزراء ومديرى جامعات واساتذة من مختلف انحاء العالم ، ممن جاءوا ليشاركوا الكويت فرحتها بجامعتها الجديدة : « فباسم الله العلي القدير نفتتح جامعة الكويت صرحا شامخا نتوج به هامة التعليم فى بلادنا ، وحصنا راسخا ذخيرته العلم والبحث العلمي ، نحمي به نهضتنا ونقيها عوامل التخلف او الجمود ، بل ونصعد بها سلم المجد درجة من بعد درجة ، على دعائم قوية من عقول وسواعد ابناء البلاد . »

العلم امضى اسلحة التقدم

ومضى الأمير يلقي خطابه التاريخي فى اعتزاز وثقة بالمستقبل ، الى ان قال : « اننا مدينون بالكثير مما نحن فيه الآن الى العلم ، امضى اسلحة التقدم فى هذا العصر ..



حديث بين الاب وابنائه :
الدكتور عبد الفتاح اسماعيل مدي
الطلبة الكويتيين بمكتبة الجامعة
النورى امين عام الجامعة وبعض

فالعلم هو الذى كشف تحت رمال الصحراء عن الكنوز النفطية الدفينة .. والعلم هو الذى حول هذا النفط الى طاقة فعالة ، وتلك الطاقة الى نهضة مباركة » .

وهكذا توج الأمير العلم فى عيده الاكبر .. عيد افتتاح جامعة الكويت .. وهو يوم تمناه شباب الكويت ، وسعت حكومتها لتحقيقه ، وتبناه اميرها ورعاه ، فتحقق فى عهده ..

أعياد اربعة

وفى كلمات وزير التربية والرئيس الاعلى للجامعة ، اصدق تعبير لهذا المعنى الكبير قال الوزير فى خطابه فى حفل افتتاح الجامعة : « هناك فى تاريخ الأمم ايام تسطر على القلوب لا يخبو شذاها ، وتتوارثها الأجيال لاتنسى ذكراها .. ايام تؤرخ نفسها بنفسها ، طالما ان آثارها تظل ابد الدهر متجددة فى حياة الأمم والشعوب .. وفى الكويت الحديث ايام لها هذا الخلود .. كانت ثلاثة فاصبحت اليوم اربعة ... يوم انبثق فيه النفط فى ارضها ...

يبلغون ما بين عشرين وثلاثين ضعفا ... بالنسبة لما بدأت به اكثر من جامعة حديثة في بلاد غيرنا ، ففيها اليوم ٤١٥ طالبا بينهم ١٧٥ طالبة ، اى بنسبة ٤٢٪ ومن بينهم كذلك ٣٤ طالبا وطالبة ينتمون الى سبع جنسيات عربية » .

هذه الجامعة الفتية ، ما هي قصتها ، ومتى بدأت فكرة انشائها ؟

كلمة مدير الجامعة

وقبل ان نجيب على هذا السؤال ، ننقل فقرات من خطاب الدكتور عبد الفتاح اسماعيل الذى اشار فيه الى الاسباب التي دفعت الكويت الى الاهتمام بهذا المشروع الكبير . قال :

« وقد اصبحت الجامعة في الكويت ضرورة ، بل كانت ضرورة منذ ان بُدىء التفكير في انشائها في عام ١٩٦٠ ، وربما قبل ذلك ، فهي جامعة وضعت – في يوم مولدها – بين شقى الرحى – فحاجات البلاد الملحة تلاحقها من جانب ، وعلى الجانب الآخر اعداد متزايدة من الطلاب الحاصلين على الثانوية العامة متعطشين الى العلم ، ساعين اليه ، ثم امامنا بعد ذلك ، عامل الزمن الذى لا يمكننا من ان نخلق بين يوم وليلة جامعة متكاملة بجميع كلياتها ، ارضا وتصميمات وبناء وتجهيزا وتوفيرا للطاقة البشرية القادرة على حمل اعباء العمل العلمي والادارى فيها ، حتى ولو توافرت الامكانيات المادية . »

« كان من الطبيعي عند بداية النهضة ، ان ان تستعين الكويت ، كما فعلت غيرها ، بالاخصائيين والخبراء في مختلف المجالات . غير انه من الملاحظ ان السرعة غير العادية التي يتقدم بها المجتمع الكويتي ، كانت اكبر بكثير من السرعة التى يتم بها اعداد ابناء الكويت من الخريجين ، اللازمين لمواجهة هذا النمو . وهنا تؤكد الاحصائيات ، التي لا يتسع الوقت لذكرها ، انه لو تكاملت اليوم كليات جامعة الكويت ، مع الاخذ في الاعتبار باقتصاديات التعليم عند الانشاء ، لما امكن سد النقص الذى يعانيه المجتمع من الخريجين ، في اقل من ٢٥ الى ٣٠ عاما وقد تزيد » .

« اما الجانب الآخر من جوانب المشكلة فيتعلق



جامعة الكويت يتحدث مع اثنين من الزوار الكويتيين . وقد ظهر الى يساره السيد أنور

ويوم نالت فيه استقلالها .. ويوم افتتح فيه اول مجلس للامة فيها .. ثم ياتي يومنا هذا .. يوم افتتاح اول جامعة في الكويت ..

« وهكذا اصبح للكويت جامعة هي سمة مميزة لعهد صاحب السمو اميرنا المفدى ، كما كانت الطفرة الشاملة في التعليم العام وغيره هي السمة المميزة لعهد المغفور له اميرنا الراحل الشيخ عبد الله السالم الصباح » ..

جامعة ولدت كبيرة

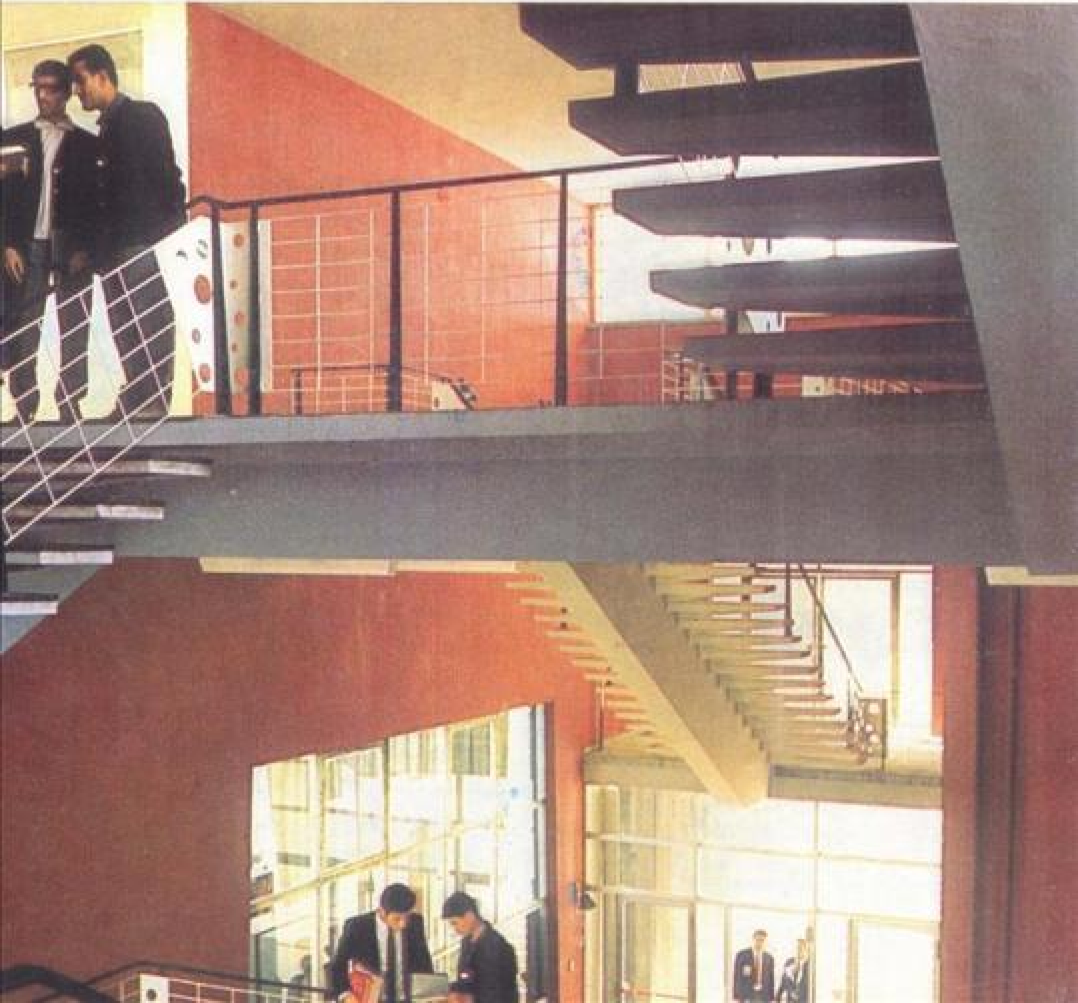
وهكذا سجل التاريخ قيام اول جامعة في الكويت . وهكذا بدات الدراسة في الجامعة التي ولدت كبيرة ، كما قال الدكتور عبد الفتاح اسماعيل مدير الجامعة في خطابه يوم الافتتاح ، اذ قال فيه :

« بدات الدراسة في جامعة الكويت في الخامس عشر من اكتوبر الماضي ، في كلية العلوم والآداب والتربية ، وكلية البنات الجامعية ، بدانا وكأن نبعا انبثق في الصحراء ، فتقاطرت من حوله الجموع تروى ظماها ، بداناها باعداد من الطلاب





طلبة الجامعة وطالباتها : أمل الكويت للمستقبل، يرتدون العباءة الجامعية « الروب » في حفل الافتتاح الكبير .. لقد كانت كل العيون ترنو هذا الجيل الصاعد .. جيل المستقبل ، في تقدير وإعجاب .







الى اسفل : على سلم الجامعة ،وقف الطلبة يناقشون اساتذتهم ويراجعون محاضراتهم

ضيوف جامعة الكويت من كبار الشخصيات العربية والاجنبية الذين شاركوا الكويت احتفالها بافتتاح اول جامعة في الخليج العربي ، لقد جاءوا يحملون تحية جامعات العالم للجامعة الجديدة .

منظر عام للمدعوين في قاعة الاحتفالات الكبرى بالمقر المؤقت للجامعة ، وقد تميز الحفل بالنظام الذى اثار اعجاب كل الحاضرين .







الى اليمين واليسار : في حديقة الجامعة انتشر الطلبة اثناء الراحة بين المحاضرات ، وراحوا يناقشون اساتذتهم ، بينما انتشرت مجموعات اخرى من الطلبة في ردهات الجامعة يراجعون ما سجلوه من مذكرات في كراريس المحاضرات . وينوى مدير الجامعة ادخال نظام الاسر في الجامعة بحيث يقسم الطلبة الى اسر يرعى كل اسرة منها استاذ جامعي يكون لها بمثابة الاب الذى يقدم النصيحة لابنائه ويرشدهم ويوجههم ويبحث مشاكلهم

باعداد الطلاب الكويتيين الذين ينتظر حصولهم في المستقبل على شهادة الثانوية العامة ، واغلبهم يسلك طريق التعليم العالي والجامعي ، بنسبة غير مالوفة » .

قصة انشاء الجامعة

ونعود الآن الى قصة انشاء جامعة في الكويت . وقد اتجه تفكير المسئولين في وزارة التربية الكويتية ، الى انشاء الجامعة منذ سنوات بعيدة مضت ، مع اول دفعة من الطلبة الكويتيين الذين اتموا مرحلة تعليمهم الثانوى ، وسافروا للخارج لاتمام تعليمهم الجامعي .. يومها تمنى الجميع لو كان في الكويت جامعة تضم طلاب العلم وتوفر عليهم مشقة السعي وراءه خارج حدود بلادهم .

غير ان مرحلة الدراسة لمشروع اقامة الجامعة لم تبدأ قبل عام ١٩٦٠ ، وكان ذلك عندما وجهت « دائرة المعارف » في ذلك الوقت الدعوة الى لجنة تابعة لهيئة « اليونسكو » ، وهي احدى الوكالات المتفرعة من الأمم المتحدة لزيارة الكويت ، لبحث امكان اقامة جامعة ..

ولبت اللجنة الدعوة ، وكانت تتالف من الاستاذ جنكر من جامعة كمبردج بانجلترا ، والدكتور سليمان حزَّين مدير جامعة أسيوط ، والدكتور قسطنطين زريق من الجامعة الامريكية ببيروت . ثم وضعت اللجنة تقريرها الذى اكدت فيه الحاجة الى انشاء جامعة في منطقة الخليج العربي .

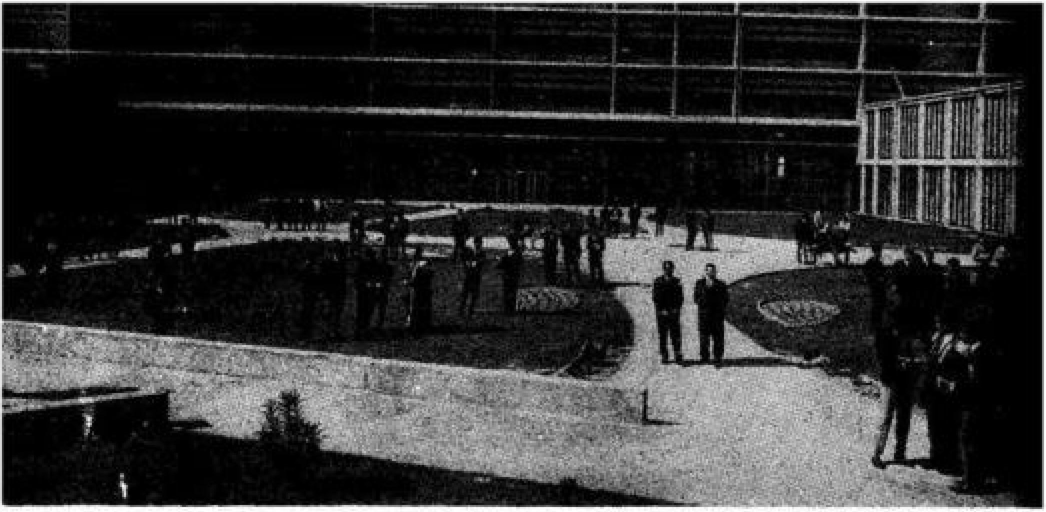
وفى عام ١٩٦١ ، انتدبت وزارة التربية الدكتور عبد الحليم منتصر استاذ النبات بجامعة عين شمس ليكون مديرا لجامعة الكويت ، واستمر في عمله حتى عام ١٩٦٣ ، وخلال تلك الفترة من اقامته اعد الكثير من الدراسات عن انشاء الجامعة وما يتطلبه تنفيذ هذا المشروع ، الا انه رئى تأجيل المشروع لأجل غير مسمى لظروف عديدة .

قرار وزارى

ومر عامان تقريبا ، قبل ان يجتمع مجلس الوزراء الكويتي في شهر يونيو من عام ١٩٦٥ ، ويصدر قرارا بانشاء كليتين ، واحدة للمعلمين واخرى للمعلمات ، وكلف المجلس وزير التربية بتنفيذ هذا القرار .

وفى شهر يوليو من نفس هذا العام طلب وزير التربية ، تنفيذا لقرار مجلس الوزراء ، الى حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، ايفاد لجنة لتنفيذ هذا المشروع .

واستجابة لهذا الطلب ، اوفدت الجمهورية العربية المتحدة في شهر سبتمبر من عام ١٩٦٥ ، لجنة برئاسة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل ، وكيل وزارة التعليم العالي لدراسة امكان تنفيذ المشروع . وبدات اللجنة عملها فور وصولها مباشرة ، تعاونها لجنة من وزارة التربية في الكويت .



الخطة الكاملة للدراسة

وبعد دراسة دقيقة استغرقت شهرين ، انبثق المجهود عن تقرير واف شامل يقع فى ٦٣٠ صفحة ، تضمن الخطة الكاملة للدراسة فى جميع سني الجامعة ، حتى البكالوريوس ، كما اشتمل التقرير على المقترحات الخاصة بتوزيع مبانى الكليتين الجامعيتين .. كلية العلوم والآداب والتربية ، وكلية البنات الجامعية ، وهما نواة « جامعة الكويت » ، بدلا من انشاء كلية للمعلمين واخرى للمعلمات كما كان يقضي بذلك القرار الاول .

وتضمن التقرير تجهيز كافة المبانى والمرافق والمختبرات ، وكذلك الاجهزة العلمية والكيماويات اللازمة لهذه المختبرات ، والمدرجات وقاعات الدراسة حتى النوادى والملاعب الرياضية .

وتحققت المعجزة

وبدأ العمل يجرى على قدم وساق على ضوء الدراسات التى تضمنها التقرير ووضعت وزارة التربية الكويتية كافة الامكانيات تحت تصرف العاملين فى انشاء الجامعة الجديدة . وواصل العاملون ليلهم بنهارهم لانجاز هذا العمل الضخم فى أسرع وقت ممكن . وفى خلال شهور قليلة لاتزيد على أصابع اليد الواحدة ، تحققت المعجزة بفضل التشجيع الادبى الذى لقيه كل العاملين من جانب المسئولين فى الدولة ، وفى مقدمتهم سمو أمير الكويت . وتم انشاء كلية العلوم والآداب والتربية ، وكلية البنات الجامعية . وفى يوم ١٥ اكتوبر من عام ١٩٦٦ ، بدأت الدراسة فعلا ، فى انتظار يوم الافتتاح الكبير ، وقد اعتبر ذلك اليوم هو بداية الحياة الجامعية الجديدة فى الكويت ... وقد كانت حياة جديدة حقا فى كل نواحيها .. حياة تختلف اختلافا جوهريا عن الحياة التى تعودها الطالب فى مراحل تعليمه السابقة .

مسئولية الطالب

فلاول مرة احس الطالب الجامعي بالمسئولية .. اصبح مسئولا عن نفسه بعد ان كانت الدولة طوال مراحل تعليمه ، قبل ان يصل الى الجامعة ، هي المسئولة عنه وعن كتبه وطعامه وشرابه وملبسه ، وكل شيء يحتاج اليه ، حتى سيارات الاوتوبيس التى تقله من البيت الى المدرسة وبالعكس .

اما اليوم ، فقد اصبح رجلا بعد ان دخل الجامعة ، وهو الدعامة الاولى لمستقبل وطنه «الكويت» ومحط آماله وامانيه وثروته الحقيقية ، لا تدانيها اى ثروة اخرى مهما بلغت وايا كانت ، كما قال امير الكويت فى خطابه ليلة الافتتاح .

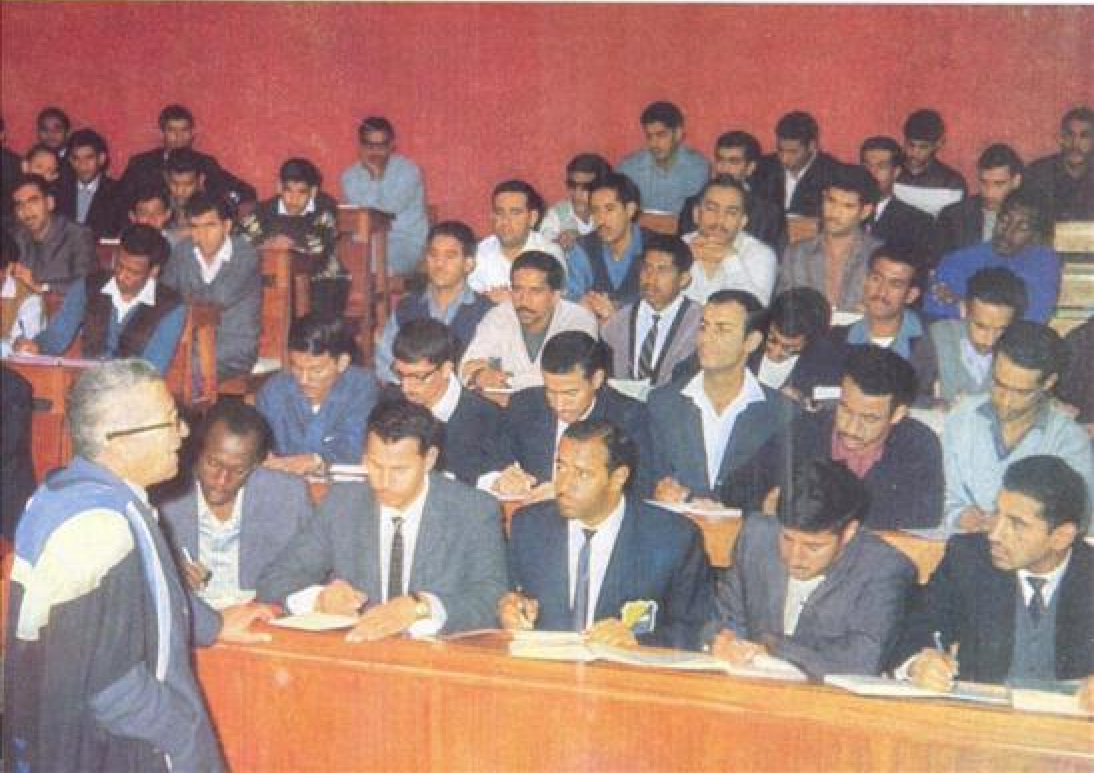
لاول مرة فى تاريخ الكويت

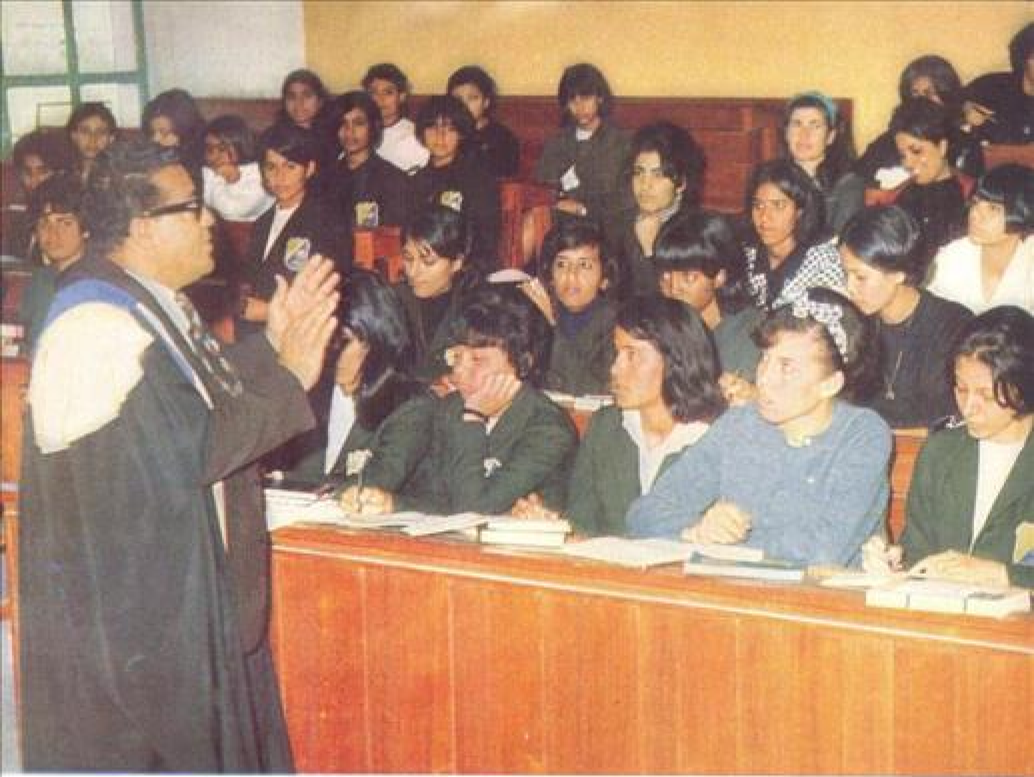
لقد اصبح الطالب فى الجامعة ، ولاول مرة فى

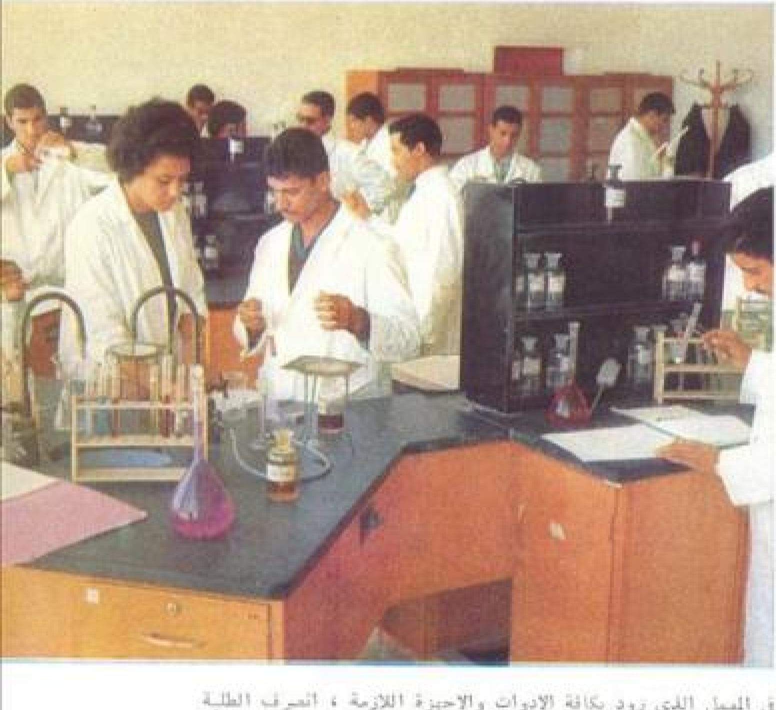


■ ■ ■

الطلبة والطالبات أثناء المحاضرات ، أن شباب الكويت يستعد من اليوم لتحمل مسئولية العمل الكبير الذي تتوقعه منه بلاده . وقد بدأ الاستعداد لمواجهة الاعداد المتزايدة من الطلبة الجامعيين في السنوات المقبلة ، ويتنظر ان يصل عددهم الى ٢٥٠٠ طالب وطالبة بعد خمس سنوات ، وتجرى الآن عملية اعداد مشروع بناء المدينة الجامعية الجديدة التي ستقام في منطقة المسيلة بالقرب من الفحاحيل .

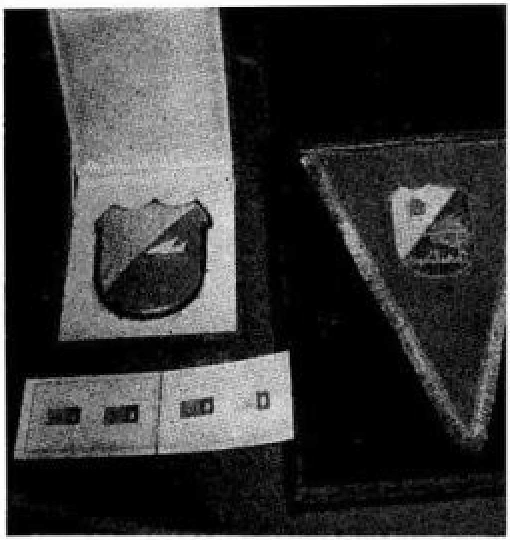








في المعمل الذي زود بكافة الادوات والاجهزة اللازمة ، انصرف الطلبة
في اجراء التجارب العملية تحت اشراف العميدة بكلية العلوم .



الهدية التي تقدمها جامعة الكويت للمدعوين الذين حضروا حفل افتتاح الجامعة . وهي عبارة عن شارة الجامعة في علبة انيقة من المخمل ، ونموذج صغير لدرع الجامعة ، وحقيبة جلدية تحتوي على تقويم الجامعة ومجموعة من الكتيبات الصغيرة لتعريفهم بالجامعة واقسامها المختلفة واوجه نشاطها .

تاريخ الكويت ، يدفع ثمن احدى الوجبات التي تقدمها له ادارة الجامعة ، وهو مبلغ ٥٠ فلسا عن وجبة الافطار . وهذا المبلغ يخصص للصندوق الذى تنفق منه الجامعة على احتياجات بعض طلبتها . ولاول مرة ايضا اصبح الطالب يدفع تأمينا للمكتبة وتأمينا آخر للمختبر ، حتى اذا اضاع كتابا او كسر شيئا عن اهمال خصم ثمنه من التأمين ..

وليست الدولة في حاجة الى هذه التأمينات ، او الى المبالغ التي تجمعها الجامعة من الطلبة ثمنا لوجبة الافطار ، ولكن المقصود بهذا هو تنمية الشعور بالمسئولية في الطالب فهو عندما يستعير كتابا من مكتبة الجامعة ، يحرص على قراءته بسرعة واعادته ، لانه يعلم ان زميلا له ينتظره ، ولانه لايريد ان يفقده ، فتخصم الجامعة ثمنه من التأمين الذى دفعه .

سيارات للطالبات فقط

حتى المواصلات ، لا شان لادارة الجامعة بها ، فالمطلوب من الطلبة ان يصلوا الى مبنى الجامعة في ساعة محددة في الصباح حتى لا تفوتهم المحاضرات ، ولكنهم احرار في اختيار وسيلة المواصلات التي تروق لهم ، سواء جاءوا بالاوتوبيسات أم بسياراتهم الخاصة ام بالدراجات . على ان الجامعة قد استثنت طالبات كلية البنات الجامعية من هذا القرار ، فقد اعدت لهن الاوتوبيسات التي تقلهن من منازلهن في الصباح وتعيدهن اليها في نهاية اليوم الجامعي .

هدية الجامعة لطلابها

وقد اهدت الجامعة كل طالب / وطالبة في بداية العام الدراسي خزانة كتب انيقة من الخشب تحتوي على مجموعة من الكتب ، من كل علم يدرسه الطالب كتابان ، والهدف من ذلك هو تشجيع الطالب في بدء حياته الجامعية كي تكون له مكتبة كاملة يزيدها بنفسه بالكتب عاما بعد عام ، فتنمية روح البحث والاطلاع هدف اساسي من اهداف التعليم الجامعي . والى جانب هذه الهدية الرمزية اهتمت الجامعة بمكتبتها الرئيسية التي يرتادها كل الطلبة في نشر المعرفة ، لا بين طلاب الجامعة واساتذتها فحسب ، بل وبين المواطنين جميعا ممن يريدون الاستزادة من المعرفة والثقافة على اعلى مستوياتها .

ولهذه المكتبة الرئيسية ومقرها المبنى الرئيسي للجامعة ، فروع ، في كل كلية ، وتبلغ ميزانية مكتبات الجامعة في العام الحالي ٤٥ الف دينار .

كما يبلغ عدد الافراد الفنيين بالمكتبات ثمانية ، وعدد الافراد الاداريين والكتابيين عشرة ، وتظل المكتبة مفتوحة طوال ساعات النهار ، حيث يقصدها الطلبة والطالبات للقراءة والاطلاع ، ولاتغلق ابوابها قبل الساعة السابعة مساء . وهي تضم الآن ما يقرب من ٥٠ الف مجلد ومرجع ومؤلف .

توزع الطلبة على الكليات

وبلغ عدد طلبة دراسات العلوم ٩٥ طالبا و ٢١ طالبة موزعين على ثلاث مجموعات على النحو التالي :

المجموعة الاولى (الرياضيات البحتة ـ الرياضيات التطبيقية ـ الفيزياء ـ الكيمياء) :

٢٢ طالبا و ١٥ طالبة .

المجموعة الثانية (الكيمياء ـ النبات ـ الحيوان ـ الفيزياء مع الرياضيات) : ٢٢ طالبا و ١٥ طالبة .

المجموعة الثالثة علم الارض (الجيولوجيا) ـ علم الاحياء (البيولوجيا)ـ الكيمياء ـ الفيزياء مع الرياضيات ـ : ٢٢ طالبا وثلاث طالبات .

أما عدد طلبة دراسات الآداب فهو ١٧٧ طالبا و ١٥٥ طالبة ، موزعين على شعبها الخمس على النحو التالي :

شعبة اللغة العربية والدراسات الاسلامية :

٢٠ طالبا و ١٢ طالبة .

شعبة اللغة الانجليزية وآدابها :

١٦ طالبا و ٢٤ طالبة .

شعبة التاريخ :

٤٠ طالبا و ٣٢ طالبة .

شعبة الجغرافيا :

٧٢ طالبا و ٣٠ طالبة .

شعبة الدراسات الفلسفية والنفسية والاجتماعية :

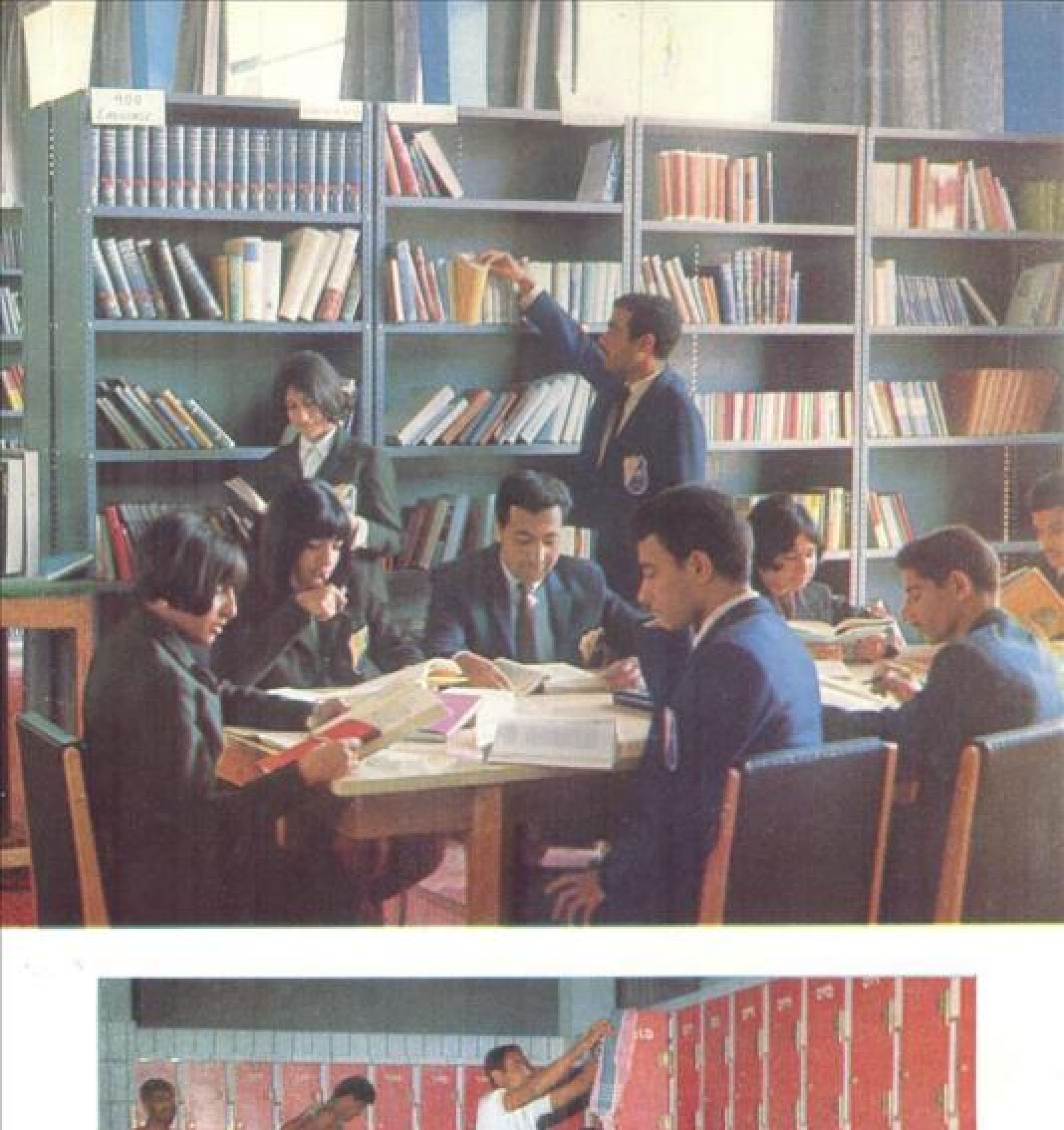
٢٩ طالبا و ٤٧ طالبة .

هيئة التدريس

ويقوم بالتدريس في الجامعة في العام الحالي هيئة من كبار الأساتذة من الجامعات العربية

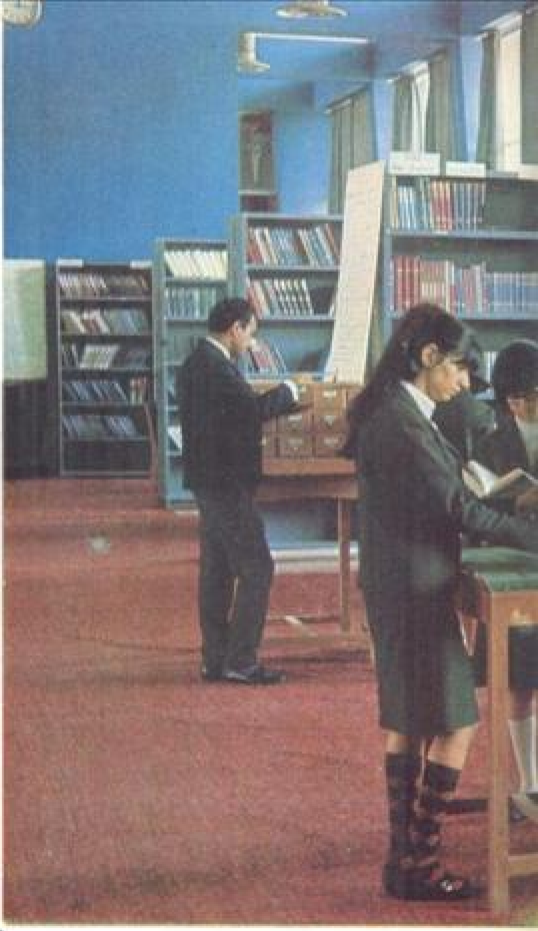
طالبات كلية البنات الجامعية يتسامرن في صالون جلوسهن العام بالقسم الداخلي ، وقد زود بجهاز تلفزيون وجهاز راديو . وهناك تلتقي الطالبات لتناول الشاي وتبادل الاحاديث في أوقات فراغهن .







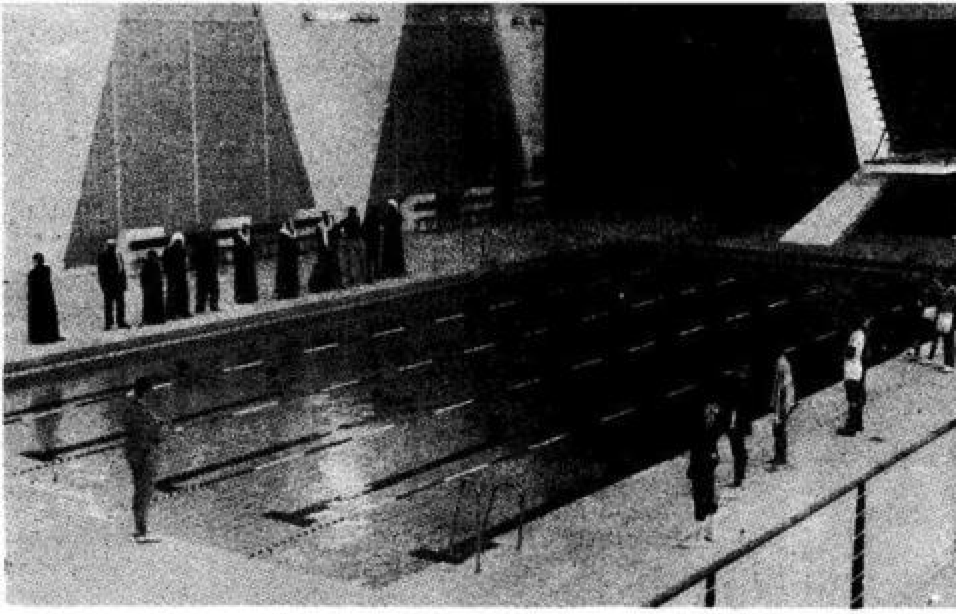
في مكتبة الجامعة يجلس الطلبة والطالبات مع الكتب ليستزيدوا من العلم ويبحثوا عن المعرفة وقد عنيت ادارة الجامعة بمكتبتها الرئيسية التي تضم الآن ٥٠ الف مجلد ومرجع ومؤلف . وتظل المكتبة مفتوحة طوال ساعات النهار ، فلا تغلق ابوابها قبل الساعة السابعة مساء ، ويشرف عليها اخصائيون في فنون المكتبات ، كما خصصت لها ميزانية تبلغ ٤٥ الف دينار سنويا من أجل تحقيق اهدافها في نشر المعرفة ، لابين طلاب الجامعة فحسب ، بل وبين المواطنين جميعا ممن يريدون الاستزادة من المعرفة والثقافة على أعلى مستوياتها .





اهتمت جامعة الكويت بالحياة الرياضية فانشأت فرقا للسباحة وكرة القدم وكرة السلة وغيرها ، ويقبل الشباب المثقف على الرياضة ايمانا منه بأن العقل السليم في الجسم السليم .

غرفة نوم الطالبات لكلية البنات الجامعية ، وفي جامعة الكويت ست طالبات من البحرين ، ينزلن في ضيافة الجامعة ويقمن في القسم الداخلي وتنام كل طالبتين في غرفة واحدة زودت بكل وسائل الراحة .



حمام السباحة بجامعة الكويت ، وتجرى فيه المياه الدافئة فى الشتاء والباردة العادية صيفا وهو حمام مسقوف ، ويتسع المدرج الذى أقيم على احد جانبيه لمئات المتفرجين .

والاوروبية . وقد امضوا جميعا سنوات طويلة فى ميدان التعليم الجامعى ، ولهم أبحاث ودراسات ومراجع علمية نشرت فى معظم انحاء العالم .

هذه هى جامعة الكويت اليوم بعد بضعة أشهر من افتتاحها . فماذا فعل المسئولون لاستكمال الكليات الجامعية من ناحية ، ومواجهة الاعداد المتزايدة من الطلبة الجامعيين فى السنوات المقبلة، وسيصل عدد المستجدين منهم الى حوالى ٣٥٠٠ بعد عشر سنوات وهذا يعنىأن تكون سعة الجامعة عند استكمالها حوالى ١٥٠٠٠ طالب وطالبة .

اما بالنسبة للكليات المنتظر انشاؤها قريبا ، فقد تم تشكيل لجنة تحضيرية لانشاء كلية للتجارة وأخرى للشريعة والقانون ، وسوف تبدأ الدراسة فى هاتين الكليتين فى العام الدراسى القادم ، فى مبنى مؤقت تشغله الآن احدى المدارس بمنطقة العديلية الغربية .

المدينة الجامعية الجديدة

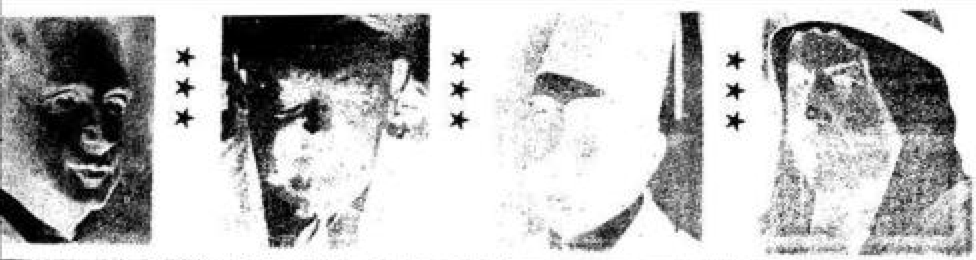
وفى نفس الوقت ، تجرى الآن عملية اعداد مشروع بناء المدينة الجامعية الجديدة ، وقد تقرر أن تقام المبانى المتكاملة للجامعة فى منطقة الشويخ بالارض المجاورة لثانوية الشويخ والكلية الصناعية ومستشفى الصباح . وستضم المدينة الجامعية جميع الكليات الموجودة حاليا التى ستفتتح فيما بعد ، مثل كليات الطب والصيدلة وطب الاسنان والهندسة بفروعها والتجارة والاقتصاد والعلوم السياسية والشريعة والقانون .

وستضم المدينة الجامعية كذلك المكتبة الرئيسية التى ستبدأ أول وحدة لها بنصف مليون مجلد ، والمطبعة الجامعية ، ومسجدا ، ومساكن للطلبة والطالبات ، ومساكن لأعضاء هيئة التدريس والفنيين ، ومطاعم ، وستادا رياضيا جديدا ، ومحطة للابحاث البحرية .

وثمة حقيقة هامة ، يجب الاشارة اليها فى هذا المجال ، وهى أن تصميم المبانى الجامعية الجديدة وضع على أساس أن تستوعب الجامعة جميع الطلبة المنتظر قبولهم فيها لفترة خمسين عاما من الزمان .

هذه هى قصة اول جامعة فى الكويت ، التى كان يوم افتتاحها عيدا فى البلاد . ■■

منير نصيف



مسابقة العربي

هؤلاء كانوا ... ثم بانوا

فمن هم؟

■ مسابقة العربي لهذا العدد تتألف من اثنتي عشرة نبذة قصيرة لاثنتي عشرة شخصية عربية واجنبية ، والمطلوب معرفة أسماء عشرة على الاقل من هذه الشخصيات للفوز باحدى الجوائز التي تقدمها مجلة « العربي » لقرائها شهرياً، ومقدارها مائة دينار .

وقد وضعنا لك فوق هذا الكلام الصور السلبية لكل هذه الشخصيات بدون ترتيب .

— ١ —

● كان خليفة لاول زعيم لمصر في القرن العشرين .

مات الزعيم بالسرطان ، وبكته البلاد قاطبة ، وسقط منه العلم فتسلمه هذا الخليفة ورفعه في ارض مصر عاليا . واضطهدوه وظلموه . وفي أوربا ظل يجاهد ويناضل لا في سبيل الاستقلال وحده ، ولكن في سبيل دفع المرض ودفع الفقر . وكان من أثرياء جيله . ولما مات حملوه الى مصر ودفن في مصر في احتفال كبير مهيب وسمي باسمه احد شوارع القاهرة الكبرى . فمن هو ؟

— ٢ —

● مشاكل العالم كانت من بعض همه . كان من عمله حل الازمات الدولية وفض الخلافات . وقف فوق أعلى منبر يبشر بالسلام ويدعو في ظل القانون الى الوئام . مات في ادغال افريقيا وهو يؤدي واجبه . فمن هو ؟

— ٣ —

● ازعجته الصورة القبيحة التي رسمتها الشعوب لبلاده ، فاقسم على تغييرها . كان اصغر رئيس جمهورية في تاريخ دولته الحافل بالانتصارات العسكرية والهزائم السياسية . كان يمثل طبقة المفكرين والمثقفين في بلاده ، ومن بين هؤلاء اختار مستشاريه ومساعديه . آمن بالحرية والقومية وكبرياء الشعوب الى حد كبير ، كما نبذ سلاح التهديد والوعيد ، فكسب قلوب الملايين داخل حدود بلاده وخارجها ، وعندما انطلقت تلك الرصاصات الطائشة لتنهي حياة هذا الرئيس الشاب ، بكاه العالم كله . فمن هو ؟

— ٤ —

● حمل الشعلة قبل أن تتخاذل اليد التي رفعتها وتموت . كان خير تلميذ لخير استاذ . كان رمزا للنهضة الحديثة في بلاده بعد أن احترقت شمعة الكفاح التي حققت لها حريتها واستقلالها . هو الامة ، والامة هو . وعندما






مرض وتقدمت به السن ، لم يأبه بنصائح الاطباء فراح يعمل حتى اللحظة الاخيرة فى حياته . وقبل آن يموت أوصى بنثر الرماد المتخلف عن حرق جثته فوق النهر الذى سبح فى مياهه . والارض التى أحبها وتعلق بها .

فمـن هـو ؟

— ٥ —

● تعلم السياسة على يد استاذها الكبير الذى احتضنه ومهد له الطريق لارتقاء اكبر منصب سياسي فى دولته . اصبح رئيسا لحكومة تلك الدولة الغربية الكبرى . ولكن شاء سوء حظه ان يرتكب فى الشرق العربي ، اكبر حماقة جرت عليه وعلى امته ، اعنف حملة استنكار شملت العالم كله . فاودت به وبمستقبله السياسى.انه يعيش اليوم منسيا فى بيت صغير بجزيرة نائية وسط المحيط ، يتجرع ذكرياته المريرة فى عزلة عن العالم .

فمـن هـو ؟

— ٦ —

● فى عهده استقلت بلاده وتحققت أمنيته ، وتحولت دولته من دولة صحراوية بادئة الى دولة من احدث دول الشرق الاوسط . كان حاكما ديموقراطيا فاشرك الشعب معه فى الحكم واعطاه اول دستور واول مجلس نيابي فى شبه الجزيرة العربية . وامام ممثلى الشعب فاجاه المرض ، ولكنه لم يهدا .. لقد ظل يعمل من اجل رفاهية شعبه حتى اللحظة الاخيرة من حياته . فمن هو ؟

— ٧ —

● أقنع نفسه بالبقاء فى الظل الى أن مات العملاق الذى كانت وفاته زلزالا غير معالم الحياة فى بلاده . ولكنه ترك اقرانه يتنازعون المنصب الكبير فيما بينهم ، ويتهاوون الواحد بعد الاخر ، حتى حانت الفرصة ، فاذا بـه رئيس دولته وزعيمها والمتحدث بلسانها فى المجالات جميعا .

غير صورة الحياة فى بلاده ، واخرجها من عزلتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاشتراكية وفتح النوافذ والابواب لكل راغب فى زيارتها ، فعرف كيف يكسب عطف مواطنيه الذين عبر بهم حدود بلادهم لاول مرة منذ ربع قرن من الزمان أو يزيد . كان زعيما قويا ، وكان فلاحا فى تصرفاته وفى أحاديثه الطريفة ونكاته الحاضرة . وحضر هيئة الامم المتحدة مع رؤساء الامم فلما ضاق بها وضاقت به ، خلع حذاءه ودق به على المنصة التى امامـه :

اختلف المعلقون السياسيون على تحديد دوره فى السياسة الدولية . البعض يرى انه ساهم فى ابعاد شبح الحرب . والبعض الاخر يقول : بل لقد ضاعف من تعقيد الموقف الدولي ! « ولا يزال العالم كله يتساءل بعد عزله باعوام عن سر اختفائه المفاجىء » !

فمـن هـو ؟

— ٨ —

● ناضل مع اخوانه فى سبيل تحرير سورية من الاستعمار الفرنسى ، وكافح فى جميع مراحل هذا الصراع كفاحا مريرا دون ان يابه بما أصابه على يد هذا المستعمر من أذى واضطهاد ، وما أكثر ما اصابه . وعندما تحقق الاستقلال لبلاده ، وقف يدافع عن القضايا العربية امام الامم المتحدة ، وكم رفع صوت العروبة من أجلها عاليا فى كل ارض وتحت كل سماء . مات ولكن ذكراه مازالت باقية فى نفس كل عربى من الخليج الى المحيط .

فمـن هـو ؟

— ٩ —

● كان من كبار رجال الاقتصاد فى بـلاده الغنية ، وكان يؤمن بالحق ويقف مدافعا عنه فى كل مناسبة وهو خارج الحكم ، فلما تولى






رئاسة الحكومة ، تحول الى اداة لتنفيذ السياسة التي رسمتها له الدول الغربية من حلفائه وبالرغم من انه درس الاقتصاد وآمن بالارقام ، الا انه فشل في حل ابسط عملية حسابية ، وهي ان صداقة مائة مليون عربي اهم بكثير من ارضاء مليونين من المغتصبين . فمن هو ؟

— ١٠ —

● استقلت بلاده ، فكان اول رئيس حكومة لها بعد الاستقلال . ولكنه اراد لها الاستقلال الاقتصادي ايضا .. الاستقلال عن الاحتكارات الاجنبية التي كانت تستنزف دم بلاده وتمتص خزائن الارض فيها . فتحالفت ضده قوى الشر والاستعمار وراحت تحيك له المؤامرات وتشترى باموالها ضمائر مواطنيه . وهكذا استطاعت أن تنهي حكمه وتنهي معه حياة هذا الزعيم الافريقي الثائر بيد زعيم الخونة في بلاده . فمن هو ؟

— ١١ —

● اشترك في قيادة الثورة التي غيرت مجرى التاريخ في بلده العربي . ولكنه وقع ضحية مطامع احد زملائه القواد العسكرين . فالقى به في غياهب السجن لينفرد هو بالحكم ويفعل ببلاده ما فعل . ومضت بضع سنوات قبل أن تندلع ثورة الجيش على الحكم المطلق ، فخرج صاحبنا من السجن ليرأس دولته وينفذ المبادىء التي قامت من أجلها الثورة الكبرى . ولكن القدر لم يمهله طويلا فمات مأسوفا عليه في طائرة عصفت بها زوبعة . فمن هو ؟

— ١٢ —

● كان ملكا لدولة عربية في افريقيا . جلس على العرش وهو شاب في الثامنة عشرة من عمره . قاد حركة الاستقلال ضد الفرنسيين ، فعزلوه ونفوه الى جزيرة مدغشقر ، حيث عاش هو وأهله بعيدا عن بلاده عامين كاملين اصبح خلالهما بطلا وطنيا . وتصور الفرنسيون عندما اعادوه الى عرشه في عام ١٩٥٧ ، أن الملك الثائر سوف يهدأ ، ولكنه ازداد ثورة عليهم ، وظل يكافح بالاشتراك مع الاحزاب الوطنية حتى قاد بلاده الى الاستقلال في ١٨ أغسطس من عام ١٩٥٧ ، ولكنه لم يتنعم طويلا بالحكم المستقل فقد وافته منيته في عام ١٩٦١ ، وخلفه ابنه على العرش . فمن هو ؟

شروط المسابقة

١ ــ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٠٠ » .
٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر ابريل (نيسان) ١٩٦٧ .
٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

■■

كوبون مسابقة

بقلم : الدكتور محمد محمود الدش

مفتش بوزارة التربية ـ الكويت

■ أقصرْ فؤادي فما الذكرى بنافعة
ولا بشافعة في ردّ ما كانا
سلا الفؤادُ الذي شاطرتَهُ زمنا
حملَ الصبابة فاخفقْ وحدك الآنا
ما كان ضرّك إذ علّقت شمس ضحى
لو ادّكرت ضحايا العشق أحيانا
هلا أخذت لهذا اليوم أهبته
من قبل أن تصبح الأشواق أشجانا
لهفي عليك قضيتَ العمر مقتحما
في الوصل نارا وفي الهجران نيرانا

هذه الابيات ، بما يتردد في ثناياها من موسيقا رقيقة ، وكلمات متناغمة رشيقة ، وحس مرهف دقيق ، ليست سوى صورة من صور ذلك الشعر الغنائي ، الذى اشتهر به شاعرنا العفّ المهذب، رقيق الحس والوجدان ، منذ ان جعل من الاغنية العربية الحديثة نبعا صافيا رقراقا،تبثه الكلمات الشفافة الرقيقة ، والمعاني الرفيعة الشريفة ، والايقاع الوجداني المؤنس الاليف ، والروح الخفيفة العذبة . واستمع معي الى قوله :

ارحمْ ياسيد الملاحْ
مُغرمْ ضناهُ البعادْ
دمعُهْ على الخدّ ساح
من حرّ نار الفؤادْ
باللي ابتليتْ بالهوى
وصرتْ مُغرمْ أسيرْ
خلّي اصطبارك دوا
حتى يهون العسير

الحب حالهْ عجبْ
يلذّ فيه العذابْ
ذكر الحبيبْ فيه طربْ
ودمع عينُهْ شرابْ

تلك هي البوادر الاولى للمدرسة الحديثة في الشعر الغنائي التي يعتبر اسماعيل صبري (باشا) رائدا لها ، وكان من اساطينها بعده احمد شوقي واحمد رامي وغيرهما من اعلام شعر الغناء .

كان اسماعيل صبري ، استاذ الثلاثة : شوقي وحافظ مطران

كان اسماعيل صبري استاذا لشوقي ما في ذلك شك . وقد اتاحت الظروف لشوقي ان يتصل باستاذه الشاعر الكريم في وقت مبكر وان يتردد على داره التي كانت منتجعا لكثير من شعراء عصره . وكان شوقي ، او قل احمد افندي شوقي الموظف بالسكرتارية في قصر الخديو ، يعرض شعره على استاذه «فيبصره بكل غميزة يجدها فيه من لفظة قلقة او معنى متهافت او صورة سوقية ، وما زال شوقي يعالج شعره تحت اشراف استاذه حتى استوت عنده ملكة الفن ، ودان له سلطان القريض واصبح لا يشعر بحاجته الى مراجعة استاذه »(١) .

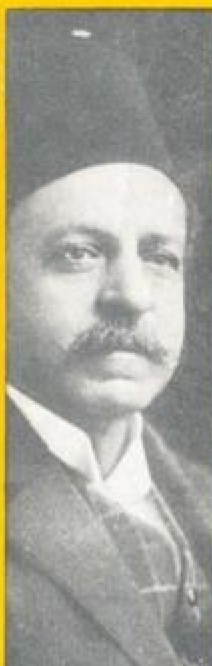
والحقيقة ان اسماعيل صبري لم يكن استاذا لشوقي وحده ، وقد اعترف له بهذه الاستاذية غير شوقي من شعراء تلك الفترة ، من بينهم حافظ ابراهيم وخليل مطران ومحمد عبد المطلب واحمد نسيم ، وهذا شوقي يذكر فضله فيقول ، وفي قوله صراحة وعرفان :

أيامَ أمرح في غبارك ناشئا
نَهْجَ المِهار على غُبار خِصافِ

(١) «حافظ ابراهيم» للدكتور عبد الحميد الجندي

إسماعيل صبري

شيخ الشعراء



أتعلم الغايات كيف ترام في
مضمار فضل أو مجال قواف

وبنفس هذه الصراحة وذلك العرفان بالفضل والاستاذية ، يحدثنا حافظ :

لقد كنتُ اغشاه في داره
وناديه ، فيها زها وازدهر
وأعرض شعري على مسمع
لطيف يَحُسُّ نبُوَّ الوتر

وما كان خليل مطران اقل منهما صراحة في الاعتراف بهذه الاستاذية حين قال :

أيْ صاحبي لقد قضى
أستاذنا البرُّ الحبيبْ
فعرا قلادتنا ، وكا
نت زينة الدنيا ، شحوبْ

وهذه القلادة التي يتحدث عنها خليل هي التي كانت تضم الاستاذ وتلاميذه ، في داره وغير داره، جالسين منه مجلس الاكبار والاجلال ، يسمع منهم ويستمعون اليه ، ذواقة وناقدا وحكما .

الدكتور محمد صبري يروي عنه

يقول الدكتور محمد صبري ، وكان صديقا له سنوات طويلة : « امتاز اسماعيل صبري على اهل عصره بذوقه . وكان عمدة الشعراء . والادباء يأتمون برأيه . كانوا جميعا يؤمون داره ، وكانت داره تذكرنا الاندية الادبية في القرن السابع عشر في فرنسا . تلك الاندية التي يرجع اليها الفضل في تهذيب اللغة الفرنسية وتجنب الكلمات الحوشية النافرة ، لان السيدات كن فيها الامرات الناهيات يحاسبن على كل لفظة ويتلطفن في الخطاب » .

ويروي عنه انطون الجميل

ويبدو أن اسماعيل صبري كان يحس في اعماقه بهذه الولاية او هذه « المشيخة » على الشعر حين فتح داره على مصراعيها للشعراء والادباء ، وظل على هذه الحال ، حتى بعد أن ادركته الشيخوخة وتمكنت منه ، وانقطع عن نظم الشعر، يقول الاستاذ

انطون الجميل « ولكن مجلسه ظل مجلس أدب وعلم . وما لقيناه مرة الا سألنا هل من شعر في البلد جديد ؟ » انه سؤال الولى الذى يريد أن يطمئن على كل جديد في أنحاء ولايته ، ويخشى ان يظهر فيها شيء لا يكون ملما بخبره وطبيعته .

المجتمع القاهري في عصر صبري

ولقد كانت القاهرة ، في هذه الفترة ، تعج بكثير من الشعراء والادباء والكتاب والصحفيين والمنتسبين الى هؤلاء جميعا من أصحاب المهن الاخرى ، من عرب مصر وغير مصر من أقطار ، بل كان منهم من غير العرب مثل جمال الدين الافغاني . والذى يقرأ تفصيلات هذه الفترة يحس بان البلد كانت أشبه بخلية النحل بمن فيها من أصحاب الكلمة ، بالقلم وباللسان ، يسعون سعيا دائما ، في الصباح وفي المساء وفي الليل أوله وآخره ، لا تفتر لهم حركة ولا تكل لهم همة ، رغم ظروف الاحتلال الاجنبي وحكم الاستعباد والاستغلال . تجمعهم حلقات على الكلمة الفنية ، او الطرفة المليحة، او الفكاهة العذبة ، او الخبر المهم ، او الحديث الطلى ، او الدرس الممتع. ليس لهم مكان معين، او مجلس خاص ، في المساجد أمكنتهم وخاصة الجامع الازهر وحلقات أشياخه ، والدور والمقاهي مجالسهم وانديتهم ، في انتظام وفي غير انتظام .

محترفو الكلام في المقاهي

وكان هؤلاء القوم من محترفي «الكلام» قد الفوا الاختلاف الى المقاهي والاجتماع فيها منذ كانت «القهوةالمصحكخانةالكبرى» في شارع الخليفة بحي السيدة زينب ، على أيام محمد علي ، وكان يتردد عليها جلة من العلماء والادباء مثل الشيخ ابي النصر المنفلوطي ، واحمد سمير ، وأمين فكري . ثم كثرت مثل هذه المجالس وتنوعت ، واصبح الاديب يجد فيها اماكن كثيرة يغشاها . واشتهرت أحياء الازهر، وباب الخلق ، والازبكية،والسيدة بمقاهيها « الادبية » التي تضم الاسماء اللامعة ونجوم الادب والفكر والفن والسياسة .

واشتهرت صالونات ادبية ومجالس علمية

كما اشتهرت دور طائفة من الوجهاء بندواتها وصالوناتها الادبية ، ومجالسها العلمية ، نذكر من اهمها : مجلس السيد توفيق البكري في داره بحي الخرنفش ، ومجلس محمود سامي البارودي في باب الخلق ثم في حلوان ، ومجلس الشيخ محمد عبده في داره وفي الازهر ، ومجلس السيدة نازلي فاضل بدارها،وصالون الآنسة مي زيادة ، وكرمة ابن هانيء في دار احمد شوقي ، « وصالون الاهرام » الادبي ، ونادي القلم ، وعيادة الدكتور محجوب ثابت . ولاتزال أمثال هذه التجمعات او المجالس تلتئم في الجمعيات والاندية الخاصة ، مثل جمعية الادباء ، والجمعية الادبية المصرية ، وجماعة الامناء ، وفي كثير من البيوت والمقاهي ، التي يضيق بذكرها هذا المقام .

وكانت دار اسماعيل صبري تعد ، على أيامه ، من اهم المجالس التي يلتقي فيها عشاق الادب والفن والموسيقى ، على النحو الذى صورنا ، بحيث كانت له في هذا المجال القاب مثل : ابن البلد ، ورجل الصالونات ، ورجل المجتمعات، وشاعر الذوق ، مما يدل على سمة مهمة من اهم سماته الاجتماعية والفنية ، التي جعلت مجلسه مالفا للشعراء ومأنسا للادباء ، رغم ان هذا المجلس كانت له رهبة في نفوس الكثيرين الذين كانوا يرونه ابعد من السعي اليه ، لارتفاع مكانة صاحبه الرسمي والاجتماعي .

اسماعيل صبري في صالون مي

غير ان رجل الصالونات ، من ناحية اخرى ، كان يسعى الى مجالس الادب خارج بيته ، وقد اثر عنه انه كان يتردد على مجلس مي زيادة أيام الثلاثاء ، حتى انه اضطر مرة للسفر فكتب اليها يعتذر عن التخلف :

روحي على دور بعض الحي حائمةٌ
كظامئ الطير توّاقــا إلى المــاء
إن لم أمتّع بمــي ناظريَّ غــــدا
أنكرتُ صبحك يايوم الثــلاثاء

واظن انه قال في « مي » هذه الابيات التي يتحدث فيها عن انها زينة المجلس تسيل فيه لطفا

وريا ، وانها الريحانة فى صحراء مجدبة ، وان جمالها يغنى عن رحيق الشراب :

ياراحةَ القلب يا شغلَ الفؤاد صِلِى
متيَّما أنت فـى الخالين دنيـــاه
زينى الندىَّ وسيلى في جوانبـــه
لُطفا يعمُّ رعايا اللطف ريَّـــاه
ريحانةٌ أنت في صحــراءَ مُجدبة
من الرياحين حيَّانـا بها اللــــه
إن غاب ساقي الطلا أو صدَّلا حرجٌ
هذا جمالك يُغنينـا مُحيَّـــاه

شعر يغنّى به

ونحن لا نعرف على وجه التحقيق اذا كان قد احب « مي » او غيرها ، ولكن الذى نعرفه ان اسماعيل صبرى كان يتغزل فى محبوبة ما ، وبمثل هـذا الشعر العذب الناعم كان يغنّى ، وكان المطربون مثل محمد عثمان وعبده الحامولي يغنون، وتردد جماهير الناس من عامة وخاصة هذا الشعر وذاك الغناء . والذى يقرأ ديوان شعره كله يحس احساسا قويا أن الايقاع الغنائى هو « المقـام » الجميـل العذب الـذى يعزفه على قيثارة فنه،بل على « ناى ابن البلد » الطروب او الشجى ، ذلك الناى الذى ترقص له الناس وتأنس فى انجذاب وانسجام ، وترديد انغام ، لانه يسكب فى آذانهم وأفئدتهم المعنى القريب السـائغ ، واللفظ السهل الرشيق . وحتى لو تغير « المقام » الموسيقى فى غناء اسماعيل صبرى أو تنوع فنه بين الغـزل والمديح والحكمة والهجاء والرثاء فانه يظل حبيبا الى النفس ، لقربة منها ورقة وقعه عليها ، ولانه دائما شعر الايقاع والغناء .

مصدر الصفة الغنائية فى شعره

فشعر اسماعيل لا يفارق خاصته الغنائية سواء كان فى غـــزل او فى غـــيره مـــن فنـــون الشـــعر التـــى تناولهـــا حتـى الحكمة والرثاء . ويعزو البعض هذه الصفة الغنائية فى شعره الى تأثره بادب الصالونات فى فرنسا وخاصة ادب « لامرتين » منذ كان يتم تعليمه هناك ، ونحن لا نرى ما يـدعو الى هـذا الاغـراب فى التفسير وتكبيد النفس مشقة التماس هذه الروح الندوية من بعيد وقد كان اسماعيل صبرى يحيا هـذه الحياة فى صالونات القاهرة فى داره وفى دار صديقه ولى الدين يكن وفى دار مى زيادة ، وكانت القاهرة على نحو ماذكرنا مترعة بهذه المجالس والندوات .

والحقيقة ان هذه الخاصة الذوقية الفنائية فى شعره اعمق فى طبعه وفى نفسه من ان تلتمسها من الخارج حيث كان اسماعيل صبرى مشغولا بدراساته القانونية الاكاديمية التى نعتقد انها لم تعطه الفرصة للقاء عريض عميق مـــع الرومانسية الفرنسية ، وحتى هذا اللقاء نستطيع ان نعزوه الى شيء اصيل فى نفس الشاعر ممتد الجذور فى فطرته وطبيعته ، ونلمحه فى مراحل حياته المختلفة، فى صفاته الشخصية وفى سماته الاجتماعية .

نشـأته

فهو شاعر قاهرى المولد والتعلم ، مدنى النشأة والتكون ، فرنسى الدرس والتثقف . ولد فى ١٦ فبراير ١٨٥٤ ، وتعلم فى مدرسة المبتديان ، ثم فى التجهيزية وأتم دراسته فى الادارة والألسن سنة ١٨٧٤ . وكان فى هذه الاثناء قد نبغ فى فنين كان لهما اكبر الاثر فى مجرى حياته ، ونعنى بهما فن الشعر وفن تحسين الخط . ولم يكن نبوغه فيهما شيئا عاديا وانما كان نبوغا قويا لافتا .

تعلقه بالخط

اما نبوغه فى الخط فقد كاد يجعل منه مدرسا فيه كما كان يريد له بعض اولى امره ، ولعله هو ايضا كان يريد لنفسه هذا الطريق ، لولا ان وزير المعارف حينذاك على باشا مبارك رأى فى نجابته غير ذلك ، وقال له : انا ضنين بذكائـك وعلمك ان تنقطع السبيل بهما فيقفا عند غاية لاتخلق بمثلك ، وانني أعدك لما هو أسمى رتبة لك واجدى على الامة من حيث الانتفاع بفضلك وكفايتك . وظل الوزير يتعهده برعايته حتى اتم دراسته ثم سافر فى بعثة الى مدينة اكس وحصل فى كليتها على الليسانس فى ابريل ١٨٧٨ .

تعلقه بالشعر

واما فى الشعر ، فقد كانت « مجلة الروضة » حريصة على نشر شعره وتقريظ الشاعر الصغير على الرغم من انه كان لايزال تلميذا فى السادسة عشرة من عمره ، وكانت الروضة تدبج باقلام الفحول والعلماء والاساتذة الكبار والنابغين من الطلاب ، وظل الطالب الشاعر يبعث بقصائده وهو فى فرنسا للنشر فى الروضة،التى تصفه بانه « المتفنن فى فنون الادب » و « احد نجباء الارسالية المصرية المقيمة بفرنسا » وما الى ذلك . وبمثل هذا التقريظ كانت صحيفة « الوقائع الرسمية » تقدم قصائده المنشورة فيها ، وكانت « الوقائع » فى تلك الايام تنشر الى جانب الاخبار الداخلية والخارجية موضوعات فى أمور شتى ، فتقول : « من ابدع ما ورد من كلام الافندية التلامذة ، المنتظم ولا جرم فى سلك كلام الاساتذة ، ما جادت به قريحة الذكى النجيب ، الذى تحسن رواية كلامه وتطيب ، اسماعيل افندى صبرى احد نجباء الفرقة الاولى بمدرسة ادارة الالسن ، وهو اقوى دليل على استعداده فى المعارف وزيادة اجتهاده ، مع مبالغة معلميه فى الثناء عليه ، بالسؤال عن حاله حين تسبت القصيدة الآتية اليه . ويقول فى هذه القصيدة التى نشرت فى ٣ سبتمبر ١٨٧٣ .

أطلعَ الكأس كوكبا في ازدهاء
وأدرْها في هالـــة الندمـــاء

عاطنيهـــا صرفا ولا تطفئْ النو
ر الـذى زان حسنهـا بالمـــاء

مجلس فيه ما جلا صـــدأ السم
ـع وقرّت بـه عيون الـرائى

من مغن يغــزو الهموم بأوتـــا
ر فتنجـوى أعنــة الأهـواء

وغزال أحلى من الأمــن يسعى
بكئوس الغــرام والصهبـــاء

وبمثل هذه الروح الندوية وهذه الصفة الفنائية ، التى نشات مع اسماعيل صبرى وفنه ، مضى يعزف شعره ويغنيه ، رقيقا كرقة طبعه ، خفيفا كخفة ظله ، مليحا كملاحة مجالسه ، انيقا كاناقة مظهره ومخبره .

تقاعده

وظلت الصحف والمجلات فى عصره كالروضة والوقائع والمؤيد وغيرها تتلقف اشعاره بعد أن عاد من دراسته فى فرنسا ، وعمل فى سلك القضاء بالقاهرة والاسكندرية وعواصم الاقاليم ، وحظى بنياشين عدة ، وبالالقاب المعروفة فى عصره (الباكوية والباشوية) حتى وصل الى وظيفة النائب العام ، وكانت هذه اول مرة تسند فيها الى مواطن مصرى ، وذلك عام ١٨٩٥ ، ثم محافظا للاسكندرية فوكيلا لوزارة الحقانية (العدل الآن) الى ان طلب اعتزال الخدمة سنة ١٩٠٧ وتفرغ للادب والشعر حتى اعجزته الشيخوخة وانتقل الى رحمة الله فى ٢١ مارس ١٩٢٣ بقصره فى شارع القصر العينى أمام كلية الطب ودفن بالامام الشافعى بالقاهرة .

ثقافته الأولى مجهولة

ومن عجب ان نشاة هذا الرجل الكبير وثقافته الفنية الاولى لا تزال مجهولة ، سوى ما عرف من تبكير نبوغه فى فنى الخط والشعر على نحو ما قدمناه ومن أسف ان اصدقاءه وتلاميذه ومعاصريه لم يكتبوا ما يشفى الغلة وينقع الصدى فى هذا السبيل . ومعذلك فاننا نعرف من الاخبار القليلة التى وصلتنا انه وهو صغير قرأ ديوان عمر بن الفارض . ويذكر ذلك صديقه وجامع ديوانه المرحوم الاستاذ احمد الزين حينما يشير الى المحسنات البديعية فى بواكير شعر اسماعيل صبرى والى انها سرت اليه كما حدثه الشاعر « من قراءة ديوان عمر بن الفارض وهو صغير ، ومخالطته لبعض ادباء الشيوخ ، الذين كانوا يطربون لهذا النوع من الشعر كل الطرب ويشجعون قائله كل التشجيع » .

اعجاب صبرى بالبحترى وتأثره به

كما كان اسماعيل صبرى معجبا بشعر البحترى

كل الاعجاب « مدمنا لقراءته ، مفضلا له على غيره من الشعراء » وقد روى انه حين قرأ ديوان البحترى خيل له انه لم يقرأ شعرا قبله . ولذلك يعقد الدارسون مقارنة بين قصيدة البحترى فى الخليفة المتوكل :

أُخفي هوى لك في الضلوع وأظهر
وأُلام فى كمد عليك وأُعذر

وبين قصيدة اسماعيل صبرى فى عباس الثانى التى يقول فيها :

بعلاك يختال الزمان تبخترا
وبقدرك الأسمى يتيه تكبرا

بذرة فطرية

ومن ثم ذهب البعض الى حد استقصاء المعانى والالفاظ فى شعره ، فى مقارنة له بشعر البحترى وابن الفارض ، ومع ذلك فاننا حين نقرأ ديوان اسماعيل صبرى نجد انه يذكرنا فى اماكن مختلفة منه بشعر الشريف الرضى فى عفته وسماحته ، والبهاء زهير فى خفة روحه وسهولته ، وابن الفارض فى صفائه وصدقه وشفافيته ، والبحترى فى ايقاعه الموسيقى وجماله ورقته .

وليس معنى هذا اننا نذهب الى البحث عن شاعرية اسماعيل صبرى فى هؤلاء من شعراء العرب وفى لامرتين من شعراء فرنسا ، وانما نقف ، كما وقف الدكتور مندور ، عند حد تسجيل التجاوب بينه وبينهم « تأثيرهم فيه لا يعدو أن يكون قد عزز اتجاهات نفسه وساعد على نمو البذرة التى فطرت فيه » .

ونشأة حضرية

ونضيف ان هذه البذرة الفطرية وجدت الجو الصالح والبيئة المناسبة لكى تؤتى ثمارا ، وذلك فى نشأة الشاعر الحضرية القاهرية ، وفى ثقافته الفرنسية ، وفى حياته الندوية فى مجالس القاهرة الأدبية وصالوناتها، لا سيما تلك المجالس الخاصة التى كانت تنعم بمؤانسة الاديبات من الجنس اللطيف . واقرأ معى ، حينما يعارض قصيدة « ياليل الصب » للقيروانى ، اذ يقول :

أقريبٌ من دَنِف غدُهُ
فالليل تمرّد أسودهُ
والتفت تحت عجاجته
بيضٌ في الحى تؤيده
في القصر غزال تُكبره
غزلان الرمل وتحسده
كم صغت التبر له شركا
وقضيت الليل أنضده

فهذه الفتاة التى يغرم بها اسماعيل صبرى ، ويقضى من اجلها الليل ساهرا يناجيها ويصوغ فيها الشعر يسكبه وينضده ، انما هى فتاة عربية حضرية ، بل قاهرية تعيش فى قصرها ومن حولها بل من حوله هو ايضا الحسان البيض يساعدنه على الألم والسهر . فالشاعر ناعم مترف حتى فى حبه وفى عشقه ولا يريد معشوقته الا مترفة منعمة:

ياظبيةً من ظباء الإنس رائعة
بين القصور تعالى الله باريكِ
هل النعيم سوى يوم أراك به
أو ساعة بتُّ أقضيها بناديك
وهل يعد على العمرَ واهبه
إن لم يجمّله نظمُ الدر من فيك

وتكاد لا تتغير صورة هذه الفتاة المنعمة ، ابنة الترف والقصور ، التى تتهادى فى ناديها ، تنثر الدر البليغ بين الحاضرين ، والشاعر يشتاق اليها ويسهر من اجلها ، كلما ابتعد عنها وعن مجلسها ، وهو لا يبغى منها شيئا ، سوى أن يكون قريبا منها وفى حمى رضاها :

أصبوا إليك إذا النسيـ
ـمُ سرى يمثّل لى شذاكِ
أو دارت الكاسات بالصـ
ـهباء تُخبر عن لماك

وأعد قربك مشتهاي وغابي القصوى رضاك

هذا خيال مترف ، ومعنى شريف ، وقصد نظيف،وغناء انيس لطيف ، فيه صدق اى صدق، يؤذن به هذا الوضوح فى التعبير ، وتنبىء عنه هذه العاطفة الشفافة المؤنسة . ويبلغ ذلك كله منتهاه عند الشاعر فى قصيدته المشهورة « لواء الحسن » التى نظمها حينما أريد ترجمة بعض شعره الى اللغة الفرنسية مع مختارات من الشعر العربى ، فجاءت القصيدة رائعة من روائعه ، لم يخالف فيها طبيعته ، ولم يغير اتجاهه او طريقته ! يقول فى اولها :

يا لواء الحسن أحزاب الهوى
أيقظوا الفتنة في ظلّ اللواءْ
فرّقتهم في الهوى ثاراتهم
فاجمعي الأمر وصوني الأبرياء
إن هذا الحسن كالماء الذي
فيه للأنفس رِيٌّ وشفاء

ويمضى الشاعر فى تصوير هذه الحسناء التى رفعت لواء الجمال فقادت أسرابه وكتائبه وكيف أنها تتهادى فى محفل العشاق ، سافرة بجمالها الذى لم يخلق للحجاب ، تنشر الهناء ، وتنفخ العبير ، وتنثر درر الحديث ، وتوزع الابتسام وتخطر فى اختيال يليق بالجمال ، الى ان يقول :

لاتخافي شَطَطا من أنفس
تعثر الصبوة فيها بالحياء
راضت النخوة من أخلاقنا
وارتضى آدابَنا صدقُ الولاء
فلو امتدت أمانينا الى
مَلَك ما كدرت ذاك الصفاء
أنت رُوحانية ، لاتدّعي
أن هذا الحسن من طين وماء
وانزعي عن جسمك الثوب يَبِنْ
للملا تكوينُ سكان السماء
وأرِي الدنيا جناحيْ مَلَك
خلف تمثال مصوغ من ضياء

وطنيته

وجميع الذين عاصروه وعاشروه يجمعون على انه كان على خلق رائع وذوق رفيع،كريما فى صداقته، شريفا فى خصومته ، حفيا بزائريه ، بسيطا فى جده ، انيسا فى دعابته ، قريبا فى اصفيائه ، انيقا فى ملبسه ، رقيقا فى حاشيته ، ضنينا بشكواه ، كما كان كريم النفس الى ابعد حدود الكرامة ، ولعل هذه الصفة العظيمة هى التى حالت بينه وبين كرسى الوزارة ، وحرى بالنفس الكريمة أن تكون فى وطنيتها كبيرة غيورا ، وكذلك كان اسماعيل صبرى يعتز بوطنيته فى صدق وحرارة ، واشتهر عنه انهفىعهد السلطان والاحتلال الانجليزى لم يزد انجليزيا واحدا ، وان اللورد كرومر كان يستميله لزيارته ، فلم يفعل ، قيل له : لعلك لو فعلت كنت اليوم رئيسا للوزارة ، قال : وماذا تفيدنى رئاسة الوزارة غير اغتصاب ضميرى، وارضاء ذوى المطامع واصدقاء الجاه .

ومن مواقفه الوطنية المشهورة ، حينما كان محافظا للاسكندرية ، ان الحكومة ارادت ان تمنع مصطفى كامل ــ وبينهما صداقة ومحبة ــ من ان يخطب فى الشعب السكندرى ، بدعوى الخوف على الامن العام والنظام ، وانتهاك احكام القانون . ولكن اسماعيل صبرى تحمل المسئولية كاملة ، ورد على السلطات « أنا مسئول عن الامن والنظام فى محافظتى، محتمل ما تعقبه هذه الخطبة من تبعات » ، ولقى مصطفى كامل الجماهير ، لقاء الزعيم الوطنى ، فى حماية المحافظ الشاعر الغيور ، الذى كان يذيل كثيرا من قصائده بتوقيع الشاعر المصرى القديم « بنتاءور » .

ان اسماعيل صبرى الذى بدا حياته الفنية يعزف غنائياته على أوتار الشعر التقليدى فى المدح وغيره،انتهى وقد ترك التقليديات الى تغريد وجدانياته الصادقة ومعزوفاته العاطفية الرائعة

ولم يعد يغني غير ذوب نفسه او يرسل غير نسائم وجدانه وضميره ، واسمع معي هذه المعزوفة الحماسية الوطنية :

لا القوم قومي ولا الأعوان أعواني
إذا ونَي يوم تحصيل العلا واني
ولست جبار ذا الوادي إذا سلمت
جباله تلك من غارات أعواني
لاتقربوا النيل إن لم تفعلوا عملا
فماؤه العذب لم يخلق لكسلان
رِدُوا المجرة كدّاً دون مورده
أو فاطلبوا غيره ريا لظمآن
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكم
لاتتركوا بعدكم فخرا لإنسان
لا تتركوا مستحيلا في استحالته
حتى يُميط لكم عن وجه إمكان

وهكذا ظل يفرد مقطوعاته الغنائية وقصائده الوجدانية ، مغنيا تجاربه الخاصة ، في الوطنية الصادقة ، وفي الحياة يشكوها ويصرف النظر عنها ، وفي المداعبات والفكاهات يصرف بها هموم الدنيا ، وفي رثاء اصدقائه وخلانه يودعهم وينتظر يومه ، بل يغني لهذا اليوم وكأنه يرنو الى امنية حلوة :

إن سئمت الحياة فارجع إلى الأر
ض تنم آمنا من الأوصاب
تلك أمٌّ أحنى عليك من الأم
م التي خلفتك للأتعاب
لاتخف فالممات ليس بماح
منك إلا ما تشتكي من عذاب
كل ميْتٍ باق وإن خالف العنـ
ـوانُ مانُصَّ في غضون الكتاب
وحياة المرء اغتراب فإن ما
ت فقد عاد سالما للتراب

ذلكم الرجل الحكيم الذي عرف الحقيقة ووصل اليها بعد طول تامل في الدنيا وفي الناس وفي حياته ، تلك الحياة التي بلاها من فرارها منذ كاد يعمل مدرسا للخط في احدى المدارس ، يافعا من اوساط الناس او من أدناهم ، ثم طالبا نجيبا موهوبا في القاهرة وفي فرنسا ، ثم قاضيا نزيها اخلاقيا فوجيها انيسا ظريفا لم تفارقه خلال ذلك كله الرقة الحضرية ، والطرفة الندية ، والمزاج الرقيق ، والشعور المرهف ، والذوق الرفيع والوطنية الحارة ، فغنى ما طاب له الغناء، وشدا ما حلا له الشدو ، مترفا لا محترفا ،بسيطا في غير ابتذال ، عظيما في غير كبر ، دنت له الحياة فحلب اشطرها ، واكتنه سرها ، فترك لنا فيها ولغيرنا انغام نفسه ، وامنيات روحه وروح عصره.

وحسب اسماعيل صبري انه ترك لنا صورة شعرية غنائية تعد من أرقى وأنقى الصور الغزلية، التي خلت تماما من النزوات البشرية والنزعات الجسدية ، وتنزهت عن ذكر النهود والقدود والارداف والخصور وما اليها مما يشيع في الشعر الاثارة الغريزية والشهوة الحيوانية ، فكان بذلك شعره موائما لخلقه ، وفنه ملائما لطبعه وسجيته، بما اشاعه فيه من استيحاء لصنوف الجمال ، الجمال فيالروح وفي الخلق وفي العقل وفي الحديث وفي الظروف وفي مختلف المعنويات التي يرتفع بها الانسان ويسمو على الحيوان ويمتاز بها عنه . بل حسبه انه جعل من الاغنية العربية الحديثة انموذجا رفيعا في المعاني ، وفي العبارات ، حتى حين يصوغها في لهجة عامية لها نصيبها الوافر من العلو والارتقاء ومن الصور العاطفية الشعرية والاحساس الوجداني الخالص ، ومن الموسيقية الغنائية الحبيبة ، فكان تلميذه من بعده ، أحمد شوقي امير الشعراء احد الذين انتموا بمذهبه وروحه في هذا الاتجاه .

■■

دكتور محمد محمود الدش

طرائف عربية

دفنتها فى أكرم بقعة

● نزل عبد الله بن جعفر الى خيمة اعرابية ، وكانت عندها دجاجة ، وقد امسى عندها، فذبحتها ، وجاءت بها اليه، وقالت : يا ابا جعفر هذه دجاجة ، كنت اطعمها من قوتي ، والمسها فى آناء الليل فكأنما المس بنتا نزلت من كبدى ، فنذرت لله ان ادفنها فى اكرم بقعة ، فلم اجد تلك البقعة المباركة الا بطنك ، فأردت ان ادفنها فيه .

فضحك عبد الله بن جعفر وامر لها بخمسمائة درهم .

الولد سر أبيه

● قال الجاحظ ، زعموا ان رجلا بلغ فى البخل غايته ، وانه كان اذا صار فى يده الدرهم خاطبه وناجاه . وكان مما يقول له : كم من أرض قطعت ، وكم من كيس قد فارقت ، وكم من خامل قد رفعت ، لك عندى الا تضحى ولا تعرى ، ثم يلقيه فى كيسه ويقول له: اسكن على اسم الله فى مكان لاتزعج منه .

وقيل انه لم يدخل فيه درهم قط فاخرجه .

فكان اهله منه فى بلاء عظيم ، وكانوا يتمنون الخلاص منه بالموت ، والحياة بدونه ، فلما مات وظنوا انهم استراحوا منه ، قدم ابنه من سفر فاستولى على ماله وداره ثم قال : ماذا كان ادام ابى ، فان اكثر التبذير انما يكون فى الادام ، فقالوا : كان يأتدم بقطعة جبن عنده ، فقال : ارونيها . فأتوا بها . فاذا فيها خدش من اثر مسح اللقمة . فقال لأهله : ما هذا الخدش ؟ فقالوا : كان لا يقتطع شيئا من الجبن ، وانما كان يمسح على ظهره . ثم قالوا : كيف تريد ان تصنع ؟ فقال : اضعها من بعيد ، فاشير اليها بلقمة الخبز .

صحائف

● قال المعتمر بن سليمان ، كان رجل من الاتقياء ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه . فكتب ثلاث صحائف . فأعطى كل صحيفة رجلا .

وقال للاول اذا اشتد غضبى فقم الى بهذه الصحيفة وناولنيها .

وقال للثانى : اذا سكن بعض غضبى فناولنيها .

أقوال مأثورة

* أربعة تؤدي الى أربعة ، العقل الى الرياسة ، والرأى الى السياسة ، والعلم الى التصدير ، والحلم الى التوقير !
* أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه .
* العاقل المحروم خير من الجاهل المرزوق .

ما أشبه ما بين الانسان والحيوان

● قال الجاحظ: هناك صفات متماثلة بين الانسان والحيوان ، ويبدو هذا واضحا فى الأخلاق خاصة ، فليس أحد من الخَلق الا وفيه خُلق من اخلاق الحيوان .

فاذا رايت الرجل غليظا فى طبائعه قويا فى بدنه ، لا تؤمن بائقته ، فألحقه بعالم النمور .

وان رايت انسانا يهجم على الأموال والارواح ، فألحقه بعالم الأسود ، وخذ حذرك منه، كما تأخذ حذرك من الأسد.

واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فألحقه بعالم الثعالب .

واذا رايت من يمشي بين الناس بالنميمة ويفرق بين الأحبة فألحقه بعالم الظربان ، وهى دابة صغيرة تقول العرب عنها ، عند تفرق الجماعة ، « مشي بينهم الظربان » فتفرقوا .

واذا رايت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المراة لبعلها ، يبيّض ثيابه ، ويعدّل عمامته ، وينظر فى عطفيه ، فألحقه بعالم الطواويس .

واذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ، ويجازى بعد المدة الطويلة على السقطات ، فألحقه بعالم الجمال ، والعرب تقول « أحقدُ من جمَل » .

سلك طريق الرسول

● قيل لما وَلِيَ عمر بن عبد العزيز ، اخذ فى رد المظالم ، فبدأ بأهل بيته واقرب الناس اليه. وحدث أن اجتمعوا الى عمة له كان يعزها ويكرمها ، وسألوها ان تكلمه فيما اعتزم . فقال لها : « ان رسول الله سلك طريقا ، فلما قبض ، سلك اصحابه ذلك الطريق الذى سلكه الرسول ، فلما أفضى الأمر الى بعضهم جرّه يمينا وشمالا . وايمُ الله لئن مدّ فى عمرى لأردته الى ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله واصحابه . فقالت له: يا ابن اخى ، انى أخاف عليك منهم يوما عصيبا . فقال : « كل يوم اخافه ، دون يوم القيامة ، فلا آمنيه الله » .

تمنع الغضب

وقال للثالث : اذا ذهب غضبى فناولنيها . وكان قد كتب فى الاولى ، اقصر مما انت فيه ، انك لست باله ، انما انت بشر يوشك ان يأكل بعضك بعضا . وفى الثانية : ارحمْ من فى الارض يرحمك من فى السماء . وفى الثالثة : احملْ عباد الله على كتاب الله ، فانه لا يصلحهم الا ذاك .



أروع الكتب الامريكية

عن صحيفة النيويورك تايمز الامريكية :

● لقد مرت سنة ١٩٦٦ دون ان يظهر فى الولايات المتحدة الامريكية كتاب ممتاز واحد بين الكتب العديدة التي ظهرت فى الشعر . كذلك لم تشهد السنة الماضية سيرة او ترجمة امريكية رائعة واحدة ولا مؤلفا هاما واحدا فى التاريخ!

ويبدو ان الشؤون الحيوية ومواضيع الساعة ، وخاصة ما اتصل منها بمواطن القوة فى حياة امريكا والامريكيين ، هي التي استأثرت بأكثر ما ظهر من كتب جدّية فى العام المنصرم . الا ان كتبا فى مواضيع كهذه لا تعدو كونها عرَضية الأثر زائلة . فقد يؤول امرها الى النسيان بسرعة رغم عناوينها الرنانة ومواضيعها الهامة بما فى ذلك الحرب الفتنامية والنعرة العنصرية وحادث اغتيال الرئيس الراحل كندى .

وقد يأتي يوم لا يبقى فيه من كتب عام ١٩٦٦ الا كتاب واحد فقط هو (الاستجابة الجنسية فى الانسان Human Sexual Response) بقلم وليم هـ. ماسترز William H. Masters وفرجينيا ى . جونسون Virginia E. Johnson .

ولعل هذا الكتاب ، وقد كان اروع الكتب العلمية خلال السنة الماضية ، لعله هو الكتاب القيّم الهام الوحيد بين الكتب الامريكية التي ظهرت سنة ١٩٦٦ اطلاقا .

الحرب الفتنامية قضية الشعب الامريكى الحيوية

عن مجلة الليسنر البريطانية :

● لقد كانت الحرب الفتنامية موضع اهتمام الخاصة من الامريكيين دون العامة ، حتى اواخر سنة ١٩٦٥ . فمنذ ذلك الحين وعدد المحاربين من الأمريكيين فى تلك البلاد النائية فى تكاثر . ومنذ ذلك الحين ايضا واهتمامهم بتلك الحرب وتطوراتها فى تزايد ، حتى اصبح لكل فرد منهم راى فى تلك الحرب ، وتولد فيمن لا راى له الشعور بأن من حقه ان يكون له مثل ذلك الراى . .

فضلا عن ذلك فقد انتشرت خيبة الأمل بين سائر الامريكيين . فالجهود الهائلة والأموال الطائلة التى ما زالت تنفق فى سبيل هذه الحرب تبدو لهم عقيمة الى حد كبير . اضف الى ذلك ان اثر هذه الحرب فى اقتصاديات البلاد قد بدأ يظهر ، تارة بصورة تضخم اقتصادي لم يعد خافيا على أحد ، وتارة أخرى بصورة ضرائب جديدة تلوح فى الأفق فلا يستبشر بها أحد .

تقارير الارصاد الجوية فى المـيزان

عن مجلة الايكونومست البريطانية :

● يعتقد الراصدون الجويون فى بريطانيا أن فى وسعهم مد بعض الصناعات البريطانية بالمعلومات والتقارير التى تكفل لتلك الصناعات مزيدا من التوفير .

الا ان الشعب البريطاني لايقيم وزنا كبيرا للارصاد الجوية وقد اعتاد افراده الحصول على تقاريره مجانا ودون مقابل . ومن ذلك ان الذين اتصلوا بمصلحة الارصاد بقصد الحصول على معلومات معينة بالمجان قد بلغ عددهم نحوا من (٨) ملايين خلال سنة ١٩٦٥ !أضف الى ذلك ان المحاصيل الزراعية التى تم انقاذها نتيجة الانتفاع بتقارير الارصاد الجوية تقدر قيمتها بنحو ١٠ ملايين جنيه استرليني خلال السنة المذكورة . وبالرغم من هذا وذلك كله فان فكرة دفع رسم زهيد لقاء هذه التقارير الجويه التى تعود بالنفع والفائدة على افراد الشعب وهيئاته ،وفق الحاجة ، تبدو فكرة مستهجنة بالنسبة الى سائر البريطانيين .

اما الصناعات والمصالح التي تستطيع دوائر الارصاد الجوية افادتها اكثر من غيرها فهي انشاء المباني والطرق ،واعمال الهندسة المدنية عموما ،واعمال تخطيط المدن واعمال الهندسة المائية . هذا فضلا عن الزراعة كما لايخفى .

أزمة روديسيا والسبيل الوحيد الى حلها

عن صحيفة المانشستر جارديان البريطانية :

● ثمة قرار حاسم خطير ينبغي لبريطانيا ان تتخذه بشأن روديسيا ! ولعل الافريقيين السود ، من أهل تلك البلاد ، يدركون ذلك تمام الادراك بقدر ما يذكرون أننا ملتزمون بتحريرهم منذ البدء . فهم ليسوا من القديسين لينسونا هذا أو ليغفلوا عما يترتب علينا فعله . وسيأتى اليوم الذى توضع فيه الأمور فى نصابها ، والذى سنلقى فيه من اللوم والانتقاد على تأخرنا ومماطلتنا فى انهاء الازمة أضعاف ما سنلقى من الشكر والاطراء على وضع حد لها .

هذا ومصلحة الشعب الروديسي هي طبعا فوق كل اعتبار . على أن مصلحة الروديسيين ، وهم من السود بنسبة ٩٥ ٪ ، ليست فى حصولهم على الديمقراطية وحكم الأكثرية فورا . ولاهى طبعا فى استمرار خضوع الاكثرية السوداء للاقلية البيضاء . فانتقال السلطة التدريجى المرحلى الى الأغلبية السوداء هو الاسلوب أو الحل الكفيل بتحقيق مصلحة شعب روديسيا كله .

لقد أدركت سائر الحكومات البريطانية السابقة ذلك وسعت مرارا وتكرارا الى اقناع البيض من أهل روديسيا بذلك الحل . ولكن جوابهم على كل اقتراح بتنحيتهم عن السلطة ، ولو بالتدريج ،كان يأتى دائما بالرفض .

وهكذا فقد آن للحكومة البريطانية أن تثبت رفضها المطلق لما تسعى اليه الشرذمة البيضاء فى روديسيا من احباط لسياستها الخارجية والاقتصادية وما تحاوله تلك العصابة من عبث بتعهداتها الملزمة لها ازاء سكان مستعمراتها . ومع ان هذه الصحيفة لا ترحب باستعمال القوة العسكرية كوسيلة لتسوية النزاعات ، الا انها قد أعياها الزعم والتضليل بأن الأزمة الروديسية يمكن حلها بالمداورة والمراوغة .

■■

يهودي يستيقظ ضميره فيعلن الحرب على الصهاينة في كتابه

● كتاب ينتصر للحق وللعرب في فلسطين ، والعرب ما زالوا عنه غافلين

تدهور اليهودية وانحلال

عرض بقلم : يوسف زعبلاوى

■ يندر أن يعثر المرء على كتاب يدين الصهيونية ويحمل عليها كهذا الكتاب . « فالصهيونية » كما يقول كاتبه ، « وصمة ولعنة تاريخية ، بل جريمة منكرة وحشية .. » « أما الديانة اليهودية السماوية فقد باتت هي ومثلها الخلقية ونواميسها أداة طيعة في يد الصهاينة ، ان لم نقل جارية أمينة تسهر على خدمة أهوائهم وتنفيذ مآربهم ... »

كتاب استند الى المنطق والحجة

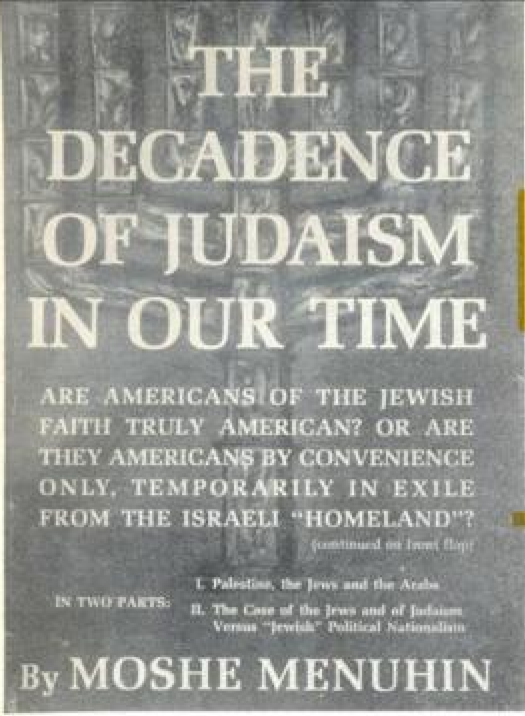
على ان خطورة هذا الكتاب ليست في شدة حملته ولا في عنف نقمته على الصهيونية ودعاتها وزعمائها ، بقدر ما هي في اقتران الحملة بروح الامانة الفكرية المطلقة ، واستناد النقمة الى المنطق والحجة ، وانطلاق كلا الحملة والنقمة من نظرة شاملة عميقة تحيط بجوانب هذا الموضوع الهام احاطة تكاد تكون تامة وتتغلغل في ثناياه وتكشف عن أدق تفاصيله . ولعل كتاب « تدهور اليهودية وانحلالها في زمننا الحاضر »[1] ، بما توفر عليه من نزاهة في الرأى والحكم ، لم تحدّ منها أية رواسب في نفس المؤلف قديمة ، وبما تضمنه من أرقام وحقائق ، واعتمده من مصادر ووثائق ، فضلا عما ندد به من شرور الصهيونية ومخازيها وما انذر به من مخاطرها .. لعل هذا الكتاب أهم واخطر ما ظهر بعد كارثة فلسطين من كتب تدين الصهيونية وتأخذ بوجهة النظر العربية .

كيف تمهد للمؤلف اليهودى ، وكان صهيونيا في شبابه ، ان يؤلف كتابه

وكاتب هذا الكتاب هو نفسه يهودى ! اسمه (موشى منوهن) واسم ابنه (يهودى منوهن) عازف الكمان الشهير . وكتاب « تدهور اليهودية .. » ، هذا هو كتابه الاول الذى انصرف الى التفكير فيه منذ صدور وعد بلفور ، اى قبل نصف قرن تقريبا . على انه لم يبدأ الاعداد الفعلي المباشر لهذا الكتاب الا عام ١٩٥٥ ، اى قبل صدوره بعشر سنوات . ومن شأن هذا كله طبعا أن يزيد الكتاب خطورة . الا ان هذه الخطورة تكاد تتضاعف اذا علمنا ان مؤلف الكتاب كان صهيونيا متطرفا أيام شبابه .

فقد وُلد موشى منوهن في روسيا القيصرية عام ١٨٩٣ ولكنه لم يلبث ان قدم الى فلسطين حيث اكمل دراسته الابتدائية في القدس والثانوية في مدرسة جمنازيا — هرتسليا في تل

[1] (١) الناشر وعنوانه : Exposition Presss Inc., 386 Park Avenue South New York U.S.A. 10016, N. Y.,



● وثيقة خطيرة تفضح مخططات الصهاينة السرية ومنظماتهم وأساليبهم الهدامة الخفية

في زمانِنَا هذا (١)

أبيب . وهناك في تلك المدرسة جمعته الزمالة بموشى شاريت ، الزعيم الصهيوني المعروف . وان هي الا فترة وجيزة حتى تشرب كاتبنا العقيدة الصهيونية السياسية ، وتشيع بدعاياتها واصبح مع الايام نصيرا من انصارها بل داعية من دعاتها.

وبقي على هذا الحال حتى صدر وعد بلفور فبدأ يصحو من غفلته لِمَا تحسسه من بهتان قام عليه ذلك الوعد وطغيان تعهد به ، ولما وقف عليه من تفاصيل المؤتمرات والمؤامرات التي سبقت ذلك الوعد ومهدت السبيل اليه . ولعل انتقاله الى الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٩١٣ واستكماله التحصيل العالي في جامعة نيويورك ، حيث درس الرياضيات والعلوم السياسية والتربية وتخرج سنة ١٩١٧ ، لعل هذا وذلك عوامل اعدت موشى منوهن عقليا وخلقيا ونفسيا للتحول الخطير الذى شعر به اثر صدور وعد بلفور .

ومضت الايام ومضى كاتبنا يجوب اقطار العالم بصفته مديرا لاعمال ابنه الموسيقى المعروف ، ومضى في الوقت نفسه يتابع اخبار الصهاينة ويلم بنواياهم فيزداد تحسسا لزيفهم وادراكا لشرهم وخطرهم ، الى ان اتضح له بانه والصهيونية السياسية على طرفي نقيض ، وادرك ان هذه الحركة القومية المتطرفة انما هي وبال على العرب واليهود أجمعين .

وحلت النكبة بالعرب وعلى الاخص باهل فلسطين ، وبدلا من أن تقنع الصهيونية بما حققته في جولتها الاولى ، فتضع حدا لغيها وتطرفها ، انطلقت تمعن في اطماعها وتوغل في مخططاتها وتعرض العرب واليهود لمستقبل مشحون بكوارثها.

وهكذا شعر موشى منوهن بواجب يدفعه الى تصفية حسابه مع الصهاينة قبل فوات الاوان واتجه تفكيره الى كتاب يبرىء فيه ذمته ، ويفضح فيه اضاليل الصهيونية ومخازيها ويحذر فيه ابناء جلدته وغيرهم من مخاطرها . وصدر الكتاب الذى يقع في (٥٠٠) صفحة ، كتاب « تدهور اليهودية وانحلالها في زمننا هذا » في اواسط عام ١٩٦٥ .

الكتاب ، تأخر نقدنا اياه ، لاختفائه من الاسواق

وكم كنا نود الا يتأخر نقدنا لهذا الكتاب الهام سنة ونيفا ! وما حال بيننا وبين هذه الرغبة الا اختفاء الكتاب من الاسواق . فمنذ ان علمنا عن صدوره ، في اواخر سنة ١٩٦٥ ، ونحن نحاول الحصول على نسخة منه ، بلا طائل . ذلك ان دور النشر والكتب في امريكا (وبريطانيا) ، وكلها تقريبا خاضع للنفوذ الصهيوني كثيرا او قليلا ، كانت تردّ على طلبنا الكتاب بالاعتذار ، أو لا ترد عليه بالاطلاق . ولما فشلت محاولاتنا المتكررة في

هذا الصدد ، عمدنا الى الحصول على هذا الكتاب بواسطة احد اخواننا الطلاب العرب فى امريكا الذى لم يجد سبيلاً لاقتناء الكتاب الا بالاتصال المباشر بمؤلفه .

دور الكتب فى امريكا لا تبيع الكتاب

وعلمنا بعد ذلك ان دور الكتب فى امريكا تكاد تكون مضربة ضمنا عن بيع هذا الكتاب. ولا يستثنى من ذلك الا مكتبتان محليتان صغيرتان فى ولاية كاليفورنيا . ولو علمنا ان طبع الكتاب قد تم على نفقة المؤلف ، وذلك بالنظر لاحجام دور النشر الامريكية المعروفة وهى ايضا خاضعة للصهاينة ، عن الاضطلاع بمهمة طبعه ونشره ، لادركنا مدى الاذى الذى ما زال يتعرض له كاتب هذا الكتاب. فقد حكمت الاجهزة الصهيونية على كتابه بالبقاء فى غياهب المستودعات والمكتبات ، وحالت بذلك دون انتشاره وتأثر الاخرين بآرائه ومبادئه ، وحالت بذلك ايضا دون استرداد المؤلف ولو لجزء مما انفق على الكتاب من امواله .

والصحافة الامريكية تهاب ذكر الكتاب

ولم تكن الصحافة الامريكية اقل اذعانا للنفوذ الصهيوني من غيرها ، وهى الصحافة « الحرة » كما يقولون . فقد امتنعت كل الصحف الامريكية تقريبا عن نشر خبر صدور هذا الكتاب ، ولو فى سطور . ولم تقدم على مراجعته او نقده الا اثنتان او ثلاث من المجلات الصهيونية المتطرفة او المجلات الاخرى التى كلفت بنقده على كل حال احد غلاة الصهاينة ودعاتهم . ولم يجاوز النقد فى تلك الحالات جميعا حفنة قليلة من السطور او الكلمات ولم يحتو الا على ما يرضى الصهاينة، كما يدل على ذلك نقد الكتاب الذى ظهر فى صحيفة Denver Post الامريكية الصهيونية، اذ تقول : «الوصف الملائم لمؤلف هذا الكتاب هو فى كلمة ـ خائن ـ ، اى ذلك المارق الخارج على دينه المنشق على قومه. لقد كتب موشى منوهن كتابا حافلا بكل ما يشد أزر العرب، وهم اعداء الصهيونية وجلادو اليهود .. ولا ريب فى أن كتابه هذا سيملأ مستودعات الدعاية العربية ، بالذخيرة التى هى فى امس الحاجة اليها .. » .

طبعا لم يتوقع المؤلف ان يكون كتابه موضع ترحيب الصهاينة الحار ، وقد فضح اساليبها ومؤامراتها وكشف عن عيونها على نحو شق عليهم الرد عليه حتى الآن بالمنطق والحجة ، وتعذر تعليقهم عليه بغير التهجم والشتيمة . بل انه توقع الكثير من جفاء الاجهزة الصهيونية وعدائها.

بيد انه لم يخطر له ببال ان تكون تلك الاجهزة مسيطرة بهذا القدر على معظم المؤسسات والشركات فى امريكا ، سواء اليهودية وغير اليهودية ، وان تكون تلك الاجهزة قادرة بالتالى على حجب كتابه عن الاسواق والقراء حجبا يكاد يكون تاما ، وعلى عزله هو عن سائر اقرانه وبنى جلدته والعمل على تحطيمه ادبيا ومعنويا .. وبالرغم من تألمه العميق وتأثره لكل ذلك ، وبالرغم من فزعه الشديد على ابنه وجزعه من ان تناله تلك الاجهزة بسوء ، فان موشى منوهن قرر المضى قدما فى تصفية حسابه مع « اليهودية » والاستمرار فى حملته الشعواء على « الصهيونية » ، مسقطا من اعتباره كافة النتائج ، وضاربا عرض الحائط بكافة الاضرار والمخاطر التى قد يتعرض لها هو او ابنه .

الكتاب جزءان

ويشتمل هذا الكتاب على جزءين ، يحتل كل منهما نصفه تقريبا . ويبحث اولهما فى تاريخ اليهودية وظهور الحركة الصهيونية، وتحليل بعض خصائص هذه الحركة ونزعاتها ، ويسهب فى شرح العوامل والاسباب التى ادت الى وقوع الكارثة واحتلال الصهاينة للاراضى التى يحتلونها من فلسطين .

اما الجزء الثانى فيتناول بالتفصيل الصهيونية العالمية واهدافها واجهزتها وأساليبها ومدى نفوذها على الافراد والجماعات بل على عدد من الدول والحكومات .. ويتناول هذا الجزء بالبحث كذلك فئات من اليهود لا تجارى الصهيونية بل تناهضها وتحمل عليها ، فيعدد اعمالها ويشرح معتقداتها ويستشهد فى هذا وذلك باقوال وآراء لرجالاتها وزعمائها .

ولعل ابرز فصول هذا الجزء الثانى ، ان لم نقل اهم فصول الكتاب بلا استثناء ، تلك الفصول التى يوجز المؤلف فى صفحاتها الخمس والثلاثين محتويات وثيقة هامة تزيد على ٣٠٠ صفحة .

والوثيقة المذكورة هى احدى محفوظات مجلس الشيوخ الامريكى وتتضمن وقائع جلسات عقدتها لجنة الشؤون الخارجية المتفرعة عن المجلس المذكور،فى ١٩٦٣/٥/٢٣ و ١٩٦٣/٨/١ واستجويت فيها عددا من الصهاينة المسؤولين الذين لم يكن لهم مناص من الادلاء بشهادات او اعترافات على جانب كبير من الخطورة . اما الغاية من تلك الاستجوابات التى ترأسها المستر فولبرايت ، رئيس لجنة الشؤون الخارجية الامريكية المذكورة، فكان تحديد اوجه النشاط التى يمارسها (فى الولايات المتحدة) ممثلون لا يتصفون بالصفة الدبلوماسية ويتبعون مع ذلك هيئات اجنبية .. ولا ريب فى ان هذه الاستجوابات تبعث على الفزع الشديد لما تبرزه من خفايا نفوذ الصهاينة فى امريكا .

اوجه النشاط التى تمارسها الصهيونية

ونورد فيما يلى فقرة اقتبسها مؤلف الكتاب من الوثيقة المذكورة ، وهى تصف كيف ينظم الصهاينة انفسهم لغزو الصحافةالامريكية ووسائل الاعلام فيها . جاء فى الوثيقة :

« فهيئة المجلس الصهيونى الامريكى ، وخاصة لجنة العلاقات العامة والاعلام المتفرعة عنه ، انما تمارس القسط الاوفر من اعمالها عن طريق لجان فرعية مختصة بل مُمْعِنة فى الاختصاص . وتتالف هذه اللجان الفرعية من اعضاء محترفين ضليعين يتمتعون بكفايات ممتازة ، كل فى مجال اختصاصه. اما مهمة هؤلاء الرجال فهى تربية قادة الراى وصُنّاعُ المحررين لسائر الصحفاليومية والمجلات والافلام ودور الاذاعة والتلفاز .. وكذلك تربية الرواد وصُنّع الشخصيات القيادية فى تلك المجالات وصنع زعماء الدين وطوائفه .. هذا فضلا عن صنع الزعماء فى الاوساط الجامعية .. وبالاضافة الى ترصُد الكتابات المعادية للصهيونية واحباطها وتقديم المعونات الى دور النشر وخاصة تلك التى تبذل جهودا ملحوظة لترويج الكتب القيمة » .

ويمضى المؤلف فى ابراز محتويات تلك الوثيقة والتعليق عليها فيبين لنا ان صنع القادة والزعماء بقصد السيطرة على الراى العام الامريكى فى سائر فئاته واوساطه لا يشكل الا جانبا واحدا من جوانب النشاط الذى يمارسه الصهاينة فى امريكا. فما دامت غايتهم المباشرة هى الهيمنة على الراى العام عن طريق التغلغل فى كيان اكبر عدد ممكن من تجمعاته ، كان لزاما عليهم ان يولوا الاوساط والبيئات الدينية المسيحية بالغ اهتمامهم . لذلك تراهم يعملون على خلق الجبهات المسيحية فى طول البلاد وعرضها وعلى اقناع افراد الشعب الامريكى ، بواسطة تلك الجبهات ، بان زعماءهم (المسيحيين دينا) كانوا وما زالوا يؤيدون السياسة الصهيونية ـ الاسرائيلية بملء قلوبهم.

فضلا عن ذلك فان الصهيونية فى امريكا ما انفكت تتامر على المجالس اليهودية غير السياسية وتسعى الى توريطها فى مخططاتها وسياساتها .

على ان اوجه النشاط والدعاية بمفهومها الواسع ، تستهدف غير اليهود من اهل الغرب ، وتهدف الى التاثير فى تفكيرهم واستمالة قلوبهم والحصول على تبرعاتهم واموالهم .

اما بالنسبة الى اليهود انفسهم فجهود الاجهزة الصيونية منصبّة على التهجير الجماعى الى فلسطين وعلى ما يتطلبه هذا من تعليم النشء وتشْربه التعاليم الصهيونية .

التعليم دعامة كبرى

ويحدثنا الكاتب عن تزايد اهتمام الصهاينة بالتعليم فى السنوات الاخيرة ، تدل على ذلك الزيادة فى عدد مدارسهم ، وقد بلغت هذه الزيادة ٨٠٪ فى امريكا و ١٠٠٪ فى بريطانيا فى غضون العشر السنوات المنتهية بعام ١٩٦٣ . ويعزى ذلك كما يبين المؤلف الى قلة عدد الراغبين فى الهجرة الى فلسطين المحتلة وقلة عدد القادرين عليها والصهاينة يحرصون على استمرار هذه الهجرة ، تلك الهجرة التى لو توقفت لانقطع سيل التبرعات السخية الدافق عليهم .

لذلك عمد الصهاينة الى مضاعفة مدارسهم فى الدول الغربية وانصرفوا فى هذه المدارس الى غرس العقيدة الصهيونية فى نفوس الابناء الصغار ، وراحوا يزرعون فى قلوبهم حب الهجرة الى اسرائيل حتى ولو لم يَرْضَ عن ذلك الاباء .

وكثيرا ما أقدموا على تهجير جموع غفيرة من صغار الابناء الى اسرائيل ورغم معارضة الاباء .

حشد هائل من اللجان والمجالس والهيئات

الا ان هذه الاعمال الواسعة والجهود الدائبة لاسبيل اليها الا بتوفر الاموال الطائلة ووجود الهيئات والمنظمات العاملة لذلك .

اما عن عدد هذه المنظمات والهيئات الصهيونية العاملة فى الولايات المتحدة الامريكية فحدث عنها ولاحرج . ومع أن كاتبنا ذكر عرضا عددا لايستهان به من تلك الاجهزة ، كالوكالة اليهودية فى القدس ، والوكالة اليهودية ، بفرعها الامريكى ، والمجلس الصهيونى الامريكى ، ولجنة التوزيع المشتركة(١)، ولجنة جمع التبرعات اليهودية المشتركة(٢) ووكالة التلغراف اليهودية(٣) وغيرها ، الا ان كل ما ذكره الكاتب من تلك الاجهزة لا يعدو كونه النزر اليسير بالقياس الى مجموعها . فهي من الكثرة بحيث لتضيق بجردها الكتب المعادية للصهيونية بل حتى الموالية لها ايضا . ولقد عثرت على قائمة ببعض تلك الأجهزة الحقت بكتاب صهيونى عنوانه: « الصهيونية الامريكية وعالمها السياسى The World of Political ومؤلف الكتاب هو صمويل هالبرين . وقد احتوت هذه القائمة على ١٠٧ من هذه الأجهزة ، رغم أنها لم تكن احصاء شاملا ! ولو أضفت الى عدد هذه الاجهزة الكبرى عدد الجمعيات الفرعية والمحلية لجاوز المجموع لهذه وتلك الألف ! وتبقى القائمة مع ذلك غير شاملة !

اما عدد الاعضاء فى تلك الهيئات فيبلغ بضعة الاف فى بعضها ، وبضع عشرات الالوف فى اكثرها .. ويبلغ مجموعهم فى احداها ، وهي المنظمة الصهيونية فى امريكا ، ٢٤٨٫٥٦٦ عضوا ...

المال دعامة الدعامات

أما الاموال التى لاغنى للصهاينة عنها للقيام بهذه الاعمال الهائلة فطائلة ، تكاد تكون خيالية ، كما يحدثنا الكاتب باسهاب . وترد هذه المبالغ على الاجهزة الصهيونية بصور شتى ومن مصادر مختلفة . « فريع السندات الاسرائيلية » ، على ما يذهب اليه المؤلف ، قد بلغ نحوا من ٥٦٨ مليون دولار فى غضون الخمسة عشر عاما المنتهية فى ١٠ (أيار) ١٩٦٣ . والمبلغ المذكور لايكاد يجاوز نصف مجموع التبرعات التى حصل عليها الصهاينة بواسطة لجنة جمع التبرعات اليهودية المشتركة وقد بلغ مجموع تلك التبرعات خلال المدة نفسها (١٫٠٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠) دولار . يضاف الى ذلك ٢٥٠ مليون دولار وضعت تحت تصرف الأجهزة الصهيونية فى نفس الفترة المذكورة وذلك على سبيل الاستثمار وتوظيف رؤوس الاموال .

هذا وكانت المساعدات المالية التى حصل عليها الصهاينة من حكومات الولايات المتحدة والمانيا الغربية فى الخمس عشرة سنة المذكورة كالتالى :

٩٨٩٫٠٠٠٫٠٠٠	دولار تبرعات الحكومة الامريكية
٨٢١٫٠٠٠٫٠٠٠	دولار التعويضات الحكومية التى دفعتها حكومة المانيا الغربية لاسرائيل .
٥٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠	دولار التعويضات الفردية التى تم دفعها من قبل حكومة المانيا الغربية .
٤٫٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠	دولار رصيد تلك التعويضات الفردية .

والجدير بالذكر ان هذه الاموال تدفع الى الحكومة الاسرائيلية او الوكالة اليهودية فى القدس وان هذه الحكومة او تلك الوكالة تعود بدورها فتوزع هذه الاموال على الاجهزة والهيئات الصهيونية العاملة ، فى امريكا خاصة ، وفى سائر اقطار العالم الاخرى عامة ، وفق ما تقتضيه المصلحة اليهودية والحاجة . وهم يعمدون الى توزيع هذه الاموال وانفاقها على هذا النحو غير المباشر بقصد التهرب من دفع الضرائب وبغية اخفاء الاغراض الحقيقية التى تنفق فى سبيلها تلك التبرعات (الخيرية) .

اما الاغراض الحقيقية التى تنفق فيها تلك الاموال فهي ليست سوى الدعاية بمعناها الواسع، واما الستار الذى تتستر به فى عودتها الى امريكا فستار الاعمال الثقافية .

١ و ٢ : أجهزة صهيونية تعمل بالتعاون على جمع التبرعات فى أمريكا .

٣ ــ وكالة انباء صهيونية تعمل فى الولايات المتحدة ، فتوزع الانباء اليومية على سائر الصحف والمقالات على سائر المجلات بالمجان وعلى أوسع نطاق .

السند التاريخي يدحضه الكاتب

ويحمل الكاتب على الصهاينة فيما ادعوه من صلات تاريخية بفلسطين . لقد اعتقد المؤلف بأن الحقائق التاريخية لا تثبت اى حق لليهود من هذا القبيل . فالصهيونية التى تعتبر اليهود حيثما كانوا امة واحدة ، وتعتبر (اسرائيل) دولة ذات سيادة لتلك الامة، وتعتبر الاراضى المحتلة والاراضى المحيطة باسرائيل وطنا قوميا لتلك الامة ايضا ، وتعمل دائبة جاهدة الى تهجير اليهود وحشدهم فى تلك الدولة وذلك الوطن القومى ، انما تستند فى ذلك كله الى ما يدعونه من حق لهم تاريخى يخولهم استرداد الاراضى المقدسة واستيطانها .

فصلة اليهود بفلسطين لا تختلف فى رأى الكاتب عن صلة سائر الغزاة الاخرين بها ، كالفراعنة والهكسوس والحثيين والعبرانيين (اليهود) والاشوريين والفرس واليونان والرومان وغيرهم . وتعدد الغزاة وتعاقب الغزوات ، لا بل الاستعمار والحكم المباشر نفسه ، وقد انتهت اليه بعض تلك الغزوات ، لم يؤثر كثيرا ولا قليلا فى وضع الكنعانيين بصفتهم سكان البلاد الاصليين . فقد صمدوا وتخطوا كل تلك الغزوات وبقوا اصحاب البلاد الشرعيين رغم رضوخهم ، بين حين وآخر ، لحكم هذا او ذاك من أولئك الغزاة .

يضيف الكاتب الى ذلك ان حكم فلسطين فى الماضى البعيد لم يستتب لليهود (الغزاة) على نحو من الرسوخ والاستقرار الا نحوا من ٧٢ سنة!

اما الكنعانيون،سكان البلاد الاصليون، فليسوا سوى الاجداد الاوائل لعرب فلسطين .

طغيان الصهيونية ووحشيتها

وينعى المؤلف على اليهود اعمالهم الارهابية عامة ، وفى مذابح دير ياسين وقبية وكفر قاسم على وجه التخصيص . ويسهب الكاتب فى المقارنة بين هذه الوحشية وبين الوحشية التى عومل بها اليهود من قبل النازية . فالصهيونية التى قامت، كما يدعون ، لانقاذ اليهود من صنوف الاضطهاد والوان العذاب ما زالت تنزل فى الابرياء مزيدا من ذلك الاضطهاد والعذاب ــ ولعلها فاقتالنازية والفاشية وحشية وطغيانا !

ويمضى المؤلف فى تعليقه المرير الساخر على وحشية الاذلة من ابناء جلدته فيشرح كيف تراكمت الذلة فى نفوس اليهود على مر الاجيال وكيف ولدت فيهم ما يسميه المؤلف « بالعقدة الشمشونية » ، وقد تجلت اكثر ما تجلت أيام العدوان الثلاثى على مصر . هذا بالاضافة طبعا الى عقدة النقمة على الآخرين والانتقام لمآسى الاجداد .

اما ظلم الصهاينة وطغيانهم فليس أدل عليه من تردى الأوضاع التى فرضوها على الاقلية العربية التى بقيت فى فلسطين المحتلة « ففيها الدليل » كما جاء فى الكتاب ، « على الغلو فى نزعة اليهود الاستعمارية ، وقد أبت الا أن تحرم أولئك العرب من أن يكون لهم رأى ، اى رأى ، فى شؤونهم وفى كل ما يتصل بحياتهم الخاصة . فضلا عن ذلك فان افراد الجالية العربية معرضون لالوان مختلفة من الحرمان والاضطهاد والتعذيب . فهم يعيشون فى ظل نظام عسكرى يطوق سائر مدنهم وقراهم .. وهم محرومون حرية الحركة والانتقال ، بكل مظاهر الحرية الشخصية (بما فيها حرية المرء داخل بيته وبين اهله)..فاراضيهم ملك للسلطات العسكرية .. واعتقالهم بل سجنهم يتم اعتباطا وبلا محاكمة ، ويكفى شعور احد الحكام الاداريين بالرغبة فيه لاتخاذ اجراءاته .. يتخرج ابناؤهم من المدارس فلا يجدون أبواب العمل الحكومى وغير الحكومى الا موصدة فى وجوههم ، يستثنى من ذلك طبعا القلة النادرة التى تبدى استعدادها للتخلى عن شرفها والقيام باعمال التجسس لصالح الغاصبين .. » .

الصهيونية وبال على العرب أجمعين

ولا ريب فى ان كل ما حاق بالعرب حتى الآن من الصهيونية وطغيانها لا يعدو كونه تمهيدا أو مقدمة لما يخبئه المستقبل لهم . الى هذا يشير المؤلف اليهودى من بعيد ومن قريب ، ويردده فى

سائر فصول كتابه الذى يبدو أحيانا وكأنه كتب خصيصا لتحذير العرب وانذارهم قبل فوات الأوان .

فالصهاينة يؤمنون ، كما يوضح لنا الكاتب ، ان أراضى (اسرائيل) ، البالغة حاليا ٨٠٠٠ ميل مربع ، لا تشكل الا جزءا يسيرا من الاراضى التى وعدتهم بها التوراة قديما ، واللورد بلفور والانجليز من ورائه حديثا .. فضلا عن ذلك فان مساعيهم وجهودهم الدائبة وأموالهم الطائلة متركزة على شيء واحد فقط هو : تهجير اليهود ، كل اليهود ، من سائر الاقطار التى يقطنونها وحشدهم فى فلسطين المغتصبة !!

ولكن فلسطين المحتلة تضيق بسكانها اليهود الحاليين أو تكاد ، اذ قد بلغ تعدادهم مليونين ونصف مليون نسمة أو يزيد ، وبلغت كثافتهم بالتالى ما يزيد على ٢٠٠٠ شخص للميل المربع الواحد ! فحاجة (اسرائيل) الى التوسع قائمة حاليا وملحة وتنذر بالانفجار فى أى لحظة . فضلا عن ذلك فان تلك الحاجة فى تفاقم مطرد بالنظر للتزايد والتوالد الطبيعى فى سكان اسرائيل . أضف الى ذلك أن الهجرة اليهودية الى اسرائيل كانت فى تدفق مستمر منذ عام ١٩٤٨ ولم يحد منها استتباب الأمور للصهاينة .

ان الهجرة الجماعية العارمة وحدها هى الغاية التى يهدف اليها الصهاينة ويحشدون فى سبيلها كافة الطاقات والجهود والأموال .. انها الأمنية التى يعملون على تحقيقها بشتى الوسائل . انهم يسلكون سبيلا قد يثبت فجأة أنه أبعد أثرا من كل دعاية . وذلك سبيل السياسة ، فهم ما زالوا يفاوضون ويساومون روسيا وغيرها من دول الكتلة الشيوعية ويسعون الى حمل الولايات المتحدة الأمريكية الى استعمال نفوذها والتأثير على روسيا بقصد السماح لبضعة اللايين من اليهود المقيمين فى تلك الدول بالهجرة الى اسرائيل(١) .

والصهاينة يدركون تمام الادراك أن الحاجة الى المجال الحيوى مهما كانت ملحة ، ومبررات التوسع الاقليمى مهما كانت مقنعة ، لا تكفى بحد ذاتها لانتزاع ذلك المجال واحراز ذلك التوسع . فالمهمة عسكرية حربية قبل كل شيء . فما لم يعدوا العدة بالتعبئة العسكرية المستمرة، وبالسلاح والعتاد يكدسونه بوفرة هائلة ، وبالعمل الجدى على انتاج القنبلة الذرية ، ما لم يعدوا العدة على هذا النحو لمعركة مصيرية أو معارك مقبلة ، آل أمرهم وأمر مهاجريهم كما لا يخفى الى الهلاك والفناء ..

غير أن كاتبنا لم يتطرق الى الحديث عن قوة اسرائيل العسكرية ولا عن مخططات الصهاينة العدوانية ولا عن صلاتها الوثيقة بالدول الاستعمارية . وقد يكون له عذر فى ذلك ما دامت الغاية التى حددها لكتابه لا تقتضى التعرض لهذه النواحى . الا انه لا يغفل التعليق على مصير اسرائيل فى المدى البعيد، فيثير الشكوك فى امكان استمرارها وبقائها، والملايين من العرب المحيطين بها ما زالوا يحرزون من التقدم والرقى والقوة ما يحرزون ويضمرون لاسرائيل الحقد والنقمة ومر العداء .

الصهيونية وبال على اليهود أيضا

على أن الصهاينة يسعون الى مضاعفة الهجرة اليهودية الى اسرائيل بطرق أخرى شيطانية قد لا تخطر ببال . فهم يسعون اليها عن طريق اثارة النعرة اللاسامية نفسها رغم أن اليهود قد ذاقوا منها الأمرين . فهذه النعرة التى أنزلت فى اليهود صنوف الاضطهاد وألوان العذاب والتى ما قامت للصهيونية السياسية قائمة من دونها هى التى يعمل الصهاينة حاليا على ايقاد نارها . هدفهم من ذلك طبعا تعريض اليهود هنا وهناك الى الاضطهاد والعذاب وارغامهم بالتالى على الهجرة الجماعية الى اسرائيل . وهذا هو ما حدث فعلا فى الارجنتين والاوروجواى فى أعقاب اختطاف ايخمن ومحاكمته ، وقد ماطل فيها الصهاينة

(١) بلغ مجموع اليهود المقيمين خارج اسرائيل ١٢،٠٤٠،٠٠٠ ، منهم ٢،٤٨٦٠٠٠ فى الاتحاد السوفياتى ، وذلك وفق ما ورد ذكره فى آخر التقارير والبيانات الاحصائية .

لأسباب ومكاسب عديدة ابرزها حمل يهود تلك البلاد على الهجرة الى اسرائيل .

الا أن هذه الأساليب لا تساعد على حل المشكلة اليهودية بل تزيدها تفاقما واستفحالا. يصدق هذا على الأغراض التى استخدمت من أجلهـا تلك الأساليب بقدرما يصدق على المخططات الصهيونية بالذات . فمن شانها جميعا أن تعرض اليهود لمزيد من الاضطهاد والعذاب فى المدى البعيد بدلا من أن تدرأ عنهم ذلك الاضطهاد والعذاب .

ان هجرة اليهود الى اسرائيل يأباها الكثيرون منهم ويرفضها بشدة المقيمون منهم فى أمريكا . وفضلا عن ذلك فان تهجير كل يهود العالم الى اسرائيل مستحيل ، استحالة توسع اسرائيـل بالقدر الذى يفى بحاجة ١٢٫٤ مليونا منهم .. والحل الوحيد الذى يراه الكاتب للمشكلة اليهودية ليس اذن فى الهجرة اليهودية الى فلسطين وانما فى اندماج الأقليات اليهودية وانصهارها فى شعوب البلاد التى عاشوا فيها مواطنين .

يثير الكاتب هذه النقاط ويسهب فى بحثهـا ، لعلها تهدى من اليهود مَنْ غلبتهم الصهيونية على امرهم . وهو يشرح ويردد الحل الذى يراه للمشكلة اليهودية لعل حملته على الصهيونيـة تظفر بالانصار من بنى جلدته والمؤيدين .

على أن موشى منوهن ليس الوحيد بين اليهود الذى وقف هذا الموقف من الصهيونية وحمـل هذه الحملة عليها . فالمجلس الأمريكى للشؤون اليهودية (وهو عضو بارز فيه) وجماعة (احود) فى اسرائيل نفسها ، وهى التى انشاها الدكتور ماجنس مؤسس الجامعة العبرية ، فضلا عـن فئات وجماعات اخرى افرادها هنا وهناك يقفون أيضا موقف الكاتب ويحملون حملته . الا أنهم جميعا فى حكم الأقلية الضئيلة .

خاتمة :

ليس من شك بعد هذا كله فى أن كتـاب « تدهور اليهودية .. » ذو قيمة كبيرة بالنسبة الينا جميعا ، وأن الجدير بكل عربى يحسـن المطالعة بالانجليزية ان يقراه !

فهو يدق ناقوس الخطر فى آذاننا بقوة قد تساعد على استيقاظنا من سباتنا العميق . وهو على كل حال معين حافل بالمعلومات التى لا يجوز مطلقا أن نستمر على جهلنا اياها .

على أن الكتاب ذو قيمة كبيرة أيضا بالنسبة الى الأجانب غير اليهود عامة والانجليز والامريكيين منهم خاصة . ولعله ، نظرا لذلك ، ذو قيمة اكبر من هذه وتلك بالنسبة الى أجهزة الاعـلام العربية. فهى تستطيع تحقيق الكثير من اغراضها فضلا عن توفير الكثير مما تبذل من جهود ، وتنفق من أموال ، لو تهيأت لها الأسباب لتيسير توزيع هذا الكتاب على نطاق واسع فى مختلف الأوساط المعنية فى الغرب ، وخاصة الأوساط الحكومية والدبلوماسية والثقافية والصحفية . ولعـل الأمانة الفكرية المطلقة التى كتب بها الكتاب كفيلة وحدها بتبديد كل آثار الدعاية الصهيونيـة ورواسبها من عقول قرائه . يدل على ذلك الخطاب الذى أرسله الى المؤلف أحد كبار موظفى الحكومة الامريكية لدى قراءته الكتاب ، وقد جاء فى ذلك الخطاب :

« لقد فرغت مؤخرا من قـراءة كتابك ... واصارحك القول بانه قد قلب تفكيرى ، أو بالحرى حاجتى الى التفكير ، رأسا على عقب . ذلك اننى كنت مؤيدا لبن غوريون بفكرى وقلبى ١٠٠٪ . ولو كنت يهوديا ، وثريا ، لوجدتُ فىَّ الصهاينة الفريسة المثلى .. كنت أومن أن أهل اسرائيل يستحقون كل عطف وتشجيع وعـون . أو لم يذوقوا مر العذاب والاضطهاد طوال تاريخهم حتى اذا عثروا على مأوى لهم فى الصحراء الخاليـة المجدبة ، انقضّ عليهم العرب وجعلوا يسومونهم سوء العذاب ويستخدمون فى سبيل ذلك عددا من مجرمى الحرب النازيين . هذا ولا ذنب لليهـود فى ذلك سوى الرغبة فى استرداد موطنهم الأصلى والعيش فيه آمنين مطمئنين ...

تلك هى الخواطر التى كانت تطغى على عقلى حول الموضوع وذلك هو المدى الذى بلغته الدعاية الصهيونية فى تغلغلها فى صميم تفكيرى .

لا ريب فى أن أهل الغرب عموما ، باستثناء اللامبالين منهم ـ يهيمون فى غمرة الدعاية الصهيونية كما كنت أهيم قبل قراءتى لكتابك .. » ■■

يوسف زعبـلاوى

رَيَّانُ الهوى ثَمِلُ

■ يانسمةٌ في فؤادي، رفها أملٌ   غدا الرّبيعُ ، فريّانُ الهوى ثَمِلُ
أرى الأزاهير أعطافا مُؤَنَّقةً   يَشِفُّ عنها خيالٌ للمنى جَذِلُ
إذا ترامى على عَيْنَيَّ بارِقُهُ   ففى فؤادى رَفيفٌ منه مُتَّصِلُ
عَصا الرّبيعِ عصاً سحريةٌ تَبعثُ   بها الأفاويقُ ، فاهتاج الرُّبَى غَزَلُ
يَهيم بالحُسن ، والأحداقُ باسمة   وقد أطلَّ عليه الزّنبقُ الخَضِلُ
غدا الربيع فَمِلْ بي نحوه ، فمتى   لم يَستَبِق لطريقى فيه مُنتَقَلُ
لكم وَرَدنا به حوضَ الهوى ، وحلاَ   للقلب والروح من فِرْدَوسه نَهَلُ
به مناسِكُ حُبِّيَ وهو مَدْ رَجتي   مُذْ باتَ للحسن فيه يُضْرَبُ المَثَلُ
كانت ظِباءُ الهوى تغدو مُدَلَّهَةً   تَسْعَى على حَذَرٍ والليلُ مُنسَدِلُ
أمضى فتَمْضِي حِيالى غيرَ نائيةٍ   أحلام قلبي ، وقلبي شَيِّقٌ جَذِلُ
ياطيّبَ الله أنساماً معطّرةً   كانتْ تُرَوِّحُ عن نفسى بها القُبَلُ
تاريخ عِشق قَصصناه ، ولذّ لنا   وسوف يَرْويه حادٍ بَعْدَنا زَجِلُ
آذار كفّكَ بالأنداء عاطرةٌ   والبشر ، والصفو مذ وافيت مكتمل
تهفو علينا بك الأحلام رَيِّقةً   والعيش أسبابه موصولة ذُلُلُ ■■

محمد هارون الحلو
المستشار الثقافي برياسة هيئة الفتوة بالقاهرة



مسلمات
خالدات

أم موسى وهارون ..

بقلم : سنية قراعة

■ لم يكد يحل عام ٧٦٦ الميلادى حتى كان الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور ، المؤسس الحقيقي لدولة العباسية ، يستعد للقيام بعملين عظيمين ، أولهما بناء بغداد عاصمة العباسيين على الشاطىء الشرقي لدجلة ، وثانيهما قتل أبى مسلم الخراساني داعية العباسيين وقائدهم المظفر خشية تعاظم شأنه ، واتساع نفوذه ...

وبينما الناس حيارى بين دهشة الاعجاب ببناء بغداد العربية العظيمة ، والخوف من مغبة قتل ابى مسلم ... اسرع ابو جعفر الى القضاء على ثورة اعوان الخراساني وتشتيت انصاره ..

ثم راى المنصور ان يستريح لفترة قصيرة ، ابى عليه نشاطه الفذ الا تضيع هكذا عبثا ، فكان ان زوج خلالها ابنه وولى عهده محمداً المهدى من الخيزران بنت عطاء ...

وكان زواج الخيزران من المهدى بداية افراح للدولة ، وفاتحة خير وسعادة واستقرار فى وجودها السياسي ، اذ اتجه ابو جعفر المنصور ـ بعد ان استقر له كل شيء ، واسلمته الاحداث زمامها ـ الى تحصين حدود بلاده المتاخمة للحدود الرومية ، وراح ينظم الدولة سياسيا ويرتب شئونها ، وتخير لمعاونته ووزارته الامناء من رعاياه، وكان اظهرهم آل برمك .

ولقد عاشت الخيزران بنت عطاء فى ظل المنصور ، قريبة منه ... فتاثرت به عن اعجاب بشخصيته ، وتقدير لجليل اعماله ، وتتبع يقظ واع لعبقريته القاهرة على شتى شئون دولته الفتية التى كان يلم بكل امورها ، ويعرف كل صغيرة وكبيرة فيها ...

رات الخيزران بابة يد باطشة قوية بطش المنصور بخصومه ومعارضيه ، ثم باية يد حانية واعية بانية ، اكمل صرح الدولة ، وعلى اية اسس وطد دعائم وجودها وما استمتعت به من استقرار وتمكن وقوة واعتداد ...

وخيل للخيزران بنت عطاء انها لم تكن تعيش فى قصر خلافة منيف شامخ ، يفهق بالثراء والعز والجاه ، بل فى مدرسة تتلقى فيها اصول الحكم ، وكيفية بناء الدولة على يد معلم حصيف ماهر هو حموها « ابو جعفر المنصور » ، الذى كان

شديد الثقة في نفسه ، قليل الثقة في جميع الناس ، حتى انه كان لا يستبقي عاملا من عماله في عمله لفترة قد تمكنه من السيطرة او التحكم او ايجاد عصبية له ، فكان دائما يستبدلهم بغيرهم خاصة ذوى العصبيات منهم حتى لا تكون هناك دول متعددة السلطان داخل الدولة العباسية ...

عرفت الخيزران كل هذا وخبرته ، فقد كانت فوق جمالها البارع وحسنها الآسر قوية البديهة ، سريعة التفكير ، حاسمة في تصرفها ، ذات رأى سديد وعين نافذة تستطيع أن تستشف الغد وتراه وتتنبأ بما يمكن أن يحدث فيه ...

وملأت شخصية أبى جعفر المنصور خيال الخيزران حتى صار مثلها الأعلى ، ومنهاجها الاعظم الذى اعتزمت السير على سنته ، ومحاكاته في كل عمل عظيم قام به او اخرجه الى حيز الوجود ...

وفي ظل أبى جعفر المنصور ، تعشقت الخيزران بنت عطاء السلطة وتاقت نفسها الطامحة الى أن تمارسها ... وخلال تفرد حميها المنصور بالحكم، ووقوفها وزوجها محمد المهدى ولي العهد عن كثب يرقبان ولا يفعلان ...

خلال تلك الفترة الدقيقة من فترات تثبيت دعائم الخلافة العباسية،قامت بخيال الخيزران ـ المجردة من كل قوة أو سلطان ـ اطماع وخيالات وأحلام وتصورات ، حتى لكأنى بها كانت تستعجل حَيْن المنصور ، وتتمنى موته من فرط تلهفها وحماسها الى أن تخرج بأمانيها الندية وأحلامها الحلوة الى حيز الوجود ، فاخذت تعمل جاهدة على تثبيت وجودها العملي بتجميع القوى في سبيل الاستئثار بالسلطان لنفسها فعلا ، ولو باتخاذ زوجها الطيب محمد المهدى ستارا لهدفها.

لقد كان المنصور نسيج وحده في كل شيء ... وكلّ عمل ... ولقد امتلأ خيالها اعجابا بفعاله العظيمة وسهره الدائب لمراقبة مسير عجلةالاحداث في الدولة حتى لقد انهك هذا الدأب المستمر قواه وأتى على مقاومته ، فاعتلت صحته في اخريات أيامه ، وأحب أن يستريح لبعض الوقت في مكة يسترو روحانيتها ، ويقضي في ربوعها القدسية الفيحاء ، بقية أيام حياته ، فسار اليها .. ولكن الأجل لم يمهله ، وحال دونه ودخولها حيا ، فلفظ آخر انفاسه ومات وهو منها على بعد بضع ساعات ...

وجاءت الخيزرانَ بنت عطاء فرصتها الحبيبة ... ونودى بزوجها محمد المهدى اميرا للمؤمنين، ومصرفا حاكما للدولة العباسية الكبرى ، وكانت هذه المناداة في عام ٧٧٥ الميلادى .

وضحك الزمن للخيزران بنتعطاء ... وابتسم الحظ ... وجاءت مواكب الاماني والاحلام طائعة، فاذا الشابة الحالمة الطموح في مكان غير مكانها بالأمس القريب ... لقد تولى أبو جعفر العنيد المتفرد صاحبالشكوك والآراء وان زوج الخيزران اليوم لهو كل شيء في الدولة ... هو الخليفة ، وهو امير المؤمنين ، وهو الحاكم المطلق ، وهو الذى لا يرد له أمر !!

ذلك كان زوجها محمد المهدى الخليفة العباسي الثالث ... ذلك كان الرجل في نظر الناس على الأقل ... اما في نظرها هي ، فلم يكن المهدى شيئا على الاطلاق اكثر من شريك في الحياة ... ومحب واله ... وعاشق لا يفيق من نشوة الغرام بها ...

اذا ... فهي كل شيء في الدولة ... هي صاحبة الشورى والرأى ...

ثم انها بعد هذا كله ... وفوق هذا كله صاحبة الغد المرموق والمتصرفة في اقدار الزمان واقدار الشعوب ، فهى ليست زوجة امير المؤمنين محمد المهدى فحسب بل هى أم وربثيه من بعده ... ام موسى الهادى ، وام هارون الرشيد ...!!

وضحكت الخيزران في سعادة وفرح وقد اسلمت نفسها الى خيال حملتها اجنحته بعيدا ... بعيدا ... فرأت ما لم تكن تتصور ... وأحست بما لم تكن تحلم به في يوم من الأيام ...

لقد كان لها الأمس الذى تولى وهى في رعاية المنصور...وان اليوم لبين يديها ورهن مشيئتها، والتدبير عنده ... وان الغد ليتقدم نحوها في وانها لزوج الخليفة وشريكته ، وصاحبة الرأى بُهرج غموضه بجلله المجهول ، وتتبدى من وراء شفوفه المفهافة ، أضواء المستقبل ، وانها لصاحبتُه ، فهي ام موسى ولي العهد ، وام هارون صاحب البيعة والأمر من بعد اخيه .

ووجدت الخيزران زوجها الحبيب حيث تصورته ... وانها لتبدأ حياتها معه باستعراض اعمال المنصور العظيم ...

وبعين الحاكمة صاحبة الأمر والسلطان والنفوذ بدات الخيزران ترى المنصور استاذها ومثلها

الأعلى ومربيها ... وهزت رأسها في هدوء وادع وراحت تقول :

– كان أبو جعفر المنصور نسيج وحده ... وقد فرضت عليه ظروف الحكم والرغبة في الاستئثار المطلق بالسلطان ان يقدم على أفعال ، قد لا يقرها تقليد ولا عرف ، ولكن الرجل كان يتمم بناء دولة فتية ويدعم ارساء قواعد وجودها، ويشيدها بيد صانع قادر وبناء عظيم لتكون قادرة على أن تثبت في وجه الأعاصير ... !

ولقد تم البناء فعلا وعلى أسس شامخة ... واستقر الأمر ... ولن يفكر متهور جريء في الخروج ...

اذا ... وعلى أساس الاستقرار والمقدرة والوثوق ... بدأت الخيزران ترى الاوضاع كلها ... وعلى ضوء هذا الاستقرار راحت تفكر ثم قررت أن تخرج بأفكارها الى حيز العمل المثمر... وسرعان ما راحت تهمس لزوجها المهدى بما كانت تراه ، وتوحي اليه بما كانت تشاء وما كانت تريد ...

لقد أسرف المنصور في بطشه وجبروته وقد تجرع الناس في عهده مرارة الخوف والترقب ... فلا أقل من ان يتذوق الناس حلاوة الاستقرار ويستروحوا برد الهدوء والراحة النفسية والامن المستقر ، فكان ان أوحت الى زوجها أمير المؤمنين المهدى بان يكون على نقيض أبيه ... وعلى عكسه ... وصاحب منهاج جديد في الحكم أساسه الرحمة والحب والسماح .

وارتاح المهدى فعلا الى آراء الخيزران بنت عطاء شريكة حياته ... ووجد فيها نصرا جديدا وفتحا مستمرا ، وظفرا مؤيدا يوطد نفسه بنفسه ويبني وجوده بيده ، فالحب يجمع القلوب حول المحبوب ... والاخلاص يؤيد الحب ... ويجمع المتنافر من شتى الأمور ثم يكون الاستقرار والهدوء والسلام ...

وهزت الخيزران يدها فتحركت رياح الحب والولاء ... واستروح الناس نسائم الحرية وبداوا يتذوقون طعوم السعادة ...

وهكذا بدأت بغداد الحبيبة عاصمة الدولة تعيش في ظلال الأمن والحب والتعاطف بين الحاكم والمحكومين ...

وبوحي من الخيزران بنت عطاء ، فتحت المعاقل ابوابها ... واخليت المحابس من المسجونين الذين ملأ المنصور بهم السجون ، لمخالفته الرأى ، أو معارضته في جانب المعسكر الذى كان يتزعمه أبو مسلم الخراساني ... وتنفس الناس الصعداء ... وعادت الفرحة الى قلوب الكثيرين من الرعية ممن أحسسوا مع مقدم المهدى ، كل راحة وكل خير ...

لقد كانت تلك اللفتة الانسانية النبيلة أول صفحة نضرة من صحائف أعمال المهدى .. وانها تعبر عن سجل لاحت بشاراته وستبين غوامضه كلما مر الزمن وتقلبت الصفحات ... فالنصر الأول كان في ميدان السياسة العامة ، واغراء للمعارضين بالانضمام الى معسكر الخليفة العباسى الجديد .

واذا ... بعد هذه الخطوة الاولى ... فلتبدأ الخيزران خطوتها الثانية نحو السيادة الحقة... السيادة البعيدة ظاهريا عن مجالي السياسة ... القريبة منها فعلا كل القرب ... انها السيادة الروحية المطلقة ... سيادة تملك القلوب والمهج عن رضى وحماسة واعجاب وولاء ...

كان المنصور قد عدا على بني هاشم ... عترة سيدنا رسول الله واهليه ... وكان وهو ابن عمهم يخشى سلطانهم الروحي وعظيم تأثيرهم على القلوب وعلى سلطان بني العباس بالذات .. ولقد حارب أخوه أبو العباس السفاح مؤسس الخلافة العباسية وأول خليفة عباسي نفوذ العلويين وشتتهم ليخلص الأمر كله الى بني العباس ... وعلى نهج العباس سار أبو جعفر المنصور ، فعزل الهاشميين واقصاهم وجردهم من امتيازات كانوا يتمتعون بها ، وكان من اللازم أن تبقى في أيديهم مع بزوغ شمس أخوتهم واشقائهم وابناء عمومتهم بني العباس . وان الخيزران اليوم لتوحي الى المهدى بأن يتبع سياسة جمع الشمل ، وتوحيد القلوب وارضاء بني هاشم ...

وارتاح المهدى الى الفكرة ، ووجد فيها نصرا جديدا واستهلالا بارعا لأيام حكمه ، فاسرع ينفذها، ورد الى بني هاشم ما كان قد اخذه منهم أبوه أبو جعفر المنصور ...

ولقد كان العمل عملا هينا في ذاته ، ولكنه كان عظيما في دلالته وجلال تأثيره على النفوس ، فارتاح الناس لهذه الترضية السمحة ، ووجدوا في رد الاعتبار الى بني هاشم بداية للاستقرار الشامل وقضاء على كل أثر للخلافات والتحزب بين شتى

طبقات المحكومين فى سائر أرجاء الدولة الكبيرة الممتدة هنا وهناك والتى انتظمت أهلا موحدين متحابين يجمعهم الولاء للوطن العربي الكبير ...

وهكذا مهدت آراء الخيزران للاستقرار الكامل ... وافسحت المجال للتقدم المنشود والعمل الجدى المثمر الذى كان على مواكبه ان تبدأ المسير لينتظم الناس فى صفوفها ويجد كل فرد بغيته وهدفه والعمل الواجب عليه أن يؤديه ...

وبدات الامور تسير فى الدولة بحكمة وروية ومقدرة وقوة .. وراحت الخيزران تفكر فى الغد وقد اكتفت من يومها بما حققته وما وصلت اليه.

كان الغد بالنسبة للخيزران هو ولديها موسى وهارون .. وانها لترقب كليهما وتتفرسه وتستشف تفكيره وتضعه موضع الاختبار لترى اى رجل واى حاكم سوف يكون ..

كانت الخيزران ترى أن ولديها نقيضان فى كل شىء .. كان موسى شيئا وكان هارون شيئا آخر .. كان موسى لين الطبع ، يسلم فى هدوء ظاهرى ثم لا يلبث أن يراجع نفسه ويسائلها لماذا سلم ، ولماذا رضى بالوضع . وسرعان ما تظهر حقيقته ، فاذا هو باطش رهيب ..

وكان هارون هادىء الطبع ولكنه كان يخفى وراء هدوئه ثورة الاعصار وسرعته المدمرة فى البطش والهجوم .. ورغم هذا كانت فيه سماحة وقدرة وتمكن ، وكان له غرام وولع بفنون الحرب وتعبئة الجيوش ..

ورأت الخيزران الا تكل ولديها الى المربين يلقنونهما المكتوب من العلم فحسب ، بل وجدت ان الحكمة توحى بأن تدفع بهما الى ميدان العمل ليكتسبا الخبرة ، ولتبعدهما عن التفكير فى التافه من الامور التى قد تشغل ابناء الحاكمين وتخلق حول كل منهما بطانة سوء تزين له المغامرة والتردى ، وتوحى اليه بالشر وتبعده عن جادة الصواب والصلاح ..

وأوحت الخيزران الى زوجها المهدى أن يشغل ولديه ففرح الرجل وطابت نفسه وأسلم كلا منهما ما يليق به من جديات الأمور ..

★ ★ ★

ولقد ظن «الروم» بعد موت المنصور أن ابنه قد يكون أضعف منه عودا ، فطاب لهم الغدر وراحوا يهاجمون الحدود المتاخمة للخليفة العباسي ويغيرون عليها ..

وبدت الفرصة للعمل الجدى الحاسم ... وبدأت تتجمع نذر الحرب بين العرب والروم .. بين دولة فتية لها قوتها وجاهها وقوة ايمان اهليها ، واخرى تسعى الى السيطرة وتحاول استعادة أمجاد قديمة أتى عليها العرب يوم قاموا يبثون مكانتهم ويأخذون مكانهم تحت الشمس وقد وحدهم الدين ،وخلقهم الاسلام خلقا جديدا، له مفاهيمه ومراميه ..

وتحفزت الجيوش فى كلا المعسكرين للموقعة الفاصلة .. وتحركت فى اعتداد وهدوء وثبات لتحقق آية النصر العظيم ..

ودوى النفير فى بغداد العظيمة عاصمة العالم الاسلامى فى ذلك الوقت ، ورافعة رايته وحامية امجاده ، .. ودعا داعية الجهاد الى الخروج .. وتأهب الجيش العباسي للمرة الأولى في تاريخ وجوده الحربى ليعمل خارج الحدود وأمام قوات أجنبية معادية تحلم بالرغبة فى القضاء على النفوذ العربى .

واسرعت الخيزران بنت عطاء الى زوجها أمير المؤمنين المهدى .. أسرعت أم موسى وهارون الى زوجها القائد ، والجيش يتأهب للمسير الى الميدان وعلى رأسه قائده المهدى ، وراحت ترجوه فى الحاح أن يستعين بولدها الثانى هارون .. وأن يكل الى ولدها موسى القيام بمهام الدولة اثناء غيبة ابيه فى الحرب ، فهو ولى العهد وهو صاحب الأمر الاول من بعد أبيه ..

واستصوب المهدى فكرة الخيزران الذكية .. واسرع ينفذها ، فهذا هو الوقت الحاسم فعلا لوضع ولديه فى مكان العمل ، واختبار قدرة كل منهما عليه ..

وعلى كرسى الخلافة جلس موسى الهادى نائبا عن أبيه والى جواره الخيزران الذكية أمه الباسلة الطموح تمده بالرأى والمشورة .

والى ميدان الحرب سار هارون الرشيد ، مع ابيه للقضاء على المطامع الرومية ولتلقين الروم درسا يمتنعون بعده عن نقض أطراف دولة العباسيين ..

وفى رحاب النصر .. وفى ظل الفتح .. سار هارون الصغير ، فنشق نسائم الظفر ، وتذوق طعوم المعارك وخاض الغمار الى جانب أبيه ، بطلا عربيا مظفرا قادرا على تحقيق المقاصد السامية والفتح المبين .. وكان أن أبلى هارون فى الجهاد بهذه الحملة بلاء حسنا وتميز فيها بحيث منحه

أبوه لقب « الرشيد » واوصى له بولاية العهد بعد أخيه الأكبر موسى الهادى .

ووصل المهدى وولده هارون الى بلاد الروم .. الى قلب وطن العادين .. الى البسفور ولعلهم بلغوا القسطنطينية نفسها .. وكان على العرش البيزنطى اذ ذاك الملكة ايرين وصية على ابنها الصغير قسطنطين السادس .

ووصلت الأنباء الى بغداد السعيدة بما كان وبأنباء المواقع العظيمة التى خاضها المهدى وولده هارون وجيوشهما ضد الروم ، فعمت البشائر واقيمت الافراح وامتلأ قلب الخيزران بالزهو والفخار ،ففى الميدان شريكها العظيم وابنها الحبيب وانهما ليحققان الظفر الأعظم والنصر المبين ..

ان المُنى لتواف الخيزران حيثهى،وان مواكب الاحلام البراقة لتسعى اليها وهى فى تمام اليقظة .. انها ليست أضغاث احلام .. بل حقائق كانت تراها وتسمع بها ويتحدث بأمرها الناس وانها لتشعر بالفخر والاعتزاز .

لقد أسلمها الأمس الطموح الى اليوم المرموق وهو لها وملك بنانها .. وان الغد ليأتيها خاضعا وسيكون لولديها العظيمين موسى الهادى وهارون الرشيد شان أى شأن .. ولها هى ايضا فهى الأم العظيمة التى أحسنت تقويم ولديها وغرست فى أحناء قلب كل منهما الشجاعة والجراة والطموح ..

وعادت أنباء النصر العظيم تترى على بغداد .. ان الجيش العربى العباسى يدق أبواب القسطنطينية ويملأ بالذعر قلب الروم ويخيف ملكتهم الرهيبة .. « ايرين » التى اغتصبت عرش الروم وكانت اول امرأة مطلقة السلطان فى تاريخ بيزنطة .. فتولتها رجفة .. واهتز التاج على مفرقيها فى وجل وذعر ، وهى ترى نتيجة العدوان على العرب ، وكيف انهم أتوا الى بلادها فاتحين قادرين على فرض السلطان على العادين ، بعد دحرهم وهزيمتهم واشعارهم بالذل وخزى الهزيمة ، ومرارة الفرار .

واسرعت الملكة ايرين تلم شعث الموقف وتتدارك الخطأ البين ، وتحاول اصلاح ما كان وانها اليوم لتسعى نادمة الى معسكر امير المؤمنين المهدى وولده هارون تعرض الصلح وتعلن المهادنة وتقرر قبولها مقدما لكل ما يرتضيه العرب ، أو يفرضونه من شروط ..

وهكذا اضطرت أن تعقد صلحا مذلا لها مع العرب ..

وقبل المهدى رجاء ايرين .. وأبى عليه خلقه العربى أن يستذلها او يهين كرامة بلادها ... وقبل الصلح على أساس دفع الجزية وقدرها سبعون الفا الى تسعين الفا من الدنانير تؤديها على قسطين من كل سنة ، وقبلت ايرين راغمة أن تكون تابعة للمهدى وان يدفع الروم الجزية للعرب وهم صاغرون ..

وبالغت الملكة الرومية ايرين فى محاولاتها لتوثيق روابط هذا الصلح ، استجلابا لرضاء العرب ، وضمانا لبعدهم عن بلادها ، وعدم تفكيرهم فى غزوها وادخالها تحت سلطانهم ، وراحت تراسل الخيزران ملكة العباسيين فى عرفها ، وارسلت اليها الهدايا وبالغت فى التودد اليها ..

اى ظفر حلو تذوقته الخيزران خلال تلك الحقبة من حقبات الظفر والنصر المؤزر العظيم ... انه ظفر لم تتذوقه عربية مسلمة من قبل تشعر فى صميم نفسها انها شريكة فيه ، وانها أسهمت عن مقدرة فى بنائه واقامة صرحه الشامخ العظيم .. بل انه من صنع يديها هى وحدها لأن من حققه لم يكن غير زوجها المهدى وابنها هارون الرشيد !!

وعاد المهدى وولده هارون الرشيد وجيشهما ترفرف فوقهما بنود النصر السامقة ..

ونشر السلام أجنحته على ربوع الوطن العربى الكبير .. وما من شك فى أن انتصارات الجيوش الاسلامية على أعدائهم كانت سببا فى تالق نجم هذا العصر ، كما أن حياة الترف والبذخ التى اتصف بها قد رفعت من شانه ، وكانت سبب عظمته الحقيقية تعود الى اليقظة الفكرية التى تعتبر من النهضات الهامة فى تاريخ التقدم الفكرى العربى.

وامتلأ بالثقة قلب الخيزران ، وتطلعت الى الغد المأمول فى أمل واعتداد

★ ★ ★

وبعد أحد عشر عاما من الحكم والسلطان والفتح والانتصار ولم شعث الدولة وتثبيت دعائم وجودها مات المهدى .. مات الزوج المخلص الأمين شريك الخيزران الذى لم يخالف لها رأيا ولا مشورة .. وخلفه فى امارة المؤمنين ولده موسى الهادى ..

ونظرت الخيزران حواليها .. نظرت فى زهو .. وبدات ترى يومها وغدها .. لقد كانت بالأمس شريكة زوج فى الرأى .. لا فى الامارة والخلافة

والجرأة على الظهور ، وانها اليوم لفى مكان أعز واقوى من مكانها بالأمس .. انها ام امير المؤمنين .. انها اكثر من شريكة .. واعظم من ان تكون صاحبة رأى فقط ..

وامتد بصر الخيزران الى ما هو أبعد وابعد .. امتد بصرها الطموح الى السلطة نفسها ..

ورأت الخيزران نفسها فى مكان الصدر من الخلافة .. بل انها هى الرأس .. وما دام موسى ابنها البكر هو الخليفة فلتكن خلافته اسمية ولتكن هى الخليفة وصاحبة الأمر والنهى ..

كانت ام موسى تعرف مكانتها من موسى ... كانت تعرف مدى حبه لها وتوقيره اياها واحترامه لرأيها ومشورتها .. وكيف انها كانت صاحبة الحظوة والرأى عند ابيه المهدى وصاحبة المكانة والجاه فلا اقل من ان تبقى حيث كانت دون ان تتحول عن مكانها العظيم ..

ان الخيزران لتحس انهااليوم فى السنام .. وانها كل شىء فقد واتتها السلطة ووجدت الابن اللين الطباع المفرط فى حقوقه ، فلا اقل من ان تشبع طبيعتها البشرية المغرمة بالمظاهر والفخفخة وتسير الى تحقيق السيطرة التامة على الدولة والسيادة الكاملة على شئون الحكم ..

وتفردت ام موسى وعزت ، حتى لقد تنبه شانها وانصرف الناس عن باب الخليفة الى بابها هى ، وتوافدت عليها المواكب وقصدها اصحاب الحاجات من الطامعين العديدين فكانت تحقق لهم مطامعهم وتنيلهم اغلى الأمانى وتعطيهمفوق ما كانوا يريدون . وفى ذلك يقول ابو المعافى :

يا خيزران هنـاك ثم هنـاك
ان العباد يسوسهم ابنـاك

واحس موسى الهادى بعد مضى شهور قلائل من حكمه انه لا شىء .. وان امه هى كل شىء فهى لم تشاركه الحكم فقط .. بل اصبحت هىالحاكمة الفعلية .. وخاف مغبة الأمر .. وخشى ان يخرج الحكم من يده وتضيع مكانته بين الناس ..

ورأى امير المؤمنين ان التمادى فى طاعة الام الطامعة تهاون فى حقوقه .. وانها ــ وان كانت طاعتها هذه واجبة والبر بها فرض سماوى ــ فانه يجب ان تكون هذه الطاعة مشروطة محدودة لا يتعداها كل من المطاع والمطيع !!

وبدأ الهادى يسحب يده الممدودة .. ويجمع اشتات ظل المجد والسلطان الذى اضفته امه على نفسها ويسترد حقوقه كاملة .. وسيطرته غير منقوصة ، كأمير للمؤمنين مسئول وحــده عن رعيته أمام الله ، وسلطان الضمير ثم .. أمام الرعية نفسها ، فكان ان بدأ خطته المحكمة بالتباطؤ فى تنفيذ رغبات امه .. وكانت رغبتها فى تولية خاله الغطريف حكم اليمن أعز امانيها ..

وبعثت الخيزران الى ابنها تستنجزه وعده مرة بعد مرة فلم يجبها الى ما طلبت فكتبت اليه .. وذكرته بمكانة الغطريف منه ، وانه ليس خاله شقيق امه فحسب ، بل والد زوجته ايضا ، فرد امير المؤمنين عليها بان تخير خاله بين ولاية اليمن او طلاق ابنته من امير المؤمنين ، وبعث اليها رسولا بذلك ، ويبدو ان الرسول لم يفهم مقالة الهادى ، اذ عاد اليه مسرعا يقول له ان خاله قــد تخير ولاية اليمن !!

واصدر الهادى أمره بتنصيب خاله الغطريف واليا من قبله على اليمن ثم .. طلق زوجته ...

ورغم ما ظهر للهادى بعد ذلك من ان الرسول قد أساء فهم رسالته .. الا ان حادث طـلاق زوجته قد أثر فيه الى حد كبير واحفظ قلبه على الخيزران امه ، وندم لانه فرط فى حقوقه معها وجعلها تتعدى حدودها ، وتقحم نفسها فى كل شىء فى الدولة .. واقسم بينه وبين نفســه الا يجيبها بعد اليوم الى شىء ترجوه مهما تكن النتيجة .

وعادت الخيزران تطلب وتأمر والهادى يمتنع عن التنفيذ .. وعز عليها ذات مرة ألا يستجيب لها ويحقق لعبد الله بن مالك حاجة سعى بها الى الخيزران ووعدته بانها لا بد ستنفذها له ..

ووجدت نفسها تذهبالىولدها تأمره بالاستجابة للأمر فاعتذر ، فاخذت ترجوه فلم يستجبللرجاء .. فتوسلت اليه ضارعة ، ولكن الهادى ظل عند رأيه فى الرفض والاصرار على عدم الاذعان .فقامت ثائرة غاضبة تهدد وتقسم انها لن تسأله بعد اليوم حاجة ابدا . واذا بولدها يستوقفها فتوقفت لحظة جمعت خلالها انفاسها اللاهثة وقد ظنت ان الهادى قد بدأ يلين وانه عاد الى طاعتها من جديد فاذا هو يقول لها :

ــ مكانك يا أم .. واستوعبى جيدا ما اقوله لك الآن .. والله الذى لا اله غيره ، والا نفيت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ

لئن بلغنى بعد اليوم انه قد قصدك صاحب حاجة ووقف ببابك أحد من قوادى او خاصتى او احد رجال دولتى او خدمى لاضربن عنقه ولاقبضن ماله .. فمن شاء فليلزم ذلك .. يا أم .. ما هذه المواكب التى تغدو كل يوم ببابك وتروح ، اما لك مغزل يشغلك ، أو مصحف يذكرك ، أو بيت يصونك ؟! يا أم .. اياك ثم اياك أن تفتحى بابك لمدحى أو لذمى ..

وكادت الخيزران أن تصعق من هول ما سمعت اذ ما تصورت يوما أن ابنها البكر وولدها الأثير عندها .. موسى الحبيب المحبوب سيصدم احلامها بهذه الصورة من صور العنف الشديد ، ويصدها عن بابه بمثل هذه القسوة ، ويخيب رجاء قصادها كما فعل .. ووجدت نفسها تسكت اذ عز عليها أن تطاول ابنها أو أن تجادله .. ثم انصرفت كسيرة القلب حزينة الفؤاد وقد أقسمت الا تراه والا تخاطبه بعد اليوم ..

ولم يقف الهادى عند ثورته من تدخل امه الخيزران فى أدق شئونه عند ذلك الحد الذى كان بينه وبينها فحسب ، بل احب أن يكون الأمر عاما وأن يعلم به الجميع ، فكان ان جمع قواده وخاصته وكبار رجال دولته ووقف يقول فيهم :

ـ أيها الناس .. أيما خير .. أنا او انتم ..

فاجابوا جميعا فى دهشة :

ـ بل انت يا أمير المؤمنين .

فعاد الهادى يسأل فى اصرار وغضب زائدين :

ـ فايما خير .. أمى أم أمهاتكم ..

فقالوا جميعا فى عجب :

ـ بل امك انت يا أمير المؤمنين .

وزفر الهادى زفرة عميقة .. ونظر الى رجاله فى ضيق برم وغضب واكمل يقول :

ـ فايكم يحب أن يتحدث الرجال بامه يقولون فعلت أم فلان ، وقالت أم فلان ؟!

وتراجع الرجال فى دهشة واجابوه فى صوت واحد انه لا أحد منهم يحب هذا .. واذا بالهادى يقول غاضبا :

ـ اذا فما بال الرجال يأتون أمى فيتحدثون بحديثها ؟!

وفهم رجال الدولة ما يقصده أمير المؤمنين وما يرمى اليه ، فتملكهم الخوف ووجدوا السلامة فى الطاعة والبعد عن باب الخيزران والانصراف عنه .

وعز هذا على أم موسى وكبر عليها وحزنت اشد الحزن لوحدتها وانصراف القصاد عن بابها وهى التى كانت ملجأ الجميع ،فاقسمت أن تعتزل ابنها البكر طوال حياتها والا تكلمه أو تزوره ابدا .

وحقدت أم موسى وهارون على موسى ..

وبادلها موسى الحقد حتى أنساه حقده فضل الأمومة ومكانة الأم ، حتى لقد فكر فى التخلص منها وانهاء حياتها بالسم وبعث اليها ذات يوم طعاما كانت تحبه واوصى بان تاكله وحدها ..

وراب الخيزران الأمر .. وأمرت بكلب فاحضروه سريعا ، والقت اليه ببعض الطعام فسقط ميتا لساعته !!

وتعجل الهادى فعل السم فى أمه فأرسل اليها كيف وجدت طعامه الذى أرسله اليها ؟ فقالت انها وجدته طيبا ..

فسخر منها وأجاب رسوله عن لسانه بل انها لم تاكله ولو اكلته لاستراح منها .. لأنه لا يفلح خليفة له أم !!

وابتسمت الخيزران ضاحكة فى سخرية ... وراحت تنظر فى أمر ولدها الذى مد يده فى قسوة فانتزع من قلبها كام ، ما كان يفيض به من حنان ورعاية وحب ..

وبدأت طبيعة المرأة الشريرة المنتقمة تطغى على نفس الخيزران ، وتملكها الشر حتى وطأت اقدامها كل فضيلة ، ووقر فى نفسها أن تحمى ذاتها وانها ان لم تنفذ بالهادى فسوف يتمشى بها عن قريب وأن واجبها أن تحترس وان تعجل به .

ونسيت الخيزران كل طبيعة طيبة تميزت بها الأم .. وعادت تعيش بخيالها فى ذكرى أيام أبى جعفر المنصور أستاذها ومعلمها الروحى الاول .. الرجل الذى تعدى الحدود والسدود ونفذ الى غرضه بكل وسيلة وبأى سلاح .. وبطش بأقرب الأقربين اليه ولم يفكر الا فى وجوده هو ... وصالحه وحده دون سائر الناس ولو قضى فى ذلك على الناس أجمعين .

ولجأت أم موسى الى الذهب والدهاء .. وفى يسر وهدوء استطاعت أن تصل الى غرضها وأن تقضى على ابنها البكر بنفس السلاح الذى أراد أن يقضى عليها به .. وأغرت بعض جواريها بقتله .. وبالسم ، ففعلن !!

ومات الهادى مسموما بعد عامين من حكم قضاه

فى نزاع مع أمه الخيزران .. واتمام بعض انجازات الدولة ..

ولما حضرته الوفاة ، وأتاها الرسول ليخبرها بذلك .. قالت : وما أصنع به ؟!

فقالت لها خالصة – قومى الى ولدك .. فليس هذا وقت عتاب او غضب ..

فقالت الخيزران:«اعطونى ماء اتوضا للصلاة..

ثم زفرت عن الم عميق قالت بعده : أما كنا نتحدث ان يموت فى هذه الليلة خليفة ويملك فيها خليفة ، ويولد خليفة .. فمات موسى الهادى ، وملك هارون الرشيد ، وولد المأمون » !!

وخلف هارون أخاه موسى .. وتربع من بعده على العرش .. ونودى به أميرا للمؤمنين ..

كانت الخيزران تعرف فى هارون الرشيد هدوءه وطول صبره واناته وحكمته ، وحذره وعدم ايمانه بالمظاهر او خضوعه لها فى كثير او قليل .. وعلمتها تجربتها الدامية مع الهادى أن تقف عند حدها وان لا تتعداه والا تكررت المأساة مرة ثانية واصبحت النكبة مضاعفة ..

لقد قتلت الخيزران ابنها الهادى .. هذا حق ..ولكن..وبعد أن تم لها ما أرادت ...وتخلصت من فلذة كبدها الغالى..هل استقرت أو استراحت أو هدأ لها ضمير ؟!!

لا .. لا .. وانها لتحصد ما بذرته ندما وحسرة وتعرف أنها أخطأت منذ البداية وكان من اللازم ان تقف عند حدها كأم حانية راعية ولا تتعداه أبدا الى أكثر من ذلك . فولدها خليفة مسئول ، وأمير للمؤمنين ، له بحكم مركزه جلال وتبعات ما كان يجب عليها أن تطمع فيها . وكان من واجبها أن تسعد بمكانتها وتعتز بابنها وتشكر الله أن منّ عليها ، فكانت زوج خليفة وأم خليفتين، وهذا أقصى ما ترجوه أم..ولكنه الطموح والطمع وحب المظاهر الدنيوية .. وانها اليوم لتتراجع فى ذعر الى مكان بعيد !! وتأبى أن تعيد التجربة المثيرة الأليمة ..

وعاشت الخيزران خلال خلافة ولدها الرشيد حياة هادئة حتى وافاها أجلها فاكرم ابنها جثمان أمه ، وشيعها بما يليق بمكانة أم موسى وهارون وزوج المهدى .. وخرج الرشيد يشيع جنازتها وعليه طيلسان ازرق شد به وسطه وقد أمسك بالنعش وسار خلفه حافى القدمين يغوص فى الطين وأوحال الطريق حتى القبر .. وتم دفن أمه العظيمة .. وعندها طلب غسل رجليه وازالة ما علق بهما من الطين ولبس نعله ..وجعل يبتعد عن القبر واجف القلب دامع العين ، ثم جلس بعيدا ليستريح بعض الوقت ، وكأنى به فى تلك اللحظات الرهيبة كان يسترجع الماضى ويتصور ما فات وما كان وما سوف يكون !!

وترحم هارون الرشيد على أمه .. وزفر زفرة حارة خففت بعض مايعتلج فى قلبه من هموم واشجان.

ورفع وجهه الى السماء ثم غض بصره ... واستغرق فى تفكير طويل .. وانها سنة الحياة .. لقاء وفراق أليم !!

وحمد هارون الرشيد الله اذ لم تغير الأيام ما بينه وبين أمه .. ثم .. نظر الى جانبه ونادى الفضل بن الربيع فأسرع اليه الرجل فى وفاء واخلاص ، فدفع اليه الرشيد خاتمه .. ووكل اليه تصريف شئون الدولة واتخذه عونا له فى كل الأمور .

وتلقى الفضل أمر سيده بالشكر .. واذا بالرشيد يقول له فى همس :

– انى كنت أَهُمُّ أن أوليك..ولقد أقدمت على ذلك أكثر من مرة ، فكانت تمنعنى أمى . وكنت أطيعها .. أما اليوم .. فلا على .. ولا عليك يا فضل بن الربيع ...

وهكذا .. وعلى هذه الصورة .. انتهت حياة الخيزران ..

حياة المسلمة المجاهدة الخالدة الطامعة الطموح الى المجد .. توفيت الخيزران فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ١٧٣ هـ ، وفى يقينى انها عاشت حياتها كما يجب أن تعيش زوج خليفة وأم خليفتين ولكن .. لنقف عند ذكر محاسن موتانا .. وأم موسى وهارون .. كانت لها محاسنها وأفضالها ومن الخلق الكريم ان نشيع الذاهبين بالاحسان والترحم..والتكريم. ■■

سنيه قراعة

ملحوظة :

المصادر هى : تاريخ الطبرى ، مروج الذهب للمسعودى ، بلاغات النساء لطيفور ، تاريخ ابن خلكان ، الاغانى للاصبهانى ، أعلام النساء لعمر رضا كحالة ، تاريخ العرب للدكتور فيليب حتى .

اعرف وطنك أيها العربي



المنطقة الشرقية

من المملكة العربية السعودية

رأس تنورة • بقيق • الظهران • الخبر • الدمام

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
عبد الناصر شقره

■ بين ساحلين : ساحل البحر الأحمر وساحل الخليج العربى تقع المملكة العربية السعودية ..

لقد عرف الناس الساحل الأول المطل على البحر الأحمر ، والذى طالما ساروا عليه وهم يتجهون الى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج .. أما الساحل الثانى : شاطىء البترول والذهب الاسود ، الذى تغسله أمواج الخليج العربى فقليل هم الذين يعرفون عنه شيئا ..

والى هذا الساحل الثانى طارت بعثة العربى لتنقل لك صورة حية عن هذه المنطقة « المجهولة المعروفة » .. اذ ان الكثير من اسماء مدنها قد طرق آذاننا اكثر من مرة : الظهران .. الدمام .. راس تنورة .. القطيف .. اسماء لبلدان سمعناها ، دون أن نعرف شيئا عنها .



خريطة المنطقة الشرقية من المملكة السعودية ، واسماء المدن التى ورد ذكرها فى المقال ..

ولكن هذا الجهل لا يعيبنا ، لأنها مدن أكثرها حديث العهد ..

انها مدن ظهرت بجوار حقول النفط ، يعيش فيها أناس ، جاء أكثرهم من كل مكان .. من الحجاز وعسير والقصيم ، ومختلف مناطق السعودية ومن خارجها ، تجذبهم الى هنا رائحة البترول القوية ..

انهم يعيشون فى عالم غريب متشابك متداخل .. عالم الزيت والنفط الذى استطاع ان يقلب الحياة ظهرا على عقب فوق رمال الساحل الشرقى ، الذى عرف قديما بأسماء البحرين وهَجَر والأحساء ، واليوم أصبح يعرف باسم « المنطقة الشرقية » ..

الخطر الأكبر

ويمتد هذا الساحل من الحدود الجنوبية للكويت حتى امارات الساحل المتصالح .. طرفه الشمالى ، صحراوى رملى لا حياة فيه .. ووسطه مركز تجمع البترول .. أما جنوبه فمملوء بعيون المياه العذبة التى لا تتفجر من تحت الرمال فقط ، وانما من تحت مياه الخليج المالحة كذلك . انها عيون مائية حلوة يمكن مشاهدتها بسهولة عندما تنحسر المياه فى فترة جزر البحر التى تشكل الخطر الاكبر على المنطقة الشرقية .. اذ ان شاطىء الخليج العربى ، قرب الجبيل ، ضحل ورماله تلقيها الامواج على الشاطىء وسرعان ما تجففها اشعة الشمس الحارقة ، وتهب الرياح فتحمل هذه الحبيبات وتذرها على مدن المنطقة الشرقية ومزارعها، فتغطيها وتدفنها تماما مع مرور السنوات (راجع استطلاعنا عن الهفوف والرمال المتحركة فى العدد ٩١ من « العربى ») .

مدينة من سبع مدن

ويمتد الساحل الشرقي مسافة ٥٠٠ كيلو متر تقريبا بشكل غير منتظم اذ تكثر فيه الالتواءات والمنحنيات ، وعلى هذا الشاطىء تقع سبع مدن رئيسية يرتبط بعضها ببعض بسلسلة من الطرق المرصوفة رصفا جيدا .. ولكنك ما تكاد تنتهى من جولتك بين هذه المدن السبع حتى تخالها



حى الدواسر فى الدمام .. أول منطقة بدأ البناء فيها منذ ٤٥ عاما ..

مدينة واحدة كبيرة مقسمة الى سبعة اقسام ، كل منها يكمل الآخر ..

الدواسر فى الدمام

ما من شك فى أن الدمام هى أولى هذه المدن اذ هى بمثابة البوابة الشرقية للسعودية ، فيها « يجلس » أمير المنطقة : سعود بن جلوى ،الرجل الذى يكفى ذكر اسمه لبث الرعب فى قلب كل من تسول له نفسه العبث بأمن تلك المنطقة ، التى شهدت الكثير من اختلال الامن وفساد الادارة فى الماضى البعيد ، حتى كان يضرب بها المثل فى الفوضى .

لقد كانت الدمام خرابا بلقعا حتى عام ١٩٢١ عندما جاء اليها رجال من قبيلة « الدواسر » نازحين من منطقة البُدَيّع بالبحرين غاضبين من الانكليز الذين عزلوا الشيخ عيسى بن خليفة .. لقد عبروا البحر ونزلوا الى الدمام منذ ٤٥ عاما ، وشيدوا فيها مساكنهم من الطين والحصى وسعف النخيل .. وما زال حى الدواسر قائما حتى الآن فى الدمام .. وفيه عثرنا على اثنين من المهاجرين الأوائل حدثانا عن هجرتهم بقولهما:

« كان عددنا ١٥ شخصا من رجال ونساء ، ولم يكن فى الدمام سوى قصر مهجور وعين ماء ، فأقمنا منازلنا وعملنا فى الغوص بحثا عن اللؤلؤ ، ثم توافد أهل نجد وانضموا الينا ، فكثرت الاعمال ، فتركنا اللؤلؤ واتجهنا للتجارة . وفى عصر النفط اتجهنا للمقاولات مع شركة النفط » ..

ويتابع عبد العزيز الدوسرى ، حديثه عن الدمام الجديدة بقوله : « ان الدمام مدينة يتغير شكلها كل شهر .. فالعمارات ترتفع فى كل ركن ، والشوارع تشق فى كل اتجاه .. لقد أصبحت مدينة « مرغوبة » يأتيها الناس من كل فج للعيش فيها ، حتى وصل عدد سكانها الى ٥٠ ألف نسمة » .

أكبر موانىء فى السعودية

والدمام ميناء كبير قبل أن تكون مدينة ، اذ انها تتبوأ المركز الثانى ، بعد جدة ، بين موانىء المملكة السعودية .

وعلى الأرصفة الستة لميناء الدمام ترسو سنويا نحو ٤٠٠ باخرة من عابرات المحيطات ، تفرغ ما تزيد حمولته عن نصف مليون طن من البضائع الثقيلة التى تحتاج اليها المنطقة الشرقية بما فيها الرياض العاصمة .. ان المياه الضحلة فى هذا الساحل جعلت ميناء الدمام يمتد فى البحر على هيئة لسان طوله عشرة كيلومترات ، ترسو عند طرفه السفن الكبيرة .. ولمواجهة المشاكل العديدة التى نتجت عن الزيادة الكبيرة فىالواردات تقرر زيادة عدد أرصفة الميناء من ٦ الى ١٢ رصيفا خلال السنوات الأربع القادمة ..

والرسوم الجمركية التى تتقاضاها ادارة الميناء (التابعةلمؤسسة السكة الحديد) متفاوتة متباينة، فالاعفاء التام ينطبق على مواد البناء واللحوم الطازجة والأغنام والمواشى .. أما المواد الغذائية الرئيسية من حبوب وأرز ودقيق وسلى فهذه لا تعفى من الضريبة فقط ، انما تقوم الحكومة بدفع ٢٠٪ من قيمتها للمستوردين تشجيعا لهم

أما السيارات الفخمة التى يزيد ثمنها على ١٨ الف ريال فتؤخذ عليها ضريبة تصل الى ٤٥٪ من ثمنها ..!

ربط الخليج بالبحر الاحمر

ومن داخل ميناء الدمام الممتد فى مياه الخليج يبدأ سير خط السكة الحديد للمنطقة الشرقية ، الذى تحمل عرباته بضائع السفن مباشرة ،فتنقلها مسافة ٥٦٦كيلومترا عبر الظهران وبقيقوالهفوف





شبكة معقدة من الابراج والاسطوانات فى معمل التكرير براس تنورة . لقد استطاع هذا المعمل تكرير ١١٦ مليون برميل من النفط الخام عام ١٩٦٥ كما أن جميع طرق المملكة العربية السعودية تقريبا قد رصفت بالاسفلت المصنوع فى هذا المعمل .





كان عدد الامريكيين العاملين فى صناعة البترول براس تنورة ١١١٣ امريكيا فى عام ١٩٥٧ أصبحوا اليوم ٢٥٠ فقط والباقون أصبحوا كلهم من أبناء المملكة العربية السعودية



بالرغم من كمية الغاز الهائلة التى يعاد حقنها في حقلى بقيق والغوار ، والتى تبلغ ٢٠٧ ملايين من الاقدام المكعبة من الغاز يوميا .. بالرغم من ذلك فهناك فائض كبير يشعلون فيه النيران لحرقه ، خوفا من مادة كبريتور الايدروجين السامة الموجودة فيه .. وفوق هذا الكلام تبدو النيران متصاعدة من الغاز المحترق .



الى اليمين : من جميع حقول البترول في السعودية تمتد انابيب النفط لتصب الزيت الخام فى مستودعات رأس تنورة قبل تحميله فى جوف ناقلات البترول الضخمة .. وتتم عملية التحميل بطريقة آلية ، اذ ما يكاد الجالس فى غرفة المراقبة يضغط على احد الازرار حتى يتدفق الزيت الخام

وعين حرض والخرج ، حتى العاصمة الرياض .. ويقطع القطار هذه المسافة في سبع ساعات ونصف، لتوقفه في كل محطة ، مع أن سرعته ١٠٠ كيلو متر في الساعة ..

لقد بدأ العمل في هذا الخط عام ١٩٤٧ وانتهى عام ١٩٥١ عندما دق الملك عبد العزيز مسمارا ذهبيا في نهايته عند محطة سكة حديد الرياض .. ومما يذكر أن ميناء الدمام وخط السكة الحديد يعتبران مشروعا واحدا بلغت نفقاته ١٨٥ مليون ريال. الجنيه الاسترليني = ١٢٫٥ ريالا سعوديا.

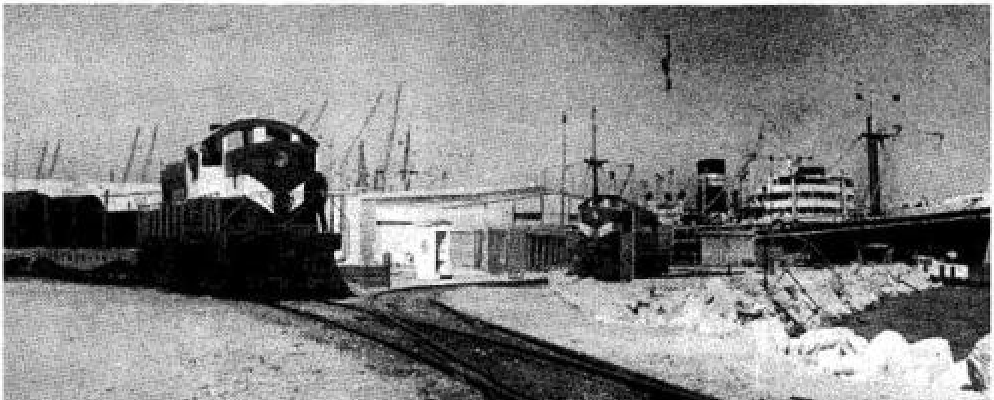
وتسير يوميا ، عدا أيام الجمعة ، قطارات تنقل الركاب من الدمام الى الرياض وبالعكس ، مقابل ٤٠ ريالا ، مستعملة عربات أمريكية الصنع ، مكيفة الهواء ، كانت تسير على خط السكة الحديد الممتد من نيويورك الى نيوهيفن وهارفرد ... والأمل كبير في أن يمتد هذا الخط حتى يربط بين الخليج العربي والبحر الأحمر ، وقد أجريت الدراسات اللازمة لهذا الغرض .. واذا تم المشروع فانه سيلتقي مع خط الحجاز القادم من سوريا والاردن حتى المدينة المنورة ..

زيادة في الليل .. ونقص في النهار !

ان وجود الميناء وبداية الخط الحديدي في الدمام قفزا بالمدينة عشرات السنين الى الامام ، حتى أصبحت مقرا لموظفي المديريات الحكومية وشركة النفط .. ينامون فيها بالليل ، فيصل عددهم الى حوالي ٥٠ الف نسمة ، ولكن ما يكاد يطلع النهار حتى ينخفض عددهم الى ٣٥ الف نسمة ، لأن الموظفين منهم يهرعون الى اعمالهم في مدن البترول القريبة .. ولا يمكث في الدمام الا التجار والمقاولون وأصحاب ورش السيارات وموظفو الحكومة ، وأغلبهم قدم الى هنا من الرياض والهفوف وعسير .. أما الايرانيون فاغلبهم يعمل تاجر تجزئة .

روبيان وأكياس وعلف

ولقد أقبل على الدمام سكان جدد ، هم العمال الفنيون الذين يعملون في المصانع التي بدأت تظهر عند مدخل المدينة ، وفي مقدمتها مصنع تثليج الروبيان (الجمبري) .. وفي هذا المصنع يعمل ١٦٠ عاملا على تنظيف الروبيان وغسله ، ووضع كل ٥٠ رطلا منه في علبة من الورق المقوى ، توضع داخل ثلاجات خاصة لتثليجه .. ان العمل داخل هذا المصنع لا يتوقف على مدار السنة .. وما تكاد تنتهي عملية التثليج حتى تنقل المنتوجات الى عربات السكة الحديد المكيفة ، لتوصلها بدورها الى السفن الكبيرة في ميناء الدمام وهي التي تشحنها الى الولايات المتحدة ومختلف دول امريكا ..



القطار بجوار السفن .. يبدأ خط سكة حديد المنطقة الشرقية ، من داخل ميناء الدمام .. لأن العربات تحمل مباشرة البضائع المفرغة من فوق ظهور السفن الكبيرة.

وينتج هذا المصنع المزود بأحدث الآلات ١٧٥٠٠ رطل من الروبيان المثلج يوميا .. ويتوقف العمل فيه لفترة شهرين فى السنة .

والى جانب مصنع الروبيان تقوم شركة لصنع الاكياس من الورق المستورد فتجعله على هيئة ورق مطبوع وأكياس للمتاجر ، وللاسمنت ، وللأسمدة الكيماوية التى سيبدأ انتاجها فى مطلع عام ١٩٦٨ بعد الانتهاء من بناء مصنع الاسمدة فى الدمام .. ويغطى انتاج مصنع الورق ٧٠ فى المائة من استهلاك المنطقة الشرقية والعاصمة الرياض..

ومنذ بضعة أشهر فقط افتتح مصنع لانتاج العلف يستطيع تزويد الاسواق بنحو ٥٠٠ طن شهريا .



مصنع منتوجات الورق بالدمام ، وفيه يتم تحويل الورق المستورد الى اكياس وورق مطبوع للمحال التجارية

مرتب الطالب ٢٥٠ ريالا

وكان من آثار انتشار الصناعة ان زاد الاقبال على المدرسة الصناعية بالدمام ، فحولوها الى معهد صناعى يضم ٦٦٩ طالبا سعوديا يعلمهم ٣٢ مدرسا جاءوا من سوريا وفلسطين والاردن و ج.ع.م. والسودان والعراق ، انهم يدرسونهم الكهرباء ، والبرادة وسبك الحديد ، والنقش والزخرفة ، والخراطة والنجارة .

ويتلقى كل طالب فى المعهد مبلغ ٢٥٠ ريالا سعوديا فى الشهر ، وبعد تخرجه تتهافت عليه الدوائر الحكومية فتوظفه براتب لا يقل عن ٥٢٥ ريالا شهريا .. (نحو ٤٢ دينارا) .

غـيـرة .. !!

ومما لا شك فيه أن مدينة الدمام أصبحت تحتل مكانة مرموقة بين مختلف مدن المملكة السعودية ، ولكنها تشعر بالغيرة من شقيقتها التوام التى بدات تكبر وتتسع .. انها مدينة الخبر التى ولدت فى نفس الوقت مع مدينة الدمام منذ ٤٥ عاما ، عندما جاءهما الدواسر ، ولكن الخُبَر ظلت متوقفة عن النمو حتى عشر سنوات ماضية ، وفجأة اشتد عودها وانطلقت كالمارد .. وبسرعة مذهلة تحولت الى مدينة حديثة ،تتجمع منازلها حول شارع واحد طويل ، هو شارع الأمير خالد .. انها اول مدينة فى المنطقة الشرقية دخل النور الكهربائى الى شوارعها ، واقيمت فيها حديقة عامة ، واضيئت واجهات محلاتها بغاز النيون !

الشورت والبشت .. والكلب والعنزة !

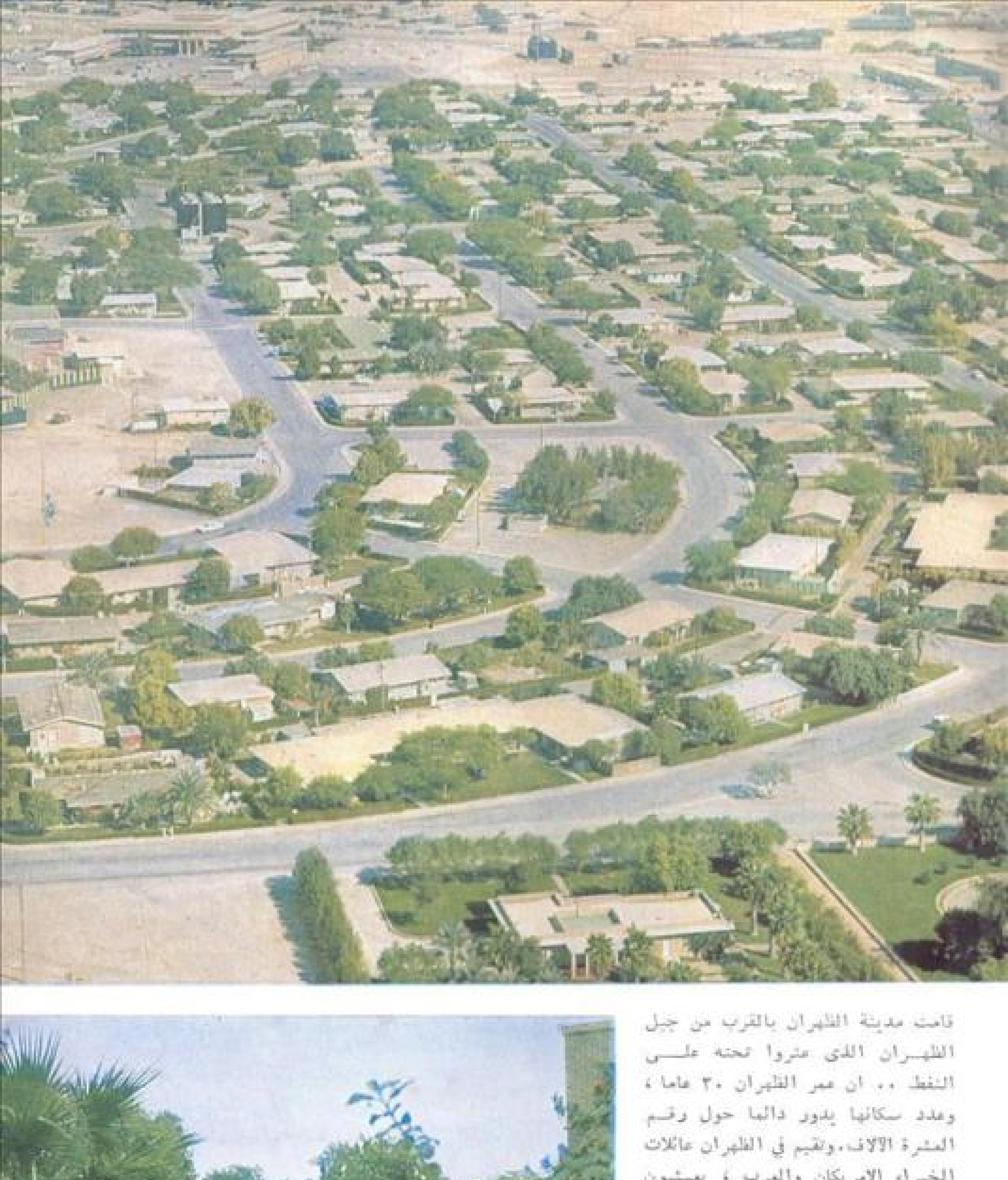
ان اقتصاد مدينة الدمام يعتمد على الدخل القومى من الميناء الكبير والسكة الحديد وغيرها من مرافق تشرف الحكومة عليها .. اما اقتصاد مدينة الخُبَر فقائم على الحركة وعلى التجارة والنشاط .. ان سكان الدمام يزيدون فى الليل ، ولكن سكان الخبر يتضاعفون مرة كل أسبوع ، فمن ٩ آلاف نسمة يرتفع الرقم الى حوالى ١٨ الفا ، ايام الجمع والعطلات الرسمية لأن المدينة تشهد هجرة جماعية فى هذه الايام : البدو والفلاحون يأتون من القرى .. والامريكان والأوروبيون والموظفون العرب يتدفقون من معسكرات البترول القريبة ، حتى يمتلىء بهم الشارع الطويل الذى يتحول الى شارع المتناقضات : امراة تسير سافرة باكمام قصيرة ، وبجوارها امراة يغطيها السواد من قمة رأسها الى اخمص قدميها !! ورجل يسير مرتديا الشورت القصير والقميص المفتوح ، وبجواره عربى يسير مرتديا البشت الطويل ، والعقال الأصيل !! امراة تسير مع كلبها، ورجل يجر عنزته !! كل هؤلاء وغيرهم اجتمعوا فى هذا الشارع العجيب .. ترى ما الذى يجذبهم اليه ؟

الى اليمين : فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ميناءان كبيران يستطيعان استقبال عابرات المحيطات : الأول ميناء الدمام ، ويستقبل السفن التجارية ، والثانى ميناء رأس تنورة ولا يستقبل الا ناقلات النفط الكبيرة .. وتجرى الآن الاستعدادات لزيادة عدد أرصفة ميناء الدمام ، من ٦ أرصفة الى ١٢ رصيفا ، لمواجهة الضغط المتزايد عليه.



الى اسفل : فى هذا المكان نفسه منذ ٤١ عاما جاء بعض رجال قبيلة الدواسر مهاجرين من البحرين الى أرض المملكة السعودية .. كانت الدمام خرابا بلقعا، فأقاموا منازلهم فيها ، فعمرت بهم وكبرت واتسعت . واليوم وبعد مضى هذه السنوات العديدة ، بحثت «بعثة العربى» عن الباقين من هؤلاء الدواسر الأوائل الذين نزحوا الى الدمام منذ ٤٥ عاما ، فلم تجد الا اثنين انتقلت معهما الى البقعة نفسها التى نزلا اليها سابقا، لتلتقط لهما هذه الصورة التذكارية التى تراها أسفل هذا الكلام.







قامت مدينة الظهران بالقرب من جبل الظهران الذي عثروا تحته على النفط .. ان عمر الظهران ٣٠ عاما ، وعدد سكانها يدور دائما حول رقم العشرة الآلاف. وتقيم في الظهران عائلات الخبراء الامريكان والعرب ، يعيشون داخل « فيلات » تحيط بها الحدائق والاشجار .. وتعتبر الظهران مدينة صغيرة نموذجية من حيث مبانيها وشوارعها الفسيحة النظيفة ،ووسائل الترفيه العديدة الموجودة فيها ، من ملاعب ومسابح ومطاعم وأندية ودور للسينما .. وعلى نمط الظهران انشأوا مدينة رأس تنورة فأحالوا الرمال هناك الى جنة خضراء ، كما ترى في الصورة اليسرى ..

المتاجر فيه متراصة بعضها وراء بعض ... الكماليات هي السلع الرئيسية التي تباع .. فهذا متجر للآلات الموسيقية ، تجد عنده آلات الأوركسترا الحديثة كاملة،من ساكسفون وكلارينت وطنبور يشتريها أبناء الأمريكان .. أما البيانو فتشتريه السفارات .. بينما يقبل اهل البلاد على شراء العود والكمنجة واسطوانات ثلاثةمطربين سعوديين هم: عبد الله محمد ، وطارق عبدالكريم، وطلال مداح ! هذا الى جانب اسطوانات ام كلثوم التي تأتي في المقدمة .. اما عبد الوهاب فيتساوى مع فريد الاطرش في المنطقة الشرقية !

والى جانب بائع الآلات الموسيقية يقوم متجر لبيع المباخر والشمعدانات والاطباق النحاسية ، والأخشاب القديمة المنقوشة ، التي يقف أمامها الأجنبي مشدوها ، ويدفع أثمانا خيالية لها !! .. وبعد خطوات يقوم متجر لبيع القمصان الأمريكية الملونة التي تكاد أن تحوى من الازرار أكثر من القماش !!

ثورة اجتماعية

وعند ناصية كل طريق فرعي تجد أكداسا من علب السجائر الأجنبية يجلس صاحبها بجانبها يبيع الكرتونة التي تحوى عشر علب بسبعة ريالات ونصف ..

ان تدخين السجاير في الطريق العام يعتبر حراما في أماكن كثيرة من السعودية ، ولكن « الخُبَر » كانت من المدن الاولى التي خرجت على هذه العادة لكثرة الاجانب فيها ، كما انها من المدن القليلة في السعودية التي تسير فيها المرأة سافرة .. ولم يقتصر هذا التبدل على الشوارع فقط بل امتد الى داخل منازل الخبر التي بدأت تشهد ثورة اجتماعية ، فلم تعد المرأة تقبل أن تجلس داخل منزلها ترقب من بين أخشاب نافذتها الرائحين والقادمين .. لقد تعلمت الفتاة .. وتعلم الفتى .

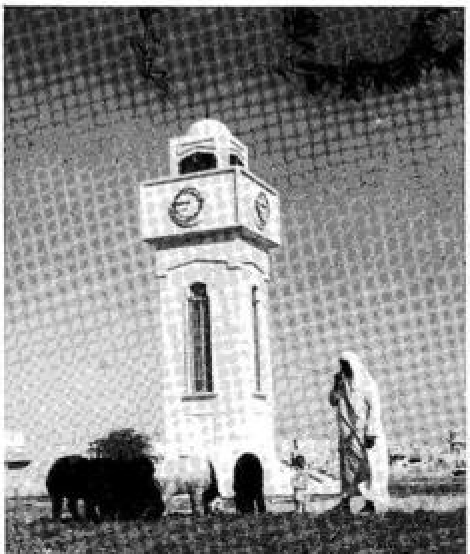
ولم يعد دور الرجل مقصورا على العمل من أجل كسب قوت يومه ، فقد تعلم أن واجبه يحتم عليه مساعدته لزوجته بالمنزل ... وفي جريدة « اليوم » وهي الجريدة الوحيدة في المنطقة الشرقية ، قرأنا مقالا لطيفا عن هذا الموضوع بتوقيع عبدالله الجعيب ، قال فيه : ذهبت لزيارة صديق لي في الخبر ، قرعت الجرس ، فخرج الى هذا الصديق بعد قليل وأسلحته بيده ، وكانت هذه الأسلحة رداء تلبسه السيدات في المطابخ، ويحمل بيمناه سكينا وبيسراه رأس بصل ، ولما سألته عن سر هذه الأسلحة ، قال انه يساعد زوجته في أعمال المطبخ، وأردف انه يساعدها في جميع أعمال البيت أيضا. ولما قلت له ان هذا لا يليق بالرجل ، وان له عملا وللمرأة عملا قال ساخرا : « أنت شخص رجعي لا تقدر ولا تحترم المرأة » .

« الحافز » موجود

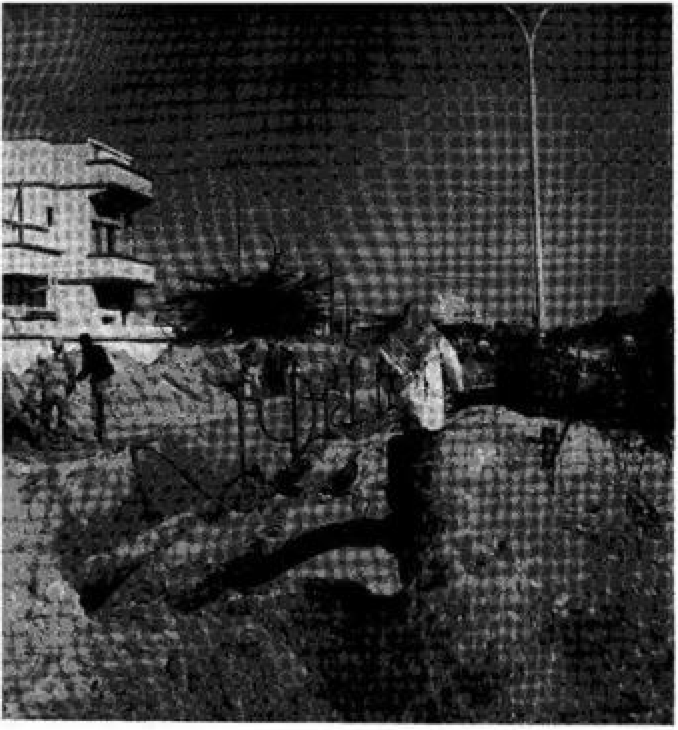
ان التعليم والاحتكاك بالعالم ساعدا على تغيير المفاهيم .. وقد حدثنا المسئول عن التعليم فقال:

« اننا نجابه ضغطا هائلا في عدد التلاميذ والتلميذات لقد فتحنا ١٠٠ مدرسة جديدة في العام الماضي ، ولكنها بالكاد استطاعت استيعاب التلاميذ الجدد .. ان المنطقة الشرقية هي منطقة هجرة يأتيها الناس من كل المناطق ، لهذا فشلت جميع احصائياتنا في تقدير الواقع ..

« ولا يقتصر التعليم على كونه مجانيا في جميع



برج الساعة ، أقاموه عند مدخل الدمام منذ خمس سنوات .. وعندما دارت عقارب ساعته الكبيرة ، صدرت الاوامر بارجاع العقارب لتعمل حسب التوقيت العربي .. لا الافرنجي .



اهالى الدمام والخُبَر يدفعون ضريبة التطور :

قدمت « ارامكو » مبلغ ٤٠ مليون ريال لبلديتى المدينتين كقرض بدون فائدة لمد شبكتى المياه والمجارى .. وبين ليلة وضحاها تحولت شوارع الدمام والخُبَر الى أخاديد وخنادق لمد الانابيب .. والى جانب هذا أضيفت شبكة الهاتف الآلى ، فارتفعت الشكاوى من الاهالى ضد البلدية ، بعد أن منع المرور في الطرق التى امتلأت بالحفر والفجوات .. ولكن كان لا بد من التريث قبل اعادة رصف طرق مدينتى الدمام والخُبَر .. ان هذه الحفر كانت الضريبة التى دفعها أهالى الدمام والخُبَر من أجل تطوير بلادهم ..

مراحله ، بل نقوم بدفع مكافآت لطلبة المدارس التجارية والصناعية ومعهد المعلمين ، ولكل طالب لا توجد فى قريته مدرسة متوسطة أو ثانوية » .

وتعانى المدارس الليلية من نفس مشكلة الاقبال الزائد .. ان أبناء المنطقة أصبح عندهم « الحافز » الذى يدفعهم للتعليم .. انهم يدركون انهم بدون التعليم لن يصلوا فى يوم ما الى تولى المناصب الكبرى فى الدوائر والشركات ..

الكلية تصبح جامعة

والى جانب التعليم العادى تقوم كلية البترول والمعادن ، تلك الكلية التى ما كادت تتجاوز السنة الثانية من عمرها حتى حولوها فى نهاية العام الماضى الى جامعة للبترول والمعادن ، سوف تضم كليتين جديدتين ، هما : كلية الهندسة التطبيقية وكلية العلوم الهندسية .. وعلى أكتاف خريجى هذه الجامعة ، الذين سيتخصصون فى شؤون البترول والثروات المعدنية ، ستقع مسؤولية الاشراف على الثروات التى تزخر بها الاراضى السعودية ..

أمل .. ورجاء .. وانتظار

اما تعليم الفتاة فقد بدأ بخدعة رواها لنا مدير تعليم مدارس البنات بقوله : « بدأنا تعليم الفتاة بشرط الا تعلمها غير القرآن الكريم .. لم يكن هناك حساب ولا جغرافيا .. وظللنا نتحايل من سنة الى سنة ، ونتخطى الصلاحيات المعطاة لنا حتى أستطعنا معادلة المناهج التى تتلقاها الطالبات بمناهج الطلبة فى وزارة المعارف .

« لقد كان الناس ينظرون الى تعليم الفتاة نظرة تشكك وريبة ، ولكن منذ أربع سنوات انقطعت رائحة المعارضة تماما .. » .

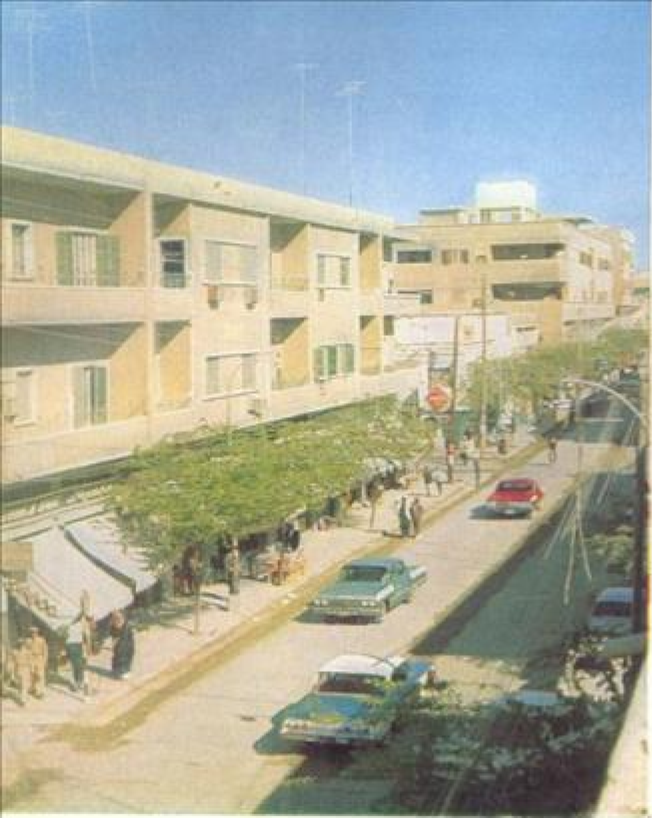
لقد تحول أهل المنطقة الشرقية من معارضتهم تعليم الفتاة الى الشكوى من قلة المدارس المخصصة لبناتهم ، فكتبوا فى الصحف يقولون :

« ماذا نقول عن رئاسة مدارس البنات وموقفها السلبى تجاه الزيادة المستمرة فى عدد من يطلبن الالتحاق بالمدارس فى الاحساء ؟ وماذا نقول لرجالها المخلصين ، وعدد اللواتى لا يمكن قبولهن للدراسة أكثر من المنتظمات فى مدارس الاحساء؟



الى اسفل : انتشرت لعبة البولنغ في مدن بقيق ورأس تنورة ، والظهران التى تضم اكبر ساحة لهذه اللعبة ، اذ تحوى ١٢ ملعبا تجرى فيها المباريات بين مختلف الفرق المحلية والاجنبية .. ان هذه الرياضة باهظة التكاليف ، لان صيانة الملعب تكلف ٦ آلاف ريال سنويا ، لاجل هذا فرضوا رسما مقداره ريال سعودي عن كل ١٠ مرات تلقى فيها الكرة !

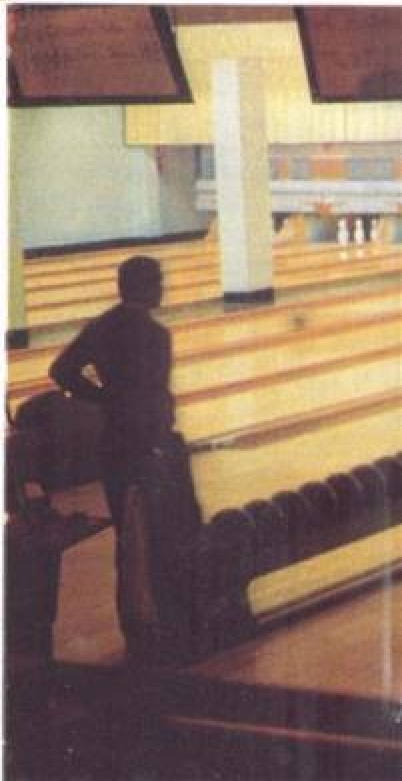




الى اليسار : شارع الامير خالد ، الشارع الطويل الذى تجمعت حوله مدينة الخُبَر الواقعة على ساحل الخليج على بعد ١٠ كيلومترات من الظهران و ٢٥ كيلو مترا من الدمام .. ان الخبر اصبحت اكبر مركز تجارى فى المنطقة الشرقية ، لما تحويه من بنوك ومتاجر ، يتهافت على معروضاتها سكان مدن البترول المحيطة بها .. وفى يوم الخميس من كل اسبوع يأتيها خبراء النفط الامريكيون وعائلاتهم فيشترون ما يروق لهم من محلاتها .. **وفى الصورة اليمنى** تبدو عائلة امريكية تنتقى «دلة» لصنع القهوة العربية .. لقد عرف صاحب المتجر كيف يجذب الانظار الى بضاعته ، وذلك بتركها على الرصيف امام المارين ..

الى اسفل : بائع الالات الموسيقية فى شارع الامير خالد بالخبر .. تجد عنده احدث الالات الموسيقية واقدمها : الاولى ، يقبل عليها الامريكيون وعائلاتهم ، والثانية يشتريها العرب المقيمون فى المنطقة







ما يكاد الليل يرخي سدوله حتى تتحول المدارس النهارية الى مدارس ليلية ابتدائية ومتوسطة وثانوية ، يدرس فيها الموظفون على اختلاف فئاتهم .. انهم يلتحقون بهذه المدارس لتكملة دراساتهم ..



الى جانب العلوم والمواد العادية المقررة الاعدادية الثانوية بالدمام دروسا في ثقافتهم من ناحية ، ومساعدتهم

واخيرا ماذا نقول لهذه الرئاسة لتفتتح العدد الكافي من مدارس البنات في الاحساء ؟ .

« ان مدينة الهفوف بمفردها بحاجة الى مضاعفة عدد المدارس الموجودة بها حاليا للبنات ، لا لتساوي عدد مدارس البنين ، ولكن لتستوعب من يردن التعليم ، وهو حق مسلم به . الكل يعرف أن امكانيات الرئاسة متواضعة ، وان المسئولية الملقاة على عاتق المسئولين فيها كبيرة جدا ، وان تشعب نشاطها يحتم توزيع مشاريعها في مختلف أنحاء البلاد ، ولكن كل ذلك لا يشفع للرئاسة لحرمان أكثر بنات الاحساء من التعليم . فاذا علمنا انه لا توجد قرية واحدة في الاحساء بها مدرسة للبنات ، واذا علمنا ان اللواتي يعتذر من قبولهن يفوق عدد المقبولات والمنتظمات في كل مدارس الاحساء .. اذا علمنا بكل ذلك ، فلا نعتقد أن الرئاسة ستعتب علينا عندما نطلب منها افتتاح المزيد من مدارس البنات ، لا في الهفوف فقط ، ولكن في ضواحيها وقراها أيضا . حتى لا يفوت ركب العلم بناتنا واخواتنا في الاحساء . اننا نتقدم الى هذه الرئاسة بهذا الطلب مع امل كبير نرجوه ، ورجاء حار ننتظره ، وانتظار نأمل الا يدوم طويلا .. » .

الاسماء والارقام ، والسيارات الحمراء !

ان مدينة « الخبر » هي التي تقود الحملة نحو التطور .. ولكن ما زال الطريق أمامها طويلا .. وبمناسبة الطريق الطويل تذكر صحيفة المنطقة : ان الشوارع الطويلة المنسابة تحتاج الى كثير من التحسين والتجميل .. ولعل البلدية متداركة ذلك ..

ولو أن منظر سيارات الاجرة الحمراء يعطي هذه الشوارع بهجة مؤقتة ولكنها تزول مع مرور السيارة التي لها هي الاخرى قصة تبدأ مع وصول القادم الجديد الى المنطقة الشرقية . انه يترك الحجاز أو عسير أو القصيم ليعمل في شركة النفط ، وما يكاد يجمع ٨ آلاف ريال حتى « يَفُك" سيارة شَفَر حمَر » اي يشتري سيارة شفروليه حمراء ، يدفع فيها ما اقتصده كقسط أول ويتبقى عليه ٢٢ الف ريال يدفعها الف ريال شهريا ، ولكنه لا يدفع غالبا أكثر من ٧٠٠ ريال شهريا ، لأن



فى المدارس ، يتلقى طلبة المدرسة اللغتين الانجليزية والفرنسية ، لزيادة مستقبلا لتكملة تعليمهم فى الخارج ..



حصة رسم فى مدرسة الظهران الخاصة لتعليم أبناء خبراء البترول الامريكيين .. لقد فتحت هذه المدرسة أبوابها عام ١٩٤٦ وتضم حاليا ٦٨٣ طالبا وطالبة، و٢٩ أستاذا ،منهم ٤ عرب والباقون امريكيون

سيارات الاجرة تكاثرت ووُضعت تسعيرة للنقل بين مدن البترول ، فانخفض ايراد سائق التاكسى الذى كان يحلو له فرض الاجر الذى يريده من قبل .

وركبنا احدى هذه السيارات الحديثة الفارهة فى طريقنا الى مطار الظهران ، كانت المسافة اربعة كيلو مترات دفعنا فيها اربعة ريالات لنصل الى مطار الظهران الانيق .

لقد صمم هذا المطار مهندس يابانى نال بسببه الجائزة الاولى فى معرض جمعية المهندسين الدولية وجاء تصميما مزيجا من الفن العربى والقوطى Gauthic وهو فن من فنون العصور الوسطى فى أوربا .. ان هذا المطار هو حلقة الاتصال بين اوربا والشرق الاقصى ، وقد بلغ عدد الطائرات المدنية والعسكرية التى هبطت واقلعت منه ١٩٥٠٧ طائرة خلال عام ١٩٦٥ .

الفندق العجيب

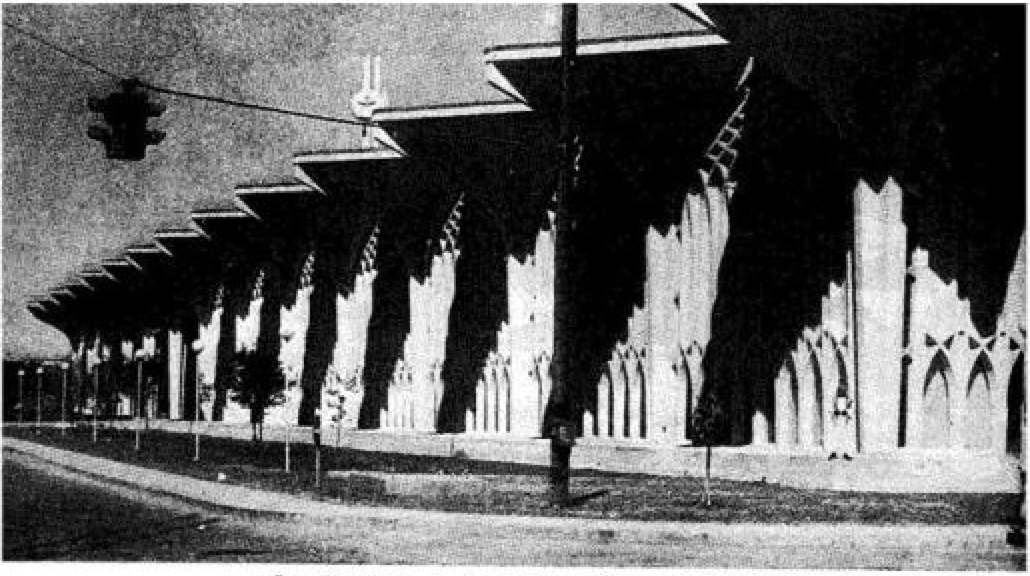
وبجوار هذا المطار العملاق يقوم الفندق الوحيد فى المنطقة الشرقية . وهو ما زال على نفس الصورة التى اقاموه عليها من ١٥ عاما .. غرفه المائة تتناثر على بقعة كبيرة لانه يمتد بالعرض بدلا من الارتفاع !

ان الحكومة هى التى تملكه ، ولكنها لا تديره، اذ تقيم عليه مزادا علنيا يرسو على احد التجار او رجال الأعمال ، الذى يسعى الى الربح اكثر من اصلاح حال هذا الفندق اليتيم الذى ما تكاد الامطار تهطل عليه حتى تتسرب مياهها الى غرف النزلاء الكاملة العدد دائما ! .. وليس فى الفندق مكان لغسل الملابس او كيها وانما ترسل ملابس النزلاء القادمين من أركان العالم الاربعة الى مغسلة فى الخبر .. وفى الصباح يدور موظف الفندق فى الساعة السابعة على غرف النزلاء ، فيدق على جميع أبوابها ، سواء اطلبت منه ايقاظك أم لا ! ولا يستعمل التليفون فى ايقاظ النزلاء ، لأن عامل البدالة لا يحضر قبل التاسعة صباحا « افرنجى» ونقول افرنجى لأنه توجد كذلك ساعة تسير على التوقيت العربى ، وهى المستعملة فى الدوائر الحكومية والمدارس فى المنطقة الشرقية .



تحول التعليم فى المنطقة الشرقية الى ما يشبه الهواية اذ أقبل عليه أبناء المنطقة جميعا ، لا فرق بين موظف كبير او فراش صغير .. ويتحدث الجميع عن الفراش الذى ثابر واجتهد حتى حصل على بعثة لدراسة الجيولوجيا فى امريكا ! واصبح التعليم فى المدارس يتطور مع أحدث الانظمة التربوية ، فالطلبة يمارسون مختلف الالعاب الرياضية ، مرتدين الملابس الخاصة بكل لعبة ، كما ترى فى **الصورة اليمنى** .. اما التعليم الصناعى فعند مدخل المعهد الصناعى النموذجى لافتة كتبوا عليها : « **الصناعة فى عصرنا هى الحياة، والكفاح فى سبيلها كفاح من أجل حياتك وعشيرتك ، ووطنك العربى الكبير ..** » وفى الصورة السفلى يظهر بعض الطلبة السعوديين يتلقون درسا عمليا على محرك السيارة من أحد اساتذة المدرسة ، وخلفهم مدير المعهد





مبانى مطار الظهران .. آية من آيات جمال فن العمارة الحديثة ..

الوحيد من نوعه

وفى الليل يبدأ الشخص الغريب فى الشعور بالملل من الفراغ الكبير المحيط به .. والتسلية الوحيدة تنحصر فى أحد أمرين اما الذهاب الى سينما التخيل الصغيرة الوحيدة الموجودة فى المنطقة بجوار المطار، والتى يأتيها الناس من الخبر والدمام لمشاهدة الفيلم المتغير يوميا، واما الجلوس فى صالة الفندق لمشاهدة برامج تلفاز الظهران الوحيد من نوعه فى العالم !! ونقول الفريد فى نوعه لأن جميع برامجه وأفلامه ناطقة باللغة العربية ولكن يمكنك اذا اقفلت الصوت فى جهاز تلفازك وفتحت جهاز الراديو على محطة اذاعة الظهران أن تستمع الى نفس صوت البرامج ولكن باللغة الانجليزية وما عليك الا أن تضع المذياع بجانب التلفاز الصامت : من الاول تسمع الكلام ، ومن الثانى تشهد الصورة !

لقد وضعوا هذا النظام حتى يتسنى للعرب والأمريكان على السواء التمتع ببرامج التلفاز الذى قدروا عدد مشاهدى برامجه بنحو ٣٥٠ الف نسمة .. لقد دخل التلفاز الى كل منزل فى المنطقة الشرقية ، حتى أصبح الناس يعرفون المنزل الخالى عندما يفتقدون « الهوائى » فوق المنزل !!

ان سر الانتشار الهائل للتلفاز فى المنازل يرجع الى عاملين هامين .. أولهما : انه التسلية الوحيدة لجميع أفراد العائلة فى الليل الطويل .. ثانيا : ان رجال الدين ابدوا رضاءهم عن التلفزيون، حتى أصبحوا يظهرون على شاشته الصغيرة .. ولما سألناهم : كيف يجيزون التلفاز ويحاربون افتتاح دور السينما ؟ أجابوا : « ان التلفاز يحفظ للعائلة وحدتها أما السينما فمجال الاختلاط فيها كبير .. »

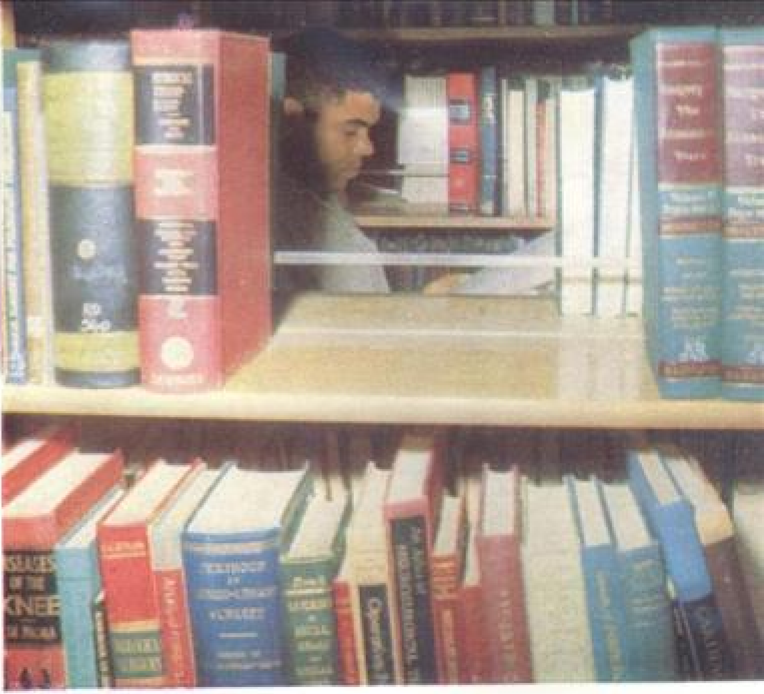
وهو على أى حال رأى معقول .

لقد اقامت شركة النفط محطة التلفاز لموظفيها فى عام ١٩٥٧ ولكن التجار أحضروا الاجهزة وباعوها للأهالى .. ومع الايام لم يدخل التلفاز الى منازل المنطقة الشرقية فقط ، بل امتد مجال بثه حتى شمل البحرين وبقية امارات ساحل عمان .

قصة النفط فى السعودية

ومركز محطة التلفاز يقع فى مدينة الظهران ، العقل المفكر لشئون النفط وأهل النفط .. ولا يمكن التحدث عن مدينة الظهران الا اذا تحدثنا عن النفط، لأنها ابنته الشرعية . ولكثرة ترديد كلمة النفط فى السعودية أصبح البعض يعتقد أن القصة ترجع للماضى السحيق ، ولكن الواقع ان أول كمية من هذا النفط صدرت عام ١٩٣٨ فقط .. ولم تأخذ طابعها الضخم الا بعد الحرب العالمية الثانية ..

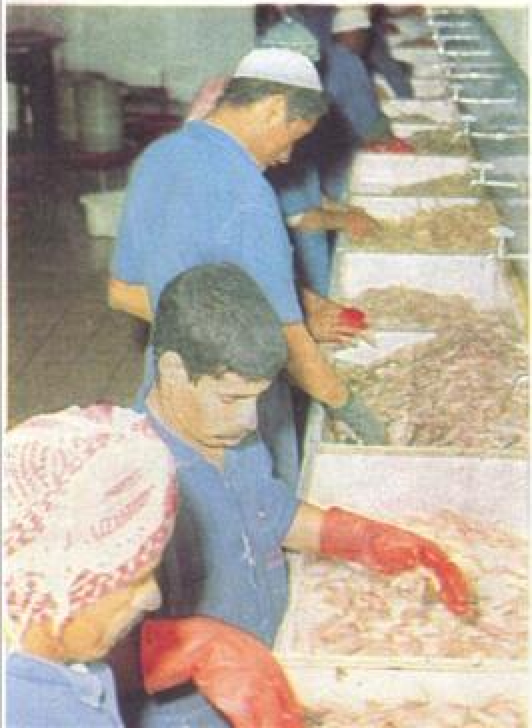
الى اليسار: بابا حطاب .. الرجل الذي يضحك الاطفال ويدخل البهجة الى نفوسهم بهداياه الجميلة التي يقدمها لهم في أثناء عرض برنامج الاطفال على شاشة تلفاز الظهران .. ويعتبر هذا التلفاز الوسيلة الوحيدة لتمضية السهرة في المنطقة الشرقية من السعودية .. ومما يذكر أن جميع برامجه ناطقة باللغة العربية ، حتى المسلسلات الاجنبية منها . وتمتد موجات بث هذا التلفاز الى جميع امارات الخليج العربي ، ويقدرون عدد مشاهدي برامجه بنحو ٣٥٠ ألف مشاهد .



يضم المركز الصحي في الظهران مكتبة طبية تحوي مئات المؤلفات الطبية والعلمية .. وليست هذه هي المكتبة الوحيدة في مدينة البترول ، انما هناك ١٠ مكتبات أخرى عامة ومدرسية وفنية ..







الى اليسار : تنطلق مراكب الصيد من الدمام الى مناطق المنيفة ومشماب فى عرض الخليج العربى لتصطاد من هناك الاسماك والروبيان (الجمبرى) .. وفى الدمام مصنع كبير لتثليج الروبيان وتصديره الى امريكا .. وفى الصورة اليسرى بعض عمال هذا المصنع أثناء غسلهم للروبيان قبل ادخاله الى الآلات الحديثة لتنظيفه

الى اليمين : منذ ١٢ عاما والتجارب مستمرة فى مركز الظهران الصحى بحثا عن المصل اللازم للوقاية من مرض التراخوما .. ان أطباء «ارامكو» بالاشتراك مع الاخصائيين القادمين من جامعة هارفورد بالولايات المتحدة قطعوا شوطا طويلا من أجل القضاء على هذا المرض الذى يسبب العمى للانسان ، والذى ينتشر فى أنحاء كثيرة من العالم، بما فيها المنطقة الشرقية من السعودية .. لقد انفق حتى الآن على هذه التجارب ما يزيد على مليون دولار ، **والصورة اليمنى** توضح بعض الاخصائيين والاخصائيات من جامعة هارفورد أثناء اجراء تجاربهم فى مركز الظهران الصحى .

وتعود جذور قصة النفط في السعودية الى عام ١٩٢٢ عندما استطاع المغامر النيوزيلندي هولمز الحصول على امتياز من الملك عبد العزيز آل سعود ، للتنقيب عن النفط في المنطقة الشرقية من السعودية .. وأخذ الامتياز باسم شركة بريطانية لم تكن متخصصة في مثل هذا العمل ، فظلت الأمور ضائعة مائعة .. وفي عام ١٩٣٢ حاول الأمريكان الحصول على حق هذا الامتياز المجمد ، ولكن طلبهم قوبل بالرفض .. وازداد التنافس بين الامريكان والانجليز للحصول على هذا الامتياز .. فطلبت السعودية مبلغ ١٠٠ الف جنيه استرليني ذهبا كسلفة على العائدات القادمة .. وأسقط في يد الفريقين ، ولكن الأمريكان قدموا مبلغ ٥٠ الف جنيه ، بينما اكتفى الانجليز بتقديم ١٠ الاف جنيه فقط ، لانهم كانوا غير واثقين من امكانية العثور على النفط في الاحساء ، بعكس الامريكان الذين كانوا متفائلين للغاية بعد نجاحهم في العثور على النفط بالبحرين عام ١٩٢٦ .

وفي صباح يوم ٢٩ مايو ١٩٣٣ وُقع اتفاق منح امتياز التنقيب للشركة الامريكية « ستاندرد » التي ما لبثت ان تنازلت بدورها عن امتيازها لمجموعة شركات حملت اسم Arabian American Oil Company واختصروا الاسم الى ARAMCO (ارامكو) وهو الذي يطلق حاليا على الشركة العاملة في السعودية .. ومدة الاتفاقية ٦٦ عاما تبدأ من عام ١٩٣٣ وعندما تترك الشركة الاراضي السعودية ستؤول جميع معداتها ومنشآتها الى املاك الحكومة السعودية ..



تم حقن خمسة آلاف طفل في المنطقة الشرقية بمصل التراخوما الذي أعدوه في المركز الصحي بالظهران .. وترى هنا الدكتور روجيه نيقولاس ، المسئول عن هذه التجارب ، يحقن طفلا ..

تفاؤل .. وتعاسة .. وسعادة !

وبعد ٤ اشهر من توقيع الاتفاقية اقاموا أول معسكر لخبراء البترول على مسافة خمسة اميال ونصف من قرية الدمام ، كان الأمريكان يظنون أن العملية لن تتعدى مجرد نزهة في الصحراء يعثرون خلالها على مكان النفط .. وبهذه الروح المتفائلة حفروا أول بئر .. ولكنهم لم يعثروا على شيء .. فأعادوا انزال المثقاب الى عمق ٣٢٠٣ قدم ولكن بدون جدوى .. وتركوا البئر الاولى الى بئر ثانية .. وثالثة ورابعة .. حتى وصلوا الى عشر آبار .. والنتيجة دائما : لا أثر للبترول .. وانقضت ثلاث سنوات من الفشل والارهاق والتعاسة وصلت خلالها خسائرهم الى ستة ملايين دولار ، وكادت الشركة تعلن افلاسها .. ولكن خاطرا مفاجئا طرأ على بال احدهم فقال : لماذا لا نتعمق في الحفر ؟ وتردد صدى الكلمة في كل مكان .. وتحركت الحفارة مرة ثانية لتوضع على فوهة البئر رقم ٧ وظلت الآلات تهدر ليلا ونهارا حتى وصل المثقاب الى عمق ٤٧٢٧ قدما ، وعندها اتصل ببحيرة من النفط واندفع البترول ليغطي جبل الظهران الذي اكتشفوا تحته هذا الخزان الطبيعي المليء بالذهب الاسود. وأعادوا تعميق الآبار العشرة التي حفروها فوجدوا تحتها جميعا النفط بكميات هائلة .

خلية نحل !

وبجوار جبل الظهران بدأوا في عام ١٩٣٦ ببناء



من مدينة الخُبَر يمتد هذا الانبوب مسافة ١٦ ميلا تحت مياه الخليج العربى ليصل الى معمل التكرير فى البحرين .. وفى عام ١٩٦٥ وصل مجموع ما نقل عبر هذا الأنبوب ٤٩ مليون برميل من النفط

مدينة الظهران الحالية التى وصلتها اول مجموعة من النساء والأطفال الامريكان فى ربيع ١٩٣٧ . وبدأت الظهران تاخذ طابع مدينة سكنية جميلة على نفس نمط المدن الامريكية ، فاقيم فيها حوض للسباحة وناد وملاعب رياضية ومساكن للعائلات واخرى للعزاب ، جميعها مكيفة الهواء .. ان سكانها يتغيرون ويتبدلون باستمرار بمجرد انتهاء عقود عملهم .. بحيث أصبح تعدادهم من الصعوبة بمكان ، لكن الرقم يتأرجح دائما حول عشرة الاف نسمة .

لقد تعرضت مدينة الظهران فى الحرب العالمية الثانية الى غارة جوية قامت بها طائرة ايطالية القت بعض القنابل فاحدثت اضرارا طفيفة فى المدينة .. لان الغارة كانت موجهة فى الاصل الى معمل التكرير فى البحرين .. وبمجرد انتهاء الحرب دب النشاط فى المدينة من جديد فارتفع عدد سكانها الى حوالى ١٣ الف نسمة .. كانت اشبه بخلية النحل تعمل لمواجهة تعطش العالم الى النفط .. القرارات والمشاريع تتخذ ، وفرق التنقيب تنطلق بحثا عن حقول جديدة .. آبار تحفر ، وانابيب تمتد فى كل اتجاه .. كان عدد الموظفين والعمال ٢٩٠.. فى عام ١٩٤٣ ارتفعوا الى ١٨٦٣٧ بعد خمس سنوات.. وكان الانتاج اليومى للنفط ٢٠. الف برميل فى عام ١٩٤٤ ارتفع الى مليون برميل فى عام ١٩٥٤ حتى وصل اليوم الى ٢٣٧٤ ... ٢ برميل يوميا ، لقد تضاعف الانتاج اكثر من مائة مرة فى خلال ٢٢ عاما فقط !!

واسفرت عمليات التنقيب عن اكتشاف تسعة حقول للنفط ، أغربها حقل الغوار الذى يمتد ١٥٠ ميلا طوليا .. انه أكبر حقول العالم مساحة، ولكنه ليس أغزرها انتاجا .. وهو مقسم الى اربعة حقول : عين دار ـ شدقوم ـ عثمانية ـ حرض ، أما حقل السفانية فانه يعتبر أكبر وأغزر حقل للبترول موجود تحت الماء فى العالم ..

انابيب تحت الماء ، وميناء

وهكذا وجد المسئولون فى شركة النفط العربية الامريكية انفسهم امام كميات هائلة من النفط ، يحتاج تصديرها الى مجهود كبير .. فكان اول ما فعلوه مد خط انابيب قطر ١٢ بوصة تحت مياه الخليج يوصل من الخبر الى البحرين ، وفى يوم ٢ مارس ١٩٤٥ تدفقت أول قطرة من النفط فى هذا الأنبوب ، الذى يمتد ١٦ ميلا تحت الماء ، والذى نقل فى عام ١٩٦٥ نحو ٤٩ مليون برميل من النفط السعودى الى معمل التكرير فى البحرين .

والى جانب هذا الخط ، كان لا بد من ميناء بحرى لاستقبال ناقلات النفط الكبيرة .. ووقع الاختيار على منطقة رأس تنورة لتكون ميناء لتصدير النفط .. وفى مطلع مايو ١٩٣٩ وصلت أول سفينة الى هذا الميناء ، فاقيم لها احتفال كبير ، شهده الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله مع ..٢٥٠ مدعو ، شهدوا جميعا عملية شحن أول كمية من نفط المنطقة الشرقية .

وتعتبر راس تنورة من اكبر موانىء الزيت فى العالم ، اذ تصب فى مستودعاتها الكبيرة عشرات الانابيب التى تنقل النفط الخام من حقوله الكثيرة وقد وصل ما شحن خلال عام ١٩٦٥ من فوق ارصفة هذا الميناء أكثر من ٥١٨ مليون برميل حملتها ٢٣٨٩ ناقلة الى ارجاء العالم .

قروض مخفضة !

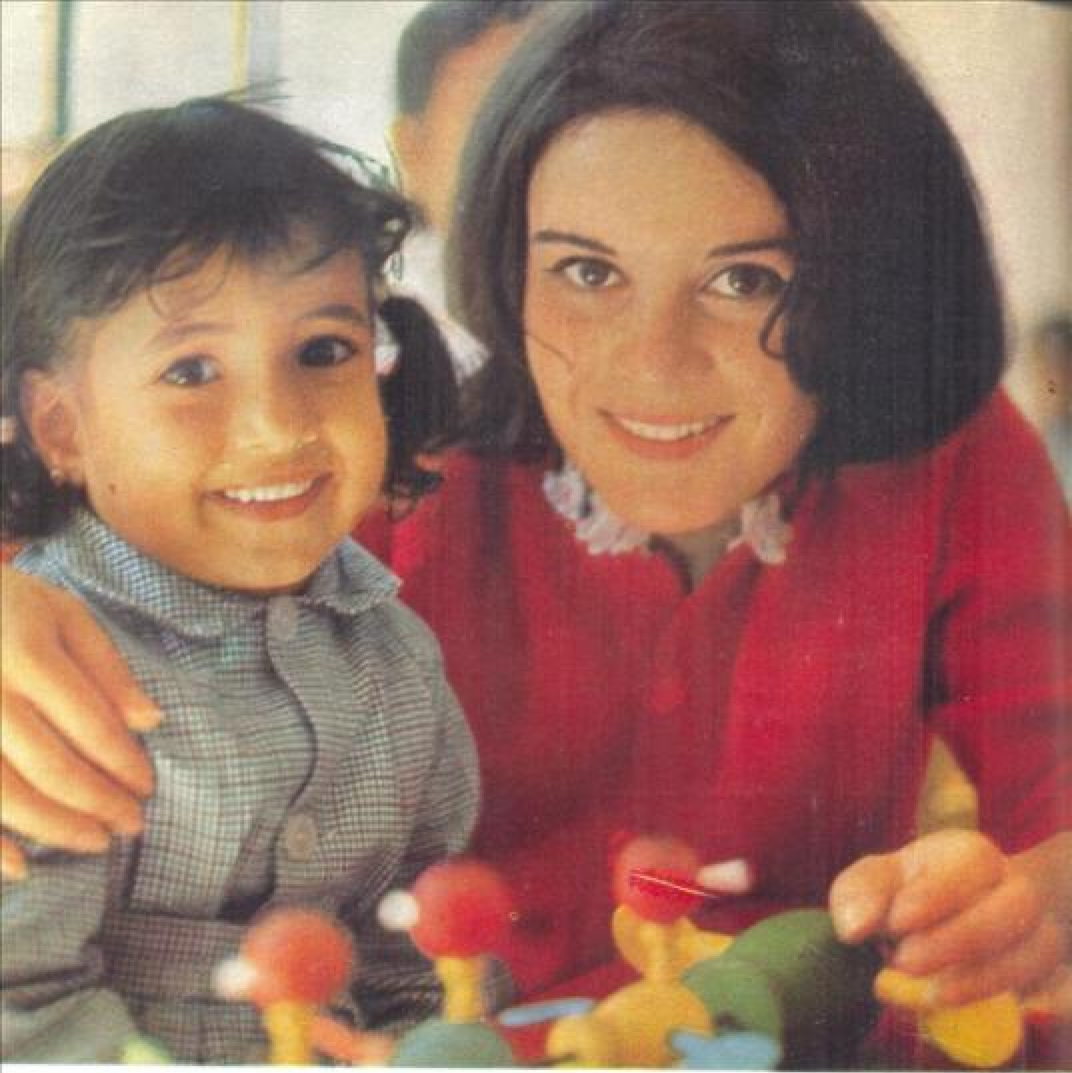
وليس فى راس تنورة حقول نفط ، ولكن الى جانب الميناء الكبير ، يوجد معمل ضخم لتكرير النفط يعتبر الثاني من نوعه فى الشرق . والخامس فى العالم .. بلغ ما كرره من النفط الخام ١١٥ مليون برميل فى عام ١٩٦٥ .



تقوم في مدينة الظهران مدرسة خاصة لتعليم أبناء وبنات خبراء البترول الامريكيين ، ومن المواد المقررة عليهم تعلم اللغة العربية ، كما ترى في الصورة العليا .

الى أسفل : « بيت الاطفال » هو اسم روضة الأطفال الوحيدة في المنطقة الشرقية .. لها فرع في الدمام وآخر في الخبر ، مجموع الأطفال فيهما ٧٥٠ طفلا وطفلة أغلبهم من أبناء الاسر السعودية.







صورة رائعة لطفلة سعودية مع مدرستها اللبنانية في « بيت الأطفال » الذي هو مدرسة أهلية خاضعة لإشراف وزارة المعارف،ولرئاسة مدارس البنات السعودية .. ان التعليم مختلط في هذه المدرسة التي لا يزيد عمر اطفالها عن خمس سنوات!

الى اليسار : في مدرسة الظهران الخاصة تتلقى بنات الموظفين الاجانب دروسا في تسع مواد مختلفة ، من بينها الموسيقى والالعاب الرياضية ، التي يمارسنها في ملاعب مقفلة مجهزة بأحدث الادوات كما ترى في الصورة .

ان النفط الخام يتحول فى هذا المعمل الى خمسة انواع من بنزين السيارات ، ونوعين من بنزين الطائرات ووقود الطائرات النفاثة وزيت الوقود ، ونوعين من غاز البترول السائل .

وبجوار المعمل والميناء الكبير قامت فى عام ١٩٤٠ منازل قليلة ، ما لبثت ان تشعبت وامتدت حتى اصبحت تحمل اسم مدينة راس تنورة ، يعيش فيها الخبراء والموظفون مع عائلاتهم .. ان كل شيء موجود فى هذه المدينة الصغيرة التي جعلوها على احدث طراز .. وبجوارها ظهرت مدينة اخرى تدعى « رحيمة » بدأ بناؤها عام ١٩٥٢ وتضم حاليا نحو ٥ آلاف نسمة من عائلات موظفى الشركة السعوديين الذين يملكون المنازل التي يعيشون فيها .. ان شركة النفط ، بالاتفاق مع البلديات ، تاخذ قطعا من الاراضي الحكومية تعطيها للموظف الذى امضى اكثر من ثلاث سنوات فى الشركة ، وتقدم له قرضا للبناء ، ويقسط هذا القرض على اقساط شهرية تدفع فى مدى ١٢ الى ١٥ عاما . ولا تؤخذ عليه فوائد ، بل على العكس يخصم ٢٠ فى المائة منجملة القرض عند سداده ! .

حقن الغاز والماء !

واحدث مدن البترول التى ظهرت فوق رمال المنطقة الشرقية هى مدينة بقيق .

لقد اكتشفوا حقل بقيق عام ١٩٤٠ ولكنه ظل مقفلا الى أن انتهت الحرب العالمية الثانية ثم فتح بعدها ليشحن نفطه من خلال اطول خط للانابيب فى العالم ــ فى ذلك الوقت ــ انه خط يمتد مسافة ١٠٦٨ ميلا من بقيق فى المنطقة الشرقية ، حتى صيدا فى لبنان .. لقد نقل عبر هذا الانبوب ١٦٥ مليون برميل من النفط فى خلال عام ١٩٦٥ (انظر الخريطة على الصفحة المقابلة) .

وفى بقيق تجرى عملية حقن الغاز والماء غير الصالح للشرب الى داخل الحقل ، للمحافظة على قوة الضغط على النفط ، حتى يزداد الانتاج الحالى وترتفع طاقة الانتاج مستقبلا ..

وقد بلغ متوسط ما حقن من الماء فى حقل بقيق ٨٤٦ الف برميل فى اليوم الواحد ــ حقنت عن طريق ٢٢ بئرا .. اما الغاز فقد حقن منه ، فى نفس الحقل ، ١٦٤ مليون قدم مكعب يوميا .. ورغم هذه الكمية الهائلة التى تحقن يوميا،هناك فائض كبير يشعلون النيران فيه لاحتوائه على مادة سامة هى كبريتور الايدروجين .

ممنوع الشراء ؟!

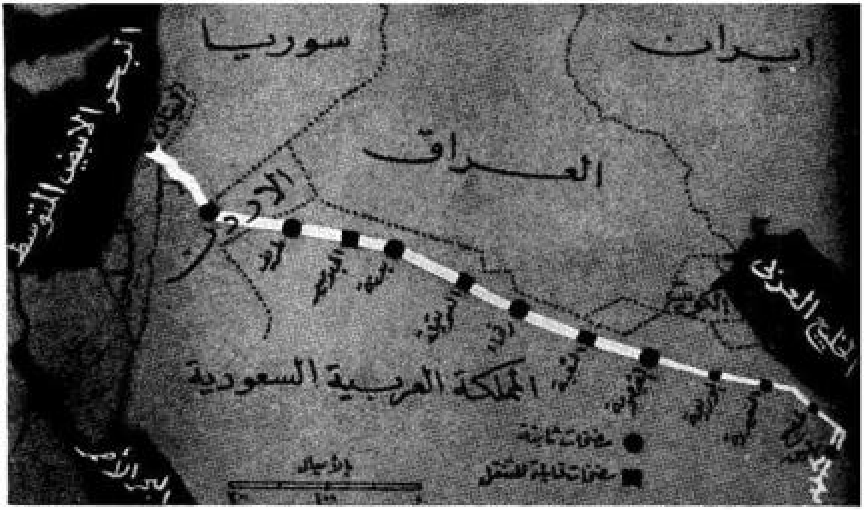
وفى بقيق تتكرر القصة مرة اخرى .. فبجوار حقل بقيق ارتفعت مبانى مدينة جديدة اسموها مدينة بقيق ، تضم اليوم نحو خمسة آلاف نسمة ..

ان منازل بقيق هى صورة طبق الاصل من منازل الظهران وراس تنورة .. شيدوها فى بادىء الامر لخبراء النفط الامريكان ، فجاءت على نفس النمط الامريكى .. ثم انضم أبناء السعودية الى الخبراء، فاقاموا لهم المنازل الحجرية «بأحواش» واسعة ..

والى جانب كل هذا اقاموا المطاعم والمتاجر ، ولكن ليس كل شخص يستطيع الدخول الى كل مكان .. فكبار الموظفين لهم ملاعبهم ومتاجرهم ، وصغار الموظفين لهم أماكنهم الخاصة بهم .. اما الغريب عن المنطقة فانه يلقى الامرين اذا جاء اليها زائرا .. فهو لا يستطيع ان يشترى شيئا سواء من المتاجر الكبيرة او الصغيرة ، وعليه أن يقصد الى متاجر المدن المجاورة فى الدمام مثلا او

انبوب للنفط
من الخليج العربى الى البحر الابيض

تشكل وسائل نقل النفط الخام من المنطقة الشرقية عاملا هاما فى زيادة توزيعه .. وتقطع الناقلات مسافة ٣٦٠٠ ميل ، من راس تنورة حتى البحر الابيض فى ٩ أيام للذهاب ومثلها للاياب ، وفى هذا مضيعة كبيرة للوقت .. وفى عام ١٩٤٨ بدأ التفكير فى مشروع ضخم لنقل جزء كبير من انتاج النفط السعودى داخل أنابيب حتى البحر المتوسط .. وما كاد الخبراء يؤكدون امكانية تنفيذ هذا المشروع من الناحية الفنية ، حتى بدأ العمل من جهتين فى وقت واحد : من المنطقة الشرقية على الخليج العربى ، ومن صيدا على البحر الابيض المتوسط .. ولكن العمل توقف قليلا فى المنطقة الثانية بسبب حرب فلسطين حتى عاد والتقى مع الخط القادم من المنطقةالشرقية فى صباح يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٥٠ . وفى ١٠



نوفمبر من نفس العام سالت أول قطرة من النفط السعودى عبر هذا الانبوب الذى يبلغ طوله ١٠٦٨ ميلا وقطره ٣٠ بوصة .. وفى ٢ ديسمبر جاءت أول ناقلة نفط الى ميناء صيدا اللبنانى لتنقل نفط السعودية .. وفى عام ١٩٥٣ كانت هناك ٤ مضخات على هذا الانبوب تدفع النفط بقوة ٣٢٥ ألف برميل يوميا، أما اليوم فقد زيدت الى سبع مضخات ثابتة تساعدها خمس مضخات مساعدة تضخ سنويا ١٦٥ مليون برميل من نفط المنطقة الشرقية .. وعلى شركة « ارامكو » تقع مسئولية صيانة هذا الخط حتى منطقة القيصومة، وبعدها تنتقل المسئولية الى شركة خط الانابيب عبر البلاد العربية (التابلاين)

الخبر ليحصل منها على ما يشاء ، كما حدث معنا !! والظاهر انها متاجر لجمعيات تعاونية خاصة .

والى جوار مدن البترول تقع مدينتان كبيرتان : فى الجنوب مدينة الهفوف ، وقد سبق أن استطلعناها وفى الوسط مدينة القطيف او واحة النخيل وسط المنطقة الشرقية .. انهما المدينتان اللتان خرجت منهما ثورتان عنيفتان .. أولاهما ثورة « صاحب الزنج » التي تميزت بالدعوة لتحرير الموالى . والثانية ثورة القرامطة التي أوهت عضد الخلافة العباسية وزعزت اركانها .. لقد اصبحت هاتان المدينتان تقدمان « الانسان » والاكل والغذاء لمدن البترول ..

ان المنطقة الشرقية من السعودية تضم ٩ حقول للنفط ، عليها اكثر من ٤٠٠ بئر تسحب مائة مليون طن من النفط سنويا .. وهذه الكمية من النفط يعادل ثمنها ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ريال اى حوالى ٨٦٪ من مجموع ميزانية المملكة العربية السعودية التى تبلغ ٣ر١١٢ر٠٠٠ر٠٠٠ ريال .

ان السر وراء هذه الحركة الهائلة فى المنطقة الشرقية يعود الى امكانية ضخ النفط بكميات كبيرة دون ان يتاثر الاحتياطي كثيرا ، لان كمية هذا الاحتياطي خيالية ، اذ تصل الى نحو ٦٥ الف مليون برميل ، ما زالت مختفية الى اليوم تحت رمال تلك الصحراء التي بدات تتردد فى جوانبها اصداء اصوات غريبة لم تعهدها من قبل .. كان زئير الرياح وعواء الذئاب وثغاء الشاة ، ورغاء البعير ، هى كل الاصوات التي عاشت فى تلك الصحراء الواسعة، والتى الفتها اذان سكانها البدو الرحل .. أما اليوم فتهدر اصوات الآلات الجبارة لتبدد السكون الذى طالما خيم عليها .. وترتفع السنة اللهب والدخان لتغطى هذه المنطقة القديمة الحديثة بسحابة سوداء ، معلنة قيام صناعة حديثة .. صناعة الذهب الاسود ! .

■■

سليم زبال



التبغ

عند ظهوره أول مرة في..

بقلم : ابراهيم محمد الفحام

عرف الاوربيون التبغ – أول مرة – في سنة ١٤٩٢ عندما شهده البحارة الاسبانيون في جزيرة (تباجو) Tabago احدى جزر الانتيل الامريكية . ومن اسم هذه الجزيرة اشتقت كلمة Tabaco الاسبانية ، و Tabacco الانجليزية ، و Tabac الفرنسية ، و (تنباك) الفارسية ، و (تبغ) و (طباق) باللغة العربية .

وفي سنة ١٥١٨ – على الارجح – نقلت أوراق التبغ الى أوروبا ، ثم زرعت شجيراته في البرتغال بعد ذلك بأربعين عاما . اما تركيا فقد قيل ان التبغ لم يظهر فيها الا في سنة ١٦٠٥ ، بينما يؤكد البعض انه ظهر فيها بعد ظهوره في أوروبا بسنوات قلائل .

بدء ظهور التبغ في البلاد العربية

لا يمكن معرفة تاريخ ظهور التبغ في البلاد العربية ، على وجه التاكيد . فقد اختلف الباحثون اختلافا بينا في تحديد ذلك التاريخ . ومع ذلك فان اختلافهم هذا ينحصر بين سنتى ٩٩٩ و ١٠٢٠ الهجريتين ، أى بين سنتي ١٥٩٠ و ١٦١١ بالتاريخ الميلادى .

وقد استشهد بعض الباحثين بشاعر مجهول، قالوا انه أرخ ظهور التبغ في بلاد الشام بقوله :

سألوني عن الدخان وقالوا
هل له في كتابنا ايماء .
قلت ما فرط الكتاب بشيء
ثم أرخت يوم تأتي السماء .

اى (يوم تأتى السماء بدخان) .



البـلاد العربـيَة

فاذا صح ما قيل على لسان ذلك الشاعر ، يكون ظهور التبغ فيها في سنة ٩٩٩ الهجرية وهو حساب حروف « يوم تأتى السماء » بالجمل - المقابلة لسنتى ١٥٩٠ و ١٥٩١ الميلاديتين . اى بعد قرن كامل من اكتشاف الاوروبيين له .

وجاء في شرح النجم الغزى الشافعى لمنظومة ابيه البدر في (الكبائر والصغائر) ان التبغ ظهر في (دمشق سنة ١٠١٥ الهجرية المقابلة لسنتى ١٦٠٦ و ١٦٠٧ الميلاديتين) اى في العام التالى لظهوره في تركيا على وجه التقريب .

واذا رجحنا الاعتقاد بأن التبغ ظهر في بلاد الشرق العربى عن طريق تركيا ، أو عن طريق الموانىء الاوروبية على البحر الابيض ، فيبدو ان ظهوره في بلاد المغرب العربى كان عن طريق آخر . فقد ذكر أحمد بن خالد الناصرى في كتابه (الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى) ان التبغ - وقد سماه التابغ - ظهر في مراكش ، منقولا عن بلاد السودان التى تعرف الآن بجمهورية مالى في سنة ١٠٠١ الهجرية ، المقابلة لسنتى ١٥٩٢ و١٥٩٣ الميلاديتين . ثم ظهر في فاس سنة ١٠٠٧ الهجرية اى بعد ذلك بستة اعوام . ولم يلبث أن انتشر في سائر بلاد المغرب . ويفهم من ذلك ان التبغ قد انتقل الى بلاد المغرب عن طريق الجنوب .

وقد ذكر اللقاني في رسالته المشهورة ، ردا على سؤال عن التبغ ، ان شجرته ظهرت في مدينة تنبكو التى تتبع الآن جمهورية مالى سنة ١٠٠٥ الهجرية ، كما ذكر ان بعض الناس يسمونه (التابغة) و (الطابقة) و (الطبق) .

اما مصر فقد ذكر الاسحاقى في تاريخه ان التبغ ظهر فيها في أواخر سنة ١٠٢٠ الهجرية ، اى في نحو سنة ١٦١١ الميلادية .

والواقع اننا لا نستطيع ان نطمئن تمام الاطمئنان الى أحد التواريخ التى حدد العلماء والمؤرخون ظهور التبغ فيها في بعض البلاد العربية . والاقرب الى الحقيقة انها تواريخ تنبه الحكام له ، بعد انتشاره ، واصدارهم الاحكام والفتاوى بمنع تدخينه .

فتاوى بتحريم التبـغ

ولقد أثار ظهـور التبغ في البلاد العربية ، وانتشار تدخينه ، مناقشات حادة ، حول اباحته وتحريمه . وقد علق الناصرى في كتابه (الاستقصا) على ظهور التبغ في بلاد المغرب بقوله « ومن تأمل ادنى تأمل في قواعد الشريعة وآدابها ، علم يقينا ان تناول هذه العشبة حرام ، لأنها من الخبائث التى حرمها الله تعالى على هذه الأمة المطهرة » . كما علق اللقانى على ظهور شجرة التبـغ بأن « الله ابتلى بها المسلمين » .

وذكر الشيخ عبد الغنى النابلسي في كتابه (الصلح بين الاخوان ، في اباحة الدخان) أن بعض العلماء الاتراك أفتوا بنجاسة التبـغ ، وبفساد صلاة شاربه ، وان رائحته في الثوب والبدن لا يعفى منها وان شق زوالها ، بعكس رائحة الخمر ، اذا شق زوالها ، وذلك لتعمد شربه من غير ضرورة . وقد ترتب على تلك الفتوى اضطهاد المدخنين ، وقتل كثير منهم .

وذكر بعض العلماء ان مدخن التبغ يحشر يوم القيامة مثلما يحشر شارب الخمر ، أسود الوجه ، والغليون في عنقه ، وهو يلتهب نارا ، وأيدوا ذلك بأحاديث موضوعة مصنوعة ، لا أول لها ولا آخر .



فتاوى اخرى باباحته

وأفتى كثير من العلماء باباحة التدخين ، والفوا كثيرا من الكتب في الدعوة لرايهم . ومن ذلك ما الفه الشيخ نور الدين الزيادى ، والشيخ وفا العروضي ، والشيخ عبد السلام النابلسي ، الذى قيل انه الف رسالة هاجم فيها احد قضـاة الشام ـ وكان قد انكر عليه التدخين ـ سماها (السيف الماضى ، في رقبة فلان القاضي) .

ومن العلماء من لم يستنكر تدخين التبغ على النساء . ومن هؤلاء ابن قاسم العبادى من العلماء الشافعية ، فقد ذكر في حاشيته على شرح المنهج « ويجب على الزوج شراء نحو القهوة لزوجته ان اعتادت ذلك » ، وقال الشيخ على الشبراملسى « انه ليس نحو القهوة الا الدخان».

وقال الشيخ الحلبى صاحب السيرة النبوية في حاشيته على شرح المنهج « ويجب على الزوج شراء الدخان لزوجته ان اعتادت ذلك » . بل لقد نسب الى بعض العلماء انه كان يشتريه لزوجته وبناته .

لا يزال تدخين التبغ محرما في بعض المذاهب

ولا يزال تدخين التبغ محرما في بعض المذاهب الى اليوم . ففى جزيرة العرب يحرمه الوهابيون. كما يحرمه الاباضية في جزيرة العرب ، وفي ليبيا وتونس والجزائر ، والتجانية في شمال وغرب أفريقيا ، والنصيرية في لبنان .

وهو كذلك محرم على عقال الدروز ، كما حرمه مؤسس العقيدة البهائية في ايران .

اساليب الحكام في معاقبة المدخنين

وقد اتبع الحكام ـ فيما مضى ـ اقسى وسائل القمع في محاربة التدخين . ويروى ان السلطان مراد الرابع كان يامر بقطع شفتى مدخن التبغ ، وجدع أنف من يدخنه سعوطا . اما السلطان محمد الرابع فكان يامر بلف حبل من اوراق التبغ حول عنق المدخن ، ووضع غليونه في انفه ، ثم شنقه وهو في هذه الحالة .

وقد ذكر الجبرتي في تاريخه ان الوالي العثماني محمد اليدقجي الذى ولى مصر في سنة ١٧٤٣ أصدر امرا بمنع التدخين في الشوارع والدكاكين، وعند أبواب البيوت . وأمر رجال الشرطة بأن يمروا في أنحاء القاهرة كل يوم ثلاث مرات ، فكانوا ينكلون بمن يضبط وهو يدخن ، حتى انهم كانوا يجبرونه على التهام حجر غليونه، بمحتوياته المشتعلة .

وذكر السيد احمد بن زينى دحلان في كتابه (خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام) ان الشريف مسعود بن سعيد أصدر في سنة ١١٤٦ الهجرية ، المقابلة لسنتي ١٧٣٣ و ١٧٣٤ الميلاديتين ، امرا بمنع الناس من التظاهر بتدخين التبغ في المقاهى والاسواق ، وعلل المؤرخ سبب ذلك الامر الذى أصدره الشريف بقوله « وقيل انه كان يعتقد فيه التحريم ، كما قيل انه لم يمنعه الا عندما تظاهر الناس بشربه في الشوارع، وتعاطاه الاراذل والاسافل ، ولا يرفعونه اذا مر عليهم شريف أو عالم أو فاضل » .

وفي السودان كان المهدى يحرم التبغ ويعاقب من يتناوله باى طريق من الطرق ، بجلده ثمانين سوطا ، وسجنه مدة اسبوع .

تصرفات مماثلة في البلاد الاوروبية

ولم يكن الحكام ورجال الدين المسيحيون في اوروبا أقل قسوة على مدخنى التبغ من امثالهم في البلاد الاسلامية والعربية . ففى انجلترا أمر الملك جاك الاول بالقبض على السير ولتر رالى Walter Raleigh الذى عنى بنشر التبغ في البلاد، ثم شنقه ناسبا اليه تسميم الناس . وكان يبطش بكل من يتجر في التبغ أو يدخنه . وكان الحكام الروس حتى أواخر القرن السابع عشر ، يعاقبون المدخن اول مرة بالجلد ، فاذا عاد جدعوا أنفه ، ثم يحكمون بقتله في المرة الثالثة .

وقد ظل البابوات يحاربون استعمال التبغ زمنا طويلا ، ويعدون من يتناوله خارجا على الكنيسة وأشهر من عنى بذلك البابوان أوربان الثامن ، وانسوسنت الثاني عشر .

هل كان التبغ معروفا عند اجدادنا العـرب

أثار اطلاق كلمة (الطباق) على (التبـغ) اعتقادا خاطئا بان هذا النبات عربى الاصل . واستندوا في ذلك الى ورود هذه الكلمة في بعض المعاجم والمؤلفات العربية القديمة .

فقد ورد في القاموس المحيط ان الطباق « شجر منابته جبال مكة ، نافع للسموم ، شربا وضمادا ، ومن الجرب والحكة ، والحمّيات العتيقة ، والمغص واليرقان ، وسدد الكبد ، شديد الاسخان » .

كما ورد ذكره أيضا في لسان العرب ، وتاج العروس . وذكره داود الانطاكي في تذكرته المعروفة واضاف انه يسمى ايضا « شجر البراغيث » ولم يعلل تلك التسمية ، وذكر له عدة فوائد طبية ، منها تحليل الاورام ، وازالة اليرقان ، واوجاع القلب والمعدة ، وتفتيت الحصى ، وادرار الطمث .

والحقيقة ان أوصاف نبات (الطباق) أو (التبغ) الذي يدخنه الناس في أيامنا هذه ، لا ينطبق في شيء على أوصاف نبات (الطباق) الذي كان معروفا عند أجدادنا العرب ، والذي يعرف اليوم في سوريا ولبنان باسم (الطيون) وهو ينبت طبيعيا في جبال لبنان ، وحول المياه في السهول ، ويستعمل في تزبيب العنب ، لصد الزنابير ، وليس الامر الا مجرد تشابه لفظي .

اسطورة حول كلمة (تنباك)

وكما أثار اطلاق كلمة (الطباق) على (التبغ) هذا الزعم الذي يستند الى التشابه اللفظي ، فقد اثارت كلمة (التنباك) زعما آخر يستند الى مثل هذا التشابه ، فقد قيل انه نبات فارسي الاصل ، لان اسمه مركب من الكلمتين الفارسيتين (تن) أي (بدن) (وباك) التي تحمل معنى (الطهر) أو (التطهير) وعللوا هذه التسمية باسطورة تنسب اكتشافه الى رجل فارسي ، ابتلي بقروح في بدنه ، ولدت فيه الديدان ، واعيت الاطباء،فهام على وجهه في البراري يبحث عن علاج له ، حتى اهتدى الى شجيرة غريبة ، فاقتطف بعض أوراقها ، وراح يربطها على قروحه ، فامتصت افرازاتها ، وطهرتها من ديدانها فشفي، وشاع استعمال تلك الاوراق على اوجه اخرى ، واطلق على ذلك النبات (التنباك) أي (مطهر البدن) .

تفنن العرب في تدخين التبغ

وقد امتدح كلوت بك في كتابه (لمحة عامة الى مصر) تفنن العرب في تدخين التبغ ، وتعطيره بماء الورد ، وقطع العنبر ، وتانقهم في تهيئة جلساته، ومبالغتهم في تزيين غلايينه الثمينة ـ او (شبقاتهم) كما كانوا يسمونها ايضا ـ اذ كانوا يصنعون مباسمها من الكهرمان ، مع زخرفتها بالميناء ، او ترصيعها بالاحجار الكريمة ، حتى كان يتجاوز ثمن المبسم منها في بعض الاحيان خمسمائة فرنك . وكان طول الانبوبة يختلف بين قدمين وستة اقدام . وكانت تصنع من اعواد شجر الكرز ، او الياسمين ، ثم تكسى بالحرير ، وقد يكسى طرفاها ايضا بطول اربعة او خمسة ابهامات بالفضة او الذهب او الميناء ، وربما رصعت أيضا ببعض الجواهر . اما حجر الغليون فكان يجمل بنقوش عربية بديعة .

وقد سجل لنا عيسى اسكندر المعلوف في كتابه (دواني القطوف) صورة شيقة للاساليب التي كان يتبعها اسلافنا في تدخين التبغ ، واوصاف الغلايين والنارجيلات المزخرفة الثمينة ، التي كان يستعملها الاعيان والحكام ، كالامير حيدر اللمعي ، الذي كان لغليونه انبوبة من عود الكرز، مغشاة بالقصب الفضي الى قرب راسه ، حيث تتدلى منه ذؤابة بديعة. وكان مبسمه من الكهرمان الثمين .

وكان الامير بشير الشهابي يدخن في غليون كبير يتسع لربع رطل مصري من التبغ . وكان الدخان يتصاعد من فمه متخللا شعر شاربيه ولحيته ، كدخان الاتون .

وكان في بعض القصور خدم مخصصون لاعداد الغلايين وتقديمها يسمّون ، (الشبقجية) وكانوا يتبعون سادتهم حاملين غلايينهم الثمينة ، اذا خرجوا للسفر او للنزهة .

اما لفافات التبغ اي (السجاير) فقد بدا يتناولها اجدادنا في اواسط القرن الماضي . ويقال ان بداية ظهورها في بلاد الشام ترجع على وجه التحديد الى سنة ١٢٧٢ الهجرية، المقابلة لسنتي ١٨٥٥ و ١٨٥٦ الميلاديتين .

وكان ظهور هذه اللفافات ببساطتها ، وسهولة حملها واشعالها ، نذيرا باختفاء اساليب التدخين القديمة ، التي كانت تضفي طابعها الحالم المثير ، على ملامح المجتمع الشرقي في الامس القريب .

■■

القاهرة : ابراهيم محمد الفحام



قصة بقلم
الدكتور بديع حقى

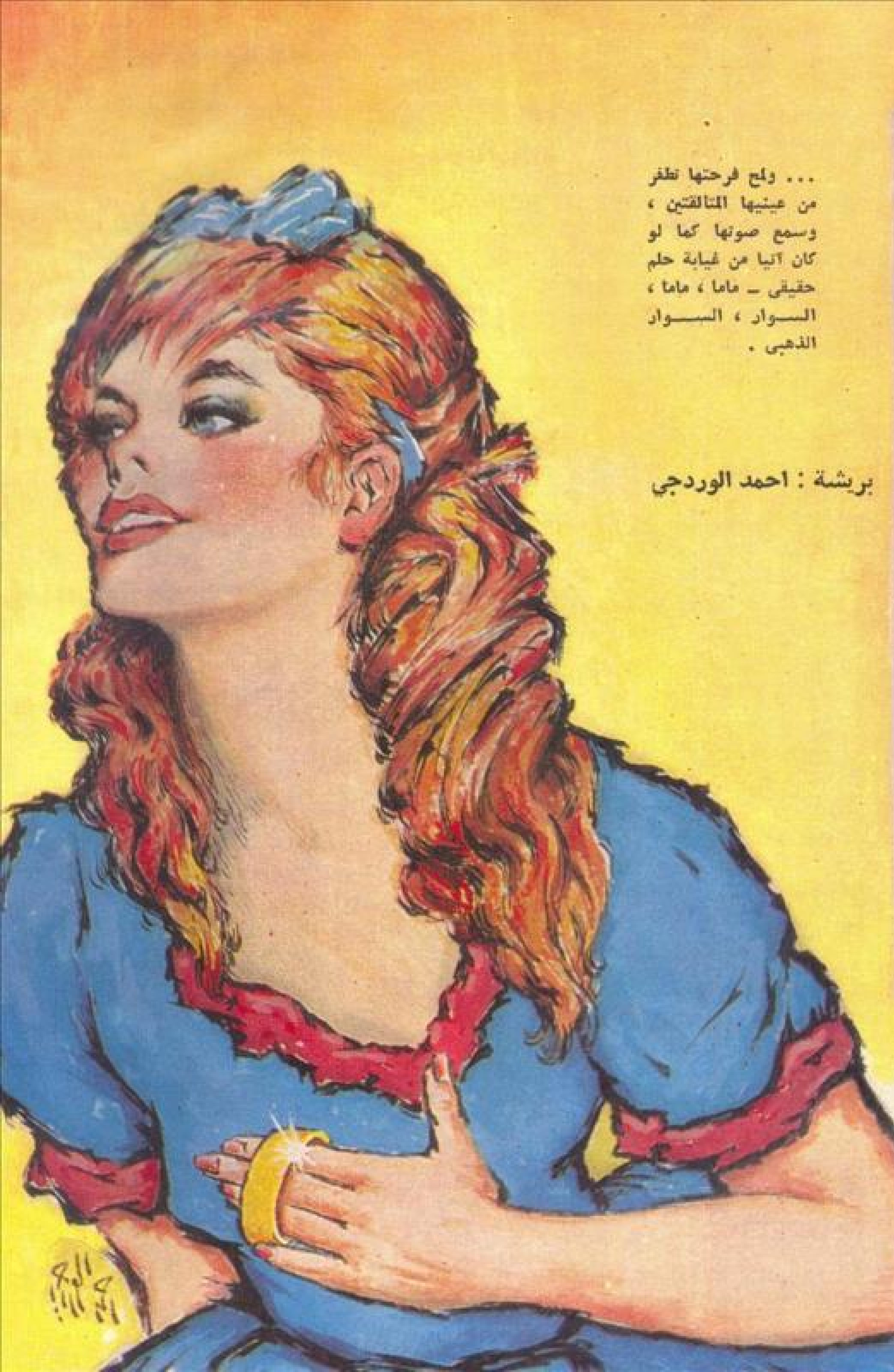
■ كانت حزمة شفيفة غضة من الاشعة تتكىء على خصر الجدار ، وبدت وهى مائلة كأنها خيال انسان مضىء فزع الى الجدار ، ليستند اليه ويصيب بعض الراحة .

ودنت حزمة الاشعة ، فى هينة ، من كوم أوساخ ، واعتنقت ساق النور المائلة ذراع فتية خشنة سمراء ، كانت تمسك بمسحاة معدنية صغيرة معدّة لجرف القمامة . ونطت قفة مستديرة من القش الى جانب الكوم وفتحت شدقها الوسيع المتحفز لالتهام النفايات . وكانت حركة الذراع مدرّبة سريعة ، اشبه بحركة برائن الديك فوق (مزبلة) وهو ينبش بنزقه المألوف بعض التراب ليكشف عن دودة مستكينة او حبة متوارية .

وتساءل أحمد الزبال فى ذات نفسه : « ترى ماذا يخبىء هذا الكوم من المفاجآت الطريفة ؟ » .

هذه علبة معدنية مبقورة البطن ، رُسم على سطحها حبات خضر من البازلاء . وقلّبها احمد . انها ناعمة مليسة ، غير ان سطحها المعوج بدا فاغر الشدق ، يهمّ أن يجرح من يتحداه . وأمال العلبة ، مستطلعا قعرها فلمع فى اشعة الشمس لماعا خاطفا ، وقفز منه كسهم منطلق ، موشود من النور ، واقتحم عينى احمد ، فزوى ما بين حاجبيه ، ودانى ما بين جفنيه ، ليكون بمنجى من الحاح النور ، ثم فتح عينيه ، رويدا ، رويدا . وانزلقت نظرته الى قعر العلبة . لا شىء ، سوى حبة بازلاء منسية ، مستلقية على المعدن الأصفر ومدّ سبابته ليجرّها ، فشرم طرف العلبة الحاد سبابته الدخيلة المتجرّئة ، وسالت قطرات من الدم قانية صبغت جدار العلبة الداخلى ولكن جرحه لم يثنه عن حبة البازلاء البليدة . وداعبت سبابته المجروحة حبة البازلاء ودغدغتها فاستسلمت وانساقت ، طيّعة ، وخلّفت فى مسراها خيطا نحيلا من الدم (شربت الملعونة من دمى)(١) ، وامسك بها بين السبابة والابهام : انها خضراء ، طرية ، مشوبة بالحمرة . والقى بها فى فمه . وتمسّحت سبابته الجريحة ببنطاله الممزّق ، وعبرت ثقبا كبيرا مهترئا يكشف عن طرف من ساقه ،

(١) كل ما سيوضع ضمن قوسين ، هو حوار داخلي يلهج به بطل القصة في ذات نفسه .



... ولمح فرحتها تطفر من عينيها المتالقتين ، وسمع صوتها كما لو كان آتيا من غيابة حلم حقيقى ـ ماما ، ماما ، السوار ، السوار الذهبى .

بريشة : احمد الوردجي

وتقاسم بنطاله وطرف من ساقه الكشيفة قطرات من دمه .

وانزاحت قشور بيض لـزجة مختلطة بمحها الاصفر عن صحن مكسور.وامسك احمد بالصحن وقلبه ظهرا لبطن ، ثم اراحه علـى الارض . في ميسوره أن يفيد من هذا الصحن فكسره صغير . ترى من كسره ؟ لعلها تلك الفتاة المدللة المليحة ذات الصدار الاسود التي تخرج ، في الصباح الباكر ، من باب هذا البيت ، كعصفور منطلق من عشه ، وتهتف من فرجة الباب بصوت رفيـع منغّم : خاطرك ماما .

ثم تغلق الباب وتلتهم خطاها المتعجلة الهابطة ثلاث درجات ، قبـل أن تصل الـى الرصيف ، وتقفز مسرعة الى سيارة كبيرة ، سيارة مدرسية تقبل كل يوم صباحا وتنتظرها ، هنيهة وتستعجلها ببوقها المبحوح حتى تاتي ، لتمضي بها مع رفيقاتها المتضاحكات الزقزقات وتغيب في مدى الشـارع الطويل .

كانت قفزتها الى باب السيارة تمتزج في ذهنه، دوما ، برعشة ضفيرتيها ، تنسابان على كتفيها او ظهرها ، بهدير السيارة تهم ان تدرج ، بخفقة ثوب ينحسر عن جزء صغير ابيض من ساقها اللفاء الصاعدة الى السيارة .

لقد تعود أن ياتي ، في هذا الوقت من فجر كل يوم ، جارا امامه نقالة القمامة، تزينها مقشة طويلة ، ويتصدرها برميل ضخم على عجلتين ، لينقل النفايات من بيوت هذا الشارع ، راضيا مغتبطا . سعيدا برؤية فتاته الراكضة من باب الدار الى السيارة ، وان لم تره او تلحظه او تشعر حتى بوجوده .

وحدج احمد الصحن بنظـرة فاحصة وجسّه باطراف انامله (آخ ، لا تزال اصبعي تنـزف) وتمدّد على بياض الصحن غصن راعش من الدم ، ومسح احمد الصحن بطرف ثوبه ثم لعق اصبعه المجروحة (ريقي احسن من الماء لتنظيف الجرح ولكن طعم الدم غريب) وبصق ثم عاود النظر الى الصحن ، ووضعه الى جانب ، واستانفت يـده حركتها الاولى وهي تجـرف الاوسـاخ ، وكانت خصلة نافرة من شعره تساوق حركة يده وتقلّدها وتلاحق قطرة عرق متعرجة على جبينه .

وسنح في رأسه خاطر ، فامسكت يده هنيهة عن الحركة (من يدري لعل هذه الفتاة المليحة كانت تاكل من هذا الصحن) وبدا له ان طعامه المقبل سيكون فيه أشهى مذاقا ، وطابت له هذه الفكرة وغرف بصره من الصحن نظـرة حنان وابتسم ابتسامة ساذجة ماكرة معا ، وبرقت عيناه من خلل خصلة شعره الزاحفة على جبينه .

وتلالا فجاة ، في اشعة الشمس فيض من النور سخيّ ، كانه نبع ينبجس منه بريق غامر ، وادنى احمد راحته فلامسته (آ .. انها قطعة من مرآة مكسورة تعكس صورة الوجه مثل مرآة الحلاق محيي الدين الدوماني ، طرفها حاد يجـرح اكثر من علبة البازلاء الملعونة ، لكن مرآة الحلاق محيي الدين الدوماني اكبر ، آه ، متى ساعود الى بلدي دوما يا ترى) وتنهّد وشخص ببصره الى الافـق البعيد ثم ارخى جفنيه وعاود النظر الى المرآة ، وفرّت حزمة اشعة مستطيلة من صـقال المـرآة وقفزت كالجـرادة المتوثبة علـى جبينه فعينيـه واعشتهما فامالها قليلا ، ها هو ذا خيال وجهـه الاسـمر يتراءى له مبتسما معابثا ، وغمـز لـه فاستجاب له خياله بغمزة مماثلة واصطنع العبوس فقلّده خياله مقطبـا ، وضحك فتهانف خيالـه ضاحكا ، وفكّر : ترى اتكون الصورة الفوتوغرافية اصدق من المرآة في نقل ملامح وجهه ، لقد راى كثيرا من الناس يرتسمون لدى مصور ارمني في شارع جمال باشا . ان المحظوظ السعيد هو من تتاح له صورة فوتوغرافية لدى هذا المصور . ترى ماذا تقول الفتاة المليحة ان رات صورته ؟ ولكن ما ابعد تحقيق هذه المغامرة الرائعة : أن يرتسم وتكون له صورة فوتوغرافية .

ورمى بقطعة المرآة المكسورة ، ارضا ، فتحطمت وهربت أشعتها مبدّدة وتناثرت امنيته مع حطامها ذرة ، ذرة . وعادت يده الى مسحاته المعدنيـة الصغيرة ، وهاجت حزمة الاشعة على حركة ذراعه المدربة اللبقة واختصمت مع ظلها الرشيق ، وبرق شيء مدور قابع تحت ورقة خس ، وامتدت راحة احمد فوقه وفرشت فوقه ظلا متردّدا، وسلته .ما هذا ؟ انه سوار ، اجل سوار صغير .

وتلفّت احمد حواليه ، مرتبكا ، لا ، لم يره احد . ودسّ السوار في جيبه ، ليتوسّد في القعر ، كسرة خبز منسيّة ويعانق فرنكين أعدّاهما

لغدائه ، ثم تلمس السوار بانامله الخشنة ، كما يتلمس فرخ عصفور يهم أن يطير من راحته ، وأخرج طرفه ، وحدر اليه نظرة مختلسة جانبية وقلبه يخفق خفقات مطّردة ، ورفّ جفناه رفيفا سريعا متداركا ، وذاب سواد عينيه فى بياضهما ، على اختلاج اهدابه وعناقها (سآخذه الى بائع الخردة فى السنجقدار سيشتريه بمبلغ كبير) اجل لقد تعود أن يجلب له الملاعق والشوكات التى كان يعثر عليها فى أكوام القمامة ويبيعها بأثمان مغرية .

اما هذا السوار الاصفر فان ثمنه يقارب نصف ليرة وربما اكثر (ترى أيكون هذا السوار الاصفر للفتاة المليحة التى اراها كل صباح) لعله سقط من معصمها وهى تتناول الطعام او تقشر الخس، لا ريب انه سوارها فهو صغير يلائم معصمها الصغير . وهشّ لهذا الخاطر مبتسما ، وغمس راحته فى جيبه يتفقد السوار . وتخيل احمد فتاته تبحث عن سوارها فلا تجده ، ستبكى عليه. تراها تعرف البكاء ؟ انها اصغر منه أو هى فى سنه ، لقد بكى منذ شهر حين اضاع ليرة سورية (اجل وقعت الليرة من جيبى الايسر المثقوب فلم اشعر) على انه بكى بكاءً مرا حقيقيا ، منذ سنة تقريبا ، بعد أن ماتت امه فى دوما فغادرها الى الابد . انه لا يذكر بكاءه على ابيه فقد كان صغيرا جدا حين مات ابوه . وفجأته رغبة فى البكاء ، رغبة جامحة مجهولة ، لا يدرى ماتاها ، اجل ، اجل ، انه يدرى (الله يرحمك يا امى) ورفّ جفناه قلقين هائجين ، وارتشفت اهدابه بادرة دمعة حائرة ، وتكسرت حولها ظلال قصيفة شاحبة فارتدت خائفة ، وانجرفت الى موق عينيه وتجمعت لتسيل وتهمى ، فمسحها براحته ونظر اليها . لقد غسلت طرف سبابته المجروحة الوسخة، ومازجت قطرات من دم لما يتخثّر بعد .

ترى أى سبيل تعينه على مغالبة البكاء ؟ ومدّ يده الى جيبه يتقرّى السوار الخبىء ، وانبثقت من لمسة السوار فرحة ثرّة وانساقت هادرة فى كيانه ، فمحت شعور الانقباض الذى هصر قلبه ، وسرّى عنه خاطر طريف : لعلها ترقص فرحا وطربا ، ان أعاد اليها السوار . لن تنساه ابدا ، ستتلفت اليه ستحبوه بنظرة شكر ، ومن يدرى ؟، ستبتسم له كلما مزجت نظرتها الحلوة بمحياه الطيب . انها الآن ، فى البيت ، فاليوم هو الاحد، فى هذا الصباح ــ كما تبين له على تعاقب الايام ــ لا تأتى السيارة الكبيرة الضخمة ، لتقلها الى المدرسة .

وزحف ظله خلفه وهو يتخذ سمته نحو الباب. وامتدت سبابته الى الجرس ، فكبست على زره الابيض (أف لقد خلّفت سبابتى نقطة دم على الزر الابيض) وتأوّه رنين الجرس من الداخل ، ولكن أحدا لم يقدم لفتح الباب ، وجاذبه فضول برىء ، فأجال بصره حواليه ، مستطلعا ، حذرا ، لا ، ليس ثمة أحد يراه ان نظر من خصاصة قفل الباب وانحنى ، والقم عينه اليمنى ثقب القفل ، وانسربت نظرته المتسللة كصرصار رشيق ،ولكنه لم يلمح شيئا ، واشرقت فى خاطره ذكرى صندوق الدنيا ــ عجايبك عجايب ــ لقد دفع فرنكين فى العيد الماضى ، ليستمتع بمشاهدة صور هذا الصندوق ، وتذكر كيف القم عينه كوة أوسع من هذا الثقب الضئيل ، وحظى ، آنذاك برؤية مناظر ملوّنة متحركة ، على شريط يدور ، فى بطء ، رأى صورة عبلة وعنتر،والزير سالم ابا ليلى المهلهل . وترنّحت فى ذاكرته كلمات صاحب الصندوق ينغّمها بصوته المتهدّج ، وينشرها على رؤوس الاطفال المتزاحمين على الكوى الصغيرة تزاحم الجراء الصغيرة على ضروع امها الكلبة المستلقية :

شـف تفـرج آه يا سـلام
شـف أحوالك بالتمـام

شـف عنتـر بن شـداد
شـف عبلـة بنت الكرام

وشعر احمد بخدر حلو يتمشى فى اهابه،وانحنى امام الباب مرة اخرى ، واصطادت عينه ثقب القفل ، وامتلست نظرته المتطلعة من الثقب ، لعل فتاته المليحة اجمل من عبلة بنت الكرام . آه ما أحلى أن يلمحها من هذا الثقب الصغير . بيد انه لم يستبن سوى مزيج ضئيل من العتمة والنور ، يتحرك ، يمور ، ينطفىء . ورفع رأسه منتظرا ، فى تربص مشحون بشعور قريب من الخوف ،وسمع خفق اقدام يتردّد وصوتا نحيلا يهتف : مين ؟

لا شك انه صوتها ، ودار فى خلده ان قلبه يتأرجح ، خافقا ، لاعبا ، لاهثا،على غصن منصوب فى حنايا صدره . وانفتح الباب ، واطلّت عينان حلوتان عابثتان . وترقرق فى رفيف الجفنين

سؤال ، وتدلت من شعرها ضفيرة تستوضح ايضا ، فامسكت بها وقذفتها على كتفها .

لمتاقل له بعد : ماذا تريد ؟ . ولكن عينيها كانتا تفصحان عن سؤالها . وهزت راسها هزة تؤكد هذا المعنى وتشير اليه : وقد عرف باحساس طبيعي انها تهمان تساله : ماذا تريد ؟ (تراها ظنت انى شحاذ بثيابى المهترئة هذه) وتخلص من حيرته ، فمد يده الى جيبه واخرج السوار وبسطه على راحته .

ــ وجدت هذا فى الزبالة يا ستى .

ولمع فرحتها تطفر من عينيها المتالقتين ، وسمع صوتها كما لو كان آتيا من غيابة حلم حقيقى .

ــ ماما ، ماما ، السوار ، السوار الذهبى .

وشعر احمد بزهو يملأ عطفيه ، وتململ فى نفسه اسف (آه ، ليس السوار من نحاس ، كما بدا لى ، انه من ذهب ، لا شك انه غالى الثمن ، لو اننى احتفظت به لتمكنت من بيعه بثمن كبير كبير ، بليرتين بثلاث ليرات باكثر) بيد ان فرحتها النقية الهازجة انحدرت الى قلبه فجرفت شعور الاسف على خسارة السوار الذهبى . كانت فرحة غامرة متدفقة ، معدية ، هزت كيانه الصغير واملت على شفتيه بان تبتسما ، بان تنحسرا عن اسنان نضيدة ، تمرح فوقها ظلال ، تختلف بين البياض والحمرة ــ فقد تسلق نابيه خيط رفيع من الدم ، لعله ان يكون قطرة باقية من دم جرح سبابته ، بعد ان لعقها بلسانه ــ ولكن عينيه ظلتا مطرقتين ، تثقبان الارض بنظرات منكسرة .

وغابت الفتاة لحظات . لا تزال الصيحات الهازجة تناسم سمعه وتتناهى اليه من حلمه الذاهل ، وسمع حوار الام مع ابنتها :

ــ خذى هذه الليرة السورية ، اعطيها اياه ، مكافاة .

ــ انها قليلة يا ماما ، اريد خمس ليرات .

ــ لا ، انها كافية .

ــ والله غير كافية يا ماما .

ــ بل كافية .

ــ اذن اعطيه ثلاث ليرات (دخيلك) يا ماما .

ــ لا ، ليرة واحدة كافية ، وسيفرح بها .

وبدت له الكلمات فوارة على شفاه الأم وابنتها ، كحباب زجاجة كازوزة (آه ، ما اطيب قلب الصغيرة المليحة) وشعر بامتعاض يلفح قلبه . انه لا يبغى سوى فرحة الفتاة بسوارها ، لا يريد سوى هذه الفرحة الساذجة الطيبة ، ليتها تضيع سوارها كل يوم ، ليعثر عليه ويعيده اليها ، وتتجدد فرحتها المتدفقة الصادقة .

وانفرج الباب ، رشقته الفتاة بنظرة متقدة (انها تبتسم لى ، والله العظيم تبتسم لى) ونادته : تعال يا ولد .

كان فى يدها شيء ما (انه ليرة ، أعرف انه ليرة) . كانت اناملها تشد عليها ، تعركها فى نزق ، وتردد (لا اريد مالا ، لو كنت اريد مالا لاحتفظت بالسوار وبعته ، لا ، لا اريد) ولمع فى عينيها وميضا لم يستطع ان يتاوله ، لعلها كانت تضرع اليه بأن يأتى ليأخذ الليرة ، ونسجت اناملها ، برفيفها المتصل برما ونفاد صبر ، اف ، لماذا يتلكأ ؟ انها تريد أن تكافئه ولكنه ما يزال غضيض الطرف ، مطرقا ، وارتفع جفناه ، متئدين ، بطيئين من الارض ، ولامست نظراته قدميها الصغيرتين وزحفت على ركبتيها الناعمتين حتى شارفت ثوبها الخفاق ينثر فيئا شفافا عذبا وترادفت فى ذهنه صور سريعة ممتزجة برعشة ضفيرتيها ، بغبار سيارة هادرة ، بخفقة ثوب منحسر عن جزء ضيق ابيض من ساق غضة تهم آن تصعد السيارة . وخيل اليه أن فتاته قد فجأت هذه الصور الجريئة التى زحمت خاطره ، فأرخى جفنيه ولاذ باطراقته ، واقفا لا يريم أو يتحرك .

ماله يقف كالمخبول ساكنا ؟ لعله أن يكون خجولا . ودنت منه فزحف ظلها النحيل على ظله الممدود فعانقه وامتزجا ، واصبحا ظلا واحدا . واختلس أحمد من موق عينيه نظرة خاطفة ، لقد اضحى سوارها الذهبى فى معصمها ، يزلق فى منفسحه الابيض الأملس متوامضا ، ضاحكا ، سمح القياد . ورأى يدها تمتد فى اتجاهه ولحظ ليرة سورية معدنية متشبثة باطراف أناملها .

ــ خذ .

وبسط لها راحة خجلى . لا يزال جرح سبابته

يرفد باطن راحته بخيط من الدم دقيق متعرّج.

ـ كتر الله خيرك يا ستي .

واصطبغت الليرة الفضية بقطرة صغيرة حمراء ، وغابت راحته في جيبه المهترىء ، وكان يبدو فاغر الشدق شرها ، فابتلع الليرة وحدرها الى القعر. كان ينتظرها ثمة فرتكان وكسرة خبز في موعد ضيق معتم .

وجرّ أحمد ظله الحيي خلفه الى نقالته ، ومدّ راحته الى جيبه ، فالتقت بكسرة خبز ، وسلتها وقبّلها ووضعها على جبينه في مسكنةٍ رفيقة ثم غيّبها في فمه ، وانحنى فتناول الصحن ذا الطرف المكسور ، وقلبه ومسحه بطرف ثوبه وشمّه ولثمه ، لا تزال فيه آثاره من رائحة طعام شهي.

★★★

حين وقف أحمد امام المصور الارمني ، بشارع جمال باشا ، كانت عين الشمس الغاربة ما تزال تحدّق اليـه ، وتلملم ظله الموكل بمرافقته ، لتزيحه الى جانب ستارةٍ متكئة على جدار قديم. وكانت الستارة تجلو بالوان ناصلة صورة سهل فسيح اخضر ، رسمتها ريشة بدائية سقيمة .

لقد غزا راسه خاطر جرىء ، سحابة نهاره، فضرب في بعض الأزقة ساهما مفكرا ، ثم قادته خطاه الى هذا المصور . وقال له :

ـ بكم الصورة يا عمي .

ـ بليرة سورية واحدة ، بلا مفاصلة .

وتردّد ، ودار ثمن الصورة في ذهنه كالدوامة ، انه يعدل عشرين رغيفا . ولكن امنيته ما تزال تلحّ عليه شهيّة مغرية . وانساق الى الستارة مذعنا مستسلما سارتسم وأمري الى الله تعالى. انها غالية ، ثمنها ليرة يعني ثمن عشرين رغيفا ولكن الليرة جاءتني بلا جهد ، قالت تعال يا ولد ومددت يدي فاخذتها ، قلت لها كتر خيرك يا ستي، فابتسمت والله العظيم) . وتهيّأ للتصوير .

وأدخل المصور راسه في العلبة السوداء العجيبة، وأضحى هو وآلة التصوير جسما واحدا ذا خمس ارجل وعنق متجعّدة ممطوطة كعنق السلحفاة وعين زجاجية بارزة جامدة تحدّق اليه وتحصى انفاسه . واخرج المصور راسه وقال :

ـ ابتسم ، لا تتحرك ، واحد ، اثنان ، ثلاثة .

ووقفت ذبابة فضولية على اذنه ، فلم يجرؤ على تحريك يده . وقام المصور بحركات معقدة وانتهت الصورة اخيرا .

ـ هات الليرة ، خذ هذه صورتك .

وفارقت الليرة مرقدها المعتم ، وتناول احمد الصورة وأدام فيها نظره (هذه صورتي ، آه يا عيني ، شف تفرّج يا سلام ، ينقصني شارب معقوف لاكون مثل عنتر). كانت الصورة بسيطة ، اختلط فيها سواد ببياض ، وتجاذبها نور وظل ، لتجلوه بقسماته الطيبة الساذجة ، وتراءت اذناه مشرعتين ، وبدت على كفاف احداهما الذبابة واضحة (يخرب بيتها بنت الكلب ارتسمت على اذني) وشعر بأن قلبه يخفق في جيب عنيف، داخل صدره كأنه طفل صاخب يلح بأن يخرج من حجرة صدره ، ليشاركه في النظر الى الصورة الطريفة .

ترى ماذا ستقول حين تصافح بصرها ؟ انه لا يعرف أن يكتب ويسطر لها كلمتين أو ثلاث كلمات يفصح لها عن رعشة قلبه حين يراها ، ويذكر لها انه نادم على اخذ الليرة وانه لم يستطع ان يقاوم استعطافها ودعوتها الضارعة لاخذ الليرة ، ولكن صورته هذه ستنوب عن أي كتابة ، أجل في هذه الليلة ، سيمضي الى دارها، سيدسّ صورته الجميلة تحت باب الدار .ستراها طبعا ، قبل ان تاوي الى النوم وستحزر فتاته المليحة الذكية ان هذه الصورة هي لها وانه يفكر فيها وحدها وانه ارتسم من اجلها . ستعرفه ، بلا ريب ، من الصورة ، الم يُعِدْ اليها السوار الذهبي امس فكافاته وابتسمت له؟اجل ستحدّثها الصورة على نحو مبهم لا يدريه ، وستفضي اليها بانه يفكر فيها دوما ، دوما .

★★★

امتدّت ذراع خشنة سمراء الى كوم القمامة ، وتالّقت هنيهة ، فيما هي تخترق حزمة ضيقة متلالئة ، وكانت الحزمة تصل ما بين الكوم وجدار البناء المقابل بجسرٍ من النور مستقيم مشدود

تلعب فى منسرحه ذرات دقيقة من الغبار .

وشرعت راحة احمد تتقلب فى خليط النفايات وتعبث بالظلال الجاثمة فى عالم القمامة الخصب ، ونفر ظل رعديد من نصف ليمونة تتدهـــدى متدحرجة" ، وعاذ بقشرة بيضة واسبغ عليهـــا صفرة" شاحبة" تذكرها بمحتها الاصفر المفقـــود (لا ، ليست هذه الصفرة ذهبا ، ليتها كانت سوارا . ان عثرت عليه أيضا فساعيده اليهـــا ستهب لى ليرة" . تعال يا ولد . سأصر" على الرفض . لا لا اريدها يا ستى اعطينى بدلا منها صورتك كيف وجدت صورتى التى وضعتها لـــك تحت الباب مساء أمس دخيلك يا ستى اليس لديك صورة ، صورة واحدة ؟) وتوقفت راحته هنيهة" ، ثم تناولت نصف" ليمونة وعصرتها وسالت منها قطرة" فجرض بريقه ورمى بها .

وتألقت علبة" معدنية" فارغة" وتزحلقت على سطحها أشعة الشمس (كل يوم يأكلون بازلاء . انجرحت أصبعى البارحة من علبة مثل هـــذه ، الله يلعنها) وشال العلبة وقذف بها الى برميل القمامة الرابض .

وعادت أنامله الى الكوم تبحث ، فسلتت قشرة موز مهترئة لم يبق من ثمرتها سوى قطعة تافهة، ها هى ذى ورقة خس ندية طرية (لا ، لا يوجد تحتها شىء،لم تضع شيئاً،لم تضع سوارا ولا غير سوار ليتها تضيع سوارها مرة أخرى لأعيده اليها على الفور ، ستقول تعال يا ولد خذ هذه الليـــرة [illegible]فضها قائلا لا يا ستى اريد صورة مثل صورتى

تتحرك اصابعه حركة تشى بالمطالبة (هات الليـــرة ضاعت الليرة وضاعت الصورة ، شققتها، مزقتها، ضاع كل شىء لماذا يا رب ؟) وامسكت راحته بقصاصات الصور وفركتها ، وسك" سمعه بوق السيارة ينعق . انها السيارة التى تقل" فتاته الجميلة المليحة ، صباح كل يوم . ونهض ووقف فى الفىء . كان عمود النور ما ينى ينقر الارض عنيدا . ان فى وسعه أن يراها ، ههنا ، دون أن تلحظه . خاطرك ماما . ها هى ذى تخرج كعصفور خفيف منطلق من عشه ، ويتوثب ظلها الرشيق بين قدميها . وتلتهم خطاها ثلاث درجات وتقفز الى السيارة . ورأى ضفيرتيها تتسابقان علـى ظهرها وطرف ثوبها يرتفع ويهمس همسة" ما لبياض ساقيها . ولمح رجليها الناعمتين تحصدان أشعة" ، بدت له متناثرة ممزقة . وتسلقت نظرته ربلة" رجلها ، وانحسر الثوب عن جزء ضيق من ساق لفتاة تهم أن تصعد السيارة ، وأغضى احمـــد حياء" وارتباكا (لا ، لم ترنى ، لم تشعر بوجودى هذه الفتاة المليحة القاسية . لماذا مزقتها يا رب لماذا ؟) بلى ضاعت الليرة دون جدوى ، لكن هنا فى حنايا الصدر تمزق شىء" ، ضاع شىء" لن يعود .

ودهمته رغبة" فى البكاء ، رغبة لا تواتيه دوما ، ولكنها تلح" عليه ، الآن ، الحاحا عنيفا موصولا ، ورف" جفناه قلقين ، هائجين ، خافقين ،وانغمست اهدابه باطراف دمعة معـــذبة ، جعلت تتمطى وتتحير فى موق عينيه ، تريد أن تهمى ، وتمزقت فوقها ظلال" صغيرة" صغيرة" ، زجرتها اهدابه

حد السرقة في الإسلام[1]

بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ الحد عقوبة مقدّرة ، واجبة لله تعالى . وبهذا التعريف يفرق بينه وبين التعزير والقصاص . فالتعزير عقوبة ليست مقدرة ، فقد يكون بالضرب وقد يكون بالحبس وقد يكون بغيرهما . والقصاص عقوبة مقدرة ، لكنه يجبُ ، حقًا للعبد ، والعبد هو مخلوق الله لا غير الحرّ من الناس . ولا خلاف فى ان الحدود لا تحتمل العفو والصلح والابراء ، بعد ما ثبتت بالحجة ، لأنها حق لله تعالى، فلا يملك العبد اسقاطها، بخلاف القصاص فانه حق للعبد ويملك أسقاطه .

وانما كانت الحدود حقوقا لله على الخلوص ، لأنها وجبت لمصالح العامة ، فهي لدفع الفساد ولحصول الصيانة . ومعنى نسبة هذه الحقوق الى الله ، ان كل جناية يرجع فسادها الى العامة ، ومنفعة جزائها تعود اليهم ، كان الجزاء الواجب بها حقا خالصا لله ، تأكيدا لنفعهم ، ولدفع الفساد عنهم ، لكيلا يسقط الجزاء باسقاط العبد اذا أراده .

والاحكام الشرعية فيها حكمة الهية ، قد تبدو لنا ، وربما خفيت عنا ، واذا جاء فى الحكم نص صريح لا يحتمل التأويل وجب الاذعان له وتنفيذه .

والاصل تعليق الحكم بالحكمة الا اذا كان وجه الحكمة خفيا لا يوقف عليه الا بحرج ، فيقام السبب الظاهر مقام وجه الحكمة الخفى ، وتجعل الحكمة موجودة تقديرا .

والحدود لا تثبت مع الشبهة ، لقول رسول الله صلى‌الله عليه وسلم « ادرءوا الحدود بالشبهات » ذلك لأن الحد عقوبة متكاملة فيستدعي جناية متكاملة.

وجاء حد السرقة في القرآن صريحا في قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) .

---

(١) يا من سالت عن حدّ السرقة فى الاسلام ، هذا جوابك .

وجاءت السنة بالانكار على الشفاعة في الحـدود ، والانكـار على ان تقـام الحدود على الضعيف دون الشريف ، مـن ذلك ما رواه البخاري في كتـاب الحدود ، ان رسول الله قال لأسامة ، حين أهمَّ قريشا أمرُ المراة المخزومية التي سرقت ، فكلموا في ذلك اسـامة ليكلمه :

« أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قام فخطب قال : يأيها الناس ، انما ضلَّ مَنْ قبلكم انهم كانوا اذا سـرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف فيهم اقاموا عليه الحد ، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدهـا » .

لكن ما هي السرقة ؟ ومتى يقام لها الحد وهو القطع ؟

لا بد من تعريفها حتى يمكن تطبيق حدها . فاختلاف الاسامي كما قالـوا دليل على اختلاف المعاني .

اقراره حتى تنفيذ الحـد ، وللاقـرار ايضا شروط منها ان يكون بغير اكـراه على اقراره . واما البيِّنة ، ولها شروط في غاية الدقة في كتب الفقه .

ثم لا بد ان تتوافر في السارق اهليـة وجوب القطع ، وهي العقل والبلـوغ . اما الذكورة والحرية والاسلام ، فليست بشروط في الاهلية، لعموم الآية الكريمة، فيجرى القطع في الذكر والانثى ، والحر والعبد ، والمؤمن والمشرك،ما دام بالغـا عاقلا .

ثم لا بد ان يكون المتاع في حـرز ، والحرز نوعان : حرزٌ بنفسه ، وهو كل بقعة معدة للاحراز ،الدخول فيها ممنوع الا بالاذن ، كالدور والحوانيت والخزائن . وحرزٌ بغيره ، وهو كل مكان غير معد للاحراز يدخل اليه بلا اذن ولا يمنع منه كالمساجد ، فان كان هناك حافظ له ، فهو حرز بغيره ، والا فلا يعد حرزا .

ثم لا بد ان يتولى اخذ المتاع ويخرجه

الفقهاء قال ، ان ما كان حرزا لنوع يكون حرزا للانواع كلها .

وان يكون المسروق مملوكا ، فلا قطع فيما لا يملكه احد .

وان يكون متقوما عند المسلمين ، فلا قطع فى سرقة الخمر من مسلم ، سواء اكان السارق مسلما ام ذميا ، لانه لا قيمة للخمر فيحق المسلم، وكذلك الذمي اذا سرق من ذمي خمرا او خنزيرا لا يقطع ، لانه وان كان متقوما عندهم فليس بمتقوم عندنا .

وان لا يكون للسارق فيه ملك ولا تأويل الملك او شبهته ، فمن اعار شيئا او أجره ثم سرق ما اعاره او اجره ، فلا قطع ، لان ملكه ما زال قائما، وكذلك من سرق مالا مشتركا بينه وبين المسروق منه ، لان المسروق ملكهما على الشيوع ، فكان بعض المأخوذ ملكه . وبيت المال الذى يجمع الخمس لا قطع في السرقة منه لان له فيه ملكا وحقا . اما العقوبات الاخرى في كل ما سبق وما يأتى فلا نبحثها الآن ، وقد وضعت لها احكام .

ولا قطع على من سرق من ولده ، وان سفل ، ولا من ابيه وان علا . ومن له حق اذا ظفر بجنس حقه يباح له اخذه ، واذا اخذه يصير مستوفيا حقه .

وقالوا : ان مال الباغي على اموال الناس وحقوقهم لا قطع في سرقة العادل منه .

وقالوا : انه لو اذن لانسان بالدخول في دار فسرق المأذون له بالدخول شيئا منها لم يقطع ، اذ ان الدار ، باذنه له في دخولها ، قد خرجت عن أن تكون حرزا ، فلا يسمى الآخذ سارقا ، وانما يسمى خائنا ، وله احكامه ..

ولا قطع على من سرق من ذى رحم محرم ، لأن كل واحد منهما يدخل فى منزل صاحبه بغير اذن عادة ، وذلك دلالة على الاذن من صاحبه . فاختل معنى الحرز ، ويضاف الى ذلك بالنسبة لهذه المسألة ان القطع بسبب السرقة فعل يفضى الى قطع الرحم ، وقطع الرحم حرام ، والمفضى الى الحرام حرام .

ثم اختلفوا فى النصاب الذى يقطع فيه .

ثم هناك الضرورات ، وقد قالوا : ان الضروروات تبيح المحظورات . ولا بد من تقدير الضرورة ، كما قالوا ان عمر ابن الخطاب اعفى من حد السرقة فى عام المجاعة ، وقالوا انه اعفى من حد السرقة مملوكا سرق من مال مالكه الذى كان يستغله ولا ينصفه ، وذلك للشبهة التي تدرا الحد . هذا اكثر ما قيل والمقام لا يتسع له كله ولا لاستيفائه .

من هذا يتبين ان الشبهات التي تدرا الحد الشرعى للسرقة كثيرة ، فاذا انتفت جميع الشبهات ، ولم توجد الضرورات التى تبيح المحظورات ، فلا اعفاء فى الحد ، ولا شفاعة فيه ، ولا تأويل .

واذا نظرنا الى السكوت الآن عن اقامة هذا الحد الذى قدره الله تعالى فى كتابه ، فالاولى ان نحمل هذا السكوت على احدى الشبهات التى تدرا الحدود ، ونضيفه الى الضرورات التى تبيح المحظورات ، خروجا بذلك عن تأثيم المسلمين عامة ، وولاة امورهم خاصة .

واذا وصلت للناس حقوقهم ، وذللت لهم سبل معيشتهم ، وعرفوا مالهم وما عليهم ، فلا ظالم ولا مظلوم ، انتفت الشبهات التي تدرا الحدود . وسقطت الضرورات التي تبيح المحظورات ، وكان السارق بين الأمن والسلام والرخاء مستحقا لاقامة الحد وهو القطع ، فهو عضو فاسد فى مجتمع صالح . واستغفر الله من الزلل فى الرأى والاجتهاد فى الحكم ، وفى حسن النية مطمع فى عفو الله . ■■

عبد الستار احمد فراج



صورة فى الزمان فريدة

■ هذه صورة صورها الانسان ، للكوكب السيار الذى نحن أعرف به من بين سائر الكواكب جميعا . أعرفته ؟ انه الارض التى نعيش عليها .

صورة صورتها عدسة تحملهـا المركبة الفضائية التى أطلقهـا الأمريكان ، فدارت حول الارض واستقرت فوق خط استوائها ، تدور بالسرعة التى تظهر بها للانسان معلقة فـوق نقطة من المحيط الهادى خاصة ، فهى تدور مع الارض ، وكأنهـا واقفة فى سماء ذلك المحيط ، لا تبرح مكانها من الارض ابدا .

كانت المركبة على ارتفاع ٣٦٠٠٠ كيلو متر من سطح الارض ، والصورة لو وضحت ، من هذا الارتفاع،لظهر فيها الغرب من أمريكا، والشرق من آسيا . ولكن غطتها السحب فكان ما كان . ولو أنها وضحت لكشفت عن كل جسم على سطح الأرض لا يقل قطره عن ٣ كيلومترات .

ونزيد فنقول ان هذه المركبة اسطوانة ، طولها يساوى قطرها ، فهما ١٫٦٥ من المتر ، وتزن ٧٥٠ كيلو جراما ، وبها ١٢ قرنا لاسلكيا (هوائيا) ، وبسطحها ٢٢٠٠٠ لوحة ، عبارة عن بطارية ضوئية كهربائية ، تمتص ضوء الشمس فتحيله الى قوة كهربائية تعمل بها أجهزة المركبة .

وهذه المركبة تجريبية ، تسجل الاجواء للمراصد، وتنقل باللاسلكى الاخبار والبرامج من قطر فى الأرض الى قطر .

اما عمر المركبة ، فالمقدر لها ان تظل تعمل ٣ سنوات . ●●



أنباء الطب والعلم والاختراع

البحار تنذر بنفاد أسماكها

● ما من احد ينظر الى البحر ، ويرى الصيادين تخرج منه الاكوام الكبيرة من السمك ، صيفا وشتاء ، وعاما من بعد عام ، الا ويقع فى نفسه أن البحار خزائن من السمك لا تنفد ابدا .

والحق أن الاسماك فى البحار ، كحيوانات الارض تماما . كل يبدأ فيعيش على النبات ، والقوانين الاقتصادية التي تتحكم فى حيوانات الارض الجافة ، شبيهة بتلك التى تتحكم فى حيوانات الماء ، اى أن الاسماك وحيوانات الارض اذا لم يستغلها الانسان استغلالا علميا معقولا ، فمآلها النقص فالاختفاء . وكذلك حيوانات البحار .

هذا ما قاله الدكتور الروسى فينوجرادوف Vinogradov ، بمعهد علم المحيطات بموسكو ، وذلك فى المؤتمر الدولي الثاني لعلم المحيطات الذى انعقد فى عاصمة الروس منذ قريب .

والاستاذ فينوجرادوف ينظر فى حاجة الانسان المتزايدة على الارض من البروتين ، الذى هو اللحم والسمك ، وفيما يحصده الانسان من سمك البحر ليكمل به حاجته من لحم الارض ، ثم هو لا يتفاءل بالمستقبل .

وهو لا يتفاءل لسببين :

اما السبب الاول فقلة علم العلماء بتفاصيل ما يجرى من عمليات بين احياء البحار حتى ينتج السمك . وهو يضرب مثلا بسلسلة الطعام (١) الآتية :

فى البحار قائق من الاحياء المكرسكوبية فما فوقها ، مقادير عظيمة ، تعرف بالهائمات plankton . وهي نباتية وحيوانية . وتبدأ السلسلة بالهائمات النباتية ، تأكلها الهائمات الحيوانية ، فينتج من كل ١٠,٠٠٠ رطل من الاولى ، الف رطل فقط من الثانية . وتتسلسل العملية ، آكلا ومأكولا ، حتى تنتهى الالف رطل من الهائمات الحيوانية بأن تنتج فقط ١٠٠ رطل من السمك الرنجة Herring مثلا . وتعود السلسلة تتسلسل من جديد . وتبدأ بالمائة رطل من الرنجة لتنتهي بسمكة واحدة بالغة من سمك التونة .

وتتعاظم الطاقة التي بدأناها بالهائمات النباتية ، حتى تنتهى عند التونة ، وقد تضاعفت ١٠٠٠٠ مرة .

ويقول الاستاذ هذا ما نعلمه . وهو اجمال لا تفصيل فيه . ونحن فى حاجة الى التفصيل الكثير حتى نفهم ، وحتى نرسم ونخطط ونزيد الغلة . فالبحار « تستزرع » تماما كما تستزرع الارض ، على منهاج علمي .

اما السبب الثانى فى تشاؤم الاستاذ

---

(١) انظر كذلك سلاسل الطعام كما اوضحناها فى مقال « الحياة معركة قاسية » بعدد يناير ١٩٦٧ بصفحة (٣٠) .





مطلوب
اعادة امتحان الاطباء والمهندسين والعلماء لتجديد كفايتهم من علم

● رأى طالما اقترحناه في « العربي » .

كان يتصل بالاطباء خاصة : ذلك ان الطب فى تقدم سريع ، وان من الاطباء ما يعتمد على شهادة فى الطب اخذها فى عام ١٩٥٦ مثلا ، ونام عليها ، فلم يقرأ ، ولم يساير تقدم الطب فى سنواته العشر الماضية ، ومع هذا يتحمل تبعة فى الدولة عظيمة ، هى العناية بالمرضى .

واقترحنا ان يقعد الطبيب الى امتحان يستوثق فيه من ان الزمان لم يفته ، وانه يقرأ ويتابع ، ويتصل بمراكز الطب فى بلده ان استطاع ، وفى غير بلده ، زيارة او مراسلة فى كل ما غمض .

وخبر اليوم يتصل ، لا بالاطباء ، وحدهم ، ولكن بالمهندسين والعلماء عامة ، ذلك ان الدكتور وليم سبنسر Spencer ، عميد كلية الدراسات العالية بجامعة الولايات الشهيرة ، جامعة كولمبيا ،بنيويورك ، تكلم فى جمع من أساتذة الجامعات ، فاقترح أن يكون لكل شهادة تعطى لخريج جامعة مدى ينتهى عنده مفعولها ، وتصبح لاغية ، الا اذا قعد الخريج ، بعد سنوات تحدد فى كل علم لامتحان جديد ، ينجح فيه ، ثم يكتب على شهادته ما يفيد انها تجددت تماما كتجديد رخصة سائق السيارة ، حتى لا يكون طرا على عينه او غير عينه ما يجعل سياقته خطرا على الناس .

والسبب عند الدكتور سبنسر ان العلم ، وان الهندسة ، تسير الآن خطوات سريعة لا بد للعلماء والمهندسين من ملاحقتها ، والا فاتهم الزمن من حيث الكفاية ، وهو نقص فى الكفاية ضرره ، يعود على أصحابه طبعا ، ولكنه يعود على المجتمع بالضرر الاكبر .

فينوجرادوف بالمستقبل فيرجع الى صيد السمك بغير حساب .

وهو يحسب فيجد أن حصيلة الدنيا من السمك فى عام ١٩٥٣ كانت نحو ٢٣ مليون طن ، فصارت فى عام ١٩٦٣ ، اى بعد عشرة أعوام فقط ، ضعف ذلك اى نحو ٤٦ مليون طن . وهي بلغت فى عام ١٩٦٦ نحو ٥٠ مليون طن . ولا أمل فى زيادة هذه الحصيلة زيادة تذكر فى الاعوام العشر القادمة لأن أجهزة الصيد بلغت الحد من الكفاية الذى ليس بعده مزيد .

وهو حصاد أكثر مما تأذن به البحار وهو سوف يؤدى بكثير من أصناف السمك الى اختفاء ، ان آجلا وان عاجلا .

ويهدف الاستاذ اجمالا الى ضرورة زيادة علمنا من البحار ، ثم التخطيط لاستزراعها بالطرق العلمية السليمة التي تأخذ من البحر ، ولكن كذلك تبقى فيه .

المجاعة مرض له أعراض

● بانتظار المجاعة العالمية المرتقبة يتحدث العارفون عن اثر الجوع فى اجسام الناس . او ان شئت فى اجسام المرضى ، فما الجوع الا مرض .

ان مقدار الغذاء الادنى الذى يجب ان يعيش عليه الانسان فى اليوم يساوى من الاسعار الغذائية ٢٥٠٠ سعر (انظر كلمة المجاعة فى اخبار العلم والطب فى العدد الفائت) .

فاذا لم يجد الفرد من الناس ، من الطعام ، غير ١٦٠٠ سعر مثلا (وهو نحو رطل من الحب كالقمح او الذرة) فاول ما يحدث له نقص سريع فى وزن الجسم . وبعد قليل من الاسابيع تهدأ سرعة النقص فى الوزن . وبعد شهرين او ثلاثة اشهر ، حين يكون الرجل قد نقص من وزنه نحو الربع ، ينشأ فى جسمه اتزان واستقرار يدوم اشهرا كثيرة .

فاذا نقص غذاؤه بعد ذلك عن ١٦٠٠ سعر ، بدأ الجسم ينقص وزنا ، وبدأت امراض المجاعة تزيد ظهورا واتضاحا ، ويعتريه همود وخمود ، ويهبط عدد ضربات قلبه ، ويهبط ضغط دمه ، ويأخذ قلبه ينضمر . وانفعالاته تتبلد ، وتسيطر على عقله رغبة شديدة فى الطعام .

من المحيط الهندى

ثروة للطعام مرتقبة عظيمة

● ان مقدار السمك الذى يصاد من هذا المحيط الآن سنويا يبلغ ٢/١ ٢ مليون طن . ومقدار الذى يرجى صيده بعد عشرين او ثلاثين عاما قد يبلغ ٢٠ مليون طن .



والسبب فى ذلك ما كشفه علماء البحار ، الذين ضمتهم البعثة الدولية لدراسة المحيط الهندى ، من صفات هذا المحيط وما يجرى فيه مما كان مجهولا من قبل .

اما هذه البعثة الدولية فقد ضمت علماء من ١٥ دولة ، استخدموا فى بحوثهم احدث الوسائل والاجهزة التي عرفها هذا القرن .

وظلت البعثة تعمل من سبتمبر ١٩٥٩ الى ديسمبر ١٩٦٥ .

ومما كشفته البعثة :

١ — ان المحيط الهندى به اكثر بحار العالم ملوحة واشدها حرارة .



والمجاعة عندما تنتشر في محيط انساني ، يجرى في أذيالها انحطاط في القيم الاخلاقية ، وتسود معها الجرائم . وقد يعمد الناس الى أكل الضعاف من الناس . والامراض تجد لها مرتعا خصيبا في تلك الاجسام المراض .

٢ ــ وان به اسرع تيار مائي ، وابرد ماء سطحي في المنطقة الاستوائية كلها .

٣ ــ وانه يوجد به تيار مائي صومالي، يبدأ عند الصومال ، ويتجه شمالا الى جنوب الجزيرة العربية بسرعة ٧ اميال بحرية في الساعة ، وهي سرعة كبيرة اذا قورنت بسرعة التيارات العالمية الاخرى وهذا التيار هو الوحيد الذى يعبر خط الاستواء على سطح هذه الكرة الارضية .

وهذا التيار ينقلب اتجاهه منعكسا الى الجنوب عند ما يبلغ شبه الجزيرة العربية . وتهبط عند ذلك درجة حرارته الى درجة ١٣ مئوية ، وذلك بسبب صعود مياه من اعماق المحيط باردة عند ذاك ، وهذه تحمل معها غذاء من هذه الاعماق طيبا ، يتألف من حيوانات غاية في الدقة ، تعرف بالهائمات لأنها تسير مع الماء حيث يسير ، هي طعام السمك الغزير الكثير . وهي كانت من الكثرة بحيث سدت شباكا رفعها العلماء من الماء .

وما كشفه العلماء عند المحيط غير هذا ، يؤكد ان حصيلة هذا البحر العظيم من السمك يمكن زيادتها اضعافا ، اذا ما خطط العلماء لذلك في غير اسراف .

ومما يذكر انه اقيم بهذه المناسبة في بمباى مركز ارصاد للمحيط الهندى Indian Ocean Meteorological Centre . شاركت فيه هيئة الأمم .

كذلك يوجد في مركز علم الاحياء للمحيط الهادى ، في كوهن Coohin ، مجموعة عظيمة من تلك الأحياء الصغيرة الدقيقة التى ذكرناها ، تلك الهائمات التي هي الأصل في غذاء ما في البحار من اسماك ، وقد جمعت هذه النماذج جميعها من المحيط الهندى .



الوقاية من الجدرى والحصبة معــا

● هــذا العصر عصر وقايــة مــن الأمراض ، ووقاية الأطفال والصبية من الأمراض شيء أساسي فى السياسة الصحية للدول .

ولكن الأطفال الواجب وقايتهم عددهم كبير . والوقت اللازم لذلك وقت طويل يشغل من رجال الطب زمنا هم أحوج ما يكونون اليه فى سائر اعمالهم .

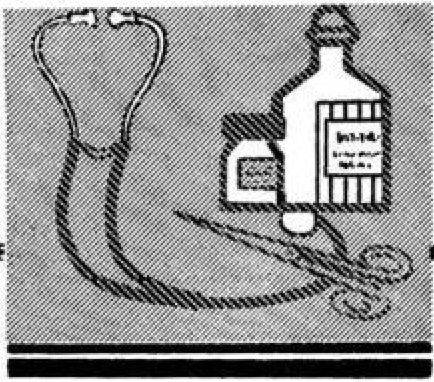
لهذا اتجهت النية من زمن الى حقن الصبي والصبية ، لا بحقنة واحدة ضد مــرض واحد ، نعاد كل مرة لمرض ثان وثالث ، ولكن بحقنة مركبة تجمع الوقاية من مرضين اثنين واكثر .

ثم آلة الحقن أو المحقنة . فهذه تملأ الآن كما هو معروف بالمقدار الواحد من اللقــاح الواحد ، الكافي للصــبي ، أو الصبية الواحدة . ثم يعــاد ملؤها لكل صبي وصبية . وفى هذا اضاعة وقت ثمين .

من اجـل هذا ابتدع أطبــاء قسم امراض الأطفال بجامعة بنسلفانيا محقنا جديدا تكفى الملأة الواحدة منــه لحقن ٢٥ الى ٥٠ صبيا ، يتجمعون فى مدارسهم او غير مدارسهم لهذا الفرض . والحقنة الواحدة التي تراها فى الصــورة تجمع بين لقاح الجدرى والحصبــة معا .

والمدفع الحاقن يحتاج من الطبيب الى قبضة من يده قوية متزنة ، بينا اليد الاخرى تمسك بذراع الصبية ، قبضة قوية متزنــة كذلــك ، حتى لا ينزلــق المحقن .

والحقن بهذه الطريقــة لا يحس بــه المحقون ابدا ، ذكرا كان او انثى .



طبيب الأسرة

انى ألد الاولاد والبنات ، ٨ ارطال وعشرة

● انا ام لي صبي كان وزنه عندولادته ٨ ارطال وربع . ورزقت بعد ذلك بابنة وزنها عشرة ارطال وثلاثةارباع الرطل !

واود ان يكون لي اطفال غير هذين،ولكن مسالة الوزن الكبير هذه تقلقني.

فهل هناك طريقة نتحكم فيها في وزنالوليد ، وهو في بطن امه . فاذا لم يكن، فهل في الامكان تقصير زمن الحملبحيث ينزل الطفل بوزن معقول ؟

ـ ليس فى الامكان التحكم فى وزن الطفل وهـو فى بطن امه . ان أولادك اوزانهم عالية حقا ، ولكن قد يكون هذا من علو مقدار السكر فى دمك . حللى الدم ، فان كان به زيادة غير معقـولة ، فالطبيب يصحح ذلك. وبالطبع باستطاعة الطبيب أن يعجل من نزول الطفل قبل اوانه ، وذلك بشق صرة الماء التى فيها الطفل . ولكن لا مسوغ لهذا العمل ما دام ان الوضع يتم على الحـال العادى السوى .

ولدى له اذن مخروقة

● لى ابن عمره ٧ سنوات، وقد انخرقت طبلة اذنـه اليمنى . ومنذ ذلك الوقت وهـو يحس احيانا بالـم فى الاذن ، واحيانا يخرج منها سائل . وهو يحب السباحة ، وقـد نصحني الطبيب بان اشترى له من عند الصيادلة سدادا للاذن .

ـ ليس هناك من سداد اذن يضمن ان الماء لا يدخل الى الأذن. وارخص سداد وانفع سداد ، انما هو قطعة من القطن تدعك بمقدار من الفازلين . ثم انى انصح بأن تجرى عملية فى اذن هذا الابن لتسد الخرق الذى بها .

نحن اسرة تحب البيض

● نحن اسرة تحب البيض ، ونحن خمسة ، وناكل من البيض الكبير نحو ٦٠ او سبعين بيضة فى الاسبوع . ويقول لنا الاصدقاء ان هذا يضر الكبد ، فهل هذا صحيح ؟

ـ يوجد ميل عند الكثير من الناس أن يشيعوا اشاعات لا تتصل بعلم ابدا .



واشاعةان البيض يضر الرجل السليم، لعلها جاءت بسبب تكريه الناس فى البيض بسبب غلائه . فأنت ترى ان غير البيض من الأطعمة الغالية الثمن تجرى وراءها دائما شائعة بأنها مضرة ، ليقلل الناس من استهلاكها .

ان البيض لا ضرر منه ، وهو مصدر طيب للبروتين لا يكاد يجارى . ان البيضة دجاجة كاملة !

بوجهي شامة . هل استأصلها ؟

● انا رجل كهل وتوجد بخدي شامة ، بحجم العدسة ، وهي تزداد حجما ، واريد ازالتها ، ولكني سمعت ان الافضل الا تزال ، لانها قد تكشف من تحتها عن سرطان . وقد كان لناجار ، ازال شامة له كهذه ، ثم مات بالسرطان من بعد ستة اشهر .



ـ ليس من الصحيح أن استئصال الشامة التى فى الوجه ، بالجراحة ، يتضمن خطرا ، على شرط ان يستأصل مع الشامة جزء مما حولها من الجلد .

والرجل الذى مات بالسرطان لا شك كانت شامته قد نشأ فيها السرطان قبل ازالتها .

انه لا شك أن بعض الشامات السوداء تتحول الى سرطان، والخير فى استئصالها قبل الاوان .

ابنتي تأكل ملحا كثيرا

● ابنتي مغرمة بالملح ، ولا ابالغ اذا قلت انها تفرغ ثلث الملاحة على الطبق الواحد من الطعام ، فهل هناك طريقة لوقفها عند حدها ، وهل فى كثرة الملح ضرر ؟

ـ ان الملح مكون اساسى من مكونات الغذاء، والناس تختلف فى مقدار تعاطيه، بعض يتعاطى منه قليلا ، والبعض الآخر كثيرا . والجسم من بعض وظائفه أن يتخلص من المقدار الزائد الذى يتعاطاه الانسان منه . ولكن الملح الكثير له أضرار محتملة ، منها أنه قد يحدث مرض الاستسقاء ، وزيادة الضغط الدموى فى الأوعية ، واضعاف القلب . فاذا لم يكن شيء من ذلك فى ابنتك حاضرا ، فلا داعى للقلق .

ومع هذا فالمقدار الذى تتعاطاه ابنتك من الملح لا شك بالغ . اغريها بخفضه الى النصف ، ثم خفضه بعد ذلك الى النصف . واذكرى لها المخاطر ، فانها سوف تخشى ، ومن الخشية الاقتناع والطاعة .



اسناني حساسة للبارد والساخن من الاطعمة

• اسناني تؤلمني عندما اشرب شيئا ساخنا ، او شيئا باردا ، فما سبب ذلك ؟

ـ سبب ذلك أن الاسنان عليها طبقة من « المينا » تشبه العاج ، تقى السن من التلف . وهذه الطبقة تبدأ سميكة فى الاضراس حيث يكون الطحن ، ولكنها مع الزمن ترق،وتتعرض السن الحساسة التى تحتها للتأثر بالساخن والبارد من الاشربة والاطعمة . وكذا عند مستوى اللثة ترق هذه «المينا» وتصبح حساسة، لا سيما عندما تكشف اللثة عنها ، وكثيرا ما يكون بسبب تفريش الاسنان مع المعجون بعنف . وعند الطبيب الوسيلة للذهاب بهذه الحساسية بمواد كيماوية يستخدمها .

الاشعة السينية ، والروتين

• سمعت أن الكهول ، نساء كانوا ورجالا ، لا بد لهم من فحص بالاشعة السينية كل حين وحين . فهل هذا ضرورى ، وهل من التعرض لهذه الاشعة ضرر ؟

ـ هذا يتوقف عليك . فان كان بك مرض مستديم فقد يحتاج الى الكشف عن حالته مرارا ، وقد يتكرر حتى لا يكون بين المرة والمرة غير فترة ليست بالكبيرة. اما اذا لم يكن عندك مثل هذا المرض فيكفيك امتحان بالاشعة روتينى مرة في كل عامين . اما زوجك ، وهو فوق الخمسين، فيكفيه امتحان روتيني واحد كل عام .

اما تأثير الاشعة السينية التى تدخل الجسم فى هذه الاختبارات فقليل لا ضرر منه .

الجوارب المطاطة



• لى اطفال عدة ، واذهب الى السوق لاشترى لهم جوارب فاجد السوق ملآنة بهذا الصنف الجديد الصغير الحجم ، ولكنه يتسع كالمطاط للرجل، لرجل الرجل الكبير، ورجل الصبي الصغير على السواء، لانه يتمطط. ويتراءى لى على الفور ان هذه الجوارب تضغط على الرجل فهى اذن لا يمكن ان تكون صحية . فماذا ترى ؟

ـ هذه الجوارب مصنوعة عادة من النيلون ، أو من الصوف والنيلون معا . وهي لهذا ارخص .

ورايي من رايك . فانا لا ارتاح الى جورب يضغط على الاقدام ، لا سيما على اصابع الاطفال التى يجب أن تجد لها مكانا كافيا للحركة في حرية . اننا ننصح دائما في أمر الاحذية أن لا تكون من الضيق بحيث تمنع من هذه الحركة، لان اصابع الاقدام في الحذاء الضيق تنمو على ما لا تريده الطبيعة ، فهي تنحرف . والذى يصدق على الحذاء اخاله يصدق على الجورب .

وغير الاصابع الساق نفسها ، في الكثير من الرجال . فما خلع الكثير منهم جوربه المطاط هذا ، ونظر في ساقه ، الا وجد حلقة في جلد الساق داخلة في سطحه ناشئة عن ضغط حرف الجورب على الساق ضغطا يمنع الجورب من الهبوط . ولا اظن ان احدا يستطيع ان يقول ان هذا يخلو من ضرر ، لا سيما عند كبار السن .

بقى مقدار هذا الضرر ، ولكنى لا اظن ان احدا من علماء الطب هدف الى تقديره . وعلى كل حال فالصناعة ، ورجال الصناعة ، أقوى من رجال الطب في هذا المجال .

••

صفحة فى اللغة

الألفاظ ومعانيها

بقلم : الدكتور ابراهيم أنيس

عميد كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

■ استرعت الفاظ اللغة نظر المفكرين من اليونان القدماء فراحوا يتساءلون عن الصلة بين اللفظ ومعناه ، وهل هذه الصلة طبيعية كالتى بين الاسباب الكونية وما يتسبب عنها ؟ هل هى كالصلة بين النار والاحتراق ، بين الخصب والنماء ، اى ككل الظواهر الكونية من مغنطيسية يترتب عليها استقرار الاشياء فوق سطح الارض ، وكثافة يترتب عليها ان يطفو الشىء او يغرق فى الماء ، وضوء لا تكون الرؤية الا به ؟!

سحر الالفاظ

وبدا من سحر الالفاظ فى اذهان فلاسفة اليونان ان ربط بعضهم بينها وبين مدلولاتها ربطا وثيقا ، وعدوا هذه الصلة صلة طبيعية او ذاتية ، ونلحظ هذا الاتجاه من التفكير فيما يرويه افلاطون فى محاوراته عن استاذه سقراط الذى كان فيما يبدو يميل الى هذا الراى .

ولما تبين لهم غموض هذه الصلة فى كثير من الحالات ، ولم يستطيعوا لها تعليلا او تفسيرا مقبولا تطمئن اليه النفوس ، اخذوا يفترضون ان تلك الصلة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله كانت واضحة فى بدء نشأة هذه الالفاظ ، ثم تطورت ولم يعد من اليسير ان تتضح فى الفاظ كثيرة .

صلة اللفظ بمدلوله ، طبيعية ؟ عرفية ؟

وكان بجانب هؤلاء المفكرين طائفة اخرى من فلاسفة اليونان يرون ان الصلة بين اللفظ ومدلوله لا تعدو ان تكون صلة اصطلاحية عرفية . وتزعم هذا الفريق « أرسطو » الذى اوضح آراءه عن اللغة وظواهرها فى مقالات تحت عنوان الشعر والخطابة .

وظلت كلمتا « الطبيعية او العرفية » محور الجدل والنقاش زمنا طويلا بين مفكرى اليونان . وكان كل من الفريقين يؤسس رايه على مجرد المغامرة الفكرية دون سند علمى من ملاحظة دقيقة ، او استقراء لحقائق . ولكنهم جميعا كما يصفهم بعض اللغويين من المحدثين بقوله : « انهم مناطقة اقوياء يندر نظراؤهم فى العالم ، الا انهم لم يزالوا على مقربة من المقدمات البدائية ، فلم تتخلص عقولهم من سحر الكلمة ، وحسبوا انها ذات قوى كامنة فيها كما قد يحسب الطفل او مُعتقِد الشعوذة ، ولولا ذلك لما اقاموا كل شىء على « اللوغوس » Logos وشغلوا العقول والنفوس بهذه الفكرة الى اليوم » !!

واشطر العرب كذلك

ثم جاء العرب فشطرتهم أيضا الصلة بين اللفظ ومعناه الى فريقين : أولئك الذين كانوا ينتصرون للفكرة الطبيعية الذاتية ، واشهر من عرف عنهم هذا الرأى من مفكرى العرب (عباد بن سليمان

كانت رموزاً لدلالاتها

ثم نشأت بين الاثنين روابط شتى

الصيمرى) أحد المعتزلة ؛ واولئك الذين نادوا بان الصلة اصطلاحية عرفية .

ومع أن معظم اللغويين من العرب لا يكادون يأخذون برأى عباد بن سليمان ، نرى بعضا منهم يربطون فى مؤلفاتهم بين الالفاظ ومدلولاتها ربطا وثيقا يكاد يشبه الصلة الطبيعية الذاتية .

رأى ابن جنى فى الالفاظ ومدلولاتها

فابن جنى مثلا فى كتابه الخصائص يعقد فصولا أربعة يحاول فيها ان يكشف لنا عن تلك الصلة الخفية بين الالفاظ ومدلولاتها :

١ ـ فصل جعل عنوانه (فى تلاقى المعانى على اختلاف الاصول والمبانى) . فقرر فيه أن « المِسك » انما سمي كذلك لانه يمسك بحاسة الشم ويجتذبها !!

٢ ـ وفى فصل آخر عالج فيه ما سماه بالاشتقاق الكبير الذى فسره لنا بان المادة اللغوية مهما قلبتها على صورها المختلفة فقد تشترك كل هذه الصور فى معنى عام . ويسوق لنا مثلا مادة « جبر » ويقول (جبرت العظم اذا قويته ، والجبروت القوة ، ورجل مجرب اذا مارس الامور فاشتدت شكيمته ... الخ) . فالمعنى العام المشترك بين صور هذه المادة هو القوة والشدة .

٣ ـ وفى فصل ثالث عنوانه (تصاقب الالفاظ لتصاقب المعانى) يعيد الحديث عما يشبه كلامه فى الاشتقاق الكبير .

٤ ـ اما الفصل الرابع فعنوانه (امساس الالفاظ اشباه المعانى) . ومما يحدثنا به فى هذا الفصل أن الفعل « قَضَم » لأكل اليابس ، و« خَضَم » لأكل الرطب . ويرى ابن جنى صلة وثيقة بين القاف الشديدة والصوت الناشىء عن اكل اليابس ، كما يرى مناسبة واضحة بين الخاء الرخوة والصوت الناشىء عن اكل الرطب !!

كتاب الاشتقاق لابن دريد

وقد أغرم بعض اللغويين من القدماء بتلمس الربط بين اللفظ ومدلوله ، وبلغت العناية بهذا عند ابن دُرَيد ان الف لنا كتابا سماه الاشتقاق ، وحاول فيه تعليل الاعلام العربية كأسماء القبائل والامكنة فى شبه جزيرة العرب . فيقول مثلا ان « قضاعة » سميت كذلك لانها رحلت من جنوب الجزيرة الى شمالها ، اى انها مشتقة من انقضع الرجل عن أهله اى بعد وتغرب !!

وكتاب مقاييس اللغة لابن فارس

ووضع ابن فارس معجما سماه مقاييس اللغة وجه فيه عنايته لاستنباط الصلات بين الالفاظ ودلالاتها ، فبلغ الذروة فى هذا المعجم من التكلف والتعسف حين شرح المعنى المشترك بين الصور المختلفة للمادة الواحدة .

رأى جسبرسن بين اللغوين المحدثين

اما موقف اللغويين من المحدثين فى جامعات اوربا فقد لخصه اللغوى الهولندى جسبرسن Jesperson (١٨٦٠ - ١٩٤٣ م) فى كتابه (اللغة : طبيعتها ، تطورها ونشأتها) ، فقال ان « همبلت » يزعم أن اللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الاشياء بوساطة ألفاظ أثرها فى الآذان يشبه أثر تلك الاشياء فى الاذهان . اى أن « همبلت » كان من انصار القائلين بالمناسبة الطبيعية بين الالفاظ والدلالات . وقد رد عليه عالم آخر فسفه هذا الرأى وساق كثيرا جدا من الكلمات التى لا تتضح فيها هذه الصلة .

ويرى « جسبرسن » ان كلا العالمين قد غالى فى رأيه ، وأن الباحث حين يقف موقفا معتدلا ، يستطيع ان يستشف المناسبة بين الالفاظ ودلالتها فى كثير من الالفاظ ، ولكن هذه الظاهرة لا تكاد تطرد فى لغة من اللغات .

ويسوق لنا « جسبرسن » امثلة لتلك النواحى التى نلحظ فيها وثوق الصلة بين الالفاظ والدلالات .

(ا) أوضح تلك النواحى الألفاظ التى تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة . وهذه ناحية واضحة فى كل اللغات ، وتشبه ما عندنا فى العربية من « الحفيف . الخرير . الزفير . الصهيل . العواء . الزئير . »

(ب) كذلك قد ترتبط الالفاظ بالدلالات ارتباطا وثيقا فى بعض الحالات النفسية كالكلمات التى تعبر عن الغضب أو النفور أو الكره .

(ج) كذلك يشير « جسبرسن » الى ما عرف عند علماء العربية من ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . فحين تقارن بين « صرَّ الجُندب » و « صَرْصر الجُندب » نلحظ أن الصيغة الثانية تفيد التكرير . والجندب ضرب من الجراد

ويختم « جسبرسن » كلامه بما يدعوه رمزية الالفاظ التى يفسرها بقوله ان كلمات اللغات تزداد مع الايام ايحاء للدلالات ، وتكتسب الالفاظ بمرور الزمن قدرا أكبر من تلك الرمزية .

ولكن « دى سوسير » Ferdinand de Saussure (١٨٥٧ - ١٩١٣ م) كان من أشهر اللغويين المعارضين لأصحاب الصلة بين الالفاظ والدلالات، اذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد . ومع انه كان يعترف بتلك الصلة فى الالفاظ التى تعد بمثابة الصدى لاصوات الطبيعة ، كان يقرر ان هذه الألفاظ من القلة فى اللغات ، ومن الاختلاف والتباين باختلاف اللغات الانسانية بحيث لايصح ان تتخذ منها اساسا لظاهرة لغوية مطردة أو شبه مطردة .

الصلة المكتسبة بين الالفاظ ودلالاتها

والأمر الذى لم يبد واضحا فى علاج كل هؤلاء الباحثين هو انه يجب أن نفرق بين الصلة الطبيعية الذاتية والصلة المكتسبة . فلا شك ان بين الألفاظ ودلالاتها صلة ولكنها صلة مكتسبة ، اى لم تنشأ مع تلك الالفاظ او تولد بمولدها ، وانما اكتسبتها الالفاظ اكتسابا بمرور الايام وكثرة التداول والاستعمال .

وهذه الصلة المكتسبة قد تكون فى بعض الألفاظ أوضح منها فى البعض الاخر . ومرجع ذلك الى الظروف الخاصة التى تحيط بكل كلمة فى تاريخها، والى الحالات النفسية المتباينة للمتكلمين والسامعين فى أثناء استعمال الكلمات . فاذا تصادف أن عنى أحد المتكلمين بأصوات لفظ من الألفاظ ،واسترعى انتباهه أكثر من غيره ، لا يلبث أن يعقد الصلة بين هذا اللفظ ودلالته ، ويتصور نوعا من المناسبة بين تلك الأصوات وما تدل عليه ، ويحاول هذا المتكلم جاهدا أن ينقل شعوره بهذه الصلة الى غيره ما استطاع الى ذلك سبيلا .

الربط بين الاصوات وأشباهها فى الكلمات

وقد يحس فريق من الناس بنفس الاحساس، وهنا تبدأ عملية ذهنية أخرى هى الربط بين هذه الأصوات وأشباهها فى الكلمات الأخرى . لان الذهن الانسانى يميل الى التجميع والتعميم . وتلتقى تلك العملية بعملية نفسية أخرى هى التى تسمى بتداعى المعانى ، اى أن المعنى حين يخطر فى الذهن يدعو ما يشبهه أو يقاربه . ومن هنا قد تخطر فى الذهن فكرة الربط بين مجموعة من الالفاظ المتشابهة او المتقاربة بمجموعة من

المعانى المتشابهة او المتقاربة ، ويترتب على كل هذا ان يشيع بين ابناء اللغة نوع من الوهـم يشعرون معه بوثوق الصلة بين الالفاظ والدلالات.

ما الالفاظ الا رموز على دلالاتها

وفى الحق ان الالفاظ لا تعدو فى حقيقتها ان تكون بمثابة الرموز على الدلالات ، وأى لفظ يصلح ان يتخذ للتعبير عن اى معنى ، فما يسمى « بالشجرة » يمكن ان يسمى بأى لفظ آخر ، متى اصطلح الناس عليـه ، وتواضعوا علـى استعماله ، فليس فى لفظ الشجرة ما يوحى بفروعها وجذورها واوراقها وخضرتها !!

وقد كان من الممكن أن يعبر عن المعانى برموز اخرى غير صوتية كالاشارة مثلا ، ولكن الانسان بدأ منذ امد بعيد جدا يتخذ من اصواته رموزا للتعبير عما يخطر فى ذهنه ، واستغل فى هـذا ما يسمى بجهاز النطق الذى وظيفته الأصلية المضغ والبلع والذوق والتنفس .

دعنا نتذكر علامات المرور من احمر واصـفر واخضر ، وهى التى يرمز كل لون منها الى دلالة معينة اصطلح المجتمع عليها ، وتقبلها قبـولا حسنا ، فحين يرى السائق اللون الاحمر يخطر فى ذهنه دلالة معينة هى وجـوب الوقـوف ، فاذا رأى اللون الأخضر عرف أنه يرمز له بالسماح بالمرور . وليس بين هذه الألوان وما تدل عليه اى صلة طبيعية ، وكل ما بينها لا يعدو أن يكون عرفا ومواضعة هى من صنع الناس .

وكذلك الالفاظ اصطنعها الانسان للتعبير عما يخطر فى الذهن من دلالات ، غير أنها اكتسبت مع الزمن صفة ليست فى غيرها من الرموز العرفية الاخرى . ومن المجازفة أن ينظر الى تلك الالفاظ الآن على انها مجرد رموز ، فقد ارتبطت بالفكـر الانسانى ارتباطا وثيقا ، وأصبح من الصعب ان نتصور أى نوع من التفكير بغير هذه الالفاظ . فالانسان يفكر بوساطة هذه الالفاظ ، اما الدلالة التى ليس لها لفظ فلا وجود لها الا فى مخيلة بعض الفلاسفة . حتى ما يسمى بالتفكير الصامت أو التأمل لا يؤدّى الا مع عملية نطقية يقوم بها المتأمل ، وان لم يسمعها احد ممن حوله .

للاصم الابكم رموز اخرى غير الالفاظ

وليس يعترض على هذا بان يقال ان الـذى يولد اصم أبكم يستطيع ان يدرك الاشياء والحوادث دون ان يكون له اى نصـيب من تلك الالفاظ اللغوية . فيجب أن نتذكر ان هذا الأصم الأبكـم لا يتم له هذا الادراك ــ على ما فى ادراكه مـن نقص ــ الا عن طريق رموز أخرى تحل محل الرموز الصوتية كالاشارة ونحوها. وعلينا ايضا ان نتذكر ان أولئك الذين عاصروا السينما الصامتة لم يكن فى مقدور أحدهم ادراك ما يشاهده من مناظر او حوادث الا بعد ترجمته الى الفاظ يعرف دلالتها. ولو قد عرض عليه من الاشياء او المناظر ما لا يستطيع ترجمته الى الالفاظ ، لمرت أمامه مرورا عابرا غامضا لا يترك أثرا ، ولا يبعث على تفكير او رغبة فى مشاهدتها .

الزمن جعل من الالفاظ شيئا أرقى من مجـرد رمـوز

فاصطناع الألفاظ للتعبير عما يجول فى الاذهان قد مرت به مئات أو آلاف من القرون جعلت من تلك الالفاظ شيئا أرقى من مجرد رموز . فليست كاشارات المرور ، أو العلامات التلغرافية أو الشفرة ، بل هى بالنسبة للانسان مصابيح تهديه فى ظلمات الحوادث، وتعينه فى معترك الحياة . وهو لهذا يعتز بها ويتبناها ، وينقب عما يمكن أن تتضمن من أسرار ، وينسب لها فوق ما لها فى الحقيقة والواقع . فهى التى ميزته عـن سائر المخلوقات ، ويسرت له التفكير ، ولا غرابة لهذا ان يوصف الانسان بأنه المخلوق الناطق .

وقد اكتسبت تلك الالفاظ فى بعض الحالات شيئا من القدسية بعد ان حملت الى الناس أرقى ما ينتجه العقل البشرى من آداب وعلوم ، ولا سيما حين اتخذت وسيلة لايصال الوحى الالهى الى عقول البشر ، فكتبت بها أسفارهم المقدسة ونزلت بها الكتب السماوية . ■■

ابراهيم أنيس

طفلك ، أيتها الأم !

لا تنتظري حتى يمرض فلأمراض الطفولة حقن واقية

بقلم الدكتور عبد الصاحب هاشم

■ لقد آن الاوان ان نخوض في بحر موضوع وقاية اطفالنا من بعض الامراض الويلة التي تهدد صحتهم بين الحين والاخر . والتي قد تؤدي الى نتائج وخيمة من اختلاطات ومضاعفات ، ففي هذه المرحلة من التقدم الكبير الذي احرزه طب الاطفال بفضل البحوث الكثيرة لازالة عدد كبير من امراض الاطفال ، بقي علينا ان نطبق هذه الخبرة العلمية وان نضعها في حيز الوجود .

فمنذ مدة ليست بالقصيرة ، وصل اللقاح الثلاثي D. P. T. الى الاسواق واصبح اعطاء هذه الابر الثلاث امرا مفروغا منه في الديار الامريكية . فهي تقي من مرض الكزاز Tetanus ٩٨٪ ومرض الخناق او الدفتريا Diphtheria ٩٢٪ ، والسعال الديكي Hooping-Cough ما يقارب ٦٠٪ .

واذا ما تساءل بعضنا عن اهمية الوقاية من مرض السعال الديكي ، فالجواب هو ان الاحصاءات أثبتت ان هذا المرض يقضي بالموت على ما يقارب ٤٠ ــ ٥٠٪ من الاطفال الذين لاتتعدى اعمارهم ثلاثة اشهر عند اصابتهم به ، واذا ما اصاب اطفالا تتراوح اعمارهم بين سنة واحدة وست سنوات ، اصبحت مضاعفاته كثيرة ، وتأثيره على صحتهم ذا اثر كبير ، وكلفة تداويه باهظة .

وافضل عمر نبتدىء به بالتلقيح هو الشهر الثاني ، اي قبل ان تستطيع هذه الامراض اصابة الطفل . اما اذا كان عمر طفلك قد فات الشهر الثاني ، فلا بأس من البداية بأي عمر من أعمار الاطفال .

ويجب ان نذكركم بوجوب اعطاء حقنة للتأكيد Pooster بعد مدة سنة من اعطاء اللقاح الثلاثي وبهذا نزيد من المناعة . ويجب ان نعيد ذلك قبل ان يدخل طفلك المدرسة الابتدائية .

شلل الاطفال

وقد اصبح القضاء على مرض شلل الاطفال امرا ليس بالعسير . فاعطاء ثلاث جرع عن طريق الفم (بدل الابر التي كنا نعطيها سابقا) ، تبني مناعة دائمة وبنسبة ٩٧ ــ ٩٩٪ للانواع الثلاثةمن أمراض هذا الشلل . اما جرعة التأكيد Booster فان اعطاءها مع ابرة التأكيد للامراض الثلاثة المذكورة سابقا ليس من الصعب ابدا . وبهذه الطريقة ، ذهب شلل الاطفال وولى من الديار الامريكية بعد ان كان يصيب ما يقارب ٤٠٠٠٠ شخص بالشلل الدائم الذي يسبب الكثير من القضايا الصحية والمالية والاجتماعية .

ولقاحات اخرى تعطى المناعة

ويجب ان لاتفوتنا الفرصة هنا ونذكر الحقنة الواقية من مرض الحصبة ، فاذا اعطينا من لقاح Schwartz ابرة واحدة فقط ، فانها تعطى مناعة دائمة من الحصبة وبذلك نستطيع التخلص منها



ومن مضاعفاتها وخصوصا فى الدماغ والرئة والعين . ويجب ان نعطى هذا اللقاح عندما يبلغ الطفل عمرا من ٩ اشهر الى ١٢ شهرا أو بعدها ، ولا حاجة لابر التاكيد هنا .

ولا يغيب عن بال الفرد وجوب اعطاء اللقاح ضد الجدرى وذلك عندما يبلغ عمره ستة اشهر او بعد ذلك ، وان يعيد هذا التلقيح بعد خمس سنوات .

وقاية الشعوب من الامراض

يقول علماء طب الاطفال هنا انه اذا تم وقاية ٥٠ ـ ٦٠٪ من مجموع الاطفال فى المجتمع ، تم القضاء على هذه الامراض الى درجة كبيرة . ولكن حتى الوصول بمقدار الوقاية الى هذه الدرجة يحتاج الى تلقيح الملايين من الاطفال . ولهذا طريقتان :

الطريقة الاولى

اول طريقة هى ان يأخذ الاباء المسؤولون اطفالهم الى الاطباء المختصين ، ويدفعوا أجر ذلك ، علما بان كلفة الوقاية هى معشار كلفة مداواة هذه الامراض اذا هى حلّت !

الطريقة الثانية

وهى لأبناء الشعب الذين لايستطيعون كلفة هذه الوقاية ، ويكون هذا بتأسيس مراكز للوقاية ، لكل منطقة كبيرة ، لتلقيح جميع اطفال هذه المنطقة ، وهذا ما نسميه بعيادة الاطفال Pediatric Clinic ، ويقوم فى كل مركز طبيب وممرضتان او ثلاث تكون مسؤوليتهم جميعا العناية بصحة الاطفال وتلقيحهم ضد الامراض ، وتوجيه الاباء باعطائهم النشرات الصحية وتبيين احسن الطرق فى مراعاة صحة اطفالهم جسميا وعقليا .

ولكن لابد للاقبال على هذه المراكز من تثقيف عامة الناس ، وتوعيتهم فى امر الوقاية وما يكون نتيجة اهمالها من ارزاء .

احسن طريقة تلقيح

عمر الطفل	
٢ شهر او بعد ذلك :	الحقنة الثلاثية الاولى والجرعة الاولى للوقاية من شلل الاطفال .
٣ شهور :	الحقنة الثلاثية الثانية والجرعة الثانية للوقاية من شلل الاطفال.
٤ شهور :	الحقنة الثلاثية الثالثة والجرعة الثالثة للوقاية من شلل الاطفال.
٦ شهور او بعد ذلك :	التلقيح ضد الجدرى .
٩ شهور الى ١٢ شهرا او بعد ذلك :	حقنة ضد مرض الحصبة
١١/٢ سنة	الحقنة التاكيدية Pooster للقاح الثلاثى ، وجرعة تاكيدية ضد مرض شلل الاطفال .
٥ ـ ٦ سنوات	اعادة الحقنة التاكيدية للقاح الثلاثى واعادة التلقيح ضد الجدرى .

■■

عبد الصاحب هاشم ـ ماريلاند ، بامريكا



دردشة



رصاصة كادت تغير مجرى التاريخ !

● ماذا كان يحدث لو مات لينين فى بدايه الثورة البلشفية فى روسيا ؟ لقد انطلقت رصاصة فاستقرت فى صدر زعيم الثورة البلشفية ومزقت رئته ، وكان من الممكن ان تغير هذه الرصاصة مجرى التاريخ فى روسيا البلشفية لو انها اصابت من الزعيم مقتلا ! ولكن لينين لم يمت .

وهذه هى قصة هذه الرصاصة ..

فى صيف عام ١٩١٨ ، والحرب العالمية الأولى تجتاح أوروبا . كانت دولة روسيا البلشفية تحاول ان تؤكد وجودها . وكان رئيس هذه الدولة هو الثائر فلاديمير اليش لينين ، الرجل الذى ساعده الالمان على الهرب من القارة الأوروبية ، ليقود الثورة ضد القيصر فى روسيا ، فكان حربا عليهم ..

كان لينين فى الواقع أكثر من زعيم ، كان عصب القضية الثورية وروحها ، فبدونه تتهاوى الثورة وتموت . اذ كان الأعداء يتربصون بها من كل جانب .. من الخارج جيوش الروس البيض وحلفائهم من الانجليز والفرنسيين والتشيكوسلوفاكيين ، ومن الداخل بعض عناصر المثقفين الذين لم يتاثروا بالمبادىء التى نادت بها الثورة وبعض الاشتراكيين القدامى الذين كانوا يريدون اقامة دولة ديموقراطية ويعارضون دكتاتورية البروليتاريا . وكان بين الذين يؤيدون قضية هذه العناصر التى ناصبت الثورة العداء شقيقتان هما دورا وفانى كابلان .

واستقر راى الشقيقتين على ان لينين يجب ان يذهب . وفى ليلة ٣٠ اغسطس من عام ١٩١٨ ، تجمع عدد كبير من عمال المصانع واتجهوا جميعا الى حيث كان من المقرر ان يلقى لينين خطابا فى العمال .

وسارت الشقيقتان فى الزحام ، ووقفتا بين العمال والعاملات تستمعان الى خطاب الزعيم الى أن انتهى وسط هتاف الجماهير الحماسى ، ثم نزل من المنصة ، واتجه الى سيارته . وفى الطريق اليها ، استوقفته الشقيقتان واقتربتا منه وراحتا تتحدثان اليه . وفجاة اخرجت احداهما مسدسها واطلقت رصاصتين على صدره ، وسقط لينين يتضرج فى دمائه ..

الكسل والغرور والجبن

● ثلاثة اخطاء اذا اجتمعت عرقلت كل نشاط ، وهى الكسل والغرور والجبن .

فاذا كان المرء من الكسل بحيث لايستطيع ان يفكر ، ومن الغرور بحيث يتصور انه لا يخطىء أبدا ، ومن الجبن بحيث لا يستطيع ان يعترف بخطئه ، فهو انسان أبعد ما يكون عن الحكمة .

ونشرت جميع الصحف في الخارج النبأ ،وقالت احدى صحف لندن ان لينين مات ! والقى القبض على الشقيقتين .

ولكن لينين لم يمت . لقد مزقت احدى الرصاصتين رئته ، ولكنه ما لبث أن تماثل للشفاء بعد أيام .

ونفذ حكم الاعدام في دورا كابلان التي اطلقت الرصاص على لينين ، اما اختها « فاني » فلم يعرف احد شيئا عن مصيرها ، الى ان اذيع في موسكو ان « فاني كابلان » ماتت في السجن في عام ١٩٥٨ .. ماتت بعد ان رأت أعظم نصر علمي حققته « دولة لينين » ، وهو اطلاق اول قمر صناعي في الفضاء .

وفـــاء

● من زوج الى زوجته في عيد ميلادها !

طوال أيام السنة ، توقظينني كل صباح . فأتثاءب وأتململ ، ولا أريد أن أقوم . وأتوقع منك دائما ابتسامة مشرقة . وأنتظر افطارا دسما وملابس نظيفة . وأنت تقدمين كل هذا ولا يرتفع صوتك ابدا بالشكوى . وبالرغم من انني أسبب لك آلاما في بعض الأحيان . وبالرغم من انانيتي كرجل لا يحب الا نفسه .

بالرغم من هذا فأنت لا تفكرين الا في زوجك ..

في عيد ميلادك فقط،أتوقف لأفكر ، وأنا اشترى لك هديتك : « ماذا كان يحدث أنا الرجل لو بقيت بغير زواج ؟ »

هيمنجواي الهارب

● كان أرنست همنجواي الكاتب الأمريكي الراحل يهوى الملاكمة . ولكنه كان يحرص دائما على أن يفوز في كل مباراة يشترك فيها . فاذا شعر أن خصمه يتفوق عليه قوة وفنا ، انسحب من المباراة دون أن يشعر احد بأن الخوف من الهزيمة هو الذي دفعه الى الهرب ! ولكن النحس حالفه يوما فهرب من هزيمة ليلقى هزيمة أخرى على بعد آلاف الأميال منها !

فقد حدث أن كان هيمنجواي يزور مدينة شيكاجو عندما تحداه أحد القراء وطلب اليه في رسالة بالبريد أن يحدد موعدا لملاكمته ! وقبل الكاتب الأمريكي الكبير التحدي ، وذهب في الموعد الى حلبة الملاكمة التي تجمع حولها جمهور غفير من المتفرجين . ولكنه ما كاد يصعد الى الحلقة حتى شاهد أمامه عملاقا ضخما مخيفا يفوقه وزنا وقوة . فأسرع الى مدربه وهمس في أذنه ببضع كلمات ، انصرف المدرب على أثرها مسرعا ليعود بعد بضع دقائق ويعلن ان هناك مكالمة تليفونية عاجلة من سان فرانسيسكو للكاتب الشهير !

واستأذن همنجواي خصمه في الذهاب لتلقي المكالمة والعودة فورا . ثم عاد بعد بضع دقائق ليقول : « انه مضطر الى السفر فورا بالطائرة الى سان فرانسيسكو لمقابلة صاحب دار النشر التي تطبع كتابه الأخير ، وحدد موعدا آخر لمنازلة متحديه ، لانه يحرص على مقابلة الناشر بوجه سليم خال من الكدمات والتورم .

واستاء الخصم لتأجيل المباراة ، ولكنه قبل على مضض ، وأسرع همنجواي يستقل طائرته الخاصة الى سان فرانسيسكو . ولكن ما كادت الطائرة تهبط في المطار ويظهر الكاتب على سلمها ، حتى شاهد عملاقا آخر يقترب منه ويوجه اليه لكمة قوية أسقطته على الارض !



وتجمع الصحفيون حول العملاق الثائر الذي اطلق ضحكة عالية ، وهو يقول لهم : « لقد هرب مني مرتين ، ولكنه لم يستطع أن يهرب هذه المرة ! » .

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيبُ

لماذا يختلف المسلمون

● ما الداعي الى أن يختلف المسلمون ويتهم بعضهم بعضا في مذاهبهم من سنة وشيعة، أليسوا كلهم يجمعهم دين واحد ؟

المهدى علي ـ العراق

ـ آفة المسلمين عامة هي المغالاة ايجابا وسلبا، المغالاة في الحب ، والمغالاة في البغض . وليس ذلك ـ والحمد لله ـ في قادة الفكر والمجتهدين ومن يقتدى بهم من سلفنا الصالح ، وانما هو حادث بين الاتباع والمقلدين ..

ومما لا شك فيه أن كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله يحب آل بيت الرسول ، سواء أكان سنيا ام شيعيا ، ام غيرهما من الفرق المؤمنة المهتدية بهدى القرآن ، وسنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . فالقران فيه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . والرسول يقول : « أذكركم الله في أهل بيتي » . كما يقول « الله الله في أصحابي » واذا كان يطالبنا بمراقبة الله في أصحابه فأهل بيته من باب أولى .

وكتب الحديث الصحيحة عند السنة فيها ذكر فضائل صحابة رسول الله وفضائل آل بيته ، يجمعها في تلك الكتب كتاب المناقب .

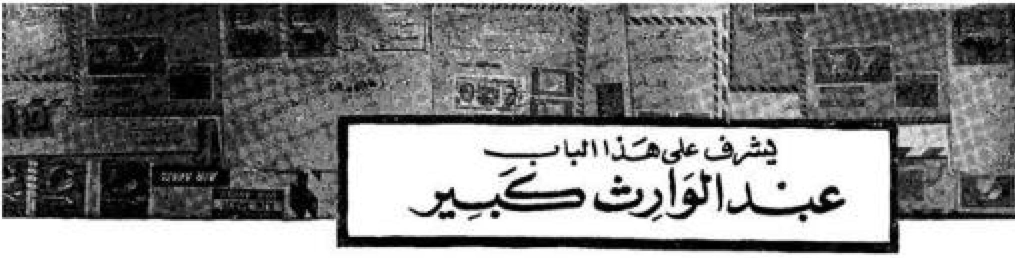
من هو « الطبيعي »

● يستخدم الكتاب المحدثون لفظ « الطبيعة » مرارا وتكرارا ، ولكنا نجد الكثيرين من رجال الدين يعترضون على لفظ « الطبيعة » ، حتى أن رجال الازهر عندما أدخلوا العلوم الحديثة الى برامج الازهر ، وجاءوا على اسم الفيزياء وطلبوا له اسما عربيا صرفا تجنبوا الاسم الشائع لهذا العلم ، وهو علم الطبيعة ، وصاغوا له اسما جديدا لا اثر فيه للفظ طبيعة .. فما هي مفاهيم كلمة طبيعة يا ترى ، وما الذى تعنيه الكلمة تفصيلا بهذا المفهوم الديني القديم ؟!

الولايات المتحدة الامريكية ـ طلال عنبتاوى

ـ تؤدي كلمة «الطبيعة» معاني ومفاهيم مختلفة. منها ما اشرت اليه في رسالتك ومنها ما لم تشر . ولعل اكثر تلك المفاهيم شيوعا ما يفيد سجيّة الانسان وفطرته . اذ يقال فلان من الناس «طبيعي» حينما يكون مزاجه خلوا من التعقيد ويكون سلوكه انعكاسا لسجيته وبعيدا عن الافتعال والتمثيل . ولا يخفى ما ينطوي عليه هذا المعنى من ثناء ومديح . اذ التعقيد صفة مذمومة من صفات الانسان . ولعل فيه دليلا على انقسام صاحبه على نفسه أو على عدم انسجامه وبيئته . اما الطبيعي فعلى وئام وانسجام مع ذاته وبيئته . وهو ، كما يقول علماء النفس ، أقرب الى ما ينشده كل انسان من رضى واطمئنان .

ولعل هذا المفهوم الشائع حديث ، كما ان التعقيدات والمضاعفات السيكولوجية والعلوم التي تعنى بهذه التعقيدات حديثة أيضا . وقد



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

واذا اختلف المسلمون طوائف ، فاختلافهم في الفروع التى لا تمس أصل العقيدة ، بسبب اجتهادهم في فهم القرآن ، واعتمادهم على الاحاديث التى صحت لديهم .

ومذاهب أهل السنة بينها أيضا خلاف فى الفروع ، ومع ذلك لم يقدح أحد من المتهم فى الآخر ، فالامام أحمد بن حنبل يثنى على الامام الشافعى وغيره ، والشافعى يثنى على مالك وابى حنيفة ، وهكذا ..

وفي كتب تراجم الرجال ثناء على الائمة من آل البيت ، من علي ، والحسنين ، وجعفر الصادق ، ومحمد الباقر ، وأمثالهم من الطيبين الطاهرين ، ويؤخذ ما صح عنهم من روايتهم لأحاديث رسول الله .

وهم كانوا ولا شك يأخذون الحديث عن كثير من رجاله الموصوفين بالعدالة من أهل السنة .

فانت ترى ان الحب والتقدير متبادلان ، وكما قلت ان آفة الفرقة جاءت من بعض الاتباع الذين يغالون في متبوعيهم .

وليت المسلمون تجردوا من التعصب المؤدى الى البغضاء ، وليتهم لم ينكروا على المفكرين أن يفهموا من شريعتهم ما صح لديهم بالادلة العقلية والنقلية ، التي لا تمس وحدانية الله وصفاته وكتابه الكريم ، ولا تمس رسوله سيدنا محمدا الذى أرسله للناس بشيرا ونذيرا ، ولا تمس ايضا ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ثبوتا صحيحا ، فمن اجتهد بعد هذا ، في حدود هذا ثم أخطأ عن حسن نية فله أجر ، ومن اجتهد في تلك الدائرة واصاب فله أجران .

ع . ف .

وما هي « الطبيعة » !؟

يكون جان جاك روسو سنة ١٧١٢ ـ ١٧٧٨ Jean - Jacques Rousseau هو الذى سبق غيره من الكتاب الاحدثين الى امتداح « الطبيعة » والحث على العودة اليها . ولا ينتقص من دعوته هذه أن يكون مفهوم « الطبيعة » في عرفه اكثر شمولا من مفهومها السيكولوجي الذى ذكرنا . وقد حث رجال التربية حثا شديدا على الاستعانة بالطبيعة ، بمظاهرها ، ومناهجها واساليبها وقوانينها ، في تنشئة الاطفال والصبية ، وذلك في كتابه الشهير « اميل » Emile وهو الكتاب الذى هز مبادىء التربية واساليب التعليم السائدة في أيامه هزا عنيفا .

ورافق ظهور هذا المفهوم الحديث لكلمة « طبيعة » معان ومفاهيم أخرى تشبهه . من هذه المعانى ما يتصل بالطبيعة من حيث هي وحي والهام للموسيقيين والشعراء . ومنها ما ينظر الى الطبيعة من حيث هي مثال للروعة والجمال في نظر سائر الناس . ولكن من تلك المفاهيم أيضا ما يتوجه للطبيعة من حيث هي قواميس وقوانين ندركها ونتعرف اليها بالعقل والعلوم . وهكذا أصبحت « الطبيعة » ، وخاصة بمفهومها هذا الاخر ، السبيل الى تحسس وجود الله عز وجل . وأى سبيل الى الخالق اجدى من معرفة المخلوق ، كما يتمثل في الطبيعة على وجه التخصيص ...! وأى دليل على وجود الخالق سبحانه وتعالى أقوى من وجود هذا « المخلوق » ، أو بالحرى هذه الطبيعة ، من حيث هي نظام وانتظام وأسباب ومسببات !؟

يتضح من ذلك كيف اكتسبت « الطبيعة » مفهومها الدينى الحديث ، وهو مفهوم ينسجم كل الانسجام ومقتضيات العقيدة الدينية والايمان .



بيد ان هذا المفهوم يختلف اختلافا كبيرا عن المفهوم الديني التقليدي للطبيعة ، وهو الذي اشرت اليه في رسالتك . فالطبيعي بهذا المعنى هو الانسان الذي ينسب كل شيء الى الطبيعة . وهذه القوة الهائلة الجبارة التي نسميها الطبيعة هي في نظره المحرك الاول ، بل مصدر الخلق والوجود والحياة ! .. اى ان « الطبيعي » بهذا المفهوم الديني القديم يؤله الطبيعة ويتخذ منها الها بدلا من الله عز وجل ، خالقها وخالقه .. فهو كافر ملحد لافي نظر المسلمين فحسب وانما في نظر سائر الكتابيين الاخرين ايضا .

لذلك كان حذر رجال الدين وارتيابهم بصدد « الطبيعة » و « الطبيعي » . وهو حذر غير ذي موضوع هذه الايام . ى . ز .

الزواج بغير المسلمة

● هل يجوز للمسلم الزواج من غير المسلمة شرعا ، وخاصة ان كانت من أهل الكتاب ؟

حميد بن محمد المعمري ـ دولة الكويت

ـ المقصود من الزواج ـ بعد حفظ النوع ـ هو الامتزاج بالتآلف والتعاطف ، والمودة والوئام ، لتكوين البيت السعيد وانجاب الذرية الصالحة غير المعقدة ، في بيئة خالية من الخلاف والنزاع، وكلما تقاربت الاراء ، وتدانت الطباع ، كان ذلك ادنى للغرض المنشود .

والفروق الاجتماعية ، والفروق المذهبية ، والفروق الدينية . تكون احيانا ـ وبخاصة الدينية ـ اذا أثيرت سببا في التوتر والصراع ، لا سيما في حال استقلال كل فرد بآرائه ومعتقداته، ما لم يحدث في بعض حالات الزواج أن يتغلب جانب على آخر بالحب ، او الخضوع للاقوى .

فالناتج بين المختلفين ، وهو النسل ، اما أن يشهد خصاما يؤدى الى السوء ، فيتهدم البناء العائلي عليه ، كما تهدم على أبويه ، واما أن يغذى بتناقض الاراء في الخفاء ، ويود كل طرف أن يكون نسله تابعا له ، ناسجا على منواله ، فيحار هذا الناتج في أيهما يتبع ، وربما صار مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ..

لهذا كان الاتفاق في العقيدة من أول الاسس التي يعول عليها في بناء الاسرة . والشريعة الاسلامية قد منعت أن يتزوج الرجل المسلم من غير المسلمات ، ولكنها استثنت من ذلك اهل الكتاب ، فاباحت ان يتزوج المسلم بالحرائر من الكتابيات ، ناظرة الى ان أهل الكتاب اصحاب شرائع سماوية كانت قبل الاسلام . وهم اقرب الى الالفة من المشركين ، وعالمة ان الرجل في شريعة الاسلام هو صاحب الولاية على زوجه ، وبيده أمرها ، وان الولد تبع له ، وليس تابعا لامه . قال الله تعالى في سورة المائدة الآية ٥ (والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) .

اما المشركات فنص القرآن صريح في عدم الزواج بهن لقوله تعالى في سورة البقرة الآية ٢٢١ (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن . ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم) .

والكتابيات هن المسيحيات واليهوديات ، وقد اقترن الصابئون في القرآن باهل الكتاب في مواضع منه . على أن الصابئين منهم كتابيون يتبعون سيدنا يحيى ، ومنهم وثنيون ، فالتابعون لسيدنا يحيى ، ولهم كتاب سماوى من عند الله ، يجوز للمسلم ان يتزوج بالحرائر من نسائهم ، لدخولهن في عموم قوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) .

هذا ، واما المسلمة فلا يجوز زواجها الا بمسلم يشهد أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله.

قصة الفيتو

● ما هي الدول التى تتمتع بحق استعمال الفيتو في مجلس الامن ، وما هو هذا الحق ، وما سبب اعطائها هذا الامتياز دون الدول الاخرى الصغيرة ؟

احمد حسن محمد/عطبرة ــ سودان

ــ الدول الخمس الكبرى او التى اتفق على تسميتها بالكبرى ، هي وحدها التى تتمتع بحق استخدام الفيتو او الاعتراض وهذه الدول هي : امريكا والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وفرنسا والصين الوطنية بحسبانها ممثلة للصين كلها . وتستخدم هذه الدول الفيتو في مجلس الامن التابع للامم المتحدة . ومندوبوها في المجلس اعضاء دائمون بينما يوجد ستة اعضاء آخرون يتم انتخابهم كل عامين .

وتعرض على المجلس مشروعات القرارات الخاصة بتسوية المنازعات الدولية ، واقرار السلام في اى منطقة قد تتعرض للعدوان من الخارج ، ومن سلطة المجلس اتخاذ اى اجراء يراه ضروريا لوقف العدوان ، بما في ذلك استخدام القوة العسكرية . وتتم الموافقة على مشروع القرار باغلبية سبعة اصوات ، بشرط الا تستخدم احدى الدول الخمس الكبرى حق الفيتو او الاعتراض ، وهو اجراء من شأنه أن يعطل مشروع القرار المعروض على المجلس ، وفي هذه الحالة يعرض المشروع على الجمعية العامة التى تضم مندوبي جميع الدول المستقلة ، فاذا حصل على موافقة ثلثي عدد الاصوات أصبح المشروع قرارا .

اما سبب منح الدول الكبرى وحدها حق الفيتو دون الصغرى ، فذلك لانها الدول التى عليها يتوقف الحرب والسلام في العالم .

الولايات المتحدة .. والحرب الفيتنامية

● قرأنا في الصحف مؤخرا أن الولايات المتحدة الامريكية تكاد تشرف على الافلاس ، أو على الاقل تعاني أزمة اقتصادية حادة ، بسبب تورطها في الحرب الفتنامية .. فما هو مدى صحة هذا الرأى ، وما هو مدى ما تنفقه الحكومة الامريكية على أعمالها العسكرية في فتنام الجنوبية والشمالية ؟!

الزرقاء ــ الاردن ــ سليم

ــ ان المبالغ السنوية التى تنفقها الولايات المتحدة الامريكية على حربها الفتنامية قد بلغت نحوا من ١٤ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنة ١٩٦٥ . وعلى ضخامة هذا المبلغ فانه قد ازداد قليلا او كثيرا في غضون السنة الماضية نظرا لتفاقم تلك الحرب ولارتفاع عدد القوات الامريكية المحاربة ، وقد بلغ مؤخرا حوالى ٤٥٠ر٠٠٠ محارب . هذا ما ذكرته قبل حين صحيفة الاوبزرفر البريطانية الاسبوعية ضمن كشف مفصل عن نفقات الحرب الفتنامية ، نوجزه لك فيما يلي :

١ر١٧٦ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار ثمن ذخائر للمنشآت العسكرية الارضية (سنويا)

١ر٤٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار تكاليف الغارات الجوية على فتنام الشمالية (سنويا)

٩٦٧ر٤٠٠ر٠٠٠ دولار قيمة ما تفقده امريكا من الطائرات (سنويا)

٣ر٢٩٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار نفقات نقل وصيانة

٢ر٨٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار رواتب واجور

٤ر٢٨٤ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار قيمة لوازم وسلع مختلفة

٤٩٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار قيمة منشآت عسكرية في منطقة جنوب شرقي آسيا عموما

على أن هذه النفقات السنوية الضخمة لم تبلغ من الضخامة ما قد يعرض اقتصاديات الولايات

المتحدة الامريكية لافلاس او ما يشبه الافلاس من ازمات اقتصادية خطيرة . لقد كان لها اثر محسوس في الاقتصاد الامريكي ولا ريب ، الا ان هذا الاثر لم يبلغ من الخطورة ما تبلغه الازمات الاقتصادية الخانقة .

فقد عز النقد المتداول ، وارتفعت نسبة الفائدة التي تتقاضاها المصارف ، وبات من المرجح او المؤكد ان يقدم الرئيس جونسون على اقتراح فرض ضرائب جديدة قد تساعد على تدارك هذا الجنوح أو الانحراف في الاقتصاد الامريكي ، أو بالحرى على الاحتفاظ بما حققه هذا الاقتصاد في الآونة الاخيرة من بحبوحة ورخاء . ذلك ان مستوى المعيشة في الولايات المتحدة كان في ارتفاع مضطرد خلال السنوات الثلاث الماضية؛ اى خلال الفترة نفسها التى تزايدت فيها نفقاتها على الحرب الفتنامية . ويعزى ذلك طبعا لأسباب مختلفة اهمها أسباب الثراء والموارد الهائلة التى انعم الله بها على تلك البلاد .

لماذا اعترضت جاكلين كنيدى على "موت رئيس"

● قرأنا في الصحف مؤخرا عن الضجة التي أثارها كتاب «موت رئيس»، ولكننا لا نعرف سر الخلاف الذى نشأ بين أرملة الرئيس الراحل كنيدى وبين مؤلف الكتاب ، فهل لكم أن توضحوا لنا أمر ذلك الخلاف .

ص.أ. بغداد

ـ لم يحدث في تاريخ الولايات المتحدة ان اثار كتاب مثل هذه الضجة التى اثارها كتاب « موت رئيس » The Death of a President فقد احتدم الخلاف بين ارملة الرئيس الامريكي الراحل كنيدى وبين مؤلف الكتاب ، المؤرخ الامريكى المعروف وليام مانشستر « William Manchester » الذى نقل بالتفصيل كل احداث ذلك اليوم المشئوم الذى لقي فيه كنيدى مصرعه بمدينة دالاس بولاية تكساس في ٢٢ نوفمبر من عام ١٩٦٣ .



فمؤلف الكتاب يرى انه لا بد ان يعرف الناس كل صغيرة وكبيرة عن تلك الاحداث الدامية التى احاطت بجريمة اغتيال رئيس الولايات المتحدة الامريكية . وليس هذا التقليد بجديد ، بل الجديد أن يحاول البعض ، لسبب أو لآخر ، اخفاء الحقائق عن الشعب ، حتى في جرائم القتل العادية ، فما بالك بجريمة اغتيال رئيس دولة من أكبر دول العالم !

اما ارملة كنيدى ، فهى ترى ، ويؤيدها قسم كبير من الرأى العام الامريكى في هذا الرأى انه وان كان مؤلف الكتاب قد عرض جانبا كبيرا من تلك الاحداث التى سبقت جريمة الاغتيال ، كما روتها له هى وكما رواها الذين عرفوا زوجها،

الا ان هناك اشياء كثيرة في حياة الناس الخاصة لا يجب ان يعرفها كل الناس !

فقد جلست جاكلين تروى للمؤلف بعد مرور بضعة اسابيع على مصرع كنيدى ، جانبا من حياتها الخاصة مع زوجها في عبارات تخنقهـا الدموع ، واستغرق حديث الارملة الشابة عشر ساعات كاملة ، حرص المؤلف على تسجيله كله على شريط مسجل !

وتقول جاكلين : « حقيقة رويت له كل شيء جاء في كتابه ، ولكنني كنت اتوقع الا ينشر كل شيء » !

فما هى تلك التفاصيل الخاصة التى اعترضت جاكلين على نشرها ، عندما وقفت في الاسابيع الاخيرة تدافع عن حياتها الخاصة ، وعن طفليها وعن ذكرى زوجها الراحل ؟ ما هي تلك الاجزاء التى احتواها الكتاب الجديد ، والتى سببت لها الما نفسيا شديدا ؟

لقد اعترضت جاكلين على نشر تفاصيل الليلة الاخيرة التى قضتها مع زوجها قبل سفرهما بالطائرة الى دالاس في صباح ذلك اليوم الحزين الذى لقي فيه مصرعه . فقد روى الكاتب كيف زارت جاكلين غرفة نوم زوجها في فندق فورت ورث ، كما نقل الحديث الذى دار بين الزوجين، والقبلة الاخيرة التى تبادلاها في تلك الليلة !

واعترضت جاكلين على نشر نص الخطـاب الخاص الذى بعثت به الى زوجها قبل موتـه بفترة قصيرة ، وكانت تزور اليونانفي ذلك الوقت. وقد جاء فيه : « انني افتقدك كثيرا . وهـذا شعور رائع ولكنني عندما افكر في مدى سعادتي بهذا الاحساس، اشعر بالاسف للازواج والزوجات الاخرين الذين لا يشعرون به » .

واعترضت جاكلين على قصـة الثوب الوردى ذى القطعتين الذى كانت ترتديه في صباح اليـوم الذى اغتيل فيه زوجها ، فقد روى المؤلف ان كنيدى هو الذى طلب الى زوجته ان ترتدى هذا الثوب بالذات،الذى لطخته دماؤه عندما احتضنت جاكلين راس زوجها الجريح وهو يحتضر !

واعترضت جاكلين على ما رواه المؤلف عندما مالت بجسمها فوق مؤخرة السيارة لتلتقط قطعة من عظام جمجمة زوجها التى فرقتهـا رصاصات الجانى ، وتعيدها الى مكانها . ثم كيف رفضت ان ينقل الجثمان الى المستشفى قبل ان يغطى احد البوليس السرى جروح زوجها بمعطفه .

وكيف اقتحمت جاكلين الغرفة التى يرقد فيها الجثمان وحوله القساوسة يؤدون الصلاة الاخيرة على روحه ، رغم اعتراض الممرضة ومحاولتهـا منعها من الدخول ، ثم كيف دفعتها جاكلين بيدها قائلة : « سادخل وسابقى ، ولن يمنعنى احد !».

واخيرا ، كيف قبلت جاكلين قدم زوجهـا وهو مسجى على مائدة العمليات الجراحية ، قبل ان تخلع خاتم الزواج من اصبعها لتضعه في اصبع يده الصغير .

تلك بعـض ، وليست كـل التفاصيل التـى اعترضت ارملة الرئيس الامريكي الراحل عـلى نشرها ، وقد رواها المؤلف في عشرة الاف كلمة من مجموع عدد كلمات كتابه وهو ٣٠٠ الف كلمة.

ان العالم كله يقرا هذا الكتاب الذى قضى المؤلف في اعداده ٢١ شهرا ، كان يعمل خلالهـا لمدة ١٥ ساعة في اليوم .

م . ن

ردود خاصة

● الى ب.م.م / العراق .

لماذا لا تفاتح اهلها بشعورك نحوها ، فان قبلوا، وهي لا تزال صغيرة السن ، اذن سيتسع لهـا العمر لانتظارك اذا رغبت منك الزواج ، رغم كل الفروق الاجتماعية التى اشرت اليهـا في رسائلك .

● الى أ.س.ل / الكويت

لا حياة مع اليأس ، فقد جلس قائد كبير يرقب نملة صغيرة وهي تحاول أن تتسلق جدارا حتى اذا بلغت أعلى قمة وكادت تصل الى حيث تريـد ، سقطت الى الارض . وظلت النملة تحاول مـرة ومرتين وعشرات المرات الى أن وصلت أخيرا في المرة الواحدة بعد المائة . فنهض القائد وجمع شتات جيشه المهزوم ، وظل يحارب العدو حتى انتصر ، فلا تيأس يا صديقي وابدأ من جديد .

● الى ن.ن.ن/بيروت ــ لبنان

حاول ان تشغل كل اوقات فراغك كأن تمارس احدى الهوايات أو تشترك في ناد رياضي . اختلط بالناس واخرج الى الشارع ، وتجنب الوحدة بقدر الامكان. فهذا هو سبيل النجاة من العادة المنحرفة التى تذكرها ، تلك التى تؤدى بك، لا شك ، الى ان تحطم نفسا وجسما . ■■

اِ ضْ حَ كْ

تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك

حريــق !

● ذهلت ربة البيت وهي ترى ساكن الغرفة الجديد في الطابق العلوى يهبط الدرج مسرعا للمرة العاشرة يطلب منها كوب ماء . وفي النهاية صاحت ربة البيت فيه : « ما هذا ؟ هل هناك حريق في جوفك ؟ »

الساكن الجديد : لا يا سيدتي ! بل الحريق في الغرفة ، وانا احاول ان اطفئه !

رجل يبتلع حصانا

● دخل رجل الى عيادة طبيب نفساني وقال له في ذعر شديد : « لقد ابتلعت « حصانا » يا دكتور ، ولا ادرى ماذا افعل ! »

وعبثا حاول الطبيب ان يهدىء من روعه ويقنعه بانه لم يحدث في التاريخ ان ابتلع رجل « حصانا » ! واخيرا قرر الطبيب ان يوهم المريض بانه سيجرى له عملية جراحية لاستخراج الحصان من بطنه ، وحمله الى غرفة التخدير ، ثم جاء بحصان ووضعه بجانبه ، فلما افاق الرجل من البنج ، قال له الطبيب : « لقد اخرجنا الحصان ، وها هو يقف امامك صحيحا معافي ، وتستطيع ان تذهب الى بيتك وتستريح ! »

ولكن المريض صاح في فزع : « لا ! لا ، ليس هذا هو « الحصان » الذى ابتلعته ، ان حصاني لونه ابيض » .

الجيل الجديد

● الأم لطفليها الصغيرين : « لا بد ان تناما الآن ، فقد تعبت ولم اعد احتمل اكثر من هذا ! »

احد الطفلين : انا في دهشة من تصرفاتك يا امي ، ففي كل مرة تشعرين بالتعب ، تطلبين منا ان ننام . لماذا لا تنامي انت اذا كنت متعبة !

نابليون في مستشفى المجاذيب



● الطبيب للمريض المجنون : « وكيف عرفت انك نابليون ؟ »

المجنون : « سمعت صوت ملاك يحدثني اثناء نومي ويقول لي ، قم يا نابليون واحمل سيفك ، فالعدو يقترب ! »

وهنا صاح مجنون آخر ينتظر دوره ليكشف عليه الطبيب : « هذا الرجل يكذب ، فانا لم اقل له شيئا من هذا ! »

مصنع الاطفال

● سألت المدرسة الطفلة الصغيرة : « هل لديك اخوة واخوات ، وكم عدد اخوتك ؟

الطفلة : انهم كثيرون جدا .. انهم تسعة !

المدرسة : انهم يتكلفون مبالغ كبيرة !

الطفلة : ابدا ، فنحن لا نشتريهم ، ولكننا نصنعهم في البيت !!



جريهام جرين في ثلاثيته :

صخرة برايتون ، والسُلطة والمجد ، ولبّ المسألة [1]

بقلم : الدكتور محمود السمره

استاذ النقد والبلاغة بالجامعة الاردنية

■ جريهام جرين من اشهر كتاب القصة فى الادب الغربي المعاصر ، وهو اليوم يتمتع بشعبية كبيرة فى كل من بريطانيا وامريكا ، حيث بيع من كتبه ملايين النسخ ، على الرغم من شك كثير من النقاد فى قيمته الادبية . وقد كسب من كتبه الوفير ، حتى ليعد اليوم من الاثرياء : فكل كتاب من كتبه طبع عدة طبعات ، كما اخرجت له فى السينما عشر قصص واكثر ، من بينها ثلاثيته المشهورة ، التي سنديرِ الكلام حولها .

وجريهام جرين الكاتب القصصي ، شاعر ، ومؤلف مسرحي ، بالاضافة الى مقالاته الكثيرة ، وكتبه عن رحلاته .

■ ■ ■

في الثاني من اكتوبر (تشرين الاول) من سنة ١٩٠٤ ، وفى بلدة بيركهامستد Berkhamsted ولد جريهام جرين ، رابع اخوة ستة ، ودرس فى مدرسة البلدة التى كان والده ناظرها ، وكان

(1) Graham Green : Brighton Rock ; The Power and the Glory ; The Heart of the Matter .

الصبي جريهام ثائرا على كل قوانين المدرسة الموضوعة ، واسعد أيامه كانت تلك التى كان يهرب فيها من المدرسة ، ويأخذ فى التجول فى الحقول على هواه .

وبعد انهائه لدراسته الثانوية ، التحق بجامعة اكسفورد ليدرس التاريخ الحديث ، وبدأت مواهبه هنا تتفتح ، حتى انتخب محررا لمجلة طلبة الجامعة ، كما نشر ديوان شعر . وبعد تخرجه تنقل بين اعمال عدة ، انتهت به اخيرا الى العمل فى الصحافة : محررا فى « جريدة نوتنجهام » (وفى هذه الفترة من حياته ترك المذهب البروتستنتي واصبح كاثوليكيا) ، ثم محررا فى جريدة « التايمس » .

وعلى اثر نجاح قصة « الرجل الذى فى الداخل » The Man within سنة ١٩٢٩ ، ترك الصحافة ، وتفرغ للكتابة .

وجريهام جرين من عشاق الرحلة فى البقاع المجهولة : ففي سنة ١٩٣٥ زار ليبريا ، فتوغل فى غاباتها ، ونام مع المواطنين فى أكواخهم ، وشهد رقصاتهم البدائية ، وقد وصف لنا رحلته هذه فى كتابه الممتع « رحلة دون خرائط » . ثم ذهب الى المكسيك ، اثناء الاضطهاد الديني الذى حل بالكاثوليك فيها ، فجاب ارجاءها بالقطار ، والطائرة ، والسفينة ، وعلى ظهور البغال . وقصة هذه الرحلة موجودة فى كتابه « الدروب التي لاتعرف القانون » . وكان من وحى هذه الرحلة قصته الرائعة « السلطة والمجد » التى شهرته عالميا ، ونال عليها جائزة هوذورندنHawthornden سنة ١٩٤٠ ، وهذه القصة هي ثانية ثلاثيته .

وخلال الحرب العالمية الثانية عمل محررا فى مجلة سبكتيتور Spectator ، فموظفا فى وزارة الاعلام ، ثم عاد الى « سبكتيتور » ثانية .

وفى سنة ١٩٤١ ذهب الى سيراليون فى غربي افريقيا ممثلا لوزارة الخارجية ، ومكث فيها سنتين ، ومن تجربته هنا استوحى موضوع « لب المسألة » ، وهي ثالثة الثلاثية . وقد دار حول هذه القصة جدل طويل ، بين المادحين والقادحين ، واختارها « نادى الكتاب » فى بريطانيا لتكون كتاب الشهر ، كما اختارها « نادى كتاب الشهر » لتكون كتاب الشهر ايضا .

وبعد الحرب العالمية الثانية توالت كتبه التي من اشهرها « الرجل الثالث » .



جريهام جرين

وعاد الى رحلاته ، فسافر الى الملايو ، وفتنام، والصين ، واندونيسيا . ومن وحي رحلته الى الشرق الاقصى كتَبَ قصته « الامريكي الهادىء » وتدور احداثها فى سيجون . وزار كوبا ، ثم كينيا ، والكونغو ، ومن هذه الرحلات كان يستمد موضوعات قصصه .

وجريهام جرين يعمل الان مديرا لدار النشر المعروفة Bodley Head ، وله ولد وبنت ، واخوه هيو كارلتون جرين المدير العام للاذاعة البريطانية .

ولا شك أن جريهام جرين ظاهرة فريدة بين اعلام الادب المعاصر فى الغرب اليوم . واذا كان هؤلاء الادباء متفقين على أن انسان عصرنا يعيش فى ازمة نفسية ، فانهم مختلفون فى طريق الخلاص ، وجريهام جرين هو الوحيد بينهم الذى يرى ان ازمة الانسان المعاصر فى المغرب سببها فقد الايمان الديني ، ولا سبيل الى خلاصه مما هو فيه الا بالعودة الى الدين .

هذا هو المحور الذى تدور حوله قصصه ومسرحياته .

ولم يصل جريهام جرين الى هذا الايمان الا بعد ان مر فى صباه وشبابه بتجارب اسلمته الى هذا الاعتقاد . وهو فى موقفه هذا مناقض تمام المناقضة لمواقف كل من : البيركامو ، وجان بول سارتر ، وسيمون دى بوفوار ، وسومرست موم ، وارنست همنغواى ، الذين يرون ان الايمان معطل لتقدم البشرية ، وانه لايصلح محورا للكتابات

الابداعيـة التي تعتمد عـلى الدوافع النفسية ، والغرائز الطبيعية ، في تناولها للانسان .

ورغم هذا فان جرين قد نجح ، في راينا ، تجاحا طيبا في عرض وجهة نظره في قالب قصصي يستهوى القراء ، دون ان يفسدها بالخطب والمواعظ .

■ ■ ■

وقد ابدع جرين في قصصه عالما خاصا به ، لايشاركه فيه احد ، وهو عالم اطلق عليه نقـاد الغرب اسم « عالم جرين » ، واصبح هذا الاسم مصطلحا متداولا ، وقد تجاوز حدوده فاصبـح يطلق على كل عالم شبيه به .

و « عالم جرين » يقوم على دعائم ثلاث : السام، والفزع ، والايمان . وهي دعائم استمدها الكاتب من حياته : « ففي سنة ١٩٢٢ كنت في السابعة عشرة ، وكنت أحس بسام خانق قاتل . » وهـو يصف لنا ما كان يعاني من سام طيلة سنـوات حياته في مسقط راسه ، وقد بلغ من سامه ان هرب في صغره من البيت ، فكان هربه ثورة على جبروت والده الصارم . واخذه والده الى عيادة نفسية « ولكن التحليل النفسي لم يزد على ان ارسخ السام في نفسي » .

وفي سنة ١٩٢٢ اقدم جرين على الهرب مـرة اخرى ، ولكن بطريقة مبتكرة : فقد تناول مسدس والده ذا الطلقات الست ، ثم وضع رصاصـة واحدة في ماسورة من مواسير طاحونته ، وادار الطاحونة مرات عدة ، ثم صوب فوهة المسدس الى راسه ، وضغط على الزناد ... انها لعبـة حياة او موت ... للموت فيها نصيب ، وللحياة خمسة انصبة . وتنتصر ارادة الحياة . وكـرد هذه اللعبة اربع مرات حتى سئمها !!

وقد وصف في قصيدتين هذه اللعبة الخطـرة التى قام بها ، كما وصف ما كان يحس به ، فقال : ان الفزع الذى كان يسيطر عليه عمق في نفسه الاحساس بالحياة ، وفي هذا الفزع كان شفاؤه من السام . ويعين على التغلب على السام الاقبال الشتره على ملذات الحياة ، لان جسامة الاثم ـ في رايه ـ تبعث في النفس فزعا شبيهـا بالفزع الذى احس به وهو يصوب المسدس الى راسه . ان الفزع في كلتا الحالتين يعمق عنـده الاحساس بالحياة ، والاحساس العميق بالحياة يؤدى الى الايمان . ولكن المهم ان يعي الانسان الاثم الكامن في الانتحار ، والاثم الناجم عن الاقبال على الملذات المحرمة ، ويفزع لما يصدر عنه ، اذ بدون هذا الاحساس لايكون خلاص .

جريهام جرين في موقفه هذا يرد ردا مباشرا على وجودية سارتر .

■ ■ ■

والاحساس بالاثم ومعرفة الشر هما اللـذان يقودان الى ادراك الخير ، وليس العكس صحيحا : « فان الانسان آمن بالجنة ، لانه آمن قبل ذلك بالنار ... ومست قلبه شعلة الحب ، بعد ان اكتوى بنار الحقد والكراهية . « وليس كـل انسان بقادر على ان يَعبر المرحلة الاولى الـى الثانية ، فبعض الناس مكتوب عليهم الشقاء ، لحكمة يعز علينا ادراكها ، ولكن الله بها عليم . وخير ممثل لهذا المعنى شخصية الصبي في الثلاثية الاولى ، « صخرة برايتون » ، في هذا الحوار بينه وبين فتاته :

ـ لاشك ان الجحيم امر مقطوع بوجوده .

ـ والجنة ايضا .

ـ الجنة ؟ لا ادرى .. لا ادرى !!

■ ■ ■

ويكمل هذه الصورة لعالم جرين تاكيده على ان الشفقة عاطفة خطرة تودى بصاحبها ، وهي ليست سوى قناع يخفي وراءه العاطفة الحقيقية، عاطفة الاحتقار ! وعنده ان الخيانة هي ام الكبائر ، خيانة المرء لمعارفه وزملائه ، ولهذا اكثر في قصصه مـن استعمال الرمز الموجـود في قصـة يهـودا الاسخريوطي ، وخيانته للسيد المسيح .

■ ■ ■

ونجد جريهام جرين يجعل لتوافه الامور في الوجود قيمة ، ويرى فيها سر العظمة الالهية . وهو يختار لقصصه وسطا معينا ، فتدور احداثها في منطقة من العالم ما زالت بدائيـة الانسـان سائدة فيها ، كافريقيا او المكسيك ، فاذا تجاوزها الى انجلترة اختار حيا فقيرا ، ذلك لان الانسان البدائي « اعمق انتشاء باللذة ، واكثر استجابة لمواقف الرعب والفزع ... فهو يعبر عنهما تعبيرا تلقائيا ، ولا يحاول ان يخفيهما ، ولهذا كـان اعمق احساسا بالحياة من الانسان المتحضر الذى علمته الحضارة ان يخفي حقيقة انفعالاته . »

وهذا الموقف هو الذى دفع جريهام جرين الى ان يسافر الى ليبريا ، وكينيا ، والمكسيك ، وعدد من بلدان الشرق الاقصى ، ويتجول فى الاحياء الفقيرة فى لندن ، ويراقب الصبية المشردين فى برايتون . لقد افزعه ما رأى ، وهذا ما اراد . وكان فى كل مرة يعود من رحلته يحس انه ازداد فهما لسر الحياة ، وايمانا بالله .

وهو يذكر ان احساسه بالحياة بلغ ذروته عندما وقع مريضا بالحمى فى ليبريا ، يتأرجح بين الحياة والموت « وفى تلك اللحظة اكتشفت نفسي ، وبدت لي جوانب من اسرار الحياة لم اكن لادركها فى حال الصحة والعافية ، ولا فى المجتمعات المتحضرة » .

وعاد جريهام جرين من رحلته الى ليبريا ليكتب ثلاثيته تباعا خلال عامي ١٩٣٨ و ١٩٤٨ . وتشترك هذه الثلاثية فى ان احداثها تدور فى اوساط بسيطة : فتقع احداث القصة الاولى فى حي فقير مجهول فى برايتون بجنوبي انجلترا ، وتدور احداث القصة الثانية فى ادغال وسجون المكسيك ، اما الثالثة فتنقلنا الى شاطىء افريقيا الغربي . وهذه الاوساط الاجتماعية ــ كما يقول بطل القصة الثالثة ــ « لم تجد الطبيعة الانسانية فيها وقتا كافيا لكى تتقنّع ... فانطلقت فيها كل ضروب الظلم ، والقسوة ، والوحشية ، والدناءة ، تذرعها دون قناع ... وهذه الصفات موجودة فى المجتمعات المتحضرة ، ولكن الانسان فيها حَذِق سترها واخفاءها » .

وفى هذه الثلاثية يعرض لنا المؤلف ثلاثة نماذج من الابطال ، يجسّدون فى تصرفاتهم وجهة نظر المؤلف نحو الخالق ، والانسان ، والكون :

فبطل القصة الاولى صبي فى السابعة عشرة ، وقاتل يعيش فى رعب ، ولكنه لايتجاوز هذه المرحلة، ولذلك فهو نموذج للانسان الذى كتب عليه الشقاء فى الدنيا والاخرة .

وبطل القصة الثانية قسيس ، بدأ حياته فاسدا ، ثم عرف الله وعمق ايمانه عندما خالط المجرمين والآثمين فى السجن ، وخرج منه وقد تبدلت حياته ، وتكون خاتمته اقرب الى ان تجعل منه قديسا . فهذا القسيس قد عرف الله عن طريق الاثم والشر ، فكانت معرفته سببا فى خلاصه فى الدار الاخرة .

وبطل القصة الثالثة مساعد مدير البوليس فى غربي افريقية ، وهو كاثوليكي متدين ، ولكن ظروفا معينة تدفعه الى ارتكاب الاثام ، فيقدم على الانتحار . وشخصية مساعد مدير البوليس هنا هي شخصية القسيس معكوسة ، فهو يسير من الخير الى الشر . ونحن نقف حائرين امام هذه الشخصية : ترى اين مكانها فى الاخرة ؟ فى الجنة ؟ فى الجحيم ؟ لاندرى ، فهي مزيج من الخير والشر .

وفى كل هذه الثلاثية يؤكد المؤلف على ان حكمنا نحن انما هو حكم على ظاهر الامور ، اما الجوهر فسرّ مغيب ، لايعرفه سوى سر الاسرار ، العالم بالاسرار .

■ ■ ■

ونعود الى هذه الثلاثية بشىء من التفصيل بعد ان عرضنا لهيكلها العام :

فقصة « صخرة برايتون » هي اكثر قصص جرين سوداوية ، وبطلها الصبي ابن السابعة عشرة هو اكثر ابطال قصصه بعدا عن الخير ، فكان الشياطين قد عششت فى كل جزء منه : فهو يبدأ بقتل موظف فى احدى الصحف ثم ينتقل من جريمة الى اخرى ، ويتزوج فتاة فى مثل سنه لا لانه يحبها ، بل لانها تعرف عن جرائمه الكثير ، فهو بهذا الزواج يريد اسكاتها ، وهو يعلم انها تحبه ، ومستعدة للتضحية من اجله . ورغم كل التضحيات التى قدمتها فى سبيله ، فانه لايترك لها سوى رسالة مسجلة على اسطوانة يقول لها فيها : « فلتنصبّ عليك اللعنات ، ايتها الكلبة ! .... »

ان الجريمة والاثم يغلفان القصة من اولها الى آخرها ، فهي تبدأ بالحديث عن الموظف الصحفى فى اول عبارة فيها على هذه الشاكلة : « قبل ان تمضي ثلاث ساعات على وجوده فى برايتون ، ادرك انهم يريدون قتله . » وتنتهي القصة برجال الشرطة وقد اطبقوا على الصبي .

والشر القابع فى اعماق الصبي ليس مرده الى ظروف اجتماعية معينة ، او الى سبب ظاهر . انها روح الشر تسير حياة الانسان ، دون ان نستطيع تفسيرها ، لانها سر الهي .

■ ■ ■

وقصة «السلطة والمجد» (اى السلطة الدنيوية ومجد الرب) هى قصة قسيس كاثوليكى تطارده شرطة دولة مكسيكية لا دينية ، لانه فى نظرها

خارج على القانون لممارسته واجباته الدينيـــة ، بعد أن منعت الدولة ذلك . وهذا القسيس فى حقيقته لا يحمل من وظيفته الدينية غير اسمها ، فهو انسان غارق فى الآثام . سكير ، عربيد له ابنة غير شرعية .

وبناء هذه القصة يذكرنا ببناء قصة « خبز وخمر» للكاتب الايطالى المعاصر ايناتسيو سيلونى: فكلاهما وصف للقاء البطل بصنوف متعددة من البشر ، لتنتهى هذه اللقاءات بادراك البطل لسر الوجود ، أى الايمان بالله .

وتقوم هذه القصة على ثلاثة لقاءات أساسية بين القسيس ومسؤول الشرطة : فبعد الثلث الاول من الكتاب يوقف مسؤول الشرطة القسيس المتخفى ويستجوبه ، ولكنه لا يتعرف عليه ، فيتـركه . وبعد الثلث الثانى يعتقله رجل الشرطة ، ويزج به فى السجن ، دون أن يتعرف عليه ، والتهمة الموجهة اليه هى تهريب الوسكى . وفى خاتمة الكتاب يتم اللقاء الثالث والاخير ، وفى هـــذه المرة يتعرف عليه مسؤول الشرطة ، فيحاكم ثم يشنق،ولكن بعد أن كان القسيس قد مر بتجارب احدثت انقلابا فى نفسيته ، بحيث كانت خاتمة حياته أشبه بنهاية القديسين .

وقد بدأ هذا الانقلاب النفسى عند القسيس يوم دخل السجن بتهمة تهريب الوسكى ، وخالط المجرمين والآثمين ، ومن خلال الفزع والاثم أدرك سر الوجود ، الذى تدركه البصائر والابصار . « هنا فى السجن لم يكن يرى نفسه سوى مجرم بين حشد من المجرمين .. هنا أحس بالاخوة الانسانية احساسا هز اعماقه ، وهو احساس لم يشعر به ابدا فى الماضى ، يوم كان المتدينون يأتون اليه ليقبلوا يده ، وطرف ثوبه » .

وخرج من السجن ، واخذ يحلم وهو سائر فى الطريق بيوم يزول فيه الظلم ، وتنتشر فيـه العدالة بين الناس .

وهو فى اللقاء الثالث مع مسؤول الشرطةيعرض نفسه للقبض عليه مختارا : فقد ذهب للصلاة على فلاحة فقيرة تحتضر ، مع علمه أن يهودا ، احد معارفه ، قد وشى به الى السلطات . واستعمال جريهام جرين للرمز هنا يعيد الى اذهاننا قصة يهودا الاسخريوطى . ويطبق رجال الشـرطة على بيت المرأة المحتضرة ، ولكن القسيس يرفض أن يهرب ، وكان بامكانه ذلك . انه مسيح جديد يقدم نفسه فداء للآخرين ، وتكفيرا عن آثام البشر. وفى هذا الموقف يكمن الفرق بين جريهام جـرين وايناتسيو سيلونى : فالكاتب الايطالى يؤمـن بالتآخى الانسانى ، وبأن البشرية بحاجة الى أناس يقدمون أنفسهم فداء للآخرين ، كما فعل المسيح ، ولكن التآخى والفداء مبعثهما الايمان بالانسان وبالأخوة الانسانية ، بينما مبعثهما عند الكاتب الانجليزى الايمان بالله ، وبالكثلكة على وجه خاص .

وتنتهى هذه القصة فى نهاية بارعة، بعيـــدة الدلالة : فبعد أن ينتهى مسؤول الشرطة من مهمته ، وينزل العقاب بالقسيس ، يجلس على مكتبه مستريحا مسترضيا ، فيستغرق فى النوم ، وعندما يفيق يذكر أنه حلم احلاما كثيرة لم يبق منها فى ذهنه غير أنه ضحك كثيرا ، وأنه كان يسير فى ممر ضيق لا نهاية له ، ولا منفذ فيه . والدلالة هنا أن مسؤول الشرطة هو الذى وقع فى الشرك لا القسيس ، شرك جرائمه وآثامه ، وجهله لسر الوجود . أما الضحك الذى لازم أحلامه فاعلان عن خلاص روح القسيس من أسرها المـــادى ، ونجاتها فى العالم الآخر . وهذا الرمز يذكرنا بمطهر دانتى حيث تعلن ضحكات الجوقة عن انعتاق روح انسان من عذابها ، وخروجها من المطهر لتدخل الفردوس .

■ ■ ■

وتقع احداث القصة الثالثة « لب المسألة » فى مدينة من مدن ساحل افريقيا الغربى،والمجتمع الذى تتناوله مجتمع عرضه المؤلف عندما ذهب الى هناك كأحد رجال وزارة الخارجية خـــلال عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٣ .

وخلاصة القصة أن مساعد مدير البوليس ، واسمه سكوبى Scobie ، كاثوليكى متدين مستقيم محبوب لدى الجميع ، ومعروف بين اصحابه باسم « سكوبى المستقيم » ، ولكنـــه مبتلى بزوجة كريهة . وتبدأ عقدة سكوبى عندما تجاوزه المسؤولون فى الترقية ، وعينوا آخـــر مديرا للبوليس بعد احالة المدير السابق على المعاش . وهذا المدير الجديد ليس فيه شىء من ميزات سكوبى . وتستحكم العقدة فى نفســـه لأن زوجته اعتبرت هذا التصرف ماسا بكرامتها، وجعلت منه موضوعا لا تمل التحدث فيه . وقد

حاولت جهدها أن تجعله يستقيل من وظيفته احتجاجا ، ولكنه رفض ذلك .

وبسبب ما كانت تعاني من تعاسة ، ارسلها فى رحلة الى جنوبى افريقيا ، ولتغطية نفقاتها استدان من مهرب مجوهرات معروف فى المدينة ، واخذ فى التستر على أعماله الاجرامية . واستمر سكوبى فى الانحدار ، فزنى ، وانتهى به الأمر الى الانتحار .

فالقصة ، كما نرى ، تدور حول تحلل انسان فاضل ، وترديه ، بسبب عيب فيه يصل درجة المرض النفسى ، وهذا العيب هو فرط الحساسية والشفقة ، حتى انه لا يحتمل رؤية انسان يتالم. وهذه الحالة النفسية هى التى تجعله يستدين من اجل الترفيه عن زوجته ، وتدفعه الى اقتراف جريمة الزنى مع فتاة بائسة ، لا رغبة فيها ، بل شفقة عليها . ويرى طفلة تعانى سكرات الموت ، فيدعو الله ان يسلبه الراحة وهدوء النفس مقابل ان يرد للطفلة حياتها ، فيستجيب الله لدعائه ليمتحن صدقه .

وترد العبارة التى جعلها المؤلف عنوانا للقصة فى بداية القسم الثانى منها ، عندما كان سكوبى وحيدا ليلا ، يتامل نجوم السماء، ويناجى نفسه قائلا : « ترى هل اذا عرف المرء لب المسالة ، اكان يحس بالشفقة حتى على الافلاك فى مدارها ؟ » و« لب المسالة » يعني عند جرين « سر الوجود »، اى خالقه ومبدعه .

وما يريد أن يؤكده جريهام جرين هو أن العدالة الالهية سر من الأسرار ، لا نستطيع أن ندركها نحن البشر ، ويستحيل علينا أن نقطع برأى فى امر سكوبى : أهو فى الآخرة من الناجين ، ام من الهالكين ؟

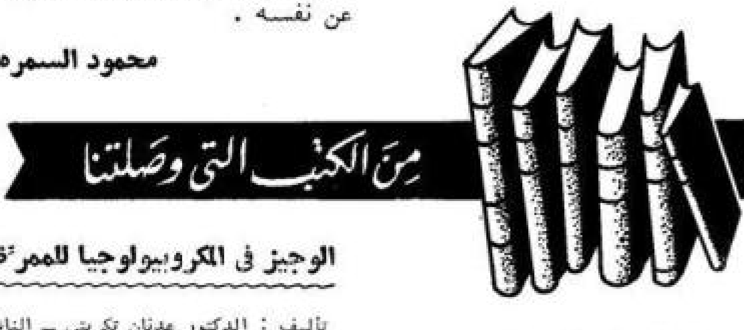
هذا هو جريهام جرين أشهر كاتب قصصى فى بريطانيا اليوم ، بعد وفاة سومرست موم .

وهذا هو عالمه .

وهذه هي ثلاثيته .

وقد نختلف معه فى جل ما يؤمن به ، ولكنا لا نشك فى أنه سيد من سادات كتاب القصة المعاصرة ، تكمن براعته فى قدرته على السرد القصصى بطريقة تشد اليه انتباه القارىء ، حتى ليذهل عن نفسه . ■■

محمود السمره



دراسات في الادب العربي

طه الراوى تأليف : حارث طه الراوى : الناشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

● دراسة وافية عن الاديب طه الراوى من خلال آثاره التى تركها مثل كتاب « أبو العلاء فى بغداد » و « بغداد مدينة السلام » . مع عرض موجز لآثاره فى اللغة والنحو ومراسلاته مع ادباء عصره امثال عبدالوهاب عزام وزكي مبارك.

الوجيز فى المكروبيولوجيا للممرضات

تأليف : الدكتور عدنان تكريتى ـ الناشر : المطبعة الجديدة ـ دمشق

● كتاب علمى وضع ليوضح المبادىء الأساسية والتطبيقية للمكروبيولوجيا ، أو علم الأحياء المكروية ، وهو ذو فائدة لكل من يريد أن يطلع على أخطار الجراثيم والطفيليات ، والكتاب يقع فى سبعة فصول ، ففى الفصلين الاولين معلومات عامة عن الجراثيم والامراض المعدية ، والفصول الباقية دراسة مقتضبة للامراض المهمة التى تسببها العضويات الحية .

الاسلام والمسلمون في المانيا بين الامس واليوم

المؤلف : الشيخ طه الولى : الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر ـ بيروت

● كتاب يلقى الضوء على تطور الدراسات الاسلامية ، ونتاج المستشرقين الالمان في الدراسات الاسلامية مع الاشارة الى الاطوار التى مرت بها ترجمات القرآن الى اللغات الاجنبية من شرقية وغربية ودراسة موضوعية عن نشاط المسلمين الفكرى في المانيا .

نبضات قلب

تأليف : محمد حسين آل ياسين ـ الناشر : مكتبة النهضة ـ بغداد

● ديوان شعرى يتضمن مجموعة قيمة من القصائد الذاتية الوجدانية وهى باكورة انتاجه الفنى . تتناول اغراضا مختلفة مثل الغزل والمديح والوصف .

وعلى الارض السلام

المؤلف محمد الجيار ـ الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

● ديوان شعر يحوى العديد من القصائد المتباينة منها قصائد انسانية تبحث في مشاكل الانسان الراهنة وما يقاسيه ، من جوع وفقر ، وحروب طاحنة ، والقصائد كلها ذات نغمة اليمة ورنة أسيفة .

نكبة أيقظت أمة

المؤلف : مازن ابراهيم منصور ـ الناشر : مكتبة أطلس ـ دمشق

● كتاب يتحدث باسهاب واف عن قضية فلسطين ويخطط طريق العودة الى الارض السليبة. ويقوم المؤلف بعرض وتحليل اسباب فشل حرب ١٩٤٨ وملابساتها .. والكتاب من أخصب ما كتب عن النكبة في أشواطها الهائلة التى انتهت الى خلق الوجدان الفلسطيني .

المؤرخون وروح الشعر

تأليف : ايمرى نف : ترجمة الدكتور توفيق اسكندر : الناشر : مكتبة الانجلو المصرية

● يقوم الكتاب بدراسة اسهام الادب والعلوم الادبية فى تدوين التاريخ منذ عصر فولتير الى عصر اشبنجلر وتوينبى ويحاول فيه المؤلف ان يحطم الحواجز القائمة بين الادب والتاريخ والعلم والدراسات الاجتماعية ومدى تاثير الادب والبحث الأدبى وارتباطهما بالحوادث السياسية والتطورات العلمية فى روح التاليف التاريخى .

المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين

تأليف : كوركيس عواد : الناشر مطبعة العانى بغـداد

● كتاب يلم بالبحوث اللغوية التى ساهم فيها كتاب العراق خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وما ترجموه وحققوه من مؤلفات فى علوم اللغة وميادينها المختلفة ، ودراسات اخرى عن لغات الشرق والغرب وتاثيرها فى لغتنا العربية .

المصطلحات القانونية الجزائية فى الأحكام والاجراءات والمحاكمات

جمعها ورتبها وشرح نصوصها «أحمد جمال الدين» الناشر : المطبعة العصرية للطباعة والنشر صيدا ــ لبنان

● يتضمن هذا الكتاب تعريفات المصطلحات القانونية وشروحها الواردة فى قانون الجـزاء واجراءاته ومحاكماته ، من تشريع دولة الكويت ، وقد نهج المؤلف على الترتيب الابجدى فى تعريفه لهذه المصطلحات .

ميزان البند

للدكتور جميل الملائكة ــ الناشر : مطبعة العانى ببغداد

● البند ضرب من الكلام المنظوم نشا فى العراق فى اوائل القرن الحادى عشر الهجرى ثم شاع قرضه فى منطقة الخليج العربى طيلة ثلاثة قرون . ويتعرض المؤلف فى هذا الكتاب بالشرح لطرق نظم هذا النوع من الشعر .

يوجين اونيل
دراسة فى حياته وادبه المسرحى

تأليف : باريت كلارك ــ ترجمة : حسن محمود عباس ، مراجعة : الدكتور احسان عباس الناشر المكتبة العصرية : بيروت

● دراسة تحليلية وموضـوعية عن الكاتب المسرحى يوجين اونيل وأثر اعماله الفنية فى الادب المسرحى. وقد درس المؤلف أغلب مسرحيات اونيل، مثل انا كريستى ، وشرقا الى كارديف ، والقرد الكثيف الشعر .. محللا تارة وناقدا تارة اخرى.

نهاية الاندلس

تاليف : محمد عبد الله عنان ــ الناشر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة

● يتضمن الكتاب دراسة وافية عن سقوط الحكم العربى فى الاندلس وعن آخر حصن من حصونها وهى مملكة غرناطة ، ودراسة مستفيضة عن الموريسكيين أو العرب المتنصرة ، وقد قام المؤلف بزيارات عديدة لاسبانيا وساح بين مدنها ومكتباتها كى يحصل على مزيد من الوثائق والكتب التى تناولت تاريخ العرب فى اسبانيا .

حياتى وأيامى العصيبة

تأليف جيمس ثربر ــ ترجمة: بكر عباس ــ الناشر: المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ــ بيروت

● يلقى الكتاب الضوء على جانب من حياة جيمس ثربر من خلال القصص القصيرة وبعض المختارات من نتاجه . ويتميز اسلوب ثربر بانه هزلى ساخر يفيض بالمرارة ، يلوذ بالهزل هربا من السوداوية . وقد قال ان الهزل هو فوضى عاطفية يتذكرها الانسان فى حالة الهدوء .

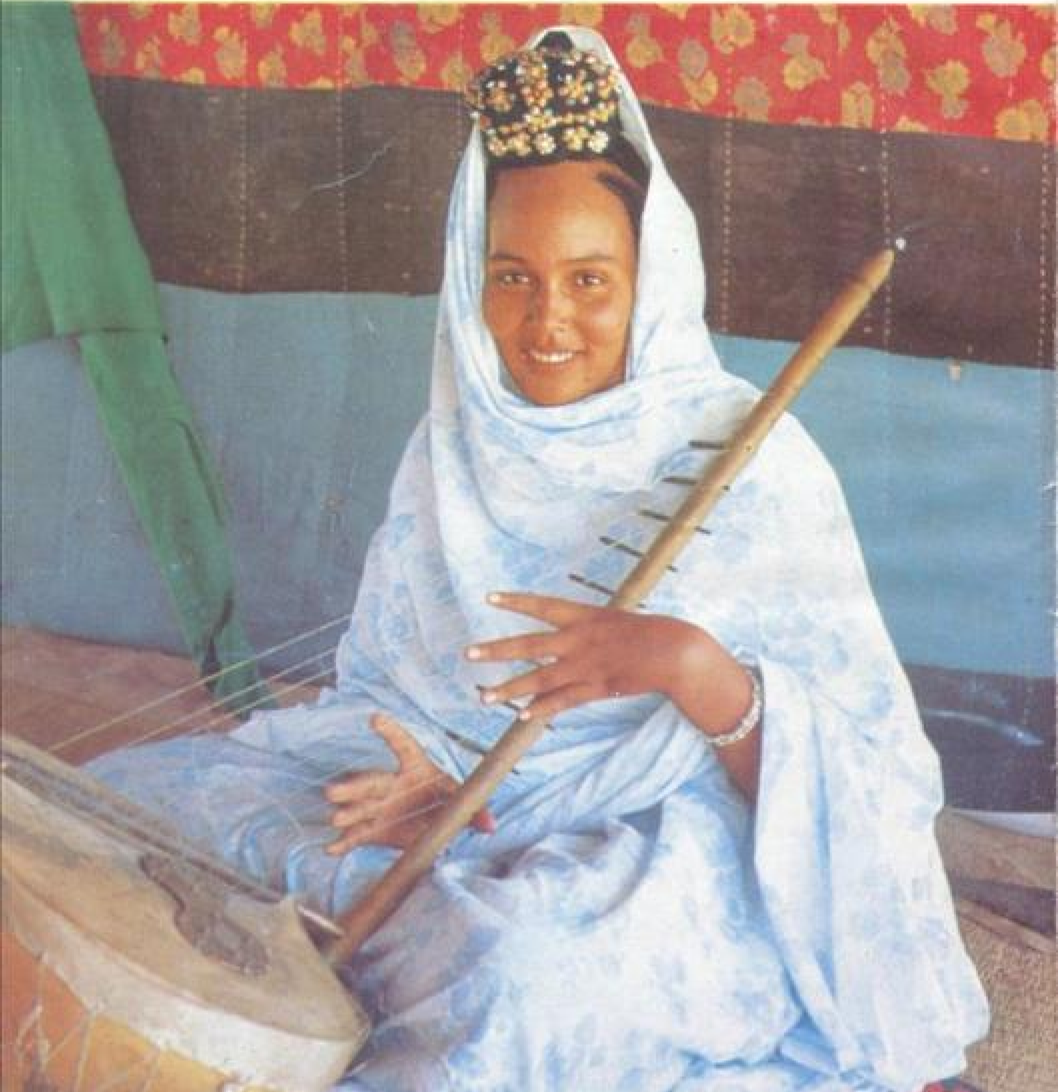
النظم القانونية الافريقية وتطورها

تأليف : الدكتور محمود سلام زناتى الناشر : دار النهضة العربية / القاهرة

● دراسة مقارنة وتاريخية عن تطور النظـم القانونية الافريقية والتيارات المتباينة والعوامل المتنوعة التى تركت آثارها فى هذه النظم وتلك التقاليد ، من اعتناق شعوب افريقيا للاسـلام ، والبعثات التبشيرية المسيحية وآثار المدنيـة الأوروبية مع دراسة وافية عن النظم الخاصـة بالزواج والأسرة . ■■

العربي

العدد ١٠١
٢١ ذي الحجة ١٣٨٦
ابريل
(نيسان) ١٩٦٧



في موريتانيا .. غناء وطرب

جوائز
١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قرو
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرش
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢٫٥	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٢	[illegible]



جويا فنان سبق عصره !

● كان جويا يهوى رسم الاطفال ، فقد كان يحبهم ، وتعتبر هذه الصورة من ابدع اللوحات التى رسمها ، وهى لطفل صغير في الثالثة من عمره يدعى دون مانويل اوسوريو Don Manuel Osorio ابن الكونت التميرا Altamira واللوحة موجودة في متحف الفن الدولي بمدينة نيويورك وطولها ٤٣١/٢ بوصة وعرضها ٣١١/٢ بوصة . « اقرا قصة فنان سبق عصره ص ١٢٢ » .

عزيزي القارئ

العيد الوطني

● احتفلت الكويت في الخامس والعشرين من الشهر الثاني بعيدها الوطني ، عيد شعبها وعيد أميرها معا . وفات « العربي » أن يسجل ما يسجل من ذلك ، لأن طبعه كان اكتمل وسبق احتفالا. وجاء هذا العدد الحاضر من « العربي » بعد هذا الاحتفال الوطني بأكثر من شهر .

ومع هذا وجب تسجيل شيء مما فات . ولهذا تضمن هذا العدد استطلاعا مصورا ، عن خير تلك الاحداث جميعا ، تضمن استعراضا لجيش الكويت ، واستعراضا لشباب الكويت .

ولما كان حتى هذا العدد الحاضر من « العربي » ، سبق طبعُ أكثره العيدَ الوطني لم نجد لهذا الاستطلاع مكانا في صدر العدد ، وربأنا بأن يكون له مكان في آخره ، فوضعناه في القلب ، في أعز مكان من « العربي » بين صفحة ٣٤ وصفحة ٣٥ .

انها محنة المجلة الشهرية ، لا تزامن الاحداث ، فهي على الاكثر سابقة او مسبوقة . لا سيما واداة طبعها ليست من ذلك الصنف السريع الدوار . يزيد في صعوبة ذلك الاعداد الهائلة المطلوب من « العربي »، و « العربي » تبدأ بطبعه قبل سبعة أسابيع من ظهوره في الاسواق .وهي أسواق عديدة مديدة بعيدة ، لم يستطع العرب بعد تقريب ما بينها من مسافات ..

ومن ذلك ان عيد الاضحى كان ، ثم بان . ففي العددَ الماضي لم نستطع ان نقول لك ،ايها القارىء العزيز ، كل عام وأنت بخير ، لأن العيد لم يكن قد حان . وفي هذا العدد الحاضر لا نستطيع أن نقول لك كل عام . . . ، لأنها تكون تحية في غير أوان . والمثل العربي يقول : « لا يُفتَل كعك بعد عيد » .

ومع هذا ، نقولها تحيةً خالدة ، فرجاء الخير يُدعَى به في كل زمان .

■■

المحـرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء

ALARABY — No. 101 April 1967 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٩٤١١ ــ تلغرافيا « العربى »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● استطلاعنا في هذا العدد عن مدينة نواكشوط ، عاصمة موريتانيا ، ذلك البلد العربي الذي أهمله العرب ، ولكنه مع ذلك ظل محافظا على العادات والتقاليد الاسلامية العربية بغيرة زائدة ... وهذه صورة فتاة موريتانية اسمها « بنت توبيهم » تلعب على الأوتار .. انها تتعلم الغناء والموسيقى منذ صغرها .

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٣ شلن ٠ العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ٠ لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ٢ ريال ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠ع٠م ١٠ قروش ٠ تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ٠ المغرب ٢ درهم ٠ اليمن ٥ر٣ شلن ٠ ليبيا ١٥ قرشا ٠

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي ٠



بريد القراء

السوق السوداء

● تباع اعداد مجلة « العربي » بثمن يزيد عن الثمن المحدد لبيعها في العراق ، فهم يبيعونها تارة بمئة واربعين فلسا وطورا بمئة وخمسين فلساعراقيا ، بينما السعر المحدد على المجلة هو مائة وعشرون فلسا ، فما هو السر في ذلك ؟

محمد عباس / العراق

العربي : الثمن المحدد « للعربي » في العراق هو مائة وعشرون فلسا ، غير أن اقبال القراء على شراء « العربي » قد يدفع بعض البائعين الى رفع ثمنها ، لأنهم يجدون دائما من يدفع أكثر . وان القضاء على هذه السوق السوداء . يتوقف على قراء « العربي » وحدهم . امتنعوا عن دفع فلس واحد أكثر من الثمن المحدد . ونقترح عليك الاتصال بمتعهد توزيع « العربي » في بغداد الاستاذ قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى ، اذا حاول البائع رفع ثمن « العربي » .

سبحات من ترانيم

● أرسل اليكم هذه القصيدة علها ترضيكم فتاخذ طريقها الى النشر :

ومضت تقرأ في دفترها
أي لحن ؟ اي قيثار ؟ وأي ؟
لم اعد اسمع الا ملكا
راح يتلو قصة الوحي علي
بحة الصوت وما اعذبها
بحة الناي لها في اذني
وصفاء الجدول الغافي على
رمله يروي حكايات الـي
سبحات من تراتيم هوى
وصلاة للمنى بين يدي
ومضت تقرأ لي لكنني
كنت اصغي نحوها في مقلتي
وارتعاش البكر في وجنتها
يتخطى سكره في وجنتي

سعيد قندقجي

مدير المركز الثقافي العربي في حماه/سوريا

استطلاعات ((العربي))

● ابت استطلاعات العربي ، الا أن تصول وتجول في أنحاء العالم العربي ، ولكنها عندما تصل الى بعض الأجزاء ترتد فزعة.نريد استطلاعات عن موريتانيا وعربستان والاسكندرونة .

عدنان صبري ــ بغداد

● لا ارى شيئا يكتب عن ليبيا ، البلد العربي الشقيق ، فهل بعد المسافة التي تفصل بينكم وبيننا هو السبب في اغفال ليبيا ؟

محمد ابراهيم الطبولي

سالم علي كافي / ليبيا

العربي : في هذا العدد استطلاع عن موريتانيا ونرجو أن يوفقنا الله في عمل استطلاعات عن عربستان والاسكندرونة وغيرهما .

اما ليبيا فقد نشرنا عنها عدة استطلاعات ، في الاعداد رقم ٩ و١١ و٣٠ و٤٢ . وعلى أية حال فنرجو أن تسافر بعثة « العربي » اليها قريبا للقيام باستطلاعات جديدة عن بعض أجزاء القطر الليبي الشقيق .

تقرير عن التبغ

● طلبت منا مدرسة الاجتماعيات كتابة تقرير عن التبغ فى الوطن العربى ، فهل لى أن أطلب اليكم ان تزودونى بالمصادر التى يجب أن ارجع اليها لكتابة هذا التقرير ؟

الطالبة هيام عواد السعدى / العراق

العربى : اقرئى موضوع التبغ فى مجلة «العربى» الصادرة فى أول مارس عام ١٩٦٧ .

● ● ●

صبنت الكأس عنا أم عمرو !

● قرات كما هو دابى فى مطلع كل شهر ما حواه العدد ٩٢ من مجلة « العربى » ، وقد امعنت فى قراءة حديث الشهر « شبابنا وثقافة العصر » لما فيه من الآراء القيمة والحكم العظيمة .

وقد أوردتم قول الشاعر الجاهلى كما يلى (صفحة رقم ٩) صددت الكأس عنا أم عمرو .

وعدت بالذاكرة القهقرى واستيقنت اننى حفظت هذا البيت تلميذا ومعلما كما يلى :

صبنت الكأس عنا أم عمر .

وليس صددت .

فهل لكم ان تتفضلوا باعلامنا عن حقيقة الامر وايهما الأصح ؟

سليمان أبو الحسن / دمشق

العربى : الروايتان صحيحتان ، فقد ورد هذا البيت على صيغتيه فى مختلف كتب الادب ، و « صبن » الشىء كفه ومنعه وصرفه عنه الى غيره . وهذا اللفظ هو الأرجح فى تلك الكتب .

● ● ●

شرح الحضارة العربية

● تسلمت رسالتكم وسررت أن أعلم انكم سجلتم لنا اشتراكا مجانيا بمجلة العربي ، وان المجلة ستصل الينا بانتظام . انني اريد ان اشكركم ، وسوف استخدم المجلة فى شرح الحضارة العربية لتلاميذى باسلوب جديد .

الدكتور جيوكيرتى

الاستاذ بجامعة كاليفورنيا

ذات الهجرتين

● احسست بخشوع وانا اقرأ مقال الاديبة سنية قراعة بعنوان « ذات الهجرتين » . وطغى عليَّ سرد الحوادث فباتت دموعي تنهمر غزيرة ، واصابنى قبس من ايمان وانا اواصل قراءة ما كتب من كلام متسق بديع خطه عقل راجح مؤمن بالله .

فالى الاديبة كاتبة المقال أوجه رسالة تحية واحترام وتقدير .

شاكر صالح دياب

الاردن ـ نابلس

● ● ●

ولد ابن سينا فى همذان ودفن فى بخارى

● نشر فى العدد ٩٨ من « العربى » مقال عن الفيلسوف الاسلامى « أبو على بن سينا » وذكر فى هذا المقال ، انه ولد فى « بخارى » ، وترعرع فيها ، والصحيح انه ولد في مدينة همذان ، وهى فى الوقت الحاضر من أعمال ايران . وتركها فى أيام شبابه طلبا للعلم ، ثم عاد اليها ، وتوفى فيها. وقبره في همذان مشهور معروف . لذلك اقتضى التنويه والتصحيح .

محمد حسن خير الدين / العراق

العربى : أما أن ابن سينا مات فى همذان فهذا حق ، وأما أنه ولد فيها فذلك غير صحيح ، بل الصحيح ما قلناه . كان أبوه من أهل بلخ ،وانتقل منها الى بخارى وتولى العمل بقرية من ضياع بخارى ، يقال لها « خرميثنا » وولد ابن سينا وكذلك أخوه بها . وأمه أيضا من قرية يقال لها افشنة بالقرب من خرميثنا ، ثم انتقل الرئيس الى بخارى ، ثم تنقل بعد ذلك فى البلاد ، وفى سنة ٤٢٨ توفى بهمذان ودفن بها . وحكى انه توفى بأصبهان والأول أشهر .

(البقية على صفحة ١٦٣)



حديث الشهر

ديمقراطية البادية

بقلم رئيس التحرير

■ للعرب ، ولغير العرب ، ولكل أمة من بني الناس تقاليد خاصة بها، عزيزة عليها ، نابعة من ارضها وجوها وادبها وتاريخها ، وهي ارث الاجيال . وكل ارث عزيز ، لأنه يحمل ذكرى الآباء . والانسان يحمد زمانه أو يذمه ، ولكن فى طبعه دائما حمد الزمن الذى فات . وللزمن حرمة ، وللزمن قداسة ، يزيد منها انبهام الزمن ، ويزيد منها غموضه، ويزيد منها انه ينبسط ثم ينطوى . وقد نفهم له انبساطا لأننا نحيا فيه ، ثم لا نفهم له انطواء .

ومن تقاليد الامم ، ومن مأثوراتها ، ما سمّوه بالميراث الثقافى . وسماه الافرنج بالفلكلور Folklore . وقد غلب على ما تنزل على الزمان ، من جيل الى



أصْدَق الدِّيمقراطيات

جيل ، من كل ما اتصل بفن خاصة . بفن فى ملبس . فن فى مطعم . فن فى لقاء مفارح الحياة ومآسيها . وفنون اختص بها الهزل ، وفنون اختص بها الجد . والسلم له فى الثقافات الشعبية فنون ، وكذا الحرب .

ومن الفن الذى نزل به الزمان فى الكويت من جيل الى جيل : رقصة العَرْضة . ولست ادرى على التحقيق كيف نشأت ، ولا من اين جاءت . ولكني اعلم علم اليقين انها رقصة حرب . تعرف ذلك من السيوف التى حملها الراقصون ، ومن الانغام الراتبة التي دُقّت بها الدفوف والطبول . وليس كدق الطبل دعوة الى الحرب .

ان الرجل المحارب لا يمكن ان يخرج الى حرب بنفس هادئة مطمئنة . لا بد للخروج الى الحرب من نفس ثائرة وجو صاخب . وليس يثير النفس كالطبل الضارب ، وليس يثير كالنغم الهازج الراتب . وفى الرتابة نوع من الخدر على الصحو .

وخلتِ العرضة من نغم الأوتار لرقتها ، وخلت من نساء .

وكانت الرقصة اصلا للحرب اذا جدت ، ثم اتخذت سبيلا للفرح والمرح على السلم ، وفى الاعياد .

ورايتها فى عيد الكويت الوطني ، فرايت حدثا جديدا جديرا بالتسجيل ، ذلك مشاركة الكبراء والوزراء للشعب فى رقصته ، يتقدمهم سمو الامير .

ان الذى يزيد هذا الحدث جدارة بتسجيل انه وقع فى عصر من الزمان يتزايد فيه البعد بين الشعوب وحكامها ، وتتطاول فيه الشقة بينهما . والحكام يقولون دائما انهم من الشعب وللشعب، ولكني لم اجد لهذا القول صورة متجسدة كتلك الصورة التي رايتها للامير، ومن حوله من صحبة رفيعة ،وقد نزلوا الى الشعب فعلا ، وفى الساحة الشعبية الواسعة ، ورقصوا جميعا على البسمات الحلوة رقصة الحرب ، فى مناسبة مؤاتية ، هي مناسبة العيد الوطني الذى هو عيد الجميع ، وفيه ترفع الكلفة وتتلاشى الفروق ، فى ساعة تتجه كل القلوب فيها الى الوطن ، على استواء واحد ، خالصة مخلصة .

وامتزج فى هذه الرقصة ، على تلك الساحة ، كبير وصغير ، وغني وفقير ، وآمر ومامور ، فاحيوا بذلك تقليدا للعرب معروفا قديما ، نشأ فى البادية ، نشأة البساطة ، عرف فيه الصغير للكبير حرمته، وعرف فيه الكبير للصغير كرامته وانسانيته لما ايقن ان الخلق جميعا لآدم وأن آدم من تراب .

والديمقراطية قد يدعيها من الامم من يدعي . ولست اجد ديمقراطية فيها اصالة الطبع كديمقراطية العرب ، تلك التى يحلو لي ان انسبها الى اصولها الاولى ، فاسميها ديمقراطية البادية . ان الذين يدعون الديمقراطية كثيرون ، ولكن ليس كديمقراطية ينزل فيها النازل مع الناس ، يمتزج بهم في اسواقهم ، ويشاركهم فى مفارحهم ومحازنهم ، واذا حان وقت الطعام جلس معهم الى قصاعهم . وعندى انه ليس آكد لصدق النزعة كالجلوس الى القصاع .

عِبَادَة

■ منذ شهرين مضيا اقامت دولة الصين الشعبية معرضا صناعيا زراعيا فى الكويت عرضت فيه امثلة كثيرة من الانجازات فى العهد الشيوعى ، فى شتى الحقول . ومشينا فى ارجاء المعرض ساعة كاملة شملته كله ، وحمدنا ما رأينا . وقارنا بين الصين التى كانت بالأمس ، والصين التى هى كائنة اليوم ، من هذه الوجوه التى استطاع معرض كبير كهذا أن يجليها ، فحمدنا التغير الكثير الذى طرأ على الصين الذى دل عليه ظاهر هذه الامور .

ونحن كأمة عانت من حكم الزمان مثل ما عانت الصين ، تسر يقينا بكل خير يأتى الصين ، تحت اى الأعلام ، ومع اى الصرخات والنداءات .

سيطرة

ولكن سيطرت علينا ، من علٍ ، أثناء تجولنا فى المعرض ، صور لزعيم الصين ، فرضت علينا النظر اليها ، بارتفاع طولها ، واتساع عرضها،وكبر مساحتها التى غطت اكثر ما كشفت عنه حيطان المعرض . وتخلف صورة عن ميامننا ، لتتلقانا صورة اخرى عن مياسرنا ،حولها فى الرسم القائم آلاف من الناس ، رافعة الأيدى الى السيد الأضخم،سيد الصين، مهللة مكبرة،كأنما التقت منه عند قدس الأقداس .

وخرجنا من المعرض، وحملت الذاكرة منه ومما رأينا فيه صورا شتى ، ولكن لم تحمل مثل صور الزعيم ماوتسي تنج، عددا وضخامة،وثبوت نقش فى الأذهان .

لقد نجحت الدعاية حقا بما خلفت من اشباح هذه الصور في الرءوس . وخرجنا وقد ربط المنطق الساذج فينا

الفَــرْد



ماو تسي تنج

معبود الصين

بين هذا الرجل ، الكبير ، الزعيم ، وبين كل ما رأينا في المعرض من انجاز . انه كان الانجاز . والانجاز كان هو . والناس وهم عدد النمل هناك ليس لهم غير حظ النمل في مجتمع النمل، الملكة هي الوالدة، وهي الحارسة ، وهي المديرة ، والمدبرة، وهي صانعة كل شيء وخالقة كل شيء .

وكما في المعرض ، فكذلك في الصين ، وفي بكين

ولم يكن ما رأيناه في هـــذا المعرض بدعا . أننا نستنتج من صور تأتينا بها الصحف والمجلات وحتى الأفلام صامتة وناطقة، بأن كل حي من الأحياء في الصين، وكل شارع في بكين ، انما هو مَثَلٌ أكبر من المعرض الذي زرناه في الكويت .

صور الزعيم ماو على الحوائط أمتارا طوالا ، واعدادا كِثارا ، يلاحق بعضـها بعضا . والجماهيرُ الصينية وما أكثرها، وما ازحمها ، تسير في الطريق فتملؤها ، وكل يحمل في يده صورة . ونستجليها فاذا هي صورة الزعيم .

كتاب : انجيل

وفي المقاهي ، وفي الحـــافلات ، وفي المدارس ، وفي المستشفيـــات ، تبدأ الأعمال ، وتختتم ، ويتخللونها كذلك ، بفتى أو فتاة تقوم وبيدها كتاب تقرأ منه، مرفوعة الصوت . وأنت تنظر للجمهور السامع الصامت ، فيذهلك منه أنه هو ايضا أخرج مثل هذا الكتاب ، من اين ؟ لا تعرف ، واذا هو ايضا يقرأ مع الفتاة القارئة او الفتى القارىء نفس الكلام ، بنفس الصفحة . يقرأ الفتى فتردده من بعده الجماهير .

ولا تلبث أن تعلم ان هذا الكتاب انما هو كتاب ماو ، كتاب ماوتسي تنج ، كتاب العقيدة الماوية ، ذلك الذي صار عندهم كالانجيل ، بل هو ارسخ قدما واكثـر انتشارا ، وأملأ لكل جيب . هو في جيب العامل ، وهو في جيب الصانع ، وهو في جيب التلميذ ، وهو جواز المرور الى كل الدارات ، والخروج من كل الأزمات .

ولقد عرفنا المسيحي يحمل كتابه .

ولقد عرفنا المسلم يحمل قرآنه .

ولكنا لم نعرف مسـيحيا أو مسلما حمل كتابه او قرآنه ، ودار به حيثما دار، فهو بعضه ، وهو جزء منه لا يتجزأ.

وقد قيل لي ان الصين بلد لم يعرف معنى الله كما نعرفه ، وانه ان فعل فقد والله غفل عن ذكر الله ، واستبدل به ، واستبدل بكتابه .

وما صدَّقت ، فما اكاد اخال ان بلدا به هذا القدر الكبير من انسان هذه الأرض لا يَعمُر قلوبَ الناس فيه ذكر الله .

عبادة الفرد ، عند صين ، وعند روس

انها عبادة الفرد التى جنح اليها الانسان منذ كان .

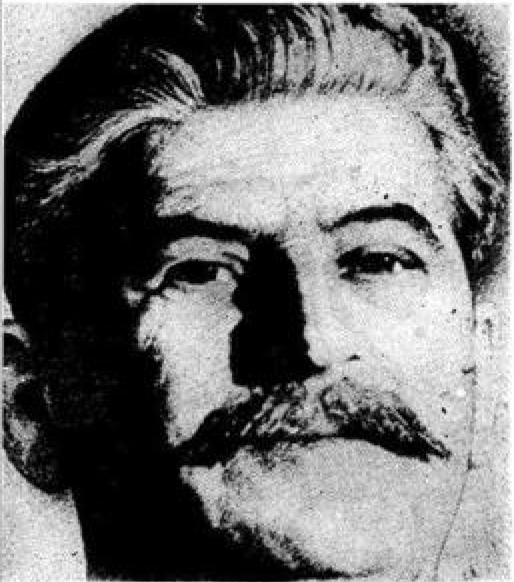
والروس عبدوا من الفرد ما عبد الصين .

عبد الروس ستالين . وسفك ستالين من دماء القوم من قبل حرب ، ومن بعد حرب ما سفك ، وظل يُعبَد . كلمته وحدها كانت هى الكلمة . وكانت

الحرس الاحمر

حرس ماوتسي تنج
يتلو قطعامن كتاب الزعيم





ستالين

مثل عبادة الفرد عند الروس
كان هو السيف وهو النطع ، وهو القانون

هى السيف،وهي النِطَع،وهي القانون. وهي المحكمة والقاضي والحكم .

ومات ستالين فكشفوه من بعد موته. وسقط المعبود كما يسقط التمثال الهائل من الحجر فلا يصل الأرض حتى يتحطم، وقد اتضح انه من حجر هش ليس له ما كان تراءى من صلابة الصوان والفولاذ.

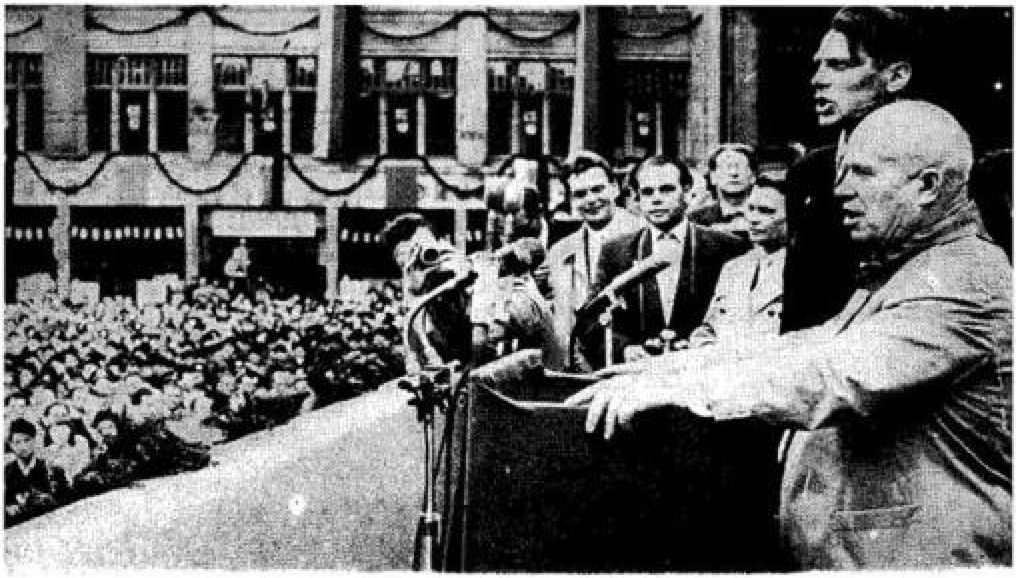
وخلفه خروشوف .

وسمعنا عندئذ بمعني جديد : بالتبعة الجماعية فى الحكم ، مكان تبعة الفرد .

وتمر السنين فاذا خروشوف يزداد حجما ، ويزداد طولا وعرضا . وكان لصوته صدى قريب ، فاذا له الصدى البعيد ، واذا له من بعد ذلك الصدى الذى يلف الارض لفا .

وتبحث عن التبعة الجماعية عنده فلا تجدها الا على لسانه فى السنوات التى نال هو فيها ، ونال أعداء ستالين فيها من ستالين بعد سقوطه وموته . وتجدها فى الصحف التى نامت فى خزائن التاريخ هادئة مصونة .

وتدور الأيام واذا بخرشوف قد سقط، تمثالا ضخما ، فتهدَّم .



خروشوف
دعا الى التبعة الجماعية بعد التبعة الفردية ثم انفرد بالتبعات جميعا

وتعود الأسطورة من جديد : التبعة الجماعية فى الحكم .

وانت تنظر الى حال الروس اليوم ، مع التبعة الجماعية فى الحكم ، وتقرنها بعهد كان ستالين فيه سيدا وحيدا ، او تقرنها بعهد كان خروشوف بالامس فيه سيدا معبودا ، فلا شك تترحم على عهد الروس الذى فات .

ليس للروس اليوم ، مع التبعة الجماعية ، ما كان للروس يومً تمثلت قواها فى فرد ، نحوه اتجه حبها ، وفيه انعقدت آمالها ، واليه ارتفعت ايديها ، تطلب اليه من طيبات العيش ، التقدم والتفوق على السلام او على الحرب .

لا اخذل ولا اناصر

وابادر فاقول انه ليس عندى حب الفرد وعبادةالفرد رايا اناصرهاو اخذله. ولكنى انما أسجل حالا شهدتها من صنوف البشر .

ذلك ميل الناس الى الشىء المجسّد، دون الشىء المجرّد .

انك تحدثنى عن العدل وقيمة العدل ونفع العدل والضرورة الأخلاقية للعدل، والضرورة الاجتماعية له . ولكن افعل في نفسى وابلغ اثرا من ذلك أن تحدثنى عن رجل عادل ، ما صنع ، وكيف صنع ، وكيف صرّف اموره ، وحل عقدا عقدها الظلم بين الناس ، وعقدتها الشراهة ، وعقدها حب السيطرة والغلبة .

وانك تحدثنى عن الزهد والقنوت ، وافعلُ من هذا فى نفسى أن تحدثنى عن حياة رجل زاهد قانت .

والفلسفة أسهل فهما عندما يتحدث بها ارسطو وافلاطون . ولقد ظل أرسطو نحو الف قرن يسمى المعلم الأول ، حتى اطرحتهاوروبا آخر الأمر وحرّقت كتبه. ومعها كتب ابن سينا وابن رشد .

والعرب اعرف بابن سينا وابن رشد والفارابى من عرفانهم بفلسفتهم .

والسيد البدوى

والسيد البدوى ، وقبره فى مدينة طنطا ، بدلتا النيل ، احظى من الهيبة ، واكثر حظا من دعاءالناس،دعاءالجماهير، ممن هم فوقهعلما وفوقه منزلة فىطبقات

اهل الورع والتقوى من القديسين والصدّيقين . والجماهير هناك تتشفع به الى الله ، وكان اولى بالتشفع عند الله من قد رقد تحت القبة الخضراء في مدينة النور . والسبب في ذلك أن السيد البدوي واقع تحت انظارهم ولو رفاة في مَشهَد بمسجد ، فهو شيء متجسد ملموس محسوس ، وهو غير بعيد . ووقع في روعهم ان الله عنهم بعيد . وغفلوا عن أن الله اقرب اليهم من حبل الوريد ، ونسوا قوله « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثَمّ وجه الله » .

لا اشجب عبادة الفرد

فهل انا بذلك اشجب عبادة الفرد ؟

بالطبع لا . .

وكيف اشجب ما ظلت الانسانية تعبده منذ كانت الانسانية .

والعبادة بعض جبلّة الانسان . وانبهم معنى الله في قديم الأزمان ، فعبدَ الناسُ الحجر . ثم تبين لهم فقالوا انهم انما يعبدونه زلفى ، زلفى الى الله وتقربا من الله ، فالله بعيد ، والحجر منهم قريب .

وبهتت صورة الله عند أهل المذاهب ، وقامت مكانها صور لينين ، وصور ستالين ، وصور ماو ، ومع ماو كتابه ، ذلك الانجيل .

واتعرض لهذا الكتاب ، فاشجب من رفع به الى مرتبة الانجيل ، وهو من صنع مخلوق يخطىء ويصيب . ولستُ اتعرض لما تضمنه هذا الانجيل ، فما رأيته قط ، فقد يكون فيه الخير صرفا ، وقد يكون فيه الشر صرفا ، وقد يكون فيه مزيج من الخير وغير الخير ، واذن فهو يحمد بالقدر الذى فيه من خير . ولا سيما بالقدر الذى رأيته في ذلك المعرض الصيني من مرتبة في صناعة وزراعة لا شك فات الجيلُ الصيني الذى سبق ، أن ينهض اليها .

المَسكَن !

● هكذا يصيح اليوم كل الناس ، في اكثر الدنيا .

الناس تزيد ، والمساكن لا تكفى .

لا يكفى منها الجديد الذى يبنى ، والقديم منها امتلأ حتى فاض ، وانطوى زمانه فأصبح لا يواكب الزمن الحديث في حاجاته ، ولا المدنية الحديثة فيما تتطلب من ثمرات هذا المجهود العظيم الذى يبذله العاملون في حقول الصناعات الحديثة ، على كل الجبهات .

والسبب الاكبر في كل هذا ؟

تزايد السكان ، فوق ما تستطيع ان تحتمل قدرة الرجال ، ولا الميسور من المال .

ونضرب لذلك مثلا : فرنسا .

كان بفرنسا ، في عام ١٩٦٢ ، ٢٠٠ ٥٣٨ ١٤ مسكن أساسي ، بها من الحجرات ... ٧٦٠ ٤٣ ، يسكنها ٢٦٠ ٤٥٦ ٤٦ شخصا . وهذه تعطى اقل من حجرة واحدة للشخص الواحد .

وقد جاء في تقرير لجنة الانتاج الفرنسية ، الذى قرىء في البرلمان الفرنسي في اكتوبر عام ١٩٦٥ ، ان فرنسا ، بحالها الحاضرة ، تعطى للألف من الناس في المتوسط ٩٩٢ حجرة ، بينا المانيا تعطى ١١٤٠ حجرة (مع أنها خارجة من حرب تخريب واسع وتهديم) ، وبينا الدول

المَسْكَن !

التى بشمال اوروباتعطى للألف ١٦٠٩ حجرة .

ولا تعطى هذه الأرقام صورة كاملة من الخطورة الواقعة .

ونزيد الصورة اكتمالا فنقول :

ان ٩٤ر٢٪ من سكان فرنسا تعيش فى مساكن عادية .

وان ... ٢٣٧ فقط ، اى نحو نصف فى المائة من السكان تعيش فى حجرات او مساكن مستقلة .

وان ... ٥٦٠،اى نحو ٢ر١٪ تعيش فى حجرات مفروشة،فنادق واشباهها .

وان ٥٠٠ ٤٦٧ ، اى نحو ١٪ تعيش فيما يمكن ان يسمى مساكن مؤقتة . ونزيد فنقول :

ان ١٩٪ من المساكن يعوزها الماء الجارى .

وان ٦٠٪ ليس بها بنوار للاستحمام، ولا حتى دش ولا حوض غسل وجه .

وان ٥٩٪ من هذه المساكن ليس بها مرحاض فى داخل المسكن .

وهذه الحالة السكنية فى فرنسا قائمة بالرغم من :

ان فرنسا منذ تحررها بعد الحرب العالمية اقامت ، حتى اول يناير ١٩٦٥ ، ٨٧٠ ٦٢٩ ٣ مسكنا . بلغت نحو ... ... ٤ مسكن في يناير ١٩٦٦ .

واذا قورن ما اقامته فرنسا فى هذه المدة بالذى اقامته المانيا ، لبلغ ٥٠٪ فقط مما اقامته المانيا ، و٧٠٪ مما اقامته بريطانيا .

ولا يسع الانسان فى هذه المقارنة الا ان يذكر ان فرنسا كاثوليكية،وان الكثلكة لا تؤمن بتحديد النسل .

ومن هنا يستطيع المرء ان يقول ان هذه الحضارة الحاضرة ، اذا كان هدفها اسعاد الناس ، فليس يكفى فيها علم ولا تكنية ، ولا تقدم عمارة واساليب عمارة وابتداع الجديد من مواد البناء .

انه ينفى كل هذا ويقلل من جدواه ما استقر فى رؤوس كثير من الخلق من افكار لا تواكب الزمان . ومن هذه ان الانسان عليه ان يلد ما وسعته الولادة ، فى اى زمن كان ، وبأى ارض كان ، وان هذه ارادة الله . وهم يؤكدون لك أن عليك أن تلد وان الرزق على الله .

اما انها ارادة الله فلا علم لنا بأنها ارادته. انما الذى نعلم ، ان الملايين تموت كل عام جوعا فى الأرض حيث لا يكون للنسل ضابط حابس بالقدر الذى فى الموارد من وفاء .

أما أن الله يرزق من يشاء فالله يرزق حقا وصدقا ، ولكنه لا يرزق الجاهلين العابثين غيرالحاسبين منعباده الا الفقر. والله جعل في الخلق قوانين لا يخرقها ، وجعل لكل شيء سببا .

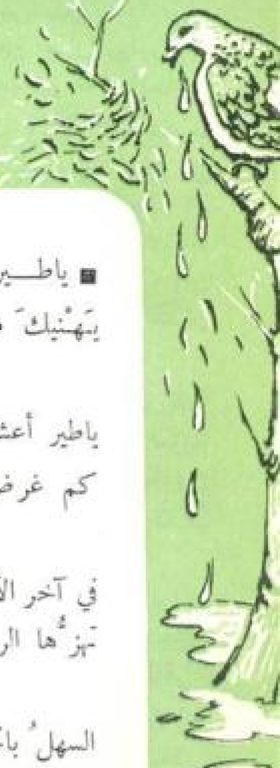
ولا نزال نذكر ذلك البدوى الذى دخل الى المسجد الى الرسول الكريم فسأله عن ناقته وقد تركها خارج المسجد، ايتركها طليقة ويتوكل على الله، فجاء الجواب الذى هو حكمة الدهر : « اعقل وتوكل » . ●●

أحمد زكى

يا طَير ! يا عصفور ! يا أصفرُ !

للشاعر أحمد السقاف

« في سهول اليمن واوديتها يثير اهتمام المرء عصفور اصفر يبني اعشاشه باتقان لا مثيل له في اطراف اغصان الشجر ، ويحكم ربطها بهذه الاطراف ؛ فتتدلى ، ويحسبها الرائي من بعد ثماراً يانعة لتلك الاشجار ، وهي تهتز اذا ما داعبها الهواء ؛ فتستريح الافرخ وتنام كما ينام الطفل في المهد ، وقد اثار هذا العصفور قريحة الشاعر حين زار اليمن في الصيف الماضي متفقدا منشات الكويت هناك فناجاه » :



يا طير يا عصفور يا أصفرُ … مالي إلى غيرك لا أنظرُ ؟ !
يَهْنيكَ ما يَسْبي وما يَسْحَرُ … ومنظرٌ يُزْرى به منظرُ !
يا طير يا عصفور يا أصفرُ

يا طير أعشاشك فيها العجب … لم ترعني مثلها في الحقب
كم غرضا راعيت كم من سبب … وكم عذابٍ ذقت كم من تعب
يا طير يا عصفور يا أصفر

في آخر الأغصان شيَّدْتَها … كالمهد للأفرخ أَعْدَدْتَها
تهزُّها الريحُ كما رمتها … أتقنتَ مبناها وأحكمتها
يا طير يا عصفور يا أصفرُ

السهلُ بالخضرة ما أروعه … والأُفُقُ الممطرُ ما أوسعه
وكلُّ وادٍ أرضُهُ مُشْرِعَه … والرزقُ ميسورٌ فعِشْ في دَعَه
يا طير يا عصفور يا أصفرُ

اللهُ للزقزقة الناعمه … من أفرخٍ عاريةٍ جاثمه
تُحِسُّ بالأطعمةِ القادمه … تَجلِبُها في نشوةٍ حالمه
يا طير يا عصفور يا أصفرُ



تقضي النهار الحلو بين الجنان   تسعى بروحٍ مُفْعَمٍ بالحنان
لم تدر شيئا عن صروفِ الزّمان   والليل تقضيه بعش الأمان
ياطير ياعصفور ياأصفرُ

انظر إلى الورقاءِ ذاتِ النواح   تبكي على عشٍ ذرّتْهُ الرياح
وأفرخٍ ضاعتْ قبيلَ الصباح   لاأرجلٌ تحملها لا جناح
ياطير ياعصفور ياأصفرُ

لو أتْقنَتْ مثلك ذاك البناء   واحتملتْ مثلك بعضَ العناء
لكان فيما شيدتْهُ النجاء   فالعملُ المتقنُ سرُّ البقاء
ياطير يا عصفور ياأصفرُ

ياطير حدثني عن الأقدمين   عن حميرٍ عن سبأ عن مَعين
وعن حضارات السنين السنين   فأنت قصاصٌ دقيقٌ أمين
ياطير ياعصفور ياأصفرُ

لاتحزَنَنْ ياطير للذكريات   فكلُّ ما وليَّ تولى وفات
فالقوم قد هبّوا فما من سبات   والمجد -إن جدُّوا- قريبٌ وآت
ياطير ياعصفور ياأصفرُ

الكويت ـ احمد السقاف



المناهج أولا عند تطوير التعليم

عن مجلة « المصور » القاهرية :

● كل تخطيط صحيح فى المجال الاقتصادى اوالتعليمى او غيره ينبغى ان يبدأ من تحديد اهداف واضحة طويلة المدى ، يريد هذا التخطيط انيحققها ، كما ينبغى آن يبدأ من مجموعة المبادىء العامة والتى هى بمثابة المرشد والموجه عند وضعأى سياسة تفصيلية .

وليس التعليم الجامعى استثناء من هذه النظرةالشاملة .. واذا كانت هناك شكوى فى مجال التعليم فلا شك ان فى مقدمتها كثرة التعديلاتوالتغيرات ، التى ادت بالوضع التعليمى الى شىء من عدم الاستقرار يشكو منه الجميع .

فاهداف التعليم الجامعى تتلخص فى اعدادالأخصائيين علميا واكسابهم المعارف والمهارات اللازمة والتكوين الفكرى ، لأجيال متصلة داخلاطار المبادىء السائدة وبما يضمن تشكيل شخصيات واعية بالمسئولية الاجتماعية ، وقادرةعلى الحركة الفعالة ، تمكن المجتمع من سرعة التغلب على النقص الواضح فيه .

ويجب كذلك تحقيق أكبر قدر من المرونة فىوضع أنظمة التعليم لأن المعرفة البشرية فى تطور سريع ولا سيما فى مجال العلوم الطبيعيةوالتكنولوجية ، فاذا أخذنا باتجاهات التخصص الدقيق منذ أول دخول الجامعة ، كان من الصعبعلى خريج الجامعة ، ان يلاحق هذا التطور الذى يحتاج الى الالمام بمعارف متعددة فى مجالاتمختلفة ..

تحرير المرأة عبر التاريخ

عن مجلة « الطليعة » الدمشقية :

● تجتاز المرأة أخطر المراحل التاريخية فىخطها النامي عبر الزمان ، فقد تخطت معظم المشاكل والعقبات الكبرى ، وهي تشرع في تادية رسالتها باعتبارها العمود الفقرى لكل تطور اجتماعى قويم ، انها تنفض عن كاهلها كوابيسالجهل والانزواء وتسعى لابراز وجودها الفعال ككائن انسانى لـه اهميته . وامامنا تساؤلاتتعترض الباحث في المشاكل التابعة من واقع المرأة ، فهل هناك اختلاف بين الرجل والمرأة ؟وهل يعتبر انطلاق المرأة وتخطيها لعوائق التقليد مسألة منطقية أو مجرد وهم ؟ وما هو دور المرأةفي مشكلة التحرر نفسها ؟

يؤكد جان جاك روسو ومعظم علماءالانثروبولوجيا (علم الانسان) ان الانسان البدائي لم يكن يملك في العصور الاولى تناقضاتداخلية ، تدفعه الى السيطرة على الاخرين ، ولكن نزوعا انسانيا دفعه الى استعباد عنصراضعف منه ، ولم يكن في متناول يده الا المراة .

الا أن الحضارات الاولى لم تجد بدا منالتنفيس عن كبتها ازاء هذا المنطلق الذى يبيح الاستهانة باهمية المراة ، فراحت هذه الحضاراتتمنح المراة « كمثال » طابعا اسطوريا اقرب الى القداسة . وكان هذا هو الطابع الوحيد للاعترافغير المباشر باهميتها ودورها في الحياة. وما لبثت الحضارات الانسانية ان فتحت مجالا واسعا امامانطلاق المراة ، فهذا افلاطون يؤكد في جمهوريته على روح المساواة بين الجنسين بل يذهب الىابعد من ذلك عندما يسمح للمرأة في جمهوريته بتسلم مقاليد الحكم .

وفي مستهل القرن العشرين تفجر البركانالبشرى بثورات شعبية ومناهج جذرية ، اذنت بالناس معلنة عن مولد الانسان الجديد ، وقدكانت هذه الثورات نتائج حتمية لتطور فكرى تغوص جذوره الاولى في اعماق التاريخ ، وكاننتيجة لذلك انطلاق المراة من عقالها باحثة عن وجودها الاصيل من خلال وعيها لذاتها ومجتمعها.

هل تعيش أوروبا الغربية بدون نفط العرب ؟

عن مجلة « الأحد » البيروتية :

● منذ الحرب العالمية الأولى،واعتمادأوروبا الغربية على النفط العربي يزداد مع الأيام ، حتى بلغ ما قدمه العرب لهاقى عام ١٩٦٤ ثلث الكمية التى استهلكتها أوروبا الغربية (نحو ٦ مليارات و٨٩٠ألف برميل يوميا) ، وان حاجة أوروبا الى النفط تضاعفت قرابة ثلاث مراتمنذ عام ١٩٥٧ .والجدير بالذكر انثلاثة ارباع النفط العربي خلال عام ١٩٦٤ذهب الى اوروبا ، بينما ذهب الربع الباقى الى مناطق أخرى من العالم،وعلىراسها اليابان والولايات المتحدة .

فاذا كان البترول ضروريا الى هذاالحد بالنسبة لأوروبا الغربية فانانقطاع النفط العربى عنها ، بحكم خطة عربيةنفطية موحدة، يضعها فىموقف متأزم لأن انتاجها من النفط بالاضافة الى الكميةالتى تختزنها حاليا لا يمكن أن يكفيها لاكثر منثلاثة أشهر أو٩٥يوما بالضبط. هنا تتدخل الولايات المتحدة لنجدة أوروبا، كما فعلت أبان معركة السويس،الا أن كل ما تستطيع الولايات المتحدة وفنزويلا فعله ، هو مد أوروبا بكمية منالنفط تكفيها مدة ١٦٣ يوما أخرى . فترتفع ايام الحياة لأوروبا الغربية ٢٥٨يوما ، يبدء بعدها انهيار أوروبا الاقتصادى .

لكن هل تستطيع أوروبا الغربية انتعيش بدون بترول العرب ؟ سؤال ، بالطبع جوابه كلا . . ذلك أن النفطالعربى يؤمنثلثحاجةأوروبا الاستهلاكية من النفط ، ولأن هذه الكمية لا يمكنالاستعاضة عنها بأى بترول آخر . ان هذه الحقيقة تكشف مدى أهمية النفط.كسلاح يرفعه العرب فى وجه أعدائهم ، خصوصا بالنسبة لقضايا العربالمصيرية . ■■

الـــذرة

في خدمة رجل القرن العشرين

بقلم الدكتور أحمد زكي

ونقول في القرن العشرين لأن كنه الذرة ما انكشف الا في هذا القرن الحاضر . ولسنا نعني بكنه الذرة تلك الصفات التي بناء عليها تستطيع ذرات العناصر ان يتحد بعضها ببعض فتكون المركبات ، كالماء ، والملح ، وكل مركب يدخل في تأليف المآكل ، والمشرب ، والملبس ، والمسكن ، وكل شيء تمسه يدك فوق سطح الارض ، من حي أو جامد .

هذا الاتحاد هو المعروف بالاتحاد الكيماوي للعناصر ، وعلمه اسمه « علم الكيمياء » .

وانما الذي تكشف في هذا القرن انما هو بناء الذرة الواحدة ، من اي شيء يتألف هذا البناء . لقد ظل هذا الامر خافيا عبر القرون . لأن الذرات في تجربة حياتنا العادية لا تتفتت . انها تحتفظ بكيانها . وكان لا بد لها من ان تتفتت ، لينظر الانسان هذا الفتات ، ويعلم مم تتألف .

وجاءت المصادفة في أواخر القرن الماضي ، في العشر من السنين الاخيرة منه . وقع الانسان فيها على عنصر يتفتت . وقع عليه رجل فرنسي . وكان هذا العنصر هو اليورانيوم . ومن بعد اليورانيوم جاء العنصر المسمى بالراديوم . وهكذا تكشفت العناصر المتفتتة ، عنصرا من بعد عنصر . وهي تتفتت ويخرج منها اشعاع . واذن فهي العناصر المشعة .

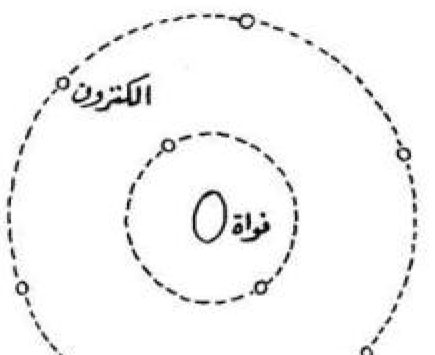
كم حجم الذرات ؟

ولا بد قبل البدء بهذا الحديث من ان تكون عندنا فكرة عن حجم هذه الذرات . ذرة الادروجين ، ذرة الاكسجين ، ذرة الكربون . .

ان اصغر ذرة هي ذرة الادروجين . وطول قطرها يساوي نحو جزء واحد من سبعة ملايين جزء يتقسم اليها المليمتر الواحد !! وذرة الكربون أكبر ، وقطرها يساوي نحو ٢/١ ٢ جزء من

في طبٍّ، وصناعةٍ، وزراعة

سبعة ملايين جزء يتقسم اليها المليمتر الواحد . وهلم جرا .. ولعل الصورة تكون أوضح اذا قلنا اننا اذا صففنا ذرات من الادروجين صفا واحدا لاحتجنا الى سبعة ملايين ذرة منه لتكون صفا طوله مليمتر واحد .



صورة ايضاحية لذرة الاكسجين

نواة ، والالكترونات تدور حولها في افلاك لها ، كما تدور الكواكب حول الشمس . واذ كان بالذرة ثمانية جسيمات سالبة هي الالكترونات ، وجب ان يكون بالنواة ثمانية بروتونات موجبة تعادلها . وبالنواة غير ذلك جسيمات لا شحنة بها ، فهي متعادلة . انها نيوترونات ثمانية .

من أي شيء تبنى الذرة ؟

الذرة ، ذرة العناصر ، بناؤها يشبه بناء الثمرة ، كالمشمشة ، وذلك من حيث ان لها نواة ، وحول النواة لحم تأكله .

وللايضاح نأخذ ذرة الاكسجين . وصورتها مرفقة .

اما النواة فهي التي بالوسط .

وحولها فلك صغير يدور فيه جسيمان : الكترون والكترون .

ثم فلك أكبر يدور فيه ستة الكترونات .

وهذه الالكترونات Electrons جميعا تدور حول النواة كما تدور الكواكب حول الشمس ، فهي صورة مصغرة من المجموعة الشمسية .

ما هي الالكترونات ؟

نحن نعرف الكهرباء او على الاقل الفناها . والكهرباء هذه تتألف من الكترونات تجرى في الاسلاك ، بلايين بلايين ، وتعطي التيار الذى نستفيد منه في اضاءة أو تدفئة ..

فهذه الالكترونات هي وحدة الكهرباء، وشحنتها الكهربائية سالبة ، لا موجبة ،

وهي هي التي تتألف منها الاغلفة الظاهرة لكل ذرة من ذرات العناصر جميعا .

ما الذى فى النواة ؟

اننا نمس الذرات في الاجسام والاشياء فلا نحس ان بها كهرباء . والسبب في ذلك أن بنواة الذرة جسيمات تسمى بروتونات Protons ، يحمل الواحد منها شحنة كهربائية موجبة ، تساوى بالضبط شحنة الالكترون الواحد السابقة . واذن عدد البروتونات التى بالنواة لا بد ان يكون كعدد الالكترونات فى الاغلفة الالكترونية التى حول النواة . وفى الاكسجين عدد الالكترونات ٨ ، وفى النواة كذلك من البروتونات ثمانية . ولهذا نجد ان ذرة الاكسجين متعادلة كهربائيا .

ولكن فى النواة جسيمات اخرى ، لا شحنة كهربائية بها . واذن فهي متعادلة . ويسمى الجسيم الواحد منها من أجل ذلك نيوترون Neutron . وهو لفظ افرنجي مشتق من معنى الحياد .

وذرة الاكسجين بنواتها ، مع الثمانية من البروتونات ، ثمانية نيوترونات .

ايها اثقل ، البروتون أو النيوترون ، أو الالكترون ؟

النيوترون اثقل قليلا جدا من البروتون ، حتى لنكاد أن نقول ان وزنهما واحد . ولكن النيوترون يساوى فى الوزن نحو ١٨٤٠ الكترونا . واذن فوزن الذرة يكاد يكون هو وزن نواتها . والالكترونات ، مهما كثرت ، ولو بلغت ٩٢ كما فى العنصر الثقيل ، اليورنيوم ، لاتكاد تسهم فى وزن الذرة اسهاما يذكر .

ومعنى هذا اننا يمكننا ان نغفل وزن الالكترونات عند حساب وزن الذرة، ونقول ان وزن الذرة هو مجموع البروتونات والنيوترونات . ولكن بما ان ذرة الادروجين هي وحدة الوزن فى الحديث عند الذرات ، وبما ان وزن ذرة الادروجين هو وزن نواتها وهي تتألف من بروتون واحد ، لهذا كان وزن الذرة اى ذرة ، هو العدد الذى يدل على ما بنواتها من بروتونات ونيوترونات تقريبا، وذلك بعدما سبق أن قررناه من ان الفرق بين البروتون والنيوترون فى الوزن فرق ضئيل .

مثال ذلك الاكسجين ، وبنواته ٨ بروتونات + ٨ نيوترونات = ١٦ وهو وزنه الذرى .

ومثال ذلك عنصر الصوديوم، بنواته ١١ بروتونا و ١٢ نيوترونا = ٢٣ وهو وزنه الذرى ، وبالطبع حول النواة من الالكترونات مثل عدد البروتونات ، اى ١١ الكترونا .

ومثال ذلك اليورنيوم ، اثقل العناصر الموجودة فى الطبيعة ذرة ، ، بنواته ٩٢ بروتونا ، و ١٤٦ نيوترونا ، فوزنه الذرى ٩٢ + ١٤٦ = ٢٣٨ .

التفاعلات الكيماوية لا تعرف الا الالكترونات

كل تفاعل يجرى بين عنصر وعنصر ليكون مركبا ، او بين مركب ومركب ، تتفاعل فيه العناصر بالالكترونات . انها عملية التبادل بينها . والصفة الكيماوية لعنصر ما انما يحددها ما باغلفتها الخارجية من الكترونات . ولا شأن لذلك بالنواة مباشرة ، الا من حيث ان النواة ، عدد مابها من بروتونات ، هو الذى يحدد عدد ما يدور حول النواة من الكترونات .

ذرات مستقرة متزنة ، واخرى قلقة ثائرة

ان العلاقة بين المكونات الثلاثة للذرة ، اعني البروتونات والنيوترونات والالكترونات ، علاقة تحكمها ما بين هذه المكونات الثلاثة من قوى قائمة . ولكل ذرة بناء مستقر ، يعطيها اكبر اتزان .

مثال ذلك الادروجين . انه اكثر استقرارا عندما يكون بنواته بروتون واحد ، يدور حوله الكترون واحد . وهذا هو تركيب معظم الادروجين المعروف .

ولكن يوجد ادروجين يعرف بالثقيل، بنواته مع البروتون الواحد ، نيوترون واحد ، فهو اثقل . فهذا يتفاعل كيماويا كالادروجين الاخف المستقر لانه لا يزال به الكترون واحد ، هو الذى يحدد الصفة الكيماوية . ومع هذا فهو سريع التحول الى تركيب اكثر استقرارا .

ولكن يوجد ادروجين اثقل من هذا ، بنواته مع البروتون الواحد ، نيوترونان اثنان . واذ لا يزال به الكترون واحد ، فهو يتفاعل كيماويا كالادروجين ولكنه ابعد عن استقرار .

ان تركيب هذا الادروجين الاخير غير مستقر . ان القوى التي تعمل داخل نواة هذه الذرة ليست متوازنة . واذن هو لا يلبث ان يحاول ان يجد سبيله الى الاستقرار . وهو يفعل هذا تحت ظروف خاصة تهيأ له فى المختبر بأن يتحول الى العنصر الثانى الاكبر وزنا ، ذلك غاز الهليوم .

ويتضمن ذلك تحولا جذريا في النواة لا ضرورة لشرحه الآن .

النظائر

ذكرنا أن الادروجين العادى بنواته بروتون واحد يدور حوله الكترون واحد .

وذكرنا ان له اخا بنواته بروتون واحد ونيوترون واحد ، وحوله الكترون واحد .

فمن حيثان لهما الكترونا واحدا هما من حيث الكيمياء عنصر واحد : ادروجين . ولو ان الثاني ضعف الاول وزنا .

فهما اذن نظيران ، اى شبيهان من حيث الكيمياء ، من حيث الاتحاد بعناصر اخرى .

وكذلك الادروجين الاثقل ، نظير لهما .

اذن للادروجين ٣ نظائر .

النظائر المشعة

هي تلك التى بلغ بها التركيب حدا جاوز معنى الاستقرار فيها ، فهى لاتنتظر . انها تتحول فعلا لكي تستقر . وهي فى سبيل ذلك تتحول الى عناصر جديدة . وهي فى سبيل ذلك تخرج من نفسها ، من نواتها ، ما تخرج . ثورة تصيبها ، فتطفح من مادتها ، ومن طاقتها ، ما تطفح . كل هذا لتتخذ شكلا فى التركيب اكثر استقرارا .

نضرب الراديوم ، مثلا للعنصر الثائر ، المشع

انه الراديوم . وهو من أوائل العناصر التى كشف الكاشفون من العلماء عن اشعاعها ، وصاحبة هذا الكشف هى السيدة الشهيرة مدام كورى Curie وزوجها .

ان الاشعاع الذى يخرج من عنصر الراديوم يتألف من ثلاثة انواع من الاشعة . كانت اولا منبهمة مختلطة لانها تخرج فتسير فى اتجاه واحد ، ثم

احاطها العلماء بمجال مغناطيسي ففرق بينها ، فكانت ثلاثة . (الشكل بالصفحة المقابلة) .

أحدها خرج من الخرق الذى انحبس بداخله الراديوم في اتجاهه الاول المستقيم فلا يميل يمينا أو يسارا . اما الاثنان الآخران فمالا . واحد مال قليلا الى اليمين ، والآخر مال كثيرا الى اليسار . اما الشعاع الذى مال قليلا فسموه شعاع ا ، وأما الذى مال كثيرا فسموه شعاع ب ، اما الذى لم يمل ولم يتأثر فسموه شعاع ج .

أسماء لم تكن تدل عند ذاك على شيء ثم عرف العلماء كنهها جميعا .

الاشعة الثلاثة

اما الشعاع ا فيتألف من نواة غاز

مدام كورى كاشفة الراديوم

لما اتضح من أمر اليورنيوم واشعاعه ما اتضح في اواخر القرن الماضي ، تراءى لها هي وزوجها ان بخامة اليورنيوم عنصرا اشد اشعاعا منه . وقضى الاثنان اشهرا يفصلانه . وحصلا على مقدار قليل منه ، له اشعاع اشد كما قدرا . فكان هذا هو الراديوم .



الهليوم ، الذى كانت تملأ منه البالونات قديما لخفته . ولن نجد فى هذا غرابة اذا علمنا ان نواة هذا الغاز تتألف من بروتونين ومن نيوترونين ، ثم ذكرنا ان الراديوم تتألف نواته ، اذ تنهدم وتشع ، من بروتونات ونيوترونات .

والحق ان هذه الاشعة الالفية ، تكاد تكون جزءا لا يتجزأ من ظاهرة النشاط الاشعاعي للعناصر الثقيلة ، سواء كان العنصر راديوم او يورنيوم ، أو ثديوم او او غير ذلك . انها فتات يخرج من تكسر النواة ، نواة العنصر المشع .

وكان من السهل جدا على العلماء كشف انها هليوم ، انها نواته .

أما الاشعة البائية ، فكان من السهل جدا اثبات انها الكترونات ، وحدة الكهرباء .

وكلا الصنفين من الاشعة ، الف وباء ، فى الحقيقة جسيمات يتلاحق بعضها وراء بعض في خط واحد ومع هذا اسميناها اشعة .

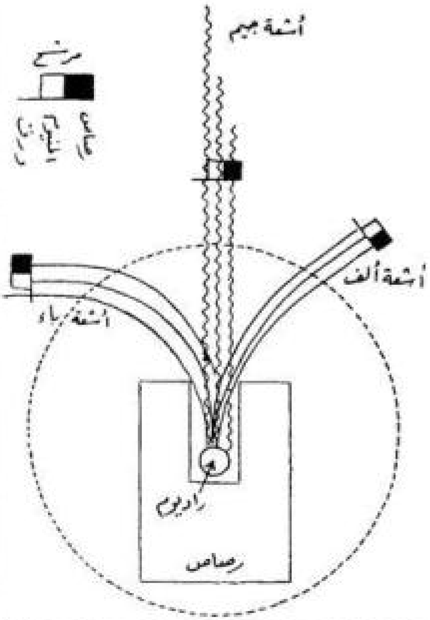
بقيت الاشعة الجيمية ، اشعة جيم .

انها اشعة كأشعة الضوء ، كأشعة الطيف ، بما فيه مما تحت الاحمر وما فوق البنفسجي . وبعد ما فوق البنفسجي تأتي في الطيف اشعة س ، ثم تليها اشعة جيم هذه . انهما صورتان من شيء واحد . وسرعة اشعة الطيف جميعها كسرعة الضوء . انها ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية هي الاشعة التى تعرف في العلم بالاشعة الكهربائية المغناطيسية ✻ .

كم تنفذ اشعة ا ، ب ، ج فى الاشياء

سنرى عند استخدام هذه الاشعة ،

✻ جاء في مقال سابق خطأ مطبعي ذكر فيه أن هذه السرعة في الساعة لا في الثانية وهو خطأ واضح نعتذر عنه وعن امثال له سلفت ، وامثال سوف تكون ، بسبب ضغط الأعمال وقلة الرجال !



قطعة من الراديوم موضوعة في فجوة في كتلة من الرصاص تحمي من اشعاعها الشخص الواقف على مقربة منها . وتجد الاشعة خارجة من الراديوم ، وقد اثر فيها المجال المغناطيسي الذى صنعه المغناطيس المحيط بها (لم نرسمه في هذه الصورة الايضاحية تبسيطا لها) ، وقد انقسمت الى ثلاثة انواع من الاشعة ، ا،ب،ج ، فمالت اشعة الف الى اليمين، ومالت أشعة باء ميلا اكثر الى اليسار ، ولم تتاثر بالمجال اشعة جيم . ووضعنا ثلاثة حواجز في طريق كل من الاشعة الثلاثة : المربع الاسود وهو من رصاص ، والمربع الابيض من ألمنيوم ، وثالثها خط يمثل صفحة من ورق . فتجد ان أشعة جيم قد خرقتها جميعا بمقادير مختلفة، واما اشعة الف فلم تكد تنفذ حتى من الورق ، بينما نفذت منه اشعة باء .

ان مقدار نفاذها في الاشياء والاجسام امر ذو خطر كبير .

اما اشعة ا ، او الفا Alpha كما يقول الاوروبيون ، وهي الف باليونانية ، فأقل هذه الاشعة نفاذا كما ترى في الصورة .

ان الاشعة في الصورة تلتقي بحواجز ثلاثة،حاجز من ورق وعلامته ـ، وحاجز من الالمنيوم وعلامته ◘ ، وحاجز من الرصاص وعلامته ■ .

والاشعة الالفية لا تنفذ في ايها كما تدل الصورة . انها جسيمات كبيرة (بروتونان + نيوترونان) ، لهذا هي لا تلبث أن تصطدم بنويات العناصر التي يتألف منها الورق فتقف ، ويمتص الورق ما بها من طاقة .

اما الاشعة البائية فلا تنفذ الا في الورق .

وأما الاشعة الجيمية او اشعة جاما فتنفذ في الورق أشد النفاذ،وهي فيمكعب الالمنيوم اقل نفاذا ، وفي مكعب الرصاص اقل من ذلك .

ولهذا تستخدم علب من الرصاص السميك في الاحتفاظ بالعناصر المشعة القوية الاشعاع كالراديوم .

للعناصر المشعة أعمار ينتهي بانتهائها اشعاعها

ان العنصر المشع ، كاليورنيوم ، أو الراديوم ، أو الثريوم وغيرها ، تشع بتفتت ذراتها . ولا يتفتت من ذراتها في الثانية الواحدة الا نسبة معينة من عدد الذرات التي لم تتفتت بعد. وهي نسبة ثابتة ، هي بعض خصائص العنصر المشع . فان كانت هذه النسبة لعنصر ما هي ١ على ١٠٠٠ ، وبدأنا بعنصر لدينا من ذراته ١٠٠٠٠٠٠ ذرة ، لانحل من ذراته في الثانية الاولى ١٠٠٠ ذرة ، وبقي

...٩٩٩٠٠ ذرة . ثم لانحلّ من هذه في الثانية التي تلي ٩٩٩ ذرة ، وبقي ٩٩٨٠٠١ ذرة . وهلم جرا .

واذن تضعف قوة الاشعاع على الزمن لأن عدد الذرات المنحلة يصغر .

وهي تبلغ نصف العدد الذي بدأنا به (أي ١٠٠٠) فتصير ٥٠٠ فقط بعد ١١١/٢ دقيقة ، وتسمى النسبة ١ على ١٠٠٠ ثابت انحلال النشاط الاشعاعي Radioactive Decay Constant

ونضرب الامثال :

نصف عمر الراديوم ١٦٢٢ سنة (وزنه الذري ٢٢٦) .

نصف عمر اليورنيوم ٤٤٩٠٠٠٠٠٠٠ سنة (وزنه الذري ٢٣٨) .

نصف عمر الثريوم ٨٠٠٠٠ سنة (وزنه الذري ٢٢٦) .

نصف عمر البوتاسيوم ٤ر١٢ ساعة (وزنه الذري ٤٢) .

نصف عمر الروديوم Rhodium ٣٠ ثانية (وزنهالذري ١٠٦) .

واثقل العناصر ذرة هو أميلها الى الانحلال والاشعاع ، وينحل اليورنيوم ٢٣٨ فيعطي من أشعاعه (الف وباء وجيم) ويتحول اثناء ذلك ١٤ تحولا ، من عنصر مشع أصغر منه ذرة، الىعنصر أصغر ذرة من هذا ، وينتهي الى رصاص لا يتحول .

١٤ عنصرا نشأت من تحول اليورنيوم (منها الراديوم) ، كما ودّ القدماء من الكيماويين فى محاولتهم خلق الذهب . ولكن للأسف انتهت هذه التحولات الى رصاص !! فيا لخيبة الآمال .

ما كل العناصر التى تتفتت تنتج الاشعة أ ، ب ، ج معا

اما أشعة الف ، وهى تتألف من نواة ذرة غاز الهليوم (اى جسيمات يحتوى الجسيم الواحد منها بروتونين ونيوترونين، فهى اذن ثقيلة نسبيا) فهذه اختصت باخراجها نواة العناصر القلقة المتفتتة الثقيلة . والذرة الثقيلة عندما تطرّح جسيماكهذا، غالبا ما يتخلف فيها شيء من طاقة لا تزال تثقل بها ، فهى اذن تطّرح مع أشعة الف هذا الفائض من طاقة على صورة اشعة جيم ، وهو اشعاع كاشعاع النور صنفا ونوعا .

وتطّرح الذرة الثقيلة القلقة المتفتتة ، اعنى تطرح نواتها اشعة باء ، وهى جسيمات لا خطر لها من حيث الوزن ، ولكن لها الخطر كل الخطر من حيث انها تحمل شحنة كهرباء سالبة . وتطرحها النواة لا لتصحح من اتزانها الوزنى ، ولكن من اتزانها الكهربائي ، كأن يتحول نيوترون (وهو متعادل) الى بروتون (وهو موجب) ومعه جسيم سالب هو الكترون منه تتكون أشعة باء .

ومن امثلة الذرات الثقيلة ذرة اليورنيوم الذى وزنه الذرى ٢٣٨، وذرة اليورنيوم ٢٣٥ ، وذرة الراديوم وذرة الثريوم وذرة البلوتنيوم .

ومن امثلة العناصر الخفيفة الذرة ، ذرة البوتسيوم التى وزنها الذرى ٤٠ . وتخرج أشعة باء وجيم ، والكربون الذى وزنه ١٤ ويخرج أشعة باء . وندر من العناصر الخفيفة ما تخرج ذرته اشعة الف .

عدّادات تكشف عن الاشعاعات وتحصيها

انها عدادات ، أجهزة بارعة التركيب ، ينفذ اليها الاشعاع جُسيماً (اشعة الف او باء) ، أو حزمة من طاقة (اشعة جيم) ، فيحدث فى الجهاز شررا تراه العين بعد تكبيره ، أو يحدث صوتا يُعَدّ نبضةً من بعد نبضة ، او به عدّاد

الكترونى يحصى ولكن لا يرقم النبضات الحادثة الا جملة ، عشرة فعشرة مثلا .

ومن اشهر هذه العدادات عداد جيجر Geiger وقد ألفه القراء لا شك في صور تنشرها الصحف، اذ يحمله الباحث الجيولوجي في الجبل حيث ينقب عن يورنيوم يكون مدفونا في الارض ، أو غيره من العناصر النظائر المشعة ، فاذا دخل الى العداد شيء من هذا الاشعاع (وهو يخترق التربة) صوت . ويزداد الصوت كلما اقترب العداد من العنصر النظير الدفين .

اما كيف يعمل العداد ، عداد جيجر وهو على صور عدة تأتلف أكثر مع نوع الاشعاع الذي يراد كشفه، فنكتفي بالقول بأن الجهاز يحتوى على غاز به قطبان كهربائيان بينهما جهد كهربائي كبير . فاذا وصل الاشعاع (جسيما كما في اشعة الف وباء أو حزمة طاقة كما في اشعة جيم) أيّن هذا الغاز (فصله الى شطرين سالب وموجب) ، فجرت السوالب ناحية القطب الموجب ، والموجبات ناحية القطب السالب ، فحدث بين القطبين تيار خفيف، يكبّر فيحدث من الأصوات ما يحدث ، أو يرقم من الأعداد ، عن طريق الوسائل الالكترونية الحاسبة ، ما يرقم .

والاشعة تقاس مقاديرها

ان الاشعة كلها تقاس مقدارا . ولها مقاييس .

وكما للطول وحدة قياس كالمتر ، وللوزن وحدة كالجرام ، فكذلك للنشاط الاشعاعى وحدات قياس .

من أشهرها الكورى Curie .

وكان هذا مقدار الاشعاع الذي يخرج من جرام واحد من الراديوم المشع (الذى اكتشفته مدام كورى) فى الثانية.

ثم اعيد تعريف هذه الوحدة فى عام ١٩٣٠ فصار مقدار الاشعاع الناتج من اى عنصر مشع يجرى فيه في الثانية الواحدة.........٣٧ انحلال نووى.

وبذلك شمل التعريف الراديوم وغير الراديوم . والواقع انه تعريف لم يغير مقدار الوحدة كثيرا ، فهذا القدر من التحولات النووية هو نفسه الذى كان يجرى فى جرام واحد من الراديوم فى الثانية الواحدة .

أما بعد

فهذه كلمة عاجلة،تفسر بقدر الامكان، معنى النظائر القلقة المشعة. يأخذ القارىء منها ما استطاع ، وفقا لسابق ألفته احاديث العلم ، ولا سيما دروسه فى الدراسة الثانوية .

وهى كلمة تمهيد لما يأتى بعدها من احاديث فيما يستفيده الانسان ، فى هذا القرن العشرين،من هذه الأشعة فى حياته العادية ، استفادة غير صارخة كالتى يصنعها الفرن الذرى الذى يصنع الكهرباء ، ولكن استفادة هادئة تتصل فى الطب بتشخيص مرض أو علاج مرض. وكذلك بزراعة وصناعة ، ووجوه من الحياة شتيتة اخرى .

وتجد فى هذا العدد استطلاعا عن الكويت عنوانه « الكويت تدخل عصر العلاج بالذرة » وهو استطلاع عن قسم طبى جديد اقامته الكويت فى مستشفاها الكبير،مستشفى الصباح ، لعلاج الأورام الخبيثة السرطانية بالأشعة الجيمية والنظائر المشعة .

وسنتبعه ان شاء الله بما أفادت الذرة المشعة الانسان في حقول أخرى . ●●

احمد زكى

انحراف والبيئة

بقلم : محمد شمس الدين
مستشار محكمة استئناف طرابلس ـ لبنان

■ يرد علماء القانون والاجتماع عوامل انحراف الأحداث الى مجموعتين كبيرتين، هما :

مجموعة العوامل الشخصية واهمها سوء تكوين الميول النفسية ، وامراض العقل ، واعتلال الجسد .

ومجموعة العوامل الخارجية واهمها سوء حالة الأسرة ، وتشغيل الاحداث ، وتقصير الرقابة المدرسية .

وسنقتصر في هذا المقال على بحث اهم العوامل الخارجية واخطرها ، عنيت بذلك البيئة المدرسية ، نظرا لما للمدرسة من اهمية كبيرة وتاثير بليغ في مجرى حياة الأحداث ، ولا عجب في ذلك فهي الدار التي تحتضنهم السنين الطوال ، وتغذي ارواحهم بلبان المعرفة ، وتعدهم للمستقبل وللوطن عدة ومرتجى .

وان من البديهي ان عمل المدرسة والمربين ليس الا جزءا مكملا لما ابتدأ به الوالدان من حيث تكوين شخصية الولد، اذ تتوقف صحته ونموه الجسدي والعقلي والنفسي على سلامة صحتهما الجسدية والعقلية والنفسية بالاضافة الى ما يعطيانه من المعرفة والاختبار . واذا كانت المدرسة تتلقى الولد وقد رُسمت الى حد ما شخصيته وتبلورتْ مشاكله النفسية التي كانت نتيجة معاملة اهله له وشعورهم نحوه ، فان هذه الشخصية لا تزال في طور النمو النفسي والعقلي وعلى استعداد للتكيف والتبديل اذا تيسرت لهم الوسائل المؤاتية .

وانطلاقا من هذه البديهيات لا تعتبر المدرسة بمفهومها الموضوعي سببا مباشرا في خلق الانحراف وانما قد تكون عاملا مساعدا على سلوك ذلك الطريق .

وللحياة المدرسية جوانب ثلاثة ، ان ساء احدها ، هيأ للانحراف وساعد على نموه وهذه الجوانب هي : علاقة التلميذ باساتذته ، وعلاقته برفاقه . وعلاقته بمواد الدراسة ومواضيعها .

اولا : علاقة التلميذ باساتذته :

ان العلاقة التي تربط التلميذ بمعلميه، وهي المفترض فيها أن تقوم على دعائم وطيدة من الثقة والاحترام والمحبة ، كثيرا ما تسوء لأسباب عديدة ، يتصل بعضها بالمعلم غير الكفء الذي لا يفقه شيئا عن نفسية التلاميذ وخصائصهم وسلوكهم الاجتماعي في اطوارهم الاولى ، وبذلك يسيء فهمهم ، وتتأزم علاقته بهم،



الأحداث المدرسية

وقد يلجأ فى بعض الأحيان الى الضرب ـ رغم تحريمه عرفا وقانونا ـ او التأنيب او تثبيط العزائم او غير ذلك من ضروب المعاملة القاسية .

والنتيجة التى تترتب على تلك المعاملة هى بلا شك اشتداد الكراهية فى نفس الصغير تجاه معلمه وتجاه مدرسته على السواء . فلهذا كثيرا ما نرى الشعور بالكراهية مترجما بالكذب والغش يعمد اليهما التلميذ ليرضى معلمه ويأمن شره ، او بالهرب من المدرسة والتشرد فى الأزقة والحقول وعدم العودة الى البيت الا فى مواعيد الانصراف من المدرسة خوفا من عقاب الأب . وهنا لا بد من وقفة قصيرة نشير فيها الى ان التلميذ كثيرا ما يصادف رفاق السوء فى فترة ابتعاده عن المدرسة ، فيتعرض للمشاكل والمغريات التى تدفعه الى مهاوى الشذوذ والسلوك المنحرف .

وقد تسوء العلاقة من جهة ثانية بين التلميذ والمعلم نتيجة ما يعانيه هـذا الاخير من الجهد والارهاق ، وعـدم التقدير المناسب لعطائه ، وهذا يظهر بوضوح عندما يكلف المعلم فى مرحلة التعليم الابتدائى باعطاء الصف الواحد اربعا وعشرين حصة او اكثر في الاسبوع ، وفى صف يتراوح عدد طلابه بين الخمسين والستين تلميذا ، كل ذلك فى الوقت الذى يتقاضى فيه المعلم راتبا ضئيلا لا يكاد يسد حاجاته الضرورية . فماذا ننتظر من المعلم فى مثل هذا الظرف ، ان له بلا ريب طاقته المحدودة ، ومن شبه المستحيل ان نتطلب منـه ان ينصرف بكليته الى الملاحظة والرعاية والتوجيه السليم لمثل هذا العدد الكبير من التلاميذ





وهو فى دوامة مشاكله الخاصة ، وهكذا تنعكس حالته السيئة على علاقته بتلاميذه، فتضعف المدرسة كمؤسسة لتنمية الشخصية فى مجال تكوينها الابتدائى وتبعا لذلك يتعرض بعض التلاميذ الى الانحراف نتيجة لسوء العلاقات وتقصير الرقابة المدرسية .

ثانيا : علاقة التلميذ برفاق الصف :

قد يكون لرفاق المدرسة أثر كبير فى دفع الحَدَث الى الانحراف والجنوح عن الطريق السوى ، وذلك حين يجابهون أحد زملائهم بالسخرية والنقد والتعالى عليه، اما بسبب فقره وسوء ملبسه وعدم اقتداره على مجاراتهم في المصروفات والبذخ ، والظهور فى المتنزهات والأماكن العامة ، واما بسبب شخصى كأن يكون على غير المألوف فى طوله او قصره ، او أن تكون به عاهة تشوه منظره وقوامه .

« ان هذه العوامل بلا ريب تحز فى نفس الصغير ، وتعمل عملها فى أعماقه ، مثيرة القلق والحقد ومشعلة نار الضغينة والانتقام ، وباحثة بالنتيجة عن مخرج يهدىء من طغيانها ، وقد يكون هذا المخرج تعديا أو تمويها للحقيقة، أو ولوج باب السرقة او هربا من المدرسة دائما او وقتيا ، وفى كل ذلك خطورة كبيرة تسعى بالأحداث نحو مهاوى الجنوح والضلال » .

ولا يقولن قائل ان من شأن العاهات او حالة الفقر والحرمان، أن تهيب بالحدث الى الداب ومضاعفة السعى وبالتالى الى بلوغ المرام، انطلاقا من نفس وَعت ذاتها وتحرّكت فيها منازع التفوق والغلبة لتعوض عن عاهاتها وحرمانها ، كما هى الشواهد الكثيرة فى القديم والحديث . فانه رغم التسليم بذلك ، يظل هذا الأمر قلة نادرة ولا يخفف من خطورة تلك العوامل التى تثير الصراع فى نفس الصغير وتضعه على حافة الهاوية . .

ثالثا : علاقة التلميذ بمواد الدراسة :

نحن فى هذه الحالة أمام صغيرين ، أحدهما على درجة من الضعف العقلى لا تساعده على استيعاب مواد الدراسة، وثانيهما على درجة من الذكاء المفرط ولكنه لا يجد المستوى الدراسى الذى يلائمه . فيندفع الاول بعامل العجز عن اللحاق بالرفاق والفشل فى التحصيل الى كراهية المدرسة وجوها ، بينما ينزلق الثانى فى مهاوى الاهمال واللامبالاة طارقا أبواب المشاغبة والانصراف عن التحصيل ومستسلما للمصادفات التى كثيرا ما توقعه فى حمأة الانحراف .

« من هنا تبرز قضية المناهج المدرسية، وخاصة فى المراحل الأولى من التعليم ، ونظرا لما لها من أهمية كبرى من حيث الموضوعات التى تشتمل عليها والتى ينبغى أن تكون ملائمة لحياة التلاميذ تثير اهتمامهم واشواقهم وتشبع حاجاتهم وتدفعهم الى أن يحسوا بها ويعيشوا فيها ، هذه المناهج من شأنها أن تربط التلميذ بالمدرسة وبالحياة وتزيده تعلقا بهما وولاء لهما ، وقد تبين من دراسة الكثير من حالات الهروب المدرسى أن البرامج الضعيفة المملة والتى لا تستجيب لحاجات التلميذ ولا تراعى امكانياته كانت السبب فى عزوفه عن الانتظام فى المدرسة والهروب منها بين الحين والآخر وفى هذا ما يعرض الصغار للكذب والسلوك غير الشريف » .

ان ابناءنا أطفال اليوم ، هم رجال الغد ، وان مشكلة انحراف بعضهم عن الطريق السوى ، هى فى طليعة مشكلاتنا الهامة ، ولهذا يجب علينا أن نضع لها الحلول الموضوعية الملائمة، بيتا ومدرسة ومجتمعا لينشأ جيل الغد سليما معافى، وليرسى فى وطنه قواعد الأمن والطمأنينة والمحبة والسلام . ■■

محمد شمس الدين

نتيجة مسابقة العدد ٩٩

٩٨٦٠ إجابة .. بينها ٨٣٥ من الدول الأجنبية
الإجابات الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

■ بلغ عدد الاجابات التى تلقيناها لهذه المسابقة ٩٨٦٠ اجابة ، بينها ٨٣٥ من مواطنين عرب يقيمون فى أمريكا وانجلترا والمانيا وسويسرا واسبانيا وايطاليا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا والهند وغانا والصومال وساحل العاج.

معظم اصحاب هذه الاجابات اكتفوا بايراد الأخطاء السبعة المطلوبة .. لكن كثيرين راحوا يتعقبون الرسمين موضوع المسابقة ، حتى ان الأخت العربية فايزه يونس ابراهيم من عدن قالت فى ختام اجابتها انها عثرت على ٢٠٨ أخطاء لم يتسع وقتها لسردها جميعا !!

ومنهم من أورد ٥٢ غلطة ، ومنهم من أورد ٤٣ غلطة ، ومنهم من كتب اجابته فى اربع صفحات فلسكاب !

لكن معظم الذين تعقبوا الاخطاء على هذه الصورة ، والذين اكتفوا بايراد السبعة المطلوبة ، لم يهتدوا الى الخطا المشترك فى الرسمين معا ، وهو ان القضاء فى البلاد العربية لا يعرف نظام المحلفين ، وان المتهم لا يجلس على مقعد أمام المحكمة ، وانما مكانه قفص الاتهام !

ومع ذلك فان كثيرين من المشتركين فى المسابقة ذكروا خطأ مشتركا آخر ، وهو ان الرجل الواقف امام المتهم يبدو راسه مفصولا عن جسمه !!

وقد أجريت عملية الاقتراع على الجوائز بين الاجابات الصحيحة ، فأسفرت عن فوز الآتية اسماؤهم :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا ،

فاز بها فرغلى عبد الحفيظ محمد ، عضو بعثة ج.ع.م. للفنون ـ ايطاليا .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا ،

فاز بها : عوده حمود المشهورى الحويطى ـ ديوان امارة المقاطعة الشمالية ـ تبوك ـ الحجاز ـ المملكة العربية السعودية .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير ،

فاز بها : سعد الماردينى ، باشكاتب جادة ثانية ، بوزارة التخطيط ـ دمشق ، سوريا .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ، فاز بها :

(١) آمنة أحمد الانصارى : العراق .

(٢) على أحمد حسن القطان : منطقة الصوابر ، قرب المستوصف رقم المنزل ٩٠٣٢ على ١٩٥ ـ الكويت .

(٣) حمدان سعدى : مدرسة جبل العنق ، بئر العاتر ، دائرة تبسة ، عمالة عنابة ـ الجمهورية الجزائرية .

(٤) هانى عيسى شتيوى : ص.ب. ٦٠ ـ الزرقاء ـ المملكة الاردنية الهاشمية .

(٥) عبد الكريم الشرجبى : دار الاذاعة ـ صنعاء اليمن .

(٦) السيدة ف. الجعفرى : زوجة محمد ثابت قاروط المدرس بالمدرسة العربية الكويتية ـ بومباى ـ الهند .

(٧) آية داود ادريس : حارة الصويرة درب زمران رقم ٢٩ ـ مراكش ـ المملكة المغربية .

(٨) عمر محمد سيد أحمد : المدرسة الثانوية الحكومية ـ عطبرة ـ السودان .

■■

مسابقة العربي

٦ شخصيات .. عربية وغربية

من بين مئات الشخصيات التاريخيةالتى ترجم لها « العربى » فى أعداده المائة السابقة لهذا العدد، اخترنا لهذهالمسابقةست شخصيات ، ثلاث منها عربية ، ومثلها غربية ، لخصنا تاريخ كل منها فىبضعة اسطر تنم عن صاحبها ، الذى اوردنا اسمه فى ختام كل نبذة مع ثلاثةأسماء أخرى ، ليتعرف القارىء من بينها اسماء الشخصيات المطلوبة وهي :

(١)

● ولي الخلافة كما وليها من قبله اخوه ، وجده وابوه ، ومع ذلك احتفل به التاريخ مغنيا ، وتسبه خليفة .. كان من أعلم الناس بالألحان،ومن احلاهم فى الغناء صوتا ، حتى لقد سمعته مرة جارية لا تعرف العربية فى بيته يغنى ، فظلت تبكى حتى سكت ، وهو لا يدرى.

تميز صوته بقوة نادرة جعلت الناس يبالغون فى شأنه مبالغة غير معقولة حتى قيل انه عندما غنى لحنه :

« هل تطمعون من السماء نجومها
باكفكم ، أم تسترون هلالها »

قيل تزلزلت الأرض من ترجيع صوته !!

ذلك هو : الأمين ● المأمون ● ابراهيم ابن المهدى ● الرشيد ●

(٢)

● نشأ فى اسرة مصرية عريقة ، وتلقى دروسه في الازهر ، وبعد ان نال شهادة العالمية درس الفرنسية وسافر الى فرنسا حيث التحق بجامعة السوربون. ثم عين محاضرا للشريعة الاسلامية بجامعة ليون ، وللأدب العربي فى كلية الآداب بنفس الجامعة ، ولم تحل كثرة مشاغله دون ان يوالى دراسته ويحصل على الدكتوراه فى الفلسفة . ولما عاد الى مصر كان أول استاذ للفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة .. وبعد أن تقلب فى عدة مناصب علمية ودينية اختير شيخا للجامع الأزهر ، فكان اول من ولى هذا المنصب ممن جمعوا بين الثقافتين العربية والغربية .

ذلك هو : محمد مصطفى المراغى ● عبد الرحمن تاج● مصطفى عبد الرازق● محمود شلتوت ●

(٣)

● احتفل فى العام الماضى بالذكرى المئوية لمولد رجل عرفه التاريخ كاتبا ومؤلفا وصحفيا وقصاصا علميا ، تنبأ بنشوب الحرب العالمية الأولى وظل يحذر منها ، فلما اندلعت عام ١٩١٤ قال انها لن تكون آخر حرب،بل سيشهد العالم حروبا أخرى مدمرة .. ولما انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، قال ان أى حرب قادمة سوف تقضى على البشرية والحضارة الانسانية من جذورهما !

كان معظم قصصه ومؤلفاته يصور آلام الطبقات الفقيرة الكادحة ، ويدعو لتحقيق العدالة الاجتماعية وانصاف المجتمع المحروم .

ذلكهو : البير كامو ● اتش جي ولز● جون شتاينبك ●الدوس هكسلى ●

وجوائزه ١٠٠ دينار

(٤)

● هو رائد كتّاب التراجم ،والسابق الهادى فى ميدانها . عاش فى القرنين الأول والثانى الميلاديين ، وبرغم مضى قرابة عشرين قرنا على كتابه عن اعيان اليونان والرومان ، فقد حفظت تراجمه قدرها على مر السنين ، وقرأها الكتّاب وانتفعوا بها عبر القرون .

اقتبس شيكسبير من كتاباته ، الكثير لرواياته ودراماته . وبلغ من اعتزاز نابليون به أن كان يحمله فى غدواته وروحاته .

ذلك هو : هيرودوت . افلوطارخس . فيثاغورس . هوميروس .

(٥)

● ظهر فى الدولة العربية ابان ازدهار حضارتها عدد غير قليل من الأطباء الكبار خلّد الزمن أسماءهم ، حتى ان منهم من كان بعض كتبه يدرّس فى جامعات الغرب الى عهد غير بعيد ، وحتى كان منهم واحد بلغت مؤلفاته المائتين ، بينما كتاب عن « الحصبة » و « الجدرى » طبع فى أوروبا باللاتينية ٤٠ طبعة !

هوِي الموسيقى فى حداثته ، فلما كبر توقف ، وقال : « ان الغناء الذى يخرج من بين شارب ولحية لا يستعذب» ، ولما أصيب بالعمى فى اخريات أيامه أبى قدح عينيه ، وقال : « لقد رأيت من الدنيا حتى مللت منها » !

ذلك هو : ابن سينا . ابو بكر الرازى . ابن النفيس . ابن زُهر .

(٦)

● بلغ من العمر ٩٢ عاما أو تزيد ، ومع ذلك لم يتوقف عن الكتابة الا فى عيد ميلاده التسعين ، وبعد أن شغل الناس بقلمه قرابة قرن من الزمان ، بقصصه التى تعتبر من أروع ما أبدع كاتب فنان .

كانت قصصه ومسرحياته حديث العالم كله ، وقرأها عدة ملايين ، وقدّرت ثروته بعشرات الملايين من الجنيهات .. ومع ذلك لم يكن له في وطنه الأول بيت يقيم فيه ، بل كان يزوره بين الحين والحين ، وكأنه أحد السائحين !

ذلك هو : برنارد شو . همنجواى . سومرست موم ، البرتومورافيا .

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٠١ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر مايو (أيار) ١٩٦٧ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

صفحة في اللغة

أفعال الاستبدال

بدل . بدّل . تبدّل . أبدل . استبدل

■ هذه الافعال وما تصرف منها يحتاج معمولها الى شيئين : مستبدل ، ومستبدل به ـ وبعبارة أوضح : الى مأخوذ ومتروك ، وفي أحدهما (باء الجر . كقوله تعالى :

١ ـ وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل . . . . (سبأ)
٢ ـ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج . . . (الاحزاب)
٣ ـ وآتو اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب . . . . (النساء)
٤ ـ ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل . . . (البقرة)
٥ ـ قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير . . . . . . (البقرة)

وليس بشرط أن تكون هذه (الباء)لازمة تأتي في جميع الحالات دون استثناء ـ فقد ورد في القرآن الكريم تسع وثلاثون آية من آيات الاستبدال وليس بينها هذه الباء . ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى :

١ ـ الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا . . . . (ابراهيم)
٢ ـ وان تتولوا يستبدل قوما غيركم . . . . (محمد)
٣ ـ عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها . . . . (القلم)

وحكم هذه الباء ـ متى وجدت ـ انها لا تدخل الا على (المتروك) كما في الآيات الخمس الاولى التى هى كل ماورد في القرآن الكريم من آيات الاستبدال مقرونا بالباء .

فاذا قلنا (ابدل المسافر للكويت نقوده المصرية بنقود كويتية) فهذا المعنى فاسد ، صوابه (استبدل المسافر للكويت بنقوده المصرية نقودا كويتية) .

وهذه القاعدة دقيقة يتعثر فيها كثير من الكتاب ، وقد لا ينجو من الكبو فيها بعض من حذاق اللغة وعمالقة الكتابة . فها هوذا « المرحوم احمد شوقي » أمير الشعراء .. وحامل لواء البيان ، لم يسلم قلمه من الزلل فيها حين قال :

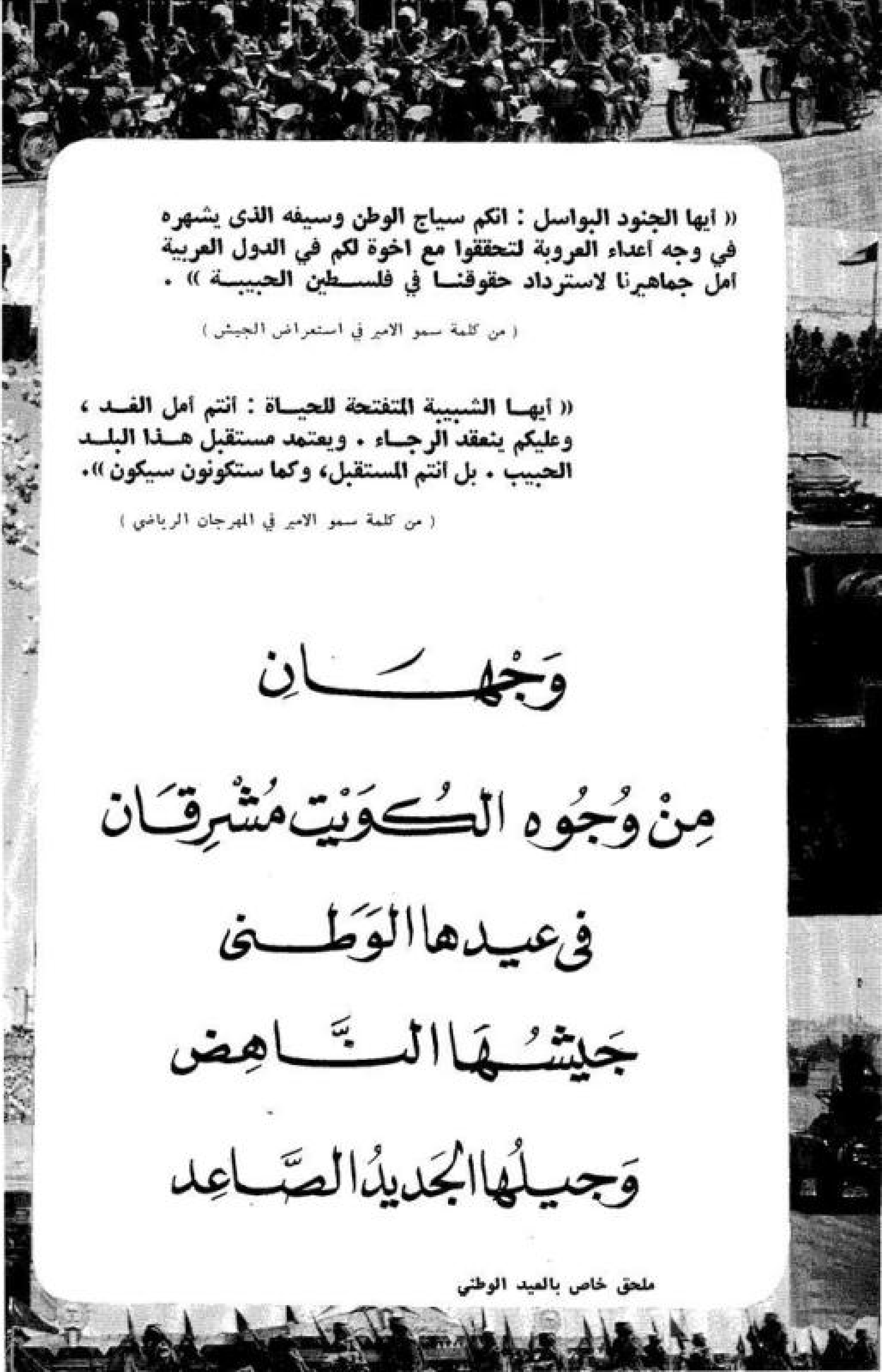
أنا من بدل بالكتب الصحابا ‏ ‏ ‏ ‏ لم أجد لى وافيا الا الكتابا

فانفسد المعنى وانقلب الى ضده بادخال الباء على الكتب بدل الصحاب . !

ولو أنه قال :

أنا من بدل بالصحب الكتابا ‏ ‏ ‏ ‏ لم أجد لى وافيا الا الكتابا

لاستقام المعنى وصح التعبير . ■■



« أيها الجنود البواسل : انكم سياج الوطن وسيفه الذى يشهره في وجه أعداء العروبة لتحققوا مع اخوة لكم في الدول العربية امل جماهيرنا لاسترداد حقوقنا في فلسطين الحبيبة » .

(من كلمة سمو الامير في استعراض الجيش)

« أيها الشبيبة المتفتحة للحياة : أنتم أمل الغد ، وعليكم ينعقد الرجاء . ويعتمد مستقبل هذا البلد الحبيب . بل أنتم المستقبل، وكما ستكونون سيكون ».

(من كلمة سمو الامير في المهرجان الرياضي)

وَجْهان

مِنْ وُجُوهِ الكُوَيْت مُشْرِقَان

في عيدها الوَطني

جَيْشُهَا النَّاهِض

وَجيلُهَا الجَديدُ الصَّاعِد

ملحق خاص بالعيد الوطني



الامير يرفع يده الكريمة بالتحية عندما عزفت موسيقى الجيش السلام الاميري ، وحول سموه الوزراء وكبار رجال الدولة ، يوم الاستعراض الكبير في عيد الكويت .



الدبابات الثقيلة تهدر في المطار العسكري أمام المنصة التي وقف عليها الامير وضيوفه ، يستعرض وحدات جيشه العربي الباسل .

■ كان يوما مشهودا ذلك الذى عاشته الكويت .. فى الخامس والعشرين من شهر فبراير الماضي عندما خرج الشعب كله يحتفل بعيده الوطني ..

ففي كل ركن من اركان الكويت ، كنت ترى مظاهر الفرحة التى ملأت قلوب المواطنين فى عيدهم الاكبر .. عيد الاستقلال .. عيد الحرية ..

الزينات تنتشر فى كل مكان .. اعلام الكويت ترفرف فوق المؤسسات الحكومية .. والشركات والبنوك والبيوت والمتاجر .. المهرجانات الشعبية تملأ الطرق والميادين .. الرقصات والاغاني الوطنية تعبر عما يجيش فى الصدور من فرحة بهذا اليوم الذى يحمل معنى كبيرا .. معنى استكمال دولة الكويت لاسباب نهوضها وتطورها ، كدولة عربية حرة مستقلة تقف على قدم المساواة مع بقية الدول الحديثة .

• • •



امير الكويت والقائد الاعلى للقوات المسلحة يستعرض قوات جيشه الناهض في سيارة مكشوفة ، وقد وقف بجوار سموه اللواء مبارك العبد الله الجابر الصباح رئيس الاركان العامة .





في نظام وتناسق رائعين انطلقت الدبابات الثقيلة والخفيفة ، والسيارات المصفحة على ارض المطار العسكرى ، أمام المنصة الكبرى، وعلى مرأى من الوف من المواطنين الذين وقفوا يرقبون الاستعراض العسكرى بقلوب تخفق بالعزة والكرامة .



•••

وفى وسط هذه الفرحة بالعيد ، الذى جمع بين ذكرى الاستقلال وذكرى تولي سمو الامير الحكم فى البلاد .. خرج جيش الكويت بكامل معداته واسلحته فى البر والبحر والجو .. خرج الجيش ليقدم استعراضه العسكرى الكبير ، امام عاهل الكويت وقائده الاعلى وكبار رجال الدولة .



ووقف الامير فى المنصة يستعرض وحدات الجيش وهي تمر امامه فى عزم ، فى قوة ، فى تصميم .. وانطلقت النفاثات المقاتلة تحلق فى سماء الكويت فى تشكيلات رائعة اثارت اعجاب كل من شاركوا الكويت فرحتها بالعيد ، من سفراء ، ووزراء مفوضين ، وملحقين عسكريين ، من الاشقاء العرب والاصدقاء الاجانب فقد اصبح سلاح الطيران الكويتي اليوم يضم مجموعة من احدث الطائرات النفاثة المقاتلة وطائرات النقل والتدريب كما تعاقد المسؤولون فى وزارة الدفاع على تزويد السلاح بالمزيد من الطائرات الحديثة .. من طراز لا يتننج Lightning التى سيتم تسليمها قريبا .









جنود جيش الكويت العربى بجانب مدافعهم وفوق
كل معانى العزم والتصميم .. صورتان رائعتان تنطقان



دباباتهم وسياراتهم المدرعة وقوفا وقفة تتجلى فيها
بقوة هذا الجيش الفتى وايمانه بعروبته ورسالته .

وتدعيم سلاح الطيران الكويتي يجرى جنبا الى جنب مع تدعيم بقية الاسلحة البرية والبحرية . وقد عمل المسؤولون على تزويد القوات العربيـة الكويتيـة بالدبـابـات الضخمـة ، والسيـارات المصفحة ، والمدافع الثقيلة والصواريخ وباقي أنواع المعدات التى مرت امام عاهل الكويت وشعبها الوفي فى اكبر استعراض عسكرى شهدته البلاد فـي عيدها الوطني .

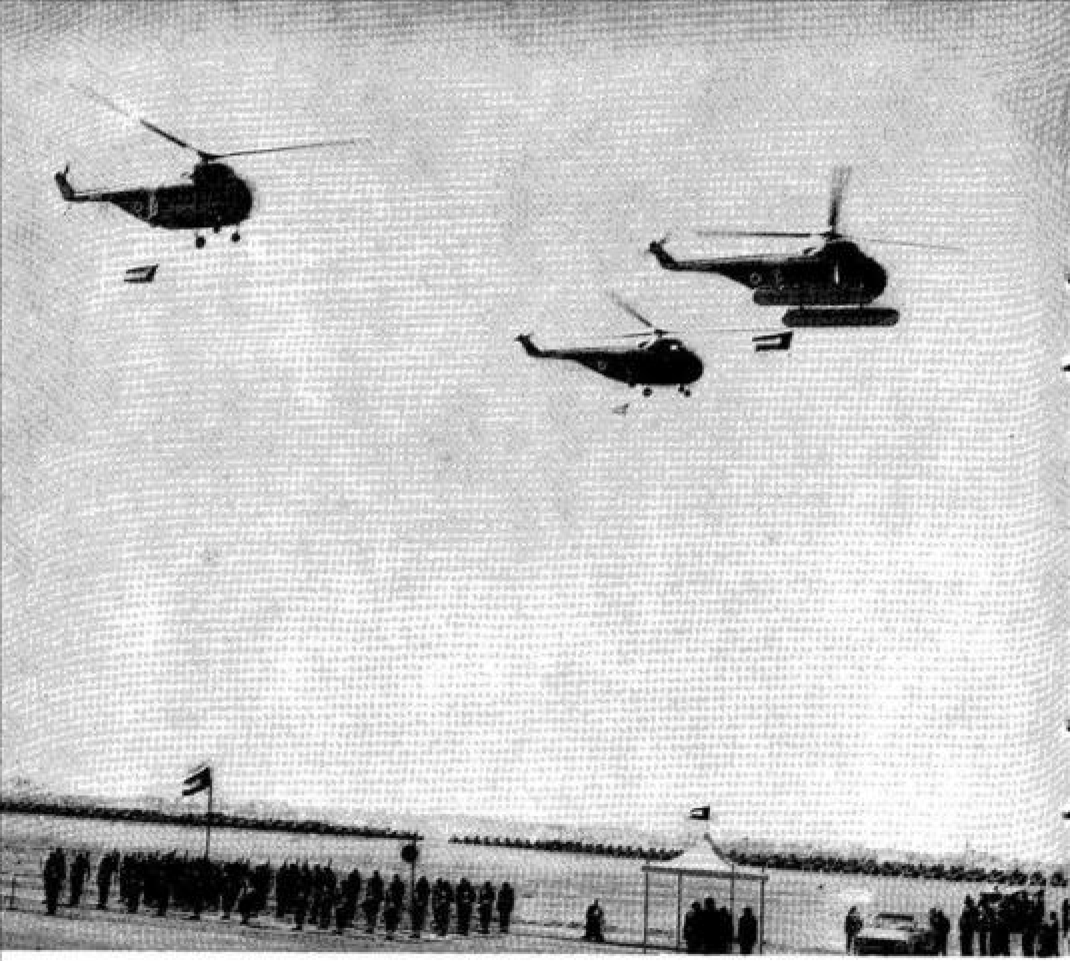
فهذا الجيش الباسل يحرص عـلى مواصلة العمل من اجل تحقيق مزيد من الانجازات ، ايمانا منه بعروبته وبالدور الخطير الذى القى على عاتقه للذود عـن ارض الوطن الكبير والصغير .

الى اليـسار : صورتان ، اعلاهما تمثل طائرات الهليكوبتر تحلق في سماء الكويت، بينما اصطفت على أرض المطار العسكرى، وحدات من مختلف اسلحة الجيش، تظللها اعلام الكويت التى ارتفعت عالية تشارك الشعب فرحته . وتحتها جنود سلاح خفر السواحل في مشية عسكرية رائعة .. انهم يحمون شواطىء الكويت من المتسللين ويصدون عن مياهها الاقليمية كل شر تحمله اليهم .

● ● ●

رجال السلك الدبلوماسي العربى والاجنبى .. لقد شارك السفراء الكويت احتفالاتها وجلسوا يتابعون باهتمام واعجاب الاستعراض العسكرى في العيد الوطني .







ثلاث لقطات مع الرجال الذين تقع على عاتقهم مسئولية الذود عن أرض الوطن العربي الكبير والصغير .. لقد خرجوا كلهم في هذا اليوم الخالد ، ووقفوا امام اسلحتهم في اعتزاز وكبرياء .. انهم سياج الوطن وسيفه الذى يشهره في وجه اعداء العروبة .





وفى مساء نفس هذا اليوم الخالد ، كان هناك لقاء آخر بين امير البلاد وشبابها فى ملاعب ثانوية الشويخ .. لقاء بين الوالد وابنائه،حيث بدا الشباب من طلبة جامعة الكويت وطالباتها .. وتلاميذ وتلميذات المدارس الثانوية والابتدائية .. وكانوا يزيدون على عشرة آلاف شاب وفتاة من مختلف الاعمار ــ بداوا جميعا يعرضون تشكيلاتهم الرياضية الرائعة على انغام موسيقى جميلة هادئة ، وسط هتاف الجماهير بحياة الكويت .. وحياة الوالد القائد .

ولئن كان اهتز قلب المشاهد للجيش واستعراضه ، اهتزاز الكرامة والعزة والقوة ، فقد اهتز المشاهد الاب ، والام، والمشاهد الاخ ، والاخت ، لاستعراض جيل الكويت الصاعد ، من صبية وصبايا، اهتزاز الحنان الذى كاد ان يمتزج بالدمع ، هو انفعال العاطفة بين الفرح والاسى ، فلا تكاد تدري ما تسميه .

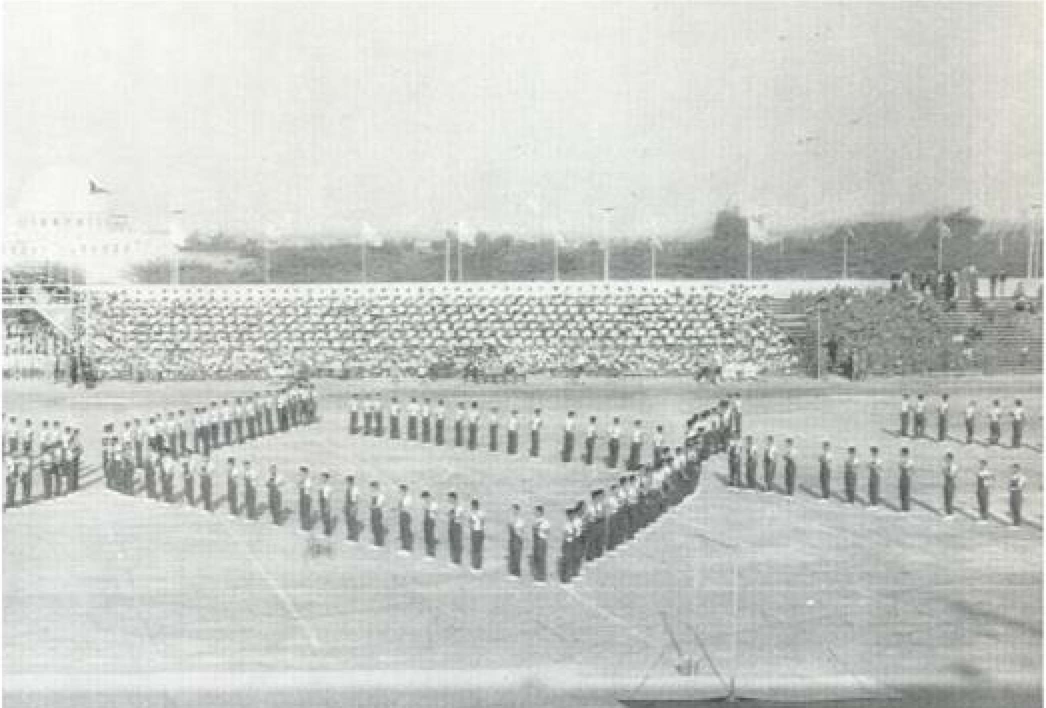
فهنيئا للكويت بعيدها .

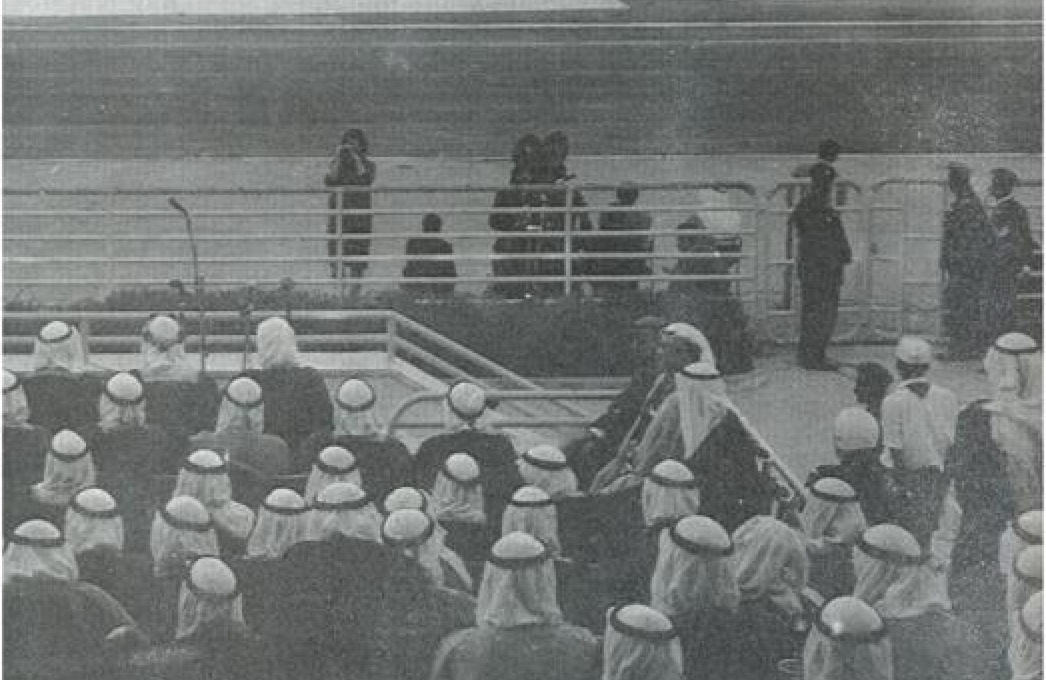
وهنيئا للشعب بأميره .

وهنيئا للامير بجيشه وشعبه .

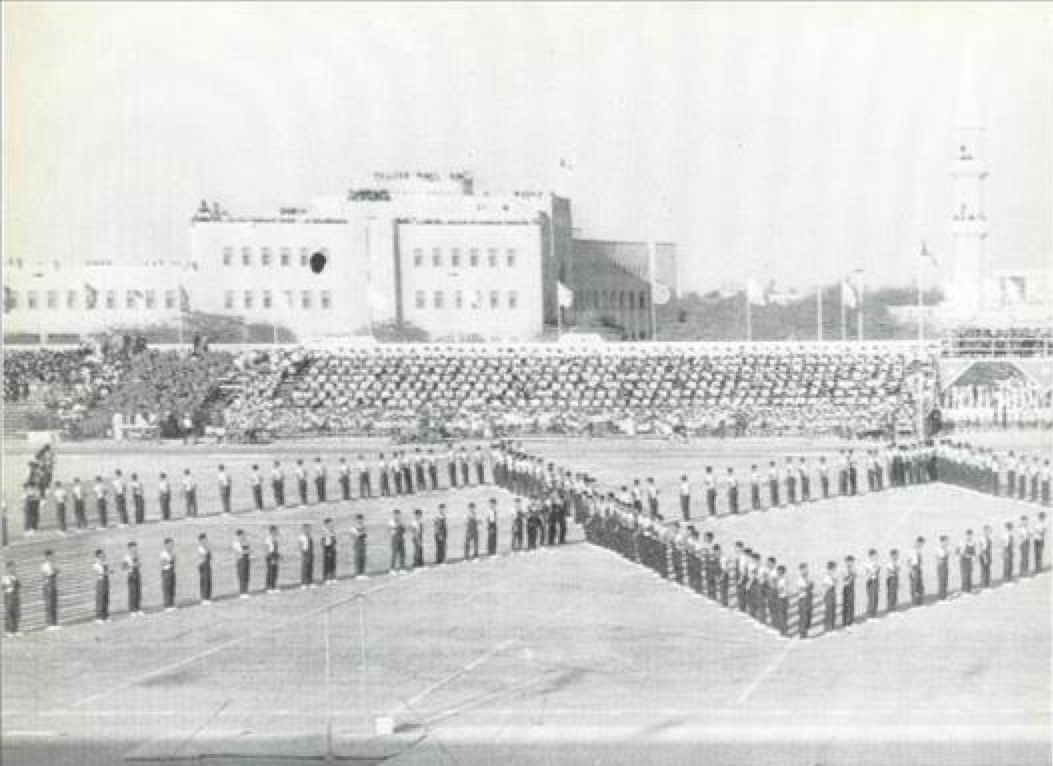


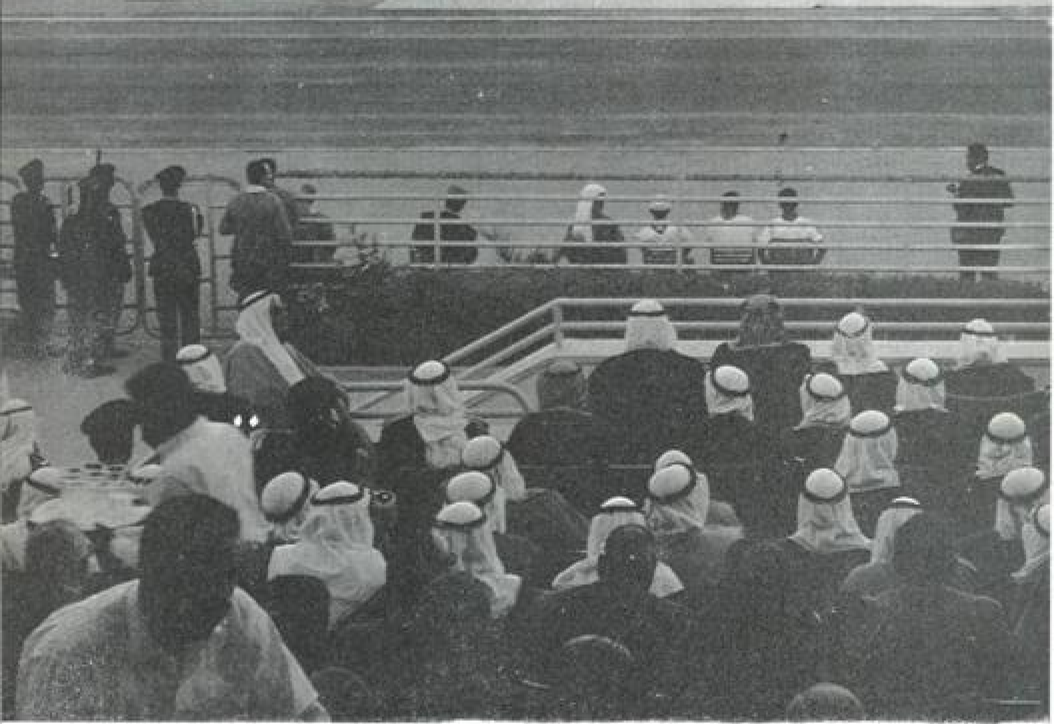






جيل الكويت الصاعد .. شبابها وفتياتها في المهرجان الكبير الذى اقيم في ملاعب ثانوية
الوطنى .. وفي الملعب الكبير اشترك عشرة آلاف طالب وطالبة من مختلف الاعمار في





الشويخ .. لقد كان شباب الكويت في مقدمة فئات الشعب الذى خرج عن بكرة ابيه يحتفل بالعيد
عرض تشكيلاتهم الرياضية على انغام الموسيقى وهتاف الجماهير بحياة الكويت وحياة اميرها .





مع أزيز الطائرات النفاثة المنطلقة، تلاشى هدير السيارات المدرعة الى اليمين، وتوقفت فرقة موسيقى الجيش عن عزف موسيقاها ، واشرأبت الاعناق الى السماء تتابع باعجاب تشكيلات الطائرات وحركاتها الرائعة .





جنود فرقة «المغاوير» يسيرون أمام منصة سمو الامير ، في خطوة سريعة قوية .. انهم جنود الصاعقة .. جنود الانقضاض .. انهم دائما في المقدمة عند الحاجة .

أوضح صورة لسطح القمر

■ لا يزال الأمريكان،ولا يزال الروس، جادين فى الوصول الى القمر . ولكن للنزول عليه لا بد من تعرف اين ينزلون، وهل تصلح ارض القمر للنزول ، واى المواقع فى سطحه أصلح . لا بد من تأمين الرجال والعتاد من هلاك محقق . وفى سبيل هذا هم يرسلون الى القمر بمركباب فضائية ، تنزل على القمر أحيانا ، وتدور حوله فى فلك احيانا ، وعدساتها جادة تصور من سطح القمر ما تصور .

فالك القمر الأول

من ذلك انه فى شهر اغسطس عام ١٩٦٦ أطلقت الولايات المتحدة صاروخا، حمل جرما فضائيا ، دار حول القمر ، وكان الأول من سلسلة من هذه الاجرام هدفها تصوير سطح القمر عن قرب . وسمى هذا الجرم بفالك القمر الأول ، وهو بالانجليزية The First Lunar Orbiter اما أنه الفالك فلأنه يدور فى فلك حول القمر . وأما الأول فلأنه الاول فى سلسلة هذه الاجرام التى ترسلها الولايات .

وقد نجح هذا الفالك فى اخذ صور على عدة أفلام طالت حتى بلغ طولها ثمانيةأميال،أما عرضها فكان٣٥مليمترا.

وقيل عن هذا الجرم الفضائى انه حمل الى علماء الارض من المعرفة بالقمر مثل ما كانوا حصلوه فى الخمسين من السنين الماضية مجتمعة .

وكان فى الجرم معمل للتصوير الفوتغراف كامل، صور من القمر مساحة تساوى مساحة المملكة المتحدة ، وهى صور بلغت من الايضاح انها اظهرت بوضوح كل جسم على سطح القمر صغير ، ولو بلغ حجم سيارة عامة من تلك السيارات التى تزدحم بها شوارع لندن .

ولا يزال العلماء ، فى الولايات المتحدة، عاكفين على دراسة هذه الافلام . وهذه الأفلام وأمثالها تحتاج الى اشهر كثيرة لفض أسرارها .

فالكُ القمر الثانى

ولكن حديثنا اليوم عن الفالك القمرى الثانى .

انهم أطلقوه فى الثامن عشر من نوفمبر عام ١٩٦٦ . وقطع المسافة التى بين الأرض والقمر ، ٢٣٢٠٠٠ ميل عداً . واذ بلغ القمر دار حوله فى فلك اهليلجى خططوا له بحيث يقترب الفالك من سطح القمر فيكون منه على ارتفاع قدره ٢٥ ميلا فقط .

وكان الهدف فى الحالين هو انتقاء الموضع من سطح القمر الذى يصلح لنزول رجال الفضاء عليه عندما يتم مشروع ابولو Apollo فى النصف الثانى من عام ١٩٦٨ ، المشروع الامريكى للنزول بالرجال على سطح القمر .

وقد اخذت عدسة هذا الفالك الثانى اكثر من ٤٠٠ صورة شملت نحو ١٣ منطقة منفصل بعضها عن بعض . وكان عليه كذلك ان يصور الموقع من سطح القمر الذى هبط عليه الجرم الفضائى الذى كانت الولايات ارسلته الى القمر فنزل على سطحه . ان تصوير هذا الموقع يعطى فكرة طيبة عن تربة القمر



ومقدار صلابتها ، وكم تتحمل عند نزول الأجرام المقبلة عليها .

هذا الى جانب اشياء اخرى كان على الفالك أن يقوم بها .

احسن صورة نزلت الينا من صور القمر

ولا شك ان احسن صورة بعث بها الينا الفالك القمرى الثانى الى اليوم الذى اكتب هذا فيه هى المنشورة مع هذه الكلمة . انها احسن صورة وصلت الينا الى اليوم من السماء . وصوّرتها عدسة هذا الفالك ، وهى على بعد ٢٩ ميلا من سطح القمر . وكان هذا فى ٢٣ نوفمبر الماضى .

وهى صورة اخذت من الفوهة « البركانية » المعروفة على سطح القمر باسم كوبرنكس Copernicus ، صورتها العدسة وهى تقترب من حافة الفوهة الجنوبية ناظرة اليها شمالا . والصورة ترينا جبالا تميل جوانبها ٣٠ درجة وهى تعلو حتى تبلغ ١٠٠٠ قدم فوق أرضية الفوهة ، وهى مستوية . وعند الأفق نرى القمة المسماة جاى لوساك Gay - Lussac (على اسم العالم الفرنسى الشهير) تعلو وسط الجبال المعروفة باسم الكربثيان Carpathian (على اسم سلسلة الجبال الشهيرة فى اواسط اوروبا) فتبلغ ٣٠٠٠ قدم .

●●

النزعة القصصية

في أدبنا قديمه والحديث

مما لا ريب فيه ان القصة لم تبلغ ان تكون اتجاها بيّنا فى الشعر العربى قبل النهضةالادبيةالحديثة منذ اواخر القرن الماضي . على ان ذلك لا ينفى ان يكون الشعر القديم قد عرف القصة نوعا ما . فقد ورد فيه بعض منظومات يمكن ان نعدها توسعًا من هـذا البـاب .

عمر بن أبى ربيعة

وهي اذا راجعناها وجدناها على العموم من قبيل (وقائع الحال) التى فيها يحدثنا الشاعر عمّا جرى له فى بعض مغامراته الخاصة (حقيقية كانت ام خيالية) كما فعل عمر بن ابي ربيعة فى رائيته المعروفة ومطلعها .

ــ أمن آل نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ ــ

فى هذه القصيدة يصف لنا الشاعر كيـف خاطر بحياته ليزور فتاته نُعم وهى فى خبائها وسط مخيّم قبيلتها . فتراه وقد اقبل المساء قائما على مرتفع يراقب الخيام المضروبة فى سفح المرتفع ، حتى اذا اطفئت نيران المخيم ونـام الساهرون ، تقدم بحذر يقصد خباء فتاته . ولكن كيف اهتدى اليه وسط الظلام ؟ ــ يقول : ــ

وبتُّ أُناجى النفس أين خباؤها
وكيف لمـا آتى من الأمر مصدرُ
فدلّ عليها القلبُ ريًا عرفتُهـا
لها ، وهوى النفس الذى كاد يظهر

ولما دخل ، دُهشت لمرآه وانبته على مغامرته ، ولكنّ روعها لم يلبث ان زال ، فجلسا يتحدثان لا يحسان بمرور الزمن . واذا بتباشير الصباح تبدو وقد اخذ النيام يستيقظون ويتاهبون للرحيل ، يقول

فمـا راعنـى الا منادٍ ترحّلوا
وقد لاح مفتوق من الصبح أشقـر

اما هي ــ

فلمـا رأت من قد تنبّـه منهم
وأيقاظهم قالت أشِر كيف تأمـر
فقلت أباديهـم فامـا أفوتهـم
واما ينـال السـيف ثاراً فيثأر

ولكن الفتاة كانت احسن رايا منه فقالت ذلك يعرضنا للفضيحة . والراى الافضل ان اذهب الى اختىّ واطلب معونتهما فى هذا الامر .

أقصّ على أختىّ بـدء حـديثنا
وما لى مـن أن يعلمـا متأخّـر

فقصدتهما .

وقالت لأختيها أعينـا على فتـى
أتى زائرا والأمر للأمر يقـدَر
فأقبلتا ، فارتاعتا ، ثـم قـالتا
أقلّى عليك اللوم فالخطب أيسـر
وقالت لها الصغرى سأعطيه مِطرَفى
ودرعى وهذا البردَ أن كان يحذر

بقلم : أنيس المقدسي

الجامعة الامريكية ـ بيروت

يقوم فيمشي بيننا متنكرا
فلا سرُّنا يفشو ولا هو يظهر

وهكذا خرج معهنَّ متنكرا بثوب فتاة ونجا من هذا المأزق الحرج . ولما رجعن التفت نحوهن بقلب المحب الولهان وختم حديثه بقوله :

فآخر عهدٍ لي بها حين أعرضتْ
ولاحَ لها خدٌّ نقي ومَحجِر
هنيئا لأهل العامرية نشرُها الـ
ـلذيذ وريَّاها الذي أتذكر

والفرزدق

وعلى غرار مغامرة عمر مغامرة الفرزدق التي يحدثنا عنها في قصيدةٍ مطلعها :

الا مَن لشوق انت بالليل ذاكره
وانسان عين ما تغمَّض عائره

حيث يصف لنا ما جرى له في زيارة قام بها لبعض فتياته في منزل ذي جدران عالية .

منيفٍ ترى العِقبانُ تقصر دونه
ودون كُبيدات السماء مناظرُه
احاذر بوّابَين قد وُكِّلا به
واسمرَ من ساجٍ تئط مسامره

يقول : ولما كاد الصباح يشرق شعرت بحرج الموقف .

فقلت لها كيف النزول فانني
أرى الليل قد ولّى وصوَّت طائره
ابالسيف أم كيف التسني لموثق
عليه رقيب دائب الليل ساهره

فجاءت بامراس طِوال ، ومعها فتاة اخرى ، وربطتاه بها ودلتاه من عل :

هما دلَّتاني من ثمانين قامةً
كما انقضَّ باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض نادتا
احيٌّ يرجّى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا
ووليت في أعجاز ليل أبادره

وهكذا نجا . ولما اطمأن باله ذكر طيشه وسوء افعاله وكأنه اراد التخفيف عن نفسه فقال مستغفرا ولا نظنه جادًّا في استغفاره :

فيا ربِّ أن تغفر لنا ليلة النَّقا
فكل ذنوبي أنت يا رب غافره

وابو نواس

ومن هذه القصص الخاصة او « وقائع الحال » كثير من خمريات ابي نواس اذ يحدثنا عن زياراته السرية لبعض الحانات وكيف كان يقصدها ليبتاع الخمر ويعود بها الى مجلس أنسٍ يقيمه مع بعض اصحابه . وخمرياته حكايات مجونية معروفة يقصها بطريقة لطيفة اشتهر شعره بها .

وبشر بن أبي عوانة

ومن الوقائع الشعرية ما يراد به وصف البطولة او الشجاعة كحديث بشر بن ابي عوانة ومصاولته اسدا لقيه في بعض الفلوات . وكان بشر ممتطيا حصانه . ولما رأى الحصان يتخاذل خوفا من الاسد ترجل عنه وهو يقول له :

أَنِلْ قدميَّ ظهرَ الارض اني
رأيتُ الارض أثبت منك ظهرا

ثم التفت الى الاسد واخذ ينصحه بان يتراجع ويسلم بحياته . ولكنَّ الاسد لم يقبل النصيحة بل اقبل هاجما عليه ـ قال بشر : ـ

فلما ظنَّ أن النصح غِشٌّ
وخالَ مقالتي زُوراً وهُجرا
مشى ومشيتُ ، مِنْ أسدين راما
مراما كان اذ طلباه وَعرا
سللتُ له الحسام فخلتُ اني
شققت له من الظلماء فجرا

واطلقت المهنّد من يميني
فقدّ له من الاضلاع عشرا
وقلت له يعزّ عليّ أنّي
قتلتُ مناسبي جَلَدا وقهرا

والبحتري

ومثل حديث بشر حديث البحتري عن نفسه اذ لقي ذئبا في البيداء وزعم ان الذئب الجائع هاجمه :

سما لي،وبي من شدّة الجوع ما به
ببيداءَ لم تعرَفْ بها عيشةٌ رَغدُ
عوى،ثم اقعَى فارتجزتُ فهجتُه
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعدُ

فصمد له الشاعر ورماه بنبلة ولكنها لم تزد الذئب الا هيجانا وجراة . يقول :

فأتبعتُها أخرى فأضللتُ نصلها
بحيث يكون اللبُّ والرعب والحقدُ
فخرّ وقد أوردته منهل الردى
على ظمأ لو أنه عذُبَ الوردُ

ويدعي الشاعر في هذه القصيدة انه قتل الذئب ثم اشعل نارا وشوى بعض لحمه فاكله .

وعدا هذه الوقائع الخاصة من غرامية او بطولية او مجونية نجد في الشعر القديم وقائع هزلية ومباسطات اخوانية مما كان يدور في مجالس الانس ، وكان الشعراء يقصّونها للتفكهة في ساعات مرحهم او للتسلية في اوقات فراغهم . فنكتفي بالاشارة اليها فقط .

كانت طرائف ، لا قصصا

هكذا كان معظم الشعر القصصي في ادبنا القديم ولا ينكر ان منه طرائف ممتعة تجلب المرح الى نفس القارىء او السامع . على انها ليست عند التحقيق قصصا بالمعنى الذي يُفهم من القصة اليوم . القصة الشعرية اليوم هي حكاية موجّهة الى هدف معيّن ـ اخلاقيّ او اجتماعي او سياسي او ديني او فلسفي وما الى ذلك مما يؤثر في نفس الشاعر فيدفعه الى نظم قصة خيالية او واقعية ترمي الى ذلك الهدف وتبرزه امام عيوننا بشكل فنّي مؤثر .

القصص الشعري جديد في ادبنا

والذي يبدو ان هذا النوع من القصص الشعري جديد في ادبنا العربي لم يظهر قبل منتصف القرن الماضي ولم ينضج الا في قرننا الحالي ، والارجح ان لاحتكاك ادبنا بالادب الغربي يدا فعّالة في ظهوره ، اذ كانت الترجمة منذ اوائل النهضة الحديثة معتمد كتابنا وشعرائنا يعتمدونها حتى نضجت قوة الابتكار عندهم فصاروا يأتون بما تمليه عليهم قرائحهم وما يختبرونه في حياتهم او يستوحونه من مطالعاتهم .

القصة الشعرية الحديثة قصتان : اخبارية وتمثيلية

وقد اتّخذت القصة الشعرية الحديثةشكلين: شكلا اخباريا وشكلا تمثيليا . فكان لنا القصة التي تُروى لنا في سياق خبر نقراه ، والقصة التي تُعدّ للمسرح حيث نشاهد وقائعها . ولا يتسع المقام للبحث في كلا النوعين ولذا فسنقصر كلامنا الآن على النوع الاخباري (اي القصة العادية) ولنعرض منه بعض الامثلة ايضاحا لما نقصد اليه من الفرق بين القديم والحديث .

قصة الجنين الشهيد لمطران

فممّا يهدف مثلا الى هدف اجتماعي قصيدة « الجنين الشهيد » لخليل مطران وهي تقع في نحو ١١٥ دورا خماسيا . وقد ذكر الشاعر انه نظمها لتأثره من حادثة واقعية جرت في مصر شهد هو وقائعها فوصفها على حقيقتها لتكون تذكرة وعبرة .

وهي تدور على ما اصاب فتاة جميلة اسمها ليلى من شقاء الحياة وفساد المجتمع .

كانت ليلى بنت والدين متجرّئين ممّن لا تهمّهم الاخلاق ازاء لقمة العيش فدفعاها الى العمل في بعض الملاهي . وهناك تعرّفت بشاب اسمه جميل ، وراق لهذا الشاب جمالها فصار يتقرّب اليها حتى اذا وثقت به غرّها واعدا اياها بالزواج فصدّقته وهي تحلم بحياة عائلية معه . قال الشاعر :

فآلى لها يوما بأن يتأهّلا
بها فأصاب الوعد فيها المؤمّلا

فقالت كفاني خدمة وتبتلا
وذى نعمةٌ أرقى بها سلّمَ العلى
وماذا ترجّى بعدها امرأةٌ مثلى

ولكن بعد ان وثقت بوعده وسلمته نفسها .

أقام زمانا غير وافٍ بوعده
وليلى ثبوت فى صيانة عهده
وتهواه حتى فى اساءة قصده
وتحمل منه المطل خشية بُعده
وتقبل منه ما يُمرُّ وما يُحلى

ولما طال مطله وثبتت لها خيانته خشيت ان يظهر الحمل عليها فلم تر سبيلا سوى التخلص من جنينها بالاجهاض . فعلت ذلك مرغمة وبقلب كسير وهي تقول :

فيا ولدى المسكينَ فلذةَ مهجتى
ويا نعمةً عوقبتَ فيها بنقمة
ومن كنت أرجوه لسعدى وبهجتى
وكان يناجيه ضميرى بمُنيتى
وآمل أن يحيا ويرجع لى بعلى
تموت ولما تستهلُّ مبشّرا
تموت ولم أنظر محياك مسفرا
تفارق قبرا فيه عذّبت أشهرا
الى جَدَث منه ابرُّ واطهرا
وتحيا صغار الطير دونك والنحل

وهكذا سقط هذا الجنين شهيدا لفساد خلقي سرى فى بعض عروق المجتمع . وعادت أمه بعد حين الى شقاء عملها فى الملاهي والحانات . اما الجاني النذلفعاش ناعم البالالا يحاسبه احد على ما جنت يداه من سافل الاعمال .

قصة « العرس والرمس » لشبلى ملاّط

ومن القصص الاجتماعي ما يرمي الى تهجين عادة شاعت بين بعض الاسر حتى اوائل قرننا الحالي وهي ان ترغم الفتاة على الاقتران بمن يختاره لها والدها اما لغناه او لجاهه ، وان كانت تكرهه أو كان بينهما فرق فى السنّ .

كقصيدة لشبلى ملاّط وموضوعها « بين العرس والرمس » . وهي تقع فى ٧٢ دورا خماسيا . وخلاصته ان فتاة اكرهها والدها ان تبتعد عن فتى من اكرم الفتيان احبّها واحبته وتواعدا على الزواج ــ وذلك لتتزوّج كهلا غنيّا اختاره لها الوالد المستبدّ .

وصفه الشاعر بقوله :

هو مثلُ الغراب صوتا وصورة
وهى مثل الحمامة المهجوره
هى فى نفسها تقول « أسيرة »
وهو فى نفسه يقول « فقيره »
من أبيها اشتريتها بنقودى
غصبوها على الزواج فكانا
ومضى الناس يلعنون الزمانا
امها طبّقتْ لها الأجفانا
وابوها قد فصّل الأكفانا
بين تصديقِ كاهنٍ وشهود

تمّ هذا الزواج ولكن الفتاة قضت حياتها فى شقاء وكذلك فتى أحلامها وماتا هى ضحيّة الطمع الوالدي وهو شهيد الحب الصادق .

ولهذا الشاعر فى ديوانه عدد من القصص الاجتماعيّة والتاريخية المعروفة وكذلك لسواه من المحدّثين .

وقصيدة « الوفاء » لالياس فياض

ومن باب التاريخ قصيدة لالياس فياض موضوعها « الوفاء » . يصف فيها مكارم الاخلاق فى رجل عربي قديم من اهل الكوفة وهي تدور على ما جرى لامير امويّ اسمه ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك يوم سقطت الدولة الاموية وهرب من سيف العبّاسيين فالتجأ سرا الى بيت رجل فى الكوفة لا يعرفه واقام عنده اياما فى احسن حال ، لا يسأله أحد من هو وكان الامير ابراهيم المذكور قد قتل رجلا لم يدر انه والد صاحب الدار التى التجأ اليها وان الابن يفتش عن قاتل والده ليثار منه .

وعرف بعد مدّةٍ الحقيقة ، فجزع جدا ، لكنه راى أن يعترف لمضيفه بالأمر .

قال يا هذا ان حقّك عندى
واجبٌ بعد هذه الآلاءِ
فأنا مرشدٌ خطاك الى خصـ
ـمك أقضى بذاك بعض الوفاء
قال من ذاك ؟ قال انى انا القا
تل فاثأر واسفكْ بعدلٍ دمائى

فهاجت فى الرجل عاطفة الثأر ولكنه ملك نفسه والقاتل ضيفه .

قال كنْ من تشاء انك ضيفى
وهو عندى من أقدس الأشياء

لســت والله خافــرا ذمّتى معـ
ـك وقــد نلت من طعامى ومائى

فانصرف من منزلي آمنا . ثم سلمه الى من اوصله سالما الى البيداء حيث تمكن من الاختفاء عن اعين مطارديه . يقول الشاعر فى ختامها :

تلك آباؤنا وذاك تراث المجـــــــ
ـــدِ فيهم باقٍ الى الأبنــاء

قصة « ابو دلامة والمستقبل » للرصافى

ومما يذكر من هذا القبيل قصيدة لمعروف الرصافي موضوعها « ابو دلامة والمستقبل » وهي تجمع بين التاريخ والفكاهة وتنطوى على الدعوة الى السلام وتجنب الحرب . وتظهر فكرتها الرئيسية بقوله ـ

أمــن السياســة ان يقتل بعضنا
بعضاً ليدرك غيرنا الآمــــالا
أو كلمـا طمـع القوىُ شـراهةً
اكل الضعيف تحيُفاً واغتـــالا

وملخصها ان الخليفة العبّاسي ارسل جيشا لمحاربة الخوارج وارسل مع هذا الجيش الشاعر ابا دلامة . وفى احد الايام برز من عسكر الخوارج فارس بطاش يطلب البراز . فطلب قائد الجيش (رَوح) من ابى دلامة ان ينازلـه ، ولم يكن ابو دلامة من اهل الفروسية ومحبي القتال فالتمس من القائد ان يعفيه من هذه المهمة ولكن دون جدوى والذلك ركب فرسا وحمل معه زادا وقصد الى الخارجيّ . فتقدّم الخارجى نحـوه شاهرا سيفـه .

قال الشاعر على لسان راوي هذه القصّة : ـ

فدنا اليـــه أبو دلامـــة قائــــلا
مهلا وأغمدْ سيفك القصّالا
انــى أتيتَ ومــا أتيتُ مقـــاتلا
مــن ليس أطلب عنـده أذحــالا
أمن المــروءة أن تـريق دماءنـــا
سفَهــاً لمطمـعِ طامعٍ وضــلالا

فدهش الخارجي من قول هذا الذى نزل ليبارزه واعجبته خفة روحه ولطف حديثه . فاصغى اليه وكأنه اقتنع بكلامـه :

فعَنَــا وأذعن للحقيقة مغمدا
سيفا أجادته القيون صِقـالا

ولــوى العنـــان من المطهَّمِ قائلا
رُحْ بالأمـــان فــلا لقيتَ وبــــالا

لكنّ ابا دلامة ابى الا ان يصافحه اولا ويؤاكله. وهكذا تصافيا وتآخيا ثم : ـ

رجعــا فســار أبو دلامة ظافـرا
والمهـــر يجفــل تحته أجفــــالا

حتى اذا وصل الى مقرّ أمير الجيش (رَوح) اخذ يقصّ عليه كيف تغلب على الخارجى دون نـزال .

وقتلتُــــه بالقــول لا بمهنَّدى
والحــرب أحــرى أن تكون مقالا
وأخــذتُ فى الهيجا عليه مَوثقـا
أن لا يعــود ينـازل الأبطـــالا

وقصيدة « الشاعر والأمة » لايليا ابو ماضى

وقد يمتزج التاريخ بالمغزى السياسي كما فى قصيدة ايليا ابو ماضي التي عنوانها : « الشاعر والامة » . وهي قصة خيالية مغزاها ان استبداد الحاكم او فساده راجع الى ضعف الشعب ورضاهم بالخضوع للمستبد بهم .

فى هذه القصيدة يحدثنا الشاعر عن امّة :

كان فيهـا مَلِكٌ ذو فطنـــة
حــازمٌ يصفـح عنــد المَقدره
يعشـــق الأمـــر الذى تعشـقه
فــاذا ما استنكرته استنكـره
بلغــت فى عهـــــده مرتبـــةً
لــم تنلهـا امـّة أو جمهــره

ولسوء حظها مات ذلك الملك الحازم فملكت عليها ملكا طائشا طاغية .

حَسَّنَتْ فى عينــــه آثامـه
واليـــه نفســـه المستكبره
وتمـــادى القــــوم فى غفلتهـم
فتمادى فى الملاهــى المنكـــره

ومضت الأيام فاخذت الأمة تحت حكم هـذا الملك الطائش المستبد تتدهور من سيء الى اسوأ حتى وصلت الى حالة يرثى لها من التاخر .

وفى احد الأيام مر بها شاعر كان يعرف ماضيها المجيد ، فلما رأى ما صارت اليه من الهوان ، وسمع عقلاءها يندبون شاكين سوء احوالهـــا ،

سألهم لماذا تندبون وعلى ماذا تبكون ! فقالوا نبكى عهد مليكنا الراحل ، فقد آل التاج بعده الى ملك طاغية يسومنا أنواع الذل فقال لهم تشكون من محنتكم وأنتم قبلتموها صامتين ، ولأمر ملككم طائعين ، فتمالى عليكم واستبد بكم حتى لا يجسر أحد منكم أن يرفع صوتا أو يحرك ساكنا . رحم الله أسلافكم فقد كانوا كبار النفوس أباة الضيم ولذا كان ملكهم يحترمهم ويرعى مصالحهم ويعمل على ما فيه خيرهم .

كيف لا يبغى ويطغى آمرٌ
يتقى أشجعكم أن ينظره
ما استحال الهرُّ ليثا انما
أسد الآجام صارت هررَه
واذا الليثُ وهت أظفاره
أنشب السنّور فيه ظفَره

وهذه القصيدة تذكرنا بقصيدة خليل مطران « نيرون » التى يسرد لنا فيها حياة هذا القيصر الرومانى العابث فى أكثر من اربعمائة بيت يختمها بقوله :

كل قوم خالقوا نيرونهم
قيصرٌ قيل له أم قيل كسرى

« قبلتان » لابراهيم العريّض

ويضيق المقام عن سرد الامثلة على شتى انواع القصة الشعرية فى أدبنا الحديث فلنختم حديثنا هذا بعرض وجيز لمطوّلة عنوانها « قبلتان » بقلم ابراهيم العريّض . يحدثنا فيها عما جرى لأمير عربى من غرناطة اسمه طارق ، وكان الاسبان قد حاصروه فى بعض الحصون ، فظلّ يدافع دفاع الأبطال حتى أثخن بالجراح . وتكاثر عليه الأعداء فاقتحموا الحصن وأسروه وحبسوه فى صرح هناك . ورأته فى الحبس نبيلة اسبانية اسمها بلقيس،فرقت لحاله ، واعجبت بشخصيته فهيأت له سرا أسباب النجاة . فرجع الى غرناطة وقصّ على قومه ما كان من أمره .وتمرّ الايام فيستعدّ الغرناطيون لأخذ الثأر ، ويعدّون جيشا بقيادة طارق لاسترجاع الحصن :

ومضى طارقٌ قدُماً
حائزا نصرا فنصرا
زاحفا كالسيل يحتلّ
بلادا بعد أخرى

ثم رجع ظافرا وقد حمل معه عددا كبيرا من الأسرى والسبايا فأقام أهل غرناطة الافراح والزينات ابتهاجا بهذا النصر المبين .

وفى يوم مشهود عرضوا السبايا وما كان أشدّ دهشة طارق اذ رأى بينهن صاحبته النبيلة بلقيس ولم يكن يدرى بوجودها مع السبايا وملكه الأسف الشديد لما هى عليه من ذل الأسر .

قال يا بلقيسُ قد
أذهلت لبى باحتمالك
لم يدُرْ فى خلَدى
أن يشمت الناس بحالك
أنت تسبيْن ولا
تخطر ذكراى ببالك
وبودّى لو فرشتُ الار
ض درًّا لنعالك

والظاهر أن بلقيس كانت قد احبته مذ وقع أسيرا بيد قومها وخلصته من الأسر . ولكنه مع شدة اعجابه بنبلها وعمق شعوره نحوها كان قد وهب قلبه لفتاة من غرناطة اسمها ريّا . وهكذا وجد نفسه الآن بين بلقيس وريّا.بلقيس الحسناء النبيلة المحسنة التى تحبه وهو لا يضمر لها فى قلبه الا العرفان بالجميل .

منذ أن منّت عليه
بالذى منّت يداها
غير ذكرى رجّع المِحرا
بُ بالشكر صداها

وريا فتاة أحلامه ومنية فؤاده التى عاهدها على الحبّ الصادق ولعلّ ما أراد الشاعر بالقبلتين (موضوع قصيدته) ـ قبلة الشكر والتقدير لبلقيس .

وهى ذات الفضل لو
حاول فى نيل رضاها
كلُّ ما يفعله فى
حقها ـ دون جزاها

وقبلة الحبّ لريّا التى « لا يمكن أن يصدف عنها لسواها » .

ويختم القصيدة بموقف مؤثر تقفه بلقيس فى الحديقة تخاطب قمريّا على غصن شجرة وتبثّ له أشجانها ■■

أنيس المقدسى

دردشة



تولستوى ما زال حيا !

● لم تكن مؤلفات الكاتب الروسى الكبير تولستوى وحدها هى التى خلدت بعد موته ، بل لقد خلد الكاتب نفسه وخلدت حياته الخاصة ، وبقى تولستوى حيا فى أذهان كثير من الناس بعد موته بعشرات السنين !

فعلى بعد مائة كيلومتر تقريبا من مدينة موسكو عاصمة الاتحاد السوفييتى تطالعك صورة حية لهذا الكاتب والمؤلف الشهير :

فى قرية ياسنايا بوليانا Yasnaya Polyana يقع البيت الذى ولد فيه تولستوى، وعاش فيه طفولته وشبابه ، وولدت فيه كل مؤلفاته التى قرأها الملايين.. وقد بقى هذا البيت كما تركه صاحبه فى يوم ١٧ نوفمبر عام ١٩١٠ دون أن تمسه يد .. الفراش الذى كان ينام عليه .. الملابس التى كان يرتديها .. الهدايا التى قدمت اليه ومن بينها جهاز الدكتافون الذى أهداه له توماس أديسون .. المكتبة التى كان يمضى فيها الساعات الطويلة مع كتبه التى يزيد عددها على ٢٥ الف كتاب .. كل هذا بقى كما هو ، وكأن البيت وما فيه ينتظر عودة صاحبه !

حتى زجاجة مياه « فيشى » التى تركها تولستوى على المائدة الصغيرة بجوار فراشه ، لا تزال باقية فى مكانها نصف ممتلئة ، بعد ان شرب نصفها الآخر منذ اكثر من نصف قرن من الزمان بقيت مكانها لم تحركها يد !

لقد تحول بيت تولستوى الى متحف يزوره



يوميا الالوف من مواطنيه ، ومن السائحين الذين يجيئون من مختلف أنحاء العالم ليعيشوا لحظات مع تولستوى فى صومعته ، ومع البيت الذى شهد مولد أروع قصصه .. حرب وسلام، وأنا كارنينا، والاخوة كارامازوف ، وعشرات غيرها !

أرقام مذهلة

● تضمنت ميزانية عام ١٩٦٨ التى اقترحها الرئيس جونسون على الكونجرس مؤخرا الأرقام التالية :

١٣٥ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار . المصاريف والنفقات

١٢٦ر٩٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار . الايرادات

٨ر١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار . قيمة العجز بن المصاريف والايرادات .

أما الطريقة المقترحة لمجابهة هذا العجز ، فهى فى رفع الضرائب التى تجبى فى أمريكا من الأفراد والشركات على السواء بنسبة ٦ ٪ !



الكلاب تنبح والقافلة تسير !

● كان ابراهام لنكولن Abraham Lincoln الرئيس الاسبق للولايات المتحدة الامريكية رجلا مؤمنا برسالته .. كان يؤمن بالحرية ، ويؤمن بأنها اعظم شيء في الوجود ، فاقسم على أن يحطم القيود ، ويحرر ابناء أمريكا السود الذين جعل منهم البيض عبيدا لهم !

وفي سبيل تحقيق هذه الرسالة ، تعرض لنكولن لحملة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ، وامتلات الصحف بالمقالات التى تهاجم مبادئه وسياسته ! وانبرى الخطباء يلقون خطبهم التى امتلات بالتهديد والوعيد في الميادين والحدائق .

سألوه يوما : « ماذا تنوى أن تفعل لوقف هذه الحملات المسعورة ! » فقال لنكولن متسائلا في دهشة ! « أى حملات ؟ اننى لا اكاد أحس بوجودها . فلو اننى جلست استمع لكل هذه الافتراءات ، واقرأ ما تنشره الصحف من مقالات ، لما استطعت أن أجد الوقت الذى أستطيع أن اعمل فيه لأكمل رسالتى ؟ » .

وأكمل لنكولن الرسالةالتى أعطاها كل وقته وقلبه وحياته .. ولما فشلت الكلاب بنباحها في وقف سير القافلة .. ، انقضت على قائدها تنهش لحمه وتغرس أنيابها في صدره ! لقد مات لنكولن قتيلا .

المرأة التى تحدت ملك الدراما !

● بكى الفريد هيتشكوك Alfred Hitchcock المخرج الامريكى الكبير ، عندما احتفلت هوليوود بمرور ربع قرن من الزمان على وفاة الممثلة الامريكية المشهورة كارول لومبارد . وسألوه : « لماذا تبكى ؟ » . فقال : «لأن هوليوود فقدت مخرجا كان يمكن أن ينافسنى ؟ » . ثم اغرورقت عينا هيتشكوكبالدموع وهو يروى قصته مع كارول لومبارد ، قال : « كانت كارول تضطلع بدور البطولة فىاحدى مسرحياتى التى اخترت لها اسم « مستر ومسز سميث » ، وفي اثناء تصوير احد مناظر المسرحية التى يلقى فيها مستر سميث مصرعه ، فوجئت بها تصيح فى وجه المصور ان يتوقف ، ثم نظرت الى وقالت : لا يا مستر هيتشكوك ، هذا منظر يليق بحفلة عرس لا بجريمة قتل !

ثم وقفت بعد ذلك تعيد ترتيب المنظر كلـه ، وتقلب كل شيء رأسا على عقب ، دون أن تنتظر ردى على ملاحظاتها !

ووصلت كارول الى قمة المجد .. ولكنها ما كادت تجلس عليها حتى اختطفها الموت عندما سقطت الطائرة التى كانت تقلها في طريق عودتها من اجازة قصيرة ، فوق قمة جبل تيبل روك Table Rock على بعد خطوات من مدينة لاس فيجاس ! »

■■





ولتر سكوت

والرواية التاريخية

حينما تاثر الادب البريطاني بالنزعة الرومانسية التي سادت في فرنسا والمانيا خلال القرن الثامن عشر غلبت عليه فكرتان عظيمتان ، اثمرت الفكرة الاولى الشعر التاريخي ، وجاءت الفكرة الثانية بالشعر الفلسفي ، وقد مثل الفكرة الاولى اقوى تمثيل علمان من اعلام الادب البريطاني وهما ولتر سكوت Walter Scott وسوذى ، Sou hy ومثل الفكرة الثانية وردزورث Wordsworth وشيلى Shelley وكانت هاتان الفكرتان اوروبيتين ، مثلهما في فرنسا فيكتور هيجو Victor Higo ولامرتين Lamartin ودى موسيه De Musset وفي المانيا شيلر Schiller وجيتي Goethe وهيني Heine .

الفكرة الاولى

كانت الفكرة الاولى ترى أن المثل الأعلى لأى أمة من الامم ليس هو المثل الأعلى المطلق ، ولا خلاصة المثل العليا ، وانما هو أحد المثل العليا المتعددة. فهناك مثل" أعلى للرجل الهمجي ، كما أن هناك مثلا اعلى للانسان في عهد الاقطاع او في عهد احياء العلوم أو في الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية أو الحضارة اليونانية . ويستتبع ذلك اننا اذا اردنا ان نقدر مدى تاثر اى امة او اى حضارة بمثلها الأعلى فان علينا أن نستعيد تصورها للحياة ونستشعر شعورها ما وسعنا الامكان .وقد كان الروائيون وكتاب الدراما يصفون ويصورون الشخصيات الحديثة والعادات والأحوال الراهنة ويطلقون عليها أسماء قديمة ، وهذا لون من الوان التزييف . والحق يقتضينا أن نصور مشاعر اهل

- أدخل الأدب إلى التاريخ فجعله سائغ
- أثرت رواياته في المؤرخين واتبعوه وأدخلوا الأدب إلى التاريخ فأحبوه
- قفى على أثره كتاب من كل أمة وامتدحه العمالقة من أهل الغرب
- ومع هذا لم يخل من نقد مرير

بقلم : علي أدهم

الازمنة التي سبقت زماننا بسماتها المعروفة واتجاهاتها المأثورة ، فلا نجمل البطل القديم الذى نحاول عرض حياته ورسم شخصيته ، ولا نشوهه وانما نعمل على كشف طبيعته واعطاء صورة اقرب ما تكون الى حقيقته مهما كانت هذه الصورة مخالفة لمشاعرنا ومنافرة لذوقنا . وقد كانت هذه الفكرةحافز نشاط وباعث اهتمام للحاسةالتاريخية التي وجدت اقوى ممثل لها فى الشاعر الروائى الاسكتلندى ولتر سكوت .

الفكرة الثانية

وكانت الفكرة الثانية تدور حول مشكلة ما هو الانسان وما مصيره ولماذا جاء الى هذه الدنيا وقد تكفل بها الشعراء النزاعون الى الفلسفة .

نشأته

وقد ولد ولتر سكوت فى ١٥ أغسطس سنة ١٧٧١ بادنبره ، وكان والده أحد كتبة العهود والمواثيق لامراء اسكتلنده ـ وهو منصب قضائى رفيع ـ وكانت والدته ابنة أحد أطباء ادنبره . وكان هو تاسع ابناء الأسرة التى بلغ عدد افرادها التى عشر مات منهم الستة الاوائل فى باكورة طفولتهم .

وكان ولتر ضعيف البنية ، واصيب فى شهره الثامن عشر بصدمة من شلل الاطفال احدثت له عاهة فى احدى ساقيه ، فظل يظلع فى مشيته طوال حياته مثل خلفه ومعاصره الشاعر الكبير بيرون . وقد وجد من بيئة اسرته واسلوب تنشئته ودوافع غريزته ما حفز مواهبه وأثار خياله ، فقد كان والده شغوفا بالآثار وبخاصة آثار بلاده ، وعالما بتاريخ الكنيسة وقوانين عهود الاقطاع .

وأرسل ولتر وهو فى الثالثة من عمره الى أحد الضياع ليفيد جسمه العليل من الهواء النقى وعلاج ساقه الضامرة ، وقد لفه وهو عار من الثياب فى جلد شاة حديثة الذبح وجعل يشب وهو فى هذا الرداء بوصفه علاجا لما ابتلى به . وقد جعله هذا العائق الذى عاقه عن متابعة الحركة يتجه الى القراءة ويمعن فيها .

شديد الاصغاء للاقاصيص

وهو منذ طفولته كان شديد الاصغاء للاقاصيص والأساطير التي تروى له ، وقد طبعت في ذاكرته الواعية أخبار الحروب والواقعات التي حدثت في اسكتلندة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وكان له من تلك الذكريات مَعين لا يَنضُب حينما عكف على التأليف . وكان وهو في الثالثة من عمره يحفظ عن ظهر قلب بعض القصائد الحماسية ويتغنى بها بصوت عال ، ولكنه في غير ذلك كان كسولا ، ويجد صعوبة في استيعاب الحقائق الجافة . وفي اليوم الذي اطلع فيه على مجموعة القصائد والمقطوعات الشعرية التي جمعها برسي Percy من الشعر القديم نسي الاقبال على الطعام برغم الشهية القوية لابن ثلاث عشرة سنة ، وحفظ الكثير من هذه المجموعة ، وكان يتلو ما حفظ على مسامع اترابه في الدراسة وغيرهم ممن يودون سماعها .

وبعد أن عمل كاتبا مع والده كان يملأ درج مكتبه بثمرات الخيال التي استطاع جمعها ، وقوى ميله الى اقاصيص البطولة والمغامرات الخيالية والحقيقية ، وأصابه مرض شديد ألزمه الفراش طويلا ، ومنع من الكلام ، فلم تكن له متعة سوى قراءة الشعر والقصص والروايات وكتب التاريخ والجغرافيا والاطلاع على الخرائط التي تصور المعارك وتبين مواقف الجيوش ، وحينما استرد صحته واستطاع المشي جعل أكثر مشيانه في المناطق التي لها شهرة تاريخية ، قال عن نفسه « ارني قلعة قديمة أو ميدان معركة ، وفي التو واللحظة ترنى قد ألفتها وملأتها بالمحاربين في ازيائهم واغرقت أسماع المنصتين اليّ بحماسة وصفي » .

رحلاته

ومع موالاته التجوال في طلب المعرفة ظل خلال سبع سنوات يرحل في كل سنة الى النواحي المقفرة النائية في منطقة ليدزديل Liddesdale الواقعة في جنوب اسكتلندة ، يكشف كل جدول ، ويعرّج على كل طلل دارس ، وينام في اكواخ الصيادين ، ويجمع الأساطير والقصائد الحماسية التي تصف أعمال البطولة . وكان يقرأ الوثائق والمواثيق والعهود المحلية والاشعار اللاتينية وسجلات الكنائس ، وحتى الوصايا والعقود ، وكانت الدروع الصدئة والرقاق القذرة تجتذب انتباهه وتملأ رأسه بالذكريات والشعر ، وقد انفق مبلغا من المال ضخما مما دره عليه أدبه في ابتناء قلعة تحاكي قلاع الفرسان في العصور القديمة بأسوارها وحواجزها وأسقفها الهرمية المتعرجة وطنفها التي تتخللها فتحات لالقاء الأحجار وابراجها الشامخة ، وزودها بالصواوين المنقوشة والمحلاة بالزرد والدروع والسيوف والخوذات ، ولمدة سنوات طويلة كانت أبواب القلعة مفتوحة لكل طارق يريد استعادة ذكريات عهود الاقطاع السالفة بعاداتها ومظاهرها . وكان يشمل الحاضرين جميعهم بسابغ كرمه ، وبخاصة الأقارب ، والأصدقاء والجيران، ويسمعهم القصائد الحماسية ونغمات الموسيقى الحربية ، ويشرب معهم الأنخاب ويقرع الكؤوس ، وتقام الحفلات الراقصة التي لا يجد فيها أحد اللوردات من الحاضرين غضاضة في مراقصة ابنة أحد أصحاب الطواحين ، فقد كان سكوت يساوي بين ضيوفه ، فلا تفريق بين فاضل ومفضول أو رجل من العلية وآخر من الدهماء .

وكان هو نفسه وهو مقبل على ضيوفه ومغتبط بهم ينثر عليهم اقاصيصه الشائقة ويتحفهم بما ادخره خياله الوثاب وذاكرته الواعية من النوادر المسلية والاحاديث المرحة التي كان يعرف سيد قلعة ابوتسفورد Abbotsford كيف يرويها نافخا فيها من روحه ، ومعطيها نصيبا من حيويته الدافقة .

في جامعة ادنبره

وقد التحق سكوت بجامعة ادنبره سنة ١٧٨٣ وحضر درس اللاتيني واليوناني ومحاضرات المنطق ، ولم يكن ميالا الى دراسة اللغة اليونانية وتقدم بعض التقدم في دراسة اللاتيني ، وحصل على معرفة للفرنسية والايطالية والاسبانية ، وأخيرا درس اللغة الالمانية ، وحينما بلغ الخامسة عشرة من عمره بدأ يتدرب في مكتب والده على الأعمال القانونية ، ولم يكن أبوه راضيا عن اتجاهاته الادبية واشتغاله بحفظ الشعر ونظمه ، ولم يثنه ذلك عن الاقبال على الأدب ، ونظم بعض القصائد ، وقام بترجمة بعض اشعار الشاعر الالماني بيرجر الى الانجليزية وترجم بعد ذلك مسرحية « جوتس فنْ برليخنجن » Goetz Von Berlichingen التي ألفها الشاعر الالماني الكبير جوته .

حبه وزواجه

وفى سنة ١٧٩٦ أصيب بصدمة عاطفية ، فقد ظل سنوات يهوى الآنسة مرجريت ستيوارت ، ابنة السير جون بلشز Sir John Belches ، وأمّل ان يتزوجها ، ولكنها تزوجت السير وليام فوربز William Forbes وقد اصاب ذلك كبرياءه ونال من اباله ، وتزوج فى السنة التالية الآنسة شاربنتيه Charpentien ابنة احد الملكيين الفرنسيين من مدينة ليون .

محاولاته الادبية الاولى

وكان فى سنة ١٧٩٢ قد استدعى للعمل امام المحاكم وظل اربعة عشر عاما يمارس هذه الوظيفة اسميا ، وفى سنة ١٨٠٥ قدم للطبع « نشيد آخر المغنين » ، وخطر بفكره أن يكتب رواية تاريخية ، وقد نجحت قصيدة « نشيد آخر المغنين » نجاحا لم يكن ينتظره سكوت ، وبرغم أنه كان حينذاك فى الرابعة بعد الثلاثين من عمره فانه لم يكن قد وثق من أن مجال سَبْقه وتفوقه هو ميدان الادب . ونظم بعد ذلك « مارميون » و « سيدة البحيرة » وعدة قصائد اخرى ، ونجحت « سيدة البحيرة » نجاحا تجاوز ما كان يؤمله ، ورفعت مكانته وصار فى طليعة شعراء عصره ، وكان قد حاول قبل ذلك أن يكتب قصة نثرية ، ولكنه اعرض عن المضى فى هذا السبيل حينما عرض بعض فصولها على احد اصدقائه من النقاد فاشار عليه بتركها لانها تنم على عجزه فى كتابة القصة ، واحتفظ بها سكوت فى أحد أدراج مكتبه حتى وقعت عليها عينه مصادفة فى سنة ١٨١٣ وهو يبحث عن بعض أدوات الصيد فى مكتبه ، فاعاد قراءتها وعقد العزم على اتمامها وتقديمها للطبع .

هجره الشعر

وفى سنة ١٨١٤ أعلن انه هجر الشعر فقد نزل الى الميدان شاعر لم يجد سكوت انه يستطيع مجاراته ، وهذا الشاعر هو اللورد بيرون .

اتخاذه الرواية التاريخية صناعة

ولقيت رواية « ويفرلي » نجاحا منقطع النظير رَسَمَ لسكوت اتجاه حياته الأدبية بعد ذلك ، وأخذت تتتابع رواياته التاريخية ، وكانت تظهر فى اول الامر خالية من اسم المؤلف ، وكانما فتح له بها كنز ثمين .

كارثة مالية وموت قريب

وبدأ يشترك سرا مع أسرة بلانتين أصحاب دار الطباعة . وقد نجم عن هذا الاشتراك بعد سنوات الكارثة المالية القاصمة التي ذهبت بكل ما جمع من مال وافتنى من ضياع ، وركبه من جرائها دين ضخم ، جاهد السنوات الباقية من حياته فى سبيل تدبير المال الكافى لسداده ، فأرهق نفسه ، واتلف صحته ، وحملها ما لا يطاق من الجهد حتى قضى نحبه فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٣٢ .

تفوقه فى تاريخ اسكتلنده

وقد تناول فى رواياته التاريخية تاريخ انجلترا وفرنسا والمانيا والشرق الادنى ولكن تفوقه كان يظهر حينما يتناول تاريخ اسكتلندة القريب العهد من عصره بوجه عام .

رأى فى الرواية التاريخية

وقد وضع سكوت الأساس الذى بنى عليه كتّاب الرواية التاريخية بعده ، ويقول المؤرخ المعروف الدكتور تريفليان Trevelyan « لقد صنعت الرواية التاريخية الكثير لجعل التاريخ سائغا مقبولا ولتمنحه قيمة ، لانها حركت الخيال التاريخي ، والحقيقة انها فى مدى مائة سنة غيرت تصورنا للماضى حينما بدا سكوت بقصائده الشعرية التاريخية ورواياته يحدث ثورة فى التاريخ ، وقد وجد التاريخ وهو فى ابان نشاته مكونا من عنصرين بارزين من عناصر القرن الثامن عشر ، ـ العنصر الاول : البحث الصبور الدائب الذى تولاه علم الآثار والعاديات . والعنصر الثانى : هو عادة التعميم الاجمالى وهى عادة سبق بها القرن الثامن عشر التاريخ غير الفلسفى الذى كان يدور على الألسنة وتتلقفه الأسماع ، والذى كان سائدا فى العصور السابقة . ولكن برغم هذا السبق فان هذه العادة ـ عادة التعميم الاجمالى ـ قد غاب عنها الكثير من النقاط الهامة لانها كان ينقصها العطف والتجربة ، وذلك أن عصر الاستنارة نسىَ فيما نسيه ماذا كانت حقيقة التعصب الدينى أو الثائر » .

وفى هذا الموقف الذى وصفه لنا العلامة جورج

ماكولي تريفليان في مقاله القيم عن « التاريخ والرواية » ظهر سكوت ليفيد من تقدم علم العاديات والعناية بالآثار القديمة وبعمق التحليل التاريخي الذي كان ينظر الى الانسان باعتباره مخلوقا غير متطور ، وقد اظهر سكوت أن التغير لا يشمل ملابس الانسان وأسلحته فحسب بل شمل كذلك أفكاره وآدابه ، وذلك حسب توالي العصور ، واختلاف البيئات ، وتباين الطبقات .

ويرى تريفليان أن المؤرخين الذين ظهروا بعد سكوت نظروا الى التاريخ نظرة تختلف تمام الاختلاف عن نظرة المؤرخين الذين ظهروا قبله .

العناية بالتاريخ والبحث فيه والتحرى بدات في القرن الثامن عشر

ونظرا لاهمية هذا الرأى الذى ابداه المؤرخ تريفليان أزيده وضوحا فاقول ان سكوت ظهر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وفي هذا القرن الهام بدات بوادر العناية بكتابة التاريخ كتابة جدية قوامها البحث والتحرى والتنقيب وظهرت فلسفة التاريخ .

ومن أعلام هذا القرن فولتير وكان مؤرخا من طراز فذ ممتاز ، وكتابه عن عهد لويس الرابع عشر يعد من طرائف الكتابة التاريخية .

وظهر في هذا القرن كذلك المؤرخ البريطاني العظيم جيبون Gibbon مؤلف كتاب « تدهور الدولة الرومانية وسقوطها » وهو من كتب التاريخ العظيمة الخالدة ، وغيرهما من المؤرخين المجيدين المقتدرين .

نقص هام في كتاب التاريخ بالقرن الثامن عشر

ولكن كتاب التاريخ في القرن الثامن عشر برغم اجادتهم وتجديدهم في كتابة التاريخ كان ينقصهم شيء هام ، وهو فهم نفسية العصور التي يصفونها ويعرضون علينا تاريخها .

ومن اقوال المؤرخ تين في نقدهم قوله المأثور : « في كتب فولتير وجيبون وروبرتسن لا نجد المعرفة الواسعة والأحكام الناقدة وحدهما ، بل نجد كذلك وصف النظم والقوانين وصفا دقيقا صحيحا ، وموجز القول أننا نرى كل شيء الا « أرواح الرجال » وموهبة الخيال العاطف التي تمكن الكاتب من الامتزاج بمشاعر الغير ، تلك التي قد حرم منها مؤرخو القرن الثامن عشر » . وهي موهبة لازمة للمؤرخ ، وبدون هذا الخيال العاطف لا يستطيع المؤرخ أن يتغلغل الى روح العصر الذى يتصدى للكتابة عنه ، ولا ان يشارك الشخصية التي يحاول ان يؤرخ لها اعمالها ومشاعرها ووجهات نظرها .

عجز في فولتير أصيل

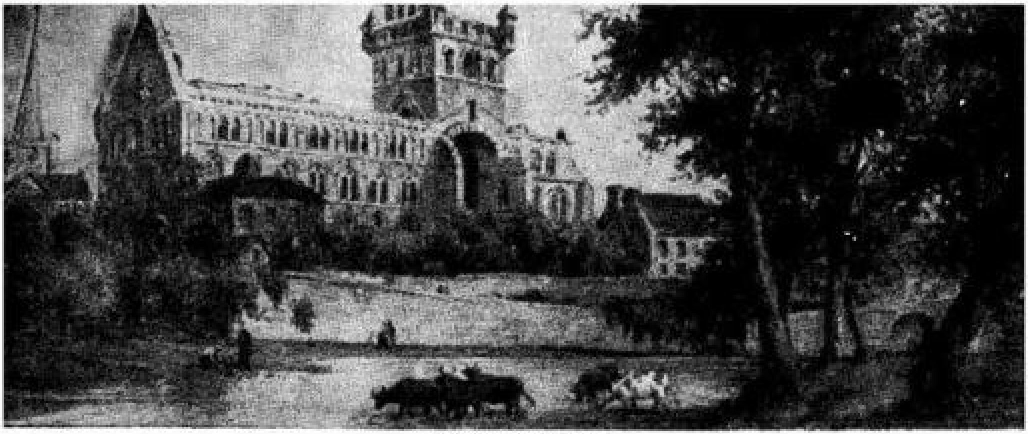
ومن أقوال النقادة الفرنسي اميل فاجيه Faguet (١٨٤٧ - ١٩١٦ م) في نقد فولتير « النقص الرئيسي في فولتير هو عجزه الأصيل وعدم قدرته على الخروج من حدود نفسه ، وهذا النقص يتخلل أخلاقه ويسيطر على سلوكه وتصرفاته ، ويكون آراءه في السياسة والتاريخ والفلسفة ، وانحصار رأى فولتير في أهل عصره يجعله يخطيء في الحكم على بني الانسان » .

حتى جيبون لم يخل من نقد

ومعنى ذلك ان أهم ما يؤخذ على مؤرخي القرن الثامن عشر بوجه عام هو نقص الحاسة التاريخية الذى جعلهم يعتقدون أن الانسان في كل العصور مثل انسان القرن الثامن عشر ، وغض النظر عما يعرض له من تغيرات ويطرأ عليه من اختلاف الأحوال . وجيبون وهو من أقدر مؤرخي ذلك العهد يأخذ عليه النقاد أن عقله المتشكك الناقد لم يستطع فهم المعارك الدينية والخلافات المذهبية التي كانت تعصف بالناس عصفا وتؤثر في حياتهم ونفوسهم تأثيرا عميقا في خلال العصور التي وصفها في تاريخه . وقد ذكر جيبون قصة هذه الخلافات الشديدة المثيرة ، ولكن القارىء يشعر بأنه كان يشرف على القوم الغارقين في هذه الخلافات وترتسم على وجهه ابتسامات الاحتقار أو الاشفاق لانه لم يستطع فهم جوهر هذه الخلافات ، ولذا عجز عن تفسيرها لغيره .

هذا النقص في مؤرخي القرن الثامن عشر اتاح الفرصة لظهور الفنان ولتر سكوت

وعدم التفات مؤرخي القرن الثامن عشر لألوان التغيرات التي استهدف لها تاريخ العالم جعل



احد قصور اسكتلندا

كتابة التاريخ رتيبة مملة تكاد تكون أخبارا مكررة وحوادث معادة وصورا متماثلة ، وقد أخل ذلك بالعنصر الفنى والمنهج الأدبى فى كتابة التاريخ وعرض حوادثه وتصوير شخصياته البارزة وأتاح ذلك الفرصة لظهر الروائى المؤرخ الفنان ولتر سكوت .

ظهور الرواية التاريخية على يد سكوت

والظاهر ان العنصر الأدبى لازم فى كتابة التاريخ، فاذا أبعد من ناحية احتال على الدخول من منفذ آخر ، والشعور بالحاجة الماسة الى هذا العنصر الأدبى هو الذى ساعد علىميلاد الرواية التاريخية، وكان من اهم عوامل الرواج الذى ظفرت به روايات ولتر سكوت ، وقد استطاع سكوت بخياله القوى ، وعطفه الشامل أن يعرض على قرائه صورا تاريخية نابضة بالحياة ملونة باللون المحلى حتى ساد الاعتقاد بأن التاريخ الذى يتعلمه الناس من روايات ولتر سكوت أصدق تصويرا ، واصح تحقيقا ، واقوى فى النفوس تأثيرا من التاريخ الذى تحتويه الكتب الجافة المملة التي يخرجها المؤرخون المتخصصون بعد الامعان فى التحقيق ، والتحذلق فى عرض الموضوع ، وادعاء العلم الواسع والبحث العميق .

روايات سكوت تفيض بالحياة

وفى روايات ولتر سكوت نرى النورماندين والانجلو ساكسون والاسكتلنديين والانجليز والصليبيين والمتطهرين قد انتفضوا من قبورهم واستردوا حياتهم القوية العارمة وعواطفهم الجائشة الطاغية . وقد استرعى ذلك نظر المؤرخين ، وجعلهم يعيدون النظر فى كتابة التاريخ ، فقد كانوا يغفلون فى كتابتهم العناية باللون المحلى وابراز خصائص العصور المختلفة ، وكان من أثر ذلك أن أصبحت كتابتهم غثة مملة جدباء خالية من الحياة ، فلماذا لا ينتفعون بهذا العنصر الذى أدرك أهميته الروائيون وفى طليعتهم ولتر سكوت؟.

حيرة المؤرخ الفرنسي اوجستين تيرى

وقد ألقى المؤرخ الفرنسى أوجستين تيرى ضوءا على تأثر المؤرخين بطريقة ولتر سكوت ، وكان قد ساءه ما أصاب فرنسا فى أوائل القرن التاسع عشر من اكتساح الجيوش الأجنبية لاراضيها . فبحث عن موضوع تاريخى يبث فيه آلامه ويعبر خلاله عن آرائه السياسية ، وظن أن هذا الموضوع الملائم هو غزو النورمنديين لانجلترا ، وهو يقول فى ذلك « أقبلت على تناول هذا الموضوع باهتمام شديد ، ولكن بعد محاولات استبان لي أننى أزيف التاريخ ، وذلك لأننى كنت أستعمل نفس القواعد لعصور مختلفة،ولما كانت أفكارى السياسية قد غلبتنى على امرى وسيطرت علي ، لذلك كنت احاول كتابة التاريخ على طريقة فلاسفة القرن الثامن عشر ، ومعنى ذلك أننى كنت أستخلص من الحوادث التي أرويها صفوفا منظمة من البراهين تثبت معتقداتى بدلا من أن اقدم تقارير مسهبة فضفاضة » وبعثت فيه البحوث التي اجراها فى موضوعه المختار حماسة واهتماما حتى أصبح لا يقتنع باتباع الأسلوب القديم فى تناول التاريخ ، وحار حينا من الزمن فى التماس الأسلوب المناسب، وفى ذلك الوقت وقعت فى يده روايات ولتر سكوت فاخرجته من حيرته ، وكانت له بمثابة الكشف والالهام ، فقد وجد فيها سرد الحوادث النابض بالحياة،المعبر فى أجلى بيان عن الفروق بين مختلف الشعوب وتباين العصور ، وتراءى له أن خيال

ولتر سكوت قد استطاع أن يبعث الناس من القبور ويجعلهم يستردون الحياة ويتحركون ازاء عين القارىء »وعبر تيرىعن هذا الشعر بقوله « وارتفع اعجابي العظيم بهذا الكاتب الى درجة اسمى حينما وازنت بين معرفته الواسعة الغزيرة للعصور القديمة وبين اطلاع أشهر مؤرخينا المحدثين العديم اللون ، ومن ثم رحبت بظهور طرفته الفنية المسماة ايفانهو Evanhoe بحماسة قوية ، ففى هذا الكتاب استطاع سكوت بعينه النسرية أن يلقى ضوءا على العصر الذى شغلت به ثلاث سنوات ، وقد أرانا بجرأته العبقرية كيف أن النورمنديين والسكسون غزاة ومنهزمين قد وقفا وجها لوجه على الثرى الانجليزى ، وذلك بعد الغزو بمائة وعشرين سنة ، وقد رسم بالوان شعرية فترة من الفترات فى هذه الدراما الطويلة التي كنت أحاول أن أكتب عنها بقلم المؤرخ الكادح » .

وقد شد ذلك من عزم تيرى ، وجعله يعلن الحرب على المؤرخين العاطلين من الخيال الذين لا يستطيعون أن يصوروا الماضى ويعيدوا بناءه .

وهذا الطريق الذى اتبعه تيرى فى كتابه عن الفتح النورماندى مسترشدا بطريقة ولتر سكوت فى رواياته التاريخية هو نفسه الطريق الذى سار فيه المؤرخون الذين تبعوا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر مثل سيسموندى وبرسكوت وماكولى وكارلايل وفون رانك وغيرهم .

تأثر كتاب ايطاليا والمانيا وفرنسا وروسيا بولتر سكوت

ويمكن أن نستخلص من ذلك أن نقص العنصر الفنى فى كتابة التاريخ أدى الى ظهور الرواية التاريخية ، ولذلك كان من المنتظر ، وقد عاد هذا العنصر الى كتابة التاريخ على يد أعلام المؤرخين فى القرن التاسع عشر ، أن يقل الاقبال على الرواية التاريخية ، فقد استطاع المؤرخون أن يسدوا هذا العجز ، ويستوفوا هذا النقص ، وينفخوا من روحهم حياة فى كتابة التاريخ ، ويظهروا العصور فى جوها اللائم ، ولونها المناسب .

ولكن قوة تأثير سكوت فى توجيه الكتاب الروائيين لم يكن من السهل مقاومتها وقد ظهر فى معظم الدول الاوروبية كتاب روائيون يحاكونه فى طريقته ، ويضربون على قالبه ، منهم مانزونى فى ايطاليا ، وهادف فى المانيا ،والفرد دى فنىوفيكتور هيجو وديماس فى فرنسا ، بل وصل تأثيره الى روسيا وظهر فى أدب بوشكنوترجنيف وتولستوى.

وجورجى زيدان فى الشرق العربى

وقد حاكاه فى الشرق العربي المؤرخ المعروف جورجى زيدان فقد تناول فى رواياته التاريخية الكثير من الحوادث والشخصيات البارزة فى التاريخ الاسلامي .

ويعزو المؤرخ النقادة ظهور الروايات التى تصف العادات والاحوال والتقاليد المعاصرة التى نبغ فيها من الروائيين والروائيات امثال مس اوستن ومس برونته وجورج اليوت وبلور وثكرى وديكنز وغيرهم الى تأثير سكوت ، وتعد روايات أمثال هؤلاء الكتاب والكاتبات تسجيلا روائيا تاريخيا للعصر الذى عاشوا فيه ، وبلوا أحواله ، ويصح أن نسميها روايات تاريخية معاصرة .

ومع هذا أصاب سكوت نقد كثير

وبرغم المكانة العالية التى بلغها أدب ولتر سكوت وتأثيره البعيد المدى فى الادب الاوروبى بوجه خاص ، والشهرة القليلة النظير التى حظى بها فى حياته وتقدير الكثير من كبار النقاد واعلام الادب لأدبه وعلى رأسهم شاعر المانيا وأديبها العظيم جوته ، فانه لم يسلم من النقد ، وبعض هذا النقد كان غاية فى الشدة والقسوة ، وان كان أكثره قد أصاب الهدف ، واطلعنا على نواحى الضعف والتهافت فى أدب سكوت . ومهما يكن من الامر فان تقدير النقاد لأدب سكوت بوجه عام لا يضعه فى المكانة العالية التى رفعه اليها معاصروه الذين كانوا يرون أن عبقريته وانتاجه فى الشعر والرواية يؤهلانه لان يوضع الى جانب الشاعر البريطانى العظيم وليام شيكسبير .

نقد سانت بيف لسكوت

وفى أعقاب وفاته كتب عنه الناقد الفرنسي

سانت بيف يقول من مقال موجز « كان سكوت في وصفه للاخلاق غير متحيز ، ويعكس الحياة كما هي، ويصف الناس بأهوائهما وميولهما والبيئة التى احتوتهم دون أن يقحم مشاعره أو أن يدخل شخصيته » .

نقد كارليل لسكوت

اما توماس كارليل المؤرخ النقادة الاسكتلندى فكان في طليعة من وجهوا النقد الى مواطنه العظيم ، فقد لخص حكمه عليه في الفصل الفضفاض الذىكتبه عنه حينما ظهر كتاب لوكارت عن سكوت بقوله « كانت حياته دنيوية ، وطمحاته دنيوية ، وليس فيه شيء روحاني وكل ما فيه اقتصادى مادى من الارض » .

نقد تين لسكوت

وقد عاب عليه المؤرخ النقادة تين اسراعه في اخراج مؤلفاته وعد ذلك دليلا على قلة تحريه للحقائق وقال في نقده « كل هذه الصور من الماضي البعيد التى يعرضها صور زائفة ، وليس فيها صحيح سوى الملابس والمناظر والمظاهر الخارجية ، أما الاعمال والاقوال والمشاعر وما الى ذلك فانها كلها اشياء منمقة مستحضرة مصبوبة في القوالب المستحدثة ، وحينما نتامل اخلاق المؤلف وحياته يساورنا الشك ، فماذا كان يريد ؟ وماذا كان يطلب ضيوفه في قلعته ؟ وهل هو من طلاب الحق كما هو سواء كان قبيحا او متوحشا قاسيا ؟ وهل هو باحث منقب لا يبالي بالثناء ولا يعبا الا بالبحث عما يطرا على الطبيعة الحية من تغيرات ؟ كلا ، انه لا يعبا بذلك كله .. وليس عنده وقت ليصل الى اغوار النفوس التى يصفها ، فهو يحصر اهتمامه في المظهر الخارجي ، ويرى الصور والخارجيات ، ويصفها ويطيل في ذلك اكثر مما يصف المشاعر الداخلية » . وعلى هذا النمط يسترسل تين في نقده لولتر سكوت ، وواضح انه ياخذ عليه قلة توفره على بحث العصور التى تصدى لوصفها في رواياته واسراعه في الاخراج الذى حال بينه وبين الاجادة في راى تين ، وقد افاد كتاب الرواية التاريخية من نقد تين الشديد لروايات ولتر سكوت فتحروا الدقة وبالغوا في الاستقصاء حتى جاءت بعض طرفهم الادبية آيات فنية عظيمة تجمع بين دقة البحث وقوة الخيال وبراعة العرض .

راى امرسن في سكوت

ومن كتاب القرن التاسع عشر الذين انصفوا سكوت واحسنوا تقديره الكاتب الامريكي الكبير امرسن Emerson ، قال عنه : « راى النقاد ان شعر سكوت ليس سوى نثر منظوم ، واذا كانت أشعاره قد نجحت نجاحا جزئيا فان رواياته قد نجحت نجاحا كليا ، وقد كان من الطبقة الارستقراطية وكانت فيه فضائل تلك الطبقة ومفاتنها ، ولكن انسانيته العالية واقباله على العمل جنباه عيوبها وانقذاه من مساوئها . كان يخالط صغار المزارعين من جيرانه وصغار التجار والناس العاديين والرعاة وصائدى الاسماك والنور وبنات المزارعين والسيدات العجائز ، وهو في تعدد شخصيات رواياته وتنوعها يقترب من شيكسبير ، وبعض مصورى الشخصيات في الشعر والنثر قدموا للادب طرزا قليلة من الطبائع والاخلاق مثل سرفنيتز ، وديفو ، وريشارد سون، وجولد سمث ، وستيرن ، وفيلدنج ، ولكن سكوت كان يصور بقوة ونجاح كل شخصية في الجمع الحاشد الذى يطالعنا في رواياته ، وقد انقذه حسن تقديره من اخطاء الشعراء وضعفهم ، ومن انانيتهم وشدة غيرتهم ، وكان رجلا في تصرفاته واخلاقه ، كان رجلا عاقلا مستقيما كبير القلب جلدا قديرا على منازلة الحوادث لا تزعزعه الخطوب ولا تفل عزمه النوازل بل تزيده قدرة على الكفاح » وهذا تقدير كريم يتفق مع ما عرف عن كاتبه من سماحة النفس وسعة الافق .

راى فورستر في سكوت

وراى الكاتب الروائى المعاصر فورستر يخالف ما ذهب اليه امرسن ، فهو يقول عنه في كتابه القيم عن القصة « اما من ناحيتى فانى لا اعبا بسكوت ، واجد صعوبة في فهم شهرته المستمرة ومن السهل فهم شهرته في عصره ، فقد كانت هناك اسباب تاريخية هامة تدعو الى ذلك كان علينا بحثها لو اننا اتبعنا التسلسل الزمنى ، ولكن حينما نتصيده من نهر الزمن ونجلسه للكتابة في تلك الغرفة المستديرة مع الروائيين الآخرين فانه يبدو في مظهر اقل تاثيرا ، ويرى

ان عقله تافه وان اسلوبه ثقيل . وهو لا يستطيع البناء ، وليس عنده الاعتزال الفني ولا العاطفة ، وكيف يستطيع كاتب خلو من هاتين الصفتين ان يخلق الشخصيات التي تثير نفوسنا من اعماقها ».

ويعلل فورستر بقاء شهرة سكوت بانه كان يعرف كيف يروى القصة ويثير طلعة القارىء .

راى كروتشه في سكوت

واختم الحديث عن السير ولتر براى الكاتب الفيلسوف النقادة الايطالي بندتو كروتشه فقد خصه بنقد نفاذ ، بداه بقوله : « يعد ولتر سكوت الشاعر والكاتب الروائي العظيم في طليعة كتاب النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وقد انتشرت مؤلفاته في كل النواحي ، وظهر مقلدون له في شتى الجهات ، وقليل من الكتاب من كان له مقلدون وتلامذة مثل سكوت ولم يعجب به جمهور القراء العاديين فحسب ، بل شمل الاعجاب به كبار كتاب العصر وشعرائه . فجوته يقول عنه « عبقرية عظيمة لا نظير لها تحدث بحق تاثيرا بالغ الحد على قراء العالم » ، وفي وطنه – اسكتلندة كانوا يقارنونه بشيكسبير ، ولكن في (١) العصر الحاضر قلت هذه الشهرة ، فان النقد التاريخي – وبخاصة بعد ظهور مقال تين – اظهر قسوة في الحكم عليه وانتقص قيمته ، ورواياته طويلة ويشعر القارىء بتعمل فنها وتكلفه ، وكانت السوق حينذاك في حاجة الى هذه السلعة ، وكان الطلب اكثر مما تدعو اليه الحاجة ، وقد بدا حياته بنظم الشعر ، استجابة لما كان مطلوبا ، وفي مدى سنوات قلائل ادرك ان الذوق قد تغير ، وان الطلب يستلزم شيئا آخر ، فانتقل من الشعر الى النثر ، واحاط اسمه بغموض ، وسمى نفسه مؤلف ويفرلي ، ونجح نجاحا كبيرا ، وحينما يقرأ الانسان حياته يعجب بهذه المثابرة والقدرة على الانتاج التي كانت تمكنه من اخراج روايتين أو ثلاث روايات في عام واحد ، ويعجب بقدرته على الابتكار . والقلعة الفخمة التي بناها لنفسه من المبالغ الضخمة التي جمعها ، وكرمه وبسط يده الذى حاكى به الامراء الموسرين والسادة الاثرياء . ولا شيء يروى عن تجاربه في الحب أو افكاره أو عن المعارك الروحية ونوبات خيبة الامل . ويعنى كُتاب سيرته بالحديث عن الخسارة المادية الجسيمة التى منى بها زميله في النشر والطباعة ، وكيف غالب سكوت الكارثة وامتشق القلم وتعهد بسداد الديون التى ركبته ، وافسد صحته ، وحمل نفسه ما لا يطيق من الجهد ، وكان طلب روايات السير ولتر سكوت نتيجة لنمو الشعور القومى التاريخي السياسى الذى جاء بمثابة رد فعل لعقلية القرن الثامن عشر وتاثير الثورة الفرنسية . ولم يكن سكوت موجد هذا الاتجاه ، ولكنه عرف كيف يستغله ويستجيب لمطالبه ، ولا يمكن انتقاص فضله من هذه الناحية ، فقد وصلت رواياته الى مستويات لم يصل اليها الفلاسفة ولا الشعراء ، فقد جعلت الناس في الدول الاوربية يرجعون الى تاريخهم وينقبون في ماضيهم واحوالهم السالفة ، وتاثر به المؤرخون المحترفون ، وتركوا أسلوبهم الممل وعرضهم الخالى من التلوين ، وان كان لسوء الحظ قد أغرى بعضهم بان يتصور التاريخ على نمط الرواية التاريخية ، ولكن هذا الاتجاه قد انتهى عهده ، وبقى التاثير الحسن الذى تركه سكوت ، ومن غير الممكن في العصر الحاضر ان تستوفي الكتابة عن خصائص ومميزات الكتابة التاريخية في القرن التاسع عشر دون أن نضع في حسابنا الدور الذى لعبه سكوت في تطويرها ، وبطبيعة الحال لا يصح أن نحكم على طريقته في تكوين حبكة الرواية بمعايير العهد الحاضر ، لأن هذه المقارنة تضر به وتظلمه ، وتظهر عجزه ، وقلة تجربته ، والذى يتبع اساليبه في بناء الرواية في العهد الحاضر يعرض نفسه للسخرية ، ولكنه يوازن بكتاب عصره ، ويحكم عليه بميول القراء في زمنه » .

واكتفي بهذا القدر من كلام كروتشه ، وقد اختلفت آراء النقاد في تقدير أدب سكوت ومكانته ، ولكن لم يستطع أحد من ناقديه أن ينكر عليه سراوة نفسه ونبل أخلاقه وكبر قلبه وعظيم تاثيره في الادب العالمي . ■■

علي أدهم

---

(١) كتب كروتشه هذا التقدير لأدب سكوت في العشرينات من القرن الحالي .

إمكان الإجماع ووقوعه

من مصادر التشريع الإسلامي

بقلم : نجيب محمد بكير

■ يطلق الاجماع فى اللغة على معنيين .

أ ـ العزم على الشىء والتصميم عليه ـ يقال : اجمع فلان على كذا ـ اذا عزم عليه ـ ومنه الحديث : لا صيام لمن لم يجمع الصيام من الليل ، اى يعزم ويصمم عليه .

ب ـ الاتفاق على الشىء ـ يقال : اجمع القوم على كذا ـ اذا اتفقوا عليه سواء كان الأمر المتفق عليه دينيا او دنيويا .

وكلاهما ، العزم والاتفاق ، مأخوذ من «الجمع» ، فان العزم فيه جمع الخواطر والاتفاق فيه جمع الآراء .

والفرق بين المعنيين ان الاجماع بالمعنى الأول يتصور من الواحد ، وبالمعنى الثانى لايتصور الا من اثنين فما فوقهما .

الاجماع فى اصطلاح الأصوليين

ثار الخلاف بين الأصوليين حول وضع تعريف واحد للاجماع ، كما ثار الخلاف بينهم كذلك على كثير من مسائله ونورد بعض هذه التعريفات : ـ

١ ـ قال النظّام : الاجماع كل قول قامت حجته حتى قول الواحد .

٢ ـ وعرّفه الغزالى : بأنه عبارة عن اتفاق امة محمد خاصة على أمر من الأمور الدينية .

٣ ـ وذكر الغفارى وجمهور العلماء : بأنه اتفاق المجتهدين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فى عصر من العصور على حكم شرعى .

٤ ـ وعرفه جماعة بأنه اتفاق اهل الحل والعقد على حكم الحادثة قولا .

وسبب الاختلاف بين الأصوليين فى تعريف الاجماع يمكن استخلاصه من أنه فى عصر الاجتهاد كان كل امام يجتهد فى أن لا يشذ بأقوال يخالف بها ما عليه فقهاء أهل بلده حتى لا يعتبر شاذا فى تفكيره . فأبو حنيفة كان شديد الاتباع لما هو موضع اجماع عند من سبقوه من علماء الكوفة . ومالك كان يعتبر اجماع اهل المدينة حجة .

ولما كان تعريف الجمهور هو المختار عند أكثر العلماء فسوف نجعله أساس بحث موضوعنا .

الاجماع عند الجمهور

عرّف الجمهور الاجماع بانه اتفاق المجتهدين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فى عصر من العصور على حكم شرعى . وبعضهم يزيد (بعد وفاته صلى الله عليه وسلم) . فلكى يتحقق الاجماع عند الجمهور لا بد من توافر الأمور الآتية :

١ ـ اتفاق جميع المجتهدين بصرف النظر عن اختلاف أماكنهم أو جنسهم أو طائفتهم ـ اما اذا اتفق اكثر المجتهدين على حكم من الأحكام فانه لا يكون اجماعا عندهم مهما قل عدد المخالفين ، لأن الحق يحتمل ان يكون فى جانب المخالف للاكثر ولو كان واحدا . ومن العلماء من يرى تحقق الاجماع باتفاق أكثر المجتهدين مع مخالفة الاقل ، وهو احدى الروايتين عن الامام احمد ـ ومنهم من يرى حجته ولكنه لا يسميه اجماعا .

٢ ـ ان يكون المجتهدون من امة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا يعد اتفاق المجتهدين من امة غيره من الأنبياء السابقين اجماعا شرعيا ، وهذا على فرض وجود المجتهدين فى اتباع أولئك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ـ وذلك لقيام الأدلة على اختصاص الأمة المحمدية بالعصمة من الخطأ عند الاتفاق بخلاف غيرهم من الأمم ، من هذه الأدلة قوله صلى الله عليه وسلم (سألت الله ان لا تجمع أمتى على الضلالة فأعطانيها) .

٣ ـ ان يكون الاتفاق على حكم شرعى عملى كالوجوب والحرمة اوالصحة او الفساد وغيرها ـ وعلى هذا لا يكون الاتفاق على الاحكام اللغوية أو العقلية اجماعا شرعيا ، وذلك لأن الأصولى لا يبحث الا فى الاحكام الشرعية الخاصة باعمال المكلفين.

٤ ـ أن يكون الاتفاق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا لا وجود للاجماع ولا اعتبار به فى عصره صلى الله عليه وسلم ، لأن الرسول ان وافق الصحابة على الحكم الذى اتفقوا عليه كان الحكم ثابتا بالسنة لا بالاجماع ، وان خالفهم سقط اتفاقهم ولا يكون ما اتفقوا عليه حكما شرعيا .

هل يمكن تحقق هذا الاجماع فى العصر الحديث ؟

الاجماع على الوجه الذى قاله الجمهور لا يمكن تحققه فى عصرنا هذا الا اذا عُرف جميع المجتهدين فى العالم الاسلامى واحصوا احصاء دقيقا ، وابدى كل واحد منهم رايه فى الحادثة المعروفة واصر عليه،الى ان أبدى جميعهم رايهم وتبين موافقة راى كل منهم راى الآخر .

ولا شك ان هذا بعيد الحصول ، بل قد يكون مستحيلا ، ولم يصل الى علمنا ان أحدا من الخلفاء او الولاة اخذ ابداء الراى فى مسالة الى ان اخذ فيها راى جميع المجتهدين المنتشرين فى جميع البقاع الاسلامية فى قارات مختلفة ،على فرض انهم معروفون واماكنهم معروفة.

وقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف ان الراجح ان الاجماع بتعريفه واركانه لا يمكن انعقاده اذا وكل امره الى افراد الأمم الاسلامية وشعوبها ، ويمكن انعقاده اذا تولت امره الحكومات الاسلامية على اختلافها ، فكل حكومة تستطيع ان تعين الشروط التى بتوافرها يبلغ الشخص مرتبة الاجتهاد دون ان تمنح الاجازة الاجتهادية الا لمن توافرت فيه الشروط ـ وبهذا تستطيع كل حكومة ان تعرف مجتهديها وآراءهم فى أية واقعة، فاذا وقفت كل حكومة على آراء مجتهديها فى واقعة ، واتفقت آراء المجتهدين فى كل الحكومات الاسلامية على حكم واحد فى هذه الواقعة ، كان هذا اجماعا ، وكان

الحكم المجمع عليه حكما شرعيا واجبا اتباعه على المسلمين جميعا .

ولكن يلاحظ ان الحكومة سوف تجمع من عرفوا عندها بالاجتهاد . وهناك مجتهدون قد لا تعرفهم أو يمتنع عليهم ابداء رأيهم لسبب ما مما يؤدي الى فوات انعقاد الاجماع حسب تعريف الجمهور .

تعريف الاجماع بما يمكن تحقيقه

وعلى ذلك فيحسن تعريف الاجماع بتعريف يمكن معه تحققه ، وان يكون مصدرا من مصادر التشريع تأخذ منه احكاما لما جدّ عندنا من حوادث لا نجد حكما لها فى المنصوص عليه .

ولعل أقرب تعريف الى المراد ، هو القول بأن الاجماع اتفاق من يستأنس الوالى برايهم ولايجتمعون على ضلالة .

والاجماع بهذا التعريف يمكن تحققه عملا فيكون حجة ويجب العمل به .

مجمع للفقه الاسلامى

ونشير الى انه مما قد يسهّل تحقق الاجماع على هذا الوجه تنفيذ الفكرة التى نادى بها الكثيرون بانشاء مجمع للفقه الاسلامى،على غرار المجمع اللغوى، يمثل اقطاب الشريعة الاسلامية،يستطلع رأيهم فيما يجد من أمور . ويمثل هؤلاء من يستأنس الحاكم برايهم ، فان اتفقوا على حكم فى الواقعة المعروضة عليهم كان هذا اجماعا منهم - ولكنه ليس الاجماع الذى اراده الجمهور والذى يتعذر تحققه - بل هو اجماع المجتهدين المعروفين للحكومة والذين يشملهم المجمع الفقهى .

ولا شك أن هؤلاء المجتهدين اعضاء هذا المجمع الفقهى سيكونون اكثرية المجتهدين فى العالم الاسلامى وغالبيتهم ، فمن غير المعقول أن من تجهله الحكومة (على فرض حصول ذلك) يؤدى عدم ابدائهم الرأى الى فوات انعقاد الاجماع الذى ذكرناه .

كذلك لا محل للاعتراض القائل بأنه من العسير احصاء جميع المجتهدين وتحديد عدد الأكثرية بناء على ذلك . لأننا فرضنا أن مجمع الفقه الاسلامى سيشمل جميع المجتهدين المعروفين لدى كافة الحكومات الاسلامية فى أقطار العالم الاسلامى واستلزمنا ضرورة اتفاقهم جميعا فيما يعرض عليهم من أمور .

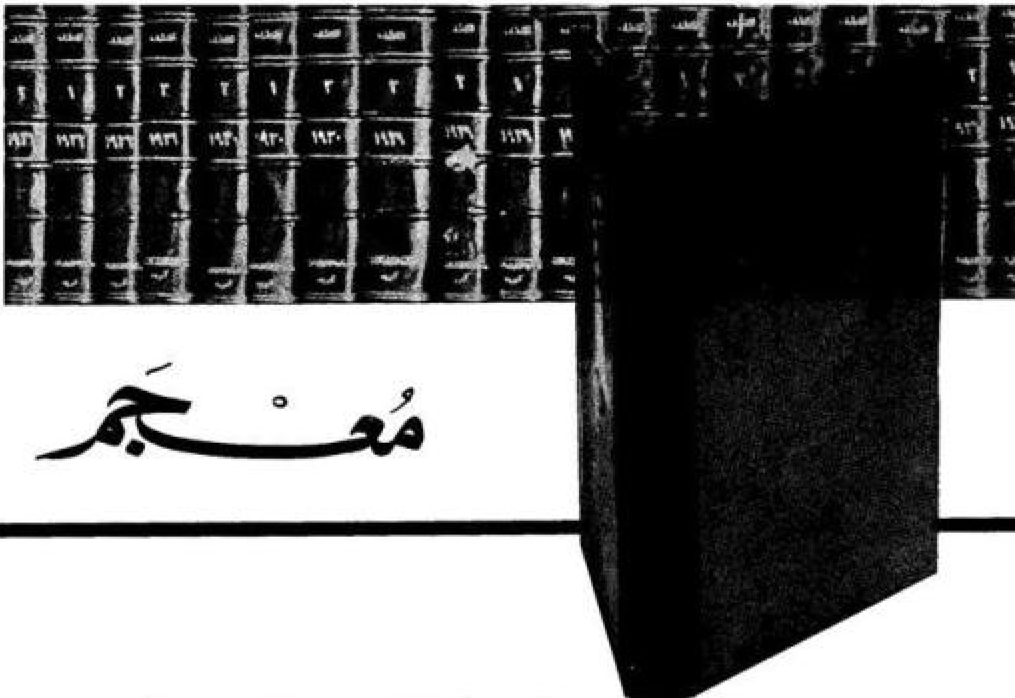
ومما لا شك فيه كذلك أن كل حكومة من تلك الحكومات تعرف جيدا معظم مجتهديها ان لم يكن جميعهم،فالاعتراض السابق ربما يكون له وجه فى الدولة الأموية والعباسية أيام الفتن والثورات وكان يعسر التعرف على المجتهدين ،لأن كثيرا ممن أوتوا حظا من العلم كانوا يستترون خوفا على انفسهم ، وهم مؤمنون بجواز التقيّة ، بالاضافة الى عدم توفر وسائل المواصلات وصعوبتها. وقد كان السلف الصالح يرحل للحديث الواحد من قطر الى قطر ، أما الآن فقد يسر الله سبحانه الاجتهاد للمتأخرين تيسيرا لم يكن للسابقين . لأن التفاسير للكتاب العزيز قد دونت وصارت من الكثرة الى حد لا يمكن حصره ، والسنة المطهرة قد دونت وقد تكلم الأئمة على التفسير والتجريح والترجيح بما هو زيادة على ما يحتاج اليه المجتهد .

اذا تحقق ما سبق يكون تعريف الاجماع - اتفاق أعضاء مجمع الفقه الاسلامى على حكم شرعى عملى والذين يستأنس الحاكم برايهم ولا يجتمعون على ضلالة - وعلى امام المسلمين ان ينفذ ما اتفقوا عليه .

بذلك يكون الاجماع من اخصب المصادر التشريعية الاسلامية فيكفل تجدد التشريع ، وبه تستطيع الأمة ان تواجه كل ما يحدث لها من الوقائع على اختلاف انواعها سائرة مع المصالح المختلفة فى كل زمان ومكان .

والله الموفق . ■■

نجيب محمد بكير
ماجستير فى الشريعة الاسلامية
وليسانس فى الحقوق - بورسعيد



مُعْجَم

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

استاذ النبات بجامعة عين شمس

■ لا شك أن اللغة العربية الفصحى ، هى وحدها التى يجتمع العرب حولها على سواء ، لا فرق بين تهامة ونجد ، وحضر وحضرموت ، أو بغداد ودمشق ، أو القاهرة وفاس،او الكويت والخرطوم، انما يجمع هؤلاء جميعا ، لسان العربية المبين ، لغة القرآن الكريم ، اما ما يتكلم به العامة هنا وهناك من لهجات عامية ، فلا اظنها تفهم فى غير مواطنها وبين اقوامها الادنين وما اظن ان القاهريين يفهمون سريعا من اهل الصعيد الأعلى فى مصر ، وما اظن ان اهل الكويت او العـراق يتقبلون وشيكا عامية القاهرة او فاس . ولكن ما ان تكون اللغة هى الفصحى حتى يصيخ الجميع بآذانهم ويفهموا مراميها القريبة والبعيدة . فعلى الذين يدعون الى استعمال العامية لغة للقراءة والكتابة والخطابـة ، أن يتقوا الله فى اوطانهم ، وان يتقوا الله فى لغتهم ،التى وسعت كتاب الله لفظا وغاية ، والتى تغنى بها الشعراء والعلماء والأدباء طيلة قرون وقرون ، وانها لمحتفظة بجمالها وبهائها ، وانها لتساير التقدم العلمى والحضارى على مر العصور والأحقاب .

العربية لغة العلم منذ أزمان

وقد ينعى البعض على العربية انها ليست لغة العلوم الحديثة ، وهذا قول يفتقر الى البرهان ، فمن المعروف أن العربية كانت فى وقت من الأوقات اللغة العالمية، وذلك حين امتدت الامبراطورية العربية الاسلامية من مشارف الصين شرقا ، الى مشارف فرنسا غربا ، وحين الف بها العلماء العرب والمستعربون من امثال ابن سينا والبيرونى والكندى والفارابى والزهـراوى وابن النفيس ، والمجريطى والجلدكى والخازن والخوارزمى وغيرهم ، سواء اكانوا عربا خلصا ، ام مستعربين لغة ، فقد وجدوا أن الكتابة



عِلمي عَربي مُوحَّد

العلمية ــ كما قال البيروني بحق ــ أيسر بالعربية منها بالفارسية . فألفوا فى الطب والفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء والنبات والحيوان بلغة عربية سليمة . ولم يضرهم أن يستعملوا ارثماطيقي وجومطريا واسطرنوميا ،كما لم يضرنا الآن أن نستعمل ترمومتر وبارومتر ومانومتر وما اليها .

لقد ظلت مؤلفات* ممن ذكرنا وغيرهم من العلماء العرب، ظلت المراجع المعتمدة فى أوروبا طيلة قرون ، وظل الحساب معروفا عندهم باسم « الورثيمى »نسبة الى عالمنا الخوارزمى كما ظل الجبر الذى وضعه الخوارزمى للعلم المعروف بهذا الاسم دالا عليه حتى الآن .

ولو قد بقيت هذه النهضة العلمية العارمة التى قادها هؤلاء العلماء ماضية فى طريقها دون أن تعوقها معوقات المغول والتتار والترك والاستعمار لكانت هذه النهضة التي تفاخر بها أوروبا تكون من نصيب الأمة العربية واللغة العربية ولتقدم تاريخها عدة قرون .

نشأة فكرة المعجم

ويرجع التفكير فى انشاء معجم يضم الترجمة العربية للمصطلحات العلمية فى العلوم الطبيعية الاساسية من كيمياء وطبيعة ونبات وحيوان وجيولوجيا ورياضيات وفلك ، وتطبيقاتها فى الطب والصيدلة والهندسة والزراعة والبيطرة وما اليها ، يرجع الى نحو ثلاثين سنة خلت ، عندما سأل وزير المعارف آنئذ المسئولين بالجامعة المصرية ، ماذا فعلوا حيال النص الذى ورد فى قانون الجامعة المصرية من أن العربية لغة التدريس ، وكان قد مضى على انشاء الجامعة المصرية بضعة عشر عاما ، وما تزال الانجليزية لغة التدريس فى معظم الكليات العلمية . فكأنما كان هذا السؤال حافزا وموجها للاساتذة المصريين ان يعملوا على تعريب المصطلحات العلمية وترجمتها الى العربية. فتكونت لجان ، وعقدت اجتماعات ونظمت دراسات ، لترجمة المصطلحات العلمية ، وبدأ البعض فعلا في التدريس باللغة العربية . وظهرت هنا وهناك مجموعات من المصطلحات العلمية فى المواد المختلفة مترجمة الى اللغة العربية ، كما نشطت بالتدريج حركة التأليف فى هذه المواد باللغة العربية ، واشترطت مجالس الكليات على المتقدمين برسالات للماجستير والدكتوراه ، أن يضمنوا رسائلهم ملخصات لها باللغة العربية . وكانت مجلة رسالة العلم التى تصدرها جمعية خريجى كليات العلوم منذ يناير

سنة ١٩٣٤ تنشر المقالات والبحوث وملخصات الرسائل باللغة العربية ، كما كانت تذيل اعدادها بمجموعات من المصطلحات التى ترجمتها الهيئات المختلفة .

جهود المجمع اللغوى

وكان مجمع اللغة العربية ، فريدا بين المجامع العلمية فى البلاد العربية ، اذ خص جانبا غير يسير من نشاطهفى ترجمة المصطلحات العلمية الى اللغة العربية ، وتكونت من اعضائه ومن خبراء مختصين من خارجه لجان مختلفة لترجمة هذه المصطلحات وتعريفها تعريفا علميا صحيحا ، فهناك لجان العلوم والاحياء والزراعة والكيمياء والصيدلة والطبيعة والرياضيات والطب والهندسة،وغيرها. وكانت القاعدة التى اختطها المجمع فى ترجمة المصطلحات العلمية كفيلة بايجاد أحسن الترجمات وأوفاها . فيجرى البحث فى بطون المعاجم اللغوية عن المقابل العربى ، فان اسعفت فبها ونعمت ، والا فمجال التعريب واسع فضفاض ، واشترط فى اسماء المواليد من نبات وحيوان أن يجمع الاسم العربي المحلي والاسم العلمي العالمى ، وذلك نظرا لتعدد الاسماء المحلية ، واختلاطها، ومنعا للبس ، وخاصة فى مجال البحث العلمى ، وكان مرور المصطلح بين أيدى الخبراء المختصين فىاللجان ، ثم مناقشته امام مجلس المجمع مجتمعا ، ثم امام مؤتمر المجمع الذى يضم ممثلين عن البلاد العربية ، كانت هذه الخطوات كفيلة بصقل المصطلح ، والوصول به الى اقصى ما يكون من الاتقان ، ومع ذلك فما ايسر أن يعدل عن ذلك كله اذا تبين فيه خطأ او وهن .

المؤتمرات العلمية العربية

وكانت مشكلة المصطلحات العلمية من المشكلات التى عالجتها المؤتمرات العلمية المختلفة فنوقشت المشكلة فى المؤتمر العلمي العربى الاول الذى عقد في الاسكندرية سنة ١٩٥٣ ، وصال المؤتمرون وجالوا فى موضوع المصطلحات واعيدت مناقشة المشكلةفىالمؤتمر العلمي العربى الثانى الذى عقد فى القاهرةسنة ١٩٥٥ ، وكانت لجنة الاعداد للمؤتمر قد اعدت بضعةآلاف من المصطلحات . وأمام كل مصطلح الترجمة العربية المستعملة فى هذا القطر او ذاك من اقطار الوطن العربى ، وكان الاتحاد العلمى قد استقدم خبيرا أجنبيا من هيئة اليونسكو ، له دراية بشؤون المصطلحات الذى اوصى بان تؤخذ المصطلحات المَعبُرة وهى التى اتفق على تعريفها فى المؤتمرات العلمية واكتسبت صفة الدولية او العالمية ، وأن تعالج المصطلحات اولا حسب موضوعاتها لا حسب ترتيبها الهجائى، حتى يمكن التمييز بسهولة بين المصطلحات المتقاربة المعنى والمدلول . وان تعرض على الخبراء للاتفاق على الترجمة العربية للمصطلح وتعريفه ،وتم بذلك ترجمة الف واربعمائة مصطلح فى علم الطبيعة .

وفى المؤتمر العلمي العربي الثالث الذى عقد فى بيروت سنة ١٩٥٧ ، عرض على المؤتمرين من العلماء العرب بضعة آلاف من المصطلحات العلمية ، واتفق المؤتمرون على توحيد الترجمة العربية لعدد كبير منها ، وكان التباين واضحا بين البلاد العربية ، فامكن التقريب بين وجهات النظر المتضاربة وكان مؤتمر بيروت خطوة كبيرة فى مجال توحيد الترجمة العربية للمصطلحات العلمية فى البلاد العربية .

جامعة الدول العربية

وفى هذه الاثناء عقدت جامعة الدول العربية عدة اجتماعات بين المختصين من

اساتذة العلوم فى البلاد العربية ، وتم توحيد الترجمة العربية لعدد كبير من مصطلحات العلوم المستعملة فى المدارس الثانوية ، كما انشأت الجامعة العربية اخيرا مكتبا للتعريب فى الرباط ، لعله يقوم بدوره فى هذا المجال .

معجم المصطلحات العلمية والفنية

كما اصدرت القوات المسلحة معجما للمصطلحات الفنية ، يحوى بين دفتيه نحوا من خمسة وثلاثين الف مصطلح ، شارك فى وضعه عدد كبير من الاساتذة المختصين فى الجامعات المصرية ، انتظموا في نحو ثماني لجان ، اختصت كل لجنة بموضوع من الموضوعات الكيميائية او الكهربائية أو الطبيعية أو البيولوجية ، ثم تعرض ما تقره هذه اللجان على لجنتين للصياغة والتنسيق واخيرا تعرض على لجنة عليا للصياغة والمراجعة النهائية .

الاتحاد العلمى العربى والمؤتمرات العلمية مرة اخرى

ثم كان عقد المؤتمر العلمى العربى الرابع فى فبراير ١٩٦١ فى القاهرة فرصة لعرض مجموعة كبيرة من المصطلحات العلمية تبلغ بضعة عشر الف مصطلح ، تشمل علوم الرياضيات والكيمياء والطبيعة والجيولوجيا والنبات والحيوان والحشرات ، اصدرها الاتحاد العلمى العربى ، الذى اضطلع منذ انشائه بعقد المؤتمرات العلمية وتنفيذ توصياتها بشأن المصطلحات وغيرها .

وفى المؤتمر العلمى الخامس الذى عقد فى بغداد فى مارس ١٩٦٦ ، اتخذت بشأن المصطلحات العلمية توصية هامة ، هى ضرورة وضع معجم علمى عربى موحد ، يعمم استعماله فى البلاد العربية، وانعقد مؤتمر اللغة العربية الذى عقد فى نوفمبر سنة ١٩٦٥ ، وقد ناقش موضوع المصطلحات العلمية ، وكان قد خصص جانبا من جلساته لمناقشة عدد كبير من المصطلحات العلمية ، وكذلك تهيأت الاسباب للعمل على اصدار معجم علمى عربى ، فقد اصبحت العربية لغة التدريس فى كثير من سنى الدراسة فى الكليات العلمية فى الجامعات والمعاهد العليا ، وبذل الاساتذة كل فى مجال تخصصه جهدا مشكورا فى ترجمة المصطلحات وتعريبها ، ولا ينبغى ان ننسى فى هذا المجال المعجم الرائد الذى وضعه استاذ ضليع فى العلم واللغة ذلك هو معجم شرف ، الذى مازال نموذجا يحتذى ، فى مجال ترجمة وتعريب المصطلحات العلمية ، وهناك معاجم اخرى لا باس من الاشارة لها ، مثل معجم الحيوان للمعلوف ومعجم النبات للأمير مصطفى الشهابى ومعجم المصطلحات لمظهر ، ومعجم النبات لأحمد عيسى ، ومعجم بأسماء النبات لبديفيان وغيرها . كما أصدر مجمع اللغة العربية نحو ثمانى مجموعات تشمل ما تم اقراره من تراجم وتعاريف للمصطلحات العلمية فى مختلف فروع العلوم الطبيعية .

المجلس الاعلى للبحث العلمى

ومنذ بضعة اشهر اخذ المجلس الاعلى للبحث العلمى على عاتقه الاعداد لاصدار معجم علمى عربى موحد ، يضم نحو مائة الف مصطلح . ووضع الخطة لانجاز هذا العمل فى مدة اقصاها خمس سنوات ، وجند لذلك نخبة ممتازة من الاساتذة المختصين ، كون من بعضهم لجنة عليا للصياغة والمراجعة النهائية ، ولجنتين كبيرتين لمراجعة ما تحققه اللجان المختصة في كل علم على حدة، وبدأ الجهاز التنفيذى فى اعداد بطاقاته وجذاذاته ، لكل المصطلحات التى اصدرها مجمع

اللغة العربية والاتحاد العلمي العربي ومعجم المصطلحات العلمية والفنية ، وتبلغ هذه وتلك نحوا من ستين الف مصطلح ، وستتابع اللجان المختصة تزويد المعجم بنحو اربعين الف مصطلح مما يستعمل في التدريس بالجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمي ، وما يتناول العلوم الاساسية والتطبيقية من كيمياء وجيولوجيا ورياضيات وفلك ونبات وحيوان وتشريح وطبيعة وطب وانسجة وامراض وهندسة والكترونيات وزراعة وصيدلة واحياء وتعدين وبترول، وغيرها من فروع العلم ومستحدثاته .

وقد قدر المجلس الاعلى للبحث العلمي لانجاز هذا العمل واصدار المعجم نحو خمس سنوات كما تقدم القول ، ونحن نرجو للقائمين على هذا الامر التوفيق حتى تستعيد اللغة العربية مكانتها العلمية التي كانت لها في سالف الايام .

وان نظرة الى هذا الثبت الحافل من عشرات الالوف من المصطلحات ، التي تمت ترجمتها فعلا الى اللغة العربية ، وعم استعمالها بين المشتغلين بالعلم في الجامعات والمدارس والمعاهد ، لتدل على مدى الجهد الذي بذلته عصبة من اولى العزم من العلماء اعضاء هذه المجامع والهيئات العلمية ، الذين غاصوا في بطون المعاجم اللغوية لاستخراج الالفاظ الملائمة لمستحدثات العلم واجهزته وادارته ، وانه لجهد خارق بذله هؤلاء الرواد عن طواعية ، حتى يطوعوا لغة الضاد للكيمياء والجيولوجيا والطب والهندسة والذرة والصاروخ ، وعلوم الوراثة والكهرباء والمغناطيس وسفن الفضاء . وسايرت اللغة العربية عصور البخار والكهرباء والذرة والصاروخ ، ولم تقعد عن ملاحقة الركب ، لولا هذا التعويق الذي يأتي عن طريق نفر من ابنائها ، يستسهلون استعمال اللغات الاجنبية ، فيظن شبابنا ان هذه العلوم مستوردة من الخارج ، مع انها بضاعتنا ترد الينا ، ومع اننا نحن العرب اهل اصالة واثالة فيها .

لقد ميز المختصون بين الالفاظ الدالة على المقاومة والمعاوقة والممانعة ، ثم بين المحاثة والمسارعة ، وبين التدهور والتحلل والانحلال ، وقالوا الاس الايدروجيني ثم الجهد الايدروجيني ، ثم عدلوا عن ذلك كله الى الرقم الايدروجيني ، وقالوا الارمصاص ثم التجمع السطحي ، واخيرا قالوا الامتزاز للدلالة على هذه الظاهرة التي يعرفها اصحاب الكيمياء .

وعرفوا الوحدات المختلفة من فولط وامبير وواط ، وطاقة وعزم وكثافة وشغل ، وقالوا النترون والميزون والالكترون ، ولم يكن بأس من قولهم مذياع وتلفاز ومطياف وما اليها .

ووضعوا الرموز للعناصر الكيميائية ، التي شايع العرب الاغريق يوما في انها اربعة ، وانها اليوم لتزيد على المائة لم تضق العربية باسمائها ورموزها واملاحها ومعادلات توضح تفاعلاتها .

ومع ذلك لاينبغي ان تصرفنا حماستنا للغتنا العربية عن العناية باللغات الاجنبية ، حتى يمكن متابعة البحوث العلمية بلغاتها الاصلية .

وبعد فلا شك ان مثل هذا المعجم العلمي العربي الموحد ، الذي ستتضافر الهيئات العلمية في البلاد العربية على اصداره في المستقبل القريب ، سيكون بعيد الاثر في تقريب منهل الثقافة العلمية لمن شاء وردها من الناطقين بالضاد في مختلف ارجاء الوطن العربي . وسيعلم ابناء العربية ، ان لغتهم لم تقصر عن مواكبة ركب العلم في مختلف مجالاته ، وانها لقمينة ان تكون لغة العلم .

والله ولي التوفيق ،،،

عبد الحليم منتصر

ابن خلدون
صاحب فلسفة التاريخ

● التاريخ عند ابن خلدون علم، له كسائر العلوم قوانينه، وله منهجه
● آمن ابن خلدون بالتطور، واهتم بتقصي الأسباب والعلل

بقلم : الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا

استاذ الفلسفة بجامعة بيروت العربية

■ لقد كان التاريخ قبل ابن خلدون لونا من ألوان الادب ، ونوعا من المسامرة وسرد الحوادث وكثيرا ما كان يتوخى فيه امتاع النفوس ومؤانستها واثارة كوامنها . أجل هكذا كان التاريخ قبل ابن خلدون عند العرب او غير العرب: فقد نظروا اليه جميعا نظرتهم الى ديوان أخبار وجعبة حوادث ، ولم يعدوه علما من العلوم له أصوله وأسسه ومناهجه ، فكانوا اذا عرضوا للدولة مثلا نسقوا اخبارها محافظين على نقلها ،دون أن يتعرضوا لبدايتها او يذكروا السبب الذي رفع من رايتها ولا علة الوقوف عند غايتها . فهم يتجاهلون العلية ولا يبنون بحثهم على أسس علمية .

التاريخ علم له قوانين تجرى عليها احداثه

فلما جاء ابن خلدون في القرن الرابع عشر للميلاد لم يشأ ان ينظر الى التاريخ كرواية تدون ، بل كعلم يستحق الدرس . وقد اراد ان يكتب التاريخ على أسس علمية منهجية تعتمد على الشرح والتعليل ، فدرس احداثه وظواهره ، يجرد منها قوانين عامة ونواميس مطردة . فمناط الطرافة في ابن خلدون انه لم يتقدمه باحث عربي او يوناني قدحت في ذهنه هذه الفكرة : تجريد القوانين والنواميس العامة من سير التاريخ .

قبل ابن خلدون كان الفلاسفة والعلماء يعتقدون ان الطبيعة وحدها هي المحكومة بالقوانين، فالنار تشب الى أعلى والماء يجري في حدور ، والمعدن يتمدد بالحرارة ، فاما حوادث التاريخ وظواهر المجتمع فلا ضابط لها من قانون ، بل تسيرها الاهواء واطماع رجال السياسة والقوى الخارقة. وحسب ابن خلدون فخرا انه لم يفرق بين ظواهر التاريخ والمجتمع وظواهر الطبيعة ، من حيث خضوعها جميعا لنظام واحد شامل لا يتخلف .

التاريخ عند ابن خلدون ، ظاهر وباطن

وها هو ابن خلدون يبين حقيقة التاريخ احسن بيان ، ويعرفه تعريفا علميا صحيحا حين يقسم التاريخ الى ظاهر وباطن فيقول : « ان التاريخ في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الأيام والدول والسوابق في القرون الأولى ، تنمو منها الاقوال وتضرب منها الامثال ، وتطرف بها الأندية اذا

قصها الاحتفال » ، ولكنه « في باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق . وهو كذلك اصيل في الحكمة وعريق ، وجدير بان يعد في علومها وخليق » (١) .

نرى في هذا ان مفهوم التاريخ قد اكتسب عند ابن خلدون ثراء عظيما ، لانه لم يعد ينحصر في تدوين الوقائع ، بل لقد اصبح تعليلا لها . وهذا التعليل يجب أن يعتمد على الملاحظة والمقارنة ودراسة البيئة واصول العادة وقواعد السياسية وطبيعة العمران واوضاعه وامكانياته ، والعوامل المختلفة التى تتفاعل فيه ... فالاخبار كما يقول ابن خلدون « اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانسانى ، ولا قيس الغائب فيها بالشاهد والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق » (٢) .

التاريخ له ، كسائر العلوم ، منهجه

وهكذا فالجديد في دراسة ابن خلدون التاريخية انما هو المنهج . اما سرد الوقائع وجمع الحوادث فامر تافه جدا يلتقى المؤرخ فيه مع المؤرخين التقليديين ، وكثير ما هم ! فهو اول من قال بان التاريخ علم كسائر العلوم الاخرى ، له موضوعه ومنهجه الذى ينتهى به الى طائفة من القوانين العامة التى يمكن بها تفسير الاحداث البشرية تفسيرا علميا يرد كل حدث الى اسبابه وعوامله .

ان موضوع هذا العلم ، علم التاريخ ، عند ابن خلدون ، انما هو الاحداث البشرية الماضية في علاقاتها بتطور المجتمعات وعلاقات هذا التطور بالظواهر الطبيعية .

واما منهجه فهو النقد والاستقصاء والمقارنة والملاحظة : نقد الاخبار نقدا علميا ، ونقد الطرق المتبعة عند المؤرخين ، والتعرف الى مواطن الخبر واستقصاء مظانه ، ومناقشة الروايات والمقارنة بينها . وبذلك تكمل الرواية وتحقق الدراية ما عسى أن يكون في الخبر من تحريف او مبالغة او تزوير . اذ كثيرا ما يتطرق الكذب الى الروايات تشيعا لراى ، أو زلفى لحاكم أو رئيس ، وما الى ذلك مما سيأتى بيانه . فهناك صناع للاخبار والروايات يدلسون ويزيفون لحاجة في نفوسهم . وما احوج المؤرخ الى اطلاع واسع ومعرفة مستفيضة تعينه على النقد والتمحيص . ولا بد له أيضا من دقة في الملاحظة تكشف له عن الامور الثابتة والعرضية ، ويقيس الغائب بالشاهد ، فيقارن بينهما لمعرفة ما بين الشاهد والغائب من الوفاق ، أو بون ما بينهما من الخلاف ، وتعليل ما يتفق منهما وما يختلف .

الأسباب التى يتطرق الكذب الى الخبر منها

ويعدد ابن خلدون الاسباب التى يتطرق الكذب الى الخبر منها : « فمنها التشيعات للآراء والمذاهب : فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر ، أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه ، واذا خامرها تشيع لراى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة ، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين يحجب بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص ، فتقع في قبول الكذب ونقله .

« ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار ايضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح .

« ومنها الذهول عن المقاصد ، فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع ، وينقل الخبر على ما فى ظنه وتخمينه فيقع فى الكذب » .

« ومنها توهم الصدق ، وهو كثير ، وانما يجىء فى الاكثر من جهة الثقة بالناقلين .

« ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع لاجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع ، فينقلها المخبر كما راها وهى بالتصنع على غير الحق في نفسه .

« ومنها تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك ، فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقته ، فالنفوس مولعة بحب الثناء ، والناس متطلعون الى الدنيا وأسبابها من جاه او ثروة ، وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في اهلها .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، لجنة البيان العربى — ص ٢٠٩

(٢) مقدمة ابن خلدون ، لجنة البيان العربى — ص ٢١٩

« ومن الأسباب المقتضية له أيضـــا ـ وهي سابقة على جميع ما تقدم ـ الجهل بطبائع الأحوال من العمران : فان كل حادث من الحوادث ـ ذاتا كان أو فعلا ـ لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته ، وفيما يعرض له من أحواله . فاذا كان السامع عارفـا بطبـائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها ، أعـانه ذلـك في تمحيص الخبـر على تمييز الصدق من الكذب » (٣) .

« وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني اسرائيل ، وان موسى عليه السلام احصاهم في التيه ، بعد ان اجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها ، فكانوا ستمائة الف أو يزيدون » (٤) .

فالمسعودي هنا انما وقع في شطط لا يقره عقل لانه كان جاهلا بطبائع الأحوال ، اذ كيف يتسع التيه لمثل هذا العدد الضخم ؟ كيف يصطف مثل هذا الجيش الجرار ويتحرك للقتال في تلك الارض الضيقة ؟ وكذلك كان المسعودي جاهلا بطبيعـة العمران نفسه فضلا عن جهله بطبيعة الأحوال حين زعم مثل هذا الزعم . فالقاعدة التاريخية عنـد ابن خلدون ان « لكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها تقوم بوظائفها وتضيق عمـا فوقها ، تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحـوال المألوفة (٤) . وان مملكة يكون لها من حملة السلاح ستمائة الف أو يزيدون ينبغي لحدودها أن تتعدى المدى الذي عرف لمملكة اسرائيل قديما . فما دام ذلك لا يعقل حصوله في الآني (الحاضر) فكذلك لا يعقل حصوله في الماضي « فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء » .

لذلك كان لزاما علينا في تحقيق الاخبـار ان نعرضها على مقياس العقـــل والبرهان ونقارن الوقائع التاريخية باشباهها . ذلك ان الظروف المتشابهة ينتج عنها في نظر ابن خلدون وقائــع متشابهة . الأمر الذي يجعلنـــا نستطيع بمعرفة الحاضر معرفة صحيحة أن نعرف ما لم يتكامل له معرفته من الحوادث الماضية ، بل نستطيع في ضوء الحاضر استشفاف أمور المستقبل .

معايير تمحيص الأخبار

واذ قد تبين ابن خلدون جملة المزالق والأسباب التي توقع المؤرخين في الكذب ، كان لا بد له من ايجـاد المعايير التي يستطيع بها كل مؤرخ وكل قارىء للتاريخ ، تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها . وهذه المعايير قد استفاد ابن خلدون بعضهـــا على الأقل من علم التعديل والتجريح في الحديث ، وهي علـى درجات ، أهمهـــا عند ابن خلدون معرفة « طبائع العمران ، وهو أحسن الوجوه واوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها . وهو سابق على التمحيص بتعـديل الرواة ، ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم ان ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع . واما اذا كان مستحيلا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح. ولقد عد أهل النظر في المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله بما لا يقبله العقل . وانما كان التعديل والتجريح هو التعبير في صـحة الأخبار الشرعية لان معظمها تكاليف انشائية أوجب الشارع العمل بها ، حتى حصل الظن بصدقها . وسبيل صـحة الظن الثقة بالرواة بالعـدالة والضبط » .

« واما الأخبار عن الوقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة . فلذلك وجب أن ينظر في امكان وقوعه ، وصار فيها ذلك أهم مـن التعديل ومقدما عليه . اذ فائدة الانشاء مقتبسة منه فقط ، وفائـدة الخبر منه ومن الخـارج بالمطابقة . واذا كان ذلك، فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالامكان والاستحالة ، أن ننظر في الاجتمـاع البشري الذي هو العمران ، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه، وما يكون عارضا لا يعتد به ، وما لا يمكن ان يعرض له. واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار ، والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه . وحينئذ فاذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمـران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه ، وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه » (٥) .

المنهج التاريخي المقارن

في هذا النص بيان واضح للمعايير التي يقترحها ابن خلدون لتمحيص الأخبار . فأول شيء يجب

(٣) المصدر السابق ٢٦١-٢٦٢ ، (٤) المصدر السابق ص ٢٢٠ (٥) المصدر السابق ص ٢٦٤-٢٦٥

على المؤرخ القيام به انما هو دراسة الأحوال العامة للعمران في العصر الذي يعالجه والأوضاع التي تسود فيه. ثم يبدأ بعد ذلك بتطبيق ما نسميه اليوم المنهج التاريخي المقارن Methode Historique Comparee فيوازن ويقارن بين الوقائع الخاصة في العصر الذي يدرسه وبين الوقائع المماثلة لها في العصور الأخرى والروح العامة التي تسود في كل عصر والظروف الخاصة بكل واقعة من الوقائع. وعندئذ سيظهر له ان ثمة وقائع مستحيلة يجب اسقاطها نهائيـــا ولا مجال للنظر في تعديلها او تمحيصها، فهي زائفة اساسا. وهناك وقائـــع محتملة يجب دراسة كل واحدة منهـــا على حدة وفق الاحوال العامـــة للعصر الذي وقعت فيه، وبذلك تستطيع معرفة نصيبها من الصحة ومن الزيف. واما الاخبار الشرعية، فهي لما كانت تكاليف انشائية اي مجرد اوامر ونواه، فالمطلوب فيها توثيق الرواة ومعرفة ما يمكن ان يوجه اليهم من تجريح، وذلك كمـــا يقول رجال الحديث. فالمنهج المقارن اذن يكشف لنا عن الوقائع المستحيلة فتستبعد، ثم الوقائع المحتملة، فتستبقى الى ان يبت في امرها ويعرف ما فيها من الصحة والزيف.

الأسباب والعلل

وهناك ناحية أخرى ظهر فيها فضل ابن خلدون ويمكن ان تعد نتيجة منطقية لنظريته العلمية في فهم التاريخ: وهي اهتمامه بتقصي الأســـباب والعلل والدواعي للواقعات والحوادث. فالحوادث ترتبط بعضهـــا ببعض، ارتباط العلة بالمعلول. ولذلك نجد ابن خلدون في « المقـــدمة » يقرر استقراءاته في صورة قضـــايا عامـــة ثم يبـــدأ في تحليلها بذكر عبارتي « والسبب في ذلك » « وذلك لان ». ولهذا ينقد من سبقه من المؤرخين لغفلتهم عن ذكر اسباب الوقائع والأحداث. فهم يحافظون « على نقلها وهما او صدقا، لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها واظهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها (٦).»

فالتاريخ ظاهرة طبيعية كأي ظواهر الطبيعـــة الاخرى، لها قوانين وسنن تسير على مقتضاها وتجري في مجار تهيئها لها عوامل مختلفة في كل قانون السببية الذي تخضع له الأحوال الطبيعية سواء بسواء: فلكل حادث سبب معقول يرجع اليه حدوثه. فاذا تبينت الأسباب فهمت الحادث وأثبته، والا حق لك أن ترتاب وتبحث: هذا هو قانون السببية يجب تطبيقه على التاريخ وحوادث التاريخ بعد ان كان مقصورا على الطبيعة وظواهر العالم المادي. واذا كانت غاية العلم التنبؤ، واذا كان ابن خلدون ينادي بادخال السببية في مجـــال البحث التاريخي، ولما كانت معرفة السبب مـــن شأنها أن تساعد على معرفة المسبب، فان ملامح المستقبل انما تعود الى أسباب تتفاعل في الوقت الحاضر. واذن فالمستقبل يمكن التنبؤ به، وعلى الاقل هناك اساس علمي للتنبؤ بالمستقبل، وبالتالي فالتاريخ علم.

فكرة التطور عند ابن خلدون

وقد عُنِيَ ابن خلدون بظاهرة الصيرورة او فكرة التطور التدريجي في الحياة الاجتماعية عناية فائقة، وكان ذلك حجـــر الزاوية في تحقيقاته التاريخية. فقد لاحظ بمنتهى سداد الرأي تبدل الأحوال في الامم والاجيال، وتنبه الى أن لكل جيـــل احواله وعوائده التي لا تبقى على وتيرة واحدة بل تختلف باختلاف الزمان والمكان. يقول ابن خلدون: « ومـــن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الامم والأجيال بتبدل الاعصـــار ومرور الأيام. وهو داء دوي شديد الخفاء، اذ لا يقع الا بعد احقاب متطاولة، فلا يكاد يتفطن له الا الآحاد من أهل الخليقة. وذلك ان أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحـــدة ومنهاج مستقر، انمـــا هو اختلاف على الايام والأزمنة وانتقال من حال الى حال. وكمـــا يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والامصار فكذلك تقع في الآفاق والاقطار والأزمنـــة والدول. سنة الله التي قد خلت في عباده »(٧).

ولئن بدت هذه الملاحظة في أيامنا من الوضوح بحيث لا تحتاج الى فضل بيان، فما ذلك الا لان التقدم العلمي الهائل في الوقت الحاضر قد جعل الاحداث تترى سراعا، وأساليب الحياة تتبدل بين عشية وضحاها. لقد ألفنا التبدل والتغير في هذا العصر حتى لم نعد نتصور الأمور تجري على خلاف ما نرى. فالتاريـــخ اليوم يسير في سنين معدودة ما لم يسره في آلاف السنين في الماضي.

---

(٦) المصدر السابق ص ٢١٢ (٧) المصدر السابق ص ٢٥٢

انه يقفز قفزات مذهلة لا ندرى الى اين ستؤدى بنــا . فاذا جاء رجـل في القرن الرابع عشر كابن خلدون ولمح بنظرته الشاملة المستوعبة دبيب التاريخ ، في وقت كان كل شيء يبدو ساكنا راكدا لا حراك فيه ، كان ذلك دليلا على عبقرية الرجل وبعد نظره وقوة ملاحظته .

وليس بصحيح ما اتهم به ابن خلدون من انه عدو لفكرة التطور والتقدم في التاريخ . فهو في الواقع اول من قال بهذه الفكرة واول من نادى بها بين المؤرخين القدماء . وهى جماع الأمر كله في فلسفة التاريخ ، لأن فلسفة التاريخ تنصب على فكرة التقدم المطلق للحياة البشرية . وهى فكرة ظهرت في القرن الثامن عشر في أوروبا ، بعـد ان انضجتها تجارب واحداث كثيرة وجهـد السبيل اليها ما بلغته الانسانية آنذاك من تقدم نسبى في العلم والمعرفة ، وبمقدار ما كان من الصعب قبل ذلك أن يتطرق الذهن اليها ، أصبح من السهل رؤيتها بعد أن تبلورت واتضحت معالمها .

ما يحتاجه المؤرخ من علم

واخيرا يدرك ابن خلدون مبلغ شمول موضوعه وتشابكه بغيره من الموضوعات عندما يؤكد أن المؤرخ الصحيـح « محتاج الى مآخذ متعـددة ومعارف متنوعـة وحسن نظـر وتثبت ، يفضيان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط » . ويوضح ابن خلدون ما يقصـده بالمآخذ والمعارف فى موضع آخر فى « المقدمة » فيقول : « فاذا يحتاج صاحب هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والاعصار فى السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطـة بالحاضر من ذلك ، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق ، او بون ما بينهما من الخلاف ، وتعليل المتفق منها والمختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ومبادىء ظهورها واسباب حدوثها ودواعى كونها ، واحوال القائمين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لأسباب كل حادث ، واقفا على أصول كل خبر . وعندئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول ، فان وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا،والا زيفه واستغنى عنه .

فالحدث التاريخى اذن ليس بسيطا ، بل هو ظاهرة معقدة متعددة الوجوه والجوانب يحتاج تفسيرها الى الكثير من الحذر .

فلسفة التاريخ

هذا هو مجمل آراء ابن خلدون فى التاريـخ التى اشتهرت فيما بعد باسم « فلسفة التاريخ » لان اصحابها يستنبطون نظرياتهم من حقـائق التاريخ ويطلق على هذه الآراء ايضا اسم «فلسفة الحضارة » لأنها دراسة للحضارة الانسانية فى تناسقها الداخلى وسيرها المنظم . وأول من لمس هذه البحوث لمسا خفيفا رقيقا هو المؤرخ اليونانى تيوسيديد الذى ظهر فى القرن الخامس قبل الميلاد وكتب فى تاريخ حروب البيلوبونيز . وكانت له نظرات عامة فى تاريخ اليونان ضمنها تفسـيرا للاحداث ونقدا لها . ولكنه لا يسمو الى مرتبة ابن خلدون فى العمق وقوة التحليل والتعليل . فضلا عن ان هذا الاخير لم يطلع على كتابات تيوسيديد ولم يكن فى مقدوره ان يطلع عليها ، لا لشىء الا لانها لم تنقل الى اللغة العربية .

واول من افتتح هذه البحوث فى اوروبا العلامة الايطالى فيكو Vico (المتوفى سنة ١٧٤٤) فى كتابه « العلم الحديث » الذى ظهر بعد «مقدمة» ابن خلدون باكثر من ثلاثة قرون . وكان لبحوث فيكو صدى كبير فى الدراسات الاجتماعية حتى لقد عده بعضهم بسبب هذه البحوث ابا لعلم الاجتماع .

وقد شايعه فى بحوثه هذه عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين اشهرهم ليسينج Lessing وهـردر Herder وكنط Kant فى المانيا . وفولتير Voltaire وكوندورسيه Condorcet فى فرنسا .

وهؤلاء بحثوا فى فلسفة التاريخ ، وقد تأثرت دراساتهم بعوامل متعددة فاختلط فيها الاتجاه العلمى بالتوجيه الفلسفى ، والميول الشخصية والمعايير المثالية ، فخرج كل واحد منهم بنظرية فى الحضارة تتفق مع مذهبه .

لذلك لم يكن توينبى Toynbee شيخ المؤرخين المعاصرين وفيلسوفهم ــ مبالغا حين قال فى كتابه « دراسة التاريخ » : « ان ابن خلدون قد انتج اعظم كتاب من نوعه ابدعه انسان فى كل زمـان ومكان » . ■■

محمد عبد الرحمن مرحبا

---

(٨) المصدر السابق ص ٢١٩ .

(٩) المصدر السابق ص ٢٥١ ــ ٢٥٢ .



حرب فتنام حرب صليبية مقدسة

عن صحيفة « لاناسيون » الفرنسية :

● ينوى الامريكيون توسيع نطاق« حربهم المقدسة » فى فتنام خلال هذا العام الحالي (١٩٦٧) . ولعلنا نذكر كيف بدأت السنة الماضية بحملة سلام امريكية عارمة ، وكيف انتهت بأسوأ نذر الشؤم لتلك الحرب ... على اننا لا ننسى ان الحملة المذكورة كانت من الطنين والدوى بما حال دون حملها على محمل الجد ...

وتجلى ذلك لا فى تجاهل الامريكيين لسائر نداءات السلام فحسب ولكن فى اعتقادهم أيضا أن وجودهم فى فتنام ضرورة تستوجبها الاعتبارات الاستراتيجية ، بل تمليها المبادىء والنواميس الخلقية . فنضالهم ضد الشيوعية اصبح فى نظرهم « حربا صليبية مقدسة » ، لا ينقصها الا صلوات وبركات رجال الدين ، كالكاردينال سبلمان Spellman الذى ابتهل الى الله عز وجل قبل حين ان ينصر « جنود المسيح الجدد فى فتنام » ...

هذا ، والزعماء الامريكيون ومعهم قادة الميدان مصممون على احراز النصر فى فتنام واقامة الدليل للعالم اجمع على ان الولايات المتحدة قوة هائلة جبارة لا تغلب ولا تقهر !! ولا ينال من تصميمهم هذا ان يكون عدد الذين لاقوا حتفهم فى فتنام قد بلغ ٧٧٠٠ فى السنة الماضية وحدها !

وهكذا بقيت الحرب المقدسة التي صلى من اجلها الكاردينال الامريكي واستمرت . وباقتراب الانتخابات الامريكية فان احراز النصر فى فتنام ، او بالاقل تحاشي الهزيمة فيها ، قد اصبح من الضرورات التى يقتضيها بقاء الحكم والسلطان بأيدى حزب سياسي دون سواه .

ولا ريب فى ان الامريكيين لم يسعوا الى هذا التردى طوعاً . الا ان عماهم ، او بالحرى تعاميهم ، هو الذى حملهم على التصرف خلافاً لما يريدون ويختارون .

السياسة البريطانية

عن صحيفة « كويرديلا سيرا » الايطالية :

● ترى ، لماذا يطالب الانجليز بتطبيق مبدأ تقرير المصير فى مستعمرة جبل طارق ، وهم الذين احجموا عن تطبيقه ، بل عارضوه وتنكروا له بشدة وعناد ، فيما يتصل بقبرص ! او لم يكن فى وسعهم ان يفكروا ازاء قبرص على نحو ما يفكرون ازاء جبل طارق ، فيوفروا على انفسهم وعلى اهل الجزيرة

البيروقراطية فى بريطانيا وكيفية التخلص منهـا

عن صحيفة « الصنداى تلغراف » البريطانية :

● لعل الوظائف المدنية فى بريطانيا تشكل بمجموعها حكومة ضمن حكومة . اذ ليس لأحد سلطة عليها ، ما خلا الخزينة . ولا تعدو الخزينة كونها جزءا او عضوا فى ذلك الجهاز البيروقراطي ، جهاز الوظائف المدنية . اما الحديث عن خضوع ذلك الجهاز لمشيئة الامة ، فهو كالحديث عن الخرافات والاساطير . فما السبيل اذن لتحويل الاسطورة الى حقيقة واقعة !!

علينا انتزاع الجهاز الوظيفي من ايدى الخزينة والحاقه بلجنة او (ديوان) للخدمة العامة ، تشكل خصيصا لهذا الغرض وتكون مسئولة أمام البرلمان، كما تكون موازنتها سنوية، شأن الموازنة العامة.

كذلك علينا ان نخول اللجنة المذكورة سلطات مختلفة منها سلطة تعيين وتنحية كافة موظفينا بلا استثناء ، ومنها ايضا سلطة التحقيق فى ظلامات المواطنين واحتجاجاتهم المتصلة بتصرفات الموظفين ، هذا فضلا عن سلطة اتخاذ الاجراءات المناسبة بصدد تلك الظلامات والاحتجاجات .

المانيا الغربية فى طليعة الدول الاوروبية

عن مجلة تايم الأمريكية :

● تحتل المانيا الغربية مكانة مرموقة للغاية بين سائر الدول الاوروبية . فأهلها ينعمون بقدر من الرخاء لم يخطر لهم ببال من قبل . وتجارتها الخارجية تفوق تجارة كافة الدول الاخرى فى العالم أجمع باستثناء الولايات المتحدة الامريكية . اما قيمة انتاجها القومى الشامل فقد قفزت فى غضون الخمس عشرة سنة الاخيرة من ٥ر٢٤ الى ٢ر١١٢ مليار دولار. فضلا عن ذلك فان فيها مصانع سيارات فلكس فاجن ، Volkswagen وهى أكبر مصانع للسيارات فى اوربا ، ومعامل (باير) Bayer ، وهى اكبر معامل اوربا اطلاقا للادوية والمواد الكيماوية ، وفيها ايضا مصانع (هتته) Hütte للفولاذ التى لا يضاهيها فى اوربا كلها مصانع للفولاذ أخرى .. أضف الى ذلك ان المانيا الغربية خلو من البطالة ، بل ان فرص العمل فيها كثرت بحيث تدفق عليها ما لا يقل عن ٠٠٠ر٣٠٠ر١ عامل اجنبى ، اتوها من جنوب اوربا وشرقها .

والمانيا الغربية تحتل مكانة الصدارة فى المجال الثقافى والادبى أيضا . فكتابها المعاصرون قد زعزعوا بكتاباتهم أركان التفكير المادى الذى انتشر فيها كما انتشر فى غيرها فى الآونة الأخيرة . والأهم من ذلك هو انهم تغلغلوا الى اعماق الوضع الذى يعانيه انسان ما بعد الحرب ، بكل ما فى هذا الوضع من دقة وحدة . ويصدق ذلك اكثر ما يصدق على جنتر جراس Gunter Grass فى كتابه (طبل من تنك .. The Tin Drum) وهينريش بول Heinrich Boll فى كتابه (المهرج The Clown) واو جونسون Uwe Johnson فى كتابه (تكهنات حول جاكوب Speculations About Jakob) . ولا ريب فى أن هؤلاء الكتاب الالمان قد تخطوا الحدود التى وقف عندها غيرهم من الكتاب فى سائر البلاد الاخرى ، لا فيما يختص بفهم أزمة الانسان عموما فحسب ، وانما فيما يتصل بالأزمة التى تمر بها بلادهم أيضا . ■■

ومقاييسها المزدوجة

اعواما طوالا من الارهاب وحرب العصابات !!

بل انهم ما زالوا يحتفظون ويتمسكون بقاعدتهم العسكرية فى تلك الجزيرة المستقلة . ترى ، هل الباعث على تشبثهم بهذه القاعدة ، هو الحرص على تلبية رغبة القبارصة والاستجابة لمشيئتهم ، ام هو الحرص على اقامة الدليل على ازدواج المقاييس التى تعتمدها حكومتهم وتهتدى بهديها ؟!



فوق رمال الصحراء ظهرت نواكشوط ، مدينة حديثة جميلة هادئة .. كأنها من صنع جن خرج من مصباح علاء الدين

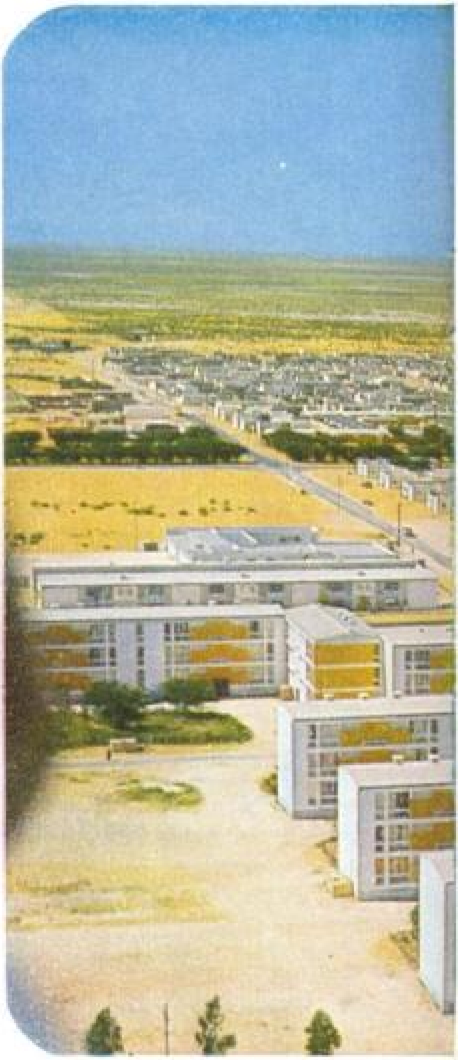
اعرف وطنك أيها العربي

نُواكشُوط

أحدَث عَاصِمَة، في أقصَى منطقة مِنْ

ننشر هـــذا الاستطـــلاع ، كما ننشر كل استطلاعاتنا جميعا ، بعيدا عن كل معنى ، الا معنى استطلاع شعب عربى ، أين يعيش ، وكيف يعيش ، وما حظه من الحياة . . وفى هذا الاستطلاع بالذات نعلم ان موريتانيا لم تقبل بعد فى الجامعة العربية لاعتبارات سياسية ؛ لا يمكن ان تمنع «العربى» من استطلاع قطر هو جزء من الأمة . ولا نحسب ان دولة عربية تسر بان تحجب عن سائر الوطن وجها مشرقا، او غير مشرق ، من ارض قحطانية كان من سوء حظ أهلها ، ان تكون موضع نزاع .





السحرى . . والى اليسار جندى يؤدى التحية .

قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

اوسكار مترى

وَطنَنا الكَبير

■ نزع الفرنسيون القميص والجاكيت ،ليرتدوا (الدراعة) الواسعة الفضفاضة .. وتركـوا السيارات ليركبوا الجمال .. استعاضوا عن طعامهم ، بصحون الكسكس .. حتى حليبهم المعقم هجروه ليشربوا حليب الناقة .. لقد سحرتهم طبيعة البلاد الرائعة ، فاستحالوا ـ لأول مرة فى تاريخهم ـ الى بدو عوضا عن أن يسهموا فى احالة البداوة الى حضارة ! تركوا كل شيء على ما هو عليه ، أوقفوا عقارب الزمن مدة نصف قرن فى موريتانيا ، فبقيت البلاد كما هى لم تتغير ولم تتطور ! .. لا شوارع .. ولا مدن حديثة .. حتى ولا خط للسكة الحديد ..

ولكن لكل شيء آخر .. كان لابد من نهاية لهذه البداية .. وجاءت هذه النهاية عام ١٩٥٧ أى بعد ٥٥ عاما من الاستعمار الفرنسى لموريتانيا .. فقد رحل الاستعمار عن البلاد تاركا لأبنائها « كل شيء » .. وما أتعس هذا الكل الذى تركوه .. لقد وجد الموريتانى نفسه يدور فى دوامة من الفوضى الضاربة فى كل شبر من بلاده الواسعة .. فقر ومرض .. تخاذل وتناحر .. حياة بدوية لا تعرف الاستقرار .. نقص مريع فى جهاز الموظفين .. عقليات وتقاليد غريبة قاسية .. وفوق كل هذا منظر المستعمر يبتسم من بعيد ابتسامة صفراء تثير أعصاب الشباب ، وتهز كيان الرجال ..

وزاد الطين بلة أن الفرنسيين كانوا يديرون شئون موريتانيا من مدينة خارج موريتانيا ، تقع على نهر السنغال وتدعى « سان لويس » ويقيم فيها الحاكم الفرنسى مع رجاله خوفا من رصاص « الشياطين العرب » كما كان يحلو لهم تسميتهم.

مولد عاصمة

ومع الاستقلال ولدت فكرة انشاء مدينة حديثة تصبح مركزا لهذه البلاد الواسعة التى تبلغ مساحتها ضعفى مساحة فرنسا .. فكان مولد مدينة نواكشوط صباح يوم ١٨ مارس ١٩٥٨ .

والى هذه المدينة العاصمة طارت بعثة «العربى» لتنقل لك أول استطلاع مصور تقوم به الصحافة العربية عن عاصمة موريتانيا : نواكشوط ، وهى كلمة بربرية تعنى الأرض الصلبة ..

وفى مطارها الصغير تم لقاؤنا الأول مع الشعب الموريتانى .. ذلك الشعب الذى قالوا لنا عنه :

« ستجدونه بعيدا عن كل ما يمت الى العروبة بصلة .. »

أكذوبة أخرى من الاكاذيب التى روجها الاستعمار فانطلت علينا وصدقناها . الا اننا لم نلبث ان وجدنا فى موريتانيا شعبا عربيا أصيلا لا فارق بينه وبين اخوانه العرب ، سوى أن الصحارى والفيافى فصلت بينه وبينهم ، فعزلته فى أقصى الجناح الأيسر من الوطن العربى ، عزلة تكاد تكون تامة ، كان من نتيجتها أن نسيه اخوانه العرب .. أما هو فقد ظل محافظا على تراثه العربى بغيرة وحماس شديدين ، فهو يعشق لغة القرآن ، رغم المصاعب والعراقيل التى كان يفرضها المستعمر بقصد الحد من تغلغل هذه اللغة فى غرب افريقيا .

كان العلماء يعلمون الناس الكتابة بالجريد والبراع ، ويستعملون الصمغ والفحم لقلة الحبر وانعدامه .. أما ورق الكتابة فكان الواحا انتزعوها من الاشجار .. وكانوا يجلسون على الأرض يرتلون القرآن ، ويحفظون الأدب ، ويتغنون بقصائد الشعراء العرب ، ويحفظون سيرهم عن الكتب الأثرية التى يتوارثها العلماء أبا عن جد .

وعندما يظهر الشاعر الموهوب المبدع بينهم يسمونه « الشاعر المفلق » ويحيطونه بكل مظاهر الرعاية والحنان .. الى حد يخافون معه عليه من البرد والحر على السواء ! .

مليون شاعر

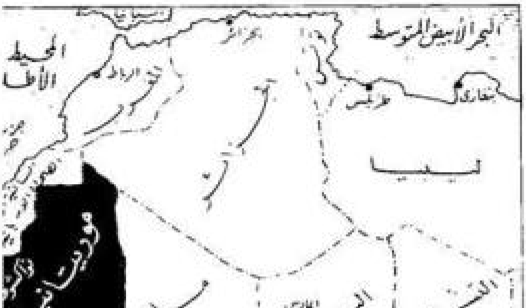
وسألناهم : كم عدد سكان موريتانيا ؟ ... فاجابونا : مليون شاعر ! .. نعم ، فكل أهالى موريتانيا شعراء .. واسمعوا هذه القصة :

« كنا نزور احدى مدارس البادية ، عندما التف حولنا الصبية الصغار يتطلعوننا بلهفة وينظرون الى هؤلاء القادمين اليهم من المشرق .. ثم جعلوا يسألوننا عن أشياء لا يمكن أن تخطر على بال .. قالوا : حدثونا عن امرىء القيس .. والفرزدق .. كيف كانا يعيشان ؟ .. قولوا لنا ما رأيكم فى شعر جرير ، وطرفة بن العبد ،والنابغة الذبيانى » !! ؟

وفى مدينة بوتلميت الصغيرة سألنا حاكمها عن حالة التعليم فى مدينته .. فأجابنا مفتخرا :

« لا يوجد أمى واحد فى مدينتنا ، فجميعهم يقرأون ويكتبون ، بل يحفظون الفية بن مالك » !!





تقع الجمهورية الاسلامية الموريتانية بين الجزائر ومالي والسنغال والمحيط الاطلسي .. مساحتها مليون و١٦٩ ألف كيلو متر مربع .. سكانها أكثر من مليون نسمة .. معادنها : الحديد النحاس والذهب.. صادراتها : المواشي،السمك ، الحديد، الصمغ ، الملح ، اللحوم ، الجلود .. عملتها : الفرنك الافريقي .. عيدها الوطنى ٢٨ نوفمبر . فى ٢١ مارس (آذار) ١٩٥٨ وضع الاستاذ المختار ولد داده الحجر الاساسى لمدينة نواكشوط

ولكن رغم هذا الاخلاص والاعتزاز والحنين الى كل ما هو عربى وما يمت للعروبة بصلة ، فان الشعب الموريتانى بأسره ما زال يشعر بأن اخوانه العرب قد تجاهلوه وتناسوه ..

قال لنا مسئول موريتانى : «منذ اعلان استقلال البلاد نهائيا فى ٢٨ نوفمبر ١٩٥٩ وآمالنا كلها متجهة نحو شقيقاتنا البلاد العربية ، تجلى ذلك فيما بعث به رئيس جمهوريتنا «المختار ولد داده» من رسائل الى الملوك والرؤساء العرب ، يرجوهم فيها مساندتنا ومد يد العون لنا ولبلدنا موريتانيا الوليدة التى تخلصت من الاستعمار لتلتحق بشقيقاتها الدول العربية .

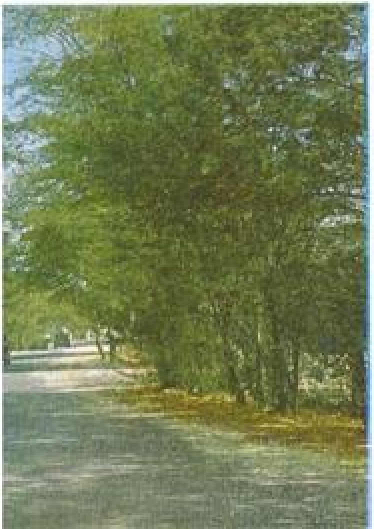
ولكن جميع الدول العربية ـ ما عدا تونس ـ ادارت لنا ظهورها .. ونحن بلد متخلف ، لهذا كان لا بد ان نعتمد على قوة تستندنا .. ووجدنا امامنا فرنسا تعرض علينا مساعداتها .. اننا غير



ما زال الناس في موريتانيا ينظرون الى أعمال كثيرة نظرة احتقار .. مثل مهنة الزراعة والبناء .. وفي تقرير رسمي للحكومة الموريتانية تبين ان نسبة العمال الاجانب تبلغ ٤٣ في المائة من مجموع عدد العمال .

يدين جميع سكان موريتانيا بالاسلام .. وهذا هو الجامع الكبير الجميل الذي نبدوه عند مدخل نواكشوط العاصمة

كانت الارض تلالا رملية حارقة،
الظل ، الذي ظهر بعد ٦







كانت هذه المبانى الجميلة اولى العمارات التى شيدت فى نواكشوط . لقد استعاضوا عن نقص الحجارة
والزلط (المطبوخ) بقواقع البحر ، خلطوها مع الاسمنت واستعملوها فى البناء ، وفى رصف الطرق

مبنى مجلس الامة فى نواكشوط . من المبانى الحديثة التى اعطت طابعا
جميلا للعاصمة . ان البناء متوقف حاليا فى العاصمة حتى تحل مشكلة الماء .



غرسوا فيها ٢٠ الف شتلة طلبا
سنوات ليلطف جو العاصمة .





تلاميذ من مختلف الاجناس والاعمار يتعلمون العربية في مدرسة بن عامر .. انها تعتمد على التبرعات في تأدية رسالتها وهى تعليم اللغة العربية وابقاؤها لغة حية فى غرب افريقيا ..



تضم نواكشوط مدرستان للأطفال واحدة العربية والفرنسية .. والاخرى خاصة يتعلم على أيدى مدرسات من فرنسا والسنغال ؛

متزوجين بفرنسا لكن نميل الى البلد الذى يعاوننا للنهوض من نومنا العميق .. »

وما لبثت موريتانيا أن سعت الى تعزيز مركزها على الصعيد الدولى ، فلم تكد تحل سنة ١٩٦١ حتى قبلت عضوا عاملا فى الامم المتحدة يحمل رقم ١٠٤ بين دول العالم المستقلة ذات السيادة .

العاطفة هى السبب

وبعد أن دعمت موريتانيا مركزها السياسى الخارجى التفتت لاصلاح حالتها الداخلية ،فبنت عاصمة لها ، وعملت على تثبيت اركان الجمهورية الناشئة وتوطيد أسسها .. ودارت الأيام ،واصبح عمر العاصمة نواكشوط أكثر من ثمانية أعوام ، بلغت خلالها درجة من القوة جعلت الجميع يسعون اليها ، بعد أن تركزت مختلف السلطات فيها .. وتدفقت الهجرة اليها من كل صوب حتى اكتظت المبانى وازدحمت المنشآت والسكان ..

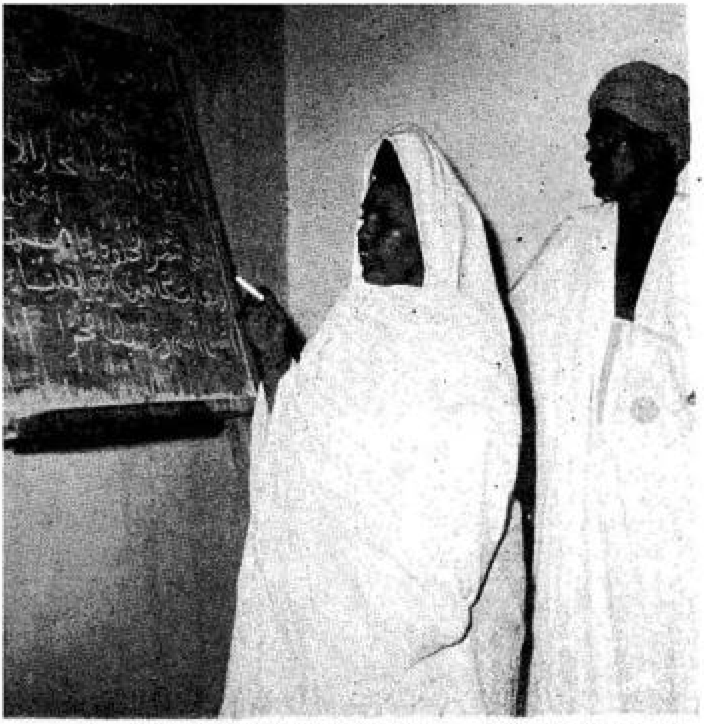
وعندئذ ظن كبار المسؤولين فى العاصمة ان أوضاع مدينتهم قد استقرت ، ولكن سرعان ما تكشفت لهم عشرات المشاكل والمتاعب، التى نشات بسبب الموقع الذى اختاروه لاقامة نواكشوط .

ان العاطفة وحدها هى التى أوحت اليهم بهذا الاختيار ، وهذا امر طبيعى فى بلد كموريتانيا يفكر الناس فيه أو يشعرون بقلوبهم أكثر مما يفكرون بعقولهم !

انه شعب عاطفى جدا اختار هذا المكان «الطيب مناخه وعليل هوائه » .. ووقوعه بجانب ضريح أحد كبار المرابطين ، أجداد الموريتانيين الحاليين .. وقالوا ان هذا الموقع متوسط بين الحدود الشمالية والجنوبية .. ولكن فى فورة حماسهم لم يفكروا فى أن الماء اللازم لشرب السكان يبعد ٦٠ كيلومترا عنهم ، وكذلك فاتهم أن اقرب قطعة حجر تصلح للبناء تبعد عنهم ٢٠٠ كيلومترا .. حتى شاطىء المحيط الاطلسى ، الذى يبعد ٥ كيلومترات ، ضحل قريب الغور ولا يصلح ليكون ميناء طبيعيا للعاصمة ..



حكومية يتعلم فيها الاطفال فيهـا الاطفال الفرنسية فقط كما ترى في الصـورة ..



أمتى أمة الفخار الابية .. هكذا تردد تلك الفتاة الطالبة في مدارس بن عامر ، مطلع القصيدة التى قالها « شوقى » ، كتبها على اللوحة استاذها الواقف الى جوارها الشاعر الموريتاني المتألق احمد عبد القادر .

اغراء هائل ..

ولكن رغم كل هذه الصعاب قامت نواكشـوط .. مدينة جميلة وسط الصحراء الجرداء ... لقد دفعت فرنسا مبلغ ثلاثة مليارات من الفرنكات الافريقية من أجل اقامة المبانى الحكومية (أى ما يعادل ٤ر٥ مليون جنيه استرلينى) *

واعلنت الحكومة الموريتانية عن حرية تملك الاراضى فى منطقة العاصمة لمن يشاء لمدة ٦ شهور ، تبدأ من تاريخ صدور قرار نقل العاصمة من سان لويس الى نواكشوط .

والظاهر أن هذا العرض كان يحمل اغـراء هائلا ، فقد نزل المنطقة اناس من كل حدب وصوب حتى بلغ عددهم عام ١٩٦٦ ما يقرب من عشرين الف نسمة ، أى ضعف تقديرات الخبراء وتكهناتهم بان عدد سكان نواكشوط لن يزيد عن ١٠ آلاف نسمة فى عام ١٩٧٠ !

ولعل فى هذا الاقبال على العيش فى مدينـة حديثة أكبر دليل على ما يصادفه ابناء الباديـة من تعب وعناء فى حلهم وترحالهم وعلى ميلهـم الى استيطان المدن طلبا للراحة والاستقرار .

تجميد البناء

وكادت الأمور تؤدى الى كارثة فى نواكشـوط فقد تشعبت المدينة ، واتسعت فى كل اتجاه دون أن تفسح المجالات للدراسات العلمية اللازمـة لمواجهة هذا الانفجار الحضرى الذى ظهر فـوق الصحراء .

وتنبه المسئولون الى خطورة الحالة ، فاصدروا قرارا بتجميد وايقاف هذا التدفق الجنونى نحو البناء ، وبدأوا فى رسم سياسة تخطيطية جديدة تستطيع مواجهة هذا الوضع الخطير .

وفى أدراج مكتب مدير بلدية نواكشوط ثلاثة الاف طلب لبناء منازل جديدة ، ومائة طلب اخر لبناء متاجر كبيرة ، تجمدت كلها حتى تحل مشاكل العاصمة ..

---

* الجنيه الاسترلينى يساوى ٦٧٥ فرنكا افريقيا.



تعتبر موريتانيا اغنى بلد فى غرب افريقيا فى ثروته الحيوانية المتمثلة فى اكثر من ١١ مليون رأس من البقر والغنم والخيل والابل والحمير .. وفى سوق نواكشوط يصل ثمن الخروف الى ما يوازى جنيهين ونصف استرليني .



كانت المتاجر الكبرى من أعظم المنشآت الحيوية فى نواكشوط .. لانها تعرض امام المشترى اكبر عدد من السلع تحت سقف واحد .. اى انها اشبه بسوق عام حديث..وهناك ٧٠ طلبا لبناء اسواق مشابهة ولكنها كلها مجمدة.



الى اليمين : مرسى نواكشوط .. ان كل شيء كان يأتى لنواكشوط عن طريق دكار ، واليوم وبعد افتتاح هذا المرسى ، هل تأتى البضائع عن طريقه ؟!





اخضرت الارض فى اطراف نواكشوط اثر تجمع المياه الزائدة هناك ، واقبل الناس يزرعون المنطقة ، ولكن البلدية استغلتها لزراعة الخضر ومد العاصمة ببعض حاجتها من المآكل .. ومما يذكر ان سكان نواكشوط يأكلون الباذنجان والكوسا المستوردة من دكار ، والتفاح والانجاص من فرنسا .. وبقية الفواكه تأتيهم من اسبانيا والمغرب والسنغال .. والاكلات المفضلة فى نواكشوط هى الكسكسى ، واللحم المشوى على الفحم داخل الارض ، والسمك مع الارز ، والتمر مع الحليب الذى يشرب بكثرة .. واخيرا الخبز المصنوع من دقيق الذرة ..

المدينة العطشى

وأولى هذه المشاكل وأخطرها هي الماء .. ان المدينة تكاد « تموت عطشا » .. فالمياه العذبة لم تعد تصلها الا لفترة ثلاث ساعات فى اليوم « ساعة فى الصباح ومثلها بعد الظهر ، وساعة فى المساء » .. ويرجع السبب فى هذا الى تقرير قدمه الخبراء وقالوا فيه : « ان مياه بئر ايدين، الذي يبعد ٦٠ ميلا ، ويمد العاصمة بأكثر من ٣٠٠ ألف متر مكعب من الماء سنويا .. ان مياه هذه البئر سوف تنضب بعد سنتين اذا استمر الضخ منها بنفس المعدل » .

وطرحت المسألة على بساط البحث الجدى ، فتقدم البعض باقتراح جر المياه من نهر السنغال عبر قناة طولها ٢٠٠ كيلو متر .. ولكن هذا الاقتراح لم يخرج الى حيز التنفيذ ، اذ تقرر التعاقد على انشاء محطة لتقطير مياه المحيط الاطلسى وتحليتها .. وهذه المحطة سوف تعطى ٤٠٠ ألف متر مكعب من المياه العذبة سنويا ، الى جانب الكهرباء التى ستتولد من المياه التساقطة أثناء عملية التقطير .

وتبلغ تكاليف انشاء هذه المحطة نحو مليار فرنك افريقى ستدفع فرنسا ثلث قيمتها ، والباقى يطرح على هيئة قرض وطنى يجمع من أهالى نواكشوط الذين يقيم نصفهم بصفة دائمة فى العاصمة والباقى يتنقل ويعيش فى البادية بجوار العاصمة ..

العربية والحسانية !

ان بعض الكتاب والصحفيين يصدرون حكمهم

هجر أصحاب الحرف اليدوية قراهم الريفية الى نواكشوط ، حتى كادت الصناعات التقليدية تموت في الريف ، وخاصة تطعيم الخشب بالفضة ..



على موريتانيا بعد زيارتهم لعاصمتها .. ولكن فاتهم أن أهل نواكشوط لا يمثلون اهل موريتانيا أبدا .. فتعقيدات العاصمة الجديدة أبعد ما تكون عن واقع هذا الشعب الاصيل الذى شهدناه فى الجنوب يتنقل وراء أبقاره وماشيته سعيا وراء الكلأ والماء .. وشاهدناه فى الشمال يقود قوافل الجمال حاملا الملح عبر الصحارى الى مالى والنيجر والسنغال .. لا يتحدث الا باللغة العربية الفصحى مع الأجنبى ، أما لهجته المحلية ويطلقون عليها اسم اللهجة الحسانية ، نسبة الى حسان ابن جعفر .. فيتحدث بها مع زملائه واخوانه .. وهى لهجة تسمعها فتطرب لسماعها .. وتخال نفسك مستمعا الى اللغة العربية ، ولكن سرعان ما تحس بانك قد ضعت وانت تلاحق كلمات غريبة دخلت عليها تعبيرات فرنسية وبربرية ، فضلا عن تحريف (القاف) الى (غين) .. و (التاء) الى (طاء) ..

من هم سكان نواكشوط ؟

ولكن اذا كان سكان موريتانيا يعيشون فى البادية والصحارى ، فمن هم اذن سكان العاصمة ؟

والاجابة على هذا السؤال تظهر بوضوح من خلال اللغات التىتذيعبها محطة اذاعة نواكشوط. انها محطة صغيرة تبث برامجها منذ عام ١٩٥٧ بست لغات ولهجات : العربية ـ الفرنسية ـ الحسانية ـ التكلورية ـ السركلاوية ـ الوولفية . لهجات غريبة .. أليست كذلك ؟

ولكنها ضرورية لارضاء مزاج اهالى نواكشوط الجدد الغرباء ، الذين أتوا الى هنا لسد حاجة موريتانيا الماسة الى الموظفين والعمال ، مثلها فى ذلك مثل سائر دول المغرب العربى بعد الاستقلال .

مشكلة السود

ان اللغة العربية هى لغة البلاد الوطنية ، ولكن اللغة الرسمية هى اللغة الفرنسية ، المستعملة فى الدواوين الحكومية .. وهذه اللغة كان الموريتانى العادى ينفر من تعلمها لاعتقاده بانها خطر على دينه الاسلامى ..

ولكن وقوع موريتانيا ضمن المجموعة الفرنسية حتم استعمال هذه اللغة .. وازاء هذا جاءت جحافل عديدة من أبناء الجيران والاقرباء ، وأعنى



خلخال من الفضة الخالصة ، يهديه الرجل للمراة ، أو تشتريه هى بنقودها فتضعه حول رسغ قدميها ، وعندما تعوزها الحاجة قد تلجأ الى بيعه لفك أزمتها .

بهم أبناء السنغال ، الذين يجيدون اللغةالفرنسية اجادة تامة ، جاءوا الى موريتانيا فاحتلوا مناصب كثيرة حساسة وفرضوا لغتهم فى المدارس ، حتى اذا ما قررت الحكومة جعل اللغة العربية مادة اجبارية فى السنتين الأوليين من التعليم الثانوى ، قاموا بمظاهرات دموية فى البلاد .

ويتمتع السود بكافة حقوق المواطنين لانهم حصلوا على الجنسية الموريتانية ، التى يكفى لكى يحصل أحدهم عليها أن يتزوج من فتاة تحمل الجنسية الموريتانية ! وساعد على ذلك ان السنغاليين مسلمون . وهكذا ظهرت فى وسط نواكشوط أحياء بأكملها يسكنها السود مع عائلاتهم .. ولم يقتصر الأمر على العاصمة فقد شاهدناهم فى الجنوب ينفردون بزراعة الاراضى الطينية الواسعة ، لأن الموريتانى الاصيل يانف من الزراعة ويعتبرها مهنة حقيرة .. مثله فى ذلك مثل الكثير من الشعوب العربية التى تعيش فى أقصى الطرف الشرقى من الوطن العربى ..

لقد قفزت نسبة السود فى موريتانيا بسبب ذلك من خمسة فى المائة عام ١٩٦٠ الى عشرين فى المائة خلال العام الماضى .. اما فى المدن فيقولون ان نسبتهم ترتفع الى ٤٠ فى المائة تقريبا .. وقد تشعبت الآراء حول وضع السود فى موريتانيا .. وفى العاصمة نواكشوط استمعنا الى المسئولين وهم يحدثوننا بقولهم :

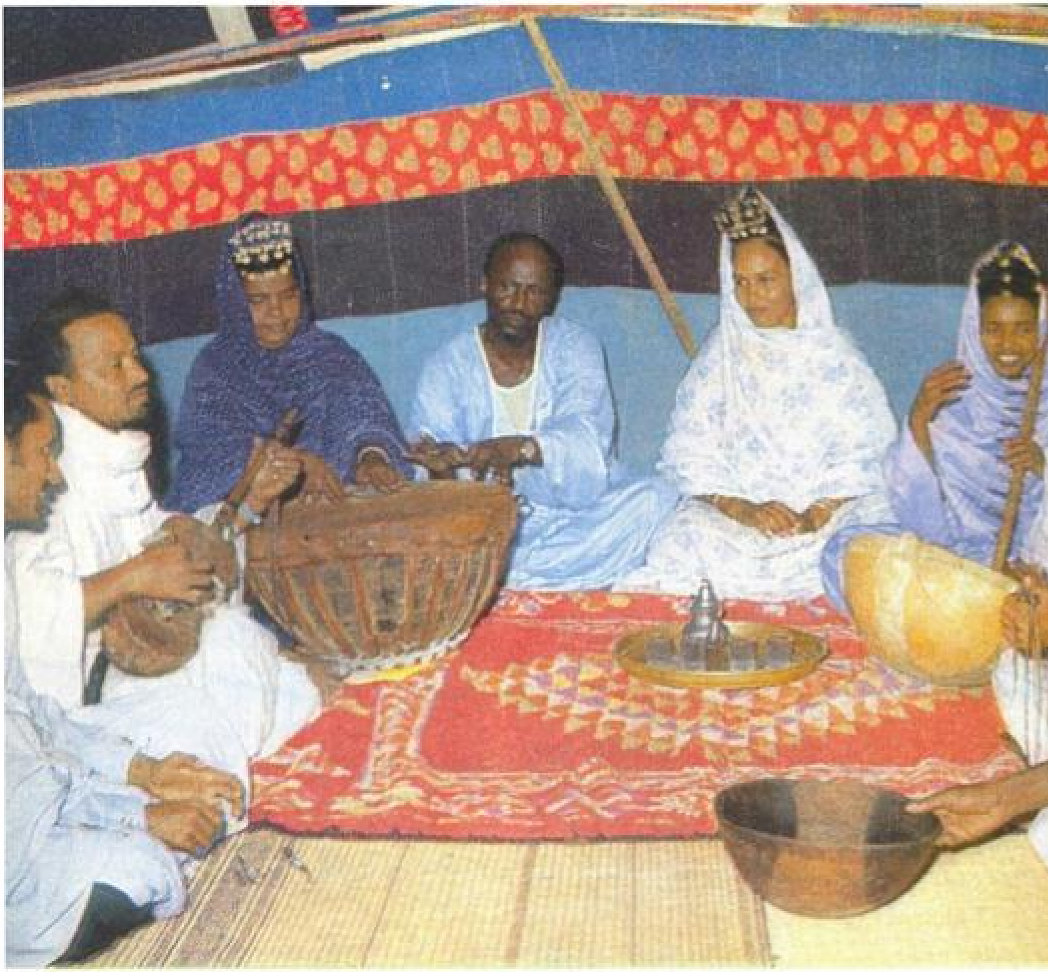




تحت هذه الخيمة الكبيرة المنصوبة فى حديقة المنزل ، جلس السيد احمد بن محمد صالح الامين الدائم لحزب الشعب ، يتناول العشاء مع مجموعة من الشباب الموريتانى الذى يتفانى فى خدمة بلاده .. مثل السيد بن عيدمى الذى يتولى منصب مدير الانباء والصحافة .. والسيد حمدى بن مكناس المسئول عن الشباب والرياضة ولكوين الشباب الموريتانى واعداده لبناء المجتمع الموريتانى الحديث .. ومما يذكر ان موريتانيا كانت تضم اربعة احزاب قبل الاستقلال هى حزب التجمع ، وحزب النهضة ، وحزب الاتحاد الوطنى ، والحزب الاشتراكى .. وفى ٢٥ ديسمبر ١٩٦١ انعقد مؤتمر عام تقرر فيه ان تنصهر هذه الاحزاب جميعا فى حزب واحد هو : حزب الشعب الموريتانى ، وهو الحزب الوحيد المسموح به فى البلاد حاليا ، وعليه تقع مسئولية الثورة ضد الفساد والتخلف والفقر والجهل .

الى اليمين : تتعلم الفتاة الموريتانية الغناء ، والدق على الطبل ، والرقص منذ صغرها .. وقد اشتركت الفتاة الى جانب الفتى ، فى اول حفل اقامته دار الشبيبة الموريتانية فى نواكشوط .





يعشق الموريتانيون احتساء الشاى بالنعناع اثناء جلسات الطرب والسمر .. ويخضع اعداد الشاى لقواعد متوارثة ، فالماء يترك على الفحم حتى يغلى .. ثم يوضع الشاى فى ابريق فضى ، ويسكب عليه الماء الساخن ويضاف له السكر والنعناع الاخضر .. وبعدها يسكب الشاى فى الاقداح الصغيرة ، ويرد ثانية الى الابريق حتى يتم الامتزاج بين الشاى والنعناع والسكر .. وعندئذ يسكب الساقى او الساقية قليلا من الشاى فى القدح ويأخذ رشفة منه لمعرفة مقدار حلاوته وامتزاجه .. وبعدها يصب الشاى فى الاقداح ويوزعها على الحاضرين .. وتتكرر عملية صب الشاى فى الاقداح ثلاث مرات يتغير خلالها طعم الشاى .. واثناء ارتشاف الشاى يستمع الحاضرون الى المغنى وهو يطربهم بابيات من الشعر المرتم .. وقال لنا السيد محمد بن سيد ابراهيم ، رئيس قسم الطرب الموريتانى بالاذاعة الموريتانية وهو الجالس فى وسط الصورة العليا : « ان الشعر عند الشعب العربى الموريتانى هو القاسم المشترك الاعظم الذى يجمع بين قلوبهم .. فلا تكاد ترى عربيا واحدا الا ويحفظ ابياتا شعرية ، وفى الليل ، وتحت الخيام يتبادل الجالسون حول اقداح الشاى الممزوج بالنعناع ، قصصا وحكايات بابيات شعرية .. واذا كانت الابيات الشعرية جديدة كررها الحاضرون حتى يحفظوها ويكتبوها .. » .. ومما يذكر ان الناس يعملون حسابا كبيرا للشاعر المغنى خوف هجوه لهم فى المجتمعات .. لهذا تراهم يغدقون عليه دائما الهدايا والمنح .. وترى واحدا منهم : الشاعر محمد بن السباح جالسا فى الصورة ، الثانى من اليسار



فى أول حفل لدار الشباب بنواكشوط اشتركت الفتاة مع الفتى فى انجاح هذا الحفل ..وعلى خشبةالمسرح شهدنا الرقصة الوطنيـة الموريتانية ، وفيها ترتدى الفتـاة ملابس الرجال ..

« ان الارتباط بيننا وبين السنغال يعود الى العلاقات الروحية والدينية المشتركة..فموريتانيا هى المبَشّر الاسلامى لاهالى السنغال ومالى .. من هذا ترون أن السود أشقاء لنا ، لقد أصبحت موريتانيا تجمع بين الحضارتين العربية والافريقية .. ولا تصدقوا أن هناك خطرا من أهالى السنغال علينا لأنهم مواطنون صالحون يقومون بتأدية واجباتهم الوطنية فى حدود القوانين .. وأغلبهم يجيد اللغة العربية ..

« ولا تنسوا أن لموريتانيا جالية عربية فى السنغال يقرب عددها من ١٥٠ الف نسمة يتمتعون بكافة حرياتهم التى يكفلها لهم القانون » .

هذا ما يقوله المسئولون ، ولكن « ابن البلد » له رأى آخر يتناقض وهذا الرأى الرسمى الى أبعد الحدود فقد قال لنا بعض الشباب الموريتانى :

« اذا استمرت هجرة السنغاليين الى بلادنا بهذه النسبة فانه سيقضى علينا خلال أربع سنوات .. لقد كانت نسبتهم ٥ فى المائة عام ١٩٦٠ ثم ارتفعت هذه النسبة الى ٢٠ فى المائة خلال عام ١٩٦٦ ، وهم يتمركزون فى المدن الرئيسية ، ويظفرون بأحسن الوظائف لاجادتهم اللغة الفرنسية .. حتى أصبحنا معزولين عن حكم أنفسنا .. ان وسيلة الحياة فى موريتانيا هى الوظيفة ، لعدم وجود الصناعات ، ولكن هذه الوظيفة لا يمكن أن نحصل عليها رغم ثقافتنا العربية العالية ما دمنا لا نجيد الفرنسية .. اننا شعب عربى يعيش فى دولة عربية ولكنها دولة ناطقة باللغة الفرنسية !

ليس فى بلادنا أميون عرب ، فكل طفل يقرأ العربية ، لأنه يحفظ القرآن .. ولكن الجهل المنتشر بيننا اذا صح هذا التعبير ، فهو الجهل باللغة الفرنسية !

« نحن نعتبر السود الذين يتحدثون بالعربية ، عربا من أحفاد سيدنا بلال مؤذن الرسول عليه السلام .. ولكن الاسود الذى نرفضه ونعتبره أجنبيا هو الزنجى الذى لا يجيد العربية ويرفض التحدث بها » .

ويستطرد الشباب فى حديثهم بحسرة وتشاؤم زائدين : لو تفهم اخواننا العرب الاخرون وضعنا على حقيقته وأدركوا الخطر الذى يحيق بنا ، لسارعوا الى معاونتنا ومدنا بمنحهم ومساعداتهم .. بدلا من أن يقيموا العقبات والعراقيل فى طريقنا .. اننا شعب متأخر .. مريض ..عاطل

..شعب يموت وأشقاؤه واخوانه العرب يجاملون بعضهم البعض على حسابنا » .

كلام صريح ومؤلم يذكر المرء بواقع الحال المرير. فقد بلغت نسبة الاجانب بين العمال الموريتانيين ٤٣٪ ، كلهم من الفنيين ، وارتفعت نسبتهم بين موظفي الدولة حتى بلغت ٨٧٪ وذلك وفق الاحصاءات الرسمية لعام ١٩٦٥ .

بلد غني .. ولكن

وفي الخباء الكبير (الخيمة) **المنصوب في حديقة منزل السيد احمد بن صالح السكرتير السياسي والامين الدائم لحزب الشعب الموريتاني ، الحزب الوحيد في موريتانيا ، قال لنا المسئول الكبير :**

« مما لا شك فيه أن التعاون العربي عنصر هام لتطوير المجتمع الموريتاني .. ان جميع بلاد العالم الغربية والشرقية اعترفت بنا .. ومن الدول العربية اعترفت الـ ج.ع.م والجزائر وسوريا وتونس واليمن .. أما الجامعة العربية فلم تلتفت الينا بل جرحت كبرياءنا عندما رفضت طلبنا في عام ١٩٦٠ ولا يمكن أن نفكر في اعادة الكرة الا بعد أن تعترف بنا البلاد العربية أولا .. اما عن علاقتنا بالغرب فقد تحسنت كثيرا خاصة بعد اتفاقنا على وقف الحملات الاذاعية التي كانت مستعرة بيننا وبينهم .. اننا نعلم أننا شعب متأخر ولكننا على ثقة من مستقبلنا .. ونحن نعمل بسرعة فائقة من أجل تطوير بلادنا .. ولكن علينا أن نتغلب على أكبر مشكلة تواجهنا ، وهي النقص في عدد الموظفين الموريتانيين وهي مشكلة لا سبيل الى حلها بين يوم وليلة .. اننا نملك ثروات هائلة في ارضنا .. ففي الشمال الحديد .. وفي الجنوب نهر السنغال .. وفي الشرق : المراعي .. وفي الغرب : المحيط الاطلسي بثروته السمكية الهائلة .. لكن نقص رأس المال هو الذي يعرقل مشاريعنا » .



شهد سفراء الدول في نواكشوط حفل افتتاح أول دار للشباب في العاصمة ، ايمانا منهم بضرورة تشجيع شباب موريتانيا الذي يسعى الى التقدم بخطوات كبيرة جبارة ، رغم النقص الهائل في جميع امكانياته .

التعليم ..

وتلعب نواكشوط دورا هاما الى جانب دورها السياسي ، فهي تعمل على اذابة العادات والتقاليد والنزعات المتنافرة بين سكان المدينة ، وتحاول خلق نمط قومي جديد ، يجمع بين التقاليد المتباينة ويرضى عنه الجميع .. ولا بد من انقضاء فترة طويلة حتى يتم تحقيق هذا النمط القومي الجديد .. ولعل في مدارس نواكشوط محاولة جادة في هذا الاتجاه ..

جلسنا مع الوزير الشاب المتحمس أعلى ولد علاف ، وزير التعليم والثقافة الموريتاني نسأله عن الدور الذي تلعبه وزارته في خلق موريتانيا جديدة فقال :

« قبل حصولنا على الاستقلال كان الاهالي يرفضون ارسال أبنائهم الى المدارس . وكان أبناء المدن فقط هم الذين يذهبون بأعداد قليلة الى المدارس .. ولكن ما كاد الاستقلال يعلن حتى انقلبت الآية ، وشهدنا اقبالا لا مثيل له على التعليم ، وصل الى درجة أن بعض المناطق كانت تقوم باقامة مبنى المدرسة لم تبرق لنا قائلة : ارسلوا لنا الأساتذة ونحن نتكفل بنفقاتهم ! »

وينتقل وزير التربية الى الحديث عن تعليم اللغة العربية فيقول :

لم يكن تعليم العربية اجباريا الا بعد الاستقلال اذ أصبح اجباريا شاملا لكل الطلبة في المدارس الابتدائية .. أما في المدارس الثانوية فتعليم العربية أصبح اجباريا فيها للطلبة الموريتانيين





ظل الشباب الموريتانى معرضا عن خدمة الجيش طوال الفترة التى قضاها المستعمر فى البلاد ، الى ان تحقق الاستقلال فتم تكوين جيش موريتانى وطنى يضم فرقة من جنود المظلات ووحدات متنقلة وبرية .. ويتكون العلم الموريتانى من مساحة خضراء تحمل هلالا ونجما ذهبيين .. اما شعار الجمهورية فهو الشرف والاخوة والعدل . لا توجد فى موريتانيا أية قاعدة عسكرية أجنبية .

الى اسفل : نقل اهل السنغال ومالى الى نواكشوط عاداتهم وتقاليدهم وملابسهم ، واصبحت لهم احياء كاملة يعيشون فيها .. وفى المناسبات والاعياد تخرج نساؤهم بملابسهن الملونة فيرقصن ويغنين فى الطرقات والشوارع .. ويشكل السود نسبة كبيرة من سكان المدن .. اما البادية والصحارى فتكاد تكون خالية منهم .. باستثناء فئة الموظفين الرسميين .. وتقول الاحصائيات ان نسبتهم ٢٠٪ من مجموع عدد السكان .





الى أسفل : ق معهد رعاية الطفولة والامومة بنواكشوت جلست الامهات من البيض والسود يتعلمن حياكة الملابس على يد اخصائية جاءت خصيصا من دكار لتعليمهن .. وق الصباح تحضر النساء اطفالهن الى هذا المعهد الذى يتولى العناية بهم فيقدم لهم الدواء والحليب مجانا .. ويتولى صندوق الخدمة الاجتماعية الموريتانى دفع جميع مصاريف الادوية والاغذية كما تقوم منظمة رعاية الطفولة ق الامم المتحدة بتقديم الهدايا والمساعدات الى هذا المعهد الذى افتتح ابوابه ق ١٩ ابريل من العام الماضى ..



فقط .. ولا يعترض أحد على تعليم اللغة العربية، انما الاعتراض على عدم جعلها اجبارية للطلبة الأجانب في هذه المدارس الثانوية .. اننا حاليا جعلنا العربية اجبارية في السنة الاولى الثانوية للجميع ، وفي السنة القادمة سنجعلها اجبارية في السنة الثانية .. واحب أن أؤكد لكم انه لا خوف البتة على اللغة العربية .. فنحن نسير بخطوات ثابتة لتعزيز تعليم العربية بحيث تصبح كاللغة الفرنسية في هذا الصدد .. ونأمل أن ندخل قريبا تعليم اللغتين الانجليزية والالمانية الى مناهجنا الثانوية..لأنها لغات العلوم الحديثة التي لا بد أن يتسلح بها الطلبة لمواجهة مطالب المستقبل .. »

وينتقل الوزير الى الحديث عن المدارس في البادية فيقول : « لقد خلقنا مدارس متنقلة تسير وترتحل مع البدو في هجراتهم وتعلم ابناءهم دروس الفصلين الاولين من الفصول الابتدائية ، وبعد الفراغ من هذين الفصلين ترسل الطلبة المتفوقين الى مدارس ثابتة في القرى ، حيثتتولى البلديات مسئولية ايوائهم واطعامهم حتى انتهاء المرحلة الابتدائية .. وهذا النوع من المدارس المتنقلة بدأ يقل عدده بعد استقرار الشعب في أماكن ثابتة .. »

وينهي وزير التربية الموريتاني حديثه بقوله : « لقد فتحنا في نواكشوط خمس مدارس ابتدائية تضم ٦٠٠٠ طالب وطالبة .. ومدرستين ثانويتين واحدة تضم ١٢٠ طالبة والثانية تضم ٥٢٠ طالبا ومدرسة للمعلمين تضم ١٨٠ طالبا يدرسون العربية والفرنسية الى جانب المواد الأخرى » .

رحلة الأهوال في سبيل العلم

والى جانب التعليم الحكومي يوجد التعليم الخاص ، وهو الذي تحمل أقسى أنواع المشاق والمتاعب ليحافظ على لغة الضاد في افريقيا الغربية .. تعال لنستمع سويا الى الحاج « محمود بن عمر الفوتي الفلاتي الجولي » مفتش التعليم العربي الحالي في موريتانيا ، وهو يروي لنا مثلا من المتاعب التي صادفها التعليم العربي ، قال :
« في عام ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م . انتخبت ١٩ طالبا من الحاصلين على مستوى يعادل شهادة الابتدائية وقررت التوجه معهم كأول بعثة الى الازهر



المهندسون الموريتانيون يعملون في اذاعة نواكشوط .. ان عددهم ثلاثة مهندسين وعشرة مساعدين يعملون على الاجهزة الدقيقة .. وتملك المحطة ٦ آلاف شريط مسجل عليها أغاني بلغات مختلفة عددها ١٥ لغة ولهجة ..

الشريف بالقاهرة .. وقبل السفر علمت أن الاستعمار سيمنعنا ، فرسمنا خطة للهرب رغم ما في ذلك من خطورة على حياتنا ، خاصة وان عيون الاستعمار كانت مفتوحة في كل مكان .. واستعنت بالله ، « فاذا عزمت فتوكل على الله » وقمت بهم الى باماكو عاصمة مالي وقطعت معهم صحراء النيجر شمالي نيامي الى نيجريا ، وعبرت بهم بحيرة تشاد، الى حدود السودان المصري الانجليزي — في ذلك الوقت — ثم توجهنا الى مدينة ابشا ، وجنينة ، ومنها الى الخرطوم ثم وادي حلفا ، ثم عبرت بهم نهر النيل الى مدينة الشلال المصرية حتى وصلنا الى القاهرة بعد رحلة مضنية كنا نسير خلالها على أقدامنا ونركب الجمال والقطار .. وبعد ان اطمأن قلبي على التحاق الطلبة بالازهر قفلت راجعا الى بلادي .. حيث بدأ رجال الاستعمار في استجوابي وطلبوا مني اعادة الطلبة ثانية والا فانهم سوف يغلقون نحو ٤٩ مدرسة عربية تضم أكثر من ٣٠٠٠ تلميذ وهنا اضطررت لاختيار أهون الشرين فسافرت ثانية الى القاهرة وعدت بأفراد البعثة جميعا .. والتهب الناس حماسة فصارت المدارس تفتح في كل مكان .. واحب ان اذكر لكم أن جميع أفراد البعثة عادوا وتسللوا فرادى مرة ثانية الى الازهر ومعهم الكثيرون من اخوانهم ! .. »



وعدت الحكومة الالمانية بتقديم مطبعة كاملـة للحكومة الموريتانية ، وفى نواكشوط حاليا مطبعتان متنافستان : جيكا وايكام .. وتصدر فى العاصمة صحيفة « الشعب » مرة أو مرتين فى الشهر حسب الظروف .

حرب الثلاثين

اما قصةالاستعمار الفرنسىلموريتانيا فقد بدات منذ عام ١٨٥٤ بمناوشات وغزوات كانت تنطلق من السنغال حتى منطقة الترارزة فى جنوب موريتانيا، لتعود مثقلة بالخسائر .. وكان الموريتانيـون أحيانا يعبرون نهر السنغال ويهاجمون بشجاعة فائقة مواقع الفرنسيين المجهزة بالمدافع الحديثة حول مدينة سان لويس .. وفى عام ١٩٠٢ انتهز الفرنسيون فرصة احتدامبعض المشاكل والخلافات الداخلية ، فغزوا البلاد من السـنغال بكتائب سوداء اسموها الفيلق الافريقى ، وعندها بدات المعارك والمذابح الدامية فى موريتانيا .. وفى عام ١٩٠٥ استطاع مولاى ولد الزين من شنقيط . قتل السفاح الفرنسىكوبولانى Xavier Coppolani المسئول عن مذبحـة (بوجـادوم) .. واستمرت الحرب بضراوة وشراسة بين المستعمرين وابنـاء البلاد ، حتى أن الجنرال غورو Gouraud الذى جاء لموريتانيا بعد سوريا ليقود الجنود الفرنسيين قال فى تصريح له :

ان معركة الادرار فى موريتانيا كانت أقسىمعركة خضتها فى افريقيا .. » .

وشهد الكابتن الفرنسى دوبرتويس Depertuis للموريتانيين بقوله : يجب أن ترى الموريتانيين يحاربون لتعرف مقدار بأسهم فى الحروب ، انهم أعداء شديدو الخطورة » .

وكان الجنـود الفرنسيون المدججـون بأحدث الأسلحة ، يحاربون شعبا لا يملك الا الايمان والشجاعة والاقدام ، وهكذا ظل القتال سجالا .. ولم يلبث الموريتانيون أن وجدوا لهم حليفا فى الاسبان ، الذين احتلوا صحراء ريو دى اورو ، ومنعوا الفرنسيين عن تتبع الموريتانيين بعد عبورهم الحدود .. ولكن استمرار تدفق القوات الفرنسـية من الشمال والجنوب ، اوقف العمليات الحربية تماما فى ٦ ابريل ١٩٣٤ اى بعد ٣٢ سنة من بدء المعارك الضارية فى اراضى موريتانيا ..

معنى موريتانيا

وكلمة موريتانيا حديثة العهد على البلاد التى كان يطلق عليها فى السابق لفظ شنقيط نسبة الى مدينة شنقيط الشهيرة الواقعةفى شمال البلاد، والتى لنا عودةلها انشاء الله..أما تسمية موريتانيا فقد اطلقها الفرنسيون فى ديسمبر عام ١٨٩٩ على قبائل المور Maures التى تعيش فى المنطقة .. وكلمة (مور) قرطاجنية الاصل كانت تطلق قديما على بربر غرب افريقيا ثم اتسع التعبير فشمل العرب القادمين من شنقيط عبر المغرب لاحتلال اسبانيا .. أما كلمة (تانية) فكلمة لاتينية تعنى البلاد .. وهنالك من يكتب اسم موريتانيا بالطاء،فيقولون : موريطانيا ، على غرار بريطانيا.

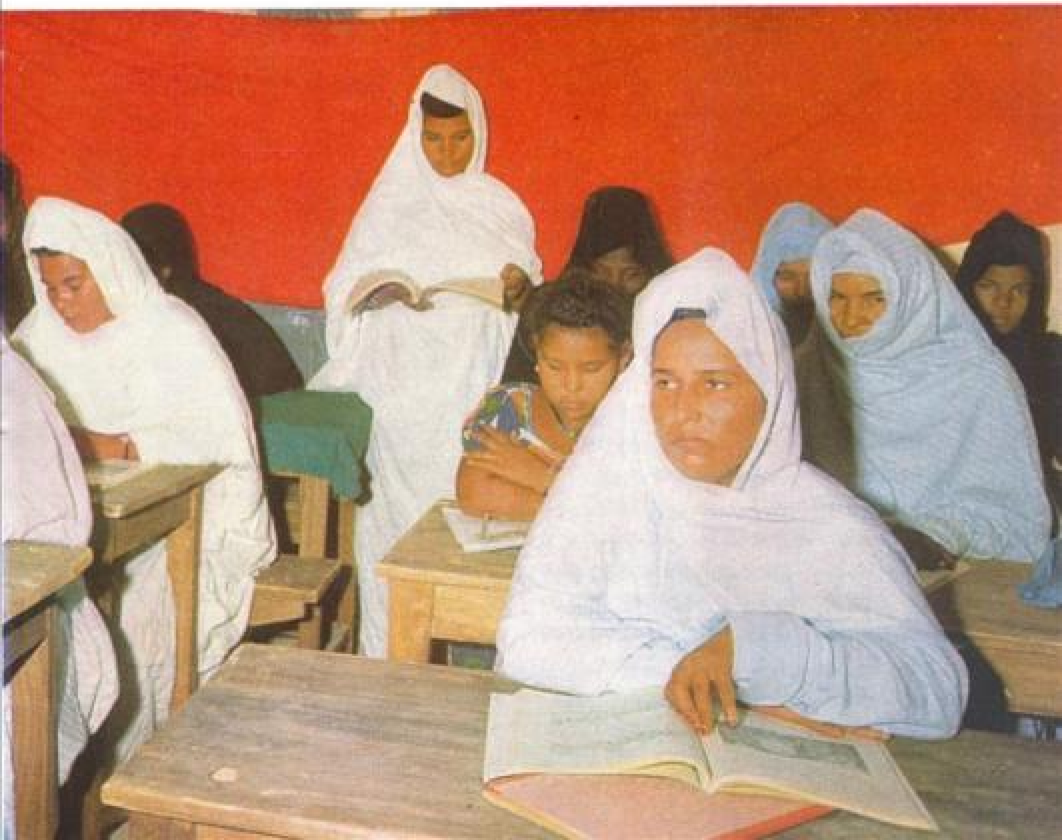
٧ مليار فرنك من السوق الاوروبية المشتركة

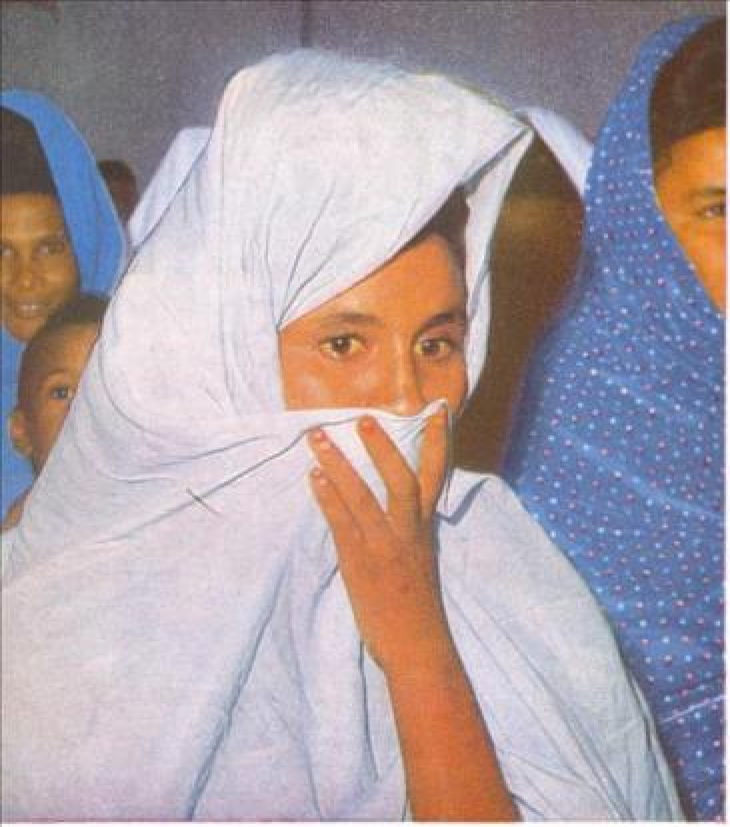
ان موريتانيا هى نقطة التقاء الجنس الأسمر بالجنس الاسود .. وقبل الاستقلال كان المريض ينقل الى دكار وسان لويس بالسنغال ليعالج هناك ..أما اليوم فاصبح السكان يقصدون المستشفى الكبير الذى اقامته دول السوق الأوروبيةالمشتركة فى نواكشوط على نفقتها ، شريطة أن تسترد ثمن البناء من قيمة دفع أجر العلاج لمدة خمس سنوات، واذا لم يغطء الاجر قيمة ثمن البناء فى هـذه السنوات الخمس ، فان السوق الاوروبية تستمر فى ادارة المستشفى حتى يتجمع ثمن البناء تماما !

ومما يذكر أنموريتانيا عضو فىالسوق الأوروبية المشتركة،التى قدمت لها حتى الان سبعة مليارات من الفرنكات الافريقية (اى نحو ٥ مليون جنيه



الى اسفل : حصلت المرأة الموريتانية على كثير من حقوقها رغم ما كانت تعيش فيه من تخلف وتأخر ..
ولكنها لم تكتف بحصولها على هذا الكسب بل عمدت الى تثقيف نفسها فالتحقت بمدارس محو الأمية ،
لتتعلم على نفس المقعد الذى تجلس عليه كريمتها فى مدارس بنى عامر الاهلية التى تعمل على نشر الثقافة
العربية الاسلامية بين المواطنين الذين فاتهم قطار التعليم فى صغرهم ..



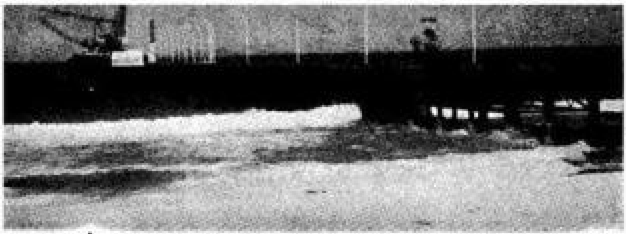


الى اليمين : نزعت الفتاة الموريتانية الحديثة « الملحفة » التى كانت تلفها كلها من اخمص قدميها حتى راسها، واستعاضت منها بالزى الاوربى الناء عملها .. وتضم اذاعة نواكشوط ٤ فتيات يعملن فى قسم اذاعة الاخبار ، ولكن ما زالت مساهمتهن فى البرامج قليلة .. ومما يذكر ان اساس لغة البرامج فى الاذاعة هى اللغة العربية ، وكانت الاذاعة اولى المصالح الحكومية التى تم تعريبها فى موريتانيا ... اما التلفزيون فتكاليفه (بنائه) واتساع رقعة البلاد يحولان دون اقامته فى المنطقة كلها ، اى فى موريتانيا ومالى والسنغال والصحراء الاسبانية ..

بالرغم من ان المرأة الموريتانية تسير سافرة وتجلس بجوار الشبان فى الحفلات ، الا انها لا تكاد ترى رجلا غريبا حتى تسارع الى تغطية فمها بطرف ملحفتها .







ميناء مؤقت

ميناء نواكشوط الصغير .. طوله ٣٢٠ قدما .. وعمق المياه عنده عشرة أمتار .. لقد بدأ وصول السفن حمولة ٨ آلاف طن اليه جالبة السكر والأرز الى العاصمة .. ولا تقف السفن بمحاذاته ، وانما تذهب اليها الصنادل الصغيرة لتفرغ حمولتها وتنقلها الى الميناء .. لقد كان كل شيء يرد الى العاصمة عن طريق ميناء دكار بالسنغال ، وبور اتيان فى الشمال ..ولكن الأمل كبير فى أن يكبر هذا المرسى ، ويستطيع استقبال السفن الكبيرة التى ستأتى لتحمل النحاس المستخرج من موريتانيا ..

استرليني) لتمويل مشاريع عديدة منها : المستشفى ، والمرسى فى نواكشوط ، ومد المياه وبناء ثلاجة للأسماك فى مدينة نواديبو (بوراتيان)، وحفر عدة آبار للمياه فى الشمال ، تكلفت ٥٥ مليون فرنكا افريقيا ، فضلا عن تمويل عملية بناء الكثير من المدارس .

اسلام يطيل العمر

ولايمكن أن نختتم هذا التحقيق دون الاشارة الى المرأة الموريتانية التى كانت تعيش حتى عهد قريب على هامش الحياة ، أما اليوم فقد شهدناها فى المكاتب والمؤسسات تعمل من أجل بناء وطنها الجديد .. وتلقى المرأة تشجيعا كبيرا من المسئولين فى حزب الشعب ، الذين يسعون لاخراجها من حياة البداوة والمجتمع المغلق الذى كانت تعيش فيه ، والذى لم يتأثر بأى عنصر من العناصر الفكرية أو الحضارية التى مرت على عالمنا ..

وما زالت العادات والتقاليد المتوارثة سائدة فى نواكشوط رغم مظاهر التقدم السريع .. فأصحاب المنازل لا بد أن يقيموا خباء (خيمة) فى حديقتهم يجلسون تحتها عند اشتداد الحر .. انها تذكرهم بحياة البادية التى عاشوها ..

أما السلام والتحية فكلما طالت وكثرت كانت دليلا على زيادة المال والعمر ، كما أن السلام باليد فيه مكفرة للذنوب .. وتبدأ التحية وتنتهى بهذا الحوار :

ـ السلام عليكم

ـ وعليكم السلام

ـ لا بأس ؟

ـ الحمد لله

ـ اياك الخير ؟ أى (هل أنتم بخير)

ـ الخير .. الحمد لله

ـ اياك معافين ؟ (هل أنتم معافون)

ـ الحمد لله .. لا بأس ..

وكثيرا ما تتكرر العبارات وتستمر لمدة دقائق..

فأر .. وامرأة .. وهدهد !

أما الفخر بالأجداد الأوائل فأمر شائع الحدوث فى نواكشوط وضواحيها .. وقد جلسنا مشدوهين ونحن نستمع الى فريقين يتجادلان .. الأول يقول انه من نسل قحطان . والثانى يدعى بأنه من نسل عدنان .. وبدأ الحوار بهذه الصورة الطريفة :

القحطانيون : نحن عرب عاربة .. بينما أنتم لستم الا عربا مستعربة ..

ويرد العدنانيون : نحن منا الرسول (ص) وعقبة بن نافع ، والأمويون ، والعباسيون ، بناة الحضارة العربية فى أوج ازدهارها .

فيجيب القحطانيون : ولكن من هم ملوك العرب القدامى قبل الاسلام ؟ بناة سد مأرب ، وبناة مملكة سبأ ، الذين حطموا النير الحبشى ، وهزموا الفرس ؟ .. اننا أهل الحضارة العربية القديمة.

فيجيب العدنانيون : أنتم اغرقكم فأر .. وحكمتكم امرأة .. ودل الهدهد على مكانكم !!

هذا الحوار لم تسمع مثله الا فى نواكشوط بموريتانيا .. انه أكبر دليل على لون الحياة التى يعيشها أبناء هذا القطر العربى العزيز ..

ان السعى الى تغيير عقلية الشعب الأصيل والعمل على الانطلاق به الى مجتمع القرن العشرين لا يمكن أن يتم الا اذا مد له العرب ـ كل العرب ـ أيديهم لمساعدته فى الوقوف على قدميه من أجل مستقبل أفضل له ولأبنائه .. ■■

سليم زبال

مِن عَبَقِ الصِّبَى

■ قال الوشاةُ أترجعين إليــهِ لتقرِّبي شفتيك من خدّيه ...؟

وتباركي حبّــاً تفانَت دونــه سمرٌ وبيضٌ واقتتلــن عليــه

فأبى السماح بنظرةٍ لسوى التي غمرت بفيض شئونها كتفيــه

لاتطمعي في والــدٍ نظراتــه حيرى ، عدتك وأنتِ بين يديه

كفّي ! أما يكفيك فيه ملامةٌ .. أوما جرعتِ اليأسَ من كفّيه..؟

★★★

عذلوا ولاموا ليتهم قرأوا سطو رَ الحب في عَيْنَيَّ أو عينيــه

عيناي لايغريهما صبٌّ ســوا هُ ولا فمي يهوى سوى شفتيه

هَدْهَدْتُهُ قبل الفطام بأضلعي وَسَّدتُهُ صدري على نهــديه

غَذَّيتُهُ روحي وحُلوَ مشاعري وملأتُ من عَبَقِ الصبي رئتيه

أيّامَ كنا والبراءةُ مهــدنا ويدى تداعب عقربَيْ صِدغيه

قبّلتُهُ يوما وردَّ بمثلهــا فوجدت ما أصبو إليه لديــه

سرنا معاً في درب أحلام الصبي ومناى شاخصة إلى قدميــه

سرنا حفاةً في طريق ودادنــا فلينثروا شوك الظنون عليــه

■■

الموصل : **عبد الرزاق العائش**



الشِّعرُ الأَنْدَلُسِي

بقلم : صبحي مارديني

الميل نحو الجمال فطرى

■ مذ خلق الانسان في هذا الكون ، وفي نفسه ظما لا يرتوى ، ونهم لا ينفد الى الجمال بكافة صوره واشكاله . فقلبه يصبو اليه ، وروحه تهفو نحوه ، وجوارحه تتعشقه وتترصده حيثما وُجد وانى كان . والانسان ، في ميله الشديد هذا انما يسعى الى تحقيق المثل الاعلى الذى رسمته له العناية السرمدية والقدرة الازلية .

وفي هذا يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم : « ان الله جميل يحب الجمال » . فما هو هذا الجمال ؟ .

الجمال معنوى ومادى ، والاول ابقى

الجمال – بابسط تعريف – هو كل شيء تشعر بانجذاب نحوه وميل اليه . ويستوى في هذا الجامد منه والحي . فاذا انت لم تستطع ان تكشف عن بواعث هذا الانجذاب وان تتبينها بطريق الحواس ، سميْتَ هذا الجمال جمالا معنويا ، اما اذا قدرت ان تلمس هذه البواعث وتتحسسها ، سميْتَ هذا الجمال جمالا ماديا . ويتمثل الاول في طهارة النفس وصفاء الروح ونبل الاخلاق ، والثاني في نضارة العود ورشاقة القد وجمال الخلق . ومن الطبيعي ان يكون المعنوى اقوى اثرا وابعد مدى من المادى لخلود الاول وفناء الثاني .

مصدران للجمال رئيسيان : الطبيعة والمراة

والطبيعة والمراة هما المصدران الرئيسيان للجمال ، فلا عجب ان نجدهما يستاثران باهتمام الشعراء عامة وشعراء الاندلس خاصة . والغالب على الشعر الاندلسي ، بل على الشعر العربي كله ، اهتمامه الزائد بالنوع الاخير للجمال وبخاصة الجمال البدني للمراة . وربما كان هذا من الخصائص المميزة للعقلية العربية ، ورثته فيما ورثته من مشاعر البدو وميولهم ، حيث كانوا لا يجدون – بعد فراغهم من الغارات – سوى التامل في مفاتن المراة والتغزل بمحاسنها . وقد وقف العربي الاول عند الوصف الخارجي لها لا يتعداه ، اما لكونها لا تستحق منه هذا العناء في التامل والبحث والاستقصاء ، واما لعجزه عن التوغل في خفايا النفس البشرية واستكناه حقائقها .

ويعلل المستشرق الاسباني Emilio Garcia Gomey هذا الحس المفرط عند العرب بأن (الوضع الخاص للمراة في المجتمع الاسلامي كان سببا في قلة فهم الناس للجانب النفسي من حياتها وخصائصها ، فلم يعد المحبون يستشعرون

امْتزَجَ فِيهِ فَنُّ الوَصْفِ بِفَنِّ الغَــزَل

وَمَزَجَ المَــرْأَة بالطَّبِيعَة، والطَّبِيعَة بالمَــرْأَة

من جمالها الا الحسي الملموس ، اى الصـورة البدنية ، فاندفعوا في الاعجاب بها اندفاعا عنيفا لا يرد) .

ويدحض هذا التعليل ما عــرف عن البيئة الاندلسية من اختلاط الجنسين فيها اختلاطا لم يعرف له مثيل في اى بيئة من بيئات ذلك العصر .

الشعر الاندلسي مزج بين سحر الطبيعة ، وفتنة المــراة

والمدقق في الشعر الاندلسي يجد أن أصحابه لم ينظروا الى الجمال بالمعنى الضيق ، اى أنهم لم ينظروا الى كل من جمال الطبيعــة وجمال المراة على حدة ، بل مزجوا بين النظرتين ، وخلعوا سحر الاولى على فتنة الثانية ، فكانوا يرون في المراة روعة الطبيعة وسحرها ، ويرون في الطبيعة جمال المراة وفتنتها . شانهم في ذلك شان الفنان الذى يسجل بريشته ظلال الالوان التي تعكسها الاجواء المحيطة بموضوعه .

وهكذا كان الشــعراء الاندلسيون ، اذا هم تاملوا مفاتن المراة وجدوا لها نظيرا وشبيها في الطبيعة ، واذا تاملوا الطبيعة خلعوا عليها الحياة والحركة ، وغالبا ما كانوا يشخصونها بالمراة او باجزاء منها ، وكانهم بهذا يعمدون الى الطبيعة فيقطفون منها كل ما راق منظره وطاب عبيره ثم ينثرونه على جسد المراة . فاذا بهذا الجسد وكانه مثقل بالورود والزهور ، مضمخ بالرياحين والعطور . ولعل مردّ هذا عندهم الى سـحر الطبيعة وجمال المراة في الاندلس ، مضافا اليهما ما يعتلج في نفوسهم من حس متوقد وعاطفة مشبوبة نحو كل ما هو جميل، قد لا تجد له نظيرا في سائر الامم .

اذا ذكر الشاعر الاندلسي المراة ذكر معها الطبيعة

والامثلة على هذا في الشعر الاندلسي كثيرة ، فالشاعر الاندلسي عندما يفتنه جمال امراة ، يفيض وجدانه وتتاجج مشاعره ، فلا يدرى مبعث هذا السحر ، اهو من الصورة نفسها ، ام من الاطار الذى يحتويها ويبرز معالمها ، وكان جسد هذه المراة قد رق وشف فظهرت الطبيعة الخلابة من ورائه ، بسمائها وارضها ، بشجرها وثمارها ، بانهارها وغدرانها ، بورودها وزهورها ، وكانها جميعا قد ذابت في هذا الجسد أو ذاب هو فيها .

فهي كضوء الصبح في الاشراق ، وكالنسيم في الرقة ، وكالورد في العبير ، في قول ابن سفر :

فجاءت كما يمشي سَنَى الصبح في الدجى
وطورا كما مرَّ النسيم على النهــر

فعطَّرت الآفاقَ حولي فأشعرَتْ
بمَقْدمها، والعَرْفُ يُشعر بالزهْرِ
فتابعتُ بالتقبيل آثار سعيها
كما يتقصَّى قارئٌ أحرف السطر

ثم هي في رشاقتها ظبي يسترق النظر بجفون ناعسة كالنرجس ، ويتمايل بجسم ناعم غض كالسوسن ويبتسم عن اسنان ناصعة كزهر الاقاح وهذا ما يراه ابن عمار :

رشأٌ يرنو بنرجسة ويعطو
بسوسانٍ ويَبْسم عن أقاح

ووجهها تارة كالبدر ضياء ، وتارة كالشمس جمالا وذكاء :

فقلتُ أخاف الشمسَ تفضح سرَّنا
فقالت معاذَ الله تفضحني أختي

اما خدودها فكالورود في الاحمرار في شعر احدهم :

معتدلُ القامة والقدِّ
ورديُّ الوجنة والخدِّ
لو وضعُ الوردُ على خدِّه
ما عُرف الخدُّ من الورد

مقاييس جمال المراة في الاندلس

اما مقاييس الجمال في الاندلس ، فلا نجد فيها اختلافا عما هي عليه في المشرق ، من تباين ظاهر بين الردف الثقيل والخصر النحيل . فالردف خصيب ومترع ، والخصر جديب وظامىء . فيما عدا التغزل بالشعر الاشقر ، حيث يقول مروان ابن الناصر الملقب بالطليق :

سال لامُ الصدغ في صفحته
سيلان التبر وافى الورقا (١)

هذا الى جانب التغزل بالشعر الاسود الحالك المحيط بالوجه الذى يشبه البدر ، ليحصل الطباق الذى يبرز الصورة ويجلوها لعين ابن السقاط المالكى :

وتُجلَى لنا فيه(٢) وجوهٌ نواعم
يُخلن بدورا والغدائر أحلاك (٣)

واذا ذكر الشاعر الاندلسي الطبيعة ، ذكرته بالمراة

بالاضافة الى هذا نجد أن الشاعر الاندلسي عندما يعمد الى وصف الطبيعة ، فانه يشخصها ويخلع عليها مفاتن المراة واغراءها . ولا يفسر هذا الا وحدة الجمال وتمازج اجزائه عند الاندلسيين . فاذا لفت نظر ابن القوطية الاشبيلي "سوسن وورد" في الحديقة ، فسرعان ما يتداعى الى ذهنه صورة المراة الناعمة الخَوْد التى احمر خداها من شدة اللطم يوم الفراق :

كأن ذا دُميةٌ نَصّتْ لمعترض
وذاك خدٌ غداة البين قد لُطما

ويرى ابن عمار الشلبى ان الروض الجميل الذى انتثرت فوقه الازاهير والورود ، وكساه الطل والندى بحبيباته ، كالفتاة الحسناء التي لبست ثيابا موشاة وتقلدت بالحلي والجواهر :

والروض كالحسنا كساه زهره
وشْيا وقلَّده نداه جوهرا

وهذا ابن صارة الشنتريني يقف امام شجر النارنج فيجد شبها بين ثمرها واغصانها وبين خدود الملاح فيتساءل مندهشا :

أجمرٌ على الأغصان أبدى نضارةً
به ، أم خدودٌ أبرزتْها الهوادجُ

---

(١) الورق : الفضة .
(٢) الضمير يعود على روض .
(٣) الاحلاك : ج حلكة وهي سواد الليل .

وقُضبٌ تثنّتْ أم قدودٌ نواعم
أعالجُ ، من وجدٍ بها ، ما أعالجُ
نقبّلها طوراً وطوراً نشمها
فهن خدودٌ بيننا ونوافجُ

وقصيدة السفرجلة للحاجب المصحفي أشهر من ان تذكر في هذا المقام ، ولا محيص من ايرادها . وفيها يعمد المصحفي الى التشخيص ، فيخلع الحياة على السفرجلة ، فاذا هي غادة حسناء تختال في غلائل نرجسية ، يفوح من اردانها المسك والعنبر ، وقد برح بها الحب والوجد ، فشحبَ وجهها وعلته صفرة محبّبة . ويبلغ التشخيص ذروته عندما يقطفها ويبدأ بازاحة ثوبها الخارجي المكون من الزغب الاغبر . وهنا تذكره بطيف محبوبته ، فيمنعه الحياء من التصريح به فيكتفي بالتلويح :

ومصفرّةٍ تختال في ثوب نرجس
وتَعبَق عن مِسكٍ زكيِّ التنفُّسِ
مددتُ يدي باللطف أبغي اقتطافها
لأجعلها ريحانتي وسْط مجلسي
وكان لها ثوب من الزغب أغبر
يَرِفُّ على جسم من التِّبر أملس
فلما تعرَّت في يَدَي من لباسها
ولم تبق إلا في غلالة نرجس
ذكرت بها من لا أبوح بذكره
فأذبلها في الكفِّ حرُّ تنفسي

وابن خفاجه هو الشاعر المجلّي في هذا الميدان ، اذ ان معظم قصائده نظمها في وصف الطبيعة والتغني بمحاسنها ، فمياه النهر الصافية أعذب من لَمَى الحسناء ، وهو بزرقته اللازوردية وغصونه الخضراء المتدلية على حافاته كالعين الزرقاء في الوجه الجميل .

لله نهرٌ سال في بطحاءِ
أشهى وروداً من لَمَى الحسناءِ
قد رقّ حتى ظُنَّ قُرصاً مفرَغاً
من فضّةٍ في بُردة خضراءِ
وغدت تَحُفُّ به الغصون كأنها
هُدْبٌ تحُفُّ بمقلةٍ زرقاءِ

وما أجمل هذه الصورة التي يوحيها له اهتزاز الزهر الابيض بفعل النسيم ليلامس الورد الاحمر :

وقد تأرج (١) نَوْرٌ
غضٌ يخالط وردا
كما تبسّم ثغرٌ
عذبٌ يقبّل خدّا

وسنقف عند هذا الحد في ايراد الامثلة ، ويستطيع القارىء ان يجد الكثير منها في المؤلفات العديدة التي تناولت الاندلس ، وفي دواوين الشعراء الاندلسيين .

وهكذا وجدنا أن فني الغزل والوصف يمتزجان ، بعض ببعض فيمد الثاني الاول بالجمال والرقة والسحر ، فيزيد حسنه رواء وفتنته مضاء ونفاذا . ويمد الاول الثاني بالصور والخيال فيجعله يزخر بالحب والعاطفة ويمور بالحياة والحركة ، ويكون من حصيلة هذا الامتزاج أثر قوي في النفس يثير الوجدان ويلهب الحس .

وفي هذا وحده ما يكفي لان يجعل من الشعر الاندلسي انشودة عذبة حالمة في فم الدهر ، يطرب لها كل من وهب له الله نفساً رقيقة تفيض بالحب والخير ، وحساً نافذاً يتذوق الفن ويعشق الجمال . ■■

صبحي مارديني
ليسانس في الأدب العربي
جامعة دمشق

---

(١) تأرج : فاح منه الارج وهو رائحة طيبة .

أنباء الطب والعلم والاختراع

بيوت الناس

هل تصنع كهرباءها، لنفسها، بنفسها فى الغد القريب ؟

• ليس لما يبتدع اليوم من العجائب حدود .
وليس لأطماع الناس في العلم طريق مسدود .

ومن آخر ما تجيء به الأخبار ما سجله المستر الفن ماركس Alvin Marks رئيس شركة Marks Polarized Corporation , NewYork من اختراع . انه اختراع يقضي بتحويل الحرارة الى كهرباء مباشرة ، يمكن استخدامه عند اكتماله فى البيوت لينتج لها ما تحتاجه من كهرباء ، وبذلك تستغنى عن شراء الكهرباء التى تصنعها الشركات أو الدولة .

ان الكهرباء اليوم تصنع على القدر الكبير، من حرارة ، مصدرها الفحم او الزيت او الذرة . حرارة يحملها بخار الماء تحت ضغط عال ، فيدير تربينات تجري بمحاور ملفات اسلاكٍ في مجال مغناطيسى فتتكون بذلك الكهرباء .

وهى سلسلة تتألف اختصارا من خطوات ثلاث . حرارة ، تتحول الى حركة ، تتحول الى كهرباء (انظر مقال كيف نصنع الكهرباء فى عدد يوليو ١٩٦٦ من « العربى ») .

واما الاختراع الجديد فيتألف من انبوبة على صورة الكعكة ، يجرى فيها غاز كالهليوم تدخل اليه نفاثات تحمل بخار الماء الحار . ومن لقاء البخار بالهليوم تلتقط الاسلاك الالكترونات الناتجة ، لتجرى فيها ، فتكون هى الكهرباء . انه اجمال لا تفصيل فيه ، فالتفصيل يطول .

فان صح هذا ، جرى الحال فيه على عكس الاسلوب الذى تجرى فيه المدنية ←

أصغر حى فى العالم يستطيع العيش مستقلا

• ولسنا نريد به الفيروس Virus ، لأنه يعيش مستقلا . انه يستضاف ، وبهذا يعتمد على غيره فى الحياة .

وقد كشف الدكتور هارولد موروفتس Harold Morowitz بجامعة يل Yale ، عن هذا الكائن الحى الأصغر . انها أصغر خلية أمكن اكتشافها تعيش اعتمادا على نفسها وحدها .

وهى من النوع الشبيه بالكائنات العضوية « الشبيهة بالبلورونيمونيا Pleuropneumonia » وأصغر الصغير فى هذه ، كائن اسمه هـ ٣٩ H 39

اما وزنه فجزء من عشرة آلاف مليون مليون جزء من الجرام . واما قطره فأقل من ٠٫٠٠٠٣ من المليمتر . واما ما فى مذخوره الوراثى فيبلغ نحو مليون قطعة من المعلومات الوراثية .



حريق صادق لا شبهة فيه

الحرائق الكاذبة

● دل الاحصاء فى بريطانيا على ان الحرائق التى استدعت أن يسرع اليها رجال المطافىء فى عام ١٩٦٥ قد بلغت ١٢٤١٨٨ حريقا . ولكن كان الى جانب ذلك اشعارات باندلاع ٣٤٣٥١ حريقا كاذبا . وهذه الحرائق تكلف الدول مبالغ باهظة . فاذا اضيف الى ذلك حرائق كاذبة زادت النفقات زيادة فى غير طائل . اما لماذا يكذب بعض الناس فى امر كهذا ، فمسالة يجيب عليها علماء النفس والخبراء فى الصحة العقلية .

وليس هذا الامر بمقصور على دولة دون دولة . ان الجنون فنون ، وهذا فن من الجنون متوزع على الدول جميعا ، قليلا او كثيرا .

ومن هذه الدول الولايات المتحدة . فقد دلت الاحصاءات أن مدنها تقوم فيها امثال هذه الأكاذيب اكثر مما تقوم فى بريطانيا .

ان فى كل من بريطانيا ، والولايات المتحدة ، وغيرها من البلاد المتحضرة ، يوجد في شوارعها اجهزة لاخطار مراكز الاطفاء بالحريق اذا قام . صندوق صغير له وجه من زجاج يكسره المخطر بالحريق ويدير يدا فيه تحمل الانذار الى محطة الاطفاء .

والولايات المتحدة تقوم اليوم بايداع علبة بها سائل مضغوط فى جهاز الانذار هذا ، حتى اذا جاءه من يريد أن ينذر به بقيام حريق ، فكسر الزجاج ، وادار اليد المنذرة ، انفتحت العلبة فاخرجت صوتا عاليا يسمع على المدى البعيد لمدة ثلاث دقائق . وهذا بالطبع يلفت انظار الناس الى الرجل المنذر بالحريق . وهذا من شأنه ان يخيف المنذرين الكاذبين فلا يقوموا بمغامراتهم .

وقد جرب هذا الجهاز فى مدينة فلادلفيا عام ١٩٦٤ ، فلم يكن بها غير ١٢ انذارا بالحريق كاذبا ، بينما كان معدل الانذارات قبل ذلك ١٤٧ انذارا .

الحاضرة . فصناعات البيوت ذات الحجم الصغير تخرج من البيوت الى دور الصناعة لتتخذ شكل الانتاج ذى الحجم الكبير . فالخبز مثلا ، كان يخبز فى البيت ، ارغفة معدودة . وهو يصنع اليوم فى المخابز آلافا مؤلفة .

اما فى الصناعة الكهربائية البيتية هذه ، المرتقبة ، فستجرى فى الاتجاه المضاد . صناعة الكهرباء الكبيرة ، ستدخل صغيرة الحجم الى البيوت الصغيرة .

والبحوث الجارية فى صناعة هذه الكهرباء ، هى من الجد فى مكان . فقد اعانتها البحرية الامريكية بما قدر بنحو ٦٠٠٠٠ دولار .

الأغنام وزيادة محصولها من الصوف

● الصوف خامة من خامات بعض الأمم ذات خطر في الاقتصاد كبير . انها للصناعة خامة .

والأمم التى تنتج الصوف الخام عديدة ، اهمها استراليا والارجنتين ، ونيوزيلندة ، وروسيا، والولايات المتحدة، وجنوب اوروبا ، واورجواي بامريكا الجنوبية .

واستراليا تنتج من صوف العالم نحو الربع .

فلا عجب ان تهتم استراليا بأبحاث الصوف ، تلك التى يرجى منها ان تزيد فى حصيلتها منه .

وقد قام بعض علمائها ببحث زيادة انتاج الشياه من الصوف ، وذلك بزيادة اطعام الاغنام من اغذية، يزيد فيها البروتين (مادة اللحم ، ومنها يتكون الصوف) ، ولكن كانت النتيجة مخيبة للآمال ..

واذن خطر لباحثيهم أن يحقنوا القليل من البروتين ، مباشرة فى المعدة الرابعة للاغنام ، عن طريق انبوبة يخرقون لها الخرق فى جنب الشاة حتى تصل الى هذه المعدة الرابعة ، ومن المعروف طبعا أن للشاة معدات أربعا .

وكانت النتيجة ان زاد انتاج الشاة الواحدة من الصوف فى العام ما بين ١٥ الى ٢٠ رطلا وذلك، علما بأن هذه الشياه، عندما تتغذى على الحشيش وحده بالمقدار الذى يحفظ عليها الحياة فى أيام الجفاف الشديد ، لم تنتج الواحدة منها فى المتوسط غير ست ارطال ونصف من الصوف .

ووقعوا على السبب فى فشلهم الاول، عندما اطعموا الشياة غذاء بروتينيا عن طريق الفم . ذلك ان الطعام البروتيني الذى يمر فى المعدات الثلاث الاولى للشاة ، يتعرض لفعل البكتير والحيوانات البرزوية (الاوالية) التي بها ، فتحلله بما لا يصلح بعد ذلك لبناء الصوف على ظهور الخراف والنعاج .

تدفئة المنازل من زبالاتها

● جمع الزبالة والتصرف فيها معضلة، وهى زادت اعضالا بكبر العمارات التى تبنى فى المدن الحديثة .

وكان من آخر ما ابتدع للتصرف فى الزبالة ما ابتدعته السويد . ففى عمارات بلغ عدد شققها ٢٥٠ شقة ، تقذف ربة البيت فى كل شقة بالزبالة التى تتجمع لديها في ملقف اسطوانى، فاذا بلغت القاع وقف بها صمام لا ينفتح الا باشارة كهربائية تأتى من مركز الصيانة فى العمارة. والصمام اذ ينفتح ينطلق معه تيار قوى من الهواء يجري بسرعة نحو ٨٠ الى ٩٠ قدما فى الثانية . وهذا التيار يحمل الزبالة الى مستودع كبير . فاذا تم جمع الزبالات جميعا ، واحدة بعد أخرى ، سكن المحرك الكهربائى الذى يدفع تيار الهواء . وعندئذ تحمل الزبالات حملا ذاتيا الى محرقة ، تحرق كل ما يحترق بها .

ومن الحرارة الناتجة تدفأ الشقق جميعا في الشتاء القارس .

وسوف يتوسع القائمون على هذا النظام بتكبيره حتى يشمل ٥٠٠٠ شقة مرة واحدة .



مصابيح الكهرباء نور ونار

• اما انها نور فشيء تراه العين .

واما انها نار فشيء تحسه اليد حينما تمس مصباحا وهو موقد .

بقي سؤال : أهذا المصباح ، اكثره نور ام نار ؟

والجواب : اكثره نار ، مع انه مصباح نور .

والحقيقة التي لا يكاد يذكرها احد هي ان الكهرباء المستهلكة في هذه المصابيح يتحول نحو ١٥٪ منها فقط الى نور ، واما الـ ٨٥٪ الباقية فتتحول الى نار.

والنار دفء .

واذن فهذه المصابيح تعطينا ، لاسيما في الشتاء ، الدفء والضياء .

ثم تتفتق رؤوس المفكرين من العلماء التكنيين عن شيء :

لقد لاحظوا انه ، في العمارات الكبيرة، كناطحات السحاب ، تكون الغرف الداخلة أقل نوافذ من الحجر الخارجة المطلة على الطرقات ، واذن فهي أكثر استهلاكا للكهرباء ، لأن حظها اقل من نور السماء . واذن فالذي تنتجه مصابيحها من الدفء اكثر مما تحتاجه أجسام ساكنيها. واذن فهم يوزعون هذا الفائض من الحرارة بالتيار الهوائي يدور في كل الحجرات ، داخلها والخارج . وفي ناطحة سحاب بها ٣٣ دورا حفظوا درجة الحرارة فيها عند ٢٢ درجة مئوية بهذه الطريقة، بتيار الهواء يأخذ من الحرارة حيث تزيد، ويحملها الى حيث تنقص . ولما استوت درجة حرارة الحجرات عند هذه الدرجة،



كانت حرارة الجو في الطريق ١٠ درجات مئوية تحت الصفر !

وبهذه المناسبة نذكر ان الضياء المستخدم في الولايات المتحدة، ذلك الذي تعوده اهلها ، اسطع من الضياء الذي تعوده أهل اوروبا . فالحجرة في الولايات المتحدة ينال القدم المربع منها نحو ٢٠٠ لومن Lumen ، وهي وحدة الضياء اما في أوروبا فبين ١٠٠ الى ١٢٠ لومن. ولك ان تحدس متوسط قوة الضياء في شرقنا هذا !

وتتفتق أفكار العلماء والتكنيين عن امر آخر :

حرارة الأجسام ، اجسام التلاميذ ، في حجرات الدراسة ، واجسام الطاعمين في المطاعم وفي السينما، أليست هي كذلك مصادر للدفء يمكن الاستفادة منها اقتصادا في النفقات ؟

ولكن هذا موضوع يطول .

وكفانا ما ذكرنا .

الحياة والموت

هل من حدٍ فاصل بينهما ؟

● أنك تسأل الطبيب عن الحدّ الفاصل بين الحياة والموت ، فيقول لك على الفور انه القلب حين تقف ضرباته ، وانهما الرئتان حين تتوقفان عن تنفس.

ولكن ، ظهر فى الطب الحديث امور تثير الريبة فيما يقول الطبيب .

من ذلك أن من الناس ، من ماتوا وفقا لما يذكر الطبيب ، ثم ردت اليهم الحياة بعد زمن طال او قصر . ومن ذلك ما حدث منذ اسابيع غير بعيدة : رجل مات ، وتوقف نبض قلبه ، وتوقف تنفسه. ثم استطاع الأطباء العلماء أن يعيدوا اليه نبض القلب وتنفس الرئتين ، والحياة ، بعد ساعة ونصف ساعة من « موته » .

واذن يتساءل أهل الرجاء الواسع : هل معنى هذا ان الطب الحديث ، فى تقدمه الحاضر ، قد يستطيع فى المستقبل القريب أو البعيد ، احياء الموتى ، ولو فى حالات من الموت خاصة ؟

وانسجاما مع هذا الأمل الواسع ، مات رجل منذ زمن غير بعيد ، ومات بالسرطان ، وقام اهله بوضعه فى ثلاجة ، درجة تبريدها تقع تحت الصفر ، وذلك رجاء ان لا تتحلل خلايا الجثة فتفسد ، حتى اذا جاء يوم استطاع الطب فيه احياء الموتى في زعمهم ، امكن ان يستفيد صاحب هذه الجثة من ذلك ، فاستعاد حياته الذاهبة !!

امل ، اى امل !!

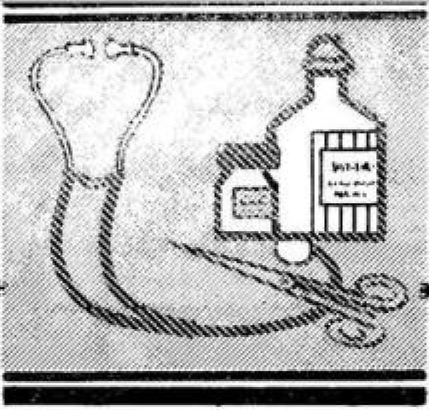
وسواء صح هذا الأمل أو لم يصح ، فان رد الحياة الى بعض « الموتى » من الرجال بعد ساعة او نحو ذلك من موتهم ، يجعل الحد الفاصل بين الميت والحى حدًا مبهما .

ويزيد فى انبهام هذا الحد ما يجرى اليوم فى الطب من اطالة عمر المرضى ، بالآلة تجرى فيهم الحياة من خارج اجسامهم .

مثال ذلك السيد الخميستى ، وزير خارجية الجزائر . اصابه رجل قاتل برصاصة ، اصابت راسه . وكان من نتائج ذلك أن توقف قلبه عن ضرباته ، وتوقف تنفسه ، واصيب مخه اصابة لا يشفى منها فيعمل ابدا . واذن فهو قد مات من حيث التعاريف الاكلينيكية. ولكنهم وصلوا دورته الدموية بآلات خارجية فجرى فى جسمه الدم ، وعاد الى القلب ضرباته ، وعاش على هذه الحالة ثلاثة اسابيع .

والسؤال في هذه الحالة وامثالها اليوم فى الطب كثيرة ، هو : متى مات المريض ؟ وهل هو عاش حقا تلك الثلاثة الأسابيع ؟ واذا استطاع الطب اطالة الحياة بالآلات يديرها من خارج جسم فالى اى مدى يظل يديرها ؟ ومن ذا الذى يجسر على أن يضع يده على زر الآلة التى تقف بوقوفها الحياة عن شخص حبيب ؟

امور معقدة لا شك سوف يزيدها العلم فى تقدمه تعقيدا . ●●



طبيب الأسرة

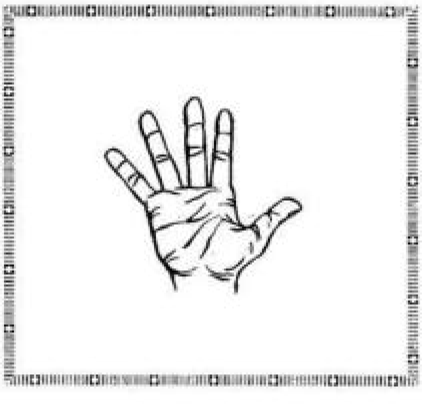
اليد والكف ، هل يكشفان عن شيء ؟

● لى أصابع تقول عنها أمي انها اصابع تبشر بمستقبل ناجح اذا انا اخذت من الموسيقى هواية او حرفة فهى أصابع طويلة ، ودقيقة الاطراف. ويقول ابن عم لى طالب طب انها اصابع الجراح الناجح ، ويغريني بتعلم الطب . وهذه اقوال شائعة بين الناس، واريد ان اعرف مقدار ما بها من صحة.

ـ رايي انها آراء غير صحيحة، ودليلى على ذلك رؤيتي كثيرا من اصابع الجراحين المهرة ، فالاختلاف بينها كبير. ففيها القصير ، وفيها الطويل ، وفيها الدقيق ، وفيها الغليظ . وكل في عمله ناجح .

والذى يقال في الجراحين يقال فى الموسيقيين .

واعلم ان في العلم المأثور لكثير من



الشعوب أن اليد تدل على ما طبع عليها صاحبها من أشياء ، وكذا خطوط الكف . وفي هذا الشأن كتب منشورة . وفي الطب ان الرجل الكبير تكون له عادة يد كبيرة ، وللرجل الصغير يد صغيرة . ويد المراة أصغر من يد الرجل، وادق . ومن الامراض ما يغير صورة اليد ، فمنها ما تكبر عليه ، ومنها ما تصغر وتنضمر .

اما عن أن اليد او الكف يكشفان عما في نفس صاحبهما من تأهل لعمل شيء أحسن من شيء ، أو من ميل الى ذكاء او غباء ، أو مزاج دون مزاج ، فأمر لم يقم بعد عليه دليل . وأعني بالدليل الدليل العلمي .

انه فن كاستقراء الغيب .

وله فوائده . فان شئت أن تعرف راى رجل فيك ، او راى امراة ، فاسألها أن تقرأ لك الكف . فان هو فعل او هي ، وقالت فيك ما قالت ، فاعلم انها انما استمدت ذلك من رايها هي فيك ، لا من كفك .

سقط فى الطريق لا حراك به ، فهل مات ؟

● كنت اسير فى الطريق ، فاذا بى اجد رجلا مسنا قد سقط على الارض. وتجمهر حوله الناس ، وأخيرا غطوه بما تيسر من اغطية ، وراحوا الى اقرب هاتف يطلبون الاسعاف . وسألت هل مات الرجل ؟ فجاء الجواب ان احدا لم يستطع ان يحس به نبضا . وكان فى الجمع ممرضة ، قالت هى ايضا انها لم تحس نبضا . ولما ذهبوا الى المستشفى اعلن رجاله ان الرجل قد مات ..

وسؤالى هو : ما الاعراض التى يطلبها الرجل العادى فى مثل هذه الحالة ليتبين ان كان بالرجل حياة ، او هو قد مات ؟

— ان من أول اعراض الموت توقف القلب عن الضرب ، ودليل هذا توقف الضربات التى يحسها الجاس عند الرسغ. يضاف الى ذلك محاولة استبانة ما فى صدر الرجل من ضربات ، وذلك بوضع الاذن على الجانب الايسر من الصدر . وكثيرا ما تحس الضربات فى الصدر ولا تحس فى الرسغ .

وعدا هذا ، ففى الموت تظهر العينان وكأنما صنعتا من زجاج. واذا مس فاحص بياضهما باصبعه لم تتحرك العين اية حركة . ذلك فى الرجل الميت . اما اذا كان حيا فالجفنان ينطبقان على الفور انطباقا غير ارادى .

وثالث اختبار يتعلق بالتنفس ، فوضع الاذن عند الفم والأنف يجعلها تحس ما قد يكون هناك من تنفس ، أو هى تسمعه.

وأخيرا لون الرجل . لون جلده . فعند الموت يصفر الجلد . والشفتان تميل الى ازرقاق .

على ان المتعارف عليه انه لا بد من اجراء تنفس صناعى قد يعيد الى الرجل عمل الرئتين ، او تدليك لقلبه قد يعيد اليه حركته. وذلك الى ان يأتى الطبيب. وهو القادر على اعلان الرجل حيا او ميتا .

ابنى سمين زائد السمن وكذا ابنتى

● لى ابنة فى التاسعة من عمرها ، تزيد كل سنة وزنا يزيدها ضخامة . وكذا ابنى وهو أكبر منها بنحو سنتين. فهل هناك علاج لهذا السمن الزائد ؟

— ان زيادة الوزن فوق المعدل العادى قد تقع للصبية والصبايا بين السنة السادسة من أعمارهم والسنة الرابعة عشرة ، ويكون سببها دخيل فى بنية الجسم ونمو خلاياه ، وغالبا ما يصحب هذا ظاهرة مثلها سبقت فى آبائهم او امهاتهم او أخوال لهم او خالات . فاذا بلغت الصبايا والصبية سن المراهقة زالت عنهم السمنة ، ومالوا الى القوام السوى .

وسبب آخر قد يكون من نتيجته السمنة والضخامة . ذلك الطعام الكثير. انها التخمة . وهى عادة لا تكون مقصورة على الأبناء دون الآباء . فاذا نصح ناصح بالاقلال من الطعام وجب أن تشمل هذه النصيحة الاسرة كلها .

اما ما يتعلق بنظام الطعام فى هذه الحالة ، فهو يتعلق اولا بالمقدار المأكول.

القاعدة الأولى ان لا يأكل الآكل من الصنف الواحد القدر الكثير .

والقاعدة الثانية أن يقلل الآكل مما يأكل من السكر والحلوى . وكذا الكعك والبسكوت .

والقاعدة الثالثة الاقلال من الطعام الدسم ، وكل ما يحمّر فى الدهن . وكذا الزبد . وأن يهبط بمقاديرها حتى تكاد

الاسبرين هل أبلعه بالماء ، أم أجرشه بغير ماء ؟

● اعطتني الصيدلية التي اعرفها ،بدل الاسبرين الذى طلبته ، اسبرينا مكتوبا عليه اسم كوديس . وانا اتعاطاه ، عندما لا أجد الماء حاضرا ، بدون ماء ، بعد قرقشته باسناني .فهل في هذا ضرر . ان الفبريكة تقول ذوبه في الماء . وانا أجد ان قرقشته بالاسنان أكثر انعاشا .

ان اقراص الكوديس Codis هذه التى تذكر ليست اسبرينا خالصا ، فهى اسبرين من النوع الذى يذوب في الماء ، ومعه فوسفات الكودائين Codeine ، والعقار الآخر المسمى فيناسيتين Phenacetin .

ولست ادخل في فعل هذه العقاقير بالجسم الآن .

ولكني اذكر ان الكوديس يذوب فى الماء ، في حين ان الاسبيرين العادى قليل الذوبان فيه .

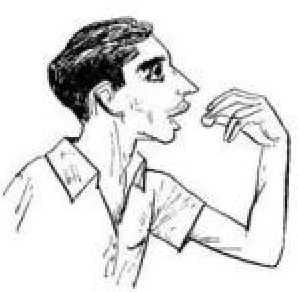
وفي السوق اسبيرين Soluble Asperin يعرف بالذائب . وهو يحتوى على الاسبيرين العادى ، بنفس الجرعة العادية التي هي نحو ثلث جرام للقرص الواحد ، ومعه كربونات الكلسيوم ، وحامض الليمون ، وصديوم السكارين . ويستطيع الانسان اذابته فى كوب ماء ، ثم شربه .

ان الاسبيرين ، بأى شكل كان ، لا بد معه من الماء .

اما ان القرقشة تزيد الاسبيرين انعاشا ، فهذا بعض الخيال الذى لا ضرر منه . ولكن الحقيقة هي ان الاسبيرين ليس فيه انعاش ، ولا تخميد .

والاسبيرين جرعته ما بين ثلث جرام الى جرام ، والقرص الواحد به نحو ثلث جرام كما ذكرنا . ويحسن ان لا يتكرر تعاطى الاسبيرين بهذا المقدار الكبير الا بعد ساعات ست أو تزيد .

والاسبيرين يزيل الآلام التي تصحب الصداع، والآلام الروماتزمية. وهو ينزل بدرجة حرارة الجسم عند الاصابة بالحمى .



تختفى .

ثم الفاكهة والخضراوات ، يأكل منهما الآكل ما اشتهى ، ولكن فى حدود معقولة كذلك .

ثم الى النشاط الجثماني والرياضة والألعاب . انها لا شك نافعة للجسم ضرورية للصحة. اما لنقص وزن الجسم فليست بذات خطر . حتى لقد قيل ان صعود جبل عال والنزول منه لا يبذل الانسان فيه من المجهود الا اقل مما تحتويه شطيرة خبز ولحم من طاقة .

بقى اثر السمن في نفس الفتى والفتاة.

ان الناس اتخذوا من السمن موضوعا للفكاهة ، يتندرون به على صاحبه او صاحبته ، فيذهب ذلك عنهما باحترام النفس والثقة بهما . وهى جراح تصاب بها النفس العزيزة لا تكاد تبرأ منها طوال الحياة .

فليحذر افراد الأسر ، وكذا الطلبة فى المدارس ، من اتخاذ السمن موضوعا لنكات يطلقونها . انه الجرم الخفى الذى لا يغتفر .

●●



ضحية الشائعات

بقلم : حسن الجداوي

المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ نحن في مدينة بوردو ، وفي قاعة محكمة الجنايات ، وقد بدأ المحلفون يدخلون قاعة الجلسة ـ من غرفة مداولتهم التى طالت عشر ساعات،ووقف في قفص الاتهام ليسنييه (فرانسوا ديوديتيه) ، وهو مدرس الزامى في قرية فيو ، وابوه ، ينتظران قرارهم بقلوب واجفة .

فقد كانت التهمة الموجهة اليهما انهما قتلا « جاى » عجوز القرية وسرقا محتويات كشكه الصغير وأشعلا النار فيه . وكانا يعلمان ـ الأب والابن ـ انهما بريئان من تلك التهمة الفظيعةولكن أهل القرية جميعا تألبوا عليهما واطلقوا الشتائم فيهما ـ بالحق وبالباطل ـ ولم يكن لهما من امل الا ان ينصفهما المحلفون بعد دفاع قوى من محاميهما الشاب النابه .

ونطق المحلفون بقرارهم فاذا به يبرىء الأب من التهم الثلاثة . ويبرىء الابن من تهمة السرقة ولكنه يدينه في التهمتين الاخريين، القتل والحريق العمد . وأصدر القاضي حكمه على الابن بالاشغال الشاقة المؤبدة .

وبهت الابن ولم يدر ما يقول . ولكن اباه أمسك بيده وضغط عليها وقال له « لا تبتئس ولا تيأس يا بنى فان اباك باق لك » .

★ ★ ★

ولم تكن تلك الكلمات من الأب لمجرد التشجيع فقد كان مؤمنا كما كان محاميهما مؤمنا ببراءة الابن وبأن وراء الاشاعات التى أوجدت ظروف الادانة يدا خفية لها مصلحة في تضليل العدالة وان الزمن كفيل بأن يرفع الستار عن تلك اليد الخفية .

وبدأ الأب سعيه يجمع الاقاويل من هنا ومن هناك ويدونها ويقدمها للمحامى الذى أخذ من جانبه يعد ملفا بكل ما يستجد ، وقضيا في ذلك ست سنوات أمضاها الابن المسكين في عذاب السجن والنفى مكبلا بالحديد في يديه ورجليه ـ وهى الطريقة المتبعة مع المحكوم عليهم في تلك الأيام . وكان التراسل بينه وبين ابيه وبينه وبين محاميه مستمرا . ومضت السنوات الخمس بين اليأس والرجاء الى أن وجد المحامى ان الوقت قد جاء ليطلب تحقيقا جديدا ... ولكن لنشرح القضية أولا لنبين أن العدالة قد تبطىء وقد تخطىء ولكنها في الكثير الغالب تكتشف خطأها وتحاول اصلاحه .

★ ★ ★

كان ليسنييه الأب ، وهو من قرية شماديل ، صاحب ثراء ، لذلك حرص على أن يمنح ابنه اكبر قسط ممكن من التعليم ، فحصل الابن على اجازة التدريس من دار المعلمين وهو لما يبلغ العشرين من عمره . ولكن ثروة الأب تبددت في



نزاعات قضائية طال أمدها مما اضطر الابن الى ان يقبل وظيفة مدرس الزامى – في قرية صغيرة اسمها فيو ، وانتقل اليها مع أبويه وأخته ليعيشوا جميعا من ايراد الابن المحدود الذى لم يكن يتجاوز ألفا ومائتى فرنك في العام .

واقبل الابن على عمله بانشراح فقد كان محبا لعمله من جهة ولحاجته الملحة ليقوم بأود أسرته . وتضاعف عدد تلاميذ القرية وطاب له العيش فيها حتى فكر في أن يتخذ منها مقره الدائم ، ولذلك فاوض « جاى » العجوز في أن يبيعه قطعة الارض التى يملكها وما فوقها من كشك متواضع مقابل ايراد شهرى يدفعه له مدى الحياة – هو ستة فرنكات في الشهر ، فقد كانت الحياة في تلك الأيام لا تتطلب أكثر من ذلك للطعام والكساء .

وكانت صفقة موفقة للجانبين . فجاى العجوز، وقد تخطى الخامسة والسبعين ، لم يعد في حاجة لان يعمل ويشقى ليكسب قوت يومه . وكان صاحبنا ليسنييه يأمل في أن لا يضطر لدفع الايراد الشهرى طويلا لأنه لم يكن يتصور أن يعيش جاى العجوز لأكثر من بضع سنين تعد على أصابع اليد الواحدة .

ولم يدخل في حسابه أن يموت جاى بعد أقل من شهرين من عقد تلك الصفقة وأن يحصل صاحبنا على الارض والحديقة التى حولها بثمن بخس اثنى عشر فرنكا . ولو أن جاى العجوز قد مات ميتة طبيعية لحسد الناس المشترى واعتبروه محظوظا . ولكن جاى وجد مقتولا وقد أكلت النار الاخضر واليابس من منزله . ولم يعرف الفاعل . واثبت التحقيق أن جاى لم يمت مختنقا من دخان الحريق ولا محترقا .... ولكنه قتل بضربة قوية من آلة راضة على رأسه .

هناك اذا فاعل !! . وهناك اذا باعث !

ولم يتبين في بادىء الامر حدوث سرقة ، ولكن ليسنييه تطوع وذكر أن جاى كان يملك أربعة براميل نبيذ – وأيده أهل القرية فاتجه التفكير الى أن يكون الباعث هو السرقة .

ولكن المحقق اعتقد أن هذا الباعث غير معقول لان أربعة براميل نبيذ – والنبيذ في تلك الأيام لم يكن ثمنه يزيد كثيرا على ثمن الماء – لا تبعث على ارتكاب جريمة قتل . وتابع المحقق اجراءاته فتبين انه لم يكن للقتيل أعداء ولا أقارب ولا أصدقاء . فقد كان مقطوعا من شجرة كما يقولون .

★ ★ ★

وسرت في القرية اشاعة – والاشاعات في القرى هى تسلية أهلها – ولا أحد يدرى كيف تبدأ ولا متى تنتهى . كانت الاشاعة تقول أن شخصا واحدا

هو الذى استفاد من موت « جاى » العجوز ذلك هو الذى استولى على تركته مقابل فرنكات معدودة .

ومع ان تصرفات ليسنييه لم تكن تدعو لاساءة الظن به ، فقد هرع كغيره لاطفاء الحريق وساعد في نقل الاثاث وانقاذ بعضه من الحريق . وعثر على مبلغ ضئيل عشرة فرنكات في احد الادراج فسلمها للمحقق . بل هو الذى لفت الانظار الى وجود براميل النبيذ .

★ ★ ★

ورأى المحقق ـ ازاء تلك الاشاعة ـ ان ينبش في حياة ليسنييه الخاصة ليتبين قيمة تلك الاشاعة فلم يجد فيها اية متاعب من النوع الذى قد يحمل صاحبها على ارتكاب جريمة قتل . حقا انه اكتشف أن له علاقة غير بريئة بامرأة متزوجة من صاحب حانة اسمه لسناتى ، وطردها زوجها من منزله بسبب تلك العلاقة وبسبب سوء سلوكها ..... وردها لعصمته بعد حادث الحريق .

ولما سئل عمدة المدينة عما يعرفه عن ليسنييه قال انه غارق في الديون لقمة رأسه ـ أو لشوشته حسب التعبير الدارج ـ فهو مدين بمائتى فرنك لزيد من الناس ومائة أخرى لعمرو . كما تقدم شهود يتبرعون بترديد أقوال سمعوها من ليسنييه تدور كلها حول ثقته بانه عقد صفقة رابحة وانه لن يدفع أقساط الايراد العام الا لفترة قصيرة ، وأوّلوا تلك الاقوال بأنها تدل على نية مبيتة عنده للتخلص من جاى .

ورأى المحقق ان سن جاى المتقدم وسوء حالته الصحية تبرر مثل تلك الاقوال من جانب ليسنييه وانها لا تصلح دليل اتهام .

★ ★ ★

وفجأة تبرع رجل دينى له مكانته ولشهادته تقديرها بأقوال رجحت كفة الاتهام . قال القسيس في شهادته « لقد تبينت أن أهل القرية جميعهم كانوا يشيرون باصابع الاتهام الى ليسنييه لانه الوحيد الذى يجنى فائدة من هذه الجريمة . وكنت الومهم على ذلك واقول ان ذلك لا يصلح دليلا . ولكننى وقد أقسمت اليمين على أن أقول الحقيقة ، وكل الحقيقة ، أرى لزاما على أن أروى لكم اننى زرت المرحوم « جاى » المسكين قبل موته فوجدته مريضا مهموما . وحاولت أن اسرى عنه وهنأته على بيعه لمنزله بايراد شهرى مدى الحياة لما في ذلك من راحة له ، ولكنه لم يظهر أى اغتباط ، بل على العكس شكا لى من سوء معاملة ليسنييه له . وقال لى انه كثيرا ما يتركه يتضور جوعا وطلب منى ان اتحدث في شانه مع ليسنييه ..وقابلت بعد ذلك ليسنييه وحدثته في امر جاى فتضجر وقال ان جاى يضايقه كثيرا ويريد منه أن يكون بجواره على الدوام . ولقد كان حديثى مع ليسنييه في كثير من الحيطة لما اعلمه عنه من انه يعتقد انه على صواب دائما ولا يقبل اية ملاحظة ولا اية نصيحة .

وأضاف القسيس دون أن يوجه اليه المحقق أى سؤال « اذا كنت تريد أن تعرف حقيقة شعورى نحو تصرفات ليسنييه يوم الحريق فانى اعتقد انه كان متكاسلا لا يظهر اى حماس في اطفاء الحريق . وبدا لى قلقا . وكان كلما رأى مجموعة من الناس تتحدث يقترب منها لينصت الى احاديثهم . وكنت واقفا مع عمدة القرية احدثه فلم يتوقف ليسنييه عن تحديق النظر فينا اعتقادا منه اننى اشكو من تصرفاته معى التى لا صلة لها بالجريمة . والواقع اننى كنت اشكوه للعمدة لانه اقترض منى مبلغا ولم يرده لى ، واشتريت منه نصف برميل نبيذ ولم ادفع له الثمن خصما من دينه لى،ورفعت دعوى على ليسنييه اطالبه بالمبلغ فاعترف باستلامه للمبلغ ولكنه زعم اننى دفعته له مقابل شراء سكوته لما زعمه من وجود علاقة بينى وبين أخته .. زوجة اخى » .

واستمر القسيس متبرعا يضع السم فى الدسم فقال : « وفى ليلة الحادث كان النور مضاء فى غرفة نوم ليسنييه حتى الساعة التاسعة والنصف مساء مع انه اعتاد ان ينام مبكرا . وذلك أمر يدعو للاستغراب » .

★ ★ ★

وتبين المحقق ما فى شهادة القسيس من تحيز ظاهر مرجعه النزاع القائم بينه وبين المتهم فلم يعلق عليها اية أهمية وصمم على حفظ التحقيق وقيد الحادث ضد مجهول .

★ ★ ★

واذا بحادث جديد يحول دون حفظ التحقيق . ذلك أن رجلا اسمه دانيو فى يوم ٢١ نوفمبر أى بعد ستة أيام من الحادث وصل فى الساعة

السادسة والنصف مساء الى احد منازل القرية وارتمى على أول مقعد صادفه وهو يرتجف مقطوع النفس لا يكاد يقوى على الكلام . وأشار الى ثوبه الممزق . فلما استرد أنفاسه روى للموجودين ان قطاع طريق تعرضوا له وهو يخترق الغابة وحاولوا سرقة ما معه ولكنه استطاع أن يفلت منهم بأن ضرب أحدهم بمظلته ففر الآخرون .

تلك كانت روايته الاولى . وفى الغد طلب منه عمدة القرية أن يشرح له الاعتداء الذى وقع عليه فروى روايته الأولى واضاف ان المعتدين اثنان ، يرتدى احدهما صديريا أزرق وبنطلونا من نفس اللون ، ويضع على رأسه قلنسوة (بيريه) . والثانى يرتدى صديريا أحمر اللون وبيريه. واضاف انه لا يستطيع أن يؤكد انه عرف شخصياتهما ولكن لديه شكوك وانه يستطيع أن يتعرف عليهما اذا عرضا عليه .

وتلك كانت روايته الثانية . ثم استدعاه ضابط البوليس فاعاد روايته للعمدة واضاف انه متأكد أن المعتدين عليه هما ليسنييه الابن وابوه ... انه لم يتأكد منهما فحسب بل تحدث اليهما . قد لا يكون متأكدا من الأب أما الابن فهو واثق كل الوثوق منه ويقسم على ذلك . كانت هذه روايته الثالثة .

★ ★ ★

وقالت النيابة العمومية لنفسها ـ ان صح هذا التعبير ـ ان من يحاول سرقة رجل معدم مثل دانيو ـ لا مصلحةله فى القاء تهمة باطلة ـ لايستبعد عليه أن يرتكب جريمة قتل جاى العجوز . مع أن تعدد روايات دانيو واختلافها كانا كفيلين باظهار كذبها . ولكن الجريمة كانت فظيعة ، وأمن القرية يتطلب العثور على الفاعل . فسارعت النيابة العمومية وأمرت بالقبض على ليسنييه ـ الأب والابن ـ وتفتيش منزل ليسنييه الأب فعثر على على صديرى من الصوف بكميه بقع تثير الشبهة ومثلها على قميص من القطن .

وقال ليسنييه الأب ان هذه البقع من آثار عمله فى زراعة الارض فقد يكون أمسك ببقرة مجروحة أو أثناء نقله للسماد . كذلك عثر عنده على ثلاثة هيكتولترات من النبيذ فى براميل. وتطوع صانع البراميل بالشهادةانه أصلح براميل ليسنييه الأب من فترة وجيزة ولم تكن هذه البراميل من ضمن ما أصلحها له .

وعثر فى مكان آخر ـ فى الجرن ـ على قميص نسائى تحت كومة من التبن وقال ليسنييه الابن انه قد يكون خاصا باخته التى تشتغل بحياكة الملابس .

كذلك عثر على بقعة حمراء تلوث مقبض أحد الأبواب ظنّ انها دموية . وقال ليسنييه انه اذا ظهر انها دموية فالمسئول عنها جزار القرية الذى اعتاد أن يعرض لحومه امام باب المنزل وأحيانا فى مدخل المنزل اذا كان الجو لا يسمح بعرضها فى العراء .

ومع أن كل هذه الأقوال لا تكون دليلا يمكن الاستناد اليه الا أن النيابة العمومية أمام قوة الاشاعات التى انتشرت بين أهل القرية اضطرت للقبض على الرجلين وايداعهما السجن .

واذا وقعت البقرة كثرت سكاكينها كما يقول المثل العامى .

وحملت السكين الأولى وتطوعت بالطعنة الاولى زوجة لسباتى ـ مارى سيساك ـ التى دلت التحريات على انها عشيقة ليسنييه الصغير . قالت انه بعد ارتكاب الجريمة وقبل القبض على ليسنييه قدم لها الابن قطعة قماش تكفى لعمل ثوب هدية حتى لا تبوح ببعض أسرار تعرفها . وقالت انه كان من سوء حظها أن تعرفت منذ عام على ليسنييه الصغير ، وادت تلك المعرفة الى انفصالها من زوجها بسبب ما كان ليسنييه يوحيه اليها . وكان فى الوقت نفسه يهددها بأن لا تذكر اسمه والا نالها منه ما لا قبل لها على احتماله . وقالت انه كان يضع فى أدراج مكتبه عددا من المسدسات جعلها تخضع لكل اوامره . وذات مرة جعلها تقسم على أن لا تسمح لزوجها بالاتصال بها ، وأنها منذ ذلك الوقت امتنعت على زوجها . وانه نصحها أن تقول امام القضاء ان زوجها يسىء معاملتها ويهينها ويضربها . ولم تكن تلك مجرد نصيحة بل امرا مصحوبا بالتهديد . وقد فعلت كل ذلك من خوفها منه . وان ليسنييه ـ بعد حادث الحريق الذى راح ضحيته جاى العجوز ، قال لها انه سيقدم لها قرضا مقداره مائتا فرنك لتصرف منه على قضيتها ضد زوجها ولتحصل على نصف ثروته . بل قال لها انها اذا لم تنجح فى كسب قضيتها ضد زوجها فانه سيعمل على اثبات أن له ضلعا فى جريمة الحريق .

ولم تكتف مارى سيسال باتهام عشيقها بل وجهت غضبها الى الاب فزعمت انه قابلها بعد الجريمة وقال لها انه يريد أن يقدم لها بعض النصيحة لتفيدها فى قضيتها ضد زوجها ، وطلب منها أن تلحقه الى سكنه . واشار لها على دجاجة ضالة من دجاجات ابنه وطلب منها ان تحملها الى منزله لتبرر زيارتها له ولتمنع الاقاويل .

★ ★ ★

واعتبر المحقق هذه « الشاهدة » اكتشافا أو « لقطة » يسند بأقوالها اتهاما متداعيا . فاكثر من استدعائها واكثرت هى من الذهاب اليه ، وفى كل مرة كانت تضيف جديدا على أقوالها . مع انها حين سألها المحقق ضمن من سألهم فى الصفحات الأولى من التحقيق قالت انها لا تعلم شيئا يفيد التحقيق . ولما ووجهت بذلك قالت انها كانت مرتبكة .

★ ★ ★

وتقدمت صاحبتنا مرة ثالثة أو رابعة ـ تلقائيا دون أن يستدعيها المحقق ـ وقالت انها تريد سد نقص فى أقوالها السابقة ، وقالت انها بعد ثلاثة أيام من الحادث مرت على ليسنييه الابن ، وكان واقفا وسط تلاميذه فى حوش المدرسة ، فوجدته قلقا يهرش شعر راسه ، وقد بدا الارتباك عليه . فسألته عما به فقال لها انه لم يذق طعم النوم منذ ثلاثة أيام فقد كان يخشى ان تتجه ابحاث المحقق نحو براميل النبيذ ، ولكن من حسن الحظ انهم وجهوا اهتمامهم وجهة أخرى فلم يعد هناك ما يخشاه .

وفى مرة أخرى قالت انه قبل الحريق بخمسة أيام قال لها انها سوف تسكن البيت الذى اشتراه من جاى مع أبيه وأمه وانه سوف يبنيه بناء جديدا . فسألته وأين سيذهب جاى ؟ فقال لها انه بعد أسبوع لن يكون جاى موجودا . وانها ذكرت له ذات مرة انها تعتزم أن تطلب من جاى ان يعطيها ما عنده من نبيذ سدادا لدينه فأشار عليها بأن لا تفكر فى ذلك وتعتبر أن دينها من الديون المعدومة لأن براميل الخمر لن تظل طويلا . وكانت فى كل مرة تؤكد للمحقق أن علاقتها الاثيمة بليسنييه كانت تحت التهديد ، وأنها فى كل مرة أباحت نفسها له كان يضع المسدس بجوار السرير لتخضع له . وانه طلب منها أن تشترى من الصيدلية سما ـ يدعونه على ما تذكر زرنيخ ـ بحجة استعماله للقضاء على الفيران ـ وطلب منها أن تضعه فى شراب زوجها .

ولم تكتف صاحبتنا بهذه الاقوال التى كانت تضيف اليها جديدا من خيالها وتقدمها الى المحقق من غير أن يستدعيها أو يدعو التحقيق الى سؤالها وتقدمت للمرة التاسعة أو العاشرة ـ بعد أن علمت أن الأطباء الشرعيين قرروا أن جاى قتل بضربة مطرقة ، لتقول ان ليسنييه قال لها قبل حادث الحريق بثمانية أيام ان أيام جاى أصبحت معدودة وان ابسط ضربة من مطرقة تودى بحياته . وقبل المحقق هذه الاقوال الواضحة البهتان كما لو ان ليسنييه دبر جريمة قتل وأبى الا أن يضع مصيره بين يدى تلك المرأة التي تقول انها لم تخضع له الا تحت تهديده وبريق مسدسه .

★ ★ ★

وعرضت القضية على محكمة جنايات بوردو ومثل الاتهام فيها النائب العام نفسه الفقيه الكبير ذائع الصيت تروبلونج . فشرح وقائع الدعوى شرح المقتنع بصحة اقوال الشهود جميعا وقال ان العدالة بقيت شهورا لا تعرف الفاعلين ، وبرر ذلك بأن أهل القرية جميعا التزموا الصمت لخوفهم من بطش المتهمين حتى تقدمت تلك المرأة الشجاعة ففتحت امامهم الطريق .

ثم اخذت المحكمة فى مناقشة شهود الاثبات . فلم يصمدوا امام مناقشة الرئيس وتضييق محامي الدفاع فالشاهد دانيو الذى ادعى بحصول الاعتداء عليه فى الغابة لا يؤكد انه رأى ليسنييه الاب وان ظل يؤكد انه عرف الابن من صوته وملابسه . والمرأة لسبانى بدأت تتهته ولا تتذكر شيئا من اقوالها فى التحقيق واضطر القاضي ان يتلوها عليها فأيدتها ولكنها حرصت على أن لا توجه نظراتها الى المتهم ... وجاء الاتهام بشهود عديدين من أبناء القرية ليسيئوا سمعة المتهم بأقوال لا تمت الى الجريمة بصلة . فواحد يقول انه طالب ليسنييه بثمن نبيذ اشتراه منه فاعتذر بأنه فقير مثله ولا يملك ثمن النبيذ وهدده بقوله له « اذا لم تكف عن المطالبة فستعرف من انا وستندم » . وآخر ضمن ليسنييه الاب فى مبلغ خمسين فرنكا واضطر الى دفعها لأن المدين لم يسدد دينه .

أما الدفاع فقد أشهد شهودا أثبتوا ان ليسنييه الابـــن ـ فى وقت الاعتداء المزعوم ـ كان مدعوا للعشاء بمنزل اسرة معروفة موثوق بها وانه بقى بالمنزل يلعب الورق حتى قرب منتصف الليل ... وشهد بذلك افراد الاسرة وجميع الضيوف الذين كانوا بالمنزل ولكن عمدة المدينة قال فى شهادته انه يجب أخذ اقوال امثال هؤلاء الشـــهود بكثير من الحيطة . وجارته المحكمة واستبعدت اقوالهم .

وترافع ممثل الاتهام بطريقة هادئة...قائلة ... فجمع أقوال الشهود الذين شهدوا ضد المتهمين واسبغ عليها من بلاغته ومكانته ما جعلها تقنع المحلفين بينما مر مرورا خفيفا على جميع الاقوال التي كانت لصالح المتهمين ، ثم أوضح باسهاب أن صاحب المصلحة الوحيد فى موت جاى العجوز هو ليسنييه الابن ولا احد غيره .

وبذل الدفاع جهدا جبارا . فأوضح أن الشهود ـ وبخاصة عمدة المدينة ـ قد غالوا في القول بأن ليسنييه الابن مدين ـ غارق في الدين ـ فقد أثبت بادلة لا تقبل الشك أن مجموع ديونه لاتكاد تبلغ المائة فرنك فى الشهر ؟ أى ان دينه أقل من مرتب شهر واحد . وأظهر ما فى أقوال الشاهد دانيو ـ الذى زعم انه هوجم فى الطريق العام ـ من تردد وان ليسنييه الاب والابن كانا فى وقت الاعتداء المزعوم يتمشيان فى أمكنة بعيدة عن مكان الاعتداء .

أما الشهود الذين قالوا ان ليسنييه الابن كان يقول انه لن يدفع الايراد المقرر للعجوز جاى لمدة طويلة فذلك امر طبيعي فى أحاديث القرويين . فقد كانوا يحقدون عليه للصفقة الرابحة التي أجراها ، فكان يمزح معهم تارة ويكايدهم تارة اخرى . ولكن ذلك لا ينهض دليلا على أنه هو الذى قتله ، فما سمعنا ـ فى تجاربنا الطويلة فى القضـــاء ـ ان الشخص الذى يقدم على جريمة يعلن تصميمه ذلك على الملأ .

ثم تعرض الدفاع لشهادة الزوجة الخائنة التي شهد ابوها انها لا تنام الليل من الخوف وقال انها لا تنام الليل لا خوفا من ليســنييه ولكنه تأنيب ضميرها الذى يقض مضجعها ، وتســاءل كيف تريدنا أن نصدق انها كانت تسلم نفسها يوما بعد يوم وليلة بعد ليلة لليسنييه خوفا من تهـديده وهى للتى سارت بسوء سمعتها الركبان وكانت لا تزال موضع احاديث القاصى والدانى .

ثم أمسك بتلابيب الباعث المزعوم للجريمة فى نظر الاتهام وهو أن يتخلص ليسنييه الابن من دفع الايراد السنوى المتفق عليـــه مدى حياة جاى العجوز . وقال ان ذلك الايراد هو ستة فرنكات شهريا فهل لمثل هذا المبلغ التافه يقتل انسان رجلا آخر . وكيف يعلل الاتهام حرق المسكن الذى كان سيعود الى المتهم نفسه والذى قدر ثمنه باكثر من خمسمائة فرنك ؟ أى ما يعادل ايراد عشر سنوات. فهل يعقل أن يفعل ليسنييه ذلك أى يجـــدع أنفه بيده .. ؟؟؟

وحين اختلى المحلفون الى ضمائرهم تولتهم حيرة لا يعرفون لها حلا . لقد هز الدفاع عقيدتهم هزا. ولكنهم امام جريمة بل جرائم ارتكبت فى قـرية صغيرة فأحدثت بين سكانها دويا : رجـل ضعيف عجـــوز قتل غدرا وأحرق منزله وسرقت امواله. فلا بد من عقاب رادع حتى لا تتكرر مأساة أخرى. وفات المحلفين أن ادانة برىء أشد وقعا من تبرئة الف مجرم . لذلك أمسكوا بالعصا من الوسط فبرأوا الأب من التهم الثلاث كما برأوا الابن من تهمة السرقة وأدانوه فى تهمتى القتل والحريق العمد ... والظاهر انهم احسوا بانهم ظلمـــوه فمنحوه الظروف المخففة مع أنــه ان صحت ادانتهـ لا محل للظروف المخففة بل لعل الظروف المشددة هى التى كانت واجبة .

وحين سمع الابن بالقرار أصابه ذهول ودمعت عيناه . وجرى على مشهد من الحاضرين المنظر الذى ذكرناه فى بدء كلامنا ، اذ اقترب ابوه منه وأمسك بيده مشجعا وقال له « لا تبتئس فان أباك معك » .

★ ★ ★

وفكر الأب طويلا وهداه تفكيره الى أن صاحب المصلحة فى اتهام ابنه هو لسباني ـ زوج عشيقة الابن ـ أولا للانتقام من خيانة زوجته ولابعـــاد التهمة عن نفسه . وأخذ الأب بمساعدة محامى ابنه يجمع فى صبر عجيب المعلومات التى يمكن ان بها اثبات ان خطأ قضائيا قد وقع . وأخذا يقدمان البلاغ تلو البلاغ كلما عثرا على ما يدل على أن شهود الاثبات كانوا شهود زور ، ولكن المحققين ـ تعصبا منهم لعملهم ـ أبوا ان يسلموا بانهم أخطأوا.وكانوا يحفظون تلك البلاغات دون تحقيق.

ولكن للعدالة ــ حتى العدالة الانسانية ــ قوة ذاتية تأبى أن يطول اختفاؤها . فالنائب العام الذى أراد أن يطمسها رُقّى مستشارا ، وقاضى التحقيق نقل الى مدينة أخرى . وجاء الى المدينة نائب عام جديد . شاب متفتح الذهن لا تربطه بالماضى اية رابطة ولا يتأثر بالعوامل المحلية . قرأ بانتباه المذكرة التى قدمها له محامى ليسنييه وتبين أنها جديرة بأن تحقق . ولكنه وجد أن فى اقدامه على اجراء تحقيق جديد مخاطرة ضارة لما فيها من تشكيك فى صحة حكم نهائى هو ــ بنص القانون ــ عنوان الحقيقة ــ ومجازفة بمستقبله كنائب عام اذا لم يوصل التحقيق الى اثبات الخطأ القضائى وادانة المتهم الحقيقى .

ولكن الاستاذ شارادو وهو النائب العام الجديد لم يتردد واقدم على التحقيق الجديد غير عابىء بما قد يصيبه من ضرر . فاستدعى احد رجال الضبط من المشهود لهم بالدقة والامانة وكلفه بحث البيانات التى قدمها ليسنييه الأب ومحاميه ، فى تحفظ،ومن غير أن يثير انتباه المجرمين الحقيقيين أو ينبه من لهم مصلحة فى اخفاء الحقيقة لتغطية اخطائهم . واستمر الضابط فى ابحاثه طوال خمسة أشهر كان ينقل الى النائب العام نتائجها اولا بأول .

وذات يوم انتقل النائب العام فجأة الى القرية وفى خلال أربعة أيام بلياليها ــ لم يتوقف التحقيق اثناءها ساعة واحدة ــ استدعى جميع الشهود ، ولم يدع لهم وقتا يتفقون فيه على دفاع معين . واستطاع المحقق أن يثبت كذب ادعاء دانيو الذى سرعان ما اعترف بأن لسبانى الذى كان يداينه فى مبلغ ثمن أرغفة استهلكها هدده وأرغمه على اتهام ليسنييه . كذلك استدعى المحقق زوجة لسبانى وواجهها بما فى اقوالها من تناقض ، فحاولت أن تصر عليها ، ولكنها ما لبثت ان انهارت واعترفت باختلاقها للاقوال التى نسبتها لليسنييه. ولكنها بدلا من أن تتهم زوجها قالت ان عمدة المدينة والقسيس هما اللذان حرضاها على هذا الاختلاق . واستمر القاضى فى تحقيقه . وتقدم شهود عديدون شهدوا بأن لسبانى اعترف لهم بأنه الذى قتل العجوز جاى بالاشتراك مع ربيبه مالفشيل الذى اعترف لهم بذلك واطلعهم على المطرقة التى استعملت فى ارتكاب الجريمة .

وأصدر القاضى امرا بالقبض على لسبانى فاعترف ، ولكنه ادعى انه ذهب واشترى من القتيل ما لديه من نبيذ ، وحين انصرافه وقعت مشادة بينهما فدفعه بيده ــ غير قاصد قتله ــ ووقع العجوز ولم يتصور لسبانى أن وقوع جاى سيؤدى الى وفاته ، فانصرف وترك شمعة وقعت اثناء ذلك على كومة من الخشب آملا فى أن يتنبه جاى لها ويطفئها وهكذا حدث الحريق ومات الرجل .

★ ★ ★

وظهرت براءة ليسنييه كما ثبت ان الشهود الذين شهدوا فى الاول شهدوا زورا . ولكن اثبات البراءة يتطلب اجراءات معقدة . قدم لسبانى وزوجته ودانيو للمحاكمة ، الاول بتهمة القتل والتحريض على شهادة الزور ، والاثنان الاخران بتهمة الشهادة الزور . وادين الثلاثة وحكم على كل منهم بالاشغال الشاقة لمدة عشرين سنة وبأن يدفعوا لليسنييه الابن مبلغ خمسين ألف فرنك تعويضا .

ورفع الأمر الى محكمة النقض لوجود حكمين متعارضين يدين أحدهما ليسنييه بتهمة القتل بينما يدين الآخر لسبانى . وقضت محكمة النقض بالغاء الحكم الاول وتأييد الحكم الثانى .

ولكن ذلك لم يحدث الا بعد ثمانى سنوات قضاها ليسنييه فى عذاب ويأس وخرج من سجنه كسير القلب منهوك الجسم ولم يعش طويلا وقضى نحبه .

ان العدالة الانسانية ليست معصومة ، ومما يشرّف رسلها أن يرجعوا عن الخطأ متى تبينوه فالرجوع الى الحق فضيلة والاصرار على الباطل رذيلة أى رذيلة . وقديما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

لا يمنعك قضاء قضيت فيه بالامس عن الرجوع عنه اذا تبين لك وجه الحق .. أو قولا بهذا المعنى.

القاهرة ــ **حسن الجداوى**

الخلافة والإمارة والإمامة

في الإسلام

بقلم : عبد الستار أحمد فراج

■ الخليفة لفظ مأخوذ من الخلافة . والخلافة مصدر خلفه يخلفه ، اى جاء بعده او ناب عنه . وفى القرآن : (وقال موسى لأخيه هرون اخلفنى فى قومى) الاعراف الآية ١٤٢ .

خليفة بمعنى مخلوف

وصيغة فعيل تأتى بمعنى مفعول ، مثل جريح معناه مجروح . وحميد معناه محمود . وقد حمل بعض المفسرين قول الله تعالى (اني جاعل في الارض خليفة) سورة البقرة الآية ٣٠ على ان خليفة معناه مخلوف ، اى يخلفه في الارض بنوه بعده .

خليفة بمعنى خالف

وصيغة فعيل تأتي ايضا بمعنى فاعل، مثل عليم بمعنى عالم وقدير بمعنى قادر . وقال بعض المفسرين في الآية السابقة ان خليفة من هذا النوع ، على انه كان قبل آدم عليه السلام في الارض الجن او الملائكة ، وانه خلفهم فيها. وقال بعضهم انه خليفة الله على طريق المجاز ، بمعنى انه يقوم بحقوق الله تعالى في خلقه . اما أكثر المفسرين فيقولون انه ليس خليفةالله، محتجين بأنه انما يستخلف من يغيب او يموت ، والله تعالى باق موجود على الابد لا يغيب ولا يموت .

وصيغة خليفة دخلت عليها تاء التأنيث في حين انها تقال في المذكر ، والخليفة لا يكون الا رجلا ، ولا يكون امراة ، وعللوا دخول تاء التأنيث بأنها للمبالغة . كما جاءت في علامة اى كثير العلم ، وراوية للكثير الرواية ، وقيل ان تاء التأنيث لتأنيث الصيغة أى اللفظ ولا يراد بذلك معنى اللفظ .

ابو بكر خليفة رسول الله

واطلقت الخلافة في العرف العام على الزعامة العظمى وهي الولاية العامة على الامة ، والقيام بأمورها ، والنهوض بأعبائها . واختلفوا في القائم بهذا الامر، هل هو خليفة الله ، وقد تقدم القول في ذلك ، أو هو خليفة رسول الله ، وهو ما اطلق على سيدنا ابي بكر ، أو هو خليفة عمن قبله ، فيقال مثلا ان عمر هو خليفة ابي بكر ، وكل تال يكون خليفة السابق . على ان الذى حدث هو ان ابا بكر اطلق عليه خليفة رسول الله،ثم لما تولى عمر قيل له خليفة خليفة رسول الله .

ولو استمر ذلك دون تغيير لقيل في عثمان : خليفة خليفة خليفة رسول الله، وفى على خليفةخليفةخليفة خليفةرسول الله ، وفي الحسن بن علي خليفة (خمس مرات) .

وعمر أمير المؤمنين

ولقد تلقب عمر بن الخطاب بأمير

المؤمنين في اثناء خلافته . بعد ان كان يقال له خليفة خليفة رسول الله .

ومما قالوه في سبب اطلاقه عليه ان عمر بعث الى عامله بالعراق ان يبعث اليه رجلين عارفين بامور العراق يسألهما عما يريد ، فأنفذ اليه لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم ، فلما وصلا المدينة دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص ، فقالا له : استأذن لنا على امير المؤمنين . فقال لهما عمرو : انتما والله اصبتما اسمه . ثم دخل على عمر فقال : السلام عليك يا امير المؤمنين . فقال : ما بدا لك يا ابن العاص ؟ لتخرجن من هذا القول . فقص عليه القصة ، فاقره على ذلك .

ولزم هذا اللقب من ولى الخلافة بعده .

وواضح ان هذا اللقب اطلق عليه في السنين الاولى من خلافته قبل فتح مصر ، لانه في خطابه الى عمرو بن العاص ، وهو واليه عليها ، يقول — واضاف الى لقبه ايضا قبل اسمه لفظ عبدالله — من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عمرو بن العاص . سلام عليك .

اما بعد ، فانه قد بلغني انه فشت لك فاشية من خيل وابل وبقر وعبيد ، وعهدي بك قبل ذلك ولا مال لك ، فاكتب الي من اين اصل هذا المال .

ملوك لا خلفاء

ويلاحظ ان جماعة من السلف منهم الامام احمد بن حنبل ، كرهوا اطلاق الخليفة على من جاء بعد ابي بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن بن على . وفي رايهم ان يقال في الذين جاءوا بعد الحسن انهم ملوك . لكن العرف استمر في اطلاق لفظ امير المؤمنين . وفي اطلاق لفظ الخليفة ايضا على الامويين والعباسيين دون اضافته الى الله او الى رسول الله .

وقد تلقب يوسف بن تاشفين في دولة المثمين من لمتونة من البربر بلقب امير المسلمين ، وصار من بعده منهم يلقب بهذا اللقب .

الامير صاحب الامر

ولفظ امير معناه صاحب الامر ووليه ، ويكون حسب ما يضاف اليه : امير المؤمنين ، امير المسلمين ، امير الجند ، امير البلد .. الخ .. ثم صار العرف بعد ذلك اذا قيل الامير فلان ان يدل على انه حاكم او من اسرة حاكمة .

الامام هو المتقدم ، والمقتدى به

ولقب الامام مأخوذ من أمّه ، بمعنى تقدمه ، والامام يراد به انه المقتدى به والمتبوع ، وقد أطلق لقب الامام على سيدنا علي بن ابي طالب ، وهذا الاطلاق من الشيعة . وهو اول الائمة عندهم ، على ان الكثيرين من اهل السنة يجارونهم في اطلاق هذا اللقب عليه ، تعظيما له كرم الله وجهه ، بقطع النظر عن فكرة الامامية المخصوصة في مذهب الشيعة ، كما ان اهل السنة ايضا يقرنون لفظ الامام بكل من يجلونه ويقدرونه ، اذ يقولون مثلا : الامام ابو حنيفة ، والامام مالك ، والامام الشافعى ، والامام احمد ابن حنبل ، ناظرين الى انهم وأمثالهم ممن يقتدي بهم ويؤخذ عنهم ، دون تفكير في استحقاق الخلافة او ان يكون من الحاكمين . وقد تلقب العباسيون بلقب الامام أيضا، معنيا به استحقاق الخلافة ، واول من جرى عليه ذلك اللقب منهم هو ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس ، حين اخذت له البيعة بالخلافة في اواخر ايام بني امية ، فتلقب بالامام ، وان كان لم يصل الى ولاية الخلافة ، لكن هذا اللقب لم يلتصق بهم او يشتهر عنهم ، والمشهور فى الكتب ان ما يقترن بهم هو لقب الخليفة ولقب امير المؤمنين . ■■

عبد الستار احمد فراج



.. وعلى الأرض السلام

بقلم : نصرت عبد الرحمن

■ كان ذلك في ليلة من ليالى شهر ديسمبر ، قارسة البرد ، غزيرة المطر ، وكان وميض البرق ينير جنبات قرية « وادى الملى » لحظات ثم يلفها الظلام .. الرياح تصفر ، واغصان الشجر تهتز بشدة .

كانت القرية نائمة ، ويمكن لأى سار فى الليل ان يعرف انها نائمة من انطفاء الانوار فيها ، واذا أضيء بيت فى مثل هذه الساعة من الليل فاغلب الظن انمريضا فيه مشرف على الهلاك،او ان فيه امراة تقاسي آلام الوضع.

وكان الضوء ينبعث هذه الليلة خافتا هزيلا من بيت الحاج على ، وليس من المحتمل ان يرزق هـذه الليلة مولودا جديدا ، اذ كان ولده محمد ، الذى جاء قبل ثمانية عشر عاما ، آخـر عهد له بالأطفال ، وقبل ثمانية عشر عاما يوم كان الحاج على ملء السمع والبصر فى قريته (. . .)

كان بيت الحاج على يضم زوجته نفيسة ، وولديه قاسما ومحمدا. وكثيرا ما كان الأهلون يتساءلون كيف تستطيع هذه العائلة ان تعيش في مثل هذا البيت. ! فعهد الناس به انه كان ـ قبل ان يسكن فيه الحاج ـ مغارة، يذكر الشيوخ انها من آثار الرومان ، ويذكر الأطفال انها من صنع الفيلان ، ولكن الواقع ان يد الطبيعة قد اوجدتها على مر الدهور .

ولا يدرى احد لماذا آثر الحـاج ان يسكن فى هذا الغار ، فقـد كان بعض الناس يقولون : انه يريد ان يكتشف فيه كنزا ، وكان بعضهم الآخر يقول : ليس معه اجرة بيت . وقد حـاول بعضهم ان يسأل الحاج فكان يجيبهم بابتسامة باهتة . وكانت هذه الابتسامة موافقة لكلا الرايين

والحقيقة ان هناك سرا ما كان الحاج يتكتم على شيء قدر ما يتكتم عليـه ، فلم يبح به يوما لأحد حتى لزوجته .

كانت هذه الليلة من اللحظات الحاسمة فى حياة الحاج على ، تلك اللحظات التى يكون فيهـا المريض على شفا النهاية ، فيتمسك بالحياة ما وسعه التمسـك ، او تلك اللحظات التى يتعاور فيها جسد المريض الموت والحياة فيمسك احدهما برجليه، ويمسك الآخر براسه وكتفيه .

وكان الحاج على منسجى على حشية ممزقة ، وكانت تجلس بجانب راسـه زوجته نفيسة ، وكانت يدها تمتد بين الفينة والأخرى لتمسح وجه زوجهـا ولتبلل شفتيه بقطرات من الماء ، وكان غطاء راسها الاسود قد غطى طرفا من عينيها فستر الدمع الذى كان ينهل من مقلتيها .

اما قاسم فقد كان مطرق الراس ، محنى الظهر على جانب ابيه الأيمن ، فبدت رقعة كبيرة على كتف سترته التى كانت يوما لأحد الجنـود الامريكيين ، والظاهر ان صاحبها قد مل لبسها ، فقدمت هدية من الشعب الامريكى مع ما قدم من سقط المتاع .

واما محمد فقد كان يجلس بجانب رجلى ابيه ، وكان مبهوتا اذ لم يشهد موت احد من قبل . وكانت الدمـوع تتجمع فى عينيه ، فكان يدفعها عن عينيه اذ كان يعتقد انه لا يليق بشاب ان يبكى.

واخذ المريض يهذى :

الارض .. الخروبة .. بيتى .. الزرع .. نفيسة ..

واقتربت منه زوجته اكثر ، وسألته : مالك يا حاج ، انا بجانبك ؟ ولكن المريض لم يجب ..

وظل الحاج على يهذى ، وكانت كلمة الخروبة اكثر كلمة يرددها ، ثم صحـا صحوة ايقن من حوله انه قد شفى . ونظر الى زوجته نظرة حانية وتطلـع الى ولديه ، واخذ ينقل الطرف علـى وجه كل منهم ، وترقرقت عيناه بالدمع.

فقال قاسم : ابت ماذا يبكيك ؟

ـ لا شيء .. لا شيء .. كنت اتمنى ان اموت فى بلدنا ، وان ادفن بجوار ابى وتحت الخروبة.

ـ سلامتك يا ابى ..

ـ لا ، لا ، دنت المنية ، ولا اريد منك الا شيئا واحدا ..

ـ اطلب يا ابت ..

ـ اريد قبضة من تراب مقبرة بلدنا .. من تراب ابى .. من تحت الخروبة ..

ـ ولكن .. ولكن يا ابى ..

ـ ان راسى لن يرتاح ابدا الا على تراب بلدى.



واهتزت شجرة البلوط التى كانت تنمو على باب الفار ..

★★★

البرد قارس .. الرياح شديدة ..

وشجرة البلوط تهتز على باب الفار.

وديك يصيح .. وكلب يعوى من البرد ..

وقاسم ملتف بسترته الامريكية العسكرية ، وقد احكم لف كوفيته على وجهه ورقبته ، ومضى ورجلاه تفوصان فى ضحضاح او فى وحل ..

شجرة البلوط تهتز على باب الفار .. وشجرة الخروب تتمايل هناك فى المقبرة .. وبينهما طريق ليس طويلا ، ولكنه يحتاج الى ساعتين اذا كان الطريق موحلا ..

واجتاز قاسم الحدود .. او هكذا خيّل اليه .. فالحدود لا يعرفها الا الراسخون فى العلم .. لا احد .. لا احد ابدا ..

وحل .. لا شىء الا الوحل ..

صفير الرياح .. برق .. رعد .

★★★

القرية (...) ؟ مهدمة .. اكوام من الحجارة .. سقوف البيوت الخشبية قد تآكلت ، رائحة عفن الخشب الممتزج بالتراب ! .. ثمانية عشر عاما ..

وسرت القشعريرة فى جسد قاسم عندما اقترب من بيته .. كان بيتا جميلا قد ورثه ابوه عن جده .. لم ير الا حجارة .. عفنا .. اعشابا على العفن .

وسار قاسم الى مقبرة القرية ، فلم ير الا احجارا قد انتثرت على غير نظام ، والا اعشابا .. والا الخروبة تنتصب قوية ..

وسرت القشعريرة فى جسده مرة اخرى واحس بأرواح آبائه تصرخ فى وجهه ..

ومد يده الى الارض .. وحل .. وحل ..

واخذت يده تنبش الارض بقوة ..

ومست يده فوهة جرة ..

صفير الرياح .. برق .. رعد .. رصاصة .. دماء .

★★★

وارتفع صوت المؤذن فى المسجد الاقصى : الله اكبر الله اكبر .. ودقت اجراس كنيسة القيامة .. المجد لله فى الاعالى وعلى الارض السلام ، وفى الناس المسرة ..

ولكن الجرة لم تمتلىء بعد .. ■■

نصرت عبد الرحمن

الدوحة ـ وزارة المعارف



"العفرتة" صفة طبيعية..



■ طفلك الصغير « هل هو مشكلة حقا » ؟

هل تشعرين بالقلق بسبب سلوك طفلك وتصرفاته وأعماله التى تثير غيظك وغضبك وتكاد تدفعك الى الجنون فى كثير من الاحيان ؟

لا تقلقى عليه ! فقد أجمع الباحثون والاخصائيون فى تربية الأطفال على أن الطفل لا يكون طبيعيا اذا لم يكن متعبا ! فانت لست وحدك التى تشكين من أطفالك ، انك واحدة من ملايين الأمهات اللواتى تعتقد كل منهن:

ان طفلها هو أتعب طفل فى الدنيا وأكثر « شقاوة » .

مشاكل الأطفال .. شىء طبيعى

بهذه المقدمة بدا احد كبار الأخصائيين فى تربية الاطفال فى بريطانيا مقاله الذى تحدث فيه عن مشاكل الأطفال وأسبابها وطريقة علاجها ، وخرج فيها بنتيجة هامة ، وهى أن مشاكل الطفل يجب الا تكون مصدرا لقلق الأم او انزعاجها باى حال من الاحوال ، بل يجب أن تشعر الأم بالقلق اذا كان طفلها هادئا وديعا .

يقول الأخصائى البريطانى الكبير : « ان الأم دائما هى التى تدفع الثمن ، فهى التى تقوم بالتضحيات عن طيب خاطر من اجل تربية أطفالها تربية صالحة كريمة ، فهى توفر ثمن المعطف الجديد الذى تحتاج اليه ليقيها برد الشتاء حتى تستطيع أن تشترى لطفلها ملابس جديدة . وهى التى تعيش مع أطفالها طول النهار وتحتمل مضايقاتهم وتصرفاتهم التى تثيرها وتغضبها ، فاذا جاء المساء ودعاها زوجها لتمضية الليلة فى الخارج اعتذرت لانها لا تستطيع ان تتركهم وحدهم فى البيت .

والأب فى العادة لا يقدر المجهود الكبير الذى تبذله الأم مع أطفالها .. فهو لا يراهم ولا يشعر بهم الا عندما يعود الى بيته بعد انتهاء عمله . ورؤية الاطفال لمدة ساعة او ساعتين ، بعد ظهر كل يوم ، فى ملابسهم النظيفة وفى شكلهم الملائكى الجميل شىء .. والحياة معهم ومع مشاكلهم التى لا تنتهى طوال ساعات النهار شىء آخر ..

فى الشهر السادس

ان الطفل يشعر والديه بوجوده منذ شهوره الستة الاولى . فاذا كان من هذا النوع من الأطفال الذين يتميزون بالحركة والنشاط ولا ينامون كثيرا ، ويصيحون لاثارة الاهتمام بهم عندما تكون الأم مشغولة عنهم باعمال البيت .. اذا كان من هذا النوع من الاطفال ، سبب لأمه تعبا شديدا يفوق كل احتمال .

وبعد ان يتجاوز الطفل شهره السادس يبدأ يتعلم كيف يحمل ما امامه من طعام الى فمه . وهنا تكون الطامة الكبرى ، فهو ياكل بعينيه ووجهه ، ويغوص بيديه فى اطباق الطعام الموجودة امامه ويلطخ ملابسه ، ويلقى به على الارض ، واذا وقعت يداه على جريدة الصباح التى فرغ والده من قراءتها ، امسك بها وراح يمزقها وينثرها على الارض ، ولا باس من ان ياكل قطعا منها !



عِنْدَ الأَطْفَال!

عندما يمشي الطفل

وبعد الشهر التاسع ، يبدأ الطفل الصغير يتحرك ، اما زاحفا على ركبتيه ، واما ماشيا ساعيا وراء الأذى . وفى هذه السن تتملكه رغبة قوية فى ان يتعلم ، فهو يريد أن يعرف ماذا يحدث لو سحب مفرش المائدة وسحب معه كل ما عليه من أطباق أعدتها أمه لطعام الغداء !

اما صندوق القمامة فى المطبخ ، فهو كنز ثمين بالنسبة له ، فلا تكاد تقع عليه عيناه حتى يسرع ويغرق نفسه فيه ، وكذلك دولاب الكتب او الملابس الذى نسيته امه مفتوحا . انه يستطيع ان يجلس أمامه ويقضى الساعات الطويلة يعبث بمحتوياته دون أن يشعر به احد ، ولن ينقذ محتويات الدولاب من يديه الا قلق الأم التى سيدهشها هدوء ابنها المفاجىء فتبدأ فى البحث عنه حتى تجده !

يريد أن ينطلق

وفى عيد ميلاده الأول ، يتضاعف نشاطه بصورة ملحوظة . فهو يرفض أن يبقى سجينا فى سريره الصغير ، ويريد أن ينطلق . وتبدأ تخيلاته فى الانطلاق ايضا من معقلها . فهو يقذف زجاج النافذةباصلب شىء تقع عليه يداه . وهو لا يتردد فى ان يلتقط اى شىء من الارض ويسرع باخفائه فى فمه ليأكله !

واذا كان له اخ أكبر منه ، فهو يدخل معه فى معارك مستمرة لا تهدأ ابدا . وهو يلقى بلعباته على الارض فى كل مكان فتتعثر أمه وتسقط عليها !

الضوضاء تسليته الكبرى

والضوضاء بالنسبة للطفل فى هذه السن تسليته تسلية كبرى،فهو يقضى الساعات الطويلة يدق طبلته دقا متواصلا ورتيبا دون أن يتسلل الملل الى نفسه لحظة واحدة ، فاذا لم يجد طبلة بحث عن حلة او علبة فارغة ليعزف عليها موسيقاه !

انه فى هذه السن يحب الألعاب التى تسير على وتيرة واحدة ، فهو يفعل نفس الشىء،ويحدث نفس الأصوات ، وتقف الأم أمام كل هذا عاجزة عن أن تفعل شيئا . فاذا بدأ طفل يتكلم فهو لا يتوقف ابدا عن الكلام .. وعن الأكل والشرب ايضا . وفى هذه الفنون الجديدة التى تعلمها ، نجده لا يكف أبدا عن طلب المساعدة . وهو يتعلق بأمه ويفضل أن يقضى كل وقته معها ، على أن يلعب بلعباته الجديدة التى ضنت الأم باشياء كثيرة كانت تحتاج اليها لكى تشتريها له . ويرفض الطفل بعد هذا ان يفهم ان امه متعبة وأنها تريد أن تستريح !



مرحلة العصيان

ولا يكاد الطفل يبلغ العام الثانى من عمره ، حتى يبدأ مرحلة جديدة .. مرحلة العصيان ، فهو قد اتخذ لنفسه مبدأ القيام بكل عمل يتعارض مع رغبة أمه ، فهو يفعل عكس ما يُطلب منـــه ، أو يتظاهر فى بعض الاحيان بالصمم ، وكأنه لـم يعد يسمع ما تقوله له أمه !

ولعل أكثر ما يغيظ الأم فى تصرفاته ، هو هذا التلكؤ الغريب فى كل عمل يقوم به ، فهو يستغرق وقتا طويلا فى تناول طعامه ، ووقتا أطول فى ارتداء ملابسه استعدادا للخروج ، واذا طلبت اليه امه أن يجمع لعباته أمضى أطول وقت ممكن فى هذه العملية « المسلية » ، فهو يضع بعضها فى مكانه، ثم لا يلبث أن يعيد البعض الآخر الى الارض مرة اخرى .. وهكذا !

واذا طلبت اليه أمه أن يسرع قليلا تباطأ وتلكأ أكثر وأكثر .

ويميل الطفل فى هذه السن الى اثارة الاهتمام به ، فيثور ويغضب ويحدث نفس الاصوات التـى تثير غيظ أمه لتكرارها ، ويحرص على أن يفعل ذلك فى الاماكن العامة وأمام عيون النساء المسنات اللواتى يرقبن تصرفاته«ويترحمن على امهات زمان» وعلى « خيبة » أمهات اليوم !

خيبة أمل الأم

وتشعر الأم بخيبة أمل ، وهى ترى نفسها عاجزة عن أن تجعل طفلها يفعل ما تريده منه ، فتلجأ الى ضربه لاصلاحه ، ولكن هذا لا يزيده الا عنادا والا تماديا فى شقاوته .

واذا نجحت الأم بعد سلسلة من طلباته التى تبدأ قبل موعد نومه بلحظات ، فى أن تضعه فى فراشه ، فهو يرفض الرقاد ، وقد تتركه أمـــه ليبكى ، ولكنها سرعان ما تكتشف أن هذا التصرف من جانبها لن يجدى ، لانه يعرف أن اســـتمراره فى البكاء الشديد سوف يعيدها اليه فورا ، خوفا عليه !

فماذا تفعل .. ؟ وتستبد الحيرة بالأم . انها لا تستطيع أن تتفاهم معه ، لأنه لا يفهم مـاذا تريد أن تقول ! واذا اشتبكت معه فى معركة ، فهى دائما الخاسرة ، لأنه سينام نوما مضطربا فى تلك الليلة ، ويستيقظ متعبا فى اليوم التالى ، ولن يكون من السهل على الأم ارضاء طفل « عكـــر المزاج » . وتكون النتيجة أن تزداد ثورة الأم ، وهى ترى نفسها عاجزة عن ادخال السرور الى نفسه !

ملاك وشيطان

وقد تفكر الأم فى أن تصطحبه فى نزهة فى الخارج، ولكنها لا تستطيع لأنه يهرب منها عندما تناديـه ، وكلما استبد بها الغضب ، ازداد بعدا عنها ، فتعجز تماما عن أن تمسك به . واذا فعلت فى النهاية ، ونجحت فى ادخاله الى الحمام لتغسل له وجهه وجسمه وتضعه فى ملابس نظيفة أسرع الى الوحل ليغرق فيه ، امعانا فى اغاظتها والنكاية بها . فلا تملك الا أن تعيد الكرة مرة أخـــرى ، ثم تضعه أمامها حتى تنتهى هى من ارتداء ملابسها! ولكنها لا تكاد تصل الى بيت أصدقائها الـذين تحرص على أن يظهر طفلها امامهم بمظهر ملائكى تفخر به ، حتى تجده قد تحول الى شيطان فى أسوأ حالاته !

وبين عامه الثانى والثالث ، وربما بعد ذلك بقليل ، يبدأ الطفل فى توجيه أسئلة غريبة .. أسئلة لا تنتهى ولا تعرف الأم كيف تجيب عليها ، فهو يسألها مثلا : « لماذا اليوم الخميس ؟ لماذا لا يأتى الغد الآن ؟ ما هى الروح ؟ ارسمى لى

صورة لها ؟! وغير ذلك من أسئلة محيرة . وهو يرفض أن يصدق أن الاجابة على أسئلته الصغيرة مستحيل ؟!!

كيف السبيل للعلاج ؟

هذه صورة لطفلك فى سنوات حياته الاولى ، وهى صورة طبيعية غير مبالغ فيها ، بل على العكس قد تكون غير كاملة ، وهناك عدد كبير من الأمهات اللواتى يستطعن اضافة أشياء كثيرة اليها. وهى كما قلنا صورة طبيعية لا تخالف المألوف فى شىء ، فكل طفل طبيعى له مشاكل ، كأن يكون ولدا شقيا أو عصبيا ، أو غير ذلك ، وهذه المشاكل جزء لا يتجزأ من مراحل نموه . فاذا عرفنا كيف نعالجها بحكمة ، اختفت تماما فى الوقت المناسب . أما اذا أسأنا علاجها ، فسوف تتعقد وتزداد سوءا وتعيش مع الطفل وتصبح من صفاته وأخلاقه التى ستكبر معه عندما يصبح رجلا .

ومشاكل الطفل التى تتعلق بمسلكه تمتد جذورها الى ما قبل الولادة وكثيرا الى ما قبل تكوين الطفل فى بطن امه . فهى تعكس شخصية الأبوين . فالأب الذى قضى طفولة تعسة خالية من الحب ، قد يصبح بدوره أبا قاسيا تترك تصرفاته أثرا سيئا على أطفاله . وكذلك الأب الذى تعود على أن يُضرَب ويعاقَب باستمرار فى طفولته ، قد يلجأ الى نفس الطريقة فى تربية أطفاله . وما يقال عن الأب ، يقال أيضا عن الأم ، فهناك عوامل كثيرة تترك أثرها فى شخصية الأب أو الأم أو كليهما ، وتؤثر بالتالى على تصرفاتهما تجاه أطفالهما .

ومن بين حقائق الحياة المؤلمة ، أن الوالدين القاسيين لا يكون لهما أطفال وديعون مسالمون . ان الاحتمال الاكبر أن يكون أطفالهم صعب مراسهم .



والعكس صحيح . فاذا كان الوالدان هادئين مسالمين فمن غير المحتمل أن يكون لهما طفل شرس.

وهناك عوامل أخرى تؤثر فى شخصية الطفل بعد ولادته ، مثال ذلك أن تضع الأم طفلا قبل موعد ولادته ، وتكون النتيجة أن تغالى الأم فى عنايتها به وحرصها عليه بسبب ضعفه ، ولأنه ليس كغيره من الاطفال . بعكس الأم التى تنجب طفلا طبيعيا بعد اكتمال شهور الحمل .

كيف يشكل الطفل ؟

ان البيئة التى يعيش فيها الطفل سنوات حياته الاولى هى التى تشكل شخصيته ، فاذا هو لقى كل ما يحتاج اليه من حب وعطف ورعاية وغذاء خلال تلك الفترة ، فسوف يشب طفلا سعيدا يختلف اختلافا أساسيا عن الطفل الذى يولد وسط بيئة تكتنفها التعاسة وخيبة الأمل !

والاعتقاد السائد الآن أن المشاكل النفسية التى يعانى منها الكبار مثل القلق والزواج غير الموفق تؤثر تأثيرا مباشرا على الطفل .

فبذور اضطراب الشخصية،والمشاكل الاجتماعية وجرائم الاحداث والطلاق والانانية والفسق والخداع والنزعة الى القتال ، كلها تنمو فىنفسية الطفل خلال سنى حياته الأولى .

ادرسى مشاكل طفلك

فاذا كان لطفلك مشكلة ، فيجب أن تفهمى أولا وقبل كل شىء أنك لست مسئولة عن هذه المشكلة، ثم أن تدركى بعد ذلك يا سيدتى ، كما تفعل كل أم عاقلة وذكية ، لماذا يقدم طفلك على مثل هذه التصرفات فهىغالبا ما تكوننتيجة للاحساس بعدم الطمانينة ، أو لتوتر نفسانى يصيب الطفل فى هذه السن ، أو لحاجته الى الحب والحنان اللذين يفتقر اليهما .

فاذا فعلتِ ذلك كسبت نصف المعركة ، لأنك حتما سوف تجدين الجواب على أسئلتك . ■■

طرائف عربية

لا تأتنا طالبا ولا مسلّما ولا عائـدا

● كان ابو جعفر المنصور ايام بني امية اذا دخل البصرة دخل متكتما ، وكان يجلس فى حلقة ازهر السمان المحدث ، فلما افضت اليه الخلافة ، قدم ازهر اليه فرحب به وقربه وساله عن حاجته . فقال : يا امير المؤمنين ، داري منهدمة ، وعليّ اربعة آلاف درهم ، واريد تزويج ابني محمد . فوصله باثنى عشر الف درهم ، وقال له : لقد قضينا حاجتك يا ازهر فلا تأتنا بعد هذا طالبا .

فأخذها وارتحل . فقدم عليه بعد سنة فسأله المنصور عن حاجته .

فقال ازهر : جئت مسلّما .

فقال : لا والله بل جئت طالبا . وقد امرنا لك باثنى عشر الفا ، فلا تأتنا طالبا ولا مسلما .

فاخذها ومضى ، فلما كان بعد سنة اتاه ، فقال : ما حاجتك يا ازهر ؟

قال : اتيت عائدا .

فقال : لا والله بل جئت طالبا وقد امرنالك باثنى عشر الفا فاذهب ولا تأتنا بعد طالبا ولا مسلما ولا عائدا .

فاخذها وانصرف . فلما مضت السنة اقبل ، فقال له : ما حاجتك ؟

قال : يا امير المؤمنين دعاء كنت اسمعك تدعو به جئت لاكتبه .

فضحك المنصور ، وقال : الدعاء الذي تطلبه غير مستجاب فاني دعوت به ان لا اراك ، فلم يستجب لى ، وقد امرنا لك باثنى عشر الفا ، وتعال كما شئت فقد أعيتنا الحيلة .

قصيدة تلْقف ما صنعوا

● وفد ابو نواس على الخصيب بمصر ، فأذن له بالدخول عليه ، وكان مجلسه مكتظا بالشعراء والأدباء ، فانشد الشعراء أشعارهم كل بدوره ، فلما فرغوا ، قال ابو نواس : انشدُ ايها الأمير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ما صنعوا . ثم انشد قصيدته التى منها قوله :

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابُنا
وأىّ فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشترى حسن الثناء بماله
ويعلم أن الدائراتِ تدور
فما فاته جود ولا ضل دونه
ولكن يسير الجود حيث يسير

حزم

● نقل ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد ، ان ابا سفيان زار معاوية فى الشام ايام ولايته عليها ، فلما رجع من عنده دخل على عمر بن الخطاب فقال له : اجدنا (اعطنا) فقال ما اصبنا شيئا فنجديك .

فاخذ عمر خاتم ابي سفيان وبعث به الى هند زوجة ابى سفيان وقال للرسول : قل لها ، يقول ابو سفيان انظرى الخرجين اللذين جئت

أقوال مأثورة

* ايام الدهر ثلاثة : يوم مضى لا يعود اليك ، ويوم أنت فيه لا يدوم عليك ، ويوم مستقبل لا تدرى ما حالة ولا تعرف مَن اهله .
* عظ المسيء بحسن افعالك واهد الاشرار بجميل خلالك .

الطبع يغلب التطبع

● حكى بعضهم قال : دخلت البادية فاذا انا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب ، وهي تبكي . فقالت:اتدري ما هذا ؟ فقلت لا . قالت: هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وادخلناه بيتنا وارضعناه من لبن هذه الشاة، فلما كبر قتل الشاة كما ترى،وانشدت تقول:

بقرتَ شُوَيهتي وفجعتَ قلبي
وأنت لشاتنا إبنٌ ربيبُ

غُذِيت بدَرّها ونشأت مَعْها
فمن أنباك أن أباك ذيبُ

إذا كان الطباع طباعَ سوءٍ
فلا أدبٌ يفيد ولا أديبٌ

وصفهم فتفوق عليهم

● قال هشام بن عبد الملك لخالد ابن صفوان : صف لي جريرا والفرزدق والاخطل .

فقال : يا امير المؤمنين ، اما اعظمهم فخرا ، وابعدهم ذكرا ، واحسنهم عذرا ، واقلهم غزلا ، واحلاهم عللا ، البحر الطامي ، اذا زخر ، والحامي اذا ذعر ، والسامي اذا خطر ، الذى اذا هدر جال، واذا خطر صال ، فالفرزدق . واما احسنهم نعتا وامدحهم بيتا ، واقلهم فوتا ، الذى اذا هجا وضع ، واذا مدح رفع ، فالاخطل . واما اغزرهم بحرا ، وافهمهم شعرا واكثرهم ذكرا ، الاغر الابلق الذى اذا طلب لم يُسبَق وان طُلب لم يلحق ، فجرير .

فقال هشام : ما سمعنا بمثلك يا ابن صفوان في الاولين ولا في الآخرين.أشهد انك أحسنهم وصفا ، والينهم عطفا واخفهم مقالا واكرمهم فعالا .

فقال ابن صفوان : اتم الله عليك نعمته ، واجزل لك قسمته ، انت والله ايها الامير ما علمت كريم الفِراس ، عالم بالناس ، جواد فى المحل ، بسام عند البذل ، حليم عند الطيش فى الذروة من قريش .

فضحك هشام ، وقال يا ابن صفوان : ما رايت مثلك لتخلصك فى مدح هؤلاء ، وصفتهم حتى ارضيتهم جميعا وسلمت منهم .

وتسامح

بهما من عند معاوية فأحضرهما ، فلم يلبث الرسول ان اتى بالخرجين وفيهما عشرة آلاف درهم ، فألقاها عمر فى بيت المال . فلما ولى عثمان بن عفان الخلافة اراد ردها اليه ، فقال ابو سفيان : ما كنت لآخذ مالا عابه عمر عليّ . والله ان لنا اليه حاجة ولكن لا تردّ على من قبلك فيرد عليك من بعدك .



(تابع صفحة ٢)

جويا

فنان سبق عصره !

ولكن قليلون هم الذين عرفوا الكثير عن فنه !

■ بقي الفن الغربي في خدمة الدين وفي خدمة البلاط الملكي حتى مطلع القرن التاسع عشر . فكان اعظم الفنانين هم هؤلاء الذين يكلفون برسم لوحات القديسين والملائكة للكنيسة وهيكلها وجدرانها واسقفها .

وكان بين هؤلاء الرسام الاسباني الكبير «فرانسيسكو جوزيه دى جويا Francisco Jose de Goya ». ويعتبر جويا من اعظم الفنانين الذين انجبتهم اسبانيا ان لم يكن اعظمهم اطلاقا، وبالرغم من هذا فقليلون هم الذين يعرفون الكثير عن فنه واعماله التى تميزت بأسلوب شاذ وغريب ، ذلك لان معظم لوحاته بقيت في اسبانيا .

فقد جمعت لوحاته بين المتناقضين.. فرسم جويا المراة الجميلة في لوحته الخالدة «دوقة البا»، وكانت امراة رائعة الجمال ، على درجة كبيرة من العلم والثقافة ، وكانت تحيط نفسها بمجموعة من المعجبين ، ليسوا كلهم من النبلاء ، اذ كان بينهم الكاتب والرسام ومصارع الثيران ، وكانت صداقتها لجويا صداقة طويلة لم تخل من وفاء ، اذ عنيت به في اثناء مرضه عندما ذهب ليقيم في مزرعتها بالاندلس .

احداث في حياة جويا

ورسم جويا في الوقت نفسه اللوحة المسماة « النساء المسنات » ، ولكنه لم يقصد بهذه اللوحة السخرية من الكبر ، وانما قصد أن يسخر من خيلاء المراة عندما يتقدم بها العمر ، وترفض ان تعترف بما فعلته السنون بها . واللوحة تمثل امراتين مسنتين ، ترتديان ملابس الشابات استعدادا للذهاب الى حفل راقص ، وقد وضعت احداهما سهم « كيوبيد » اله الحب في شعرها ، بينما امتلات اصابع يديها بالخواتم الماسية وراحت تتطلع الى وجهها في المرآة التى حملتها لها زميلتها !

ورسم جويا الاطفال الابرياء ، ولكنه جردهم من ملابسهم احيانا فبدوا عراة أمام الشيطان ! ورسم الطبيعة الساحرة بالوانها القوية الجميلة .. وسجل البنادق وهى تصوب الى صدور مواطنيه في زمن الثورة في اسبانيا والرصاص يخترق اجسامهم ويحول كل شيء الى موت ودمار .

ولكن هكذا كانت حياة جويا نفسه .. فقد عاش هذا الفنان الكبير حياة طويلة حافلة بالاحداث ، بدات في عام ١٧٤٦ ، وانتهت في عام

١٨٢٨ ، بعد مرض طويل استمر عدة سنوات ، ولكنه لم يقعده ولم يمنعه من أن يصل الى قمة المجد في فنه . ففي خلال سني حياته التي بلغت ٨٢ عاما ، شهد جويا الثورة الاسبانية ، وتنازل فرديناند عن العرش ، وغزو نابليون لبلاده ، وانعكست هذه الاحداث في لوحاته التي جاءت معبرة عن الشعور بالمرارة الذي كان يشعر بها كل مواطن في بلاده ، ناطقة بالرعب والفزع من أهوال الحرب وويلاتها، كما يبدو ذلك في لوحته « أبناء مدريد يقاتلون فرسان الجنرال مورات » أو « معرض اليوم الثاني من مايو » .

ريشة الرسام

وقد كان جويا يرى أن فضح شرور الانسان

احدى لوحات جويا التي أراد أن يسخر فيها من المرأة العجوز التي ترفض أن تعترف بما فعلته بها السنون



ليس وقفا على الكتاب والشعراء ، وانها لا يجوز أن تمر دون أن تثير الانفعال في ريشة الرسام وتحركها .

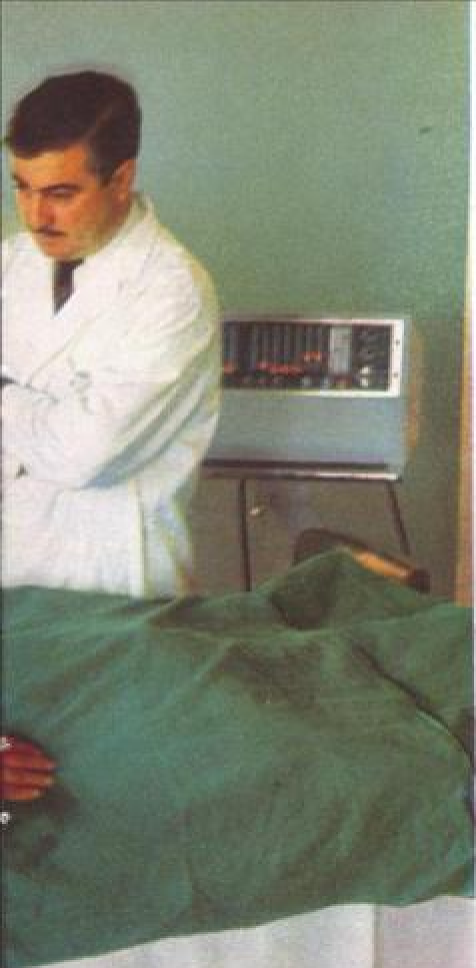
ومن بين الاكاذيب والخرافات والاوهام التي عاشت مع تقاليد الناس ، اختار جويا الموضوعات التي تستحق اللوم والتقريع ، فاطلق لتخيلاته العنان ليسجل بريشته بعض تلك الخزعبلات . ومن تلك الخرافات ما صوره جويا في احدى لوحاته المسماة « منظر من السحر » وهي تمثل تيسا كبيرا تقدم له الساحرات من نساء القرية طفلا سمينا قربانا !

لقد بدأ انتاج هذا الرجل الفنان بالرسومات المرحة الخفيفة التي سجلها على القماش الذي تزينت به الجدران في قصور الملوك والامراء ، ثم ما لبثت شخصيته أن تغيرت تماما على أثر المرض المزعج الذي ألم به ، فعكف على رسم الملوك والامراء في القصر الملكي وذلك بالاجر . ثم قام بدراسات لشخصيات أصدقائه الذين احبوه ، فجاءت لوحاته معبرة عما يكنه لهم من حب ووفاء ! ثم عاش جويا بعد ذلك في عزلة عن العالم . وعندما تقدمت به السن ، عادت الى لوحاته عذوبتها ورقتها التي طالما اشتهرت بهما في بداية حياته ، بعد أن تحرر من السياسة والتيارات السياسية التي عصفت ببلاده !

بدأ حياته فاشلا

لقد بدأ جويا حياته الفنية فاشلا .. ولكن فشله دفعه الى العمل والمثابرة والتفكير.. وعندما احس بنفوذ استاذه « بايو Bayeu » الذي تتلمذ على يديه ، وعندما أدرك ما يمكن أن يفعله «بايو» من أجله ، لم يتردد لحظة واحدة في أن يطلب يد اخته « جوزيفا Josefa » ، وعن طريق «بايو»، دخل جويا القصر الملكي ووصل الى بلاط صاحب الجلالة ، وبلغ بفنه قمة المجد ..

لقد ولد جويا قبل عام ١٧٥٠ ، الا أن أعمال هذا الفنان تنتمي الى القرن التاسع عشر . قال مانيه Manet ودوميه Daumier : « ان جويا من أشد الفنانين تأثيرا .. فقد أثر أسلوبه على الرسم الرومانتيكي في القرن التاسع عشر ، وعلى الرسم التعبيري والسريالي ! » . ■■

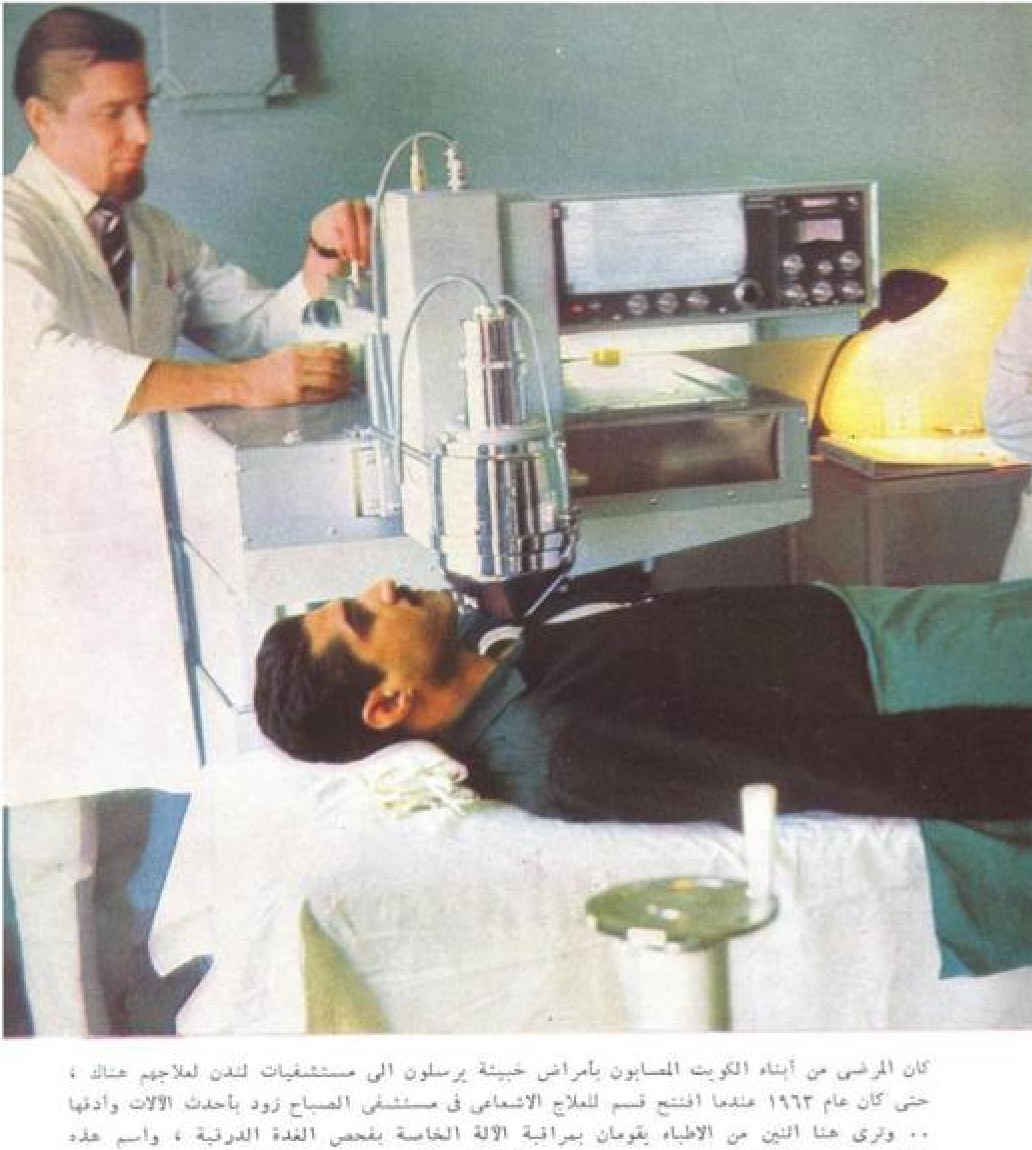


الكويت تدخل عصر العلاج بالذرة

بقلم : الدكتور يوسف عمر
رئيس قسم العلاج الاشعاعي والنظائر المشعة بالكويت

داخل هاتين الخزانتين المصفحتين تحتفظ الكويت بجرام الراديوم الذى في حوزتها .. وترى الاذرع الحديدية .. والحاجز الرصاصي الواقي من اشعاع الراديوم .





كان المرضى من أبناء الكويت المصابون بأمراض خبيثة يرسلون الى مستشفيات لندن لعلاجهم هناك ، حتى كان عام ١٩٦٣ عندما افتتح قسم للعلاج الاشعاعي فى مستشفى الصباح زود بأحدث الآلات وادقها .. ونرى هنا اثنين من الاطباء يقومان بمراقبة الآلة الخاصة بفحص الغدة الدرقية ، واسم هذه الآلة Photo Scintiscanner وتستعمل لفحص الطحال والكليتين وتضخم الكبد .

• جرام واحد من الراديوم ثمنه ١٠ آلاف دينار !

• كيف يتم علاج مرضى السرطان بالإشعاع

■ **ماذا تعرف عن الاشعاع المستعمل لعلاج السرطان والاورام الخبيثة ؟**

ان اول سؤال قد يتبادر الى ذهن القارىء هو :

– كيف يمكن لاشعاع كهربائى مغناطيسى أن يعالج مرضا مستعصيا مثل السرطان ؟

والواقع أن « الكوبالت المشع ٦٠ » يصدر نوعين من الاشعاع :

الأول : الاشعاع الجيمي وهو المستخدم في العلاج .

والثاني : الاشعاع البائي وهو عبارةعن الكترونات يتخلصون منها بوضع الكوبالت في اناء به ماء ليمتص هذه الأشعة البائية .

كيف يتم العلاج بالذرة

ويبدا العلاج بنقل المريض الى غرفة كسيت جدرانها بطبقة من الرصاص ، فيرقد المريض على مائدة مغطاة بالجلد ، ويضع الطبيب على المكان المصاب بالسرطان من جسم المريض قالبا من الجص المغطى بالرصاص . ثم يبدأ الطبيب بعد ذلك في تحريك الجهاز الالكتروني المعقد حتى يضبطه في مواجهة الثقب الصغير الموجود في قالب الرصاص الذى وضع فوق الجزء المصاب من جسم المريض .

ثم يترك الطبيب الغرفة المصفحة ويبقى المريض وحده مع الاشعاع الذى تعلقت به كل آماله في الشفاء ، ويغلق باب الغرفة باحكام . وهنا يقف الطبيب وراء نافذة زجاجية رصاصية صغيرة يرقب حالة مريضه ،بعد ان يكون قد اعطى الاشارة لادارة جهاز الكوبالت المشع ٦٠ ، فيضغط الموظف المسئول على زر خاص ، وفي الحال تبدأ الاشعة تنساب الى مركز الورم الذى يحدده قالب الجص.

وقد وضع هذا القالب الذى تتخلله قطع من الرصاص لتثبيت الجزء المريض من الجسم وحماية الأنسجة المحيطة به من الاشعاع الهائل المسلط على هذا الجزء ، والذى تبلغ قوته مليون و ٢٠٠ الف الكترون فولت وهو الاشعاع الجامى .

ويتم علاج المريض بتسليط هذه الأشعة الهائلة على الخلايا المريضة بداء السرطان في جسمه ، وما تكاد هذه الخلايا تتعرض للاشعاع حتى تحدث بها تغيرات جذريةتؤدى الىتفتيتها ووقف توالدها، وبالتالى يتوقف انتشار سريان المرض في الجسم .

ومن اجل هذا نسمع الأطباء يقولون دائما :

« ان نسبة النجاح في علاج مرض السرطان الذى يمر بمراحله الأولى تصل الى ٨٥ في المائة في بعض الحالات ، في حين أن هذه النسبة تتضاءل الى الصفر اذا كان المرض في مراحله المتقدمة ، لأنه يستحيل في هذه الحالة قتل جميع خلايا السرطان المنتشرة في جميع أجزاء الجسم المريض ..

متى عرفت الأشعة ؟

ان العلاج الاشعاعي لم توضع أسسه العلمية الا منذ ٤٠ عاما اى في عام ١٩٢٨ عندما عرفت وحدة الاشعة اى « الرونتجي » .

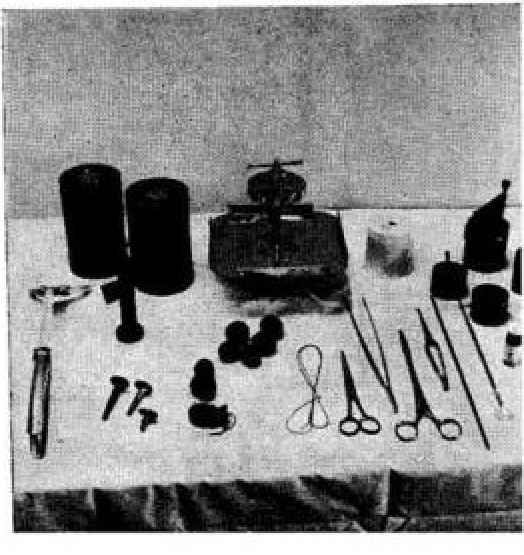
وان كان الاشعاع استخدم في العلاج منذ أن اكتشف العالم الالماني رونتجي الاشعة السينية فيعام ١٨٩٥ وتسميته X-Ray كانلعدم معرفة جميع خواصه عند اكتشافه. وبعد عام اكتشف العالم الفرنسي Becquerel اشعاعا مشابها يصدر من مادة اليورانيوم سمى Gamma-Ray وفي عام ١٨٩٨ استطاعت مدام كورى استخلاص مادة الراديوم من اليورانيوم .

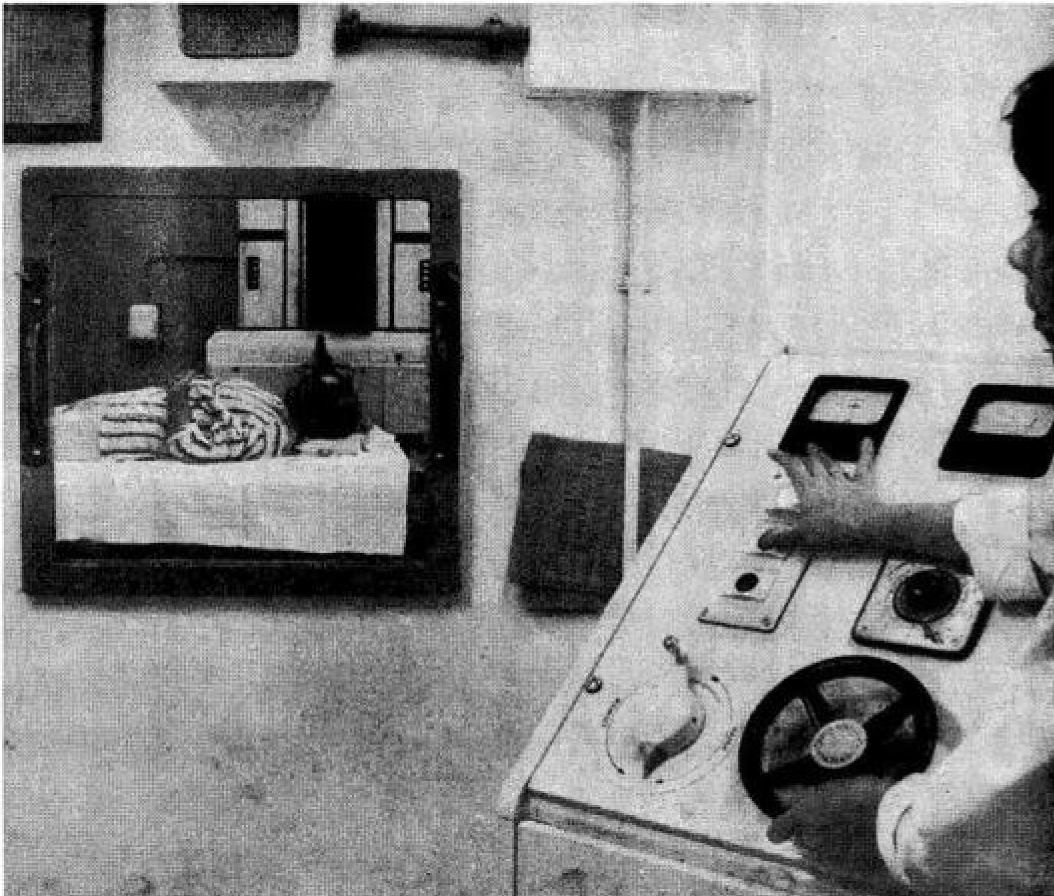
ولكن استخدام النظائر المشعة في المجال الطبي لم ينتشر في مستشفيات العالم الا بعد الحرب العالمية الثانية .

ثمن الجرام الواحد : عشرة آلاف دينار !

وكان المرضى بالسرطان من ابناء الكويت ينقلون الى مستشفيات لندن لعلاجهم هناك ، حتى كان عام ١٩٦٣ عندما افتتح قسم للعلاج الاشعاعي في مستشفى الصباح ، وبافتتاح هذا القسم ،

أنابيب .. وكرات من الجلد .. ومقصات .. وقوالب من الرصاص .. وغيرها من الادوات الصغيرة التى تستخدم في حجرة خزائن الراديوم لتحضير النظائر المشعة للعلاج ..





توضح هذه الصورة النافذة المطلة على الغرفة المصفحة ، حيث يعالج المريض بالاشعة العميقة ... وتدار هذه الاشعة من الخارج بالضغط على الازرار ، وتحريك العجلة الواضحة في الصورة .

الذى تم تأسيسه بمعاونة مجموعة من أمهر اخصائى العلاج الاشعاعى بانجلترا ، دخلت الكويت مضمار علاج الأورام الخبيثة بالذرة .

لقد انضمت الكويت الى عضوية الوكالة الدولية للطاقة الذرية عام ١٩٦١ ، وهذه العضوية خولتها حق الحصول على جرام واحد من الراديوم اشترته من اتحاد مناجم كاتنجا العليا فى بروكسل ببلجيكا.

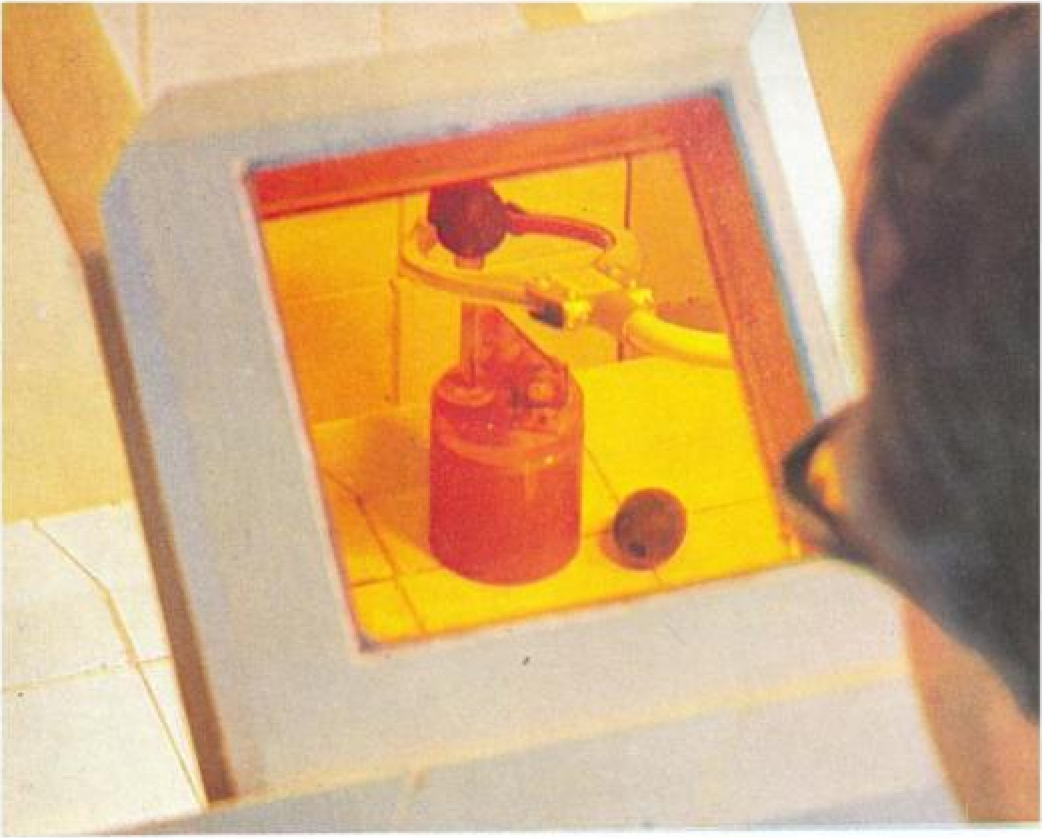
ودفعت الكويت عشرة آلاف دينار ثمنا لهذا الجرام الواحد من الراديوم الذى يستمر صالحا لمدة أجيال عديدة .

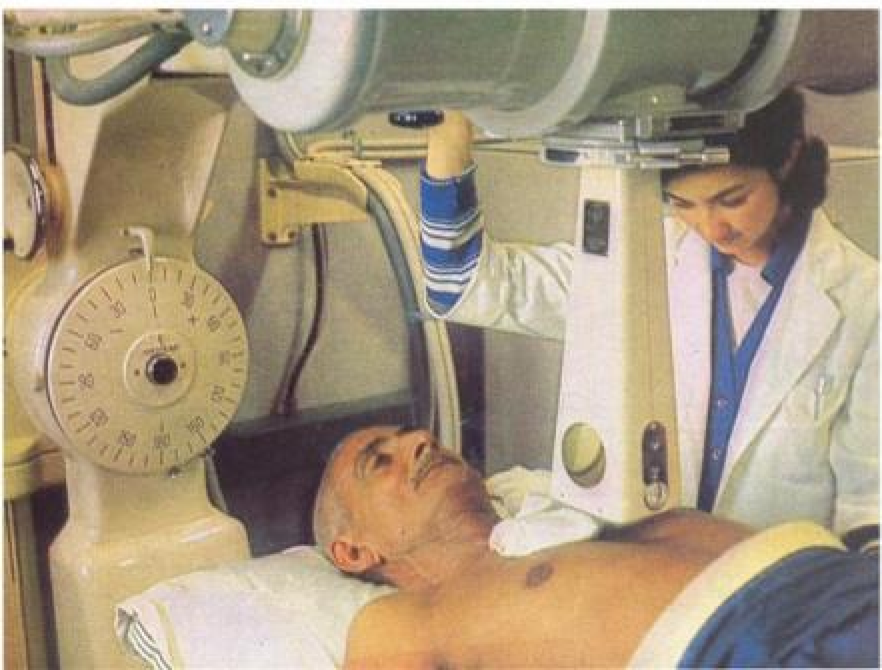
تقسيم الجرام الواحد

وقد يتخيل القارىء العادى أن جراما واحدا كمية لا تعنى شيئا ، ولكن قوة اشعاع هذه الكمية الضئيلة لا يمكن أن يتحملها المريض،لهذا يقسمون هذا الجرام الصغير الى جزيئات أصغر ،يضعونها داخل عدد كبير من الأنابيب ، والابر التى تستخدم لمعالجة السرطانات الجلدية ، وأورام الرحم ، واللسان والشفاه ..

فحص الغدة الدرقية باليود المشع

ولا يقتصر استخدام النظائر المشعة على العلاج فقط ، وانما أصبحت تستعمل على نطاق واسع جدا فى الفحوص الطبية لمعرفة تفاصيل فسيولوجيا الجسم والكشف عن مختلف أمراضه الخبيثة . وهذا ما يجرى فى قسم النظائر بالكويت الذى

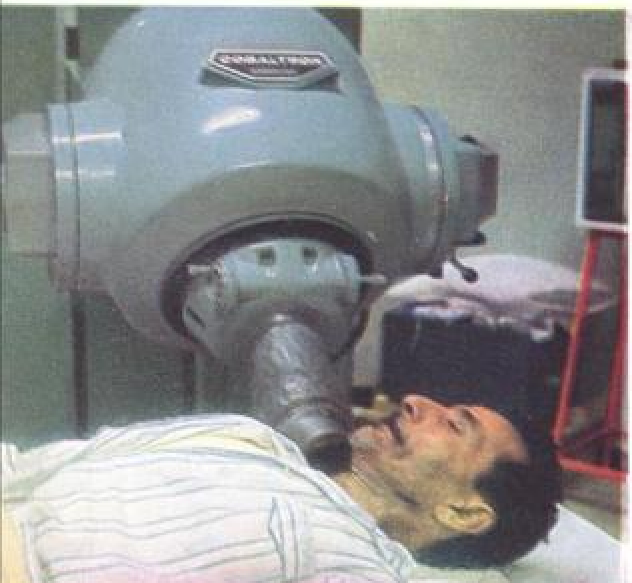






الى اليمين : ما يكاد الراديوم يخرج من خزانته المصفحة ، ويكون داخل انابيب ، حتى يوضع في وعاء من الرصاص قبل نقله الى الغرف التى فيها الآلات الخاصة بعلاج المرضى ..

الى اليسار : داخل الغرفة المصفحة بالرصاص ، نام المريض وحيدا تحت جهاز الاشعة العميقة الذى تبلغ قوته ٢٥٠ كيلوفولت ، لمعالجة ورم خبيث في بلعومه الانفى .



الى اليسار : داخل خزينة من ماة التنجستن (Tungsten) يختفى « الكوبلت المشع ٦٠ » ولا يستعمل هذا الجهاز الا لعلاج الاورام الخبيثة التى في الرأس والعنق ... وتبلغ قوة اشعاعه مليون و ٢٠٠ الف الكترون فولت .

الى اليمين: احدى الاخصائيات العاملات في قسم العلاج بالنظائر المشعة في الكويت تضبط جهاز الاشعة العميقة الدوارة قوة ٣٠٠ كيلو فولت، على صدر المريض ..



الى اليسار : بعد أن اخذ المريض بكليتيه جرعة من « الزئبق المشع ٢٠٣ » ، جلس امام جهاز **Renaltron IV** الذى بدأ عملية تتبع للزئبق المشع داخل الكليتين ..وهكذا تم عملية فحص المرضى بالنظائر المشعة .

يحوى استعدادات كثيرة لاجراء مختلف الفحوصات: من فحص للكلى ، والجهاز الهضمي ، وتحديد موضع الأورام الخبيثة في الاعضاء المختلفة .وفحص الدورة الدموية ومعرفة مقدار تضخم الكبد .. الا ان اكثر الفحوصات التي تجرى في هذا القسم هي فحص الغدة الدرقية . ومن المعلوم أن هذه الغدة تركز مادة اليود الى درجة اكبر بكثير من اى عضو آخر في الجسم ، اذ انه مادة اساسية في افرازاتها ..

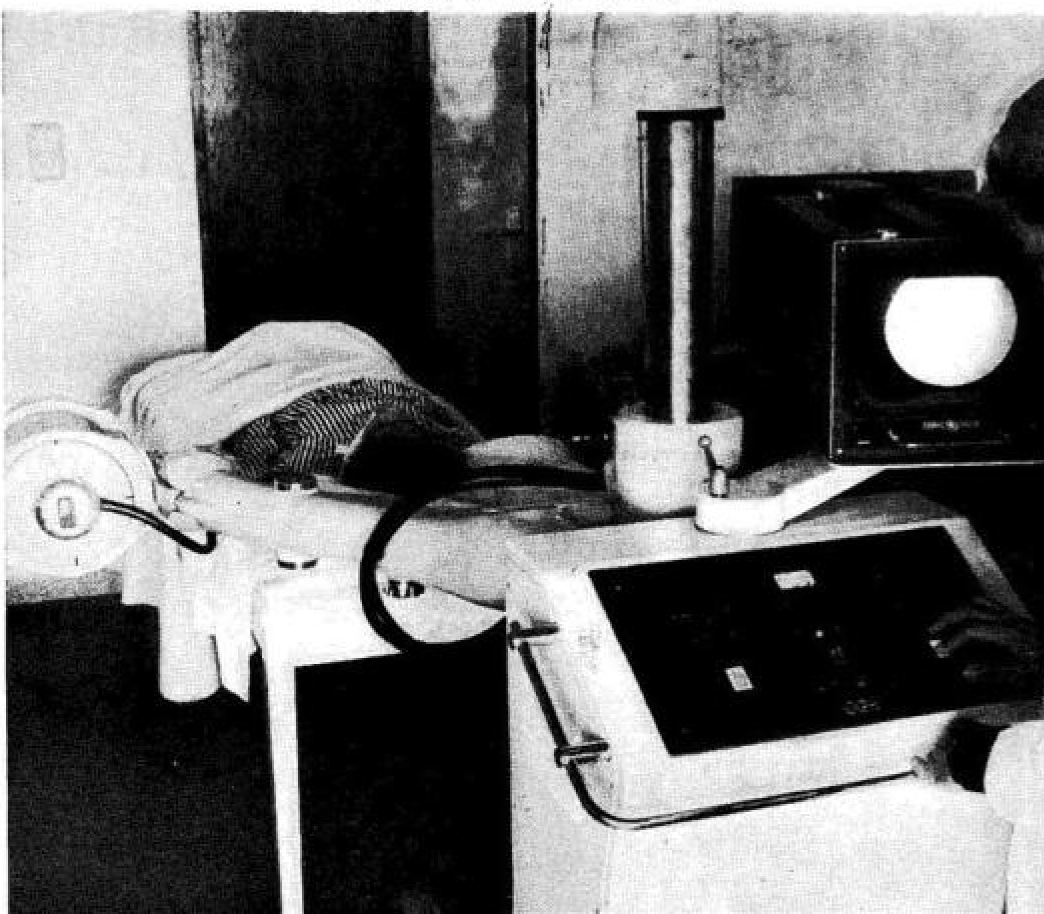
ويتم الفحص باعطاء المريض جرعة من (اليود المشع ١٣١) تتراوح بين ١٠ و ٥٠ مايكروكورى (المايكروكورى وحدة تعادل واحدا من المليون من كمية الاشعاع الصادرة من جرام واحد من الراديوم)

وما يكاد هذا اليود المشع يصل الى المعدة والامعاء حتى تتم عملية امتصاصه خلال ساعات من تعاطيه .. ونتيجة لهذا الامتصاص يذهب اليود الى الدورة الدموية حيث تتمكن الغدة الدرقية من تركيزه ..

وهنا يقوم الطبيب باجراء ثلاثة فحوصات لمعرفة درجة تركيز الغدة الدرقية لهذا اليود المشع . الاول بعد ساعتين والثاني بعد اربع ساعات والثالث بعد ٢٤ ساعة من تعاطي اليود .

وبعد هذه الفحوصات تتكون لدى الطبيب فكرة وافية عن حالة الغدة الدرقية ونشاطها .. فاذا كانت متضخمة يجرى عملية مسح ورسم لتوزيع اليود المشع في جميع أجزاء الغدة الدرقية

من خلال الشاشة التلفازية الصغيرة المثبتة على هذا الجهاز الكبير ، يستطيع الطبيب تحديد موضع الورم الخبيث داخل جسم المريض .



لمعرفة حجمها ومعرفة نوع العقد التى تحتويها ، وهل هى عقد نشطة ام سرطانية ؟

ملاحقة « النظير المشع »

اما الطريقة المتبعة في فحص الدورة الدموية فتتم بعد حقن المريض بـ « نظير مشـع » Tracer ويسير هذا « النظير المشع » مع الدم في دورته السريعة ، واثناء سيره يطلق اشعة مستمرة لايمكن رؤيتها الا بالات خاصة مثل جهاز Photo Scintillation Counter أي جهاز الوميض الحسابى ... ويستطيع هذا الجهاز ان يضبط « النظير المشع » اثناء سيره في الدورة الدموية ، وبعملية حسابية يعرف الطبيب مقدار سرعة تنقل الدم من مكان الى آخر ، ومدى انتظام الدورة الدموية .

العلاج بالنظير المشع

ولا يقتصر استعمال « النظير المشع » على الفحوصات فقط ، وانما يستعمل للعلاج كذلك ، وفي هذه الحالة يعطى بكميات اكبر ، وبانواع مختلفة باختلاف المرض .. فاليود المشع يعطى في حالة زيادة نشاط الغدة الدرقية واصابتها بالاورام السرطانية .. اما الفوسفور المشع فيعطى في حالة أمراض الاصابة بسرطان الدم Leukaemia ، اى عندما يتزايد عدد الكرات البيضاء في الدم .. بينما يعطى الايتريوم المشع للمريض بالاستسقاء البلورى ، أى تجمع المياه في الغشاء المحيط بالرئة ، ويعطى كذلك لعلاج الاستسقاء البريتونى الذى يحدث في الغشاء الموجود بالبطن نتيجة لاصابة المريض بمرض سرطانى سابق ..

اخصائيون .. وفنيون

لقد تشعب العلاج الاشعاعي حتى اصبح علما مستقلا من العلوم الطبية ، يحتاج الى تعاون وثيق بين اخصائي الطبيعة الاشعاعية ، واخصائي البيولوجيا الاشعاعية ، ومساعدين فنيين من الدرجة الأولى .. وهذا هو ما يجرى الآن في قسم العلاج الاشعاعي في الكويت، الذى يضم اثنين من أخصائيي الطبيعة الاشعاعية، وخمس مساعدات اشعة ، واحد ابناء الكويت



عبد الرحمن النجار .. أول شاب كويتى يعمل في قسم النظائر المشعة ، بعد أن حصل على شهادة من مدرسة مساعدى الاشعة في انجلترا ..

الذين حصلوا اخيرا على شهادة مدرسة مساعدى الأشعة من انجلترا ..

والى جانب هؤلاء الاخصائيين توجد مجموعة من الفنيين لصيانة وفحص الآلات الالكترونية الدقيقة ، توفيرا للوقت الذى قد يضيع في حالة ارسالها للخارج لاصلاحها ..

ويعمل هؤلاء الاخصائيون والفنيون في الاقسام الاربعة للمركز الاشعاعى بالكويت ، ومن بينها قسم الأشعة السطحية .. وفيه يتم علاج الأورام الظاهرة على جسم الانسان مثل سرطان الجلد ، وغيره من الأمراض الجلدية غير السرطانية .. وتنخفض قوة الاشعاع في أجهزة العلاج بهذا القسم الى درجة ١٠٠ الف فولت فقط .

اين يحتفظ بالراديوم في الكويت

يتطلب الاحتفاظ بالراديوم اتخاذ احتياطات زائدة

لحماية الناس من اشعاعه ، لهذا خصصوا غرفة خاصة فى مستشفى الصباح للاحتفاظ بالراديوم داخل خزانتين مصفحتين من الرصاص ، لا يتم فتحهما باليد العادية، وانما بواسطة أذرع حديدية ممتدة عبر جدار من الرصاص يزيد سمكه على عشرة سنتيمترات لوقاية الشخص الذى يفتح الخزانة ، وينقل الراديوم لاعداده وتجهيزه قبل استخدامه فى معالجة المرضى ..

التوعية ضرورية بين الاطباء والمرضى

ونترك الآلات قليلا لنتحدث عن ذلك المرض اللعين : السرطان .. الذى تحدى العلم والعلماء ، وراح يفتك بمئات الألوف من الضحايا كل عام ..

ان نتائج العمل والجهد المبذولين فى المركز الاشعاعى بالكويت هى نتائج مرضية جدا بدون شك .. ولكن المؤسف ان معظم الحالات التى جاءتنا كانت فى المرحلتين الثالثة والرابعة ، اى انها كانت متأخرة للغاية بحيث أصبحت امكانية علاجها شبه مستحيلة ، بينما كان بالامكان علاجها لو انها جاءت فى بداية المرض ..

ان عدم وجود توعية بين الاطباء والمرضى هى السبب المباشر فى وصول هذه الحالات المتأخرة الينا ، فلو كان الطبيب العادى يعمد الى تحويل المريض المشكوك فيه بسرعة الى أخصائى السرطان، ولو كان المريض يسارع بعرض نفسه على الطبيب عندما تظهر عليه عوارض غريبة مثل : بحة مزمنة فى الصوت .. صعوبة فى البلع ، تورم فى أى مكان بالجسم .. قرح مزمنة .. نزيف خارجي مثل نزيف الانف والرحم ، والبول الى آخره .. لو عمل الطبيب العادى بهذا ، والمريض بذاك ، فان احتمالات العلاج تكون كبيرة جدا ..

احدث الأجهزة

لقد بدأنا عام ١٩٦٣ بعلاج ٥٧ حالة ظلت تتزايد حتى وصلت الى ٨٠٠ حالة عالجناها خلال عام ١٩٦٦ منها ٣٩٢ حالة اختبار للغدة الدرقية ويجرى هذا الاختبار على احدث الاجهزة التى انتجت حتى الآن .. ومن بينها جهاز Thyrad V وجهاز Photo Dot Scintiscanner أولهما خاص باختبار الغدة الدرقية ، والثانى لفحص هذه الغدة ، وبعض الأعضاء الاخرى مثل الكبد والمخ والبنكرياس والكلى والطحال ..

ومن بين الأجهزة الهامة التى توجد بالقسم جهاز Renaltron IV وبعض الأجهزة الاخرى لاختبار الدورة الدموية ، وعمر الكرات الحمراء ، وحساب امتصاص الجسم للدهنيات ، والبروتينات والفيتامينات ..

معهد فريد فى نوعه

ويقوم قسم العلاج الاشعاعى والنظائر المشعة بهذه الأعمال الكثيرة رغم وجوده فى مكان مؤقت .. ولكنه خلال العام القادم سيتم تشييد مبنى كامل ، على أرض مستشفى الصباح ، وبانتهاء هذا المبنى سيصبح فى الكويت معهد من أحدث معاهد الاشعاع فى الشرق الأوسط .. وسيصبح فى امكانه تقديم « العلاج الاشعاعى » لا لأبناء الكويت فحسب وانما لأبناء الدول العربيةالمجاورة التى لا تتوفر فيها امكانيات اقامة مثل هذا المعهد الذى سيزود بأجهزة علمية حديثة أخرى فى مقدمتها جهاز « كوبالت مشع قوة ٣٠٠٠ كورى »، وله فعالية أكثر فى علاج الاورام الموجودة داخل الصدر أو البطن عن الأجهزة الموجودة حاليا . وجهاز سيزيوم ١٣٧ مشع قوة ١٥٠٠ كورى ، وهو يعادل جهاز الاشعة العميقة ولكنه لا يسبب الاحتقانات الجلدية التى تحدث أثناء استعمال هذا الاخير . كما سيحوى القسم الجديد جناحين لمرضى السرطان يحتويان على ٦٢ سريرا مما يجعل أمر العناية بهم ادق مما هو عليه الآن ، لوجودهم اثناء « علاجهم الاشعاعى » متفرقين فى مختلف مستشفيات الكويت .. » .

الحرب على السرطان

ان الكويت تشترك فى اعلان الحرب على هذا المرض الخطير الذى حير العلم والعلماء .. ولكن هل أدى العالم دوره كاملا لقهره ؟ . والجواب : لا ، فدول العالم فى شغل شاغل عنه بانتاج أسلحة الحرب والدمار والسباق على الوصول الى القمر .. وسيبقى هذا « الغول » يهدد البشرية ما لم يدرك العلماء أن الوقت قد حان لتركيز جهودهم فى سبيل القضاء عليه .. ان الكويت بدخولها عصر العلاج بالذرة تساهم فى تدعيم الحرب ضد السرطان . ■■

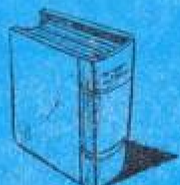
يوسف عمر

كتاب الشهر

سيزار پاڤيس [1]

في مذكراته وقصصه

بقلم :
الدكتور محمود السمره
استاذ النقد والبلاغة بالجامعة الاردنية



■ في السابع والعشرين من شهر اغسطس (آب) ١٩٥٠ .

وفي فندق بمدينة تورين ، احدى المدن المشهورة في شمال ايطاليا ، اقدم الشاعر والكاتب الايطالي سيزار پاڤيس على ازهاق حياته بيديه ، بعد ان كانت شهرته قد ذاعت ، واسمه قد لمع .

وقد اكدت هذه الظاهرة ، ظاهرة الانتحار ، ما ردده الدارسون من أن الانسان الاوروبى المعاصر يعيش فى ازمة ، دفعت كثيرا من الكتاب والشعراء والمفكرين ــ وهم أكثر الناس حساسية ــ الى الانتحار ، ومنهم على سبيل المثال : الكاتب النمساوى ستيفان تسفيج Zweig والشاعر الروسى ماياكوفسكى Mayakovsky ، والكاتب الايطالى سيزار پاڤيس ، والكاتب الأمريكى أرنست همنجواى .. الخ .

وپاڤيس واحد من اربعة كتاب هم من اشهر ادباء ايطاليا فى تاريخها المعاصر :

ألبرتو موراڤيا Moravia بواقعيته ، وبروده المتناهى فى معالجة ازمة الانسان المعاصر .

واينياسيو سيلونى Silone بانسانيته ، وحدبه على المتألمين .

والامير لمبدوزا Lampedusa بتوقه لايام رخاء الارستقراطية الايطالية ، ورثائه لذلك المجد الغابر .

وسيزار پاڤيس بحساسيته المفرطة ، وتصويره لقلق الانسان المعاصر وتأرجحه بين الايديولوجيات .

واذا كان كل من هؤلاء الكتاب الثلاثة قد اكتسب فى العالم الغربى ، خارج ايطاليا ، شهرة تفوق شهرة پاڤيس ، فان هذا يعود لأسباب لا صلة لها بالأدب ، اذ قد يعين على اشتهار الاديب ، فى أيامنا هذه ، أسباب سياسية محضة .

ورسالة پاڤيس فى قصصه : أن خير ما يفعله

(1) Caesar Pavese , The Art of Living .

المرء فى حياته أن يدرك امكانياته ويرضى بهـا ، ويحمل نفسه على أن يعيش ضمن حدودها ،ولهذا كان رواة قصصه اناسا يحاولون التغلب على الوحدة التى يعانون منها ، والتكيف حسب ظروفهم من أجل الاستمرار فى العيش .

ولكنْ بافيس الانسان ، صاحب هذا الراى ، لم يطبق هذا على نفسه ، وان طبقه على أبطال قصصه ، فعاش حياته فى تورين ، وحيـدا ، غريبا .

ومما يكسب قصصه قوة موقفه الموضوعى من القضايا التى يتناولها : فهو لا يجعل من نفسه داعية لمذهب معين ، ولا يتبنى فيما خلقية ينصب نفسه مبشرا بها . ومن أجل هذا اثارت قصصه جدلا كبيرا ، ووجه لها نقد كثير حتى من الفرقاء المتخاصمين ، وعلى سبيل المثال فان قصة « الشيطان فى التلال » (وهى قصة شاب مترف اقدم على الانتحار لأنه لم يجد للحياة معنى) اغضبت البرجوازيين والاشتراكيين على السواء : فالبرجوازيون لم يرضوا عن تصويره لمفاسـد الثراء الفاحش ، وما يمكن أن يفعله فى نفوس الشباب الأبرياء ، والاشتراكيون نقموا عليه لانه رفض أن يدين هذا الشاب ، بطل القصة ، الذى بلغ به السأم من حياته وثرائه ان يحسد الحيوانات لانها تستطيع أن تحيا وحيدة دون حاجة الى رفيق .

وهذا الموقف من بافيس يدل على انه يؤمن أن لا شىء فى الوجود خير كله ، أو شر كله .

■ ■ ■

وبافيس فى قصصه يمزج الواقـع بالرمز . والشخصية الرئيسية فيها تمثل انسانا يعود الى موطنه بعد تطواف، ينشد الراحة والطمانينة والاستقرار ، ليجد فى النهاية انها لا وجود لها فى أى مكان من العالم .

وبافيس بارع فى تصوير شخصيات الفلاحين ، وخاصة أولئك الذين هجروا مزارعهم ليعيشوا فى المدينة ، وكذلك شخصيات العمال البسطاء لا عمال المصانع الكبيرة ، وهذه الشخصيات هى التى تملأ قصصه .

وخير أبطال قصصه هم أولئك الذين يستطيعون أن ينتصروا على العوامل التى تدفعهم الى تدمير انفسهم ، ونحن نلاحظ أن تصرفات هؤلاء الابطال ذات طابع انسانى ، لا اثر للسياسة او الحزبية فيها .

وبافيس مولع بأن يعرض الشخصيات الضعيفة البريئة لظروف تؤدى بها الى الانحدار والفساد ، بحيث تنتهى اخيرا نهايات مفجعة . ومن الأمثلة الواضحة على هذا آخر قصصه وأحسنها ، وهى قصة « القمر والمشاعل » . ففيها يكتشف راوى القصة ، عند عودته من امريكا بعد غياب عشرين عاما ، أن رفيقة صباه النقية البريئة ، قد باعت نفسها للفاشيين ، وعملت جاسوسة لهم على أبناء قريتها ، وعندما اكتشفوا أمرها قتلوها رميـا بالرصاص ، ثم أحرقوها على قمة التل بالمشاعل: قتلوها فى المكان الذى طالما لعبا عنده ، وأحرقوها بالمشاعل التى شهدت نمو حبهما البرىء .

■ ■ ■

وطريقة بافيس فى القصص انه يروى الأحداث على لسان مشاهد يرقب أحداثا اضخم منه ، دون ان يشارك فيها : ففى اول قصة اصدرها ، نجد راويها (وهو عامل ميكانيكى فى مزرعة) يرقب تتابع الأحداث فى المزرعة ، والمنطقة حولها ، حتى تنتهى بالاغتصاب والقتل . وعند هذه الخاتمة يترك المزرعة ويعود الى قريته .انه ليس سوى مراقب يسجل لنا الأحداث .

والراوى فى قصة « الشيطان فى التـلال » طالب شاب يرقب أحداثا تحل بطالب آخر فى مثل سنه تدفعه الى الاقدام على الانتحار . والراوى فى قصة « البيت على التل » مدرس فى مدرسة ثانوية دفعته غارات الطائرات على تورين ، فى الحرب العالمية الثانية ، الى أن يهرب الى التلال المحيطة بها . وهناك يلتقى بفتاة غيرتها الحرب لدرجة انه لم يعرف فيها حبيبة صباه الا بعد عدة لقاءات . ويبدع المؤلف ، على لسان الراوى، فى وصف ويلات الحرب . والراوى فى قصـة « القمر والمشاعل » مهاجر عاد من امريكا الى قريته فى بيدمونت ، ليجد الحرب العالمية الثانية قد أتت على كل ما احبهٔ فى قريته ، وهنا يصاب بصدمة ، فيركب القطار الى جنوة ، ليأخذ اول باخرة مسافرة الى الدنيا الجديدة ، عائدا مـن حيث أتى .

ولهذا كان من الطبيعى أن يكون رواة قصص بافيس شخصيات لا تتطور بتطور الأحداث ، بل ان القصة لتنتهى وهم كما كانوا فى بدايتها .

وبافيس في موقفه هذا من راوى القصة يعنى أمرين :

أولهما ان التناول الموضوعى للقضايا الانسانية يقتضى وجود راو محايد .

وثانيهما ان بافيس من المؤمنين بأن شخصية الانسان تستكمل عناصرها في سن مبكرة .

■ ■ ■

هذه هى المعانى الكبرى التى تعبّر عنها قصص سيزار بافيس .

اما بافيس الانسان : فقد ولد سنة ١٩٠٨ في بلدة سانتو ستيفانو على نهر بلبو ، بمقاطعة بدمونت ، في شمال ايطاليا . وكان والده موظفا في القضاء في تورين . ولم يكد يبلغ الطفل سيزار السادسة من عمره ، حتى نكبت العائلة بوفاة الأب ، وهكذا كتب لهذا الطفل ان ينشا في بيت يسوده الحزن والوجوم ، ويعانى من البؤس والحرمان . وزاد في بؤس طفولته ، انه كان وحيد امه ، وكان يعانى من ضعف في البصر ، وضيق في التنفس .

ولكن كان يخفف من هذا البؤس تلك المناظر الطبيعية الخلابة في الريف ، حيث كان الصبى يمرح فيها مع أبناء بلدته . وقد تركت هذه النشاة اثرا عميقا في نفسية سيزار : فنحن عندما نقرا في قصصه وصفا للريف ، بفلاحيه ومزارعه واشجاره وتلاله ونهره وقنواته ، نحس انه يكتب بكل أعصابه ، وحنينه الى تلك الحياة التى افتقدها بعد ارتحاله الى تورين ، طلبا للعلم ثم العمل .

وفى رائعته « القمر والمشاعل » أوصاف لمسقط راسه ، فيها من الشوق والحنين ما يعدى القارىء ، وما يلهب احاسيس كل من هم على شاكلته ممن بعدوا عن أوطانهم ، وخلّفوا فيها عهود الصبا . وبقى هذا الحنين ملازما له حتى السنوات الاخيرة من حياته ، فنحن نقرا في مذكراته لشهر يوليو (تموز) ١٩٤٦ ما يلى : « كلما ضاقت بى الحياة هنا ، تورين) خففت العناء عن نفسى بتذكر تلك الأيام في بلدتى : حيث الاشجار الباسقة التى كنا نتسلقها ، والنهر الذى كنا نتطهر بمياهه ، والتل الذى كنا نمرح عليه تحت ضوء القمر ، ورائحة الحقول والمراعى ، وأيام الحصاد .. انها ذكريات تعيش في دمى ، وتبعث فىّ من الاحاسيس ما اجدنى عاجزا عن سبر اغوارها » .

■ ■ ■

وكانت تورين هى المدينة التى استقر فيها بافيس ، بعد انتهاء دراسته الثانوية في بلدته ، حيث التحق بجامعتها . وبعد تخرجه عمل في التدريس ، ثم في دار نشر معروفة .

وقد لازم الشعور بالوحدة بافيس الى آخر أيامه ، فكان يذرع شوارع تورين ، شارد اللب بمعطفه المتهدل على ساقيه النحيلتين ، ورأسه الغائص في قبعته ، حتى اذا وصل الى مقهاه المفضل ، المتلىء بالرواد ، المختنق بدخان السجائر ، انتحى زاوية ، واقبل يملأ الصفحات بخطه الكبير ، مدونا خواطره وفصول قصصه ، وقصائده .

وعاش بافيس في تورين ، وهو والحزن خدينان. وشاء سوء حظه أن يقضى حياته دون أن تملأها عليه امراة تغرقه بحنانها ، وتمسح عن وجهه ما خلّف الشقاء من ندوب : فعلاقاته بمن عرف من النساء كانت تنتهى دوما نهايات مفجعة ،تزيد من حساسيته واساه، اذ كنّ هن اللواتى يهجرنه. ولمس بافيس هذه الحقيقة : فمذكراته حافلة بالقصص التى تروى صلته بالمراة . ورغم ما منىَ به من فشل في ميدان الحب ، فانه يقول في مذكراته : « ان المراة والموت صنوان: يستحيل علينا أن نكفّ عن التفكير فيهما » .

وكانت آخر من عرف من النساء ممثلة شابة امريكية ، واليها أهدى « القمر والشاعل » . ويبدو من مذكراته انه احبها بكل روحه واعصابه، وانها لم تكن تبادله الحب بهذا العنف . وقد اجابت صحيفة سالتها عنه ، وعن أيامها معه ، بعد انتحاره ، فقالت : « لم اكن اعرف انه كاتب له مثل هذه الشهرة » . وفى هذه الاجابة من البرود واللامبالاة الكثير .

■ ■ ■

وكان سيزار بافيس ، منذ أن شبّ عن الطوق ، وخبر الدنيا والناس ، يكره الفاشية ، ولم يكن قد جاوز الرابعة يوم تسلم موسولينى مقاليد الأمور في ايطاليا ، وعندما اصبح كاتبا لم يكن يجرؤ على مهاجمة الفاشية بطريقة مباشرة ،

ولهذا عمد الى كتابة المقالات النقدية ، يعبر فيها عن آرائه .

وفى سنة ١٩٣٥ كتب عدة مقالات فى مجلة « الثقافة » الايطالية، هاجم فيها الفاشية بصراحة وكان موسولينى قد شدد قبضته ، وبدأ بالهجوم على الحبشة . وبسبب هذا سُجن ، ثم نفى الى جزيرة صغيرة بالقرب من ساحل نابلى .

وفى منفاه اخذ يسجل فى مذكراته خواطره ، وفيها يقول : « لقد درست التاريخ ، وتأملت فى احداثه ، فوجدت أن الديكتاتوريات لم ترسّخ ــ ولو مرة واحدة ــ قيماً حقيقة' فى المجتمع ، ولم تنتج شعرا ذا قيمة » . والواقع أن بافيس رغم عدائه السافر للفاشية، ورغم انضمامه للحزب الشيوعى منذ سنة ١٩٣٥ ، لا يبدى فى كتاباته اى تحيّز لمذهب معيّن . ونحن نقرأ فى مذكراته انه لا تهمّه السياسة ، ولا الساسة .

وبعد أن قضى بافيس أشهرا فى منفاه ، أُطلق سراحه ، وكان ذلك فى اليوم السادس عشر من مارس (آذار) من سنة ١٩٣٦ . وفى هذا اليوم كتب فى مذكراته ما يلى : « هذا اليوم ابلغت بأننى اصبحت حرا ، وأن مدة النفى قد انتهت .. ولكنى لا أحس اننى سعيد بهذا النبأ » .

وعاد الى تورين ، واقبل على كتابة قصته « السجن » ، وهى قصة ليس فيها من وشى الخيال سوى بعض الأحداث الثانوية ، لأنها وصف واقعى لما جرى له : فبطل القصة شاب يكره الفاشية،حكم عليه بالنفى لمدة اشهر يقضيها فى قرية صغيرة نائية ، لا مال معه ، ولا كتاب يؤنس وحدته . وعندما كان فى منفاه سمع بأن شابا آخر فى قرية مجاورة يقضى عقوبة النفى مثله للأسباب عينها ، ولكنه لم يحاول الاتصال به ، لا خوفا من عقاب السلطة له،بل لأنه اصبح لايستطيع حمل نفسه على اقامة أية علاقة مع اى انسان . وعندما افرج عنه استقبل النبأ بلا مبالاة ، لأنه كان قد اعتاد الوحدة ، واصبح غير قادر على الاتصال بالناس .

واعلنت الحرب العالمية الثانية .

وفى الوقت الذى كانت الحرب تحصد الناس، وتدمر ما شيد الانسان ، كان بافيس يعيش فى عزلة لا يشارك فى الاحداث عمليا ، منصرفا الى تصوير ويلات الحرب ، وتدوين تأملاته الخاصة ، ومنها تأملات فى اللغة والأسلوب ، وهى تأملات وثيقة الصلة بمشكلته ككاتب .

ومن آرائه أن الادب الايطالى مكتوب بلغة لا يتحدث بها الايطالى ، وان كان الجميع يفهمها ، فاذا كانت ايطاليا قد توحدت سياسيا ، فانها بقيت منقسمة لغويا ، واذا كان الايطالىيستطيع أن يرحل من الجنوب الى الشمال طلبا للعمل ، فان لهجته التى يتحدث بها يحتاج الى مترجم يترجمها الى ايطاليىّ الشمال .

وكانت المشكلة الفنية التى اعترضت بافيس هى أن سكان ريف بدمونت ، وتورين ، من رجال ونساء ، يتكلمون بلهجة ذات طابع محلى قوى . وهو انما يكتب عنهم ، فهم محيطُ خبرته ، ولكنه اذا سجل احاديثهم بلهجتهم المحلية ، فان كتاباته لن تفهم خارج منطقة بدمونت ، وستستقبل بفتور فى روما ، ولمباردى ، ونابلى ..

ومن دراسته للهجة المحلية واللغة الأدبية ، توصل الى أن الشقة قد اتسعت بينهما بمرور الزمن ، حتى أن المشكلة اللغوية التى تجابه الكاتب المعاصر أعسر من تلك التى جابهت بوكاشيو ودانتى : حيث انهما كانا يكتبان بلهجة فلورنسة، وهى لهجة كانت فى الوقت نفسه لغة القوم .

وقد استطاع بافيس أن يتغلب علىهذه القضية الى حد ما بأن استعمل اسلوبا وسطا ، فيه حرارة اللهجة العامية ، والقدرة على الابانةبحيث يكون مفهوما عند الجميع . وقد افاده فى هذا المجال كثيرا الكتاب الامريكان الذين احسنوا استعمال العامية فى الحوار فى قصصهم ، وارتقوا بها ، وجعلوها لغة ادبية . وكان بافيس معجبا بهم لدرجة انه ترجم كثيرا من آثار : وليم فوكنر ، ودوس باسوس ، وسنكلير لويس ، واندرسون ، وهمنجواى . وعنى عناية خاصة بقصة « موبى ديك Moby Dick » للكاتب هيرمان ملفيل : فترجمها سنة ١٩٣١ ، وكتب عنها عددا من الدراسات ، وكان لها اثر بالغ فى انتاجه، وقد نشرت ترجماته هذه أشهر دار نشر فى تورين، وهى الدار التى كان يعمل فيها .

وقد احسن تقدير جهده الناقد الاديب (باولو ميلانو Paolo Milano) ، فقال فيه : « لعل سيزار بافيس هو خير مترجم للأدب الامريكى فى

الايطالية ، وخير كاتب مقالة فى ادبنا المعاصر » . وهو فى رأيه أيضا قد استطاع أن يطوّر أسلوبه حتى أصبح فى آخر قصة له وهى « القمـــر والمشاعل » ، فى منتهى الطواعية ، حتى انه كتبها خلال خريف سنة ١٩٤٩ ، بمعدل فصل فى اليوم تقريبا .

ولكن اذا كان بافيس قد جدد فى الأســلوب كما يرى (ميلانو) فانه بقى محافظا فى طريقـــة القصص : فهو من المؤمنين بالعقدة فى القصة ، والعناية بتصوير الشخصيات ، وعدم الاغراق فى وصف المرئيات ، وتجنب استعمال ما عرف باسم تيار الوعى والتحليل النفسى . انه مولع بأن يبنى قصصه بناء جميلا ، وقد بلغ هذا البناء ذروته فى قصة « القمر والمشاعل » .

■ ■ ■

وانتهت الحرب العالمية الثانيـــة بآلامهـــا ، ومآسيها ، وخرج بافيس منها وقد أصبح مشهورا فى كل ايطاليا ، فكان فى هذا نقيض سيلونى : فبافيس اشتهر أولا فى وطنه ، ثم عرف فى الخارج اما سيلونى فقد لمع اسمه أولا ، فى أوروبا وأمريكا ، خارج ايطاليا ، ثم عرف فى وطنه .

وفى مطلع سنة ١٩٤٧ نقرأ فى مذكراته ما يلى : « كنت فى سنة ١٩٣٨ فقيرا معدما ، أكدّ الليل والنهار من أجل العيش ، وما أن حلت سنة ١٩٤٦ حتى كنت قد أصبحت غنيا ، مشهورا ولكن المرارة التى استقرت فى قلبى ، لم تترك مكانا لحب أى شىء » .

وفى هذه الفترة نشر سلسلة من المقالات عن الأدب الايطالى المعاصر ، فأغضب الأدباء ، لانه اتهم الكثرة منهم بالتحلل الخلقى والارتزاق ، وركز هجومه على ألبرتو مورافيا وزوجته الزا مورانتى Morante .

واذا سرنا فى مذكراته حتى نصل الى يناير (كانون الثانى) ١٩٥٠ ، وجدنا انه يكثر من الشكوى من كل شىء تقريبا ، ويشير صراحة الى ان الايديولوجية التى آمن بها لم تعد قادرة على أن تهدهد من قلقه النفسى .

■ ■ ■

وقبيل وفاته بقليل ، وبعد أن ثبتت شهرته ككاتب مبدع ، سألته احدى الصحف عن احساسه وقد أصبح مشهورا ، فقال : « لقد كنت دومـا واثقا من هذا » . وكان فى اجابته ما يدل على انه لم يعد مفتونا بالشهرة ، والثراء . ويضيف فى مذكراته بأنه لم يعد يحب عمله ، لانه قد تمكن من السيطرة على سر الكتابة الابداعية ، وهو بطبيعته يتطلع دوما الى ما لا يملك ، فاذا حصل عليه ملّه وانصرف عنه ؟ وهكذا نجده فى آخريات أيامه يعزف عن الكتابة ، وتفقد الشهرة عنده سحرها ، والمال بريقه . حتى حياته غدت نظرة جافة ، لا معنى لاستمرارها ، لأن كل معنى عبر بخاطره ، وكل فكرة مرت بذهنه ، وكل خفقة نبض بها قلبه ، عبر عنها جميعا فى قصصه ، ابتداء من قصة «الرفيق» وانتهاء بقصة «القمر والمشاعل».

وهكذا انتهى به الحال الى أن يكره عصره ، لانه لم يعد فيه ما يستهويه .

■ ■ ■

وفى بداية صيف سنة ١٩٥٠ ذهب بافيس الى روما ليتسلم جائزة ستريجا Strega ، وهى أرفع جائزة أدبية فى ايطاليا . وكان بافيس يدعو هذه الجائزة ساخرا « المعبود الجديد » ، واستمر يدعوها بهذا الاسم حتى بعد أن تسلمها .

وقد كانت رحلة بافيس الى روما لتسلـم الجائزة احدى رحلاته القليلة الى العاصمة التى كرهها ، لأن فيها «تنعقد الصداقات بسرعة وتنحل بسرعة. وفيها تخضع كل المقاييس لسلطان المال». وبعد عودته الى تورين كتب فى مذكراته : « كل ما فى ايطاليا فاسد ، ما عدا أقصى الشمال(بدمونت) وأقصى الجنوب (صقلية) . وما عدا كاتبين هما فيتوريني Vittorini وبافيس » !!.

وفى هذا العام ، عام ١٩٥٠ ، نجده يكثر فى مذكراته من طرق موضوع الانتحار ، وهو موضوع شغل فكره منذ زمن بعيد . انه يقول وهو لم يعد الثامنة والعشرين : « انا اعرف انه مكتوب على أن افكر فى الانتحار كلما جابهتنى عقبة ، أو امتلات نفسى بالألم » . ويبدو أن جو الانتحار كان يملأ عليه حياته منذ الصغر : فاثنان من أصدقائه فى المدرسة الثانوية قد انتحرا لفشلهما فى الامتحان . وبقى هذا الشبح المخيف يفــزعه ، ويبعث الاضطراب فى نفسه . وآخر عبارة كتبها فى مذكراته ، كانت بتاريخ الثامن عشر من أغسطس (آب) ١٩٥٠ ، أى قبل انتحاره بأيام معــدودة ،

وعلى اثر فشل حبه للممثلة الامريكية التى اشرنا اليها . فى هذا اليوم كتب ما يلى :

« كلما فكرت فى الانتحار بدا لى انه امر هين .. فالنساء الضعيفات يملكن القدرة عليه ... لن اكتب شيئا بعد اليوم » .

وهكذا كان .

■ ■ ■

وفى السابع والعشرين من شهر اغسطس(آب)، اشد شهور الصيف حرارة .

وفى غرفة فى فندق مجهول لا يعرفه فيه احد ، يطل على محطة القطار الرئيسية .

وبينما كان اصدقاؤه خارج المدينة ، يقضون اجازاتهم فى المصائف اقدم سيزار بافيس على وضع حد لحياته،ايمانا منه بانه قد ادى رسالته، ولم يبق عنده من جديد يستطيع ان يقدمه .

وهكذا انتهت حياة حافلة بالابداع ، ولم يكن صاحبها قد تجاوز الثانية والاربعين من العمر .

وقد رثته الصحف والاذاعات ، واجمع النقاد على انه كاتب قل له نظير فى صدق التعبير ، والقدرة على نقل الأجواء ، ورسم الشخصيات .

وبعد وفاته صدرت له مذكراته التى اعتمدنا عليها هنا فى الحديث عنه ، وهى بعنوان « فن الحياة » ، وهى تتناول الفترة الواقعة بين عامى ١٩٣٥ و ١٩٥٠ .

وبعد هذه المذكرات صدر له ديوان شعر ، كله قصائد حب زاخرة بالعاطفة ، حافلة بالموسيقى وهو بعنوان « فى عينيك ارى الموت يحدق بى » . ■□

محمود السمره



شعراء من الشيعة

تأليف : عبد المجيد الحائرى/الناشر : مكتب منابع الثقافة الاسلامية/كربلاء/العراق

● كتاب يتناول بالدراسة والتحليل عددا من شعراء الشيعة مع دراسة مستفيضة لنتاجهم ، وترجمة لحياتهم وايراد نماذج مختارة من شعرهم الملهبى .

نحن والفاتيكان واسرائيل

تأليف : أنيس القاسم/الناشر : مركز الابحاث ومنظمة التحرير الفلسطينية/بيروت/لبنان

● دراسة تلقى الضوء على الحركة الصهيونية ومحاولتها استغلال الدين اليهودى لاغراضها الصهيونية العدوانية ، وما اسفر عنه المجمع المسكونى من تبرئة لليهود وما جاء فى وثيقة التبرئة من اطراء للشعب اليهودى .

مجلة المجمع العلمى العراقى المجلد الثالث عشر

● مجلة تضم العديد من المقالات والبحوث والدراسات المختلفة فى مختلف الانواع الفكرية باقلام الصفوة المختارة من المجمعين ، وتضم كذلك خلاصة لاعمال المجمع وانجازاته فى خلال سنة ١٩٦٦ .

نزع الملكية فى أحكام الشريعة ونصوص القانون

تأليف : احمد جمال الدين ــ الناشر : المكتبة العصرية صيدا ــ لبنان

● كتاب يلقى بعض الضوء على قانون نزع الملكية وطرائق نزعها . والكتاب ينقسم الى قسمين القسم الأول يقدم فيه المؤلف بحثا موجزا فى الملكية من أحكام الشريعة ومن تشريع دولة الكويت ، اما القسم الثانى فيتضمن بحث التصرف بالعقار لتحقيق المصلحة العامة فى نزع ملكيته او الاستيلاء على منافعه مؤقتا .

المحاكم الخاصة في الاردن

تأليف : فاروق الكيلاني ـ الناشر : مطابع دار العلم للملايين ـ بيروت

● كتاب يستعرض المحاكم الخاصة ويبين ظروف نشأتها وكيفية تشكيلها واختصاصاتها واجراءاتها واحكامها . ويبين المؤلف مدى تخلف التشريعات القانونية التي انشأت هذه المحاكم وما تحتويه من تناقض مع المبادىء العامة في فقه القانون والعدالة . وينادي المؤلف بضرورة تغيير هذه التشريعات واقامة بنيان قانوني يستلهم الاتجاهات الحديثة في التشريع .

اليوميات الفلسطينية

الناشر : مركز الابحاث ـ لمنظمة التحرير الفلسطينية / ببيروت

● تضم هذه اليوميات وصفا موجزا لما يحصل بشان القضية الفلسطينية او ما يقال عنها يوما بعد يوم ، وهي موجهة الى دارسي القضية الفلسطينية ، والباحثين فيها ، لتسهيل مهمتهم في الحصول على انباء التطورات المتعلقة بالقضية. فهي مقتطفات من نيف وستين صحيفة ومجلة ومن النشرات الصادرة عن عدد من وكالات الانباء .

الطيور العراقية

المؤلف:بشير اللوس/الناشر:مطبعة الرابطة/بغداد

● كتاب يقوم بدراسة علمية للطيور العراقية، وهذه الدراسة فرع من فروع علم الحيوان يعرف بعلم الطيور ، وهذا العلم يستمد اصوله من الملاحظات الدقيقة والدراسات المبنية على علوم التشريح والفسلجة والوراثة والتصنيف،ويحوي الكتاب دراسة مستفيضة عن تراكيب الطيور وعاداتها وغرائزها ، وقد دعم المؤلف كتابه بمجموعة كبيرة من اللوحات والصور للايضاح .

أصدر مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت هذه الكتب :

١ ـ الحياة السياسية في اسرائيل
تأليف رفيق حبيب مطلق

٢ ـ عرض موجز للقضية الفلسطينية
تأليف الحكم دروزة

٣ ـ الكيبوتز او المزارع الجماعية في اسرائيل
تأليف عبد الوهاب كيالي

٤ ـ المساعدات الامريكية والالمانيةالغربية لاسرائيل
تأليف أسعد عبد الرحمن

٥ ـ الماباي ، الحزب الحاكم في اسرائيل
تأليف ابراهيم العابد

٦ ـ الجذور الارهابية لحزب حيروت الاسرائيلي
تأليف بسام ابو غزالة

٧ ـ المطامع الصهيونية التوسعية
تأليف عبد الوهاب كيالي

٨ ـ فلسطين والقومية العربية
تأليف أنيس صايغ

الدكتور على مصطفى مشرفة

● اسم كتاب في تاريخ حياة الفقيد الذى توفي في عام ١٩٥٠ . وكان استاذ الرياضة بجامعة فؤاد ، واحد اساتذة هذا العلم الرواد في الشرق. كتبه الدكتور عطية مصطفى مشرفة ، كتبه في شيء كثير من الاخلاص والوفاء لاخيه . وهو في المقدمة يقول : « هذا الكتاب عن شقيقي ، اقدمه للقارىء الكريم ، عن رائد اسرة ، ورائد علم ، بث فيها المثل العليا ، وارسي لوطنه قواعد ثابتة في العلم ، وخاصة في النظرية النسبية ، ونظرية الكم ، والنظرية الالكترونية ، والنظرية الكهربومغناطيسية للضوء » .

عثمان الموصلي

الموسيقار الشاعر المتصوف / تأليف : الدكتور عادل البكرى / الناشر مطبعة العاني / بغداد

● ترجمة عن حياة عثمان الموصلي ، واثره في الموسيقى العربية والموشحات منها بخاصة ، الى جانب البحث عن نتاجه الادبي وتأثره بالادب التركي . وقد اعتمد المؤلف في كتابه على مصادر كثيرة منها الكتب التي تناولت الغناء العربي بالشرح والتفصيل ، والذين عاصروا عثمان الموصلي .

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

موسوعة الفقه الاسلامي

● سمعنا أن الكويت تقوم بعمل موسوعة في الفقه الاسلامي ، تضم أشتات هذا الفقه وألوانه، وتكون مرجعا للمسلمين عامة . فأرجو التكرم باعلامنا بشيء عن هذه الموسوعة . ومع اختلاف المذاهب في الاسلام ، هل تضم الموسوعة أقوال الفقهاء في كل مذهب ؟ ومتى نرى هذه الموسوعة مطبوعة منشورة ؟

ن . ب

ــ ان غاية الموسوعة صياغة الفقه الاسلامي كما هو في مراجعه الاصلية بأسلوب سهل ، وتبسيط العبارات المعقدة التى تصادَف فيه ، دون أن يدخل الكتّاب شيئا من اجتهاداتهم الشخصية ، مع الاشارة الى اختلاف المذاهب والاجتهادات في كل موطن يكون فيه ذلك هاما ومفيدا ، ثم ترتيب هذه الاحكام الفقهية الشرعية في الموسوعة ترتيبا ابجديا على حروف المعجم بحسب الحرف الاول وما يليه من الكلمة العنوانية الدالة على الموضوع الفقهي .

وهذه الموسوعة يقدر لها لتكون وافية كافية أن تبلغ ثلاثين مجلدا فاكثر ولا سيما انها ستشتمل على جميع اقسام الفقه من عبادات ومعاملات وجنايات وعقوبات وقضاء وبينات وسياسة شرعية وأحكام الاسرة المعروفة اليوم باسم « الاحوال الشخصية » من النكاح الى الميراث وما بينهما .

وقد رأت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت أن تتبنى هذا المشروع ، وتجند له الكفاءات ، وهى تأمل بفضل معونة فقهاء العالم الاسلامى الذين سيطلب اليهم ان يكتبوا فيما سيوزع عليهم من بحوث الموسوعة ، وبفضل ادراكهم لهذا الواجب الاسلامى العام ، أن تبرز هذه الموسوعة كاملة في أقصر زمن ممكن بالنسبة الى طبيعة هذا المشروع العظيم .

وقد استعارت حكومة الكويت الاستاذ مصطفى أحمد الزرقاء ، استاذ القانون المدني والشريعة الاسلامية بجامعة دمشق خبيرا للموسوعة لدى وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت .

وعمل كهذا لا يرجى تمامه الا بعد بضع سنين خمس أو عشر .

(انظر مقالا نشرناه عن الموسوعة في شهر مايو سنة ١٩٦٦) العدد ٩٠ .

سورة بدون بسملة !

● جميع آيات القرآن الكريم تبدأ بالبسملة الكريمة ما عدا سورة « التوبة » في الجزء العاشر فما هو السبب لعدم وجودها في هذه السورة ؟. مع العلم بأننا تصفحنا أكثر من مصحفين نفيا لحدوث خطأ مطبعي أو ما شابه ، والنتيجة كانت واحدة بعدم وجود البسملة الكريمة .

الملازم أسعد سامي ابراهيم ــ بغداد

ــ كل سور القرآن تبدأ بالبسملة ما عدا سورة التوبة .

وقالوا في ذلك ان بسم الله الرحمن الرحيم فيها أمان ورحمة . وسورة التوبة نزلت بالسيف والقتال . ولهذا لم تبدأ بالبسملة . كما قالوا وجها آخر في عدم كتابة البسملة هو ان الصحابة اختلفوا في كونها هي وسورة « الانفال » أصلهما سورة واحدة أو ان كلا منهما سورة . ففصلوا بينهما رعاية لمن يقول هما سورتان ، ولم يكتبوا البسملة ، رعاية لمن يقول هما سورة واحدة .

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

ارجعى لعقلك يا آنسة .. وتخلى عن حماقتك

● أنا فتاة فى الخامسة والعشرين من عمرى ، لم أتم تعليمى ، متوسطة الجمال ، وهو طبيب عمره حوالى الخمسين ، هو دكتورى الخاص ، وصديق الأسرة . وأحببته لدرجة العبادة ، أحببته على الرغم منى ، مع انه متزوج بامرأة أجنبية ، وله منها ولدان ، بنت وصبى . ولكنه غير سعيد فى حياته الزوجية . والجميع يعرف ذلك .

اريده أن يسعد مع زوجته ، فأنا لا أطلب منه الزواج ، ولا أتمنى أن يطلق زوجته ، أريد أن يدوم التفاهم بينه وبينها ، ولا أريد منه سوى حبه ، أجل أريد حبه فقط ، كيف أعبر له من حبى ، وأنا فتاة خجول ؟ مع العلم أننى تقريباً فى الأسبوع أتصل به هاتفياً فى العيادة ، لأسمع صوته دون أن أتكلم ، ثم أقفل الخط ، لا أستطيع أن أكلمه ، انه يعرف صوتى فى الهاتف ..

ص ... بيروت

ـ ما هو اذن الحب الذى تريدينه منه يا آنسة ، ما دمت لا تطلبين منه الزواج . ولا تتمنين أن يطلق زوجته ؟

اهو الحب الاخوى ؟ أو حب علاقة بين رجل وامرأة يبث كل منهما وجده للآخر ؟

ان كان الحب الاخوى ، فيكفى أنك تحبينه ، ولا داعى لأن تحاولى أكثر من ذلك ، وافترضى انه يحبك ، وهو لا شك يحبك كما يحب اى فتاة طاهرة من أسرة صديقة ، أو من اى اسرة اخرى . اما الحب الاخر ، فهو الجناية الكبرى التى تريدين ارتكابها . وثقى انك لن تصلى الى سعادة، وبينكما مجنى عليهم هم طفلاه وزوجته ، فهو الذى اختارها وعاشت معه الى ان انجبا طفليهما.

ثم لنفرض انه انفصل عن زوجته ان كان دينه يبيح له ذلك لضرورة ما ، فاعلمى انه لن يتجه اليك ، وهو الذى بلغ الخمسين ، وانت فى الخامسة والعشرين ، ولست بارعة الجمال كما تعترفين ، والا كانت مصيبته فيك اكبر ، وانت التى تعشقين المتزوجين ذوى الأطفال ، وبينكما من العمر مسافة ملأى بالمفاجآت .. ولو كان فيك ما ينسيه واجبه طبيبا وابا وزوجا ، وخلقه صديقا لأسرتك ، لانحدر اليك وانتهز ضعفك المشين .

ارجعى الى عقلك يا آنسة ، وتخلى عن حماقتك .. ودعى الرجل فى عمله ان كنت تحبينه حبا اخويا . ولا تشغليه بعبثك ، وفكرى في انك الآن بلغت الخامسة والعشرين ، وهى قمة الطلب لأمثالك ، ان كان هناك من يطلبك ، ولا نريد ان نسأل عن السر فى انك لماذا ظللت الى الآن ، ولا تعليم تكملينه ، ولا عمل تشغلينه ، ليكونا مبررين لقعودك هكذا فارغة ، باحثة عن حب المتزوجين ذوى المشاغل والأطفال ، متعلقة بالخيال والأوهام.

ع . ف

علم الكويت

● ما هى الأشياء التى ترمز اليها الألوان الاربعة التى تظهر فى علم دولة الكويت الشقيقة ؟

الامين عبد الرحمن
مجلس ريفى رفاعة الشرق ـ الدندر/السودان

ـ هناك بيت شعر للشاعر العربى ابن زيدون قال فيه :

« بيض صنائعنا سود وقائعنا
خضر مرابعنا حمر مواضينا »

وقد كان هذا البيت هو الذى اوحى بالالوان الاربعة التى تظهر فى علم الكويت وفى اعلام معظم الدول العربية .

شعراء المهجر هل هاجروا الى امريكا فقط ؟

● قرات في العدد ٩٧ من مجلتكم .. ان شعراء المهجر امثال ، جبران وأبي ماضي ، والخوري ، وغيرهم .. هجروا بلادهم وأجبروا على ذلك ، كما يقول الشاعر القروي رشيد سليم الخوري :

ولو خيرت لم أهجر بلادي   ولكن ليس في العيش اختيار

من أجبرهم على هجر بلادهم ؟.. ولماذا ؟.. وهل هاجروا الى الامريكتين فقط ؟ وهل عادوا الى بلادهم التي هجروها ؟.. أرجو الجواب على ما سألته ولكم جزيل الشكر وفائق التقدير..

عبد الله صابر   كفري ـ العراق

ـ ان الاحوال التي مرت بها البلاد السورية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، جعلت بعض الناس يضيقون بالعيش في بلادهم أو يضيق بهم العيش فيها ، ففكروا في تركها الى عالم جديد ، فيه رخاء وفيه حرية وانطلاق ، فاختاروا العالم الجديد في امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية ، وظهر فيهم هناك عدد من الشعراء والأدباء . ولا ننسى أن البعثات التبشيرية الى سوريا ولبنان كان لها الاثر في الترغيب بالهجرة ، كما أن دعايات السياح افادت هي الاخرى .. يدل على بعض هذا قول الشاعر القروي الذي استشهدت به في خطابك .

اما عن سؤالك : هل هاجروا الى أمريكا فقط ؟ فنقول : ظهر شعراء المهجر بالذات في أمريكا الشمالية وفي امريكا الجنوبية ، ولكن هذا لا يمنع أن هنالك بعض الشعراء أو الأدباء من بين المهاجرين الى بلدان اخرى مثل استراليا او جنوب افريقيا ، ولكن لم يُعرَفوا ولم يُدرس أدبهم .

واخيرا تسأل هل عادوا الى أوطانهم ؟ فنقول : بعضهم ساعدته الظروف وتمكن من العودة الى وطنه ، اما للزيارة ثم الرجوع الى العالم الجديد، واما للاقامة الدائمة وبعضهم لم تساعده الظروف فعاش ومات في المهجر ، او ما زال هناك لايستطيع العودة الى الوطن الأم .

الصلاة على السيدة فاطمة

● قرات في كتاب شهيرات النساء في العالم الاسلامي للأديبة « قدرية حسين » ، ان أبا بكر الصديق صلى على جثمان « فاطمة الزهراء » ، وان الكثير من المؤرخين العرب لم يستطيعوا التفوه بما تفوهت به الاديبة قدرية ، مثل ابن حجر الهيثمي صاحب كتاب « الصواعق المحرقة » ، كما ان الدكتورة بنت الشاطىء لم تورد هذه العبارة في كتابها « بنات النبي » ..

فهل لكم أو للأخت قدرية أن تبينوا لنا المصدر الذي أوردت منه هذه الجملة ؟ وفي الواقع من حاول جمع الناس أو اقناعهم بغير الحقيقة كأنما يقول لهم تفرقوا ..

احمد مكي/السعودية

ـ لم تأت قدرية حسين في كتابها بأمر غير مقبول.

ففي ترجمة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها في كتاب « البداية والنهاية » الجزء السادس ص ٣٣٣ : « وكان الذى صلى عليها زوجها علي ، وقيل : عمها العباس، وقيل : أبو بكر الصديق».

وفي طبقات ابن سعد روايتان بان أبا بكر صلى عليها ، كما روى أيضا أن العباس صلى عليها ، وروى أن عليا صلى عليها . وفي الاستيعاب لم يذكر الا العباس وعليا . وفي الاصابة ذكر الثلاثة لكنه قال :

« وروى الواقدى عن طريق الشعبى قال : صلى أبو بكر على فاطمة . وقال : وهذا فيه ضعف وانقطاع . وقد روى بعض المتروكين عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه نحوه ، ووهناه الدارقطنى وابن عدى » .

فالصلاة على السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص عليها كل ذى فضل، والذين ذكر انهم صلوا عليها أصحاب فضل .

الصهيونية وتحديد النسل وكتاب مع الله فى السماء

● يقال أن دعوة تحديد النسل في العالم العربى انما هى دسيسة من الصهاينة حتى لا يتكاثر عليهم العرب من حواليهم ، فهل هذا صحيح ؟

السؤال الثاني : هل صاحب كتاب « مع الله في السماء » الذى هو الدكتور أحمد زكى هو نفسه الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير مجلة « العربى » القراء ، أرجو جلاء هذا الغموض ، وتقديم بعض ترجمته وشكرا .

سلام عبد الجليل/فاس/المغرب

ـ اما عن سؤال تحديد النسل فلا شان له بالصهاينة ، وكيف واليه تدعو الدولة العربية الكبرى التى لا يصدر عنها الا كل معنى عربي وثيق . ان تحديد النسل مسالة عالمية ، لا تخص دولة دون دولة . اما فيما يخص العرب ، فكل دولة عربية لا يطلب منها تحديد النسل ، انما ازدياده لا سيما في الشرق الادنى ، وتكاثره حول الوطن السليب ، ولكن بالقدر الذى يتفق والانتاج من زراعة وصناعة . والا كان النسل كثير العدد ضعيفا ، الرجلان والثلاثة الرجال منه برجل واحد . والمسالة ليست مسالة اعداد ، وانما هي مسالة كفاية ، وقدرة أجسام ، وقدرة عقول . وكم رجل بعشرة رجال . فليتناسل العرب ، وليتكاثروا ، ولكن في اطار من شبع ، لا اطار من جوع .

اما عن صاحب كتاب « مع الله في السماء » ، فهو هو رئيس تحرير مجلة «العربى». أما الترجمة لحياته ، فقد تحين لها المناسبة ان شاء الله .

لماذا سمى الشرق الاوسط ؟

● كثيرا ما يطلق على الوطن العربى ، اسم الشرق الأوسط أو الشرق الادنى ، فما هو سر هذه التسمية ؟ وهل هى صحيحة ؟

احمد على دبور

مدرسة عنبتا الثانوية ـ الاردن

ـ ان تسمية الوطن العربي بالشرق الاوسط او الشرق الادنى تسمية غير صحيحة لأن الشرق الاوسط اسم يطلق على تلك المنطقة في آسيا التى تضم العراق والسعودية وافغانستان وايران وباكستان والهند .

أما الشرق الادنى فهو اسم يطلق على المنطقة التى تضم تركيا وسوريا ولبنان وفلسطين والاردن ومصر والعراق واصقاع جزيرة العرب الشمالية . ومن هذا نرى تسمية الوطن العربى كله باحد هذين الاسمين بلا تحديد لا تطابق الواقع .

على أنه ليس هناك حدود واضحة يلتزمها كل الناس للتفرقة الدقيقة بين الشرق الاوسط والادنى .

ومقاييس الرد على أسئلة القراء

● ما هي المقاييس التى تتخذونها في الرد على بعض اسئلة القراء دون الرد على أسئلة بعضهم الآخر؟ هل هي يا ترى أهمية وصلاحية السؤال.. او أسبقية الزمن أو أهمية وشهرة البلد الذى ينتمي اليه السائل .. أو ماذا ؟

محمد بدر مخاشن/جدة

ـ ان ما يرد الى « العربى » من الاسئلة يوميا لا يحصى ، وكل سائل يريد أن يجاب الى طلبه . ولو صح هذا لكان فى العدد الواحد من « العربى » الاف الصفحات اسئلة واجوبة .

وينظر « العربى » الى قيمة السؤال واهميته ، ومدى عمومه أو خصوصه . ثم الى اسبقيته ، على ان هناك اسئلة قد تتاخر الاجابة عنها لاستيفاء بحثها ، وقد تترك الاجابة لأن « العربى » تعرض لها في احدى المقالات ، أو فيها أمور حساسة دينية أو مذهبية او سياسية ، و « العربى » يحب ان يكون للجميع .

لماذا علقت المعلقات !؟

● كثيرا ما قرأنا عن المعلقات السبع ، فلماذاعلقت هذه المعلقات ، وأين ؟ وما معنى المعلقات ؟

السيد علي حسين علي/عدن

– معنى المعلقة كما يقول البغدادي في الخزانة (الجزء الاول – صفحة ٦١) ان العرب كانت في الجاهلية ، يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الارض فلا يعبأ به ، ولا ينشده أحد ، حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرض على اندية قريش . فاذا استحسنوه روي وكان فخرا لقائله . وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر اليه . وان لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به . وقيل بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة ، يقول علقوا لنا هذه ، لتكون في خزانته . وهذا القول ينفي انها كانت تعلق في الكعبة . على ان هذه المعلقات سميت ايضا السبع الطوال ، وسميت السموط وسميت المذهبات . كما سميت سبع قصائد غيرها المذهبات في جمهرة اشعار العرب . وحتى اصحاب المعلقات مختلف في احصائهم .. امرؤ القيس . طرفة ، زهير ، لبيد ، عمرو بن كلثوم . وهؤلاء متفق عليهم . وعنترة ، والحارث ابن حلزة . او النابغة الذبياني والأعشى ميمون ، ثم عبيد بن الأبرص . ولهذا تجد كتبا اسمها المعلقات السبع ، وكتبا اسمها المعلقات العشر ، ومما يذكر ان حمادا الراوية هو الذي جمعها او ان بعض بني امية امر من اختار له سبعة اشعار فسماها المعلقات .

جرجي زيدان

● هل صحيح ان الاديب الكبير جرجي زيدان متعصب وطائفي ، وان مجلداته التي يروي فيها قصة هذا الشعب تحوي كثيرا من الذم والقدح بالمسلمين والعرب .

عبد الله بدوي العتيبي

جامعة بيروت العربية – كلية التجارة

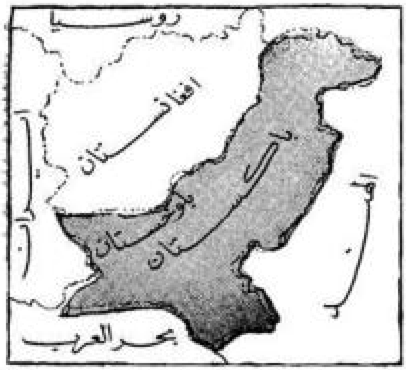
– الاستاذ جرجي زيدان يعد عند أهل الغرب في حكم العلماء المستشرقين ، وهو في حكم أهل الشرق مجاهد في العربية كبير . ومن مؤلفاته الشهيرة « تاريخ التمدن الاسلامي » و « تاريخ اداب اللغة العربية » « و تراجم مشاهير الشرق » و « مختارات جرجي زيدان » وغير ذلك من الكتب التاريخية والادبية . الى جانب سلسلة « روايات تاريخ الاسلام » تلك التي تأثرنا بها صغارا ، والتي اشرنا اليها في هذا الباب من العدد ٩٦ .

فان أخذ بعد ذلك آخذ عليه خطأ في سرد واقعة فما ذاك عن نية غير صافية . وكلنا يخطيء ، وكفاه تلك الجهود الجبارة التي أنفقها على الفقر وعلى الضنك ، اذ كان يمارس الكتابة ويمارس الطباعة معا . وكفاه فخرا ان لا تزال دار الهلال ركنا ركينا في الصحافة العربية ، تعترف الجمهورية العربية الى اليوم بانه مؤسسها .

يسأل عن مدريد

● نسمع عن قرطبة ، وعن غرناطة ، وسواهما من المدن الاندلسية الشيء الكثير . ولا نسمع في التاريخ العربي عن مدريد ، عاصمة الاسبان . فأين كانت عاصمة الاسبان في ذلك الزمان ؟

– لم تكن مدريد في ذلك الزمان شيئا . قيل انها في ذلك العهد كانت حصنا عربيا عندما كانت قشتالة Castilla فارقا ما بين الشمال ونصرانيته ، والجنوب واسلاميته . لم يكن لها عندئذ من الشئون غير الشأن الحربي . كانت للدفاع والهجوم . لم يمر بها طريق كبير ، ولم يجر من حولها نهر عظيم . ولم يكن بها منجم يعطي الثراء ، ولا ولي يزار ، ولا لها تاريخ يذكر . وتنبه لها فيليب الثاني ، عام ١٥٦١ ، فخطر له ان يجعل منها العاصمة ، عاصمة اسبانيا ، تماما كما شاءت البرازيل ، ان تختار برازيليا ، وليس لها اسم مذكور مشهور ، فتجعلها عاصمة البلاد مكان ريودي جانيرو . ولنفس السبب : توسط موقعها من البلاد .



ماذا تعرف عن بلوخستان ؟

● أين تقع بلوخستان وكم يبلغ عدد سكانها ، وهل يعتنقون الاسلام ؟ وهل هى مستعمرة ، وان كانت كذلك فما هى الدولة المستعمرة لها ؟!

يوسف ناصر عبد الله
الاحمدى ــ الكويت

العربى : **بلوخستان اقليم من اقاليم باكستان. انه يقع فى باكستان الغربية وجنوب افغانستان على وجه التحديد (انظر الخريطة) . اما مساحته فتبلغ ٦٣٨ر١٣٤ ميل مربع ، اكثرها صحراء تتخللها بعض الجبال الجرداء . غير ان الاقليم لا يخلو من زراعة . ومحاصيله الرئيسية هى الحبوب والبطاطا والفواكه والتمور . ومع ان عدد سكان بلوخستان فى الوقت الحاضر لا يعرف على وجه التحديد الا انه قارب المليون نسمة سنة ١٩٤١ وذلك بموجب الاحصاء الاخير الذى اجرى فى ذلك الحين .**

وتجدر الاشارة الى ان بلوخستان هذه قد انضمت الى باكستان سنة ١٩٤٧ . اما قبل ذلك فقد كان قوامها ثلاث ولايات مختلفة . منها الولاية الاسلامية التى كانت تحت الحماية البريطانية . ومن تلك الولايات ايضا ما كان يسمى بالدول البلوخستانية وهى : كلات ، ولس بلا ، وخران، ومكراب . هذا وسكان بلوخستان كلهم او اكثرهم مسلمون.

ردود خاصة

ولت دزنى ؟

● ذكرتم فى عدد ٩٩ أن ولت دزنى كان من أسرة ايرلندية ، ولكن قرأت في بعض صحف لبنان انه من أصل لبنانى ، فأيهما الصحيح ؟

س.م

العربى : **الصحيح أن والد ولت دزنى ارلندى كندى ، وأما أمه فألمانية أمريكية .**

طاعة الوالدين واجبة

الى الحذبة ــ الكويت :

● طاعة الوالدين واجبة . ولن نطلب منك اصلاح والديك ، فهما كما تقولين فى خطابك يدركان حقيقة تصرفاتهما نحوك . ولكننا نطلب اليك أن تصارحى زميلاتك بموقفك، وسوف يقدرن ظروفك ولن ينقطعن عن زيارتك . ولا تنسى انك تعيشين فى مجتمع محافظ ، واعلمى تماما أن والديك يريدان لك الخير كل الخير .

لا تتعذبى يا صغيرتي

الى حائرة معذبة ــ الرياض ــ المملكة العربية السعودية :

● ان هذا الشعور شىء طبيعى يمر بكل فتاة فى سن المراهقة . وهذا الشعور بالحب الذى تتحدثين عنه سوف تنسينه تماما عندما تتزوجين ويصبح لك رجل وبيت وأطفال . ويومها سوف تسخرين من نفسك ومن حبك القديم فلا تتعذبى يا صغيرتى .

مستقبلك أولا

الى نادر ــ خ ــ الاردن :

● لقد خلقت لنفسك مشكلة قد تقضى على مستقبلك من أساسه . لماذا تفكر فى الزواج الآن ؟ انك لم تنته بعد من دراستك الجامعية ، والمستقبل أمامك ما زال طويلا . فلماذا لا تتريث حتى تشق طريقك فى الحياة العملية . ■■

العربُ .. وفكرة الإلتزام

بقلم : عبد المجيد لطفى

■ عالج الدكتور عز الدين اسماعيل فى العدد ٩٥ فى هذه المجلة « فكرة الالتزام فى الفن والأدب » ، فأعطى البحث كثيراً من العمق والتاريخ .. ومع ذلك فقد وجدت ثمّة ما يمكن التعليق عليه ، سيما في ناحية مهمة ، وهى علاقة هذه القضية الفكرية بقضية أو بمبدأ الالتزام عند العرب .

فكرة الالتزام عند العرب قديمة

ففكرة الالتزام عند العرب قديمة ترقى الى عهد البداوة والصحراء ، وتتضح بوضوح فى جميع سمات ومظاهر الأدب الجاهلى . ذلك أن العرب كانت تؤمن بقيم ومعايير اخلاقية ، متعددة الجوانب ، تستقطب شوامخها عند سجية بارزة عزيزة عليهم وهى الفروسية وما تجر وتردف من مكارم . فكان لزاما على الشاعر العربى ان يلتزم ذلك فى شعره ولا يهمل تلك الروح فى ما ينشد ويقول . فنحن بذلك نرى فيضا زاخرا من الشعر الملتزم لدى اكثرية الشعراء المبرّزين من عرب الجاهلية .

الحكمة من ابرز ما التزم به العرب

وبمرور الزمن تعدى الفكر العربى تلك المرحلة ، وتبعا لذلك وجب على الشاعر العربى أن يلتزم بقيم فكرية أخرى ، فكانت الحكمة من ابرز وأفضل ما يستهوى العربى لعلاقة ذلك بحياته ومعاملاته مع الناس فى المجتمع . فكان الشاعر لا يعد شاعرا ما لم يستهل قصيدته بحكمة قديمة او جديدة او ينتهى بها . حتى قصائد الغزل والمديح كانت تعجّ بالتزام واضح للحكمة ،عقيدة العرب فى غمرة قلقهم ومنازعاتهم ــ وما كان أحوجهم الى ذلك لتلطيف حدة مزاجهم فى تلك العهود .

شعراء التزموا ، فسموا بشعراء آل البيت

واذ جاء الاسلام بعقيدته الدينية ، صارت القيم الجديدة ملزمة للشعراء والعلماء أشد الزاما .

ولقد امتد هذا الجذر مع التطور الفكرى للعرب فى مجتمعهم الاسلامى حتى اينع واظهر غصونا وارفة منبثة فى مجرى الأحداث الكبيرة التى تصدت للتاريخ الاسلامى ، ولقد صار الالتزام اكثر وضوحا فى سماته بعد حادثة **الطف**(١) الموجعة واستشهاد الحسين ابن علي عليهما السلام . فصار الشعراء أكثر التزاما بهذه المأساة من اى وقت آخر ونادرا ما تجد ان فكرة او عقيدة وجدت اعوانا من الشعراء والمفكرين كما هى الحال فى هذه المأساة حتى سمى

---

(١) الطف : ارض من ضاحية الكوفة فيهاكان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه .

هذا العدد العديد من الشعراء بشعراء آل البيت ، وكان هدفهم الالتزام بكل ما جرئت اليه تلك المأساة الاليمة .

ادباء التزام

ولما ترعرع الفكر الغربي في ظل الحضارة الجديدة ، التي اقتبس بعضها واضفى عليها الكثير من الجديد من مبتكراته ونتاجه ، انتهى الى حد ما دور الالتزام الذي كان اكثر وضوحا في الشعر العربي، وصار الدور هذه المرة للفكر والمنطق وحجة البلاغة واللسان . فالمعتزلة ، ونتاج ما انتهى اليه اخوان الصفاء في رسائلهم وكتبهم ، والدعوات القرمطية القائمة على نوع عنيد متصلب من العقيدة الدينية السياسية ، جعل ادباء ومفكري فئة كبيرة من العرب ، ادباء التزام . يبشرون بحرارة بما يؤمنون به في اكثر ما يقولون ويؤلفون .

وادباء وشعراء نادوا بالعدل الاجتماعي التزاما

والى جانب الملتزمين في الفكر ذي الطابع الديني الاسلامي ظهرت طائفة جديدة متحدية به اعمق دعوة واكثر تمردا . واولئك هم الذين اخذوا يجابهون ظلم الدولة واستبدادها واهمالها لشؤون الرعية . اي انه في تلك المرحلة ظهر شعراء وادباء التزموا خطا اجتماعيا ونادوا بما نادى به العالم متاخرا وهو ــ العدل الاجتماعي ــ للناس كافة لأن ذلك كان في صميم الرسالة الاسلامية التي حمل تراثها ، بثقة واصرار ، الفكر العربي المتطور في جميع عهوده .

ولقد سقط من جراء هذا الالتزام عدد غير قليل من اكابر الشعراء والادباء ورجال الفكر والفلسفة مخلدين وراءهم آثارا لا تبلى :

ومن هنا وبدون غلواء او تعصب للعرب ــ فانا رجل كردي ــ يلزمني الحق ان اقول الحق . استطيع ان اقول ان العرب يؤرخون في هذا الميدان اول مطالع الالتزام ويسبقون العالم به قبل ان تعرف مصطلحات النقد الحديث .

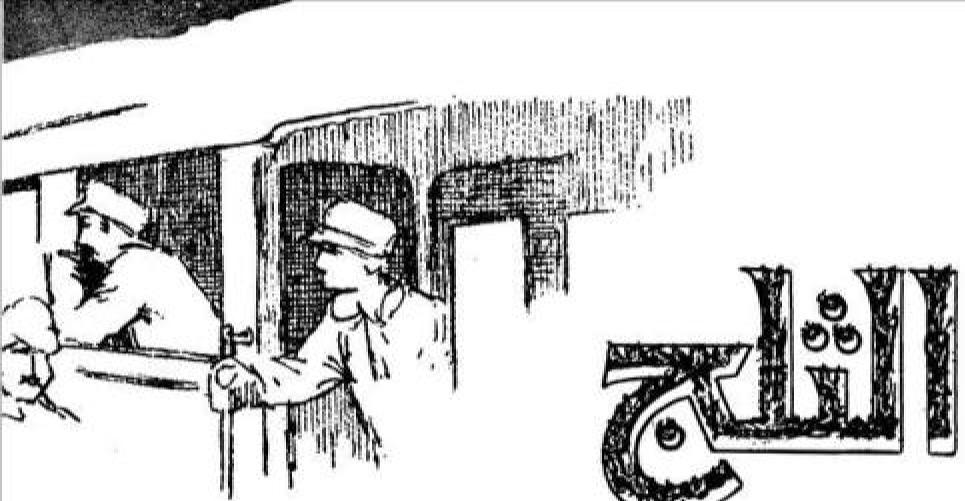
اما ان يكون الالتزام اليوم ، دعوة الحضارة الراهنة ، فناجم كما ارى من تبلور قوة الشعوب التي الزمت المفكرين بالتزام قواعد العدل التي تقرر حقوقها وآمالها وتسهل معطيات العلم والرفاهية امامها لتعيش مستوى انسانيا يليق بالانسان .

وعندي ان الكاتب لايستطيع ان يكتب ملتزما ما لم يكن هو ملتزما مؤمنا بعقيدة يرى فيها الصلاح والخير لمجتمعه وللبشرية . فاذا نمت فيه تلك الروح صار ملتزما بشكل عفوي فلا يجد خلاصا لقلمه وفكره من ذلك ولو اراد ذلك !

الالتزام لا يميت الموهبة

ومع انني لست مع الالتزام بشكل عام فانا لا ارى في الالتزام عيبا او خيبة للفكر ، فالفكر الحي المتوثب هو مبدع ابدا في كل الاجواء . ان الرسام الماهر يستطيع بقطعة من الفحم ان يخلد اجمل اللوحات،ذلك لأن نواحي الابداع مترامية نابعة من الذات العبقرية ، ومتفتحة كليا امامها،مع وجود الالتزام حتى في اضيق واقسى الحدود .. فانت تستطيع ان تزرع في حقل من ثلاثة افدنة جميع انواع الخضار والفاكهة والحبوب ، المرة بعد الاخرى ، وبمنتجات مثالية تتفق وما بذلت . فالقول بأن الالتزام يميت الموهبة او يحددها غير وارد منطقيا بالنسبة للعبقرية المبدعة،لأن الموهبة قوة ،والقوة حركة ، ولا بد للحركة من ابداع في جميع الاحوال . والادب بحث في مشكلات الانسان المعاصر .. كل اديب مع مشكلات عصره ومعاصريه . وهذه وظيفة مطلوبة من كل اديب ، في اي عقيدة دينية او سياسية ، تلزم الاديب والمفكر بخط سير معين ، لأن المعتقدات والافكار انما توضع لعلاج الانسانية وانقاذها مما ترسف فيه من اغلال وقيود . ■■

عبد المجيد لطفي



الثلج

للكاتب القصصى : قنسطنين باوستوفسكى

Constantin Paoustouski

■ قضى الرجل العجوز « بوتابوف » نحبه فجأة بعد نحو شهر من وصول المراة التى استاجرت بيته وحلت فيه معه . وهكذا بقيت المراة الشابة وحدها فى البيت ، وليس معها غير ابنتها الصغيرة « فاريا » ، والخادمة الطاعنة فى السن .

كان البيت الصغير المتواضع المؤلف من ثلاث حجرات يجثم فوق قمة رابية عند نهاية البلدة . وفى أسفل الرابية يجرى النهر بمياهه الباردة الخضراء . وخلف هذا البيت كان شجر البستان يتعرى من أوراقه على مهل . وعلى مَبْعدة منه تمتد غابة من أشجار القضبان البيضاء حيث ترى، صباح مساء ، قطع كالسحاب من الغربان تحوم فوق القمم الجرداء ، وتملأ الفضاء بنعيبها الحاد الكريه ، نعيب هو نذير سوء وشؤم ..

وكان يبدو مستحيلا ــ بعد صخب موسكو وضوضائها ــ أن تعتاد « تاتيانا » مثل هذه البلدة وبيوتها العتيقة البالية بأبوابها الصغيرة ذات الصرير ، وعلى الأخص فى الممرات الطويلة التى لا نهاية لها ، حتى لا يكاد المرء يسمع شيئا غير حسيس ذبالة تحترق فى مصباح البترول .

وقالت فى نفسها : « شد ما كنت حمقاء ! لماذا تراثى غادرت موسكو ، والمسرح والأصدقاء ؟ كان ينبغى أن أبعث بالصغيرة الى عمتها فى مدينة « بوشكينو » فتكون ثمة فى أمان ، وكان فى وسعى أنا أن اظل فى موسكو .. رباه .. ما أشد الحماقة التى ارتكبتها ! .. » .

غير أن العودة الى موسكو منذ اليوم غدت مستحيلة .. واذعنت تاتيانا للامر الواقع ، وقررت أن تفنى للجرحى فى مستشفيات البلدة .. وانها لمشغلة ستنقذها من الملل ..

وعندما أقبل فصل الشتاء ، واختفت الشوارع والطرقات تحت طبقة متساوية من الثلج ، وجدت البلدة الصغيرة حظوة فى عينى المراة الشابة . وتتابعت الأيام من ثمَّ ، هادئة ، ساكنة ، مربدّة، وكئيبة بعض كآبة .. وكان النهر لما يجمّده الشتاء بعد ، فكانت مياهه الخضراء السريعة تعبق بأبخرة ضاربة الى البياض .

انتهى الامر بالمطربة أن اعتادت البلدة ، والبيت الصغير الذى أصبح بيتها هى ، وفيه معزَف غير متوافق الأصوات والانغام ، وعلى جدرانه صور عدة لطرادات حربية من طراز قديم .. وكلها اشياء غدت تؤلف جزءا من عالمها .. ففيما مضى كان الرجل العجوز « بوتابوف » يعمل فى آليات هذه السفن الحربية،وكان وما يزال ، على منضدة عمله المغطاة بقطعة من النسيج الأخضر الرث ، نموذج مصغر للطراد « غروموبوبى » الذى أدى خدمته العسكرية فيه . وكان محظورا على الصغيرة « فاريا » أن تمد يدها الى هذه التحفة او الى أى شىء آخر فى البيت .

كانت تاتيانا لا تجهل أن لبوتابوف العجوز ولدا بحارا مجندا فى أسطول البحر الاسود ،وكانت



صورته الموضوعة قرب نموذج الطراد تزين المنضدة هي الأخرى . وكانت المرأة الشابة كثيرا ما تحدق فيها النظر وقد تجهم وجهها قليلا واقترن حاجباها الدقيقان من العبوس . وكان يبدو لها أنها قد رأت هذا المحيا في صباها ، قبل زواجها التعس بمدة طويلة . ولكن أين ومتى ؟ وكان البحار ، هو الآخر ، يتطلع اليها بعينيه الوادعتين الباسمتين .. وكأنه يقول : « أما زلت لا تذكرين لقاءنا ؟ » وكانت تاتيانا تجيب .

ـ كلا .. لا أذكر ..

وتصرخ فاريا الصغيرة من الحجرة المجاورة :

ـ أماه .. من تراك تحادثين ؟

وتقول الأم ضاحكة :

ــ أحدث المِعزَف ..

في أوائل فصل الشتاء كانت ترد الى العجوز بوتابوف رسائل عديدة ، عناوينها جميعا مكتوبة بخط يد واحدة لا يتغير . وكانت المرأة الشابة تفحص هذا النمط بانتباه ، ثم تضع الرسائل بعضها فوق بعض على المنضدة .

وذات ليلة استفاقت فجأة ، فقد كان الثلج المتراكم وراء زجاج النافذة يبرق ، ويضيء الحجرة . وكان القط « ارشيب » الذي آوته المرأة الشابة مراعاة لذكرى العجوز بوتابوف نائما فوق الأريكة .. وأخذت تاتيانا مِبذَلها فألقته على كتفيها وانتقلت الى حجرة المكتب ، ثم اقتربت من النافذة وبغتة طار عصفور فزع عن غصن فاهتز فتساقطت عنه طبقة رخوة من الثلج دون أن تحدث أي صوت . وأضاءت تاتيانا شمعة ، وارتفع لسان النار ساكنا في جو الغرفة . وحدقت النظر طويلا في ذلك الضوء ، ثم جلست وتناولت احدى الرسائل المتراكمة وفضتها :

« أبي الشيخ العزيز . لقد انقضى شهر وأنا نزيل المستشفى . ان الجرح الذي أصبت به ليس بذي خطر .. وهو يوشك ان يندمل ، فلا تضطرب ولا تجزع ، ولا تأخذ في تدخين سيكارة بعد اخرى .. أتوسل اليك أن تكون حكيما .. » .

وبعد هنيهة عادت تاتيانا تقرأ :

« انني أراك أنت ، وأرى بلدتنا ، وبيتنا .. غير أن هذا يبدو لي بعيدا .. نائيا في عالم آخر .. وأغمض عيني فأراني أدخل البستان .. وانه لفصل الشتاء ، وكل شيء مغطى بالثلوج ، وأغصان الليلك تتأود تحت حملها .. الا أن أحدهم قد شق طريقا من الكشك في طرف البستان حتى مدخل البيت .. وهأنذا أدخل الغرف التي تزفر فيها نيران المواقد ، ويشيع الأرج الزكي من حطب شجر القضبان .. وأراك قد أصلحت المعزف فتوافقت أنفاسه ، وجهزت الشمعدانات وزينتها بالشمع الأصفر الذي أتيتُ أنا به من لينينغراد ، وما تزال فوق المعزف لم تبارحه تلك المقطوعة الموسيقية ، افتتاحية « البنت البستونية » ، والأغنية ذاتها : « في سبيل شواطيء الوطن .. » . وجرس الباب الصغير .. أتراه عاد صالحا ؟ لم يكن في وقتي سعة لاصلاحه .. فهل كتب لي ان أرجع فأرى هذا كله ؟ ويوم وصولي هل يسعني أن أغسل يدي بماء الابريق الأزرق الداكن ؟ ليتك تدري مبلغ الحب الذي تملكني لهذا كله من بعيد ! .. حتى في احتدام المعارك لم أكف عن التفكير فيه .. ولم يكن الوطن وحده الذي أدافع عنه ، بل كان دفاعي عن ركننا الصغير أيضا ، وعنك أنت ، وعن بستاننا ، وعن صبياننا ذوي الشعر الأشعث ، وعن شجر القضبان في الناحية الاخرى من النهر ، وعن هرنا « أرشيب » .. فلا تهزأ بي .. ولا تهز رأسك ! ربما منحت اجازة قصيرة بعد خروجي من المستشفى .. ولكن الاجازة ليست مؤكدة قطعا .. والأجدر أن لا تعول عليها كثيرا .. » .

بقيت تاتيانا طويلا دون حراك ، مفتوحة العينين على وسعهما ، محدقة الى النافذة والبستان الهادىء والسماء الزرقاء المعتمة التي أخذت تشف وتشحب مع طلوع الفجر .. كانت تفكر في ذلك الرجل المجهول ، الرجل الوادع ، المقدام ، القوي الرجولة الذي سيأتي على حين غرة فيؤلمه أن يجد الغرباء في بيته ، ولا يقع على ما يحب من أشيائه .

وفي الغداة طلبت من الصغيرة « فاريا » أن تشق بالمجرفة الخشبية طريقا في الثلج تؤدي الى الكشك القائم على حافة مجرى السيل .. والكشك بنية صغيرة متهدمة ذات أعمدة من خشب طفت عليها الطحالب فبدت بالية ربداء من القدم .. ثم أخذت على نفسها اصلاح الجرس الصغير المعلق على المدخل والمزدان بهذه العبارة المنقوشة : « أنا معلق بالباب .. فاجذب بقوة » . وما أن تم اصلاحه حتى أرسل رنينه البلوري بلمسة يسيرة ، فأقام الهر ارشيب أذنيه وغادر الحجرة بوقار ، مغيظا ولا ريب بسبب هذا الرنين الذي بدا له وقحا سفيها ..

وفيما بعد ، في أثناء النهار نفسه ، عادت تاتيانا من السوق مكفهرة العينين من الانفعال ، محمرة الخدين ، ومعها رجل يصلح المعازف وغيرها من الآلات الموسيقية ، كما يصلح الدمى والمصابيح ، ومواقد الطبخ .. وقد أعلن أن المعزف ، وان كان عتيقا ، فانه ما زال صالحا .. وهذا ما كانت المرأة الشابة تعلمه من قبل .. وبحثت في أحد الادراج فوجدت شموعا على شكل أعمدة مجدولة .. ولما حل المساء وضعت في شمعداني المعزف اثنتين

من هاتيك الشموع ، واشعلتهما ، وانحنت على مضارب المعزف ومستها باناملها فامتــلا البيت الصغير الحانا ..

وعندئذ نفد صبر الصغيرة « فاريا » وقالت غاضبة :

ـ لماذا تراك تلمسين كل شيء ؟ انك لا تحبين هذا لى .. اما انت فتمسين هذه الاشياء جميعا : من جرس .. وشمع .. ومعزف .. ثم انك تعزفين الحانا ليست لك .. واجابت المراة الشابة متضاحكة :

ـ أستطيع ان المس كل شيء لانني كبيرة ..

غير ان فاريا التى كانت تتفرس فى وجه امهـا مستريبة، عبست بحاجبيها الاشقرين . ان امها فى هذه اللحظة ما كان ليبدو عليها شيء يدل علـى انها شخص كبير .. وانما هى اكثر شبها بفتـاة صغيرة زاهية الشعر ، قد أضاعت فى قصر كبير ، حذاءها المصنوع من الفراء الناصع المزدان بنقط زُرق ..

كان الضابط نقولا بوتابوف ما يزال يحسب ، فى القطار الذى اقله ، مدة اجازته ، فيجد ان الوقت الذى تستغرقه رحلته يمتص اكبر قسط من هذه الاجازة ، وانه لن يستطيع ان يمضى مع والده أكثر من اربع وعشرين ساعة ..

ووصل القطار الى البلدة فى أوائل العصـــر ، واقترب مدير المحطة من الضابط الشاب ـ وهو صديق قديم لوالده ـ ثم ذهب به الى مكتبــه حيث انباه ، دون مواربة ، بوفاة والده قبل شهر مضى ، وبأن بيته تحتله اليوم مطربة جاءت من موسكو مع ابنتها . وقال موضحا :

ـ انهما من اللاجئين ..

ولزم نقولا بوتابوف الصمت وهو يحدق النظر الى النافذة التى رأى من خلالها جماعة المسافرين يتراكضون وبين ايديهم آنيتهم يريدون أن يملأوها بالماء الساخن، وقد لبسوا اردية من الفراء وانتعلوا أحذية من لباد .. وأحس بقلبه يخفق بطيئا جدا وبرأسه يدور .. وهمس مدير المحطة :

ـ اجل . يا له من مصاب .. لقد كان رجلا طيبا .. ولم يسعفه الحظ ان يراك ..

وقال الضابط :

ـ متى يكون ثمة قطار للعودة ؟

ـ فى الخامسة صباحا .

وبعد لحظة من الحرج اضاف مدير المحطة قائلا:

ـ ما عليك الا ان تبقى هنا ، وستتولى امراتى احضار الشاى لك والطعام .. فما ضرورة ذهابك الى البيت ؟

وتمتم نقولا بوتابوف :

ـ اشكرك ..

وخرج ناسيا حقيبته فى مكتب مدير المحطة ، وشاهده المدير يبتعد فهز راسه .. وقطع الضابط البلدة المكسوة بالثلج ثم توقف عند ضفة النهر الذى تعلوه سماء مشققة محزنة .. وكان الثلج يتساقط وئيدا منحرفا ، فيما بين السماء والارض .. والغربان تتخطر على الطريق بوقار ، والريح القارسة التى تهب من الضفة المقابلة اخــذت تشتد وتضاعف من قوة هبوبها فتمتلىء العيون دموعا .. وقال الضابط يخاطب نفسه :

ـ هذا هو الواقع .. لقد وصلت متاخرا جدا .. واصبح كل شيء غريبا فى نظرى .. البلدة .. وهذا النهر .. والبيت ..

سار الضابط ، رغما عنه ، فى ذلك الاتجاه ، الا انه كان قد قرر ان لا يدخل البيت . وما كان ليريد أكثر من ان يسير محاذيا السياج .. ويخطو بضع خطوات فى البستان .. ويشاهد الكشـك العتيق .. وكان التفكير بأن الغرباء ، الاشخاص المجهولين غير العابئين ، يقيمون فيه ، لا يطاق ابدا .. ولماذا يتالم ؟ وانه ليؤثر ان لا يرى شيئا .. وأن يعود أسرع ما تكون العودة .. ويحاول ان ينسى .. وقال مخاطبا نفسه :

اجل . هكذا تتولى الحياة قطع كل سبب لك بالماضى .. وتكسبك النضج . وهــذه النظـرة الصارمة الباردة .. نظرة من كبروا وجربوا ..

وكان الغسق قد تكاثف وتلبد عندما بلغ البيت ، فدفع الباب الصغير المكسو بحلة بيضاء ، وتهاوت من اعراف الشجر طبقات من الثلج بصوت خافت وتقدم هو بحذر ودخل الكشك ، ووضع يديه على حواجزه البالية .. ومن بعيد ، من وراء الغاب ، كانت السماء تتورد بغموض ، مستضيئة ، ولاريب



باشعة القمر الطالع وراء الغيوم .. وقد استنشق الهواء البارد بعمق ، وحسر عن رأسه ، وادخل يديه في شعره .. وكان الصمت تاما ، ولا يتادى من أسفل غير طنين الدلاء التي تأتي بها النساء ليملأنها من ماء النهر من خلال فرجة احتفرنها في الجليد .. واتكأ على الحاجز ، واحتوى رأسه بين راحتيه وتمتم يقول :

ـ أممكن هذا ؟

في هذه اللحظة امتدت يد فمست كتفه برفق ، فالتفت فرأى وجها شاحبا ، صارما ، هو وجه امرأة شابة وقد لفت رأسها بمنديل ناعم وتطلعت اليه بصمت ، وكان نديف من الثلج يذوب على مهل فوق خديها .. وقالت بصوت خفيض :

ـ غط رأسك والا أصبت بالبرد .. وتعال الى البيت ، فتوقف لا يستطيع أن يتقدم او يتنفس ، وقد ضغط الالم على حلقه .. وقالت المرأة الشابة برفق :

ـ ليس هذا بذي بال .. وسرعان ما يزول .. وعلى الأخص لا تشغل نفسك بي ..

ونفضت بقدميها حذاءها المصنوع من اللباد لكي تزيل عنه الثلج ، وعلى الفور ، وبمثابة استجابة لنداء ، رن الجرس بفرح في مدخل البيت .. وأغمض عينيه ، واستنشق الهواء ملء رئتيه .. ودخل البيت وهو يتمتم بكلمات مضطربة ، ثم نضا معطفه ، وتلبث مبهوتا .اذهله الأرج الخفيف المنبعث من حطب شجر القضبان المحترق .. وثمة فتاة صغيرة مضفورة الشعر تتأمل باهتمام النجوم الذهبية فوق كم الضابط لا وجهه .. وعادت تاتيانا تقول :

ـ تعال ..

وذهبت به الى المطبخ حيث كان في انتظاره ابريق داكن الزرقة وقد امتلأ بالماء المنعش،ومنشفة مطرزة باوراق شجر السنديان يعرفها الضابط حق المعرفة ..

وتركته المرأة الشابة وحده ، ولكن الفتاة الصغيرة ما لبثت ان أتت راكضة ومعها قطعة من الصابون ، وشاهدت نقولا بوتابوف يخلع سترته ويغسل وجهه ويديه .. وسأل الفتاة الصغيرة وقد احمر وجهها قليلا :

ـ اخبريني .. من هي أمك ؟

وكان حرجه لم ينقض بعد ، وهو لم يوجه سؤاله الى الفتاة الا ليقول شيئا ما .. وقالت الصغيرة هامسة كان فيما تقول سرا خفيا :

ـ انها تحسب نفسها شخصا كبيرا .. ولكن هذا غير صحيح .. فهي صغيرة .. بل اصغر مني انا ..

ـ ولم ؟

الا ان الفتاة انطلقت ماضية وهي تضحك .

ولم يستطع الضابط طيلة السهرة كلها ، أن يتخلص من الاحساس بأنه يعيش في حلم تبطنه الذكريات الخفيفة المتكاثفة مع ذلك .. وكان كل شيء في البيت يرسل انساما من الماضي ، ومن طفولته الذاهبة ، ابتداء من مقطوعات الموسيقى المبعثرة فوق المعزف ، والشموع المجدولة تشيع ، وهي تحترق وتذوب ، نورا واهنا في غرفة المكتب الصغيرة حتى كوم رسائله الخاصة التي كانت موضوعة تحت علبة البركار حيث اعتاد والده دائما أن يضعها ..

وبعد أن شرب الشاي رافقته تاتيانا الى قبر والده المحفور عند طرف الغابة . وكان القمر قد طلع تماما وأحاطت به هالة ، وكانت أشجار القضبان تلقي بظلالها الخفيفة فوق الثلج الضارب الى الزرقة .

وفيما بعد ، في أثناء السهرة ، وبينما كانت المرأة الشابة تلمس برفق أصابع المعزف التفتت اليه وقالت :

ـ غريب ! يخيل الي انه سبق والتقيت بك ..
وقال هو :

ـ ربما ..

وظلت عيناه عالقتين بوجه تاتيانا الذي كان يضيء جانبا منه النور المنبعث من الشموع . ثم نهض وخطا بضع خطوات في الحجرة ، ثم وقف قبالتها وقال بصوت خفيض :

ـ كلا .. ان الذكرى تأبى عليّ ..

فألقت اليه نظرة خاطفة ولم تجب بشيء .

ولما اضجع الضابط نقولا بوتابوف في السرير الذي

وضع له في حجرة المكتب لم يجد الى النوم سبيلا .. كانت تبدو ثمينة كل دقيقة تمضي في هذا البيت» وتطيل مدة حلمه الذي استغرقه استغراقا .. وكان هو لا يريد أن يفقد ايا منها .. وراح وهو مضجع يصغي الى تنقل الهر ارشيب وخطاه الخفية المترفقة ، ويلقي بسمعه الى حركة ساعة الحائط، والى الهمس الذي يتادى اليه من الحجرة المجاورة فيخيل اليه انه صوت تاتيانا تحدث الخادمة العجوز .. ثم سكتت الأصوات .. ولا شك في أن الخادمة قد ذهبت .. الا انه استمر يرى شعاعا ينبعث من تحت الباب ، ويسمع دعك صفحات كتاب تقلبها يد لا يراها .. ولا ريب انها هي الاخرى لم تنم خشية ان يفوتها ايقاظه في الوقت المناسب لموعد قيام القطار .. وكان هو يتهالك رغبة في مناداتها ليقول لها انه هو الآخر لم ينم ، الا انه لم يجرؤ على رفع صوته ..

ولما حانت الساعة الرابعة صباحا فتحت تاتيانا الباب قليلا ونادته بصوت خافت ، فتظاهر بانه استفاق . وسمعها تقول :

ــ لقد حان الوقت .. وآن لك أن تنهض .. ومن المؤسف أن لا ادعك مستغرقا في نومك !

ورافقته الى المحطة والظلام ما زال يلف البلدة كلها ، وكان الثلج لا ينفك يتهاوى على شكل قطع كبيرة .. وتبادلا كلمات الوداع بعد القرعة الثانية من جرس المحطة . وقالت المرأة الشابة وهي تمد يديها الاثنتين :

ــ ستكتب لي .. فبيننا الآن ما يشبه أن يكون علاقة من قربى .. اليس كذلك ؟

وكان جوابه أن حنى لها رأسه .

★★★

وبعد ايام تلقت تاتيانا رسالة من الضابط قال فيها :

« انني اتذكر الآن لقاءنا الاول بوضوح .. الا انني ، هناك في البيت ، لم أر أن أحدثك به .. اتراك تذكرين القرم سنة ١٩٢٩ ؟ كان الفصل خريفا اذ ذاك ، وكان البحر شاحبا ، والسماء قاتمة ، وكان شجر الدلب يحف بطريق «اوريانده» التي كنت اسير متسكعا فيها ، وقد شاهدت فتاة، بل بنية جالسة على مقعد قائم عند حافة الطريق. كانت هذه الفتاة في السادسة عشرة من عمرها على الاكثر . ولقد نهضت وسارت في اتجاهي ، ولما تلاقينا نظرت اليها .. وكانت هي تسير بخطى خفيفة نشيطة وبيدها كتاب مفتوح .. وتلبثت لا آتي بحركة وانا اتبعها نظري .. وقد كنت انت تلك الفتاة .. انني اعي هذا تماما الآن..ولا يمكن ان اخطىء .. وكنت انظر اليك وقد ابتردت اطرافي من الانفعال .. واحسست انك انت تلك التي كان لا بد ان التقي بها ..المراة التي يتقبل الانسان منها ويبارك كل كلمة وكل حركة ، وكل ابتسامة .. تلك التي يمكن أن تهبك السعادة او تكون سبب هلاكك وضياعك .. وكنت ادرك انه يجب ان استبقيك مهما يكن الثمن .. غير ان قوة غريبة حالت بيني وبين اية حركة .. وهكذا فقدتك اول مرة ! ..

« ومنذ ذلك اليوم غدوت احب القرم ، واحب تلك الطرق الضيقة التي لمحتك فيها هنيهة ثم تركتك تفلتين مني .. غير ان الحياة كانت رحيمة بي : فقد عدت ووجدتك ثانية في مصادفة من اعجب المصادفات .. واذا كان كل شيء سينتهي على احسن ما اروم فما عليك الا ان تبدي اشارة واحدة فاهرع اليك .. وبهذه المناسبة فقد وجدت على منضدة ابي رسالتي التي فتحتها يداك ، ففهمت كل ما فعلته من اجلي .. ولا يسعني الا ان اشكرك من بعيد .. » .

ووضعت تاتيانا الرسالة ، وانتقلت نظرتها ، وقد سبحت فيها غيرة من التأثر ، الى البستان الذي كساه الثلج ، وفكرت :

« رباه ! لم اكن في القرم قط .. ولكن اية اهمية يمكن ان تكون لهذا ؟ وما جدوى ان أُذهب عنه وهمه ؟ وما جدوى أن ازيل وهمي انا ؟ .. ».

وضحكت ، ثم اخفت ، فجاة وبتوفر ، عينيها براحه يدها .. وكانت اشعة الشمس الغاربة تسطع في النافذة سطوعا متصلا لا يريد ان ينطفىء. ■

ترجمة ــ **محمود سيف الدين الايراني**



استريال
ساعة سويسرية
تناسب مقامك
٢٥ حجرًا كريمًا
ضد الصدمات
ضد الماء
أرقام مضيئة
اوتوماتيكية
مع تقويم وعقرب ثوان
طراز AC ٣٧٨٢٠ E ذهب رمادي
١٨ قيراطاً - سوار ذهب رمادي
طراز AC ٣٧٩٢٠ E ذهب وردي
١٨ قيراطاً - سوار ذهب وردي
ASTERIAL OF GENEVA
F. MATHYS
10, Chemin Rieu, 1208 Geneva - Switzerland



إضحك ..

تضحك الدنيا معك .. ابكِ تبكِ وحدك



فستان .. لزوجته !

● قال القاضي للمتهم : لقد اعترفت بالسرقة ، ولكن النيابة تتهمك بالسطو على المتجر ثلاث مرات بينما لم تسرق الا مرة واحدة ، فلماذا سطوت اذن فى المرتين الاخريين ؟ .

وقال المتهم «ياسيدى القاضي: لقد سطوت فى المرة الأولى لأسرق فستانا لزوجتي ، ولكنه لم يعجبها ، فاضطررت الى العودة مرتين لتغييره ! » .

مؤهلات !

● قال الزوج « التعس » لمدير المصنع : « كم عدد المتزوجين بين عمالك ؟ » .

فاجاب المدير : « لا أعرف على وجه التحديد ! » .

وقال الزوج : « انتظر لحظة فسوف أعود اليك بالرقم الصحيح ! » .

وبعد مدة عاد الرجل ليؤكد لصاحب المصنع أن عدد العمال المتزوجين في مصنعه ٢٠٠ عامل ! .

وذهل المدير عندما اكتشف أن الرقم صحيح تقريبا ، وساله : « كيف توصلت اليه ؟ » .

فاجاب : « بمنتهى البساطة لقد وقفت عند الباب الخارجي وانتظرت عودة العمال من فترة الراحة التي يقضونها للغداء ، ورحت ارقبهم وهم يدخلون من الباب الرئيسي الى الورشة . لقد كان المتزوجون يمسحون احذيتهم قبل الدخول ، تماما كما يفعلون عندما ينتهون من عملهم ويعودون الى البيت ! » .

كذب المنجمون ولو صدقوا

● لجأت فتاة جميلة الى احد المنجمين لقراءة كفها والتنبؤ بمستقبلها، اما الاجوبة التى حصلت عليها فلم تختلف عن الاجوبة المطمئنة المثيرة التى يجود بها المنجمون فى مثل هذه الحالة بلا استثناء .

قال المنجم: « ستتزوجين من فتى أحلامك ، بلا ريب ، وسيكون طويلا وسيما . و . .

وهنا سالت الفتاة : وغنيا ايضا !؟

فاجاب المنجم : وغنيا ايضا وفى ريعان شبابه .

وما كان من الفتاة الا ان امسكت بيد المنجم وضغطت عليها بقوة وحماسة ، **قائلة :** « عليك أن تخبرنى الآن عن السبيل الى الخلاص من زوجى الحالى . . » .

إربح فائدة مأمونة

٦٪

في حساب الودائع

يدر عليك حساب الودائع في بنك لومبارد فائدة بنسبة جيدة مع سلامة تامة لرأس مالك تضمن لك الطمأنينة المالية. وطالما نقودك مودعة في هذا الحساب، فإنها تحظى بفائدة على الدوام، وتستطيع ان تسحبها بسهولة وفقاً للشروط التي تتفق عليها عند فتح الحساب. لا تخصم منها أية ضريبة دخل في المملكة المتحدة. ويمكنك ان توزع مبالغ اضافية في الحساب في اى وقت تشاء، مما يتيح لك طريقة ممتازة لاستثمار رأس مالك.

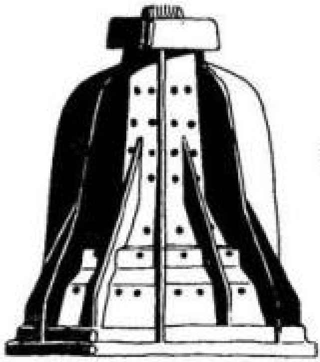
ولربح ٦٪ سنوياً، يبلغ الحد الأدنى لمهلة السحب ٦ أشهر، سوى ان المائة جنيه الأولى يمكن سحبها لدى الطلب. ويدعم ودائعك في مؤسسة لومبارد المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطات تتجاوز ١٢،٥٠٠،٠٠٠ من الجنيهات الاسترلينية. أطلب من المدير العام مزيداً من التفاصيل، ونسخة من كتيب 'حساب رقم AO.182'

LOMBARD BANKING

LIMITED

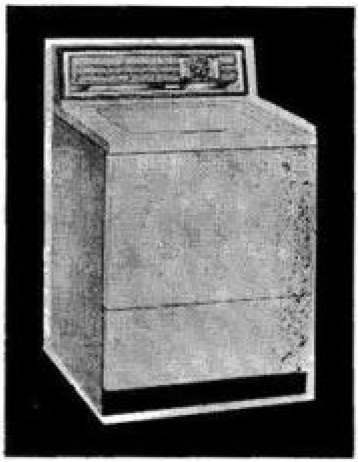
Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, PARK LANE, LONDON, W.1.
GROsvenor 4111 (30 lines)

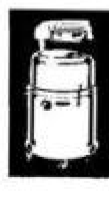
City Office: 31 LOMBARD STREET, LONDON, E.C.3. MINcing Lane 4111 (7 lines)



غسالة ليونارد ذات ١٢ شفرة
تعطيكِ غسيلاً أكثر نظافة
بماء أقل
وبصورة اوتوماتيكية

حتى ولو استعملت الماء البارد لغسيل العائلة فإنك تحصلين على نتائج في غاية النظافة باستعمال غسالة ليونارد الأوتوماتيكية هذه ، فإن شفراتها تدفع الماء الكثيف الرغوة بكل رفق خلال الملابس ٣٠٠ مرة في الدقيقة (معظم الغسالات لا تستعمل أكثر من ثلث هذا المجهود) . إنها لا تمطط الثياب ولا تمزقها . وفي الواقع فكل قماش تستطيعين وضعه في الماء يمكن وضعه في غسالة ليونارد هذه ... بكل اطمئنان . وعملها لا يمكن أن يختل أبداً لأن انتقال الحركة فيها يتم بواسطة الحزام ، وهي لا تحتاج إلى قطع الغيار الكثيرة التكاليف على الاطلاق كما انها لا تحتاج إلى محول كهربائي . كيف تطيقين استعمال غسالة لا تنظف الملابس بصورة اوتوماتيكية كما تنظفها غسالة ليونارد ؟ اعتمدي على ليونارد – السباقة في صنع الأجهزة الممتازة منذ عام ١٨٨١ .





- غسالة عصارة سعتها ١٢ ليبرة (٥ ½ كيلو تقريباً)
- اقتصادية في استهلاك الماء : ١٨ غالوناً فقط عند ملئها إلى خط الماء
- توقيت اوتوماتيكي : الجرس يدق والماء ينقطع اوتوماتيكياً عند انجاز الغسيل
- ٨ أوضاع ثابتة للعصارة : لا تنحرف أثناء عملها
- لا زوايا أو أطراف حادة تتلف الثياب

ليونارد Leonard

الوكلاء العامون :

بيروت : مؤسسة لويس فيليب باز وشركاه – دمشق : نظير صابا وشركاه – بغداد : س. جورج قالكياس وشركاه
المملكة العربية السعودية : ا. رجب و ا. سلسله – عمان : الشركة التجارية عبر الأردن المحدودة
الكويت : قسطنطين قالكياس وشركاه – البحرين : شركة الخليج للتجارة والهندسة – تونس : الكونتوار للصناعة والأدوات المنزلية
الدار البيضاء : الشركة المغربية للتبريد والكهرباء .

ما الذى يجعل اللعب على الماء ممتعا ؟ ايفنرود



يا عشاق الشمس والمتعة وركوب الامواج .. لنتقدم .. هذا هو عصر ايفنرود ، يوم ممتع بين الامواج دون قيود . وعند انتهاء اللعب على سطح الماء يمكنكم الغطس لتجدوا اماكن جديدة للعب . فليس هناك عقبات في مثل هذا النوع من الحياة، بل هناك المتع التى لا تنتهي ، صيد وتزحلق واكتشاف ...

تمتع بكل هذا وانت مطمئن ، اذ يمكنكم الاعتماد على ايفنرود .

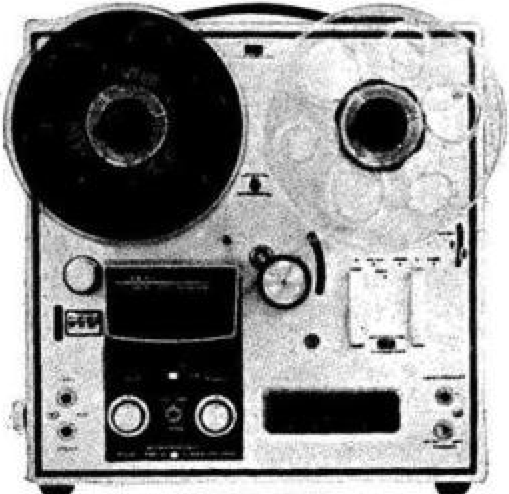
دع همومك جانبا والعب ـ ايفنرود .

راجع وكيل ايفنرود ، فلديه نماذج قوتها من ٣ الى ١٠٠ حصان وكلها مضمونة لمدة عامين . تذكر ان لايفنرود خبرة ستين سنة ، اطول من اى صانع آخر للقوارب ... الموزعـون :

Outboord Marine, Bruges, Belgium or Nassau, Bahamas.



The Power of experience **EVINRUDE**



MODEL 1710

آلة التسجيل
اكاي
لمتطلبات المحترفين ورغبات الهواة

■ موديل 1710 النقال والخفيف الوزن بالاضافة الى جودة فائقة

* تسجيل ٤ مسالك ستيريو/مونورال واعادة التسجيل .
* ٣ سرعات (١-٧/٨ ، ٣-٣/٤ ، ٧-١/٢) انش في الثانية و ١٥ انش في الثانية اختيارية .
* تجاوب الترديد ـ ٤٠ الى ١٨,٠٠٠ cps على ٧-١/٢ انش في الثانية



MODEL M-8

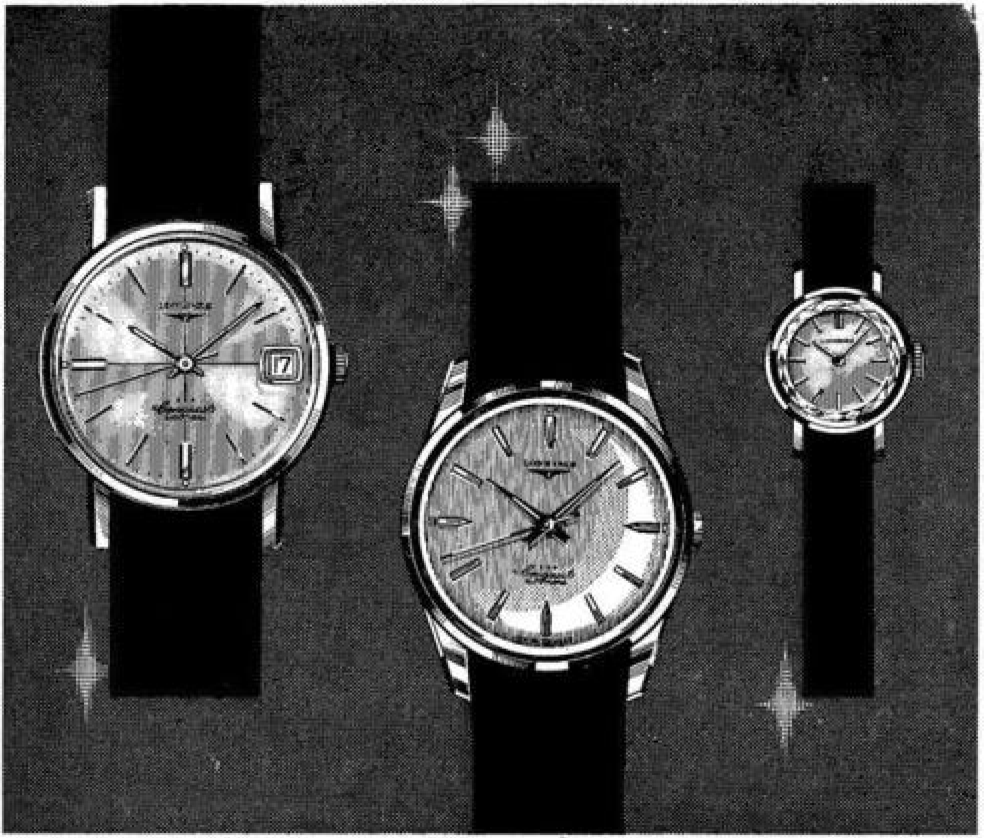
■ موديل M-8 برأس ذي مجال متعامد بالاضافة الى ستيريو عمودي

* تسجيل ٤ مسالك ستيريو/مونورال واعادة التسجيل .
* ٤ سرعات (١-٧/٨ ، ٣-٣/٤ ، ٧-١/٢) و ١٥ انش في الثانية .
* تجاوب الترديد ـ ٣٠ الى ٢٥,٠٠٠ cps على ٧-١/٢ انش في الثانية.

AKAI®
TAPE RECORDER

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
HIGASHIKOJIYACHO OHTA-KU TOKYO JAPAN

		العنوان			
عدن	[illegible]	صندوق البريد	٩٣٧		تلفون ٣٦٣٣
البحرين	[illegible]	[illegible]			تلفون ٩٥١٢
العراق	[illegible]	[illegible]		جدة	تلفون [illegible]
الاردن	شركة اوتوبارتس الاردنية	صندوق البريد	٤٨١	عمان	تلفون [illegible]
الكويت	مؤسسة يوسف البهبهاني	صندوق البريد	١٤٦		تلفون [illegible]
لبنان	[illegible]	صندوق البريد	١٩٧٥	بيروت	تلفون [illegible]
مسقط	[illegible]	صندوق البريد	٥		تلفون [illegible]
قطر	[illegible]	صندوق البريد	٢١٨	الدوحة	تلفون [illegible]
المملكة العربية السعودية	[illegible]	صندوق البريد	٩٥	الخبر	تلفون ٤٩
	[illegible]	صندوق البريد	٨١٥	جدة	تلفون [illegible]
دبي	شركة المشاريع العامة	صندوق البريد	٢١٦		تلفون [illegible]
ابوظبي	[illegible]	صندوق البريد	٢١٦		تلفون ٢١٦



جميع ساعات لونجين
ترتدى "ثوبا أنيقا"

تمتع ساعات لونجين بسمعة عالمية من حيث الدقة والضمان والصلابة. وقد بلغ المستوى الرفيع لساعات لونجين أقصاه حيث سجلت الرقم القياسى فى الدقة اثنين وعشرين مرة خلال السنوات العشر الأخيرة

تم ذلك فى مسابقة مرصد ضبط الوقت بجنيف ونوشاتيل. لكن كثيرا من الرجال ومعظم النساء يشترون الساعة التى تثير إعجابهم لأن المظهر الخارجى للساعة أو "ثوب الساعة" يحث الناس على اقتنائها أكثر مما يفعله شكل السيارة

لذلك تعمل لونجين على ابتكار موديلات جذابة حتى فى أدق أجزائها ومثالا على ذلك: العقل الذى يغلق أسورة الساعة يحمل

رمز لونجين (الساعة المجنحة ذات الأجنحة) والأرقام المبينة فى واجهة الساعات المعدنية ليست من المعدن وإنما من الذهب الأبيض

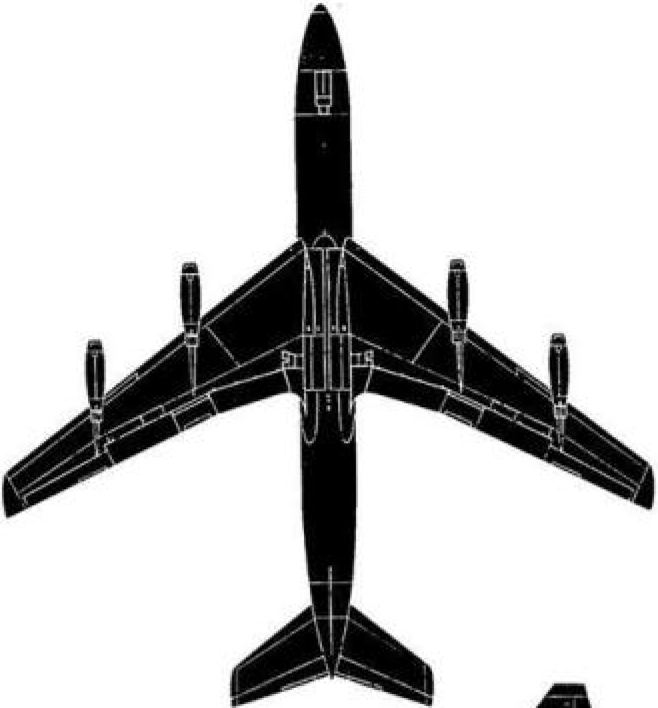
شاهدوا مجموعة ساعات لونجين وقارنوا موديلاتها مع غيرها، سوف تبهرون بجاذبيتها ولكن الشيء الذى لن تلاحظوه هو خبرة ١٠٠ عام، وأكثر من ذلك الـ ١٢ شهرا التى تمر ما بين تجميع أجزاء الساعة

وعرضها للبيع. هذا الشيء الذى لن تلاحظوه ولكنه موجود فى كل ساعة ماركة لونجين

LONGINES

لونجين يرجع تاريخ ظهورها إلى عام ١٨٦٧

لونجين تضبط لكم الوقت





بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

الصحف والاذاعات تنقل عن « العربى »

• الحمد لله على هذا النصر الذى حققته مجلة « العربى » في جميع الميادين الاسلامية والثقافية والعلمية والادبية ، ولا تتسع هذه الصفحة لأكتب عن أعمال هذه المجلة التى يجب أن نسميها « جامعة البحوث الاسلامية العربية ». وقد سررت كل السرور عندما سمعت الاذاعات العربية وهى تذيع المقالات نقلا عن « العربى » ، وعندما قرأت المجلات والصحف وهى تنشر نفس المقالات التى سبق « للعربى » نشرها ، وخاصة في باب « اسلاميات » . فهذا ولا شك اكبر نصر حققته مجلتنا الحبيبة ، فالى النصر دائما .

عدنان حلبى / سوريا

تاريخ اسلام الفضل بن سهل

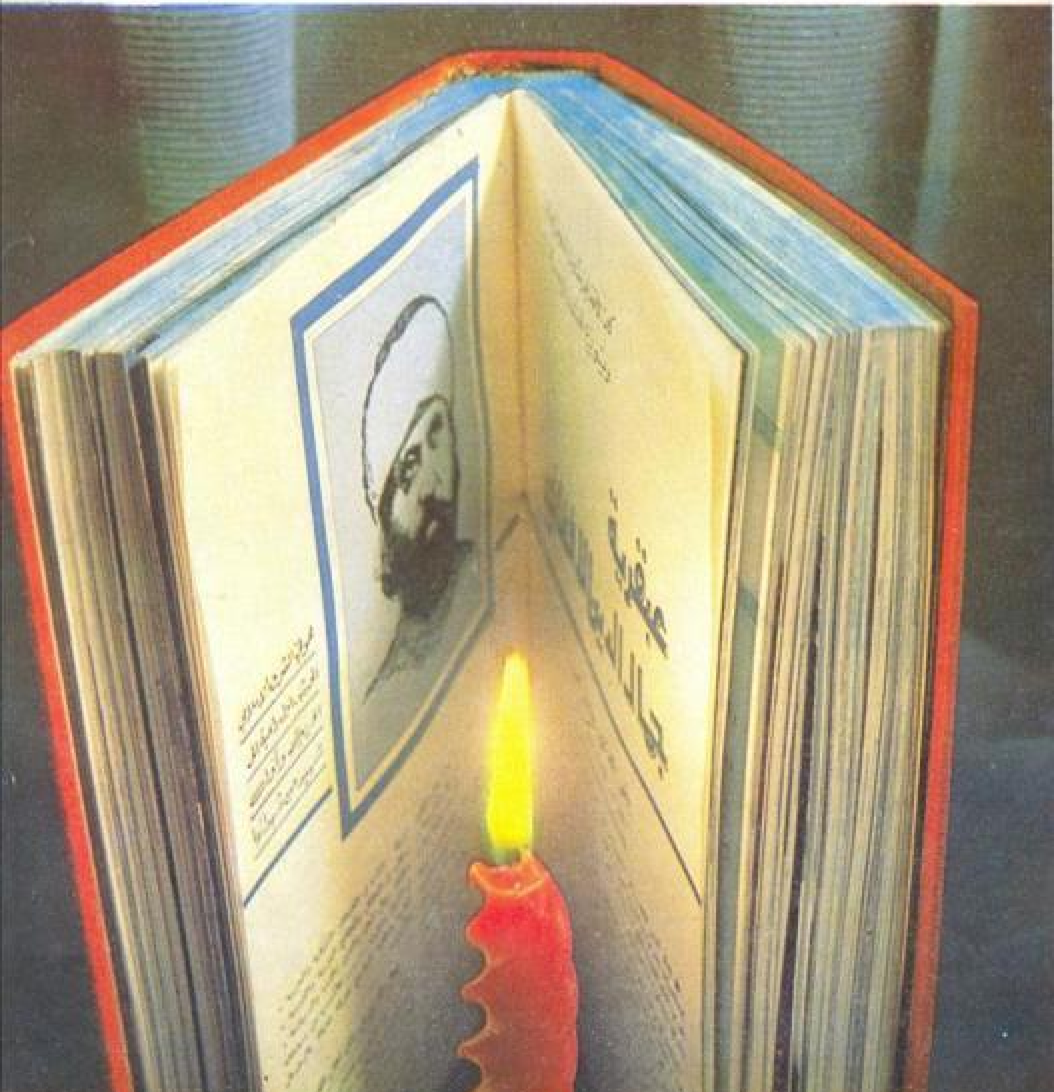
• اطلعت على المقال المنشور فى العدد ٩٦ من « العربى » عن الفضل بن سهل بقلم الدكتور محمد مصطفى هدارة ، وذكر فيه أن الفضل اسلم ، وتم اسلامه على يد المأمون ، كما اراد يحيى بن خالد البرمكى ، وكان فى عام ٩١٠ هـ . ولكن كيف يكون ذلك ، اذا عرفنا ان الرشيد اوقع بالبرامكة سنة ١٨٧ هـ ، كما أن الفضل بن سهل قتل سنة ٢٠٢ هـ ، علما بأن الدولة العباسية استمرت من سنة ١٣٢ هـ ــ ٦٥٦ هـ . وبهذا لا يمكن أن يكون اسلام الفضل فى سنة ٩١٠ هـ كما جاء فى المقال .

عبد الرحيم محمد / السعودية

العربى : نأسف للخطأ المطبعى ، اذ جاء رقم (١) قبل رقم (٩) ومن هنا حدث الخطأ ، الذى لا يخفى على القارىء . فالصحيح ١٩٠ لا ٩١٠هـ.

العربي

العدد ١٠٢
٢١ محرم ١٣٨٧
مايو
(أيار) ١٩٦٧

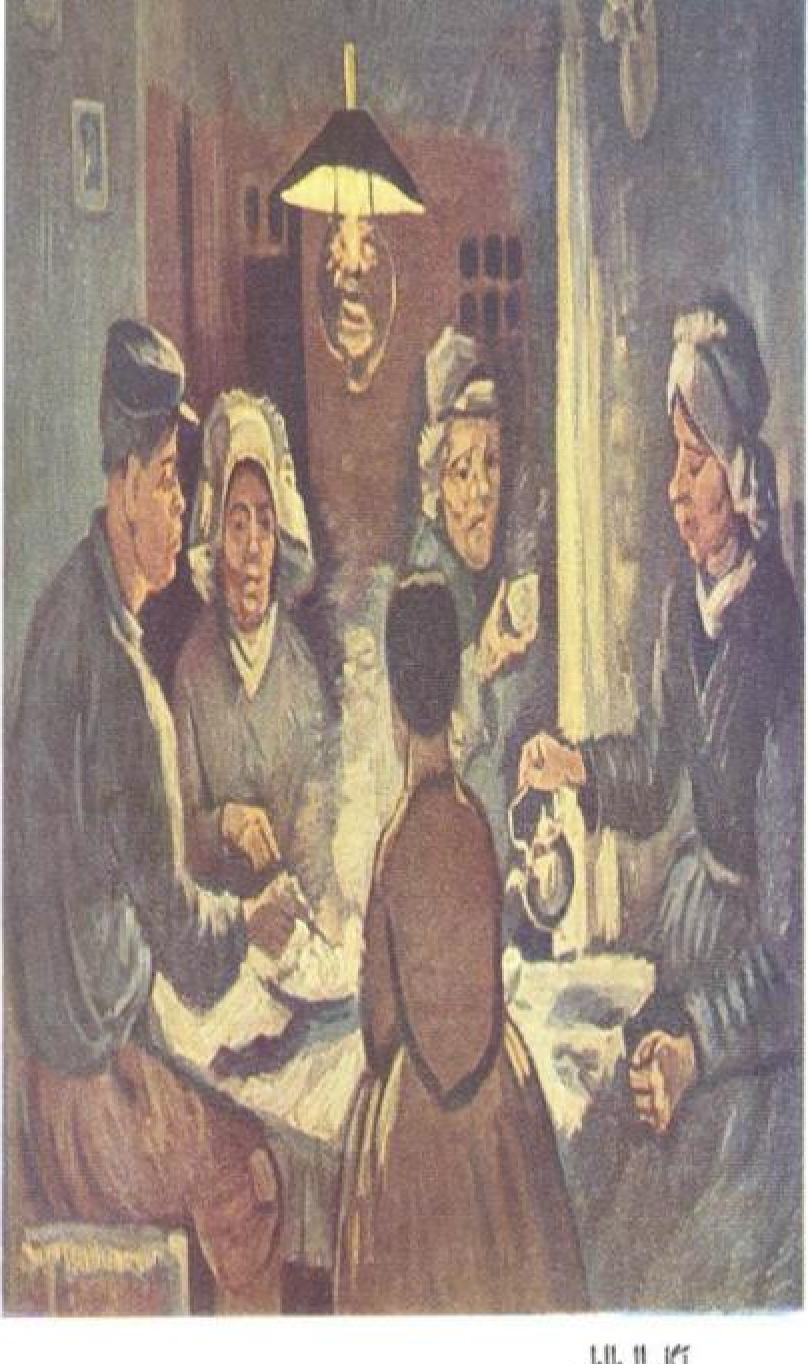


العربي

كتاب ثقافة شهري
يجلو الظلام

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٢٫٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	مليم
الجزائر	٢٠٠	مليم



آكلو البطاطس

● أراد الفنان العالمي فان جوخ Van Gogh بهذه اللوحة أن يعبر عن معنى كبير .. معنى الحياة التي يعيشها هؤلاء الذين يكسبون قوت يومهم بعرق جبينهم .. وقد كتب عن لوحته هذه يقول : « لقد حاولت أن أشرح كيف تسنى لهؤلاء الذين جلسوا تحت ضوء مصباح الغاز يأكلون البطاطس ، أن يحفروا الأرض بنفس الأيدي التي يضعونها في صحن الطعام .. انها صورة توضح معنى كيف يكسب الفلاحون به قوت يومهم بأمانة وجدارة » .

عزيزى القارىء

لا بد أنك ما زلت تذكر تلك « الندوة التى اقمناها من القراء حافلة » . عقدناها على البعد فيما بيننا ، وعلى البعد فيما بينهم . وذلك في اواخر العام الماضي . ورجونا ان يدلي كل بما يرى في أمر « العربى » ، ما يجب ان نزيد فيه ، وما يجب ان ننقص .

وقد استجاب كثير من القراء مشكورين ، ونشرنا جملة آرائهـم ، والمختار من مطالبهم ، وذلك في العدد الاول للشهر الاول من هذا العام ، عام ١٩٦٧ ، ووعدنا أن تكون لاكثر ما طلبوا مستجيبين .

ولا شك ادرك القراء بعض هذا الجديد فيما سلف من أعداد . ونريد ان نلفت انظارهم الى الجديد في هذا العدد :

● فباب طبيب الاسرة زدناه صفحة ، وظللنا لا تقحم فيه ما يجعل منه درس طب في قاعة محاضرات في جامعة ، لا يفهم منه الرجل العادى الكثير .

● استجددنا في « العربى » بابا أسميناه « أمراضا شائعة » ننشر فيه في كل عدد مقالا عن مرض ، بالقدر الذى لا يتعسر فهمه على المهندس والمحامى ، ومن ليس بطبيب .

● وصفحة اخرى فى الطب عـن بصر القارىء ، والخارطة التى تستخدم لتقدير قوة الابصار . وسنبقيها تحت اسم جديد ثابت .

وعلى اللـه التوفيـق

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات مصورة :

لغات وآداب :

اسلاميات :

طب ... وعلوم :

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARAAY = No. 102 May 1697 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٩٤١١ ــ تلغرافيا « العربى »
الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات
المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

العربي
كتاب ثقافة شهرى
يجلو الظلام

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٢ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٥ر٢ شلن ، ليبيا ٥١ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



بَريد القرّاء

تحية عربية من استراليا

● لن أبدأ بمدح « العربي » لاني اعلم تمام العلم ان « العربي » في غنى عن مدحي ، ولكني جئت أشكر ادارة « العربي » على انتظام وصول المجلة الى استراليا ، وعلى المواضيع القيمة التي تنشر فيها . ولي بعد هذا سؤالان :

اولهما : هل لكم أن تذكروا لنا بعض أسماء المعاجم او القواميس العربية الشهيرة ، ومن أي الدوائر تحصل عليها ؟

الثاني : نظم أمير الشعراء احمد شوقي قصيدتين دينيتين الاولى تسمى « بالهَمْزية » ، والثانية « نهج البردة » قيل انهما بلغتا من عمق المعنى ورسالة الادب مبلغ الذروة ، فهل لكم أن تنشروا لنا أبيات هاتين القصيدتين ؟

ولكم من عرب استراليا الف شكر .

حنا كركر / عن عرب استراليا

« العربي » : هنالك العديد من المعاجم والقواميس نذكر منها « لسان العرب » و « القاموس المحيط » و « أساس البلاغة » ، و « الوسيط » لمجمع اللغة العربية ، و « المنجد » . وغيرها كثير ، وتستطيع أن تحصل عليها من المكتبات العربية في القاهرة وبيروت .

اما فيما يتعلق بقصيدتي « الهَمْزية » و « نهج البردة » للشاعر شوقي ، فهما موجودتان في ديوانه الذي يباع في جميع المكتبات بالشرق العربي ، والاولى تبدا :

ولِدَ الهُدى فالكائنات ضياءُ ... وفمُ الزمانِ تبسُّمٌ وثناءُ

والثانية تبدا بالبيت :

ريمٌ على القاع بين البانِ والعَلَمِ ... احلَّ سَفْكَ دمي في الاشهر الحُرُمِ

أنت أم أبوك

● جاء في مقال « انت أم أبوك ؟ » الذي نشر بالعدد ١٠٠ صفحة ١٥ .. « ... وثانيهما ان الميراث ينزل اليه جزافا ، من جيل الى جيل ، فيه اللب وفيه الخشكار » .

فهل كلمة « خشكار » عربية ، أم ماذا ؟

الحاج جعفر الكواز/الحلة/الجمهورية العراقية

« العربي » : خشكار كلمة فارسية معناها دقيق خشن « ما تسميه الردة » ومعناها أيضا عيش جاف . ولم ترد الكلمة في المعاجم العربية ، وان كان الكتاب يستعملونها في عهدنا مقابلة للب أو اللباب من الدقيق .

التشريع الامريكي ومبادىء التشريع الاسلامي

● لفت نظري في المقال الذي نشرتموه للدكتور احمد عبد المنعم البهي عن التشريع الجنائي في الاسلام اشارته الى حديث الرسول الكريم ، فان كان له مخرج فخلوا سبيله ، فان الامام ان يخطىء في العفو ، خير من أن يخطىء في العقوبة .

ومن عجب ان مجلة Time الامريكية نشرت في عددها الصادر في نفس الشهر الذي نشر فيه مقال الدكتور البهي ، مقالا تتحدث فيه عن القانون الامريكي ، وقد جاء فيه : ان الامريكيين لا يزالون يعيشون في مجتمع يفضل ان يطلق سراح عشرة مجرمين ، على أن يدان بريء واحد .

« What is most evident is the Fact that Americans still live in a society that prefers to let ten guilty go free rather than Con - victing one innocent man ».

وهكذا نرى التشريع الامريكي يسير على احد المبادى الاساسية التي جاء بها الاسلام منذ ثلاثة عشر قرنا أو يزيد .

المنيرة : القاهرة محمود جعفر

حقوق الانسان

● اطلعت في عدد العربي الاخير على مقال في باب الكتب والمجلات ، عزوتموه الى مجلة السياسة الكويتية ، بعنوان محمد أول من أعلن حقوق الانسان ، والمقال بنصه منقول عن كتابي « وحي الرسالة » المجلد الرابع .

احمد حسن الزيات

خطأ مطبعي

● قرات في العدد ٩٩ الصادر في فبراير عنوان « الفن الاوروبي في خدمة الدين » ، ان الفنان الايطالي « روفائيل » ، ولد ومات بين عامي ١٤٨٣ ــ ١٥٠٢ ، وهذا خطأ ، والصحيح انه ولد ومات بين عامي ١٤٨٣ ــ ١٥٢٠ ميلادية ، وذلك طبقا للمراجع العلمية . فارجو أن تصححوا هذه المعلومات .

داود اسماعيل الرديف / سوريا

« العربي » : انت على حق . وقد رجعنا للاصول التي كتبناها قبل الجمع ، فوجدناها كما قلت . والخطأ في المطبعة وعند المصححين . ونرجو الهداية .

يهودي يستيقظ ضميره

● نشرت مجلتكم الغراء في عددها رقم مائة عرضا لكتاب بعنوان « يهودي يستيقظ ضميره » فيعلن الحرب على الصهاينة ، وقد قرأت هذا العرض بمزيد من الاهتمام ، واني أشكركم على تقديم مثل هذه المعلومات القيمة ليطلع عليها الجمهور العربي ، لا سيما عندما تكون صادرة عن « شاهد من أهله » .

والذي لا شك فيه أن هذا الكتاب هو من احسن الدعايات التي نحتاجها نحن العرب بالنسبة لقضية فلسطين المقدسة ، ولذلك فانني أقترح على جامعة الدول العربية أن تعيد طبع هذا الكتاب الذي أخفاه الصهاينة ، ثم ترجمته الى العربية وتوزيعه مجانا على مختلف أنحاء العالم العربي والخارجي .

انطون يوسف كميتي / الكويت

حديث الشهر

الأحكام الكاسحة

لا تجتمع والمنطق في رأس واحد

بقلم رئيس التحرير

■ كنت فى فئة قليلة من الناس ، وجرى الحديث عن البدو والبداوة . وفى البدو حكايات تحكى طريفة ، وكثير منها يتصل بالشجاعة احيانا ، وبالكرم احيانا . وتطوع رجل كريم يذكر قصة من قصص الكرم التى صدرت عن الصحراء قديما ، فاذا برجل من الفئة آخر ، اقل كرما ، يتطوع فيقول : ليس عند العرب فى البدو كرم ، وان هو كان ، فهو اليوم قد بان ، فى بدو وفى حضر .

والرجل عربى .

وهو اصدر بالذى قال حكما شاملا كاسحا لا يأذن حتى باستثناء فيه .

سألته : هل عشت فى بدو ، وعشت طويلا ؟

قال : مررت عابرا .

وسألته : وانت بالطبع ابن حضر .

قال : نعم .

قلت : حكمك هذا الكاسح من شرط قبوله من مثلك ان تكون عشت بين البدو طويلا ، وتنقلت بينهم كثيرا ، واختلطت بجموعهم وفئاتهم فى أكثر الأصقاع دهرا غير قصير . بذلك وحده تستطيع ان تكسح فى احكامك عن البدو ، وبذلك وحده تستطيع ان تكسح فى احكامك عن الحضر .

قال : فماذا وجدت انت من خبرتك واياهم ؟

قلت : كنا قادمين على ساحل البحر المتوسط من السلوم الى العلمين ، وفرغ منا الزاد على غير توقع . وكذا فرغ الشراب . ورأينا كوخا على المدى فملنا اليه . وكان فيه رجل بدوى . فطلبنا



من الكسح في القول ان البادية كلها كرم ، ومن الكسح في القول ان البادية لا كرم فيها

طعاما . والرجل فقير . فما كان منه الا ان اعطى كلا منا رغيفا ، وقطعة من جبن ابيض ، وحبة من طماطم . وشربنا ، ومددنا له يدا بمال . فرفض والححنا فرفض بما كاد ان يكون غضبا . ودخل الرجل الى الكوخ يحمل الينا فضلا من ماء ، وانتهزنا هذه الفرصة فتركنا عند باب الكوخ شيئا من المال تقتحمه العين التى لا تبحث عنه ، وسرنا فى سبيلنا .

قال صاحبى : فانت من اجل ذلك تصف البدو بالكرم .

قلت : حذار يا صاحبى ، فانى لم اصف البدو كله بالكرم من اجل ذلك . من اجل هذه الخبزة الواحدة . اذن لكنت فى حكمى مثلك فى حكمك، كاسحا. كل الذى اردت ان افعله ان آتى بمثل واحد يبطل بعض كسحك فى الاحكام . ولكن لأبطل كسحك ابطالا كاملا وجب على ان آتى بقصة من بعد قصة من بعد قصة ، عن خبرة ، تحكى عما وجدت فى البدو من كرم . ومع ذلك فلن استطيع ان ابطل حكمك الكاسح كله ، فمعنى هذا انى اريد ان ادلل على ان البدو كله كرم ، وهذا فى حكم العقول غير مقبول .

قال احد الفئة المجتمعة، فئة الاخوان التى ذكرت . قال يتساءل : ما الذى يصنع فى الناس البخل والكرم ؟ ابيئة هى أم وراثة ؟

قلت : لعلها الحياة التى يعيشها الناس ، تصنع فيهم كل آداب السلوك ومعانيها ، فى صحراء جرداء ، او على ارض مُعشبة خضراء ، او حيث الثلوج تتوّج هامات الجبال ، او حيث الأمطار تُغرق ، او حيث الشمس تحرق . ان الحياة وظروفها ، والبيئة ومقتضياتها ، هى التى تخلق فى الناس القيم التى بها يتعاملون ، والاخلاق التى بها يلتزمون ، والاحكام والقوانين التى اليها يحتكمون. والقيم الروحية جميعا ، فى بدو او فى حضر ، لو فتشتها لوجدت الكثير منها له اصول مادية تقضى لها بالوجود ، ثم قد تقضى عليها بالزوال .

قال صاحبي : ومن ذلك كرم البادية .

قلت: البادية خالية ، وعابرها في حرج من أن يؤزم يوما في الطريق فلا يجد الغذاء ولا الماء . ومن اجل هذا نشأت قيمة الكرم ، قيمة اخلاقية ، يفرّج بها البدوي المقيم عن البدوي العابر من أهل الحرج ، علّه يوما يؤزم في الطريق فيجد من يلقى عنده الفرج . ونسى البدو هذا الأصل المادي ، التعاوني ، وجعلوا من الكرم صفة روحية عالية من صفات المجد الذي يفرضه صاحب المجد على نفسه ، ولو كان فيه ، وأحيانا على الفور ، فقره وهلاكه .

قال صاحبي : انك تنزل بالجود الى الدرك ، بأن جعلت له أصلا ماديا .

قرضٌ يدفعه الدافع، وينتظر سداده.

قلت : ومن أين جئت بأن المادة تهبط بقيم الأشياء . انك تأكل وتحمد الله على ما وهبك ، من مادة . وتستمرىء كل نعمة من نعم الله ، من ملبس ومسكن ومتاع ، وبنين هم زينة الحياة الدنيا . وكل هذا مادة أنت تشكر الله عليها .

وأنت تذكر القرضَ ، وتنسى أنك تقرض الله قرضا حسنا فيضاعف لك الجزاء .

وسأل آخر حاضر : فما بال الحضر ، وكرم الحضر ؟

قلت : ان الحضر مجتمع منتظم . انها المدينة . والمدينة ليست فيها مظاهر الحرج والفقر ظاهرة بادية . وما أهون ان يلبس الطامع لباس الفقر يستحلب به عطاءً ممن هو أقل منه فقرا . والمحرج، والمأزوم ، له في المدائن المتقدمة سبيل معلوم يفرّج بسلوكه كربه . لهذا اقتصر كرم المدينة على أصول لا ترتكز على دعائم من حاجة بينة ظاهرة صارخة ، انما هي الصحبة المرجوة ، والتعارف والتحابب ، وهي لا تفتقر في تنشئها الى أصول عريضة من مال ، الا اذا صاحبها سفه كثير .

والكسح في اخبار الأمم

وكالكسح فيمن قال ان البادية لا كرم فيها ، أو من قال ان البادية فيها الكرم كل الكرم ، كسح في أخبار الأمم .

ان المادة لا تهبط بقيم الأشياء . انك تأكل وتحمد الله على ما وهبك من مادة، وتستمرىء كل نعمة من نعم الله



فقد ظهرت فى انجلترا هـــذه الأيام اخبار عن فرنسا كاسحة ، ليست مما يحبب الناس فى زيارتها، لا سيما السياح . ومن ذلك انهم قالوا : ان الفرنسيين فى فرنسا يسلخون الزائرين الانجليز سلخا . وقد يكون سلخ زائر انجليزى او زائران او عشرة ، او حتى مائة ، وبقى سائرهم وهم لا شك آلاف من غير سلخ .

وحدث بسبب نشر هــذه الأخبار الكاسحة وأمثالها عن شعب بأسره ، ان هبط ايراد الدولة الفرنسية من سياحها من عبر القناة الانجليزية هبوطا شديدا ، كان من جرائه ان اوعز رئيس الدولة ، ديجول ، بنشر اعلان يرجو من الشعب الفرنسى فيه حسن معاملة الاضياف .

ولا شك يغتبط الحكام فى بريطـانيا لهذا الحكم الكاسح . واذكر لهذه الغبطة سببين من اسباب عدة . السبب الأول ان الانجليز يريدون فى ازمة الاسترلينى الحاضرة ان يقللوا من مقداره الـــذى يخرج سنويا من البلاد . اما السبب الثانى ، والأخطر ، فهو حقد الحكـام الانجليز على الحكام الفرنسيين لوقوف هؤلاء ضد دخول بريطانيا فى السوق المشتركة .

وينجم عن ذلك ، بعيدا عن يقظـــة صانعيه ، أن يكره الفرنسيون الانجليز وان يكره الانجليز الفرنسيين . يكـره الشعب الشعب . فاذا لقى فرنسى انجليزيا ، فاقل ما يشعر به الريبة فيه، وهو لم يره قط . وقـد يكون احسن الناس معاملة واصفاهم خلقا . انما هو ضحية حكم كاسح : ان الانجليزى عنده قوم كريهون . وكذا الحـال لو لقى انجليزى فرنسيا . ريبة وكراهة .

والكراهة التى يزرعها زارعوها بين الأمم ، تستشرى استشراء الوباء الذى يصبح داء مقيما .

والذين يعنون بسلام يكون فى الارض او يكون حرب فيها، يجزعون لهذا الحال جزعا ، بين اى امتين من أمم الارض وقع . فانما مثلت بالانجليز والفرنسيين لأنهما مَثَل هو اليوم حاضر قائم تتحدث به الصحف .

واكثر جزع انصار السلام انهم يعلمون ان الكراهة تقوم بين امتين ، او بالاصح بين شعبين ، صعب جدا محوها .

فالكراهة بين الفرنسيين والانجليز ، ان كانت تخف احيانا ، فهى لم تنطفىء ابدا لأن التاريخ الذى جرى يؤججها فى المدارس ، مدارس الفرنسيين . ولأن كلمة قالها نابليون عن الانجليز : « انهم اصحاب دكاكين، اى انهم لا ثقافة فيهم»، لم ينسها الانجليز الى اليوم .

واحكام بين العرب كاسحة

وهنا اصل الى الهدف الذى قصدت اليه من كل ما قلت فيما سبق .

انها الكراهة التى بدات تنشأ بين شعوب تنطق بلغة واحدة ، اسمها اللغة العربية، كنا منذ سنوات نسميها شعبا واحدا ، وكان اذا زلق القلم، فقلنا شعوبا ، سمعنا من يحتج علينا .

نعم ، اننا اليوم نقول الشعوب العربية ونأمن مغبة هذا القول . ولست اقول هذا للذى بين الدول العربية من خلاف، بعضه قد استشرى ، وبعض ظل جمرا أخفى حمرته الرماد الأبيض .

فهذا خلاف اراه لا يزال محصورا بين حكام هذه الدول .

ولكن الظاهرة التى اراها، واخشاها ، هى ظاهرة الكراهة والتكريه القائمة اليوم بين تلك الشعوب التى نسميها اليـــوم عربية ، ولست ادرى ما نسميها فى الغد القريب .

انظروا ما بين الجزائر والمغرب ، لا بين حكامها فحسب ، ولكن بين شعب وشعب .

انظروا ما بين ليبيا ومصر ، لا بين حكامها ، ولكن بين شعب وشعب .

وانظروا الى ...

ان الحذر يقول لى ان خير الكلام اقصره . والتمثيل شر .

وما انا فى حاجة الى تمثيل . انه حديث الغادى والرائح ، والخارج من بلد والداخل فى بلد . وحتى وقارىء الصحف ، فى اى بلد قرأ .

وحتى فى المؤتمرات ، قد يجتمع الحكام على وئام ، وتسمع عنهم أحسن القول ، وهم انما خلفوا فى بلادهم اذنابا تذيب الصداقات كما تذيب الاحماض الحجر .

ومن هذه الكراهات ما يأتى عن احكام كاسحة . رجل زار بلدا، فلقى فيه من احد الناس عنتا ، فيرجع مقروحا ، يحكى عن البلد ، ان كل ما فيها عنت ، وكل الناس فيها انجاس !

ورجل سمع من رجل من غير اهله كلمة عن اهله جارحة ، فسار يرويها لكل رائح وغاد ، وينسى ما قد يكون سمع من كلمات طيبات . لأن القلب للأثر اذكر ، وعليه أحرص .

والرزق قد يجمع بين اثنين فى بلد غريب ، وكلاهما عربى ، ولكن الرزق غير عربى ، فيطعن شخصه، ثم يجد ان هذا لا يكفى، ويريد اعوانا من أهله ، فيأخذ يطعن فى اهل صاحبه . وتصبح الخصومة التى كانت بين فرد وفرد ، خصومة بين شعب عربى وآخر عربى .

فهذان هما أعدى أعداء العروبة ، وهما اقل الناس عرفانا بالخلق الرياضى عند المنافسة .

ولست أخلى الحكام من تبعة

والحكام قد يختصمون . والخصومة مأذون بها . ولا حياة بلا خصام . ولكن هناك الخصام الذى يتصل بالمبادىء ، ويحدث فى نقاشها ، ولو كان فيه عوَج . فهذا يجب أن يقتصر على الحكام . وقد ينزل الحاكم الى شعبه يبصره بسبيل الهدى وسبيل الضلال . أما أن ينزل

•
•
•



« وفي المؤتمرات ، يقول الزعماء احسن القول، وقد خلفوا في بلادهم اذنابا تذيب الصداقات كما تذيب الاحماض الحجر » .

الى شعبه ، ليكرّهه فى شعب عربى غير شعبه ، فهذا فى معنى العروبة هو الاثم المبين .

ومن انحراف الحكام ، أو انحراف عمالهم فى غيبة منهم وانشغال،ان يمنعوا الخبر الطيب يأتى من البلد الطيب عن الشعب الطيب . خبر شعب عربى كادح يهدى الى شعب عربى كادح ، ما دخل خصومة موقوتة قائمة بين الحكام فيه .

ولقد أدهشتنى كلمات قراتها،واخرى سمعتها، تفيض بالفرح لمصيبة يتوقعونها لبلد عربى .

وصحف وجدتها تزخر بكل خبر سيىء يحكى عن بلد يكرهونها ، وهى حكام وشعب ، ويحجبون كل خبر طيب . تماما كما تفعل صحف عربية بأخبار فلسطين المحتلة .

وآخرون يزاطون لشقاق يقع بين بلد وبلد . وهم جميعا عرب . .

واسمع اذاعة اسرائيل ، تأسف وتتحسر على ما يقع بين الدول العربية من خلاف ، فيختلط علىّ الأمر . اذاعة عربية هذه أم اسرائيلية ؟!

الكراهية هدّامة

نعم هدّامة لا هادمة . وهى تهدم فى يوم ، ما بنته المحبة فى سنين وقرون .

واعود فاكرر هذا المعنى لخطورته .

ان الكراهة تقوم بين شعب وشعب ، شىء لا تكاد تمحوه السنون .

وهى شىء يتوارثه البنون .

فليحذر الزعماء ، فى أى طريق هم بشعوبهم سائرون .

مَا بَعدَ عُرْيِ الأَفخَاذِ إلاَّ البُطون

لباس المرأة ، من أوروبية غربية شرقية ، وكذا لباس المراة في القارة الامريكية ، ولدَى من نحا نحوهن وقلد البستهن من بنات حواء فى سائر اقطار الدنيا ، هذا اللباس يتألف من بلوزة تستر النصف الاعلى من المراة ، صدرَها وظهرَها ، ومن جُونلةٍ تستر النصف الاسفل منها .

وهذا النصف الاسفل من هذا اللباس، الجونلة ، لعبت فيه الموضة ، ولعبت اصابع رجال الأطرزة فيه اخيرا لعبا كثيراً . فمرة هو يتسع ، ومرّة هو يضيق . ومرة هو يطول ، ومرة هو يقصر .

وكان للقصر حدود ، وكان للطول حدود . وكان من حدود القصر انه يقصر الى ما تحت الركب ، ولا يكشف عنها ابدا .

ثم اذا بالجونلة منذ سنة أو سنتين تقصر فترتفع فوق الركبة وترتفع كثيرا.

ان رجل المراة ، كما يعلم القاصى والدانى ، فخذ وساق .

وكانت الموضة تقضي بستر بعض الساق .

فاذا بها بغتة تقضى بالكشف عن الساق كله ، وعن بعض الأفخاذ .

ويجلس الرجل فى السيارات العامة والقطارات امام المراة ، لا عن قصد ، فهذا هو تصميم العربات من يوم كانت فيه سيارات وكانت قطارات . ويتلفت الرجل فاذا عيناه ، فى غير وعى منه ، تمتدان الى الفخذين المكشوفين . وتحس



فتيات من ارقى الطبقات فى المجتمع الاوروبى ، كشفت ثيابهن عن ركب ، ان نفعت نماذج فى متحف تشريح ، لم تنفع نماذج فى متحف فن

المراة بحركة هذين العينين ، تحس بها تصيب فخذيها فى الصميم ، فتضمهما، وتشد طرف الجونلة تريد أن تسترهما، ولكن هيهات . ويخجل الرجل ، ويروح يطالع الصحيفة التى فى يده . ثم تطفى عليه ، بغير وعى منه ايضا، هذه الجاذبية التى اخفاها بصحيفته ، ولم تستطع الجونلة أن تخفيها ، فيحاول ان يسترق النظر ، رغما منه كذلك ، ويظل المسكين طول الرحلة فى حرج ، وتظل المسكينة فى حرج . هو فى حرب ، هى حرب اعتداء ، عدته فيها أشعة من ضياء ، تملأ منه بصاصتين تعرفان بالعينين . وهى فى حرب ، هى حرب دفاع ، تحاول فيها أن تسد المنافذ فى الأسوار خشية أن يقتحمها العدو اقتحاما . ثم هى بعد ذلك لا تستطيع .

والعجيب انى اقرا ما اقرا من صحف الغرب ، فلا أجد رجلا ، ولا اجد امراة ، تتحدث عن هذا الحرج ، فأعجب .

خبر من باريس

حتى قرات فى الأسابيع الماضية خبرا. جماعة من العمال الرجال فى باريس ، سائرون فى الطريق ، فاذا بهم يجدون انفسهم وجها لوجه مع جماعة قادمة من الفتيات ، من ذوات الجونلات القصيرة ،

والأفخاذ العارية . وتتعلق أعين الرجال بالأفخاذ، وتمضى الفتيات وتفوت ،وأعين الرجال لا تفوتهن . فاذا كلمة تجرى بين رجل ورجل ، واذا بالرجـــال يلحقون بالفتيات ، واذا بثيابهن تتمزق ، يمزقها الرجال اربا اربا ، حتى عَرِىَ منهن الظهر وعرى الصدر ، وعرى البطن ، وانكشف كل شيء ، وتم هذا قبل ان يحضر رجال الشرطة . ووقف الرجال الغاضبون يتحدثون : « هؤلاء الفتيـــات عَرِىَ منهن الفخذان الى حيث كادا يلتقيان . فهن يُحِبِبن العرى . لهذا زدناهن عريا » .

على ان الأمر فى أوروبا لم يقتصر على الفتيات . لقد شمل كل النساء من كل الأعمار حتى لتجد العجـائز فى تلك الأستار القصيرة . وسميتها أستارا ، لان اللباس هدفه الأول على ما اعلم الستر ، ثم يأتى بعد ذلك الجمـــال والتجميل . والثياب لا شك جمال ، ولن تجد اقبح من امراة عارية أو رجل عار . بهذا حدثنى احد خبراء الجنس وكتابه .

وحدثت عجوزا منهن فى هذا ، بل حدثتنى هى وقد رأتنى انظر الى هذا القصر منها ، وأعجب . قالت : ان هذا من جنون العصر .. انك لتدور على كل المخازن فلا تجد فيها اسكرتا (هذا هو اللفظ الانجليزى للجونلة) يطول فيستر . انكم تتحدثون عن دكتاتوريات الحكم ، وتنسون دكتاتوريات اخرى فى المجتمع اشد قسوة،وانفذ حكما من الدكتاتوريات السياسية .. والموضة سيدة هـــذه الدكتاتوريات .

قلت : فى النساء .

قالت : والرجال . فانما تصنع المراة ما يرضى به الرجل .. وهل رأيت رجلا قام فاحتج على هذا العرى الذى لا ندرى الى أى مدى فى غد يمتد .

أطرزة جرت فى غير فتنة أو جمال

ولقد صـــدقت صاحبتى العجوز . صدقت فى معنى الدكتاتورية التى وصفت . فالمراة مهما طلبت الحرية ، ومهما طلبنا نحن لها الحرية ، فيها عنصر من العبودية عجيب . انها عبودية الطراز الذى يفرضه عليها أهل الطُّرُز فرضا . ولا تقل لى انها تتعبد للطراز المفروض لأنه يزيدها جمالا ويزيدها فِتنة . فقد جرى الكثير من الأطرزة فى غير فتنة أو جمال ، ومع ذلك لم تستطع المراة انكاره . والطراز الواحد ، فى احتشام أو غير احتشام ، بحكم انه طراز واحد ، لا يمكن أن يزيد كل النساء جمالا ، وهن اجسام مختلفة الأشكال والأبعاد . ان طرازا مفروضـــا فى عام يزيد المراة السمينة سمنا، فقبحا. ومع هذا تخضع له . وان طرازا مفروضا يزيد النحيفة نحافة . ويكشف عما فى صدرها من عظام،ومع هذا ترضاه طرازا . وطراز يزيد الطويلة الفارعة طولا ، وآخر يزيد القصـــيرة قصرا ، وكله فى حكم الجمال والتجميل قبيح مرذول ، ولكن ترضاه المراة .

وطراز الجونلة القصيرة ، طراز من الطُّرُز ، فيه معنى الحتم والفرض . ولكن زاد عليه انه واءم البيئة التى نشأ فيها . ففيه معنى التحرر الجنسى الذى عم أوروبا ، وفيه أثر شديد من ضعف الايمان المسيحى بين أهاليها،ذلك الضعف الذى نأسى له .

ولست أطيـل فى شرح هـذا ، فهو طريق فيه زلق كثير .

ولكنى لا استطيع الا ان اعجب لوصول هذا الطراز ، طراز الجونلة القصيرة ، طراز الأفخاذ العارية، الى شرقنا العربى، بل الى شيوعه بين فتيات الشرق ،وحتى بين عجائزه واشباه العجائز .

ويزيد فى عجبى انى لم اسمع بصوت ناقد يخرج من فوق منبر ، ولا كلمة عاتبة هينة تظهر فى الشرق، وما اوسعه، فى صحيفة . ووجدت عكس ذلك .

صورا من العرى،ليس فيها حتى الجمال الذى يثير غريزة. وهذا يذكرنى بصاحب جريدة قلت له فى نقاش : يا اخى لقد جمعتم على قارئكم ، فيما تنشرون من الصور ، وزر الخطيئة ، والم القبح معا. فان كان لا بد عندكم من وزر النظر ، فما ضركم لو جمعتم بين وزر العرى وفن الجمال ، فقد يطغى الفن على قارئكم فيغفل عما فى العرى من أوزار .

يستغلون الجمهور بمضاعفة أثمان العقاقير

ونبدأ القصة من أولها .

نبدأها من مصدرها ، حتى لا يكون عند احد ريبة .

ومصدرها الكنجرس الأمريكى ،بهيبته وجلاله .

ان الحكومة الأمريكية استحدثت فى السنوات الماضية القريبة نظاما للرعاية الطبية Medicare ، بدات تحس بثقله .

بل بدات تحس بأثقاله ، فهو له اكثر من ثقل واحد .

والثقل الذى نحن بصدده الآن هو نصيبها ، نصيب الحكومة الفدرالية ، مما ينفق فى شراء الدواء . فقد قارب ما تنفقه فى العام الواحد على فئة واحدة من الناس بضع مئات من الملايين من الدولارات .

واخذ رجال الكنجرس يدرسون ويحسبون .

وخرجوا على هذه الحقيقة العجيبة المدهشة،ان شركات الدواء تتعاطى اثمانا له هى اضعاف اثمانه التى وجبت ان تكون .

وطريقة هذه الشركات المعنية فنية طريفة .

ان العقار له اسم طبيعى اصيل ، عُرف به فى اول مرة ، وهو اكثر ما يكون اسما علميا كيماويا . ثم تأتى شركات الدواء المقصودة ، بذات الاسم الضخم فى الأسواق ، فتعطى له اسما جديدا من عندها ، هو اسم الصنف الذى تصنعه منه . وهذا يوهم الناس ، ان العقار صنفان ، صنف وضيع ، هو صاحب الاسم الطبيعى العلمى ، وصنف رفيع ، هو العقار الذى تصنعه الشركة ، وتعطيه من الدعاية ما تعطى ، واكثر ما تكون هذه الدعاية عند الأطباء .

ثم يكون للصنف الذى يباع فى السوق باسمه العلمى الكيماوى القديم «الوضيع» ثمن مثل اسمه قليل وضيع . ويباع الصنف الذى شرّفته الشركة باسمها الجديد ، ثمن كمثل صنفه رفيع . والصنفان صنف واحد .

ويقول المصدر الذى انقل عنه ، وهو مصدر كبير لا ترتفع اليه ريبة ، يقول فى سبيل ضرب الأمثال ، ان الاسبيرين هو هو الاسبيرين ، تحت اى اسم كان ،



الصيدلي يشتري العقار باسم سرباسيل ، فيدفع ٤٠ دولارا في الألف قرص منه .
وهو لو اشتراه باسم ريسربين ، لدفع ٦٩ سنتيما في الألف حبة منه .

ولكنك تشتريه فى الأسوق باسم اسبيرين فتدفع فيه ٣٩ سنتيما (الدولار ١٠٠ سنتيم) . ولكنك تطلبه من الصيدلى بالاسم الذى أفاضته عليه الشركة فتدفع فيه دولارا و ٣٩ سنتيما .

ومثل آخر : يكتب الطبيب لك اسم الدواء مثلا ، اكروميسين Achromycin وهو من المبيدات العضوية كالبنسلين . وتذهب للصيدلى بهذا الاسم ، فتدفع فيه ٢٥ دولارا . ولو أن الطبيب كتب اسم هذا الدواء تتراسيكلين Tetracycline وهو اسمه العلمى، لدفعت فيه للصيدلى فقط ٤ دولارات ونصفا .

ومثال ثالث : سرباسيل Serpasil وهو عقار لخفض الضغط ، وتهدئة الأعصاب . وهو هو العقار صاحب الاسم الأشيع « المبتذل » ، ريسربين Reser pine والصيدلى يشتريه من الشركة صاحبة الاسم الأول ، فيدفع ٤٠ دولارا فى الألف قرص منه . وهو لو اشتراه من السوق باسمه الثانى ، ريسربين ، لدفع فى شراء الألف حبة ٦٩ سنتيما . والصيدلى الامريكى في كلا الحالين مكسبه ٦٦٪ مما يبيع .

تبعة الأطباء فى ذلك

والأطباء يطاوعون الشركات فى هذا

الأمر ، لا حبا في اثقال كاهل مرضاهم ، ولا حبا في اثراء الشركات ، وانما هم يطاوعونهم لأنهم يجلون الأسماء التي تبتدعها هذه الشركات الضخمة ايمانا بهذه الشركات ، أو لألفتهم هذه الأسماء، وهم كثيرا ما يجهلون الاسم الأصيل للعقار الذي يصفون .

وسبب آخر لا يغرب عن بال . ان هذه الشركات الكبيرة ترسل رسلها الى كل بلد ، وترسل كتبها ، وترسل عينات جميلة التعبئة من عقاقيرها ، في حملة دعائية كبيرة تجرف الأطباء جرفا . وينجرفون عن ايمان .

والدعاية هذه الواسعة لها نفقة تضاف الى الأثمان .

وتبعة الشركات في هذه الأسعار

وتسأل الشركات الكبيرة عن هذه الأسعار المضاعفة لهذه العقاقير ، فيجيبون بأنها ضمان لنقائها . وتسأل الشركات الصغيرة ، التي لا تستعمل الا الأسماء العلمية الوضيعة ، فيقولون ان الأمر ليس أمر نقاء ، وانما هو طلب ربح كبير مضاعف . وتجيب على ذلك الشركات الكبيرة فتقول : ان يكن ربح كبير فنحن انما ننفقه في البحث عن عقاقير نافعة جديدة كثيرة ، وانها على كل حال لها الحق في اى ربح تراه كافيا ، في عالم التجارة الحرة ، ومن لم يعجبه الأمر فميدان المنافسة واسع فسيح .

في البحث والنقاء

أما عن البحث عن عقاقير جديدة ، وعن نفقات ذلك ، فمن الحق أن يقال ان هذه البحوث لها نفقات كثيرة . ولكن من المشكوك أن يكون تمويلها عن طريق مضاعفة اثمان العقاقير التي تباع للجمهور .

ولكن غير ذلك يقال في درجة النقاء .

فقد قامت ادارة الغذاء والعقاقير في الولايات المتحدة ، وهي ادارة ذات نفوذ عظيم ، قامت بتحليل ١٩٩١ عينة من عقاقير لها أسماء ابتدعتها شركاتها فوجدت ان ٨ر٨٪ منها قصرت عن بلوغ ما ادعاه أصحابها لها من مفعول ، وقامت بتحليل ٢٥٨٢ عينة من عقاقير ليس لها أسماء الا اسماءها الأصلية ، فوجدت ان ٧ر٧٪ منها فقط قصرت عن بلوغ مفعولها المزعوم .

المعركة لا تزال قائمة

ولا تزال المعركة قائمة في البرلمان الأمريكي . انها تختص الآن بمعونة طبية حكومية فدرالية ، تمتد لتشمل الشيوخ الذين تزيد أعمارهم على ٦٥ عاما . والنفقة المقدرة لشراء الادوية في هذا البند من المعونة تقدر بما يزيد على ٦٠٠ مليون دولار . والرأي السائد هو ان الحاجة ماسة الى تشريع يقضي بأن تقدر اثمان الدواء ، لا بناء على الأسماء ، ولكن على ما يحتويه العقار من مواد . وان الدواءين اذا تساويا نقاء ، وتساويا مفعولا ، وجب أن يتساويا ثمنا .

وهي حرب قائمة سوف تكون ضارية ، لأنها لن تكون حرب طب وعلم فحسب ، ولكن حرب مال وحرب صناعة وحرب استغلال ، في عالم حر ، وان ضلت حرية فيه ، وجب عندهم ان تقوم تناضلها حرية اخرى ، تردها الى طريق الهدى من بعد ضلال . ●●

أحمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٠٠

متسابقون من ١٧ دولة أجنبية

■ تميزت الاجابات عن هذه المسابقة بظاهرات ثلاث : أولاها زيادة نسبة ذوى الثقافات العليا من اساتذة الجامعات والاطباء والمهندسين والمحامين وأعضاء البعثات ، وثانيتها زيادة عدد الاجابات الواردة من الدول الاجنبية التى بلغ عددها ١٧ دولة هي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وانجلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وسويسرا ويوغسلافيا وايطاليا وتركيا وأسبانيا والبرازيل وباكستان والهند وليبيريا وغانا والحبشة ، والثالثة زيادة عدد المشتركين من الاجانب الذين يجيدون العربية قراءة وكتابة !

وقد أربى عدد الاجابات التي تلقيناها على ثمانية الاف اجابة . لم يكتف الكثيرون من اصحابها بالاجابة عن عشرة اسئلة ، بل اجابوا عن كل اسئلة المسابقة ، اجابات صحيحة .

واخطأ الذين لم يكملوا الاجابات العشر المطلوبة ، في السؤالين الاول والثامن . فقال بعضهم ان خليفة اول زعيم لمصر في القرن العشرين هو احمد عرابى وقال آخرون انه سعد زغلول ، ومنهم من قال انه طلعت حرب أو مصطفى النحاس !

واختلفوا في شخصية المجاهد السورى المقصود بالسؤال الثامن ، هل هو شكرى القوتلي أو يوسف العظمة أو حسنى الزعيم او بشارة الخورى أو .. رشيد عالى الكيلانى !!

اما الاجابات الصحيحة فهي بالترتيب الآتى :

محمد فريد . همرشولد . كنيدى . نهرو . ايدن . عبد الله السالم الصباح . خروشوف . فارس الخورى . ايرهارد . لومومبا . عبد السلام محمد عارف . محمد الخامس .

وقد اجريت القرعة بين الذين اجابوا على الاسئلة الاثنى عشر كلها فاسفرت عن النتيجة الآتية :

الجائزة الاولى : وقدرها ٣٠ دينارا فاز بها السيد / محمد العربى بن اسماعيل ، بالوفد الدائم لدولة الكويت بالامم المتحدة ــ جنيف .

الجائزة الثانية : وقدرها ٢٠ دينارا فاز بها السيد/محمدحلمي محمود مدرس اللغة الانجليزية بالمدارس الثانوية ــ طنطا ــ ج.ع.م .

الجائزة الثالثة : وقدرها ١٠ دنانير فاز بها الجراح العراقى الدكتور فؤاد صالح الجبورى المقيم في موسكو ــ الاتحاد السوفييتى .

وفاز بالجوائز الثمانى الباقية وقيمة كل منها ٥ دنانير كل من :

١ ــ **محمد الهادى حمدادو :** مسؤول القسم الوطنى باذاعة الجمهورية الجزائرية ــ الجزائر .

٢ ــ **الدكتور محمد ارشيدات :** لندن

٣ ــ **رياض مكاوى :** مصلحة الكهرباء ــ صيدا ــ لبنان .

٤ ــ **السيدة ضحى محمد رجب :** المملكة العربية السعودية .

٥ ــ **خالد دقاق :** حماه ــ سورية .

٦ ــ **أبو النور نعامة اليعقوبى :** مدرسة غريان الثانوية ــ طرابلس الغرب ــ ليبيا .

٧ ــ **وائل محمد بهاء الدين ايهاب هلال :** الخرطوم ــ السودان .

٨ ــ **فؤاد محمد علاء الدين :** عمان ــ المملكة الاردنية الهاشمية .

وسترسل الجوائز الى أصحابها . ■■

بصـــرك

أعــزُّ الحَواسِّ عَلـيـْـك

امْتَحِنْهُ مِنْ حِينٍ لِحِين

■ اذا سألت انسانا ، كائنا ما كـان ، اى حواسك الخمس اعزّ عليك، ما تردد لحظة حتى يقول لك : انه البصر .

والحق ان البصر لا يهدى في الطريق فحسب ، ولا يعرّف بأشكال الاشياء فنتعرف اليها فحسب ، ولا هو للقراءة وحدها وهى باب الانسـان اليوم الى العلم ، ولكنه ، في عصر هذه المدنيـة العلمية التكنيئة المكرسكوبية الحديثة ، اصبح لا يكفي القدرُ القليل منه ، بل لزم أن يحتفظ طالب هذه المدنية منـه بالقدر الكبير الكثير ، فان نقص البصر بحكم الوراثة او حكم العمل ، او حكـم السن ، وجب أن يتبيَّن ذلك باكـرا ، حتى يجعل منه بالعدس وغيره دائمـا بصرا شديدا حديدا ما امكنه الى ذلك سبيل .

ان من الآفات المشهورة التى يصاب بها البصر ، قصر النظر . ومنها كذلك طول النظر .

وانك واجد في الصفحة المقابلة خريطة بها صفوف من حروف افرنجية ، لـم يرسمها راسمها اعتباطا ، فقد رسمها من حيث الحجم ، وهو يتدرج صغرا من صف الى صف ، ومن حيث ثخانة الخط الذى صنع منه الحرف ، بحيث يتدرج كذلك قلة ثخانة مـن صف الى صف ، وكل هذا وفاء بتقدير لدرجة الابصار يعتمد على المعروف من قواعد الضوء وقواعد العين لاستقباله : ثـم قدرة شبكية العين على ايضاح ما يقـع عليها من صُوَر ما ترى العين من أشياء .

وانت تستطيع ان تمتحن نظرك بنفسك ، بان تقف الصفحة المقابلة حتى تكون قائمة راسية منبسطة ، يسقط عليها من ضوء النهار الكافي ، وان تبتعد عنها بحيث تبعد عيناك عن حروفهـا بمقدار ١٠ اقدام (٣٠٥ سنتيمترات) ، ثم تبدأ بقراءة الاسطر ، بادئا بالصفوف ذات الحروف الكبرى ، ومنتهيا بالصغرى .

(فان لم تكن تقرأ الحروف لأنها افرنجية ، فارسم شكلها على ورقة بيدك ، وقارنها بالـذى كتبت بعد ذلك . علما بأن الترجمة الى العربية هنا تقلب المعايير وتفسد الاختبار) .

فان انت استطعت ان تتبين حروف السبعة الاسطر الاولى ، فبصرك بصر سوىّ لا غبار عليه. وان زدت كان بصرك احدّ .

وان كان الامر غير ذلك ، فعليك بالطبيب .

واعلم انه ان كان بك قصر في النظر ، فالحروف تتضح لك اكثر كلما اقتربت .

واعلم انه ان كان بك طول في النظر فالحروف تتضح لك اكثر كلما ابتعدت .

ان الصورة ، لكي تتضح ، يجب أن تقع على الشبكية تماما . شبكية العين .

ان الصورة اذا لم تقع على الشبكية تماما ، بل قاربتها ولم تكد ، كان عند صاحب العين قصر نظر .

والصورة اذا لم تقع على الشبكية تماما ، فقد تمر بها ثم تفوتها الى الخلف منها .

وعندئذ يكون عند صاحب العين طول نظر .

T

X U

D Z A

P N F H

U Z T X D

N A F D H Z

A U T X P Z N

F D N T U H P X

Z A X H T P N D F

وفي الحالين تصحح العدسات الطول والقصر .

واعلم ان الشبكية هي ذلك الستار الموجود في داخل العين، في اقصى هذا الداخل ، وفيه تنتشر الاعصاب التى تتصل بالمخ . والشبكية ، بعد وقوع الصورة المرئية عليها ، عليها واجب آخر . لقد وجب على الشبكية ، بالذى بها من عناصر ابصار ، أن توضح الصورة بأن تدرك ما في الجسم المرئي من فروق تتصل باختلاف فى أوضاع أجزائه، واختلاف فيما بين هذه الاجزاء من ابعاد ، واختلاف بين جزء مضيء وغيره أقل اضاءة .

بقى أن نقول ان الخريطة التى بالصفحة المقابلة هي الخريطة الشهيرة التى لها أمثال كثيرة عند أطباء العيون ، وبها يمتحن النظر . وابتدعها طبيب عيون هولندى اسمه سنلن Herbert Snellen ولد عام ١٨٣٤ ومات عام ١٩٠٨ ، وهدف بها الى تقدير حدة النظر .

وتوجد وسائل أخرى لتقدير حدة البصر . ومن هذه طريقة لاندلت Landolt ، وتتألف أسطرها من دوائر غير كاملة تتجه فتحاتها الى أعلى واسفل وغير ذلك .

ومنها طريقة تتألف حروفها من أزواج من قضبان متوازية . واخرى تتألف من قضبان متقاطعة . وليست طريقة سنلن بأدق الطرق ، ولكنها هي من ايسر الطرق واكثرها شيوعا .

●●

مُعْجَمٌ عَرَبِيٌّ لِلمَعَانِى

■ هل فكرت يوما ، وانت تقلب صفحات معجم عربى ، أو ان شئت غير عربى كذلك ، بالضبط عما تبحث عنه .

انه لفظ لديك .

ثم انك تريد له معنى .

اذن اللفظ وجد لديك أولا ، والمعنى جاء ثانيا .

ولكن الذى يحدث كثيرا فى الحياة ، ان المعنى يأتيك أولا ، ثم تطلب لهذا المعنى لفظا . فأين تطلبه ؟

فى المعاجم ؟ بالطبع لا .

ان المعاجم ، ودعنا نتحدث عن العربية خاصة ، تعطيك الألفاظ مرتبة ترتيبا وفق حروف الهجاء ، فما أسرع ما تهتدى الى موضع اللفظ ، واذن فالى معناه الذى هو الى جانبه .

فهذا المعجم هو معجم الألفاظ .

وليس فى المعاجم المعجم الذى يعطيك المعانى مرتبة ، تهديك الى معناك الذى تطلب اهتداء سهلا . ثم الى جانبه تجد لفظه .

ان هذا المعجم الذى نفتقد هو معجم المعانى .

وستقول ان كتاب « المخصص » لابن سيده معجم عربى من هذا الصنف؟ وأقول نعم انه من هذا النحو ، ولكن ابن هو من اللغة ، بل أين هو من المعانى . انه البركة واللغة العربية بحر محيط . ان صاحبه طرق الباب، وأحسن بطرقه، ولكنه لم يخط فيه الا خطوة واحدة من الف خطوة . فأين الفاظ العلوم ، وهى مئات ، فيه ؟ وأين الفاظ الفنون ؟ وأين الفاظ الحضارة ، حتى القديم منها ؟

لا . ليس فى العربية معجم المعاني الكافى الذى نعنى ، والذى هو حاجة هذا العصر .

■ ■ ■

ان لغتنا العربية لغة واسعة . وعليك « بلسان العرب » تحصى مجلداته ، وتحصى ما فى كل مجلد من صفحات ، وما فى الصفحات من أسطر ، وما فى الأسطر من كلمات . كل هذا فيه اقناع بسعة اللغة . وهو مع ذلك لم يستوعبها .

ولكن كم فى هذه الصفحات من كلمات نحن حقا فى حاجة اليها فى هذا العصر ، فى علوم طبيعية ، وفى علوم رياضية ، وفى علوم تكنية ، وفي علوم طبية ونفسانية وتربوية . وفى آداب وعلوم ادبية وانسانية،

وفى غير هذا من صنوف المعرفة التى كشفت عنها العصور الحاضرة ؟

وغير هذا ، فالمعانى التى تولد كل يوم تتكاثر . بهذا يحدثنا احصاء منظمة اليونسكو الدولية . انها تقول ان الجديد من الالفاظ التى تستحدث فى العالم كل يوم يقدر بمائة لفظ لمائة معنى جديد !!

اننا فى حاجة الى معجم المعانى العربى هذا لنكشف به عما فى لغتنا العربية من فقر ، ونكشف عما فيها من غنى .

اما الفقر ، اى النقص عن متابعة معان احدثتها هذه القرون الحديثة ، فامره واضح .

وعلاجه واضح : ذلك استحداث الالفاظ لهذه المعانى .

واما الغنى ، غنى اللغة العربية ، فى معاجمها القديمة ، فيتمثل فى كلمات كثيرة لمعان ثمينة ، هى بعض تراثنا . وهى اذا نحن انزلناها فى مراكز التعريب اليوم ، اينما تكون فى الدول العربية ، لوفت بالكثير الذى نبغى من مستحدث الالفاظ للحياة الحاضرة ، فى كل علم ولحاجات المدنية هذه القائمة اليوم . انها مدنيتنا ، وهى مدنية كل حامد لها بيننا ، او كاره .

ذكرت كل هذا مقدمة لان اقول ان بالمغرب العربى الاقصى « مكتبا دائما لتنسيق التعريب فى العالم العربى » ، مركزه الرباط ، وهو من اشد مراكز التعريب نشاطا . ومن آخر مجهوداته « منهاج لتنسيق التعريب فى العالم العربى » . وهو منهاج واسع ، مخطوط مرسوم ، مطبوع ، وهو مفصل تفصيلا فيه الكفاية . وهو يهدف الى انشاء معجم المعانى هذا فى العربية ، وينشىء مثله فى الانجليزية وفى الفرنسية . واذن يسهل بين اللغات الثلاث التقاء معانيها ، واذن فالتقاء الفاظها ، واذن فسهولة وضع اللفظ العربى الناقص للمعنى القائم .

وقد قدر له المكتب الدائم عشرة اعوام لاتمامه .

ومع هذا ، فقد اراه املا ، اذا اعتبرنا الزمن المقترح لتحقيقه ، يثقل ظهره تفاؤل كثير . الا أن يستغنى من الفاظ المعاجم العربية عن كل لفظ قديم عتيق لا ينتفع به ، ولا يمكن ان ينتفع به ، فى العصر الحاضر . وكل لفظ جائز عليه هذا الحكم الا لفظا ورد فى القرآن او فى الحديث ، او فيما اشتهر من ارثنا العربى السهل المتنع الجميل الذى ينطق به الناطق ، ومع ذلك تسلم اسنانه فلا تتحطم .

بقى المال .

وهذا يضع « المكتب الدائم لتنسيق التعريب » ، وهو جزء من الجامعة العربية ، يضع تبعته على اكتاب الدول العربية ، ويجعله من بعض التزاماتها ، والتزامات سبقت .

ومن هنا تأتى الخشية .

لان هذا العمل الذى يطلب له المال عمل فى الصميم من بناء الأمة العربية ، بناء لغتها ، فبناء علمها ومعرفتها ، ومستقبل حياتها . ومن اجل انه فى الصميم ، فهو خاف . ومن اجل انه خاف ، ليس له المظهر البراق الذى يستدر المال . فوزير مالية اى دولة لا بد ان يكون راشدا رشيدا ، يدرك اخطار الامور القريبة المدى والبعيدة على السواء ، لكى يتهيأ له أن يجود بمال فى « سبيل عمل معجم » أو « تعريب مصطلحات » . تعابير فى لغة الحكم والحكومات ليس لها خطر يخيف .

●●

مسابقة العربي

أسئلة من التاريخ..

وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تعود بك الى أحداث في تاريخنا عظيمة ، وهي من ثمانية أسئلة كل منها عن أحد هذه الاحداث .. والمطلوب منك الاجابة على خمسة من هذه الاسئلة على الاقل لتفوز باحدى جوائز المسابقة :

● نفى الاستعمار الفرنسي المغفور له الملك محمد الخامس الى جزيرة بعيدة .. ترى ما اسمها؟

كريت — سرنديب — مدغشقر ؟

● نابليون .. القائد الشهير انتهت أيامه وهو في المنفى بجزيرة نائية اسمها :

كورسيكا — سانت هيلانة — صقلية ؟

● سعد زغلول .. نفاه الانجليز الى جزيرة في المحيط الهادى اسمها :

سيلان — سقوطرة — سيشل ؟

● عبد الكريم الخطابى .. الثائر المغربي الكبير نفاه الاستعمار الفرنسي الى جزيرة اسمها :

ترينيداد — قبرص — مدغشقر ؟

● أيا وطني لقيتك بعد يأس
كأني قد لقيت بك الشبابا

بهذا البيت من الشعر كان لقاء أمير الشعراء احمد شوقي بوطنه بعد عودته من المنفى في :

جاوة — باريس — اشبيلية ؟

● بشارة الخوري رئيس جمهورية لبنان ، ورياض الصلح رئيس وزرائها اعتقلهما الاستعمار في قلعة بجزيرة صغيرة بالبحر الابيض اسمها :

رودس — مالطة — أرواد ؟

● يروى أن ملكة اشتهرت بجمالها سافرت من اليمن الى القدس لمقابلة سليمان الحكيم .. ما اسم هذه الملكة :

كيلوباترة — بلقيس — افروديت ؟

● قائد عربي شهير ظل يزحف بجيوشه منطلقا من الشرق حتى وصل الى المغرب الاقصى .. وعند شاطىء المحيط وقف بحصانه ورفع يديه الى السماء وقال :

« اللهم اشهد اني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يُعْبَدَ أحدٌ من دونك » .

طارق بن زياد — عقبة بن نافع — موسى بن نصير ؟

شروط المسابقة وجوائزها

١ — أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ — اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ — ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي — صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٠٢ » .
٤ — آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .
٥ — كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار توزع كالآتي :
الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** : ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** : ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .. ■■

أمثالنا

في عهود العزة والغلبة وعهود المذلة والخضوع

بقلم : سلمى الحفار الكزبري

■ كلنا يعلم أن لكل أمة أمثالها التي تدل على خصائصها الاخلاقية والروحية الذاتية ، ومع ذلك يجد الباحث امثالا متشابهة شائعة في اكثر من لغة وامة ، وليس هذا التشابه الا دلالة على صفات عامة مشتركة بين سائر الامم والاقوام لأن الطبيعة الانسانية الواحدة تفرضها عليها .

ولنا نحن العرب ، رصيد كبير من الامثال القديمة المسبوكة بلغة ادبية اما شعرا واما نثرا ، الى جانب امثالنا الشعبية الطريفة التي لا تخلو من الحكم البليغة . فأمثالنا العربية ، الادبية منها والدارجة باللغة العامية ، ترمز الى خصائصنا النابعة من واقع حياتنا واسلوب تفكيرنا ، المتأثرة بدون شك بالاقليم والموقع الجغرافي ، وقد جعلتها جميع هذه العوامل تنطوي على تبصر عميق في أمور الدنيا وفي حل مشكلاتها .

نشأ اسلافنا في مناطق صحراوية عانوا فيها من ضنك العيش والغزوات الشيء الكثير ، وشبوا على حب الشجاعة وتمجيد الكرم والمروءة ، وخبروا النفس الانسانية بهدوء وعمق ، فانعكست طباعهم وفلسفتهم على أدبهم جيلا بعد جيل ، وما الامثال الا لون من الوان الادب المعبرة الهامة .

امثال من امثالنا

قال اسلافنا قديما في لزوم احتمال المصاعب والمزعجات لبلوغ الهدف

والاستمتاع به : (لا بد دون الشهد من ابر النحل) .

وفي باب الزلة والخطأ والدعوة التى التسامح فيهما قالت العرب : (لكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة ، ولكل صارم نبوة) .

وفي معرض العشق ومكابدته قال حكماؤنا : (ويل للشجي من الخلي) . وهذا مثل بليغ يعبر بكلام قليل عن آلام الواله عندما يصطدم ببرودة مشاعر الخالى من الحب ، الجاهل لناره .

اما المثل الذى نقول فيه : (بلغ السيل الزبى) فاننا نعنى به ان الامر قد تفاقم وخرج عن طبيعته المألوفة ، وان الشر قد استشرى وعظم عن التلافي، وبلغ السكين العظم . والجملة الاخيرة (بلغ السكين العظم) ذهبت كذلك مثلا يستشهد به في مثل المقام الذى نقول فيه : بلغ السيل الزبى ، اى الروابي .

وقالوا في الثرثرة والافراط في الكلام

ويلاحظ ان أسلافنا قد نهوا في أمثالهم عن الافراط في الكلام ، وانهم كرهوا الثرثرة ، ولعل ابلغ ما قالوه في هذا الباب : (المكثار كحاطب الليل) اى ان من كثر كلامه كثر سقطه لان حاطب الليل يضرب كثيرا ولا يصيب الا القليل، او لانه يصيب الجيد والردىء لعجزه عن التمييز بينهما في الظلام . وفي الموضوع ذاته قالوا : (راحة الروح في قلة الآثام، وراحة الانسان في قلة الكلام). وقالوا كذلك : (سلامة الانسان في حفظ اللسان) . وقالوا كذلك : (اذا كان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب).

فأمثالنا تطرقت الى كافة الخصال الانسانية وابرزت محاسن الجميل منها، ومساوىء القبيح ببراعة وفن .

وقالوا في الوشاية

وفي ذم الوشاية يعجبني المثل القائل : (سبك من بلغك السب) . ولهذا المثل القديم قرينه في اللغة الدارجة حيث يقول عامة الناس : (مين غاظك ؟ اللي بلغك !) .

وقالوا في ان الحب اعمى

وهنا نلاحظ ان عامة الناس كثيرا ما تلتقى بخاصتهم في ضرب الامثال ، وفي النزوع الى الاستشهاد بها ، فالعامة درجت على ان تقول : (الحب اعمى) . بينما تقول الخاصة : (حبك الشىء يعمى ويصم) . وقد اخذ الشاعر هذا المعنى عندما قال :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما ان عين السخط تبدى المساويا

شطور من الشعر ذهبت مثلا

غير ان الشطر الاول من هذا البيت هو الذى ذهب مثلا ذاع بين الناس واصبح على كل شفة شطرا واحدا يتحول الى مثل واسع الانتشار كالمثل المشهور :

(. . . . .
تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن).

وهو الشطر الثانى لبيت المتنبي الذى يقول فيه :

ما كل ما يتمنى المرء يدركــــه
تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن

او كالمثل الذائع : (ان غدا لناظره قريب) . وهو عجز بيت قاله ابن أجدع للنعمان :

فان يك صدر هذا اليوم ولى
فان غـــدا لناظـــره قريـــب

وكما ان الذوق العام يألف شطرا واحدا من بيت شعر ويطلقه مثلا في بعض الاحيان ، نراه يختار ، احيانا أخرى ، بيتا كاملا من الشعر للغرض ذاته كقوله الشاعر :

لا تحسبوا رقصاتي بينكم طربا
فالطير يرقص مذبوحا من الالم

وقوله آخر :

ومن طلب العلا من غير كد
سيدركها اذا شاب الغراب !

ومنذ أقدم العصور ، ومن أمثالنا الرائعة في الباب ذاته : (من طلب العلا سهر الليالي) . و (من طلب عظيما خاطر بعظيم) . و (من جد وجد) .

وقالوا في العفو وتلمس الاعذار

ولعل نزوع أسلافنا للمعذرة والصفح في تاريخهم وأمثالهم من أصدق واجمل ما يعبر عن صفات كريمة وشمائل نبيلة متأصلة فيهم . فقد قال الشاعر :

تأنَّ ولا تعجلْ بلومك صاحبا
لعلَّ له عذرا وانت تلوم

فوجد قوله الموفق ونصحه الذكي هوى في قلوب الناس ، فتمثلوا به . وقال حكيم : (أعقل الناس اعذرهم للناس) . وقال آخر : (العفو من شيم الكرام) . و (العفو عند المقدرة) .

وأمثالنا في عهود الانحدار

سبق وقلت ان من أمثالنا ما تلتقي بها مع امثال سائر الامم ، وان منها ما تنفرد به لصفات خاصة بنا ، حميدة. ولكن كان للظروف السياسية التى واكبت حياتنا اثر بعيد فينا . فهذه أمثالنا الدارجة التى شاعت في عصور الغزوات والفوضي والاحتلال اكبر دليل على ضعف خلقى ، وانحدار نفسي واخلاقى لم نعهده لدى أجدادنا الاحرار.

فعندما نكبنا بعصور مظلمة تحولنا فيها من أسياد الى عبيد قالت العامة : (من اخذ امى صار عمي) . وقالت ابشع من هذا المثل اذ قالت : (اليد التى لا تستطيع ان تقطعها ، قبِّلها ، وادْعُ عليها بالكسر . . .) . وما من شك في أن الدافع لهذا النوع من الاستسلام البغيض ، وذاك النفاق الكريه هو ما عاناه الناس من ضروب الظلم والاضطهاد ، بينما نجد اجدادنا القدامى يدعون في أمثالهم الى حسن المداراة والحنكة فيقولون : (اذا لم تغلب فاحلب) اى اذا لم تدرك الحاجة بالغلبة فاطلبها باللطف والليونة .

وبعد ، فهذه جولة قصيرة في دنيا الامثال ، وامثالنا تراث ادبى وانسانى ونفسانى وافر التنوع والغنى ، قلما اعتنى به كتابنا المعاصرون مع أنه جدير بالدرس والتنقيب في كل بلد عربي على حدة لما يلقيه من اضواء على المجتمعات القديمة وتطوراتها ، وعلى الطباع الموروثة والمكتسبة . ■■

دمشق : **سلمى الحفار الكزبرى**

عمرك ، أيها الانسان
وأعمار ما تألف من الحيوان

- الأرض تلبس ثوبا جديدا من الأحياء كل مائة عام
- الأعمار الطويلة تتوارث ، وكذا القصيرة
- النساء أطول أعمارا من الرجال

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ طول الاعمار ، وقصرها ، ظاهرة من ظواهر الحياة مالوفة ، ، وهى غريبة برغم الفتها .

يطول عمر هذا الرجل ، ولا تدرى على التحقيق لم طال .

ويقصر عمر اخ له ، ولست تدرى على التحقيق لم قصر .

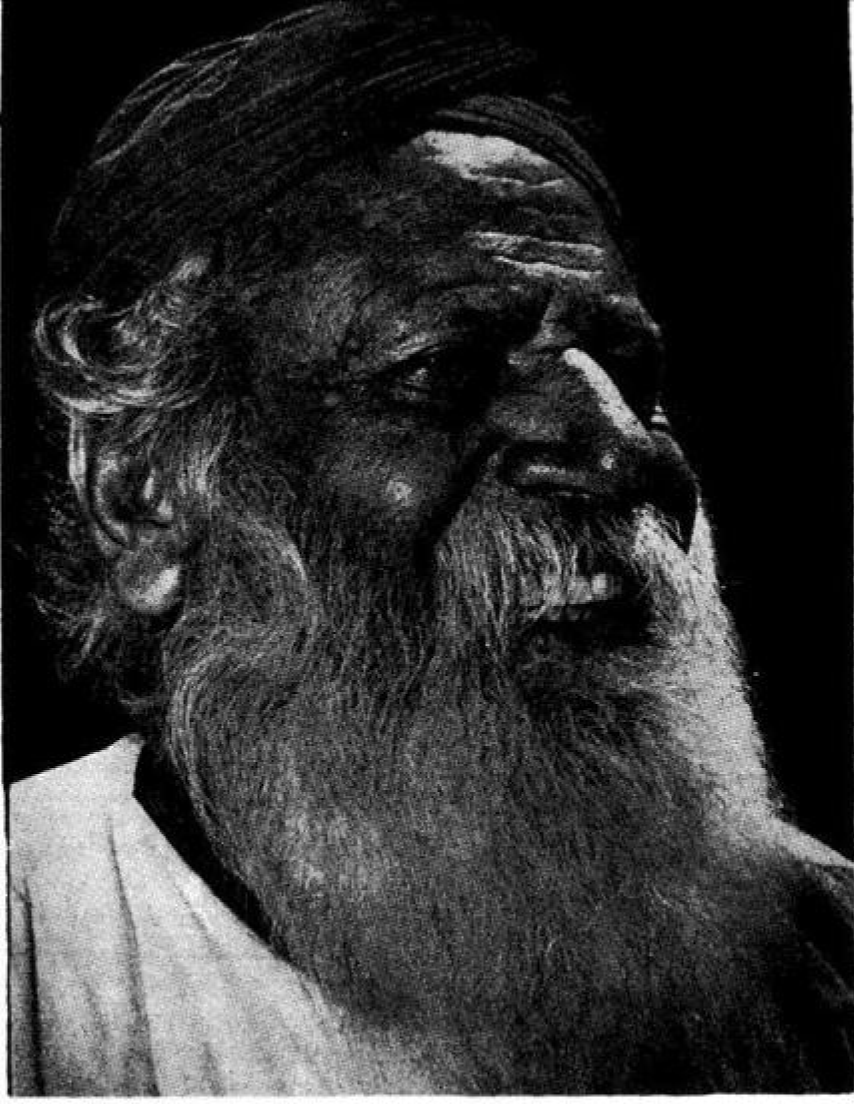
ونقول ان الاعمار بيد الله . ولكن الله لما نظم الكون ، انما جعل له قوانين ، وجعلها ثابتة ، وهى سنن ، وكتاب الله يقول « ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

فالاعمار اذن ، اذ نصفها بانها بيد الله ، انما نعنى انها وفق قوانينه .

وعجزنا نحن عن فهم هذه القوانين لتعقدها وتداخلها ، فعدنا نقول ان الاعمار بيد الله .

ومن ظواهر الاعمار الغريبة ان ابا يلد ابنا وهو في سن العشرين، ثم يموت . ويعيش الابن ليكون شيخا . وتخال او يجتمع الاب بابنه ، بعد ستين عاما او سبعين ، فتهاب الموقف الذى يكون . اب فتى من الفتيان ، ما التحى بعد،وابن ذو لحية طويلة بيضاء .

وهذا رجل قوى صحيح البنية ، في الثلاثين او الاربعين ، تحسب انه يعيش الى ارذل العمر . وما هي الا ايام ، او



اسابيع ، حتى تراه جنازة فى طريق . لعلها عدوى لم تمهله . او لعلها سيارة مسرعة في الطريق . فهذا عمر مقصوف.

وهذا رجل ضعيف مريض ، تحسب انه لن يعيش الى غد ، فاذا به يطوى السنين طيا ، قد اخطأته كل اسباب الموت .

عندئذ نتساءل : كيف ينسجم هذا وقوانين سنها الله . واى هذه القوانين نتخذ لهذا الذى حدث عنوانا .

انها ظواهر لا حدّ لها، لا يكاد يحكمها قانون او قوانين بيّنة واضحة : رجل سقط فوق راسه حجر في الطريق فرقد. سابح دخل الى البحر يسبح ثم ما خرج. اهو اعتباط ؟

أحداث كانها الخَبَطات تخبطها ناقة عشواء فى ظلام ليل . والخبط لا يدخل فى سنن .

واذن نعود فنحتمى من جهلنا ، ونعوذ بالله .. فنقول ان الاعمار بيد الله .

من الفوضى الظاهرة يحاول الانسان ان يستشف نظاما مرسوما

وامام هذا الجهل الواضح ، وعلى الرغم من هذا الجهل الفاضح ، يحاول الانسان دائما ان يستشف من ظواهر ، ظاهرها الفوضى ، نظما مسنونة وقواعد مرسومة .

يعينه فى ذلك حقائق ثلاث :

أولاها : ان أعمار البشر ، مهما طالت ، فهناك أمد تنتهى عنده .

ثانيتها : ان عمر الفرد الواحد من البشر يكاد يتصل بما ورث عن ابيه اتصالا وثيقا .

ثالثتها : ان عمر الفرد الواحد يتصل بما جرى ويجرى فى بيئته اتصالا كذلك وثيقا ، كشفت عنه السنون والقرون .

ولنعالج هذه الحقائق الثلاث حقيقة حقيقة .

أمد تنتهى عنده أعمار البشر

ان هذا الأمد يتصل بالخبرة العامة للناس ، اكثر مما يتصل بعلمهم المحقق وطرائق بحثهم الدقيقة .

فانت ان قال لك أحد ان من الناس من يعمر مائة عام ، استطاع على الوفر ان يذكر لك اسماء رجال ونساء بلغوا هذه السن ، اخذا مما سجلته سجلات المواليد فى الأمم ذات السجلات .

وانت اذ تطلب احصاء عند الأمم ذات الاحصاء ، تجد انه فى انجلترا وويلز ، بين عام ١٩٣٠ و عام ١٩٤٥ ، مات فيهم ١٦١١ من ذوى الأعمار التى بلغت قرنا او زادت عليه . وتجد انه قد تسجل فى الولايات المتحدة من امثال هؤلاء المعمرين ١٦٣١ فى عام واحد ، هو عام ١٩٥٦ .

ونسمع ونقرا فى الصحف وغير الصحف عن آخرين بلغوا من الأعمار ١٥٠ عاما ، ولكن فى امم لا تكون سجلات المواليد بدات فيها هكذا قديما . فهى اذن اعمار يثق بها من يثق ، ويرتاب من يرتاب .

والعلم يقف من هؤلاء غير مصدق ولا مكذب .

وحتى لو ادعى رجل او ادعت امة ان بها من عاش ١٠٠٠ عام ، لم يكن عند العلم وسيلة لتكذيب ، ولكنه مع هذا يشيح بوجهه عن هذا كفرا به وقلة ايمان .

ففى غيبة الدليل فى مثل هذه الدعاوى تكون الريبة اسبق . مئات الملايين من الناس لا يكاد يبلغ احدهم السبعين والثمانين حتى يموت ، واذا بلغت قلة نادرة منهم التسعين ، قيل ما اعجب ، لا يكون لحدث خارق كل الخرق ، كان يعيش رجل مائتين أو ثلاثمائة من السنين ، الى جانب ذلك وزن يذكر . انها قصة ، ان وقف الى جانبها جرام من تصديق ، وقف الى الجانب الآخر الف طن من تكذيب .

ومع هذا فالايمان قائم بأن كل حي ، بحكم تركيبه ، وما أودع الله فيه من اصول حياة ، به طاقة مقدرة محدودة لا بد من ان تستهلك على الأيام . وبما ان تراكيب الاجسام ، وما أودع فيها من طاقات حياة ، تختلف فتزيد او تنقص ، ولكن فى حدود ، فكذلك اعمارها ، تزيد وتنقص فى حدود .

انها كالسيارات ، من الصنف الواحد والمصنع الواحد . يسير منها في الطريق

عشرات ومئات . لها عمر محدود بين عددين من السنين متقاربين ، يزيدها الاستهلاك الشديد فى الطريق اقترابا من العمر الصغير،ويزيدها الاستهلاك القليل في الطريق اقترابا من العمر الكبير .

وقد تقول ، ولكن من السيارات ما يمكن خزنه فيطول عمره . ولكن الجسم الانسانى لا يمكن خزنه وتعطيله . ان حياته فى الحركة ، وموته فى البطالة .

والخلاصة : ان لأعمار البشر عمرا اقصى ، لا شك فى هذا ، ولو عجز العلم الى اليوم عن كشفه .

الوراثة تقصر اعمار الناس ، او تطيلها

وفي داخل حدود لهذا العمر الاقصى، اتضح من الاحصاءات ان اعمار الناس تطول وتقصر ، لان العمر الطويل يورث ، وكذلك يورث العمر القصير . وهى احصاءات دراسية اجراها عدد غير قليل من علماء الأمم ، منهم الانجليزى ، والامريكي ، وحتى الصينى .

وفيها درس هؤلاء العلماء اعمار اسر كثيرة ، منها اسر الأمراء ، واسر النابهين من غير الأمراء ، واسر العائلات الشهيرة، وكان هذا النوع من الأسر بطبيعة الحال مفروضا عليهم ، لان هذه الأسر هى وحدها التى حفظت شجرة آبائها واجدادها، ومتى ولدوا ، ومتى ماتوا .

وخرج الاحصائيون بنتائج دلت على أن الوراثة عامل مهم في اطالة الاعمار .

ويوان Yuan ، الباحث الصينى وجد ان الآباء الذين عاشوا الى سن السبعين فما فوقها جاءوا بأولاد عاشوا من السنين اكثر من اولاد جاءوا من آباء عاشوا فقط الى سن الخمسين فما دونها .

وممن اجرى ابحاثا كهذه شركات التأمين على الحياة . وهذا امر يهمها بطبيعة الحال. وهى اجرت هذه البحوث فيما لديها من أعمار رجال امنوا على حياتهم عندها ، ثم أمن من بعدهم أبناؤهم وذووهم . انها وفيات عندها مكتوبة مرقومة لا شك فيها .

وخرجت كما خرج السابقون على ان الوراثة من اهم العوامل في أطالة الاعمار او تقصيرها .

البيئة لها اثرها فى تقصير الأعمار واطالتها

وهذا امر من البداهة بمكان . فحيث الطعام كاف تطول الأعمار، وحيث الجوع تقصر الاعمار . والبيئة التى يسودها الجهل والمرض غير البيئة التى يسودها العلم والصحة. وكالجهل والمرض الفقر، ثلاثة أشياء مترابطة ، تعاهدت على انها ان حلت بمكان حلت جميعها معا .

وهذا القول قول اجمال ، يحتاج الى تفصيل . يحتاج الى احصاء وارقام . وهذا يدخل بنا الى معنى من معانى الأعمار جديد ، له لفظ جديد ، هو « متوسط الأعمار المنتظرة » Expectation of life في بيئة متجانسة من الناس، او فى بلد او امة . او فى عهد من العهود او قرن من الزمان .

« متوسط الأعمار المنتظرة » فى مكان من الارض او زمان

وهو عدد من السنوات ، نظرى ، يخرجه الحساب ، يحسب من قوائم الوَفَيات ، فى بيئة ما ، يدل فى المتوسط على ما يصح أن يرجوه كل فرد فيها من سنوات يعيشها قبل أن يموت .

فاذا قلنا ان متوسط الأعمار المرجوة فى امة ما هو ٦٠ عاما ، كان معنى هذا ان من افراد هذه الأمة من يموت فى

الخمسين وفى الثلاثين وما دون ذلك ، ولكن منهم ايضا من يموت فى السبعين والخامسة والسبعين والثمانين ، ومتوسط هذه الأعمار لطائفة كبيرة من الناس ، ولدوا فى سنة واحدة ، وماتوا فى سنوات متعددة ، هذا المتوسط هو ٦٠ عاما .

وهناك « متوسط اعمار منتظرة » يرجى للولائد حين يولدون ، ومتوسط لقوم يرجى وهم في سن العشرة أو العشرين أو الخمسين او الستين . وفي حساب كل هذه المتوسطات تؤخذ سنوات الوفيات للطائفة التى سبق أن ولدت فى هذه السنوات ، العشرة أو العشرين او الخمسين الى آخر ما هناك .

ومع هذا ، فالمتوسط الأهم والأخطر ، هو متوسط ما ينتظر لهم من أعمار حين ولادتهم . وهو الرقم من السنين الاكثر ذكرا .

واليك جدولا بمتوسط الأعمار المنتظرة فى كل من الولايات المتحدة ، ثم انجلترا وويلز معا ، فى السنوات المذكورة . ولقد نستطيع ان نأتى بمتوسط اعمار فى أمم أخرى ، ولكن كفانا هاتان الأمتان مثلا للأمم المتقدمة جميعها .

وأول ما يستفاد من هذه النتائج ارتفاع متوسط الأعمار فى الولايات المتحدة وانجلترا وويلز ، تدرجا مع السنين . وكذا الحال فى الدول المتقدمة في غرب أوروبا .

والسبب فى هذا ، أثر البيئة .

فالعلم والتكنية ، وهما بعض البيئة ، رفعا مستوى المعيشة في هذه البلاد .

اما العلم ، فأثره فى الصحة ومدافعة الأمراض لا ينكر . ومعنى هذا قلة الموتى وزيادة الاحياء . وهذا أحدث ما نسميه اليوم بالانفجار السكاني في العالم فأعمار الناس زادت ، وعاش من كان يموت . انه حَصَادٌ للموت قلل منه علم الطب وعلم الوقاية والتوقى .

واما التكنية فزادت فى انتاج الحقل والمصنع ، وزاد هذا فى رخاوة العيش . واذن ففى اطالة الاعمار .

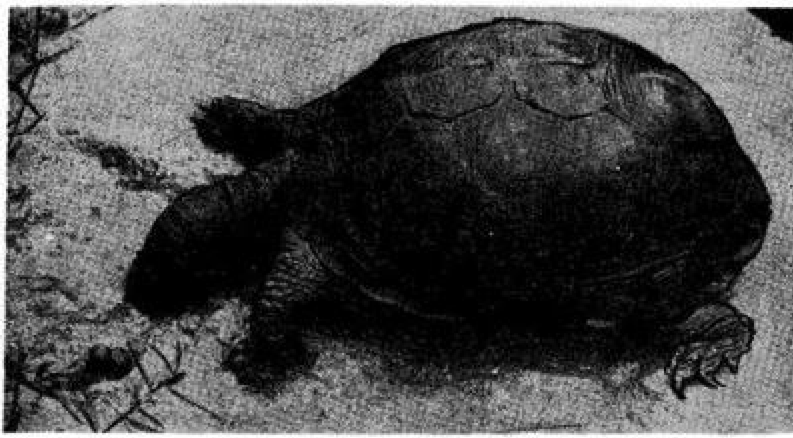
ولقد قدروا كم كان « متوسط العمر المنتظر » فى روما القديمة، وكذا فى اليونان القديمة ، فكان نحوا من ثلاثين عاما .

وليس معنى هذا انه لم يكن بينهم من عاش الى السبعين ، مثلا ، وما فوقها .

كذلك ، نلاحظ من الجدول ان النساء اطول اعمارا من الرجال .

الأعمار المنتظرة محسوبة عن سنوات مضت

الولايات المتحدة			انجلترا وويلز		
السنوات	ذكور	اناث	السنوات	ذكور	اناث
١٨٥٠	٣٨ر٣	٤٠ر٥	١٨٣٨ – ١٨٥٤	٣٩ر٩	٤١ر٩
١٩٠٠ – ١٩٠٢	٤٧ر٩	٥٠ر٧	١٩٠١ – ١٩١٠	٤٨ر٥	٥٢ر٤
١٩٠٩ – ١٩١٠	٤٩ر٩	٥٣ر٢	١٩١٠ – ١٩١٢	٥١ر٥	٥٥ر٣
١٩١٩ – ١٩٢١	٥٥ر٥	٥٧ر٤	١٩٢٠ – ١٩٢٢	٥٥ر٦	٥٩ر٦
١٩٢٩ – ١٩٣١	٥٧ر٧	٦١ر٠	١٩٣٠ – ١٩٣٢	٥٨ر٧	٦٢ر٩
١٩٣٩ – ١٩٤١	٦١ر٦	٦٥ر٩	١٩٣٧	٦٠ر٢	٦٤ر٤
١٩٤٩ – ١٩٥١	٦٥ر٥	٧١ر٠	١٩٥٢	٦٧ر١	٧٢ر٣



نوع من السلاحف ، يقارب عمره المائة والخمسين عاما

أعمار الحيوانات

ان تعيين أقصى الاعمار التى تبلغها الحيوانات ، او تقدير متوسط أعمارها، أمر دونه صعوبة كثيرة .

ان الانسان ، فى الأمم المتمدنة ، له تاريخ يسجل عند ولادة ، وتاريخ يسجل عند موت ، وسجلات يرجع اليها عند دراسة . ولا شيء بالطبع من هذا فى عالم الحيوانات .

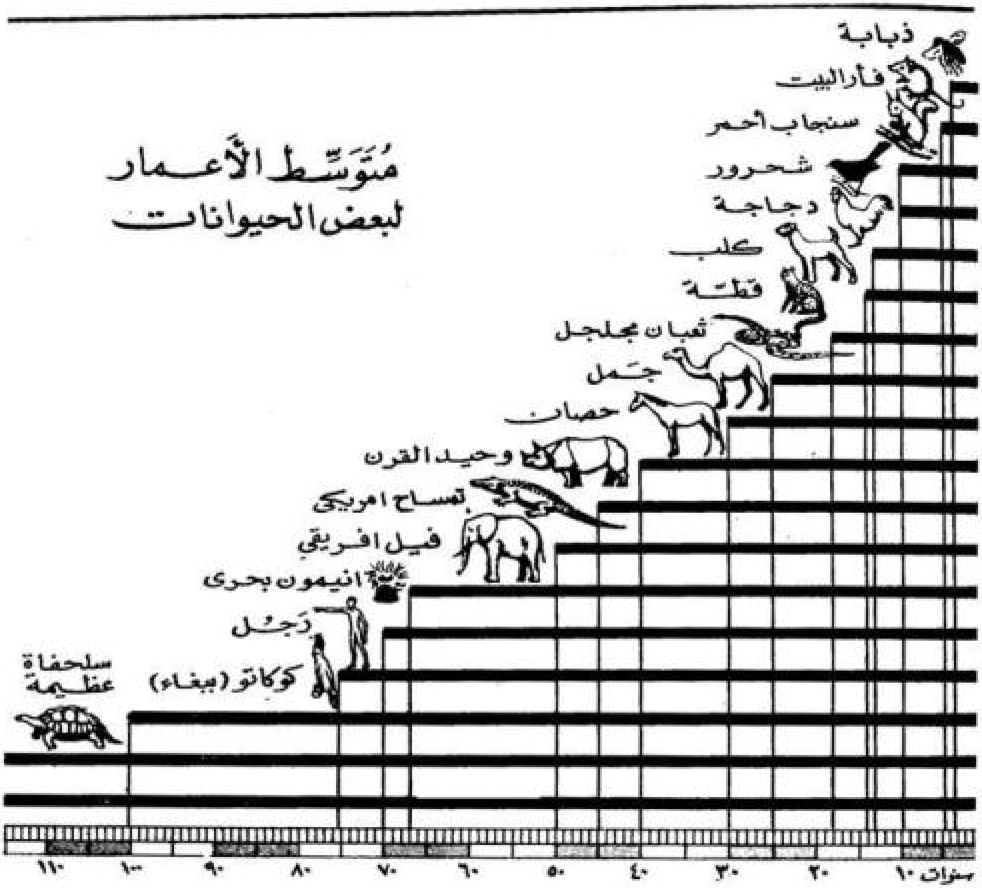
وفوق ذلك ، فأنت لو وقعت على حيوان لم تدر ما عمره ، الا فى حالات نادرة، يكون لنمو الاجسام فيها اثر يبقى فى الجسم كل عام . كالشجر الذى يزيد مقطع جذعه حلقة كل عام . ونعد حلقات الجذع المقطوع، فندرك من ذلك كم سنة مرت على الشجرة منذ ان نبتت فى الارض .

ولهذا اعتمد البحاث فى تقدير اعمار الحيوانات على ما احتجزوا منها فى مختبراتهم ، او فى حدائق حيواناتهم . واذن فهو تقدير اعمار لهذه الحيوانات على العيش المستأنس . والعيش على استئناس غير عيش الوحشية فى الأدغال والجبال والصحارى . ان الحيوان المستأنس لا يتعرض لأخطار الحياة كما يتعرض الحيوان الذى ظل على استيحاشه ، وهو لا شك اطول على الاستئناس عمرا من حيث انه فى مَنجىً عن افتراس ، يأتيه من حيوان على الاستيحاش اقوى . ان الوحوش ، من صغيرة أو كبيرة ، لا تعيش غالبا الى ارذل اعمارها . انها فى البرية قاتلة او مقتولة ، آكلة أو مأكولة .

ولقد ادعى كثير من الناس أعمارا كبيرة لشتيت من الحيوانات . ثم اظهر البحث والتدقيق خطأها .

كذلك يستشعر البحاث ان العمر الاكبر يصاحب الحيوان ذا الجرم الأضخم . وهذا صحيح الى حد ، ولكن لهذا الاستشعار كثير من الحقائق التى تنقضه .

ولعل تقدير متوسط الأعمار للحيوانات اقرب الى الصحة من تقدير اقصى الأعمار التى تصل اليها الأنواع المختلفة .



وانك واجد فى الرسم الايضاحى المرفق بعض هذه الاعمار ، ومتوسطاتها .

الانسان فان بذاته ، خالد بجنسه

ومع انى انا الرجل فان ، وانك انت ايتها المراة ، فانية ، فنحن انما نفنى بذواتنا ويخلد الجنس الانسانى من بعدنا الى ان يشاء الله . ان الارض تغير ثيابها من الانسان كل مائة عام تغييرا كاملا ، وتلبس ثيابا جديدة . وكذلك هى تغير ثيابها من الحيوان فى مثل ذلك او فى اكثر من ذلك من السنين وتلبس ثيابا جديدة . وهى كلها احياء فانية فرادى ، باقية اجناسا وانسالا .

ومن الاحياء ما يخلد بذاته وانساله

وانظر الى الحيوانات (والنباتات) التى تتألف من خلية واحدة . انها تنقسم لتبدأ جيلا جديدا فى دقائق . ولكنه حى انقسم الى حيين . ثم ينقسم كل حى من هذين الى حيين . وليس بين الحى وانقسامه شىء يموت . وعلى هذا الاعتبار يصح أن نقول ان هذه الاحياء التى يحلو لنا دائما ان نسميها بالدنيئة ، هى احياء خالدة حقا وصدقا ، لا باجناسها انسالا ، ولكن بذواتها تشققا كذلك ، وذلك ما بقى لها الغذاء الذى منه تحيا ، والمصادر التى تستمد منها اسباب العيش والنماء .

●●

احمد زكى

التضاعف الصبغي

وأثره في إنتاج سلالات مرغوبة

وسيلة يقدمها العلم الحديث لحل مشكلة الانفجار السكاني.

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

استاذ النبات بجامعة عين شمس

■ فى أوائل القرن الماضى ، خرج أحد علماء الاحصاء على الناس وهو « مالتوس » باحصاء غريب ، هو ان الناس يتضاعفون وفق ما يسميه الرياضيون متوالية هندسية ، على حين ان انتاج الارض من الغذاء ، من محاصيل وخضراوات وفواكه ، لا يتزايد بنفس النسبة ، بل اقل منها كثيرا ، مما ينشا عنه نقص فى الغذاء ، يؤدى الى مجاعة ، وقد انقضى اكثر من قرن ونصف قرن من الزمان دون أن يقع ما قدره « مالتوس » ، وكان ذلك بفضل تضافر العلماء فى كل رجا من ارجاء الارض ، يعملون متعاونين فى سبيل زيادة الانتاج من المحاصيل ، التى تكفى قطان الارض ، وذلك باستصلاح مزيد من الارض لتزرع ، او بزيادة ما يسمونه الانتاج الراسى ، نتيجة لتحسين السلالات او علاج الآفات ، او تحسين الرى والصرف وزيادة الخصب ، باستعمال الاسمدة الملائمة ، الى غير ذلك من وسائل تؤدى الى مزيد من الانتاج ، يكفي هذه الأفواه التى تتزايد يوما بعد يوم .

ثم ابتكر العلم ، ما يسمى الآن بالمواد البديلة ، وهى التى تستعمل بدلا من المواد الطبيعية كالالياف الصناعية ، من نيلون ، واورلون ، وبيرلون ، وغيرها مما يستعمل بدلا من الحرير او القطن او الكتان او الصوف ، وبذلك تستغل الارض التى كانت تزرع بنباتات الالياف لتنتج محاصيل وغلات يغتذى بها الانسان .

وهاهم العلماء يعملون جادين لايجاد وسائل قليلة النفقة لاعذاب ماء البحر ، حتى يستغل هذا المورد الضخم من موارد الماء ، بعد تحويله الى ماء عذب فى رى ملايين الافدنة من الصحارى فحاولوا استغلال الطاقة الشمسية المباشرة فى تقطير ماء البحر ، كما استعملوا الوقود العادى فى هذا التقطير ، ومنذ اكتشاف

الطاقة النووية وانهم ليبذلون الجهود للحصول على طاقة نووية قليلة النفقات تستعمل فى مفاعلات للقوى تستغل فى اعذاب ماء البحر .

على أن فريقا آخر من العلماء يعملون فى اتجاه آخر ، ولكنه يؤدى الى نفس النتيجة ، من حيث زيادة كمية المحاصيل عن طريق انتاج سلالات نباتية تعطى كميات متضاعفة من ثمار او خضراوات ، وذلك باستغلال ظاهرة تعرف بالتضاعف الصبغى .

فمن المعروف ان كل كائن حىّ ، مهما كبر حجمه ، انما نشأ اصلا من خلية واحدة هى البيضة الملقحة او المخصبة، وان هذه الخلية انما نشأت بدورها نتيجة اندماج خلية ذكرية بأخرى انثية ، هى ما يسمى عملية الاخصاب . ومن المعروف كذلك أن هذه الخلايا التناسلية ، انما تحوى عددا من الخيوط تتصف بشراهتها للاصباغ ولذلك سميت بالصبغيات ، وهذا العدد الذى تحويه الخلايا التناسلية، انما هو نصف العدد الذى يوجد منها فى الخلايا العادية فى جسم الكائن الحى . وعلى ذلك يكون عدد الصبغيات فى البيضة المخصبة ،وكل ما ينشأ عنها من خلايا الجسم ، ضعف العدد الذى يوجد فى اى من الخليتين التناسليتين . ويرمز للعدد الذى يوجد فى الخلايا التناسلية بالرمز (ن) اما عدد الصبغيات فى الخلايا العادية فى الجسم فيرمز له بالعدد (٢ ن) . وعندما يصل الكائن الحي الى درجة البلوغ، يحدث ما يسمى بالانقسام المنصف او الاختزال ، ويعطى الخلايا التناسلية ذات العدد (ن) .

الا ان هذا العدد الاساسى للمجموعة الصبغية ، قد يتضاعف فتحتوى الخلايا الجسدية للكائن الحىّ،على ثلاث مجموعات صبغية او اكثر فيكون بها (٣ن) أو(٤ن) ويقال لمثل هذه الكائنات انها متضاعفة الصبغيات ، فيقال ثلاثية أو رباعية او خماسية المجموعة الصبغية وهكذا .

وقد ينشأ التضاعف الصبغى من خلايا ثنائية المجموعة الصبغية لم تنفصل فيها الصبغيات بعد انقسامها الى مجموعتين مستقلتين، وبذلك توجد الصبغيات كلها فى خلية واحدة ، بدلا من توزيعها على خليتين ، وعلى ذلك تصبح الخلايا رباعية المجموعة الصبغية .

وقد عرفنا أن الخلايا التناسلية أو الامشاج، انما تحتوى فى الظروف العادية على نصف عدد الصبغيات الموجودة فى الخلايا الجسدية نتيجة للانقسام الاختزالي وقد يحصل شذوذ او خلل اثناء عملية الانقسام الاختزالي ، فتندمج نواتان في الطور النهائي للانقسام مما يؤدى الى تكوين امشاج ثنائية المجموعة الصبغية واذا حدث واتحدت الامشاج السابقة بامشاج اخرى تحتوى على مجموعة صبغية واحدة تكونت نباتات ثلاثية المجموعة الصبغية. اما اذا اتحدت بأمشاج تكونت بنفس الطريقة اى محتوية (٢ن) كانت النباتات الناتجة رباعية المجموعة الصبغية وقد يحدث التضاعف الصبغى ذاتيا ، بمعنى أن يتضاعف عدد الصبغيات المتماثلة في كائن متشابه اللاقحة، كأن تتكرر المجموعة ثلاث مرات، ويعرف الكائن بانه ثلاثي التضاعف الصبغى الذاتى ، أو تتكرر المجموعة اربع مرات ، ويعرف الكائن بانه رباعى التضاعف الصبغى الذاتى .. وهكذا .

وقد يحدث التضاعف الصبغى بالتهجين بين صنفين مختلفين او جنسين متقاربين وبذلك تكون المجموعة الصبغية لهذا الهجين هى المجموعة الصبغية ، المختلفة للابوين ، ويتوقف عددها على عدد المجموعات الواردة من الابوين، وقد يكون الهجين الناتج عقيما بسبب استحالة ازدواج صبغياته عند عملية الانقسام الاختزالي لتكوين الامشاج ، اذ لا يجد اى صبغى من نظرائه ليزدوج معه ، وبذلك يكون الهجين كما لو كان نباتا احادى المجموعة الصبغية . اما اذا قدر لهذا الهجين ان تتضاعف صبغياته، فحينئذ يصبح خصبا ويصبح رباعى التضاعف الصبغى الهجيني بالنسبة للعدد الاساسى

لصبغيات كل نبات على حدة ، ويعد فى الوقت نفسه ثنائي المجموعة الصبغية بالنسبة لعدد الصبغيات المتماثلة .

ومن الامثلة الواضحة للتضاعف الصبغى الهجينى ، ما حدث عند تهجين الفجل وفيه ٢ن = ١٨ ، والكرنب وفيه ٢ن = ١٨ فنتج هجين ثنائي المجموعة الصبغية ونظرا لعدم تماثل صبغيات المجموعتين كان الهجين الناتج عقيما . ولكن حدث فى الانقسام الاختزالى ، ان تكونت امشاج ثنائية المجموعة الصبغية وعند تزاوجها نتجت لاقحات رباعية المجموعة الصبغية ، مجموعتان منها من الفجل ومجموعتان من الكرنب ومثل هذا الهجين كان خصبا واطلق عليه اسم مشتق من جنس الابوين فسمى « كرنب فجلى » ، ويمتاز بضخامة حجمه .

وقد امكن استخدام بعض المواد الكيماوية فى احداث التضاعف الصبغى مثل مادة الكولشيسين ، فلم تنفصل الصبغيات الى مجموعتين فى الطور الانفصالى وبذلك تنتقل النواة الى طور السكون وبها ضعف العدد الصبغى ، اى تكون رباعية التضاعف الصبغى ، وقد يظل اثر الكولشيسين فى الانقسام التالى فتنتج خلايا ثمانية التضاعف الصبغى ، ووصل هذا التضعيف فى نبات البصل الى ان اصبح عدد الصبغيات يتراوح بين ٥٠٠ ، ١٠٠٠ صبغى .

وقد امكن احداث هذا التضاعف الصبغى بوساطة هرمونات نباتية ، والبنزين ، وابخرة البنزين ، وايدرات الكلور واملاح السلفا نيليميد والكحولات .

وقد يحدث التضاعف الصبغى كذلك بتعريض البذور او القمم النامية او البراعم لتأثير بعض الاشعاعات كأشعة اكس أو باستخدام بعض المواد المشعة او بتعريضها لصدمات حرارية مرتفعة او منخفضة أو باستخدام القوة الطاردة المركزية او باحداث جروح فى الانسجة النامية فى النبات .

ويتبع التضاعف الصبغى فى كثير من الاحيان، زيادة فى حجم النبات، وتستغل هذه الظاهرة فى النباتات التى تزرع لأجزائها الخضرية . وقد يصاحب التضاعف الصبغى زيادة فى حجوم الازهار ، وتستغل هذه الظاهرة فى بعض نباتات الزينة. وأحيانا يزيد حجم الثمار نتيجة لهذا التضاعف ، وقد تكون النباتات المتضاعفة الصبغيات اكثر خصبا. كذلك وجد ان النباتات المتضاعفة تكون أكثر تحملا لتغيرات المناخ . وفى بعض الحالات يثبت ان المحتوى الفيتامينى يزداد بالتضاعف الصبغى ، فنسبة فيتامين « أ » بحبوب الذرة الرباعية التضاعف اعلى بكثير منها فى الحبوب الثنائية، وفيتامين «ج» فى الذرة الشامية الصفراء الرباعية الصبغيات أعلى منها فىحبوب الذرةالشامية الصفراء الثنائية، وفيتامين «ج» فى ثمار الطماطم المتضاعفة الصبغيات يساوى تقريبا ضعف ما يوجد فى ثمار الطماطم الثنائية .

وقد علل العلماء هذه الظاهرة بقولهم انه فى حالة التضاعف بدلا من وجود جينين مسؤولين عن اظهار صفة في النبات الثنائي،فيكون فى النبات الرباعى اربع جينات تتكاتف في اظهار هذه الصفة او تلك .

وبالجملة فقد امكن استغلال ظاهرة التضاعف الصبغي فى ايجاد اصناف أو سلالات من النبات تمتاز بزيادة حجم المجموع الخضرى أو وفرة المحصول او تكون أكثر قدرة على تحمل الاصابة بالامراض او تكون ذات مناعة او مقاومة حيالها وكذلك اطالة فترة الازهار ، او الاقلال من الصفات غير المرغوب فيها وقد نجح التضاعف فى تحسين صفات نباتات كثيرة كالقمح والفراولة والسبانخ والمشمش والبرقوق وغيرها .

ولا شك ان مجال البحث العلمى فى هذا الاتجاه مازال فسيحا وما اشك فى ان العلم سيهدى الى الانسانية بمضاعفة الصبغيات ـ خيرا مضاعفا ، والله ولى التوفيق . ■■

عبد الحليم منتصر

فلسفة الفن عند المازنى

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ قد يكون من الحديث المعاد ان نقول ان المازنى ـ رحمه الله ـ لم يكن مجرد اديب او كاتب او فنان ، وانما كان ايضا مفكرا او فيلسوفا او رجل عقيدة وايمان . ولكن على حين ان « المازنى الاديب » قد اثار اهتمام الكثير من الباحثين والنقاد ، وفى مقدمتهم جميعا العقاد ومحمد مندور وفتحى رضوان وغيرهم نجد ان « المازنى الفيلسوف » قد بقى شخصية مجهولة لم يحفل بدراستها ارباب الفكر والمشتغلون بالفلسفة فى مجتمعنا العربى .

حقا انه قد لا يكون فى وسعنا ان نفصل «المازني الفيلسوف» عن « المازني الاديب » : فان معظم مؤلفات اديبنا الكبير ـ وعلى راسها « حصاد الهشيم » و « قبض الريح »و« صندوق الدنيا » ـ دراسات ادبية لا تخلو من طابع فلسفى . ولكن من المؤكد ان فكر المازني لم يلق بعد من العناية ما هو جدير به .

المازنى وكثرة السخ والهطلان

وقد يجد البعض شيئا من الحرج فى الحديث عن «فلسفة مازنية» ،خصوصا وقد اشتهر المازني بالثرثرة وكثرة « السح والهطلان » (على حد تعبيره هو نفسه) ، ولكن احدا لن ينكر على المازنى احتفاله بالفكرة ، وعنايته بالبحث عن الحقيقة ، على الرغم من اهتمامه بالحديث الموشى والعبارة الانيقة الرشيقة ! ولعل هذا ما فطن اليه الناقد المعروف المرحوم الدكتور بشر فارس حينما كتب يقول : « ان استرسال صديقى المازني من الترسل اللطيف ، لا استكراه لبسط العبارة ، ولا فضول فى تدوين الفكرة ،



فهمه الحياة والحرية والفردية
الحياة تخرج أشكالاً، في غير قالب واحد
الفردية شعور سابق للشعور بالغيرية
الفن إلهام واستعداد ثم جهد وصناعة

وانما الحديث ينبثق ويسيل ويسيح على غير كدر ولا أشب . . والمازنى اذا اطلق القلم عرف ما يريد ، ثم تخطر له الفكرة تلو الفكرة، فيصل اطراف السلك بعضها ببعض ، ويسيرها الى الغاية التى تشغل صدره . . » .

الحياة الفردية والحرية

ولو شئنا ان نلخص فلسفة المازنى فى كلمة او كلمتين ، لكان فى وسعنا أن نقول ان المازنى فيلسوف الحياة ، والفردية ، والحرية .

الحياة فى رأى المازنى

والحياة ــ فى رأى اديبنا العربى الكبير ــ قوى مطلقة تحكمها وتنظمها قوانين . ومعنى هذا ان فى الحياة من التناقض الشيء الكثير ، ولكن ليس فى الحياة فوضى او اضطراب . والمازنى يرى انه لا آخر للتنوع فى صور الحياة . فان الحياة مطلقة الحرية فى انتقاء الصور التى تبدو فيها وتتشكل بها . واذا كان من شأن الحياة ان تخرج باستمرار اشكالا متنوعة ، فذلك لانها لا تتقيد فى ابداعها بقالب معين او اسلوب محدد ، بل هى تخلق دون تكرار ، وتبدع دون املال . ولو كانت الحياة مقيدة بصورة و صور معينة لا تخرج عنها لكان تعاقب الاحياء تكرارا سخيفا لا معنى له . « وتصور ان الناس مثلا يخلقون على طراز واحد لا يتغير ، وينصبون فى قالب لا يتعدد ! الا يكون كل فى هذه الحالة صورة معادة لكل جيل سبقه ؟ نعم بلا شك ! وماذا يكون معنى هذا التكرار المستمر ؟ لا معنى على الاطلاق ! » (« قبض الريح » ١٩٢٧، ص ٣٦ ــ ٦٤) . واذن فان فى الحياة من الجدة والابداع والتطور المستمر ، ما يدفعنا الى القول بأنه ليس هناك تكرار ولا ترديد ولا اعادة ، وبالتالى فانه ليس ثمة اسراف ولا املال ولا رتابة .

الفردية فى رأى المازنى

ولو سألنا المازنى الآن عن السمة الاولى التى تتسم بها الحياة ، لكان جوابه ان « الفردية هى السمة الاولى التى تبديها الحياة أو تبدو معها . » ولا يقتصر المازنى على القول بأن الانسان يحس غيره ، بل هو يضيف الى ذلك ايضا ان « الفرد » قد وجد قبل « النوع » وان الاحساس بالفردية فطرى ، فى حين ان الغرائز الاجتماعية مكتسبة الى حد كبير . ومعنى هذا ان الشعور بالذات او بالفردية سابق للشعور بالآخر أو بالغيرية .

واذا كان بعض الفلاسفة المعاصرين قد ذهبوا الى أن الشعور بالذات شعور متأخر ، واننا لا ندرك انفسنا الا بعد ادراكنا للغير ، فان المازنى يؤكد ــ على العكس من ذلك ــ ان اول ما يحس به المرء بعد ان يأتى الى هذه الدنيا، ويشعر بشيء فيها ، انما هو « نفسه » . وهو يقول فى ذلك بصريح العبارة « ان

كل طفل يظل زمنا غافلا عن كل ما يحيط به من الاشياء والناس حتى أبويه ، بل حتى أمه او ظئره . وظاهر ان احساسه بوجود غيره لا يكون الا على الايام ، اى شيئا فشيئا ، ولا ينمو ولا يقوى الا تبعا لنمو ادراكه لما بينه وبين ما حوله من الناس والاشياء من صلات » .

ولما كانت « الفردية » سمة اساسية من سمات الحياة ، فليس بدعا ان يكون فى الوجود من التنوع ما يمنعنا من القول بوجود تطابق تام حتى بين التوامين المتشابهين !! فلا سبيل الى الخلط بين اى مخلوقين من مخلوقات الحياة، وليس فى الوجود بأسره فردان يمكن أن نصفهما بأنهما مترادفان ، كما نقول عن بعض الالفاظ ــ تساهلا فى التعبير ــ بانها الفاظ مترادفة ! واذن فان كل فرد يخرج من يدى الحياة انما هو نمط ، قائم بذاته ، مختلف عما عداه، او هو ــ على الاصح ــ تعبير جديد عن حرية الحياة فى ابداعها المستمر ، وخلقها المتصل ، واصالتها المطلقة .

الحرية فى راى المازنى

والحديث عن « الفردية » يقودنا الى الحديث عن « الحرية » : فان احساس المرء بفرديته هو الذى يملى عليه الا يرضى لنفسه ان يكون مجرد صورة مكررة من سواه ، لا تختلف عنه فى كثير او قليل ! واحساس المرء بحريته هو الذى يدفعه الى تكوين ذاته على نحو ما يريد لها أن تكون ، او هو الذى يهيب به أن يجعل من شخصيته عملا فنيا فريدا فى نوعه يكون هو منه بمثابة المبدع او الصانع ! فالحرية وثيقة الصلة بالفردية، والاحساس بالحرية لا بد من أن يسير جنبا الى جنب مع الاحساس بالفردية .

ولعل هذا ما عبر عنه المازنى ــ على طريقته الخاصة ــ حينما كتب يقول : « ان التميز دليل على وفرة الحيوية واربائها فى المرء على النصيب العادى . وهذا التميز هو الدليل من جهة اخرى على تغلب الفردية اى قانون الحياة على الوراثة التى تحاول أن تجعل الناس صورا متطابقة . ومن الذى يرضى أن يكون صورة مكررة من سواه ؟ . . من الذى لا يحب ان يسمو فى نظر نفسه او فى نظر سواه ــ وهو المهم ــ عن هذا المستوى العام ؟ . . » (المرجع السابق ص ٦٥) .

ولكن التميز يفترض التشابه، والحرية لا يمكن ان تقوم فى فراغ ، فلا بد من التسليم بوجود « تنظيم » يكمن من وراء ذلك « التميز » وتلك « الحرية » ، والا لكانت الحياة فوضى مطلقة لا تنظمها قوانين ولا تحكمها ضرورات .

ولهذا يربط المازنى الحرية بالضرورة فيقول ان دستور الفن الالهى يتلخص فى عبارة واحدة : « قوى مطلقة تحكمها وتنظمها قوانين ». والمازنى يعترف ــ فى هذا الموضع ــ بانه قد تأثر بفلسفة العقاد فى الجمال والحب ، على نحو ما عبر عنها فى كتابه القيم : « مطالعات فى الكتب والحياة » . ولهذا نراه يستشهد بعبارة مطولة للعقاد يقول فيها : « ان الكون كله والحياة (وهى أعم من الكون فى نظرى) والفن ومناظر الارض والسماء كل أولئك مظهر للتآلف او للتنازع بين الحرية والضرورة ، او بين الجمال والمنفعة ، او بين الروح والمادة ، أو بين افراح الفن واوزانه : قوى مطلقة وقوانين تحكم هذه القوى المطلقة ، وكلما ائتلفت القوى والقوانين اقتربت من السمة الفنية والنظام الجميل الذى يبين بالمادة صفاء الروح ، ويسبر بالقيود اغوار الحرية .

ائتلاف القوانين
هو سمة الفنية والنظام الجميل

وهذا الائتلاف هو دستور الفن الالهى المحيط بكل شيء، وهو فلسفة الفلسفات فى هذا الوجود . واذن فليس فى الحياة حرية مطلقة ، او ضرورة مطلقة ، بل

هناك حرية مقيدة وضرورة نسبية ، لأنه لا بد من « القيد » الذى تنتظم به الحرية ، وتصان من التبدد والانحلال المفضيين الى العدم .

علاقة الحرية بالضرورة

ويشرح لنا المازنى علاقة الحرية بالضرورة فيقول : « ان هذا القيد هو أن الناس لا يخلقون فى هذه الايام كما خلق اولهم من الطين مباشرة او من المواد الاولية ، وانما يأتى لانسان من انسان مثله ، وتخرج صورة الحياة الجديدة من صورة سابقة ، اى من ابوين . وهذا الجهاز الذى تمر به مادة المخلوق الجديد يطبعه بطابعه ، ويترك اثره فيه ، فيجىء الجديد مشابها للقديم . واذ كان هذا هكذا ، فكل فرد يأتى الى دنيانا نتيجة عاملين : حرية الاختيار التى تتوخاها الحياة فى صورها ، والوراثة الناتجة من التناسل والتى ترمى الى الاحتفاظ بالصورة القديمة والى اعادتها . »

وهكذا نرى المازنى يربط الحرية بالضرورة فيجعل من مبدأ الحرية علة لما بين الاشياء من اختلاف ، بينما يجعل من مبدأ الضرورة علة لما بين الأشياء من تشابه .

الفن تعبير رمزى عن الحياة ، بما فيها من فردية وحرية وابداع

اما وقد عرفنا الأسس العامة لفلسفة المازنى ، فاننا لن نجد ادنى مشقة فى فهم فلسفته الجمالية وتعرف مذهبه فى الفن . والحق أن الفن – فى رأى المازنى – انما هو تعبير رمزى عن الحياة بما فيها من فردية وحرية وابداع . وليس من الضرورى – فيما يقول المازنى – أن يكون المرء ... من الثقافة والتهذيب ،

الكثيف العقل « السميك » الوجه ، يضفر شعر حماره ويفرقه ويرسله على صفحتى عنقه ، ويفضض له لجامه ، ويذهب سرجه ، ويركبه مترفقا ، ويمشى به مختالا ، وينزل عنه، ويسايره، وينظر اليه باديا من بعيد ومن قريب ، ويربته ويلاطفه ، ويمسح له وجهه ،وقد تفيض نفسه سروراً بمنظره فيقبله! ولو أنه كان لا يتخذه الا مركبا يريحه من عناء السير وجهده ، لما كلف نفسه أن يحليه، ولما عنى بتجميل أدواته من سرج ولجام وغير ذلك ، وباراحته جهد طاقته، وبعلفه ما وسعه الانفاق ، فهى عاطفة فنية ملكت عليه قلبه ، واستولت على لبه ، وكان مظهرها العناية بتجميل اتانه ! » .

واذن فالانسان لا يبحث عن المنفعة فقط ، وهو لا ينشد الغاية فحسب ، بل هو يهتم أيضا بالجمال ، وهو يوجه جانبا غير قليل من عنايته الى الوسيلة او الواسطة . وليس النشاط الفنى – فى جوهره – سوى هذه العناية بتجميل وسائلنا او وسائطنا فى الحياة . وذلك الحرص على الاحسان والتجويد فيما نعمل أو نقول .

الفن الهام واستعداد ، ولكنه كذلك جهد وصناعة

صحيح ان الفن – فى جانب منه – الهام واستعداد وسليقة ، ولكن الفن أيضا جهد ومشقة وصناعة . وما دام النشاط الفنى نشاطا رمزيا يقوم على اصطناع بعض الأدوات أو الآلات ،فليس فى استطاعة السليقةاو الطبيعة أو الفطرة أن تنهض بالعبء الاكبر من هذا النشاط . « كم ممن تفيض خواطرهم بالخيالات الرائعة والآراء السديدة والاحساسات العميقة ، يستطيعون أن يبرزوا هذه

الكتابة ليست ماء يخرج سهلا من ينبوع

« حقا ان البعض ليظن أن الكتابة لا تكون فنا من تلقاء نفسها ، وانما تصير كذلك بما يحدثه المرء فيها من الصور ، وما يوفق اليه من الاحسان والتجويد» ان الألفاظ موجودة ، وهى ملقاة فى طريقنا جميعا وعلى طرف كل قلم ولسان، ولو أن العبرة كانت بالألفاظ وحدها ، وكان المعول على مقدار محصول المرء منها ، لكان اكبر الأدباء هم جماعة اللغويين والحفاظ ، ولكان ابن منظور والفيروزبادى مثلا شيخى أدباء العرب وشعرائهم » ! .

ليست الموسيقى أصواتا فحسب ، ولا التصوير أصباغا وألوانا

وهكذا الحال ايضا بالنسبة الى باقى الفنون: فان الموسيقى اصوات ،والتصوير اصباغ والوان ، ولكن ليس كل احد بمستطيع ان يكون بيتهوفن أو فاجنر او شوبان ، مهما توافر على دراسة تلك الأصوات ، وليس فى وسع اى انسان ان يكون فحلا من فحول التصوير مثل روفائيل أو تيسيان أو رنوار ، مهما كان من علمه بأصول الرسم وقواعد التصوير! « ومالنا لا نسوق الامثال مما هو الصق بحياتنا اليومية ؟ خذ صناعة النجارة مثلا ، وقل لى : لماذا لا يستطيع كل نجار ان يكون ككل نجار ؟ ما السر فى ان واحدا يخرج قطعة تدخل السرور على كل نفس، وتحب ان تتعلق بها وتتمهل عندها كل عين ، على حين يخرج لك غيره ممن لا يقلون عنه علما بالصناعة ودربة عليها ما لا يروق ولا يعجب ولا يعدو ان يكون قطعة منجورة واخشابا بعضها الى بعض والسلام ؟! » . وواضح من هذا النص ان المازنى يجمع بين الفن والصناعة ، فيقرر ان بعض الأعمال الصناعية قد ترقى الى مستوى الاعمال الفنية ، فى حين ان بعض منتجات الفنانين قد لا تخرج عن كونها مجرد اعمال صناعية ليست من الفن فى شيء ! ومهما كان من اهمية « الصناعة » أو « الدربة » فى الفن ، فان النشاط الفنى لن يكون مجرد « حرفة » يقتصر صاحبها على تطبيق بعض القواعد والأصول ، أو مجرد « صناعة » يلتزم القائم بها مجموعة من المبادىء والقوانين !

الفن فطرة مهيأة ، وذوق مؤازر

« هذا وجه يريد المصور ان يرسمه وينقل الى اللوح ما يترقرق فى صفحته من المعانى،ويجول فيه من الاهواء ،فكيف بذلك ؟ كيف يجعل هذه الشفة ناطقة بالسخرية ، أو تقويسة الذقن معبرة عن التصميم، أو لمعة العين شاهدة بسماحة الخلق ورضى النفس ؟ وكيف يشعرك ما يشعر به هو من السحر أو الدلال ، أو القوة أو الجلال ، ويفيدك ما افاد من الانس والغبطة والروح ؟ او كيف يجعلك حين تنظر الى الصورة الحاكية تشتهى ــ مثله حين يتجلى الاصل ــ أن تغمض عينيك وتنقل نفسك الى عالم آخر من الخيالات والخواطر والاحساسات ؟

وما يقال عن المصور يقال مثله او أكثر منه عن الكاتب او الشاعر . والأمر فى كلتا الحالتين يحتاج الى فطرة مهياة له اسبابها،وذوق مؤازر ، وسليقة مناصرة، وملكة معينة على حسن اختيار الرموز الكفيلة بافراغ الخواطر فى القوالب الملائمة والقادرة على احداث الصور المطلوبة فى اذهان القراء » .

واذن فان النشاط الفنى ــ فى راى المازنى ــ نشاط رمزى يتجلى بصفة خاصة فى القدرة على ابداع الصور ، وخلق الأشكال . وحين يقتصر الفنان على مراعاة بعض القواعد والأصول ، دون القيام بأى جهد رمزى من اجل افراغ خواطره فى قوالب جديدة مبتكرة ، فانه

عندئذ لن يكون سوى مجرد صانع ، « كهذه الآلات التى تدور بلا روح،وتخرج الوانا وضروبا من الصور تعجب بصقلها ودقتها واحكام صنعها ، ولا تحس ان يد انسان حى أو قلبه وراءها » . (من مقال للمازنى بعنوان متاعب الطريق ، نشر عام ١٩٢٧) .

المتاعب التى يعانيها الأديب والفنان

بيد ان المازنى الأديب الفنان أعرف الناس بما يستلزمه النشاط الفنى من جهد ومشقة،وما يتطلبه الابداع الجمالى من صراع مع المادة ، فليس بدعا ان نراه ينفى عن النشاط الفنى كل طابع تلقائى، لكى يجعل منه جهدا حرا لا يخلو من مكابدة او معاناة . وهو يتوقف بصفة خاصة عند المتاعب التى يلقاها الأديب ، فيقول : « كم من الناس يفكرون فيما يقاسيه الأديب ؟ اين ذاك الذى يطالع الكتاب او الديوان ويعنى بأن يصور لنفسه الجهد الذى بذله صاحبه ، والغصص التى تكبدها وصبر عليها : جهد التفكير والاداء ، وغصص النجاح والفشل على السواء ؟ انه لا يقدر ذلك الا من عانى هذه المآزق ، وخاض غمراتها وذاق مرارتها » .

ثم يعرج المازنى على متاعب المصور فيتساءل قائلا : « وشبيه بهذا ان يقف رجل من الأوساط العاديين أمام صورة يتأملها ويدير فيها عينيه ، ويعجب بها أو لا يعجب ، وهو لا يدرى أنها ليست الوانا واصباغا مزجها المصور وزاوج بينها وساوقها، بل قطعة حية من نفسه، اذا نظر اليها صاحبها كرت أمام عينيه سلسلة طويلة من الألم واللذة والندم والغبطة والغيظ والكمد والسخط والرضى والأمل والخيبة ، ومن أسبابها ودواعيها المباشرة وغير المباشرة .. » .

ولم يكن من المستغرب على فيلسوف آمن بالحياة ، والحرية ، والفردية ، ان يبرز ما فى النشاط الفنى من جهد ، وصراع ، ومشقة . وهل كان فعل الحياة نفسها فعلا تلقائيا لا أثر فيه للجهد ، ولا موضع فيه للصراع مع المادة ، حتى يكون الفعل الجمالى فعلا عفويا ، يرسله صاحبه غفلا، ويفرغه دون أدنى معاناة؟!

.. صحيح ان الكثيرين من الناقدين قد وجدوا فى أدب المازنى من الاسترسال ما جعلهم يتوهمون انه لم يكن يجد أدنى مشقة فى عملية الكتابة ، ولكن الحقيقة ان المازنى الأديب لم يكن يرى فى فن الكتابة سوى عملية ولادة روحية شاقة !

استقى المازنى من الأدب العربى ، كما استقى من الغربى

والذين توفروا على دراسة ادب المازنى يعلمون أن الكاتب العربى الكبير قد لزم كتاب « الأغانى » زمانا ، فتأدب عليه ، واجرى على انامله من سحر عبارته ، حتى اصبحت الفاظه دقيقة رقيقة ، تشف حتى لتتخطاها العين ، وكأنما يعرض لنا المعانى فى ظروف من نور ! وقد قرأ المازنى بيكون ، وشكسبير ، وجوته ، وديكنز ، ونورداو ، وغيرهم ، كما قدم لقراء العربية « مختارات من القصص الانجليزى » ، فليس من الغرابة فى شىء أن نراه يلقح التعبير العربى بالجديد من ضروب الانشاء فى دراية وتبصر . ولم يكن فى استطاعة المازنى ان يفصل الأديب عن « التراث الادبى » للانسانية قاطبة ، فقد كان « الاديب — فى نظره — هو ذلك الانسان الذى لا يكون وحده حين يكون وحده» ! . وهكذا عاش المازنى مع أدباء الانسانية قديما وحديثا ، واثقا من أنه لا خير فيمن يحس حين يكون وحده بأن حوله فراغا ، مؤمنا بان الأديب انسان متفتح لا بد له من أن يحيا فى وصال فكرى مستديم .. ■■

زكريا ابراهيم



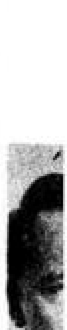
ايان سميث : هل يحتفظ بمنصبه ام يفقده ؟

من مجلة النيوزويك الامريكية :

● لافرق في روديسيا اليوم بين الاعتدال والتطرف من حيث المعنى . ويصدق هذا الشطط اكثر ما يصدق على العناصر اليمينية في حزب الجبهة الروديسية ، وهو الحزب الذى يتراسه حاليا « الرجل الحديدى » (ايان سميث Ian Smith) .

ولعل في تحكم الحزب المذكور بمقادير روديسيا وتحكم عناصره المتطرفة تلك في سائر اموره وشؤونه ما يفسر لنا كيف فقد ثلاثة من رؤساء الوزارة الروديسيين السابقين مناصبهم لمجرد انحرافهم عما فرضه هذا الحزب على البلاد من تعنّرات عنصرية .

ولقد تردد في الاونة الاخيرة ان ايان سميث نفسه بات مهددا بالمصير الذى لاقاه اسلافه . اذ ان العناصر السالفة الذكر ما زالت تتهمه بالرغبة في الوصول الى تفاهم مع بريطانيا ولو على حساب كيان روديسيا العنصرى واستقلالها .



على أن مركز ايان سميث من القوة والرسوخ بما لا يسمح مطلقا لحملة أو تهمة كهذه بان تهدده بفقدان منصبه . فهو يحظى بشعبية تكاد تبلغ حدّ التأليه بالنسبة الى الاكثرية البيض في روديسيا . وهو يتمتع بالتالى بثقة بالنفس مكّنته من اعلان رفع الرقابة عن الصحف والمجلات في الوقت الذى اعلنت فيه المنظمة الدولية عن عزمها فرض العقوبات على بلاده .

حكومة بون الجديدة والوحدة الالمانية

عن صحيفة (نيويورك هيرالد تريبيون —) باريس :

● تنتهج حكومة بون الائتلافية الجديدة سياسة خارجية فيها من المرونة ما يتنافى والجمود الذى ساد سياسة سائر الحكومات السابقة طوال السنوات العديدة الماضية . فهي تسعى الى اقامة العلاقات الدبلوماسية مع كافة الحكومات الشيوعية في شرق اوربا .

ولعل في البوادر الطيبة المشجعة التى انطلقت من بعض جوانب المعسكر الشرقي ما يعكر صفو والتراولبرخت Walter Ulbricht ، رئيس حكومة المانيا الشرقية الشيوعي . فهو لايروق له ابدا مثل هذا التقارب الذى بدأ يتخذ شكلا ظاهرا في علاقات حكومة بون بكل من رومانيا وهنغاريا .

وموقف الاتحاد السوفياتي من هذه السياسة ينطوى ، كما لا يخفى ، على تقبّل لها ، وذلك اما بدافع الرضى والتسامح ، وهو غير مرجح ، او بدافع من كان في حكم « المكره لا البطل » !

غير ان هذه التطورات تنسجم وسياسات الجنرال ديجول والرئيس جونسون تمام الانسجام . فقد حرص الرئيس الامريكي في الاونة الاخيرة على تحسين علاقات بلاده بالاتحاد السوفياتي رغم استمرار الحرب الفيتنامية وتفاقمها ولعل واشنطون وباريس تشقان طريقين متوازيين في هذا الاتجاه .

اما رائد حكومة بون من هذه السياسة فهو الوحدة الالمانية المنشودة . فهي لا ترى سبيلا الى



تلك الوحدة فى غير ازالة رواسب الحرب العالمية الثانية والقضاء على مخاوف دول شرق اوربا وذلك باقامة العلاقات الودية معها من جهة وبعدم الاسهام الفعال فى ميدان التسلح الذرى من جهة ثانية .

فضلا عن ذلك فان حكومة بون الجديدة تسعى الى تلك الوحدة لا بالاصرار العنيد على ان المانيا الغربية هى التى تمثل الشعب الالماني باسره .. وانما بقبول حدودها الحالية مبدئيا وتحين الفرص السياسية للمساومة على تغييرها وتعديلها فى المستقبل .

■ ■ ■

الفيلسوف برترند رَسِل والنساء

من صحيفة الاوبزرفر البريطانية :

● لعل اكبر دفعة نقدية دفعت على الحساب لنشر كتاب هي الدفعة التى قبضها مؤخرا الفيلسوف البريطانى برترند رسل Bertrand Russell من احدى دور النشر الامريكية . فقد بلغت هذه السلفة (٧٢٠٠٠) جنيه استرليني . هذا بالرغم من انها لاتعدو كونها دفعة اولى ستعقبها دفعات اخرى غيرها ، وبالرغم من انها هي وسائر المبالغ التي تليها لا تشمل نشر ذلك الكتاب فى العالم اجمع وانما فقط فى الولايات المتحدة الامريكية .

اما الكتاب الذى ظفر بكل هذه المبالغ فهو ترجمة حياة المؤلف نفسه وهى تضاهي ، فى رأى بعضهم ، اشهر السير والتراجم التى ظهرت فى التاريخ . لقد فرغ اللورد رَسِل من كتابة سيرته هذه قبل عشر سنوات ، ولكنه تركها منذ ذلك الحين فى عهدة احد اصدقائه الناشرين ليقوم هذا بنشرها بعد وفاة كاتبها . الا ان الناشر المذكور الح مؤخرا على الفيلسوف البريطانى بضرورة نشر سيرة حياته فى اقرب فرصة ممكنة ، خاصة وان معظم الذين جاء ذكرهم في تلك السيرة ماتوا . واقتنع برترند رسل (٩٤ سنة) بوجهة نظر صديقه وتم الاتفاق على ظهور « السيرة » خلال اشهر الربيع من هذه السنة .

ويبدأ الفيلسوف سيرته الهامة هذه بقوله :

« حكمَتْ حياتى منذ البدء نزعات ثلاث ، كانت بسيطة بقدر ما كانت عارمة .. تلك هي التعطش الى الحب ، وطلب المعرفة ، والشعور بالشفقة الى حد لا يوصف بصدد ما تعانيه البشرية من آلام . وتقاذفتني هذه النزعات وكأنها الريح العاتية ، وجعلت تهب بي فى كل اتجاه ، الى ان حلقت بي فوق محيط هائل عميق ، هو محيط القلق واليأس » .

ويضمن رسل كتابه هذا آراءه فى النساء وفى تأثيرهن فى حياته اذ يقول : « يبدو لي ان حاجة الرجال للنساء كحاجة النساء للرجال ، عقلية نفسية فوق كونها جسدية . اما انا فلا شك فى انني مدين لمن احببت من النساء بفضل كبير . اذ لولاهن لتضاعف ما انا عليه من ضآلة وصغارة » . ■■



بريطانيا جزء من أوربا لا من امريكا

من صحيفة الفاينانشال تايمز البريطانية :

● ثمة فكرة جديدة تدعو الى اقامة ميثاق للتجارة الحرة ، يشمل البلدان الواقعة على سواحل المحيط الاطلسي ، كالولايات المتحدة وبريطانيا وكندا ، وتشمل ايضا بلدانا اخرى بعيدة كاستراليا ونيوزيلنده واليابان .

على ان هذه الفكرة يتعذر تطبيقها عمليا ، فضلا عن انها ليست جذابة فى حقيقتها كما تبدو ظاهرا . والاهم من ذلك كله ان المصاعب السياسية التي تقف فى طريقها لاسبيل الى تجاوزها .

ذلك ان دخول بريطانيا فى منظمة امريكية بريطانية كهذه سيفرض عليها الاعتماد على الغير اقتصاديا . واعتمادها هذا بالمفهوم الاقتصادى سيفرض عليها بالتالي الاعتماد على الغير بالمفهوم السياسي .. ولعل دخولها فى المنظمة المذكورة هو بمثابة تحولها الى ولاية اخرى من الولايات المتحدة الامريكية فتصبح بذلك الولاية رقم ٥١ من تلك الولايات !

رسالة

بني :

لعلك تذكر الرسالة التى كتبتها الى اختك حين كانت فى عمرك ، تلك الرسالة التى طلبت قراءتها وتمنيت علي ان اكتب اليك مثلها فوعدتك ان افعل حين تبلغ عمرا يقارب عمرها وها انذا اكتب اليك هذه الرسالة اليوم ما دمت قد ودعت امس العام الثالث عشر من عمرك المديد السعيد ــ ان شاء الله ــ وتهيأت لاستقبال عامك الرابع عشر .

انك الآن تودع طفولتك وتستعد لاستقبال رجولتك ، وسيدوم استقبالك اياها اعواما لن تقل عن ثلاثة ، وقد تصل الى الخمسة او الستة. انك تبدأ فترة يسميها علماء النفس والتربية فترة المراهقة ، وهى فترة يعتقد الكثيرون انها صعبة عسيرة خطرة فيقلقون لها ويخشونها ، ولا تنتبه اليها والى شأنها الاكثرية الساحقة من الاهل فيتركونها للصدفة فلا يهتمون بها ولايعتنون وأعتقد أنا انها فترة هامة ، وليس من الضرورى أن تكون شاقة ولا عسيرة اذا تنبه الأهل والمربون الى أهميتها ، واتخذوا منها موقف الجد المتفائل والتوجيه الذكي الذى يتسم بالهدوء وسعة الصدر وحسن الفهم ولباقة الاشارة .

وضمن هذا الاطار اكتب اليك اليوم املا ان ادلك على الطريق السوي ، وان اشير عليك بالنهج القويم ، وأفتح عينيك على حقائق الحياة . ثم اتركك لذكائك وعقلك وقدرتك ، ايمانا مني بان مصير كل انسان انما يكون من صياغته هو فهو حق له وواجب عليه .

بنيّ :

اول ما احب ان افتح عينك عليه حقيقة هامة واساسية الا وهى تغير الزمان وتطور العمر .

والحق ان الزمان كان دائم التغير ابدي التطور ، فليس في هذا ــ اذن ــ جديد . لكني اريدك ان تلاحظ ان تطور زماننا غير تطور الازمنة السابقة ، وان تغير عصرنا متسارع بشكل يكاد يدير الراس ويضيع التوازن ، والويل كل الويل لمن لا يدرك هذه الحقيقة ولا يتواءم معها .

اننا في هذه الايام نستقبل مع شروق كل شمس تغييرا جديدا ، لا في معارفنا عن الحياة حولنا ، ولا في المخترعات والمكتشفات والتطبيقات العلمية التى نعيش في نعمائها ، ولا في الحقائق التى نعرفها عن ذواتنا فحسب ، ولكن وبالاضافة الى ذلك كله في المواقف الاجتماعية والمفاهيم الانسانية والعلاقات البشرية وهى امور ــ لو علمت ــ بالغة الخطورة .

ولعلك قد سمعت من يقول ان ناموس الحياة تنازع البقاء ، وان البقاء في هذه الحياة الدنيا للاصلح (والاصلح قد لا يعنى الاحسن اخلاقيا أو الانسب مثاليا وانما الاقوى جسدا والاوفر قوة) .

وحقيقة تنازع البقاء هذه واقع لا يمكن نكرانه، وحتم لا مجال لتجاهله ، لكنه يبقى ناقصا مشوها ومرذولا اذا لم نكمله بحقيقة هامة هى الاخرى ، وأعنى بها قدرة الانسان على التكيف ومقدرته على التواؤم مع الحياة وليس معنى هذا ان المخلوقات الاخرى ــ او بعضها على الاقل ــ عاجزة عن عملية التكيف هذه ، لكن معناه ان الانسان هو اقدر المخلوقات على التكيف ،واذكاها في التعرف على حقيقته ما يحيط به وابرعها في محاولة التوفيق بين ذاته وبين بيئته أو بين بيئته وبين ذاته .

واني اذ اذكرك بهذه الحقائق احب لك ان تعلم

إلى إبني

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

الاستاذ بجامعة دمشق

ان سلاح الانسان الامثل في عملية التكيف هذه هو قدرته على التعلم ، وقدرته على أن يتعلم ، ثم وبالتالي قدرته على أن يعلم وان يكتشف وأن يخترع .

ومن هنا كانت الحقيقة البارزة الاساسية الهامة التي تقول ان العلم والتعلم والتعليم هي الاقانيم الاساسية للحياة الانسانية المتطلعة ابدا الى ما هو أحسن .

ومن هنا أيضا كان سر قوة الانسان الحديث وتقدمه السريع في قدرته على التعلم وقدرته على التعليم وقدرته على دفع العلم الى أمام ، يتعلم هو ويعلم اجياله اللاحقة ويتقدم بالعلم الى مزيد منه .

وسأعود بك الى حديث العلم هذا عما قليل في موضع آخر مختلف بعض الشيء .

أى بنيّ :

وفي بنائك حياتك ورسمك لمصيرك أحب لك ان تكون واعيا ذكيا فلا تقبل أن تساق بالصدفة وأن تدفع بالحوادث الطارئة وأن توجهك تصاريف الزمان .

لقد منحك الخالق ـ عز وجل ـ عقلا وأعطاك حرية ثم قال لك خض معركة الحياة فلماذا تتخلى عن هذين السلاحين الماضيين ؟! لماذا تعطل عقلك وتتنازل عن حريتك وتترك نفسك ريشة تتقاذفها عواصف الحياة ورياح الصدف ! أفد من عقلك في صياغة أهدافك في الحياة ، واحرص على حريتك في اختيار طريقك فيها واجهد في سبيل ذلك ودافع عنه .

ضع أهدافك في الحياة وحددها ،وارسم توجهك الى هذه الاهداف واتبعه ، وحاذر في هذا كله أن تكون ضيق التفكير جامد النهج ، بل تحلّ بالمرونة واللباقة اللتين توصلانك الى أهدافك من خير الطرق عائدة ، وأكثرها فائدة ، غير مفرّط



في خلق قويم او حق صحيح أو واجب أكيد ، ولا متجمد على طريقة واحدة وقالب ضيق .

واعلم ان صياغة الاهداف علم وفن وان انتقاء الطرق الموصلة للاهداف عملية تحتاج الى قدر كبير من ذكاء وتفكير وتدبير . ثم اعلم ان الاهداف الصحيحة لا يمكن أن تكون جامدة ولا متحجرة ، وان الطرق السليمة لا يمكن ان تكون وحيدة ولا خيالية . ولا تنس أن تعتصم في عملك هذا بالمثل الاعلى والخلق القويم .

ولعلك محتج بان صياغة الاهداف أمر صعب ، وان انتقاء الطرق الى هذه الاهداف عمل شاق ، وانا معك في هذا الاحتجاج . لكن من عملي وعمل امك وعمل مدرستك ان نعينك في هذا ، ثم ان من اهم ما يجب ان تعيه في هذا الخصوص أن الاهداف منها القريب ومنها البعيد، وان الطرائق فيها الواضح البسيط ، وفيها المعقد الغامض ، وحسبك من هذا جميعه أن تعتاد تحديد هدف ورسم طريقة ، والجهد في سبيل تحقيق هدفك بطرائق شريفة ، ثم حسبك أن تذكر ان الاهداف تعلو وتهبط وان الطرائق تتغير وتلتوىأو تستقيم، وأن العاصم من هذا جميعه والمعين فيه كله نية حسنة وضمير حي وخلق قويم .

ولدى !

لو سألتني عن أهم صفة من صفات هذا العصر الذى تعيش فيه لقلت لك غير متردد انه عصر العمل ، ولو سألتنى عن أهم مكتشفات هذا القرن الذى شهد مولدك ،وأرجو الا يشهد موتك، لقلت لك انها قيمة العمل : قيمته في بناء حياة الفرد ، وقيمته في بناء المجتمع ، وقيمته في بناء الانسانية .

ولعلك ملاحظ اننا في زمان لم تعد للوراثة فيه قيمة ، واعني بالوراثة وراثة الاملاك أو وراثة الثروة أو وراثة المصنع او وراثة اللقب او غير ذلك من اشكال الوراثة الاجتماعية . ان قيمة الانسان في عصرنا هذا فيما يحسن عمله .

والحق ان العمل هو الطريق الاوحد لتنمية الشخصية البشرية وصقل الطبع الانسانى وابراز المواهبالفردية وتمتيعالانسان بالسعادة والرضي، فاول عملك المقبل جل تفكيرك وجماع عزمك . فكر فيما تحب ان تكون في هذا المجتمع وحاول أن ترى طريقك الى المهنة التى تحب أن تمتهن ، وليكن اختيارك لعملك على أساس من (١) قدراتك و (٢) ميولك و (٣) قيمة هذا العمل لمجتمعك.

ولست أرمى أن تختار مهنتك المقبلة منذ الآن فانا اعلم انالوقت ما زال مبكرا وان امكاناتك فيهذا العمر لمثل هذا الاختيار محدودة . ولكنى قصدت ان انبهك الى هذه المشكلة واهميتها وأن أفتح باصرتك على الامر منذ هذه اللحظة .

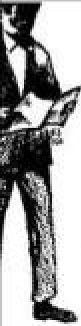
وقد تقول لى ان من المتفق عليه أن أكون مهندسا ، لكنى منبهك الى أن هذا الاتفاق كان حديث طفولة وانه يحسن بك ان تأخذ الامر منذ الآن ماخذ الجد لئلا تصدَم في امالك فيما بعد .

ومن واجبى أن أفتح بصيرتك على حقيقة هامة جدا فيما يخص عملك ، ان اتقان العمل لا يمكن ان يكون صدفة ، ولما كان اتقان العمل هو سر النجاح فيه والرضي عنه فان اتقانك لعملك ــ ايا كان هذا العمل ــ يقتضيك جهدا وعرقا وتعبا . وقديما قيل ان ٩٩٪ من النبوغ عرق جبين ، فاجهد اذن في سبيل اتقانك لعملك .

ولا تنس أن عصرك الذى تعيش فيه عصر علم وثقافة وتخصص ، وان مجتمعك الذى ينتظرك لم يعد ينظر بكثير من الرضي الى أولئك الذين لا تقوم معرفتهم بعملهم على أساس من ثقافة عامة عميقة واسعة وتخصص علمي دقيق . واذن فلا غنى لك في عملك واتقانك اياه عن هذا التخصص الدقيق القائم على اساس واسع من ثقافة صحيحة ، وانه لعمرى امر شاق ولذيذ .

وهنا دعنى اكشف لك سرا خطيرا ، سرا طالما بحث الانسان عنه بعيدا وهو في متناول يده واعني به سر السعادة . السعادة ايها الحبيب في القيام بالعمل الذى تحب على الوجه الاكمل وبالجهد اللازم .

حذار ان تظن انالسعادة تطرق باب الكسلان ، او تاتى عن طريق الاعمال السهلة أو تتبع من الاعمال الروتينية . وهكذا فاذا أردت سعادة حقيقة وجب عليك : ان تجهد في القيام بعمل محبَب وعلى وجه صحيح . وبذلكفقط تكون فنانا وتكون سعيدا وتكون قبل هذا وبعده مواطنا صالحا وانسانا خلوقا .



وما دام الحديث قد وصل بنا الى الاخلاق فلنقف عندها بعض الوقت ، انها تستحق الكثير من عنايتك وتفهمك وتدبرك .

ميزة الانسان الكبرى انه يستطيع ان يكون مثاليا ، ولعنة الانسان الكبرى أن يتخلى عن مثاليته . وانى لا اغشك حين اقول لك ان المدنية الحقة وان الثقافة الصحيحة في التقرب الدائم من المثل العليا والتطلع السرمدى الى المثل الاعلى . ولعلك تعلم ان المثل الاعلى هو الله عز وجل ، وانه لم يكن مفروضا في الانسان ان يبلغ مرتبة الاله فانه مفروض فيه ان يتطلع اليه دواما ، يتطلع اليه في عمله وفي علمه ، في نيته وفي جهده ، في سره وفي علنه .

وما كانت الاخلاق ولا يمكن ان تكون مجرد قواعد وأوامر وزواجر ، وانما هى قبل كل شيء عقيدة وايمان ونية وموقف . ولا تفهم من كلامى ابدا ان تستهين بالقواعد والاوامر والنواهى ، ولكن افهم ان الاعمال بالنيات وان الخطأ في طبيعة الانسان كالصواب وان الخلق الحسن في سلامة النية وحسن الطوية وطيب المعاملة ، ولقد كنت اشرت على اختك بقاعدة تعصمها من الزلل حين قلت لها ، لا تفعلى في السر ما تستحين منه في العلن ، وعليك أشير بقاعدة اخرى تعينك اذا اضفتها الى سابقتها على التزام الخلق الحسن ، الا وهى محاسبة النفس .

حاسب نفسك ، انظر في أعمالك وأقوالك، دقق في مواقفك ودوافعك وقف من هذا كله موقفا موضوعيا لا يقبل التبرير ولا يلتزم التزمت .

عندى ان ميزة الانسان على كل ما عداه ، وان طريق اتصاله بالله عز وجل هى قدرته على محاسبة ذاته ، استطاعته أن يقول لذاته اخطأت، ومقدرته على أن ينظر فى اعماله واقواله فينقدها نقد المتجرد . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عودته من غزوة بدر « عدنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » فقيل له « وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟ » قال : « جهاد النفس» .

على انى لا احب لك أن تقسو على نفسك فتسرف في لومها كما لا احب لك ان تتراخى معها فتخترع لها المبررات والمسوغات .

وفي حديثي اليك عن الاخلاق اريد لك ان تفهم انى أستنكر أشد الاستنكار تفريق بعض الناس بين الاخلاق العامة والاخلاق الخاصة ، انى مؤمن انهما وحدة لا تتجزأ فلست اقبل اطلاقا ان يكون الانسان كاذبا ووطنيا في آن معا ، ولست اقبل ان يكون الانسان ممن يقدمون على الاعتداء على الاعراض وفاعل خير .

ولست انسى ان أشير هاهنا الى أن من صميم الاخلاق الفاضلة أن يتطابق قولك وعملك في حدود الاستطاعة البشرية ، وان يتوازن عدلك ورحمتك، وان يتعاون حقك وواجبك ، وأن تتناسق حريتك وحرية الآخرين وهكذا . .

ثم انى أحب لك ان تميز بدقة وذكاء بين المفاهيم الاخلاقية والمفاهيم الاجتماعية . صحيح ان الخلق القويم يجب أن يكون جوهر المفهوم الاجتماعى ولكن هذا لا يتم دوما ومع الأسف ، وصحيح أن المجتمع السليم هو المجتمع الاخلاقى ولكن الواقع يكذب هذا في بعض الاحيان . ومن هنا كانت رغبتى في أن تحدد علاقتك بالمجتمع تحديدا ذكيا واعيا ، لا تخضع للمجتمع خضوعا أعمى ولا تثر عليه ثورة رعناء . اقبل ما فيه من صحيح أو ما تعتقده صحيحا واعمل على اصلاح ما فيه من قبيح او ما تراه قبيحا وتوسل الى ذلك بالموعظة الحسنة والقدوة الصالحة والصبر الطويل .

ابنى الحبيب :

هذا الذى قلته عن الاخلاق يوصلنى الى الايمان ، ذلك بأن الايمان جوهر الخلق ودافع العمل ومعيار النجاح .

وحين أحدثك عن الايمان أقصد الايمان بمعناه الواسع العميق ، فالذى لا يؤمن لا يعمل، والذى لا يؤمن لا ينجح ، والذى لا يؤمن لا يصيب .

والايمان بهذا المعنى يربط بين الانسان وخالقه وبينه وبين أهله ، وبينه ومجتمعه ، وبينه وبنى الانسان .

ثم ان الايمان بهذا المعنى يدفع الى العمل ، ويحفز الى النجاح ، ويحض على الثبات ويهون المتاعب ويذلل المصاعب .

واخيرا فان الايمان بهذا المعنى يساعد على التسامح ويمكن من التفهم ، ويقلل من الزلل .

آمن يا بني بالمثل الاعلى وآمن بوطنك وآمن بالانسانية ، آمن بها جميعا مجتمعة فيك ، وآمن بذاتك في خدمتها جميعا ومن أجلها جميعا .

آمن بالمثل الاعلى دون تعصب الاله ، وآمن بوطنك دون احتقار لاوطان الآخرين ، وآمن بالانسانية بوصفها محبة وتآخيا وتعاونا ، وآمن بنفسك ، انسانا تخدم المثل الاعلى وتخدم الوطن وتخدم الانسانية فتخدم نفسك ، واذكر ان الانسانية المشروعة لا تتنافى مع الغيرية المقبولة ، وان الوطنية الصحيحة هي لب الانسانية الحقة .

آمن بالانسان فيك وآمن بالانسان في غيرك ، آمن به قاطعا النظر عن اللون والعرق والجنس والمحتد ، آمن به كائنا اخلاقيا ، رجلاه على الارض وبصره الى المثل الاعلى .

يا فلذة الكبد :

ومن ايمانك هذا انطلق للايمان بالعقل ، العقل المطلق والعقل البشرى المحدود ، آمن بما وصل اليه هذا العقل من علم ومعارف ، من حضارة وثقافة ، من مكتشفات ومخترعات ، من نظر وتطبيق .

آمن بعقلك بوصفه قبسا من العقل المطلق قادرا على ان يصل بك الى مزيد من المعرفة ومزيد من الاتساق ومزيد من الشغف بهذا الكون والاخلاص لهذا الانسان .

صحيح ان العقل البشرى ما زال يحبو ولكنه سيقف على قدميه وسيركض وقد يرتفع في أجواء الفضاء نحو السماوات العلى .

وصحيح ان علم البشر ما زال في بواكيره لكنه في تقدم متسارع وتكامل متزايد .

لكن .. من واجبك ان تضبط المعرفة بالخلق وأن توجه العلم بالحكمة .

ثم لا تنس أن العلم الصحيح موقف قبل أن يكون معرفة ، فانا اريد أن تتخذ من مشاكلك اليومية وقضاياك الكبرى موقفا علما ، يتسم بحب الحقيقة أولا وبالتواضع ثانيا وبالرضوخ للحق ثالثا .

اريدك أن تتخذ من هذا الكون وما فيه ومن موقف المختبر المتعلم ، الباحث عن الحقيقة ، القانع بها ، العامل على نشرها .

واذكر ان خير العلماء المتواضع وان الذى يعرف انه لا يعرف انما يعرف كثيرا وهو في كل الاحوال على الطريق الصحيح الى المعرفة .

ولدى العزيز :

كان الذي حدثتك عنه حتى الآن امورا مجردة ، امورا أقرب الى مطالب النفس منها الى مطالب الجسد ولكنني مؤمن بالقول المأثور : « ان لنفسك عليك حقا ، وان لجسدك عليك حقا » ، فلأحدثك الآن عن بعض أمور الجسد .

صحتك يا بني شرط رئيسي لتحقيق جميع ما حدثتك عنه ودعوتك اليه حتى الآن : المريض يعجز عن تحقيق أهدافه ، والعليل قاصر عن العمل ، وطلب العلم جهد ومشقة ، والتزام أوامر الاخلاق ونواهيها يكلف الجسد اعباء جساما ، وخدمة الوطن والانسانية تقتضي الجسم عرقا وكدا فاحرص على التمتع بالصحة الجيدة .

وصدقني حين أقول لك انى لم أسمع في الاقوال المأثورة اجمل من القول بان « الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضي » . ونصيحتي اليك أن تتلمس هذا التاج بين حين وآخر وفي سن الشباب بالذات .

احرص على صحتك ومنذ هذا السن واعن بها العناية الكافية والمناسبة ، وتطلع منذ الآن الى ما بعد الاربعين وما تجره الاربعون من مشاكل صحية .

ولو سألتني عن سر الصحة الطيبة لقلت لك انه الاعتدال والقصد . الاعتدال في الطعام والشراب ، والقصد في السهر والجهد والتوفيق بين مطالب الجسد ومطالب النفس بحيث لا يطغى جانب على جانب .

ولا انسى ان اشير هنا الى امور هامة جدا في حفظ الصحة الا وهي اللهو واللعب والاستجمام والراحة والرياضة والهوايات .

واذا كنت لا احب أن أطيل عليك هذا الحديث عن هذه الامور فاني على وجه التأكيد أحب ان اشير الى المفهوم الصحيح للاستجمام ، فالاستجمام ليس كسلا ولا تسكعا وانما هو لعب منظم مفيد ولهو منشط بريء ورياضة منعشة مجددة للعزم فهل في حياتك ما يكفي من هذا ؟!



العب يا بنى ، العب في كل عمر واستجم في كل مناسبة وجدد قواك بالرياضة والا فان هذه الآلة الرائعة المسماة جسدك ستفنى وتختل .

انا أعلم أن مجتمعنا يفتقد مجالات اللعب واللهو والاستجمام ولذلك فنصيحتى أن تخلق هـــذه المجالات لنفسك وان تتعاون مع غيرك في ايجادها .

أما الهوايات فانا أعرف أن لك بعضها من مثل القراءة وجمع الطوابع ولكن دعنى اقول لك انهما ليسا كافيين . انهما بعيدان عن صفة الرياضة وهذا نقص كبير فيهما . لا تفهم مـــن كلامى انى ادعوك لتركهما ولكنى آدعوك لتكملتهما بهوايات رياضة منشطة .

هذا ولا تنس أن تتعلم كيف تسترخى ، كيف تتخلص من توترك العصبى وتوترك الجسدى . ان فن الاسترخاء يحتل اليوم في الطب النفسي مكانا هاما جدا .

ولا تنس أن تكون مرحا متفائلا ، فالرح عـــلاج للهموم والتفاؤل تعويذة ضدها . وحاذر ان تخلط بين المرح والتهريج وبين التفاؤل والعباطة .

ايه بنى :

ومن حقك عليّ أن أعرض في حديثي الطويل هذا اليك لمسالة المال وما يتصل بها من مسالة النجاح والفشل .

المال في الأصل يابنى وسيلة للتعامل بين الناس وتسهيل حصولهم على حاجاتهم دون اللجوء الى نظام المقايضة الذىكان وما زال سائدا فيالمجتمعات البدائية . واذا كان المال قد أصبح عـند بعض الناس غاية يبتغونها من أجل ذاتها ، واذا كانت بعض المجتمعات قد جعلت من المـــال رمز القوة ومدار الفخار فان أمثال هذه المجتمعات وأولئك الناس مرضي . ما في ذلك من شك .

هذه واحدة ، والثانية هي أن الغنى في الأصل يحمل معنى الاستغناء عن الناس وعدم الحاجـــة اليهم . وبديهى ان المقصود بالاستغناء هنا هو عدم الحاجة الى السؤال وليس عدم الحاجة الى تبادل الخدمات والعون .

واذن فانت غنى حين تحصل على كفايتك ،وانت غنى حين تستغنى عن سؤال الناس . لكن مسالة الكفاية هذه مسالة نسبية فردية ومتطورة ، فقد لا يكفيك الا ثلاثة أضعاف ما يكفى غيرك ، وقد لا يكفى غيرك الا مائة ضعف ما يكفيك . ولذلك قيل: ان القناعة كنز لا يفنى ! على الا تفهم من القناعة الخمول والكسل والتقاعس وانما تحديد الحاجات والتمييز فيها بين ما هو أساسي ضرورى وما هو اقرب الى الفخفخة والفشخرة منه الى الحـــاجة الحقيقية .

على انى أحب أن لا تسيء فهمى فتعتقـــد انى اريدك أن تحرم نفسك وعيالك الكثير من الرفاه ، لكن بعض الرفاه مشروع ومفيد ولازم ، وبعضه سفه وخيلاء وفراغ عقل ، فاحرص على الرفاه المفيد المشروع ودع سفاسف الامور . وهكذا فانا لا أدعوك للزهد او الكسل او (الدروشة) وانمـــا أدعوك الى القاعدة القرآنية الصحيحة التىتدعوك الى أن لا تبسط يدك كل البسط ولا تغللها الى العنق . أدعوك الى موقف منزّه عن كل مـــن الافراط والتفريط بعيد عن البخل والاسراف .

اى ولدي :

وبهذه المناسبة أحب أن أعرض لمظهرك ووجوب حرصك عليه بعد أن اشرت في الفقرات السابقة الى مخبرك ووجوب تنقيتك اياه من الشوائب .

ليكن حرصك على مظهرك نابعا من ينابيع ثلاثة هى بالتحديد :

١ ـ النظافة و ٢ ـ البساطة و ٣ ـ الرجولة . وصدقنى حـين اقول لك ان النظافة ، النظافة المعقولة غير المهملة ولا المبالغ فيهـــا هى أساس حسن المظهر ، وتأكد من أن الجمال في البساطة ، وآمن بأن رجولتك خير ما يزينك . فابتعد اذن عن كل ما ينقص رجولتك واحرص على بســاطة المظهر ونظافته وتأكد انك بذلك واصل الى الاناقة الحقة .

وبالمناسبة فان هذه الامور على صلة وثيقـــة بنجاحك وفشلك في الحياة وحصولك على المركز اللائق بك وبأمانيك ومطامحك .

وحديث النجاح والفشل يقتضي تحديد معناهما الدقيق لئلا تلتبس عليك الامور وتستبهم عليـــك الطريق .

بعض الناس يقيسون نجاحهم، أو نجاح غيرهم،

بما يملكون من مال او يصيبون من جاه او يشغلون من مركز او يحملون من لقب .

ولكني اجد للأمر معنى آخر ومدلولا مختلفا ، فاسمع عني ما ارى في النجاح والفشل : انت ناجح بقدر ما انت راض عما حققت من اهدافك . فاذا كنت قد احسنت تحديد اهدافك وعنيت بانتقاء الوسائل الصحيحة الموصلة اليها وحرصت على ما سبق ان اشرت اليه من وجوب توفر المرونة والسعة في هذه الوسائل وتلك الاهداف ، ثم بذلت ما استطعت من جهد فانت ناجح وان لم تنجح ، ذلك لأنك ترضي عن نفسك وعملك وجهدك وفي هذا الرضى ــ كما اعتقد ــ غاية النجاح .

على اني زعيم انك اذا قمت بما اشرت اليه من اعمال وعلى النحو الذى وصفته لك فان فرص الفشل تقل الى حد بعيد .

وايا ما كان فاني احب ان يستقر في ذهنك ان النجاح والفشل موقفان نفسيان وصفتان عاطفيتان وامران يتصلان أوثق الصلة بشخصية الانسان .

ثم من ذا الذى يستطيع القول بأن الفشل مضر ؟!

الحق ان الفشل مضر في حالة واحدة وهى حالة ذوى النفوس الخائرة والهمة المتقاعسة ، اما ذوو النفوس الكبيرة والهمم العالية فان شيئا من فشل مفيد لهم لانه يشحذ هممهم ويحفز قدراتهم ويتحداهم فيندفعون الى اهدافهم لا يلوون على شىء .

ومهما يكن امر اذكر ان اللذة في الجهد وان السعادة في التعب ، وان هذه السعادة ما كانت قط من نصيب الكسلان ، وان النجاح الهين نجاح محتقر حتى من صاحبه .

بني الحبيب :

كلمة اخيرة عن امر هام جدا ، امر يتصل بجسدك كما يتصل بنفسك ، ويتصل بفرديتك كما يتصل بمجتمعك ، ويتصل بحيوانيتك كما يتصل بانسانيتك . واعنى به مسألة الجنس وما يتصل بها من حب وزواج وتكوين عائلة . فاستمع الي احدثك عنها جميعا حديث الأب الشفيق والناصح الخبير بحكم من سني واختصاصي .

احب لك ان تعلم اولا : ان الجنس حاجة من حاجات الجسد تماما كالحاجة الى الطعام والشراب والراحة وما اليها من حاجات ، لكن بين الجنس وسواه من حاجات الجسد فوارق هامة يجب ان لا تغيب عن بالك ، منها ان الجنس اضعف الحاجات نسبيا . وكل الدراسات العلمية التى اجريت على هذا الموضوع تؤكد ذلك ، ويكفى لكى تتأكد مما اقول ان تذكر ان الجائع او العطش او التعب لا يشعرون بالحاجة الجنسية . ولذلك فلا صحة لما يزعمه بعض العلماء وكثير من العوام وجمهرة المراهقين المغرر بهم من ان الميل الجنسي اصل واساس وان كل الميول الاخرى تسير في ركابه .

واحبك ان تعرف ثانيا : ان الطبيعة بتنظيمها المحكم تستطيع ان تتكفل بالميل الجنسي وارضائه بطرق طبيعية بريئة سليمة بحيث يصل الشاب او الفتاة ليلة الزفاف بريئين طاهرين نقيين . ولا ضرورة اطلاقا لما يزعم من ضرورة التجربة الجنسية للزواج السعيد .

واحبك ان تعرف ثالثا : ان ميزة الانسان عن غيره من الحيوانات انه يستطيع ، اذا شاء وتوفرت له التربية الطيبة والظروف المناسبة ، أن يضع الجنس في خدمة الحب وليس العكس . وهذا امر في منتهى الخطورة والاهمية . ان الذى لا يفعل ذلك فمن شأن ينقلب الى حيوان صرف واعيذك من أن تطغى حيوانيتك على انسانيتك .

واحبك ان تعرف رابعا : ان الميل الجنسي ممكن التصعيد ، اى ان في امكان الفنون والرياضة والهوايات ان ترفع من الصفة الحيوانية للجنس الى مستوى الصفة الانسانية المثالية . ان الشعر والادب والرسم والتصوير والرياضة تستطيع أن ترفع ميلك الجنسى من مستوى الغريزة الحيوانية الى مستوى المثل الاعلى الانسانى ..

وارجو الا تفهم عني اني ادعوك لكبت ميولك الجنسية والقضاء على حنينك الى الجنس الآخر ، ولكنى ادعوك فقط ان تحتفظ لزوجك بما تريدها ان تحتفظ به لك . وهذا امر ممكن ومفيد ، بل وضرورى .

واسمح لي ان اقف معك وقفة قصيرة عند الحب ، وانا اعلم علم اليقين ان حديث الحب قريب الى

نفوس المراهقين وان كان جديـــرا بان يخيف بعضهم ، وانا اعلم بعد ذلك انك خجول تستحى من مثل هذا الحديث ولكنى اعتقد جازما ان من واجبى أن احدثك عن هذا الحب الذى قيل فيـه اكثر مما يجب وقيل ما لا يجب .

مرة اخرى انا اؤمن ان من حقك ان تحب وأن تحب ، وانا اعلم علم اليقين انك باحث يوما عن حب يختلف عن حب امك وابيك واختيك لك ، وانك مشوق الى حب يرضي رجولتك ويكمـــل نفسك وينتهى بك الى ما يجب ان تنتهى اليه من تكوين أسرة تقاسمك اعباءها فتاة احلامك ويزينها لكما بنون وبنات .

لكنى اريد ان اقول لك ان الحب شيء مقدس ، انه الجزء الذىوهبه الله للانسان منذاته العلية، ذلك بان الله محبة . فلا تعبث بالحب ولا تله ، ولا تستعجله ولا تخشه ، ولا تنس انه مسؤولية كبرى نحو ذاتك ونحو شريكك ونحو اولادك ثم نحو مجتمعك وانسانيتك .

ثم تأكد ان الحب الصحيح لا يتنافى مع العقل الصحيح والوعى الصحيح ، تأكد أن الحب الذى سيكتب له ان يعيش ويزدهر انما هو الحب الذى يأتلف فيه العقـــل بالعاطفة والذكاء بالارادة ، والفهم بالاحترام ، واما ما عدا ذلك فنزوات عابرة قد تخلف من الحسرات اكثر مما تتركه المسرات ، وشهوة خطيرة قد تكون لهـــا من النتائج ما ليس بحسبان الشباب الجموح .

وغاية الحب لا يمـــكن الا ان تكون الزواج . الزواج العاقل ! المتكافيء القائم على اساس من ادراك وعاطفة وارادة .

والزواج يا بنى مسؤولية خطيرة : مسؤوليـــة نحو ذاتك ومسؤولية نحو زوجك ومسؤولية نحو ابنائكوبناتك ثممسؤوليةنحو مجتمعك وانسانيتك فانظر من تتزوج وكيف تتزوج ومتى تتزوج .

على انى مريدك ان تفهم ان نجاح زواجك مـــن عمـلك انت قبـــل كل انسان ثم من عمل شريكك وظروفك ، فاذا اردت لزواجك ان ينجح اجهد في سبيل ذلك .

واذكر بعد هذا أن الزواج شركة ، وان الزواج حب، وان الزواج تدبير وتفكير ، وان الزواج عمل دائب صابر على الفهم والتفهم والتفاهم .

فاذا تم كل هذا من جانبك توكل على الله واترك له ان يجزيك عن حسن عملك خير الجزاء .

بنى :

ان المراة التى سوف تشاركك حياتك مخلوقمن نوع خاص مختلف عنك بعض الشيء ، مشابه لك بعض الشيء ، متساو معك في الكرامة الانسانية وفي الحقوق والواجبات فلا تغفـــل عن ذلك كله لحظة واحدة .

ولست احب لك ان تعتقد ثانية واحدة بمـــا يزعمه البعض من ان الزواج شر لا بد منه ، بل اؤكد لك ان انسانيتك لا تكمل الا بزواجك ، وان الابوة خير متعة في الحيـــاة ، وان الزوجية هى بداية الغيرية وان الانسان الذى لا يعيش لسواه، لبيته ، لعائلته ، لزوجه واولاده انســان ناقص الانسانية .

وما دام ذلك كذلك فان من واجبك أن تفهـــم شريكك وأن تحبه وأن تعطف عليه ، وأن تشعر معه ، وأن تعمل على اسعاده .

واذا كان بديهيا أن يبادلك حبا بحب وعطفـــا بعطف فانه ضرورى ان تقوم انت بما عليك وان تترك له ان يقوم هو بما عليه .

وبعد أيها الولد الحبيب :

لقد أطلت عليك ولكنني احببت أن احدثك عن كل ما اعتقدت ان من واجبى أن أبسطه لك وان ابصرك به . وانى لأعلم علم اليقين ان حياتك ملكك وانك انت الذى ستحياها وبطريقتك ، ولذلك فما اردت قط ان أفرض عليك مفاهيمى وطريقة تفكيرى ونمط حياتى ، معاذ الله .

ولكنى اعتقد أن من واجبى أنأضع خبرتى تحت تصرفك ، وان انفض بين يديك آرائى ونظرائى ، فانظر فيها واعمل عقلك وانتق لنفسك ما يتسق مع تفكيرك انت وطريقتك الخاصة في الحياة .

متعك الله بالسعادة وجنبك مزالق الحيـــاة وعصمك من الزلل وجعلك عضوا نافعا لمجتمعك لائقا بانسانيتك . ■■

ابوك

الدراما في القرآن

صاحب الأوتاد

بقلم : سنية قراعة

■ عندما خرج « سينوزير » من الكوخ المتداعى الذى كان يحيا فيه هو ووالداه الشيخان ، كانت الدنيا تبدو لعينيه على غير الصورة التى عرفها في دنياه ، دنيا الصمت والرهبة والأحزان !!

كانت القوارب مزينة بالاعلام العديدة الالوان ، والسفن الضخمة ذات الاشرعة البيضاء تملأ صفحة النيل ، وقد راحت تتقدم فى رَكْب طويل قادمة من « طيبة » ، العاصمة المقدسة ذات المائة باب ، فى شرق النيل ، الى « الغرب » الذهبي ، حيث عالم الصمت والموت ، حيث يعيش سينوزير وابوه الشيخ !!

وتعالت الاغاريد، ودقت الدفوف، وطاب الشدو .. ودوت الاكف مع انغام الناى ، وتضوع الجو بأريج عطر جعل « سينوزير » يقف مكانه مبهوتا ، وقد طاب له خلال لحظات التجلي هذه، ان يحلق فى أجواء الخيال .

ومر موكب الحياة امام عينى « سينوزير » ، الذى انسته حياته وسط الصمت والوحشة والقيود ، ان فى الحياة سعادة وأملا وأفراحا وراح ينقل بصره فيما كان حواليه حيث الصحراء الفسيحة ، مترامية الاطراف .

وبعيدا .. هناك عند حافة الافق كانت تصطف حشود الارواح التى اعتادت فى كل مساء أن تعبر في قارب « لوكارون » الى « الغرب » حيث عالم أوزيرس ، حامى الموتى ، فى عالم الحق والسلام .

واحس الشاب بقلبه يضطرب .. حتى كاد من شدة خفوقه أن يملأ المكان الصامت أصواتا أقوى واشد عنفا من تلك التى تملأ الأسماع بالشدو والترتيل ..

ونظر « سينوزير » الى الافق البعيد طويلا .. كمن يتلمس العبرة فى عالم الارواح ، أو لعله كان يسالها أن تغمر بالرضا روحه التى كادت تميل الى فتنة الدنيا وبهرج الحياة الصاخبة ..

ونكس الشاب رأسه في قناعة واستسلام وما لبث ان تمتم ببضع أدعيات أحس بعدها بالهدوء يغمر نفسه ويلهج لسانه بالشكران .

★ ★ ★

لقد كان « سينوزير » من قوم أحبوا الصمت في دنياهم التى يقف بينها وبين عالم الناس جدران وسدود ، طابت لهم الوحدة ، حيث الجلال القابع على الشاطىء الغربي للنيل المقدس ، وحيث اعتاد الا يسمع هو ومن يعيشون فى عالمه غير أهازيج النساء أو صفير الرياح ، أو عواء الذئاب .

وكأنه وأهله ورثوا الكآبة واعتادوا السكينة الضاربة على عالم الموتى،وكانوا يحرسون مقابره. وكان وجودهم الدائم بمقربة منها دليلَ الحياة الوحيد فى عالم أخرس جديد .

وجلس الفتى يرقب الركب وهو يتهادى فى صخب بين المقابر ، حيث تكمن العبرة فى رفات الجدود .

« ونادى فرعون فى قومه قال : يا قوم !! أليس لى ملك مصر ؟ وهذه الانهار تجرى من تحتى ، أفلا تبصرون !؟ أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ! » .

« قرآن كريم »

وها هو ذا يرى مقدم زوبعة مرحة فى طريقها الى اجتياح دنياه ، وكأنى بها وبأصدائها الرنانة تعلن سخريتها بالصمت الضارب وتكاد تجتاز السور الرهيب الذى تصمت عنده الضوضاء وتبيد الحركة والحياة ..

وابتسم في سخرية لأولئك الذين أعمتهم الحياة عن رؤية الحقائق واعتبروا أنفسهم وحدهم هم البشر .. أما هو ، وأما أهلوه ، والحفنة من جيرانه الذين يعيشون في تلك البرية الصامتة الجرداء ، أولئك الذين لا عمل لهم الا استقبال جثث القادمين الى عالم العدل : فمنبوذون .. نبذهم المجتمع الحيُّ .. ذلك الذى يعيش على ضفة النيل المقابلة .. واعتبرهم دنسا ، لأنهم يحملون الجثث ، ويدفنون الموتى ، ويحنطون أجساد الفراعين !!

وعاد « سينوزير » الى الكوخ ليستريح من عناء يومه .. ومن مشاهدة قوم يكرهون النظر الى أمثاله !! ويشعر هو فى صميم قلبه بأنه يبغضهم .. ويبغض أن يراهم أحياء .. تدب فى أجسادهم حرارة الحياة !!

وما كاد يدخل الكوخ حتى وجد أباه الشيخ ينظر اليه فى دهشة وعجب ، كأنما راعه أن يعود وحيده على غير الحال التى خرج عليها منذ لحظات !!

وقبل ان يفتح الشيخ فمه ، أسرع الابن يقول :

ــ لعله يوم عيد !!

فقطب الشيخ ما بين حاجبيه ، ونظر الى ولده وقد تضاعفت دهشته ، وقال مستفسرا :

ــ عيد !! أى عيد تعنى يا سينوزير ؟!

ــ لا أدرى يا أبت !! ولكنى رأيتهم قادمين .. فحسبت اليوم عيدا من أعيادهم الكثيرة !!

ــ قد يكون موكبا جنائزيا يا ولدى !!..

ــ لا يا أبت !! القوارب مزدانة ، والسفن ناشرة أشرعتها ، والقوم يصفقون وتتعالى أصواتهم شادية طروبة ..

ــ أشك فى أنه عيد يا ولدى .. لعلها ..

وسكت الشيخ وقد أسلم الى التفكير نفسه .. واذا بولده يسرع فيقول :

ــ لعلها مفاجأة جديدة من مفاجآت فرعون !!

وارتجف الشيخ .. وتلفت حواليه فى ذعر ورهبة ، ومد يده الضامرة فأمسك بيد ولده وقال له فى همس :

ــ أتجسر على النطق باسمه يا ولدى ؟! .. اننا ..

وقطع عليه الابن فى لهجة غاضبة :

ــ منبوذون !! أليس كذلك يا أبى ؟!

ــ أجل يا ولدى !! وانها لجريمة أن تنطق باسم فرعون .. انه .. سيدنا !! انه ..

وقبل أن يتكلم الابن ، انبعث من الشاطىء القريب ضجة اختلطت فيها الأصوات فى صخب لم يرتح له الاب .. وهبت لها الام من نومها فزعة .. وأطلت ثلاثة رؤوس من خصاصة الكوخ ، فاذا هم يرون عجبا !!

كان جنود فرعون النشاوى يسوقون أمامهم

صفا طويلا من رجال ونساء واطفال .. وقد كبلوهم بالحديد ، وراحوا وسط صيحات الفرح ودقات الاكف وشدو الحناجر يلهبون اجسادهم بالسياط وكأنهم قطيع من الماشية ، أو مجموعة من الكلاب الضالة !!

ونظر الشيخ الى ولده وقال فى همس :

ـ أرأيت ؟!.. انه ليس عيدا كما ظننت !!

وتمتمت الأم فى خوف :

ـ انها .. وليمة من ولائم النصر !!

وقال « سينوزير » فى نبرة باكية :

ـ أجل !! وليمة تساق اليها الخراف يا أماه !! انظرى !! لقد أبى فرعون الا ان يباهى بجبروته عالم الموتى ، فساق الى رحابه قطيعا آدميا من الاحياء ليتذوقوا مرارة الموت فى بطء مخيف !!.. لعله انتصر .. ها هى ذى دلائل النصر والفوز الذى حققه هناك !!

وأرتج على الشيخ ، ففى كلمات ولده جراة وتطاول .. وكأنه كره أن تكون لابنه هذه الروح الشريرة التى تدفع به الى الكفر والخروج على طاعة فرعون !! وصاح فى وجه الشاب غاضبا :

ـ صه !! اتجسر على النطق باسم سليل الارباب بهذه اللهجة الساخرة ؟!! لكأنى بك فى شوق الى الموت !!

وبدا على « سينوزير » كأنه كان بعيدا عن ثورة أبيه بكل جوارحه ، فقد تحولت نظراته الى الخارج ، ترقب القادمين الذين توقفوا .. ليتيحوا فرصة جديدة لبعض الجنود كى يلهوا بأرواح ضحاياهم من التعساء !! ..

وصاح الشيخ فى ولده :

ـ اتسمعنى ؟!

وهز « سينوزير » راسه وتمتم فى صوت غريب النبرات :

ـ لا !! لست أسمعك يا أبى ولكنى أسمع أصداء هذه السياط وهى تهوى على أجساد تلك الشابة العليلة !! أتسمع أنت ؟!

وكانت الثورة قد بلغت بسينوزير مداها فاعماه الغضب .. ونسى نفسه وضعة مكانه .. ولم يعد يذكر الا انه آدمى ، عليه ان يدفع العدوان عن آدمية مثله !!

واندفع الشاب خارج الكوخ كالوحش الهائج !! واختطف سوطا من أحد الجنود وراح كالاعمى يضرب به فى كل اتجاه !! وتراجع الجنود فى دهشة لجراة أحد المنبوذين عليهم .. وفكر بعضهم فى مهاجمته ، ولكن قوة الضربات التى راح الثائر يوجهها جعلت الصف ينهار امامه ..

وتراخى الآب فى مكانه ذاهلا ، وأغمى على الام العجوز وقد ايقنت ان وحيدها قد حكم على نفسه بالموت !! وجعل الأب فى ذهوله يرقب نهاية وحيده الطائش ، الذى تكاثر عليه الجنود وأمسكوا به .. ثم اوقفوه أمام ضابطهم الشاب الذى نظر الى الفتى فى اعجاب وقال :

ـ قاتلت بشجاعة الآدميين أيها المنبوذ !! وانى لمعجب بك ، ولذلك اهبك حياتك !! .. وصاح « سينوزير » :

ـ ارفض المنحة من يد وحش كافر بالانسانية !!

ـ ولكنى منحتك اياها وانتهى الامر .. كما امنحك ايضا هذه الفريسة التى أثار منظر تعذيبها حيوانيتك !! فخذها .. ولا تجعلنى أراك بعد الآن !!

ورفع « سينوزير » راسه فى كبرياء وتمتم :

ـ كلا !! بل سوف ترانى آدميا فى كل حين !!

ـ فانت مجنون اذن ؟!

وقبل ان يتم « سينوزير » عبارته ، علت ضحكات الضابط ساخرة وجعل يقول فى قسوة وطرب :

ـ انسان .. ومثلى انا ؟! يالك من مجنون !!

ـ لست مجنونا ، لان لى عقلا .. ولى يدا .. وذراعى أقوى من ذراعك !! .. ولقد رأيت !! وانا راغب فى القصاص .. فدعهم يتركونى واعطنى سلاحا ، لتروا من أكون !!

واقترب الضابط الشاب من ذلك المنبوذ الجرىء ، وقد أثرت فيه كلماته القوية ، وربت على كتفه فى حنان وقال فى شبه همس .

ـ أرى لك ذراعا قوية فعلا !! ولكنى أقسم لك انه لن يكون فى قوة ذراعى !! ومع هذا ، فانا بطل ولى قلب .. وانى لأرى فيك مخلوقا راغبا فى التحرر .. سأعطيك الفرصة يا صاحبى اسمى « ساتمى » .. وانا رئيس حرس فرعون .. ودارى معروفة فى المدينة ، ويسعدنى ان أراك .. ففكر فى زيارتى ذات مرة .. أما الآن ، فخذ هذه الأسيرة .. انها لك !! واما هؤلاء الذين معها فقد جئنا بهم من « تانيس » حيث يعيشون فى خدمة فرعون ، ليقوموا هنا ببناء معبد جديد ومقبرة له .. وانهم من الآسيويين الأنجاس !! . من

« الخابيرى » الذين استبحنا دماءهم واستحيينا نساءهم وذبحنا أطفالهم !! قوم فيهم ذلة بادية وخنوع .. ولكنهم اذا تجمعوا غلبتهم طبيعة الذئاب ، فاحترس من صاحبتك !!

واشار ساتمى الى الجند ، فتركوه وتقدموا بالعبيد الذين جاءوا بهم الى الغرب ، ليشيدوا وسط الشواهق العديدة أثرا جديدا من الآثار الخالدة على الدهر !!

ومر الضابط بالمنبوذ الجرىء ، الذى غلبته المفاجاة فعز عليه أن يتكلم .. واتجه بنظره الى تلك الشابة المعذبة التى كانت ملقاة شبه ميتة ، وان دلت نظراتها العالقة بالسماء على انها ما زالت تنعم بالحياة .

وتقدم « سينوزير » من أسيرته ، فحملها بين ذراعيه وسار بها الى الكوخ فى هدوء وحنان وقد احس بزهو المنتصر .. وغمرته قوة باطشة انسته مكانته وجعلته يحس أنه كغيره من الناس !!

ودبت الحياة من جديد فى الكوخ المتداعى .. واستردت الام العجوز هدوءها ساعة عاد ابنها دون أن يمسه سوء ، وسكنت ثائرة الاب الشيخ ، وقد التفوا جميعا حول الهبة « البشرية » التى أرسلتها اليهم السماء !!

وكانت جميلة برغم هزالها، وكانت عليها مسحة من جاه حطمه الجنود القساة .. وكان يبدو انها من جنس غريب عن الديار .. من هؤلاء الذين اعتاد الجدب أن يدفع بهم الى الوادى الخصيب ، أو من أولئك الذين استعبدهم فرعون وجعلهم فى فصيلة الدواب المباحة عنده للسخرة !!

وتكلمت الشابة ، بعد أن استردت هدوءها وعرفت انها أصبحت فى امان .

وعرف أصحابها انها فعلا من بنات الخابيرى ، المهدَرات الدم !! وانها سيقت مع جموع العبيد من قومها ليعملوا فى « الجبل » ويشتركوا مع جموع العمال فى اقامة المعابد والصروح ..

وانصت « سينوزير » الى حديث تلك الفتاة الغريبة التى كان مقدمها باعثا لحياة جديدة فى الكوخ المنعزل .. وفى قلب صاحبه الشاب الذى بدا وكأنما يريد أن يلتهم كلماتها الهادئة التى لم يسمع مثلها قبل اليوم ..

لقد طرقت « اسينات » أبواب أحاديث ما كان لمثله أن يسمع بها .. وحتى عندما سمعها تنساب من شفتيها تولاه ذهول وتملكته حيرة . اذ قصَّر عقله عن الفهم .. ولم يعرف ماذا كانت تقول ..

وبرغم الفاصل الشاسع بين العقليتين .. بدا على « سينوزير » أنه يفهم فعلا معنى هذه الكلمات، أو أن لها صدى فى نفسه .. ان الفتاة تتكلم عن الحرية .. وهو محروم منها !!

تتحدث عن العدالة .. وهى هبة لم تعرف طريقها اليه ولا الى امثاله !!

تتحدث عن المساواة .. وهذا أمر ليس له أن يطرق بابه أو يعلو بأحلامه الى سدته !! عن احساس السيد بالرحمة والاشفاق ، وبانه مسئول عن عبده .. وهذه أمور لا وجود لها فى عالم يسوده فرعون !!

« ان فرعون علا فى الارض ، وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين » !!

★ ★ ★

وعجز تفكير الشاب عن الوصول الى كشف لهذه الغوامض التى كان يسمعها لاول مرة .. وعز عليه، وهو الانسان ، صاحب القلب الكبير والعقل الواعى .. أن يكون كالدابة المسلوبة الارادة ، وأن يكون أمره بيد قساة لا يعرفون للبشرية قيمتها ، ويرون الناس طبقات ودرجات وتجعل من المميزين العتاة آلهة وأبناء آلهة !!

وشغل « سينوزير » بتلك الافكار..حتى باعدت بينه وبين « أسينات » التى أحبته من كل قلبها .. ونسيت فيه عالمها الذى تركته ، وأضحت ترى فيه دنياها ومستقبلها .

لقد كره المنبوذ أن يفكر فى منبوذة ، وكبر فى عينيه أن يعجز عن انتشالها من وهدة قاسية تردت فيها بالوراثة وحكم العرف الظالم ، واحس انه من الجرم أن يضيف الى قائمة التعساء ضحايا جديدة ..

واعتادت « اسينات » أن تلجأ الى سينوزير كلما شاهدته وحيدا ، وقد جلس على احدى الربى المشرفة على العالم الصامت، يرقب النيل ،ويتطلع ببصره نحو « طيبة » ..

وذات أمسية تسللت فى حذر الى حيث جلس .. والقت بنفسها على الرمال الى جانبه مثل هرة تحاول أن تترضى سيدها الغافل عنها .

ونظر سينوزير الى صاحبته فى أسى .. ووجد نفسه برغمه يقول :

ـ لم تنامى بعد يا اسينات؟! عودى الى الكوخ ودعينى الى نفسى ، فانى اليوم فى ثورة !! وانى

لحانق مغيظ أسائل نفسي : لم نعيش ! .. وما هي رسالتنا في هذه الحياة التي نحياها مع الهوام جنبا الى جنب ؟! لا تنظري الي هكذا !! فنظرتك هذه تزيد من حفيظتي على دنياي !!

– سينوزير !! .. اصغ الي .. يشقيني ان اراك واجما حزينا ..

– لماذا القى بك القدر الى عالمنا هذا ؟!

– لأخرج بك منه !!

– الى أين ؟

– الى فضاء الله ..

– في رحاب فرعون .. ؟!

– لا .. ولكن هناك بعيدا ، حيث نستطيع ان نعيش احرارا كغيرنا من الناس !!

– ان ظل فرعون يمتد على كل مكان !!

– أرض الله أوسع من أن يشملها ظل فرعون !!

– كيف ؟! .. انه ابن الله !!

ونظرت اسينات في حنان الى صاحبها وزادت منه اقترابا .. ووصل الى اذنيه صوتها وهي تقول :

– أتؤمن بهذا يا سينوزير ؟

– هذا قول يردده جميع الناس !!

– لقد استخفكم فرعون فاطعتموه .. ان هو الا بشر مثلك ومثلي يولد .. ويعيش ، ثم يكتب عليه الفناء فيموت !!

وضحك سينوزير في أسى وجعل يردد كالذاهل :

– مثلي انا ، ومثلك انت !! آه لو سمعك ابى الشيخ الطيب يا أسينات !!

وابتسمت الشابة وراحت في هدوء تلتصق بصاحبها ، لتحدثه حديثا طالما كان في شوق الى سماعه .

لقد كان حائرا .. وانها لتهديه .. وانه ليسمع حديثها ، فتنفتح أمامه مغاليق أمور طالما حيرته واثارت قلقه وشكوكه !!

وزحف الليل على العالم الصامت ، وتجلى جلال الطبيعة على الكائنات . واحنى سينوزير راسه للجلال الغامض الذي سكن قلبه وجعله يتطلع الى الافق البعيد كانسان له هدف ورسالة في الحياة عالية .

ومرت الساعات في بطء .. ومع مسيرها بدا « سينوزير » يحس بانه قد خرج من حياة الى حياة ، وانه كفر بالموت المفروض عليه ، وبعث في صورة جديدة ..

ونظر الشاب حواليه نظرة المستغرب الحانق على نفسه ، اذ كيف تحمل هو البقاء في هذا المكان البغيض !!

وارتدت نظرته المشبوبة الى حيث جلست اسينات .. فرأى فيها مشرق الامل ، ومطلع الفجر الذي كان يرجو مقدمه ليخرج به من عالم الاموات الى دنيا الاحياء !!

وعندما كانت اضواء الصباح الفضية تزين حواشي الافق الشرقي ، تسلل شبحان في صمت وحذر من كوخ متداع .. وواصلا سيرهما في سلام الى شاطىء الاحلام !!

★ ★ ★

وطالعت « طيبة » عيني المغامر برهبتها ، فضحك سخرية من ذلك الجلال الصناعي الذي صاغته يد الانسان ، واتجه ببصره الى الجلال الرباني الذي غرق العالم في محيطه ، وبدا الناس على صفحته وكأنهم ذرات تافهة على صفحة عظيمة الاتساع .

ومد سينوزير يده الى اسينات فضغط على يدها في حنان ، وكأنه كان يهبها من قوته ، او كأنه احب ان يستوثق من وجودها الى جانبه ليحس جلال كفاحه القادم مع الحياة !!

لقد استطاعت « أسينات » أن تبعث انسانا جديدا له قلب وعقل .. يعرف كيف يفكر ويميز جواهر الاشياء .. يحس بآدميته ، وبانه كغيره من الناس وفي جملتهم فرعون نفسه .. وان له حق البغض والحب والرفض والقبول وحماية نفسه والوقوف في وجه كل من يقف في سبيل حريته وسلامتها !!

لقد ترك دنيا المنبوذين وجاء الى « طيبة » العظيمة .. رأى المنبوذ طيبة وما حوته من معابد وقصور وحياة وبذخ .. وشاهد فوق هذا كله ظل فرعون مرنبتاح !!

مرنبتاح بن رمسيس .. الطاغية سليل الطاغية .. المحارب المعتز بقوته المزهو بجيوشه التي كانت تملأ السهول والبطاح .. مرنبتاح البشري الذي بلغ به الغرور مبلغه فتعالى وتعالى حتى صور له الوهم انه رب معبود !!

وافترت شفتا « سينوزير » عن ابتسامة هادئة !! انه يعرف اليوم أن لا رب الا الله القادر .. خالق فرعون والذي بيده موته !!

ونظرت « اسينات » الى فتاها واقبلت عليه تسأله ان كان قد فكر في شيء انتوى ان يفعله في

هذه المدينة العظيمة !! وفجاة.. قفز وجه «ساتمي» الى خيال سينوزير .. تذكر كبير حراس فرعون الذى وهبه اسينات والذى طلب منه فى سماحة ان يلقاه فى « طيبة » اذا اراد ..

واحس سينوزير بالراحة وهو يذكر « ساتمي » .. ووجد نفسه دون تفكير يسأل عن بيته ولم تمض دقائق حتى كان يطرق الباب ..

ولقى « ساتمى » صاحبيه مرحبا ، وقد غلبته الفرحة .. اذ استطاع ان يسعد قلبين .. وان يشجع رجلا على أن يخلق نفسه ويحس بآدميته.. وكان « ساتمى » واقعيا فى ترحيبه ، اذ الحق سينوزير بالحرس ، وجعله يدخل فى زهو دنيا التعالي والكبرياء ..

واستطاع سينوزير بجده ونشاطه أن يوجه اليه الانظار ، فتقدم على من كانوا معه .. وفى بطء حكيم وصل الى المكانة العالية التى ستجعل منه واحدا من المقربين !!

وترك سينوزير طيبة لفرعون ، ليعيش فى « تانيس » عاصمته العتيدة .. وبدأ عن كثب يرى الوانا جديدة من الحياة .. تقبلها على علاتها ، وفى شيء كثير من التحفظ .

★★★

وحدث أن ثار البدو النازلون فى الغرب .. واتحدت معهم بعض العناصر الليبية ، وجعلهم الغرور يتصورون انهم قادرون على عصيان « فرعون ذى الاوتاد » والعدة والسلاح والقوة والجاه .. واستمروا فى عصيانهم حتى استحالت ثورتهم الى حركة عسكرية لها خطورتها .. التى عرفها فرعون واعد لها العدة ، فجند الجنود ، ودوى نفيره فى جوانب الوادى .. وخرج الرجال وبينهم سينوزير لتاديب العصاة !!

واستيقظ الثوار ذات صباح على مفاجاة اذهلتهم ، اذ رأوا السهل وقد امتلأ بجنود كادت تضيق بهم الارض ، وقد اصطفوا واخذوا الاهبة لخوض المعركة الفاصلة التى لم يتخيل احد منهم هولها !!

وصاح صائح منهم :

ــ وملأت أوتاد فرعون السهل .. ومن لنا بدفعهم عنا ؟!!

وسرت القشرة بين صفوف الثوار .. وسرعان ما فروا امام الجيش الظافر الذى عاد بعد أن أمن الحدود واقر السلام .

وتحدث الجميع عن سينوزير الباسل .. ووصلت انباء شجاعته الى فرعون فقربه منه ، وجعله نائبا لرئيس حرسه « ساتمى » الشجاع !

وسرت الفرحة فى كل مكان ، وامر « مرنبتاح » بتخليد النصر المؤزر على جدران المعابد ، كدليل ناطق بشكره للارباب التى أيدته بالنصر ، وجعلت الاعداء يتذوقون غصص الهزيمة والبوار !!

وراحت مصر تنشد نشيد النصر الجديد .. فى الوقت الذى سرت فيه همهمة خافتة غريبة ، تناقلها الناس فى شيء من الحذر والخوف ، اذ كان مصدرها أوساط العبيد الذين سخرهم فرعون فى أعمال البناء والتشييد !!

لقد قيل : انهم سيتمردون .. ويرفعون الرؤوس مطالبين بحريتهم ، لانهم برموا بالقيد الرهيب الذى فرضه عليهم فرعون ، وجعلهم اقل منزلة من العبيد والدواب !!

حدث هذا فى الوقت الذى لاحظ فيه «سينوزير» أن اسينات الحبيبة قد تغيرت اطوارها ، واصبحت صامتة واجمة تفكر .. كما اعتادت أن تترك بيتها فى أوقات متغايرة وتتغيب كثيرا .. وتنتحل فى تبرير مسلكها الجديد اغرب الاعذار !!

وبالرغم من أن سينوزير كان ابعد من ان يشك فى امرأته الغالية ، الا أن الغيرة بدأت تعصف به فى قسوة رهيبة ، أورثته الحيرة والسأم .. فلا هو مستطيع أن يصدق الشائعات التى كان الشعب يرددها فى « تانيس » .. ولا زوجته كانت من الصراحة والجرأة بحيث لا تخفى عنه انباء قومها وما كان يدور فى سوامرهم عن متقدم عزيز عاد على غرة ودون مقدمات . وان مع القادم رسالة جاء يبلغها لفرعون !!

أخفت عنه زوجه هذه الانباء رغم انها كانت تتردد عليهم وتتعرف على انبائهم أولا بأول ! .

وبدأ الشك يتجسد فى عيني الزوج .. وكبر لديه أن يرغمه حبه لاسينات على الصمت والرضا بالواقع البغيض وفكر فى أن يثور على امرأته .. ولكنه آثر الصمت ، ليصل بنفسه الى كشف السر الرهيب فى موطنه الغامض ، حيث كان يعيش اولئك العبيد الغرباء عن المصريين برغم الاجيال التى عاشوها فى البلاد !!

وكشفت اسينات سر زوجها ، وقد اقتفى أثرها ذات ليلة ، واحست به فعادت ادراجها وقد آلمها محاولة زوجها كشف سر خاص بها ، ووجدت فيه

اعتداء عليها ودليلا على عدم ثقته بها ، وكبر لديها ان يظن رجلها بها الظنون وهى الوفية البارة الامينة التى كرهت ان تقحمه فى أمر ليس من شانه .

عادت الى داره وهى غاضبة ثائرة ، لا لتوضح له أمرا أراد ان يعرفه ، بل لتعاتبه فى رقة وحنان، لانه سمح لنفسه أن يشك فيها ، وهى الزوجة التى تعرف كيف تحفظ عليه كرامته !!

وحاول سينوزير أن ينتزع السر .. وابت المراة ان تتكلم ، ولم تزد على ان قالت له :

ـ ستعرف كل شيء غدا .. يوم يدق الحق باب الباطل ، ويلحق به اشنع هزيمة !! ان في قلب هذه الجموع الخافقة لصدى سوف يبين ، اذ جاء المنقذ المنشود الذى سيصرع الظلم وينادى بالحرية والتوحيد !!

وسكت الشاب وقد سحرته الكلمات الغامضة التى خرجت به من شك الى حيرة ، وجعلته يفقد هدوء روحه ، ويضاعف تفكيره ..

ثم .. تكلمت اسينات .. راحت تقص عليه نبا متبنى فرعون الذى عرف باسم « موسى » وقد عاد الى مصر التى خرج منها خائفا يترقب !! ليواجه فرعون بأمر ربه ومعه اخوه هارون ليقولا له قولا لينا .

وتراجع سينوزير فى فزع . من اين أن يصدق ان بين البشر من يجسر على لقاء فرعون ويحاول ردعه وخاصة « موسى » المتهم بمقتضى القوانين المصرية بقتل رجل مصرى !!

وفى هدوء قالت اسينات ان موسى الرسول فكر فىنفس هذا الوضع وعلا الى سدة ربه بقوله :

« رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون، واخى هارون هو افصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى ، انى أخاف أن يكذبون » ..

« قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما ، بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون » ..

واطرق سينوزير اطراقة طويلة ، جعل يتصور خلالها ذلك الموقف الرهيب الذى سيقوم بين فرعون وبين ذلك الرسول موسى ، واخيه .. وكيف ستكون ثورته وهو القادر صاحب الوادى ومن فيه ، المعتز بماله وقوته وجيشه اللجب واوتاده العديدة التى تملأ السهول والتي يكفي رؤياها لالقاء الرعب فى قلوب امم واجناس لا فى قلب رجلين اثنين لا قوة لهما ولا جاه .. بل ان قومها انفسهم وفى جملتهم هذان الرسولان عبيد فرعون وخدمه .

وابتسمت اسينات مشفقة .. لا على الرسولين .. بل على فرعون ذى الاوتاد .. لان موسى وهارون انما قاما الى الطاغية تؤيدهما قوة جبارة غالبة لا تقف امامها قوة فى الوجود ..

وزادت المؤمنة الشابة بأن راحت تقول لزوجها: ان الله القادر أمر موسى وهارون بالتوجه الى الطاغية ، لا ليرهباه أو يهدداه بحرب او قتال ـ بل قال لهما :

« اذهبا الى فرعون انه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى !! » .

ورفع سينوزير حاجبيه فى دهشة غير المصدق ، اذ كيف يأتي رسولان الى فرعون برسالة من السماء ليقولا له قولا لينا.. وهو العنيد الصخرى القلب الجامد العاطفة ..

واكدت اسينات لرجلها ان هذا هو ما سوف يحدث .. وانه على فرعون أن يطيع وأن يسمع والا يجادل والا دارت عليه الدائرة ..

وأحب أن يعرف بعد الذى وقف عليه اى مطلب سيسأل الرسولان فرعون اياه ، واذ ذاك قالت اسينات ان الله قال لرسوله :

« فأتياه فقولا انا رسول ربك ، فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك ، والسلام على من اتبع الهدى » .

وسكتت الزوجة الشابة .. وسكت رجلها.. وراح كلاهما ـ وقد غمرهما الصمت ـ يفكر ويتخيل ويرى ذلك الغد القريب الذى سيطرق فيه موسى باب فرعون ..

ابدا ما تصور « سينوزير » انه بين الناس من يجسر على جدال فرعون .. وان ثار هو وجموع الناس على الاوضاع المفروضة .. وكرهوا الذلة والخنوع واحتقار الآدمية ولكن .. أن يتصور وجود ذلك الاعزل الذى يطرق بابه وبدعوة لينة تحمل فى طياتها التهديد والامر بالتسليم .. هذا امر لم يستطع ان يصدقه أو يعقله سينوزير !!

ان فرعون ما كان ليفرط فى عبيده وما كان ليرضى أن يجترىء على جلاله عبد هارب مثل « موسى » ومعه « هارون » !!

واستبدت الحيرة بالشاب .. وراح يفكر فى ذلك اليوم الرهيب الذى ستضاف فيه الى قائمة الضحايا ضحيتان جديدتان سيمثل بهما فرعون ورجاله ليكونا عبرة لمن يحاول بعد ذلك ان يرفع راسه أو يجسر فينظر الى فرعون ذى الاوتاد والعدة والبأس الشديد ..

★ ★ ★

ومرت الايام .. وطرق سمع سينوزير ذات صباح طرقات على باب فرعون .. ووجد الجندى الشاب نفسه يصيح فى فزع :

ـ انهما هما..موسى وهارون وقد تجاسرا فدخلا الى عرين الاسد ..

واشفق الشاب على الرسولين .. وتبعهما عن بعد ليرى ، ويسمع ماذا سيقولان ساعة يصلان أمام العرش الرفيع وصاحبه ..

واصغى فرعون الساخر الى عبديه اللذين خرجا على طاعته ، وتجاسرا على مقامه ودخلا قصره ليحدثاه عن رسالتهما التى بعثهما بها الله ربهما.. وزوى الطاغية ما بين حاجبيه وراح يسألهما شامتا ساخرا :

« قال : فمن ربكما يا موسى » ؟!

« قال : ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » ..

« قال فما بال القرون الاولى » ؟!

« قال : علمها عند ربى فى كتاب ، لا يضل ربى ولا ينسى » ..

ووجد فرعون نفسه أمام بيان ساحر وحجة قوية ، واحس بالعرش يهتز من تحته وشعر بعجز عن محاجة موسى ، ولم يجد غير ان يتحدى ويذكر ذلك القادم الجرىء بما كان منه :

« قال : ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين » !!

ورد موسى فى هدوء على التحدى بأن

« قال : فعلتها اذا وأنا من الضالين ، ففرت منكم لما خفتكم ، فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين » ..

وصاح فرعون فى غضب ولهجة تهديد :

« قال : لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين » .

« قال : أو لو جئتك بشىء مبين » ؟!

« قال : فأت به ان كنت من الصادقين » ..

« فالقى عصاه .. فاذا هى ثعبان مبين ، ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين » ..

ونظر فرعون فى هدوء الى موسى كمن لم تاخذه الآيات ، ولكن كبر لديه أن اثرت فى جميع الذين التفوا حوله ، فعلا صوته مزمجرا :

ـ « ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون » ؟!

ومال عليه مشيروه هامسين :

« قالوا : أرجه وأخاه ، وابعث فى المدائن حاشرين ، يأتوك بكل سحّار عليم » ..

وساد على القاعة صمت عميق .. واتجهت الابصار كلها الى موسى واخيه .. لقد اخذا يغادران قصر فرعون فى هدوء وامان ..

★ ★ ★

وكاد سينوزير أن يفقد صوابه ولم يرض بأن يصدق ما كان يراه بعينيه .. اذ كيف خرج الرسولان ؟! وكيفسكتعليهما فرعون الطاغية !! كيف .. كيف !!

أى ذهول أصيب به سينوزير !.. لقد تصور نفسه فى حلم ، ولكم تمنى من صميم قلبه لو انه حقيقة واقعة وان بين البشر رجلين اعزلين لا تؤيدهما جيوش ولا قوى مسخرة ـ واستطاعا ان يقفا فى وجه الطاغية ويسخرا علانية من جلال فرعون ، ويتحديا ربوبيته وادعاءه المقيت الذى طالما ردده بين الناس بقوله :

ـ « أنا ربكم الاعلى » ..

ووجد الشاب نفسه ينتحى جانبا من القاعة يفكر ، كما راح كثيرون معه يفكرون ، وقد تصوروا مقدم يوم « الزينة » الذى تواعدت القوى فيه على اللقاء !!

★ ★ ★

وحل « يوم الزينة » .. وتجمع السحرة وقد

جاء بهم فرعون ظنا منه أن صاحبه ساحر عليم .. ولكن .. ما أسرع ما خيب الله ظنه وقلب عليه السحرة أنفسهم ، اذ لم تكد عصا موسى « تلقف » افاعيهم كلها وما صنعوا .. حتى خروا ساجدين ، مؤمنين برب موسى وهارون ..!!

وكانت الواقعة .. وكانت ثورة فرعون الطاغية الذى هدد بالويل ولكن .. كان أعجز من أن يقدم على تنفيذ وعيده ...

وبدأت جموع الشباب المتحرر تكفر بالصنم العاجز وتخرج علانية على دينه .. وكان سينوزير وصاحبه « ساتمي » من أول المؤمنين ..

وهكذا حل اليوم الذى سمع فيه الشعب أن رجلا قد جرؤ على جلال فرعون ، فدق بابه ودعاه الى الكفران بحسبه المزعوم ، وانتسابه الخرافى الى الله !! وامره أن يؤمن برب واحد ، خلق فسوى، وقدر فهدى .. وطلب منه بعد أن دعاه الى هذا الدين الجديد ، أن يترك الناس من عبيده الضعاف الاذلاء أحرارا ، ولا يعذبهم !!

ولقد ثار الجدل بين الفريقين وكان عنيفا ، فلا فرعون آمن بآيات « موسى » ولا موسى تزحزح عن موقفه ضد فرعون ودينه .

وبدأ موسى يحطم حصون الشرك بآيات الله التى أيده بها ..

وذعر اتباع فرعون والحاضرون ، ووثقوا أنهم أمام براهين قوية قادرة على هدم شرك فرعون .. وداعية الى الكفران به والخروج على طاعته .

وعصى القوم فرعون جهارا .. وكان سينوزير « المنبوذ » الذى جعلته أنعم فرعون السابقة رجلا عظيما ـ أول الكافرين بالصنم ، والداعين الى تحطيمه اذ عرف الايمان طريقه الى قلبه .. كما عرف طريقه الى قلب « ساتمي » كبير الحرس !!

ووجد الأحرار أن بقاءهم فى ظل فرعون جريمة فى حق الدين الذى آمنوا به .. فقرروا الهجرة وتركوا لربهم أن ينتقم ، وأن يوجه الى الطاغية أقسى العذاب فى الدنيا والآخرة .

وخرج موسى بقومه ليلا من معقل الاسرى ، ليصل بهم الى دنيا الامان والحرية .. وسار المؤمنون فى ركابه بعيدا عن سلطان فرعون !!

★ ★ ★

وعرف سينوزير فى النهاية انه وجد الجواب على الأسئلة الحيرى التى ساورته منذ سنين وهو فى عالم « المنبوذين » .. عرف أنه وفرعون سواسية امام رب قادر ليس له ولد ، ولا شريك له فى حكمه ، وانه خلق الناس احرارا فكفروا باوامره ، وجعل بعضهم من انفسهم آلهة ، وفرضوا على الآخرين ان يقدموا لهم فروض الطاعة والولاء والتقديس !! .

★ ★ ★

وخيل الى « سينوزير » وهو سائر مع الناجين الى جانب امرأته وصاحبه « ساتمي » انه يسمع دمدمة وصوتا يردد فى جلال :

ـ « وفرعون ذى الاوتاد ، الذين طغوا فى البلاد، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب .. ان ربك لبالمرصاد » .

★ ★ ★

ونظر « سينوزير » فى حنان الى امرأته المؤمنة نظرة أودعها كل حبه وحنانه .. ووجد نفسه يهمس فى اذنيها بنبرة حبيبة :

ـ عندما عرفتك عرفت الحياة !! ثم ما لبث الحب أن سكن قلبي فأناره !! ثم هداني هذا الحب الى الله !! آه يا اسينات انه ليوم عظيم !! أرى فيه الطاغية ، فيعرف مكاني من مكانه ، ويعرف أن ما كان له أن يكفر أو يباهي بما له من مال وسلطان .. وأوتاد ..

ورفع رأسه الى السماء سعيدا بأنه اهتدى الى الحقيقة . فزاد ايمانه وعرف الراحة أخيرا ..

وآمن بأنه آدمي ، وأنه عند الله خير الف مرة من فرعون ذى الاوتاد ...

ونظر خلفه .. الى فرعون وجنوده ، وقد انطبق البحر عليهم .. فاذا هم من المغرقين !!

وسمع هاتفا يردد فى سمع الافق :

« فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين، فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين !! » . ■■

سنية قراعة

شعراء رثوا زوجاتهم

القدماء نظموا القصائد متفرقة على استحياء
والأحدثون أعلنوا قصائدهم فى دواوين كاملة

بقلم : خليل هنداوى

شعر

المراثى كثير فى الأدب العربى ، ولكن ما أقل الذين وقفوا منه موقفا عاطفيا مثيرا !

ولعل أشجى هذه المراثى ما عبر به الشاعر عن حزنه على حبيب أو قريب ، كرثاء الأبناء والأمهات والآباء ، والأعزاء .

من هذا الشعر هذه المراثى القليلة العزيزة التى قالها الشعراء فى زوجاتهم . وليس معنى قلة هذا الشعر أن الشاعر يضن على زوجته برثائه .. ولكن – هنالك – عوامل تعود الى البيئة ، والعصر ، والعادات ، كانت تؤثر فى الناس ولعل من أبرز هذه العوامل أن ينظر الرجل الى المرأة ، نظرة ازراء وازدراء كأنها – عنده – متاع ، اذا فقده استبدل به متاعا غيره .

جرير يرثى زوجته ، والفرزدق يعيبه لرثائها

فى طليعة الشعراء الذين تخطوا هذا الاعتقاد الشاعر الأموى جرير ومن خصائص هذا الشاعر أنه رقق لغة الغزل ، ولين ألفاظه ، ولطف حواره . ولا تتم هذه الصفات الا لشاعر كان – الى واجبه الزوجى – يعشقها ويهواها ، ويتغزل بها حية ، ويأسى عليها ميتة .

وقد أخذ عليه خصمه الفرزدق ضعفه فى الرثاء ، ووجد فى رثائه هنة سيئة يستغلها لمهاجمته « لأن النساء عند الفرزدق ، أهون شىء ، وآخر شىء يبكى عليه » .

ولم يكن الفرزدق كاذبا فى مهاجمته ،

لأنه يعبـــر عن رأى عصره وجيلـه فى المرأة (١) .

وكالفرزدق البحترى

هـذا الـرأى السـخيف تبناه بعـد ذلك البحترى ، الشاعر العباسى المعروف برقته .

هذا الشاعر اراد أن يعزى أحدهم ، حين فقد ابنته ، فلم يجد أسلوبا التعزية غير هذه التعزية ، التى اقل ما يقال فيها انها مجردة من العاطفة الانسانية، مضادة للشعور الذى يحسه الاب عند فقـد ابنته . فيقول : ويعلل لما يقال ، وهو الشاعر البعيد فى شعره عن التعليل :

والفتى من رأى القبور ، لمـا طا
فَ به مـن بناته ، أكفـــاءَ

قد ولدن الأعداءَ قِدما، وورّثن
التِّلادَ الأقاصِـيَ البُعَـداءَ

وتلفتْ إلى القبائل . فانظـــرْ !
أمهات ينسـين أو آبـــاء ؟

ولعمرى ما العجز عنـــدى إلا
ان يبيت الرجال تبكى النســاءَ

ولست ادرى كيف يوفق هذا الشاعر وغيره ممن ذهب مذهبه ، أن يملأ ديوانه غزلا بهذا المخلوق الذى يراه هيّنا .. حقيرا .. ومن قبلـه شعراء وقفوا دواوينهم علـى التغنى بمحاسـن معشوقاتهم ، والجهر باﻻمهم .

لست ادرى اكانوا يقولون حقا ؟ ام يدعون افكا ؟

بدأ جرير قطعته بما تلحـظ فيه اعتذاره عن هذا البكاء بما سماه «حياء»، لان حبس البكاء عن النساء كان «حياء» لا بد من مراعاته فى اصطلاح اهل جيله .

لـولا الحياءُ لهـاجَني استعبـارُ
ولزُرتُ قبرَكِ ، والحبيب يُزار

وإذا سريتُ رأيتُ نارَكِ نوّرتْ
وجهاً أغرَّ يزينـه الاسـفـارُ

صلىَّ الملائكةُ الذين تُخُيِّروا
والصالحون عليكِ والأبـرارُ

وعليكِ من صلوات ربِّكِ كلّما
نصب الحجيجُ ملبِّدين وغاروا

لاتُكثِرَنَّ إذا جعلت تلومنـي
لايذهبنَّ بحلمك الأكثـار

لايُلبِثُ القُرناءَ أن يتفرّقوا
ليلٌ يكرُّ عليهمُ ونهـارُ

ولكن ما همُّ جرير بهذا الحياء اذا كان كاذبا ؟ وما شغله بما يقول الناس عنه حينما يرونه زائرا قبر زوجتـه المعبودة ؟ فليزرها وليبح بما ملأ قلبه حزنا ولوعة . وما اقسى موت هـذه الزوجة حين تترك عشيرها من بعدها هرما عاجزا، وصبيتها صفارا زغبَ الحواصل !

ولا ينسى جرير أن يصف زوجتـه بأحسن ما يدعو اليه الوفـاء للزوجة الوفية .. فهى التى يكرمها عشيرها فى حياتها ، وهى البعيـدة عن الاسراف والتكبر والبخل .. وهى التى جمعت

---

(١) مصداق ذلك قول المتنبي فى رثاء اخت سيف الدولة .

وإن تكن خُلقت أنثى لقد خُلقت   كريمة ، غير أنثى العقل والحَسَب

بين جمَالين ، هما غاية الجمال المثالي: جمال المنظر ، ووقار النفس .

ولا اذكر اني سمعت ابلغ من هـذا القول في الجمال البرىء من الصلف والدنس :

ولقد أراكِ كسبتِ أجملَ منظرٍ
ومع الجمالِ سكينةٌ ووقار

هل يستطيع الناقد ان يوفى وصف هذا الجمال الذي زيّنه الوقار ،واثبتته السكينة ، حتى بات يَعجبِ ، ولكنه لا يُطمع . فهي طيبة الريح ، انيقة المظهر ، وهي نقية العرض ، وافرة الكرامة .

ويشاء جرير ان يرد على لائمه الذي يتخيله يلومه على بكائه بان يدعه وحزنه.

وابن الزيات رثى زوجته

وهنالك شاعر آخر يبكي زوجه ، ولم نعرف عنه انه كان شاعرا ، لان مهام الدولة والسياسة صرفته عن شواغل الأدب ، وان شهد له مادحوه بانه اديب مكين .. ولم يذكر له الأدب العربي الا هذه المقطوعة التي ليّنت صلفه ،واضعفت غروره ، وكشفت عن قلبه الذي كان اقسى من الصخر ، فاذا به يستحيل انسانا يَفيض عطفا وحنانا . ولعل من فضل المصائب على الانسان انها تعيده بالألم الى انسانيته ، وتسلّط الشقاءَ على تمجرفه ، فتجعله ضعيفا في نفسه ، فقيرا الى تعزية غيره . هـذا هو الوزير « محمد بن عبد الملك بن الزيات » (٢) ، الذي كان يقول لمن يطلب الرحمة منه « الرحمة خور في الطبيعة».

فقد هذا الوزير زوجته ، فلم يستطع الا ان يرثيها ، ويذكر وَلَهه عليهـا ، ويصوّر ابنه الصغيرَ من بعدها في وَحدته فيقول :

ألا من رأي الطفلَ المُفارقَ أمَّه
بعيدَ الكرى ، عيناه تنسكبانِ
رأى كل أم وابنها غيرَ امّه
يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيدا في الفراش تُجنُّه
بلابل شوق دائم الخفقان

وكيف يكون حال هذا الطفل حين يرى كل طفل في حضن أمه الا نفسه ؟ والزوجة انما تثير الأسى على فراقها بمن تتركهم وراءها من صغار ضعفاء .

وان من حق القول أن يبدى الشاعر اعتذاره عن هذا البكاء ، وهو الذي كان لا يعرف البكاء ..

لا تلحياني إنْ بكيتُ فإنما
أداوي بهذا الدمع ما تريان

وكأن الشاعر يريد أن يواري دموعه وضعفه وراء مظهر صغيره فيجمع بين بكائه عليه ، وبكائه عليها .. وهو ، الأب الكبير،اذا استطاع أن يستمسك بالصبر، فمن أين الصبر لهذا الابن الصغير ، الذي يلاحقه طَيف أمه في اليقظة والمنام؟

ثم يعتبر شاعرنا هذه المصيبة ضربة له يحتار في تعليلها ، ويعتذر عن الصبر عليها :

فلم أر كالأقدار كيف أصبنني
ولا مثل هذا الدهر كيف رماني ؟

---

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن الزيات ، كان وزير المتوكل ، الخليفة العباسي ، واسخط الخليفة فقتله ، عام ٢٣٣ هـ (٨٤٧ م) ــ العربي .

أعينىَّ ، إن لم تسعدا اليوم عبْرتى
فبئس ، إذنْ ، ما في غد تَعدِانى

وشاعر آخر

وهنالك شاعر آخر لايتصدى للماضى ولا يتطلع الى المستقبل . وانما يصف زوجته فى لحظة الاحتضار ، وكانه كان معها فى هذه اللحظة الأخيرة ، فهو يصف موتها واحتضارها ، وقد فقدها فى ربيع عمرها . وهيهات أن ينساها ، بعد ان وقف على سريرها ، وشاهد ما يفعله الموت بها ، حين يبسط كفها مرة ، ويقبضها مرة، وعينها شاخصة لاتتحرك، وربما جادت بدموع متجمدة ، ترتسم فيها كل دنياها الراحلة من حياة وحبيب وامل .

هنا زوجته تموت ، ليس وراءها شيء .. الا هذا الفراق الذى لا لقاء بعده .. وهذا الفراغ الذى تقسو الطبيعة فى فرضه .

وقيل فراق لا تلاقي بعده
ولا زادَ إلا حَسْرةٌ وتَحرُّقُ

فاذا نظر الشاعر الى ما حوله ، وما قبله ، وما بعده ، عجب لهذه الحياة التى تكمن فى لحظة واحدة ، مالها قبل ، وما لها بعد .. فيتساءل فى حيرة وحسرة :

فيا عجبا . أنّى أُحِمَّ اجتماعنا ؟
ويا حسرتا .من أين حلَّ التفرُّقُ؟

تلك هى قصة الحياة .. لا تزال تمد بين طرفيها ، ولا تزال تضيّق بين طرفيها ، حتى لا يبقى منها ماض ولا حاضر ولا مستقبل .

والبارودي


محمود سامي البارودى

وهذا شاعر آخر ، كانت حياته سجلا متتابعا من نكبات تحل عليه ، كأنما تريد ان تضعف منه قلبه الصلد . ذلك هو «البارودى» الذى نفي عن وطنه ، لانه اراد العز لوطنه .. فقضى قرابة عشرين عاما فى منفاه ، بجزيرة سرنديب (سيلان اليوم) بعيدا عن زوجته فى مصر وعن أولاده .

وكأنما كان يريد العزاء ، فجاءه أخيرا فى وفاة زوجته الوفية بعد ما كف بصره ، وهو ينتظر عبثا أن يُرَدَّ احبابه اليه .. حقا ، لقد كانت هذه النكبة شديدة الوقع على الشاعر فى منفاه . وان من حق هذا الفارس المحارب ان يتناسى قسوة القلب ، وخشونة الحرب .. ليغني أساه ، واسى أولاده من بعد ميتة زوجته . فهو بعد أن يعاتب دهره على ما انزل به ، وجنى على أولاده ، يتعلل بهذا الحزن الذى سيلازمه مدى الدهر :

هيهات بعدك أن تَقَرَّ جوانحى
أسفاً لبعدك ، أو يَلِينَ مِهَادى
وَلَهِي عليك مصاحبٌ لمسيرتى
والدمعُ فيك ملازم لِوِسادى
فإذا انتبهتُ فأنتِ أول ذِكْرتى
وإذا أويتُ فأنتَ آخر زادى ...

الا ما اصدق هذه الأبيات في تمثيل اللوعة ! وما اجل الوفاء في هذا الرثاء !

في الشعر المعاصر دواوين في رثاء الزوجة

تلك هي قصائد مفردة مشهورة في الشعر العربي ، تحمل دموع هؤلاء الشعراء .. ولكن يشاء التطور ان يكون في الشعر العربي المعاصر دواوين مستقلة في رثاء الزوجة ، كأنما شعراؤها لم يسكن من شجونهم دمعة واحدة ، ولا دمعتان .. وانما كأبتهم دموع تتوالى ، وحسرات تتابع ..

ولعل اول ديوان شعري كان وحدة مستقلة هو ديوان الشاعر التركي المعروف « عبد الحق حامد » الذي فقد زوجته ، فبكاها ورثاها بديوانه «مقبر». ومن لهفاته المؤلمة قوله يخاطب زوجته :

« قد يقولون ان شمسك قد توارت الى الأبد .. ولكن من ذا يقول ان الشمس اذا توارت لا تعود .. فعودي .. وارجعي الي ! » .

ورثى الشاعر عزيز اباظه زوجته في ديوان كامل



عزيز اباظة

ومن هذه الدواوين العربية الحديثة « انات حائرة » للشاعر المصري « عزيز اباظة » الذي هاله المصاب ، واستثار من اناته وعبراته الكثير .. واكثر قصائده انما نظمها في مهد الشعر العربي ، في الحجاز ، حيث ذهب اليه حاجا ، يلتمس من الدين ومن تلك المواطن المقدسة التعزية الوافية .. فاختلطت هذه الانات بنفثات تاريخية ودينية من عبق تلك الأرض الكريمة . فما زاده ذلك الا ألما ، لأن ذكريات الحبيب الراحل تلاحقه من مكان الى مكان .. ومن خصائص الطيف الذي أرّق الشعراء ، انه لا يستقر في مكان .. لأنه ينبعث من النفس ، واليها يعود ..

ورثى عبد الرحمن صدقي زوجته في ديوان



عبد الرحمن صدقي

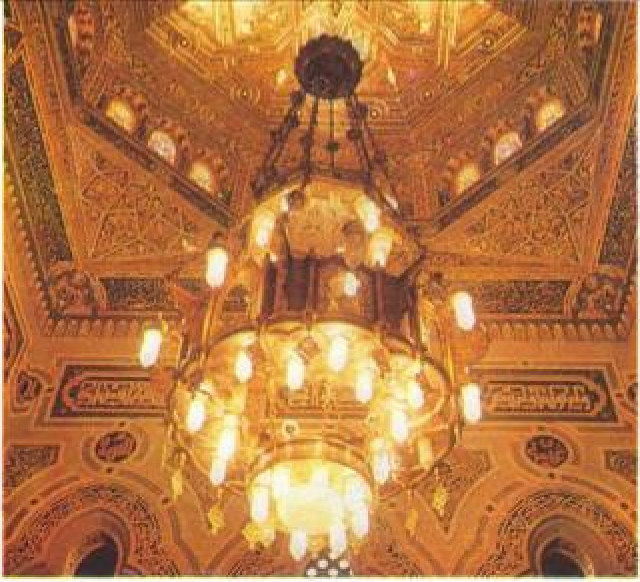
وكذلك الحال في ديوان « من وحي المرأة » للاستاذ عبد الرحمن صدقي الذي فجع بزوجته ، وبيته ، فبكى ورثى رثاء مشجيا ..

عاد الى المرأة في العهد الحديث ، تقديرها واحترامها

والرثاء في كلا الديوانين يمثل المرحلة التي وصل اليها تقدير المرأة ، فلم يعد الرجل يرى في بكاء المرأة عيبا ، ولم يعد يحبس الدمع حياء .. واذا رثاها رثى شريكته لحياته .. وفية ، محبوبة محترمة .. يبكي فيها الصفات المعنوية كما يبكي فيها الصفات الحسية ، ويذكر فيها منشئة للأولاد ، مسعدة للرجل ، بناءة للبيت .. فاذا زالت ، حلت على البيت غشاوة سوداء ..

وهكذا تجد المرأة التي اوحت الى أعاظم الشعراء اسمى آيات التعزية في حياتها ، توحي اليهم أفجع الشعر وأشجى الرثاء بعد مماتها ، لأنها في الحالتين القصيدة الخالدة عند الشعراء . ■■

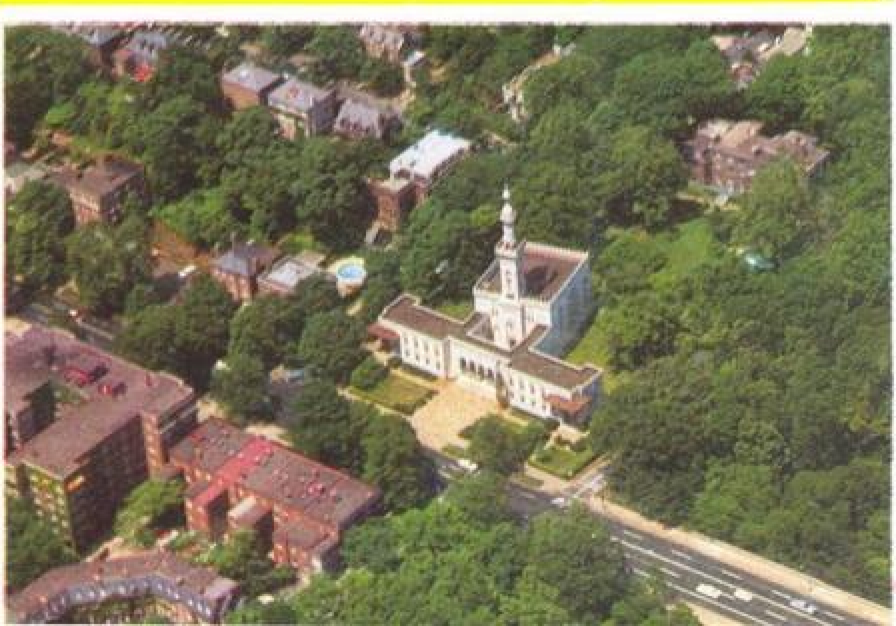
خليل هنداوي



نور على نور .. هكذا يبدو مسجد واشنطون عندما تضاء الثريات العربية في المساء فينعكس ضوؤها على الآيات القرآنية الكريمة التي زينت بها جدران المسجد وسقفه .

المَرْكَز الإسْلاميّ في واشنطن

بقلم : الدكتور عبد الصاحب هاشم ـ أمريكا





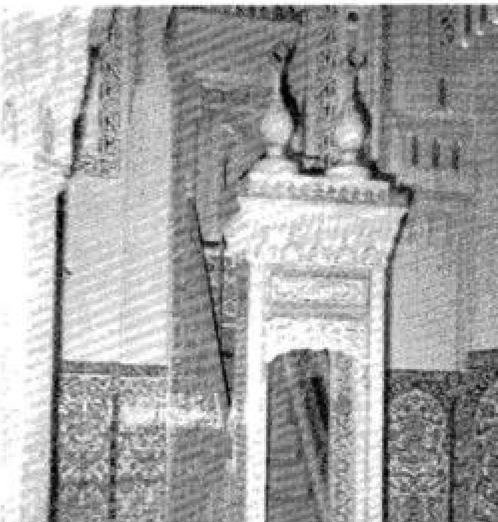
منظر رائع للمسجد والمركز الاسلامى فى واشنطون من الجو ،
وقد ظهرت مئذنة المسجد ورأسها عال رفيـع يخـرج
من بين الاشجـار الكثيـفة والمبانى القـريبة منهـا .

صورة جميلة تجمع بين المسجد والمركز الاسلامى فى العاصـ
الأمريكية ... لقد أصبح المركز ، مركزا لشرح الاسلام للذ
يريدون المعرفة واصبح بناؤه الجميل يجذب انظار الرو

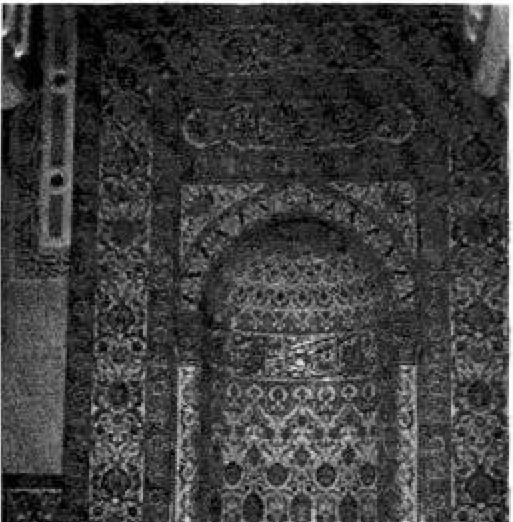
لقد مر على افتتاح المركز الاسلامي في واشنطن تسع سنوات من عمره المديد ، وهو يعطي القوة الروحية للكثير من المسلمين عربا كانوا ام غير عرب ، بيضا كانوا أم سودا ، تبحروا في الدين أم لم يتبحروا ، فانت ترى النشاط والحماسة يدبان في نفسك كلما اقتربت من بقعة المركز في شارع ماساشوستس في مدينة واشنطن .

لقد اصبح مركزا لشرح الاسلام للذين يريدون المعرفة وشغفوا بها ، وأصبح جسمه الجميل يجذب أنظار الذين يريدون التمتع برؤيته ، فيأخذ الاعجاب منهم مأخذه .

ابتدأت فكرة بنائه بعد الحرب العالمية الثانية ، واختمرت أولا في اذهان الجالية الاسلامية التي ضمت جميع اعضاء السلك السياسي الاسلامي ، فتكونت جمعية لجمع التبرعات لانشاء المسجد ، وفي سنة ١٩٤٩ تم وضع الحجر الاساسي للمشروع ، واكتمل بناؤه سنة ١٩٥٧ ، اى بعد ثماني سنوات .



من فوق هذا المنبر الجميل يلقى امام المسجد خطبة الجمعة في المصلين الذين ينتمون الى مختلف المذاهب والجنسيات .



المحراب ، وقد زين بالنقوش العربية والآيات القرآنية ، ويتجلى فيه فن الزخرفة ، ويعتبر قطعة فنية رائعة .



مدخل مسجد واشنطون الذى تكلف بناؤه مليونا ونصف مليون من الدولارات ، ساهمت بها كل الدول الاسلامية .. وقد تم افتتاح الجامع في عام ١٩٥٧ ، افتتحه الرئيس الامريكي الاسبق ايزنهاور الذى القى خطابا ضافيا تحدث فيه عن حرية العقيدة في امريكا .

وقد ساهم في بنائه رجال السلك السياسي المسلمون ، ورجال الحكومة الامريكية ، وكثيرون من رجال الدين المسيحي في هذه الديار .

واخذ المركز طابع الوقار الديني بزي وهندسة شرقية جذابة اعجب بهـا الامريكيون مسلمين كانوا او مسيحيين .

وافتتحه ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة آنذاك مؤكدا بخطابه كفالة الحرية الدينية به حسب القانون .

وقد ساهم كل بلد من البلاد الاسلامية في المشروع ، كل وفق طاقته المالية ، فكانت تجربة اسلامية حميدة على صعيد دولي .

جاء عمال مصر لأعمال الزخرفة والنقوش ، وتبرعت مصر بمنبر رائع وثريا كبيرة تبهر الابصار .

وتبرعت تركيا بأعمال الفسيفساء .
وتبرعت ايران بأبسطة بديعة صنعت خصيصا للمسجد .

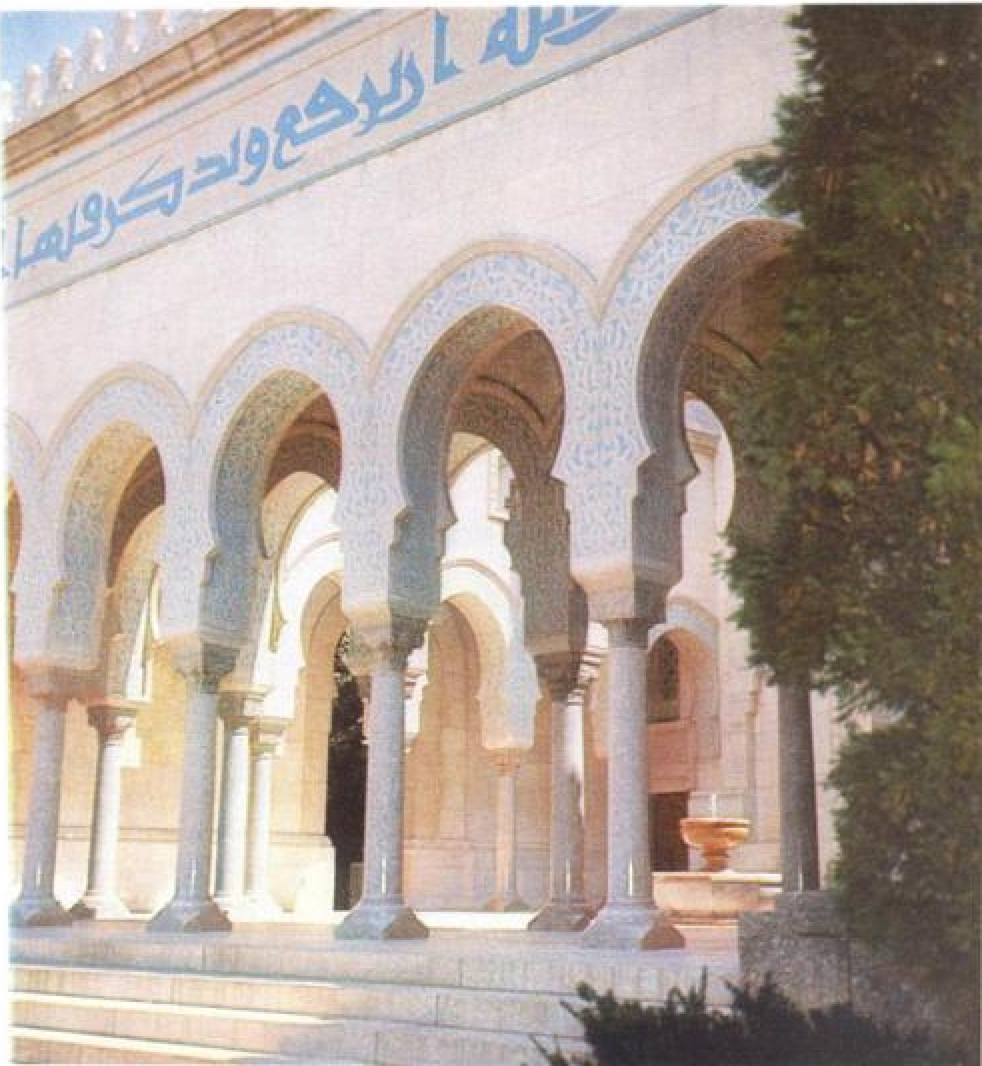
وكانت كلفة بناء المسجد نفسه مليونا ونصف المليون من الدولارات .

وقد كان الدكتور حب الله اول رئيس للمركز ، تلاه الدكتور بيصار ، ثم الدكتور نجار . والآن يترأسه الدكتور علي عبد القادر ، وهو شخصية لامعة

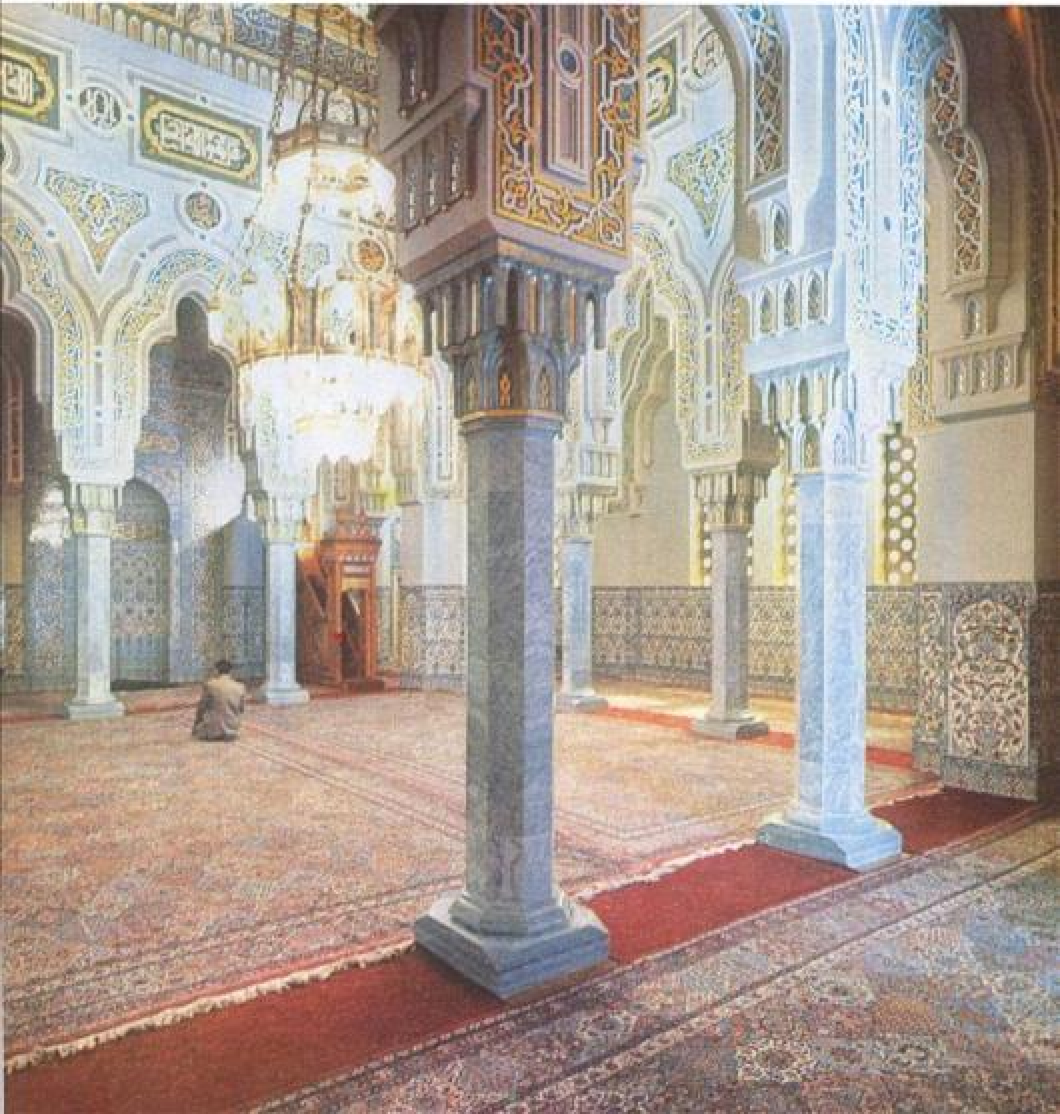


الرئيس الامريكى الاسبق ايزنهاور وزوجته وكبار المدعويين ، يوم افتتاح المسجد فى عام ١٩٥٧ .. لقد كان يوما مشهودا فى تاريخ المسلمين فى أمريكا .

الآيات القرآنية والنقوش العربية الجميلة تزين المدخل الرئيسى للمركز الاسلامى فى واشنطون..وتشهد الأعمدة الرخامية والأقواس المزخرفة بدقة فن البناء العربى .



منظر داخل المسجد تتجلى فيه روعة البناءوجمال التصميم حتى يمكن بحق ان يقال انه من اجمل مساجد العالم قاطبة .. وقد ساهمت بلاد العالم الاسلامى فى استكمال مشروع بناء المسجد ، كل وفق طاقته المالية .. فجاء عمال مصر لأعمال الزخرفة والنقوش كما تبرعت مصر بثريا كبيرة تبهر الابصار ومنبر رائع . وتبرعت تركيا باعمال الفسيفساء وتبرعت ايران باسطة بديعة صنعت خصيصا للمسجد .

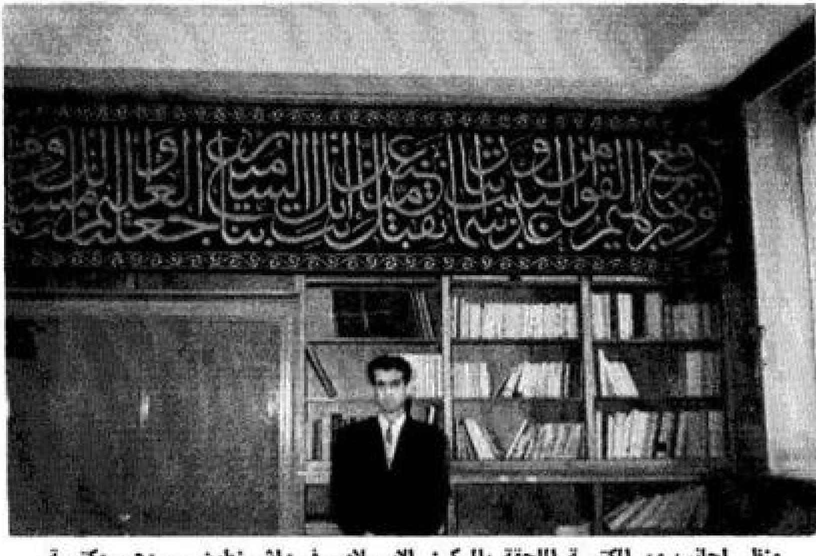


ذات أياد بيضاء في حقول الدين الاسلامى في انكلترا واوربا .

ويتكون مجلس الادارة من ثلاثة وعشرين عضوا يمثلون ٢٣ دولة اسلامية، وتتبرع هذه الدول بما يقارب ٥٠٪ من نفقات المركز ، ويأتي النصف الآخر من تبرعات المسلمين والمسيحيين ، ومن بيع بعض الكتب عن الاسلام ، وكذلك من تبرعات عدد من المؤسسات الامريكية مثل مؤسسة روكفلر وفورد وكارنيجي وغيرها .. وقد اتضحت الحاجة الماسة الى تبرعات بأموال اكبر حتى يتضاعف الوارد السنوى ، كي يقوم هذا المركز برسالته خير قيام ، ونحن نأمل من الدول الاسلامية المزيد من الخير ، فكل درهم يصرف هنا ، يدر اضعاف قيمته فوائد ، والنتيجة الحسنة سوف تسر لا شك قلوب قوم مؤمنين، من اى دين .

ان الاموال اذا توفرت ، استطاع المركز انشاء مدرسة اسلامية ، واصدار صحيفة او مجلة دينية ذات مستوى راق ، وبذلك يصبح له شأن اكبر مما له الآن ، فيساهم بقسط اكبر في الحركات الاجتماعية والدينية في امريكا ، ويعطى الناس هناك فكرة صحيحة عن الاسلام فى مجال اوسع ، وبذا يحصل على النتائج المرجوة في وقت أقصر .

ويؤم المسجد وفود كبيرة طيلة ايام السنة ، ويقدر عددهم بالمائة والخمسين الفا سنويا ، يؤلفون خمسة وعشرين الف جماعة . لقد زار المسجد مثلا فى يوم مقابلتى مدير المسجد ٢٨٠٠ امرأة امريكية !! والزائرون يمثلون مختلف نواحي الحياة، من طلاب مدارس ثانوية، الى رجال الدين الكاثوليكي ، الى المهتمين بالهندسة الشرقية . الى غير ذلك من أعضاء مختلف النوادى ، ومن اثر



منظر لجانب من المكتبة الملحقة بالمركز الاسلامي في واشنطون .. وهى مكتبة كبيرة تحوى العديد من الكتب القيمة التى قد لا تجدها في اية مكتبة اخرى في الولايات المتحدة ، وهى تضم حتى الآن ما يزيد على خمسة عشر الف كتاب .



مئذنة مسجد واشنطن .. ومنها ينطلق صوت المؤذن داعيا الناس الى الصلاة .. وهو يردد في نغمات جميلة وقورة : الله اكبر .. الله اكبر .. اشهد الا اله الا الله ..



الثريا الرائعة التى قدمتها الجمهورية العربية المتحدة هدية للمسجد .. وقد صنعت كلها في مصر .. وتعتبر من التحف الشرقية النادرة في الولايات المتحدة .

نجاح هذه الزيارات يأتى الشخص لرؤية بناء المسجد، فلا تراه الا وهو يحاول زيارة المركز ثانية وثالثة ورابعة ، ويستصحب اصدقاء معه في اغلب الاحيان ، وهذا يدل دلالة واضحة على الفكرة الحسنة التى يأخذها الزوار المسيحيون .

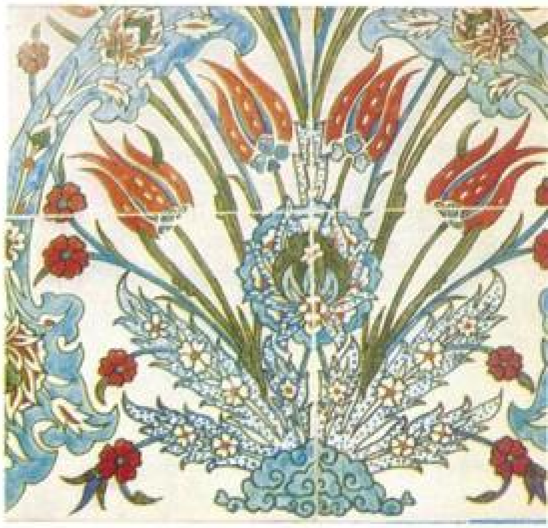
ويوجد للزائرين دليل حاضر في كل أيام الاسبوع يشرح لهم ما الاسلام ، وما المركز ، فتزول عنهم الصورة الممسوخة التى قد تكون في اذهانهم عن الاسلام ، فالفكرة عن الاسلام عند كثير من الامريكيين العاديين فكرة خاطئة غير مستساغة نتيجة فقدان الصلة بين المجتمع الامريكي المسيحي والمجتمع الاسلامى ، الا في الآونة الاخيرة ، وكذلك نتيجة لكتابات كثيرة في جرائد لا تريد





نسخة نادرة من القرآن الكريم بالمسجد

ان مسجد واشنطون يمثل الصدر الاول من الاسلام قبل ان ينقسم مذاهب وشيعا واذن فهو للجميع .

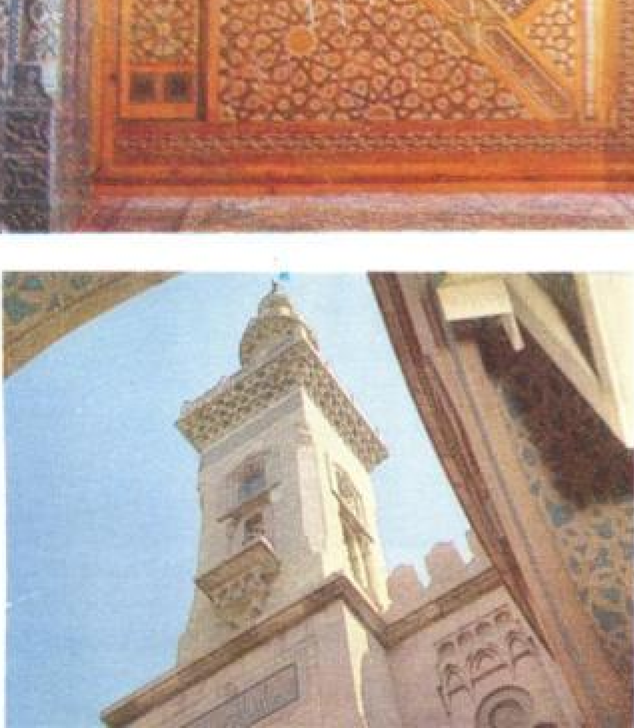


منظر للنقوش الجميلة التى تميز بها القيشانى الذى يحلى جدران المسجد .



لفيف كبير من المدعوين الذين حضروا حفل افتتاح المسجد .. لقد حضر الافتتاح عدد غفير من المسلمين والمسيحيين الذين ينتمون الى مختلف الجنسيات .





اننا نامل المزيد من
الخير من الـــدول
الاسلامية ، لان كل
درهم ينفق هنا يدر
اضعـــاف قيمته
فوائد على المسلمين
في كل انحاء الارض .

للاسلام ولا للمسلمين خيرا ، من ورائها الصهيونية تعمل في صحف واذاعة وتلفاز ما وسعها العمل .

والمسجد يمتلىء في ايام الجمعة والاعياد ، ويؤمه في اغلب الاحيان ما يقارب ٤٠٠ شخص وقد تزيد،وتصلي النساء مع الرجال . والمذاهب كلها ممثلة . فترى الناس بمختلف أجناسهم ولغاتهم والوانهم ومذاهبهم ونحلهم يجتمعون على مأرب واحد وهدف نبيل واحد ، وهو عبادة الله وتبجيله في مكان واحد ووقت واحد .

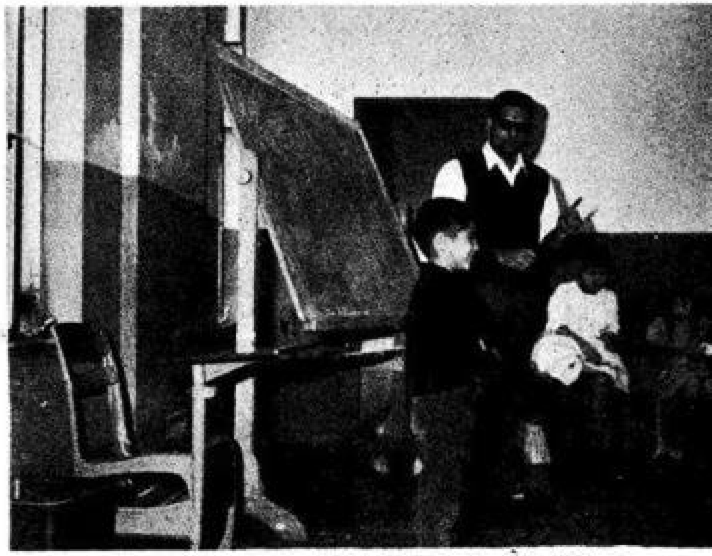
وقد مثل هذا المركز الاسلام في اصوله الاولى ، قبل ان يتلون بالوان المذاهب ، وآمن بما قاله الله تعالى : ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

وتوجد في المركز مكتبة كبيرة ، فيها من الكتب القيمة التي لا توجد في امريكا نفسها الشيء الكثير ، وبها الكثير من المجلات باللغة العربية والانجليزية وغيرها، وقد قاربت مجلدات المكتبة خمسة عشر الفا . وفي النية استعمالها نواة لبحوث في الاجتماع والدين .

ويستعمل جناح خاص من المركز لتعليم الاسلام واللغة العربية ، ففي يوم السبت من كل اسبوع تخصص ثلاث ساعات لتعليم المبتدئين . وفي أمسيات ايام الاسبوع يأتي الامريكيون ليتعلموا العربية والاسلام كل حسب مستواه .

ولكن الحاجة ماسة جدا لبناء مدرسة خاصة ينتظم فيها ابناء الجالية ، ويكون تعليم اللغة العربية والاسلام قسما من مناهجها (كما هو الحال في المدارس الكاثوليكية) .

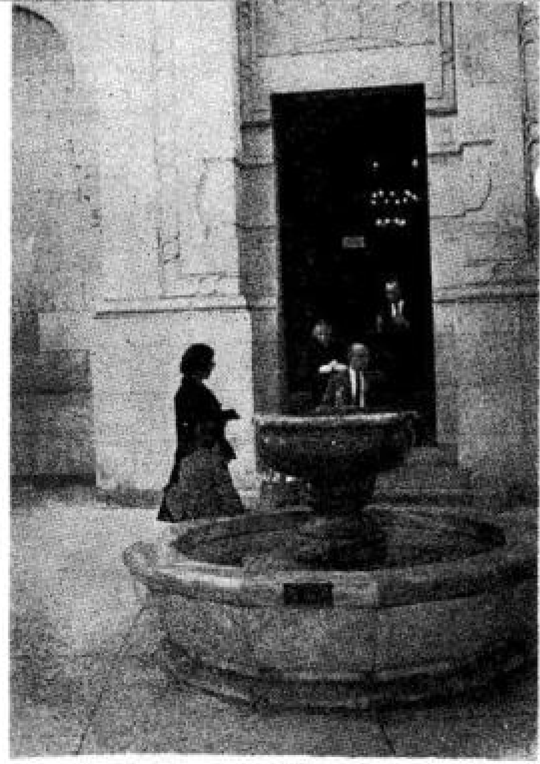
اما مدير المركز الاسلامي ، فبالاضافة الى واجباته العادية ، كثيرا ما تدعوه الجمعيات والنوادي والجامعات ، ومختلف المؤسسات مسيحية كانت ام مسلمة ، كي تستمع الى ما يقوله عن الاسلام ، وقد تأخذه اسفاره الى الكثير



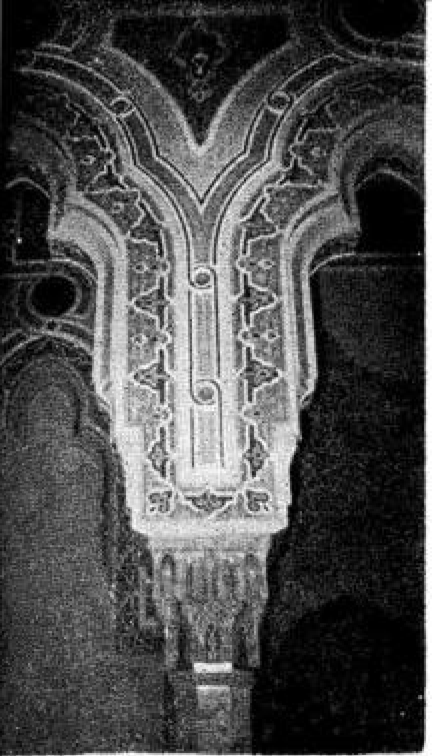
يتعلم اطفال الأسر المسلمة في امريكا اصول الدين في المركز الاسلامي .. وهذا طفل تركي مع اسرته وقف يستمع الى درس في اصول الصلاة .



مدير المركز الاسلامي ، شخصية لامعة ذات



فتح المسجد ابوابه للزائرين من مختلف الاجناس والاديان ويؤمه سنويا حوالى مائة وخمسين الفا يشرح لهم دليل خاص ما الاسلام وما المركز .



أحد الاعمدة الرائعة التى قامت داخل المسجد ، وقد زخرفت بالنقوش العربية، ويتجلى فيها جمال فن الزخرفة بالوانها .. وقد شيدت كلها بايد عربية .



الدكتور علي عبد القادر في مكتبه بالمركز ، وهو جهود مشكورة في حقول الدين في اوروبا وأمريكا .

من مختلف جهات أمريكا لهذا الفرض ، فقسطه وافر من فريضة الجهاد في سبيل الله .

واخيرا نستطيع ان نقول ان صورة الاسلام آخذة في التحسن المضطرد ، وهنا يجب أن نسأل انفسنا : هل انتفع الاسلام كثيرا من هذا المركز الفتى ؟ والجواب الذى لا شك فيه ان المليون ونصف المليون دولار التى صرفت عليه ، اتت بالفائدة الكبيرة لتحسين العلاقات في سبيل سمعة اسلامية طيبة ، ولدعم المسلمين نفسيا وروحيا عند زياراتهم المتعددة للمسجد ، وقد اصبح المسجد موضعا لفخرهم أى فخر .

عبد الصاحب هاشم ـ أمريكا

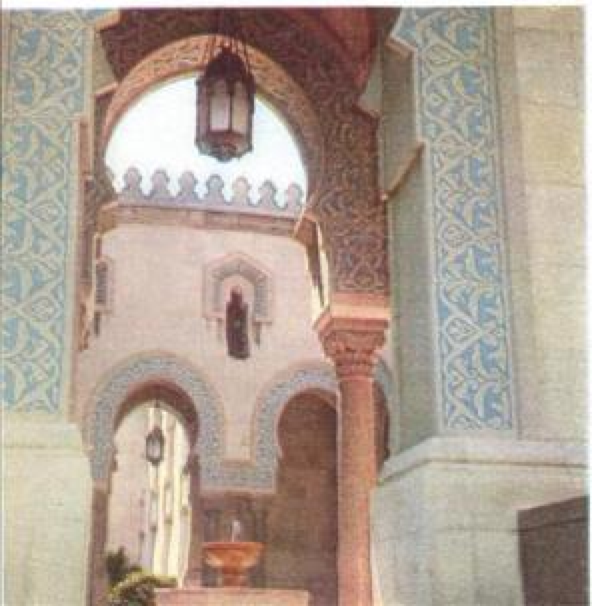


أعلام الدول الاسلامية
في مكتب مدير المركز
الاسلامي في واشنطون.
وقد صففت كلها تحت
علم واحد في سبيل الله

الى أسفل : ابناء الأسر
المسلمةفي أمريكا يتلقون
دروسا في الدين
الاسلامي وفي أصول
الصلاة .







هل انتفع الاسلام بهذا المركز الفني؟ والجواب لا شك أن هذا العمل الكبير قد ساهم في دعم المسلمين في أمريكا نفسيا وروحيا .. كما ساهم في خدمة أهداف الاسلام السامية ومعانيه ومبادئه في العالم ■■

دردشة



جاكلين كندى في أسرة آل كندى

● « بالرغم من الوفاء والاخلاص اللذين كانت تعامل بهما جاكلين كندى كل أفراد أسرة زوجها الا أنها لم تشعر يوما أنها فرد من افراد هذه الاسرة الكبيرة العدد . فقد كانت بالنسبة لهم دائما زوجة الابن الغريبة . ذلك ان جاكلين كانت من طراز آخر يختلف اختلافا جوهريا عن الطابع الذى اشتهر به آل كندى . فلم تكن من هذا النوع الذى يميل الى المزاح السخيف ، كأن تدفع الضيوف بملابسهم الى حمام السباحة كما لم تكن تهوى لعب الكرة الطائرة مثلا وهى رياضتهم المفضلة . كانت امراة هادئة الطباع لا تحب الاضواء ، وتكره الصراع السياسي والسعى وراء السلطة .

ولكن ثمة حقيقة أخرى كانت تسبب لها مشكلة دائمة .. الا وهى انجاب الاطفال . لقد رزقت جاكلين بطفلين من زوجها الراحل هما كارولين وجون ، وحذرها الاطباء من أن حياتها سوف تتعرض للخطر اذا حملت مرة اخرى . وكان هذا النبأ صدمة للاسرة الكبيرة التى كانت تريد أن تضاعف عددها بأطفال ابنائها » .

عن صحيفة « نيوز اوف ذى وورلد »

الضوضاء !

● منذ ربع قرن تقريبا ، أجرى احصاء دقيق عن الخسائر التى تنجم عن الضوضاء في مجال الصناعة والانتاج في العالم ، وقد قدرت هذه الخسائر بحوالى ٥٠ مليون جنيه في العام . أما اليوم ، في هذا العصر الذى اصبحت فيه الآلة تتحكم في مصير الانسان وحياته ، فلا يمكن تقدير هذه الخسائر لأنها سجلت ارقاما خيالية . فقد اتضح ان اكثر من ٥٠٪ من أسباب تغيب العمال عن اعمالهم في المصانع تعود الى الضوضاء التى تؤثر على العقل وتسبب الارق والضعف العام واضطراب الاعصاب وعددا آخر من امراض المعدة .

الافتتاحية

● نشر المقال الافتتاحى التالي في احدى الصحف الاقليمية في بريطانيا :

« ستجد أيها القارىء العزيز بعض الاخطاء في الصحيفة .. وأرجوك أن تعلم أن هذه الاخطاء قد وضعت لغرض. فنحن نحرص دائما على أن نرضي جميع القراء وكل الاذواق .. وبعض القراء مولعون بالبحث عن الاخطاء في الصحف والمجلات .. ومن اجل ذلك وضعناها لهم !! » .



الجنة تحت أقدام الامهات

● « لقد كان من الممكن أن يتغير مجرى حياتي لو لم تكن تلك المرأة امي . فلولا امي لما وجدت ولولا امي لما تعلمت ولولا امي لما اصبحت ما اصبحت . كانت هي صانعتي وهي مدرستي وهي ملهمتي . ومن أجلها عملت ، ومن اجلها نجحت ومن أجلها عشت لأقدم لها وللانسانية عصارة فكري وعملي وكفاحي » .

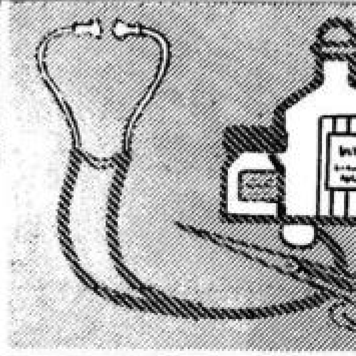
تلك الكلمات الرائعة أهداها ابن الى امه عندما وصل الى قمة مجده .. ولم يكن هذا الابن شاعرا وانما كان عالما عبقريا قدم للبشرية مئات من الاختراعات التي ما زالت تحمل اسمه حتى اليوم. انها كلمات توماس أديسون العالم والمخترع الامريكي المشهور الذي ولد في عام ١٨٤٧ وتوفي عام ١٩٣١ الى أمه نانسي أديسون .. تلك الام التي آمنت بعبقرية طفلها فوقفت بجانبه وساعدته وشجعته حتى اذا ما طردوه من المدرسة «البلاهته»، حولت بيتها هي الى مدرسة كان هو التلميذ الوحيد فيها . فكانت له خير صديقة وضعت كل علمها وخبرتها التى اكتسبتها بفضل ممارستها لمهنة التدريس قبل الزواج ، في خدمة هذا الطفل الذي قالوا عنه يوما : « واما ان يكون عبقريا او مجنونا ! » .

ومن اجل طفلها أحبت كل أطفال الحي ، فكانت لهم جميعا الام والاخت والصديقة التي تلعب معهم وتقدم لهم الهدايا والحلوى . ومن اجل طفلها حبست نفسها في البيت ، لتقرأ معه الكتب القديمة والحديثة ، وتطوف به على الخرائط في رحلات وهمية حول العالم لتعلمه الجغرافيا . ومن أجله حفظت معه سيرة العالم الايطالي جاليليو وغيره من كبار العلماء الذين ولع بهم توماس واحبهم .

كان قلب هذه الام يحدثها عن المستقبل العظيم الذي ينتظر طفلها ، حتى انها قالت يوما لمدرس الحساب الذي أوصي بطرده من المدرسة : « ان ابني يحمل فوق كتفيه رأسا فيه من الذكاء اكثر مما في رأسك وفي رؤوس كل زملائك المدرسين » .ومضت الاعوام وكبر الطفل وعاشت الام لترى نبوءتها تتحقق !

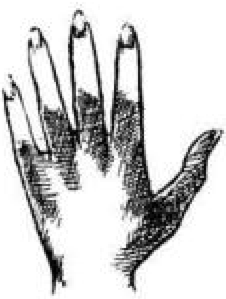
●● الكعب العالى ●●

● دافع الطبيب البريطاني الدكتور أوين ماكدوناج عن الكعب العالي دفاعا حارا ، فكتب في المجلة الطبية البريطانية « The British Medical Journal » يحمل على الاطباء الذين يمنعون المرأة من ارتداء الحذاء ذى الكعب العالي ، على أساس انه غير صحي . وقال ان هذا الرأي يخالف الواقع ، فهذا الحذاء يضفي جمالا واناقة على خطوات المرأة لأنه يتطلب جهدا للمحافظة على توازن الجسم أثناء السير ، وهذا الجهد يضاعف من متعة رياضة المشي . كما أنه يساعد على التنفس بطريقة صحية . هذا فضلا عن الاثر النفسي الذي يتركه الكعب العالي ، فالسيقان الطويلة بفضل هذا الكعب اكثر جمالا من السيقان القصيرة .



طبيب الأسرة

اظافرى تنشق



● اظافرى تضايقنى منذ سنوات . انها تتكسر وتتشق ، وصنعت لها الكثير من الوصفات فلم ينفعنى من ذلك شيء . وانا لا اورنش اظافرى لانى سمعت ان الورنيش يضر بها . وكذلك انا البس القفاز لكل شيء اعمله بيدى . فماذا اعمل ؟

ـ اما انك لاتصقلين أظافرك بالورنيش، فهذا طيب ، لأن السائل الذى تزيلين الورنيش به مضر بالأظافر .

وكذلك انت تستخدمين القفاز عند الغسيل ، فلا يمس أصابعك الصابون ، ولا أبدال الصابون التى تؤثر فى الجلد وفى الاظافر معا. فأنت فى منجى من هذا ايضا بقى احتمال وجود فقر دم لديك . فقر خفيف لا تحسين به . وهنا يجب أن تعلمى أن الأظافر كالشعر ، مادة ميتة لا احساس فيها . ولكنها تنمو من جذور حية تتغذى بالدم ، وتنمو .

وفقر الدم قد يؤثر فى هذه الاصول ، فلما تنمو يظهر ما أصابها انشقاقا .

على كل حال هذا سبب يجب بحثه . فاذكريه لطبيبك الخاص لعل له رأيا .

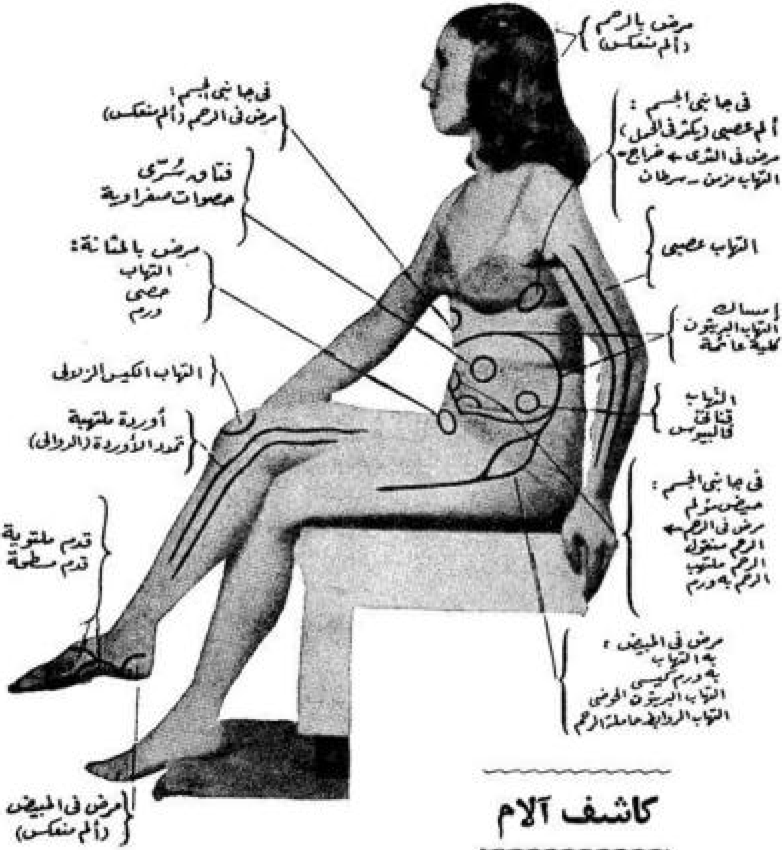
قلبى يفوّت ضربة من ضرباته



● تحدث لى احيانا هزة أخافها فى القلب ، احس فيها كأن ضربات قلبى المنتظمة قد اختل انتظامها ، او كأن قلبى قد توقف برهة ليستريح ، ثم عدل عن ذلك وراح يضرب من جديد ،وقد عرضت نفسى على طبيبى فقال لى لا خوف على من ذلك ، وانه شيء يحدث لكل الناس احيانا . وأن القلب يفوّت ضربة ثم يعود الى انتظامه . فهل من هذا خطر او انذار بخطر ؟

ـ نعم ، لقد صدق طبيبك ، فكثيرا ما يفوت القلب ضربة من ضرباته ، أو هو يظهر لصاحبه انه يفوّتها . وقد عبر لك الطبيب بالذى تحسينه ويتراءى لك .

والواقع ان القلب لاتفوته دقة من دقاته، انما هما دقتان متلاحقتان يظهران لقربهما كأنما هما دقة واحدة ، واذن فالقلب يستريح قليلا قبل أن يبدأ بالدقة العادية



كاشف آلام

● **سبق أن نشرتم منذ سنوات صورة رجل ، حددتم على جسمه مواضع الآلام التي يحس بها الناس ، ونسبتموها لأمراض محتملة . فما بال المرأة ، لا تحظى بمثل هذه العناية المفيدة ؟**

ـ وجوابنا ، هو ذا الرسم المرفق ، وفيه مواضع الألم ، واحتمال ما وراءها من أسباب .

الثالثة ، فيظهر أنه يتوقف عن الدق .

وهذه الدقة الثانية تسمى في اللغة الطبية الدقيقة دقة جاءت قبل أوانها Premature ومن الخطأ تسميتها دقة فوتها القلب .

وهذه الدقة السابق أوانها تحدث للانسان حتى وهو مستريح ، يقرأ ، أو يتحدث في سكون ، أو يفكر . ولا خطر منها . ولكن يكون لها غير هذا المعنى اذا هي تكررت بحيث تعود كل سبع دقات مثلا . انها عندئذ تدل على شيء خاطيء ، ومن ذلك كثرة التدخين الذي يسمم عضلة القلب .

انها تشكو رائحة فمها

● ذهبت الى طبيب ، وعرضت عليه ما أشكو منه من رائحة فمي ، فابتسم، وأحسست من ابتسامته اني جئت اليه أشكو من شيء تافه . وعالجني ، أو هو زعم انه عالجني ، ولم أستفد من علاجه . وأحسست بعد ذلك ان رائحة الفم ليست مرضا ، أو انها شيء لم ينله الطب . فهل هذا صحيح ؟ وهل هو من التفاهة بمكان ؟ وهل الفتيات وحدهن يشكين رائحة الفم الكريهة دون الرجال ؟

– اما ان رائحة الفم الكريهة شيء تافه فغير صحيح . واما ان الفتيات وحدهن يشكونها ، فهذا كذلك غير صحيح . نستدل على هذا من الأسئلة التي تأتينا من الرجال ومن النساء على السواء . انها تأتي من الفتيات أكثر ، ولكن ليس معنى هذا أن اصابتهن برائحة الفم أكثر . ولكن معناه انهن بها أحس ،وعلى انفسهن منها اشفق . والزوجة تخشى كراهة الزوج رائحة فمها ، ولا يخشى الرجل كراهة زوجته رائحة فمه . وهذه عنجهية من مخلفات القرون .

اما رائحة الفم الكريهة فهي خلل في الجسم،ولكل خلل أسباب .والصعوبة في هذه الرائحة هي الوصول الى اسبابها، فهي كثيرة .



ومن ذلك الرائحة التي تصحب امراضا خطيرة بذاتها ، وفي هذه الحالة لا تسبب هذه الرائحة ازعاجا لأن سببها ظاهر ، هو المرض الخطير ، وعلاجه أهم من علاج ما يصحبه من رائحة فم غير مستطابة . والرائحة تزول بزواله .

يضاف الى هذا رائحة في الرجل أو المرأة تجعل من فمها وانفها مدخنة لا يكاد ينقطع عنها دخان السجائر . كذلك رائحة فم من يغرم بأكل البصل أو الثوم أو نحو ذلك . أسباب لرائحة الفم ظاهرة علاجها واضح ، ولكنه كثيرا ما يكون غير يسير .

والطبيب الذي يأتيه من يشكو رائحة الفم ، أو من تشكو ، يفكر أول ما يفكر عادة في ثلاثة مواضع من الجسم تكون عادة مصدر الرائحة الكريهة . وهذه هي الفم ، والأنف ، ثم مجرى الطعام من الجسم .

ففي الفم قد يكون سبب الرائحة الطرطير المترسب على الأسنان والعفن الناتج بينها . وقد يكون التهاب اللثة وتقيحها المعروف بالافرنجية Pyorrhea وفيه تدمى وتتقرح . ولهذا كله طبيب الأسنان .

وقد يكون سبب الرائحة اللوزتين . وكثيرا ما ضغط الطبيب اللوزتين فخرج منهما مادة كريهة حقا . وقد يرى الطبيب في مثل هذه الحالة ازالة اللوزتين .

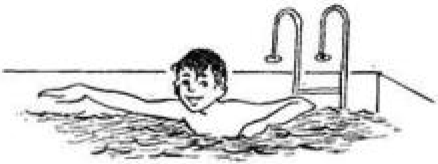
وقد يكون سبب الرائحة جيوب عظام الوجه المتصلة بالانف ، فهي قد تمتلىء بمادة كريهة . وينسد ما بينها وبين الأنف فتخرج المادة الى الانف قطرات لا تكاد تنقطع . والأشعة السينية تكشف عن ذلك . والطبيب يفرغ ما في الجيوب .

بقيت مجاري الطعام . واخطر ما فيها الامساك . وفي الامساك تتحلل النفايا المحبوسة في الامعاء ، ويمتصها الدم ،

وتخرج فى الرئتين مع الأنفاس . والعلاج علاج الامساك .
والشعراء يذكرون رائحة الفم العطرة عندما يتحدثون عن النساء . واحسب ان هذه الرائحة العطرة لا تأتى من الفم . فخير الأنفاس لا رائحة له . الا ان تضع الفتاة فى فمها من الحلوى العطرة ما تضع .

فى أى سن ، يتعلم الطفل السباحة ؟

● لى طفل صغير يحب الماء جدا ،ولا اضعه فى وعاء الماء الصغير الذى احميه فيه حتى يظهر سرورا عجيبا. فهو يضرب الماء بيديه ورجليه ، وكأنما يريد أن يسبح فيه . وقد وضعته فى حمام البنوار الكبير مع مقدار من الماء الدافىء المناسب ، فزاد سروره . فهل معنى هذا أن بابنى استعدادا ليكون سباحا ماهرا . ان عمره الآن سنة ونصف سنة ، واسمع أن أطفالا فى هذه السن تتعلم السباحة ، حتى فى الحمامات العامة كتلك التى بالنوادى. فهل تنصح بذلك ؟ ان الصيف يقترب والماء يغرى ..



ـ ان اكثر الأطفال تحب الماء ، لاسيما الماء الدافىء . ولكنهم يكرهون الماء اذا كان ساخنا او كان باردا . وهم يحسون الامان بوجود الأم فى الحمام تمنع عنهم الأذى ، وبالطبع ماء الاستحمام فى حمام البيت نقى وغير ملوث ولم يسبق ان دخله احد للاستحمام فلا ضرر منه .

ولكن غير ذلك حمام السباحة العام ولو فى ناد . ولو كما تذكرين انه معقم . اما مادة تعقيمه فهى الكلور . ولكن مع هذا ، ومع كثرة المستحمين لا يخلو الحمام من وجود خطر العدوى على الطفل الصغير . وعدا هذا ، فالطفل الصغير قد يطمئن الى ماء البنوار القليل ، ولكن يفزعه الماء الكثير فى حمامات السباحة . واذا هو خاف مرة من الماء ، فقد تنشأ فى نفسه عقدة لا تستطعين حلها فى المستقبل وحمام النادى بالطبع حمام صاخب زائط بالذى فيه من صبية ورجال وغيرهم . والصخب يخيف الطفل .

ثم السن . ان الناس فى الشرق تخشى على الصبية من العوم حتى تحت الرعاية . وهم يبالغون فى تلك الخشية . فالانسان الصغير ، كما هو مهيأ لأن يمشى ، هو ايضا مهيأ لأن يعوم . ان العوم فى جبلته. ولكن من المبالغة ايضا أن تضع طفلا فى مثل سن طفلك فى الماء .

ان الشرط الأول فى الصبى ليدخل الماء ان لا يخشى الماء. لا بد ان يترك حتى اذا وقف عند الطرف الضحل من الحمام فى النادى رغب من ذات نفسه أن يدخل الماء .

والسن المعروفة الآمنة لدخول الصبية والصبايا حمام السباحة هى الخامسة. ويوجد فى البلاد الدافئة عند أطراف البحار أماكن من الماء ضحلة محجوزة للأطفال حتى فيما دون الخامسة يخوضون فى مائها ويلعبون ويعبثون . وفى هذه الحالة كثيرا ما يتهيأ الصبية للعوم فيما بين الثالثة والرابعة .

نعم ان الصيف يقترب ، والماء يغرى، نأرجو لكما التوفيق . ●●

أمراض شائعة

حَصًى في الحُوَيْصَلَةِ الصَّفْرَاوِيَّة

■ لا بد من كلمة عن القناة الهضمية اولا . وتبدأ بالمعدة ، وهى تصب فى الامعاء الدقاق ، واول جزء منها يعرف بالمعَى الاثني عشري" لأن طوله نحو اثنتى عشرة بوصة (معى مفرد . وجمعه امعاء) . والاثنى عشرى يصب ما يدخل اليه من طعام في سائر الامعاء الدقاق ، ويبلغ طولها نحو ٨ أقدام او تسعة او تزيد . والامعاء الدقاق تصب في الامعاء الغلاظ، وهى تسير بالطعام الى المستقيم فالى خارج الجسم .

انبوبتان تنفتحان في المِعَى الاثنى عشرى

اما الاولى ، وليست من همنا فى حديث اليوم ، فهى قناة البنكرياس ، وهى الغدة الشهيرة التى تصنع الانسولين فيما تصنع ، وتصب في المِعَى الاثنى عشرى(١) (انظر الشكل) .

واما الثانية ، وهى هدفنا من هذا الحديث فقناة تخرج من الكبد ، وهى تحمل ما تفرزه وتصنعه الكبد من الصفراء (وسيأتى حديثنا عن الصفراء) لتصبه أخيرا في المِعَى الاثنى عشرى لتقوم الصفراء بعد ذلك بواجبها فى الامعاء (وسيأتى الحديث عن ذلك) .

بين الكبد والمِعَى الاثنى عشرى

بينهما توجد حويصلة الصفراء ، او كيس الصفراء ، وهي كيس بحجم البيضة الصغيرة ، يتصل بالقناة التى تحمل الصفراء من الكبد الى الاثنى عشرى ، بقناة تخرج منه ، من هذا الكيس، من حويصلة الصفراء. وسميت حويصلة الصفراء لأنها عن طريق قناتها هذه تستمد الصفراء الذاهبة من الكبد الى الامعاء ، وهى تمتلىء بها وتختزنها لحين الحاجة . فالحويصلة الصفراوية، من حيث وضعها بين الكبد والاثنىعشرى في موضع جانبى ، فحتى لو انسدت قناتها لم يؤثر هذا في ذهاب الصفراء من الكبد الى الامعاء مباشرة .

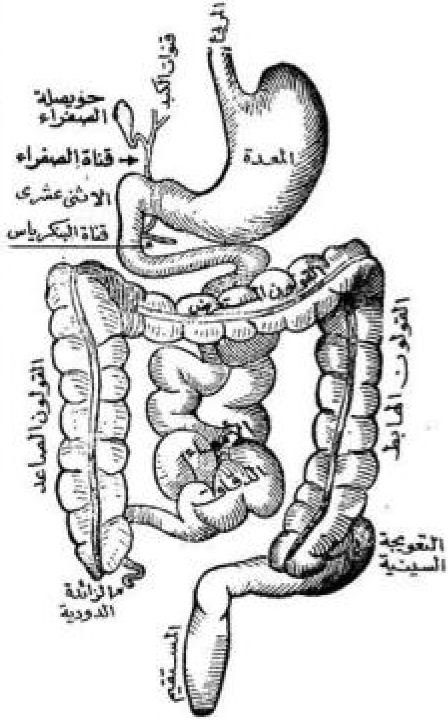
الصفراء

الصفراء سائل ثخين ، مر" المذاق ، بني" اللون مُذَهَّبه ، تفرزه الكبد ، وهي تختزنه في الحويصلة الصفراوية .

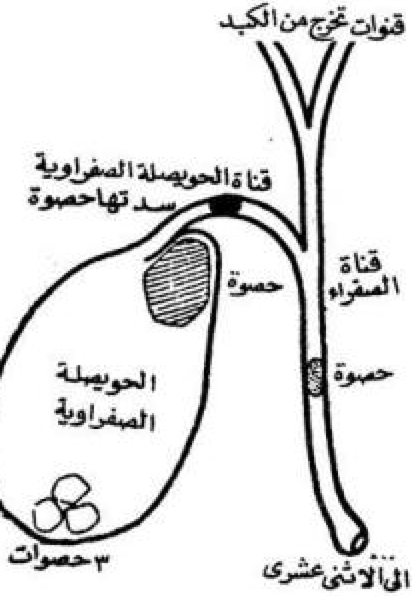
والصفراء تتركب من ماء ومخاط ، ومن صبغين ، بنى Bilirubin ، واخضر Biliverdin (فهذان هما اسماهما)، ومن أملاح حامضين عضويين

---

(١) انها تصب العصارة البنكرياسية وهى من اخطر السوائل الهاضمة . والانسولين الذى يصنعه البنكرياس لا ينصب مع العصارة البنكرياسية ، وانما يذهب منها الى الدورة الدموية بالجسم مباشرة .



الجهاز الهضمي



الحويصلة الصفراوية وقناتها

معقدي التركيب ، وأملاح أحماض غير عضوية .

والصفراء تنصب كما ذكرنا في المعى الاثنى عشري على بعد بوصات قليلة من مخرج المعدة . وهذا الانصباب مستمر طول الوقت ، ولكنه يتزايد عقب دخول الطعام الى القناة الهضمية ، وكذلك بعد ساعات بعد ذلك ، عندما يأخذ الطعام ينهضم .

والصفراء ، بعضها فضلات رمت بها الكبد بعد الفراغ منها ، وبعضها أفرزته الكبد خاصة ليعين في عملية الهضم ، ولا سيما هضم الدهن المأكول . وعدا هذا هي تساعد على امتصاص الطعام المهضوم عندما يمر بالامعاء . ومن عملها كذلك اتلاف الكثير من المكروب الذي بالامعاء واخصه المكروبات الكروية Micrococcoi .

وجسم الانسان يفرز من الصفراء في اليوم ما بين نصف لتر الى لتر أو نحو ذلك . ولكن أكثر هذا المقدار يمتصه الجسم ثانية مع الطعام المهضوم، فيدخل الى الدم ويدور معه حتى يصل الى الكبد ، فتعود الكبد تفرزه من جديد .

الالم الذي يحسه المريض بالحصى

ان المريض الذي بحويصلته الصفراوية حصى ، قد لا يحس شيئا ابدا . وانا لنجد كثيرا من المرضى كشفت الاشعة السينية الحصى في حويصلاتهم او حويصلاتهن (فأغلب المصابين نساء) على غير عمد . كشف بالاشعة أجروه لغاية ، فاذا به يكشف شيئا آخر .

ولكن يتغير الامر كله اذا خرجت الحصوة من الحويصلة فسدت قناتها . عندئذ يصيب الحويصلة التهاب شديد ومعه ألم ، قد يدوم ساعات أو أياما .

وشر من هذا ان تخرج الحصوة الى قناة الصفراء ، التى تصل الى الكبد بالامعاء ، فتسدها سدا . انها عندئذ تمنع الصفراء ان تصل الى الامعاء (انظر الشكل الثانى) . واذن يمتصها الجسم ثانية ، فتجرى في الدم فيصاب صاحبها بالداء المعروف بالصفراء . ان الصبغ الصفراوى يظهر في جلد الوجه ، اصفر او اخضر زيتونيا . ولأن الصبغ لا يصل الامعاء ، فاذن يذهب عن البراز لونه الاصفر المعتاد ، ويصبح ابيض او رماديا ..

ويصحب هذا الداء الم شديد ينتج عن محاولة القناة أن تنقبض لتطرد الحصوة السادة فلا تستطيع . نعم ان القناة تحاول النجاة بصاحبها فكأنما لها عقل ادرك الخطر فقام يتداركه !

الحصى في الحويصلة الصفراوية ، كيف يتكون

من عجيب أمر الجسم انه حيثما يكون فيه مخزن تتجمع فيه أشياء ، كحوض الكلية ، او المثانة او الحويصلة الصفراوية ، يحدث كثيرا ان يخرج من هذا الخزين رمل يتحول الى حصى .

والحويصلة الصفراوية يصيبها المرض ، ولكن اكثر ما يصيبها من ذلك انما هو تكون الحصى بها .

وتسأل عن سبب ذلك فلا تجد في اكثر الحالات جوابا شافيا .

ولكن الارجح ان الحصى يتكون من امرين ، مستقل احدهما عن الآخر .

اما الاول فمن الناس من تنحل كرات دمهم الحمراء سريعا . ان الكرات الحمراء تنحل وتبلى . ولكن من الناس من تنحل كراتهم أسرع ، وبمقادير اكبر ، ومن هذا الانحلال ينتج الصبغ الصفراوى بكثرة فيتحول الى حصى صبغى .

وأما الثانى ، فمن الناس من تزيد في دمه نسبة المادة الشهيرة المعروفة بالكول ستيرول Cholesterol (التى شاع ذكرها سيما في بعض امراض الدورة الدموية هذه السنوات القريبة) ، واذ هى تتركز تخرج على صورة حصو من كول ستيرول

وقد يبدأ بكلتا الحالتين ، ان تدخل الى الجسم عدوى ، تصل الى الحويصلة ، يتخلف عنها حطام قليل ، يتربى عليه الحصو ، سواء من صبغ او من كول ستيرول . انه يكون حافزا ، كما تضع في محلول السكر المركز ، بلورة من سكر فيخرج السكر من محلوله بلورات تلتف على تلك البلورة التى وضعتها فتكبر وتغلظ .

عند رجل الاشعة

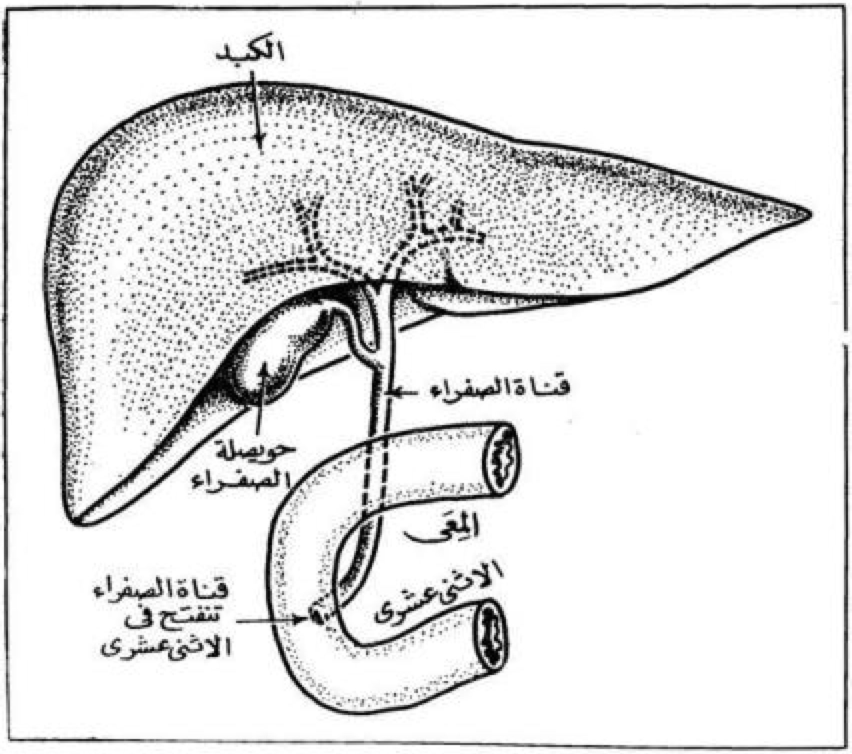
ان الاشعة السينية تنفذ في الجسم ، ثم ترتمي من ورائه على اللوحة الفوتغرافية . وهي تنفذ في لحم الانسان ، فهو لا يعوقها ، ولكن العظم وكثير من الاشياء تعوقها .

وكان المنتظر ان تعوقها الحصوة التى تكون في الحويصلة الصفراء ، فتظهر في الصورة على خلاف ما حولها من انسجة شفافة لهذه الاشعة .

ولكن الواقع ان الحصوة لا تظهر الا نادرا ، مرة في كل عشر مرات أو تزيد . لهذا هم يعطون المريض صبغة يبلعها (مثل فنيودول Pheniodol) من شأنها ان يمتصها الجسم ، وتجرى في الدم ، وتفرزها الكبد في الصفراء ، وتذهب الى الحويصلة فتتركز فيها . وهذه المادة تمتص الاشعة السينية فلا تنفذ فيها ، فيقال انها معتمة تجاه هذه الاشعة ، فاذا صورت الحويصلة الصفراوية بعد ذلك بساعات ظهرت الحويصلة واضحة في الصورة ، وظهر ما بها من حصى اجساما شفافة على الصفحة المعتمة .

عند الجراح

لا توجد الى اليوم طريقة غير الجراحة لتخليص الجسم من الحويصلة ذات الحصى . عجز البحث الطبى عن ايجاد



الكبد ، والحويصلة الصفراوية وقناتها ، والاثنى عشرى

مادة فعالة تذيب الحصى ، واغلب الظن ان الحويصلة نفسها قد هراها الداء فلا بد من ازالتها .

والجراح يزيلها هي وحصاها. ويحاذر ان يمس القناة التى توصل الصفراء الى الامعاء .

والعملية تحتاج الى نحو اسبوعين في المستشفى ، يضاف اليها ٣ او ٤ اسابيع للنقاهة .

بعد الجراحة

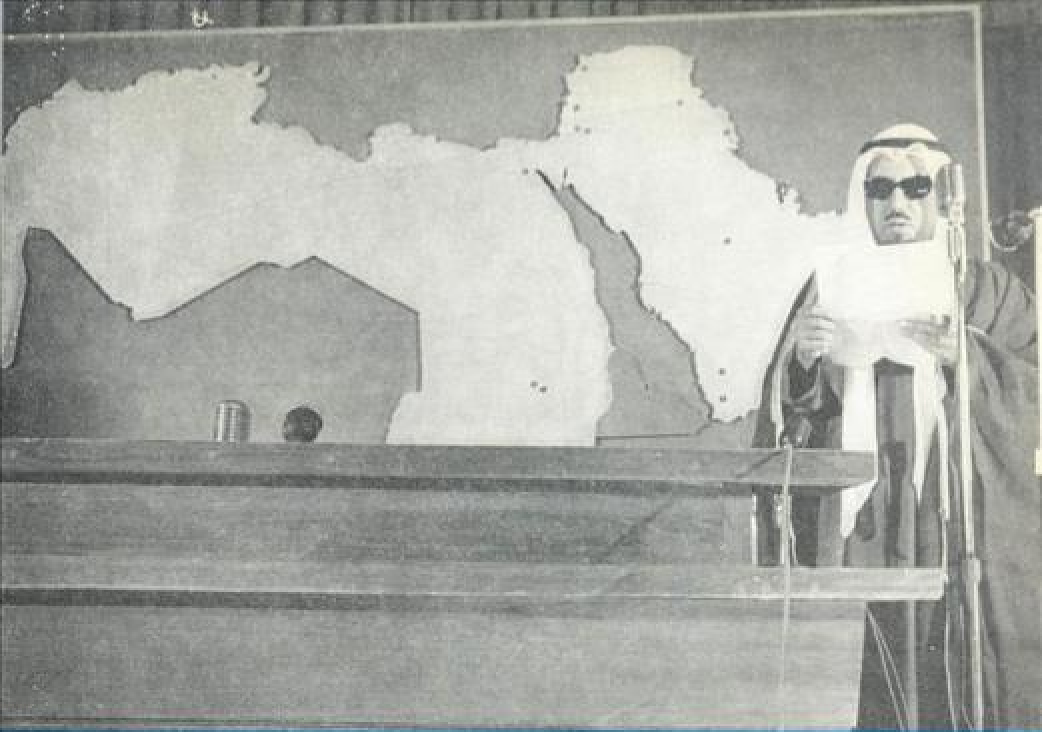
بعد الجراحة تذهب كل الآلام التى كان الحصى يسببها ، وتتسع مائدة الطعام بعد نقاهة .

ان المريض لا بد كانت صنوف طعامه قلت وهو مريض . وهو لا شك امتنع حتى من ذات نفسه ، ودون تنبيه الطبيب ، عن اكل الطعام الدسم ، وما الذه . وهو امتنع لما اكتشف ان الالم الذى يأتيه من بعض طعام يزيد على الطعام الدسم . انها الصفراء تفرغها الحويصلة المريضة لهضم الطعام الدسم .

ولكن بعد جراحة يعود المريض، وعلى الاخص المريضة ، الى نوع من الحياة عادي لا حرمان فيه .

ومن الاطباء من يقول ان الحويصلة الصفراوية ليست لازمة للهضم ، ولا حتى لصحة الجسم ، وهم يدللون على هذا ، فوق ما تدله عليه خبرتهم ، بأن من الحيوانات ما ليس لها حويصلة قط . ومن هذه الفئران ، ولا يعوق هذا الفئران عن ان تكون لها شهية عارمة ، وقوة هضم جبارة .

ولكنى اعود فاقول ، لو اني ابتليت بمرض فى الحويصلة ، وسمعت من هؤلاء ما سمعت ، لتمنيت أن تكون لي الحويصلة ، سليمة ، على أن لا تكون ، ايمانا مني بأن الله ما اودع في الجسم شيئا الا وله غاية .



سمو الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح ولي عهد الكويت ورئيس مجلس وزرائها يلقى كلمة الافتتاح في اول مؤتمر لمنظمة المدن العربية .

استطلاع الكويت

مُنَظَّمَة المُدُن العَرَبيَّة

■ ٢٨ مدينة عربية تضم عددا من اعرق واقدم مدن العالم القديم والحديث ، التقت في الكويت ممثلة في رؤساء ومديري بلدياتها بدعوة منها ، من أجل التخطيط لمستقبل افضل يليق بالماضي المجيد لهذه المدن التي شيدها قوم عاشوا في العصور الاولى للبشرية .. حتى انه من فرط قدمها نسبوا تاريخها الى عاد وثمود ، احفاد آدم ونوح ، وسليمان الحكيم الذي « كان يسخر الجن لبنائها ! » .

لقد استيقظت هذه المدن من سباتها العميق الذي مر عليه الاف الاعوام ، احتسبوها كلها من عمرها دون أن تجني ثمرتها او حتى تشعر بمرورها ، حيث ظلت قابعة في القمقم تعيش على ذكريات ماضيها . وفجأة انطلقت كالمارد تحاول ان تثبت وجودها في عالم يتصارع اليوم لغزو الكون والفضاء ، وبناء حياة جديدة فوق القمر والمريخ ..

الحديث ياخذ بيد القديم

واحست المدن العربية الحديثة بمتاعب شقيقاتها من المدن القديمة . . فسارعت للعمل في محاولة جدية للأخذ بيدها .. ومن بلدية الكويت خرجت الدعوة الى جميع بلديات الوطن العربي .. الدعوة الى تأسيس منظمة للمدن العربية يكون هدفها تحقيق تعاون فعال على مستوى البلديات لدراسة وبحث ومعالجة المشاكل التي تواجهها هذه البلديات نتيجة للتطور العمراني السريع القائم اليوم ، وما يتطلبه من حاجة الى توحيد المفاهيم



اشترك ٧٥ رئيسا ومديرا وعضوا في المجالس البلدية يمثلون ٢٨ مدينة عربية مختلفة ، في اول اجتماع لمنظمة المدن العربية ..

وُلِدت في الكُوَيت

العمرانية والتخطيط ، واخيرا المحافظة على الطابع المميز للمدن العربية .

ان الكويت تؤمن بان تحقيق هذه الاهداف لا يمكن ان يتم الا عن طريق الاتصال المباشر ، وتبادل الزيارات والبعثات والخبرات ، وعقد المؤتمرات والندوات بين المسئولين عن البلديات في مختلف ارجاء وطننا العربي الكبير ..

جاءوا من كل مكان

وفي صباح السبت ١١ مارس سنة ١٩٦٧ حضر ٧٥ رئيسا ومديرا وعضوا في المجالس البلدية يمثلون ٢٨ مدينة عربية حفل افتتاح مؤتمرهم الاول. لقد جاءوا من كل مكان .. من بغداد ، والدار البيضاء .. وراس الخيمة ، وصنعاء .. وعمان .. والرياض .. ودبي ، وعجمان .. والقاهرة ، والشارقة .. وتونس وحلب .. وام القيوين .. والاسكندرية ، وبنى غازي .. والحديدة ، والمنستير .. والبصرة ، وبيروت .. ودمشق ، والقدس .. والرباط ، وغزة .. وطرابلس ، وطرابلس الغرب .. جاءوا جميعا ليلتقوا بوفد الكويت في قاعة الاجتماعات الكبرى بثانوية الشويخ ...

اهمية اللقاءات العربية

وتفضل سمو الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح ولي عهد الكويت ورئيس مجلس وزرائها بالقاء كلمة الافتتاح فقال : « اننا هنا في الكويت نؤمن ايمانا عميقا ، بأن اللقاءات العربية خير



ان الآمال كلها معقودة على منظمة المدن العربية الوليدة من أجل النهوض بمد
الاول في قاعة المؤتمرات

معين لامتنا في مسيرتها نحو التقدم والازدهار . وأملنا كبير في أن يكون لقاؤكم اليوم ، رسلا من المدن العربية التى تمثلونها ، لقاء خير وعمل مستمر ، وحلقة من حلقات البناء التى يشهدها الوطن العربى في كافة المجالات العمرانية والثقافية والاجتماعية والصحية ، وأن تكون منظمة المدن العربية انطلاقة خيّرة نحو التقدم العمرانى على الارض العربية » .

« ان القرى في كافة أنحاء الوطن العربى تحتاج ، أكثر من المدن ، الى المزيد من الجهد والعمل .. وأملنا كبير في أن يحقق التنظيم الحديث لكافة المواطنين في مدنهم وقراهم ، المزيد من الهدوء والراحة ، والحياة الافضل .. مع ملاءمته لعاداتهم وتقاليدهم وظروفهم ، وبيئاتهم المختلفة ، ومثل هذا لا يتحقق الا بالعلم والمعرفة ، وبالعمل المتزن المتواصل ... » .

انتخاب رئيس المؤتمر

وفي الجلسة الاولى انتخب سعادة يوسف السيد هاشم الرفاعى وزير الدولة ورئيس بلدية الكويت رئيسا للمؤتمر ... ولم يضع الحاضرون وقتهم ، وانما قسموا انفسهم الى ثلاث لجان :

١ ـ لجنة للبحث في وضع النظام الاساسي للمنظمة .

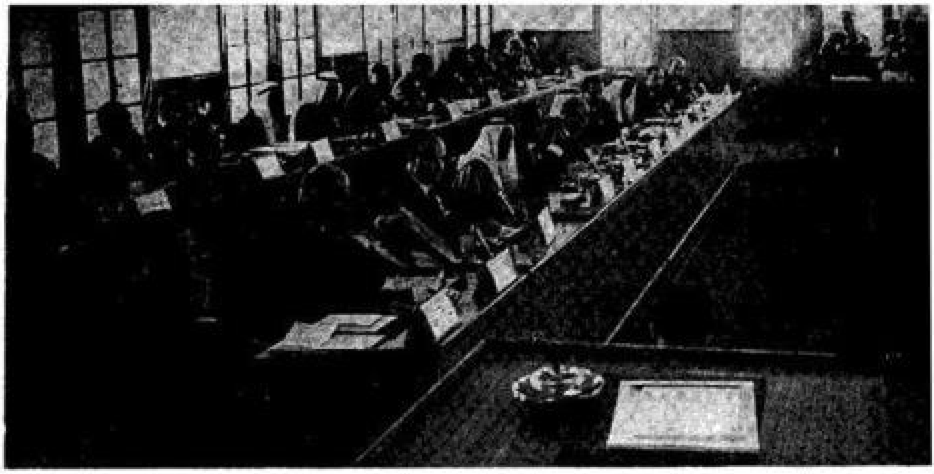
٢ ـ لجنة للبحث في الامور الهندسية المعمارية المتصلة بالبلديات .

٣ ـ لجنة للبحث في الامور الادارية والمالية والتشريعية والاجتماعية .

وبعد اجتماعات ومناقشات طويلة كانت تمتد الى منتصف الليل احيانا ، خرج مقررو اللجان الثلاثة ليعلنوا بكل هدوء عن توصيات هذه اللجان ، التى سلطت الاضواء على مدى اهمالنا

الى اليمين : تم انتخاب سعادة يوسف السيد هاشم الرفاعى، وزير الدولة ورئيس بلدية الكويت ، رئيسا للمؤتمر . كما انتخب السيد انطوان جزار ، رئيس وفد بلدية بيروت ، أمينا عاما للمؤتمر ، والسيد سي محمد حجى ، عضو بلدية الدار البيضاء مقررا عاما للمؤتمر .





لننا الكبير .. وهذه الصورة لأعضاء المؤتمر بكامل هيئتهم أثناء اجتماعهم
انوية الشويخ بالكويت .

في تنظيم مدننا ، التى تعانى كلها من مشكلة واحدة أساسية هى هجرة أبناء القرى والبادية اليها ، حتى كادت المدن تختنق من هذه الهجرات المتوالية عليها ..

توصيات دبلوماسية

لقد وضعت اللجان اصبعها على موطن الداء ، ولكنها لم تستطع أن تعلن رأيها بصراحة تامة فجاءت توصياتها مغلفة بالكلام الدبلوماسى المنمق.

مثلا مشكلة عرقلة الحكومات لأعمال البلديات.. قالت عنه التوصية : « ان المؤتمر يحدوه الأمل فى أن تعمل الحكومات العربية على توفير الصلاحيات والامكانيات اللازمة لتصريف الشئون المالية والادارية للبلديات لتتمكن من القيام بدورها العمرانى والحضارى على أكمل صورة .. وذلك بتوسيع صلاحية البلديات وزيادة مواردها وتمليكها الاراضى لتخفف من أعبائها المالية .. وبمعاونتها على معاقبة مخالفة الاهالى للقوانين والانظمة ..»

واستعرضت اللجان الأسلوب اللازم اتباعه فى تخطيط المدن العربية والمعايير والقيم القياسية اللازمة لذلك .. ولكنها لضيق الوقت لم تستطع معالجة هذا الموضوع بالتفصيل فوضعته فى مقدمة الموضوعات التى يجب بحثها فى مؤتمر المنظمة القادم .

نقص الفنيين

وتطرق المجتمعون الى بحث النقص الهائل الذى يعانيه الوطن العربى فى المهندسين المختصين بالتخطيط فاصدرت اللجان المختصة توصيات هامة فى هذا الصدد منها :

١ ـ حصر الكفاءات الموجودة حاليا فى العالم العربى .

٢ ـ تقييم الدراسات الجامعية وغيرها من الدول العربية .

٣ ـ تحديد نوع ومستوى الدراسات الجامعية اللازمة فى كل بلد عربى .

٤ ـ النهوض بالبحث العلمى والتطبيقى كوسيلة هامة فى سبيل تثبيت المفاهيم والقيم الصميمة للتخطيط .

٥ ـ تدريب وتوجيه الاجهزة العاملة حاليا فى التخطيط الحضرى وفروعه المختلفة ، وذلك باعداد برامج لمدد قصيرة يسهم فيها خبراء التخطيط فى الدول العربية ..

وفى سبيل تنفيذ تلك التوصيات وغيرها ناشد المؤتمرون، الامانة العامة لمنظمة المدن العربية الاتصال بالامم المتحدة وجامعة الدول العربية للمعاونة فى هذا المجال ..

اقرار التوصيات

وفى يوم الاربعاء ١٤ مارس (اذار) ١٩٦٧ اجتمع كل أعضاء المؤتمر وأقروا التوصيات التى وضعتها اللجان ..

وبعدها وقف رئيس المؤتمر سعادة يوسف السيد هاشم الرفاعى وأعلن وسط التصفيق الحاد ، مولد أول منظمة للبلديات ، تحمل اسم منظمة المدن العربية ..



من ٢٨ مدينة عربية جاءوا الى الكويت . وعقدوا الاجتماعات التى أسفرت عن مولد أول منظمة للمدن العربية .

واختيرت مدينة الكويت لتصبح مقرا دائما لها ... وليس لهذه المنظمة اى نشاط او ارتباط سياسى او عقائدى . كما انها لا تتدخل فى الأمور السياسية لأى بلد .. وانما هدفها رفع مستوى الخدمات والمرافق البلدية فى المدن العربية وتطويرها .. وباب العضوية مفتوح لجميع بلديات المدن العربية الراغبة فى الانضمام وقد تحدد الاشتراك السنوى بصفة مؤقتة بمبلغ ٣٠٠ دينار كويتى تدفعها بلديات المدن العواصم ، اما بلديات المدن الاخرى فيكون رسم اشتراكها ١٥٠ دينارا .. وقد اتفق على معاملة بلديات عمّان واليمن حسب الفئة الثانية .

أول أمين عام للمنظمة

وينعقد المؤتمر العام للمنظمة مرة كل سنتين ، يناقش خلالها المواضيع المدرجة ، وينتخب أمينا عاما للدورة العادية ..

ومما يذكر انه فى الجلسة الختامية للمؤتمر التأسيسى ، انتخب المجتمعون بالاجماع السيد جاسم خالد المرزوق مدير عام بلدية الكويت كأول أمين عام لمنظمة المدن العربية ..

وعندما باشر الحاضرون مناقشة المخصصات التى سيتقاضاها أمين عام المنظمة ، وقف السيد جاسم المرزوق واعلن شكره للحاضرين على ثقتهم به ، وانتخابهم اياه أول أمين لمنظمتهم الفتية ، واعلن وسط التصفيق ، عن تبرعه بمخصصاته لصندوق المنظمة نفسها . وهنا قرر المؤتمرون ان يتركوا للأمين العام تحديد المبلغ الذى كان مقررا بان يتقاضاه ، والذى تبرع به مشكورا لصندوق المنظمة ..

وبعدها اعلن رئيس المؤتمر عن تبرع حكومة الكويت بمبلغ ثلاثة آلاف دينار لتمويل ودعم صندوق منظمة المدن العربية ..

أهم عمل للمؤتمر

سألنا رئيس المؤتمر سعادة يوسف السيد هاشم الرفاعى عما حققه المؤتمر فاجابنا بقوله :

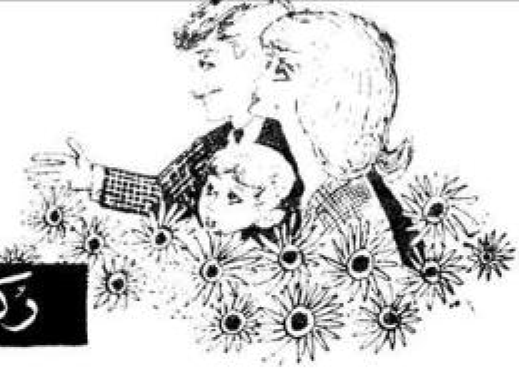
« لقد استطاع المؤتمر أن يحقق الهدف الاساسى من اجتماعه الا وهو اعلان تأسيس منظمة المدن العربية ، وهذا فى حد ذاته أهم عمل حققه المؤتمر.

ان الكويت تفخر وتعتز بمولد هذه المنظمة التى خرجت الى النور على أرضها ، وانتخبت أحد ابنائها أول أمين لها ، كما اصبحت ارضها مقرا دائما لها » .

ان أمل العرب ينعقد على هذه المنظمة الوليدة من اجل النهوض بمدن وطننا الكبير .

تلك المدن التى منها أعظم الحضارات القديمة من فرعونية واشورية وفينيقية وبابلية وكلدانية واسلامية .

لقد ورث العالم العربى ثروة غنية من المدن الأثرية التى ازدهرت فيها حضارات أجدادنا الاوائل وقد آن الاوان لصقل هذه المدن وتجميلها وتسليط الاضواء على ماضيها وحاضرها والارتفاع بمستوى الحياة لساكنيها الى قمة حضارة القرن العشرين .. وهذا هو تماما هدف منظمة المدن العربية الوليدة . ■■



ركن الأسرة والمرأة

أرملة تعسة كيف تغلبت على أحزانها ؟

■ ماذا تفعل المراة عندما تفقد زوجها ؟

هنا .. في الشرق تستسلم الارملة لاحزانها وتظل اكثر الارامل تعيش وسط ذكرياتها . لان الحياة بالنسبة لها قد انتهت بوفاة زوجها وعائلها ، فهي تتشح بالسواد ، وتعيش في عزلة عن العالم، بعيدا عن الناس ..

والارملة الشابة وحدها ، هى التى قد يحالفها الحظ في بدء حياة جديدة مع زوج ثان ، بعد وفاة زوجها الاول !

هذا عندنا ... اما عندهم عند اهل الغرب ، فالامر يختلف تمام الاختلاف .

ولنترك السيدة دورولى كارنيجى ، ارملة الكاتب الامريكي المشهور ديل كارنيجى ، الرجل الذى علم الملايين : « كيف يكسبون الاصدقاء ويؤثرون في الناس » ، نتركها الآن تحدثنا عن تجربتها الخاصة ..

● ● ●

من أسعد الناس الذين عرفتهم ، امراة كانت تقول انها مشغولة دائما ، حتى انها كثيرا ما كانت تسال نفسها : « ترى اين يذهب الوقت ؟ » فهي في النهار مضيفة في دار كبرى للطباعة والنشر ، وفي المساء ، بعد انتهاء عملها ، عضو عامل في الجمعيات الخيرية .. حتى انها لا تجد ساعة واحدة تخلو فيها الى نفسها .

هذه المراة التى وجدت السعادة في حياتها المليئة بالنشاط ، والمجردة من الانانية ، كانت ارملة فقدت زوجها الحبيب . وبالرغم من ان شعورها بهذه الخسارة لم يفارقها لحظة واحدة، الا انها تعلمت كيف تنظم حياتها ، وتعلمت كيف تنتقل من الحياة التى كان يشاركها فيها زوجها، الى الحياة التى وجدت نفسها تعيش فيها وحيدة بلا شريك . ثم تعلمت بعد ذلك كيف تستطيع ان تواجه هذه الحياة الجديدة بثقة وشجاعة ، واخيرا كيف تجد لنفسها هدفا لهذه الحياة .

ارملة تعسة !

وكلما تذكرت هذه المراة ، فكرت على الفور في امراة اخرى عرفتها ، وكانت هي ايضا ارملة، تعيش في بيت قديم كان ممتلئا بهجة عندما كان زوجها على قيد الحياة .. اما اليوم ، فقد تحول البيت الى مكان كئيب لا يتردد عليه الا نفر قليل من الاصدقاء الذين ياتون اليه بدافع الشفقة على صاحبته التى تقدمت بها السن ،

فلم تعد تغادر بيتها أبدا ، وهي لا تنفك عن ترديد سؤال طالما حيرها : « لماذا أنا بالذات حدث لي ما حدث ؟ » . فهي تعتقد وتؤمن بأن سوء الحظ هو الذى اختارها من بين كل نساء العالم لتصبح أرملة !!

ولكن لا ! ان الذى يجب أن تعلمه كل الارامل ، وأنا واحدة منهن ، اننا لسنا وحدنا اللواتي نعيش هذه المأساة .. ففي العالم ملايين الارامل من مختلف الاعمار .. حقيقة ، أن لكل واحدة منا ظروفها ، وشخصيتها وحياتها ووجهة نظرها الخاصة في الحياة .. وهي كلها صفات تختلف من امراة الى أخرى ، ولكننا جميعا متفقات في شيء واحد.. هو الحاجة الى الاستمرار في الحياة .

طريقان مختلفان

ولا شك ان المرأتين اللتين عرفتهما ، وقدمتهما في هذا المقال ، تمثلان طريقين مختلفين تمام الاختلاف ، لمواجهة هذه الحاجة .. واحد هذين الطريقين يسحق الرغبة في الحياة ويقتلها .. أما الثاني فهو يشجعها ويساعدها على أن تتحقق وتزدهر .

ولا يمكن لعاقل أن يتصور ان الارملة تستطيع أن تتغلب على الشعور بالكرب الذى يسيطر عليها ، بمجرد أن ترسم على وجهها ابتسامة مشرقة أو أن تقوم بعمل يبعث السرور الى نفسها! لأن الشعور بالحزن شعور طبيعي جدا!.. فالمراة تحزن عندما يفارقها زوجها اذا قام برحلة قصيرة لانجاز عمل هام ، فما بالك بهذا الفراق الابدى !

حياة الترمل

ولكن ، هل نستطيع أن نمنع انفسنا من الحياة ؟ اننا لابد أن نستمر في حياتنا ، سواء أردنا ذلك أم لم نرد . أما نوع هذه الحياة التى نعيشها وحدنا بعد الترمل ، فهو يخضع للصفات الروحية التى ننميها نحن انفسنا في داخلنا .

وعندما مات زوجي « ديل كارنيجي » وجدت نفسي مضطرة الى مواجهة سلسلة من المشاكل الدقيقة المعقدة . ولقد كان امرا شاقا وعسيرا علي في البداية ، ولكنني اشعر الآن ان هذه المشاكل قد افادتني فائدة كثيرة ، فقد شغلت كل وقتي ، حتى انني لم أجد الوقت الذى كنت اشعر فيه بالاسف على نفسي !

كان علي بعد وفاة زوجي أن أتولى ادارة أعماله الضخمة ، وكان لا بد لي من أن ألم الماما تاما بالنواحي القانونية والمالية المتعلقة باملاكه الواسعة . وفي نفس الوقت كان أمامي أيضا مهمة الاضطلاع بمسئولية تربية ابنتنا الوحيدة ، وكانت طفلة في الرابعة عندما مات والدها !

وبهذه المسئوليات الجديدة التى القيت على عاتقي ، استطعت ان املأ كل أوقات فراغي بالنشاط والعمل البناء .

الاختلاط بالناس

انني أعتقد انه لا بد للارملة ، أي أرملة ، أن تكيف نفسها لمواجهة حياتها الجديدة ،فتختلط بالاصدقاء والمعارف ، لا لتتحدث عن نفسها وعن الكارثة التى حلت بها ، ولكن لتتناقش في المشاكل العادية التى تصادفها ، وتصادف كل الناس في حياتهم اليومية .. فالاتصال بالناس، وخاصة هؤلاء الذين لهم هم أيضا أحزانهم الخاصة ، يخفف عنا آلامنا ، ويدفعنا الى أن نبدأ حياة جديدة .

دعوة يجب أن ترفض

وقد يحدث أحيانا ، أن تتلقى الارملة دعوة من أبنائها أو من أقاربها للاقامة معهم بعد وفاة زوجها . والمراة العاقلة يجب أن تعتذر عن قبول هذه الدعوة ، اللهم الا اذا كانت مريضة أو عجوزا في حاجة الى من يرعاها ويعنى بها . فليس هناك ما هو أشد ايلاما على نفس المرأة من الشعور بان الناس يشفقون عليها .

ومن أجل هذا يجب على الارملة أن تواجه الواقع بشجاعة ، فتكون مسئولة عن نفسها ، بحيث تعيش حياتها الخاصة وحدها ، طالما أنها قادرة على أن تفعل ذلك .

العلاج الوحيد

وهنا تضطر الارملة الى البحث عن عمل ترتزق

منه ، فقليلات هن الارامل اللواتى يجدن ما يكفيهن من مال للعيش بعد ذهاب أزواجهن .

ويجب على هذه المراة التى تضطر الى البحث عن وظيفة بعد وفاة زوجها الا تتصور اطلاقا ، انها امراة سيئة الحظ ، لان العمل هو الشيء الوحيد الذى يمكن ان يساعدها على تهيئة نفسها لهذه الحياة الجديدة .

ولهذا فاننى أقترح على كل أرملة ان تبحث لنفسها عن وظيفة ، وأن تعمل ، حتى لو ترك لها زوجها من المال ما يكفيها للعيش عيشة كريمة . وهناك العديد من الاعمال التى تستطيع المراة القيام بها في الجمعيات الخيرية ، بدون مقابل .

ان شعور مثل هذه المراة العاملة ، بان المجتمع في حاجة اليها ، والى خدماتها ، وشعورها بانها تعطى دائما بدلا من أن تاخذ ... هذا الشعور يجعلها تحس بقيمتها ، ويعيد الثقة الى نفسها ويساهم في نجاح حياتها الجديدة .

آلام الناس

اننى اعرف ارملة كانت تمشي عدة اميال كل يوم من مدينة نيويورك لزيارة بيوت الاسر المعوزة ، بوصفها عضوا عاملا في احدى الجمعيات الخيرية ، وكانت تقول لي كلما لقيتها : « اننى أشعر براحة نفسية كبرى وانا احاول ان اخفف عن آلام الآخرين » .

وفي مدينة سان فرانسيسكو ، عرفت امراة اخرى ، كانت تعمل كاتبة في محل لتصليح الاحذية ، فكانت تتسلم الاحذية القديمة التى تحتاج الى اصلاح وترقيع ، وتقدم الايصالات للزبائن ، وتحدد لهم مواعيد استلامها !

عمل صغير ليس في ذلك شك ! ولكن صاحبته كانت تقول كلما لقيتها : « اننى سعيدة بعملي وانا اريد ان اقدم للناس احسن الخدمات التى يمكن أن يحصلوا عليها » .

العودة الى المدرسة

ولكن ماذا تفعل الارملة اذا لم تكن مؤهلة للقيام باى عمل على الاطلاق ؟

لا شك ان هناك عددا كبيرا من هذا الطراز من الارامل ، ومثل هذه الارملة تستطيع أن تلتحق باحدى المدارس الليلية لتتعلم فن التمريض مثلا ، أو الكتابة على الآلة الكاتبة او غير ذلك من أعمال اخرى ... وفي هذه الفصول الدراسية سوف تتاح لها الفرصة للدراسة والالتقاء بالناس والتعرف على افراد هذا المجتمع الجديد الذى وجدت نفسها تعيش فيه وحدها بعد أن ذهب شريك حياتها ...

خبرة وتجربة

وثمة طراز آخر من الارامل .. المراة التى تقدمت بها السن بعد أن امضت حياتها كلها في تربية اطفالها الذين كبروا واصبحوا رجالا ونساء يعيشون حياتهم الخاصة بعيدا عنها ..! وتضطر ظروف الحياة هذه المراة الى البحث عن عمل تواجه به نفقات الحياة .. ولكننا نجدها تقول : « وكيف لي ان اعثر على عمل ، وانا لا أجيد شيئا على الاطلاق . وحتى لو كنت اجيد عملا ، كيف يمكن أن اقف منافسة للفتيات اللواتي يصغرنني سنا !؟ » وهذا قول خاطىء .. فهذه المراة تجيد أعظم عمل لا يمكن لأى مدرسة ان تؤهلها له .. الا وهو عمل الام وربة البيت !

أعرف امراة مسنة ، تقدمت للعمل في بيت صديقتها ، وكانت زوجة لأحد رجال السلك الدبلوماسي .. ورحبت الزوجة بصديقتها القديمة ، فجعلت منها مديرة لبيتها ، ومشرفة عليه ، وكانت الزوجة اما لعدد كبير من الاطفال !

وبدأت الأرملة عملها الجديد .. ونجحت فيه نجاحا منقطع النظير !

العمل ... العمل

ان سر نجاح كل هؤلاء الأرامل هو العمل .. العمل البناء المستمر الذى انتزعهن من حياة الوحدة التى يعشن فيها وخرج بهن الى المجتمع والى مجرى الحياة مرة اخرى .. سواء كان هذا العمل باجر ام عملا بلا اجر ...

فلا تيأسي ابدا يا صديقتى .. لا تستسلمى للحزن .. اخرجى الى الدنيا عن طريق عملك الجديد .. ولسوف تجدين ان الحياة ما زالت تستحق أن تعيشها .. ■■

منير نصيف



- في الازهـــر
- في مدرسة القضاء الشرعى
- في القضاء
- في الجامعة
- في عمادة كلية الآداب
- في لجنة التاليف والترجمة
- في مجلتى « الرسالة » و « الثقافة »

أحمَد ..صَاحِبُ (١٨٨٦-١٩٥٤)

بقلم : الدكتور محمد محمود الدش

مفتش بوزارة التربية ـ الكويت

■ حينما نعى الناعى الينا فى آخر يوم من أيام شهر مايو سنة ١٩٥٤ « أحمد امين » حزنا وجزعنا لأن صفحة طويت من سفر تاريخنا العقلى الموسوعى، هى من أخصب صفحاته وأزكاها ، وأيقنا ان هذا التاريخ لن يجود علينا مرة أخرى بمثل هذه الشخصية الفريدة فى صفاتها ومميزاتها خلقا وعلما .

كان يلفه الحياء والوقار

ومن عجب أن هذا الرجل الذى كان يمشى يلفه الحياء الجم ، لا تكاد تحس وقع قدميه على الطريق ، ويغمره الوقار سواء أكان فى ملابسه الأزهرية ام فى الافرنجية ، فاذا تحدث خرجت منه الكلمات هادئة وقورا . ذات ايقاع رتيب رزين ، فى نبرات مختلجة حزينة ، ولكن فى فيض وانثيال، كان يحمل بين جنبيه نفسا ثائرة ، وارادة متحررة قادرة ، وفؤادا ذكيا متوهجا ، وعقلا متحفزا للانطلاق والوثوب ، ولكن ذلك كله لم يكن ليخرجه عن حد الوقار او يزحزحه عن سمت الحكمة والاتزان والنظام ..

ثورة العالم على الخرافات

انما هى ثورة العالم على الخرافات والاباطيل الموروثة ،وتمرده القادر على تغيير الجمود



كانوا يلقبونه
أمين مالك الحزين
فجر الاسلام وضحاه وظهره

والتخلف ، وتحفزه الى الاصلاح والتجديد ما استطاع الى ذلك سبيلا ..

والتأمل فى حياة العالم الكبير أيام طفولته وصباه ، وفى البيئة السياسية والاجتماعية التى كانت تحيط به وتتحرك من حوله ــ يضع يدنا فى سهولة على أسباب هذه السمات التى لازمته دائما فى كل أطوار حياته العلمية والاجتماعية .

ولادته

كانت ولادته فى اليوم الاول من شهر اكتوبر سنة ١٨٨٦ ، أى بعد دخول قوات الاحتلال الانجليزى مصر بأربع سنوات ، وكان النظام القائم يعتمد على السلطة العسكرية المستبدة ، وكان الشعور الوطنى فى حالة ثورة وغليان وتحفز للانطلاق فى وجه السلطات الدخيلة المستغلة .
ولا نريد أن نقف طويلا عند النظام السياسى ، اذ لم تكن الحال بعد الاحتلال بأحسن منها قبله ، وانما كان مجىء الاحتلال عاملا جديدا على الهاب المشاعر الوطنية ودفعها الى التمرد والثورة بسرعة متزايدة ونشاط متدفق .

وبيئته

وكان البيت حينذاك يخضع لسلطات الأب المطلقة ، يحرك بها كل شىء داخل هذا البيت ، ويفرض بها فى الأسرة نظام الحريم على النساء والبنات ، ويسيطر على مقدراتها المعيشية ، والاقتصادية ، ويوجه منها مستقبل الابناء تعليمهم وطرائق عيشهم وآمالهم فى الحياة . فهو أشبه بالنظام العسكرى الديكتاتورى الذى يخضع الجماعة لمشيئة الفرد وارادته ويحركهم وفق رغبته وهواه .

ويكاد ينسحب هذا المعنى ، وينطبق المسلك ، على كل شئون الحياة فى القرن الماضى وأوائل القرن الحالى ، فى الدولة ، وفى المدينة والقرية ، وفى الحى والحارة ، فى المكتب والمدرسة ، بالاعتماد على الاستبداد أسلوبا ، وعلى الارهاب منهجا وطريقا .

ضرب وتخويف وتعذيب

ويحدثنا المرحوم الدكتور أحمد أمين فى «فيض الخاطر» وفى «حياتى» عما لقيه من ذلك فيقول:

«ذكرت ما لقيته فى حياتى من تعذيب وتخويف من مبدأ صباى: كان أبى شديدا قاسيا، يضرب ويشتم، حتى ما لا يستحق الشتم. وذهبت الى الكتاب فكان فقيه المكتب قاسيا شديدا، يضربنى حتى لانى لم اهتز وانا اقرأ. وفى المدرسة الابتدائية كان لنا مدرسون يضربوننا ويعاقبوننا اشد العقاب، حتى لاتفه الاسباب، ولما ذهبت الى مدرسة القضاء خوفونا من الامتحان، فكان من يسقط فى الامتحان ولو فى مادة واحدة منعت عنه المكافأة التى ياخذها كل شهر. كل هذا جعل الحياة قاتمة».

أيكون من أجل ذلك كان ثائرا على النظام القائم فى المجتمع وفى التربية؟ نعم فان الثورة تحتاج الى نفس مرهفة وحس واع وقلب ذكى..

كانوا يلقبونه «مالك الحزين»

أيكون من أجل ذلك كان حزينا فى مظهره وفى حركته وفى حديثه، حتى كانوا يلقبونه «مالك الحزين». وحتى انه كان منذ صباه لا يطرب الا للغناء الحزين والموسيقى الحزينة من تعديد وبكاء فى المآتم، وغناء شجى يصادفه على الطريق او فى الافراح. بل انه لما كبر وترعرع أصبح يؤمن بفلسفة أرسطو التى ترى أن الحزين انفع للناس واكبر خيرا فكان - فى رأيه اكثر المصلحين من اكثر الناس حزنا.

ولعلنا أيضا نستطيع أن نرد ظاهرة تدينه الشديد فى بعض جوانبها الى تلك العوامل التى كانت تجثم على صدر المجتمع فتكاد تكتم انفاسه او تزهق روحه.

أبـوه

نشأ أحمد أمين نشأة دينية وتربى تربية متزمتة مرهقة، فقد كان أبوه - الذى هرب من قرية سمخراط (بمدينة البحيرة بدلتا النيل) من ظلم السخرة وعسف الجباية - رجل علم ودين، عمل مصححا بالمطبعة الاميرية، ومدرسا فى الجامع الأزهر ومسجد الامام الشافعى، وامام مسجد، ولذلك كان الأب مولعا بالكتب المختلفة فى التفسير والفقه والتاريخ والادب، مما كان له أثر كبير فى تربية الابن أحمد وفى نوع البذور الاولى لثقافته.

من الكتاب، الى المدرسة، الى الأزهر

وهكذا كان البيت هو المدرسة الأولى فى حياته، كما كان المؤثر الاول فى توجيه ثقافته بخاصة وحياته بعامة، اذ بعد أن حفظ القرآن فى الكتاب الذى كان يفد اليه مع أبناء الحارة - حارة العيادية فى حى المنشية بقسم الخليفة بالقاهرة - أتيحت له الفرصة أن يكون تلميذا فى مدرسة «أم عباس» او «بنبا قادن» كما تسمى الآن - حمله أبوه على ترك البدلة والطربوش والجزمة ليدخل مرة أخرى فى القباء والجبة والعمة والمركوب تلميذا فى الأزهر، فحزن الصبى ابن الاربع عشرة لهذا الانقلاب الذى أصاب حياته، ولكنه أذعن لرغبة أبيه، ووجد فى دروس الشيخ محمد عبده فى البلاغة والتفسير متعة وفائدة كانتا تستهويانه وتحثانه على المثابرة، رغم أن هذه الدروس كانت اضافية تعطى بعد صلاة المغرب.

فى مدرسة القضاء الشرعى، تلميذا وأستاذا

وبعد أن مارس الفتى مهنة التدريس فى المدارس الابتدائية بعض الوقت، افتتحت مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٧ من أجل تخريج قضاة شرعيين على نمط حديث، وذلك رغم أنف الخديوى عباس الذى كان يعارض الفكرة لانها كانت بوحى الشيخ محمد عبده، وتنفيذ سعد زغلول الذى كان وزيرا للمعارف حينذاك. وبمقدار ما كان حزن أحمد أمين على عدم قبوله فى دار العلوم بسبب رسوبه فى كشف النظر، كان فرحه وسروره بدخوله مدرسة القضاء حيث درس الى جانب العلوم الدينية واللغوية علوما قانونية حديثة وعلوما «عصرية» كالجغرافيا والطبيعة والكيمياء والرياضيات. ومن الطريف ان الطبيعة والكيمياء كانت تسمى - خوفا من غضب الازهريين - «الخواص التى أودعها الله تعالى فى الأجسام».

وكانت شخصية عاطف بركات ناظر هذه المدرسة من اقوى الشخصيات التى اثرت فى أحمد أمين، وشجعه فى سنى الدراسة، «فقد كان رجلا عادلا حازما شجاعا صريحا لا يخشى فى الحق لومة لائم»، وبعدها عين بالمدرسة معيدا فى دروس

الأخلاق التى كان يلقيها ويشرف عليها عاطف باشا بنفسه ، ومن هنا توثقت العلاقة بين التلميذ واستاذه ، واحتدمت فى نفسه رغبة قوية فى معرفة لغة اجنبية حين كان يرى تمكن استاذه وقوته وابتكاره ، وعزا ذلك الى اتصاله الدائم بالمراجع والمصادر الاجنبية .

يتعلم اللغة الانجليزية

واخذ الشاب يجرب حظه فى تعلم اللغة الأجنبية الانجليزية ، وانتهى به المطاف الى سيدة انجليزية فى العقد السادس من العمر ، اسمها Miss Power ، صحبها نحوا من اربع سنين . كانت تعلمه فى اثنائها الى جانب اللغة آدابا اجتماعية شتى . ولم تكن تعامله معاملة المدرسة (بل معاملة ام قوية لابن فيه عيب من تربية عتيقة) . يقول احمد امين : « وهى لا تعنى بى من ناحية اللغة الانجليزية وآدابها فحسب ، بل هى تشرف على سلوكى واخلاقى ، لاحظت فيَّ عيبين كبيرين فعملت على اصلاحهما » .. ذلك انى ، وانا شاب فى السابعة والعشرين ، اتحرك حركة الشيخ وامشى فى جلال ووقار والتزمت فى حياتى ، فلا موسيقى ولا تمثيل .. فوضعت لى مبدأ هو : تذكرْ انك شاب .. والثانى انها رأت لى عينا مغمضة لا تلتفت الى جمال زهرة ولا جمال صورة ولا جمال الطبيعة .. فوضعت لى المبدأ الآخر ـ يجب أن تكون لك عين" فنية » .

ولكن المدرسة تركت تلميذها هائما ومضت الى روما ، وظل يبحث حتى هداه صديق الى سيدة انجليزية فى ريعان الشباب ، جميلة الطلعة ، لها عينان تبعثان فى النفس معنى الصفاء والطهارة والثقة ، تعيش مع زوجها .. « كنا نقضى ساعتين فى الدرس مرتين فى الاسبوع ، ساعة تعلمنى الانجليزية ، وساعة اعلمها العربية ، واختارت لى ان اقرا معها كتاب قصص شكسبير لمؤلفه ... Lamb . وكنت أترقب موعد هذا الدرس بشوق ولهف . وكانت هذه السيدة تغذى عواطفى برقتها وجمالها وكمالها » .

من مدرسة القضاء ، الى القضاء الى الجامعة

وهكذا تيسر له الاتصال بالثقافة الانجليزية ، بحيث استطاع من بعدُ ان يترجم منها بعض الاعمال ، وان يستعين بها فى اعداد دروسه عن الأخلاق فى مدرسة القضاء . غير انه اضطر الى ترك المدرسة الى العمل بالقضاء ، بسبب خلاف بينه وبين ناظرها الجديد على كيلانى .. ولبث قاضيا زهاء اربع سنوات ، حتى استدعاه الدكتور طه حسين للعمل فى كلية الآداب سنة ١٩٢٦ ، فبدأ بذلك صفحة جديدة ، بل سِفرا جليلا من الأعمال العلمية الحافلة بالمشروعات الثقافية والاصلاحية الكبيرة . ولقد تناول التغيير تلك الملابس التى لازمته مدة طويلة ، منذ أوحى اليه بعض اصدقائه المقربين مثل الدكتور أحمد زكى والدكتور عبد الرزاق السنهورى بتغيير زيه ، وقد أحب هو أن يخلع القفطان والعمة ليدخل مع الداخلين فى البدلة والطربوش،فتحققت له بذلك أمنية قديمة كانت تلح عليه منذ ان ترك مدرسة أم عباس فى مستهل حياته الدراسية ليلبس العمامة والقفطان لدخوله الأزهر الشريف.

كوكبة للنهضة العربية من بعد كوكبة

ان الكوكبة التى قادت النهضة العربية الحديثة، وخاضت غمار الملاحم الكبرى فى فجر القرن العشرين هم بحق الفرسان الذين أقاموا الأعمدة ووطدوا الاركان الأساسية للبناء المستقر فى ميدان الأدب والفكر والثقافة العربية الجديدة .

نحن لا ننكر النضال العظيم الذى اضطلع به الرعيل الأول لليقظة ، الذين كان له فضل القرع والتنبيه والايقاظ من الغفلة بل من السبات العميق ، من امثال رفاعة الطهطاوى وتلاميذه فى مدرسة الألسن ، وزملائه على مبارك وعبد الله فكرى وغيرهم ، فهؤلاء هم الذين فتحوا نوافذ المعرفة الجديدة لتدخل منها انسام منعشة مجددة بفضل ثقافتهم العميقة ونزوعهم الى التجديد المستنير والاصلاح الواعى ، مع بعث القديم الاصيل ونفض التراب عنه وازالة الصدأ عن معدنه النفيس وتحليته من جديد ..

هؤلاء خاضوا معركتهم فى الظلام ، واشعلوا مصابيح الفكر والايقاظ فبددتِ الظلمة ونبّهت الغفلة واورتِ الزناد وقدحت الشرارات الاولى النابضة بالحياة والفكرة . ولهم بذلك كله الفضل العظيم ، ولهم ، بالسبق ، على من جاء بعدهم المنة والشكر العميم .

واستلم المشاعل من أيديهم جيل ناهض عظيم ،

اكثر عددا وعدة ، واقوى باسا ومرة .. وساروا بها على الطريق اشواطا رائعة .

حتى اذا وصلنا الى مشارف القرن الحالى ، راينا فى ايدى الفرسان كثرة كثيرة من المشاعل التى احالت النور الى وهج شديد واختلاط وتزاحم يثير الحيرة والشك وربما الضلال ..

فقد حدثت احداث اثارت هؤلاء الفرسان ، وفرقتهم الى حين ، فرقا وطوائف منذ تعددت المناهل والروافد التى وفدت الى جداول الثقافة العربية ، واصبح لكل رافد منها طائفة من المثقفين تدعو اليه وتتعصب له . واثارت الخصومات السياسية فى مصر هذه الحرب الجزعة، كما اججتها المعارك الصحفية ، والتجمعات الثقافية الخاصة.

فقد توزع المثقفون ، اكثرهم ، حول الاحزاب السياسية ، واقلهم استقلوا عنها ، واستقطبتهم صحف هذه الاحزاب ومنابرها ومبادئها ، ولكن ظلت ارتباطاتهم الثقافية الخاصة تسيّر دفتهم فتميلهم الى منابعها ، اما صوب الثقافة الفرنسية او تجاه الثقافة الانجليزية التى زاحمتها منذ وطأة الاستعمار ، او ناحية التيار العربى القديم ، محافظا عليه او مجددا فيه ..

ولكن مرحلة الغليان ما لبثت ان اخذت حدها من التفاعل والانصهار ، ثم اخذت تهدأ رويدا رويدا ، حتى استقرت على قرار ، « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

فريق المعتدلين

وتغلب آخر الامر فريق المعتدلين الوسط ، الذين راوا وجوب الأخذ من جميع المناهل الثقافية الجديدة ، وتطعيم العربى القديم بمناهجها وتطويعه لوسائلها وطرائقها فى البحث والنقد ، مع المحافظة على الوجه العربى الصميم الذى يحفظ على هذه الأمة تراثها العلمى والفنى العريق ، وجهودها الانسانية الفذة وخزائنها المليئة بالجليل والنفيس ، ودورها الحضارى الرائع ، روحيا وماديا سواء بسواء ..

فتعدلت طرائق المتطرفين والمنحرفين الا قليلا منهم ، وسلكوا هذا المسلك الوسط الحكيم ، « وكذلك جعلناكم امة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس » . واطمأنت الأمة الى هذا القرار وصدعت له الكثرة الواعية . وهو قرار لم يتخذ بطبيعة الحال بين يوم وليلة ، او فى سنة او اكثر ولكنه جاء نتيجة الصراع الطويل الذى اشرنا اليه، بعد معارك شديدة بين فرسان المعرفة، لم يهدِّئها الا فريق الوسط منهم ، الذين خاضوا المعركة ايضا مع الخائضين حتى ارادوهم على السمت القويم .

فى قهوة مصطفى العلوى بعابدين

ولعل الذين قراوا بحثنا عن « اسماعيل صبرى » او غيره قد عرفوا كيف كان الأدباء والمثقفون فى القاهرة ، يتحسسون اماكن مختلفة للتجمع ، للتناقش والتجادل والتباحث والتفكه ، فى القصور الكبيرة « والمناظر » المتواضعة ، ودور الصحافة ، وعيادات الاطباء ، والمقاهى المنتشرة فى الاحياء المختلفة .. كانت هناك ثلة من الشباب قد الفوا التلاقى على « قهوة مصطفى العلوى » فى حى عابدين ، اذا حزبهم الامر ودعاهم الداعى الى هذا اللقاء ، وكان يغريهم بهذا المقهى صاحبها الذى كان يحب الشعر ويقرضه ويعرضه على هؤلاء الشببية المثقفة الجادة فى العلم .. ويذكر الذاكرون منهم : الدكتور احمد زكى ، والدكتور احمد عبد السلام الكردانى ، والدكتور محمد عبد الواحد خلاف ، والاستاذ محمد كامل سليم ، والأستاذ محمد فريد ابو حديد ، والأستاذ محمد احمد الغمراوى ، كما يذكرون فيهم المرحوم الدكتور احمد امين ، وقد زكت هذه الكوكبة واربت ، وناضل فرسانها ، حتى اصبحوا ،وفيهم العالم والأديب ، ذوى فضل زاك ، ويد سابقة على الثقافة العربية لا ينكرها الا جاحد او كنود.

ويعتبر المرحوم احمد امين هؤلاء الشببية ، الذين « عرفوا بالتفوق فى العلم والخلق »مدرسة مهمة لها اثر كبير فى حياته ، بما كان لهم من تخصصات مختلفة فى الثقافة العصرية من تاريخ وجغرافيا وادب انجليزى الى رياضة وطبيعة وكيمياء ، يقول : « كل أولئك كانوا مدرسة لطيفة لى ، مدرسة خلت من عبوس الجد وثقل المدرس، وسماجة تحديد الموضوع والزمان والمكان ،ونعمت بالبعد عن الامتحان وصداع الجرَس .. مدرسة فيها حرية القول وحرية السماع وحرية الموضوع وحرية كل شىء » .

فى النادى الأهلى للرياضة البدنية

وكان مما زاد الالفة والتفاهم بينهم انهم اشتركوا

فى نادى الألعاب الرياضية ، النادى الاهلى ، بالجزيرة ، وكانت عمامة احمد امين اول عمامة اشتركت فيه ، ولكنها عند اللعب تختفى هى والجبة والقفطان ويظهر بدلا منها « الفانيلا والشورت والجزمة الكاوتش » .

لجنة التاليف والترجمة والنشر

وقد استقطبت هذه الجماعة حولها نفرا كبيرا من الشباب المثقف الناضج ، وكونوا (لجنة التاليف والترجمة والنشر) سنة ١٩١٤ وهى التى ظل احمد امين رئيسا لها مدة حياته يتجدد انتخابه عاما بعد عام . ولعله من نافلة القول ان نذكر ان هذه اللجنة كانت ذات اهمية واثر كبيرين فى تيار الثقافة والفكر العربيين بما قامت به من جهود ضخمة فى التاليف والترجمة وبعث التراث وتجديده وطبعه على مطابعها الخاصة ونشره فى العالم العربى .

مجلتا الرسالة والثقافة

وكان من بين اعمالها المهمة انها انشات مجلة الرسالة فى اوائل الثلاثينيات من القرن الحالى ، وكان رئيس تحريرها الأستاذ أحمد حسن الزيات. ثم مجلة الثقافة التى صدر عددها الاول فى الثالث من يناير سنة ١٩٣٩ ، وظلت تؤدى رسالتها حتى سنة ١٩٥٣ على منهجها الخاص فى البحث الجاد ، والعلم المبسّط ، والتقصّى الهادف ، والنقد البناء ، ومزج القديم بالجديد ، وفتح جميع نوافذ المعرفة الأجنبية على الثقافة العربية ،على مبدا ما اسميناه « بالمدرسة الوسط » المعتدلة فى الاخذ والعطاء من القديم والجديد احسنهما بغير اندفاع أو انحراف .

فجر الاسلام ، وضحاه ، وظهر الاسلام

والى جانب ارتباط هذين العملين الجليلين : اللجنة وصحيفتها ، باسم احمد امين ، بما له من فضل المشاركة القوية الفعالة فيهما وفضل الرياسة الحكيمة لهما ، نجد ان هذا الاسم يلمع لمعانا باهرا حين نذكر المؤلفات الاسلامية ، التى امدتنا فيها بفيض غزير ومنهج دقيق وعلم وفير . وتعتبر كتبه : فجر الاسلام ، وضحى الاسلام باجزائه الثلاثة ، وظهر الاسلام باجزائه الاربعة من أعظم المؤلفات العلمية المنهجية فى تناول الحياة العقلية وعرضها وبسطها فى أسلوب علمى دقيق سهل ، ولا نعدو الحقيقة اذا اعددناها فى مقدمة المراجع الحديثة التى يحتاج اليها الباحثون فى هذا الميدان الواسع العريض .

موجة هادرة من المؤلفات الاسلامية

ولقد حفل العقد الرابع من هذا القرن بموجة هادرة من المؤلفات الاسلامية التى تتناول التاريخ والفكر والثقافة والفلسفة والاعلام الاسلامية ، لأسباب شتى ، سياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية ودينية ، داخلية تتصل بحياة العرب ، وخارجية تتصل بالمؤثرات الوافدة فى تلك المجالات . ونستطيع ان نجمل هذه الأسباب فى :

ضغط الاستعمار والسلطات الحاكمة على أرباب الأقلام والحد من حريتهم الوطنية بما يجعلهم يتجهون الى اثارة الجماهير عن طريق العقيدة والتراث والأمجاد السابقة .

ثم التطلع الى دراسة جديدة مستنيرة لعلوم السلففى ضوء المناهج والطرق الحديثة بما يضمن الحماية لهذا التراث نفسه من العقم والجمود والتخلف .

كذلك نذكر نزعة المحافظة على التراث العظيم والنجاة به من الدعوة الصاخبة الى الاتجاه نحو الغرب كل اتجاه ، بما فيه من نزعة مادية وانحرافات مذهبية وخلقية وعقدية ، كالشيوعية المتطرفة والراسمالية الاحتكارية والانحلالية وما اليها ..

ثم المحافظة ايضا على القيم الدينية العريقة أن يصيبها ما يصيب من تيار التبشير المؤيّد بالتفوق السياسى والعسكرى والمادى والعلمى ..

ونستطيع أنتضم الى هذه الأسباب ظهور طائفة من العلماء الغربيينالذين نظروا نظرة منصفة للعرب وتاريخهم وعقيدتهم،بما شجع على التصدى لآراء بعض المستشرقين المجحفة المنحرفة ، والرد عليها بطريقة علمية موضوعية . كما أن بعض المفكرين العرب وجهت اليهم تهمة الالحاد والمروق فتصدوا لهذه الاسلاميات بالبحث الذى ينفى عنهم التهمة ويدفع أسبابها . وليس من شك فى

ان الصحافة كانت من العوامل المساعدة التى فتحت الأبواب واسعة لهذه الدراسات والاتجاهات ونقدها ، وشجعت على نشرها واذاعتها وعلى الاستكثار منها والتنافس فيها ، حين كانت الصحف مراكز لتجمعات مختلفة من مثقفى الأمة ومفكريها .

ولقد حسمت هذه الدراسات الاسلامية الموقف فى الصراع بين الطوائف المصطرعة حول التزمت والمحافظة، والسلفية والتجديد والتغريب أو كادت تحسمه ، بما لازمها من طريقة العرض وبساطة الأسلوب واستخدام المناهج الحديثة ، وبما دلت عليه من تحديد لطرائق الكتاب ورسائلهم وعقائدهم .

دراسات أحمد أمين فى صدر هذه الدراسات الاسلامية

وأحسب أن دراسات احمد امين فى هذا المجال تتقدم تقدما واضحا فى دقة تحريها واستقصائها وموضوعيتها وشمولها ووضوح هدفها ويسر اسلوبها . ويكفى أن نعود الى ما كتبه مصطفى عبد الرازق وعبد الوهاب عزام ، والدكتور برجشتراسر ، والدكتور شاده ، والأستاذ جفرى ـ عن « فجر الاسلام » عقب ظهوره سنة ١٩٢٩ ـ لندرك قيمة ما التزمه احمد امين فى دراسته ومنهجه ومقدار ما اضطلع به من جهد جهيد ، وما قدمه للدارس العربى ، ربما لأول مرة ، من مصادر للبحث ومراجع عربية وغير عربية بما يتفق مع ما حققته الأمة العربية من تطورات فى مجتمعها وثقافتها ، وما كان يتطلع اليه جمهور المثقفين فى الجامعة المصرية التى قادت هذه النهضة المباركة وفتحت لها أوسع طريق .

أحمد أمين فى كلية الآداب وعميدا لها

ظل احمد امين استاذا بالجامعة يعلم الاجيال المشرئبة الى المعرفة المتعطشة الى النور الوالبة فى ثبات ، مفتخرا بأنه اول من درس النقد الأدبى باللغة العربية فيها ، حتى أختير عميدا لكلية الآداب سنة ١٩٣٩ ، فكان رابع العمداء . طه حسين ، ومنصور فهمى ، وشفيق غربال ، واتاح له عمله فى الجامعة فرصا شتى للسفر الى الخارج، فزار عدة بلاد عربية واوروبية ، واشترك فى مؤتمرات للمستشرقين وألقى عدة أبحاث ومحاضرات هنا وهناك ، وافاد من ذلك كله معرفة وخبرات فى ضوء عمله الجم ، بما جعله اهلا لان يختار عضوا فى مجمع اللغة العربية حين كان عميدا للآداب ، وان يظفر بالدكتوراه الفخرية من الجامعة سنة ١٩٤٨ .

أحمد أمين ما دعا الى نبذ الفصحى

والذين نسبوا الى احمد امين انه سار فى موكب « التغريب » وأسهم فى دفع البلاد الى السير فى ركاب الغرب أو أراد لها ذلك ، وعزوا اليه انه من اجل هذه الغاية دعا الى نبذ العربية الفصيحة فى الحديث والكتابة والاعتماد على اللهجة العامية ـ قد جاوزوا حد الحقيقة الى التجنى والتضليل فليس فى دعوته فى كل ما قرأناه له وسمعناه منه ، نحن تلاميذه ، ما يشير الى ذلك من قريب أو بعيد .

وكل ما دعا اليه الرجل الفاضل هو لون من التقريب بين العامية والفصيحة من حيث الاستعمال والتعبير فى التعليم ، بحيث يكون الأسلوب قريبا الى الفهم سريعا الى الادراك ، بعيدا عن الاغراب والتركيب والتزويق والتعقيد خاليا من «حرافيش الكلمات» وغير ذلك مما يضيع الفائدة المباشرة على القارىء العادى أو التلميذ الناشىء ، ورأى من أسباب ذلك « أن نلتزم فى أواخر الكلمات الوقف من غير اعراب ، وتكون هى لغة التعليم ولغة الكتابة للجمهور ، ولا تكون اللغة الفصحى المعربة الا لغة المثقفين .. وبهذا نكسب اللغة العامية والفصحى معا .. وهو يمكننا من نشر الثقافة والتعليم لجمهور الناس فى سرعة، ويمكننا من تقديم غذاء ادبى لقوم لا يزالون محرومين منه الى اليوم ، وهو اجرام كبير كاجرام حبس البرىء وتجويع الفقير » .

وعندى أن هذه الدعوة مطلوبة معقولة فى طور كان التعليم فيه لا يزال يحبو وليدا ، وفى بيئة تخطو خطواتها الأولى نحو الوعى الثقافى والادراك المعرفى .. والجماهير فى حاجة الى ذلك اللون من الأدب السهل والأسلوب القريب البسيط .

مشروع الثقافة الشعبية

ويتصل بهذه الفكرة ، ومن بين اعماله الكبيرة

التى يوجهها عنده الميل الى الشعب ، ومحبة الارتفاع به من أيسر سبيل، وتسهيل طرائق المعرفة وتقريب منابعها اليه ـ مشروع الثقافة الشعبية الذى اضطلع بفكرته ، منذ انتدب مديرا للادارة الثقافية بوزارة المعارف سنة ١٩٤٥ ، وتابع تنفيذه ثم تطويره وتعميمه فى محافظات مصر المختلفة ، وكثير من قراها .

وكانى بالرجل الطيب ابن الشعب وربيبه ، والعالم الكبير ابن الازهر والجامعة ، قد عز عليه أن يكون بالبلاد قوم تصلهم النعمة والثراء والاستقراطية بارقى مراحل العلم، وهم قلة قليلة، بينما الكثرة الوفيرة والجماهير الغفيرة تقعد بها الحاجة والعوز عن رؤية نور هذه المعرفة ولو من بعيد . واقتضت فكرة القاضى المنصف ، ونظرته الحانية على أبناء حارته وقريته ، ونزعته الانسانية الرحيمة بابناء شعبه ، أن تمتد الأيدى الى هؤلاء الناس ، اذ حرموا من معرفة الطريق الى الجامعة الكبيرة ، بجامعة تناسبهم وتحظى باسمهم ،فتكون جامعتهم « الجامعة الشعبية » غير مقيدة فى الانتماء اليها بسن ولا رغبة فى شهادة ولا امتحان تلتقى فيها الدروس والمحاضرات فى العلوم والمهن والفنون المختلفة ، بشتى وسائل التعليم والتثقيف السمعية والبصرية .

دعوته الى تبسيط اللغة

من أجل ذلك كان يدعو الى تيسير اللغة ، كدعوته الى التوسع فى التعريب والاشتقاق والقياس مما يوسع صدر اللغة العربية فى مجال الاستعمال والثقافة العلمية الحديثة ، ودعوته الى التخفف من الكثير من الكلمات واهدار المترادفات لتفسح مكانا فى معاجمها للكلمات والمصطلحات العلمية الحديثة ، ودعوته الى تبسيط الشعر بالعزوف عن القافية الواحدة والروى الواحد الى تغيير هذه القافية فى كل عدة أبيات « وليست وحدة القافية بالأمر المقدس الذى لا يصح أن نخرج عنه، ولكنه امر اعتيادى وتقليدى مرده كله الى الاذن الموسيقية » .

دعوته الى اصلاح الازهر

ولم ينس ابن الازهر أزهره حين دعا الى اصلاح الأزهر وتنظيمه وتطويره بما يجعله جامعة اسلامية تتصل بالحاضر وعلومه ، وبالمجتمع وأسراره ، وبالعالم الاسلامى وحاجته مع دقة فى المنهج واتساع فى الأفق وحزم فى النظام وكرامة فى العيش والحياة. وقد وضع له نظاما أساسيا أحسب أنه لا يختلف فى جوهره عما صار اليه الأزهر هذه الايام .

انشاؤه معهد المخطوطات بالجامعة العربية

ونستطيع أن نضم الى أعماله الجليلة جهوده فى سبيل انشاء معهد للمخطوطات لتصوير وجمع المخطوطات القديمة فى العالم ، وذلك حينما عمل مديرا للادارة الثقافية بالجامعة العربية سنة ١٩٤٦ ولا يزال هذا المعهد يرعى البذور التى بذرها أحمد أمين ، ويتعهد غرسه بالرى والانماء.

أحمد أمين ، عالم هو أم أديب

وقد اختلف النقاد والمؤرخون بشأن المرحوم أحمد أمين هل هو عالم أو أديب ، وليس المقصود بطبيعة الحال العالم الذى يتعاطى العلوم الطبيعية أو غيرها مما يدعى .. Science وانما نرمى الى علوم اللغة العربية وآدابها ، وتناولها على أساس من المنهج العلمى والتفكير العلمى ، أما الأديب كما لا يخفى فهو الذى يتعاطى الأدب فى واحد من نوعيه التقليديين ، الانشائى والوصفى، أو هما معا .

وقد يبدو من العسير تحديد اللون الذى ينتمى اليه الأستاذ الكبير ، اذا نظرنا الى المجالات التى تعرض لها بالكتابة والبحث والترجمة والتأليف ، وهى مجالات كثيرة حتى لو تناولناها بالحصر فى اللغة وتاريخ الأدب والمقالة والنقد الأدبى والتاريخ والاخلاق والفلسفة والتربية والتعليم والاصلاح الاجتماعى .. ولكن ..

لقد كان أحمد أمين انسانا .. عالما وأديبا ، مصنفا ومترجما ، أستاذا ومصلحا على نحو ما صورنا .. انه باختصار « مفكر عربى أصيل » .

الم اقل لك ان نعيه حمل الينا الجزع واللوعة على ذلك السفر الانسانى الكبير من تاريخنا العقلى الموسوعى .. الذى يضم صحائف من أخصب صحائف الفكر وأزكاها ، فى فترة من احرج فتراته ، وطور من أصعب أطواره فى أعنف صراعاته . ■■

محمد محمود الدش

من أخطاء القضاء

ضحية أم ..



■ صلة القرابة كثيرا ما تدفع الشاهد الى الكذب دفاعا عن قريبه . لذلك فان الكثير من القوانين تمنع الاستشهاد بالابناء ضد آبائهم ، او بالآباء ضد ابنائهم ، او بالأزواج ضد بعضهم البعض ، حتى يجنبوهم حرج الحنث في يمينهم او ادانة المقربين اليهم .

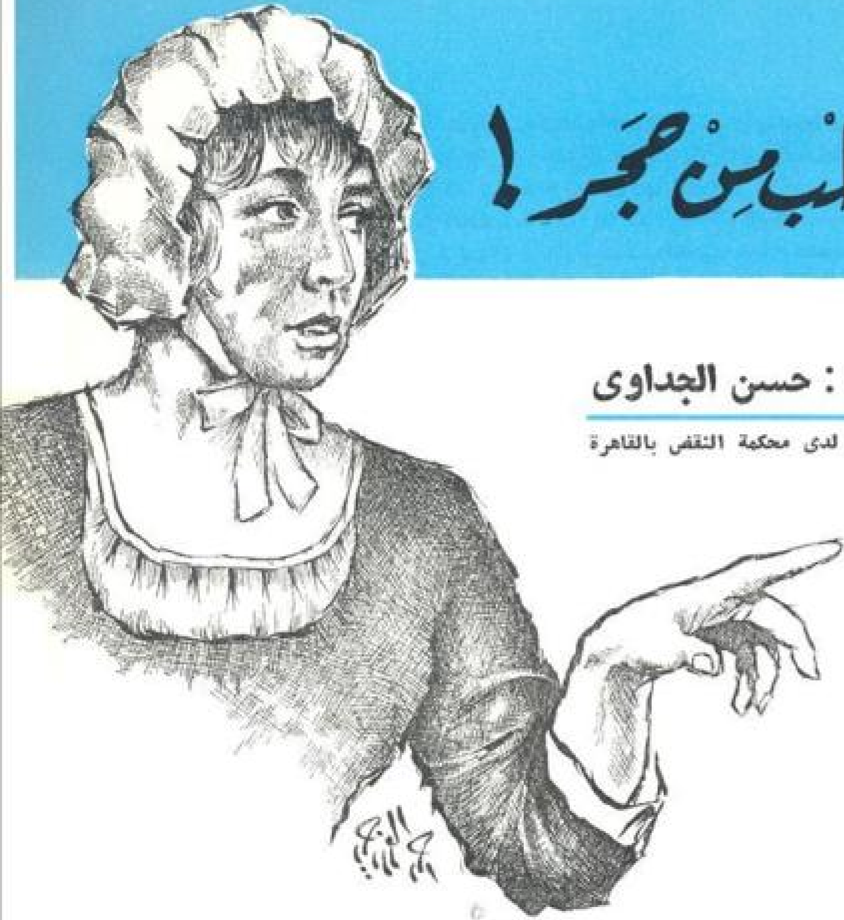
والقضية التى نحن بسبيل عرض وقائعها خرجت عن كل مألوف . فحنو الأم على ابنها من الامور المعروفة التى لا ينكرها أحد ، ولكن الام في هذه القضية خالفت الطبيعة فكذبت ـ لا لصالح ابنها ـ بل لتودى به الى الهلاك .. وكادت تجعله يتدلى من حبل المشنقة .. وتسببت له على كل حال فى ان أمضى سنوات عديدة في المنفى يتحمل من العذاب ما لا طاقة لبشر به .

★ ★ ★

قال جان فوازان الجندى الفرنسي في الفرقة الخامسة والعشرين لاحد زملائه وهو يترك المعسكر في اليوم الثالث من شهر يوليو ١٨٩٢ باجازة ليوم واحد ، قال انه قد اعتزم الفرار من الجندية وانه لن يعود الى المعسكر .

وذهب جان فوازان الى قريته ، ولكنه ـ علما منه ان اباه لن يغتفر له محاولة الهروب من الجندية ، أمضى الليلة الاولى في منزل احدى خالاته . ثم بحث له عن مخبأ في غابة قريبة من المنزل حيث كانت خالته وامه وابن خالته يوافونه بالطعام لمدة اربعة ايام . واخذت امه تلح عليه في العودة الى فرقته وانتهت الى اقناعه بذلك واعطته فرنكا اجرة الطريق واوصته بان لا يقول

ذات قلب من حجر!



بقلم : حسن الجداوى

المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

انه كان مختبئا عند اسرته فان اخفاء فار من الجندية يعرضهم للعقوبة .

★ ★ ★

وعاد جان فوازان الى الفرقة ليتلقى العقاب العسكرى لجريمة الفرار بقبول حسن ، ولكنه لم يكن يدرى ان القدر قد اعد له عقابا قاسيا لا يتفق مع تلك الفلطة ـ غلطةالطيش والشباب ـ التى كثيرا ما ارتكبها زملاء له في بداية حياة الجندية .

ذلكانه فى الليلة الاولىلاختفائهعند خالته اعتدى مجرم اثيم ـ قاطع طريق ـ على سيدة اسمها مدام آدم تدير حانة في طريق شربورج قرية اسرة جان فوازان . ضربها المعتدى بزجاجة صودا علىراسها وحاول سرقة نقودها ، ولكنه لم يتمكن من فتح درج النقود ، وترك فيه المفتاح الذى حاول ان يفتحه به . ودلت المعاينة على ان القتيلة قاومت المعتدى مقاومة عنيفة ، فقد وجدت زجاجة نبيذ مكسورة ، كما غرقت الحانة في بركة من الدماء ـ دماء القتيلة ودماء القاتل . وعثر في الحانة على « زرارى » كم قميص وبالقرب منها على خطاف على مسافة ١٨ مترا ، وعلى مبلغ من المال وسكين على مسافة ٢٧٠ مترا في طريق شربورج وعلى اسبليطة احد البحارة .

وقبض البوليس على صول فى البحرية اسمه لانجلوا تبين انه صاحب الاسبليطة التى عثر عليها ، كما قبض على بائع متجول تبين ان ازرار قميصه مفقودة وانها من النوع الذى عثر عليه فىالحانة. ولكن التحقيق مع هذين الشخصين لم يطل ـ وافرج عنهما فور القبض عليهما ـ لان اهتمام البوليس اتجه الى جان فوازان اذ تبين انه كان قبل الالتحاق بالجندية يعمل بمزرعة بالقرب من حانة القتيلة ـ فهو يعرف عادات

القتيلة وتحركاتها والوقت الذى تكون فيه بمفردها اذ يكون زوجها قد ذهب لعمله في سد شربورج .

وقوى شك البوليس في جان فوازان انه ثبت – من أقوال زميله – انه اعتزم الفرار من الجندية وانه كان في حاجة لبعض المال لتحقيق غرضه . وزاد الطين بلة ان اسرته أنكرت انكارا باتا انها رأته في فترة غيابه عن معسكره .

★ ☆ ☆

وقبض البوليس على جان فوازان وقدمه لقاضي التحقيق الذى اخذ يستجوبه عما كان يفعله في وقت حدوث الجريمة ، فقال انه أمضى الليلة الاولى عند خالته ، ثم اختبأ في الغابة في مكان قريب من منزل اسرته . واستشهد بأمه وخالته وابن خالته وقال انهم كانوا يأتون له بالطعام في مخبئه .

واستدعاهم المحقق فاذا بثلاثتهم ينكرون انكارا باتا انهم رأوا جان فوازان وكذبوه في عنف واصرار حين واجهه المحقق بهم .

ولو انهم صادقوه على اقواله لحفظت القضية بالنسبة له ولسار التحقيق بدقة ربما أوصلت الى القبض على الجاني الحقيقي . ولكن الذى حدث ان امه وقعت تحت تأثيرين دفعاها الى الكذب والاصرار عليه ولم تستمع لصراخ ابنها . الاول خوفها من عقوبة المساعدة على فرار جندى من الخدمة العسكرية . والثاني الرغبة في عدم اغضاب زوجها . اما الخالة – وقد ظهر فيما بعد انها هى التى حرضت الأم على اتخاذ موقفها الشاذ – فقد خشيت ان يفقد زوجها – الذى يعمل في الجيش – وظيفته كما حرضت ابنها على الكذب أيضا وصفعته عندما اظهر رغبة في قول الحقيقة .

★ ★ ★

لم تثبت أى صلة تربط جان فوازان بجريمة القتل . فالآثار التى وجدت بملابسه ليست بقعا دموية . وتبين أن جسمه خال من اى أثر لمقاومة أو جروح . والسكين التى عثر عليها على بعد ثلاثمائة متر من مكان الجريمة تبين أن الرقم المحفور عليها يخالف رقم جان فوازان في الجندية .. واذا كان لم يستطع اثبات انه كان بعيدا عن مكان ارتكاب القتل – وقت ارتكابه – فذلك في جميع قوانين العالم – سوء دفاع ولكنه لا يعتبر دليل اتهام .

ولكن اصرار الأم على تكذيب ابنها قلب هذا الدليل السلبى – في نظر ممثل الاتهام – دليلا ايجابيا فقدم جان فوازان للمحاكمة أمام مجلس عسكرى بتهمة القتل العمد بقصد السرقة وهى جريمة عقوبتها الاعدام .

★ ★ ★

وعرضت القضية أمام المجلس العسكرى وسمعت أقوال الشهود ، وكانت الام والخالة وابن الخالة من ضمن شهود الاثبات ، فاقسم ثلاثتهم اليمين وانكروا رؤية المتهم وكذبوه فيما زعم من انه كان مختبئا في الغابة بجوار منزلهم او انهم كانوا يذهبون اليه بالطعام .

ودار الحوار الآتى بين الابن وامه :

الابن – قولى الحقيقة يا أماه التى تعرفينها .

الأم – انك كاذب . كاذب . انني اسأل الله أن يموت الابن الذى أحمله الآن بين أحشائي في هذه اللحظة ان كنت لا أقول الحقيقة .

الابن – انك تجرمين في حقى بتسببك في ادانتى .

الأم – انه لأمر محزن بالنسبة لك . ولكننى لا استطيع أن أشهد بما لا أعرف . انك تقضي علينا حزنا . لو كان ما تقوله هو الحقيقة لبرأتك من أول الأمر .

★ ★ ★

وترافع ممثل الاتهام وركز مرافعته على كذب المتهم في محاولته تضليل القضاء ، واشاد بموقف الأم والخالة والقريب ، الذين فضلوا قول الحق ولم يحاولوا الكذب لانقاذ قريبهم . وطلب عقوبة الاعدام لذلك العضو الشاذ في المجتمع الذى لم يرحم امرأة ضعيفة وحيدة طمعا في مال قليل ، وأثكل زوجها وبتم اطفالها .

وبذل محامى فوازان جهدا ليثبت ان القضية خالية من اى دليل اتهام وقال انه لا بد ان يكون هناك دافع قوى حمل الام على التنكر لابنها – فلذة كبدها – وان الزعم بانها شهدت بما شهدت احقاقا للحق لا يستسيغه العقل ، بل ان المعقول ان تشهد الام لصالح ابنها ولو حنثت في يمينها . وقال انه من غير المعقول ان يصدر حكم بالاعدام ارتكانا على مجرد شكوك . ولكن تصميم الام على تكذيب ابنها كان له أكبر الاثر على أعضاء المجلس فاصدروا حكمهم بالاعدام . وصادق القائد الذى امر بتشكيل المجلس على الحكم .

★ ★ ★

وكان رئيس الجمهورية في تلك الايام هو سادى كارنو . وكان يكره الموافقة على احكام الاعدام كأنما كان لديه احساس خفى بانه سوف يموت من

طعنة قاتل اثيم . فاصدر قرارا بعفو جزئي وحول العقوبة الى الاشغال الشاقة المؤبدة . وحمل جان المسكين الى منفاه ووضع الحديد في ساقيه واستمر سبع سنوات يجر قيده حتى دَميت قدماه . وأصيب بالمرض تلو المرض . ولكن هذا العذاب الجسماني كان اخف صنوف العذاب ، فان العذاب الذى لا يحتمل هو عذاب البرىء يلقى به في غياهب السجون ، يُقسم كل يوم لكل من يقابله انه برىء ، ويقرأ في عيون من يحدثهم انهم لا يصدقونه .

★ ★ ★

وفي اكتوبر سنة ١٧٩٧ اهتم بأمره قائد الجيش العاشر فامر باجراء تحقيق دقيق في جميع ظروف الحادث ، وقدم تقريرا للجهات العليا للجيش يطلب اعادة محاكمة جان فوازان . وليس من السهل ـ بعد مضي سبع سنوات ، اعادة المحاكمة لما في ذلك من تشكيك في صحة الحكم الذى صدر ـ باجماع الآراء ـ وخاصة وقد كنا في اعقاب قضية درَيفوس التى اقامت فرنسا واقعدتها ولكن امام الشكوك التى اوضحها تقرير القائد اصدر رئيس الجمهورية قرارا بالعفو الصحى واعيد جان فوازان من منفاه .

وكانت صحة جان قد اعتلت في المنفى ولكن الحرية التى حصل عليها والعودة الى الجو المعتدل اعادا اليه شيئا من النشاط فبحث عن عمل وتزوج وانجب طفلا .. ومع ذلك ظل يسعى ـ بمساعدة محاميه ـ ليثبت براءته .

★ ★ ★

وفي عام ١٩٠٠ بعد ثلاث سنوات من جهد متواصل نجح المحامى في استصدار امر من وزير العدل للنائب العام باجراء تحقيق في الاعتراضات التى قدمها المحامى على حكم المجلس العسكرى . واجرى النائب العام التحقيق وشفعه بتقرير مفصل منه وعرض الموضوع على محكمة النقض .

وتبين من التحقيق الجديد عدول ام جان فوازان وابن خالته عن اقوالهما الأولى . واعترفا بان فوازان كان مختبئا في الغابة بجوار منزلهما ، وانهما وخالته التى توفيت كانوا يذهبون اليه بالطعام . وشهد شهود عديدون ان امه ـ قبل صدور العفو عنه ، ابدت ندمها على انها غيرت الحقيقة في شهادتها ، وان خالته ـ قبل وفاتها ، اعترفت هى الاخرى . وان ابن خالته اظهر ـ

اثناء التحقيق الاول ـ الرغبة في الادلاء بالحقيقة فصفعته امه على وجهه وارغمته على اخفائها .

وهكذا قضت محكمة النقض بالغاء الحكم واعادة المحاكمة .

★ ★ ★

وفي التاسع والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٩٠٢ انعقد المجلس العسكرى الجديد ومثل امامه فوازان نحيفا عليلا في الثانية والثلاثين من عمره يعرج في مشيته من آثار القيد الحديدى الذى بقى في قدميه سبع سنوات . وجلس بجوار محاميه الذى ظل يهتم بقضيته طوال السنين العشر والى جواره جلست ايضا زوجته وابنه الطفل .

وسئل عن تهمة قتل صاحبة الحانة فانكرها بشدة وحماس . وقال انه اختبأ لانه لم يكن يرغب في العودة الى فرقته ، ولا كان يستطيع ان يظهر امام والده لقسوته وعدم تقبله لمثل هذا التصرف ، ولا امام زوج خالته لاتصال عمله بالجيش . وأكد ان امه وخالته وابنها كانوا يمدونه بالطعام والشراب طوال تلك المدة ، وان امه الحت عليه في اليوم الاخير بأن يعود الى فرقته وان لا يذكر انه كان مختبئا عندهم حتى لا يعرضهم لعقوبة اخفاء فار من الجندية . وكشف عن ساقيه ليطلع المحكمة على آثار القيد الحديدى فيهما وكان منظرا بشعا اشاع الأسي والألم في نفوس الحاضرين .

★ ★ ★

واستمع المجلس الى اقوال تسعة وعشرين شاهدا قدمهم الاتهام وثلاثة شهود قدمهم الدفاع .

شهدت ارملة ـ صاحبة حانة ـ ان فوازان قبل التحاقه بالجندية دخل حانتها مخمورا وطلب منها كأسا فلما رفضت تقديمها اليه هددها . وشهد آخر بأن فوازان سرق منه ديكا وتبين من مناقشته ان والد فوازان هو الذى حرضه على السرقة وان امه هى التى نتفت ريشه واعدته للطعام . وشهدت عمة المتهم ان امه افضت اليها بتأنيب ضميرها لاخفائها الحقيقة . واعترف والد فوازان بواقعة الديك وقال ان الأسرة اخفت عنه وجود ابنه مختبئا في الغابة وقرر ان اخت زوجته ـ عندما حضرها الموت ـ قالت انها تستحق ان تموت وانها انما تموت عقابا لها عما فعلته وانه فهم من ذلك ان الذى كان يؤنبها هو موضوع ابنه جان .

ثم نودى على ام المتهم فدخلت تتعثر في مشيتها وقد احنت راسها واقسمت اليمين ثم قالت

« لقد كذبت في التحقيق في عام ١٨٩٢ . وانا آسفة . فقد كنا نخشي ان تتهم باخفائه . كذلك كذبت عام ١٨٩٨ عند اجراء التحقيق الثانى لان اختى - بسبب زوجها - قالت لى اننى اذا قلت الحقيقة ستكذبنى » .

وقال لها رئيس المجلس : « اى حقد دفين هذا الذى ملأ قلبك ضد ابنك فتتسببى في ارساله للمنفى . وتصرى عليه بعد عودته من المنفى ؟ من اى صخر قُدَّ قلبك ؟ » .

وقالت الأم « لم اكن اعرف . لم اكن اعرف . ان اختى هى التى حرضتنى ولكنه برىء . اقسم انه برىء » .

وطلب منها الرئيس ان تنظر الى ابنها وسألها عما تريد أن تقوله له فقالت « لا شيء . لا شيء ولكنه يعلم اننى لم اكن اريد الاضرار به » .

فقال لها الرئيس « ومع ذلك كاد يُعدَم بسبب اكاذيبك . وامضي سبع سنوات في المنفى . »

وخرجت الام بخزيها تجرجر ذيل الندم .

وشهد ابن خالة المتهم بأن امه وخالته هما اللتان حرضتاه وصفعتاه حين افضى اليهما بانه يعتقد ان من الصالح الافضاء بالحقيقة . وايد عدد من الشهود شهادة ابن الخالة .

وشهد زوج الخالة المتوفاة ان زوجته افضت اليه قبل موتها وهى تبكى بما ارتكبت من كذب وقالت له انها لم تكن وحدها التى كذبت .

★ ★ ★

برغم ذلك كله ترافع ممثل الاتهام واخذ يسفه عدول الشهود عن اقوالهم الاولى ، وقال انه لا يتصور ان تودى ام بابنها الا اذا كانت تقول الحقيقة . وتساءل اى الاقوال يصدق . ما تقوله الآن او ما قالته وقت ارتكاب الجريمة . واذا كانت قد كذبت وقت ارتكاب الجريمة اعتقادا منها أن ابنها - وهى تعلم انه لم يرتكب الحادث - سوف يحكم ببراءته - فكيف تكذب في التحقيق الثانى بعد ما رأت من نتيجة كذبها الأول وما أصاب ابنها في صحته ؟؟ وطالب بعقوبة الاعدام التى وضعها القانون جزاء وفاقا .

★ ★ ★

وقال محامى الدفاع ان المجلس العسكرى الأول جانبه التوفيق لان الظروف المحيطة بالتحقيق اخفت عنه وجه الحقيقة ، وأقارب المتهم - الذين كانوا يعرفون الحقيقة - تعمدوا تضليله - بدافع الجبن او كراهية المتهم ، ولولا لطف الله وظروف لا دخل لسلطة الاتهام او لاقارب المتهم فيها - لاعدم ، وما كنا لنقف امامكم الآن .

وقد ابعد مع ذلك الى المنفى ولاقى من العذاب ما تعرفونه . ومن يوم وصوله لهناك وهو يمطرنى برسائل يؤكد فيها براءته - التى أنا مؤمن بها من اللحظة الاولى - وكلها عندى استطيع ان اتلوها عليكم . لتحسوا معى بما لاقى من عذاب جسمانى ونفسانى . واخيرا عاد من المنفى وقبل ليعمل في ميناء شربورج واشفق عليه زملاؤه العمال لضعف صحته فقابلوه أحر استقبال . وافتتحت جريدة « نهضة المانش » اكتتابا بعنوان « نزيل الليمان البرىء » . وساعد اقبال الجمهور على الاكتتاب . فاعدت له الجريدة مسكنا واشترت له حاجيات منزله واستطاع ان يتزوج وينجب . وقد جئت من أجل ما لاقى من عذاب وما وقع عليه من ظلم - ومن أجل زوجته وطفله ، اطلب اليكم ان تقضوا له بالتعويض الذى يستحقه .

لقد آمنت ببراءته منذ اللحظة الاولى . وفي الوقت الذى تألبت عليه الظروف كلها وتألبت عليه امه - ذات القلب المتحجر ، وخالته التى ذهبت للقاء ربها ، كنت موقنا في أعماق قلبى أن مثله لا يرتكب الجريمة التى حوكم وادين بها .

لست هنا لاضع اكليلا من الغار على رأسه بالنسبة لماضيه ، فقد مضى ذلك الماضى بكل اوزاره ولم يبق منه الا الآلام المبرحة التى قاساها والعاهة المستديمة التى تخلفت مما لاقاه من عذاب . واذا كان قد ارتكب اخطاء في الماضى فمن العدل ان نعترف بانه لم يجد من افراد أسرته المثل الطيب الذى يتشبه به . وكان يمكن بحكم الوراثة وبحكم البيئة ان يكون ماضيه أسود حالك السواد . ولكن الذى ظهر - عند محاكمته عام ١٨٩٢ ، أنهم لم يعثروا في صحيفة سوابقه الا على تهمة جمع اخشاب للتدفئة حكم عليه فيها بالحبس البسيط اسبوعا واحدا ، ولو ان ايقاف التنفيذ كان معروفا عند ذاك لطبق عليه حتما ولما كنا وجدنا اثرا لذلك الحكم .

وفي فترة تجنيده التى بلغت سبعة اشهر لم توجه اليه اية تهمة جدية اللهم الا ميله للعودة للمعسكر متاخرا شأنه في ذلك شأن الكثيرين من المجندين الجدد - الذين - مع ذلك - لا يرتكبون جرائم القتل .

أما عن تهمة القتل التى أدين بها فكل تصرفات فوازان تنفيها عنه . لقد دل التحقيق انه ترك سيفه وحربته حين خرج من مخبئه يستنشق الهواء . فلو انه خرج كما يقول الاتهام بنية القتل او حتى بنية السرقة فهل يذهب بغير سلاح ؟؟

لقد آمنت منذ اللحظة الاولى ، ولا شك عندى انكم ستعتقدون مثلى ، ان جريمة الحانة جريمة اجنبى لا يعرف المكان ولا عادات أصحابه . عابر سبيل مر فى طريق شربورج ووجد حانة دخلها ليشرب كأسا فلما وجد بها امرأة بمفردها عزلاء وبغير دفاع نبتت لديه فجأة نية السرقة فلما قاومته قتلها .

من هو الجاني؟ لست مطالبا باثبات شخصيته . ولكن أليس من المصادفات العجيبة ان الشخص الذى قبض عليه ووجد ان أزرار قميصه مفقودة ، وانها من الصنف الذى عثر عليه فى الحانة ، هو شخص متشرد له عدة جرائم سرقة وسكر وعربدة، ومع ذلك أخلى البوليس سبيله بالرغم من وجود اصابة فى جبهته حديثة تتفق مع ما قيل من أن القتيلة قاومت قاتلها .

وأليس من الغريب أن صاحب الاسبليطة التى عثر عليها بالقرب من الحانة لم يحقق معه بالرغم من القبض عليه ؟؟

ثم ماذا أقول عن تلك الأم واختها وانكارهما وتكذيبهما للمتهم باصرار وعناد . ان سوء الدفاع لم يكن يوما من الايام دليل ادانة . ولكن حين يتعلق الأمر بابن يلجأ الى أمه لتشهد لصالحه فتابى الا أن تدينه ، فان القاضى معذور اذا اعتقد ان الابن يكذب . وها قد رأيتم أن الأم هى التى كانت تكذب . ومع ذلك ومع قليل من السيكولوجية كان يمكن للمجلس السابق ان ينتهى الى ان هناك باعثا خفيا لتصرف الأم فلا يثق باقوالها تلك الثقة .

لقد كان امام المجلس متهم لا أثر للدماء على قميصه . ولا على السكين التى ثبت انها ليست له وتحمل رقم جندى آخر لم يسأل ولم يحقق فى أمره . ولا على جراب سيفه . ولا على حربته، ولا على حزامه . ولا على قميصه . بالرغم من أن الحانة كانت غارقة فى الدماء وان القتيلة قاومت اعنف مقاومة . فكيف أمكن ادانته ؟

ويدهشنى بعد ذلك كله ان يجيء ممثل الاتهام امامكم ـ وبعد أن وضحت الحقيقة ـ يطالب بعقوبة غير قابلة للتنفيذ بعد أن صدر العفو الشامل عن فوازان ؟ هل يريد الاتهام التستر على الخطأ القضائى الذى ارتكب ولا سبيل الى انكاره؟ ان الخطأ لا يعيب القضاء ـ فالقضاء ليس معصوما ـ انما الذى يعيبه أن يصر عليه بعد أن وضحت امامه الحقيقة .

أم يريدون حرمان موكلى المسكين من التعويض المستحق له حرصا على مال الدولة ؟ .

★ ★ ★

واصدر المجلس العسكرى حكما بالبراءة وعدم اختصاصه بالحكم بالتعويض .

وصفق الجمهور طويلا لهذا الحكم العادل .

★ ★ ★

ولم يقنع هذا الحكم لا فوازان ولا محاميه . ولا وزير العدل . الذى طلب من النائب العام أن يطعن فيه أمام محكمة النقض بالنسبة لما قضى به المجلس من عدم اختصاصه بدعوى التعويض .

وقد كان وألغت محكمة النقض الحكم فى هذه الجزئية وأعادت القضية لنظرها أمام مجلس عسكرى آخر .

وانعقد المجلس العسكرى الجديد فى مدينة اورليان وتقدم المحامى بشهادات طبية تبين مدى الاضرار التى أصابت موكله وطالب بتعويض قدره ثمانين الف فرنك . وقامت مناقشة طويلة بين الدفاع وممثل الاتهام بوصفه الحريص على أموال الخزينة الذى أخذ يشرح ما كان يمكن لفوازان ان يكسبه لو بقى حرا ـ بجمع أجره كجندى مدة خدمته لم اجره كعامل بعد ذلك .. متناسيا عذابه الجسمانى والمعنوى وآلامه وجروحه ..

ولكن المجلس قضى بتعويض قدره أربعون الف فرنك ... اى انه امسك العصا من الوسط او قسم التفاحة قسمين .

★ ★ ★

لقد كنا فى بداية القوانين التى تبيح تعويض ضحية الخطأ القضائى . اما الآن فان المحاكم تسخو فى تقدير التعويض اذ أن الهيئة الاجتماعية اصبحت أحرص على حرية افرادها وهى متضامنة فى تعويض ما يلحق أحدهم فى صحته أو حريته او ماله . ■■

القاهرة ـ **حسن الجداوى**



■ ■ الحرية والتجربة ■ ■

عن صحيفة الهدف البيروتية :

● ليست الحرية شيئا يقبض عليه أو تصورا بعيدا عن مجال الانسان وحياته ، انها فعل تجربة ..فعل معاناة مجالها الحياة الاجتماعية ، حتى انه لا يحق لاى انسان أن يقول انه لم يقع فى التجربة وان لم يعايش الحرية فى أقصى اختباراتها حين تشع وأروع مواقفها حين تستدعيه ، وأعنف مخاطرها حين تتجلى .

ان الذين يتكلمون عن الحرية بعيدا عن التجربة والمعاناة الوجدانية ليسوا احرارا ، لأنهم حين يتحدثون عن الحرية يعتقدون أنها تعطى وتمنح ، عندئذيضعون لها قيودا وشروطا اعتباطية تعسفية، لا تأخذ بعين الاعتبار مصلحة البلاد العليا ، ولا تقيم وزنا لكرامة الانسان فى عيشه ، وفى تطلعه نحو الافضل والأسمى .

كثيرة هى قضايا ومواقف بلادنا التى تستدعى المجابهة والتحدى والاستمرار حتى التضحية ، وما احوجنا اليوم للحرية المتمثلة بالمحبة والصفاء وعقد العزم ، لدخول التجربة ، تجربة الحق والعدل والخير والمحبة وبصمودنا واستمرارنا يولد مع الحرية الانسان الجديد .

وليس هذا الضجيج والصياح المتعالى فى بلادنا ممثلا لمستوى طلائعى تحررى ، انه لا يمثل الا العجز والبلبلة والفوضى الناجمة عن الثقافة المستمدة ، والافكار المعلبة ، فلو كان على شىء من الثقافة الروحية النابعة من كيانه وشخصيته وتاريخه ، ولو كان يدرك ويعى حقيقة الاوضاع العربية ، ومتطلبات وحاجات شعوبها ، لجابهها بالتحدى والعنف والاصرار ، حيث مناخ الحرية ومجالها الرحب ، للخلق والابداع والتجديد .

■ ■ سارتر والقضية الفلسطينية ■ ■

عن صحيفة الثورة السورية :

● سارتر يريد التعرف على حقيقة القضية الفلسطينية ، وهذا حدث مهم، حدث يهم القضية الفلسطينية ، لأن هذه القضية بالرغم من عدالتها ما زالت تقف منذ زمن بعيد على أبواب الوجدان العالمى دون الولوج الى الداخل ولأنها ما زالت مجهولة من قبل المفكرين الأوروبيين .

ونحن لا نستطيع انكار المكان الحيوى الذى يشغله سارتر بين المفكرين المعاصرين ، كما أننا لا نستطيع تناسى صوت سارتر السياسى أو الفيلسوف أو الاديب ، والذى يؤثر نسبيا على قسم كبير من الرأى العام العالمى وخاصة راى المثقفين .

والقضية الفلسطينية بحاجة ماسة لتفهم هؤلاء المفكرين ووعيهم وهو الشرط الاول لدفاعهم عنها وانتصارهم لها ضد اعدائها . وسارتر لم يكف منذ عشرين عاما عن الانتصار للقضايا العادلة ،والدفاع عن الشعوب المضطهدة ولن ننسى موقفه من ثورة

الجزائر وموقفه من الحرب الفيتنامية والتصريحات التى أطلقها « عارنا فى الجزائر » « اننى على استعداد لاخفاء الثوار الجزائريين وتهريب المال والسلاح لهم » !! ان مبادهة سارتر للحديث عن القضية الفلسطينية مبادهة جيدة ، ليتعرف على واقع اللاجئين الفلسطينيين ويتعرف على وجه المأساة وتشريح القضية بعيدا عن التكسب والارتزاق السياسى . وليقول للعالم أجمع ان القضية الفلسطينية لا يمكن أن تكون غير عادلة ولا يمكن لسارتر الا الدفاع عنها .

■■ الاعلام العربى ■■

من صحيفة المنار العراقية :

● الحقيقة التى يجب أن يفهمها كل عربى ، هى أن الاعلام أصبح الآن قوة هائلة فى كل الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية فى العالم ، بل ان دوره فى السياسة الدولية أصبح دورا رئيسيا وخطيرا يحتل الصدارة فى كل نشاط وفى كل حدث ، وفى كل تطور . وبهذا المستوى يعتبر الاعلام العربى متخلفا ومقصرا ولا يلعب اى دور رئيسى وايجابى فى عرض القضايا العربية وفى الدفاع عن حقوق العرب ، وفى اعطاء صورة حقيقية بارزة للمرحلة التى قطعها العالم العربى فى ميادين التقدم والحضارة .

وقد استغل المستعمرون والصهيونيون هذا القصور فامعنوا فى التضليل والتزوير وتشويه الحقائق عن قضايانا وحقوقنا ، بحيث أن الدول العربية لم تستطع أن تستغل مشكلة انسانية رهيبة كمشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين فى وضع المأساة بكل ظروفها وأسبابها امام كل فرد من العالم ليتحسسها ويعرف عمق التجربة التى ارتكبها الاستعمار والصهيونية ضد العرب .

ولا شك أن هذا الوضع يتطلب المبادرة الجدية لتنسيق أجهزة الاعلام العربية ، ورفع مستواها ودعمها بكل الامكانيات والطاقات المادية والمعنوية ، فلا يكفى أن تفتح الجامعة العربية مكتبا او مكتبين فى هذه العاصمة أو تلك لتصدر نشرات دورية لا تصل الا بصعوبة الى الصحف المحلية لهزالتها وضعفها ، بل يجب أن تؤسس أجهزة قوية وضخمة للاعلام تغطى بفعالياتها انحاء العالم ، لها صوت مسموع فى مختلف الدول والقطاعات ، وهذا يحتاج الى المبالغ والاعتمادات الكافية والى الخبرة والاختصاص والى التنسيق الكامل بين الدول العربية والاتفاق على قضاياها الرئيسية كى لا تكون الخلافات والانقسامات ثغرات يتسلل منها الاعداء الى أوضاعنا والى فعاليات أجهزتنا الاعلامية .

■■ هؤلاء الناس !! ■■

عن جريدة « اليمامة » السعودية :

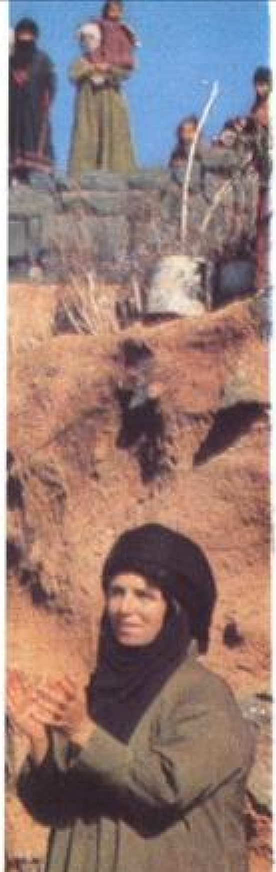
● الاديب في بلادنا بخيل .. بخيل على نفسه وعلى الحياة والناس، والبخل الذى نعنيه فى هذا المقام ليس ماديا ولكنه أدبي ..

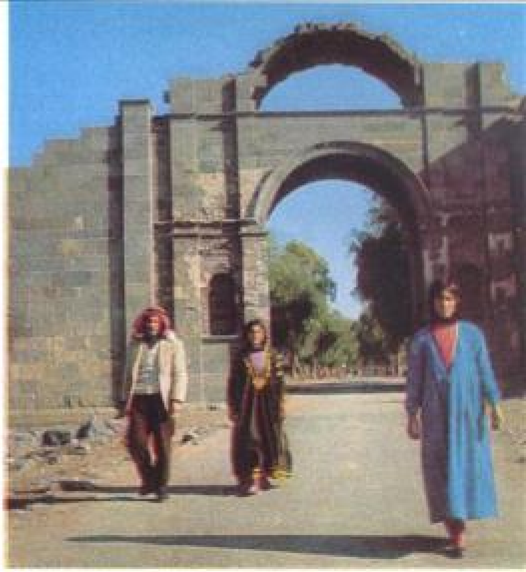
وان بخل هذا الاديب على نفسه او على الحياة فهذا يعود اليه .. الى ضميره .

اما ان يبخل الاديب على الناس .. الناس الذين احبوه واكرموه يوم كان في أول الشوط .. اى قبل أن يصبح أديبا .. فذلك ليس من صفات الاديب الحقيقى .

نريد ان نسأل .. : من غير هؤلاء الناس كان يلهم الاديب .. يمنحه التجربة بعد التجربة .. من كان يحرك مشاعره ويهزه ويطربه .. غير هؤلاء الذين يعايشونه .. يحبونه ويقرأونه ..

ومن غيرهم .. غير افراحهم وأتراحهم يكشفونها أمامه .. بل من صيره أديبا ! .. الأديب وحده لاشيء .. والمجتمع وحده لا شيء .. وبكلاهما معا يتنفس الادب الواقعي الجيد .. لأن الناس هم الصورة الطبيعية التى لولاها ما كان هناك الرسام الخالد . ■■





السور الكبير شيده الأنباط خلال القرن الأول الميلادى ، وقد تهدم معظمه ، ولم يبق منه سوى البوابات الكبيرة، وهى ثلاث، أهمها البوابة الرئيسية المعروفة ببوابة الهوى ،وهى أول مبنى أثرى يستقبل الزائر القادم بالسيارة الى بصرى .

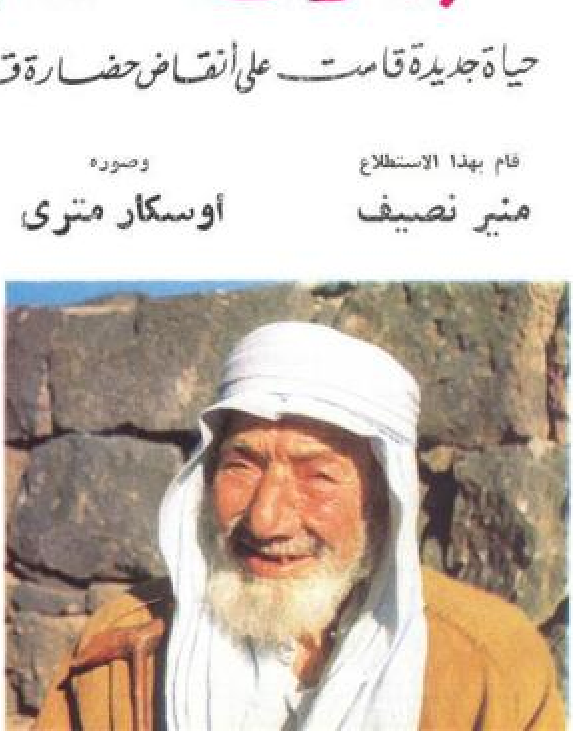
اعرف وطنك أيها العربى

بُصْرَى الشَّام

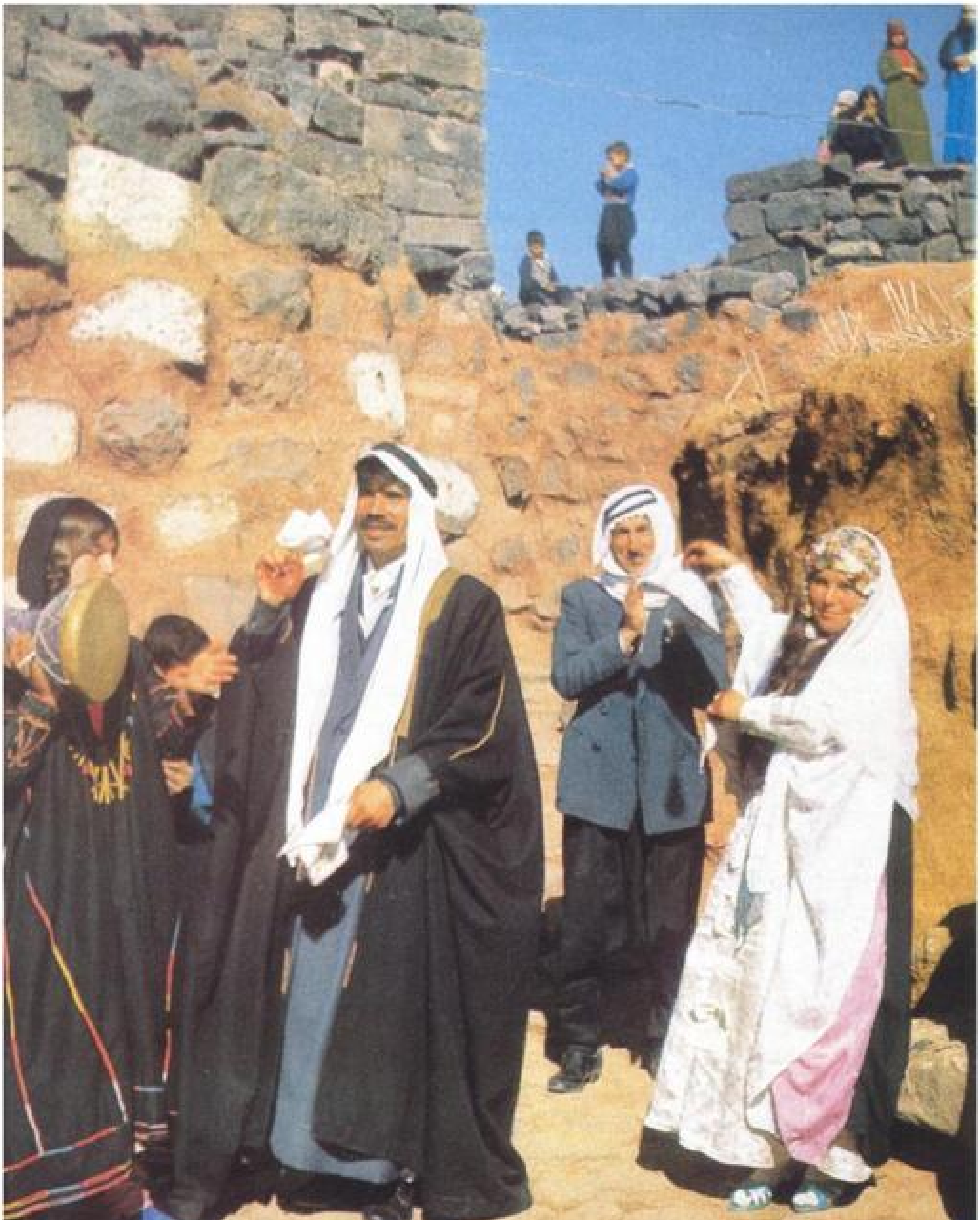
حياة جديدة قامت على أنقاض حضارة قديمة !

قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف

وصوره
أوسكار مترى



الشيخ علي المتميثان .. أكبر وعاش حياته كلها بين آثارها ، وحقيدا .. لم يغادر بلدته ا على ظهور الابل قبل اختر



معمر في بصرى ، وله في البلدة
وهو أب لأكثر من ثمانين ولدا
عندما ذهب ليؤدي فريضة الحج
السيارة .

حفلة عرس .. والعرس في بصرى يستمر سبعة أيام وسبع ليال ، يستقبل العروسان خلالها المهنئين من الاقارب والاصدقاء .. ويرقص أمامهم العروسان على أنغام الموسيقى التي يعزفها أهل العروس ، وتنحر الذبائح ، ويأكل المدعوون الحلوى ويشربون شربات «العروس».

■ قال لنا الشيخ العجوز : « هل أعجبتكم مدينة بصرى ؟ » . قلنا : « ولكن هذه ليست مدينة ، وانما قرية صغيرة قديمة لا يزيد تعداد سكانها على سبعة آلاف نسمة ؟! » .

وظهر الغضب على وجه الشيخ وقال : « بل هى أقدم مدن (الشام) وأعظمها ! » ثم اعتدل الرجل في جلسته أمام باب المسجد الاثرى وراح يكمل حديثه في كلمات قوية لا تخلو من تحدٍ وقال : « هل سمعتم قصة القائد الكبير الذى خرج على راس جيشه ، وظل يحارب العدو ويشتبك معه في معارك ضارية ، وينزل به الهزائم المنكرة حتى تحقق النصر لبلاده ؟ » .

لقد وصل هذا القائد العسكرى الكبير الى قمة مجده ، ثم مضت الاعوام وتقدمت به السن ، ووخط الشيب شعر رأسه وامتلأ وجهه بالتجاعيد، فتقاعد واعتكف في بيته لا يبرحه حيث كان يستعيد ذكريات تلك الايام الخالدة التى حمله فيها الشعب على الاعناق !

« الى أن كان أحد الأيام التى دعاه فيها الحاكم لحضور مادبة عشاء أقيمت تكريما لضيف كبير زائر .. وجاء القائد العجوز يتكىء على عصاه ودخل .. فاعلن الحاجب وصوله ، واذا بكل المدعوين يقفون احتراما واجلالا له . واذا بحاكم البلاد يتقدم اليه ويعانقه ثم يمسك بذراعه ويرفعها عاليا ويقول : هذا أعظم قائد عسكرى انجبته بلادنا » .

وانتهى الشيخ من رواية قصته ، ثم نظر الينا وقال : « وهكذا بقيت بصرى مدينة عظيمة » .

وقلنا : « من أجل خاطرك وخاطر أبناء بصرى سنسميها « بلدة » » !

وظهر الارتياح على وجه الشيخ المعمر الذى ناهز المائة .

ماذا كانت بصرى ؟

ولكن ماذا كانت بصرى قبل ان يتقدم بها العمر ؟

انها قصة طويلة قديمة، ولكنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالبلدة الحاضرة التى ما زالت تعيش على ذكريات ماضيها القديم ، حتى ليخيل اليك وانت تستمع الى القصص التى تروى عن بصرى القديمة ، أن عقارب الزمن قد توقفت فيها ، فكل شيء يشدك شدا الى حضارة البلدة القديمة .. تلك البلدة التاريخية التى كانت عاصمة للولاية العربية بين عامى ٢٨٤ و ٣٦٥ بعد الميلاد ! بيوتها شوارعها .. أسواقها .. قصورها وأسوارها .. كلها تحكى قصة بصرى العظيمة التى كانت من أهم مراكز الحضارة والتجارة والعمران عندما نزلها الأنباط الذين هاجروا من جنوبى الجزيرة العربية فى عام ٧١ بعد الميلاد ثم أصبحت عاصمة للدولة النبطية في عهد الملك اعبال او رئبال في عام ٨٨ ميلادى .

ثم عندما احتلها الرومان بعد وفاة هذا الملك العربى النبطى فى عام ١٠٦ بعد الميلاد ، ثم عندما فتحها العرب عام ١٣ هـ (٦٤٣ م) .

وذهب هؤلاء .. وبقيت آثارهم تدل عليهم فى بصرى .

القديم والجديد

ومن الكتابات القديمة والنقوش والصور اليونانية والنبطية والرومانية والاسلامية ، جمع المؤرخون قصة البلدة العظيمة .. وكل حجر فى بصرى يروى قصة عهد من العهود التى تعاقبت عليها .. كل خطوة تخطوها وسط آثارها تعود بك الى حقبة من الزمن القديم!

وقد عاشت هذه الاحجار الاثرية القديمة التى صمدت لعوامل الطبيعة وتحدت القرون ، لتصنع البيوت الجديدة فى بصرى اليوم .. فهى نفسها التى شيد بها الاهالى مساكنهم فلا يكاد يفكر أحدهم فى بناء مسكن جديد حتى يلجأ الى الاكوام الضخمة من الاحجار الاثرية التى بنى بها أجداده قصورهم ، وينقل منها ما شاء ليبنى بها بيته الجديد فوق انقاض البيت القديم .

وهكذا قامت بصرى الجديدة فوق انقاض بصرى القديمة .. هكذا يعيش أهالي البلدة بين ذكرياتها ومع أحجارها البازلتية القديمة التى تطل عليهم فى نومهم وصحوهم ، وتشاركهم أفراحهم وأحزانهم .. وتحكى لهم فصولا من حياة أجدادهم الذين عمروا هذه الارض منذ مئات السنين .

اما المبانى الحديثة .. المبانى التى لم تستخدم الاحجار الاثرية في بنائها، فهى قليلة ومقصورة على دور الحكومة والمدارس وبعض المتاجر الصغيرة .. وتصل بين هذه المبانى وتلك .. القديم منها والحديث شوارع ضيقة وأزقة رصفت ايضا بهذه الاحجار التى يمشون عليها فى رفق كثير .



خريطة تبين موقع بصرى الشام في سوريا

أين تقع بصرى ؟

ذهبت « العربى » الى بصرى وعاشت بضعة أيام وسط أهلها وبين آثارها، لتقدم هذا الاستطلاع عن المدينة التى لم يسمع الكثيرون منا نحن العرب عن اسمها ، فما بالك بالحياة فيها ؟!

وركبنا السيارة من دمشق عاصمة ســوريا ، وقطعنا المسافة التى تزيد على ١٤٠ كيلومترا الى الجنوب فى ساعتين ونصف الساعة .

وتقع بصرى فوق منبسط من الارض يؤلــف قسما من هضبة حوران التى تكثر فيها الصخور البازلتية ، وهى تبدأ من التلال الواقعة جنوبى دمشق وتشمل مساحة مربعة من الارض يبلغ طول ضلعها مائة كيلو متر .

وتحد هذه المنطقة من الشمال الشرقى أراضى اللجاة الصخرية الوعرة ، كما يحدها من الجنوب الشرقى جبل العرب أو جبل « الدروز » الـذى يبلغ ارتفاعه ١٧٠٠ متر عن سطح البحر . وهو يطل على المدينة ولا يبعد عنها بأكثر من بضعة كيلومترات .

وقد كان لموقع بصرى أثر كبير جعلها تحتل مكانا مرموقا بين مدن الشرق العربى ، اذ تزاحمت الأحداث فى أرضها فكانت مركزا للحضارات التاريخية والثقافية والاقتصادية . وقد ساعد هذا ، بصرى على أن تصبح مسرحا لتفاعل الحضارة العربية وتطويرها نتيجة لاحتكاكها بغيرها من الحضارات التى سادت العالم القديم !

بين الامس واليوم

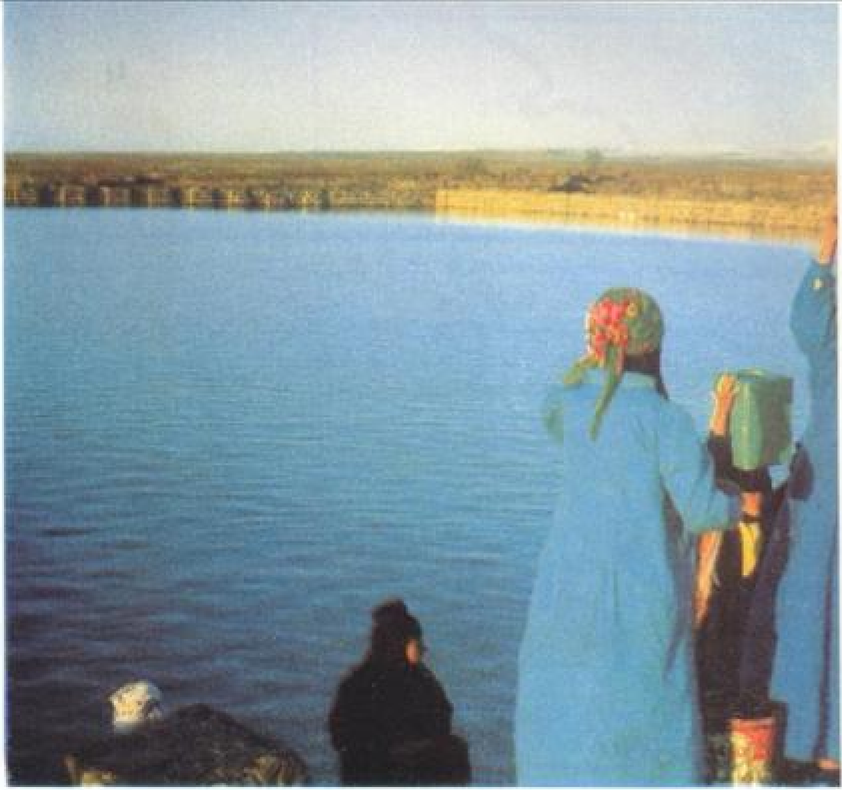
وما أبعد الفرق بين الحياة فى بصرى اليـــوم وبصرى الامس .. بين الهدوء والبساطة اللذين يخيمان على البلدة الآن فى القرن العشرين .. وبين ما كانت عليه الحياة من ازدهار وحضارة وعمران فى القرون الاولى !

فالحياة فى بصرى اليوم هادئة مثلها فى ذلك مثل الحياة فى أية بقعة من بقاع الريف ، بكل ما فيه من جمال الطبيعة وبساطة العيش ، وسماح الخلق .. الميزة الوحيدة التى تنفرد بها بصرى هى وجود تلك الآثار التاريخية التى خلدت عبر القــرون .. وهى التى جعلت منها اليوم مركزا سياحيا ممتازا يحرص العرب والاجانب على زيارته اذا ما جاءوا الى سوريا .. وهذه الميزة نفسها هى التى دفعت المسئولين الى الاهتمام ببصرى كبلدة صغيرة .. ثم الاهتمام بها كمركز سياحى من الطراز الاول. وتقوم دائرة البلدية الآن بالاشراف على أعمال الانشاء والتعمير وانارة الشوارع بالكهرباء وامدادها بمواسير المياه العذبة ..

وفى بصرى اليوم ثلاث مدارس ابتدائية تابعـة لوزارة التربية والتعليم، ومدرسة متوسطة خاصة، كما يوجد بها أيضا مستوصف حكومى ومخفـر للشرطة وسوق صغير يمد الاهالى بكل ما يحتاجون اليه من غذاء وكساء .

نســاء بصرى

وثمة ظاهرة لفتت أنظارنا ونحن نتجول بـين آثار بصرى .. وهى جمال نسائها اللواتى كنـا نلتقى بهن فى كل مكان نذهب اليه ، وهن يحملن الاسطال (جمع سطل) ، وهى كلمة عربيـة معناها اناء لنقل المياه . أما الماء الذى امتلأت



« البركة الشرقية » : وهى أكبر خزانات المياه التى يوجد عدد كبير منها فى بصرى ، وهى تمتلىء بمياه الأمطار المتساقطة فوق الجبال ، وتصل اليها من طريق قنوات طويلة .. ومن هذه الخزانات تملأ نساء بصرى أسطالهن بالمياه التى يسقين بها ماشيتهن .

الى أسفل : صناعة السجاد ، هى الصناعة الوحيدة التى تشتهر بها بصرى اليوم .. وقديما كانوا يصنعون السيوف وأسلحة القتال .. ولكن هذه الصناعات اندثرت الآن ويقوم بصناعة السجاد عدد كبير من فتيات بصرى المدربات .







الى أعلى : تعتمد الزراعة في بصرى على مياه الأمطار .. ويعمل معظم أهالي البلدة في الزراعة باستثناء عدد قليل ممن فضل التجارة في المحصولات الزراعية التي تنقل الى أسواق دمشق بالقطار. وأرض بصرى طيبة صالحة لزراعة الحنطة والزيتون والعنب

أحد المحال التجارية في بصرى ، وهي تبيع للجمهور الأقمشة والمواد الغذائية والحبوب، وغير ذلك من السلع الاستهلاكية التي تصل الى البلدة من دمشق والمدن المجاورة بالقطار.



منزل أسرة في بصرى ، وهى
وزوجته وطفليهما .. وقد
القديمة التى شيد بهـا



رجلان يرفعان حجرا لينقلانه الى حيث يقومان ببناء بيتهما الجديد
.. فلا يكاد أحدهم يفكر في بناء بيت حتى يسرع الى الاحجار القديمة
التي امتلأت بها بصرى، ليبنى بها بيته الجديد على أنقاض البيوت القديمة

به تلك الأسطال فقد جاء من الخزانات المنتشرة فى البلدة ، وحملته نساء بصرى ليسقين به ماشيتهن .

ومواكب النساء حاملات الاسطال لا تنقطع طوال اليوم ، والذهاب الى الخزانات سعيا وراء الماء ، هو اول عمل تقوم به المرأة فى الصباح ، وآخر عمل تختتم به يومها بعد نهار حافل بالنشاط والحركة !

كنا نقف حول كومة من الحطب اشعلنا فيها النار بحثا عن الدفء ، فقد كانت درجة الحرارة تحت الصفر ، اذ جاءت زيارتنا لبصرى فى الشتاء، ولكننا كنا وحدنا نحس بالبرد ، فلم تتوقف مواكب النساء لحظة واحدة .. لقد امتلأ الطريق الرئيسى المؤدى الى الخزان بنساء المدينة اللواتى كن يرحن ويجئن حاملات « الأسطال » المليئة بالماء فوق رؤوسهن .. وقطرات المياه تتساقط على ملابسهن التى ابتلت كلها او بعضها دون أن يعرنها اهتماما!

خزانات المياه

وفى بصرى عدد كبير من خزانات الماء ، أهمها واكبرها ما يسميه الاهالى بالبركة الشرقية، ويليه الخزان المسمى «بركة الحاج»، والاول يقع على مسافة قصيرة من بداية الطريق الموصل الى السويداء ، عاصمة جبل العرب ، أو جبل الدروز ، وتظهر جدرانه الشرقية للزائر من قرب جامع المبرك ، وسيأتى الحديث عنه فيما بعد . وشكل هذا الخزان مربع ، ويبلغ طول ضلعه ١١٢ مترا ، وارتفاع جداره الذى شيد بأحجار البازلت حوالى ستة أمتار .

وقد بنى العرب هذين الخزانين اللذين تتجمع المياه فيهما وفى غيرهما من خزانات صغيرة ، بفضل السيول التى تتساقط على الجبال وتصل اليها بواسطة القنوات القديمة التى شيدت بالأحجار والتراب .



تألف من الاب والام وابنهما
لهرت الحجارة الاثرية
لبيت وكل بيوت البلدة .

بلد زراعي

وما دمنا قد تحدثنا عن الماء ، فلا بد لنا أن نتحدث عن الزراعة . وأرض بصرى صالحة للزراعة ، وهى تعتبر من أجود الاراضى الزراعية فى تلك المنطقة .وتعتمد الزراعة فيها على مياه الأمطار ، كما يوجد بها نبع يسمونه نبع «الجهير» وهو يكفى لتزويد سكان المدينة بمياه الشرب .

ويعمل معظم أهالى بصرى فى الزراعة ، الا أن هناك نفرا قليلا منهم يشتغل بالتجارة حيث تباع فى أسواق البلدة محصولات القرى المجاورة خلال أشهر الصيف . ويتم نقل هذه المحصولات الى دمشق بالقطار ، فهناك خط حديدى يربط بين بصرى وبقية أنحاء البلاد .. ويقوم القطار بثلاث رحلات فى الاسبوع فى أيام السبت والثلاثاء والجمعة. كما يوجد أيضا خط « أوتوبيس » منتظم يمر بدرعا التى تبعد حوالى اربعين كيلومترا عن بصرى عن طريق السويداء فى جبل العرب .

عادات وتقاليد

واهل بصرى يعيشون على التقاليد التى توارثوها عن آبائهم وأجدادهم منذ مئات السنين .. وهم قوم كرماء يحتفون بالضيف ويكرمون وفادته ، ويستقبلون الغريب فى بيوتهم ويشعرونه بانه ينزل وسط أهله وذويه .

وقد استقبلنا الحاج حامد مصطفى المقداد ، ويلقبونه « بأبى سعيد » فى المضافة ، حيث كان يجلس وسط رجال بصرى وشبابها من ضيوفه الذين لا ينقطعون عن زيارته ليستمعوا اليه وهو يقص عليهم ذكريات حياته الطويلة التى ناهزت التسعين ! لقد تزوج الحاج أبو سعيد من أربع نساء رزق منهن بتسعة أولاد وتسع بنات .. كلهم تزوجوا .. وكلهم يعيشون مع ازواجهم الآن فى بصرى .

والحاج أبو سعيد رجل وقور يجله أهل البلدة ويحترمونه ، وكان أخوه عبد اللطيف المقداد نائبا عن بصرى فى المجلس النيابى بدمشق ، وقد نجح خلال هذه النيابة فى ان يلفت أنظار المسئولين الى أهمية هذه المدينة الأثرية .

الزواج في بصرى

وفى «مضافة» الحاج سعيد،دعانا أحد الحاضرين لحضور حفل زفاف أحد أقاربه فى بصرى .. ومن تقاليد أهل القرية ، « معذرة أقصد البلدة » ، أن يستمر الحفل سبعة أيام وسبع ليال . يستقبل العروسان فيها المهنئين من الاقارب والاصدقاء والجيران .. وترقص العروس مع عريسها ، رقصة « المحرمة » أو « المنديل » ، وتنحر الذبائح ويأكل المدعوون الحلوى ويشربون « شربات » العروس !

قال لنا العريس وهو مزارع يدعى فيصل مقداد: « اننى فى الثلاثين ، أما عروسى « نايفة » فلم تتجاوز بعد الخامسة عشرة من عمرها . وهكذا تتزوج كل بنات بصرى فى هذه السن المبكرة .. أما المهر الذى دفعه « فيصل » لعروسه ، فهو ألفان من الليرات السورية ، أى ما يوازى مائتى دينار كويتى تقريبا ! ولا بأس من الزواج المبكر ، ولكن الذى يسترعى النظر حقا هو أن يصل سن العريس الى ضعف سن العروس !

الصناعات في بصرى

وتركنا العروسين يكملان الاحتفال بزواجهما ،



رجال بصرى فى «المضافة» ..والمضافة قاعة كبيرة يخصصها الاهالى فى بيوتهم لاستقبال الضيوف وفيها تقدم لهم القهوة « المرة » ويدخنون النرجيلة .. والصورة تمثل مضافة الحاج مصطفى المقداد من كبار رجال البلدة.





المسجد العمري ، وهو من أروع الآثار الاسلامية رغم قدمه .. وهو أول مسجد بناه المسلمون في سوريا عند الفتح الاسلامي أيام عمر بن الخطاب ، وقد سمي بالعمري ، نسبة اليه .

عروسان من بصرى ، والعريس مزارع في الثلاثين وعروسه في الخامسة عشرة .. وتتزوج معظم فتيات بصرى في سن مبكرة ، ويدفع العريس مهرا يصل في المتوسط الى الفي ليرة اى ما يوازي مائتي جنيه استرليني ، وكلما صغر سن العروس ارتفع مهرها .



شارع في بصرى .. وشوارع بصرى صغيرة وضيقة ، وقد رصفت كلها بالاحجار الاثرية .. وهي من نفس الأحجار التي شيد بها الأهالي منازلهم الجديدة ..

وخرجنا نجول بأرجاء بصرى ، وقادنا مرافقنا الى مصنع السجاد ، ويعمل فيه فريق من الفتيات المدربات على هذه الصناعة التى تكاد تكون الصناعة الرئيسية فى بصرى . فقد اشتهرت البلدة قديما بصناعة السيوف وأسلحة القتال .. ولكن هذه الصناعة ما لبثت أن اندثرت ، واصبحت الابسطة هى أهم ما ينتجه أهالى بصرى ..

الجامـع العمـرى

وتركنا الحياة الجديدةفى بصرى ، وذهبنا لنعيش لحظات مع آثار بصرى القديمة ، تلك التى صمدت لعوامل الزمن وتحدت القرون ، ووقفت شامخة تطل علينا عبر التاريخ .. وما أكثر ما شاهدناه من آثار تنطق بمجد بصرى وعظمتها !

ان هذه « البلدة » ، اصبحت اليوم مركزا سياحيا عالميا ، حتى انهم يقولون : « ان من يزور سوريا ولا يرى بصرى ، فهو لم ير شيئا فيها !! »

فالبلدة تزخر بالآثار العربية والاسلامية القديمة التى لا تزال تحتفظ بكل تفاصيلها المعمارية الدقيقة ، وهيكلها الاصلى القديم .. ومن هذه الآثار الجامع العمرى ، وهو أول مسجد بناه المسلمونفى سوريا عند الفتح الاسلامى أيام الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد سمى بالعمرى نسبة اليه ، ويسميه الأهالى جامع « العروس » ، ولو أن أحدا لم يشرح لنا سر هذه التسمية الأخيرة !

وقد كان الجامع قبل الاسلام هيكلا وثنيا صغيرا، فحوله المسلمون الى مسجد بعد توسيعه ، ولا تزال جميع أعمدته ثابتة فى مكانها الأصلى بالرغم من اجراء عدة ترميمات فيه . وقد ظهرت على بعض الأعمدة كتابات يونانية ، وعلى البعض الآخر كتابات عربية ونبطية تمثل عهودا مختلفة . أما مئذنته ذات الشكل المربع ، فيرجع تاريخ انشائها الى القرن الثانى عشر بعد الميلاد ، عندما بلغ المسجد ذروة توسعه .

وقد كشفت أعمال التنقيب التى قامت بها مديرية الآثار عن آيات من القرآن ونقوش وكتابات

نساء بصرى في طريقهن الى خزان المياه ليملأن من مياهه أسطالهن ..
ان هذا هو أول عمل يقمن به في الصباح وآخر عمل لهن قبل أن يأتي المساء .



عربية على أعمدة المسجد ، ومن بين الآيات التى ظهرت على جدران « المصلى » ، « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وكذلك آية الكرسى ، وآيات اخرى كثيرة .

دير الراهب بحيرا

وفى مقدمة الآثار التى يزورها العرب من مسلمين ومسيحيين فى بصرى ، دير الراهب بحيرا ، وهو معبد من أقدم معابد المسيحيين فى سوريا ، فقد بنى على الطراز الرومانى « بازيليكا » ولذلك فمن المعتقد انه شيّد فى مطلع القرن الرابع بعـــد الميلاد ، فوق انقاض بناء أقدم منه . وقد أسماه أهل بصرى ، دير الراهب بحيرا ، ليتذكروا دائما اسم ذلك الراهب النسطورى بحيرا الذى عاش فى بصرى فترة قصيرة قبل ظهور الاسلام بأعوام قليلة ، فقد قابل الراهب النبى محمد «صلعم» عندما جاء الى بصرى وهو صبى صغير فى صحبة عمه ابى طالب .. وما كاد بحيرا يرى الرسول ، حتى التفت الى عمه وقال : « ارجع به الى بلدك واحذر عليه من اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ، ليبغينه شرا كبيرا ، فان له شأنا عظيما » فخرج به عمه حتى اقدمه مكه .

مبرك الناقة

وما دمنا نتحدث عن زيارة النبى « صلعم » لبصرى ، فلا بد أن نشير الى جامع « مبرك الناقة» الذى اقترن اسمه بذكريات تاريخية متعاقبة . فقد شيّد هذا المسجد فوق المكان الذى بركت فيه ناقة الرسول التى حملت أول نسخة من القرآن الى سوريا حيث حفظت فيه . والى جانب المسجد اقام المسلمون العرب معهدا ثقافيا ،ويروى انه شيد فوق الارض التى اقام عليها الرسول عندما جاء الى بصرى وهو صبى .

وقد تخرج فى هذا المعهد عدد كبير من العلماء وائمة المسلمين .

آثار الانباط

وقد ترك الانباط من العرب الاوائل الـــذين اقاموا دولتهم فى بصرى قبل الاسلام .. تـركوا كثيرا من آثارهم فى العاصمة القديمة ، فهنـاك البوابة النبطية التى تتوسط البلدة على أحد جانبى اطول شارع فيها ، ويسمونه « الشـارع الطويل » . فقد بقى هذا الشارع ، كما هو منذ مئات السنين ، فقامت المنازل على جانبيه وتهدمت .. وجاءت أجيال وذهبت أجيال .. وتعاقبت الغزوات والحروب ..وبقى الشارع كما هـــو يحكى تاريخ بصرى التى غزاها الرومان فى عـام ١٠٦م . ويؤكد علمـاء الآثار أن ثورات عنيفـة وقعت فى بصرى ، مقر الدولة النبطية فى ذلـك الوقت عندما دخلها الغزاة الرومان ، ذلك ان بصرى كانت تقف عقبة دائما فى سبيل زحف الرومان ، حتى واتتهم الفرصة أخيرا ، فاحتلوها بقيادة القائد الرومانى كورناليوس بالما Cornalius Palma ، وبذلك وضعوا نهاية للحكم النبطى .

أربـع ولايـات

وقد أصبح هذا القائد حاكما لبلاد الانبـاط ، التى أصبحت بدورها امبراطورية اطلق عليها اسم الولاية العربية Provincia Arabia ، وراح

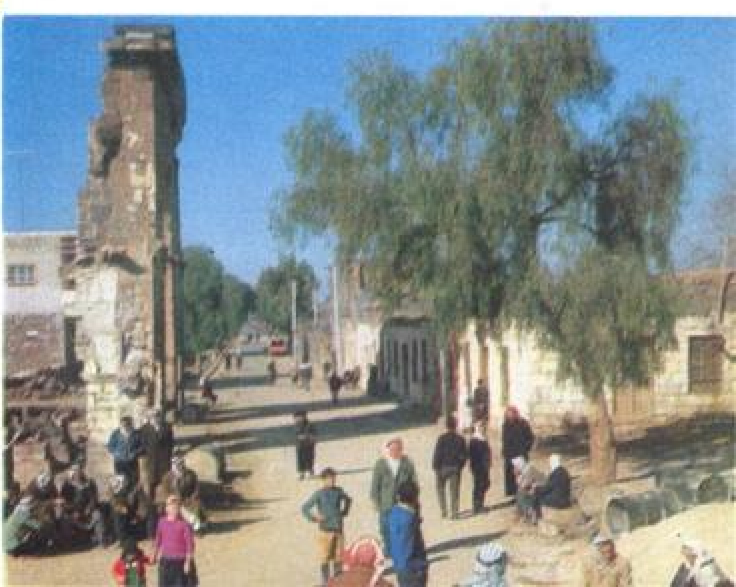


فى الاصيل يخرج شباب القرية للنزهة .. وفى الصورة زوجان شابان ، لم يحتمل الزوج البرد حيث هبطت درجة الحرارة الى ما تحت الصفر فغطى وجهه « بالحطة » أى الكوفية، بينما سارت زوجته سافرة الوجه تتحدى البرد .

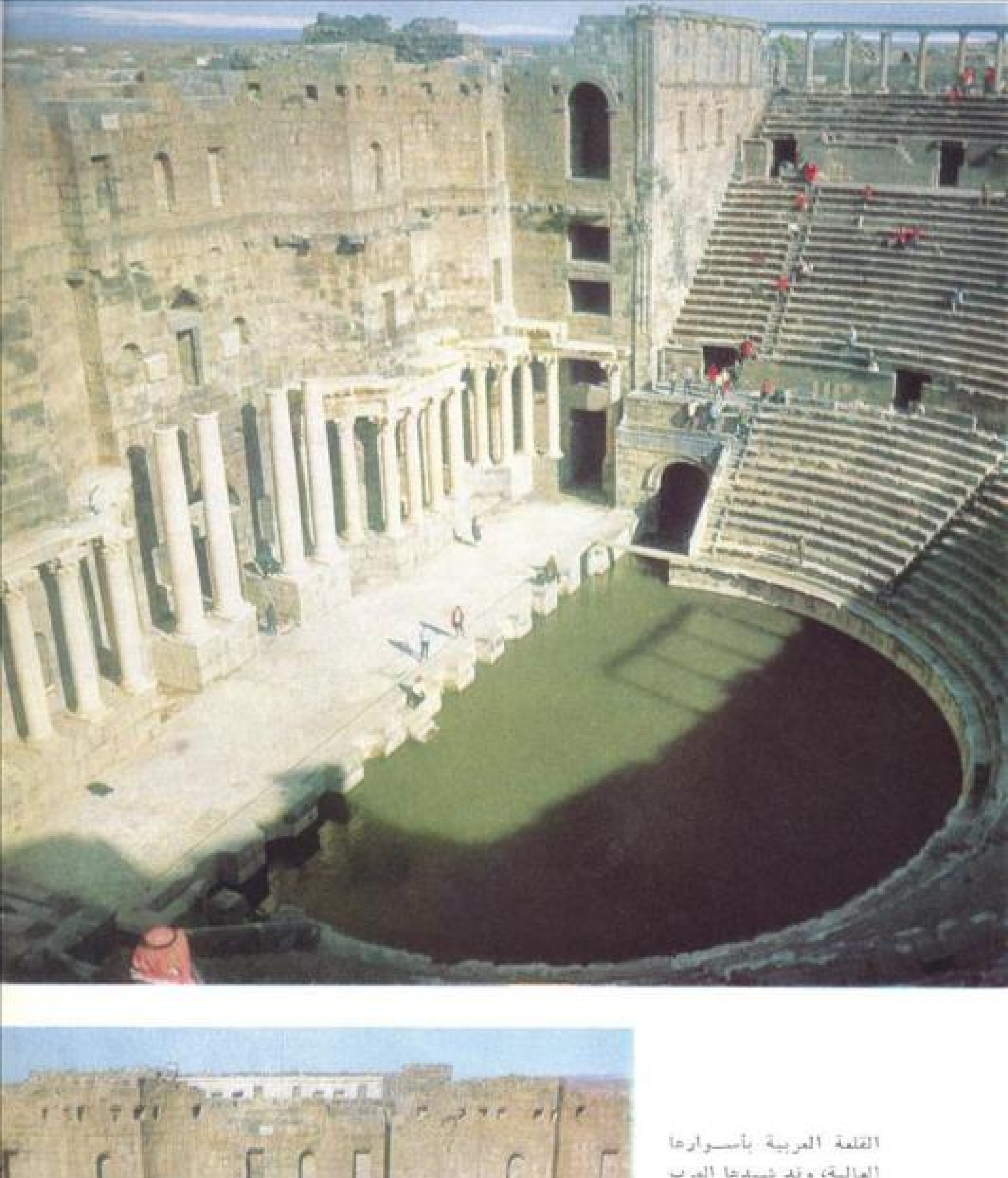




المسرح الروماني الكبير .. وهو أعظم أثر تاريخي في بصرى ، ويتسع لأكثر من خمسة عشر ألف متفرج.. وهو مزيج من الحضارة اليونانية والرومانية .. والغربية والشرقية.ويرجع تاريخه الى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي ، وهو يتألف من ثلاثة طوابق ، كانت ترمز الى طبقات الشعب الثلاث في ذلك الوقت .



أطول شارع في بصرى ، ويسمونه الشارع الطويل، اذ بقي كما هو منذ مئات السنين ، فقامت المنازل على جانبيه وتهدمت ... وجاءت أجيال ... وذهبت أجيال..وتعاقبت الغزوات والحروب على البلدة .. وبقي الشارع كما هو يحكي تاريخ بصرى .





القلعة العربية بأسوارها العالية، وقد شيدها العرب في عهد السلطان صلاح الدين وهي تحيط بالمسرح من كل جانب .. ويرجع الى هذه القلعة الأثرية الفضل الأول في صيانة المسرح الذي يأتي السائحون وطلبة المدارس لزيارته من جميع أنحاء سوريا والعالم .

كبار رجال الدولة الرومانية فى روما يتنافسون على حكمها . فقد كانت سوريا تتألف فى ذلك الوقت من اربع ولايات . الاولى ، مركزها مدينة انطاكية Antioch والثانية مركزها افاميا Afamia والثالثة مركزها مدينة دمشق ، والرابعة مركزها بصرى .

ومن بين الآثار النبطية الفريدة فى نوعها ، العمود النبطى ، الذى يعد نموذجا رائعا للفن النبطى العربى قبل الميلاد ، وقد بقى العمود بقسمه العلوى والتاج الذى يحمله ، أما بقية اجزائه ، فقد شيدت عليها البيوت الجديدة التى ازاحت القديم عن الطريق لتفسح مجالا للحياة الجديدة . ويعتبر هذا العمود خير دليل على حضارة العرب ، كما بنى الانباط ايضا سور مدينة بصرى القديمة الذى تهدم معظمه ، ولم يبق منه سوى البوابات الكبيرة وهى ثلاث أهمها بوابة « الهوى » ، أو البوابة الرئيسية . وهى أول بناء أثرى يستقبل الزائر القادم بالسيارة عن طريق درعا التى تبعد عن بصرى بحوالى ٤٠ كيلومترا كما قدمنا .

المسرح الكبير

وننتقل الآن الى أعظم بناء اثرى فى بصرى ، وهو المسرح الكبير الذى شيده الرومان ويعتبر اكبر وأعظم مسرح متكامل بعد مسرح الكوليزيوم فى روما . فهو يتسع لأكثر من خمسة عشر الف متفرج ، وهو مزيج من الحضارة اليونانية والرومانية والشرقية ، ويتجلى فيه فن البناء المعمارى المتأثر بالفن المحلى .

ولا شك أن هذا البناء الضخم رمز لمجد سوريا وخلود لمدينة بصرى . ويرجع تاريخ هذا المسرح الى النصف الثانى من القرن الثانى بعد الميلاد ، وهو يتألف من ثلاثة طوابق ترمز الى طبقات الشعب الثلاث فى ذلك الوقت . وقد اجمع المؤرخون على أن مسرح بصرى هو ارقى مظاهر الانشاء فى فن بناء المسارح . وقد كتب العالم الأثرى الكبير راى Ray ، فى عام ١٨٥٤ ، يقول :

فريق من السائحين يجلسون على مدرجات المسرح الكبير .. انهم يجيئون من مختلف أنحاء العالم لزيارة هذا المسرح الذى يعتبر ثانى أعظم المسارح الرومانية المكتملة بعد مسرح الكوليزيوم فى ايطاليا .





منظر من الجو للقلعة العربية بأبراجها وأسوارها الضخمة ، وهي تحتضن المسرح الكبير من كل جانب .. ان اكتشاف هذا الأثر التاريخي الكبير لم يتم الا بعد أن حصلت سوريا على استقلالها في عام ١٩٤٥.

« انه مسرح كبير .. وهو أعظم وأضخم مما كنا نتوقع لاشباع نهمنا الأثرى » .

وفى المسرح منصة كبيرة للتمثيل وحوض جفت مياهه ، وهو من الأبنية التاريخية القليلة التى حافظت على كامل اقسامها ، وصمدت لكوارث الطبيعة ، وقد أبدع المهندسون الذين صمموه واشرفوا على بنائه فى زخرفته ، فجاء قطعة رائعة من الفن المعمارى القديم .

قلعة الايوبيين

ويحيط بالمسرح قلعة ضخمة ذات أسوار عالية، وقد شيدها العرب فى عهد السلطان صلاح الدين ، فى نفس الوقت الذى بنوا فيه خزانات المياه . ولهذه القلعة يرجع الفضل فى صيانة المسرح كما قال المؤرخ البريطانى المعروف أرنولد توينبى Arnold Toynby الذى زار بصرى ومسرحها وقلعتها وكتب يقول : « لهؤلاء الذين بنوا القلعة العربية يرجع الفضل فى حماية هذا المسرح من الدمار » .

ان المسرح هو أول مكان يقصده السائح القادم الى بصرى . وقد التقينا فيه بعدد كبير من طالبات مدرسة ثانوية بنات بانياس اللواتى جئن فى رحلة بالسيارة من محافظة اللاذقية ، وقطعن المسافة وقدرها ٦٠٠ كيلومتر لزيارة آثار بصرى ، وفى مقدمتها المسرح الكبير .

أعمال التنقيب مستمرة

لقد ظل هذا المسرح والقلعة العربية التى تحيط به مغمورين تحت الأتربة حتى عام ١٩٤٧ ، بعد أن خرج المستعمرون الفرنسيون ، وعادت السيادة لسوريا على أراضيها فى عام ١٩٤٥ ، وعلى اثر ذلك بدات أعمال التنقيب ، وبدات معالم المسرح تتضح شيئا فشيئا حتى ازيلت عنه كل الاتربة ، ولا تزال أعمال التنقيب مستمره حتى اليوم ، وتبدى مديرية الآثار اهتماما كبيرا بالحفريات الجديدة التى يشترك افراد الشعب فى العمل فيها بلا مقابل ، ايمانا منهم باهمية هذا التراث فى سوريا الفنية بآثارها . ■■

منير نصيف

أنباء الطب والعلم والاختراع

العلم فى الغد القريب

● من عادة الصحف العلمية، وغير العلمية ، ان تتنبأ بما سوف يكون في الدنيا من أحداث في اول كل عام . والعام عندهم هو العام الميلادى ، اى اول يناير ، او كما تسميه مجموعة الدول العربية المشرقية الشمالية الاربع : كانون الثاني .

ولست ارى علاقة قائمة بين انباء الغد، كيف تستنبأ، ويتنبأ بها المتنبئون، وبين أول العام الميلادى . فاول العام الميلادى لا يمثل في الطبيعة ، بين كواكب السماء وأجرامها ، شيئا بدأ أو شيئا انتهى . انه محض اعتباط واصطلاح . وكذلك أول العام الميلادى لا يمثل فى المصنوع من العيش ، في حياة الناس ، شيئا بدأ أو شيئا انتهى . فحياة الناس أيام متصلة ، وجوه النشاط فيها قائمة، فليس فيها يوم يقال له هذا بدء ، وليس فيها يوم يقال فيه ، هذا انتهاء .

وكما في حياة الناس ، كذا في حياة العلماء وجهود العلماء ، وما يرجى من اكتشافات العلماء ، نستطيع ان نتنبأ بها العام ، في اى يوم من الايام .

ونبدأ بالطب فنقول :

ما يرجى فى الطب

فى السرطان

● وأول ما نذكر ، نذكر ذلك الداء الوبيل : السرطان .

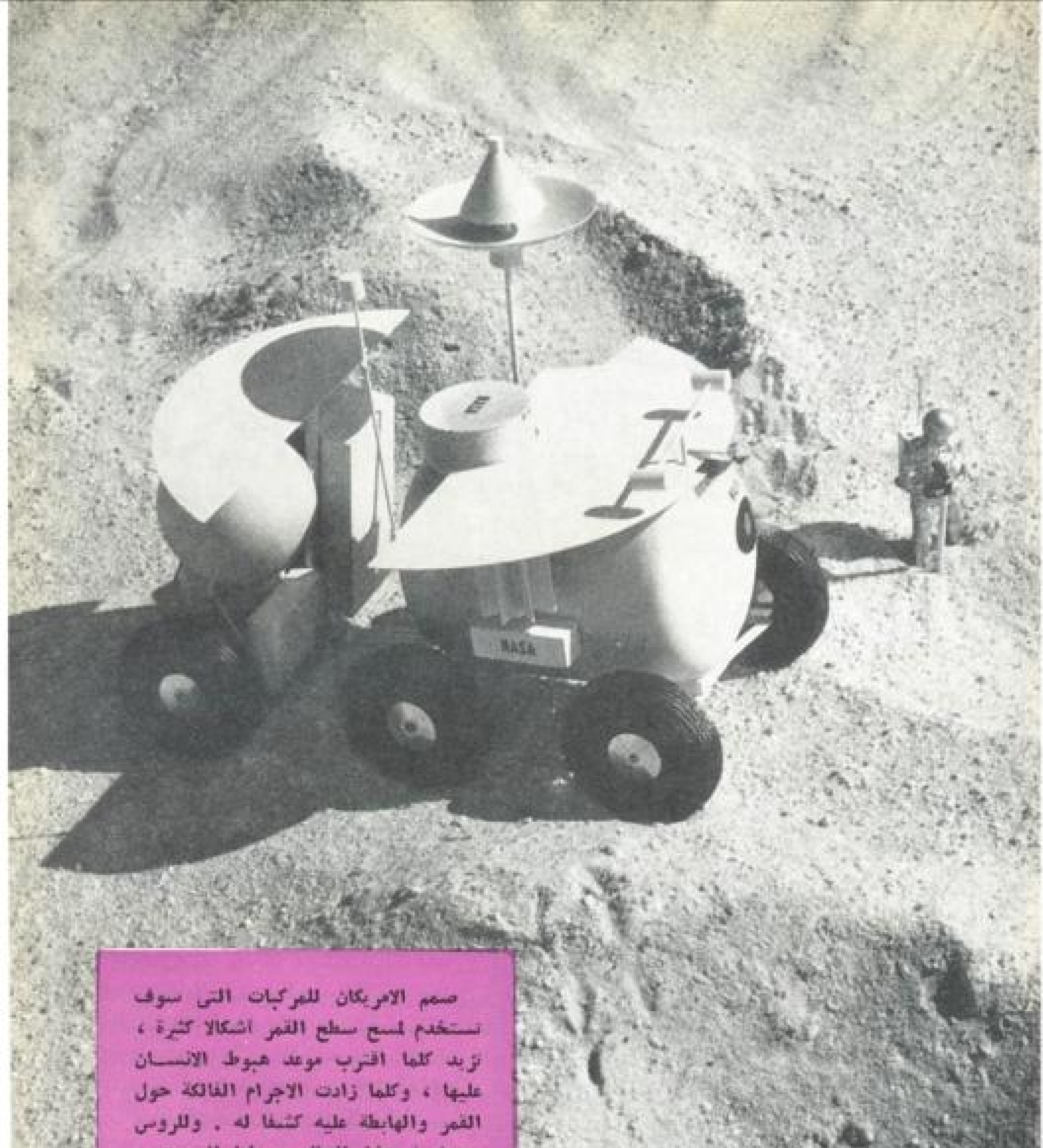
لقد عملت الابحاث الطبية الماضية على الاقلال من خطر السرطان في الكثير من الحالات ، لا سيما في تلك الحالات التي يكتشف فيها الداء باكرا . ومن ذلك التقدم الكبير الذى طرأ في علاج سرطان الثدى وسرطان الرحم . ومن ذلك ايضا سرطان الاشياخ ، ذلك الذى يصيب غدة البرستاتة على الكبر . فقد بلغوا ان استطاعوا ان يطيلوا أعمار كبار السن به سنوات .

ويرجى في امر السرطان في المستقبل القريب تقدم كبير، اما عن طريق التوقى منه ، واما عن طريق علاجه اذا وقع .

فى اللقاحات

● وفي اللقاحات يجرى الآن فى المستشفيات لقاح لمرض النكاف (التهاب الغدة النكفية) Mumps ، ولقاح مرض الحصبة الالمانية Rubella ، وقد يكون من نتيجة ذلك ظهور اللقاحين قريبا في الاسواق ، وقد سبق لقاح النكاف . واللقاحات من الوسائل التى اتجه اليها الطب لدفع الكثير من شرور الداءات المهلكة للانسان . وهى بدات على ما هو معروف بلقاح الجدرى ، ابتدعه الانجليزى الطبيب جنر Jenner (عام ١٧٩٦) .

اما لقاح مرض التهاب الكبد Hepatitis ، فقد توقف مع الاسف البحث فيه . حتى الفيروس الذى فصلوه، وظنوا انه له ، ظهر انه ليس له .



صمم الامريكان للمركبات التى سوف تستخدم لمسح سطح القمر اشكالا كثيرة ، تزيد كلما اقترب موعد هبوط الانسان عليها ، وكلما زادت الاجرام الفالكة حول القمر والهابطة عليه كشفا له . وللروس بحوث فى هذا المجال يحيطها الصمت ، حتى ليخشى ان يكون بها الروس الى الهبوط على القمر اسبق .

ما يرجى فى الفضاء

● ستكون العشرة الاشهر القادمة او نحوها تحضيرا لتنفيذ مشروع ابولو الذى سيتم على ما هو مقدر الآن فى يوم من ايام عام ١٩٦٨ . ذلك المشروع الذى هدفه انزال رجال على سطح القمر .

ان مركبات الفضاء التى ارسلتها الولايات المتحدة الى القمر، سواء هبطت عليه هبوطا رخيًا، او دارت حوله تصور من سطحه ما تصور ، جاءت عن القمر وسطح القمر بمقدار من المعلومات كبير . ولهذا اختصرت الولايات الكثير مما كانت تزمع ارساله الى القمر لكشف احسن

موقع يهبط عليه رجال الفضاء .
وشارك الروس فى بعض هذا ، ولكنهم سكتوا طويلا . والأمريكان فى خشية من هذا السكوت الذى يسبق العاصفة . والعاصفة هنا هي خروج الروس باشياء فى الفضاء جديدة يكون من شأنها ان يسبق الروس الأمريكان فى بحوث الفضاء بعدة اعوام .

والمسألة عند الأمريكان اصبحت مسألة هيبة وكرامة وحسن سمعة فى العالم .

كذلك المركبات الفضائية الفالكة (التى تجرى فى فلك) حول الارض . هذه زادت كثيرا ، وتعددت اغراضها . فبعض للبحث العلمى للمجالات التى تطوق الأرض ، وبعض للمواصلات اللاسلكية التى تعكس ما يصلها من ذلك من الارض الى الارض . وبعض لحمل المختبرات الى الفضاء . وبعض لحمل المراصد لرصد السماء فوق ما على الارض من اجواء . كل هذا سيزيد . والناقص هادف الى تمام . والقليل هادف الى كثرة .

ومن اكثر ما يرقبه العلماء ، علماء الفلك، ذلك المرصد الفالك الذى سيصفو الجو بينه وبين السماء فينقل عنها صورا اصدق .

وقد لا يمضى الزمن الطويل حتى نرى السماء وقد ارتشق فيها جرم فضائى هنا ، وجرم فضائى هناك ، اعداد كثيرة من هذه الأجرام تنقل الى اهل الارض برامج التلفاز تأتى من كل قطر .

وفى الطيران

● وفى الطيران نرى الامريكان جادين فى انتاج تلك الطائرة الهائلة التى تحمل المئات وتسير بهم بسرعة قاربت ان تكون كسرعة الصوت ثلاثة امثال. تنقل الناس والبضائع فى زمن قصير تكاد تنافس فيه سرعة الشمس فى السماء . وهم يسمون طائرتهم هذه SST ، وهى اختصار Supersonic Tarnsport اى الناقلة فوق الصوتية .

وانجلترا وفرنسا جادتان فى المنافسة بانتاج طائرتهم المعروفة الآن باسم كنكورد Concorde اى الوفاق . وهى كطائرة الأمريكان الا انها اصغر حجما واقل سرعة ، وسرعتها كسرعة الصوت مرتين .

والظاهر ان الانجليز والفرنسيين سيسبقون . وفى هذا خطر على المشروع الآخر كبير ، لأن الطائرة السابقة ستكون اسبق الى الاسواق يشتريها كل من شاء من شركات الطيران فى الأرض .

ويتحدثون عن الروس ، انهم فى سبيل اخراج طائرة هائلة، تسير بسرعة الصوت ٢٫٣ مرة .

فى الفلك
أشباه النجوم

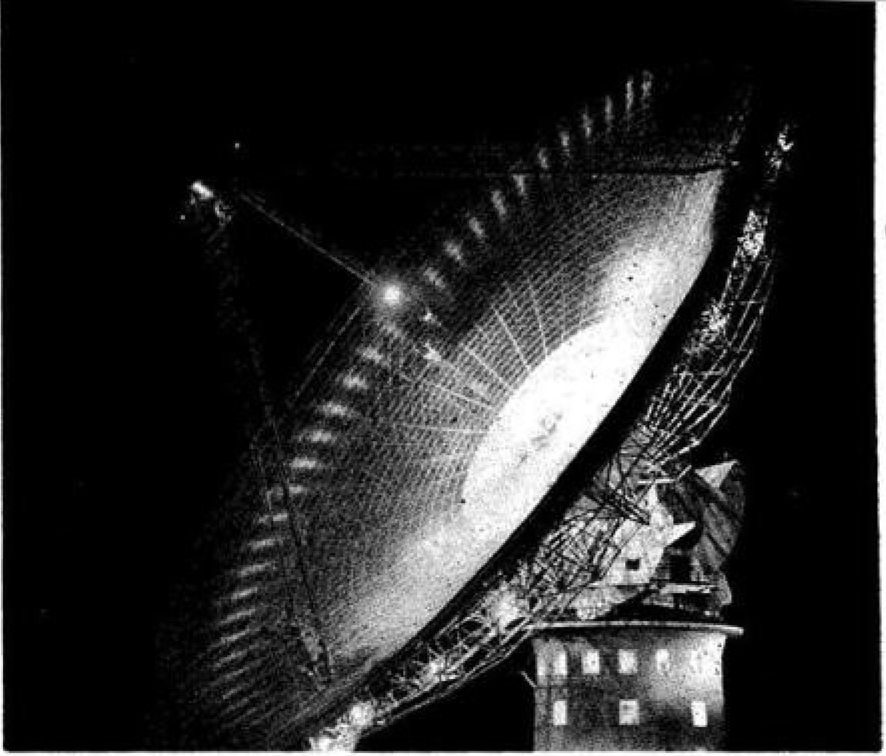
● ومن أول ما يهتم به علماء الفلك تلك الأجرام التى اكتشفت حديثا فى السماء واسموها بالكوازار Quasars واصلها Quasi-Stars اى اشباه النجوم . وهى اجرام كشفها العلماء فى السماء حديثا، تراءت لهم اكبر من النجوم واصغر من المجرات فسموها هذا الاسم الغريب الجديد . كان لابد هناك من اسم ، واى اسم خير من لا اسم . وهذه الاجرام الغريبة هى من همّ علماء الفلك اليوم فى الصميم . انها أجرام كشفوا الى اليوم منها العشرات . والجرم منها من اشد اجرام السماء نورا ، ولكنه كذلك من أكبرها بعدا ، حتى قيل انها ابعد جرم فى السماء تكشّف للباحثين . وحسبوا ضياء بعضها، بالرغم من بعدها، فهى تسكن أطراف السماء النائية ، فوجدوه يساوى ضياء الشمس ترليون مرة . والترليون فى لغة الامريكان والفرنسيين هو مليون مليون . ثم اخذ العلماء الأحدثون يقاصرون من هذه المسافات، ويرون عكس ما رأى سابقوهم .

الاشعة السينية والجيمية

● ومما يقع فى هم علماء الفلك اليوم



هذا نموذج صنعوه بالحجم الكامل للطائرة الامريكية الضخمة بوينج SST Boeing التى يُصمَّم لها الآن وتتهيأ للطيران بعد سنوات قليلة ، تحمل ٢٧٦ راكبا ، وتطير على ارتفاع يعلو الى ٦٤٠٠٠ قدم ، وبسرعة تصل الى ٢٫٧ من سرعة الصوت. وشكلها كالسهم . وفي الصورة ثلاثة مواضع للجناحين المتحركين ، أخذت بالفوتغرافية ، الوضع الاقرب للجناحين يستخدم للارتفاع بالطائرة والهبوط بها ، والوضع الاوسط لهما للطيران بسرعة دون سرعة الصوت ، والوضع الابعد لهما للطيران بسرعة ما فوق الصوت . وبهذه الطائرة ستنافس أمريكا الطائرة كنكورد التى تصنعها فرنسا وبريطانيا . ولن تبلغ الطائرة الفرنسية البريطانية حجم الطائرة الامريكية ولا سرعتها كما ذكرنا في الصفحة الماضية .



صورة مما يعرف بالتلسكوب الرديوى ،وبه اكتشفت الامواج اللاسلكية التى تاتى من السماء ، وعرف فيما بعد انها تاتى من مواضع للنجوم معروفة . وكان الكشف الجديد عن الاجرام المسماة اليوم باشباه النجوم او الكوازارات احد نتائجهـا .

وغدا ما كشفوه فى السماء حديثا ، من نقاط فيها ، تخرج منها اشعة كبيرة الطاقة تقع من الطيف حيث تقع الأشعة السينية واشعة جـ او جاما . وهم يخططون اليوم لبناء وعاء مقعر ، قطره ٢٤ قدما ، يبطنه الزجـاج ، اشكالا سداسية قطرها قدمان ، وذلك لالتقاط ما فى الجو من هذه الأشعة ، لتكون دليلا على مصادرها الأولى .

وأصل الحيـاة

● ومن هم الفلكيين كذلك أصـل الحياة ، وكيف نشأت على هذه الأرض . وعندهم شيء كالايمان بأن هذا الكون لا يخلو من كواكب كالأرض انتعشت وتنتعش على سطحها الحياة ، فهم دائما واقفون بالمرصاد لأى دليل يدل على ذلك .

والتلسكوبات فى المراصـد تتحول الى كمرات فوتغرافية الكترونية

● ونشير بذلك الى الانبوب الالكترونى Electronic Tube الذى أضافوه الى التلسكوبات فجعلها تخرج مما تصور من اشياء السماء صورا أكثر وضوحا وابين تفصيلا . انه حـدث من كشوف العلم حديث ، يتضمن نصرا عظيما .

وقد قام او يقوم العلماء باضافة هذا الأنبوب الى التلسكوبات القائمة فى ١٣ مرصدا ، وأثر هذا فى النتائج المرجـوة لا شك سوف يكون عظيما .

وعلم الارض

● وهو علم ذو أغراض شتى . ومنه ما يتصل بالموارد .

ومن أول الموارد ، واخطر الموارد ، واعز الموارد ، الماء .

فى المـــاء

والى الماء سوف يتجه اهتمام العلماء ودليل ذلك مؤتمر دولى مفروض انه يقع فى شهر مايو من هذا العام ، ويجتمع فى وشنجطن . واسمه مؤتمر « الماء للسلم » ينظر فيه المؤتمرون الماء ، مصادره ، وحفظه ، واستخدامه ، وسوء استخدامه ومن اخطر ما سوف ينظر فيه العلماء كيف يستجدون للماء مصادر جديدة وقد بدا يعز الماء فى العالم وينذر ، وينذر بالوبال فى كثير من بقاع الأرض . وفى مقدمة هذه الوسائل تحلية ماء البحار . ومن طريف ما يفكر فيه المفكرون تلك المقادير الهائلة من الثلوج فى قطبى الارض ، شماليها وجنوبها ، وهى من ماء حلو ، لماذا لا تنقل الى سائر بقاع الأرض بالأنابيب وغيرها .

وفى الزلازل

● ويتجه العلماء ، او سوف يتركزون اكثر ، على درس الزلازل ، تلك التى دمرت من الارض والناس فى هذه السنوات الأخيرة ما دمرت ، واشاعت من الشقاء والبلاء ما اشاعت .

انها تنزل بالناس بغتة . فلو انهم قد انذروا قبل وقوعها بزمن لاستطاعوا انفكاكا .

والعلماء فى سبيل استنباط وسائل اكثر حسا لهزات الأرض مما عندهم اليوم . ان كثيرا من الناس لا يدركون ان للأرض هزات آلافا لا يحسون بها لأنها صغيرة لا تدرك ، ولكن تدركها الاجهزة الدقيقة . والهزات تتراكم ، وتتصاعد قبل ان تكون صارخة .

وفى البحـــار

● وفى البحار سيزداد العلماء توغلا وسوف يزيدون سكنى لأعماقه يبحثون ويدرسون . فقد اتضح ان فى البحار واعماقها وقيعانها من الغذاء ، ومن ركائز الأرض ، أشتاتا .

وفى الكيمياء

● وفى الكيمياء ، وهى واسعة متشعبة تكاد لا تترك فرعا من فروع العلم الا دخلته ، سوف يزيد العلماء انتاجا ، وسيكون فى الطليعة من ذلك تلك الكيمياء المتصلة بأصل الحيـــاة فى الخـــلايا وبالأحماض النووية بالخلية ، وصلة ذلك بالانسان ، وكذلك صلة كيمياء المخ بالذى يعتريه من ذكاء وخمول ، وكذلك من مرض .

وفى اللدائن

● وهى فرع من الكيمياء ، ينتظر فيها أن يزيد الجديد منها فوق ما كان . ولكل صفات بديعة .

وكذلك ستزيد البحوث التى تخرج لنا خيوطا جديدة للنسيج ، سوف تؤثر ، ولا شك ، فى صناعة الغزل والنسج على الأيام .

وفى الذّرة

● سيبدأ الاستعداد للتخطيط لبناء المعجل الضخم الهائل Accelerator التى تنوى الولايات المتحدة ان تنشئه وتنفق فيه الملايين ، ليكون اقوى معجل يقذف بالوحدات التى منها تتالف نواة الذرات (وهى هنا الوحدة الموجبة ، البروتون) بسرعة هائلة ذات قوة ضخمة تنال بها الذرات فتفتتها تفتيتا .

والفلت Volt المقدر لهذا المعجل ٢٠٠ الف مليون فلت الكترونى .

خاتمـــة

● **هذه بالطبع كلمة عابرة خاطفة لمسنا بها بعض ما هناك ، لمسا خفيفا . وذكرنا القليل الأقل ، وتركنا الكثير الأكثر . ولكن فى هذا بلاغ .** ●●

كتاب البديع

بقلم : الدكتور محمود السمره

أستاذ النقد والبلاغة بالجامعة الاردنية

■ مؤلف هذا الكتاب ، عبد الله بن المعتز ، خليفة ابن خلفاء .

وقد كانت حياته مزيجاً غريباً من السعادة والشقاء ، من أولها الى آخرها : فقد ولد قبل مقتل جده الخليفة المتوكل باربعين يوماً . وبعد مقتل المتوكل لقى ابناؤه الكثير من الاضطهاد ، ودارت الأيام ، فاذا بالمعتز ، والد المؤلف ، يصبح خليفة ، وهو شاب لم يعد العشرين من العمر . ويجمع المؤرخون على أن المعتز كان أجمل الخلفاء العباسيين وجهاً ، وأحسنهم شكلا ، واصفاهم طبعاً ، واكثرهم اقبالا على متع الحياة . وهو شاعر يُرْوَى له شعر جيد .

وقد وصل المعتز الى الخلافة بغدره بالخليفة المستعين ، ثم قتله شرَّ قتلة ، ولكنه لم يلبث ان لقى سوء ما صنعت يداه اذ دخل عليه الجند وهو خليفة ، فجرّوه ، واوقفوه في الشمس اللاهبة في صحن القصر ، ثم قتلوه .

ولم يكن عبد الله بن المعتز قد جاوز الثامنة أو التاسعة من العمر عندما قتل والده ، وهكذا نشأ الصبي في هذه البيئة الملوثة بالهموم والاحزان وسفك الدماء . ولكنَّ هذه النشأة بما فيها من بعد عن السياسة ومؤامراتها ، قد اتاحت له الفرصة للاقبال على العلم ، والانقطاع لحياته الخاصة ، وهي حياة جمعت بين الانكباب على التاليف والاقبال الشره على متع الحياة .

وعلى الرغم من أن ابن المعتز قد ابتعد بنفسه عن كل ما يتصل بالسياسة ، الا أن همومها لاحقته ، لتنيله من اذاها مثل ما حلَّ بأبيه وأجداده ، فاذا به يُجَرّ قسراً ليصبح خليفة

تأليف عبد الله بن المعتز

(٢٤٧ - ٢٩٦ هـ.)

لليلة واحدة ، لا يطلع صباحها عليه الا وهو مقتول .

● ● ●

وقد ألف عبد الله بن المعتز كتاب البديع سنة ٢٧٤ هـ ، وسنه اذ ذاك لا تزيد عن سبعة عشر عاما . وقد مكنته من تأليفه ، وتأليف غيره من الكتب اعتكافه بعد مقتل والده المعتز سنة ٢٥٥هـ كما ذكرت .

وكان اول من اقدم على تحقيق هذا الكتاب ونشره ، المستشرق الروسي المشهور اغناطوس كراتشكوفسكي Kratchkovsky ، معتمدا على النسخة الخطية الوحيدة الموجودة في مكتبة الأسكوريال بمدريد . وقد نشر هذا الكتاب في سلسلة جب Gibb بلندن سنة ١٩٣٥ ، والى جانب النص العربي للكتاب نجد دراسة طويلة باللغة الانجليزية . والاستاذ كراتشكوفسكي من كبار المستشرقين الروس ، وحائز على وسام لينين ، وهو مترجم كتاب « الايام » الى الروسية ، وعضو الاكاديمية بلننغراد . ومما يذكر انه قام في الحرب العالمية الثانية ، وتحت وابل القنابل ، بنقل المخطوطات العربية من مكتبة لننغراد الى مكان أمين . وهو مؤلف كتب كثيرة قيمة منها : كتابه عن الجغرافيين العرب ، وكتابه عن المخطوطات العربية ، وكتابه عن الادب العربي الحديث .

● ● ●

والاهتمام بكتاب البديع ومؤلفه ، عند الكتاب العرب المحدثين ، جديد : فنحن مثلا لا نجد لهذا الكتاب ذكراً في دراسة احمد ضيف التي نشرها بالفرنسية سنة ١٩١٧ بعنوان « مقالة في النقد الادبي عند العرب » ، بل نحن لا نجد في هذه الدراسة ذكرا حتى لابن المعتز . كما أن احمد ضيف قد أهمله ايضا اهمالا تامًا في كتابه « مقدمة لدراسة بلاغة العرب » (القاهرة ١٩٢١) .

ومن اوائل من اهتم بدراسة بديع ابن المعتز من الكتاب العرب ، زكي مبارك في كتابه « النثر الفني في القرن الرابع » . ولكنه لم يعتمد في دراسته لبديع ابن المعتز على كتاب البديع ، بل على ما ورد في الكتب القديمة من مقتبسات من كتاب البديع . والغريب الا يطلع زكي مبارك على كتاب البديع حتى يوم نشره دراسته هذه سنة ١٩٣١ ، مع ان كراتشكوفسكي كان قد نشره سنة ١٩٢٥ مع مقدمة له بالفرنسية . وليست الطبعة الانجليزية التي أشرت اليها سوى ترجمة للطبعة الفرنسية .

وفي سنة ١٩٣١ ألقى طه حسين محاضرة في مؤتمر المستشرقين المنعقد في ليدن بهولندة ، بعنوان « الصلة بين البلاغة العربية والبلاغة الاغريقية » وفي هذه المحاضرة تحدث طه حسين عن بديع ابن المعتز ، وميّز بين اتجاهين في البلاغة العربية : الاتجاه العربي ، والاتجاه الاغريقي . وقد نشرت هذه المحاضرة ، فيما بعد ، كمقدمة لكتاب « نقد النثر » (القاهرة ١٩٣٣) الذي اشترك في تحقيقه طه حسين وعبدالحميد العبادي.

● ● ●

وقد تفرّد الاب لويس شيخو من بين الكتّاب جميعا بقوله في كتابه « علم الادب »: انه ليس من الثابت ان كتاب البديع من تاليف ابن المعتز . والرّد على لويس شيخو سهل : فكل المقتطفات الواردة في الكتب القديمة والتي اشير الى انها ماخوذة من كتاب البديع لابن المعتز ، موجودة في هذه المخطوطة الوحيدة : فابن رشيق ينقل عن ابن

المعتز تقسيمات البديع ، والآمدى ينقل عنه مقدمته التى يشرح فيها رأيه في البديع ، وفي كتاب الصناعتين لابى هلال العسكرى مقتطفات كثيرة من كتاب البديع . وكل هذه المقتطفات موجودة في المخطوطة التى حققها كراتشكوفسكى ونشرها .

● ● ●

وواضح من كتاب البديع أن ابن المعتز لم يتأثر فيه بالبلاغة الاغريقية ، وأصالته فيه لا مجال للشك فيها : فهو أولا قد كتبه وهو في مطلع شبابه ، قبل أن يطلع على الثقافات الاخرى اطلاعا يتيح لها الظهور في انتاجه . وهو ثانيا قد كتب هذا الكتاب دفاعا عن عروبته ضد تيار الشعوبية، والثقافات الاجنبية . وهذا ما يجعلنا نرفض قول محمد مندور في كتابه «النقد المنهجى عند العرب» بان ابن المعتز قد تأثر في كتابه بالبلاغة الاغريقية .

يبدأ ابن المعتز كتابه بتحديد غايته من تاليفه ، فيقول : « ليعلم ان بشارا ، ومسلما ، وأباتواس ، ومن تقيّلهم ، لم يَسْبِقوا الى هذا الفن (أى البديع) ، ولكنه كثر في اشعارهم ، فعرف في زمانهم ، حتى سمى بهذا الاسم ، ثم اكثر حبيب بن أوس الطائى منه ، فاحسن في بعض ذلك واساء في بعض ، وتلك عقبى الافراط . وانما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة ، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع .»

ويقول : « وانما غرضنا من هذا الكتاب تعريفُ الناس ان المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شىء من ابواب البديع . »

ويقول : « وما جمع فنون البديع ، ولا سبقنى اليه أحد . »

بهذه العبارات حدّد ابن المعتز غايته من تاليفه كتابه .

ولنا على هذه العبارات تعليق :

امّا ان ابن المعتز لم يُسْبَق الى جمع البديع، فهذا صحيح ، اذ ليس بين أيدينا كتاب في البديع سابق له . ولكن هذا لايعنى ان ابن المعتز هو المبتكر لهذا الفن ، ذلك لان كلمة البديع وردت في مؤلفات من سبقوه ، وكان هذا الفن معروفا قبله . وفَضْلُ ابن المعتز في كتابه انه كان اول من جمع الوان البديع ، وخصص لها كتابا . وله فضل آخر هو أنه لم يجمع فقط أنواع البديع التى كانت معروفة الى زمنه ، بل زاد فأضاف اليها انواعا أخرى كان هو اول من وضع اسماءها.

● ● ●

والبديع عند ابن المعتز يعنى كل ما فى الأسلوب من الوان بلاغية . أما معنى « البديع » كما نفهمه اليوم ، فمعنى متاخر ، جاءنا من السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) عندما قسم علم البلاغة الى : علم المعانى ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، ومعنى البديع هنا : المحسنات اللفظية .

وطريقة ابن المعتز فيكتابه : أن يورد اللون البديعى ، ثم يورد عليه استشهادات من القرآن الكريم ، والحديث النبوى ، وكلام الصحابة ، ثم كلام الاعراب وبلغاء الكتّاب . وبعد ذلك يذكر شواهده من الشعور ،مبتدئا بالجاهلى، فالاسلامى، فشعر المحدثين . فاذا فرغ من هذا انتقل الى الاستشهاد بما عيب من هذا اللون .

والبديع عند ابن المعتز ثمانية عشر نوعا ، هى :

الاستعارة ، التجنيس ، المطابقة ، رد اعجاز الكلام على ما تقدمها ، المذهب الكلامى ، الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، حسن الخروج ، تاكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف ، الهزل الذى يراد به الجد ، حسن التضمين ، التعريض والكناية ، الافراط فى الصفة ، حسن التشبيه ، لزوم ما لا يلزم ، حسن الابتداء .

والأنواع الخمسة الاولى هى البديع الحق عنده ، ولكنه أضاف اليها الأنواع الباقية حتى لا يحتج عليه محتج فيالمستقبل بانه قد أهمل ما حقه الذكر ، وتاكيدا منه على أنها ليست من البديع سمّاها « محاسن الكلام والشعر » . وتعبيرا عن هذا المعنى يقول ابن المعتز : « قدّمنا أبواب البديع الخمسة ، وكانى بالمعاند المغرم بالاعتراض على الفضائل قد قال : البديع أكثر من هذا ، أو قال : البديع باب أو بابان من الفنون الخمسة التى قدّمناها .. لذلك احببنا أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين،ويعلم الناظر انّا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة ، اختيارا من غير جهل بمحاسن الكلام ، ولا ضيق فى المعرفة ، فمن أحبّ أن يقتدى بنا ، ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها

شيئا الى البديع ، ولم يأت غير رأينا ، فله اختياره » .

وقد اثبتت الايام أن تحوّط ابن المعتز كان فى محله ، اذ كثرت الأبواب التى ادخلت فى البلاغة كثرة فاقت ما عدّده ابن المعتز ، حتى جعلها ابن رشيق القيروانى صاحب « العمدة » خمسة وستين بابا من الشعر ، وبلغ بها شرف الدين التيفاشى السبعين ، وزادها ابن ابى الأصبع الى التسعين . وأخيرا جمع منها صفى الدين الحلى مائة وأربعين نوعا فى قصيدة نظمها فى مدح الرسول.

وبلغ من اهتمام ابن المعتز بالفنون الخمسة الأولى ان شغلت من كتابه ثلثيه ، اما الانواع الأخرى فقد وقف عندها وقفات قصيرة .

● ● ●

ونحن اذا نظرنا فى كتاب البديع ، لا نجد فيه لابن المعتز غير تعليقات نادرة ، كأن يشرح كلمة لغوية ، أو يعلق تعليقا عابرا مستحسنا هذا القول أو مستهجنه .

ومع هذا فان للكتاب ميزات كثيرة :

فهو يعكس لنا صورة عن غزارة المصادر الأدبية فى هذه الفترة من تاريخنا : فابن المعتز يستشهد فى كتابه بشعر مائتى شاعر تقريبا ، ولا يستشهد بشعر لشاعر واحد الا مرة فى الغالب .

وهو يدلنا دلالة واضحة على أنّ الاهتمام بالاستشهاد بشعر المحدثين قد بدا منذ القرن الثالث الهجرى ، وبهذا يثبت بالدليل خطأ ما جاء به جولدزيهر وبروكلمان من أن الاستشهاد بشعر المحدثين لم يبدأ الا فى القرن الرابع الهجرى : فابن المعتز يستشهد فى كتابه كثيرا بشعر المحدثين ولا نلمس انه يؤثر عليهم القدماء ، وهو يستشهد بشعر شعراء لا نعرف عنهم الكثير اليوم ، ولكن يبدو انهم كانوا مرموقين فى زمانهم .

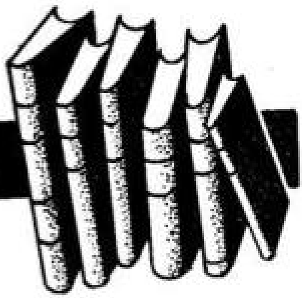
وهو كتاب له قيمة كبيرة فى تاريخ النقد الادبى عند العرب : فهو قد حدّد خصائص مذهب البديع ، وكان أول كتاب فى هذا الموضوع ، ومنه وضع ابن المعتز المصطلحات وحدّد معانيها ، وعليه اعتمد من أتوا بعده كقدامة بن جعفر ، والآمدى ، والعسكرى ، وابن رشيق . كما نقل النقد الى طور جديد يتعدّى الوقوف عند الاخطاء النحوية أو اللغوية ، الى دراسة الصورة الأدبية بما فيها من معانٍ وألفاظ ، أى انه نظر الى الأثر الأدبى ككل ، لا كأجزاء منفصلة .

وهو بأسلوبه يهدف الى تنمية الذوق الأدبى بكثرة ايراده للشواهد ، وما يستشهد به ابن المعتز يدلّ على ذوق رفيع ، واطلاع واسع على ثقافة عصره . ومناقشاته فيه ، على قلتها ، تدلّ على تفهم عميق للغة وأساليبها .

واذا كان لنا من مأخذ على ابن المعتز فى كتابه هذا ، فهو : انه قد أحسّ بالجمال والقبح بذوقه السليم المصقول ، ولكنه لم يبيّن لنا سبب استحسانه أو استهجانه . ■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا



تأملات في الادب والحياة

الناشر : عبد الرزاق البصير
الناشر : مكتبة الامل / الكويت

● مجموعة مقالات واحاديث متنوعة تتناول انماطا شتى من المعرفة منها ما يتصل بأدب الحياة، ومنها ما يتصل بالادب فى الكويت ، الى جانب تحليل وتقييم لبعض الظواهر الادبية لتراثنا القديم، وقد كتبت هذه المقالات فى ازمنة متباعدة، فجاء أسلوبها متفاوتا ، ولذلك يرى المؤلف فى تقديمها نوعا من التعليم للكاتب نفسه ، فربما يقرؤها ناقد نزيه فيرشده الى ما جانبه من صواب او غفل عنه من اخطاء ...

مائة قصيدة من روائع الشعر الحديث

اختارها الشاعر / سيلدن رودمان / ترجمة نادية الياس وسليمان العيسى / مراجعة/زهير مصطفى ـ الناشر : مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومى / دمشق

● **مجموعة قصائد من الادب الاوروبي الحديث لعديد من شعراء أوروبا المحدثين تتناول اغراضا شتى . وقد قسم الكتاب الى أربعة اقسام . القسم الاول ذكر شعراء من وراء الحدود ، والقسم الثانى شعر الرواد ، والقسم الثالث : شعراء عصر الهجاء ، والقسم الرابع : شعراء الجيل المعاصر .**

الاشـقياء

تأليف : عبد الستار العزاوى ـ الناشر : جمعية حماية الفنون والآداب / بغداد

● **مسرحية شعبية كوميدية ساخرة باللهجة العراقية تقع في ثلاثة فصول تعالج مشكلة الجهل والبطالة في صور واقعية ، وتوجيه شيق للشباب نحو التعلم والعمل المثمر لخلق جيل متسلح بالاخلاق القويمة .**

عبير ومجد

تأليف : أسمى طوبى ـ الناشر : مطبعة قلفاط/ بيروت

● **كتاب يلقى الضوء على نشاط المرأة الفلسطينية والمجالات المختلفة التى دخلتها أو الطلائع الاولى للنهضة النسائية في فلسطين في مجالات الطب والمحاماة والصحافة والفنون والآداب .**

قصة الاعداد

تأليف : باتريشيا لوبر ـ ترجمة : عبد الحميد لطفى مظهر ـ مراجعة وتقديم : الدكتور انور محمود عبد الواحد ـ الناشر : مكتبة الانجلو المصرية / القاهرة

● **كتاب يروى لنا قصة الاعداد وتطورها عبر التاريخ الى ان وصلت الينا في صورها الراهنة وكيف ان الحضارات الانسانية ساهمت في خلق الاعداد ودفعت بالانسان قدما نحو التقدم والرقى.**

الانـوار

أشرف على التحرير : أحمد عبد الله القليج : اشترك فى التحرير : موفق بنى المرجة ـ الناشر : مؤسسة الانوار للتوزيع والاعلان والنشر/الكويت

● **أبحاث ودراسات واستطلاعات مصورة تتناول ملامح النهضة الكويتية الحديثة من شتى نواحيها،وبحوث قيمة عن طلائع النهضة النسائية الكويتية والمجالات التى دخلتها فتاة الكويت الى جانب دراسة عن مشاريع وانجازات الوزارات المختلفة في الكويت لدعم هذه النهضة .**

ديوان الشاعر المدني

تأليف : قيصر سليم الخورى ـ الناشر : مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومى / دمشق

● **ديوان شعر لأحد شعراء المهجر يحوى مجموعة منتخبة من اشعاره تمتاز بالتشاؤم والتبرم من الحياة وتعكس صورة صادقة عن آمال وآلام المهاجرين الى الدنيا الجديدة .**

الجزئيات حاضرها ومستقبلها

تأليف : مرجريت هيب ـ ترجمة : الدكتور سيد رمضان هدارة ـ الناشر : دار النهضة العربية القاهرة

● **كتاب يشرح حركة الجزئيات في الجوامد والسوائل والغازات واهمية هذه الجزئيات لكشف الستار عن أسرار الحياة المكنونة كما يقوم الكتاب بتقديم تجارب يمكن ان يقوم بها العالم الصغير الى جانب الرسوم التوضيحية لابراز الفكرة .**

الحيـاة حلـم

تأليف : كالدرون ـ ترجمة : نجاة قصاب حسن مراجعة : الدكتور جودة الركابى ـ الناشر:مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومى / دمشق

● **مسرحية اسبانية تدور حول فكرة ان الحياة حلم ، وأن هذا العالم كله ليس الا وهما لا يعدو أن يكون سرابا لحواسنا وهوى الساعة ، ويمتاز أسلوب المؤلف بسعة التساؤلات التى يثيرها عن الواقع والوهم والعقل والحرية ومطامع النفس ودعوة الحواس .**

هنرى دافيد ثورو
حياته وأعماله

تأليف : جيمس بلايستدوود ـ ترجمة : صوفي عبد الله ـ الناشر : دار النهضة / القاهرة

● كتاب يسلط الضوء على حياة هنرى ثورو ونتاجه الفكرى وفلسفته الخاصة التى تنادى بالبساطة والصلة المباشرة بالحياة والتقرب بقدر الامكان من الفطرة ، وقد استقى المؤلف مصادر كتابه هذا مما كتبه ثورو مثل كتاب « والدن » وكتاب « اسبوع على نهرى كونكورد ومريماك » الى جانب الكتاب الذين تناولوا حياة وفلسفة ثورو .

حبات زمرد
الادب العربى الحديث
حكايات الف ليلة وليلة

تأليف : شفيق معلوف ـ الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومى / دمشق

● مجموعة مقالات تناولت دراسات في الادب العربى الحديث ودراسة قيمة لكتاب الف ليلة وليلة وقيمته الادبية والفنية واثره في التراث العالمي الى جانب دراسة موجزة عن آداب الفرس والهند وذكر لبعض اعمالهم الفنية .

ادارة المشاريع الصناعية
(الادارة الصناعية) الجزء الاول

تأليف : المهندس محمود التكريتي

الناشر : مطابع دار الكتب / بيروت

● كتاب يبحث في كيفية ادارة مختلف المشاريع الصناعية وبحث افضل الطرق لزيادة الانتاج والمحافظة على كفاءته وقد بحث المؤلف ثلاثا من الوظائف الرئيسية للادارة الصناعية هى : التدبير والتخطيط ، والتنظيم والتنسيق ، والارشاد والتوجيه .

الامثال البغدادية المقارنة

تأليف : عبد الرحمن التكريتى ـ الناشر : مكتبة المثنى / بغداد

● دراسة مستفيضة عن الامثال البغدادية ومقارنتها بامثال الدول العربية الاخرى وتتالف مجموعة هذه الامثال من مصدرين : اولهما ما جمعه المؤلف عن طريق المشافهة وثانيهما الكتب التى تناولت دراسة الامثال . ثم تناول المؤلف مقارنة الامثال المشتركة في المعنى والمختلفة في اللفظ بتباين الاقطار العربية ، وما يقابلها من امثال فصحى ، وقد رتب المؤلف هذه الامثال ترتيبا ابجديا .

سيدة الفجر

تألف : الخاندروكاسونا ـ ترجمة : علي الاشقر مراجعة : الدكتور خالد الصوفي ـ الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومى / دمشق

● مسرحية تتناول موضوعا ميتافيزيقيا يمس الوجود في كل لحظة الا وهو مشكلة الموت تلك المشكلة الازلية ، والمؤلف يعرض لهذه المشكلة عرضا تشيع فيه روح التفاؤل العذبة ، وتشرق فيه ابتسامة الامل الانسانى الجميل ، ويتحول فيه الجمال الى لون آخر من الوان الحقيقة .

المثلثات

تأليف : هنرى م.نيلى ـ ترجمة : عبد الحميد لطفى مظهر ـ الناشر : دار النهضة العربية القاهرة

● كتاب علمي يقوم بدراسة المثلثات كمدخل لعلم حساب المثلثات والبدايات المرجحة لهذا العلم والدور الذى تلعبه المثلثات في تحديد كثير من الامور العلمية والتجارب التى استخدمت فيها المثلثات لقياس المسافات بين الارض والقمر .

الاسطورة اليونانية

تأليف : الاب فؤاد جرجي بربارة ـ الناشر : مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومى / دمشق

● دراسة قيمة عن الاسطورة اليونانية فى نشوئها وفي نظامها الذاتى كما تروى قصة نشوء الكون والانسان والتاريخ وقصة القوى الطبيعية وما فوق القوى الطبيعية التى اسهمت في هذا النشوء وقد قسم المؤلف كتابه الى اربعة أبواب تحدث فيها عن مبادىء الكون والهة السماء ثم الهة الارض والبحر والهواء ، ثم الهة الجحيم .

■■

أنت تسأل .. ونحن نجيب

المستشرقون ليسوا كلهم أعداء للعروبة والإسلام

● قرأت في العدد الماضي ردكم على سؤال الاخ العربي عبد الله بدوى العتيبى بجامعة بيروت العربية ، عما ينسب الى الاستاذ جرجى زيدان مؤسس « دار الهلال » ومؤلف « تاريخ التمدن الاسلامى » ، « وسلسلة روايات تاريخ الاسلام »،و« تاريخ آداب اللغة العربية » ، من أنه كان متعصبا وطائفيا ، وان الكثير من مؤلفاته يحوى قدحا مستترا فى المسلمين والعرب . وقد ذكرتم فى ردكم ذاك « ان جرجى زيدان يُعَدّ عند أهل الغرب فى حكم العلماء المستشرقين » ، وهذا فى رايى يؤيد

ـ صحيح أن الاستشراق بدأ أول ما بدأ بجماعة من الرهبان امثال جربر Jerbert وبطرس المحترم Dierre le Vénéré وغيرهما ، وصحيح أن الاستشراق ارتبط ـ الى حد ما ـ باغـــراض تبشيرية واستعمارية ، اذ ان المبشرين فى البلاد العربية جعلوا همّهم دراســة اللغــة العربيــة والمباحث الاسلامية تيسيرا لعملهم وغاياتهم ، الا ان القول بأن المستشرقين اعداء العروبة والاسلام ليس صحيحا على اطلاقه .. فنحن لا نجد من مئات المستشرقين الذين عرفهم العالم الا قلة ضئيلة من رجال الدين كان التبشير أكبر همهم ، وقليل منهم هم الذين كانوا يطعنون على العروبة والاسلام، أمثال « جربر » الذى انتخب حبرا اعظم فى روما عام ٩٩٩ ، وبطرس المحترم رئيس دير كولونى الذى وضع عدة مؤلفات فى الرد على الاسلام وقيل انه ترجم القرآن ، وجولد زيهر Goldseiher اليهودى الذى تناول بالنقد المذاهب والفرق الاسلامية فى عدة مؤلفات ، وقلة اخرى ضئيلة ، مقابل عشرات من المستشرقين غير المتحيزين عرضوا للاســـلام دارسين وباحثين ، لا مهاجمين ولا معادين ، ومنهم من ترك ثروة علمية كبرى افاد منها المسلمون فى دراساتهم الدينية أمثال فلوجل Flugel الذى ترك لنا اكبر معجم في الفاظ القرآن اسمه « نجوم الفرقان فى اطراف القرآن » انفق فى وضـــعه اكثر من عشر سنوات ، فضلا عن « تاريخ آداب العربية والقرآن » وغيره من المؤلفات الثمينة ، ثم « جول لابوم » مؤلف كتاب « تفصيل آيات القرآن الحكيم » ، وقد ترجمه الى العربية الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، وكذلك « ادوار مونتيه » مؤلف « المستدرك فى فهرس مواد القــرآن » وديكوروا Du Caurroy مؤلف « التشريـــع الاسلامى فى المذاهب السنية والشيعة » ، ودكتور بيرون Dr. Perron الذى ترجم « الطب النبوى » و « المختصر فى فروع المالكية » و«ميزان الشرع الاسلامى للشعرانى » و « قصة المعراج» وغيرها ، ثم « ديفرجه Devergers الذى استخلص سيرة النبى من تاريخ ابى الفـداء ، ولسيانى Luciani وقد ترجم معظم كتب الفقه الاسلامى ومنها كتاب « الوصية » وكتاب « البيوع » من صحيح البخارى ، وكذلك كتاب البيوع من «موطأ» الامام مالك و فينان Fagnan مترجم كتاب « الخراج » لابى يوسف و« المعاملات » فى فقه مالك و « هوداس Houdas » الذى ترجم ٦٤ سورة من اواخر سور القرآن ، وغيرهم امثال « لامنس H.Lammens» و « موير Sir w. Muir » و«هنرى جب H.A.R Gibb » امام المستشرقين

فمنهم من أدى للعروبة والإسلام أجل الخدمات !

الشكوك التى تحوم حول مؤلفاته ، لاننا لم نعهدمن المستشرقين الا القدح فى العروبة والتحقير من شأنها ، فضلا عن الطعن فى الاسلام ، خصوصا وان معظمهم من المبشرين والرهبان ودعاة الاستعمار ..

فهل ما تزالون على رايكم بأن جرجى زيدان من العلماء المستشرقين ؟ ثم الا ترون انكم بذلك تؤيدون ما أشار اليه صاحب السؤال من شكوك فى نوايا جرجى زيدان نحو العروبة والاسلام ؟

الكويت — م. ج.

المعاصرين من الانجليز ، ومحرر دائرة المعارف الاسلامية ، الخ ...

■ ■ ■

كذلك لا يجوز القول بان المستشرقين أعداء العروبة ، هكذا على اطلاقه . فالذين قصّروا جهودهم على الدراسات العربية من آداب وعلوم وفنون وتاريخ، قد تركوا لنا بدورهم ثروة لا تقدر، انصفوا فيها العرب فى حضاراتهم المختلفة ، أمثال « جيرار دى كريمون Gérard de Crémone » الذى نقل الى اللاتينية فلسفة الكندى والفارابى وابن سينا وبعض مؤلفات الرازى وجابر بن افلح ويحيى بن سرابى وغيرهم ، حتى يقال انه ترجم سبعين كتابا فى جميع فنون العلوم والآداب ، فقدت اصولها العربية ولم يسْلَم الا ترجمتها اللاتينية. ومثله « البير الكبير Albert le grand » و« وميكائيل سكوت M. Scot » وغيرهما ممن توفروا على دراسة الفلسفة العربية ، ومنهم « دى ساسى Du Sacy » الذى ترجم « لامية العرب » للشنفرى ، و « البردة » للبوصيرى ، وشرح شعر ابن الفارض ومحا من اذهان الغربيين ما ادخله عليها « فابر بسيوس » من انه شاعر ماجن خليع ...

وهناك مئات من المستشرقين لمعت اسماؤهم فى الدراسات العربية أمثال « هربن Herbin » و« لويس ماسينيون L' Massignon » و « مرجليوث Margolioth » و « نلينو G. A. Nelino » و « بوكوك E. Pococke » و« بروكلمان C. Brockelman » و« فيت G. Wite » و« جويدى Guidi » و « فشر Fischer » وغيرهم كثيرون ، ومنهم من قضى فى البلاد العربية سنوات طوالا ودرس فى جامعاتها أو اشترك فى مجامعها العلمية واللغوية زمنا غير قصير ..

ولا ننسى فى هذا المقام ما كان لكثيرين من مستشرقى المانيا وروسيا والنمسا والدنمرك وايطاليا من أثر فى خدمة العروبة والاسلام ، وخاصة هولندا حيث لا تزال مطبعة « بريل » التى انشأها توماس اربانيوس (١٥٨٤-١٦٢٤) فى مدينة « ليدن » موئل العربية ومرجع المستشرقين قاطبة وغير المستشرقين من العلماء ، يؤثرون مطبوعاتها ويعتمدون عليها،ومن أشهر ما أخرجته : الموسوعة الاسلامية باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية ، ثم كتب لابن سينا وابن الأثير وابن حوقل وابن الفقيه وابن رشد وابن تغرى بردى وابن قتيبة وابن زيدون وابن هشام وابن مسكويه

وابن حزم وابن اسحق وابن جبير والذهبى والهمدانى والاصطخرى والمسعودى والدينورى والمقريزى والمقرى والرازى ، فضلا عن دواوين ابى تمام وأبى فراس وحسان بن ثابت وصريع الغوانى وجرير والفرزدق والضبتى وغيرهم من اعلام العرب والمسلمين .

ومن أهم ما اخرجته هذه المطبعة « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » الذى بدأه الدكتور أ. ى. ونسنك أستاذ العربية بجامعة ليدن، ثم تبعه آخرون من أساتذة الجامعة المذكورة بالاشتراك مع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى . وقد صدر منه حتى الآن سبعة مجلدات كبار .

ولعل خير ما نختتم به هذه الكلمة، قول الدكتور طه حسين في كتابه « الادب الجاهلى »: كيف يتصور استاذ للادب العربى لا يلم بما انتهى اليه الفرنج المستشرقون من النتائج العلمية المختلفة ، حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه ولغاته ؟! وانما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس » ..

● ● ●

المواليد والوفيات فى الكويت

● كم عدد المواليد والوفيات التى تحدث سنويا فى الكويت ؟ وكم العدد الحالى للسكان ؟ وهل الاناث أكثر من الرجال ؟ واخيرا ما هى مساحة ارض دولة الكويت ؟

ابراهيم زهرة ـ المانيا

ـ بلغ عدد المواليد في الكويت ٢١٫٩٥٠ مولودا خلال عام ١٩٦٥ .. أما عدد الوفيات فكان لنفس العام ٢٤٦٨ وفاة فقط ..

ومن آخر احصاء اجرى بالكويت في ابريل ١٩٦٥ بلغ مجموع السكان ٤٦٧٣٣٩ نسمة منهم ٢٨٦٣١٢ ذكرا و ١٨١٠٢٧ انثى ، اى ان النساء اقل من الرجال باكثر من مائة الف !

وأما مساحة الكويت فهى ١٦ الف كيلومتر مربع منها الف كيلومتر تمثل مساحة الجزر التابعة للكويت .. والى الجنوب من الكويت تقع المنطقة المحايدة ومساحتها ٥٧٠٠ كيلو متر مربع تدار بواسطة الحكومتين الكويتية والسعودية .

البيروقراطية :

● نسمع كثيرا عما يسمى بالبيروقراطية ... فهل تكرمتم بايضاح مفهوم هذه الكلمة ؟ .

السودان ـ عبد القادر عثمان

ـ لفظ بيروقراطية فى العربية منسوخ أو منقول عن لفظ Bureacracy فى اللغات الأجنبية . وهو ذو مفهوم اصطلاحى شائع فى العلوم السياسية والاقتصادية وخاصة فى الادارة العامة ومألوف فى عالم الصحافة أيضا . على أن هذا المفهوم الاصطلاحى يختلف كثيرا أو قليلا عن معنى اللفظ اللغوى . فهذا الاخير لا يتضمن اكثر من النسبة الى لفظ Bureau او مكتب بالعربية ، من حيث هو المائدة التى يكتب عليها الانسان أو من حيث هو الحجرة التى يوجد فيها ذلك المكتب فاصبح يطلق عليها لفظ مكتب بالعربية Bureau باللغات الاجنبية ، فالدوائر الحكومية لها مكاتبها Buriaus والشركات التجارية والهيئات والاندية لها مكاتبها أيضا .

اما مفهوم لفظ بيروقراطية الاصطلاحى فينطوى على عناصر مختلفة نجملها فيما يلى :

المسافة بين الارض والقمر والشمس

● كم هى المسافة من الارض الى القمر ؟ وكم هى المسافة من الارض الى الشمس : ارجو ذكر الارقام بالاميال والكيلومترات ..

المقدم احمد يوسف حسن
أرامكو ـ ابقيق ـ السعودية

ـ المسافات التى تطلبها قدرها العلماء بالتقريب فقالوا . ان متوسط المسافة من الارض الى القمر هى ٢٣٨٫٨٥٧ ميلا ، اى ٣٨٤٫٤٠٠ كيلومتر .. أما المسافة من الارض الى الشمس فهى ٩٣ مليون ميل ، اى نحو ١٤٩٫٥٠٠٫٠٠٠ كيلومتر ..

ما هي ؟

١ ــ حكم المكاتب :

اى ربط السلطات الادارية بالمكاتب والدوائر بحيث يصبح المواطنون وكانهم وسيلة لتوطيد تلك المكاتب وتعزيزها لا الغاية التى من اجلها قامت تلك المكاتب وينجم عن ذلك ــ كما لا يخفى ــ تقيد مطلق بالانظمة بنصها وحرفيتها وعلى حساب روحها وفحواها . ومن شان هذا وذلك ان يؤدى الى الحد من تمتع الموظفين باية صلاحيات تذكر فضلا عن المماطلة والتاخير فى تصريف الامور وانجاز الاعمال .

٢ ــ التجاوز :

اى تخطى الموظفين حدود مسؤولياتهم بل حدود الأعمال المنوطة بالدولة وتدخلهم فى شؤون خارجة عن هذه وتلك . ولا يخفى ان هذا يؤدى الى شيء من الاعتباط اى الى ما يتنافى والأنظمة اصلا .

والبيروقراطية هذه منتشرة فى انظمة الحكم الديمقراطية وشائعة في أنظمة الحكم الديكتاتورية .

٦٠ دولة و ٨٠ لغة في فلسطين المحتلة

● كم عدد السكان الحالى فى فلسطين المغتصبة؟ والى كم دولة ينتمون ؟ وبأى اللغات يتحدثون ؟

احمد اليمانى ــ القطيف

ــ وصل عدد السكان فى الجزء السليب من فلسطين ....٠٦٠ر٢ نسمة .. وقد جاء المهاجرون الى فلسطين المحتلة من ٦٠ دولة كما انهم يتحدثون باكثر من ٨٠ لغة مختلفة .. مما يقف عقبة فى سبيل اندماجهم ، رغم محاولة السلطات فرض اللغة العبرية كلغة اساسية يتحتم على كل مهاجر ان يتعلمها ويجيد التحدث بها .

التعليم فى حضرموت

● هل بمكنكم اعطاؤنا فكرة عن حالة التعليم فى حضرموت ؟ وهل تعليم الفتاة هناك يسير على نفس المستوى مع تعليم الفتى ؟

سليم سلامة ــ الاردن

ــ ان العوائق الاقتصادية التى تعانى منها حضرموت هى السبب الرئيسى الذى يحد من انطلاق التعليم فيها الى آفاق اوسع .. ولكن رغم هذه العوائق فان تطورات كبيرة حدثت في مجال التعليم فقد وصل مجموع عدد الطلبة خلال عام ٦٥ ــ ١٩٦٦ فى كافة المراحل الى ١٤٥٧٩ طالبا .. اما عدد البنات فوصل الى ٢٤٧٧ طالبة يتلقين تعليمهن الثانوى فى بعثات خارج البلاد .. وهذه الارقام تمثل حالة التعليم فى حضرموت القعيطية فقط .

هونج كونج

● هونج كونج جزيرة فى المحيط الهادى، جنوب الصين ومساحتها صغيرة جدا بالنسبة الى عدد سكانها فكم مساحتها بالضبط وكم عدد سكانها وكيف يعيشون وما هى مواردهم ؟

هذا ويقولون ان أكبر سجادة فى العالم توجد في نيويورك وان مساحتها حتل مساحة هذه الجزيرة تقريبا ، أى ٨٨٠٠٠ قدم مربع .. فهل هذا صحيح ؟

القنيطرة ــ سوريا   سليمان محمد عباس

ــ أما عن السجادة ومساحتها فنعتذر يا أخ سليمان لعدم معرفتنا اى شيء عن هذا الموضوع .

واما عن جزيرة هونج كونج فنستطيع ان ندلى اليك بما يلى :

ــ مساحتها ٣٩٨ ميلا مربعا وعدد سكانها ٣٢٢٦٤٠٠ نسمة وذلك وفق احصاء سنة ١٩٦١ . وتستطيع طبعا وبعملية حسابية بسيطة ان تحصل على نسبة كثافة السكان في تلك الجزيرة .

ــ مستعمرة بريطانية وجزيرة بالقرب من البر الصينى ومقابل مصب نهر كانتون .

ــ وغنى عن البيان أن الجزيرة بمثابة قاعدة من القواعد العسكرية البريطانية . أما مواردها ففى الغالب صناعية وخاصة صناعة الأنسجة والألبسة القطنية .

سكان اليابان

● كم عدد سكان اليابان ؟ وهل تعتبر من الدول المزدحمة بالسكان ؟ وهل النساء فيها حقا أكثر من الرجال ؟ وما هي المدن الكبيرة فيها ؟

عزت البنا ـ القاهرة

ـ بلغ تعداد سكان اليابان ٩٨٫٢٨١٫٩٥٥ نسمة طبقا للاحصاء الرسمي الذي أجري في أول أكتوبر ١٩٦٥ ، وبذلك تمثل اليابان المركز السابع بين دول العالم من حيث تعداد السكان ، أي بعد الصين الشعبية ، والهند ، والولايات المتحدة ، وروسيا ، وأندونيسيا والباكستان .. وقد وصلت كثافة السكان فيها الى ٢٦٦ شخصا في الكيلومتر المربع الواحد ، وهي كثافة عالية جدا .

ومن هذا الاحصاء لوحظ أن عدد النساء يزيد على عدد الرجال بحوالي ١٫٧٠٠٫٠٠٠ امراة .

وفي اليابان سبع مدن يبلغ تعداد سكانها أكثر من مليون نسمة وهي طوكيو ، وأوساكا ، وناجويا ، ويوكوهاما ، وكيوتو ، وكوبي ، وكيتاكيوسو ..

((اصبر صبر أيوب))

● كثيرا ما أسمع جملة « صبر أيوب » ، فيقال مثلا « اصبر صبر أيوب » .. وقد جاء في العدد ٩٣ من مجلتنا المفضلة « العربي » في ركن الفضاء والذرة صفحة ٢٨ هذه الكلمات : .. وقد يكفي أن نقول ان لونا ٩ نجحت فيما خابت فيه لونا ٦ ، ٧ ، ٨ وهذا يدل على صبر للعلماء دونه صبر أيوب .. فمن هو أيوب ؟ والى أي البلاد ينتسب ؟ وهل صبر حقا ولماذا ؟

احمد خالد أحمد/دوما/سوريا

ـ أيوب الذي يضرب به المثل ، فيقال صبر أيوب هو سيدنا أيوب رسول الله الذي جاء ذكره في القرآن : « وأيوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا ، وذكرى للعابدين » سورة الأنبياء (الآيتان ٨٣ ، ٨٤) وقال الله تعالى عنه في سورة ص آية ٤٤ « انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب » .. وفي الأثر « ان أيوب ابتلي فصبر وان سليمان أعطيَ فشكر » .

٢٠٪ من سكان العالم

● لمناسبة ما نقرأ ونسمع هذه الأيام من المؤتمرات الاسلامية والحلف الاسلامي نرجو أن تتفضلوا ببيان ما يأتي :

١ ـ كم يبلغ عدد المسلمين في العالم كله ؟ .

٢ ـ ما هي الدول التي يتألف منها العالم الاسلامي ؟ .

٣ ـ ما هو عدد المسلمين في كل دولة من الدول الاسلامية أو التي بها جاليات اسلامية .

٤ ـ ما هي المساحة التي تشغلها البلاد الاسلامية بالنسبة لمساحة المسكونة ؟ .

دمشق

محمد اسماعيل

ـ يتألف العالم الاسلامي من عدة دول وأقطار ، تضم ما يقرب من ٣٥ دولة مستقلة ، عدا الأقطار التي ما تزال تكافح في سبيل الحرية .

وتشغل مساحة العالم الاسلامي اليوم ما يقرب من ١/٤ مساحة الكرة الأرضية ..

أما عدد المسلمين في العالم فيبلغ حوالي ٥٨٠ مليونا ، أي ما يزيد على ٢٠٪ من مجموع سكان العالم كله .

غراميات كليوباتره

● أرجو التكرم بافادتنا بنبذة وجيزة عن أصل كليوباتره وحياتها .. وعما اذا كانت زوجة وأما لأولاد ، أم ظلت عزباء عانسا ، ولكم جزيل الشكر والاحترام .

حلب عبد الرحمن حمادى الشاوي

ـ كليوباتره ، احدى شهيرات التاريخ ، ولدت سنة ٦٩ وتوفيت سنة ٣٠ قبل الميلاد . أي أن حياتها لم تطل أكثر من ٣٩ سنة !

انها ابنة بطليموس الحادي عشر وكانت احدى ملكات البطالسة وهم الملوك الذين حكموا مصر القديمة . ولقد ورثت العرش وشاركها فيه أخوها الأصغر بطليموس الثاني عشر وذلك لدى موت أبيهما . ولم تلبث أن تزوجت

مسلمون ، والعالم الاسلامي يشغل نحو ١/٦ مساحة المعمورة

وتختلف نسبة المسلمين فى كل من البلاد التي يقيمون فيها زيادة وقلة ، وفيما يلي بيان الدول التي تتراوح نسبة المسلمين فيها بين ١٠٠٪ و ٥٠٪ :

الكويت . العربية السعودية . افغانستان . اليمن . الصومال . موريتانيا . زنجبار . مسقط وعمان . البحرين . قطر . (من ٩٩٪ الى ١٠٠٪) تركيا . ايران . جمهورية تاجيك السوفييتية (٩٨٪) ليبيا . الاردن (٩٦٪) العراق . المغرب . باكستان . اندونيسيا (٩٥٪) الجمهورية العربية المتحدة (٩٤٪) الجزائر . تونس . جمهورية التركمان . والقرغيز ، واوزبكستان السوفييتية (٩٠٪) جامبيا . (٨٥٪) سوريا . السودان (٨٢٪) بورنيو . سرواك . كشمير (٨٠٪) البانيا . جمهورية اذربيجان السوفييتية (٧٥٪) الملايو . الكمرون . طنجة (٧٠٪) جمهورية القوزاق السوفييتية (٦٥٪) لبنان وسنغافورة اكثر من (٥٠٪) .

اما الهند فلا تزيد نسبة المسلمين فيها على ١٥٪ ، وهي نسبة تمثل اكثر من ٤٥ مليونا من سكان الهند .

ويمثل المسلمون في اريتريا والحبشة وجوا وداهومي وغانه وساحل العاج والنيجر والسنغال ونيجيريا وليبريا ومدغشقر نسبا تتراوح بين ٢٠٪ ، ٤٥٪ من مجموع عدد السكان .

وفى الاتحاد السوفييتي لا تزيد نسبة المسلمين عن ١١٪ ، وهي نسبة تختلف فى كل قطر من الاقطار التي بها مسلمون من جمهوريات الاتحاد السوفييتي على النحو التالي :

التاجيك ٩٨٪ التركمان ٩٠٪ القرغيز ٨٩٪ اوزبكستان ٨٨٪ اذربيجان ٧٥٪ القوزاق ٦٥٪ جورجيا ١٥٪ ارمينيا ١٢٪ اوكرانيا ٢٪ .

ومن البلاد التي بين سكانها مسلمون يوغوسلافيا وسيراليون (١١٪) نياسالاند ٩٪ ، سيلان ٧٪ الصين ٥٪ ، الفلبين وبورما وكينيا ٤٪ وسيام واوغنده ٣٪ واليونان ٢٪ .

اما الامريكتان واستراليا فنسبة المسلمين فيهما من القلة بحيث لا تمثل رقما صحيحا .

اخاها هذا الاصغر تمشيا والعرف السائد فى مصر حينئذ .

على ان شهرة كليوباترة فى التاريخ انما تعزى لذكائها وطموحها فضلا عن جمالها الأخاذ الذي جذب اليها قلوب الكثيرين فى ذلك الزمان وخاصة يوليوس قيصر ومارك انطونى وغيرهما من المصريين والرومان .

وتجدر الاشارة الى أن بطليموس الرابع عشر انما هو ابنها من يوليوس قيصر وقد حملت به سنة ٤٧ ق.م. ولحقت بأبيه الى روما حيث بقيت ولم تعد الى الاسكندرية الا بعد اغتياله .

ولم يكن حظ مارك انطونى من كليوباترة باقل من حظ يوليوس قيصر. اذ ما كاد يجتمع بها لأول مرة سنة ٤١ حتى هام بها وغلبه حبها على أمره وحملت منه توأميها الاسكندر Helioo وكليوباترة Selene ، كما أسمتهما . ولقد بلغ حب مارك انطونى لكليوباترة مبلغا جعله يهجر زوجته أوكتافيا ويقطع صلته بروما ريثما يعيد توطيد السلطة فى مصر ثانية . على أن جيوشه وجيوش كليوباترة ما لبثت ان منيت بالهزيمة فى اكتيوم Actium والاسكندرية عام ٣١ ق.م. وانتهت قصة الحب الشهيرة هذه أى قصة كليوباترة ومارك انطونى بانتحار الاول ولحاق كليوباترة به .

ونذكر فى هذا الصدد مأساة شكسبير المسماة انطونى وكليوباترة ومأساة برنارد شو وعنوانها قيصر وكليوباترة .

■■

البنك التجاري

المركـز الر

تأسس عا

بموجب مرسوم من صاحب السمو الشيخ عبد
راس المال المصرح به والمدفـوع
سجل تجارى رقم ٧٧٠٦ – العنوان

الميزانية العمومية

(دينار كويتي واحد =

دينار كويتي	**الموجودات**	١٩٦٥ دينار كويتي
٦ر٤٥٠ر٢٤٧	النقد والارصدة لدى البيوت المصرفية	٣ر٧٥٥ر٦١٤
١١ر٣٦٣ر٨٠١	مبالغ تحت الطلب وباشعارات قصيرة الامد .	١٠ر٣٢٠ر٨٥٨
١ر٦٣١ر٨٥٣	سندات مصرفية ممتازة	—
٢٦ر٧٦٢ر٤٠٥	ودائع لدى البنوك والمصارف الصناعية	٢١ر٦٥١ر٧١٠
٣ر٠٠٠ر٠٠٠	قرض بكفالة الحكومة الكويتية	—
١٤ر٧٩٣ر٦٨٠	سلفيات للعملاء وسندات مخصومة وحسابات أخرى .	١٠ر٤٤١ر٣٤٧
٢٤٤ر٩٤٤	استمارات متنوعة غير مسعرة بالتكلفة .	—
٢٨٨ر٢٥٢	العقارات والاملاك بسعر التكلفة ناقصا المبالغ المستهلكة .	٣٢٥ر٣٦٤
٨ر٨٢٨ر٧٢٤	تعهدات العملاء مقابل اعتمادات وكفالات والتزامات أخرى (له مقابل) .	٦ر١٤٤ر٠٩١
٧٣ر٣٦٣ر٩٠٦		**٥٢ر٦٣٨ر٩٨٤**

دبليو. اف. ادامز
المدير العام

حساب الأرباح والخسائر للسنة

دينار كويتي		١٩٦٥ دينار كويتي
٥١٢ر١٤١	ارباح العام المنتهى فى ١٩٦٦/١٢/٣١ بعد استنزال جميع المصاريف واقتطاع احتياطات الطوارىء واستهلاكات الاصول الثابتة .	٤١٦ر٦٣٥
٤١ر٤٣٤	الرصيد المرحل من العام السابق	٣٩ر٨١٩
٥٥٣ر٥٧٥		٤٥٦ر٤٥٤

الكويتي

نيسي الكويت

م ١٩٦٠

الله السالم الصباح أمير دولة الكويت الراحل

٠٠٠ر٥٠٠ر١ دينار كويتي

البرقى : بنكتجارى ـ كويت

فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٦

جنيه استرلينى واحد)

دينار كويتي		المطلوبات	١٩٦٥ دينار كويتي
٠٠٠ر٥٠٠ر١		راس المال المصرح به والمدفوع ٠٠٠ر٢٠٠ سهم بسعر ٥٠٠/٧ دينار كويتى للسهم الواحد مدفوعة بالكامل .	٠٠٠ر٥٠٠ر١
	٨٥٧ر٢٠٧	الاحتياطى القانونى	٦٤٣ر١٥٦
٠٠٠ر١٥٠ر١	١٤٣ر٩٤٢	الاحتياطى العام	٣٥٧ر٦٩٣
٥٧٥ر٤٣		حساب الارباح والخسائر .	٤٣٤ر٤١
٥٧٥ر٦٩٣ر٢			٤٣٤ر٣٩١ر١
٦٠٧ر٦٣١ر٦١		حسابات جارية وودائع وحسابات اخرى متضمنة التبعات .	٤٥٩ر٩٢٣ر٤٣
٠٠٠ر٢١٠		مخصص مقسوم الارباح المقترح دفعه .	٠٠٠ر١٨٠
٧٢٤ر٨٢٨ر٨		تعهدات لقاء اعتمادات وكفالات والتزامات اخرى (له مقابل) .	٠٩١ر١٤٤ر٦
٩٠٦ر٣٦٣ر٧٣			٩٨٤ر٦٣٨ر٥٢

عبد العزيز احمد البحر

رئيس مجلس الادارة

ملاحظة ـ ان الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر لم ينظما بموجب الملحق ج ـ من اللائحة التنفيذية لقانون الشركات التجارية رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ بل طبقا للاصول المصرفية المتبعة .

المنتهية فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٦

دينار كويتي			١٩٦٥ دينار كويتي
	٢١٤ر٥١	حول الى الاحتياطى القانونى	٦٦٣ر٤١
	٧٨٦ر٢٤٨	حول الى الاحتياطى العام	٣٥٧ر١٩٣
	٠٠٠ر٢١٠	مخصص مقسوم الارباح المقترح دفعه بواقع ١٤ بالمائة (٠٥٠/١ دينار لكل سهم) .	
٠٠٠ر٥١٠			٠٠٠ر١٨٠
٥٧٥ر٤٣		الرصيد المنقول الى ما بعده .	٤٣٤ر٤١

طرائف عربية

مطارحة

● قيل ان رجلا من اهل العلم والادب قعد على جسر بغداد يتنزه ، فأقبلت امرأة بارعة في الجمال فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على بن الجهم ، فقالت ، المرأة رحم الله ابا العلاء المعرى، ثم افترقا قال فتبعت المراة وقلت والله ان لم تقولي لي ما اراد بابن الجوم ... فضحكت وقالت اراد به قوله :

عيونُ المَهَا بين الرُّصافة والجِسر ‏ ‏ ‏ جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وعَنَيت انا بأبى العلاء :

فيا دارها بالخَيْف إن مَزارها ‏ ‏ ‏ قريبٌ ولكن دون ذلك أهوال

حنكة ودهاء

● يحكى أنه كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لأرض معاوية فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها ، فدخلوا في ارض عبد الله ، فكتب الى معاوية ، اما بعد فانه يا معاوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول في ارضي والا كان لي ولك شان. فلما وقف معاوية على الكتاب ، دفعه الى ابنه يزيد فلما قراه قال له : ما ترى؟ قال : ارى ان تنفذ اليه جيشا ، اوله عنده وآخره عندك ، يأتوك براسه . فقال يا بني ، عندى خير من ذلك . عليّ بدواة وقرطاس ، وكتب : وقفت على كتابك يا ابن حوارى الرسول ، وساءنى ما ساءك ، والدنيا هينة عندى في جنب رضاك ، وقد كتبت على نفسي رقما بالارض والعبيد ، واشهدت علي فيه ، ولتضف الارض الى ارضك ، والعبيد الى عبيدك ، والسلام . فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب اليه . وقفت على كتاب أمير المؤمنين ، فلا عدم الراى الذى احله من قريش هذا المحل والسلام . فلما قراه معاوية رماه الى ابنه يزيد ، فلما قراه اسفر وجهه ، فقال يا بني اذا رميت بهذا الداء ، فداوه بهذا الدواء .

دُرّة في

● حكى المدائنى قال : خرج ابن زياد في فوارس ، فلقوا رجلا ومعه جارية ، لم يرَ مثلها في الحسن ، فصاحوا به خل عنها ؟ وكان معه قوس فرمى احدهم ، فهابوا الاقدام عليه . فهم ليرمى ثانية فانقطع الوتر . فهجموا عليه ، واخذوا الجارية منه ، فهرب وانشغلوا عنه بالجارية . ومد بعضهم يده الى اذنها وكان فيها قرط ، وفي

أقوال مأثورة

* أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه .
* أكبر الأشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس .
* آفة القوة استضعاف الخصم ، وآفة النعم قبح المن ، وآفة الذنب سوء الظن .

غناء الحضارة وغناء البداوة

● قال ثمامة كنت عند المامون يوما . فاستأذن عمير المامون بالغناء ، فكرهت ذلك . وراى المامون الكراهية في وجهي فقال ما بالك يا ثمامة ؟ فقلت : يا امير المؤمنين اذا غنى عمير ، ذكرت مواطن الابل وكثبان الرمل ، واذا غنت فلانة انبسط املي ، وقوى جذلي وانشرح صدري وذكرت الجنان والولدان ، كم بين ان تغنيك جارية غادة ، كأنها غصن بان ، ترنو بمقلة وسنان ، كأنها خلقت من ياقوتة ، او خرجت من فضة ، بشعر عكاشة العبسي .

من كف جارية كأن بنانهـــــا ... من فضة قد طوّقت عنّابا

فكأن يمناها إذا ضربت بهـــا ... ألقت على كف الشمال حسابا

وبين ان يغنيك رجل كث اللحية ،غليظ الاصابع ، خشن الكف ، بشعر ورقاء بن زهير :

رأيت زهيرا تحت كلكل خالـــد ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادره

فتبسم المامون وقال : الفرق واضح بينهما ، والمنهج فسيح . يا غلام لا تأذن له واحضر اطيب قياننا وامتعنا ساعة .

ما ترك الاعرابي لنا عذرا في واحدة

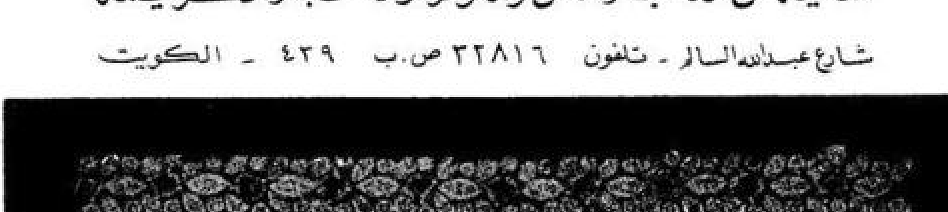
● قيل أن بعض وفود العرب قدموا على عمر بن عبد العزيز وكان فيهم شاب لسن ، فقام وتقدم وقال : يا امير المؤمنين اصابتنا سنون ، سنة اذابت الشحم ، وسنة اذابت اللحم ، وسنه اذابت العظم ، وفي ايديكم فضول اموال ، فان كانت لنا فعلام تمنعونها عنا ، وان كانت لله ففرقوها على عباد الله ، وان كانت لكم فتصدقوا بها علينا ، ان الله يجزي المتصدقين .

فقال عمر : ما ترك الاعرابي لنا عذرا في واحدة !

قُلنسُوته

القرط درة يتيمة لها قيمة عظيمة . فقالت الجارية : وما قدر هذه الدرة ؟ انكم لو رايتم ما في قلنسوته من الدرر ، لاستحقرتم هذه الدرة . فتركوها وتبعوه وقالوا له : الق ما في قلنسوتك ، وكان فيها وتر قد اعده فنسيه من الدهشة ، فلما ذكره . ركبه في القوس ، وصوبه اليهم فخاف القوم وولوا هاربين . وخلوا الجارية !









إضحك..

تضحك الدنيا معك .. ابكِ تبكِ وحدك

العلاج الوحيد

● **الفلاح :** « ان بقرتي تصاب احيانا بحالات غريبة يا دكتور ، فهي تنام على الارض ، وتظل نائمة لمدة يوم او يومين، قبل ان تعود الى الوقوف مرة اخرى!» .

الطبيب البيطرى : « لماذا لا تعرضها للبيع في اول فرصة تعود فيها الى الوقوف على ارجلها !؟ » .



الحالة سيئة جدا

● صاحب المتجر لاحد موظفيه : كيف الحال ، ارجو ان تكون حركة البيع رائجة ؟

الموظف : الحالة سيئة جدا ، فلم ابع غير فستان واحد امس لاحدى السيدات واليوم اسوا من الامس !

صاحب المتجر : « وكيف يمكن ان يكون اسوا ؟ » .

الموظف : « لقد اعادت السيدة الفستان الذى اشترته ! »

هذا ما وجد مكتوبا على قبر بغلة !

● هنا ترقد ، ماجي . وهي التى رفست في حياتها اثنين من لواءات الجيش ، واربعة صاغات ، وعشرة يوزباشية ، و٢٤ ملازما ، ٤٠ جاويشا . وقنبلة واحدة !!

مسألة أتعاب

● كان سام خبيرا في لعبة البردج . وهي لعبة الورق الشهيرة التى تحتاج الى الكثير من المهارة . وكتب له ، فيما يكتب الناس ، رجل من هواة هذه اللعبة يسأله . ووجه اليه عشرة اسئلة كاملة فما كان من الخبير سام الا ان ردّ على الاسئلة العشرة ، وارفق مع اجاباته فاتورة بطلب اتعاب ، هي اجر هذه الاجابات .

فكتب الرجل السائل الى محاميه يسأله هل حقيقة وجب عليه قانونا ان يدفع مثل هذه الفاتورة ؟

فجاء الجواب من محاميه : طبعا تدفع ؟

وكان مع جواب المحامي فاتورة منه يطلب من الزبون اجر هذا الاستفتاء !!

زوجة المدير

● **الساعي للفتاة :** « ان المدير لا يرفض ابدا مقابلة فتاة جميلة مثلك!» .

الفتاة : « حسنا .. اذهب اذن وقل ان زوجتك تريد مقابلتك !! » .

العربي

العدد ١٠٣
٢٢ صفر ١٣٨٧
يونيو
(حزيران) ١٩٦٧



اطلب
العربي الصغير
مع هذا العدد

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

بائعا الفاكهة
(انظر صفحة ٥)

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٢ر٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج٠ع٠م٠	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	مليم
الجزائر	٢٠٠	مليم
المغرب	٢	درهم



طفل يرسم على بلاط الطريق

● الرسم كان من أول أدوات التعبير عند الانسان القديم ، فقد خلف لنا صورا من حيوانات وأدوات رَسَمها على جدران كهوفه لا تزال آثارها الى اليوم باقية : عجول وغزلان ، وقواطع وسهام . وهذا الطفل يعيد تاريخ جده الانسان القديم . ان الرسم في دمه . ووقع على قطع من الطباشير ، وعزّته اللوحة ، فاتخذ من بلاط الارض لوحة ، حيثما وحينما اشتد به الميل الى التعبير بالطباشير . وماذا رسم ؟ عينين وأنفا ، في وجه ، حملته اختصارا رجلان ! وكفى الله المؤمنين القتال .

عزيزي القارئ

● بريد القراء بريد كبير .

وهو بريد متواصل كل يوم .

● ومن القراء من يشكو من اننا لم نجبهم على سؤالهم . وعدد الاسئلة ، وكثير منها الخاص ، هو من الكثرة بحيث يحتاج الى قسم اداري يقوم بهذه الاجابة . عدا تحميل رئيس التحرير ، والاكثرية تطلب منه الاجابة شخصيا ، ما لا يستطاع من مجهود فوق مجهوده الراتب العادي . وهو بحكم ضيق وقته لا يطلع الا على ما يختار له من هذه المكاتيب.

● ومن امثال هذه الاسئلة سؤال : هل اذا كتبت لكم في كذا وكذا ، هل تنشرون ؟ الجواب لا يحتاج الى اجابة . قلنا مرارا ان « العربي » مفتوح لكل كاتب ، والحكم على المقال عند وروده . واسئلة تتعلق بمدارس الكويت ، هل يقبل السائل فيها . واخرى بالعمل في الكويت . واخرى عن اتصالات واستخبارات يراد منا انجازها في الكويت . وهذا كله لا شك دليل ثقة نشكر السائلين عليها ، ولكن نأسف لأنه ليس لدينا الجهاز اللازم لكل هذا .

ونكرر الشكر .

ونكرر الاسف .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات .. وآداب :

شعر .. وشعراء :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 103 June 1967 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● بائعا الفاكهة : فرغ النهارُ ، وباعا ما باعا ، من عنب ومن كمثرى ، وقعدا يحسبان كم ربحا . انها اللقمة، ؛ وانه العمل من أجلها . وانها التجارة في أدنى صورها .

(للفنان الرسام موريليو)

(انظر العربى العدد ٩٨ بتاريخ يناير ١٩٦٧ صفحة ١٢٦)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



بريد القراء

وحى الرسالة

● نشرتم في العدد الماضي كلمة للاستاذ الكاتب الشهير احمد حسن الزيات يعتب عليكم فيها انكم نشرتم في باب الكتب والمجلات مقالا عزوتموه لغيره، هو مقال بعنوان « محمـــد اول من اعلن حقوق الانسان » ، فكيف جاز أن يقع هذا الخطا من مجلة « العربى » ؟

قارىء

« العربى » : المسألة فيها لبس كبير . انا في عدد مارس الماضي ، وفي باب مرآة الراى العربى (لا باب الكتب والمجلات) ، نشرنا مقتبسا عن مجلة السياسة الكويتية الاسبوعية ، نموذجا بين نماذج ، لما يكتب في الصحف العربية ، ونسبناه اختصارا الى مجلة السياسة ، ولم نذكر اسم الكاتب ، وقد عدنا الى ما نشر في مجلة السياسة، والى المقال الذى اقتبسنا منه ، فاذا به مقال ملأ صفحة كبرى عنوانه «حقوق الانسان اعلنها محمد منذ ١٢ قرنا»، وكتب على رأسه انه للسيدة هداية.. وفحصناه فوجدنا انه نقل بالحرف الواحد من كتاب الأستاذ الزيات ، « وحى الرسالة » !

فهذه هى القصة بوقائعها العارية دون تعليق .

استطلاع عن الحِلّة

● حق لي أن أعتب بلهجة لا تستبيح العذر . لهذا الصدود غير المتوقع وتلك الجفوة المفتعلة من مجلتنا الزاهرة « العربى » ، الى المدينة التى شغلت القرنين السادس والسابع الهجريين بأدبائها وشعرائها وفقهائها ، حينما كتبت سفرا خالدا للتراث الفكرى العتيد ، وهى تنهل العلم من جوانبه وتترع الادب من أقطابه ، أضف الى ذلك التراث الحضارى الذى خلفته العقول المبدعة والافكار الجبارة .

تلك هى مدينة الحِلّة ، التى ظلت آثارها توحي بماضيها العمرانى في بابل وبرج النمرود وجبل الرماد .. ومراقد العلماء والادباء توحي بماضيها الفكرى .

فهلا تفضلتم مشكورين بزيارتها واستطلاعها ، ولكم في أبنائها من سعة الصدر وكرم الضيافة ، ما ينسيكم متاعب الرحيل ومشقة السفر .

عبد الامير جعفر ــ العراق

« العربى » لم تكن الحلة بعيدة عن افكارنا ، ولا بعيدا ماضيها ، وسوف نفعل ان شاء الله .

أما عن كرم الضيافة ونفقة السفر ، فنحن لا نرسل بعثتنا الا وهي مزودة بالمال ، كاملة التزود للاقامة والسفر وشكرا .

التقاليع المستوردة

● قرات الخبر التالي في احدى الصحف اليومية العربية : « اتخذت ادارة المدارس العليا في امريكا قرارا حازما للحد من استهتار الطالبات اللواتي يرتدين الملابس القصيرة « الميني جيب » ، التي تكشف عن الجزء الأكبر من سيقانهن . وقد جاء في هذا القرار أن الطرد من المدرسة هو عقوبة الفتاة التي تركع ولا يلمس طرف ثوبها الارض » .

هذا في أمريكا « بلاد التبرج » فماذا فعلت ادارات المدارس هنا عندنا في بلاد الحشمة والتقاليد ؟ ما أحوجنا لمثل هذا القرار لحماية الفتاة العربية من هذه التقاليع المستوردة .

عيد عز الدين محمد
القاهرة

خطأ وجب تصحيحه

● قرات في عدد العربي ذى الرقم (١٠١) في الباب الذى تشرفون عليه ، وهما لا شك عندى في انه زلة قلم ، او تطبيع من منضد الحروف ، جاز عليكم سهوا .

فقد نسبتم هذا البيت :

بيض صنائعنا ، سود وقائعنا
خضر مرابعنا ، حمر مواضينا

الذى ترون أن الكويت استمدت منه ألوان علمها ، نسبتموه (لابن زيدون) .. والواقع انه من قصيدة مشهورة لصفى الدين الحلى :

سلى الرماح العوالى عن معالينا
واستشهدى البيض ، هل خاب الرجا فينا ؟

اكون شاكرا اذا صححتم هذا السهو في عدد العربى المقبل .

روكس بن زائد العزيزى

اقتراح من قارىء

● من المعلوم ان أعداد « العربي » القديمة قد نفدت ومن المستعصى الحصول عليها ، وازاء ذلك ارى أن تقوم ادارة المجلة – أو الكتاب الشهرى كما تعبر عن نفسها – بجمع البحوث التى هى من باب واحد في كتاب وتطبعه وتقدمه الى قراء « العربى » كهدية أو بسعر محدد .

الطالب : هـ . س . ح
قطر : مدرسة الدوحة الثانوية

أعظم جائزة

● كنت متلهفا للقاء العدد (١٠١) من مجلة العربى لكى أجد بين طياته اسمى وسط الفائزين باحدى المسابقات . ولكنى بدلا من أن أجد اسمى وجدت جائزة لى بل لكل عربى يعرف حق عروبته . جائزة زادتنى ايمانا بقوة العرب ووقوفهم في وجه كل من يريد شرا بالأمة العربية . جائزة فقهتنى بأن الكويت دولة تواصل نضالها وتقدمها بأسرع مما نتصور . أما الجائزة فهو استطلاعكم المصور عن الجيش الكويتى الباسل ، الاستطلاع الذى جعلنى افتح فاهى دهشة ولا أكاد أصدق ما ترى عينى . لاننا لم نكن نعرف عن الكويت الا انها دولة تقع جنوب العراق منتجة للبترول وغنية .

ولكن استطلاعكم حمل الأوهام من رأسي وطرحها خارجا وجعلنى فخورا بدولتكم الفتية وبجيشكم العظيم .

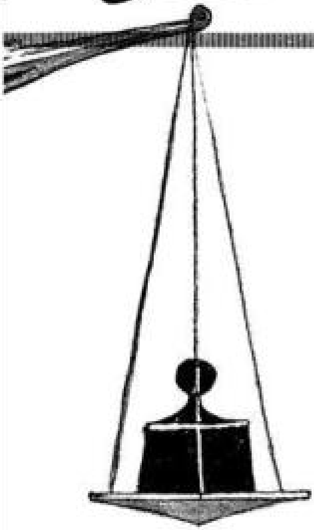
فغدا يا جيش الكويت الباسل سيسجل لك التاريخ صفحات مشرقة بيضاء في أرض المعركة . ستلتقى مع أشقائك الجيوش العربية منطلقا مع سهام الأمة العربية الى صدر كل من يحاول الاعتداء على أرضك التى هى أرض آبائك واجدادك .

المواطن : أمجاد عبد الحميد
موصل – العراق

حديث الشهر

عقــــل الإنْسـ

مِيزانٌ غيرُ ثابتٍ علـى



بقلم رئيس التحرير

■ في الركن الهادىء من البيت ، في الساعة الساكنة من الليل ، تخطر على بال الرجل منا ، وعلى بال المراة ، آراء غريبة ، لا تنبع من الحياة الجارية ، يكاد ان يخرج الانسان منا بها ، عن عقله بعقله . وهى اسئلة اولى بها رجل هبط من المريخ لا عاش بين الناس على هــذه الارض .

ومن هذه الخواطر خواطر تتصــل بالعقل نفسه .

والسؤال الحاضر لـدىّ الآن هــو سؤال يتصل بعقل الانسان . هــذا العقل هل هو هو عقل الانسان منــذ ازمان . وهل هو عقل ثبت على حــال واحدة ثبوت الشمس تطلع علينا وتغرب منذ قرون . وان يكن قد ظل ثابتا ، فهل هو سيثبت علـى توالى الايــام والسنين ؟ .

ان كل شيء في الحياة يوزن . يوزن الطعام ويوزن الشراب وتوزن الاجسام والاحجام . الا شيئا واحدا لا يوزن ، ذلك الفكر . وذلك الرأى .

وقيل ان العقل هو ميزان الفكــر ، وانه هو ميزان الرأى .

فان يكن ميزانا حقــا فهو ميزان لا كِفة له ، ولا صَنجة ، وما الافكــار وما الآراء له باثقال .

ومع هذا نحن نحس أن العقــل انما يؤدى ما يؤديه الميزان . السنا به نزن الاعمال فنقول هذا شر ، ونقول هــذا خير ؟ والسنا به نكشف عــن صحــة الامور ، فنقول هذا صحيح وهذا باطل؟

هذه كلها أمور بدهية لا شك فيها .

ولكن المشكوك فيه ان هذا الميزان ، ميزان العقل هذا ، هو من الدقة ثابت الدلالة ، بين ايامه القريبة وأماسيه البعيدة ، ومن المشكوك فيه أن يزن الخير دائما فيجد أنه الخير ، ويزن الشــر دائما فيجد انه الشر . وقد يدخل الشك

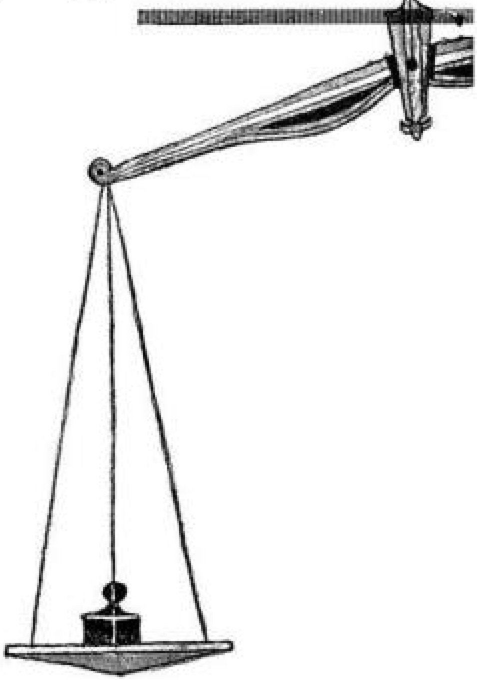
ـــان الزمـــان

عقل رضي الرق ثم انقلب عليه

عقل احتقر العمل ، ثم ارتفع به

عقل أبقى على الشارب ، ثم حلقه وتأنث

عقل آمن بالعفة ، ثم ازور عنها



الى سجية هذا الميزان ، فيصبح يزن الشر الثقيل فلا يثقل به كثيرا ، او لعله يزن فيجعل الخير مكان الشر والشر مكان الخير .

الرق

ولنضرب الامثال .

والمثل الاول الرق . الرق اليوم تجده في ميزان العقل الانساني الحاضر مرذولا ، ولكنه كان في سائر العصور مقبولا .

حتى ارسطو ، « المعلم الاول » ، قبله وارتضاه . والعهد اليوناني ، عهد الفلاسفة الاول ، كان عهد الرق . كان اكثر اهل أثينا العبيد . كان الرق شيئا عاديا مألوفا ألفة الهواء والماء .

والرق قبلته من بعد ذلك سائر الامم ، وسائر اهل الاديان (ولا اقول الاديان) . وتجارة الرقيق كانت تجارة مشروعة تشارك فيها سفن الدول المتحضرة عبر البحار ، ويشارك رجالها الرسميون . وأمريكا قامت ، في بعض ما قامت ، عندما قامت ، على أعناق الارقاء .

ثم تغير الميزان .

وحل محله ميزان عقل جديد يحرم ما أحله ميزان العقل القديم .

تغير العقل ، والانسان هو الانسان .

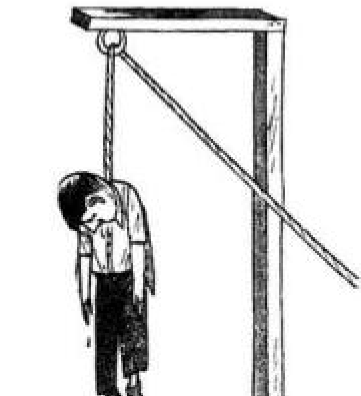
ولا يهمني الآن ان يكون تغير الى ما هو أحسن ، او تغير الى ما هو اسوا .

المهم أن العقل ميزان لم يستقر على حال .



والقتـل

ان القتل ازهاق نفس ، والنفس عزيزة على بنى الانسان . واحسب العقل كان لا يرضى القتل حتى قبل أن تجيء بدمغه الاديان . والعقل السليم البادء كان يرى أن العين بالعين، والنفس بالنفس ، وان كل قاتل مقتول . ثم تغير العقل فرأى فرقا بين قتل سبقه عزم وتدبير ، وقتل جاء فجاة فكان عن اثارة . ثم تغير العقل بعد ذلك رويدا رويدا فأصبح يرى أن القتل لا يكون الا عن مرض ، وان القاتل ليس له المشانق ، أو حتى السجون ، ولكن له المستشفيات يَبرأ فيها من مرضه . وعقل راى آخر الدهر ان القصاص ،



تقيمه الدولة على القاتل ، انما هو جريمة قتل رسمية تدان الدولة بها ، وانه بدلا من جريمة قتل واحدة تصبح عنده بالقصاص جريمتان .

وسرى هذا المزاج العقلى الجديد في زعماء الامم وانتهى الامر اليوم بان رُفعت من بعض قوانين الدول المتحضرة عقوبة الاعدام . وعرضوا هذا الرفع قريبا على البرلمان الكندى فرفضته أغلبية غير كثيرة ، ١٤٢ رفضوا و ١١٢ قبلوا ، ومن الناس من وضع كندا في المكان الثانى من التحضر من أجل ذلك .

ولست اتعرض لخطأ ذلك او صوابه.

ولكن اذكر ذلك لأبين ان عقل اليوم غير عقل الامس ، ولعل في غد عقلا يأتى جديدا ، والانسان هو الانسان ، والدنيا هي الدنيا .

والعفـة

ومثل آخر : العفة .

كانت العفة ذات صلة بالسيادة وثيقة . وكان الرجل السيد له من الابكار حظ الاسد . وبضم الصينى القديم اليه من النساء سداس وسباع ، وثمان واى عدد شاء . كل بقدر ماله وجاهه . ورضي العقل حينذاك بذاك . رضيته عقول الرجال ، ورضيته عقول النساء . وحتى الزوجة الاولى كان من حقها أن تتخير لزوجها ما شاء بعدها من نساء .

لم تشكُ امراة في صحة هذا الامر ولم يشك رجل .

وكيف يرفض عقل رجل عادةً جرت مجرى الماء في الحلقوم الصادى .

وكانت امور العفة هذه في الصين لها اشباه في غير الصين . وانما مثلت بالصين لأن مجلة « العربى » لا تدخل الصين .

ثم تبدل الحال واختلف .

فمن الناس من رضى امراة واحدة.. ومن الناس من زاد . ومن الناس من ضم الى الزوجات الجوارى . ومن العجيب أن الزوجات رضين بهذا . ومن العجيب أن الجوارى كذلك رضين او منهن من رضين .

وكان من الناس من يشجب التعدد . وكنت أود ان اسمع راى النساء المتعددات .

ولا شك ان اهل التعدد الفوه ورضوه ، وساغوه عقلا .

ثم اذا بنا في هذا العصر الحديث ، نسمع بين الامم التى هي اليوم طلائع المدنية الحاضرة ، حديثا عجبا .

العفة ذاتها ادخلوها في المختبرات يمتحنون صدقها واصالتها ، وحاجة العصر المدنى الحاضر اليها .

وقالوا فيما قالوا بالعيش التجريبى بين الاثنين عيش الازواج ، من قبل زواج . فان صح فالزواج ، فان لم يصح فالى تجربة اخرى فاخرى . وحشدوا لهذا الراى حشدا من اهل الفكر كبيرا . من علماء طب ، وعلماء نفس ، وعلماء دين ، وخبراء اجتماع .

ومنهم من قال برفع الحجب جميعا.

ومنهم من اطاح فيما اطاح بالبيت والاسرة .

ومنهم من راى الاسرة مجتمعا كبيرا مشتركا لا يدرى فيه زوج من زوجته ولا ابن من أبوه . وعهدنا بهتلر وما صنع في هذا السبيل قريب .

انه العقل أطلق من قيوده كما ينطلق الثور في مخزن الخزف .

العمل

ومثل آخر ، العقل والعمل .

احترم الانسان من قديم الزمان القوة ، وكان السيف والرمح والدرع والخيل اداتها . ويغزو القوى ارض الضعيف فينشأ من ذلك مجتمع ، السادة فيه اهل السيف ، والعبد الزارع والصانع ، والعامل بيده أيا كان. ونشأت حقارة للعامل بيده ، وسيم الخسف ، وسيم قلة الاجر . ورضيت كل طبقة بنصيبها من الحياة دهرا طويلا . لم يخطر ببال الزارع والعامل ان يرتفعا . ولم يخطر ببال السيد، وقد ملأ المهنّد قبضته ، أن يفرغها منه ويعمل . كان نظاما الفه الناس عقلا ، والفوه طبعا ، كما الفوا الشمس تطلع من الشرق لتهبط وتغيب في الغرب . كان نظاما كأنه بعض نظام الكون لا يناله التبديل والتغيير . وانك لترى تحقير الزارع ، والترفع عما يصنع الصانع ، سمات موجودة الى اليوم ، حتى بين العرب ، انها أصداء ظلت باقية على الزمن تردد صوت الرجل القديم القوى القاهر .

ثم تبدل الحال . تبدل أولا بتغيير النظرة الى العامل ، وبأن الله ما اراد الحياة الا عملا ، وهل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون . ثم ارتفعوا بالعامل،والعامل الذى يعمل بيده خاصة، الى حيث هو اليوم من العناية،ومن التمجيد والتصعيد فى الدول . ومن الدول من جعلت العامل هو عصب الحياة ، مصلحته هو وحدها هى الآمرة وهى الناهية .

ورضي العقل بقديم العامل قديما ، كما رضي العقل بجديده جديدا .

ولست بصدد ذم قديم ومدح جديد، او ذم جديد ومدح قديم ، ولكنى بصدد ان انتهي الى ان العقل ، هذا الذى حاطه الانسان ، صاحبه ، بالتبجيل والترفيع والاحترام ، عقل لم يثبت على الزمان .

وحتى حرية العامل اختلفوا فيها . وتساءل العقلاء ، اىُّ العاملين اكثر حرية وأكثر انطلاقا، عامل الامس القديم الذى كان يعمل عندما يريد، ويسكن فلا يعمل عندما يريد ، ام عامل اليوم الحاضر الذى يدخل الى المصنع استجابة لصفرة صفارة في الصباح ، ثم لا يخرج منه الا على صفرة صفارة في المساء ، وبين الصفرتين العمل الراتب الذى تقتل رتابته ما في النفس من نبضات حياة .

واختلف العقلان . فأين هما من ثبات الموازين وهى من نحاس او فولاذ .

ومع هذا نحن نعتمد العقول في كل تقدير وكل تدبير .

والشوارب واللحي

ومثل آخر : اقل من الامثلة الماضية رجاحة ، وقد يكون أكثر حرجا .

ذلك مثل الشوارب واللحي .

كان أكثر الامم في القديم ، رجالها ذوو شوارب ملتحون ، يستثنى من ذلك قلة ، منهم قدماء المصريين . وكان نبات الوجه كنبات الارض ، ظاهرة في حكم الطبع، لا يرتاب فيه عقل مرتاب ، والافلام السينمائية القديمة تظهر اليوم على الشاشة أحيانا ، فان كانت صنعت في اواخر القرن الماضي ، او حتى اوائل هذا القرن الحاضر فما أكثر ، ما تكثر لحاها والشوارب .

والشاب المراهق كان يستعجل نبت وجهه ، لانه للرجولة شارة . والرجل كان يستعجل استطالة لحيته ، لأن اللحية تضج ووقار .



ونظرت تلك العقول الى الشوارب واللحى ، نظرتها الى الشجر ، لا بدان يعلو جذعه تاج من ورق ، او نظرتها الى الحجر ، اذا سقط على منحدر تدحرج. نظرت العقول الى الشوارب واللحى نظرتها الى ظاهرة من ظواهر الكون وسنة من سننه لا تتبدل ولا تتغير .

والنساء ما عرفن الرجال الا ذوى شوارب ولحى .

ورويدا رويدا تبدل الحال .

واستبدل بالمقص الموسى .

وحلق الفتيان ذقونهم وحلقوا الشوارب، واطالوا شعورهم . وقصت الفتيات شعورهن ، ولبسن سراويل الفتيان . وتنظر الى كثير من فتية الأمم «السابقة الى التحضر » ، والى فتياتها ، فكثيرا ما يشتبه عليك امر من ترى ، أفتى هو ام فتاة . ويخونك الراس دليلا ، فتأخذ تنظر الى ما تصدَّر من الجسم والى ما تخلف منه ، لتهتدى الى حقيقة ما ترى. هذا اذا نهض همك الى هذه الدرجة من العرفان .

والعجيب أن عقولا كانت ترى في الشوارب واللحى انها بعض نظام هذا الكون ، وبعض ظواهره ومظاهره التى لا تتبدل ، أصبحت ترى عكس هذا تماما، وتألفه ، وترضاه .

وكأنى اسمع قارئي يقول : وكيف نأمن من بعد ذلك حكم العقول .

واذا سأل سائل اى الحالين افضل ، لقلت له بأن سؤالك هذا غير ذى موضوع، فلسنا نحن الآن بصدد تضعيف لراى من الآراء او ترجيح .

أحكام العقول وأحكام السماء

وهذا يفضي بنا ، دون قصد الى ما يقول به رجال الدين ، كل دين . انهم يقولون ان العقول غير ثابتة الأحكام ،

والناس لا تطمئن الا الى الثوابت . ومن اجل هذا جاءت أحكام السماء تثبّت احكام اهل الارض، وتنأى بها عن المزالق. بذلك حدثنى رجال كرام من اتباع السيد المسيح . وبذلك حدثنى رجال كرام من المسلمين وما كنت عن ذلك غافلا .

العقل المطلق لا وجود له في الناس

وهنا يتراءى لى أن العقل المطلق لا وجود له في الناس . ان العقل منطق ، ومنطقه البادء مستمد من حياة صاحبه، ومن عاداته . والعادات مستمدة من جغرافية المكان وتاريخ الزمان على السواء . واختلف الزمان واختلف المكان فاختلفت العقول وتفاوتت ، حتى ان رجلا في بقعة من بقاع الارض ، يجد رجلا آخر ينظر الى زوجته نظرة ذات ريبة ، فيقوم اليه يزجره، وقد يشتبك به فيصرعه، بينا أن رجلا في بقعة من بقاع الأرض أخرى ، ينزل به الضيف ، فيكون من تكريم الضيف عنده ان يشركه في زوجته. فهكذا سمعنا عن الاسكيم فوق ثلوج الشمال من الأرض .

العقل شيء واحد ثابت فيما يوزن وما يقاس

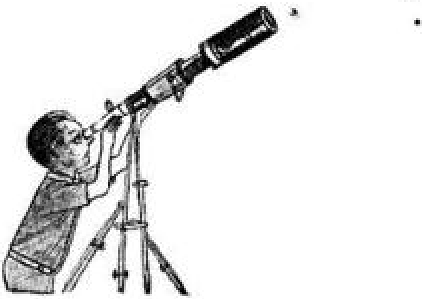
نعم ، فيما يوزن بالجرام ، وجزء من الف من الجرام ، وجزء من الف الف ، وما دون ذلك .

وفيما يقاس بالمتر، وجزء من الف من المتر ، وجزء من الف الف من المتر وما دون ذلك .

انه العلم . انه العلم الطبيعى . علم الارض ، علم السماء ، علم الحيوان . علم النبات .

العلم الذى يكشف قوانين سنها الله في حيوان أو جماد .

هذا العلم هو الذى يجمع سائر العقول ، من سائر الأمم ، وسائر المكان وسائر الزمان ، متوافقة متواحدة ، يفهم بعضها بعضا على اختلاف الالسنة واختلاف الالوان .



العلم الذى يكشف قوانين سنها الله

الا علما لا يزال واقفا حيث تقف الظنون ، يطرق الباب ليدخل في زمرة الحقائق ، ولمّا يفتح له بعد الباب اليها.

العقل ، حتى مع العلم قاصر

أما قصوره فلسببين .

اولهما قصر اعمار العلماء . فالعالم يحصّل ثم يحصل ، حتى اذا هو بدأ ينتج عاجله الموت. وتزداد مدة التحصّل كلما اتسع العلم وازدادت أغواره عمقا .

وثانيهما قصور في الذهن نفسه ، من حيث أنه جهاز له طاقة للنمو ينتهى عندها . والانسان قد خلق المكنات التى أسماها بالحاسبات Computors . وهى قد ذهبت في انجازاتها الذهنية أضعاف ما ذهب اليه الذهن الانسانى وحده ، وصارت هذه الحاسبات تحل من المسائل في دقائق ما تحتاج اذهان الخلق أن تنجزه في شهور وسنين . واسموها بالعقول الالكترونية ، وما هى بعقول انما هى امتداد لعقل الانسان القاصر .

وناحية اخرى خطيرة من قصور العقل لا بد من ذكرها .

تلك ان العقل ، حتى على قصوره

فيما يوزن ويقاس ، وما يتبع ذلك من شئون يعين المنطق على اطراد النتائج فيها ، هذا العقل لا يشكل الا جانبا واحدا من جوانب النفس الانسانية . فللنفس الانسانية جوانب اخرى ، اذا حاول العقل ، او حاول المنطق دخولها ، فقد عَمِي . ان العقل لا يكاد يرى من هذه الجوانب شيئا .

ونعني بها العواطف .

ونعني بها ، غير العواطف ، تلك الاحاسيس التى نحسُها في النفس ، وكأنها هى تدور على هوامشها ، وهى انما تعمل منها في الصميم . ويدخل في ذلك ما يتكشف للمرء الهاما . وما يحس المرء ، في اعماقه بوجوده من صوت ، كأنما هو صوت الطبع يريد ان يصدع بما يجد ، ويعجزه خَرَسٌ في اللسان ، وعجز فى الفهم والافهام ، فيرتدُّ خائبا قانعا بالذى كان .

واسموه الحاسة السادسة ، وما هو من الحواس في شيء . انه ادخلُ في النفس واعمق ، او لعله لا مدخل له ولا مخرج ، وانما هو صوت الكيان يتردد خافتا في الاعماق .

رِعَايةُ الفَرْدِ في الأُمَمِ ، مَنْهَجٌ في الدُّنيَا جَدِيد

ليس عبثا أن يفخر الناس اليوم بدولهم الحديثة ، اذا هى قورنت بدول للانسان قديمة ،فيما يتصل برعاية الفرد ، بحسبانه الفرد ، وبحسبان هذه الرعاية فرضا على الدولة ، وبشمول هذه الرعاية حتى اصبحت لكل مواطن ، علا او سَفُل ، علِم او جَهِل ا اثرَى او افتقر .

من الشعب والى الشعب

وبالطبع هذه الرعاية الشاملة ، في تعليم ، أو صحة ، أو تامين عمل ، أو تأمين شيخوخة ، تحتاج كلها الى المال الوفير . ولا سبيل الى المال ، يدخل خزينة الدولة ليُنفق على هذه الرعاية الشاملة ، الا من الشعب نفسه . ضرائب يزكِّى بها الفرد المنتج كسبه من عمل . ولكنها في الحقيقة ثمن يدفعه المواطن مقدما لهذه الرعاية التىهىحق له عندما يحتاجها . فالرعاية شيء يُشترَى . والرعاية في الشعب المنتج الثرى قوية شاملة .

والرعاية في الشعب الفقير المتخلف ضعيفة ولا شمول لها .

الرعاية الصحية غالية الثمن

والرعاية الصحية تقف في الصف الأول من الرعايات التى تهتم بها الدول، وتهتم بها شعوبها .

وانت تدور في دول الارض تنظر الى هذه الرعاية ، وتقدِّرها ، فتجد البون بين رعاية ورعاية عظيما ، هو غالبا ما يكون فرقا بين غنى دولة وفقر دولة ، وهذا غالبا ما يكون فرقا بين عمل جاد وشامل ومنتج في دولة وعمل لا جد فيه ولا شمول في دولة اخرى .

ولكن حتى الأمم العاملة والجادة في عملها ، وفي انتاجها ، الثرية بعلمها ، تبيَّن لها على السنين ، ومن تجربتها المتصلة منذ بدات تمهد للرعاية أن تكون شاملة، تبين لها ان هذه الرعاية مما تنوء به أكثر البلاد ثراء . فكيف بالفقراء .

مُثُل نافعة

ولقد ارى من المفيد للدول العربية ان انقل لها شيئا مما اطلعتُ عليه حديثا في امم ثلاث متقدمة ، تتمثل فيها الحضارة الحاضرة في اعلى درجات بلغها اليوم

الانسان ، لعل في ذلك ، ومن القران بالذى عند الدول العربية من ذلك، نفعا يقل أو يكثر تبعا لمزاج القارىء .

وهذه الأمم هى السويد ، فانجلترا (ومعها بلاد الغال) ، والولايات المتحدة.

النفقة على الصحة محسوبة بالنسبة المئوية الى حصيلة الانتاج القومى العام

الدولة	السنة	النسبة
السويد	١٩٦٠	٤ر٧
انجلترا	١٩٥٦	٤ر٧
الولايات المتحدة	١٩٥٧	٥ر٢

والملاحظ ان هذه النسبة في زيادة مستمرة على السنين .

عدد الأطباء بالنسبة لكل ١٠٠٠٠٠ من السكان



الدولة	السنة	عدد الاطباء
السويد	١٩٦٣	١٠٥ر٥
انجلترا	١٩٦١	١٢٧
الولايات المتحدة	١٩٦٢	١٣٦ر٩

والعلاج الطبى يتخذ شكلين ، علاج يعالجه الأطباء خارج المستشفيات ، وعلاج داخل المستشفيات. وهما شكلان متفاصلان تفاصلا واضحا في السويد وانجلترا من ناحية ، والولايات المتحدة من ناحية أخرى . ففى الولايات المتحدة أكثر الأطباء يوزعون زمانهم بين العمل في المستشفيات وخارجها ، أما في انجلترا ففيها طبيب الأسرة ، وهو طبيب عام، يفحص ، فاذا استعصي عليه شيء ارسل المريض الى مستشفيات عالية الاختصاص كاملته ، اطباؤها يعملون كامل الوقت ، وليس من بينهم طبيب الأسرة .

وكذلك السويد، سوى أن الطبيب المعالج خارج المستشفيات يدرب تدريبا طويلا خاصا يأذن له بأن يستقل الى درجة ما عن المستشفيات .

عدد سراير المستشفيات محسوبة لكل ١٠٠٠٠٠ من السكان

وهنا نلخصها فنقول انها لكل الاغراض يوجد منها في السنوات الأخيرة :

١٤٠ر٠ سريرا في السويد .

١٠١ر١ أسرة في انجلترا .

٩٠ر٠ أسرة في الولايات المتحدة .

ثم الى نسبة الوفيات في هذه الدول الثلاث في السنوات القريبة الماضية .

الأعمار المنتظر أن يحياها الحى في هذه الدول الثلاث

العمر المنتظر للطفل الذكر عند ولادته هو :

في السويد	٧١ر٣	عاما
في انجلترا	٦٨ر٠	عاما
في الولايات	٦٦ر٦	عاما

والعمر المنتظر للطفلة الانثى عند ولادتها هو :

في السويد	٧٥ر٤	عاما
في انجلترا	٦٨ر٠	اعما
وفي الولايات	٧٣ر٤	عاما

نسبة الوفيات في كل ١٠٠٠٠٠ من أصحاب هذه الاعمار

الدولة	السن دون ٢٥ عاما	بين ٢٥ الى ٤٤ عاما	بين ٤٥ الى ٦٤ عاما	٦٥ عاما فما فوقها
الذكور				
السويد	١ر٤	١ر٧	٩ر٤	٦٧ر٧
انجلترا	١ر٩	١ر٨	١٤ر٤	٨٥ر١
الولايات المتحدة	٢ر٢	٢ر٩	١٧ر٢	٧٣ر٤
الاناث				
السويد	٠ر٩	١ر١	٥ر٨	٥٥ر٩
انجلترا	١ر٣	١ر٣	٧ر٦	٦١ر٤
الولايات المتحدة	١ر٥	١ر٧	٧ر٩	٥٢ر٨

استطلاعاتنا والدول العربية

من دعائم الخطة التي تنتهجها العربي :

(أ) ان تستطلع الدول العربية دولة، دولة، بالقدر الذي يتسع له مجال هذه الدولة أو تلك ، وبالقدر الذي تستجيب به الدول لرجائنا في هذا الاستطلاع .

(ب) أن نستطلع البلد ، من حيث هو بلد عربي مستقل قائم، يعيش ويجهد للعيش . ونصف من هذه الجهود ما نصف . ونحن في هذا لا نتطرق الى سياسة هذا البلد ، ولا الى الحكم فيه ، واذن ولا الى حكامه زيادة في التوقي .

(ج) أن لا نتعرض قط، فيما نكتب، او فيما نستطلع ، الى الخلافات القائمة بين الدول العربية ، فننصر هذا الراى او نخذل ذلك. فان سنحت فرصة لكلمة عامة في الوئام العام انتهزناها. هذه الخطة رضيها منا كل العرب ، وحمدنا منهم هذا الرضي .

ولكن يأتينا أحيانا عتب ، واحيانا لوم ، مؤداه ، لو اننا استمعنا له ، ان ننقض هذه الخطة، خطة الحياد الكامل.

ومن الدول ، من اذا استطلعنا دولة بذاتها ، بينها وبينها خلاف ، لم ترض عن استطلاعنا. لا لأننا مسسنا السياسة مدحا في هذه الدولة التي استطلعناها ، او ذكرنا حكامها ، او أدوات الحكم او نظام الحكم الذي هو بها ، وانما لأن هذا الخلاف يقضي عندهم بأن لا يدخل شيء عن هذه الدولة الى بلادهم، ولو كان مبرءا من كل انحياز .

وهذا مزاج في أمر العروبة نأسف له كثيرا .

فالعرب ، حيثما كانوا ، وفي اى دولة قضي القدر ان يكونوا ، انما هم جزء من الامة العربية. يشاركون بجهودهم في جهود سائر الأمة العربية ، دانيهم والقاصي .

شباب على ضفاف دجلة ، او ضفاف الفرات ، او ضفاف النيل ، او جبال تهامة او الأطلس ، يعملون جهدهم ، في تأمين حياتهم، وهو من تأمين حياة وطنهم الأصغر ، ثم هو من تأمين حياة وطنهم الاكبر، وهم يعملون على ثقة من عروبتهم، وعلى ثقة من بارىء النسم ، كيف يستطيع قلب عربي ، أن يزور عنهم ، ويغلق دونهم ودون اخبار حياتهم الابواب وقد ارادها الله واسعة فسيحة مفتوحة .

●●

احمد زكي



رسالة

للشاعر: أحمد السقاف

■ قُل لذاكَ الحبيبِ باللهِ قُلْ لَهُ: ... إنَّ سُكْناهُ في فؤادي ومُقْلَهْ

كَذَبُوا، ما سَلَوْتُهُ، فهو عندي ... أَمَلٌ وارِفٌ، أُقَدِّسُ ظِلَّهْ

كم حَباني من الودادِ إلى أنْ ... خِلْتُهُ قد حَباني الكونَ كُلَّهْ

وسقاني من خمرةِ الحبِّ كأساً ... بعد كأسٍ، وكان حبِّي شُغْلَهْ

★ ★ ★

مَنْ رسولٌ إليه يُخْبِرُهُ عنِّي ... وعن قلبيَ الحزينِ المُوَلَّهْ؟!

عن دموعٍ جعلتُ منها مدادي ... لحروفٍ حمَّلْتُها ألفَ قُبْلَهْ

عن هُيامٍ، عن لَهْفَةٍ، عن عذابٍ ... عن جَوىً، لم تُقاسِ حوّاءُ مِثْلَهْ

عن ورودٍ يفوحُ منها زكيُّ الطِّيـ ... ـبِ، قد رَصَّعَتْ بسبعينَ فُلَّهْ

الأريجُ السَّحيُّ يأبى عليها ... غَفْوَةً قبلَ أنْ تُعَطِّرَ وَصْلَهْ

★ ★ ★

مَنْ رسولٌ إليه يشرحُ ما قالَـ ... ـهُ عَذُولٌ يُشيعُ بالظلمِ عَذْلَهْ

هو أدرى بما يقولُ وكم في النّـ ... ـاسِ من جاهلٍ يُرَدِّدُ جَهْلَهْ

فليَعُدْ ذلكَ الحبيبُ فما العهـ ... ـدُ بأمرٍ يُطيقُ قلبي حَمْلَهْ

حُرِمَتْ مُقلتي من النومِ إنْ لمْ ... تَغْدُ أهدابُها عليه مِظَلَّهْ ■■

الكويت: أحمد السقاف

نتيجة مسابقة العدد ١٠١

الشخصيات الست موضوع المسابقة وأسماء الفائزين بالجوائز

■ كان موضوع هذه المسابقة ٦ شخصيات ، ثلاث منها عربية ومثلها غربية ، عرّفنا كلا منها ببضعة أسطر ثم طلبنا الى المتسابقين بيان أسماء أصحاب الشخصيات التى ينطبق عليها الوصف الذى قدمناها به من بين الاسماء التى اوردناها في ختام كل سؤال .

والاجابات الصحيحة هي :

١ ـ ابراهيم بن المهدى .

٢ ـ مصطفى عبد الرازق .

٣ ـ اتش. جي. ولز .

٤ ـ افلوطارخس .

٥ ـ ابو بكر الرازى .

٦ ـ سومرست موم .

وقد أخطأ الكثيرون في معرفة الاجابات الست الصحيحة ، فخلط بعضهم بين ابراهيم ابن المهدى والمأمون ، وخلط آخرون بين شيوخ الازهر مصطفى عبد الرازق وعبد الرحمن تاج ومحمود شلتوت ، وغيرهم خلط بين هـ . ج . ولز والبير كامو ، أو بين افلوطارخس وهيرودوت ، أو بين الرازى وابن سينا ، او بين سومرست موم وبرنارد شو .

وقد اسفرت عملية الاقتراع على الجوائز عن النتيجة الآتية :

١ ـ الجائزة الاولى وقدرها ٣٠ دينارا فاز بها : محمد بن عبد الرحمن خال : مؤسسة الكهرباء والنقل ، حلب ، الجمهورية العربية السورية .

٢ ـ الجائزة الثانية وقدرها ٢٠ دينارا فاز بها: عصام عبد اللطيف احمد ـ مدرسة الزواتنة القبلية ـ برديس ـ الجمهورية العربية المتحدة .

٣ ـ الجائزة الثالثة وقدرها ١٠ دنانير فازت بها : الآنسة حنان ياسين كامل ـ المفرق ـ الاردن.

٨ ـ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ فؤاد مفيني : المعهد العلمى الاسلامى ـ طريق حقات ـ كويتر ـ عدن ـ الجنوب العربى .

٢ ـ صفوان بن جلون ـ ٧ زنقة تراس ـ الرباط ـ المملكة المغربية .

٣ ـ مائدة ابراهيم شريف ـ لواء الديوانية ـ الجمهورية العراقية .

٤ ـ أحمد محمود اسماعيل منديى ـ ١٤ شارع الطائي قطعة ٦ ـ الشامية ـ الكويت .

٥ ـ علي محمد أحمد الدويرى ـ مصلحة البريد والبرق ـ الخرطوم ـ السودان .

٦ ـ محمد عبد العزيز الصاف ـ ص.ب ٢٣٩١ حى المنيرة ـ المملكة العربية السعودية .

٧ ـ كحيلة السيد أحمد القصاب ـ المنامة ـ البحرين .

٨ ـ ابراهيم جعفر ـ بنت جبيل ـ عيناتا ـ لبنان .

وسترسل الجوائز الى أصحابها ■■

١٠ شُعَراء وجوائز ١٠٠ دينار

■ هؤلاء عشرة من فطاحل الشعراء العرب ظهروا في مختلف العصور ، قبل الاسلام وبعده ، اخترناهم من فترات تاريخية مختلفة ، ثم رتبناهم لك بحسب الحروف الابجدية ، وهم :

١ ــ ابو الطيب المتنبى
٢ ــ أبو العلاء المعرى
٣ ــ ابو تمام (حبيب بن أوس الطائى)
٤ ــ ابو نواس
٥ ــ البارودى (محمود سامى)
٦ ــ البحترى (ابو عبادة)
٧ ــ امرؤ القيس
٨ ــ حسان بن ثابت
٩ ــ صفى الدين الحلي
١٠ــ عمر بن ابي ربيعة

والمطلوب منك الآن هو أن ترتب هؤلاء الشعراء ترتيبا تنازليا بحسب تواريخ ظهورهم والعصور التي عاشوا فيها ..

ولن تدخل المسابقة أية اجابة لا تتضمن الشعراء العشرة كلهم .

شروط المسابقة وجوائزها

١ ــ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٠٣ » .
٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هواليوم السابع من شهر يوليو (تموز) ١٩٦٧ .
٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار توزع كالآتى :
الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية :** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة :** ١٠ دنانير .
٨ ــ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ..

كوبون مسابقة العدد ١٠٣

أنباء الطب والعلم والاختراع

طرق فزيائية ، تخلص الحقول

من حشراتها ، بدل المبيدات الكيماوية

● خلق الله الانسان ، وعلمه كيف من الأرض ، بالزرع ، ينتج الطعام .

ولكن الله خلق كذلك الحشر ، وجعل من الحشر ما يسطو على الزرع ، والشجر .

ومن أجل هذا صارت الحياة صراعا .

واستخدم الانسان علمه ، واستخدم فهمه ، سلاحا ، يدافع به الحشر عن نفسه . ولا تزال الحرب بينهما سجالا .

ومن آخر ما استخدم الانسان فى صراع الحشر ، المبيدات الكيماوية ، يرش بها النبات ، أو ينثره بدرة ، أو غير ذلك .

وشكا الناس تلوث الطعام بالكيماويات ، فكان من الطبيعى ، أن يطلب الباحثون



فى غير علم الكيمياء مخلصا من حشر . واهتدوا الى علم الفزياء يجربونه . علم الضوء وعلم الصوت .

بحثوا كيف يكون رد فعل بعض الحشرات فى الضوء ، وهو أمواج مختلفة ، فوجدوا أن حشرة تصيب زراعة الدخان اصابة شديدة ، تعرف باسم الحشرة القرنية Hornworm ، اذا سلطت عليها ، وهى فراشة ، اشعة مختلفة من اشعة الطيف ، اتجهت منجذبة الى الأشعة الفوق البنفسجية دون غيرها .

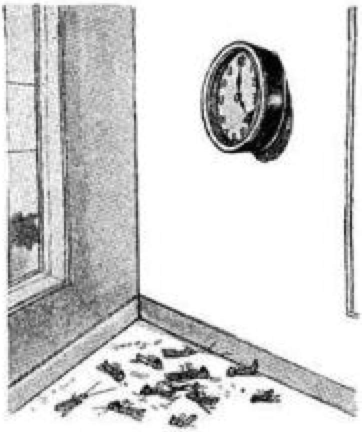
وجربوا هذه الطريقة فى حقول من الطُّباق مصابة بها ، فخرج منها الى الضوء الفوق البنفسجى ، الذى لا يراه الانسان ، ٨٥ فى المائة من هذا الفراش .

وكذلك صنع الصوت ، ذو الذبذبات العالية التى هى فوق ما تسمع اذن الانسان ، مثل ما صنع الضوء .

والبحوث جارية .

ويتخيل الانسان ، ويود لو يأتى اليوم الذى يصفر فيه صاحب الحقل بصفارة ، فيخرج اليه كل ما فى الحقل من حشرات ضارة !

الساعة الرابعة بعد الظهر خير وقت لقتل الحشرات



● هذا ما قاله عالم من علماء الحشر في الحقل الزراعي .

ان أحسن وقت لقتل الذباب في البيت، وكذلك الصراصير ، هو الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكذا في سائر الحشرات .

وذلك بناء على تجارب قام بها المختصون .

أما التفسير فان حيوية الحشر تكون انشط ما تكون بعد الظهر ، وهي في غير ذلك الوقت خامدة .

وفي هذا الوقت يقتل القليل من السم الكثير من الحشرة المقصودة . وفائدة ذلك في الزراعة بينة . ان السم في هذه الساعة او نحوها يكون افعل . والمستهلك منه أقل ، والاقتصاد في النفقات اكثر .

العنف صفة بعض شباب هذا العصر

● هذا ما يراه الدكتور فريدريك ورثام Wertham ، الطبيب النفساني الشهير المختص بالجرائم والمجرمين .

كان يشير الى الشاب الذي قتل بضعة من الممرضات دفعة واحدة في بيت التمريض بمدينة شيكاغو ، وسبق أن حكينا قصته في العربي .

انه يقول ان الصحف وصفت هذه الجريمة بأنها جريمة القرن . والواقع ان جرائم العنف تحدث الآن كل يوم . ومع هذا كلما سمعنا بجريمة عنف وقعت ، فتحنا اعيننا كأنما نرى شيئا غريبا نادرا .

وهو يقول ان المحللين النفسانيين يتجهون دائما الى تحليل حياة المجرم ، على أنه مريض . وما أكثر ما يردون الجريمة الى سطوة أم في الصغر ، وما الى ذلك . وهو ينعى على الطب النفساني انه اليوم في حالة يرثى لها ، وانه لم يجار في تطوره التطور السريع للمجتمع الحاضر .

ويقول الدكتور ورثام ان التشخيص للعلة في الفرد له نفعه ، ولكن يجب ان لا يفوتنا تشخيص العصر . ان هذا العصر الذى نحن فيه عصر العنف والجريمة العنيفة .

ونحن نربي بذور الجريمة في أطفالنا والصبية ، بنشر الف جريمة وجريمة في مجلات الصغار ، ونتخذ من العنف وسيلة من وسائل الاثارة والتسلية .

والتلفاز هو الآخر أصبح الكثير من قصصه معرضا متنقلا متجددا للجريمة .

وكثيرا ما يدعى المجرم المرض، ويدعيه محاموه . وفي السنوات العشرين الاخيرة لا نجد فيما يبحث النفسانيون بحثا واحدا جديرا بالتنويه ، يوضح الفرق بين الجنون وادعاء الجنون .

وقد أصدر الدكتور ورثام في الأشهر القريبة الماضية كتابا في العنف الأجرامي اسماه A Sign for Cain ، قامت بنشره شركة مكملان بالولايات المتحدة .

الولايات المتحدة تغرى علماء بريطانيا بالهجرة اليها

● بدات في هذه الاسابيع الماضية حملة امريكية في انجلترا لاغراء علمائها بالعمل في الولايات المتحدة بعقود مغرية. وبدا كذلك استياء الانجليز من هذه الحملة التى تفقد بها انجلترا الكثير من العقول الناضجة والخبرة الواسعة التى ظلت تصنعها السنوات في انتاج هؤلاء الرجال، في مدارس، وجامعات، ومعاهد للبحوث وصناعات .

ويريد بعض هؤلاء الناقمين ان تقوم الحكومة البريطانية بمنع أمثال هذه العقول الناضجة من مغادرة البلاد . وتأبى الاكثرية الكبرى من الانجليز ان يكون هذا هو السبيل لحل المعضل، وكفى عندهم أن هذا الحل يوصم بأنه أجراء يحد من حرية الافراد ولو لصالح الدولة .

والرأى عندهم هو النظر فى سبب استجابة هؤلاء العلماء الانجليز والخبراء، وكذلك الأطباء، الى طلب الولايات المتحدة، او بالأحرى طلب جامعاتها ومعاهدها وشركات الصناعة فيها .

وقد نظر من نظر فى ذلك ، وعرف ان هناك سببين أصيلين فى الخضوع لهذا

فضائح في مختبرات التحاليل الطبية

● واين وقعت هذه الفضائح ؟

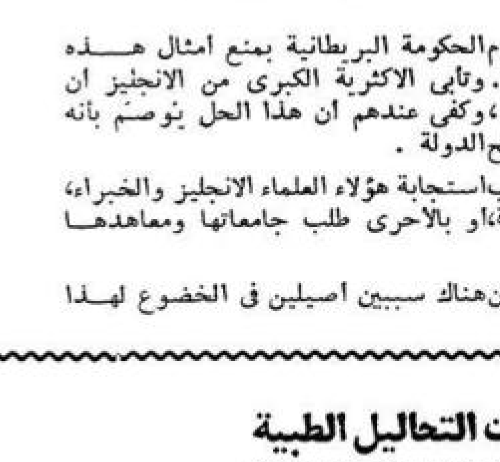
في مختبرات الولايات المتحدة .

ربع النتائج التى تخرج من هذه المختبرات خاطئة او مغشوشة .

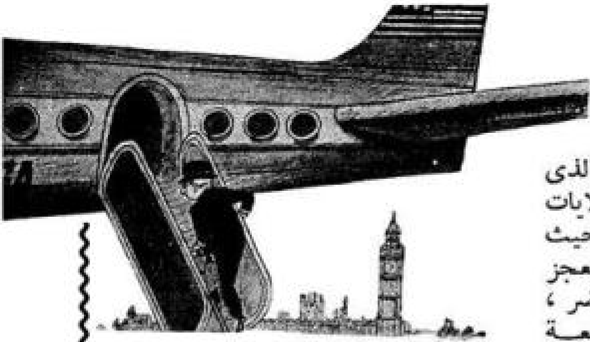
واذا كان هذا الحال فى الولايات ، فكيف الحال فى غيرها من البلاد التى هي اقل حيطة ، واكثر بهذه المختبرات ثقة ؟!

ان الطب اليوم يعتمد كل الاعتماد على هذه المختبرات . ونتيجة المختبر ، ان كانت خاطئة ، سالبة او موجبة ، ضللت الطبيب ، فوقع فى اخطاء فظيعة ، منها قتل النفس التى على الطب احياؤها .

أثير هذا الموضوع فى مجلس الشيوخ الأمريكي ، وقامت بفحصه لجنة من اعضائه . وخرجت من هذا الفحص بالأمور الآتية :



❋ ان من الفحوص التى تجرى فى الولايات المتحدة يخرج من المعامل ١٢٥ مليون نتيجة خاطئة سنويا ، هى ربع الاختبارات التى تجرى بها .



الاغراء ، أولهما الاستعداد الفائق الذى يسهل أمور الباحث العلمى فى الولايات لا سيما الباحث الناشىء ، من حيث الأجهزة والمكتبات ، تلك الأمور التى تعجز انجلترا ، فى اقتصادها المتعب الحاضر ، عن أن تبلغ به الكفاية للبحوث النافعة الناجحة .

أما السبب الآخر فالأجر الكبير . ان اجور انجلترا لا بأس بها ، وهى تزيد بالطبع زيادة كبيرة عن أجور العلماء فى الشرق العربى مثلا ، ولكنها تهبط هبوطا فاحشا عن اجور هؤلاء العلماء فى الولايات المتحدة .

وقد زاد تجميد الأجور فى بريطانيا ، والوقوف بالنفقات حتى لا تزيد ، زاد كلاهما فى زيادة هذه المشكلة اشكالا .

ان الحل الوحيد عند ذوى الرأى الغالب فى انجلترا ، هو أن تزيد الحكومة البريطانية وغير الحكومة فى الأجور ، وأن تزيد فى تزويد مراكز البحث بالذى تحتاج اليه من أجهزة ، ومن صحف ومن كتب .

* ان الانفعالات الشديدة التى تحدث بالمرضى ، تلك التى تحدث بسبب خطأ فى المطابقة بين الدماء عند تصنيفها Blood mismatching ، هذه الانفعالات قد يبلغ عددها فى العام الواحد ربع مليون انفعال ، بعضها قاتل .

* انه جرى فى ولاية كلفورنيا فحص ٣٢٨ حالة فقد فيها هذا العدد من الأطفال الحديثى الولادة حياتهم ، ودل الفحص على أن ٣٥٪ من هذه الحالات رجع سبب الموت فيها الى المختبرات ، لأسباب عدة ، منها نقص الرجال المختصين فى هذه المختبرات ، أو نقص الخبرة فى الرجال العاملين بها ، أو خطأ فى الطرق المتبعة فى التحاليل .

* انه فى أكثر الولايات لا يوجد نظام الترخيص لقيام المختبرات الطبية بفحوصها .

* انه فى أكثر الولايات لا توجد رقابة تحد من سوء استخدام البريد فى اجراء الفحوص الطبية . فهذه الفحوص البريدية تعتمد على رخص الأجور التى تتقاضاها . وهى تتمتع برواج كبير جدا . ويبلغ من جرأة بعض المختبرات انها تستمد تقاريرها الطبية من «البالوعات» ، أى انها لا تفحص العينات الطبية التى تأتيها من بول او دم ، أو غير ذلك ، وانما تصبها فى البالوعة صبا ، ثم تكتب التقرير سالبا ، أى تنفى فيه وجود المرض المشتبه فى وجوده .

وقد كان لهذه الاثارة زوبعة كبرى يؤمل الذين أثاروها ، وبعضهم من زعماء الطب فى الولايات ، أن يقضى مجلس الشيوخ بضرورة قيام نظام لهذه المختبرات يحمى الجمهور من اخطائها واخطارها ، فهى الجانب الوحيد من الجهاز الطبى الذى يقوم بغير ترخيص فى الولايات .

ولعل فى هذا الخبر غذاء للفكر فى الذى يجرى ، أو قد يكون جاريا ، من مثل هذا فى شرقنا العربى . ●●

الوطاويط

خفافيش الليل

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ من اسماء المخلوقات الحية ما تذكره فتنفتح له نفسك .

ومن اسمائها ما تذكره فتنغلق دونه النفس ، وقد تقشعر منه الابدان .

وليس كاقشعرار بدن امراة اذا انت قربت من جسمها وطواطا ، فاذا سألتها ان تتناوله بيدها ، فتلك هي الطامة الكبرى .

وليس الرجال فى مثل هذا باشجع من النساء ، واشجع كثيرا .

ويرجع هذا النفور بين المراة والوطواط الى اكثر من سبب . ومن اول هذه الاسباب ان الوطواط شكله كالفأر تماما . والنساء اذا صحت بينهن في حجرة باسم الفأر ، تنذر بأنك رأيت فى الحجرة فارا ، فما اسرع ما تثب النساء الى الكراسي تقف فوقها دفعا لهذه المصيبة التى لم تخطر لهن ببال .

فهذا خوفهن من الفار ، فكيف بالفار الطائر الذى لن تنجي منه حتى الكراسي .

والوطواط عند النساء ، اعمى ، وهن يخشونه لو كان مبصرا ، فكيف به وهو اعمى ، قد يصطدم فى طيرانه الخاطف بوجوههن ، او يستقر بين اثدائهن ، او فى شعورهن . والقصة القديمة العتيقة الكاذبة التى تقول ان الوطاويط تحب ان تعشش فى شعور النساء لاتزال الى اليوم تروى .

ثم صلة الوطواط بالبيوت الخربة وتعلقه بسقوفها . ثم صلة الوطواط ، بالليل ، وانه ينام النهار ليحيى ليله . وخال الناس ، زعما ، ان الليل يأتي من الاضرار بما لايأتي به النهار ، ولهذا سموا الرجال الذين يقضون الليل يعبثون فيه خفافيش ليل . وما الخفافيش



الوطواط الأسمر ، وهو المعروف في أوروبا وفي الشرق وتمتد مساكنه الى الهند ، وطول جسمه مع راسه ٢/١ ٣ بوصة

الا الوطاويط .

كل هذه الاشياء مجتمعة تجعل من الوطواط حيوانا غير حبيب ، مخيفا ، مرذولا .

الحقيقة عن الوطاويط

والحقيقةعن الوطاويط ، تلك الصغيرة التي تألفها ، أنها حيوانات ظريفة رقيقة، لاتضر أحدا . وللانسان منها ، حيث تكثر ، نفع غير قليل . ولرجل العلم فيها نظرات متشبعة ، تملأ الرأس فكرا ، وتملأ العقل حكمة ، وهو لايكاد يفرغ من دراستها ، بحسبانها مخلوقا بين مخاليق، حتى لايتمالك ان يقول سبحان الله .

ما الوطواط ؟

ان الوطواط يطير ، وان له اجنحة ، ولكن ليس هو من الطيور في شيء .

انه حيوان كالفأر شكلا ، كما قدمنا ، ومنه الذكر ومنه الانثى ، والانثى تلد وترضع أولادها وتحنو عليها . كل ما في الحيونات ذوات الاثداء (التي يصفها العلماء بالثديية) توجد في الوطواط ، ولكنه شذ عنها جميعا بأن كانت له اجنحة يطير بها .

اجنحة الوطواط ، أولى خصائصه

ونبدأ باجنحة الوطواط لأنها أخص ما في خلقه . وانت تراه في الصورة التي بالصفحة التالية طائرا يطير في سرعة فائقة ، قد مد جناحيه وسعهما ، وقد فتح فاه يلتقط فيه كل ما يلقى في الهواء من حشرات ، فهي غذاؤه .

وترى الجناح ، وهو من جلد رقيق ، لا من ريش كأجنحة الطير ، تراه قد

انبسط وسعه ، فأراك انه يضم الذراعين جميعا ، ويضم الرجلين كذلك ، ويضم حتى الذيل (نعم الذيل ، الم نقل انه شبيه بالفأر ، سوى ان الفأر قارض ، والوطواط غير قارض) .

وفي الشكل بالصفحة المقابلة ترى مقارنة بين ذراع انسان ، وذراع وطواط . انهما مخططات كمخطط المهندس حينما يريد بناء شيء . والمخططان ما اشبههما ، مخطط ذراع الانسان ، ومخطط ذراع الوطواط ذلك الذى أخفاه جناح . الفكرة الأساسية واحدة . هى في حسباني وحدة من وحدة الله . فلو كان اثنين لاختلفا .

ومن اجل ان الوطاويط ، على اختلاف صنوفها ، جمعت بين الذراع والجناح في تراكيب أجسامها ، سماها العلماء كيرو ـ بتيرا Chiroptera دلالة على رتبتها بين الحيوانات .

و « كيرو » معناها اليد ، و « بتيرا » معناه الجناح ، واذن فهى رتبة اليد المجنحة .

الوطواط يطير في ظلام

والوطواط ، وما زلنا نعنى به الوطواط من الصنف الصغير الذى ينتشر بين ظهرانينا ، هذا الوطواط يستيقظ في الليل ، وينام النهار . وهكذا هى كل صنوف الوطاويط تقريبا . ومسكنه البيوت الخربة غير المسكونة ، فالفجوات يجدها في الشجر وفي الصخر ، وعلى الأخص في الكهوف . وهو اذا سكن الكهوف سكن في اعماقها حيث الظلام دامس .

ولعل قيامه بالليل متصل بانه آكل حشر .

والوطواط قليل البصر . ولكنه ليس فاقده .

وهو لا يسقط على الارض الا ان يسقط لالتقاط خنفسة . ولكنه اذا اراد أن يمشي على الارض مشي زحفا على ما



هذا وطواط يطير باقصى سرعته ، وفمه مفتوح يتلقى فيه ما يجمع من حشر طائر . وترى في جناحيه ذراعيه والاصابع ، وكذلك رجليه . اما الشيئان الخارجان من الجناحين فالابهامان ، والخارج من الناحية الاخرى فالذيل .

كاد أن يكون أطراف أجنحته . وهو لكى يعود الى الجو من بعد انحطاط الى الارض ، يجب عليه أن يصعد على جذع شجرة أو نحوها ، ثم يلقى بجسمه في الهواء ، هابطا ، حتى اذا امتلأ جناحاه بالهواء استطاع أن يرتفع بهما ، أى بالجناحين ، في الجو .

وقلنا انه آكل حشر . وهنا نزيد فنقول ، انسجاما مع هذا الذى ذكرنا ، انه يصطاد وهو طائر ، والحشر طائر .

وهذا القول كله يصل بنا الى الخصيصة الثانية الكبرى من خصائص الوطواط ، تلك هى استخدامه ما أسماه الناس



ذراع الانسان وذراع الوطواط، وما بهما من عظام. والشبه واضح لا يحتاج الى بيان. وانظر الى ابهام الوطواط كيف برز وشذ عن سائر الاصابع. ان الوطواط يستخدم ابهاميه اذا هو مشى زحفا على الارض .

« بالرادار » ، يتحسس به ضحاياه من الحشر . ثم هو (وهو يطير في الليل ، وبهذه السرعة الهائلة التي هي لازمة للصيد، وبعينين لم يشتد بصرهما كثيرا) يتفادى به، بهذا الذي اسموه «رادارا»، أن يصطدم بالحجر وبالشجر وبكل عائق يلقاه في طريقه .

الوطواط يطير ويهتدي ولو قلعت عيناه اقتلاعا

انه يطير في الظلام الدامس فلا يصدم شيئا ولا يصدمه شيء .

وقد أطلقوا الوطاويط في حجرة نصبوا فيها الحبال متعامدة متصالبة ، وطارت بها الوطاويط فلم تمس حبلا منها .

وعلم الباحثون انه لا تستطيع عين ترى ان تلاحق سرعة الطيران هذه الخارقة ، فتمكنَ الوطواطَ من تفادي العقباب .

واذاً شكوا في العين اداةً للهدى . وحجبوا العينين بشرائط مصموغة، وظلت الوطاويط رغم ذلك تطير على العهد بها . ولما سدُّوا آذانها اضطربت احوالها واختلت ، واختلت حركاتها .

تجارب فظيعة

وقبل ذلك ، في أواخر القرن الثامن عشر ، أجرى العالم الايطالي الكبير ، اسبلنزاني Spallanzani الشهير بخصومته لبستور في شئون مكروباته ونظرياته ، أجرى هذا العالم الايطالي تجارب على الوطاويط نسيها العلماء حتى جاء القرن العشرون ، فذكروها .

وهي تجارب ، والحق يقال ، فظيعة. تضمنت ضحايا ، ولكنها ضحايا أفادت العلم كثيرا .

جاء اسبلنزاني بوطاويطه ، وقلع اعينها . وكان مأواها برج الاجراس بمدينة بافيا بايطاليا، ثم اطلقها . وطارت كعادتها ، لا يصدمها شيء ، ولا تصطدم بشيء . فكأن العينين ظلتا باقيتين في محجريهما . وعادت الوطاويط الى نفس مأواها ببرج الأجراس ، وحطت هناك كعادتها .

وقام اسبلنزاني اليها ، وبقر بطونها ، فوجد أنها مليئة بالحشر الذي صادته . ووجد بها الحصيلة الوافرة المعتادة من الصيد .

اذن ليست هي بالعين في الظلام تسير، ولا هي بها تتقى العقبات ، ولا هي بها تلتهم الحشرات .

وزادوا طيران الليل هذا ، في الظلام ، دراسة

وفي هذا العصر الحديث ، العصر

الالكتروني ، زادوا هذا الموضوع دراسة فخرجوا بالأعاجيب .

خرجوا بأن الوطواط يخرج اصواتا ذات ذبذبات عالية .

ان اوطأ صوت نغمة يخرجه البيان Piano ، اداة الموسيقى المعروفة، ينشأ عن ٢٧ ذبذبة في الثانية ، وارفع صوت نغمة يخرجه البيان ينشأ عن ٤٠٠٠ ذبذبة .

والاذن الانسانية لا تدرك النغمة التي تنقص ذبذبتها عن ١٦ في الثانية ، ولا التي تزيد على ٢٠٠٠٠ في الثانية .

والوطواط يخرج اصواتا ، تمتد امامه ، ثم تنعكس على ما تنعكس عليه من شجر او حجر او حشر ، وترتد اصداءً تحسُّها اذنه ، فتهديه الطريق . او تكشف له موضع الطعام .

وهذه الأصوات تخرج من الوطواط نبضات . نبضة من بعد نبضة ، تأذن للصدى أن يرتد .

وهي أصوات لها ذبذبات عالية ، مائة الف ذبذبة في الثانية مثلا . فهي فوق ما تسمعه اذن الانسان . وهي نبضة لا تستمر اكثر من نحو جزئين من الف جزء من الثانية . وفي اذن الوطواط الحس الكافي لادراك هذه النبضات عندما ترتد صدى.

وطول الموجة الصوتية التي تخرجها الوطاويط تتراوح بين عشر البوصة والبوصة الواحدة ، وهي كاطوال الحشر الذي لا بد ان تكشفه الوطاويط في طيرانها.

ويتألف مخ الوطواط من مساحات كبيرة متصلة بشئون السمع هذه ، اكثر مما بها من مساحة متصلة بشئون البصر .

تناسق

وهذا الائتلاف ، وهذا التوافق ، وهذا التناسق ، واقع بين امور ليس من ميسور البشر العادي تفهمها تفهما سهلا هينا .

ان في كل هذا ردا قاطعا على من زعم ان الخلق نشأ هكذا طبعا . فما عرفنا ان الطبع يدخل في الاشياء كل هذا العمق،بكل هذا العلم ، وبكل هذا الفن ، وبكل هذا التعقد والتركب ، وانه يشمل لا مخلوقا واحدا ، هو الوطواط ، ولكن مخاليق اخرى ، هي الحشرات ،ويشمل بيئة بذاتها ، بها شجر ، وبها حجر ، وبها هواء ، وبها ليل وبها نهار ، وبها عمى وبها ابصار .

بين السونار والرادار

ان العلم الحديث اهتدى الى ما أسماه السونار Sonar . فاذا ارادت سفينة حربية ان تكشف عن غواصة في المحيط ، ارسلت عبر الماء أصواتا ذات ذبذبات عالية ، فاذا هي التقت بالغواصة ،وارتد صداها الى السفينة، عرف القائمون على السونار كم بعدها . وذلك من المدة التي قضاها الصوت في ذهابه وايابه .

والعلم الحديث اهتدى كذلك الى الرادار . وهو موجات لاسلكية عالية التردد كذلك (طول الموجة دون المتر) يطلقها رجال الدفاع في السماء ، نبضات فاذا كان في السماء طائرة للاعداء ،ردت هذه الموجات صدى . والزمن الذي يمضي بين النبضة اللاسلكية وصداها ، وهي أجزاء من الثانية صغيرة جدا ، يدل على بعد الطائرة من موقع الرقابة الحربية هذا .

فالجهاز الذي يستخدمه الوطواط ليكشف عن اجسام طائرة في ظلام ليل ، شبيه بجهاز يستخدمه العلماء في الكشف عن أجسام لا تراها العين في سماء او في ماء .

وجهاز الوطواط أشبه بالسونار منه بالرادار .

وان يكن السونار نتيجة من انتجة الحرب العالمية هذه الماضية ، فلم يمض على استخدامه عشرات من السنين ، فسونار الوطواط مضي على استخدامه اياه من السنين ملايين

الوطاويط انواع مئات ..

الوطاويط تؤلف رتبة Order من رتب الحيوان تضم بضع مئات من الانواع، وهي تقسم عادة الى «وطاويط صغيرة»، او بالاسم العلمي ذات الأيدى المجنحة الصغيرة Microchiroptera، والى «وطاويط كبيرة» ، او بالاسم العلمي ذات الأيدى المجنحة الكبيرة Megachiroptera.

اما « الوطاويط الصغيرة » ، فمن امثالها الوطواط الأسمر الذى تحدثنا عنه ، وهو يزن نحو ١٥ جراما ، ويبلغ طوله نحو ٨ سنتيمترات . وهي منتشرة في المناطق المعتدلة . ولها اعين أصغر من أعين « الوطاويط الكبيرة » وتخالف الطيور ، وتخالف ما نعهد من ذلك في سائر الحيوانات . وليس معنى هذا انها عمياء. انها تبصر. ولكن بصرها ضعيف، ولكن لا تتوضح به التفاصيل .

أما « الوطاويط الكبيرة » فلها اعين كبيرة مبصرة تهديها كما تهدى العين الانسان .

ومنها الوطواط المسمى « بالثعلب الطائر » لشبه بينهما ، لا سيما في احجام العيون والآذان ، وهو اذا بسط جناحيه بلغ ما بين طرفيهما ٥ اقدام .

و« الوطاويط الكبيرة » لا تعرف في المناطق المعتدلة من الارض .

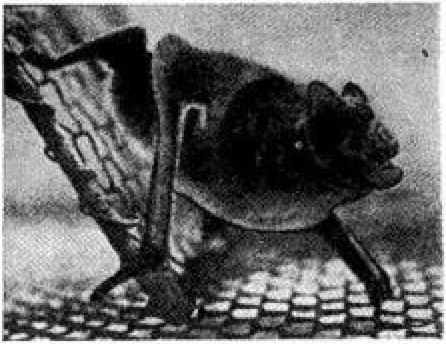
« والوطاويط الصغيرة » في عمومها آكلة حشر .

« والوطاويط الكبيرة » في عمومها آكلة فاكهة .

منافع ومضار

اما آكلة الحشر فنافعة حيث تكثر ، لانها تحمى الزرع من الحشر . حتى ليمهّد لها الفلاحون المساكن قريبة من الحقول. وهي فوق ذلك تخرج مما تأكل من حشر سمادا للزرع نافعا .

وغير ذلك آكلة الفاكهة . انها وبال على أصحاب الحدائق ، لا سيما في استراليا . وقد حرمت الولايات المتحدة استيراد هذه الوطاويط حية .



هذا هو الوطواط المسمى بالفمبير Vampire شارب دم الانسان والحيوان . انه لايكبر عن الفار الصغير كثيرا . وهو يجرح الجلد فلا يحس صاحبه من ذلك الما . ويأخذ الوطواط يلعق .

الوطواط مصاص الدماء

ويعرف في أمريكا الاستوائية ، حيث يكثر ، باسم فمبير Vampire . وهو يجرح الانسان ، ويجرح الحيوان ، فلا يحس الما . ثم يأخذ يلعق الدم . وهو لا يقترب من انسان وهو نائم .

وقد أساء الى دول امريكا الاستوائية بتعويق نمو تربية الحيوانات فيها. وليس ذلك لمقدار الدم الذى يمتصه منها، ولكن لانه ينقل شتى الامراض الى الحيوان ، حتى داء الكَلَب نشره هناك ، من حين لحين ، في الماشية . وفي الانسان .

الوطواط ، كم يعيش من السنين ؟

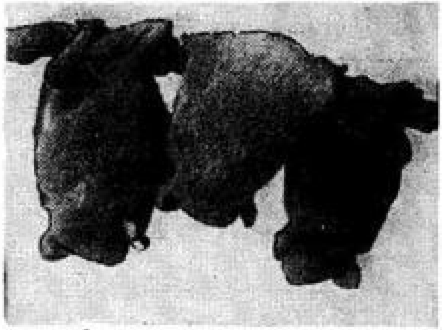
ان القاعدة العامة في الطيور وصواحب الاثداء من الحيوانات ، تقل أعمارها كلما قلت احجامها . والفأر من النوع الصغير يعيش عادة سنة أو نحوها .

وهو حتى في المختبرات العلمية حيث يتمتع بكافة العنايات الصحية لا يمتد عمره الى اكثر من ٣ أو ٤ سنوات .

والوطواط الاسمر ، آكل الحشر ، وساكن الكهوف ، يعيش من السنوات اكثر مما ينتظر له . ولعمل امتداد عمره



الوطواط الأم



الوطواط الأم ، وهي من النوع المعروف بالأحمر ، وقد تعلقت بفرع شجرة ، وهي ترضع اولادها الثلاثة ، وقد عكفوا على صدرها يطعمون من لبنها. وهي حينما قامت تسعى على رزقها ، علقت اولادها الثلاثة كما ترى في الصورة المجاورة . والوطاويط تتعلق اجسامها هكذا ، مقلوبة ، ولا يكلفها هذا جهدا كبيرا لان مخالبها مطوية الى الداخل ، فهي كالخطاف يركب مخلبه على كل ما تعلقت به من شجر او حجر او موضع خشن كان ما كان .

يرجع الى انه ينام الشتاء ، ويعمد كثيرا الى فترات من الخمول تطول . وفي نومة الشتاء تقل درجة حرارته كثيرا .

وقد اجريت تجارب اطلقت فيها الوطاويط تحمل اختاما عليها تواريخ اطلاقها ، ثم عاد منها من عاد بعد عشرة اعوام او ما فوق ذلك . ومن هذه ما اقتنص بعد ٢١ عاما .

الوطواط ، كيف يتوالد ؟

يتوالد كتوالد الانسان والثدييات جميعا .

الحيوان المنوى للذكر ، يخصب بويضة الانثى ، وتستقر هذه في جدار الرحم ، وينشأ الجنين ، وهكذا الى آخر المطاف .

واكثر الوطاويط الانثيات تلو الواحد في المرة الواحدة ، وتحمل مرة في العام. يستثنى من ذلك انثى الوطواط الاحمر الامريكي فقد تلد الثلاثة والاربعة من الولائد .

وتحمل الام ولائدها في الليالى القليلة الاولى، ثم تعلقها على الجدران والقضبان فتتشبث بها بمخالبها بمثل ما تتشبث الأم اذ تنام .

والوليد لا يلبث ان يتم نموا ويستقل بنفسه . ووليد الوطواط الاسمر يطير قبل أن يتم من عمره شهرا .

ومن غريب أمر الوطاويط أن انثياتها، اذا اقترب وضعها ، تجمعت في مغارة، مئات من الأنثيات دون ذكور . وبعد وضع وما يتبعه ، تترك المغارة فاذا هي فارغة ليس فيها مخلوق .

الوطواط ، اذا اغترب ، عاد الى أوطانه

وكذلك الطير .

وقد اجروا تجارب حملوا فيها وطاويط ، وهي معصوبة الاعين ، بعيدا عن أوطانها نحوا من ستين ميلا ، فعاد منها، في نفس الليلة، طائفة، اتجهت الى موطنها الاول في خط مستقيم لا تعرّج فيه .

وكيف تهتدي ؟ أبالنظر ؟ بالطبع لا. واذن فبماذا ؟ علم ذلك عند الله. ●●

أحمد زكي



شعر : جعفر محمد عثمان

■ توج الشيبُ رأسها في الشباب — بالتاج صاغته نار العذابِ
فَنيتْ في دخانها تشبه الشمعة الا في دمعها المُنساب
وكساها اللظى بياضَ رماد — بعد أن بزّها بياض ثياب
وغدا قدُّها الرشيق رفاتا — بعد أن كان كالغصون الرِّطاب
فنيت في الدخان والجاحم المسعور يقضى على رقيق الإهاب
وكأن الدخانَ إذ يتعالى — روحُها قد مضت لغير إياب
أوكأن الدخان ألسنُ شكوى — مؤلماتِ البيان والإعراب
وكأني بها تَسائلُ : ماذا — كان جرمي وفيم كان عقابي؟ !
كم لها من مُدلَّه تيَّمته — في هواها بسحرها الغلاب
لا تراه إلا مشوقا إليها — وإلى لثم ثغرها المستطاب
وهي في كل قبلة تتفرّى — تحت جمر مُسعَّر ذى التهاب
فاذا ما قضت ، تبدّلَ أخرى — ثم أخرى من بعد نيل الطِلاب
ودهاها بأشنع الغدر ، لما — نال ما يبتغيه من آراب
لم تَصنَ مثل سالف العهد ، لكن — نُبذت من هوانها في التراب
حسرتى ياشقية الحظ في الدنيا لِما ذقتِ من أليم المصاب
أنت للسجن ياشقية مذ كنت وللنار بعدَه والتبابِ ■■

طرائف عربية

حواء مصغرة

● يحكى ان عاتكة بنت يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان والدة يزيد بن عبد الملك ابن مروان حرّمت على اثنى عشر من الخلفاء من بنى امية .

معاوية جدها ، ويزيد أبوها ، ومروان ابن الحكم أبو زوجها ، والوليد ، وسليمان ، وهشام ، بنو عبد الملك أولاد زوجها ، والوليد بن يزيد ابن ابنها ، ويزيد بن الوليد ابن زوجها ، وابراهيم بن مروان ابن الوليد ابن زوجها ايضا ، ويزيد بن عبد الملك ابنها ، ومعاوية ابن يزيد بن معاوية أخوها ، وزوجها عبد الملك بن مروان ، ولم يتفق ذلك لامراة غيرها .

علامات الهوى !!

● اعلم ان أولى علامات الهوى على ذى الادب ، نحول الجسم ، وطول السقم ، واصفرار اللون ، وقلة النوم ، وخشوع النظر ، وادمان الفكر ، وسرعة الدموع ، واظهار الخشوع ، وكثرة الانين ، واعلان الحنين ، وانسكاب العبرات ، وتتابع الزفرات . ولن يخفى المحب وان تستّر ، ولا يتكتم هواه وان تصبّر .

كلمات بالف ألف درهم

● وفد عبد الله بن جعفر على احد خلفاء بنى امية ، فقال له الخليفة : كم كان امير المؤمنين يعطيك ؟ قال : كان رحمه الله يعطينى الف الف درهم . قال : زدناك لترحمك عليه ، الف ألف درهم . قال ابن جعفر بأبى انت وامى . قال الخليفة ، وبهذه الف ألف . قال لا اقولها لأحد بعدك . قال ولهذه الف الف . قال منعنى من الاطناب فى وصفك الاشفاق عليك من جودك . قال الخليفة ولهذه الف الف .

فقال له احد الجلوس ، فرقت يا امير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل واحد ! فقال الخليفة : انما فرقته على اهل المدينة ، ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لا يشعر ، فلما قدم المدينة فرّق جميع ما معه حتى احتاج بعد شهر الى قرض !

رأىٌ لِلعَرَبِ

● يحب الرجل العربى من المراة ان تملأ اقطار عينيه طولا وعرضا ، وامتلاء واستواء ، وأن تكون الى كل ذلك كحلاء ، عيناء (عظم سواد العيون واتساعها) زجاء (دقة الحاجبين) ، بلجاء (تباعد ما بين الحاجبين ونقاوته من الشعر) ، بيضاء ، شماء (دقة الانف واستواء قصبته) ماشورة (دقة الاسنان وحدة

أقـوال مأثورة

* ما اشد الحاجة الى الحذر فى أوقات الأمن .
* قل الحق للكل وفى كل مكان وان قتلك . فان قتل الحق خير من حياة الباطل .
* دنياك كلها وقتك الذى انت فيه .

حقـوق الجـار

● قيل انه كان لابي حنيفة جـاراسكاف بالكوفة يعمل نهاره ، فاذا جنه الليل رجع الى منزله بلحم وسمـك فيطبخ اللحم ويشوى السمك ، فاذا دب فيه السكر انشد :

اضاعوني واى فتى اضاعوا ليوم كريهـة وسـداد ثغـر

ولا يزال يشرب ويردد البيت الى ان يغلبه السـكر وينام . وكان الامـام ابو حنيفة يصلي الليل كله، ويسمع حديثه وانشاده ، ففقد صوته بعض الليالي ، فسأل عنه ، فقيل : اخذه العسس منذ ثلاثة ايام ، وهو محبوس ، فصلى الامام الفجر ، وركب بغلته ومشى ، واستأذن الامير ، فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط ، فلما دخل على الامير اجلسه مكانه ، وقال : ما حاجة الامام ؟ فقال : لي جار اسكاف اخذه العسس منذ ثلاثة ايام ، فتامر بتخليته .

فقال : نعم ، وكل من اخذ تلك الليلة الى يومنا هذا .

ثم أمر بتخليته وتخليتهم اجمعين ، فركب الامام وتبعـه جاره الاسكاف ، فلما وصل الى داره ، قال له الامام : اترانا اضعناك ؟

قال : لا بل حَفِظت ورعيت جزاك الله خيرا من صحبة الجوار ، ولله علي ان لا أشرب بعدها خمرا ، فتاب من يومه ، ولم يعد الى ما كان عليه !

هم بقتلهم ... فاجازهم !

● حكى عن معن بن زائدة الشيباني انه اتى بجملة من الأسرى ، فعرضـهم على السيف ، فقال له بعضهم : اصلح الله الأمير ، نحن اسراك ، وبنا جوع وعطش، فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل. فأمر لهم بشراب فأكلوا وشربوا. ومعن ينظر اليهم ، فلما فرغوا ، قال احدهم : اصلح الله الأمير : كنا اسراك، ونحن الآن اضيافك ، فانظر ما تصنع بأضيافك . قال : قد عفوت عنكم . فقال الرجل : ايها الأمير ما ندرى اى يوم أشرف . يوم ظفرك بنا او يوم عفوك عنا . . فأمر لهم بمال وكسوة .

فى الجَمَال

اطرافهـا) فلجـاء (تباعد بين الثنايا والرباعيات) لمياء (سمرة في الشفاه) لعساء (سمرة في حمرة في بشرة الجسم)، جيداء (ذات رقبة طويلة) ، غيـداء (نعومة في العنق) اثيثة الشعر (طويلته على حسن واسترخاء) ، مشرقة النحر، مهضومة الخصر .

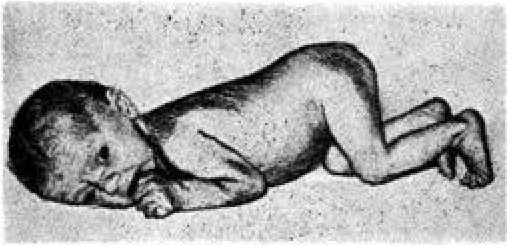
هكذا كانت لغتهم !

صفحة من الطب المصور

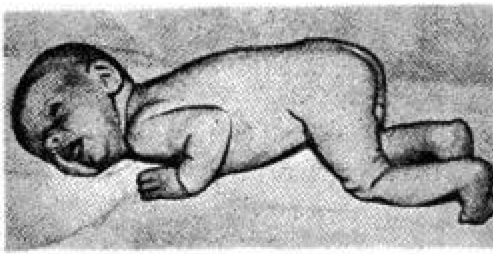
الطفل رجل مكتمل الأعصاب



١ ــ الوليد عقب ولادته . لاحظ راسه ، انه يميل الى جنبه. وعَجزه مرتفع فوق مستوى جسمه. وركبتاه تحت بطنه .



٢ ــ بعد نحو ٣ او ٤ اسابيع . عَجزه لا يزال مرتفعا ، وركبتاه ليستا الآن تحت بطنه .



٣ ــ ما بين ٤ الى ٦ اسابيع . زاد عجزه انخفاضا وانبسطت الرجلان اكثر ، والذقن يستطيع الطفل الآن ان يرفعه عن الفراش مؤقتا .

■

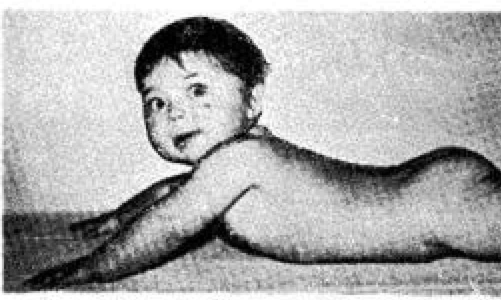
٤ ــ بعد ستة اسابيع استطاع الطفل رفع ذقنه عن الفراش فاعتدل وجهه بالنسبة لجسمه اما العجز فقد تم انبساطا او كاد .





٥ ــ بين ١٢ الى ١٤ اسبوعا ، حمل الطفل وزن جسمه على ذراعيه، وارتفع وجهه وكتفاه عن فراشه .

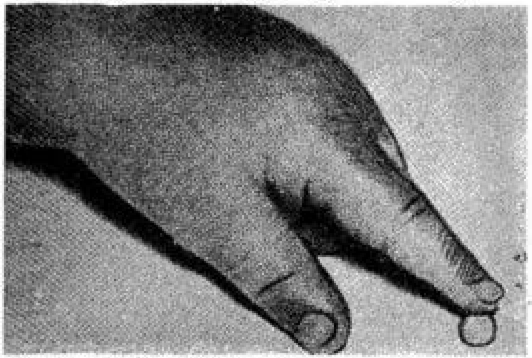
■ الطفل يولد رجلا كاملا ، أو امراة كاملة ، من حيث مراكز الاحاسيس من جهازه العصبي ، ومن حيث مراكز الحركة فيه . كل عصب لكل حس ، وكل عصب لكل حركة ، موجود ، انما هو يحتاج الى استكمال نموه ليتم ويعمل . وتتكشف وجوه المهارة فى الطفل ، التى العصب أساسها ، شهرا من بعد شهر . وهى صور من المهارة لا تحتاج الى تدريب . وفى الصور الفوتغرافية المرفقة ، بعض هذه الاطوار التى يتطورها الطفل ، من ذات نفسه ، بحكم الطبع .



٦ ــ الطفل وقد اكتمل ٢٤ أسبوعا . ارتفع صدره عن الفراش ، وحمل ثقله على يديه مبسوطتين ، وانبسطت كذلك ذراعاه .



٧ ــ وعند اكتمال الشهر السادس يقبض الطفل بكفه كله على ما تعطيه اياه من شيء ، فاذا أعطيته شيئا آخر أسقط الشيء الاول ليأخذ الثانى





٨ ــ وعند اكتمال نحو ٤٠ اسبوعا يبدأ الطفل يعالج حبة كهذه ليأخذها . فأولا هو يمسها بسبابته ، ثم يضم الى السبابة ابهامه ، ويرفع الكرة الصغيرة .

■

٩ ــ واذا أكمل عاما ، استطاع ان يلتقط الاجسام بين سبابته والابهام مباشرة كما يفعل الكبار .

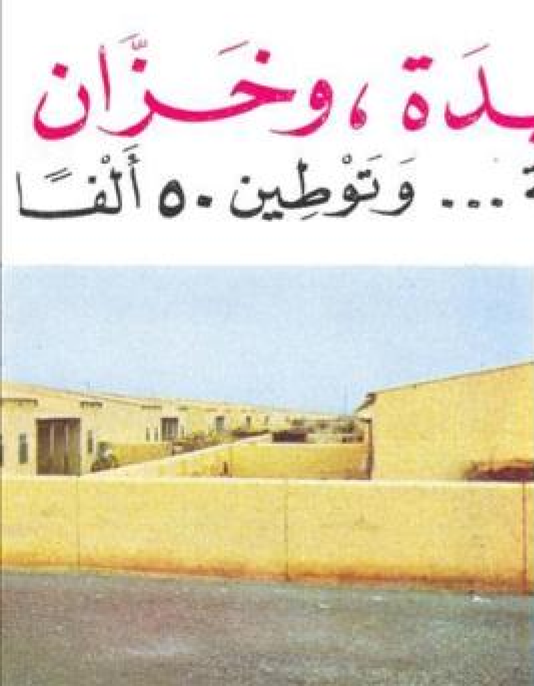




المزرعة التجريبية وهى تقع في منتصف الطريق تقريبا بين خشم القربة ومدينة حلفا الجديدة

حلفا الجديدة، وخزان

حياة مستحدثة ... وتوطين ٥٠ ألفا



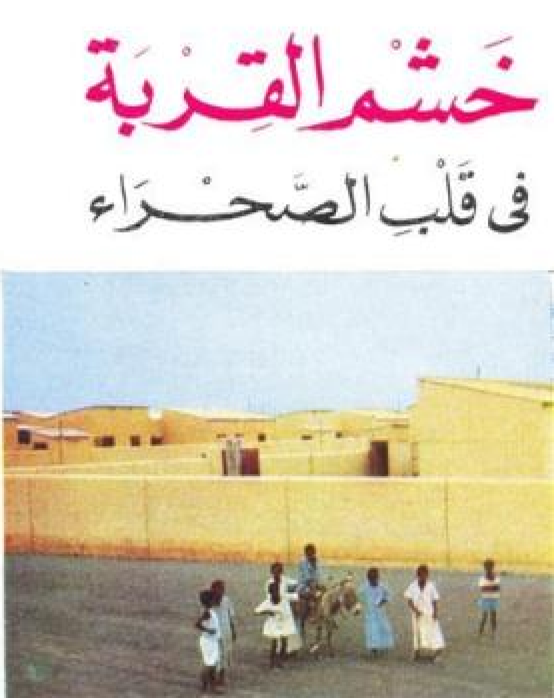
■ كانت الارض هى كل شيء بالنسبة لسكان منطقة حلفا منذ الاف السنين ، ففى هذه الارض ولدوا ونشأوا وعاشوا على ضفتي النيل العظيم. وكانت خصوبة أرضهم من أهم عوامل الاستقرار التى جعلت حياة سكان هذه البلاد ترتبط ارتباطا وثيقا بها . ثم قام السد العالى قرب أسوان معلنا بداية عهد جديد ... فقد كان هذا المشروع الضخم نقطة تحول في تاريخ مجرى النور الخالد من أجل مستقبل أفضل ، ومن أجل حياة أكثر



محطة توليد الكهرباء بسد خشم القربة .. وتستطيع المحطة أن تنتج كهرباء بقوة ١٣ ألف كيلووات

خَشْم القِرْبَة
فى قَلْبِ الصَّحْرَاء

الى اسفل اليمين : المنازل التى شيدتها الحكومة في القرى السكنية بحلفا الجديدة .. ويبلغ عدد هذه القرى ٢٢ قرية .



اشراقا وازدهارا لمصر والسودان معا .

ودخلت منطقة النوبة الواقعة بين الحدود الجنوبية للجمهورية العربية المتحدة ، والحدود الشمالية لجمهورية السودان ، في طور جديد . فقد غمرت مياه البحيرة الصناعية الضخمة ، التى يحجز فيها السد مياه النيل ، أراضي شاسعة في جنوب مصر وشمال السودان تبلغ مساحتها خمسة آلاف كيلومتر مربع .

واستطاع الانسان العربى أن يحقق المعجزة

فسيطر على النهر الجبار سيطرة كاملة ، واخضعه لارادته وتحكم في مياهه . ولكن مع هذه المعجزة حدث ما لا بد أن يحدث من غرق عدد من المدن والقرى الواقعة بين مدينة أسوان ومدينة وادى حلفا حيث تمتد البحيرة الهائلة وراء السد الى مسافة ٥٠٠ كيلومتر طولا ، يقع ٣٥٠ منها داخل حدود مصر و ١٥٠ داخل حدود السودان .

اتفاق الدولتين

وكان لا بد أن تتفق الدولتان ، الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية السودان قبل البدء في بناء السد العظيم . وفي اليوم الثامن من نوفمبر عام ١٩٥٩ تم عقد اتفاق بين البلدين يقضي بأن تنشىء الجمهورية العربية المتحدة السد العالى كأول حلقة من مشروعات التخزين المستمر في النيل . وتعهدت حكومة السودان طبقا لهذا الاتفاق بأن تتخذ اجراءات ترحيل سكان منطقة حلفا وغيرهم من السكان السودانيين الذى ستغمر أراضيهم مياه التخزين بحيث يتم نزوحهم نهائيا في موعد محدد . ويعنى ذلك ترحيل ٥٠ ألفا من الاهالي وزوال الاراضي الزراعية والمنشئات السكنية في المنطقة المغمورة ، كما يعنى أيضا ايجاد موطن مناسب وبناء منازل لهم وتحسين حالهم .



خريطة تبين موقع مدينة حلفا القديمة ومدينتى خشم القربة وحلفا الجديدة بالسودان وقد اشير بالاسهم الى خط سير الهجرة من حلفا القديمة الى حلفا الجديدة .

وقد دفعت حكومة الجمهورية العربية المتحدة مبلغ ١٥ مليون جنيه تعويضا للاهالى الذين ستغرق مياه البحيرة قراهم .

وهكذا تندثر حياة قديمة لتقوم مكانها حياة افضل حديثة .

ولن يتسع المجال لكي نعدد الفوائد الضخمة التى ستعود على البلدين بعد اتمام بناء السد العالى ، ولكن يكفي أن نشير الى الملايين من الافدنة التى سيتم استصلاحها ، والى ملايين الكيلووات من الكهرباء التى ستغمر المدن والقرى بضوئها لأول مرة في التاريخ ، وأخيرا الى الصناعات الجديدة التى ستعتمد على الكهرباء .

مدينة في الصحراء

لقد طارت بعثة « العربى » الى المدينة الحديثة التى قامت في قلب الصحراء لتقدم صورة الحياة في حلفا الجديدة . كيف يعيش الاهالى الذين تركوا أرضهم وهجروا مدينتهم ليبدأوا حياتهم من جديد ؟ ماذا كان شعورهم وهم يفارقون الارض التى ارتبطت بها حياتهم منذ آلاف السنين ؟ هل هم سعداء في مدينتهم الجديدة ؟ .. كلها أسئلة كانت تدور في رؤوسنا ونحن ننطلق بالسيارة من كسلا الى المدينة الجديدة في منطقة « خشم القربة » .

منطقة بعيدة

ووصلت بنا السيارة أخيرا الى منطقة مشروع خشم القربة التى تشهد اليوم أضخم عملية توطين في تاريخ السودان ، وكان أول شيء لفت نظرنا هو بعد هذه المنطقة عن المدينة القديمة التى غمرتها مياه السد العالى ، فهي تبعد ٦٠٠ ميل عن حلفا القديمة و ٢٧٠ ميلا عن الخرطوم .

وسألنا السيد طه عثمان سكرتير لجنة توطين أهالي حلفا : « لماذا اختيرت هذه المنطقة بالذات لتصبح موطنا جديدا لأهالي حلفا القديمة ؟ ألم تكن هناك منطقة أخرى قريبة يمكن أن تقوم فيها المدينة الجديدة » ؟

فقال : « في بداية عملية التهجير كانت هناك ست مناطق مقترحة لاعادة توطين أهالي حلفا القديمة ، وعلى أثر تحديد هذه المناطق بدأت دراسات طويلة لاختيار أصلحها ، وأخيرا استقر الرأى على بناء المدينة الجديدة في منطقة « خشم القربة » دون غيرها من المناطق الأخرى المقترحة لعدة أسباب أهمها :

سر اختيار خشم القربة

أولا — ان منطقة خشم القربة منطقة شاسعة وأرض بكر عذراء معظم أراضيها خصبة للغاية وتصلح للزراعة . وقد تم مسح شامل لتربة هذه الارض أثبتت صلاحيتها صلاحا كاملا لزراعة مختلف أنواع المحاصيل والفواكه . وتقدر مساحة الارض الصالحة للزراعة في هذه المنطقة بحوالي نصف مليون فدان .

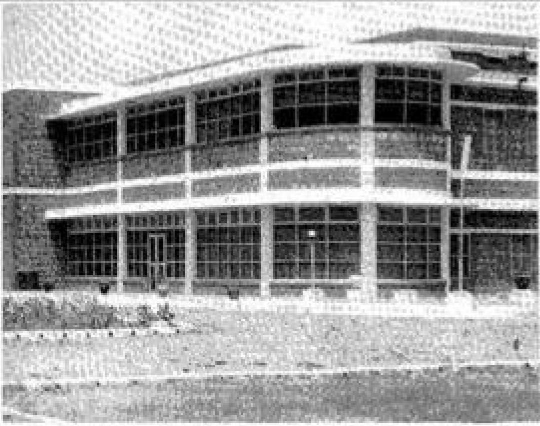
ثانيا — ان الارض كلها ملك للحكومة ، وبذلك سهلت مهمة توطين الاهالي فيها ، بينما الاراضي الواقعة في بقية المناطق التى كانت مقترحة لا تمتلك فيها الحكومة أكثر من ٢٥٪ من مجموع مساحتها .

ثالثا — ان هذه المنطقة خالية من الامراض المتوطنة أو الوافدة ، لأنها منطقة تكاد تكون مهجورة ، الا من بعض أفراد قبائل الشكرية الذين يعملون بالرعى وينتشرون في مديرية كسلا .

رابعا : ان فكرة اقامة مشروع خزان « خشم القربة » كانت موجودة قبل البدء في بناء السد العالى ، وقد شجع هذا المشروع على تعمير المنطقة المحيطة به وتوطين أهالى حلفا القديمه في الارض التى سترويها مياه الخزان .

مشروع « خشم القربة »

ونبدأ جولتنا الآن في تلك المنطقة الشاسعة التى تقع في مديرية كسلا والتى أطلق عليها مشروع



منظر لجانب من مبنى الاستراحة التى شيدتها الحكومة للمهندسين والضيوف الرسميين بخشم القربة ، وقد زودت بكل وسائل الراحة .

* * *

« خشم القربة » ، و « خشم » معناه فم ، وقد سميت المنطقة بهذا الاسم لأن مياه نهر عطبرة الذى شُيِّدَ عليه الخزان ، كانت تجرى على شكل قربة مفتوحة عندما تصل الى هذه المنطقة . ان أهم ما يميز خشم القربة هو الخزان الذى أقيم لحجز مياه النهر التى كانت تذهب سدى في الارض الصحراوية الجدباء الممتدة حتى مدينة عطبرة في شمال الخرطوم .

وقد تكلف بناء الخزان حوالى ١٤ مليون جنيه وبدأ العمل فيه سنة ١٩٦٢ واستمر حتى عام ١٩٦٤ ، وبذلك أمكن توفير المياه الكافية لرى نصف مليون فدان ، بأحدث الوسائل عن طريق الترعة الرئيسية التى شقت أمام الخزان ويبلغ طولها ٢٦ كيلومترا والتى تتفرع منها ترع صغيرة لتوصيل مياه الرى الى أراضي المنطقة .

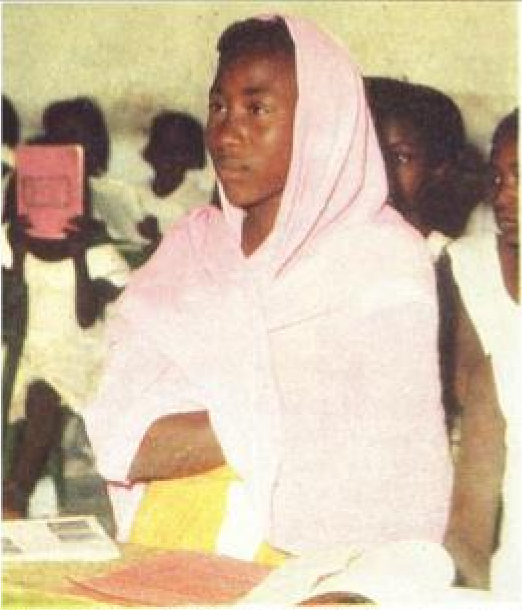
مزارع غنية

وقد كان من أثر هذا المشروع أن تحولت تلك الاراضي الزراعية الخصبة الواقعة على الضفة الغربية لنهر عطبرة الى مزارع غنية يصل نصيب أهالي حلفا منها الى ١٢٠ ألف فدان تزرع بمختلف المحصولات التى ثبت نجاح زراعتها طوال أشهر السنة .

لقد أقيم خزان خشم القربة في منطقة تبعد ٨٠ ميلا عن منابع نهر عطبرة الذى يستمد مياهه

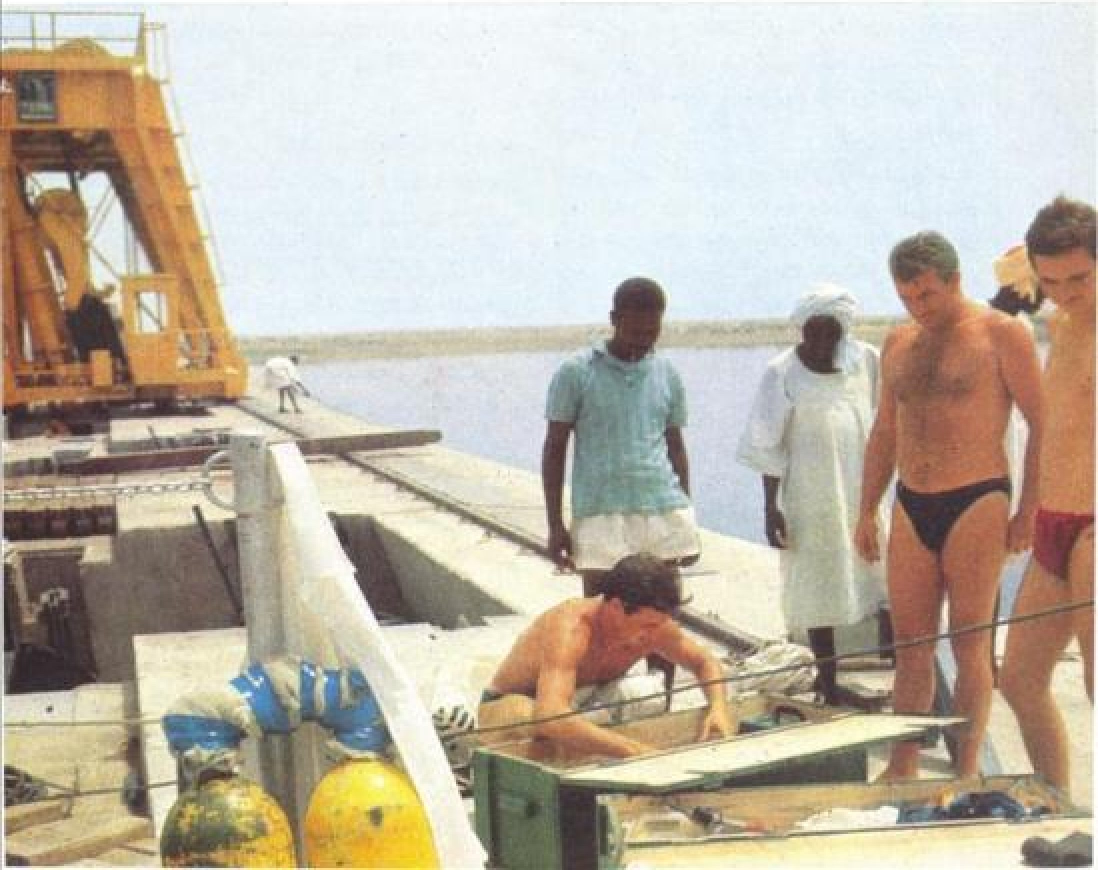


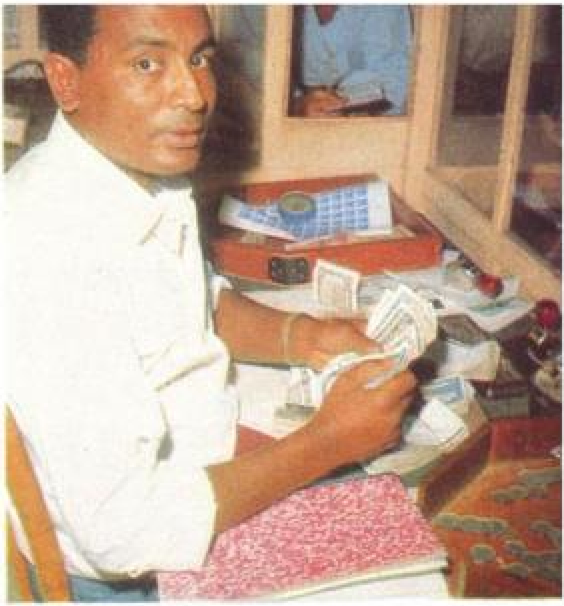
مسجد حلفا الجديدة : شيد في بداية التهجير أوائل عام ١٩٦٤ .



تلميذة في مدرسة حلفا الجديدة الابتدائية قالت : « ان الحياة هنا جميلة ولكننا افتقدنا منظر نهر النيل » .

يقوم الغواصون الإيطاليون بانتشال الاشجار التي تهدد بسد البوابات السفلى للخزان





موظف فى البنك التجارى السودانى قال : « اننا نعيش ونبنى حياتنا الجديدة فى هدوء وثقة بالمستقبل»



تاجر بقالة وخردوات فى حلفا الجديدة قال : « لقد ضحينا من اجل عمل اضخم واكبر »

لفيف من سيدات حلفا الاعضاء فى الاتحاد النسائى ، وتقول رئيسة الاتحاد : « ان هدفنا الاول هو النهوض بمستوى المرأة ثقافيا واجتماعيا » .



من هضبة الحبشة ويصب في نهر النيل عند مدينة عطبرة . وقد زرنا السد وخزان المياه العظيم الذى يحتجزه السد وراءه وتبلغ مساحته ١١٥ كيلومترا مربعا تبدأ عند قرية « خشم القربة » وتنتهى عند نقطة تبعد ٤٠ ميلا عن القرية .

وعندما يبدأ موسم التحاريق تبدأ المضخات في نقل المياه من الخزان الى القناة الرئيسية لرى الاراضي الخصبة الواقعة على الضفة الغربية للنهر .

المياه الضائعة

قال لنا المهندس السر محمد أحمد مدير مشروع الرى ، ان نهر عطبرة يحمل سنويا ١٢ مليار متر مكعب من المياه الى نهر النيل ، ولكن جزءا كبيرا من هذه المياه كان يضيع سدى اثناء رحلة النهر الطويلة عبر الصحراء الى مدينة عطبرة . أما الآن فقد أصبح من الممكن حجز مليار وثلث مليار من المياه التى تكفى لرى أراضي المشروع في مدينة حلفا الجديدة .

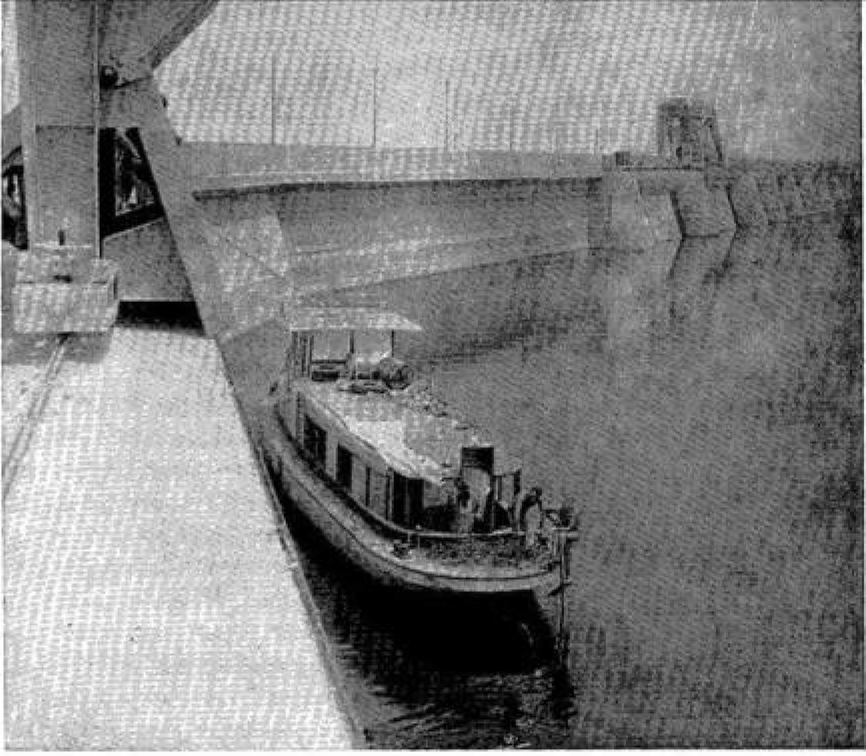
ويبلغ طول السد نفسه اربعة كيلومترات منها ٥٠٠ متر شيدت بالخرسانة المسلحة والباقى عبارة عن سد ترابى . كما يبلغ ارتفاع السد ٥٠ مترا ، محسوبا من قاع النهر وبه سبع بوابات سفلى عند مجرى النهر وخمس بوابات عليا الى جانب بوابتين أخريين لتغذية القناة الرئيسية بالماء . ولكن هذه البوابات تتعرض لخطر الانسداد وقت الفيضان بواسطة جذوع الاشجار الضخمة التى تجرفها مياه نهر عطبرة أمامها . ولذلك فقد عمدت ادارة الرى الى التعاقد مع عدد من الغطاسين الايطاليين الذين يغوصون الى الاعماق ويبحثون عن جذوع الاشجار المشبعة بالماء والتى تهدد بشل حركة البوابات السفلى . وتتلخص مهمة هؤلاء الغطاسين في العثور على هذه الاشجار أولا ثم ربطها بالحبال والسلاسل الحديدية المثبتة في ونش كبير متحرك فوق الخزان لانتشالها وابعادها عن مجرى النهر .

وقد قامت بتنفيذ خزان خشم القربة شركة تورنو الايطالية وعلى أثر اتمام المشروع في عام ١٩٦٤ ، غادر مهندسو الشركة المنطقة تاركين وراءهم عددا من المنازل التى كانوا قد شيدوها لسكناهم . وقد خصصت هذه المنازل الآن لسكنى المهندسين والعمال السودانيين التابعين لوزارة الرى والزراعة والذين يعملون في الخزان ، كما

• • •

الأكواخ التى شيدها أفراد قبيلة الشكرية لسكناهم في خشم القربة .. وقد بدأوا جميعا يتحولون من التنقل وراء المرعى الى الزراعة والاستقرار ويبلغ عدد أفراد هذه القبيلة حوالى مائة الف .





منظر عام للسد الذى أقيم فوق نهر عطبرة ، وهو نهر ينبع من هضبة الحبشة ويحمل مياه أمطارها ويصبها فى النيل ، وقد أقيم السد على بعد ٨٠ كيلومترا من منابع نهر عطبرة ليحجز وراءه مياه الفيضان الواردة اليه من الحبشة . ومن هذه المياه المحجوزة وراء السد تخرج القناة التى تمد بالمياه منطقة حلفا الجديدة .

* * *

اقامت الحكومة أيضا منازل أخرى صحية لعمالها فى المنطقة المجاورة للسد مباشرة .

قرية صغيرة هادئة

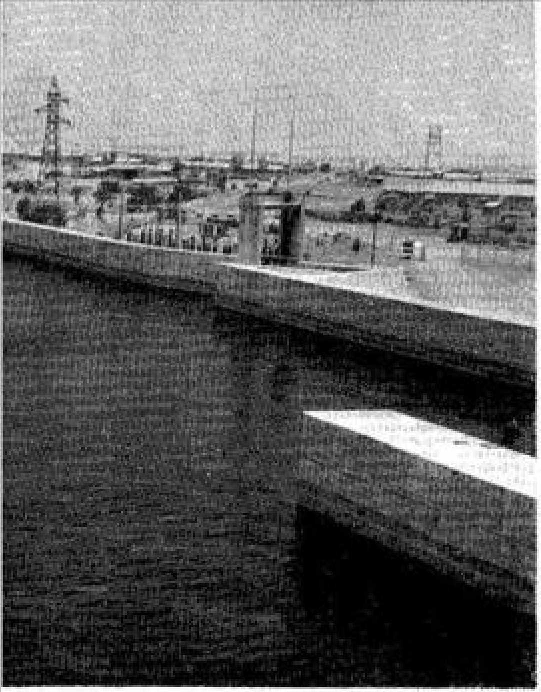
وننتقل بك الآن فى جولة بقرية « خشم القربة » قبل أن نتجه غربا الى مدينة حلفا الجديدة التى تبعد عنها بحوالى ٥٨ كيلومترا . لقد كانت قرية « خشم القربة » مقرا لادارة توطين المهاجرين من حلفا القديمة الىحلفا الجديدة ثم بدأت الترتيبات بعد ذلك لنقل ادارة التهجير الى حلفا نفسها .

وقرية خشم القربة صغيرة هادئة معظم سكانها كما قدمنا من المهندسين والعمال الذين يعملون فى الخزان ، وكل شىء فيها معد لخدمة هذه الفئة من العاملين الذين خلقوا تلك الحياة الجديدة لعشرات الالوف من المواطنين السودانيين فى قلب الصحراء .

وفى القرية أيضا سوق كبير يستطيع العاملون أن يجدوا فيه كل ما يحتاجون اليه ، كما يوجد فيها عدد من المدارس الاولية والابتدائية التى يتلقى فيها أبناء المهندسين والعمال علومهم .

قبائل الشكرية

اما سكان القرية الاصليين فهم من العرب الرحل الذين ينتمون الى قبيلة الشكرية ، والذين جاءوا الى هذه المنطقة قادمين من شبه جزيرة العرب عند فجر الاسلام . وقد بدأ هؤلاء يستقرون فى القرية ليشتغلوا بالزراعة التى وفرتها لهم مياه خزان خشم القربة . وتبلغ مساحة الارض التى خصصتها لهم الحكومة حوالى ٢٥ الف فدان . واصبح افراد هذه القبيلة يعيشون الآن فى الاكواخ التى شيدوها فى اطراف القرية من الاشجار وسعف النخيل مكونة عدة قرى صغيرة متناثرة .



القناة التي تمد بالمياه منطقة حلفا الجديدة ، وتمتد هذه القناة ٢٦ كيلومترا ثم تتفرع بعد ذلك صحراء ، ثم أصبحت تزرع

وافراد هذه القبيلة قوم منطوون على أنفسهم، الا أنهم تخلوا عن هذا الانطواء لأول مرة في حياتهم عندما بدأت عملية تهجير أهالي وادي حلفا . فخرجوا جميعا من عزلتهم ليعدوا لهم استقبالا حارا نحروا فيه الذبائح وأقاموا المهرجانات القبلية وقدموا الهدايا . أما سر هذا التحول فيرجع الى أن أفراد هذه القبيلة كانوا يدركون ان وصول المهاجرين معناه التعجيل بتنفيذ مشروع « خشم القربة » الذى أحدث انقلابا في حياتهم . وننتقل الآن الى حلفا الجديدة .. الى المدينة التى قامت في قلب الصحراء لتصبح وطنا جديدا لحوالي ٥٠ الف مهاجر من المنطقة التى غمرتها مياه السد العالى على الحدود الجنوبية للجمهورية العربية المتحدة حيث تجرى الآن معجزة بناء السد .

لقد قمنا برحلتنا الى حلفا الجديدة بالسيارة التى انطلقت بنا في ساعة مبكرة من الصباح .

وسرنا بمحاذاة القناة الرئيسية والخط الحديدى الذى يربط المدينة الجديدة بجميع انحاء السودان . وتمتد القناة التى أحدثت مياهها العذبة ثورة في حياة الارض ، الى منطقة يطلقون عليها اسم « قنطرة ٢٦ » وهى منطقة تبعد ٢٦ كيلومترا عن الخزان ، وعندها تتفرع القناة الرئيسية الى قناتين .. القناة الشرقية والقناة الغربية ، وعلى جانبي القناتين تنتشر قرى الاسكان التى يبلغ عددها الآن ٢٢ قرية ما لبثت أن ارتفعت الى ٣٢ قرية عندما تمت المرحلة الثالثة والاخيرة من عملية التهجير في نهاية العام الماضي . وتحمل هذه القرى أرقاما مسلسلة من رقم (١) الى رقم (٣٢) ، وهى تحيط بالمدينة الرئيسية او مدينة حلفا الجديدة من كل اتجاه ، وتبلغ مساحة الارض التى تشغلها مع الارض التى وزعت على الأهالى لاستصلاحها وزراعتها حوالى ١٢٠ الف فدان .

مساكن القرى

وتضم كل قرية من هذه القرى عددا من المنازل السكنية يتراوح بين ١٧٥ و ٢٥٠ منزلا من بينها عشرة منازل كبيرة للاسر الكبيرة التى تحتاج الى اكثر من غرفتى نوم . اما بقية المنازل فهى تتألف من غرفة نوم واحدة أو غرفتين للنوم . وفي كل قرية من هذه القرى السكنية ، مدرسة ووحدة علاجية ومولدة وسوق لبيع الخضراوات واللحوم وكل شيء يحتاج اليه الأهالى . ويربط بين هذه القرى الصغيرة عدد من سيارات الاوتوبيس التى تنقل المواطنين من قرية الى أخرى قاطعة المسافة التى تفصل بين القرية والقرية ، وقدرها خمسة كيلومترات ، في حوالى ربع ساعة . وقد تجهزت كل هذه المساكن وتم التخطيط لها قبل بدء التهجير .

ووزعت الحكومة على كل أسرة من الأسر التى تسكن هذه القرى الجديدة فدانا من الارض لزراعته بالخضراوات التى يحتاجون اليها في غذائهم اليومى ، الى جانب ١٥ فدانا تقوم الأسرة بزراعتها فولا وقطنا وقمحا . وهى المحاصيل التى ثبت نجاح زراعتها بعد التجارب التى أجريت في المزرعة التجريبية ، التى تقع في منتصف الطريق تقريبا بين « خشم القربة » ومدينة حلفا الجديدة .

حركة الانشاء والتعمير

وقد زرنا هذه المزرعة قبل أن نصل الى القرى النموذجية التى تتألف منها منطقة حلفا الجديدة، وتشغل المزرعة مساحة قدرها ٨٦٠ فدانا ، ولو أن الأرض التى تجرى فيها التجارب حاليا لا تزيد مساحتها على ٦٠ فدانا .



وقد خرجت من مياه السد (وهو ليس بالصورة) الى قناتين تحملان الماء الى الارض التى كانت الآن بمختلف أنواع المحاصيل .

ونترك المزرعة الان لنبدأ رحلتنا الى حلفا الجديدة .. ان أول شيء لفت نظرنا عندما وصلت بنا السيارة ، هو حركة الانشاء والتعمير القائمة الآن على قدم وساق فى كل مكان من شوارعها الفسيحة . وقد وفرت مشروعات البناء الجديدة فى المدينة عملا للمئات من المهاجرين من أبناء حلفا من ناحية ، ولعدد آخر من أبناء السودان الذين وفدوا الى هذه المنطقة للعمل والمساهمة فى بناء المدينة .

ان كل منازل حلفا من طابق واحد باستثناء مبنى البلدية وبعض المبانى الحكومية الأخرى ، ولو ان الاهالى بدأوا يشيدون بأموالهم الخاصة منازل من طابقين لكى ينقلوا طابع مدينتهم القديمة الى المدينة الجديدة التى استقروا فيها ، فقد كانت معظم المبانى الواقعة على شاطىء النيل تتألف من طابقين فى حلفا التى غمرتها المياه .

لقاء مع أبناء حلفا

وهبطنا من السيارة لنقوم بجولة على الاقدام وسط المدينة الجديدة وأحيائها المختلفة .. وكان هدفنا ان نلتقى بأبناء حلفا الذين تركوا بلادهم وجاءوا الى هذه المنطقة الجديدة ليبدأوا حياتهم من جديد . وفى شوارع المدينة .. وفى أسواقها التجارية .. وفى المدارس والمنازل التقينا بهم .. بالعامل والموظف والتاجر والمدرس .. ووقفنا نتحدث اليهم ونسألهم عن حياتهم فى هذا الوطن الجديد . هل هم سعداء ؟ ما الذى افتقدوه فى حلفا القديمة الغارقة . كيف وجدوا الحياة فى هذا البلد الجديد ؟

قال صالح عبد الماجد (٢٣) سنة ، وهو عامل زراعى يشتغل فى تنظيف مياه القناة الرئيسية التى تحمل الخير لبلاده ، قال : « لقد ولدت فى حلفا القديمة بقرية « فرس غرب » على حدود مصر ، وهى القرية التى ولد فيها أجدادى وعاشوا منذ مئات السنين ، وكنت أعمل ساعيا فى الحكومة قبل ان استعد للرحيل الى هذا الوطن الجديد . اننى سعيد فى حياتى الجديدة التى أكملت فيها دينى بالزواج من فتاة التقيت بها بعد بدء الهجرة مباشرة ، ولكننى ما زلت اشعر بحنين لبلدى القديم . اننى أحن الى النيل الذى عشت على ضفافه ، وأحن الى منظر مياهه وهى تنساب فى هدوء فى مجرى النهر الخالد الذى لم نفترق عنه ابدا » .

أمامنا عمل كبير

وقال محمد حسن خليل (٢٨ سنة) وهو موظف فى البنك التجارى السودانى : « ان البلد جميل والحياة تسير على ما يرام ، ونحن ما زلنا فى البداية فأمامنا عمل كبير ، ولكننا نتطلع الى مستقبل أفضل . لقد كنت أعمل موظفا فى البنك التجارى السودانى فى حلفا القديمة قبل أن ينتقل البنك بموظفيه الى حلفا الجديدة . وقد جئت مع زوجتى وطفلى الصغيرين اللذين الحقتهما بالمدارس الأولية هنا ، ونحن نعيش ونبنى حياتنا الجديدة فى هدوء وثقة » .

افتقدنا نهر النيل

وقال حسن الشريف محمد داود (٣٢ سنة) وهو تاجر بقالة وخردوات : « التجارة عال والحمد لله ، والدنيا بخير . لقد جئت منذ عامين من حلفا القديمة التى ولدت فيها وعشت فوق أرضها ، وكانت ترافقنى زوجتى وأولادى الثلاثة ، وكل

افراد اسرتى . وفى حلفا الجديدة بدأت امارس تجارتى التى ما لبثت ان اتسعت وراجت بمرور الأيام . وقد تضاعف رأسمالى ، ولكننى ما زلت اشعر بالحنين لمدينتنا القديمة . لقد افتقدنا نهر النيل ومياهه الجميلة وشواطئه الخضراء . افتقدنا اشجار النخيل التى تظلل الشاطىء الهادىء ، ولكن يعوضنا عن هذا كله شعورنا باننا ضحينا من أجل عمل اضخم واكبر .. من أجل السد العالى الذى سيعم خيره على البلدين الشقيقين :

وقالت سعاد خضر حسين وهى مدرسة فى احدى المدارس الاولية للبنات : « اننى أحب حلفا الجديدة لأننى التقيت بالرجل الذى اصبح اليوم زوجى . لقد تخرجت فى مدرسة الأقباط المصرية بحلفا القديمة ، وما كدت اصل الى حلفا الجديدة وابدا عملى فى احدى مدارسها الأولية حتى تقدم شاب يطلب يدى واحتفلنا بزواجنا هنا . اننا ما زلنا فى السودان وكل بلد فى السودان وطن لنا.

ما زلنا في بلادنا

وقال محمد عباس احمد وهو مدرس فى السابعة والعشرين : « لقد جئت مع والدى ووالدتى وكل اقاربى . ونحن سعداء فى حياتنا الجديدة التى نبنيها فى هذه المدينة . لقد كنت أعمل مدرسا فى بلدى ، وما زلت أمارس التدريس فى المدينة الجديدة. اننى أدرس التلاميذ التاريخ والجغرافيا، وقد نجحت فى أن أشرح لتلاميذى على الخريطة اننا ما زلنا فى بلادنا ، وكل ما حدث اننا انتقلنا من جزء عزيز من الوطن الى جزء آخر عزيز أيضا على قلوبنا » !

نشاط المرأة

وزرنا الاتحاد النسائى فى مدينة حلفا الجديدة، وهو يضم ١٢٦ عضوا من السيدات والآنسات . وجلست رئيسة الاتحاد الآنسة آمنة ابراهيم تتحدث الينا عن دور المرأة فى حلفا الجديدة . قالت : « ان الفضل فى قيام هذا الاتحاد يرجع الى الجهود التى بذلتها الحاجة حياة النفوس خليفة ، وهى سيدة متقدمة فى السن فقدت زوجها بعد أن رزقت منه بولدين وثلاث بنات . فقد راحت الحاجة تدق أبواب البيوت بعد وصولها الى حلفا الجديدة، وكانت تدعو السيدات والآنسات الى الانضمام الى الاتحاد من أجل المشاركة فى بناء المجتمع الجديد . وبدأ عدد الأعضاء يتزايد ، كما بدأ نشاطه يتسع ويمتد الى القرى السكنية الصغيرة المنتشرة فى منطقة حلفا الجديدة الى أن انشىء فى كل قرية فرع صغير تابع للاتحاد الرئيسى فى حلفا » .

ومضت السيدة آمنة تشرح نشاط الاتحاد ، قالت : « ان هدفنا الأول هو النهوض بمستوى المرأة ثقافيا واجتماعيا فى حلفا . ومن أجل ذلك أعددنا لها الدراسات فى اللغة العربية والحساب والتطريز والتدبير المنزلى .

فالمرأة المتعلمة وحدها هى التى تستطيع أن تحافظ على المكاسب التى حققتها والتى تسعى الى تحقيقها فى مجال المساواة الكاملة مع الرجل.

جولة في المدينة

وتركنا أعضاء الاتحاد وخرجنا فى جولة فى المدينة استغرقت يومين ، وزرنا الحى التجارى الذى يضم السوق المركزى والبنوك والشركات الزراعية والجمعيات التعاونية . وفى السوق المركزى يجد المواطنون كل ما يحتاجون اليه من مواد غذائية وملابس واحذية وجميع انواع السلع . كما دخلنا المنازل السكنية التى شيدتها الحكومة بمواد البناء القوية على مساحة تتراوح بين ٥٠٠و٦٠٠ متر مربع ، وهى منازل بسيطة عملية يتراوح عدد غرف النوم فيها بين غرفة واحدة وثلاث غرف وصالة ومطبخ وحمام وفناء يمكن أن يتحول الى حديقة اذا شاء صاحبه .

أول دفعة من المهاجرين

هذه هى حلفا الجديدة التى قامت فى قلب الصحراء ، والتى بدأت منذ عامين تقريبا عندما تحرك أول قطار من وادى حلفا يوم ٦ يناير ١٩٦٤ ، حاملا أول دفعة من المهاجرين الى وطنهم الجديد . لقد استمرت عملية التهجير بعد ذلك حتى شهر نوفمبر من عام ١٩٦٤، ثم توقفت المرحلة الأولى ، وبدأت المرحلة الثانية فى أكتوبر من عام ١٩٦٥ ، واستمرت حتى شهر نوفمبر ، أى لمدة شهر واحد . ثم بدأت المرحلة الثانية والأخيرة لتوطين باقى الاهالى فى أواخر العام الماضى. وهكذا قامت الحياة فى حلفا الجديدة . ■■

م ٠ ن

ابن الخطيب

إمام في الزجل

صاحب "الاحاطة" في تاريخ غرناطة

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ كان وزير الاندلس ابن الخطيب ، كما يصفه قرينه وصديقه المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ، « آية من آيات الله في النثر والنظم والمعارف والادب » ، ونحن نعرف ان ابن الخطيب ، قد عاش في منفاه بالمغرب ردحا طويلا من الزمن ، وكتب في المغرب كتبه ورسائله ، ونظم كثيرا من ابدع قصائده ، وهو يرقد رقدته الابدية في أرض المغرب الذى أحبه . تنعم فيه خلال منفاه عن أرض الوطن في ظل ملوكه الذين قدروه حق قدره ، بما كان يتنعم به في الوطن من عزة وكرامة وعيش هنيء مترف ، وكان من الطبيعي بعد ذلك كله أن يكون المغرب أكبر مستودع لتراث ابن الخطيب الفكرى ، يحتفظ بأكبر قسط من آثاره ، ولا سيما تلك التى كتبها في المغرب ، وكان من الطبيعي أيضا أن يستأثر علامة المغرب وحافظها الكبير شهاب الدين المقرى ، بأن يخلد ذكرى ابن الخطيب وذكرى آثاره ، في مؤلفه الجامع « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » .

ابن الخطيب الزجال

وقد عرفنا ابن الخطيب وزيرا كبيرا وسياسيا بارعا ، وكاتبا رائع البيان والترسل يكتب لنا أروع الرسائل السلطانية والخاصة ، وشاعرا مبدعا ينظم لنا أبلغ القصائد وارق الموشحات ،

وعرفناه طبيبا عديد الكتب والرسائل الطبية الجيدة ، وفيلسوفا يكتب لنا رسائل في تشخيص النفس والمشاعر الانسانية . عرفنا ذلك كله عن ابن الخطيب ودرسناه واستوعبناه ، ولكن جانبا آخر من جوانب هذا المفكر الفذ ، والفنان البارع ، لم ينوه به احد ، ولم ندرسه دراسة كافية ، ذلك هو ابن الخطيب الزجال ، بل هو ابن الخطيب امام الزجل ، ذلك ان ابن الخطيب ، كما انه مارس الشعر الرصين ، وابدع فيه غاية الابداع ، فهو كذلك قد مارس الزجل ، وابدع فيه . ونحن نعرف ان ابن الخطيب يهتم بأن يعرف لنا الزجل الاندلسي وان يحلله بطريقة فنية، وليس اقدر منه على تعريفنا بذلك ، فهو يقول « ان النظم بهذه الطريقة الهزلية بلسان عوام الاندلس الملقب بالزجل ، على طريقة بديعة يتحكم فيها القاء البديع ، وتنفسح لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر » ، ثم يقول لنا « ان الاستاذ الاول للزجل الاندلسي هو ابو بكر بن قزمان ، حجزه الله عن سواه ، فهو آيته المعجزة وحجته البالغة ، وفارسه المعلم ، والمبدىء فيه والمتمم » .

ابن الخطيب يتحفظ فلا يذكر الزجل الا مرة

ومما يلفت النظر ان ابن الخطيب ينوه في غير موطن من مؤلفاته بما صدر عنه من النثر والنظم ، ويكرر النقل من بعض ما ورد في كتبه في البعض الآخر من رسائل وتراجم وغيرها . ولكنه يذكر لنا معالجته للزجل في موضع واحد فقط ، وبطريقة عابرة . وذلك في كتابه « نفاضة الجراب » وهو الذى يقص لنا فيه كثيرا من احوال وجوانب حياته الشخصية اثناء مقامه بمدينة سلا ، مستقره المختار وموئله المحبوب. ويقول لنا انه قد عمد الى معالجة الزجل على طريقة الصوفي المحقق ابى الحسن الششترى . وابو الحسن الششترى شاعر اندلسي متصوف ، وهو كابن الخطيب غرناطى من اهل وادى آش ، ولد نحو سنة ٦٠٠هـ (١٢٠٣م)، وغادر الاندلس في شبابه الى المغرب ثم الى المشرق حيث درس على السهرودى امام التصوف في عصره ، ثم استقر بمكة حينا ، وسلك طريقة الصوفية ، وقصد الى مصر قبيل وفاته . ولم يصلنا من كتب الششترى سوى ديوانه وهو عبارة عن مجموعة من الموشحات نظمت باللغة الاندلسية الدارجة وهي قصيرة مؤثرة وما زالت تغنى حتى اليوم في دوائر الصوفية .

سبب تحفظه في ذكر الزجل

ويلوح لنا ان هذا التحفظ من جانب ابن الخطيب في ذكر هذه الموهبة من مواهبه ، وهى موهبة الزجل ، وهذا الاعتذار في تقليده لأبي الحسن الششترى في قرض الزجل الصوفي ، انما يرجع الى ان ابن الخطيب لا يريد ان يبالغ في تقدير هذه الموهبة ، ولا يعتبرها امرا خطيرا في انتاجه الفكرى او الفنى . ذلك ان ابن الخطيب كاتب وشاعر ارستقراطى قبل كل شيء . والزجل فن من الفنون الشعبية ، وابن الخطيب لا يعلق كبير اهمية على هذا الانتاج الشعبى . وانما يقدمه الينا كنموذج فقط لمعالجته لناحية من نواحى الانتاج الفكرى والادبى الخفيف ، وذلك بالرغم من كل ما يكنه لهذه الطريقة من التقدير الفنى ، وما كان يحدوه نحو هذه الازجال ، التى كانت تصاغ بلغة عوام الاندلس من الحب والاعجاب ، وذلك حسبما يبدو في كلمات التقدير التى اسبغها على سلفه ابن قزمان ، امير الزجل الاندلسي بلا مراء .

وقد وقفنا على بعض هذه الازجال التى وضعها ابن الخطيب ، محتذيا في ذلك طريقة ابى الحسن الششترى الصوفية ، أودعها كتابه « نفاضة الجراب في ملالة الاغتراب » ، وهو الذى وضعه حسبما تقدم اثناء اقامته

بسلا ، وضمنه كثيرا من الاحداث التى مرت عليه خلال اقامته منفيا بالمغرب لأول مرة ، وكشف لنا فيه عن كثير من جوانب حياته التى لا نعرفها الا على ضوء ما ورد في هذا الكتاب الذى يعتبر في نظرنا اهم كتب ابن الخطيب بعد كتاب « الاحاطة » . ونحن ننقل هنا ثلاث مقطوعات من تلك الازجال التى لم يلتفت اليها احد ولم تر الضياء من قبل ، عدا اشارة عابرة لابن خلدون في مقدمته في الفصل الذى كتبه عن الموشحات والازجال ، وقد نقل منها بيتين فقط من المقطوعة الاولى واكتفى المقرى بأن نقل عنه هذه الاشارة وهذين البيتين في نفح الطيب .

يقول ابن الخطيب في الاولى :

بين طلوع وبين نزول ، اختلطت الغزول ، مضى من لم يكن ، وبقى من لم يزل .

انا ليس نشكر خليع
ان ثمل وان صحا

حتى يقطع في القطيع
ويدور بحال رحا

ان ثبت جرى سريع
وشرب حتى استحى

ويقول في الثانية :

البعد عنك يا بن اكبر مصايبي
وحين حصل قربك نسيت قرايبي

يوحش فيك ظهوري
من بعد غيبتي

وتذكرك وتدهش
منك قليبتي

لون بانطباعك واخرج قوالب
ان صبت منك خلو اتشبت مخالب

سقيتني عيب
من خمرك الغريم

وكنت لى المؤنس
وكنت لى النديم

وصرت بك مرفه
ولم تزل عديم

ويقول لنا في الثالثة ، وهى اشدها اصطباغا باللون الصوفي :

انت في حسنك فرد
كل حسن منك يبدو

انت بدر انت شمس
انت آس انت ورد

انت خصر انت تعز
انت لحظ انت خد

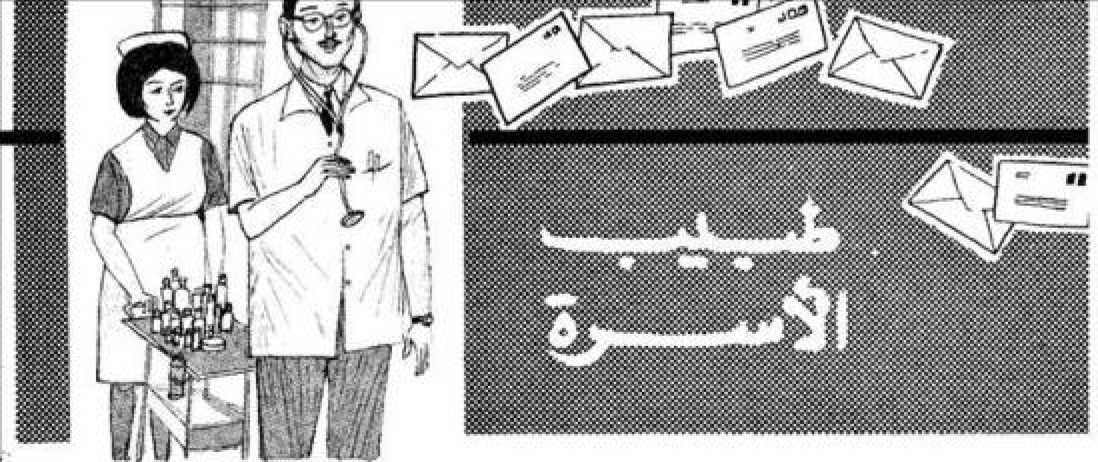
انت معنى العشق لولاه
سلا بشر وهند

انت معنى للمعانى
انت كل ، انت بعد

هذه النماذج تكشف لنا اولا عن ذلك النوع من الزجل الذى مال ابن الخطيب الى نظمه في عزلته ، كنوع من التسلية الادبية يلوذ بها نوعا من ذلك الانتاج الادبى الدسم الذى كان غارقا في تصنيفه، من قصائد مطولة ، ومن رسائل سلطانية وشخصية لا نهاية لها ، وتدلنا ثانيا على ذلك الاتجاه النفسانى الذى اختاره لازجاله اسوة بما كان يحتذيه ابوالحسن الششترى. والواقع أن هناك فرقا كبيرا بين ازجال ابن قزمان ، التى تغلب عليها ضروب الفكاهة والهزل ، وتكثر فيها العامية الاندلسية ، والتى تميل في معظمها الى الاسلوب الغنائي ، وهذا النوع النفسانى الذى آثره ابن الخطيب.

وقرض الزجل على هذا النحو ، من الخواص التى اغفلها الباحثون في حياة ابن الخطيب ، وفي تراثه ، ولم يذكرها أحد منهم ، لانها ليست من خصائصه الذائعة . ونحن ننتهز هذه الفرصة لنهيب بأولئك الباحثين ان يعنوا بهذه الناحية من تراث المفكر العظيم . ■■

محمد عبد الله عنان



هل يكون حمل "أثناء الرضاعة؟

● انا أم ترضع وليدها . وأثناء الرضاع ظلت عادتى الشهرية منقطعة ، فهل لذلك سبب ، مع ان الوضع قدتم وزال الحمل ؟ وسؤال آخر هل يمكن أن يقع عندى حمل وأنا لا أزال أرضع وليدى ، واذا أمكن هذا فكيف يستدل عليه وما أثر ذلك فى الطفل الرضيع والأم المرضعة .

— ان العادة الشهرية تتوقف عن المراة التى ترضع وليدها ، ولكنها لا تتوقف عند كل امراة . اما سبب توقف العادة الشهرية عند ذلك فهو ان الهرمونات التى لها شأن باتناج لبن الأم لها أثر فى الهرمونات التى لها شأن فى اخراج البويضات من مبايض المراة فهى تكبحها . ثم ان عملية خروج البويضات من مبايضها ، تسبق العادة الشهرية عادة ، وهى تحتاج بعد الوضع الى زمن تعود فيه الى سيرتها الأولى ، ولو ان هذا الزمن يختلف من امراة لامراة .

وعلى هذا فالمراة المرضع اقل احتمالا للحمل ، ولو ان الحمل يحدث احيانا . فاذا حدث الحمل وهى ترضع فسوف تجد ان لبن ثدييها قد اخذ فى القلة ثم ينقطع .

اما كشف الحمل والأم ترضع فليس من السهل ، ولكنها قد تتنبه الى وقوعه اذا هى كثر ترددها الى بيت الخلاء للتبول ، واحست ثقلا فى أسفل البطن .

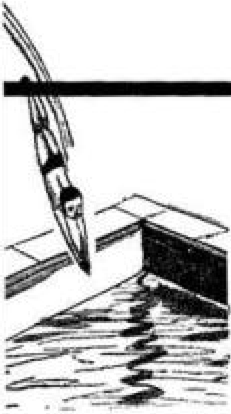
أما أثر الحمل فى الأم المرضع ، فلا ضرر للأم منه ، ولا للوليد الرضيع ، ولا للجنين الذى فى بطن أمه .

حَمَلة " الامراض المعدية
من هم ، وما هم ؟

● زرت صديقا لى من أهلى زيارة سريعة ، وعلمت هناك أن ابنه مصاب بالمرض المعروف بالنكاف ، وحضرت الى بيتى بعد ذلك أحمل المرض معى ، وأخشى على أولادى من ذلك ، فأى الاحتياطات آتخذ لأتطهر مما حملت من مرض . انهم يقولون ان الوباء يتسع بحَمَلةِ المرض اتساعا كبيرا .

— أولا عن مرض النكاف . انه مرض سببه فيروس ، وزيارتك هذه الخاطفة لصديقك ، نفرض انه كان من جرائها انك حملت الفيروس فى يدك من يد صديقك أو على ثيابك . فقل لى بالله





السباحة والغطس فى الماء

● انى أحب السباحة ، وهـــذاالصيف قد اقترب . وأريد ان أسأل بناء على خبرتى فى السنة الماضية ،وهى أول سنة تعلمت فيها السباحة ، أريد ان أسأل عن الماء الذى يدخل فىالاذن ، والماء الذى يدخل فى الأنف ، هل منه ضرر كبير لا سيما عند الغطس.انى أذكر أنى فى الصيف الماضى كانت تؤلمنى انفى ويعترينى صداع يستمرمدة طويلة ثم يذهب ، فهل هذا بسبب دخول الماء الى انفى واذنى ؟

ــ ان الضرر الذى يصيب الأذن عندما يدخلها الماء يتوقف على طبلة الأذن ، أسليمة هى أو بها خرق . فان كان بها خرق ودخل الماء الى الاذن الوسطى فقد ينالها بالعدوى ، ويحدث بها طفح قد يحدث بها صمما .

وكذا الماء الذى يدخل الى الأنف قد يصيب جيوب الأنف بالتهاب . ولكـن هذا لا يحدث اذا تعودت أن تزفر هواء التنفس وراسك مغمور فى الماء . وعند الغطس يجب أن تملأ رئتيك بهــــواء الاستنشاق قبل الثانية التى يدخل فيها راسك فى الماء . وانت تستطيع بالطبع ان تغلق انفك عند النط فى الماء حتى تتجنب قوة يندفع بها الماء الى انفك .

والخلاصة يجب أن تتعود أن تستنشق الهواء عن طريق الفم ، فاذا اخرجت انفاسك اخرجتها عن طريق الأنف .

كم حملت من ذلك. وفي أثناء مشيك في الطريق،ثم عودتك الى البيت،ماذا حدث لهذا الفيروس، تلك الاعداد القليلة منه. اغلب الظن انهـا ماتت . ثـم هب ان عددا منها قليلا وقع على ابن لك ، فهل هو فقد المقاومة الى حد أن هذه القلة القليلة التى بقيت حية بعد كل هذه الرحلة تستطيع أن تغزوه وتطرحه أرضا.

ان غزو المرض المعدى لا يكون عادة الا غزو كثرة،أعداد متكاثرة تغزو جسم المريض كما يغزو الجند القلاع .

ثم الى حَمَلَة الأمراض المعدية .

ان حَمَلَة الأمراض الذين نعنيهم عند التحدث عن الوباءانما هم رجال أو نساء حملوا المرض ، لا على ثيابهم ، ولكن فى اجسامهم ، تماما كالمرضى ، ولكن بسبب ما أو أسباب ، لم تظهر عليهم للمرض اعراض . انهم أصحاء ينعمون بالعمل والحياة ، ويغدون ويروحون ، ولا يشتبه فيهم أحد ، ومع هذا قد يكونون أصلا للوباء ينتقل من دار الى دار .

فحامل مرض التيفود فى جسمه ، قد تلقاه ، وتسلم عليه ، وتودع ، لا يكون منه لك ضرر ولكن دعه يدخل مطبـخك يطبخ لك ، أو دعه يتصل بمصادر تأخذ أنت منها الماء لشربك ، فهنا تكون الطامة ينتقل المكروب عبر الطعام وعبر الماء آكل الطعام وشارب الماء . ويبحثو مصدر الداء ، فلا يجدونه . يشتبهوا فى هـــذا الخادم المتخفى فيمتحنوه طبيا ، فيكشف العامل على انه ، أو انها ، خزينة عظيمة للمكروب لو توزع على مائة لأمرضهم جميعا .

فهذا هو معنى حامل المرض المعدى عندما نتحدث عن الوباء .



رقم فى التوائم قياسى تاريخى

● سمعنا عن امراة حملت وجاءت بعدة توائم ، فما قصة هذه المراة وكيف جاءت بهذه الكثرة من التوائم اريد ان اعرف لان زوجتى عاقر ، وقد علمت ان هذه المراة كانت عاقرا قبل ان تاتى بهذه التوائم ؟

ـ اولا اصحح معلوماتك فى ان المراة كانت عاقرا . انها لم تكن عاقرا ، وانما كانت تتعاطى الحبوب التى تمنع الحمل، فامتنع .

اما المراة فهى سيدة من المكسيك ، عمرها ٢١ سنة ، وزوجها كاتب أجره فى الاسبوع يساوى ٩ جنيهات استرلينية، وعمره ٢٧ سنة .

ولهذه المراة من زوجها ولد عمره ٣ سنوات ، ولم يسبق لها أن جاءت بتوائم قط .

واذكر بهذا الصدد قصة الدكتور جمسل Gemzell السويدى ، بابسالا واذكر العقار الذى اصطنعه Gonadotrophine ذلك الذى كان يولد النساء حتى العاقرات منهن ، مثنى وثلاث ورباع من التوائم . ثم اقول ان هذه السيدة المكسيكية لم تتعاط شيئا من هذا العقار ، ولعلها لم تسمع باسمه او اسم صانعه .

انها امراة عادية شاء التاريخ ان يسجل على يديها حدثا فى التاريخ نادرا: أن تلد المراة من التوائم ثمانية . ان التاريخ سجّل حادثتين كان فيهما توائم ثمانية ، ولكن ليس فى التاريخ برهان على صحة وقوعهما . وهذا اذن هو الحادث الأول الذى تسجل ومعه شهادة .

وعلم العالم بالخبر ، فما أسرع ما ازدحم المستشفى برجال الصحافة ، جاءوا من كل الأرجاء يزحم بعضهم بعضا ، وتكاثر اهل المدينة فى تلك المنطقة فتعطل فيها المرور . واشرابت اعناق الأطباء لهذا الحدث الطبى النادر وتطلعوا الى ما قد يكشف العلم من ورائه ، ولكن خيب القدر احلامهم . فهذه التوائم ، وكانوا ٤ اولاد و ٤ بنات ، ماتوا جميعا، واحدا من بعد واحد .

واوزانهم؟ وزن الواحد منهم والواحدة رطل وبعض رطل . والوزن السوىّ حول سبعة ارطال .

والغريب ان الام بكت لموت اطفالها . وبكت ام الأم . اما الوالد فأصابه الذهول . وهو شاب رقيق وسيم ، واذن لا علاقة بقوة الجسم وضخامته فى انتاج التوائم يا سيدى السائل .

قطتنا، تأكل من اطباق أطفالنا

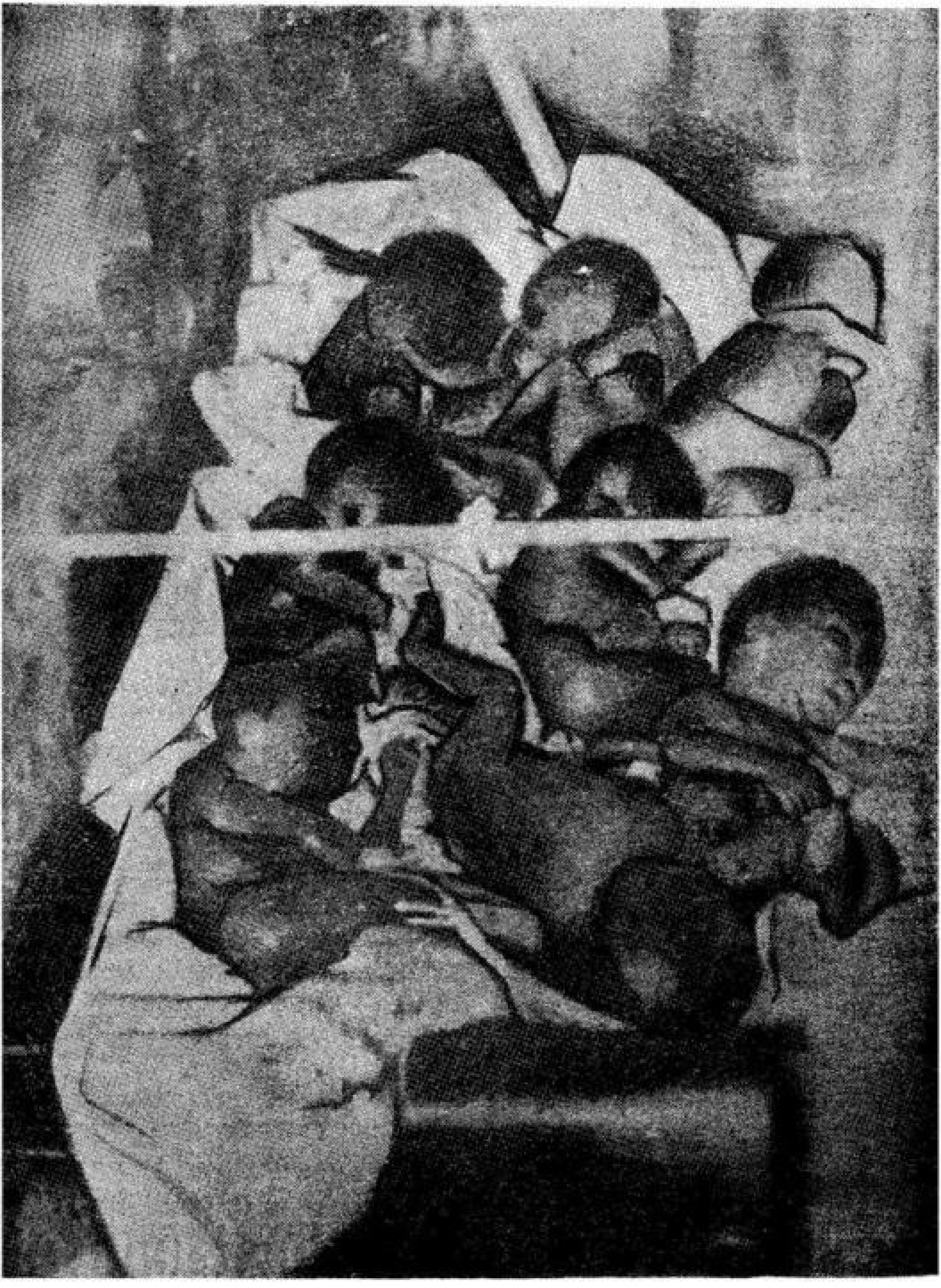


● لدينا قطة انثى لطيفة عاشت معنا السنوات ، وجاءت بذريات بلغت المائة فما فوقها . وكثيرا ما يقدم لها الاطفال بقايا ما يتخلف فى اطباقهم . ولكن انذرنا صديق اخيرا بان هناك احتمالا فى القطط بنقل العدوى ، وضرب مثلا بعدوى السل . فهل هذا صحيح ؟

ـ القطة تستطيع ان تحمل عدوى السل ، وذلك من مريض فى البيت الذى تعيش فيه ، او مريض فى البيوت التى تزورها . فاذا لم يكن فى اى من هذه البيوت مريض بالسل الناشط ، فبالطبع لا تكون عدوى . والقط يحمل العدوى عندئذ فى فروه .

والمعروف عن القطط انها معرضة بعض التعرض للاصابة بالسل ، ولكن ليس من المحتمل ان تنتقل العدوى بسبب انها تأكل من فضلات طعام تخلف عن صبى .

ومع ذلك ، فاظن الاصلح والمعقول ، اذا اطمئنا حيوانات انيسة فى البيت ، كالقطط وغيرها، ان نجعل لها وعاء خاصا بها ، ولا نأذن لها بالاكل او بالشراب من وعاء يستخدمه الآدميون .



أمراضٌ شائعة

من أمراض القلب

الذَّبحَةُ الصَّدرِيَّة وَالسَّدَّةُ القلبِيَّة

■ من الامراض الشائعة التي يموت بسببها الناس امراض الدورة ، بما فيها من قلب واوعية دموية .

ويبدأ مظهر الخلل فيها بدخول الانسان في أوسط عمره . وهو كلما تقدم في السن زاد احتمال اصابة هذه الدورة بالامراض . واغلب هذه الامراض يتسبب عن التهاب او انحلال مرضى في الشرايين ، وهذه بدورها تسبب اضطرابا في الجهاز الدموى يحول دون وصول الدم الصالح الكافي لأعضاء الجسم لتحيا حياة طبية سَوِيّة سليمة .

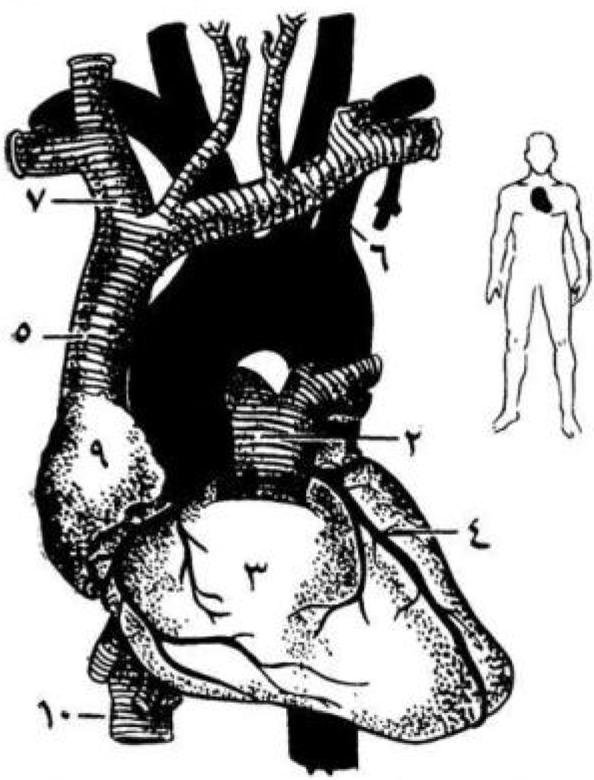
وهذا الخطر يزداد بخطورة العضو الذى امتنع عنه الدم ، امتناعا كاملا او جزئيا .

ولعل أخطر الاعضاء جميعا في الجسم هو ذلك العضو الذى يوزع الدم على كل اعضائه . ونعنى به لا شك القلب .

احصاء

وقد دل احصاء عالمى ، اجري منذ سنوات قليلة ، شمل ٢٤ دولة ، على ان الذين ماتوا بسبب أمراض في الشرايين التاجية بلغوا ٤٨ في المائة من كل من ماتوا بشتى صنوف الامراض جميعا .

وامتحان طبى أجرى في الولايات المتحدة ، في رجال ونساء ، بين سن ٤٥ و ٥٤ عاما ، كشف عن ان ٣٪ في الرجال و ٣ر١٪ من النساء ، مصابون بمرض ما من أمراض الشرايين القلبية . وأى جزء من أجزاء العمر هذا ؟ انه جزء العمر الاكثر انتاجا واثمارا .



١ ـ قوس الاورطة وهو مخرج الدم الى الجسم كله .
٢ ـ الوريد الرئوى ويحمل الدم من القلب الى الرئتين لينقى .
٣ ـ القلب ، وترى عليه الشريانين التاجيين وقد خرجا من الاورطة .
٤ ـ البطين الايسر ، ويمد الاورطة بالدم للجسم .
٥ ـ الوريد الاجوف الفوقانى ويأتى بالدم للقلب من الاجزاء العليا للجسم .
٦ ـ الوريد الذى لا اسم له ، الايسر ، ويصب في الوريد الاجوف الفوقانى .
٧ ـ الوريد الذى لا اسم له ، الايمن ، ويصب في الوريد الاجوف الفوقانى .
٨ ـ الاورطة الصدرية .
٩ ـ الأذين الايمن للقلب .
١٠ ـ الوريد الاجوف التحتانى ويأتى بالدم للقلب من الاجزاء السفلى للجسم .

القلب وأوعيته التاجية

ولسنا ندخل بالحديث في القلب ، وخزاناته ، وعمله ، فهذا من مبادىء علم الصحة التى لا بد أن نفرض أن يعرفه ، أو يجب أن يعرفه ، طلاب المدارس .

ويكفى لفرضنا الحاضر ، وللايجاز أن نقول ان القلب مضخة كبرى ، هى المضخة التى تضخ الدم الى أقصى بقاع الجسم ، ثم ان هذا الدم يعود الى هذه المضخة لتضخه الى الرئتين لينقى فيهما ، ثم هو يعود اليها ، لتضخه الى الجسم نقيا مرة أخرى . وهكذا دواليك .

فان قلنا من أجل ذلك ان القلب أخطر عضو في الجسم ، كما سبق أن ذكرنا ، لم نعد الصواب .

وبحسبانه عضوا ، هو لا بد أن يحيا . وهو لا بد بالدم أن يحيا كما يحيا سائر الاعضاء . انه يغذى سائر الجسم بالدم ولا ينسى نصيبه منه . ونصيبه تأتيه به الاوعية المسماة بالتاجية Coronary Vessels ، وهما شريانان يخرجان من شريان الجسم الاكبر الذى يخرج من القلب بالدم كله ليوزعه الى الجسم كله ، ذلك المسمى بالاورطة (Aorta) وهذان الشريانان يلتفان حول القلب التفافا يعطيهما شكل التاج ، ومن هذا جاء اسمهما .

وهما يتفرعان الى شرايين أصغر فأصغر حتى يشملا جدران القلب كلها ، ثم بعد تغذيته وتزويده بالاكسجين

يتجمعان في أوردة صغيرة فكبيرة كما يجرى في سائر الاعضاء (١) .

عندما لا تحصل عضلات القلب على الكفاية من الدم

يتبين من ذلك خطورة عمل الشرايين التاجية ، من حيث انها تزود عضل القلب بحاجته من الدم .

فاذا تعوّق وصول الدم الى هذا العضل ، اختل عمل القلب ، وظهر هذا الاختلال مرضا ، قليلا أو كثيرا ، وفقا لمقدار التعويق الذى حدث .

والتعويق ، او عدم وصول الكفاية من الدم عن طريق أى من الشرايين التاجية كبيرها وصغيرها الى عضل القلب ان اتصل واشتد ، وصحبه موت بعض الياف العضل من جراء ذلك ، وتعطلت فيها بذلك وظيفة العضلة التى يغذيها هذا الشريان ، سمى هذا المرض بسدّة عضلية في القلب Myocardial Infarction.

والتعويق ان كان مؤقتا ، جزئيا ونسبيا ، ولم يصحبه تلف في الياف كالذى ذكرنا ، سمى هذا المرض بالذبحة الصدرية Angina Pectoris .

على ان هذين الطرفين يكونان على درجات، وبينهما كذلك من صنوف هذا المرض درجات ، وفي كليهما يرقد احتمال الموت المفاجىء .

ولقد جمع هذين الصورتين من المرض في السنوات الاخيرة لفظ واحد هو Ischemic Heart disease أى مرض عدم استكفاء القلب من الدم .

اسباب المرض

السبب الاول العادى لمرض عدم استكفاء القلب من الدم هو ضيق الشرايين التاجية بسبب ما يصيب الطبقة الداخلية والمتوسطة المصنوعة منها جدران هذه الشرايين من انحلال يعرف بالورم الهلامي او الاثيروما Atheroma ، وينسب هذا المرض عادة الى الطعام ، والى الدهن الحيواني خاصة والى المادة الشهيرة المعروفة بالكول ستيرول . والى غير ذلك. ومرض الشرايين التاجية هذا هو السبب الاول الذى يعزى اليه الموت في الولايات المتحدة. وفي الرجال يبدأ الورم الهلامى هذا حتى في الشباب ، ولكن لا تكون له اعراض الا بعد سن الاربعين . اما في النساء فتظهر اعراضه بعد الخامسة والخمسين .

وقد يكون من اسباب تعويق دخول الدم الى القلب اصابة شريان الجسم الاعظم ، شريان الاورطة نفسه (الذى منه يتفرع الشريانان التاجيان) بالمرض، فيسد بسبب ما اعتراه مداخل الشريانين التاجيين كثيرا او قليلا . وقد يكون التعويق عن اصابة الصمام الاورطى نفسه بالمرض ، ذلك الصمام الواقع بين القلب والاورطة ، والذى ينفتح والقلب يضخ الدم الى الاورطة ، وينغلق عندما يسكن الضخ ، وذلك حتى لا يعود دم الاورطة الى القلب .

ومن اسباب التعويق تجبن الدم في الشرايين التاجية بسبب مرضها وخشونة جدرانها الداخلية . والجبنة

---

(١) ومن عجيب فن الله ، أو تِكْنية الرحمن البارعة ، ان هذين الشريانين ، يمتلئان بالدم عندما يسكن القلب تلك البرهة الصغيرة من ضربته ، برهة الانبساط أو الدياستول Diastole ، لا عندما ينضغط القلب ليضخ فيملأ الاورطة في تلك البرهة الصغيرة من ضربته ، برهة الانقباض او السستول Systole .

والسبب في ذلك ان الدم ، في برهة الانقباض، يجرى في الاورطة بسرعة كبيرة فلا يتريث ليدخل الشريانين التاجيين منه شيء كثير . ويزيد في قلة دخول الدم اليهما ان شرايينهما الفرعية ، وهى دفينة في جدران القلب ، تضيق بانضغاط القلب فلا تقبل مزيدا من دم . اما والقلب في برهة انبساطه وسكونه ، فالدم حين يرتد يجد صمام القلب ، ذلك الذى يقع بين القلب والاورطة ، قد انسد ، فيجد الدم سبيله الى الشريانين التاجيين وقد عادت فروعهما الشريانية الى انبساط .

الناتجة ، أو الجلطة كما يسمونها Thrombosis ، قد يحملها الدم في جريانه الى حيث يضيق بها مسلك من مسالك الشرايين التاجية فتسده ، فيمتنع الدم عن الوصول الى جزء العضلة التي يغذيها هذا الشريان فتتعطل ثم تموت على الفور .

وهذه الجلطة قد تتكون في ناحية ما من الدورة الدموية بجسم الانسان ، ثم تدور مع الدم حتى تستقر في بعض الشرايين التاجية .

اعراض الذبحة الصدرية

وصف هذه الاعراض بدقة عجيبة الدكتور وليم هبردن William Heberden في عام ١٧٦٨ .

قال ان مرضى هذا الداء يكونون في العادة فوق الخمسين من السنين . وتأتيهم النوبة وهم سائرون ، لا سيما اذا كان السير في صعود ، كصعود جبل او نحوه ، وكذلك من بعد طعام . وتأتيهم بالم يحسونه خانقا تحت عظم القص Brest Bone ، ذلك العظم القائم عموديا في أوسط الصدر واليه تجتمع أضلاع القفص العظمي . وهم اذا توقفوا في سيرهم ، بدأ الالم يخف . وهذا الالم كثيرا ما يمتد حتى يصل الى الذراع الايسر .

والمهم في أعراض الذبحة ان المها مستمر على وتيرة واحدة ، فهو لا يتأثر بالتفتيش ، ولا بالبلع ، ولا بالتفاف الجسم على نفسه أو تطويح الاذرع .

فهذه هي الصورة العادية لهذا المرض اجمالا ، ولكنها قد تختلف في بعض التفاصيل .

تشخيص الذبحة الصدرية

ان الخصائص التي تتبين بها الذبحة هي ظهور الم في الصدر ، متصل ، عندما يبذل المريض جهدا جثمانيا ، فاذا ارتاح بدأ الالم يزول ، فاذا أضيف الى ذلك اعطاء المريض جرعة كافية من العقار المعروف المسمى ثالث نترات الجلسرين Glycerl Trinitrate (Nitroglycerin) فحدث من جراء ذلك انخفاض الالم فزواله سريعا ، او زادت بسبب هذا العقار استطاعة المريض تحمل مجهود جثماني اكبر ، فقد صار تشخيص المرض ، انه الذبحة الصدرية ، مؤكدا .

ومع هذا فقد يصعب التشخيص لأسباب كثيرة عدة لا ندخل فيها ، لأنها من هم الكتب الطبية والاطباء .

علاج الذبحة الصدرية

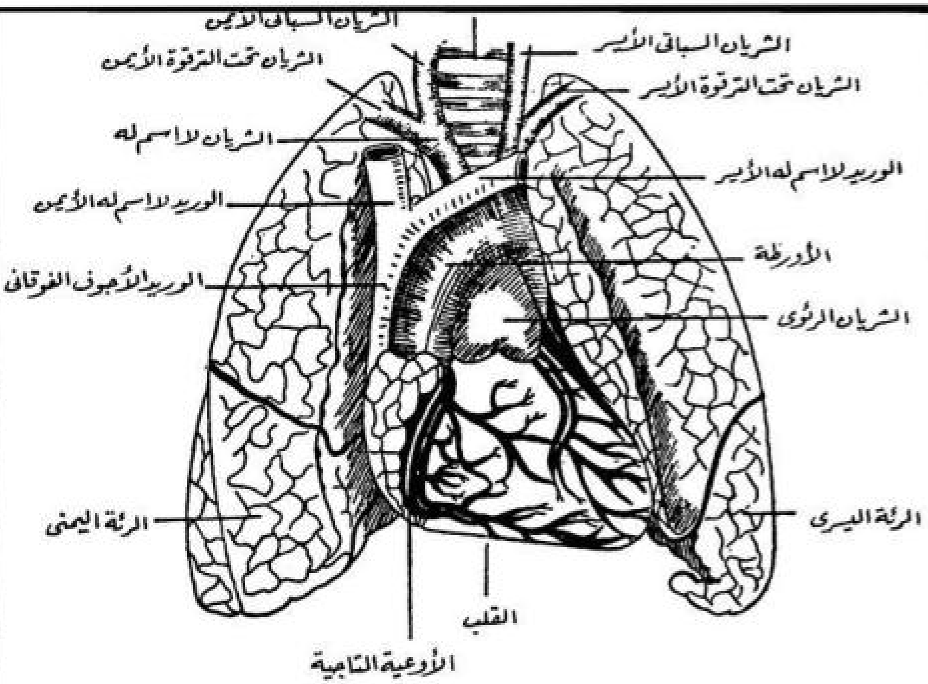
يهدف الطبيب اول الامر الى تخفيف الاعراض واراحة المريض .

وهو بالعلاج يهدف الى تشجيع القلب على فتح مسالك للدم جديدة غير التي ضاقت . ثم الى وقف الورم الهلامي في الشرايين ، ثم الى منع المضاعفات التي منها السدة القلبية التي قد تتكون في اى جزء من جدار القلب Myocardial Infarction ، والتي يكون بسببها احتقان القلب بالدم وتوقفه عن العمل من اجل ذلك .

ومن أهداف العلاج النظر فيما عند المريض من اشياء من شأنها ان تزيد المريض بالذبحة مرضا ، ثم التحكم فيها ، ومن ذلك السمنة ، ومرض السكر ، وزيادة الضغط الدموي ، وفقر الدم وغير ذلك .

واسلوب العيش لا بد أن يتدخل فيه الطبيب المعالج . فكل شيء يثير في الصدر ألما لا بد من تجنبه . والمشي يقلل منه المريض في الساعتين اللتين تليان الوجبة من الطعام ، وكذلك اذا كان المريض في ازمة نفسية . ولكن مقدارا من المشي ، دون القدر الذي يجلب الالم ، مفيد ، لا سيما بعد تعاطي دواء يوسع مجرى الشريان التاجي ، لأن المشي المعتدل يحرك الدم في القلب فيحمله على فتح مسالك جديدة لمجراه في عضل القلب بدل تلك التي ضاقت .

والانفعال النفساني ، والهم ، والقلق ، لا بد من وقفها ولو بالعقاقير المسكنة Tranquilizers . والخوف الاكبر



القلب وموضعه من الصدر وترى على ظاهر القلب الشرايين التاجية وقد تشعبت والتفت حوله كما يلتف التاج بالراس

الذى عند المريض الذى يأتيه من الداء نفسه،أعنى خوف الموت، لا بد من شفاء المريض منه باقناعه بالحقيقة التي لا ريبة فيها ، ان كثيرا من المرضى بالذبحة عاشوا من بعد اصابتهم بها عشرات السنين .

ولا ننسى الطعام . ان مسألة الكولستيرول ، وأثره في أمراض الشرايين ، مسألة لا يزال فيها النقاش جاريا ، ولكن من الحكمة تجنب الاطعمة التى بدهنها كثير مما يسميه الكيماويون بالاحماض الدهنية المشبعة ، ومن هذه الزبدة ، وصفار البيض ، ودهن اللحوم ، والسمن النباتى . أما الزيوت النباتية مثل زيت القطن والذرة والفول السودانى واضرابها فاغذية نافعة .

والدخان يجب تحريمه اذا هو أحدث في الصدر ألما ، أو صنع ما يسميه الناس بتفويت ضربات القلب ، او زاد في النبض أو في ضغط الدم .

بقى العلاج بالعقاقير وهذا أمره عند الطبيب المعالج .

اعراض السدة في عضل القلب

ومن الذبحة الصدرية ننتقل الى السدة القلبية .

فى الحالات العادية للسدة Myocardial Infarction ، يصاب المريض بغتة بألم في الصدر يشبه ألم الذبحة الصدرية . والفرق بينهما ان ألم السدة لا يرتبط بقيام المريض بمجهود جثمانى . وهو ألم أشد من ألم الذبحة ، وأطول ، ويشيع في مساحة أوسع .

والسدة لا تتأثر فى العادة بالنتروجلسرين Nitroglycerin كما تتأثر الذبحة . وألم السدة ألم قائم دائم على مستوى واحد ، لا يتأثر بحركة في الجسم أو بالتنفس أو بالبلع .

والمريض بالسدة لا يلبث أن يعرق عرقا شديدا ، ويصير جلده شاحب

اللون ، باردا عند المشي ، رطبا. ويهبط ضغطه هبوطا معتدلا . ويحس المريض بالضعف والدوخان وقد يغيب عن وعيه ويسقط على الارض .

وبعد وقت يطول او يقصر تزول عن المريض اعراض الصدمة Shock ، ويأخذ الالم يهبط بالتدريج ، ويخلف مكانه الما غير حاد يدوم ساعات أو اياما .

هذا الى أشياء اخرى كثيرة تطرأ على خلايا الدم البيضاء ، وعلى سرعة ترسب الدم وغير ذلك مما تكشف عنه الآلات والمختبرات .

على أن مرض السدة قد تصحبه اعراض كثيرة مختلفة ، ومنها حالات يفتقد فيها حتى الالم افتقادا .

ولهذا المرض مضاعفات كذلك كثيرة ، منها مضاعفات قد تنشق فيها العضلة حيث وقعت السدة فينفتح بهذا الانشقاق بطين القلب . وهذا يحدث في عشر الحالات التى تنتهي بالموت .

علاج السدة

هذا يختلف باختلاف الحالات ، وما اكثرها تنوعا .

وعلى كل حال فالراحة كل الراحة مطلوبة في الساعات القليلة الاولى من المرض . والطعام يقصر في الاربع والعشرين ساعة الى الثماني والاربعين الاولى على عصير الفواكه ، وشرب المقدار الطيب من الماء ، ما بين اللتر الى اللتر والنصف تبعا لما فقد المريض من ماء جسمه بالعرق . وعلى كل حال لا بد ان يصل البول الى ٧٠٠ سنتيمتر فما فوقها .

أما العلاج بالعقاقير ، فمنه الاكسجين ليزيد اكسجينُ الدم الوارد الى القلب ، فالى تلك العضلة التى تعوّق الدم الا القليل منه عن الوصول اليها بسبب السدة .

والسدة ، وهى جلطة ، لها ما يذيبها ، من مضادات التجبن ، وهذه المضادات لها اخطارها ، ولكن يدعى الكثير من الاطباء ان منافعها تزيد على اخطارها .

وشئون اخرى لا ندخل فيها ، لقلة فائدتها للقارىء ، ولانها تدخل في الصميم من عمل الطبيب المعالج .

مريض القلب في حاجة الى طمانينة نفس كبيرة

ان أمراض القلب تصيب الناس عادة في السن التى يكونون فيه احفل ما يكونون بالحياة ، وانتج ما يكونون ، واكثر احمالا من تبعات ، تبعات عامة ، وتبعات خاصة تتصل بزوجة وأولاد ، واخوة واخوات ، وأصدقاء واحبّة . فالاصابة بمرض من أمراض القلب ، كالسدة أو الذبحة ، على غير انتظار يكون له في انفس هؤلاء المرضى ، حتى من بعد شفاء ، وقع خطير ، يزيد فيه ما كانوا سمعوا قبل وصول الدور اليهم ، باقرباء وأحباء ، جاءهم خبرهم وقد غادروا الدنيا فجاة في غير تريث .

ومريض القلب ، من بعد شفاء ، تواجهه ظروف من الحياة جديدة ، اقلها الحدُّ ، الذى لا بد منه ، من نشاطه الذى كان . وهو لا تروقه هذه الصورة من الحياة الجديدة . فكثيرا ما يعمد الى تناسي الاسباب والعودة بقوة الى ما كان يقوم به من اعمال ، ولا يكون من ذلك الا الوبال .

ان الذى اشتفى من ذبحة صدرية ، او سدة في القلب عضلية ، في حاجة الى شفاء نفس كثير . ان نفسه تجرّحت ، وهي في حاجة الى علاج جراح . وليس بالخداع تشفى النفوس . انما بكشف الحقائق جميعها ، واقناع النفس بحمد الله على ما كان من شفاء لم يكن له بديل الا الموت . وشاء الله لصاحبها الشفاء ، وشاء له الحياة كما شاءها لاقوام كثيرين سبقوه ، مرضوا ، واشتفوا ، وعملوا ، بخطو في الحياة اقصر واهدا ، اعمالا نافعة كثيرة ، سنوات طويلة ، درّت عليهم الخير ، وعلى بنيهم وذويهم والاحياء جميعا ، الى ان كان لهم من الحياة شبعٌ واكتفاء ، وباختتامها كامل الشفاء .

●●



موقف البابا من تحديد النسل وتحديد الملكية الفردية

عن مجلة « تايم » الامريكية :

● لعل المنشور العام ... Encyclical الذى صدر عن قداسة البابا بولس السادس قبل حين هو أخطر التعميمات الخمسة التى صدرت عن البابا المذكور خلال الأشهر الخمسة والاربعين التى انقضت على اعتلائه كرسى البابوية . اذ انه تضمن من الآراء والاقوال ما يمكن اعتباره ثوريا بالنسبة الى آراء الكنيسة الكاثوليكية ومواقفها مما يتجلى فى سائر تعاليمها وتعاميمها البابوية السابقة .

ففى مجموعة من الكلمات بلغ عددها ١٢٠٠٠ وتحت عنوان يذكّر المرء بعناوين تقارير هيئة الأمم المتحدة ، ذهب التعميم البابوى المذكور ، « تقدم الشعوب » ، الى تأييد تحديد النسل واقرار الجهود الحكومية الرامية اليه .

فضلا عن ذلك فقد عمد المنشور المذكور الى التعريض بالنظام الرأسمالى ووصفه بالنظام « المخيف » ، بل الى مهاجمته بشدة وعنف ، اذ يقول : « من دواعى الأسف أن نظاما اقتصاديا قام فى العالم ونظر الى الربح فتحسس فيه الباعث الأول على التقدم الاقتصادى ونظر الى المنافسة فتلمّس فيها الناموس الاسمى للحياة الاقتصادية، ثم نظر الى الملكية الخاصة الفردية فتوهم فيها حقا مطلقا خالصا بلا قيود ولا حدود ، بل بلا واجبات او تبعات اجتماعية تترتب على المرء مقابل تمتعه بحق الملكية الخاصة » .

وتتجلى لنا خطورةهذه الآراء لدى مقارنتها بمواقف باباوات الكنيسة الكاثوليكية السابقين. فقد اكد البابا ليو الثالث عشر قدسية الملكية الفردية فى تعميمه الصادر عام ١٨٩١ ، وذهب البابا يوحنا الثالث والعشرون ، وهو السلف المباشر للبابا الحالى،الى الجزم بأن الملكية الفردية انما هى حق اصيل من «حقوق الانسان الطبيعية»!

على أن هذه الآراء والاقوال لم تحُل بين البابا بولس السادس وبين الاسترسال فى مهاجمته للملكية الفردية فى تعميمه الاخير ، اذ يقول : « فالملكية الفردية الخاصة ليست حقا طبيعيا لأى كان ولا هى بالحق المطلق الذى لا يحده قيد او شرط . لذلك كان من الواجب ألاّ ينعم الناس افرادا وشعوبا بالكماليات ، فيفيدوا منها دون غيرهم،فيما يفتقر آخرون عديدون الى الضروريات» .

الديمقراطيات الافريقية

عن صحيفة الصنداى تلغراف البريطانية:

● يبدو أن الأساليب الديمقراطية ما زالت بعيدة المنال بالنسبة الى كثير من الدول الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال . وقد يمضى وقت طويل قبل أن تصبح تلك الدول قادرة على اختيار من تشاء من الحكام عن طريق صناديق الاقتراع. وليس ثمة ما يبعث على العجب فى هذا .



المجاعة في الهنـد تزيدها التقاليد تعقيدا

عن مجلة «الصنداى تايمز» البريطانية :

● للمجاعة فى الهند أسباب مختلفة ، اهمها ازدحام سكانها وقلة المحاصيل الزراعية فيهـا . والجدير بالذكر أن خطر المجاعة لا يتهدد تلك البلاد فى السنوات العجاف فحسب ، وانما فى سنوات الخصب أيضا . يتجلى ذلك في اضطرارها لاستيراد الحبوب فى هذه السنوات وتلك بـلا استثناء .

والكميات التى تستوردها الهند فى سنوات الخير ليست بالقليلة ، وقد بلغت ٦ ـ ٧ مليون طن سنة ١٩٦٥ نفسها ، اى فى السنة التى ضربت فيها وفرة المحاصيل الزراعية فى الهند الرقم القياسى أى ٨٧ مليون طن! وقد تبدو تلك الكميات المستوردة ضئيلة ، قليلا أو كثيرا ، لدى مقارنتها بمقادير الحبوب التىتحتاجاليها الهند وتستوردها فى سنوات القحط ، وقد قدروها بنحو ١١ ـ ١٢ مليون طن لهذه السنة ـ ١٩٦٧ ـ وهى التى بزت غيرها جفافا وجدبا .

والجدير بالذكر أن فى امكان الهنود معالجة مشكلة المجاعة مشكلة جذرية . فبالاضافة الى استعمال المزيد من الاسمدة الكيماوية ، وقد بلغ ما استوردوه منها فى السنة الماضية ٦٠٠٠٠٠ طن، يستطيع الهنود أن يتحاشوا المجاعة الى حد كبير، فيما لو تغاضوا قليلا عن بعض تقاليدهم ومعتقداتهم.

ذلك أن المحاصيل الزراعية فى الهند لا تقف عند حد تغذية سائر السكان ، بل انها تغذى أيضا صنوفا مختلفة وأعدادا كبيرة من الحيوان ! فهى تغذى نحوا من ٢٥٠ مليـون رأس من الابقـار والجواميس والماشية والدواجن فضلا عن ما يقارب ٥٠ مليون من بنى الانسان ! أضف الى ذلـك أن الفئران ـ وهى كالأبقار تحرم ذبحها التقاليد ـ تلحق بالمواسم الزراعية الخسائر والاضرار بما قدروه بنحو ٢٥٠ مليون جنيه فى العام الواحد !

فلو أمكن للهنود الخروج عن بعض تقاليدهم ، على الاقل عن تلك التى تحرم قتل الفئران،لأمكنهم تحاشى المجاعات الى حد بعيد . اما لو كان فى وسعهم تخطى سائر التقاليد الاخرى ، وخاصة تلك التى تحرم ذبح الابقار واكلها ، لكان فى مقدورهم القضاء على سائر احتمالات المجاعة فى مستقبل غير بعيد .

فالديمقراطية البرلمانية لا تأتى فجأة بين عشية وضحاها بل تتطلب وقتا وشروطا خاصة معينة لنموها.وتكاد تكون افريقيا خلوا من هذه الشروط جميعا .

وهكذا تصبح القوة السياسية مشكلة كبيرة في حياة كل دولة تنال الاستقلال وتأخذ بالاساليب الديمقراطية دون أن تكون مهياة لهذه او لذاك .

ولكن القوة السياسية مشكلة كبيرة أيضا بالنسبة الى البشرية على مر الاجيال وفي سائر الاقطار . ولطالما عاناها المجتمع الانسانى منذ أن كان فى التاريخ مجتمع .

لذلك فاننا نامل ، ونرجو ، أن تتمكن تلك الدول الافريقية من اجتياز هذه المرحلة الأولى من حياتها الديمقراطية بنجاح .

الشريعة الإسلامية

الشريعة تبيح المحظورات

بقلم : الشيخ علي الخفيف

استاذ الشريعة بجامعة القاهرة

مرد القوانين الوضعية فى غالب احوالها الى الواقع الذى استمد منه واضعوها مجموعة من القواعد والمبادىء التى قام عليها تعامل الناس فيما بينهم وذلك رغبة فى تنظيم الصلات التى اليها يتحاكمون ، وعنها يتصرفون ، وبها يديرون امورهم . ولقد تولدت هذه القواعد على مر الزمان نتيجة لاجتماع الناس وحاجة بعضهم الى بعض ، وتنازع رغباتهم واهوائهم ، ولما يفرضه عليهم اجتماعهم من تعاون ومرونة وتبادل ، تساهل حتى لا تتأزم امورهم وتشتد خلافاتهم فتتحول حياتهم الى اضطراب وشقاء .

وقد يكون للدين اثر فى ذلك اذا كان له فيما يرون حق الطاعة عليهم .

القوانين الوضعية لا يعنيها الخلق ما استقر النظام

ومن ثم كانت القوانين الوضعية قوانين واقعية لمستمدها ، لا يعنيها امر الخلق من حيث هو خلق وان سايرته فى بعض الأحوال على اساس ان مسايرته والاهتداء به هما السبيل الوحيد المحقق لنظام المجتمع واستقراره ، لا من حيث انه خلق او فضيلة ، بل من حيث انه سلوك خاص يؤدى بطبيعته الى هذه النتيجة التى هى الهدف الأصلى للقوانين الوضعية وهى استقرار الأمور فى المجتمع على وضع يمنع الاضطراب ويزيل القلق ويحقق الهدوء والأمن بقدر الامكان ، سواء اكان ذلك متفقا مع الخلق او مختلفا معه .

فالزنا اذا كان عن تراض بين الزوجين ، لا يحدث اضطرابا ولا قلقا ، كان جائزا فى القانون الوضعى . والربا وهو يتم بتراضى الطرفين لم تحرمه القوانين الوضعية الا حيث يحدث القلق والاضطراب وهكذا .

ومن هذا كانت القوانين الوضعية قوانين واقعية اساسها واقع الناس وتعاملهم وتعاونهم دون ما تدعو اليه الفضيلة ويرضاه الخلق الكريم ، الا فى بعض الأحوال كانت الشرائع الوضعية فيها متأثرة بالأهواء الى درجة ما . وهى حين تحاول الاصلاح والتقويم لما تقره من الأمور الواقعة انما تحاول تقويمه

...لامية مثالية وواقعية معاً

عند الضرورات

وتحويله الى ما يجب أن يكون عليه فيما يراه الناس بناء على تعارفهم وعاداتهم ، لا الى ما يفرضه الخلق وتراه الفضيلة وان خالف ما اعتاده الناس . وعلى ذلك فهى حين تنشد العدل لا تنشده فى ذاته كمبدا بل باعتبـاره شعورا تشعر به الجماعة وتهواه وتطلبه ومن ثمّ فهى متأثرة بالأهواء .

لا نجرد القانون الوضعى من تأثره بالاخلاق

ولسنا مع هذا نريد ان نجرد القانون الوضعى من خضوعه للاخلاق والمثل ، وتأثره بهما فى كثير من الأحوال ، الا ان ذلك التأثر يحدده واقع المجتمع بحيث لا يصل الى معارضته ومعاداته . وقد بنوا على ذلك انها الشريعة الصالحة للتطبيق . الكفيلـة باستتباب الأمن واستقرار النظام .

الشريعة الاسلامية فيما يزعمون

اما الشريعة الاسلامية فهى كمـا يزعمون شريعة دينية خلقية لا يملكهـا ولا يسندها الا الدين . والخلق والدين فى نظرهم مجموعة من الأحكام والقواعد جاء بها الرسول فى فترة معينة من الزمان، وفى بقعة بدائية معينة من العالم، وليست قابلة للتغيير والتبديل والتطور . والأخلاق كما هو معروف قواعد مثالية ليس من اليسير اخضاع الناس لها فى كل الظروف مع ما استقر فى نفوسهم من الغرائز وما طبعت عليه من الشهوات ، ولها قوتها فى مغالبتها للعقل والنظر وانتصـارها عليه فى كثير من الأحوال ، ومن ثم كانت غير صالحة للتطبيق المستمر الذى يُعَدّ من خصائص القانون .

ذلك ما ذهب اليه بعض المستشرقين ومن فتن بآرائهم من الدائرين فى فلكهم، فزعموا أن الشريعة الاسلامية لم يكن لها عناية الا ببيان العقيدة وتثبيتها في القلوب، وتأسيس العبادة عليها . وبيان الأخلاق وأثرها فى تربية النفوس وتكميل الروح دون أن يكون لها اهتمام بأمر الحيـاة الواقعية ولا بأحداثها ولا بتعامل الناس فيها . فكانت لذلـك شريعة مثاليـة تستعصى على التطبيق ولا تصلح لسياسة الدنيا وتدبير امور الناس فيها . ومن مظاهر ذلك فيها ما فى الدين الاسـلامى من وصايا تنفر الناس من ملاذ الحياة وطيباتها وتدعوهم الى الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها والبعد عن طيباتها والقناعة فيها . وعلى الخشونة فى العيش والدعوة الى الايمان بالقدَر ، وترك الأمور لله والتوكل عليه ، وما الى ذلك مما قد ينفر من العمل ويصدّ عنـه وعن السعى فى الأرض . هذا عدا ما قد يرى فيها من احكام لا تعرف لها حكمة وأوامر تعجز العقول عن ادراك عللها .

الشريعة الاسلامية شريعة وسط بين الواقعية والمثالية

لقد اخطأ هؤلاء وضلوا فى حكمهم ذلك ان الشريعة الاسلامية شريعة واقعية مثالية، وليست مثالية محضة كما يزعمون، لأنها لو كانت كذلك لا تنظر الى واقع الناس ولا تعنى بأعرافهم ولا تستجيب لحاجاتهم ولا تلبى الضرورات التى تحدث لهم ، استعصت على التطبيق لارتفاعها حينئذ عن مستوى الناس وبعدها عن تناول قدراتهم ومدى طاقتهم واستطاعتهم ، وبذلك تفقد وظيفتها الاساسية وتسلب خصيصتها المنبثقة من معناها وحقيقتها . لأنها انما تكون شريعة حين تكون مصدرا للحياة السليمة المطمئنة الآمنة ، كشريعة الماء يرد اليها الناس طلبا لما يحفظون به حياتهم ونشاطهم من الماء . وهى اذا كان لها مجال فى هذه الحال فهو مجال الآمال والتمنيات لا مجال الواقع والوجود والعمل ، والتاريخ شاهد على أن الشريعة الاسلامية لم تكن شريعة الخيال والأمانى، ولكنها كانت منذ جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم شريعة التطبيق والعمل ، قامت بها أمة اسلامية ضخمة ودول وحكومات عديدة على انقاض دول اخرى اكثر اموالا واشد قوة واعظم عددا وعدة ، فكانت حياتهم اطيب من حياة اسلافهم ، وعمارتهم للارض اكثر مما عمرها أسلافهم ، ونظامهم وامنهم احكم مما كان عليه سابقوهم . وما استعصت يوما عن حاجتهم ، وما تأبّت عن ندائهم . ولهذا كانت شريعة وسطا ، فلم تكن واقعية لا تعنى بالخلق ولا تستهدف الفضيلة والا لكانت مفسدة تشيع الاضطراب والخوف والقلق وذلك ما لم يكن ، ولم تكن مثالية بالمعنى الكامل لما يدل عليه اللفظ ، ولذا كانت سمحة سهلة التطبيق ، لا تضيق بها صدور الناس ، ولا يجدون فى أنفسهم حرجا بسببها ، يصلح عليها امرهم وتطيب بها حياتهم اذا ما طبقوها على وجهها تطبيقا مؤسسا على الفهم الصحيح ومراعى فيه اهدافها الكريمة السليمة .

اما أن الشريعة واقعية ...

فأما انها واقعية فلأنها لم تهمل العادات والنظر اليها ، ولم تغفل عن الاعراف العامة الصحيحة ، ولا عن العلاقات والمعاملات بين الأفراد ، وعن كل ما يساهم فى تكوين وحدة المجتمع واحكام تماسكه، ولم تهمل من العادات والمعاملات الا ما من شانه تمزيق وحدة المجتمع واشاعة العداوة والبغضاء بين افراده .

وأما أن الشريعة مثالية ...

وأما انها مثالية فلأنها تقوم على الدين والخلق ، وتستهدى بهما في احكامها ومبادئها ، فلا تجافيهما ولا تجعل للواقع سلطانا عليها الا حيث يتفق مع الدين والخلق ولا يخرج عن نظامهما . وهى لذلك تقر ما كان من المعاملات صالحا نافعا وتثبته ، وتحرّم ما كان ضارا فاسدا ، وتستبدل به خيرا منه .

فالشريعة كانت واقعية تنظر الى الواقع ولا تتنكر له ، ومثالية تنفي الخبث وتحرمه ، وتستجيب في مثاليتها لنداء الخلق ودعوة الدين في البعد بالنفوس عن كل ما يلوّثها ، والسمو بالروح عن كل ما يدنّسها ، وتجنيب واقع الناس أن يكون مصدرا لضرر أو أذى . ويكفى لبيان ذلك والتدليل عليه انها شريعة جاء بها الكتاب الحكيم الذى انزله رب العالمين هدى وبشرى ورحمة للعالمين ، وقام ببيانها وابلاغها رسوله الكريم الذى أرسله الله رحمة للعالمين ،

يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم . وقد امر بالحكم بها، وحذّر من مخالفتها. قال تعالى : « وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم ، واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله » . وقال: « فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم » .

دلائل ان الشريعة واقعية صالحة للتطبيق

اما دلائل واقعيتها وصلاحيتها للتطبيق وتجدد احكامها بتجدد الواقع فاننا نجملها فيما يلي :

الشريعة لم تات هادمة تنكر لما تعارفه الناس

١ ــ انها حين جاءت لم تات متنكرة هادمة لكل ما تعارفه الناس يومئذ من شرائع ، وما درجوا عليه من معاملات ، وما الفوه من تصرفات ، وما ابرموه من اتفاقات ، بل كان موقفها من كل ذلك موقف اصلاح واتمام وتهذيب واكمال ــ حرّمت منه ما كان ضارا ، واكملت ما كان ناقصا ، وهذّبت ما كان شاذا ، واستبدلت بالخبيث طيبا وبالضار نافعا، مما استكملت به هيئتها وصورتها وتمت به نعمتها. ولذا لم تكن شريعة مستحدثة في كل احكامها بل كان كثير من احكامها معروفا قبل الاسلام ــ فقد جاءت الى العرب وهم كأية امة لها حياة اجتماعية مدنية ذات ارتباطات اقتصادية وصلات سياسية ومعاملات مالية. كانوا يتحالفون ويتبايعون ويتداينون ويرهنون ويتجرون ويتنازعون ويتحاربون ويتزوجون ويتحاكمون ، وكانوا في جميع ذلك خاضعين لعادات جارية او تقاليد موروثة او عرف مالوف . وكان كل ذلك مختلفا باختلاف القبائل ومتأثرا بهوى رؤسائهم ورغبات كبرائهم .

ومجتمع كهذا تتسلط عليه كل هذه العوامل المختلفة التى لا ترتكز في كثير من الاحوال على اسس عادلة لا بد ان يكون كثير الاضطرابات مليئا بالظلم ، كما لا يخلو من امور صالحة ومعاملات عادلة لا غنى للناس عنها . ولهذا حين جاءت الشريعة لم تجىء هادمة ولكنها جاءت مصلحة كما بينا ــ فحرّمت الربا لأنه معاملة جائرة ضارة يؤكل فيها المال بالباطل ، وحرمت زواج المقت (ان يتزوج الرجل امراة ابيه) وزواج الشغار (شاغر الرجل الرجلَ اى زوّج كل واحد صاحبه امراة بشرط ان يزوجه اخرى بغير مهر) وغيره من الزيجات مما لا يحقق اغراض الزواج وغاياته . واصلحت نظام البيوع فنفت عنه الضرر والخداع والغش وهكذا طهرت المعاملات من الرجس ونفت عنها الباطل . وكانت فى احكامها واقعية اقيمت على النظر فى الواقع ليتميز منه الخبيث من الطيب فتنفى الخبيث وتقر الطيب .

الشريعة تبيح المحظورات عند الضرورات

٢ ــ ما قررته من اباحة المحظورات عند الضرورات او عند الحاجات ، ومن ان الضرورة تقدّر بقدرها . فقدرت ما للضرورة او الحاجة من حرج والم تضيق بها النفس الانسانية وتسوء معها الحياة ولا يطيب العيش ، فاذا ما وقعت الضرورة او الحاجة ولم يكن للخلاص منها الا ارتكاب المحظور جاز ارتكابه تجنبا للحرج وبعدا عن الالم وانما يجب الا يكون في ذلك بغي ولا تجاوز عما تتطلبه الضرورة او الحاجة حتى لا يكون رفع الضرر مؤديا الى احداث ضرر آخر

ولا يرفع الضرر بالضرر . يقول الله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم » . وذلك موقف للشريعة قدرت فيه الواقع ومقتضاه قدره .

الشريعة لرفع الضيق والحرج عن الناس

٣ ــ قيامها على مصلحة الناس ودفع الضرر عنهم وفى ذلك يقول الله تعالى : « ما جعل عليكم فى الدين من حرج ــ يريد الله أن يخفف عنكم ــ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ــ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزق فلينفق مما آتاه الله ــ لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ــ سيجعل الله بعد عسر يسرا ــ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ــ الى غير ذلك من الآيات والنصوص التى تدل على ما لواقع الناس وقدراتهم من الاثر فى الشريعة واقامة احكامها على واقعهم .

الأصل فى الاشياء الاباحة

٤ ــ قيامها على ان الأصل فى الأشياء الاباحة ــ ويدل عليه قوله تعالى : « وهو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ــ وقوله تعالى : « قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» ــ «يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم » ــ وقوله صلى الله عليه وسلم « ان الله فرض عليكم فرائض فلا تضيعوها،وحدّ حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنهلوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تسألوا عنهـا » .

الضرر لا يزال بالضرر

٥ ــ قيامها على قواعد عامة ، روعى فيها نفى الضرر والتخفيف على النـاس مما جعل تطبيقها ميسرا ونظرها الى واقع الناس أمرا واضحا ، وذلك مثل : المشقة تجلب التيسير ــ الضرر يزال ــ الضرر لا يزال بالضرر ــ اليقين لايزال بالشك ــ يرتكب أخف الضررين ــ العادة محكمة ــ المسلمون عند شروطهم .

احكام الشريعة جاءت لصالح الناس ولم تأت تعبدا

٦ ــ تعليلها للأحكام ــ وذلك ببيـان ما يترتب على المأمور به من مصلحة تعود على الناس ثمرة لامتثالهم ، وعلى المنهى عنه من مفاسد نتيجة اقترافها ، وذلك صريح في ان احكامها انما جاءت لمصالح روعيت ولم تأت تعبدا بها . وفيه اشارة الى انها تدور مع المصالح وجودا وعدما، وقد دل استقراء النصوص والأحكام على ذلك . وفى ذلك يقول الشاطبى ان التعاليل الكثيرة فى القرآن والسنة تنادى فى صراحة أن الشارع ينظر فى تشريعه الى ما يترتب على الأحكام من مصالح، ويربط الأسباب بالمسببات ، وفى هذا أيضا ارشاد الى النظر والاجتهاد فى تعرف ما لم يأت بحكمه نص من الشارع ، وذلك بجعل المصلحة دليلا على الحكم ، اذ حيث تكون المصلحة فثمّ حكم الله . وعلى ذلك كان عمل الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يجدوا فى الأمر يعرض لهم نصا من كتاب أو سنة . فاذا حدث ذلك نظروا فيما حدث لهم وأين تكون المصلحة فيه فحيث كانت كان حكم الله تعالى .

الشريعة تعتد بالعرف في الناس

٧ ــ اعتداد الشريعة بالعرف فى كثير من الأحوال ــ اعتد به رسول الله صلى

الله عليه وسلم فى مواقف مختلفة فاقر نظام القسامة الذى كان معروفا فى الجاهلية وهو نظام اتخذه العرب وسيلة لتعرف القاتل ومن يتحمل مسؤولية القتل عند الجهل به وعدم التعرف عليه . ولقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اهلها يتعاملون بالسلم ، وهو بيع ما ليس عند البائع ، فاقرهم عليه بعد ان كان قد نهى عن بيع ما ليس عند الانسان حين سأله حكيم بن حزام عن ذلك فقال له لا تبع ما ليس عندك . واخرج البخارى واحمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع المزابنة وهى بيع الثمر بالثمر ، ولكنه اذن فى بيع العرايا وهو بيع النخلة والنخلتين يأخذهما : اهل البيت بخرسهما ثمرا يأكلونه رطبا بعد أن كان قد صدر منه نهى عن بيع الثمر على النخل بخرسها . وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرام لا يعضد شوكه ولا يختلى خلاه . ولا ينفر صيده ولا تلتقط لقطته الا لمعرِّف فقال له العباس بن عبد المطلب الا الاذخر يا رسول الله فانه لا بد منه لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر .

فهذه كلها امثلة اعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها العرف واقره فى مقابلة النص . وقد كان ذلك ما فعله الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين واجه المسلمون عادات وتقاليد لم يكونوا يعرفونها فى بعض البلاد المفتوحة ، فاقروا اهلها عليها ما دامت لا تخالف نصا من النصوص . وعلى هذا النهج سار الفقهاء والمجتهدون من بعدهم ، فاقروا أنظمة وعادات لم تكن معروفة من قبل ، وهى لا تخالف اصول الدين .

ومن ذلك ما ذهب اليه الحنفية من ان كل شرط يخالف مقتضى العقد شرط فاسد الا اذا جرى به العرف ، فانه يكون صحيحا . ولذا جاء من القواعد المعروفة فى الشريعة ان المعروف عرفا كالمشروط شرعا . وكان العرف لذلك من الأدلة التى تبنى عليها الأحكام ويترك به القياس ، ويخص به النص عند جمهور الفقهاء ما دام لا يخالف اصلا معتبرا من اصول الدين .

ويقول ابن عابدين كثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان اما لتغير عرف ، او بحدوث ضرورة ، أو لترتب مشقة او ضرر عليه بالناس ، وكل هذا بالنسبة لعرف لا يخالف النصوص الشرعية . اما ما خالف النصوص الشرعية من الاعراف فانها تعد فاسدة كالتعارف على شرب الخمر وعلى التعامل بالربا ونحو ذلك .

الشريعة الاسلامية شريعة مثالية واقعية معا

ومن هذا يتبين أن الشريعة الاسلامية شريعة واقعية مثالية صالحة للتطبيق ، وليس يضيرها ان يعجز الناس عن ادراك الحكمة فى بعض احكامها ، فان العجز عن الادراك ليس دليلا على عدم وجود الحكمة ، وبخاصة اذا كان الشارع للحكم هو العليم الحكيم الذى لم يشرع للناس ما يضرهم وانما شرع لهم ما يحقق مصلحتهم .

والله ولى التوفيق . ■■

على الخفيف



★ ★ ★ الفن والالتزام فيه ★ ★ ★

عن مجلة الجديد البيروتية :

● ابسط تعريف نظرى للفن بعامة ، انه تجميل للحياة وسمو بها باعتباره عملية خلق وابداع وابتكار ، تماما كما الفكر والادب شعره ونثره ، وككل اثر من الآثار أو فن من الفنون .

فاذا كان الفن بمختلف الوانه ، على هذه الصورة من الاهمية والاعتبار ، فقد مضى الزمن الذى كان فيه الفن ، مجرد لهو وعبث وتضييع وقت وقد أضحى يواكب سيرة الشعوب ونهضة الأمم جنبا الى جنب ، تحت شمس الحضارة الانسانية ، وان النظرية القائلة ان الفن للفن ما هى فى الحقيقة الا نظرية سلبية ليس فيها جدوى أو صحة أو ابعاد .

ان واقع الحياة الراهنة فى عصرنا الحديث ... عصر القلق والذرة والفضاء ، وما تتطلبه هذه الحياة من حاجات وأهداف اجتماعية وثقافية وعلمية ، يقتضي منا ، نحن الذين نعيش الفن حضارة فكرية وثقافية وفنية واجتماعية ، ان نكرس المفهوم الحقيقى لماهية العمل الفنى أو العمل الذى ينادى بمذهب الفن للمجتمع وللشعب بمختلف فئاته وافراده . فمما يميز الانسان الحديث عن غيره من المخلوقات ، كونه يمتلك الحاسة السادسة ، حاسة الفن ، وكونه بالتالى يمارس تجربة واعية نامية يفترضها التطور الحياتى على مستوى الحس والشعور الرهيف والضمير الحر والذوق الاصيل .

كل هذا وغيره من صفات الانسان الواعي الذى يؤهله لممارسة دوره القيادى وحقه الطبيعى فى الحياة المثمرة في كل حقل وكل ميدان . ■■

★ ★ ★ العمل .. هل حرر المرأة ؟ ★ ★ ★

عن صحيفة الأضواء البحرانية :

● تنطلق المرأة اليوم لاثبات وجودها وتحررها من مفهوم واحد هو العمل ، وتعد ذلك كسبا ماديا أو معنويا ، فاى وجود ذلك الذى تريد المرأة اثباته بممارسة العمل ؟ هل هو وجودها كامرأة تنتمى الى الجنس البشرى . أم انها طاقة موجودة يجب استخدامها وللبشرية عليها حق أن تكون معطية .

الواقع ان المرأة ما زالت تتكيف بوضعها نفسيا واجتماعيا ، لم يحررها العمل ولم يخرجها من نفسية « الجنس الاخر ». تستطيع أن تطالب بأجر متساو لأجر الرجل ، وأن تدرج اسمها فى قائمة الترشيح ، ولكنها لا تستطيع ان تواجه نفسية المرأة منذ قرون ، لا تستطيع أن تتحرر من خوفها .. من ضعفها المزعوم .. من التردد .. من الخضوع اللاواعى لارادة الآخرين .

فلكى تثبت المرأة وجودها عليها أن تعى هذا الوجود ، وأن تعى المعنى الحقيقى المنبعث من وجود الانسان .. وأن تدرك أن الحرية منبعثة من ذاتها ولا تستجدى من الغير ، وأن تقضى على التردد والخوف والاحساس اللاواعى بالتبعية ، وأن تدرك أنها ما لم تتحرر من قيود الوضع في نفسها فان العمل لن يخلق لها حريتها .

الدول المتقدمة والدول النامية ومفهومهما عند الباحثين

عن مجلة الجندى السورية :

● كثرت التعاريف حول موضوع الدول المتقدمة والدول النامية ، حتى كاد الغموض يحيط بها بسبب كثرتها تلك . فمن الكتاب من اتخذ المعايير الاقتصادية أساسا للتدليل على مفهوم النمو أو التخلف أو التقدم . ومنهم من اعتمد المعايير الاجتماعية لايفاء الموضوع حقه.أما بالنسبة لاتخاذ المعايير الاقتصادية أساسا لقياس التخلف والنمو والتقدم ، فذلك يرجع الى امكانية ترجمتها الى أرقام محسوبة . ثم لأن الموضوعية تكاد تختفى فى أى مقياس اجتماعى آخر ، ويصطنع على نطاق عالمى ، لاختلاف القيم باختلاف الحضارات ، وعدم تساوى الحاجات لا نوعا ولا درجة .

والواقع أن اللجوء الى المعايير الكمية ، أمر لا مفر منه ، وان كان غير كاف وحده لاعتماده أساسا للتفريق بين هذه المفاهيم .

وقد ذهب بعض الباحثين فى بحوثهم للتفريق بين المناطق المتقدمة والنامية الى نوع الاقتصاد السائد من حيث انه هو الذى يحدد هوية المنطقة ومكانها من التقدم أو التخلف ، فاطلقوا على المجتمعات التى تعمل بالزراعة بأنها نامية ،ووصفوا التى تمارس الصناعة بأنها متقدمة . وآخرون اعتمدوا التقسيم على أساس الدخل الفردى ، فالمجتمعات التى يكون متوسط دخل الفرد فيها أكثر من ٤٥٠ دولارا فى السنة متقدمة ، وتلك التى يتراوح فيها دخل الفرد بين ١٥٠ ـ ٤٥٠ دولارا سنويا تكون نامية . وآخرون اتخذوا من احصاءات السكان معيارا للتقدم والتخلف ، فالمجتمعات التى يتزايد معدل سكانها بأكثر مما يتزايد معدل الانتاج فيها مجتمعات نامية ، وتلك التى يتعادل فيها المعدلان أو يزيد معدل الانتاج فيها على معدل السكان تكون متقدمة .

والحقيقة ان قضية التقدم والتخلف أو النمو قضية تغير حضارى معين يتناول كل انظمة المجتمع، ليس الاقتصاد والتخلف الا أحد وجوهها وليس السمة المميزة لها ، ولا خصيصتها الفريدة .

★ ★ ★ الهروب من الواقع ! ★ ★ ★

عن مجلة « الصياد » اللبنانية :

● أكدت احصاءات هيئة الأمم المتحدة ان نسبة مشاهدى الأفلام فى لبنان تتعدى أية نسبة فى العالم . انها تصل فى بعض الأحيان الى نسبة مدهشة غير معقولة . مثلا : ان عدد المرات التى ذهب فيها المواطن الى السينما فى السنة الماضية تعدت ٧٥ مرة . وهى نسبة مرتفعة جدا اذا قورنت بأية نسبة عالمية أخرى . ان جنون السينما يكاد يصبح ظاهرة عجيبة فى بيروت . ويقول احد الكتاب الأجانب عن الظاهرة انها : « سنة الهروب من عالم الضياع » .

ومراسل فرنسى كتب مرة يقول : بين السينما والسينما ، فى لبنان سينما أخرى !!

وأما الاقبال المتزايد على انشاء دور جديدة فمرده بدون شك الى اقبال آخر على مشاهدة الأفلام السينمائية الى حد أن أكثر هذه الدور تكاد لا تستوعب فى كل مرة عدد الراغبين فى المشاهدة .

ثم ان هذه الظاهرة لا يمكن ردها الى محض اختصار فى نفقات سلوى وتمضية الوقت بقدر ما هى ـ على حد قول أحد الكتاب الأجانب الذين زاروا لبنان : « مجرد هرب من واقع ، ثم العيش ولو الى حين فى آفاق وأجواء غير تلك التى ألفها المواطنون » .

ولعل من أصدق ما جاء على لسان أحد علماء النفس قوله : « ان الادمان على مشاهدة الأفلام السينمائية هو أشبه شىء بالادمان على الخمر والمخدرات ما دام أن كليهما محاولة للتفلت من واقع ، والتخلص من كابوس معين ولو الى حين!».

كارل غوستاف يونغ

- العُصاب
- اللبيد
- تفسير الأحلام
- اللاشعور
- الانطواء والانبساط

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

الاستاذ بجامعة دمشق

■ ولد كارل غوستاف يونغ C. G. Jung في زوريخ عام ١٨٧٠ .

وتعرف على فرويد Freud بعد سنوات عديدة من دراسته التحليل النفسي وتطبيقه . وقد بقي الرجلان متصلين أشد الصلة عن طريق المراسلة والمؤتمرات . وقد كان رأي فرويد في هذا الشاب طيبا لدرجة انه جعله رئيسا للجمعية العالمية للتحليل النفسي اعتقادا منه انه خير للحركة ان يكون هو متواريا. ولكن لم يعتم أن ظهر أن يونغ ؛ بالرغم من احترامه لآراء فرويد واعتقاده بأنها قيمة وثورية ، يعتقد أن هذه الآراء ذات جانب واحد وغير ناضجة تمام النضوج، ولذلك وضع ما اعتقد انه نظرية اكمل واسماها بالسيكولوجيا التحليلية .(١)

العصاب

ان التحسينات التى أدخلها يونغ تتناول العُصاب Neurosis واللبيد Libido .

اما فيما يتعلق بالعصاب فقد اظهر فرويد ، عن طريق استقصاء أصل العصاب عند الراشد وارجاعه الى (عقدة أوديب) عند الطفل ، السبب المهيء السابق للمرض ، ولكنه لم ينتبه الى السبب المثير . ان السبب المثير للعصاب وضع يتطلب من الشخص تكيفا جديدا . ويحاول الفرد أن يواجه هذا الوضع الجديد ولكنه لا يملك القوة الكافية . انه يفشل في تكيفه الجديد فيعود الى عاداته القديمة في مواجهة الأوضاع الصعبة . انه يعود الى الطريقة التى اتخذها حين كان طفلا وذلك في تكيفه مع وضعه العائلى . وقد يكون تكيفه الطفولى ناقصا ، ولذلك فان احياءه الآن لا يساعده في مواجهة مشكلته الجديدة .

(١) انظر مقالينا عن فرويد وآدلر المنشورين في العربي .



(فرويد)



(يونج)

قد يكون التجأ حين كان طفــلا الى تخيلاته ، فيعود اليوم الى هذا النوع من الحل التخيلي لمشكلته . وهذه العودة تبعد عن مشكلته الحاضرة وعن حلها . فاذا صدف أن انحلت المشكلة مــن تلقاء نفسها اختفى سلوكه الطفولي حالا ، وعلى هذا فان الصعوبة الحاضرة في التكيف هي السبب الحقيقي للعصاب .

ويستعمل يونغ طريقة فرويد في الترابط الحر ، وتحليل الاحلام لمعالجة الأمراض العصبية ، ولكنه يبــدأ بدراسة مشكلة المريض الحاضرة ويحاول اكتشاف عناصر الضعف في معالجته لهـــا . انه لا يفسر أحلام المريض كدلائل على رغبات جنسية قديمــة مكبوتة فحسب ، بل كدلائل على موقف المريض اللاشعوري من مشكلته الحاضرة أيضــا . ويشعر المريض بموقفه الابتدائي من مشكلته عن طريق التحليل ، وبذلك يساعد على التوحيد بين اللاشعوري والشعوري .

وهكذا فالتحليل يمكن المريض من فهم حالته الحاضرة بالاضافة الى ماضيه الطفولي ويخرجه من كل هذا بشخصية اكثر اتزانا ووحدة .

اللبيد

اما فيما يتعلق باللبيد Libido فان يونغ يعطيه معنى أوسع من المعنى الذي يعطيه اياه فرويد ، ولكنه مقابل ذلك ينكر أن يكون جنسيا بكليته . انه يجعله شاملا لمفهوم اللبيد عند فرويد والنزوع الى التفوق عند آدلر ، انه يعتبر اللبيد الاساسي الحاحا عاما يشبه (ارادة الحياة) عند الفيلسوف الالماني شوبنهور او الاندفاع الحيوي Elan Vital عند الفيلسوف الفرنسي برغسون Bergson انه الطاقة الحيوية العامة التي تستهدف النمو والفاعلية والانتاج . ويجد اللبيد متنفسه الأول عند الطفل في اعمال التغذية . ان مصدر سرور الطفل في الحصول على الغذاء هو اللبيد ، ولكن يجب ألا يوصف بانه جنسي ابدا وذلك على اعتبار ان الدافع الجنسي لم يميز نفسه بعد عن الميــل الابتدائي للحياة .

ولقد جرب يونغ أن يربط مفهومه عن اللبيــد بمفهوم الطاقة Energy في الفيزياء . ان الطاقة تتحول ولكنها تبقى طاقة سواء على شكل حرارة او كهرباء او حركة كتل ، ومثل هذا صحيح عن طاقة نفسية واحــدة هي اللبيد نفسه ، الذي يتبدى مرة على شكل رغبة جنسية ، واخرى على شكل ميل الى التفوق . والذي حصــل هو ان فرويد ميز شكلا واحدا من اشكال الطاقة ، في حين ميز آدلر شكلا آخر ، وارتكب كل منهمــا خطيئة الاعتقاد بوحدة شكل الطاقة . واذا أعيد توجيه الطاقة فحوّلت من فاعلية جنسية الى فن او اى نوع آخر من أنواع التصعيد ، فانهــا تتحول ولا تبقى على شكل رغبة جنسية ، بالرغم من احتفاظها ببعض آثار منبعها المباشر .

والناحية الهامة الاخرى من نظرية يونغ عــن الطاقة هي اعتقاده بميل هذه الطاقة الى حالة نهائية من التوازن .

تفسير الاحلام

وقد نستطيع أيضا أن نفــرق بين علمائنـــا الثلاثة ـ فرويد وآدلر ويونغ ـ اذا نظرنا في مسالة

تفسير الاحلام . لقد قارن يونغ بين تفسيره وتفسير فرويد ، وذلك عن طريق تحليله حلم شاب تخرج من الجامعة حديثا ولم يستطع أن يجد عملا ، فوقع ضحية عصاب . لقد حلم هذا الشاب بانه كان يصعد الدرج مع امه واخته ، ولما وصل اعلى الدرج ، أخبر ان اخته ستلد عما قريب .

ان تفسير هذا الحلم يسير على فرويد باعتبار ان صعود الدرج رمز دائم للفاعلية الجنسية ، اما الأم والأخت فيعلل وجودهما الميل الجنسي الطفولي اليهما . وهكذا فالحلم تحقيق واضح لرغبة طفولية مكبوتة . اما يونغ الذى لا يقنع بمثل هذا التفسير الجاهز فيرى ان وجود الأم معناه اهمال الواجبات على اعتبار ان الحالم أهمَلَ امه مدة طويلة ، وأما وجود الأخت فمعناه حب صحيح لامرأة . وأما صعود الدرج فمعناه النجاح في الحياة ، وأما الطفل الذى سيولد فمعناه ولادة جديدة لنفس الشاب . ويخلص يونغ من كل ذلك الى القول بأن الحلم يفصح عن توجه الطاقة اللاشعورية نحو مواجهة وضع الشاب الحاضر .

هذا وليس من السهل التكهن بكيفية تفسير ادلر Adler لهذا الحلم ، وذلك لقلة المعلومات عما اذا كان الحالم الطفل الاول في الأسرة او انه أصغر من أخته ، ولكن بما انه لم يتسلق الدرج وحده فان هذا قد يعني أن نمط حياته من النوع الذى يميل الى الاعتماد على الغير .

ان وجود عدة تفسيرات مختلفة ممكنة للحلم نفسه ، كل منها مفيد في يد المحلل ، أمر يدعو للتأمل. فما من تفسير يوصل الى الحلم . ولا شك في أن مسألة تفسير الأحلام مسألة فيها نظر ، ذلك بأن ما يوجد في اساس اى حلم هو اكثر بكثير ـ وعلى وجه التأكيد ـ مما يوجد في اى تفسير . وانه لمن حسن الحظ أن لا يكون الهدف في تفسير اى حلم فهم الحلم بل اكتشاف مركب الحالم أو رغبته أو تمنياته او نمط حياته ، فاذا استطعنا اكتشاف شيء عن الحالم نكون قد حققنا هدفنا ولو اننا أخطأنا تفسير الحلم نفسه .

الانطواء والانبساط عند يونغ

لم يحاول يونغ قط التقليل من اهمية فرويد وآدلر ، بل على العكس كان مهتما أشد الاهتمام بجمع ما قالاه في نظرية واحدة . ولكن كيف السبيل الى تنسيق نظريتين مختلفتين كل هذا الاختلاف ؟ ان فرويد يعتبر الحلم او العصاب امرا تسببه رغبة جنسية مكبوتة ، في حين ان ادلر يعتقد ان السبب هو حب التفوق . واذا كان كل واحد من هذين الدافعين يبدو معقولا لوحده فان التوفيق بينهما هو الامر العسير . وقد حل يونغ المشكلة عن طريق نظريته المشهورة عن النماذج السيكولوجية . فبعض الناس يتأثرون على طريقة فرويد والبعض الاخر على طريقة ادلر .

ويرى يونغ ان الذى يندفع بحب التفوق انسان يتركز انتباهه حول نفسه ، في حين ان الذى يندفع بالأمور الجنسية شخص يتركز اهتمامه حول موضوع حبه . ثم عمم فقال انه يعتقد بان من الممكن التفريق بين انموذجين من الافراد: واحد منهما يفضل أن يتركز اهتمامه حول ذاته، والآخر يتجه انتباهه الى الخارج ، الى المحيط الاجتماعي والمادي . فالمنطوى Introvert يتجه نحو الداخل ، نحو ذاته ، والمنبسط Extrovert يتجه نحو الخارج . ان المنبسط المدفوع بلبيد فرويد انسان تتحكم فيه العاطفة ، أما المنطوى المدفوع بحب التفوق الذى قال به آدلر فانسان يتحكم به التفكير ويميل الى التأملات والاحلام . واللبيد ـ طاقة الحياة ـ يتجه في حالة الانبساط نحو الخارج اى نحو الأشياء والأشخاص ، أما في حالة الانطواء فيتجه نحو الداخل اى نحو الذات.

ما من نظرية ليونغ اثارت من الضجة والاهتمام ما اثارته نظريته عن الانطواء والانبساط وذلك لميل الناس الطبيعي الى تصنيف الناس والقول بأن فلانا من هذا النموذج وذاك من النموذج الآخر .

وقد كانت عادة القدامى ان يصنفوا الناس أربعة نماذج : الدموى والسوداوى والصفراوى والبلغمي ، كما ان تصانيف اخرى ظهرت على يد كرتشمر Kretshmer وشلدون Sheldon وسواهما . واننا لميالون الى الشك بالنموذجين الانطوائي والانبساطي اذا كان معنى القول بهما الاعتقاد بان كل واحد من الناس ينتمي الى هذا او ذاك . ولقد ادرك يونغ نفسه هذه الصعوبة فقال بنموذج ثالث (مزدوج الاتجاه Ambivert) ويتجه لبيدُ المنتمي الى هذا النموذج الى كل من الاتجاهين الداخلي والخارجي، ولا يقتصر اهتمامه

على الذات وحدهــــا أو على الأشخاص والأشياء الخارجية وحدهما .

وقد تبنى بعض علماء النفس مفهوم يونغ عن النماذج الطبيعية وحاولوا وضــع روائز لتعيين موضع كل فرد في اختبار يتراوح بين أقصى الانطواء ومنتهى الانبساط . وقــد وجدوا ان ذلك ممكن برغم اعترافهم بأن معظم الناس يقعون في منتصف الاختبار .

ولعل أهم مقترحات يونغ قوله بأن الأشخاص الانبساطيين في حياتهم الشعورية يكونون انطوائيين في حياتهم اللاشعورية والعكس صحيح . وهــو يقول : « يوجد في حالة الشخص المنطوى مثلا ، الى جانب وضعه الشعورى ، أو قل خلف وضعه الشعورى ، وضع لا شعورى منبسط يعوض آليا جانبــه الشعورى المنطوى .... وهكذا يكون للاشعور ، بحسب ما نرى ، وظيفــة تعويض بالنسبة للشعور . »

اللاشعور في نظر يونغ

لا تقل قيمة اللاشعور في نظر يونغ عنها في نظر فرويد ، واذا كان لا بد من فرق بينهما فيونــغ يعلق على اللاشعور أهمية لا يعلقها فرويد .ويفرق يونغ بين اللاشعور الشخصي واللاشعور الجماعي أو العرقي .

أما اللاشعور الشخصي فمؤلف جزئيا ـ وكمــا أشار فرويد ـ مــن الأمور الشعورية المكبوتة . ولكنه يشتمل الى جانب ذلك ـ حسب رأى يونغ ـ على الخبرات والمعارف الأخرى التى نسيت أو افترقت عن الشعور ، وأخيرا على المواد الأخرى التى حصل عليها الانسان بصورة لاشعورية .

واللاشعور الجماعي أساسي أكثر من اللاشعور الشخصي ، وعنــه تنجم كل من حياتى الفــرد الشعورية وغير الشعورية .وهذا اللاشعور العميق لا يظهر الا نادرا وذلك في الاحــلام والعُصاب ، ولكن تخيلات المجانين حقا تفصح أحيانا عــن أفكار عجيبة وطرائق تفكير تبدو كأنها آثار الفكر الابتدائي للنوع البشرى .

واللاشعور الجماعي موروث ، وهو موروث ـ ككل شيء آخر ـ عن طريق بناء العضوية . ان تركيب الدماغ الموروث يمكن الفــرد من التفكير والعمل بالطريقة التى كان العرق قد اعتــاد أن يفكر ويعمل بحسبها وذلك من خلال أجيــال لا تحصي من الحياة الابتدائية . وهكذا يمكننــا أن نقول بأن اللاشعور الجماعي مكون من غرائز وأفكار ابتدائية . ان الغرائز هى طرق العمل الابتدائية ، أما الأفكار الابتدائيـــة فهى الطرق الابتدائيـــة للتفكير . والتفريق بين الاثنين أمر غير ميسور ، ذلك بأن العمل والفكر يسيران جنبا الى جنب ولا سيما في الأشكال الابتدائية للحياة .

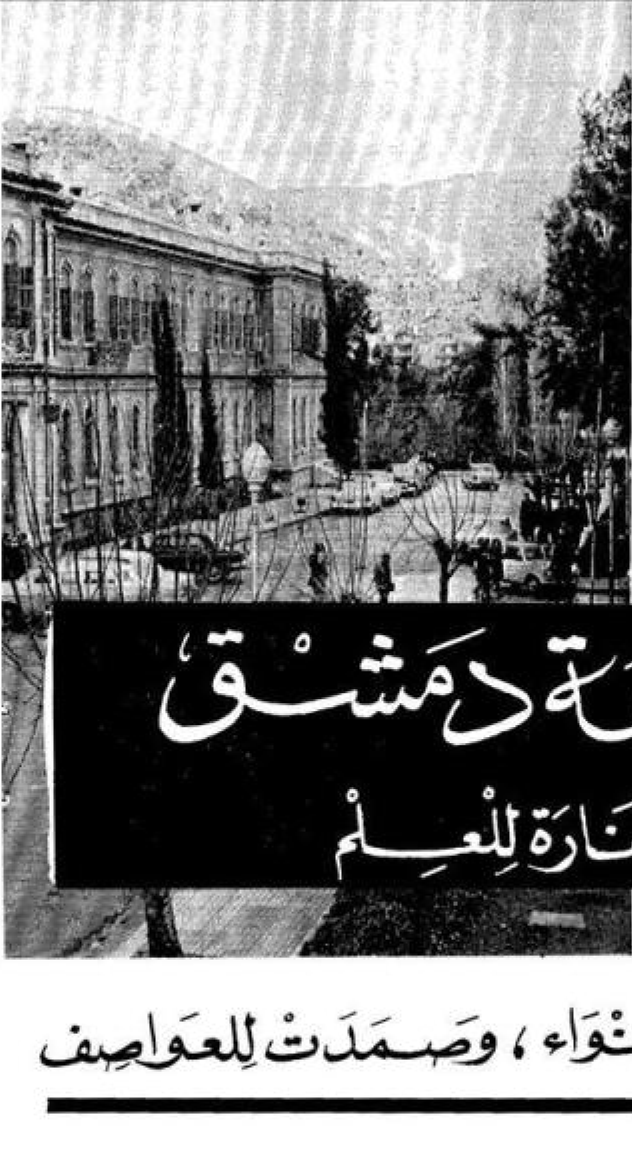
واللاشعور الجماعي لا يحتوى على أفكار بالمعنى الدقيق ، ولكنه يحتوى على طرائق طبيعية للتفكير وطرق للجهد الأقل ونزعات للميل بأفكارنا نحو الطرائق الابتدائية للتفكير . ففى الأحــلام وفي مخاوف الأطفال الليلية ، وفي الهلوسة وأوهــام المجانين ، وحتى في حياة اليقظة حين تفاجأ بأمر لم نستعد له أبدا ، كالهزات الأرضية مثلا ، في كل هذه الأحوال تطير عنــا كل مفاهيمنا العلمية التى اكتسبناها مؤخرا عن العمليات الطبيعية ، لنفكر روحيــا لتتكون عندنا أفكار ابتدائية ذات صلة بالسحر والشياطين وغير ذلك .

وقد يكون من الخير لصحة الفرد العقلية أن يصبح على علم ببعض أفكاره الابتدائية النوعية وأن يوحّد بينها وبين أفكاره وأعماله الشعورية . ولذلك فان دراسة الأساطير والعادات البدائيــة أمر له شأن في السيكولوجيا التحليلية ليونــغ بسبب مــــن الضوء الذى تلقيه على اللاشعور الجماعي .

أما بعد :

فتلك هى خلاصة سريعة لسيكولوجية يونــغ التى أحدثت في حينها ضجة أى ضجة ، والتى ما زال الكثيرون من علماء النفس يرون فيها مصدر الهام وتطبيق . بيد أنه لا بد من ملاحظة تتلخص بأنه الى جانب أشياع فرويد وأدلر ويونغ يوجد عدد من أطباء الأمراض النفسية الذين لا ينضمون الى مدرسة معينة ، والذين لا يرون حرجا في أن يأخذوا من هذه أو تلك من هذه المدارس ، بانين أفكارهم بأنفسهم ، واضعين اشارة استفهام كبيرة أمام بعض المفاهيم من مثل (الليبى) عند فرويد و (اللاشعور الجماعي) عند يونغ . ■■

فاخر عاقل



قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف
وصوره
أوسكار مترى

جامعة دمشق منارة للعلم

قامت وسط الأنواء، وصمدت للعواصف

■ ما أصدق قول الشاعر في حديثه عن العلم ..

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل واقلال

فلولا العلم لما نالت الشعوب حرياتها ولما حصلت الدول على استقلالها ، ولما حققت الامم ما تصبو اليه من تقدم ونهضة وازدهار .. (فالشعب المتعلم يسهل توجيهه ولكن تصعب قيادته والشعب المتعلم يسهل حكمه ولكن يستحيل استعباده) .

ولقد استبعد الاستعمار الشعوب ... ومن اجل ذلك حرص على أن تعيش هذه الشعوب المستعمرة في دياجير الجهل بعيدا عن نور العلم والتعليم .

ان لهذه المقدمة علاقة قوية بموضوعنا اليوم ، فهو استطلاع عن منارة من منارات العلم ، وقلعة من قلاع المعرفة في وطننا العربي الكبير .. عن جامعة دمشق التي ارتبط تاريخها ارتباطا وثيقا بالاستعمار في سوريا .. فقصة جامعة دمشق ، هي قصة الانتداب الفرنسي في هذا البلد العربي



المبنى الرئيسي لجامعة دمشق ، وقد كان الجيش الفرنسي يتخذ منه ثكنة لقواته قبل الاستقلال ، أما اليوم في سوريا المستقلة فقد أصبح منارة للعلم ، وهو يضم كليات الطب والصيدلة والحقوق والشريعة والتجارة والآداب

الشقيق ، بل وقصة ما قبل الانتداب ، أيام الحكم العثماني في سوريا .

ولقد طارت بعثة العربي الى العاصمة السورية لتقدم للشباب العربي الناهض صورة خاطفة لجامعتها وللحياة الجامعية فيها .. صورة للتقدم العلمي الذى حققته سوريا والجهد الذى تبذله الدولة في سبيل نشر العلم والمعرفة وتيسير السبل المادية والمعنوية امام جميع ابناء الوطن العربي الكبير للحصول على التعليم العالي والسير ببلاده في طريق تحقيق اهدافه الكبرى من التقدم والازدهار والرفاهية .

نواة الجامعة

ولكننا قبل ان نتحدث عن الجامعة اليوم ، سنعود قليلا الى الوراء .. الى ذلك اليوم الذى انشئت فيه الكلية الجامعية الاولى التي كانت نواة للجامعة السورية .

فتاريخ جامعة دمشق يعود الى مطلع القرن العشرين ، او الى عام ١٩٠٣ على وجه التحديد ، عندما اصدرت السلطات التركية الحاكمة في ذلك الوقت قرارا بانشاء معهد للطب في دمشق ، وعينت له اساتذة من الاتراك ، وكان مقر المعهد موزعا بين دار « زيور باشا » في الصالحية (السفارة الفرنسية حاليا) . وبين مبنى المستشفى العام حيث كان الطلبة يتلقون دروسهم العلمية في مختبر الجراثيم الملحق بالمستشفى ، وظل الحال كذلك حتى عام ١٩١٣ ، وكان العمل قد انتهى من اعداد بعض الابنية في حديقة المستشفى ، فانتقل المعهد اليها .

بدأت الجامعة بأربعين طالبا

اما عدد الطلبة الذين اموا المعهد في السنة الاولى فلم يكن يتجاوز اربعين طالبا من سوريا ومن بلاد الاناضول . وكانت مدة الدراسة فيه ست سنوات ولغة التدريس التركية .

وبانسحاب الاتراك نهائيا من سوريا انقضت الفترة الاولى من حياة معهد الطب بعد ان استمرت خمسة عشر عاما ، بين عامي ١٩٠٣ و ١٩١٨ ، وبعد أن بلغ عدد الطلبة الذين تخرجوا منه ١١٠ أطباء و ١٥٢ صيدليا .

أما الخطوة الثانية من حياة الجامعة الوليدة ، فقد تمثلت في تأسيس مدرسة الحقوق ، بعد اعلان الدستور في البلاد العثمانية ومطالبة العرب بانشاء المعاهد العليا . وقد تأسست مدرسة الحقوق في بيروت (لم يكن هناك فارق بين لبنان وسوريا) في البناء المعد لمدرسة الصنائع ، وكان ذلك في عام ١٩١٣ ، وبلغ عدد الطلبة الذين انتموا اليها حوالى ثمانين طالبا . أما اساتذتها فكانوا كلهم من البلاد العربية .

والحقت بالمدرسة أو الكلية الجديدة مكتبة



في مختبر كلية العلوم وقف الطلبة والطالبات جنبا الى جنب مع المجاهر
يفحصون عينات نباتية اذ كان موضوع الدرس العملي هو «الفصائل النباتية»



قاعة من القاعتين اللتين خصصتا للمطالعة بمبنى مكتبة جامعة دمشق ، وتتسع كل قاعة منهما لاكثر من ٣٠٠ طالب وطالبة .. وفي المكتبة ما يزيد على ٧٠ الف كتاب ومرجع من الكتب العربية والاجنبية .

الآنسة سعاد رباح طالبة بكلية الاداب قسم اللغة العربية، ومقدمة برامج في تلفاز دمشق في نفس الوقت . وقد اختصت بتقديم برنامج بعنوان « حول العالم » وهي تظهر بالملابس الوطنية المختلفة التي تمثل الحياة في كل بلد من البلاد التي يقدمها التلفاز السوري .



كبيرة تعاون على تزويدها بالكتب القيمة والمراجع، جميع الاساتذة والطلبة والمسئولين في الحكومة ، وكانت الدراسة فيمدرسة الحقوق باللغة العربية.

أثر الحرب العالمية

وعلى اثر نشوب الحرب العالمية الاولى في عام ١٩١٤ ، نقلت مدرسة الحقوق الى دمشق ، وشغلت بناء المدرسة الانجليزية - الايرلندية ، غير ان الطلبة فيها ظلوا يتناقصون تحت ضغط الحرب،حتى اذا ما تقرر أن يكونالتجنيد اجباريا، لم يبق في المدرسة سوى ثلاثة من الطلبة الذين لا يصلحون للجندية .



الاستاذ الدكتور صلاح الدين عمر باشا رئيس جامعة دمشق ، قال لنا : « ان التطور الفكرى سار جنبا الى جنب مع تطور شخصية المرأة السورية وتحررها من التقاليد » .

وعندما وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها ، وقامت في سوريا أول حكومة عربية برئاسة الملك فيصل ، عادت فكرة انشاء الجامعة الى الظهور بفضل تشجيع المسئولين ورجال الفكر ، كما عاد الحديث عن الجامعة على شفاه طلبتها القدامى الذين انقطعت بهم الدراسة .

وعقدت سلسلة من الاجتماعات ، كانت كلها تهدف الى تحقيق هذه الفكرة ، وابرزها تلك التى عقدت في النادى العربى بدمشق ، وانتهت الى تاليف وفد لمطالبة الحكومة باعادة افتتاح معهد الطب ومدرسة الحقوق .

الفا ليرة ذهبية

وكان يشرف على امور المعارف في ذلك الوقت العلامة ساطع الحصرى ، فقرر اعادة انشاء معهد الطب ومدرسة الحقوق ، على ان يكونا نواة لجامعة عربية يرتادها الطلبة من مختلف البلاد العربية ، وعلى أن يتولى التدريس فيها اطباء واساتذة من العرب . وعلى أن يكون التدريس باللغة العربية ... وخصص لانشاء المعهدين مبلغ الفي ليرة ذهبية .

ثم دخل الجيش الفرنسي سوريا في عام ١٩٢٠، والجامعة ما زالت بعد في أول مراحل تكوينها ، وخرج الملك فيصل وخرج معه كثير من الساسة ورجال الحكم والادارة والثقافة ، واصيبت الحياة بالشلل وكانت اصابة الجامعة فادحة ، بعد خروج الاساتذة وخلو الكراسي التى كانوا يشغلونها في معهد الطب ومدرسة الحقوق .

تدخل الاستعمار

وحاول الفرنسيون اغلاق معهد الطب بحجة وجود معهدين مماثلين له في بيروت احدها فرنسي والآخر امريكي .. ولكن العناية الالهية تدخلت لتنقذ المعهد من أيديهم ، فسكتوا عنه لفترة ، ثم ما لبث أن تقرر خلال فترة الهدوء التى أعقبت الحملة عليه ، تعيين مدير له هو الدكتور رضا سعيد . كما تقرر أيضا تعيين مدير لمدرسة الحقوق هو الاستاذ عبد القادر العظمة . وبدأ الرجلان يؤديان رسالتهما في ظروف عصيبة وحرجة



محاضرة في الرياضيات البحتة بمدرج كلية العلوم وقد وقفت الدكتورة دعد حسيني أستاذة الرياضيات تلقى المحاضرة أمام أكثر من مائة وخمسين طالبا وطالبة .. وتتحمس الدكتورة دعد لبنات جنسها فتقول « لقد أصبحت الفتاة تنافس الفتى في كل ميادين العلم والمعرفة » .

للغاية . فقد عادت سلطات الاستعمار الفرنسي تطالب باغلاق المعهدين بعد أن أحست بخطر هذا الجيل الجديد من شباب سوريا المثقف ، وعندما يئست من الوصول الى هدفها بدأت حملة جديدة تهدف في هذه المرة الى النفاذ داخل ادارة الجامعة والبرامج الثقافية فيها ، فراحت تتدخل في المواد التى تدرس للطلبة ، وتفرض بعض المواد وتحذف الاخرى أو تعدلها . وقمعت حريات الاساتذة فمنعتهم من الخوض في القضايا السياسية، ووضعت قوانين صارمة تقضي بتقديم المخالفين للمحاكمة العسكرية حيث كان ينتظرهم دائما الحكم بالسجن والعزل والابعاد .

وأمعن الاستعمار في التنكيل بالعلم والعلماء حينما خول لمفتشي العدلية سلطة تفتيش مدرسة الحقوق ، وأقام الحواجز في وجه الطلبة الفقراء الذين كانوا يتسابقون الى دخول الجامعة . وهكذا بقي التعليم الجامعي فيسوريا أيام الانتداب في أضيق حدود وفي أفقر صورة .

صراع مرير

وهنا بدأ الصراع المرير.. الصراع بينالسلطات الفرنسية من جانب ، وبين العناصر الوطنية في ادارة الجامعة والحكومة من جانب آخر .. فقد ضرب هؤلاء الوطنيون بتهديدات الفرنسيين عرض الحائط ، وراحوا يعملون فى صمت لتدعيم الجامعة وتقوية كيانها الذاتى فى مختلف الجوانب، الثقافية والادارية ، وبذلت هذه العناصر مجهودا جبارا فى تزويد المكتبة الجامعية بالكتب التى يحتاج اليها الطلبة فى دراساتهم، وتجهيز المختبرات بالمعدات والآلات ، وترميم مبانى كلية الطب .

وبدأ المسئولون السوريون فى ايفاد البعثات الى الخارج ، كما عمدوا الى توسيع كلية الطب عن طريق انشاء فرع لطب الأسنان ، وفرعين آخرين للقبالة والتمريض ، وكان ذلك فى عام ١٩٢٢ .

وهكذا استمرت الدراسة فى كليتى الطب والحقوق طيلة سنى الانتداب حتى عام ١٩٤٥ .



طالبات مدرسة التمريض او القبالة وهي تابعة لكلية الطب بجامعة دمشق ،
وتتخرج الطالبة فيها بعد أربع سنوات تتقاضى خلالها ٧٠ ليرة كنفقة
جيب شهريا . وتستطيع بعد التخرج أن تعمل قابلة حرة ، اذا شاءت ،
بشرط أن تمضي عامين في التدريب بالمستشفيات .







يعالج الجمهور بالمجان فى كلية طب الأسنان بجامعة دمشق ، وفى الكليـــة حوالى ٢٠٠ طالب من بينهم ١٨ طالبة ، كما يوجد بها ٦٠ وحدة علاجية من أحدث الوحدات الموجودة فى العالم العربى ، وقد اســتوردت كلها من مصانع «سيمنس» بالمانيا الغربية .

طلبة كلية الهندسة فى درس عملى بغرفة الخراطة والتسوية .. لقد انتهى العمل من بناء الكلية الجديدة فى دمشق وزودت ورشها بأحدث الآلات والمعـدات .



وهكذا مضت الجامعة تشق طريقها وسط الصخور حتى كان استقلال سوريا .

وقامت الجامعة

ومع نسمات الحرية التى بدأت تهب على سوريا، هب الرجال بدورهم لتأدية واجبهم كاملا فى اشرف ميدان ، وليعوضوا تلك الاعوام الطويلة التى ذهبت من أعمارهم وأعمار أبنائهم سدى .

وبدأ الجميع يعملون لانجاز العمل الضخم الذى أخذوا على عاتقهم القيام به .. الا وهو بناء جامعة متكاملة فى سوريا المستقلة الناهضة .

وقامت الجامعة ، واستقر مبناها الرئيسى فى نفس المبنى الذى شيده الفرنسيون ليكون ثكنات لقواتهم التى رحلت عن أراضى سوريا الى الأبد .. وان هى الا بضع سنوات حتى بدأت الصورة تتكامل فحققت الجامعة منذ عام ١٩٤٥ ، وهو عام الاستقلال ، توسعا مطردا ونموا واضحا شمل كل مرافقها ، فقد ازداد الاقبال على العلم والتعليم

الوحدة السكنية الخاصة بالطلبة في المدينة الجامعية بدمشق ، وهي تتألف من أحد عشر طابقا وتضم ٤١٠ غرفة يشغلها الطلبة من سوريا ومن جميع أنحاء العالم العربي ، وهي احدى وحدتين سكنيتين بالمدينة الجامعية ، وقد خصصت الوحدة الثانية للطالبات .



بصورة ملموسة ، فى سوريا الحرة المستقلة ، بعد زوال القيود التى فرضها المستعمر على الشعب الذى أراد له أن يعيش فى الظلام .

وثبة عظيمة

ونظرة سريعة على الأرقام التى نوردها فيما يلى، تكفى لاعطاء فكرة عن الوثبة العظيمة التى حققتها جامعة دمشق فى أربعين عاما تقريبا ..

ففى العام الدراسى ١٩٢٢ – ١٩٢٣ ، لم يكن عدد طلبة الجامعة (كليتى الطب والحقوق) يتجاوز ٢٣١ طالبا من بينهم ثلاث طالبات فقط .

وفى العام الدراسى ١٩٤٤ – ١٩٤٥ ، أى فى آخر سنى الانتداب الفرنسى الذى جثم على صدر سوريا زهاء ربع قرن من الزمان ، لم يرتفع عدد الطلبة الى أكثر من ٧٩٧ طالبا من بينهم ٧٢ طالبة.

وفى العام الدراسى ١٩٦٥ – ١٩٦٦ ، وهو العام الذى أجرى فيه آخر احصاء لعدد طلبة الجامعة ، وصل عددهم الى ٢٨٢٣٥ طالبا ، من بينهم ٤٧٨٨ طالبة فى مختلف كليات الجامعة ، وهى الآداب والحقوق والتجارة والعلوم والطب وطب الأسنان والصيدلة والهندسة والتربية والشريعة والفنون الجميلة والزراعة ثم المعهد العالى للخدمة الاجتماعية .

أما عدد الطلبة والطالبات من أبناء سوريا فلا يتجاوز ٢٠٨٤٠ طالبا وطالبة ، والباقون ويبلغ عددهم (٧٣٩٥) من مختلف أنحاء الدول العربية والآسيوية والأوروبية ، أى أن نسبة الطلبة الأجانب الى مجموع طلبة الجامعة هى ٣٠٪ تقريبا.

تطوير ميزانية الجامعة

(وقد ارتفعت ميزانية الجامعة من ٩٧٠ الف ليرة سورية (حوالى ٩٧٠٠٠ جنيه استرلينى) فى عام ١٩٤٥ أى عام الاستقلال الى ١٧ مليونا و١١٧ الفا و٨٠٠ ليرة سورية (أى حوالى مليون و٧٠٠ الف جنيه استرلينى) فى عام ١٩٦٦ . ويشمل هذا الرقم الميزانيتين العادية والانمائية لهذا العام (عام ١٩٦٦ – ١٩٦٧) .

قال لنا الأستاذ الدكتور صلاح الدين عمر باشا رئيس جامعة دمشق « ان الجامعة تعتمد فى تنميتها



الطلبة والطالبات في الحرم الجامعي بعد الانتهاء من المحاضرات .. ان جامعة دمشق تستقبل الطلبة من جميع البلدان ، وفي مقدمتها الاقطار العربية الشقيقة والدول الاجنبية الصديقة .

على البرامج الانشائية الخمسية التي اعدت لتطويرها ، وقد نفذ البرنامج الاول منها خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦١ وعامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ . وتم حتى الآن بناء دور جديدة لطلبة العلوم بأجنحتها الثلاثة (الكيمياء ـ الفيزياء ، والجيولوجيا والرياضيات معا) وقد استقبل قسم الكيمياء طلابه في مطلع العام الدراسي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ .

وانتهى العمل أيضاً في بناء كلية الهندسة الجديدة في دمشق وتجهيزها بمختلف الاجهزة والمعدات الفنية اللازمة ، وكذلك مختبرات كليتي الأسنان والصيدلة .

مكتبة الجامعة

اما مكتبة الجامعة فقد استقلت ببنائها الجديد الذي تشغله الآن ، وكانت من قبل تشغل جانبا في مبنى تكنات الجيش الفرنسي ، ثم ما لبثت ان انتقلت الى مبناها الحالي في عام ١٩٥٦ ، حيث جمعت فيه كل كتب الجامعة ومراجعها ، والحق بها مكتبات فرعية تابعة للكليات المختلفة واقسامها.

وبالرغم من حداثة عهد هذه المكتبة الا انها قد تطورت تطورا ملحوظا ، وخاصة في السنوات الخمس الاخيرة ، اذ بلغ عدد الكتب الاجنبية فيها حوالى ٤٦ الف كتاب بينما بلغ عدد الكتب العربية أكثر من ٢٣ الف كتاب ، عدا المجلات التى تشترك فيها المكتبة ويربو عددها على ٤٠٠ مجلة اسبوعية وشهرية .

وفى مبنى المكتبة قاعتان كبيرتان تتسعان لأكثر من ٦٠٠ طالب وطالبة ، كما اعدت ثلاث غرف خاصة لمطالعة الأساتذة وغرفة اخرى لمنشورات الأمم المتحدة وهيئة اليونسكو وغرفة للمصادر والمراجع العامة . كما خصص البهو الداخلى لعرض الكتب الحديثة ومؤلفات الاساتذة واعضاء هيئة التدريس .

هيئة التدريس

وتضم هذه الهيئة فى جامعة دمشق بمختلف كلياتها نخبة من كبار الأساتذة العرب من الرجال والنساء الذين تخرجوا فى جامعة دمشق ،وسافروا للخارج للتخصص ونيل درجات علمية أكبر . وفى مقدمة الأساتذة النساء فى جامعة دمشق الدكتورة دعد حسينى ، وهى أستاذة الرياضيات البحتة بكلية العلوم ، وقد حصلت على البكالوريوس من جامعة دمشق ثم سافرت الى موسكو والتحقت





الطالبة البلغارية فيركا نانتشيفا **Verka Nantcheva** تتحدث الروسية والبلغارية والفرنسية .. جاءت من بلغاريا لتدرس العربية وتقول ان امنيتها أن تمثل بلادها في احدى الدول العربية .

الآنسة هند الزياني طالبة بكلية الآداب قسم اللغة الانجليزية .. جاءت من البحرين لتتلقى علومها في جامعة دمشق ، وهى ابنة خليفة عبد الرحمن الزياني ، مدير الغرفة التجارية بالبحرين .





يقيم كل طالب في غرفة خاصة بالوحدة السكنية بالمدينة الجامعية ، وقد زودت الغرف بكل وسائل الراحة ففيها سرير ومكتب ودولاب للملابس ورف للكتب ومقعد مريح وجهاز تدفئة وحوض لغسيل الوجه .



←

الآنسة جلاء جود من اللاذقية ، التقت بها عدسة العربي في غرفتها بالمدينة الجامعية وهي في السنة الثانية بكلية التجارة .

الى أسفل: في كافتيريا الجامعة ، تقدم الوجبات الغذائية للطلبة والطالبات بأسعار زهيدة ، فوجبة الغداء مثلا لا تكلف أكثر من ليرة سورية (حوالي شلنين) أو مائة فلس كويتي ، وتتوافر فيها كل العناصر الغذائية .





في مبنى كلية العلوم يلتقي الطلبة والطالبات وسط الردهات لمراجعة المحاضرات ومناقشة الدروس والاستعداد للمحاضرات المقبلة .

بجامعتها بعد أن تعلمت اللغة الروسية ،وحصلت على الماجستير ثم الدكتوراه .

قالت الآنسة دعد « ان الفتيات لم يقبلن في الماضي على دراسة الرياضيات،أما الآن فتكاد تكون نسبة عدد الطالبات الى الطلبة ١ : ٥ ، وهو ان دل على شيء فيدل على تطور عقلية المرأة وتفكيرها، وعلى حرصها على منافسة الرجل في كل ميدان من ميادين العلم » .

تطور الفتاة السورية

ولقد سار هذا التطور الفكري جنبا الى جنب مع تطور شخصية المرأة في سوريا ، فقد قال لنا رئيس الجامعة:«ان الطالبة عندما كانت تحضر الى الجامعة في الماضي ، كانت تخفي وجهها وراء الحجاب ، وتجد حرجا في الجلوس بجانب زميلها الطالب في قاعة المحاضرات .

« وفي خلال أربع سنوات أو أقل ، استطاعت الفتاة الجامعية أنتتخلص من الحجاب ،واستخدمت الوشاح ، بدلا منه ، فكانت تكتفي بتغطية رأسها دون وجهها .. ثم ما لبثت أن تخلصت من الحجاب والوشاح معا .. وأصبحت اليوم منافسا خطيرا لزميلها الطالب في الدرس والتحصيل » .

بقيت الرسوم الجامعية وهي تتراوح بين مائة ليرة سورية (حوالي عشرة جنيهات استرلينية) وبين مائة وخمسين ليرة (١٥ جنيها استرلينا). يؤديها الطالب على قسطين متساويين ، على انه يمكن اعفاء بعض الطلبة من الرسوم الجامعيـة اذا توفرت لديهم شروط خاصة مثل الطلبـة المتفوقين في الدراسة أو الحاصلين على بطولات رياضية ، وابناء الشهداء وغير ذلك . ويطبق هذا الاعفاء على أبناء سوريا أو أبناء أية دولة من الدول العربية الشقيقة . كذلك تقدم الجامعة منحا للطلبة المتفوقين من أبناء سوريا وفلسطين المقيمين بالجمهورية العربية السورية ، وقد تصل هذه المنح في بعض الأحيان الى الف ليرة سورية (مائة جنيه استرليني) في العام .

المدينة الجامعية

وننتقل الآن الى المدينة الجامعية في دمشق ، وقد اتجهت الجامعة الى الاهتمام بامر هذه المدينة بوصفها عاملا اساسيا في اشاعة الاستقرار والطمانينة في نفوس الطلبة حتى يتمكنوا من الاستمرار في دراساتهم من ناحية ، ولمساعدتهم على ممارسة النشاط الرياضي والفني الذي تشجعه الجامعة من ناحية اخرى ، فضلا عن تهيئة الجو المناسب الذي يساعد الغرباء منهم بصفة خاصة على متابعة الدراسة في هدوء بعيدا عن ازمات السكن ومشاكل اعداد وجبات الغذاء الرئيسية .

قال لنا الدكتور احمد مصطفى مدير المدينة الجامعية : « ان مدينة دمشق الجامعية لا تختلف عن غيرها من المدن الجامعية في العالم ، فهي تستقبل الطلبة من مختلف البلدان ، وفي مقدمتها الأقطار العربية الشقيقة والدول الاجنبية الصديقة. وقد وفر النظام الداخلي للمدينة قواعد مرنة لنسب الطلبة الذين يمكن ان يقيموا فيها ،واذكر على سبيل المثال ان مجلس ادارة المدينة الجامعية حدد لهذا العام عدد الغرف التي يمكن ان يشغلها الطلبة السوريون ب ٣١٠ غرفة من مجموع عدد الغرف الموجودة بالمدينة وهي ٤١٠ غرفة ، اما باقي الغرف وعددها مئة ، فقد خصص للطلبة من غير السوريين الذين يتلقون علومهم في الجامعة . كما سمح المجلس في حالة تعذر شغل الغرف المخصصة للطلاب السوريين ، بشغلها بطلبة من ابناء الدول العربية وبالعكس . والغرض من ذلك ان يفيد الطلاب من مزايا السكن في المدينة الجامعية. وقد قبلت المدينة الجامعية في عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ مائتي طالب سوري ومائتين وعشرة طلاب من الاقطار العربية والدول الأجنبية الصديقة .

طلبة من مختلف بلاد العالم

اما توزيع الطلبة من غير السوريين المقيمين بالمدينة الجامعية فهو كالآتي :

٤٩ تونسيا ، ١٣ يمنيا ، ١٦ مغربيه ،٦٠ اردنيه ١٨ عراقيا ، ٤ سعوديين ، لبنانيان ، وحضرميان، وواحد من الجمهورية العربية المتحدة ، ١٦ فلسطينيا ، وليبي واحد ، ٢ من عدن ، ١٤ من الصين ، ٤ من بلغاريا ، ٣ من الاتحاد السوفييتي، وطالب واحد من ايران ، وطالب واحد من اندونيسيا ، وبريطاني واحد .

اما الوحدة السكنية الثانية بالمدينة الجامعية فهي خاصة بالطالبات وتتسع لمائتين وعشرين طالبة ، ويقيم فيها حاليا حوالي مائة وتسعين طالبة ينتمين الى عدة جنسيات مختلفة ، من بينهن طالبة من بلغاريا جاءت لتدرس اللغة العربية ، واخرى من الصين ، وثلاث فتيات من البحرين .

الايجار الشهري

ويدفع الطالب او الطالبة مبلغا يتراوح بين ٥٠ و ٢٥ ليرة سورية ايجارا شهريا ، للغرفة في المدينة الجامعية . ويتوقف هذا الايجار على حالة الطالب الاجتماعية وتقدمه الدراسي . ويقيم كل طالب او طالبة في غرفة خاصة لا يشاركه فيها احد .

وفي المدينة الجامعية تقدم الوجبات الرئيسية الثلاث للطلبة والطالبات مقابل ليرة سورية واحدة عن كل وجبة ، ويتولى تقديم هذه الوجبات التي تخضع لتفتيش دقيق يوميا ، متعهد يدفع ايجارا شهريا ، للمطعم والنادي ، والغريب ان المتعهد يحقق ربحا من هذه العملية التجارية رغم رخص اسعار الوجبات التي يقدمها .

بين اليوم والغد

هذه هي المدينة الجامعية اليوم ، وهي ماتزال في بداية الطريق اذ لم يمض على استقبالها للطلبة والطالبات اكثر من عامين ، وهي تضم مستشفى علاجيا الى جانب الوحدتين السكنيتين. اما مدينة الغد فسوف تضم وحدات سكنية جديدة للطلبة واخرى لاساتذة الجامعة المتزوجين والاعزاب ، ووحدة للجهاز الاداري، ونايا كبيرا للطلبة والطالبات ومسجدا يتوسط المدينة وحماما للسباحة، وملاعب رياضية للتنس وكرة السلة والكرة الطائرة وكرة القدم ، وينتظر الانتهاء من بناء هذه المدينة في عام ١٩٧٠ فوق أرض تبلغ مساحتها ٢٤ هكتارا (حوالي ٥٧ فدانا) .

هذه لمحة خاطفة عن جامعة دمشق .. الجامعة العربية التي ساهمت ولا تزال تساهم بين اخواتها الجامعات العربيات في بناء اجيال جديدة لعوالم جديدة في الوطن العربي كله . ■■

منير نصيف



قصة قصيرة

بقلم : محمود تيمور

الحَنَش .. والعَقْرَب

نعم ، ياسيدى ... أنا « منصور الابشاوى » المشهور باسم « العقرب » ... وطنى الريف ، ومهنة أسرتى الفلاحة .

دعنى أقص عليك قصة مثيرة ، هى قصة حياتى ، أو — على الاصح — قصة حياة سيدى ومعلمى « الحنش » الذى أطلق عليه الناس لقب السفاح الاكبر .

لقد تلازمنا فى الحياة ، حتى أصبحت لنا كلينا حياة واحدة .

ولكن أأنت فى حاجة الى أن أتحدث اليك حديث « الحنش » ؟ العالم كله يعرف من أمره كل شىء . ان اسمه كالطبل يدوى فى كل صقع وناحية ، وان حكاياته على كل لسان ، يتداولها الصغير والكبير .

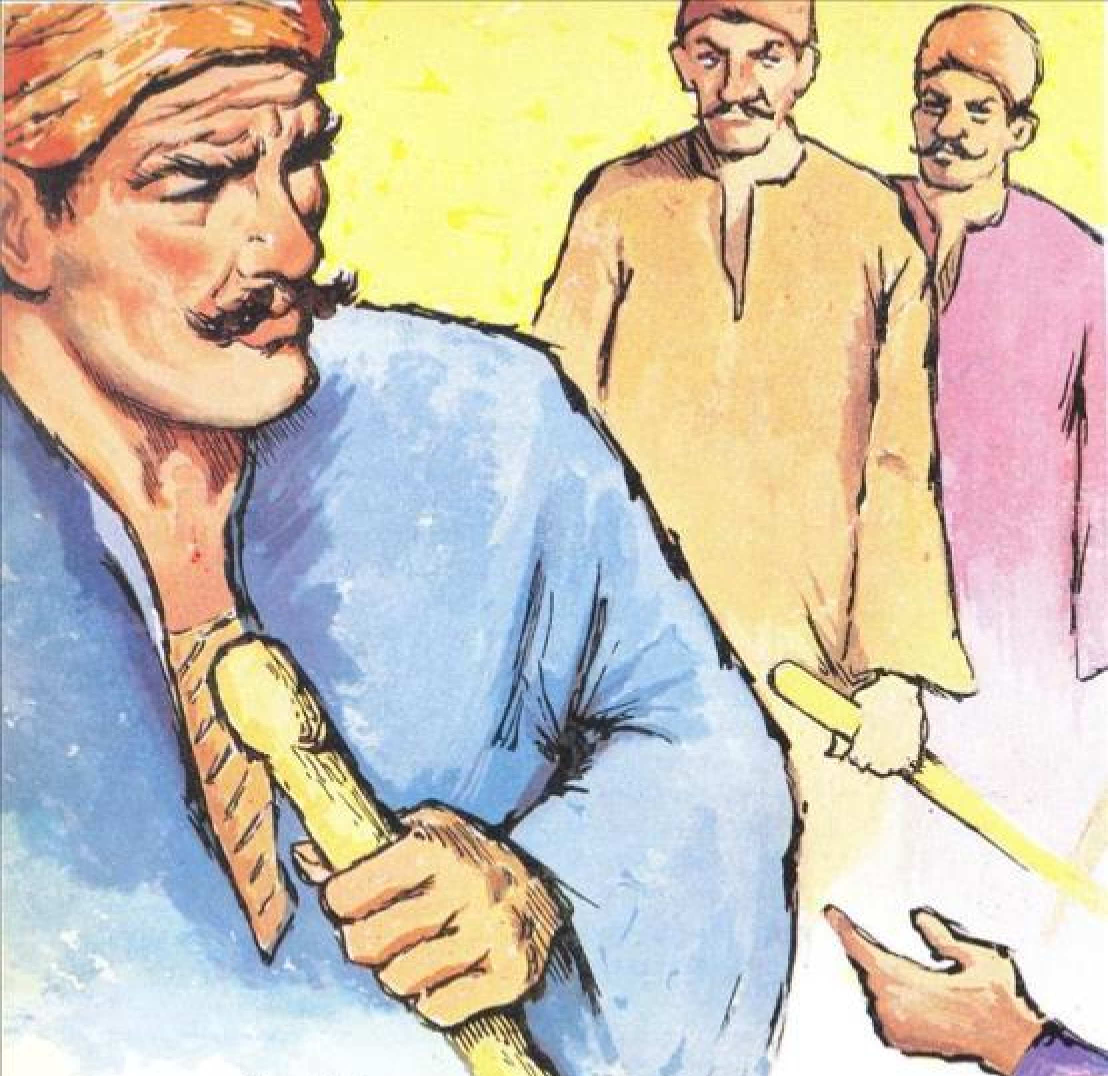
« الحنش » ... « الحنش » ...

لقد فرض سلطانه على رقعة واسعة من البلاد ، يتصرف فيها تصرف الحاكم المطلق ... يقتل ويسلب ، ويفرض الاتاوات ، لا يهاب شيئا ، ولا يخضع لارادة أحد ، وليس له فى رأيه منازع ولا مدافع .

أنا على يقين بأنك تعلم من شأنه ما فيه غناء ... بيد أن هناك جوانب خفية ذات بال ، لا يعلمها سواى ، وانى مطالعك بها الساعة .

حبيب" الى لسانى أن يلهج بذكر معلمى « الحنش » ، فانى لا أملّ سيرته ، ولا أسلو حديثه ، ما بقى فى جوانحى رمق .

لعلك قائل : وما انتفاعى بقصص الاحناش والعقارب ؟ هى بغيضة الى النفس ، معكرة للدم ،



بريشة أحمد الوردجي

وقد ولى زمانها واندثر ، واصبحنا فى زمن القوانين والنظم والاوضاع ، لا يخرج عليها خارج الا لقى ما يردعه !

عفوا سيدى ... قد نفيد من مثل هذه القصص ما يفوق كسبك من قصص العظماء الدابرين ...

كان هذا « الحنش » على خلق عظيم ... كان شهما أبيا ، وكان سمحا وفيا ، على الرغم مما اتصف به من عنف وجبروت ... ياله من رجل كان غوث اللاهف ، وامان الخائف ، وعون الضعيف الكسير الجناح ... ان له من المآثر والمبرات ما يعفى على ما اقترفه من آثام ... أليست الحسنات يذهبن السيئات ؟!

اصغ الى ياسيدى ... فكل كلمة تصافح اذنك من قولى ، فيها لك نفع كبير ...

يقولون انى زدت على المائة ، ولا علم لى بحقيقة ما يدعون على وجه اليقين ، كل ما اعيه من شانى انى بلغت في الارض أرذل العمر ، وقد انسانى توالى الاحداث ان احصى السنين التى لبثتها عددا .

عمر مديد حقا ، فهل زهدت بعد فى طول الحياة ؟

اكذب ان قلت لك : نعم ... فالحياة مازالت حلوة على الرغم من اثقال السنين !

ارى لى ظهرا قد تقوس ، وعكازة لا تبرح يميني، ووجها عاثت فيه الاخاديد ، ونبرات صوت تشوبها رعشة ، ولكنى موقن انى مازلت على شيء من وسامة الشباب ونشاطه ومراحه ، فالابتسامة لا تفارق محياى ، والقهقهة اطلقها من حلقى عامرة ، وشدقى وان خلا من الاسنان جميعا يانس بالمطاعم الشهية ، ويستمرىء منها ما يتيسر له .

هات لى حَمَلا مشويا ، وانظر كيف افتك به فى لحظات ...

انا سعيد على الرغم من انى فى قمة الشيخوخة، بل على الرغم من تلك الحياة العاصفة الثائرة التى قطعت مراحلها فى دنياى ...

انا سعيد حقا ، ومبعث سعادتى امران : ذهن متوقد لم تخمد جذوته ، ومعدة هضوم كانها مطحنة بخارية لا تعيا ولا تتوقف .

لم ابلغ سن الياس بعد !

لى الآن زوجة فى عصر الشباب ، واطفال فى عهد الرضاع ... اما ابنائى الذين رزقتهم فى الامس البعيد او القريب فدا يعلم عدتهم الا ربك ، رازق الخلق الذى لا ينسى من عباده احدا ... منهم من غيبته صفائح القبر ، ومنهم من عاش ما عاش، وهم جميعا عندى بمنزلة سواء ... الاموات منهم والاحياء !

انزعْ عن وجهى ذلك القناع الكاذب ، قناع الشيخوخة ، فاتك مطالع الوجه الوسيم ، وجه ذلك الرجل الشديد الاسر ، فاتن الغيد الملاح ... اذا حظيتْ امراة منى بلفتة رضا ، وميلة عطف ، عدّت نفسها أسعد النساء جمعاء ... يا للمخلوقات التعسات ! ... كم نالهن من صدى وهجرانى وتعذيبى ... اعترف بانى كنت قاسيا فى معاملتهن ، ولكن قسوتى لم تكن تضعف من تدلههن بى ، وجريهن ورائى ، وتعويلهن على !

كنت حقا « عقربا » ... ويالى من عقرب لدوغ! ... ما كان احكم « الحنش » حين لقبنى هذا اللقب ، ولم اكن يومئذ جاوزت طور الحداثة .

لا انسى ما قاله لى فى اول لقاء ... مازالت قولته تصك سمعى :

اسمع ياولد ... دع اسمك القديم ، فلن تعرف بعد اليوم الا باسم العقرب ... افاهم انت ؟

ـ فاهم يامعلمى !

ـ اريد أن تكون عقربا بحق ... تعلم كيف تلدغ ... تعلم كيف تنفث السم فى بدن عدوك !

يرحم الله « الحنش » ... لقد علمنى فاحسن تعليمى ... فهمت الحياة وفق مبادئه ونصائحه ... علمت أن من لم يَضْرِب ، عليه أن يروض نفسه على تلقى الضربات الصعاب !

اجدك مبتسما لقولى ياسيدى ... ولا ادرى اتبتسم عن رضا وقبول ، أم عن رثاء واشفاق ؟

لا علينا ... لايغير هذا شيئا من اعتقادى ...

انت تقدم لى لفافة من لفائفك الزكية الفاخرة ، تحية منك لشخصى المتواضع ، وانى لقابلها منك بيد الشكر ... ساحتفظ بها الى وقت آخر ، فيه اخلو بها دون ثالث ، حتى تكون متعتى بها اوفى . اما الآن فافضل أن ادخن لفافة من التبغ الخاص بى ، لفافة بلدية تنفع لكل زمان ومكان !

تعودت التدخين منذ الثامنة ، وقد دفعنى اليه « الحنش » نفسه ، اعدّلى فى اول لقاء بينى وبينه لفافة تبغ ، واشعلها دافعا بها الى ، وهو يقول : دخّن يا ولد ...

وامسكت باللفافة بين اصبعين ، وانا اتامل جمرتها ، حائرا دهشا .. وسمعت صوت « الحنش » يرعد :

قلت لك دخن ياولد ...

فارعبنى صوته ، والفيتنى اعجل فادنى اللفافة الى فمى ، واجذب منها أنفاسا متتابعة ، فى تهور وارتباك . وما اسرع أن دهمنى سعال ، وجحظت عيناى ، وسال دمعى ، وطفق « الحنش » يرقبنى وهو يهتز فى جلسته ضاحكا . ثم امرنى أن اتابع التدخين ، حتى لا يبقى من اللفافة بقية ، وتهاويت على الارض ، والدنيا تدور بى .

منذ ذلك اليوم ، عرفت التدخين وألِفْتُه ، وقد ظللت امارسه حتى يومى هذا .

وكان « الحنش » يقول لى :

اسمع يا « عقرب » ... ان لفافة التبغ فى نظرى تمثل الدنيا ، فاعرف كيف تحسن تدخينها ... من استطاع أن يحسن التدخين ويملك ناصيته ، عرف كيف يسوس الدنيا ويملك مقاليدها ... الدنيا لفافة تبغ ... فاشعلها مستمتعا بانفاسها وهى تحترق فى يدك ، ثم اقذف بنفايتها فى موطىء قدمك .

هذا السفاح كان حكيم الرأى ، عالى النظر...

نعم ، لم تكن الدنيا فى حسابه الا « لفافة تبغ » وماذا تنتظر ان تسمع منه ، ودنياه لم تكن الا تطبيقا لتلك النظرة ، وتنفيذا لتلك الحكمة !

لا سبيل ياسيدى الى انكار أن « الحنش » كان سفاحا شريرا ، ينشر الرعب ، عن يمين وشمال ، كالوباء الخبيث ينشر عدواه فى شرق وغرب !

كنا نحن المقربين اليه نخشاه ونرتجف من مرآه ، ولكنه ـ وللحق حرمة يجب أن ترعى ـ لم يكن فى كل أوقاته ذلك السفاح المخشى المرهوب ... كانت له أويقات صفو يتجلى فيها ما ينطوى عليه قلبه من روح البر ، ونزعة الخير ...

أجدك تسخر من قولى بذلك الابتسام الذى يرتسم على شفتيك ... لا تسخر منى ، فان « الحنش » كان كبير القلب ، كلفا بالمعروف ، والا فكيف تفسر صنيعه بى ؟!

عندما قدمت عليه ، وانا طفل بعد ، كنت لاجئا اليه الهث ، فبثثته شكواى ، وضرعت اليه ان يستجيب لمطلبى .

كنت أعيش فى كنف أبى مع زوجه الجديدة عيش مذلة وهوان وشظف ، على حين كان أخواى الصغيران يعيشان بفضل رعاية أمهما وحدبها عليهما عيش العزة والكرامة والنعيم ... وكانت لنا بقرة ، وهبتنى أمى اياها ، وهى على قيد الحياة ، وانا طفلها الوحيد ، وكانت حين تسقينى من لبن البقرة تقول لى :

هذه بقرتك يا « منصور » ... لا يشركك فيها أحد ...

فنشأت أحب أمى ، وأحب بقرتها التى خصتنى بها ، ولما ماتت أمى واصبحت زوجة أبى سيدة الدار ، بدأت متاعبى ، وزادت على مر الايام ... فكنت أجد فى البقرة ملاذا ، واجعل منها أما ، فما أفارقها الا لماما ... أسوقها الى الحقل نهارا ، وابيت فى حضنها ليلا ، واحس وانا اقاسمها مرقدها فى الزريبة بطمأنينة وسكينة ، فاناجيها بذات نفسى ، وأكاشفها بآلامى ... وكانت البقرة تحنو على ، وتلعق بلسانها الاملس وجهى ، وتسمح لى عن طيب خاطر ان انهل من ضرعها ما يروينى ...

وذات يوم ، سمعت زوجة أبى تقول :

لم يعد لنا بالبقرة نفع ... لقد كبرت سنها ، وان ثمنها لاجدى علينا ، فلنسارع الى بيعها ...

فوجف قلبى ، وسرت الرعدة فى جسدى ، واستعظمت ما سمعت ، ولكنى طمانت نفسى بان أبى لن ينفذ ذلك الرأى ، ولن يبيع بقرة عاشت فى البيت أعواما ، وهى نعم العشير ، تخدم حقلنا أيما خدمة ، وتسخو علينا بلبنها المدرار ... ثم انها أصبحت بقرتى الحبيبة ، وقد تركتها لى أمى ، فكيف يفرط فيها أبى ؟

وا أسفاه ... أذعن أبى لما طلبته زوجته ، واعتزم بيع البقرة فى سوق الخميس ، وسيخرج بها فجرا فى ذلك اليوم ، وسأفقدها ـ كما فقدت أمى ـ الى الابد ...

لقد توسلت الى أبى أن يعدل عن بيعها ، فنهرنى ، ولما ألححت عليه ضربنى ضربا وجيعا ، وردنى مقهورا ...

قضيت وقتى ملتاع القلب ، واشتدت ملازمتى للبقرة ، لا ازايلها صباح مساء ، وفى الليل كنت اترامى فى حضنها ساهد الجفن ، واحس كانها تواسينى ، وتطلب منى أن أتذرع بالصبر .

وكان لأبى غريم خطير ينافسه فى القرية ، فما انتهى اليه نبأ البقرة حتى اقبل على صبحا يقول لى فى همس :

لا يستطيع احد أن ينصفك من أبيك وزوجة أبيك غير « الحنش » ... فهمهمت مأخوذا : « الحنش » ؟!

ـ نعم « الحنش » ... لو استطعت أن تلقاه وتعرض عليه ظلامتك ، لهب من فوره يبذل لك العون .

ـ وكيف القاه ؟

ـ سأدلك على الطريق اليه .

فانكببت على يده اقبلها قبلة عرفان الجميل .

كنت أسمع فى شأن « الحنش » حديثا بالغ الغرابة والتناقض يردده الناس فى شغف واهتياج .

أما الغرابة ففى قسوة ما يقوم به من جرائم وآثام ، وأما التناقض ففى ان هذا الرجل كانت تروى عنه مروءات ومكارم أتمثله بها ناصع الجبين .

انا مظلوم ، و « الحنش » نصير المظلومين !

لن افرط فى البقرة ... لن افرط فيها ولو لقيت فى سبيل ذلك حتفى !

وامتلأتْ نفسى بجراة عجيبة ، واعتزمتُ لقاء « الحنش » ، مهما يكلفنى الامر ...

بلغتُ مقره بعد لأى .

طالما جريتُ ، حتى انبهرتْ أنفاسى .

وصلت الى « الدوّار » الكبير ، فاقتحمته ،

وجدتني امام رجل يشع من عينه شواظ ، ومن حوله اتباع ، فعرفته بهدى البصيرة ، وما اسرع ان تهاويت عند قدميه اقول له فى صوت جياش :

فى عرضك يا « حنش » ... البقرة ... فى عرضك ...

واحتبس القول فى فمي .

فصاح صيحة عالية يقول :

اية بقرة يا ولد ؟

فاجبت وانا احاول استعادة وعيي :

ابى سيبيع البقرة فى سوق الخميس ... ارضاء لزوجته ... انها بقرتى التى تركتها لى المرحومة امى ... لم يعد لى فى الدنيا سواها ... انها اعز شيء على ... انها احب شيء الى ... انها وديعة امى عندى ... انها امى !

فشدنى اليه ، ورمانى بعينيه المتضرمتين وقال :

تريدنى على ان اختطفها لك ؟

ـ نعم ، كل املى ان احيا مع البقرة حيث تحيا ... ولا اعود الى ابى وزوجته ... فى عرضك ياسيدى « الحنش » !

فتضاحك ملء فيه ، ونظر الى اتباعه من حوله ، وقال :

انى احب هذا الغلام واصدقه ... لانه لم يخش لقائى ... سيكون له شان اى شان ...

والتفت الىّ يقول :

ستكون البقرة فى « الدوار » هنا ... الليلة ... وستبيت معها لا محالة .

ثم ازهرت عيناه ، وخشن صوته ، وهو يقول :

ساحقق لك ماربك ، فان كنت خائنا او غادرا فسافصص اعضاءك عضوا عضوا ...

وتم الامر ياسيدى ... قضيت ليلتى فى حضن بقرتى ، وفرحت هى بلقائى اى فرح .

منذ تلك الليلة غدوت من شيعة « الحنش » : بسط على حمايته ، واستخلصنى لشانه ، وقد احببته اصدق الحب واعمقه، واضمرت له اصفى مشاعر الامانة والوفاء .

كيف لا احبه واصافيه ياسيدى ؟ وللرجل قلبان : احدهما من فولاذ ، والآخر من ذهب ... لقد اتيح لى ان اشاركه فى مغامراته ، وبالها مغامرات ممتعة ، من قتل وسلب وكيد وافزاع وترويع ...

القتل ... ما كان ايسره من عمل ... كنا نقتل الناس كما نقتل البعوض ، ولا تحسبن فى هذا ما يدعو الى العجب ، فكل شيء وان عظم يغدو سهلا مالوفا اذا اعتدت ممارسته .

لعلك تسالنى :

اما زلت تقتل يا « عقرب » ؟

لا ياسيدى ... حد الله بينى وبين القتل ... تبت وانبت .. وانها لتوبة نصوح ، ارجو ان يتقبلها الله بقبول حسن .

وهل كنت انا يا سيدى جانيا حقا ؟ لماذا نحمل الذنب وحدنا ؟ غيرنا ممن لم يقتل ويسلب ويقترف ما اقترفنا ، اخلق بالعقاب منا ... جرائمهم فى حق الناس اعظم تبعة واشد هولا ... كلنا مذنبون ياعم ... والذنوب مقامات ودرجات فى اشكالها ، ولكن جوهرها واحد ... وميزان الحساب لا تستطيع ان تضبطه يد البشر ... انما الله وحده سبحانه هو القادر على ان ينصبه بعدله ورحمته !

ايحاسبنا الخلق على ظلم اوقعناه بهم ، دون ان يحاسبوا انفسهم على ظلم اوقعوه بنا ، فدفعونا الى مثله دفعا ؟ هذا حساب الظالمين ، وانه لظلم مبين !

لقد عرف الناس قلب « الحنش » المصنوع من الفولاذ ، اما انا فقد عرفته وعرفت معه قلبه الذهبى ...

ما رايك فى انه كان يُجرى ارزاقا على اسر معوزة ، وكان يرد الحقوق الى الضعفاء حين يستعدونه على الاقوياء ، ولشدما كان جوادا مسماحا يفرج عن الناس كرباتهم فى المواسم والاعياد والازمات ، فيكسو ارامل ويتامى ، ويوزع لحوم الذبائح على ذوى الفاقة ، وفوق ذلك كله كان يقيم ولائم حافلة للكلاب الضالة ...

نعم ، يا سيدى ، كان يقيمها للكلاب الضالة ...

قصاع كبار مملوءة بالثريد المكلل بافلاذ اللحم وكسار العظم ، تتحلق حولها الكلاب فتاتى على ما فيها ، وهو على مقربة ينظر فى شغف ، وضحكاته تنم عن حبور نفس ، وانشراح صدر ... فاذا تهارشت الكلاب متنافسة فى فلذة لحم او فلقة عظم ، تصايح قائلا :

صاحب الحق هو الاقوى !... ليس للضعيف فى موائدنا نصيب ... دعوا الكلاب تتقاتل ، حتى ينتصر منها الاشجع الغلاب !

وليته لم يجعل للكلاب معه سبيلا ... هى التى كشفت امره ، وامكنت منه طالبيه ... كان « الحنش » فى سنيه الاخيرة لا يستقر فى مكان ،

تضليلا لرجال الامن ، وحماية لنفسه من أن يضبطوه ، فاستدلوا عليه بتلك المادبة التي حرص على أن يقيمها كل أسبوع لاضيافه الكلاب، وجردوا له حملة من الشرطة وافية العدة والعتاد ، فاوقعت به بغتة شر ايقاع ، وهو في قلة من أعوانه، على غير اهبة ... وما كان أعنفها معركة أتى فيها « الحنش » بالمعجزات ، قبل أن يلقى قياده ، ويستسلم لمصيره المحتوم .

لقد انتصر حقا ، ولكنه انتصار أفقده كل شيء .

انتهى « الحنش » ، وختم أعماله الجبارة ...

واعجبا لتصاريف القدر ... انها هي التي جعلت من ولائم البر بالكلاب مصيدة للاضرار بالرجل ، على حين انه قام باعمال أخرى متوغلة في الاجرام ، كانت مدرجة للظفر بالغنائم والاسلاب، مع السلامة من كل سوء ...

ترى هل تجني الشر من الخير ، وتجني الخير من الشر ؟

سنظل حيارى ، لا نهتدي نحن البشر الى الحكمة في ذلك كله ، وانها لحكمة عِلمُها عند علام الغيوب !

ساروي لك الآن ياسيدي كيف وقعت الواقعة، تلك التي لبثت لغزا لم يستطع أحد أن يعرف مفتاحه .

فاجانا رجال الضبط ، ونحن نفر قليلون ، وقصعة الثريد غير بعيدة منا ، وعيوننا ترقب الكلاب الآكلة ، والسنتنا تتطارح النكات والافاكيه ... ولما استشعرنا الخطر ، أسرعنا الى المتاريس نقيمها حولنا ، وشرعنا ندافع عن انفسنا دفاع المستميت ، واستطعنا أن نثبت وقتا ، وأن نفتك بخصومنا فتكا ذريعا ، وكان « الحنش » ينشر الرعب والفزع في الفرقة الهاجمة، باطلاق صرخات مدوية كانها طلقات المدافع ، ولكن أعداءنا ما فتئوا يرموننا بالنار ، فلم يبق منا الا حفنة لا يزيد عددها على أصابع اليد . والتفت « الحنش » يمنة ويسرة وعيناه تقدحان شررا،واذا هو يقفز بغتةعلى المتاريس ، وفي يده عمود من حديد ، كأنه هراوة طويلة غليظة ، يلوح به صارخا في صوت كأنه هزيم الرعد ، أو زئير الاسد ، وشعر رأسه يقف ، كاسلاك حامية تنبت في جمجمته ، وهنا شهدت المعجزة عيانا : رأيت القذائف تنهال على جسده ، وهو يخطو خطواته الفساح ، يدب على الارض فيهزها هزا ، يتقدم دائما الى أمام ، ومن فمه تنبعث ضحكات ساخرة ، كأنها أجيج النار ، وهو يردد قوله :

الرصاص لا ينفذ في جسدي ... أنا محجب ... أنا مصون بالتمائم والتعاويذ ... لا يلحق بي ضر أبدا ...

ووثب وثبته العارمة وسط مهاجميه ، والعمود الحديدي يطول به ذراعه هنا وهنالك ، فيتساقط الجند من حوله تساقط الذباب ... وشاع الاضطراب بين الفلول ، فلاذوا بالفرار ... وكيف لا يفرون يا سيدي ، وهم يرون ذلك البطل الصنديد يستقبل الرصاص في جسده بلا مبالاة ، والدم يشخب من عروقه يلطخ اهابه ، واذا هو أشبه شيء بشبح من أشباح الزبانية انطلق من أعماق الجحيم ليطلب أرواح الاعداء !

ومَثَلَ « الحنش » وسط أرض المعركة ، وقد خلت ، الا منه ، مستندا الى العمود الحديدي في صمت ... ومن خلف المتاريس عَجِلتُ اليه مع الرفاق ، متهللين له ، مطلقين صيحات الظفر والانتصار ، بيد أنه لم يعرها التفاتا ، ونظره مشرع الى الافق وجسمه تكسوه الجراح ..

وطال تهللنا دون أن يجيب ، وأخيرا دانيته ، وطوقته بذراعيَّ ، فوجدته يتهالك على صدري حطاما هامدا ...

أمات « الحنش » حقا ؟

لقد أودعته القبر بنفسي ، ووسدته التراب بيدي ، ولكن ... ماذا ؟

لم يصدق أحد أن « الحنش » مات ...

ايقن الجميع انه اختفى، وانه عائد عما قليل...

من يدري يا سيدي ؟

ربما كانوا على حق فيما ايقنوا ...

لم ينبش احد قبره ، ليستوثق من انه ثاو فيه ، لم يبرحه ...

لقد أتى « الحنش » بالمعجزات في حياته ، ولعله قادر في مماته على أن يأتي بالخوارق والاعاجيب ...

لا أنا أدري ، ولا انت تدري ، ولا احد غيرك وغيري ... كل ما ادريه ، وما يجب عليك أن تدريه معي أن « الحنش » كان عظيما .. عظيما في حياته ، عظيما في موته ... اما ما تعدُّ من ذنوبه وآثامه فليس اليك امره .. دع ما لله لله ... ورحمة ربك وسِعَتْ كلَّ شيء ! ■■

محمود تيمور

القرآن الكريم

مَوْقِفُهُ مِنَ الشِّعْرِ والشُّعَرَاءِ

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هداره

محاضر اول بجامعة أم درمان الاسلامية

■ ورد ذكر الشعر فى القرآن الكريم فى عدة مواضع ، تنفى ان التنزيل العزيز شعر او ان الرسول شاعر .

قال تعالى (وما علّمناه الشّعر وما ينبغى له ، انْ هو الا ذكرٌ وقرآنٌ مبين) .

وقال (بل قالوا اضغاثُ احلام بل افتراه ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) .

وقال (ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) .

وقال (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) .

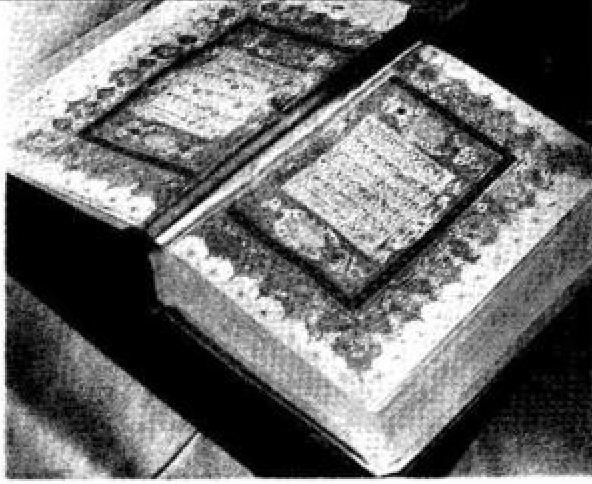
انكار أن القرآن شعر دحض لما افتراه المشركون

وقال (انه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون) .

وتنزيه القرآن الكريم عن أن يكون شعرا ، أو ان يكون الرسول شاعرا ليس طعنا على الشعر بأية صورة من الصور ، ولا غضا من قيمته ، فالامر لا يخرج عن كونه اقرارا لواقع ثابت لا شك فيه . فالقرآن صورة بيانية فريدة تبعد كل البعد ان تكون شعرا او سجعا كسجع الكهّان ، وهما لونان معروفان عندالعرب فى الجاهلية ، وكان المشركون من العرب يريدون التهوين من شأن معجزة الرسول فيصفون القرآن بالشعر ، ولهذا جاءت الآيات كلها فى نفى ان يكون القرآن شعرا دحضا لما افتراه مشركو العرب وردا على افتراءاتهم . ولهذا ايضا نجد أن جميع هذه الآيات مكية للدلالة على نزولها فى وقت المعارضة الشديدة من جانب قريش .

خابت محاولة ايجاد شعر في القرآن

وقد حاول بعض الباحثين ان يثبتوا وجود شعر فى القرآن ، وقد صرح المستشرق الشهير بروكلمن Brockelmann بان محاولات نحاة العرب (كالسيوطى وابن فارس) للكشف عن ابيات من الشعر فى القرآن لم تكن مثمرة . كما ان نظرية مولر Muller التى ايدها



جابر ، وهي ان قالب القرآن من القوالب الشعرية ، قد رفضها نلدكه Noldeke ولكن هدف الباحثين العرب كان مختلفا كل الاختلاف عما رمى اليه بعض هؤلاء المستشرقين ، فالباحثون العرب كان همهم أن يرصدوا كل الظواهر الفنية الموجودة فى القرآن فى محاولة لاستكشاف جوانبه المختلفة ، اما المستشرقون فلعلهم قد ارادوا ان يستغلوا هذه الظاهرة فى تأييد فكرتهم فى ان القرآن ليس وحيا من عند الله . اما الآيات التى أشار اليها الباحثون فهى قوله تعالى :

وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ .

وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ .

وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ .

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً .

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ .

لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ .

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ .

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ .

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً . أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ . لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ . فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً . وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ .

وقد اوردوا كثيرا من مثل هذه الآيات التى تجرى على البحور الشعرية المعروفة،بعضها ابيات متكاملة ، وبعضها مجرد شطور موزونة . ولكن ذلك كله لا يعنى وجود شعر في القرآن .

ردّ الجاحظ على من ادعى أن بالقرآن شعرا

وما أصدق الجاحظ في رده على من ادعى وجود شعر في القرآن اذ قال : « اعلم انك لو اعترضت احاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن فاعلن كثيرا ، وليس احد فى الارض يجعل ذلك المقدار شعرا . ولو أن رجلا من الباعة صاح (من يشترى باذنجان) لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات، فكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد الى الشعر . ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ فى جميع

الكلام ، واذا جاء المقدار الذي يعلم انه من نتاج الشعر والمعرفة بالاوزان والقصد اليها ، كان ذلك شعرا » .

آية « والشعراء يتبعهم الغاوون »

فالقرآن اذن في نفيه ان تكون آياته شعرا صادق من الناحية الفنية كل الصدق ، ولكنه لا يغض من قيمة الشعر كفن فى ذاته ، حتى فى سورة الشعراء التى توهم منها بعض البسطاء انها طعن صريح في الشعر والشعراء ، قال عز من قائل (والشعراءُ يَتَّبِعُهم الغاوون، الم ترَ انهم فى كلّ وادٍ يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا اللهَ كثيراً وانتصرُوا مِن بَعدِ ما ظُلِمُوا ، وسيَعلمُ الذينَ ظَلَمُوا اىّ منقلَبٍ ينقلبونَ) واذا كانت الآيات السابقة التى تعرضت لذكر الشعر كلها مكية،وكان الدافع اليها الرد على مشركى قريش الذين افتروا على الرسول ورسالته ، فان هذه الآيات مدنية على الرغم من ان بقية آيات السورة نزلت فى مكة . وهذا معناه أن تلك الآيات تغاير في مراميها الآيات السابقة ، أنها تصم شعراء الكفار الذين اخذوا يناصبون الاسلام والرسول العداء ، ولكن بصفة التعميم لا التخصيص . فالآية تقول (والشعراء يتبعهم الغاوون) ، ولكن اذا كان لفظ الشعراء عاما ، فانما تقصد الآية الشعراءَ الذين لا يلتزمون بالقواعد الخلقية التى رسمها الاسلام .

تفسير الزمخشرى

ولهذا فسر الزمخشرى الآية :لا يتبعهم على باطلهم،وكذبهم وفضول قولهم،وماهم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والنسيب بالخرم(١)،والغزل والابتهار(٢) ، ومدح من لا يستحق المدح، ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم،الا الغاوون والسفهاء والشطار) .

فكأن الزمخشري يجمل ما لا يرضى عنه الاسلام من موضوعات الشعر ، وهو الهجاء وما يدخل تحته من الخوض فى الاعراض والطعن فى الانساب ، والغزل وما يتضمنه من التشبيب الفاحش ، والمدح اذا كان موجها لمن لا يستحقه ، والفخر اذا كان قائما على ادعاء كاذب . والاساس الذى ينشده الاسلام فى الشعر هو عنصر الصدق ، والشعراء لا يطيقون أن يكونوا صادقين،وفي هذا محك الخلاف المستمر بين ما يجب أن يكون وما هو كائن بالفعل . وقد اكدت الآيات وجهة نظر الاسلام فى هذه النقطة بالذات اذ قالت (الم تر انهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون) . وهيامهم فى كل واد ليس معناه خوضهم البرىء فى كل فن من القول ، بل معناه اعتسافهم الطريق والغلو فى المنطق ومجاوزة حد الاعتدال ، وتخييل الجبان شجاعا والبخيل جوادا .

الغاوون في الآية الكريمة

واذا كان الزمخشرى قد فسر فى دقة تعارض الشعر مع القواعد الخلقية التى رسمها القرآن، فقد تردد كثيرا فى تفسير قوله تعالى (يتبعهم الغاوون) ، فذكر انالغاوين قد يكونون الرواةاو الشياطين او شعراء قريش الذين قالوا نحن نقول مثل محمد ، وكانوا يهجونه ويجتمعاليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم وأهاجيهم .

ونحن لا نعتقد ان الآية الكريمة قد استهدفت بكلمة الغاوين طائفة من التى ذكرها الزمخشرى ، ولعل الاقرب الى التصور ان يكون هؤلاء الغواة هم الاعراب الذين يجتمعون الى شعراء قريش المشركين

(١) اى التشبيب الفاحش من خرمت الخرز اى شققته .

(٢) ادعاء الشيء كذبا .

يستمعون أشعارهم وأهاجيهم في الرسول ورسالته .

الشعراء الذين ناصبوا الاسلام العداء

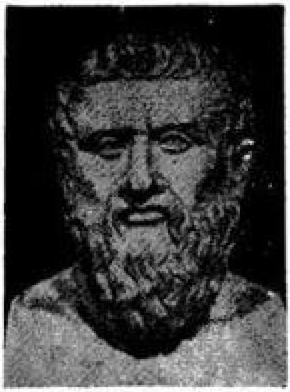
فاذا اتفقنا على أن الشعراء المقصودين في الآية الكريمة والذين يتبعهم الغاوون هم شعراء قريش الذين ناصبوا الاسلام العداء ، قلنا ان أظهرهم كان : عبد الله ابن الزبعرى الذى أثار الخواطر ضد المسلمين بعد وقعة بدر ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي الذى قيل انه كان شديد العداوة لله ولرسوله ، وله أبيات عنيفة في وقعة احد ، ومسافع بن عبد مناف ، وابو عزة الجمحي الذى كان يحرض القبائل ضد المسلمين ، وقد أثبت له ابن سلام قصيدة ميمية يحرض فيها بني كنانة . وينضم اليهم من قبيلة ثقيف امية بن ابي الصلت الذى نهى الرسول عن رواية مرثيته في قتلى بدر .

كما يضاف الى هؤلاء بعض شعراء اليهود مثل كعب بن الاشرف الذى هجا الرسول وحرض على المسلمين وشبب بنساء الرسول والمسلمين مما جعل محمد ابن مسلمة يقتله في رهط من الانصار .

واذا اتفقنا على ان الشعراء المقصودين في الآية هم هؤلاء ، كان معنى ذلك ان القرآن الكريم قد اسهم في وصم اولئك الشعراء بالكذب وادعاء الباطل وتجاوز حدود المنطق . وهذا الاتجاه لا يسلب القرآن صفة الشمول والعموم، فالمبادىء الخلقية التي هاجم على اساسها هؤلاء الشعراء خاصة ، يمكن ان تطبق على غيرهم في كل زمان ومكان .

القرآن استثنى الشعراء الصالحين

وكذلك الشأن في استثنائه للشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعدما ظلموا . وقد أبان المفسرون ان المقصود بهؤلاء شعراء المسلمين الذين دافعوا عن الرسول والدعوة ، من امثال عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وكعب بن زهير . ولكن الحقيقة ان الآية الكريمة انما ترسم الصورة الفاضلة المثالية للشاعر المسلم الحق ، وقد حدد الزمخشري في تفسيره هذه الصورة بقوله (استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن ، وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر . واذ قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه، والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ، ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة وصلحاء الامة ، ومالا بأس به من المعاني التى لا يتلطخون فيها بذنب ، ولا يتلبسون بمنتقصة) .



افلاطون
لم يؤمن بالشعر الحر الطليق

موقف القرآن من الشعر

ذلك اذن هو موقف القرآن من الشعر، وهو موقف واضح لا لبس فيه ، فهو يدعو الى القول بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا معيار اخلاقي لا يختص بالشعر وحده ، وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت : « الشعر فيه كلام حسن وقبيح ، فخذ الحسن واترك القبيح » .

القرآن وحرية الفن

وقد يرى بعض الذين يدعون الى حرية

الابداع في الفن ان القرآن قد وضع قيودا على الشعر كبلته ، فلم ينطلق الى آفاق رحيبة،بل ظل مقيدا الى قاعدته الخلقية التي رسمها له. وليس بعجيب ان يضع القرآن حدودا أخلاقية للشعر والشعراء، بل العجيب الا يفعل ، فغاية الدين الحرية في كل مجالاتها ، ولكن ليست على اطلاقها كما يدعو بعض المتحللين اليوم الذين ينادون بأن يكون الفن طليقا من كل قيد، فيتسع لأحط غرائز الانسان ونزعاته بدعوى الواقعية ، ولكن الحقيقة التي ينبغي ان تدرك جيدا ان الفن اختيار ، وليس من الضروري ان نضاهي كل حركات الواقع لتأكيد معنى حرية الفن .

والاطار الاخلاقي الذي وضعه الاسلام للشعر ولغيره من الفنون هو الاطار المثالي الذي خرج عن الالتزام به الشعراء منذ وقت مبكر في العصر الاسلامي .

افلاطون والشعراء المنحرفون

وهذا الانحراف عن الغاية الاخلاقية تنبه له الفيلسوف اليوناني افلاطون من قبل اذ ادرك خطر انحراف الشعر عن غايته الاخلاقية ، وكان يعارض اشد المعارضة نظرة السفسطائيين الذين كان فنهم يقوم على التمويه والخداع ، ولهذا كان افلاطون يطلب الحقيقة لا في اللذة او الانفعالات الحادثة في النفس ، بل في الصورة الفنية .

وقد ذهب ارسطو الى ان وظيفة الفن هي التطهير بما تبعثه التراجيديا بصفة خاصة في النفس اذ تصفيها من الرعب والخوف وغيرهما من الانفعالات . ولم ينكر افلاطون فكرة التطهير واثر الفنون في تصفية النفوس،ولكنه يرى انه تطهير مؤقت زائف ، اما التطهير الحقيقي في رايه فهو الذي دعا اليه استاذه سقراط ، والذي يعتمد على الفكر ويقوم على العلم،والذي بغيره تصبح الفضائل زائفة .

وبناء على هذا الرأى نجد افلاطون ضعيف الثقة في الدور الذي يقوم به الشعراء في مدينته الفاضلة ، فهو يقول على لسان سقراط امام قضاته « تركت رجال السياسة وقصدت الى الشعراء سواء في ذلك شعراء المأساة ام الاغاني الحماسية ، ام ما شئتم من صنوف الشعر ، وقلت في نفسي ان الامر لا ريب مكشوف لدى الشعراء ، فاجدني بازائهم اشد جهلا . ثم جمعت طائفة مختارة من اروع ما سطرت أقلامهم ، وحملتها اليهم اسالهم عن معناها لعلي أفيد عندهم شيئا ، افانتم مصدقون ما اقول ، واخجلاه ! اكاد استحي من القول ، لولا انني مضطر اليه ، فليس بينكم من لا يستطيع ان يقول في شعرهم اكثر مما قالوا وهم ناظموه ، عندئذ أدركت على الفور ان الشعراء لا يصدرون في الشعر عن حكمة ، ولكنه ضرب من النبوغ والالهام، هكذا رايت الشعراء ، ورايت فوق ذلك انهم يعتقدون في انفسهم الحكمة فيما لا يملكون فيه من الحكمة شيئا ، استنادا الى شاعريتهم القوية » .

وكان افلاطون يرى الشعراء مخادعين لا يحسنون فهم انفسهم ولا يقدرون على فهم الحقيقة ، فهم بالتالي بعيدون عن المثل الاخلاقية . وقد صرح بذلك في الكتاب العاشر من الجمهورية اذ قال انه يريد مدينة فاضلة تحكمها الفلسفة اى الحق ، ولكن الشعر بعيد عن الحق . وكان يرى ان الفن مرتبط بالاخلاق ، وان الاعمال الادبية والآثار الفنية انما هما وسيلة لاظهار الحقائق الاخلاقية ، ويؤكد ضرورة مطالبة الشعراء ان يطبعوا منظوماتهم بطابع الخلق الحميد ، وان نحظر عليهم ان يطبعوها بطابع الوهن والفساد والخسة .

ومع ان افلاطون قد تعرض للنقد بسبب آرائه هذه ـ بدعوى ان الفن ليست له غاية اخلاقية ـ قال ما يعتقد انه الحق ، على الرغم من ميله الشخصي للشعر والشعراء .

فليس عجيبا اذن ان يرسم كتاب الله

الحدود المثالية التى يرى ان الشعر فى نطاقها يؤدي دوره الطبيعي فى خدمة المجتمع الاسلامى الذى يقوم على مبادىء الصدق والعفة والحق .

قوله تعالى «وما علمناه الشعر» لا تغض من الشعر

وكتاب الله لا يغض من قيمة الشعر كفن فى ذاته ــ كما سبق ان بينت ــ لا فى الآيات التى ينفي فيها أن تكون كلماته شعرا ، ولا فى الآيات التى ينفى فيها الشعر عن رسوله . وقد ظن بعض الطاعنين على الشعر ان قوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) يحتمل الغض من قيمة الشعر، ولكن ابن رشيق فسر الآية تفسيرا صحيحا قائلا « معناها ما الذى علمناه شعرا ، وما ينبغى له ان يبلغ عنا شعرا ، ولو ان كون النبى صلى الله عليه وسلم غير شاعر غض من الشعر ، لكانت أميته غضا من الكتابة » .

وراى الجاحظ فيما قدمنا من آيات تعرضت للشعر ان الله جل شأنه عم ولم يخص ، واطلق ولم يقيد ، فمن الخصال التى ذم بها الشعراء فى رايه تكلف الصنعة والخروج الى المباهاة والتشاغل عن كثير من الطاعة ومناسبة أصحاب التشديق . ونظرا لغلبة المنافسة عليهم فهم ينصرفون الى قول الزور والفخر بالكذب وصرف الرغبة الى الناس والافراط فى مديح من اعطاهم وذم من منعهم . وهذا الراى يقرب كثيرا من افكار افلاطون ، وهو يكاد يصم الشعر كله بهذه الصفات السيئة التى الحقها به ، والتى يرى ان الله نزه الرسول عن قول الشعر بسببها ، ولكننا ما زلنا نرىان هذا التعميم لم يقصد على اطلاقه ، بل ان فيه قدراً من التخصيص بدليل الاستثناء الموجود فى آيات سورة الشعراء .

القرآن لم يرفض الشعر ، ولكن رسم له حدودا من أخلاق

ومما تقدم يتبين لنا ان القرآنالكريم لم يرفض الشعر ، وانما دعا الى التزام قواعد اخلاقية فيه ، فالموهبة التى يضفيها الله على بعض عباده ينبغى ان توجه بعيدا عن الشر والسوء ، ولهذا كان الرسول صلوات الله عليه يقول لاصحابه (قولوا بقولكم ولا يستحوذن عليكم الشيطان) . والكلمة تخرج من اللسان يكون لها ابعد الاثر فى النفس ، فما بالك اذا كانت شعرا فى امة ترتبط حياتها بالشعر . ولما كانت غاية الدين طاعة الله وجنته ، لهذا اوجب أن تكون هناك رقابة على حصائد الالسنة ، فقد كان الرسول صلوات الله عليه يقول « وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائدُ السنتهم » .

ومن ذلك نرى ان الشعر فى حد ذاته كتعبير عن النفس يلتزم بغاية أخلاقية في اعز مكان في الاسلام حتى لقد روى عن الرسول صلوات الله عليهانه قال «فضل لسانك تعبر به عن اخيك الذى لا لسان له صدقة » .

وفى هذا الحديث غاية التكريم للشعر والشعراء ، واشادة بالدور الانسانى الذى يقوم بهالشعر من وجهة ان الشاعر الذى اوتى موهبة الشعر لا يعبر عن نفسه فحسب ، وانما يعبر عن اخوانه فى البشرية، ورحم الله ابا تمام اذ يقول :

احفظْ وَسائلَ شعر فيك ما ذهبت
خواطرُ البرقِ الا دون ما ذهبا

يَغدونَ مُغتربات فى البلادِ فما
يَزلنَ يُؤنسنَ فى الآفاقِ مغتربا

ولا تضيعْها فما فى الأرض احسنُ من
نظْم القوافى اذا ما صادفتْ أدبا

■■

محمد مصطفى هدارة

دردشة



للحب نظام في روسيا !

● كان كل ما يريد ان يفعله هـو ان يبعث برسالة (حب) الى صديقته في موسكو . ولكن صاحب الرسالة وهو شـاب سوفييتي يدعى اليانسكى Alyansky ويعيش في مدينة لينتجراد، ما لبث ان اصطدم بالبيروقراطية الروسية التى وقفت حائلا دون وصول رسالته .

فقد امسك الشاب بالتلفون وادار رقم مكتب البرقيات وكانت الساعة الحادية عشرة مسـاء ، وهو نفس الموعد الذى يتصل فيه بحبيبته من قبل .

وقال الشاب : « اريد ان ابعث ببرقية الى موسـكو » .

وقالت عاملة التلفون ان التعليمات الجـديدة تقضي بان يذكر لها موضوع البرقية !

واحس اليانسكي بحرج شديد ، ولكنه قال : انها رسالة (حب) !

عاملة التلفون : « آسفة جدا فقد فات الموعد المخصص لمثل هذه الرسالة !.. الحديث في الحب بين الثامنة والعاشرة مساء كل يوم . اما الآن فتستطيع ان ترسل انباء الموت او المواعيد الخاصة بالاجتماعات والاخبار الهامة فقط ! » .

وحاول الشاب ان يتحايل على هذه التعليمات الجديدة التى ستحرمه من نقل رسالته ، فقال على الفور :

ــ اذن اكتبى رسالت موت ، قولى لهـا : « انني اموت في حبك ! » .

عاملة التلفون : « يبدو انك لا تفهمني ايهـا الرفيق ، ان موعد رسائل الحب قد انتهى ويجب ان تنتظر حتى الساعة الثامنة من مساء غد ! » .

وقال الشاب: اذن اكتبي رسالة عن عقد اجتماع عاجل: « انني اطير اليك على اجنحة الحب ! » .

وهنا اغلقت عاملة التلفون الخط !

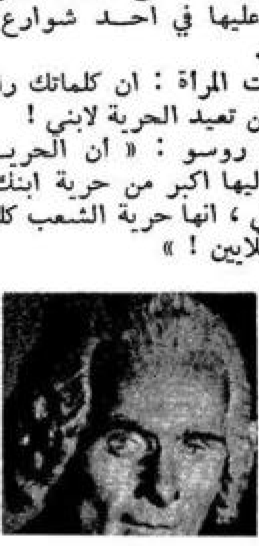
وبعث اليانسكى بخطاب الى صحيفة برافدا Pravda يروى قصته ، ولكنه لم يذكر في نهاية خطابه هل نجح في ارسال برقيته اخيرا .. ام لا !!

حرية الملايين

● كان جان جاك روسو احد الادباء الذين نفخوا روح الثورة الفرنسية قبل ان تكون ، وفي احد الايام تقدمت امراة فرنسية عجوز سجنوا ابنها في الباستيل Bastille ، الى المنصة التي وقف يخطب عليها في احـد شوارع باريس المظلمة .

وقالت المراة : ان كلماتك رائعـة ، ولكنها لن تعيد الحرية لابني !

فقال روسو : « ان الحريـة التي نسعى اليها اكبر من حرية ابنك وحده ياسيدتي ، انها حرية الشعب كله ، انها حرية الملايين ! »





التفــاؤل والتشاؤم

● قالــوا للفيلســوف البريطاني الســاخر جــورج برنارد شو . يوما :

مــن هــو المتفائل ، ومــن هو المتشائم ؟

فقال شو : « المتفائل هــو الذى يرى ضوءا وكل ما حوله ظلام .. والمتشائم هــو الذى يرى ظلاما ، وكل ما حــوله نور ... وكلاهما غبي ، فيما ارى ! » .

ثمــن الطفــل !

● قدر مركز ابحاث حوادث الطرق في بريطانيا التعويض عن الطفل الــذى تدهــه سيارة بحوالى اربعة الاف جنيه استرليني ، بينما لا يزيد التعويض الذي يصرف لأسرة الرجل البالغ عن ٢٥٠٠ جنيه استرليني !

اما كيف قدر المركز هذا التعويض ، وعلى اى اساس وضعه ، فهذا ما يجيب عليه مدير مركز الابحاث الذى يقول ، « ان الرجل البالغ هو ، ما هو عليه ، اما الطفل فمستقبله مجهول، ومن يدرى فقد يصبح عالما مخترعا ينقذ البشرية من بعض ويلاتها !

الازياء ... والسياسة

● روى صحفي فرنسي قصة طريفة وقعت اثناء وجوده في نيويورك في العام الماضي . فقد ذهب الصحفي لحضور عرض ازيــاء اقيم في فندق والدورف استوريا Waldorf Astoria ، الفندق الكبير الشهير في نيويورك ، واشتركت فيه مجموعة كبيرة من بيوت الأزياء من مختلف عواصم العالم .

وجاء مقعد الصحفى بجانب السيدة كلير بوت لوس Claire Booth Luce ارملة هنرى لــوس Henry Luce صاحب ورئيس تحرير مجلة تايم الأمريكية ، الذي توفى اخيرا ، وقد عرفت بعدائها لكل ما هو فرنسي !

وبــدات عارضات الأزيــاء بعرض الفساتين الجديــدة ، وفجاة مــرت احداهن ، واثار فستانها اعجاب مــز لوس الشديد ، فقال تحدث المانيكان :

« هل انت امريكية يا عزيزتي ؟ »

واجابت الفتــاة بالايجاب ! وظهــر الارتياح على وجــه الأرملة : فالتفتت بسرعة الى الصحفى وقالت له : لا تنس ان تقول لمسيو ديجول ان بيوت الأزياء عندنا اصبحت منافســا خطيرا لكم ! ساذهب الآن لاشترى هذا الفستان ! »

وابتسم الصحفى ، وذهبت كلير الى مدير المعرض وقالت : « اريد هــذا الفستان الأمريكي من فضلك ! »

فقال المدير : « ارجوك يا سيدتي ، ان هذا الفستان فرنسي وليس امريكيا! »

مــز لوس : ولكن الفتاة التى تعرضه امريكية !

المدير: « هذا صحيح ، فهي زوجة الملحق الصحفي الفرنسي في واشنطون!»



استاذ الجيل احمد لطفى السيد . مات وعمره واحد وتسعون عاما (انظر عدد مايو ٦٣ من العربى)

الخوف مِن ....



الكاتب القصاصي الشهير سومرست موم . مات وعمره واحد وتسعون عاما (انظر عدد فبراير ١٩٦٦ من العربي)

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

خوف الشيخوخة ليس وقفا على الشيوخ



الشيخوخة ومعنى فوات الأوان

الشيخوخة

"الرَّجُلُ العجُوز" أسطورة من الأساطير

رجال تميزوا في السبعين والثمانين

حَصَادُ الشيخوخة حَصَادٌ وفير

ربما كان من بعض افضال الله على البشر ، انه جعلهم لا يرون انفسهم كما يرون الآخرين، او كما يراهم الآخرون! فنحن نرى علامات الشيخوخة ترتسم على وجوه الآخرين، بينما لا يكاد يخطر على بالنا انهم هم ايضا يلمحون على وجوهنا تلك الخطوط العميقة الغائرة التي خلفها الزمان ! وقد تشاء الظروف ان يلتقي المرء ــ بعد غياب طويل ــ برفيق من رفاق الصبا ، فاذا به لا يكاد يصدق ان هذا الشيخ الذى جلل الشيب راسه هو ذلك الشاب المتوثب الذى كان وجهه يفيض حيوية وانطلاقا !

قد نلتجيء الى المرآة

وقد نلتجيء الى « المرآة » نلتمس لديها الاجابة على هذا السؤال المرير : « أترانا نحن ايضا قد تجاوزنا ربيع العمر ؟ » ، ولكننا ــ لحسن الحظ او لسوئه ــ قلما نفهم لغة المرآة ، او ــ على الاصح ــ قلما نجد فى نفوسنا استعدادا لفهم تلك اللغة !



وقد نميل الى التفرقة بين « شباب الشيوخ » و « شيوخ الشباب » ، فنعزى انفسنا باننا حتى اذا كنا قد تجاوزنا فترة الشباب ، فاننا مع ذلك ندخل فى عداد « شباب الشيوخ » ، ونطرب لقول القائل بان « العمر الحقيقي للانسان انما هو العمر الذى تشهد به عروقه » لا العمر الذى سجلته شهادة الميلاد !

ولكن خريف الحياة

ولكن خريف الحياة سرعان ما يطيح بأوراق

عمرنا ورقة بعد اخرى ، فاذا بنا نشعر باوصاب الشيخوخة وقد اخذت تدب في اعماق قلوبنا ، واذا بنا ندرك - على حين فجاة - انه لم يعد في وسعنا سوى ان نهبط فوق منحدر الحياة ! وينظر المرء الى ما حوله ، فاذا به يجد ابناءه قد اصبحوا رجالا ناضجين ، واذا به يرى تلاميذه قد صاروا بدورهم اساتذة ، واذا به يلمح على وجوه الآخرين ما ينطق باحترامهم لشيخوخته ! وعندئذ قد لا يملك المرء سوى الاعتراف بانه قد قطع الجانب الاكبر من اشواط الطريق ، وانه ليس عليه سوى انتظار الخاتمة الاليمة التي تجيء فتضع حدا لهذا السير المتواصل المليء بالنصب والعناء ....

الشيخوخة

وهنا قد يلح علينا هذا السؤال : « ماذا عسى ان تكون الشيخوخة ، في الواقع ونفس الامر ؟ » أتكون الشيخوخة هي وهن الجسم ، وضعف الاعضاء ، والعجز عن اداء بعض الاعمال ! او بعبارة اخرى : هل تكون الشيخوخة مجرد « ظاهرة بيولوجية ؟ » واذا صح هذا ، فهل يكون الشيوخ محرومين تماما من كل قوة بدنية ، عاجزين تماما عن الاستمتاع باية لذة جسمية ؟

ولماذا نجد لدى بعض الشبان الذين يتمتعون بكامل قواهم الجسمية - في احيان كثيرة - خوفا غير عادي من الشيخوخة ؟ ..

الخوف من الشيخوخة ليس وقفا على الشيوخ

كل هذه اسئلة قد عني بالاجابة عليها علماء النفس ، خصوصا وقد دلتهم التجربة على ان « الخوف من الشيخوخة » ليس وقفا على بعض الرجال المتقدمين في السن ، بل هو قد يمتد ايضا الى نفوس بعض الشباب . وربما كان منشأ هذا الخوف اعتقاد هؤلاء الشباب بان وهن القوى الجسمية مرتبط بضعف عام في الشخصية ، وانحلال تام للقوى الانفعالية والذهنية .

الشيخوخة لاتمس الشخصية

ولكن هذه الفكرة - فيما يقول عالم النفس المعاصر اريك فروم Eric Fromm - لا تخرج عن كونها محض خرافة : فان الشواهد كثيرة على ان الضعف الجسمي لا يمس في شيء صميم بناء الشخصية . وقد يكون الاصل في هذه الفكرة هو ميل الحضارة الآلية الحديثة الى المبالغة في تأكيد قيمة بعض المزايا التي يتمتع بها الشباب ، كالسرعة ، والقابلية للتكيف ، والقوة الجسمية .... الخ . فنحن نعيش في مجتمعات متحضرة تعلق اهمية كبرى على التنافس ، والنجاح ، والكسب المادى ، ولا تكاد تهتم بتطور الفرد ، وترقي الشخصية ، وتكامل الخلق ، ولكننا لو دققنا النظر قليلا لتحققنا من ان الشخص الذى يحيا حياة مثمرة منتجة ، قبل بلوغه سن الشيخوخة ، لن يصاب باى انحلال نفساني او اى اضطراب عام في بناء الشخصية : لان السمات الذهنية والوجدانية التى عمل على تنميتها في نفسه خلال تطوره الحيوى عبر حياة مثمرة منتجة ، لا بد من ان تستمر في النمو والترقي ، على الرغم من كل وهن جسمي . واما الشخص الذى لم يكن في شبابه منتجا Productive فان الضعف الجسمي الذى يقترن عادة بالشيخوخة لن يكون من شانه سوى ان يجلب له الانحلال التام في الشخصية ، نظرا لان القوة الجسمية عنده انما كانت هي المنبع الرئيسي لشتى مظاهر نشاطه ، فلا بد للضعف الذي يصيبها من ان ينسحب بالضرورة على شخصيته العامة باسرها !

الدلالة النفسية للخوف من الشيخوخة ..

والواقع ان الخوف من الشيخوخة انما هو في جوهره تعبير عن احساس المرء بانه لم يستطع ان يحيا حياة منتجة ، وبالتالي فانه رد فعل يقوم به ضمير الفرد ضد عملية « التشويه الذاتي » Self mutilation التي مارسها في نفسه ! واذا كانت هناك علاقة وثيقة بين « الخوف من الموت » و « الخوف من الشيخوخة » ، فذلك لان جزع الانسان من الموت هو في صميمه جزع من الفشل : فشل الانسان في تحقيق ذاته وانجاز حياته ، واداء رسالته . ومعنى هذا ان خوفنا من الموت انما هو في صميمه تعبير عن احساسنا بالاثم Guilt لما ضيعنا من فرص في الحياة ، ولما



أندريه موروا

بعدّدنا من قوى وطاقات كان في امكاننا ان نفيد منها ، وبالتالي فهو بمثابة اعتراف ضمني باننا قد اضعنا حياتنا سدى ! واذا كان ثمة شيء اشد مرارة على النفس من الموت نفسه ، فهو احساس المرء بانه سوف يموت ، دون ان يكون قد عاش حقا ! وكم من الناس يموتون ، دون ان يكونوا قد عاشوا بالفعل ، ان لم نقل دون ان يكونوا قد ولدوا اصلا !

الشيخوخة ومعنى « فوات الاوان »

والحق اننا اذا كنا نخشى الشيخوخة ، فذلك لانها قد ارتبطت في اذهاننا بمعانى التحقيق ، والانتهاء ، وفوات الاوان . فالشيخوخة — كما يقول اندريه موروا André Maurois هي الشعور بانه قد فات الاوان ، وان اللعبة قد انتهت ، وان المسرح — من الآن فصاعدا — قد اصبح ملكا لجيل آخر ! وليس من شك في ان شعور المرء بانه قد اصبح « زائدا عن الحاجة » (او كما يقول الفرنسيون De trop) انما هو شعور اليم ، خصوصا اذا كانت كل الظروف قد عملت على تنمية احساسه بقيمته الذاتية ، عبر حياة منتجة مثمرة . وكثيرا ما يلقى الشيوخ من المعاملة — خصوصا في بعض المجتمعات الشابة التي تمجد قيم السرعة والحيوية والحماسة — ما يجعلهم يشعرون بانه لم يعد لهم مكان في صميم « الحضارة » التي طالما اسهموا في العمل على خلقها . واما في المجتمعات التي تعترف بقيمة الحكمة والخبرة ، كما هو الحال مثلا في بعض بلدان الشرق الاقصى ، فان الشيوخ قلما يفقدون « مبررات وجودهم » .

قال الفنان الياباني الشهير

ولعل هذا ما عبر عنه الرسام الياباني هوكوساي Hokusai على احسن وجه حينما كتب يقول :

« لقد كان لدي منذ نعومة اظفاري ولع شديد برسم اشكال الاشياء ، وحينما بلغت الخمسين من عمري كنت قد اصدرت عددا هائلا من الرسوم ، ولكن كل ما انتجته قبل سن السبعين ليس جديرا بالاعتبار . وحينما بلغت الثالثة والسبعين من عمري كنت قد تعلمت الشيء القليل من التكوين الحقيقي للطبيعة والحيوانات والنباتات ، والطيور ، والاسماك . وتبعا لذلك فان من المؤكد انني حينما اصل الى سن الثمانين ، فانني ساكون قد حققت المزيد من التقدم ، واما حينما ابلغ سن التسعين ، فانه سيكون في وسعي عندئذ ان انفذ الى سر الاشياء . واما اذا قدر لي ان اصل الى سن المائة ، فانني بلا شك ساكون قد بلغت مرحلة من الاعجاز . واما في سن العاشرة بعد المائة فان كل ما سوف يخطه قلمي ، حتى ولو كان مجرد نقطة صغيرة او خط قصير ، لن يكون الا مخلوقا حقيقيا عامرا بالحياة ... » ! وهذه الكلمات الرائعة ، سجلها قلم الفنان الياباني في سن الخامسة والسبعين ، موقعا عليها بامضاء (الرجل العجوز المصاب بجنون الرسم) . !!

اسطورة « الرجل العجوز »



والحديث عن « الرجل العجوز » يقودنا بالضرورة الى تلك الاسطورة التقليدية التي ارتسمت في اذهاننا منذ الطفولة لذلك « المخلوق العجيب » الذي كانوا يخيفوننا به ! انه « الرجل العجوز » ، ذو الشاربين الطويلين ، واللحية البيضاء ، والعينين الغائرتين ، والظهر المقوس ، والخطى الوئيدة المتثاقلة ، والعصا السميكة يدب بها على الأرض ! وليس من المستبعد ان يكون لهذه « الصورة الاسطورية » تاثيرها اللاشعوري في خوف الناس عادة من الشيخوخة : فان « الرجل العجوز » في نظرهم قد اصبح علما على ذلك « الميت الحي »

الذى يسير على قدمين ، وان كانت احدى رجليه فى الدنيا والاخرى فى الآخرة ! ولعل هذا هو السبب فى اننا بمجرد ما نشعر بان قوانا قد اخذت تهن ، أو أن خطانا قد أصبحت متثاقلة ، فاننا سرعان ما نظن فى أنفسنا اننا لم نعد نصلح لشيء ، وانه لم يعد امامنا سوى أن نعتزل العالم والناس لكى نحيا على هامش المجتمع . وهكذا ينشأ لدينا الشعور بأن جسدنا قد أصبح بمثابة « المحرك المتعطل » او « الموتور التعبان » كما نقول عادة ، وعندئذ لا تلبث أن نميل الى البحث عن الراحة ، وكأننا قد اصبحنا مجرد « ادوات مستهلكة » ، او « اجهزة متعطلة » لا بد من البحث لها عن قطع غيار !؟

وليس من شك فى أن هذه الاسطورة التقليدية للرجل العجوز هى التى تملى على الكثيرين من الشيوخ روح عدم الاكتراث ، والميل الى اعتزال الناس ، والتفكير الزائد فى الذات ، والاهتمام بالبحث عن المال ، والارتداد التام الى الماضى ، فلا يلبث الواحد منهم أن يستحيل – فى كثير من الاحيان – الى انسان فردى، انانى ، بخيل ممل ! وربما كان هذا هو السبب فى ان صحبة الشيوخ كثيرا ما تصبح حملا ثقيلا ينوء به الشباب، خصوصا وانهم لا يكفون عن تكرار قصص واحدة بعينها ، ومقارنة « الجيل الحاضر الفاسد » بجيلهم القديم الطيب !

رجال ممتازون ، فى الثمانين

ولكن من المؤكد – فيما يقول بعض علماء النفس ان فى استطاعتنا طرد هذه الاسطورة المشوهة للشيخوخة من أذهان الناس ، لو اننا بينا لهم ان الرجال الذين يهرمون بسرعة انما هم أولئك الذين فقدوا مبررات وجودهم ، وان ما يتعب المخلوق البشرى ويضنيه انما هو التكاسل والتقاعد والجمود والركود، لا الحياة المضطربة ، والانفعالات العنيفة الصاخبة ، والجهود الشاقة المتواصلة ، والدراسات الطويلة المستمرة ، والاعمال المنتجة المثمرة .. ولقد كان كليمنصو Clemenceau ، وجلادستون Gladstone ، وتشرشل ، وغيرهم ، رجالات سياسة ممتازين فى سن الثمانين (او اكثر)، فكانوا مثارا لاعجاب الناس بذكائهم ، ومقدرتهم ، وحميتهم ، وحماستهم . وقد اثبت لنا هؤلاء ان الشيخوخة هى – بمعنى ما من المعانى – « عادة سيئة » ، وان الرجل المنهمك فى عمله لا يكتسب مثل هذه العادة ، لأنه لا يملك متسعا من الوقت لامتلاكها !

انتاج الشيخوخة حصاد وفير

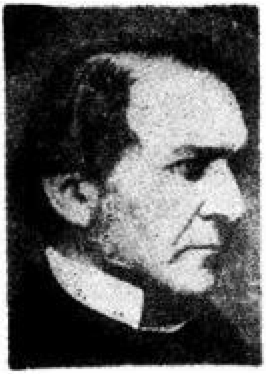
وحسبنا أن نرجع الى تاريخ البشرية لكى نتحقق من صدق ما قاله شيشرون Ciseron قديما من ان « جلائل الأعمال لم تكن فى يوم ما من الايام وليدة القوة الجسمية ، أو الرشاقة البدنية بل هى قد كانت وليدة المشورة ، والسلطة ، والخبرة الطويلة ، والحكمة الرزينة ، وكل هذه مزايا لا تجيء الا مع الشيخوخة » .

فى مجال الفلسفة

ولم يكن من قبيل الصدفة أن يكتب كنط Kant – الفيلسوف الالمانى المشهور – اجمل كتبه (وهو نقد ملكة الحكم) فى سن السادسة والستين ، وان يقدم لنا برجسون Bergson – المفكر الفرنسى الكبير – درته الثمينة : « منبع الاخلاق والدين » فى الثالثة والسبعين ، وان يطالعنا ديوى Dewey – الفيلسوف الأمريكى العظيم – بكتاب هائل فى « المنطق أو نظرية البحث » فى التاسعة والسبعين وأن يبدأ المفكر الانجليزى المعروف الفرد نورث وايتهد A.N. Whitehead كل حياته الفلسفية فى سن الواحدة والستين ، بعد بلوغة سن التقاعد فى انجلترا ، وارتحاله للعمل بامريكا !



كلمنصو



جلادستون

فى مجال الادب

واما فى مجال الأدب ، فاننا نعلم أن فولتير Voltaire قد كتب روايته الشهيرة « كانديد » Candide فى الخامسة والستين من عمره ، وان فكتور هيجو Victor Huge قد كتب أجمل قصائده فى مرحلة متأخرة من حياته ، وان « جوته » Goethe شاعر الألمان الكبير قد قدم لنا فى شيخوخته النهاية الرائعة للجزء الثانى من « فاوست » ، وأن بول كلودل Paul Claudel – الروائى الفرنسى المشهود – قد كتب الكثير من رواياته بعد سن السبعين ..

فى مجال الفن

واما فى مجال الفن ، فاننا نعلم أن فاجنر Wagner – الموسيقار الألمانى الشهير – قد فرغ من « بارسيفال » Parsifal فى التاسعة والستين من عمره ، وان مصورين كثيرين من امثال سيزان Cezanne ، ورنوار Renoir وبراك Braque ، وبيكاسو Picasso وماتيس Matisse وغيرهم ، قد قدموا لنا أعمالا فنية رائعة فى مرحلة متأخرة من مراحل حياتهم .

الشيخوخة ليست بالضرورة مرحلة اجداب

ولسنا نريد ان نسترسل فى تعداد أسماء العباقرة الذين قدموا للبشرية أعظم انتاجهم فى مرحلة الشيخوخة ، وانما حسبنا أن نقول ان الشواهد كثيرة على أن الشيخوخة ليست بالضرورة مرحلة الجدب والاقفار ، بل هى قد تكون أيضا مرحلة خصوبة وانتاج . ولسنا فى حاجة الى ان نكون عباقرة حتى لا تستحيل شيخوختنا الى حياة جمود وركود ، وانما حسبنا أن نواصل السير فى طريق حياتنا دون يأس أو تقاعس أو خمول ، لكى نجد فى مرحلة الشيخوخة استمرارا طبيعيا لحياتنا المنتجة المثمرة ، وحصادا وفيرا لجهود طويلة شاقة قمنا بها زارعين ، وغارسين، وساقين.. الخ

والشيوخ ايضا يذهبون الى المدرسة ... !

وقد روى عن الفنان العظيم مايكل انجيلو Michel Angelo انه رئى يوما – وكان فى ختام حياته تقريبا – يحث الخطى الى مرسمه ، فقال له أحدهم : « الى اين تمضى هكذا سريعا ، وقد غطت الثلوج شوارع المدينة ؟ فما كان منه سوى أن أجاب بقوله : « اننى ذاهب الى المدرسة ، فلا بد لى من ان أحاول تعلم شىء قبل أن يفوت الأوان .. ! »

وان كاتب هذه السطور ليذكر أنه كان يتردد على أروقة جامعة باريس فى شتاء ١٩٤٩ ، حينما كان يمضى الى أحد المدرجات للاستماع الى الأستاذ الكبير جان فال Jean Wahl وذات يوم جلس كاتب هذه السطور على مقعد من المقاعد الرخامية فى ردهة من ردهات الجامعة ، حينما اقترب منه شيخ عجوز قد اشتعل الرأس منه شيبا ، وراح يسأله عما اذا كان قد استمع الى آخر محاضرة القاها الأستاذ فال فى الأسبوع السابق . وكان الكاتب قد سجل هذه المحاضرة بنصها ، فعرضها على محدثه الشيخ ، وابدى اعجابه بعمق تفكير هذا الأستاذ .. وعندئذ بادره الرجل العجوز بقوله : « ان الأستاذ فال واحد من خيرة تلاميذى، وانا اواظب على الاستماع الى محاضراته القيمة بانتظام ... »

وعاد كاتب هذه السطور يسائل محدثه الكريم

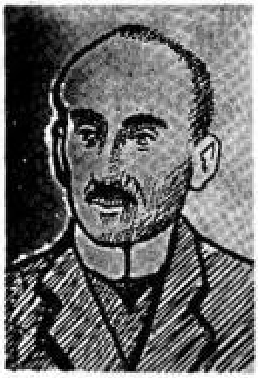
عن شخصيته ، فما كان منه سوى أن أجابه بكل تواضع : « أنا أندريه لالاند Andre Lalande » !

وكانت مفاجأة كبرى لكاتب هذه السطور أن يجد نفسه بإزاء أكبر أستاذ فلسفة تتلمذ على يديه أساتذته هو في مصر ، ولكنه لم يستطع أن يتمالك نفسه اعجابا بهذا الاستاذ الذى شاء له تواضعه أن يعود تلميذا ينصت الى محاضرات واحد من تلاميذه ، وكأنما هو مجرد طالب علم صغير ! » .

وانا لنعرف جميعا ذلك الحديث النبوى القائل: « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » ، ولكننا قلما نمضي في تحصيل العلم بعد سن معينة ، ظنا منا بأنه هيهات لنا أن نحصل شيئا بعد أن تقدم بنا العمر ! وليس المسئول عن هذا التواكل هو ضعف الذاكرة ، او وهن القوى الذهنية ، او انعدام الرغبة فى مواصلة البحث ، بل كثيرا ما يكون المسئول عنه هو الاحساس بفوات الأوان !.

هل تكون الشيخوخة هي مرحلة الراحة والفـراغ ؟

وهنا قد يعترض معترض فيقول : « ان لكل مرحلة من مراحل الحياة طابعها الخاص : فالصبا او الشباب هو مرحلة الطلب والتحصيل ، وفترة الرجولة هى فترة العمل والنشاط ، واما مرحلة الشيخوخة فهى مرحلة الراحة والسكينة » ، وردنا على هذا الاعتراض ان طبيعة الحياة النفسية للموجود البشرى لا تعرف امثال هذه التقسيمات : فان هنالك من « الاتصال » أو « الاستمرار » Continuity فى وجودنا ما يضطرنا الى ممارسة قوانا الذهنية والوجدانية والنزوعية فى كل مرحلة من مراحل حياتنا . وقد ابت الطبيب العالم الكسيس كاريل Alexis Carrel منذ حوالى ربع قرن من الزمان ، انه ليس اخطر على الشيوخ من هذا التصور التقليدى للشيخوخة باعتبارها حياة الراحة والفراغ . والسبب فى ذلك انه لما كانت القيمة الفسيولوجية لسنوات

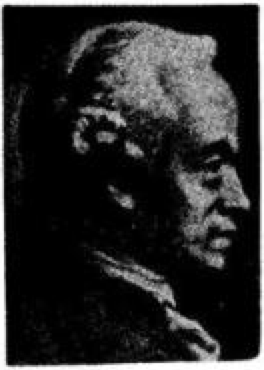


برجستون

النضج والشيخوخة قيمة ضعيفة (نسبيا) ، فانه لا بد لنا من العمل على ملء هذه السنوات بضرب من النشاط . وتبعا لذلك فانه لا بد للرجل العجوز من مواصلة العمل ، بدلا من التقاعد وليس من شك فى ان كل شيخ يقلع عن العمل ، لن يلبث ان يجد نفسه عاجزا عن ممارسة قواه الذهنية والوجدانية والنزوعية ، فالبطالة تقلل من مضمون الزمان الذى يحياه المرء . والفراغ ـ كما يقول الكسيس كاريل ـ اشد خطورة على الشيوخ منه على الشباب . صحيح ان الشيوخ قد لا يكونون أهلا للاضطلاع ببعض الأعمال البدنية الشاقة ، ولكن من المؤكد ان هذا الضعف الجسمى لا يعنى انهم عاجزون تماما عن القيام بأى نشاط . ولهذا فانه لا بد للمجتمع من ان يعهد اليهم بالعمل المناسب لهم ، بدلا من ان يتطلب منهم الاقلاع عن كل نشاط ، والارتماء فى احضان الفراغ. ويمكننا ان نعوض بطء الشيوخ بزيادة نشاطهم السيكولوجي . وحينما تمتلىء حياة الشيوخ بالاحداث الذهنية والروحية ، فهنالك قد تقل سرعة انحدارهم ، ان لم نقل بأنهم قد يتمكنون من استعادة جانب من حياة الشباب بما فيها من حيوية وامتلاء ..

تجربة الشيخوخة وتجربة الموت

ويعود صرعى « الخوف من الشيخوخة » الى



كنط

الاعتراض ، فيقولون ان كل الشواهد قائمة على ان الصلة وثيقة بين « تجـربة الشيخوخة » و « تجربة الموت » . أليس « الموت » هو ذلك الحد الاقصى الذى تصل اليه حينما نسير حتى النهاية فى تلك العملية البيولوجية المستمرة التى يسمونها « عملية الشيخوخة » ؟ .. ويشرح لنا الفيلسوف الالمانى ماكس شلر Max Scheler هذه الحقيقة فيقول : « ان طبيعة حياتنا لا بد من ان تتغير تغيرا محسوسا فى كل لحظة : فـان ضغط الماضى ليتزايد علينا ، بينما تتضـاءل امكانيات المستقبل التى ترتسم امامنا . وهكـذا يشعر الانسان بان حريته آخلة فى التناقص يوما بعد يوم ، كما يتضاءل شعوره بالقدرة على تغيير مجرى حياته ، عن طريق توجيه مستقبله او التأثير عليه . وحين يسير الانسان بخطى سريعة نحو الشيخوخة ، فانه عندئذ لا يفقد شعوره بالحرية فحسب ، بل يفقد ايضا ـ الى حد ما ـ تلك الحرية نفسها . فاذا ما استمر انحـلال الانسان ، جاء الموت فوضع حدا لتلك العملية الطبيعية التى تفضى به الى خاتمة الرحلة ! .

بيد ان شلر فى الحقيقة ـ كما لاحظنا فى كتابنا « تأملات وجودية » ـ انما يخلط بين تجربة الموت وتجربة الشيخوخة . ولكننا لو انعمنا النظـر الى دلالة الموت فى صميم التجربة البشـرية لوجدنا انها مختلفة كل الاختلاف عن فكـرة « الحد الأقصى للتطور الفردى » . وليس من الضرورى ان يجىء الموت بمثابة النهاية الطبيعية لدور الشيخوخة ، بل قد يجىء الموت « مبكرا » فلا يكون قدومه « طبيعيا » . والحق ان المرء مهدد بالموت فى كل لحظة ، فليس فى استطاعته ان يعد الموت مجرد خاتمة طبيعية لتطوره البيولوجى . وحين يقول المرء ان الموت قريب منه فى كل لحظة : فانه يعنى بذلك انه يجهل مصيره ، وانه ماثل امام تلك « الامكانية الواقعية » : امكانية الفنـاء . ولعل هذا ما عبر عنه أحد الفلاسفة حينما قال ان الموت ـ بمعنى ما من المعانى ـ انما هـو « الحضرة المستمرة للغياب » !

كلمـة اخـيـرة

واذن فليم كل هذا الجزع من الشيخوخـة ؟ ولماذا يأبى الانسان الا ان يرى فى مرحلة الشيخوخة ناقوس الخطر يدق منذرا بقرب حلول « ساعـة الموت » ؟ .. حقا ان موت الشيخوخة قد يبدو لنا بمثابة موت مترقب نستعد له ونتهيأ لاستقباله ولكن من المؤكد انه اذا كان ثمة « تجربة » فى مثل هذه الحالة ، فانها « تجربة الشيخوخة » ، لا « تجربة الموت » . والشيخوخة ـ كما يقـول سارتر ـ قلما « تنتظر » الموت (بالمعنى الدقيق لكلمة الانتظار) ، بل هى تحيا فى « الحاضر » والحاضر ـ كما نعلم ـ سلسلة من « الانتظارات » Attentes و « المشروعات » Projets والآمال . وحينما يجىء الاجل المحتوم فيطوى صفحة الرجل المسن ، فان هذا الحدث لا يسوغ لنا القول بان « موته » كان امكانية خاصة او حدثا باطنا فى اعماق وجوده ! .. وهكذا قد يكون فى وسعنا ان نقول انه ليس ثمة ما يبرر خوفنا من الشيخوخة اللهم الا ان يكون هذا الخوف مجرد تعبير لا شعورى عن احساسنا الدفين باننا لم نستطع ان نحيا حياة خصبة ، مليئة ، منتجة ، مثمرة .. ! ■■

زكريا ابراهيم

ابن سيرين

وعلم النفس الحديث

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدايم

■ تحدثنا في مقالين سابقين (١) عن الاطار التاريخي لتأويل الاحلام عند العرب، وعن حقيقة ابن سيرين ، وبيّنا انه لم يكتب في الواقع اي كتاب في تفسير الاحلام ، بل نسب اليه المفسرون علمهم الجديد تقيّة وتوكيدا لشرعيته الدينية . وتحدثنا في مقال تلاه عن مبادىء تأويل الاحلام كما يراها ابن سيرين ، وكما يراها المفسرون العرب جملة ، وبيّنا كيف ينهج هؤلاء المفسرون نهجا يبعد تفسير الاحلام عن ان يكون مجرد ترجمة حرفية وقراءة حرفية لصور الحلم ، ويجعل منه فنا قائما بذاته يأخذ بعين الاعتبار ظروف الحالم وشخصيته ووضعه الاجتماعي وعمره وجنسه ، كما يأخذ بعين الاعتبار جملة الظروف التي يجرى فيها الحلم ، ومن بينها الوقت الذى يجرى فيه ، ثم جملة الثقافة التي ينتسب اليها الحالم وما تتضمنه هذه الثقافة من ادب وشعر وامثال سائرة وغير ذلك .

ونود في هذه الكلمة حول تفسير الاحلام عند العرب ان نعقد مقارنة اوضح بين نهج ابن سيرين والمفسرين العرب ، وبين نهج المحدثين من علماء النفس وعلى رأسهم « فرويد » Freud . ولا نريد في هذا ان نحمّل الامور فوق طباعها وأن نفسر الاشياء قسرا ونعتصر الادلة اعتصارا لنثبت بأي ثمن ان ابن سيرين وصحبه من المفسرين العرب كانوا السابقين في هذا الميدان والمرهصين الاوائل بالحقائق التي كشف عنها علم النفس الحديث . فمثل هذا الاسلوب من البحث لايعنينا ولا نقره . والطريقة العلمية في دراسة التراث العربي واي تراث لابد ان تكون موضوعية هادئة .

ونستطيع ان نقول منذ البداية ان بعض الافكار الحديثة التي نجدها لدى علماء النفس المحدثين ولدى فرويد حول الاحلام نجدها مبثوثة هنا وهناك في كتاب ابن سيرين وكتب المفسرين العرب ، دون ان تكون من الوضوح

---

(١) انظر العربي العدد ٩٥ ، والعدد ٩٦

مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَة بالبَارحَة،
وَمَا أَشْبَهَ الَّذى كَانَ عِنْدَ فِرْويد،
بالَّذى كَانَ قَبْلَه عِنْدَ ابن سيرين

بحيث تكون نظرية مُبيّتة . وهي في معظم الاحيان تُتَف أو اقوال عابرة ، غير أنها تفصح في الجملة عن نظرة صحيحه الى الحلم ومعناه ومنهج تفسيره .

ونورد فيما يلي بكثير من الايجاز اهم الجوانب العلمية التي نجدها عند ابن سيرين وصحبه والتي يلتقي فيها مع حقائق علم النفس الحديث وابحاث فرويد :

١ ـ طرق عديدة في تفسير الاحلام ولجوء الى الحالم نفسه :

رأينا في المقال السابق كيف يلجأ ابن سيرين الى جمع عدة طرق في تأويل الحلم ولا يكتفي بطريقة واحدة . ورأينا خاصة انه يقيم كبير وزن لتأويل الحالم نفسه لحلمه . وفي هذا يلتقي مع اسلوب علم النفس الحديث الذي يود أن يبتعد



فرويد

عن مجرد الترجمة الحرفية لصور الحلم ، ليأخذ الحلم في كامل اطاره وكامل معناه ، وليجعل الحالم هو الذى يقوم بتفسير حلمه الى حد كبير . وقد جعل فرويد من اعتماده على تأويل الحالم نفسه لحلمه طابعا مميزا له عن تأويلات الاحلام القديمة . وفي هذا يقول : « ان الاسلوب الفني الذى سوف أعرضه في الصفحات التالية يختلف اختلافا جوهريا عن اسلوب القدامى في كونه يوكل الى الحالم نفسه امر تفسير حلمه . انه يعنى بما يوحيه عنصر من عناصر الحلم الى الحالم نفسه لا الى المفسر » . وقد رأينا ان ما يدعوه فرويد هنا بالاسلوب الجديد الذى يميزه عن القدامى هو بعينه أحد الاساليب التي وقف عندها ابن سيرين والمفسرون العرب حين الحفوا في أهمية ادراك الحالم لحلمه واهمية « ضمير » الحالم وما يشعر به اثناء الحلم ، واهمية الحال الانفعالية التي يكون عليها اثناء الحلم ، وحين بينوا أهمية الكشف عن شخصية الحالم وأوضاعه ، بل حين لجأوا احيانا – كما سبق ان ذكرنا – الى ان يطلبوا من الحالم نفسه تفسير حلمه كاملا . وقد انتبه « فرويد » الى هذه الحقيقة عابرا حين روى على لسان احد المبشرين انه ذكر له ان مفسرى الاحلام المحدثين في الشرق يلجأون الى حد كبير الى اشراك الحالم في تفسير الحلم .

٢ – أثر الاحساسات الداخلية والخارجية في نشأة الحلم :

يبين ابن سيرين والمفسرون العرب ، كما يبين فرويد ومن قبله مورى Maury وسائر علماء النفس المحدثين اثر الاحساسات الداخلية والخارجية التي يتلقاها الحالم في تكوين صور الحلم . فحواس الحالم تظل مستيقظة تتلقى المؤثرات الخارجية ، واعضاؤه الداخلية تعاني احساسات معينة ، وهذه الاحساسات جميعها تكون منطلقا لبعض صور الحلم . وقد وقف ابن سيرين وصحبه عند هذا الوجه من اوجه تفسير الحلم – نعني تفسيره بالاحساسات الداخلية والخارجية – عند حديثهم عن اصناف الاحلام . فهم يقسمونها الى احلام باطلة واحلام صادقة . ويضعون بين الاحلام الباطلة الاحلام الراجعة الى وضع الجسد او الى حال المعدة والهضم وسائر الاعضاء . ونجد عند معظم المفسرين العرب امثلة كثيرة على احلام سببتها الاحساسات الجسدية ، تذكرنا في كثير من الاحيان بأحلام مورى Maury الشهيرة .

٣ – الطبع والمزاج وأثرهما في الاحلام :

وفي تصنيفهم للاحلام يتحدث المفسرون العرب عن الاحلام الراجعة الى المزاج ، ويفصلون القول في ذلك مبينين اثر المزاج والطبع في الحلم ، ملتقين في ذلك مع الابحاث الحديثة . هكذا يحدثنا هؤلاء المفسرون العرب عن الاحلام الراجعة الى الامزجة والطباع عندما تفسد . فذو المزاج الرطب تكثر رؤيته في المنام للالوان الحمراء والافراح والاعراس والاطعمة الحلوة . وذو المرة الصفراء يحلم غالبا بالنار والصواعق والحروب والاشياء الصفراء . والذى يغلب عليه المزاج البارد يحلم كثيرا بالثلج والطقس البارد وبما يتمنى . وصاحب المزاج السوداوى يرى في الغالب الظلمة والمخاوف وكل ما هو مرعب وصاحب المزاج الحار يرى السموم والشمس والحمامات . وصاحب المزاج الجاف يحلم بالطيران وبتمزيق الثياب وبنتف الشعر . وذو المزاج المعتدل يحلم غالبا بالترف والاطعمة اللذيذة والالبسة الفاخرة .

وما نود الحديث ههنا عن تصنيف

العرب للامزجة ـ ذلك التصنيف الذى استندوا فيه الى تصنيف « أبقراط » خاصة ـ وحسبنا ان نبين كيف جعلوا الامزجة والطباع من بين العناصر التى ينبغي ان تؤخذ بعين الاعتبار عند تفسير الاحلام . وفي هذا يلتقون مع الدراسات النفسية الحديثة التى تظهر اهمية الطباع ونماذج الطبع في رؤى الحلم .

ويضيف ابن سيرين وصحبه الى هذا الجانب جانبا ملحقا به وهو أثر المرض في رؤية الاحلام ، كما يفعل المحدثون من علماء النفس ايضا ، لا سيما حين يبينون الصلة بين الاحلام وبين بعض الامراض النفسية فضلا عن الامراض الجسدية .

ويمكن ان نربط بهذا كله ما يراه ابن سيرين والمفسرون العرب من أثر الوقت وفصول السنة على الحلم . فهم يفسرون الاحلام ـ كما سبق أن رأينا ـ تفسيرا مختلفا باختلاف الوقت الذى يرى فيها . ويرجع ذلك فيما يرجع الى اختلاف الازمنة والفصول ، والى اختلاف الاحلام بالتالي باختلاف الهواء والتربة والماء ، كما يبين احد مفسرى العرب خاصة (صاحب كتاب الذخيرة وكشف التوقيع لأهل البصيرة) .

٤ ـ الرغبة اللاشعورية المكبوتة والحلم :

ولا شك ان اهم فكرة اتى بها المحدثون من علماء النفس ـ ولا سيما فرويد ـ هي صدور الحلم عن رغبة لاشعورية مكبوتة وتعبيره المقنع بالتالي عن هذه الرغبة . ومثل هذه النظرية المعللة الكاملة التى نجدها عند فرويد خاصة لا نجد ما يشبهها دون شك عند مثل ابن سيرين . غير ان المفسرين العرب لم يهملوها تماما ، واشاروا اليها لماما وعرضوا لها عابرين :

ففى تصنيفهم للاحلام الباطلة يتحدثون عن الاحلام التى ترجع الى « التمنى » والى هموم الحالم ومشاغله ورغباته ، والتى هى « حديث النفس » كما يقولون . بل هم يضعون بين الوصايا التى ينبغي أن يراعيها الحالم قبل ذهابه الى الفراش ـ كي يحصل على احلام صادقة ـ الا ينام وفي ذهنه أفكار تشغله او رغبة في شيء من الاشياء . ومما نجده في كتاب ابن سيرين المنسوب اليه أن على المفسر ان يسأل الحالم عن اهم شيء شغله الليلة ، وعما يرغب ويخاف .

ويشير فرويد نفسه الى عناية القدامى برد الحلم الى الرغبة ، حين يبين في كتابه الشهير عن تأويل الاحلام انه لا يزعم لنفسه انه اول من راى في الرغبة أصل الحلم . ذلك ان اصولا قديمة لهذه النظرة ، كما يقول ، نقع عليها لدى امثال ، هيروفيل Herophile طبيب بطليموس الاول . وهذه الاصول ـ كما يبين ـ هي ما نجده من تصنيف للاحلام لدى هذا الطبيب القديم . فهو يقسم الاحلام اقساما ثلاثة : « الاحلام التى تأتى من الآلهة ، والاحلام التى تولد عندما تكوّن النفس فكرة عما سيحدث لها من خير وعما سيجرى ، والاحلام المختلطة التى تولد من نفسها عن طريق تراصف الصور ، وذلك حينما نرى ما نرغب فيه » . وهذا التصنيف الذى يشير اليه فرويد عند هيروفيل نجده بعينه مع مزيد من التفصيل عند المفسرين العرب .

ولا يتسع المجال للاتيان بامثلة عديدة من الكتاب المنسوب الى ابن سيرين ، تشهد جميعها على ما أعطاه المفسرون العرب من دور للرغبة في تفسيرهم لبعض الاحلام .

بل انهم ذهبوا ابعد من هذا ، فربطوا في معظم الاحيان بين الرغبة وبين الدوافع الجنسية ، ولهذا نجد للقسم الاكبر من تفسيراتهم الجنسية منزلة كبرى ، كما نجد العديد من الرموز تفسر تفسيرا جنسيا (صعود أعلى الشجرة ، سقى البستان ، حرث الارض ، السقوط من

مئذنة ، الخ ..) وهذا ما يلجأ اليه فرويد خاصة ، حيث يكشف في معظم الأحيان عن الرغبات الجنسية اللاشعورية الثاوية وراء بعض الاحلام وعن المعاني الجنسية لكثير من الرموز .

٥ ـ الرغبات الملتبسة والاحلام :

بل اننا نجد بعض أوجه الشبه بين بعض الافكار المحدثة جدا حول الحلم ـ لدى فرويد وغيره ـ وبين تفسيرات ابن سيرين وصحبه . ونقصد بتلك الافكار ، تفسير بعض الاحلام بالرغبات الملتبسة والمشاعر المختلطة المزدوجة . فكثيرا ما يكون السبب في رؤية بعض الاحلام الشعور الملتبس المزدوج ذو الوجهين الذي يحمله الحالم لموضوع الرؤيا ، لصديق او اخ او ميت . فهو يحبه ويكرهه في آن واحد ، او هو يضمر كرها لا يستطيع أن يبوح به لانه يتنافى مع التقاليد الاجتماعية .

ومثل هذا التفسير عن طريق المشاعر الملتبسة المزدوجة نجد نظائر له عند ابن سيرين وصحبه. هكذا نجدهم يحدثوننا عن السارق في الحلم ، فيرون أنه يعني الضيف. ومرد ذلك الى شعورنا المزدوج تجاه الضيف ، فنحن نكرمه ، غير اننا في بعض الاحيان نضيق به ذرعا دون أن نبوح بذلك حتى لأنفسنا . وهكذا يغتنم هذا الشعور الملتبس تجاه الضيف الفرصة ليظهر في الحلم، فيتبدى الضيف في صورة مقنعة ، هي صورة السارق ، الذي سرق صاحب البيت زاده وماله .

٦ ـ الرموز المشتركة في الاحلام :

وهنالك جوانب لقاء عديدة بين ابن سيرين وصحبه وبين فرويد والمحدثين نجدها مبعثرة هنا وهناك ، ولا سبيل الى الوقوف عندها في هذا المجال ، وحسبنا أن نذكر اننا نجد اوجه شبه ولقاء بين الرموز التي يشير اليها « فرويد » حين يبين معاني بعض الصور في الحلم ويبين وجود نوع من اللغة الرمزية الشاملة للحلم ، وبين الرموز التي يلجأ اليها ابن سيرين . فهنالك رموز جمعية مشتركة بين أبناء ثقافة معينة وهنالك رموز مشتركة بين بني الانسانية جميعا ، يقف عندها فرويد كما يشير ابن سيرين الى العديد منها . وهنالك أحلام يدعوها فرويد بالاحلام النموذجية نجدها لدى جميع الناس ، اشار اليها ابن سيرين ايضا . هكذا يجمع فرويد بعض الرموز الشاملة الشائعة لدى جميع الناس ، فيبين مثلا ان الملك والملكة يعنيان الاب والام ، وان جميع الاشياء التي صنعت لتحتوي شيئا أو تخبىء شيئا ترمز الى المرأة الخ .. واذا قارنا هذه الرموز الشاملة التي يتحدث عنها فرويد بالرموز التي نجدها عند ابن سيرين وصحبه نجد شبها عجيبا . الامر الذي يدل على شيئين : أولهما اكتشاف ابن سيرين لوجود رموز انسانية مشتركة ، والثاني وجود هذه الرموز العالمية فعلا بسبب هذا اللقاء العجيب بين فرويد وابن سيرين حول تفسيرها .

وبعد ، هذه نظرة سريعة جدا الى اهم جوانب اللقاء بين المفسرين العرب وبين علماء النفس المحدثين وعلى رأسهم فرويد. وقد اغفلنا الكثير من التفصيلات والكثير من الشواهد والامثلة لضيق الوقت . على أن ما اتينا يصلح ـ في رأينا ـ منطلقا لدراسة اعمق وادق لتأويل الاحلام عند العرب على ضوء علم النفس الحديث ولدراسة أوسع وأشمل لتراث العرب النفسي . وكل ما نرجوه أن تستطيع هذه الدراسة وسواها كشف التراث العربي كشفا علميا حديثا ، وترجمته الى لغة العلم الحديث ، وتحقيق بعض الخطوات في طريق الربط العميق بين ثقافة العرب الاصيلة وبين حصاد التجربة العالمية .

■■

عبد الله عبد الدائم



الــزَّواجُ النَّــاجِحُ

شَرِكةٌ بينَ اثنينِ صادِقة

والزَّواجُ الفاشِلُ، زَواجُ أحلامٍ تَزيدُه الحَمواتُ فَشلاً

■ ماذا بعد الزواج ؟

كثيرا ما يظن الآباء ان متاعب اولادهم، ذكورا ام اناثا قد انتهت بالزواج ؟

ولكن ما ابعد الواقع عن هذا الظن . فقد اثبتت تجارب الحياة خطا هــذه النظرية الشائعة فى اذهان الكثيرين من الآباء والأمهات. وقام الاخصائيون وعلماء النفس بدراسات عديدة خرجوا منها بنتائج هامة فى مقدمتها ، أن الابن او البنت عندما يتزوجان ، ويفشلان فى هذا الزواج ، فان مسئولية هذا الفشل لا تعود على الابن وحده او البنت وحدها ، وانما يرجع الكثير منها الى الآباء والأمهات . .

صورة من الزيجات

فالشاب الذى يقدم على الزواج ، وكذلك الفتاة ، يرى كل منهما في انتقال خاتم الخطبة من خنصر اليد اليمنى .. الى خنصر اليد اليسرى .. انتقالا من حياة الى حياة !

وما حفل الزفاف ، وشهر العسل ، والبيت الجديد الذى اختاره العروسان لعش الزوجية ، ما هذا كله الا اطار جميل للصورة التى سوف يضعها الزوجان فى هذا الاطار !

وكثيرا ما تكون الصورة جميلة جذابة حقا وصدقا ، لا يمل المرء النظر اليها .. ولكن كثيرا ما تقبح هذه الصورة ثم تمتد اليها أيدى الاقارب فتسقط على الارض وتتحطم .

الزواج شركة

ولنبدأ الآن بالصورة الاولى..الصورة الجميلة للزواج الناجح .

ان الزواج فى رأى علماء النفس ، شركة مساهمة بين اثنين ، رجل وامراة ، التقيا وتحابا واتفقا على الا يمتلك ثالث مهما كانت صلة قرابته بهما ، اى سهم من أسهم تلك الشركة الجديدة !

وتبدأ أعمال هذه الشركة الصغيرة ، كأى شركة أخرى ناشئة .. تبدأ بعرق وكفاح وتضحيات لا تنتهى من أجل انعاشها وتنميتها .. فيعمل الزوج الصغير سنا ومركزا .. ويواصل ليله بنهاره ليضاعف من دخله وليستطيع ان يوفر لزوجته وشريكته ، حياة افضل .

وتعمل الزوجة فى البيت ، فتشرف على ادارته ونظافته ، وتقوم باعداد كل ما يحتاج اليه زوجها ويحبه.وقد لا يقتصر واجبها علىاعداد اطباقالطعام الشهية فحسب ، وانما يشمل ايضا اعمالا اخرى كثيرة ، فهى سكرتيرته التى تذكره بمواعيد عمله الهامة ، وهى صديقته التى يروى لها متاعبه فى العمل ويسترشد برايها فى كثير من المشاكل التى تصادفه .

ثم هى بعد هذا كله ام اطفاله عندما يحين الوقت الذى يتفق فيه الزوجان على انجاب الاطفال .

عندما تطلب الزوجة عملا

وقد تضطر الزوجة فى بعض الاحيان ، ولظروف خاصة ، الى البحث عن وظيفة لمساعدة زوجها على مواجهة اعباء حياتهما ، او شركتهما الجديدة . وفى هذه الحالة يكون العبء الواقع عليها اكبر بكثير من عبء زوجها .. فهى الى جانب عملها فى المكتب او المصنع ، مسئولة ايضا عن ادارة البيت واعداد الطعام وتربية الاطفال .

وهنا يتحتم على الزوج ان يخصص جزءا من وقته لمساعدة زوجته فى اعمال البيت ، فهى كما قلنا شركة يساهم كل من الزوجين بنصيب متساو فيها .

وكما يحدث فى كل شركة من تضحيات ، مثل التحلل من اية التزامات اخرى قبل تكوين الشركة الجديدة .. يحدث ايضا فى « شركة الزواج » .. فالزوج يشعر بانه قد تخلى عن كثير من حريته فى سبيل نجاح مشروعه الجديد ، فهو لم يعد يخرج مع اصدقائه ، ولم يعد يرتبط بمواعيد قبل ان يستشير شريكة حياته ، ولم يعد يقبل دعوة لحضور حفل ساهر مثلا دون أن يرجع الى زوجته ليتشاور معها .

وما يحدث للزوج ، يحدث للزوجة ايضا .. وقبول هذه التغييرات فى حياة الزوجين او الشريكين ، يأتى تدريجا وبنفس السرعة التى تنمو بها علاقة الزوجين وتتطور .

هذه صورة جميلة لزواج سعيد .

وننتقل الآن الى الصورة الثانية ..

الصورة القبيحة التى غالبا ما تكون من صنع الزوجين انفسهما .

زواج لا شركة فيه

ان الزواج كما قدمنه:كفاح ومسئولية وتضحيات .. ولكن عددا كبيرا من شباب هذه الايام ينظر الى الزواج على انه مجرد رحلة ممتعة الى دنيا جديدة !

فتبدأ الفتاة مثلا حياتها الزوجية وفى رأسها الصغير ، أحلام سعيدة كثيرة من ذلك النوع الذى

قرائه فى القصص والروايات . فالزواج بالنسبة لها نزهة مع شاب وسيم تتأبط ذراعه فى الحفلات والمناسبات ، وتذهب معه الى الأماكن التى طالما تاقت لرؤيتها ووقفت التقاليد حائلا دون ذهابها اليها وحدها قبل الزواج .

تتزوج هذه الفتاة ، فلا تلبث ان تشعر بخيبة أمل كبرى .. فهى ليست « الأميرة » التى خطفها فارس احلامها ليضعها فى قصر مليء بالخـدم والحشم . انها تضطر الآن الى ان تصحو مبكرة لتعد طعام الافطار لزوجها .. ثم يذهب الزوج الى عمله ، وتمضى هذه الساعات الطويلة وهى جالسة فى انتظار عودته ، لانها لا تفكر فى شيء تشغل به وقتها ، ولان تفكيرها انما هو قائم فى هذا الامل الكبير الذى يسيطر عليها ويستبد بعقلها ويستغرق كل وقتها .

انها لا تخرج كل يوم كما كانت تتوقع لتذهب الى السينما او المسرح والى الحفلات الساهرة التى كانت تريد أن تقدم فيها زوجها لصديقاتها . وكم من مرة حاولت فيها ان تقنع زوجها بالخروج معها خلال الاسبوع ، فيعتذر لانه متعب او لان امامه عملا هاما لا بد ان ينجزه .

ملل وضيـاع

وتبدأ الزوجة تشعر بالملل ، كما يبدأ الشاب فى الوقت نفسه يشعر بالضياع وسط هذه الحياة الجديدة مع الفتاة التى اختارها شريكة لحياته . لقد كان يتصور انه يعرف هذه المراة ، فاذا به يكتشف انه امام امراة غريبة تختلف عن تلك التى عرفها خلال فترة الخطوبة ! فقد اختفت الإبتسامة عن وجهها .. انها لم تعد الفتاة المرحة التى كانت تقول له قبل الزواج : « اننى على استعداد لان اتبعك الى آخر الدنيا » . انها تسرح كثيرا حتى انها لا تسمعه وهو يناديها لكى تعد له قدحا من القهوة فى الصباح! انه لا يكاد يغادر البيت ليذهب الى عمله ، حتى تعود هى الى فراشها وتستغرق فى تفكير طويل ..

وهى لم تعد تحب هذا البيت ، فهى تكـره البقاء فيه ، وكم من مرة اضطر الى مرافقتها الى بيت والديها ليروح عنها قبل ان يذهب الى عمله بعد الظهر !

وتبدأ الحياة تتعقد بين الزوجين .. الرجـل يريد ان يتفرغ لعمله وبناء مستقبله .. والزوجة تندب حظها العاثر وتثير المشاكل .. وتتحـول حياتهما الى صراع دائم لا ينتهى !

وهنا تتدخل الايدى ، بدعوى انقاذ الموقـف ، فلا تزيده الا سوءا .

تدخـل الحموات

.. وعندما يصل الزواج الى هذا الحد من الفشل الذى ذكرناه ، او حتى قبل ان يصل اليه ، يبدأ تدخل الحموات ، أكثرهن ، لا كلهن ، فيفسدن الزواج ان كان ناجحا ، أو يزدنه فشلا ان كان فاشلا .

وهذا التدخل يحدث عادة على صور كثيرة ،كأن يخرج الزوج الى عمله فى الصباح ، فتصل الحماة لتؤدى الدور الذى اخذت على عاتقها القيام به لانقاذ سفينة هذا الزواج ومنعها من الاصطدام بالصخور ! او ان يذهب الزوج بعد انتهاء عمله الى بيت والديه لانه تشاجر مع زوجته فى الصباح، ولا يريد أن يعود الى بيته قبل أن تهدأ اعصابها !

هنا يبدأ الفصل الأخير فى حياة هذا الزواج القصير . وقد دلت الاحصائيات التى قام بها الباحثون وعلماء النفس ، على أن نصف عـدد حوادث الطلاق فى العالم على الأقل ، كان المسئول عنها الحموات !

والرأى الا يتدخل الآباء والأمهات فى شئون بناتهم او ابنائهم عندما يتزوجون ، الا بالقـدر القليل ، وبذلك القدر الذى لا يسوىء سمعة الزوج عند زوجته أو سمعة الزوجة عند زوجها .

وخير للشابين المتنازعين أن لا يحتكمـا ، ما استطاعا ، الى الآباء والأمهات ، فيفتحا على نفسيهما بابا قد يكون للشر ، من الصالح ابقاؤه مغلقا .

والخير كل الخير أن يحل الزوجان الشابان المتنازعان خلافاتهما فيما بينهما، بين جدران اربع، فالتفاهم الذى يتم بين جدران أربع هو تفاهـم يحوطه الاخلاص ، وتنأى عنه عوامل السوء من كل جانب . ■■

عبد المسيح الأنطاكى

١٨٧٥ - ١٩٢٢

أدباء منسيون

بقلم : سامى الكيالى

■ أديب شاعر ليس له شهرة كبار الادباء ولا فحول الشعراء وان حذا حذوهم وسار على نهجهم .

تتلمذ على الرائد العربي الحر عبد الرحمن الكواكبي فاخذ عنه الكثير من مبادئه ونزعته العربية .

نشأ في حلب ، ثم هجرها الى مصر ، وقام برحلات الى الجزيرة العربية يتصل بامرائها وشيوخها فيمدحهم ويلقى منهم الرعاية والمال .

وكلما ازدادوا عطاء ازداد مدحا وثناء .

وفي سيرته الكثير من المفارقات لعل اظهرها تعلق هذا الاديب المسيحي بآل البيت تعلقا حفزه أن ينظم ملحمة في الامام علي رضوان الله عليه ، قاربت أبياتها الستة الاف بيت مما لم يبلغه كبار الشعراء من غلاة التشيع .

وقد عبر تعبيرا صادقا عن حبه لآل البيت ، وايمانه العميق برسالة العرب التى تستمد عناصرها الاصيلة من مبادىء الاسلام .

اغريقي النسب

اديبنا الحلبي هذا يمت الى الاغريق بنسب عريق ، فقد نزح اجداده من اليونان الى انطاكية فسكنوها مددا طويلة . ثم انتقلت عائلته الى حلب سنة ١١٦٣ هـ ، وما يزال احفادها يعيشون الى اليوم بين دمشق وحلب وبينهم الاساتذة والمحامون والتجار .





مارس الحياة ممارسة عربية اسلامية صرفة .

نظم في حياته منظومة آلافا من الابيات كاملة شاملة .

زار الكويت في عهد مبارك وجابر الصباح وأقام بها ووصف أهلها وحالها .

ولد عبد المسيح سنة ١٨٧٥ م فلم يكد يترعرع ويأخذ حظه من القراءة والكتابة حتى تعلق بالادب العربي واخذ يحفظ دواوين الشعر ، وقد وصف لنا نشأته بتجرد مطلق فقال :

نشأت في حلب الشهباء في وسط كله تعصب وجهل ، ومن حسن حظي ان بيتنا في حلب كان في شارع اكثر اهله عرب مسلمون يدعى « قسطل المشط » ، فكنت أجد من حسن معاملة العرب المسلمين لأهلي ورعايتهم لجوارنا غير ما كنت اسمع من النفرة منهم من افواه عشرائي المسيحيين ، فشببت وأنا على غير رأيهم في هذه الامة الكريمة .

ثم عندما اتسعت مداركي ، صرت اعرف واعتقد ان هؤلاء المسلمين العرب الذين يجاوروننا ونجاورهم هم شركاؤنا في الوطن ، ومشتركون معنا في منافعه ومضاره ، وفوق هذا ان بيننا وبينهم صلة قربى بلحم ودم . لأن المسلمين عندما دخلوا سورية كان أهلها مسيحيين ويهودا ومجوسا فاسلم منهم من اسلم وبقي على دينه من بقي . وربما انقسمت العائلة الواحدة الى مسلمين وغير مسلمين ..

وهكذا اصبحت متعصبا للعرب اعد نفسي واحدا منهم ، يسرني ما يسرهم ، ويسيئني مايسيئهم ، وبصفتي واحدا منهم بات همي ان اعتني بمصلحتهم ، وتوفقت الى اصدقاء منهم أهل علم وساسة متعصبين للعرب ، يرمون الى استعادة مجدهم فتربيت على أيديهم وعلى رأسهم استاذي المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي الشهير .

ولخدمة العرب انشأت مجلتي « الشذور » في حلب سنة ١٨٩٧ - ١٨٩٨ م ، فحاربتني الحكومة ، فهجرت وطني واتيت مصر وانشأت جريدتي « الشهباء » ، ثم حولتها الى اسم « العمران » .

وتبعني الى دار هجرتي استاذي الفيلسوف الكواكبي سنة ١٨٩٩ م ، فلذت به ، وقضيت في صحبته كل المدة التي اقامها في مصر الى ان استأثرت رحمة الله تعالى بنفسه الطاهرة في سنة ١٩٠٢ فاخذت على عاتقي الضعيف استئناف الجهاد في سبيل العرب الذي كان يجاهده وانا في خدمته (١) .

اتجاه عربي اسلامي

وفي مصر تفتحت مواهبه ورأى عالما ينعم بالحرية خلافا لما كان عليه وطنه الذي كان يئن من الجور الحميدي .

ولا شك ان لاتصاله الوثيق باستاذه الكواكبي وبالشيخ كامل الغزي المؤرخ وصاحب كتاب « نهر الذهب في تاريخ حلب » ، ومَن عرفهم من زعماء التفكير الحر في القاهرة - اثره في هذه الوجهة التي اتجه اليها - اتجاه عربي اسلامي يعيد للامة العربية مكانتها وسؤددها بين الامم ويختلف عن النهج العثماني الذي كانت تسير عليه بعض صحف مصر الكبرى التي كانت تجد في « الخلافة

(١) القصيدة العلوية ص ٣٧

العثمانية » سندا لمصر ضد الاحتلال الانكليزي .

ورأى في الجزيرة العربية التي لم تخضع لحكم اجنبي - رآها بيئة صالحة لتلعب نفس الدور الذي لعبه الاجداد الميامين في صدر الاسلام ، وكانت بعض المناطق لم ترتبط بمعاهدات فعلق على شيوخها وامرائها وسلاطينها كبريات الآمال ..

ومن اقواله بهذا الصدد :

« كان للمسلمين ملك واسع امتد ظلاله على الثقلين ، وكانوا سادات الدنيا بغير جدال بهمم الاسلاف الابطال وذكاء من نبغ منهم من اعاظم الرجال » .

« وكان ذلك من معجزات الرسول والقرآن » .

وبعد ان اشار الى مراحل المجد والفتوحات ووضع المسلمين الذين فقدوا الملك الواسع واضاعوا المجد والعلم قال :

« وطمع الاوربيون باملاك المسلمين طمع القوى بالضعيف ، وتوجهوا باساليبهم السياسية واستعداداتهم القوية لمحاربة المسلمين حربا صليبية ، فملكوا اكثر بلاد المسلمين بالوسائل السلمية ، بين ملك صراح او استعمار ، حتى لا يكاد يقع نظرك على بلد اسلامي الا وللاجنبي فيه نصيب ، الا البلاد العربية ، سكن آل الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه وانصاره وقومه ، فهم وحدهم لم يخضعوا للذل الاجنبي ، ولم يجازفوا باستقلالهم ، ولا يجازف بالاستقلال الا صغار النفوس الانذال » .

رحلة الى جزيرة العرب

حبه للعرب دفعه ان يقوم برحلة الى جزيرة العرب ، فترك مصر وفيها اهله ومكتبه واشغاله ، وسار متجولا في الاقطار العربية فزار عدن ولحج وحضرموت ومسقط ولينجه والبحرين والمحمرة والكويت ووقف على ابواب نجد والبصرة وبغداد، وقد دون الشيء الكثير عن هذه الرحلة التى تركت في نفسه الكثير من الانطباعات وهزته الشمائل العربية فوصفها وصفا دقيقا بقصيدة طويلة منها قوله :

وامة خير ما تسمى به عرب
ان رام تمجيدها يوما مسميها
وانفس حرة ما استعبدت وأبت
ان تستذل لغير الله باريها
وهمة تنشد العليا وتطلبها
ما الدهر يقعدها منها ويثنيها

ويقول في الجزيرة العربية :

مهامه امحلت محلا وما خصبت
الا بمن قد اقاموا في مواميها
ما انبتت شجرا ، ما اثمرت ثمرا
لكن عقولا تناهت في تناميها
هي الجزيرة لا ارض تحاكيها
اذ كان مجد الاراضي في اهاليها
سادت وصالت وأبقت من مفاخرها
اوابدا ليس كر الدهر ماحيها
كانت لعمرك تأبى ان تعيش على
هون . وأن تتصاق مع مهينيها
يثور ثائرها ان نال واحدها
سوء وكان الذى يؤذيه يؤذيها
فان يصح « واتصيراه » رأى اسدا
سلت لقهر اعاديه مواضيها
تضامن بين افراد القبيلة لا
يبقى على الضيم فردا من مواليها

رحلته الى الجزيرة العربية تركت في نفسه ، كما قلت ، الكثير من الانطباعات وهزت مشاعره نظما ونثرا ، فدون الكثير عنها .

وقد استقر به المقام في المحمرة والكويت ، وكان للشيخ خزعل حاكم المحمرة ورئيس قبائلها الذى اضافه وفتح له مغاليق قلبه وجيبه ، اثره في نفسه فنظم المطولات في سجاياه وكرمه ، كما كان لحاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح نفس الاثر في نفسه فخصه بالقصائد والمقطوعات ونال من رفده وعطاياه .

وهذه بعض خواطر عن الكويت قبل نيف وخمسين سنة .

الكويت بين الامس واليوم

لا شك ان الكويت اليوم غيرها بالامس ، انها ذات مظهر عمراني مذهل اذا قيس حاضرها بماضيها .

فكيف كانت بالامس ؟

يقول الانطاكي وقد انتقل من المحمرة الى الكويت في اليخت المباركي :

... كانت بنايات الكويت تدنو منا فتتجسم كلما كان يدنو اليخت المباركي العالي من المدينة ، واول ما ظهر لنا منها مآذن الجوامع والمساجد واعلاها مئذنه الجامع الحميدي .. ثم جعلت تظهر

امامنا بنايات المدينة وهي منتشرة حول البحر على مسافات بعيدة ، وكنا ننظر اليها بالمنظار فلاح لنا القصر المباركي العالي وهو من افخر القصور .

ويقول في ميناء الكويت :

وميناء الكويت يتأثر كثيرا بحركة المد والجزر الدائمة في مياه الخليج والعراق ، لذلك كان يجتهد قائد اليخت ان يدخل الميناء بموعد المد حتى يتسنى له الوصول الى الحوض المخصوص المعد لمرساه امام السراي المباركية العالية ، وكان عندما اقبل بنا على المدينة قد خفف سير اليخت وجعل يمشي به بتعرجات هو يعرفها ، وما زال كذلك الى ان بلغ مرساه بامان فربطه بالبر على ما هو الحال في ثغرى بومباى واسكندرونة .

وفي المدينة يقول :

تجولنا في المدينة مدة ثلاث ساعات اعتقد انى في جلتها جميعا او اكثرها . وكان ذلك على متن الجواد ومعي دليلي يهديني الى كل ما اساله عنه .

ان المدينة مبنية على الطراز العربي ، وشوارعها ضيقة ، وهي على شكل مستطيل وفيها من السكان ما يربو على الخمسين الفا . وقد يبلغ الثمانين في ايام المواسم حيث ينزل عربان نجد اليها للبيع والشراء .

وهي من اهم ثغور الخليج تجارة لانها ميناء النجديين يستوردون منها ما يحتاجون اليه من الهند ، ويرسلون بواسطتها محصولاتهم واهمها الخيول النجدية الشهيرة الى البصرة وبغداد وثغور خليج فارس والهند .

تجارة الكويت

ويتحدث عن التجارة فيقول :

.. ان تجارة الكويت هي للوارد والصادر شان الثغور المهمة ، واكثر اهلها من التجار .. الا ان فيهم ايضا من يخرجون لمغاص اللؤلؤ ، وهم قليلون ، وفيهم المزارعون ، وفيهم اصحاب السفن الهوائية يتاجرون بنقل البضائع عليها .

اما الحركة التجارية في الاسواق فقد رايتها نامية زاهية حيث كانت الاسواق غاصة بالناس ، وقال لي دليلي ان الوقت الذى كنا فيه ليس من اوقات مواسم الناس في قراهم ومزارعهم وباديتهم ، وحدثني عن حالة الاسواق في ايام المواسم الشيء الكثير .

ويصف التربة فيقول :

اما تربة الكويت فخصبة جدا على ما هو مشهور ، وقد شاهدنا الارض قد تفتقت وانبتت من وراء المطر الرذاذ الذى هطل عليها في امسنا ، وكان دليلي قد نبهني الى ذلك فاندهشت .

الا ان المياه الجارية قليلة هناك ، لذلك تتوقف الزراعة على الامطار . ويخطر لسمو مولانا المبارك على ما علمت ان يجر لبلاده ترعة من شط العراق الذاهبة مياهه سدى الا ان هذا الخاطر كغيره من الخواطر التى تجول في الصدر ولكن تحقيقها منوط بالايام على حد قول الشاعر :

كل ماترتجيه سهل ولكن
عثرات الآمال ليست بسهله

الامــــان

وعن الامن يقول :

اما الامان في الكويت فيضرب به الامثال في عموم الخليج والعراق ، فالسرقة تكاد تكون غير معروفة ، وقد شاهدت في تجوالي في المدينة ميدانا كبيرا بوسطها وهو سوق عام لتجارتها ، وشاهدت هناك الصيارف وكل واحد امامه مكتب صغير فيه انواع النقود التي تتنوع بين نقود عثمانية على انواعها ونقود فارسية ونقود هندية ، وعلمت ان هؤلاء الصيارف عندما يمسي المساء يقفلون مكاتبهم على ما فيها من الاموال وينصرفون الى منازلهم آمنين مطمئنين ، على اموالهم في حفظ الله وسمو الشيخ المعظم .

وقد شاهدت في تجوالي مكاتب التعليم وهي كثيرة في الكويت على انها كتاتيب لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الشريف وآداب اللغة العربية مع مبادىء الانكليزية .

اما آداب الكويتيين وملابسهم فهي عربية محضا ، كيف لا وهم نجديون من صميم العرب .

دار الضيافة

هي على بعد خطوات من السراى المباركية العامرة ، وهذه الدار وسيعة جدا وفيها غرف عديدة واسعة حسنة الرياش ، وقد شبهتها بخانات حلب والشام على انها اوسع . ورايت فيها اناسا كثيرين مع جمالهم وخيولهم ، وعلمت ان هؤلاء الضيوف لا تخلو منهم الكويت يوميا . وبحال وصولهم يسيرون راسا الى دار الضيافة

فينزلون على الرحب والسعة حيث يقدم لهم الطعام ولخيولهم العليق من السراى العامرة .

●●●

العدل

وقد تحدث عن العدل والاحكام التى تصدر ، وهى احكام تجرى حسب الشريعة المحمدية السمحاء ، فقيل ان سمو الامير يشدد كثيرا فى القضايا الجنائية المخلة بالامن العام الى ان يحكم فيها على المجرم بصرامة مهما عزت مكانته وكثر شفعاؤه . اما فى المسائل التجارية والحقوقية فالاحكام تصدر بالاجتهاد ويريد بها تنشيط التجارة .

ولغيرة سموه على العدل فقد اتخذ له مجلسا فى وسط المدينة يجلس فيه للحكم ، وجعل لسمو نجله الشيخ جابر مجلسا آخر فى طرف المدينة حيث يكون كل منهما ساهرا على مصالح الرعية ، مستعدا لسماع شكاوى الشاكين ، وهذا ما لم اره فى غير امارة الكويت فى بلاد العرب ، والسر فى ظهور سموه وسمو نجله يوميا فى المدينة لاجراء الاحكام هو لكي لا يحجبهما حاجب عن مظلوم .

وثمة خواطر اخرى منتشرة جاءت في صلب كتابه « الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة » .

ورجع الانطاكي من رحلته ملىء الوطاب واكثر ما بهره عدا الكرم الحاتمي ، الخصائص العربية التي لم تفسدها المدنية ، والتي تراءت له صورة من تلك الخصائص الاصيلة التى افتتح اصحابها الدنيا بقوة ايمانهم ومضاء عزائمهم ، فالعرب اليوم كما يقول ، ليسوا دون العرب فى الامس بل مثلهم ، وهم هم امس واليوم وغدا ، وانما الظروف قد اختلفت والقلوب قد تشتتت ، والنوايا قد ساءت ، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .

القصيدة العلوية

هذا وقد ترك الانطاكى عدة آثار منها كتاب « نيل الأمانى فى الدستور العثمانى » و « النهضة الشرقية » وديوان « عرف الخزام » و « رحلة السلطان حسين في رياض البحرين » و « الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة » عدا مجلدات من مجلتيه « الشذور » و « العمران » .

على أن أهم آثاره فى نظرنا « القصيدة العَلَوية المباركة » وهى فى ٥٥٩٥ بيتا تناولت سيرة الامام على وما جرى له مع الخلفاء الراشدين وملامح من الفتنة الكبرى ، وقد اعتبرها أولى القصائد التى ظهرت فى الشعر العربى فكانت ، كما قال ، نسيجا وحده ما عرفت قصيدة عربية مثلها تناولت تاريخا او قصة فجاءت عليها من أولها الى آخرها بقافية واحدة ووزن واحد ، كما انها اطول قصيدة فى لغة العرب على الاطلاق .

وقد قسمها الى فصول جعل لكل فصل عنوانا يعين المطلع على ادراك مراميها واستقراء معانيها. وهى تقسم الى قسمين اولهما تاريخ أمير المؤمنين منذ ولادته الى أن امتدت اليه يد الشقى ابن ملجم، والثانى خصه بمناقبه وفضائله وحكم أمير المؤمنين.

وقد دعاها مَلْحمة ، وهى أقرب الأسماء اليها. وذيّلها بحواش كانت تاريخا صميما لصدر الاسلام. وبلغت مع شروحها ستمائة صفحة من كتاب متوسط الحجم .

وهى وان لم تبلغ مبلغ الشعر الجيد الا أنها تنم عن قريحة وقادة ولا سيما والموضوع اسلامى تاريخى معضل اقحم الناظم نفسه فيه حتى جاءت فريدة فى بابها تصور البطولات فى أروع مظاهرها ..

وحين أطلق على قصيدته « ملحمة » أراد المعنى اللغوى وقال :

« أما لفظة « ملحمة » التى أطلقها على هذه القصيدة المباركة اتباعا للمغاربة ، فمعناها اللغوى « الوقعة العظيمة » ولعلها ماخوذة من قولهم التحم القوم للقتال ، أى اشتبك بعضهم ببعض ، أو ربما قصد المغاربة باسم « الملحمة » الذى اطلقوه على القصائد التى لا ذكر فيها للقتال أيضا « الاحكام » من قولهم لحم الأمر أى أحكمه . ويصح أن نقول ان لفظة « الملحمة » مشتقة من قولهم الحم فلان الشعر وحاكه ، اى نظمه ، وذلك لتشبيههم ببيت الشعر أو بالثوب المحوك ، ومن هذا اشتقت لفظة « الملحمات » التى اطلقوها على القصائد المعروفة المشهورة للفرزدق وجرير والاخطل وذى الرمة والكميت والطرماح وأرادوا بها الاشارة الى أن هذه القصائد كانت محكمة النظم متآلفة الأجزاء ، حسنة السبك » . ■■

سامى الكيالى

صفحة في اللغة

"في أثناء" كذا ...

لا "أثناء كذا ..."

■ كثيرا ما يطرق اذننا هذا التعبير اذا تحدث الينا متحدث ، او استمعنا الى قارىء . كما أن المشاهد ان نلتقى بعدد كبير منه كلما قرأنا في كتاب .. او تصفحنا جريدة .

وكلمة (أثناء) تدور على الالسن ، وتجرى بها الاقلام بحالة تدل على الشيوع توهما منا بأنها من الظروف التى تدل على الزمان ، وانها مبنية على فتح الآخر دائما . والظاهر ان الذى سوّغ هذا ما يلحظ من افادتها معنى الزمن .

ولكننا اذا رجعنا الى كتب النحو ومراجع اللغة ، لا نجد فيها هذا اللفظ معدودا ضمن ظروف الزمان .. ولا ظروف المكان . أما قواميس اللغة فانها تعرضت له عند تفسيره بما يخرجه عن الظرفية ، ويبعد به عن المفهوم الذى تعارف عليه الناس ودرجوا على استعماله ، ولم يخرج ما جاء فيها عن ان (أثناء) جمعٌ ، مفرده « ثِنْىٌ » أو « ثَنى » : وهو كل شيء ثنى بعضه على بعض اطواقا ، فكل طاق من ذلك ثِنْىٌ ، حتى ليقال أثناءُ الحية ، لطاويها .

ففي لسان العرب . جزء ١٧ « مادة ثنى » :

أثناءُ الوادى : معاطفه ومحانيه ــ وأثناءُ الوِشاح : ما انثنى منه ــ وأثناءُ الثوب : تضاعيفه وطياته ــ وأثناءُ الليل : ساعاته وأوقاته ــ وجاءوا في أثناءِ الامر : اى في خلاله .

وقد ورد مثل ذلك في القاموس ، والصحاح ، والاساس ، والمنجد، وبقية القواميس الاخرى ــ ولا زيادة .

وفي شرح المعلقات للزوزنى عند قول امرىء القيس :

اذا ما الثريا في السماء تعرّضت
تعرُّض أثناءِ الوشاح المفصل

الأثناء : النواحى والاوساط ــ وأثناءُ الوِشاح : نواحيه ومُنقطَعه .

وفى مقصورة « ابن دريد المشهورة »:

وضرْمُ النأى المُشتِّ جَذوةٌ
ما تأتلى تسفَعُ « أثناءَ » الحشا

وأثناءُ الحشا : ما دخل بعضه في بعض .

وفي أساس البلاغة للزمخشرى . صفحة ٦٨٧ « مادة غمر » :

يَجتبْنَ أثناءَ بهيمٍ غَمْـر
داجي الرُّواقيْن غُدافِ السِّتر

وعلى هذا يكون الاستعمال الصحيح لهذا اللفظ ، هو وروده مقرونا بحرف الجر (في) في اوله وليس عاريا منه .

وعلى أساس انه اسمٌ معرب لا ظرفا كما نتوهم .

■■

ابراهيم عبد المطلب
معهد الدراسات الاسلامية ــ القاهرة

نشرنا في العدد ١٠١ من « العربى » صفحة في اللغة بعنوان « أفعال الاستبدال » لكاتب هذه الصفحة ، وقد سقط اسمه سهوا ، ولذا لزم التنويه .





صاحب السمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح في حفل افتتاح مصانع الأسمدة وقد أقيم برعايته في ١٩٦٧/٢/١٩ . ويرى الى يسار سموه السيد فيصل منصور المزيدي وهو رئيس مجلس ادارة شركة الأسمدة الكيماوية الكويتية ومديرها العام .



مصنعان كبيران من مصانع شركة الأسمدة الكيماوية في الشعيبة، أحدهما ينتج النشادر والآخر يصنع سماد اليوريا .

صناعة الأسمدة

فاتحة عهد جديد تزدهر فيه الصناعات الكويتية

بقلم
يوسف زعبلاوي

وصوره
صلاح آدم



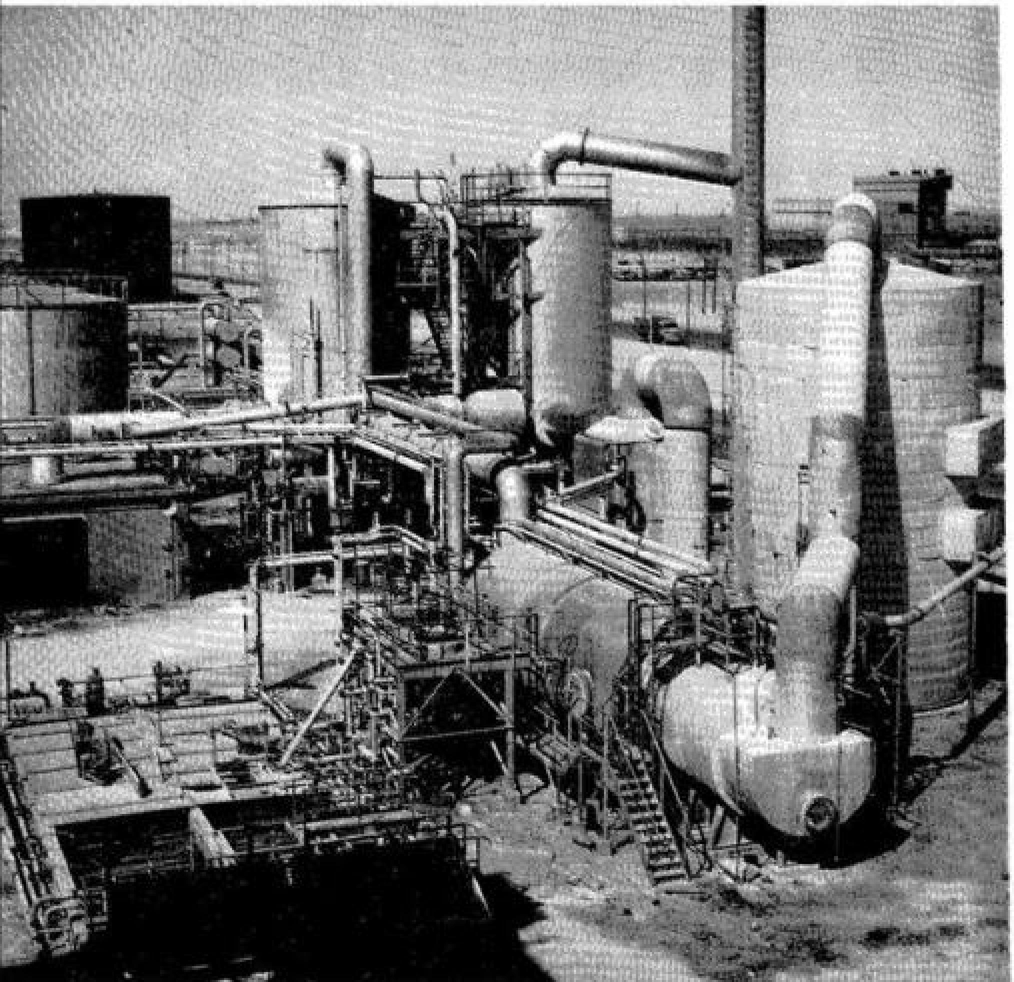
منظر عام لمصانع شركة الأسمدة الكيماوية الكويتية ، ومكاتبها ومستودعاتها في الشعيبة

الغاز الطبيعي ثروة كبرى في الكويت ، تضاف إلى ثروة الزيت

■ مضت بنا السيارة نحو الجنوب ، الى الشعيبة ، قاعدة الكويت الصناعية الجديدة . فقد كان « العربي » على موعد لزيارة مصانع الأسمدة الكيماوية الكويتية ، باكورة الصناعات في تلك المنطقة . وكان هدفه من تلك الزيارة الاطلاع والاستطلاع ، وموافاة قرائه بصورة امينة لصناعة هامة ، قامت توطد دعائم الاقتصاد الكويتي ، وتتيح المزيد من فرص التعاون على صعيد الاقتصاد العربي .

طغيان عائدات النفط

ولعل صناعة الأسمدة هذه تهدف أول ما تهدف الى تنويع مصادر الدخل في اقتصاديات الكويت. فقد اعتمدت هذه الاقتصاديات منذ البدء على



مصنع حامض الكبريتيك

يعالج هذا المصنع الكبريت الخام لانتاج حامض الكبريتيك . الانتاج اليومى لهذا المصنع هو ٤٠٠ طن .

ألف طن من الأسمدة تصدّر يوميا الى بلاد شقيقة ومجاورة

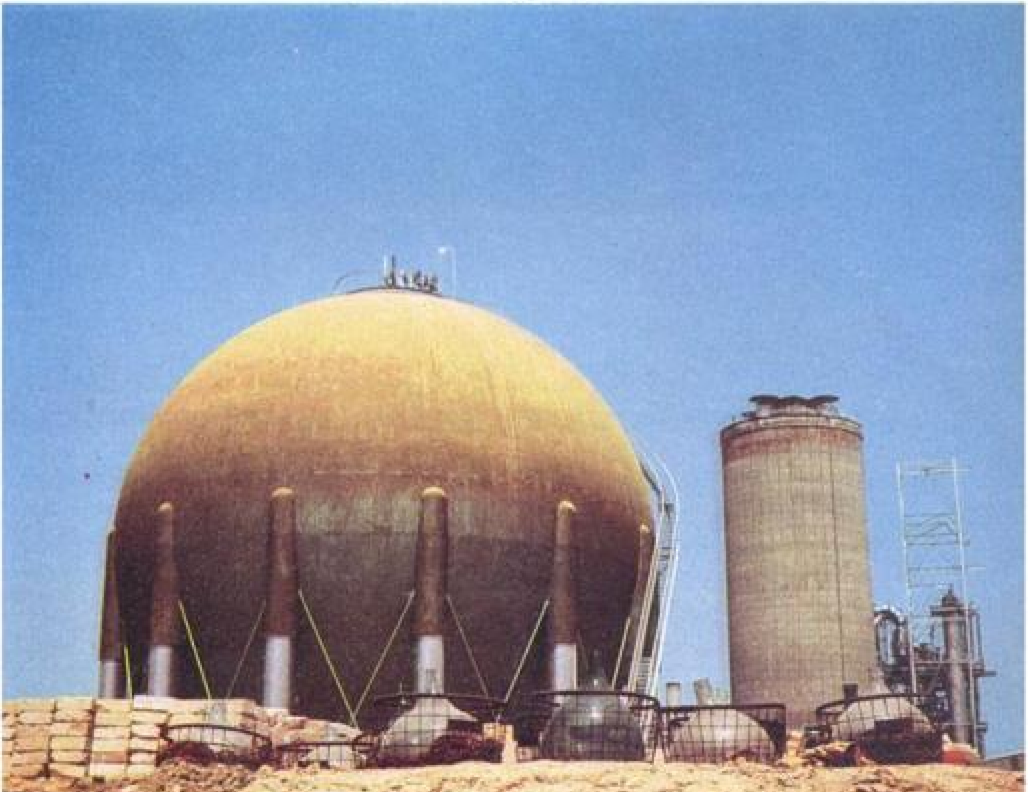
مصدر للدخل والثروة واحد : هو تصدير النفط الخام ومشتقاته . ذلك أن تفجر النفط وتدفق عائداته ، اعتبارا من منتصف هذا القرن العشرين، قد أدّى الى اهمال سبل للدخل وأبواب للرزق قديمة. فلم يعد صيد السمك ولا تصيّد اللؤلؤ، ولا صنع المراكب بقصد بيعها أو ركوب البحر بها للتجارة،مصدراً دخل يذكر فى الاقتصاد الكويتى. فضلا عن ذلك ، فقد تزايد انتاج النفط وتكاثرَ تصديره ، وتضاعفت عائداته بحيث آلت الامور الى طغيان تلك العائدات النفطية على سائر الايرادات العامة بنسبة كبيرة قدّروها بنحو ٩٢٪(١) ولعل فى أعمال البناء والنهضة التى استغلقت

(١) تشمل هذه النسبة ريع الاستثمارات الخارجية أيضا ، وهى مأخوذة عن تقرير البعثة الدولية الخاصة بتنمية الكويت الاقتصادية .



يعتبر مصنع سماد اليوريا من مصانع اليوريا الكبرى في العالــــم اذ لا يقل انتاجـــه عن ١٥٥٠٠٠ طن سنويا .

المستودع الكروي الخاص بتخزين النشادر وقد بني وفق أحدث الأساليب ويتســع لأربعة آلاف طن من تلك المادة .





هكذا تتم التعبئة فى مصانع الاسمدة الكيماوية فى الشعبية آليا وضمن أكياس مزدوجة من قماش الخيش ، والكيس الباطنى مصنوع من مادة لدينية وذلك ضمانا لعدم تسرب الرطوبة الى الاسمدة .

هنا فى هذا المستودع يحفظ ويخزن سماد سلفات النشادر . والجدير بالذكر ان هذا المستودع يتسع للكميات التى تنتجها المصانع طوال ثلاثة شهور أي ما يعادل ٧٠ الف طن من سلفات النشادر .



فيها عائدات النفط منذ البدء ما قد شغل الأذهان عن ذلك الطغيان . ولعل في الانصراف الكلى الى تعمير الصحراء ورفع المستويات في سائر المجالات ، الصحية والاجتماعية والتعليمية ، فضلا عن تعميم أسباب الرخاء ، لعل في هذا وذلك ما حال دون التفكير في تنويع مصادر الدخل طوال سنوات.

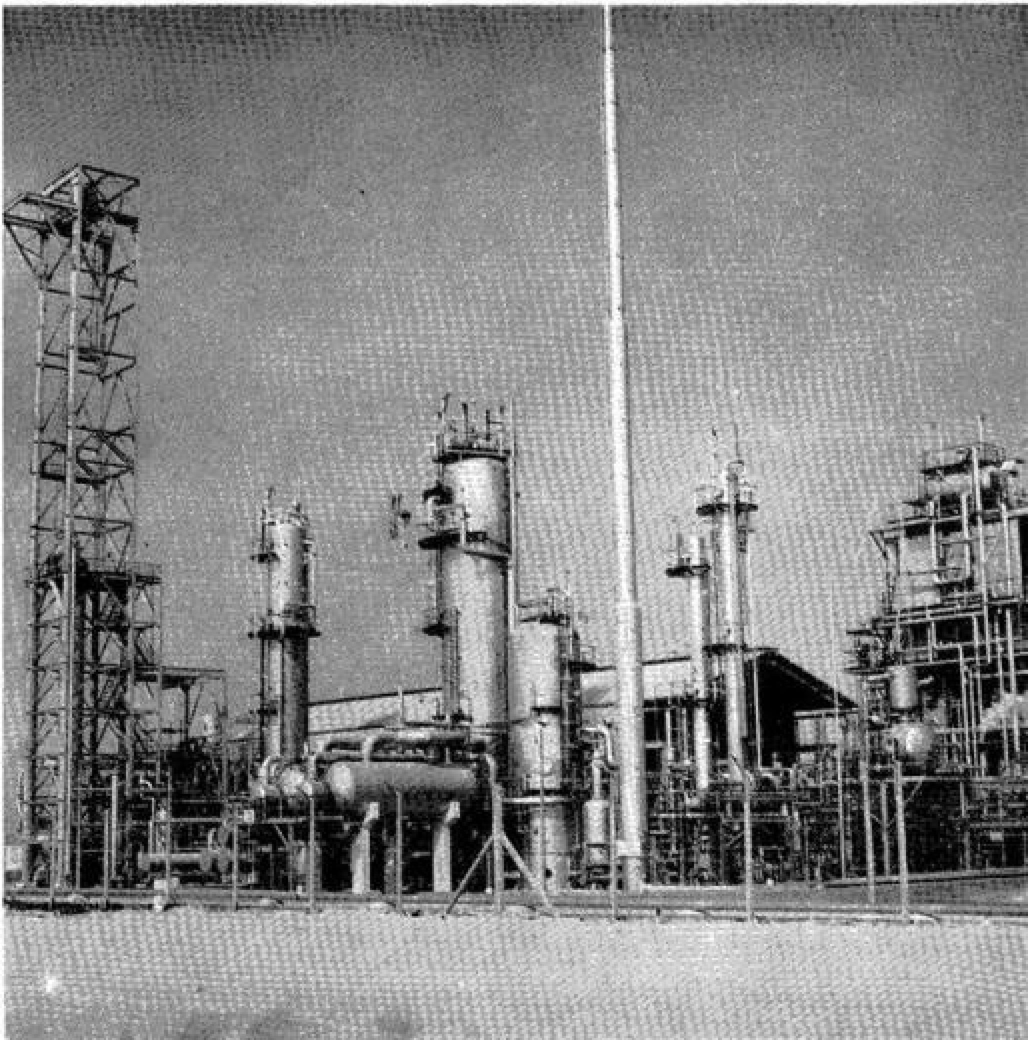
بواعث على تنويع مصادر الدخل

ولكن المخاطر الناجمة عن ذلك الطغيان ما لبثت أن ازدادت وضوحا وجلاء . فقد تبين أن الاعتماد الكلي على سلعة واحدة من شانه أن يربط مصير البلاد ومصير نهضتها وبنائها ورخائها بمصير تلك السلعة . فلو تدنت أسعارها ، لأسباب تجارية أو غير تجارية ، أو تعرضت لتقلبات العرض والطلب في سائر الأسواق ، أو حالت الحرب بينها وبين مراكز الاستهلاك ، لمنيت البلاد بكارثة ، أو حلت باقتصادياتها الأزمات . وتبين كذلك أن تنويع مصادر الدخل ، والاعتماد على ريع أكثر من سلعة واحدة يقلل من احتمالات تلك الكوارث والأزمات ويكفل لاقتصاد البلاد مزيدا من استقرار.

وفضلا عن تلك المخاطر ، فقد لاح في الأفق

مصنع النشادر

بتفاعل الهيدروجين المستخرج من الغاز الطبيعي مع النيتروجين المأخوذ من الهواء ، ينتج هذا المصنع النشادر السائلة . الانتاج اليومي لهذا المصنع هو ٤٠٠ طن .



بعض التحديات التي تهددت وما زالت تهدد مستقبل النفط البعيد . فالطاقة الذرية التي بدأت تحد ولو قليلا من استعمال الطاقة النفطية والفحمية للاغراض الصناعية، تنذر برواج ملحوظ وعلى حساب الطاقتين المذكورتين ، في عهد غير بعيد ، اي لدى مباشرة المفاعلات الجديدة في انتاج الطاقة الذرية بتكاليف منخفضة نسبيا وكثرة هذه المفاعلات حتى يكون لها في الصناعة نصيب من الكفاية .

الغاز الطبيعي أساس التنويع

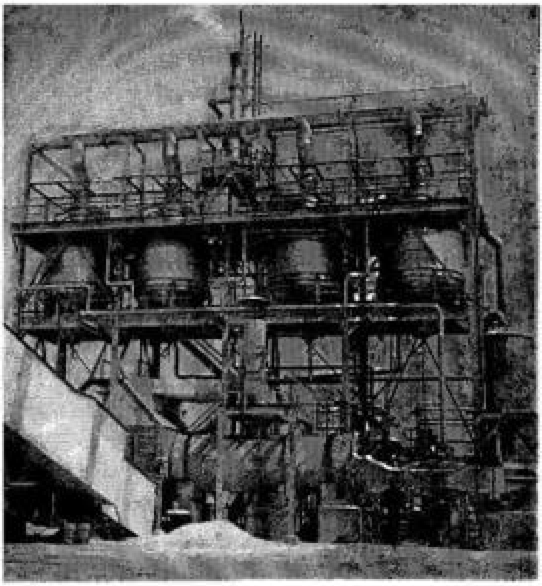
ومهما يكن من أمر هذه التحديات ، فقد كان لها أثر ، في مضاعفة المساعي الرامية الى تنويع مصادر الدخل في الكويت والحد من طغيان النفط. ولكن أسباب هذا التنويع محدودة لان الثروات الطبيعية محدودة . ويبدو ان ارض الكويت الضيقة (٥٨٠٠ ميل مربع) قد اختزنت النفط بمقادير هائلة (٨٠٠٠ مليون طن تقريبا) ، بحيث ضاقت تلك الارض بسائر الثروات الطبيعية الاخرى ، بل بموارد الماء العذب، ماء الري والشرب، كما دلت الأبحاث حتى الآن .

يستثنى من ذلك ثروة واحدة كانت منذ البدء عظيمة بقدر ما كانت مهدورة : تلك هي الغاز الطبيعي . فان كان لا بد لمصادر الدخل في الكويت من تنويع كان لا مفر من تلمس ذلك التنويع عن طريق استغلال ذلك الغاز الطبيعي . اذ لا معادن تجدى ، ولا زراعة تشفى ، ولا سبيل الى الحد من طغيان النفط الا باستنجاد شقيقه الغاز . ذلك هو المنطلق الصناعي الجديد في الكويت ، وتلك هي الغاية التي من أجلها قامت أولى الشركات العاملة لتصنيع الكويت .

شركة الأسمدة الكيماوية الكويتية

كان تأسيس هذه الشركة التي تملك مصانع الأسمدة في الشعيبة قبل نحو ثلاث سنين ، أي في ١٨ مارس (آذار) ١٩٦٤ بالتحديد . قامت برأسمال قدره ٦ ملايين دينار كويتي وبقرض اضافي يساوي راس المال المذكور .

وهي شركة مقفلة وملكيتها محصورة في أصحابها الثلاثة الذين ساهموا في تغطية راس المال والقرض



مصنع سلفات النشادر

ينتج هذا المصنع بتفاعل النشادر مع حامض الكبريتيك سماد كبريتات النشادر وهي تحتوى على ٢١ ٪ من الأزوت ، المادة الغذائية الرئيسية للنبات .

الانتاج اليومى لهذا المصنع هو ٥٠٠ طن .

الاضافي بنسبة حصصهم في ملكية الشركة ، على النحو التالي :

شركة صناعة الكيماويات البترولية (الكويتية) ٦٠٪

شركة البترول البريطانية (B. P.) ٢٠٪

شركة جلف أويل كوربوريشن الامريكية ٢٠٪

وتجدر الاشارة الى أن شركة صناعة الكيماويات البترولية وهي التي تملك ٦٠٪ شركة الاسمدة ، هي شركة كويتية تكاد تنحصر مهمتها في تمويل شركة الاسمدة وغيرها من الشركات المزمع تأسيسها في المستقبل . اى ان غايتها التخطيط للصناعات (الكيماوية البترولية) والاسهام الفعال في تحقيقها وتمويلها . ولعل في امتلاكها لاكثرية أسهم شركة الاسمدة الكويتية ما يحفظ لهذه الأخيرة طابعها واستعدادها لايثار صالحها وصالح بلدها على سائر الاعتبارات الأخرى .

أما الشركتان الاخريان فهما اللتان تملكان بالتساوى شركة نفط الكويت (K. O. C.)



يعمل المختبر في مصانع الاسمدة في المصانع نفسها ، وذلك ضمانا لمطابقة

اولى وكبرى الشركات العاملة فى ميدان النفط فى الكويت . ولا ريب فى ان امتلاكهما خمسى أسهم شركة الأسمدة ما يكفل لهذه الشركة الفتية الانتفاع بخبرتهما الواسعة الطويلة فى نواح عديدة ذات قيمة حيوية بالنسبة الى الشركة الفتية .

والجدير بالذكر أن ادارة هـذه الشركة لا تحصر همئها بشؤون الانتاج والتصدير وما اليها .. بل تولى شئون البحث العلمى المخبرى وشئون التدريب والتأهيل المهنى جانبا هاما من اهتمامها. على أنها توجه رعايتها وعنايتها وتركزها على كل ما له صلة بتأمين راحة موظفيها وعمالها البالغ عددهم ..٤ . ففضلا عن الخدمات الصحية التى وفرتها لهم فى تلك المنطقة النائية ، تجد أنهـا حرصت أيضا على توفير أسباب الترفيه لهم ، بما فى ذلك الأكل بأسعار مخفضة .

على ان أكثر ما يسترعى الانتباه هو السرعة التى سارت بها سائر أعمال شركة الاسمدة وخاصـة اعمال بناء مصانعها الأربعة وتشغيلها . اذ لم يكد يمضى على تاسيس الشركة سنتان ونيّف حتى كانت الشحنة الأولى من سماد سلفات النشادر فى طريقها الى العـراق الشـقيق . ولم يكد يطلّ علينا رأس السنة الحالية (١٩٦٧) حتى تم تسليم مصنع سماد اليوريا وتشغيله وهو آخر ما سلم من تلك المصانع الاربعة . أما افتتاح هذه المصانع بصورة رسميةفلم يتم الا فى ١٩٦٧/٢/١٩، وذلك على أرض المصانع نفسها ، وفى حفل كبير مهيب أقيم برعاية صاحب السمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء ، الشيخ جابر الأحمد الصباح ، وحضره عدد كبير من الوزراء وأعضـاء مجلس الأمة والوجهاء .

ولعل فى رعاية سمو ولى العهد لافتتاح مصانع الأسمدة الكيماوية دلالة خاصة . اذ يعزى اليه الفضل فى تاسيس شركة الاسـمدة الكيماوية الكويتية،حينما كان وزيرا للمالية وشئون النفط. وقد جاء فى الكلمة القيمة التى افتتح بهـا تلك المصانع ، قوله : « .. ولما كنا ننعم بفضل الله ـ بموارد كبيرة من النفط والغاز الطبيعي ـ وتتسع قدراتنا المالية لاقامة المشروعات التى تاخذ باحدث الوسائل فى الانتاج ، وتتطلب مبالغ كبيرة من رؤوس الأموال ، فقد اتجهنا الى هذا النوع من المشروعات الذى يتناسب وظروفنا » .

الغاز الطبيعي ثروة كبيرة

ولا يخفى أن توفـر الغـاز الطبيعـى فى الكويت بكميات هائلة وبأسعار بخسة هو الباعث علـى اقامة صـناعة الاسـمدة الكيمـاوية وغيرها من الصناعات التى تعتمد على الغاز الطبيعى خامة لها .

والكويت فى طليعة البلاد المنتجة للغاز الطبيعى فى العالم أجمع . وقد لا يسبقها فى هذا الصدد سوى اربعة أو خمسة من تلك البلاد ، نذكر منها الولايات المتحدة والاتحاد السـوفييتى وهـولندا وقد نذكر منها أيضا الجزائر . أما المقادير التى تتصاعد من هذا الغاز في الكويت فقد بلغت بموجب احصائيات عام ١٩٦٥ حوالى ١١٠٠ مليون قدم مكعب يوميا أو ٤١٢ الف مليون قدم مكعب سنويا اى ما يعادل عشرة ملايين طن ونيف فى السـنة الواحدة .

والوفرة تؤدى الى الأسعار المنخفضة . وكثرة



الشعبية ليل نهار ، كما تعمل تلك المنتجات لكافة الشروط والمواصفات .

الغاز الطبيعى فى الكويت جعلته بلا ثمن يذكر وجعلت تكاليف صنع الاسمدة من الرخص بما يكفل لها المزاحمة فى الاسواق أو الازدهار .

مصانع الاسمدة

بقى الحديث عن مصانع الأسمدة وما يجرى فيها . وهذا يحتاج الى مقدار غير قليل من علم الكيمياء اذا ما أريد الدخول حتى فى القليل من تفاصيله . ولكن حسبنا أن نقول ان المواد المطلوب صنعها هما اثنتان ، النشادر ثم اليوريا . وكلتاهما تستخدم سمادا نتروجينيا (آزوتيا) للذى فيهما من نتروجين (آزوت) هو غذاء للنبات .

ولكن النشادر غاز ، واذن لا يمكن استخدامها هكذا فى الأرض سمادا ، واذن وجب تثبيتها وتحويلها الى مادة صلبة تمتزج بتربة الأرض وتذوب فى مائها . . وبما أن النشادر قاعدة فتثبيتها يكون بمعادلتها بحامض مثل حامض الكبريتيك أو حامض الازوتيك .

والمصنع الذى نحن بصدده يعادل النشادر بحامض الكبريتيك . واذن فهو يصنعه . فتصبح الاشياء المطلوب صنعها ثلاثة :

النشادر .

حامض الكبريتيك .

اليوريا .

صناعة النشادر

النشادر غاز يتألف من نتروجين وادروجين (ذرة من الأول بثلاث ذرات من الثانى) . والمواد التى تصنع منها النشادر هى :

الغاز الطبيعى ومثله الميثان (ذرة كربون متحدة ب ٤ ذرات ادروجين) .

الهواء الجوى (ونحو اربعة أخماسه من الازوت ، والخمس أكسجين) .

بخار الماء (ذرتان من الادروجين متحدتان بذرة من الاكسجين) .

هذه الثلاثة المصادر ، مأخوذة كمياتها بمقادير محسوبة ، هى الأصل فى « التفاعلات التى تنتج النشادر »

وبها بالطبع الادروجين فى الغاز الطبيعى والماء .

وبها كذلك الأزوت فى الهواء .

ولكن يبقى من الغاز الطبيعى كربونه . فهذا يؤكسده الاكسجين لينتج منه ثانى أكسيد الكربون .

وهذا الاكسيد ، ولو انه ناتج ثانوى فيما يتصل بصناعة النشادر ، الا انه مادة مهمة فى صناعة اليوريا فهو يدخل فى التفاعل الذى ينتجها على نحو ما سوف نصف من ذلك بعد .

بقى تفصيل المعلومات الكيماوية والصناعية التى تتضمنها صناعة النشادر .

وفى هذه نكتفى بالقول انها تفاعلات تستنجز على خطوات أولها تكون ادروجين من تفاعل يجرى بين غاز البترول والماء ، وآخرها اتحاد الادروجين بالنتروجين لتكوين النشادر .

وهذه التفاعلات تستخدم الحرارة العالية ، والضغوط ، وكذلك العوامل المساعدة مثل النيكل .

وهذه الطريقة التى وصفناها هى أحدث الطرق

لانتاج النشادر ، بدأت منذ ٢٥ عاما . وهي لاشك الطريقة المتبعة في مصنع السماد الكويتي .

صناعة حامض الكبريتيك

وهي صناعة مشهورة ، أساسها الكبريت . ومصدره في الكويت من زيت البترول الخام عند تنقيته .

والكبريت يؤكسد بالاحراق فيعطي ثاني اكسيد الكبريت (كب أ ٢) ، ثم يؤكسد بمساعدة عامل مساعد فيعطي ثالث أكسيد الكبريت (كب أ ٣)، ثم يذاب في الماء فيعطي حامض الكبريتيك (يد ٢ كب أ ٤) .

وطالب الثانوية يعرف كل هذا .



أكياس التعبئة ، التي تحمل شعار شركة الأسمدة، منها ما يتسع لخمسين كيلوجراما ومنها ما يتسع لمائة .

وتحويل ثاني الاكسيد الى ثالث الاكسيد في حاجة الى عامل مساعد . وقد كان البلاتين هو ذاك . ولكنه يتسمم سريعا وهو غالي الثمن .

أما العامل المساعد اليوم فهو خامس أكسيد الفانديوم بعد تنشيطه بالبوتسيوم . ولا يكاد يستخدم غيره .

صناعة كبريتات النشادر

تصنع من تعادل النشادر وحامض الكبريتيك في أوعية خاصة ، ويكون من هدف هذه العملية الحصول على هذه الكبريتات بلورات صلبة نقية. وهذه البلورات قد تسمى سلفات النشادر . وسلفات هو الاسم الانجليزي Sulphate او الفرنسي Sulfate

صناعة اليوريا

لفهم صناعة اليوريا لا بد من تصور تركيبها عن طريق رمزها الكيماوي. وهو ك أ (ن يد ٢) ٢ اي أن جزيئها يتالف من ذرة كربون وذرة اكسجين، وهذان هما اللذان يتالف منهما ثاني اكسيد الكربون لولا أن به ذرة أكسجين زائدة .

ويتالف أيضا من مجموعتين من (ن يد ٢) ، وهي نفس رمز النشادر بزيادة ذرة ادروجين . وفي المجموعتين بزيادة ذرتين من الادروجين .

فلو اننا جمعنا جزيء ثاني اكسيد الكربون (ك أ ٢) ، مع جزيئين اثنين من النشادر (ن يد٣)، لتكون منهما : جزيء يوريا : ك أ (ن يد ٢) ٢ .

أما الأكسجين الزائد في ثاني أكسيد الكربون ، وذرتا الادروجين الزائدين من النشادر ، فيتحدان ليكونا ماء .

وليس هذا بالطبع ما يحدث تماما من التفاعلات، ولكنه يصور لنا كيف يمكن أن تنتج اليوريا صناعيا من : النشادر وثاني اكسيد الكربون وهما المصدران اللذان يصنع منهما اليوريا .

وتستخدم الحرارة العالية والضغوط في احداث التفاعلات الواجبة .

أما النشادر فيصنع على ما سبق أن ذكرنا .

وأما أكسيد الكربون فهو ناتج ثانوي غير مقصود يخرج من صنع النشادر كما سبق أن ذكرنا ، واذن هو يستخدم في صناعة اليوريا ، ومن أجل

هذا تصنع اليوريا حيث تصنع النشادر في البلاد الصناعية .

الاسمدة ذات قيمة حيوية

تلك هى صناعة الأسمدة الكيماوية الكويتية فى الشعيبة ، وتلك هى المراحل التى تمر بها لتنتج سنويا ١٥٠٠٠٠ طن من سماد اليوريا(٤٦٪ آزوتا) و١٥٥٠٠٠ طن من سماد سلفات النشادر (٢١٪ آزوتا) . وتلك هى الأساليب التى تخلق بهـا الاسمدة الآزوتية من الغاز الطبيعى .

على أن الأسمدة الآزوتية لا تعدو كونها فئة واحدة من ثلاث فئات . والفوائد التى يجنيها النبات منها تختلف عن تلك التى جناها من الاسمدة الفوسفاتية ، وهى الفئة الثانية ، ومن الأسمدة البوتاسية وهى الفئة الثالثة .

ان الأسمدة الآزوتية تعمل على تنشيط نمو النبات وزيادة نضارته وبالتالى زيادة محصوله . فلو أعطيت هذه الأسمدة حسب القواعد الزراعية للاحظنا مزيدا من نمو فى ساق النبات وأغصانه ، وتكاثرا فى أوراقه ، فضلا عن المزيد من خضرته ونضارته ، ولكنا لاحظنا بالتالى غزارة فى محصوله. يصدق ذلك على اليوريا ٤٦٪ وسلفات النشادر ٢١٪ بقدر ما يصدق على سائر الأسمدة الآزوتية الأخرى ، التى نثبتها ونثبت محتويات الآزوت فيها كما يلى :

نترات الصودا	١٣٪
نترات الكلس	١٥ر٥٪
سيانامید الكلس	٢٢٪
نترات النشادر	٣٣ر٥٪

وهذه الأسمدة عموما ذات صلة وثيقة ومباشرة بحاجة البشرية المتزايدة الى الغذاء بل وبكارثة المستقبل غير البعيد، الكبرى، كارثة انفجار السكان.

ذلك أن عدد سكان العالم البالغ حاليا ٣ر٥ بليون سيتضاعف ضعفين عما قريب ويصبح ٦ بليون فى عام ٢٠٠٠ . وبتضاعف السكان على هذا النحو ستتضاعف حاجتهم الى الطعام والمواد الغذائية . ولا سبيل الى تدارك هذه الحاجة المتزايدة الا عن طريق توسيع الرقعة المزروعة بالسرعة الواجبة .

ويرتفع صوت الأسمدة الكيماوية فى هـذه الظروف جميعا فى ثقة وتواضع . اذ لعل العلاج الناجع لمشكلة السكان هو اكثر احتمالا واقرب منالا



غرفة المراقبة ، تكشف عما قد يحدث من خلل فتحول دون تفاقمه .

عن طريق الأسمدة ومضاعفة محاصيل الاراضى المزروعة منه فى شق طرق غير مالوفة وتلمس مصادر للغذاء لم تكن معروفة ايضا .

والأسمدة الكيماوية ماضية فى هذا السبيل على كل حال . يدل على ذلك التزايد الكبير فى انتاجها وفى الطلب عليها . فقد بلغ ما انتج منها فى العالم فى السنة الماضية ٤٠ مليون طن ، وهو لم يجاوز ١٣ مليون طن سنة ١٩٥٢ . وهـذا يعنى ، فى تقدير الخبراء أن انتاجها سيبلغ ٩٠ مليون طن عام ١٩٨٠ وما لا يقل عن ١٥٠ مليون طن سنة ٢٠٠٠ . ولو تحققت هذه التقديرات لامكننا الاطمئنان الى الدور الفعال الذى ستؤديه الاسمدة الكيماوية فى الحد من فاجعة انفجار السكان .

وهكذا كشفت لنا زيارتنا لمصانع الأسـمدة الكويتية فى الشعيبة عن قيم أخرى لتلك المصانع غير التنويع فى مصادر الدخل فى الاقتصاد الكويتى، وغير اعتماد الغاز الطبيعى ، ثروة البلاد الثانية ، التى كانت الى حين مهدورة . فقد كشفت لنا أيضا عما لهذه الصناعة من شأن فى سد حاجات حيوية فى أسواق عربية شقيقة وأخرى مجاورة ، واظهرت لنا ما تتسم به من خطورة من حيث مشكلة انفجار السكان ، والكارثة التى تترتب عليها وتتهدد البشرية . ■■

يوسف زعبلاوى

أنتِ تسألُ .. ونحنُ نجيب

حق المرأة في العمل كحق الرجل سواءً بسواء

● كنت قد نقلت الى السنة النهائية بكلية الحقوق عندما تقدم لخطبتي مقاول صديق لوالدي، يكبرني بنحو عشرين عاما ، حظه من الثقافة يسير ، ولكنه ذو مال وفير . وقد أخفقت في رفض هذا الزواج غير المتكافيء ، لا من ناحية السن ولا من ناحية الثقافة فحسب ، ولكن لأن له زوجة وبنات وأولادا ، لا تصغرني كبراهن الا بسنوات قلائل ... لكنه كان مسيطرا على والدي بأمواله وهداياه ، وملازمته اياه ، فأقسم والدي أن أتزوجه أو تكون أمي طالقا !

وزُفِفْتُ اليه في العطلة الصيفية ، وكأنما زُفِفْتُ الى عزرائيل ! ثم تخرَّجْتُ في آخر العام ، وهنا بدأت المتاعب ... فقد أعربت له عن رغبتي في الالتحاق بمكتب أحد كبار المحامين من أساتذتي القدامى لقضاء فترة التمرين ، فأبى قائلا انه تزوجني لأكون سيدة بيت ، لا محامية ، فاستعنت ببعض أقاربي وبوالدي ، فأخفقوا في اقناعه ، فصبرت على مضض ، لكنني لم أحتمل

ــ انت محامية .. أو هذا ما تريدين أن تكوني .. وهذه قضية بسيطة ، انسَيْ انها قضيتك ، وافرضي انها أول قضية يُعْهَد بها اليكِ ، فجرّبي أن تكسبيها ، والاّ فخيرٌ لكِ أن ترضي بواقعك الاليم ، وتلقى السلاح ، ولا تفكرى يوما في ارتداء « روب » المحاماة !

ان حق المرأة في العمل لم يعد موضع خلاف .. انه كحق الرجل سواء بسواء .. الا في حالة واحدة ، هي التي يتعرض فيها كيان الاسرة للانهيار أو الاضطراب ، وخاصة اذا كان للزوجين اطفال ليس من يتولى رعايتهم الا خادمة جاهلة ، او كان عمل الزوجة يستغرق من وقتها ما لا تجد معه متسعا للعناية بشئون بيتها وزوجها ...

وفي مشكلتك أنتِ ، لا يمكن تبرئة والدك من تبعة ما انت فيه . فقد تحررت المرأة في كل بلاد العالم المتمدين ، الا في بعض البقاع من هذا الشرق ما تزال تعيش بعقلية رجعية متخلفة .. فالمرأة ــ في رأى هذا البعض ، وهو يمثل الكثرة الغالبة مع الاسف ــ لا رأى لها في شيء ، لا في التخطيط لمستقبلها ، ولا في اختيار شريك حياتها ، ولا في كيف تشق طريقها في الحياة كانسان ذى رأى وذى كرامة ... حتى الفتاة المتعلمة ، كثيرا ما لا تكون احسن حظا من شقيقتها الغارقة في الجهالة وامّية الفكر .. وانت مثلٌ حيٌّ للكثيرات من زميلاتك المتعلمات ، ما زلتن كمًّا مهملا لا وزن لرأيه ولا قيمة لارادته ، لأن البيئة التى يعشن فيها ما تزال بيئة متخلفة تعيش في عصور الظلمات !

لقد تحرر العبيد من الرق والاسترقاق ، واصبح من حقهم أن يقرروا مصائرهم بأنفسهم ، ومع ذلك ما زال يعيش في عالمنا الشرقى رجال ــ كثيرون ــ يريدون أن تظل المرأة في اغلال العبودية ، مملوكة لهم ، محكومة بهم ، خاضعة لرغباتهم ونزواتهم .

ولقد قرأنا الكثير عن تحرير المرأة في البلاد العربية ، ومع ذلك فان مئات الملايين من نسائنا ما زلن يعشن بعقلية الانثى المستضعفة الخاضعة



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

إلا إذا خيف على كيان الأسرة من التصدع أو الانهيار

هذه الحياة الراكدة فطلبت اليه أن يطلقني فاذا هو يضحك ضحة هستيرية ويقول : كيف أطلقك، وقد اشتريتك، بمالي لأستمتع بجسدك ،لا بمرافعتك في المحاكم ! فقلت له انني لست جارية حتى يشتريني أو يبيعني ، ثم أبديت لهرأيي فيه بصراحة اغاظته ، فاذا هو يصفعني على وجهي صفعة ما زلت أتحسس مكانها بأصابعي كلما تذكرتها !!

وأنا الآن بين نارين: اما أن أترك لهبيته وأشتغل، وفي هذه الحالة سيطاردني بدعوى « بيت الطاعة » ، وقد يكسب والدي الى صفه ويؤثرعليه فيطلق والدتي وأكون أنا السبب ، واما أن أرضخ لقدري وأظل في بيته وكأني جارية في« الحريم » ، يتصرف في جسمي ، ويحرمني من ممارسة المهنة التي أفنيت في سبيلها أنضرسنوات عمري !

فماذا أفعل مع هذا الانسان ... الحيوان ؟!

ن.د.ى/دمشق

الذليلة ، التي تعتمد على الرجل في حمايتها ، والانفاق عليها ، وحسبها أن تكون متعة جسده ، وخادمة بيته ، وأمّا لأولاده (بل ان كثيرات من المتعلمات في بلادنا لا يفهمن من معاني حقوق المرأة الا أنها نوع من الحرية في التدخين والرقص واقامة الحفلات والسهرات وتبادل الانخاب ، وتقصير الفساتين الى ما فوق الركبة ، فضلا عن تعرية الاذرع والظهور والنحور !!

ومما يزيد حق المرأة في العمل ثبوتا ورسوخا ، مهما كان زوجها غنيا أو وجيها ، ما يُقدم عليه بعض هؤلاء الأزواج الاغنياء والوجهاء ، فضلا عن العوام ، من طلاق زوجاتهم ، أو التزوج عليهن، بحثا عن متعة جديدة ، فهؤلاء امّا ان لا يَجِدْنَ ما ينفقن منه على أنفسهن في حالة الطلاق ، واما أن يعشن قعيدات ينتظرن ما يتصدق به عليهن « السادة » الأزواج !!

يا فتاتي : حاولي أولا أن تقنعي أباك بوجهة نظرك ، وبحقك في العمل كامرأة متعلمة ، خصوصا وأنك لم تشيري في رسالتك الى أن لك أطفالا يُخشى عليهم من انصرافك بعض الوقت للعمل ، ولا تنسي أن تذكّريه بأنه هو سبب هذا الشقاء الذي تعانين،لأنه باعك لصديقه الثري بيع الرقيق! فان اقتنع فعليه أن يقوم هو باقناع زوجك بحقك المشروع في العمل ، فان لم يقتنع هو أو زوجك فلا تكترثي لأيهما ، ولا تخافي «بيت الطاعة» فهو في طريقه الى الزوال ، وليس في الدنيا قاض ذو عقل ينكر على امرأة مثقفة مثلك حقها في العمل.

ولا تخافي من أن يقع أبوك تحت تأثير زوجك الثري فيُقدم على طلاق والدتك ، فان فعلها فرزقها ورزقك على الله ، بشرط الا تتنازلي عن حقّ لك مشروع ، وكرامة لك يجب أن تصان .. واعلمي انه ان كان قد صفعك على وجهك مرة، فسيكررها مرات ومرات ، وقد يلجأ يوما الى ما كان يلجأ اليه السادة في عصور الظلمات من ضرب العبيد والجواري بالسياط !!

ع. ك

حرب فيتنام

● من أخطر الامور الجارية اليوم فى العالم ، حرب فيتنام . ونسمع بأنها قسمان ، فيتنام شمالية واخرى جنوبية . فهل هى كانت مقسمة دائما كذلك ، فهو تقسيم طبيعى ، أو هو تقسيم صناعى قضت به أوضاع سياسية خاصة . واذن فما هى هذه الاوضاع ؟

محمود عصام ـ دمشق

ـ ان قصة حرب فيتنام هى قصة التقسيم الذى طالما عانت منه الشعوب . وقبل عام ١٩٤٥ ، وهو نفس العام الذى وضعت فيه الحرب العالمية الثانية اوزارها لم تكن هناك فيتنام شمالية واخرى جنوبية ، وانما كانت هنالك دويلة فيتنام احدى دويلات الهند الصينية التى كانت تضم ايضا لاوس وكمبوديا ، وكانت كلها خاضعة للاستعمار الفرنسى . ثم ظهر فى فيتنام زعيم سياسى يدعى هوشى منه Ho Chi Minh ، وكان ان بدأ هذا الزعيم بقواته النظامية حملة واسعة تهدف الى طرد الفرنسيين من البلاد . وما لبثت الحملة أن تطورت واتسعت ونجح الزعيم السياسى فى اقامة حكومة مستقلة فى الشمال . واشتبك بقواته مع الفرنسيين فى حرب مريرة استمرت منذ عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٤ ، عندما انتهت بسقوط آخر واقوى قلعة للفرنسيين فى دين بين فو Dien Bien Phu وعلى أثر هزيمة فرنسا فى هذه الحرب التى كلفتها الالوف من الرجال وبلايين الجنيهات ، عقد مؤتمر جنيف فى نفس هذا العام لبحث مستقبل الهند الصينية .

واسفر المؤتمر عن استقلال لاوس وكمبوديا وتقسيم فيتنام الى شمال وجنوب بعد وقف اطلاق النار . على ان يتم توحيد البلاد عن طريق اجراء انتخابات حرة فيما بعد . ووقعت اتفاقية جنيف كل الدول المشتركة فى المؤتمر وهى بريطانيا وفرنسا والصين وروسيا وكمبوديا ولاوس ، وفيتنام الشمالية . ورفضت أمريكا وفيتنام الجنوبية توقيعها ، ولو انهما تعهدتا بعدم استخدام القوة لتغيير الاوضاع التى تم الاتفاق عليها فى المؤتمر .

ومن قلب فيتنام الجنوبية قامت حملة جديدة هدفها فى هذه المرة اسقاط الحكومة القائمة فى ذلك الوقت وكانت حكومة دكتاتورية فاسدة برئاسة نجو دينه ديم Ngo Dinh Diem . وتزعم الحملة رجال الفيت كونج Vietcong الذين اقاموا فى الجنوب جبهة تعرف باسم جبهة التحرير الوطنية . وسارعت أمريكا ، بحجة الدفاع عن الديمقراطية ضد الخطر الشيوعى ، الى مساندة نظام الحكم فى الجنوب . وهبت فيتنام الشمالية لمساندة ثوار الجنوب .. وهكذا اتسع نطاق الحرب المريرة التى القت فيها أمريكا بثقلها ، فاصبح لها الآن نصف مليون جندى يشتركون فى حرب يرى الكثيرون من الامريكيين انفسهم ، ومن حلفاء أمريكا ايضا انها حرب خاسرة . وفى مقدمة اصحاب هذا الرأى فرنسا التى ما زالت تذكر هزيمتها المريرة فى دين بين فو .

هذه لمحة عن الحرب فى فيتنام وقد يكون لنا عودة .

م. ن

الالياذة والأوديسة

● « الياذة هوميروس » .. ما هى ؟ ومن هو هوميروس هذا مؤلفها ؟

مريزن على عسيرى ـ الطائف

ـ سؤالك لطيف يا اخ مريزن .. فهو ينقلنا الى عالم جميل ، عالم الشعر والاساطير ، ويعود بنا الى عهد بعيد قديم من تاريخ الاغريق . ذلك العهد هو القرن الثامن قبل الميلاد ، أيام عاش هرقل Hercules بطل اليونان الاسطورى العظيم ، وايام عاش هوميروس Homer أشهر شعراء الملاحم فى تاريخ اليونان بل فى تاريخ الانسان فى مختلف الاقطار وعلى مر الاجيال .

ولا يعرف عن هوميروس هذا الكثير . ويذهب المؤرخون الى انه عاش فى احدى المدن اليونانية التى قامت فى ذلك العهد على الشاطىء الغربى من آسيا الصغرى ، مدينة تشيوس Chios بالتحديد (ازمير حاليا) ، بالقرب من مدينة طرواده Troy القديمة الشهيرة . ويكاد يجمع

ملحمتان للشاعر هوميروس خالدتان •

المؤرخون كذلك على أن هوميروس هذا هو مؤلف الملحمتين الشعريتين الرائعتين : الالياذة Illiad والاديسه Odyssey .

ولا يخفى أن هاتين الملحمتين تجمعان بين الأساطير والخرافات من جهة ، والقصص التاريخية المتواترة والروايات من جهة أخرى، ولا تهدفان الى تسجيل الوقائع وسرد الحقائق بقدر ما تهدفان الى التغنى بالقيم والبطولات والمفاخر بامجاد الآباء والأجداد.

أما المحور الذى تدور عليه الالياذة فهو قصة « باريس » ، « ابن طروادة » ، أو بالحرى قصة هيلين ابنة أحد ملوك اليونان واجمل فتياتها في ذلك الزمان . فقد تمكن باريس هذا من اختطاف الأميرة هيلين والفرار بها الى بلده طروادة .

وثارت ثائرة ملوك اليونان على طروادة واهلها واجتمعت كلمتهم ، وما أقل ما اجتمعت في تلك الايام ، على غزو طروادة وتخليص الأميرة هيلين مما كانت فيه ، والعودة بها الى ذويها . فكان حصار طروادة الطويل، وكان الحصان الخشبي الكبير الذى تمكن جند اليونان بواسطته من التسلل وهم في داخله الى تلك المدينة العنيدة وتحطيمها، وتمكن البطل اليونانى أوديسوس Odyssus من انقاذ هيلين والعودة بها الى أرض الوطن .

وقصة عودة هيلين هذه هى محور الأوديسة .

وتجدر الاشارة الى أن قصة طروادة هذه وقصة حصارها كانت في رأى المؤرخين سابقا اقرب الى الأساطير والخرافات ، بل رجّح بعضهم أن تكون من نسج خيال هوميروس أو غيره من الشعراء الذين سبقوه. الا أن أعمال الاستكشاف والتنقيب في تركيا سنة ١٨٧١ قد كشفت عن آثار مدينة طروادة البرُنْزية التى يحدثنا عنها هوميروس ، كما كشفت عن ست (طروادات) اخرى ، ظهرت بعد تلك الأولى ، وقامت الواحدة منها فوق أنقاض الثانية . وهكذا يتبين أن الالياذة والأديسه ليستا من نسج خيال هوميروس ، وان لهما أساسا في التاريخ والواقع انطلقتا منهما وعملتا على تزيينهما وصقلهما بالعاطفة والشطط بهما، كثيرا أو قليلا ، بالخيال .

ى. ز

حركة الكشف

● من هو مؤسس حركة الكشف أو الكشافة وما هى فوائدها ؟!

احمد عبد الله ــ بغداد

ــ مؤسس حركة الكشف رجل انجليزى يدعى روبرت بادن باول Robert Paden Powell عمل ضابطا في الجيش البريطاني في الهند ، ثم في جنوب افريقيا بعد ذلك حيث اشترك في حرب البوير .

وقد ولد روبرت في ٢٢ فبراير من عام ١٨٥٧ ، وسط أسرة كبيرة تتألف من ستة أولاد وبنت واحدة وهو أصغر أشقائه . ومات أبوهم القس وأستاذ العلوم والرياضيات بجامعة اكسفورد وتكفلت أمهم بتربيتهم ولم يكن روبرت قد جاوز عامه الثالث بعد .

وكانت هواية الطفل منذ صغره صيد السمك وتسلق الاشجار وملاحقة الطيور ، وقد ظلت هذه الهواية تلازمه حتى كبر وأصبح جنديا ، فكان يعشق الطبيعة بمناظرها الجميلة، ويقضى الساعات جالسا فوق صخرة يتأمل الهضاب والسهول والوديان ، ويبحث عن الأنهار ليخوض في مياهها بقدميه العاريتين بحثا عن السمك !

وفي عام ١٩٠٧ ، بدأ روبرت بادن باول رحلة كشفية مع فريق من تلاميذ المدارس يضم ٣٠ صبيا . وكانت هذه الرحلة هى بداية حركة الكشف التى تنتشر اليوم في جميع المدارس الابتدائية والثانوية للبنين والبنات

فى كل انحاء العالم والتى يزيد عدد افرادها على سبعة ملايين جوال ومرشدة .

اما فوائد هذه الحركة فهى تنمية روح النظام والعمل والتضحية والاعتماد على النفس ، ومساعدة الاخرين ، وبذل كل جهد فى سبيل اسعاد المجتمع الصغير والكبير الذى يعيش فيه افراد الجوالة والمرشدات .

م . ن

الشوفينية .. وغيرها ..

● دخلت الى كتبنا مصطلحات لاتينية عديدة ، فهل لى بشرح لمعانيها ومفاهيمها مع جزيل الشكر . تلك المصطلحات هى: الايديولوجية ــ الشوفينية ــ الديماجوجية ــ الامية .

مصطفى ــ الكويت

الايديالوجية .. Ideology. :

ــ اشتقاق هذه الكلمة هو من لفظ Idea أى فكرة ومعناها الأصلى هو علم الافكار ، أو التفكير المُلهَم . على انها استعملت فى الآونة الاخيرة لتعنى مجموعة العقائد أو اساليب التفكير التى يدين بها أو ينتهجها جمع من الناس أو حزب من الاحزاب ، كالحزب الشيوعى أو الحزب الفاشستى. وتكون تلك العقائد فى الغالب ذات طابع سياسى واقتصادى واجتماعى . الا انها كثيرا ما تحمل الطابع الفلسفى أيضا .

الديماجوجية Demagoguey. :

يعنى لفظ ديماجوج Demagogue الزعيم الجماهيرى . وتعنى الديماجوجية بالتالى زعامة الجماهير . هذا من حيث اللغة . أما من حيث استعمال هذا اللفظ على الصعيد السياسى والاخلاقى فان له مفهوما غير ذلك . فهو يعنى استثارة ذلك الزعيم لعواطف الجماهير واستغلاله لأحقادها وضغائنها ، لما فيه مصلحته الخاصة ، ويعنى اللفظ كذلك السعى لارضاء الجماهير بدلا من ارضاء الضمير .

وتجدر الاشارة الى ان اللفظ المذكور يونانى الأصل ومركب من كلمتين اغريقيتين هما ديموس Demos أى الشعب ، واجوجوس ... Agogos أى القيادة .

الأممية ... Internationalism :

وهى النزعة العالمية ، التى تتخطى حدود النزعة القومية ، فتنشد صالح المجموعة الانسانية فضلا عن المصلحة القومية الخاصة ، وتتلمس التفاهم والتعاون والاخاء بين الامم وتسعى الى توطيد السلم العالمى بوصفه غاية البشرية الكبرى .

ولقد ظهرت هذه النزعة فى القرن العشرين وخاصة بعد الحربين العالميتين الاخيرتين ، وقد اجتاحتا البشرية ، وانزلتا فيهما من الكوارث والمآسى ما انزلتا ، نتيجة مباشرة للروح القومية المتطرفة ولأسباب اخرى مختلفة .

والجدير بالذكر ان الروح القومية بمعناها الحديث قد ظهرت فى أوربا فى القرن التاسع عشر وان الأممية سبق لها ان ظهرت ، بل تحققت الى حد كبير ، فى عهد الدولة الرومانية فى التاريخ القديم وايام الدولة الاسلامية فى تاريخ العصور المتوسطة .

الشوفينية ... Chauvinism. :

يروى أن أحدهم ، وكان يدعى نيقولا تشوفين Nikolas Chauvin ، كان معجبا بنابليون بونابرت لدرجة العبادة . فهو لم يكن يرى فى البطل الفرنسى العظيم ما يوجب النقد أو يدعو الى المؤاخذة ولم يكن يرى فيه الا كل ما يستحق الثناء والتقدير . وبلغ من تعلقه بنابليون حدا اثار ضحك الآخرين منه فى كثير من الاحيان .

وهكذا اشتقت كلمة Chauvinism من اسم Chauvin هذا لتعنى الغلو بل التفانى فى خدمة غرض من الاغراض . وتستعمل اللفظة فى الغالب فى وصف الروح القومية المتطرفة التى بلغ بها التطرف حدا يجعلها لا ترى فى الاغراب والأجانب وسائر الشعوب الاخرى الا ما يبعث على مجافاتهم بل على كرههم ومعاداتهم . انها باختصار الأنانية المفرطة ، ولكن لا على المستوى الفردى وانما على مستوى الامم والشعوب . ■■

ي . ز

جان جينيه شاعر الشّرّ وأديبه

تأليف جان بول سارتر (1)

بقلم : الدكتور محمود السمره

استاذ النقد والبلاغة بالجامعة الاردنية

■ ان الكاتب الفرنسي جان جينيه هو اغرب شخصية ادبية ظهرت في هذا القرن ، بل لعله اغرب اديب ظهر في اي قرن . وهو الذى قال فيه سارتر في كتابه هذا الذى نقدمه : « ان جان جينيه كذاب، ولص ، وشاذ جنسيا ، وعبقرى ، وقديس ، وشهيد » . وعلق جان جينيه على هذا القول تعليقا اشد غرابة ، فقال: « لم يات سارتر بجديد ، فقد قلت كل هذا عن نفسي قبله . وهو صحيح تماما . ولكن اي ضير في هذا ؟ » .

واذا قارنا جان جينيه بادباء اوروبا وامريكا من الجيل الغاضب، وجدنا ان ثورته على المجتمع اضعاف ثورتهم : فهو قد وهب حياته للشر ، وسلك اليه كل سبيل ممكنة . وبهذا كان رأس ادباء الجيل الغاضب في كل مكان ، بلا منازع .

وجان جينيه في كتبه وشعره ، كما كان في حياته ، يعصف بكل القيم الأخلاقية ، ويرسم لنا عالمه



بوضوح وعمق، وهو عالم يعمره المجرمون ، وبنات الهوى ، والفسقة .

وكان جان جينيه ، قبل اشتهاره كشاعر

(1) Sartre, Jean Genet.

وكاتب ، يسلك كل السبل لتكريس الجفوة بينه وبين مجتمعه : فهو يريد أن يكون منبوذا ،ويكره أولئك الذين يحاولون اصلاحه.وهو قبل اشتهاره أيضا سجن عشر مرات وأكثر ، وهو صريح ، الى أبعد حدود الصراحة . في حديثه عن سرقاته ، وشذوذه الجنسي .

وجان جينيه يذكرنا بكاتب أمريكي معاصر من الشباب الغاضب ، هو (جاك كرواك) Kerouac ورغم أن (كرواك) دونه شذوذا ، الا أن بينهما مشابه كثيرة ، واعجاب كرواك ورفاقه به كبير . ونحن نجد في كتاباتهما ثورة متشابهة الدوافع ، سلبية النتائج ، وازدراء للطبقة الوسطى ، واحتقارا لكل القيم والمثل . وأبطال كتابات كل منهما منحلون ، مجرمون ، في نظر المجتمع ، ولكن أعمالهم في نظرهم تبعث على الاعتزاز والافتخار . وكلا الكاتبين يرى العيش مؤلما ، والحياة لا معنى لها .

والفرق بينهما ان (كرواك) يكتب كتبه وهو في شبه غيبوبة وذهول ، بينما يسيطر جان جينيه على كل عبارة يكتبها، وتصدر عنه صدورا اراديا. ويستطيع القارىء لكل منهما أن يدرك بسهولة أن جان جينيه أعمق عاطفة ، وأكثر اصالة . وهو يؤثر فينا بصدقه في الكشف عن احاسيسه ، وجمال أسلوبه ، ودقة احساسه ، وغنى صوره، وشاعريته ، وخياله الخالق .. وكل هذه المزايا مجتمعة تجعل لكتبه فعل السحر في نفوس قرائه.

■ ■ ■

هذا هو جان جينيه ، شاعر الشر وأديبه ، الذى استحوذ على اهتمام الأديب والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر ، فكتب عنه كتابا ضخما في ٦٠٠ صفحة : وهذا الكتاب دراسة تطبيقية لآراء سارتر أكثر منها دراسة لجان جينيه نفسه : فسارتر يتخذ من حياة جان جينيه مثلا يؤكد به نظريته في أن الانسان قادر على خلق أفعاله ، مهما كانت ظروفه صعبة .

ومن عيوب هذا الكتاب : أن الفكرة الواحدة تتكرر فيه مرات ، وهو يحفل بالآراء الفلسفية القائمة التى يصعب تحديد معناها ، كما يصعب ايجاد صلة بينها وبين جان جينيه .

ويرى سارتر أن جان جينيه أديب فيه من الوجودية الكثير . وفي رأينا ان جان جينيه لا صلة له بالوجودية : فهو لا يملك قدرة سارتر وسيمون دى بوفوار على التحليل الفلسفى ،وهو لا يجعل الجنس البشرى همه كما هو حال اديبى الوجودية ، وحال البير كامو . ان جان جينيه لا يقيم فلسفة ، ولا يدعو الى اصلاح . انه يكتب ليفرغ ما في نفسه ، ولا شيء وراء هذا .

ويبقى كتاب سارتر ، بعد هذا ، دراسة طيبة فيها نفع كبير ، للقارىء المهتم بفيلسوف الوجودية ، وأديب الشر والاثم .

■ ■ ■

في باريس ، وفي سنة ١٩١٠ ، ولد جان جينيه، ابنا غير شرعي لوالدين لم تكتحل عيناه بمرآهما أبدا : فقد وجد بعد ولادته ملقى على الرصيف ، فأسلمته الحكومة لاحدى دور اللقطاء للعناية به ، ثم عهدت به الدار الى عائلة قروية مقابل مساعدة من الدولة . ويبدو أن هذه العائلة لم تقبل به الا طمعا في المساعدة التى كانت تتلقاها كل شهر ولهذا فان الطفل ان كان قد وجد المأوى ، فانه افتقد الحنان والحب. ونشأ الطفل ، وهو يحس انه منبوذ ، وغير مرغوب فيه من أحد . وهكذا أحال المجتمع هذا الطفل الى انسان متوحش ، حاقد .

وقد حدثت للطفل وهو في سن العاشرة ،حادثة رسمت له طريق حياته لسنوات طويلة : فقد ضبط وهو يسرق ، وشهد أصبع القضاء تشير اليه ، قائلة : انت لص سارق !! وربما كان من الممكن أن تمر هذه الحادثة دون أن تترك آثارا بعيدة ، لو أن جان جينيه الطفل ، كان ذا طفولة عادية .

ولم تكن هذه الحادثة سوى بداية سرقات وآثام متعددة ، مما جعله يقضي جل حياته حتى عام ١٩٤٨ في السجن ، ولا يخرج منه الا ليعود اليه . وخلال هذه الفترة التحق بالفرقة الأجنبية في الجيش الفرنسي ، ولكنه سرعان ما تركها ، ثم أخذ في التطواف ، متنقلا بين المدن الأوروبية : يقف على الأرصفة يستجدي الاحسان كأي شحاذ، ويسرق كلما رأى الفرصة سانحة ، ويشارك في عمليات تهريب متنوعة . وكان في كثير من المرات يكتشف أمره ، ويلقى به في السجن ، حتى ليمكن القول انه قد عرف جل سجون البلدان الأوروبية.

وعندما كان في السجن في يوغوسلافيا ، بدأ زملاؤه السجناء في معابثة زميل لهم نائم ،وطلبوا منه أن يسرق ما في جيوبه امعانا في الدعابة . وتقدم جان جينيه ، ولكنه ما أن مد يده حتى اضطرب ثم اغمى عليه . لقد عجز عن أن يقوم

في موقف الفكاهة بما كان يقوم به في واقع الحياة!!
ويشير جان جينيه الى هذه الحادثة في كتاباته ، ويعلل ما أصابه : بأنه عندما رأى عيون زملائه السجناء محدقة به ، ترقب ما سيفعل ، ارتدت به الذاكرة الى اول حادثة سرقة قام بها وعيون من ضبطوه تنظر اليه متهمة ، مزدرية . في تلك اللحظة ذكّره سجنه الصغير ، بالسجن الكبير الذى يعيش فيه ، وهو العالم .

■ ■ ■

وكان جان جينيه يقدم على السرقة ، ويقترف الآثام ، عن سبق اصرار ، لأنه اراد أن يفرض وجوده على المجتمع الذى ينبذه ، شاعرا بالسعادة كلما صدر عنه تصرف فيه تجاوز للحدود التى رسمها هذا المجتمع . وكان اكثر ما يسرق الكتب.

وما ان حلت سنة ١٩٤٨ ، وهى سنة التحول النفسي عنده ، حتى كان قد صدر في حقه عدد من أحكام القضاء ، يجعله عرضة لان يحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، حسب القانون الفرنسي .

وقد بلغ من امعانه في تحدّى كل القيم ، انه وشي اكثر من مرة بزملائه الذين شاركوه جرائمه ، اذ كان يخبر الشرطة ، ثم يصرّ على أن يقبض ثمن وشايته في حضورهم ، وأمام أعينهم ، وكأنه بهذا العمل يريد أن يؤكد للملأ ان تحالفه مع الشر عميق الجذور ، وان المال لم يكن غايته ، لأنه ما من مال كان يستقر في جيبه ، ومهما كسب منه فانه كان يوزعه على رفاق الشر ، وينفق منه بلا حساب .

وجان جينيه يتصرف بهذه الطريقة بدافع من كراهيته العميقة للمجتمع ، وهو يعترف بهذا حين يقول : « ان المجتمع يستنكر الشر والرذيلة ولهذا أسعى انا اليهما سعيا » . ولكنه في الوقت نفسه يحب كل الحب أصدقاءه ، ويخصّ بالمحبة المنبوذين التعساء منهم ، واخوة الشر عنده هى الأخوة الحقة ، لأننا نعيش في عالم شرّير .

وهكذا نجد الخير والشر يجتمعان في نفس واحدة ، ليجعلا من جان جينيه شريرا وخيّرا في آن واحد .

■ ■ ■

وكان أول حافز دفع جان جينيه الى الكتابة ، يوم وجد نفسه في السجن مع آخرين ، ينتظرون القضاء فيهم . وكان كل زملائه بملابسهم العادية، الا هو فقد ألبس ثياب السجن خطأ . وهكذا وجد نفسه بينهم شاذا غريبا ، فكأن سوء الحظ يلاحقه في كل مكان .

وقتلا للوقت ،نظم احد السجناء أبياتا يخاطب فيها حبيبته، فوجد جان جينيه فرصته للتحدى، فاعلن ساخرا انه يستطيع أن ينظم أبياتا خيرا منها . ونظم لتوّه قصيدة جادّة عنوانها « عقوبة الاعدام » . ولما استمع اليها السجناء سخروا منه ، واوسعوه ذمّا وشتما لسببين: لان موضوع القصيدة ازعجهم نفسيا وهم في تلك الحالة ، ولان اسلوبها فوق مستواهم بكثير .

وقد كانت هذه الحادثة — على بساطتها — نقطة تحول في حياة جان جينيه: فعاد الى القصيدة وهذّبها ، ثم أخذ ينظم غيرها . وقصائده صورة صادقة عنه : في عنف ثورته ، ودقة احساسه . ولم يلبث بعدها ان حاول كتابة المسرحية والقصة فنجح فيهما فوق كل تقدير .

وعندما أخذت كتاباته تخرج من السجن سرّا ، لتطبع ، ويتداولها القراء،وجد الأدباء ، والنقاد، والمفكرون أنهم أمام موهبة فذّة ، واستقبلوا هذا الشاعر المجهول بكل تهليل ، لانهم رأوا في شعره معاني جديدة ، وموسيقى تذكرهم بشعر بودلير ، ورمبو .

■ ■ ■

وكان اول انتاج نثرى لجان جينيه له قيمة ، هو قصة « سيدتنا صاحبة الزهور » Notre Dame des fleurs ، وهى قصة كتبها عندما كان نزيل سجن بالقرب من باريس ، وفي ابان الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٢ . وهو في هذا الكتاب يروى لنا بصدق وشاعرية تجاربه في السجون العديدة التى دخلها .

وبصدور هذه القصة ثبتت شهرة جان جينيه ككاتب ، بسبب الاستقبال الحافل الذى استقبلها به جان بول سارتر وكوكتو . وكان كوكتو اول من تحمّس له ، ثم احتضنه سارتر ، لانه وجد في حياته ثورة على البرجوازية ، وتحقيقا علميا للوجودية ، وبلغ من حماسته له أن كتب كتابه هذا الذى نقدمه عنه .

ويرى سارتر أن جان جينيه انتقل بهذه القصة من طور الى طور : من الكتابة التى لم يكن يريد منها سوى تسلية نفسه ، الى الكتابة التى يريد لها أن تشيع بين القراء . ومعنى هذا انه عندما اكتشف الأديب العبقرى في نفسه ، انتصر على عوامل الهدم القابعة في أعماقه .

وكان جان جينيه مهددا في هذه الفترة بان يحكم عليه بالسجن مدى الحياة كما اشرنا .

هنا هبّ سارتر ، وبيكاسو ، وسيمون دى بوفوار ، وجان كوكتو ، لنصرته ، وتقدموا من وزير العدل يلتمسون منه العفو عنه ، ونجحوا في مهمتهم . وقد كانت لهذه الحادثة آثار بعيدة في حياة جان جينيه : فموافقته على ان يتوسط من اجله هؤلاء الاعلام ، اعتراف منه بان الجفوة بينه وبين مجتمعه في طريق الزوال .

وخرج جان جينيه من السجن سنة ١٩٤٨ ليثبت فيما تلا من سنين ان الكاتب فيه قد انتصر على دوافع الشر .

■ ■ ■

ويصف سارتر قصة « سيدتنا صاحبة الزهور» بانها « قصة مزجت بالدموع » . وهي سلسلة من الأحداث يمزج فيها الكاتب حياته الخاصة وهو في السجن بانتظار حكم القضاء ، بالاحداث التى مرت به في حياته ، واخبار الجرائم التى يقرأها في الصحف اليومية وهو في زنزانته ، وما يخلق خياله من احداث . وكان من نتيجة هذا المزج هذا الكتاب الجميل ، وان كانت احداثه عن الأشرار والمجرمين .

ونحن نعرف من بداية القصة تقريبا ان البطل شاذ ومجرم ، وانه سيموت بالسل ، وان حبيبته ستهجره وتنساه ،وان « سيدتنا صاحبة الزهور» رجل لا امراة ، وانه اقترف جريمة قتل،وسيلقى القبض عليه ، ثم يحكم عليه بالاعدام ، ونفاجأ عندما نكتشف أن جريمة القتل هذه لم يكن الدافع لها سوى أن القاتل لم تعجبه ربطة عنق القتيل ، وفي هذا تأكيد من المؤلف على ان الشر هنا انما يقصد لذاته . وبعد ان ندرك كل هذا تعود الذاكرة بالبطل الى الماضي ، فيقص علينا كيف وقعت هذه الأحداث . وواضح أن البطل هنا هو جان جينيه نفسه .

والقصة حافلة بالحركة والتأملات . وهي من ناحية فنية ليست قصة ، بل مشروع قصة ، كما هو الحال في كتاب أندريه جيد « المزيّفون ». وجان جينيه يتمتع بموهبة نادرة في خلق الأجواء ، حتى ليبلغ من براعته أن نشم رائحة زنزانته في السجن ، ونرتجف ونحن نسير معه في الأزقة المعتمة حيث اللصوص والقتلة في كل زاوية .

ويرى سارتر أن جان جينيه قد مرّ بمرحلة تحوّل كليّ عندما بدأ بالكتابة ، وفي القصة ما يؤكد هذا الرأى ، فالبطل فيها يقول : « انى لأحس برغبة شديدة في ان اجار بالشكوى ، وافضي بآلامي الى القارىء، علّني أفوز بحبه »!! ويؤكد هذا أيضا ان جان جينيه نفسه قال لسارتر انه أثناء انكبابه على كتابة هذه القصة ، حلم وهو نائم وحيدا في زنزانته ، انه وقف أمام من اعتدى عليه وبسببه دخل السجن ، معتذرا عما صدر منه ، وأن المعتدى عليه سامحه . ويضيف معلقا:«لقد احسستبعدها انروحيقد تطهّرت».

■ ■ ■

وبعد خروج جان جينيه من السجن اثبتت السنون التالية انه قد تغير فعلا ، فلم يرتكب من الجرائم ما يمكن أن يدخل بسببها السجن . والغريب أيضا انه قد انقطع عن الكتابة لمدة ثماني السنوات التالية(١٩٤٨ — ١٩٥٦) . ولعله كان خلالها يستبطن ذاته ، على ضوء ما مرّت به. هذا مع انه قد أصدر خلال الفترة الممتدة من سنة ١٩٤٢ الى سنة ١٩٤٨ : ثلاث قصص ، ومسرحيتين ، وديوان شعر .

وفي سنة ١٩٥٦ عاد الى الكتابة بحماسة بالغة فصدرت له مسرحيات وقصص ، اشهرها مسرحية « الشرفة » Le Balcon ومسرحية « السود » Les Négres ، وقد عرضت هذه المسرحية في لندن سنة ١٩٦١ فلقيت نجاحا كبيرا.

■ ■ ■

ومسرحيات جان جينيه وقصصه ، حافلة بالرمز . وهو يجعل أبطاله يلبسون ملابس ترمز الى الشخصيات التى هى محور المسرحية ، ليعبر عن المواقف المتناقضة من حب وكراهية ،وحسد واحتقار .. ومثال ذلك انه في اول مسرحية له ، وهى « الوصيفتان » ، يجعل الوصيفتين (وهما شقيقتان) تقومان في غياب سيدتهما ، بما تقومان به عادة أثناء ارتداء السيدة ملابسها : فتلبس احداهما ملابس السيدة ، وتقوم الثانية بدور الوصيفة ، وتنحنى الوصيفة لتلبس السيدة حذاءها ، ثم تأخذ في تنظيفه . وهنا تفعل ما كانت دوما تود أن تفعله مع سيدتها : فتقف ، وتبصق على شقيقتها التى ترتدى ملابس سيدتها ، ثم تمسك بها من شعرها ، وتطرحها أرضا ، وتأخذ في ضربها وعضّها . وعندما تظهر السيدة على المسرح ، نجدها غير ما توقعنا : فهي سيدة عادية، سطحية التفكير ، وافرة الغنى ، ولكنها مغرورة،

وتجرى وراء الحب الحرام .

وقد عبّر جان جينيه في مسرحيته هذه عن كراهيته لصلف وغرور الطبقة البرجوازية ، واحتقاره للمظهر الزائف الذى تغلف به حقيقتها.

واذا وضح للقارىء الرمز في هذه المسرحية الأولى ، فان من السهل عليه أن يدركه في المسرحيات الأخرى .

■ ■ ■

وجان جينيه اليوم لا يجد رابطة تصله بأصدقاء الماضي ، فأصدقاؤه اليوم هم الفنانون والمفكرون.

وهو في هذه الأيام يعيش متنقلا بين فنادق اليونان وايطاليا ، محروما من باريس أكثر شهور السنة ، لأن الروماتزم الذى اصابه بسبب نزوله المتكرر في زنزانات السجون الرطبة ، فرض عليه أن ينشد الطقس الدافىء .

وهو الآن مشهور معروف ، ولكنه يكره ارتياد الأماكن التى هو معروف فيها ، ويتجنبها ما أمكن، وهو في الوقت نفسه يحب حياة الفنادق المترفة ، وينفق المال بلا حساب ، ويقدمه للمحتاج الذى يلقى به القدر في طريقه . واذا بحثت بين اكداس الكتب التى تملأ شقته في الفندق عن مؤلفاته ، فانك لن تجد منها حتى ولو نسخة واحدة .

وهو يبدو للغرباء مهذبا ، صريحا في حديثه ، ولكنه سرعان ما يصبح حاد المزاج ، عنيفا ، لاذع السخرية ، ، اذا وجد محدثه من ذلك النوع المتكلف ، المتعاظم ، الشامخ بانفه .

وهو لا يهتم بملابسه ، ومظهـــره يدل على بوهيمية مفرطة .

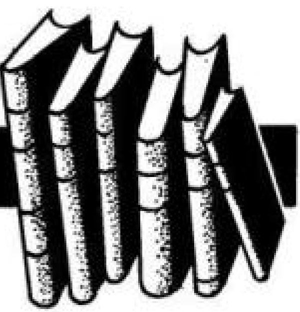
■ ■ ■

ان جان جينيه ذائع الشهرة اليوم في عواصم العالم الغربى ، ومسرحياته ومؤلفاته تستقبل استقبالا طيبا في باريس ، ولندن ، ونيويورك ، وبرلين الغربية . وهو في المانيا الغربية تلقى عنه المحاضرات في جامعاتها . وهو عند ادباء الجيل الغاضب في امريكا قديسهم ، والحامى لهم .

ان جان جينيه يحس بالاختناق لكل هـــذه الشهرة التى تحيط به،حتى لا تدرى أيهما انتصر على الآخر : أجان جينيه أم المجتمع ؟ ■■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا



قصص قصيرة عربية حديثة

● هو كتاب بالانجليزية ، ترجمة لنحو عشرين قصة قصيرة لكتاب من العرب في شتى الأقطار ، تعريفا للامم التى تتكلم الانجليزية بالقصص العربى. واسمه بالانجليزية Modern Arab ic Short - Stories لمترجمه Denys Johnson - davies نشرته مطبعة جامعة اكسفورد بانجلترا .

انتصار البلشفية ثورة هو أم رد فعل ؟

● كتاب بالانجليزية كتبه أستاذ امريكى بجامعة اكلاهاما ، يحكي تاريـــخ روسيا قبل الثورة الشيوعية وبعدها،ويريد أن يدلل على أن انتصار الشيوعية فى روسيا كان منتظرا ، لأن أساليب اتخذها القياصرة فى الحكم ، حتى العنف ، لم تختلف عن أساليب اتخذها البلاشفة . وان للروس مزاجا غير مزاج أهل الغرب . الناشر مطبعة جامعة اكلاهاما .

كتاب المغازى للواقدى

● هو لمحمد بن عمر بن واقد المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، تحقيق الدكتور المستشرق مارسدن جونس . والكتاب ثلاثة كتب . وهو فى السيرة النبوية وعلى الأخص فى حياة النبى فى المدينة بعد الهجرة اليها . وهو أشهر من أن يعرف . واضيف اليه مجموعة من الفهارس الحديثة .

وناشره وطابعه بالعربية مطبعة جامعة اكسفورد.

تأملات في الادب والحياة

● في تعريفنا بهذا الكتاب في العدد الماضي ذكر اسم مؤلفه الاستاذ عبد الرزاق البصير على انه الناشر ، وهذا خطأ مطبعي لا يفوت القارىء .

محمد كرد علي

تأليف / جمال الدين الالوسي ـ الناشر / وزارة الثقافة والارشاد / بغداد

● دراسة قيمة عن محمد كرد علي وترجمة مستفيضة لحياته من جميع نواحيها وجهاده في الصحافة والسياسة ورحلاته الى المغرب وترصد افكاره في العلم والادب والاجتماع وآرائه في الحياة . وقد قسم المؤلف كتابه الى ابواب يتناول في كل باب جانبا من حياة محمد كرد علي مثل الكتاب الذى وضعه لمؤلفاته وما حققه من كتب التراث العربى وباب آخر في مذكراته في النقد والسياسة والاجتماع وباب آخر في نشاطه في المجمع العلمى العربى .

العلاقات الانسانية في ادارة الأعمال

تأليف : روبرت سلتونستال / ترجمة : الدكتور احمد سعيد دويدار وآخرين الناشر : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر / القاهرة

● كتاب موجه الى الاداريين التنفيذيين العاملين في مستويات ادارة الأعمال الوسطى والعليا ومرجع عملي يسد حاجة الدارسين للمناهج العليا في العلاقات الانسانية وادارة شئون الافراد وعلم النفس الصناعى وعلاقات العمل وسياسة ادارة الأعمال ، وقد استقى المؤلف بعض مصادر كتابه من بعض المؤسسات والهيئات الرسمية والجامعات .

بغية النبلاء في تاريخ كربلاء

تأليف : عبد الحسين الكليدار ال طعمة / الناشر : مطبعة الارشاد / بغداد

● كتاب يبحث في تاريخ كربلاء منذ اقدم العصور ، واهمية هذه المدينة المقدسة للشيعة وقصة ورود الحسين على هذه المدينة وقتاله . واستشهاده من قبل جنود الدولة الأموية وذكر للعتبات المقدسة والأمراء والملوك الذين ساهموا في بناء هذه الاضرحة .

كل شيء عن الأدغال

تأليف : ارمسترونج سبيرى / ترجمة : الدكتور علي علي المرسى / الناشر : دار المعارف بمصر .

● كتاب يصطحبك في رحلة الى الغابات المطيرة في العالم حيث النباتات الغزيرة ، وحيث الحيوانات الغريبة وحيث نظمها الغامضة . والكتاب ينتقل بك من الادغال البرازيلية الهائلة الى ادغال جزر الهند الشرقية ثم في مجاهل غابة اتورى المطرة في الكونغو والمؤلف يشرح لنا كيف يمكن للغريب ان يتعلم اساليب العيش في الادغال .

الباليه

تأليف : نويل سترتفيلد / ترجمة / نفيسة الغمراوى / الناشر : دار المعارف بمصر .

● كتاب يتحدث عن الباليه والأسس الصحيحة لتعليم فن الباليه . والكتاب يضع المنهاج الذى يجب ان تتبعه المدرسة من حيث سلوكها مع الطالبات وما يجب على التلميذة ان تلتزم به في ملبسها وتمريناتها ، وقد زود الكتاب بعدد وافر من الرسوم التوضيحية للاستفادة منها .

الحبيب بورقيبة /حياته ـ جهاده

كتابة الدولة للاخبار والارشاد ـ تونس

● ترجمة لحياة الحبيب بورقيبة وكفاحه في سبيل استقلال تونس وعرض للمصاعب والاحن التي مرت بحياته ، والحركات الوطنية التي اشترك بها لتحرير تونس من الاستعمار ثم الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ساهم بها لبناء تونس الجديدة .

كل شيء عن الوحوش الغريبة في الماضي

تأليف : روى تشابمان اندروز / ترجمة : الدكتور محمود محمد رمضان / مراجعة الدكتور كامل منصور : الناشر / دار المعارف بمصر .

● كتاب يحكي قصة الحفريات ودراسة الكائنات التى عاشت منذ ملايين او الاف السنين ، ويقص المؤلف انباء بعثته التي قام على راسها فاكتشفت حقولا عظيمة ووقعت على طرائف مثيرة عن تلك الكائنات تساعد على تكوين صورة عن الدنيا القديمة ووحوشها الغريبة العجيبة .

■■

اِضْحَكْ

تضحك الدنيا معك

ابكِ تبكِ وحدك



ولله فى خلقه شؤون

● **السائح** لأحد المواطنين فى مدينة اشتهر اهلها بالغباء : يبدو أن السلطات فى بلدكم مهملة للغاية . فهذا جرف خطر والواجب يقضي بوضع لافتة تحذير تقى الناس شر السقوط من فوقه !!

المواطن : حقا انه جرف خطر ! ولكن لافتة التحذير التى تذكر كانت موجودة قبل حين ، غير ان احدا من الناس لم يسقط من فوق الجرف طيلة السنوات الاخيرة ، فعمد المسؤولون الى الاستغناء عن تلك اللافتة !!

بعــد افتراق

● ظلت فرقة من الممثلين تجوب الريف تعرض تمثيلياتهـا . ثم تشتتت الفرقة ، وكان لهـا رئيسان شريكـان فافترقا .

وبعد سنوات دخل احدهما مطعمـا حقيرا ، وطلب طعاما . فاذا به فجاة يرى وجه شريكه . انه الجرسون الذى يقدم الطعام . وتعانقا . وقال الزبون لصاحبه :

الزبون : هل بلغت بك التعاسة ان تكون جرسونا في مثل هذا المطعم ؟

الصاحب فى كثير من الكبرياء : هذا صحيح ، ولكنى لا أتناول طعامى هنا !!



له أن يضحك ..
وعليه أن يدفع ..

● ضحك صديقى كثيرا لما سمعنى أخاطب (الجرسون) في المطعم باللغة الفرنسية التى لا اجيدها ولا يفهمها هو ، ولم يخطر له ببال أننى كنت اطلب من ذلك الجرسون تقديم الفاتورة الى صاحبى ليدفعها !

مسألة زمن ، ليس الا

● كانت الوليمة قائمة في بيت اللواء السابق في الجيش . وبغتة نهضت سيدة من على المائدة غاضبة وذهبت الى رب البيت تقول له انها لن تدخل بيته بعد ذلك ابدا .

رب البيت ــ لماذا ؟

السيدة الغاضبة ــ لأن زوجتك شتمتنى ، قالت اننى فتاة شوارع !

رب البيت ــ ان هذه عادة زوجتي دائما .. أتصدقين انها ، وقد تركت الجيش منذ عشرين عامـا ــ لا تزال تنادينى « يا لواء » ؟!

الشَّمْعَة

قصة للكاتب الروسى الكبير ليو تولستوى

■ حدث هذا الشيء الذى سأرويه فى عهد السادة ، وهو العهد السابق لتحرير المزارعين الروسيين فى سنة ١٨٦١ ، وكان من هؤلاء السادة من يذكر الله ، ويعلم ان الموت حق ، فيترفق بالفلاحين، ويحسن معاملتهم ، ومنهم من لا يعرف الله ، ولا يذكر الموت ، فيعنف بهم ، ويقسو عليهم . وكان اغلظ هؤلاء السادة قلبا ، واشدهم وحشية ، هؤلاء الذين ارتفعوا من حضيض المهانة الى مصاحبة الأمراء وملازمتهم ، وكانت الحياة فى منطقة نفوذهم اشق حياة .

ومن امثال هؤلاء احد المشرفين الذين وكل اليهم احد السادة امر ضيعة ، وكانت الضيعة واسعة الارجاء ، تشمل مروجا وغابات وما يكفيها من الماء ، وكانت العلاقات حسنة بين صاحب الضيعة ومزارعيه ، الى أن اختار احدَ مواليه من ضيعة اخرى وعينه مشرفا على الضيعة .

ولما تقلد هذا المشرف وظيفته اخذ يمعن فى اضطهاد المزارعين، وكانت اسرته مكونة من زوجة وبنتين متزوجتين،وكان يريد أن يجمع مالا سواء بالطرق المقبولة أو بالوسائل المرذولة ، لانه كان طموحا وشريرا خبيثا . وبدأ بارغام الفلاحين على القيام بأعمال اكثر مما يسمح به قانون السخرة . ولما كان قد بدأ ببناء مصنع للطوب فقد ارهق الناس رجالا ونساء بالعمل فيه حتى يستطيع ان يجمع مالا من بيع الطوب .

وشخص بعض المزارعين الى موسكو ليشكو الى صاحب الضيعة،ولكن شكواهم لم تجد ، وعاد المتظلمون فارغى الأيدى ملاء القلوب ، ولم يكف عنهم صاحب الضيعة اذى المشرف ، ونمى الى المشرف ان الفلاحين قد شكوه الى صاحب الضيعة ، فعمد الى الانتقام منهم حتى زادت حالتهم سوءا ، وكان بعض هؤلاء الفلاحين رجالا غير امناء،فأخذوا يشون ببعض زملائهم الى المشرف ، وائتمر بعضهم ببعض حتى ساد الشقاق المنطقة كلها ، وازداد المشرف غلظة ووحشية .

واخذت الحالة تزداد سوءا حتى صار المزارعون يخشون المشرف كما يخشون الوحش الضارى ، وكان اذا ركب خلال القرية يفر من طريقه الرجال فرارهم من الذئب ، ويحاولون بأى ثمن ان يتحاشوا نظراته . ورأى المشرف ذلك فزاد عتوا وطغيانا . وكان يجلد الفلاحين ويسرف فى ارهاقهم بالعمل ، وكثير منهم لقى الهوان وقاسى العذاب على يديه .

وضاق الفلاحون ذرعا بهذا الاذلال الصارخ ، ومشى بعضهم الى بعض ، وشرعوا يتحدثون فيما بينهم ، وكانوا يجتمعون فى مكان ناء ، واجترأ احدهم على ان يقول : « الى متى نحتمل هذا الوحش الذى يحكمنا ! لنعمل على انهاء



عهده ، وقتل مثل هذا الرجل لا يعد جريمة » .

وفى ذات يوم امر الفلاحين بتنظيف الغابة من النباتات الطفيلية ، وكان ذلك قبيل « اسبوع الآلام » ، فلما تجمعوا لتناول الغداء استأنفوا الحديث فيما بينهم ، وقال بعضهم لبعض : « كيف نستطيع البقاء على هذا الحال ؟ ان هذا الرجل يدفع الى اليأس ، ولقد ارهقنا اخيرا بالعمل ، وحملنا فوق طاقتنا حتى لم نجد نحن ولا نساؤنا وقتا للراحة فى النهار او فى الليل ، وفضلا عن ذلك فانه اذا لم يتم شيء بالصورة التى يريدها فانه سيثور ثائره ويوسعنا ضربا . ولقد مات « سيمون » متأثرا بالسياط التى صبها على جسده ، وعانى « أنيسيم » الامرّين من ذلك ، فماذا ننتظر بعد هذا كله ؟ وسيحضر هنا هذا الوحش في هذا المساء ويسلقنا بسلاطة لسانه ، وكل ما نحتاج اليه هو أن ننتزعه من فوق جواده ، ونعلوه بالفؤوس ، وينتهى بعد ذلك كل شيء ، والشيء الوحيد هو أننا يلزم أن نتحد وتجتمع كلمتنا ، ونقف صفا واحدا ولا تحدث بيننا خيانة » .

وكان « فاسيلى مينايف » مصرا على ذلك بوجه خاص ، لأنه كان يحمل ضغينة على المشرف ، فقد كان لا يمر اسبوع دون أن يجلده ، ولم يكتف بذلك ، فقد اتخذ زوجة « مينايف » طاهية له .

وهكذا كان حديث الفلاحين بعضهم مع بعض غداة مجيء المشرف ، ولم يكد يمتطى جواده ويمر بالغابة حتى ثار غضبه لأن تنظيفها لم يتم كما اراد ، وعلاوة على ذلك فقد شاهد في احد اكوام الحطب فرع شجرة زيزفون فقال: «الم اقل لكم لا تقطعوا اشجار الزيزفون؟ من منكم فعل ذلك؟ خبرونى والا جلدتكم جميعا » .

واعاد السؤال عمن كان قد تولى قطع صف الاشجار التى اشتملت على شجر الزيزفون ، فأشار المزارعون الى « سيدور » ، فعلا المشرف وجهه بالسوط حتى سال عليه الدم ، والهبَ ظهر « فاسيلي » بالسوط لأن كوم الحطب الذى جمعه كان جد صغير .

وفي هذا المساء اجتمع المزارعون كعادتهم ، وقال « فاسيلى » اى نوع من الرفاق انتم ؟ ان لكم جسم البغال واحلام العصافير ، كل منكم يوصى الآخر بالثبات ، وحين يجدُ الجد يأخذكم الروع ، وهذا حال العصافير حينما تتاهب لمقاومة الصقر ، فهى تتواصي بالثبات ، ولكن حينما يحط

عليها الصقر ينالها الفزع ، ويسطو الصقر على العصفور الذى يريده،ويطير به معلقا بين مخالبه . وتعاود العصافير الوثوب بعد ذلك . وهكذا حالكم أيها الرفاق ، فانتم تصيحون قائلين « لا خيانة » . وحينما ضرب هذا الرجل « سيدور » كان يجب عليكم أن تنقضوا عليه ، ولكنكم تخاذلتم تخاذل العصافير امام الصقر .

وعاود الفلاحون الحديث في هذا الموضوع مرارا حتى صح عزمهم على التخلص من هذا المشرف .

فغداة « اسبوع الآلام » ارسل اليهم يخبرهم أن عليهم ان يحرثوا الارض لزراعة الشوفان ، وراى الفلاحون في هذا المطلب انتهاكا لحرمة أسبوع الآلام ، فاجتمعوا في فناء دار « فاسيلى » للتشاور في الأمر ، وقالوا « اذا كان هذا الرجل قد نسي الله ، وامرنا بمثل هذا الامر فان الواجب يقتضينا قتله ، فلنبادر الى ذلك » .

ولم يلبثوا ان انضم اليهم « بيتر ميشيف » ، وكان رجلا مسالما ولم يشترك من قبل في هذه المناقشات ، واصغى اليهم ثم قال « انكم تفكرون في ارتكاب اثم كبير ايها الاخوة ، فسلب حياة أى انسان عمل فظيع ، ومن السهل ان تقضى على حياة اى انسان ، ولكن ماذا عن حياتكم انتم ؟ اذا كان هذا الرجل يقترف شرا فان النشور ينتظره، وما عليكم أيها الاخوة الا ان تصبروا » .

فأثار هذا الكلام فاسيلى ، فقال « انك لم تراع سوى اعتبار واحد ، وهو أن قتل مثل هذا الرجل اثم ، وهو بطبيعة الحال اثم ، ولكن ليس في مثل هذه الحالة ، فمن الاثم أن تقتل رجلا صالحا ، ولكن ماذا تقول في كلب مثل هذا ؟ ان الله قد امرنا بقتله ، اننا نقتل الكلب المسعور من اجل اخواننا ، وان ترك هذا الرجل حيا اثم أعظم من اثم قتله ، ولماذا يستمر في تحطيم حياتنا ؟ ولا بأس في أن نشقى بقتله فاننا نفعل ذلك من أجل زملائنا ، وهم سيحمدون لنا ذلك ، وكلامك « يا ميشيف » كلام فارغ ، ومن الاثم أن نعمل في يوم من الايام المباركة المقدسة ، وانت نفسك تنوى مخالفة أمره » .

فأجاب ميشيف قائلا « ولم لا اذهب؟ اذا أرسلت للحرث فانى سأطيع الامر ، والله اعرف بمن سيقع عليه الاثم ، ولو أن الله اراد أن ندفع الشر بالشر لكان امرنا بذلك ، ومن الحمق أن نقتل انسانا لأن الدم سيلتصق بالروح ، واننا بقتلنا هذا الرجل نكون قد ارتكبنا اثما اعظم من جميع الآثام التى ارتكبها هو ، فاستسلموا للنكبة فان النكبة في دورها تستسلم لكم » .

فانقسم الفلاحون فريقين ، لأن بعضهم وافق فاسيلى ، وبعضهم احترم رأى ميشيف ووصيته لهم بالصبر والامتناع عن مقارفة الاثم .

وفي يوم الاحد ، وهو اليوم الاول من أيام الاحتفال بالاسبوع المقدس امسك الفلاحون عن العمل ، ولكن نائب المشرف حضر في المساء ومعه اعوانه وقال « لقد ارسلنا المشرف لنحذركم عاقبة الاعراض عن حرث الارض غدا استعدادا لزراعة الشوفان » .

وضايق ذلك الفلاحين ، ولكنهم لم يجترئوا على المخالفة ، وفي صباح اليوم التالى بدأوا في مباشرة حرث الارض في حين ان جميع الناس كانوا يحتفلون بالاسبوع المقدس .

وبعد ان استيقظ المشرف من نومه ، وارتدى هو واسرته افخر ملابسهم وركبوا العربة الى الكنيسة وعادوا منها وجلس مع أفراد أسرته يتناولون الشاى ، استدعى نائبه وسأله عن الفلاحين وهل ذهبوا للحرث ثم كلفه بالذهاب اليهم واخبارهم بأنه سيحضر ليرى حرثهم للارض بنفسه، وانه سيعاقب المقصرين . ولما هم نائبه بالذهاب امره بأن يصغى الى احاديثهم ، ويوافيه بما يقولون عنه لانه يعرف انهم يكرهونه لانه يحثهم على

العمل وهم قوم كسالى ، ولو انه تركهم وشأنهم لما قاموا بعمل شيء .

فذهب نائبه الى الفلاحين في الحقول، وكانت زوجة المشرف قد سمعت ما قاله زوجها لنائبه ، وجاءت لتدافع عن الفلاحين ، وكانت امراة رقيقة الطبع طيبة القلب تحاول على الدوام ان تستلين قلبه وتدافع عن المزارعين ، ورجته ان لا يرتكب خطيئة في حق السيد المسيح ، وان يسمح للفلاحين بالراحة من العمل اكراما له .

ولكن المشرف لم يعبأ بكلامها وسخر منها ، فنصحته بالاصغاء لها واتباع نصيحتها ، وذكرت له انها رات حلما سيئا خاصا به ، فنهرها وهددها بالضرب ان لم تكف عن الاسترسال في حديثها وكلفها بأن ترسل اليه الغداء .

وعاد اليه نائبه ، فسأله عن سير العمل ، فأجابه النائب بأن العمل سائر على خير ما يرام ، فسأله عما يقولونه عنه ، ولما تردد في اخباره هدده بالعقوبة ان لم يقل الحق ، فاستجمع الرجل شجاعته ، وقال له « انهم متذمرون وناقمون » .

فقال له « ولكن ماذا يقولون ؟ قل لي واخبرني » .

فأجابه « انهم جميعا يقولون انك لا تؤمن بالله » .

فضحك المشرف وقال « من منهم يقول ذلك ؟ » .

فأجابه « انهم جميعا يقولون انك تخدم الشيطان » .

فأمعن في الضحك وقال « خبرنى بما يقول كل منهم على حدة » .

ولم يكن النائب يريد أن يذكر اسم أحد من الفلاحين ، ولكن كان بينه وبين « فاسيلي » ثار قديم فأجابه قائلا « أشدهم لعنا لك هو فاسيلي » .

« وماذا يقول عنى ؟ » .

فأجابه اني خجل من ترديد ما يقوله، ولكنه يأمل أن خاتمتك ستكون سيئة» .

« وماذا يقول عنى ميشيف ؟ » .

فأجابه « انه الوحيد الذى لم يقل شيئا ، وقد عجبت من امره حينما رايته اليوم » .

« ولم ذلك ؟ »

فأجابه « كان يقوم بالحرث ، ولما دنوت منه بدا لى انى أسمع نشيدا في صوت خفيف جميل ، وقد وضع في وسط قاعدة المحراث شمعة ، وكانت مشتعلة كأنها لسان من النيران ، وكانت الريح تعصف ، ومع ذلك لم تنطفىء الشمعة » .

« وماذا قال لك ؟ » .

فأجابه « لم يقل شيئا سوى انه حين رآني القى علي تحية عيد الفصح،وتغنى اناشيد وهو يحرث »

« وماذا قلت له ؟ »

فأجابه « لم اقل شيئا ، ولكن بعض الفلاحين استرسلوا في الضحك ، وقالوا ان ميشيف سيظل قرنا يكفر عن الحرث في اسبوع الآلام » .

« وبماذا اجابهم ؟ »

فأجابه النائب « لم يقل سوى السلام في الارض ، والنية الحسنة نحو الناس» . فأمسك المشرف عن الضحك، واحنى راسه على صدره ، وظل غائصا في لجج الفكر ، وأوى الى حجرة نومه واستلقى على فراشه حسيرا يئن أنينا، وذهبت اليه امراته ، واعادت توسلها من اجل الفلاحين ، ولكنه لم يحر جوابا، وقال أخيرا « لقد غلبني هذا الرجل ، وانى القى الآن جزاء ما قدمت يداى » .

وفي اليوم التالي استيقظ من النوم وباشر اعماله ، ولكنه كان شخصا آخر، كان من الواضح أن قلبه قد تلقى صدمة، واخذت تتوالى عليه نوبات الحزن ، وصار يمعن في الشراب حتى اتلف ماله وساءت أحواله حتى نزل الى سرقة شيلان زوجته ليدفعها ثمنا للشراب ، واشفق عليه الناس حتى الذين كان يضطهدهم ، ولم يحل عليه الحول حتى احتواه القبر .

■■

على أدهم

بمناسبة السنة السياحية الدولية ١٩٦٧

تخفيض اجور الدراسة في معهد بوليجلوت للغات بالمراسلة

٣ دنانير فقط لكل دورة ثلاثة اشهر دراسية كاملة

مشاركة في نجاح السنة السياحية قرر المعهد اجراء هذا التخفيض في الاجور لآلاف الاصدقاء والطلاب في ارجاء العالم فأصبح بامكانهم أن يتعلموا

الانجليزية الفرنسية الالمانية

على طريقة بوليجلوت بأجور زهيدة لكي والمجان مواد وسيستفيد طلابنا المستمرون على الدراسة الآن من هذا التخفيض وذلك بالحصول على دورة اضافية مجانية. ان طريقة بوليجلوت التي افادت الآلاف من الطلاب تضمن لك انت ايضاً اتقان اللغة بسهولة وسرعة. فاملأ الكوبون وارسله الآن مع الاجور الى العنوان التالي

معهد بوليجلوت للغات ص ب ٢٩٩٣ الكويت

السادة معهد بوليجلوت للغات ص ب ٢٩٩٣ الكويت

ارفق لكم بهذا مبلغاً يساوي (٣) دنانير كويتية عن أجرة دورة ثلاثة اشهر دراسية كاملة في

اللغة........ للمرحلة الابتدائية ☐ المتوسطة ☐ العالية ☐ ضع علامة X في المربع السابق للمرحلة المطلوبة

يرجى إرسال الدروس لي على العنوان التالي ...... الاسم ---------------

العنوان ---------------

Pif Paf

بيف باف يقضى على الحشرات



صنع بيف باف خصيصا لكم .. انه يجعل منازلكم سليمة من الحشرات وزكية الرائحة في آن واحد. تذكروا ان البعوض والذباب والصراصير وغيرها من الحشرات ليست هي آفات مزعجة فقط، بل انها خطر يهدد صحتكم. اجعلوا بيوتكم صحية عطرة باستعمال بيف باف بانتظام.

صنع شركة كوبر ماكدوجل وروبرتسون

MADE BY COOPER McDOUGALL & ROBERTSON

درجة قصوى من الدفاع بأقل التكاليف تبرهنها الخبرة البريطانية

ان حوامات مؤسسة الحوامات البريطانية هي الجواب الحديث لمشاكل الدفاع الساحلية التي يواجهها العديد من الشعوب في ارجاء شتى من المعمورة. فبالسرعة الزائدة وحرية الحركة التي تفوق سرعة الزوارق العادية، وبحملها آخر ما توصل اليه العلم من معدات حربية تعتبر هذه الحوامات أكثر فعالية في تحمل واجبات الدوريات السريعة. فبامكان هذه الحوامات أن تغطي مساحة كبيرة بسرعة ليلاً ام نهاراً لاتعوقها الصخور القريبة من سطح الماء أو الكثبان الرملية أو الطينية حتى ولا الشبكة الدفاعية الموضوعة تحت سطح الماء في حالتي المد والجزر. ولقد استخدمت هذه الحوامة حتى الآن من قبل قوات الدفاع البريطانية ومن قبل بحرية الولايات المتحدة. وبرهنت على قوة احتمالها وقدرتها على الحركة بنجاح في الطقس الحار وفي الجو الصحراوي.

وتستخدم الحوامة س ر.ن ٦ التي يبلغ وزنها ١٠ اطنان حالياً من قبل سلاح النقل الملكي ـ قسم الحوامات ـ وهي الوحدة العاملة الاولى في العالم، وبامكانها أن تحمل ٣٠ جندياً بكامل السلاح والعتاد أو ثلاثة اطنان من المواد، وتبلغ سرعتها الاعتيادية ٥٦ عقدة بحرية. أما الحوامة ب هـ ٧ التي يبلغ وزنها ٤٠ طناً والتي هي في طور الصنع حالياً للحكومة البريطانية بشكليها كحوامة للدوريات السريعة ولنقل المعدات والطعام في الميدان فبامكانها حمل ١٤٠ جندياً كاملي العدة أو ١٤ طناً من المعدات أو العربات، وتبلغ سرعتها الاعتيادية ٧٥ عقدة بحرية. بهذا تشكل الحوامة البريطانية راس الرمح في ميدان السبق العسكري وتعرض أسسا ومقاييس جديدة في المرونة والسرعة للقوات الدائبة الحركة في أي مكان في العالم.



الحوامة البريطانية ـ تتقدم العالم في ميدان النقل

BHC

british hovercraft corporation limited

YEOVIL ENGLAND

العربي

العدد ١٠٤
٢٢ ربيع الأول ١٣٨٧
يوليو
(تموز) ١٩٦٧



عبات سوريا كل قواها
وعبات النساء

◀

الثمن
كالمعتاد



صـــورة تنطق عما بها • وجوه فيها الألم وعيون فيها الحسرة والضياع وجدتهم العجوز تضرع الى الله . انهم من جنين مشوا منها على اقدامهم اربعة ايام وا... [illegible] ... الى عمان .

فى أعقاب العدوان الآثم

صور تنطق عن نفسها

التقطتها بعدسة «العربي»

(انظر الصفحات التالية)

آلاف الخيام المنصوبة التي أقيمت على عجل في الصحراء [illegible] ..









« ان اصابة ابنى أحمد في العدوان الغاشم ، بحروق النابلم هو شرف كبير لى ، وقد قدمت ابنى الثانى الى الجيش السورى ليملأ المكان الذى خلا بعد توقف أخيه عن تأدية واجبه .. » كلمات نابعة من قلب أم تفخر بها كل الأمهات العربيات .. ان اسمها عائشة جمال الدين وتلقاها نيل نهار جالسة بجوار ابنها أحمد في مستشفى المزه العسكرى بدمشق ، تخفف عنه الامه .

في الصورة العليا بالصفحة اليمنى :

العرب النازحون كرها وهم في الضفة الغربية ، وقد حملوا ما استطاعوا حمله يتأهبون لعبور نهر الاردن بواسطة جسر «الملك حسين» اللنبى سابقا.

وفي الصورة السفلى الى اليمين كذلك : كوبرى الملك حسين وعلى راسه وقف الجنود الاسرائيليون وفي أسفل الكوبرى العرب عند وصولهم الى الضفة الشرقية .



صورتان أخذتا فى مستشفى المزه العسكرى بدمشق توضحان كيف تصنع قنابل النابلم بوجوه الناس وباجسامهم . وفى الصورة العليا تجد مساحات من الظهر واسعة كلها حروق ، والوجه كذلك به حروق ويلاحظ أن يديه مربوطتان . وذلك لأنه من الطبيعى أن الرجل الذى يصيب جسمه شيء من النابلم المشتعل يمد يده لرفع النابلم عن جسمه ولكنه غروى فيلصق باليدين فيحترقان . (انظر ص ٢٤ من العربى)

أما الصورة الثانية فالنابلم أصاب الوجه وتحاول أيدى المرضة ازاله الجلد الميت من على وجهه .



عزيـزي القـارئ

● هذا عدد أول يوليو ، عدد تموز .

وقد تم طبعه كله تقريبا قبل أن يبدأ العدوان النادر ، باستثناء حديث الشهر .

فتلك عادتنا بالسبق في الطبع ، وهي عادة كل مجلة شهرية ، لا سيما مجلة تصدر في الكويت يحتاج ايصالها الى القراء في شتى العالم العربى الى زمن ليس بالقصير . هذا عدا ما تستغرقه مطابعنا الحاضرة من الوقت لتطبع من « العربى » ذلك العدد الكبير الوفير .

ان من سوء حظنا نحن الشهريّين ، اننا نسبق الاحداث ، أو أن الاحداث تسبقنا كثيرا ، فاذا عالجناها عالجنا اشياء قد اعتُصرت حتى لم يبق فيها ما يُعتصر .

عزيزي القارىء :

● **ان النكسة الكبرى قد حلت بنا ، وهي ثالثة النكسات ، ونسميها النكسة لا النكبة ، فالنكسة يكون دائما منها شفاء .**

وهو شفاء لن يتهيأ لنا هذه المرة الا بعد امد قد يطول .

فداؤنا هذه المرة داء مستفحل . وهو ذو شُعَب . وقد كَثُر الاطباء ، وتحدثوا واصطخبوا ، وما كنا نعلم ان بيننا منهم مثل هذا العدد العديد . اما النطاسيُون فيهم ، فنظروا وصمتوا ، لأن احدا لم يَطرق لهم بابا ، وخشيهم الناس ، لأنه هالهم ان يسبر النطاسيون عمق الداء .

ولله الامر من قبل ومن بعد ..

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

لغات .. وآداب :

استطلاعات صحفية مصورة :

شعر .. وشعراء :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 104 July 1967 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

هكذا تعيش المرأة السورية اليوم .. كل امرأة خرجت تحمل السلاح وتشارك الرجل في الاستعداد لصد العدوان الصهيوني ضد العرب .. وفي الصورة طالبات احدى المدارس الثانوية في دمشق يحملن المدافع التى تدربن على اطلاقها .. وكلهن عزم وتصميم .

اسلاميات :

فلسفة :

تربية وعلم نفس :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

ركن الاسرة والمرأة :

كتب :

قصص :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣٫٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



بريد القراء

ذرة الايدروجين .. وذرة الكربون

● قرات في العدد ١٠١ من مجلة « العربي »القراء الصادرة في ابريل ١٩٦٧ في صفحة في « سبيل موسوعة علمية » تحت عنوان «الذرة» ، قولكم :

« .. ولكن بما أن ذروة الايدروجين هي وحدة الوزن في الحديث عن الذرات ، وبما أن وزن ذرة الايدروجين .. » الخ .

وهذا الذى ذكرتموه عن ذرة الايدروجين هيوحدة الوزن للذرات ، وحدة قديمة استعاض عنها العلماء اليوم بوحدة ذرة « الكربون » مقسومةعلى ١٢ . وهذا تقرر باجماع العلماء « علماء الطبيعة » في عام ١٩٦١ م .

ولهذا احببت أن تجمع مجلة « العربي » مجلةوطني الحبيب الذى فارقته للدراسة في الاتحاد السوفييتي كل شيء جديد .

ملاحظة : سفارتنا في موسكو تزودنا كل شهر« بالعربي » .

ودمتم لقرائكم .

بدر احمد محمد

من دولة الكويت في جامعة البولتكنيك

في لنين غراد في الاتحاد السوفييتي

« العربي » : شكرا للطالب السيد بدر أحمد محمد ، ونرجو له التوفيق في دراسته .. أما ما ذكره عن تخلى العلماء ، عن اتخاذ ذرة الايدروجين وحدة لأوزان الذرات ، فغير صحيح . لان المعروف أن وزن ذرة الكربون مثل وزن ذرة الايدروجين ١٢ مرة ، وهم اتخذوا الوحدة الجديدة وزن ذرة الكربون مقسوما على ١٢ ، وما خارج القسمة هذا الا وزن ذرة الايدروجين. كان هذا عام ١٩٦١. والذى يحدث في العلم عام ١٩٦١ ليس بالعلم الجديد كما تقول . انه في العلم علم قديم .

وقد سبق انهم في نحو عام ١٩٠٢ اتخذوا قرارا يصح التعبير عنه بأنهم اتخذوا وحدة الوزن الذرى للعناصر وزن ذرة الاكسجين مقسوما على ١٦ . وما هذا بدوره الا وزن الايدروجين .

وهم انما عمدوا الى الوصول الى الوحدة الذرية عن طريق الاكسجين آنا ، وعن طريق الكربون آنا ، لأسباب فنية تتعلق بسهولة الوصول العملى الى هذه الأوزان. عمدوا الى الاستعانة بالاكسجين،لان أكثر العناصر التى تتحد به لا تتحد بالايدروجين . وعمدوا الى الاستعانة بالكربون هربا من الاكسجين الذى تبين أن له في الهواء أكثر من « نظير » ، وكل نظير له وزن خاص به . وهم ، حتى لما عمدوا الى الكربون (وله نظائر) اتخذوا النظير السائد الذى يساوى ١٢ مرة من الوزن الذرى للوحدة الذرية التى هى ذرة الايدروجين . ومن اجل كل هذا ظلت الأوزان الذرية للعناصر هى هى في أول هذا القرن كما في آخره . كل ما في الامر أن الوحدة الذرة (ذرة الايدروجين) كانت : ١٫٠٠٠٠ ، فصارت ١٫٠٠٨٠ ولا ننسي أن كل هذه الاوزان نسب منسوبة الى ذرة الايدروجين ، اتخذناها ١٫٠٠٠٠ أو ١٫٠٠٨٠ .

شعراء رثوا زوجاتهم

● قرأت في العدد الثاني بعد المائة من مجلتكم القراء مقالا بعنوان (شعراء رثوا زوجاتهم) للأخ خليل الهنداوى ـ وأود أن أضيف ، بأن هناك شعراء لم يتطرق الكاتب الى ذكرهم .. ومنهم ـ ديك الجن ـ الذى قتل زوجته (ورد) ولما تبين له براءتها ندم وحزن وقال شعرا رائعا في رثائها منه :

يا طلعةً طلعَ الحِمامُ عليها ... وجنى لها ثمرَ الرَّدى بيديها
رَوَّيتُ من دَمِها الثرى ولطالما ... رَوَّى الهوى شفتيَّ من شفتيها

كما ان الأخ الكاتب لم يستشهد بشعر (أبي اسماعيل بن على الطغرائى) الذى فقد زوجته الشابة فآلمه المصاب وعز عليه الفراق فقال :

أعيْنيَّ جُودا بالدماء وأسعِدا ... فقد جلَّ قدْرُ الرزءِ عن عَبْرةٍ تجرى

وذكر السيد الهنداوى في مقاله ـ ان شاعرا فقد زوجته ورثاها بشعر منه :

وقبل فراقٍ لا تلاقيَ بعده
ولا زاد الا حسرة وتحرُّق

ترى من هو هذا الشاعر ؟ ومن هى زوجته الفقيدة ؟ هلا تكرم الأخ الكاتب بذكر اسمه ؟

كما ان الكاتب لم يستشهد بشعر (عزيز اباظه) و(عبد الرحمن صدقى) مكتفيا بالقول انهما رثيا زوجتيهما بديوان شعر كامل .. ولم يتحفنا ببيت أو بضعة أبيات من ديوانيهما .

عبد الجبار محمود السامرائى
سامراء ـ العراق

★ ★ ★

أين مجلة ((العربى))

● أود أن أذكركم بمشكلة يعانيها قراء «العربى» من كل مكان ، وهى ان ما يصل من أعداد هذه المجلة الى مختلف أنحاء العالم العربى غير كاف ، وهذا لعمرى شيء عجاب ! فالمجلات الاخرى تعانى من قلة الرواج ، ونحن نعانى من ندرة اعداد العربى !! نرجوكم ونلح في الرجاء بزيادة ما يطبع من اعداد هذه المجلة ، والا فاخفوها نهائيا حتى لا نرى غيرنا يملكها ونحن نحرم منها .

سليمان حبيب خليل/سوريا

● لقد باتت مجلة « العربى » حاجة ضرورية من ضروريات الشعب لما تتمتع به من الشعب العربى الجليل وما تقدمه من ثمار شهية للقراء حيث تزودهم بشتى الثقافات المتعددة وتعرفهم باقلام الكتاب المهرة .. ومن شدة حرصى على شراء المجلة بأعدادها الكاملة أظل أنتظرها طوال الشهر بكامله ، ولكن عندما تصدر في نهاية الشهر واذهب لشرائها من المكتبة لا أجدها وأحيانا لا تأتى الا بعد عشرة أيام من نهاية الشهر . ولايمكن أن تتصور شدة تلهفى آنذاك لرؤيتها . فهل هذا التأخير يصدر منكم أو من هنا في لبنان .

محمد بغدادى/لبنان/صور

« العربى » : ستفرج الأزمة قريبا باذن الله .

اللغة العربية في موريتانيا

● اطلعت على العدد ١٠١ من مجلتنا الحبيبة « العربى » وشد انتباهى ما يعانيه هذا البلد الشقيق موريتانيا من قلة المدرسين للغة العربية، فلماذا لا تتبنى « العربى » مشروعا يهدف الى توفير المدرسين الذين تحتاج اليوم هذه الدولة العربية الشقيقة،وجمع المعونات للنهوض بمستوى تدريس هذه اللغة ؟ انها لو فعلت لاستطاعت ان تؤدى خدمة جليلة الى جانب الخدمات التى تقوم بها الآن من تثقيف كل ناطق بالضاد في مدرستها الجليلة المتمثلة في صفحاتها القراء .

يوسف محمد أبو زيدان
غزة / فلسطين

« العربى » : هذه مهمة جامعة الدول العربية.

النكسة الكبرى

ثالثة النكسات في ٢٠ عاما

الجمعة ٩/٦/١٩٦٧ :

■ ما أشد واعسر الكتابة هذه الايام .

وتستحثني المطبعة مرارا لأن الوقت قد فات وامعن في الفوات .

ولكم قعدت استجابة لها ، فكتبت .

وكم مسحت من بعد كتابة ما حبرت .

وتوالت الاحداث بالسوء ، حتى جاء الخبر الاسوأ .

وكم سمعت فانكرت ، حتى جاء الخبر الذى لا ينكر .

وفي صبيحة هذا اليوم ، هأنذا اعود فاجمع قواى من جديد .

وفي تباشير الفجر خرجت أطلب اشعة السماء الاولى ، وفي نفسي شيء من ريبة ، هل اراها كعهدى بها ؟ ثم انبلج الصباح رويدا رويدا ، واذا بي ارى حاجب الشمس قد اطل . واذا الشمس طالعة مكتملة كعهدى بها . والشجر القليل الذى حول بيتي ظلت تتحرك غصونه في نسمة الصباح كما عرفتها . والبحر القريب مني ، خرجت اليه استروح ، فسمعت لموجه حفيفا خفيفا وهو يضرب بمائه رمل الصحراء .

الدنيا اذن لا تزال هي الدنيا . وارض الله وسماؤها هي هي أرض الله والسماء .

ان الطبيعة لا تدرى بالذى يجرى للناس ، وهم في أطوائها ، من أفراح ومن احزان ، ويدرى الله ، ويقدّر الله ، ويقسّم الحظوظ بين عباده .

ومن عباد الله أفراد الخلق .

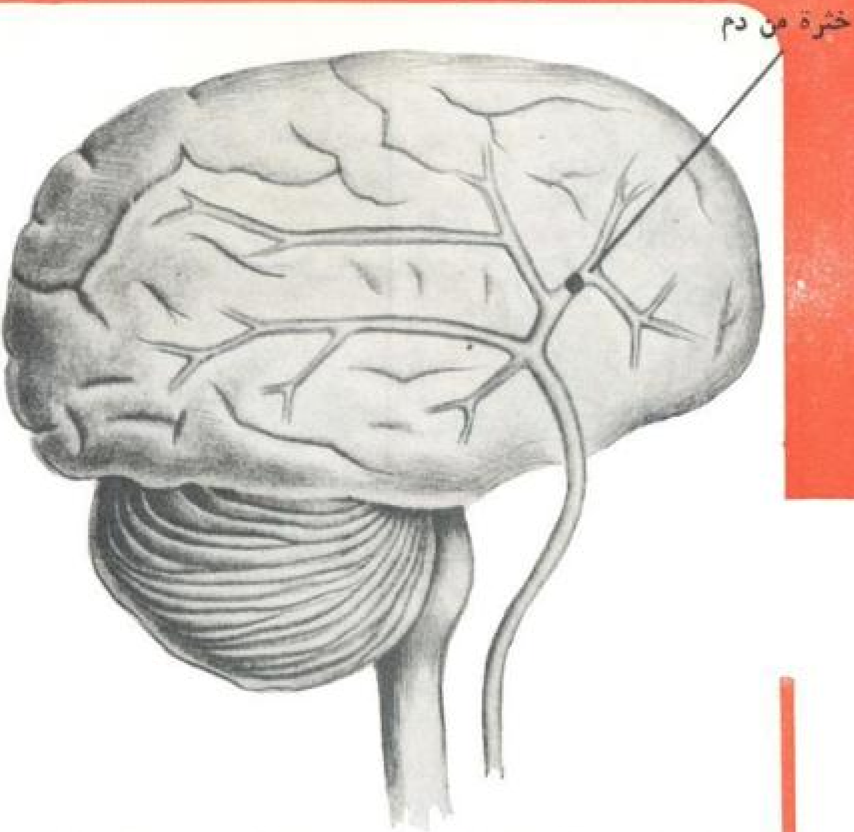
ومن عباد الله طوائف الامم .

والله يقسّم الحظوظ بين أفراد خلقه، تماما كما يقسّمها بين امم أرضه . وهى حظوظ لا يفرّقها مفرّقها خبطَ عشواء .. كل مسبَّب له سبب ، ولكن خفيت الأسباب .

استخارة فاستبشارة

وقمت الى كتاب الله ، كما يقوم الذى افلس منطقه الانساني ، اطلب المنطق السماوى العلوى . وفتحت كتاب الله استخيره ، ثم فتحت ، فقرات :

« الم ، غلبت الروم في أدنى الارض



عندما يصيب الفساد شرايين المخ تصبح متهيئة لاحد امرين، اما لانسدادها بخثرة (جلطة) دموية كالتي تراها في الشكل ، او لتمزقها وانسياح الدم منها في المخ ، وفي كلتا الحالتين يفقد جزء المخ ، الذي كان يرويه الشريان ، زاده من الدم ، واذن تقع السكتة المخية ، ويكون منها عادة شلل نصف الجسم الآخر المقابل لنصف المخ الذي وقع فيه الانسداد او النزيف .

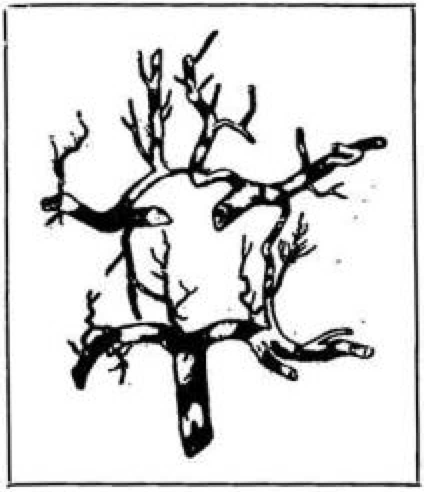
شاع فيها المرض، وحيث الدورة الدموية قد ضعفت ، يصابون بنوع من السكتة يحل بهم اكثر تدرجا . وهذا يقع بسبب تخثر في الدم يقع في داخل الوعاء الدموي في المخ نفسه فينسد به الوعاء Thrombosis .

وهذه الحالات من المرض هي عادة اهون واكثر املا في الشفاء من تلك السكتة التي تحدث بسبب نزيف في المخ نشأ عن تمزق وعاء دموي فيه .

ان اخطر صور للسكتة المخية ، واكثرها شيوعا ، تلك التي تحدث بسبب تمزق وعاء دموي في المخ . وان كثيرا ممن يكتبون في الطب الحديث يقصرون معنى لفظ السكتة المخية Apoplexia على تلك السكتة التي سببها انفجار شريان في المخ .

ان الاوعية الدموية التى بالمخ، يجرى عليها ما يجرى على الاوعية الدموية بسائر الجسم ، وعلى هذا يصيبها تغيرات تفسدها بعد انتصاف العمر . وهي تغيرات تصيب الاوعية الصغيرة كما تصيب الكبيرة ، تجعلها سهلة المكسر ، وتنقص من مقدار وفائها بتغذية المخ . ومعنى هذا ان مادة المخ المجاورة لهذه الاوعية يصيبها الفساد وتصبح لينة . وهذا الحال يرتد الى الاوعية نفسها اذ تفقد الصلابة التى كانت تعمدها من حولها ، فتميل هنا وهناك الى التوسع والتمدد والتورم Aneurism ومعنى هذا آخر الامر خروج الدم من الوعاء وانسياحه في المخ .

وهذا النزيف قد يكون قليل المقدار ، وقد يكون في موضع من المخ لا يسبب اضطرابا كبيرا . ولكن اذا كان النزيف بسبب انفجار وعاء دموى كبير ، وعلى الاخص اذا ارتشح الدم النازف الى التراكيب الهامة الموجودة في قاعدة المخ ، حدثت بذلك السكتة المخية ، وقد يعقبها الموت بعد مدة قصيرة . ولكن كذلك قد يحدث ان الدم الراشح يأخذ المخ يمتصه ، أو هو يحيطه بكبسولة يصنعها من مادة المخ التى تحيط به حصرا لضرره ، وعندئذ لا تزداد الحالة سوءا . ويأخذ يجنى المريض بسبب ذلك شيئا من الشفاء . ولكن حتى مع هذا يبقى غالبا بعض الشلل الذى كان . . وعدا هذا فقد تصاب تغذية هذا الجانب من المخ من جراء ذلك بعطب



شرايين من قاعدة المخ تراها وقد افسدها المرض المعروف بالاثيروما (لفظ معناه العصيدة) وهو يصيب الطبقة الداخلية والوسطى لجدران الشرايين ويحيلها الى شيء كالهلام . وتراه ظاهرا في البقع البيضاء من الرسم .

يبلغ حدا تصبح معه عودة الانفجار والنزيف محتملة . وبالطبع يقل الامل في الحياة بتكرر هذه الاصابات .

مرض السن المتقدمة

وهذا المرض يمكن اعتباره مرض السن المتقدمة . وهكذا اعتبره ابو قراط فقال انه يحدث عادة بين سن الاربعين والستين . وصدّق الطب الحديث على ما قال ابو قراط منذ اكثر من ١٣ قرنا . ومع هذا هو قد يحدث في اى سن .

وهو اكثر وقوعا في الرجال منه فى النساء .

السبب المباشر لهذا الداء

ولا بأس من القول ان السبب المباشر

لهذا الداء هو على العموم كل شيء يميل بضغط الدم في المخ الى الارتفاع. ونضرب لهذا مثلا الغلو في الطعام والشراب ، الجهد الزائد يبذله الجسم او يبذله العقل ، والانفعال العنيف ، وحتى الانحناء ، والحجرة التى ازداد دفئها ، والتعرض لحرارة الشمس ، كل هذه قد تسبب الانفجار فالسكتة المخية .

وكثيرا ما عرفنا هذا الداء يجيء المسنين وهم يبذلون جهدا شاقا ، او وهم يجرون ليلحقوا بقطار قام ، أو حتى وهم يحزقون في بيت الراحة بسبب الامساك الشديد .

أعراض السكتة المخية

الاعراض تختلف باختلاف شدة المرض ، والسبب ، ومقداره ، وكذلك في اعقابه، ولكن نستطيع ان نصف اعراضا لاصابة ظاهرة محدّدة المعالم فنقول ان الاصابة تأتى المريض في العادة فجاة او نحو ذلك ، فيفقد المريض على الفور وعيه وكل حركة ارادية . ويرقد وكانما هو نائم عميق النوم ، وجهه ذو حمرة ، وضربات قلبه بطيئة ، وتنفسه شخيري، وحدقتا عينيه لا يؤثر فيهما الضوء ، وقد ضاقا .

والشلل يشمل عادة احد جانبيه ، ودليله رفع الذراع مثلا ، والمريض فاقد الوعى ، فهي عندئذ تسقط اذا تركها حاملها كما يسقط الحجر .

وفي اثناء فقدان الحس هذا قد يحدث الموت بعد ساعات قليلة ، او قد يعود المريض بالتدرج الى وعيه ، وفي هذه الحالة يبقى الجانب المشلول على شلله Hemiplegia . واحيانا يلاحظ ان بعض القوى العقلية قد تلِفت ، دليلٌ تلف وقع للمخ نفسه .

ولكن الاصابة قد تحدث ولا يفقد المريض وعيه . شللٌ يصيب نصف الجسم يكون هو كل العرض .

واحيانا ، عندما يقع النزيف في المخ متدرجا ، تظهر الاعراض متدرجة كذلك حتى لتستغرق عدة ساعات Ingravescent apoplexy .

ان اخطر وقت للسكتة المخية هو اليومان او الثلاثة الايام التى تعقب الاصابة ، واخطر ما في هذه الساعاتُ الاربعة والعشرون الاولى . ففى هذه المدة قد يزيد النزيف ، وقد يعود بعد ان كان قد انقطع وذلك بسبب تحريك المريض او ازعاجه ازعاجا ترفضه الحكمة . أو بسبب نقله مسافة بعيدة. ان الخطر يظل باقيا ثلاثة اسابيع او نحوها .

العلاج

اما والمريض فاقد الوعى فلا يمكن عمل شيء الا التمريض والعناية . ثم السكون التام والجسم راقد ، والراس مرفوع على وسادة غير مرتفعة. والدفء ضرورى لسطح الجسم ، والبرودة للراس نافعة .

وهذا كله ضرورى حتى اذا عاد المريض الى وعيه .

اما سائر العلاج فللطبيب ، يصرّفه حسب الحالة اذا حضر . ولا بد من استدعائه على عجل .

●●

في سبيل موسوعة علمية

في سلم

مصباح الزيت
الشمعة مصباح
مصباح بنسن
مصباح البوتان
مصباح الأدروجين
مصباح الأستيلين
مصباح الكحول



النار

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ هذا عود كبريت ، وانت تحكه فيشتعل .

وهذه قطعة من الورق . وانت تضع طرفها في شعلة الكبريت فتاخذ تشتعل .

وتضع في شعلة الورقة قطعة من خشب جاف تقتطعه من شجرة فتاخذ هي الاخرى تشتعل .

انها النار ذات اللهب .

تفاعل كيماوى بدأ في راس عود الكبريت انتج حرارة ، اقتبس منها خشب عود الكبريت فاشتعل . وما اشتعاله الا تفاعل كيماوى جرى بين عناصر تركيب الخشب، وأهمها الكربون، وبين اكسجين الهواء ، وتكون من ذلك غاز سميناه في الكيمياء ثاني اكسيد الكربون . ولما كان في تركيب خشب العود كذلك الادروجين، فقد اتحد كذلك بأكسجين الهواء فكون الماء ، بخارا .

وهذا ما حدث ويحدث بقطعة الورق لما اشتعلت : كربون يتحول الى ثاني اكسيد الكربون ، وأدروجين يتحول الى ماء ، بخارا .

وهذا ما حدث بقطعة الخشب تقتطعها من شجرة .

وهذا ما حدث ويحدث في شتى

وفي حرب

قاذفات اللهب الخفيفة

قاذفات اللهب الثقيلة

القنبلة البترولية

.. الصابونية (النابالم)

قنبلة الألمنيوم

.. الحارقة (الترميت)

قنابل للحريق أخرى

النيران التى ألفها الانسان فى حياته . فكل ما يحترق من شائع الاشياء يوجد في تركيبه الكربون والادروجين ، لان مردها في الاصل الى النبات ، والكربون والادروجين اهم عناصره .

فأثاث البيت من النبات .

والثياب من النبات .

والاخشاب في النوافذ والابواب من النبات .

وحتى الصوف ، وهو من حيوان ، انما جاء مما تأكل الاغنام ، وهى انما تأكل من زرع الارض .

والزيوت النباتية تحترق .

وكذا الزيوت البترولية . واختلفوا في أصولها ، أمن نبات جاءت أو من حيوان . ومن أيهما جاءت ، فهي تتركب من كربون وادروجين .



النار ذات اللهب

في الامثلة السابقة كان يصحب النار اللهب .

واللهب لا يكون الا من غازات تتفاعل معا ، فتحترق ، واحد هذه الغازات اكسجين الهواء .

اما الغاز او الغازات الاخرى فتأتي من المادة المحترقة . ترتفع درجة حرارتها اولا بالثقاب او نحوه فتتغوز . اى ينشأ منها غازات حارة تمتزج مع اكسجين الهواء وفيه تحترق بالاتحاد واياه .

ومن امثلة المادة التى تحترق فتعطى لهبا ، غير ما ذكرنا ، الفحم . الفحم الحجرى . فهو اذا رفعنا درجة حرارته ليبدأ في الاحتراق ، ظل يحترق بلهب . وذلك لأنه يتغوز بسهولة . ويحترق الغاز اتحادا باكسجين الجو فينتج حرارة هي التى تجعل الاحتراق متواصلا .

وليس في تغوز الفحم الحجرى غرابة .

ذلك اننا عندما نسخن الفحم الحجرى ، بمعزل عن الهواء ، يتحلل ، ويخرج منه غاز ، هو الغاز الذى نسيره في الانابيب لنضيء بها الشوارع في المدن ، او هكذا كنا نفعل . ولا يزال هو الغاز الذى عليه تعتمد بيوت الانجليز مثلا في مطابخهم وكثير من مرافقهم ، وبيوت كثير من أمم الغرب .

ونقيض ذلك الكوك .

ان الكوك فحم حجرى افقدناه ما به من غازات .

لهذا اذا نحن أحرقناه برفع درجة حرارته ، احترق اتحادا بالهواء ، ولكن بغير لهب .

مصابيح الزيت

مصابيح الزيت لا توجد الآن الا

الريف البعيد أو في الصحراء ، حيث يستضاء بنارها .

والاستضاءة لا تكون الا من شعلة تصنعها هذه المصابيح . وما الشعلة الا اللهب . وما اللهب الا من غاز كما قدمنا . فلا بد اذن من تغويز الزيت قبل اشعاله . ووسيلتنا الى ذلك الفتيل . فلكل مصباح على ما هو معروف فتيل يتشرب الزيت ، فيكون أقرب الى تغوز فالتهاب اذا ما أشعل بثقاب .

واذا كان الفتيل ثخينا كان اللهب ذا سخام كثير لقلة زاده من الهواء .

ومن هنا جاءت فكرة زجاجة المصباح، تقوم عليه على مثال مدخنة يصعد فيها الهواء من أسفل فيزيد زاد الشعلة من اكسجين فلا تسخّم .

الشمعة

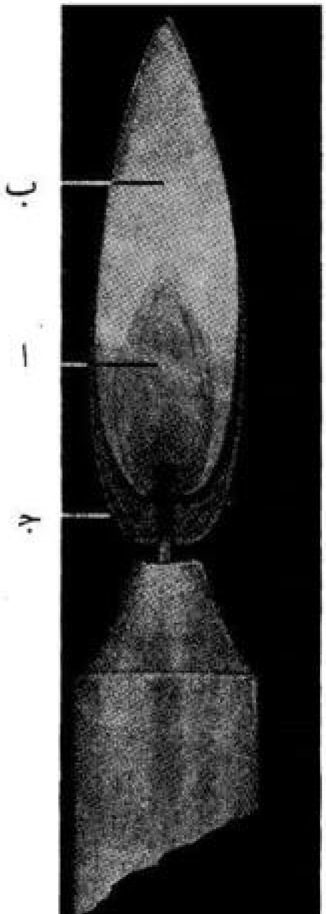
ان الشمعة مصباح ، وقوده ليس من زيت سائل ، ولكن من شمع جامد .

وهي كالمصباح لها فتيل ، ولنفس الغرض كان الفتيل .

وشعلتها صفراء ، ومن اجل ذلك هي مضيئة ، اى هي من لهب ذى نور . وسبب النور في اللهب المضيء ، هو في كثير من الاحوال ، وجود جسيمات كربونية في الشعلة ، لم ينلها اكسجين الهواء لعدم كفايته ، فهي لم تكتمل احتراقا ، وانما احترت فتوهجت .

وشعلة الشمعة تتزود باكسجين الهواء عند حافة الشعلة ، وهذه الحافة تأخذ كل حاجتها من اكسجين الهواء ، فهي اذن اكثر اجزاء الشعلة حرارة ، ومن اجل ذلك كانت زرقاء .

وابرد جزء في الشعلة هو اوسطها عند الفتيل حيث لا يكاد ينفذ الاكسجين ليحدث به الاحتراق . ومن اجل ذلك تجد هذا الاوسط من الشعلة حول الفتيل يكاد يكون شفافا ، لا هو ازرق



الشمعة : وقودها الشمع اذ يسيح . ويتشربه الفتيل ويحوله الى غاز هو الذى يحتل أوسط الشعلة (أ) وهو أبعد ما يكون عن اكسجين الهواء اللازم للاحتراق ، فهو أعتم مكان في الشعلة وأخفضها درجة حرارة. ويصعد الغاز وتطول الشعلة وتكون أمس بالهواء فهي تحترق، ولكنه احتراق غير كامل،فتظهر صفراء للكربون المتقد الذى لم يحترق بعد فيها (ب) . وعلى حافة الشعلة منطقة رقيقة ذات لون ازرق ، الاحتراق فيها كامل لاتصالها بالهواء . وهي أعلى المناطق درجة حرارة (ج) .

دليل اكتمال احتراق ، ولا هو اصفر دليل احتراق غير مكتمل .

حين الحرارة في المصابيح تكون أهمّ من الضياء

ان مصباح الزيت يعطى الحرارة ويعطى النور .

وان « مصباح » الشمع ، أعني الشمعة ، تعطى الحرارة وتعطى النور .

ولكن من هذه المصابيح ما نريد نورها، لا نارها ، في ظلام ليل .

ولكنا في النهار نطبخ .

ولا ينفع مصباح الزيت في طبخ .

ولا تنفع شمعة .

اننا عندئذ نريد مصباحا يعطى الحرارة ، ويعطى كل ما يستطيع منها ، وعلى النور العفاء .

وفي البلاد حيث الفحم الحجرى كثير، يستخرج اهلها منه غازا يطبخون به في المنازل ، هو اشبه شيء بغاز البوتان (البوتاغاز) الذى شاع استخدامه اليوم في دول الشرق والغرب على السواء.

انه الوقود جاءنا غازا جاهزا ، فهو ليس كزيت المصباح او شمع الشمعة يحتاج الى تغويز . وبهذا قطعنا نصف الطريق الى المصباح الحار ، الكامل الحرارة ، الذى ينفع للطبخ واشباه الطبخ .

اننا نستطيع ان نشعل مثل هذا الغاز عند خروجه من الانبوبة التى يخرج منها ، وعندئذ هو يتزود باكسجين الهواء الذى حوله ، واذن تكون الشعلة كشعلة الشمعة ، تعطى النور والنار . وهى انما تعطى النور على حساب النار .

لا نكسب اذن من هذا الوضع كسبا كثيرا . ولكن ....

روبرت وليم بنسن

ولكن ... في نحو منتصف القرن الماضي عاش رجل كيماوى المانى اسمه روبرت وليم بنسن Bunsen . وحدث انه امتحن فيما امتحن الغازات التى تخرج عند تحضير الحديد من خاماته ، من الافران المعروفة باللافحة Blast Furnaces ، وخرج بأن هذه الغازات تهرب من هذه الافران قبل ان يتم الانتفاع الكامل بما تحمل من طاقة وقود ، وان المفقود بذلك يبلغ نحو ٨٠ في المائة من هذه الطاقة الحرارية المحتملة .

ودرس ، وخرج بأنه للانتفاع بكل ما في غاز محترق من حرارة مكنونة ، لا بد من حرقه كله . ولاتمام حرقه لا بد من تزويده قبل استعماله بالمقدار الكافى من الهواء .

وبهذا بدات فكرة مصباح بنسن الشهيرة .

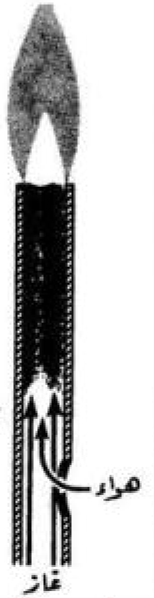
وفكرته هذه طبقت في ملايين من الاجهزة التى تحدث الحرارة ، في مطبخ بيت ، او مختبر مدرسة او جامعة ، او اجهزة صناعة . وفي اجهزة سلم او اجهزة حرب .

مصباح بنسن

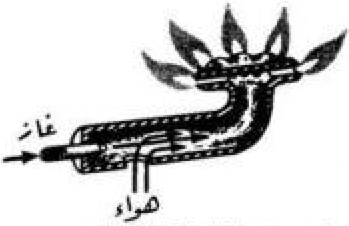
اساس هذا المصباح خلط الغاز (الوقود) بالهواء قبل احتراقه .

وخلطهما بالمقدار الكافي لكمال احتراقه .

ومع هذا (الصفحة التالية) صورة مصباح بنسن المستخدم في المختبرات الكيماوية بالمدارس الثانوية وغيرها. من الانبوبة الافقية يدخل الغاز الواصل من انابيبه الممتدة في المختبر (غ) ومن الفتحة المستديرة بأنبوبة المصباح القائم ، عند قاعدته ، يدخل الهواء (هـ) . وحول هذه الفتحة باقة تدور ، تسد الفتحة بعض السد لتضبط الهواء الداخل ،



صورة مبسطة لمصباح بنسن . انه غاز الاستصباح يدخل مندفعا فيسحب معه الهواء من الجو .



مصباح" حلقة" كالذى في المطابخ ، فيه يدخل الغاز مندفعا فيسحب معه الهواء ، كمصباح بنسن تماما .

ذلك الذي يحمله الغاز معه عند اندفاعه في المصباح الى اعلاه .

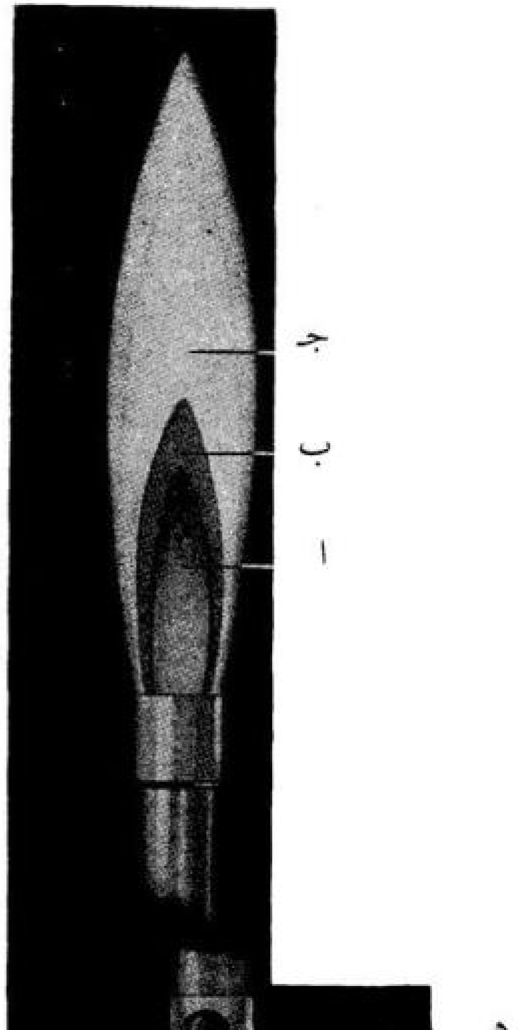
وعند فوهة المصباح العليا يشعل الغاز مخلوطا بالهواء .

والشعلة الناتجة تختلف .

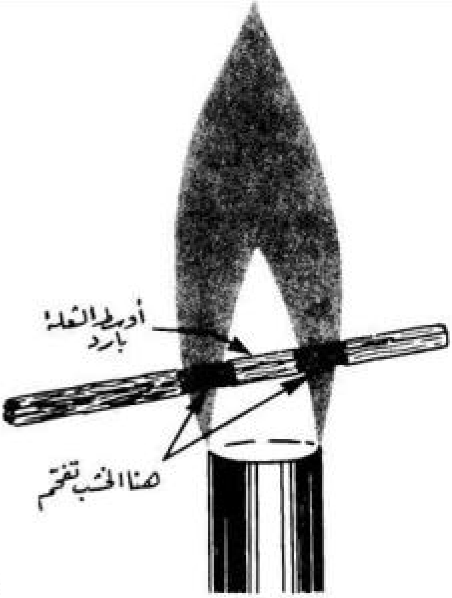
اننا اذا سددنا فتحة الهواء كل السد، فمنعنا الهواء من الدخول، كانت الشعلة مضيئة صفراء كشعلة الشمعة على حد سواء . ولم تكن الشعلة ذات حرارة عالية ، لأن الوقود لم يخرج كل الطاقة التى به ، وبعضها تسرب الى الهواء سخاما أسود .

والشعلة غير ذلك اذا أعطيناها كفايتها من هواء (انظر الصورة) . ثلاثة احجام من الهواء يختلطان بحجم واحد من الغاز قبل ان يكون اشتعال . والشعلة عندئذ تكون عكس شعلة الشمعة ، كلها حرارة ولا يكاد يخرج منها نور .

ففى المخروط الداخل من الشعلة (أ) ، نجد خليط الغاز والهواء على درجة من



مصباح بنسن ، قطعناه لتقصير طوله ، فهو يبلغ ١٥ سنتيمترا ، تزيد وتنقص : والشعلة يصلها الغاز مخلوطا بالهواء ، وبالكفاية منه . وتتألف الشعلة من ثلاث مناطق موصوفة في المقال .



شعلة مصباح بنسن ، اوسطها ابردها ، لهذا لم تتفحم فيه قطعة الخشب .



نقول عادة يحترق الغاز في الهواء ، والصورة توضح انه يجوز أن نقول ان الهواء يحترق في الغاز. والحق انهما كاليدين، اذا صفقتا فكلتاهما صفقت . والاحتراق لا يكون الا بهما معا .

الحرارة واطئة هي نحو ٣٠٠ درجة مئوية، لأنه لم يتح له بعدُ كثير احتراق . ثم يأتي المخروط الثاني (ب) وبه يشتد الاحتراق . وحول راس هذا المخروط توجد اسخن بقعة في المصباح (نحو من ١٥٠٠ درجة مئوية) . ثم تأخذ الدرجة في الانخفاض كلما اتجهنا الى حافة الشعلة (ج) .

مصابيح لها خطر في الصناعة

مصباح غاز الاستصباح .

مصباح غاز البوتان .

مصباح الادروجين .

مصباح الاسيتيلين .

مصباح الكحول .

وغير ذلك .

وقد يستبدل بالهواء في هذه المصابيح الاكسجين الخاص ليكون الاحتراق اسرع .

وقد يدفع الهواء او الاكسجين مع الوقود تحت الضغط ليكون سرعة الاحتراق وتركزه أكثر ، واذن فدرجة الحرارة الناتجة اعلى .

وفي كل هذه المصابيح يستخدم غالبا مبدأ بُنْسن ، اى يخلط المحروق بالهواء او الاكسجين قبل احتراق .

فهذا كله عن عمل النار في سلم . ونبدأ الآن في الحديث عن عمل النار في حرب .

قاذفات اللهب

انه سائل يرش من خرطوم من مطاط كما يرش الماء لري الحدائق . ولكن ري الحدائق للنماء والحياة وقاذفات اللهب للدمار والفناء .

اما السائل الذى يرش فهو عادة البترول،بكل صنوفه،وعند فوهة الخرطوم (وهى من معدن) حين يخرج السائل



قاذفة اللهب ، يخرج منها الوقود السائل المشتعل ، بدفعه الازوت المضغوط فيمد الشعلة الى نحو ٥٠ ياردة أو ما فوقها .

المرشوش مندفعا الى هدفه ، توجد شعلة جانبية تشعل السائل . وهو يحترق في طريقه الى هدفه بعض احتراق ، ولكنه ينصب على هدفه ليتم عليه احتراقه ، ومنه الى الهدف ينتقل الحريق ، كان هذا جنديا او جنودا ، او مواقع في الميدان يجوز عليها التهاب ، او محصنات لا تصمد لحريق .

وقاذفات اللهب احجام وأنواع .

قاذفة اللهب يحملها الرجل الواحد

ومنها قاذفات اللهب ذات الحجم الصغير الذى يحمله الجندى الواحد : اسطوانتان فيهما الوقود يحملهما الجندى على ظهره ، واسطوانة ثالثة اقل حجما ، فيها الغاز المضغوط الذى يضغط على الوقود فيخرج من خزانتيه مندفعا يمضي في الهواء مسافة ذات بال قبل ان يصل الى هدفه ، وهي مسافة تقدر عادة بنحو ٣٠ مترا وخمسين مترا وما بينهما .

والغاز المضغوط هو على الاغلب غاز النتروجين (الاوزوت) .

ووزن الجهاز نحو ١١٠ من الارطال ففى طاقة الرجل الواحد أن يحمله .

والقاذفة التى يحملها الرجل لا تدوم شعلتها طويلا ، فما أسرع ما يفرغ وقودها بعد ثوان عشر او تزيد ، لذلك كانت أفعل في العدو ، اذا هي اطلقت على دفعات ، دفعة من بعد دفعة ، ليتوزع منها الوقود على أهداف امثلة كثيرة مقصودة لذاتها .

قاذفة اللهب الكبيرة

وهذه تحملها السيارات، وهي تحمل في خزاناتها من الوقود المئات من الارطال حسب أحجامها . وهي ترسل اللهب الى نحو ١٥٠ مترا .

ومداها في الزمن نحو ٦٠ ثانية .

وليس شيء أذهب بروع الجندى كان يرى لدى العدو قاذفات لهب ، صغيرة كانت او كبيرة .

القنبلة البترولية الصابونية (النابام او النابلم)

واسمها بالافرنجية ... Napalm ،

وينطقها اهل اللغة الانجليزية نابام فلا ينطقون حرف اللام فيها. أما الفرنسيون فهي عندهم نابلم ، فينطقون لامها .

والنابام أو النابلم عبارة عن البنزين (من زيت البترول) بعد ان تخثنه بمادة صابونية جعلت له مزاج الفالوذج .

اما المادة الصابونية فهى مؤلفة من حامض النخليك Palmitic acid وحامض النفثينيك Naphthenic acid باتحادهما بعنصر الالمنيوم (ونذكر بالطبع ان الصابون العادى انما هو يصنع من حوامض الزيوت النباتية ، أى من حامض النخليك أو البلميتيك ، وحامض الاستياريك ، وحامض الزيتيك أو الاولييك ، باتحادها بعنصر الصديوم أو البوتسيوم). وهى حوامض الزيوت النباتية المعروفة .

ويغرينا الحس اللغوى بالتساؤل : ومن أين جاء اسم نابلم ؟ والجواب عندى انه اسم مكون من (نا + بلم) . اما (نا) فهى (نا) حامض النافثينيك . واما (بلم) فهي من حامض البلميتيك او النخليك. وما ... Palm الا النخلة. وهذا الحامض يوجد في الزيوت النباتية وفي زيت النخيل .

تاريخ القنبلة البترولية الصابونية

استخدمت قاذفات اللهب في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) ، ولكن دلت التجربة عندئذ بأن اللهب يفرغ أسرع مما يجب ، لأن الوقود ما أسرع ما يلتهب .

ولهذا مالوا الى تثخينه .

فالهدف من تثخينه كان لابطاء سرعة حريقه ، ولكى يلصق بالهدف الذى يناله ، انسانا كان أو جهازا أو بناء ، ولكى يطول مرماه من خراطيمه .

وكان ان ابتدع علماء جامعة هرفرد هذه المادة البترولية الصابونية عام ١٩٤٢ اثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) .

واستخدم الحلفاء مقادير كبيرة من النابلم هذا في الحرب العالمية الثانية . انه البنزين المثخن بهذا الصابون .

واستخدموه قنابل حارقة ، أمطروها على المدن الصناعية باليابان ، فأحرقت ٤٠ في المائة من المساحات التى القيت فيها .

وفي الحرب الكورية أسقط الامريكان هذه القنابل الحارقة . كانوا يسقطون القنبلة وبها ١٦٥ جالونا على عسكر العدو فيصيبون منها مقتلا ومفزعا لا يدانيهما شيء .

الثرميت
قنبلة الالمنيوم الحارقة

انها قنبلة لعينة قنبلة الثرميت هذه Thermite ، تعطى من الحرارة مقدارا يذيب وعاءها المعدنى ، وتنفجر فيتناثر رشاشها ، وهو من مواد حارقة ، فى دائرة نصف قطرها نحو ١٥ مترا . وهذا الرشاش الحارق يبدأ الحريق حيث يقع .

ومن اشد استعمالها أثرا في الحروب اسقاطها على المنازل في المدن ، وهى تبدأ الحريق في الطابق الاعلى من العمارات ، فليس اسهل عليها من اختراق اسقفها العليا .

وقد استخدمت هذه القنبلة فيالحرب العالمية الثانية . وقد قدر الحاسبون ان ١٥ في المائة مما أسقط منها اصاب هدفه ، وان نصف هذه أحدث حرائق كبيرة .

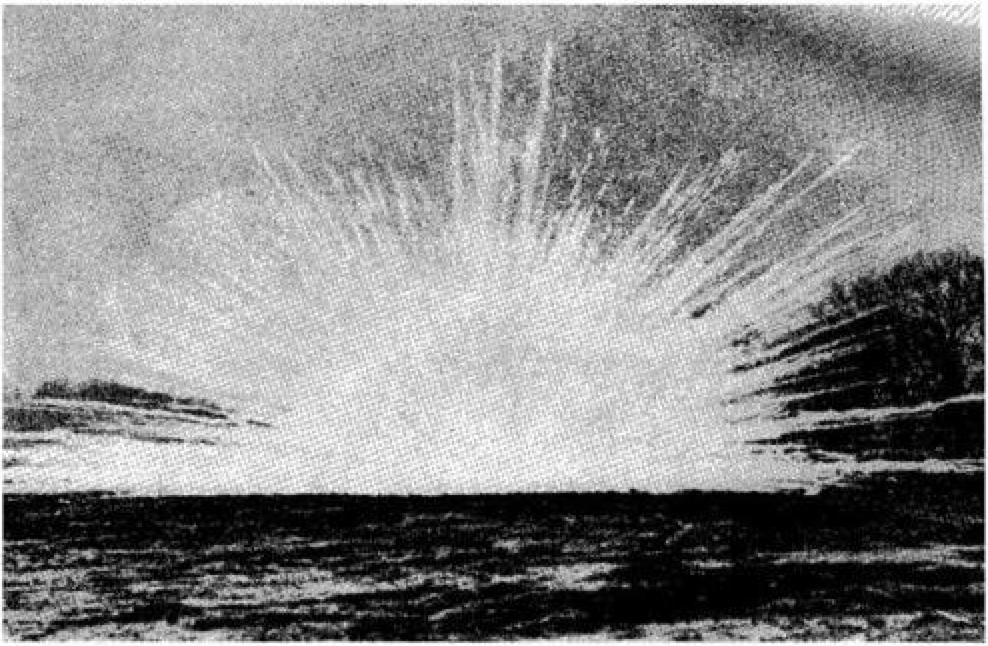
وهذه القنبلة لا تزن عادة اكثر من بضعة ارطال .

وهي تظل تتأجج نحوا من عشر دقائق .

وقد تكون من الصغر بحيث يقذف بها باليد ، فهى قنبلة يدوية .

تركيب قنبلة الثرميت

انها تتركب من مسحوق معدن



قنبلة يدوية مليئة بالفسفور ، تزن أقل من رطلين ، يقذفها الجند المتدربون .؛ باردة أو تزيد . وهي تستخدم لقدرتها على الاحراق ، يحترق بها الجند واجهزة الحرب على السواء . وهي تستخدم كذلك لصنع ضباب ساتر

الالمنيوم ومعه اكسيد الحديد (او غيره من الاكاسيد) .

والالمنيوم شره كثير الشراهة للاكسجين . فاذا انفجرت الشحنة المتفجرة الصغيرة التي تحملها القنبلة ، فرفعت درجة حرارة الالمنيوم بحيث يتحد باكسجين يلتهمه من اكسيد الحديد التهاما ، صحب هذا التفاعل الكيماوي صدور حرارة تصل درجتها الى نحو ٥٠٠٠ درجة فهرنهيتية ، او ان شئت فنحو ٢٨٠٠ مئوية . وهي درجة تذيب اصلب صنوف الفولاذ . (ومن اجل هذا هي تستخدم في لحم الفولاذ بعضه ببعض . تسيح اطرافه ، ثم تلحم هذه الاطراف وهي حارة سائلة ، فاذا بردت جمدت قطعة واحدة) .

كيف تعالج قنبلة الثرميت بعد سقوطها

يقول الخبيرون انه في الدقائق الاولى من اشتعالها ، وهي تنثر بالقطع الملتهبة حولها ، يجب ان لا تمس القنبلة . ولكن يرش الماء على المساحة التي تحوط بها حيث يتناثر لعابها الحارق او يحتمل سقوطه . ان الماء اذا صب على القنبلة ذاتها وهي في الذروة من حرارتها، شقت الماء الى ادروجين واكسجين ، ثم عاد هذان فاتحدا ، فزادا الشعلة اشتعالا .

والرمل يصب فوق هذا السعير ليغطيه له اثره المحمود .

قنابل للحريق من صنوف اخرى

كل مادة يمكن حرقها ، وتعطي درجة من الحرارة عالية ، لا سيما اذا كان من الصعب اطفاؤها ، هذه المادة يمكن اتخاذها حشوا لقنبلة حارقة ، يصحبها حشو قليل من مادة تنفجر عند الاصطدام فتكون ايذانا باشعال المادة الحارقة .

وقد تحشى القنبلة بالمغنيسيوم .

وقد تحشى القنبلة بالفسفور .

ووسائل الشر لا حصر لها .

وليس من الشر ، الشر الذي يدفع شرا . ●●

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٠٢

الإجابات الصحيحة.. وأسماء الفائزين بالجوائز

■ تضمنت هذه المسابقة ثمانية أسئلة ، طلبنا الاجابة عن خمسة منها اجابة صحيحة ، كحد أدنى للاشتراك في عملية الاقتراع على الجوائز .. لكن تبين بعد الفراغ من طبع « العربى » ان خطا وقع في كل من السؤالين الرابع والسادس ، ولذا قررنا استبعادهما من المسابقة ، بالرغم من ان كثيرين أجابوا عنهما اجابات صحيحة .

ففى السؤال الرابع سقط اسم جزيرة «ريونيون» التى نفى فيها المجاهد العربى الامير عبد الكريم الخطابى ..

واما السؤال السادس فقد أبدل اسم المرحوم فارس الخورى باسم بشاره الخورى ، وقد اعتقل أولهما مع رياض الصلح في قلعة راشيا بسهول البقاع في لبنان ، وليس في احدى الجزر الثلاث التى وردت في السؤال ..

وبهذا تكون الاجابات الباقية هى :

محمد الخامس : مدغشقر . نابليون : سنت هيلانه . سعد زغلول : سيشل . احمد شوقى : اشبيلية . الملكة المقصودة : بلقيس . القائد العربى : عقبة بن نافع .

وكانت أوفى الاجابات جميعا تلك التى وردت من المواطنة العربية فتحية حلمى بمصر الجديدة (ج.ع.م.) فقد أجابت عن جميع الاسئلة الثمانية ، وخصصت للاجابة عن كل سؤال صفحة فولسكاب كاملة ، عدا الخرائط التى اعدتها لايضاح الاماكن التى تضمنتها بعض الاجابات ، فضلا عن الاشارة الى المراجع العلمية التى اعتمدت عليها .

وقد فازت المواطنة الفاضلة باحدى الجوائز .

أسماء الفائزين

أسفرت عملية الاقتراع على الجوائز بين الاجوبة الصحيحة عن النتائج الآتية :

* **الجائزة الأولى** وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها مصباح الشريف : مكتب بريد العقبة ـ العقبة ـ المملكة الاردنية الهاشمية .

* **الجائزة الثانية** وقيمتها عشرون دينارا فاز بها احمد عبد المحسن القضيب : البصرة ـ عشار ـ شارع الصيادلة ـ الجمهورية العراقية .

* **الجائزة الثالثة** وقيمتها عشرة دنانير فازت بها الآنسة فتحية حلمى : مصر الجديدة ـ ج.ع.م.

● **٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ، فاز بها :**

١ ـ **الآنسة ردنية عياش** : اللاذقية ـ الجمهورية العربية السورية .

٢ ـ **محمد منير عزت حمزة** : طرابلس ـ الجمهورية اللبنانية .

٣ ـ **سيد عبده عبد الغفور** : ص.ب ٣ عطبرة ـ الجمهورية السودانية .

٤ ـ **هدى جواد حسن الموسي** : الكويت .

٥ ـ **احمد خير الدين** : تونس

٦ ـ **عمر القصار** : ص.ب ٢٠٠٢ طنجة : المغرب .

٨ ـ **امل عبد المجيد ابو صوفه** ـ الزلفى ـ المملكة العربية السعودية .

٨ ـ **ابراهيم حامد اسماعيل اسد الله** : كريتر ـ عدن ـ الجنوب العربى .

وسترسل الجوائز الى مستحقيها . ■■



قبل أن ناكل أو ننتج أو نعيش .. لابد أن نفعلها !

عن مجلة « روز اليوسف القاهرية » بقلم يوسف ادريس :

● بلا ذنب جناه شعبنا وجموعه كتب عليه ان تخدعه قوى الشر والطغيان مرتين خلال عشرة أعوام أو أكثر قليلا .. ودون ان تتاح له فرصة التحام او معركة .. دون ان يرفع يده ، كتب عليه ان يفيق ليجد نفسه مهزوما بلا قتال .. مفترى على قوته دون ان يتاح له ولو للحظة ان يبدى من قواه شيئا .

ولهذا فان عزم شعبنا قد استقر ، ومنذ اللحظة الاولى ، ان يثار لهذا كله ، ومرة اخرى او حتى اخيرة ، أن يقاتل .. ولو تجمعت الدول الصغرى والكبرى وسكان العوالم الاخرى لزحزحة شعبنا عن هذا التصميم لما استطاعت ، فهو لن ينسى ولن يغفر ولن يتحول عن عزمه ابدا .

هو لن ينتج ، ولن يعمل ، ولن ياكل ، او يشرب او يتناسل ، الا اذا احسّ ان هـذا كله ستكون نتيجته ان يحارب ..

لهذا ، وليس من اجل ان نتحرك ونتحضر فقط ، لا بد لنا من هذا الذى ذكرته .. انما قبل هذا وبعده ، وحتى دونه ، من اجل ان نحيا ونوجد ، من اجل ان نستطيع حتى ان يجرؤ اى منا على التحديق فى الآخر دون ان تطرف عينه ، من اجل ان نكتسح جحافل العـار التى يحس الانسان انها ، ظلما ودناءة ، تغمره ، من اجل ان نقبل مجرد أن نقبل مبدأ استئناف الحيـاة ، لا سبيل الى هذا ، ولا طريق ولا وسيلة الا بان نقتسم جميعا ، حكومة وشعبا وقيادة وقاعدة ، ذلك القسم المقدس الصامت ، أن ننجز ذلك العمل أو نهلك دونه ، اروع واهم واخطر واشرف عمل كتب على شعبنا أن ينجزه فى تاريخه اللانهائي الحافل .

واللـه معنـا .. فاللـه دائما مـع الحـق والعدل ، والعدل طريقنا وهدفنا .

شبابنا

عن مجلة جيش الشعب السورية :

● ماذا يعتمل في نفوس الشباب ازاء المتناقضات الاجتماعيـة التى تواجههم والبلبلة الفكرية التى تتمكن منهم بسبب عدم وضوح معالم الحياة امامهم ؟ لاشك ان هذه التناقضات وما يتبعها من بلبلة فكرية ، أمر مألوف وطبيعي في بدايـة عهود التطور .. فالرغبة الشديدة في لحق الحضارة ، لتدارك التخلف تؤدى عادة الى تصرفات يكون من شأنها تغير الشكل قبل الجوهر ، لأن عملية الشكل مسألة سطحية بسيطة ، لا تكلف من العناء ما تتكلفه عملية تجديد التقاليـد والمعتقدات التى تغلغلت جذورها منـذ أزمنة طويلة في تفكير الناس وأوضـاع حياتهم .

نحن لا نستطيع تلافي هذه التناقضات الطبيعية ، ولكن من واجبنا أن نواجهها

عالمية أدبنا العربي

عن صحيفة الدستور الاردنية :

● تتساءل لماذا عجز الادب العربي حتى الآن عن احتلال المكانة القيادية المناسبة بين آداب العالم ؟ في الوقت الذى نرى فيه أعمالا ادبية ، من مختلف اقطار الارض ، ابتداء من اليونان ، مارا بجنوب أفريقيا ، الى باستراناك في روسيا . نرى الادب العربي يقبع في طريق مسدود ، يحول دون اطلالته على الادب العالمى انتاجا ومساهمة ، باثرائه عملا وفكرا .

ان من اسباب هذا العجز ، هو عدم تكامل عناصر العمل الادبى فنيا ، وعلى مستوى شمولى يهيىء له القدرة على الحياة والخلود ، ولذا نجد أن العمل الادبى هنا يولد ميتا تارة أو كسيحا اخرى، فهو غير قادر على مغادرة مسقط راسه . اننا لا نتوقع للعمل الادبي ان يولد ليعبر الحدود العربية ويحتل مكانة قيادية بين الاعمال الادبية العالمية ، ما لم تتكامل لهذا العمل جميع عناصر البقاء .

فمنذ مئات السنين لاحظ المفكر العربى عبد القاهر الجرجانى تلك الطاقة التحريكية الكبرى التى تتمتع بها بعض الاعمال الادبية المكتملة العناصر فأخذ يدرس بموضوعية ودقة معرفة تلك العناصر ، وتحديدها. ثم جاءت المدارس الادبية المختلفة ، واكتشفت كل منها استراتيجية معينة يتقيد بها العمل الادبى للوصول الى وعي وشعور القارىء والمخاطب حسب درجته الشعورية ونضوجه عقلا وعاطفة .

ويجب أن نعترف هنا ان الكثير مما نراه من أعمال ادبية عربية تناقلتها دهور وأزمنة ، وان الاغراق في ذاتية نرجسية اقعدت الانتاج القوى عن الحياة والتأثير .

والمفاهيم الجديدة

بشجاعة ، ونعترف بأنها تعقد حياة ابناء هذا الجيل ، وتضعهم بين قوتين متعارضتين احداهما تدفعهم الى الاوضاع الاجتماعية الجديدة ، التى يشعرون باحتياجهم اليها ويؤمنون بقدرتهم على تلبية مطالب العصر ، والثانية تجذبهم الى الوراء نحو اعراف وتقاليد لا تزال تسيطر على منطق الحياة حولهم .

يظهر ذلك بوضوح في قضية الزواج والصداقة والزمالة ، فلقد تغير مفهوم الزواج للرابطة الزوجية ، بفضل الحياة الحديثة ، فلم يعد يرضى الشاب ما كان يرضى والده وجده ، بل اصبح له مطالب جديدة يطلبها في شريكة حياته التى يتوسم فيها القدرة على اسعاده ، فالشاب يجد نفسه مقيدا برواسب الاحكام الاجتماعية التى تأثرت بها تربيته الاولى ، نجده يتخبط في تصرفاته فهو يؤمن بضرورة المعرفة قبل الزواج، ولكنه يسيء الظن بالاختلاط ، وهو يقدر اهمية التوازن الفكرى بين الزوجين ، ولكنه ينفر من المتعلمة خوفا من أن يدفعها اعتزازها بثقافتها الى حرمانه من شعوره بالتفوق . ويعلم كذلك أن مطالب الحياة العصرية الكثيرة تثقل كاهله ، لهذا يتوق الى الزوجة التى تعاونه بدخلها ، ولكنه يكره فكرة اشتغالها خشية التحرر من قيود التبعية له علما بأن الرابطة الزوجية ، حسب المقاييس الجديدة ليست الا مسألة زمالة وصداقة وتوافق وانسجام ، وزعامة رب الاسرة مرتبطة في جوهرها وتفاصيلها بشخصيته وحسن معاملته لأهل بيته وتقديره لواجباته نحوهم وحقوقهم عليه.

بُحورُ الشِّعرِ وأَوْزانه

بقلم : الدكتور ابراهيم أنيس
رئيس قسم فقه اللغة بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

■ يربط الغربيون ، في بحثهم وزن الشعر ، بينه وبين نبض القلب الذى يقدره الأطباء في الانسان السليم بعدد ٧٥ مرة في الدقيقة او نحوها . ويرون الصلة وثيقة بين نبض القلب وما يقوم به جهاز النطق ، وقدرته على اصدار عدد محدود من المقاطع . ويقدرون ان الانسان في الاحوال العادية يستطيع النطق بثلاثة من الأصوات المقطعية كلما نبض قلبه نبضة واحدة .

نغمة الانشاد تتغير تبعا لسرور النفس او حزنها

فاذا تذكرنا ان بحرا كالطويل(١) يشتمل البيت منه على ٢٨ صوتا مقطعيا ، أمكننا ان نتصور ان النطق ببيت من الطويل يتم خلال تسع نبضات من نبضات القلب .

على ان نبضات القلب تزيد كثيرا مع الانفعالات النفسية ، تلك التى قد يتعرض لها الشاعر في اثناء نظمه . فحالة الشاعر النفسية في الفرح غيرها في الحزن واليأس ، ونبضات قلبه حين يتملكه السرور سريعة يكثر عددها في الدقيقة ، ولكنها بطيئة حين يستولى عليه الهم والجزع . ولا بد ان تتغير نغمة الانشاد تبعا للحالة النفسية فهى عند الفرح والسرور سريعة متلهفة وهى مع اليأس والحزن بطيئة حاسمة .

كل هذا جعل بعض الدارسين يعقدون الصلة بين موضوع الشعر وما تخيره له الشاعر من وزن . والمرء وان كان يستطيع بين فترة تنفس واخرى ان ينطق بمقاطع كثيرة ، الا ان قدرته على هذا محدودة ، ويسيطر عليها ما هو فيه من حالة نفسية . فهو حين يكون هادئا وادعا اقدر على النطق بمقاطعه الكثيرة دون ان يشوبها ابهام في لفظها ، وهو اقل قدرة على هذا حين يكون متلهفا سريع التنفس كما هو الحال مع الانفعالات .

اقصى ما يستطيعه المرء في الانشاد

وقد يجد المنشد مشقة وعنتا حين يحاول وصل بيتين من البحر الطويل في فترة تنفس واحدة ، فلا يكاد ينتهى من البيت الثانى حتى تسمعه ينطق بالالفاظ مع جهد كبير ، وقد تخللها بعض الابهام ولم تتضح للسامع وضوحا كاملا ، كأن ينشد مثلا في فترة تنفس واحدة :

فلا تكتمنّ اللهَ ما في صدوركم
ليخفى ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلمِ

(١) « طويل له دون البحور فضائل » هذه شطرة منه بها ١٤ مقطعا .

هل ناسق الشعراء بينها وبين أغراضه ؟

يؤخَّرْ فيوضعْ في كتاب فيُدَّخرْ
ليوم الحسابِ أو يُعجَّل فيُنقم

ويظهر ان اقصى ما يستطيعه المرء في الانشاد ، دون مشقة واجهاد ، ومع وضوح في الاصوات ، هو ذلك القدر من المقاطع الذى نجده في بحر كالطويل او البسيط او الكامل مثل :

فيالك من ليلٍ تقاصر طوله
وما كان ليلي قبل ذلك يَقْصُرُ

إن الرسول لنورٌ يستضاء بـه
مُهنَّدٌ من سيوف الله مسلولُ

وَلَباطلٌ ممن أحب حديثَه
أشهى إليَّ من البغيض الباذلِ

فالمنشد قد يحتاج الى اعادة التنفس بعد كل بيت من أبيات هذه الأبحر ، ان لم يكن في وسط البيت .

ذلك هو السر في ان الاوزان الشعرية عند كل الأمم لا تزيد مقاطع البيت منها على قدر معين . وربما كان العرب القدماء من اطول الأمم تنفسا في وزن الشعر ، لكثرة نظمهم من تلك البحور الكثيرة المقاطع ، وندرة المجزوءات في أشعارهم .

وحين ينشد الشاعر بعضاص شعره يستعيد تلك الحالة النفسية التى تملكته في اثناء النظم ، حتى يشركه السامع في كل احاسيسه وخلجات نفسه . ولكنا الآن حين ننشد شعر القدماء يندر ان نضع انفسنا في تلك الحالة النفسية التى سيطرت على الشاعر القديم وهو ينظم . ويؤدى هذا حتما الى نقص في التعبير او التصوير فى ادائنا . غير ان المنشد المجيد والممثل الماهر يستطيع ان يحل نفسه محل الناظم فيشعر بشعوره وينقل مثل هذا الشعور الى سامعيه .

هل الشاعر العربى القديم لاءم بين الوزن والمضمون ؟

ونحن بعد هذا نسائل انفسنا :ـ

هل كان الشاعر العربى القديم يتخير لشعره من الأوزان ما يلائم الموضوع والمضمون ؟ وهل جاءت تلك الاوزان الشعرية المروية لنا تبعا لاختلاف الشعور او العاطفة لدى الناظمين من القدماء ؟

قد يكون من العسير ان نجيب عن مثل هذا التساؤل اجابة مقنعة ، وذلك لأنا لا نكاد نلحظ في مقاطع هذه الاوزان المتباينة ما يوحى بمثل هذا ، فهى كلها تخضع لروح عام في نظام توالى المقاطع ، ولا يكاد يفرق بينها الا كثرة المقاطع او قلتها ، فمنها الكثير المقاطع ، ومنها المتوسط في عدد المقاطع ، ومنها القصير المجزوء .

موضوعات طرقها الشعر العربي ، فيما قبل الاسلام ، وبعده

فاذا استعرضنا الموضوعات التي تظم فيها الشعر ما قبل الاسلام رأيناها لا تكاد تخرج عن الفخر والحماسة ، والمدح بما في ذلك الرثاء الذي هو عندهم مدح للميت . ثم زاد في العصر الأموي كثرة النظم في الغزل، وأصبح فنا مستقلا من فنون الشعر ، كما زاد النظم في الشئون السياسية .

اما في العصر العباسي فقد اكثر الشعراء مع الموضوعات السابقة من الشعر المجوني ووصف الخمر ومجالس اللهو والعبث، ووصف الرياض والازهار او المناظر الطبيعية .

شعراء العرب القدماء لم يربطوا بين موضوع الشعر ووزنه

فهل اتخذ القدماء لكل موضوع من هذه الموضوعات وزنا خاصا او بحرا معينا من بحور الشعر التي رويت لنا ؟ ان استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لا يكاد يشعرنا بمثل هذا التخير ، أو الربط بين موضوع الشعر ووزنه . ويكفي ان نذكر المعلقات التي قيلت كلها في موضوع واحد تقريبا ، فنرى انها نظمت من بحور عدة :

١ ـ معلقة امرىء القيس وزهير وطرفة واعشي قيس من الطويل :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرى حبيب ومنزلِ
بِسَقْطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فحَوْمَلِ

أمِنْ أمِّ أوفى دمنةٌ لم تُكلَّمِ
بحومانةِ الدرَّاج فالمتثلَّمِ

لخولة أطلالٌ ببرقة ثهمدِ
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

ألم تغتمض عيناك ليلةَ أرمدا
وبتَّ كما بات السليمُ مسهَّدا

٢ ـ ومعلقة النابغة من البسيط :

يا دارَ مَيَّةَ بالعلياء فالسَّندِ
أقوتْ وطال عليها سالفُ الأمد

٣ ـ ومعلقة عمر بن كلثوم من الوافر :

ألا هُبِّي بصَحْنِكِ فاصْبحِينا
ولا تُبْقِي خمورَ الأندرينا

٤ ـ ومعلقة عنترة ولبيد من الكامل :

هل غادر الشعراء من مترَدَّمِ
أم هل عرفتَ الدار بعدَ توهُّمِ

عفتْ الديار محلها فمقامها
بمنى تأبَّد غَولها فرِجامها

٥ ـ ومعلقة الحارث بن حلِزّة من الخفيف :

آذنتنا ببينها أسماءُ
رب ثاوٍ يملَّ منه الثواءُ

مثل آخر غير المعلقات

فاذا تردد بعضنا في اعتبار المعلقات ذات موضوع واحد ، سقنا له مثلا آخر ربما يكون أوضح ، ولا يحتمل الجدل او الخلاف ، وهو تلك القصائد القديمة التي رواها صاحب المفضليات وسمّيت بالمراثي ، فقد نظمت من بحور عدة هي الكامل والطويل والبسيط والسريع والخفيف !!

وقد يكون من المغالاة أن نتصور المساواة في قدر الانفعال والعاطفة بين الشعراء لمجرد اشتراكهم في غرض من اغراض الشعر . فلا شك ان الحالة النفسية التي تملكت الخنساء وهي ترثي اخاها غير الحالة النفسية التي سيطرت على بعض اصحاب المراثي من القدماء . فشعور الشاعر وعاطفته وان ارتبطا الى الى حد كبير بموضوع الشعر يختلفان

باختلاف الشعراء وطبيعتهم ومزاجهم وتاثرهم بعوامل اخرى لا تكاد تقع تحت حصر .

الأوزان في حالة الحزن والهلع

على اننا نستطيع ونحن مطمئنون ان نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والحزن يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع يصب فيه من اشجانه ما ينفس عنه حـزنه ويأسه . غير انه اذا نظم الشعر وقت المصيبة والهلع فقد تتطلب هـذه الحال وزنا قصيرا يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد نبضات القلب . ومثل هذا الرثاء الذى ينتظم ساعة الهلع والفزع يكون عادة في صورة مقطوعة صغيرة لا تكاد تزيد عن بضعة ابيات . اما تلك المراثى الطويلة فاغلب الظن انها تنظمت بعد ان هدأت ثورة الفزع ، واستكانت النفوس الى اليأس والهم الطويل المدى .

الأوزان في حالة الفخر

اما في الحماسة والفخر فقد تثور النفس الأبية لكرامتها ، ويتملكها انفعال وقتى عنيف يتبعه نظم من أوزان قصيرة او متوسطة . ولكن حماسة الشعراء قبل الاسلام وفخرهم كان فيما يبدو من النوع الهادىء الرزين الذى تطلب الأناة والتؤدة ، ولذلك جاءنا في قصائد طويلة ، واوزان كثيرة المقاطع .

الأوزان في المديح

اما المدح فليس من الأغراض التى تنفعل لها النفوس كثيرا ، ولذلك روى في شعر القدماء في قصائد طويلة ، وبحور كثيرة المقاطع ، كالطويل والبسيط والكامل .

الأوزان في الغزل

اما الغزل الثائر العنيف فاحرى به ان ينظم في بحور قصيرة او متوسطة ، كالشعر حين ينظم في مجالس العبث واللهو ووصف معاقرة الخمر ، وغير ذلك مما كان يتغنى به أيام العباسيين ، وما كان يسمى بشعر المجون .

وقد نستانس لمثل هذا الراى بأنا نلحظ ندرة المجزوءات في شعر ما قبل الاسلام ، وكثرة النظم منها أيام العباسيين حين شاعت مجالس الطرب والوان الغناء واللهو والمجون .

اى ان الشعراء حينئذ كانوا ينظمون في شوق ولهفة حين تعرض امامهم مباهج النساء ، وتلعب الخمر بعقولهم وافئدتهم ، ويتملكهم طرب الغناء ونشوته .

المعلقات لم تكن ارتجالا

ولذلك لا نتصور ان تلك المعلقات الطوال قد قيلت ارتجالا كما يظن بعض الدارسين ، بل الذى نتصوره انها اعدت اعدادا متقنا ، وصرف الشاعر في نظمها زمنا ما ليس من الضرورى أن نحدده بالشهور كما يروى عن حوليات زهير ، بل يكفى ان يقاس بالأيام والأسابيع .

على انا قد نجد من الشعراء من يتملكهم الانفعال ساعات طوالا يحبسون فيها انفسهم ، او يخلون اليها ، ثم يخرجون على الناس بقصيدة طويلة ، ولكن مثل هذه التجربة فيما اعتقد ، نادرة في حياة الشعراء .

كيف اختار شوقي بحور شعره

وليس من الغريب بعد هذا أن نرى شاعرا مثل شوقى قد تخير لمعظم قصائده الطوال أوزانا كثيرة المقاطع ، وانما الذى قد يبدو غريبا ان نراه ينظم في وصف مملكة النحل ، أو في خطاب العمال ، او توت عنخ أمون قصائد طويلة من بحور قصيرة ، ومثل هذه الأغراض ليس في رأيى مما يتلاءم وعنف الانفعال النفسانى . اما في قصيدته التى وصف

فيها ليلة راقصة اقيمت في قصر عابدين، والتي مطلعها :

حف كأسها الحبب
فهي فضة ذهب

فلا بد أن النشوة ملكت عليه نفسه بعد انتهاء تلك الحفلة،بل وخلالها ايضا، فلم يكد يستقر في داره أواخر الليل حتى جفاه النوم ، وبدا ذهنه يستعيد ما شاهد وسمع ، وبلغ به الانفعال النفساني ما بلغ ، فلم يبرح مكانه حتى نظم هذه القصيدة الطويلة ، التي وصف لنا فيها معاقرة الخمر وبهجة الأنوار في القصر وجمال النساء ومناظر الصالات وسحر الموسيقى وتمايل الخصور والأعناق في أثناء الرقص ، ثم يختمها بوصف الموائد وما عليها مما لذ وطاب .

نعم ، لم يصف لنا شوقي ولا غيره من الشعراء ما كانوا عليه من انفعال نفساني ساعة النظم ، ولم يحدثونا عن الزمن الذي استغرقوه في نظم القصيدة ، بل تركوا لنا هذا نذهب فيه كل مذهب ، ونحاول أن نستشف شيئا عنه من موضوع الشعر ومعانيه في كل قصيدة .

ويحسن على كل حال الا نفترض قواعد معينة يلتزمها الشاعر في تخير وزن من الأوزان ، وانما على ناقد الأدب ان يبحث هذا بحثا مستقلا في كل قصيدة ليرى من معانيها وغرضها ما اذا كان الشاعر قد وفق في اختيار الوزن .

وفي جولة سريعة بمسرحية (كليوباترا) تبين لنا أن « شوقي » كان يختار الوزن القصير في مواقف التلهف والانفعال العنيف كنشيد الجماهير :

يومنا في أكتيوما
ذكره في الأرض سار
اسألوا أسطول روما
هل أذقناه الدمار

فاذا انتهى النشيد قال « حابي » منفعلا :

اسمع الشعب « زيون »
كيف يوحون إليه
ملأ الجو هتافا
بحياتي قاتليه
أثر البهتان فيه
وانطلى الزور عليه
يا له من ببغاء
عقله في أذنيه

كذلك حين يبلغ « انطونيو » خبر انتحار كليوباترا :

انتحرت ؟ يا للخبر
ويا لقسوة القدر

ولكنه بعد فترة يتهالك على نفسه ، ويسيطر عليه اليأس والهم فيصبح حديثه يتسم بالاناة ، وينشد من بحر كثير المقاطع تلك القطعة المشهورة التي منها :

روما حنانك واغفري لفتاك
أوّاه منك وآه ما أقساك
روما سلام من طريد شارد
في الأرض وطّن نفسه لهلاك
اليوم يلقى الموت لم يهتف به
ناع ولا ضجت عليه بواكي
إن الذي أعطاك سلطان الثرى
لم تنعمي ارفاته بثراك

■■

ابراهيم أنيس

مسلمات خالدات

هاجر

أم إسماعيل

بقلم : سنية قراءة

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ »

قرآن كريم

■ كانت تغمر البيت سكينة غير محببة ... سكينة بغيضة ينفر منها القلب ، وتضيق بها الروح وتشيع فى النفس القلق والخوف من المجهول ، وتوحى بالموت ، واليأس الخانق ، ولهذا كرهته « سارة » بكل حواسها ، ولم تعد ابدا ترتاح اليه ..

لم تعد ترتاح نفس صاحبة خليل الرحمن « ابراهيم » الى هذا الصمت المقيت الذى احال جنة بيتهما جحيما لايطاق ...

وراحت سارة فى قلق وخوف تنظر حواليها ... وكذلك كانت تفعل كل يوم ...

راحت زوج ابراهيم وابنة عمه تنظر حواليها ، وكأنما تبحث عن شىء ... ولاشىء ابدا فى ذلك البيت ... !!

•

الى من كانت تنظر سارة ؟! ومن كانت ترجو ان تجده هناك والبيت جديب ... خاشع ... لاحس فيه ولا حياة ؟!

اذا ... فلينطلق الخيال الى الخارج حيث

يعيش الناس حياة أخرى غير تلك التي قدار على سارة أن تحياها بين جدران ذلك البيت الكئيب ...

وتبدى لسارة المحطمة القلب عظم الفارق بين حياتها وحياة سائر الناس ..

انهم ... ماداموا بعيدين عن محيط هذا البيت الصامت ، فهم يعيشون الحياة ويستشعرون جمالها وروعتها ، ولايجدون في كل شيء يحوطهم الا بهجة وسعادة واحساسا بالمرح والصفاء ... وزفرت سارة زفرة حارة تفطر لها القلب الكسير وقد فهمت السر الذي حارت في تقصيه ..

ليس بالمال وحده يسعد الناس ... ولا بالبيت الهادىء الوادع ... ولا بالصفاء الذي يرفرف على ربوع الدار ... بل بشيء آخر ... شيء كانت تتمناه ، وترجوه ولكن امانيها قصرت عن الوصول اليه ، فبدا كالسراب الحبيب ... القاتل ... قريبا ... بعيد المنال ، وهو على الحالين حبيب محبب ، لاتملك النفس غير ان تتمناه !!

وراحت سارة تزفر ثم تنكس راسها في خشوع الراضية التي لاتملك غير الصبر والرضا والتسليم ...

ومرت « هاجر » ..

مرت هاجر امام سارة ، في سرعة وخفة ، وشباب !!

مرت الشابة المصرية الوضيئة الوجه ، الباسمة الثغر المشبوبة الحركة .. مرت أمام سارة في سرعة كانما نقلت خطواتها المرحة سارة من عالم الى عالم ، وجعلتها تدخل في هدوء جنبات عالم فسيح وضاء ...

هذه المصرية الشابة ، هي الاثر الحي الذي طالما حمل الى خيال سارة وزوجها خليل الرحمن صورا محببة عن حياة رغدة عاشاها في مصر الحبيبة ، جنة الله في أرضه ، حيث لجأ اليها فرارا من جدب الصحراء وقسوة العيش ، فلقيا فيها كل اعزاز وتكريم ...

وشاء الله اخيرا للمهاجرين الكريمين ابراهيم وسارة ان يعودا من حيث أتيا ، ويتركا مصر ، فودعهما الملك الهكسوسي الغاصب ، بكل ترحيب واغدق عليهما عطاياه ، ولم يبخل بغال أو نفيس ، وكانت « هاجر » هذه هدية من جملة هداياه لسارة وابراهيم ...

وهكذا قدر للمصرية الشابة ، أن تترك بلادها وتصحب ابراهيم وزوجه الى حيث يشاءان راضية قريرة العين ...

وخلفت هاجر الوادي الاخضر وراءها ثم سارت مع اهلها الجدد الى حيث امرهم الله ان يستقروا وان يطيب لهم المقام ...

ومر الزمن ...

واستقر ابراهيم في هذه البقعة المحدودة من أرض فلسطين ، وفي ظل ابيمالك حاكم البلاد ، وفي بيت وادع هادىء جعله موئلا للناس ، ومستقرا لدعوته الكبرى واداء رسالة الوحدانية التي بعثه بها الله مبشرا وداعيا ، وهاديا الى الطريق المستقيم ...

وآمنت هاجر بدين ابراهيم ... آمنت هاجر بالوحدانية المنزهة عن الضلالات والشرك وشهدت بانه لا اله الا الله وحده ، خالق كل شيء ، وهو الذي يحيي ويميت ..

آمنت هاجر بالحنفية السمحاء ... وكفرت بمعبودات اهلها ... وتابعت خليل الله ابراهيم على دينه ، وآمنت بالله واتخذت الاسلام دينا لتسلم وتنال الرضا وتفوز برضوان الله ...

ووجدت هاجر في دينها الجديد موئل نفسها وراحت قلبها ، فاخلصت في عبادتها ، واقبلت على تعبدها ، وقد بدات الحجب تتكشف لها يوما بعد يوم ، وترى الآيات لحظة بعد لحظة ، واحست وكانما هي قد خلقت من جديد ...

لقد دعا الاسلام الى كل فضل ، وحث على كل فضيلة ، وان هذا ليصادف هوى عميقا في فؤادها ، حتى انها لترى في الاسلام واتباعه حياة جديدة بعثت هاجر لتحياها من جديد ، قانتة ، عابدة ، مسلمة مخلصة ..

ووقفت بسارة افكارها عند ذلك الحد ... وكانما لم تجد بعد هذا مانفكر فيه ... بل في اى شيء كانت تفكر بعد ذلك ، والفكر جامد مشلول ... والاماني حائرة كليلة ... وهي هي ... تدور حول الأمنية المكبوتة التي راودتها

وتحاول الانطلاق من اسارها الى فضاء طلق ، فتكبو ولا تستطيع الفكاك منها ...

وسكنت سارة ... وتبلد بها الفكر عند هاجر وصورة هاجر ... وراحت فى غمرة الدهشة والذهول والحيرة تسائل نفسها لماذا شغلت نفسها بهاجر المصرية فى هذه اللحظة بالذات ... ولماذا توقفت امام صورتها المشبوبة طويلا وراحت تستعرض ماضيها الذى تولى وحاضرها الذى تعيشه اليوم فى رعايتها وزوجها ابراهيم !!

لقد كانت سارة ترى هاجر كل يوم ... كل لحظة ... ولكنها لم تشغلها غير اليوم فتظل وهى فى غمرة الاسى والحسرات والشرود !!

انها لتفكر فى ذلك الصمت اللعين الذى يطوى بيت خليل الرحمن تحت ابطه ، وينشر فوقه جلابيب غموضه ... فمن الذى اقحم صورة هاجر على ذلك الصمت ... واى علاقة لها بتلك السكينة البشعة !!

ان الصمت موات ... رهبة .. مخاوف ... أحلام بشعة مؤرقة ...

وهاجر !!

هاجر المسلمة الخاشعة ... المؤمنة الطيبة ... الفتاة الوضيئة الوفية !!

انها شباب نضر متوثب ... حياة مرحة ... وتطلع مشبوب الى غد مرجو ... فاى علاقة لها بذلك الصمت المخيم على بيت خليل الرحمن وقلب سارة زوجته القلقة المتبرمة . !!

لقد كانت هاجر هى المظهر الوحيد المرح للحياة فى ذلك البيت . ولكن هاجر لاتخص سارة ، ولاتعنيها فى شىء ... وانها لترجو ان تملك مايقضى على ذلك الصمت ويبدد تلك السكينة الضارية ...

ان سارة تحلم بسماع صوت جديد يدوى بالمرح والصفاء فى جوانب البيت ... صوت يخصها هى ... ويسعدها هى ... ويملأ بالفرحة قلبها الكسير !!

انها ترجو وترجو ولكن ... ما أبعد الشقة بينها وبين ان يتحقق الرجاء ... او ان يصبح السراب الظاهر دوما لعينها ، حقيقة واقعة ...

وابتسمت سارة فى مرارة وأسى ... ثم وجدت نفسها تترك مكانها لتتجول فى انحاء ذلك البيت ، وقد اخذت اراتين الفكرة التى راودتها تدوى فى اذنيها بطنين رهيب !!

لقد عاشت مع خليل الرحمن ابراهيم ماعاشت من سنين طوال ، ابى الله القادر خلالها ان يمنحها نعمة الولد ، ليملأ حياتها بالبهجة ، وقلب زوجها الكريم بالسعادة والفرحة ... ولئن كانت السنون التى تولت قد الهتها عن التفكير فى هذه الامنية الغالية ، فانها اليوم وهى تسير وزوجها العظيم الى الكبر ، وتخطو ويخطو معها ابراهيم الى مراحل الشيخوخة لتحس الحنين الى الامومة الحانية ، وتجدها سلواها ورجاءها العزيز ...

وتوقفت سارة عن احلام يقظتها وقد دهمتها فكرة مروعة استشعرت معها مرارة الخيبة وقسوة الخذلان مقدما ، لأن امانيها الغالية لن يقدر لها ان تتحقق فى يوم من الايام فهى عقيم وا أسفاه... عاقر ... لاتلد ولايمكن ان تلد ... ولن يدوى فى جوانب بيتها صوت طفل ... او تعلو اصداء ضحكته المرحة ...

وزفرت سارة متحسرة ، ونكست راسها مستسلمة ، فماذا كان بيدها أن تفعل غير الاستسلام والرضا وهى زوج ابراهيم إمام الشعوب ومعلم الأمم وهادى الناس الى الحق ..

انها تعرف ان تلك هى ارادة الله وان عليها ان تذعن راضية ، خاضعة ... ولقد خضعت فعلا ، ورضيت بالواقع ، ولكنها عادت فى غمرة الحيرة ترثى لزوجها العظيم ، وهى تسائل نفسها ، وماذنبه هو ... ماذنب ابراهيم ان يحرم الولد !!

وعادت هاجر تتنقل فى ارجاء البيت فتملؤه شبابا وحيوية وسعادة !!!

وراحت سارة ترقب المصرية الشابة فى دهشة وهى تسائل نفسها عن سر اهتمامها اليوم بالذات بتتبع خطوات هاجر وادمان النظر اليها ...

واغمضت سارة عينيها لحظة كمن أحبت أن تبعد عنها فكرة قوية طارئة بدأت تشغل تفكيرها فى قسوة وعنف ... وما لبثت ان فتحت عينيها وراحت تنظر الى هاجر من جديد ... وبرغمها ..

انها تحس انها مجبرة على الاستسلام لالتماعة

الفكرة وقد أخذت تلقى اضواء على ظلمات الفكر الكليل ...

انها عاقر لاتلد ... وان هذا الصمت المخيم على البيت يجب ان تتلاشى أخيلته الداكنة ، وتنحسر ظلاله السوداء ، وان تغمر بيت امام الشعوب فرحة الاحساس بالابوة والأمومة ...

الابوة ... والامومة !! تلك كانت المشكلة الكبرى ... والسر الرهيب الذى بدأت طلاسمه تنجاب امام نورانية الفكرة التى شعت على القلب الكسير .

لا أمل لسارة فى الامومة ... فلم تحرم ابراهيم نعمة الابوة ؟! ، ولم لا تشعره بحلاوتها ؟! ... ولماذا لا توفر هى له هذه الأبوة البارة وتهبه الابن المرتقب !!

وارتاحت سارة الى الفكرة وخرجت بها الى حيز العمل الجدى السريع واستقر رأيها على ان يتزوج ابراهيم « هاجر » عسى ان يتفضل الله عليه بالخير ويهب له منها نعمة البنوة التى ستبدد الصمت الضارب على البيت ومن فيه !!

واسرعت سارة الى ابراهيم تسر اليه بأمنيتها ... وذعر الرجل ... فذاك امر ما فكر فيه ، وهو العالم بأن كل شيء انما يجرى بأمر الله ... ولكن سارة أخذت تلح ثم راحت تتوسل وترجو ...

ورضى ابراهيم اخيرا ... وتزوج خليل الرحمن هاجر المصرية ، وبنى بها وهو يسأل الله فى أعماق نفسه ان يحقق فى هاجر الزوجة الثانية رجاء سارة الزوجة الاولى وأن يهب له القادر الخلاق الابن المرجو ...

وحملت هاجر من ابراهيم ... ومرت شهور حملها ثم ...

ثم وُلد بِكْر ابراهيم ...

ولد اسماعيل فكان ميلاده ، ميلاد حياة جديدة، ومشاعر جديدة فى بيت ابراهيم ..

ومرت الحياة رتيبة هادئة وادعة فى البيت السعيد ... ومضت معها الايام فى يسر وراحة ثم ...

ثم طرق ضيف ابراهيم الباب ، فرحب بهم وبالغ فى اكرامهم واسرع فجاء بعجل حنيذ « فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط.. »

وسمعت سارة الجدل ... وعرفت حقيقة ضيف زوجها وانهم ليسوا غير ملائكة الله وقد ارسلوا الى قوم لوط العصاة للقضاء عليهم ...

وكانما اسعد سارة الطيبة ان ترى ملائكة الرحمن ضيوفا فى بيتها فاستبشرت بذلك وضحكت ، واذا بالملائكة يبشرونها باسحق ، ويَحُولون دونها والتساؤل ، ويطلبون اليها الا تعجب فذلك امر الله ، وليس لها ان تسأل او انِ تقول انها عاقر وان زوجها شيخ !!

وشهد البيت الصامت مرة ثانية فرحة جديدة ... وولد اسحق !!

وكبّر ابراهيم وهلل وشكر الله على انعمه العظمى ثم ...

ثم جاء الى ابراهيم امر ربه ... وابتلاه الله بكلمات فأتمهن عليه ، وبشره بامامة الشعوب جمعاء ...

وسجد ابراهيم شكرا لله المنّان القادر ، وارتقى الى سدته بالنجوى والضراعة والدعاء وساله سبحانه ان يجعل هذه الامامة فى ذريته من بعده ، فاستجاب الله له ، وقال ان عهده سبحانه لاينال الظالمون ...

اذا ... فقد عظم شأن الرسالة ذاتها ... وامتد رواق جلالها على العالمين جميعا فاصبحت امامة للناس كلهم وستكون فيما بعد ميراثا لبنى ابراهيم ...

وبدت سارة تفكر وقد صارت أمًا تخشى أن يكون حظ اسحق وحيدها من الامامة قليل ، وان الحظ الذى اعطى هاجر قبلها ، وجعلها زوجة لابراهيم ، قد يسرف فى عطاياه للمصرية المحظوظة فتكون هى أم وريث امامة ابراهيم ...

واظلمت الدنيا فى عينى سارة وساءلت نفسها عما يمكن ان يحدث لو تفرد اسماعيل بميراث ابيه الروحى والدينى ، وكانت له وحده الامامة على الناس !! وماذا يمكن ان يحدث لابنها ولبنيه من بعده ، وأى مكان يكون لهم فى هذه الدنيا ، هل

يكونون خدما وعبيدا ورعايا وأتباعا لاسماعيل وبنيه !!

وجف حلق سارة من الرهبة وهى تتصور ذلك كله ... وحز فى قلبها ان تدور بها الدنيا فتقف حيث وضعت هى نفسها ، فلو لم تتسرع وتزوّج هاجر بابراهيم مادهمتها ابدا هذه التصورات !!

وعضت سارة بنان الندم ولكن بعد فوات الوقت ، وبعد ان افلتت الفرصة من يدها وكانت هى من اسلمتِ المقود الى يَدَىْ هاجر ....

وراحت سارة تتمثل هاجر ... هاجر شريكتها فى ابراهيم ثم ... أم وريث الشريعة والكتاب والامامة العامة وسيد الغد ، وامام الناس اجمعين ...

وكادت سارة تجن ... وافلتت عواطفها ولم تستطع ان تكبح جماح نفسها فاطلقت لاوهامها وتصوراتها العنان ، فكبحت وشردت ، وذهبت هنا وهناك كل مذهب وافسحت للغيرة الرعناء مكانا ، اصبحت فيه الغيرة مالكة القلب بلا شريك ...

وارتفع صوت سارة تقول لابراهيم انها لن تسمح لابن هاجر ان يشارك اسحق ابنها هى ميراث ابيه ، وانها ضاقت ببقائه وامه فى بيتها ، وان على ابراهيم ان يبحث لهما عن بيت آخر ومكان آخر بعيد يعيشان فيه .

وحار ابراهيم ماذا يفعل ... وزفر زفرات التبرم وهو لايدرى الى اين يستقر به الفكر الحائر ... أيبقى على اسماعيل وامه ويضحى بسعادته البيتية ؟! أم يبحث لام اسماعيل عن بيت جديد تكون فيه وابنها بعيدين عن سارة وغيرتها وقسوتها ؟!!

ووجد خليل الرحمن ان الهدوء المنشود هو فى ابعاد كل من الزوجتين عن الاخرى ... وفى بيت خاص ...

وعادت سارة تشترط وتلح ان يكون بيت هاجر بعيدا عن بيتها ... بل .. عن نطاق المحلة التى نزلت فيها حيث استقر ابراهيم من قبل ...

وسكت ابراهيم على مضض ولم يدر الى اين يذهب بزوجته هاجر الوادعة الصابرة وبابنها الرضيع البرىء ، ووجد نفسه فى النهاية يخرج بهما وهو لا يدرى الى اين يذهب ...

وسار ابراهيم وهاجر معه من محلة الى محلة ... ومن مكان الى مكان وهو مستغرق فى تفكيره جاد فى سيره حتى تجاوز العمران وبدأ يتوغل فى قلب الصحراء حيث لاحياة ولا زرع ولا نماء ...

لقد احس ابراهيم انه انما كان يسير بوحى وارشاد والهام ، وان اتباعه هذا الطريق اللاحب القفر لا بد انه قد تم لحكمة خافية وان صمت هاجر وعدم تبرمها لا بد ان يكون وليد ارادة ورغبة عليا ...

وطال بخليل الرحمن السير والسرى وهو يتوقف ليسير ثم يسير ليتوقف ثم يتابع السير من جديد وكانما يقصد مكانا معينا بالذات ...

واخيرا ... احس ابراهيم الارهاق ... وعجزت هاجر عن الاستمرار فى السير ... وصرخ الرضيع البرىء وكانما كان يُغيثن بصرخته المكان المقصود فتوقف الشيخ الجليل ... وطابت نفسه ونفس هاجر الى الراحة واحس ألا رغبة له بعد ذلك فى السير ...

ووقر فى قلب ابراهيم ان هذا المكان هو المكان المختار لتقيم فيه هاجر بعيدا مع ابنها اسماعيل ولكن ...

ولكن اى اقامة هذه التى يمكن ان تستقر فى مثل ذلك القفر الجديب ... فى مفازة رهيبة يرفرف فوقها الصمت ويخيم الموت ، فلا حس ولا حياة ، ولا أثر لحياة أو زرع أو ماء !!

ونقل ابراهيم عينيه فى ذهول ورهبة ، وتمنى لو يعاود المسيرمرةاخرىاو يرتد معهاجر واسماعيل من حيث جاء ، ولكنه لم يستطع ان يريم . وكانما كان قدَرُ هاجر وابنها قد ارتبط بهذا المكان ..

ونظر ابراهيم الى هاجر من بين اهدابه يرقبها فى حذر دقيق ... كانت هادئة صابرة ، راضية ، لم يفزعها المكان ولم يروعها الصمت ، ولم يحزنها ذلك الجدب الضارب على الصحراء !!

وتولت الليلة بما فيها ... واشرق الصباح ... وعاد ابراهيم يفكر مرة أخرى فى المسير ، ولكن رغبته تضاءلت ، وتبدى له كانما هو واهله ماموررون بالبقاء حيث حطت بهم عصا

الترحال... ووجد نفسه يتجه الى الله بضراعته، ويرقى اليه بصلاته ونجواه :

« ربنا انى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاةَ فاجعل افئدة من الناسِ تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ... »

وتعالى الرجاء الى سدة العرش ... وغمرت نفس ابراهيم راحة أحس معها ان الله قد سمع له واستجاب للدعاء ، وانه لاضير عليه بعد ذلك ان يترك هاجر وابنها حيث نزل بهما وان يعود من حيث جاء ...

ورجع ابراهيم ... وبقيت هاجر ... بقيت المصرية الشابة المكافحة الجريئة وحدها فى قلب الصحراء التى لا حدود لها ... بقيت لتضع بذور حياة جديدة ارادها الله فى هذه البقعة المقدسة بالذات ...

وبدأت هاجر حيث هى تقيم اسس الوجود ، وتعمل لاستقرار حياتها الجديدة فى ذلك المكان دون ان تفكر فى الغد ولا على اى صورة سوف يكون ...

كانت هاجر مسلمة ... أسلمت وجهها الى الله فاطر السموات والارض وقد فرض الاسلام على البشرية جمعاء ... فالاسلام فريضة مقررة لأنه الأمر الخالد للناس بان يشهدوا للخالق سبحانه وتعالى بالربوبية ، ويقرون الوحدانية المطلقة ، ويطيعون ولايعصون ...

فالاسلام فريضة كتبت على الناس جميعا فهو العقيدة ، وهو الدين ، وهو الطريق الى رضوان الحق وطلب بره ورضاه ...

كانت هاجر شديدة الاستمساك باهداب دينها ، عميقة الايمان ، وطيدة الصلة بالله ، تعرف عن صدق ان الله لن يكلها فى وحدتها هذه لغيره ، ولن يحرسها سواه ، فلم تفكر فى شىء آخر ... وابتسمت للحياة فى رضا وهدوء واستسلام .. ومن أسلم نفسه وذاته لله فسوف يجزيه أجره فى الدنيا والآخرة ...

بل فى اى شىء كانت تفكر هاجر وهى تعلم ان كل هذا الوجود رهين بأمره سبحانه وتعالى ، وانه قدر فهدى ، وأعطى كل شىء خلقه ، وقدر الرزق والموت والحياة على كل من خلق ، وان كل شىء عنده بمقدار ...

واقبلت هاجر على تعبدها ، وراحت تقتل الوقت الملول بالضراعة والصلوات ... ووجدت فى التعبد وفى رعاية الطفل ما كان يشغلها عن التفكير فى اى شىء آخر ...

ومرت الايام ...

مرت الايام وكل شىء على حاله ، وهاجر لا ترى فى يومها الا ما رأته فى امسها والامس الذى سبقه ... فضاء ورمال وسماء ثم صمت قاتل رهيب !!

انها صورة مألوفة ... صورة الامس ... وصورة الغد وما بعد الغد !!

ولكن ...

ولكن الزاد اخذ ينفد ... والماء يقل ... والايام تتوالى ...

وتهتف هاجر راضية مؤمنة ! ان الله لن يتخلى عنا ابدا انا والرضيع البرىء ...

كانت ابتسامة اسماعيل الوضاءة تملأ حياة هاجر بالنور والامل والفرحة ، وكانت ضحكته النافية تنزل على قلبها بردا وسلاما وكأنها انداء الصباح الطاهر تتساقط على اكمام الزهور !!

وابتسمت هاجر فى هدوء وهى تتصور اكمام الزهور فى ذلك الجدب الرهيب !! وكأنما ارتاحت الى فكرة الزهور ووجود الزهور ... !!

أليس اسماعيل الرضيع ابن خليل الرحمن ابراهيم زهرة ندية عَبِقَةً قدر لها الله ان تعيش فى الصحراء وان تنمو وان تثمر وتتكاثر وتكون منها زهور وزهور !!

أليست هذه هى سنة الوجود وشريعة الحياة !!

اذا ... فلم تعبس ؟! . ولماذا تبتئس ولماذا تخاف !!

انها مسلمة شديدة الاستمساك باسلامها ...

وانها لقريبة بالقلب الى الله ، وان الله ليعمر قلبها ويملؤه بنور اليقين ، فلماذا تشغل نفسها بما كتبه الله على نفسه وقدره على خلقه ...

وفتحت هاجر ذراعيها للحياة من جديد ... ومرة بعد مرة ... ويوما بعد يوم ، اخذت مواكب الحياة تسير ولكن ...

ولكن الزاد كان ينفد ، والماء يقل ، والمكان يزداد تأبدا وضراوة ، وقد راحت تعدو عليه عوامل الطبيعة وتتابع الفصول !!

ورغم هذا صبرت هاجر ... صبرت واقبلت على الحياة فى رضا وهدوء ، وراحت تقبل على الرضيع البرىء بمزيد من الرعاية والحدب والحنان ...

ومرت الايام بعد ذلك ... ونفد الزاد فعلا ولم يعد لدى هاجر ماء ... ورغم هذا ظلت صابرة صامتة راضية ..

وانتوت هاجر الصوم لله تقربا وزلفى ... وصامت يوما بعد يوم بعد يوم ...

صامت عن الطعام والماء وهى تأمل فى رحمة الله وبانه تعالى لا بد أن يتجلى عليها وعلى وليدها بآية عظمى من آياته الكبيرة حيث يقيمان ...

وتتابع مسير الزمن ... ولا بارقة تبدو فى الأفق ... ولا قبس من امل يتبدى وسط غياهب الظلمات ...

لقد طال بهاجر الصابرة صومها ... طال بها الصوم واشتدت وطاة الجوع والعطش وجف ضرعها فاذا بالصوم يفرض اجباريا على الصغير البرىء ...

وصرخ اسماعيل ...

ووجف قلب هاجر .. وتلفتت حواليها فى ذعر ولهفة وجرؤت فسألت نفسها ما المصير .. وما الحكمة من وجودى هنا ، وهل جاء بنا ابراهيم الى هذا الوادى المنعزل الجديب لأموت انا والطفل البرىء ؟!!

وأخذت رهبة الفكرة الطائشة تهاجمها فى قسوة وعنف .. ولكنها هرعت الى ايمانها تستمسك به .. واحتمت وراءه من سود الأفكار ..

ولكن النفس المتمردة كانت لهاجر بالمرصاد وها هى ذى تهاجمها فى عنف وانها لتصبح بعد مرتعا للشيطان ، وانه ليوحى الى تلك النفس الهالعة أن تتطاول وأن تسأل ، وأن تصرخ فى وجه هاجر قائلة الى متى الصبر ، والاستسلام ، وقد وضح السر وتهدلت عنه الحجب وبان الآن كل شىء على حقيقته .. !!

وصرخ اسماعيل من هول وطأةالجوع ..وضجت هاجر .. وتمردت .. ووضعت الطفل جانبا وراحت تنظر هنا وهناك ثم تجرى هنا وهناك .. وتسعى هنا وهناك .. وتنظر حواليها فلا شىء غير الفضاء والرمال الممتدة الى أطراف الأفق البعيد .. وصرخت ..

صرخت هاجر من كل قلبها .. صرخة متمردة على الشيطان وقد راح يغريها بأن تقتل الطفل وتنجيه من رهبوت الموت جوعا ثم تقتل نفسها هى بعد ذلك لتستريح فلا تموت مرة فى كل لحظة وتجرع صاب العذاب !!

وتمثل الموت لعينى هاجر .. وأثارها أن رأته بعين مخاوفها يحوم فوق اسماعيل ، فصرخت وتجاوبت الصحراء صدى صرخاتها التى اختلطت بصرخات الطفل .. وخطر لها أن تهرب ، أن تبتعد عن اسماعيل ، كى لا تراه وهو يموت !! وحتى لا يراها هو الآخر وهى تحتضر وقد عجزت عن مد يدها اليه لتطعمه أو تسقيه !

وانطلقت تجرى .. فوجدت « الصفا » اقرب مرتفع اليها فأسرعت اليه تنظر من فوقه ، علها تجد أحدا .. وأرادت أن تستمر فى هروبها ولكن حنانها أوقفها وقد دوت فى خيالها صرخة الطفل فعادت تهرول كالمجنونة ..

واختلطت المرئيات أمام هاجر ، وعادت تهرول بين « الصفا » وتقف عند « المروة » وهى حائرة لا تستطيع أن تتقدم خطوة .. سبع مرات ، قطعت فيها ذلك السعى وهى تغالب الموت وتحارب اليأس وتتعلق بالأمل وتستمسك بالرجاء ..

ودوى فى خيالها الثائر نغم ودعاء .. وراحت

وهي في غمرة الاستسلام الى هلاك حتمي ، تنصت .. وكان الصدى يرجع صوت زوجها ابراهيم :

ـ«ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » !!

وانصتت هاجر الى ارانين الدعاء طويلا .. ثم استمرت في هرولتها شاردة مسلوبة اللب ، تصغى الى صراخ الطفل مرة والى هاتف خفي مرة اخرى .. ثم الى يقين ساورها مرة ثالثة .

انها في جوار الحرم ، فكيف يأتي عليها الجوع ويفترسها العطش ؟! وانها لضيف الله في واد رهيب ، توسل ابراهيم الى ربه أن يحيله الى جنة ، وأن يرزق من فيه من الثمرات .. فهل يفضل الرجاء ، ولا يقبل رب البيت دعوة خليله؟!

وصاحت هاجر من كل قلبها ! يا رب ..

وصرخ الطفل حيث هو .. وبلغته الملائكية غير المفهومة وقطعا كان يسأل خالقه ومولاه ..

صرخ اسماعيل وراح يضرب الأرض بقدميه الصغيرتين حيث كان ينام ..

وعاد اسماعيل يصرخ ويصرخ وهو لا يلبث في كل مرة ومع دوى الصرخة ، يركل الارض بقدميه وأصداء الصرخات تتعالى نحو سدة العرش مستنجدة بالله ..

واستجاب الله لهاجر الصابرة والطفل البرىء .. وعند قدمي اسماعيل أخذ الماء ينفجر وينبثق عاليا ، واذا برشاش منه يمس وجه هاجر فتنتبه في ذهول ودهشة ورهبة ثم تنطلق عدوا الى حيث كان الصغير فحملته وابتعدت به ثم وسدته على نشز من الأرض وعادت الى الماء المنفجر فراحت تضمه براحتي يديها في عصبية وكأنما تصورت انها قادرة على أن تجمعه كله حيث هو فلا ينتشر ويضيع ويتسرب بين حبات الرمال !!

وجعلت هاجر تصيح وكأنما تخاطب الماء ، وتأمر العين المتفجرة قائلة « زمي .. زمي » واذا بالماء المتدفق يستجيب باذن الله لهاجر ويطيعها ، فيستمر على تدفقه في هدوء من راح يضع أسس استقراره ويعين مكان بئر « زمزم » الموجود ..

وبكت هاجر .. بكت فرحا وندما .. بكت فرحا لان القدرة قد استجابت لدعاء ابراهيم ، وندما لأنها كادت تستسلم الى الوسواس الخناس وهو يوحي اليها بالتمرد والتجديف !!

وحومت سباع الطير الضارية فوق سماء « زمزم » وكان تكاثر أرجالها في الفضاء دليل قيام حياة جديدة مستقرة في تلك البقعة النائية المهجورة .

ووجد بضعة نفر من قبيلة جرهم أنفسهم يحثون المطايا الى ذلك المكان القصي المجهول .. واذا بهم يفاجئون بعين زمزم المتفجرة بالحياة والاستقرار و .. بهاجر ورضيعها البرىء ..

واستأذن القادمون هاجر في البقاء حول الماء فلم تجد غضاضة في السماح لهم وأذنت لهم بما شاءوا وبأن يشاركوها وابنها العيش على أن يعترفوا لاسماعيل عندما يشب بالصدارة والزعامة وحرية التصرف في مياه العين ..

ورضي الجرهميون بما طلبته هاجر .. وانتقلوا بجموعهم ليعيشوا حول النبع الذي تفجر تحت قدمي اسماعيل استجابة لدعاء أبيه ابراهيم وضراعة أمه هاجر الصابرة التي قرت عينها في النهاية واستقرت بها الحياة وطاب لها العيش مع جيرة كرام صاهروها بعد أن بلغ اسماعيل مبالغ الشباب وزوجوه ابنة شيخهم لتكون له الزعامة فيهم من بعده ، وليكون أبا لشعوب عديدة وأمم كبيرة قدر لها الله أن تنشأ في ذلك المكان والى جوار البيت العتيق ..

وسارت الحياة سيرتها الرضية بعد ذلك .. وأقر الله عيني هاجر بابنها .. بكر ابراهيم ، وراحت تتخيله مع الغد وكيف انه سيكون أمة عظيمة ، مباركة وانه لا بد أن يرث والصالحون من ذريته شريعة وامامة أبيهم ابراهيم عليه السلام ... ■■

سنيه قراعة

الدموع .. والضحك



اكسير الحياة

لا تخف من البكاء ، لأنك اذا لم تستطع ان تتخلص من الشعور بالتوتر فى داخلك من وقت لآخر .. فانت انما تختزن المتاعب لنفسك ..

ولكن هل البكاء وحده هو العلاج ؟ والجواب لا .. فهناك ايضا الضحك ..

اضحك اذن .. فالضحك خير دواء !

■ تحت هذه المقدمة كتب العالم النفسانى البريطانى المعروف الدكتور ادوارد بودولسكى Edward Podolsky بحثه في مجلة « صحة جديدة » « New-Health » التى تصدر فى لندن .

قال الطبيب العالم : « ان دوام الحال من المحال .. فالأشياء والاحداث فى تتابع مستمر .. وحياتنا كلنا عرضة لتغيرات دائمة .. سواء كانت تغيرات مادية ام عاطفية ..

ماذا نفعل ؟

حقيقة ، ان هناك أوقاتا يسود فيها الهدوء حياتنا ، فنشعر بأننا نعيش فى سلام مع انفسنا ومع العالم كله.. ولكن هناك ايضا اوقات نحس فيها بالتوتر الذى يفوق احتمال البشر فى بعض الأحيان .

فماذا نفعل لكى نتمكن من مواجهة مثل هذه الظروف القاسية التى تمر بنا فى حياتنا ؟

ان هناك وسيلتين للتخلص من الشعور بالتوتر الداخلى .. والوسيلة الأولى هى البكاء .. والوسيلة الثانية هى الضحك ..

ولنتحدث الآن عن كل وسيلة على حدة ..

البكاء يصنع المعجزات

والذى لا شك فيه ان اطلاق العنان للدموع من آن لآخر فكرة طيبة ، وخاصة عندما يشعر المرء بأنه فى حاجة الى البكاء .. فالبكاء وما يصحبه من هزة فى جميع أجزاء الجسم يصنع المعجزات فى فك العقد العاطفية الداخلية .

وما يقال عن البكاء .. يقال ايضا عن الضحك ، فى تخليص المرء من المشاعر التى تريد ان تنطلق فتبحث لنفسها عن مخرج ولا تجده !

ومن اجل هذا يجب على الانسان .. رجلا كان او امراة .. طفلا او بالغا، الا يشعر بالخجل من البكاء .. فهو ليس دليلا على الضعف ، كما قد يتبادر الى بعض الأذهان ، وانما هو تعبير نفسانى ضرورى .

الدموع تغسل النفس

فالدموع تفعل بالنفس ما تفعله « الشربة » بالامعاء المتخمة بالغذاء .. انها تحول بيننا وبين اخفاء عواطفنا المكبوتة التى قد تحاول أن تبحث لها عن مخرج غير طبيعى تطفو منه على السطح .

فهذه « الشربة » التى تسيل دموعنا وتطرد عنا مشاعر الاستياء والحزن والعداء والياس «الى آخر تلك المشاعر» .. هذه الشربة « السحرية » ، تطهر مشاعرنا وتغسل قلوبنا وتجدد الأمل فى نفوسنا .

والذين يشعرون برغبة فى البكاء ، ويقاومون هذه الرغبة لسبب او لآخر ، يعانون من اضطرابات عاطفية خطرة ، بل واكثر من هذا ، فقد يصابون باضطرابات معدية لا تقل خطورة عن تلك الاضطرابات العاطفية .

أسباب الامراض المعدية

فقد اثبت الأطباء ان بين كل ١٠٤ مريضا بالقرحة المعوية ، يوجد ٣٣ شخصا على الاقل اصيبوا بهذا المرض نتيجة لكبت مشاعرهم بالحزن على فقد شخص عزيز عليهم ، والذى حدث انهم لم يتمكنوا من من التخلص من احزانهم عن طريق الدموع ، فاختزنوها فى معدتهم التى اصيبت بالقرحة !

والبكاء ليس ضرورة فسيولوجية فحسب،بل هو ايضا ضرورةسيكولوجية فى الوقت نفسه ، فالمرء عندما يشارك شخصا ، آخر البكاء ، يرتبط به ارتباطا عاطفيا .

استاذ الضحك

وننتقل الآن الى الضحك .. وهو وسيلة طيبة للتخلص من حالة التوتر التى يجد المرء نفسهيعيش فيها لأسباب خارجة عن ارادته فى بعض الأحيان ، أو لاسباب من صنعه هو فى أحيان اخرى .

وفى معهد العلوم النفسانية فى باريس، كان الدكتور بيير فاشيه Pierre Vachet يلقى على تلاميذه محاضرات عملية فى فن الضحك . وفى صباح كل يوم احد ، كانت قاعة المحاضرات بالمعهد تمتلىء بحشد كبير من ربات البيوت ، والتجار والموظفين والعمال من مختلف الأعمار الذين جاءوا جميعا للاستماع الى محاضرات الدكتور فاشيه فى الضحك . وكان الأستاذ يصل الى قاعة المحاضرة ويبدأ الدرس بلا مقدمات فيقول :

« ايها الأصدقاء .. لقد جئتم الى هذا المكان لتضحكوا ولتغرقوا فى بحر من الضحك الذى يعيد اليكم صحتكم ويرفع من روحكم المعنوية » .

وفجاة يرتفع صوت الدكتور ڤاشيه طالبا من مساعديه انزال الستائر على النوافذ ، وتغرق قاعة المحاضرات فى الظلام . ثم يقول : « الآن تستطيعون ان تجلسوا فى مقاعدكم فى استرخاء تام .. اغمضوا اعينكم ولا تفكروا فى اى شىء على الاطلاق .. يجب ان تبقى عقولكم نائمة ! » .

محاضرة عملية

ويسود الصمت القاعة الكبيرة ... وفجاة ينطلق صوت قهقهةعالية وضحك متواصل من الاسطوانة التى ادارها الاستاذ فوق « الجرامافون » الذى اعده قبل بدء المحاضرة .. ويظل صدى الضحك المستمر يدوى بين ارجاء القاعة .. ضحك من كل لون !

وشيئا فشيئا ترتفع الضحكات من بين مقاعد الحاضرين .. فتبدأ خافتة ثم لا تلبث ان تتحول ضحكاتهم الى قهقهاتعالية يتردد صداها فيجميعانحاء القاعة . لقد انضموا جميعا الى موكب الفرح الذى يذيعه عليهم الجرامافون !

وجوه سعيدة

ويمر بعض الوقت،وصوت الضحكات يدوى ، ثم يرتفع صوت الاستاذ فجاة طالبا رفع الستائر عن النوافذ ، ويعود الضوء الى القاعة وينعكس على وجوه الحاضرين من رجال ونساء .. ياله من تحول ذلك الذى طرأ على هذه الوجوه .. لقد بدت جميعها تغمرها السعادة ..

وتبدأ محاضرةالدكتور ڤاشيهالنظرية فيخاطب تلاميذه قائلا : « الضحك أيها الأصدقاء يطلق انفعالات معوية تؤثر على الجهاز العصبى السمبتاوى ، الذى يتولى تخليص النفس من التوتر الذى تشعر به » .

الضحك أعظم دواء

فالضحك اعظم دواء فى راى عدد كبير من علماء النفس .. روى احدهم قصة مريض كان يتردد على عيادته للعلاج من عقدة نفسية لازمته ، بسبب عاهة فى قدمه . قال : « لقد جاء الى المريض يوما يقول انه تخلص تماما من عقدته ، لأنه تعلم كيف يضحك من نفسه بدلا من ان يترك الآخرين يسخرون منه .

وهكذا تخلص من عقدته ومن آلامه الى الأبد .

اثر الضحك على الجهاز الهضمى

وقد قامت جامعة نيويورك بتجربة علمية لاثبات اثر الضحك على الجهاز الهضمى لطلبتها .. فجاءت بفريقين من الطلبة .. فريق « أ » وفريق « ب » ووضعت للفريقين نظاما واحدا من الغذاء .. وبدأ طلبة الفريق « أ »يتلقون محاضراتهم فى العلوم السياسية يوميا ، بينما راح طلبة الفريق « ب » يستمعون الى محاضرات من لون آخر يلقيها عليهم احد كبار ممثلى «الكوميديا» فى أمريكا.

وبعد اسبوعينمنبدءهذه المحاضرات، قام اساتذة الجامعة باجراء ابحاثهم على طلبة كل فريق على حدة ، فاكتشفوا أن طلبة الفريق « ب » يتمتعون بصحة ممتازة وأن احدا منهم لم يشك طوال هذه الفترة من اى اضطراب فى جهازه الهضمى ، بينما شكا عدد كبير من طلبة الفريق « أ » من عسر الهضم ، والامساك والصداع الى آخره .

لا تخجل اذن من البكاء .. واضحك .. اضحك ما شاء لك الضحك ..

■■



مَرْثِيَتَانِ
مَرْثِيَة وَمَرْثِيَة وَبينهما

بقلم : أنيس المقدسي

الجامعة الامريكية ـ بيروت

■ لفت نظرى وانا اطالع هاتين المرثاتين ، على بعد ما بينهما من الزمن ، تشابههما في الموضوع والعاطفة . ففى كلتيهما ترى الشاعر يسكب دموع الاسى على فقيد عزيز خطفته يد المنون وهو في ابان الشباب . وفي كلتيهما يخرج الرثاء من قلب صديق صادق العواطف شديد الحرص على ابراز ما كان لفقيده من المزايا الكريمة والمواهب السامية .

واولى هاتين المرثاتين دالية ابى العلاء المعرى التى يستهلها بقوله :

غيرُ مُجدٍ في ملّتي واعتقادي ‏ ‏ ‏ نَوْحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادِ

وقد نظمها حاملة أسفه العميق لوفاة صديق له اسمه محمد الجبلي . وما كنا لنعرف شيئا يذكر عن هذا الفقيد لولا قصيدة ابي العلاء التى خلدت ذكراه . وكلّ ما نعرفه من التاريخ عبارة لياقوت الحموى وردت في عرض كلامه على مدينة جَبَل اذ يقول : « وينسب اليها جماعة من أهل العلم منهم ابو الخطاب محمد بن علي الجبلى الشاعر . كان من المجيدين . وكان بينه وبين أبي العلاء المعرّى مشاعرة وفيه قال أبو العلاء قصيدته (غير مجد في ملتي واعتقادى) .

ومات أبو الخطاب في ذى القعدة سنة ٤٣٩ . » . واذا صحّ ما ذكره ياقوت عن تاريخ وفاته فان المعرّى يكون قد تجاوز السبعين يوم نظم هذه المرثاة . ومن رثائه يفهم أن المرثىّ قد مات وهو في عنفوان الشباب او قد تجاوزه قليلا ـ يقول :

وخلعتَ الشباب غَضّاً فياليـ ‏ ‏ ‏ تك أبليته مع الأنداد

لافتقاد صديق
المعري العربي
ملتن الانجليزي
سبعة قرون



فاذهبا خير ذاهبين حقيقـ   ـين بسقيا روائح وغواد

فكيف نفسّر صداقة المعرى له وبينهما هذاالمدى الواسع من العمر ؟ يظهر ان الشاعر كان معجبا بهذا الرجل لما عرف فيه من مزايا خلقيةوعلمية فلم يكن تباين العمر مانعا من نشوء الصداقة بينهما وتمكنها في قلبيهما .. ولعل الجبلي كان ممن يتردد الى مجلس ابى العلاء ليستفيد من حكمته وعلمه فكان ذلك مما قرّبه اليه فاستطاع ان يكسب عطف الشاعر عليه ومحبته له وتقديره لمزاياه حتى قال فيه :(ويكنّيه بابى حمزة بدل ابي الخطاب) :

قصد الدهر من أبي حمزة الأوّابِ   خِدن حِجىً وخِدنَ اقتصادِ

أنفق العمر ناسكا يطلب العلـ   ـم بكشفٍ عن أصله وانتقاد

ذا بنانٍ لا يلمس الذهب الأحـ   ـمر زهداً في العسجد المستفاد

وتلك مزايا عرف بها المعرى نفسه فلا عجب ان يأنس بمن اتصف بها ولو كان من غير لِدّاته .

ومهما يكن فالذى لا شك فيه أن الفقيد كانعزيزا على المعرى مقرّبا اليه وكان لموته وقع شديد فينفسه . وتظهر شدة اسفه عليه وتكريمه لشخصيته انه طلب بحرارة من القائمين بامر جنازته ودفنه ان يغسلوه بالدموع بدل الماء وان يكفنوه بأوراق المصاحف بدل العادى من الاكفان وان يدفنون طىّ الصدور لا تحت صفائح القبور . ثم يلتفت ويخاطبه من قلب كسير :

كيف أصبحتَ في محلّك بعدى   يا جديراً مني بحسن افتقاد

قد أقرّ الطبيب عنك بعجزٍ   وتقضّى تردُّد العُوّاد

وانتهى اليأس منك واستشعر الوجـ ـد بأن لا معاد حتى المعاد

وطبيعي من مثل المعرى وقد علت سنه ونظر الى الحياة نظر الحكيم المختبر فعرفها على حقيقتها ان لا يقف في مرثاته لصديقه عند حد الاسف والبكاء .

أسفٌ غير نافع واجتهادٌ لا يؤدي إلى غناء اجتهاد

هكذا يقول : ولكنه امام القبر يعيد النظر متاملا في وجود الانسان وحقيقة الحياة . فيرى ان كل شيء باطل وكل الوجود الى زوال . وسواء أتتنا بشائر الافراح او نشائد الاحزان فانه لا فائدة لا من هذه ولا من تلك، السنا نرى كيف تطوى الاجيال ، وكيف تذهب بالناس الآجال :

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ ـب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديـ ـم الأرض إلا من هذه الأجساد
تعبٌ كلها الحياة فما أعـ ـجب إلا من راغبٍ في ازدياد

ومع ان المعرى ينظر في قصيدته الى حياة اخرى وراء هذه الحياة ـ اذ يقول :

خُلق الناس للبقاء فضلت أممٌ يحسبونهم للنفاد
إنما يُنقلون من دار أعما ل إلى دار شقوة أو رشاد

فرجاؤه بالحياة الاخرى لا يخفف أسفه اذ يذكر صديقه الراحل . وكانه يشعر في مثل هذا المقام باحتياجه الى معين فيسال الحمائم ان يساعدنه في البكاء ويهيب بهن ان اخلعن اطواقكن التى تتزين بها والبسن عوضا عنها ثياب الحداد.

فتسلبن واستعرن جميعا من قميص الدجى ثياب حداد
ثم غردن في المآتم واندبـ ـن بشجوٍ مع الغواني الخراد

أجل يبكي المعرى ويسأل الطير ان يشاركه مع النوادب في البكاء ولكنه أخيرا يرجع مرة ثانية الى حكمته واختباره فيختتم قصيدته بالاستسلام للواقع وهكذا يعزى نفسه وسواه قائلا : هذه الحياة غير جديرة بان يبكى عليها بل الكون المادي جميعه صائر الى زوال، الارض وجميع كواكب السماء .

زحلٌ أشرف الكواكب دارا من لقاء الردى على ميعاد
ولنارِ المريخ من حدثان الدهـ ـر مُطفٍ وإن علمت باتقاد
والثريا رهينة بافتراق الشمل حتى تعدّ في الأفراد

كـــل بيت للهدم ما تبتـنى الور   قاء والسـيّد الرفيع العمـــاد

وما دام الانسان راحلا عن هذه الدنيا فلماذا يهتمّ بتشييد الابنية الدائمة عليها .

واللبيــب اللبيــب من ليس يغترّ بكــون مصــيره للفســاد

اما مرثاة الشاعر الانكليزى جون ملتون فقد نظمت بعد مرثاة المعرى بنحو سبعة قرون. نظمها تحت عنوان « ليسيداس Lycidas » تخليدا لذكرى صديقه « ادورد كنغ Edward King » . وكان هذا الصديق من رفاق الشاعر في الدراسة الجامعية . وحدث انه عقب نيله الشهادة العلمية من الجامعة ذهب في نزهة الى اوروبا على ان يعود الى التخصص في العلوم اللاهوتية ليلتحق بخدمة الكنيسة . ولما قضى نزهته في اوروبا ركب البحر عائدا الى لندن . ولكن القدر لم يتح له الوصول اليها اذ غرق مركبه مع جميع ركابه . وكان لغرق ادورد كنغ وقع أليم في نفوس اصدقائه واخصهم ملتون . وزادهم حزنا عليه ما كان يتحلى به من المزايا الانسانية والعقلية. فاجمعوا على تخليد ذكراه بكتاب خاص ضمنوه آرائهم فيه وعواطفهم نحوه ومنها هذه المرثاة التى نحن بصددها .

كان ملتون في التاسعة والعشرين يوم فقد صديقه فكانت مرثاته دمعة حارةً من قلب شاب وفيّ يسكبها على قبر شاب عزيز . والشابّ في مثل هذا المقام لا يقف عادة ليتامل في الحياة وغرورها او الدنيا وزوالها بل يقف ذاكرا الاوقات الجميلة التى قضاها مع من فقدهم من الاحياء . وقد وضع ملتون قصيدته هذه في جوّ من مشاهد الطبيعة او الحياة الرقيقة ملبسا اياها من الحلل المجازية مما لا يمكن لنا نقله الا بشكل عام فقط فهو يلتفت الى الغابات التى كانوا يقصدونها والاشجار التى كانوا يستظلون بها – الى الحدائق والمروج والازهار والربى والبطائح والانهار . وعلى الحان قيثار الرعاة يرسل انغامه مناجيا الطبيعة بقوله :

قد انشدتكِ شعرى قبلا ولما ينضج تماما وعاهدت نفسي ان اتوقف عن الانشاد الى ان ابلغ درجة النضوج. اما الآن فكيف اصمت وليسيداس قد مات واصبح قبره في اعماق البحر . كيف لا اذرف معه الاسى والوفاء لمن قد ذهب ولن يعود .

دمعــةُ حــبّ بالأسى تجــرى   رغــم تأسّى القلــب والصــبر

يا مــن شــذا ذكــراه ما بيننا   أطيــبُ نشرًا من شــذا الزهــر

بالله يا حوريات الشعر المرتويات من مياه الينابيع المقدسة ارفعن اصواتكنّ وانشدن معي :

نشــيدَ ودادٍ للــذى طاب ذكره   تُــردّده الأدواحُ في الغــابــاتِ

وتشدو به الأطيارُ فوق غصونها   إذا الصبح وافى مشرق القَسَمات

وينشرهُ مــرّ النسائم في الــربى   أريجــاً مُقلاً أعذب النغَمــات

بل كل الطبيعة فلتنشد معي ذكرى ذلك الرفيق الذى طالما ارتبعت معه في مروجها الخضراء وتنشقنا معا عبير رياضها الفيحاء . وكم تنزهنا تحت ظلال أدراجها الباسقة وعلى ضفاف انهارها الجميلة . وكم راقبنا الكواكب في ظلام لياليها ، ووقعنا اغانيها على الحان قيائير رعاتها .

أوآه ! كيف تغيرت حالها بعد أن فتكت بك يا ليسيداس يد القدر الغشوم ، فها هي مجللة بعدك بثياب الاسى العميق . غبت عنها فغاب جمالها . وصمت فصمتت اغاني السرور فيها .

وكما يستخدم الشاعر الطبيعة للتعبير عما في نفسه من أسى يستخدم الرموز الى أساطير الالهة القديمة وخصوصا اليونانية . فيلتفت الى الربات (Nymphs) المولعات بحراسة الشواطىء وحماية المسافرين وانقاذ الغرقى ويخاطبهن قائلا : اين كنتن يوم طغت عليه الامواج وابتلعته اللجج . ولكن ما كنتن صانعات مع القدر وربة الفن والشعر نفسها The Nurse لم تستطع أن تنقذ ابنها يوم اغتاله الاعداء وطرحوا راسه في نهر هيبروس (Hebrus) فجرفه الى جزيرة لسبوس (Lesbus) البعيدة . أوآه ! وما تجدى أوآه : ها ان له الشعر (Phoetus) يناجيني قائلا الام الندب على الاموات ؟ قم حرّر نفسك من ربقة الاسى وخل عنك هذه النشائد التى لا تفيد فالاموات لن يرجعهم الينا حزن وعويل . ابتعد عن هذا السبيل واسلك طريق غيرك من الشعراء الذين ينصرفون الى المسرات في الحياة ويتغنون بوصف ربات الجمال فيحظون من الناس بالشهرة والاطراء .

ولكن الشاعر الاسيف يرى غير ذلك فيجيب : الشهرة والاطراء ! يا لسخف ما يكسبون ، ان الشهرة والاطراء هما أحط مطالب المجد . فما المجد الحقيقى بنبتة تنبت في عالم الانسان . او زهرة تتفتح في بهرجات الكلام وزخارف البيان . انه هبة علوية من السماء للمستحقين من النوابغ والعظماء . (ويستدرك قائلا) :

على ان كثيرا من مستحقى المجد لا يحصلون عليه لان القدر يقطع حبل عمرهم قبل الأوان . فيا لقدر ظالم ويا لعالم ضاعت فيه حقيقة الأشياء . هكذا قضي ليسيداس قبل ان ينتفع العالم بمواهبه . وقد اهتمّ نبتون اله البحر بموته وهمه جدا ان يعرف هل كان لأحد في مملكته البحرية يد في ذلك . فاخذ يستجوب الأمواج والرياح فأجبنه ما أحد منا بمسؤول عن هذه الكارثة اذ كان البحر رهوا والريح رُخاء . وانما هو القدر وسوء الطالع .

وهنا يذكر الشاعر ان رفيقه الفقيد كان يُعدُّ نفسه لدرس اللاهوت وخدمة الكنيسة فيحمله الخيال الى بحيرة الجليل حيث كان يعمل تلميذ المسيح بطرس الذى اصبح بعدئذ راس الكنيسة ! . ويتخيله كسيف البال لفقد ليسيداس والكنيسة في اشد الحاجة الى امثاله — اذ لم يكن فيها (بزعمه) الا رجال همهم غرور الدنيا وشهواتها . واذ ذاك تثور نفس الشاعر عليهم في حملة عنيفة نلخصها بما ترجمته :

قادةٌ في بيعةِ الله وليسَ لهم همٌّ سوى مجدٍ يزولْ
يدّعون الزُّهد في الأرض وهم لكنوزِ الأرض يبغون الوصول

لا يغرّنكَ لســـان قائــــلٌ منهمُ فالفعل ينفي ما يقــول

ومتى عرفنا ان ملتون كان من فرقة المتطهرين Puritans الذين كانوا ينقمون على الكنيسة العامة لبعدها عن الحياة الروحية وتعلقها بالامورالزمنية فلا نستغرب ان يغتنم هذا الموقف الرثائي مستطردا منه الى وصف حال الكنيسة في عهدهوالحملة على رجالها .

ولكن نقمته علىالقدر وانكاره ما يبدو في الحياةمن خطل وعدم استواء لم يستمرا مسيطرين على نفسه ، بل يعود ليرى بعين الايمان صديقه في دارالنعيم ، واذ ذاك يهيب بالطبيعة ان تعزف على قيثارها الحان الرجاء والظفر عوضا عن مراثيالبكاء والاسى فيقول :

يا رياحـــاً في الغاب تبكي عليــه مع غصون الأدواح والأطيــــار

اتركي الندب والبكاء فمن تنــ ــدبنَ حـيٌّ في جنّة الأخيار

إن يــك البحر غيّب الآن عنـا نـوره في خِضَمّهِ الزخّــار

فهو يعلو في قبّة الخــلد نجمـاً يتلالا بأســـــطع الأنـــوار

يتلالا في كــل أفــقٍ ليهــدى كل من تاه في دياجــى البحــار

وهنا نلتفت قليلا لنقابل بين شاعرين في هاتينالمرثيتين .

كلاهما كما مرّ معنا يندب صديقا مات قبل اوانه ويتالم في نفسه لان الموت اختطفه فحرم العالم من الانتفاع بمواهبه .

وكلاهما يحمله الحزن في اول الامر على النظر الى الحياة نظرة سوداء ــ المعرّي يرى خيرها وشرها سواء . وملتون يراها غير معقولة النظام فيمعاملة الأحياء . ولم تكن هذه النظرة لتحجب عنهما ما يرجوانه من عالم افضل وراء هذه الحياة. على أن المعرّي ليس لهثقة ملتون فهو لا يرى فقيده ــ « نجما غاب وراء الافق الارضي ليضيء بنوراسطع في سماء الخلود » .

ويتفق الشاعران في حملتهما على خَدَمَةِ الدين في عهدهما واتهامهما اياهم بالتهافتعلى الدنيوات دون الروحيات . نعم لا يظهر ذلك في داليّة المعري الآنفة الذكر كما هي الحال في قصيدة ملتون ولكنه يظهر في كثير من لزومياته .

بقي أن نقول ان ملتون في مرثاته (ليسيداس) يتخذ طريقة التصوير الفني فيخرج حزنه في جوّ ريفي أسطوري مشبع بالأوصاف والرموز التيرغم غرابتها تنمّ عن عبقرية شعرية قليلة النظير. أما المعرّي وهو كفيف البصر فيعتمد بصيرتهلبثّ حزنه في تأملات موسيقية الالحان ، تمتاز بجودة المعاني ونصاعة البيان . وهي عندي اقل تكلفا واكثر تاثيرا روحيا في نفس القارىء من مرثاة ملتون . ■■

أنيس المقدسي



نزعات ملحوظة في المجتمع الامريكي

« عن مجلة تايم الامريكية »

● ثمة نزعتان بارزتان في حياة المجتمع الامريكي في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر ، فالروح الاقليمية المحلية فيه آخذة في الانكماش والانقراض من جهة ، والاتجاه نحو حضارة يغلب عليها التجانس والطابع القومى الموحّد آخذ في النمو والانتشار من جهة ثانية .

على ان ذلك لا يتعارض ووجود بعض التباين او التنويع بين تلك الاقاليم .

فالساحل الشرقي ، المتجه ببصره الى اوربا ، ما زال يتربع على العرش ، سواء على صعيد الاشعاع الحضارى او على صعيد الثراء والنفوذ المالي .

واما على الساحل الغربى ، فالحياة اقرب الى البساطة ، والناس احرص على الشعور بالرضي النفسي منهم على تحقيق النجاح وجني الارباح .

ويكاد الجنوب ان يكون بلدا اجنبيا، بعاداته وتقاليده وصبغتــه الحضاريــة الخاصة .

ولعل الجنوب الغربي من الولايــات المتحدة،وهو الذي يحمل طابعا مكسيكيًا يتجلى في هندسة مبانيه وامزجة اهلــه على الســواء ، لعل هذا الاقليم ابطأ تقدماً من غيره . فالسرعة التى تسير بها ولايات هذا الجنوب الغربي هي اقرب الى سرعة السلحفاة منها الى سرعــة الغزال .

على أن الاوسط الغربي (Midwest) هــو بمثابة القلب بالنسبــة الى سائر الاقاليم الاخرى . فالخصائص والصفات الامريكية النموذجية تنبت في تربته وتنمو في سهولة .

في خدمة الجمهور ...

عن صحيفة وول استريت الامريكية .

● **لم نكن نشك في ان عددا كبيرا من الناس يشغلون مختلف الوظائف الحكومية في الولايات المتحدة الأمريكية . الا انه لم يخطر لنا ببال ان هؤلاء الموظفين قد جاوز عددهم في الآونة الأخيرة (١١) مليون موظف وانهم قد أصبحوا يشكلون ، من حيث الضخامة ، الفئة الثالثة بين الفئــات العاملة في البلاد .**

ولئن كان العاملــون في المجالــين الصناعى والتجارى هم الذين يشكلون الفئة الأولى والثانية بين تلك الفئات حتى الآن ، فان النسبة التى يتزايد بها الموظفون الحكوميون فى الولايات المتحدة، والتى بلغت ٣١٪ في السنوات الخمس الأخيرة كانت بلا ريب اعلى نسب التزايد لسائر الفئات العاملة في تلك البلاد .

النازية : هل بعثت مجددا فى ألمانيا الغربية ؟

عن صحيفة «النيويورك هيرالد تريبون»:

● منذ قيام الحكومة الائتلافية في المانيا الغربية والناس يتساءلون عما اذا كان فى قيام تلك الحكومة، برئاسة المستشار كيسنجر ، بادرة تشير الى بدء انتشار النازية فى تلك البلاد ثانية .

وتضاربت الآراء حول هذا الموضوع . وكان من بينها رأى للفيلسوف الالمانى ، البروفسور كارل ياسبرز Carl Jaspers ، نوجزه فيما يلى نظرا لخطورته . وتجدر الاشارة الى أن البروفسور الالمانى المذكور قد أعلن رأيه هذا صراحة وعلى رؤوس الأشهاد فى مقابلة تلفزيونية أجريت معه وعرضت على شاشة تلفزيون هامبورج قبل حين .

قال البروفسور ياسبرز : « لاريب أن اختيار الهرجورج كورت كيسنجر Gorg Kurt Kies'nger مستشارا لحكومة المانيا الغربية لا مفر من اعتباره وصمة فى جبين الشعب الالمانى واهانة موجهة الى سائر الشعوب الاخرى . بل انه طعنة ادمت قلوب الالمان الذين كرهوا النازية منذ البدء ، وما زالوا ، وعددهم يقارب المليون ، قل أو كثر » .

واضاف الفيلسوف الى ذلك قوله :

« ذلك أن على رأس هذه الحكومة نازيا قديما . وهذا شيء جديد يحدث فى المانيا الغربية بعد الحرب العالمية الأخيرة .. بل انه حدث خطير فى حياة المانيا الحالية والمقبلة ! » .

(العربى) هذا رأى الفيلسوف الالمانى الشهير (٨٣ سنة) . وبالطبع ليس هذا هو الرأى الشائع فى المانيا ، والا لما رضى الالمان ، وحكمهم ديمقراطى هو اقرب ما يكون من الصحة فى استجلاء رأى الناخبين ، بأن يكون مستشارهم نازيا . وان كانوا رضوه نازيا ، فكراهة الفيلسوف للنازية ليست اذن هى المزاج الشائع بين الالمان فى دولتهم هذه .

حرية الفكر فى روسيا

عن صحيفة النيوستيتسمان البريطانية:

● كان القتل هو العقاب الذى ينزل فى الكتاب والأدباء الروس الخارجين على المبادىء الشيوعية فى عهد لينين وستالين .. أما الآن فلا يتعدى عقابهم قضاء البقية من حياتهم فى السجن أو فى مستشفى المجانين ..

هذا ما قاله الكاتب تيبور صاموبلى ... Tibor Szamuely ، فى سياق حديثه عن رسالة الأدب والأدباء فى الاتحاد السوفياتى . أما المقال الذى تطرق فيه الى هذا الموضوع الهام فكان عنوانه (عالم جديد شجاع) . والمقصود بعبارة « عالم جديد » هنا ليس القارة الامريكية وانما المجلة الأدبية الروسية التى تحمل ذلك الاسم ، أو Novi Mir بالروسية . فقد تعرضت هذه المجلة فى الآونة الاخيرة لبعض المضايقات وذلك بسبب اقدامها على نشر ما لم يرق نشره للسلطات .

ويعتقد الكاتب المذكور أن الاجراءات التى تتخذ حاليا بحق المفكرين والمؤلفين المنحرفين فى نظر المسؤولين فى الاتحاد السوفياتى ليست بالاجراءات المجدية الفعالة فى المدى البعيد . ويذهب الى أن الفارق الاساسى بينها وبين الاجراءات التى سبقتها ليس فى نوعها ولا شدتها وانما فى المشكلة التى تستهدف تلك الاجراءات وهذه القضاء عليها.

والمشكلة المذكورة لم تتعد كونها فى السابق مشكلة « أفراد منشقين » أو ، على حد قولهم ، « مشكلة أعشاب ضارة سامة يتوجب اجتثاثها من حديقة الأدب الروسى اليانعة » .

أما الآن فالمشكلة هى فى أن الأدب الروسى ، ممثلا فى رواده وقواده ، قد بدأ يلعب دوره التقليدى ثانية ، فيحمل لواء الحرية ويقف فى وجه الطغيان . وتجدر الاشارة الى أن كبار الكتاب الروس فى القرن الماضى كانوا يرون رسالتهم الأولى فى المجتمع انما هى فى محاربة الظلم اكثر منها فى الانتاج الأدبى . ويتجلى ذلك فيما قاله الشاعر نيكراسوف فى هذا الصدد وهو : « أنت لا يتحتم عليك أن تكون شاعرا .. أما أن تكون مواطنا .. فهذا لا مفر لك منه » .

الرجل الغربي تحكم في بيئته المادية ،

وليس شيء في الأخلاق عنده

والحياة عنده ورقة نصيب

أزمة القيم

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة بالجامعة الاردنية ـ عمان

■ اذا صح ما يقال عادة من أن تشخيص الداء هو نصف العلاج ، فليس بدعا ان ينصرف جانب كبير من اهتمام المصلحين والمربين ـ في المغرب ـ الى تحديد اعراض الادواء الخلقية والاجتماعية التي يشكو منها انسان العالم الغربي المعاصر . وليس من شك في ان « فوضى القيم » التي اصابت المجتمع الاوروبي ـ على اعقاب الحرب الاخيرة ـ قد جاءت ثمرة لتزايد سرعة « التغير الاجتماعي » بشكل لم يسبق له نظير . ولم يكن من قبيل الصدفة ان تظهر هذه الفوضى الاخلاقية على أثر تفاقم « المادية » بعد الحرب العالمية الاخيرة .

ارتفاع الاسعار والاجور

فان من المؤكد ان تزايد « قيمة المال » قد عمل على ارتفاع الاسعار والاجور ، لدرجة ان المشترى لم يعد يستطيع ان يكون ادنى فكرة عن الثمن الحقيقي او السعر العادل الذى لابد له من دفعه لشراء هذه السلعة او تلك . هذا الى ان اسعار الكثير من السلع قد ارتفعت بشكل غير معقول ، نتيجة للمغالاة في استخدام الاساليب الحديثة في التغليف والعرض والاعلان . ويقال ان تكاليف التعبئة في امريكا قد عملت على رفع ثمن الغذاء بنسبة قد لا تقل عن ٤٠ ٪ . وفضلا عن ذلك ، فقد ظهرت في السوق سلع حديثةعملت على تغيير النظام الاقتصادي للعائلات ، فاصبحت الاسرة الغربية المعاصرة اميل الى تقديم « الكمالي » على « الضروري » ، وصار في وسع الكثير من العائلات المتوسطة ابتياع شتى الاجهزة الحديثة بطريقة التقسيط . بل لقد انتشر نظام « الاستئجار » فاصبح في وسع اية

وفاته أن يتحكم فى سلوكه البشرى

صوابا على الاطلاق، أو خطأ على الاطلاق

فى العالم الغربى المعاصر

اسرة ان تحصل على ما تريد من اجهزة حديثة دون الحاجة الى شرائها !

الفوضى لاحقت القيم الاخلاقية بعد المادية

ولو ان هذه « الفوضى » وقفت عند « القيم المادية » لهان الامر ، ولكن خطرها فى الحقيقة قد امتد ايضا الى « القيم الاخلاقية » فاصبح الغربي المعاصر مسرحا اليما للكثير من المتناقضات الحادة . والواقع ان مشكلات العالم الغربي المعاصر لم تعد مجرد مشكلات تكتيكية قد يكون التقدم الصناعي هو الكفيل بحلها على مر الزمن ، وانما هى قد اصبحت مشكلات اخلاقية عسيرة ، هيهات لأى مصلح اجتماعى ان يجد لها حلا . وقد لا نكون مبالغين اذا قلنا ان مستويات المعيشة لم تبلغ فى يوم من الأيام مثل هذا الارتفاع الذى بلغته فى المجتمع الغربى المعاصر ، ولكن الفوضى الأخلاقية – فى الوقت نفسه – لم تصل يوما الى مثل ما وصلت اليه اليوم فى معظم بلاد اوروبا وامريكا ! وآية ذلك ان اساليب الرفاهية فى البيت الحديث قد اصبحت ظاهرة عامة تنعم بها معظم الطبقات ، ولكن « البيت » Home (بالمعنى الروحى لهذه الكلمة) لم يعد يعنى شيئا بالنسبة الى الكثيرين !

الانسان الغربى تحكم فى بيئته المادية ، وفاته التحكم فى سلوكه البشرى

وقد تزايدت قدرة الانسان الغربى المعاصر على التحكم فى بيئته المادية ، ولكنه فى الوقت نفسه لم ينجح حتى الآن فى الاهتداء الى الطرق الفعالة من اجل التحكم فى السلوك البشرى تحكما عقليا رزينا . وعلى الرغم من ان العالم الحديث قد اصبح يضع بين يدى الانسان المعاصر الكثير من الفرص لممارسة حريته وتنشيط شعوره بالمسئولية ، الا ان فزع الكثيرين من مواجهة مصيرهم بشجاعة ورباطة جاش قد عمل على انتشار اسلوب جديد من المعيشة ، الا وهو اسلوب « اللامبالاة » او « اللامسئولية » . ولا شك ان تزايد اهتمام الناس باساليب التسلية واللهو وتمضية اوقات الفراغ ،

قد أسهم — الى حد كبير — فى التقليل من احساسهم بضرورة ممارسة حرياتهم، والعمل على اتخاذ تصميمات ارادية تزيد من شعورهم بالمسئولية .

ذهب بالادخار قلة المبالاة بالمستقبل

وقد فطن بعض الباحثين الى ارتباط فوضى « القيم الاخلاقية » بفوضى « القيم المادية »، فذهب الى ان التغير الاقتصادى السريع الذى طرا على الكثير من انظمة المجتمع الغربى المادية قد عمل على زعزعة الكثير من القيم الأخلاقية التقليدية. واصحاب هذا الرأى يشيرون بصفة خاصة الى « نظام الادخار » فيقولون ان هذا النظام كان علّما على اهمية « التدبير » وضرورة « التفكير فى المستقبل » ، بدليل ان المربين كانوا ينصحون الاطفال بالادخار، على أساس ان فى توفير القليل اليوم ، ما ينفع الكثير فى الغد ، خصوصا وأنه لابد للانسان باستمرار من ان يتخذ لكل شيء عدته ، فيدخر لمواجهة مخاطر المستقبل، ويتخذ من المال المدخر سلاحا ينفعه وقت الشدة . ولكن الحدَث الصغير اليوم — فى المجتمع الغربى المعاصر — قد اصبح يعلم جيدا انه اذا كان لديه مبلغ من المال يزيد عن حاجته، فان الشيء الوحيد الذى لابد له من المبادرة الى عمله ، انما هو انفاق هذا المبلغ ، والا فانه لن يستطيع فى الغد ان يشترى به ما يقدر اليوم على ابتياعه به !

والحرب والجنس تغير موقف الناس منهما

ولما كانت أنماط الحياة الاجتماعية قد تغيرت ، فليس بدعا ان يتغير شكل المشكلات الخلقية نفسها ، لدرجة ان الاجابات التقليدية على الاسئلة التقليدية لم تعد تلائم الواقع . ولنضرب لذلك مثلا فنقول ان مسألتى « الجنس » Sex و« الحرب » — وهما من أهم ميادين الحياة الاخلاقية — قد أصبحتا اليوم مختلفتين تماما عما كانتا عليه منذ نحو قرن من الزمان ، بل حتى منذ نصف قرن ، لدرجة ان الصيغ التقليدية التى كنا نواجه بها هاتين المشكلتين لم تعد تلائم العصر ! وآية ذلك ان مشكلة الحرب — مثلا — لم تعد مسألة محدودة تهم اهل التخصص من رجالات الجيش، بل هي قد اصبحت خطرا عاما يهدد الشعوب باكملها ، بل الحضارة الانسانية بأسرها. واما فيما يتعلق بمشكلة الجنس ، فان ثمة امورا كان يجزع لها ضمير اسلافنا، بل كانت فى نظرهم مسائل مرذولة لايقرها الراى العام ، ولكنها اصبحت اليوم امورا عادية يقرها الضمير العام ، ولايكاد احد يشك فى شرعيتها . ومن هنا فقد اصبحت « المحرمات التقليدية » : Traditional Taboos موضع شك وارتياب من جانب الكثيرين ، ان لم نقل بأن كل او جل القواعد الاخلاقية فى مضمار الحياة الجنسية قد استهدفت لتغيير جذرى حاسم ..

والتلقيح الصناعى

وحسبنا ان ننظر الى مشكلة « التلقيح الصناعى » ، لكي نرى الى اى حد ادى التقدم التكنيكي الى بلبلة الراى العام من الناحية الأخلاقية : فاننا هنا بازاء حالة فريدة يتم فيها حمل المراة من رجل غير زوجها ، دون ان تكون الزوجة مع ذلك قد ارتكبت اية خيانة زوجية ! وليس من شك فى ان مثل هذا « التلقيح الصناعى » لا بد من أن يضع الزوج فى مركز حرج ، ولكن من الصعب — مع ذلك — أن تتهم المراة بأنها قد ارتكبت خطيئة ! وقد ثارت حول هذا الموضوع — خصوصا بين رجال الدين — الكثير من المناقشات الحادة ، ولكن الراى العام لم يستقر نهائيا على ادانة هذا العمل، او اتهام امراة تقدم عليه بجريرة الزنى! واذا كانت الغالبية العظمى من الناس لم تكون لنفسها اى راى حول هذا الموضوع، فان عددا غير قليل منهم يميل الى الظن

بأنه لا دخل للأخلاق مطلقا فى امثال هذه المواضيع !

ضعف سلطة الآباء

وربما كانت اخطر ظاهرة أخلاقية يشهدها اليوم المجتمع الغربى الحديث انما هى ضعف « سلطة الآباء » . وقد يكون السبب فى هذا الضعف ان الآباء أنفسهم قد اصبحوا عاجزين عن تكوين آراء أخلاقية واضحة عن الخطأ والصواب، او الفضيلة والرذيلة ، بحيث أنهم هم انفسهم لم يعودوا يعرفون ما هى المعايير التى لا بد لهم من ان يأخذوا ابناءهم بها! وليس من شك فى ان حاجة الاطفال الى الشعور بالأمن Security قد لا تقل عن حاجتهم الى الشعور بالحرية ، ولا ريب ان «الشعور بالأمن» يقتضى اطمئنان الطفل الى وجود معتقدات ثابتة راسخة لدى الوالدين اللذين يقومان على تربيته وتنشئته .

وعلى الرغم من انه ليس من الضرورى للطفل – ابان مرحلة المراهقة – ان يعتنق معتقدات أبويه ، الا ان المراهق نفسه حين يعمد الى التمرد على آراء والديه هو فى حاجة الى معتقدات محددة يثور ضدها ! وقد اثبتت التجربة ان الأطفال الذين ينشأون فى كنف أسرة ذات عقائد راسخة (كائنا ما كان نوعها) يكسبون الكثير من وراء هذه البيئة العقلية المحددة. وقد يختلف الابن مع ابيه حول الكثير من المواضيع ، ولكنه لا بد من أن يعترف له بالفضل اذا كان قد وجد فى شخصه رجلا ناضجا له آراؤه الخاصة التى يدافع عنها ، وغاياته الشخصية التى يعمل جاهدا فى سبيل بلوغها . واما حين يكون الآباء انفسهم مذبذبين مترددين ، أو حينما لا يكون لديهم آراء خاصة عن اى موضوع من المواضيع التى تتعلق بال ابنائهم ، فكيف ننتظر من هؤلاء الابناء ان يكونوا يوما رجالا ناضجين ؟ . .

لقد اثبت الكثير من علماء النفس ان احتمال ظهور «العصاب» (المرض النفسى) .. Neurosis يتزايد مع ضعف « السلطة الأبوية » ، لا العكس. والواقع أن منشأ الكثير من الاضطرابات النفسية لدى الأطفال انما هو هذا الارتياب الذى أصاب الكثير من الآباء حول الطريقة المثلى فى التربية ، مما جعل الكثير من الأطفال ينشأون فى كنف أسرات يجهل الوالدان فيها (او يظنان انهما يجهلان) كل شىء عن التربية ! ولو كان لدى هؤلاء الآباء القليل من الثقة فى انفسهم ، لكانوا اقدر على تربية ابنائهم. ولا غرو ، فان « الشك » الذى يخيم على عقول الآباء ، سرعان ما ينعكس على عقول الأبناء ، فلا يلبث الأطفال أن يقعوا فريسة سهلة لوساوس القلق والشك والخوف والارتياب ! ومن هنا فقد فطن بعض رجالات التربية الى انه ما لم ينجح المجتمع الغربى المعاصر فى اعادة روح الثقة بالنفس الى الآباء والأمهات حول قدرتهم على تربية ابنائهم ،فسيظل عدد الأطفال المصابين باضطرابات نفسية يتزايد يوما بعد يوم !

وهناك من يقول كل أمر نسبى !

وليس أيسر على الفرد – بطبيعة الحال – فى مثل هذه الأزمات الأخلاقية الناجمة عن صراع القيم – من اتخاذ « موقف نسبى Relativistic altitude بحجة انه ليس شىء صوابا على الاطلاق، وليس ثمة شىء خطأ على الاطلاق ! ومن هنا فاننا نجد لدى الكثير من الأفراد فى عصرنا الحاضر تحللا من القيم ، وانصرافا عن كل سعى وراء الحقيقة ، بدعوى أن لكل فرد قيمه الخاصة وحقائقه الفردية، وكأن الأمر متوقف تماما على التفكير الفردي أو التأمل الشخصى ! وربما كان السبب فى انتشار هذه «النزعة النسبية» ما لاحظه البعض من أن جانبا غير قليل من السلوك الذى كان المجتمع الغربى يعده « خطيئة » منذ قرن من الزمان ، قد اصبح اليوم سلوكا عاديا لا مطعن فيه ولا جناح عليه ! وهكذا أصبح الايمان

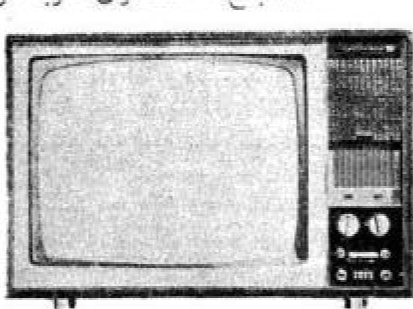
بقيم مطلقة أو « حقائق ازلية أبدية » ضربا من التفكير البالى العتيق ، وصار الحديث عن اية « مبادىء اخلاقية » عامة أو ثابتة : حديث خرافة لا يكاد يصدقه احد !

والحياة عندهم « ورقة نصيب »

وهناك ظاهرة اخرى قد أصبحت فى الوقت نفسه لسان حال لمعظم افراد الجيل الغربى الحديث ، وتلك هى الايمان بالحظ ، والاعتقاد بأن الحياة مجرد «ورقة يانصيب» قد تكسب او تخسر ! وليس من شك فى أن حلول فكرة «الحظ» محل فكرة « الجهد » فى عقول الكثيرين ، انما هى ظاهرة خطيرة تكشف عن اعتقاد خفى بعدم وجود « قانون » فى العالم ، وكأن «الصدفة» قد أصبحت هى القاعدة الوحيدة التى تتحكم فى مصائر الناس ! وحسبنا ان نتصفح معظم الصحف والمجلات الاجنبية ، لكى نتحقق من ان « النماذج البشرية » الكبرى التى أصبح الجمهور يتطلع اليها اليوم ، انما هى كواكب السينما والمسرح ، اعنى تلك الشخصيات المشهورة التى عمل «الحظ» على احاطة أصحابها بهالة من المجد والشهرة . ومهما كان من امر الجهود التى لا بد من ان يكون الممثل المسرحى او النجم السينمائى قد بذلها فى سبيل الوصول الى المجد والشهرة، فان جمهور العامة من الناس لا يرى فى مثل هذا « النجاح » سوى ضربة من ضربات « الحظ » وكأن الممثل الناجح هو مجرد « لاعب » حالفه الحظ ، فوقعت يده ـ بطريق الصدفة البحتة ـ على «النمرة الرابحة» !

والظاهر ان الكثير من شباب الجيل الحاضر فى المجتمع الغربى قد أصبحوا يعيشون فى عالم خيالى قوامه وهم « الحظ » او حلم « الفرصة السعيدة »، فصار البعض منهم يظن أن نجاحه فى الحياة رهن بضربة من ضربات الحظ ، كما حدث بالنسبة الى الكثير من نجوم السينما او المسرح او الغناء او الموسيقى! وان الصحف لتتحدث عن سير اولئك الكواكب فتبين لنا كيف أن البعض منهم لم يكن سعيدا فى طفولته ، أو لم يكن موفقا فى دراسته ، او لم يكن محبوبا من زملائه واقرانه ، فلا بأس من ان يعلق الحدث امله فى النجاح ، أو رجاءه فى الظفر بالشهرة ،على أمثال تلك المشابهات العرضية ، معللا نفسه بأن الفشل فى الدراسة او العجز عن الحصول على تقدير الاخرين ، لن يقف حائلا بينه وبين بلوغ المجد أو الحصول على الشهرة ! وما دامت المسألة ليست مسألة موهبة او اراده ، أو تصميم ، بل هى مسألة حظ او صدفة ، او فرصة مواتية ، فلا موجب لارتياد الطريق الصعب الشاق : طريق الجهد، والمثابرة ،والعمل المستمر، بل حسبه ان يطرق باب الشهرة ، وكل عتاده الايمان بالحظ ، والاعتماد على الصدفة،والتسلح بقوى الدعاية والاعلان!





بنظام التقسيط والاستئجار استطاعت كل اسرة ان تحظى بالكثير من الكماليات



عند الرجل الغربى
صارت الحياة ورقة نصيب

محنة الشك والارتياب فى العالم الغربى

ولكن ، ربما كانت المحنة الكبرى التى اصبح المجتمع الغربي اليوم يعاني من ويلاتها الكثير ، انما هى محنة « الشك » او « الارتياب » او « اللاادرية » . وعلى الرغم من أن النزعات الشكية قد ظهرت في كل زمان ومكان ، الا ان روح الشك التي اصبحت تنخر اليوم في عظام المجتمع الغربي انما هي فى الحقيقة روح شكية هدامة قوامها النفى والسلب والانكار . وقد فطن الى هذه الظاهرة الكثير من المصلحين والمربين وعلماء النفس ، فحاولوا العمل على وضع حد لتلك الروح « الشكية السلبية » .... Nagative Scepticism وراحوا يشيرون الى ضرورة اقتلاع جذور الارتياب من نفوس الشبان ، عن طريق العمل على تزويد الناشئين ببعض المبادىء الدينية او العقائد الروحية وليس من شك فى أن الشبيبة فى حاجة الى الكثير من « الايمان » حتى يتسنى لها التغلب على اعراض القلق والحيرة والشك والارتياب .

ولكن من المؤكد ان استرجاع « الايمان » ليس بالامر الهين فى عصر اصبح الناس يظنون فيه ان « العلم » هو « السحر الجديد » ، وانه وحده الكفيل بحل شتى المشكلات البشرية ! ولئن كان العلم نفسه غير مسئول عن تلك النزعات العلمية المتطرفة التى يزعم اصحابها ان « الحقائق الدينية » قد اصبحت « ترهات » واهية ، الا أن تهور بعض الكتاب والصحفيين وغيرهم من دعاة الشك ، واندفاعهم نحو مهاجمة « الدين » باسم « العلم » ، هو الذى ادى بالكثير من الشبان الى الارتماء فى احضان « الالحاد » ! وليس أيسر على الشبيبة – بطبيعة الحال – من اطراح « الايمان » بدعوى ان عصرنا عصر « علم » لا عصر « دين » ، وان نتائج العلم قد جاءت مكذبة للكثير من الوقائع التي وردت فى الكتاب المقدس ! وفات هؤلاء الشباب ان تاريخ البشرية قد جاء شاهدا على ان عصور الايمان كانت دائما عصورا خصبة منتجة ، بينما كانت عصور الكفر (أو الالحاد) عصورا عقيمة مجدبة . ولهذا فان قيمة العصر الحاضر – كما لاحظ بعض المفكرين – ستكون رهنا بمدى قدرة اهله على استعادة اسباب « الايمان » والتغلب على دواعي « الشك » ومهما كان من ضرورة الروح النقدية ، واهمية الفحص والتدقيق ، فان من المؤكد ان عصرا بلا « ايمان » انما هو عصر عقيم لن يلبث التاريخ ان يقذف به الى زوايا النسيان !

استاذ يحدثنا عن القيم عند الرجل الغربى المعاصر

وهنا قد يقال ان العالم الغربى قد فقد « ايمانه » بلا رجعة ، فلا سبيل الى العمل على استرجاع « وضع » قد تجاوزته عجلة التاريخ ، ولكن هذا الزعم ادعاء أجوف تكذبه صيحات المصلحين والمربين فى المجتمع الغربي نفسه . فهذا – مثلا – واحد من رجالات التربية فى انجلترا – الاوهو الاستاذ جفريز Jeffreys – يكتب كتابا عن « القيم الشخصية فى العالم الحديث » ، فيحدثنا عن مشكلة الانسان الاوروبي المعاصر ، ويضع بين ايدينا بعض الحلول العملية

لمواجهة ازمة القيم فى المجتمع الغربي . وصاحب هذا الكتاب يؤكد لنا ـ فى أكثر من موضع ـ ان مصير المجتمع الغربي سيكون رهنا بمدى قدرته على استرجاع ثقته بالقيم ، واسترداد ايمانه بالشخص البشري . وهو يسهب فى الحديث عن القطيعة التى حدثت بين « العلوم » من جهة و « الانسانيات » ... Humanitis من جهة اخرى ، لكي يخلص الى القول بأن « وحدة المعرفة البشرية » ضرورية لقيام مجتمع انساني متكامل . ولايقتصر الكاتب حاجة كل مجتمع سليم الى « ثقافة متسقة » ... Coherenities تضمن لافراده ضربا من « التكامل » فى الفكر والجهد معا ، بل هو يشير ايضا الى حقيقة هامة مؤداها أن مشكلات الانسان الاوروبي المعاصر ليست مجرد مشكلات « تكنيئة » صرفة ، بل هى اولا وبالذات مشكلات اجتماعية ، وسياسية ، واخلاقية ، ودينية .

وليس ادل على انحلال المجتمع الغربي المعاصر ـ فى راى هذا الكاتب ـ من انه لا يزال يحاول علاج المشكلات البشرية وكأنما هى مجرد « مشكلات تكنية » محضة . وليس معنى هذا ان يتجاهل المصلحون اهمية المشكلات التكنية ، او ان يصرفوا النظر عن التفكير فى حل ازمات المجتمع المادية (او الاقتصادية) ، وانما كل ما يقتضيه الموقف هو الكشف عما فى المشكلات البشرية من طابع درامى هيهات لأى حل اقتصادى صرف ان يتكفل بازالته او القضاء عليه .

والحق ان بيت القصيد فى دراما الحياة البشرية انما هو هذه الحقيقة الجوهرية : الا وهى أن « نوع الحياة في اى مجتمع انما يتوقف على مقدار ما يتمتع به ذلك المجتمع من شجاعة ، واخلاص ، وتعاون ، ومشاركة ، واحساس بالهدف ، لا على مقدار ما حصله ذلك المجتمع من تقدم تكني . « ومهما كان من اهمية التخطيط الصناعى او التقدم التكنى ، فان من المؤكد أن معيار « الصحة الاجتماعية » فى اى مجتمع انما يتوقف اولا وبالذات على مدى تكامله الاجتماعى ، ودرجة اتساق حضارته .

وليس من علاج لازمة القيم التى يعانيها المجتمع الغربي المعاصر (وربما شاركه فى ذلك غيره من المجتمعات ايضا) ، الا بالعمل على بث روح الايمان بقيمة الشخص البشرى فى نفوس ابناء الجيل الجديد .

وقد تختلف بلدان الغرب سياسيا ، واجتماعيا ، ودينيا ، وعلميا ، وغير ذلك ، ولكنها لن تختلف ـ اولا يجب ان تختلف ـ حول الاعتراف بقيمة « الموجود البشري » من حيث هو موجود ناطق ينبغي أن يعامل كغاية ، لا كمجرد وسيلة . فالايمان بالانسان هو مركز الثقل الغربي كله ، ولا نجاة للمجتمع الغربي المعاصر اللهم الا بالعودة الى هذا الايمان التقليدى بقيمة الشخص البشرى . واذا كان من الضرورى لاى مجتمع سوى متكامل ان يتمتع بمبدأ موجه أو ان يملك « فكرة موجهة » تحقق لافراده اتساق الفكر والمعرفة فان مثل هذه « الفكرة » لن تكون فى المجتمع الغربى المعاصر سوى فكرة قدسية الشخص البشرى . وآية ذلك انه مهما كان من أمر اختلاف المجتمعات الغربية سياسيا ودينيا ، فان معظم هذه المجتمعات قد لا تعارض فى التسليم بمبدأ احترام « الشخصية الانسانية » ، وبالتالى فانها قد لا تجد مانعا من الاقرار بأن « نوع اى مجتمع بشرى كائنا ما كان انما هو نوع العلاقات البشرية القائمة فيه » .

وهكذا قد يكون فى وسعنا ان نقول ان « خلاص » المجتمع الغربى المعاصر رهن بمدى استعداده لتقدير قيمة الشخص البشرى ، لا على الورق او او باللسان ، وانما بالعمل المثمر الذى يحدوه الايمان ، والنشاط الفعال الذى تمليه الثقة الحقيقية بمصير الانسان . .

■■

زكريا ابراهيم

نُبْل !

للشاعر خالد العدساني

■ إنه النبلُ ألم تحسُسْه قبلُ ؟ ... إنه جود وإيثار وفضلُ
ما عسى قبلُ يقولون وبعدُ ؟ ... ما عسى بعدُ يطولون وقبل ؟
ان تمدّ العونَ مختالا وتزهو ... وتجود الجود مزهوا وتعلو
ويطوف الناس في ذكرك حمداً ... ويصول الذكر في حمدك يتلو

★★★

يا له نبل تباهيتَ وفضلُ ... قصة روّجها السمّار تحلو
كلها نسج تكلّفتَ وفتلُ ... كلها زيف تصنّعت وشكل
كلها هم ترسّمتَ وثقلُ ... كلها شُحٌّ تسترتَ وبخل
كلها خبث تحايلتَ وختلُ ... كلها لؤم تعمّدتَ وقتل

★★★

إنها الإثرة لا الإيثار شئتم ... كم تقاضيتم بها للناس ذل

★★★

تلكم النظرة من طرف حنونٍ ... يتهادى الودُّ فيها أو يُطل
تلكم اللمسة من كفّ رفيقٍ ... ليس فيه المال إذ لا يستغل
تلكم البسمة من طفل بريءٍ ... يُرسل الضحكاتِ دوما لا يَملّ
تلكم النفحة مرّتْ في عبيرٍ ... من نسيم الفجر قد خالط طلّ
كلها أنقى ولو فاضل فضل ... كلها أسمى ولو سُمّي نُبْل ■■

خالد العدساني

سفير دولة الكويت في روما



غزال يطارده أسد .. وأسماك تهرب من ملوحة البحر الميت .. كل هذا منقوش بالفسيفساء على أقدم خارطة لنهر الاردن، تم صنعها في القرن السادس الميلادي بمدينة مادبا ...

شلالات تل شهاب ، احد ينابيع نهر



خاتمة نهر عظيم

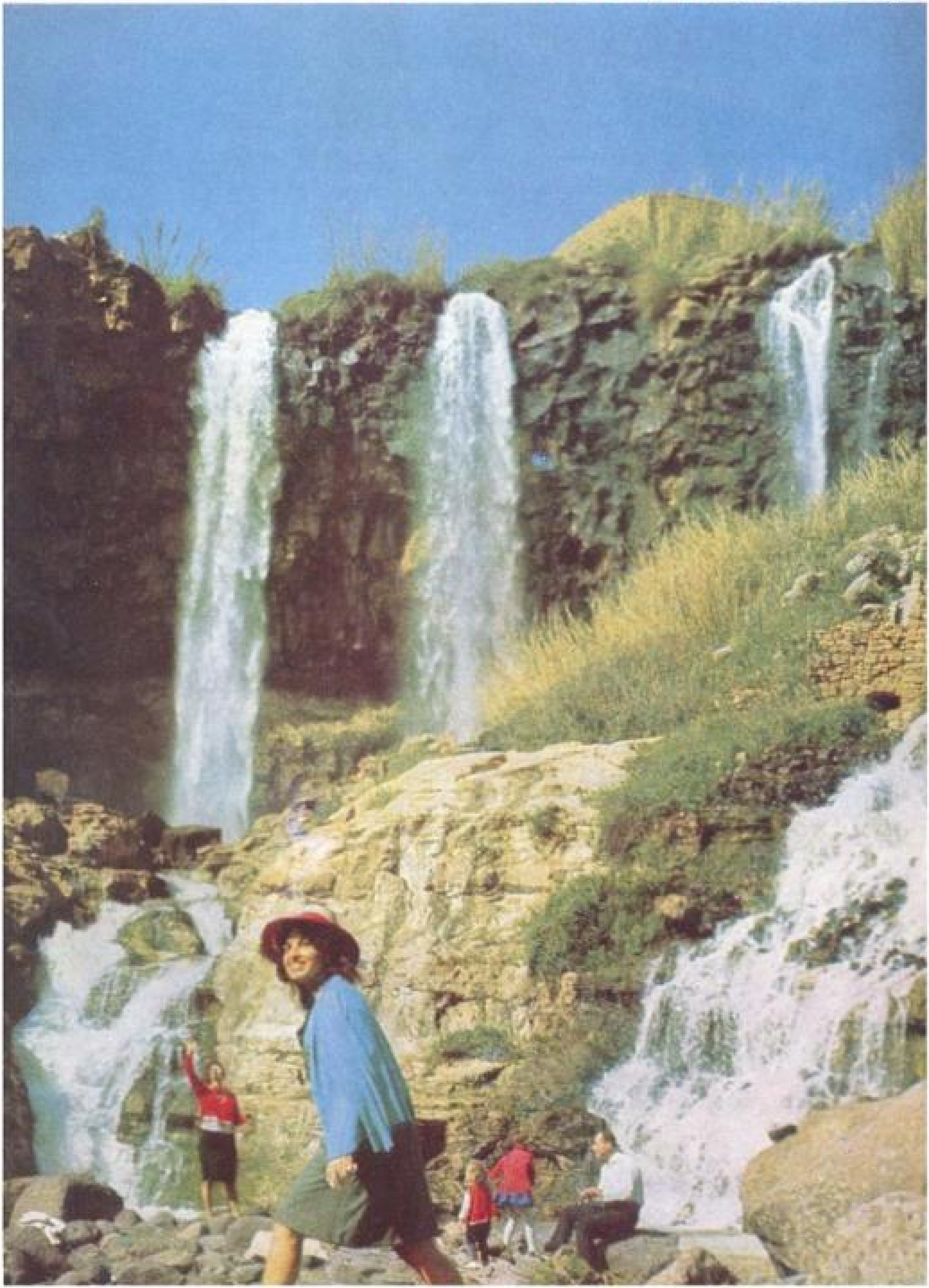
ختمها الوجود الصهيوني الغادر .. انه الوجود الذى به تشرد الاهل من أوطانهم ، وبه تشرد الماء من مجراه .. قدسه السيد المسيح باغتسال بمائه ، ولم تشفع له عند اليهود قدسية .. ومع هذا فالماء عائد الى حيث أراد الله أن يجرى ، والاهل الى أوطانهم حوله عائدون .. انه البعث الذى أوشك أن يكون .

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
أوسكار مترى

اعرف وطنك أيها العزلى

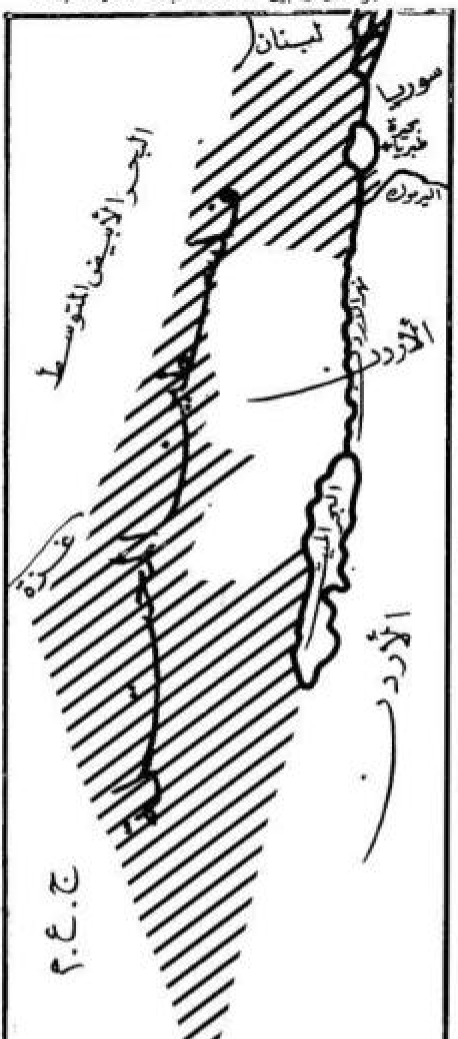
اليرموك الذي يغذي نهر الاردن باكبر كمية من المياه .



معركة المياه تحيل نهر الأردن إلى مصرف للمياه المالحة !

يقدم لك ((العربى)) في هذا العدد استطلاعا فريدا من نوعه عن حياة نهر من اشهر أنهر العالم .. انه نهر الاردن ... لقد سارت بعثة ((العربى)) معه من منبعه الى مصبه .. حلقت فوق مجراه بالطائرة .. وعاشت مع الناس الذين ولدوا على ضفافه وشربوا من مياهه وربطوا ، هم وآباؤهم ، حياتهم بحياته منذ آلاف السنين .. انها قصة الحقيقة الضائعة .. انها قصة خاتمة نهر ..!

الى اسفل : توضح هذه الخريطة مجرى نهر الاردن بين مختلف البلاد المحيطة به .



■ هدير المياه المتدفعة يصم الآذان ، وهى تنساب من علٍ على هيئة خمسة خيوط بيضاء تتجمع في بحيرة صغيرة قبل ان تلتقى في مجرى واحد معلنة مولد نهر ..

نحن الآن بجوار شلالات تل شهاب على بعد مائة واربعين كيلومترا جنوب دمشق ، انها أحد الينابيع التى تمد نهر اليرموك ، أكبر الروافد التى تغذى نهر الاردن بالمياه .

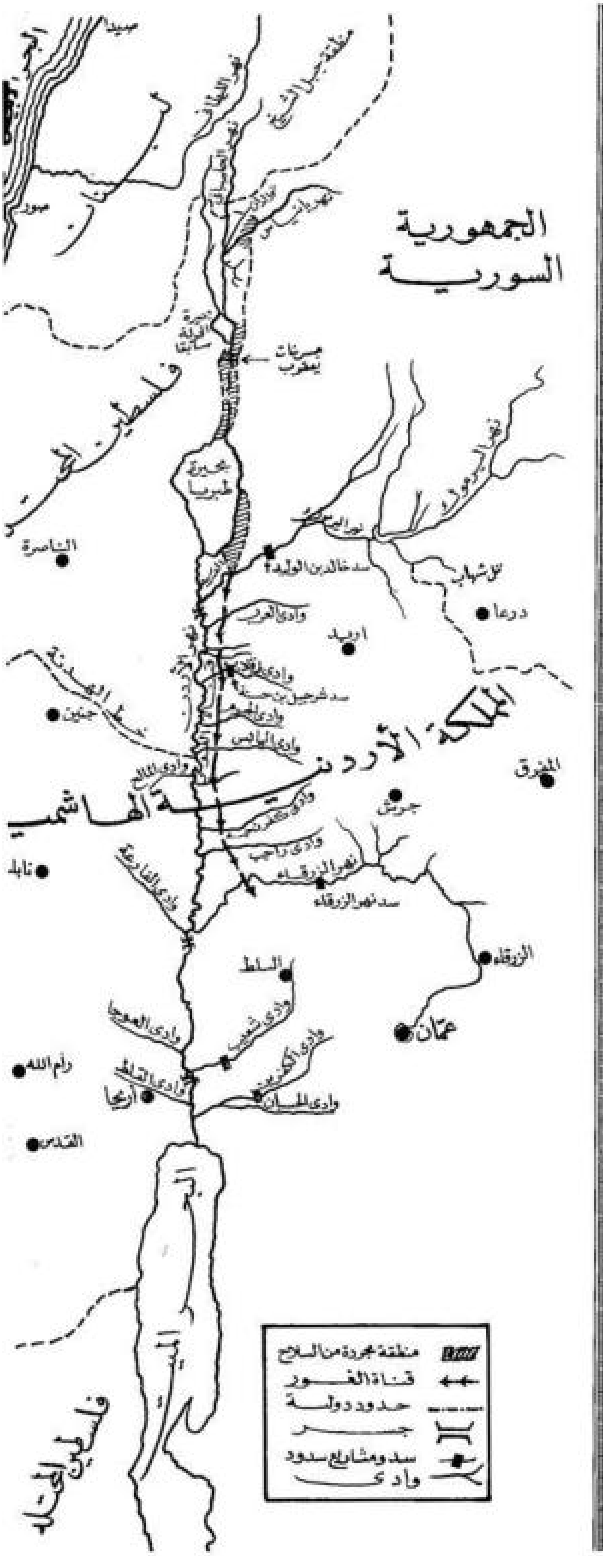
أما الروافد الأخرى المهمة،فهى نهر الحاصبانى الذى ينبع في لبنان ، ويقدم ١٥٧ مليون متر مكعب من الماء سنويا لنهر الاردن ، ونفس هذه الكمية من الماء ، يقدمها نهر بانياس الذى ينبع في سوريا .. أما نهر الدان ، الذى ينبع جزء منه من تل القاضى بسوريا وبقية منابعه في فلسطين المحتلة للأسف ، فيقدم ٢٥٨ مليون متر مكعب من الماء سنويا ..

وكل هذه الروافد مصدرها الينابيع الواقعة على السفح الجنوبى لجبل الشيخ (راجع الخريطة) .

وهناك منبع رابع لا يذكره الجغرافيون لصغره .. انه نهر ((برغوث)) الذى ينبع بالقرب من قرية ((مرجعيون)) بلبنان ..

اليرموك أكبر مصدر للمياه

وكانت هذه الروافد كلها تصب في بحيرة مساحتها خمسة كيلومترات ونصف كيلو متر مربع ، وعمقها بين ٣و٥ أمتار .. انها بحيرة الحولة الشهيرة التى جففها الصهاينة ليكسبوا ٥٠ الف دونم (الدونم الف متر مربع) من أخصب

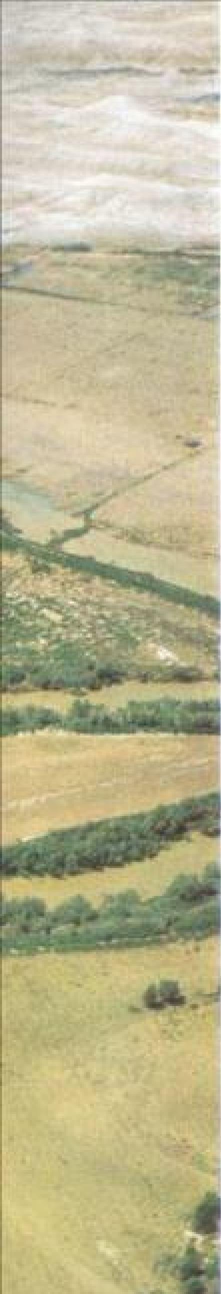


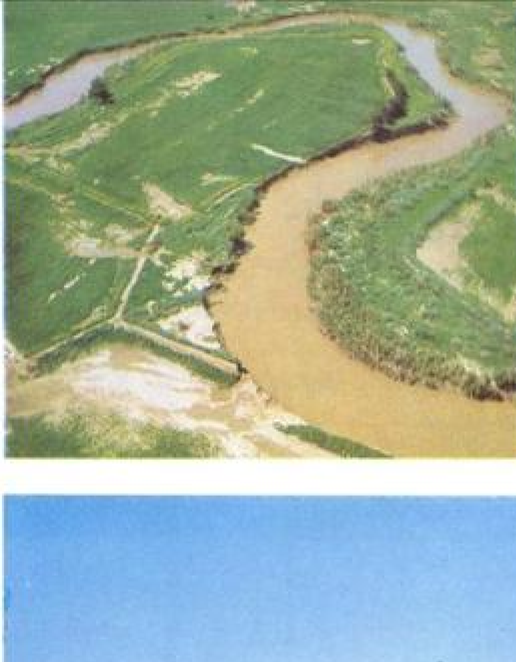
الاراضي الزراعية ، فضلا عن البرك الكبيرة لتربية الاسماك ..

ومن منطقة بحيرة الحولة ينطلق « الاردن » في منطقة حرام بين الجمهورية السورية وفلسطين المحتلة، حتى يصل بعد تسعة كيلومترات الى بحيرة طبرية .. ومن جنوب هذه البحيرة يندفع المجرى الرئيسي لنهر الاردن .. ولا يكاد هذا النهر الفتى يقطع سبعة كيلومترات في فلسطين المحتلة حتى يلتقي فيضا من المياه التي يقدمها نهر اليرموك وتقدر كميتها السنوية بحوالى ٤٧٥ مليون متر مكعب .. فنهر اليرموك على ذلك يقع مصبه في فلسطين المحتلة .

البقية على صفحة ٧٤

الى اليسار : توضح هذه الخريطة نهر الاردن بمنابعه ، وبحيراته ، وقناة الغور الشرقية والوديان التي تصب مياهها فيه ، وعددها ٢١ واديا .. ونهر الاردن لا يزيد طوله عن ٣٠٠ كيلومتر بينما يبلغ طول النيل ٦ آلاف كيلو متر ... وتصريف الاردن مليار و٨٠٠ مليون متر مكعب من المياه ، بينما تصريف النيل كان ٨٤ مليارا من الامتار المكعبة يستغل منها ٥٦ مليارا .. والباقي ومقداره ٢٨ مليارا تضيع في البحر المتوسط ..



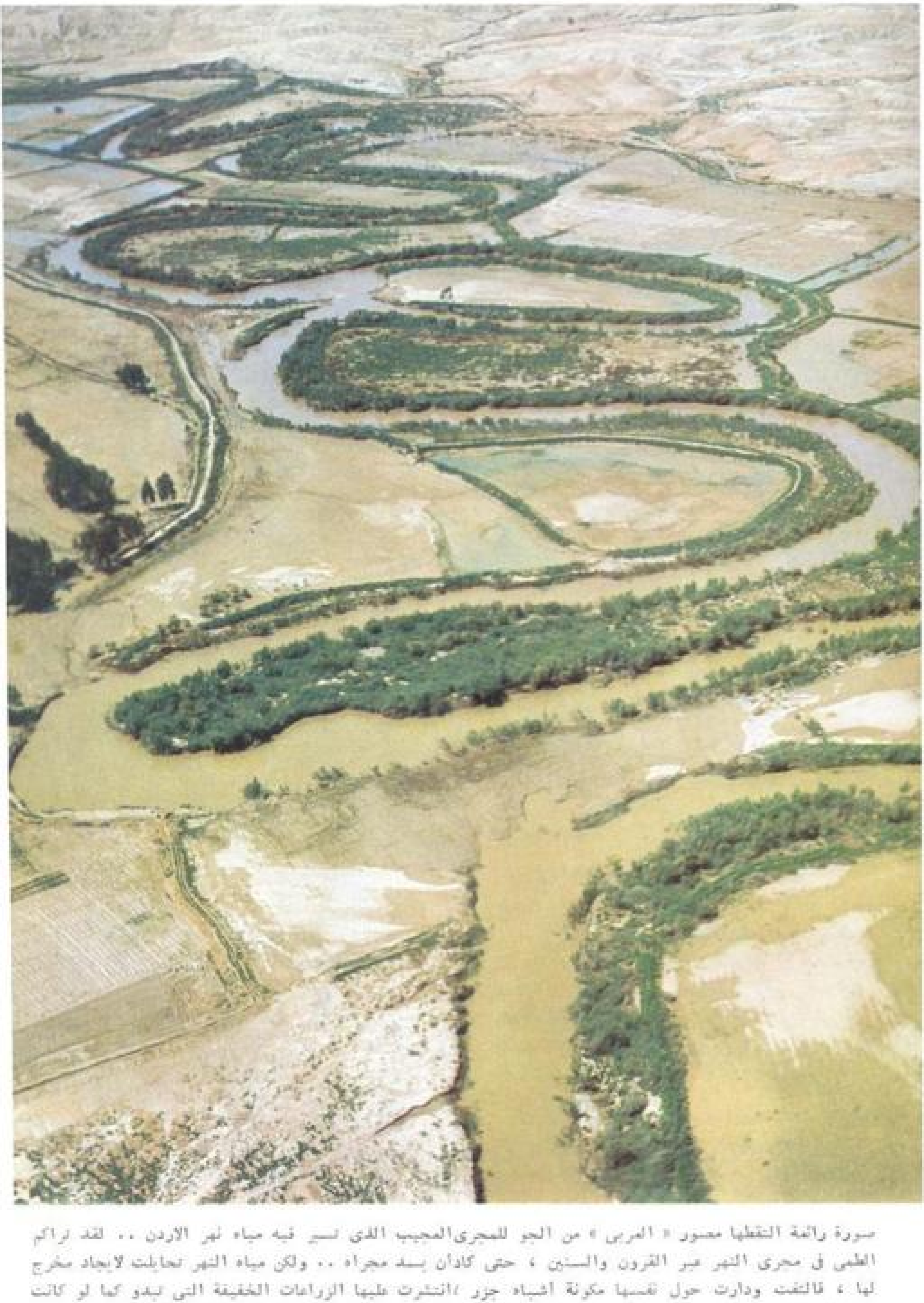


الى اليسار : شبه جزيرة صغيرة تكونت من الطمى في مجرى نهر الاردن .. ان الزراعة في هذه المناطق لن تستمر طويلا لان ملوحة النهر بدأت تزداد الى حد جعلها لاتصلح لري الاراضي الا في مواسم الفيضانات .. والسبب في زيادة الملوحة عائد الى ان الصهاينة يلقون مياه ينابيعهم المالحة في مجرى نهر الاردن الذي يسير في الاراضي العربية .



كان الاهالي في السابق يخافون الاقتراب من مجرى نهر الاردن لانتشار بعوض الملاريا على ضفافه ولكن البعوض "قضي" عليه تماما وأصبح منظر فتيات القرى بملابسهن الجميلة الملونة، وجرارهن الفخارية ، ينعكس على صفحة الماء فيضفي بهجة وسرورا على هذا النهر

اول صورة تلتقط لتعاريج نهر



صورة رائعة التقطها مصور « العربي » من الجو للمجرى العجيب الذي تسير فيه مياه نهر الاردن .. لقد تراكم الطمى في مجرى النهر عبر القرون والسنين ، حتى كادان يسد مجراه .. ولكن مياه النهر تحايلت لايجاد مخرج لها ، فالتفت ودارت حول نفسها مكونة أشباه جزر ، انتشرت عليها الزراعات الخفيفة التي تبدو كما لو كانت بساطا سندسيا أخضر .. ولكن ما يكاد الفلاح يجني ثمار كده وعمله حتى تختفي الارض وما عليها تحت مياه النهر في موسم الفيضان .. لهذا لا تجد بجوار المجرى أى طريق معبد ، وحتى الملاحة فيه لا تصلح لسرعة انحداره .. ونتيجة لهذه المنحنيات والتعاريج أصبح طول النهر — من بحيرة طبريا حتى البحر الميت — ۲۰۰

ولكن هذا التصريف يتأرجح دائما بين الزيادة والنقصان ، ففى عام ١٩٢٨ مثلا ، بلغ تصريف اليرموك ٨٧٠ مليونا من الامتار المكعبة وهذه ذروة ما وصل اليه تصريف النهر ، بينما هبط هذا الرقم الى ٢٤٠ مليون متر مكعب فقط فى عام ١٩٥٩ .

ونقف وقفة عند اليرموك لنقول انه الحد الفاصل بين الاردن جنوبا وسوريا شمالا ..

ولنقول ثانيا انه كان ينطلق سعيدا مبتهجا بالحياة التى خلقتها مياهه على ضفتيه .. وكان يتيه زهوا بجمال شلالاته ، وروعة الحديقة الفسيحة التى صنعتها يد الطبيعة الساحرة على ضفتى مجراه فى كل من سوريا والاردن .. هكذا كانت الصورة ، وهكذا بقيت .. ثم تغير الحال فجاة وبلا مقدمات .. صحا هذا النهر يوما فهاله هذا الذى يحدث حوله ..هاله منظر تلك الحركة غير العادية على ضفافه .. منظر الفى عامل ومهندس ومعهم أحدث الآلات والمعدات التى جاءوا بها الى هنا فى شهر سبتمبر ١٩٦٥ من أجل تجميع عشرة ملايين متر مكعب من الصخور والرمال والاسمنت والحديد ، لبناء أول سد على هذا النهر الذى لم يفكر أحد فى قهره أو السيطرة عليه منذ فجر التاريخ .. انه سد خالد بن الوليد أو سد مخيبة كما كانوا يسمونه ..

من السد العالى الى اليرموك

ان الكثير من الأيدى التى تعمل هنا على نهر اليرموك ، هى نفسها التى شاركت فى صنع معجزة السد العالى بمصر .. انهم المقاولون العرب .. والذى أعطى اشارة البدء فى بناء هذا السد الضخم هم ملوك العرب ورؤساهم فى مؤتمر القمة الثانى بالاسكندرية عام ١٩٦٤ .

ان مشروع سد خالد بن الوليد الذى يعتبر الخطوة الأولى فى مشاريع التحويل العربية ، والذى تبلغ تكاليفه نحو ١٥ مليون دينار ، والذى سوف يولد ٢٨ الف كيلوات ساعة ويروى ٢٠٠ الف دونم من الاراضى الزراعية الجديدة ... ويخلق بحيرة مساحتها ٣٠ كيلومترا مربعا .. هذا المشروع الجبار يوشك على التوقف !! والسبب : لم تدفع الحكومات العربية حتى اليوم



يحتاج اقامة سد خالد بن الوليد (مخيبة سابقا) الى مجهود ضخم ، فالمنطقة جبلية ، ولكن سواعد أبناء الاردن تفتت الصخر فى سبيل بناء هذا السد



عبر هذا النفق المحفور تحت تل العدسية ويبلغ طوله كيلومتر واحد ، وقطره ثلاثة امتار ، تندفع مياه اليرموك لتغذي قناة الغور الشرقية بحاجتها من المياه .

الا ١٥ في المائة فقط من التزاماتها المالية لاتمامه !؟ كما ذكر لنا المهندس المقيم للمشروع .

الحِمّة تشفى كل عِلة !

ولا يلبث «اليرموك» أن ينطلق في واد عميق ، ضفافه من البازلت والحجر الجيرى .. ومياهه تندفع بسرعة لشدة انحداره .. ولا أثر لاية قرية على ضفافه ، حتى يصل الى منطقة الحمة حيث يتسع المجرى وتظهر قريتان كبيرتان تحملان ذات الاسم: الحِمّة .. واحدة داخل الحدود السورية والثانية بجوارها داخل الحدود الاردنية وكلتاهما شهيرة بعيونها المعدنية الحارة التي استغلها الاهالى منذ قديم الزمان ، فكتب عنها العمرى في كتابه المسالك عام ٤٧١ هـ : « الحِمّة تبو به أحواض، كل حوض منها لعلة من العلل يبرئها باذن الله ، اذا استحم به العليل » ..

وما زالت عيون الحمة الحارة تندفع منها المياه الى يومنا هذا يستحم فيها المرضى بالاعصاب وبالامراض الجلدية ، فيبراون ويشفون ..

قناة بدلا من النهر

ويظل اليرموك متابعا سيره في أرض عربية خالصة .. ضفته الشمالية سوريا .. وضفته الجنوبية الاردن .. وما يكاد يخرج من منطقة الحمة حتى تنقسم مياهه فتتحول الى نفق ثقبوه في جبل العدسية على هيئة حدوة حصان .طوله كيلومتر وقطره ثلاثة امتار ، تدخل منه المياه لتخرج الى قناة طويلة تسير محاذية لمجرى نهر الاردن ، ولكنها تروى الاراضي العالية عن مجرى النهر المسماة الغور ، ولهذا أسموا المشروع : مشروع قناة الغور الشرقية .

انها قناة مكشوفة مبنية بالحجر والاسمنت ، طولها ٧٤ كيلومترا ، تنحدر فيها المياه وتندفع بفعل جاذبية الارض وذلك بانحدار يعادل ١٨ سم في كل كيلومتر واحد وتجرى المياه في هذه القناة بمعدل ١٠ امتار مكعبة في الثانية لتروى ١٢٠ الف دونم من الاراضي الزراعية الجديدة ، التى كانت اراضي بور فاصبحت اليوم تنتج ٣٢ نوعا مختلفا من الخضراوات والفواكه والحبوب .

وتعتبر قناة الغور الشرقية ، التى انتهى العمل منها في منتصف ١٩٦٣ وتكلفت ٤١/٢ مليون دينار، تعتبر هذه القناة المرحلة الاولى لجميع المشاريع العربية لتحويل مياه روافد نهر الاردن ، وقد زيد اتساعها لتستقبل ٢٠ مترا في الثانية ، بعد الانتهاء من سد خالد بن الوليد .

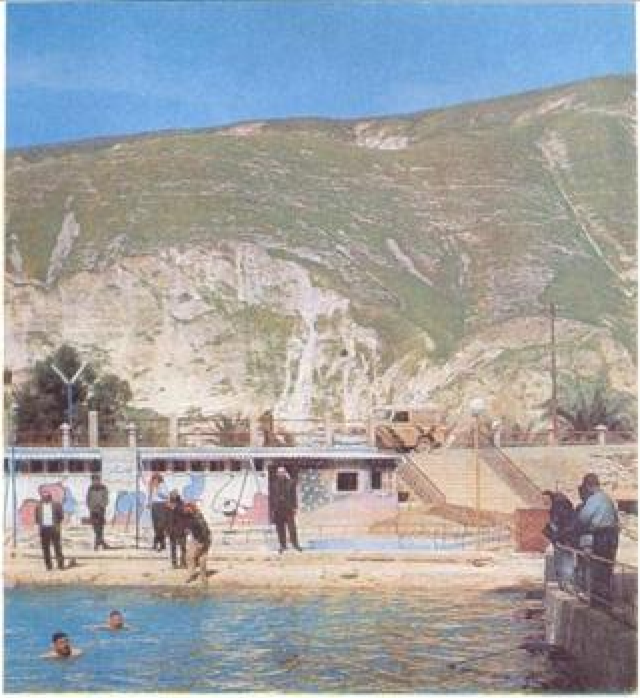
سلب مياه النهر

ان الجرح الذى سببته قناة الغور في الجانب الايسر لليرموك ، لم يؤلمه كثيرا ، اذ تجده يتابع سيره في مجراه القديم .. ولكن ضفته الشمالية في هذه المرة يحتلها غاصب دخيل لمسافة ستة كيلومترات فقط .

ان المعركة بين العرب واسرائيل على المياه

الى اليسار : يمتد نهر الاردن كحد فاصل بين فلسطين المحتلة والاردن ، لمسافة ٢٠ كيلو مترا .. وخلف النباتات الظاهرة في الصورة توجد الاراضي الزراعية الصهيونية .. اما الاشخاص الذين في المقدمة فهم واقفون على الساحل الاردني .. ان الصهاينة لا ينزعون النباتات من على شفتهم للمحافظة على التربة من ناحية ، واستعمالها في الاغراض الحربية من ناحية اخرى .

الى اسفل : هذه كانت ارضنا ... وهذه كانت بحيرتنا .. انها بحيرة طبرية الواقعة كلها تقريبا في يد العدو ، يضخ منها المياه الى النقب كيفما يحلو له .. والى اقصى يمين الصورة تكمن المنطقة الحرام بين سوريا ودولة العصابات حيث تقع المناوشات باستمرار .. وحول هذه البحيرة من كل جانب تقريبا تظهر المستعمرات الاسرائيلية .. ومن جنوب البحيرة ينطلق المجرى الرئيسي لنهر الاردن ..



من نبع عين الحمة تفجرت هذه المياه المعدنية ، التي يقصدها اهل الاردن للاستحمام والاستشفاء ، وفي الليل ينامون في الفندق الحديث المقام بجوارها .. ويوقع المستحم في البركة اقرارا يتحمل بموجبه مسئولية غرقه .. وذلك بعد حدوث ١٠ حوادث غرق !







تكاد توازي المعركة بين اهل هذا البلد وعصابات المغتصبين على الارض السليبة .. فالماء هو مفتاح الحياة .. وقد استغلت اسرائيل فرصة وقوع بحيرة طبرية باكملها بين ايديها (ما عدا القسم الشمالي الشرقي فهو حدود سوريا) فقامت بانشاء ثلاث مضخات عظيمة تضخ الماء من البحيرة الى شبكات الري والانفاق والانابيب .. وفي مطلع ١٩٦٤ أعلنت بدء عمليات تحويل مياه نهر الاردن . وهكذا بدأت عملية سلب مياه النهر المقدس بمعدل ٦٫٧٥ مترا مكعبا في الثانية لخلق حياة جديدة في صحراء النقب تستوعب الأعداد الكبيرة من المهاجرين الجدد الى المنطقة المحتلة .

قطة النهر

وعند منطقة الباقورة تنتهي مغامرة اليرموك القادم من الشرق ، اذ سرعان ما يضيع في مياه نهر الاردن الهابط من الشمال .

وعند نقطة التقاء النهرين يقف الصياد يصطاد بشباكه سمك المشط الابيض اللذيذ ، والكرب والسردين الصغير ، والبلبوط ، وهو سمكة غريبة يسمونها قطة النهر ولها شوارب ، وتصعد الى اليابسة فتستطيع العيش فترة ١٢ ساعة بعيدا عن الماء ، وعندما يصطادها الصياد يذبحها فيندفع الدم من رقبتها غزيرا كما يحدث عند ذبح الشاة !

من البترول الى الماء !

ويظل نهر الاردن سائرا مسافة عشرين كيلومترا يفصل خلالها بين أرض الاردن وأرض العصابات



كانت المنطقة أرضا بورا ، ولكن مياه قناة الغور الشرقية حولتها الى أرض زراعية تنمو فيها مختلف المزروعات .. ومما يذكر أن ادارة قناة الغور تحدد أنواع المزروعات فتخصص ١٠٪ من مساحة الارض لزراعة الموز و ٥٠٪ للحمضيات ، والباقي للخضر ، وذلك لقلة المياه ، اذ يحتاج الموز لماء كثير .

الصهيونية .. وفي هذه المنطقة كانت تمتد تحت مياه النهر انابيب البترول القادمة من آبار العراق حتى حيفا العربية .. ولكن كارثة حرب فلسطين اوقفت ضخ هذا النفط منذ عام ١٩٤٨ .. فرأت شركة نفط العراق التنازل عن هـــذه الانابيب للحكومة الاردنية التى انتزعتها من الخط القديم واستعملتها لنقل المياه الى مدينة اربد والقرى المحيطة بها ..

فلاحات المانيات !

وعند وادى اليابس يتنفس النهر الصعداء .. فمن هنا وحتى مصبه يشق طريقه بين ارض عربية خالصة وتستقبله الأهازيج الشعبية فرحة مرحبة:

يا نهـر الاردن   يا عزمى وجهادى
يا نهـر بلادى   فيكَ عزٌ ولادى

ويتيه النهر زهوا فيسير نشوانا متعرجا مكونا مئات الجزر واشباه الجزر التى تتسلل مياهه بينها ..

وهذه التعرجات تجعل من المستحيل الســير بمحاذاة شاطىء النهر ، لهذا لا يعرف النــاس الا الأجزاء التى يعيشون بجوارها..وينتهز الفلاحون فرصة انتهاء الفيضان فيزرعون الحبوب والخضر والقمح على هذه الجزر التى تكونت من رسوب طمى نهر الاردن ، ولكنهم يحصدون محاصيلهم وينقلونها بسرعة الى منازلهم في القرية العــالية قبل أن تجرفها مياه الفيضان ..

ومن قرية اليابس تنزل النسوة مع الرجــال لزراعة ارضهم فيركبون الحمير أو يسيرون على الأقدام .. ان النسوة في هذه المرة لسن كلهن من الفلاحات الاردنيات،فبعضهن من الالمانيات اللواتى تزوجن من شباب قرية اليابس ، الذين قضـوا فترة من الوقت يعملون في المانيا ثم عادوا ومعهم زوجاتهم ليعيشوا في قريتهم على ضفاف الاردن .

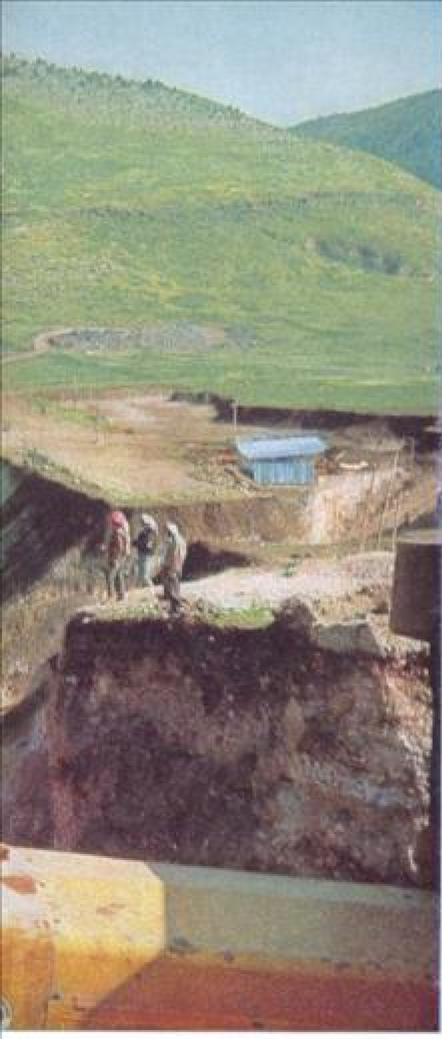
وليست الالمانيات هن المهاجرات الوحيدات الى تلك المنطقة الرائعة ، فالطيور أيضا ذكورا واناثا تأتى في هجرة جماعية من أوربا والعراق وسوريا لتحلق وتحوم وتبحث عن طعامها على شاطىء النهر الخالد ..

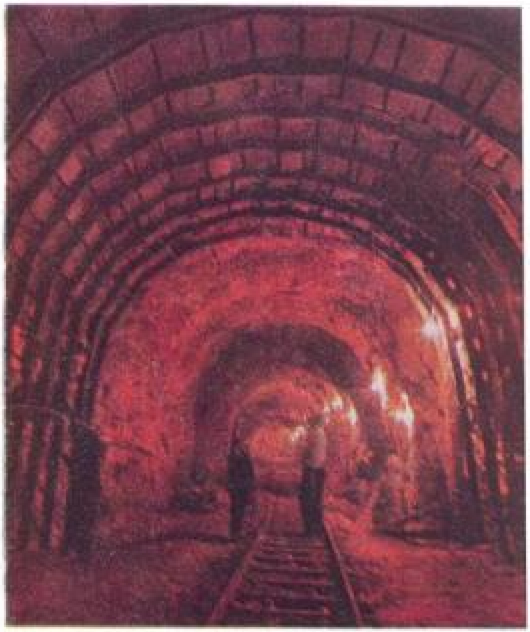


باستثناء نهرى اليرموك والزرقاء ، لا تشكل مياه الأودية الجانبية الاخرى في المملكة الاردنية مصدرا مهما للمياه بالنسبة لنهر الاردن ، اذ أن معظم تصريف هذه الأودية ـ بما في ذلك مياه نهر الزرقاء ـ يُستهلك قبل الوصول الى نهر الاردن ، في رى بعض الاراضي في وادى الاردن .. أما في الشتاء فتنساب المياه الفائضة عن الحاجة الى نهر الاردن، كما نرى في الصورة التى تمثل مياه وادى شعيب

٢١ واديا على ضفتى النهر !

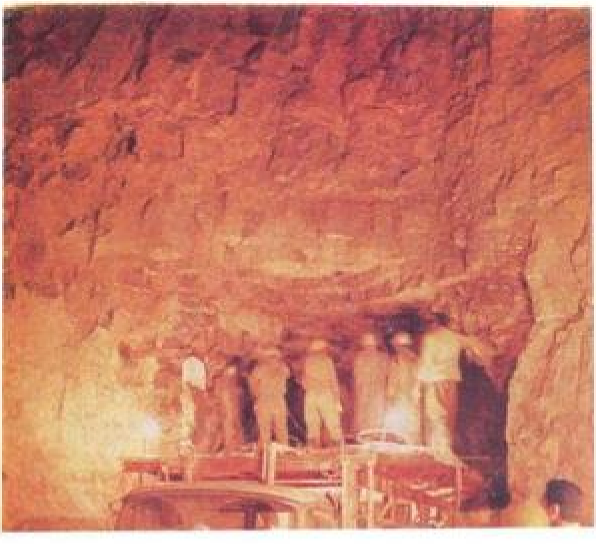
ويتابع النهر سيره بين أشباه جزر فتنصب فيه مياه ٢١ واديا من الاودية الممتدة على جانبيه ، واهم عامل يتحكم في حجم تصريف هذه الأودية هو المطر .. ففى حين تقع اعالى نهر الاردن واجزاء من حوض نهر اليرموك في منطقة مطر تزيد في معدلها عن الف مليمتر في العام ، نجد أن الأجزاء الوسطى

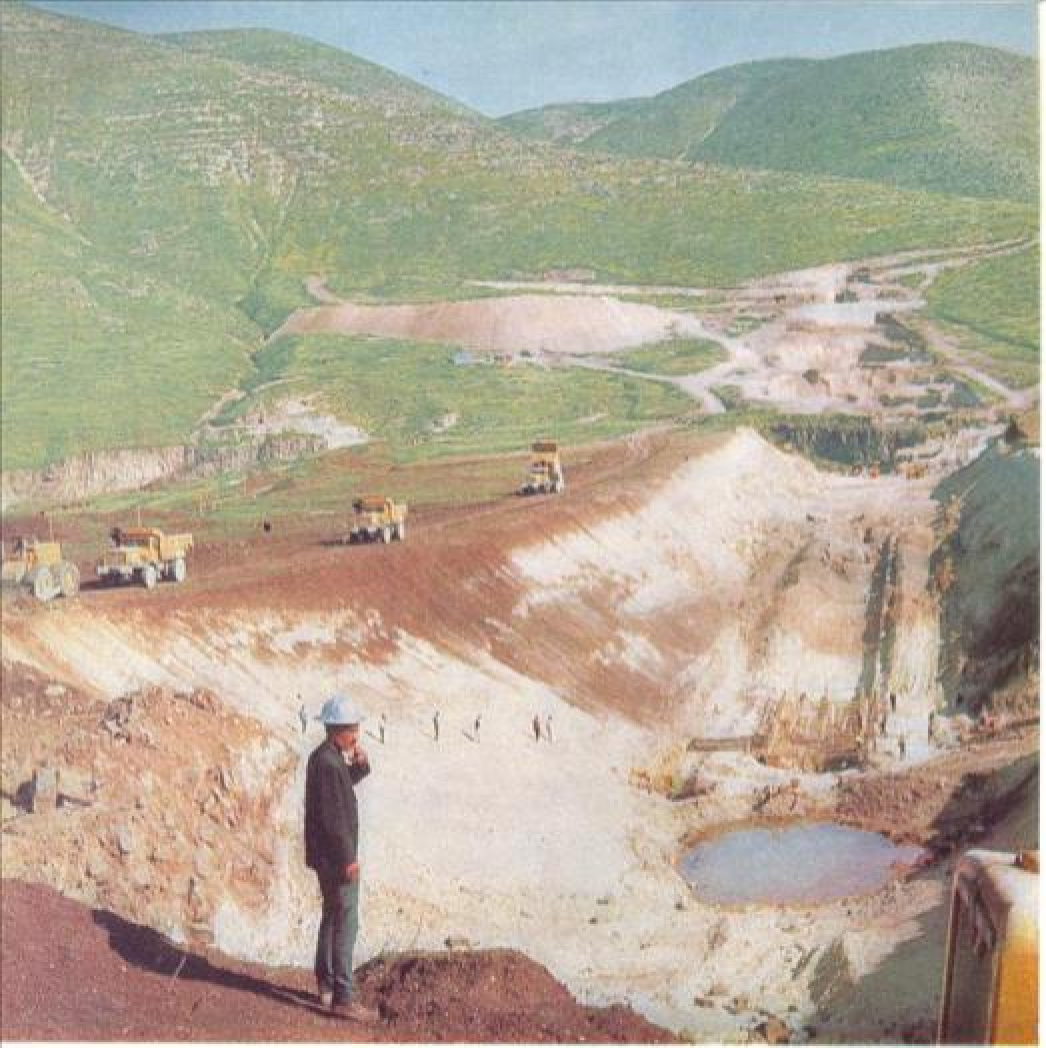


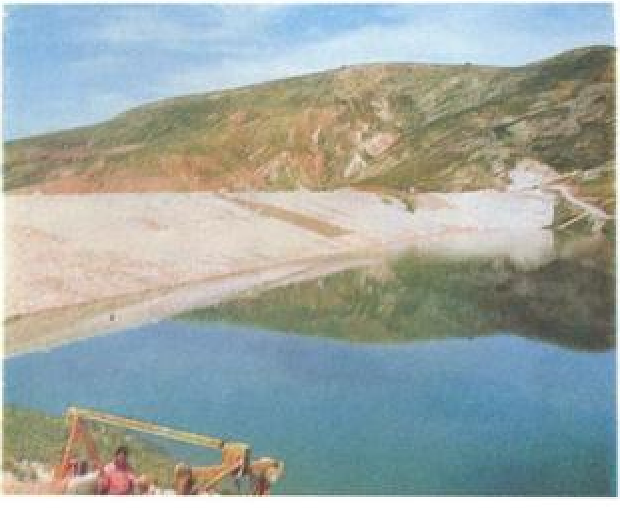


على نهر اليرموك بدأ العمل في أول مشروع عربي كبير يهدف الى تحويل مياه هذا النهر لري ٢٠٠ الف دونم من الاراضي الصالحة للزراعة في الاردن ، ولتوليد تيار كهربائي قدرته ٢٨ الف كيلووات ساعة .. ان العمل لا يتوقف في هذه المنطقة .. وفي الليل يشرع العمال الفنيون في حفر الانفاق والممرات الخاصة بهذا السد ، كما ترى في الصورتين العليا والسفلى

صورة شاملة لوضع سير العمل في سد مخيبة أو سد خالد بن الوليد .. انه صورة مصغرة من السد العالي ، اي انه سد ترابي مكون من ١٠ ملايين متر مكعب من الطين والتراب والاحجار ، المأخوذة من نفس منطقة العمل ... وسيكون طول السد ١١٣٠ مترا وارتفاعه ١٠٠ متر .. ان هذا السد مقام لخزن مياه نهر اليرموك ، الرافد الرئيسي لنهر الاردن ، الذي سجل في عامي ١٩٢٨/١٩٢٩ تصريفا قياسيا بلغ ٨٧٠ مليون متر مكعب من الماء .. واقل تصريف له بلغ ٢٤٠ مليون متر مكعب في عامي ١٩٥٩/١٩٦٠ ان الامل كبير في ان تسارع الدول العربية في تكملة دفع الاقساط المستحقة عليها







الى اليسار : تم اقامة أول سد ترابي حجمه مليون وربع مليون متر مكعب على وادي شرحبيل بن حسنة ، الذي كان يعرف باسم وادي زقلاب ، انه أول سد من سلسلة سدود سوف تقام على الأودية الشرقية التي تغذي نهر الاردن بالمياه .. وقد بدأت تتكون خلف السد بحيرة طولها كيلومتران وعرضها ٥٠٠ متر تستطيع تخزين ٤٫٢٥٠٫٠٠٠ متر مكعب من المياه التي ستستعمل لمدة قناة الغور الشرقية بحاجتها من الماء عند انخفاض تصريف نهر اليرموك .. لقد انتهى العمل في هذا السد في شهر مارس الماضي ، وفي ديسمبر القادم سينتهي العمل في سد وادي الكفرين ، وفي مارس من عام ١٩٦٨

والسفلى من النهر في غور الاردن ، لا تحصل الا على ما معدله ١٥٠ مليمترا من الامطار !

ان اختلاف كميات الأمطار بين نقص وزيادة في كل عام ، ومن منطقة الى أخرى ، ينعكس تماما على تصريف هذه الأودية الجانبية ، ففى سنى المطر الجيد يزداد التصريف حتى يبلغ ضعفى المعدل السنوى ، كما حدث في عام ١٩٥٥ . اذ بلغ تصريف الوديان ٢٧٩ مليون متر مكعب من المياه.

انذار للنهر

هكذا كانت الحياة تسير بالنسبة لهذا النهر الخالد .. ولكن حدث في عام ١٩٦٦ شيء لم يكن في الحسبان ، فقد فوجيء النهر اثناء مروره أمام وادى زقلاب بانقطاع المياه المتدفقة من هذا الوادى .. كان يأخذ منه ٢١ مترا مكعبا في الثانية ،ولكنه الآن لم يعد يأخذ سوى نصف متر في الثانية ! ..

ما الذى حدث ؟؟

لقد اقيم أول سد على وادى زقلاب لتخزين خمسة ملايين متر مكعب من مياه الامطار والينابيع ومنعها من الذهاب الى نهر الاردن بتحويلها الى قناة الغور التى تنخفض المياه فيها خلال شهر سبتمبر من كل عام !

كان هذا السد بمثابة انذار للنهر بوقف المساعدات الفرعية عنه .. ولكنه لم يعبأ كثيرا وظل سائرا في طريقه .. ومضت الآلات بدورها تهدر لتكمل العمل الكبير الذى بدأته .. ان المهندسين والعمال يعملون ليل نهار بهمة ونشاط للانتهاء من بناء سدين آخرين : واحد ينتهي في ديسمبر من هذا العام ، والثانى في مارس من العام القادم .

ان هذين السدين ـ كفرين وشعيب ـ اللذين سوف يحجزان سبعة ملايين متر مكعب من المياه ويمنعانها من الوصول الى مجرى الاردن ، هما من السدود الاولى في سلسلة السدود التىستقوم على الاودية الجانبية الشرقية لغور الاردن ..

اما الأودية التى على الضفة الغربية فاكبرها وادى الفارعة ، ووادى العوجا ، وكمية تصريفهما تتراوح بين ١٠ ملايين و ٥٠ مليون متر مكعب من المياه سنويا ..

نهر الزرقاء

ويتابع النهر سيره ، ولكنه في هذه المرة يسير متعرجا متلويا متألما ، فقد اصيب بدوار وذهول من هول ما يحدث حوله .. ولكنه لا يلبث ان يسترد ثقته بقوته عندما يقدم له وادى الزرقاء ٩٢ مليون متر مكعب من المياه سنويا .. فمشاريع هذا الوادى الكبير ، الذى تتدفق المياه منه على صورة نهر ما زالت في دور التخطيط .. ومما يذكر ان اعلى تصريف سجل لنهر الزرقاء كان في عام ١٩٤٩ اذ وصل الى ١٢٨ مليون متر مكعب من الماء ، كما بلغ أدنى تصريف له ٣٢ مليون متر مكعب في عام ١٩٦٠ .

الخوف من النهر !

ويعود الشعور بالخيلاء للنهر ، بعد أن استرد الكثير من قوته فيسير في هذه المرة وحيدا فيأرض واسعة خالية .. لقد كان الناس دائما يخافون الاقتراب من مياهه ، فلم يشيدوا عليه أى مدينة،



نقلت القطع الهامة من القصر الشتوى للخليفة هشام بن عبد الملك الى متحف القدس ، ولم يبق في المنطقة الا أطلال القصر وبعض الزخارف الحجرية

خوفا من بعوض الملاريا ، ومن مياهه الغائصة الكاسحة ، وحيواناته من الخنازير البرية والحيات السامة ، والضباع والواويات (الثعالب) ..

كان الاعتقاد السائد أن السائر بجوار مياه النهر سوف يصاب حتما بالملاريا ، أو يلقى حتفه! حتى كان منتصف هذا القرن ، عندما قامت الطائرات برش مادة ال د.د.ت. لمدة يومين متتالين فوق مجرى النهر فقضت على بعوضة الملاريا .. ولو انها لم تقض على الخوف منها ! فقد عمدت السلطات الى القاء الاسماك الخاصة التى تأكل بيض البعوض في البحيرة الجديدة التى تكونت خلف سد زقلاب للقضاء على هذا المرض نهائيا . وهكذا ارتكبت نفس الخطأ الذى ارتكبه اهل الاهوار في العراق عندما القوا هذا النوع من الأسماك في مستنقعاتهم ، اذ لم تفرق هذه الاسماك بين يرقات البعوض وبيض الاسماك الاخرى فأكلت الاثنين معا ، مما كاد يقضي على الثروة السمكية؟!



اطلع مؤتمر القمة على الخطر الداهم الذى يهدد الزراعة في مناطق « الزور »،المحيطة بنهر الاردن، بسبب ارتفاع نسبة الملوحة في مياه النهر تلك التى أصبحت لا تصلح لرى المزروعات ؛ لهذا قرر المؤتمر فورا دفع مبلغ مليون جنيه لشق قناة « الزور » المتفرعة من قناة الغور ، لمد الاهالى بحاجتهم من الماء الحلو .. لقد كان الأمل كبيرا في أن ينتهى العمل في هذه القناة في الشهر الماضي ، ولكنه تعطل ، ولن ينتهى قبل نهاية العام !

نسمات التاريخ

وعند اقتراب النهر من مدينة اريحا ، وتبعد خمسة كيلومترات عن مجرى النهر ، تهب على مياهه ريح عبق زهر البرتقال والليمون ، مختلطا بنسمات القرون الماضية .. فهنا تقبع اريحا القديمة المدينة الموغلة في القدم ، وهنا جبل التجربة ، وهنا شيد الخليفة الأموى ، هشام ابن عبد الملك،قصرا رائعا ليكون مشتى له ولعائلته .. وقد سكنه فعلا قبل أن يستكمل بناءه ، ولكن زلزالا ارضيا أوقع القصر فهدمه ، ولما يكتمل البناء أبدا !

ويشهد نهر الاردن في منطقة اريحا تغيرا اجتماعيا كبيرا .. فبينما الناس في الشمال يخافون الاقتراب منه.. نجدهم هنا عند «المغطس» يتزاحمون ويتدافعون للنزول فيه بملابسهم وخاصة في يومى ٦ و ١٩ يناير من كل عام ! ليس هذا فقط بل يبيعون مياهه داخل زجاجات صغيرة وكبيرة للسياح القادمين من اركان العالم الاربعة !



حمدان حسين فرح ، ويطلقون عليه في منطقة « المغطس » كلمة « أبونا حمدان » لقد قضى طول حياته هنا يبيع ماء النهر للسائحين والسائحات داخل زجاجات : الصغيرة منها بخمسة قروش .

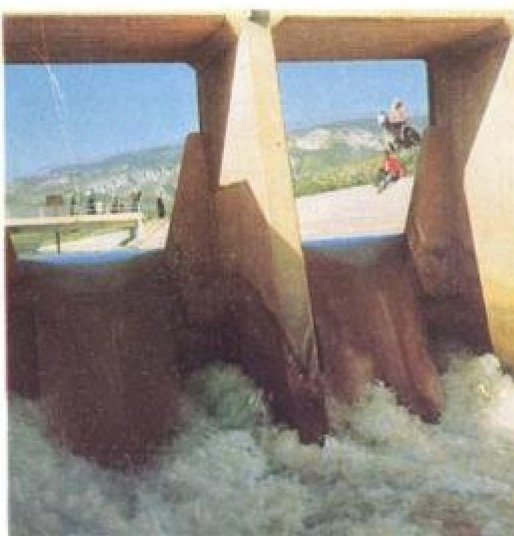
قناة صناعية بدلا من النهر

الى أسفل : ثلاث صور تبين مشروع قناة الغور الشرقية .. انها قناة مفتوحة مبنية شفافها بالاسمنت والاحجار لتسير فيها المياه ، دون أن تضيع منها قطرة في الارض سدى .. وهي قناة تمتد من نهر اليرموك شمالا لمسافة ٧٤ كيلو مترا جنوبا ، أي انها نهر صناعي صغير يسير مع اتجاه نهر الاردن ليروي ١٢٠ الف دونم من الاراضي المنخفضة المعروفة باسم الغور ! وينحدر هذا النهر الصناعي بمقدار ١٨ سنتيمترا في كل كيلو متر حتى يسمح للمياه بالانحدار بفعل الجاذبية .. وتبدأ المياه مسيرتها من شق جانبي في ضفة نهر اليرموك (الصورة الاولى) ثم تسير في نفق المدسية وتنطلق في القناة التي تتخللها شلالات صناعية تساعد في سرعة جريان المياه ..

وقد صممت القناة لتستوعب تصرفا مقداره ١٠ أمتار مكعبة من المياه في الثانية ، وأخيرا زيد ارتفاع شفافها لتستوعب ٢٠ مترا مكعبا في الثانية .



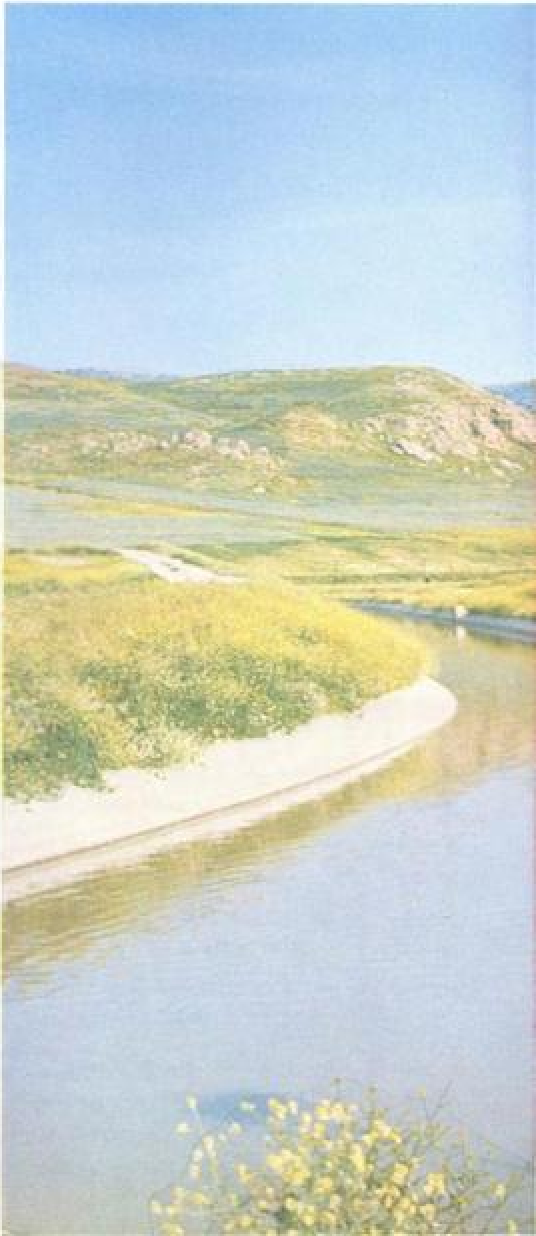






تعتبر منطقة المغطس في نهر الاردن ، التي عُمِّد فيها السيد المسيح عليه السلام ، من المناطق التي يندر أن يتخلف عن زيارتها اى سائح او سائحة .. وتمتد هذه الزيارة من شهر ديسمبر حتى شهر ابريل من كل عام ، وتبلغ الذروة في اعياد الميلاد والغطاس والشعانين ، حيث يقوم الزائرون الحجاج بالنزول الى مياه النهر بكامل ملابسهم ! اما في الايام العادية فيكتفى السياح بلمس المياه بأصابعهم تبركا بهذا المكان ، الذى اعطى القدسية لنهر الاردن عند مختلف الطوائف المسيحية .. حتى أنهم اقاموا ثمانية أديرة مختلفة في هذه المنطقة ..

الى اسفل : تتعرج قناة الغور الشرقية عند قرية اليابس ، التي تشتهر بجمال نسائها ، ثم تتابع القناة اتجاهها جنوبا. ومما يذكر أن ادارة المشروع تتقاضى من المزارعين فلسا واحدا من كل متر مكعب من الماء وكانت الحصيلة في العام الماضي ٨٦ الف دينار ؛ بينما بلغت مصاريف صيانة القناة ١٢٠ الف دينار .. وقامت الحكومة بتغطية العجز ..





ما كاد العمل ينتهي من بناء سد شرحبيل بن حسنة (زقلاب سابقا) حتى بدأت تتكون خلفه بحيرة طولها كيلومتران وعرضها ٥٠٠ متر .. ان الغرض من بناء السدود على الاودية هو تخفيض الفيضانات على الاراضي الزراعية في وادى الاردن ، وتربية الاسماك ، وعمل متنزهات حول البحيرات الجديدة ..

الارغن .. والصاجات !

ان الذى خلد هذه المنطقة واعطى القدسية لنهر الاردن هو عماد المسيح عليه السلام في مياهه على يد يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) .. وقد اصبح « المغطس » عامرا بادیرة طوائف الارثوذكس والروم والكاثوليك والسريان والاقباط والحبش والرومان والمسكوب واللاتين .. وفي الأعياد تتصاعد من هذه الأديرة نغمات مختلفة : الارغن من دير اللاتين .. وأصوات الصاجات من دير الأقباط .. والألحان البيزنطية من دير الروم الكاثوليك !

وعندما احتفلت ملكة انجلترا بتعميد ابنها ، أرسلت لها ادارة السياحة في الاردن عدة زجاجات مليئة بالمياه الماخوذة من « المغطس » لاستعمالها في مراسم التعميد .

نهاية سريعة

ويخرج النهر من « المغطس » سائرا في كبرياء بعد ان استرد ثقته في نفسه تماما .. وكانما قد اكتفى بهذا القدر من المجد ، فتراه يندفع بشكل جنونى سريع الى عمق ١٢١٠ اقدام تحت سطح البحر .. وتحس الحيوانات والنباتات والاعشاب بما هو مقدم عليه ، فتتوارى من على ضفتيه ، وينعدم كل أثر للحياة في المنطقة .. ويترك النهر وحيدا ليلقى مصيره المحتوم في املح بحر في العالم .. في البحر الميت !

وتحاول الأسماك النجاة من مصير النهر ، فتسعى يائسة للعودة الى المجرى العذب ، ولكن سرعة التيار تجرفها الى مياه البحر الميت ،فتلقى مصرعها في الحال..لان الحياة في مياه البحر الميت



تقل كمية المياه المتدفقة الى البحر الميت يوما بعد يوم ، ويتراجع البحر ، ويترك في تراجعه سواحل مغطاة بالحصى والاعشاب .. والمرسى الذى كانت تقف عليه السفن ، وجد نفسه فجأة بلا سفن ، حتى اطارات السيارات التى كانت تمنع احتكاك جسم السفينة بالمرسى ، وجدت نفسها هى الأخرى معلقة فوق أوتاد عالية متفرقة لا أحد يعبأ بانزالها ، تاركين تلك المهمة للزمن .

مستحيلة للوحته ، التى تصل نسبتها الى ٢٥٪ بينما لا تزيد هذهالنسبة عن ٦٪ فيسائر المحيطات!

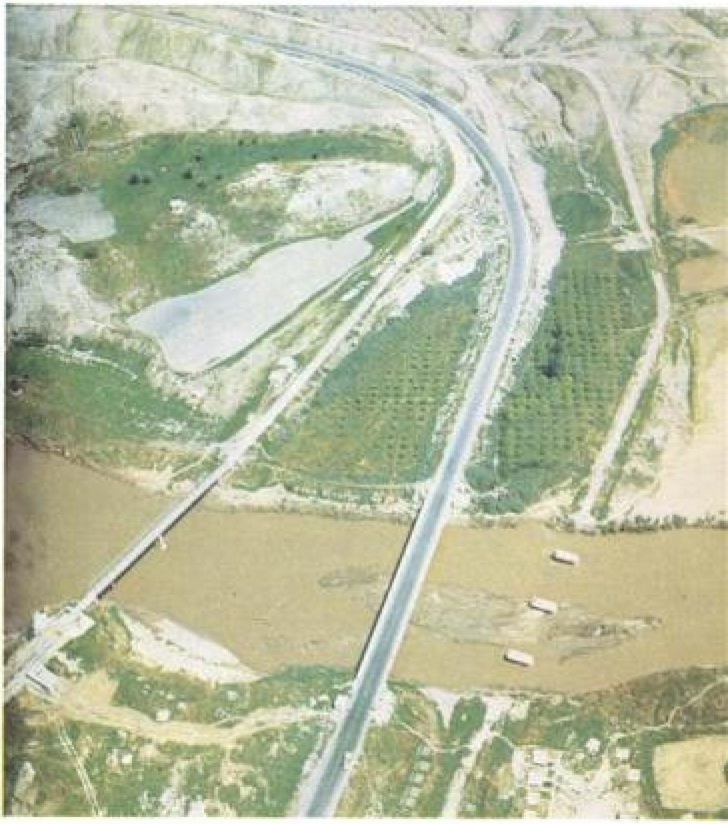
ان نهر الاردن يختتم حياته بعد جولة كان يجب أن تكون قصيرة ، فالمسافة من منطقة الحولة حتى البحر الميت لا تتعدى ٦٥ ميلا ، اذا قيست بخط مباشر .. ولكن تعرجات النهر الكثيرة هى التى تطيل هذه المسافة الى نحو ٢٠٠ ميل .

ونهر الاردن من أسرع أنهر العالم ، اذ تستغرق رحلة القطرة الواحدة من مياهه نحو ٢٠ يوما لتنتقل من منطقة الحولة (٢٣٠ قدما فوق سطح البحر) الى البحر الميت (١٣٠٠ قدم تحت سطح البحر) .

ومتوسط كمية المياه التى تتصرف من نهر الاردن تبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٨٨٠ر١ من الأمتار المكعبة سنويا ، منها ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٤٨ر١ مترا مكعبا تنبع من مصادر عربية . أى ٧٧ في المائة من الكمية ، والباقى ومقداره ٤٣٢ مليون متر مكعب، أى ٢٣٪ تنبع من مصادر واقعة في فلسطين المحتلة ! ولكن هذه الكميات غير ثابتة اذ يهبط تصريف النهر في بعض السنين الى ٥٣٠ مليون متر مكعب فقط ، كما حدث في سنتى ١٩٥٨/١٩٥٩ .

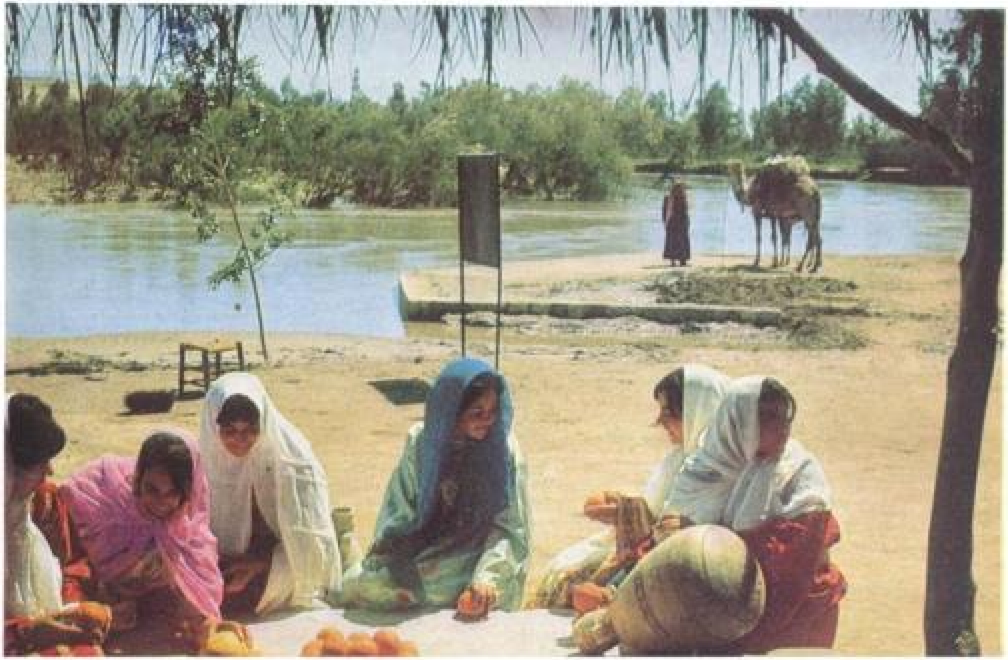
الصهاينة يلقون المياه المالحة في النهر !

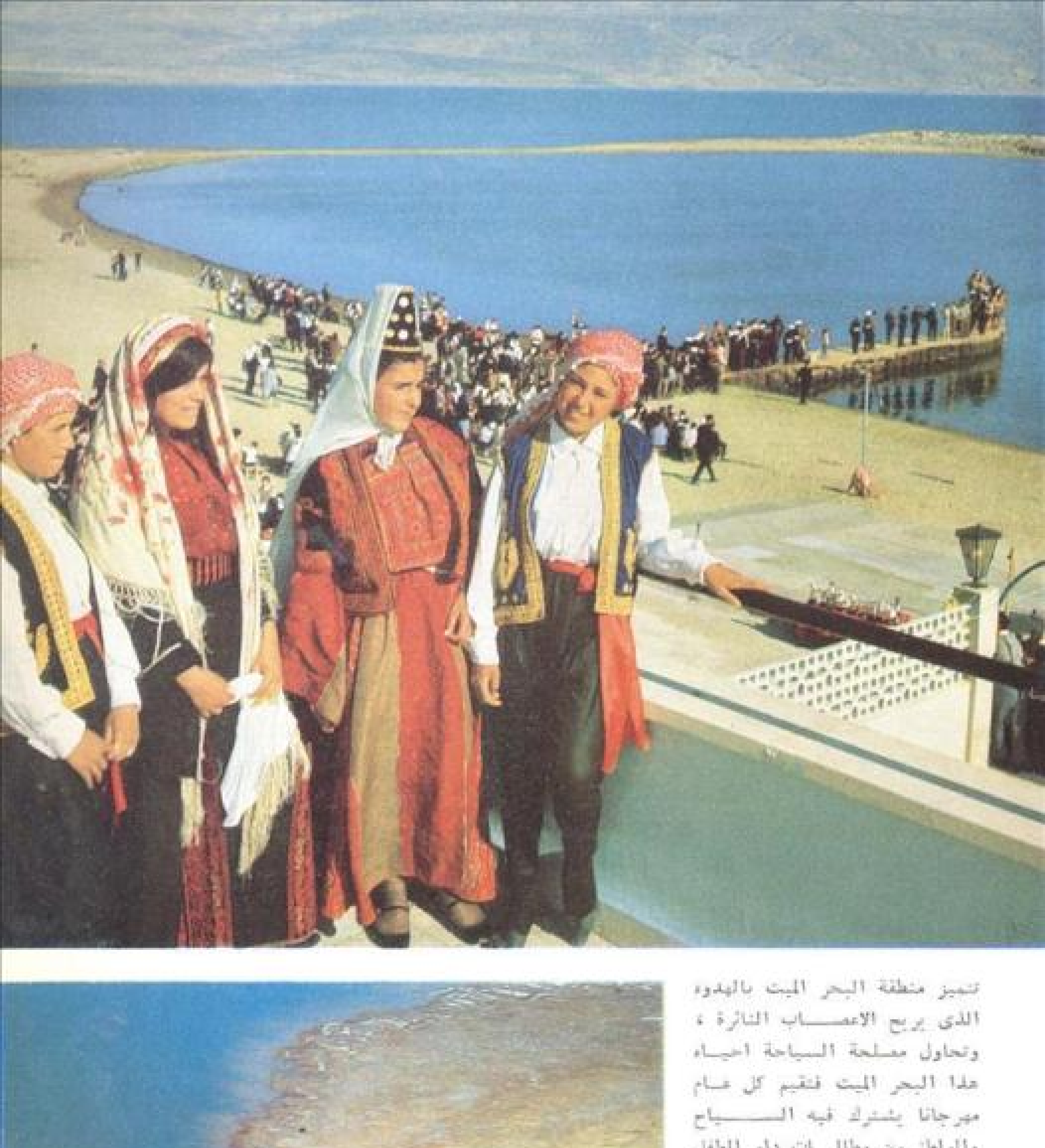
لقد ارتفعت ملوحة هذه المياه ، في غير أوقات الفيضان ، من ٦٠٠ جزء الى ١٨٠٠ جزء في المليون .. مما جعلها غير صالحة لرى المزروعات ، وأصبح الجزء الزراعى الجنوبى من وادى الاردن ، وتبلغ مساحته ١٦٠ الف دونم تقريبا، مهددا بالخراب



الى اليمين : تقوم على نهر الاردن ، في المنطقة الغربية، عدة جسور تربط بين مدن الضفتين الشرقية والغربية ، وتجعل التنقل بينهما سهلا ميسورا ..

الى اسفل : لا تقتصر زيارة المغطس على السائحين والسائحات ، وانما يقوم بها كذلك ابناء الاردن انفسهم .. وترى هنا مجموعة من طالبات المدارس بالزى الوطنى وامامهن البرتقال الريحاوى نسبة الى مدينة اريحا .







تتميز منطقة البحر الميت بالهدوء الذى يريح الاعصاب الثائرة ، وتحاول مصلحة السياحة احياء هذا البحر الميت فتقيم كل عام مهرجانا يشترك فيه السياح والمواطنون وطالبات دار الطفل العربى بالقدس ، اللاتى يشفين جوا جميلا بأزيائهن الوطنية .

الى اليسار : خاتمة النهر ... يشهدها المرء من الطائرة بوضوح . فعلى عمق ١٣١٠ أقدام تحت سطح البحر يبدأ صراع قصير الامد بين مياه نهر الاردن المحملة بالطمى ، ومياه البحر الميت المشبعة بالملح .. ويعتقد النهر أنه قد كسب المعركة ولكن سرعان ما تضيع مياهه وسط المياه الزرقاء المالحة !

نتيجة زيادة الملوحة ، ونضوب مخزون المياه الجوفية وازدياد ملوحتها .. مما جعل سلطة المصادر الطبيعية تمنع حفر الآبار في معظم أجزاء الوادي ابتداء من هذا العام .

والسبب في زيادة هذه الملوحة يرجع الى الصهاينة ، الذين مدوا أنابيب خاصة ضخوا خلالها مياه الينابيع المالحة التي تنبع من قاع بحيرة طبرية ، وصبوها جميعها في مجرى نهر الاردن السفلي الذي يسير في الاراضي الاردنية . ومن هنا ازدادت نسبة ملوحة مياه النهر ثلاثة اضعاف ، ولم تعد تصلح للري الا في موسم الفيضان ، أي الوقت الذي لا تلزم فيه أصلا هذه المياه للري !

احياء البحر الميت !

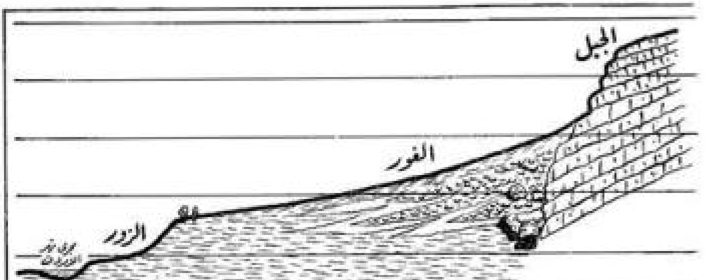
وهذه المياه كلها تصب في البحر الميت الذي شهدت ضفافه حياة زاهرة في العصور الأولى ، كشف عن آثارها بمحض الصدفة راع اردني عام ١٩٤٧ داخل كهف من كهوف جبال منطقة قمران المطلة على البحر الميت ..

أما اليوم فتحاول مصلحة السياحة الاردنية احياء الحياة على هذا البحر الميت باقامة مهرجان رياضي فني سنوي توزع فيه الكؤوس على أحسن السباحين من السائحين والسائحات والوطنيين .. وتدب الحياة في الفندق الوحيد ، ولكن ما يكاد الحفل ينتهي حتى يغط فندق البحر الميت في سبات عميق رغم نظافة غرفه واعتدال اسعارها .

لقد شيد الفندق في عام ١٩٥٨ ولكن شدة ملوحة مياه البحر جعلت المواسير والمنافع العامة تتآكل فيه .. حتى مولد الكهرباء القديم عندما يتوقف تجد الحياة كلها توقفت معه في الفندق ، فالمولد يسحب الماء من الارض وينير المصابيح وتعمل عليه الثلاجات .. أما ماء الشرب فيأتي بالسيارات من عين السلطان بأريحا .. والمقيم بالفندق عليه أن يطلب سيارة من أريحا (على بعد ١٥ كيلومترا) لتنقله الى المكان الذي يريده .. ان احياء منطقة البحرة حيث يقع هذا الفندق ، تحتاج الى اصلاح ودراسة أكثر من حاجتها الى مهرجان للسياحة!

مياه البحر المتوسط في البحر الميت !!

أما الثروة الخيالية التي يحويها هذا البحر الميت من مغنيسيوم وصوديوم وكلسيوم وبوتاسيوم وكلوريد ، والتي سبق أن تحدثنا عنها مسهبا في العدد رقم ٣٧ من مجلة «العربي» فقد أصبحت



يسير نهر الاردن على عمق يتراوح بين ٢٠٠ و ٤٠٠ متر تحت سطح البحر ، في مجرى قديم نتج عن انشقاق في القشرة الارضية .. والضفاف التي ترويها مياه النهر مباشرة تسمى «الزور» ، ترتفع بعدها الارض، وتكوّن ما يسمى ب « الغور » وهذه ترويها مياه قناة الغور الشرقية والمضخات .. ثم تأتي المنطقة الجبلية ..

مهددة تهديدا مباشرا بالضياع بعد اقامة المشاريع المختلفة على النهر .. ولكن دولة العصابات التى تتحكم في ربع مساحة البحر الميت تخطط لمشروع جديد تنشيء بموجبه أنبوبين لنقل الماء من البحر الابيض المتوسط الى البحر الميت للمحافظة على منسوبه بحيث لا تضيع ثروته التى تستغلها دولة العصابات منذ أكثر من ٢٠ عاما ..

البوتاس .. البوتاس

هذا ما تفعله اسرائيل فما الذى فعلناه نحن العرب ، لاستغلال بوتاس البحر الميت ؟

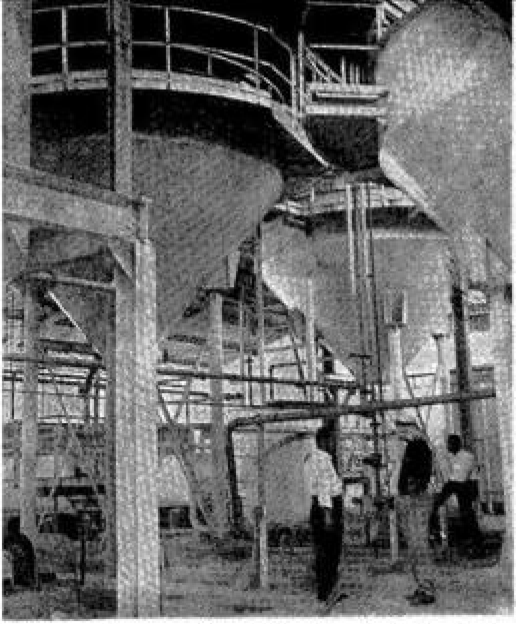
ان المصنع التجريبى الذى تعاونت الدول العربية على اقامته قرب الغطس في عام ١٩٥٨ اقفل ابوابه وتركه موظفوه وعماله ، بعد أن انتهى من تجاربه التى تكلفت ٧٥٠ الف دينار ، واثبتت انه بالامكان استخراج البوتاس والبرومين والمغنسيوم والماء الثقيل ، وملح الطعام بكميات يمكن تسويقها بأسعار تزاحم الأسعار العالمية ..

ان شركة البوتاس العربية تأسست عام ١٩٥٦ بمعاونة جامعة الدول العربية لاستغلال ثروات البحر الميت لمدة ١٠٠ عام .. وقد مضى عليها ١١ عاما وما زالت عند نقطة الابتداء ، تفاوض ممثلى البنك الدولى ، ومؤسسة التمويل الدولية ، ووكالة التنمية التابعة للحكومة الامريكية من أجل الحصول على المال اللازم ..

ويقول المسئولون انه قد تم الاتفاق على تمويل المشروع من هذه الجهات ، وتقدر تكاليفه بحوالى ٦٠ مليون دولار، تدفع منها شركة البوتاس العربية ١٥ مليونا والبنك الدولى ٣٠ مليونا ، ووكالة التنمية الامريكية ١٥ مليونا .. ولكن حتى الآن لم يتم التوقيع على اتفاقية القرضين ، لأن هناك شروطا قاسية يطالب بها البنك الدولى ، مثل انشاء طريق العقبة الى جنوب البحر الميت ، حيث سيجرى بناء المصنع، وتشييد مدينة سكنية، وادخال شركاء أجانب.. الى غير ذلك من الشروط.

من نهر الى مصرف للمياه المالحة !

وفي حديقة فندق البحر الميت سألنا السيد عمر عبد الله نائب رئيس سلطة المصادر الطبيعية في الاردن عن مستقبل « البحر » ومستقبل « النهر » فاجاب :



توقف العمل في مصنع البوتاس التجريبي بعد التوصل الى النتائج المطلوبة .. وبقيت الآلات والمعدات تنتظر مصيرها المجهول .. هل ستنقل الى جنوب البحر الميت لاستعمالها في المصنع الجديد المزمع انشاؤه .. أم تباع بالمزاد العلنى ، كحديد قديم خردة ؟

« البحر الميت لن يموت ، لأنه سيقف عند منسوب معين ، انما الذى سيحدث ، هو تقلص وقلة في مياه هذا البحر ..

« ولكن الخوف كل الخوف على نهر الاردن .. ان المشاريع العربية والمشاريع الاسرائيلية لتحويل مياهه وتخزينها، سوف يحولان هذا النهر العظيم، الى مصرف كبير يتلقى مياه الصرف المالحة التى ستنساب اليه من الاراضي العالية عن مجرى النهر !! » .

واحسست بالأسى ونحن نستمع الى قصة نهاية نهر احلامنا .. وخيم الهدوء القاتل على البحر الميت .. وشعرنا بان كل ما حولنا يشاطرنا هذا الأسى .. فالريح لا أثر لها .. والطيور انحبس صوتها فلم تعد تغرد حزنا على هذا النهر الذى منحت مياهه الحياة لكل شيء من حوله .. اما هو فقد بدأ يذبل ويجف وتفارقه الحياة ، تماما كالشمعة التى تضيء وتنشر ضوءها وهي تحترق وتذوب !! ■■

سليم زبال





في طلب عقار يخفف الاوجاع ولا يدمي المعدة

● حاجة الانسان المدني الى مايزيل الاوجاع التي تعتريه حاجة ملحة. ومن الادوية الشائعة ذلك الدواء الذي يرمز له بالحروف A. P.C. وهو نافع من حيث ازالة الالم ، هذا في تجربتي الشخصية . ولكنهم يقولون انه قد يفسد الكلية او يسبب نزيفا داخلياق المعدة . فهل اجد عندكم عقارا آخر يزيل الاوجاع ليس له هذه المضارالتي توجد في الدواء A. P. C.

ـ احب اولا ان اشير الى معنى هذه الحروف الثلاثة .

اما A فهي اول حرف في العقار المعروف Aspirin اسبرين

واما P فهي اول حرف في العقار المعروف Phenacetin فيناسيتين

واما C فهي اول حرف في العقار المعروفCodeine كوديئين

وكل يفعل في الجسم فعله ، وهو دواء لا يضر اذا ما استخدم بمقادير معتدلة ، واحيانا ، لا كل الوقت .

ذلك لان المعروف عن الاسبيرين ، انه مع طول استخدامه المتصل ، قد يحدث نزيفا في المعدة . ولان الفيناسيتين يضر اذا طال تعاطيه بالكلية . اما الكوديئين فخال من الضرر ولو انه يحدث امساكا عند بعض الناس . وكل هذا الحديث مشروط ، عند ذكر الضرر ، بكثرة الاستعمال واستمراره . وخلو الضرر مشروط بالجرعة المعقولة التي يتعاطاها الانسان منه وعدم اتصالها زمانا .

فنحن نقول الفيناسيتين مثلا يضر الكلية . ولكن هذا لم يكشفه الطب الا بعد سنوات عديدة . وذلك بسبب انه اكتشف عند الذين تعاطوه يوميا لعدة اشهر . وهو الآن لا يباع في الولايات المتحدة الا ومعه تحذير .

اما عن الدواء الذي يمكن احلاله محل A. P. C. مخففا للاوجاع فذلك المسمى Paracetamol وهذا اسمه الكيماوي ، فليس عليه احتكار . وهو اقراص ، وهو موصوف في كتاب العقاقير الرسمي البريطاني، وهو لا يدمي المعدة كما يفعل الاسبيرين . وفعله في الكلية مامون ، ولو ان هذا يحتاج من البحث الطبي الى زيادة تأكيد . على كل حال ليس في الجرعة المعتدلة من هذا العقار ، تؤخذ احيانا ، وعند الحاجة فقط، ضرر قط .

اسنانى ، كم مرة ازور الطبيب من اجلها

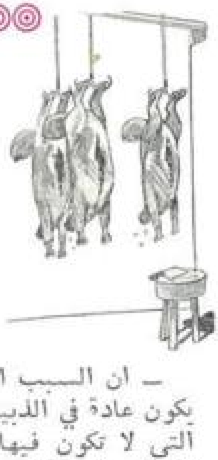
● كم مرة يجب على البالغ منا ان يزور طبيب الاسنان ليطمئن على سلامة اسنانه قبل ان يستفحل السوس فيها؟ وكم مرة يحتاج الى الكشف على اسنانه بواسطة الاشعة . ثم هل من الجائز خلع حشو قديم لسن وابداله بحشو جديد . ام يكفي الحشو الواحد طول حياة السن الواحدة .



ـ القاعدة التى يجرى عليها العمل اليوم في البلاد التى فيها الطب ميسور ان يزور الرجل منا والمراة طبيب الاسنان (او طبيبتها) مرة كل ستة اشهر ، لا لشيء سوى الكشف الشامل على الاسنان حتى يتبين الطبيب ما قد يكون اصاب بعض الاسنان من التلف في الفترة التى مضت ، فيعالج هذا التلف قبل ان يتسع .

اما كشف الاسنان بالاشعة فيكون عادة مرة في كل عام وذلك ليكشف الطبيب عما اختبأ في الاسنان من فساد لم يستفحل بعد .

اما الحشو القديم ، فيرفعه الطبيب عادة اذا اصاب السن ، في جهة اخرى منها ، تلف فهو يزيل تلفها ، ويزيل الحشو القديم ، ويجعل من الفجوتين فجوة واحدة تعطى سن المريض قوة افضل .



اللحم غير المطبوخ جيدا

● المعروف ان اللحم لا بد ان يطبخ ، وان يطبخ جيدا ، سواء كان ذلك بالسلق او بالقلى او بالشي ، ومع هذا نعلم ان بعض الوان الطعام تقدم اما من لحم لم يتم استواؤه ، اوهو بين المطبوخ واللحم الطازج الذى لم يمس النار . وأحيانا يكون لم يمس النار قط .

الا يكون في اكل مثل هذا اللحم خطر ؟

ـ ان السبب الاكبر في اللحم الضار يكون عادة في الذبيحة الموبوءة في المدن التى لا تكون فيها رقابة صحية على الذبائح في المذابح . وقد انتظمت هذه الرقابة في البلاد ذات المدنية فلا تخرج من المذبح ذبيحة كان بها او باحشائها مرض ذو عدوى . هذه الذبائح تعدم بحكم القانون اذا كانت وبيئة .

اما السبب الثاني الكبير في اللحم الضار فمصدره المطبخ . مصدره المطبخ القذر او الطباخ غير النظيف حامل العدوى او هو معطيها للحم . والمعروف بالطبع ان البكتير اسرع توالدا وانتشارا على اللحم المطبوخ منه على غير المطبوخ ، وعلى الدافىء اسرع منه على البارد .

فحيث الشك والريبة ، وفي غير المدينة ذات المدنية ، يحسن بالاكلين تجنب اللحم غير المطبوخ احتياطا ودفعا لاذى محتمل .

طفلي يضربني

● لي طفل في نحو الرابعة من العمر،ظل لطيفا قبل هذا العمر ، ثم بغتة وجدناه قد تغير . صار عنيفا في معاملاته مع الأطفال في مثل عمره او اكبر من عمره ، حتى معي ، حدث مرارا ان ضربني على غير توقع مني . حتى جدته ، وهي امي ، وقع لها منه مثل ما وقع لي ، ولكنها بالطبع جدة لم يثرها ذلك ابدا .

على كل حال الذي اريد ان اعرفه هو سبب هذا العنف المفاجيء ، وهل هو عرض لشخصية كانت خافية ثم برزت ؟ وهل هذا العنف بشير بما سوف يكون ولدي عليه عندما يكبر ؟

ـ لا عليك أيها الأم مما صنع بك ولدك . فأغلب الظن ان هذا حال طاريء يتصل اولا بسنه هذا ، وكذلك بحيوية فياضة فيه . انه في هذا الطور من حياته يمر بفترة من العنف يمر بها أكثر الأطفال لا سيما الذكور منهم . يقول علماء النفس ان الطفل يحتاج أن يثبت وجوده بين اقرانه الصغار وفي عالمه هذا الصغير . وكثيرا ما يلاحظ النفسانيون هذا الاعتداء يقع من الأطفال لاسيما الوحيدين ، وكثيرا ما يزيد عندما يكون للطفل اخ ثان او اخت .

واذا كان لا بد لهذا من علاج فهو ابتداع طرق ينفق فيها من طاقة به زائدة ،



الجزار وساطوره

● قرأت في كتاب في علم النفس ان الانسان في طبيعته عنف مكتوم ، وانه يرتاح وتطيب نفسه كلما وجد متنفسا ينفس فيه عن هذا العنف . وضرب مثلا بالجزارين . قال انهم ينفسون عن عنفهم بالساطور اذ يضربون به اللحم في قسوة على القرمة الخشب . وقال المؤلف اننا من اجل ذلك نجد الجزارين غالبا قوما فرحين مبتهجين . فهل معنى هذا ان الانسان المتمدين ، كل انسان ، لا بد ان يبحث عن ساطور لينفس به عنفه المكتوم ؟ انه امر لا يتفق مع الحضارة التي نحن فيها .



ـ عندما نظرت في سؤالك ياسيدتي ، ترددت . ثم تبين لي بعد التفكير ان فيما كتب المؤلف شيئا من الحقيقة لاريب فيه . ولو ان هذا الذي قاله ليس معناه ان كل جزار مبتهج دائما فرح دائما (ومن يدري لعله اذا لم يكن فرحا كل

فالطفل المشغول دائما فى وجه من وجوه النشاط ، من لعب أو غير لعب ، لا يفرغ للاعتداء على احد ، ولا تكون به رغبة فى ذلك . واللعب ، حتى العنيف المظهر بين الأطفال ذوى الاسنان المتقاربة ، يذهب عن الطفل بالكثير من الطاقة الزائدة .

اما عن ضربه اياك ، أو ضرب أمك ، فقد يكون ذلك ، فيما يكون ، بسبب ضغط عليه أن يسلك فى الآداب العامة سلوكا يحد من نشاطه فى مثل هذه السن. وهو فى هذه السن لا يفهم للآداب معنى ، لأنها آداب لمجتمع لم يتعرف اليه بعد .

وفى هذه الحالة لا بد من ردع الطفل حتى لا يكرر ما فعل ، لا بضربه ، ولكن بامساك يده بقوة حتى يدرك أنه المنع ، وبدون غضب ، وبدون معنى العقاب . قولى له فقط : ان الأطفال الاكبر لا يصنعون هذا لأنهم أعقل . ذكر الأطفال الاكبر يمس كبرياء الطفل ، لا سيما ذلك الذى يريد بالعنف ان يعلو على بيئته الصغيرة .

الوقت ، هو محتاج الى الضرب بساطوره زمنا اكبر) .

اما انه امر لايتفق مع الحضارة التى نحن فيها ، فانا أخالفك فى ذلك . انها حضارة ، بل جبلة انسانية قائمة على العنف. ان اللحم والعظم اللذين قصمهما الجزار بساطوره ، تقومين انت فى المطبخ بتقطيعهما ، وتحاولين دائما أن تنسي أن هذه القطعة كانت فى فخذ خروف ، او هذا القلب الذى تحشين وتشوين كان حيا يدق كدقات قلبك انت .

فمن يدرى ، فلعلك بسكينك ، تنفسين عن عنفك ، بمثل ما نفس الجزار عن عنفه بساطوره .

جسمي
درجة حرارته منخفضة

● **جسمي درجة حرارته منخفضة . ان الترمومتر يدل على ٣٢ر٥ درجة مئوية او ٣٦ درجة . وانا احس البرد ، ولا ادفأ الا بالمشي . ولا يتهيا لى المشيء كل حين . فهل هناك دواء يرفع درجة حرارة الجسم؟**



ــ اولا غيرى الترمومتر الذى تستخدمينه، فلعله يخطيء . فاذا دل على نفس درجات الحرارة التى يدل عليها الترمومتر الذى لديك ، فاعلمى ثانيا انه لاضرر مطلقا من ان يكون جسمك بهذه الدرجة المنخفضة . فانخفاض درجة حرارة الجسم امر طبيعي عند الكثير من الناس وهو لا يدل على مرض .

اما انك تحسين البرد ، فالبسي من الالبسة ما يحفظ الحرارة ، فى يقظتك او نومك . ولا تلبسى الملابس الضيقة . ان الملابس الضيقة تعرقل جريان الدم فى الجسم ، وجريانه يعطي الحرارة .

وليس هناك دواء كالذى تطلبين ، يكون منه رفع درجة حرارة الجسم هذه المنخفضة وابقاؤها مرتفعة .

قَلْبُـك قَلْبَـان أَيْـمَن ، وَأَيْسَـر

■ نعم قلبان ، لا قلب واحد . لا تخرج نقطة دم من القلب الايمن ، عن طريق الجدار المشترك الذى بينهما ، الى القلب الايسر ، كما ظن بعض القدماء.

ولا تخرج نقطة دم من القلب الايسر ، عن طريق الجدار المشترك الذى بينهما ، الى القلب الايمن ، كما ظن بعض القدماء.

كلاهما قلب مستقل ، اجتمعا معا لتوفير الجهد الذى يبذلانه عند الضخّ ، فهما يضخان معا ، ويستريحان معا ، ثم يعودان يضخان . والعضل الذى ينقبض ليضغطهما هو الذى يلفهما جميعا.

والى القلب الايمن يأتي الدم من كل ناحية من جسم الانسان ليصب فيه ، بعد ان ادّى واجبه لكل خلية في الجسم .

انه دم ، قل اكسجينه بعد ان اعطى الكثير مما به للخلايا ، فالاكسجين للخلايا حياة . وقل غذاؤه الذى كان حمل بعد ان اعطى الخلايا ما تحتاج اليه من غذاء .

ومع هذا هو عاد بمحصول طيب من الاغذية ، جمعه من القناة الهضمية ، ليدور به على خلايا الجسم من جديد .

ان القلب الايمن يتسلم كل هذا الدم.

ولكن الذى يضخّ هنا الدم الوارد ، ليعود به الى الجسم مرة اخرى ليدور فيه من جديد ، ليس القلب الايمن ، وانما هو القلب الايسر .

ولكن لا يصل هذا الدم من القلب الايمن الى القلب الايسر ، الا اذا ذهب قبل ذلك للرئتين ، فهناك « يتطهر » .

وهو يتطهر بأن يرمي في الرئة النتاج الاول لحريق الاغذية في خلايا الجسم ، ذلك ثاني أكسيد الكربون ، يخرجه الانسان في التنفس ، ثم هو ، أى هذا الدم ، يتزود وهو في الرئة ، من هواء الرئة ، بالاكسجين في التنفس ايضا . ذلك الاكسجين الذى تحتاجه خلايا الجسم لتحرق به الاغذية ، فيعطيها هذا الحريق الحياة .

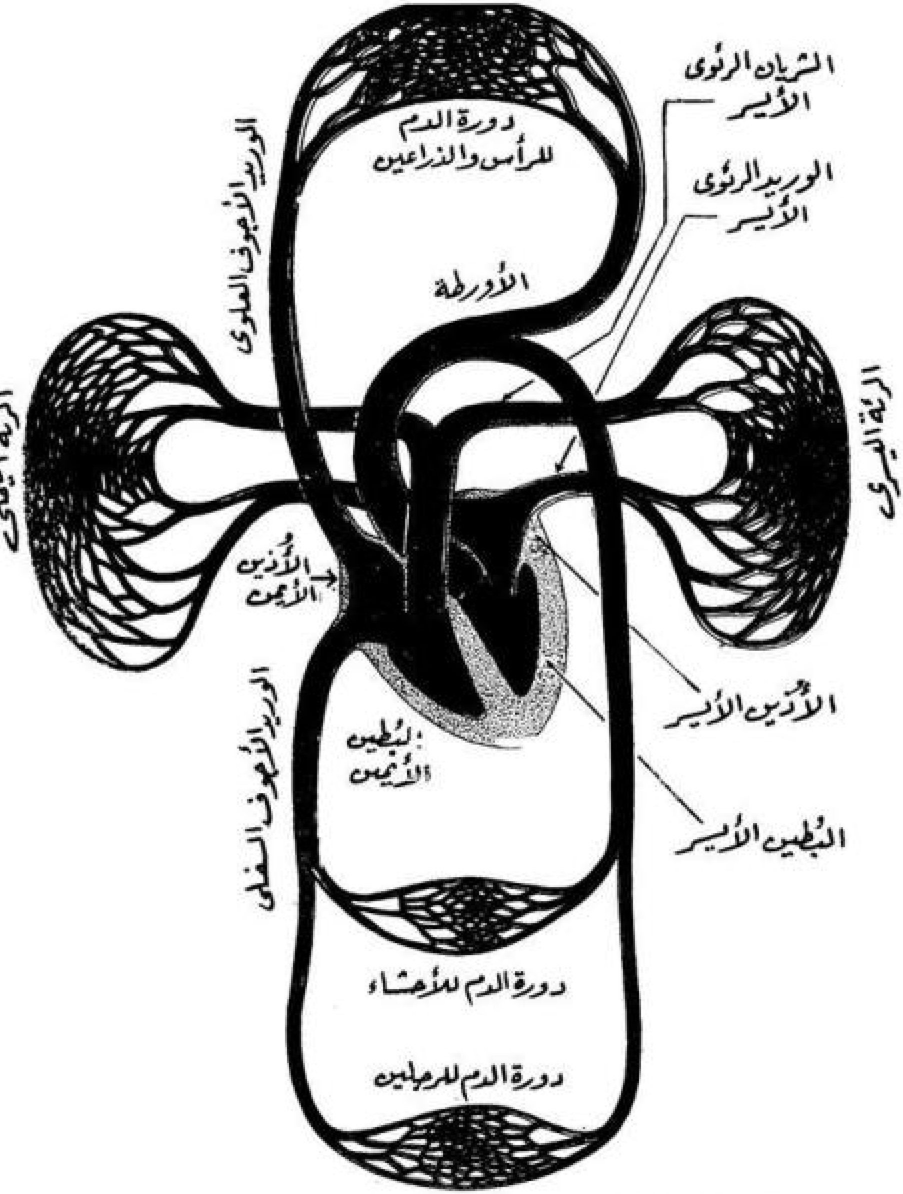
واذ أصبح الدم متهيئا ليدور فى الجسم ، ذهب من الرئتين الى القلب الايسر ، فهو المضخة التى تضخه للجسم ، الى خلايا الجسم جميعا .

وبعد أن يزود هذا الدم خلايا الجسم بالاكسجين ، وبالغذاء ، وبعد أن يحمل من الخلايا نتيجة احتراق الاغذية فيها (ثاني اكسيد الكربون) ، وبعد أن يجمع مما هضمت المعدة والامعاء من طعام ، بعد كل هذا وغير هذا ، يعود هذا الدم الى القلب الايمن مرة اخرى ، واردا اليه.

اما ما يأتى من هذا الدم ، من اعلى الجسم ، من الراس والذراعين ، ليصب في القلب الايمن ، « واردا » ، فيأتى عن طريق الوريد المسمى الوريد الاجوف العلوى (راجع الرسم المرفق دائما)

وأما ما يأتى من هذا الدم ، من أسفل الجسم ، من الاحشاء والجذع والرجلين ليصب في القلب الايمن ، واردا ، فيأتي عن طريق الوريد المسمى الاجوف السلفي.

ثم يخرج هذا الدم نفسه ، صادرا ،



رسم ايضاحى تقريبي للدورة الدموية ، وفيه اجمال قد يغرى بالنقد ، ولكنه هكذا تبسيط العلم

الى الرئتين ، عن طريق وعائين ، يسار ويمين . وكل وعاء يخرج من القلب ، صادرا ، فهو شريان . واذن فهما الشريانان الرئويان الايسر والايمن .

ومن الرئتين يعود هذا الدم ، واردا ، الى القلب الايسر ، عن طريق الاوردة الشريانية ، وهى أربعة ، شريانان من كل رئة .

ثم يقوم القلب الايسر بضخ هذا الدم الى الجسم كله ، عن طريق شريان الجسم الاعظم ، الاورطة ، التى لا تلبث

أن تتفرع ، وتتفرع فروعها لتزود كل الجسم بالدم ، أعاليه والاسافل .

(ولا ننسى الشريانين التاجيين اللذين

يخرجان من الاورطة عند مخرجها من القلب ، ليعودا على الفور الى القلب نفسه يزودانه بزاد الحياة . (راجع مقال الذبحة الصدرية والسدة التاجية بالعدد الماضي).

هما قلبان .. ودورتان

اما الدورة الدموية الصغرى فتبدأ من القلب الايمن، فالرئتين، فالقلب الايسر. وبها يتنقى الدم ويتزود بأكسجين الهواء. وتعرف أيضا بالدورة الرئوية .

اما الدورة الدموية الكبرى فتبدأ من القلب الايسر ، ثم ينتشر الدم في سائر الجسم ، اعاليه وأسافله ، ثم يعود الى القلب الايمن . وتعرف بالدورة العامة .

وشرايين الدورة الكبرى تحمل الدم الاحمر ، وأوردتها تحمل الدم الازرق كما هو معروف مشهور . وعكس هذا شرايين الدورة الصغرى فهي تحمل الدم الازرق ، وأوردتها تحمل الدم الاحمر بعد تنقيته في الرئتين .

ماذا يحدث داخل القلبين

يتألف كل قلب من خزانة صغيرة تعرف بالدهليز او الأذين ، تنفتح على خزانة كبيرة تعرف بالبطين (راجع الرسم المرفق دائما) .

وعمل القلبين كذلك واحد . يضغط الأذين دمه فيذهب الى البطين ، سواء في هذا القلب أو ذاك . ويضغط البطين دمه فيذهب خارج القلب ، الى الشريان الرئوى في الدورة الصغرى ، والى الاورطة في الدورة الكبرى .

الصمامات

الدم في اى من الدورتين لا بد ان يجرى في اتجاه واحد ، الى الامام ، الى الامام دائما ، ولا يعود القهقرى .

وتضمن هذا الصمامات .

صمام ما بين الأذين والبطين ينتفح ليأذن بالدم يسير من الأذين الى البطين ، في كلا القلبين . فاذا انضغط البطين انسد هذا الصمام حتى لا يعود الدم فيجرى الى الأذين .

وصمام بين البطين والاورطة (في القلب الأيسر) ، وآخر بين البطين والشريان الرئوى (في القلب الأيمن) . هذان ينفتحان حين البطينان يضغطان الدم الى الشرايين، فاذا استراح البطينان انغلق الصمامان حتى لا يعود الى البطين الدم المضخوخ .

ومن الاورطة يخرج الدم اكثر انضغاطا، لكى يصل الى نواح من الجسم بعيدة . . . ويخشى على الصمام الحارس هناك ان ينشجب من شدة الضغط عند انفتاحه فلا يعود ينسد . واذن تكون له حبال تشده الى باطن جدار القلب وتقويه . تقويه هو وحده ، لأنه هو وحده في حاجة الى التقوية .

هنا لا بد من وقفة تطول للعقول التى تتلمس الطمأنينة عندما تجابهها ألغاز هذه الحياة وتحاول في عسر أن تحل أحاجيها . وقفة في تأمل ، تشدها وقفات مثلها ، في شئون الخلق ، لا حصر لها ، تطيب بها النفوس الثائرة ، وتأوى بها الى مستراح لها العقول الحائرة .

القلبان ينضغطان ويستريحان معا

انه نسيج عضلى واحد يضغط البطينين معا . ويسبقهما في المزامنة الاذينان . ثم يستريح القلبان معا .

جدار البطين والاذين أيهما أرق ؟

أرقهما لا شك جدران الاذين ، لأن ضغطهما قليل ، غايته أن يؤدى بالدم الى البطين المجاور .

اما جدار البطين فأقوى ، لأن ضخه اكبر . وبطين القلب الأيمن هدفه الرئة ، وبطين القلب الأيسر هدفه ابعد . ان هدفه الجسم كله . فجداره الاقوى .

معارف لا بد منها

هذه معارف أساسية لا بد ان يعيها كل انسان مدنى ، ويحفظها كما يحفظ اسمه ، واسم ابيه واخيه ، وعنوان بيته . انها معارف تكشف عن اخطر ما يجرى بين جنبيه فيعطيه الحياة. ●●

صفحة في اللغـة

التّعبيرُ بالمُفْرَدِ عَنِ الجَمْعِ .. .. والتّعبيرُ بالجَمْعِ عَنِ المُفْرَدِ

■ الوجنة ما ارتفع من الخدين ،والانسان له وجنتان ، وحكى اللحياني : انه لحسن الوجنات ، كأنه جعل كل جزء منها وجنة ، ثم جمع على هذا (مادة وجن) .

ومثل ذلك قالوه في (مادة لـَبـَب) .. انها لحسنة اللـّبات ، والمرء له لـَبـّة واحدة ، وقال ذو الرّمّة .

برّاقة الجيد واللبّـات واضحـة — كأنها ظـَبـْيـَةٌ أفضـَى بهـا لـَبـَبُ

اللبب من الرمل : ما استرق وانحدرمن معظمه .

ومثله قيل في مادة شـَدَق ، انه لواسع الاشداق .

والحدقة : السواد الذى في وسط البياض من العين ، والجمع حَدَقٌ وحِداق ، وقال ابو ذؤيب الهذلي :

فالعين بعدهمُ كأنّ حِداقهـا — سُمِلت بشوك فهي عُـورٌ تلمع

قال السكرى : قال الاصمعي :حداقها ، جمع حدقة ، فأراد الحدقة وما حولها ، كما قالوا ، حسنة اللـّبات ،وانما لها حدقتان ، وهذا مثل قولهم ، رجل ذو مناكب ، والمَنكب مجتمع الكتف والعضد ، والرجل له منكبان . وجمل غليظ المشافر . والجمل لـه مشفران ، اى شفتان . والعين اراد العينين ، كما تقول أقر اللـه عينك ،لاَ تُراد واحدة دون الاخرى . والعور من صفة الحداق ، يجوز ان يَجعل الواحد في معنى الجمع .

هذا وفي القرآن (كي تقر عينها ولاتحزن) « سورة طه الآية ٤٠ » ، وسورة القصص الآية ١٣ » . وفي سورة القصص ايضا الآية ٩ (وقالت امراة فرعون قرّة عين لي ولك) .

ومحجر العين : ما دار بها ، وبدا من البرقع ، وجمعه مَحاجر ، وللانسان محجران ، ولكن مليحا الهذلي ، قال :

وشمّرت الجمالُ بكلّ خـَوْدٍ — يَفيض على محاجرهـا العَبـيرُ

وينسب لمجنون ليلى او لغيره :

وممّا شجاني أنها يـوم ودّعتْ — تولّتْ وماءُ العين في الجفن حائر

فلما أعادت من بعيدٍ بنظـرةٍ — إليّ التفـاتا أسلمتْـه المحاجـرُ

افرد العين والجفن ، وجمع المحاجر ،وكذلك في افراد العين والاذن ، قال بشار :

يا قوم أذْني لبعض الحي عاشقة — والأذن تعشق قبل العين أحيانا ■■

عبد الستار فراج



هجرة

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

استاذ النبات بجامعة عين شمس

■ الهجرة الترك ، يقال هجرت الشيء اذا تركته واغفلته ، والهجرة الخروج من ارض الى ارض واصل المهاجرة عند العرب ، خروج البدوى من البادية الى المدينة . وانت تهجر عملك او تقعد عنه حينما يطول او يقصر حسب الظروف ، او تتركه الى عمل آخر ، او تهجر صديقا لسبب او آخر . وغالبا ما تصحب الهجرة نقلة من مكان الى آخر ، كالهجرة من الريف الى المدن ، كما انها اغلب الامر انما تكون لسبب يحفى عليها او يضطر اليها . فانت تهجر الكلام وتلوذ بالصمت او تهجر الطعام الى الصوم ، او تهجر لونا من المآكل لا تستسيغه ، او لانه يؤودك ويؤذيك او تهجر شيئا بعد طول صحبة او ممارسة . كان تهجر التدخين بعد ممارسة أعواما طوالا . أو تهجر الكتابة بعد طول احتراف أو ممارسة ، أو تهجر هواية الى اخرى ، تجدها احب الى نفسك او اقرب الى مزاجك وقلبك . او تهجر وطنا الى مكان آخر فى اقاصى الارض ، حيث تكون اكثر امنا وسلاما واخاء . فهذه جميعا الوان من الهجرة . تعرض للناس جميعا فى حياتهم على اختلاف مشاربهم وامزجتهم .

على ان الهجرة لا تختص بالناس وحدهم ، وانما هي ظاهرة معروفة فى الكائنات جميعا من جماد ونبات وحيوان وانسان ، ولها آثار بالغة على الحياة والاحياء جميعا .

فهذه رمال نبت بها مواضعها ، تذروها الرياح ، وتحملها آلاف الاميال ، لتسكن بها او تسقطها فى مكان آخر ، وهذه ثلوج متراكمة على قمة من القمم ، آن لها أن تتحرك لسبب او لآخر . فاذا بها تتحرك ، مندفعة نحو سطح من السطوح . وقد تحطم ما يعترضها من زرع أو ضرع ، أو قرى ودساكر . وهذه سحب متجمعة لا تلبث الرياح ان تفرقها ، أو تسوقها لتسقط احمالها من أمطار الى بلد آخر فتهتز ارض وتربى ، وتخضر وتينع بعد طول جدب وامحال .

وهذه نباتات تهاجر من وجهة الى اخرى ، ولو قد بقيت فى مواطنها الاصلية ، لضاقت عليها الارض بمارحبت ، ولما استعمرت سطح الارض على الصورة التى نرى ، فهي تعطى من الثمار والبذور ما يزيد عن حاجتها ، لحفظ انواعها .



ونشر سلالاتها وصنوفها فهي تهاجر مع الريح او الماء او الانسان او الحيوان لتستعمر مكانا آخر ، او تستوطن وطنا غير الذى فيه نشأت وترعرعت . وهناك يطيب لها المقام فى المهجر ، فتتكاثر وتنتشر وتغطي مزيدا من سطح الارض بخضرة يانعة ، وتعطي من البذور والثمر ، ما يطعم حيوانات واناسي ، تستطيب طعمها وتغتذى بها .

وهذه طيور تقوم برحلة فى الشتاء واخرى فى الصيف ، فهي تهجر اوكارها واعشاشها واوطانها ، وتسبح فى الهواء العريض آلاف الاميال ، الى حيث يطيب لها المقام ويعتدل المناخ ، فتبيض وتفرخ ، ثم تعود افراخها فى نفس الطريق الذى سلكته آباؤها من قبل ، فتعيش حتى يدور الفلك دورته ، ويأتي موعد الهجرة مرة اخرى .

وهذه أسماك تهاجر ، فتترك مواطنها فى الماء العذب مثلا ، وتقطع آلاف الاميال عبر الانهار ، ثم عبر البحار والمحيطات ، الى حيث تضع البيض وترعاه ، حتى يكبر البلم (١) ، ويشتد عوده ، واذا به يعود الى موطن آبائه ، سالكا نفس الطريق الذى سلكته هذه الآباء ، ولا شك أن لهذه الرحلات ضحاياها ، التى لا تحتمل وعثاء الطريق فتسقط صرعى ، او تتعرض لمخاطره ، فتهلك دون الوصول الى المهجر الجديد فى الذهاب او الوطن القديم فى الاياب .

وهذه الناس تهاجر من وقت لآخر ، ومن بلد الى آخر ، فرادى أو جماعات حسب الظروف والاحوال . فقد هاجر الناس من أوروبا أغلب الامر الى امريكا واستراليا ، عندما اكتشفت هذه الاراضي الجديدة ، حيث بحثوا او نقبوا ، وزرعوا واستصلحوا واستقروا . وهاجر العلماء افرادا وجماعات من موطن الى آخر حيث طاب لهم المقام فى الوطن الجديد ، تحت اغراء مادى او ادبي بعد ان ضاقت بهم اوطانهم لاسباب سياسية او مادية . وهاجر الزعماء او القادة هربا من ظلم او طغيان ، او طلبا لحرية وامان . وهاجر من السكان من ضاقت بهم اوطانهم فسعوا فى مناكب الارض طلبا للرزق في بلاد اخرى اتخذوها بديلا لأوطانهم .

والآن نفصل بعض ما اجملناه ، بذكر بعض الامثلة من هجرات النبات والحيوان والانسان .

هجـرة النبات

يشترط لنجاح هجرة النبات توافر شروط وعوامل ، من ذلك أن يكون النبات المهاجر او جزء منه محتفظا بحيويته ، اذ ما جدوى ان ينتقل النبات وانه لذاو جاف ، او تحمل ثماره او بذوره

(١) البلم صغار السمك .

او أبواغه . (٢) وانها لتالفة ، طغت عليها الحشرات او الآفات او طال عليها الامد ، فأسنت ، وليس لها من طور سكون تقضيه قبل أن تنبت مرة اخرى .

وينبغي ان يكون حجمها ووزنها مما يلائم ان تحملها الريح مسافات شاسعة ، او تكون محمولة على الماء دون ان يصيبها عطب ، ولا بد ان تكون مهيأة للحمل بالريح ، فتكون خفيفة الوزن او مزودة باجنحة او بالونات أو شعيرات تشبه الريش ، اما اذا حملها الماء فلا بد ان تندفع مع تياره في الاتجاه المأمول ، وان تكون محاطة بما يقيها سرعة التلف . اما اذا حملها الحيوان فلعلها ، أن تعلق بأوباره واصوافه أو بمناقير الطيور ، او في اكفال اقدامها او داخل حويصلاتها وانها لتقاوم ذلك كله ، حتى تصل الى مهجرها سليمة ، او تكون مما يحمله الانسان في رحلاته واسفاره ، ليمارس بها مشروعاته الزراعية والاقتصادية والتجارية ، وكذلك نقل الانسان التبغ والبطاطس والذرة من الدنيا الجديدة الى الدنيا القديمة وكذلك نقلت تيارات مياه البحار والمحيطات نباتات شواطىء افريقيا الغربية الى شواطىء امريكا الشرقية ، وكذلك تنقل الرياح السافية بذور الاعشاب الصحراوية من مكان الى آخر ، كما تنقل أبواغ بعض النباتات آلاف الاميال ويمكن تصيدها واثبات وجودها على ارتفاع أميال واميال في طباق الجو . ويشترط لنجاح الهجرة كذلك ، الا يعوقها معوق ، كأن تحول سلسلة الجبال دون انتقال الاجزاء التكاثرية من جهة الى اخرى ، او تحول صحراء شاسعة او بحار واسعة فتسقط هذه الاجزاء في الصحراء او البحر ، حيث لا توجد المهاد الصالحة لابواغها ، بله انباتها وانتشارها .فقد يكون النبات المهاجر صحراويا ويسقط في البحر ، او مائيا ويسقط في الصحراء . او يهاجر النبات في وقت غير ملائم لاستقراره فيحط رحاله في وقت اشتدت فيه الحرارة او انخفضت الى حد يعوق الانبات او النمو ولا بد ان ينجح النبات المهاجر في التوطن والاستقرار في مهجره الجديد وان يكون قوى الشكيمة قادرا على منافسة السكان الاصليين ، ولا بد ان يفوز في معركة التنافس بينه وبين المواطنين الاصلاء .

وكذلك تنتقل النباتات المائية صغيرها وكبيرها ، من منابع الانهار ، وتسير في رحلة النهر من المنبع حتى المصب وانها لتحط رحالها هنا وهناك على الشواطىء أو الجزر أو تنساب مع روافد النهر وفروعه او في الترع والمصارف ، وكذلك تفعل هذه العوامل فعلها في انجاح الهجرة او احباطها ، ولكن الطبيعة تبدو متوازنة ، وتنجح النباتات المختلفة في الهجرة والتوطن حيث يطيب لها المقام ، وحيث تتوافر الظروف الملائمة للاستقرار والاستيطان .

هجـرة الحيوان

وكذلك تهاجر الحيوانات من مكان الى آخر سعيا وراء الرزق اى طلبا للغذاء او سعيا وراء مكان اوفق وانسب للتوالد والتكاثر ، وانها لتنتظم في بعض الاحيان في مواسم معينة ، فثمة رحلة في الشتاء ، واخرى في الصيف ، هجرة من الشمال الى الجنوب ثم أوبة من الجنوب الى الشمال ، مما يرجح رأى العلماء من انها الغريزة ، تدفعها في مواسم بعينها لتقوم برحلة الشتاء او رحلة الصيف ، وتيمم وجهها شطر الشمال والجنوب وقد اشتهر من أمر هذه الهجرات الحيوانية ثلاث، الطيور والاسماك والجراد .

اما الاسماك فانها تهاجر اما للتوالد ، او للغذاء او لتمضية فصل الشتاء في ماء اقل برودة او اكثر دفئا ، كما ان هجرتها قد تكون رأسية ، فتتجه الاسماك من المياه السطحية الى المياه العميقة او عرضية فتتجه الاسماك من المياه الشاطئية الى اللجية ذات الاغوار البعيدة نوعا او تنساب اسراب الاسماك سابحة في رحلات منتظمة مع مياه الانهار الى البحار والمحيطات او مع تيارات الخلجان في البحار والمحيطات ، التى قد تكون باردة او دافئة . ومن اشهر هذه الهجرات

---

(٢) بوغ والجمع أبواغ : جسيمات تكاثرية ،تتكاثر بها بعض النباتات اللازهرية .

السمكية هجرة ثعبان السمك الذى يسبح مع مياه النيل قادما من اعاليه وينساب مع مياه الفيضان الى البحر المتوسط ، ثم يقطع الرحلة فى مياه المحيط الاطلنطي حتى خليج المكسيك ، حيث يطيب له التكاثر والتوالد ، ثم تعود صغاره سالكة نفس الطريق حتى تعود الى مواطنها الاصلية فى اعالي النيل . وانما تتحكم فى هجرة الاسماك عوامل الضوء والحرارة والاكسجين والملوحة والضغط والاملاح الغذائية ووفرة ما تغتذى به الاسماك من كائنات دقيقة تسبح هائمة فى الماء . وقد تصادف الاسراب المهاجرة عوامل معوقة او عوامل مميتة ، وعلى كل حال فلا بد ان تفشل الرحلة بالنسبة لعدد من المهاجرين يقل او يكثر تبعا لقسوة هذا العامل المعوق او المميت.

هجـرة الطيـور

اما الطيور فنحن نعرف منها الابد المقيم ، والقاطع المهاجر ، وهجرة طيور السمان والقطا وما اليها مشهورة معروفة ، حيث تبرح اسراب هذه الطيور فى مواسم بعينها مصممة شطر الشمال او الجنوب حيث تبيض وتفرخ ، ثم تعود سالكة نفس الطريق الذى سلكته آباؤها ، وهى رحلة جبارة تقوم بها الطيور بدافع الغريزة ، وانها لتقطع آلاف الاميال دون توقف ، ولا شك ان كثيرا من افراد السرب تؤوده الرحلة فلا يقوى على لأوائها ، فيهلك دون اتمامها .

وكذلك الجراد ، وانا لنعلم كيف تغزو ارجاله الحقول والمزارع فتاتى على الاخضر واليابس ؛ ولذلك تهتم البلاد التى تتعرض لغزواته بدراسة مراحل نموه وتكاثره . كما تراقب الاماكن التى يضع فيها بيضه وتنشأ اطواره ، ولا بد من عين ساهرة ترقب هذا كله ، حتى بالاستعداد المستمر لمكافحته ، والوقوف فى طريق هجراته .

هجـرة الانسان

وكذلك يهاجر الانسان من ريف الى حضر ،ومن بلد الى بلد ، ومن قارة الى قارة ، وللهجرة عند الانسان أسبابها وتعلاتها ودوافعها ، ويتحكم فيها عقله وارادته بخلاف هجرة الحيوان التى تتحكم فيها غرائزه . أو هجرة النبات التى تتحكم فيها عوامل ليس له منها دافع ، أو هجرة الجماد الذى تسوقه عوامل الطبيعة ، ولا يملك ازاءها ردا ولا دفعا .

ويمارس الانسان الهجرة منذ نشأ على الارض، يهاجر افرادا وجماعات بحثا وراء أمن أكثر أو غذاء أوفر ، ونشأت الحضارات الانسانية مع المجتمعات البشرية على ضفاف الانهر ، عند المصريين القدماء ، على ضفاف النيل ، وعند الاشوريين والبابليين فيما بين النهرين ، وعند الصينيين والهنود فيما وراء النهر .

ومنذ فجر هذا التاريخ الحضاري ، وان الناس ليهاجرون من جهة الى أخرى تحت ضغط الظروف الحربية او الاقتصادية او السياسية أو سعيا وراء عيش أرغد وحياة أفضل وأهنأ .

ومن الهجرات ذات الأثر على التاريخ الحضارى للانسان ، ما يحدثنا به التاريخ القديم عن هجرة العلماء من أثينا الى الاسكندرية نتيجة لاضطهاد وقع عليهم من القادة السياسيين اثر موت الاسكندر الاكبر فهاجرت جماعتهم الى الاسكندرية مع البطالمة الذين كانوا يرعون العلم ويعطفون على العلماء ، فانشأوا فى الاسكندرية جامعتها القديمة واسسوا نهضة علمية رائعة ، استمرت عدة قرون ثم هاجر العلماء مرة أخرى من الاسكندرية الى الرها فبغداد ، وسيطرت الحضارة العلمية العربية الاسلامية عدة قرون وامتدت من مشارف الصين شرقا الى مشارف فرنسا غربا . كما هاجر نفر كبير منهم فى التاريخ الحديث من اوروبا الى امريكا ، وفيما بين دول اوروبا بعضها وبعض وذلك تحت ضغط ظروف أدبية أو مادية . وكذلك هاجر الناس واستوطنوا الامريكتين وكندا واستراليا وغيرها من جهات شاسعة استكشفت فاستعمرها الناس الذين هاجروا اليها لاستغلال ثرواتها واستيطانها . ■■

عبد الحليم منتصر

الفقيه القائد أسد

مُصَنِّف كتاب «الأَسَدية» وفاتح جزيرتي: قوصرة وصقلية

بقلم: اللواء الركن محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي العراقي

■ أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم من نيسابور، ولد في حران سنة اثنتين واربعين ومائة هجرية (٧٥٩ م)، فحمله أبوه وكان جنديا في جيش محمد بن الاشعث الخزاعي الى القيروان، وهو يومئذ ابن سنتين.

قال أسد بن الفرات: «دخلت مع أبي (القيروان) في جيش ابن الاشعث، فاقمنا به خمس سنين، ثم رحلنا الى (تونس)، فاقمت بها نحو تسع سنين. فلما بلغت ثماني عشرة، تعلمت القرآن في قرية على وادي (بَجَرْدَة)».

وارتحل أسد من (بجردة) الى (تونس)، فسمع من علي بن زياد (الموطأ)، وتعلم منه العلم.

وخرج أسد الى المشرق سنة اثنتين وسبعين ومائة الهجرية (٧٨٨ م)، فقصد مالك بن أنس رضي الله عنه في المدينة المنورة، وواظب عليه، وطلب عليه العلم، وسمع منه (الموطأ).

وكان تلاميذ مالك يهابونه فلا يسألونه الا بمقدار، وكان أسد جريئا في الاسئلة والمناقشة، فالح أسد مرة على مالك بالسؤال، وكان مالك يكره السؤال عن احكام الحوادث قبل وقوعها، فقال مالك لأسد: «سلسلة بنت سليسلة ...! اذا كان كذا وكذا !! .. ان اردت هذا فعليك بالعراق».

وقبل ان يغادر أسد المدينة المنورة، ودع هو وصحبه الامام مالكا، فقال له مالك: «أوصيك بتقوى الله والقرآن والمناصحة لهذه الامة».

وقصد أسد العراق، فلقي في (بغداد)، أصحاب الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه، ابا يوسف يعقوب بن ابراهيم، ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهما، فكتب الحديث في العراق، وتفقه به.

وحضر أسد مجالس محمد بن الحسن الشيباني العامة، فلم يكتف بذلك، بل طلب اليه ان يسمح له بوقت يخصه فيه بالدراسة، **فقال أسد لمحمد** ابن الحسن: «اني غريب وقليل النفقة، والسماع عندك نزر، والطلب عندك كثير، فما حيلتي ؟!»،



ابن الفرات

«ما بلغت ما ترون إلا بالأقلام» أسد بن الفرات

فرحب محمد بن الحسن باستزادة تلميذه من العلم ، وقال له : « اسمع مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك ، فتأتى فتبيت عندى ، فاسمعك » . قال أسد : « فكنت أبيت فى سقيفة بيت يسكن محمد بن الحسن فى علوه ، فكان ينزل الى ، ويضع بين يديه قدحا فيه ماء ثم يأخذ فى القراءة ، فاذا طال الليل ورآنى نعست ، ملأ يده ماء ونضح به على وجهى فانتبه ، فكان ذلك دابى ودابه ، حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه » .

وقد أسبغ محمد بن الحسن رعايته المادية والمعنوية على تلميذه أسد ، كما كان يفعل السلف الصالح من الاساتذة بتلامذتهم . قال أسد : « كنت جالسا يوما فى حلقة محمد بن الحسن، فصاح صائح : الماء للسبيل ... ! فقمت مبادرا ، فشربت من الماء ، ثم رجعت الى الحلقة ، فقال محمد بن الحسن : يا مغربى ! أشربت ماء السبيل ؟! فقلت : أصلحك الله ، وأنا ابن سبيل ! ... ثم انصرفت « فلما كان الليل ، اذا بانسان يدق الباب ، فخرجت اليه ، فاذا خادم محمد بن الحسن ، فقال : مولاى يقرأ عليك السلام ويقول لك : ما علمت انك ابن سبيل الا فى يومى ، فخذ هذه النفقة ، فاستعن بها على حاجتك ! ثم دفع لى صرة ثقيلة ، فقلت في نفسي : هذه كلها دراهم ! ففرحت بها ، فلما دخلت منزلى فتحتها ، فاذا فيها ثمانون دينارا » .

واراد أسد المزيد من العلم ، فانتقل الى مصر ، وذلك بعد وفاة مالك بن أنس ، وهناك حضر مجالس عبد الرحمن بن القاسم واشهب بن عبد العزيز وغيرهما من اصحاب مالك ، ولكنه لزم ابن القاسم واخذ عنه « الاسدية » ، التى جمع فيها اجوبة عبد الرحمن بن القاسم عما ساله

فيه من فصول الفقه ، ثم رتبها وبوبها بعد ذلك ، واتى بها المغرب فسميت : « المدونة الاسدية » ، أو « الاسدية » فحسب .

وحين ودع أسد أستاذه ابن القاسم قبل مغادرته مصر ، قال له ابن القاسم : « أوصيك بتقوى الله والقرآن ، ونشر هذا العلم » .

وقدم أسد (القيروان) سنة احدى وثمانين ومائة الهجرية (٧٩٧ م) بكتابه « الاسدية » ، فسمعها منه خلق كثير مع (الموطا) وغير ذلك من العلوم ، وانتشرت امامته ، فولاه زيادة الله ابن ابراهيم بن الاغلب قضاء (افريقية) سنة ثلاث ومائتين الهجرية (٨١٨ م) ، فاقام في (القيروان) يقضي بين اهلها بالكتاب والسنة ، حتى خرج لغزو (صقلية) .

الفاتح

١ ـ قدم (افريقية) أحد أعاظم قواد الجيش الصقلي وهو (اوفيموس ..... Euphemios) ويسميه المؤرخون العرب (فيمي) ، وكان مقدما من بطارقة القيصر على ما يقوله مؤرخو العرب ، أو (طورمارخا .... Toyrmarxha) ، أي قائد فرقة في جيش (صقلية) المحلي برتبة فريق على ما تقوله المراجع الايطالية والبيزنطية .

وكانت قد وقعت عداوة بينه وبين والي (صقلية) العام لاسباب شخصية ، لان الوالي العام قد خطف منه مخطوبته ، على ما يذكره احد المراجع الايطالية ، أو لأن (فيمي) كان قد خطف راهبة من ديرها فعاقبه الوالي بالعزل ، على ما يذكره مرجع آخر .

اما المصادر العربية ، فتذكر ان ملك الروم بالقسطنطينية ، استعمل على جزيرة (صقلية) بطريقا اسمه (قسطنطين) سنة احدى عشرة ومائتين الهجرية (٨٢٦ م) ، فلما وصل اليها استعمل على الاسطول (فيمي) ، وكان حازما شجاعا ، فغزا (افريقية) وأخذ من سواحلها تجارا ونهب ، وبقي هناك مُدَيدة . ثم ان ملك الروم كتب الى (قسطنطين) يامره بالقبض على (فيمي) مقدم الاسطول وتعذيبه ، فبلغ الخبر (فيمي) فاعلم أصحابه فغضبوا له واعانوه على المخالفة ، وسار (فيمي) في مراكبه الى (صقلية) واستولى على مدينة (سرقوسة) ـ (سيراكوزة .... Siracusa) ، فسار اليه (قسطنطين) ، ولكنه انهزم أمام (فيمي) ، واصبح ملكا على (صقلية) . ولكن (فيمي) لم يستطع الاحتفاظ ب (صقلية) طويلا ، اذ هاجمته قوات ملك الروم وهزمته ، ففر الى (افريقية) ، واستغاث بامرها وهو يومئذ زيادة الله بن الاغلب ودعاه الى فتح (صقلية) ، ووصف له غناها وسهولة الاستيلاء عليها .

وسواء أكان (فيمي) طامعا من أولئك الطامعين ثار في (سرقوسة) واخفق ، فلجأ الى المسلمين أم اختطف فتاة جميلة كانت قد لجأت الى دير ، وشكاه اهلها الى الامبراطور ، أم احب (هومونيزا ... Omoniza) الجميلة واغتصبها منه صاحب (صقلية) ، فذهب يستعين بالقيروان ، سواء أكان هذا السبب أم ذلك ، فالذي حدث حقا ، ان (فيمي) لجأ الى بني الاغلب يطلب منهم المعونة ، وقدم نفسه لزيادة الله دليلا وعونا على فتح (صقلية) .

٢ ـ وجمع زيادة الله مجلسه الحربي المؤلف من وجوه أهل (القيروان) وفقهائها ومنهم أسد بن الفرات وابو محرز القاضيان وسحنون بن سعيد الفقيه ، واستشارهم في أمر فتح (صقلية) .

وانقسم أهل الشورى فريقين : اقلية لاترى الغزو ولا تشير به ، فيها سحنون ، فانه سأل المجتمعين « كم بينها وبين الروم ؟ » . قالوا : « يروح الانسان مرتين وثلاثة في النهار ويرجع » . قال : « ومن ناحية (افريقية) ؟ » قالوا : « يوم وليلة ! » قال : « لو كنت طائرا ما طرت عليها ! » .

ومنهم من قال : « نغزوها ولا نسكنها ولا نتخذها وطنا » .

وقال فريق منهم بالاقدام على غزو (صقلية) جهادا في سبيل الله واعزازا لدينه .

وكانت بين (صقلية) و (افريقية) هدنة لم تنقض مدتها ، فعرض زيادة الله أمرها على أبي محرز وأسد .

اما ابو محرز ، فآثر التريث ، وأما أسد ، فآثر أن يسأل رسل الصقليين ليعرف : هل لديهم

في (صقلية) اسرى من المسلمين ؟ . قال أبو محرز: « وكيف نقبل قول الرسل عليهم أو دفعهم عنهم ؟ » فقال أسد « بالرسل هادناهم ، وبالرسل نجعلهم ناقضين . قال عز وجل : (فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون) ، فكذلك لانتماسك بـه ، ونحن الاعلون » .

وحلت العقدة ، وتحلل زيادة الله من الهدنة ، بعد أن اقر الرسل بوجود الاسرى من المسلمين في (صقلية) ، وكانت الهدنة تنص على : « انه من دخل اليهم من المسلمين ، واراد أن يردوه الى المسلمين ، كان ذلك عليهم » ، وقد ثبت باعتراف رسل (صقلية) أن اسرى مسلمين في (صقلية) خلافا لشروط الهدنـة .

٣ ــ وقرر زيادة الله مهاجمة (صقلية) ، وامر بالاستعداد لهذا الهجوم . وسارع أسد الى الخروج ، فكان زيادة الله يتغافل عن ذلك ، فقال أسد : « وجدوني رخيصا فلم يقبلوني ، وقد اصابوا من يجرى لهم مراكبهم من النواتية ، فما احوجهم الى من يجريها لهم بالكتاب والسنة » .

لقد كان أسد يريد ان يكون جنديا من عامة الجنود بين المجاهدين ، فكان يريد أن يؤدي واجبه في الجهاد الاصغر محاربا ، بعد ان ادى واجبه في الجهاد الاكبر متعلما وعالما وقاضيا ومفتيا .

وحين رأى زيادة الله اصرار أسد على الخروج مجاهدا في سبيل الله ، أمره علي تلك الغزوة ، وعزم عليه في ذلك ، فقال أسد : « اصلح اللـه الامير ! من بعد القضاء والنظر في حـلال اللـه تعالى وحرامه ، تعزلني وتوليني الامارة ؟! » فقال زيادة الله : « انى لم اعزلك عن القضاء ، بل وليتك الامارة ، وهى اشرف من القضاء ، وابقيت لك اسم القضاء ، فانت قاض امير » ، فخـرج أسد على ذلك ، ولم تجتمع الامارة والقضاء ببلد في (افريقية) الا لاسد وحده .

٤ ــ كان خروج أسد الى (صقلية) مـن (سوسة) يوم السبت النصف من شهر ربيـع الاول سنة اثنتى عشرة ومائتين الهجرية (١٤ حزيران سنة ٨٢٧ م) ، وكان معه في جيشه عشرة آلاف رجل ــ منهم الف فارس ، حملتهم مائـة سفينـة .

وخرج لتوديع أسد وجيشه وجوه أهل العلم وجماعة الناس ، وقد أمر زيادة الله الا يبقى أحد من رجاله الا شيعه ، وقد صهلت الخيل ، وضربت الطبول ، وخفقت البنود ، فقال أسد : « لا اله الا الله وحده لاشريك له ! يامعشر الناس ! ما بلغت ما ترون الا بالاقلام ، فاجهدوا انفسكم فيها ، وثابروا عـلى تدوين العلـم ، تنالوا به الدنيا والاخـرة » .

٥ ــ وتحرك أسد على رأس جيشه الى هدفه (صقلية) ، وفي طريقه فتح جزيرة (قوصرة) الصغيرة ويبدو أن فتحها كان صلحا ، لان المسلمين وصلوا الى ساحل (صقلية) يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنـة اثنتى عشـرة ومائتين الهجرية (١٧ حزيران سنة ٨٢٧م) ، اى بعد اربعة أيام من اقلاعهم من ميناء (سوسة) بينما المسافة من (سوسه) الى (صقلية) يوم وليلة ، مما يدل على أن المسلمين قضوا ثلاثة ايام في ترصين فتح (قوصرة) ووضع حامية مناسبة فيها ، لحماية خط انسحابهم الى (افريقيـة) عند الحاجـة .

٦ ــ ورست سفن أسـد في ميناء (مازر) Mazara. ، على ساحل (صقلية) الغربى ، وهو اقرب ثغور (صقلية) الى (افريقية) ، وهناك جرى انزال قوات المسلمين ، فلم يجدوا مـن يدافع عن المدينة ، لاختلاف امور الروم ، وزهد أهل البلاد في الدفاع عنها لفائدة الروم الغاصبين .

ونفذ أسد على رأس جنده الى شرق الجزيرة لمقابلة الروم الذين اجتمعواحول صاحب (صقلية) بلاطة (بلاته) ، واجتمع الى أسد (فيمى) وانصاره ليقاتلوا معه ، فأبى أسد وطلب اليهـم أن يعتزلوهم قائلا لفيمى : « اعتزلونا ؟ لاحاجة لنا بان تعينونا » .

ودار القتال في ميدان بين بلرم (بالرمو .... Palermo) و (مازر) سمى باسم بلاطة فيمـا بعد وكان الصقليون يفوقون المسلمين عـدَدا وعـدَدا ، فقد كان جيش الصقليين مائة الـف وخمسين الفا .

وكان أسد في هذه المعركة ، يحمل اللواء بيد ، والسيف بيده الاخرى ، وهو يدعو الله ، فحمل

على الروم ، وحمل الناس معه ، فهزم (بلاطة) وجرح في هذه المعركة واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة .

وانتصر المسلمون على جيش الروم المحلي في (صقلية) ، وفر الروم نحو الجبهة الشرقية ، وحشدوا جموعهم حول مدينة (سرقوسة) ، فرأى اسد ان يستثمر الفوز فسار بجيشه يقتفي اثر المنهزمين .

٧ ــ ووقف اسد تحت اسوار (سرقوسة)، ونزل في مقاطع الحجارة التي كانت حول المدينة منذ عهد اليونان ، قاطعا اليها من (مازر) مسافة مائتي كيلو متر ، وهي المسافة الفاصلة بين راس الجسر الذي نزل فيه المسلمون في مدينة (مازر) وبين (سرقوسة) .

وكان هنالك عدة من المدن والحصون في شمال (صقلية) لا تزال بيد الروم ، وكان خط القتال الناشب بين المسلمين والروم ممتدا في الحقيقة من (سرقوسة) في شرقي الجزيرة الى بلرم (بالرمو) في شمالها الغربي .

وكان (فيمي) قد بدا يخشى مغبة انتصارات المسلمين ، فاخذ يشجع الروم على المقاومة ويتجسس على المسلمين ، ويبعث باخبارهم الى الروم ، فكان ذلك مما شجع الروم على مضاعفة مقاومتهم .

٨ ــ وحاصر اسد (سرقوسة) برا ، وحاصرتها سفن المسلمين بحرا ، ووصلت الامداد من (افريقية) ، فبعث اسد الى (بلرم) الجند والسفن لحصارها !

وفي ذلك الحين وصل الى مياه (سرقوسة) اسطول بيزنطي بعثه الامبراطور من (القسطنطينية) لانجاد الجزيرة ، فاشتدت مقاومة الروم للمسلمين ، وارتفعت معنوياتهم فنشبت بينهم وبين المسلمين معارك طاحنة في البر والبحر .

وتحرج موقف المسلمين ، لتكاثر الروم عليهم من جهة ، اذ اصبحوا يصاولون جيش الامبراطورية لا جيش (صقلية) المحلي ، ولانتشار الوباء في معسكرهم من جهة اخرى ، وذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين الهجرية (٨٢٨ م) ، فهلك منهم خلق كثير .

ولكن اسدا دأب على القتال ، فتوفي وهو محاصر لسرقوسة من جراحات شديدة اصابته ، او متاثرا بالوباء ، وكانت وفاته في ربيع الاخر سنة ثلاث عشرة ومائتين الهجرية (٨٢٨ م) ، ودفن بذلك الموضع .

٩ ــ وتولى القيادة بعد اسد احد رجاله وهو محمد بن ابي الجواري ، فلما راى تفاقم الامر على المسلمين ، حاول الانسحاب في السفن الى (افريقية) ، ولكن السفن البيزنطية منعته من ذلك ، فامر عندئذ بحرق السفن .

وامتنع المسلمون بداخل الجزيرة ، وتفرقوا فيها سرايا يغزون بسائطها ويحاصرون قلاعها، حتى جاءتهم الامداد من (افريقية) ، ووصل لمعاونتهم في الوقت نفسه اسطول اندلسي سنة اربع عشرة ومائتين الهجرية (٨٢٩ م) ، فاشتد ساعدهم ، ومضوا في فتح الجزيرة وثغورها تباعا ، حتى اتموا افتتاح معظمها . وفي سنة اربع وستين ومائتين الهجرية (٨٧٨ م) ، فتح المسلمون (سرقوسه) آخر معاقل (صقلية) ، فتم لهم بذلك افتتاح الجزيرة واسسوا امارة كانت تابعة في البداية لحكومة (افريقية) ، ثم استقلت بعد ذلك عنها حينما سقطت دولة الاغالبة ، فقامت في (صقلية) دولة اسلامية لبثت زهاء قرنين في الجزيرة ، حتى استعادها منهم الدوق رجار (روجيرو ... Ruggero) سنة اربع وستين واربعمائة الهجرية (١٠٧٢ م) ، فانتهت بذلك دولة الاسلام في (صقلية) كما ينتهي الحلم السعيد .

لقد كان أسد أول من فتح (صقلية) .

الانسان

١ ــ ولد أسد في (حران) سنة اثنتين واربعين ومائة الهجرية (٧٥٩ م) ، وتوفي شهيدا تحت

اسوار (سرقوسة) فى (صقلية) سنة ثلاث عشرة ومائتين (٨٢٨ م) ودفن بذلك الموضع .

وتولى القضاء فى عهد ابراهيم بن الاغلب مؤسس اسرة الاغالبة ، واستمر الى جانبه أيام الفتنة التى قادها عمران بن مجالد الربعى سنة خمس وتسعين ومائة الهجرية (٨١٠ م) مخلصا للاغالبة معرضا عن خصومها . فقد بعث عمران الى اسد ليخرج معه ، فابى اسد وتمارض ، فبعث اليه : « اما ان تخرج ، والا بعثت من يجر رجلك » ، فقال أسد : « والله لئن اخرجتنى لانادين فى الناس : القاتل والمقتول فى النار » .

وفى عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب ، عين اسد فوق منصبه شيخا للفتيا وقاضيا للقضاة .

٢ ـ كان اسد رجلا صالحا فقيها عالما ورعا ، وكان مشهورا بالعلم والدين ، يكفى ان نذكر من علمه انه مصنف كتاب : « الاسدية » فى فروع المالكية ، وهو من اقدم مصادر الفقه المالكى » .

قال بعض رجال سليمان بن عمران : « كان اسد اذا قرا علينا يقول : اسكتوا على اسرد عليكم دويا فى اذنى . قال : وقال : وربما رايته يدق بيده على صدره ويقول : ياحسرتا ! ان مت ليدخلن القبر منى علم كثير » . وبسبب أسد ظهر علم اهل الكوفة بالمغرب ، وقد رحل اليه الناس من البلدان وسمعوا عليه وتفقهوا به .

وكان لاسد بيان وبلاغة ، الا انه بالعلم اشهر منه بالادب .

لقد ترك اسد آثارا خالدة فى العلم والفتح على حد سواء .

القائد

١ ـ كان انتصار أسد على (بلاطة) فى المعارك الاولى التى خاضها على الروم انتصارا تعبَويًا فقط ، لان قوات (بلاطة) كانت قوات الروم المخصصة للدفاع الفورى عن الجزيرة ، فكان على اسد أن يستثمر انتصاره التعبوى ، وذلك بسرعة اندفاعه لفتح مناطق الجزيرة الحيوية كافة ، ويطلب الامداد العاجلة لتدعيم قواته بحيث تكون مستعدة لمواجهة قوات الروم الاصلية بعد قدومها من (القسطنطينية) ودحرها فى المعركة الحاسمة المتوقعة .

ولا يتم له ذلك الا بحشد قواته الضاربة فى المنطقة الحيوية من الجزيرة ، وعدم تشتيتها فى جبهة واسعة دون مبرر .

٢ ـ ومن الواضح ان معركة اسد الحاسمة لفتح الجزيرة ، بدات بعد قدوم امداد الروم الى (صقلية) ، وبذلك اصبح اسد يواجه جيش الامبراطورية البيزنطية لا جيش الروم المحلى فى الجزيرة ، لهذا لم تكن قواته كافية فى دحر جيش الروم الذى تحشد فى (سرقوسة) على الرغم من ورود الامداد للمسلمين ، لان قوات اسد كانت مبعثرة فى جبهة واسعة .

لقد كان اسد يخوض معركته الحاسمة حول اسوار (سرقوسة) المنيعة ، فكان عليه أن يحشد قواته كافة فى تلك المنطقة الحيوية لاحراز النصر على قوات الروم ، لا أن يوزعها فى جبهة تمتد الى حوالى مائتى كيلومتر فى (مازر) الى (سرقوسة) الى (بلرم) وذلك ادى الى قلب خطط اسد راسا على عقب ، فقد أصبحت خططه (دفاعية) ، بينما كان يجب ان تبقى (هجومية) ، والدفاع ـ كما هو معلوم ـ لا يؤدى الى الفتح الذى هو هدف أسد الحيوى .

٣ ـ ان ارسال اسد قسما من قواته الضاربة الى (بلرم) ، وتوزيع قسم من قواته فى مناطق اخرى ، فى مثل ذلك الوقت ، وفى مثل تلك الظروف ، يتنافى ومبدا (حشد القوة) من اهم مبادىء الحرب ، وبذلك اصبح اسد ضعيفا فى منطقة (سرقوسة) ومنطقة (بلرم) أيضا. وقد كان فى امكانه ان يترك قوات صغيرة (للمشاغلة) فقط فى المواقع الثانوية ، والافادة من قواته كافة فى المعركة الحاسمة التى تدور رحاها حول (سرقوسة) .

٤ ـ كان اسد مؤمنا حقا ، يتحلى بمعنويات

عالية ، وشجاعة فائقة ، ولكن ذلك كله ليس كافيا للقائد المتميز ، اذ يحتاج مضافا الى تلك المزايا ـ الى مزية (الخبرة) العملية في أمور القتال ، ومزية التدريب على فنون الحرب .

والخبرة العملية في الشؤون الحربية ، يحصل عليها القائد ، بممارسة القتال ، والتدريب المستمر على استعمال السلاح ، فكلما كثرت مشاهد القائد ، ودأب على التدريب ازدادت خبرته ونمت وأينعت .

ان الخبرة العملية لا تأتي بالدراسة النظرية فحسب ، بل بالممارسة العملية . وقد تعمل الدراسة النظرية على تهذيب الخبرة العملية ، وتقوية اصولها ، والاسراع في نضج ثمراتها ، الا ان الدراسة النظرية وحدها لا تكفي مطلقا في هذا المجال .

ان القائد الحق ، هو الذي يمتلك الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والتدريب العملي على فنون القتال ، والخبرة العملية تطبيقا لمبادىء الحرب في ساحات الحروب .

لقد كانت تعوز أسداً الممارسة الكافية للحروب ، والخبرة العملية الضرورية لمعالجة متطلباتها .

٥ ـ لقد كان أسد مؤمنا غاية الايمان بقدسية الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا ، فكان مجاهدا من الطراز الاول .

انه كان يتمنى على الله ان ينال ثواب المجاهدين الصابرين المتحمسين ، فعمل جاهدا على تحقيق هذه الامنية الغالية حقا ، وعندما اصابت المسلمين مجاعة في (صقلية) ، عرض أحد زعمائهم على أسد ، أن يرجع المسلمين الى (افريقية) ، فقال أسد : « ماكنت لاكسر غزوة على المسلمين ، وفي المسلمين خير كثير » .

لقد رفض أسد العودة بالمسلمين الى قواعدهم في (افريقية) ، على الرغم من المجاعة التي حاقت بهم ، لانه لم يرد ان يحرم نفسه ولا أن يحرم من معه من المسلمين فضل الجهاد ، فنال هو ، ونال كثير من رجاله ، اعلى مراتب المجاهدين : الشهادة في سبيل الله .

٦ ـ وكان من مزايا قيادته ، انه كان يتمتع بعقلية منظمة في تصريف امور قيادته ، تلك العقلية المنظمة التي كانت نتيجة لدراساته الفقهية الطويلة . قال لقيمي : اجعلوا على رؤوسكم سيما (علامة) تعرفون بها ، لئلا يتوهم واحد منا ، انكم من هؤلاء الموافقين لنا ، فيصيبكم مكروه » ، فجعلوا على رؤوسهم الحشيش فكانت تلك سيماهم ، مما يدل على تفكيره المنظم ، الذي يتغلغل في تفاصيل الامور .

٧ ـ انه مجاهد اصيل ، كان له في قتال الروم آثار مشهورة ، ومقامات مذكورة ولكنه كان قاضيا في قيادته ، يتحكم فقهه وورعه في تصريف امور جنده ، فكان كما قال : « اصابوا من يجرى لهم مراكبهم من النواتية ، فما احوجهم الى من يجريها لهم بالكتاب والسنة » فهو يتلو الاوراد ويقرأ سورة (يس) وغيرها من سور القرآن الكريم في اوج معمعان المعركة ،ويرفض معاونة غير المسلمين له في حربه ، لانه كان يؤمن ايمانا عميقا ، ان النصر من عند الله لا من عند احد غيره .

كان رأس سلاحه في حربه ، تقوى الله وحده ، وكثرة ذكره ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، والفزع اليه ، ومسألته التأييد والنصر والسلامة والظفر ، وكان مقداما شجاعا مجاهدا صابرا ، يثق بنفسه ، ويثق برجاله ، ويبادلونه ثقة بثقة وحبا بحب ، له ماض ناصع مجيد .

ولكن ليس له خبرة عملية بادارة الحرب .

انه آثر الجهاد في ساحات الوغى بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء على التنعم بالمراكز العليا في القضاء والافتاء ، بما فيها من لذة السلطة والحكم والجاه .

رضي الله عن المجاهد الصابر ، التقي النقي ، قاضي القضاة ، وشيخ الافتاء ، امام الفقهاء ، قائد القضاة وقاضي القادة ، القائد الفاتح البطل الشهيد ، أسد بن الفرات . ■■

محمود شيت خطاب



العامل

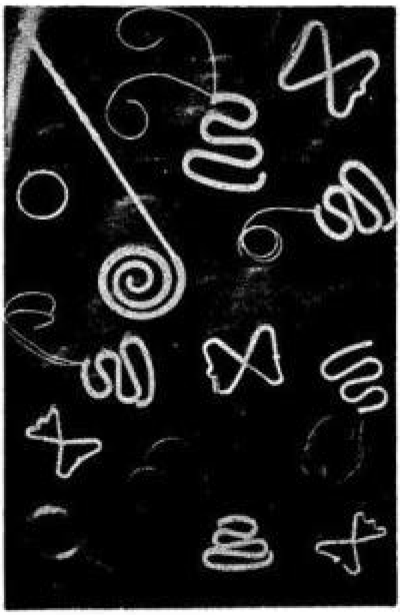
للشاعر خالد سعود الزيد

■ أقسمتُ ما التاريخُ غيرُ إهابه ... فالمجد كلُّ المجد في جلبابه
لا تنكروا ثوبا عليه ممزقا ... فلربَّ قصرٍ شيدَ من أسلابه
لو جمّع التاريخُ كلَّ فخاره ... عاد الفخارُ إليه باستنسابه
وهب الوجودَ حياتَه متكرما ... لله حرٌّ قد سخا بلبابه
من كان يستهويه منظرُ ماجدٍ ... فلينظرنَّ إليه نظرةَ نابه
قسماتُه تنبيك مبلغَ عزمه ... في النائبات ومدلهمِّ صعابه
متصببٌ عرقاً كأن جبينه ... نضحتْ عصارةَ روحه بحُبابه
فلرب ينبوع تفجّرَ ماؤه ... في ضربةٍ من فأسه وشبابه
فالخصب من كفيه إلا أنه ... ما نال منّ كفيه غيرَ عذابه
كالشمع في الظلماء يحرق نفسه ... لينير للإنسان درب ركابه
هو شعلةُ الحق التي ما شابها ... زيفٌ وليس الزيف من آدابه
منه استمد المصلحون نداءهم ... وتوافدوا يتصارعون ببابه
ومشى إليه الأكرمون كرامة ... فالكلُّ مستبقٌ لشرح كتابه
سلْ عنه تاريخَ الشعوب تجِدْ لهم ... آياتِ مجدٍ لم تقم إلا به
آشورُ والأهرامُ بعضُ صنيعِه ... وبتدمُرٍ آثارُ رسمِ خطابه
لولاه ما قاد السفينةَ ماجدٌ ... يغزو الفضاءَ على فسيح رحابه
يهفو إلى القمر المنير وكم غدا ... صعباً وقد أعيى على طلابه
هو صرحُ كل حضارةٍ بناءةٍ ... في الأرض أو من فوق شُم سحابه

■■

الكويت ــ خالد سعود الزيد

منع الحمل باللوالب



● لمنع الحمل سبيلان ، اولاهما تعاطي الحبوب المانعة ، والثانية وضع شيء مصنوع من اللدين ، على شكل انشوطة أو لفيفة ، توضع داخل الرحم ، فيكون من نتيجة ذلك امتناع الحمل .

ولقد اقبل النساء عامة لمنع الحمل على الطريقتين ، ولكن طريقة الحبوب هي اروج لدى نساء أمة كالولايات المتحدة، الا انها أغلى من الطريقة الثانية، طريقة اللدين ينطوى عليه الرحم .

والعلماء الى اليوم لا يدرون كيف تمنع هذه اللدائن الحمل ، ولو ان الراى السائد ، انها توسع الطريق للبيضة الملقحة فما أسرع ما تخرج من الرحم ، وكانت ترجو ، ليتم الحمل ، أن تتريث وتلتقي وتلتحم بجدار الرحم .

ومع هذا فنجاح هذه اللوالب واللفيفات في منع الحمل بلغ نحوا من ٩٨ الى ٩٩ في المائة في هؤلاء النساء اللواتى استطعن الاحتفاظ بها في ارحامهن .

ونقول هذا لأن المعروف ان نحو ١٥ في المائة من النساء اللواتى جربن حمل هذه اللدائن لم يستطعن الابقاء عليها وقذفن بها خارج ارحامهن .

والباحثون اليوم جادون في كشف سر عمل هذه اللدائن ، الى جانب اكتشاف مادة أخرى غير اللدائن تصنع منها هذه اللوالب . ان اللدين المستخدم الآن غالبا لصناعتها هو المعروف باسم بولى اثلين Polyethylene ، ويشكلونه بشكل حرف S الافرنكي ، يجمع الى حرف مثله ثم قد يكون لهذه البدعة ذيل يبقى في قناة فم الرحم يكون وسيلة تتأكد بها لابستها من بقاء هذه البدعة في وضعها السليم المطلوب .

وغير اللدين تصنع هذه البدعة من الفولاذ الذى لا يصدأ .

مواصفات جديدة تجعل السيارات أكثر امانا



● هذه مواصفات قررتها حكومة وشنجطن بعد دراسات كثيرة ، وهي قرارات اتخذت لتخرج بها سيارات عام ١٩٦٨ ورضي بها المختصون بأمن الطريق اكثر الرضا لا كله ، وانزعج صانعو السيارات بمدينة دترويت Detroit ، مدينة صناعة السيارات .

ومن هذه المواصفات المطلوب تنفيذها:

١ ــ حزام مقعد يربط كل راكب الى مقعده .

٢ ــ رباط كتف لكل قاعد في الصف الاول من السيارة .

٣ ــ ماصة للرجة التي تصيب عجلة القيادة عند وقوع حادثة .

٤ ــ مستودع للوقود لا ينشق عند الحادثة .

٥ ــ زجاج أمام السائق لا يتفتت ، وكذا للنوافذ .

٦ ــ ماسحة للزجاج أمام السائق ، ذات سرعتين .

٧ ــ مصباح يضيء يعلن الخطر عندما تتعطل الفرامل فجأة .

ومع هذا فقد قدروا اثر هذه الاشياء فوجدوا انها لا ترفع ثمن السيارة اكثر من ٥٠ دولارا .

بقي شيء لم يتضح بعد . في كل عام تدخل سيارات اجنبية مستوردة الى الولايات المتحدة ، فهل يفرض على هذه السيارات قبل دخولها الولايات ان تتم بها كل هذه المواصفات ؟

اكبر مصنع لتحلية الماء

● تشترك الولايات المتحدة الآن مع دولة المكسيك في دراسة مصنع لتحلية الماء يبلغ من الكبر سبعة أمثال اى مصنع للتحلية قام الى اليوم .

قال الدكتور هنتر مدير مصلحة المياه المالحة في الولايات ، ان مصنعا كهذا يستطيع ان يمد بالمياه الحلوة ولاية كلفورنيا وارزونا في الولايات المتحدة ، وكذلك ولاية سونورا وباجا بالمكسيك .

وتشترك مع الدولتين في هذه البحوث الوكالة الدولية للطاقة الذرية The international atomic Energy agency.

تحلية الماء في اسرائيل

● من المعروف ان اسرائيل أقامت في ميناء ايلات جهازا لتحلية الماء ينتج في اليوم مليون جالون من الماء الحلو . ولكن كان يعوق زيادة المحصول تكون قشر من كربونات الكالسيوم اثناء العملية . ولكنهم حدوا من تكون هذا القشر باستخدام حامض الكبريتيك فزاد هذا المحصول الى الربع ، فصار محصول اليوم الواحد ..... ١٢٥٠ جالون .

وبذلك انخفض ثمن الماء من ١٫٣٩ دولار لكل ألف جالون ، الى ١٫٢٥ دولار (خبر جاءت به مجلة Chemical & Engineering News) .

ونذكر هنا أن الشركة التى بنت الجهاز ، واجرت هذا الاصلاح ، هي شركة Baldin-Lima - Hamilton Corporation

في حرب فتنام
الاصابات العقلية أقل مما كانت في الحرب العالمية

● هكذا دل الاحصاء .

ففي الحرب العالمية الثانية الاصابات ١٠١ في كل ١٠٠٠ من الجنود الامريكان.

وفي الحرب الكورية بلغت ٦٦ في كل ١٠٠٠ .

وفي الحرب الفتنامية الحاضرة بلغت ١٥ في كل الف .

ويرجعون هذا الى وجود فرق للصحة العقلية متنقلة بين الجيوش ، وطبيب للصحة العقلية مقيم في كل فرقة من الجيش .

وسبب آخر ان الجنود اليوم لا يبقون في الحملة الحربية طويلا ، وهم يعودون من الخط الامامى للراحة كثيرا . ثم خدمتهم المتصلة في الحرب لا تطول اكثر من عام .

ويقول اطباء الصحة انهم ، الى جانب استخدام العقاقير الحديثة ، والعلاج الجماعي ، هم يستخدمون المثل القديم الذى يقول اذا سقط رجل من فوق البردعة ، فخير علاج له ان تعيده على الفور الى البردعة . وتطبيقا لهذا المثل هم يعيدون من كل ثلاثة ممن اصابهم المرض العقلى ، اثنين ، الى الخدمة العاجلة ، ففيها خير شفاء لهم .



السمك ، مصدر للبروتين

● الناس تكثر في العالم ، والطعام يقل . والطعام بروتينات ، ونشويات سكريات ، ودهون .

والبروتينات تتمثل في اللحم ، وهى التى منها يبنى الجسم الطاعم خلاياه . والبروتين اليوم هو أغلى هذه الاغذية لقلته ، والعلماء في بحث متصل عن مصادر للبروتين جديدة .

ومن هذه المصادر السمك. ان مقادير عظيمة من السمك تصاد : وهى على الاكثر عرضة للفساد .

وقد عمل رجال الصناعة مع العلماء على صنع دقيق من هذه الاسماك ، مسحوق ابيض ، رمادى قليلا ، لا رائحة له . وهو مسحوق مقدار البروتين فيه كبير، ويسمى مركز البروتين السمكى Fish protein concentrate.

ويعتبر هذا المسحوق اليوم مادة تملأ بعض الفراغ القائم في البروتين في أركان كثيرة من العالم تكاد تكون المجاعة عندهم شيئا متصلا .

يصنع دقيق من السمك هذا بطحن السمك بكل ما فيه ، من لحمه وعظمه ورؤوسه وحتى امعائه .

وقد اعترضت السلطات عليه لأسباب فنية طبية زهاء ستة أعوام ، ثم رضيته، على أن تستخلص منه العظام قبل صناعته ، وبهذا سيتم الهبوط بمقدار الفلوريدات التى بالمسحوق نتيجة لتنحية العظام .

الثعالب الطائرة

● في العدد الماضي من « العربي » وصفنا الوطاويط ، وكان من صنوفها الثعالب الطائرة ، وقلنا ان غذاءها الفاكهة ، وانها وبال على حدائق الفاكهة. واليوم يأتينا الخبر من نيوسوث ويلز New south wales في استراليا ، بشكوى مريرة مما فعلت هذه الثعالب بتلك الحدائق هناك وذهابها بالمحصول.

وقد ابتدعوا لمقاومة هذه الثعالب اجهزة صغيرة من الراديو ، ترسل ذبذبات عالية التردد جدا . فاذا حضرت الثعالب الى الحدائق أمكن الخبراء ان يصيدوا بعضها ، ثم هم يربطون بها هذه الاجهزة اللاسلكية الصغيرة جدا ، ثم يطلقونها .

ثم هم يتابعونها بالراديو ، ودليلهم ما تطلق هذه الاجهزة والثعلب طائر راجع الى مأواه ، وإذن يكشفون عن مأوى هذه الثعالب ، ثم يقومون باعدامها حيث هي .

ويواصلون هذا العمل حتى تفنى هذه الوطاويط كلها من تلك النواحي .



وسوف لا يعتبر هذا المسحوق غذاء كاملا بذاته ، ولكنه يضاف الى اغذية اخرى ليزيد فيها مقدار البروتين . ويصدر لشتى بلاد العالم التي تحتاجه ليقيم أودها .

اما البلاد كثيرة الخير ففيها اللحم من الكفاية بحيث لا يشكل نقص البروتين معضلة .



مساكين هؤلاء المدمنون

● وسواء ادمنوا خمرا ، او حشيشا ، او جروا مع الزمرة الحديثة البائسة ، فتعاطوا ذلك العقار المعروف بالهيروين Heroin وهو عقار مشتق من المورفين ، ويوصف لتهدئة السعال العنيف . وهو مسحوق ابيض متبلور ، جرعته تتراوح بين جزء من ٢٥ وجزء من ٨ من القمحة ، والجرام يساوي بالتقريب ١٥٫٤ قمحة .

والاطباء يتوخون الحذر دائما لدى استخدامه لأنه من العقاقير التي تسبب الادمان .

والخبر الجديد هنا أن ابحاثا اجروها في ٢٨٦ مدمنا من مدينة نيويورك ، قام بها مستشفى جامعة روكفلر ، انتهت بأن عادة تعاطي الهيروين عند هؤلاء المصابين قد انقطعت تماما ، ولم يبق لديهم أي ميل لهذا المخدر . والعلاج تركز على المخدر الآخر المعروف ، المخلق في المختبرات ، ذلك هو الميثادون Methadone . ولكن اتضح لهؤلاء المعالجين ان هذا الدواء لا بد من مواصلة اعطائه للمدمن — مائة مليجرام يعطاها عن طريق الفم يوميا . وليس للميثادون آثار سامة كتلك التي للهيروين ، وهو عندما يستقر عادة يصبح المريض نشيطا بادي الصحة متهيأ لأن يعيش عيشا سويا كسائر الناس .

ألعاب تظهر سخيفة للكبار تنمو عليها

● قال احد كبار علماء النفس حديثا : ان كثيرا من الالعاب المغرقة في الاوهام والخيالات ، التى يقوم بها الاطفال الصغار ، انما تعطيهم الفرصة للتحادث والتفاهم ، ولعلها الفرصة الوحيدة الميسرة لهم التي تؤدى الى هذه الغاية .

فاذا اذن الكبار لهذه الفرصة ان تفوت ، فقد الصغار القدرة على انشاء علاقات غنية ثرية كاملة ، بينهم وبين اقرانهم عندما يكبرون .

ان الطفل الصغير لا يعي من الانفعالات في اول الامر الا انفعالات نفسه . فاذا لعب الاطفال ، واغرقوا في الوهم ، وادعوا الالم ، وادعوا الخوف ، او ادعوا الامرة والسيطرة ، او ذلوا لها ، فانما هم يخرجون بمشاعرهم واضحة صريحة عارية ، ويحدث عندئذ في مشاعر الاطفال التقاء ، ويحدث اصطدام ، ويحدث تقليد ، او يحدث رفض ، وبهذا يبني الطفل في بيئة اللعب بينه وبين اقرانه جسورا ، هي نفس الجسور التى سوف يصادفها عندما يكبر ، قائمة بين الرجل والرجل ، او المراة والمراة .

ويرى العالم النفساني هذا ، ان الطفل ، بين سن السنتين والست من السنوات ، الذى لا يطلق للخيال عنانه ، ولا ينسى الواقع ، ليلعب فيما يتراءى انه السخف كل السخف لآبائه ، هذا الطفل

فحص العقاقير واجب الدولة

● وقد قامت الادارة المختصة بفحص عقاقير جاءت بها من اكثر من نصف مصانع العقاقير في الولايات المتحدة فوجدتها لا تفى بالقوة المنسوبة اليها .

وقد جمعت الادارة المختصة ٤٥٧٣ عقارا من كل الأصناف ، منها ٢٥٨٢ عقارا ظهرت في السوق باسمها الكيماوى او السلالى ، ومنها ١٩٩١ ظهرت بالاسم الذى أعطته اياها الشركة الصانعة ، اى الاسم التجارى .

وقد رفضت الادارة المذكورة قبول نحو ٧ر٧٪ من الطائفة الاولى، ورفضت ٨ر٨٪ من الطائفة الثانية .

وترجو الادارة المذكورة أن تنتبه الشركات الى هذا الخلل فتصلح منه .

الفضاء
هل هو فراغ حقا ؟

● دلت الابحاث الماضية على ان الفضاء الواقع بين نجوم مجرتنا يحتوى نحو ذرة واحدة في كل سنتيمتر واحد من هذا الفضاء . ثم قام اخيرا عالم باجراء ابحاث نظرية وحسابات بناها على المعروف من ان مجرتنا لها شكل لولبي ، وانها قرص مفرطح ، ولها مجال مغناطيسي ، ومنها تخرج اشعة كونية ، وانتهى من حساباته على ان هذا الفضاء لا بد يحتوى على ما بين ٣ ذرات في السنتيمتر الواحد و ٧ ذرات .



وتترعرع انفعالات الصغار

ينمو غير نامي الانفعالات ، غير متهيىء لاندماج فى مجتمع .

ويضرب الاستاذ مثلا بأطفال صغار ، نشأوا فى فقر وتعاسة ، ولم يتسع لهم وقت للعب ، ولا ميل له ، لانهم كانوا دائما يقظين حذرين لما يأتيهم به اليوم من صنوف من شقاء جديد . هؤلاء كان يعطيهم الاستاذ اللعب ، فيتناولونها فى غير رغبة ، واذا لعبوا بها ففي غير قصد ولا فرح ظاهر .

ووجد الاستاذ ، واعوانه فى هذه البحوث ، ان علاج هؤلاء كان فى تعليمهم كيف يلعبون وكانت النتائج باهرة .

اما الاستاذ فهو الدكتور شروت Schrut وقد نال جائزة جمعية التحليل النفسي للجنوب من ولاية كلفورنيا . وذلك لكتابه الذى اصدره وعنوانه اهمية اللعب في حياة الاطفال .

وقد خططت حكومة الولاية بناء على نصائح هذا الاستاذ ، لمشروع تربوى عماده تعليم الاطفال كيف يلعبون ، وذلك قبل بدء التعليم الرسمي فى المدارس .

اجرام سماوية ترسل الينا بدل النور أشعة سينية

● عرفنا النجوم تشع النور ، وبهذا عرفناها اول عرفان ، مصابيحَ هى زينة السماء .

ثم جاء الاشعاع اللاسلكي ، ومضت سنين طويلة قبل أن ندرك أن من الاجرام السماوية ما يشع اشعاعا لاسلكيا . وتضخم هذا العلم على السنين ، ولا يزال يزداد ضخامة .

ثم اذا بنا نكتشف ان السماء ، الى جانب ما ترسل من اشعاع ضوئى ، واشعاع لاسلكي رديوى ترسل اشعاعا سينيا ، هو نفس ذلك الاشعاع الذى نكشف فى الطب به عن بواطن الاجسام وما يكون بها من علل .

ويتحدث الدكتور هربرت فريدمان عن هذه الأجرام السينية ، فيقول فيما يقول ان مجرتنا ، وهى تتألف من مئات الملايين من النجوم من بينها الشمس ، هذه المجرة بها ٤٠٠٠ جرم سماوى يرسل الينا من طاقته اشعة سينية اكثر مما يرسل من اشعة ضوئية .

وقد تعرف العلماء على ٣٠ من هذه الاجرام ، أقواها (Scorpio XR-1) ، وهو قد يكون مؤلفا من نجم من النيوترونات درجة حرارته ٢ مليون من الدرجات المئوية ، تلفه هالة من غاز درجة حرارته ٢٠ مليون درجة مئوية .

ويتحدث الدكتور فريدمان عن توزع الثلاثين من الأجرام السينية فى مجرتنا فيقول انها تتكتل فى موضعين من المجرة، احدهما قرب وسطها ، والثانى في ذراع المجرة حيث يوجد كوكب الدجاجة .

وهذه الأجرام ظاهرها أن تنقسم الى نوعين ، نوع يجمع الى الاشعاع السينى اشعاعا ضوئيا ، ونوع لم يرتبط بعد بأى اشعاع ضوئى أو لاسلكى . ●●

السَّرقة .. بين

■ الشَّريعة تقضي بقطع اليد .. ولكن في مجالٍ ضيِّق

بقلم : أحمد عبد المنعم البهي

أستاذ بالدراسات العليا ـ كلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر

■ ليست هذه مقارنة بين عقوبة السرقة في الشريعة الاسلامية والقانون ، ولكنها بيان لكثير من المميزات التي اقترنت بهذه العقوبة في الشريعة الاسلامية حتى غدت في مجال التطبيق والتنفيذ اخف من عقوبة السرقة في القانون الوضعي لاعتبارات مختلفة وتفصيلات ذكرها الفقهاء ووفوها حقها من الدراسة والاستيعاب . ويخرج الباحث منها بعد الوقوف على دقائقها بأن قطع اليد انما يكون في أضيق الحدود ، وفي بعض المناسبات .

اما فيما عدا ذلك ، فان العقوبة دون القطع ، واذا ووزن هذا بعمومه بما جاء في القانون الوضعي عقابا على السرقة ، كانت العقوبة في الشريعة الاسلامية أيسر من عقوبة القانون .

وقبل ان افصل القول في كل ذلك ، اقول ان بعض الناس يصيبهم الفزع ، ويستولي عليهم الهلع حين يذكر امامهم أن الشريعة الغراء أمرت بقطع يد السارق .

واشد عجبا من هؤلاء فريق آخر من الناس لم يدرك سر التشريع ومراميه ، ولم يتابع دراسات الفقهاء في هذا المضمار ، فعول على أن يفهم ما جاء به الشارع من الامر بقطع اليد ، فهما ملتويا لا يتمشى مع ما يستفاد من النصوص ، او يلجأ الى التأويل السقيم في مدلولاتها .

وشان ذلك وهؤلاء ليس جديدا ولا مستحدثا ، وله سوابق متعددة في التاريخ ، حفظتها الايام ، وروتها لنا الاشعار والاجيال ، ومن ذلك ما جاء على لسان أبي العلاء المعرى في شعره :

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

تناقض ما لنا الا السكوت له ... وأن نعوذ بمولانا من النار

ونستغفر الله لأبي العلاء ان كان قد صدر عنه هذا الكلام ، لأن الذى أغلى اليد عفتها حتى كانت ديتها هذا القدر من المال ، والذى ارخصها حتى قطعت في ربع دينار ـ وان كان هذا ليس محل اتفاق من الفقهاء جميعا ـ الذى ارخصها لتقطع في ربع دينار هو خستها وهوانها على نفسها وعلى صاحبها وعلى المجتمع الذى أعزها فأبت الا الانسلاخ من الكرامة والعزة الى الهوان والمذلة (١) .

وكما وجد من أمثال أبى العلاء المعرى من يفزع لقطع يد السارق ، كذلك وجد من ينصح بعض الخلفاء الاسلاميين بترك عقوبة قطع اليد اشفاقا على الناس من أن تقطع يدهم اذا سرقوا حتى ليحمل الخليفة على تعطيل حد السرقة سنة بسبب فزعه من تنفيذ هذه العقوبة اذ يروى ان هشام بن عبد الملك الخليفة الاموى عطل حد السرقة استجابة لرغبة مستشاريه ، فكان أن

---

(١) وفي ذلك يقول أحد الفقهاء الشعراء مجيبا أبا العلاء :

عِزُّ الامانة أغلاها ، وأرخصها ... ذلُّ الخيانة ، فافهم حكمة البارى

الشَّريعَة والقَـانون

■ أمّا القانون فقد يُشرّد أُسْرة بأكملها من أجل فردٍ فيها

تضاعفت حوادث السرقة وأصبح الناس غير آمنين على أنفسهم ولا على أموالهم ، ولما تفاقم الامر واضطربت الاحوال أعاد العقوبة كما شرعها الله ، فكان ذلك وحده كافيا لصون الامن وحفظ الاموال والنفوس .

وفي عصرنا الآن من يثير بين الحين والحين كلاما عن قطع يد السارق مؤيدا تعطيل هذا الحد ومتذرعا لذلك بأقوال تبدو في ظاهرها مقبولة ، ولكن عند التمحيص والعرض على نصوص الشريعة ما تلبث أن تتداعى وتتلاشى ، ولو أن هؤلاء الدارسين والباحثين أمعنوا النظر وتقصوا تفاصيل ما جاء في الشرع ، وما استنبطه الفقهاء من النصوص في هذا الشأن لوجدوا أنفسهم قد تغالوا في نظرتهم ، وفي محاولة تبرير أمر ما كان ينبغي أن يتصدى لتبريره باحث أو عالم عفوا ، ومكابرة .

وعلى سبيل المثال لا الحصر والاستقصاء أقول ان بعض هؤلاء حاول تأويل قول الله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » بأن القطع في اللغة يشمل مطلق المنع ويستشهدون على ذلك بقصة وقعت بين ليلى الاخيلية والحجاج اذ دخلت عليه فأنشدته قصيدة مطلعها :

اذا نزل الحجاج أرضا مريضة
تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها
غلام اذا هز القناة سقاها

وعندما سمع الحجاج شعرها قال لحاجبه اقطع لسانها ، فذهب الى الحداد فأخرج الموسى ليقطع لسانها ، فقالت ، ليلى : ما هكذا أراد الحجاج ، بل أراد أن تقطعوا لساني بالعطية ، فعاد الحاجب يستفسر الامر من الحجاج فأيد ما ذهبت اليه ليلى ، وعاقب حاجبه .

ومن هذه الواقعة على فرض صحتها أرادوا أن يستشهدوا بها على أن القطع هو مطلق المنع، وتكون الآية قد أمرت بمنع السارق عن العود الى السرقة بوسيلة ما غير قطع يده حقيقة .

ولا أجد وصفا لهذا الفهم أكثر من وصفه بالتفاهة ، ومصادمته للواقع وبيان الرسول صلى الله عليه وسلم،ذلك أنه عليه الصلاة والسلام مبين عن الله ومنفذ لأحكامه ، وقد بين لنا عليه الصلاة والسلام بعمله وقوله أن القطع في الآية قطع حقيقي لليد لا قطع مجازى بمعنى المنع ، فقد قطع عليه الصلاة والسلام يد سارق رداء صفوان ، وقطع يد المرأة المخزومية وأكد هذا العمل بقوله (والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) واذا فلا مجال ولا محل لأن يقول بعد ذلك قائل ان القطع في الآية مجاز أو أنه مجمل لم يبين بعد ، اذ لم يعد لهذا ولا لذاك مكان بعد بيان الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك أيضا أنهم يزعمون ان كلمة « سارق » تدل على من غلبت عليه صفة السرقة لأن القرآن عبر في هذا المجال بكلمة « السارق والسارقة » ولم يقل « ومن يسرق » وعلى ذلك فان بين التعبيرين فرقا في المدلول ، ذلك ان العبارة الثانية تفيد أن من يسرق مرة واحدة تقطع يده ، والعبارة الاولى تستلزم تكرار السرقة ليوصف بأنه سارق حتى يستحق قطع يده .

وهذه الحجة كسابقتها مهلهلة ساقطة ، ذلك أن التعبير « باسم الفاعل » بدون صيغة من

صيغ المبالغة التي حفظت فيه لا يدل الا على الحدث وفاعله لا غير ، ولا يعني هذا تكرار الحدث ، فكلمة « آكل وشارب ونائم » لا مدلول لها اكثر من ان فاعلها وقع منه اكل وشرب ونوم، لا تكرار هذه الاشياء .

وعلى فرض ان اسم الفاعل كما زعموا يدل على تكرار الوصف فان السنة النبوية المطهرة قد فصلت في هذا الامر ، وبينت لنا ان المراد بالسارق هو من ارتكب جريمة السرقة مرة واحدة، ذلك ان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يستفسر عن حال سارق رداء صفوان قبل قطعه احدثت منه سرقة قبل هذه المرة او لم تحدث ، ولم يستفسر عن المراة المخزومية ايضا اسرقت قبل هذه المرة او لم تسرق ، فدل هذا على ان الوصف هنا لا معنى له اكثر من وقوع السرقة ولو لاول مرة .

وعلى هذا فلا مجال للتشبث بهذا القول الواهي بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البيان .

ويطول بي المقام لو اخذت اسرد عينات من هذه الاقوال تمسك بها بعض الذين ارادوا ان يفسروا ما جاء في الآية تفسيرات لا تتفق مع منطوقها ، ولا مع مفهومها ، ولا مع بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء فيها من اجمال ، كقولهم ان الامر في الآية في قول الله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما » انما هو للجواز لا للوجوب ، بمعنى ان ولي الامر يجوز ان يقطع في بعض الحالات ، ويجوز الا يقطع في حالات اخرى ، وليس حتما عليه ان يلتزم القطع مع كل سارق توافرت فيه شروط القطع .

مثل هذا كله لا يستند الى اساس علمي ، ولا يصلح حجة لمن يتذرع به لتبرير وقف حد القطع، وهو بعيد كل البعد عن نصوص الشريعة ومقاصدها .

اذا وضح هذا كله ، وظهر انه لا اصل له ولا حجة فيه فانا نرجع الى دراسات فقهائنا الاعلام في هذا الموطن ، واول ما نلحظه في كلامهم اننا نراهم عرفوا السرقة بانها اخذ مال للغير على سبيل الاستخفاء من حرز مثله ، وتبعا لهذا فقد اخرجوا من مفهوم السرقة ، سرقة الاكراه فانها ليست من السرقة عندهم في شيء لان الاستخفاء فيها لم يتحقق واعتبرها القانون الوضعي سرقة وعقوبتها اشد من عقوبة السرقة العادية .

اما هذا النوع عند الفقهاء فانه داخل في مفهوم الغصب او الانتهاب ، وليس في واحد منهما قطع اليد عندهم ، بل فيه ضمان المال المغصوب او المنتهب والتعزير ان رآه الحاكم وهو عقوبة لا يبلغ بها ولي الامر ادنى حد مقرر في الشريعة الاسلامية .

اما السرقة بالاكراه في نظر علماء القانون فانها تحول السرقة من جنحة الى جناية ، ويتبع ذلك طول المدة المحكوم بها ، كما سنعرض لذلك كله بالتفصيل بعد قليل .

وكما اخرج الفقهاء من مفهوم السرقة سرقة الاكراه اخرجوا ايضا من مفهومها الخيانة فمن اخذ شيئا منها بطريق الخيانة لا يعد سارقا ، فالخادم في المنزل مثلا اذا اخذ شيئا منه فهو خائن لا سارق ، وليس على خائن قطع ، كما صح بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه وان اخذ على سبيل الاستخفاء ، الا انه لم يأخذ من حرز مثله ، ذلك ان الدار للخادم والمصنع لمن يعمل فيه ، وغيرهما ممن يباشرون اعمالا بمكان فيه متاع او غيره هؤلاء جميعا ماذونون بدخول هذه الأمكنة والتردد عليها ومن ثم فانهم اذا اخذوا،لا ياخذون من حرز وبالتالي لايوصفون بانهم سراق ، وانما هم خونة ، ولا قطع على واحد منهم .

روى مالك في الموطأ « ان عبد الله بن عمر جاء الى عمر رضي الله عنه بعبد له فقال : اقطع هذا فانه سرق .

قال : وما سرق ؟

قال عبد الله : سرق مرآة لامرأتي ثمنها ستون درهما .

قال عمر : أرسله ، ليس عليه قطع ، خادمكم سرق متاعكم » (١) ويقول صاحب البدائع وهو من اعلام الفقه الحنفي تعقيبا على هذه الرواية : ولم ينقل ان احدا انكر على عمر ، فكان ذلك اجماعا سكوتيا على ان البيت ليس حرزا لمن يعمل فيه .

هذا ، واذا كان الخائن لا تقطع يده ، فان معنى ذلك انه لا يعاقب اصلا ، وانما يعاقبه ولي

---

(١) موطأ الامام مالك والبدائع للكاساني جـ ٧ص ٧٤ ، ٧٥ .

الأمر حسبما يرى من التعزير مع تضمينه ما أخذ.
وللفقهاء كلام دقيق في الحرز الذى يعد سارقا من يأخذ منه نصاب السرقة فيستحق القطع ، فمن ذلك ما يشبه الاجماع منهم ، ان السارق لا بد أن يسرق من حرز وأن يخرج بما سرق منه .

وتاسيسا على ذلك فان السارق لو اخذ من الحرز ولم يخرج منه وضبط على هذه الحال فلا قطع عليه لأنه لم يخرج بالمسروق من الحرز ، واليك ما يقوله في هذا الشان ابن قدامة في المغنى « .. ولا نعلم عن أحد من أهل العلم خلافهم – يعنى جمهور الفقهاء – الا قولا حكى عن عائشة والحسن النخعى فيمن جمع المتاع ولم يخرج به من الحرز عليه القطع ، وعن الحسن مثل قول الجماعة – اى أن للحسن رأيا آخر يوافق الجمهور – وحكى عن داود أنه لا يعتبر الحرز ، لأن الآية لا تفصيل فيها ، وهذه اقوال شاذة غير ثابتة عمن نقلت عنه .

★ ★ ★

وعلى هذا فشرط القطع في السارق الذى يسرق من الدار أن يخرج بما أخذ منها ، فان ضبط وهو لم يخرج بعد من الحرز بما سرق فلا قطع عليه ، لانتفاء شرط الخروج بما سرق من الحرز.

وتبعا لذلك فلو أخذ من الحرز ولم يدخل فيه فلا قطع عليه عند جمهور الفقهاء ، بل حكى بعضهم اجماعا سكوتيا على هذا حدث في عهد الامام على . فقد روى عنه أنه قال : « اذا كان اللص ظريفا لم يقطع ، قيل وكيف يكون ظريفا ؟ قال : يدخل يده الى الدار ويمكنه دخولها».

واستدل الحنفية بوجود اجماع على رأى الامام على ، لأنه لم ينكر عليه منكر ، فاصبح ذلك حجة على عدم قطع مثل هذا السارق ، ويعاقب بما دون القطع .

ومن لطائف الفقهاء التى عرضوا لها في أمر الحرز ما ذهب اليه فقهاء الحنفية ، ان اللص لو رمى ما أخذه من الحرز الى صاحب له خارج الحرز فأخذه الصاحب ، فلا قطع على واحد منهما ، أما الذى في الداخل فلأنه لم يوجد منه الا الاخراج من الحرز ويده ليست ثابتة عليه ، بل يد الخارج هى الثابتة على ما أخذ من الحرز ، والخارج لا يقطع أيضا ، لأنه لم يأخذ من الحرز.

وكذلك قال الامام أبو حنيفة رضي الله عنه : ان السارق اذا ناول صاحبا له وراء الجدار ولم يخرج هو فلا قطع أيضا على واحد منهما ، ذلك انه لا سبيل الى ايجاب القطع على الخارج لانه لم يأخذ من الحرز ، ولا سبيل الى ايجاب القطع على الداخل لانعدام ثبوت يده .

ومن لطائف الفقهاء ايضا ما جاء عنهم فى الفسطاط المضروب فان فقهاء الحنفية لا يوجبون القطع على سارقه لان الفسطاط حرز بنفسه ، فاذا سرقه فقد سرق الحرز نفسه ، ونفس الحرز ليس في الحرز ، والشرط في القطع الأخذ من الحرز ، ولم يوجد .

اما جمهور الفقهاء فقد فرقوا بين ان يكون فيه حافظ او لا يكون .

فاذا وجد فيه حافظ نائما كان او منتبها فانه يعتبر حرزا للفسطاط ، وعلى هذا فاذا سرق اللص الفسطاط في هذه الحالة او أخذ شيئا منه يساوى نصاب المال المسروق ففيه القطع ، اما اذا لم يكن بداخل الفسطاط حافظ فلا قطع على سارق الفسطاط نفسه .

ويطول بنا المقام لو تقصينا جميع المسائل التى تكلم الفقهاء في عدم القطع فيها لمخالفتها ما أوضحوه في أمر الحرز .

المال المسروق

وتفصيلات الفقهاء في أمر المال المسروق لا تقل دقة عن تفصيلاتهم في أمر الحرز ، بل ما شرطوه في المال المسروق يمنع القطع في أكثر حالاته .

فمثلا يشترطون الا يكون للسارق فيما سرق شبهة ، ويشترطون أيضا الا يكون الجوع وسد الرمق هما الحافزين على السرقة ، ويشترطون ايضا ان يبلغ المسروق نصابا ، وهو ربع دينار او ما يساوى ثلاثة دراهم عند الشافعية والمالكية والحنابلة ، رضوان الله عليهم . أما الحنفية فعندهم لا قطع فيما دون دينار قيمته عشرة دراهم ، وروى عن التابعى سعيد بن جبير رضي الله عنه : انه لا قطع فيما دون خمسين درهما اى ما يساوى خمسة دنانير ، وروى عن ابراهيم النخعى : انه لا قطع فيما دون اربعين درهما ، هذا مع مراعاة شروط الحرز في المال المسروق ، ومنها ان يكون هذا المال معصوما ، وان يكون محترما ، ونصوا على ان سرقة آلات اللهو لا قطع فيها ، وكذلك قال فقهاء الحنابلة اذا سرق اناء ثمينا فيه خمر فلا قطع عليه ، لان الاناء متصل

بما لا قطع فيه ، فاشبه ما لو سرق شيئا مشتركا بينه وبين غيره بحيث تبلغ قيمته بالشركة نصابا.

وقال أبو حنيفة لو سرق صنما من ذهب أو فضة يبلغ نصاب السرقة فانه لا قطع فيه عليه لانه بسرقته له يمكن ان يتاول بانه اخذه للكسر وهذه شبهة يدرأ بها الحد .

ولا خلاف بين جمهور الفقهاء في أن السارق اذا ملك العين المسروقة بهبة أو بيع او غير ذلك بسبب من أسباب الملك وكان ملكها قبل رفع الأمر الى الحاكم والمطالبة بها عنده لم يجب القطع، بل ذكر صاحب الشرح الكبير ان هذا لا يعلم فيه خلاف بين الفقهاء . اما اذا ملك العين المسروقة بعد رفع الأمر الى الحاكم لم يسقط القطع عنه بهذا عند المالكية والشافعية واسحاق والحنابلة ، وعند الحنفية أن القطع يسقط ايضا بما تقدم ، لأن العين المسروقة صارت ملكا للسارق ، فلا يقطع في عين هي ملكه ، وذلك كما لو ملكها قبل المطالبة بها ، ولأن المطالبة شرط ، والشروط يعتبر دوامها ولم يبق لهذا العين مطالب .

ومما جرى فيه الخلاف بين الفقهاء أيضا رد المال المسروق بعد رفع الأمر للحاكم وقبل القطع هل يسقط به القطع أو لا يسقط . جمهور الفقهاء على وجوب رد العين المسروقة على مالكها ان كانت باقية ، فاما ان تلفت فعلى السارق رد قيمتها أو مثلها ان كانت مثلية ، وهذا لا يعفيه من القطع موسرا كان أو معسرا ، وعند مالك أن المعسر لا يجب عليه رد ما سرق ولكن عليه القطع بكل حال .

وقال الامام أبو حنيفة والثوري : لا يجتمع الغرم والقطع ، فان غرم أو ضمن المسروق بقيمته أو مثله قبل القطع فلا قطع عليه ، وان قطع قبل الغرم سقط الغرم . ومن ثم فقد عبر الفقهاء عن هذا الرأى بقولهم : « لا يجتمع قطع وضمان عند أبى حنيفة » .

وكذلك قالوا : اذا سرق سارق من سارق نصاب السرقة فلا قطع على الثانى لأن يد الاول على المسروق ليست يد ملك ولا يد ضمان ولا يد أمانة ، فاعتبروا السارق منه كالآخذ من الطريق.

طرق اثبات السرقة

هذا بعض ما جاء عن الفقهاء في أمر الحرز والمال المسروق ، اما طرق اثبات دعوى السرقة فقد اشترطوا أولا الخصومة والدعوى لمن له يد صحيحة على المال ، فان لم يوجد ولم يتقدم بدعوى السرقة فلا قطع في هذه الصورة حتى مع وجود البينة على السارق .

وفي حال وجود الخصومة ممن له اليد الصحيحة على المال فلا بدّ من بينة وهى شاهدان ذكران حران عدلان لا خصومة بينهما وبين المدعى عليه بالسرقة ، وان تكون شهادتهما أصيلة ، بمعنى الا يشهد واحد منهما على شهادة آخر بأن هذا سرق مثلا ويشترط عدم التقادم في هذه الدعوى وكذلك الشهادة فيها .

وجمهور الفقهاء على أن الاثبات في حد السرقة يقوم على الشهادة بشروطها السابقة ، وبالاقرار من السارق ، ولا يثبت هذا الحد بالقرينة وان كانت قاطعة ، فوجود المسروق في يد السارق لا يعتبر دليلا على السرقة ، لجواز أن يكون غيره قد أودعه عنده،أو باعه له ، وغير ذلك مما يتصور في هذا الشان .

ومن ثم فان جمهور الفقهاء اهمل التعويل على القرائن في اثبات السرقة ، وخالف في ذلك ابن القيم .

اما الاقرار فلا خلاف في اعتباره دليلا على اثبات السرقة ، مع خلافهم في اشتراط الخصومة، وجمهور الفقهاء ذكروا انه لا باس أن يلقن ولى الامر السارق ليعدل عن اقراره وقالوا انه كان يؤتى بالسارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول له « ما اخالك سرقت » .

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه اتى برجل فساله : اسرقت ؟ ثم قال له عمر : قل لا : فقال ، فتركه .

وروى عن على رضي الله عنه أن رجلا اقر عنده بالسرقة فانتهره ، وروى انه طرده .

هذا كله الى جوار الشبه التى يدرأ بها الحد ، عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم » .

ونخرج من هذا بأن الفقهاء بينوا ما يكون فيه القطع وما لا يكون ، وبتتبع اقوالهم وشروطهم وتفصيلاتهم نرى أن القطع يتم في مجال ضيق جدا لا يفزع ، ولا يثير كل هذه الضجة وهذه الصيحات المفتعلة التى يرددها البعض منددين بالشريعة الاسلامية في أمرها بقطع يد السارق .

بل لعله لا يوجد قطع بالمرة اذا اخذنا بمذهب الامامين ابى حنيفة والثورى رضي الله عنهما

انه لا يجتمع قطع وضمان ، فان ضمن المسروق فقد انتفى عنه القطع عندهما ولو بعد رفع الأمر الى الحاكم ويعاقب بما دونه .

القانون الوضعي وعقوبة السرقة

اما وقد أوضحنا موقف الفقهاء في حد السرقة فانا نرى القانون الوضعي ليس فيه هذه الاشتراطات والتوضيحات التى ذكرها الفقهاء .

ففى باب الاثبات نرى الأخذ بالقرينة ، وعدم اشتراط شاهدين ، وعدم اشتراط خصومة من له اليد الصحيحة على المال .

والسرقة تعتبر جنحة عقوبتها الحبس مع الشغل مدة لا تتجاوز سنتين بالنسبة للسرقات التى لا يتوافر فيها ظرف مشدد ، الا أن جريمة السرقة قد تتحول الى جناية كما في حالة السرقة بالاكراه الواقعة من اثنين فاكثر دخلوا مسكنا مسكونا ليلا مع استعمال السلاح أو التهديد به .

والسارق لا يسترد اعتباره الا بعد تنفيذ العقوبة تنفيذا كاملا ، وأن يكون قد انقضى من تاريخ تنفيذ العقوبة ست سنوات اذا كانت العقوبة جناية وثلاث سنوات اذا كانت العقوبة جنحة .

هذا فيما يتعلق برد الاعتبار القضائى ، أما القانونى فيشترط فيه في حالة السرقة « جنحة أو جناية » مرور ١٢ سنة على تنفيذ العقوبة او العفو عنها ، أو سقوطها بدون أن يصدر على المحكوم عليه خلالها حكم بعقوبة في جناية أو جنحة .

وكلاهما لا يخلو حاله من أن يكون صاحب أسرة اولا ، فان كان صاحب أسرة فمن يعولها في حبسه أوسجنه وبعد خروجهمن السجن قبلرد اعتباره، السنا بهذا ندفعه وندفع أسرته الى الاجرام ليجدوا لقمة العيش ، وان لم يكن صاحب أسرة فانا ندفعه بايصاد أبواب الرزق والعمل في وجهه الى العود الى الاجرام ليعيش أو يعود الىالسجن ليجد فيه لقمة العيش بعد أن فقدها في المجتمع، الى جوار ما تتكلفه الدولة من أموال طائلة بالانفاق على هؤلاء في حبسهم أو سجنهم ، وما كان أحراها أن توفرها الى نواح أخرى تعود بالنفع على المجتمع وما أكثرها .

★ ★ ★

ومن هذا يتضح أن القانون الوضعي لا يعاقب المجرم نفسه على السرقة وكفى ، وانما يعاقب أسرة باكملها بجريرة فرد فيها ، ولا يرعى ما رعاه الفقهاء وما ذكروه من شروط وتفصيلات تبرىء ساحته أو تجعل عقوبته بغير هذه القسوة الماثلة في القانون الوضعي في أغلب قضايا السرقة ما دام قد سقط عنه القطع ، فضلا عما يكتنف ذلك من التوسع في طريق اثبات جريمة السرقة .

ان ما ذهب اليه الفقهاء رضوان الله عليهم من جعل العقوبة تعزيرا في كثير من حالات السرقة التى لم تتوافر شروط القطع فيها ، لا شك انه أهون على نفس السارق ألف مرة من عقوبة القانون الوضعي ، لأنه لا يترتب على عقوبة التعزير عندهم بل حتى على عقوبة القطع ذاتها اى أثر فلا يحرم من وقعت عليه العقوبة حق العمل والعيش في المجتمع ، ولا يسقط اعتباره فيه ، ولا يلفظه ولو الى حين كما يلفظه القانون الوضعي من محيط الجماعة التى يعيش فيها .

فضلا عن توفير مال الدولة لنواح أهم وأولى من صرفها على من في السجون وتركهم مع من تعودوا الاجرام ، ليتقنوا على أيديهم فنونه وضروبه ، مما لا حاجة تدفع اليه ولا ضرورة تقتضيه .

وأمام هذا فانى أقول : ان تطبيق الشريعة الاسلامية في معاقبة السارقين لا يدعو الى مثل هذا الهلع ، ولا الى هذا الخوف ، وتعطيل هذا الحد ليس له ما يبرره ، ولا شبهة هناك في تعطيله بعد أن وضح كل الوضوح أن القطع مجاله صعب التحقيق والمنال بالشروط التى اوضحها الفقهاء . وانه زجر أكثر منه عقوبة محققة في كل الحالات والمواطن كي يتوقاه من تحدثه نفسه بالسرقة ، أو الاقدام عليها ، ولعلنا لو احصينا حالات القطع التى تمت في عهد النبوة والرسالةلانجدها تزيد عن حالتينمختلفتين، حادث سارق رداء صفوان ، وحادث المرأة المخزومية،ونجد ايضا حالات نادرة تم فيها القطع في عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، مع اتساع رقعة الدولة مما يؤكد أن تنفيذ قطع اليد في السرقة عقوبة تخيف وتردع ، وهى سيف مصلت على الاجرام والمجرمين يخشون وصولهم اليه ومصيرهم عنده ، وليس قطع اليد عقوبة في حالة من حالات السرقة كما يزعم البعض ويتوهم . ■■

احمد عبد المنعم البهى



الردهة الرئيسية بالمرسم الحر للفنون الجميلة ، وقد صفت على جانبيها التماثيل وعلقت اللوحات الزيتية .

الفَنّ

قام بهذا الاستطلاع

منير نصيف

وصوره

عبد الناصر شقره



الفنان الكويتي عبد الحميد اسماعيل يضع اللمسات الاخيرة على تمثاله « شجرة الدر » كما تخيلها .



الفنانة الصغيرة نبيلة الغربللي ، الطالبة بمعهد المعلمات ، وهي تعشق الرسم وتقول أنها معجبة بالفنان رام براندت وتنوى مواصلة تعليمها في ايطاليا

والفنَّانونَ فى الكُويْت ◄

القنانان بدر القطامي وخالد القمود في المرسم الخاص الذي أقاماه في بيت القطامي .. انهما دائما معا ولا يفترقان أبدا



الرسامان مساعد فهد وعيسى صقر منهمكان في وضـ «الرتوش» الأخيرة في لوحتين تمثلان المرأة الكويتية القد



■ الفن مرآة يرى فيها المرء صورة لمجتمعه او مجتمع غيره من الشعوب الأخرى في مختلف بلاد العالم .. حياة الناس بالأمس واليوم .. عاداتهم وتقاليدهم .. أفراحهم وأحزانهم ..

وكما يفعل قلم الكاتب ليسجل انطباعاته وأحاسيسه في القصص والمسرحيات ، كذلك تتحرك ريشة الرسام ويكون انفعالها أكثر أثرا وأصدق تعبيرا في تسجيل مختلف صور الحياة .

والفن استعداد وموهبة حتى لقد قال الفنان العالمي رمبراندت Rembrandt « لقد تعلمت الرسم قبل أن أتعلم الكلام » وقد يكون في حديث هذا الفنان الهولندي بعض المبالغة ، ولكنه على أي حال نجح بهذه الكلمات في أن يصف قوة هذه الموهبة التي تظهر مع الانسان منذ طفولته وتنمو وتصقل فتصنع منه فنانا ..

فنانون موهوبون

وفي الكويت كما في كل بلد من بلاد العالم فنانون موهوبون ، كان الرسم هوايتهم ، فرسموا على الأشياء التي أحبوها وملأوها بالزخارف والصور رسموا على القوارب التي يخرجون فيها لصيد السمك والغوص في الماء بحثا عن اللؤلؤ ، ورسموا على السفن الشراعية التي حملت تجارتهم الى البحار الواسعة .. ورسموا على جدران البيوت التي عاشوا فيها هم وأجدادهم من قبلهم .

كان هؤلاء هم رواد الفن الأوائل الذين عاصروا الحياة القديمة ، ثم عاشوا في الكويت الحديثة التي تشهد اليوم نهضة شملت جميع نواحي الحياة فيها . وفي مقدمة الذين ساهموا في نهضة الفن التشكيلي وتطويره في الكويت الفنان الراحل معجب الدوسري ، ثم الفنان أيوب حسين والفنان خليفة القطان صاحب مدرسة السيركليزم Circulism وغيرهم كثيرون .

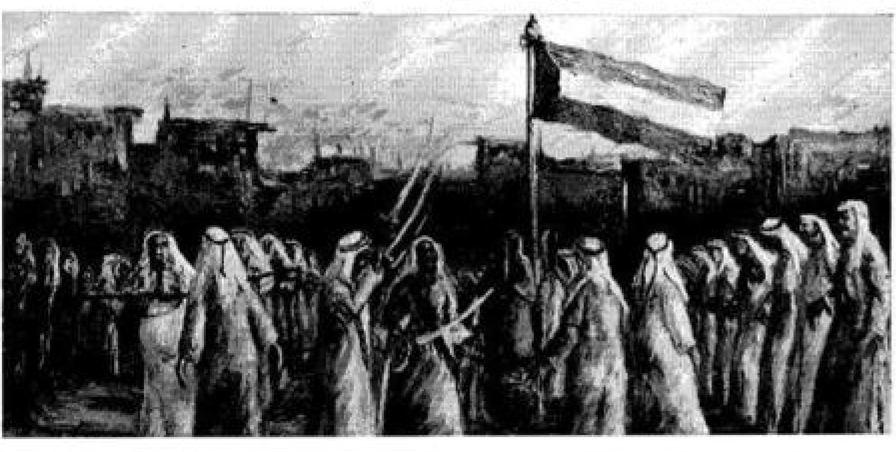
أول فنان كويتي

ولكن الحديث عن الفن بقسميه (التصوير والنحت) لم يبدأ في الكويت الا في الخمسينيات ففي عام ١٩٥٢ تخرج أول فنان كويتي في كلية



في المعرض الذي أقامه بدر القطامي وخالد القمود ، وقف الزائرون يبدون اعجابهم بلوحة تمثل صناعة السفن ، وهي الصناعة الرئيسية في الكويت القديمة .

لوحة للفنان بدر القطامي ، وهي تصور رقصة السيف التي تعبر عن الأفراح الشعبية في الأعياد والمناسبات .. ومن تقاليد أهل الكويت أنهم يؤدون هذه الرقصة عندما تعلن الحرب قبل ذهابهم الى ميدان القتال .



الفنون الجميلة من القاهرة ، وكان هذا الفنان هو معجب الدوسرى ، الذى سافر بعد تخرجه في بعثة الى لندن للتخصص في الزخرفة الصناعية وتاريخ الفنون التشكيلية ، ثم عاد في عام ١٩٥٤ ، ليعمل مدرسا في ثانوية الشويخ ، ولكن المنية عاجلته بعد عامين من عودته الى ارض الوطن ، فانتقل الى جوار ربه في عام ١٩٥٦ وهو اشد ما يكون تحمسا للرسالة التى حمل لواءها . وقد كان للدوسرى انتاج فنى غزير لم يبق منه الا القليل بسبب السيول التى جرفت كل شيء أمامها عندما اجتاحت البلاد في عام ١٩٥٣ .. وهكذا شاء القدر أن يغمط هذا الفنان حقه .

فنان أصيل

اما الفنان أيوب حسين ، فقد بدأت أعماله تظهر في عام ١٩٥٢ ، عندما كان شابا في التاسعة عشرة من عمره ، اذ كانت له محاولات صغيرة قبل هذا التاريخ ، فقد رسم بالقلم الرصاص والالوان المائية ثم ما لبث أن اتجه الى الوان الزيت في عام ١٩٥٢ ، وبدأ يدرس الرسم في مدرسة الصباح الابتدائية .

وأيوب حسين لم يتخرج في مدرسة للرسم ، ولم يدرس هذا الفن في معاهده ، وبالرغم من هذا فهو فنان أصيل . وهو يقول : « لقد تدخل القدر مرات ومرات ليحول بينى وبين دراسة هذا الفن الذى هويته » الا ان هذا لم يحل دون تدريسه لهذا الفن على أسس علمية تلقاها اثناء دراسته في دار المعلمين بالمباركية بعد تخرجه فيها عام ١٩٤٩ ، اى قبل أن يبدأ في تنمية هوايته في اوقات فراغه في البيت والمدرسة . وقد اشترك الفنان أيوب بانتاجه في جميع معارض الربيع التى تقام سنويا في الكويت منذ عام ١٩٥٩ ،كذلك اشترك فيعدة معارض اقيمتفينيويورك وواشنطون وباريس ودول المغرب العربى ، تحت اشراف وزارة الارشاد والانباء ، ونجحت لوحاته في تصوير البيئة القديمة في الكويت . ان أيوب حسين الفنان يعمل الآن ناظرا لمدرسة ابن زيدون المتوسطة .

مدرسة السيركليزم

ومن بين رواد الفن في الكويت أيضا الفنان خليفة القطان ، الذى اقيم له حوالى ١٤ معرضا

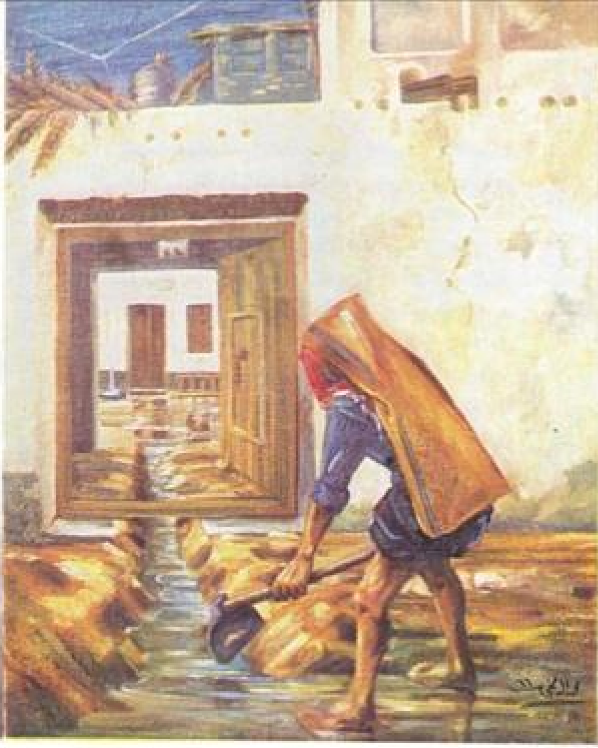


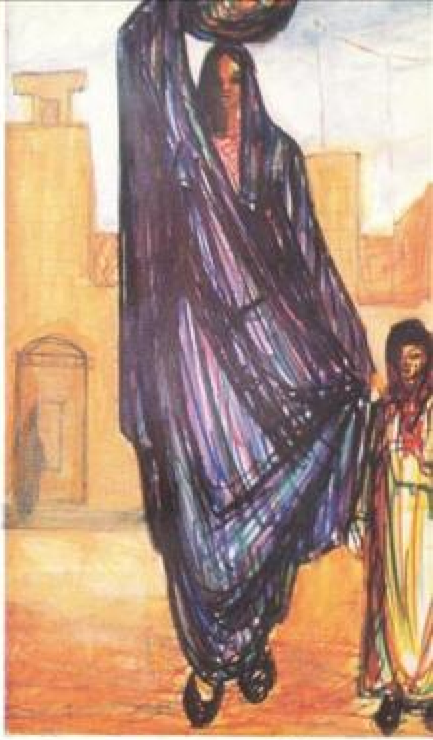
تمثال صنعه النحات عبد الحميد اسماعيل وهو يمثل الصياد حاملا شبكته في طريقه الى البحر .

في الدول الأجنبية كما شارك في عشرة معارض اخرى بعضها داخل الكويت وبعضها في الخارج . والفنان خليفة هو صاحب مدرسة السيركليزم Circulism في الكويت .. ومعناها «الدائرية» وهى الطريقة التى يخضع فيها الموضوع للخطوط الدائرية التى تبدأ من نقطة محددة ثم تعود اليها مُجَسِّدة في ذلك قصة الموضوع نفسه ، وهى ترمز دائما الى اتصال البداية بالنهاية .. ويعتبر خليفة القطان أول من رسم بهذه الطريقة التى لفتت أنظار النقاد الفنيين في أوروبا وايطاليا بصفة خاصة .

اهتمام الدولة

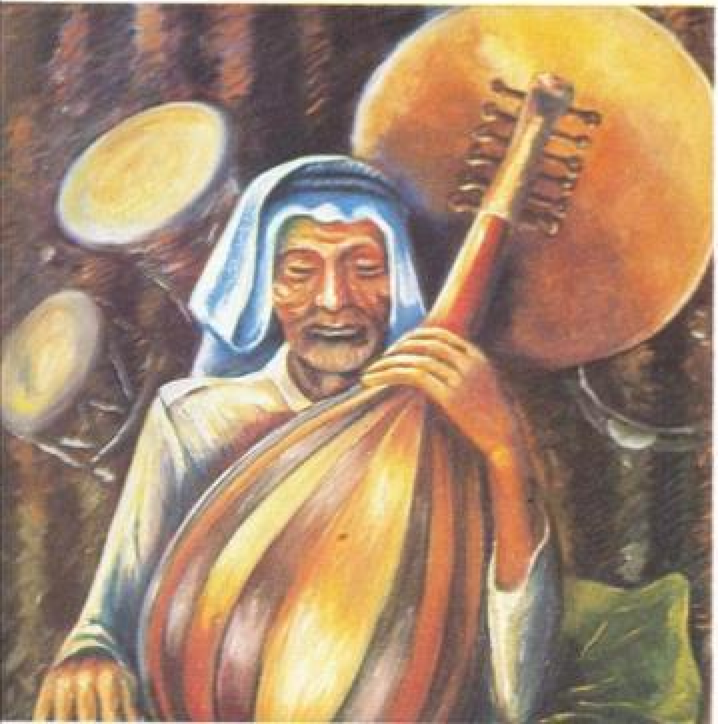
هؤلاء بعض رواد الفن من الكويت .. لا كلهم .. ولقد كان أعظم نجاح حققوه في حياتهم الفنية هو أنهم استطاعوا بفنهم أن يلفتوا نظر المسئولين .. ويثيروا اهتمام الدولة بفنهم . ففى عام ١٩٥٩ وفي أول معرض للفنون التشكيلية يقام فيالكويت تحت رعاية وزارة التربية ، قررت الحكومة الكويتية أن تولى هذه النهضة الفنية جانبا من اهتمامها ، فانشأت المرسم الحر للفنانينالكويتيين في عام ١٩٦٠ ، ولأول مرة بدأ الفنان الكويتى





لوحة للفنان المرحوم محمد الدمخي ، وهي تمثل رجلا كويتيا يحفر جدولا لاخراج مياه الامطار التى أغرقت فناء بيته .

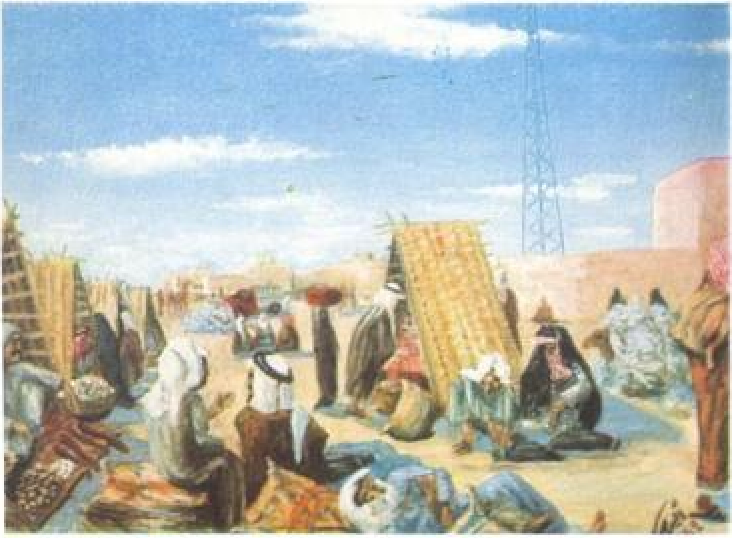
«سكتش» للفنان عيسى سقر ، وهو يشكل امرأة كويتية مع «طفلها عائدين من البحر بعد غسل الملابس في مياهه» كما كان أهل الكويت يفعلون قديما .



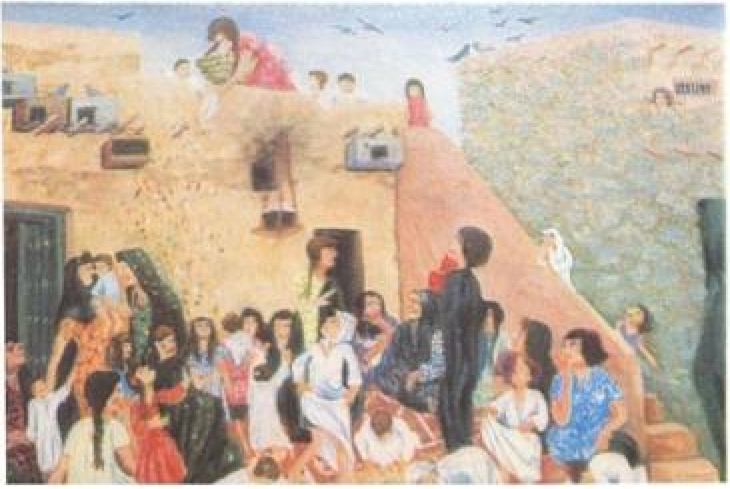
لوحة أخرى للفنان الدمخي ، وهي تصوّر الفن الشعبي في الكويت القديمة ، وقد فقد الفن الكويتي هذا الرسام الشاب خلال العام الحالي على أثر مرض مفاجيء .



« الشاطىء » اسم هذه اللوحة التى رسمها الفنان خالد القعود ، وهى تمثل عودة القوارب الشراعية (البوم) الى شواطىء الكويت بعد غيبة طويلة .



« السوق » ، هو اسم هذه اللوحة التى رسمها الفنان أيوب حسين ، وهو يعتبر من رواد الفن في الكويت .



لوحة أخرى للفنان أيوب حسين ، وهي تمثل « النون » . وهو تقليد قديم تقوم فيه النساء بتوزيع الحلوى على الجيران وأهل الحى عندما تتحقق لهن أمنية عزيزة .

يجد مكانا يستطيع فيه أن يمارس هوايته ... ولم يكن هذا المرسم مقصورا على الفنانين الكويتيين وحدهم ، بل فتح أبوابه لكل فنان ، هاويا كان أو محترفا ممن لم يجدوا المجال لاشباع هوايتهم.

وتقوم وزارة التربية بتزويد هذا المرسم بكل ما يحتاج اليه الفنانون من مساعدات أدبية ومادية ، وهو ليس اتحادا أو جمعية ، وانما هو في الواقع نواة لمعهد الفنون الجميلة في الكويت . فقد انتدبت الوزارة مدرسا فنيا لالقاء المحاضرات في الفنون الجميلة على أعضاء المرسم وكلهم من الموظفين الذين كانوا يشغلون وظائف في الدولة ، ثم نقلوا من وظائفهم ليتفرغوا لفنهم بنفس الدرجات التي كانوا عليها ونفس المرتبات التي كانوا يتقاضونها .

ويهدف برنامج هذا المرسم الى اعداد هؤلاء المتفرغين من الفنانين الكويتيين لايفادهم الى بعثات في القاهرة ثم في الخارج اذا أظهروا استعدادا ونبوغا في فنهم .

القديم والحديث

وقد زرنا المرسم الحر ، وهو مبنى صغير يضم ثلاث أو أربع قاعات للتصوير والنحت .. وتضم كل قاعة مجموعة من اللوحات الزيتية والتماثيل التي قدمها هذا الفريق من الشباب الكويتي الذي يحمل على كتفيه الآن مهمة النهوض بهذا الفن الى المستوى اللائق به بين بقية الدول .

ولكننا قبل أن نتحدث عن هذا الجيل الجديد من الفنانين الكويتيين .. سنتحدث عن فنهم وانتاجهم .. لقد لمسنا بعد جولة خاطفة بين أروقة المرسم وقاعاته ، ان أعمال هؤلاء الفنانين الشبان متأثرة بالبيئة القديمة ، وصور حياة البادية التي عاشها آباؤهم وأجدادهم قبل الثورة التي أحدثها اكتشاف البترول في حياة الكويت . لم نجد مثلا صورة واحدة تمثل الحياة الحديثة في الكويت الناهضة .. لم نجد تمثالا يعبر عما حدث لهذا البلد من نهضة وتطور وتقدم خلال السنوات العشر الأخيرة .. كان كل شيء في المرسم يصوّر حياة الكويت القديمة بما فيها من رجال وحروب وبحر وتجارة .. وسفن صيد وصيادين.

صور زائفة

قال لنا الفنان أيوب حسين : « ان مظاهر النهضة الحديثة في أي بلد من بلاد العالم هي مظاهر زائفة لحياة جديدة ليس فيها ما يحرك ريشة الفنان ويدفعها الى لوحته ليحاول تسجيل هذا الذي يراه أمامه ، وخاصة لان مظاهر هذه الحياة الحديثة دائما ما تجد أكثر من وسيلة من وسائل الاعلام للاهتمام بها وتسجيلها ، كالاذاعة والتلفزيون والكتب والمقالات في الصحف . بينما لا يجد القديم شيئا من هذا كله الا بقدر يسير .. فالناس عادة تترك القديم وتتجه الى الحديث، بينما يجد الفنان الاصيل في كل ما يذكره بالقديم مادة دسمة لصوره ولوحاته . والبعض عاش حياة الكويت القديمة فتأثر بها . وتركت هذه الحياة آثارها في روحه وفنه ، والبعض الآخر نشأ وسط الكويت الحديثة ، ولكنه تأثر بما قرأه في الكتب والمجلات وما سمعه من آبائه وأجداده من قصص عن حياتهم الأولى .. فجاءت أعمال الجيل الجديد أيضا معبرة عن هذه الحقبة القديمة من الزمن في تاريخ هذا الشعب العربي ».

عصر النهضة

وفريق ثالث عاش الكويت القديمة طفلا وصبيا .. ثم كبر في عصر النهضة ، ولكن صور الحياة القديمة ظلت عالقة في ذهنه محركة لريشته كلما جلس يرسم.ومن أمثال هؤلاء الفنان بدر القطامي الذي تخرج من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٦٦ . وأقام معرضا للوحاته في ايطاليا في عام ١٩٦٣ اشترك فيه زميله عبد الله القصار ، ثم أقام في متحف الفن الحديث بالقاهرة معرضا آخر بالاشتراك مع بعض زملائه الفنانين الكويتيين مثل عبد الله القصار وعيسى صقر . واشترك في عشرات المعارض الأخرى وزار منطقة الخليج العربي ، وعشرات الدول العربية وسجل بريشته صورا عديدة في كل هذه البلاد .

يكره حصة الرسم

وقد هوى الفنان بدر الرسم وهو طفل ، وكان





فنانان شابان بالرسم الحر ، وهما حمدان حسين (الى اليمين) وعبد العزيز الحشاش (الى اليسار) والثاني يدرس النحت بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة

يعرف انه يحب الرسم ، ولكنه لم يعرف أبدا كيف ينمي هذه الملكة ، وكيف يمارس هوايته . فكان يرى الأشياء التي تجري وتطير حوله كالحصان والبوم (السفينة) والصقر ، وعندما يخلو الى نفسه يمسك بريشته ويرسمها .

ويقول بدر انه يميل الى الانطلاق كأي فنان أصيل، فقد كان مثلا يكره حصة الرسم في المدرسة، لأنه كان يشعر انه مقيد برسم أشياء لا يريد ان يرسمها ، أو لأنه يرى أن الواجبات التي كلف بها أقل كثيرا من مستواه .

ويقول الفنان بدر انه تأثر في فنه بالاستاذ عبد العزيز درويش أستاذ الرسم بكلية الفنون الجميلة في القاهرة ، كما تأثر أيضا بالفنان العالمي فان جوخ . ويقول بدر ان الذي يعجبه في لوحات فان جوخ هو الحياة التي تنبض في كل لوحة من لوحاته ، حتى لتكاد تتخيل أن اللوحة تحدثك وتعيش معك وكأنها جزء من حياتك .

قال الفنان بدر : شيء واحد كان يتمزق له قلبي حزنا كلما شرعت في رسم لوحة جديدة ، انه صوت والدي وهو يقول لي ليتني أستطيع أن أرى ما ترسم يا بني ، فقد كان أبي ضريرا ..

زميلان لا يفترقان

وما دمنا قد تحدثنا عن الفنان بدر القطامي فلا بد أن نتحدث عن صديقه الفنان خالد القعود فهما زميلان لا يفترقان أبدا .. انهما يقضيان معظم أوقاتهما معا .. يعملان معا ويعرضان انتاجهما جنبا الى جنب في معرض واحد .

قال لنا خالد انه بدأ يهوى الرسم وهو في السابعة واستهواه منظر الشاطىء فاتجه اليه ورسم السفن التي ترسو عليه وتبحر منه في طريقها الطويل الى الشرق .. ورسم الناس الذين يلتقي بهم .. رسم أصدقاءه في المدرسة وفراش المدرسة وبائع الحلوى .

فنان وضابط شرطة

ولم يتعلم خالد الرسم في مدرسة .. فهو ضابط شرطة برتبة ملازم أول ، ولهذا التناقض الغريب بين عمله الرسمي وهوايته كفنان قصة ، بدأت عندما أكمل الفتى تعليمه الثانوي وسافر الى القاهرة ليلتحق بكلية الهندسة ، فقد كان يهوى الهندسة المعمارية. ولكن الحظ لم يساعده، فقد قدم أوراقه الى مكتب التنسيق بعد اختيار جميع طلبة كلية الهندسة ، فاضطر الى دخول

كلية التجارة ، ولكنه سرعان ما أحس بفشله ، فتركها عائدا الى الكويت ، ليستأنف دراسته كفنان . وأخيرا قرر خالد أن يلتحق بكلية الشرطة في المملكة المتحدة ، وسافر الى لندن في أول عام ١٩٦٤ وأمضى سنى الدراسة ثم عاد الى بلاده ضابطا ليلتحق بوزارة الداخلية ويصبح ملازما أول في قيادة حرس السفارات والوزارات .

الشاطىء يجذبه

ولكن خالدا لم ينس طوال هذه السنين هوايته ، فرسم في لندن عدة لوحات للناس الذين يعيش وسطهم .. وكان الشاطىء دائما يجذبه ، فرسم لوحة لشاطىء ميناء توركى Torquay بمقاطعة ديفون شاير Devonshire ، واشترك بلوحاته في عدة معارض في الكويت وفي الخارج وعندما اشترك في المعرض الامريكى بواشنطون مع باقي زملائه الكويتيين عاد الى الشاطىء مرة أخرى فرسم لوحة تمثل شاطىء الكويت والسفن راسية فيه عام ١٩٦٥ .

ويميل خالد الى الفن الكلاسيكى ، وقد تأثر بفان جوخ وروسو وسيزان وجوجان ، أما بيكاسو فان فنه الآن لا يعجبه .

فنانو المستقبل

وننتقل الآن الى الفنانين الأعضاء في المرسم الحر للفنانين الكويتيين . وفي المرسم الحر الآن عدد من المشتغلين بالنحت والتصوير ، وهم عبد العزيز على الحشاش الذى يدرس النحت بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة .

وحمدان حسين الحمدان وهو نحات أيضا ، وقد عمل موظفا بوزارة الارشاد والانباء قبل أن يتفرغ لفنه بالمرسم الحر . وعيسى صقر وقد قال لنا ان النحت والتصوير كانا هوايته وهو طفل في السابعة وقد أرسلته حكومة الكويت في بعثة على نفقتها لدراسة هذا الفن في القاهرة ، وقد اشترك في عدة معارض في القاهرة بين عامى ١٩٦٣ و ١٩٦٤ ، ثم أقام معرضا في متحف الفن الحديث بالقاهرة أيضا بالاشتراك مع بدر القطامى وعبد الله القصار .

وهناك أيضا عبد الحميد اسماعيل ، وقد قال انه يستعد الآن للسفر الى القاهرة لدراسة النحت وأعمال الخزف . وكذلك الرسام مساعد فهد ، الذى هوى التصوير وهو طفل ، وكان يعمل موظفا بوزارة التربية ، ثم تفرغ لفنه بالمرسم الحر .

وفي كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ستة من الفنانين الكويتيين لم يكملوا دراساتهم بعد وهم عبد الله القصار وصالح العجيل ، وسامى محمد وخزعل عوض القفاص وعبد الله سالم عبد الجليل وأمير عبد الرضا .

المرأة والفن

ولكن أين المرأة الكويتية من هذه النهضة التى تشهدها البلاد اليوم ؟ انها هناك حيث تسهم بدور هام في تطوير الفن الكويتى . ففى القاهرة ثلاث فتيات كويتيات يدرسن النحت والتصوير وهن سامية أحمد العمر وموضي الحجى وسارة السنعوسي .

وفي معهد المعلمات بالكويت ، حيث يتزايد عدد الفتيات اللواتى يعشقن الفن ويتخصصن فيه ، التقينا بالطالبة نبيلة القربللى الفتاة الصغيرة التى بدأت تهوى الرسم وهى طفلة في التاسعة ، فكانت تملأ كتبها المدرسية وجدران البيت برسوماتها ، وهى معجبة بالفنان رام براندت وموديليانى الايطالى Modigliani أو « أمير الصعاليك » .

وتقول نبيلة انها مصممة على اتمام دراستها ، وسوف تستمر في ممارسة أعمالها الفنية بعد التخرج ، وستسافر الى الخارج ، والى ايطاليا بصفة خاصة لتلتحق بالمعاهد العليا . فايطاليا هى بلد الفن .. وهى أيضا بلد الفنان الايطالى المشهور موديليانى . ■■

منير نصيف



ماذا تقول المرأة فى الرجل

يعجبنى ولا يعجبنى

■ اى نوع من الرجال يجذب المراة ؟؟

هل تفضل المراة الرجل البسيط الساذج ام تميل الى الرجل الذى اختبر الحياة وعرف بعض اسرارها ؟؟

هل تبحث المراة عن الرجل الضعيف الذى تستطيع أن تسيطر عليه ام تفضل الرجل الذكى القوى الشخصية ؟؟

ثم ما هو شعور المراة بعد ذلك تجاه الرجل بصفة عامة ؟؟

ما الذى تحبه فى رجلها وما الذى تكرهه ؟

لقد نشرت مجلة « سايتس دايجست » دراسة هامة قام بها عدد من كبار علماء النفس فى جامعات امريكا ، وفى مراكز الابحاث الامريكية لمشاعر المراة الامريكية تجاه الجنس الآخر . وقد اسفرت هذه الدراسة عن نتائج مثيرة للغاية .

وقد يقول البعض هنا « ولكن ما لنا ومال المراة الامريكية ، وهل هى نموذج للمراة فى اى مكان آخر من العالم ؟ والواقع ان المراة هى المراة فى كل زمان ومكان . ثم ان هذه الدراسات التى قام بها العلماء لم تكن مقصورة على المراة الامريكية ، بل شملت ايضا المراة الآسيوية والافريقية والاوروبية الخ .. ففى امريكا نساء من كل جنس ومن كل لون » .

كل النساء والاعمار

كما حرص العلماء ايضا على ان تشمل هذه الدراسات التى اجروها ، مختلف فئات الشعب، فكان بين فئات النساء اللواتى أجرى العلماء دراستهم عليهن ، الطبيبة ، والمهندسة ، والعاملة والطالبة وست البيت . حتى اعمارهن روعى فيها هى الاخرى ان تشمل مختلف الاعمار من السابعة عشرة حتى الاربعين .

وكان السؤال الذى وجهه العلماء الى كل واحدة منهن ما يلى :

« ما هى تلك الصفات التى تجذبك الى الرجل وتثير اعجابك به ؟ » .

وهذه هى خلاصة الاجابات التى حصل عليها الاخصائيون الباحثون .



لقد كان هناك شبه اجماع بين النساء اللواتي اشتركن في هذا الاستفتاء على أن الذكاء يأتي في المرتبة الاولى بين الصفات التي تعجب المرأة في الرجل . فالمرأة تحب الرجل الذكي ، الرجل المثقف الذي يجيد الحديث مع الناس ويجد دائما الجواب على كل سؤال يوجه اليه .

الزوج الثري

ولكن بعض الرجال الذين حرموا من الثقافة لسبب أو لآخر ، يحاولون تعويض هذا النقص بما لديهم من ثروة ورثوها عن آبائهم .. وقد ينجح مثل هذا الرجل الثرى في العثور على امرأة ترضى به زوجا . فما هو شعور هذه المرأة التي تتزوج رجلا من أجل ماله ؟

لقد أثبتت الابحاث التي قام بها العلماء ان مثل هذه المرأة تشقى دائما بعد هذا الزواج ، فهي تحاول يائسة أن تبرر موقفها أمام نفسها وأمام الناس . فهي اما أن تتجاهل هذا النقص في زوجها ، طالما انه يقدم لها من المال والملابس والمجوهرات ما تحسدها عليه صديقاتها، واما أن تحاول أن تخدع الناس كلما جمعتها بهم الظروف في المجتمعات التي قامت على المجاملات والنفاق .

فتقول الزوجة مثلا عندما تحس بارتباك زوجها في حديث أو مناقشة مع الناس الذين التفوا حوله ، وما أكثر ما يلتفون حوله نفاقا وتوددا اليه من أجل ماله ... تقول الزوجة : « ان زوجي خجول جدا ، حتى ليصعب على المرء أن يدرك مدى الذكاء الذي يتمتع به » أو أن تسارع بادارة دفة الحديث الى موضوع تعرف تماما أن زوجها يجيد التحدث فيه .

الاستقلال في التفكير

أما الصفات التي تأتي في المرتبة الثانية بعد الثقافة والذكاء ، فهي أن يكون الرجل سريع الخاطر حاضر النكتة منطقيا في مناقشاته ومستقلا في تفكيره .

ومرة أخرى كان هناك شبه اجماع بين النساء اللواتي اشتركن في ابداء رأيهن في هذا الاستفتاء على أن الرجل المرح الذي يضحك للنكتة ، ويروي من عنده نكتا جديدة ، والذي يفكر تفكيرا علميا، ولا يخضع لآراء غيره من الناس ، الا اذا اقتنع بها .. مثل هذا الرجل يثير اعجاب المرأة ويكسب ثقتها .

ودلت نتائج الدراسات التي قام بها العلماء أيضا على أن المرأة تميل بطبيعتها الى الرجل القوى .. الرجل الذى يحترم نفسه ويحافظ على مركزه ، فلا يسمح أبدا للمرأة بأن تسيطر أو تملى ارادتها عليه . فقد أجمعت الاغلبية على أن الرجل هو الذى يجب أن تكون له الكلمة العليا ، هو الذى يجب أن يكون السيد دائما ، ولكن دون أن يشعر المرأة بهذا ، أى دون أن يذكرها بشيء تريد هي أن تشعر به وحدها !

قوة الشخصية

ان الرجل هو الذى عليه أن يحدد مستقبل الأطفال . وهو الذى عليه أن يحل المشكلات التي تواجه الأسرة . وهو الذى عليه أن يتحمل مسئولية الأخطاء التي يقع فيها هو أو حتى غيره من أفراد العائلة التي يعولها . عليه أن يكون دائما صاحب الكلمة الأخيرة وليست الأولى ، اذ لا بد ان يكون ديموقراطيا في مناقشاته مع أفراد أسرته ، فيستمع الى آراء غيره حتى لو كان غير مقتنع بها . يجب أن يكون هادئا ولبقا في كل تصرفاته حتى لا يشعر زوجته أنها قد تزوجت « دكتاتورا » !

هذه هى الصفات التي تتمنى كل امرأة أن تجدها في الرجل الذى اختارته أو ستختاره زوجا لها وشريكا لحياتها .

ونتنقل الآن الى الصفات التي تكرهها المرأة في الرجل ، فتنفرها منه وتبعدها عنه .

هذا الرجل أكرهه

وقد دلت نتائج الابحاث التي قام بها العلماء من واقع الاجابات التي جمعوها من مئات النساء، كما قدمنا ، على أن المرأة تكره الرجل المتعالى الذى يدعى العلم وهو أجهل الناس به .

تكره الرجل العنيد الذى لا يقتنع برأى مهما كان صائبا .

تكره الرجل الأنانى الذى لا يحب الا نفسه .

تكره الرجل الجامد القلب الذى يفتقر الى الحس فلا يشعر بآلام الناس وأحزانهم .

تكره الرجل الذى يجهل كل شيء لا يتصل بعمله ، فهو لا يستطيع أن يشترك في أى حديث

في السياسة او الادب او الفن او العلم .

واخيرا تكره الرجل الذئب ، فالرجال في رأى المرأة ذئاب ، لا تكاد تقع عين احدهم على فتاة جميلة حتى تقفز الى راسه فكرة الفوز بها .

الزوجة أكثر تجربة

وتشترك الزوجةمع المرأة غير المتزوجة في كراهيتها لكل هذه الصفات التى ذكرناها ، ولكنها بحكم معاشرتها للرجل وحياتها معه تحت سقف واحد قد اكتشفت تصرفات اخرى لم تعهدها الفتاة التى لم تتزوج بعد . فالزوجة تكره الرجل الذي يغضب ويثور لاتفه الأسباب .. الرجل الذى يؤنبه رئيسه في العمل ويقسو عليه فيعود الى البيت ليشفي غليله من زوجته وأطفاله . كما تكره الزوج المقامر الذى يخسر على مائدة القمار في ليلة واحدة ما يكفي لسد نفقات الأسرة في شهر كامل . او الزوج الذى ينفق عشرات الجنيهات على ملذاته الخاصة ، ويبخل بشراء قبعة جديدة لزوجته ، فاذا ظهرت في فستان جديد ، قال لها : « ما هذا الاسراف والتبذير » .

كما تكره الزوجة أيضا ذلك الزوج السكير الذى يدمن الخمر ويعود الى البيت ثملا كل ليلة ، وهو يلعن ويسب الزمن الذى جمعه بهذه المرأة التى قضت الليل كله ساهرة وقد استبد بها القلق عليه !!

اهمال الزوجـة

ثم هناك أيضا صفة أخرى في الرجل شعرت بها كل زوجة بعد انقضاء فترة من الزمن على الزواج ، وكانت مصدر شكوى كل الزوجات اللواتى اشتركن في الاستفتاء ، وهى عدم اهتمام الزوج بزوجته واهماله لها ، حتى انها تتصور في بعض الأحيان انه لا فرق بينها وبين اى قطعة أخرى من قطع الاثاث في البيت . فهو لا يكاد يستمع الى حديثها ، واذا تكلمت لتبدى رأيا في موضوع يهم الأسرة ، أو لتطلب شيئا جديدا ، سارع بمقاطعتها .. واذا جلسا على مائدة الافطار، أسرع الزوج يغرق وجهه في جريدة الصباح ويتظاهر بالقراءة حتى لا تجد زوجته فرصة لاستئناف المناقشة التى بدأتها معه في الليلة السابقة .

فكل امرأة تريد دائما أن تثير اهتمام زوجها بها ، وهى في سبيل ذلك تبذل كل جهد للفت نظره اليها ، فهى تغير من تسريحة شعرها ،وهى تتزين وتلبس الفساتين التى اشتراها لها في عيد زواجهما . وهى تتمنى أن تسمعه يقول لها مثلا : « أين ترغبين في أن نمضي سهرة الليلة ؟ ماذا تحبين ان اشترى لك في عيد ميلادك ؟ هل تعجبك هذه البدلة الجديدة التى اشتريتها ؟ .. ما أجملك اليوم بهذه التسريحة الجديدة » .

ما بعد شهر العسل

ولقد تعودت أن تسمع منه مثل هذه الكلمات في شهر العسل ، ولكنه يبدو الآن بعد مرور عام او عامين أو أكثر او اقل انه قد نسي تلك الأيام الجميلة التى استعادا خلالها ذكريات تلك المناسبة السعيدة التى جمعت بينهما لتجعل منهما زوجا وزوجة .

وتكره الزوجة أيضا الرجل المخادع الـذى يكذب عليها ويختلق القصص والمعاذير ، كلما تأخر عن موعد عودته الى البيت بعد انتهاء عمله. فاذا أحس بحرج موقفه وهو يكذب ويتمادى في كذبه أمام امرأته،ثار وغضب وملأ البيت بصياحه.

جريمة لا تغتفر

ودلت نتائج هذا الاستفتاء أيضا على ان هناك صفة تقدسها كل امرأة في زوجها .. وهى الوفاء. فليست هناك جريمة في رأى الزوجة ، افظع وأبشع من جريمة الخيانة الزوجية ، فكل شيء يهون في نظر المرأة ، وكل عيب في أخلاق الرجل وتصرفاته يمكن علاجه واصلاحه او السكوت عليه والتغاضي عنه ، الا ان تكتشف المرأة أن زوجها يخونها مع امرأة أخرى .

وقد أثبتت الدراسات التى قام بها العلماء أن المرأة بطبيعتها لا تثق في زوجها ، حتى لو كان هو يثق فيها ، وهذا يفسر لنا سبب تلك الرقابة الصارمة التى تفرضها المرأة على زوجها.

ويبدو أن المرأة على حق عندما تقول ان ثقتها برجلها لها حدود . فقد قام العلماء بجامعة انديانا بأمريكا باجراء دراسات على أكثر من خمسة الاف زوج وزوجة وأثبتت نتائج هذه الدراسة أن الرجل أكثر ميلا الى خيانة زوجته من المرأة . ■

م ٥ ن

كتاب الشهر

مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام

تأليف محمد عبد الله عنان

بقلم : الدكتور محمود السمره

استاذ النقد والبلاغة بالجامعة الاردنية

■ مؤلف هذا الكتاب ، الاستاذ محمدعبد الله عنان ، في غنى عن التعريف ، فهو صاحب المؤلفات القيمة عن تاريخ العرب في الاندلس . وكتابه هذا يجمع بين دفتيه فصولا عن اشهر المعارك في تاريخ الاسلام ، وخاصة تلك المعارك التى وقعت بين الاسلام وأوروبا . والطبعة التى بين ايدينا هي الطبعة الرابعة ، وفيها عن الطبعات السابقة زيادات كثيرة .

ومن اشهر هذه المعارك الحاسمة : حصار العرب للقسطنطينية ، وبلاط الشهداء ، وموقعة باب الشزرى ، وموقعة حطين واسترداد بيت المقدس ، وموقعة المنصورة ، وموقعة القصر (او موقعة وادى المخازن) .

ولكل معركة من هذه المعارك دلالة خاصة :

فارتداد العرب من أمام أسوار القسطنطينية اوقف محاولتهم لاحتلال أوروبا من الشرق .

وخسارتهم لبلاط الشهداء اوقف محاولتهم الاستيلاء على أوروبا من الغرب .

وانتصارهم في موقعة باب الشزرى حطم آمال شارلمان في القضاء على دولة الاسلام في الاندلس .

وفي موقعة حطين اجتث صلاح الدين جذور الصليبيين ، واسترد بيت المقدس .

وكانت موقعة المنصورة انتصارا آخر للعرب على الصليبيين .

وفي موقعة القصر انتصر المغرب على عدوان الاستعمار البرتغالي .

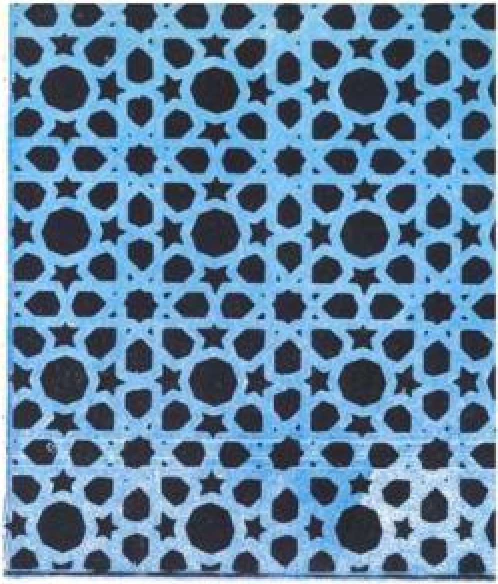
وكل هذه المعارك تؤكد فكرة الصراع بين الشرق الاسلامي والغرب الصليبي .

وقد اخترت لهذا الحديث المعارك الاربع الاولى .

حصار العرب للقسطنطينية
سنة ٣٢و٤٨و٩٩هـ/ ٦٥٣و٦٦٨و٧١٧م

منذ عهد الخليفة الثالث عثمان ، اخذ المسلمون يمدون ابصارهم الى احتلال أوروبا من الشرق : ففي سنة ٣٢ هـ/٦٥٣ م وجه اليها جيشا بريا بقيادة معاوية بن ابى سفيان ، حاكم الشام ، واسطولا بحريا بقيادة بسر بن ارطاة . ولكن هذه المحاولة الأولى فشلت لمناعة تحصين القسطنطينية .

وفي سنة ٤٤ هـ/٦٦٤ م ، وفي خلافة معاوية بن ابى سفيان ، بدأ الاستعداد ثانية لاحتلال



القسطنطينية والنفوذ الى شرقي اوروبا . وكان هذا السياسي الداهية يسعى من وراء مهاجمة القسطنطينية الى غايتين : تحقيق حلمه القديم في السيطرة على اوروبا ، وصرف الانظار عن انتصاره على علي بن ابي طالب وتوجيه الجهد العربى الى الجهاد بدلا من أن يتجه ضده .

وكان قائد القوات البرية عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد ، وقائد القوات البحرية بُسر بن ارطاه نفسه الذى كان قائد الحملة الأولى ، ولكن عبد الرحمن ارتد بقواته بعد أن وصل بالقرب من القسطنطينية كما أن بُسر بن ارطاه ارتد بأسطوله ايضا بسبب قدوم الشتاء .

وفي سنة ٤٨ هـ حشد معاوية أسطولا ضخما في موانىء مصر والشام ، وجيشا بريا جرارا ، واطبقت القوتان على القسطنطينية . وكانت هذه القوة البحرية التى سيرها معاوية أعظم قوة بحرية استطاع تجهيزها العرب الى هذا التاريخ .ولكن العدو الاول للقوات العربية كان هو الشتاء ، اذ كانت القوات العربية تضطر الى الارتداد في هذا الفصل . وقد استمر العرب على هذا الحال مدة عشرة اعوام : يهاجمون القسطنطينية صيفا ، ويرتدون عنها شتاء . واخيرا قرروا الانسحاب العام في سنة ٥٨ هـ ، وقد منيت القوات العربية بخسائر فادحة : فخرقت صفوف الجيش البرى بالمطاردة ، واغرقت العواصف كثيرا من سفن الاسطول . وتقدر خسارة العرب بنحو ثلاثين الف مقاتل . وفي هذه المعركة قتل الصحابى المشهور ابو ايوب الانصارى ، وهو قتل ودفن تحت أسوار القسطنطينية . وعندما فتح الأتراك المدينة بعد هذا التاريخ بثمانية قرون عثروا على قبره ،فاعتبر هذا حادثا دينيا ذا قيمة كبيرة .

وبقى فتح القسطنطينية حلما يراود خيال خلفاء بنى امية ، الى ان تولى الخلافة سليمان ابن عبد الملك . وتقول الرواية العربية ان بعض الفقهاء حدثوا الخليفة بأن من يفتح القسطنطينية اسمه اسم نبى ، وهكذا تضفى الرواية العربية على غزو القسطنطينية صفة دينية .

وقد انتدب الخليفة أخاه مسلمة لقيادة الحملة الموجهة لفتح المدينة « وأمره ألا يبرح قسطنطينية حتى يفتحها ، او يأتيه أمره » . وفي أواخر سنة ٩٨ هـ سار مسلمة بجيشه الجرار برا ، يسانده اسطول ضخم في البحر . ثم قطع مسلمة البحر بجيشه والتقى بأسطوله وطوق المدينة من البر والبحر. وتقدر الروايات البيزنطية القوة العربية بمائة وثمانين ألفا ، والف وثمانمائة سفينة .

ورغم ضخامة القوة العربية وبسالة جنودها ، الا انها لم تستطع ان تسقط المدينة ، بسبب مناعة الأسوار ، ومهارة المهندسين البيزنطيين ، ووفرة قاذفات النار اليونانية . عندها قرر مسلمة أن وسيلته لفتح المدينة هى تشديد الحصار مع الصبر .

والقارىء لأخبار هذه الموقعة في الكتب العربية يستنتج أن مسلمة لم يكن قائدا مدربا محنكا ، رغم شجاعته وبسالته ، والدليل على هذا انه كان ينخدع بوعود ليون الثالث ، امبراطور الامبراطورية الرومانية الشرقية ، كلما اشتد الحصار ، فهذا الامبراطور كان يعد مسلمة بانه سيسلمه المدينة ، على ان يتولى ملكه باسم الخليفة ، فاذا ما خفف مسلمة من الحصار ، وملا ليون الثالث المدينة بالمؤن، عاد فنكث بعهده.

وقد تضافرت الظروف لاحباط هذه الحملة : فقد توفى الخليفة سليمان فأحدث هذا نوعا من الفوضى في صفوف الجيش ، وكان جل القوة المساعدة ، التى وصلت لتعزيز القوة المحاصرة للقسطنطينية ، من المرتزقة من غر المسلمين ،وكان هؤلاء المرتزقة من أسباب نكبة الجيش العربى في هذه المعركة ، ذلك لأنهم انسلوا بسفنهم تحت جنح الظلام ، ودخلوا القسطنطينية ، واطلعوا الامبراطور على جوانب الضعف في القوة العربية.

وأمام هذا لم يجد الخليفة الجديد ، عمر بن عبد العزيز ، بدا من الانسحاب ، فأصدر أمره بذلك ، وهكذا تحطمت أمام أسوار القسطنطينية قوة من أعظم القوى التى استطاع الاسلام أن يوجهها ضد أوروبا . ولو نجحت هذه الحملة العربية لتغير وجه التاريخ الاوروبى .

بلاط الشهداء (١١٤هـ/٧٣٢م)

اذا كانت القوة العربية قد أخفقت في غزو أوروبا من الشرق ، فانها قد عاودت محاولتها من الغرب ، عندما قطعت الجيوش العربيةجبال البرنيز ، والتقت بالفرنج في سهول فرنسا على ضفاف نهر اللوار ، في أكتوبر سنة ٧٣٢ م ، في معركة تعرف في تاريخنا باسم « معركة بلاط الشهداء » ، وتعرف في التواريخ الافرنجية باسم معركة « تور » أو « بواتييه » .

وهذه المعركة بالغة الدلالة في تاريخنا ، اذ لو انتصر العرب فيها لكانت أوروبا اليوم غير ما هى عليه.وبطل هذه المعركة وشهيدها هو عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقى . وعبد الرحمن بطل من أبطالنا الخالدين ، قاد الجيش العربى في سنة ١٠٢ هـ على أثر مقتل السمح بن مالك ، وتولى امارة الأندلس باختيار الزعماء والقادة مدى شهر. ثم ولاه الخليفة امارة الاندلس ، للمرة الثانية ، في سنة ١١٣ هـ .

وكان عبد الرحمن يتحرق دوما للانتقام لمقتل السمح بن مالك وهزيمة المسلمين عند أسوار تولوشة . ومن أجل هذا أخذ يعد العدة لغزو فرنسا . وفي أوائل سنة ١١٤ هـ/٧٣٢ م سار عبد الرحمن على رأس جيش كان أعظم جيش غزا به العرب فرنسا منذ الفتح . وأحرز نصرا ساحقا على الدوق أودو « والله وحده يعلم كم قتل في تلك الموقعة » . وطارده حتى عاصمته بوردو ، واستولى عليها بعد مقاومة ضعيفة ، ثم استولى على ليون ، واستمر في تقدمه حتىاصبح على بعد مائة ميل عن باريس . وهكذا استطاع عبد الرحمن أن يحتل نصف فرنسا الجنوبى ،من الشرق الى الغرب ، في أشهر قليلة .

وتذكر الروايات الافرنجية أن جيش عبدالرحمن كان يبلغ أربعمائة ألف مقاتل،بينما ترى الروايات العربية أن هذا الرقم مبالغ فيه جدا ، وأن الجيش العربى لم يكن يزيد عن ثمانين ألف مقاتل. وقد أثارت انتصارات عبد الرحمن خيال الشاعر الانجليزى (صندى) Southy فنظم فيها قصيدة مشهورة معروفة .

ووقف قادة الفرنجة مذهولين أمام هذا العنفوان العربى ، وقد وصف المقرى في كتابه « نفح الطيب » ما حدث في صفوفهم، فقال : «فاجتمعت الفرنج الى ملكها الاعظم قارله (كارل مارتل) ، فقالت له : ما هذا الخزى الباقى في الاعقاب ؟ كنا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها ، واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم ما فيها من العدة والعدد ، بجمعهم القليل، وقلة عدتهم ، وكونهم لا دروع لهم . فقال لهم ما معناه : الراى عندى أن لا تعترضوهم في خرجتهم هذه ، فانهم كالسيل يحمل من يصادره ، وهم في اقبال أمرهم ، ولهم نيات تغنى عن كثرة العدد، وقلوب تغنى عن حصانة الدروع ، ولكن أمهلوهم حتى تمتلىء أيديهم من الغنائم ، ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في الرياسة ، ويستعين بعضهم ببعض، حينئذ تتمكنون منهم بأيسر أمر » .

وحشد كارل مارتل جيشا ضخما ، وسار نحو الجنوب لملاقاة العرب ، حتى أشرف على مروج نهر اللوار الجنوبية . وفي السهل الواقع بين مدينتى بواتييه Poitiers وتور Tours ، وعند فرعى اللوار ، حدثت المعركة التاريخية الفاصلة . ولم يكن الجيش الاسلامى معبأ تماما لخوض هذه المعركة : فالخلاف كان قد دب في صفوفه لأن جل الجنود كانوا لا يريدون سوى العودة بما معهم من غنائم ، وهى كثيرة ، ولم يكن عبد الرحمن بقادر على أن يحملهم على ترك ما غنموا خوف أن يتمردوا.

وفي أواخر شعبان سنة ١١٤ هـ بدأ القتال بين الجيشين ، وفي اليوم التاسع من المعركة بدأت ترجح كفة المسلمين ، وأصبح النصر قاب قوسين ، لولا حنكة كارل مارتل الذى أمر فرقة من جنوده بمهاجمة غنائم المسلمين . فلما رفع بعض المسلمين أصواتهم يعلنون أن الغنائم قد هوجمت ، ارتد الجند الاسلامى من أمام العدو ، وهرع كل واحد منهم لحماية ما غنم ، وهنا دبت الفوضى فيصفوف المسلمين ، وعبثا حاول عبد الرحمن لم شتاتهم ، وبينما كان يروح ويجيء بين صفوفهم ، يحثهم على العودة لقتال الاعداء ، أصابه سهم فأرداه عن ظهر جواده قتيلا.هنا ازداد ذعر المسلمين ،ولكنهم

صمدوا الى أن خيم الظلام . وكان هذا اليوم هو أول رمضان من سنة ١١٤ هـ .

وتحت جنح الظلام انسل الجيش الاسلامي منسحبا بهدوء ، ولما طلع الصباح لم يجد الفرنجة في أرض المعركة سوى القتلى وبعض الجرحى الذين لم يستطيعوا حراكا ، فذبحوهم دون رحمة . وتغالي الروايات الافرنجية في عدد القتلى الذين سقطوا من المسلمين ، حتى لتصل بهم الى ثلاثمائة وخمسة وسبعين الفا !! ومن الثابت أنه قد سقط في هذه المعركة كثير من علماء المسلمين ، وعلى رأسهم عبد الرحمن الغافقي ، أعظم قائد عرفه الاسلام في الغرب ، وخير وال حكم الاندلس .

ويفيض المؤرخون الغربيون في وصف هذه المعركة ونتائجها ، فيرى جيبون Gibbon ، أنه لو انتصر العرب فيها لكان القرآن يدرس الآن في جامعة اكسفورد بدلا من الانجيل، ولكانت مآذن المساجد تردد الأذان ، بدلا من سماع صوت أجراس الكنائس .

ويرى الاستاذ عنان أن هذه المعركة « كانت أعظم لقاء حاسم بين الاسلام والنصرانية ، وبين الشرق والغرب : ففي سهول تور وبواتييه فقد العرب سيادة الغرب،وتغيرت مصاير العالم القديم كله ، وارتد تيار الفتح الاسلامي أمام الأمم الشمالية ، كما ارتد قبل ذلك بأعوام أمام أسوار قسطنطينية ، وأخفقت بذلك آخر محاولة بذلتها الخلافة لافتتاح أمم الغرب » .

موقعة باب الشزرى (١٦١هـ/٧٧٨م)

كان الفرنجة دوما يرصدون على العرب في الاندلس تحركاتهم ، فاذا آنسوا منهم ضعفا هاجموهم ، هادفين الى احتلال الاندلس . وقد دبت الفوضى بين أمراء المسلمين في الاندلس على أثر زوال الخلافة الاموية ، وأخذ كل واحد منهم يحاول الاستقلال بناحية . ولكن قيض لشاب أموى هو عبد الرحمن بن معاوية أن يقطع شمالي افريقيا ويجتاز البحر الى الأندلس ، ويستعين بأنصاره ليعيد سلطان بني أمية فيها . وقد تمكن من هذا بعد أن انتصر على أعدائه في معركة بالقرب من قرطبة ، وذلك في سنة ١٣٨هـ/٧٥٦ م.

ولم يجد أعداء عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) من وسيلة لمحاربته سوى الاستعانة بملك الفرنجة شارلمان على رأس جيش جرار ، فعبر جبال البرنيز ، وتقدم جنوبا ، ولكنه وجد نفسه مضطرا للانسحاب والعودة لسببين : أولهما أن السكسون هاجموا دولته من الشمال مغتنمين فرصة غيابه ، وثانيهما أن الأمراء المتآمرين قد اختلفوا فيما بينهم .

وعاد شارلمان الى بلاده ، فسلك الى جبال البرنيز طريق هضاب رونسفال Roncesvalles المعروفة بالعربية باسم باب الشزرى ، وهو ممر ضيق ، تحيط به جبال وعرة . وفي باب الشزرى حدثت المفاجأة الهائلة : فقد انقض جنود الجيش العربي على مؤخرة جيش شارلمان ، وفصلوها عن باقي الجيش ، ثم امعنوا فيها تقتيلا .

وقد كان لهذه المذبحة صدى كبير في أوروبا ، حتى أنه حيكت حولها الأساطير ، ونظمت فيها القصائد والأناشيد ، وكلها تمجد البسالة التى أظهرها جنود شارلمان وكيف أنهم حاربوا الى آخر رجل ، وهى بسالة أكثرها من صنع الخيال ، ومن أشهر هذه الأناشيد التى شاعت وانتشرت « أنشودة رولان » ، ورولان Roland هو اسم أحد القواد الذين قتلوا في هذه المعركة ، والذى تضفي عليه هذه الأنشودة كل ضروب البسالة والبطولة .

موقعة حطين واسترداد بيت المقدس (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)

من الكوارث الفادحة التى حلت بالعرب والمسلمين ، احتلال الصليبين لبيت المقدس في ١٣ شعبان ٤٩٢ هـ/١٥ يوليو ١٠٩٩ م ، واقامتهم فيها ما عرف بالملكة اللاتينية . وكان قيام هذه الملكة تأكيدا للعداء الذى يحمله الغرب الصليبى للشرق العربى . وكان الغرض من اقامتها أيضا أن تكون قاعدة لعدوان الغرب على الشرق . وقد بقي هذا الجسم الغريب قائما في قلب وطننا مدة تسعين عاما ، الى أن قضى عليه السلطان صلاح الدين الأيوبى .

وقد كان صلاح الدين واضح الرؤيا ،بالاضافة الى شجاعته وتفانيه ، فقد أدرك قبل أن يشتبك مع الصليبيين في معركة فاصلة ، أنه لا بد من أن

يجمع كلمة الامارات الاسلامية التى كان يفت في عضدها التنافس والتعادى ، فاذا تحقق له هذا خاض المعركة مع الصليبيين . وكان صلاح الدين يرى أيضا انه لا يستطيع أن يطرد الصليبيين من المشرق العربى الا اذا قضى على المملكة اللاتينية القائمة في بيت المقدس .

وبدأ بتوجيه همه الى توحيد الجهد ضد الافرنج ، فنجح في ضم امارات الجزيرة كلها الى صفه ، واقام كتلة اسلامية موحدة تمتد من ديار بكر وحدود آسيا الصغرى الى القاهرة . وهكذا أصبح الجو مهيأ لخوض المعركة .

وفي اليوم الرابع والعشرين من ربيع الاول من سنة ٥٨٣ هـ تحرك صلاح الدين على رأس جيشه ليقابل جيشا من الفرنج يبلغ عدده خمسين ألف مقاتل ، والتقى الجمعان في سهل حطين بالقرب من طبريا،وبعد قتال شديد كتب النصر للمسلمين « فاستولوا على خيمة ملكهم ، وعلى الصليب الكبير المسمى صليب الصلبوت وهو الذى يزعمون أن فيه قطعة من الخشبة التى صلب عليها السيد المسيح ، وأسرّ سائر الأمراء والفرسان الفرنج ، وفي مقدمتهم ملك بيت المقدس، وربنو دى شاتيون Renaud de Châtillon ومقدم الاسبتارية ، وعدة كبيرة من الفرسان . وأخذ الأمراء والأسرى الى خيمة السلطان ، فقتل السلطان بيده رينو دى شاتيون ، أمير الكَرَك ، وفاء لنذره وجزاء له على غدره المتكرر ، وجرائه المثيرة في محاولة قطع طريق الحاج ، والسير الى قبر الرسول بقصد الاعتداء عليه . وكان نصرا عظيما لم يسمع به منذ مقدم الصليبيين الى المشرق » .

وفي منتصف شهر رجب من سنة ٥٨٣ هـ أشرف صلاح الدين بجيشه على بيت المقدس فسلمت له المدينة على أن يؤمن الفرنج في أملاكهم وأرواحهم، وهكذا دخل المسلمون المدينة المقدسة دخولا سلميا، لم ترق فيه دماء ، ولم ترتكب فيه آثام . وتبدو روعة هذا التصرف النبيل اذا قارناه بما فعل الافرنج من تقتيل ، وارتكبوا من آثام ، حين دخلوا المدينة سنة ١٠٩٩ م .

والواقع أن معركة حطين هى أهم المواقع الحاسمة في الحروب الصليبية .

« وهل نحن في حاجة لأن نقول ان عبرة التاريخ المؤلمة قد تجددت في عصرنا بقيام دولة اسرائيل الغاصبة في الاراضي المقدسة ، في قلب العالم العربى والاسلامى ؟

ان قيام المملكة اللاتينية الصليبية في القدس لم يكن الا نتيجة لخلاف الدول الاسلامية، وتنافسها وتنابذها ، فلما تألبت قوى الاسلام المتحدة ، التى استطاع صلاح الدين أن يجمع كلمتها في صعيد واحد ، على عدوها المشترك ، ولما اضطر الصليبيون الى لقاء قوى الاسلام المتحدة ، بدا ضعفهم وانهارت مملكتهم التى قامت على أسس العنف والغصب، تحدوها عوامل التعصب الدينى، وتغمرها الأساطير المفرقة ، وتستتر في نفس الوقت بصبغتها الدينية لتحقيق مآربها الدنيوية .

وقلما نجد في التاريخ مثل هذا التماثل المدهش في العوامل والظروف التى أحاطت بوقوع ذينك الحدثين الخطيرين في الاراضي المقدسة . وهل قيام دولة اسرائيل في فلسطين الا صورة مجددة مطابقة لقيام المملكة الفرنجية الصليبية ؟ دولة تقوم مثلها على مبادىء العنف والعدوان التى تغذيها الصهيونية الدولية الغازية ، وتحدوها أساطير دينية مفرقة، كتلك التى اتسمت بها الغزوات الصليبية ، وتقوم في مثل ظروفها وتظاهرها معظم الأمم الغربية ، وتمدها بالعون والتأييد ، كما كانت أوروبا النصرانية تظاهر الصليبيين ، وتمدهم بعونها في قلب العالم العربى بين امارات متنابذة ، مفرقة الرأى والكلمة ، لم تعرف معنى الاتحاد حتى وقت الخطر الداهم ، وما زالت بتنابذها وتفرقها ، تفسح للعدو الغاصب سبيل الاستقرار والتوسع والتوطد .

واذا كانت عبرة التاريخ قد تمثلت في المحنة في هذين الحدثين المؤلمين في تاريخ العالم العربى والاسلامى ، فان لنا أن نؤمل أن تتمثل عبرة التاريخ أيضا في تهيئة الظروف والعوامل التى تعاون على تلافي هذه المحنة الجديدة ، واستئصال جذورها ، كما عاونت من قبل في القضاء على المملكة اللاتينية الصليبية » . ■■

محمود السمرة

مِنَ الكتب التي وصلتنا

الموقع الاستراتيجي العربي

تأليف : هيثم الكيلاني ـ الناشر : مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي / دمشق

● كتاب يدرس اهمية الموقع الاستراتيجي العربي ، والمكانة التي تحتلها هذه الاستراتيجية في العالم ، وقد قسم المؤلف كتابه الى ستة أبواب وفي كل باب يتناول دراسة الاستراتيجية العربية من ناحية ، مثل الاقتصاد العربي كعامل استراتيجي ، والبترول العربي واستراتيجيته ، والوطن العربي في الاستراتيجيات الاجنبية .

الاشتراكية في البلدان المتخلفة

تأليف : محمد الجندي ـ الناشر : مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي / دمشق

● بحث موجز عاجل عن الاشتراكية في البلدان المتخلفة وقد استهل المؤلف بحثه بالكلام عن الدول المتخلفة وصفاتها ، ومن ثم فالكتاب مقسم الى ثلاثة مباحث كبيرة ، أولها يبحث عن الانتاج وثانيها مفهوم الاشتراكية ، والمبحث الثالث عن التعبئة الشعبية .

البقـة

تأليف : فلاديمير ماياكوفسكي ـ ترجمة : عماد حاتم ـ الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشـق

● مسرحية لشاعر من كبار شعراء الاتحاد السوفييتي وهي ملهاة ساخرة تصور سـخرية الطبقات الشعبية في المجتمع الروسي اذ ذاك للنظام الاشتراكي الامثل وتؤكد أن العواطف الانسانية الاساسية كالحب ستتبدل شروط وجودها لا حقيقتها العميقة .

حصاد الذكريات

تأليف : عبد الله يوركي حلاق/الناشر : مطبعة الضاد / حلب / سوريا

● ديوان شعر ، يحوي العديد من القصائد ، فمن قصيدة في الانسان واقباله على الحياة الى قصيدة في حب الوطن والوطنية وحب جارف الى اللغة العربية ، وأسلوب القصائد يسير على النهج العربي الاصيل مع الحفاظ على الديباجة العربية والصور العربية الاصيلة .

ناظر المدرسة الثانوية ومدرسوها يطورون برنامج التوجيه الجمعي

تأليف : روث فيدر / ترجمة ـ الدكتور محمد صلاح الدين مجاور / مراجعة وتقديم : محمد السيد روحه / الناشر / دار النهضة العربية / القاهرة .

● كتاب يعرض لدور الناظر والمدرس في عملية التوجيه الجمعي وطريقة المعاملة واسلوبها بين المدرس والتلميذ وبين الناظر والمدرسين والكتاب يؤكد اسلوب الديمقراطية ويرى ان الرأى المتبادل والفكر الناتج من حصيلة تفكير الكثيرين هو الاسلوب والمنهج الذى يجب ان تسير عليه المدرسة في كل اعمالها ، ويعتبر الكتاب ان الارشاد النفسى من أبرز مظاهر الحياة المدرسية في التربية الحديثة .

ماكس بلانك الفيزيائي والمفكر الكبير

تأليف : الدكتور محمد يحيى الهاشمي / الناشر : مطبعة الضاد / حلب / سوريا .

● دراسة قيمة عن ماكس بلانك الفيزيائي وكشفه لنظرية الكم وتاليفه في الفن والموسيقى وتوفيقه بين الدين والعلوم الطبيعية ومناشط جمعية ماكس بلانك والأبحاث التي قامت بها هذه الجمعية .

أدباء الكويت في قرنين / الجزء الأول

تأليف / خالد سعود الزيد : الناشر /المطبعة العصرية / الكويت .

● كتاب يتناول ادباء الكويت في قرنين وترجمات موجزة عن حياة هؤلاء الشعراء والادباء ثم نتاج هؤلاء الادباء في ميدان الادب والفكر ، ونماذج من ادبهم وشعرهم الى جانب مقدمة موجزة عن تاريخ الحركة الفكرية في الكويت .

المطالعات في مختلف المؤلفات الجزء الثاني

تأليف محمد علي الموسوى الحمامي / الناشر : مكتبة السيد الحمامي .

● كتاب يترجم لطائفة من اعلام المسلمين وعن عقائدهم الدينية غير مشوبة بميول او أهواء سياسية او فروق طائفية . والكتاب يفتح المجال للنقاش من زاوية المنطق الحديث مع الحفاظ على سنن الأدب وقداسة الاسلام .

الاستعمار والصهيونية العالمية :

تأليف / محمد مصباح حمدان / الناشر : المكتبة العصرية / صيدا / لبنان

● يتضمن تاريخ العبرانيين القديم ودياناتهم ونصيبهم في الحضارة العالمية والأسباب التي حدت بالدول الغربية الى أن تقيم للصهيونية كيانا مدعية الارث التاريخي ، وقد عدد المؤلف المراحل التي مرت بها قضية فلسطين منذ البدء الى قرار التقسيم في الامم المتحدة عام ١٩٤٧ .

اللاميتان / لامية العرب للشنفرى ولامية العجم للطغرائي من شروح الزمخشرى والصفدى

أعدهما وعلق عليهما عبد المعين الملوحي/الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي / سوريا .

● يتضمن الكتاب شرح قصيدتين مشروحتين من أشهر قصائد العرب ، والكتاب يبحث في اللاميتين وعلاقتهما بالشاعرين والمقارنة بينهما . وهاتان اللاميتان تمثلان الطراز الرائع من شعرنا وأدبنا العربي القديم مما يوجب الحفاظ عليهما ، واكتساب مكارم الاخلاق منهما .

الاقتصاد الاسرائيلي

المؤلف : الدكتور يوسف عبد الله صايغ ـ الناشر : معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية / القاهرة

● دراسة مستفيضة عن الاقتصاد الاسرائيلي، جذوره وسماته وفاعليته ، ورسم صورة صادقة تخترق ضباب الدعاية الصهيونية ، تكون وثيقة في يد الجيل العربى العارف بمسؤوليته القومية. والكتاب يقوم بدراسة تطور الاقتصاد اليهودى من بدء الاحتلال لنهاية الانتداب ، ويقوم الكتاب بتقويم الاقتصاد الاسرائيلى في ضوء معطيات اسرائيل الداخلية والخارجية والايدلوجية .

الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر

تأليف : شحاتة عيسى / الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر .

● كتاب يضع أمام الجيل الحاضر قائمة بالمؤامرات والدسائس التي حاكها الانجليز لمصر من اول القرن التاسع عشر حتى سنه ١٩٥٦ ثم استعراض ملابساتها التاريخية ، وما احيط بها من ظروف سياسية ودور اسرائيل كمركز ارتكاز للاستعمار ، والاحلاف العدوانية مثل حلف بغداد ثم دور القواعد العسكرية في خدمة الاستعمار الى جانب دراسة قيمة عن ثورة ٢٣ يوليو ونهاية الاحتلال .

اسرائيل جناية وخيانة

تأليف : سعدى بسيسو ـ الناشر .. مطبعة الشرق ـ سوريا .

● كتاب يشرح الحركة الصهيونية منذ بدايتها والدول التى ساعدت في قيام دولة اسرائيل في قلب العالم العربي ، وكيف ان الدول الاستعمارية جعلت اسرائيل رأس جسر لمحاربة حركات التحرر القومي العربي والسيطرة على مقدراتهم سياسيا واقتصاديا وعسكريا وقد قسم المؤلف كتابه الى فصول يعتبر كل فصل فيه جانبا من القضية الفلسطينية مثل سياسة تهويد فلسطين ، ومؤامرة التقسيم ، ونضال عرب فلسطين ، وفتش عن بريطانيا .

طريق النصر في معركة الثأر

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب
الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر / بيروت

● دراسة تحليلية عن أسباب هزيمة الجيوش العربية في فلسطين ، والطريق السوى الى النصر في معركة الثأر ويقوم الكتاب بتحليل حقيقة اسرائيل وعوامل قوتها وضعفها وحقيقة محاولة اسرائيل لانتاج القنبلة الذرية وما هو العمل للقضاء على اسرائيل .

مواجهة الطفل للازمات

تأليف : جورج نهر ــ ترجمة الدكتور محمد خليفة بركات ــ اشراف الدكتور عبد العزيز القوصي ــ الناشر : مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر القاهرة

● كتاب يلقى الضوء على مشكلات الاطفال في المراحل الاولى من حياتهم والمشاكل التى تنتج عن موت والديهم أو مرضهم أو العجز الذاتى وطريقة علاج هذه المشاكل وتأملها من حيث مشاعر الطفل . عرض المؤلف لبعض الازمات التى تواجه الطفل في سني عمره ، وطرق علاجها بحيث تفيد الآباء والمعلمين والرواد .

هيت في اطارها القديم والحديث

تأليف : رشاد الخطيب الهيتي
الناشر : مطبعة أسعد / بغداد

● دراسة عن مدينة هيت العراقية وقد تعرض المؤلف الى مظاهر الحياة في مدينة هيت من الناحيةالتاريخية والادبية والادارية والفكرية، وقد أورد المؤلف نماذج من اشعار أدباء هذه المدينة وترجمة لحياتهم الفكرية والعلمية .

مارك توين حياته وأدبه

تأليف : فرانك بلدنزا ــ ترجمة جميل سعيد
الناشر : مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر/بيروت

● ترجمة لحياة مارك توين وأعماله الفنية وتحليل لأسلوبه ككاتب هزلي ساخر ــ المؤلف يلقى الضوء على سيرته الذاتية وأسفاره ورواياته التاريخية وأدبه الخاص بالاحداث وكتاباته عن أمريكا وكتاباته الجدلية .

اللسان العربى / المجلد الرابع

يصدر عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية / الرباط

● مجلة دورية تعنى بالابحاث اللغوية ودراسات مستفيضة عن حركة التعريب في العالم العربى وتحوى المجلة معاجم وقوائم لمفردات العلوم المختلفة من تصوف وفقة ونبات ومعجم سياحى ومعجم للكيمياء الى جانب دراسات وابحاث لغوية قيمة .

الصراع على الخليج العربى

تأليف : سليم طه التكريتى
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد/بغداد

● كتاب يتناول بالبحث صراع الدول على منطقة الخليج العربى منذ غابر العصور من يونان وفرس وروحان وعرب في الازمنة التاريخية الموغلة في القدم الى العصور المتاخرة من برتغال وهولنديين وفرنسيين وانجليز وأتراك وروس ... وأهمية هذه المنطقة في الوقت الحاضر كمصدر لأعظم مادة ، والدور الرئيسي الذى تلعبه في سياسة العالم ويحوى الكتاب كذلك ملحقا عن اتفاقيات ومعاهدات الخليج العربى مع الحكومة البريطانية.

آراء في الاصلاح التربوى

تأليف : الدكتور عمر التومي الشيباني
الناشر : اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب بوزارة الاعلام والثقافة الليبية

● كتاب يتناول بالبحث موضوع الاصلاح التربوى ومذاهبه وأسسه وميادينه . قسم المؤلف بحثه الى نقاط فتكلم عن أهمية العناية باصلاح نوعية التعليم في ليبيا وأهمية التعليم بالنسبة للفرد والمجتمع الى جانب مناقشة بعض المبادىء في موضوع المعرفة والقيم الاخلاقية والتطبيقات التربوية لهذه المبادىء .

بطاقة يانصيب

تأليف : فلك الدين الكاكائي ــ الناشر : مطبعة دار الساعة / بغداد

● رواية اجتماعية فكرية .



أوحال الطريق

قصة بقلم
عبد الله محمد أحمد

■ كانت ليلة قارسة البرد ، ملبدة الغيوم ، وقد لاذ الناس بدورهم واقفر الطريق ، فهيمنت عليه رهبة ، وزاد من وحشته بقع من الماء والطين تناثرت على اديمه فجعلته يبدو كجلد ثعبان أرقط هائل الحجم يتربص في الظلام ، بينما أضواء الكهرباء المتباعدة الخابية تغالب الليل مغالبة المقهور لسطوة سلطانه !..

ولمحها تمشي بين الاوحال لا تعرف كيف تتقيها !

كانت تتشح بثوب كثوب الرياء يشي بتفاصيل بدنها ، فبدت رغم الكساء كانها عارية ! اما بشرة وجهها ، وذوائب شعرها ، واهداب اجفانها ، فقد غيرتها ألوان واصباغ يصعب معها التعرف على طبيعتها الاصلية !

وود لو ينفذ ببصره الى ما وراء ذلك كله ليعرف أى روح يستقل هذا البدن .. ولكنه أرخى الى الارض عينيه وقد الح على نفسه سؤال واحد :

.. ما الذى دعاها أن تخرج فى مثل هذه الليلة؟!

واطلق تنفسا طويلا وهو ينظر الى الارض المبقعة بالطين وقد سرح به الفكر الى واد بعيد .. .. تلك احدى هوام الليل الشاردة .. تبحث عن الدفء .. فتحرقها النار .. او تسقط فى الطين .. ولا يبالى أحد أى السبيلين سلكت .. فهو اما مشمئز فى نفاق ، او متكلف للأسى .. حتى الذى أشعل النار يتبرأ من الذنب .. أو يتشدق بالطهر !!

وعاد السؤال يلح على نفسه ..

.. ماذا دعاها أن تخرج فى مثل هذه الليلة ؟!

.. بطن خاوية ؟! .. أم دعوة شيطان ؟!

وسرت فى بدنه رعدة لا يحسب انها من اثر برودة الجو !

.. لم تكن المرة الوحيدة التى يراها فيها .. فكم من ليلة رآها وهى تسير على هذا النحو .. اما منتظرة .. أو مستقرة داخل سيارة تختلف فى كل مرة عن ذى قبل ، ويختلف صاحبها .. ورغم اختلاف اشباح الليل .. يتفق معنى الحال دائما !



وطالت بينهما فترة الصمت حتى ظنت انه لـن يقـول شيئا آخـر ... وفجأة أحست بيـده تقبض علـى ذراعها بقـوة أوقفتها عـن التقدم ...!

ولا يدرى كيف تمناها الليلة !.. ولو ليلة واحـدة ..

ورفع عينيه الى الطريق فلم يجد غير قليل من السابلة ليس بينهم متسكع واحد .. فلا هم لنفرهم القليل غير اللحاق بماواه حيث الراحة والدفء ، بعيدا عن هوام الليل ، واشـبـاح الطريق !

حقا ان الليلة مواتية .. ولكن ..

نعم ولكن !!

كيف يشترى ليلتها !؟ .. لو رآه أحد جيرانه أو معارفه الطيبين !؟ .. أولئك الذين يأنفون أن يمس أحذيتهم غبار من الطريق ، ثم يغضون الطرف عما يلوث قلوبهم من اثر تتبع احـوال الغير وتجريح سيرهم !

انه لن يخلص من فضيحة مدمرة ان حدث ان رآه احد هؤلاء وهو الذى فـي حياته نقى السيرة بينهم .. ثم وهو الأب لثلاثة اولاد ، والزوج لامرأة جميلة وادعة هى الآن تنتظر اوبته ..

ايحطم عشه الهانىء ، ويقوض سيرته الطيبة من أجل رغبة لا يدرى مغبتها ؟!

ولكن .. ما بال رغبته تشتد هذه الليلة حتى يستهين بعواقبها ؟!

وكانت خواطره الشاردة تتنازعه في غير هوادة وهو يتقدم في خطو متباطىء ينم عما ينتابه من حيرة وتردد – عندما تنبه فالفى تلك التى هى مجال خواطره المنفعلة تقترب متاودة في خطاهـا ، فتاخر قليلا ..

والتقت نظراتهما سريعة خاطفة ، فجمد في مكانه واجما حتى مرت امامه ..

وكانما أدركت مـن وجومه معنى التردد .. ولكنها فيما يبدو كانت تعرف كيف تعالج مثل هذا الموقف فقد تمهلت في سيرها ، وادارت وجهها اليه نصف دورة ، ورنت اليه من بين أهـداب ناعسة .. ثم عادت تستانف السير على مهل !

وكان في ذلك القضاء على تردده كما قدرت ، فلم يلبث أن سار في أثرها ..

وضاقت المسافة بينهما تدريجيا حتى أصبح على بعد خطوة منها ، فهمس مرتبكا .

– انها ليلة شديدة البرد .. ولكن ليس ذلك داعيا للعجلة .

ومرة أخرى أولته نصف وجهها ، ونظرت اليه بنصف عينها دون أن تكف عن سيرها المستانى ، وصمتها المشجع ..

وطالت بينهما فترة الصمت حتى ظنت انه لن يقول شيئا آخر ..

وفجاة احست بيده تقبض على ذراعها بقوة اوقفتها عن التقدم !.

وبهتت لحظة .. ثم اطلقت ضحكة متميعة وهى تقـول :

– أنت جرىء رغم ما يبدو من قلة خبرتك .

ولكنه اطلق ذراعها كانما مسه تيار كهربائي ارعد بدنه ، وقال في صوت عميق .

– بل أردت أن أجنبك هذا الوحل .

ورنت الى حيث أشار فرات بقعة من الطين تعترض طريقها ، ولكنها هزت منكبيها غير مبالية وهي تقول :

– الطريق كلها وحل ، وليس الى ازالته من سـبيل ..

– السـبيل اذن أن تتفاديه .

فرفت على شفتيها ابتسامة يشوبها التهكم .

– كانى بك من رجال البلدية .

– وله ؟!

قالها في دهشة .. فعادت تقول في تهكم لاذع .

– في حديثك دفاع عنهم ..

ثم انثنت تستانف السير متاودة في خطاها ، فتابعها في صمت .. ومرة أخـرى طالت فترة الصمت ، فعادت تطلق ضحكتها الساخرة ثم تقـول :

– قل شيئا أيها الجرىء ، ودع حديث الوحل.

ومكث برهة معقود اللسان ، واجف الفـؤاد كمن يجتاز محنة قاسية .! وابتلع ريقه في غير يسر قبل أن يقول :

– أنت خالية الليلة ؟

– هيه ايه! الم أقل انك جرىء ؟! .. ثم ماذا ؟

ومضت فترة صمت كان يستجمع فيها أطراف ثباته .

– لديك مكان ؟

وعادت تنظر اليه بنصف عينها .

– وانت ! اليس لديك ؟!

قالت ذلك في تهكم لاذع ، فعاد يزدرد ريقـه قبل أن يغص به ، وقال :

– لدى بالطبع .. ولكنه لم يهيأ لمثل هـذه الليـلة .

وحارت .. أهو يرد سـخريتها ، ام ياسف لأمر ترد‌ّى فيه ! ولعل ذلك ما حملها على أن تتراجع عن أسلوب حديثها الساخر ، اذ قالت بعد تردد .

– بيتى قريب على كل حال .

وبدا لا يدرى كيف يعالج موقفه ، ولكن شيئا كان يلح على نفسه منذ أن رآها دعاه أن يسأل في وجل وقد استرد صوته تلك النبرة العميقة .

– الديك عشاء ؟

ولم تجب فترة قضتها مترددة قبل أن تقـول في لهجة لا تخلو من الضيق المشوب بالتهكم .

– من اليسير تدبير أمر العشاء .. أم تريد شيئا على حسابى ؟

ومضت برهة أخرى أحست بعدها بورقة يدفعها في يدها .. فتوقفت قائلة في دهشة مصطنعة .

ـ ما هذا ؟!

واجابها في رفق .

ـ شيء لتدبير أمر العشاء .

فسألته في نبرتها المصطنعة .

ـ ولم العجلة ؟!

ولاحت سيارة تقترب منهما وهي تعبر الطريق، بينما كان يجيبها مترفقا .

ـ يحسن بك ذلك .

وعجبت من لهجته الرقيقة فسألت صادقة الدهشة هذه المرة .

ـ يحسن بي ! ماذا تعني ؟!

واضاء وجهُه بنور مصابيح السيارة ، فتاملته باحثة عن مغزى حديثه .. وطالعتها في عينيه نظرة اذهلتها !

ومضت السيارة تتهادى وهي تقترب .. واطل منها رأس شاب يستطلع الطريق في نظرات فاحصة لا تنقصها الجراة ..

ومرة اخرى اخذ بيدها وجذبها فوق طوار الشارع بعيدا عن رذاذ الوحل الذي تنثره عجلات السيارة وهي تمرق قريبا منهما ، ثم تتهادى في سيرها حتى تقف غير بعيد .. وعادت تستوضحه ما يعني وقد تغيرت لهجتها ..

ـ سألتك ماذا تعني ؟!

فهمس في حرارة أودعها خالص رجائه وهو ينظر في أعقاب السيارة التي لوثتها الاوحال .

ـ تمنيتك أن ..

ـ أن ماذا ؟!

ـ أن تبيتي هذه الليلة وحدك .

فرددت واجمة .

ـ وحدي ؟!

ـ بعيدا عن أوحال الطريق ..

بذلك اجابها ..

.. وقبل أن تحير قولا ، أو تفكر فيما تفعل .. تركها في خطوات عاجلة وهو يتفادى ما على الارض من ماء وطين ..

وجمدت في مكانها ذاهلة ..

.. أى شيء دفعه الى هنا ؟

.. لماذا اشترى ليلتها بغير مقابل ؟!

.. لماذا تحمل موقفه المهين ، وصبر على بذاءة لسانها ؟!

ثم ما سر ما في طلبه من حرارة الرجاء ؟!

وهمت أن تندفع وراء شبحه الذى اختفى في منعطف الطريق لتصنع اى شيء .. لتصفعه ..! او تسب الاصل الذى تفرع منه ..! أو تمرغ وجهه في هذا الطين !.. أو لتبكى بين يديه !!..

ولكنها جمدت في مكانها لا تستطيع حراكا ..

وسمعت صاحب السيارة التى تقف عن كثب يناديها باسم لها يعرفه .. ولكنها ظلت في موقفها ذاهلة وقد بدا ما حولها يدور كدوامة هائلة من ماء وطين !

وادار صاحب السيارة الفارهة محركها ، وتحول بها وصرير عجلاتها يزعج قلب هذه الحائرة ..

وكانت ما تزال في وقفتها الذاهلة تتحسس باناملها الورقة المالية التى تركها ثمنا لليلتها ثم انصرف ، عندما وقفت السيارة بجانبها ..

واضاء الشاب مصابيح السيارة الداخلية ، فبدا مقعدها الوثير الفاخر .. ثم فتح الباب وهمس يدعوها ..

وكانت غائبة الوعى لا تسمعه، فما زال يستحوذ على سمعها ذلك الصوت الحانى للشبح الذى غاب بعد أن القى عليها نظرة عطف أذهلتها ، ثم همس في نبرة أودعها كل ما في قلبه من حرارة الرجاء .. « تمنيتك أن تبيتى هذه الليلة وحدك .. بعيدا عن أوحال الطريق » .

واستفاقت على الشاب وهو يهمس مرة أخرى بدعوته ، فقلبت الورقة المالية في يدها .. ثم استردت انفاسها المبهورة .. والقت نظرة على السيارة ونظرة على صاحبها الذى فغر فاه من الدهشة ، وهو يرقبها تتولى عنه في خطوات متكفئة وهي تنظر الى مواضع قدمها في حرص مشفق حذر أن تصيبها أوحال الطريق .. ■■

عبد الله محمد أحمد

طرائف عربية

غلب على كل طبع أهله

● حكى اعرابي قال كنت في سفر فضللت الطريق ، فرايت بيتا في الفلاة فاتيته فاذا به اعرابية ، فلما راتني ، قالت من تكون ؟ قلت : ضيف . قالت : اهلا ومرحبا بالضيف . انزل على الرحب والسعة ، قال : فنزلت . فقدمت لي طعاما ، فاكلت ، وماء فشربت ، فبينما انا على ذلك اذ اقبل صاحب البيت فقال : من هذا ؟ فقالت : ضيف . فقال : لا اهلا ولا مرحبا . مالنا وللضيف . فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت .

فلما كان من الغد ، رايت بيتا في الفلاة فقصدته . فاذا فيه اعرابية . فلما راتني قالت : من تكون ؟ قلت : ضيف . قالت : لا اهلا ولا مرحبا بالضيف . مالنا وللضيف . فبينما هي تكلمني اذ اقبل صاحب البيت ، فلما رآني قال : من هذا ؟ قالت : ضيف . فقال : مرحبا واهلا بالضيف ، ثم اتى بطعام حسن فاكلت ، وماء فشربت ، فتذكرت ما مربي بالامس ، فتبسمت . فقال : مم تبسمك ؟ فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الأعرابية وبعلها . وما سمعت منه ومن زوجته ، فقال لا تعجب ، ان تلك الاعرابية التي رايتها هي اختي ، وان بعلها اخو امراتي هذه ، فغلب على كل طبع اهله .

هجا نفسه

● دخل ابو دلامة على المهدي وعنده جماعة من وجهاء القوم واعيان الدولة فقال له المهدي : والله أن لم تهجُ واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن لسانك ، فنظر الى القوم وتحير في أمره ، وجعل ينظر الى كل واحد ليغمزه بان عليه رضاه . قال ابو دلامة فازددت حيرة مما رايت ، فما رايت اسلم من ان اهجو نفسي فقلت :

الا ابلغ لديك ابا دلامة
فلست من الكرام ولا كرامة
جمعت دمامة وجمعت لؤما
كذاك اللؤم تتبعه الدمامة

فضحك القوم ولم يبق احد الا اجازه .

حديث عن

● قال دعبل كنا عند سهل بن هارون فحان وقت الغداء ، فامر غلامه باحضار الغداء ، فاتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل ، فتامل الديك فرآه بغير راس فقال لغلامه : اين الراس ؟ فقال رميته . . فقال والله اني لاكره من يرمي برجله ، فكيف براسه ! ويحك اما علمت أن الراس رئيس الاعضاء ،

● قال ابن قزعة يصف الموز: فيه سبائك ذهبية ، كأنها حشيت زُبْداً وعسلا ، واطيب الثمر كأنه مخُّ الشحم ، سهلُ المقشر ، لينُ المكسر ، عذب المطعم بين الطعوم ، سلس في الحلقوم ، ثم مد يده وأكل حتى شبع .

ضحك من بعد بكاء

● مر ابو بكر يوما بالمدينة ايام خلافته فاذا هو يسمع صوت جارية تبكي وتقول:

وهويته من قبـل قطع تمائـمي ... متناشيا مثل القضيب الناعـم

فكأن نور البدر سنة وجهـه ... يمشي ويصعد من ذؤابة هاشـم

فقرع الباب ، فخرجت اليه فقال لها : احرة انت ام امة ؟ فقالت بل امة يا صاحب رسول الله . فقال لها من هويت ؟ فبكت واشارت الى قبر الرسول وقالت : بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عنى ، فقال لست بمنصرف من مكاني حتى تعلميني من هو فقالت :

ان الذى عمل الفراق بقلبها ... فبكت بحب محمد بن القاسم

فسار ابو بكر الى المسجد ، وبعث الى مولاها ، فاشتراها منه وبعث بها الى من احبت .

الرشيد والعباس بن الأحنف

● رُفع للرشيد موت العباس بن الاحنف ، وابراهيم الموصلى المعروف بالنديم، وعشيمة الخمارة في يوم واحد. فخرج للصلاة عليهم ، فصفقوا بين يديه، فقال : من الاول ؟ فقالوا : ابراهيم الموصلى .. فقال اخروه وقدموا العباس ابن الأحنف ، وقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعي وقال: يا أمير المؤمنين .. كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر ؟ فقال لقوله :

وسعى بهـا قوم وقالوا انهـا ... لهى التى تشقى بهـا وتكابد

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم .. ... انى ليعجبني المحب الجاحـد

ثم قال الرشيد أتحفظها فقلت : نعم ، قال اليس من قال هـذا الشعر اولى بالتقديم ؟ فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين .

رأس الديك

ومنه يصيح الديك ، وفيه عرفه الذى يتبرك به ، وعينه التى يضرب بها المثل ، فيقال شراب كعين الديك . ودماغه دواء عجيب لوجع الكلية ، ولم نر عظما أهش تحت الاسنان من عظم راسه ، فانظر في اى مكان رميته فائتنى به . فقال لا اعرف اين رميته . فقال لكنى انا اعرف اين رميته ، فقد رميته في بطنك ، والله حسبك .

دردشة



★★★ مونتجومرى كان قائدا محظوظا ★★★

● زار الفيلد مارشال مونتجومري العلمين في شهر مايو الماضي بمناسبة مرور ربع قرن من الزمان على المعركة التى دارت بين الجيش البريطانى الثامن تحت قيادته وبين جيوش هتلر بقيادة روميل Rommel ، ثعلب الصحراء كما كانوا يسمونه في الحرب العالمية الثانية .

وقد دخل مونتجومرى التاريخ بعد هذه المعركة التى غيرت مجرى التاريخ ، واختلف المراقبون العسكريون في تقدير هذا القائد . وقال اصدقاؤه والمعجبون به انه أعظم قائد عسكرى في الحرب الثانية . ان النصر لم يقدم له على طبق من الذهب ، فقد صنع هو هذا النصر بشخصيته ومهارته العسكرية وجلده وروحه المعنوية العالية .

لقد جاء مونتجومرى الى شمالى افريقيا ليقود جيشا مهزوما محطما ضد جيش قوى يفوق جيشه عددا وعتادا بقيادة فريق من اعظم الجنرالات الالمان وبالرغم من هذا لم يخسر «مونتى» معركة واحدة بعد وصوله الى ميدان القتال . فقد كان مونتى أكثر من مجرد قائد . كان جنديا أحب جنوده وعاش وسطهم كما لو كان واحدا منهم . حتى منظره بالبيريه (الطاقية الافرنجية) الذى كان يضعه فوق رأسه بدلا من القبعة التى تحمل رتبة الجنرال ، والقميص والبنطلون الشورت ، لم يكن يوحى بأنه قائد هذا الجيش .

وكان يثق في ضباطه ، ويقربهم منه ويجتمع بهم وراء ابواب مغلقة ليستشيرهم في خططه ، دون ان يدون شيئا على الورق فيقع في نفس الخطأ الذى وقع فيه السياسيون والعسكريون قبله عندما تسربت تفاصيل الخطط المكتوبة الى العدو . كما عرف مونتى أيضا كيف يكسب ثقة جنوده وحبهم .

وكان مونتى بعد هذا في خط النار في كل معركة خاضها جيشه وانتصر فيها .



★★★ في الصين

● اخطر مشكلة تواجه جمهورية الصين الشعبية اليوم ، هى مشكلة الزيادة المخيفة المستمرة في عدد السكان الذين يربو تعدادهم اليوم على ٨٠٠ مليون نسمة ، اى ثلث سكان العالم تقريبا .

ومنذ اربعة عشر عاما تقريبا ، كانت الصين تفخر بالزيادة المستمرة في عدد سكانها على أساس انها ظاهرة صحية تؤكد قوة هذه الأمة الضخمة ، الى ان جاء عام ١٩٥٣ عندما دقت وزارة الصحة في بكين ناقوس الخطر معلنة نتائج أول أحصاء لسكان الصين بعد الثورة البلشفية . فقد بلغ عددهم في ذلك الوقت ٥٨٢ مليون نسمة .

وبدأ المسئولون على الفور حملة واسعة النطاق في جميع أنحاء الأقاليم البالغ

هذا ما يقوله اصدقاؤه اما اعـــداء مونتجومرى وحساده ، وكانوا كثيرون ، في الداخل والخارج ، فكانوا يقـولون : « لقد سألوا نابليون يوما عن الصفات التى يجب توافرها في القائد العسكرى الناجح، فقال : ان يكون محظوظا .. وقد كان مونتى قائدا حالفه الحظ دائما . »

حالفه الحظ للمرة الأولى عندما نجا من الموت باعجوبة في الحرب العالميـــة الاولى التى اشترك فيها برتبة ضـابط صغير ، ثم عاش ليصبح قائدا كبيرا .

وحالفه الحظ في معركة العلمين عندما اصبحت قوات روميل هدفا ســهلا للمدفعية البريطانية .. فقد توقفـت الدبابات والسيارات التى تقل الجنـود فجأة اثناء عملية الزحف الكبرى علـى الاسـكندرية بسـبب نفاد الوقود .. واشتبك الجيشان في معـركة حامية ، سجل فيها مونتى اول نصر في سلسـلة انتصاراته التى غيرت مجرى التاريخ .

★ ★ يولد ٣٠ طفلا كل دقيقة

عددها ٢٧ اقليما لتوعية الشعب وشرح مخاطر استمرار هذه الزيادة المخيفة . وصدرت عدة قوانين لتحديد النسـل اهمها رفع سن الزواج عند الفتيات من ١٨ الى ٢٤ سنة ، ومن ٢٠ الى ٢٨ عند الرجل . ونشطت الصحف واجهـزة الاعلام في توزيع المنشورات التى تحذر من الانفجار السكانى في طـول البلاد وعرضها .

ولكنهم ما لبثوا لفترة قصيرة ان غلبت عليهم النزعة الشيوعية التى تدعو الى تكاثر العمال فاغمضوا عيونهم عن هذه القوانين حينا ، وكانت النتيجة ان سكان الصين يتزايدون بنسبة ٢ر٢٪ من مجموع السكان ، اى بزيادة ١٥ مليون نسمة كل عام . ففى كل دقيقة يولـد ٣٠ طفلا في الصين .

★ ★ عبقرى في الخامسة ★ ★

● سألوا الممثل الهزلى العالمى شارلى شابلن :

« ما هو الحادث الذى ترك اعظم اثر في حياتك ؟ »

فقال ملك الكوميديا: كنت في الخامسة من عمرى ، عندما كنت اقف وارقب امى وهى تغنى على المسرح ، وانتهى دورها فعادت الى غرفتها لترتدى ملابسـها وتستعد للعودة الى البيت . ثم ظهر صاحب المسرح وقد استبد به الغضب الشديد وهو يبحث عن بطل الدور القادم الذى تأخر في الحضور ، وحار الرجل ماذا يفعل ، وفجأة وقع بصره علىّ ، وكان يرانى كثـيرا ، وانا اقـف وراء الكواليس ارقب امى كل ليلة وهى تغنى، فنادانى وقال:« ماذا تستطيع ان تفعل. هل تجيد شيئا .. اى شيء تسلى به الجمهور ! »

قلت:«اننى أجيد الرقص ياسيدى!»

قال : « اذهب الى المسرح وارقص اذن .. ارقص الى ان تسمع صـوت صفيرى داعيا اياك للعودة » .

ووقفت على المسرح ، ولم يكن طول قامتى الصغيرة يزيد على ثمانين سنتيمترا في ذلك الوقت ، فقد كنت طفلا قصيرا .. وما كدت اظهر امام الجمهور حتى ضج بالضحك .. ورقصت وتشقلبت في الهواء ووضعت راسي بين قدمي وغمزت بعينى للحسناء التى تجلس في الصف الأمامي .. ودوى التصفيق في القاعـة الكبيرة .. وظل التصفيق يدوى حتى اننى لم اسمع صفير صاحب المسرح وهو يدعونى الى التوقف . فقد وصل بطل الدور القادم الذى كانوا ينتظرونه .

وقبضت عشرة شلنات كاملة في تلك الليلة ، واسرعت ابحث عن امى التى كانت تقف ترقبنى في اعجاب شديد، ودسست في يدها بالمبلغ .. فاسرعت تشترى لنا عشاء دسما !



أنت تسأل .. ونحن نجيب

النبوة .. والأنبياء

● يسرني أن أبعث اليكم خالص تحياتي وعظيم تقديري وأكون شاكرا لكم لو تفضلتم بالاجابة على سؤالي هذا .

الانبياء : نوح ، ابراهيم ، يوسف ، موسي ، سليمان ، عيسي ، أرجو أن تذكروهم بالترتيب حسب الاقدمية ، وكم من السنين تقريبا بين كل نبي وآخر ؟ وأين كان موطنهم ؟ وهل كان الانبياء يتوارثون النبوة ؟ ولكم جزيل الشكر ـ ودمتم .

البحرين ـ عبد الجبار

ـ ١ ـ كي لا يتكرر السؤال عن غيرهم من الأنبياء نرتب من جاء ذكرهم في القرآن من الرسل ترتيبا تاريخيا مقتبسا ذلك من القرآن الكريم والكتاب المقدس وكتب التاريخ .

آدم ـ ادريس ـ نوح ـ هود ـ صالح ـ ابراهيم ـ لوط ـ اسماعيل ـ اسحاق ـ يعقوب ـ يوسف ـ شعيب ـ أيوب ـ ذو الكفل ـ يونس ـ موسي ـ هارون ـ الياس ـ اليسع وقيل هو الأسباط ـ داود ـ سليمان ـ زكريا ـ يحيى ـ عيسي ـ محمد .. (صلى الله عليهم أجمعين) ، وبعضهم كان بينه وبين الاخر أعوام طوال ، وبعضهم كانوا متعاصرين . ومن المتعاصرين ابراهيم ولوط وابنا ابراهيم : اسماعيل واسحاق ، ثم يعقوب ابن اسحاق وابنه يوسف ، ثم موسي واخوه هارون ، ثم داود وابنه سليمان ثم زكريا فابنه يحيى ، وعيسي ابن خالة يحيى ، ثم محمد خاتم المرسلين .

٢ ـ والسنون والأعمار لا يمكن الاعتماد فيهما على نص يقيني ، الا ما جاء في القرآن عن سيدنا نوح ، يقول الله فيه « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما » ١٤/ العنكبوت ، وفي الكتاب المقدس صفحة ١٥ ان عمر نوح ٩٥٠ عاما .

ومن كتب التاريخ المعتمدة على الاسرائيليات ، ويقرب منها ما يذكر في الكتاب المقدس أقدم لك صورة عما ذكروه من أعمار وانساب ، وعقب كل اسم هو عمره :

ابراهيم ١٧٥ ـ ٢٠٠ بن تارح أو آزر ٢٥٠ بن ناحور ١٤٨ بن ساروغ ٢٣٠ بن راعو ٢٣٩ بن فالغ ٤٣٩ بن عابر ٤٦٤ بن شالح ٤٣٣ بن ارفخشذ

هوشي منه !

● نسمع كثيرا في هذه الايام عن هوشي منه Ho Chi Minh رئيس دولة فيتنام الديموقراطية التي تشتبك قواتها في حرب مع قوات حكومة فيتنام الجنوبية والقوات الأمريكية . ويقول أهل الغرب انه العقبة الكبرى في سبيل السلام الذي يرجوه كل انسان . فمن هو هذا الرجل الذي بلغ من أمره هذا الشأن .

محمد عثمان / بغداد

❋ ولد في مدينة كيم لين بفيتنام الوسطى في عام ١٨٩٠ وربما قبل ذلك بسنوات ، فلعله الآن قد جاوز عامه الثمانين .

❋ اسمه الحقيقي في شهادة الميلاد نجوين أي كيوك Nguyen Ai Quoc وكان أبوه مزارعا .

❋ بدأ نشاطه السياسي في عام ١٩١٣ عندما ظهر في لندن حيث كان يعمل خادما على احدى



يشرف على هذا الباب

عبد الوارث كبير

٤٢٨ بن سام ٦٠٠ بن نوح ٩٥٠ – ١٠٠٠ .وقالوا ان نوحا هو ابن لامك بن متوشلح بن خنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن انوش ابن شيث بن ادم الذى عاش بين ٩٣٠ – ١٠٠٠ سنة .

وليس المجال متسعا لذكر كل ما قيل من انساب واعمار ، ففى ذلك اختلاف حتى في نطق الأسماء وكتابتها . والأنبياء الذين تستفسر عنهم بيانهم كالآتى: يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم. وموسي جده الثالث هو لاوى بن يعقوب .وسليمان من اجداده يهوذا بن يعقوب ، وبينهما اكثر من عشرة آباء . وعيسي بن مريم ، امه من نسل سليمان وبينها وبينه أكثر من سبعة عشر اسما .

٣ – والرسل الذين جاءت أخبارهم في القرآن لا يخرج موطنهم عن بلاد العرب شاملة الشام بوحدتها القديمة ، والعراق ، ومصر التى دخلها ابراهيم ، واقام فيها يوسف ، ونشا بها موسي ، ودخلها المسيح . اما رسولنا محمد فمعروف موطنه مكة وهاجر الى المدينة وهما من أرض الحجاز من بلاد العرب .

والذى لا شك فيه أن هناك رسلا بعثهم الله في اماكن مختلفة من الارض المعمورة في قديمها ، والقرآن صريح في هذا « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » ١٦٤/ النساء ، « وان من أمة الا خلا فيها نذير » ٢٤/فاطر « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ١٥/ الاسراء .

٤ – والنبوة لا تورث ، وانما هى اجتباء من الله واصطفاء ، واختيار ، ولا يمنع ذلك من ان

السفن الفرنسية . وسجنه الانجليز لمدة عامين .

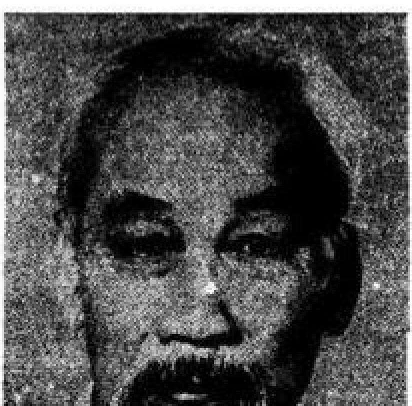
* انتقل الى باريس في عام ١٩١٩ ، على أثر انتهاء الحرب العالمية الاولى وبدأ يطالب بالاستقلال لبلاده الهند الصينية عن فرنسا . ونشط في العاصمة الفرنسية فراح يوزع المنشورات المعادية للاستعمار الفرنسي ، ويحرض الناس على التظاهر بعنف ضد الحكم الفرنسي في الهند الصينية ، وحكمت عليه المحكمة الفرنسية بالاعدام غيابيا .

* ظهر بعد ذلك في موسكو عام ١٩٢٣ ثم سافر الى مدينة كانتون بالصين حيث التقى بالزعيم الوطنى « صان يات صن » San Yat Sen ولم يكن شيوعيا ، وانضم الى انصار شيانج كاى تشيك رئيس حكومة فرموزا او الصين الوطنية ، ولكنه ما لبث أن انشق عليه عندما قطع شيانج علاقته بالشيوعيين .

* ساعد الصين وانضم الى حركة ماوتسي تونج التى كانت تهدف الى التخلص من اليابانيين وطردهم من البلاد .

* حول نشاطه الى بلاده ، وما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى نجح هوشي منه في اعلان استقلال فيتنام بعد عزل امبراطورها السابق باوداى Bao Dai واستمر يحارب الجيش الفرنسي حتى هزمه في موقعة دين بين فو في عام ١٩٥٤ . وفي هذا العام قامت دولة فيتنام الشمالية وأصبح هوشي منه رئيسا لها .

م . ن



بعض الرسل كان آباؤهم بل اجدادهم انبيـــاء ورسلا ، مثل يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، فالاربعة رسل ، ومثل سليمان وابيه داود ، ومثل يحيى وأبيه زكريا .

والله أعلم بمن كان في الارض قبل بني آدم ، الا أن الارض من يوم عمرها آدم وبنوه انحصرت النبوة فيه وفي ذريته ، « أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم » ٥٨ / مريم .

ثم انحصرت النبوة في ذرية نوح ، ثم انحصرت في ذرية ابراهيم « ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة » ٢٦/ الحديد . وفي شأن ابراهيم أيضا يقول الله تعالى « وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب » ٢٧/ العنكبوت . وخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم هو من نسل اسماعيل بن ابراهيم ، والله سبحانه وتعـــالى علام الغيوب .

ع. ف

الفاشستية والنازية

● ثمة مصطلحات نسمعها ونستعملها دون أن نفهم معناها بالتفصيل . مثال ذلك الفاشستية والنازية . هل هما شيء واحد ، أم شيئـــان مختلفان ؟

ــ نوجز الاجابة فنقول : ان الفاشستية هي المذهب السياسي الذي مارسه موسيليني في النصف الأول من هذا القرن في ايطاليا . وأما النازية فهي نفس المذهب تقريبا مارسه هتلر في النصف الأول من هذا القرن في المانيا . حتى لقالوا ان النازية هي الفاشستية الالمانية .

والنظر في الفاشستية بوصفها الغلو والتطرف في الروح القومية ، وبوصفها أيضا مجموعة المبادىء والأساليب التي يقتضيها ذلك الغلو والتطرف ، يقتضي النظر في الروح القومية التي بدأت تظهر في أوروبا في مطلع القرن التاسع عشر ، تلك التي ما لبثت أن سلكت سبيل التطرف بتأثير من بعض الفلاسفة والمفكرين وأغلبهم من الالمان المحدثين ، أمثال فختهFichte وهيجل Hegel ونيتشه Nietzsche وبضغط مباشر من عوامل تاريخية أو اجتماعية سياسية ، أهمها وأبرزها الهزيمة والحرمان .

أما الفلسفة الفاشستية ومبادئها وأســـاليبها فنوجزها في النقاط التالية :

١ ــ الدولة من وجهة النظر الفاشستية أهم من الفرد الانساني ، ومصلحتها فوق مصالحه . فهي تتمتع بروح أو كيان خاص بها ويكاد يكـون مستقلا عن الكيانات الفردية المكونة لها . بل ان هذه الكيانات الجزئية لا مبرر لوجودها أصـــلا الا كيان الدولة الاسمى ، بحيث يتوجب التضحية بالأفراد وبحرياتهم وحقوقهم في سبيل توطيد كيان الدولة وتحقيق الأمجاد لها .

٢ ــ وما دام الأمر كذلك ، وما دام في العالم دول كثيرة ، كان لا مفر من خوض الحرب ، بل كان لا بد من شنها ، على حـــد قــول شبنغلر Spengler فالتاريخ الانساني في نظر هـــذا الفيلسوف ، قوامه وقاعدته الحرب . وما السلم في رأيه الا الفترات التي تستريح فيها الدول من حرب سابقة وتعد العدة لحرب مقبلة . أما الغاية فهي في كل الحالات السيطرة على الغير والقـــوة من أجل القوة .

٣ ــ ويتبع ذلك ، كما لا يخفى ، التمييز العنصري والعرقي والأخذ بمبدأ التفاوت النوعي بين الدول ، بما في ذلك النعرة اللاسامية التـي تمثلت في الاحزاب الفاشستية الالمانية والايطالية ، وروح النقمة على غير اليهود من أبناء البشرية وهي النعرة التي تقوم عليها الحركة الصهيونية .

٤ ــ فضلا عن ذلك فان المبادىء الفاشستية تميز بين سائر الطبقات في الدولة الواحدة فترفع بعضها فوق بعض ، وتنيط بالصفوة المختارة منها Elite ، مسؤولية الحكم (الدكتاتوري طبعا) في تلك الدولة . فالفاشستية والديمقراطية اذن على طرفي نقيض .

ي. ز.

أريد أن أكون محاميا . ولكن !

● أنا طالب بالثانوية واتخذت لنفسي هدفا أن أكون محاميا . فعندى انطلاق الفكر وكذلك عندى وفرة كبيرة من الالفاظ والجمل الطريفة . ولكن في لسانى عجزا ، يشبه اللعثمة ، تأتى أحيانا بقوة ، وتضعف أحيانا . فهل بسبب هذا العجز أدفن هذا الأمل وأطلب مهنة غير المحاماة ، أم عندكم رأى آخر ؟!

م.خ ــ سوريا

ــ نحن لا نقرك يا أخ (م.خ) على موقفك. فهو لا يخلو من استسلام للأمر الواقع فضلا عن التنصل عن محاولة تقويمه . ولعل اللعثمة في لسانك أسبابها نفسية لا عضوية. ولعل في وسعك، بالمران وصدق العزيمة ، أن تتغلب على هذه اللعثمة ، بل أن تحيلها الى طلاقة في اللسان وفصاحة .

ولك في قصة الخطيب اليونانى الشهير ديموستينس Demosthenes (٣٨٥ ــ ٣٢٢ق.م) خير أسوة . فقد كان أخطب خطباء اليونان بلا استثناء . وكانت خطبه كالسحر ، لا تلبث ان تأسر عقول جماهير المستمعين وقلوبهم .

ومع ذلك فلم يفطر ديموستينس هذا على الخطابة ، بل ولد وبلغ سن الرشد أو كاد وفي لسانه لعثمة !! وكان في تلك السنوات الطوال يرنو الى الخطابة والسياسة كما ترنو أنت الى المحاماة ويشعر بالهوة السحيقة التى تحول بينه وبين آماله كما تشعر أنت .

ولكن ديموستينس لم يذعن لواقعه ولم يتخلَّ عن امنياته وطموحه . وبدلا من أن يستسلم الى لعثمة لسانه انطلق يقوّم بالمران لكنته . فجعل يذهب الى شاطىء البحر صباح كل يوم ويقضي الساعات الطوال على رماله ، وهو يخطب بأعلى صوته ، وكأنه يخاطب حشدا كبيرا من المستمعين مع أنه لم يكن يخاطب سوى امواج البحر . كان يفعل ذلك بعد أن يضع حصاة في فمه ، تكفل لعضلات لسانه مزيدا من المران والاشتداد أثناء خطابته تلك على شاطىء البحر ، حتى اذا اكتمل ذلك المران ، استكملت تلك العضلات نموّها ، وخلص هو من اللعثمة ، بل أصبح خطيبا بارعا لم يعرف الاغريق ولا الرومان أيضا خطيبا آخر يُضاهيه . وأصبح من ساسة أثينا البارزين ، اذ كانت الصلة بين السياسة والخطابة وثيقة للغاية حينئذ في حياة اليونان .

ولا ريب في أن خطب ديموستينس الواحدة والستين تمثل ذروة شامخة من الذرى التى بلغتها الخطابة السياسية في سائر العصور وعلى مر الأجيال . وحسْبُ هذه الخطب أن تكون هى التى استنهضت هِمَمَ أهل أثينا وألّبتهم على الحكم الاستعمارى الذى فرضه فيليب ، ملك مقدونية ، وأب الاسكندر الكبير ، عليهم .

ومن يدرى فقد تتغلب أنت أيضا على لعثمة لسانك فتصبح مع الأيام محاميا قديرا بارعا ، ولكن ليس بوضع الحصا في اشداقك ، ولكن بالاستعانة بمن جعلوا الشفاء من اللعثمة بالمران العلمى مهنة ،تسأل عنها الأطباء النفسانيين ورجال التعليم المختصين حيث يكونون .

ى. ز .

أسباب المد والجزر

● كثيرا ما تتردد في البحوث الجغرافية أقوال مفادها ان هناك علاقة تربط بين ضوء القمر وحدوث حالتى المد والجزر في مياه البحار أو الانهار .. فما نوع هذه العلاقة ؟ وكيف تحدث ؟ وهل هناك أسباب لحدوثها ؟

فهد محمد العيسي/الدمام السكة الحديد

ــ هذا أمر معروف .. فالقمر يجذب الارض كما تجذب الارض القمر ، ومن نتيجة ذلك ان القمر في دورانه حول الارض يجذب ماء البحر فيرتفع ويتحرك نحوه .. ومن أجل ذلك كان المد والجزر يتعاقبان مرتين في اليوم الواحد الكامل.. وهذه أمور معروفة لطلاب المدارس . (اغفلنا اثر الشمس للتبسيط) .

أريد أن أكون قصاصا ، فمن أين أبدأ

● أنا شاب في التاسعة عشرة من عمري وفي آخر المرحلة الثانوية من دراستي، أرغب في أن أصبح كاتبا قصصيا وأشعر بالاستعداد وبأنني مؤهل للسير في هذا الطريق . بل بدأت السير فيه فعلا اذ كتبت عدة أقصوصات صغيرة لا بأس بها . على أنني اريد أن أكون كاتبا نافعا لنفسي وللمجتمع الذي أعيش فيه ، فمن أين وكيف أبدأ !؟ أرجو أن ترشدوني وتدلوني سواء السبيل ..!

حسن . ع ـ الكويت

ـ حقا ان شعورك بالميل الى هذا الفن لا يعدو كونه نقطة البدء . فهو في حاجة الى السعي والدأب المتواصل وهو في حاجة أيضا الى موهبة طبيعية أو استعداد فطري لممارسة هذا الفن واتقانه والشعور بالميل الشديد مصحوب عادة بالموهبة .

اما السعي والدأب الذي ان أنت أخذت به حققت أمنيتك ، وان أنت تخاذلت فيه ، طمست معالم موهبتك ، فيجب أن يستهدف ، في رأينا ، الاهداف الثلاثة التالية :

١ ـ اللغة : فما لم تمكّن نفسك من لغتك وتعمل على تهذيب أسلوبك فانك لن تستطيع ممارسة فن كتابة القصص .

ولكنك مكلف أيضا باتقان احدى اللغات الاجنبية بالاضافة الى لغتك والا تعذر عليك اتقان ذلك الفن .

٢ ـ المطالعة : ذلك ان المطالعة ، وهي أهم ما يتوجب عليك فعله ، تفترض اجادتك لاحدى اللغات الاجنبية ، وقدرتك على المطالعة فيها ، فضلا عن العربية، وقراءة كل ما تستطيع قراءته. فانت تجد في هذه اللغات الاوربية وفرة كبيرة من القصص لا تجدها في اللغة العربية ، وتجد فيها كذلك شمولا لسائر أنواع القصص ، القصيرة ، المسرحية الخ ... ومستوى في الابداع والابتكار ، مما لا تجده في لغتنا العربية في الوقت الحاضر .

٣ ـ الثقافة : ولا تنس أنك ملزم باستكمال دراستك وتعلمك حتى تتخرج من الجامعة ، فلا تتوقف ، بل تمضي قدما في تثقيف نفسك وزيادة معلوماتك لا في مجال القصص والادب فحسب وانما في المجالات العلمية والاجتماعية أيضا .

نرجو الا يمضي وقت طويل يا أخ حسن حتى نقرأ ونستمتع بقصصك ، والله ولي التوفيق .

ي . ز

من هو صالح بن عبد القدوس ؟

● لقد قرأت عدة كتب وفيها بعض القصائد للمرحوم صالح بن عبد القدوس وجميع هذه الكتب تذكر أنه توفي عام ٨٥٥ هـ . فلماذا لا تذكر تاريخ ومحل ولادته ؟ وهل لكم أن توافونا بلمحة قصيرة عن حياته ومكان وفاته ، ولكم جزيل شكري واحترامي وتقديري .

رجب حمادة / سوريا

ـ صالح بن عبد القدوس من الشعراء العباسيين، كان من البصرة ورحل الى بغداد ، وقالوا ان شعره كان حكما وامثالا ، واختلف في أنه قتله المهدي أو قتله الرشيد في بغداد، لاتهامه بالزندقة.

ترجم له تاريخ بغداد في الجزء التاسع ، وترجم له ابن المعتز في طبقات الشعراء ، وله ترجمة في معجم الأدباء ، وعيون التواريخ في حوادث سنة ١٦٠ هـ . فهو اذن قتل بين سنة ١٦٠ و ١٧٥ هجرية. وهو صاحب الشعر المشهور :

وان من أدبته في الصبا
كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا
من بعد ما أبصرت من يبسه

والشـــيخ لا يـــترك أخلاقـــه
حتـــى يـوارى في ثـــرى رمســه
اذا ارعـــوى عـــاد الى جهـــله
كـذى الضـــنى عـاد الى نكســه

ومن شعره أيضا :

لا يعجبنـــك مـــن يصـــون ثيابه
حـــذر الغبـــار وعرضـه مبـــذول
ولربـــما افتقـــر الفتـــى فرايته
دنس الثيـــاب وعرضـــه مغســـول

ومن اراد المزيد من شعره فليرجع الى الكتب التى ترجمت له والى حماسة البحترى ايضا .

ع. ف

اللغة العربية نشأتهــا .. وتطورها

● كيف نشأت اللغة العربية بين اللغات السامية ؟

فخرى ذاكر الحديثى
حديثة ـ الرمادى بالعراق
محمد الدقس ـ الجزائر

ـ خطابان بنفس المعنى .. واحد من العراق والآخر من الجزائر .. وأحسن رد على هذين السؤالين وجدناه في كتاب : تاريخ اللغة العربية للمرحوم جرجى زيدان الذى يقول فيه : انه يعتقد : ان اللغة العربية نشأت ونمت ، أى تميزت فيها الاسماء والافعال والحروف وتكونت فيها معظم الاشتقاقات والمزيدات وهي لا تزال في حجر امها، اى قبل انفصالها عن أخواتها الكلدانية والعبرانية والفينيقية وغيرها من اللغات السامية. وبعبارة اخرى أن أم هذه اللغات ويسمونها اللغة السامية أو الآرامية ، تمّ نموّها فتكونت افعالها واسماؤها وحروفها واشتقاقاتها ومزيداتها قبل ان تشتت اهلها أو نزحوا الى فينيقية وجزيرة العرب وما بين النهرين ، حيث اختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح باختلاف أحوالهم فتولدت منها اللغات السامية المعروفة. فالساميون الذين نزلوا جزيرة العرب تنوعت لغتهم تنوعا يناسب ما يحيط بهم من الاحوال أو يجاورهم من الامم ، فتميزت عن أخواتها بأمور خاصة هى خصائص اللغة العربية .

الى جامعة الكويت

● ما هى شروط الالتحاق بجامعة الكويت ، وهل تقبل الجامعة الطلبة العرب من غير الكويتيين.

محمود حسن/البصرة

ـ جاءتنا عدة رسائل من طلاب مؤهلين يطلبون الالتحاق بجامعة الكويت العربية . وانا أتوجه اليهم جميعا بان يكتبوا بذلك الى جامعة الكويت بالكويت . ورجاؤنا من رجال الجامعة والحكومة أن يكونوا عند حسن ظن هؤلاء الابنـاء العـرب المستنجـدين بهـا ، فالنجدة نخوة من نخـوات العرب التى لم تمت بعد .

أين كان موقع سوق عكاظ

● سوق عكاظ ، أشهر أسواق العرب قديما أين كان موقعها ..؟ وما هو حالها اليوم ؟

صادق محمد ـ البحرين

ـ عكاظ هي أكبر أسواق العرب أيام الجاهلية، وقد اختلف الناس في ذكر موقعها ، لكنه يعتقـد انها تقع في واد بين مكة والطائف .. وهى الى الجنوب الشرقى من مكة المكرمة .

وقد زار موقعهـا أخيرا الشاعر خير الدين الزركلى فكتب عنها في كتابه (ما رأيت وما سمعت) يقول : « عـلى مرحلتين من مكـة للذاهب الى الطائف في طريق السيل ، يميل قاصد عكاظ نحو اليمين ، فيسير نحو نصف الساعة فاذا هـو أمام نهر في باحة واسعة الجوانب يسمونها القانس ـ بالكاف المفقودة ـ وهى موضع سوق عكاظ .. وهذه الباحة هى مجتمع الطرق الى اليمن والعراق ومكة ، وهى مرتفعة تشرف على جبال اليمن » .

تريم .. وأسرة الكاف

● أرجو أن توضحوا لي أين تقع مدينة تريم .. وما هي أسرة الكاف ؟

محمد سالم بازينة ـ طرابلس ـ ليبيا

ـ تقع مدينة تريم على وادى حضرموت ، وتعتبر المدينة الثانية في سلطنة حضرموت الكثيرية ..

اما أسرة الكـاف فهي من الاسر العريقـة في حضرموت ، وكان الكثيرون من افرادها قد هاجروا الى سنغافورة حيث كونوا ثروة هنـاك عادوا بها الى بلادهم .

(لزيادة التفاصيل .. انظر استطلاع «العربي» عن مدينة تريم في العدد رقم ٨٧) .

درجة قصوى من الدفاع بأقل التكاليف تبرهنها الخبرة البريطانية

ان حوامة مؤسسة الحوامات البريطانية هي الجواب الحديث لمشاكل الدفاع الساحلية التى يواجهها العديد من الشعوب في ارجاء شتى من المعمورة. فبالسرعة الزائدة وحرية الحركة التى تفوق سرعة الزوارق العادية،وبحملها آخر ما توصل اليه العلم من معدات حربية تعتبر هذه الحوامة اكثر فعالية في تحمل واجبات الدوريات السريعة. فبامكان هذه الحوامات ان تغطى مساحة كبيرة بسرعة ليلا أم نهارا لا تعوقها الصخور القريبة من سطح الماء او الكثبان الرملية او الطينية حتى ولا الشبكة الدفاعية الموضوعة تحت سطح الماء في حالتى المد والجزر. ولقد استخدمت هذه الحوامة حتى الآن من قبل قوات الدفاع البريطانية ومن قبل بحرية الولايات المتحدة. وبرهنت على قوة احتمالها وقدرتها على الحركة بنجاح فى الطقس الحار وفي الجو الصحراوى .

وتستخدم الحوامة س.ر.ن ٦ التى يبلغ وزنها ١٠ اطنان حاليا من قبل سلاح النقل الملكي ـ قسم الحوامات ـ وهى الوحدة العاملة الاولى في العالم ، وبامكانها ان تحمل ٣٠ جنديا بكامل السلاح والعتاد او ثلاثة اطنان من المواد ، وتبلغ سرعتها الاعتيادية ٥٦ عقدة بحرية . اما الحوامة ب هـ ٧ التى يبلغ وزنها ٤٠ طنا والتى هى في طور الصنع حاليا للحكومة البريطانية بشكليها كحوامة للدوريات السريعة ولنقل المعدات والطعام في الميدان فبامكانها حمل ١٤٠ جنديا كاملي العدة او ١٤ طنا من المعدات او العربات، وتبلغ سرعتها الاعتيادية ٧٥ عقدة بحرية . بهذا تشكل الحوامة البريطانية راس الرمح في ميدان السبق العسكرى وتعرض اسسا ومقاييس جديدة فى المرونة والسرعة للقوات الدائبة الحركة في أى مكان في العالم .



الحوامة البريطانية ـ تتقدم العالم في ميدان النقل

شركة بريتش هوفر كرافت
المحدودة تابعة لشركة وست
لاند المحدودة للطائرات

BHC

british hovercraft corporation limited

YEOVIL ENGLAND

BHC

اِضْحَكْ

تضحك الدنيـا معك

ابكِ تبكِ وحـدك

الاسكاف حافى ..

● **العريس لعروسه أثنـاء شهر العسل :** كم انا سـعيد لاعجابك بميـولي الاقتصادية وبتعليقاتي ومقترحاتي حـول ما ينبغى لنا فعله فى سـبيل التوفير والادخار .

العروس : حقا يا عزيزى . فقد استرعى انتباهي أن تتوفر لك كل هذه المعلومات عن المال وكيفية جمعه دون أن يتوفـر لك المال نفسه !..

العقل والمال !

● أرادت الزوجة أن تذهب الى السوق لشراء بعض ما يلزمها من ملابس جديدة كما تعودت أن تفعل دائما ، فانتهزت فرصة وجود زوجها معها على مائدة الافطار وطلبت اليه أن يعطيها مبلغ عشرة جنيهات ! .

وثار الزوج قائلا : « انك لا تتركين يوما يمر دون أن تطلبي مزيدا من المال لشراء ما يلزمك ، والواقع انني أعتقد أن ما يلزمك حقا هو قليل من العقل ، فانت زوجة بلا عقل ! »

وقالت الزوجـة فى هدوء : « ربما تكون على صـواب يا عزيزي ، ولكنني اطلب منك دائما ، فقط ما اعرف انني ساجده عنك ! » .

النصيحة ، أعمال ، لا أقوال

● دُعى أحدهم لالقاء محاضرة يشرح فيها شروط النجاح فى الخطابة . قال : **اذا رُمْتَ بذَّ الغير فى سحر الانام ، ببيانك وبلاغتك فى خطابتك ، فاحرِبك أن تستلهم مكنونات جبلّتِك، وتستقطبَ شواردَ بصيرتك ، وتستبعد الفهاهةَ ، فضلا عن التذْبيج والتزمّت وما اليهـا من بوادر تبجّحِك ...**

واستطرد المحاضر على هـذا النحو حتى بدا الملـل على المستمعين وهـمَّ بعضهم بالخروج من القاعة .

ابتسم حينئذ واردف قائلا : « **بعبارة أخرى ، وختاما لهذه المحاضرة ، انصحكم أن تتحـدثوا الى مستمعيكم ببسـاطة وعفوية كمـا لو كنتم تتحـدثون الى اصدقائكم وذويكم ، وانصحكم فوق ذلك كله أن تتجنبوا التقعير فى اللغة والالفاظ والا حلَّ بمستمعيكم ما قد حـل بكـم انتم خلال النصف الساعة الماضية »...**



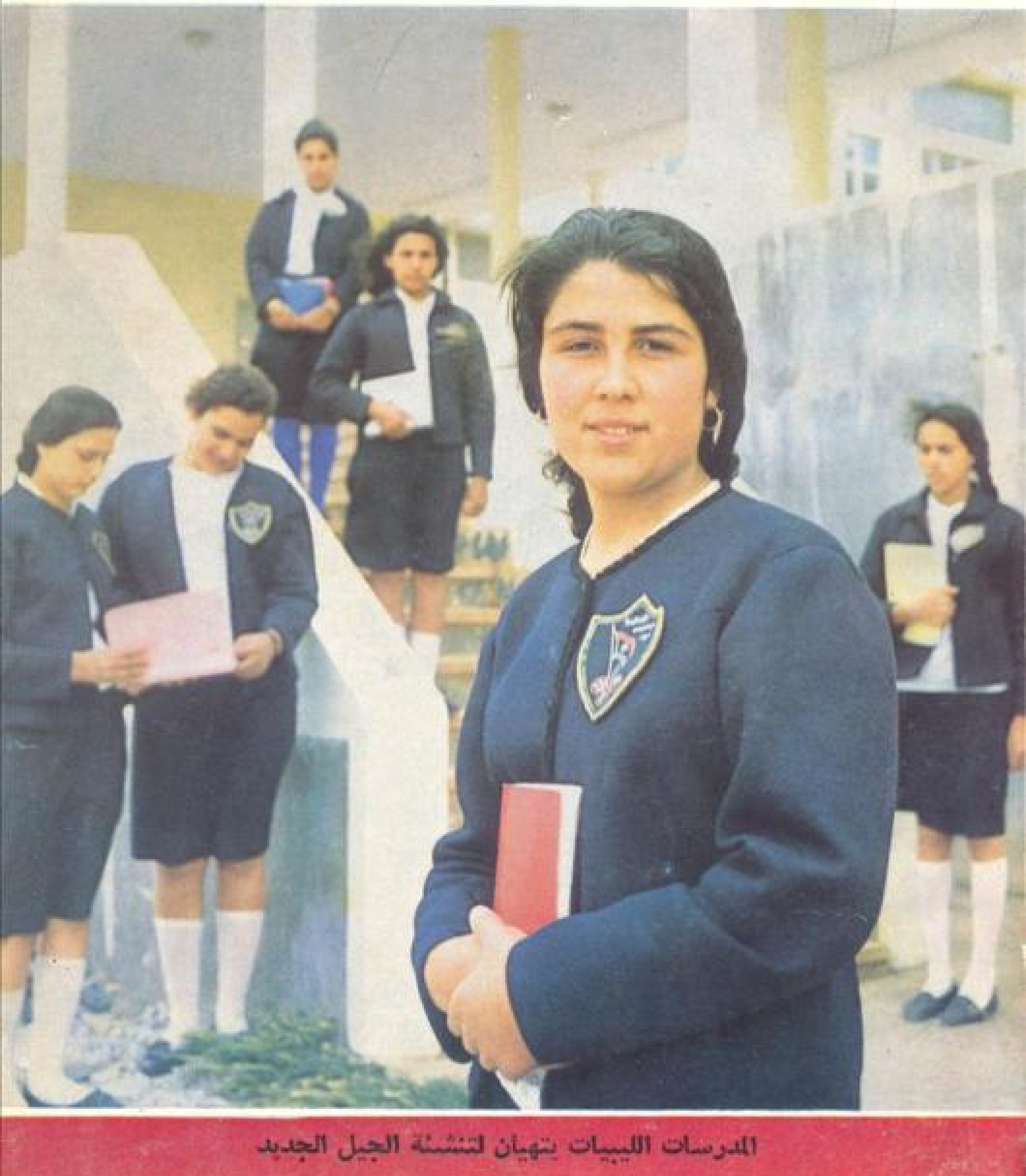
علم النفس بالفطرة

● **استاذ المدرسة :** ما هو الفرق بين الجلَد والعِناد ؟

التلميذ: كلاهما قوةُ ارادةٍ، تردُدُ فى الحالة الاولى «نعم» وفى الحالة الثانية « لا » !!

العربي

العدد ١٠٥
٢٥ ربيع الثانى ١٣٨٧
اغسطس
(آب) ١٩٦٧



المدرسات الليبيات يتهيأن لتنشئة الجيل الجديد

جوائز ١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢,٥	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم



يوسف الصديق عند إلقائه في الجب: كان يوسف الصديق أثرا لدى والده في طفولته، يفضله على جميع أخوته الذين ائتمروا به ليقتلوه كي يخلو لهم وجه أبيهم «يعقوب»، ثم استقر رأيهم على أن يطرحوه في غيابات الجب، على نحو ما تمثل هذه اللوحة التي هي واحدة من أروع ما خلف الفنان الرسام «موريليو».

انظر العدد ٩٨ من العربي / يناير ١٩٦٧ / ص ١٢٦

عزيزي القارئ

● لا شك أدركتَ أن عدد يوليو (تموز) قد تأخر صدوره ، وتأخر انزاله الى الاسواق ، في كل البلاد العربية ، بسبب الحرب التى نشبتْ .

وقد جهدنا ما جهدنا لينزل هذا العدد الحاضر ، عدد « العربي » لشهر اغسطس (آب) ، اقربَ ما يكون الى موعد نزوله المعتاد . وقد نجحنا بعض الشيء .

ونرجو أن ينتظم موعد خروج « العربى » للاشهر القادمة فيما تعودناه من مواعيد .

● وسألنا الموزِّعين عن عدد ما يطلبون من « العربى » عسي ان يكون وفرٌ ولو يسير في زمان الضيق هذا ، فزاد المطلوب عن العدد الشهرى المعتاد الذى هو ١٢٠٠٠٠ ، وزاد كثيرا .

فكأنما الضائقة تزيد الناس قراءة .

وقد اصدرنا هذا العدد من « العربي » ، ولم ننقص منه ، ونرجو التمكن من المزيد .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

عروبة :

لغات وآداب :

طب وعلوم :

ركن الأسرة والمرأة :

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 105 August 1967 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● بدأت المرأة الليبية تشارك الرجال في تحمل مسئولية النهوض بالمجتمع الليبي .. بعد أن ظلت تعيش بعيدة عن الاضواء ، تخفي وجهها بالملاءة الكبيرة البيضاء .. أما اليوم فقد أزاح التعليم هذه الملاءة وأصبحت الفتيات يتلقين مختلف العلوم .. وعلى صورة الغلاف مجموعة من طالبات معهد المعلمات في مدينة البيضاء بليبيا ممن سيتخرجن هذا العام .

(انظر الاستطلاع ابتداء من ص ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس. مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣ر٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣ر٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت – ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

حقيقة الصور « الممنوعة »

● اطلعنا في القليل من الصحف على ان مجلة « العربي » ارسلت بعثة الى مواقع القتال من نهر الاردن وسوريا ، وانها جاءت بصور تدين العدو رائعة ، لا سيما فيما يتصل بالحروق التى اصابت العزّل من الاطفال والنساء والرجال . وان « العربي » ، عملا بمبدأ السبق الصحفى ، منعت هذه الصور عن الصحف المحلية ، فنرجو الا يكون هذا الخبر صحيحا .

سعد البوراني ــ الكويت

العربى : أما ما ذكرته من البعثة ورجوعها بصور رائعة دامغة للعدو في اجرامه فهذا صحيح، واما أنها منعت هذه الصور عن الصحف تمشيا مع مبدأ السبق الصحفى ، فهذا غير صحيح ، فالسبق الصحفى أمر جائز وعادل في الظروف العادية ، ولكنه لا يؤخذ به في المسائل الخطيرة القومية . وانما الذى وقع أن الرجال المسئولين رأوا في هذه الصور خطورة حدت بهم الى أن يبعثوا بها برسول خاص من « على الفور الى هيئة الامم المتحدة بنيويورك لعرضها على وفود الامم ، اظهارا لمظاهر الاجرام الذى قام به العدو الصهيونى . وحرمت هذه الصور ، حتى يتم ذلك العرض ، على كل الصحف العربية ، ومنها مجلة « العربى » ، فلما فرغت الغاية من المنع نشرتها « العربى » ونشرها هؤلاء الشاكون من المنع ، حتى في الاعداد التى ذكروا فيها الشكوى .

اقتراح مشكور

● نظرا للظروف الراهنة في العالم العربى . فانني أطلب من مجلتى « العربى » التى تتمتع بشعبية كبيرة في العالم العربى ان يرفع سعرها من ١٠٠ غ.ل الى ١٢٥ غ.ل. على ان يذهب هذا الرسم الاضافي كتبرع من القراء الى منكوبى الدول العربية الشقيقة ، ومساهمة منهم في المجهود الحربى لنصرة الحق في فلسطين .

عبد الرحمن حجازى
صيدا ــ لبنان

العربى : نحن شاكرين لاقتراحك وقد تكرر من غيركم ، ولكنا لا نرى رفع هذا السعر لأن أكثر قراء العربى من الشباب ، وأكثر شباب هذا العصر على أكتافهم من أحمال العيش ما أثقلهم . والعربى ثقافة ، ونحن من الداعين الى ارخاص الثقافة حتى يتناولها أكبر مجموع من الناس .

بترول ■ ■ ■

● تحية العروبة الصادقة المتمثلة اليوم في التحام القوى العربية ، والمنصهرة في بوتقة واحدة ، الا وهى وحدة النضال العربى لمجابهة التحديات التى تحاول الدول الاستعمارية الامبريالية فرضها على امتنا بالقوة ، واننى كواحد من بين الملايين العربية المائة ، أشعر بعظيم الفخر ، للموقف الصامد الذى وقفته حكومة الكويت الوطنية ، بوقف ضخ النفط العربى الى تلك الدول الاستعمارية التى دعمت قوى البغى الصهيونى بكل طاقاتها ، والتى فضلت صداقة مليونين من البغاة المعتدين على صداقة مائة مليون عربى .

رسالة مفتوحة من بعض الطلبة العرب بأمريكا

● دفعني الى الكتابة الى « العربي » ما نلقاه نحن العرب في الخارج من ذل وهوان .. فنحن نعيش في امريكا في حالة يرثى لها .. لا تستطيعون ان تتصوروا حالتنا ونحن نرى ونسمع ما يعرضونه ويذيعونه علينا في الصحف والتلفزيون الامريكي عن النكسة التي اصابتنا نحن العرب . انكم لو رايتم ما نرى لجن جنونكم .. فهم يضعون الصهاينة الآن في مصاف آلهة الحروب ، بينما يصفون العرب بالجبن والتخلف وعدم الشعور بالمسئولية وكل نقيصة اخرى نسمع عنها ... قولوا لنا بالله عليكم ماذا نفعل ؟ انشروا هذا الخطاب ، وقولوا للعرب اينما كانوا : لن يهدأ لنا بال قبل ان نثأر ، وقبل ان نسترد كرامتنا ، ونرفع آثار العدوان عن اراضينا .

علي عبد اللطيف كامل
عن منظمة الطلبة العرب
لافاييت ـ امريكا

« العربي » : حذفنا كثيرا مما جاء في هذه الرسالة ، وعلى الأخص ما فيها من نقد للعرب وأحوال العرب مرير .

الله ملء السماوات والارض

● قبل ما يزيد على العشر سنوات نشر الدكتور احمد زكي مقالات عظيمة وقيمة في «المصور» القاهرية تحت عنوان « الله ملء السماوات والارض » .

اقترح اعادتها في مجلة « العربي » مع تنقيحها بما جد من اكتشافات في عالم الفضاء . وشكرا

النجاتي احمد محمد
السودان ـ بربر ـ جاد الله

العربي : سوف نأخذ باقتراحك باذن الله .

بدون تعليق

● من غريب الصدف ان نرى هذا التناقض الذي تسير عليه بعض مجلاتنا العربية ـ ان لم نقل كلها ـ ففي الحين الذي تتخذ معظم الدول العربية موقفا ايجابيا موحدا تجاه مقاطعة الدول الامبريالية وعلى راسها (زعيمة الثورة المضادة في العالم) الولايات المتحدة الامريكية ، مقاطعة اقتصادية وسياسية مباشرة نجد ان هذه المجلات لا ترى عيبا في التشهير بهذا الموقف والاستخفاف به .

والا ما الذي يفسر لنا هذا الطغيان الهائل من الدعاية الاعلانية لبضاعة الدول الامبريالية .

مجاهد ريحاوي ـ اللاذقية .

العرب ...

انني اذ اكرر فخري واعتزازي بموقف الكويت العظيم ، اتمنى لشعب وحكومة الكويت ولسائر ابناء وحكومات الامة العربية الواحدة عظيم الازدهار والتقدم .

محمود يوسف اسماعيل
القامشلي ـ سوريا

« العربي » : نشارككم هذا التمني ولا ننسى به الكويت من أمر النفط والمستقبل للعرب باذن الله .

نداء لحكومات الخليج العربى

● في هذه الايام يصول ويجول في خليجنا العربي العربي جماعة من المغامرين يدعون انهم يقومون بانشاء شركات للتامين ، وهم يجمعون مبالغ ضخمة من المستثمرين مقابل الأسهم التي يعرضونها للبيع في الأسواق . وقد اقبل الكثيرون على الاكتتاب في هذه الشركات التي لم تظهر الى الوجود حتى اليوم ، حتى لقد بدأ الشك يساور كل الذين ساهموا باموالهم فيها . ولذلك رايت ان من واجبي كعربي ان اوجه نداء الى حكومات الخليج العربي بان تفرض رقابة على مثل هذه الشركات الوهمية حماية للمواطنين العرب واموالهم .

علي سلطان
بكالوريوس تجارة ـ قطر ـ الدوحة

إنَّ الفَارِسَ الَّذِى سَقَطَ مِنْهُ عِنْدَ لا يَزالُ

بقلم رئيس التحرير

■ هذا الشهر الثامن ، وهذا حديثه . وحديث الشهر ، المفروض فيه ان يتصل بالشهر . والشهر جزء من الزمان . ولكن حديث هذا الشهر ، والشهر الذى قبله ، والشهر الذى بعده ، الى اشهر لا يعلم مداها الا الله ، هذه الأحاديث لن تكون أحاديث تتصل بزمان . أنها احاديث كأحاديث صحفنا عامة هذه الأيام . كلها تدور حول هدف ، والهدف بعض هذا الزمان ، ولكنها لاتمس الهدف . وهى تعلم أنها لا تمس الهدف ، وتعلم كذلك أن مسه كمس زناد قنبلة فقد تنفجر في وجه من مسها فتطيح به ، وقد تطيح كذلك بمن حوله وما حوله .

وحتى لو أن كاتبا لم يبال ان يمس زنادا ، فقد يحال بينه وبين مسه .

ومن الكتاب من لا يحال بينه ، ولكنه يخشى تفجير القنبلة التي يريدها في الضباب القاتم القائم ، فهو لا يكاد في هذا الجو المتلبد أن يرى سبيله الى الشيء الصائب المؤكد صوابه ، الى الرأى الصحيح الذى أقل ما يقال فيه انه رجحت صحته .

الآراء لا تنشأ فى فراغ

ذلك لأن الآراء لا تنشأ في الفراغ .

انت صاحب رأى ، أو تريد ان تكون صاحب رأى ، في مدينة ، او في طائفة من رجال .

النزالِ سيفُهُ سَلِيمَ القلْبِ والجسَد

لابد لك لتكوين هذا الراى في مدينة من النزول اليها والدوران فيها ، والنظر في احوالها ، ورؤية اهلها وهم يمارسون اعمالهم والاستماع اليهم فيما يتفقون فيه وفيما يختلفون .

وكذلك طائفة الرجال . اذا اردت ان ترى فيهم رأيا لا بد ان تخالطهم ، وان تسمع منهم ، وان تقول لهم ليقولوا لك .

انك لا تستطيع ان تبقى في منزلك وتغلق النوافذ والابواب لتكوّن رأيا عن مدينة او طائفة من الناس .

وكذلك انت لا تستطيع ان تكوّن رأيا واهل المدينة معقودو الألسنة ، خرس لا يتكلمون . ولا ان ترى رأيا في طائفة من الرجال كذلك وهم خرْس او يتخارسون . صمّ او يتصامون .

والناس من عادتها الكلام ، حين الكلام مباح . ولكن في الجو الذى تغشى فيه المدينة غشاوة هائلة من الضباب الأبيض ، او عاصفة هوجاء من الغبار الاصفر .

يكتفي كل انسان بان يجد ، على الصمت ، سبيله الى عمله ، ثم سبيله الى الدار .

وهكذا نحن في هذه الايام .

نسأل ما الخبر ؟

ويجيئك الجواب : لا خبر .

او يجيئك الجواب بان فلانا ذهب ، وفلانا حضر ، واجتمع من اجتمع ، وتفرق من تفرق . ولكن لأى شيء حضروا ، ولأى شيء ذهبوا ، ولأى شيء اجتمعوا او تفرقوا ؟

علم ذلك عند الله ، والأيام .

وحتى لو استطعت ان تسترق السمع ، فما لك ان تقول ، وشرّ من ذلك ان تكتب .

والماضي ، واحداث الماضي ، اصبحت اشياء في ذمة التاريخ ، فهذه لا يمكن ان ينالها قلم كاتب ، الا بصيغة ترضي الناس عن ماضيهم ، او على الاقل بصيغة تحيى امل الناس في مستقبلهم

اقول هذا ولا اشكو . وانما اصف حالا .

ذلك ان هذه حال ؛ هي عند قوم من الضرورة بمكان ، وهي تأتي الشعوب جميعا . وتأتيها في احلك اوقاتها . ونحن العرب لا شك اليوم في احلك اوقاتنا .

على الاقل هكذا يقول المتشائمون . فاذا سألت المتفائلين ، قالوا لك بل نحن اليوم في اسعد اوقاتنا .

والفرق بين التفاؤل والتشاؤم كثيرا ما يكون فرقا بين الصدق والكذب .

على اني سوف احاول ، في كلمات قصار ، ان امس امرا واحدا او امرين من الامور المتصلة بشئون اليوم ، وما اكثرها؛مسا خفيفا ، وارجو ان لا اخرج بذلك عن خط مرسوم ، او اسيء الى رجاء مفهوم غير مرقوم . وارجو ان لا امس في ارض انا متجاوزها لغما .

اول الأخبار عن الحرب

الحرب الحاضرة تلقينا اخبارها ؛اول ما تلقيناها ، من الصحف الأجنبية . وتلقيناها اخبارا ، وتلقيناها تعليقا على هذه الأخبار . تعليقا من هذه الصحف نفسها ، فيه بعض التزيد الذي يفيضه البغض وتفيضه الكراهة . وكان اكثر ما ساءني في هذه التعليقات انهم نسبوا هذه الغلبة الخاطفة التي كسبها الاسرائيليون (في اول جولة) الى علم واسع عندهم ، والى تكنيئة ، والىجهل عندنا مطبق بالعلم وبالكتنية معا . وصوروا لنا الجندي الاسرائيلي برأسه كل النتاج العقلي للمدنية الحاضرة،وبيده كل الكفاية الفنية لما كشف الغرب من فن غامر . وصوروا العربي على النقيض من ذلك ، رجلا لم يكد يسمع بالعصر الحديث ولا بالذي فيه من آلة،فهو يقود الجمل، ويقود الثور ، ولكن لا يقود سيارة . انه من بعض مخلفات القرون . وعندهم انه اذا التقى رجل تتمثل فيه المدنية الحاضرة في شبابها الحاضر ، برجل تتمثل فيه بقية زرئة من مدنية غابرة بشيخوختها العاجزة ، لم يتردد احد في القول ايهما يكون الغالب .

وهم بذلك ردوا اسباب الغلبة الى فروق ، بين قوم وقوم ، من النوع القائم الدائم ، الذي لا تصلحه الا الاجيال . فهي اذن في زعمهم غلبة لبني اسرائيل دائما محققة الى حين يطول .

وتأتي اخبار جديدة تتهادى

ثم تتوالى ايام الحرب الست القصار، وتأتي الأخبار تتهادى ، ولكن في رفق . فاذا هؤلاء الجند الذين زعموا انهم علماء العصر وفنيوه ، ما كان الكثير منهم ، باعتراف نفس هذه الصحف الاجنبية الا عمالا عاديين ، سائقي سيارات ، وجرسونات مطاعم ، وبائعي بقول في الأسواق . وقد لا انكر انهم نالوا حظا من التعليم اوفى ، والفة بالجهاز الحربي الذي يركبونه اتم ، بسبب زيادة حظهم من علم ، ولكن هذا لا يبلغ الفرق الذي ارادوه بين سماء زعموا انهم نجومها ، وارض نحن اوحالها .

كانت الحرب خدعة ، فخدعة ، فخدعة

ثم تتوالى الأخبار متهادية مرة أخرى، من وراء البحار كذلك .

وتبدأ اسباب النكسة تتراءى لنا ، لا عن صحف عربية ، ولكن عن صحف انجليزية ، وفرنسية ، وامريكية، وحتى المانية .

فاذا الحرب التي جرت كانت خدعة من بعد خديعة من بعد خدعة :

تصريح قبيل الحرب بيوم يقول فيه كبير الأعداء انهم لا بد ان يفسحوا المجال للجهود الدبلوماسية لحل العقبات السياسية . ومعنى هذا ان الحرب مؤجلة .

وصور فوتغرافية تنتشر،فيها الجنود الاسرائيليون يسبحون في البحر في البسة

الحمامات ، قبل بدء القتال بيوم أو يومين . وينشرها الأعداء،ايهاما بأن غدا لن تكون حرب . وقد كانت .

ورجاء من رئيس الولايات المتحدة ، عن طريق الرجل الطيب رئيس الروس ، الى رئيس مصر ، الا يبدأ بحرب . وكان ذلك في الفجر . وبعد ساعات كانت طائرات العدو في طريقها الى طائراتنا ومطاراتنا .

وعادة الطائرات ان يأتي بها العدو الى مصر من شمال أو شرق ، فاذا بها تأتي واطئة تكاد تمس البحر والارض من غرب، تلف حول البلاد لف المنجل .

وامام الغردقة ، تظهر على المدى طائرات العدو ، فنحسب الهجوم بدأ هناك، فنرسل اليها من طائراتنا ما نرسل . فاذا بالذى وقع سراب خادع . وتعود طائرتنا تطلب الهبوط في سينا ، فلا تجد الا مطارات محطمة .

وصوروا أرضنا وما بها من مطارات تجشسا ، بكمرات حملتها طائراتهم ، من واطئة وعالية، وصوروها بما اصطنعوا من اقمار . ونشرنا نحن في « العربي » بعض هذه الصور، صور سينا ، والخليج والقناة ، ولم نفطن الى ما قد تكون قد حوت كل هذه الصور اذ نالتها العدسات المكبرات .

وباللاسلكي ، استرقوا السمع منا ، قبل الموقعة ، وكذلك والموقعة قائمة .

وباللاسلكي ، هوشوا الأوامر علينا ، فانقطع ما بين قادة وجند في الميدان .

قرات وحمدت الله

قرات كل هذا في صحف الغرب ، وفرقت بين الصحيح والزائف .

وستعجب لقولي اني حمدت الله بعد الذى قرات .

حمدت الله،لانها خدع قد تكشفت، ان تكن افادتهم اعظم الفائدة في الجولة الأولى ، فلن تفيدهم في جولة ثانية ، ان صح انها تكون .

انهم افرغوا كل ما في جعبتهم ، على ما أحسب ، هم ، ومن وقفوا وراءهم ضالعين .

انها خدع ، ولو انها كانت خدعا ذات نتائج حاسمة كاسحة . كانت كالخدعة التي يفقد بها الرجل المجالد اثناء الجلاد سيفه . وهي تدخل في باب الحظوظ التي تتنكر لأصحابها احيانا لا كل حين .

وزاد حمدى لله ان هذه الخدع ليس لها في شئون الحرب أصالة دائمة .

وزاد حمدي لله ان الجلاد الذى سقط سيفه من يده لا يزال سليم القلب والجسم ، معافى ، كل الذى ينقصه سيف تتلقفه يمينه من جديد ، ثم يكون جلاد . جلاد يكون على الأقل لاستعادة ماء وجه ، وكرامة تتفق مع اعدادنا ، لا تكون الا معها حياة ، ولا يكون الا معها سلام .

حياة السلم ، أساس حياة الحرب

على أني ، بصرف النظر عن حرب كانت او حرب تكون ، وبغض النظر عما في الشرق من كدر كائن او كدر يكون ، أود ان أقول ، في غير اساءة لأحد ، وانما من باب التنبيه والتحذير والتوقي ، والحفاظ على الأوطان على المدى البعيد لا على المدى القريب الحاضر ، ان الأمم، كائنة ما كانت ، لا بد ان تسعى على السلم لتعيش فيه حياة طيبة ، راضية مرضية ، توائم العصر الذى هي فيه ، وتواكبه حيثما سار ، وذلك قبل أن تتهيأ لتعيش عيشة حرب ، تشنها ظالمة او مظلومة .

انه رأى أصدع به اليوم ، ولعله بالغد انسب ، أو بما بعد غد . ولكن آذان الناس أوسع ، وهي تلنقد اوعى وأسمع، والنكبة قائمة .

ان حال اي بلد على السلم ، هي الراسمة حالها على الحرب . والسلم الناجحة هي سبيل الحرب الناجحة ، اذا ما فرضت حرب نفسها على البلاد .

الفقر والجهل ، في غابر الزمان وحاضره

واسترسل ازيد الموضوع شرحا فأقول



هكذا يستخدمون الاقمار الصناعية في تصوير الارض العربية وغير العربية ، وهي صور تثير عند العرب الاعجاب بالعلم ، والقلقَ من سوء استخدامه . وسوء استخدامه هنا معناه كشف ما على الارض من مطارات وطائرات ، وعتاد وحرب وجموع رجال . والصورة العليا من التقاط القمر الصناعي جيميني لسيناء وخليج السويس وخليج العقبه . والصورة التي بالصفحة المقابلة لخليج السويس وقنال السويس وبحيرات القنال . وهذه هي بعض الصور التي اذنوا بنشرها فكيف بالتي لم تنشر وتتركز على مساحات اصغر .

ان الفقر مدعاة للهزيمة في حرب ، وكذا الجهل ، وهما في الحياة ، على السلم عناء وشقاء .

وفقر اليوم غير فقر الأمس .

وجهل اليوم غير جهل الأمس .

الدنيا تغيرت وتحولت . وتغيرت حتى الفاظها . وتبدلت ، مما بقي لنا من هذه الألفاظ ، معانيها . فعالِم الأمس أصبح اليوم نصفَ عالِم وعُشر عالم . وغنيُّ الامس هو اليوم فقير . فاذا أنت جمعت اغنياء الأمس في امة قديمة ، رجمعت اغنياء اليوم في امة حديثة ، جمعت ، بميزان اليوم ، فقرا الى جانب غنى . غِنَى الامس كان أرضا تزرع ، وجوهرا



يكنز. وغِنى اليوم عجلٌ دوّارٌ ونتاج زخّار. ومزارع ومصانع ينتج الواحد منها بالآلات في هذا اليوم الحاضر، ما يعجز عن انتاجه الف الف من الرجال في العام الكامل من ذلك الزمان الغابر.

وكذا علم الأمس، وعلم اليوم. ان قست ذاك بهذا، قست قطرة ماء، لا اقول ببحر، ولكن يكفيني ان اقول بزير كبير ملىء بماء.

والأخلاق تفقر وتغنى

والأخلاق، اخلاق الأمس، التى نزل بها الينا المأثور من تاريخنا. واخلاقنا اليوم. الا ما ابعد ما بينهما! ان طيب الارض يكون من طيب اخلاق قومها، وتشقى الارض وتسعد بحظ من عليها من عقل ومن حكمة.

والعرب كان لهم من عروبتهم حظ من الاستقامة موفور، ومن رعاية الذمم نصيب معروف مشهور، وجاء دينهم فقوّم فيهم ما كان اعوج في جاهليتهم من سلوك قديم. وتبحث اليوم في القوم عن اثر عروبة او اثر دين فتجده النزر القليل.

ولعبت سياسة العصور المتلاحقة المتباينة في الخُلق الصلب المتين، فالانت من عرائك الناس، وادخلت من معنى القناعة الكاذبة، والزهادة الزائفة ما يأذن لحاكم جائر أن يجمع لنفسه من خيرات البلاد ما يجمع، ومن وراء ذلك حكمة تسندها هي حكمة التقشف في مرضاة الله. والتقشف والزهادة لا يتقبلها الله، في زعمى، الا ان تكون من عامل مجتهد، يعمل ويجد، ثم يتقشف ليبذل الفيض الغامر من رزقه الغمر على العجزة والمكفوفين وأبناء السبيل.

لا حاجة بنا الى اخلاق نستوردها

اننا، نحن الشرقيين، لنا عند اهل الغرب * حاجة مُلِحّة نتزودها من علم صناعة وعلم زراعة، وفنون الآلات الحديثة، وعجائب المخترعات عامة. ولكن ليس بنا حاجة لنتزود من خُلق ولا من دين.

ومع هذا لا بد من القول ان اكثر الخُلق اليوم هو في بطون كتبنا، لا على ظواهر قلوبنا، فلا بد في الكتب من حفر ونبش لنستخرج دفائنه الثمينة.

وكذلك الدين. ليس بنا حاجة الى استيراد دين. ان ديننا مصدر من مصادر الخُلق عندنا متين مكين. ولكنه دين فى كتاب الله وسائر الكتب دفين.

انه دين ربط الايمان بالعقل (وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون)، وجعل المناقشة بالحسنى اساس الفهم (وجادلهم بالتى هى أحسن)، واجاز للناس الهجرة حيث يَضيق عليهم في العيش وتحجَر حريةُ العملِ والفكر (قالوا كنا مستضعفين في الارض، قالوا الم تكن ارض الله واسعة فيهاجروا فيها). وهو الدين الذى ربط معنى الله بمعنى الكون (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار، والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس، وما انزل الله من السماء من ماء فأحيى به الارض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)

فأين المسلمون من كل هذا؟

ولست اقول ذلك لأجحد نصيب سائر الاديان من اخلاق. وكيف، ودين السيد المسيح يجمل المسيحيون أهدافه بقولهم ان الله محبة.

وفى هذا الكفاية مما يأتلف ومزاج الناس الحاضر.

●●

أحمد زكى

---

* بالغرب اعنى كل من نال حظ الاسد من هذه المدنية التى درجنا على تسميتها بالغربية. ويدخل فيها الروس، ويدخل فيها حتى اليابان.

مسابقة العربي

١٥ إسمًا...

وجوائز ١٠٠ دينار

■ اشتهر كثير من علماء العرب وفلاسفتهم ، وفقهائهم وشعرائهم وادبائهم ، وخاصة في فجر الاسلام وضحاه ، بأسماء غير اسمائهم الاصلية ، غلبت عليهم ، وعرفوا بها على مر العصور ، حتى يكاد الكثيرون من أبناء هذا الجيل ، يجهلون الاسماء الحقيقية لأصحابها .

وقد اخترنا من هؤلاء وأولئك اربعين شخصية جعلناها موضوع هذه المسابقة ، رتبنا أسماءهم بترتيب الحروف الابجدية على النحو التالي :

ابن الاثير ، ابن باجة ، ابن بطوطة ، ابن حنبل ، ابن الرومي ، ابن زهر ، ابن زيدون ، ابن سينا ، ابن طباطبا ، ابن طفيل ، ابن الفارض ، ابن قتيبة ، ابن ماجه ، ابن المعتز ، ابن المقفع ، ابن نباته ، ابن هشام ، ابن الهيثم ، ابو تمام ، ابو حنيفة ، أبو الدرداء ، ابو دلامة ، أبو العتاهية ، الاخطل ، ابو فراس ، ابو نواس ، ابو هريرة ، ابو يوسف ، البحترى ، الحطيئة ، الزمخشرى ، الشافعى ، الغزالى ، المتنبي ، المعرى ،

والمطلوب من القارىء أن يذكر الاسماء الكاملة لخمسة عشر شخصا من هؤلاء الاربعين على الاقل .

ولا يخفى على القارىء أن المقصود بأمثال هذه المسابقة ليس هو مجرد التسلية ، وانما المقصود بها تشجيع القراء على الالمام بتاريخ الآباء والاجداد في عصور النهضة المختلفة ، وحثهم على قراءة المراجع التى تفيدهم في الحصول على الاجابات الصحيحة .

شروط المسابقة

١ ــ ان يرفق بالاجابة كربون المسابقة المنشور العنوان الآتى :

٢ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٠٥ » .

٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٦٧ .

٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

كوبون مسابـ

صناعة الموت ضرورة تفرضها

نكسة حزيران يجب أن نستفيد منها

الأرض العربية إما أن تكون لنا، أو أن

بقلم : احمد السقاف

■ النكسة المؤلمة التى حلت بالشعب العربى في الخامس من حزيران يجب ان نستفيد منها الى أبعد حد ، فالذى حدث كان مفاجاة أيقظت النائمين للعمل وهزت المتحفزين للمزيد من الاستعداد.

لقد كانت الأنباء منذ عشرين عاما تتحدث عن استعدادات عسكرية ضخمة في الارض المحتلة من فلسطين كما تتحدث عن اعداد عنيف لكافة الوافدين الى ما يسمى بدولة اسرائيل ، وكانت الصحف الأجنبية تكشف عن جوانب كثيرة من هذا الاستعداد وهذا الاعداد ولكننا للأسف الشديد ما كنا نعير تلك الأنباء ما تستأهل من اليقظة والاهتمام.

فعلى سبيل المثال تحدثت بعض الصحف كثيرا عن اعداد الفرد اليهودى عسكريا منذ الطفولة مع تلقينه باستمرار انه محاط بأعداء يجب القضاء عليهم ، يحاولون سلبه الارض التى يعيش فيها، وان واجبه لا ينحصر في الدفاع عن هذه الأرض ؛ وانما يتعداه الى تحرير ارض الميعاد الممتدة من النيل الى الفرات ومن حلب الى طرابلس الى يثرب مدينة الرسول .

تدريب عسكرى عنيف جدى ينطبق في اسرائيل منذ المراحل الاولى للتعليم حتى يتخرج التلميذ أو التلميذة ـ اذ لا فرق بين الذكور والاناث في التدريب العسكرى ـ وهم في تدريبهم للصغار يكتفون بالايعازات العسكرية وحمل البنادق الخشبية الخفيفة،اما في المرحلة الثانوية والمدارس المشابهة لها فان التدريب العسكرى يأخذ الطابع العملى الكامل . ولا يتخرج التلميذ او التلميذة من المرحلة الثانوية، او اية دراسة أخرى من الدراسات المهنية الا وقد اتقن اتقانا تاما صناعة الموت ، ونجح في استعمال كافة الأسلحة المكدسة في اسرائيل من

الوطنية الصحيحة

إلى أبعد حد

تكون لأعدائنا



الفتاة الجزائرية لم تقف في الثورة وراء الصفوف

دول العرب . والهدف معروف لا يخفى على احد هو الوثوب على الشعب العربى وتقتيل الأبرياء وتشريدهم بعيدا عن ديارهم وممتلكاتهم . وما يقال عن تدريب الطلاب في المدارس يقال مثله عن تدريب العمال والفلاحين والموظفين وبقية افراد القوم هناك، فالتدريب العسكري اجبارى على كافة اليهود صغارا وكبارا ، ذكورا واناثا ، في الارض المحتلة من فلسطين .

ورغم إقتناعنا بأن النصر الذى احرزه العدو الصهيونى في جولة الخامس من حزيران لم يكن سوى وليد الخديعة الحاقدة الغادرة ، والمباغتة اللئيمة الماكرة ، والتواطؤ الامبريالي ، برغم اقتناعنا هذا ، وبرغم ايماننا الذى لا يتزعزع بأن النصر المؤزر ان شاء الله قادم في الجولة القادمة ، الا اننا نرى ان العدو قد استفاد من كل ساعة مرت على وجوده في الارض العربية منذ عام ١٩٤٨ ، فاستعد استعدادا ضخما وتزود من أسياده وخالقيه بأحدث الطائرات والدبابات والصواريخ الموجهة والقنابل المحرقة ، وتلقى قبيل عدوانه اضخم امداد واكبر عون . وكان التدريب العسكرى الذى فرضه على نفسه نظام حياة في الارض المحتلة خير مشجع له على استعمال السلاح . ولولا التدريب العسكرى الشامل لما استطاعت هذه النفايات أن تستفيد من العتاد الحربى الهائل الذى جاد به الغرب عليها لاذلال العرب واضعافهم ، ولولا التدريب العسكرى الصارم الشامل لما استطاعت السفينة (ليبرتى) ولا الطائرات الامريكية المتسللة ان تجعل نتيجة الجولة لصالح هذه النفايات ، فالعون قدم لجيش حديث مزود بأسلحة حديثة ولعصابات ونفايات وافدة جديدة .

اما نحن وللأسف الشديد المفجع ماذا أعددنا ؟ نحن على يقين أننا محاطون بأعداء كثيرين لم تكن اسرائيل الا واجهة لهم او قاعدة من قواعدهم ، ومع ذلك

كله فقد أهملنا التدريب العسكري في مدارسنا اهمالا تاما ، وتركنا ابناءنا وبناتنا يتبارون في الاهتمام بالأمور التافهة ، فيرهقون كواهلنا بالمطالب السخيفة كشراء الملابس الكثيرة وتكديسها في الخزانات واقتناء السيارات وتغييرها بين حين وآخر ، وشد الرحال في كل صيف الى مصيف جديد يتمتعون فيه بالراحة والكسل والخمول ، حتى اذا ما جد الجد. ودقت ساعة الخطر وجدنا ابناءنا وبناتنا لايعرفون شيئا عن استعمال السلاح . والذنب دون ريب ليس ذنبهم والمسئولية لا تقع على عاتق واحد منهم .

لقد سمعنا وما زلنا نسمع عن رغبة وزارة التربية في فرض نظام الفتوة على المدارس المتوسطة والثانوية والكليات الجامعية والمعاهد الاخرى، ونظام الفتوة نظام عسكري يدرب الطالب والطالبة على استعمال السلاح ، مع ما يبثه هذا النظام في نفوس الطلاب والطالبات من الصفات النبيلة كالتضحية والفداء والشجاعة والاقدام ، ولكن هذه الرغبة لم تبرز الى الوجود ، ولعل هذه النكسة تعجل في تحقيقها فنرى أبناءنا يتدربون على حمل السلاح ويودعون حياة لا تليق بهم ولا بماضيهم الى غير رجعة .

انا لنذكر تلك الفترة الجميلة التي عم فيها التدريب العسكري مدارس العراق قبيل الحرب العالمية الثانية حيث كانت الفتوة مادة أساسية في المدارس العراقية للبنين والبنات على السواء ، كما نذكر جيدا الآثار الطيبة التي تركها نظام الفتوة في نفوس الطلاب والطالبات . وكان اول شيء بادر الانجليز الى الغائه بعد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني نظام الفتوة ، لأنهم اعتبروا ذلك النظام من أسباب صمود العراق ووقوفه في وجه القوات البريطانية في ثورته الوطنية عام ١٩٤١ .

واليوم ونحن نواجه هذا التحدي الاستعماري الحاقد ، بشقيه الصهيوني الغادر والغربي الفاجر ، يجب علينا ان نبادر حالا الى خلق جيل قوي شجاع يعرف كيف يستعمل السلاح يصون به كرامته ويدافع به عن تربة وطنه . وليست هذه الدعوة مقصورة على الكويت وانما هي دعوة لكافة اقطار العروبة ، فالمسئولية واحدة ، والخطر الذي يهدد كياننا خطر واحد يعم شره وبلاؤه كافة أجزاء الوطن العربي . ولا نعتقد ان هناك طريقة صحيحة قادرة على رد العدوان وحماية الأوطان سوى طريقة واحدة أثبتت النكسة اننا محتاجون اليها الا وهي أن نتعلم وان نعلم أبناءنا صناعة الموت ، ونحن لم تدع الى الأخذ بهذه الصناعة الا بعد أن رأينا ان الحق يجب أن تدعمه القوة والا أصبح حقا ضائعا متعثرا يتهرب الصديق من مناصرته، وما لقيناه في هيئة الأمم المتحدة كافيا ، حيث انبرت الولايات المتحدة الامريكية سافرة كسفورها في العمليات الحربية في الخامس من حزيران تضغط على الدول المتخاذلة والدول الفقيرة المحتاجة لقروضها ومساعداتها كيلا يحظى الحق العربي بالفوز لدى التصويت.

ونحن قبل هذا لم تدع الى الاخذ بهذه الصناعة الا بعد ان رأينا كيف تجاوزت العصابات الصهيونية كل عرف وقانون فصبت قنابل النابالم على النساء والاطفال والشيوخ الأبرياء فقتلت وشوهت مئات السكان بعد أن صبته كحقدها الدفين الاسود على الجيش العربي في جبهات القتال .

فالى صناعة الموت أيها العرب في كل مكان ، والا فان قنابل النابالم ستصبح بعد سنة او سنتين قنابل ذرية وستضيع فلسطين وسيبقى شعبها مشردا ، وقد أعذر من انذر . ■■

الكويت **أحمد السقاف**

نتيجة مسابقة العدد ١٠٣

خطأ مشترك بين أغلب المشتركين

■ تميزت اجابات المشتركين في حل مسابقة العدد ١٠٣ بخطأ مشترك وقع فيه معظم المتسابقين ، اذ انهم قدموا عمر بن ابي ربيعة على حسان بن ثابت ، بينما الاجابة الصحيحة عكس ذلك ، فقد عاش حسان بن ثابت ٦٠ سنة من عمره في الجاهلية ، وما يقرب منها بعد الاسلام .. بينما ولد عمر بن ابي ربيعة يوم مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب !!

والاجابات الصحيحة كالآتي :

١ ـ امرؤ القيس
٢ ـ حسان بن ثابت
٣ ـ عمر بن ابى ربيعة
٤ ـ ابو نوآس
٥ ـ ابو تمام
٦ ـ البحترى
٧ ـ ابو الطيب المتنبي
٨ ـ ابو العلاء المعرى
٩ ـ صفي الدين الحلي
١٠ ـ محمود سامى البارودي

وباجراء القرعة بين الإجابات الصحيحة فاز الآتية اسماؤهم :

١ ـ الجائزة الاولى ومقدارها ـ/٣٠ دينارا ، فاز بها :

حميد اللجي محمد الجميلي ك/٣ محطة الضخ ـ العراق .

٢ ـ الجائزة الثانية ومقدارها ـ/٢٠ دينارا فاز بها :

محمد على محمد الحسن ـ الخرطوم بحرى ـ السودان .

٣ ـ الجائزة الثالثة ومقدارها ـ/١٠ دنانير فازت بها :

غادة محمد ملقى ـ حلب ـ سوريا . . وكانت اجابتها أوفى الاجابات جميعا .

٨ ـ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عبد الوهاب عبد الله الوزان ـ الفيحاء ـ الكويت .
٢ ـ محمد الامين على ـ اسوان ـ ج.م.ع .
٣ ـ وائل بن جلون ـ الرباط ـ المغرب .
٤ ـ عبد الله حسين لحمدى ـ المكلا ـ حضرموت .
٥ ـ محمد الشيخ عبد الرحمن احمد ـ الشيخ عثمان ـ عدن .
٦ ـ وداد خالد مشتهى ـ عمان ـ الاردن .
٧ ـ محمد على أحمد ـ قعطبة ـ اليمن .
٨ ـ مي شيحا ـ المصيطبة ـ بيروت ـ لبنان .

وسترسل الجوائز الى أصحابها بالبريد . ■■

من الأمراض الشائعة
الكُلِرة

مرض قد يباغتك ، منذرا بالموت ، وأنت آمن في دارك ، اذا أنت لم تتحصن منه بلقاحه .

معنى الكلره الشائع بين الناس

■ الفكرة الشائعة اليوم في الناس عن الكلرة هي انها مرض وبائي يصيب الناس ، اظهر اعراضه الاسهال الشديد . وانه مرض ينتهي عادة بالموت . ومن الآراء الشائعة عنه ايضا ان العدوى بهذا المرض تأتي غالبا عن طريق الماء يشربه الشارب .

وهذه الافكار الشائعة عن مرض الكلرة صحيحة الا في القليل اليسير .

مثال ذلك انه مرض ينتهي عادة بالموت . فهذا القول كان صحيحا في الازمنة الخالية .. كان يموت ثلاثة من كل اربعة من مرضاه . اما اليوم ، فمع العناية الوقائية المنتشرة اليوم ، يقول لنا المختصون انه ، حتى في الوباءات الشديدة ، يموت عادة واحد في كل اربعة من المرضى .

كذلك الاسهال الشديد . انه اسهال متعاقب يهدّ المريض هدّاً ، وهذا الاسهال يدخل بنا الى التاريخ ، الى تاريخ المرض ، في كلمة نقولها قصيرة .

في التاريخ

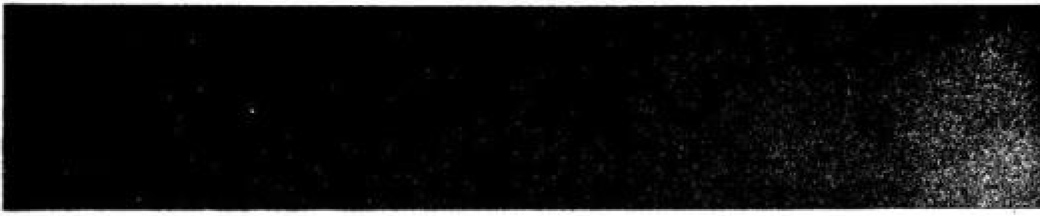
ان التاريخ ذكر الكثير من الامراض . والكلرة ذكرها التاريخ ، ذكر وقوعها في اثينا في القرن الخامس قبل الميلاد . وذكرتها المأثورات الهندية في القرن السابع بعد الميلاد . ذكرتها لا على انها الكلرة المعروفة اليوم ، ولكن على انها مرض ذو اسهال شديد . ومن اجل هذا لا يستطيع احد ان يجزم بأنها كانت هذه الكلرة ، كما نفهمها اليوم ، او انها مرض من الامراض الكثيرة التى يصحبها الاسهال ، لا سيما الدوسنطاريا الباشلية .

حتى اذا جاء القرن الخامس عشر وصف التاريخ لنا وباء وقع فيه كان الاحتمال بانه كلرة احتمالا كبيرا .

ومضى التاريخ يأتي بالوباءات التي امتدت فشملت العالم .



مرض القرون الماضية ، ووباء العصور الحاضرة



ومنها الوباء الذي بدأ في الهند عام ١٨١٨ .

ومنها الوباء الذي بدأ في الهند عام ١٨٢٦ .

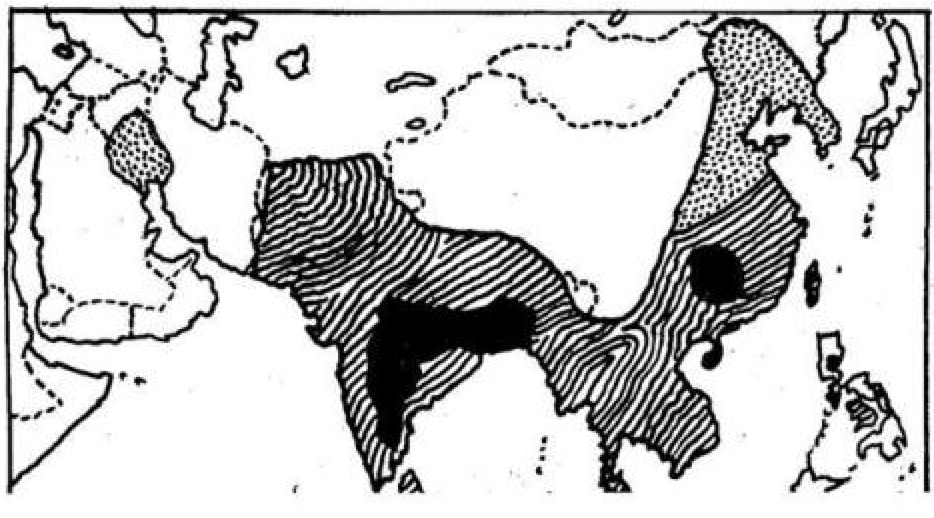
والوباء العالمي ما بين عام ١٨٤٠ وعام ١٨٤٩ . وذلك الذي تلاه عام ١٨٦٣ وعام ١٨٦٦ .

وهي وباءات انتشرت شرقا ، وغربا ، فوصلت من الشرق الى الصين ، ومن الغرب الى مصر فاوربا فكندا فالولايات المتحدة .

ونذكر خاصة الوباء العالمي الذي بدأ في الهند عام ١٨٧٩ ، ووصل الى مصر عام ١٨٨٣ ، وهناك درسه العالم البكتريولوجي الالماني الشهير روبرت كوخ Robert Koch وفصل مكروبه لأول مرة .

ولعل من اواخر الاوبئة العالمية وباء عام ١٩٠٢ ، وقد يذكره الى اليوم بعض

خريطة تبين انتشار وباء الكلرة في آسيا . حيث اللون الاسود متصل (في الهند والصين الخ) تكون الكلرة مستوطنة . وحيث اللون الاسود خطوطا (في الهند وباكستان والصين) يكثر وقوع وباء الكلرة . وحيث اللون الاسود نقطا من هذه يقع الوباء أحيانا .



الاحياء من الرجال الاشياخ في الشرق العربي .

وانقطعت منذ عام ١٩١٠ كل وباءات الكلرة العالمية ، بسبب تقدم العلم ، واتساع الرقابة الدولية والحجر الصحي الذى شمل كل الامم تقريبا .

ومع هذا لا يزال مرض الكلرة مرضا مستوطنا في بعض البلاد واخصها الهند والصين ، وهو يثور ويمتد احيانا ، ويهدأ ويسكن في موطنه احيانا .

وفي الهند يموت كل عام بمرض الكلرة نحو من ٢٠٠٠٠٠ نسمة .

كلرة الحيوانات

ان المعروف ان الدجاج يصاب بداء وبائي اسمه كلرة الدجاج Chicken Cholera، وسببه نوع من البكتير له شكل العصي الصغيرة .

وكذلك تصاب الخنازير بكلرة تحمل اسمها ، فهي كلرة الخنازير Hog Cholera سببها ، لا البكتير ، ولكن الفيروس .

ولا علاقة لهذه الامراض بمرض الكلرة الذى يصيب الانسان .

والانسان لا يصاب بكلرة الدجاج ولا بكلرة الخنازير .

مكروب الكلرة

مكروب الكلرة نوع من البكتير ، له



بكتير مرض الكلرة
عصيّات منحنية

شكل العصا او البشلة Bacillus كما يسميها العلماء . واسمه الخاص به Bacillus Vibrio .

وشكل البكتيرة الواحدة هي شكل العصا التي التوت حتى اتخذت شكل حرف الواو .

وقد كان كشف عن وجودها العالم الفرنسي بوشبه Felix Pouchet عام ١٨٤٩ ، ولكن فصلها من براز المرضى بالكلرة ودرسها واستزرعها العالم الالماني كوخ ، وقد سبق ذكره .

ومن صفة هذا البكتير سرعة نموه ، وحاجته الى الكثير من الاكسجين ، واحتماله الوسط القلوى .

وهو لا يصمد للعيش كثيرا ، فهو على الورق الاخضر واشباهه من الطعام يموت في بضعة ايام ، وهو في الماء لا يعيش الا بمقدار ما تعيش بشلة التيفود .

دخول المكروب الى جسم الانسان

يدخل المكروب الى القناة الهضمية فى الانسان عن طريق الفم ، فى ماء الشرب ، او فى الطعام . والذى يحمله الى ماء الشرب تلويثه ، ويأتى أصلا من براز مريض ، وقد تأتى به ذبابة حطت على براز ومنه على الطعام .

والمكروب يتكاثر في المعا الدقيق ،وهو لا يكاد يخترق جدران المعا . والمكروب لا يفرز السم ، ولكنه عندما يموت يخرج من جوفه السم القتال .

ومدة الحضانة ، او المدة التي تمضي بين دخول المرض وظهور اعراضه ، تتراوح بين يوم أو يومين وخمسة ايام .

والكلرة مرض يختص بالانسان وحده في الظروف العادية .

وتختلف حساسية الناس في تقبل المرض . من الناس من لا يحس الحاجة حتى الى اللجوء الى الفراش ، ومنهم من يقضي عليه المرض في ٢٤ ساعة .

أعراض المرض

ويبدأ المرض في ٩٠ في المائة من الاصابات على النحو الآتي :

يبدأ المرض بغتة بالاسهال الذى لا الم معه ، ولكن معه القيء ، ويستمر هذا ، عادة ما بين ٣ ساعات الى ١٢ ساعة . وتأخذ افراغات الامعاء تكثر حجما ، وتكثر عدد مرات ، وتأخذ تشبه ماء الشعير . وهذه تعقبها آلام تقبض وتقلص في عضلات الأطراف ، ثم في البطن . ويشكو المريض مر الشكوى من العطش ، ويعتريه القلق والاضطراب ويسوده الضعف والكلال ، ويبرد جلده، وتغور عيناه ، ويخشن صوته، ويضعف نبضه ، واذا أخذت درجة حرارته في المستقيم كانت بين ٣٨° مئوية و ٤٠° مئوية .

المرحلة الثانية ، مرحلة الانهيار

ثم تبدأ المرحلة الثانية ، وهي مرحلة الانهيار .

وفيها تزيد تلك الأعراض سريعا ، وتظهر علائم الهبوط على المريض . فسطح جسمه يصير ابرد عند المس وازرق عند النظر ، ومع الزرقة جفاف وتجعد نتيجة فقدان الجسم لكثير من مائه لكثرة الاسهال . والعيون تزداد غورا ، والنبض عند الرسغ يضعف حتى لا يحس ، والصوت يصبح بحة . والبول قد ينقطع كله .

وفي هذه الحالة قد يجيىء المريض الموت في اقل من يوم . ولكن في الأوبئة العامة توجد حالات يأتي فيها الانهيار للمريض بغتة ، ويأتيه كاملا ، فلا يمهله الموت غير ساعة أو ساعتين ، وذلك بدون سابق اسهال أو قيء كثير .

مرحلة المرض التالية ، مرحلة الشفاء

فان قيض للمريض العيش ، دخل في المرحلة الثالثة ، وفيها تتوقف أعراض المرحلة التي ذكرنا ، وتتحسن حالة المريض . فالنبض يعود ، ويعود الى الجلد لونه الطبيعي ، وتعود الى الجسم درجة حرارته . ولا تمضي مدة حتى يتوقف القيء . والاسهال ، قد يبقى بعض الوقت ولكن تضعف شدته . والبول يبقى منقطعا بعض الوقت، ولكنه يعود وفيه زلال عند الامتحان .

ولكن ، حتى في هذه المرحلة الثالثة ، لا يكون المريض تخطى حتما نطاق الخطر . فالنكسة تقع في بعض الأحوال ، وكثيرا ما تكون القاضية .

علاج الكلرة

هذا أمره متروك للطبيب المعالج .

ولكن لا بأس من اعطاء فكرة عامة .

ان العلاج القائم اليوم يقوم على معالجة اعراض المرض ، ومن اخطرها مقدار الماء الذى فقده الجسم بالاسهال الشديد المتعاقب ، ومع الماء الملح الذى بالدم . والطبيب يهرع في أوائل ما يهرع اليه الى تعويض الجسم عما فقد من هذه الناحية ، فيحقن في الوريد المقادير الكافية من الماء والملح المقدّر لعودة الدم الى حالته الطبيعية . وبما ان سوائل الجسم تصبح تميل الى الحموضة ، فيضع الطبيب مع الماء المالح المحقون في الوريد مقدارا من قلوى يعيد الى الدم اعتداله .

هذه طريقة ابتدعها روجر Roger ، وهي تتضمن الحصول على نقطة دم من اصبع المريض ، من حين لحين ، يدرك منها المحلل مقدار كثافة الدم . فاذا هي زادت على ١٫٠٦٣ عمد الطبيب الى حقن المريض بالماء والملح كما ذكرنا .

والذى يحدث من جراء ذلك ان الماء الذى كان يخرج من الدم الى المعا في الاسهال ، ينعكس اتجاهه ، فيدخل الى الدم من المعا ، للذى في الدم من ملح له قدرة على اجتذاب الماء .

وجربت هذه الطريقة في بعض وباءات الصين فكان لها أثر مدهش عجيب . ومن ثمّ بقيت في العلاج وسيلة كبرى في مصارعة المرض .

ومن معالجة أعراض المرض علاج ما

يصيب عضلات المريض من التقلص والالم . وكذلك تخفيف وقع القيء على المريض .

اما من حيث معالجة الداء نفسه ، وجها لوجه ، بالقضاء على مكروبه ، فقد خيّبت أكثر العقاقير ، حتى المخلقة كيماويا ، الظنون .

التطعيم للوقاية من الكلرة

انه التطعيم بلقاح بكتير الكلرة .

واللقاح يتألف من البكتير الذى قتلته الحرارة أو مادة الفينول ، وهو معلق في سائل به الملح بنسبة كالنسبة التى هو موجود عليها في دم الانسان Isotonic Saline (حتى اذا دخل الى الدم دخل اليه بمثل ضغط الأزموزى الذى بالدم فلا تنفع بسببه في الدم كراته الحمراء) .

ويوجد في هذا اللقاح

الرقابة الصحية الدولية لا بد منها لمنع انتشار الأمراض الوبائية . وهؤلاء جماعة عند الحدود ، لا يمرون الا بعد ان يطلعوا المراقبين على شهادة تطعيم سبق ، أو هم يطعمون بلقاح المرض على الفور وهم واقفون .



٠٠٠ر٠٠٠ر٨٠٠ من هذا البكتير في كل سنتيمتر منه . اى ثمانية آلاف مليون واللقاح تعطى منه حقنتان ، نصف سنتيمتر وسنتيمتر كامل ، يفصل بينهما اسبوع .

وتظهر الحصانة سريعا في اليوم الثالث او الخامس بعد الحقن ولكن مفعولها لا يدوم عاما كاملا ، ولهذا لا بد من اعادة التلقيح كل ستة اشهر .

وقد قام المختصون بدراسة أثر التلقيح في مدينة مدراس بالهند ، وذلك في وباء عام ١٩٤١ – ١٩٤٢ فوجدوا أن الاصابات انخفضت بنسبة ٩٠ في المائة .

احتمال الحياة والموت

في الظروف المثالية ، وحيث العلاج حاضر سريع ، لا يموت من المرضي غير خمسة في المائة أو دون ذلك ، ولكن ، بسبب بعد مسافة المناطق التي يحدث فيها الوباء ، وبسبب ان التسهيلات عند الطوارىء اقرارها يدخله دائما التوفيق بين متعارضات ، وبسبب ان العلاج الفورى يتعوق بكثرة المصابين من الاهالي ، بسبب كل هذا لا يزال رجال الصحة ينتظرون نسبة مرتفعة لضحايا المرض تبلغ نحو ٥٠ في المائة من مرضاه لا سيما في الفترة الاولى من الوباء .

التوقى من الكلرة في المنازل

بعد ما ذكرنا من امر هذا الداء ، ومن أصوله ، وسبل انتقاله ، تصبح واضحة سُبُل توقيّة في المنازل . وأول ذلك الماء ، ماء الشرب . فأن كان في المدن ، في الانابيب ، تقوم عليه السلطات المدنية بالتطهير فيها ، فبها . والا فلا بد من غليه ، ثم تبريده قبل شربه . والاطعمة كل ما طُبخ منها قد تطهر ، فالنار تقتل المكروب . يدخل في ذلك اللحم والخضر والفاكهة والحلوى ، على أن لا يمسها من بعد برودة يد حامل للمكروب أو يقع عليها ذباب ، لعله جاء من مصادر بها المكروب .

ثم الخضر والفواكه الطازجة ، فهذه



هذه الصورة تبين المصاعب التى يلقاها رجال الصحة في محاربة وباء الكلرة بالهند . فهؤلاء حجاج جاءوا هذا الماء لاجراء مراسم عقيدية فيه ، في قرية ، سكانها ... ٢٠ ، فصاروا بالحجاج في ٣ أيام ... ٢٠٠ نسمة

لها الغسل بالصابون والماء ، أو التطهير بمحلول مطهر ، كأن يكون ماء به كلور ، وهو عند الصيادلة ، وكذا طريقة استخدامه .

والخبز له التقديد بالنار .

هذا بالطبع والوباء قائم ، أو قد أعلن رجال الصحة ان المرض ظهر في الناس .

حيث الدائم دائم مستوطن

ان الداء يقيم في الانحاء من الارض حيث الظروف التى ينشأ عنها دائما مقيمة ، مثال ذلك حيث يعيش الناس ، فيختلط ماء يشربونه ، ببراز يتبرزونه وفيه مكروب الداء . مثال ذلك قوم يتغوطون في العراء ، ثم هم يتخذون من غائطهم بعد ذلك سمادا للأرض ، وتروى الارض بالماء ، ويشرب الناس من محارى الماء .

ان مجرى واحدا للماء ، حلّت به العدوى ، يشرب منه الجماعة ، ثم ينتشرون ، ينشرون المرض معهم حيثما ذهبوا . واذا به وباء منتشر .

كذلك الانهر ، في الهند مثلا حيث ينزل الآلاف المؤلفة من الناس في مائها عرايا استتماما لمراسم دينية ، وتبركا ، هذه مصادر للعدوى فالوباء لاشك فيها .

اما حيث الانماط الحديثة للعيش جارية ، وحيث قواعد الصحة قائمة ، لا سيما من حيث ماء الشرب الذى يأتي المنازل في انابيبه ، والبراز الذى يجرى منفصلا عن دورة المياه في مجاريه فلا يراه راء ، ثم الانسان المثقف المتنور الذى يعمل عن فهم ، ويستطيع من عمله ان يفي بحاجات الحياة الحديثة وتكاليفها ، في هذه البلاد ، ان زارتها الكلرة فما اسرع ما تختفي اختفاء كاملا لا استيطان معه ، لان ظروف استيطان المكروب غير متوفرة .

ونعود فنقول ان المسألة دائما مسألة تخلف ، تخلف في علم ، وتخلف في فهم ، وتخلف في عمل وفي حذق الأعمال ، وتخلف في كسب . فهذه الحياة ما خلقت لفقير او جاهل او عاجز . انها الامراض النفسية والعقلية والخلقية تتفتق فتخرج عنها الامراض الجسمية كائنة ما كانت .

●●



نيكيتا خروشوف يدافع عن مسلكه ازاء أزمة كوبا

عن مجلة « تايم » الامريكية :

● أعدت هيئة الاذاعة الامريكية في نيويورك N B C برنامجا تلفزيونيا يستغرق من الزمن ساعة كاملة عن الرئيس السوفياتي الاسبق نيكيتا خروشوف . وأسمت البرنامج المذكور «خروشوف في منفاه ـ آراؤه ومواقفه » ، ووقفت ثلثيه على أفلام وأشرطة تمثل الرئيس السوفياتي أثناء حكمه ، وقبله . أما الثلث الاخير من البرنامج فقد احتوى على مقابلات أجريت خصيصا مع خروشوف في الآونة الاخيرة وذلك في مزرعته البالغة مساحتها سبعة أفدنة والتي تبعد عن موسكو ١٨ ميلا .

على ان خروشوف الذى طالما هز الراى العام العالمي بتصريحاته المدوية لم يكن صامتا منذ تنحيته سنة ١٩٦٤ لانه لم يكن لديه شيء يقوله ، وانما لانه الفرصة لم تتح له لقول ما كان يريد ان يقوله . لذلك فانه لم يتردد في الاجابة على اسئلة الاذاعيين الامريكيين المتصلة بازمة كوبا ، بل اندفع في الرد عليها ، بوصفها فرصة ملائمة افسحت المجال امامه للدفاع عن مسلكه في تلك الازمة .

■ ■ ■

ومما قاله خروشوف في هذا الصدد : « ربما كان الاولى بنا الا نفعل ما فعلنا ... ولكن ، لو افترضنا اننا لم نزّود كوبا بصواريخنا ، فاين تكون كوبا الآن يا ترى ؟ لا ... فلولا صواريخنا لما بقيت في الوجود « كوبا » ... واذا سلمنا بصحة هذا القول ، كان علينا ان نسلم ايضا بصحة مسلكنا وتبرير شحننا الصواريخ الى كوبا » .

واضاف خروشوف الى ذلك قوله : « لقد تكلفنا ذلك مالا ، ولكننا لم نفقد في سبيله برجل واحد .. اما الامريكيون فقد تركزت جهودهم على ازالة كوبا الاشتراكية التي حرصنا نحن على بقائها .. والامور بخواتمها ، كما يقولون ، وكوبا الاشتراكية ما زالت في الوجود ! » .

هل الحرب العالمية الثالثة وشيكة ؟!

عن مجلة النيوزويك الامريكية :

● من اغرب المصادفات التي تذكر بصدد احتمال وقوع حرب عالمية ثالثة ما جاء على لسان سكرتير هيئة الامم المتحدة وما قاله رئيس الولايات المتحدة في وقت واحد تقريبا . اذ لم يكد يعرب المستر يوثانت عن مخاوفه من أن « تصبح مأساة فيتنام بحكم المقدمة او التمهيد لحرب عالمية ثالثة » حتى تردد عن البيت الابيض حديث الرئيس جونسون لابنته اذ قال :

« وقد يذكر التاريخ اباك يا عزيزتي بوصفه الرجل الذى بدا الحرب العالمية الثالثة » .

حلول وتسويات

يقترحها المستر نتنج وزير الدولة البريطاني الاسبق الذى استقال من منصبه احتجاجا على العدوان الثلاثى

عن صحيفة الصنداى تايمز البريطانية بتاريخ ١١ يونيه ١٩٦٧

● لا سبيل الى تسوية حاسمة للنزاع العربى الاسرائيلى الا بمعالجة الأسباب الجذرية لذلك النزاع . وأول تلك الأسباب هو ما يشعره العرب من أن اسرائيل اختلقت وفرضت عليهم فرضا لتكون الاداة الطيئة بيد الاستعمار . وأما السبب الثانى الذى لا مفر من معالجته أيضا فهو وجود جموع كبيرة من اللاجئين العرب خارج بيوتهم واراضيهم ، وقد بلغ عددهم الآن نحـــوا من ٣٠٠ر٠٠٠ر١ لاجىء . ولعل سببا آخر قد أخذ مكانه الى جانب السببين المذكورين ابان الحرب العربية الاسرائيلية الأخيرة ، ذلك هو وضع مدينة القدس ومصيرها .

وتبدأ التسوية المنشودة في رأيى بقطاع غزة ، وخاصة في العمل على اعادة لاجئى ذلك القطاع الى منازلهم وأراضيهم الموجودة في بلدان ومدن اخرى خاضعة لنفوذ اسرائيل . وقد لا يتم ذلك حالا ، وقد يحتاج الى خمس أو عشر سنوات لتحقيقه ، سيما وأن عدد أولئك اللاجئين لا يقل عــن ٣٠٠ر٠٠٠ لاجىء . ولكنه يجب أن يشرَع في تنفيذه اذا أردنا الاقتراب من تسوية للنزاع المرير حاسمة .

وفيما يمضي العمل وتبذل الجهود في سـبيل ذلك ، توضع الضفة الغربية تحت وصاية المنظمة الدولية لمدة تكفى لتهدئة الخواطر ، فضلا عن كفايتها لاعادة لاجئى غزة الى ديارهم . حتى اذا انقضت تلك المدة شرعَ في اعادة النصف مليون لاجىء ، الموجودين في الضفة الغربية ، الى بيوتهم في يافا وحيفا وغيرهما من المدن والقرى التى تخضع لاسرائيل .

أما اللاجئون في الضفة الشرقية (٣٠٠ر٠٠٠) واللاجئون في سوريا ولبنان (٢٨٠ر٠٠٠ تقريبا)، فلا بد من تعويضهم على ممتلكاتهم لقاء بقائهم حيث هم .

على أن الاعتراف باسرائيل قضية عسيرة للغاية، وينبغى ارجاء التصدى لها حتى النهاية، ولا يجوز التعرض اليها الا بعد وضع المقترحات التى ذكرنا موضع التنفيذ.عندئذ يُبحث في أمر هذا الاعتراف الذى يرفضه العرب من حيث المبدأ، ويُبحث فيه على ضوء التسوية السياسية للقضية .والأساس الصالح في رأينا لتسوية كهذه هو اعادة خلق فلسطين مجدداً ، بشطريها العربى والاسرائيلى ، على أن تصبح دولة مزدوجة القومية "ى بالانكليزية (By - National) .

واخيرا ينبغى التنويه بأن اقناع اسرائيل بقبول مثل هذه الحلول والتسويات أو العمل على فرضها عليها انما هو الواجب المنوط بحكومة الـولايات المتحدة الأمريكية . فما لم تتعهد أمريكا بذلك فان العالم العربى سيعانى بعد الحرب التى خاضها مؤخرا مثل ما عاناه سابقا في أعقاب الحـــروب الصليبية . وقد يأتى يوم يكتسب العرب فيه من القوة ما يكفل لهم الأخذ بالثار والحكم على اسرائيل حكما قاسيا لا سبيل الى التكهن بما قد يؤدى اليه من سفك للدماء وما الى ذلك في عـواقب خطيرة .

« العربى » : رأى لا يجب أن يحبس ، رضيناه أم كرهناه . لا بد أن نعرف ما يقولون .

أنباء الطب والعلم والاختراع

اسم مولود المريخ الجديد

● كشف العلماء عن قمر جديد يدور حول المريخ ، ولم يسموه .

واليوم نعرف انهم سموه فكان يانوس Janus . ويذكرنا هذا الاسم بـ January أو يناير ، وهو الشهر الذي تبدأ به السنة . ومن Janus اشتقوا اسم January .

اما يانوس ، أو ان شئت نطقا كالنطق الافرنجي ، فجانوس ، فهو اسم لاله لقدماء الرومان ، كانوا يتبركون به في اول كل شهر ، وفي اول ساعة من النهار ، وفي أول شهر من العالم ، ومن هذا جاء اسم الشهر الاول منه . ويتبركون برسمه على ابواب المنازل فهو حارسها . والباب اول شيء في المنزل ، فهم يرسمونه وجهين متلاصقين على الأبواب .

ورصد الفلكيون هذا القمر الجديد في التاسع من يناير من مرصد مبدى Pic du Midi بجبال البرينيه الفرنسية .

وكان التاسع من يناير هو يوم الاحتفاء بالاله يانوس عند الرومان .

وطلبوا للقمر اسما فلم يجدوا اوفق من اسم الاله ، يانوس Janus

فهكذا يطلب علماء الفلك الأسماء ، وكذا علماء الطب ، والحيوان والنبات ، وعلماء النفس ، يأخذونها جميعا من اسماء يونانية او رومانية ليعطوها ذلك الجرس الغريب الذي يقرب بها الى ان تكون مصطلحا علميا .

والمعروف ان المريخ حوله انطقة تدور حوله . فهذا القمر الجديد وجدوه يدور حول المريخ ، خارج هذه الانطقة مباشرة ، في فلك قارب ان يكون دائرة .

وللمريخ بالطبع توابع معروفة اخرى .



المريخ ، والانطقة التي تدور حوله

التعقيم ينتشر

● في كثير من الامم تاممت الخدمة الطبية ، بمعنى ان كشف الطبيب ، والعلاج الناشيء عن ذلك ، والجراحات والمستشفيات ، كلها تتحملها الدولة بناء على مقدار يسير من المال يدفعه العامل من كسبه يؤمّن كل هذه الخدمات له . ولكن هناك أشياء كانت لاتدخل ولا تزال لا تدخل ضمن تلك الخدمات . مثال ذلك السمنة . فلو أن امراة كثر شحمها فارادت ان تزيله من أجل التجمل لرفضت المستشفيات والجراحون القيام بذلك ، الا ان يكون الشحم أساء الى صحة المراة .

يعدون زهرات العلم قبل أن تصبح ثمرا

● الناس تعنى بمحاصيل الأرض ، ولكن من اهل هذه الأرض الطيبة من يعنى بالمحاصيل البشرية السنوية التى تتخرج من الجامعات العلمية والمعاهد الفنية ، ويرقبونها وهى لم تنضج بعد .

مثال ذلك ، مؤسسة الفزياء الأمريكية اجرت احصاءها العادى ، فدلها على أن محصول الرجال الفزيائيين المتخرجين من الجامعات اخذ يتناقص حتى خيف انه لن ينتج الكفاية من الرجال التى تفى بحاجات البلاد في الأمور الفنية الفزيائية تلك التى تتحمل تبعات هذه المدنية الكبرى ، في صناعة وزراعة ، وفي سلم وفي حرب .

وهم لم يحصوا خريجي الجامعات من الزيائيين ، ولكن عدوا من يوجد منهم في السنة الثانية من الجامعات ، وقدروا من هذا الاحصاء ما يكون عليه الحال عند التخرج من عام الى عام .

والمؤسسة تقول ان عدد هؤلاء الطلبة ، طلبة السنة الثانية ، يتناقص من عام لعام ، منذ خمس سنوات. ان الخريجين



بلغوا حدا اقصى في عام ١٩٦٢ ثم اخذ العدد في الهبوط .

هم يحصون الرجال ، ولا ينسون القطن والبصل والثوم . وغيرهم لا يحصون الا الأقطان .

لمنع كثرة السكان

ومن ذلك كان كذلك تعقيم الرجل وتعقيم المراة حتى لا يكون منهما للأولاد انجاب ، مع احتفاظ كل منهما بالشهوة الحيوانية العادية التى جعلها الله فيهما حفزا للخلق . ويقول المفسرون انه حفز للخلق واجب فقط عندما يكون في الارض موضع قدم لمخلوق ، ويكون في الزرع نصيب لآكل .

فهذا التعقيم كان لا يدخل تحت الخدمات الصحية المجانية التى تقدمها الدولة حيث التأميم قائم ، او حيث العلاج يجرى تحت نظام التامين على الصحة .

ولكن بدات الآن تنهدم كل هذه الموانع التى كانت تقوم لمنع التعقيم الذى هو للحد من الذرية ، وذلك حتى في الامم التى نسميها بالمتقدمة . فهذه الدول اليوم بدات تأذن باجراء هذه العملية بحسبانها عملية جراحية كسائر العمليات ، تدخل في نطاق العمليات المأذونة بالمجان في هذه البلاد .

وفوق ذلك يؤذن للمعقم نفسه ، ان يختار الطريقة التى يجرى بها التعقيم بالاتفاق مع الجراح .

يغيرون دم الوليد وهو في بطن أمه

● لايراد هذا الخبر لا بد من الرجوع الى ما يسمونه عامل ريسس RHESUS FACTOR .

انه مادة وجدت اولا في القردة المعروفة بقردة ريسس ، في كراتها الحمراء . وحقنوا من دم هذه القردة في بعض الأرانب ، فأنشأت في دمها مادة مضادة لها ANTIBODIES .

وكان من ذلك انهم لما حقنوا منها في دم القردة جمعت بين كراتها الحمراء فتكتلت . انه التقاء الأجسام المضادة لعامل ريسس (التى تخلقت في دم الأرانب) بعامل ريسس (الموجود في دم هذا النوع من القردة) .

وحدث بعد هذا الشكف ان كشفوا عن ان هذه المادة المضادة لو انها حقنت في دماء بنى الناس ، فانها تكتل الكرات الحمراء في ٨٥ في المائة من الانسان الابيض و٩٥ في المائة من دم الزنوج و٩٨ في المائة من دم الصينين واليابانيين .

ومعنى هذا ان هؤلاء القوم جميعا



بدمائهم عامل ريسس الذى بدماء القردة المذكورة . اما الباقون من النسب المئوية التى اوردنا فهى خلو من هذا العامل .

وكان لهذا الكشف نتيجتان هامتان ، احداهما تتصل بنقل الدم من انسان الى انسان ، والأخرى تتصل بالذى يحدث في الوليد، من قبل ولادة ومن بعد ولادة، من مرض يتصل بنوع من فقر الدم خطير على الحياة .

وهذا المرض ينشأ عندما يكون بدم الأب عامل ريسس ، ولا يكون في دم الأم هذا العامل . ويأخذ الوليد عن ابيه هذا العامل ، وتتأثر بذلك الأم فتنتج مادة مضادة له ، تعود فتجرى في دم الطفل فيحدث للطفل المرض المذكور.

وهو لا يحدث دائما بالضرورة .

واليوم يلجأ الأطباء لخلاص الطفل من هذا المرض بنقل دم ، ليس فيه عامل ريسس ، مكان دمه الذى ولد به .

والآن الى الخبر الجديد :

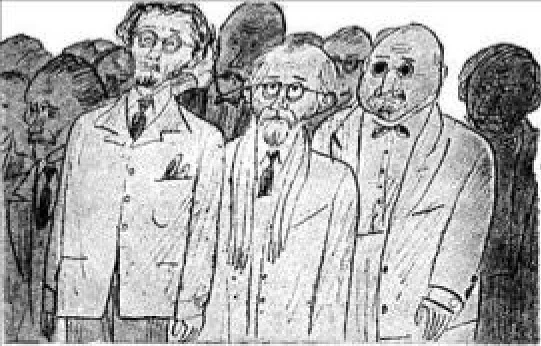
ذلك انهم استطاعوا لأول مرة ان يستبدلوا دم الوليد وهو في بطن أمه ! وقع هذا بمستشفى سانت بارثولوميو St, Bartholomew بلندن ، واستغرقت العملية خمس ساعات ونصفا . والأم عمرها ٢٠ سنة .

٥٠٠٠ عالم يحتجون

● انهم ٥٠٠٠ عالم في الولايات المتحدة ، من بينهم ١٧ ممن نالوا جائزة نوبل ، طلبوا الى رئيس الولايات ان يوقف استخدام الأسلحة الكيماوية، مما يستخدم في تفرقة الجموع الثائرة او اتلاف المحاصيل ، وذلك في فتنام .

ويقول الذين مهروا الطلب بامضائهم ان استخدام مثل هذه الأسلحة يؤسس سابقة لها مخاطرها البعيدة التى ترجح كثيرا اى كسب عسكرى عاجل .

وقال العلماء مؤكدين للرئيس انه لا يوجد بين السلاح المعجز والسلاح السام فرق حقيقى يبقى على الزمان . كذلك ليس هناك فارق بين الحرب الكيماوية والحرب البيولوجية .



واوضحوا ان هذه الحروب لها وسائل عدة ، هي اليوم حاضرة ، يتألف منها طيف كطيف الضوء مستمر ، يبدأ من المواد المعطلة للانسان تعطيلا مؤقتا ، الى المواد السامة سمًا زعافا . فاذا أذن قوم لأنفسهم باستخدام اى مادة من مواد هذا الطيف فما أسرع ما يتهاوى المحاربون الى استعمال سائر المواد .

ويشير العلماء الى القرار الذى اتخذته الدول في بروتوكول جنيف في يونية عام ١٩٢٥ بتحريم استخدام الغازات الخانقة أو السامة أو غيرها في الحرب ، وكذلك تحريم استخدام الوسائل البكتيرية . ويذكر العلماء ان الولايات المتحدة لم تصادق الى اليوم على هذا القرار الذى كانت هى من بين مقترحيه. وهم يطالبون الولايات المتحدة بالمصادقة على هذا القرار اليوم ، لا سيما وانه في الخمس عشرة سنة الاخيرة على الأخص طرأ تحسين كبير على وسائل الدمار هذه .

فهذا هو مطلب العلماء ، وهذا هو رجاء خمسة آلاف منهم ، من نابهيهم . ولكنه رجاء ممن لا قوة له . واكثر ما اصابوا من طلبهم هذا احترام وابتسام وطي ونسيان .

ان للقدرة منطقا غير منطق الضعف . ولست أثق تماما ، اى المنطقين أهدى سبيلا .

يؤمنون المستقبل

● ذكرنا في هذه الاخبار كثيرا تلك المنافسة القائمة بين انجلترا وفرنسا من ناحية ، وهما مشتغلان لانتاج الطائرة الجديدة الهائلة ، التى سرعتها فوق سرعة الصوت ، واسمها كنكورد Concord ، وبين الولايات المتحدة من الناحية الاخرى ، وهى مشتغلة لانتاج الطائرة الجديدة الامريكية الهائلة ، وجعلوا لها اسما Supersonic Transport ومعناه الناقلة الفوق الصوتية ، واختصروه فكان S S T ، وهي سوف تكون اكبر من الكنكورد ، واسرع .



وخبر اليوم ان الطلبات التي وردت تطلب طائرة من هذه الطائرات الامريكية بلغت ١١٤ طلبا . أى المطلوب ١١٤ طائرة ، وهي لم يتم تصميمها بعد ، فكيف بالوقت اللازم لانتاجها ، ثم كيف بأنتاج ١١٤ طائرة منها !! وثمن الطائرة الواحدة ملايين .

ومن أين جاءت هذه الطلبات ؟ من داخل الولايات المتحدة ذاتها . فكم يأتى من الخارج ؟ ودفعت كل شركة من شركات الطيران المطالبة بهذه الطائرات ، ١٠٠ ... دولار فقط عربونا عن كل طائرة .

اقمار فى السماء تذهب بظلام الليل

● هذا ليس بخيال .

انها الحقيقة التى تسعى اليها رابطة الفضاء الأمريكية ، مشتركة معها وزارة الدفاع فى الولايات المتحدة .

والمشروع الذى يهدفان اليه ، هو اطلاق اقمار فى الفضاء ، تنتفخ ، وتقع عليها أشعة الشمس ، وهى فى الفضاء عالية ، فتعكس هذه الأشعة الى الارض ، الى الجانب المظلم منها الذى يحتويه الليل .

وهذه الاقمار اذا بلغت فى ارتفاعها عن الارض ٢٢٣٠٠ ميل ، وانتفخت ، تراءت كأنها المرايا المستديرة . وقد قدروا ما يصل الارض من انعكاس مرآة كهذه ، فخرجوا من حساباتهم بان المرآة الواحدة تنير فى الليل من الارض مساحة قدرها ٢٢٠ ميلا مربعا بمقدار من الضوء هو ضعف ما ينير به القمر الطبيعى الذى نعودناه .

واذا تعددت المرايا فوق المنطقة الواحدة كان النور أسطع .

ويستطيع القارىء أن يتخيل مزايا هذا التجديد ، ومساوئه . ان النور احب من الظلام ، ولكن الفة الناس الظلام صارت طبعا ، واختفاؤه يكره الناس فى النور . وعدا هذا ، فالجسم يقول علماء الحياة أن به ساعات بيولوجية تأثر بالزمان . فهل تختل هذه الساعات بسطوع الليالى بعد اظلامها ؟!

اما اشتراك وزارة الدفاع الامريكية فى هذا الأمر فسببه ظاهر . ان الحروب كثيرا ما تحتاج الى النور تكشف به الأعداء . وفى الحرب الفتنامية فرص هائلة . فبهذه الاقمار تتكشف الغابات التى يتستر بظلامها الفيتكنج ، وفى هذا من تنفس الامريكان ما فيه .

وسوف يستاء من الليل المضىء كل سارق ليل . وكذلك سوف يستاء كل من انتفع بظلام ، وما اكثرهم . انهم خفافيش الليل .

ملعقة من الدواء

● ماذا تعنى ، ملعقة من الدواء ؟

ان الملاعق تختلف . ويختلف الصغير منها فيما بينها . ويختلف الكبير .

وخطر هذا في بعض الأدوية ، لاسيما التى تعطى للأطفال ، ليس بالخطر الصغير .

ذكر هذا الراى الدكتور لينارت رتشارد في المجلة الطبية السويدية . وكان من نتيجة هذا أن كل الأدوية السائلة التى تباع في السويد يصحبها الآن مكيال صغير مضبوط .

ومع هذا ، ظهر بالتحرى ان الناس لا يزالون يستخدمون الملاعق .

انها العادة .

والعادة في الامم خسيرة التغيير .



محفظة بها أدوات لاختبار السكر في الدم

● انها تتضمن طريقة لتقدير السكر في الدم ، لا سيما عند مرضي السكر . وهذه الطريقة مؤسسة على تكون مركب أخضر اللون من سكر الدم عند التقائه بالمادة العضوية التى اسمها ارثو ـ تلويدين ORTHO — TOLUIDINE وهى ذائبة في حامض الخل الخالص الذى لا ماء فيه . وعندما ينتج اللون الأخضر يقارن من حيث الشدة بأخضر من مثل شدته ، موضوع في المحفظة ، ومعه النسبة المئوية للسكر الذى انتجه .

وحتى لا نضطر نحن الى اجابة عدة أسئلة ، تأتينا من القراء ، نأتى هنا باسم الشركة التى أنتجته وهى Chas Pfizer & Co. 300 West 43 rd st. New Yotk وهى شركة مشهورة لا تحتاج الى اعلان .

صفحة في اللغة

أفعال الاستبدال

■ في العدد ١٠١ من مجلة « العربي » الغراء نشر في صفحة اللغة ما ينبغى أن يتبع في استخدام « الباء » في أفعال الاستبدال ، وانتهى كاتب المقال الى أن الباء تقترن بأسلوب هذه الأفعال ،حكمها – متى وجدت – أنها لا تدخل الا على المتروك ، كما في مثل قوله تعالى :

أتستبدلون الذي هو أدنى بالذى هو خير . « سورة البقرة »

وكما في مثل قوله سبحانه :

وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط .. « سورة سبأ »

وساق الكاتب بعد ذلك مثالا من عنده تطبيقا على استخدام « الباء » في أسلوب الاستبدال مخطئا من يدخل الباء على غير المتروك في هذا الأسلوب ، ثم تدرج من ذلك الى تخطئة بعض حذاق اللغة وعمالقة الكتابة ، مستشهدا على هذه التخطئة بقول امير الشعراء :

انا من بدَّل بالكتب الصحابا
لم اجد لى وافيا الا الكتابا

هذا ما ذهب اليه كاتب المقال .

وحقيقة الأمر ان دخول الباء على المتروك في أسلوب الاستبدال من قبيل اتباع الأفضل ، واذن فدخولها على غير المتروك صواب ، وليس بخطأ فهو من قبيل ترك الأفضل الى غير الافضل ، يؤيد هذا ما جاء من نصوص يحتج بها ، فمن ذلك قول عتبة بن ابى سفيان اخى معاوية والمتوفي سنة ٤٤ هـ . يصف كلام العرب .

« ان للعرب كلاما أرق من الهواء ، وأعذب من سلسبيل الماء ، مرَقَ من افواههم مروق السهام من قسيّها ، بكلمات مؤتلفات ، ان فُسِّرت بغيرها عطلت ، وان بدلت بسواها من الكلام استصعبت . .

فأنت ترى ان الباء دخلت على « سواها » وهي غير المتروك .

واذن فأمير الشعراء يسير على النهج العربى الصحيح في قوله :

انا من بدَّل بالكتب الصحابا . .

واحب ان اشير هنا الى ان المرحوم شوقى كثيرا ما كان يخرج على القراء بأساليب يتوهمون خطأها بعد ان يكون قد وقع على صوابها ، ومن ذلك قوله السابق ، وقوله في المعلم .

قمْ للمعلم وفِّه التبجيلا
كاد المعلم ان يكون رسولا

فقد خطأ بعض النقاد آنذاك اقتران خبر كاد بأن لزعمهم ان خبرها يكون مجردا منها ، وغفلوا عما نصت عليه كتب النحو من جواز الأمرين ، ولو ان اقتران الخبر « بأن » اقل من تجرده منها .

ومن الخير الا نعجل بتخطئة أسلوب ، الا اذا استشرنا المراجع ، واستوعبنا النصوص ، وأجدنا تخريج الأسلوب مطابقا للقواعد النحوية ، والأساليب الصرفية ، والنواحي البلاغية ، حتى لا يتأثر بتخطئتنا خلق كثير ، وقديما قالوا : اذا زل عالم ، زل عالم ولعل « العربي » الأعز يتسع لجولات أخرى – ان شاء الله – تثبت صواب ما توهمه بعضهم غير صواب . ■■

ابراهيم عابدين

يا أخي الإنسان هذي قصتي !

للشاعر : جميل حسن

(مهداة الى الملونين الذين لم يحصلوا بعد على شهادة النسب)

■ أنا زنجيّ ! زُنُودي فحمة … تُخجل الخلقَ ! ووجهي مُرعبُ
ولدتني أمَـةٌ منبـوذةٌ … وأبٌ ، مثلُ وجودي ، مُذنب
أنا عبء . ليس في مجتمعي … بعده عبء، شقيٌّ .. مُتعَب
نسبي ضيَّعته من زمن … أترَى الزنجيُّ مثلي يُنسب ؟
وجدودي مالهم من وطن … ومصيري ليس منه مهرب
أنا عبدٌ ! هكذا صورني … بارئُ الخلق ، فأمري أصعب
عبثا أبحث عن حرّيتي … ليس لي حرية تُكتسب
أرثيَ المنقولُ من ألف أب … لم يضق ذرعا بدنياه أبُ
قبلوا المأساة خلقا طيعا … كلما سُدَّت عليهم .. رحّبوا
وأنا قصتهم مكتوبة … ويحَ قوم غيرَها لم يكتبوا

★ ★ ★

ياصديق الحق ! لوشجعتني ! … في دمي الملتاع نار تُلهَب!
ولساني أشعر اليوم به … خدَرا .. هل كل قول طيب؟!
بعض أفكاري التي تخنقني … نغم فوق لهاتي يَعْذب
لاتلمني ! فأنا أسطورة … صاغها تاريخي المضطرب
وحكايات من الإثم إذا … ما روتها شفةٌ تلتهب
ضاق عقلي عن مدى تفكيره … وتولاني بأمري العجب
مضت الأعصرُ لم أسمع بها … فكأني ههنا مغترِبُ !
لغتي يفهمها مستعمري … وأنا عَيٌّ بها مُحتجِب
أنا لم أحفظ سوى مهزلتي … وسوى اللُّكنة مما يجب
في دمي تاريخ جنسي كله … مطلب ضاع وأعيا مطلب



أنا حقدي ، وحده ، ممتقع يجرحُ الكبر ... فحقدي أرهبُ
أفرش النعماءَ في درب الضحى وضحى أفقي شقيٌّ مُجدب
أنا للسُّخرة .. أمي أَمَة لم تكن تشكو الضنى أو تتعب
أنا للكبت .. أبي مقبرةٌ للهوى ، وهو الضوى المعجَب
رغباتي أنكرتني زمنا ولقد أُنسيتُ ماذا أرغب
غير شيء لم أزل أذكره هو مثلي حاقدٌ مكتئب
إنني أهفو إلى مسخ الدُّنى دون شكلي .. فأنا لا أكذب
سَمّهِ ما شئتَ ! هذا مذهبي إنه ابنُ الظلم هذا المذهب
ياصديق الحق ! يأسي قاتل لاتلمني ! ووجودي مرعب
ربما أبصرتني بعد غد بريئات الضحايا ألعبُ .

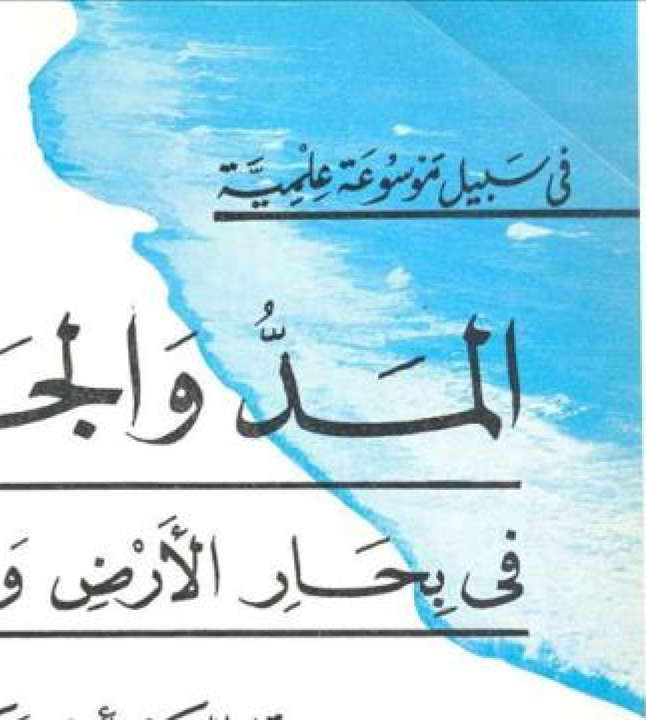
★ ★ ★

أنا زنجي ، وللزنج على مفرق التاريخ شعرٌ أشيب
أهرموا الأرض وسجُوها على خشب الموتى .. ولم ينتحبوا
لم يحسوا أن منها أُمّهم فيعقوها .. ولا منها الأب
صلة القربى بها مقطوعة فبماذا ؟ ولماذا تعتب ؟
وإذا ما غلبوا يوما ففي عزمهم لليوم أن لايُغلبوا

★ ★ ★

إن في آفاقنا ملحمةً يرجف الشرقُ بها والمغرب
يعرف الزنجي فيها حقه ملعبٌ ينأى ، ويدنو ملعب
يا أخي الإنسان ! هذي قصتي بعضها صعب وبعض أصعب
علموني أن في إفريقيا يُذبح الحق غداةَ يُطلب
ياترى ؟ ماذا بإنسانيّتي ؟ كل ذنبي لوني المنتحِبُ ■■

جميل حسن



في سبيل موسوعة علمية

المدّ والجزر

في بحار الأرض والمحيطات

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ أى رجل وأى صبى ، يعيش عند البحر ، لا شك قد ادرك سريعا ما ادركه الأحدثون والأقدمون من بنى البشر ان ماء البحر يمتد داخل الساحل يغطى الكثير منه ، او القليل ، ثم هو يتراجع ليكشف ما غطاه الماء .

كذلك ما من احد الا ادرك ، فى الأحوال العادية ، أن هذا المد ، والجزر الذى يعقبه، يأتى في اليوم الواحد مرتين: مدٌ وجزر ، وبعد نحو نصف يوم أى ١٢ ساعة ، مد وجزر جديدان .

كذلك أدرك المدرك ان المد لا يأتى فى اليوم الواحد في الموعد الواحد بالضبط . انه يتخلف كل يوم . وتسال العارف فيقول لك انه يتخلف «نحوا» من ساعة .

على كل حال هذا ما عرفناه في السواحل التي ألفناها ، لا سيما تلك التي يتخذ منها مصايف الناس .

القمر والشمس يسببان المد والجزر

ونأتى الآن ، على الرغم من اننا في اول الحديث ، على ما سوف نفصله بعد ، فنقول : ان سبب المد والجزر فى بحار الارض ومحيطاتها ، انما هو القمر . ثم انها هى الشمس . ثم انه دوران القمر حول الارض . ثم الأوضاع التى تتخذها الارض بالنسبة للقمر والشمس معا .

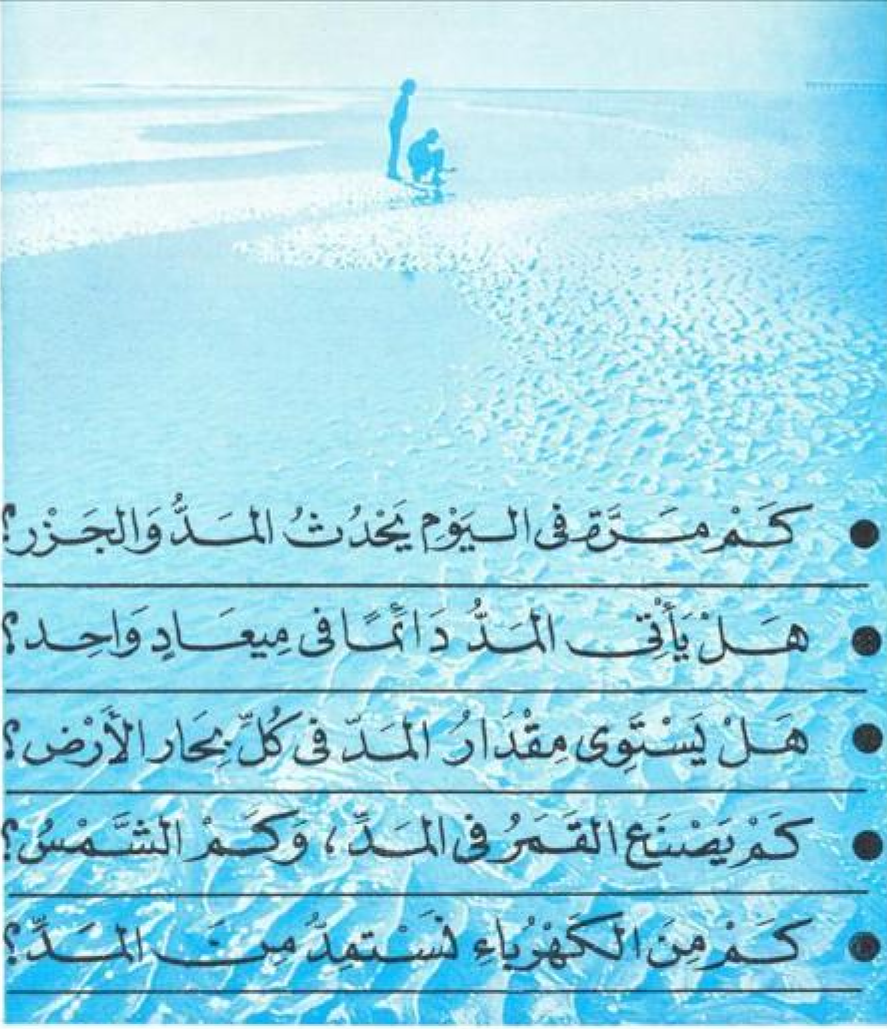
ونبدأ بتفسير كل هذه العوامل عاملا عاملا .

القمر وعمله في المد والجزر على سطح الأرض

ان القمر يجذب الارض ، بمقدار .

وكذا الارض تجذب القمر بمقدار .

ولكن هذا لا يهمنا الآن بمقدار ما يهمنا جذب القمر للارض وما عليها .



- كم مرة في اليوم يحدث المد والجزر؟
- هل يأتي المد دائما في ميعاد واحد؟
- هل يستوي مقدار المد في كل بحار الأرض؟
- كم يصنع القمر في المد، وكم الشمس؟
- كم من الكهرباء نستمد من المد؟

وعدا قوة الجذب هذه توجد القوة المركزية الطاردة : ونقول لمن لا يذكر : ان كل شيء يدور حول نقطة مركزية ، يثبته في دورته هذه قوتان : قوة جاذبة تجذبه الى هذا المركز ، وقوة طاردة (يكتسبها بسرعة دورانه حول المركز) تطرده بعيدا عن المركز وتعرف بالقوة المركزية الطاردة . وانت تحسها عندما تكون في سيارة ، ويدور سائقها بها بسرعة دورة الى اليمين ، فتحس بجسمك يكاد ينقذف من السيارة الى اليسار .

ونتحدث عن جذب القمر الأرض :

انه يجذب كل شيء فيها . فهو يجذب الجامد من الارض ، وهو يجذب ماءها ، وهو يجذب هواءها .

ولكن بما أن الماء سائل في البحار ، وبما أن الهواء غاز في الجو ، فأثر جذب القمر لماء البحار ولهواء الجو اظهر . فالهواء مثلا يمتد نحو القمر ، بسبب جذبه اياه ، أميالا . وماء البحار يمتد نحو القمر ، بسبب جذبه اياه ، اقداما ، هى مقدار ما يرتفع به سطح الماء المواجه

للقمر عن سطح الارض الجامد الذى تحته ويسميه أهل الارض مدا * .

ويتحول القمر عن هذا الجزء من البحر الى جزء آخر جديد يواجهه ، فيكون اقرب اليه ، فأقوى جذبا لمائه ، فيتحول المد الى هذا الجزء الجديد من البحر . ويهبط الماء في الجزء القديم فنقول : انه يجزر . ونسمى هبوط الماء جزرا .

كم مداً يصيب البحر الواحد فى اليوم ؟

ولكن القمر لا يتحول عن الارض كل يوم ، وانما تتحول الأرض . انها تدور حول محورها فى اليوم دورة واحدة . ومعنى هذا ان كل بقعة في سطح الارض لا بد تواجه القمر مرة في اليوم الواحد . واذن كل جزء من البحار والمحيطات ، اجمالا ، يصيبه المدُّ مرة كل ٢٤ ساعة .

وتدور الأرض حول نفسها فتستتم دورتها هذه في ٢٤ ساعة .

ولكن القمر يكون في هذه الاثناء غير ثابت . انه يكون قد تزحزح بعض الشيء في مداره الشهري حول الارض عن موضعه ، وتضطر الارض لتزيد في دورتها اليومية حول نفسها ٥٠ دقيقة حتى تعطي الفرصة لكل ماء بحر عليها ليواجه القمر مرة في اليوم .

ومعنى هذا ان اجزاء البحار والمحيطات على سطح الأرض تجد الفرصة مرة واحدة لتواجه القمر كل ٢٤ ساعة و ٥٠ دقيقة .

ومعنى هذا بالطبع ان اى نقطة في بحر تواجه القمر في الساعة العاشرة مثلا من يوم الاثنين فيأتيها المد ، لن تواجه القمر فيأتيها المد يوم الثلاثاء الا في الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين .

وهذا ما يشاهده أهل السواحل : ان المد يتأخر كل يوم نحوا من خمسين دقيقة عن اليوم السابق له .

المدُّ ، في اليوم الواحد مدَّان ، مدٌّ فى البحر الأقرب الواقع فى مواجهة القمر ، ومدٌّ آخر مثله فى الطرف الأبعد من الأرض

معنى هذا انه اذا حدث مدٌّ في المحيط الاطلسي عند الدولة العربية المغربية مثلا ، وهى في مواجهة القمر ، حدث في نفس الوقت مدٌّ مثله في الناحية الأخرى الابعد عن مواجهة القمر ، تلك الواقعة في اوسط المحيط الهادى (عند جزائر مرشال مثلا) .

ويرجع السبب في ذلك الى قوى الجاذبية .

ويرجع كذلك الى القوى المركزية الطاردة التى تؤثر في مياه البحار والمحيطات .

اما عن الجاذبية ، فمياه هذا الجانب الأرضي الأبعد عن القمر ، تقل جاذبية القمر اياها لبعدها ، عنه ، فهى اذن ، تعفى من الكثير من سحب القمر اياها ناحيته .

ثم ان القمر حينما يدور حول الارض ، يعنى ان الارض تدور حول القمر كذلك . والحق ان كليهما يدور حول نقطة بينهما . فكلاهما يتطوّح في دورانه بعيدا عن الآخر . واذن ففى البحار البعيدة عن القمر تفعل القوة المركزية الطاردة في ابعاد الماء عن القمر ، ومعنى هذا ارتفاع الماء هناك ايضا ، كارتفاعه في مواجهة القمر . واذن فهو المدُّ هناك ايضا .

والحق ان القوى الفاعلة في هذا الماء ليست من السهولة بمكان ، وللتسهيل لم نذكرها جميعا ، ولم نفصها تفصيلا .

والخلاصة التي يجب الا تفوتنا من ذلك انه حيثما يكن مد فى ناحية من الارض مواجهة للقمر ، يكن مدٌّ مثله في الناحية الأخرى الابعد من سطح الأرض .

---

* حتى جسم الانسان ينجذب الى القمر عند المد ، فيقل وزنه نحو ٣٠ جراما .

واذن فالمد في اليوم الواحد مدّان :
مدّ والبحر في مواجهة القمر .
ومدّ والبحر أبعد ما يكون عن مواجهة القمر .

وبين المدين القائمين في الوقت الواحد من سطح الأرض ، جزر لا شك قائم . فماء المدّ الزائد انما يأتي من حيث تنخفض مياه البحار الاخرى فيصيبها الجزر .

واذن فالمد في اى بحر من بحار الأرض مدان في كل ٢٤ ساعة و٥٠ دقيقة .

والجزر كذلك في اى بحر من بحار الارض جزران في كل ٢٤ ساعة و٥٠ دقيقة .

والمدُّ اثرٌ دوّار يدور حول الارض ، ينفخ ماءها فينبعج ، كأنما هو ورم يدور حول الجسم ، جسم الأرض ، ويتم دورته في ٢٤ ساعة و٥٠ دقيقة .

الشمس
تدخل الميدان

تحدثنا عن المد والجزر كأن الشمس لا وجود لها .

وكان هذا للتيسير . فمن التيسير ان ندرس العوامل المسببة للمد ، والمؤثرة فيه ، عاملا ، عاملا .

والآن تدخل الشمس ، ندرس تأثيرها في مد وفي جزر .

انك ستقول : ان الشمس بعيدة عن الارض جدا ، فبعدها فوق الـ ٩٠ مليون ميل ، واثرها في الارض وماء الارض ، بسبب هذا البعد ، اذن اثر ضعيف . وهذا حق .

ولكنك نسيت جرم الشمس ، فاذا انت قارنته بجرم القمر كان شيئا هائلا .

واذن فالشمس تؤثر في المد ببحار الأرض ومحيطاتها تأثير القمر .

الا ان اثر القمر فى احداث المد والجزر يساوى ضعف أثر الشمس في ذلك . وبالحساب أثر القمر في احداث المد مثل اثر الشمس ١٧ر٢ مرة . وقال حاسبون آخرون انه كنسبة ٥ الى ٢ .

المد والجزر
عندما يكون القمر
هلالا ، فبدرا ، فهلالا

في كلتا الحالتين ، من هلال وبدر ، ينتظم الشمسُ والارضُ والقمرُ خطٌ واحد .

ومعنى هذا أن الشمس تساعد القمر في زيادة أثره في المد .

أما والقمر فى ربع الشهر القمرى أو ثلاثة أرباعه ، فيكون الخط الواصل بين الشمس والارض عموديا على الخط الواصل بين القمر والارض .

ومعنى هذا أن الشمس تنقص من اثر القمر في احداث المد . ان اثريهما عندئذ يتعارضان .

وفي حالة مساعدة الشمس للقمر يبلغ المد اعلاه ، ويبلغ الجزر أخفضه . وذلك عند أول الشهر القمرى وعند منتصفه .

وفي حالة معاكسة الشمس للقمر يبلغ المدُّ أخفضه ، ويبلغ الجزر اعلاه . وذلك عند اكتمال الربع الاول من الشهر القمري ، واكتمال ثلاثة ارباعه .

وكل هذا واضح في الصور بالصفحة التالية

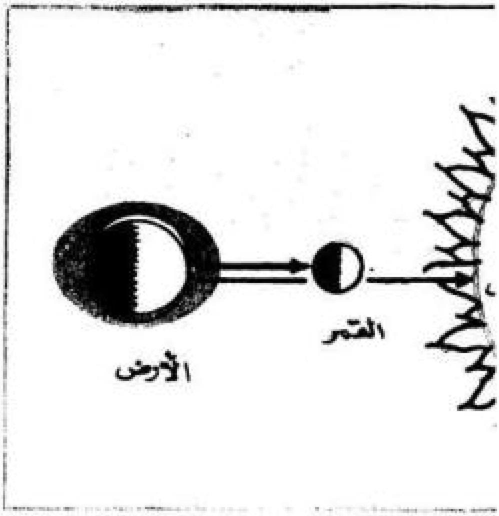
تلك صورة للمد والجزر
لا تتحقق دائما في سائر انحاء الأرض

انها صورة تتحقق وتطرّد ، ويتنبأ بها الانسان ، انها هكذا تكون غدا وبعد غد ، لو أن القوى التى تعمل في احداث الموج ، رفعِه وخفضِه ، تظلُّ واحدة لا تتغير .

ولكن الناظر في مصادر هذه القوى يدرك على التو أنها ليست ثابتة ، كل يوم وكل شهر ، فنتائجها ، من مد وجزر ، كذلك لن تكون واحدة دائما ، كمًا وكيفا .

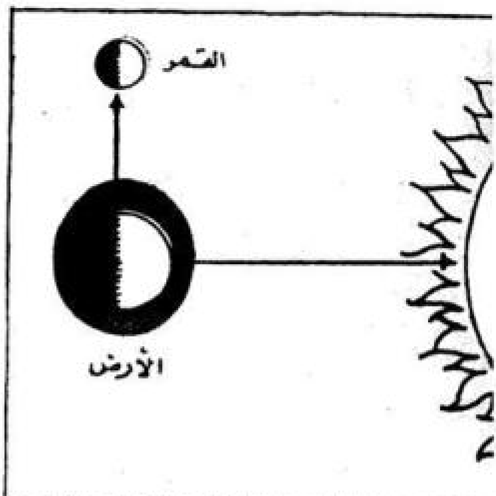
والآن فلننظر في الاجرام السماوية الثلاثة : الارض ، والقمر ، والشمس . ولندع بالطبع سائر الاجرام ، فهى تؤثر ، ولكن اثرا متضائلا وفقا لبعدها الشاسع .

ان هذه الأجرام الثلاثة تؤثر في المدّ



الارض والقمر والشمس جمعها خط واحد تقريبا . فتعاون القمر والشمس على جذب ماء الارض فزاد ارتفاع المد ، والقمر هلال . وكذا الحال ، والقمر في نفس الخط ، ولكن في الناحية الأخرى من الارض ، وهو بدر .

في ١/٤ الشهر القمرى ، والقمر في ناحية من الارض عمودية ، على ناحية الشمس منها . في هذه الحالة يتعارض جذب الشمس وجذب القمر. فلا يكون المد عاليا جدا ، ولا يكون الجزر منخفضا جدا . وكذا الحال والقمر في ٣/٤ الشهر القمرى .



من حيث قيام أوضاعها،بعض من بعض. وقد ذكرنا كيف تؤثر وهي فيخط واحد ، ثم كيف تؤثر والخطان الواصلان الارض بكل من الشمس والقمر متعامدان .

ولكن الأرض يميل محورها على مستوى تدور فيه حول الشمس، فتتكون من ذلك الفصول الأربعة : فاثر الشمس في الأرض، وفي مائها ، اذن لا يكون واحدا في كل الفصول . وكيف والشمس تكون في الصيف مثلا اقرب من شمال الارض، وابعد من جنوب الأرض . وعكس ذلك هي تكون في الشتاء ، واذن تختلف قوة تجذب فيها الارض وما عليها من بحار .

والأرض تدور حول الشمس ، لا في دائرة ، ولكن في اهليلج (بيضاوى) ، واذن فهى أحيانا اقرب الى الشمس ، وأحيانا أبعد .

وكما نقول في الشمس نقول فيالقمر. كان نقول ان القمر في دورته حولالارض يعلو عن خط استوائها حينا ، وحينا يهبط . وهلم جرا .

فالقوى التي يحدثها القمر وهو يدور حول الأرض كذلك لا تبقى واحدة على مدار السنة الواحدة .

واوضاع البحار والخلجان من الارض لها في المد أثر بالغ

ولننزل الى سطح الارض نرى فيها اوضاع البحار من الارض ، وهل يؤثر هذا الوضع فيما ينال هذا البحر أو هذا الخليج من مد ، وكم ؟

اننا نستطيع ان نتخيل ان الأرض كرة صلبة يلفها الماء كلها ، وعلى عمق واحد ، وانه ليس عليها قارة أو حيوان، كالدائرتين ترسمهما بالقلم على الورق . وتتخيل فوق ذلك أن الماء يتحرك وفقا للقوى التى تأتيه من فوقه ، من القمر والشمس ، وذلك دون أن يكون بين مياه البحار وجسم الارض الجامد ، الناعم فرضا ، احتكاك قط .

في هذا التخيل تصدق الصورة التى



مضيق من البحر . وترى الماء جازرا في الصورة العليا ، قد كشف عن قاع البحر وصخره وحصاه ، وترى الماء مدًا في الصورة السفلى ، وقد ملأ المضيق وأترع . انه جمال لعين الناظر ، ومتعة للفكر عندما يدرك أن حدثا كهذا في الارض انما كان مُحدثاه في السماء ، أحدهما يبعد عن الأرض نحوا من ربع مليون ميل ، والآخر يبعد عنها اكثر من ٩٠ مليون ميل . انهما القمر والشمس.



وصفناها أولا ، للمد والجزر على سطح الأرض ، على الأقل فيما يتصل بسطح الارض وما يجرى فيه من تسهيل لحدوث المد أو تعويق .

ولكن هذا التخيل باطل .

فالبحار لا تعم الأرض ، وانما هي محيطات عظيمة ، الي جانبها بحار كبيرة ، واخرى صغيرة ، وخلجان كثيرة ، وهي كلها أوعية مائية ذات اشكال شتى .

وبما أن المد والجزر ، ملء وافراغ ، فهذه الأوعية المائية على سطح الارض ، بسبب اختلاف أحجامها ، واشكالها ، وضحالتها او عمقها ، واتساعها ، او ضيقها ، لا يمكن ان تمتلىء بالمد ، وان تفرغ بالجزر ، في نفس الوقت التى تعمل فيه للمد والجزر قوى السماء ، قوى القمر والشمس ، وما تتخذانه من الارض من أوضاع .

ثم قيعان البحار والخلجان ، كم منها ما يجرى فيه الماء سهلا ، وكم منها ما يصدم بصخر ، بل بهضاب أو وهاد ، تعرقل سير الماء ، داخلا في المد وخارجا في الجزر .

مد وجزر في بعض بقاع من الأرض له غير صور عرفناها والفناها في أكثر البقاع

من اجل هذا نجد في الكثير من سطح الارض صورا من مد وجزر غير مرتقبة ، تختلف عن صور للمد والجزر منتظمة سبق أن أوردناها. تختلف كمًا وتختلف كيفاً ، وتختلف ميقاتا .

والآن نأتي على ذكر أمثلة من ذلك .

وقبل أن نبدأ لا بد من أن نذكر ان المعلومات التى تجمع عن المد والجزر في اى بقعة من بقاع الارض ، تجمع بكل تفاصيلها ، وبرغم عدم انتظامها ، عن عام واحد ، ثم تغذى بهذه المعلومات آلات بذلك خاصة ، فتخرج لنا هذه الآلات وصفا كاملا لمد الأعوام القادمة وجزرها ، وعن مواعيد ذلك . وهي تنبؤات حسابية صادقة . صادقة ساعاتها والدقائق .

في البحر المتوسط

من أمثلة الغريب غير المنتظر في أمر المد أن البحر المتوسط يأتيه المد في اليوم مرتين ، نعم ، ولكنه لا يزيد على ارتفاع قدمين ، بين مد وجزر ، والسبب في ذلك صغر رقعة البحر ، ولانه محبوس معزول عن مياه عظيم المحيطات فلا يدخله من مائها عند المد عن طريق جبل طارق الا القليل .

وهنا يجب ان ننبه الى ان مقدار ارتفاع الماء عند المد شيء غير مقدار انسياح ماء البحر على الشاطىء ، فماء البحر المتوسط قد يرتفع قدمين فقط ولكنه ينساح على الشاطىء مسافة مقدارها ٢٠ قدما او اكثر ، وذلك لانبساط سطح الشاطىء لا غير .

مد يتأخر عن ميعاده

ومن امثلة الشذوذ ان المد لا يجيء في ميعاده .

قلنا ان المد يكون اعلى ما يكون عند ما يكون القمر هلالا ، او وهو بدر . وذلك لان الشمس تكون هي والقمر والارض في خط واحد تقريبا ، فالشمس تعين القمر في احداث المد .

ولكن المعروف أن هذا المد لا يتم الا متأخرا ، يوما أو يومين ، عن موعده ، وذلك للقصور الذاتي في الماء Inertia وعدم انصياعه على التو لقوى المد العاملة فيه . ولأسباب أخرى تتعلق بالوعاء الذى فيه الماء .

وفي بعض جهات المحيط الهادى مد في اليوم واحد

نعم . هذا واقع في بعض جهاته . والحق انهما مدان في اليوم . ولكن واحد منهما كبير ، والثاني صغير فلا يكاد يُعَد .

الخلجان عند مصب الأنهار

وكذلك عندما يصب النهر في خليج من البحر له شكل القمع ، فقد يعين شكل هذا القمع وشكل قاعه على أن يندفع ماء البحر فيه عند المد العالي فيملؤه ملأ . والمدّ اذ يتقدم ناحية النهر ، يضيق الخليج ، فتتراكم المياه ، التى كانت واسعة ، عندما تصل الى هذا الضيق ، ويركب بعضها بعضا . وتتقدم تجاه النهر ، وكأنها الحائط ، وهى ذات ارتفاع يبلغ بضع أقدام .

ومن امثلة ذلك نهر سفرن Severne في الغرب من انجلترا ، ونهر السين في فرنسا .

وخليج فندى به أعلى مد في الأرض ..

هذا الخليج في أمريكا الشمالية ، بين نيوبرنزوك New Brunswick ونوفا اسكوتيا Nova Scotia وكلاهما في كندا ، في شرقها ، وحيث تتصل كندا بالولايات المتحدة .

وهو شبيه بالخلجان التى ذكرنا . اتساعه عند المدخل يبلغ ٤٨ ميلا . وهو يدخل في الارض ويضيق ثم يضيق،حتى يقطع داخل الأرض ١٨٠ ميلا .

ويدخله المدّ ، ويتراكم ماؤه ، بعض فوق بعض ، كلما ضاق الخليج حتى ليبلغ مده ٥٠ قدما ارتفاعا، فوق مستوى الجزر فيه .

وربّ سفينة لصيد السمك رقدت في الخليج عند الجزر على الطين ، ثم جاءها المد فوجدت نفسها بعد ست ساعات على سطح بحر عمقه ٥٠ قدما كما قدمنا .

والمد يأتي هذا الخليج مرتين في اليوم .

والذى يساعد على ذلك ان هذا الخليج ، في امتلائه وافراغه ، يواكب ميقات المد والجزر في تلك الناحية من الارض . فاذا نحن اقتبسنا من علم الصوت فكرة الرنين ، لكان رنين الخليج كرنين قوى المد ، موجة كل ١٢ ساعة و٢٥ دقيقة .

كهرباء مستمدة من المدّ والجزر

ان هذه الخلجان القمعية الشكل التى ذكرنا يدخلها ماء المد بقوة هائلة ، ويخرج منها بقوة هائلة .

ففى خليج فندى Fundy يدخل المد نحوا من ٣ ١/٢ بليون * قدم مكعب من الماء .

وللسيطرة على ماء الخليج لا بد من بناء سد عليه طوله ٨٧ ميلا وارتفاعه ٢٨٠ قدما .

ويخرج من هذا الخليج خليج ثانوى أصغر Passamaquddy Bay يفصل بين كندا والولايات المتحدة، لا يزال التخطيط جاريا للسيطرة عليه واستخدام ما فيه من قوة ماء هائلة ، ماء داخل عند المد ، خارج عند الجزر ، لانتاج الكهرباء .

ونذكر بهذا ما سبق أن ذكرناه في « العربى » من بناء فرنسا لمصنع كهرباء يصنع كهرباءه من المد والجزر في مصب نهر رانس Rance قرب سانت مالو ، وهو ينتج من الكهرباء طاقة تساوى ٥٠٠ الف طن من الفحم الحجرى في العام .

وعند فرنسا خطط اخرى مثل هذه تأتيها بقدر من الكهرباء يساوى نصف ما عندها اليوم منها .

تلك هى الأمم التى تعمل ، وتعرف كيف تعمل ، لتعيش في رفه وعزة في آن .

كل شيء في الدنيا له ثمن . لا شيء بالمجان ، حتى الكرامة .

●●

احمد زكى

---

* البليون عند الأمريكان وفرنسا هو مليون‌مليون ، وهو عند الانجليز الف مليون ، والمصدر الذى أخذنا عنه هذا الرقم امريكي .

عندما يحلم.. العقلاء

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

■ للمصور الاسباني فرانسسكو جويا Goya (١٧٤٦ – ١٨٢٨) صورة جعل عنوانها « احلام العقل » يصور بها رجلا منهوك القوى ، جلس على كرسيه الى جوار منضدة ، مادا ساقيه على الأرض ، ملتفة منهما ساق على ساق ؛ والراس – مستورا بالذراعين – منكب على سطح المنضدة ، وحول الجسد المهدود هوّمت كائنات غريبة مخيفة ، منها ذوات الجناح كأنها الخفافيش ركبت عليها رؤوس البوم ، ومنها الرابض على الارض ربضة الفهد المفترس يتحفز لفريسته ، ...

ترى هل رقد الرجل فى جلسته رقدة النعاس ، أو غفا غفوة السارح فى أحلامه ؟ لسنا ندرى ، لكن تأويلات المؤولين من نقاد الفن ، تذهب فى تفسير الصورة مذاهب شتى ، فتأويل منها يقول ان الصورة رمز للعقل اذا غفا فتدهمنا مع غفوته وحوش الخرافة والضلال ، وتأويل آخر يقول انها رمز للعقل وقد انتصر بغزواته ، فشمَل مخمورا بنصره ، وظن انه قد اصبح وحده سيد الموقف ومالك الزمام ، فما لبث ان احاطت به اسباب الهلع والجزع ..

التأويل الاول هو تأويل المؤمن بالعقل وقدرته ، وهو يحث الناس على أن يمضوا مع عقولهم قدما فى جراة وبسالة ، لتخلو الحياة من اوهامها واشباحها ، والتأويل الثانى هو تأويل المرتاب فى العقل وقدرته ، فيرى لزاما أن يستند العقل الى ايمان حتى لا ينحرف عن جادة الهداية والصواب .

والمعنى هو على أى حال فى بطن الفنان ، لكنى لا اعرف لماذا ذهب أصحاب التأويل مذاهب شتى ، وقد أشار الفنان الى مراده بعبارة كتبها على جانب المنضدة التى استلقى عليها الرجل براسه وذراعيه ، اذ كتب يقول « اذا العقل استغنى عن الخيال ، تولدت اشباح مخيفة » اما اذا اقترنا ، فانتظر منهما المعجزات .. واذن فقد أصاب صاحبنا المنهار ما اصابه ، لأنه أراد ان يعتمد على العقل وحده غير متوكىء على خيال .



الرجل العاقل يحلم ، غافيا أو صاحيا ، فى حدود الواقع المرجو المأمول ، فاذا شطح به الخيال ، فذلك تخليط المجانين .

حلم "حلمه فرنسيس بيكون، فى القرن السادس عشر ، تحقق علوما واسعة ، وفنونا رائعة ، فيما تلا من قرون .

صورة (احلام العقل) للفنان جويا

ما العقل ؟ ما الخيال ؟

وما العقل ، وما الخيال ؟ ـ قبل أن نمضى فى الحديث .. لعل أوجز عبارة توضحهما وتقارن بينهما ، هي ان تقول ان العقل يعالج الواقع كما يقع ، واما الخيال فيصور الممكن ، الذى لو اسعفته الظروف ، خرج من عالم الامكان الى عالم الواقع .

انك ـ بالعقل ـ تشترى وتبيع وتبنى البيوت وتنسج الثياب وتتقي البرد والحر ، وبالعقل يحكم الحاكمون ويخطط الساسة ، وبالعقل تصنع الاجهزة العلمية ، وتجرى البحوث ، وتركب العقاقير ، وينهزم المرض .. لكنك ـ بالخيال ـ تصعد الجبال وانت على كرسيك جالس ، وتحيا حياة القصور اذا لم تكن من اهلها ، وتفتك بالاعداء فى ميدان القتال ، وانت راقد فى مخدعك ، انك ـ بالخيال ـ ترسم لنفسك ما شئت من صور ، وانما يمتاز خيال من خيال بمدى قربه او بعده عما يمكن تحقيقه لو زالت العوائق من الطريق ، فاذا شطحت بخيالك نحو المستحيل ، كان ذلك هو تخليط المجانين ، واما اذا قيدت خيالك بقيود المستطاع ، كان هو الخيال الذى يحلم به العقلاء .

فاعفاء الخيال من قيود الواقع ، يخلق للمجنون عالما كعالم الوحوش المجنحة التي رسمها جويا في الصورة التي ذكرناها ، كذلك يخلق تلك الوحوش أن نضرب في أرض الواقع صما بكما ، لا نهتدي بفكرة تخيلناها ورسمناها في الأذهان لنسير على هداها .

مثل للعاقل يحكم بالواقع المرجو المأمول

ونسوق مثلا للعاقل كيف يحلم بالواقع المرجو قبل وقوعه ، فيرسل لخياله العنان بمقدار ما يمكن ذلك الخيال من السير المستقيم الذي لا يكبو معه ولا يتعثر ، مثل فرانسيس بيكون Bacon (١٥٦١ – ١٦٢٦) حين تخيل في كتاب له صغير ، اسمه « اطلنطس الجديدة » ما يتمناه للانسان من حياة علمية عملية ، يتخلص فيها مما كان قد احاط به ابان العصور الوسطى ، من جو كله « كلام في كلام » . فهذا نص ، وهذا تحليله ، وهذا شرح لتحليله ، وذلك هو الشرح على الشرح ، والتحليل للتحليل . فينتقل الدارس من فقرة في كتاب الى فقرة اخرى في كتاب ، ثم من مقدمة على صفحة الى نتيجة تلزم عنها على صفحة اخرى . وهكذا كانت رحلة الدارسين تبدأ على الورق وتنتهي على الورق : كلام يسبقه كلام ويلحقه كلام ، ثم يقال عن اصحابه انهم « علماء » .

بيكون يحلم بيوم يتغير فيه معنى العلم عند الناس

فحلم فرانسيس بيكون بيوم يغير فيه الانسان معنى « العلم » فلا يطلق هذه الكلمة العظيمة الا على ذلك الضرب من الكلام الذي لا يكاد يثبته صاحبه على صفحات كتابه ، حتى يثب الى حياة الناس عملا ينفع ، وله في مقارنة « العلم » بمعناه اللفظي القديم ، و « العلم » بمعناه التطبيقي الجديد ، تشبيهات رائعة ، فهو بمعناه القديم كالغانية تكون للمتعة لا للثمر والانجاب، هو بمعناه القديم كالطفل في وسعه أن يتكلم لكن ليس في وسعه ان ينسل البنين ، انه بمعناه القديم كالمرأة العاقر ، تناقش وتناقش ، لكنها لا تلد .

ان العلماء بالمعنى القديم هم كالعناكب ينسجون النسج من اجوافهم ، واذا كان ذلك لا يقدم من الدنيا ولا يؤخر ، فكذلك لا يقدم منها ولا يؤخر ، أن يجيء علماء من طراز جديد ، يزعمون لانفسهم انهم علماء « تجريبيون » ، ثم لا يزيدون على تكديس المعلومات فوق المعلومات . والاحصاءات فوق الاحصاءات ، فذلك التجميع يجعل منهم طائفة من النمل ، تخزن مخزونها دون ان تغير منه شيئا واما العلماء الذين كان يحلم بهم بيكون فهم كالنحل ، يمتصون من الطبيعة رحيقها ، ثم يصيرونه بمعداتهم عسلا حلو المذاق .

العلم قوة – وهذه عبارة قالها بيكون – بمعنى انه اداة لتغيير البيئة المحيطة بنا على النحو الذي يحقق اغراضنا ، فاذا كنت قد حصلت « كلاما » تسميه علما ، ثم لا تعرف كيف تستخدمه اداة للتغيير والخلق ، فاعلم انك لم تحصل من « العلم » شيئا .

قصة اطلنطس الجديدة

يروي لنا الراوي في هذه « اليوتوبيا » العلمية ، كيف اقلع مع رفقائه من بلاد بيرو Peru ، حيث صوبوا نحو شواطىء الصين واليابان ، لكن الرياح اخذت تهب عليهم أثناء الطريق ، مواتية حينا ، معاكسة حينا ، حتى طال بهم الامر ، وقل من خزائنهم الزاد ، ثم شاءت لهم عناية الله ان يصادفوا في الطريق هذه الجزيرة ، التي اذهلهم أهلوها بمستوى عيشهم الرفيع ، وبمحصولهم العلمي الغزير . وسرعان ما استضيفوا هناك في

بيت هو بين البيوت آية فريدة ، يطلق عليه « بيت سليمان » ، خصص للبحوث العلمية ـ وهى بحوث لم يكن العالم قد سمع بمثلها الى ذلك الحين ، وانما سمي بيت سليمان تذكيرا للباحثين برسالتهم ، وهى أن يدرسوا النبات والحيوان ـ كما حاول سليمان أن يفعل ـ دراسة لا تترك من كائنات الارض والبحر والهواء كائنا ما دامت فيه حركة وحياة ، وانهم ليطلقون على هذا البيت احيانا اسما آخر ، هو « معهد مخلوقات الايام الستة » ـ وهي المخلوقات التي خلقها الخالق فى ستة ايام ، اعني انها هي الكائنات جميعا .

اخذ الزائرون الى بيت سليمان ، حيث ادخلوا على رئيس البيت فى غرفة جميلة ، مزدانة بما علق على جدرانها ، وبما فرشت به أرضها . وكان الرئيس متربعا على عرش وطىء لكنه غني بزخارفه ، متشحا بوشاح رسمي على راسه ، صنع من الحرير الازرق الموشى . وكان وحيدا فى غرفته الا غلامين معاونين ، وقفا عن يمين عرشه ويساره ، وقد ارتديا ثيابا ناصعة البياض . وبعد ان حياه الزائرون تحية الخشوع ، انصرف الجميع الا واحدا منهم ـ بحسب ما اوصوا بفعله قبل دخولهم ـ واذن لهذا الواحد بالجلوس ثم اخذ الرئيس يحدثه بالاسبانية عن بيت سليمان ، فقال :

بارك الله فيك يا بني ، انني سأقدم اليك الآن انفس جوهرة فى حوزتي ، وذلك لاني سأصف لك ـ فى سبيل محبة الله والانسان ـ بيت سليمان ، ولكى تكون الصورة التي اقدمها واضحة ، سأسلك فى تقديمها هذا الترتيب الآتى :

سأبدأ بأن ادلك على الغاية التي قصد اليها من اقامة هذا البيت ، ثم اعقب على ذلك بذكر ما هنالك من معدات واجهزة نستعين بها على أداء بحوثنا العلمية ، وبعدئذ انبئك بمختلف المناصب والمهام التي يشغلها ويؤديها العاملون فى هذا البيت ، واخيرا ابين لك ما ينبغي لنا اتباعه هنا فى هذا البيت العلمي من مبادىء ومن شعائر .

اما الغاية التي قصد اليها من اقامة هذه المؤسسة العلمية ، فهي معرفة الكائنات من حيث علل حدوثها وما يسرى فيها من حركات خافية ، ابتغاء أن نوسع من رقعة السيادة للانسان على عالم الاشياء .

كهوف فسيحة ، تحت الارض عميقة

واما المعدات والأجهزة التي نستعين بها فى بحوثنا فهي هذه : لدينا كهوف فسيحة وعميقة ، تتفاوت فيما بينها سعة وعمقا ، أما أعمقها فيبلغ ثلاثة آلاف وستمائة قدم ، ولقد احتفرنا بعض هذه الكهوف تحت التلال العالية والجبال ، فاذا ما اضفت ارتفاع الجبل الى عمق الكهف ، وجدت قاع الكهف على بعد ثلاثة اميال واكثر ، فانظر كم يبعد هذا القاع عن ضوء الشمس وتيار الهواء . واننا لنسمي هذه الكهوف باسم « المنطقة السفلى » ونستخدمها فى اعمال كالتبريد وحفظ الاجسام من الفساد ، كما نستخدمها فى أن تفعل بالعناصر فعلا شبيها بما يتم فى المناجم الطبيعية ، وبذلك يمكن استخراج معادن جديدة نبتكرها لانفسنا ابتكارا ، بما نصنعه من تركيبات وتكوينات نضم بها العناصر بعضها الى بعض فى صور جديدة ، ثم نتركها فى اعماق الكهوف لتفعل هناك فعلها على مر السنين . بل اننا لنستخدم تلك الكهوف (وقد يبدو هذا غريبا) فى معالجة بعض الامراض ، وفي اطالة امد الحياة لمن شاء من الزهاد أن يعتصم بتلك الصوامع . وكذلك نستخدم الكهوف فى صناعة صنوف من الخزف تفوق ما يصنعه أهل الصين من ذلك ، كما

نستخدمها فى تكوين مخصبات للارض مختلفة الشكول .

وابراج فوق قمم الجبال عالية

وفى مقابل تلك الكهوف ، اقمنا « الابراج العالية » يبلغ اعلاها نحو نصف ميل . وكما حفرنا الكهوف تحت الجبال ليضاف ارتفاع الجبل الى عمق الكهف ، فكذلك اقمنا الأبراج فوق قمم الجبال لتزداد بها ارتفاعا ، وبذلك يصل أعلى الأبراج أكثر من ثلاثة اميال ، ونطلق على هذه الابراج اسم « المنطقة العليا » ، ونعد المنطقة التي تقع وسطا بين «العليا» و « السفلى » منطقة وسطى ، وانا لنستخدم هذه الابراج بما يتناسب مع تفاوتها فى الارتفاع وتباعدها فى الموقع ، نستخدمها فى عمليات العزل والتبريد والحفظ ، ونستخدمها مراصد فلكية نرصد بها مسار الشهب ومهب الريح وسقوط المطر والصقيع ، وكما صنعنا فى الكهوف فكذلك نصنع فى الابراج ، بأن نجعلها ملاذا للزهاد ، وأننا فى كلتا الحالين لنمدهم بما يتطلبون فى عزلتهم ، لقاء أن نوصيهم بملاحظة ما نريد لهم ان يلاحظوه .

وبحيرات ، من ماء عذب ، وملح اجاج

ولدينا بحيرات فسيحة ، بعضها ملح الماء وبعضها عذب ، وفيها نربي الاسماك والطير كما ندفن فى قاعها بعض الاجسام الطبيعية ، فقد وجدنا ان حالة الجسم الدفين تتغير على نحو وهو تحت تربة الارض المعرضة للهواء ، وتتغير على نحو آخر وهو تحت الماء ، وعندنا بِرَك (جمع بركة) اعددناها لتستخلص الماء العذب من الماء الاجاج ، بعزلها الملح عن الماء ، او لتحول الماء العذب الى ماء ملح بحسب ما نريد . وكذلك اقمنا صخورا وسط البحر ، وصنعنا خلجانا على شاطئه ، لتجعل من هذه وتلك معامل للتجارب العلمية ، اذا ما كانت تلك التجارب بحاجة الى هواء البحر وبخره ، كما ان لدينا تيارات مائية قوية الدفع سريعة الجريان ، وشلالات ، لنستخدم هذه وتلك فى ادارة الآلات ، او لاحداث السرعة فى حركة الرياح اذا ما أردنا استخدام الريح السريعة القوية فى ادارة الآلات ايضا .

ومراصد للنجوم ، ومعامل للتفريخ ، وحمامات للاستشفاء

واحتفرنا آبارا على نحو يجعلها قريبة من الينابيع الطبيعية ، لتكون لها من الفوائد ما ندبر لها ، كما اعددنا المراصد ، ومعامل التفريخ التي نفحص فيها توالد الحشرات والزواحف ، ومصحات مكيفة الهواء بالدرجة الحرارية التي نحتاج اليها لمختلف صنوف المرضى ، وحمامات للاستشفاء ، وكذلك عندنا حدائق وبساتين على انواع مختلفة ، لا نقصد فيها الى التمتع بالجمال ، قدر ما نبغي لها ان تكون معامل تجريبية لزراعة صنوف الشجر والعشب ، وفى هذه الحدائق والبساتين نستخلص عينات تجريبية لأنواع العصير والشراب ، المستخرجة من النبات والثمر ، كما نستغل تلك المعامل التجريبية فى خلق انواع جديدة من النبات عن طريق التهجين ، وكذلك نتحكم بالنسبة الى بعض الزهر والثمر فى توقيت نضجه ، فنجعله ينضج قبل اوانه الطبيعي أو بعد أوانه ، كما نجعله يحمل محصولا اوفر واغزر مما ارادت له الطبيعة أن يحمل . ونزيد من حلاوة الثمر اذا أردنا ذلك ، ونزيد من حجمه ، وننوع درجات الطعم كما نشاء لكل فاكهة ، كما ننوع من الشكل واللون والرائحة ، واضف الى هذا كله أننا نستخرج من تلك المزارع التجريبية ما نراه يصلح فى باب الطب والعلاج .

وقل هذا نفسه بالنسبة الى ما عندنا

من مرابي الحيوان التي لا نقصد فيها الى جمال الجلد والريش ، بقدر ما نقصد الى التشريح والى التجارب على الكائنات الحية ، لنهتدي بالنتائج الى ما يمكن تطبيقه على الانسان ، والى جانب ما نجريه من تجارب العقاقير وما اليها ، هنالك التجارب نجربها على احداث التغيرات في أطوال الحيوانات واحجامها ، وفى الزيادة او القلة من اخصابها ، وفى تنويع ألوانها واشكالها ودرجة الفاعلية فيها ، فضلا عن المزاوجة بينها مما يخرج لنا صنوفا جديدة ، ولسنا فى شيء من هذا كله نركن الى المصادفات ، بل اننا — فى مجرى التجارب العلمية — لنكون على يقين من اى شيء نضيفه الى اى شيء لينتج لنا كذا أو كيت من الكائنات .

ومن شتى المعاصر والمخابز والمصانع

ولن أطيل بك الوقوف عند ما لدينا من معاصر ومخابز ومطاعم ، نخرج بها المآكل والمشارب بكل ما يشتهيه ، المذاق ، لانتقل بك الى ما قد بلغناه فى صنع الآلات وما نصنعه بها ، الورق ، وانسجة التيل والحرير ، والطنافس ، وغير ذلك من اسباب الترف ، كما ان لدينا من المعامل العلمية ما تعلو فيه درجات الحرارة وما تهبط ، ومن المراصد ما يمكنتنا من دراسة الضوء والاشعاع واللون والشفافية وكل ما يتصل بهذا الأصل من فروع ، كالبحث فى الاحجار الكريمة ، وفى المنشورات الزجاجية وغير ذلك ، ولدينا كذلك من المعامل ما يمكننا من دراسة الصوت على اختلاف درجاته وتنوع مصادره ، ويدخل هذا الباب دراسة النطق واصداء الصوت وانعكاساته ، ووسائل تقويته ، وطرائق توصيله الى مسافات بعيدة ، وشبيه بذلك ما عندنا من معامل لاجراء التجارب على الروائح ، فنستخرج العطور ، وفى هذه المعامل نفسها تجرى التجارب على الطعوم ، وهكذا لا نترك شيئا مما تراه العين أو تسمعه الأذن أو يذوقه اللسان او يشمه الأنف الا واخضعناه للتجارب التي تمكننا من الامساك بزمامه ، ومن انتاج الجديد فيه .

وبعد ان افاض الرئيس فى وصفه لما يحتوى عليه بيت سليمان من اجهزة علمية ومن تجارب ، ختم حديثه بموجز عن ادارة هذا البيت ، وما يتبع فيه من اوضاع ، وبارك لزائره وتمنى له ولبلاده التقدم والصعود .

حلمُ عاقلٍ حلمه بيكون فى القرن السادس عشر ، لم يلبث ان تحقق فيما تلا من قرون

كان ذلك حلما حلم به عاقل عاش فى القرن السادس عشر ، حين لم يكن يعرف الناس من أمور دنياهم الا قليلا ، جاءهم عن طريق خبرات القرون الطويلة ، ولم يكن قد طاف برؤوسهم انه هو العلم الطبيعي وتطبيقه الذى فى يده أن يثب بالحياة طيرانا الى أجواز الفضاء وغوصا الى جوف الأرض واغوار الماء — بهذا وحده ، وبأمثاله يتغير وجه الدنيا .

لكن هذا كله كان عند فرانس بيكون خيالا يتخيله لا واقعا يعيشه ، ثم جاء العلم بعدئذ ليصير الخيال علما وعملا ، وفى هذا التكامل بين الخيال المقيّد البناء ، والعلم الذى يتحول الى عمل ، يقيم الانسان لنفسه حياة مطردة السير الى امام والى اعلى ، ناجيا من أشباح الخرافة والجهالة التي رسمها « جويا » فى صورته « أحلام العقل » رسمها خطرا مخيفا يدهم الانسان اذا ما عقله غفا ، حالما كان ذلك العقل أو صاحيا . ■■

زكي نجيب محمود

دردشة



من ((غرائب)) بلاد الغرب

● تنوعت الجمعيات والتكتلات فى بلاد الغرب وتعددت وابتعدت اغراضها احيانا عن المألوف ابتعادا كثيرا . وبلغ بعضها من الغرابة حدا تتضاءل معه ما اثار ظهور جمعية الرفق فى الحيوان اول الأمر فى نفوس الناس من دهشة .

ففى انجلترا على سبيل المثال مؤسسة كبيرة وغنية جدا مهمتها الوحيدة تنظيم سباقات الكلاب الاسبوعية والاشراف عليها وجنى الارباح الطائلة من ريعها .

وفى انجلترا كذلك جمعية ناشئة ناشطة بلغ عدد اعضائها (١٥٥٠٠٠) ، تقتصر اعمالها واغراضها على حماية طبيعة الأرياف ومناظرها الخام والحيلولة دون شق الطرق وتعبيدها ، أو اقامة مبانى الحضر فى ربوعها ، وذلك حفاظا على روعة الريف الأصلية ومنعا لتشويهها تبعا لامتداد مظاهر المدنية اليها .

وثمة حملة استرعت الانتباه وقامت بها مؤخرا رابطة فى الولايات المتحدة تهدف الى مكافحة التلقيح الذى تفرضه سلطات الصحة على الأفراد لحمايتهم من الأوبئة والأمراض .

وحملة اخرى هدفها الكف عن فلورة مياه الشرب Flouridation ، باضافة ملح الفلور اليها ، بقصد حماية اسنان المواطنين من التلف. واما الحجج التى ساقتها هذه الرابطة دعما لتلك الحملة فمنها ١ ـ اضافة تلك المواد الى مياه الشرب تتنافى والحريات الشخصية ٢ ـ الفلورة لا تساعد على حماية الأسنان نظرا لان مياه الشرب ليست سببا من اسباب امراض الاسنان اصلا ، ٣ ـ المواطنون ليسوا بحاجة الى مزيد من أملاح فلوريد الصديوم Sodium Flouride. وهى موجودة اصلا فيما يتناولون من طعام وغذاء. ٤ ـ الارقام والاحصائيات مصادر وهم وضلال فى بعض الاحيان ولا تقيم الادلة القاطعة على كل حال . ٥ ـ امراض الأسنان تعزى اكثر ما تعزى الى طرق فى التغذية فاسدة والوان من الطعام ، كالشيكولاتة ، وما اليها ، تسبب للاسنان اضرارا بالغة .

وكلها حجج واهية فى راى اهل العلم .

كلمات حية

● أعظم شيء فى الدنيا هو الفكر، فهو الذى يستطيع أن يبتكر وينتج ما تعجز عنه كل المعدات والآلات الحاسبة مجتمعة ، وحتى هذه ليست سوى نتاج من أنتجة الفكر الانسانى .

● الرئاسة مقعد مريح تسعى اليه ، ولكنك تحاربه طالما انك لا تجلس عليه .

● الحالة النفسية يمكن قياسها بعدد درجات السلم التى تقفزها وأنت تصعد الى مكتبك فى الصباح، أو بعدد الأقراص المنومة التى تبتلعها قبل نومك .

اقدار!

● احتفل جورج سبنسر (الانجليزى) اخيراً بزواجه من مارى فاينر ، (الالمانية) في احدى الكنائس الصغيرة بمدينة لندن. والعريس شيخ ناهز الثمانين أما عروسه فتصغره بحوالى سبع سنوات !! ولهذه النهاية السعيدة قصة طويلة بدات قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ببضع سنوات ولعب فيها القدر دورا عجيبا .

فقد التقى جورج بحبيبته في احدى مدن المانيا وتحابا وتواعدا على الزواج بعد أن تكمل الفتاة علومها في جامعة برلين حيث كان والدها يعمل أستاذا للعلوم الطبيعية .

ولكن الحرب نشبت قبل ان تكمل الفتاة علومها وكانت في السابعة عشرة في ذلك الوقت، وأسرعت تبحث عن خطيبها، فقيل لها انه سافر الى لندن ، فاستقلت اول باخرة لتلحق به . ولكن الباخرة لم تذهب الى انجلترا ، بسبب ظروف الحرب ، وانما ذهبت الى استراليا بعد رحلة طويلة استغرقت أكثر من ثلاثة شهور كاملة .

وفي مدينة سيدنى التقت مارى بمزارع انجليزى شاب أحبها ، ولكنه لم يستطع ان ينسيها حبها الأول . فتزوجته وعاشت معه كل هذه السنين ، الى أن مات في العام الماضي ، فحزمت حقائبها وسافرت الى لندن لتحصل على نصيبها في الثروة التى ورثها زوجها الراحل عن والده .

وفي لندن جلست الأرملة تروى قصتها أمام شيخ عجوز وقور جاء هو الآخر ليحصل على نصيبه في ثروة الرجل المتوفي .. وما كادت تنتهى من قصتها حتى قفز الشيخ من مقعده واحتواها بين ذراعيه وراح يمطرها بالقبلات ... وذهلت الأرملة ، ولكنها ما لبثت أن عرفت أن هـذا الشيخ الذى جلست تحدثه لم يكن سوى جورج سبنسر الذى احبته منذ أكثر من ٥٥ عاما .. وهو ابن عم زوجها الراحل .

انها من مصادفات القدر العجيبة !!

المرأة تنفق ثلث مرتب زوجها في شراء ملابس النايلون !!

● نشرت احدى المجلات العلمية اخيرا معلومات واحصاءات طريفة عن الانقلاب الذى أحدثته الملابس المصنوعة من النايلون في حياة المراة .. وحتى عام ١٩٤٠ لم تكن المراة تعرف شيئا عن هذه الملابس التى أصبحت تنفق في شرائها ثلث مرتب زوجها كل عام ، طبقا للاحصاءات التى اجريت بين عدد كبير من النساء في مختلف انحاء العالم في الغرب والشرق على السواء .

والنايلون مادة جديدة على العالم تستخلص من الفحم الحجرى ، وتدخل في صناعة ٧٠٪ من ملابس المراة الداخلية والخارجية .

وقد اكتشفها العلماء في امريكا في عام ١٩٤٠ ، ولكن صناعتها لم تنتقل الى العالم الخارجي الا بعد مرور ست سنوات على هذا التاريخ . ولم تلبس المراة الانجليزية الجوارب النايلون الا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية .

وقد سبق وصول اول دفعة من هذه الجوارب الى بريطانيا حملة دعاية ضخمة لها ، وكتبت الصحف يومها تحت عناوين عريضة تقول : « انتهت الحرب العالمية ، لتبدأ حرب أخرى على الجوارب الحريرية » . وكان الحرير الطبيعي والصناعى يدخلان في صناعة معظم المنسوجات في ذلك الوقت فضلا عن القطن .

وكتبت صحيفة اخرى تقول : « صدقى اولاتصدقى ، سيدتى ، ولكنك ستلبسين جوارب مصنوعة من الفحم الحجرى !! » .

وفي عام واحد بلغ ما بيع من الجوارب النايلون في بريطانيا ١٩٥ مليون زوج اشترتها ٢٠ مليون امراة . ■■

حَمزةُ بنُ عَبدِ المُطَّلِب

عَمُّ النَّبيِّ وَرَضيعُه

بقلم : حسن الأمين

■ حمزة بن عبد المطلب من الابطال الذين اعتز الاسلام بهم ، ولو قدّرت له الحياة المديدة لكان له من الشان ما يبلغ به ارفع منزلة في الكفاح الاسلامي الطويل ، ولكن شاء الله ان يقضي في مطالع الدعوة الاسلامية بعد ان ابلى في نصرتها ما لم يبْلِ مثله انسان آخر .

رضيع النبى

وقد كان قريبا من النبى حبيبا اليه ، كما كان هو متفانيا في الاخلاص لمحمد (ص) تفانيا قل مثله. وقد نشأ هو والنبى معا في سن واحدة او متقاربة واختلف في تحديد الفارق في السن بينهما ، فقيل انه اسن من النبى (ص) بسنتين وقيل باربع سنين وقيل انهما في سن واحدة .

على ان الثابت ان ثويبة مولاة ابى لهب ارضعتهما بلبن ابنها مسروح ، فكانا اخوين من الرضاعة . واستدل بعضهم بذلك على تساويهما في السن ، ولكن آخرين ردوا على هذا بان هذه الاخوة الرضاعية لا تؤدى حتما الى هذا الاستنتاج. فقال احدهم انه يمكن ان يكون اخاه من الرضاعة بلبن مروح بن ثويبة ويكون مع ذلك اكبر منه . ولكن حتى الذين قالوا بذلك اختلفوا فى تحديد الفارق ، اهو اربع سنين ، ام سنتان . فقال الاخرون : لا يصح ان يكون الفارق اربع سنين اذ ما دام ثابتا ان الرضاعة كانت بلبن مسروح فلا بد ان يكون الفارق سنتين ، لانه لا رضاع الا في حولين (١) . ولكن المخالفين لذلك ردوا بانه يمكن ان يكون ارضاعها حمزة في آخر سنته في اول ارضاعها لابنها ، وارضاعها للنبى (ص) في اول سنته في آخر ارضاعها ابنها فيكون اكبر من النبى باربع سنين (٢) .

وكانت بينه وبين النبى (ص) قربى اخرى ، فام حمزة هى هالة بنت اهيب بن عبد مناف بن زهرة . وام النبى (ص) هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف فهما ابنتا عم .

اخـوته

وكان حمزة واحدا من ثلاثة عشر ولدا لعبد المطلب. على ان بعضهم يقول انهم كانوا عشرة ، وبعض

---

(١) ابن عبد البر في الاستيعاب . (٢) أعيان الشيعة .

عقد له في الإسلام لواء

قال أحد عشر . وأيا كان عددهم ، فقد أدرك الاسلام منهم أربعة شذ واحد منهم عن الطريق السوى فلم يسلم ، بل قاوم الاسلام ما وسعته المقاومة ، ذاك هو ابو لهب . واستقام ثلاثة على الطريق فاسلموا ، وهم : ابو طالب والحمزة والعباس . وكان لكل واحد منهم مواقفه في الدفاع عن النبى ونصرته ، فحماه ابو طالب الحماية المنيعة ولم ينل النبى أذى الا بعد موته ، وناضل دونه الحمزة اى نضال ، وعضده العباس في بيعة العقبة وكان عينه في مكة .

اسلامه

كان اسلام حمزة في السنة الثانية من البعث(١)، وقيل بل كان ذلك بعد دخول النبى (ص) دار الارقم في السنة السادسة . وكان اسلامه فتحا عظيما اذ قوى به المسلمون ، وتباشروا بذلك اى تباشر لما كان يتمتع به حمزة من بسالة وحمية واقدام ورأى واخلاص . ومما وصف به انه كان « أعز فتى في قريش واشد شكيمة » .

اما السبب المباشر في اسلامه فذلك أن أبا جهل مر بالنبى (ص) عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لامره ، فلم يكلمه النبى (ص) . ثم انصرف ابو جهل الى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم . وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع وترى ما فعل أبو جهل ، فلم تطق صبرا ، ولم تستطع ان تقف في وجه ابى جهل . فلم يلبث حمزة ان اقبل من قنص له متوشحا قوسه . وكان من عادته اذا عاد من القنص ان يقصد الكعبة فيطوف بها ، وكان اذا فعل ذلك لم يمر على ناد من اندية قريش الا وقف وسلم وتحدث معهم .

فلما مر بالمولاة — وقد رجع النبى (ص) الى بيته — قالت المولاة : يا ابا عمارة لو رأيت ما لقى ابن اخيك محمد آنفا من ابى الحكم بن هشام، وجده ها هنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد .

فغضب حمزة ومضى مسرعا يسعى دون ان يقف على احد ، حتى اذا لقى ابا جهل اقبل نحوه حتى اذا قام على راسه رفع القوس فضربه فشجه شجة منكرة، ثم قال : اتشتمه ؟ فانا على دينه ، اقول ما يقول ، فرد ذلك على ان استطعت ..

فقامت رجال بنى مخزوم الى حمزة لينصروا ابا جهل . فقال ابو جهل : دعوا ابا عمارة فانى والله قد سببت ابن اخيه سبا قبيحا .

هكذا اعلن حمزة اسلامه ، ويقول ابن اسحاق: (فلما اسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله (ص) قد عز وامتنع وان حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه) .

---

(١) الاستيعاب .

شعره عند اسلامه

ان لحمزة بعض الشعر في بعض الاحداث .ومماروواه صاحب الدرجات الرفيعة أن حمزة قال حين اسلم من ابيات :

حمدت الله حين هـــدى فؤادي ... إلى الاســلام والدين الحنيـــف
إذا تُليـت رسائله علينـــا ... تحدَّر دمع ذي اللب الحصيف
فـــلا والله نسلمـــه لقـــوم ... ولمـا نقْـض منهـم بالسيوف

اول قائد

ومنذ الساعة التى أسلم فيها حمزة وقـفـنفسه على خدمة الاسلام والدفاع عن كيانه بكل قوته واصبح حصنا حصينا للمسلمين يلوذون بهعند الشدائد . وحين آذن النبى (ص) بالهجرة هاجر حمزة فيمن هاجر من المسلمين ، ولما استقرالمقام بمحمد (ص) في المدينة وبدا النظام الاسلامى يتكامل وتتجمع قواه كان من الطبيعي أن تكـونلحمزة المكانة الرفيعة ، فلم تمض بضعة أشهر على النزول في يثرب حتى اصبح حمزة القائدالاول في الاسلام ، فقد عقد له النبى لواء أبيض وأسلم اليه أمر سرية من المسلمين ليتقدم بهـمالى «سيف» البحر على طريق القوافل القرشية فكان هذا اللواء أول لواء عقد في الاسلام وهـذهالسرية وهذا القائد أول قائد .

في بدر

وفي بدر حين برز عتبة بن ربيعة وابنه الوليدواخوه شيبة ودعوا الى البراز ، خرج اليهم ثلاثة فتيان من الانصار هم معاذ ومعوذ وعـوفبنو الحارث ، فرفض القرشيون مبارزتهم وقالوا ارجعوا فما لنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم : يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا . فقال النبى (ص) لعبيده بن الحارث بن المطلب وحمزةبن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب : قومـوا فقاتلوا بحقكم اذ جاءوا بباطلهم ، فمشي هؤلاءالثلاثة الى العدو متمثلة بهم عظمة الاسلام ونخوته وبسالته ، فلما صاروا ازاء القرشيين قال عتبة : تكلموا نعرفكم ، فان كنتم أكفاءنا قاتلناكم . فقال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسدرسوله . فقال عتبة كفؤ كريم ، وانا أسـد الاحلاف ، ومن هذان معك ؟ قال : علي بن أبيطالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب . قـال : كفؤان كريمان .

اللحظة التاريخية الحاسمة

كانت هذه اللحظة من اللحظات الحاسمة فيتاريخ الاسلام ، فها هي قريش عدوة الاسـلام بعدتها وعديدها ، وها هو الاسلام بما تجمـع لديه من قوة . ها هما يقفان لاول مرة وجهـا لوجه . وها هم أكفاء ثلاثة في قريش الجبارةيتقدمون الصفوف متحدين الدعوة الاسـلامية وقوتها العسكرية ... فما هو المصير ؟ أتنتصرقريش فتفت في عضد المسلمين وتزلزل معنوياتهم فـلا يقـومون عـلى الصـمود ؟ أم ينتصـر المؤمنون فيوهنون عزائم قريش ويكسرون جبروتها فتولى الدبر ؟!

ستة رجال في صفين مختلفين ، عليهم يتوقفمجرى التاريخ ، وتطلع الكون كله الى تلك اللحظة

الرائعة ، فاما ضربات ثلاث من هاهنا من هـذاالصف المؤمن تحط على هذه الرؤوس الشامخة فتحيلها هباء تعلو بعده كلمة الحق وينتشر نورالهدى . واما ضربات ثلاث من الصف الآخر تحيل الفجر المشرق الى ليل دامس .

اول نصر في الاسلام

واسرع على فاردى الوليد وهما اصغر القوم سنا ولعلي خمس وعشرون سنة . والتقى سيفُ عبيدة سيفَ شيبة وهما اسن القـوم ولعبيدةسبعون سنة ، فهوى السيفان كل على هدفه ، فاصاب سيف عبيدة راس شيبة ففلق هامته ،واصاب سيف شيبة ساق عبيدة فقطعها وسقطا جميعا . وغالب حمزة عتبة وهما اوسط القوم ،ولحمزة سبع وخمسون سنة ، فصمد عتبة وجالد طويلا ثم سقط .

ثم حمل حمزة وعلي عبيدة فوضعاه بين يدىالنبي (ص) فقال عبيدة : لو كان ابو طالب حيا لعلم انى اقررت عينه حين قال :

كذبتم وبيت الله نخلي محمدا ولما نطاعـن دونه ونناضـل
ونصره حتى نصرّع حـولـه ونذهـل عن أبنائنـا والحلائل

ثم حمل عبيدة فمات في طريق العـودة الىالمدينة .

في احـد

يصف ابن الاثير خروج النبى الى احد وصفايرينا ان امر الجيش الاسلامى كان الى حمزة وانه كان قائده الفعلي باشراف النبى (ص) ، فقـدقال ابن الاثير :

ان رسول الله (ص) لما خرج الى احد خـرجحمزة بالجيش بين يديه .

وكانت نار الثار تغلي في صدر هند بنت عتبةزوجة ابى سفيان فاستعظمت مقتل ابيها وعمها واخيها بايدى الهاشميين مضافا الى قتل ولدهاحنظلة خلال المعركة بيد علي بن ابي طالب ، فدبرت مع (وحشي) ان يقتل اما محمدا اوحمزة او عليا ، وجعلت على ذلك جعلا ، ويبدو ان اكثر من موتور واحد قد ساهموا في اغـراءوحشي بقتل واحد من هؤلاء الثلاثة .

فاجاب وحشي : اما محمد فقد علمت انى لااقدر عليه لان اصحابه لن يسلموه ، واما حمزة فو الله لو وجدته نائما ما ايقظته من هيبته ،واما علي فالتمسه . قال وحشي : « فكنت يوم احد التمسه . فبينا انا في طلبه طلع عليّ رجلحذر كثير الالتفات ، فقلت ما هذا بصاحبى الذى التمس ، اذ رايت حمزة يفرى الناس فريا ، فكمنت له الى صخرة . ثم اقبل عليّ مكبا حين رآنى ، فلما بلغ المسيل ، وَطِئ على جـرفـفزلت قدمه . فهززت حربتى حتى رضيت منها فاضرب بها في خاصرته حتى خرجت من مثانته .وكر عليه طائفة من اصحابه فاسمعهم يقولون : ابا عمارة ، فلا يجيب ، فقلت قد والله مات الرجل ، وذكرت هنـدا وما لقيت على ابيهـا واخيها ... وانكشف عنه اصحابه حين ايقنوابموته ولا يرونى » .

واقبل وحشي على هند يخبرها بما فعل فنزعتثيابها وحليها فاعطتها وحشيا ، ثم قالت لـه ارنى مصرعه ، فاراها مصرعه فجدعت انفه وقطعتاذنيه ثم جعلت ذلك مسكتين ومعضدين وخدمتين حتى قدمت بذلك مكة ، وكانت قد اخذت قطعةمن كبد حمزة فمضغتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها .

رثاء النبي لحمزة

ووجد حمزة بعد المعركة ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به ، فحين رآه النبي (ص) بكى بكاء شديدا وقال : لن اصاب بمثلك ،ما وقفت موقفا قط اغيظ علي من هذا الموقف .

وكان من رثائه له قوله : يا عم رسول الله واسد الله واسد رسوله ، يا حمزة يا فاعل الخيرات يا كاشف الكربات ، يا حمزة يا ذاب يا مانع عن وجه رسول الله .

في المدينة

ولما رجع النبي (ص) والمسلمون الى المدينة مر بدار من دور الانصار فسمع البكاء والنوائح على القتلى ، فتذكر النبي انه هو وحمزة وبني هاشم غرباء الدار ، وان الهاشميات بعيدات المنازل هناك في مكة ، قد حيل بينهن وبين رجالهن ،وان قريشا العاتية قد مزقت شمل هذه الاسرة الكريمة ، وان حمزة النازح الغريب لا أهل له هنا في هذا البلد الطيب .

فعاد النبي (ص) انسانا بكل ما في الانسان من رقة وحنان وعاطفة ، وثارت شجونه كاكرم ما تثور شجون الرجل النائي عن دياره المفجوع باحبائه ، فذرفت عيناه بالبكاء ، وقال مضمنا كلمته كل ما يمكن ان تتضمنه الكلمات من معاني الحزن المشوب بالتحسر على أمة تقاتل رجلا جاء يدعوها الى فلاحها وعزتها ، ثم تفجعه باحب الناس اليه واكرمهم عليه . قال : « اما حمزة فلا بواكي له » .

وفهم بعض السامعين الكلمة على معناها القريب، ولم يدركوا ما كان يرمي اليه النبي (ص) من هذا القول ، وحسبوا أن محمدا (ص) يحب فعلا ان يسمع نوح النائحات على عمه الحبيب ، فرجع سعد بن معاذ الى دار بني عبد الاشهل ، فامر نساءهم أن يذهبن فيبكين على حمزة . فلما علم النبي (ص) بذلك امر بردهن ، مقدرا العاطفة التي حملتهن وحملت رجالهن على أن يفعلن ذلك فقال : رضي الله عنكن وعن اولادكن » .

فاطمة تبكي عمها

واذا كانت الهاشميات بمجموعهن بعيدات عن هذا المأتم النبوي العظيم ، فقد كانت هناك هاشمية واحدة قامت مقامهن وبكت عنهن ما اسعفها الدمع ، تلك هي فاطمة بنت محمد التي قدر لها ان تحمل وحدها منذ طفولتها عبء مشاركة أبيها همومه واساه ، وان تكون في الشدائد الى جانبه مواسية مقاسمة حتى لقبها النبي (ص) ام ابيها .

ولما بلغها ما حدث خرجت تستقبل اباها وملء عينيها الدمع بكاء على عمها العظيم . وروى ابن سعد في الطبقات انها كانت بعد ذلك تاتي قبر حمزة مترحمة وتصلحه .

مراثيـــه

كانت فاجعة الاسلام بحمزة مبعث شعر كثير ساهمت فيه شقيقته صفية بنت عبد المطلب ، فقالت ترثيه من قصيدة :

وقال الخبير ان : حمزة قد ثـوى ... وزيرُ رسـول الله خـير وزيـرِ
فياليت شِلْوِي عند ذاك وأعظمي ... لدى أضبع تعتـادني ونُسـورِ
أقول وقد أعـلى النعي عشيرتي ... جزى الله خيرا من أخ ونصـير

فوالله ما أنساك ما هبت الصبا بكاءً وحزنا مَحضري ومسيرى
على أسد الله الذى كان مِدْرها يذود عن الإسلام كل كفور

وقال عبد الله بن رواحة من قصيدة مشيرا الى شماتة هند :

أبا يعلى لك الأركان هُدَّت وأنت الماجد البرُّ الوصول
عليك سلام ربك في جنان مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبرا فكل فعالكم حسن جميل
ألا من مبلغ عنى لُؤيا فبعد اليوم دائلةٌ تدول
نسيتم ضربنا بقليب بدر غداة أتاكم الموت العَجيل
غداة ترى أبا جهل صريعا عليه الطير حائمةٌ تجول
وعُتبة وابنه خرَّا جميعا وشَيْبَةُ عضَّه السيف الصقيل
وهامُ بنى ربيعة سائلوها فنى أسيافنا منها فلول
ألا يا هند لا تُبدى شماتا بحمزة إن عزكم ذليل

ورثاه حسان بن ثابت باكثر من قصيدة قال في واحدة منها :

كنا نرى حمزة حرزا لنا في كل ما أمربنا نازل
لا تفرحى يا هند واستجلبى دمعا وأذرى دمعة الثاكل

ورثاه كعب بن مالك بعدة قصائد قال في واحدة منها :

قرمٌ تمكن من ذؤابة هاشم حيثُ النبوةُ والندى والسؤدد
العاقرُ الكُوم الجلاد إذا غدت ريحٌ يكاد الماء فيها يجمد
والتاركُ القِرْن الكَمِيَّ مجدّلا يوم الكريهة والقنا يتقصَّد
وتراه يرفُل في الحديد كأنه في لبدة شثْن البَرائِن أربدُ
عمُّ النبي محمد وصفيُّه ورد الحمامَ فطاب ذاك المورد
ولقد أخال بذاك هندا ثبرت لتُميت داخل غُصَّة لا تبرد

معركة شعرية

قوبل استشهادُ حمزة بين القرشيين بسرور يعادل ما استقبل به من حزن بين المسلمين ، واكبر السرور كان عند هند بنت عتبة، فكان أن علت فوق صخرة مشرفة عندما بلغها قتله وصرخت باعلى صوتها : (١) .

---

(١) محمد بن اسحاق .

نحـن جزيناكم بيـوم بـدر والحـرب بعد الحرب ذاتُ سعر
ما كـان عن عتبـة لي من صبر ولا أخـي وعمـه وبكـرى
شفيـتَ نفسي وقضيتَ نَـذْرى شفيتَ (وحشى) غليلَ صدرى
فشكرُ (وحشى) علىَّ عمـرى حـتى ترِمَّ أعظمـى في قـبرى

فثار هذا الشعر شاعرة مسلمة هي هند بنت اثاثة فردت عليها قائلة :

خُزيت في بـدر وغير بـدر يا بنـت غـدَّار عظـيم الكفر
أفحمـك الله غـداة الفخـر بالهاشميين الطـوال الزهـر
بكل قَطَّـاع حُسام يَفـرى حمزةُ ليثـى وعلى صقـرى
إذ رام « شيب » وأبوك قهـرى فخضَّبـا منه ضواحى النحـر

شعر حمزة

لم تشغل الاحداث حمزة عن نظم الشعر ، بل يبدو ان الاحداث نفسها كانت هي التي تهزه الى نظم الشعر ، فقد راينا ما نظمه عند اسلامه ، وهو اعظم حدث في حياته . ولما تتابعت الاحداث تابع شعره فيها ، فمن ذلك ما نظمه عندما عقد له النبي (ص) اللواء الاول في الاسلام وبعثه الى سيف البحر ، فقد التقى هناك بابى جهل فقال من قصيدة :

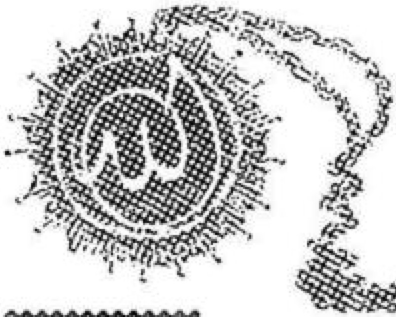
ألا يا لقـومى للتحـلم والجهـل وللنقْض من رأى الرجال وللعقل
وللمعجلينـا بالمظـالم لم نطـأ لهـم حرُمات من سوام ٍ ولا أهل
كأنا نبلنـاهم ولا نبـل عنـدنا لهـم غـير أمر بالعفاف وبالعدل
فما برِحوا حتى انتُدبت لغـارة لهم حيث حلوا أبتغى راحة الفضل
بأمر رسول الله أولَ خافـق عليـه لـواءٌ لم يكن لاح من قبلى
عشية ساروا حاشـدين وكلنـا مراجِلهُ من غيـظ أصحابه تغلى
فقلنا لهـم حبل الاله نصـيرنا وما لـكم إلا الضلالة من حبـل
فثار « أبو جهل » هنالك باغيـا فخاب وردَّ اللهُ كيـد أبي جهل

فرد عليه ابو جهل بقصيدة جاء فيها :

عجبت لأسـباب الحفيظة والجهل وللشاغبينـا بالخلاف وبالبطـل
أتونـا بأفك كيْ يضلوا عقولنا وليس مُضلاً أفكهم عقلَ ذى عقل
فان تُبقى الأيـام أرجعْ عليهـم ببيض رقاقِ الحد مُحدثة الصقل

وقد ابقت الايام ابا جهل كما تمنى ولقيهم بالبيض الرقاق في بدر ، ولكن البيض الرقاق لم تغن عنه شيئا ، ذلك ان بيضهم الرقاق قضت عليه . ■■

حسن الامين



هدية

للشاعرة الدكتورة عاتكه الخزرجى

أفدى هديته الرقيقة　　　تَحكى ابتسامته الرفيقه
تزدان بالذكر الحكـ　　　ـيم وباسم خلاّق الخليقه
علّقتها فوق الفؤاد　　　لعلها تُطفِى حريقه
يا عزها فوق الضلو　　　ع ترف من زهو رشيقه
كالنجم أو كالشمس أو　　　كالنور أو هى كالحقيقه
ما فارقت صدرى فان　　　فراقها ما لن أطيقه
كم مرة ناجيتها　　　أجلو دفائنها العميقه
وأكاد انتشق الشذى　　　وتكاد تعصر لى رحيقه
وكأنها عندى الحبيـ　　　ـب كأنها هو في الحقيقه
تفدى هديته الأنيقه　　　هذى المعذبة الرفيقه
أفديه ، أفدى دلّه　　　أفدى شمائله الرقيقه
افدى القوام السمهرى　　　ولمحة العز العريقه
قالوا لقد عق الحبيـ　　　ـبُ فقلت ما أحلى عقوقه
قالوا وقد باع الحقو　　　ق فقلت ما أغلى حقوقه
قالوا يجور مكابرا　　　فأجبت لكنى الشفيقه
ليكنْ كما شاء الحبيـ　　　ـب فاننى تلك الصديقه ■■

عاتكة الخزرجي

الحياة بعد الستين

■ عما قريب جداً ابلغ الستين من العمر .

مر بي هذا الخاطر في ليلة من ليالي الخريف بمدينة الرشيد ، فشعرت برعدة شديدة في جسمي وخيل الي في هذه اللحظة ان الله جلت قدرته خالف المعروف من سنته فجعل في جوفي قلبين بدلا من قلب واحد .

اما اولهما فقلب طيب مبتهج يميل الى التفاؤل ، واما الثاني فقلب ساخط مبتئس يميل الى الحزن والتشاؤم . واخذت اصغي لحديث هذين القلبين واحدا بعد آخر .

فاما القلب المتفائل المبتهج فشرع يقول لي :

هنيئا لك يا صديقي ما بلغت من العمر ، وهنيئا لك ما بقي منه اذا بسط الله لك في هذا العمر . اجل ، بعد قليل تبلغ الستين ، ولكن اعلم ان الحياة الحقيقية انما تبدأ في عمر البشر عند هذا الرقم ، فانت الآن انما تبدأ شبابك الثاني بعد ان تركت شبابك الماضي .

فاستمتع بهذا الشباب الثاني بمثل ما استمتعت بشبابك الماضي وان تغيرت ظروف الشبابين ، كما تغيرت كذلك اسباب المتعة الحقيقية في هاتين المرحلتين .

للشباب الاول الاطعمة الشهية وللثانى المتع الروحية

كنت في شبابك الاول تستمتع بالطعام الشهي ، والمنظر البهي ، وتتبع الجمال في كل شيء ، كما كنت في شبابك الماضي تستمتع بالجاه والمنصب ، وبالنشاط والحركة ، حتى وصلت الى اقصى ما يصل اليه امثالك من اساتذة الجامعة . ولكنك في شبابك الثاني تستمتع بالمتع الروحية والعقلية ، وتسعى وراء (الكمال) أو (الجلال) الذي اخذ يحل في هذه المرحلة من حياتك محل (الجمال) .

فكم من كتاب كنت تمنى نفسك بقراءته وذلك منذ تركته في رفوف المكتبة سنوات كثيرة حتى علاه التراب ونسيت من أمره كل شيء . وكم من رسالة او مؤلف تمنيت على الدهر الا تترك هذه الدنيا قبل أن تخرجه للناس عصارة لذهنك وذوبا لقلبك ونفسك ، وخلاصة طيبة لقراءاتك وتجاريبك في هذه الحياة .

وأعفتك الستون من المسئولية

والآن تقف بقدميك على هذه القمة التي وصلت اليها ـ لا لتهبط منها الى السفح ، حيث كنت في

بقلم
الدكتور عبد اللطيف حمزة

اوائل العمر ، ولكن لتعيش فوقها امدا من الدهر ، تلتذ فيه برؤية الناس عند السفح ، وهم يتزاحمون على الحياة كما تزاحمت ، ويتقلبون على المصاعب الكثيرة كما تقلبت ، ويذودون عن أنفسهم ومكاسبهم ذئاب البشر كما فعلت . واذ ذاك تعود بك الذاكرة الى قصة الصراع الذي صارعته في حياتك الماضية، وتبتسم لهذه الذكريات كما يبتسم التاجر آخر النهار بعد ان حاسب نفسه على تجارته فوجد انه قد ربح منها أرباحا لم يكن يحلم بها .

والآن ، وقد أخلى الدهر بينك وبين هذه المتع الروحية والعقلية على اختلافها ، وجب عليك أن تاخذ منها نصيبا موفورا وان تشع منها على آثارك الادبية والعلمية نورا . وكيف لاتفعل ذلك وقد أعفاك القدر مما كنت تشقى به من الشعور بما يسمونه « المسؤولية » وحباك الزمن بنعمة « الحرية » ، فادعُ الله أن تعيش في هذه الجنة التى زرعتها والقصر الذى بنيته ، وعش بين ابنائك الذين من صلبك ، وابنائك الذين هم نتاج روحك وعقلك .

لقد كنتَ في شبابك الاول تعيش على هوى غيرك ، اعنى على هوى الاباء والامهات فى البيت ، وعلى هوى الرؤساء والوزراء فى الجامعة، فاصبحت فى شبابك الثانى تعيش على هوى نفسك ، تسبح ماشئت بروحك فى عالم الادب والعلم ، فلا تقطع عليك هذه اللذةَ مواعيدُ العمل من أجل لقمة العيش ، فهنيئا لك هذا الاستقلال الذى كنت تحلم به . وهنيئا لك هذا النضج الفكرى الذى كَمُلَ لك .

لايستسلم العلماء لشيخوخة

ثم مضى القلب الطيب فى حديثه فقال :

وهناك حقيقتان لايغفل عنها امثالك من المشتغلين بالعلم والادب اما (اولاهما) فهي أن الناس جميعا يشعرون بالهرم ، ويستسلمون للشيخوخة الا العلماء والادباء فهؤلاء انما يحيون حياة حافلة بالمشاعر مليئة بالافكار والخواطر ، وحسبك دليلا على صدق قولي ما تجده الآن فى نفسك وفى نفوس زملائك من رجال العلم فى الجامعة . فانتم أيها الاساتذة الجامعيون – قبل وصولكم الى سن التقاعد ، وبعد وصولكم الى هذه السن – تستأنفون عملكم العلمي بنجاح تام فى البلاد الاوروبية والامريكية والعربية وغيرها من البلاد التى تفدون اليها ، فلك ان تطمئن الى انك مهما طال بك العمر لن يصيبك الهرم . ولن تشعر بالسأم او الملل . ولن تستطيل الوقت كما يستطيله الجاهلون أو الفارغون المحرومون من نعمة العلم أو الادب او الفن .

العالم الشيخ كالنهر عند مصبه

وأما (الحقيقة الثانية) وربما كانت أهم من الاولى ، فهي أن حياة الانسان فى تكاملها تشبه حياة النهر فى تكامله ، فالنهر العظيم يبدأ عند منبعه شريطا ضيقا من الماء يخرج من احدى البحيرات او الجبال ، ثم يشق طريقه الطويل بين اعشاب كثيفة توهن من قوته ، واحجار تضعف من ثورته وتدفقه ، وسدود وشلالات ربما قضت عليه القضاء الاخير ، مالم تكن له هذه القوة الدافقة التى يتغلب بها على هذه العقبات ، ويترك

النهر العظيم منطقة الاعشاب والسدود ـ وهي المنطقة التي تمثل في حياة الانسان مرحلة الشباب والكفاح ـ الى منطقة أخرى تمثل مرحلة الرجولة والكهولة ، فيها تقل العقبات في طريق النهر اكثر من ذى قبل ، ويتسع المجرى اتساعا يبشر بكل خير . واخيرا يقترب النهر من المصب .

وانت ياسيدى في هذه المرحلة التي تحياها الآن تشبه النهر في هذا الوضع ، والنهر هنا هادىء وادع واسع نافع . يفيض بالخيرات والبركات ، ويخلق من الصحراء أرضا كلها خصب ونماء ، تزدهر فيها الحضارة ، وينضج فيها الفكر والفن ، ويتكامل فيها الانسان تكاملا نفسيا وعقليا في وقت معا .

واراد القلب الطيب أن يختم حديثه اللذيذ فمضى يقول :

وان ازعجك الشيب يوما ما فاذكر هذه الابيات التي رسم فيها الشاعر أجمل صورة لهذا الشيب حين قال :

لايرعك الشيب يابنة عبد الـ
ـله فالشيب جلة ووقار
انما تحسن الرياض اذا ما
ضحكت من خلالها الانوار

حياة عمها الاذى من كل جانب

وجاء دور القلب المتشائم الساخط فطال الحديث واستشعرت الثقل والكآبة في بعضه ، واحسست الراحة والصدق في بعضه الآخر .

قال : العجب منك ايها الرجل ، كيف ترجو المزيد من الحياة ، وقد كلفتك هذه الحياة فوق طاقتك وتعرضت فيها ـ لطائفة من المحن اثقلت كاهلك ، وعشت عيشتك هذه وانت أشبه ما تكون بالطائر فوق الغصن ، يحف به الصيادون من كل صوب ، كل يحاول ان يصيب منه مقتلا . ولكنك نجوت في النهاية كما نجا هذا الطائر بمعجزة .

أنسيت تلك الحزازات التى كانت بينك وبين الخصوم ؟؟

أنسيت أن الطريقة الوحيدة التى تخففت بها من هذه الخصومات انك كنت تقابلها بالاهمال أو بتكلف هذا الاهمال حتى تمر بسلام .

أنسيت أن اولئك الخصوم لم يتركوا فرصة من الفرص يلحقون فيها الضرر بك وبمستقبلك الا انتهزوها في عناد واصرار وفي خبث وسخرية ؟ انسيت اناسا كنت تسعى لهم في الخير ، وكنت تحرم نفسك من اجلهم لذة النوم ، ثم انقلبوا عليك لايذكرون لك فضلا ولا نعمة ، ولا يرعون لك الاً ولا ذمة .

ثم ما هذه الحياة التى تحرص عليها هذا الحرص الى الآن ؟ اتذكر يوما واحدا نعمت فيه بالراحة الحقيقية ؟ هل اراحتك الاسرة التى خلقتها وغذيتها بدمك وتحملت في سبيلها كل ما تحملت ؟ هل اراحتك الجامعة بلوائحها الكثيرة المتناقضة ، ومتاعبها المتواصلة ، وطلبتها المشاكسين المتكاسلين ، واساتذتها الساخطين الناقمين المتحاسدين ، ومجالسها التي تثير العواصف في النفس والزلازل في الراس ؟

اعطيت الدنيا اكثر مما اخذت

دعني اذكرك ياصديقي بما كنت تقوله لى دائما من انك اعطيت الدنيا اكثر مما اخذته منها ، وانك تعبت في سبيل الوصول الى ما انت فيه اضعاف ما تعب غيرك . فكيف تنسى هذه الشكوى المريرة التي لم تسكت عنها الا من عهد قريب ؟

وحين وصل القلب الساخط الى هذا الحد من حديثه كان صبرى قد نفد ، وكان الضيق قد أخذ مني كل ماخذ . فاردت ان اقاطعه قائلا :

نعم : اذكر هذا كله واكثر منه ، ولكن تنسى ياصديقى اننى كنت اجد نفسى في كل ما اقرأ واكتب ، وكنت اجد لذتي في كل ما اشقى واتعب .. وانت تعرف ان التعب هو وحده الثمن الذى يدفعه الرجل للوصول الى ما يريد ، ولا بد أنك سمعت بقصة المهلب بن ابي صفرة ، فقد سأله بعضهم قائلا : اتحب الظفر بغير جهد ؟ قال :

لا . قيل له : ولم ذلك ؟ قال : لاني اكره عادة العجز .

وهنا قاطعني هذا القلب الساخط قائلا : ولكنك تزعم دائما انك لم تبلغ بعد في حياتك كل ما تريـد !!

كنت أرنو الى منزلة علي بن أبي طالب

قلت : نعم فالحق ـ والحق اقول ـ انني في حياتي كنت اطمح الى بلوغ درجة من درجـات الكمال العقلي والنفسي أرقى من الدرجة التي انا عليها اليوم . ولعلك أيها القلب الذي لايرضيه شيء تذكر معي قصة رجل من رجالات العرب كان قد بلغ منزلة يقصّر عنها الامل . فسأله احـد اولاده قائلا : كيف وصلت يا ابي الى هذه المنزلة ؟ قال : ويحك يابني ، كنت أرنو الى منزلة علي بن ابي طالب ، ولكني لم ابلغ من ذلك اكثر مما بلغت. وهكذا كنت في حياتي أيها القلب أرنو الى هذه الدرجات العالية من درجات الكمال النفسي ولكني لم احقق من ذلك الا ما رايت .

الشيخوخة تاتـي بالمرض والاشياخ يذهب بعقولهم الزمن

واراد قلبي الثاني أن يختم حديثه بالرغم منه فقد كان يود ان يشغلني بحديثه الى مطلع الفجر ـ فهمس في اذني قائلا : لقد خدعك القلب الاول حين قال لك : ان العلماء والادباء والفنانين لايشعرون بالهرم ، لانهم يعيشون في العلم والفن والادب . الا تعلم أن هذه الامور كلها انما تحتاج الى الجهد الذي لايتفق مـع تقدم السن ؟ وكيف تضمـن ياصديقي أن تكـون متمتعا ببعض صحتـك في الشيخوخة والهرم ؟ . ألم تسمع لقول الذي يقـول :

أوائـل العمـر خيـر مـن أواخـره
وليس شمس الضحى كالشمس في الطفَل

ألم تسمع بالشيوخ من أساتذتك واصدقائك واحبائك واقربائك : أما بعضهم فقد اقعده المرض واما بعضهم الآخر فقد كاد يذهب بعقولهم الزمن . واما الباقون ممن يقولون عن انفسهم انهم عاشوا اكثر مما ينبغي لهم فهم يرددون قول لبيـد :

ولقد سئمت مـن الحيـاة وطولهـا
وسؤال هـذا النـاس كيـف لبيـد

لذلك انصحك ألا تنخدع بما قال صاحبك ، والا تسمع لكثير من نجواه فيما يبعث فيك من أمل . والا كنت من الذين يريدون ان يعيشوا الى الحد الذي يصدق فيه قول الذي يقول :

الـى كـم تخـدم الدنيـا
وقـد جـزت الثمانينـا
اذا لـم تـك مجنونـا
لقـد فقـت المجانينـا

هنا غلب علي الضحك،فارسلت ضحكة عريضة عالية لم يسمعها مني غير هذا الليل الادهم .

وعدت الى القلب الساخط أقول له : علـى رسلك ياصديقي فقد حسبتَ أنني ممن يحرصون على طول العمر ، كلا ، ـ فانني احرص على شيء واحد فقط . هو أن اكون نافعا لنفسي ولغيري من الناس في حدود استطاعتي . ولا طريق الـى ذلك الا بالعمل وليس من عمري يوم يمر بدون عمل ، ولا من حياتي ايام اقضيها بدون منفعة تعود على احد ، وما أصدق الشاعر الذي يقول :

وكيف يعيش المرء في الدهـر خامـلا
أيفـرح في الدنيـا بيـوم يعـده

وكان علي في نهاية الحديث أن أحكم بين هذين القلبين المتنازعـين وأن أقـول كلمـتي فـي هاتين القضيتين فوجهت اليها الحديث قائلا : ما أحسن أن ننصف الدهر ، وأن نشكر اللـه الذي وهبنا هذا العمر ، وأن ننشـد معا هـذا البيت من الشعر :

حاسب زمانك في حالَيْ تصرّفـه
تجـده أعطاك أضعاف الذى سلبـا

واني لاشعر الآن ياصديقي العزيزين بهذا الذى شعر به استاذى الكبير مصطفى عبد الرازق ، وانتمـا تعلمان انني بدأت شبابي الاول بدايـة طيبـة .

ولا امل من دنياى الا أن اختم شبابي الثانـي ختاما طيبا . وما ذلك على الله بعزيز . ■■

عبد اللطيف حمزه

خليل السكاكيني

في رثاء زوجته سلطانه

بقلم : اكرم زعيتر
وزير البلاط الاردني

■ في العدد ١٠٢ من « العربي » مقال ماتع بعنوان « شعراء رثوا زوجاتهم » تحدث فيه الأستاذ خليل الهنداوي عن جرير وابن الزيات وعبد الحق حامد وعزيز اباظه وعبد الرحمن صدقي .

وهذه مناسبة أتاحها لي الأديب الهنداوي للحديث عن أديب عربي مجدد ، تجاهت به فلسطين وتباهت ، وقد تبوأ في عالم الأدب مكانة عالية ، واختارته المجامع العلمية العربية عضوا فيها ، ويصح أن يكون مضرب المثل في وفائه لزوجته فيما تفجع به من رثاء شجي بليغ .. انه المرحوم الأستاذ خليل السكاكيني ، الأديب الكاتب المفكر ، واللغوي النقادة ، والمربي القدير المبتكر .

أستاذي وصديقي

هذا الأستاذ الذي تتلمذت له ثم صادقته ونعمت منه بمودة حانية ، وعرفت فيه أشرف ما تتسع له كلمة « انسانية » من مناقب ، وكلمة « رجولية » من اباء وشجاعة وشمم ، وقوة في الخلق والجسم . واني لأرجو أن تتاح لي ترجمته ليرى الناس أي أديب مبتكر ، وأي كاتب دعابة متمرد ، وأي معلم وطني ثائر ، وأي ثقيف واسع الاطلاع ، وأي حديث محاضر ممراح كان خليل السكاكيني .

زوجته سلطانة

على انني اقصر الحديث اليوم على رثائه لزوجته « سلطانة » وكانت هذه السيدة المفضال سر هنائه ، وروح سعادته ، ومعنى حياته ، حتى اذا اختطفها الموت بعد سبع وعشرين سنة من حياة زوجية مثالية ، طارت نفس السكاكيني هلعا ، واضطرم فؤاده حسرة وفزعا ، وتلظت في جنبات صدره نيران لم تخمد حتى قضى هو نفسه .

غصة تتجدد كل يوم

وراح السكاكيني في أصبوحة كل يوم ينثر الزهر ويذرف الدمع على قبرها ثم يسكب آهاته وزفراته سطورا باكية في يومياته فينشج :

« آه يا سلطانة ، ان موتك غصة في صدري لا تساغ ، لا يسيغها البكاء ولا يسيغها التجلد ، ولا يسيغها أن انهمك في العمل أو اقرأ الكتب أو اللهو بالحديث ، لا يسيغها أن انام ولا يسيغها أن استيقظ .. ولا تسيغها الايام فانها تتجدد كل يوم » .

في أول عيد ميلاد لسلطانة بعد وفاتها

ويطل عيد ميلادها ، فيعتمر المقبرة ليعايدها ، وينثر الزهور ويذرف الدموع ، وينحب في يومياته : « رجعت الى البيت ولم اذهب الى



المدرسة (١) احتراما لعيدك ، لزمت البيت والحزن يجيش في الصدر والدموع تجول في عيني النهار كله ، فحاولت ان انظم قصيدة جديدة من وزن يصلح للغناء بعنوان « اسعفاني بالبكاء » . آه يا سلطانة ، هذا هو العيد الأول من أعياد الحزن ، ولتكن هذه القصيدة هدية العيد .... نعم يا سلطانة لقد نبا ناظري عن كل منظر ، ونبا سمعي عن كل صوت ، ولولا الحياء لصارمت خلاني واهلي وانزويت في غرفتي اناجيك وابكيك .. كيف التفت ، واين رحت فاجأتني مئات من الذكريات .. خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيبين ؟ ... ايتها السماء احكمي علينا بما شئت اما أن تكلفينا الرضى فهذا لن يكون .. نعم لن نرضى .... كلفت احد الخطاطين ان يكتب لي هذه الجملة (لن نرضى) لتكون أول من يعلن السخط على الارض والسماء » .

ويتملكه الأسى وتتجاذبه الهواجس .. فينوح « كنت اظن اني احب الحياة فاذا بي أحبك انت لا الحياة .. واذا بكينا لفراق الأحياء فالأولى ان نبكي من اليوم الأول ، لأن هذا الفراق واقع لا محالة ، أليس الافضل الا تكون هناك حياة فلا يكون هناك موت ؟ أيها الناس تعالوا ننقرض » .

ديوان رثاء اسماه « لذكراك »

ونظم السكاكيني ديوان رثاء باسم « لذكراك » فاجاد وأبدع لانه كتبه بدمعه ، على انه لم يجد في ذلك تأساء ، فراح ينشج :

« لا يعزيني أن الجأ الى خيال الشعراء ... أن انظر الى مكانك فاتخيل انـك معي .... ان اتمثلك في ندى الصباح ، في زهر الحديقـة ، في نجوم السماء ، في كل معنى لطيف ، في كل شكل أو لون جميل رائع ... أن اسمعك في زقزقـة العصافير وبُغام الظباء وسجع الحمام وهينمـة النسيم » .

« ما أحرى هذا الخيال أن يجدد الحزن ويزيده ، والا فما بالنا نرى أن الشعراء انفسهم اشد الناس حزنا وبكاء ؟ يسلو الناس وهم لا يسلون ويصبر الناس وهم لا يصبرون » .

« لا يعزيني أن أتذكر أيام السعادة ، ايام كان الزمان غلامنا ، أيام كنا نطوف باكتاف السحاب المخيم ، أيام كنا نوزع السرور توزيعا .. ايام كنا نتساقى أكؤس الصفو ملاء .. ايام كنا نبني علالي وقصورا في الهواء .. أيام كنا سعداء ، أيام كنا سعداء » .

وراح خليل السكاكيني يقرأ ديوانه « لذكراك » في اليوم مرات عاقدا لزوجته في ضميره مناحة ، ثم لا يلبث حتى يقول : « اذا كان الدهر ينتظر مني ان اسيغ هذه الغصة وان اخضع لحكمه فاقول : لا حول ولا .. وان أعود سيرتي الأولى وكان ما كان لم يك كان .. فيا طول ما ينتظر .. سلطانة ، سلطانة لا يخلو منك بالي . لا اريد الحياة بدونك ولو انقلبت الارض سماء » .

اعطاني ديوانه فلم استطع عزاءه

وتفضل السكاكيني عليّ بان اهدى الى نسخة من « لذكراك » ، وقرأته مرات وعايشـتـه في

---

(١) كان يشرف على مدرسة النهضة التى أسهم في تأسيسها بالقدس .

محنته ، ولكن مصابه عَصَبَ فمي ، فلم استطع ان اكتب له كلمة عزاء ، ومصابه جل عن كل عزاء .. ولكن فيلسوف الفريكه امين الريحاني كتب يقول له :

« سيدى خليل السكاكيني »

ولا اقول اخي لانك علوت في حزنك على الاخاء البشري . واخوك في الكون الاعلى هو « الشاه جهان » ، بل انت الشاه جهان وكتابك في « ام سري هو « تاج محل » . فاهنئك بحزنك ، واقرئك السلام ..... امين الريحاني » .

وام سري هي سلطانة

من قصيدة « قفا نبك »

وتطالعك في ديوان لذكراك قصيدة « قفا نبك » وتنشد مع خليل :

قفا نبك من ذكرى اذابت حشاشتي
ولا تبخلا بالدمع ، فالدمع حاجتي
قفا اسعفاني في مصابي ، فانني
اراه مصابا قد تجاوز طاقتي
لقد كنت قبل اليوم احسب انني
صبور على الارزاء يقرعن ساحتي
واني كبير القلب لا تستخفه
حوادث هذا الدهر امّا توالت
واني على حظٍّ من العلم صالح
على قدر ما قد زودتني ثقافتي
فلما دهاني ما دهاني وجدتني
ضعيفا جزوعا ذا شجيٍ وكآبة
رجعت الى قلبي ، واين اصطباره
وراجعت ما ادرى فاين درايتي ؟
وقلت لعل الشعر ينفع في الاسى
لعلي ارى فيه قضاء لباناتي
تلفتُّ علّي او اراها فجاءة
واصغيت علي ان افوز بنامة
وقلت هنا عاشت ، وهذا مكانها
وكدت اناديها على مثل عادتي
فلم الق الا خدعة بعد خدعة
ولم الق الا ما يشق مرارتي

■ ■ ■

تذكرت ايام السعادة علها
تخفف من حزني وتشفي حزازتي
وقلت لقد كنا وكنا فزادني
اسى والتياعا ذكر تلك السعادة
فحاولت ان انسى فلم تجد حيلتي
ولم يكن النسيان طواع ارادتي
تجلدت ، لكن لم يفدني تجلدي
شكوتُ ولكن لم تفدني شكايتي

ويسترسل السكاكيني في نحيبه :

تعللت بالآمال ارقب وقتها
فلم تكن الآمال غير علالة
واصبح عمري بعد ذلك فضلة
اروح واغدو فيه من غير غاية
وعادت ليالي الملاحُ مناحة
تقام بها الافراح اثر مناحة
وبدّل عيشي بعد صفوى غصة
اردّدها في الصدر دون اساغة
ولم يبق لي من سلوة غير قبرها
اليه اوايل ما حييت زيارتي
يقولان : انا قد عهدناك قبل ذا
شجاعا ، ولكن اين اين شجاعتي ؟
الا ! لا عزاء يا خليليَّ بعدها
الا ، لا عزاء فاتركاني وحالتي

انشودة نظمها ، وفي عيد ميلادها عزفها

وفي عيد ميلاد (سلطانة) نظم السكاكيني انشودة وعزفها على قيثارته بلحن شجي :

اسعفاني بالبكاء
ودعا كل عزاء
لا تقولا الصبر يجدى
حين يشتد البلاء
ليس يجدي الصبر ان لم
يك في الصبر رجاء
لا تقولا : « انما الدنيا
ـ كما قيل ـ فناء »
ان يجلُّ الخطب لا
تجدِ عظاتُ الحكماء

■ ■ ■

آه .. واشوقي الى
سلطانتي زَيْن النساء

آه .. واشوقي الى
أيامنا الغر الوضاء
يوم كنا نغنم الأنس
صباحا ومساء
يوم كنا نتعاطى
اكؤس الصفو ملاء
يوم كنا سعداء
يوم كنا سعداء

■ ■ ■

سحب الدهر على أيا
منا ذيل الفناء
قوض النادى الجميل
وخبنا ذاك الضياء

والقصيدة طويلة ولكنها مؤثرة شجية .

وتختتم السنة التي ماتت فيها فيقول فيها

وتنصرم سنة ١٩٣٩ ، وفيها قضت (أم سرى) ويحتفل الناس بميلاد العام الجديد ، أما صديقنا السكاكيني فيخلو في غرفته لينظم أبياتا يخاطب بها السنة الماضية :

لك الويل يا سنتي الماضية
لك الويل من سنة جانية
لقد كنت ، مذ كنت بين السنين
على بيتي الضربة القاضية
مشيت اليه على غرة
وليتك ما كنت بالماشية
مشيت اليه ففجعتني
بربته الدرة الغالية
بمهوى فؤادى ، بعنوان فخرى
بموضع أنسي ، بآماليه
كأنك غاظك ما نحن فيه
من الصفو والعيشة الراضية
نبث السرور هنا وهناك
ونحسو كؤوس الهنا صافية

وبعد أن حمل على تلك السنة حملة المفجوع الثائر هتف :

الا أن ذا لم يكن في حسابي
ولم يك يخطر في باليه
فيا ليتني كنت في الذاهبين
ويا ليتها كانت الباقية

بيته فى مصر الجديدة

وسنة ١٩٤٩ كنت أزور خليل السكاكيني في داره في مصر الجديدة تلك الدار التي يقول السكاكيني في يومياته عنها : « وهي دار تاريخية .. فقد سكنها قبلنا الشاعر العظيم خليل مطران وسكنها قبله الشيخ سلامة حجازى .. والآن يسكنها العالم العلامة والبحر الفهامة عضو مجمع فؤاد الاول للغةالعربية خليل السكاكينى». (وكنت الاحظ ان خليلا كان يعد نفسه لفراق الدنيا) . وقد قال يوم نُعي اليه صديقه الأستاذ عيسى العيسى في صيف عام ١٩٥٠ « اذا رحل عن هذه الدنيا فما انا الا هامة اليوم أو الغد ، واذا كان الموت أن يتحول الجسم الى تراب فاني منذ اليوم كتلة من التراب تمشي على الارض الى أن يدركها القدر المحتوم فتنهار وتنتهي الرواية وينسدل الستار وكان ما قد كان لم يكن كان » .

مات بعد فقده ابنه بثلاثة أشهر

وكانت القاصمة التي أسدلت الستار على حياة السكاكيني وفاة وحيده « سرى » وهو في رونق شبابه ، فلحق الاب الثاكل بابنه الراحل بعد ثلاثة أشهر .

وأشهد ، مع ذلك أن الحزن البالغ لم يكن يفقد السكاكيني القدرة على احالة الحديث واشاعة الظرف في مجالسه حتى غدا مقهى (بالميرا) في مصر الجديدة ، ملتقى صفوة أصفيائه وخلانه وطلابه والمعجبين به ، ولكنه كان لا يلبث حتى يعاتب نفسه لما يتفق منها من متابعة الناس على تصرفهم في المؤانسة متمثلا بقول خلف بن خليفة :

أعاتب نفسي أن تبسمت خاليا
وقد يضحك الموتور وهو حزين

وقضى السكاكيني وانفضَّ السامر . ■■

أكرم زعيتر
عمان

اعرف وطنك أيها العربي

مَوْلِدُ عَاصِمَة!

مَدِينَة "البَيْضَاء" هَل تَحتَل مَكَانَ طرابلس وبنغازي في الدَّوْلَة اللِّيبِيَّة؟





قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

أوسكار مترى

ارتفع عدد سكان « البيضاء » من خمسة آلاف نسمة الى ٤٠ الف نسمة ، جاء معظمهم من الصحراء ومن مختلف مدن المملكة الليبية .. وفى شوارع المدينة يسير الاهالى بملابسهم التقليدية ، وسط المباني الحديثة المرتفعة .





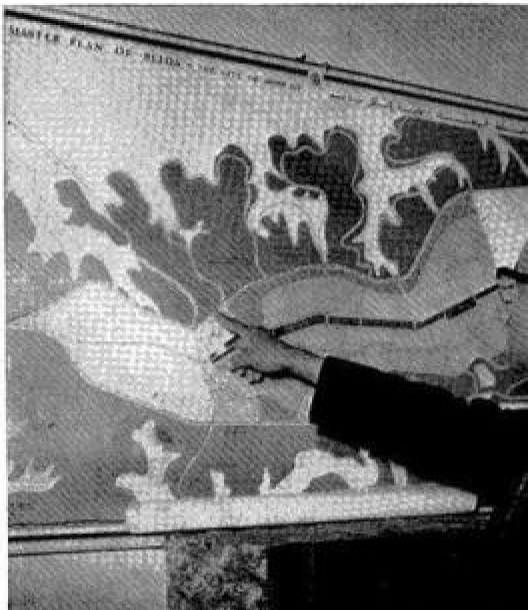
تنام مدينة البيضاء وتستيقظ على اصوات السيارات وهدير الجرارات والآلات التى تعمل على استكمال الشكل النهائي للمدينة وهى تتغير معالمها من يوم الى يوم .. والى اليمين منظر عام لمنطقة البرلمان الذى يبدو فى مؤخر الصورة بقبته الكبيرة التى تعكس اشعة الشمس لانها مصنوعة من معدن يشبه النحاس .. وفى الطرف الايسر للصورة يبدو جزء من فندق « البيضاء بالاس » الذى يضم ٧٠ غرفة دائما كاملة العدد .. ان أزمة المساكن والفنادق على اشدها فى البيضاء ، لان تكلفة الاقامة فى الفندق أقل من تكلفة الاقامة فى احد منازل البيضاء .

■ « كل ما ينقصنا هو المال ، لتحقيق آمالنا ومشاريعنا »

كلمات كان يرددها شعب ليبيا بحسرة منذ عشر سنوات فقط ، وفجأة تسارعت الاحداث ، فعثروا على النفط تحت الصحراء فى عام ١٩٥٨ ، وانقلب حال ليبيا من بلد فقير لا تتجاوز ميزانيته عشرة ملايين جنيه ، الى بلد غنى سجلت فيه آخر ميزانية رقما لم يسبق له مثيل : ٢٢٦ مليونا من الجنيهات !

لقد اشتهرت ليبيا بانها المملكة ذات العاصمتين ، طرابلس فى الغرب ، وبنغازى فى الشرق .. ولكن ابناء عهد النفط لم يكتفوا بهذا الترف الحضرى ، بل شرعوا فى بناء مدينة جديدة تصبح عاصمة ثالثة لمملكتهم التى تحوى مليون ونصف مليون نسمة ! !

وطلب المسؤولون الليبيون بعثة من الامم المتحدة لتدرس حال بلادهم .. وفى عام ١٩٥٩ جاءت هذه البعثة الدولية المؤلفة من تسعة اشخاص يراسهم مندوب هندى .. وبعد دراسة طويلة لحالة البلاد وضعت كتابا ضخما صريحا اطلعنا عليه فى المكتبات العامة ببنغازى ..



امام خريطة مدينة البيضاء ، وقف الاستاذ صالح عبد القادر محافظ البيضاء يشرح لنا الانجازات التى تمت ، ومشاريع المستقبل ..

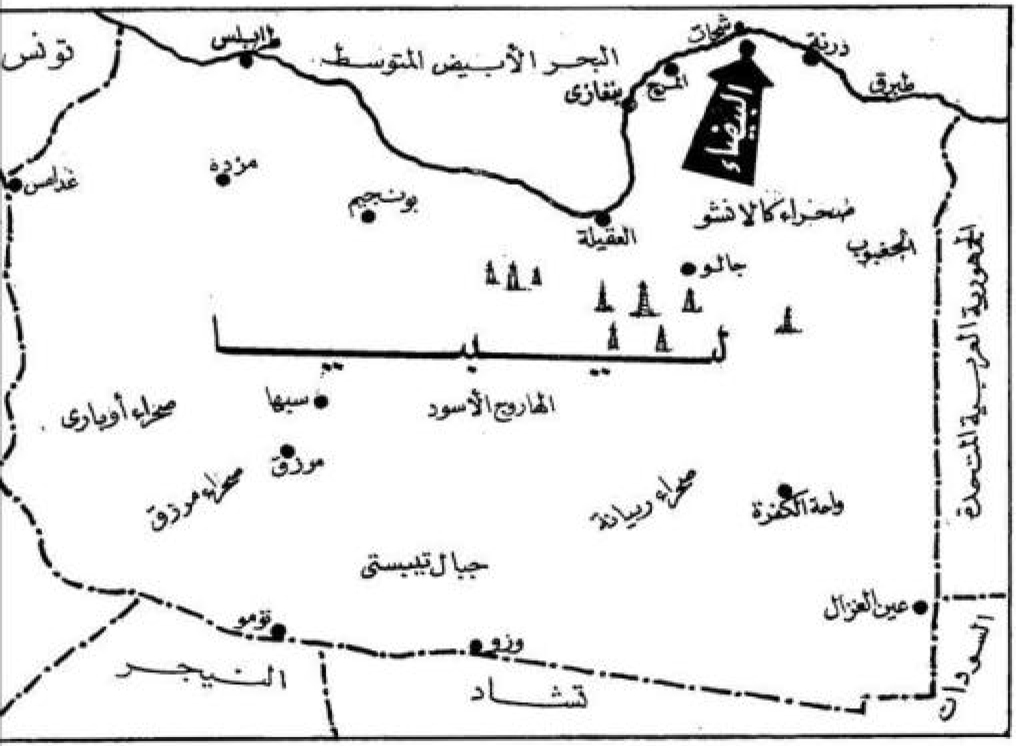
وبدا الكتاب بهذه المقدمة : « **معظم الليبين ما زالوا يعيشون حياة بسيطة .. اكلهم متواضع .. ومطالبهم من الحياة محدودة .. التطور الذى مر على العالم فى الخمسين سنة الماضية لم يمسهم الا مسا خفيفا .. عندهم معلومات قليلة عن تكنولوجيا القرن العشرين .. التقاليد القبلية قويه ..**

ويتابع تقرير الامم المتحدة دراسته باسلوب لاذع فيقول :

« **ملابسهم من الصوف المغزول فى المنازل .. ووسيلة مواصلاتهم الجمل او الحمار .. اما الكهرباء والماء العذب فغير معروفتين عمليا .. فنادقهم ينقصها العدد والنوعية ، واسعارها ـ رغم انعدام الخدمة ـ تضاهي اسعار فنادق الدرجة الأولى باوربا !** »

حياة جديدة

هكذا كانت الحياة فى ليبيا عام ١٩٥٩ قبل تفجر البترول من صحرائها .. وكان تفجره ايذانا بانتهاء السنوات العجاف وبداية حياة جديدة على جبهة طولها ١٨٠٠ كيلو متر ، ممتدة على طول الساحل الليبي من حدود تونس غربا الى حدود الجمهورية العربية المتحدة شرقا !



خريطة المملكة الليبية .. وعليها يظهر موقع مدينة البيضاء وسط الجبل الاخضر .. وتبعد البيضاء مسافة ٢٠٧ كيلومترا من بنغازى ، وحوالى ١٠٠ كيلومتر من درنه ..و١٥ كيلو مترا عن البحر الابيض المتوسط .. وقد بلغ عدد سكانها ٤٠ الف نسمة ..

لقد عانت ليبيا الشيء الكثير من دمار الحروب فى هذا القرن ، فاراضيها كانت مسرحا لمعارك دائمة ،لا تكاد الواحدة تنتهي ، حتى تبدأ الاخرى اعنف من الاولى !

وكانت « ولاية » برقة هي مركز هذه الحروب والمعارك .. والى هذه «الولاية» التى تقسمت اليوم الى اربع محافظات ، طارت بعثة العربي لتسجل صورة حيئة للناس فى قراهم ومدنهم .

انها مدن ذات ماض مجيد ،ومستقبل سعيد .. أما الحاضر فغارق فى الجص والاسمنت والحديد ، المستعمل فى حركة البناء والتعمير ،التي امتدت حتى شملت بناء مدينة جديدة كاملة اسمها « البيضاء » ..

من قرية الى مدينة

« والبيضاء » كلمة لها حساسية خاصة عند اهل ليبيا .. ففي هذه المنطقة يقوم ضريح الصحابي المعروف رافع الانصارى ، وبجواره اتخذ « مولانا السنوسي الكبير » مؤسس الطريقة السنوسية وجد الملك الحالي ، اتخذ مقاما له ، وبنى فى عام ١٨٣٤ زاويته الاولى ، وكانت بيضاء اللون وسط الجبل الاخضر حيث الخضرة والماء الدائمين ..

وعرفت المنطقة باسم « الزاوية البيضاء » وتجمع الاهالي حولها وشيدوا منازلهم باحجار مدينة الشحات الاغريقية الاثرية القائمة على



الى اسفل : الشيخ حسين عجيل الزليتني يقوم بتحفيظ القرآن لبعض تلميذات مدرسة حفظ القرآن للبنات ، وهي تضم ١٥٠ طالبة .





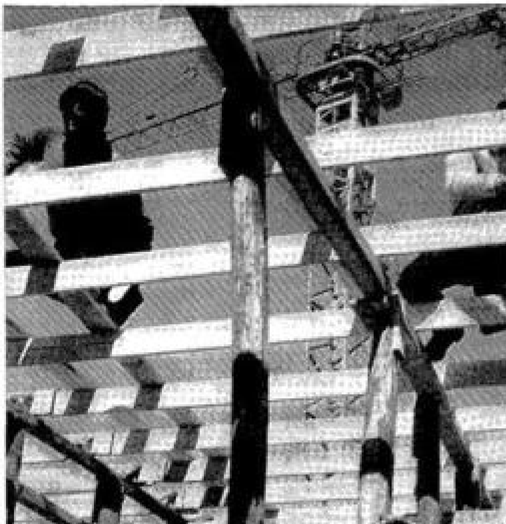
بعد أن انتزعت ليبيا استقلالها ، اتجه الملك ادريس الى رعاية آثار جده ، فأمر بتجديد « الزاوية البيضاء الاولى » واعدادها لتكون معهدا دينيا ، أطلق عليه اسم جده الامام السيد محمد بن علي السنوسي ، وتوضح الصورة اليمنى المنظر الخارجي للمعهد مع مئذنة جامعه ، التي بنيت عند تجديد الزاوية في عام ١٩٥٢ .. ويضم المعهد ٢٦٠ طالبا يتلقون علومهم الابتدائية والاعدادية والثانوية ، الى جانب مدرسة تحفيظ القرآن التي يحفظ فيها الطالب (الى يسار القارىء) القرآن على الطريقة القديمة ، أي بكتابة الآيات الكريمة على لوح خشبي ثم حفظها من ظهر قلب .

الى اسفل : جانب من المسجد القديم بالزاوية وكان يتسع لخمسمائة شخص ، ثم جُدِّد فأصبح يتسع لألف شخص .. وينتهز طلبة معهد البيضاء فرصة الهدوء في المسجد فيجلسون فيه لمراجعة دروسهم قبل الامتحان .



الساحل بجوارهم .. وظلت القرية تكبر وتتسع حتى قارب عدد سكانها الخمسة الاف نسمة .. ولكن مجرد زيادة عدد سكانها لم يكن كافيا لتحويلها الى مدينة ! فمجتمع القرية ، كما هو معروف ، مجتمع مغلق يحتاج الى عامل خارجي ينتزعه انتزاعا من تفكيره المنحصر فى الزرع والتغذية والتناسل ، وينقله الى هدف ابعد من الرغبة فى البقاء ..

وفى عام ١٩٥٨ كان القدر يبتسم لقرية البيضاء .. ففي ذلك العام تقرر تحويل هذه القرية المجهولة التي ترتبط بتاريخ السنوسية فى ليبيا



بعض العمال الايطاليين يعملون فى تركيب الاسس الخشبية لعمل سقف احد المباني .. وفى البيضاء تجمع العمال فى مختلف البلاد .. من اليونان والمانيا والباكستان والاردن ولبنان ومصر ، من اجل بناء عاصمة المستقبل .

.. تقرر تحويلها الى مدينة مرموقة تنافس سائر مدن المملكة الليبية وتتفوق عليها !

١٢ كيلومترا

ونزلت الحكومة بثقلها الى ميدان العمل ، فجاءت بالذين خططوا مدينة سلام آباد ، وشاركوا بتخطيط مدينة واشنطون ، جاءت بهم الى ليبيا ليخططوا للمدينة الجديدة ..

وكانت نتيجة عملهم مطابقة لما ارادته الحكومة ، فقد عملوا على تحويل القرية القديمة ، الى مدينة عصرية تمتد ١٢ كيلو مترا فوق سهل منبسط من الشرق الى الغرب لتضم ١٠٠ الف نسمة فى اقرب وقت !

ولم تدخر الحكومة جهدا فى سبيل تحقيق هذا الهدف فقد سارعت بتجنيد سفاراتها فى الخارج لطرح عطاءات عالية من اجل تنفيذ المشاريع الكبرى فى المدينة الوليدة ..

مجتمعات جديدة

وجاء المقاولون مع العمال من كل مكان : من اليونان ، وايطاليا ، والمانيا ، والباكستان ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، ولبنان.. جاءوا مع ادواتهم ومهاراتهم الفنية ، وعاداتهم الغريبة عن المنطقة لينضموا الى مجتمع قرية « البيضاء » المحافظ ، ويكونوا مجتمعا مشتركا ، تمخض بدوره عن مجتمع ثالث يشمل طوائف الخبازين ، والبقالين ، والعمال ، والموظفين ، ورجال البوليس ، والتجار ، جاءوا كلهم الى البيضاء للعمل والارتزاق .

وهكذا ولدت في « البيضا » كما يسمونها ، مجتمعات اكثر تعقيدا وتنويعا من اى مجتمع آخر فى ليبيا .. كلها تختلف اختلافا بينًا عن مجتمع القرية الاصيلة .. وان كانت اخذت من المجتمع القروى طابع الانطواء على نفسها ، فلا اختلاط ، ولا احتكاك مع المجتمعات الأخرى الا فى قاعات الفندق الكبير الوحيد فى المدينة .. وهذه الاجتماعات قاصرة على الرجال ، يتحدثون ويتناقشون فى الأعمال ، وبالارقام الضخمة التي تتعدى الملايين ..



اتسعت مدينة البيضاء وامتدت ، واصبحت في حاجة ماسة الى خطوط تليفونية جديدة تربطها بالمدن المجاورة .. وهؤلاء العمال يعملون في حفر الارض لمد ٣٦٠٠ خط هاتفي جديد ..

ارقام قياسية

لكن هذا « البرود الاجتماعي » ، الذي يسود مجتمع البيضاء ، يقابله حركة هائلة في قدرة الانسان على الانتاج ، فالأرقام القياسية تسجل يوميا في سرعة بناء العمارات وشق الطرق ، ان آلاف العمال يعملون هنا ويتحركون كأنهم آلة هائلة هادرة .. ولم تقف الزيادة عند حد البناء ، بل تعدتها الى فلاح القرية القديم ، الذي لم يعد ينتج ما يسد حاجته وحاجة اسرته وقريته فحسب ، بل اصبح ينتج بكميات تفيض عن حاجته لتموين تلك المجتمعات الجديدة التي تأكل بشراهة واسراف ، وخاصة اللحوم ، اذ يذبح يوميا ٢٠٠ رأس غنم لأهالي البيضاء وحدها !

الاشجار والازهار على ظهور السفن !

ورغم التحفظ الكبير نحو المجتمعات الجديدة ، شهد رجال قرية البيضاء تقاليدهم وعاداتهم القديمة المتوارثة تذوب وسط المدينة الحديثة القائمة على العلم والتكنولوجيا ، لقد تغيرت صورة الحياة التي ألفوها من اساسها .. فالسيارات والحافلات اخذت مكان الدواب .. والمصاعد الكهربائية تنقلك الى اعلى الأدوار في العمارات





أينما تذهب فى البيضاء تجد العمال يعملون فى بناء المنازل الجديدة ..

والى اسفل يرى مبنى مجلس الوزراء تحيط به المباني الحكومية الاخرى ..









«**فوق**» شارع ادريس الاول .. اكبر شوارع البيضاء ، يجرى توسيعه الآن ، ليسمح بمرور السيارات في الجاهين .. لقد تم حتى الآن تعبيد ٢٥ كيلومترا من الطرق الداخلية في المدينة ، وسوف تحاط المدينة بطريقين رئيسيين، واحد في شمالها والاخر في جنوبها وعرض كل منهما ١٠٠ متر ..

والى اليمين مبانى القسم الداخلى لجامعة السنوسى الاسلامية ..

والى اليسار بعض المعدات من حديد واخشاب تستعمل في بناء منازل البيضاء .

ذات العشر طوابق .. والتراكتورات الهائلة تحمل الأتربة لشق طرق جديدة واسعة .. والطائرات تهبط يوميا في مطار الابرق قادمة من بنغازي تحمل الموظفين والمهندسين .. وقوافل السيارات الكبيرة لا يتوقف سيرها ، تقطع المسافة من البيضاء الى موانيء درنة ، وراس الهلال وبنغازي لتعود محملة بالاخشاب والحديد والاسمنت المستورد من اركان العالم الأربعة لبناء « البيضاء » .. أما الرمال فيجلبونها من قاع الوديان التى تصب مياهها في البحر الابيض.. ،والاحجار يقطعونها من ٢٠ محجرا متناثرة في الجبل الأخضر حول البيضاء



النصب التذكاري الذى اقيم تخليدا للذكرى المئوية لوفاة الامام السيد محمد بن علي السنوسي .. كان الهدف من بنائه أن يكون سبيلا يشرب منه الاهالي الماء العذب ، ولكن قلة هذه المياه جعلت « السبيل » يرتفع على أعمدته دون أن تنساب منه نقطة ماء !!

.. والأزهار والاشجار جلبوها بالسفن من مصر وايطاليا لتجميل الشوارع والطرقات .. ولكن حتى الان لم تظهر الحدائق والساحات الخضراء الضرورية لصحة السكان ، وان يكن رئيس البلدية قد أكد لنا انه ستقام في القريب العاجل حديقة ضخمة في طرف البيضاء تضم مسرحا للاوبرا ، واحواضا للسباحة ومدينة للملاهي ، وملعبا للجولف وآخر للتنس ، عدا المطاعم والمقاهي وغيرها ..

لقد قفزت ميزانية بلدية البيضاء من ٢٠ الف جنيه في عام ١٩٥٨ الى ١٠٠ الف جنيه هذا العام ، ونصف هذا المبلغ تدفعه الحكومة كاعانة ، والنصف الآخر تحصله البلدية كرسوم من الأهالي على مشاريع المستقبل التي تنوى ان تقدمها لهم !

هجرة الى المدينة الجديدة

وما كادت المباني الحديثة تظهر في البيضاء حتى جاء السكان اليها من كل حدب وصوب من المدن المجاورة ومن الصحراء ومزارع الجبل الاخضر .. تركوا منازلهم وجاءوا للسكنى في البيضاء ولكنهم لم يجدوا الأماكن الكافية ،فاقاموا « مدن الصفيح » القبيحة حول المدينة الجميلة الحديثة التي لم يكتمل بناؤها بعد !

ان عدد سكان البيضاء قفز في هذه الأيام الى ٤٠ الف مواطن ، وأصبحت هذه المدينة المقر الدائم لدواوين الحكومة .. حتى البرلمان أصبح له مبنى حديث نظيف في وسط البلد .. وانتقلت بعض السفارات من طرابلس وبنغازي الى البيضاء ، ولكن أعضاء بعض السفارات الأخرى رفضوا الانتقال قبل اعلان البيضاء رسميا عاصمة للبلاد !!

لكن هذا الاعلان من الصعوبة بمكان في الوقت الحاضر على الأقل .. فالغلاء في البيضاء خانق فاحش مرتفع .. وازمة السكن مستفحلة ، والفندق الوحيد كامل العدد دائما ، والسبب ان الحكومة والشركات الكبرى ترسل اليه ضيوفها وخبراءها يقيمون فيه باستمرار ، مقابل ثلاثة جنيهات ونصف يوميا للشخص الواحد ، اى اقل من المصاريف التى يتحملها الفرد العادى للأكل والنوم .. ان نزول موظفي وخبراء الحكومة



فضيلة الشيخ عبد الحميد عطية الديباني، شيخ جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية ، ويعتبر في نفس الوقت المشرف الاعلى على الزوايا السنوسية ، وعددها ١٠٠ زاوية منتشرة في ليبيا والسودان والحجاز

والشركات فى هذا الفندق الوحيد جعله يتحول الى دار للضيافة ، اما الزائر العادى فعليه التوجه الى فندق مدينة الشحات القريبة للنوم هناك ، وان كان هو الآخر كامل العدد على مدار السنة ! !

ان أزمة السكن لم تحل بعد بالرغم من أن عدد المبانى التي قامت فى السنوات العشر الماضية بلغ خمسة آلاف منزل وعمارة وفيلا ومتجر كبير ، حسب ما سجلته احصائيات بلدية البيضاء ، هذا دون ذكر عدد المبانى التي ارتفعت دون علم البلدية التي لم يكتمل جهازها تماما بعد ..

جامعة اسلامية لجميع الجنسيات

كل هذا التحول فى المدينة لم ينقص شيئا من قوة الناحية الدينية فى « البيضاء » ، بل على العكس زادت هذه القوة واخذت مركزها فى الاسبقية فازدهرت وانتشرت ، وتوّج هذا التقدم بانشاء أول جامعة اسلامية كبرى فى ليبيا التي تبدأ قصتها قبل قصة بناء المدينة نفسها ! ، فقد قرر الملك الحالي احياء آثار جده حامل لواء الدعوة السنوسية ، فاصدر أوامره عام ١٩٥٢ بتحويل « الزاوية البيضاء » القديمة الى معهد ديني يكون نواة لجامعة اسلامية .. وهذا ما تحقق بعد تسع سنوات ، اذ أعلن عن مولد « جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية » فى بداية عام ١٩٦١ .

وفى حديث طويل مع مديرها فضيلة الشيخ عبد الحميد عطية الديبانى قال لنا :

« ان هدف الجامعة هو تخريج علماء متخصصين على مستوى جامعي عال ليقوموا بنشر الثقافة واللغة العربية ، وكل ما يتصل بالشئون الدينية ، والتراث الاسلامي الخالد ، ويتولوا مهام الوعظ والارشاد ، ويشغلوا مناصب القضاء الشرعي ، والتدريس والتوجيه الديني والاجتماعي .

« وقد تقرر أن نفتح ابواب جامعتنا لجميع الطلاب من جميع أنحاء العالم الاسلامي علىاختلاف جنسياتهم ، كما ينص على ذلك قانون الجامعة الخاص .. وعندنا حاليا ٣٢٣ طالبا مغتربا ينتمون الى ٢٦ دولة افريقية واسلامية منها : الكمرون ، توجو ، ج.ع.م ، اوغندا ، تونس ، السنغال ، مالى ، المغرب ، الجزائر ، الأردن ، الصومال ، موريتانيا ، تشاد ، غامبيا ، الصين ، نيجريا ، اثيوبيا .. وتقوم ادارة الجامعة بتحمل مسئولية اقامة هؤلاء الطلبة ، وتصرف لهم كتبهم ، وتقوم بعلاجهم ، وتمنح الطالب منهم سبعة جنيهات كل شهر .. »

مدارس فى الجامعة !

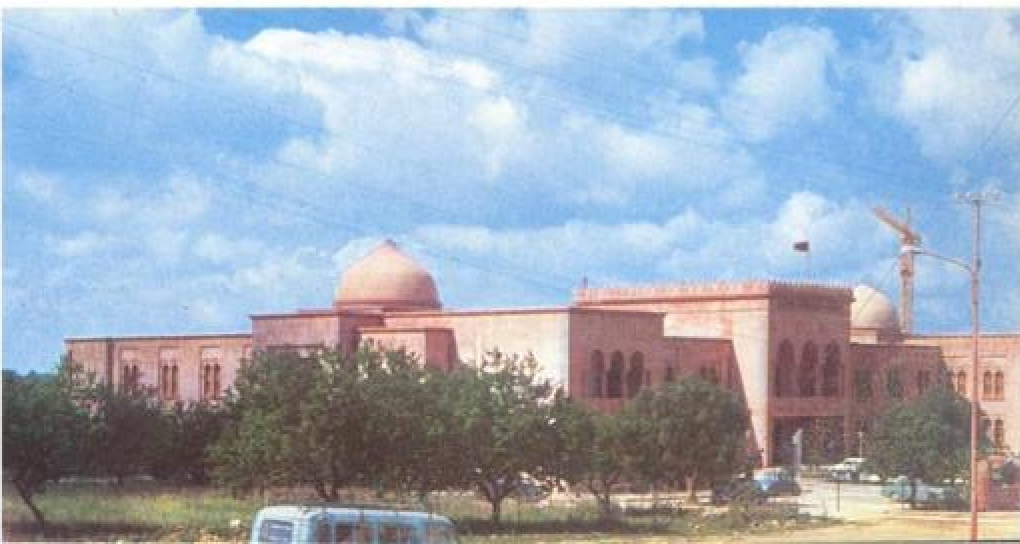
ويستطرد فضيلة مدير الجامعة فيقول :

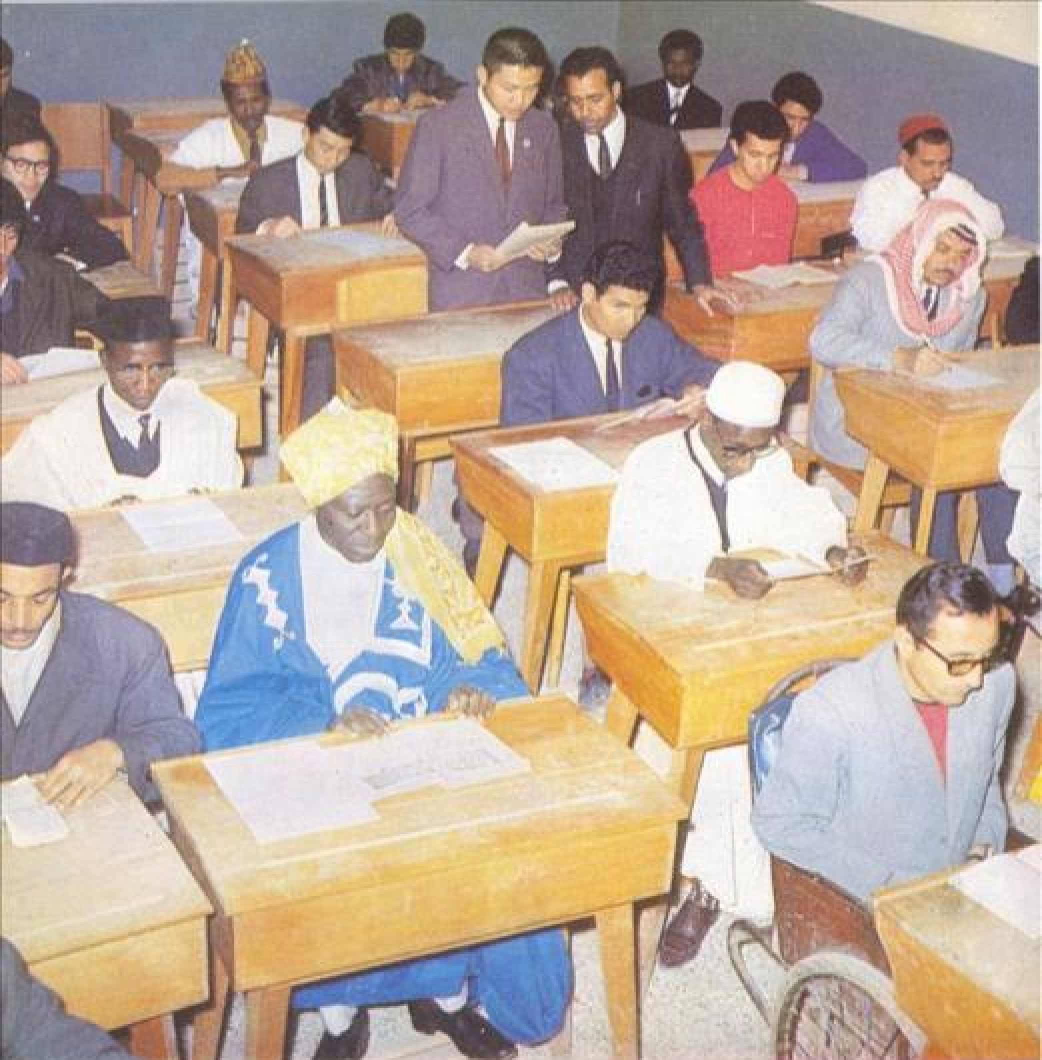
« وتتميز جامعتنا بشيء فريد ، فالى جانب كليات أصول الدين ، والشريعة الاسلامية ، واللغة العربية ، وقسم الدراسات العليا فى الجغبوب ، يوجد ١٥ معهدا آخر مختلفا .. وهنا قد يتراءى سؤال عن معنى وجود هذه المعاهد



ينص قانون جامعة السنوسي الاسلامية على فتح ابوابها لجميع الطلاب ، من جميع انحاء العالم الاسلامي على اختلاف جنسياتهم ، وهذه مجموعة من هؤلاء الطلاب الذين يبلغ عددهم ٣٢٣ طالبا ينتسبون الى ٢٦ دولة افريقية واسلامية .. وفي الوسط يظهر المجاهد الجزائري حسن مقدول جالسا على كرسي متحرك .. لقد قال لنا انه خاض معركة الجهاد في بلاده ، والآن يخوض معركة الثقافة والعلم في البيضاء .

الى اسفل : مباني قسم الادارة العامة للجامعة الاسلامية في البيضاء .. ان الاقبال المتزايد على الجامعة جعل من الضروري التفكير في بناء مدينة جامعية متكاملة ، بجوار مبنى الادارة وسوف تقام مبانيها على النمط المعماري الاسلامي الجميل .







يقبل طلبة البعوث في الجامعة الاسلامية على الالتحاق بقسم تدريس اللغة العربية والشريعة الاسلامية لحاجة بلادهم الماسة الى المدرسين في هاتين المادتين .. اما شعبتا القضــاء والوعظ والارشاد فلم يتوفر لهما العدد الكافي من الطلبة لفتحهما حتى الآن !

الى اليسار : ترتفع البيضاء ٨٠٠ متر فوق سطح البحر ، وهذا الارتفاع يساعد على نقــاوة الجو ومنع انتشار الامراض المعدية ، ولكن رغم هذا يوجد قسم طبي في الجامعة الاسلامية يتولى علاج الطلبة والاساتذة وعائلات موظفي الجامعة من الامراض الناتجة عن البرد .. ويضم القســم طبيبا ، هو الدكتور امين احمد خليل يساعده ١٣ ممرضا .. وينتظر ان تنضم اليهم اول ممرضــة

بالجامعة أ ، لان مدلول الجامعة ينصرف الى الدراسات العليا . ولكن جامعة السيد السنوسي الاسلامية تشمل المدارس القرآنية .. والمعاهد الابتدائية ..والاعدادية والثانوية ، لان الدراسات في الجامعة تحتم كفاءات خاصة في مقدمتها حفظ القرآن الكريم ، الذي يتم في هذه المعاهد الصغيرة والمعاهد التابعة للجامعة .

مشاريع المستقبل !

ويتابع الشيخ .. .. .. حديثه بقوله : « ان عدد الطلبة في الكليات ٣٤٠ طالبا ، وطلبة



احدى الحفارات تعمل على شق الارض الطيبة لمد شبكة خطوط كهربائية حول مدينة البيضاء ..

المعاهد الثانوية والاعدادية والابتدائية ١١٨٠ طالبا وطلبة المدارس القرآنية ٤٩٥٠ طالبا ، وفي مدارس البنات ١٠٥٠ طالبة .. ونأمل ان تتضاعف هذه الاعداد ، بعد انتهائنا من بناء المدينة الجامعية التي سوف تضم الكليات والمكتبة ، ومساكن الطلبة والمسجد والمطبعة والمخازن وغيرها من المرافق الضرورية .. »

٥ جنيهات للطالبة

وليس التعليم مقصورا على الجامعة الاسلامية ومعاهدها ، بل هناك التعليم الحكومي الذي تطابق مناهجه مناهج التعليم في الدول العربية الاخرى ..

وفي معهد المعلمات بالبيضاء تتلقى ٢٠٤ طالبة دروسا في الدين والتربية الرياضية والموسيقية والفنية والتدبير المنزلي .. وتتقاضى كل طالبة في القسم الداخلي مكافأة قدرها ثلاثة جنيهات شهريا خلاف المأكل والمشرب والنوم ، وهؤلاء الطالبات من المناطق والمدن القريبة من البيضاء .. أما طالبات القسم الخارجي فتبلغ مكافأة الواحدة منهن ٥ جنيهات ليبية شهريا ..

الباكستان في ليبيا !

وفي الطابق الثاني من معهد المعلمات تقوم نواة لاول مدرسة باكستانية ، لقد فتحوا فصلا واحدا ليتلقى فيه اطفال الستين مهندسا وطبيبا باكستانيا العاملين في البيضاء ، دروسهم باللغتين الانجليزية والباكستانية . وقد انضم الى هؤلاء الاطفال الباكستانيين مجموعة من الاطفال الليبيين .. ومن المنتظر ان يتحول هذا الفصل في العام الدراسي القادم الى مدرسة حكومية مستقلة ..



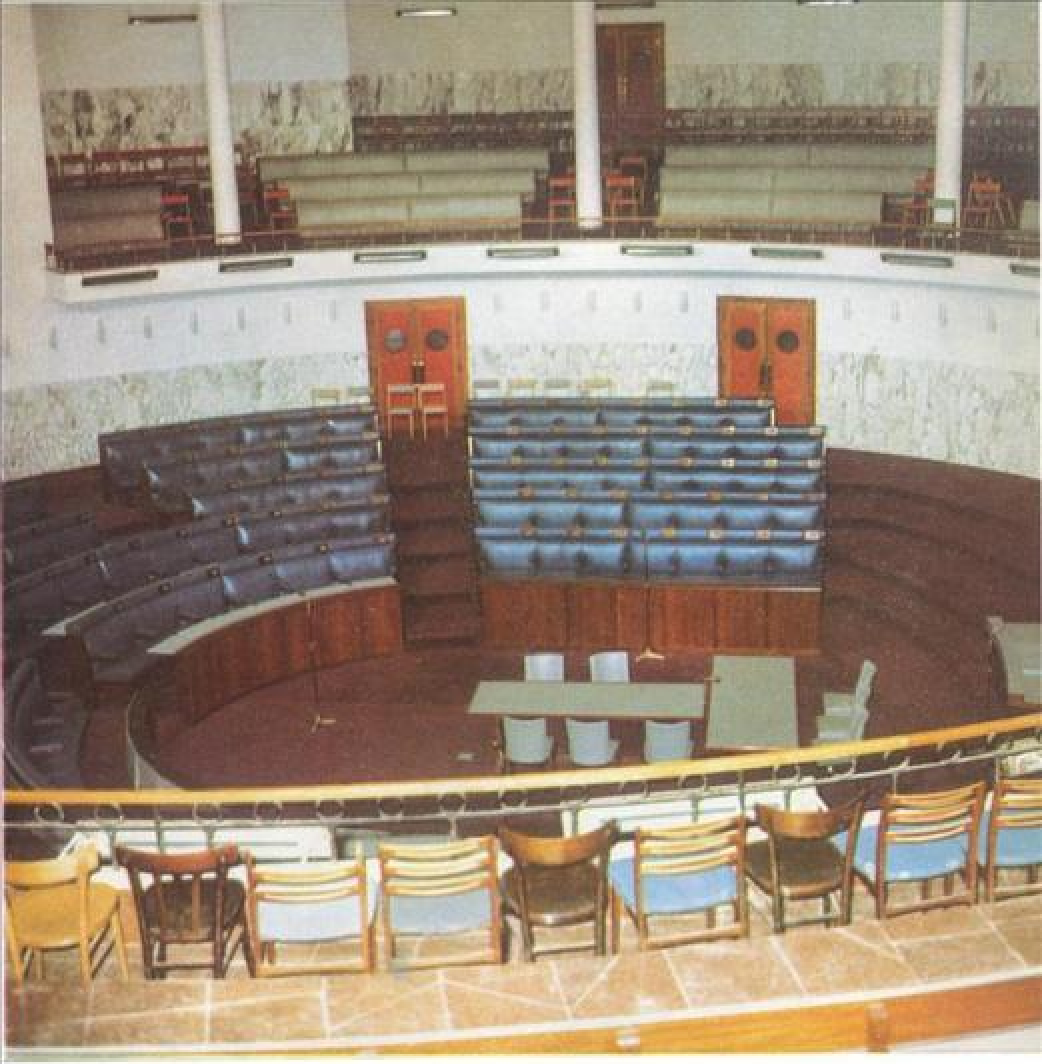
يجرى العمل حاليا في بناء هذا الملعب الكبير لكرة القدم ، ولكن شباب البيضاء الرياضي لم يستطع انتظار اتمام البناء فبدأ في استغلال الملعب للتمرينات الرياضية

ضغط زائد ..

وفي مستشفى البيضاء الكبير يعمل ٢٤ طبيبا باكستانيا و ٦ ممرضات باكستانيات ، و ١٦ راهبة ايطالية ، وبعض المساعدات والمضمدين الليبين ، يعملون في هذا المستشفى لمعالجة جميع الحالات الوافدة ما عدا الحالات العصبية والعقلية .. ويحوى المستشفى ٢٥٠ سريرا . لكن المزيد من الضغط عليه حمل المسئولين على اضافة ٥٠ سريرا تساعد على استقبال ٥٠ مريضا آخرين .

المراة بعين واحدة !

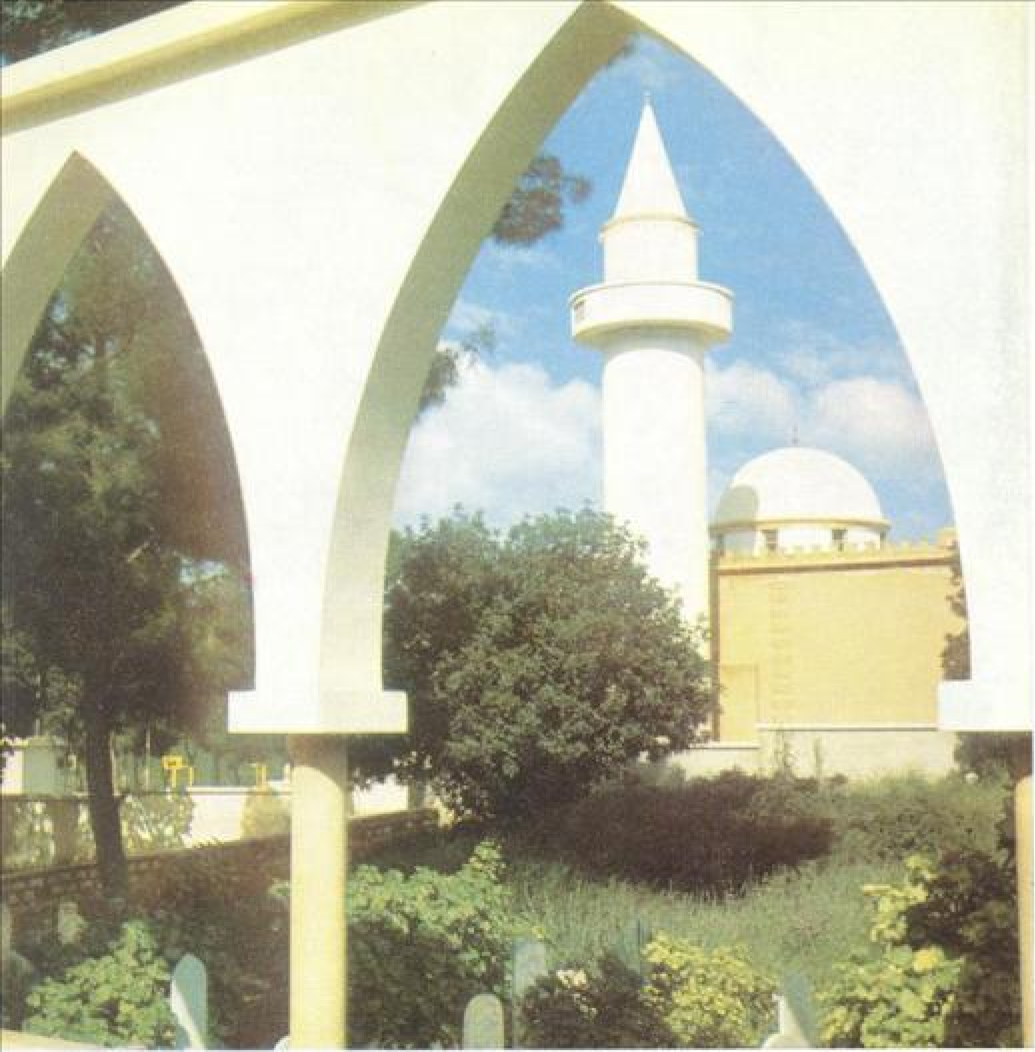
واكثر الامراض انتشارا في البيضاء هى التى يسببها البرد . ذلك ان المدينة ترتفع ٩٠٠ متر عن سطح البحر ومناخها ممطر يتسبب في مشاكل عديدة للمقاولين العاملين في البناء وان يكن الاهالى لايبالون كثيرا به ..



القاعة الداخلية للبرلمان الليبي .. ان البيضاء اصبحت مقرا للحكومة ودواوينها المختلفة وبرلمانها .. اما اعلانها عاصمة جديدة فهذه مسألة تحتاج الى تعديل للدستور ، الذي ينص على ان طرابلس وبنغازي هما عاصمتا المملكة الليبية ..



الى اليمين : يضم مستشفى البيضاء ٢٥٠ سريرا ، لكن المرضى اكثر من ٣٠٠ مريض ! يتولى ٢٤ طبيبا باكستانيا العناية بهم ، تساعدهم ١٤ راهبة ايطالية وبعض الممرضات والممرضين الليبيين .. ونرى هنا احد المرضى من ابناء ليبيا ، وحوله طبيب باكستاني وراهبة ايطالية وممرضة باكستانية !





فوق : منظر جميل لمئذنة وقبة مسجد سيدى رافع (رويفع بن ثابت الانصارى) الذى كان من صحابة الرسول (صلعم) .. ويقع ضريح سيدى رافع بجوار المسجد .. ويتبرك الاهالى بالضريح فيدفنون موتاهم بالقرب منه .

الى اليسار : بعض المبانى المخصصة لموظفى الحكومة فى مدينة البيضاء .. تلك المدينة التى يجرى العمل فيها لجعلها مدينة عصرية تتسع لنحو ١٠٠ الف نسمة ، وتحتوى على كل ما يحتاج اليه سكانها الجدد .

فالمراة الليبية ـ رغم تقدم الشابات في مجال التعليم ـ ما زالت حبيسة منزلها .. ولم نستطع ان نرى امراة واحدة تسير في شوارع البيضاء اثناء النهار ، ولكنها غالبا ما تسير بعد غروب الشمس للقيام بزيارة صديقة او قريبة مرتدية الملاءة (الملاية) التى تغطى جسمها باكمله ، فلا يظهر منه الا عينها اليسرى لترى طريقها !!

وتحت هذه الملاية تضع المراة الليبية في المناسبات ما يسمى بالتستمال على راسها ، وهو منديل من الحرير المشغول .. اما بقية الزى فيتكون من عدة قطع ، اولها : المربول اى القميص المطرز ذو الاكمام القصيرة ، وفوقه « الوردية » وهى قميص خارجي واسع ، وفوقهما الصديرى المصنوع من قماش القطيفة المطرزة ، ويسمى الفرملة .. وترتدى مع كل هذا سروالا طويلا واسعا ..

اما مصاغها فهو كمية هائلة من الذهب تضعها على صدرها وعلى اصابعها واذنيها ..



يميل اهالي البيضاء الى بناء منازل كل منزل على حديقة ذات سور يمنع اعين

حق التصويت .. والعناية بالمنزل !

وتعمل الحكومة على مساعدة المراة في احتلال المركز اللائق بها فاعطتها حق التصويت ، وسمحت لها بجمعية كبيرة في بنغازى تسعى حاليا لفتح فروع لها في مختلف مدن المملكة ..

لقد دخلت المراة الليبية الى الحياة العامة بحذر شديد ، فبدات تعمل كممرضة وسكرتيرة ومذيعة ومدرسة وخياطة .. ولكن عملها بالمنزل يشل الكثير من حركتها ، فالعثور على خادم او خادمة اصبح من المستحيل الا باغلى الاثمان ، لهذا تتولى المراة العناية شخصيا بجميع شئون منزلها واسرتها من تنظيف وغسيل وطبخ وتربية اطفال وهذا ما يجعلها دائما قابعة في منزلها متحاشية اضاعة وقتها الثمين في التجول بالشوارع دون اى هدف ..

الشنشنة والجرد

اما الرجال فقد تعرض معظمهم لتغيير في ارائهم ونظراتهم للمراة ، فاصبحوا يعطونها حقوقا لم تكن تحلم بها في يوم ما !!

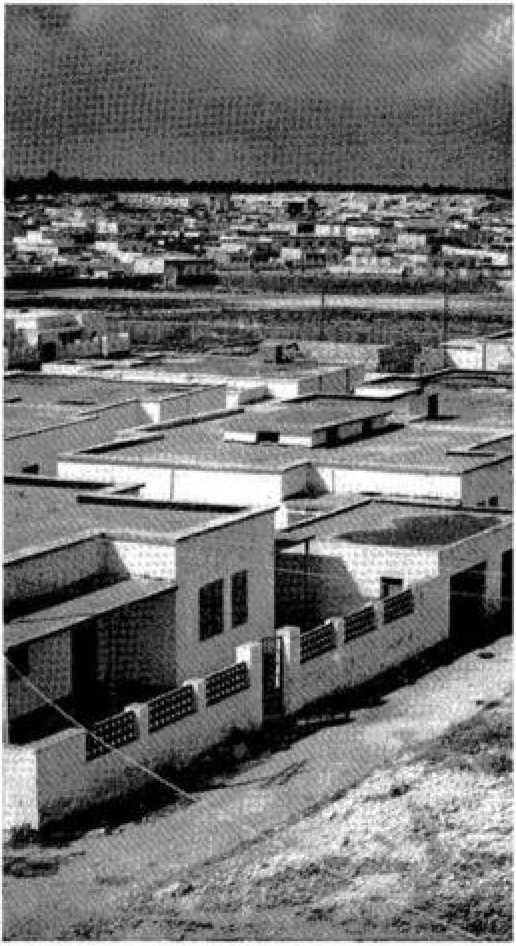
ويرتدون سروالا طويلا واسعا يصل لاقدامهم ..

مدينتـان في مدينة البيضاء !

والبيضاء الحديثة تنقسم في الواقع الى مدينتين : مدينة للعلم والمعرفة تقع حول زاوية السيد محمد بن علي السنوسي ، وتضم مباني الجامعة والمدارس المختلفة .. ومدينة سكنية قامت حول ضريح رويفع بن ثابت الانصاري الذي سار تحت لواء عمرو بن العاص لفتح مصر وليبيا ، ثم اشترك في فتح المغرب عام ٤٥هـ . وعين واليا على طرابلس ثم واليا على برقة حيث توفي بها عام ٥٦هـ . ودفن في البيضاء .. وحول ضريحه قامت المباني الحديثة من فنادق ودور حكومية وشوارع، وثلاث دور للسينما..

اللهجة البربرية في العربية

ويتحدث الليبيون باللغة العربية ، أما لهجتهم العامية فتقترب كثيرا من لهجة اهل جيرانهم في الجمهورية العربية المتحدة ، وان تكن هناك لهجات يستحيل على العربي ان يفهمها ، لاختلاطها ببعض المقاطع من اللهجة البربرية ..



ذات طابق واحد لسكناهم .. ويحتوى الفضوليين من رؤية اهل المنزل ..

وقد دخل التطور بدوره الى لباس الرجل الليبي فأصبح يرتدى الملابس الاوربية في المدن، ولكنك تشهد بين الحين والاخر مجموعة منهم تسير مرتدية البَرْنس أو « الحولى » او الجَرْد ، وهو الجلباب الطويل المصنوع من الصوف للشتاء ، ومن الحرير للصيف .. وتحت هذا الجَرْد يضع الرجال على رؤوسهم طاقية من الصوف الاحمر الداكن ، يسمونها « شَنَة » .. وعلى صدورهم صديرى من الصوف ،

منع الخمور

والليبى بطبيعته الصحراوية الهادئة يميل الى طاعة رؤسائه وسماع كلامهم ، ويحترم الابن والده احتراما شديدا ..

اما الناحية الدينية فان الشعب الليبى على درجة كبيرة من التدين .. ومن الظواهر التى تدل على هذا التدين ظاهرة الخمر .. ان الحكومة تحرم تعاطيه على الليبي وتسمح به للاجنبي وهو يباع علنا في المحلات والفنادق ولكن الليبى لايقربه ، بل لا يفكر في شربه في اماكن عامة .. انه شعب يكره الخمره لان



تضم مدارس « البيضاء » ١٤ الف طالب وطالبة يتلقون علومهم فى المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية .. وفي معهد المعلمات ، الذى افتتح منذ ٣ سنوات ، تقوم ١٥٤ طالبة بتلقى مختلف العلوم الثقافية والرياضية قبل ان يتخرجن ليصبحن مدرسات .. كما نرى فى الصورتين العليا والسفلى اللتين تمثلان النشاط الرياضي والكشفي فى المعهد .. ومما يذكر ان كل طالبة خارجية تتلقى خمسة جنيهات شهريا وطالبات الداخلية يتلقين ثلاثة جنيهات شهريا تشجيعا لهن على العمل في حقل التدريس، بعد التخرج.





افتتحت الحكومة الليبية فصلا في مبنى كلية المعلمات، لتعليم ابناء الاطباء والمهندسين الباكستانيين اللغة الانجليزية وتقوم بالتدريس فيه زوجات الاطباء الباكستانيين.

الى اسفل : فلسطين .. البلد العربي الذى يحتل اسمه قلب كل عربي .. وفي قاعة الرسم بمعهد المعلمات التقطت عدسة مصورنا هذه الصورة لفتاة ليبية اوشكت على الانتهاء من رسم لوحة للمسجد الاقصى بمدينة القدس .. نفس المسجد الذى انتهك الصهيونيون حرمته ودنسوه كما جاءت بذلك الاخبار .



دينه ينهاه عنها .. لا لان القانون يحرمها عليـه !

وعلى كل حال فالحالات الاستثنائية التى لا مفر منها انما هي نادرة وتؤكد القاعدة السائدة هناك .

هـل يصمـد ؟

ولكن هل يستطيع الشعب الليبى ان يصمد امام المدّ الحضارى الذى يهب عليه حاليا بكل قوة حاملا معه افكارا وتقاليد مخالفة تماما لتقاليد البلاد وعاداتهـا ؟

ان الرد على هذا التساؤل نجده في قرارات المسئولين الليبين انفسهم وقد اصدروا قانونا يحرم على اى مواطن حقّ التوظف في الحكومة اذا تزوج من اجنبية !

تحذير ملكى

وفي الذكرى العاشرة لاستقلال ليبيا وجه الملك محمد ادريس الاول تحذيرا الى شعبه قال له فيه :

« ان الكفر بالنعمة موجب لزوالها . وقال تعالى : ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب » .

« اذا كانت السنوات العشر الماضية سنوات كفاح في سبيل العيش ، فان السنوات المقبلة ستعم بالرخاء باذن الله تعالى ، بما منّ الله علينا من خيرات اراضينا .. ولكن الكفاح الان لن يكون اقل صعوبة من كفاح السنين العشر الماضية ، فللرخاء مشاكل يتحتم علينا جميعا مواجهتها وحلها ، بما يعود على الشعب الليبى في مجموعه بالرخاء والتقدم .

« ان من النتائج السيئة التى يحملها الرخاء معه ، ميل الناس الى حب الاثراء والانغماس في الملذات والبذخ والافراط ، والميل الى الراحة والكسل ، فهذه كلها اسباب ضعف وانحلال احذركم من مغبتها واوصيكم باجتنابها .. »

بعد ٥ سنوات ينتهي البناء

كان هذا التحذير واجبا في بلاد ارتفعت مرتبات موظفيها دفعةً واحدة بنسبة ٤٥ في المائة ، واصبحت جميع الكماليات ووسائل الراحة في متناول اغلب ابناء هذا الشعب ، الذى يعمل جادا للانتهاء من بناء عاصمته الجديدة في خلال الخمس سنوات القادمة .. ■■

سليم زبال



من هذه المكتبة المركزية في البيضاء يتم توزيع امهات الكتب على الكليات والمعاهد الاسلامية في مختلف انحاء المملكة الليبية .. وتضم هذه المكتبة ١٧ كتابا ، وهى بمثابة مكتبة خاصة لاسرة جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية

القرآن

الحديث القدسي

السنة

بقلم : عبد الستار أحمد فراج

■ بعض المصطلحات يحار أغلب الناس فى تحديدها أو معرفة الفرق بينها وبين غيرها مع كثرة ما يقرأ ويسمع ويقال .

من ذلك : الحديث ، والأثر ، والخبر ، والفرق بين القرآن والحديث القدسي .

القـرآن

فالقرآن الكريم كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . نزّله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين . والذى نزل به هو جبريل عليه السلام ، فالقرآن هو الوحي المتلوّ بلفظه وحروفه من عند الله عز وجل . « وأوحِيَ اليّ هذا القرآن لأنذركم به » . « وما كان هذا القرآن أن يُفترىٰ من دون الله » . « وانك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم » . « انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا » . « أن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتّبع قرآنه » . « وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » .

الحديث القدسي

والحديث القدسي هو ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن الله . وتنزّل اليه بأى كيفية من الكيفيات اما عن طريق الملَك ، أو عن طريق الالقاء فى الروع – اى بالالهام – أو عن رؤيا فى منامه . والفاظ هذه الاحاديث القدسية

يجوز ان تكون من النبى ، وقد يروى بالمعنى .

وقد عني سلفنا الصالح باثبات الفروق الدقيقة بين القرآن والحديث القدسي ـ والقُدْس والقُدُس معناها الطهر ، فهو نسبة الى الطهر ، او نسبة الى جبريل الذى يسمى القدس وروح القدس ، أو نسبة الى القدس وهو التنزيه أو البركة .

وهذا مجمل الفروق بين القرآن وبينه :

١ ـ القرآن معجز واعجازه باق « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » . ولا يلزم فى الحديث القدسي ان يكون معجزا .

٢ ـ الصلاة ، التي هى بمعنى الركوع والسجود بصفة مخصوصة ، لا تصح الا بالقرآن وآياته . اما الأحاديث القدسية فلا تجزيء في الصلاة ولا تصح بها .

٣ ـ القرآن لفظه وحروفه من الله تعالى . والحديث القدسي يجوز أن يكون لفظه من النبى .

٤ ـ الواسطة فى وصول القرآن الى رسول الله هو جبريل عليه السلام ، أما الحديث القدسي فلا ينحصر فى كيفية من كيفيات الوحى .

٥ ـ من يجحد القرآن يكفر ، اما جاحد الأحاديث القدسية فلا يكون كافرا ، لاحتمال ضعف السند الذى يصل به الى الرسول ، ولعدم القطع بأن هذا كلام الله . والكيفية التي أنزل بها لم تكن قطعا عن طريق جبريل عن الله ، ويجرى على منكرها ما يجرى على منكر الأحاديث من تخطئة له او تفسيقه او تعزيره .

٦ ـ القرآن لا يمس الا بالطهارة ، أما الأحاديث القدسية فيجوز مسها على غير طهارة .

٧ ـ تسمى الجملة من القرآن سورة او آية ، والحديث القدسى لا يسمى قرآنا ولا سورة ولا آية .

٨ ـ هذا والقرآن لا يسند ولا يضاف الا الى الله تعالى ، فيقال فيه : قال الله في قوله تعالى .. ولما كانت الاحاديث القدسية يرويها النبى ولفظها قد يكون منه يقال فيها ، قال الله تعالى فيما رواه عنه رسوله . أو قال رسول الله فيما يرويه عن ربه .

هذا والقرآن هو الدليل الأول للشرع

السنة

والسنة فى الاصل هي الطريقة والسيرة . « وقد خلت سنة الأولين » . « سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا » . وسنة الله حكمته وقوانينه التي تنظم خلقه : « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » . « سنة الله فى الذين خلوا من قبل . وكان امر الله قدرا مقدروا » .

وفى عرف الشريعة الاسلامية ، اذا اطلق لفظ السنة دون اضافة ، أريد بها الدليل الثاني للشرع وهي حكم الله وامره ونهيه مما امر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وندب اليه قولا وفعلا ، مما لم ينطق به القرآن الكريم . وفى سنن الدرامى « كان جبريل ينزل على النبى بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن » . وقد تطلق السنة على فعل الصحابة

رضوان الله عليهم ، لكن مع اضافة لفظها اليهم ، ومن ذلك قول الرسول « فعليكم بسنتي وسنةالخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ . واياكم ومحدثات الأمور » .

وللفقهاء فيما أضيف لغير النبى اختلاف فى اختيار بعضه ، وتفضيله فى التشريع على بعض ، حسبما صح لديهم ، وسكنت اليه نفوسهم ، ورجحه الدليل العقلى والنقلى . وكذلك فيما أجمع عليه جمهور الأمة بعد الصحابة . ولهم فى الاجماع وتعريفه تفصيل واقوال .

وقد تطلق السنة علىما يقابل الفرض، فيقال مثلا : قراءة السورة بعد الفاتحة سنة . والوتر سنة . وفى الحديث « قد سننت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض » .

كما قد تطلق على الشريعة نفسها ، ومن ذلك قولهم فى امامة الصلاة : الاولى بالأمامة الأعلم بالسنة . وقد يكون هذا ادخل فى انه من باب الدليل الثاني للشرع وهو ما جاء عن النبي وليس قرآنا .

الحديث

والحديث من معانيه : ضد القديم ، فهو بمعنى الجديد . والحديث هو الكلام الذى يخبر به الناس بعضهم بعضا . والأحدوثة هي الأعجوبة .

والحديث الذى هو الكلام جمعه احاديث ، على غير قياس صرفي . وقيل هو جمع الجمع : حديث جمعه احدثه ـ بكسر الدال ـ واحدثة جمعها احاديث . اما الأحدوثة بمعنى الأعجوبة فجمعها احاديث قياسيا .

وفى الشريعة الاسلامية اختلف الفقهاء والمحدثون فى تعريف الحديث الشريف ، عند اطلاق لفظه .

وعلى اشهر ما قيل في ذلك : ان الحديث هو ما اضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم،قولا او فعلا ، او تقريرا ، او صفة . حتى الحركات والسكنات فى اليقظة ، حتى أعماله الدنيوية ، من اكل وشرب ومشي وغير ذلك . ومعنىالتقرير ان يجرى امامه امر ، او يقال شيء ، ويسكت عنه ، او يوافق عليه .

وقد يطلق الحديث على قول الصحابة والتابعين وما يروى من آثارهم ، لكن الغالب ان ذلك يضاف الى صاحبه ، فيقال مثلا . وفى حديث ابى بكر ، وفى حديث علي ، وابن الأثير الف كتابا سماه النهاية فى غريب الحديث والأثر ، وسبقه غيره فى هذا الفن ، وكثيرا ما يورد احاديث مضافة لغير الرسول صلى الله عليه وسلم .

الخبر والأثر والرواية

ومن المصطلحات الأسلامية الخبر والأثر .

قالوا ان الخبر ما كان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا فالحديث والخبر مترادفان .

والأثر ما يروى عن الصحابة . وقيل ان الخبر والأثر مترادفان . وقيل ان الخبر يشمل الحديث والأثر ، بمعنى انه ما يروى عن الرسول وعن الصحابة ، كما يطلق الأثر أيضا على بعض الأحاديث التي لم تستوف شروط الاسناد . وقالوا ان الرواية تطلق على فعل النبى وقوله . ولهذا يقولون فى مقام المديح : فلان من اهل الرواية والدراية . والله اعلم . ■■

عبد الستار احمد فراج



بلاد العرب تتسع لاضعاف سكانها

بقلم الدكتور عبد الحليم منتصر

استاذ النبات بجامعة عين شمس

■ الناس يتزايدون ، ولكن سطح الارض الذى تسكنه وتستغله الناس محدود ، لا يكاد يزيد ، صحيح أن الانسان يعمل جاهدا لزيادة الرقعة المنزرعة ، او التي يمكن استغلالها بطريقة او اخرى ، ولكن الصحيح ايضا ، ان السطح الكلي يكاد يكون ثابتا . والمعروف ان عدد سكان المعمورة في الوقت الحاضر يبلغ نحو ٣٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الانفس ، وان معدل الزيادة في السكان نحو ٢ ٪ ، وهذا معناه زيادة في عدد السكان تصل الى ٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نفس سنويا اى ان الزيادة في اليوم الواحد تقدر بنحو ١٦٠٫٠٠٠ نفس ، وبعبارة اخرى ان معدل الزيادة : طفل في كل نصف ثانية تقريبا ، فتستطيع أن تنظر الى ساعتك . لتحرك ناظريك مع عقرب الثواني واذا بطفل جديد يضاف الى سكان المعمورة في كل نصف ثانية من الزمان ، وهذا الوليد الجديد معناه ان يدين ستعملان يوما : لعله يكون بعد عشرين عاما من مولده عندما يشب عن الطوق ويشتد ساعداه فيقويان على العمل والانتاج ، في اى حقل من حقوله الزراعية او الصناعية او التجارية او العلمية او الفنية او غيرها . ولكن شاءت حكمة الله ان يكون لهذا الوليد فم يبلع من ساعة ولادته الى ان يحين حينه ويوافيه أجله المحتوم .

واذا تابعنا الاحصائيين في احصائياتهم ، ورسومهم البيانية ، واستنتاجاتهم الاستقرائية تبين لنا ان عدد سكان العالم سيصبح في سنة ٢٠٠٠ ضعف ما هو عليه اليوم أى نحو ٦٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نفس ، أما في سنة ٤٠٠٠ فسوف يكون لكل شخص من سطح الارض جزء معلوم ، يساوى مترا مربعا واحدا لا يزيد ، فكأنه لا يستطيع الحراك ، الا كما يتحرك الرياضيون في أماكنهم « محلك سر » وهذا يفرض ان الحركة العمرانية ، والاحوال الصحية : ستبقى على ما هي عليه الآن ، فلا تأتى حرب نووية او وباء فتاك ، يهلك الحرث والنسل .

لَوْ، بالعِلْمِ، أُحْسِنَ اسْتِغلالها



واذا نحن قسمنا مساحة الارض على عدد سكانها فى الوقت الحاضر ، كان نصيب الفرد نحو اربعة عشر فدانا ، ويدخل فى ذلك نصيبه من المناطق القطبية الثلجية ، التي لا يكاد يحتمل بردها انسان . والتي قد ينجح العلم فى المستقبل فى استعمارها واستغلالها ، فهي لا يكاد يوجد فيها مجال للحياة والاحياء فى الوقت الحاضر ،وهي مساحة تزيد على خمس مساحة الارض ،ويدخل فيها نصيبه من الاراضي الجافة الجرداء والصحراء : ومساحتها كذلك تزيد على خمس المساحة الكلية للارض . ويأتي بعد ذلك نصيب الفرد من الجبال الجرداء والصخور الصم وتقدر مساحتها كذلك بما يوازى خمس المساحة الكلية للارض . فاذا طرحنا هذه المساحات القاحلة الماحلة من نصيب الفرد الكلي ، بقي له ما يوازى اربعة افدنة تقريبا . اى ان نصيب كل فرد من سكان المعمورة من الارض الصالحة للحياة والسكن هو هذا القدر المحدود . اى ان نحو ٣٠٪ من سطح الارض ، هو الجزء الذى تستطاع فيه الحياة . ولكن الواقع ان نصيب الفرد من الارض لا يزيد على الفدان الا قليلا ، وهو ٢ر١ من الافدنة . اما بقية المساحة المقدورة لكل فرد ، فانها ما تزال فى حاجة الى اصلاح ، والى قدرة على الاستغلال ، والى علم وطاقة لاستغلال ما قد يوجد بها من خامات .

واذا نحن درسنا توزيع نصيب الفرد بالنسبة لدول العالم ، ظهر لنا تفاوت الحظوظ ، فسبحان مقسم الحظوظ وواهب الارزاق . ومع ذلك فلا ينبغي ان نغفل نشاط الانسان وعلمه واثره فى توزيع هذه الانصبة . ولا ينبغى ان نغفل اثر العلم فى رفع مستوى المعيشة من قطر الى قطر وفى حسن استغلال الفرد لنصيبه : وما به من خامات زراعية او صناعية .

والان ماذا عسى ان يكون مستوى معيشة الفرد بالنسبة للعالم ، بمعنى ان ندخل فى حسابنا مئات الملايين من البشر فى البلاد النامية ، ثم نصيبه فى الدول التي اوتيت حظا من الحضارة والفنى والعلم وطبقت اساليب البحث العلمي فى شئون الزراعة والصناعة والتقنية . وفيما يلي احصاء تقريبي ، يعطي فكرة عن هذا التوزيع في بعض البلاد :

نصيبه الفعلي	نصيب الفرد من الارض الصالحة	النصيب الكلي للفرد	العالم
٢ر١ فدان	٤ افدنة	١٤ فدانا	العالم
٥ر٣ فدانا	٩ افدنة	١٤ فدانا	الولايات المتحدة
٥ر. فدان	٨ر. فدان	٢ر١ فدانا	بريطانيا
٧ر. فدان	٥ر١ فدان	٢ر٣ فدانا	باكستان
٢ر. فدان	٤ر. فدان	٧ افدنة	مصر
٠ر١ فدان	٦ افدنة	١٧ فدانا	العراق
٠ر١ فدان	٤ افدنة	١٢ فدانا	سوريا
٥ر. فدان	١٠ افدنة	٥٠ فدانا	السودان

ظاهر من هذا الاحصاء التقريبي البسيط ، ان الولايات المتحدة الامريكية هي وحدها التي تعيش فى رغد وسعة ، لديها من الارض ما يوازى المعدل ولديها من الارض الصالحة للمعيشة والسكن ما يزيد على ضعف المعدل العالمي ، ولديها من الارض المستغلة فعلا ما يساوى المعدل العالمي . فهي فى القمة بالنسبة للدول الاخرى ، ولا تكاد تدانيها دولة اخرى من حيث هذا التوزيع ، ومن حيث المستوى المعيشي . ولذلك كان طبيعيا ما نسمع ونرى عن الترف الامريكي ومن حسن حظ هذه الدولة ان لديها من الخامات والامكانيات ما يزيد فى متعتها وثرائها ، مما جعل الكثير من الدول تسعى لمرضاتها ،تستجلب الخير والمعونة منها . ومن هنا كان ما نسمعه عن المعونات الامريكية ومشروعات النقطة الرابعة ، ومساعدات الدول النامية ، وغير ذلكمن مصطلحات تفتق عنها الثراء الامريكي والدولار الامريكي ومن حسن حظ الولايات المتحدة الامريكية انها استطاعت بما لديها من ثراء ان تكون قبلة انظار رجال العلم ، الذين شدوا الرحال اليها فاستعانت بهم على تطبيق احدث مبتكرات العلم والبحث العلمي فى امور الزراعة والصناعة فتضاعف الخير اضعافا مضاعفة واتسعت الهوة بينها وبين الدول التي ما زال خطوها وئيدا فى هذا المجال .

ونحن فى دولنا العربية ، من هذا الفريق الاخير ، الذى ما زال خطوه وئيدا فى مجالات العلم والتقنية ، مع اننا فى الواقع أسعد حالا من كثير من دول الارض ولدينا من الامكانيات ، ما يجعلنا اهدأ بالا واكثر اطمئنانا واملا فى المستقبل من دول كثيرة جدا ، لا يزال بيننا وبينها آماد بعيدة .

فالارض القابلة للزراعة فى السودان او العراق او سوريا ، تعد بعشرات الملايين من الافدنة لم تضق بعد بقطانها ، ولكنها فى حاجة الى علم ومال وتخطيط ، لكي تزرع فتغل أحسن الغلات ، مما يكفي قطانها لعشرات السنين ، وذلك بخلاف الاراضي التي يمكن أن تستصلح وتزرع فتكفي عشرات أخرى من السنين وربما مئاتها .

فهناك عشرات الملايين من الافدنة التي يمكن أن تزرع فى السودان سواء بماء النيل او ماء المطر ، ولكن اين هو التخطيط العلمي لزراعتها ، واين هي مشروعات الرى والصرف ، وانشاء الخزانات والترع ، والمصارف ، واين هي القوة البشرية التي يمكن ان تقوم باعمال الزرع .

وهناك عشرات الملايين من الافدنة فى العراق يمكن ان تزرع فتعطى احسن الغلات ، ولكن أين هو التخطيط العلمي

الذي وضـع للاستفادة من مياه دجله والفرات أو من مياه شط العرب ، التي تذهب هباء فى مياه الخليج العربي .

وهناك مشروع توصيل مياه شـط العرب الى الكويت ، الذى قدر بنحو مائة وعشرين مليونا مـن الجالونات فى اليوم الواحـد، ولكن أين هو التخطيط العلمي الذى وضع للاستفادة من هذه المياه فى زراعة الوف من الافدنة قد تكفي غلاتها الكويت . ومع ذلـك فهذه الملايين مـن جالونات المـاء العذب التي اتفـق على توصـيلها للكويت لا تزيد على واحـد بالالف مما يصب من مياه شط العرب . وهناك ملايين الافـدنة قابلة للزراعة فى سوريا ، ولكن اين هو التخطيط العلمي لاقامة المشروعات اللازمة لزراعة هـذه الملايين من الافدنة .

لقد شغلتنا السياسة عن النظر الجاد فى هـذه المشروعات ، وشـغلت دولـنـا العربية وجامعتنا العربية عن دراسـة هـذه المشروعات وابرازهـا الى حيـز الوجود ، والعمل على اسـتزراع هـذه الملايين من الافدنة التي جادت علينا بها الطبيعة التي حبتنا بالارض الطيبـة ، والانهـار العـذاب التـي كانت مهـدا للحضارات ، حضـارة المصريين القدماء على ضفاف النيل فى مصر والسـودان وحضـارة ما بـين النهرين فى العراق وسوريا. أفلا يـستطيع احفاد الاولى الذين اقاموا هذه الحضارات الباذخة قديما أن يقيموا حضارات باذخة على أسس من العلـم الحـديث لاسـتغلال الامكانيات واستنباط الطاقات مـن هـذه الارض الطيبة المنتشرة فى دولنا العربية .

ولا مراء فى ان البحث العلمي المنظم ، سيلعب دورا هاما فى استغلال الخامات واستنباط الامكانيات ومصـادر الطاقة واستغلال الارض الى أقصى حد ، حتى يمكن ان نطمئن الى انها ستكفي قطانهـا لعدة أجيال ، وعلى الذين يعيشون على ظهرها بعد ذلك أن يعملوا لحـل هـذه المشكلة من استقصاء الامكانيات فى البحار والمحيطات ، واستزراع الصحارى بعد اعذاب ماء البحر ، الى غير ذلـك مـن وسائل يبتكرها العلم ويضيف اليها كل يوم جديدا . وذلـك بشرط ان يكـون التخطيط العلمي متكامـلا بـين البـلاد العربية ، والا يضن على البحث العلمي والقائمين به بمال أو نفقة .

واول ما ينبغي عملـه ، أن نعـرف الحقائق كاملة عن أرضنا العربية ، ما هي المشروعات الزراعية أو الصناعية التي يمكن اقامتها ، وماذا يلزمها مـن ثروة بشرية أو علمية أو مالية ، كيف نزيد في رقعـة الارض المزروعة يوما بعد آخـر وسنة بعد اخرى . ان نصيب الفرد فى دولنا العربية ما يزال موفورا لو أحسن استغلاله ، وما زال هو النصيب الذى يستطيع مواجهة الزيادة المطردة فى عدد السكان الى اجيال واجيال ، ما استطعنا استغلاله ، واستنباط ما يمكن ان ينتجه او يغله من زرع أو ضرع أو طاقة .

لقد تبين من الاحصـاء المتقـدم أن المعدل العالمي ما زال يسمح لكل فرد من قطان المعمورة بأربعة فدادين ، فأين هذه الاربعة بالنسبة لدول كثيرة جدا ، لاشك انها ما تزال غفلا ، تحتاج العلم واساليبه لاستنباط خاماتها واستغلال امكانياتها ، حتى نهيىء اسباب العيش لمن يعيشون على ظهرها .

ما أشدحرصناجميعا علىأن نرى دولنا العربية ، وقد حزمت أمرها على أن تعطي الفرصة كاملة لعلمائها ليؤدى العلم دوره المرموق فى احداث نهضة شاملة فى الدول العربية فى اسـتغلال الطاقات المختلفة والامكانيات المتباينة وهو الذى نجح فى احداث هـذا التقدم الهائل فى الـدول المتقدمة . فعلينا ان نـستفيد من اعظم نعمة انعمها اللـه علينا وهي « العلم » ، فنـستطيع بالعلم والربط بـين خطط التنمية فى البـلاد العربيـة ، أن نكتفي

اكتفاء ذاتيا من حيث احتياجاتنا الغذائية والمعيشية .

ومن حسن حظ وطننا العربي ان حظه من الارض والخامات والامكانيات ليس مقدورا ولا هو بالقليل ، ولكنه موفور ، وانه لغني بخامات معدنية كالبترول والحديد والمنجنيز والفوسفات وما اليها من معادن . وانه لغني بموارد المياه فيما بين النيل الخالد ودجلة والفرات. واذا قدر على اهل مصر رزقهم من الارض الزراعية ، فقد افاء الله على اهل السودان واهل العراق اضعاف ما هم بحاجة اليه فكانما اراد الله لاهل هذه البلاد ان يعرفوا قيمة الاتحاد ، فنوع لهم موارد الرزق وبسط لهم مصادره ، من خامات يكمل بعضها بعضا فيستطيعون بالتعاون والاتحاد والتكامل العلمي فى البحث والتخطيط ان يسدوا اوجه النقص هنا او هناك .

ان الدعوة لتنظيم النسل في البلاد العربية ستؤتي ثمارها فى الوقت المناسب ، ولكن ما اظنها البيئة المناسبة فى السودان او العراق او سوريا ، التي تستوعب أرضها وامكانياتها اضعاف من فيها من قطان ، بشرط ان تستغل هذه الارض وتلك الامكانيات ، التي تفيض غلاتها من احتياجات اهلها . ولكن بقية قطان الوطن العربي فى ارجائه المختلفة فى أمس الحاجة الى هذا الفائض .

ومن حسن حظ وطننا العربي ان اهله ورثة حضارات وعلوم وفنون وآثار نقلت عنهم أوروبا جذور ما نتغنى به اليوم من علوم وفنون . فلعلهم ان ينهضوا مرة اخرى ليعدوا انفسهم لمواكبة الركب بل لقيادة الانسانية مرة أخرى . لقد اخذوا للامر عدته بانشاء الجامعات ، وبذلك تتوافر لهم الخبرة الفنية من انفسهم ، بما تخرجه هذه الجامعات من متخصصين يجوسون خلال ديارهم ، ويرتادون أرضهم ، يبحثون عن موارد الخامات ، وينقبون عن مصادر الثروة من معدنية وزراعية ، عرفوا الطريق الصحيحة المؤدية الى القوة والمجد الا وهي العلم . ويقتضينا التقصي التام لاحتياجاتنا واستنباط ثرواتنا الزراعية والمعدنية ان ننشيء فى كل دولة من دول الوطن العربي هيئة محلية خاصة تقوم بهذا التقصي ، وترسم الخطط اللازمة لاستنباط الخامات او استصلاح الاراضي واستغلال الامكانيات . ويقتضينا ذلك ايضا ان ننشأ مجلس أعلى يضم ممثلين لهذه الهيئات للتنسيق بين احتياجات الدول العربية وما يلزم امنها وسلامتها وغذاءها وصناعتها وتجارتها وزراعتها ، وبالجملة كل ما يلزم من تحقيق تكامل اقتصادى بينها جميعا .

ولا بد من التعاون الوثيق بين البلاد العربية فى تمويل هذا التخطيط العلمي والتعاون الكامل بين العلماء والهيئات العلمية حتى لا يعوقها معوق عن النهوض . وليكن هدفنا تهيئة أسباب حياة افضل للاجيال المقبلة . ولن يكون ذلك الا باستغلال الامكانيات العلمية والتعاون المخلص بين العلماء وابتكار طرائق جديدة للبحث العلمي ، مع الحفاظ على اصالة الطرق العلمية السليمة . ولتذكر دولنا العربية ان البحث العلمي قد يبدو باهظ النفقة ، ولكنه مضمون العائد ، فلا ينبغي ان نضن عليه بمال او نفقة . فلنعمل على تنمية ثروتنا العلمية فى البلاد العربية ، وان نستخدمها على احسن صورة ، وانما يكون ذلك بتوفير العدد اللازم من الاخصائيين النابهين فى فروع العلم المختلفة . وهؤلاء هم وحدهم القادرون على تقصي حاجات بلادهم ، وتتبع منابع الثروة ، وتنمية مصادرها ، وهم وحدهم الحفاظ على تراثنا العلمي والفكرى ، القادرون على تحديد طرائق الاستفادة من الاكتشافات العلمية وتطبيقاتها .

والله ولى التوفيق . ■■

عبد الحليم منتصر







سر هزيمة المرأة .. أمام الرجل

■ ان المراة هى المراة حيث كانت فى شرق او غرب ، دلتنى على ذلك مطالعاتى فيما يرى أهل الغرب فى أمر نسائه .

مثال ذلك ما قالته مجلة شهرية . تنفق كثيرا من جهودها فى بحث شئون المراة ..

رات المجلة ان المراة دائما مهزومة امام الرجل ، ثم بحثت عن سر هذه الهزيمة فقالت :

« ماذا فعلت المراة بعد أن حصلت على حقوقها كاملة ؟ ما هو الدور الذى تلعبه المراة اليوم فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى بلاد العالم المتحضر ؟ هل نجحت حقيقة فى أن تفرض شخصيتها على الاحداث المتغيرة ؟ هل عرفت كيف تثبت وجودها وتعبر عن آرائها فى حرية بعيدا عن اية قيود ؟

ان التاريخ القديم ملىء بالنساء اللواتى شغلن أرفع المناصب فى الدولة ، حتى قبل ان تفكر المراة فى مساواتها بالرجل ، فكانت المراة ملكة وامبراطورة ، فلا غرو اذن ان نجدها اليوم ايضا ملكة ورئيسة حكومة .. فى هذا العصر الذى اصبحت فيه منافسا خطيرا للرجل فى كل ميدان .

ولكن السؤال هو : « هل استطاعت المراة أن تغير وجه هذا العالم الذى كان الى وقت قريب « عالم الرجل وحده » ، يصول فيه ويجول فيصنع الأحداث ويختلق الأزمات ويثير الحروب .. ويتزعم الثورات ، والمراة قابعة فى بيتها ، قانعة بدور المتفرج .. مشتركة بعد هذا فى حمل عبء خطيئة البشرية كلها » .

وقد سألوا برنارد شو يوما : « ماذا يحدث لو حكمت المراة العالم ؟ » فقال : من حسن حظى أننى أعيش فى عالم يحكمه الرجال ، ولولا هذا لكنت اول من فقد رأسه بين الوف الرجال الذين ستقيم لهم المراة المشانق فى الميادين لاعدامهم بالجملة »

عالم المراة

وقال جورج واشنطون ، اول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية ، لامراة جاءت تطلب الانخراط فى سلك الجندية لطرد الانجليز من امريكا اثناء

حرب التحرير ، قال : « ليس بين صفوفنا مكان لامراة ، فلقد كان كولمبس مكتشف امريكا رجلا . ومن اجل هذا نريده جيشا للرجال » .

فقالت المراة : « هل تتصور انكم تستطيعون ان تقيموا عالما جديدا بلا نساء ؟ » .

وسكت واشنطون ، وقام العالم الجديد ، ولعبت فيه المراة دورا لم تلعبه اية امراة اخرى في اى مكان آخر من العالم . فقد اصبحت المراة الامريكية اليوم صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة في البيت ، وفي المصنع والمكتب وفي كل مكان . وهى التىتلبس البنطلون وتدخن السيجار وتتشبه بالرجل حتى اصبحت انوثتها في خطر !

ومن هنا نبدا موضوعنا اليوم : « لماذا تقلد المراة الرجل عندما تريد ان تفرض شخصيتها وتثبت وجودها ؟ » .

تأثير شخصية الرجل

يقول علماء النفس : « ان المراة تفعل ذلك بطريقة لا شعورية ، ايمانا منها بقوة الرجل ، فالرجل بالنسبة لها رمز للقوة البدنية والذهنية، ولانها تدرك بينها وبين نفسها انها مخلوق ضعيف في حاجة الى حماية الرجل باستمرار .. او هكذا قالوا لها واقنعوها منذ اقدم العصور .

« ولو انها عاشت حياتها الطبيعية بلا تصنع وبلا تقليد ، ولو انها تركت لعقلها الصغير الكبير .. الضعيف القوى يفكر بعيدا عن تلك المؤثرات التى تخضعه دائما لتفكير الرجل وسيطرته .. لو انها فعلت ذلك لتغير وجه التاريخ .

فكم من امراة استطاعت بدموعها ان تروض الوحوش من الرجال . وكم من امراة استطاعت بما حباها الله من سحر وجمال ان تخضع جيوشا جرارة .. وكم من امراة نجحت في ان تفرض شخصيتها بالمناقشة العلمية الهادئة ، والحديث الذى يقوم على أساس من المنطق والتفكير السليم دون الحاجة الى التشبه، باخلاق الرجال وطريقة تفكيرهم وتصرفاتهم » .

فالانسان سواء كان رجلا أم امراة يفقد شخصيته اذا قلد الاخرين..والشخصية المستقلة وحدها هى تلك التى تستطيع أن تفرض وجودها في كل مجال وفي كل ميدان .

المراة اكثر ذكاء

ولم تكن المراة بطبيعتها يوما اقل ذكاء من الرجل او أضعف ادراكا منه لحقائق الأمور .. فقد عملت المراة طبيبة ومعلمة ومهندسة وقاضية وشغلت كل منصب كان مقصورا على الرجال ، وأثبتت الدراسات التى قام بها العلماء في مختلف انحاء العالم انها لم تكن اقل من الرجل كفاية في الاضطلاع باعباء هذه المناصب بل لقد كانت في كثير من الاحيان اكثر منه جلدا وأعظم احتمالا واحسن تصرفا في مواجهة المشاكل والازمات .

كليوباترا ونمرها المدلل

ولم يكن تعليم المراة وحده هو السبب المباشر في هذا التفوق ، فالتاريخ يروى لنا قصصا كثيرة عن الذكاء الفطرى الذى تتمتع به المراة في وقت تساوت فيه مع الرجل في الجهالة .. وفي وقت لم يكن فيه علم ولا علوم . فيروى عن كليوباترا مثلا انها كانت تحتفظ في قصرها بنمر ارقط تدلله وتطعمه وتلهو به .. وفي أحد الايام مرض النمر الصغير ودخل جحره ، وعبثا حاول كل من في القصر من رجال ان يخرجوه من عزلته ليعالجوه ويطعموه .

وانزعجت الملكة على نمرها المدلل ، فجلست تفكر في حيلة تخرجه بها من جحره دون أن تعرض حياته لخطر اخراجه منه عنوة ، ثم ما لبثت ان نادت وصيفتها،وقالت لها : قولى لهم أن يحضروا لى فورا نمرا آخر من فصيلته » .

وجاء النمر الجديد ، فجلست الملكة امام جحر النمر المريض تطعمه وتدلله ، ولم تمض لحظات قصيرة حتى كان النمر المريض ينطلق من جحره هائجا ثائرا يريد أن يفتك بمنافسه .

بطلة من الريف

ونجحت البطلة جان دارك ، وهى الفتاة الريفية الساذجة في ان تنزل بالانجليز الهزائم التى عجز عنها الرجال أثناء احتلال انجلترا لفرنسا ،وكانت دائما في المقدمة تقود جنودها وترسم لهم الخطط العسكرية دون أن تتأثر مرة واحدة برأى كبار القواد العسكريين الذين كانوا يعترضون على كثير من خططها قبل أن يقتنعوا بشجاعتها وذكائها ويؤمنوا بها كقائد يبزهم جميعا ذكاء وحنكة .

ولكن اذا سألت المراة اليوم ، لماذا بقيت في الظل ، رغم كل ما تتمتع به من حقوق ساوتها بالرجل تماما ؟ قالت لك على الفور : « انني ما زلت اشعر بقيود لا دخل للرجل فيها .. ما زلت انا المراة التى تحمل وتلد وتعنى ببيتها واطفالها ، حتى ولو كنت اشغل أهم المناصب واخطرها .. وما زال الرجل هو السيد الذى يأمر فيطاع، ويسأل فيجاب » .

لقد شاركت الطبيعة في هزيمة المراة واضعاف شخصيتها امام الرجل .

المراة هى المراة

وتقول الكاتبة الفرنسية المشهورة سيمون دى بوفوار :

ان المراة هي المراة دائما في عين الرجل .. فهى الجنس الأضعف حتى لو كان بيدها كل الجاه والسلطان !

« والمراة التى تتصور أنها تحررت من كل القيود ترتكب خطأ كبيرا ! فالقيود ما زالت باقية .. قيود في البيت حيث ما زال الرجل يحشر انفه فيما يهمه ولا يهمه .. قيود في المكتب حيث تشعر المراة دائما بان هناك عينا ترقب عملها وتتدخل فيه .. أو ترقبها هى ! قيود في الفكر لانها لا تستطيع أن تفكر بحرية فهناك أكثر من موضوع يشغل تفكيرها .. وهناك اكثر من مشكلة تختص باهتمامها فهى أم وزوجة وست بيت وعاملة!

« وحتى لو كانت فتاة لم تتزوج بعد فانها تجد دائما أن المسألة الاولى التى تستأثر بكل اهتمامها وتفكيرها هى مظهرها العام أولا وقبل كل شيء .. كيف تبدو أمام الرجال ، ماذا تلبس اليوم ، وكيف تصفف شعرها .. فهى أنثى وهى امراة !».

ثورة في القمر

لقد تخيل احد مشاهير الكتاب يوما الحياة في الكواكب الأخرى التى يتسابق الانسان اليوم في الوصول اليها .. قال انه رأى في القمر عالما جديدا .. عالما تسود فيه المراة .. فهى التى تحكم ، وهى التى تعمل وتشقى ، بينما يبقى الرجل في البيت ليعنى بالاطفال !

وقال الكاتب انه تألم لما يحدث لابناء جنسه في القمر ، فدعا الى عقد اجتماع للرجال فقط ، ووقف يحدثهم عن حياة الرجل في عالم الارض الذى جاء منه .. وثار الرجال وطالبوا بمساواتهم بمن هم مثلهم في الارض .. ورفضت النساء .. واعلن الرجال الاضراب .. فخرجوا من بيوتهم وهجروا زوجاتهم واطفالهم ، وذهبوا ليعيشوا في الجبال !

ولكن لم تكد تمضي أيام قلائل ، حتى كانت كل نساء القمر يتسلقن الجبال بحثا عن ازواجهن ! وانتصر رجال القمر واستعادوا حقوقهم المسلوبة . ■■





الجارية تودد

صورة انسانية مشرفة لامرأة بارعة الجمال منيرة العقل صاغتها العبقرية القصصية العربية الصاخبة وكان لها فى الفكر العالمي صدى بعيد

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد







■ في حساب الكثيرين منا ان «ألف ليلة» .. كتاب تسلية ولعب ، وانه مجموع حكايات سطحية تافهة ، لا يقرؤها الا خلى القلب والبال ، والمترف الذى لا تحفزه الى العلم والجد حافزة .

ولقد كان الناس عندنا،الى أواخر القرن الماضي على الأقل ، يرون ان هذه الحكايات سَقَطُ متاع غير جديرة بمجرد الذكر ، وفي ذاكرتي عبارة لا اذكر اين قرأتها ـ والغالب أنها عند ابن اياس او

الجبرتي – تقول في ترجمة لأحد الشيوخ انه كان قليل التصاون والعفة ميالا للمجون ، يعيبون عليه كثرة قراءة الف ليلة والحديث عنها .

ولكن اهل التصاون والعفة والعلم في زماننا هذا يقراون الف ليلة في لذة وتقدير ، ويتفقون الوقت الطويل في بحثها ودرسها ، لان القدر اراد ان تكون هذه الحكايات اذيع ما يقرؤه الناس في العالم كله من ادبنا ، وانه لمن غرائب حظوظ الكتب أن أعظم دواوين الشعر عندنا ، تلك التى نطرب لها ونعجب بها ونرى انها قمم الفن الادبى عندنا ، لا يكاد يقرؤها خارج حدود العروبة الا المستشرق الصبور عليها .

طبعات ((الف ليلة)) في شتى لغات العالم

اما ألف ليلة فكتاب عالى حقا ، وطبعاتها في شتى لغات العالم – واسع النطاق منها وغير الواسع – كثيرة ومتنوعة شكلا وثمنا ، فمنها الرخيص الجارى ومنها الغالى المكسو بالجلد المزين بالذهب والتصاوير الكثيرة رسمها اعاظم الفنانين . ولقد جن الناس بها في أوروبا عندما ظهرت ترجمتها الاولى بالفرنسية بقلم أنطوان جالان Antoine Galland فترجمت الى كل لغات اوروبا قبل أن يصدر المجلد الثانى عشر الأخير فيها سنة ١٧١٧ . ومن أواخر القرن الثامن عشر اصبحت من أشهر القصص المتداولة بين الناس في الغرب . وخلال القرن التاسع عشر كله كانت حقنة للعقول ومصدرا للاقتباس الفنى من كل لون . قبسوا منها القصص القصيرة ، والروايات الطويلة ، والمسرحيات والاوبرات الخفيفة ، وقطع الموسيقى ، وأصبحت شخوص الف ليلة أعلاما يعرفها الناس بأعيانها ، ويطلقون اسماءها على المتاجر والمطاعم والفنادق والمسارح والحدائق والأقمشة والعطور وما اليها . فاين في الدنيا نجاح أدبى فنى يعدل هذا النجاح ؟ وأى عالمية في عالم الفكر على اطلاقه تشبه هذه العالمية ؟

أصولها البعيدة هندية فارسية ، وصياغتها الأخيرة عربية

والطريف بعد ذلك أنها ليست من تاليف رجل بعينه وانما هى من تاليف الشعب العربى كله ، نعم ان اصولها البعيدة هندية وفارسية ، ولكن صورتها التى اكسبتها العالمية هى العربية ، وهذا هو المهم ، فان روميو وجولييت كتبها قبل شكسبير ناس ، وفاوست كتبها شعراء كبار قبل جيته ، والكوميديا الالهية نسجها خيال المسلمين حول حقبة المعراج قبل دانتى ، ولكن الناس يرجعون الفضل الى الصائغ الاخير في كل حالة ، الى الصائغ الذى نقل العمل بعبقريته من المحلية الى العالمية .

الف ليلة هى الحياة الساذجة بحلوها ومرها

هذا شان الف ليلة : ثمرة من ثمرات العبقرية العربية الساذجة الأصيلة ، صاغها ناس بسطاء ما بين بياع ونجار وحداد ونساج وورّاق وكاتب دواوين وطحان وخباز وشاعر مغمور ، كانوا يتجمعون اذا امسى الليل في ندواتهم ما بين مشارب وبيوت ، يتطارحون هذا القصص ويضيف اليه كل منهم شيئا . ومنهم من يحسن ما يسمع ، ومنهم من يضيف اليه شعرا بعضه مبتكر وبعضه مسروق وبعضه منحول الى شاعر مشهور – ابى نواس خاصة ، وشيئا فشيئا وعلى طول السنين ، خرجت هذه المجموعة من الحكايات التى تجمع الجيد والسيىء والغالى والرخيص ، والسطحى والعميق والجميل وغير الجميل .. وهى في هذا كله صورة الحياة وشبهها ، فان الحياة في صميمها غالية بل قدسية ، ولكنها تنصرف في التوافه والبسائط وما لا ينفع .وانت اذا فكرت آخر اى يوم خيم انفقته لقضيت عجبا من قلة ما انفقت في الجيد والجاد والنافع وكثرة ما ضاع في حديث هو ازجاء فراغ ومجاملة كاذبة ، وشراء ثوب لا تحتاج اليه ، وأكل طعام ضار هفت اليه نفس متهومة الى ما فيه ضررها ، ومخاصمة انسان في أمر لا يستحق ، الى غير هذا مما تتالف منه – ومن أسوأ منه – حياة الناس..

هذا دون شك سر من أسرار جمال الف ليلة ، انها الحياة بحلوها ومرها ، بنبيلها ووضيعها ، كما عاشها أو تصورها أو حلم بها الوف من الناس الطيبين في بلاد العروبة وغير بلاد العروبة . مزاج من الآلام والسعادات ومن أشياء أخرى سعيدة لا هى آلام ولا هى سعادات ، وانما هى الحياة .. لهذا أعجب بها الناس الطيبون في كل مكان .

ومن عجائب اقدار الأعمال أن أخلد الكتب ابسطها واوضحها واقربها الى فهم الانسان العادي ، فعندما كتب شكسبير مسرحياته كان كل الناس يفهمونها ، وصعوبتها اليوم آتية من ان اهل عصرنا لا يتكلمون نفس الانجليزية التى كتب بها شكسبير ، والذين صفقوا للمتنبى ورووا اشعاره كانوا يفهمونها دون شروح ، ومجد جيته بدا بقصة «الام فرتر» وهى حكاية أولى خصائصها البساطة والوضوح .. والف ليلة آية من آيات البساطة والوضوح ..

تودُد تنقذ صاحبها من الضياع

وليس معنى هذا ان كل ما في الف ليلة هزل وتسلية .. ففيها حكايات جادة غنية بكل ما ينفع .. مثال ذلك حكاية الجارية تودد ..

حكاية هى الغاية في اللطف وجمال الصياغة .. مع جد خالص ومادة غنية نافعة .. وهى من حكايات الف ليلة التى صبّت في تيار الأدب العالمى وصيغت في لغات شتى بصور مختلفة كما سترى في الفقرة الأخيرة من هذا المقال .

وتتلخص الحكاية في أن تاجرا موسرا كثير المال والعقار عز عليه الولد حتى استأخرت به الايام فما زال يصلي ويصوم ويتصدق ويتضرع الى الله حتى رزق غلاما سماه ابا الحسن ، فاجتهد في تاديبه وتربيته حتى كبر وصار شابا من هذا الطراز « الكامل » الذى تجده لشباب الف ليلة جميعا كانهم مصبوبون على قالب واحد ، وهذا القالب يقول هنا ان ابا الحسن كان « فريد دهره ، واحسن اهل زمانه وعصره ، ذا وجه مليح ولسان فصيح ، يتهادى تمايلا واعتدالا ، ويتراءى تدللا واختيالا ، بخد احمر ! وجبين ازهر وعذار اخضر . »

ثم أدركت الاب او الخواجا ـ كما تقول شهرزاد ـ منيته فمضي لحال سبيله بعد ان نصح ابنه باليقظة والخلق الكريم والمحافظة على المتجر وتدبير المال والعقار .

وحزن الشاب على ابيه فاسرف في الحزن ، وقضي الأيام والليالى لا ترقا له دمعة ، قاعدا في عقر داره عاجزا عن العزاء ، وخاف عليه اصحابه فما زالوا به حتى تخفف من الحزن شيئا ، فخرج معهم يتسلى ويتعزى ، وحلا له العزاء فمضي مع المتع واللذات الى آخر المدى ، وأسرف في ماله حتى استنفده كله وبات فقيرا لا يجد قوت يومه .

وكانت قد بقيت له مما خلف ابوه : جارية او وصيفة تسمى « تودُد » ، وكانت كبقية بطلات الف ليلة : « لا نظير لها في الحسن والجمال ، والبهاء والكمال ، والقد والاعتدال ، وهى ذات فنون وآداب ، وفضائل تستطاب ، قد فاقت أهل عصرها واوانها ، وصارت اشهر من علَم في افتتانها .. مع أنها خماسية القد، مقارنة للسعد، بجبينين كانهما هلال شعبان ، وحاجبين ازجين ، وعينين كعيون غزلان ، وانف كحد الحسام ، وخد كانه شقايق النعمان ، وفم كخاتم سليمان ، واسنان كانها عقود جُمان .. الى آخر هذا « الكليشيه » من أوصاف الف ليلة التى لا تتغير.

وعندما اشتد الامر بها وبصاحبها قالت له يوما : يا سيدى ، احملنى الى هارون الرشيد الخليفة الخامس من بنى العباس ، واطلب ثمنى منه عشرة آلاف دينار ، فان استغلانى فقل له : يا امير المؤمنين وصيفتى أكثر من ذلك ، فاختبرها يعظمْ قدرها في عينك ، لأن هذه الجارية ليس لها نظير ولا تصلح الا لمثلك ..

ويفعل ابو الحسن ما طلبته منه تودد ،فيذهب الى هارون الرشيد ويعرضها عليه بالثمن الذى قالت ، ويستكثر الخليفة الثمن ، ثم يقرر اختبار هذه الجارية او امتحانها كما نقول اليوم .

جمال بارع وعلم واسع .. وشيء عظيم

وهنا يبدا القِسْم البارع من هذه الحكاية.. فان تودد عندما حُملت الى الخليفة اول مرة زعمت انها تعرف علوم أهل الأرض جميعا .. وهى عندما تستعرض أمامه ما تعرف تعرض علينا في نفس الوقت فكرة الناس العاديين في مصر والعالم العربى اثناء العصور الوسطى المتاخرة عن العلم والعلماء ، فهى تعرف « النحو والشعر والفقه والتفسير واللغة ، وتقول واعرف فن الموسيقى ، وعلم الفرائض والحساب والقسمة والمساحة واساطير الأولين ، واعرف القرآن العظيم ، وقد قراته للسبع والعشر وللاربع عشرة ، واعرف عدد سوره وآياته واحزابه وانصافه وارباعه واثمانه واعشاره وسجداته وعدد أحرفه ، واعرف ما فيه

من الناسخ والمنسوخ ، والمدنية والمكية، وأسباب التنزيل. وأعرف الحديث الشريف دراية ورواية، والمسند منه والمرسل . ونظرت في علوم الرياضة والهندسة والفلسفة وعلم الحكمة والمنطق والمعاني والبيان ، وحفظت كثيرا من العلم ، وتعلقت بالشعر وضربت العود وعرفت مواقع النغم فيه ومواقع حركات أوتاره وسكناتها . فان غنيت ورقصت فتنت ، وان تزينت وتطيبت قتلت ، وبالجملة فانني وصلت الى شيء لم يعرفه الا الراسخون في العلم ..»

وطبيعي أن يدهش الرشيد من أمر هذه الانسانة العجيبة التى أحاطت بعلم الأولين والآخرين واحتفظت الى جانب ذلك بشخصيتها وفتنتها كامرأة ، مع ان الغالب على امثال هذه العالمة الجليلة ، أن يكنّ الى الرجال أقرب ، بل أقرب وأقرب الى الرجال الذين ضيق الله عليهم في باب الوضاءة والجمال ..

وواضح ان المؤلف عندما عرض علم تودد أراد أن يبهر القارىء باسماء العلوم ومصطلحاتها ، فقد كان يكفي مثلا أن يقول ان تودد تعرف علوم القرآن ، ولكنه أراد أن يهول الأمر فادخل اسماء القراءات وذكر الآيات والاحزاب والانصاف .. الى آخر هذه المصطلحات التى يعرف أهل العلم انها أبسط ما هناك من العلم بكتاب الله العزيز .

وكذلك الأمر فيما يتصل بما تعرف من الحديث والرياضة والهندسة والمنطق والحكمة أى الطب والموسيقى وما الى ذلك ..

وتصوير العلم على هذه الصورة يدل على براعة فنية ، فان هذه القصة كتبت لتقرأ في مقهى أو في مضيفة يشرب الناس فيه أو فيها القرفة والجنزبيل والحلبة والكركديه وهم يتحدثون ويضحكون ويصخبون على سجيتهم ، فاذا لم يكن حديث المنشد باهرا آسرا انصرفوا عنه الى أحاديثهم، فعمد المؤلف الى التهاويل والمصطلحات حتى يستلفت انتباههم .

تصميم مسرحي يروع النفس

بعد ذلك تنتقل الى التسلسل الدرامي في القصة .. فان الخليفة يقرر أن يكون امتحان تودد علنيا يجمع له الأساطين في كل علم وفن ، ويتعاقبون في اختبارها واحدا بعد واحد .. ويصف لنا المؤلف مشهد امتحانها وصفا يدل على تصوير مسرحي جميل بل بديع ..

فها هو الخليفة العظيم في صدر المجلس جالسا على سريره ـ أى أريكته الفاخرة ـ ومن حوله وزراؤه ورجاله ومن شاء من أهل بيته ، وخلفهم ستار من المخمل يترامى الى الارض فيضفي على المنظر فتنة وجلالا .. وفي طرف القاعة الآخر جلس العلماء صفوفا في ملابس جميلة فضفاضة، وقد أفرغ العلم عليهم جلاله وبهاءه ، منهم الجهابذة الذين سيقومون بالامتحان ، ومنهم المتفرجون الذين أتوا ليكونوا شهودا كما نرى في مناقشات الرسائل أو الاطروحات عندنا اليوم . وفي وسط القاعة الفسيحة المفروشة بالطنافس والسجاد جلست تودد على كرسي من ذهب ، وفوق رأسها في السقف قبة صغيرة ذات قمريات يدخل النور منها الوانا ..

كان نظام الامتحان أن ينهض كل عالم حتى يجلس امام تودد على كرسي آخر ، ويمضي في اختبارها بالقاء الأسئلة واحدا بعد واحد ، فاذا أجابت عليها كلها فقد نجحت في ذلك العلم ، ثم تمضي هى بدورها فتلقى عليه أسئلة متوالية ، فاذا عجز عن الاجابة على واحد منها ثبت أنها أعلم منه ولم يعد يستحق أن يعد في العلماء ، فينزع ثياب العلم ، أى روب الاستاذية كما نقول ويمضي خجلان ، أسفا ..

وقد اتبع المؤلف هذا النهج في الامتحان على نحو غير دقيق ، فان العالم يعود أحيانا الى سؤال تودد بعد أن تبدأ هى في امتحانه،ويبدو أن بعض أسئلة طريفة خطرت ببال المؤلف فوضعها حيثما اتفق ..

والسؤال والجواب يدوران على نحو درامي يرغم السامع على الاصغاء ، وهذه المحاورة اما أن تكون سريعة متعاقبة السؤال والجواب ، أو بطيئة فتتصنع تودد أنها عجزت ويشتد شوق الناس الى معرفة النتيجة ثم تفاجىء الممتحن بجواب باهر يبهر العقل حقا ..

ابراهيم بن سيار النظام رئيس للجنة الامتحان

وكان لا بد من اختيار رئيس لهذا الامتحان الفريد .. ووقع اختيار هارون الرشيد على ابراهيم بن سيار النظام الفقيه المتكلم المعتزلي

المعروف .. وهنا يبدو أن التوفيق لم يصاحب المؤلف أو المؤلفين .. لان ابراهيم النظام توفي سنة ٨٣٥ أو ٨٤٥ ميلادية عن سن صغيرة وتوفي هارون الرشيد سنة ٨٠٩ ميلادية .. وسنفترض ان السن التى توفي فيها النظام كانت الخمسين لناخذ الجانب الأسلم في ذلك الحساب ..فيكون النظام قد ولد على هذا التقدير الواسع سنة ٧٨٥ أو ٧٩٥ وتكون سنه عندما توفي الرشيد ٢٤ أو ١٤ سنة .. فاذا فرضنا أن الامتحان حدث قبل وفاة الرشيد باربع سنوات كانت سن النظام ٢٠ أو ١٠ اسنوات عند ذاك.ومهما بالغنا في عبقرية النظام فانه لم يبلغ في سن العشرين ـ فضلا عن العاشرة ـ الى ان يكون أكبر علماء عصره كما تقول الحكاية .. وكان أفضل لو قال المؤلف ان الخليفة كان المامون ..

ولكن الحكاية حكاية شعبية المهم فيها فخامة الأسماء .. فهارون الرشيد أضخم اسم بين خلفاء الاسلام . وابراهيم بن سيار النظام ، تلميذ ابى الهذيل العلاف ، كان دون شك شخصية بارعة امتد صيتها الى ابعد ما وصل اليه فقيه من أهل الذكاء البارع والجدل والكلام ..

لم يحدد لنا المؤلف أين جلس النظام ، الى جانب الخليفة أم في زمرة العلماء .. لكننا نظن انه جلس في مقدمة العلماء ..

وطريف من المؤلف انه جعل النظام يقوم بشيء يزيد تشوق الناس من ناحية ، ويثير الضحك بينهم من ناحية أخرى .. فان النظام لم يرض عن هزيمة العلماء امام تودد واحدا بعد واحد ،فنهض غضبا لاخوانه واقسم ليهزمن هذه الجارية العجيبة وكأنه يقول .. ما هذا الكلام الفارغ يا مشايخ ؟ أوسعوا لى لأمسح بهذه الجريئة الدَعية الارض .. تعالى يا هذه وأرنى شطارتك .. وليته ما فعل .. فان تودد اذا كانت قد مسحت الارض بالسابقين فقد مسحتها ونشفتها بذلك العلامة الكبير .. لماذا فعل المؤلف ذلك ؟

انه فيما يبدو لنا انتقام شعبى من جهابذة الفقهاء في العصور المتاخرة .. انه سخر ساذَج وخبيث" من هذا الطراز من أهل العلم ، فان القصاص الشعبى أراد ان يقول: رويدكم يا أسيادنا ولا يركبكم الغرور بهذا العلم الذى حصلتموه،فهذه جارية امكنها أن تفعل بكم الافاعيل ..

وربما كان هذا صدى من غضب الناس على المعتزلة عامة بعد ما كان منهم من الاعتزاز على اخوانهم بجاه الخلفاء ، وانزالهم بالناس محنة خلق القرآن ..

امتحان مسرحى وحوار بارع جميل

بعد هذا كله ندخل في الامتحان ..

وأول مادة فيه هى الفقه فهو كان معظم العلم في تلك العصور .. والأسئلة والأجوبة هنا ليست مجرد أسئلة في الفقه ، وانما هى أحيانا ألغاز واجابات بارعة تتوالى في سرعة وخفة كاننا في مباراة تنس .

وليس من الضرورى أن يكون السؤال داخلا في نطاق العلم ، ولا من الضرورى أن يكون الجواب صحيحا . انما المهم أن يظل السامع دهشا فاغر الفم يتأمل كرة « البنج بونج » تنتقل من جانب لجانب وأن يكون المغلوب في كل حالة هو العالم المحتشد الجليل ..

وبين الحين والحين نجد فقرات تدل بوضوح على أن المؤلف أراد تثقيف سامعيه وتلقينهم شيئا من العلم الصحيح .. مثال ذلك بداية أسئلة الفقه وتبدأ هكذا ..

الفقيه: أنت قرأت كتاب الله العزيز ، وعرفت ناسخه ومنسوخه ، وتدبرت آياته وحروفه ؟

تودد : نعم .

الفقيه أسألك عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة ، فاخبريني أيتها الجارية عن ذلك ، وما ربك وما نبيك ، وما امامك وما قبلتك ، وما اخوانك وما طريقتك وما منهاجك ؟

تودد : الله ربي ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيى ، والقرآن امامى ، والكعبة قبلتى ، والمؤمنون اخواني والخير طريقي ، والسنة منهاجي .

وتعجب الخليفة من قولها وفصاحة لسانها على صغر سنها ، ومضى الامتحان .

الفقيه : بم عرفت الله تعالى ؟

تودد : بالعقل .

الفقيه : وما العقل ؟

تودد : العقل عقلان : عقل موهوب وعقل مكسوب .

وقبل ان تفسر لنا تودد امر هذين العقلين يدرك شهرزاد الصباح فتسكت عن الكلام المباح .. ولا بد أن ننتظر الى الليلة التالية وهي رقم ٤٣٩ ... ويعود الليل ، فتمضي تودد في الكلام ..

تودد : .. فالعقل الموهوب هو الذى خلقه الله عز وجل ، يهدي بـه من يشـاء من عباده ، والمكسوب هو الذى يكسبه المرء بتأدبه وحسن معرفته .

الفقيه : اين يكون العقل ؟

تودد : يقذفه الله فى القلب ، فيصعد شعاعه فى الدماغ حتى يستقر .

الفقيه : احسنت .

وهذه العبارة احسنت .. « يدخلها المؤلف بعد كل مجموعة من الأسئلة « العويصة » والاجابات البارعة عليها ، وهو يدخلها لكي يصفق الناس بعدها ، لأننا بالفعل امام جزء مسرحي من الف ليلة ، فان حكاية تودد مسرحية بارعة الحوار .

والمؤلف هنا يلجأ الى كل « الحيل » الدرامية لكي يحتفظ بانتباه المتفرجين فيظلوا فى حالة تعلق ذهني وانتظار الى آخر مشهد ، فهو يجعل تودد تتردد فى الاجابة او تتلعثم أو تصمت فيظن المشاهد أنها خسرت الرهان ، ثم يفاجأ بها تجيب ابرع اجابة واحسنها . او يجعل العلامة الممتحن يقسم بعد بضعة أسئلة ليقذفن الجارية باسئلة لا تنجو منها ابدا ، ثم يستحفز ويحتشد ويطلق مقذوفاته ، فاذا بتودد تنفخ فيها فترتد عنها كأنها هباء يتهافت الى الأرض ، وهكذا . ويظهر هذا بصورة جلية عندما قفز ابراهيم النظام الى الحلبة ليقضي على هذه الجريئة قضاء مبرما ، فاذا هو ينهزم شر هزيمة .

نماذج من مواد الامتحان وأسئلته والاجابات عليها

ويتوالى الممتحنون وتودد رابضة كالصخرة العاتية تتعالى الأمواج حولها وتتحطم عليها وتتبدد رذاذا وزَبَدا ..

ولن يسمح المجال هنا لعرض ما دار بينها وبين كل عالم من حوار طريف ، ولكننا سنعرض سطورا من بعض مواد الامتحان وسنلاحظ ان الأسئلة تكون فى معظم الاحيان الغازا حول مادة الامتحان غير داخلة فى صلبه وهذا هو المعقول بالنسبة لامتحان اريد به التسلية والاطراب لا التعليم ، وهذا لا يمنع ان فيه أسئلة قصد بها الى التعليم والتبصير ، ولكنها حافلة بالأخطاء ، لأن المؤلف الشعبي لم يكن ـ ولا يمكن أن يكون ـ من الراسخين فى العلم .

في مادة القرآن

المقرىء : كم فى القرآن من طير ؟

تودد : تسعة

المقرىء : ما اسماؤها .

تودد ، البعوض والنحل والذباب والنمل الهدهد والغراب والجراد (١) والابابيل وطير عيسى عليه السلام وهو الخفاش .

المقرىء : أى سورة من القرآن أفضل (٢) ؟

تودد : سورة البقرة .

المقرىء . فاى سورة اعظم ؟

تودد : آية الكرسي ، فهي خمسون كلمة (٣) مع كل كلمة خمسون بركة .

المقرىء : فاى آية فيها تسع آيات .

تودد : قوله تعالى « ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » (البقرة ١٦٤)

في الطب

الطبيب : كم فى راس ابن آدم من بطن ؟

تودد : ثلاثة بطون ، وهي تشتمل على خمس قوى تسمى الحواس الباطنة ، وهى الحس المشترك والخيال والمتصرفة والواهمة والحافظة .

الطبيب : احسنت .. ما منافع الخمر ؟

تودد : تفتت حصى الكلى ، وتقوى الامعاء ، وتنفى الهم ، وتحرك الكرم ، وتعين على الهضم ، وتصح البدن ، وتخرج الأمراض من المفاصل ، وتنقي الجسم من الاخلاط الفاسدة ، وتقوى

---

١ ــ الطير عندهم هو كل ما يطير بصرف النظر عما اذا كان حشرة أو طيرا .

٢ ــ السؤال خطأ لأن آى القرآن كلها سواء في الفضل .

٣ ــ هذا خطأ فان عدد كلمات آية الكرسي (البقرة٢٥٦) ٥٦ كلمة فاذا حسبنا الضمائر المتصلة وحروف الجر على انها كلمات أيضا كان المجموع ٧٧ .

الغريزة ، وتشد المثانة ، وتقوى الكبد ، وتفتح السدود ، وتحمّر الوجه .. ولكنهـا لعنها الله تفسد المخ وتذهب العقل وتحرّض على الفسـق وتسيء الخلق وتذهب الحياء ، ولهذا حرمهـا الله ..

في النجـوم

المنجم : يا جارية ، هل ينزل هذا الشهر مطر ؟

تودد : (للخليفة بعد لحظة) اريد ان تعطيني سيفا اضرب به عنقه فهو زنديق .

(الخليفة يضحك ويضحك معه كل الحاضرين)

الخليفة : ولم ؟

تودد : (للمنجم) يا منجم ، هذا واحد من خمسة لا يعلمها الا الله ، فقد قال سبحانه وتعالى « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس باى ارض تموت » (سورة لقمان ٣٤)

في الفلسفة

الفيلسوف : اخبرني عن خمس في الجنة لا من الانس ولا من الجن ولا من الملائكة .

تودد : ذئب يعقوب ، وكلب أصحاب الكهف وحمار العزير وناقة صالح ودلدل النبى (١) .

الفيلسوف : اخبرني عن قبر مشى بصاحبه .

تودد : حوت يونس بن متى حين ابتلعه .

الفيلسوف : اخبرني عن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة .

تودد : الأرض التى ظهرت في البحر عندما ضربه موسى بعصاه .

الفيلسوف : اخبرني عن شيء يتنفس بلا روح .

تودد : ذلك في قوله تعالى : والصبح اذا تنفس.

ونهاية سعيدة بعد ذلك

وتساجلت تودد بعد ذلك مع علماء وأهل فنون كلهم فطاحل من بينهم موسيقي وشـطرنجي ، فغلبتهم بادنى مئونة .

ورأى الخليفة في النهاية انها تستحق مائة الف دينار لا عشرة ، فاعطى المبلغ لصاحبها ، واحتجزها في قصره .

وبلغ من اعجابه بها وحرصه على اكرامها انه سألها أن تتمنى عليه ما تشاء ، فاجابت على الفور : تمنيت عليك ان تردني الى صاحبي الذي باعني . فازداد اعجاب الخليفة بها ، وردها الى ابي الحسن بعد أن اعطاها خمسة آلاف دينار تقديرا لوفائها ، ثم استخدم أبا الحسن نديما له ورتب له الف دينار في الشهر .

وعاشت تودد الفتاة الجميلة الذكية العالمة الوفية مع من أحبته ووفت له في ثبات ونبات ، ورُزقا «صبيان وبنات» الى ان ادركهما هادم اللذات فالف ليلة شريط احلام يراه الانسان حين يريد ومفرق الجماعات .

★ ★ ★

حكاية جميلة هى أشبه بالحلم السـعيد ، فالف ليلة شريط احلام يراه الانسان حين يريد ويشترك في السعادة به القريب والبعيد ... احلام ناس لم يكونوا سعداء في دنيا مظالم وآلام ، فانشاوا لانفسهم دنيا من الخيالات والأوهام وعاشوا فيها سعداء .

لا غرابة أن يكون لتودد صدى بعيد في آداب الغرب ، ولكنهم لم يحسنوا قراءة اسمها في النقل ، فبدلا من أن يقراوا تودد قرأوا تودر (بالراء) ثم جعلوها تيودور ، وهو اسم اوروبي معروف ، فقالوا الآنسة تيودور La Doncella Teodor وانشا أكبر الكتاب المسرحيين الأسبان وهو لوب دي فيجا مسرحية بهذا الاسم ذائعة الصيت .

ومن الاسبانية انتقلت « تيودور » الى الغرب ، وقد عد مؤرخو الف ليلة أكثر من ثماني روايات ومسرحيات في اللغات الاوروبية مقتبسة من الاصل العربي ، وكتب الموسيقي مايربير Mayerbeer اوبرا جميلة تسمى « ابو الحسن » واقتبس ليهار فكرة تودد في مشهد من مشاهد اوبريت « ارض البسمات » ويقال ان اناطول فرانس قبس صورة تودد لبطلة قصته المعروفة « الزنبقة الحمراء » .

حسين مؤنس ■■

---

١ ــ دلدل هى بغلة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا ندرى لماذا استبعدت القصواء ناقته صلعم مع انها أفضل فقد دخل عليها مكة عام الفتح .



التهاب الأعصاب ، ما هو ، وما دواؤه ؟

● هل تتكرم بتفسير معنى الالتهاب العصبى ، لا سيما الذى سماه لى الطبيب بالمتعدد ، واكون شاكرا لوذكرتم لى اسبابه .

ـ اولا معنى العصب . انه ذلك الخيط الذى يصل بين المخ او النخاع الفقرى وبين سائر نواحى الجسم . واكثر الأعصاب يحمل نوعين من الألياف ، نوع يحمل الرسائل من انحاء الجسم الى المخ ، ونوع يحمل الرسائل من المخ الى العضلات ، فتنقبض . ومن الأعصاب ما يحمل نوعا واحدا من الألياف وتسمى أعصاب الحس او أعصاب الحركة . وأعضاء الحس تخبر المخ عن احساس الموضع الذى جاءت منه رسالة الحس . أما رسالة الحركة التى تجيء من المخ فهى تخبر العضلات ماذا تصنع .

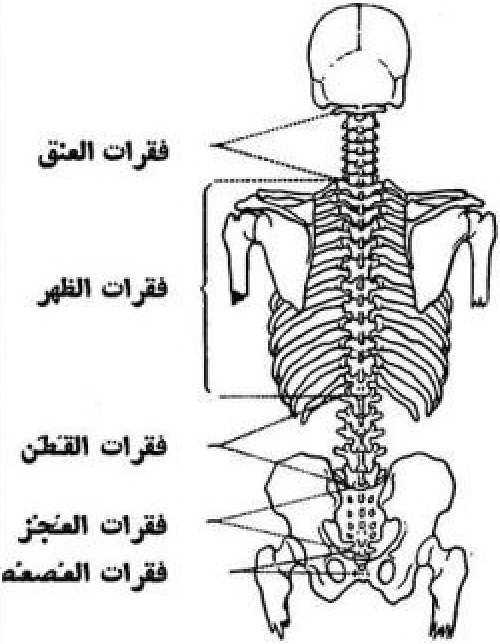
والالتهاب العصبى المتعدد ، واسمه بالافرنجية Polyneuritis تظهر أعراضه شكا او وخزا او خدرا في العضو المصاب أو عدة الأعصاب المصابة . ويصل اثر ذلك الى العضلات وقد يصيبها الضمور بسبب ذلك .

وللالتهاب العصبى أسباب كثيرة ، منها ضغط" يصيب العصب عند خروجه من النخاع الشوكى بسلسلة الظهر . ومن تلك الأسباب السموم الكيماوية ، كالزرنيخ والكحول . والسموم البكتيرية كسم الدفتريا أو البرص . وكذلك نقص في الفيتامين ب ١ B1 ذلك النقص الذى ينشأ عنه مرض البرى برى المعروف .

وفي كثير من احوال هذا المرض ، مرض التهاب العصب ، يتعذر معرفة السبب .

وحين يعرف السبب يحاول الطبيب المعالج ان يستأصله . فان خيل ان السبب نقص في الفيتامين ، فما اسرع المداواة والشفاء . ولكن من هذا الداء ما لا يستجيب للفيتامين .

وكثيرا ما يكون الالم الواقع في الاكتاف أو في الذراع سببه التهاب عظمى مفصلى في السلسلة الفقرية عند الرقبة . فمن المفصل الفقرى قد تنمو زائدة من عظم تضغط على العصب فتحدث ألما منتشرا . وكل ما يمكن عمله عند ذلك انما هو



سند الرقبة بياقة من الورق المقــوى بها بطانة لينة ، او بياقة تصنع خصيصا من اللدين . فهذه تخفف الالم عــادة ، وكثيرا ما يحدث بعد شهر او شــهرين من لبس هذه الياقة انه يمكن الاستغناء عنها بالمرة .

وقد تكون أجزاء أخرى من السلسلة الفقرية في حاجة الى مثل هذا الســند كحزام او نحوه .

ان كل حالة من هــذا المرض يجب فحصهــا كل الفحص ، فمن كشــف بالأشعة،الىاختبارات كيماوية بيولوجية واختبارات بكتيرية . ذلك أن كل علاج في غيبة العلة علاج غير نافع .

ان العلاج ميسور فيكثير من الحالات. ولكن توجد حالات يكون التلف الــذى أصاب العصب بالغا صعب الشفاء .

[redacted]

الدم فى الجسم ، كم سرعة جريانه ؟

● القلب يضخ الدم في الجسم ،والدم يدور فيسائر أجزائه من الرأس، الى القدم ، ثم هو يعود الى القلبليضخه في الجسم من جديد . وأريد ان تتكرم فتخبرنى كم سرعة جريانالدم هذا في الجسم . فقد قيل لى انه يتم دورته في عشر دقائق ، وقيل في عشرين .

ـــ سرعة جريان الدم في الجســم تختلف باختلاف الوعاء الدموى الــذى يجرى فيه. ففى الشريان الأورطى مثلا، الذى هو أعظم شرايين الجسم ،وجدوا أن متوسط سرعة الدمتتراوحفيأشخاص مختلفين بين ٢١٫٣ سنتيمترا ، ٨٧٫٤ سنتيمترا . وفي الشريان الرئوى بــين ٢٣٫١ و ٦٣٫٥ سم في الثانية .

كذلك ، وجدوا أن صبغة يحقنونها في وريد برجل رجل ، تظهر في شريان بنفس هذه الرجل بعد عشرين ثانية او ثلاثين او ما بينهما .

وهذه تعطيك فكرة عامة عما تسأل عنه .

اصابة البرد ، هل تشفى الادوية الشائعة منـــه ؟

● عندي سؤال ارجو ان لا يكونغريبا . وهو عن الاصابة بالبرد . فانا اصاب بالبرد مرة او مرتين في العام ،وكعادة الناساهرعالى الأدويةالشائعة، والتيبعلنونعنها وينصح بها الصيادلةلوقف البرد وشفائه . وانا عنـــدما اصاب بالبرد يشد انفي ، ويصـعباحيانا تنفسي عن طريق الانف وحده ، ويظل بجرى انفي ويرشح اسبوعا .والذى اريد ان أسال عنه في صراحة هل لهذه الادوية اثر في وقف البـرد ،ام ان الافضل ترك البرد يستمر على طبيعته والى ان ينتهى بحكم الزمن ؟

ــ انه لا شك في ان هذه الأدوية التى تذكرها تخفف من اعراض البرد كاحتقان الأنف وانسداده . ومنها الذى يفعل ذلك بتضييق الأوعية الدموية في الأنف وكذلك بمنع العطس .



ولكن هذه الأدوية لا تقف نمو الفيروس الذى هو سبب البرد ، وهى لا تمنع امتداده الى ما وراء الأنف؛ فالى الحنجرة ليحدث فيها التهابا وفي الحلق وجعا . وقد وجد اغلب أطبـاء الاذن والانف والحنجرة ان هذه الادوية التى يتعاطاها المصابون بالبرد لتخفيفه ، كثيرا ماتخلف وراءها متاعب اكثر من مضايقات تصيب الناس بسبب البرد. فبدلا من ان يستمر البرد أيامه القليلة المعدودة ، يصـيبهم التهاب في الحلق والحنجرة قد يستمـر اسابيع .

فالخير في اجتناب هـذه الأدوية ما استطعت ، الا ان ينصح بها طبيبـك الخاص او المسئول عنك بالمستشفى . وخاصة يحسن أن يتجنبها الأطفال .

لي ابنان توأمان فصل الناظر بينهما فى المدرسة

● ان زوجي يعمل هنا ، في هذاالبلد الغريب، في السلك الدبلوماسي، ولى ابنان توأمان متطابقان ، في سن الثامنة . وهما يدرسان معا في مدرسة ابتدائية في بلدنا هذه . وقد اقترحعلينا ناظر المدرسة انيفصل فيسبتمبر القادم ، عند دخول المدارس ، بين الولدين التوامين،فيضع كلا في فصل، والفصلان في مرتبة واحدة . وقال انفي هذا الخير . ووعد أن يجمع بينهما اذا أصاب أحدهما علة" عاطفية .

فهل عندكم رأى في هذا ؟

ــ ان ناظر المدرســـة ، كما ورد في خطابك مما لم تذكر هنا ، يصف ولديك بالصحة والنباهة وحب الاعتمـاد على النفس . ولعل هذه الصفة الأخيرة هى التى اوحت الى ناظر المدرسة ، وهـو مرب خبير ، بالفصل بين ولديك ، حتى يقطع ما بينهما من اعتماد أحدهما على الآخر ، شأن التوائم ، لا سيما المتطابقة،

في اول امرهما . وهما في الحياة لا يمكن أن يظلا معتمدين هكذا ، احدهما على الآخر ، على كبر ، ومع اختلاف وجهات الحياة . انهما في السنة القادمة سيتاح لكل منهما أن يصطنع اصحابا لنفسه ، كل في فصله ، وبذلك تزيد رقعة تجاربهم في العيش . وهما في أوفق سن يجمل فيها الحيلولة دون وجودهما دائما وفي كل حين بعضهما مع بعض .

ومع هذا ، فان في الولدين عندما يعودان في عصر النهار الى البيت . لاحظي ان كان أصاب احدهما او كليهما سوء من الجانب العاطفي في نفسيهما . اجمعا بينهما انت والوالد ، ودعوهما يحدثانكما عما وجدا في المدرسة ، ويتحدثان كذلك فيما بينهما ، فيصلا بذلك بعض ما انقطع بينهما .

ما دام أن كل توامين سيسلكان في الحياة طريقين مختلفين ، فمن الخير ان نهيىء لهما في السن الباكرة شيئا من اختلاف هذا الطريق .

طبيب الاسنان يمنيني بسن تعيش سنين

● ذهبت الى طبيب الاسنان من اجل سنة فاسدة. وظننت انه سوف يقترح خلعها ولكنه قال ان جذرها سليم ، وانه يستطيع ان يبني على هذا الجذر سنة تدوم سنين . فهل هذا صحيح . أم هو احياء لآمال كاذبة . وهل المراد هو وضع طربوش على السنة أم ماذا ؟

ـ نعم انه طربوش . ولكن مع الفارق .

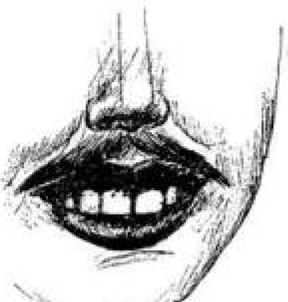
ان هناك نوعين من الطرابيش التي بها تلبس الأسنان .

أما النوع الأول فيستخدم عندما يراد اخفاء مظهر للسن غير مرغوب فيه ، شكلا ، أو لونا ، أو ان السن أصابها تلف يسير .

ففي هذه الحالة يزيل الطبيب بعض تاج السنة الطبيعي ، ثم يغطي السنة بعد ذلك بغطاء اصطناعي يشابه بقية الأسنان شكلا وحجما ولونا .

اما النوع الثاني فيستخدم عندما تصاب السنة بتلف يذهب بأكثر مادتها ، ويظل الجذر سليما . ففي هذه الحالة نحتفظ بالجذر ويعالج ليحتفظ به الطبيب في حالة صحية طيبة ، ثم يثبت في هذا الجذر شيئا أشبه بالخابور ، من الذهب ، تخرج بقية منه الى اعلى ، فعلى هذه البقية تثبت السن الاصطناعية الجديدة .

وهذه السن الجديدة تصنع اما من الصيني او من اللدين (البلستيك) . والصيني أفضل بسبب خواصه الثابتة ،



الا انه يميل الى الكسر اذا ضغطت السنة على شيء شديد الصلابة . فان خيف مثل هذا فلا سبيل الا استعمال اللدين مع انحطاط صفاته.

اما من حيث عمر السن الجديدة ، فأطباء الأسنان يقدرون للسنة من الصيني عشرين عاما ، وللسنة من اللدين عشرة أعوام .

ومن عيب اللدين انه بعد سنوات يظهر بينه وبين السن الاصيلة خط ذو لون يفصل في النظر بينهما . ●●

صفحة من الطب المصور

"شُرطةُ النَّجْدَةِ" في دَمِ الإنْسَان

■ دم الانسان سائل يبلغ نحو ٥ لترات في جسم الرجل البالغ، وهو يدور فى الجسم يوزع الطعام والاكسجين ، وينقل نتيجة الاحتراق ، الذى هو مظهر الحياة الاول ، الى الرئة ، ونتيجة فضلات الطعام عن طريق الكليتين فالمثانة فالبول ، أو طريق القولون فالمستقيم . الى خارج الجسم .

كل هذا معروف مشهور .

ودم الانسان فيه الماء ، ومع الماء صنوف من اشياء مختلفة ، منها الاملاح ، ومنها البروتينات أنواعا ، ومواد كثيرة مما تكسر اليه الطعام بالهضم . ثم الخلايا الدموية، وهي تشمل نصف الدم حجما .

والخلايا الدموية صنفان ، حمراء وبيضاء .

اما الحمراء ، ففيها مادة الهيموجلوبين الحمراء ، تلك التي تحمل اكسجين الهواء من الرئتين ، وتوزعه على الخلايا ليتم فيها احتراق الاغذية ، ثم هي تعود مع الدم الى الرئتين لتتزود بالجديد من الاكسجين .

والخلايا الحمراء لا نواة لها ، وهي صفراء اللون منفردة ، حمراء اللون مجتمعة ، ويوجد فى دم الرجل منها فى المتوسط ٥٤٧٠٠٠٠ فى كل مليمتر مكعب من الدم ، وفى الأنثى ٤٧٥٠٠٠٠ منها .

ونستطيع ان نملأ صحائف فى الحديث عن خلايا الدم الحمراء ، ولكنها ليست همنا فى هذا الحديث .

انما من همنا الآن خلايا الدم البيضاء تلك التي تقوم مقام شرطة النجدة فى جسم الانسان .

والخلية البيضاء خلية لها نواة .

ونسميها بيضاء ، وما هي ببيضاء ، انها شفافة لا لون لها .

وعدد هذه الخلايا فى الدم دون عدد

الكرات الحمراء كثيرا . ففي دم الفرد منها في المتوسط من ٦٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ خلية في المليمتر المكعب . وهذا العدد يزداد في المرض كثيرا ، وزيادته التي تكشف عنها المختبرات تكشف عن المرض . وهذا ما ينتظر من رجال الشرطة في المدينة اذا اختل امرها ، او وقع فيها اضطراب .

وخلايا الدم البيضاء صنوف ، وانشطها واكثرها عددا يعرف باسم Neutrophils وقطر الخلية منها يبلغ ما بين ١٠ الى ١٥ مكرونا ، والمكرون هو جزء من مليون جزء من المتر . اعنى اننا نحتاج الى ان نصف ١٠٠٠ منها صفا واحدا ليبلغ طول الصف مليمترا .

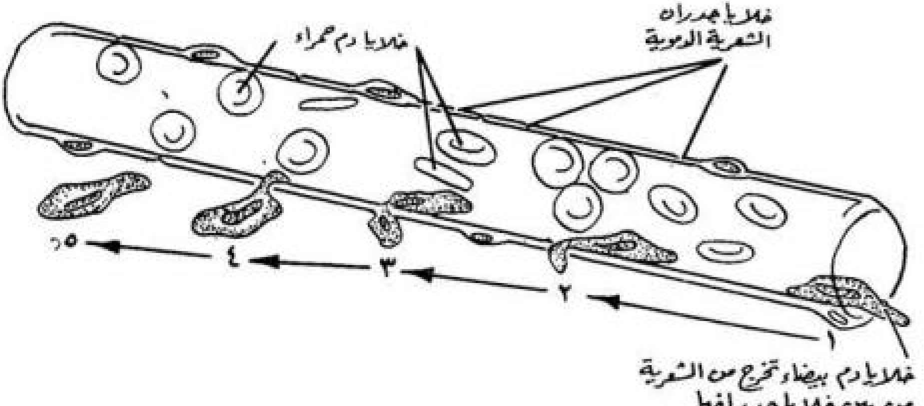
وهذه الخلايا لها ارادة ، ولا ارادة لكرات الدم الحمراء .

ان كرات الدم الحمراء تجرى مع الدم حيثما جرى .

اما هذه الخلايا فتتعقب كل غريب من المكروب طارىء على الجسم . وهي تخترق جدران شعيرات الدم التي تجرى فيها لتخرج الى حيث مكان العدوى من الأنسجة (انظر الصورة في هذه الصفحة) ، وتبدأ تهاجم البكتير الذى يكون هناك .

والخلية منها تلتقط البكتيرة الواحدة ، وتلتهمها رويدا رويدا حتى تهضمها .

وترى ٨ صور في الصفحة التالية التقطت عبْر عدسات المجهر لخلية بيضاء تتبعت مكروبا في الدم حتى التقطته ، واخذت تبتلعه رويدا رويدا حتى جاءت عليه كله . انها صور نادرة رائعة .

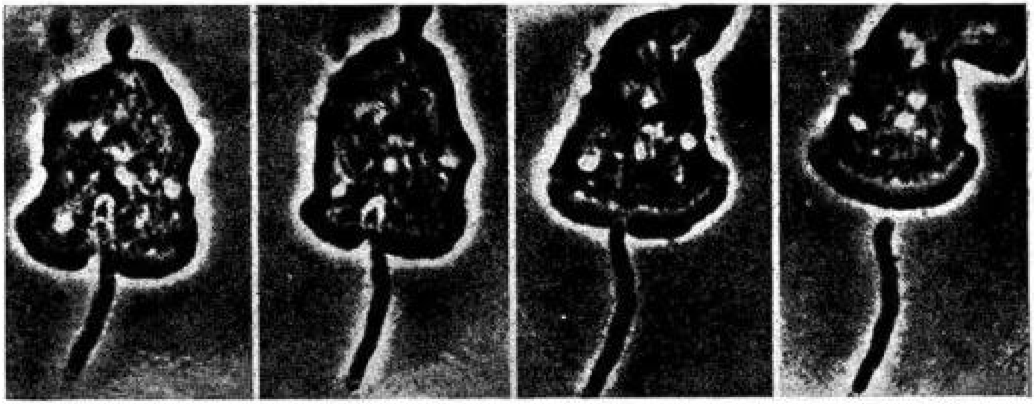


صورة ايضاحية لدم يجرى في شعرية دموية ، وبه كرات حمراء وكرات بيضاء ، وقد خرجت الكرات البيضاء من بين خلايا جدران الشعرية لتهاجم المكروب من انسجة الجسم

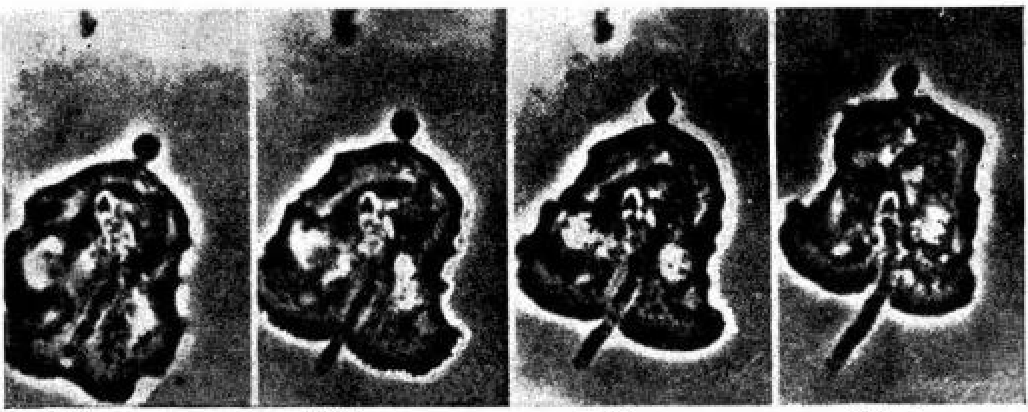
خلية دم بيضاء

تلتهم مكروبا للمرض رويدا رويدا

صور فوتغرافية واقعية مأخوذة عبر المجهر مكبرة ٢٠٠٠ مَرة



هنا تبدأ — بعد ١٠ ثوان — بعد ٢٠ ثانية — بعد ٣٠ ثانية



بعد ٤٠ ثانية — بعد ٥٠ ثانية — بعد ستين ثانية — بعد سبعين ثانية



قناة السويس أقصر طريق بحرى يربط بين الشرق والغرب

قناة السويس
وخسائر الغرب من إغلاقها بسبب دعمه العدوان الاسرائيلي

بقلم : منير نصيف

■ فى صباح الخامس من يونيو الماضى وهو اليوم الذى بدأ فيه العدوان الاسرائيلى على مصر ، كان هناك ما يقرب من ٧٥ سفينة تنتظر التسهيلات الخاصة بالعبور فى قناة السويس .. وكان نصف هذه السفن أو يزيد من ناقلات البترول الفارغة والمحملة .. وشنت الطائرات الاسرائيلية هجومها على القناة والقت قنابلها .. ولكن المدافع المصرية المضادة للطائرات تصدت للطائرات المعتدية واجبرتها على العودة ، وبذلك امكن تمرير عدد من السفن الراسية .. ومر اليومان الاولان للعدوان وهما يوما ٥ و ٦ يونيو ، وفى يوم الاربعاء ٧ يونيو ، أمكن اخراج عدد آخر من الناقلات وسفن الشحن .. ثم عادت الطائرات الاسرائيلية تشن هجوما جديدا مركزا على القناة ، فنتج عن الهجوم الجديد أن جاء يوم الخميس ٨ يونيو ، وقد اصبحت قناة السويس مغلقة والملاحة فيها معطلة بسبب غرق مجموعة من السفن والكراكات والمعديات والعائمات البحرية .

ولقد تعطلت الملاحة فى القناة ، وما زال راسيا فيها ١٤ سفينة بمنطقة البحيرات المرة ، من بينها أربع سفن بريطانية وباخرتين لكل من السويد وبولندا والمانيا الغربية ، وسفينة واحدة لكل من بلغاريا وفرنسا وروسيا وامريكا . كما كانت هناك سفينة امريكية اخرى ، وهى السفينة رقم ١٥ ، التى ترابط الان وحدها فى منطقة بحيرة التمساح ، واسمها « اوبزيرفر » ، OBSERVER ، أى « المراقب » تلك التى حاولت عامدة فى اليوم الاول للعدوان ، تعطيل الملاحة فى قناة السويس ، بأن وقفت بعرض القناة فسحبتها القاطرات واعادتها الى مكانها .

وتلقى هذه السفن الان رعاية السلطات المصرية المسئولة التى سمحت لها بالتزود بما يحتاج اليه

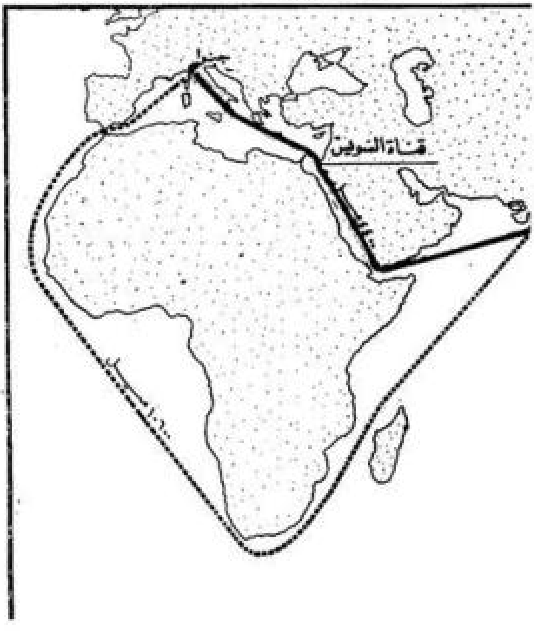
رجالها من مواد تموينية ، بغض النظر عن جنسياتها .

اما في قاع القناة فيستقر عدد من السفن التى اصيبت بقنابل العدو ، وأهمها الباخرة المصرية مكه ، التى كانت تستخدم في نقل الحجاج الى بيت الله الحرام في موسم الحج ، وتبلغ حمولتها تسعة الاف طن . وقد غرقت مكه عند الطرف الشمالي للقناة ، أو عند الكيلو ٧ جنوبى مدينة بور سعيد، وأصبحت اليوم تشكل اضخم العوائق التى تعطل الملاحة في قناة السويس .

وهناك في قاع القناة ايضا سفينة شحن مصرية اخرى اصيبت بقنابل العدو ، وهى السفينة الاسماعيلية ، وتبلغ حمولتها ايضا ستة آلاف طن .

كما اغرقت طائرات العدو في مياه القناة بعض العائمات البحرية الصغيرة وأهمها « المعديتان » اللتان كانتا تستخدمان في عمليات النقل بين القنطرة الغربية والقنطرة الشرقية التي يحتلها الصهاينة الآن ويقيمون فيها مراكز للحراسة والتفتيش ..

الطريق من جنوا في ايطاليا الى بومباى في الهند لم يكن يزيد طوله على ٤٤٠٠ ميل بحري .. اما الان بعد اغلاق القناة ، فان السفينة تقطع ١٠٦٠٠ ميل بحري في دورانها حول الشاطىء الافريقى .



وتستقر هذه العائمات في القاع عند الكيلو ٤٤ من قناة السويس .

وعند مدينة الاسماعيلية عوائق اخرى اغرقتها الطائرات الاسرائيلية في القناة وأهمها ذلك الحوض العائم الذى شيدت جوانبه بالخرسانة المسلحة .

وعلى طول القناة حتى مدينة السويس ، أغرقت طائرات العدو معدات أخرى مثل بعض الكراكات التي كانت تقوم بأعمال التطهير .

وهكذا تعطلت الملاحة في قناة السويس ، وتكبدت الدول البحرية في الغرب وفي الشرق على السواء خسائر ضخمة من جراء اغلاق هذا الطريق المائي الحيوى .

أمريكا أول الدول الخاسرة

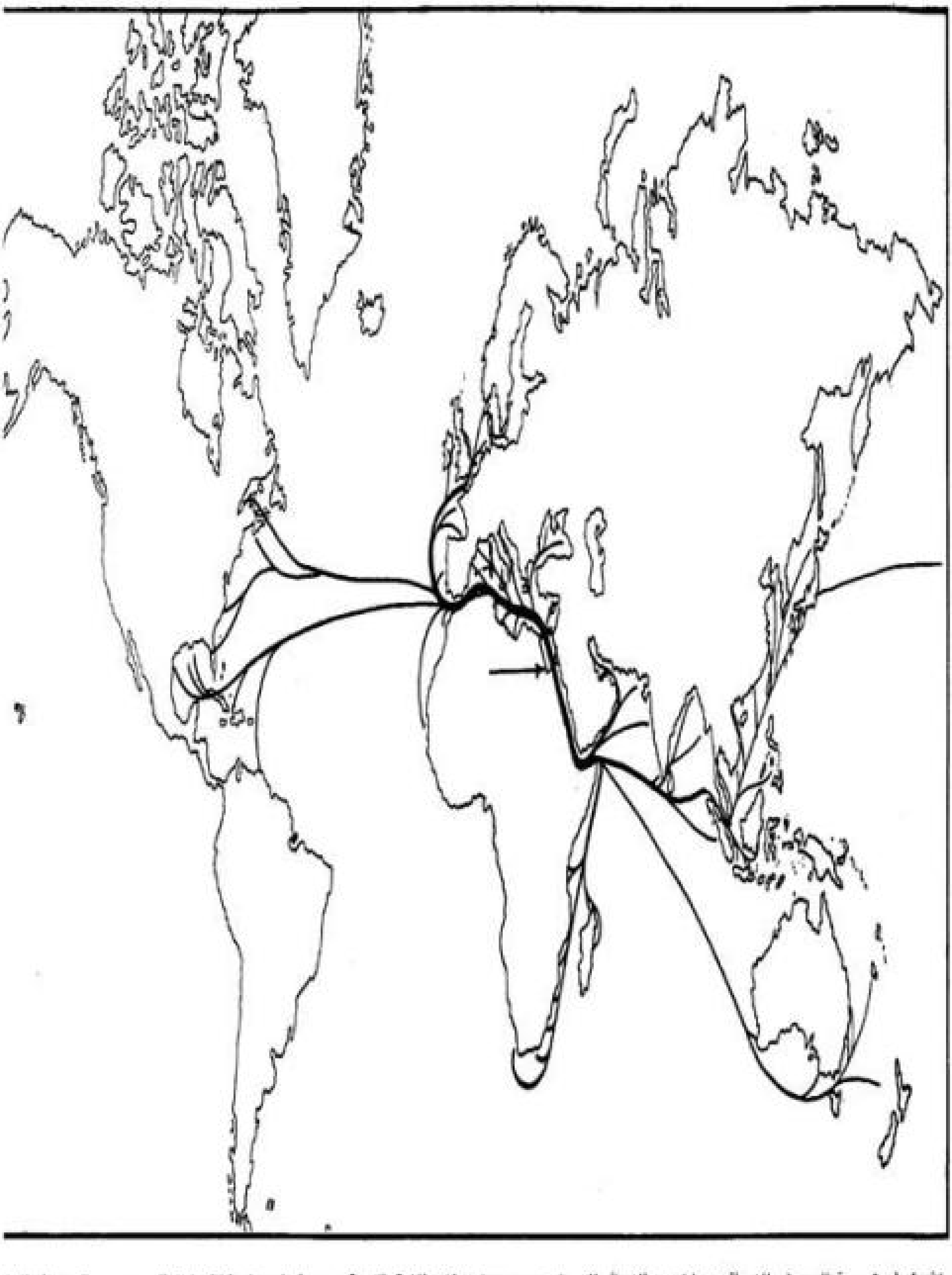
وفي مقدمة الدول التي تعاني اليوم من تعطل الملاحة في القناة ، الولايات المتحدة الأمريكية نفسها . فهي تخوض اليوم حربا خاسرة ضد شعب فيتنام في جنوب شرقي آسيا . واذا علمنا أن الامدادات العسكرية ، سواء كانت عتادا أم رجالا تصل كلها الى ميدان القتال في فيتنام بطريق البحر من أوربا ومن أمريكا على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي مارة بقناة السويس ، استطعنا أن نتصور مدى المشقة التي تتكبدها السفن الأمريكية ، وهي تدور حول الشاطىء الافريقي عن طريق رأس الرجاء الصالح ، لكي تصل الى الجنود الامريكيين الذين يحاربون وسط الأدغال في هذه البلاد البعيدة .

ويؤكد المراقبون السياسيون أن المتاعب التي تواجهها السفن الأمريكية الآن خلال رحلتها الطويلة الى جنوب شرق آسيا ، من الأسباب المباشرة للهزائم التي حلت بالقوات الامريكية في فيتنام الى تعطيل الملاحة في القناة فقد حقق الثوار انتصارات عسكرية متعاقبة ، وقتلوا من الأمريكيين اعدادا لم يسبق لها مثيل منذ نشوب هذه الحرب الضروس.

هذا فضلا عن الخسائر الاقتصادية التي منيت بها أمريكا نتيجة للعدوان الاسرائيلي الذى شجعته حكومة واشنطون وأيدته عتادا وتكنولوجية ومادية، بسبب ارتفاع أسعار الشحن نتيجة لازدياد نفقات الرحلة .

أقصر الطرق الملاحية

فقناة السويس هي أقصر الطرق الملاحية بين



نظرة واحدة سريعة الى هذه الخريطة تبين لنا مدى الخسائر التى عادت وستعود على شركات الملاحة الغربية من جراء استمرار اغلاق قناة السويس .. لقد تحول العالم الصغير فجأة الى عالم كبير مترامى الاطراف امام السفن التجارية وناقلات البترول .

شرق الكرة الأرضية وغربها ، وأكثرها اقتصادا لأنها تجنب السفن الدوران حول القارة الافريقية كلها .. ويتراوح مقدار تقصير المسافة بين ١٧٪ و ٥٩٪ طبقا لموقع ميناء الابحار وميناء الوصول .

اما نسبة الاقتصاد فى وقود السفن فتتراوح بين ٥٠٪ و ٧٠٪ تبعا لحمولة السفينة وسرعتها واتجاهها ، كما أنها تقع فى منطقة امان ملاحي ، حيث تقل نسبة الحوادث الملاحية فى البحر الأحمر والبحر المتوسط ، عنها فى المحيط الأطلسي ، وخاصة عند شواطىء جنوب افريقيا .

وتعتبر هذه القناة خير مقياس للتطور الاقتصادى العالمى ، وخاصة لدول أوربا ، اذ أن البضائع التي تعبر القناة تمثل نسبة ضخمة من التجارة بين الشرق والغرب .

الغرب يستعد للازمة

ولقد شرعت الدول الغربية تستعد على أثر ذلك لمواجهة الآثار الخطيرة التي ستترتب على توقف الملاحة فى قناة السويس ، وأعلنت الدوائر المسئولة فى لندن أنها تتوقع كارثة للاسترليني وللتجارة البريطانية بسبب اغلاق قناة السويس من ناحية ، وبسبب وقف تدفق البترول العربي وسحب رؤوس الأموال العربية من البنوك البريطانية من ناحية اخرى .

وعقد مجلس حلف شمال الاطلنطي فى لوكسمبرج ، مقره الجديد بعد أن قررت فرنسا نقل مقر الحلف من أراضيها ، عقد المجلس عدة اجتماعات هامة لبحث نتائج اغلاق القناة وكيفية مواجهة الآثار الخطيرة التي ستترتب على تعطل الملاحة فيها .

وجرت محادثات هامة فى واشنطون وفى باريس وفى العواصم الأوروبية الأخرى ، لبحث ابعاد هذه الأزمة . واجمعت الصحف الغربية على أن تعطل الملاحة فى القناة ووقف تدفق البترول العربي سيصيبان اقتصاد أوربا بضربة قاسية .

بين الأمس واليوم

ولعل أدق مقياس لقراءة آثار توقف الملاحة فى قناة السويس اليوم ، هو استعراض ما حدث



خريطة لقناة السويس التى حفرها المصريون بأيديهم منذ حوالى قرن كامل من الزمان ..



السفن التجارية أثناء عبورها قناة السويس .. لقد بذلت الهيئة العامة للقناة جهودا جبارة لتأمين الملاحة في هذا الممر المائي الحيوي منذ تأميم القناة حتى يوم المؤامرة الاستعمارية .

عندما تعطلت الملاحة في القناة عام ١٩٥٦ ، نظرا لعدم اكتمال صورة الأزمة الحالية ، وعدم مضي فترة طويلة عليها .

فقد ثبت أن تحويل ناقلات البترول عن طريق قناة السويس ومرورها عبر طريق رأس الرجاء الصالح في عام ١٩٥٦ ، قد أخر وصولها من أوربا الى الشرق الأوسط وبالعكس مدة أسبوعين أو أكثر في الرحلة الواحدة وادى هذا التأخير الى ارتفاع أجور الشحن بنسبة زادت على ٣٠٪ .

هذا اذا افترضنا أن بترول الخليج العربي مستمر في التدفق ، فهو لم ينقطع عن أوربا في عام ١٩٥٦ كما حدث بعد هذا العدوان الاسرائيلي الأخير .

والنتيجة المحتومة لعدم نقل البترول عبر القناة ، ولا نقول عدم وصوله ، هي زيادة مستمرة في أسعاره ، وفي أسعار جميع السلع التي تنتجها المصانع التي تدار بالبترول .

أضرار عام ١٩٥٦

وبالرغم من أن البترول لم يقطع عن أوربا في عام ١٩٥٦ ، الا أن دول أوربا أضطرت الى فرض قيود على توزيع البترول ومشتقاته للأغراض الانتاجية والاستهلاكية ، وهبط نشاط العمل في عدة صناعات حيوية ، وانخفضت الاحتياطيات من الذهب والعملة الصعبة في كثير من الدول ، نتيجة لشراء البترول الأمريكي الذى تصورت أمريكا انه يمكن أن يعوض أوربا عن بترول العرب ، كما أرتفعت أسعار السلع والمنتجات المحلية التي تعتمد على المواد الخام المستوردة من الشرق ، بسبب تأخر وصولها وأرتفاع نفقات شحنها . وسجلت معظم الخامات نقصا كبيرا في أوربا فنقصت كميات القطن بنسبة ٥٠٪ والمطاط ٤٠٪ والصوف ٤٥٪ والجوت ٣٨٪ والأسمنت ٥٢٪ . وادى هذا بالتالي الى كساد تجارة البلدان التي لم يكن لها ذنب في هذه الاعتداءات الصهيونية المتعاقبة على الأمة العربية ، مثل الهند وباكستان وبورما واندونيسيا واليابان ، وكلها بلدان تربطها باوربا علاقات تجارية هامة .

حدث هذا في عام ١٩٥٦ ، ونستطيع أن نتصور ما يمكن أن يحدث الآن ، وما يمكن أن تتعرض له أوربا من ازمات نتيجة لاغلاق هذا الشريان المائي الحيوي من جانب ، ووقف تدفق البترول العربي من الجانب الآخر .

ارتفاع الأسعار فى بريطانيا

ولقد أعلنت شركات النقل البحرى أخيرا أنه بالنسبة لبريطانيا بالذات ، سوف ترتفع أسعار المواد الخام التي تصل الى مصانعها من الشرق بنسبة تتراوح بين ١٥ و ٢٥٪ عما كانت عليه وقد يزيد ذلك ، ونتيجة لهذا فان ميزان المدفوعات فى بريطانيا سوف يتأثر حتما بهذه الزيادة التي نتجت عن ارتفاع أسعار الشحن ، مما سيؤدى بالتالي الى زيادة محسوسة فى أسعار شتى أنواع السلع والمواد التموينية . فالمعروف أن ما يقرب من ٢٠٪ من حجم التجارة البريطانية يمر عن طريق قناة السويس .

وقد ساقت صحيفة صاندى تايمز البريطانية فى عددها الصادر يوم ٦ يونيو ، أى بعد العدوان الاسرائيلي بيوم واحد ، ساقت مثلا للزيادة المتوقعة فى نفقات الملاحة بعد اغلاق قناة السويس ، فقالت : « ان الرحلة التي تبدأ من ميناء البصرة فى الخليج العربي ، الى لندن ، عن طريق رأس الرجاء الصالح ، تقطع فيها السفينة ٤٨٠٠ ميلا بحريا أكثر مما كانت تقطعه فى مرورها عبر قناة السويس . فاذا سارت السفينة بسرعة ١٣ عقدة فى الساعة فى المتوسط ، فسوف تحتاج الى ٢٨ يوما أى بزيادة ١٦ يوما عما كانت تحتاج اليه فى الماضي لتصل الى لندن . ويعني هذا زيادة نفقات الرحلة بحوالي ٧٢٠٠ جنيه استرليني » .

تأخر تطوير القناة بسبب العدوان

هذا عرض سريع للنتائج التي ترتبت على العدوان الاسرائيلي الأخير على قناة السويس . ولقد جاء هذا العدوان فى وقت انطلق فيه العاملون فى الهيئة العامة لقناة السويس للوصول بها الى أزهى عصورها من أجل خير ورفاهية شعوب الأرض قاطبة .

فمنذ شهرين تقريبا بدأ أضخم مشروع لتطوير الملاحة فى القناة ، أعتمدت له مصر مبلغ ٥٦ مليون جنيه ، ويهدف الى زيادة القطاع المائي لقناة السويس من ١٨٠٠ متر مربع الآن الى ٢٤٠٠ متر مربع ، أى ضعف ما كان عليه هذا القطاع يوم تأميم القناة . ومعنى هذا أن يزداد غاطس السفن العابرة من ٣٨ قدما « الآن » ، الى ٤٨ قدما ، مما يسمح لناقلات البترول التي تبلغ حمولتها ١١٠

ان اغلاق القناة جاء في الوقت الذى بدأ فيه مشروع لتوسيع قطاعها المائي وتعميقها لمواجهة التقدم الكبير في صناعة السفن الضخمة .

الف طن بعبور القناة محملة ، وللناقلات ذات حمولة ١٢٥ الف طن بعبورها بحمولة خفيفة ، وللناقلات حمولة ٢٠٠ الف طن بعبور القناة فارغة .

وكان من المقرر ان يتم هذا المشروع فى عام ١٩٧٢ ، ليبدأ مشروع آخر يهدف الى الوصول بقطاع القناة المائي الى ثلاثة الاف متر مربع ويسمح بعبور ناقلات بترول حمولة ١٨٠ الف طن ، وهي محملة وناقلات حمولة ٢٠٠ الف طن وهي نصف محملة ، وناقلات حمولة ٢٥٠ الف طن وهي فارغة. وكان الأمل معقودا على اتمام هذا المشروع الثاني فى عام ١٩٧٦ أى بعد عشر سنوات من بداية المشروع الأول .

ولعل الدافع الذى حفز بالادارة العربية لقناة السويس الى تنفيذ هذا المشروع الضخم الذى يعتبر من أضخم المشروعات في الجمهورية العربية المتحدة ، هو تلك القفزة الهائلة فى صناعة السفن وناقلات البترول العملاقة فى مختلف ترسانات العالم . فلقد كان جمود قناة السويس ووقوفها عند حد معين من التوسيع والتعميق يعني انهيار ايراداتها التي وصلت فى العام الماضي الى مائة مليون جنيه استرليني .

حلم لن يتحقق

ولعل سر الجنون الذى أصاب اسرائيل عندما أعلنت الجمهورية العربية المتحدة ممارستها لحقها المشروع فى اغلاق خليج العقبة ، الى جانب حرمان اسرائيل من المرور فى قناة السويس ، هو حلم اسرائيل القديم فى حفر قناة لتصل بين ايلات على العقبة واسدود على البحر المتوسط . ولكن نظرة سريعة الى خطوط المشروع وطبيعة المنطقة التي ستمتد فيها القناة المزعومة توضح أنه مجرد فكرة خيالية لا يمكن تنفيذها .

ولو أننا تمشينا مع هذه الفكرة التي تداعب



عقول الصهاينة ، نجد أن هذا المشروع مستحيل التنفيذ ، لعدة أسباب فالقناة المزعومة سوف يزيد طولها طبقا للمعلومات العلمية على ٢٧٨ كيلو مترا فى حين أن طول قناة السويس من ميناء بور سعيد الى ميناء بور توفيق ١٦٢٫٥ كيلو مترا اى نحو النصف كما أن حفر هذه القناة يتطلب شق نفق تحت صخور الجبال طوله ٣٤ كيلو مترا بينما الملاحة فى القناة فى سهل مكشوف ، هذا الى جانب نفقات تنفيذ هذا المشروع الخيالي التي قدرها الصهاينة انفسهم بأربعة آلاف مليون دولار . وهو فى الواقع رقم يقل بكثير عن التكاليف الحقيقة التي ستصل الى اضعاف هذا المبلغ بسبب قسوة طبيعة الأرض التي ستجرى فيها قناتهم المزعومة .

واخيرا ان المدة التي سوف يستغرقها انجاز هذا المشروع الوهمي تتراوح بين ١٥ و ١٨ سنة . فهل سيترك العرب اسرائيل لتعيش بينهم ١٨ عاما أخرى ! ؟ هل يترك العرب دولة العصابات الصهيونية تعتدى عليهم وتقدم للعالم كل يوم دليلا جديدا على بربريتها واهدافها العدوانية التوسعية ؟ ! .

تطهير القناة

وثمة حقيقة أخرى . ان تطهير قناة السويس لن يبدأ قبل جلاء آخر جندى صهيوني عن الأراضي العربية التي يحتلها الصهاينة ..

لقد استغرق تطهير القناة فى عام ١٩٥٦ حوالي ستة أشهر بعد خروج القوات المعتدية ، منها أربعة أشهر لازالة العوائق وحوالي شهرين لتطهير قاع القناة من الرمال التي تراكمت فيه لكي يعود الى غاطسه الطبيعي .. وكان الاعتماد على الشركات الأجنبية فى عام ١٩٥٦ .

اما اليوم ، فان هيئة قناة السويس بعد أن تضاعفت امكانياتها خلال السنوات الأخيرة ، أصبحت قادرة على القيام بعملية التطهير معتمدة على نفسها .. ولكنها لن تبدأ فى اعادة القناة الى حالتها الطبيعية قبل زوال آثار العدوان .

بهذا وحده سيشعر العالم الغربي وعلى رأسه أمريكا وبريطانيا بمدى الخسارة التي يتعرض لها الغرب ثمنا لتأييده اسرائيل . ■■

منير نصيف



منظر عام لقسم المحاليل والمراهم بمصنع الأدوية والمستودعات الطبية المركزية ، ويرى بعض الصيادلة والمساعدين والعمال الفنيين ، وقد انهمكوا في عمليات تنعيم المراهم وتحضير الأمزجة والأشربة ثم التعبئة .

مصنع الأدوية بالكويت

يدعم الصناعة فيها



الصيدلي المسئول عن قسم المراهم بمصنع الادوية ، ومساعد الصيدلي اثناء
مراحل تحضير المراهم بالمصنع بتنعيمها وتجنيسها . وقد ظهر
في الغرفة الزجاجية اثنان من العمال يقومان بتعبئة قطرات الع





الدكتور صالح صفوري
مدير مصنع الادوية (الى
اليسار) يعاون احد
مساعدي الصيادلة في صب
مستحلب زيت البرافين
بعد ان تم مزجه وتجنيسه
مزاجا واحدا في الآلة
المعدة لذلك توطئة لارساله
الى قسم التعبئة .

■ دخلت الكويت ، مع شحن أول كمية من نفطها عام ١٩٤٦ ، عهداً اقتصادياً جديداً تنعمت فيه بموارد النفط التى تضاعفت أربعين مرة خلال الفترة الواقعة بين عام ١٩٥١ وعام ١٩٦٦ حيث بلغت الايرادات من هذا النفط عن العام الأخير أكثر من ٢٣١ مليون دينار ... ويتبع هذا الايراد طفرة هائلة في البناء ، ترتب عليها قيام عدة صناعات مثل طوب الاسمنت ، والحديد المطروق ، وهياكل النوافذ ، والأبواب الخشبية، وغيرها من الصناعات اللازمة لحركة العمران .

وجاء انشاء معظم هذه الصناعات في بادىء الأمر بطريقة ارتجالية غير مدروسة ، ولكنها ظلت تعمل لسد حاجة البناء السريع حتى قارب نمو الكويت العمراني مرحلة الاشباع .

وهنا بدأ التفكير في تنظيم الصناعة في الكويت واقامتها على أسس اقتصادية سليمة ، وفي عام ١٩٦١ دخل رجال الصناعة غرفة تجارة الكويت فأبدلوا اسمها الى غرفة التجارة والصناعة وفي نفس الوقت قامت وزارة المالية بمعونة خبراء باجراء مسح صناعي عام للكويت يهدف الى تقرير انواع الصناعات التى يمكن ان تقام في البلاد ومدى توفر المواد الاولية الضرورية لهذه الصناعات .. كما صدر قانون حماية الصناعة وانشئت لجنة تنمية الصناعة .. كان الهدف هو تنظيم الصناعة في الكويت وتنويعها والاكثار منها .

متاعب في الطريق

ومن الدراسات القيمة التى قامت بها غرفة التجارة والصناعة اتضح أن هناك عدداً من الصعوبات والعراقيل التى تعترض انشاء صناعات ناجحة في الكويت .. ويمكن ايجاز هذه الصعوبات في النقاط التالية :

١ ـ عدم توفر عمال صناعيين مهرة بالقدر الكافي، لأن العامل الصناعي في الكويت عامل مهاجر متنقل ، اذا سنحت له فرصة جمع قدر من المال بادر بمغادرة الكويت ، أو حاول اقامة ورشة صغيرة لحسابه في البلاد .. ولا يمكن أن تعتمد صناعة على مثل هذا العامل المتنقل .

■ ■ ■



جانب من المخزن الخاص بالمواد الخام التى تستخدم في صناعة الأدوية .. وهو يضم مختلف المكونات التى تدخل في الأدوية التى ينتجها المصنع



أحد الافران التي تستخدم في عملية التجفيف السريع للاقراص ، ويرى أحد ساعدي الصيادلة وهو يقوم بادخال الوعاء المحتوى على الاقراص الى الفرن لتجفيفها .

٢ ـ عدم امكانية انشاء صناعات كبيرة لضيق السوق المحلية .. وصعوبة منافسة الدول الصناعية .

٣ ـ انعدام معظم الموارد الطبيعية الرئيسية للصناعات وعلى الأخص المواد الخام ، ما عدا النفط والغاز الطبيعى ، مما يتطلب استيراد معظم المواد الخام التى تدخل في تلك الصناعات ، الأمر الذى يضاعف من تكاليف انتاجها . وفي الوقت نفسه كانت هناك مشاكل تنشأ من عدم توفر المياه باسعار مناسبة للصناعات ، الى جانب قسوة الحر الذى يؤثر على الآلات ، فضلا عن التكاليف الاضافية لتكييف جو المصانع ..

٤ ـ ارتفاع مستوى تكاليف المعيشة ، مما يتطلب بالتالى رفع مستوى أجور العمال .

★ ★ ★

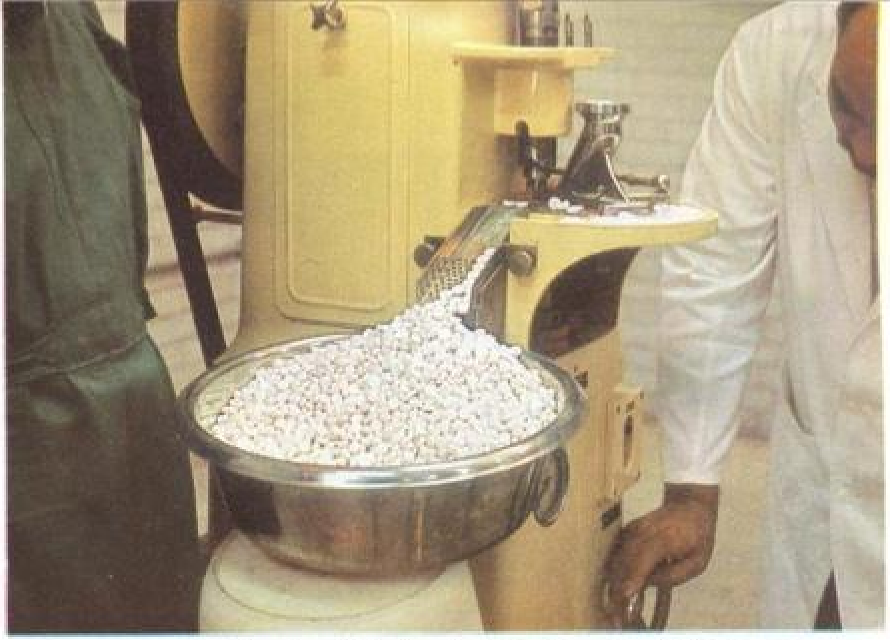
ولكن جميع هذه النقاط الهامة لم تؤثر في التقدم نحو الصناعة ، فسرعان ما شهدت سماء الكويت المداخن ترتفع والآلات تدور في مصانع الانتاج المحلى .

ان السر الكامن وراء انتشار المصانع في الكويت هو الخوف من المستقبل الذى قد يسفر عن ظهور طاقة تحل محل النفط ، ذلك المورد الأساسي للثروة في الكويت ..

ومن أجل هذا رأت الكويت أن تستفيد من وضعها الاقتصادى المزدهر الحالي لتقيم نظاما اقتصاديا يعتمد على صناعات ناجحة وخدمات تكفل لأبناء الكويت دخلا مستقرا في المستقبل ..

مصنع مؤقت

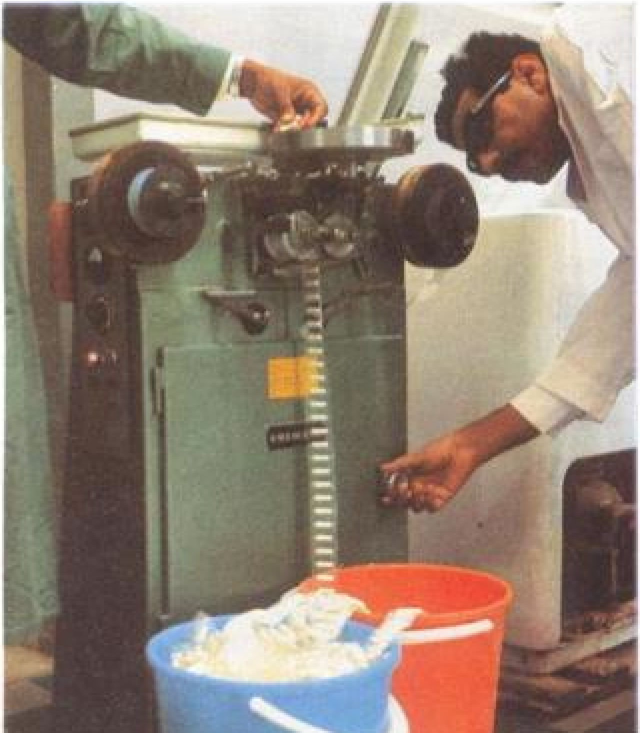
وكان من بين المصانع التى ظهرت في الكويت مصنع الأدوية .. ان الهدف من انشائه هو سد



آلة صناعة الاقراص ، وهي الآن في طور التجربة ، اذ لم يبدأ بعد انتاج الاقراص على اختلاف انواعها ، وهي تعمل بالكهرباء وبصورة أوتوماتيكية وهي من احدث الآلات التي استوردها مصنع الأدوية أخيراً.. وهي صغرى آلتين من هذا النوع .







« فوق » عملية صب مزيج السلفا في الأوعية الخاصة به قبل تمريره في آلة تنعيم السوائل وتجنيسها توطئة لتعبئته في الزجاجات المعقمة

الى اليمين : اثنان من العمال الفنيين وقد وضعا على وجهيهما الاقنعة المعقمة التى تغطى الفم والأنف لمنع تلوث المراهم اثناء عملية تعبئتها في الانابيب المعقمة واغلاقها .

الى اليسار: عملية تغليف « اللبوسات » بالسلوفان، وهى تتم بصورة اوتوماتيكية دون ان تمسها يد . ويقوم المصنع بانتاج لبوسات للاطفال والبالغين لعلاج امراض البواسير والانفلونزا وغيرهما بوضعها في المستقيم .

جزء من حاجة الكويت الى الادوية ، على أن يوسع في المستقبل ليسد الجزء الأكبر من حاجتها ويصدر الفائض الى الدول المجاورة .. والمصنع الجديد ما زال في طور الانشاء ، وهو نواة لمصنع ضخم كبير سوف يقام في المستقبل ، ومع ذلك فقد أمكن انتاج مئات الألوف من الانابيب واللبوسات وزجاجات الأدوية التى استورد الجزء الاكبر من موادها الخام . كما استعملت بعض المواد الأولية التى تصنع محليا مثل حامض الكلوريك والصودا الكاوية وملح الطعام التى ينتجها مصنع الملح والكلور في الكويت ..

لقد استطاع هذا المصنع أن يحقق وفرا قدره ٣٥٪ من قيمة ما تستورده الكويت من هذه الأدوية .

بداية الانتاج

وجلسنا الى الأستاذ الصيدلى صالح حسن صفورى مدير مصنع الأدوية نستمع اليه وهو يحدثنا عن هذا المصنع الذى شهد مولده .. قال:

« المصنع القائم حاليا مصنع اقيم بصورة عاجلة لسد الفراغ الناجم عن تأخر اقامة المصنع المزمع انشاؤه، ولسد احتياجات الوزارة من بعض العلاجات الضرورية . وقد خصصت الوزارة مساحة قدرها تسعمائة متر مربع لانشاء هذه النواة واستوردت لذلك آلات ذات طاقة انتاجية متوسطة ولكنها جميعا على مستوى رفيع من الدقة » .

« وقد شرع المصنع في انتاجه في أوائل شهر أغسطس (آب) من عام ١٩٦٦ وتصنع فيه حاليا المراهم والعجائن المختلفة والأمزجة والأشربة والنقط ذات الاستعمال الداخلى ، وبعض قطرات العيون والأنف والأذن ، واللبوسات المختلفة ، والمحاليل المطهرة ، اما قسم الحبوب والكبسولات فقد تم تركيب الآته وشرع في اجراء التجارب الضرورية لتصنيعها .

« وهناك خطة للتوسع بانشاء قسم لصناعة المحاليل المعقمة بمختلف انواعها » .

الانتاج

ويتابع مدير المصنع الكلام فيقول :

« وتستورد المواد الخام طبقا للمواصفات الدستورية الدقيقة ، ويجرى تحليلها لاختبار مدى صلاحيتها ومطابقتها للمواصفات قبل البدء في التصنيع في مختبر تحليل ومراقبة الادوية بوزارة الصحة العامة .

« وبعدها يبدأ في تصنيع الدواء وترسل عينات من الأدوية المصنعة للمختبر مرة ثانية لاختبار النوع والكم من المواد الفعالة ، ثم تتم تعبئتها وترسل عينات للمرة الثالثة للمختبر للفحص النهائى ، ولا تصل الادوية للمرضى الا بعد التأكد من صلاحيتها واحتوائها على النسب المعينة بدقة » .

« ولا بأس من اعطاء القارىء فكرة موجزة عن انتاج المصنع المؤقت في الفترة من ١٩٦٦/٨/١ الى ١٩٦٧/٥/١ فقد قام المصنع بانتاج العلاجات التالية :

١ ـ مراهم جلدية مختلفة	... ١٠٠ انبوب
٢ ـ مراهم للعيون	... ١٣٠ انبوب
٣ ـ أمزجة وأشربة	... ٢٧٠ زجاجة
٤ ـ نقط للاستعمال الداخلى	... ٧٦ زجاجة
٥ ـ قطرات مختلفة	... ١٣٥ زجاجة
٦ ـ لبوسات مختلفة	... ٣٠٠ لبوس
٧ ـ محاليل مطهرة	... ٧٠ لبوس

« والاصناف المنتجة تكفى لاحتياجات صيدليات الوزارة ، بما فيها صيدليات المستشفيات والمستوصفات التابعة لمكتب دولة الكويت لمساعدات الخليج العربى من الامارات العربية المختلفة ، ولم يعد هناك حاجة لاستيراد أى صنف منها » .

المصنع الدائم

« وينهى مدير مصنع الأدوية كلامه بقوله :

وتقوم وزارة الصحة العامة في دولة الكويت بدراسة المشروع الكبير للمصنع الدائم مع مجلس التخطيط في البلاد، وقد شارفت الدراسات على الانتهاء وتم وضع المواصفات اللازمة لنقل هذا المشروع الى حيز التنفيذ .

« كما أجريت دراسات تفصيلية لطاقة الانتاج المرتقب مما سيوفر للبلاد دواءها مصنوعا فيها بأيد وطنية ، وسيكون هذا المصنع مفخرة للبلاد ان شاء الله . ■■

كتاب الشهر

وردة

رواية مصر الخالدة

تاليف الدكتور «ايبرس» العالم الاثرى الالماني *

ترجمة : محمد مسعود

عرض وتحليل بقلم : محمود تيمور

■ عالم من اعلام اللغة المصرية القديمة ، أوتي مع الاكباب على الدرس والبحث ، موهبة شاعر ذى خيال خفاق في ابعد الافاق ، ذلك هو الدكتور «ايبرس» الالماني ....

هبط «مصر» منذ قرن الا اقله ، وامضى شتوة بين ضرائح الفراعين في اطلال «طيبة» ، يطوف بها طواف الحاج باقدس مزار ، ويؤنس روحه هنالك باكرم جوار . ثم فارق كعبته ، وآب وطنه ، مفعم الوجدان بما رأى وخال ، محموم النفس بما هزه من اطياف ، ذلك الماضي السحيق العريق ، فأجمع امره ان يصور انتفاضته في عمل قصصي ، يزاوج فيه بين ذاكرة المؤرخ ، ومخيلة الاديب .

يقول في المقدمة :

« سأقدم للقارىء صورة من عصر «سيزوستريس» الذى وقعت فيه حوادث القصة ومراميها ، مراعيا في ذلك اظهار الحقيقة قدر الاستطاعة . ولم آل جهدا فيما يمكن البحث عنه من الآثار واوراق البردى . ولما كانت هذه الرواية من باب القصص والخيال الشعرى ، قبل ان تكون بحثا تاريخيا ، فقد جعلت لتصوير اشخاصها ووصف عواطفهم ومشاعرهم المختلفة المحل الاول ، ولم تكن للحقائق التاريخية فيها غير اهمية ثانوية » .

وليس من شك في ان ذلك العاشق المتيم بالحضارة المصرية القديمة قد ابلى اعظم البلاء حتى استطاع ان يتمثل الصورة كاملة في اغوار الامس البعيد ، وان تتوافر له الرؤية الواضحة خلال

* سألنا رئيس التحرير عن رأيه في المقال بعد ان قرأه ، وكان قرأ «وردة» منذ زمن بعيد فقال بعد صمت . ما أشبه الليلة بالبارحة .

ضباب السنين ، وهو في تواضع الصوفي الذي يستقل جهده في التهجد، ويستهين بعنائه في سبيل الوصول ، يقول في مقدمته :

« ان الآثار التي خلفها لنا المصريون منذ ذلك العهد القصي ، تمكن الباحث من الوقوف على كثير من وجوه الحياة المصرية ونظمها ، وقد أصبح من السهل تتبع تفاصيلها خطوة خطوة ... »

وان منهج صاحبنا في صياغة هذه القصة ، لهو مثل من الامثلة الطيبة لاستخدام التاريخ في ميدان الفن القصصي ... فهو لم يجعل قصته وثيقة تاريخية تسرد الوقائع والاحداث على نحو ما جرت،ولم يكن خياله مقصورا على تدبير الروابط التي تصل بين بعض الشخصيات وبعض ، وترتيب المادة التاريخيةبحيث يتم بها التأليف القصصي ولكن التاريخ أوحى اليه فكرة ، فنفخ فيها من روحه الشاعرة ، وحشد لها من المعلومات والحقائق ما يصور البيئة والعرف ، ويجلو لنا ذلك العهد العهيد كأننا منه برأى ومسمع ، وما كان صاحبنا من هذا التاريخ امام مادة غزيرة ينهل منها ويعل ، ولكنه خيال نثار وامشاج من معارف وحقائق مستخلصةمن أوراق ونقوش ، لا من مؤلفات وكتب يستطيع المقتبس ان يصول في مطارحها ويجول .

وعلى الرغم من عمد صاحبنا الى بناء قصته على اساس عاطفي يتوهج فيه الحب ، فان القصة قد حفلت ايما حفول بالتصوير الرائع لذلك العصر السالف في نواحيه المختلفة ، من عام وادب وفن ، الى نظم في السياسة ، واوضاع في الادارة والتشريع ، ومن اسرار كهنوتية ، الى ظواهر اجتماعية ، ومنازع انسانية .

وكل أولئك مافتن شاعرنا العربي الكبير « خليل مطران » فبعثه على ان يقول في « بيان » صدرت به ترجمة القصة :

« كنت اذا امعنت في الموضوع الذي اقرؤه ، محيت الحروف من امامي وزالت الصحيفة ، وهبط ستار الماضي ، ورايت « طيبة الاحياء » شامخة القصور ،بجانب « طيبة الاموات » باذخة القبور : هذه تزدحم بالاقدام ، وتتعالى فيها غمغمة الاصوات ، بما لم تشهد مثله الشمس في ذلك الزمان ، ولم تسمع مثله اذن انسان ، وتلك ساكنة نائمة يلقي عليها القمر نوره الوسنان ، فترسل مقابرها الظلال الضخمة الى اقصى ما يحيط به العيان ، هذه تمثل اجتهاد احياء وتنازع الطبقات ، وتلك تمثل سلام الرفات وتآخي الاموات » !

اما مسرح القصة ، فهو عصر « رمسيس الثاني » ، محرر « مصر » من ايدي غاصبيها ، ومؤسس دولة قوية قائمة على التعاون ، بين فرعون الحاكم ، وشعبه المحكوم ، لا كما كانت الدولات قائمة على التواطوء بين الفراعنة ورجال الكهنوت ، يرسمون لهم الخطط ، وينصبون الحبائل ، استنزافا للاقوات ، واستغلالا للطاقات والكفايات ، وتطويعا للناس ان يتنافسوا في الفدائية تحت اقدام اولئك الفراعين الشداد .

قدم لنا الكاتب « بنت أنات » فتاة « رمسيس »وهي تعمل بمعونة حاضنتها على التقرب من الشعب ، وقدم لنا معها « وردة » ابنة الشعب مناضلة في سبيل تخليص ابيها وقومها من اسر أوقعتهم فيه مكايد الكهنة .. وهكذا تحالفت فتاة فرعون وابنة الشعب على كشف الدسائس والمؤامرات التي تدبر للاضرار بالوطن ومناهضة اهليه ... ولا تلبث شخصية الشاعر « بنتاؤور » أن تبرز لتقوم بقسطها في الكفاح والسعي الى الاصلاح . وما كان شاعرنا ليستطيع ذلك دون ان يتاح له صفيء من رجال «الكهنوت» ليطلعه على ما يحاك في الخفاء، تمكينا للمستعمر ، وقلبا لنظام الحكم ... ولا يجد فرعون سبيلا الى التغلب على ذلك الا بان يمنح الشعب من الحقوق مايوفر له كرامته ، وان يطلق له من الحريات ما يكفل به عزته ... وتشترك « وردة » في تخليص الوطن من الدخلاء ، ومن المرائين الذين تتألف منهم حاشية فرعون ، ويموج بهم المعبد، ومن الادعياء

الذين يتخذون من انتحال الحكمة والفلسفة سبيلا الى اشباع المآرب ، وارواء الشهوات ... وينتهى الامر بأن يكافىء فرعون الشاعر «بنتاؤور» فيزوجه فتاته « بنت أنات » ، ويجعله أمينا لدار كتبه ، وقيما لمدرسة يلقن فيها الدين الخالص ... وتتزوج « وردة » أمير البحر « راتوتى » ذلك الذى يصير اليه الملك فى بلاد « الديناميد » ، فاذا هى ملكة يرحب بها الشعب جزاء كفاحها الحق وأياديها البيض » .

والقصة من ناحية النسج الكتابي ثمرة أصالة فنية فى التصوير والتعبير ، سواء فيما يتصل بالمرئيات أو المعنويات ، وفيما يتعلق بالحقائق او الاخيلة ، وفيما يتناول المسائل العقلية والاجتماعية أو ما يتناول مشاعر النفس وسرائر الوجدان .

يرسم لنا الكاتب فى دقة تامة ، زى احدى الشخصيات فيقول :

« وكان لباس « أمينى » ثوبا من التيل ، سابلا الى كاحل القدم ، ناصع البياض ، كثير الثنيات ، عليه وشاح ذو أهداب مرسلة ، محيط بخاصرته ، ومعقود من الامام فى نقطة ينسدل منها طرفاه الى ما يوازى الركبتين ، متدسك الاجزاء بحمائل مزركشة بالذهب ، وكان بعنقه عقد لؤلؤى ، وأحجار كريمة منضودة ، على مثال فرعين متعانقين من سعف النخيل ، وبمعصميه دملجان عريضان من الذهب الابريز ... » .

ويجلو لنا أثر الصحراء فى بعث الشاعرية ، وارهاف العاطفة ، والدعوة الى التأمل ، فيقول على لسان « بنتاؤور » :

« لايسعنى ان انكر ما للصحارى ومد النظر فى الآفاق من حسن التأثير فى نفوس العشاق .. الا يضطرنا السأم من تجانس ظروف الحياة وتماثل احوالها فى كل وقت الى مراجعة النفس فى استطلاع اسرارها وكشف مضمرها ؟ الا نحس آنئذ بمشاعرنا وقد امتد عليها رواق السكون ، وخفقت عليها اعلام الهدوء ، لايساورها شيء من العوامل المحيطة بها ؟ الم يكن هذا الاطمئنان مستفزا للذهن على الايجاد والابتكار ، حاثا للروح المنطوية فى ذاتها على الانفعال بأقل المؤثرات ؟ ان الانسان فى مدائننا الكبرى كالهناة الصغيرة بل كالجزء الذى لايتجزا اذا قيس بالمجموع ، وهو متصل به اتصال اندماج وتلاحم ، وخاضع لما هو له خاضع ، ولكنه متى انفصل عنه ، ملتجئا الى الصحراء ، اصبحت علاقته به منحلة العرى ، مفكوكة الروابط ، اذ يكون وقتئذ خاليا من قيود التضامن بينه وذاته ، فيها يتحسس اسباب الفرح وكل ماتصبو اليه نفسه من خير ... ان العقل ليرى فى البعد عن المجموعات البشرية مجالا للفكر لاتحده عقبة ولا يقوم دونه مانع قاطع ، لانه لاينصرف الا الى المستقبل ... اما الماضى فيتلاشى تجاه ماتترامى اليه الآمال فى آفاق الاستقبال ... » .

وكذلك يمضى القارىء فى صحبة الكاتب ، مؤتنسا بيقظة ذهنه ، ورقة احساسه ، وحسن تصويره .. فاذا اراد ان يسوق له مشهدَ جمعٍ من الاسارى يدفعون بخطاهم في شبه جزيرة سيناء ، الفيناه يقول :

« كانوا يمشون الهوينى ، بادية على وجوههم علامات الكلال والاعياء ، وكانوا يرسفون فيما كبلوا به من القيود ، ينظرون الى الارض مطرقين ، وكان لا يسمع من الاسرى همس بكلمة ، لان عضو الصوت فيهم قد تلاشت قوته كما تلاشت فى قلوب الآخرين عواطف الرحمة والحنان ، أو كما تتلاشى الحشائش الخضراء على الصخور المحرقة الجرداء ... » .

وتزخر القصة فى مضامينها بلفتات بارعة ، ونقدات لاذعة ، وافكار ساخرة ، ومن امثلة ذلك البحث عن العقل : اين مقره ؟ فهو يقول على لسان الاسير الذى شقى بالسير فى الصحراء :

« يقول الكهان ان الذكاء هو القوة المحركة للعالم ، وان الروح خميرة القطعة الطينية المسماة بالانسان ... ولقد

بحثت عن مقر العقل : أفي القلب هو أم في المخ ؟ فذهبت تجاربي وابحاثي ادراج الرياح. اما الآن فقد ايقنت أن مقر العقل في قوة الساعدين ، وصلابة الساقين . ومع انى الآن فى حالة لا تؤذن لى بالتوسع فى هذا الموضوع فقد عولت على ان احترم فى المستقبل ساقي وساعدي كما كنت احترم فى الماضي عقلى وفكرى .. » .

على اننا ، ونحن فى تضاعيف القصة ، ندارج احداثها ، وندامج اشخاصها ونستمع الى ما يخوضون فيه من الاحاديث ، وما يشتركون فى عرضه من الموضوعات ، لا نملك الا ان نلاحظ شيئا جديرا ان نقف عنده وقفة الحيرة والعجب ... ذلك هو اننا لا نكاد نلمح فيما تسفر عنه المساجلات من آراء وأفكار تفاوت بين العقليات فى تلك القرون الاولى والعقليات في العصر الذى نعيش فيه ... ويمكن ان نتجاوز ذلك الى القول بأننا لا نكاد نجد مذاقا خاصا لذلك الطور العتيق من اطوار البشرية فى تناول مشكلات المجتمع وماجريات الحياة ... فهل عز على صاحب « وردة » ان ينسلخ من اهابه ، وان ينطلق من حاضره ، وان يغوص فى اعماق الزمن الذى كان مسرح القصة ، لكى يلتزم خصائصه العقلية ومستوياته الفكرية فيما يدير بين الشخصيات من محاورات حول المسائل والمشكلات ؟ أم تراه لم ير بأسا فى ان يعالج بروح الفلسفة الحديثة ومقوماتها العقلية والوجدانية مسائل العهد القديم ومشكلاته ؟ أم تراه يؤمن بأن الانسان هو الانسان ، من سالف الزمان ، لا بغرائزه وطباعه وحدها ، بل بتفكيره فى تلك المسائل والمشكلات ، وتحليله لها ، واستبطانه لاسرارها ، على سواء بين ماض مديد ، وحاضر جديد ؟

واذا نحن نظرنا الى القصة من زاوية تمثيلها لكفاح الشعب المصرى من اجل عزته وكرامته ، بدت لنا كأنها ترينا ان التاريخ يعيد نفسه ، وكأنما نحن فى يومنا الراهن مازلنا على الطريق ، نمارس اداء رسالتنا القومية الكريمة، محاولين بقيادة الامناء على الرسالة أن نحمى البلاد ممن يشرهون الى اغتصابها واستغلالها ، وان نكون عونا لمن حولنا على صد غارات المستعمرين والمستغلين ، كما صد «رمسيس» أمثال تلك الغارات العدوانية في غوابر السنين ... فالقصة بهذا تحيى لنا عصرا نتتفع بالموازنة بينه وبين عصرنا المشهود ، فان العصرين كليهما يتميزان بما شاع فيهما من نور الحرية ، وما انتقض فيهما من شعور الكرامة ، وما تجلى من الطموح الى نمو وازدهار فى شتى مجالى الحياة .

ومما ظفرت به القصة من توفيق ، أن قيض لها منذ نصف قرن كاتب مصرى من الافذاذ ، تولى نقلها الى العربية، حفيا بها كل الحفاوة ، باذلا فيها من الجهد مايلهج الالسن بأكرم التقدير واجمل التمجيد ذلك هو المرحوم الاستاذ « محمد مسعود » ... وقد عرفناه فى صدر هذا القرن باحثا دءوبا ، ومؤلفا خصبا ، ومحققا دقيقا ، وصاحب قلم سيال يجمع مع الفصاحة والتأنق فى العبارة سلاسة وعذوبة . وحسبك منه انك حين تتصفح ترجمته لهذه القصة ، وهي زهاء ثمانمائة صفحة حافلة ، تؤمن بأنه لم يتهاون فى نسج جملة ، ولا قصر فى انتقاء لفظ ، ولا فرط فى تجلية معنى ... وكل من عانى نقل البيان من لغة الى لغة ، يدرك اى عناء احتمله مترجمنا فى عزم واصرار ، واى عناية التزم بها فى صبر واناة ، حتى اتسق له ان يخرج « وردة » على هذا النسق البديع ، ويزفها في ذلك الثوب الفاخر .

وليس يغض من صنيع « مسعود » في هذه الترجمة انه جنح الى السجع في بعض مادمج منها ، وبخاصة في عنوانات الفصول ، فهي مسجوعة الا ماندر ، وقد كان السجع حلية من حلى الاساليب فى عهد المترجم ، وهو على الرغم من انقياده لبعض هذه التقاليد فيما جرى به قلمه ، يعد فى الحق من اولئك الكتاب الذين أسهموا فى تجديد الاساليب ، وطاوعوا

الروح المصرى فى التخلص من اثقال القيود البلاغية وزخارفها اللفظية التي كانت اظهر ما يتباهى به الكرام الكاتبون ، واولى مايتفاضلون به فى حلبات السبق والابداع .

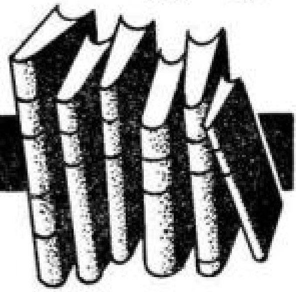
وانى لاجد فى احياء قصة « وردة » بالعمل على اخراجها فى طبعة جديدة ، وفاء لذكريات غزيزة متعددة :

ذكرى تاريخنا المصرى المجيد .

وذكرى العالم الاثرى الالمانى الذى اتصلت روحه بذلك التاريخ اتصال عاشق هيمان .

وذكرى الكاتب المصرى الذى ترجم « وردة » الى لغتنا القومية ، فأسدى الى المكتبة العربية جميلا ، اذ أهدى اليها ذلك الذخر الثمين . ■■

محمود تيمور



مِنَ الكتب التي وصلتنا

تاريخ سوريا السياسي من الانتداب الى الانقلاب

تأليف : غالب عياشي ـ الناشر : مطابع اشقر اخوان / بيروت

● كتاب يتناول تاريخ سوريا السياسي في العصر الحديث ويستهدف البحث في المشاكل الرئيسية التى جابهتها سوريا بعد الحرب العالمية الاولى أي منذ عام ١٩١٨ ـ ١٩٥٤ ، والكتاب يحوى مجموعة لا باس بها من الوثائق والمستمسكات باسماء الوزارات العديدة التى تعاقبت على الحكم في سوريا والاتفاقيات التى عقدت بينها وبين البلدان المختلفة .

المسئولية المدنية للطبيب في الشريعة الاسلامية وفي القانون السورى والمصرى والفرنسي

تأليف : عبد السلام التونجي / حلب

● الكتاب يعالج مسئولية الطبيب في الحدود التى رسمها له القانون والاجتهاد ومقارنتها بالتشريعات القديمة والحديثة في الفقه الفرنسي والسورى والمصرى ، والكتاب يبحث في مسئولية الطبيب تجاه المريض الذى يتولى علاجه والزامه بالتعويض عما الحقه بالمريض من ضرر .

اليهود في القرآن

تأليف : عفيف عبد الفتاح طباره ـ الناشر : دار العلم للملايين / بيروت

● كتاب يعرض لبعض ما ورد في القرآن الكريم من آيات في شان اليهود تصور طبائعهم ونفوسهم أصدق تصوير والكتاب يعرض لليهود كجماعة انحرف اكثرها عن روح الديانة اليهودية التى يؤمن الاسلام بانبيائها كما يؤمن بانبياء الديانات الاخرى وقد أورد المؤلف قصص ثلاثة انبياء هم ابراهيم وموسى ويوسف وعرض لحياة هؤلاء الانبياء وابرز مواطن العظمة في سلوكهم ونهج حياتهم مما يصح أن يتخذ مثالا وقدوة للناس في كافة العصور .

تمـــرد

تأليف خليفة التكبالى ـ الناشر : مطابع وزارة الاعلام والثقافة طرابلس / ليبيا

● قصص قصيرة تعالج المشاكل الاجتماعية التى يعيشها المجتمع الليبي ، فمن هذه القضايا قضية القهر الاجتماعى والضغوط التى تمارسها الاسرة الليبية كذلك يعالج المؤلف في قصة اخرى قضية الزواج والتفاوت بين الزوج والزوجة في السن وكيف ينظر المجتمع للمراة كسلعة تباع لمن يستطيع ان يدفع الاكثر والكتاب بعامة يعرض لمشاكل قطاع كبير من المجتمع والمشاكل التى يتعرض لها .

قادة فتح المغرب العربى

تأليف : محمود شيت خطاب ـ الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر / بيروت

● كتاب يتضمن سيرة القادة الذين فتحوا المغرب العربى أمثال عبد الله بن سعد ابن أبي سرح ، ومعاوية بن حديج ، وعقبة بن نافع ، وموسى بن نصير ، وحالة بلاد المغرب قبيل الفتح الاسلامى لها . وكيف انتشرت اللغة العربية والاسلام في المغرب وما عاناه الفاتحون في سبيل استكمال الفتح .

عزيز علي اللحن الساخر

تأليف : حسن العلوى ـ الناشر : مطبعة العلوى / بغداد

● كتاب يبحث في فن المونولوج كنوع من أنواع الغناء الذى حتمت ظهوره الحاجة الحضارية والاجتماعية وحددت اتجاهاته الظروف الجديدة للانسان العربى في العراق . ثم دراسة مستفيضة عن عزيز علي كأحد رواد هذه الحركة في الغناء ومدى تأثير هذا اللون من الغناء في طبقات الشعب المختلفة .

سطور من الرسالة

تأليف : عادل الصلح ـ الناشر : بيروت ١٩٦٦

● كتاب يروى قصة أول حركة عربية سياسية قامت سنة ١٨٧٧ من أجل استقلال البلاد الشامية وتولية الامير عبد القادر الجزائرى عليها والكتاب يعرض للمراحل التى مرت بها هذه الحركة وأسماء الشخصيات العربية التى شاركت فيها واذا كانت القضية العربية مترامية الاطراف فان حركة ١٨٧٧ التى يؤرخها هذا الكتاب تبرز سطورا من رسالة القومية العربية وتضع على طريق المستقبل بعضا آخر من الضياء .

الكاتب والافكار

تأليف : عبد الله أبو العينين ـ الناشر : دار العلم للملايين

● مجموعة مقالات تتناول شتى أنواع المعرفة فمنها ما يتناول آراء المؤلف في كيفية اختيار ما نقرأ والطريقة المثلى للكتابة ثم آراء أخرى في العمل والحرية والنقد البناء .

العراق في الشعر العربى والمهجرى

تأليف : الدكتور محسن جمال الدين ـ الناشر : مطبعة الارشاد / بغداد

● كتاب يتضمن نتاج عديد من شعراء العروبة من كافة دول العالم العربى والمهجر وشعرهم في العراق ووصفهم لبلاد الرافدين ووصف عظمة وامجاد بغداد وذكر لآثار العراق في الكوفة والبصرة والموصل .

اغنية الميلاد

تأليف : خالد زغبية ـ الناشر : اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب في وزارة الاعلام والثقافة ليبيا

● مقطوعات شعرية مختلفة .

عقيدتنا

تأليف : عبد الغنى شكر الشمرى ـ الناشر : منشورات مكتبة التربية فيالنجف الاشرف/العراق

● يعرض هذا الكتاب لعقيدة التوحيد فى صورة مبسطة ، ومحاولة لاعطاء صورة واضحة المعالم لأهم المذاهب المادية القديمة والمعاصرة ، مع تقييم هذه المذاهب ومناقشتها بصورة منطقية تأتى على أصول المذهب المادى أصلا بعد أصل .

الحياة السياسية في اسرائيل

تأليف : رفيق حبيب مطلق ـ الناشر : منظمة التحرير الفلسطينية / بيروت

● كتاب يبحث في واقع الحياة السياسية في اسرائيل ويعرض لأسماء أعضاء الوزارات الخمس عشرة التى تشكلت في اسرائيل منذ قيامها ثم عرض مقتضب لحياة اثنين وخمسين سياسيا في اسرائيل ، وعرض آخر للنواحى الرئيسية لمبادىء الاحزاب السياسية البارزة في اسرائيل .

تونس وقضية فلسطين

كتاب الدولة للاخبار والارشاد / تونس

● كتاب يتناول قضية فلسطين من وجهة نظر تونس ورئيسها الحبيب بورقيبة والكتاب مجموعة خطب وتصريحات وندوات صحفية القاها الحبيب بورقيبة في أماكن متفرقة وفي أزمان متباعدة .

فلسفة اللغة العربية

تأليف : الدكتور عثمان أمين ـ الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة / القاهره

● كتاب يبحث في اللغة العربية وفلسفتها ووظائف هذه اللغة من الناحية الثقافية والاجتماعية وقد رد المؤلف في كتابه على مزاعم المستشرقين الذين يحاولون انقاص هذه اللغة حقها ثم ابراز خصائص اللغة العربية ومقوماتها .

أشواق وآهات

تأليف : ابراهيم خليل العلاف ـ الناشر : مطبعة الامام / القاهرة

● مقطوعات شعرية متفرقة تتناول اغراضا شتى من الموضوعات في الوصف والاخلاق والانسان والشاعر ينهج في قصائده على النهج العربي القديم الى جانب مقدمة مستفيضة عن مسالة التجديد في الشعر والشعر الحر .

بغداديات

تأليف : عزيز جاسم الحجية ـ الناشر : مديرية الفنون والثقافة الشعبية في وزارة الثقافة والارشاد / بغداد

● كتاب يصور الحياة الاجتماعية والعادات البغدادية خلال مائة عام ، والكتاب حافل بما اندثر من العادات وما رسخ منها حتى اليوم ، مثل عادات الزواج والولادة والختان ، الى جانب الاكلات البغدادية وبعض العقائد البغدادية وجانب من حياتهم اليومية .

أحاديث في الادب

تأليف : خليل ابراهيم الفزيع
الناشر : مطابع النضال / دمشق

● مجموعة مقالات أدبية تتناول بعض القضايا الادبية المعاصرة وطريقة علاجها وهذه الاحاديث تتصل اتصالا مباشرا بأدبنا المعاصر ودوره في خدمة القضايا العربية . وقد تعرض المؤلف كذلك الى بعض الانواع الادبية مثل قضية العامية والفصحى في المسرحية وقضية القصة والاقصوصة وقضية المذاهب الحديثة في الادب مثل الرومانسية والواقعية .

الفيلسوف والعلم

تأليف : جون كيميس ـ ترجمة الدكتور أمين الشريف ـ الناشر : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر / بيروت

● كتاب يحاول المؤلف فيه أن يجيب على الاسئلة التى لا يود العلم أن يجيب عليها أولا يستطيع أن يجيب عليها ، والكتاب بمثابة مدخل لدراسة فلسفة العلوم وقد بدأ الكتاب بالبحث في المسائل التى يستلزم العلم وجودها ثم بحث في العلم نفسه وعرض لبعض المشاكل التى تنبثق من العلم نفسه .

دليل التشريعات الكويتية

(١٩٥٤ ـ ١٩٦٥) وضع / عرفان سلوم المحامي
الناشر : المطبعة المصرية ـ الكويت

● يتضمن هذا الدليل جميع النصوص التشريعية الصادرة في الكويت والمنشورة في الجريدة الرسمية « الكويت اليوم » والنصوص التشريعية مبوبة ومرتبة حسب المواضيع وقد أورد تحت كل موضوع جميع النصوص التشريعية المتعلقة به .

القواعد العملية في حساب البيتون المسلح ـ النظام الفرنسي

تأليف : فارس عيسى ـ الناشر : مطبعة الاصيل حلب / سوريا

● كتاب يشرح القواعد المعينة لحسابات البيتون المسلح وفق النظام الفرنسي ويختص بالابنية المدنية والصناعية وهذه القواعد اداة عمل ضرورية لكل مكاتب الدراسات في الهندسة المدنية والمعمارية وتمتاز بسهولة تناولها وتطبيقها وسرعة أجوبتها المقبولة عمليا .

مسائل محلولة في الجدران الاستنادية

تأليف : فارس عيسى : الناشر : مطبعة الاصيل حلب / سوريا

● كتاب يبحث في مجموعة من التمارين المحلولة في بحث الجدران الاستنادية مع المقارنة بين مختلف أنواع التصميمات لانتقاء الحل المفضل اقتصاديا وفنيا .

أنتَ تَسْأَلُ .. وَنَحْنُ نُجيب

الاسطول السادس الامريكي ، ما حجمه ، وما هى قوته ؟

● قرأنا في الصحف المحلية تقارير متضاربةعن الاسطول السادس الامريكي . فمن تلك التقارير ما أكد تفوق ذلك الاسطول على قطع الاسطول الروسي التى ابحرت الى البحر المتوسط قبيل حربنا المقدسة ضد اسرائيل ، ومنها ما جزم بتفوق مجموعة هذه السفن الروسية على ذلك الاسطول .. نرجو أن تحدثونا عن هذا الموضوع في باب انت تسأل .. ونحن نجيب ، ولكم الشكر .

ب . خ / الكويت .

ـ لا ريب في أن الاسطول السادس هو الاقوى . ويتجلى تفوقه الكبير ، من حيث القوة ، على الاسطول الروسي ، او بالحرى على قطع ذلك الاسطول التى حشدت في شرق البحر المتوسط قبيل الازمة واثناءها ، في النقاط التالية :

١ ـ عدد السفن : يشمل الاسطول السادس نحوا من خمسين سفينة حربية في حين لم يزد عدد قطع الاسطول الروسي التي ذكرنا على العشر .

حقا ذكرت بعض الاذاعات ووكالات الانباء ان عدد تلك القطع خمس عشرة سفينة أو عشرون . على أن الثابت ، حسب تأكيد مجلة الايكونومست المعروفة (٣ يونيه ١٩٦٧) ، هو ان الاذن بعبور مضايق البسفور والدردنيل لم يطلب من تركيا الا لعشر سفن روسية ، وان العبور الفعلي لتلك المضايق لم يتسن الا لبارجة واحدة وبضع مدمرات وغواصات . وسواء اعتمدنا هذه التقارير ام تلك التي تناقلتها بعض الاذاعات ووكالات الانباء فان تفوق الاسطول السادس في كلتا الحالتين واقع وكاسح بلا ريب . ذلك ان عدد سفنه يساوى نحو ثلاثة اضعاف عدد السفن الروسية التى ذكرنا اذا اخذنا بتقارير الاذاعات والوكالات ولكن هذه الزيادة تصبح (٥) أضعاف في حالة الاخذ بارقام مجلة الايكونومست .

٢ ـ الرجال والعتاد : وتمضي المجلة البريطانية المذكورة في مقارنتها فتذكر ان عدد افراد القوة الضاربة في الاسطول الروسي هذا لا يزيد على ٢٠٠٠ رجل في حين ان عدد افراد القوة الضاربة في الاسطول السادس الامريكي لايقل عن ٢٥٠٠٠ رجل ، منهم الثلث تقريبا لايقومون باعمال عسكرية صرفه ، ومنهم العشر تقريبا ايضا ، من مشاة البحرية المدربين تدريبا فائقا يشمل فيما يشمل اعمال النزول الى الشواطىء واحتلالها .

فضلا عن ذلك فان الاسطول السادس يضم بين قطعه ثلاث غواصات تسير بالطاقة الذرية ومجهزة بصواريخ من نوع بولاريس Polaris ، ومدرعتين مجهزتين بصواريخ تطلق من سطحهما الى الجو . هذا بالاضافة الى الطائرات وحاملاتها الملحقة بهذا الاسطول ، ولا يقل عددها عن ٢٠٠ طائرة .

ومع أن سلاح البحرية الروسي يشمل مجموعة لا يستهان بها من الغواصات المجهزة بالصواريخ ، الا ان اكثر هذه الغواصات موجودة في مياه بحر

ما دور المدعو تشومبى

● ما هى قصة تشومبى ، وما هو الدور الذى قام به في التآمر على حرية بلاده ؟

عبد الله احمد / الاردن

ـ تشومبى سياسي متمرد فاشل تآمر على حرية بلاده بعد أن حصلت الكونغو على استقلالها عن الحكم البلجيكى في عام ١٩٦٠ . فهو الذى تزعم حركة العصيان والتمرد هادفا الى الانفصال في اقليم كاتانجا ، أغنى أقاليم الكونغو ، ضد الحكومة المركزية برئاسة الزعيم الكونغولى الراحل

البلطيق لا يغادرها. وهذا يعنى أن عددا قليلا منها، لعله اثنان أو ثلاثة، يوجد في مياه البحر الاسود والبحر المتوسط. ولا شيء غير ذلك في هذا الصدد حسبما تذهب اليه مجلة الايكونومست.

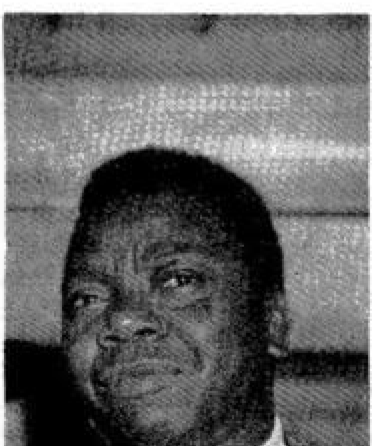
٣ ـ التكامل: ولعل ابرز ما يتصف به الاسطول السادس هذا هو تكامله. فهو مكون من ثلاث مجموعات من السفن والرجال. احداها القوة الضاربة Task Force 60، والثانية قوة الخدمات TF 63، وتضم فيما تضم ناقلات النفط والورش العائمة، أى السفن المعدة لأعمال الاصلاح، والمستودعات العائمة أيضا، وهى السفن المحملة بما يلزم من أكل وعتاد. أما القوة الثالثة TF 66 فهى قوة خاصة مضادة للغواصات وتلحق بالاسطول السادس في الأزمات.

وتجدر الاشارة ان حاملة الطائرات الامريكية Intrepid، وهى العاملة في منطقة البحر الأحمر، قد ألحقت بالاسطول السادس قبيل نشوب حرب يونيو الاخيرة.

ويصدق ذلك أيضا على سفينة المخابرات أو التجسس المسماة (ليبرتى Liberty) أى الحرية. فهى احدى السفن العديدة الملحقة بوكالة الأمن القومى الامريكية NSA، وقد رست قبيل نشوب حرب يونيو الاخيرة على مقربة من شواطىء شبه جزيرة سيناء. والجدير بالذكر ان البيت الابيض حريص كل الحرص على اخفاء حقيقة المهمة التى قامت بها سفينة (ليبرتى) هذه في حرب حزيران المذكورة. وتقول مجلة نيوز ويك الامريكية في هذا الصدد: « كانت سفينة التجسس (ليبرتى) حافلة (لأعلى أذنيها) بادق الاجهزة الالكترونية وأرهف الهوائيات Antennas حساسة. اما مهمتها فكانت (باجتهاد المجلة) تحديد مواقع الرادار وقواعد الصواريخ في الجمهورية العربية المتحدة. هذا فضلا عن التقاط الاشارات اللاسلكية التى تصل بين القيادة وجبهة القتال. ولما كانت هذه الاتصالات اللاسلكية تتم كلها على الموجة القصيرة وبذبذبات قصيرة أيضا، كان لابد لسفينة (ليبرتى) من أن تكون قاب قوسين أو أدنى من شواطىء شبه جزيرة سيناء، اذا هى أرادت القيام بمهمتها على أكمل وجه ».

ى. ز.

الذى سرقوه في الهواء ؟



باتريس لومومبا، أول رئيس وزارة شرعى للكونغو المستقل.

وتشومبى هو الذى دعا القوات البلجيكية وغيرها من قوات المرتزقة الى النزول في كاتانجا لمعاونته في قتاله ضد قوات الجيش الكونغولى الوطنى.

وهو الذى كان يدعو دائما الى انفصال اقليم كاتانجا عن الكونغو لمدة ثلاث سنوات سبقت، قبل أن تتدخل قوات الأمم المتحدة لتعيد الاقليم المتمرد الى الخضوع للحكومة المركزية بعد معارك

البقية على الصفحة التالية

دامية انتهت بمصرع همرشولد السكرتير العام السابق للامم المتحدة في عام ١٩٦٣ .

وتشومبى هو الذى اشترك في قتل لومومبا في عام ١٩٦٢ ، فقد لقى الزعيم الوطنى حتفه بايدى قوات تشومبى في مكان ما بالقرب من مدينة اليزابيث فيل عاصمة كاتانجا .

وقد هرب تشومبى الى المنفى في عام ١٩٦٣ بعد عودة كاتانجا الى البلد الام والغاء الانفصال ليعود الى الكونغو مرة اخرى في العام الذى يليه ، ولكن لا كسياسي متمرد وانما كرئيس لوزراء حكومة الكونغو المركزية وسط دهشة شعوب افريقيا كلها وحكوماتها .

فقد نجح تشومبى خلال وجوده في المنفى في ان يحصل على تأييد الدول الغربية التى تستغل موارد الكونغو الطبيعية ، ووقفت هذه الدول بجانبه وساندته الى أن تمكنت من أن تجعل منه منافسا خطيرا لادولا رئيس الوزراء في ذلك الوقت من عام ١٩٦٤ .

وجاء تشومبى الى الكونغو ليراس الوزارة ، وبقى في الحكم عامين ، الى ان اقاله كازافوبو ، اول رئيس جمهورية للكونغو بعد الاستقلال ، واسند كازافوبو الوزارة الجديدة الى كيمبا الذى كان احد وزراء تشومبى بحكومة كاتانجا قبل انتهاء انفصالها .

ومرة أخرى خرج تشومبى من البلاد ليعيش في المنفى في اسبانيا ، وحوكم السياسي المتمرد غيابيا بتهمة الخيانة وصدر عليه الحكم بالاعدام .

وفي الشهر الماضي عندما كان تشومبى يستعد للعودة الى الكونغو مرة أخرى بمعاونة المرتزقة من الاوروبيين ، قام برحلة بالطائرة من جزيرة ابيزا Ibiza في البحر المتوسط الى بالما بجزيرة مايوركا التابعة لأسبانيا ، عندما أرغم احد الركاب قائد الطائرة على تغيير وجهته تحت تهديد السلاح ، وهبطت الطائرة في الجزائر حيث اعتقل تشومبى ومن معه من أفراد الوفد المرافق له ووضعوا جميعا تحت الحراسة في انتظار مصيرهم المظلم .

(م. ن)

اينشتين لا يؤيد

● هل صحيح أن العالم الراحل البرت اينشتين Albert Einstein كان يهوديا ومؤيدا للصهيونية كما أشارت الى ذلك بعض الصحف الأجنبية مؤخرا ؟!

حامد .. / الكويت

ــ لا يا أخ حامد .. فهذا العالم لم يكن ابدا من انصار الصهيونية السياسية أو مؤيدا لها . وهو لم يختلف عن معظم المفكرين الآخرين في ادانة الصهيونية أو انتقادها رغم كون الدين الذى نشأ عليه هو الدين اليهودي .

ففى الصفحة (٢٦٣) من مذكراته

هكذا عرف العالم الصحافة لاول

● في أى عهد عرف العالم الصحافة والصحف ؟

وفي اى بلد ظهرت اول صحيفة في العالم ، وفي أى تاريخ صدرت ؟

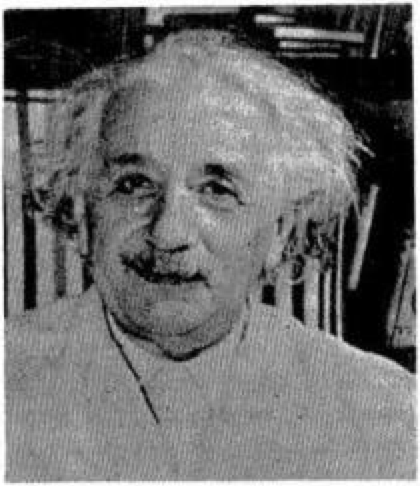
ومتى عرفت الصحافة طريقها الى العالم العربى ؟ وما هو اسم أول جريدة صدرت فيه ؟

بنغازى/صالح الدميرى

ــ ليس من السهل تعيين التاريخ الحقيقى لصدور أول صحيفة في العالم ، ولا متى عرف العالم الصحافة لأول مرة ، وان كان بعض المؤرخين يزعم ان اول جريدة صدرت في العالم هى جريدة « كين بان » الصينية ، التى صدرت في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد ، كما يزعم أنها ما تزال تصدر الى الآن !!

وهناك من يقول ان أول جريدة صدرت في اوربا هى تلك التى اصدرها يوليوس قيصر عقب توليه

الصهيونية بل يدينها



Out of My Later Years.

يقول اينشتين : « ان الآفة القاتلة في زمننا الحاضر انما هي القومية المتطرفة النابعة دوما من مشاعر البغضاء والكراهية العمياء » .. واضاف الى ذلك قوله : « واني لأوثر التفاهم بين العرب واليهود ، والتعايش السلمي بينهما ، على أية دولة يهودية يسعى الصهاينة الى خلقها ... ! فالديانة اليهودية كما أفهمها تتنافي وقيام الدولة اليهودية . والذى أخشاه هو الانحلال الداخلى الذى سيحل باليهودية نتيجة للروح القومية الضيقة التى ستظهر وتتفشى في الدولة اليهودية اذا هى خرجت الى حيّز الوجود » .

ي . ز .

مرة ... أولَيات الصحف فى الوطن العربى كانت : استعمارية !

السلطة عام ٥٨ قبل الميلاد ، وكانت تدعى « Acta populi » أى سجل أخبار الشعب ، وكانت صحيفة رسمية ، ولكنها مع ذلك كانت تصدر بصورة رديئة لا تمت الى صحافة اليوم بسبب .

ومن المؤرخين من يرجّح أن الصحافة لم تعرَف قبل القرن السابع عشر الميلادى ، وان اول صحيفة رات النور هى صحيفة «ستراسبورج ريليشن » التى كانت تصدر أسبوعيا ، وكان أول صدورها عام ١٦٠٩ في مدينة ستراسبورج بالمانيا.

وبعد ذلك بسنوات صدرت جريدة أخرى في فرانكفورت ، ثم أعقبتها ثالثة في بلجيكا .

وفي عام ١٦٣١ صدرت في فرنسا جريدة « لاجازيت » وقد جعلها صاحبها في خدمة الملك لويس الرابع عشر .

وفي تلك الفترة نفسها صدرت أول صحيفة في انجلترا ، ولكنها لم تعمّر طويلا بسبب الصرامة التى كانت مفروضة على الصحفيين ، وخاصة من ملوك آل ستيوارت ، والتى ظلت الى عام ١٦٤١ ، حيث أمر شارل الاول بالغائها ،واستردت الصحافة الانجليزية حريتها فترة من الزمن لم تطل ،بسبب نقدها للملكية احيانا وللكنيسة احيانا ،ولاجترائها على البرلمان كما يزعمون .. ولم تعرف الصحافة الانجليزية حريتها بعد ذلك الا في عهد الملكة آن .

وعاصرت الصحافة الايطالية الأولى زميلتيها في انجلترا وفرنسا ، وكذلك فعلت اسبانيا ، اذ ظهرت فيها أول صحيفة عام ١٦٦٠ باسم «جازيته دى مدريد » .

وبعد ذلك التاريخ بنحو نصف قرن صدرت اول صحيفة في امريكا ، وهى « بوستون نيوز لِتر » عام ١٧٠٤ .

لكن هذه الصحف كلها كانت صحفا محلية ، لا تكاد تتجاوز دائرتها المدن التى تصدر فيها

والمناطق المجاورة لها ، ولم تكن المواصلات السلكية واللاسلكية ـ بل ولا السكك الحديدية ـ عُرفت بعد،ولذا كانت تلك الصحف تنشر اخبارا قديمة مرّ على وقوعها عام أو أكثر ، حتى انه عندما صدرت احدى الصحف الامريكية الجديدة آنذاك ، كانت تفخر بانها تنشر اخبارا لم يمض عليها أكثر من خمسة شهور !!

وفي منتصف القرن الثامن عشر بدأ التنافس في الحصول على الاخبار العالمية ، فكان اصحاب الصحف ـ يستخدمون الزوارق لاستقبال السفن في عرض البحر والوقوف من ركابها على ما يكون لديهم من أخبار بلادهم . ومنهم من يجند بعض القوافل التي تجوب المناطق المجاورة او تذهب الى العواصم على ظهور الخيل لتعود بما تقف عليه من اخبار .. واخيرا لجأ بعضهم الى استخدام الحمام الزاجل .

اما الوطن العربي فلم يكن له عهد بالصحافة قبل عام ١٨٠٠ عندما أصدر نابليون في مصر صحيفتين باللغة الفرنسية ، كانتا لسان حال الاستعمار الفرنسي آنذاك .. ولعل اول صحيفة عربية صدرت في الوطن العربي هي « الوقائع المصرية » التي صدرت عام ١٨٢٨ .

وقد جاء في « تاريخ الصحافة » أن أوليات الصحف التي صدرت في الوطن العربي هي بحسب ترتيب صدورها :

في الجزائر أصدر الاستعمار الفرنسي أول صحيفة عربية عام ١٨٤٧ .

وكانت « حديقة الاخبار » أول صحيفة عربية تصدر في لبنان عام ١٨٥٨ .

وفي عام ١٨٦٠ صدرت في تونس جريدة «الرائد التونسي » .

وأصدر الوالي التركي في سوريا اول صحيفة عام ١٨٦٥ ، باللغتين التركية والعربية .

وفي ليبيا أصدر الوالي التركي كذلك صحيفة « طرابلس الغرب » عام ١٨٦٦ باللغتين التركية والعربية أيضا .

وفي العراق أصدر الوالي التركي صحيفة « الزوراء » عام ١٨٦٩ . وكانت هي الأخرى تصدر بالتركية والعربية .

وفي اليمن أصدر الوالي التركي جريدة رسمية، باللغتين التركية والعربية أيضا عام ١٨٧٩ .

وكانت « الغازيته » أول صحيفة تصدر في السودان عام ١٨٩٩ .

اما الاردن فلم يعرف الصحافة الا بظهور «صوت الحق» عام ١٩٢٠ .

وظاهر من هذه البيانات أن أوليات الصحف التي ظهرت في الوطن العربي انما كان يُصدرها الاستعمار الفرنسي او التركي أو الانجليزي ، كل في القطر او الاقطار التي كانت في منطقة نفوذه . وقد اختفت كل هذه الصحف الاستعمارية ، وحلت محلها صحافة وطنية جعلت هدفها الاول التخلص من الاستعمار والحصول على الحرية والاستقلال .

ع. ك.

البلشفية والشيوعية ...

● ما هو المقصود بلفظ بلشفية ولفظ «منشفيه» وما هو الأصل الذى تفرعت عنه هاتان الكلمتان ؟

حسين ـ الكويت

ـ البلشفيه Bolshevism لفظة روسية ذات معنى أصلى ، ومفهوم شائع يختلف عنه . أما مفهومها الشائع ، وهو الذى طمس معناها الأصلى او كاد ، فهو ما تعنيه كلمة شيوعية Communism تماما . اى أن البلشفية تعنى ، من حيث مفهومها الشائع ، مجموعة العقائد والمبادىء والنظم التى نادى بها كارل ماركس Karl Marx (١٨١٨–١٨٨٣) واتباعه ، والتى قامت من أجلها ثورة ١٩١٧ في روسيا . ولا يخفى أن تلك الثورة العنيفة قد تكللت بالنجاح ، وأدت بالتالى الى وضع تلك العقائد والنظم الشيوعية موضع التنفيذ ، في روسيا طبعا ، للمرة الاولى في التاريخ . وقد لمع اسم لنين Lenin (١٨٧٠ ـ ١٩٢٤) في تلك

هل هما مترادفتان ؟

الفترة . اذ لم يكن فقط الرئيس الاول للدولة الشيوعية الروسية الجديدة ولكنه كان ايضا الزعيم الذى قاد تلك الثورة الشيوعية العارمة التى سبقت قيام تلك الدولة .

ولو عدنا القهقرى قليلا ورجعنا الى مطلع هذا القرن العشرين لالتقينا بلنين هذا وعثرنا على الملابسات التى أكسبت كلمة بلشفيه مفهومها الشائع ، وادت الى توارى معناها الاصلى ، كما ذكرنا . اذ أن كلمة بلشفيه لم تكن تؤدى قبل سنة ١٩٠٣ الا معناها اللغوى الأصلى وهو « الاكثرية » . على أن السنة المذكورة شهدت في لندن ، لا في روسيا ، مؤتمرا عقده الحزب الديمقراطى الاجتماعى الروسي Russian Social Democratic Party ، وقد كان لنين احد أعضائه البارزين . أما موضوع البحث والنقاش في ذلك المؤتمر فكان تحديد موقف ذلك الحزب من التطرف والاعتدال .

غير أن المؤتمر لم ينته الى اجماع ، بل انقسم على نفسه ، ونادت الاكثرية Bolshiviki من أعضائه بالتطرف ودعت الاقلية Monshiviki من اولئك الاعضاء الى الاعتدال .

ولو علمنا أن لنين كان على راس تلك «الاكثرية» التى اختارت لنفسها سبيل التطرف والثورة ، وذكرنا انه هو نفسه الذى قاد الثورة الشيوعية عام ١٩١٧، لاتضح لنا كيف أصبحت كلمة بلشفية تعنى التطرف واصبحت مرادفة فيما بعد لكلمة شيوعية .

وتجدر الاشارة الى أن كلمة المنشفيه قد اكتسبت ايضا وبالمقابل معنى الاعتدال . الا ان مفهومها المكتسب هذا ليس شائعا شيوعَ مفهوم لفظ بلشفيه .

ى . ز .

لماذا سمى البحر الأحمر بهذا الاسم ؟

● هل كان البحر الاحمر يحمل اسما آخر قبل تسميته بهذا الاسم ؟ وما السبب في تسميته بالاحمر ؟ .. وكم يبلغ طوله وعرضه وعمقه ؟

مرزوق الجعيشي العتيبى ــ الرياض
كلية الطيران

ــ نعم كان البحر الاحمر يحمل قديما اسم القُلْزُم ، بالضم ثم السكون ثم الضم ، نسبة الى مدينة « القُلْزُم » القديمة على ارض مصر .. وهى مدينة السويس حاليا . اما سبب تسميته بالبحر الأحمر فتقول الموسوعة البريطانية ان سببها وجود أعشاب وطحالب بحرية ملونة تطفو حرة على سطح مياهه ، واثناء الغروب تنعكس أضواء الشمس على هذه الأعشاب فتعطى تأثيرا أحمر للمياه .

ويقول آخرون ان سببها وجود سلاسل الجبال عند ساحله على الجانب المصرى ، حمراء داكنة اللون تلقى بظلالها حمراء في البحر ..

وطول البحر الاحمر ١٢٠٠ ميل .. وعرضه ٢٥٠ ميلا في الجزء الجنوبى تتقلص الى ١٣٠ في الجزء الشمالى .. واعظم عمق له هو ٢٢٠٠ متر عند خط عرض ٢٢ شمالا تنخفض الى ١٠٠٠ متر عند مدخل خليج السويس ، وبعدها يصبح عمق البحر ٨٠ مترا . ■■

س. ز



المطلوب

عن صحيفة الهدف البيروتية :

● يتعين علينا الآن ، وبعد أن انجلى الموقف أن نتوقف كالرجال لنتأمل فيما حدث ، ونتوقف لنستجلي الطريق ونعتبر بالنتائج ، لقد خسرنا المعركة .. لنعترف ، هكذا برجولة .. لكن علينا أن نعمل لكي نربح الحرب ..

ان حربنا مع اسرائيل لانهاية لها .

واول ما ينبغي ادراكه بعد الاختبار ، هو أن نعرف جيدا بأن قواتنا وحدها ووحدها تماما ، هي سلاحنا ، ثم بعد هذا تأتي الاشياء الهامة الرئيسية ، التي تتلخص في أن نملك الجرأة لتحديد موقفنا بوضوح ، والتقدم منها بوضوح ، ثم علينا أن نعرف عدونا جيدا . أن معرفة العدو ضرورية لكل معركة غايتها النجاح،علينا مثلا ولنقل ذلك بصراحة ان نعرف بأن اليهودى الذى حاربناه يملك عقيدة حربية ويملك ايضا قضية ، وان تكن قضيته قذرة وباطلة ، لكنها لديه ، قضية يقاتل من اجلها بشراسة .

واذن فلنكن منذ الآن شعبا محاربا ، ولتكن قضيتنا أشد وضوحا ، ولتكن قضية كل واحد منا يؤمن بها كايمانه بالدين ، وينبغي أن نتعلم الحرب مع الصلاة ، وأن يكون الموت هو حليفنا الاكبر ، وان نتعلم ايضا فن الخديعة والمكر وان نتعلم الغدر كذلك ..

حينما نصبح هكذا نربح العرب ، وحينما نصبح هكذا لا نسمح لاحد ان يلغ في دمائنا ، ولا نسمح لانفسنا بالتسكع على أبواب مجلس الامن وسواه .

المواجهة

من صحيفة الجمهورية القاهرية : من قلم محمدعودة

● ليس للثوار ما يواجهون به النكسات الاالمزيد من الثورة ، وليس للثوار ما يقهرون به أعصب الاوقات الا دفع خطي الثورة . والطريقالثورى يعني المواجهة الصريحة والقاسية لاسباب النكسة ، والاستقصاء العميق لاصولها وجذورها .

لابد لنا الآن وفي شجاعة وموضوعية صارمة ،من ان نبحث عن هذه الثغرات وان نجدها ونجتثها . فلاشك انه اصبح قولا مرفوضا ان تخفيعيوبنا . فقد أثبتت الاحداث والصدمات ان أعداءنا يعرفون عنا أكثر مما نتصور ، بل وأثبتتانهم يستغلون تغاضينا وتجاهلنا للعيوب والاخطاء في الحاق الهزائم بنا .

ولاشك ان أصدقاءنا سوف يعجبون بجرأتناونزاهتنا ، اذا ما واجهنا ضعفنا بمثل القوة والصراحة التي كنا نعلن ونزهو بها عن منجزاتنا ،ولا شك كذلك ان أعداءنا سوف يقلقون اذا ما رأونا ندرك تماما نقائصنا ، وأننا لا نهرب منها ،وانما نستجمع كل قوانا وعملنا للخلاص منها .

ان ما حدث لنا ليس شيئا غريبا في تاريخالشعوب ، فقد احتلت جيوش النازية باريس ، ووقفت على أبواب موسكو ودمرت لندن ، وماحدث لنا هو أيضا نكسة سطحية لم تحطم روح الامة أو ارادتها ، ولم تقض على الايمان الذىنعيش به ، وانما سرقت أرضا وسفكت دماء .

من تجارب الشعوب

من صحيفة البعث السورية :

● ان اية معركة ، لاى شعب من الشعوب لم تنته في يوم او يومين ، ولم تحسم في معركة او معركتين ، وان التفوق في سلاح من الاسلحة ، لم يتحكم في النتيجة النهائية ، لان النتيجة النهائية كانت تقررها وتتحكم فيها دائما وابدا طاقة الكفاح المتعاظمة من الشعب ، التي تعوض كل خسارة ، وتحدث كل تطور مطلوب .

ان اليوغسلافيين تعرضت بلادهم في الحرب العالمية الثانية للاعتداء ، ولكن الحرب الشعبية التي انفجرت في كل بقعة هزمت العدو ، ومزقت قواه . وان شعبنا العربي في الجزائر طور هذا الاسلوب واغناه ، واحال ادعاءات الاستعماريين في ربع الساعة الاخيرة للحرب ، الى ربع الساعة الاخيرة للنصر الجزائري .

ان الخسارة والربح في المعارك لم تتقرر في يوم من الايام ببعض من الارض ، بل قررتها وتقررها الادارة المتفوقة على الاحداث ، والشخصية المستعصية على نزعات الضعف ، والسلوك المؤمن بوحدة الهدف ، والثبات ضد العدو .

ان جميع التجارب لجميع الشعوب تؤكد ان اشد الاسلحة مضاء ونفاذا ضد العدو في اية مرحلة من المراحل هو مناعة الوعي السياسي ، ومنافسة الكيان النفسي ، وقداسة الشعور الوطني ، لان هذه الاسلحة هي التي تحقق التفوق على العدو وتسدد اليه والى حلفائه الضربة النهائية .

مائة مليون مدفع

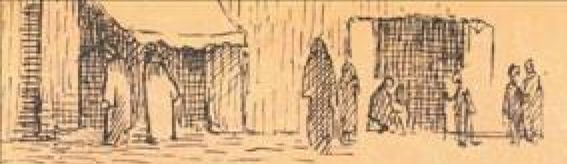
من صحيفة الطليعة الكويتية :

● ان النصر لا يأتي الا من خلقه في نفوسنا ، أولا ، وايماننا به ايمانا مطلقا ، ثم تصميمنا عليه وجعله مطلب حياتنا اخيرا . والنصر لا يأتي الا من مساهمة الجميع ، كل حسب طاقته وامكاناته . لقد فشلت معركتنا العسكرية لاننا لم نسهم بها جميعا ، ولأن الكثير منا كان عليهم واجب ولم يؤدوه . كان علينا ان نلبس الاخضر ، ونحمل الرشاش جميعا نساء ورجالا ، ولكننا لم نفعل .

انه غباء واى غباء ان لانستعمل كل الاسلحة التي في ايدينا .. ومن ابسطها مقاطعة البضائع الانجليزية والامريكية ، الى وقف البترول الذي لا تستغني عنه اوربا لحظة من الزمان ... ان البترول سلاح يملكه العرب دون غيرهم ويجب أن نحسن استعماله ليخدم قضية العرب .. ان خطر استعماله لا يقل عن التهديد بالقاء القنبلة الذرية على أوربا .

اما عن المقاطعة فهي ستفوت ربحا تأخذه أوربا وأمريكا يقدر بمئات الملايين من الدولارات . اننا نخون قضيتنا العربية أن لم نشهر هذين السلاحين في وجه الاستعمار ... انها خيانة ان نهادن ونتذلل لمشجعي استعمال قنابل النابالم .

اننا نستطيع ان نعيش دون بترول ، ودون بضائع انجليزية وأمريكية ، وقد عشنا سنوات دونهما ، ولكن كيف نعيش دون كرامة .. كيف يواجه الانسان العربي الشعوب الاخرى ؟! اننا لانزال في المعركة وسنكون بها دائما ما دامت اسرائيل في ارضنا .



أُمُّ صَالِح

قصة بقلم : عبد الله محمد أحمد

■ هى فتاة تنكرت لأنوثتها ، فخلعت ثياب النساء ، وتزيت بالجلباب والعمامة ، وجلست عند فم الحارة « بمشنة الفجل » ووعـاء « الفول النابت » .

اسمها حسَنية .. لم عرفها أهل الحارة باسم « أم صالح »، كانت حسنية مرهوبة الجانب من جميع أهل الحى ، خاصة اولئك الذين شهدوا لها معاركها الطاحنة ! أو سمعوها « تردح » بلسان سليط !

كانت في الثلاثين من عمرها تتمتع بحظ من الجمال لم يلحظه أحد ، والفضل في ذلك ـ ليس في ذلك فضل ـ الى قناع الصرامة الذى كست وجهها به ، فاكسبته خشونة ابتلعت جماله ، كما ابتلع الاهمال بعضه الآخر ...

والحقيقة انها لم تكن تأنس لأى من الجنسين، كما لم يكن أى من الجنسين يأنس اليها وذلك باستثناء الشيخ جابر مأذون الحى وشيخ الزاوية الذى كثيرا ما حلا له أن يجذب أحد المقاعد فيجعله الى جوارها ، ويجلس يتحدث معها في امور شتى ، حتى ينتقل الحديث الى أمر من امور الدين . وكانت معلوماتها من هذا الوجه سطحية للغاية ، ولكنها كانت تستمع اليه بشغف يدرك منه الشيخ جابر أن وراء هذا الوجه الصارم يختفى قلب رقيق ..

وقد ينتقل الحديث اليها فيسألها الشيخ جابر .

ـ لماذا لا تفكرين في الزواج ؟

وتسهم عند ذلك ساعة من الوقت .. فاذا عاود السؤال ضحكت قائلة .

ـ هل قلت زبائنك يا عم الشيخ جابر ؟!

فيبتسم وهو يقول .

ـ أنا مستعد ان اكتب « كتابك » من غير رسوم وبدون أجر .. اسمعى .. لدى زوج ابن حلال .. والزواج عصمة يا بنتي .

ـ أنا اعرف أحمى نفسي .. لكنى لا أستطيع ان أعيش مع رجل .

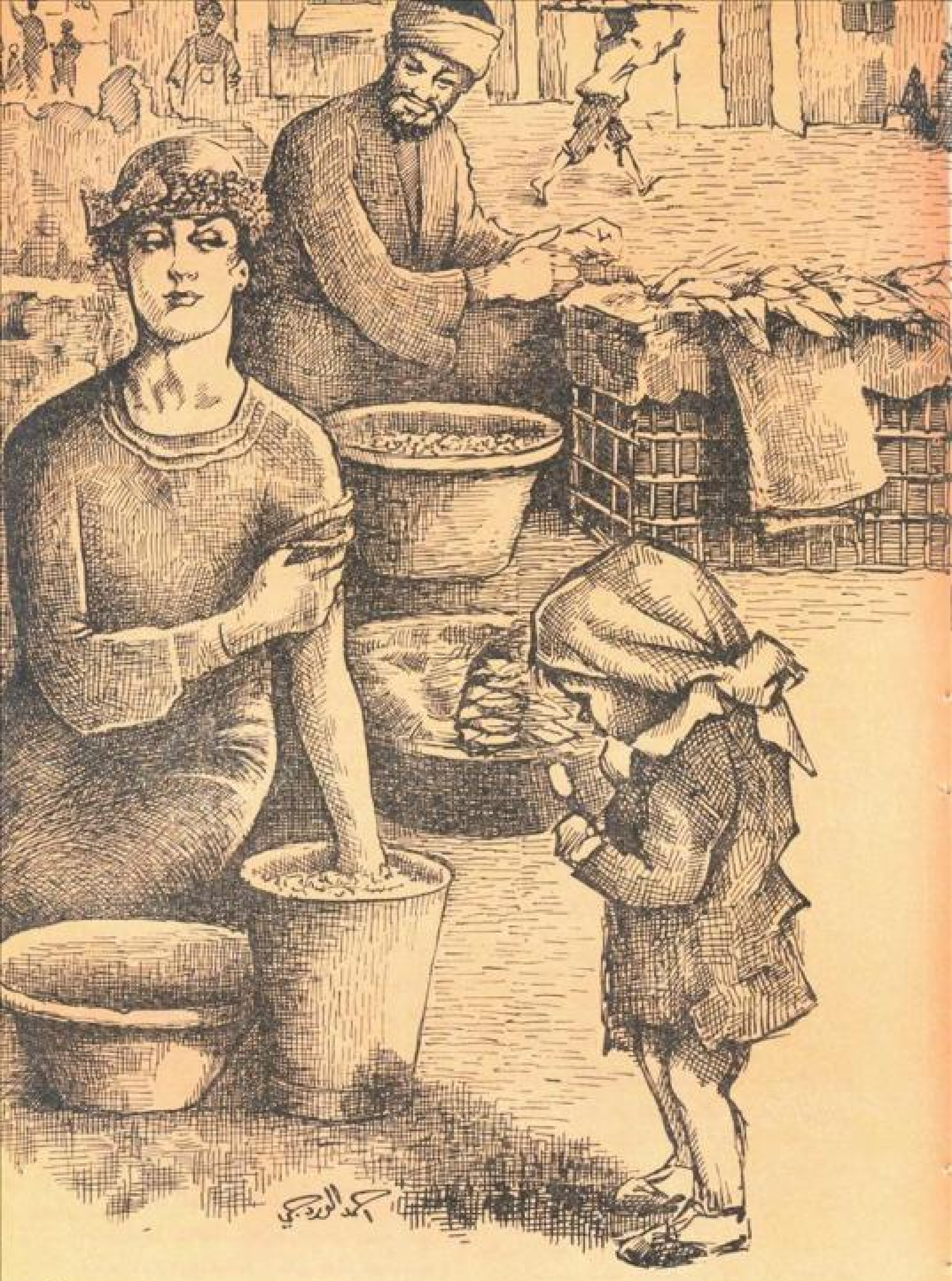
واذا سألها عن السبب قالت .

ـ انت رجل طيب يا عم جابر .

ولم تزد .. فاذا الح اطبقت فمها ، وسهت بعينيها ، ولاذت بصمت

ويستسلم الشيخ جابر لليأس فيمكث قليلا ثم يحييها وينصرف تاركا اياها غارقة في التفكير .. ولا أحد يدرى فيم عساها تفكر ..

.. كانت حسنية صبية لم تتفتح بعد للحياة عندما هاجمها حيوان آدمى .. ولم يتمكن منها بفضل أسنانها الحادة ، وأظفارها التى أدمت



بها وجهه .. ولم تستسلم له ، ولكنها لم تسلم ايضا ، خاصة وانها لم تكن قد تهيأت بعد لتجارب الحياة ، فخلفت الحادثة في أعماقها آثارا بعيدة الغور، فنفرت من الرجال، ونفرت من ضعف أنوثتها،واتحد النفوران فتكونت لديها عقدة عميقة الجذور..ومن ثم تخلقت لها تلك الشخصية التي لا هي الى النساء ، ولا هي الى الرجال !

.. وعند ما بلغت حسنية ريعانها وأينعت .. تكاتفت اسرتها عليها لتتزوج .. وأبت في جنون .. ولكنها تحت الضغط والالحاح رضخت ..

وفي ليلة الزفاف تمثل لها في شخص الزوج المنكود الحظ ـ ذلك الحيوان الذى هاجمها .. لم يكن هو بعينه .. ولكنه بدا لعينيها كأنه هو !

.. ولولا أن الزوج آثر السلامة ليلتها وفضل النجاة بجلده لانقلب الفرح بحق الى مأتم ..

وتندَّر أهل الحى بما حدث زمنا ولكن اهلها لم يثنئوا المحاولة معها ، فقد تدخل عقلاء القوم ، وآمن الجميع أنها ليست من دنيا النساء فخلئوا سبيلها،وما عادوا يخشون عليها ما يُخشَى على النساء ، فاستقلت بحياتها كاملة الحرية ـ خاصة بعد أن خلعت ثياب النساء وتزيت بالجلباب والعمامة ..

ومضت الحياة بحسنية على نسق واحد ، ومن طول ما عاملت الرجال بتحفظ ـ وعوملت به من جانبهم ـ نسيت ونسوا أنها تمت الى جنس النساء بصلة ..

ولم تزل حياتها على هذه الوتيرة الواحدة لا يشغلها شيء ، ولا تعرف لها من وراء الحياة هدفا حتى كان صبح أحد الايام ..

كان هذا الصباح بمثابة نقطة التحول في حياة حسنية .. بدأت تستهل فيه عملها المعتاد فغيرت ماء « الفول النابت » ، وأخذت تغسل «الفجل» ، وتنظف رؤوسه البيضاء ،، ثم تحزمه في مجموعات .. وبينما هى منهمكة في عملها هذا اذ ابصرت امامها طفلا لم يتخلص من الحبو والقماط الا منذ شهور قليلة وهو واقف عن كثب يبكى ، ويعصر بظاهر يمناه احدى عينيه ..

واغفلت شأنه ، فلم يكن في نظرها غير طفل عنيد يملأ اليوم الارض بكاء ، ثم ينقلب في الغد الى حيوان ضار !

.. ولكنها لم تصبر طويلا ، فلم تلبث أن طرحت برأس « فجلة » اليه وهي تصرخ .

ـ امش يا ولد من هنا ..

ولم يمش الولد .. بل لم يكن من شأن عملها هذا أن يجعله يهدأ فأمعن في صراخه ، وكان لا بد لها من أن تصنع شيئا لتقف هذا الصراخ المزعج ، فاقتربت منه ، وقالت تسأله .

ـ ابن من أنت يا ولد ؟

ولم يجبها بغير البكاء .

ـ أسكت يا ولد .

واستمر الصراخ المزعج .. ثم سمعت من يشير عليها قائلا .

ـ اشترى له .. « مصاصة » وهو يسكت .

فصرخت في القائل .

ـ خذه « واذهب » من هنا .

ولكن الرجل ترك المكان معتذرا بأنه مشغول ، وان حياته ملأى بأمثال هذه المصائب الصغيرة ..

.. وأخيرا اشترت حسنية المصاصة ، وانقطع فور ذلك البكاء ، فلم تملك الا أن تصرخ في دهشة .

ـ يا ابن الملاعين ! .. كل هذا من أجل « المصاصة » ! طيب امش من هنا .

وارتعشت شفتا الصغير ، وهم أن يستأنف البكاء .. وانهزمت حسنية مرة أخرى فأخذت تلاطفه مرغمة حتى هدأ .. ولم تجد بدا من أن

تجلسه بجانبها حتى تجد له صاحبا .. وبعد برهة سألته .

ـ ابن من أنت يا ولد ؟

وتأتأ الطفل في طهر وبراءة .

ـ ابن « بابا » .

وأثارتها الاجابة الساذجة فتمتمت من بين أسنانها .

ـ يلعن ..

ولكنها امسكت خشية أن يفتح حلقه بالصراخ الذى لا يجيد غيره .. وتبسمت في غيظ عندما مد يده بقطعة « المصاصة » الى فمها يعرض عليها أن تشاركه اياها !

وتذرعت بالصبر الجميل .. ولكن النهار انتصف دون أن يحضر أحد ليسأل عن الطفل .. واضطرت أن تحضر طعاما مناسبا لغداء الضيف الصغير ، ثم اضطرت ساعة الاصيل ان تشترى له « مصاصة » أخرى .

وغابت الشمس ولم يحضر أحد ، فعرضته على بعض أهل المروءة بالحى ، ولكنه أبى ان يتركها .. وهنا أسقط في يدى حسنية ..

.. وأوت به في المساء الى غرفتها الحقيرة الملاصقة لفرن المعلم مدبولي ، وقد آمنت بأن الاقدار ألقت في طريقها بهذا الطفل العنيد لأمر يراد !

وسألت الطفل عن اسمه ، وأخذت تردد معه (صاحى .. صفيح .. صفاح) حتى استطاعت ان تترجم اسمه الى صالح .. وابتهجت بهذه النتيجة ، ولكنها عندما سألته عن اسم أبيه كادت تنشق غيظا اذ عاد يؤكد ان اسمه « بابا »!! ولم يتزحزح عن هذه الاجابة رغم كل الحاح !

ومضت حسنية تعد فراشا في ركن الغرفة لصالح .. وكانت الطامة الكبرى أنها لاحظت بللا في ثيابه !.. ولم يكن في حسبانها انه سيحتاج الى عناية خاصة من هذه الناحية .. وأسقط في يدها مرة أخرى ، وحارت ماذا تصنع ؟!.. وأخيرا .. خلعت عنه الثياب المبتلة في تأفف واشمئزاز ، واستبدلتها بخرقة جافة حزمته بها كما تحزم « الفجل » ، بينما كان يبتسم لها في طفولة حبيبة ، فتنظر اليه شذرا وهي تدمدم .

ـ أيعجبك الحال ؟.. يا ابن الملاعين .. أتضحك على نفسك ؟..

ومضت تلعن آباءه وجدوده ، ولم يفلت من عديد شتائمها بقية عشيرته !

ولكن مشاكل صالح لم تقف عند هذا الحد ، فقد أبى بعناد أن ينام في فراشه وحيدا ! ، فما كادت تضع جنبها لتنام حتى سعى اليها كما يسعى الهر في ليالى البرد الى الدفء .

وهبت جالسة .. وفي لهجة جافة أمرته ان يذهب الى الفراش المعد له .. وارتعشت شفتا الطفل ، واستهل البكاء .

وضاقت حسنية ذرعا بهذا المخلوق الصغير الذى يملأ الدنيا صراخا وعويلا ويفرض عليها ارادته ! وعبثا حاولت أن ترضيه ..

واجتذبته من يده ساخطة ، فلاذ بأحضانها كما يلوذ الفرخ بجناح امه ..

وذهلت حسنية وهى تشعر في قلبها بدبيب عاطفة غريبة ! ومد الصغير يده المثلجة فدسها في صدرها الدافىء ، ثم انكمش في أحضانها .. ولاول مرة تاملت تقاطيع وجهه الدقيقة البريئة ..

وبعد قليل ، كان صالح يغط في نوم هادىء .. ولا تدرى حسنية كيف مستها أنامل ساحرة فاطلقت مشاعرها الحبيسة ، وتفتحت في قلبها دواعي الامومة ، فطوقته بذراعيها وهي ذاهلة ، ثم اسندت خدها الى رأسه الصغير ..

وما تدرى كيف نامت جالسة حتى الصباح .. ولكنها استيقظت وقد ترك صالح طابعا عميق الاثر على أحضانها .. وآخر في قلبها لا يمحى !

وكان اول شيء فعلته في الصباح انها غسلت

ثيابه التى خلعتها عنه مساء .. فعلت ذلك فى غير تافف ولا اشمئزاز !

ولم تتعجل البحث عن أهل الصغير .. ومضت تسوّف فى ذلك وترجئه حتى انقضى النهار ويد صالح لا تخلو من المصاصة ..

واوت فى الليل الى غرفتها وقلبها تتالق فيه عاطفة الامومة بنبلها الرفيع .. لقد جعلتها هذه العاطفة الغريبة على قلبها تشعر ان لحياتها قيمة، وانها اصبحت ذات معنى .. لم تعد خاوية ـ ولم تكن رحاب الارض تملاها فملاها طفل صغير!..ولكم كان بدنها يرتجف كلما تذكرت ان صالحا وشيك العودة الى اهله .. وتجلى جزعها فى اليوم التالى عندما سمعت مناديا يسال « أولاد الحلال عن طفل تائه » .. ولم تكن أوصاف الطفل التى يرددها تنطبق على صالح فى شيء ، ولكنها حملته وفرت الى غرفتها واغلقت من دونها الباب حتى فارق المنادى الحى باكمله .. وعند ذلك فقط خرجت به .. الا أنها كانت ما تفتا تغطى رأسه بطرف جلبابها كلما اقترب من مكانهما غريب .. وانتقلت عدوى ذلك الى صالح نفسه ! فكان يخفى راسه فى جلبابها كالنعامة كلما شاهد أحدا يقترب !

وحارت حسنية كيف تجيب من يسالها عن صالح من أهل الحارة ! ولكنها قالت لهم انه ابن قريب لها .. واطمانت عندما ناداها الجميع « بام صالح » .. وكانت تضم صالحا الى صدرها مليئا كلما ناداها بلفظ « ماما » وهى لا تدرى كيف تهب لها هذه الكلمة الصغيرة كل هذا القدر من السعادة ..

حقا ، لقد هدأ بال حسنية ، وسكنت هواجسها ، وبلغ بها السرور منتهاه ... عندما عرفت بأم صالح .. ولكن ذلك لم يطل ، فما لبثت الحارة أن شهدت لها معركة حامية مع زوجة « الفران » سال فيها الدم من انف الاخيرة لأن صالحا عاد اليها يشكو ابن « الفران » الذى خطف المصاصة من يده .. ثم لم يلبث أثر هذه الحادثة أن زال بعد أن شاهدها أهل الحى وهى تتبدل شيئا فشيئا .. فقد سقط قناع الصرامة عن وجهها ، وحلت محله مسحة من الرقة أخذت تفيض وتزداد يوما بعد يوم .

وفى صباح أحد الايام طوحت أم صالح بالعمامة بعيدا فى نفور ومقت بعد أن سمعت أهل الحى يدعوتها « بأبى صالح » !

حقا .. لقد كانت تحمل لصالح حب الام والاب معا .. ولكنها ودت أن تكون الامومة هى أبرز أوصافها ..

ولم تتردد بعد أيام أخرى فى أن تتخلى عن الجلباب ، وتستبدله بثوب نسائي عليه طابع الحشمة ، ولكنه على أى حال أثبت لمن فى الحارة ـ ولأول مرة ـ أن لها نهدين !

وتندر أهل الحارة على هذا التحول ، وابتهج له البعض .. وكان أشدهم ابتهاجا هو الشيخ جابر مأذون الحى وشيخ الزاوية الذى تجدد لديه الامل فى اقناعها بالزواج .. ولكنه عند المحاولة وجدها تضطرب وتعاودها همومها الغامضة ، فكف عنها خشية أن تعود الى حالها القديم ..

ومضت الحياة بأم صالح هادئة هانئة حتى كان ظهر يوم ذهبت تعد فيه طعام الغداء لها وللصغير، وعادت فاذا بها تجده فى أحضان رجل غريب عن الحى كان يلثم وجهه ويبكى .. وسمعت صالحا يهتف بها فى فرح ساذج .

ـ هو ذا « بابا يا ماما » .

وكانت صدمة كادت تطيح بعقلها ..

وتنازعها احساسان متناقضان . الاول احساس المعتدى ، والثانى احساس المعتدى عليه !

وتجمع عليهم أفراد من أهل الحارة منهم الشيخ جابر الذى حسم الموقف عندما أكد لحسنية فى ما بينه وبينها أنها لا تستطيع أن تمنع الطفل عن أبيه .. وكان ذلك بمثابة خنجر يغمد فى قلبها ..

ولكم بكت ، وبكى صالح .. ولكن بغير فائدة..

وعادت حسنية الىفراغ حياتها القاتل..وبدأت تقضي النهار ذاهلة .. وفي الليل تروى وسادتها بالدموع ..

لقد غير صالح شخصيتها القديمة التى كانت تواجه بها الحياة .. وابتهجت وقتها بذلك التغيير .. ولكنها وقد فقدت صالحا الآن ، ما عادت تستسيغ طعما للحياة .. بل ما عادت تعرف تواجهها ..

وقضت أياما فارغة الفؤاد .. ثم مستها يد الرحمة اذ حضر اليها صالح ذات صباح مع ابيه الذى أكد لها أن الصغير لم ينقطع عن البكاء منذ أخذه من عندها ..

.. وأمضي صالح معها معظم النهار وهو لا يكاد يفارق أحضانها .. ولا تكاد تفارق يده (المصاصة) حتى عاد ابوه من العمل ..

وفي اليوم الثانى جاء به .. ولكنه عندما رجع هذه المرة آخر النهار ، لم يترك المكان سريعا كما فعل في اليوم الاول ، بل مكث معها ، وأخذ يسرد جانبا من حياته ..

عرفت ان اسمه حسن ، وانه أرمل توفيت زوجته بعد أن وضعت صالحا بقليل .. وكانت ملامحه تنطق بالرجولة .. وكان ينظر اليها في طيبة وخجل .

ومضى يشرح لها في اسهاب كيف انه ناجح في عمله ، وانه رئيس الوردية الاولى بالمصنع الذى يعمل فيه ، وكيف ان له مكانته ومهابته في قلوب رؤسائه ومرؤوسيه على السواء .. وكيف ..

وغابت الشمس وهما في حديث متصل .. وكانت حسنية تجد في قلبها متعة غريبة لذلك !

وفي اليوم التالى اغتسلت حسنية ، وعرف المشط طريقه الى شعرها !.. وجلست تنتظر « الاسطى » حسن ومعه صالح .. ولكن النهار انتصف فبدأ القلق يدب في قلبها ..

وبينما هى كذلك اذ رأت الاسطى حسن وهو يقبل عليها في حلة أنيقة .. ولكن صالحا لم يكن معه ! وفي ارتباك وحياء مد اليها يده بلفافة ، فسألته .

ــ ما هذا ؟!

وأجابها في صوت خفيض يغلب عليه الحياء .

ــ شيء من الحلوى بركة سيدنا الحسين .. كل سنة وانت طيبة .

ــ وانت طيب .. أين صالح ؟

ــ في البيت .

ــ لماذا لم يأت معك ؟! اريد أن أراه ..

واختنق صوتها بغصة عند المقطع الاخير فقال بلهفة .

ــ تستطيعين الذهاب اليه .

فنظرت اليه في استنكار .. ولكنه تابع ، خالى الذهن سليم النية .

ــ وتعيشين معه .. ألا تفهمين .. لو تقبلين الزواج منى ..

لأمر ما .. ولأول مرة .. خفق قلب حسنية ، واطرقت في حياء .

ــ لو أقبل ان ..

وصمتت قليلا فقد عاد قلبها يخفق .

ــ من أجل صالح ؟!

وأطرق حسن هذه المرة .

ــ من أجل صالح .. ومن أجلي أيضا ..

فرددت ونبرة صوتها تفضح ما يعتلج في قلبها من سرور .

ــ ومن أجلك أيضا ..

وكم كانت دهشة الشيخ جابر وابتهاجه حين طرقت امرأة الفران بابه بعد قليل وقالت له .

ــ يا شيخ جابر .. تعال حالا اكتب كتاب أم صالح . ■■

عبد الله محمد أحمد

طرائف عربية

قيد نفسه حتى حفظ القرآن

● وفد غالب بن صعصعة على علي ابن ابي طالب ومعه ابنه الفرزدق ، فقال له : من انت ؟ قال غالب بن صعصعه . قال : ذو الابل الكثيرة ، قال : نعم . قال : فما فعلت بابلك ؟ قال : اذهبتها النوائب ، وزعزعتها الحقوق . قال : ذلك خير سبلها . ثم قال له : يا اباالاخطل ـ وهو أخو الفرزدق غير الأخطل غياث بن غوث ـ ، من هذا الذى معك ؟ قال : ابني وهو شاعر . قال : علمه القرآن فهو خير له من الشعر . فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه ، وآلى على نفسه ان لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن ، فحفظه في سنة وفي ذلك قال :

وما صب رجلى في حديد مجاشع　　　مع القيد الا حاجة لى اريدها

مطارحة لاذعة

● دخل شريك بن الأعور على معاوية، وكان دميما ، فقال له معاوية : انك لدميم والجميل خير من الدميم ، وانك لشريك ، وما لله من شريك ، وان أباك لأعور ، والصحيح خير من الاعور ، فكيف سدت قومك ؟ فقال : انك معاوية وما معاوية الا كلبة عوت ، وانك لابن صخر ، والسهل خير من الصخر ، وانك لابن حرب ، والسلم خير من الحرب ، وانك لابن امية وما امية الا امة صغرت ، فكيف صرت أمير المؤمنين ، ثم خرج وهو يقول :

ايشتمنى معاوية بن حرب
وسيفى صارم ومعى لسانى
وحولى من ذوى يزن ليوث
ضراغمة تهش الى الطعان

ويؤثرون على أنفسهم

● قيل ان عمر بن الخطاب صر اربعمائة دينار وقال لغلامه : اذهب بها الى ابى عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها ، فتوجه الغلام الى بيت أبى عبيدة وقال له : يقول لك امير المؤمنين عمر : اجعل هذه في بعض حوائجك ، فقال : وصله الله ورحمه وأسبغ عليه النعم ، ثم دعا بجاريته وقال لها : اذهبى بهذه السبعة

● سبعة لا ينبغي لصاحب لب أن يشاورهم ، جاهل ، وعدو ، وحسود ، ومراء ، وجبان ، وبخيل ، وذو هوى . فان الجاهل يضل ، والعدو يريد الهلاك ، والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائي واقف مع رضا الناس ، والجبان من رايه الهرب ، والبخيل حريص على جمع المال ، فلا راى له في غيره . وذو الهوى اسير هواه ، فلا يقدر على مخالفته .

خشبة ودراهم كل يوم

● قيل ان شاعرا قصد معن بن زائدة، فأقام مدة يريد الدخول اليه ، فلم يتهيأ له ذلك ، فلما اعياه ذلك قال لبعض خدمه اذا دخل الامير البستان فعر ّفني. فلما دخل معن البستان عرفه الخادم عنه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة والقاها في الماء الداخل الى البستان، واتفق ان معنا كان جالسا في ذلك الوقت على منبع الماء فمرت به فاخذها فاذا فيها كتابة فقراها وهي :

أيا جود ً معن ٍ ناج ِ معنا بحاجتي ... فمالي الى معـن سـواك شفيـع

فسأل عن صاحب هـذا البيت ، فد ُعِيَ الرجل ، فقال له كيف قلت ؟ فأنشد البيت، فامر له بمائة الف درهم، فأخذها واخذ الأمير الخشبة فوضعها تحت بساط ، فلما كان اليوم الثاني قراها ودعا بالرجل فدفع له مائة الف درهم على العادة ، ثم دعاه ثالث مـرة فقرا البيت ودفع مائة الف اخرى . فلما اخذ الجائزة الثالثة خشي الشاعر ان يندم فيأخذ منه ما دفع اليه ، فلما كان في اليوم الرابع طلبه فلم يجده ، فقال معن لو مكث لاعطيته حتى لا يبقى درهم ولا دينار .

لم كنيتني أمام خصمي ؟

● ادعى رجل على علي عند عمر بن الخطاب ، وعلي جالس فالتفت عمر اليه وقال : يا أبا الحسن ، قم واجلس مع خصمك ، فتناظرا . وانصرف الرجل الى شانه ورجع علي الى مجلسـه ، ولاحظ عمر تغيرا في وجه علي فقال : يا أبا الحسن ما لي أراك متغيرا ؟ أكرهت ما كان ؟ قال : نعم يا ابن الخطاب . فقال عمـر : وما ذاك ؟ قال : كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت قم يا علي فاجلس مع خصمك ؟ فأخذ عمر براس علي فقبله بين عينيه ، ثم قال : بأبي انتم ، بكم هدانا الله وبكم اخرجنا من الظلمات الى النور .

ولو كان بهم خصاصة

الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان، حتى انفذها . فرجع الغلام الى عمر واخبره فوجده قد عد مثلها لمعاذ بن جبل ،وقال له : انطلق بها الى معاذ بن جبل وانظر ما يكون من امره ، فمضي اليه وقال له كما قال لأبي عبيدة ففعل معاذ كما فعل ابو عبيدة ورجع الغلام الى عمر وحدثه بما راى ، فقال عمر : انهم اخوة بعضهم من بعض .

بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

صورة الغلاف

● كالعادة في بداية كل شهر يتطلع فؤادى وتسير قدماى بخفة ورشاقة مندفعا بكل قواى نحو المكتبة لأحجز مكانا وسط الزحام الشديد للحصول على الصديق الصالح والرفيق الناصح ، مجلتنا الفتية ، ونجمتنا اللامعة فما ان التقطت العدد ١٠٢ بعد اجهاد وتصبب عرق حتى وجدتني ابحلق وامعن النظر فيما أرى بين يدى محققا في صورة الغلاف ، فقد تعودت أن أرى صورة فتاة حسناء بينما أمام ناظرى الآن ما هو اقدس واجل! أجل انه كتاب مفتوح على مصراعيه امامه شمعة تبدد موجات الظلام وتجلوها . حقا ان « العربى » كتاب ثقافي يصقل العقول ويشحذ الهمم ويجدد النشاط ويبعث النشوة فى النفوس ، فقد كان لهذا التغير المفاجىء بعد مرور مئة شهر وشهر ، كل شهر حسناء او مثنى أو ثلاث ورباع . والآن حقا كان هذا الاختيار لصورة الغلاف مؤثرا جذابا من حيث الرونق ومن حيث عمق المعنى الذى يحمله هذا الغلاف . والآن وقد طالت بنا الرحلة بعد قراءة مجلة العرب الاولى «العربى» من الغلاف حتى الغلاف . اتقدم بدورى بالشكر العظيم والتقدير الكبير للهيئة المشرفة على تحريرها وكل من يساهم في اعدادها واخراجها الى حيز الوجود فبعد مئة شهر وشهر ، أرجو أن تصل الف شهر وشهر وتعمر أطول والى مواكب المجد في صفوف العظماء سر أيها « العربى » والله يحرسك بالعناية الالهية وكن تاجا على رؤوس الاشهاد تحلق في الآفاق بعيدا بعيدا ومنى أجمل المنى .

مظهر جميل علاونه
طيبة بنى علوان ـ اربد
الاردن

العربي

العدد ١٠٦
٢٦ جمادى الأول ١٣٨٧
سبتمبر
(أيلول) ١٩٦٧



الزوجات المصريات عون للأزواج في بناء مدينة المستقبل

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٣ر٥	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم
العراق	١٢٠	فلسا	ج.ع.م.	١٠	قروش	المغرب	٢	درهم



صبى فلاح

للفنان العالمى موريليو
(١٦٤٦ م)

عزيزى القارىء

● تسالنى لا شك عن الاحوال الجارية .

واجيب على الفور ، فاقول لا ادرى ..

ولست وحدى الذى لا يدرى . كل من أعرف لا يدرى . والصحف العربية التى اقرأ لا تدرى . وزائرون يأتوننا من شتى بلاد العرب لا يدرون .

العلم كله عند الزعماء والرؤساء .

والخير فى هذه الفترة الحرجة أن يكون العلم كله عند الزعماء والرؤساء .

ولكن لا بد من تسجيل ذلك .

لا بد من تسجيل أن الشعب العربى ما زال يأذن للزعماء والرؤساء أن يحملوا التبعة وحدهم ، ما دام هذا فى خير الأمة .

وكل ما ترجوه الامة من الله أن يهدى الرؤساء والزعماء .

المحرر

١٩٦٧/٨/٢٠

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصوره :

لغات وآداب :

طب وعلوم :

اسلاميات :

ركن الاسرة والمرأة :

فن حياة :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 106 September 1967 P.O.B.748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٣٩٤١١ ــ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● زوجة أحد المهندسين الشبان الذين يعملون في بناء السد العالي بأسوان ، ان المرأة العربية تقوم اليوم بدور كبير في تطوير مدينة المستقبل .

(راجع الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣ر٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣ر٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



بريد القراء

حول تأخر صدور ((العربى))

● كنت واحدا من بين آلاف الشباب العربى ،نعد الأيام في انتظار وصول مجلتنا الحبيبة«العربى» .. وتأخر ظهورها فاصابنا الجزع خوفا من أن يكون سبب التأخير هو التوقف عن الصدور . ثم وصلت « العربى » أخيرا ، ولشد ما أعجبنا حرصكم على اطلاع قرائها على مشاكلهم القومية وفقا لما يمليه عليكم الواجب نحو الامة العربية .

ولقد جاء العدد الاخير بشرح مفصل للنكسة التى أصابت الأمة العربية ومسببات ونتائج تلك النكسة في جميع مجالاتها . لقد قدمتم للقراء صورا تقشعر لها الابدان من ضحايا العدوان الاستعمارى الكبير ، وجرائم الصهيونية وفظائعها في الحرب الاخيرة التي شنتها العصابات الاسرائيلية ضد المئة مليون عربى المطالبين بحقهم ، مستصرخين الضمائر الحية والعدالة الانسانية . ألف شكر منى ومن آلاف القراء للقيمين على اعداد مجلتنا الحبيبة .

انور تويهض / لبنان

رئيس التحرير

● كثيرا ما أقرأ في كتب الهلال ، والمختار وغيرها مقالات جيدة ثم أجد الامضاء باسم الدكتور أحمد زكى ، فهل هو نفسه رئيس تحرير مجلة العربى ؟

ورجائى أن تكتبوا لنا في العدد القادم تحليلا كاملا عن مراحل حياة وتعليم هذا الكاتب والمفكر الفذ ، وفي أى البلاد تلقى تعليمه وما هى الشهادة التى حصل عليها ؟ مع نشر بعض الصور له لو امكن ، ولكم عظيم شكرى وتقديرى .

م. عثمان احمد محمد الزين
السودان ــ الخرطوم

« العربى » : هو هو . وسوف نكتب عنه ان شاء الله في الوقت المناسب . فقد كثر السؤال .

● الى مجلة كل عربى حر ، الى مجلة كل مناضل ثائر .. الى مجلة « العربى » أبعث بهذا الخطاب مستفسرا عن طول انقطاعها عنا في وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى كلمة حق ترفع من معنوياتنا وتشعرنا أننا ما زلنا أقوياء قادرين على مواجهة الصعاب رغم النكسة ورغم المؤامرات التى يحيكها الاستعمار الامريكى الجديد مع عميلته وربيبته اسرائيل .

نحن الآن على أبواب شهر اغسطس، ولم يصلنا بعد عدد (يوليو) ، فهل هذا وقت التأخير ، وهل يجدر بكم أن تقطعوا عنا هذا الغذاء العقلى الثمين في وقت نحن في حاجة اليه أكثر من أى وقت مضى. أرجو الا تضيعوا علينا هـذا العدد ، فتتركوا مكتبتنا ، وقد خلت من احدى حلقاتها المتناسقة المترابطة .

عمر حسن الايوبى / لبنان

« العربى » : وصل « العربى » وستصل الاعداد المقبلة في مواعيدها باذن الله .

طبيب الأسرة

● انني أطالع مجلتكم « العربي » ومشترك بها منذ عام ١٩٦٥ ، ويعجبني فيها (الطب المصور ، وطبيب الاسرة) وخصوصا التعليمات الطبية بامراض القلب ، واقسامه وفروعه ، والحالات المرضية التى تطرأ على أمراض القلب التى وردت في الاعداد السابقة من « العربى » .

انني مصاب بمرض القلب منذ تشرين الاول من عام ١٩٦٥ وللآن لم أحصل على نتيجة .

لكن اصابتى يقال انها روماتيزم في القلب ، وهناك من قال انها (ضيق في الصمام الاكليكى) ، فترجو ان امكن نشر بعض الارشادات في مجلتكم العربية عن امراض (الروماتيزم) في القلب ، عسى أن أستفيد منها أنا وغيرى من المصابين بهذا الداء العضال .

محمد جراب / حلب

أخطـــاء

● أكتب لكم رسالتى هذه معقبا على أمر بسيط للغاية وهو أن المطرب المذكور اسمه في باب اعرف وطنك عن المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية هو طارق عبد الحليم وليس عبد الكريم .

سليم حامد علي ـ جدة السعودية

● قرأت في العدد رقم « ١٠١ » من مجلة العربى تحت عنوان « تولستوى ما زال حيا » ان « الاخوة كارامازوف » من بين المؤلفات التى وضعها هذا الكاتب الروسي ، الشهير ، ولكن الواقع أن هذه القصة للكاتب الروسي الشهير دستويفسكي .

عبد الكريم الدريس ـ سوريا

« العربى » مجللا بالسواد

● أخيرا وصل « العربى » الينا متأخرا عن موعده كثيرا بالنظر الى الظروف التى أحاطت بالعالم العربى أخيرا .

جاءنا « العربى » حزينا متشحا بالسواد ، عاكسا لمشاعر كل عربى اليوم وغدا وحتى يأتى يوم الثأر . لقد حز في قلوبنا جميعا صور ضحايا قنابل النابالم في الاردن الشقيق وفي سوريا الشقيقة والله نسأله سبحانه وتعالى ان يرفع البلاء عنا ، وأن يهدينا من أمرنا رشدا . لقد أعجبتنا « عزيزى القارئ » ، ولا نقول الا كما قلت في ختامها ، « ولله الامر من قبل ومن بعد » والله خير الناصرين .

توفيق بازرعة/ ج.ع.م.

جامعة الكويت

● لقد تحدثتم في العدد ٩٨ من مجلة «العربى» عن افتتاح جامعة الكويت . ونرجو أن تقدم لنا « العربى » شيئا عن نظام هذه الجامعة الوليدة وأقسامها . ولكم من جميع الطلاب العرب أصدق تحية وأجمل شكر .

عدنان أبو صالح / جامعة دمشق

● لقد بدأت جامعة الكويت سنتها الاولى ، فكم عدد الطلبة والطالبات الذين دخلوا الجامعة ، وكم عدد الكتب التى تحتويها مكتبة الجامعة .

نادر محمود حسن / الكويت

● ما هي الكليات التى تتألف منها جامعة الكويت ، وما هو مقدار الرسوم الجامعية ، وهل هناك منح دراسية للطلاب العرب . وأخيرا ما مستوى الجهاز التعليمى فيها ، وهل هو في مستوى أجهزة التعليم في بقية الجامعات العربية مثل جامعة القاهرة والاسكندرية مثلا ؟

عصام عاصم الرافعى / طرابلس

« العربى » : نرجو أن يكون استطلاع جامعة الكويت الذى نشر في شهر مارس الماضي ، قد قدم لكم كل ما تبغون الحصول عليه من معلومات عن جامعة الكويت .

ولا شك انكم لم تكونوا اطلعتم على الاستطلاع المذكور ، فقد سبق تاريخه تاريخ مكاتيبكم .

(البقية على صفحة ١٦٣)



حديثُ الشهْر

الـرَّأيُ العـَامّ

بقلم رئيس التحرير

لقاء على غير ميعاد

■ قابلته ، سياسيا معروفا .

وتحدث الى ، وتحدثت اليه ، زعيما من زعماء هذا العصر ، ولو انه وُضع في موضعه ، لكان في مرتبة بين الاولى والثانية .

وجرى الحديث كما لا بد أن يجرى : في السياسة العامة ، في كل ما حضر منها . وفي حقوق الشعوب . وفي الديمقراطية .

واختلفنا في شئون ، كما كان لا بد ان نختلف .

وصاح يعطى صوته من القوة والارتفاع ما يعطى المحامون أصواتهم في المحاكم ، والقضية خاسرة .

قال : الا تعتقد في الديمقراطية ؟

وسكتُ . لانه ما كان بالسؤال الذى يلقى .

قال : الا تعتقد ان الحكم يجب ان يكون بناء على راى الشعب ؟

قلت : وما راى الشعب ؟

قال : راى جمهور الناس ، الراى العام .

قلت: في صوت هادىء ما يكاد يسمع : الراى العام احاول الى اليوم ان اتفهمه ، وما اكاد اصل الى تفهمه ، حتى اسأل نفسي على الفور ، اهو راى الناس حقا وصدقا . ثم اقول ، وسواء هو مطبوع فيهم او مصنوع لهم ، هل هو خير الآراء يقينا ، واثبتهم منطقا . وما اكاد اصل الى هذا حتى يثب الى ذهنى سؤال جديد ، فأتساءل ، وهل من سبيل مؤكد امين يؤمن للناس ان يكون الراى العام هو عماد الحكم فيهم .



- لم يكن له في قديم الزمان، بمعناه القائم، وجود
- وتحررت الشعوب آخر الدهر، فمجدت الرأي العام، بحسبانه رأي الشعب، أي تمجيد
- وجاء القرن العشرين، بعلم النفس، والاجتماع، وعلم الإنسان، وتصدت للرأي العام، فلم يصمد لها (رأيا) ولم يصمد (عاما)
- وجاء فن الإعلان، والدعاية، والترويج للبضائع، فكان (الرأي) بضاعة تصنع في الناس صناعة، ومن كل لون



لعل اجابتي كانت سريعة فلم تحتوها اذن سامعي ، او لعله كان سبح بعيدا عن حديثي في خياله سبحا فلم يع ما اقول . ذلك أنه فاجاني بقوله :

ــ كيف تنكر وجود الرأى العام ، وهو قديم قدم الدهر . قلت :

ــ نعم اعلم انه خلق مع خلق آدم .

قال ، وقد احس كأنما قلت ما قلت ساخرا :

ــ ولم لا . فآدم كان له اسرة . ورأى عام الأسرة هو النواة لرأى عام أمة . قلت :

ــ وكان لا شك بسبب الرأى العام في اسرة آدم ان قتل قابيل اخاه هابيل .

وخفت ان اكون خطوت وراء حدود اللياقة بعيدا، فقلت لصاحبي على الفور، انما انا مازح .

الرأى العام في التاريخ

ورحت أبحث عند رجال التاريخ ، وفي بطون كتبه ، هل كان عند القدماء رأى عام ؟ وان كان قد كان ، فكيف كان؟ وكم كان له من اثر في حياة الناس جملة؟

ويبدأ الباحث عادة بالتاريخ القديم المكتوب ، فيفرض عليه أول ما يفرض تاريخ اليونان .

الرأى العام عند الاغريق

في اليونان كان مجتمع فريد ، اطلقت فيه الحريات كما لم تطلق في عهد سبق، وأطلق الفكر. وهناك بدات بذور الفلسفة تنبت وتثبت شعيرات جذورها بالارض. وبدأ العلم . وبدأ النظر في السماء ، وتجواب الارض . والديمقراطية كان مولدها ، على صيغة ما ، هناك .

والديمقراطية ، هي حكم الناس بالناس. وإذن كان لا بد للناس من رأى عام ، غالب ، تقوم عليه الديمقراطية .

والرأى العام لايكون الا من بعد نقاش، وضرب الحجة بالحجة . وقد برع اليونان، في الحجاج وجعلوا للفكر ، في سبيل تكوين الرأى ، من خاص وعام ، علما اسموه بالمنطق . والنقاش كان له فيهم قواعد سنّوها .

ففى الاغريق كان لا شك رأى عام . اما مقدار عمومه ، فمسالة اخرى . انه يشمل من البالغين من الرجال ثلثهم لا غير، هم وحدهم كانوا المواطنين الأحرار، الذين كان لهم حق الرأى، وحق النقاش، وما يكون له من أثر في حكم الناس والمجتمع . أما سائر القوم فكانوا عبيدا.

شيء واحد نذكره يبلغ مبلغ النشاز ، ذلك رأى افلاطون ، فيلسوفهم الكبير ، في الرأى العام . كان ينكر فائدة الرأى العام انكارا . كان ينكر رأى السواد .

ولعله بذلك استبق الى رأى كثير من فلاسفة هذا القرن الحاضر ، فلاسفة القرن العشرين .

الرأى العام عند الرومان

وجاء الرومان من بعد الاغريق ، ولم يغرقوا في الفكر اغراق الاغريق . ولكن كانت لهم دولة ، وكانت فتوح . واخبار الامم تواردت عليهم من بقاع الارض ، من أرجاء الامبراطورية الطويلة العريضة وما وراءها . فكانت لهم مدنية ذات حركة ، بالفكر عامرة. والفكر ابو الرأى.

والتفكير المجتمع يلد الرأى العام . وإذن بدأ الرومان يتحدثون عما اسموه « صوت الناس » Vox populi . لم يكن التعبير بالرأى العام نشأ بعد ، ولم تكن له وظيفة ظاهرة معلومة .

ونشاز آخر يشبه عند الرومان نشاز افلاطون في الاغريق . ذلك ان مؤلفى الرومان لم يكن عندهم كبير احترام لرأى



كان افلاطون ، فيلسوف اليونان الكبير ، ينكر فائدة الرأى العام انكارا

بلا ، أو بين نعم ولا ، أو هى نعم مؤكد أو لا مثلها توكيدا .

فبعد هذا كيف يقال ان لقوم ما في مشكلات الحياة راى يعم . راى عام .

ليس كل فرد في جماعة بقادر على اسداء راى .

وما كل فرد بعاقل ولا كل فرد بفارغ أو آبه .

وآخرون يرون ان نظـرية « الراى العام » ، الذى يجب ان يكون اساسا لادارة الشئون العامة ، تفرض ان يكون افراد المجتمع من التعقل بمكان . فالراى يحتاج تكوينه الى قدر من العقل كاف .

والناس اختلفت عقولها ، واختلفت افهامها . ويرجع هـذا الاختلاف الى الوراثة ، ويرجع الى البيئة . ومنهم من تعلم ففهم ، ومنهم من تعلم فلم يفهم .

والامور والمشاكل التى تطرح علـى الناس في هذه الايام هى اعقد من أن يستطيع أن ينظر فيها السواد من الناس .

واذن ما الذى يحدث ؟

جماعة تقوم بالفهم ، وتقوم بالحكم ، ثم تنشر على الناس ، ما لا يفهمون . وتنحاز الجماهير كلها لهذا الراى أو ذاك ، أو ينحاز بعض لهذا الراى وينحاز آخرون لراى غيره ، واخرون لغيره . .

لا عن فهم ، ولكن عن . . . ؟

عن ماذا ؟

عن اسباب كثيرة يعددها الباحثون الذين داروا في أوساط الناخبين ينظرون كيف هم ينحازون الى ما لا يفهمون . وتتكشف لهم أسباب تكاد تضحك لا تمت الى الراى المعروض بشيء .

ولنضرب مثلا أو مثلين مما جاء في كتاب « الراى العام » لمؤلفه ليونارد دوب Leonard Doob وهو عما يجرى في الولايات المتحدة .

قيل لأحد الناخبين المحترمين ، لماذا



ولتر ليمان ، المعلق الصحفى الامريكى الكبير يقول ان « الراى العام » شيء موهوم

انحزت لراى الجمهوريين ، فقال : لأنى ولدت جمهوريا .

وسئل آخر : لماذا عدلت عن مناصرة الديمقراطيين ، فقال : لأنى أصبحت اكره الحمير (الحمار رمز الحزب الديمقراطى) .

وسئل زوج لماذا انحزت الى هـذا الجانب من الراى دون هذا ، فقال : لرهان كان بينى وبين زوجتى . وآخر سئل مثل هذا فقال لأنى لا أرى ان اكون انا وحماتى في جانب واحد .

وآخر سئل لماذا ناصرت فلانا دون فلان ، فقال : لأنه رئيس شركة لنا معها اشغال واسعة .

الراى يستطيعه الفرد القادر ، ولكنه يبنيه على الخبر الكاذب

ثم راى الكاتب الصحفى العالمى الشهير ، ولتر لبمان Walter Lippman الذى لا زلنا نقرأ له الى اليوم تعليقاته

في اكبر الصحف رغم بلوغه عامه الثامن والسبعين . ادلى برايه هذا في كتابين من بين كتبه الكثيرة ، أولهما اسمه « الراى العام » Public Opinion والثانى اسمه « الشعب الموهوم » Phantom Public

والراى لامثال لبمان راى لاشك خطير، بسبب ما ناله في حياته السياسية الطويلة من خبرة كثيرة . والراى يقوله في امريكا هو عادة راى متحرر يخشاه دائما اهل السلطان .

قال في امر الشعب واشتراكه ، رايا عاما في الحكم :

ان الفرد يكوّن آراءه السياسية بناء على ما يأتيه من اخبار .

وهذه الأخبار تأتيه من البيئة التي هو فيها ، وهو فيها بعينه يرى ، وبأذنه يسمع . فالراى الذى يراه على هذا النحو راى اقرب ما يكون الى الصحة .

ولكن الحياة الحاضرة ، حياة مدنية معقدة ، الفرد فيها يعتمد بالضرورة على مصادر غير مباشرة . معلومات تصبها اليه الصحف ، وتأتيه بها السينما ، والاذاعة . وهذه المصادر لا يمكن قط الاعتماد عليها . ومنها مصادر تدخل اليه الريبة عن عمد، ومنها ماتدخل اليه الريبة عن سذاجة . شائعة يشيعها داعية ماجور يسمعها سامع ، فيردّدها على انها حقيقة .

وتؤلف هذه المعلومات عند سامعيها ، ومشاهديها قوالب من الفكر ، واخرى من الميل وسَبق الحكم ، تختزن في الراس ، يلجأ اليها صاحبها كلما اراد تكوين راى ، في حكم وغير حكم .

ويقول لبمان : وتعرض للناخب امور لا علم له بها ، وهى ليست مما اختزن في راسه من علم ، وفي قلبه من ميل . واذ هو يتبع في ذلك ما يسمع من راى فرد او فئة من كل ذات صوت مسمع . فهذه الفئات هى في واقع الأمر صانعة الراى العام لا السواد من الناس .



ادوات الاعلام واولهما الصحف وما بها من

الراى العام
يصنع اليوم كما تصنع البضائع

وحيث قد بلغ التعبير «بالراى العام» في الأمم الثبوت والبقاء ما بلغ .

وحيث ان الديمقراطية لا تزال الصرخة السياسية المدوية في الأمم اجمع، من أزرقها الى احمرها .

وحيث لا ديمقراطية الا ومعها راى عام .

وحيث لا يمكن لراى ان يجتمع ويعم بطبيعته .

اذن وجب ان يتحصل عليه المتشبثون بالديمقراطية صناعة .

ومن اجل هذا وجدت في الأمم الناهضة المتقدمة ، اجهزة تصنع الراى العام .

وادواتها في ذلك الصحف والكتب .

واداتها في ذلك الاذاعة .

واداتها في ذلك التلفاز وقد انضم اليها اخيرا .



اخبار ، هي التي تصنع الراى في الناس

ان كل هذه الأدوات تستخدم للترويج للسيارات والملابس ذات الأزياء ، وأثاث المنازل ، والعطور ، وامواس الحلاقة واقلام الكتابة وأسهم الشركات .

وما الترويج الا محاولة تكوين راى عند سواد الناس محمود عن كل هذه الأشياء . وكذا الراى السياسي ، وكذا الراى الاجتماعى ، يروجون له ترويج البضاعة .

واصبح الاعلان اليوم فنا .

الاعلان عن البضائع والترويج لها اصبح اليوم فنا عظيما .

وفن تكوين الراى ليعم ، او يكون شبيه عام ، فن حديث اختص به الكثير من علماء النفس وعلماء المجتمع . ولأن هذا الاعلان موسوم بلفظ البرباجندة ، فقد ظل هؤلاء العلماء يعملون في الخفاء .

والترويج للفكر ، في امم الغرب والشرق ، كالترويج للأحذية والقبعات والأقمصة ، يذكرون ما يدعون لها من حسن ، ويصمتون عما فيها من قبح .

ومن اكبر وسائلهم الخبر . يطلقون اليك كل خبر يروج لراى بذاته ، ويحجبون عنك كل خبر يعوق هذا الراى خشية ان يعتنقه السواد .

والغريب أن قوة الاعلان اكتشفت اول ما اكتشفت في التجارة ، وفي شئون المال والبنوك، ومنها انتقلت الى الساسة .

واليهود، رجال التجارة ورجال المال، ادركوا ما للادوات الحديثة ، من صحافة وكتب ، وسينما واذاعة وتلفاز ، من خطر في الاعلان . فما اسرع ما نقلوها الى ادوات يصنع بها الراى العام .

واستحوذوا على الصحف ، وعلى دور السينما ، والاذاعة والتلفاز ، في الولايات وفي غير الولايات ، ليصنعوا الراى العام الذى يريدون . فالراى العام كما قلت يصنع ولا يطبع . وقد اطلعت على احصاء مدهش يدل على مبلغ ما حصلوا عليه من ذلك .

وخدموا بهالأمةالتى هم بها ،وخدموا انفسهم . بذلك قضت الحكمة الواعية .

ولست بمشتاط غضبا لذلك ، فهم عرفوا كيف يصنعون في حين لم نعرف كيف نصنع .

وكانت الحرب الخاطفة التى كانت .

وهم كسبوها في أوروبا وامريكا ،قبل ان تكسبها المباغتة بالحرب على أرض لنا هى حرام عليهم .

وتسأل القادمين من الغرب اليوم ، من وراء البحر ، ممن هناك من العرب ، فيخبرونك انهم في حرج كبير .

هو حرج الراى العام الذى اصبح يصنع صناعة ، يشكلونه بالشكل الذى يريدون . كما يَجبل الخزّاف صلصاله، فهو يصنع منه مزهرة لعطر ، او مبولة لطفل . ●●

١٩٦٧/٨/٢٠ — أحمد زكى

أسماء شهيرة يراد منك التعرف عليها

لتربح جائزة من مجموع جوائز قيمتها ١٠٠ دينار

هذه أسماء عشرين ، في عمود واحد ، لكل منهم رقم امامه . تليها التعاريف بها ، وهى طبعا عشرون ، غير مرتبة وفق ترتيب الأسماء ، ووضع أمام كل تعريف حرف هجائى ، فهي أ و ب و جـ الخ .

والمطلوب ان تكتب هذه الأسماء وبجوار كل منها التعريف بها .

والمفروض أن تأتى على الأقل بعشر اجابات صحيحة من عشرين لتفوز باحدى الجوائز . وهذه هي الاسماء ، يليها التعريف بها :

١ ـ ابراهام لنكولن
٢ ـ فاسكو دى جاما
٣ ـ اسكندر فلمنج
٤ ـ بادن باول
٥ ـ كمال أتاتورك
٦ ـ برتراند راسل
٧ ـ مارى انطوانيت
٨ ـ شامبليون
٩ ـ شوبان
١٠ ـ شاتوبريان
١١ ـ جوتنبرج
١٢ ـ فان جوخ
١٣ ـ بختنصر
١٤ ـ طاغور
١٥ ـ كاروزو
١٦ ـ هدى شعراوى
١٧ ـ امين الريحانى
١٨ ـ ابن بطوطة
١٩ ـ جان جاك روسو
٢٠ ـ سليمان الحلبى

أ ـ مؤلفاته كانت السبب في الثورة الفرنسية .
ب ـ استعمل الحروف اللاتينية بدلا من العربية في الكتابة التركية
جـ ـ مؤلف موسيقى بولونى
د ـ قطعوا راسها بالمقصلة
هـ ـ ملك كلدانى هزم اليهود وسباهم
و ـ مؤسس حركة الكشافة العالمية
ز ـ عالم وفيلسوف انجليزى
ح ـ اول من فك الحروف الهيروغلوفية
ط ـ شاعر هندى عالمى
ى ـ مخترع الطباعة
ك ـ اكتشف طريق راس الرجاء الصالح
ل ـ مغنى اوبرا ايطالى
م ـ محرر العبيد في امريكا
ن ـ رسام هولندى ذو فن حديث
س ـ من كبار الكتاب الفرنسيين
ع ـ اكتشفت البنسلين دواء مطهرا
ف ـ رئيسة جمعية نسائية رفعت شأن المراة المصرية
ص ـ اديب لبنانى ورحالة عربى ومؤلف
ق ـ اغتال الجنرال الفرنسي كليبر
ر ـ رحالة مغربى طاف العالم المعروف في عهده

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٠٦ » .

٣ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٧ .

الجوائز ١٠٠ دينار

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار توزع كالآتى : **الجائزة الاولى** : ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** : ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** : ١٠ دنانير .

٨ ـ **جوائز مالية** : قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ..

■■

كوبون مسابقة العدد ١٠٦

نتيجة مسابقة العدد ١٠٤

٥٠٪ من الإجابات جاءت صحيحة

الفائزون بالجوائز

■ قد يكون من المناسب أن نذكر للقارىء انى عشر سؤالا عن دولة العصابات ، كما ذكر واضعها في العنوان الذى اختاره لها ، ولكن السؤال الحادى عشر سقط من الطابع عند الطبع ، ونأسف لذلك ، فاصبح عدد الأسئلة ١١ سؤالا فقط ، وبناء عليه فقد اعتبرنا كل من أجاب اجابة صحيحة على تسعة أسئلة بدلا من عشرة ، كما كان مقررا ، قد نجح في المسابقة .

والاجابات الصحيحة على الأسئلة الاحد عشر هى :

١٩١٧ ـ الوكالة اليهودية ـ الولايات المتحدة الامريكية ورئيسها هارى ترومان ـ دير ياسين ـ الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ـ العوجة ـ دوايت ايزنهاور ـ أنتونى ناتنج ـ جول جمال (القطر السورى) ـ الكونت برنادوت ـ سوريا .

وقد تميزت هذه المسابقة بكثرة عدد الاجابات من العرب من كل الدول العربية ، ومن عدد كبير من دول الغرب ، ومن بينها أمريكا والمانيا الغربية وايطاليا وفرنسا، كما وصلتنا اجابات من سكرتارية الأمم المتحدة واعضاء الوفود العربية فيها . وقد بلغت الاجابات الافا عديدة ، وتطوع بعض المتسابقين بجوائزهم مقدما الى المجهود الحربى .

كذلك ظهر من الاجابات أن ٥٠٪ أو أكثر من المشتركين في المسابقة قد أجابوا على كل الأسئلة اجابات صحيحة . وهذا يدل على أن هناك أسماء وأحداثا لن ينساها العرب ابدا في تاريخ بلادهم .. أسماء لأبطال عرب دخلوا التاريخ .. وأسماء لشخصيات تلاحقها لعنة العرب عبر التاريخ ..

وكان الخطأ المشترك الذى وقع فيه عدد كبير من المتسابقين ، هو أن بريطانيا في عهد وزارة تشرشل ، هى التى كانت أول دولة تعترف بدولة العصابات الصهيونية ، والحقيقة أنها أمريكا في عهد الرئيس الأسبق ترومان .

اسماء الفائزين

أسفرت عملية الاقتراع على الجوائز ، بين الأجوبة الصحيحة عن النتائج الآتية :

الجائزة الأولى : وقيمتها ثلاثون دينارا فازت بها : الآنسة سونيا محمود شرباش / منشية البكرى ـ القاهرة ـ ج.ع.م.

الجائزة الثانية : وقيمتها عشرون دينارا فاز بها : عبد الواحد ذنون طه/محلة جامع خزام ـ الموصل ـ الجمهورية العراقية .

الجائزة الثالثة : وقيمتها عشرة دنانير فاز بها : محمد عبد على/كريتر ـ عدن .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير، فاز بها :

١ ـ سعيد عبد الباقى/سفارة الجمهورية العربية السورية ـ جدة ـ السعودية .

٢ ـ مصباح الشريف العقبة ـ الاردن .

٣ ـ عمر عبدالعزيز دبوس/الدسمة ـ الكويت.

٤ ـ شفيق عبد الرحمن المناعى/طرف أحمد ابن حسن المناعى/ جمارك البحرين ـ المنامة ـ البحرين .

٥ ـ ابراهيم عبد الله كمال بور/دبى ـ الخليج العربى

٦ ـ الناصر التركى/روما ـ ايطاليا .

٧ ـ محمد العربى بن اسماعيل/جنيف ـ سويسرا

٨ ـ عبد الله ابراهيم على / قطر

وسترسل الجوائز الى مستحقيها . ■■

أنباء الطب والعلم والاختراع

عطـــور
تستدرج الحشرات الى الفناء

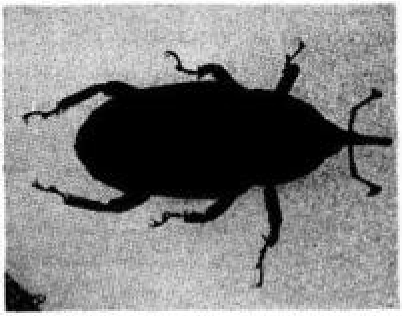
● من المعروف ان الحشرات تنتج ، من تفاعلات كيماوية تجرى في اجسامها ، عطورا تفوح ، فتغرى بالتقاء الذكر من الحشر بالانثى .

ونظر الانسان الى هذه الحقيقة ، فاراد ان يستفيد منها في ابادة الحشر الذى يضر بالانسان .

والطريقة هي الحصول على هـــذا العطر اولا ، ثم تحليله كيماويا لمعرفة تركيبه وبنائه ثم تخليقه في المختبرات الكيماوية من اصول غير حشرية .

فاذا هم حصلوا عليه ، اغروا بـه الحشر ، فصادوه ، واعدموه .

مسألة يتشكك في جـــوازها الاخلاقيون ، ان يغرر بالحشر هكـذا بشيء اودعه اللـه فيهم حفـزا على الذريـة .



ولكن للعلماء راى غير راى فلاسفة الاخلاق .

الصعوبة القائمة في هذا البحث عند العلماء هي انهم لا يحصلون من آلاف من هذا الحشر على غير قطرة من العطر .

ومع هذا ، فالبحث قائم .

لان نتائجه في اقتصاد الانسان ، في زرع ، وفي صحة ، نتائج خطيرة عظيمة .

مولد للكهرباء ذرى
يعمل فى أعماق البحار

● انه ابتداع شركة Aerojet General Corporation ومصدر القوة فيه النواة الذرية ، المنشقة . وهى تعطى الحرارة . والحرارة تعطى الكهـرباء .

والمولد سوف ينتج من الكهرباء ما بين ٣ الى ٢٨ فلطا ، لمدة تمتد الى عشرة أعوام باستمرار ، اما موضعه من البحار والمحيطات ، فعلى اعماق قد تبلغ نحـوا من ٢٠٠٠٠ قدم .

● حدث للاسف خطأ في عدد اغسطس ١٩٦٧ ، في باب « انباء الطب والعلم والاختراع ». فقد ترجم سهوا لفظة Saturn بالمريخ،وصحتها بالطبع زحل.والصورة صورته وليس عند «العربى» من يراجع،لقلة العاملين فيه. فهيئة التحرير تتالف من اربعة رجال : رئيس التحرير وسكرتير التحرير ، ومحررين غير المستطلع.



حتى النحــل

يغزو بعضه بعضا

● وقع هذا في البرازيل .

في البرازيل نحل مستوطن ، يدر من العسل مقادير .

وارادوا ان يستوردوا من افريقيا نوعا من النحل جديدا ، معروفة « شغالته » بالعمل والانتاج .

وما ان استوردوه ، حتى ظهر انه ذو غلظة يصبها على النحل المستوطن . فهو يكف عن زيارة الزهر يجني منه العسل . وبدلا من ذلك هو يغزو خلايا النحل المستوطن ، وتقوم بين الاثنين موقعة ينتصر فيها النحل الافريقي . وبعد انتصار يقوم النحل الافريقى بسرقة كل ما يجد في الخلايا من عسل .

وقد ظهر كذلك ان بعض هذا النحل يتجمع عصابات تغزو الحيوانات وتظل تقرصها حتى الموت .

ومن اجل هذا ، بدا القوم يفكرون بمنع استيراد هذا النحل .

حتى بدائل السكر ، خافوا منها التشويه على الولائد

● في اليابان وجد العالم الباحث الدكتور تاناكا انه لما اطعم الحبليات من الفئران ، في يومها الذى بين الرابع والسابع من الحمل بديلا من بدائل السكر الذى يتعاطاه المرضى بالبول السكرى ، مات الجنين في بطونها .

ولم تكن المادة التى اعطاها هى السكارين ، ولكن كانت المادة الاخرى التى تدخل كثيرا في تركيب بدائل السكر لتحليتها ، تلك هى السيكلامات cyclamates

من هذه التجربة تطرق الى الطبيب اليابانى الخوف من ان يكون هذا البديل الصناعى الذى يحلى به الشاى والاشربة والاطعمة لمرضى السكر ، سببا في تشويه الولائد التى تلدها النساء من بنى الانسان .

واذن بدات دور البحوث المعنية بدرء امثال هذه الاضرار ، تبحث هذه الدعوى . ان المعروف أن ١٠٠ حبة من هذا البديل تؤخذ في اليوم تحدث في متعاطيها اسهالا . ولكن من من الناس يتناول هذا المقدار وهو يساوى ١٠٠ ملعقة شاى من السكر .

ويقول الدكتور فريدريك استير Stare ، خبير الأغذية الشهير ، في دفع هذه الدعوى ، انه ليس من الضرورى ان ما يحدث في الفئران يحدث في الانسان .

ومع هذا ، فلا يزال الطب والأطباء في هلع مما جرته بعض العقاقير الحديثة من امثال الثيودوميد Theodomide في تشويه خلق الولائد ، فكل خبر مهما ضعف يوحي باحتمال تشويه كائنا ما كان يثير الأطباء الى التجربة لكشف الحقيقة .

ولضعف الدليل لم يقل احد بوقف استعمال السيكلامات محليا .

وقد نظر المختصون اخيرا في هذا الامر فلم يجدوا لهذه العلاقة دليلا قط .

الدنيا تشكو من تفجر فى عدد السكان وأمريكا تنعم بانكماش فيه

ان الامم النامية تشكو كثرة السكان .

وعلى النقيض من ذلك تنعم الولايات المتحدة هذه الايام بانكماش فيها .

ففي عام ١٩٦٦ بلغ انتاج الذرية في الولايات حدا واطئا لا يشابهه الا حد نزل اليه هذا الانتاج في العقد الرابع الماضي ايام التدهور الاقتصادى المعروف . والاسرة الامريكية اليوم قد استيقظت للتبعة القومية التي يجب ان تتحملها كل اسرة ، فحدت من انتاج الاولاد حتى صار في المتوسط ولدين او ثلاثة أولاد في الاسرة الواحدة .

فمتوسط انتاج الاولاد (اى عدد المولودين في كل الف من السكان) في عام ١٩٦٦ بلغ ١٨٫٥ (او ان شئت ١٫٨٥ في المائة) ، بينا الذى وصل اليه الانتاج في اعوام الانهيار الاقتصادى بين ١٩٣٣ و ١٩٣٦ كان ١٨٫٤ في الف (١٫٨٤ في المائة) .

بينا نسبة المولودين في امريكا اللاتينية تتراوح اليوم بين ٤٠ و ٥٠ في الالف .

والسؤال الآن هو : كم يكون عدد سكان الولايات المتحدة في عام ٢٠٠٠ ميلادية ؟ انه بناء على تقرير عام ١٩٦٦ واطراده سوف يبلغ نحوا من ٣٠٠ مليون نسمة .

وسؤال ثان : هل كان سبب هذا النزول في انتاج الاولاد بسبب اقراص منع الحمل . والجواب ان هبوط هذه النسبة في الانتاج بدا قبل ان تمارس النساء استخدام هذه الاقراص



واشباهها . على ان ذلك لا يمنع ان كان لها بعض الاثر .

وسؤال ثالث : واذن فما سبب نزول هذه النسبة في انتاج الاولاد في بلد هى اغنى بلاد الارض ، وارخى أمم الارض عيشا .

ويجيب على هذا السؤال من المختصين بشئون السكان في الامم رجلان ، رجل يقول ان السبب هو أن النساء المتزوجات اخذت تؤخر سنوات الحمل في اعمارها . ورجل آخر يقول ان السبب هو زيادة النفقة التي تتكلفها تنشئة البنين والبنات في المدرسة ، ومن بعد المدرسة في الكلية والجامعة . نفقات اخذت تتزايد على السنين لا يطيقها كل الناس حتى في المجتمع الرخي .

وان كان لا بد من رأى حاسم ، فخير الآراء هي التى تقول ، انه ليس هناك في الامور سبب واحد . فلعل الرأيين المذكورين صحيحان معا ، بنسب مختلفة .

جهاز فزيائى
ينقلب ليصبح
« مشرط جراحة »

● ليس من احد درس الفزياء ، ودرس علم الذرة خاصة ، الا عرف ما هى المعجّلات Accelerators تلك التى تدور بأجزاء النواة من الذرات ، فتزيد في سرعتها ثم تزيد (اى تعجّلها) حتى اذا بلغت من ذلك غاية ، وتحملت من ذلك بطاقة عظيمة ، أصابت هدفا ، هو في العادة نواة ذرة ، فحطمتها تحطيما .

والمعجّل الجديد اسمه « امنى ترون » Omnitron ، أى المعجل العام ، وذلك لأنه سوف يستخدم في تعجيل سرعة نويات العناصر جميعها ، من أخفها وهو الادروجين ، الى اثقلها وهو اليورنيوم .

ومن هنا يدخل الطب .

ان هذا التعجيل للنويات معناه احداث طلقات، من هذه النويات ، فيها النويات تجرى بسرعة هائلة ، فهى لو وجهت الى موضع السرطان من الجسم ، اذن لنفذت اليه ، وحطمت خلايا هذا المرض تحطيما .

وضربوا مثلا لذلك غاز الارجون ، وهو من عناصر الهواء النادرة ، العصيّة التفاعل ، فهذا لو حرروا شعاعا من نواياه الى الغدة النخامية المصابة بالسرطان ، اذن لشفاها منه .

وسموا هذا العلاج بالجراحة الذرية .

اما هذا المعجل فسوف يتكلف ٢٥ مليون دولار ، ويحتاج صنعه واقامته الى ٤ سنوات .

مرضى القلب
ينقلون سريعا بطائرة الكبتر

● هذه أول طائرة في الجزر البريطانية اعدت لحمل المصابين بالقلب على عجل الى أقرب مستشفى لتجرى لهم الاسعافات اللازمة في الساعات التى تعقب وقوع ازمة قلب لهم ، كالسدّة التاجية الخطيرة (انظر وصفنا اياها في عدد يونيو هذا الماضي) .

انها طائرة من تلك المعروفة بالهليكبتر (واسميناها اختصارا ، طائرة الكبتر لتسهيل اسمها في اللسان العربى) وسموها « الاسعاف الطائر » .

واستخدمها مستشفى فكتوريا الملكي بمدينة بلفاست بارلنده .

وبها استحيا الاطباء ٣٠ من مرضى السدة التاجية ، وشفوهم وخرجوا يمارسون عمل حياتهم العادي . ومنهم مريض توقف قلبه ٢٩ مرة في يومين اثنين .

وكان من جراء هذا النجاح ان رابطة القلب البريطانية أعطت مدينة بلفاست هدية مقدارها ٢٥٠٠٠ جنيه استرليني لشراء طائرة ثانية تخدم المدينة في مثل ما استخدمت فيه الطائرة الأولى ، وسكانها يبلغون نحو نصف مليون نسمة .

غواصات من زجاج

● هذا هدف من اهداف البحوث الجارية الآن .

والهدف يستهدف غواصات يستخدمها علماء علم البحار ، يغوصون بها في الاعماق ، ينظرون ما بها ، ويصورون ويسجلون .

ان علم البحار الآن في تقدم على جبهات عدة ، وسبيله شتى الغائصات ، تذهب في الماء عميقا او تذهب اعمق . ومنها بيوت تعيش تحت الماء ، فيها الرجال ، وفيها يعيشون ويأكلون وينامون ، ويخرجون منها الى الماء يبحثون ، ثم اليها يعودون .

وكل هذه هي اليوم مصنوعة من المعادن .

والفكرة الجديدة : لم لا تكون من زجاج ، واذن يجلس فيها الباحث فيلفه البحر من حوله لفا ، ويدور فيه بعينيه ٣٦٠ درجة كاملة ، ويدرك من النظرة العريضة الواسعة ما لم يدركه من النظرة الضيقة .

تجرى الابحاث في ذلك ، ولكن توجد دون ذلك صعاب .

ان الذى يصنع من زجاج انما هو هيكل الغواصة الذى يجلس فيه الباحث او البحاث ، وهو الجزء الذى يشف عما خلفه ، اما باقي ما تحتاج اليه الغواصة من ادوات ومن اثقال ، ومن محركات ، فموضعه تحت هيكل الغواصة .

الصعوبات القائمة اليوم دون تحقيق ذلك تتضمن أن الزجاج يسهل الكسر ، وفي هذا من الخطر على ساكنيه ما فيه .

ولكن مما دلت عليه الابحاث ، ان الزجاج يحتمل الضغط الواقع عليه ، وهو في أعماق الماء ، لا بد ان يحتمل ضغوطا هائلة ، ولكنه لا يحتمل فعل الشد Tension في مادته . انه عندئذ يتهشم .

على كل حال هذه بداية ككل البدايات ، التي حققت ما بعدها من اعاجيب في بروفي بحر .

●●

كرة من لدين شفاف ، جلس فيها هذان العالمان ، يجربانها في حمام سباحة





الفتاةُ العانس ..

ما منعها فتعنّست ؟



والشابّ الأعزب ..

ما منعه فتعزّب ؟



● لماذا لا تتزوج المراة ، لقد قام فريق من علماء النفس بدراسة دقيقة للاسباب التي تؤدى الى بقاء عدد كبير من الفتيات بلا زواج . وتوصل الباحثون الى نتائج هامة في مقدمتها ان الفتاة العانس التي يفوتها قطار الزواج ليست دائما فتاة تعسة . فقد ثبت ان نسبة كبيرة من هؤلاء « العوانس » يعشن حياة سعيدة في تلك الوحدة التى اخترنها او اختارتها لهن الظروف . ولهذا يجب على المجتمع الا ينظر الى مثل هذه الفتاة نظرة اشفاق ورثاء !

حقيقة ، ان الزواج هو المصير الطبيعي لكل انسان رجلا كان ام امراة . ولكن هذا لا يمنع من وجود عدد كبير من الرجال والنساء على السواء ، الذين لا يرغبون في ان يشاركوا احدا حياته ، او يشاركهم احد حياتهم . وهم قد اختاروا هذا المصير بكل ما يتصف به من انانيه بالرغم من عشرات الكتب التي تصدر والمقالات التى تنشرها الصحف والتى يؤكد فيها كتابها من الاخصائيين والباحثين ، ان الزواج هو طريق النجاح في الحياة .

عندما تتزوج الفتاة

ويقول هؤلاء الباحثون ، ان الفتاة عندما تتزوج ترضي كبرياءها كامراة ، وتخلص نفسها من العقد التى يحتمل ان تكون قد اصابتها عندما ترى بعض زميلاتها وقد سبقنها الى ثوب الزفاف السعيد . فالعروس في هذا الثوب الابيض تشعر انها تقف فوق اعلى قمة في العالم . وهل هناك دليل على ما وهبها الله من خلق وجمال ، اقوى من ان يقف بجوارها رجل اختارها « من بين كل

نساء العالم » . لتصبح زوجة له وشريكه لحياتـه . ؟

حيـاة الوحـدة

ولكن هذا لم يمنع كما ذكرنا ، مـن وجود نسبة كبيرة من النساء والرجال تفضل البقاء بلا زواج .. فقد ثبت من الاحصائيات التى اجراها الباحثون ان ٤٠٪ من النساء ونصف عدد الرجال الذين شملهم الاستفتاء ، وهم يزيدون على ثلاثة آلاف رجل وامراة ، يفضلون حيـاة الوحـدة عـلى الزواج . حتى هواياتهم كانت من هذا النوع الذى لا يحتاج فيه المرء الى شخص آخر يشاركه فيها .. مثال ذلك انهم يهوون القراءة والعناية بالحدائق في أوقات فراغهم ، ورياضتهم المفضلة هى السباحة وصيد السمـك !

تمنوا الزواج .. ولكن !

ولكن ابحاث الاخصائيين اثبتت في نفس الوقت ان نصف هذا العدد مـن النساء والرجال الذين لم يتزوجوا ، تمنوا لو انهم لحقوا بقطار الزواج ، حتى الذين تجاوزوا منهم العـام الستين ما زالوا يأملون حتى الآن ان يلتقـوا بنصفهم الآخر . فما الذى حدث ليحول بينهم وبين تحقيق امنيتهم .

دور القـدر !

ولقـد ثبت ان هناك عوامـل كثيرة لعبت دورا رئيسيا في حيـاة هـؤلاء الناس . فالبعض منهم شرع فعـلا في البحث عن شريكة لحياته ، وعندما عثر عليها ، اكتشـف فجاة انها لا تصلح له .

والبعض ظل يبحث ويبحث ، واكبر الظن انه سيمضي بقية حياته يبحث عنها دون ان يعثر لها على أثر . والبعـض الآخر وجدها فعلا ، ولكنه وصل متأخرا فقد كانت ضالته قد اصبحت زوجـة واما لعدد كبير من الاطفال .



الارتباطـات العائليـة

وثمة عامل آخر هام لعب وما زال يلعب دورا هـاما في حيـاة الفتيـات والشبان المتأهلين للزواج والمتأهلات .. وهو الالتزامات العائلية .. فكثيرا ما نجد فتاة شابة وجميلة تعمل وتشقى لتعنى بوالدها المريض أو امها المقعدة ، واذا سار المرء في الشارع .. اى شارع ؛ في اى بلد من بلاد العالم ، لوجد ان هناك بيتا على الاقل بين كل عشرة بيوت ، تقطنه أم عجوز تعنى بها ابنتها الوحيدة ، او اب اقعده المرض عن العمل ، يسهر ابنه على العناية به في شيخوخته .

وقد تعزف هذه الابنة عن الزواج بدافع الشعور بالواجب ، وهو ما يحدث غالبا ، أو نتيجة لعوامل اخرى لا دخل لها فيها ، كأن تتصور ان امها مثـلا تمتلكها ، كما تمتلك اى قطعة اثاث في البيت .. وكم من فتيات بقين بلا زواج بسبب شعورهن بانهن ملك لوالديهن ، وانهن لايستطعن التصرف في حياتهـن الخاصة ، لانها ليست ملكهن . ولكن ما اكبر هذا الخطأ الذى يقعن فيه .

حدث مرة أن جاءت فتاة الى عيادة طبيبها النفساني ، تشكو معاملة والديها لها . فسألها الطبيب : « كيف كنت



تريدين والديك ، ومَن من الناس الذين تعرفينهم تختارينه أبا وأما لك » ؟

فقالت الفتاة على الفور : « أنا لا اهتم بشخصية ابي وامي طالما انهما لا يتوقعان ان يقاسماني حياتي ويقيما في قلبي الى الابد ، مقابل اقامتي انا في بطن امي تسعة أشهر » .

أم تروي مشاعرها

وارسل الطبيب يدعو والدي الفتاة لمقابلته في مكتبه ، فجاءت الام وحدها ، واذا به يجد نفسه أمام امرأة ناهزت الستين من عمرها ..

قالت الام : « لم يستطع زوجي الحضور فهو مريض ومقعد منذ سنوات بعيدة .. لقد كان عاملا بسيطا لا يكاد اجره يكفي قوت يومنا ، ثم اصابه المرض ، فخرجت الى الشارع ابحث عن عمل حتى لا أحرم ابنتي من تعليمها الجامعي .. كنت ابيع الحلوى في الصباح ، واعمل مربية وجليسة للاطفال في المساء ، حتى كبرت ابنتنا وتخرجت في الجامعة منذ ست سنوات . انها اليوم تعمل وتكسب وتنفق علينا وترعانا » .

لا تريد مالها

وقال الطبيب : « اذا كان المال وحده هو الذي يعوزك ياسيدتي ، فهل تسمحين لابنتك ان تعيش حياتها الخاصة مع الرجل الذي تختاره شريكا لها ، بشرط أن تقدم لكما ـ انت ووالدها ـ مبلغا شهريا يعاونكما على مواجهة اعباء الحياة » ؟

وقالت الام « لا اريد مالها يا بني .. اريدها هي .. اريد ابنتي ، وأنا ادعوها هي وزوجها للاقامة معنا في بيتنا ، فهي كل شيء في حياتنا » .

ولقد استطاعت هذه الام بكلماتها البسيطة أن تعبر تعبيرا صادقا عما تشعر به كل أم نحو أبنائها ..

حب الوالدين

فكثيرا ما يعجز المال وحده من سد الفراغ الذي يتركه غياب الابن او الابنة عن البيت .. فحب الوالدين شيء لا يمكن أن يشترى بمال .. وقليلون من الابناء هم الذين يدركون مدى قوة هذه العاطفة التي تربط الوالدين بابنائهم وتشدهم اليهم ، حتى ان البعض يفسرها على انها رغبة في التملك والامتلاك ، كما قالت فتاتنا لطبيبها !

والواقع انها ليست كذلك .. وانما هي حب وتضحية وتفاني .. حب لا يقدره الابناء الا عندما يكبرون ويتزوجون ويصبحون هم آباء وامهات !

وسواء اكان السبب في بقاء الفتاة عانسا هو حب الوالدين اباها وحاجتهم الى من يرعاهم ويسهر على راحتهم في شيخوختهم .. أو هو القدر الذي تدخل ليحول بين هذه الفتاة او هذا الفتى وبين الزواج .. فأن الحياة في مثل هذه الوحدة الاختيارية او الجبرية ، حياة تفتقر دائما الى عطف الناس وتقديرهم في هذا المجتمع الذي نعيش فيه اليوم . ■■

المدرسة الشاملة

ومرحلة التوجيه التربوي

مسألة المسائل في نظم التربية الحاضرة

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدايم

■ اذا اردنا أن نتلمس الجوانب الصعبة في السلم التعليمي في اي بلد من البلدان ، جاز لنا ان نقول ان « مناطق الحدود » ان صح التعبير هي اول ما يجار لعين الناظر . ونعني بمناطق الحدود تلك الثاوية بين مرحلة واخرى من مراحل التعليم ، أو بتعبير آخر مناطق الوصل والفصل بين مرحلة واخرى . فهنالك مرحلة الانتقال من التعليم الابتدائي الى المرحلة الاولى من التعليم الثانوي (المرحلة الاعدادية او المتوسطة أو غير تلك من التسميات) . وهنالك مرحلة الانتقال من المرحلة الاولى من التعليم الثانوي الى المرحلة الثانية من هذا التعليم ، تلك المرحلة التي تنتهي بشهادة التعليم الثانوي . وهنالك مرحلة الانتقال من خاتمة التعليم الثانوي الى التعليم الجامعي .

في هذه الممرات الشائكة تثوى العقبات الكبرى والمشكلات الكبرى في السلم التعليمي . وعندها تصطرع المذاهب وتختلف النظم ، وفوق حلباتها يدور الصراع ويحتدم الجدل .

مشكلات التعليم مشكلات ولود

صحيح أن مشكلات التعليم مشكلات كبرى بل مشكلات متكاثرة . وصحيح أننا ما نحل من هذه المشكلات واحدة حتى تفاجئنا ثانية ، وحتى تلد هذه الثانية ثالثة . وصحيح أن حل مشكلات التعليم حلا كاملا أو شبه كامل أمر لا ينهض الا في الوهم والخيال ، وان تطورات الاحداث وتغيرات العصر تطرح كل يوم مسألة جديدة ، هذا كله صحيح ، ومن الصحيح ايضا ان توالد هذه المشكلات وتكاثرها لا يضير التربية في شيء ، بل هو دليل الحياة والعافية فيها ، دليل تجددها وتكيفها الدائم مع ضرورات التغير ودينامية التبدل والانتقال في عصر حُوّل قُلّب ، سريع التطور مغذ الخطى في مجالاته العلمية والتكنية والاقتصادية والاجتماعية .ولكن بين المشكلات الولود التي تحمل بها التربية وتتئم في كل عصر ومصر تنهض مشكلات تحتل مقام الصدارة بل جوف الفرا ، وتكاد المشكلات الاخرى تتحلق حولها وتصدر عنها . وعلى رأس هذه المشكلات ، تلك التي نشير اليها والمتصلة بقناطر العبور وجسور المرور . ذلك ان مناطق المرور تفضح وتكشف طبيعة الارض من حولها ، وتبرز ما هو مضمر مستتر من مشكلات . فمن السهل ان نبدأ التعليم الابتدائي وأن نستمر فيه سنوات نحو الست ، وأن نعيش في أمن وطمانينة



نسبية خلال هذه الفترة ، وان نرجىء خلال عدة سنوات السؤال الاول الثانوى منذ بداية الطريق : ما هي غاية هذا التعليم وما عسانا نجد بعده ؟ ومثل هذا نقوله في التعليم الاعدادى أو التعليم الثانوى . اما عند الانتقال من واحد من هؤلاء الى الآخر . فلا بد أن نطرح معنى كل مرحلة وغايتها طرحا لا مفر منه ، وان نقف وجها لوجه امام السؤال الاول والاخير في ميدان التربية : ما هو هدف التربية ، وما هي غاية المطاف فيها وما هو محط رحالها ؟

مرحلة ما بعد التعليم الابتدائي

وما نريد أن نغادر الموضوع الاصلي الذى قصدنا اليه وان نتيه في مسارب الحديث عن هذا الموضوع الاكبر الثاوى وراءه ، موضوع غاية التربية وغاية كل مرحلة من مراحلها . وما سقناه حتى الآن مدخل متواضع نريد بعده أن نجابه المسألة التي نريد ، مسألة الانتقال من مرحلة الى اخرى ، وبوجه أخص مسألة الانتقال من مرحلة التعليم الابتدائي الى ما يليها . ذلك أن هذه المسألة الاخيرة هي بدورها على رأس مسائل الانتقال جميعها ، فخلال مرحلة الانتقال من التعليم الابتدائي الى ما يليه يطرح مصير المتعلم في سائر مراحل التعليم ، وتطرح بالتالي مسألة التربية كلها .

ومن هنا تكاثرت الدراسات حول مرحلة الانتقال هذه ، ومن هنا جهدت مختلف النظم التعليمية لتوجيه الشطر الاكبر من عنايتها على هذه المرحلة . وما تزال مسألة الانتقال هذه مشكلة المشكلات في نظم التعليم في العالم ، وبيت القصيد في الاصلاحات التربوية التي تقوم هنا وهناك .

في المرحلة الابتدائية التي تسبق هذه المرحلة يدخل الاطفال جميعهم بيوتات التعليم ، ويتفق الجميع على ضرورة تعميم هذه المرحلة وتوحيدها أمام الاطفال جميعهم ممن هم في سن التعليم الابتدائي الذى غدا الزاميا في معظم البلدان والذى يتجه الى أن يكون كذلك في سائرها . ويتفق الجميع كذلك على مضمون هذه المرحلة ومحتوى مناهجها وطرائقها ، وان كانوا يختلفون في بعض التفصيلات .

بعض المشكلات
التى تخلقها مفارقة هذه المرحلة

أما المسألة كل المسألة ، فعند مفارقة هذه المرحلة :

– هل يقبل الطلاب جميعا فى المرحلة التالية وهل يرفع سن التعليم الالزامي الى ما بعد المرحلة الابتدائية ؟

– وما هي السن التي ينبغي أن يرقي اليها التعليم الالزامي ؟

واذا قبلنا الطلاب جميعا فى المرحلة التالية لبضع سنوات ، فهل نقدم لهم تعليما واحدا ام مختلفا ؟

واذا نحن قدمنا تعليما متباينا ، فكيف نختار لكل نوع من أنواع التعليم من يصلحون له :

واذا نحن قدمنا تعليما موحدا فكيف نصوغ هذا التعليم صياغة تيسر في نهاية هذه المرحلة تنويع التعليم وتفريعه ؟

واذا لم نقبل الطلاب جميعا فى هذه المرحلة التالية للتعليم الابتدائي ، وكان لا بد من تحديد عدد الداخلين في هذه المرحلة ، فما هي نسبة الذين نقبلهم ؟ وكيف نختارهم من دون سواهم ؟ وما عسانا فاعلين بالبقية الباقية ؟

هذه وغيرها مسائل لها ما بعدها كما نرى ، وعن طريق حلها نحدد مصير المتعلمين فى المراحل التالية ونحدد بالتالي مصير التربية فى البلد . انها مسائل تطرح علينا مستقبل الدارسين وما سيصيرون اليه فى خاتمة مطاف السلم التعليمي ، وما ستقدمه للبلد من طاقات مثقفة خبيرة مدربة فى شتى حقول النشاط الاقتصادى والاجتماعي . وهي لعمرى مشكلة صارمة خطيرة ، مشكلة مصير الانسان فى مجتمعه ومصير المجتمع بوساطة هذا الانسان .

عوامل مخاض المدرسة الشاملة

ومن العسير في هذا المقام أن نقول كل شيء عن هذه المشكلات ، فمثل هذا يقودنا الى مسائل فى التربية لا نهاية لها . وحسبنا أن نقول موجزين ايجازا لا نبرئه من الخلل ، ان الجهود التعليمية فى معظم الدول منذ بداية هذا القرن ومنذ أواخر النصف الاول منه خاصة ، سارت كلها فى طريق حل أساسي قد تختلف تفصيلاته ولكنه يكاد يظل واحدا . وهذا الحل هو اعتبار السنوات القليلة التالية للتعليم الابتدائي ، سنوات يقوم فيها تعليم عام لجميع الاطفال ان امكن او لجميع الذين يدخلون هذه المرحلة ، وينظم فيها هذا التعليم العام بحيث يشمل على صورة مصغرة مختلف المعلومات والمهارات التي يمكن أن يتجه الطلاب بعد هذه المرحلة الى واحدة منها دون الاخرى ، وبحيث يساعد فى الوقت نفسه على الكشف عن قابليات الطلاب كشفا ييسر توجيههم فى نهايتها نحو هذا الفرع او ذاك من فروع التعليم المتكاثرة يوما بعد يوم ، المتجاوبة تجاوبا يزداد وثوقا مع حاجات التكنية الحديثة ومع مطالب العمل ومع مستلزمات التنمية فى عصر العلم والصناعة .

ومعنى هذا بتعبير آخر أن معظم الاصلاحات التربوية ، خلال الحقبة الواقعة بعد الحرب العالمية الثانية خاصة ، نزعت الى جعل المرحلة التالية للتعليم الابتدائي نوعا من «المدرسة الشاملة Comprehensive school» كما جرت التسمية ، ونوعا من مرحلة تقصد خاصة من أجل ملاحظة قابليات الطلاب والكشف عنها ، أى نوعا من مرحلة « التوجيه » كما يقال . وهى فى الواقع تنزع الى أن تجعل منها مدرسة شاملة لانها تريدها مرحلة توجيه . فكأن التوجيه قلب المسألة فى هذه المرحلة .

فكرة التوجيه التربوى فكرة قديمة

وفكرة « التوجيه التربوى » أو « التوجيه المدرسي » ليست بالفكرة المحدثة ، وان كان مضمونها وتنظيمها هما اللذان لبسا فى الحقبة الاخيرة ثوبا جديدا . فتوجيه كل فرد شطر الدراسات التى تؤهله لها قابلياته فكرة لا نغلو اذا قلنا اننا نجد بذورها الاولى فى أزمان قديمة وأننا نجدها خاصة واضحة المعالم بعض الشيء فى تراثنا العربي الاسلامي ولا سيما لدى الفقيه الاندلسي الامام الشاطبى في كتابه « الموافقات » . وتيسير الانسان لما خلق له ولما هو له اهيا ولما تؤهله قابلياته ، مبدأ يكاد يكون بدهيا قامت الدعوة اليه بأشكال مختلفة منذ زمن ليس بقصير واحتوته جمهورية افلاطون وسياسة أرسطو وأكثر مصادر التربية فى القديم . غير أن الجديد فى الامر هو التطبيق العملي لهذه

الفكرة تعني تنظيم الدراسة تنظيما يحقق توجيه ذي القابلية المعينة شطر الدراسة ثم المهنة التي تهيئها لها قابليته ، وهذا التنظيم ليس بالامر اليسير ، ودونه خرق القتاد وحوله تتزاحم الجهود وتتصارع الآراء .

ومن أجل بلوغ هذا الغرض ـ عرض ، توجيه كل طالب الدراسات التي هو لها أهيأ ـ جيء بالمدرسة الشاملة،وأقيمت مرحلة الملاحظة والتوجيه حيث أقيمت .

ما هي المدرسة الشاملة

اما المدرسة الشاملة فهي ـ على اختلاف صورها ومذاهبها ـ تلك المدرسة التي تضم تحت ظهرانيها جميع الطلاب الذين ينتسبون الى هذه المرحلة من التعليم خاصة ـ المرحلة التالية للتعليم الابتدائي ـ دون تفريق بين فرع وفرع واختصاص واختصاص ، كما تقدم على شكل مصغر مختلف النشاطات النظرية والعلمية التي تتكون منها بعد هذه المرحلة فروع التعليم الثانوي المختلفة . فهي تضم تحت سقف واحد دراسات نظرية عديدة وورشات عملية وتدريبات فنية ، من شأنها جميعها أن تيسر للطلاب ممارسة أنواع مختلفة من النشاطات وأن تيسر بالتالي اكتشاف قابلياتهم الحقيقية لهذا النوع او ذاك من النشاط النظري أو المهني .

مرحلة التوجيه مرحلة تعليم وكشف معا

وهذا لا يعني أن هذه المرحلة لا تعدو ان تكون « تجريبا » لانواع مختلفة من المهارات والمعارف ، و«اختبارا» لقابليات الطالب ومنازعه. فهي في واقع الامر مرحلة دراسية كغيرها من المراحل ، يحصل خلالها الطالب منهاجا مدرسيا مقررا ، وينال حظا من المعلومات العامة والخاصة ، سوى أنها بالاضافة الى ذلك تصوغ منهاج الدراسة وطرائق التعليم صياغة من شأنها أن تجعل من هذه المرحلة مرحلة كشف عن القابليات فضلا عن كونها مرحلة دراسية . وفيها تلقي « جذعا مشتركا » من المعلومات ـ كما جرى الاصطلاح الشائع بهذا الشأن ـ فيه يتلقى الطلاب جميعهم قدرا واحدا من المعارف الاساسية، وفيها الى جانب ذلك « اختيارات Options » عديدة يختارها فريق من الطلاب دون آخر ويتقلب عليها الطلاب ، أملا في الكشف عن قابلياتهم ومعرفة فروع الدراسة التي يصلحون لها فيما بعد . وهذه الاختيارات العديدة اختيارات نظرية ثقافية عامة واختيارات عملية مهنية وفنية كذلك .

وهكذا تستطيع المدرسة بعد تمام هذه المرحلة (التي يطول أمدها ويقصر حسب الانظمة وان كانت تتراوح الآن في معظم الانظمة بين سنتين واربع سنوات) أن تقدم للطالب ، نتيجة لملاحظته خلال ممارسته العملية لمختلف النشاطات في المدرسة الشاملة ، ونتيجة لمراقبة المعلمين الدقيقة ، ونتيجة لتطبيق بعض الروائز النفسية كذلك ، نصيحة تنصح له فيها بالانتساب الى فرع من فروع الدراسة دون آخر . هذا اذا لم يكن لدى الدولة سياسة الزامية تلزم الطلاب بدخول الفروع التي تراها كما في الاتحاد السوفياتي مثلا .

صعوبات « مرحلة التوجيه »

هذه صورة مبسطة بل مشوهة عن الحل الذى نزعت اليه معظم الدول فيما يتعلق بمسالة المسائل في نظام التعليم ، نعني مسالة الانتقال من مرحلة التعليم الابتدائي الى ما يليها وما يتبع ذلك الانتقال من توحيد للتعليم او تنويع له وتفريغ . وقد تبدو الصورة التي قدمناها وكأنها حل ميسر جميل ، تزول معه المشكلات وتسير الامور سهوا رهوا لا عنت فيها ولا نصب .

وهيهات أن يكون الامر كذلك ! صحيح أن الاطار الذى تنتهي اليه مختلف التجارب في العالم يومىء الى هذا الاطار عامة ويكاد لايجد له بديلا . فلا بد من توجيه الطلاب على أساس علمي وسليم ، ولا بد من أجل ذلك من اقامة هذه المرحلة الشاملة الكاملة الطويلة بعض الشيء ، فيها نخبر قابليات الطلاب وفيها نتيح لهذه القابليات مجال التفتح والظهور من خلال المعاناة وخلال زمن كاف بعض الشيء . ولكن مشكلات جديدة ما تلبث حتى تولد من هذا الحل ، ما دامت حلول التربية ـ كما قلنا منذ البداية ـ تحمل في ثناياها دوما وابدا مشكلات محدثة .

ولنذكر طرفا من هذه المشكلات التي يخلقها قيام المدرسة الشاملة ومرحلة التوجيه هذه :

١ ـ ما هي أولا وقبل كل شيء مدة هذه

المرحلة ؟ هل يكفي أن تمتد سنة واحدة أو سنتين ، ام لزام أن تمتد أبعد من هذا ؟

٢ ـ هل نستطيع عمليا اقامة هذه المدرسة الشاملة لجميع الطلاب الذين يدخلون هذه المرحلة ، مع كل ما تستلزمه هذه المدرسة من أبنية تتلاءم ومنطقها ومن معامل ومخابر وورشات عملية عالية الكلفة ، ومن معلمين أكفاء قادرين على قيادة التعليم والكشف عن القابليات ؟

٣ ـ واذا يسرنا هذا كله ، واقمنامرحلة التوجيه الطويلة المكلفة ، وقدمنا خاتمتها نصيحة الى الآباء تنصح بادخال أبنائهم هذا الفرع أو ذاك من فروع التعليم الاكاديمي النظرى أو المهني الفني ، فالى أى مدى تجدى هذه النصيحة ، وما عسانا فاعلين ان لم يتجاوب الآباء معها وظلوا مصرين على ان يتخيروا لابنائهم ما يريدون لهم من دراسة وما يؤثرون من مهنة ومستقبل ؟

٤ ـ واذا لجأنا ـ حلا لهذهالصعوبة ـالىاكراه الابناء والآباء،أفلا نقع فيمعضلة أكبر، معضله جعل التعليم في يد الدولة وحدها ، واسقاط حرية الآباء والابناء من الحساب ، وجعل الاطفال ملكا للدولة قبل ان يكونوا ملكا لآبائهم ؟ افلا نزيد في تعقيد مشكلة الديمقراطية في التعليم في حين نقصد في الاصل ـ عن طريق توجيه الطلاب نحو فروع الدراسة استنادا الى قابلياتهم لا الى طبقتهم الاجتماعية أو أى اعتبارا آخر ـ الى تحقيق الديمقراطية الحقة في التعليم ؟

٥ ـ وفوق هذا وذاك ، هل نستطيع ـ رغم اطالة مرحلة التوجيه هذه ، ورغم كل ما نيسره فيها من ملاحظة واختبارات وروائز وطرائف حديثة ـ أن نسبر حقيقة قابليات الطلاب سبرا لا الباطل، وأن نزعم أننا قادرون على تحديد الدراسات والاختصاصات والمهن التي يصلح لها الطلاب ، منذ سن مبكرة لا تجاوز الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من العمر على ابعد تقدير ؟

٦ ـ يضاف الى هذا كله انه لا بد من التوفيق العميق بين توجيه الطلاب شطر قابلياتهم وبين حاجات السوق الاقتصادية والاجتماعية ، حاجات سوق العمل ، من الفنيين والاختصاصيين وسائر أفراد الطاقة الخبيرة . واذا كان من الصحيح أن التناقض لا يقوم بشكل اساسي بين هذين المطلبين ، وأنهما على العكس متعاونان متكاملان (ذلك أن توزع القابليات بين الناس يقابل الى حد كبير وفي خطوطه العريضة توزع الاعمال والمهن في المجتمع) ، فمن الصحيح كذلك أن التوفيق الوثيق بينهما لا يأتي عفو الخاطر بل يحتاج الى جهد وتخطيط .

بعض المحاولات لحل صعوبات « مرحلة التوجيه »

تلك مشكلات يحتاج الوقوف عند كل واحدة منها الى بحث باكمله . وهي ترينا ضخامة المسالة وتعقيدها . وهي تبين لنا بالتالي الاسباب الثاوية وراء كل تلك التعثرات التي قامت في المحاولات التي جربت أن تقدم حلا لها وراء الاصلاحات التي قامت لايجاد مخرج سليم منها .

وحسبنا أن نذكر من قبيل المثال لا الحصر ، تلك المحاولات الدائبة التي قامت تترى في مثل فرنسا منذ اكثر من أربعين سنة ، بل منذ الحرب العالمية الاولى ، منذ أيام رفاق الجامعة الجديدة Compagnons del'Université Nouvelle حسبنا أن نعدد مجرد تعداد قائمة الإصلاحات التي طرقت هذا السبيل :

فهناك مشروع « جان زى Jean Zay » منذ عام ١٩٣٦ ، ذلك الاصلاح الذى أقام مرحلة ملاحظة وتوجيه مدتها سنة واحدة بعد نهاية التعليم الابتدائي . وهنالك مشروع الجزائر Plan d'Alger الذى وضعته حكومة « ديغول » المؤقته في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية والذى يحتل فيه التوجيه المدرسي مكانة أساسية ، ويمتد سنتين (بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من العمر) .

هنالك « مشروع لانجفان ـ فالون Langewin - Wallon » الشهير عام ١٩٤٤ الذى ظل أساسا باقيا من اسس الاصلاح في التعليم الفرنسي ، والذى ولد منه مشروع « الصفوف الجديدة Classes nouvelles » وهو مشروع جعل مرحلة التوجيه أربع سنوات ونظمها تنظيما دقيقا . وهنالك بعده مشروع « ديبرو Depreux» ومشروع ديلبوس Delbos « ومشروع برتوان Berthoin الاول ومشروع « بيير Billères » ثم مشروع « برتوان » الثاني عام ١٩٥٩ الذى أثار جدلا

طويلا والذى عنى ايضا عناية خاصة بمرحلة التوجيه . وهنالك أخيرا « اصلاح فوشيه Fou-chet » عام ١٩٦٣ ، الذى عاد فى كثير من جوانبه الى اصلاح « لانجفان فالون » الشهير :

بعض النتائج الاساسية

وعلى الرغم من تعقد هذا الموضوع - كما نرى - وعلى الرغم من هذا الجدل حول مضمون مرحلة التوجيه وشكل تنظيمها ، يمكن أن نقول بأن هنالك نتائج كبرى نستطيع ان نستخلصها ، ويتجه الباحثون المختلفون الى الاجتماع حولها . وفى وسعنا أن نلخص هذه النتائج فى النقاط الاساسية التالية :

١- لا بد أن تكون المرحلة التالية للتعليم الابتدائي مرحلة شاملة لجميع الطلاب الذين يدخلونها ، ومرحلة ملاحظة وكشف عن القابليات وتوجيه للطلاب فى النهاية نحو فروع الدراسة التي هم لها اهيا .

٢ - مدة هذه المرحلة ينبغى أن تكون طويلة بعض الشيء ليتسنى الكشف العلمي عن القابليات وليتم تجنب الاحكام السريعة حول تشخيص القابليات ومستقبلها . ولعل جعل مدة هذه المرحلة ثلاث سنوات أمر معقول .

٣ - النصيحة التى تقدم للاباء فى نهاية هذه المرحلة حول قابليات أبنائهم وفروع الدراسة الصالحين لها ، يمكن ان يساعد على تقبل الاباء لها جملة من العوامل : اهمها قيام التوجيه على أساس علمي صحيح وثقة الاباء بالتالي بهذه النصيحة، ثم تغيير موقف الناس جملةفى مجتمعاتنا من العمل اليدوى والعمل المهنى والفني والقضاء على بقايا تلك النظرة القديمة التى تحقر العمل المهنى ، والتوسل الى ذلك بشتى الوسائل التى لايتسع المجال لذكرها هنا .

٤ - لابد من تحقيق بعض المرونة فى التوجيه ، بحيث يمكن للطالب الذى وجه نحو فرع من الدراسة الثانوية أن يغير هذا الفرع بعد فترة من دخوله اذا ثبت عجزه فيه . وهذا ما حرص على ادخاله خاصة اصلاح عام ١٩٥٩ فى فرنسا (اصلاح برتوان الثانى الذى اشرنا اليه) ، حين اقام ما سماه باسم « جسور العبور Passerelles » من فرع من فروع التعليم الثانوى الى آخر .

خاتمة واعتذار

وبعد لانزعم أننا استطعنا فى هذه العجالة ان نحيط ولو بجانب ضئيلمن هذه المشكلة الضخمة ، « مشكلة المشكلات فى السلم التعليمي » مشكلة المرحلة التالية للتعليم الابتدائي . وكل ما فعلناه أننا طرحنا المسألة وبينا اهم معالمها واهم سمات الحلول التي قدمت لها والصعوبات التي واجهتها تلك الحلول .

ولاشك أن هذهالمشكلة لاينفرد بها بلد دون بلد والدول السائرة فى طريق النمو - ومن بينها الدول العربية - مدعوة الى مواجهتها مثل سواها بل اكثر من سواها . وقد أخذت تلحف فى الطلب منذ سنوات كما اخذت بعض الدول العربية تتلمس لها الحلول ، وهي حلول تستقى من هذا الاطار العام الذى اشرنا اليه . وحسبنا أن نذكر أن الاتفاق الثقافي عام ١٩٥٧ (بين سورية ومصر والاردن والذى انضمت اليه بعض الدول العربية بعد ذلك) طرح هذه المسألة ووضع لها اطارها . حسبنا أن نذكر أن الجمهورية العربية المتحدة اتجهت منذ سنوات اتجاها جديا نحو اعتبار المرحلة الاعدادية مرحلة شاملة ومرحلة ملاحظة وتوجيه .

على ان الجهود فى هذا الميدان فى معظم الدول العربية ما تزال تسير على استحياء . وقد تكون صعوبة المشكلة أحد اسباب هذا الرجل . غير ان هذا لايعفي هذه الدول من الجراة فى معالجتها ، فالمشكلة قائمة ، ولن يجدى فيها تجاهلها ، ولا بد ان تطرح طرحا جديا مسؤولا .

والتغلب على الصعوبات لايكون ابدا بالنكوص عنها بل بمهاجمتها والتدرج نحو القضاء عليها خطوة خطوة . واذا كان الحل الامثل متعذرا فى هذا الميدان - شانه فى اى ميدان آخر - فمن الواجب أن نذكر أن حل أى مسألة بناء مستمر وجهد موصول وعمل متراكم ، بل مواجهة لمشكلات جديدة وخلق لصعوبات مستحدثة . ■■

بيروت **عبد الله عبد الدايم**

صفحة في اللغة

تطور الكتابة العربية

■ قد يكون من المناسب أن نذكر للقارىء في العامة وجيزة مراحل التطور الذى عاصر الكتابة العربية منذ ظهور الاسلام .

الخط الكوفي

ان الكتابة العربيــة ظلت في المصاحــف وفي سواها ، وكتب الحديث على هيئة حروف الخط (الجزم) المسمى ــ بعد ذلك ــ بالخط الكوفي زهاء ثلاثمائة سنة ، حتى جاء « أبو على محمد بن مقلة » وزير « المقتدر بالله العباسي » فاخرجها في أواخر القرن الثالث الهجرى الى هذه الصورة التى هي عليها الآن .

علامات الاعراب

وفي غضون ذلك وضع « أبو الاسود الدؤلى » ــ بأمر من « زياد ابن أبيه » ــ وكان واليا على العراق ــ علامات الاعراب في أواخر الكلمات . كما وضع « يحيى بن يعمر » و « نصر بن عاصم » النقط على الحروف ، وكان ذلــك بامر مــن « الحجــاج » . ثم جــاء « الخليل بن احمد الفراهيدى » فوضع الشكل الحالى كما هــو بحالته المعروفة التى ظلت مستعملة الى اليوم دون تعديل أو تبديل ، كما وضع « الهمزة » ولم تكن معروفة لغيره من قبل .

ولم يكن ذلك الا لعصمة الكتابة من الخطأ ، واختفاء اللحن عند القراءة والكتابة ، حتى يطمئن الناس الى تدوين القرآن وكتب الحديث .

الا أن الكتابة ظلت بعد ذلك على جمودهــا وضخامة حروفها زمانا طويلا .

تطور كان واستمر في ناحية اللفظ فحسب

ولما كان التطور من سنن الوجود ، فقد تطور الخط العربي من كبير الى صغير ، ومن حسن الى أحسن ، حتى صارت الكتابة به كالشكل الذى نراه عليه الآن .

على أن الذى مر لم يكن الغرض من ايراده الا ابراز ما أصاب الكتابة من تطور في ناحية اللفظ فحسب ، أما بالنظر اليها ككل ، فلم تحظ بشيء جديد ييسر على القارىء فهم المراد لاول وهلة ، نتيجة لعدم اعترافها بالحدود والفواصل .

فلو نظرنا الى آلاف الكتب المطبوعة من قبل وأيضا الى الكتب المخطوطة نجد ان الكلام فيها يتوالى دون توقف في محاط الابتداء والانتهاء .

ولعل بعضنا قد برم بالقراءة في هذه الكتب ، ولم يعد يهتم بدراسة ما فيها من ذخائر العلوم ، ونفيس المعارف والفنون ، لما يلاقيه في سبيــل ذلك من كد للذهن ، وقصور في الفهم .

استحداث علامات الترقيم

وقد فطن أولو الامر من رجال التربية في مصر الى معالجة هذا النقص في كتب القراءة وفي سائر المطبوعات الاخرى ، فاستحدثوا (علامات الترقيم) وطبقوها في معاهد العلم وكتب الدراسة بادىء ذى بدء ، فأتت بثمار طيبة .. وأضفت على الكتابة ثوبا قشيبا ، ولم تلبث ان ذاعت وشاع استعمالها في جميع الامصار والاقطار .

ومنذ أوائل القرن العشرين ، ولاول مرة في تاريخ الطبع حوت صناديق الطباعة « علامات الترقيم » المجسدة بين حروف الطبع المصبوبة من الرصاص ، ودارت آلات المطابع لتخرج للناس آلاف الكتب الحديثة والقديمة على نمط جديد مستساغ ، يكاد يتميز بنصاعة المعنى .. وحسن التركيب .

ونرجو ان نأتى علــى علامــات الترقيــم واستخداماتها في كلمة اخرى . ■■

ابراهيم عبد المطلب

مسلمات خالدات

خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد

بقلم: سنيه قراعه

■ كان لها الحسب ... وكان لها الاصل العريض ، فهى بنت الصيد البهاليل من سادات قريش ... وفوق الحسب والاصل العريق ، والارومة العتيدة ، كان لها الجاه العالى ، ثم كان لأبويها المال الجم والثراء الوفير ، وللمال والثراء فعلهما واثرهما ، فلا عجب ان تقدم لها السادة القطاريف يخطبونها لأنفسهم ، ويدعون بما كان لها من فضل وأمجاد ، أمجاد كانوا يتميزون بها ويفاخرون ...

وهكذا تزوجت خديجة بنت خويلد ، سيدا من اكرم أبناء عمومتها هو « عتيق بن عائذ المخزومى » ، وانزلها أعز منزل ، واكرمها أيما اكرام ، وعاش معها حياة ، كانت هى السعادة المدعمة المستقرة ، حتى شاءت ارادة الله ان يفرق الموت بين الزوجين الشابين فمات عتيق وترملت خديجة ، وهى لما تزل بعد فى نضارة الصبا والشباب ..

وعادت الأرمل الشابة الى بيت أبيها خويلد ، وقد ورثت مال زوجها عتيق ، فزاد لديها المال ، وتعاظم الثراء ، فشغلت نفسها بالتجارة شانها فى ذلك شان مجتمع قريش وشان ساداته ، حتى حدث أن تقدم « أبو هالة هند بن زرارة التميمى » يخطبها لنفسه ، (١) وكان سيدا فى قومه ، له جاهه ومكانته ، وماله ، فارتضته خديجة زوجا ودخلت بيته ، وعاشت فى ظله ما شاء لها الله أن تعيش ...

ثم ... لحق « أبو هالة » بربه ... وترملت خديجة للمرة الثانية ... وللمرة الثانية ... ورثت فوق مالها ، مال الزوج ، فعظم الثراء ... وتكاثر المال ... وتبعا لذلك اتسعت دائرة التجارة ، وعظم نطاقها ...

وورثت خديجة بعد هذا ، وفوق ماورثت من قبل ، مال ابويها ومركزهما التجارى ، ومكانتهما المدعمة ، وما كان لهما من أعمال عديدة متشعبة ، واصبح عليها وحدها أن تديرها ، وتتولاها ، وترعى شئونها ، فخرجت الى نطاق العمل ، وباشرت الصعب من امور الاتجار فكثر عبيدها ، وتكاثر مالها ، وتضاعف عدد من كانوا يعملون لحسابها وتحت امرتها ، وأصبحت لها صلات

(١) قيل ايضا ان أبا هالة هو الذى تزوجها أولا ثم تزوجها عتيق بن عائذ بعده .

بأهل المال واصحاب التجارة ، وخرجت باسمها القوافل عبر الصحراء في رحلتي الشتاء والصيف ...

وبحكم هذا المركز المالى الكبير ، والاشراف الكامل على اعمال التجارة والقوافل وعمالها ، وترتيب مواقيت خروجها وعودتها في مواعيد منتظمة ـ اصبحت خديجة وثيقة الاتصال بمجتمع قريش ، تعلم الكثير من أنباء أهله ...

وسمعت خديجة في جملة ما سمعت باسم محمد ... فتى من بنى هاشم ، عمل في صفره وعرف في مجتمع مكة بأسرها باسم الامين ...

شاب يخطو نحو الرابعة والعشرين ، في ربيع عمره ، مكتمل الشباب ولكنه راجح العقل ، جميل الطباع ، رزين ، هادىء ، له فلسفة الحكماء وطول باعهم ، وحكمة الشيوخ وبعد نظرهم ، فيه روية اهل الحجا ، وله سعة افق العلماء الواثقين ممن يزنون الامور ويضعون كل شىء في موضعه الحق الجدير به ...

■ ■ ■

وعجبت خديجة بنت خويلد لما سمعت من أمر محمد بن عبد الله ... ووجدت نفسها تطلب المزيد من أنبائه ، لتعرف عنه ، أكثر مما عرفت .

عرفت أن أباه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، مات وامه آمنة بنت وهب حامل به ... وأن جده عبد المطلب كفله ... وأن حليمة السعدية أرضعته وتربى معها في الصحراء وسط ربوع أهلها ، فعرف البادية ، ونشق هواءها ، وعاشر أهلها ....

وراحت خديجة تطلب المزيد من أنباء محمد ، فعرفت عنه ما أثار دهشتها ، وعجبها ، بل ... تقديرها واعجابها ... عرفت أن محمدا لم يتصف بالامانة والحجا فحسب ... بل بالعزوف عن مجتمع قريش بأسره ، والبعد عن مجون اهله واسرافهم في طلب الملذات ، وراع خديجة أن يوجد في مكة قرشى شاب ، بعيد بروحه وفكره عن مجتمعه وطباع قومه ، ووجدت فيه وعن طريق السمع ، امينا يجب ان يؤتمن ، وحكيما ، من التعقل ان تستغل حكمته ، ومن هنا ، قررت ان يعمل معها ، وأن تكل اليه أمر قافلة من قوافلها ، يخرج بها الى الشام ...

ولما كان صاحب المال دائما يتميز بالحرص ، والدقة في اختيار أمنائه ، فقد حرصت خديجة على أن تختبر محمدا ، اختبارا عمليا ، ظاهرا ، فوكلت اليه أمر التجارة ، ثم أرادت فوق هذا أن تختبره روحيا وخلقيا ، اذا ما هو بعد عن مجتمعه الذى عرف فيه بالرزانة والتعقل ... وخالط مجتمعا لا يعرفه فيه أحد ، ولقى فيه حريته الكاملة ، البعيدة عن الرقابة والعيون ... فارسلت معه عبدها « ميسرة » ليرقبه عن كثب ، حتى اذا ما عاد ... عاد اليها بصورة كاملة عن محمد ، في حله وترحاله ... في سفره واقامته ... في ممارسته للتجارة ، ومعاملته للناس ... في بيعه وشرائه ... في تعرفه على كل وسط جديد يدخله ، ومع كل أناس يخالطهم .

وخرجت القافلة ، وعلى رأسها محمد بن عبد الله ، وخديجة تتعجل الايام لعودتها ، ومعها انباء الشاب الذى تمنت أن تصدق فيه أقوال الناس ، وأن لاتخيب فيه فراستها وصدق حدسها ...

وعادت القافلة بالربح الوفير ... والتجارة الرابحة و ... أعز وأروع الأنباء التى كانت تتصورها خديجة الطيبة التى راحت تصغى الى « ميسرة » عبدها الطيب وهو يحدثها حديث المأخوذ عما رآه من الامين محمد طوال أمد الرحلة من مكة الى بلاد الشام ، ومن هناك الى مكة ...

خوارق واعاجيب سمعتها خديجة عن محمد ، ومديح يتلوه مديح .. فالشاب العزوف عن مجتمع قريش .. ظل على حاله .. العزوف المتباعد عن مجالى الشام وروائع سوامره التي يقبل عليها التجار في شغف ويرتادها أصحاب القوافل في لهفة واعجاب .

أبدا ماغيرت الرحلة من محمد، ولا بدلته ظروف السفر والترحال ، بل ظل كما هو .. هادئا ، رزينا ، حكيما ، صامتا لايتكلم الاحين يفرض عليه الموقف الكلام ، فاذا تكلم ، كانت الكلمة الواحدة منه تزن الاف الكلمات .. وتجذب السامعين اليه ، ففى صوته نبرة غريبة ، وجرس أخاذ يجبر سامعه على الانصات له .

واستعرضت خديجة الأمر .. لقد عادت التجارة باضعاف أضعاف ما كانت ترجوه لها من ربح ، وهذا ما يشجع على التمسك بمن أشرف عليها هذه المرة ، لأن الربح سيتضاعف بعد ذلك أضعافا فوق أضعاف .. ومحمد هذا ، لايجب أن تفرط

فيه خديجة ابدا ، بل لترى بحاسة صاحبة الأعمال الواسعة ، أن الحكمة توجب ضرورة استبقائه .. وأن تكل اليه اعمالا بعد أعمال .

وكما كان محمد الأمين حديث قريش من قبل وموضع اعجاب واكبار أهلها على مختلف اعمارهم ومراكزهم ، أصبح اليوم موضع اهتمام خديجة ، حتى أنها هي الأخرى تتحدث وتطريه ، وتمتدحه امام أقرب صاحباتها اليه ، وأن احداهن وهى صاحبتها « نفيسة بنت منية » لتستمع اليها في دهشة ، وتحس بأن خديجة تتحدث حديث القلب ، وان في النفس الى محمد ، ما هو اكثر من الاطراء والمديح .

وشاءت القدرة أن تلعب نفيسة دورها في التقريب بين خديجة ومحمد الذى ارتاحت خديجة اليه ، وأسرعت الصديقة الأمينة الى محمد تسأله سر انصرافه عن الزواج ، وقد بلغ الخامسة والعشرين ، فكان صريحا معها الى أبعد حدود الصراحة ، اذ لم يكن بيده ما يتزوج به ، فاذا بها تعرض عليه الحسب والمال والجاه ، فعرف انها تشير الى خديجة التي أنس اليها من قبل ، وسرعان ما قبل عرض نفيسه في لون من الوان التحفظ ، لأنه كان يعرف أن خديجة قد طلبها سادات قريش وكبار أثريائها فردتهم ، فكيف تقبله هو وهو المعدم الفقير .

وهونت نفيسة الأمر لمحمد .. وعادت الى خديجة .. ثم .

ثم تم الزواج المبارك المبرور .. وحضره أعمام محمد وعم خديجة عمر بن أسد .

وأصدق محمد خديجة عشرين بكرا ، وبدأ حياته المستقرة معها ، وانتقل الى بيتها الهادىء ، الذى أغناه الله بوجوده فيه عن الناس ، ورفرفت السعادة على الزوجين الهانئين وبدأت تؤتى ثمارها النضرة . ورزق محمد من خديجه بأولاده القاسم والطاهر والطيب ، وبناته زينب ورقية وام كلثوم ثم فاطمة الزهراء .

وشاءت ارادة الله ، أن يتخير الى جواره أولاد محمد الذكور ، فلحقوا به سبحانه وتعالى وهم في طفولتهم المبكرة ، فحز هذا في نفس أبيهم الطيب ، الذى اتجه بكل رعايته وعطفه بعد ذلك الى زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة الصغيرة .

ومرت السنون .. مرت في يسر وهدوء الى أن زوج محمد ابنته زينب بأبى العاص بن الربيع ابن خالتها ، وخطب عمه ابو لهب رقية وام كلثوم لولديه عتبة وعتيبة .

خمسة عشر عاما مرت بعد الزواج السعيد .. وشارف محمد الأربعين من عمره ، وقد زادته الأيام حكمة وأصاله ، وكفلت له ظروفه المادية الميسرة عيشا مستقرا ، وتفكيرا منظما ، ما لبث أن تخطى محمد به مجتمعه ، ثم استقر به الى ماهو فوق تفكير أهل مكة جميعا .

ما أصغر هذه الحياة ، وما أهونها وأحقر شأنها .. بل وما أتفه عقول الناس هذه التي بعدت عن الحق ، وتعامت عن الجوهر ، واتبعت الزيف ، وأحبت الضلال !!

ثم .. أى حياة هذه التى يحياها أولئك الناس .. وهل يعبثون فى حياتهم وبمجتمعهم حتى يصلوا به الى هذا الدرك السحيق ، فعاشوا حياة بلا هدف وبلا غاية .. حياة لاتعرف غير العبث واستحلال الحرمات .

مجتمع سادر فى الغى ، غارق فى الاثم ، مقبل على لذات الحس ، دينه التدنى ، وديدنه الشهوات !

والحقيقة !

حقيقة هذا الوجود .. حقيقة الانسان ورسالته وهدفه من الحياة .. أين ذهبت .

والحق .. الحق وحكمته واصله وفلسفته ومراميه السامية ! اين ضاعت معالمه ، وكيف بددته عقول هؤلاء الناس !

كل شيء تافه .. وكل ما هنالك حقير لايساوى مثقال ذرة من وجوده .

لهو وعبث وخروج سافر عن لب الحقيقة !!

حتى العبادة عبارة عن تمرد .. والتعبد ضلال .. وطقوس الضراعة غى وبهتان مبين .

اى دين هذا الذى انتظم كل هؤلاء العابثين .. وكيف اباح لهم المحرمات ، وناداهم الى الاثم ، وحرضهم على الرذيلة .. واى معبود هذا الذى يقبل لعباده هذا التردى ويسمح فى مواسم الحجيج الى ساحته بأمثال هذه الموبقات .

خمر .. ورقص .. وتجرد .. وانحلال .. أهذه هي شعائر ذلك الدين .. وتلك كانت طقوسه !!

لا .. لا .. والى الأبد لا .. فليس هذا كله من

الحقيقة الظاهرة الناصعة في شيء ابدا .

اذا .. فاين الحقيقة .. واين وجه الحق !!

تلكم كانت الفكرة .. وذلك كان المدار الرحب الذى دارت حوله افكار محمد .

لقد كانت فكرة الحق هي شغل محمد الشاغل ، وان وجدانه الملهم النقي الطاهر ليرشده اليها ولكنه رغم هذا في حيرة من امر ، ومن امور عديدة كان يراها حواليه ، ويرى انها فرضت قسرا على مجتمعه الضال ، واهله الضالين .

من اجل حيرة الوجدان ، وقلقه وعدم استقراره، انكر محمد مجتمعه ، وباعده وامعن في الهرب منه ، لاخوفا مما كان يحدث ، بل ترفعا عن التدنى ، واشفاقا لتهاوى البشر في الاثم واغراقهم في الباطل.

وفي سبيل البحث عن الحقيقة الجلية التي تؤمن بها الروح الصافية ، ويدين بها العقل المجلو، ويقبل عليها القلب الشفاف ، وترضاها النفس المستضيئة بانوار الحق ـ راح محمد يبحث عن الحقيقة في بعده عن الناس ، بعدا ، تمرد فيه على عبادتهم ووسائل تعبدهم ، فابى ان يتصور ان للاحجار المنحوتة قيمة ، او ان للصنم العاجز قدرة ، او ان له ـ حتى كما كان مجتمعه يدعى ـ شفاعة وقربا من الله .

ابدا ما كانلمحمدـالذىتولاهاللهبرعايته، واعده ليهدى به الضالين جميعا الى طريق الحق ـ ان يساير قومه في طريق ، او يوافقهم في راى .. فكان غريبا عنهم وان عاش بينهم ، يرقبهم وهو يأسف لهم ويشفق عليهم ويرثى لحالهم .

كانت نفس محمد عامرة بالآيات البينات ، مضطربة بالمشاعر النورانية ولكن .. لم يكن بوسعه ان يفصح عما كان يشعر ، او يعبر عما كان يحس ، فلم يكن قد حان الوقت ، وجاء الأمر اللدنى الأعظم .

وامعن محمد في البعد عن مجتمعه ، وهاهو ذا يميل الى التحنث ، والتحنف ، ويهوى التفكر في ملكوت السموات والأرض .

كان محمد يمر بالفترة التي مربها جده الأعظم ابراهيم عليه السلام .. وكان وجدانه يناجى ، او كانى به ، كان يهتف بما هتف به ابراهيم ، وقد ضاق بالشمس ، وكره ان يتبع النجم ، او يؤمن بالقمر ، وقال « لئن لم يهدنى ربى .. »

ووجد محمد راحته في « غار حراء » ، فكان يهرع اليه ، ويلجأ الى هدوئه الذى طابت اليه نفسه ، وكان يبقى فيه متحنثا ، متحنفا ، متفكرا اياما بعدها ايام ، وهنا .. وأمام اقدام الزوج على مداومة الخروج الى هذه الخلوة الموحشة ، وتكرار لجوئه اليها وانصرافه عن بيته ومن فيه ، وعن الدنيا وشواغلها ، الى غيبة كان يطول امدها في غار حراء ـ هنا .. وامام هذه الظاهرة الجديدة من ظواهر عزوف محمد عن مجتمعه الصغير واهله ، وهم أمس الناس به ، وأحبهم الى قلبه .. هنا .. تبرز عظمة خديجة وجلال تفهمها لمشاعر الزوج وعظيم تفكيره .

ابدا ما أقحمت الزوج البارة نفسها على الأمين الذى عرفته ، وخبرته عن كثب ، واستشفت ما وراء روحه العظيم ووجدانه العالي .

ابدا ما سألته سر تحنثه ولاهى اعترضت عليه لامعانه في خلوته البعيدة في « حراء » بل راحت تشجعه وتعينه على أموره الروحية ، وكانما احست أن وراء هذا التحنث ما وراءه ، واستطاعت ان تتخيل ما سوف تسفر عنه هذه الوحدة التي ماكان لمجتمع قريش بها من عهد ، الا لدى فئة تكاد من قلتها أن يكون وجودها في حكم النادر ، ممن كانوا يتبعون الحنيفية ويكفرون بمعتقدات قريش .

واعتاد محمد في أوقات معينة أن يخرج الى الغار .. واعتادت خديجة أن تهيء له شتى مطالبه، وان ترعاه ، وتعينه ، وتشحذ نفسه بما كانت توليه من عطف ورعاية وتشجيع ، فكان يبقى هناك ماشاء له الله ان يبقى ، فاذا ما طالت غيبته تلمسته الزوج الحانية واطمانت عليه ، ثم لاتلبث أن تتركه الى نجواه وتفكيره الصامت الطويل ، وتأمله وتدبره في شئون الملكوت وتسامى روحه الشفاف الى ما وراء الحقيقة من حقائق الكون العظيم .

وحل رمضان ـ ويوافق أواخر شهور العام التاسع بعد الستمائة من ميلاد المسيح عليه السلام ـ وان رمضان للموعد المختار الذى اعتاد محمد أن يلجأ فيه الى صمت الغار ، وهدوء « حراء » يتحنث ويتحنف ، ويفكر في الحقيقة ، وما وراء الحقيقة من حقائق تغافلت عنها بصائر الناس .

ومضى الزمن في مسيره العادى .. وأخذت مظاهر الحياة سمتها المألوفة ، وأهل مكة هم هم ،

ما تغيروا ، ولا تبدلوا ولا احسوا بمرور الزمن ، وتهيؤه لحادث عظيم .

وعلى نفس الحال من التردى ، عاش جيران اهل مكة ، وجيران جيرانهم من اناس ، وعشائر وقبائل ، بل وشعوب وامم وخلائق لايعلم عديدها غير الله .. حياة هي الضياع باجلى معانيه .. هي الهيمان في الضلالات .. هي الاغراق في الباطل .. هي الاسراف في التردى وفي الانحلال .

وقف الناس حيث تخيروا لانفسهم ان يكونوا .. وقفوا والفلك المحرك سائر .. وكل ما في الكون يسعى الى سنة التغيير .

واخذت ايام شهر رمضان تمر كغيرها من ايام لم تعتد قريش ان تقيم لها اى حساب .. وبقى محمد المتيقظ الحى .. الواعي البصيرة حيث اعتاد ان يكون في مكانه من الغار المبارك ، يتفكر في خلق السموات والارض ، وتتابع الليل والنهار ، ثم يهفو بوجدانه الى الحقيقة العظمى ، وما وراء تلك الحقيقة من معارف وانوار .

كان محمد وحده يتفكر ويرجو ، ويتعالى بالحس الى حيث هداه الحق ، وصفا من اجله الوجدان ، واستنارت البصيرة .. واتسع رحاب القلب الذى وسع الدنيا باكملها الكامنة فيه ، المتوثبة الى الانطلاق لتنير الظلمات وتبدد الشكوك .

وراحت ايام رمضان تمضى ، ولياليه الغر الميامين تتابع حتى كانت الليلة المباركة .. ليلة القدر الرفيع .. الليلة العظمى الجليلة المقدار ، التي شرف بها الزمن وتعاظم .. الليلة التي ارادها الحق فاصلا بين عهدين .. بين ظلمات كان من اللازم ان تدبر ، ومواكب نور اصبح من الضرورى ان تتقدم؛ اذ كانت سنن الحياة تفرض ان يستضيء بها الكون ، وان تنتشر ومضاتها وان تستقر وان تدوم .

وخيل الى محمد وهو غارق في تحنثه ، مسلم نفسه الى خلوة الذهن والروح ، وتيقظ الوجدان الحى .. خيل اليه انه يسمع اسمه .

صوت غريب كان يناديه ولاشك .. صوت غير مالوف ابدا ، له اصداء لم يتعودها ، ونبرة لم يكن له بها من عهد قبل الآن .

واحس الامين برعدة، واستشعر رهبة ما احسها ابدا قبل ليلته تلك ، وراح يصغى في هدوء ، واصداء الصوت تتردد في جوانب الغار برنين غريب .

وتلفت محمد حواليه في فزع .. ونظر ناحية مصدر الصوت في رهبة ، واذا به يرى عجبا .

رأى محمد آية من آيات الله الخلقية الرائعة الحس ، الباهرة الجمال ، الشديدة الوضاءة ، النورانية الصورة ، وقد راحت بجليل لالائها تملأ الفضاء حواليه ، حتى لقد عجب لأمرها وهي تملأ الفضاء ، وتبدو في كل شيء وقعت عليه عينا الأمين الصادق محمد بن عبد الله .

وعاد الصوت القدسى الرنين ، يصل الى وجدان محمد الامين فيهزه في رقة ولين وحدب ، ونبراته الحنون ، تطرق مسمعى الأمين ، وصاحب الصوت يقول له :

« اقرأ .. »

وتولت الصادق الامين الدهشة ، واخذ منه العجب ، مأخذه ، فماذا كان بوسعه ان يقرأ في تلك اللحظات الخاشعة .. واى صحف كان يريد منه المَلَك الكريم ان يقرأها .

وحار الامين .

حار محمد بين الأمر الكريم ، وافراقة الروح في محيط الدهشة ، وتبلبل الوجدان ، في بحور العجب والذهول القدسى ، واذا به يجيب : ما انا بقارىء .. »

وعاد الصوت القدسى الرنين يصل الى مسامع محمد ، قارئا ما أمر محمد بقراءته ، للناس اجمعين ..(١)

« اقرأ باسم ربك الذى خلق .. خلق الانسان من علق .. اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم .. علم الانسان مالم يعلم .. »

لقد اهتدى الباحث الأمين الى الحقيقة التي

---

(١) النص في البخارى « فجاءه الملك فقال اقرأ، قال ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني فغطني ــ أى عصرني عصرا شديدا ــ حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما انا بقارىء . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق .. »

طال بحثه عنها .. وأطلت عليه أضواء المعرفة ، فاستنار بها القلب ، وأشرق بنورانيتها الوجدان ، فعرف محمد ، ثم قرأ .. قرأ باسم ربه الذى خلق.

ماذا قرأ الأمين .. قرأ قرآنا عربيا غير ذى عوج « فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا .. »

قرأ محمد .. قرأ باسم ربه الذى خلق .. ربه الذى خلق .. بالجلال النور ، ينفذ الى القلب فيعرف .. ربه الذى خلق .. تلكم هى الحقيقة وقد تجلت ظاهرة واضحة .

وهتف الوجدان ، فقد عرف الحق .. عرفه محمد الأمين الذى براه الله من كل نقيصة وحماه من كل سوء ، وحصن بالفضائل روحه ، وصان حياته فعز على الشيطان الرجيم ، ولم يجسر أن يحوم حوله .

عرف الأمين ، الطاهر الكامل ، الراجح اليقين أن قريشا .. أن القبائل جمعاء كانت على ضلال حين سعت الى باحة الصنم وساحته وسجدت أمام جلاله المزعوم ، وسألت الحجر الأصم وهى صانعته ، وهى التى أوجدته ..

عرف محمد أن هؤلاء الناس جميعا قد عموا عن الحق ، وأن الحق الذى صانه وحماه ،وبراه، من الوهم ، والاتجاه الى الصنم ، قد اصطفاه من بين الناس جميعا فهداه اليه ، ليقرأ ويعرف، ثم يقرأ بعد ذلك على الناس ما عرف ، ليهتدوا بالهدى ، ويتبعوا النور الذى أنزل على الأمين الصادق محمد بن عبد الله ..

واهتدى محمد الى ربه الذى خلق .. أجل .. الذى خلق وصنع وصور ، وأبدع ثم هدى وأفاض على العالمين كل خير وكل بركات ، وكل نعم أجلها وأعظمها نعمة الخلق ، والمقدرة على جليل الصنع والابداع ..

خلق .. وهو القادر .. خلق الانسان من علق .. نعم .. من علق خلق الانسان ذلك الكائن العظيم الذى انطوى فيه العالم الاكبر .. خلقه الله من علق .. خلق الله الانسان ... هذا الطاغية المتحكم سيد الارض وما فيها .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق .. خلق الانسان من علق .. اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم .. علم الانسان ما لم يعلم .. » .

وقرأ محمد .. ثم عاد يقرأ .. قرأ باسم ربه الأكرم الذى خلق أولا ثم .. وبعد أن تكرم وخلق .. تفضل وأنعم بالعلم ونورانية العلم ، فعلم الانسان ما لم يعلم ..

يا لها كانت من ليلة .. ويا لجلالها كان من لحظات مرت بمحمد وهو في الغار ، لا يدرى كم من الزمن مر عليه ، هل لبث حيث كان دهرا، أم أنها كانت لحظات جلاء خاطفة مرت به ، أو هو مر بها .. وأسرع الى بيته يرتعد ويرتجف ، ويسترجع في خياله ما كان ، وهو يخشي أن تكون به جنة أو أن تصور أن الوحدة قد عبثت وأثرت فيه ..

رجع الى بيته ، في وقت لم يكن من عادته أن يرجع فيه أبدا فطالما ففي أيام رمضان كلها متحنثا متعبدا في الغار ... بل انه كثيرا ما كان يحدث أن مرت به في خلوته تلك شهور كانت تتعدى الاربع وقد تصل الى ستة شهور ، فترى لماذا عاد الآن والوقت لا يسمح بمثل هذه العودة وما كان يضيره من شيء،لو هو صبر حتىمطلع النهار !! وأى حادث تعرض له !!

تلكم كانت الأسئلة التى تزاحمت على خيال خديجة الحانية ، العطوف ساعة أهل عليها زوجها عائدا من الغار ، بادى الاضطراب ، ظاهر المخاوف . يرتجف ويرتعد ، فأقبلت عليه في حنان سابغ وعطف عظيم تسأله ما به ..

وتكلم الامين .. ولم يقل غير كلمة .. دثرونى .. دثرونى .. وهو يرتعد ...

وأسرعت خديجة تهيىء لزوجها ما طلب ، ثم راحت تحوطه بالبر ، وتدثره بالحنان ، والرحمة فأضفت عليه من روحها الكبير ما جعله يستشعر بعض الهدوء النسبى ، ثم تكلم .

ولقد كان من اللازم أن يتكلم ، الى من يعرف كيف ينصت اليه ، ويتفهم جيدا ما كان يقول .. وهل كان هناك أجدر وأليق وأكثر حنانا وبرا وعطفا وحدبا من خديجة الكبيرة القلب لتنصت وتسمع وتتدبر ثم تصغى بعقل سليم الى ما كان يقول ..

وتكلم الأمين .. ووجف قلب خديجة .. بل غلبته الفرحة ودهمته السعادة ، فقد صدق حدسها في محمد ، وأن ما ظنته فيه ليحققه لها

حديثه الصادق وهو يروى على مسمعيها كل ما حدث في الغار ..

ابدا ، ما كتم الأمين الصادق عن زوجته شيئا مما رأى ، ولا حرفا مما سمع .. وهى تسمع في اصغاء شديد ،وبريق الفرح يشع من اعماق عينيها ، وعلى وجهها الرقيق الملامح ، الناطق بالعطف والحدب ، تجلت أضواء الفرحة الكبرى ، وكأنى بالأمين لم يأتها بجديد ما كانت تتوقعه وهى التى طالما تصورت هذا ، بل طالما أحست بوجدانها الحى ، أن وراء عزوف زوجها عن مجامع قريش وأربابها ، بل عن أهلها ثم تحنثه وتحنفه ، وطول وحدته في الغار البعيد ــ طالما أحست أن وراء هذا كله ما وراءه ، وأيقن فؤادها ، أن محمدا الأمين الطاهر ، الكامل ، الراجح العقل لا يبعد أبدا أن يكون هادى هذه الأمة ، والنبى المنتظر ، الذى كانت البشرية ترجو ظهوره والذى تهامس بمقدمه وأشار الى بعثه ، في هذه البقاع بالذات أهل الكتاب ..

ولقد ارتاح محمد الى انصات زوجته ، وطاب نفسا باقبالها عليه ، وقرأ في ملامحها ، أنها آمنت بما قال ، وصدقت كل ما سمعت ، واذا به يقول في هدوء من بدأ يغمره الهدوء « لقد خشيت على نفسي »..

وتسامى الحنان،وتعالى،وتعاظم أمره ، وجل ، وتفرد فوصل الى مراتب القداسة ، وبلغ درجات الملائكية ، واذا بالشريكة الحانية ، تقول:

ــ يا ابن عم .. والله لن يخزيك الله أبدا .. انك لتصل الرحم .. وتصدق الحديث ..وتحمل الكل .. وتكسب المعدوم .. وتقرى الضيف .. وتعين على نوائب الحق ..

هذه الفضائل جمعاء ، لا يمكن أن تتجمع الا في كامل ، مطهر ، مختار ، اصطفاه الله ربه لأمر عظيم ، ورسالة عظمى ، ليهدى الناس الى الحق فيتبعوه وهم على ثقة من صدقه ، فقد كان صورة حية للكمال البشرى ، والسمو الانسانى ، المبرأ من كل عيب ، البعيد عن كل نقيصة ..

وارتاح الأمين ، وهدأ ، وطابت نفسه وعاوده الهدوء .. وكأنما غلبته راحة طاغية ، جعل مع مسراها الى نفسه ينصت الى قول خديجة له بأن الله لن يخزيه أبدا ، فهو الفضيلة مجسدة والكمال الخلقى ماثل للعيون في صورة انسان ، طهره ربه ، وعلمه ، واصطفاه ، وتخيره ، بعد أن أدبه فأحسن تأديبه ..

وراح محمد يسترجع ما كان .. ويتذكر دقائق ما حدث ثم ..

ثم ما لبث أن استغرق في نوم عميق ، بعد أن دثرته خديجة ، وعنيت به كدأبها دائما معه ...

واخذ الوقت يمر .. اللحظات كالاعوام .. والدقائق كالدهور .. وخديجة متيقظة الحنان .. شديدة الانتباه .. مرهفة الحساسية ..يشملها صمت البيت الهادىء وتحتويها سكينته ثم لاتلبث ان تردها الى الواقع أنفاس الزوج المستغرق في نومه ، فتتذكر مرة في اثر مرة ما سمعت منه ، ثم تسترجع مرات ومرات ما قال ، ثم تسلم نفسها لا الى الخيال الجامح بل الى الواقع والحقيقة ، فهى لا تحب الخيال ، ولا ترتاح لشيء ما ترتاح الى الحق ..

وبدأت خديجة تتدبر في امعان وعمق تفكير ما سمعت ..

أهى رؤيا !!!

أجل .. وانها لرؤيا حق وصدق ، بل .. وأمر ، ثم تكليف .. بعد هدى وهداية الى حق طالما فكر محمد في عوالمه وحار ..

هذا الذى حدث لا يمكن أن يكون الا حقا .. حقا مؤكدا لا مرية فيه أبدا ..

اقرأ .. ماذا يقرأ .. !! ذلك ما فكرت فيه خديجة ..

اقرأ .. ما سوف تسمع .. اقرأه على الناس وهذا هو التكليف الاجمالى .. والأمر بالبلاغ المبين ..

اقرأ .. ما سوف تسمع من آيات الله المحكمات .. اقرأها على الناس ليهتدوا بها ..

اقرأ باسم ربك الذى خلق .. خلق الانسان من علق .. اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم .. » .

هذا كلام لم يسمع به أحد من قبل أبدا .. كلام يجب تدبره والامعان فيه ..

ولكن .. هل تستطيع خديجة وحدها أن تفكر في هذا الذى سمعت ؟!

لقد صارحها زوجها بما رأى ، وما سمع ،

وجعلها شريكته في الرأي ، وقد احب ان يستمع الى رأيها في هذا الأمر العظيم الذى تعرض له ، فلماذا لا تسرع هي الاخرى ، الى من تثق فيه وتهمس اليه بما كان ، فقد يكون له رأى !!

واسرعت خديجة وحدها(١) ، الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وراحت تروى له ما حدث لمحمد ، وما تعرض له في نبرة المقتنعة بما كانت تقول ، المؤمنة بما كانت تروى .. والرجل منصت اليها في هدوء ، فقد كان ممن قرءوا الكتاب ، وكان على النصرانية ، ولم يكن على دين قريش ..

ورفع ورقة وجهه في النهاية ، وبعد ان أتمت خديجة حديثها في هدوء قال :

ـ قدوس .. قدوس هو الله .. يا ابنة عم .. والذى نفس ورقة بيده ان كنت قد صدقتني الحديث فان ما رآه محمد في الغار ، انما هو الناموس الأعظم الذى انزل على موسى وعيسى من قبل ، وان محمدا لهو نبى آخر الدهر .. انه دعاء ابراهيم عليه السلام .. وبشرى عيسى .. وان اهل الكتاب ليعرفونه في توراتهم ..

ونزل حديث ورقة على قلب خديجة بردا وسلاما ، وانها لتستشعر الزهو ، وتحس الفخار وتعرف ان شعورها لم يكذبها ابدا يوم تخيرت الأمين زوجا ، وان فراستها فيه كانت صادقة صائبة ، وانها احسنت بوقوفها الى جانبه ، وحدبها عليه ، وبرها به ، وتباعدها عن تصرفاته ، وحبه للوحدة ، واغراقه في البعد عن الناس ، ولجوئه الى الغار ، لأيام واسابيع وشهور يتحنث ويتفكر ..

وانها اليوم لتحس والسعادة تغمر قلبها انها تجنى ثمار ما غرست ، وان الله رب محمد ومرسله ، ومرسل ناموسه الأكبر اليه في الغار ، لا بد ان يجزيها أجر العاملين ، الصادقين المؤمنين ..

وعادت خديجة الى بيتها ، والدنيا تتفاءل أمام فرحتها .. عادت لتجد البيت على حاله من الهدوء والسكينة والصمت ..

كان الأمين لم يزل مستغرقا في نومه ولكن .. اى نوم .. نوم تقطعه الرؤى .. وتخللته الاحلام اليقظى ، فصوت جبريل لم يزل يدوى في خياله ، وصورته ، ما زالت تملأ كل فراغ كان محمد يراه ، ثم ..

ثم ها هو ذا يسمع نفس الصوت القدسي مرة اخرى .. وها هو ذا جسد محمد يضطرب ، ويهتز ، وينصب عرقه مثل الجمان ، واذا هو بين النوم واليقظة ، وهو في تمام الوعى ، يصغى من جديد الى تكليف جديد ..

« يا ايها المدثر .. قم فانذر .. وربك فكبّر .. وثيابك فطهر .. والرجز فاهجر .. ولا تمنن تستكثر .. ولربك فاصبر » ..

واسرعت خديجة البارة مرة اخرى الى زوجها تذهب عنه الروع وتطمئنه ، وتسمع اليه ، وهو يتلو ما اوحى اليه من كتاب ربه .. ثم تطلب اليه في همس رقيق ، أن يريح نفسه ، ويعاود النوم من جديد ..

اى نوم .. واى راحة كانت تشير خديجة اليها لمحمد رسول الله ، وقد امره ربه بالقيام .. وها هو ذا يقوم طاعة وامتثالا ، ليستجيب للأمر الثانى ، ويسارع الى تنفيذه وهو الانذار ..

قم ، فانذر .. فكيف ينام ، او كيف يستريح ، والله الحق يأمره بالقيام بالانذار ، ويعين له الطريق الواجب اتباعها وهى التكبير .. الله اكبر .. الله اكبر ..

واصغت خديجة طويلا الى زوجها ، في الوقت الذى راحت تدوى فيه اصداء كلمات ورقة في خيالها المرهف ، وقد قال عن محمد انه نبى آخر الزمان ، وان ما رآه في الغار هو الناموس الأكبر ، الذى كان ينزل على موسى وعيسى .. وانها الآن لتستمع الى جديد ..

لقد عاد الناموس الى محمد ، وها هو ذا يتلقى اوامر جديدة تمهد طريق الجهاد ، الذى انبأها به ورقة ..

ووجدت خديجة نفسها تصارح زوجها بما سمعت ثم .. اذا ببرها وحنانها ، وحدبها

---

(١) هذه رواية مذكورة . والرواية المشهورة وذكرها البخارى .. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ... فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن اخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ...

على محمد ، يتعالى الى اقدس درجات التسامى، فيستحيل الى ايمان صادق بما قال .. وتصديق مطلق ، لكل ما تحدث به ..

وآمنت خديجة بمحمد .. وخلعت دين قريش وارباب من كفروا بالله ، ودخلت في دين الاسلام واتبعت زوجها على ملته ، وقد قرّ بها العـزم على ان تقف الى جواره ، وان تشد ازره ، وان تعينه ، بما تستطيع في جهاده ، تصورت وعثاء الطريق ، وطولها وعناد من سوف يلقونه فيهـا من الآن ..

وكان ايمان خديجة برسالة محمد ، أول حلاوة تذوقها وهو في بداية مرحلة الجهاد الشاق .. بل ان هذا الايمان السريع من جانب خديجـة والتصديق بما قال محمد ، ثم الاستجابة للدعوة، كان ولا شك بلسم الراحة والهدوء الذى احسه رسول الله ، ووجد فيه بشرى النصر المـؤزر ، وآيته الكبرى ، التى سوف تتلوها آيات بينات بعد آيات ..

وخرج محمد ذات يوم من بيته ، وبينا كان يطوف بالكعبة ، بيت الله العتيق ، اذ رأى ورقة ابن نوفل الذى أسرع اليه في لهفة وشوق ،يتعرف انباءه ويريد ان يعرف الى اى حد وصل من حدود الرسالة .

وقال ورقة لمحمد ، في حرارة وصدق .. والذى نفس ورقة بيده ، انك لنبى هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ..

وقد كان هذا هو نص ما قاله لخديجة من قبل،

ولكنه ــ وما دام قد انفرد بمحمد صاحب الرسالة ــ فليكن معه اشد صراحة ، واكـثر وضوحا ، واذا هو مستمر في حديثه يقول :

ولتكذَّبن ، ولتؤذَيّن ولتخرَجن من ديارك ولتقاتلن ، ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه .. » .

وراحت الكلمات تدوى في خيال محمد ، وكأنما هى دقات كانت تفتح لعينيه الابواب بعد كل دقة منها ليعرف ، ويعلم ، ويستقر ، فلا يرده هول ، ولا يروعه شر ، ولا يتراجع امـام خطب من الخطوب ..

سيكذبونه .. اللهم هذا حق ..

وسيؤذونه .. اللهم هذا صدق .

وسيخرجونه من دياره .. وذلك كان وجـه العجب .. لماذا يخرجونه ، وهو الصادق الأمين، الذى ما عرفوا عليه كذبا ولا سمعوا منه الا صدقا !! فقال : « أو مخرجيَّ هم » ..

واجاب ورقة بن نوفل.. ان القوم سيخرجونه، لانه سوف يجيئهم بما يفرق بين الاب وابنه ، والام وابنتها .. وبما يسفه احلام العشـيرة ، ويعيب اربابها ، وهذا أمر سيبدو في عيونهم عظيما،ولن يسكتوا عليه ، استجابة منهم للعرف، والتقاليد المتوارثة ثم .. لاهانة الأرباب !!

ومال ورقة على محمد يحتضنه ، ويقبل رأسه تبركا به ، وتشجيعا له ، وتهوينا على ما سوف يلقى في حياته القادمة من تكذيب وايذاء واخراج من الديار ..

وافترق الرجلان .. وعاد محمد الى نفسه يسترجع ما سمع .. ويربط بينه وبين ما اوحى اليه وأصداء الأمر بالقيام والانذار يدوى في خياله.

كيف يقوم وينذر .. ومن ينذر من الناس !! هذا امر تنفيذه يستوجب التوجيه الحاسم المحدد ولا شك .. فلينتظر امرا جديدا بالتوجيه الذى يرجوه ..

وفتر الوحى أمدا طويلا ، تبلبل معه خاطـر محمد .. واعتوره الخوف .. وغلبه القلق .. وبان عليه الوجد .. وراح يصارع الشـوق ، فكاد يصرعه طول الترقب والانتظار ..

وخديجة .. خديجة الحانية .. ذات القلب الكبير الدافق بالحدب والعطف .. انها الى جانبه ، وعلى عهدها الذى عرفه محمد ، وعرفت هى به .. المواسية ، والمشجعة ، التى تدعو الى التريث والصبر ، ومزيد من التشجيع ، فقـد يكون بعد العسر يسر، وبعد الضيق فرج ، وبعد الصبر نصر مؤزر ، فان الله الذى تخير واختار ، ووجه وأمر بالقيام والانذار ، لا بد انه محكم لدينه ، يؤجل الوحى ، وانه ما ودع محمدا ولا قلاه ..

وعرفت خديجة في برها ، كيف تشحن الروح الكبير بشحنة من الطاقة القادرة الغلابة واذا باللهفة تزول ، والقلق يتراجع ، والثقة تغمر القلب الفياض بالنور ، واذا بالوحى يعود ، واذا

بمحمد يستمع اليه ، ثم يقرأ من بعده كما أمره الله .

« والضحى . والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى . الم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى . فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث . »

وبان الأمر .. ووضحت معالم الطريق ، وتجلت القدرة وتعالت لتذكر محمدا بعظيم المنن السابقة التى نالها ، فالله ما ودعه وما قلاه ، وانه ليبشره بآخرة أفضل وأعلى درجات من الأولى ، ثم يعدد له بعد ذلك بعض منته عليه ، فقد آواه ، فى يتمه ، وحماه شر الحاجة والسؤال ، وهداه اليه ، وأرشده الى الحقيقة التى حار وهو يفكر فيها ، فاهتدى الى الله الذى خلق وعلم ، ثم أغناه بعد ذلك ويسر له رزقه ، وأخيرا .. راح سبحانه وتعالى يوصيه ألا يقهر اليتيم وألا ينهر السائل وان يتحدث دائما بأنعم الله عليه ، وأن يشكره ، فبالشكر تدوم النعم ..

ولم تكد تطمئن نفس محمد الى أن الله ما ودعه وما قلاه .. حتى عاوده الشوق من جديد الى الجهاد .. وانه ليذكر قول الله له ! قم فانذر .. فكيف يقوم ، ومن ينذر ، والى من يتوجه بهذا الانذار العظيم ..

وجاءه الجواب .. ونزل الوحى .. « وانذر عشيرتك الأقربين .. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين .. فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون » .

اما وقد آمنت خديجة بنت خويلد ، اقرب الأقربين .. فتلك هى الخطوة الأولى ، وان بقية الخطوات لتتلوها بعد ذلك فى يسر ، فها هو ذا على بن ابى طالب ، يعلم بالدعوة ، ويدخل الدين ومن بعده زيد بن حارثة مولى محمد ومتبناه ، ثم من بعد هؤلاء ، سمع أبو بكر بالأمر وارتاح له واستشعر فيه الصدق ، فآمن ، وأعلن اسلامه ثم .. بدأت الدعوة بعد هذا تتسع فى محيط من السرية محدود ، فدخل فى دين الله ، عن طريق ابى بكر ، عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابى وقاص ، والزبير بن العوام ، ثم أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وعبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد ، وخباب بن الارث ، وفاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد ، ثم اسماء بنت أبى بكر ، ثم كثيرون وكثيرات ..

وعلم الله الصلاة لرسوله فراح يؤديها ، ثم علمها لمن اتبعوه ، فكانوا يؤدونها ، فرادى وجماعات ، اذ حرصوا ان تبتعد الدعوة ما أمكن عن التوغل فى مجتمع قريش حتى لا يثور عليها ، وهي لما تزل بعد فى بدايتها ، ولم تعتز بكثرة تستطيع أن تثبت عليها وأن تجاهد من أجلها ..

ومرت ثلاث سنوات ، على هذه السرية المضروبة على الدعوة ، وقد قام محمد خلالها بانذار عشيرته الاقربين .. اذا .. فلينتقل حسب الأمر ، من القيام ثم الانذار الى التكبير .. والتكبير ، هو الجهر .. هو الخروج بالدعوة من الحيز المحدود والخاص الى النطاق العام ..

وخرج محمد الى قريش كلها .. وعلا صوته الكريم يردد « الله أكبر .. الله أكبر .. لا اله الا الله .. محمد رسول الله .. »

وذعرت قريش ، ثم راحت تسترد ذعرها فى هدوء .. ثم ما لبثت أن توثبت ، وتنمرت وأضمرت السوء لمحمد ، وتحفزت له ، ووقفت فى وجهه تناضله ، وتجاهده ، وهو وحده ، والقلة المستضعفة من ورائه يجاهد ويجاهدون ويثبتون..

وركبت قريش رأسها .. وتربصت بمحمد .. وحاولت فى بادىء الأمر أن ترده بالحسنى فلم يقبل الا أن يؤمنوا بأنه لا اله الا الله ، وانه هو الصادق محمد رسول الله .. « وأن يبرأوا من دينهم ويكفروا بأربابهم » ، فأبوا ، وأسرفوا فى الاباء ، وتبين لهم أنهم يرتطمون بصخرة صامدة ، فكان ان اجتمع رأيهم على مقاطعة المسلمين ، بل بنى هاشم جميعا ، ومحاصرتهم فى شعاب الجبل والامعان فى هذا الحصار الى حد الخروج به الى الحرب الرهيبة التى تحول دون وصول الزاد والماء للمحاصرين ..

وتبعت خديجة محمدا الى شعاب الجبل .. تبعته لتقف الى جانبه تشجعه وتعينه ، وتقوم على خدمته .. وتشعره أنها معه دائما .. أنها الى جواره .. وانها لن تتركه أو تتخلى عنه أبدا ..

كانت خديجة فى تلك الفترة ، فى سن لا تسمح

لها بتلك الحياة الخشنة .. وكانت حالتها الصحية تفرض عليها أن تبقى فى بيتها بعيدة عن صخب الجهاد ، ووعثاء النضال الشاق ، لتستريح ولكنها أبت .. أبت الا أن تثبت الى جانب محمد ، وأن تكون رفيقة حصاره ، كما كانت رفيقة يساره وظلت الى جانبه ..

ومرت ثلاث سنوات على الحصار الرهيب وقريش تأبى الا أن يشتد ويعظم وأن تقسو فيه ، وتغلظ قلوب قريش بغية أن تلين قناة محمد ومن تبعه ، ليعودوا الى دين العشيرة ، ولا فائدة .

لقد روع قريشا ثبات المسلمين ، وان السادة فى قريش ليسعون فى نقض عهد المقاطعة والخروج من نطاق الحصار ، وقد ضجوا منه ، وهم الذين أحكموه ، وراحوا يكسرون حدته ، ثم هاهم أولاء يختلفون ويغلظ بعضهم لبعض ويأبى نفر منهم الا أن يصل أهله من المحاصرين ، وكان أول من اقدم على هذا هو حكيم بن حزام ، الذى أصر على أن يبعث الزاد الى عمته خديجة مهما يكن الأمر ، وبرغم تعرض أبى جهل له ..

ووجد السادة من قريش أنهم قد بدأوا يختلفون .. فتراجعوا عن العهد .. وبدا الحصار يضعف ثم يتلاشى ولكن ..

ولكن بعد ثلاث سنوات عجاف شداد ، كان لها أثرها الظاهر على الكثير من الشباب فكيف بخديجة ..

أجل .. كيف بخديجة التى أسنت ، وبدأت الشيخوخة تعبث بها وبرغم هذا كانت شابة القلب والجنان .. قوية الحدب على محمد والمسلمين ..

وعاد المحاصرون من شعاب الجبل .. وعادت خديجة مع رسول الله الى بيتها مرة أخرى .. ثم .. ما لبثت أن راحت تحيط بها العلل وتلعب بها الأمراض ، ويؤثر فيها الضعف الجسدى وقد بدأت تظهر آثار الارهاق ونتائج سنوات الحصار..

وحان الحين .. وحم القضاء .. ولبت خديجة نداء ربها ..

تفتحت أبواب الجنة للروح الطاهرة ، روح المسلمة الأولى .. المجاهدة الأولى .. المناضلة التى لم تقلب يوما .. الروح الدافع الذى وقف وراء محمد يدفعه ، ويشجعه ، ويواسيه ويعينه ..

ماتت خديجة بنت خويلد .. ماتت أم المؤمنين نور بيت محمد ، وأم المؤمنين وأم بنات رسول الله المطهرات ..

ماتت ، والرسول صلى الله عليه وسلم فى معمعان معركة المصير ، أحوج ما يكون الى وجودها الى جانبه ، تعينه ، وتشجعه ، وتواسيه .

ماتت أم المؤمنين أول من اسلم وآمن بدين الله ، وهى فى الخامسة والستين من عمرها .. وكان موتها فاجعة ألمت برسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاجعة قاسية ، جاءت بعد فجيعته فى عمه وحاميه ابى طالب ، فتضاعفت النكبتان .. وما أسرع ما أحس محمد بهول المصابين ..

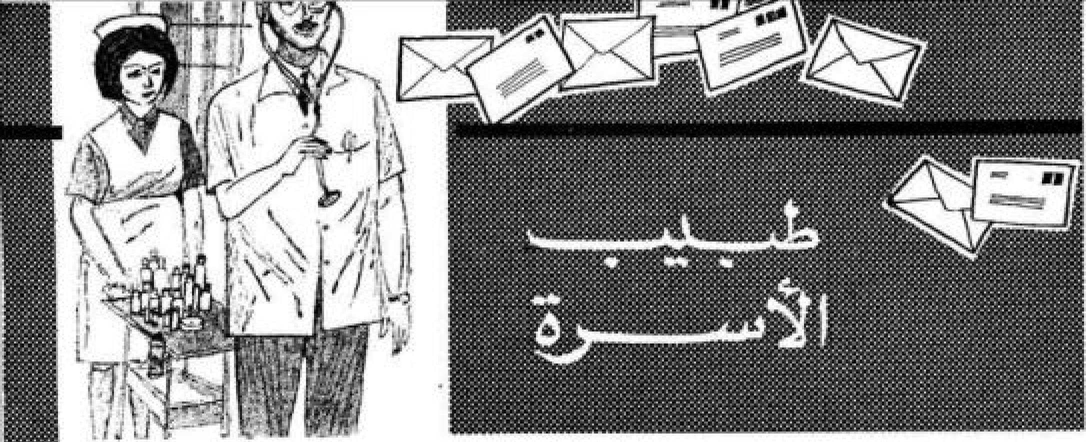
ماتت خديجة .. الروح الحانى ، والقلب الكبير ، ماتت فى وقت ما كان أحوج محمد الى وجودها بجانبه ولكن .. تلك كانت ارادة الله ، وتلك كانت مشيئته ، وذلكم كان أجلها ، ولكل أجل كتاب ..

ماتت خديجة رضى الله عنها وأرضاها ، ودفنها سيدنا رسول الله « بالحجون » وصلى عليها ونزل قبرها وألقى عليها النظرة الأخيرة ..

وتفتحت أبواب السموات العلا للروح الطاهرة.. ودخلت فى جنة الله التى أعدها لها وبشرها بها محمد ، وقد قال له جبريل ذات مرة ، ان الله يبلغ خديجة سلامه ورضوانه ، ويبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ، ولا نصب .

ومن كان أجدر من خديجة بالجزاء العظيم والمثوبة الجليلة جزاء ما قدمت للرسول وللاسلام وللدعوة .. الا أنها كانت خير نساء الدنيا ، ثم انها فى الآخرة ، لخير نساء الجنة ، هى ، .. ومريم ابنة عمران ..

سنية قراعه



ببطني مغص ، فما سببه ، وكيف اتداركه ؟

● ينتابني المغص من حين لحين ،وقد قيل لي ان الدفء خير علاج له .
فهل هذا صحيح ؟ وما هو المغص بالضبط ، اي ما سببه ؟

— لفظ المغص ، يطلق على آلام تقع في البطن تحت السرة ، وهو صنوف ، وأهمها واكثرها شيوعا هو ما يحسن ان نسميه بالمغص البسيط . وهو يحدث عادة بسبب وجود مواد عسرة الهضم في القناة الهضمية ، يحدث بسببها تقلصات في عضلات جدران الامعاء يحس بها صاحبها الما هو المغص .



وهذا الضيق البسيط لا يصحبه ارتفاع فى درجة حرارة الجسم ، والا فهو التهاب داخلى .

وقد يحدث المغص المذكور هذا بسبب تراكم مادة الغائط فى الامعاء ، عند من الامساك عندهم عادة .

وقد يحدث بسبب التعرض للبرد والرطوبة .

ومدة المغص لا تطول عادة ، وهو لا يخلّف اعقابا غير محمودة . ولكن قد تنتج منه اخطار ، كأن يتسبب التقلص الزائد فى انحباس مجرى الامعاء .

والمغص قد يكون عرضا لهذا الانحباس ، لا سببا له . وذلك اذا انسد المعا بسبب خراج او نحو ذلك . واذن لا يدخل هذا فى معنى المغص البسيط الدارج فى الناس .

ولا يدخل فى معنى المغص الدارج فى الناس ما يسمى بالمغص الكلوى . وهذا مغص غاية فى الشدة يحدث بسبب نزول حصوة فى الكلية بدات تتحرك وتأخذ سبيلها الى الحالب فالمثانة فخارج الجسم .

ولا يدخل فى معنى المغص الدارج ما يسمى بالمغص الكبدى ، وهو يحدث عندما تاخذ حصوة فى حويصلة المرارة تتحرك فتخرج منها الى القناة الصفراوية التى توصلها الى المعا .

وليس واحد من هذين الصنفين من المغص بموضوعنا اليوم .

اما علاج المغص البسيط فهو علاج لازالة التقلص المضلى فى جدران المعا ، وهذا يكون باعطاء شيء من المستحضرات الافيونية (بالطبع لغير الأولاد) او البلادنا Belladonna ، وكذلك بوضع الكمادات الدافئة على البطن . اما اذا ظهر ان سبب المغص تراكم مواد غذائية فى القناة الهضمية فعلاج ذلك شربة زيت خروع ، او اى مسهل سريع المفعول .

ولكن هنا يجب ان نلاحظ ان الم البطن قد يكون بسبب التهاب فى الزائدة الدودية ، او انثقاب خراج كبدى ، وفى هذه الحالة يجب الامتناع عن تعاطى المسهلات .

ولا بأس ان نذكر ان الضغط المعقول على البطن قد يذهب بالمغص ، بعضه او كله . وكذلك العقاقير المخرجات للارياح قد تخفف من الالم .

وكل هذا الذى نذكر لا بد ان يكون باستشارة الطبيب .

اسنان ولدى بها اعوجاج

● اسنان ولدى بها اعوجاج ، وقد قال لى طبيب الاسنان انه سوف يصلح ما اعوج منها ، ولكنه لن يفعل هذا حتى يبلغ ولدى السنة التاسعة من عمره ، فما السبب فى هذا التاخير ؟

ـ ان اصلاح المعوج من الاسنان عملية معقدة ، ولا يقوم بها الا ذو اختصاص . وشكل الاسنان فى الصبية يختلف كمثل اختلاف وجوههم ، وكل اصلاح يعتزمه طبيب الاسنان لا بد يقوم على دراسة مقدار ازدحام الاسنان فى الفم ، ومقدار اعوجاجها .

واحسن وقت لاصلاح الاعوجاج هو فى العادة الوقت الذى فيه يفقد الصبى اسنان طفولته ليحل محلها اسنان جديدة ، اى بين سن التاسعة وسن الثانية عشرة .

وتوجد حالات تتطلب الاصلاح قبل هذا . وهذا كله مرهون برأى الطبيب .

الشرب مع الأكل

● الشرب مع الاكل هل هو ضار ؟

ـ اذكر كانى اجبت عن هذا السؤال مرة ، فان لم اكن ، فالجواب ان الراى القديم كان ان الشرب مع الاكل غير مستحب لانه يخفف العصارة الهضمية فى المعدة فيتعسر الهضم .

ولكن اكثر الفسيولوجيين اليوم يرون انه لا ضرر من الشرب مع الاكل او بعد الاكل ، وذلك لانه ثبت لديهم ان السوائل تجرى عبر المعدة بسرعة ثم تمتص بسرعة .

وبالسوائل اعنى الماء واشباهه ، ولا اعنى خلاصة الفواكه ، والسوائل الكحولية .



الاحذية تؤلم اقدام اطفالي

● عندى اطفال كثير ، ومما يتعبنى عند دخول المدارس مسالة الاحذيةالتى تناسبهم . والذى لا حظته ان الكبيرة فى بناتى وقد بلغت العاشرة بدات تشكو من آلام فى اقدامها . والظاهر ان مسالة الاحذية عندنا فى الدكاكين فوضى . ما دام ان القدم ملأت الحذاء فهذا هو المراد . اما كيف ملأته ، فشيء يغيب عن اهتمام البائع .

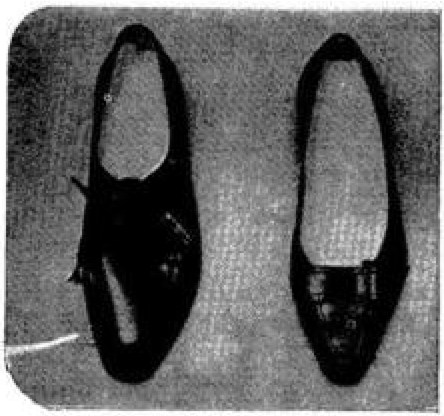
ـ الحق ان مسالة الاحذية مسالة عويصة لا سيما فى البلاد التى لم تأخذ من التكنيئة نصيبا وافرا . اما فى البلاد التى جعلوا التكنية فيها اساس الصناعة ، فأنت واجد فيها للاحذية مقاييس شتى تأتلف مع كل قدم ، وأقدام الناس كما تعلم شتى . وبائع الحذاء لا بد ان يحمل شهادة تدل على انه عضو فى جمعية قياسى الاحذية ، وهم يتعلمون قبل نيلها فيما يتعلمون شيئا عن الاقدام وتشريحها ووظائفها ، وشيئا عن الاحذية وتصنيعها ومقاساتها .

على كل حال نصيحة لك اسديها اعتباطا ، نقطة بعد نقطة .

فأولا : لا تجعل ابنك (او بنتك) تلبس حذاء فى البيت الا اذا هو تعلم المشى واستطاعه عادة . ودَعْه ، او دعْها تمشى فى البيت حافية على البساط ، او وبقدميها جوارب ، حيث الأرض قد تؤذى الجلد الطرى . بهذا تستطيع القدم ان تنشأ على حريتها ، وتتشكل كما ارادها الله أن تتشكل .

ثانيا : واختر من الدكاكين تلك التى تخصصت فى بيع الاحذية ، وبها من الرجال ما يحسنون عملية البيع بحسبانها عملية ارضاء للعِلم والصحة قبل أن تكون ارضاء للجيب .

ثالثا : يجب على البائع ان يقيس رجل الطفل طولا وعرضا قبل ان يختار له الحذاء المطلوب وذلك بالتقريب . فاذا البسه الحذاء فأصابع البائع الخبيرة تدرك ما بالحذاء من صحة أو خطأ .



هذان الحذاءان تنظر اليهما فتحسب انهما باشمة س ، والقدم فيهما ، تدلان على ان ويؤذيها ، أما الحذاء الثانى فوو رحب يريح

أشعر بالدوخة

● اشعر بالدوخة تجيئني منذ زمن بعيد ، ومعها صداع فى الرأس ، وزيادة فى النبض . وهي تأتيني كلما انحنيت او مددت يدى بعيدا لتناول شيء . فهل هى بسبب فقر فى الدم ؟

ـ هذا السؤال من نوع السؤال الذى يأتينا من كثير من القراء ولا نجد جوابا الا النصيحة بزيارة طبيب ليمتحن الجسم ، فبدون امتحان الجسم لا يمكن معرفة

السبب ، الا ان يكون الجواب مقالة طبية طويلة فى كل الاحتمالات لايستفيد السائل منها شيئا .

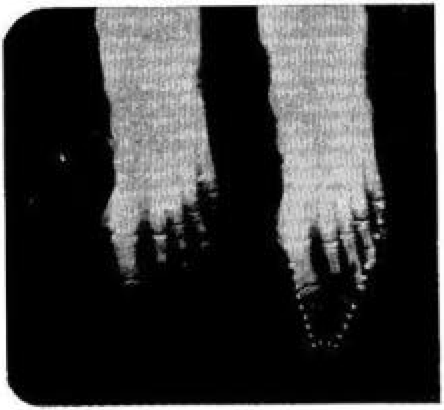
وجوابا على هذا السؤال نقول للسائل الكريم ان الدوخة لها اسباب عدة ، منها مرض فى الاذن ، ومنها ارتفاع فى ضغط الدم ، ومنها انخفاض فى هذا الضغط ، ومنها فقر فى الدم ، ومنها ورم فى المخ ، ومنها قلق مستحكم ، ومنها مرض فى القلب ، ومنها ومنها .

ونكرر النصيحة عليك بمراجعة طبيب .



ولا تسأل طفلك ، هل الحذاء مريح او غير مريح . ففى هذه السن قدم الطفل ضعيفة الحس نسبيا ، واذا كان الحذاء ضيقا فقلما يدرك الطفل ذلك .

رابعا : بعد التوفيق بين القدم والحذاء



سيان . ولكن الصورتين المأخوذتين لهما الحذاء الاول ضيق يضم اصابع الرجل ضما القدم ولا يؤذيها .

سل البائع عن مقاس الحذاء . واحتفظ به .

خامسا : لا تشتر غير زوج واحد من الاحذية فى الوقت الواحد، واجعل الطفل يلبسه حتى يبليه .

سادسا : اذكر دائما ان الطفل في حاجة الى زوجين او الى ٣ ازواج من الاحذية فى العام ، لان قدميه دائمتي النمو . فلا تشتر الحذاء الغالى الذى لا يبلى على السنين .

سابعا : ابنتك ، لا تجعلها تلبس الحذاء ذا الكعب الا بعد العام الثانى عشر ، الا فى الحفلات الخاصة . وعليها ان تتخير من اشكال الموضة ما تشاء ، فما انت بمستطيع منعها عن ذلك ، ولكن دعها تجمع بين الموضة وراحة القدم .

ثامنا : كل لابس حذاء يحسن به ان يخلعه في البيت ، ليعطى لقدميه الفرصة أن تتبحبحا . فالحذاء ، مهما كان ، هو سجن لا شك فى ذلك . ولولا أوحال الطريق واذاه لمشى ابن آدم على سجيته حافيا . ●●

أثر اللغة في اللغة

كتابة، نحوا ألفاظا، نقلا وفي العامية

بقلم : الاب اسحاق ساكا

اتصل العرب بالسريان منذ العصر الجاهلي ، وقوى هذا الاتصال بعد الفتح العربي الذى حل على السريان خيرا وبركة اذ انقذهم من عسف البيزنطيين وظلمهم مما حدا بهم الى تسمية الخليفة الثاني عمر بـ « الفاروق » وهى لفظة سريانية تعنى منقذ أو محرر ... (١) . وكما صرح البطريرك ميخائيل الكبير بقوله (ولهذا فان الله اله النقمات ، لما رأى عتوّ الروم ودهاءهم ، بعث من ارض الجنوب أبناء اسماعيل كي يحصل لنا النجاة بواسطتهم من أيدى الروم ، فاستفدنا من ذلك فائدة كبرى لاننا تحررنا من ظلم الروم ومن مساوئهم ، ومن سخطهم ، ومن شديد بغضهم لنا وتمتعنا بالطمأنينة (٢)) . وقد بلغ ذلك الاتصال ذروته وعنفوانه فى عهد الخلفاء العباسيين كما سيأتي البيان .

اضف الى ذلك ان اللغتين العربية والسريانية شقيقتان ، تفرعتا عن دوحة واحدة ، وسارتا عبر التاريخ متآزرتين متكاتفتين . ومن حق السريانية ان تختال تيها وتتهادى في دنيا اللغات ، ذلك ان النبى العربى محمد حث على تعلمها كما اثبت الاستاذ أحمد زكى باشا بقوله (أمر صلى الله عليه وسلم زيدَ بن ثابت الانصارى ان يتعلم العبرانية ، أو السريانية ، فتعلم هذه اللغة فى نصف شهر على ما قيل ، فكان اول مترجم فى الاسلام (٣)) . وجاء ايضا قول الاعشى (وروى محمد بن عمر المدائني فى كتاب القلم والدواة قول الرسول لزيد بن ثابت : اتحسن السريانية : قال : لا . قال : تعلمها ، فتعلمها زيد (٤) .

وقد نشأ عن هذا الاتصال الوثيق بين الطرفين ، ان اثرت السريانية بالعربية فى نواح متعددة أهمها : الكتابة ، النحو ، الالفاظ ، النقل، اللهجات العامية فى بلاد الشام .

الكتابة

لا شك ان الكتابة السريانية الارامية من اقدم الكتابات والخطوط ، وقد تغلبت على الخط المِسْمارى وحلّت محله منذ القرن السابع ق . م (٥) . ثم اقتبست اقوام كثيرة خطوطها من الخط السريانى ، كالارمن والفرس والهنود والعرب حتى صار الخط السريانى الارامى اصلا للكتابات الهجائية للامم الشرقية . واذا اعتبرنا الفينيقيين الذين اضحى خطهم اصلا لخطوط الامم الغربية ، سريانيا ، يصبح الخط السريانى من ثم

السُريانيَّة العَرَبيَّة

أصلا لسائر الخطوط في الدنيا . قال الدكتور ولفنسون (اذا قرنا ان للغة الآرامية تأثيرا عظيما في نشأة اللغات السامية ، فان لخطوطها فضلا أعظم في ظهور خطوط كثيرة لامم متمدنة (٦) . وقد علل العلماء نجاح الكتابة الآرامية بهذه الصورة ، أنها لامست ذوق هذه الامم نظرا لبساطتها وسهولتها بخلاف الكتابتين الهيروغليفية والمسمارية (٧) .

ان تأثير الخط السرياني بالكتابة العربية أمر مسلم به ، قال الدكتور ولفنسون (وكفى الخط السرياني فخرا انه اثر تأثيرا شديدا على جميع الخطوط العربية بوساطة الاقلام التدمرية والنبطية مما لا يشك فيه العلماء المستشرقون (٨) .

أول ما بدأ العرب يكتبون ، استعملوا الخطين الآراميين والاسطرنجيلي والنبطي المشتق منه (٩) ـ وظلا مستعملين عندهما الى ما بعد الفتوح الاسلامية ، ثم تغيرت حروفهم شيئا فشيئا حتى تولد الخط الكوفي في القرن السابع الميلادي ، وكلا الخطين الاسطرنجيلي والكوفي متشابهان متقاربان . واستعمل الخط الكوفي بعدئذ لكتابة القرآن الكريم شأنه شأن الاسطرنجيلي عند السريان بالنسبة للانجيل المقدس ، وهذا ما اثبته الدكتور ولفنسون بقوله (وقد لاحظنا ان لبعض الصيغ من احرف القرآن تشابها شديدا بصيغ سريانية) (١٠) ـ ثم تغير الخط الكوفي حتى افضى الى ما هو عليه اليوم وهو الذي يقال عنه النسخي (١١) .

ومما هو جدير بالذكر ان العرب لما اخذوا من السريان اثنين وعشرين حرفا هجائيا رأوا ان لغتهم فيها اكثر من ذلك فاضافوا اليها حروفا اخرى من ابتكارهم وطوّروا ما اخذوه ايضا حتى وصل الى يومنا هذا بمنتهى الابداع . ويقول المطران يوسف داود بهذا الصدد (وهنا لنا ان نعجب من الحكمة والحذاقة التي اظهرتها العرب عند اتخاذها الكتابة عن السريان ، فلما ارادوا تصوير حروفهم التي لا توجد في السريانية اظهروا حذاقة فيلولوجية فائقة لم يضاهيهم بها امة من الامم القديم وانظر كيف كان العرب فلاسفة حتى اعتبروا هذا الاعتبار الفيلولوجي الدقيق (١٢)) .

النحو

يعتبر أبو الاسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ منشىء النحو العربي ، ويعتقد معظم العلماء الثقاة ان ابا الاسود اقتبس نحوه من السريان (١٣) . وينحصر هذا الاقتباس في ناحيتين ، الاولى تقسيم الكلمة الى ثلاثة اقسام ، الاسم والفعل والحرف، وهذه قضية هامة اذ تعتبر المفتاح الاول للدخول في علم النحو والاساس الذي تتفرع منه ابوابه وتكثر شعابه (١٤) ـ والثانية هي النقاط السريانية التي تتميز بها الكلمات ، فالحركات التي كان قد استنبطها قبيل ذلك المطران يعقوب الرهاوي .

لقد ذهب البعض الى ان النحو العربي مقتبس من اليونانية لا من السريانية بدليل ان تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف هو يوناني الوضع قائم على المنطق ، لذلك نورد هنا بعض الادلة التي تؤيد اقتباس النحو العربي من السرياني لا من اليوناني .

أولا : من شهادة المؤرخين الكثر ، وفي مقدمتهم المؤرخ التركي الشهير الاستاذ احمد رفيق قال (بعد ما اخذ العرب بالعلاقة مع السريان في العراق

اضطروا الى تأسيس ووضع قواعد النحو في لغتهم العربية ، اذ حدث في ذلك الوقت التبلبل في اللهجة والتكلم وذلك من كثرة اختلاط العرب بغيرهم من الامم والشعوب من جراء انتصاراتهم الكثيرة وفتوحاتهم المتواصلة ، فذهب عندئذ ابو الاسود الدؤلي الى البصرة وتعلم هناك اللغة السريانية الفصحى وعاد الى بغداد واسس ونظم أول نحو في اللغة العربية ، وقد اخذ منه العلم المذكور عيسه ومن عيسه تعمم وانتشر ذلك العلم وكثر فيه العلماء) (١٥) .

وشهادة أحمد رفيق هذه حرّية بالاعتبار والاعتماد عليها ، لانها مستقاة من مخطوطات عربية قديمة . ومعلوم أن تركية هي اعظم مركز للمخطوطات العربية اذ ان في اسطنبول والاناضول ما يقارب من ربع مليون مخطوط كما بين الدكتور صلاح الدين المنجد في محاضرة القاها في بيروت في نيسان ١٩٦٥ .

ثانيا : ان نظام الفعل في العربية هو ذات نظام الفعل في السريانية . فمثلا نقول في العربية (بعتك الدار) فالفعل باع هنا يشير الى الحاضر في حين انه في صيغة الماضي ومثل هذا نجده في السريانية تماما . قال الاستاذ ابراهيم السامرائي (لو كان واضع النحو متأثرا في الامور الجوهرية بالنحو اليوناني لنحا في تحديد الزمن منحى الاغريق ، ولبحث في قضية الزمن وتحديده كما بحثوا ولوقفنا اليوم في عصرنا الحاضر على جلية الامر ، وصرنا لا نحار في قوله تعالى (فلم تقتلون انبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين) البقرة ٩١ ، فالفعل تقتلون مضارع ولكن النص لا يشير الى الحال أو الاستقبال وانما يشير الى الزمن الماضي) (١٦) ـ

ثالثا : مما لا ريب فيه أن تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف يوناني الوضع والمنشأ ، غير ان العرب اخذوا ذلك عن السريان الذين اخذوه عن اليونان . مثله مثل بعض الالفاظ اليونانية التي دخلت الى العربية كأنها سريانية لا يونانية ، لانها لم تدخل في العربية من اليونانية راسا لكن بواسطة اللغة السريانية . والدليل على ذلك أن العرب يلفظون الكلمات اليونانية المعربة كما يلفظها السريان لا كما يلفظها اليونان فيقولون مثلا أفلاطون، سقراط، اقليم، فندق، لا بلاتون، سكراتيس، كليما بندوخيون كما يقول اليونان. ومما يستحق الاعتبار ان العرب سموا اليونان بالاسم السرياني (يونان) لا بالاسم اليوناني (هلنيكس) (١٧) .

الالفـاظ

استعارت العربية الفاظا كثيرة من السريانية ومعظمها خاصة بدين النصرانية وما يتعلق بالزراعة والصناعة والملاحة والتجارة والعلوم وما اليها ، وبعد ان قاسها علماؤها على قياس اللغة العربية صيغة ولفظا ، ادخلوها الى معاجمهم وكتبهم اللغوية وسموها بالمعتربة .

وان أول من عمد الى جمع الالفاظ السريانية بصورة واسعة وبطريقة علمية هو المرحوم مار اغناطيوس افرام الاول برصوم ، فقد وضع رسالة اسماها بـ (الالفاظ السريانية في المعاجم العربية) نشرها سنة ١٩٥٠ تباعا في مجلة المجمع العلمي بدمشق من المجلد ٢٣ ص ١٦١ الى المجلد ٢٥ ص ١٧٨ ثم افردها في كتاب وقع في ٣٢٣ صفحة أورد فيه ٧٥٩ لفظة وضعها على بساط البحث درسا وتحقيقا واصدر منها ٢٥٢ كلمة من أصول سريانية والباقي مشتركة بين اللغات السامية .

ثم اتحف قداسة الحبر الاعظم العلامة مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق والعضو في المجمع العلمي العربي بدمشق لغة الضاد ببحثين طريفين نفيسين الاول تحت عنوان (الكندي والسريانية) القاه في الاحتفالات الالفية التي جرت في بغداد في كانون الاول ١٩٦٢ فيه كشف القناع عن وجه بعض الالفاظ والمصطلحات التي اقتبسها الكندي من السريانية منها .

١ ـ استعماله لفظة «ايس» للدلالة على الوجود ويجمعها على ايسات ويشتق منها « الايسية » للدلالة على حالة الوجود كما يشتق فعل « ايس يؤيس » بمعنى أوجد الشيء من العدم . فالله الخالق هو « المؤيس » والعالم المخلوق هو « المؤيس » وتحديد الفعل الابداعي الحقيقي « تاييس الايسات عن ليس » و « الليس » معناه العدم وهي سريانية كذلك .

٢ ـ « الهوية » يستعملها الكندي بمعنى الوجود الجزئي المتعين تحت الحس في مقابل الحقيقة والماهية المعقولتين . ويصوغ فعل « يهوى » بمعنى يوجد . ويسمي الله تعالى « مهوى الهويات عن ليس » أي موجد الموجودات المتعينة ويستعمل الفعل المطاوع اللازم فيقول عن الشيء انه «يتهوى» كما يصف هذا الشيء بانه « المتهوى » ويصف خروجه الى الوجود المتعين بانه « التهوى » وانه قد أخذ هذا الفعل ومشتقاته من السريانية .

٣ ـ « قنية » بمعنى الملكة ، « والكشماة » بمعنى الوسخ . « وانية » بمعنى الوجود وكلها سريانية . (١٨)

وكان قد اشكل على العلماء والباحثين أمر هذه الالفاظ والمصطلحات ، فقد خيل للبعض ان الكندى بعمله هذا حاول احياء كلمات عربية قديمة قد اوشكت ان تسقط من الاستعمال . وعلل ذلك غيرهم بتعاليل واهية ، ووقف آخرون ازاءها وقفة حائر ، غير ان هذا البحث القيم جاء فتحا مبينا وابتكارا لغويا جديدا فتح مغلق تلك المعاني ،وكما قال الاستاذ فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية في تعليقه على البحث « متى عرف السبب بطل العجب » .

اما البحث الثاني فقد نشرة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج ٤ ج ١ كانون الثاني ١٩٦٥ تحت عنوان « العربية وشقيقتها السريانية الوفية » ابرز فيه عشرات الالفاظ المعربة من السريانية منها « زقفونا » اى صلبونا الواردة في رسالة الغفران لابي العلاء المعرى. و « اللصوت » اى اللصوص الواردة في عهد عمر بن الخطاب لاهل ايلياء . و « يقلسون » اى يمدحون الواردة في تاريخ البلاذرى كما اورد اسماء بعض المدن التي تسمت بصفات سريانية « كالحيرة » او القصرو « المعرة » اى المغارة و «الكرخ» اى المدينة المدورة و « تدمر » اى الاعجوبة ، و « الكوفة » اى الشوكة و « تكريت » اى التجارة ، و « مكة » اى الارض المنخفضة والمنبسطة .

النقل والترجمة دوافع النقل

بعد ان استتب الامر للدولة العباسية ، وبلغت من الاستقرار مبلغا عظيما ، وبعد ان تم تعريب الادارة وسائر مصالح الدولة ، واحرز الفتح اللغوى النصر على سائر اللغات السائدة يومئذ ادرك الخلفاء العباسيون بثاقب بصيرتهم ان الثقافة من أهم العوامل التي ترتكز عليها النهضة الصحيحة ، ومن امتن الاسس التى تشيد عليها صروح المجد والسؤدد ، ومن اقوى مقومات الشخصية الدولية سيما وان الاسلام قد جعل العلم « فريضة على كل مسلم ومسلمة » واوصاهم بطلبه من « المهد الى اللحد » وحثهم على السعي وراءه « ولو كان في الصين ، ومن اى وعاء خرج » لذلك فقد خرج الخلفاء من الاطار الديني المحدود وراحوا يولون العلوم الدخيلة كل عنايتهم ، مستمدين اياها من اربع مصادر رئيسية ، الهندية، الفارسية ، واليونانية والسريانية وذلك عن طريقة نقل ثقافات هذه الاقوام الى لسانهم .

عصر الترجمة

بدات طلائع حركة الترجمة في العصر الاموى ، حيث نرى ماسرجويه البصرى السرياني يترجم الى العربية كتابا طبيا الفه القس اهرون في السريانية ، ووضعه الخليفة عمر بن عبد العزيز في متناول أيدى المسلمين (١٩) . ونشطت في العصر العباسي في عهد المنصور والرشيد وانتظمت وبلغ اوجها في عصر المامون .

الترجمات من السريانية واليونانية الى العربية

شملت الترجمات من السريانية واليونانية الى العربية القسم الاكبر من مؤلفات فلاسفة اليونان وعلمائهم وتناولت مختلف المواضيع من طب ، ومنطق ، وفلسفة ، وطبيعة، وكيمياء ، ونجوم ، ورياضة حتى فاضت العلوم فيضا .

مشاهير التراجمة

ومن مشاهير التراجمة آل بختيشوع ، ويوحنا بن ماسوية (٨٥٧) وحنين بن أسحاق (٨٧٦) وثابت بن قرة (٩٠٢) وقسطا بن لوقا البعلبكي (٩٢٣) ويحيى بن عدى (٩٧٤) وعيسى بن زرعة (١٠٠٨) وغيرهم .

وقد بالغ الخلفاء في تكريم هؤلاء التراجمة فقربوهم وآكلوهم وشاربوهم وسامروهموساجلوهم واعتمدوا في المشاكل على آرائهم (٢٠) ـ واغدقوا عليهم اموالا طائلة وقد اثبت المؤرخون انهم كانوا يعطون لهم وزن ما يترجمون ذهبا (٢١) ـ ولذلك كان حنين يكتب الترجمة بحروف غليظة واسطر متفرقة على ورق غليظ جدا لتعظيم حجم الكتاب وتكبير وزنه (٢٢) .

صحة الترجمة

لقد جاءت تلك الترجمات صحيحة وبمنتهي الامانة وذلك نظرا لما يلي :

١ ـ كان المطران يعقوب الرهاوى ، ومار اثناسيوس البلدى قد ابتكرا طرقا واساليب جديدة تصون الناقل من الخطأ ، وتساعده على تادية المعني الصحيح في اللفظ الفصيح (٢٣) ـ

٢ ـ التدريس والممارسة على الترجمة ، فقد عالج فوقا الرهاوى احد كتاب القرن الثامن ضرورة تدريب الاشخاص الذين يودون ان ينصرفوا الى فن الترجمة الشاق تدريبا شديدا .

٣ ـ اعادة ترجمة الكتاب الواحد مرات عديدة .

٤ ـ المعارضة الدقيقة للكتب المترجمة بين النصوص مع الاشارة الى الفروق للتأكد من صحة الترجمة وقد تبنى هذه الطريقة حنين بن اسحاق ونسبها اليه .

٥ ـ تضلع التراجمة من اللغات اليونانية والسريانية والعربية ، فصلة السريان باللغة اليونانية عدة قرون وتعميمهم اياها في معاهدهم العلمية اطلاقا دليل بيّن على اتقانهم اياها كما شهد بذلك الاستاذ احمد امين بقوله « لم يدع السريان كتابا في الحكمة الا عربوه ولا سيما مؤلفات من اللغة اليونانية لانهم كانوا قد تعملوها واتقنوها غاية الاتقان من القرن الرابع للميلاد ، وادخلوا تدريسها في مدارسهم (٢٤) ـ اما اللغة السريانية فهي لغتهم الخاصة واما اللغة العربية فكانوا يتقنونها كل الاتقان » .

٦ ـ واما على المستوى العلمي والثافي فحدّث عنه ولا حرج ، فقد كان السريان قد قطعوا شوطا بعيدا في الحضارة واحرزوا تقدما علميا هائلا واحاطوا بكل اطراف الثقافة الى انبعثت من مراكز علمية عديدة بلغت الخمسين (٢٥) ـ اشهرها مدرستا الرها و قِنِّسرين . ففي مدرسة الرها اشتغلوا بفلسفة ارسطو منذ القرن الخامس للميلاد . وبعد ان تعلموها اخذوا في نقلها الى لسانهم . وفي قنسرين التي اشتهرت في القرن السابع اشتغلوا في تعليم فلسفة اليونان باللغة اليونانية . حتى اضحوا فيما بعد ورثة الحضارة الاغريقية (٢٦) ـ ومحور الدائرة العلمية (٢٧) ـ وقد شهد المستشرق الالماني بو مشترك على تفوق ساويرا سابوخت خريج مدرسة قنسرين المتوفى عام ٦٦٧ على تفوقه في علم الفلك على اليونانيين انفسهم (٢٨) كما شهد ايضا بانهم كانوا اعلى كعبا من الغربيين في الفلسفة والطبيعيات وصنوف العلم والفنون (٢٩) ـ وكفاهم فخرا انهم مبتكروا النظر الفلسفيتين ، نظرية « الانسان عالم اصغر » وضعها الفيلسوف المطران احوديمة (٥٧٥ والمنسوبة اليوم الى سبنسر وهردر ، . ونظرية « الانسان الاعلى » التي وضعها فيلسوف سرياني في القرن العاشر والمنسوبة اليوم الى نيتشه وروزنبرغ .

أثر هذه الحركة في التاريخ

احدثت الترجمة نهضة فكرية في العالم العربي كما قال ابن خلدون ، وغدت ولا تزال مفخرة العصر الاسلامي القديم كما صرح الدكتور فيليب حتى ، وصارت جسرا مرت عليه الحضارة الى الغرب كما شهد رويتنال ، ولولاها لتعرقل سير الحضارة قرونا كما قال عالم آخر . ويحق لها ان تنعت بهذه الصفات الضخمة كيف لا وبواسطتها غدت الامة العربية وريثة الفكر اليوناني والممثلة الوحيدة للحضارة الانسانية الرفيعة في القرون الوسطى .

لا شك انها رفعت العروبة على اكتاف المجد ، وبوأتها اسني مكانة في التاريخ الحضارى ، لذلك نرى العلماء الغربيين والمستشرقين يتهافتون الى درس الثقافة العربية حتى تجلى لهم ان العرب سبقوا الغرب في وضع النظريات الرياضية والفلكية كقول فلوريان ، واضحوا اساتذة الاوروبيين بحسب تصريح العالم الفرنسي سيديو ، وقد افاضوا ايضا في وصف الشخصيات العلمية العربية كالكندى الذى عده كاردانو احد الاثني عشر عبقريا الذين هم من الطراز الاول في الذكاء في العالم كله . والبيروني الذى قال في حقه شاوانه اعظم عقلية في التاريخ (٣٠) ـ وطبعا يعود الفضل في ذلك كله الى اللغة الارامية السريانية التي كانت الوسيلة الوحيدة التي انتقلت بها الثقافة الاغريقية الى شعوب الشرق الادنى (٣١) .

الارقام الهندية

طالما طرقنا هذا الموضوع فلا ندع الفرصة ان تفوتنا من ان نشير الى ما انبته المستشرق نو ، نقلا عن مخطوط باريس السرياني رقم ٣٤٦ لمؤلفه ساويرا سابخت قوله « ان العرب لم ينقلوا الارقام الهندية من بلادها راسا وانما اخذوها عن السريان، كما توصلوا الى علوم اليونان بواسطتهم ايضا ٣٢) .

وجود اسرائيل هو سبب البلاء

عن صحيفة (فينر مونتاج) النمساوية :

● لا تخلو الصحافة العالمية من زيف ومغالطة ، كما يعلم الجميع.على أن تلك المغالطات والأضاليل قد جاوزت كل الحدود فيما يتصل باسرائيل ومشكلاتها في الآونة الأخيرة .

فانت لا تكاد تجد صحيفة واحدة من صحف الغرب تسرد الوقائع بأمانة وتجرد . فهى كلها توافي قراءها بتقاريرها وآرائها عن الشرق الأوسط على نحو تبدو فيه مصر والدول العربية المجاورة وكأنها هى التى تهدد السلام وتبيتت نوايا الحرب والعدوان . ولا يكاد يُسمع صوت واحد يرتفع بانصاف وجهة النظر العربية، أو بالاقل ، في محاولة تفهم العوامل التى تضطر العرب الى الدفاع عن كيانهم والعمل على مقاومة الظلم والعدوان الذى نزل بهم منذ أن تأسست اسرائيل سنة ١٩٤٨ وقامت في عقر دارهم .

وهل ينسى العالم أو يتجاهل أن اسرائيل هذه لم تقم لها قائمة الا نتيجة الضغط السياسى والمساعدات المادية الامريكية ، فضلا عن مؤازرة الأمم المتحدة التى تديرها أمريكا .

دراسة أمريكية رسمية للمجتمع الأمريكى

من صحيفة (نيويورك هيرالد تريبون الامريكية) :

● صدر في الولايات المتحدة مؤخرا تقرير هام خطير . وقد أعد هذا التقرير لجنة رسمية مؤلفة من ٦٣ عضوا و١٩ مندوبا مُشرفا و٧٥ مستشارا، ومئات من ذوى الاختصاص المعاونين .

أما الموضوع الذى تدارسه هذا التقرير وتناوله بالبحث والتفصيل فهو الجريمة ومدى انتشارها في العالم الجديد ، وكذلك أحوال ضحاياها ومرتكبيها ، والاجراءات التى قد تحدُ منها .

وقد جاء في هذا التقرير أن مجموع نزلاء السجون والاصلاحيات Juvenile Training Schools من الامريكيين جاوز المليونين سنة ١٩٦٥ ، وان من يَمثُلون امام محاكم الأحداث هناك لا يقلون عن ١/٦ مجموع الأولاد .

واظهر التقرير كذلك أن ٤٣٪ ممن استفتتهم اللجنة يتجنبون السير ليلا في شوارع المدن الكبيرة ، لا لسبب الا لخوفهم من المجرمين . والأغرب من ذلك أن ٣٥٪ من الذين شملهم ذلك الاستفتاء يتحاشون الأغراب ، ويحجمون عن محادثتهم وذلك بالنظر لخشيتهم من الجريمة .

للثورة الروسية منجزات عظيمة غير الاقتصادية

من مجلة « الايكونومست » البريطانية :

● لقد حقق الاتحاد السوفياتي من المنجزات في ميدان الأدب ما لا ينكره أو يشكُ فيه احد . ولا يضير هذه المنجزات أن تكون الكثرة والوفرة هى صفتها الغالبة المميزة. ولاعجب في ذلك، فقد كان العمل على نشر الثقافة وتعميمها وتوعية جموع الجماهير وتوجيهها ، كان هذا العمل بالذات رائد السلطات في الاتحاد السوفياتى منذ البدء .

ولعل المنجزات التى ذكرنا قد تجلت أكثر ما تجلت في المؤتمر الرابع للكتاب والمؤلفين السوفييت الذى عقد في نهاية شهر مايو الماضي بمناسبة العيد الخمسيني لثورة عام ١٩١٧ الشيوعية . ولم يكن حديث مندوب قرغيزيا أقل دلالة على تلك المنجزات من أحاديث غيره من المندوبين . فقد اعاد الى الذاكرة كيف تمكن المرء في مقاطعته أن يحظى بالشهرة وذيوع الصيت لمجرد قدرته على التوقيع فتنطلق أخبار هذه عبر حدود قريته، تنتقل بسرعة الى قرى أخرى غيرها عديدة . ولو ذكرنا ان في قرغيزيا الآن مجلة أدبية لا يقل عدد مشتركيها الدائمين عن ١٣٠٠٠٠ لاتضح لنا جانب هام من تلك المنجزات .

وثمة جوانب أخرى الم اليها مندوبون آخرون. فهناك كتب الأطفال والعناية الفائقة التى تلقاها والتنويع الكبير الذى يجده المرء فيها . وهناك ترجمة الكتب الى اللغة الروسية عن مختلف اللغات الاجنبية ، وهى من الوفرة والتنويع على جانب كبير .

أما فيما يختص بالمسرح ، فقد ذكر أحد اولئك المندوبين أن عدد الستائر التى ترتفع كل ليلة يزيد على خمسمائة .

شركة البترول الوطنية الكويتية

تتحول سريعا لتصبح

مصافيها .. من أحدث مصافي البترول في العالم

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ منذ منتصف قرننا هذا العشرين ، والدول المصدرة للبترول تسعى الى الحد من احتكارات تصنيع البترول في بلادها ، وتبذل الجهد في سبيل الاسهام الفعال في صناعة البترول الخارج من اراضيها وتجارته . وهذه المساعي هي التي ادت الى قيام شركة البترول الوطنية الكويتيـــة (ش . م . ك) سنة ١٩٦٠ ، والتي أدت الى تأسيس شركات بترولية وطنية اخرى مماثلة في ايران سنة ١٩٥١ ، وفي اندونيسيا سنة ١٩٥٧ وفي فنزويلا سنة ١٩٦٠ ، وفي المملكة السعودية سنة ١٩٦٢ وفي العراق سنة ١٩٦٤ . والجدير بالذكر ان اكتشاف زيت الكويت وتصديره لأول مرة الى الخارج لم يكن قد مضى عليه أكثر من ١٤ سنة حين خرجت شركة البترول الوطنية الى حيز الوجود .

وتجدر الاشارة كذلك الى أن شركتين وطنيتين اخريين قد ظهرتا في الكويت بقصد الحد من الاحتكارات البترولية . أما الاولى ، وقد ظهرت سنة ١٩٥٧ ، فهي شركة ناقلات النفط الكويتية ، التي اصبحت تمتلك من الناقلات ما تبلغ حمولته ١٦١ر٠٠٠ طن .. والتي تتوقع قريبا استلام ناقلتين عملاقتين اخريين أوصت عليهما قبل حين ، وتبلغ حمولة الواحدة منهما ٢١٠ر٠٠٠ طن . وأما الشركة الثانية فهي شركة الاسمدة الكيماوية الكويتية،وقد اسست بعد قيام شقيقتها الكبرى، شركةالبترول الوطنية الكويتية بنحو (أربع) سنين، وهي الشركة التي اتخذت الغاز الطبيعي ، غاز البترول ، اساسا لصناعة سمادها .

أرباح تجنيها شركات الامتياز هائلة

ولم تختلف البواعث على قيام شركات البترول الوطنية المختلفة هذه في قطر عما كانت عليه في الأقطار الاخرى . فقد تبين منذ البدء أن صناعة البترول وتجارته كانت وقفا على شركات الامتياز الأجنبية . فكانت هذه الشركات هي التي تتحكم بكميات ما تنتج من النفط الخام وتكرر ، وبأسعار ما تبيعه منه وتصدر .

وتبين أيضا أن هذا الاحتكار مصحوب دوما بمردود كبير وارباح طائلة . فبرميل الزيت الذي لا يقل سعره « المعلن » عن ١٦٠ سنت أمريكي ، مثلا ، قد لا يكلف الشركة المنتجة اكثر من ٥-٧ (سنت) فقط ! هذا والكميات التي تصدر من البترول وتستورد ضخمة هائلة . فهي ٨٫٥ مليون برميل يوميا لدول غرب أوربا على سبيل المثال ، بحيث لا سبيل الى تجاهل ما تجنيه شركات الامتياز بالتالي من أرباح خيالية .

أضف الى هذا وذلك ما تبينه الجميع من خطر البترول وخطورته . فالحضارة الصناعية الحديثة تعتمد عليه اعتمادا يكاد يكون كليا .

اتفاقيتها مع شركة البترول الأسبانية تبعث على

شركة نفط دولية متكاملة



برجان لتقطير الزيت الخام ، في مصفاة شركة البترول الوطنية الكويتية في الشعيبة . اولهما : يعمل في الفراغ ، والثاني يعمل تحت الضغط الجوى

اهتمام الأوساط البترولية والصحفية والحكومية

وهو يمدها بالطاقة التي لا غنى لتلك الحضارة عنها ، بنسبة متزايدة تربو حاليا على ٣٥ ٪ من مجمل ما تحتاجه تلك الحضارة من طاقة ،علما بان تلك النسبة لم تجاوز ١٥٪ قبل عشر سنين ، وانها قد تتعدى ، في تقدير الخبراء ، ٧٠٪ بعد عشر سنين . فالسيارات والطائرات والبواخر كلها ، والجرارات والأدوات الزراعية جميعها لا تقوم لها قائمة بدون بترول !! ويصدق ذلك أيضا على عدد كبير من المصانع والمعامل التي لا مفر من توقفها لو حيل بينها وبين المنتجات البترولية . ولولا حماية بعض الدول للفحم الحجرى ، مصدر الطاقة التقليدى الآخذ في التوارى ، لفاق حاليا اعتماد الحضارة الصناعية على البترول نسبة الـ ٧٠٪ المرتقبة بعد عشر سنين .

لا عجب اذن ان تسود النزعة في الدول المصدرة للنفط عموما الى تأسيس شركات فيها للبترول وطنية ، تسهم في صناعة البترول وتجارته ، فتحد ولو قليلا من احتكار شركات الامتياز ، بالعمل واياها جنبا الى جنب . وهل ثمة غلو أو غضاضة في حرص هذه الدول على أن يكون لها هي الأخرى كلمة مسموعة فيما يتصل بشؤون بترولها ، وهو ، كما رأينا ، ذو خطر وخطورة يعود على العاملين به بأرباح وفيرة !؟ وهل ثمة تطرف أو تمرد في تحسس الدول المصدرة للنفط طريقها الى ما تعج به صناعة النفط من أعمال الاستكشاف والاستغلال والتكرير والنقل والتسويق وغيرها ، تتلمس سبيلها الى خبرة هامة جديدة تكتسبها والى مزيد من ايرادات وارباح هي بلا ريب اشد حاجة لها !؟

بالنظر الى ذلك قامت شركات البترول الوطنية في سائر الدول المصدرة للنفط وبالنظر الى ذلك قامت شركة البترول الوطنية الكويتية (ش. م.ك.) .

الأغراض والاهداف

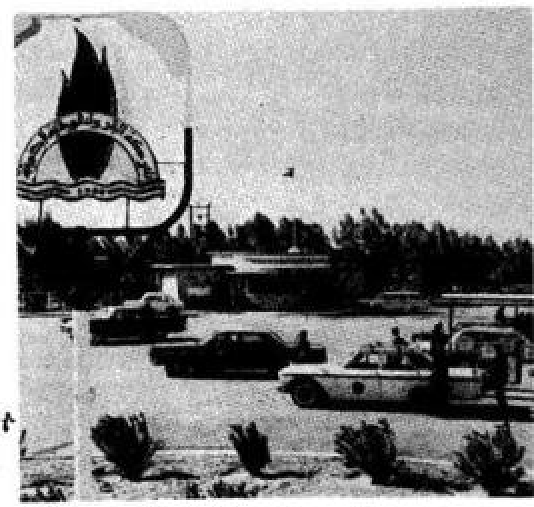
أما الاغراض التي تستهدفها هذه الشركة ، وهي نابعة كما لا يخفى من تلك العوامل والبواعث التي دعت الى انشائها ، فالصفة الغالبة عليها هي صفة الشمول والاحاطة .

فشركة البترول الوطنية لا تحصر اهتمامها بزيت البترول ، وفق ما ورد ذكره في نظامها الاساسي وفي المادة الرابعة منه بالذات . فهي تعنى كذلك بالغاز الطبيعي وباية مادة أخرى من المواد الادروكربونية ، وباية مادة كيماوية مشتقة من كل هذا .

والشركة الوطنية لاتقصر نشاطها على جانب واحد معين من جوانب صناعة البترول وتجارته . فهي تستهدف القيام بكافة الاعمال المتصلة بالبترول بلا استثناء . من تلك الاعمال كما لايخفى اعمال انتاج البترول واستغلاله ، بضخه من مكامنه ، واعمال البحث والتنقيب والحفر والاستكشاف التي تسبق اعمال الانتاج تلك . وتشمل اعمال الشركة المقررة ايضا تصنيع البترول كالتصفية والتكرير .

وما كانت الشركة لتهدف الى هذه الاعمال لو لم تكن تنوى الاتجار بالبترول ، خامات « ومشتقات » ، على أوسع نطاق . وتقتضي هذه الاعمال وتلك ، كما لايخفى ، القيام باعمال تخزين البترول ومنتجاته في الصهاريج ، واعمال نقله وشحنه الى مختلف الجهات .

وتستهدف الشركة فوق هذا وذلك القيام باعمال « تنمية وتطوير وتحسين صناعة زيت البترول ومستحضراته والصناعات ذات العلاقة ، »



احدى المحطات السبع عشرة المنتشرة في انحاء الكويت ، وتمتلكها الشركة الوطنية وتوزع بواسطتها المنتجات البترولية في الاسواق المحلية

كما ورد نصه في المادة الرابعة من النظام الاساسي الذي ذكرنـا .

وتنطوي هذه الاعمال ، كما لا يخفى ، على قدر من الطموح تقتضيه الاعمال الصناعية والتجارية بوجه عام ، وتتطلبه الاعمال المتصلة بالبترول بوجه خاص . لاغرابة اذن ان تهدف شركة البترول الوطنية الى انشاء شركات متفرعة عنها تقوم بمختلف الاعمـال التي تنـوي الشركـة الأمّ ممارستها .

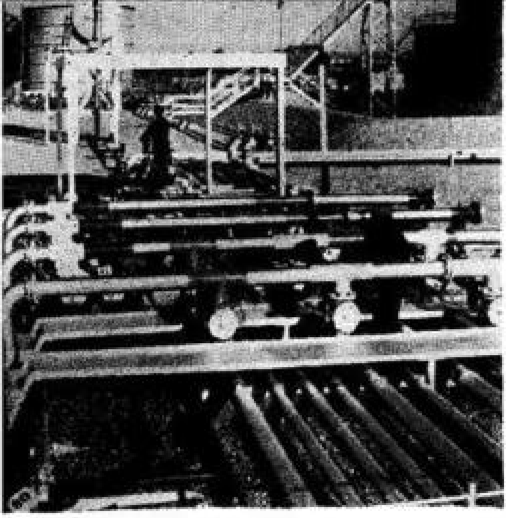
على ان طموح الشركة هذا لم يقُمْ حائلا دون أخذ الشركة بمبدأ « التعاون مع شركات زيت البترول المماثلة بقصد تسهيل عمليات الانتـاج والتصفية والنقل والتوزيع والتسويق وما يتبع ذلك من اتفاق على كميات انتاج زيت البترول وعلى اسعاره وتخفيض تكاليف نقله وايجـاد التسهيلات اللازمة لتحقيق هـذه الاهـداف » (البند الرابع من المادة الرابعة) .

ولا تقف الاعمال التي تزمع الشركة تعاطيهـا عند صناعة البترول وتجارته بالذات فهي تتعدى ذلك كله الى عمليات « استثمار اموالها في الاوراق المتعلقة بالاغراض سالفة الذكر . » (البنـد الخامس من مادة ٤) .

وهكذا يتضح لنا مدى الشمول الذي تتسم به اغراض شركة البترول الوطنيـة . ولو ذكرنا بالاضافة الى ما تقدم ان هذه الشركة لاتقف عند اية حدود جغرافية بل انها تهدف الى ممارسة هذه او تلك من اعمالها العديدة في الكويت او في اي بلد آخر خارج الكويت ، لثبت لنا ان الشركة المذكورة تنوي حقا ان « تجعل من نفسها شركة نفط عالمية متكاملة » ، كما جاء في الكلمة التي وجهها السيد رئيس مجلس ادارة الشركة ، الى جمعية الشركة العامة العادية السادسة المنعقدة بتاريخ ١٩٦٧/٣/٣٠ .

كيان الشركة

ويتكون مجلس الادارة السالف الذكر من عشرة اعضاء ، ستة منهم يمثلون حكومة الكويت والاربعة الآخـرون يمثلون سـائر المساهمين من القطـاع



جانب من مستودع الشركة الوطنية في (الشويخ) وهذا المستودع هو الذي يمد محطات التوزيع المحلي في الكويت بالبنزين وزيت الغاز والكيروسين

الاهلي . ذلك ان حكومة الكويت تملك حصـة مسيطرة في الشركة عن طريق مساهمتها بنسبة ٦٠٪ من رأس المال . اما الرصيد من راس مال الشركة ، أي ٤٠٪ ، فقد تم دفعه من قبل الاهالي المساهمين وعددهم ٢٧٠٠ مساهم كويتي .

ويبلغ رأس مال الشركة ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ دينـار كويتي ، كما يبلغ عدد أسهمها ١٫٠٠٠٫٠٠٠ سهم ، قـدرت القيمـة الاسمية لكـل منهـا بمبلـغ ٧٫٥٠٠ دينار (١) .

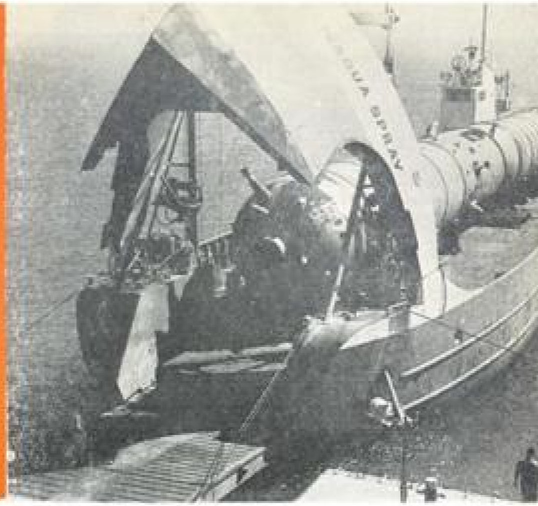
اما جهاز الشركة الاداري فيشمل بالاضافة الى مجلس الادارة اقساما او دوائر تمارس من الاعمال والاختصاصات ما يكفل للشركة المضيّ قدُماً نحو اهدافها .

تلك الدوائر هي : دائرة الادارة والمالية، ودائرة التخطيط ، ودائرة الاقتصاد والاستكشاف، ودائرة التوزيع المحلي ، ودائرة شؤون الموظفين ، ودائرة التسويق العالمي ، فضـلا عن سكرتارية الشركة ومكتب المستشار القضائي .

ويشغل مختلف الوظائف في شركـة البترول الوطنية عدد من الموظفين لم يجاوز ٢٣٨ موظفا عام ١٩٦١ ، وقد بلغ في نهاية السنة الماضية ٦٥٠ موظفاً . والجدير بالذكر ان معظم هؤلاء الموظفين

---

(١) فهمنا أن الشركة قد ضاعفت رأسمالهاوعدد أسهمها فأصبحا ١٥ مليون دينار كويتي ومليوني سهم .



مفاعل ادرجة الزيت ، يزن ٦٠٠ طن ، وقد صنع في اليابان ، وشحن في هذه الباخرة الى المصفاة الوطنية في الشعيبة ، حيث تم تركيبه هو ومفاعل آخر توأم له .

برجا التقطير ، احدهما لتقطير الزيت تحت الضغط الجوي والآخر في الفراغ ، وقد رأيناهما ناهضين في صورة سابقة ، نراهما الآن عائمين يتحسسان طريقهما الى مصفاة شركة البترول الوطنية الكويتية في الشعيبة . ويزن احد هذين البرجين ١٦٠ طنا ، اما الآخر فيزن ٢٧٥ طنا

هم من الكويتيين والعرب الآخرين ، بحيث لا تزيد نسبة الخبراء الاجانب بين سائر موظفي الشركة على ٣١ر٤٪ ! وقد يأتي يوم في مستقبل غير بعيد تنخفض فيه هذه النسبة وتتضاءل ان هي لم تتلاشى تماماً . ذلك ان الشركة تقوم بايفاد البعثات الى الخارج بقصد التخصص في دراسة الهندسة وشؤون الادارة العامة وغير ذلك مما له أوثق الصلة باعمال الشركة .

ويشرف على ادارة الشركة رئيس مجلس الادارة المتفرغ وهو عضو مجلس الادارة المنتدب .

الشركة موزعة الوقود الوحيدة في الكويت

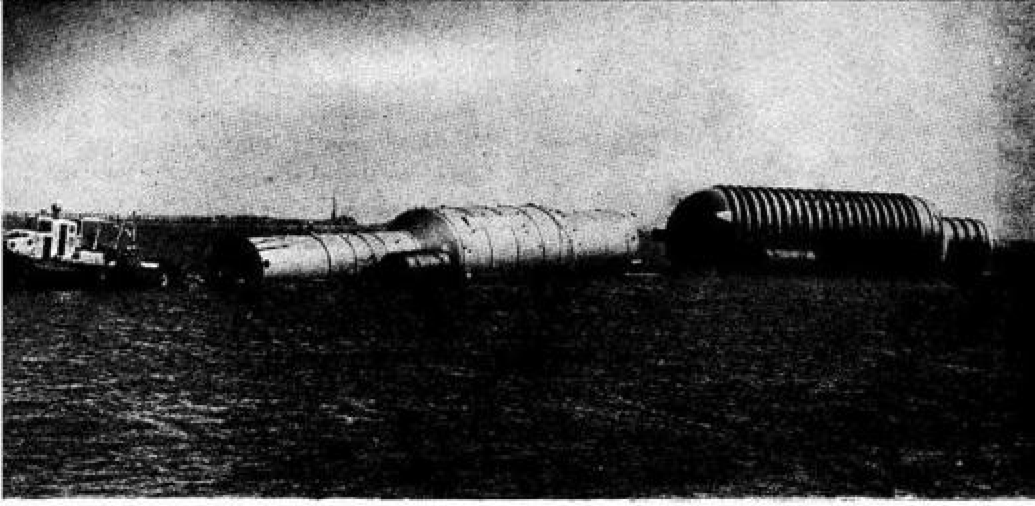
على أن شركة البترول الوطنية لم تقف بجهودها عند تحديد اغراضها ولم تقصر نشاطها على توطيد كيانها واجهزة ادارتها . فقد شرعت في ممارسة الاعمال المثمرة وتحقيق الاغراض بل وجني الارباح، ولما يمض على تاسيسها الا ثمانية شهور .

وكان ذلك في ١٩٦١/٦/١ حينما تسلمت من (شركة نفط الكويت) كافة المنشآت ومحطات التوزيع العاملة في البلاد ، وذلك مقابل ٣٣٦ر٠٠٠ دينار كويتي . وبذلك اصبحت الشركة الوطنية هي الموزعة الوحيدة لمختلف المنتجات البترولية ، وأهمها البنزين للسيارات والكيروسين وزيت الغاز Gas Oil ، وقد بلغ مجمل ما باعته من هذه المنتجات ١٠١ر٨١٨ر٤٢٣ جالونا خلال عام ١٩٦٦ ، اى بزيادة ١٧ر٢٢٪ عن ما باعته من هذه المنتجات سنة ١٩٦٥ .

وتجدر الاشارة الى ان البنزين الذى توزعه الشركة بواسطة محطاتها البالغ عددها (١٧) في الوقت الحاضر ، كله بنزين ممتاز . ومع ذلك فلا يتجاوز ثمن هذا البنزين ٦٠ فلسا للجالون (الامبراطورى) الواحد . واما ثمن الكيروسين وزيت الغاز Gas Oil فثلاثون فلسا فقط للجالون الواحد . (وتلك اسعار بخسة نسبيا كما لا يخفى) .

ويجرى العمل حاليا في سبع محطات اخرى حديثة بالاضافة الى السبع عشرة السالفة الذكر. ولا بد من التنويه هنا الى ان محطات توزيع البنزين في الكويت حسنة التنسيق وعندها الاستعداد التام لتقديم كافة ما تحتاجه السيارات من خدمات ، كالماء العذب والهواء للاطارات ، والمحطة العادية من تلك المحطات لا يقل عدد المضخات العاملة فيها عن خمس . وقد يبلغ العشر او اكثر في المحطات الرئيسية .

وتتزود مخازن هذه المحطات الخافية في جوف الارض بحاجاتها من مختلف المنتجات البترولية من مستودع التخزين العام في الشويخ ويبلغ استيعابه (٢ر٢٢٦ر٠٠٠) جالون امبراطورى . فهذا المستودع الذى يتزود بالمنتجات من مصفاة الاحمدى ، عبر انابيب تصل بينه وبين المصفاة ، يزود بدوره ثلاثا من محطات التوزيع عبر مثل تلك الانابيب . واما المحطات الاخرى فيجرى تزويدها بالمنتجات بواسطة سيارات مجهزة ومعدة خصيصا لهذه المهمة . وتجدر الاشارة في هذه المناسبة الى مركز الشركة في الاحمدى للتحميل والشحن . فمع ان هذا المركز ليس بمستودع ،



الا انه مجهز بالرافعات وما اليها ، مما يمكنه من تعبئة السيارات بسرعة والقيام بالتالي مقام المستودع الى حد ما . وهذا المركز هو الذى يزود بالبنزين ٢٤ عميلا من الشركات والمؤسسات التي تستهلك سياراتها الوقود على نطاق واسع .

غير ان عناية الشركة الوطنية ببنزين السيارات لم تحل بينها وبين الاهتمام ببنزين الطائرات . فقد اسست لهذا الغرض ، وبالتعاون مع شركة البترول البريطانية ، التى كانت تملأ هذا الفراغ فيما سبق ، الشركة المعروفة باسم كافكو (اى الشركة الكويتية لتزويد الطائرات ش.م.ك) وقد سبقت الاشارة اليها . ولم تلبث حصة شركة البترول الوطنية في شركة كافكو هذه ان اصبحت ٨٠٪ بتاريخ ١٩٦٦/٧/١ وهي التى لم تجاوز ٥١٪ منذ تاسيس شركة كافكو في ١٩٦٣/٧/١ .

وقد لا يخطر ببال ان مجموع ما تزودت به الطائرات من وقود عن طريق شركة كافكو قد جاوز الاربعة ملايين جالون سنة ١٩٦٦ ، وان هذا الرقم قد سجل نسبة للزيادة على مبيعات سنة ١٩٦٥ لاتقل عن ٦٥٪ !

ولا بد من الاشارة هنا ، وقبل الفراغ من الحديث عن نشاط شركة البترول الوطنية في الاسواق المحلية ، الى حصتها البالغة ٥٪ من شركة صناعة الكيماويات البترولية . فهذه الشركة الاخيرة هي الشريكة الكبرى في مصانع الاسمدة الكويتية . وهذه المصانع تحتاج الى كميات من الكبريت ، ستحصل عليها من شركة البترول الوطنية في مستقبل قريب .

الشركة والأسواق الدولية

وغني عن البيان ان اعمال الشركة الوطنية في الاسواق المحلية ، على ضرورتها وفائدتها ، لاتحقق الاغراض الرئيسية في هذا الاتجاه الذى قامت من اجله الشركة . فما لم تنفذ الى الاسواق العالمية وتجد لنفسها موطىء قدم فيها ، تعذر عليها ان تصبح شركة بترول دولية متكاملة .

ورغم كل المصاعب والعراقيل التى تعترض السبيل في هذا الصدد فقد تمكنت شركة البترول الوطنية من فتح منافذ لها في السور المنيع الذى يحيط بالاسواق الدولية . يتجلى ذلك في المكاتب الفرعية التى اسستها في بعض العواصم الكبرى ، لندن ونيويورك مثلا ، كما يتجلى في اسهامها في مناقصة افيمت في الهند لانشاء مجموعة متشابكة من الصناعات البترولية في مدينة مدراس ، وفي مناقصة اخرى في الهند ايضا لاقامة مصفاة للمنتجات البترولية في مدينة كلكتا .

الا ان بوادر نفاذها الى الاسواق العالمية تتجلى اكثر مما تتجلى في الشركة الفرعية التى انشأتها في الدنمرك برأس مال مشترك ، وخاصة في المستودعات الكبيرة والصهاريج الخاصة بزيت الوقود fuel Oil والكيروسين وقد بوشر فعلا في بنائها بالقرب من كوبنهاجن لحساب الشركة الفرعية التى ذكرنا .

ولا يخفى ان هذه الشركة الفرعية لن تتردد في الاقبال على شراء منتجات الشركة الأم الكويتية ، شركة البترول الوطنية ، التى ما



لا مصفاة بلا مستودعات وصهاريج !
التى تم انشاؤها في مصفاة الشعيبة ،

اقدمت على توظيف اموالها في تاسيس تلك الشركة الفرعية ، وانشاء المستودعات لها ، الاضمانا لبيع منتجاتها لها . أى أن شركة البترول الوطنية تصبح ، نتيجة" لذلك ، البائعة والمشترية في آن واحد . ولعل هذا هو السبيل الوحيد الذى يمكن شركة بترول وطنية من دخول الاسواق العالمية ، وهي التى تطبق عليها شركات النفط العالمية العملاقة وتحتكرها منذ عشرات السنين .

اضف الى ذلك ان شركة البترول الوطنية الكويتية تملك ٥٪ من مصفاة بلدة امتالي Umtali في روديسيا الجنوبية ، كما تملك الحق بتزويد تلك المصفاة بما يعادل ٥٪ أيضا من حاجاتها من الزيت الخام .

ولا تزيد طاقة المصفاة الروديسية المذكورة على ٢٠٫٠٠٠ برميل يوميا . وقد بلغ رأسمالها ٨٫٢٥٥٫٠٠٠ جنيه استرليني ، وبلغ نصيب شركة البترول الوطنية الكويتية منه نحو ٢٩٣٫٠٠٠ جنيه استرليني . وتجدر الاشارة الى أن من بين الشركاء الآخرين في هذه المصفاة بعض شركات البترول العالمية العملاقة كشركة شل وشركة البترول البريطانية (B . P) وشركة موبيل وغيرها . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من خبرة تكتسبها شركة البترول الوطنية الكويتية – وهي الشركة الفتية – في شؤون تصفية البترول وفي اسواق النفط الافريقية ايضا .

على أن الانتاج الذى بدأ في المصفاة المذكورة في شهر مارس ١٩٦٥ لم يلبث ان اعترضت سبيله العراقيل ، ان لم يكن قد تعرّض الى التوقف وذلك بعد سنة من بدايته تقريبا . فمنذ شهر فبراير سنة ١٩٦٦ ، واستجابة" لقرار مجلس الامن في هذا الصدد ، وشركة البترول الوطنية الكويتية تمتنع عن تزويد المصفاة الروديسية المذكورة بما التزمت تزويدها به من الزيت الخام . شأنها في ذلك شان جميع الشركاء الآخرين .

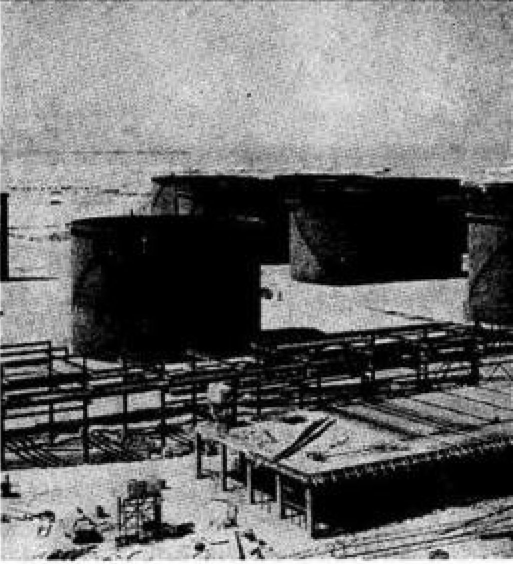
شؤون مالية

آن لنا أن نلم ولو قليلا بارباح الشركة أو خسائرها ، ان كان ثمة خسائر ، وقد فرغنا من الحديث عن الاعمال التي تمارسها فعلا والتى تحتمل بالتالي الربح والخسارة .

واول مايسترعي الانتباه في هذا الصدد ان شركة البترول الوطنية الكويتية ، رغم كل المصاريف والنفقات التى تقتضيها المرحلة التاسيسية التى تمر بها ، قد حققت ارباحا صافية ، ولم تتكبد اية خسائر . ويلاحظ علاوة على ذلك ، ان تلك الارباح لم تكن كبيرة نسبيا فحسب ، ولكنها كانت تتزايد كذلك وبنسبة كبيرة ايضا .

وتدل الحسابات الختامية للسنة المنتهية في ١٩٦٦/١٢/٣١ أن ما حققته الشركة من ارباح صافية في تلك السنة قد بلغ ٤٫١٤٣٫٩٢٤ دينارا كويتيا ، أى بزيادة ٥٠٥٫٥٤١ دينارا كويتيا عن ارباح سنة ١٩٦٥ !

على أن الاربعة ملايين دينار ونيفا هذه لم تكن حصيلة اعمال توزيع بنزين السيارات والكيروسين وزيت الغاز وحدها . فهي تعزى ايضا الى ارباح ما توظفه الشركة من أموال في غير مجالاتها ، قلّت هذه او كثرت . وتجدر الاشارة هنا الى أن نصيب شركة كافكو (للطائرات) من تلك الارباح الصافية لم يقل عن : ١٦٦٫٤٥٠ دينارا كويتيا ، اى بزيادة مائة الف دينار تقريبا عن أرباحها سنة ١٩٦٥ . ولا يخفى أن هذه الزيادة الضخمة انما يُرد جلّها الى اقدام شركة البترول الوطنية على رفع نسبة ما تملك في شركة كافكو من ٥١٪ الى ٨٠٪ .



وتظهر هذه الصورة عددا من الصهاريج وقد بلغ عددها ٥٢ صهريجا .

وخلاصة القول ان الارباح الصافية لشركة البترول الوطنية خلال السنة الماضية كانت من الضخامة بحيث رُفعت التوصية الى مجلس ادارة الشركة بتوزيع الأرباح على المساهمين بواقع دينار كويتي للسهم الواحد ! هذا والشركة ما زالت فتية حديثة العهد ، ولم تباشر بعد أعمالها الكبيرة التي انشئت من اجلها .

المصفاة

ولا ريب في أن أعمال تصفية الزيت الخام وتكريره هي من بين تلك الاعمال الكبيرة التي تستهدف ممارستها شركة البترول الوطنية الكويتية . فاغراضها المبينة في نظامها الاساسي تنص على ذلك صراحة ، ونشاطها المحلي والخاص بتوزيع المنتجات البترولية المختلفة ، فضلا عن نشاطها الرامي الى دخول الأسواق العالمية ، ليفترض فيما يفترض تعاطي شركة البترول الوطنية الكويتية لأعمال التصفية . اضف الى ذلك أن النزعة الى قيام شركات البترول الوطنية في الاقطار المصدرة للنفط لم تكن تتغفل ، في الغالب ، أعمال التكرير والتصفية .

ولعل مرد ذلك الى حرص شركات الامتياز الأجنبية على اقامة المزيد من مصافي زيت البترول في البلاد المستهلكة بدلا من البلاد المصدرة . أو لعله يعزى الى الارباح التي تتيحها أعمال تسويق المنتجات البترولية وهي مغرية الى أبعد الحدود . ومهما يكن من أمر فان زيت البترول الخام لا استعمال له ولا فائدة ترجى منه ما لم يصفى ويكرر . لذلك كله كان مشروع المصفاة حيا في أذهان المضطلعين بأعباء شركة البترول الوطنية الكويتية منذ تأسيسها .

على أن تفكير اولئك لم يتجه الى المصافي التقليدية ، الأولى التي تستخدم التقطير ، فتعزل به البنزين ، والكيروسين وغيرها وهي موجودة بقدر في زيت البترول الخام ، والثانية التي تستخدم الضغط والحرارة لتحويل الزيت الخام الى منتجات ، أو كما يقولون ، لتكسيره وتجزئته Fractionation . فلو قورنت هذه الاساليب بطريقة تصفية الزيت الخام بالهدرجة Hydrogenation لبدت أساليب بالية عقيمة ! ذلك أن الهدرجة هي أحدث ما توصل اليه العلم في هذا الميدان . ففضلا عن انها تحقق جودة فائقة في المنتجات البترولية ، وذلك بانقاص محتويات الكبريت فيها الى حد أدنى ، فانها تحول دون ضياع الـ ٢٠ ـ ٢٥٪ من الزيت الخام التي كانت تضيع في عمليات التصفية التقليدية . اضف الى ذلك أن الهيدروجين الذي تحتاج اليه هذه المصفاة الحديثة بكميات كبيرة يمكن الحصول عليه من الغاز الطبيعي والغاز الطبيعي هذا موجود بل موفور في الكويت .

أما الكبريت الذي تنتجه هذه العمليات بكميات ، وان كان من منتجات تلك العمليات الجانبية ، فانه مادة عزيزة للغاية ، بصفة عامة ، ومادة أولية اساسية بالنسبة الى مصانع الأسمدة الكويتية بصفة خاصة . وستنتج المصفاة من هذا الكبريت الناعم النقي ما يزيد على ٥٠٠ طن يوميا .

ولقد بدأت أعمال الانشاء في المصفاة الوطنية في الشعيبة ، منطقة الكويت الصناعية ، في مطلع عام ١٩٦٦ ومع ذلك فقد تم انجاز كل الاعمال الهندسية المدنية والتمديدات الكهربائية . ويجري العمل حاليا في المنشآت الظاهرة فوق سطح الارض بما في ذلك مبادلات التبريد ومبادلات الحرارة ومزيلات الملح ومحطات التحويل الكهربائية .

وقد بات من المؤكد أن يكتمل العمل في المصفاة الوطنية نهائيا في أواخر هذه السنة الحالية أو

اوائل السنة المقبلة. فالمفاعلان الضخمان Reactors بزنة ٦٠٠ طن لكل منهما قد تمت اقامتهما ، ومثل ذلك يقال في برجي التقطير ، ويزن احدهما ٢٧٥ طن والآخر ١٦٠ طن . اما الصهاريج المعدة لحفظ المنتجات والخام فاثنان وخمسون وقد تم انشاؤها في حقل الصهاريج .

وتقدر طاقة المصفاة الوطنية الانتاجية بكمية ٩٥٠٠٠ برميل من زيت البترول الخام و ٦٠ مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي يوميا . وسيأتيها الخام من حقول (ام قدير) في الكويت وهو الخام المعروف « بدرجته البالغه ٢٥ حسب A. P. I. » وبمحتوياته الكبريتية التي لا تقل عن ٣ر٥ - ٤٪ . على ان اعتماد المصفاة الوطنية على هذا المصدر للزيت الخام لا يعدو كونه مؤقتا ورهنا بعثور الشركة على الزيت الخام الذى يخصها ، وستكون منتجاتها في الغالب من نوع المستقطرات البترولية الوسيطة ، لا الخفيفه ولا الثقيلة . على ان ٥٪ من انتاج هذه المصفاة سيخصص لسد الحاجة في الأسواق المحلية ، بما في ذلك الحاجة الى بنزين السيارات والطائرات . واما الرصيد ، ٩٥٪ ، فسيوقف كله على التصدير .

وستبلغ تكاليف هذه المصفاة لدى اكتمالها (١٣٦ - ١٤٠) مليون دولار ، ولكنها تستطيع ان تفخر حينئذ بانها تعتمد الادروجين في كافة عملياتها ، فضلا عن انها تحتوى على مصنع كبير جدا لانتاج الادروجين من الغاز الطبيعي، بما في ذلك المكابس الضخمة الخمسة لضغط الادروجين ، وهى بقوة (٥٠٠ ٥) حصان لكل منها .

والجدير بالذكر أن شركة البترول الوطنية الكويتية قد حصلت مؤخرا على قرضين كبيرين اولهما من الحكومة الكويتية ، ويبلغ ٢٥ مليون دينار كويتى، وثانيهما من بنك التصدير والاستيراد ويبلغ ٥٠ مليون دولار امريكى . ولا يخفى ان هذين القرضين سيسهمان بنصيب في تمويل مشروع المصفاة الوطنية الهائل .

زيت البترول الخام

وعلى خطورة مشروع المصفاة بالنسبة الى شركة البترول الوطنية الكويتية فان امتلاكها الزيت الخام لأهمّ واخطر . اذ ما قيمة المصفاة ذاتها اذا لم يكن في مقدورها الحصول على حاجاتها من الزيت الخام باسعار التكلفة وقتما تشاء وبالقدر الذى تشاء !! وهل من شك في ان انتاج الزيت الخام وتصديره انما هو العمل الاكبر الذى قامت وما زالت تقوم به شركات الامتياز العملاقة !! انه « بيت القصيد » في كافة الاعمال المتصلة بالبترول ، صناعية كانت أم تجارية أم سياسية اقتصادية ..

ولعل شركة البترول الوطنية الكويتية قد باتت قاب قوسين من امتلاك الزيت الخام او ادنى . ذلك ان الاراضي التى منحتها الحكومة الكويتية حقوقَ الامتياز بصددها ، في يولية سنة ١٩٦٢ ، والتى لا تقل مساحتها عن ٩٢٦٢ كيلو مترا مربعا في غرب البلاد ، لا يرجح أن تكون خلوا من حقول الزيت . اذ كانت هذه الاراضي تشكل نصف اراضي الامتياز الممنوح « لشركة نفط الكويت » Kuwait Oil Co.

وقد تخلت عنه هذه الشركة الى الحكومة الكويتية في مايو ١٩٦٢ . وغنى عن البيان أن هذه الشركة قد عثرت في نصفها الآخر الشرقى من اراضي امتيازها تلك على اهم ما اشتهرت به الكويت من مخزون النفط وحقوله . ومن غير المرجح أن يوجد البترول بغزارة في نصف البلاد الشرقى ولا يوجد بغزارة ايضا، قلت هذه الغزارة أم كثرت ، في نصف البلاد الغربى ، الذى لا يفصل ولا يفرّق بينه وبين الشطر الاول اى عامل من العوامل الجغرافية او الجيولوجية .

اتفاق بين شركة البترول الوطنية وشركات النفط الاسبانية

ولولا هذه الاعتبارات ، أو بالحرى المغريات ، لما تم الاتفاق في ٣ مايو من هذه السنة بين شركة البترول الوطنية والحكومة الكويتية من جهة وبين مجموعة شركات النفط الاسبانية الاربع (هسبانويل) Hispanoil من جهة ثانية ، ولمّا تضمن ذلك الاتفاق من الشروط ما اعتبرته اوساط البترول العالمية انه في صالح الكويت الى



ذلك هو المبنى الجديد الذى اقامته شركة البترول الوطنية الكويتية (ش.م.ك)
في أوسط الحي التجارى من العاصمة ، وقد اتخذته مقرا لمكاتبها واعمالها الادارية

الى حد بعيد . وتجدر الاشارة الى أن هذا الاتفاق ما زال في حاجة الى ابرام من مجلس الأمة الكويتي .

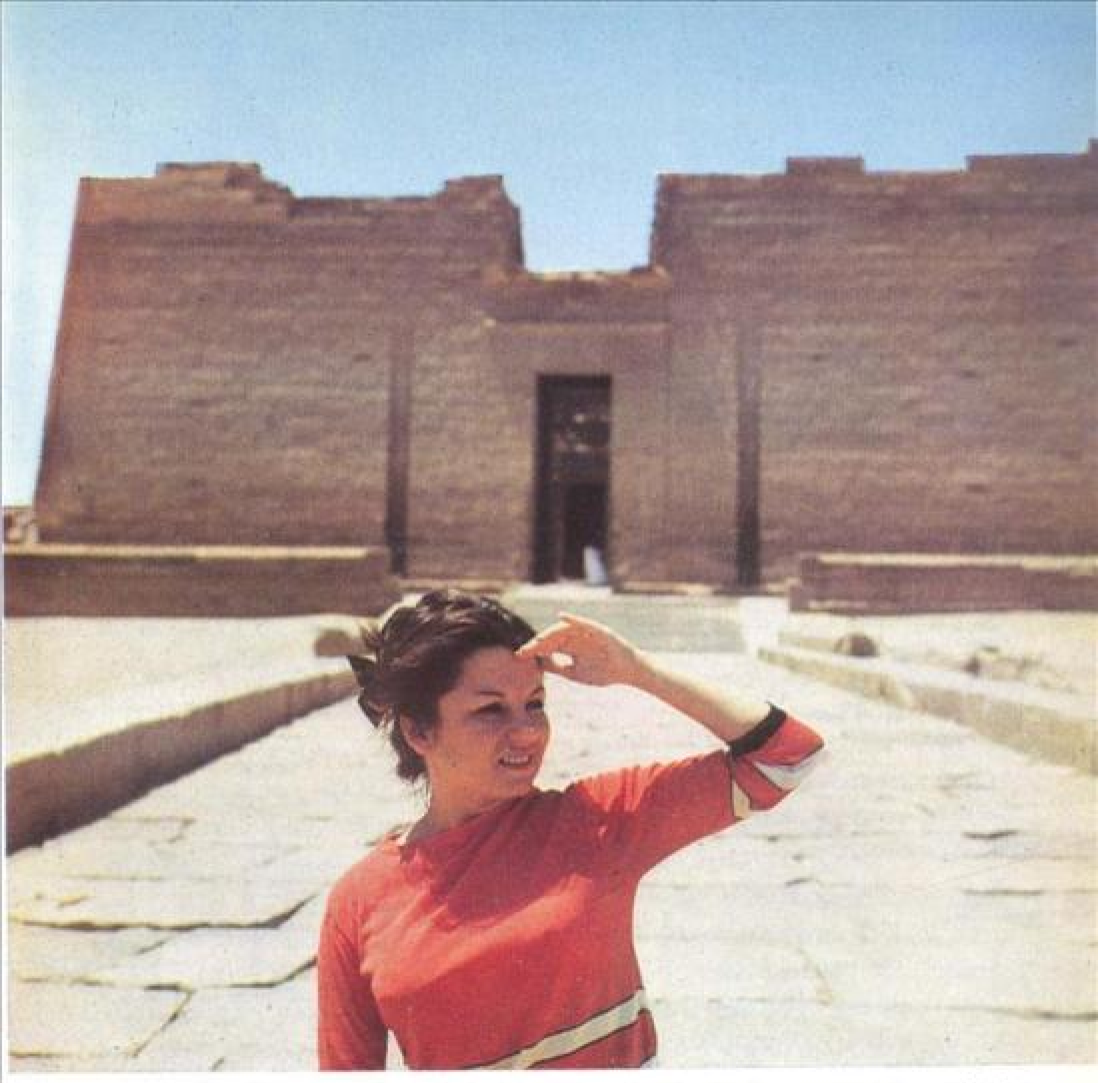
وتملك شركة البترول الوطنية الكويتية ٥١٪ من أسهم الشركة التى نص على اقامتها الاتفاق السالف الذكر ، وتملك هسبانويل الرصيد ، ٤٩٪ . على أن هذا الاتفاق ، والتعاون الوثيق الذى يتضمنه ، لايعفى الشركة الاسبانية من دفع العوائد « منفقة » Expensed وفق قاعدة منظمة الاوبك ، نقدا أو بترولا ، ولا يعفيها كذلك من دفع نصف الأرباح الصافية . فهى ملزمة بدفع هذه وتلك الى الحكومة الكويتية ، كما لو لم يكن هنالك اتفاق وتعاون مع الشركة الوطنية . اضف الى ذلك أن الشركة الاسبانية تتحمل كافة نفقات البحث عن البترول والتنقيب ريثما يتم العثور على البترول . فاذا عثر عليه وبوشر في انتاجه واستغلاله عمدت شركة البترول الوطنية الكويتية الى دفع نصيبها من تلك النفقات والمصاريف ، ويكون دفع ذلك النصيب اقساطا سنوية تحتسب من أرباح الشركة الوطنية التى تحصل عليها من أعمال الشركة المشتركة وبينها وبين هسبانويل . ويشترط في ذلك الا يزيد كل قسط من تلك الاقساط على نصف تلك الارباح في السنة التى يجرى دفع ذلك القسط فيها .

فضلا عن ذلك فان شركة هسبانويل ملزمة باتفاق ١ر٨٢٠ر٠٠٠ دولار سنويا على أعمال البحث عن البترول ، وملزمة أيضا بحفر ما لا يقل مجموعه عن ١٠٠٠٠ قدم من الابار في السنتين الاوليين ، و ٣٠٠٠٠ قدم في غضون الاربع سنوات الاولى ، و ٨٠٠٠٠ قدم قبل نهاية الثمانى سنوات الاول . هذا وقد ضمنت شركة هسبانويل تعهد الحكومة الاسبانية بأن تستورد من الزيت الخام من هذه الشركة المشتركة ما لا يقل نسبته عن ٢٥٪ مما تستورده اسبانيا من الزيت الخام اطلاقا . والمعروف أن مجمل ما تستورده هذه الدولة الصديقة من البترول الخام لا يزيد على ١٧ مليون طن حاليا ! ولكن المنتظر أن يرتفع ذلك الرقم الى ٤٠ مليون طن قبل حلول سنة ١٩٧٥ .

ولعل الفائدة التى تجنيها اسبانيا ككل من هذا الاتفاق الجديد فائدة لا يستهان بها أيضا ، ففضلا عن ضمان حصولها على ربع ما تحتاجه من البترول بأسعار تقل كثيرا عن الاسعار المعلنة ، وهى التى كانت تشترى بموجبها سابقا ، فانها ستخفف كثيرا من عبء العجز في العملة الصعبة الذى كانت تعانيه ، ويقدرونه بأكثر من ٢٠٠ مليون دولار سنويا .

وفي الختام نود أن نشكر رجال شركة البترول الوطنية على ما أدوا الينا من معلومات .

يوسف زعبلاوى



وراء الأفق مستقبل قريب مشرق لهذه البقعة من الارض العربية في أسوان .. زوجة احد الكيمائيين العاملين في شركة كيما، أمام واجهة معبد كلابشه، الذى يقع فوق قمة جبل يشرف الآن على موقع السد العالي

اعرف وطنك أيها العربي

أسوان



فندق كاتاراكت الجديد وفندق كاتاراكت القديم ، وقد شيدا على الصخور النارية التى اشتهرت بهـا مسـالك النيل بأسوان ، وهما من الفنادق السـياحية الممتـازة في مدينة الـد العالي .

مدينة الكهرباء والسد العالي والصناعة بلا دخان

قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف

وصوره
عبد الناصر شقرة

■ لم تكن مدينة أسوان هي موضوع استطلاع « العربي » عندما حزمنا حقائبنا لنسافر الى الجمهورية العربية المتحدة . كان الغرض من الرحلة التي تقررت فجأة وسط الأحداث التاريخية التي يمر بها العالم العربي ، هو السفر الى الجبهة في شبه جزيرة سيناء ، وتقديم صورة للتضامن العربي الذي تمثل في الحشود العربية عندما كانت تقف صفا واحدا لصد العدوان قبل تنفيذ المؤامرة الاستعمارية الغادرة .

ولكننا ما كدنا نصل الى القاهرة ونتقدم للمسئولين في القيادة العليا للقوات المسلحة بطلب السفر الى الجبهة مع وفد الصحفيين والمصورين الذين حملوا اقلامهم و « كاميراتهم » لتسجيل تلك الوحدة التي صنعتها الأحداث بين صفوف العرب .. ما كدنا نفعل ذلك حتى بدأ العدوان الغادر على الأمة العربية ، وعاشت مصر كما عاشت غيرها من دول العالم العربي أياما عصيبة قام فيها الاستعمار بدور القائد والموجه والمساند لهذه الضربة التي تصور انه يستطيع أن يقضي بها على حرية هذه الأمة واستقلالها وكرامتها .

ووقفنا مع الملايين نرقب آثار العدوان ونلهث وراء الاخبار والاحداث التي كانت تجري من حولنا ، الى أن اصدر مجلس الامن الدولي قراره بوقف اطلاق النار .

مدينة المستقبل

وقررنا أن نسافر الى أسوان « وقد كانت ضمن برنامجنا بعد الجبهة » .. الى المدينة التي تتعلق بها اليوم آمال الملايين..الى مدينة السد العالي.

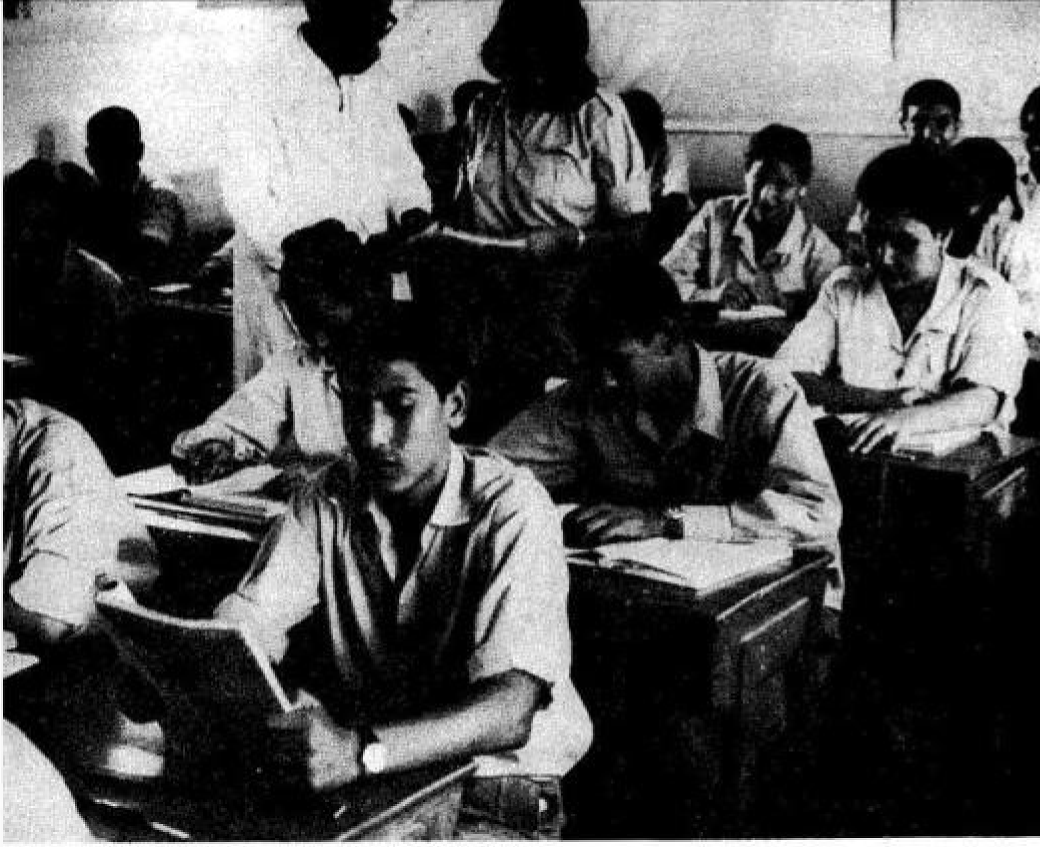
ترى كيف أصبحت أسوان اليوم بعد مضي ثماني سنوات تقريبا على بدء العمل في السد العالي ؟

كان هذا هو السؤال الذي يلح علينا والقطار السريع ينهب بنا الارض نهبا في الطريق الطويل الى مدينة المستقبل ..

ووصلنا الى أسوان بعد رحلة استغرقت خمس

مدينة السيل ، احدى المدن السكنية الحديثة التي قامت في اسوان ، لسكنى العاملين في السد العالي وفي مختلف القطاعات .. وتشتمل هذه المدينة على ٤٢ وحدة سكنية ، وكل وحدة تتألف من ٢٠ شقة .





الطلبة والطالبات في مدرسة أسوان الثانوية الفنية .. لقد نجح التعليم المشترك في أسوان لاعداد جيل من الفنيين الذين يتدربون عمليا في مرحلة التعليم الثانوى على جميع أعمال الكهرباء والبرادة والنجارة والنسيج وما الى ذلك ، استعدادا للحياة الجديدة في المدينة التى ستصبح اكبر المدن الصناعية في الجمهورية العربية المتحدة .

عشرة ساعة متواصلة..وكان الجو حارا والشمس ساطعة تلفح الوجوه .. وقد ازدحمت محطة السكةالحديد بمئات المستقبلين والركاب الوافدين .. وركبنا السيارة التى اقلتنا الى الفندق لنستريح قليلا قبل ان نبدأ عملنا .. فانطلقت بنا في شارع كورنيش النيل الجديد باسوان وسط المبانى الضخمة والعمارات الحديثة والحدائق الغناء والفنادق السياحية .. ولم نصدق ما نراه حولنا ! هل هذه هى المدينة الصغيرة التى كانت الى عهد قريب مجرد بلدة صغيرة من بلدان الوجه القبلى ؟ هل يمكن أن تصنع تلك السنوات القصيرة باسوان كل هذا الذى صنعته ، فتحولها من بلدة فقيرة الى ثالث اكبر مدن الجمهورية العربية المتحدة بعد القاهرة والاسكندرية ؟

بين الأمس واليوم

نقول والخجل يملؤنا ، ان هذه هى المرة الاولى التى نزور فيها « أسوان السد العالى » ، التى يأتى اليها السائحون من مشارق الارض ومغاربها لرؤية هذا العمل الكبير الذى يجرى في سباق مع الزمن منذ بدء تنفيذ مشروع السد العالى .

كانت الصورة المطبوعة في أذهاننا عن أسوان منذ زمن بعيد ، هى صورة مساكنها المتواضعة وقد احتضنتها أشجار النخيل ، وانتشرت حولها المزارع التى امتدت على الشواطىء حيث يعمل الفلاح ويكدح وسط ماشيته وبهائمه !

ما أبعد الفرق بين الماضي والحاضر .. بالأمس

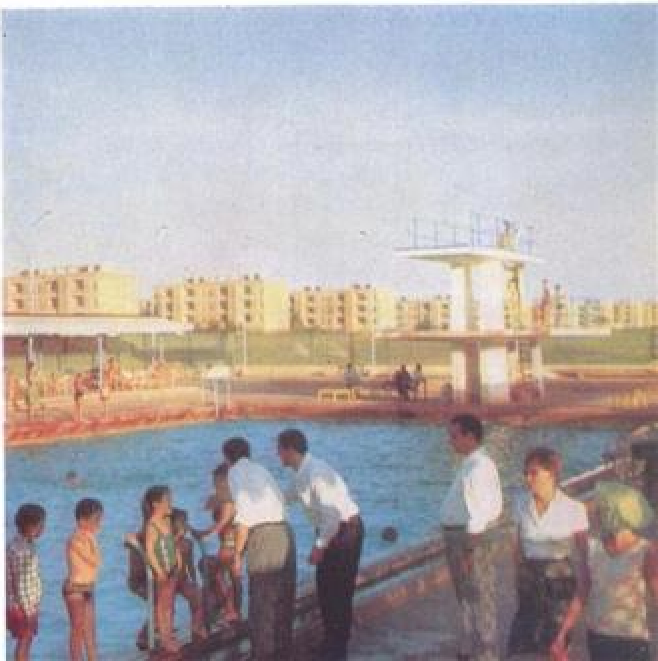


جانب من مدينة « السيل » احدى المدن السكنية الاخرى في اسوان ، وما تزال حركة الانشاء والتعمير مستمرة فيها لاضافة وحدات سكنية جديدة

بعض العمارات الحديثة التي شيدت في مدينة كيما .. احدى المدن السكنية التي أقيمت لسكنى العاملين في شركة الصناعات الكيماوية المصرية .

منظر عام للاستراحة التي ينزل فيها ضيوف أسوان ، من كبار العرب الذين يجيئون لزيارة المدينة ، وقد زودت بوسائل الراحة.

حمام السباحة في احد الاندية التي انشئت لزوجات واطفال العاملين العرب والروس في أسوان .. ان السباحة هي الرياضة المفضلة دائما في الاجواء الحارة .



جانب من الوحدات السكنية الحديثة بمدينة نصر التي خصصت للعاملين في السد العالي ، وتتألف كل وحدة من عشر شقق





كانت أسوان منفى ، اذا نقل اليها موظف من موظفى الدولة ، فضل الاستقالة من عمله على الحياة في جحيم أسوان .. اما اليوم فقد أصبح العمل في اسوان وسام شرف فوق صدر المهندسين والعمال الذين يتسابقون للفوز به .

بالأمس كانت مدينة مهجورة لا يسكنها الا اهلها الذين ولدوا وعاشوا فيها فتوارثوا أرضها الفقيرة وأعمالها الصغيرة .. اما اليوم فقد أصبحت أسوان تضم مواطنين من كل أرجاء مصر من الوجهين القبلى والبحرى .. وأصبح أهل أسوان الجدد هم كل موظف جاد في عمله ، وكل عامل اظهر من النبوغ والنشاط ما يؤهله لأن يكون أحد أفراد هذا المجتمع الجديد الذى تبنى عليه مصر كل آمالها .

ونقف هنا لنحاول أن نرسم صورة لما جرى فوق هذا الجزء من الارض العربية في أسوان .

ان هذه المدينة عاشت منطوية على نفسها لا تعرف شيئا عن مظاهر الحياة الحديثة الا بعد مولد السد العالى .. اما قبل ذلك ، فقد كان كل ما حدث لها لا يعدو أكثر من مجرد ارتفاع مؤقت في تعداد سكانها الذين ارتبطوا بعمل معين لا يلبث أن ينتهى ، فيعود كل شيء الى ما كان عليه كما حدث عند بناء خزان أسوان القديم !

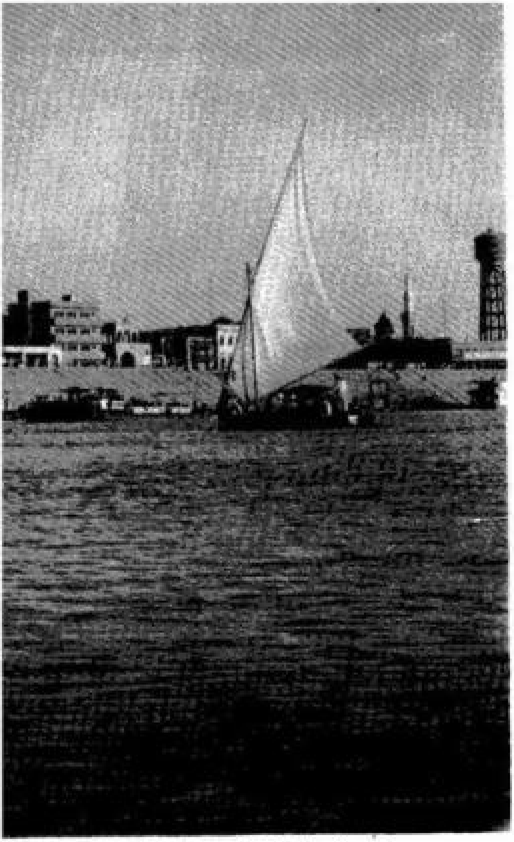
وفيما عدا هذه الظاهرة ، لم يطرأ شيء يستحق الذكر في حياة أسوان وأهل أسوان .

مولد السد العالى

ثم مضت الأعوام ، وبدأ مشروع السد العالى يخرج الى حيز الوجود ، فنفضت أسوان عن نفسها تراب تلك السنين الطويلة من الاهمال والنسيان ، واستعدت المدينة كلها لاستقبال هذه الحياة الجديدة التى زخرت بالمشروعات الصناعية ومشروعات استصلاح الاراضى الزراعية .

وترتب على هذا أن بدأ الالوف من العاملين والفنيين يتوافدون على المدينة التى لم تكن قادرة على استيعاب مثل هذه الأعداد الكبيرة بما لديها من امكانيات ضئيلة ..

وبرزت المشاكل .. وكان أهمها مشكلة الاسكان .. وعلى الفور بدأت حركة تعمير وبناء واسعة النطاق ، وقامت في أسوان عشرات العمارات الحديثة التى ساهمت في حل هذه المشكلة وقد



نهر النيل الخالد ... والزوارق تجرى
الصورة بعض العمارات الحديثة التى

بلغ مجموع ما انفق على مشروعات البناء والتعمير منذ عام ١٩٥٧ حتى الآن ٥٨ مليون جنيه .

ولكن ، كان لا بد بعد مضى فترة من الزمن البدء في تجربة حيوية من أجل بناء مجتمع جديد يعرف كيف ينظم نشاطه الاقتصادى والزراعى والصناعى ويعد المواطن الصالح الذى يعمل من اجل تقدم بلده ورفاهيتها .

تخطيط اسوان

وكانت هذه التجربة هى اعادة تخطيط المدينة على أسس علمية حديثة ، على أن يراعى في هذا التخطيط احتمالات الزيادة الجديدة في عدد السكان ، وهى ستجيء حتما مع المشروعات الضخمة التى ستحول أسوان الى أكبر مدينة صناعية بلا دخان في الجمهورية العربية المتحدة .



فوق مياهه الهادئة ... وقد ظهرت في
شيدت في شارع كرنيش النيل الجديد .

ولم يكن التخطيط قاصرا على مدينة أسوان وحدها بل شمل أيضا جميع مراكز وقرى المحافظة كلها ..

وبدات التجربة الكبرى منذ أربع سنوات تحت اشراف اللجنة الدائمة لمشروع تخطيط اقليم اسوان ولقيت اهتماما زائدا من جانب خبراء الدول المتخصصين ، في التخطيط ، واللجان المختصة التابعة للامم المتحدة . وعندما اجتمع المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع للامم المتحدة في جنيف ، لبحث مشروع السنوات العشر للدول النامية ، قرر المجلس ادراج مشروع تخطيط اقليم اسوان ضمن ٦ مشروعات يمكن أن تكون مثلا يحتذى به وخاصة في الدول النامية .

وقد شكلت اللجنة الدائمة لمشروع تخطيط اسوان برئاسة محافظ الاقليم ، وتألفت المراكز المختلفة التى يختص كل منها باجراء نوع معين من البحوث ، واعتمدت الامم المتحدة ملايين الدولارات لتنفيذ المشروع ، وضمت اللجنة مجموعة من الخبرات العربية ، حصل اصحابها على أعلى الدرجات العلمية .

مراكز البحوث

وكانت أهم هذه المراكز التى تم تاليفها ، مركز التنمية التعدينية ويقوم بالدراسة المبدئية للتربة ، ثم عمل مسح جيولوجي لطبقاتها ، يتبعه مسح جيولوجي فيزيائى ثم تبدأ عملية الحفر .

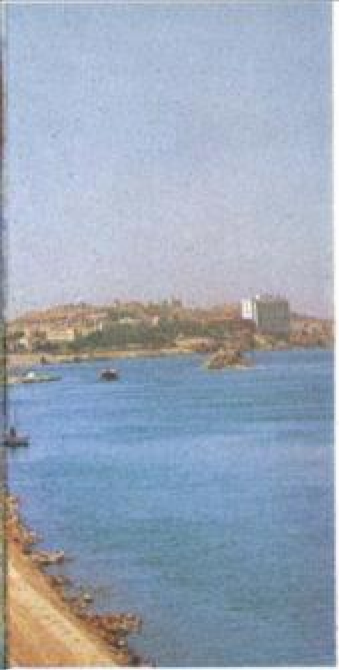
وهناك أيضا مركز بحيرة ناصر ، وهى البحيرة الكبيرة التى ستختزن المياه خلف السد العالى ، ويختص هذا المركز بدراسة الثروة السمكية واستنباط أنواع جديدة من الاسماك باستزراعها في احواض خاصة عائمة ومراقبة عملية الفقس واختيار الطعم . ويرجى أن تفى هذه البحيرة بنصيب كبير من الغذاء السمكى للدولة . ويضم مركز بحيرة ناصر أيضا قسما لتطوير المواصلات النهرية ، وقسما آخر لدراسة الجو .

شق طريق الى البحر الاحمر

ثم يأتى بعد ذلك مركز التخطيط والتعمير ، ويتكون من قسم لدراسة تخطيط المدن ، وقسم آخر لدراسة تخطيط القرى ، وكذلك مركز النقل والمواصلات ، وكان من أول مشروعاته ، انشاء طريق يوصل أسوان بشاطىء البحر الاحمر ، وسيكون من نتائج تنفيذ مشروعات هذا المركز ، النهوض بالسياحة وتسهيل الحج سنويا باختصار المسافة الى جده عن طريق البحر الاحمر ، الى جانب تسهيل البحوث الزراعية والبحوث الخاصة بالتعدين وتصدير المنتجات .

ثم مركز التنمية الصناعية ، ومهمته اجراء البحوث للمشروعات الجديدة ، مع تنمية المشروعات القائمة وتقديم الخدمات الاستشارية ، وكذلك مركز التنمية الزراعية ، ويقوم باجراء بحوثه في المزارع التجريبية ويضم مجموعة من مهندسي الزراعة الذين يقومون بدراسة طبيعة طبقات الارض المتزرعة في هذه المنطقة ، واختيار افضل الحاصلات الزراعية لها ..

واخيرا مركز تنمية الموارد البشرية ويضم





احدى العمارات الحديثة في مدينة «صحارى سيتي» المدينة السكنية التى شيدت لسكنى العاملين في السد العالى على بعد خمسة كيلومترات من موقع السد .



الى أعلى : منظر عام لجانب من مدينةأسوان من شارع كرنيش النيل أحدث واجمل شوارع المدينة اطلاقا ..

الى اليمين : بيت أسرة كيمائى في أسوان .. والزوج يعمل في شركة كيما .. والزوجة ايضا تعمل .. وقد التقيا في أسوان وتزوجا ، وسكنا هذه الشقة التى تتألف من اربع غرف وصالتين ، بايجار شهرى قدره ثلاثة جنيهات .. الا ما ارخص !

الى اليسار : أحد المحال التجارية في أسوان ، ويجد فيه المستهلك جميع أنواع السلع التى يحتاج اليها من ملابس جاهزة وأقمشة ، والالات للمنزل ... الخ ... ويحتوى المحل على




RFUMERIE-CADEAUX

اقسام تطور القوى العاملة وتنميـــة المجتمعات والتربية والتعليم .

ومن أهداف هذا المركز تطوير قدرات القوى العاملة للوصول بها الى أحسن المستويات ، وهناك خطة قصيرة الاجل للتدريس على مستويات مختلفة للحصول على المهارات اللازمة ، وتعتنى هـذه الخطة بالطفل من سن السادسة حتى الثانيـة عشرة ، وهى فترة اتمامه للدراسة الابتدائية ، حتى يستطيع ان يتعرف على المهنة التى يحبها .

وفي المرحلة الاعدادية يتدرب الطالب على اعمال التجارة والبرادة والنسيج والكهرباء .. ويستمر في هذه الدراسة الصناعية كل من يثبت نبوغـا وكفاءة .

تطوير برامج الدراسة

ونتيجة لهذه الخطة،كان لا بد من تطوير برامج الدراسة في أسوان لتتمشى مع التخطيط الجديد. وقد قامت لجنة خاصة برئاسة وكيل وزارة التربية لشئون التخطيط باعداد مناهج الدراسة العملية الجديدة ، كما اشرفت على تدريب المدرسين على الطرق الحديثة للتعليم ، وتقرر ان تصبح المصانع الجديدة حقلا للتدريب العملى للطلبة والطالبات على الســواء .

وبالرغم من ان تخطيط اسوان الشامل يحتاج الى عشر سنوات ، انقضت منها اربع سنوات والباقى ست سنوات ، ستظهر بعدها صورة اسوان الجديدة .. الا ان معالم المدينة الحديثة بدات منذ الآن تظهر بوضوح .

لقد تحددت الصورة في الواقع ، ولم يبـق سوى الاطار الذى سيحتويها ليقدم مدينة مـن أجمل واعظم مدن مصر والشرق العربي كله ..

ان العمل يجرى على قدم وساق في كل مكان ذهبنا اليه .. وحركة التعمير والبناء مستمرة في مدينة اسوان وفي ضواحيها الجديدة .. وكل من في المدينة يعمل ويبنى ويتطلع الى المستقبل الذى اصبح قريبا جدا .. فلم يعد باق من الزمن سوى شهور معدودة ، تبدأ بعدها مصر في جنى أولى ثمار كفاحها الطويل الذى بدا حتى قبل بدء تنفيذ مشروع السد العالى .. وبعد ثلاثين يومـا بالضبط ستظهر باكورة انتاج التيار الكهربائي اثر الانتهاء من العمل في بناء محطة توليد الكهرباء الجديدة في اكتوبر من هذا العام .

وبالرغم من قيود الاضاءة التى كانت موجودة في اسوان وقت العدوان ، فقد بقى العمل مستمرا ليل نهار طوال الاربع وعشرين ساعة في موقـع السد العالى ، حتى انه يمكن القول بان الانتاج قد زاد في تلك الفترة .. ولعله الشعور بالتحدى هو الذى دفع العاملين الى مضاعفة انتاجهم ، وهم يرون النجاح وقد اصبح قاب قوسين منهم او أدنـى ..

منظر عام لشارع كرنيش النيل .. أهم وأجمل شارع في مدينة اسوان اليوم ، ويبلغ طوله حوالىستة كيلومتراتونصف، وقد بدأ العمل فيه في شهر يوليو عـام ١٩٦٥ وانتهى في مايو ١٩٦٦ أى في أقل من عشرة أشهر .. وعلى الكرنيش أقيمت الكازينات وافتتحت الأندية التى يقضي فيها شباب أسوان أوقات فراغهم بعد يوم حافل بالعمل والنشاط .

كورنيش النيل

وفي مدينة اسوان خرجنا نتجول على الاقدام لنسجل الانجازات التى تحققت في تلك الفترة القصيرة من عمر الشعوب .. ونحاول ان نرسم صورة سريعة لمعالم المدينة الحديثة .. واهـم شارع في أسوان اليوم ، هو شارع « كرنيش » النيل الجديد الذى يمتد من حديقة التحرير التى تقع امام فندق كلايشه حتى ميناء شركة كيما في شمال اسوان .. وهو شارع فسيح طوله حوالى ستة كيلو مترات ونصف ، وقد بدأ العمل فيه في شهر يوليو عام ١٩٦٥ عندما جاءت الآلات الضخمة لتحول جزءا من شاطىء النيل الى ارض صلبه قام فوقها الكرنيش الجديد .. وفي يوم اول مايو من عام ١٩٦٦ اى في اقل من عشرة اشهر ، احتفلت المدينة بافتتاحشارعها الجميل ..

وفي شارع الكرنيش يوجد مبنى المحافظة ، وهو مبنى كبير يتالف من ست طوابق ويضم حـوالى ٢٠٠ حجرة ، يشغلها موظفو جميع المصالح التابعة



للحكم المحلى ، كالصحة والاسكان والتربية والتعليم والتخطيط وقلم قضايا الحكومة .

وفي شارع الكرنيش ايضا يوجد مبنى نادى التجديف والبنوك والمجمع السياحى الذى افتتح لاستقبال السائحين حيث تعرض فيه مختلف المنتجات المحلية من تحف واقمشة وملابس يتهافتون على شرائها .

وفي هذا الشارع ايضا تقع معظم الفنادق السياحية الكبرى ، مثل فندق كلاتشه ونيوكاتاراكت وكاتاراكت القديم وفندق آمون على الضفة العربية لنهر النيل ، ثم فندق جراند اوتيل ونيل سيتى . وكلها من فنادق الدرجة الأولى باستثناء الفندقين الاخيرين ، فهما من فنادق الدرجة الثانية ، ويجرى العمل الآن في بناء فندق جديد على الضفة الغربية ، وهو فندق « الفنتين » ، نسبة الى جزيرة الفنتين ، التى تضم الآن متحف آثار اسوان . وقد شيد هذا الفندق الجديد على شكل نصف دائرة حول برج اسوان .

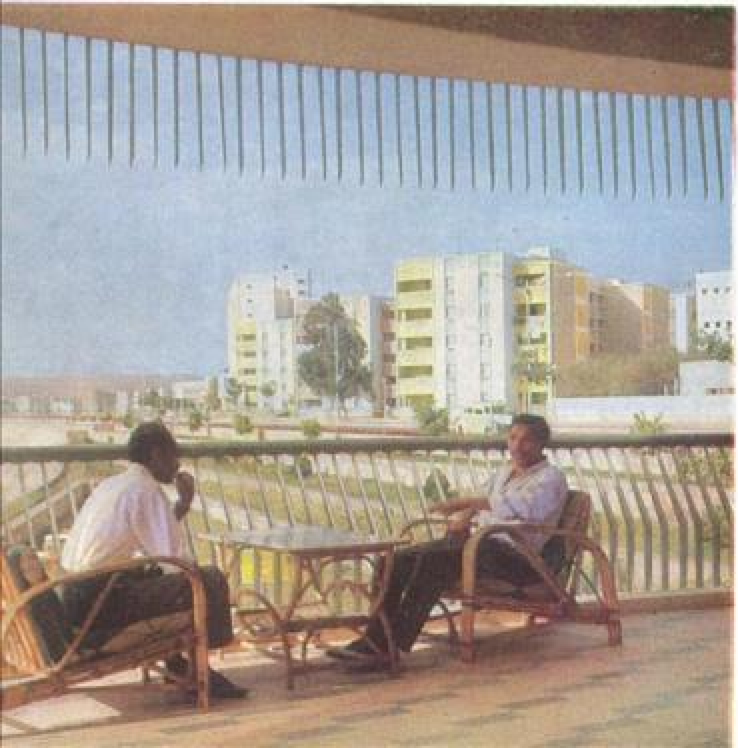
الى اليمين : فندق كلابشة ، احد الفنادق السياحية الحديثة بأسوان ، ويحتوى على ١٢٠ غرفة ، وقد انشيء في عام ١٩٦٥ .



الى اسفل : نادى التجديف ، وقد شيد وسط حديقة جميلة تشرف على النيل، وهو من احدث الاندية التى أقيمت في أسوان .







الى أعلى : الصخور النارية تنتشر في منطقة واسعة على شاطىء النيل ووسط مجراه ، وقد شيد فندق كاتاراكت الجديد في منطقة صخرية ، وظهر أحد اللنشات التي تنقل النزلاء في رحلات نيلية ممتعة .

الى اليسار : في شرفة نادي التجديف جلسا يتسامران .. وقد ظهرت العمارات الحديثة التي أقيمت في شارع كرنيش النيل الجديد .

ثلاث دور للسينما

وهناك ثلاث دور للسينما في أسوان ، هي سينما ابو الشوك التي تقع بالقرب من محطة السكة الحديد ، وسينما بدر بشارع عبد المجيد ابو زيد ، وسينما المجمع الحكومي الجديد التي تعتبر دارا للعرض من الدرجة الاولى ، وقد زودت بتكييف الهواء ، الى جانب قاعات السينما والمسرح بدار الثقافة وبنادى السد العالى الشرقى الذى يقع بالقرب من مدينة كيما ونادى السد العالى الغربى في مدينة صحارى ستى ونادى المقاولين العرب بالقرب من موقع السد .

وقد انشأت المحافظة ايضا مبنى البدالات



المهندس ابراهيم زكى قناوى مدير الهيئة العامة لبناء السد العالى ، أمضى سبعة عشر عاما في أسوان فقد عمل في خزان أسوان القديم قبل ان يخرج السد العالى الى حيز الوجود .. وسافر الى سوريا للعمل في مشروع سد الفرات . انه الرجل الذى يشرف اليوم على العمل في المشروع الذى تبنى عليه مصر آمالا كبارا .. قال لنا : « بعد ثلاثين يوما ستجنى أولى ثمار كفاحنا كهرباء .. وبعد أشهر معدودة ستكتمل المعجزة.. معجزة السد العالى » .

التليفونية الاوتوماتيكية واستادا كبيرا للرياضة وملاعب لكرة القدم وحمامات للسباحة وحدائق غناء أصبحت بمثابة رئات للتنفس في جو أسوان الحار .

مدارس أسوان

وفي أسوان اليوم ثلاث مدارس ثانوية هي مدرسة اسوان الثانوية للبنات ، والمدرسة التجريبية النموذجية التى تتلقى فيها الفتاة علومها جنبا الى جنب مع الشاب ، ومدرسة عباس محمود العقاد الكاتب العربي الكبير الذى انتقل الى جوار ربه ليلة الخميس ١٢ مارس عام ١٩٦٤ .

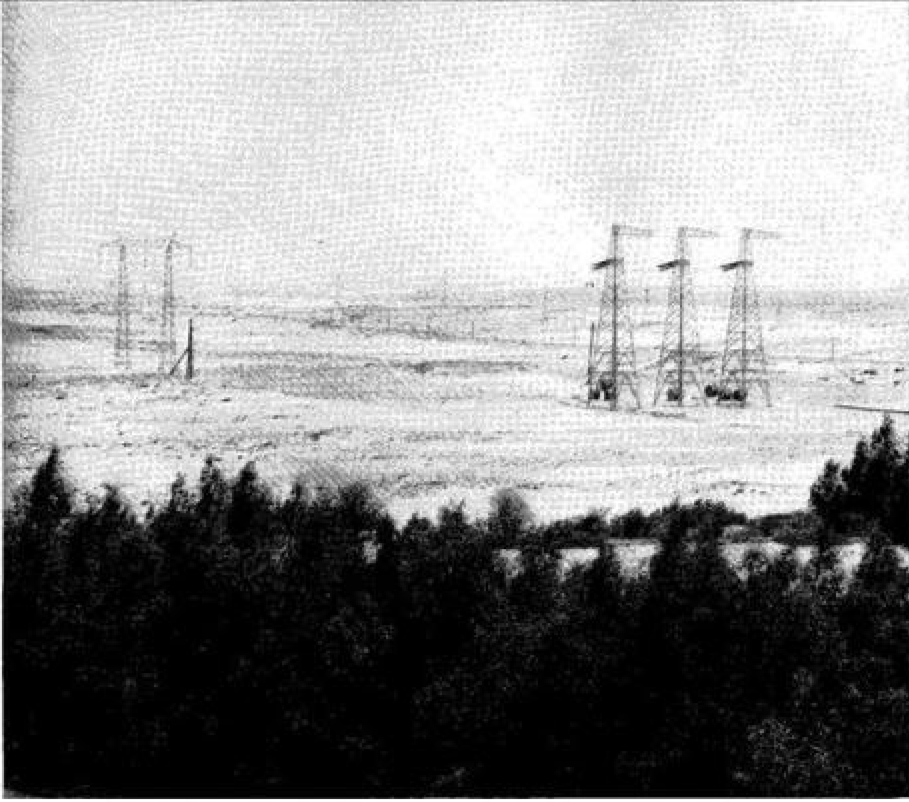
لقد دفن العقاد في اسوان ، مسقط راسه ، ويقع قبره في قلب المدينة وسط ميدان الشيخ محمود ، ويقوم بحراسة قبر العقاد طباخه الامين احمد حمزه محمد الذى امضي اكثر من ٢٧ عاما في خدمته . قال حمزه وهو شيخ ناهز الستين : « لقد امضيت شبابى كله في خدمة . كان بالنسبة لى نعم الاخ والصديق . فلما مات جئت احرس قبره .. لقد رفضت ان افترق عنه حتى بعد ان خمدت انفاسه الى الابد .. ان امنيتي ان اموت وادفن بجواره » .

ونعود الى المدارس مرة اخرى .. وفي اسوان أربع مدارس للتعليم الفنى الثانوى ، وهى مدرسة أسوان الثانوية الصناعية ومدرسة أسوان الثانوية التجارية ، ودار المعلمين والمدرسة الفنية للبنات. وهناك خمس مدارس اعدادية . اما المدارس الابتدائية فيبلغ عددها عشر مدارس .

وقد زحفت المشروعات الى القرى والكفور التى زودت بمياه الشرب النقية ، والتيار الكهربائى ، ووزعت المحافظة على الفلاحين اعدادا كبيرة من الماشية على ان يسددوا ثمنها من منتجات الالبان التى تدرها ، كما اقامت مصنعا للالبان في مدينة كوم اومبو .

١١٠ الف نسمة

وفي اسوان رأينا صورا للحلول الذاتية الناجحة للمشاكل ، فقد حدث نقص في المواد الغذائية بعد ان ازدحمت المدينة بالعاملين ، ولم تعد



خطوط الكهرباء الجديدة التى تم تركيبها خارج مدينة السد العالى على بعد خمسة كيلومترات من موقع السد .. وسوف تنقل هذه الخطوط الطاقة الكهربائية ابتداء من شهر أكتوبر المقبل الى مراكز الاستهلاك في جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة .

الخضروات التى تستورد من الاماكن البعيده من وادى النيل ، بالقطار ، تكفى عشرات الالوف من الافواه الجديدة . وسارعت المحافظة بوضع خطتين ، احداها عاجلة لمواجهة ضغط السكان الذين ارتفع عددهم من ٢٥ الف نسمه قبل السد العالى ، الى ١١٠ الف نسمة الآن . وتقرر طبقا لهذه الخطة مضاعفة مساحة الارض التى تزرع بالخضروات ، فخصص ١٥٠٠ فدان ، من تلك الاراضى التى استصلحت بمياه السد العالى لتزرع بالخضروات والفاكهة واصبحت اسوان اليوم تصدر الخضر بعد ان كانت تستوردها .

ويقوم مركز تنمية الزراعة التابع لمشروع التخطيط باجراء أحدث التجارب العلمية على اراضي المنطقة كلها . وقد بدات زراعة غابات المناطق الاستوائية في اسوان ، وبذلك امكن الحصول على اغلب الحاصلات التى كانت مصر تستوردها مثل جوز الهند والتمر الهندى والكركدية .

مشروع التشجير

وقد بدات في نفس الوقت تجارب اخرى لاستنباط أنواع ممتازة من قصب السكر ، كما اعدت مناطق واسعة لتشجير نباتات المناطق الاستوائية للتخفيف من حدة الحرارة في الصيف .

وتقوم مديرية الزراعة في الوقت الحاضر بحصر واصلاح الاراضي التى لم يصل انتاجها الى الحد الاقصي ، كما تقوم ايضا باستصلاح مساحات كبيرة من الاراضي البور ، وقد تم تنفيذ مشروع تنظيم الانتاج الزراعى الذى اعتمد له مبلغ ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه ، وسيتبع ذلك تقسيم المحافظة الى قطاعات صغيرة تتراوح مساحة كل قطاع منها بين ٥٠٠ فدان و ٢٠٠٠ فدان ، تزود



مسجد نصر في شارع كورنيش النيل، وقد شيد على الطراز الفاطمي، ويتسع لحوالي خمسمائة من المصلين

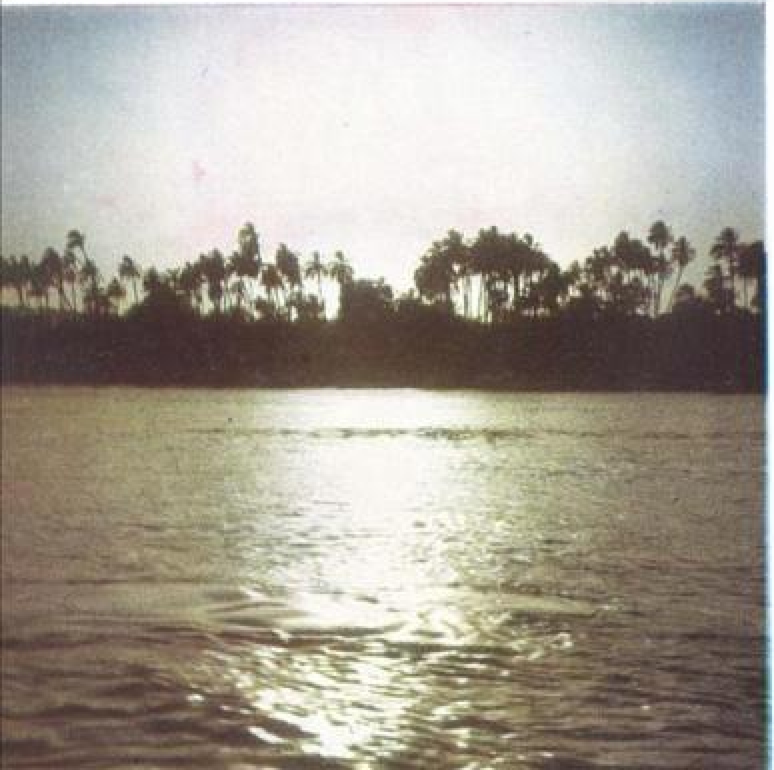
في جمعية الشابات المسلمات تتدرب فتيات أسوان على الحياكة والتطريز وأشغال الإبرة .. وتعرض المنتجات في سوق خيري يقام لصالح الأسر المنتجة .







مستشفى أسوان العام ، الذى شيد عام ١٩٦٥ ، ويحتوى المستشفى على ٢٢٠ سريرا ، والعلاج فيه بالمجان ، ويعمل فيه ٢٥ طبيبا متخصصون فى علاج مختلف الأمراض .



الى اليسار : غروب الشمس على الشاطىء الغربى لاسوان .. والغروب في المدينة بداية يوم جديد لعدد كبير من العاملين في السد العالي .. فالعمل هناك لا يهدأ ابدا طوال الاربع وعشرين ساعة .

باحدث الآلات الزراعية والجرارات وماكينات الدراس .

الرعاية الصحية

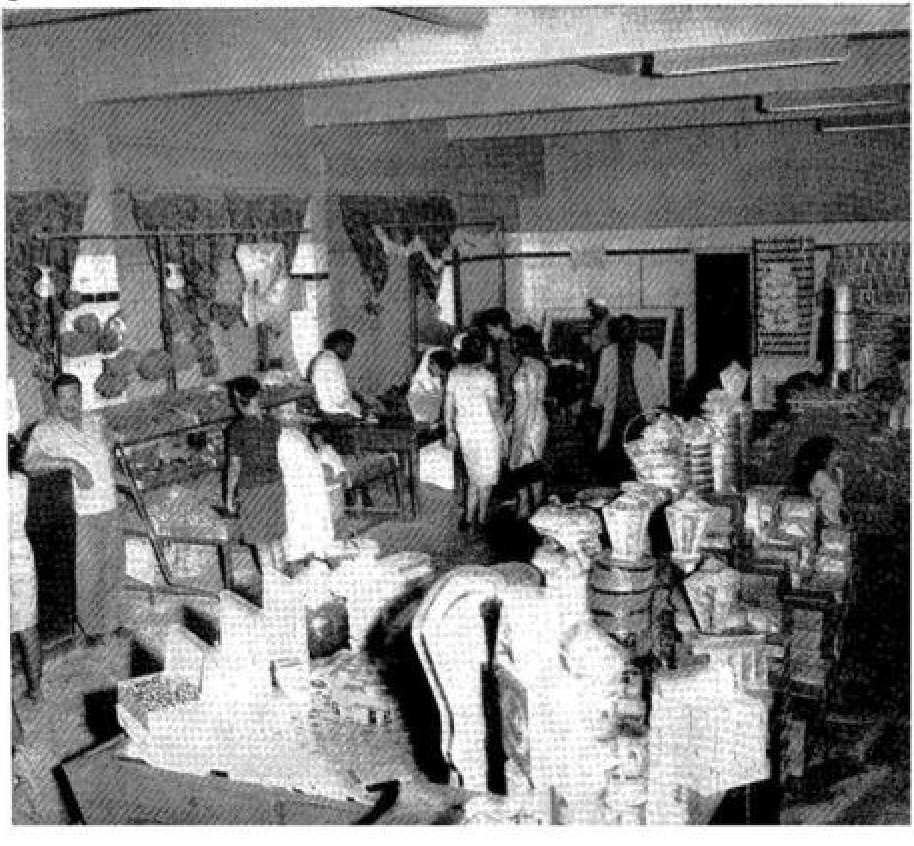
وننتقل الآن الى الحديث عن الرعاية الصحية . ولم تكن اسوان في الماضي تجد اية رعاية صحية اذ كان الاطباء يهربون من العمل فيها ، ولم يكن عدد الاطباء في اسوان كلها يزيد على ستة اطباء حتى عام ١٩٣٦ ، كذلك لم يكن هناك سوى مركز واحد لرعاية الطفل ومستشفى واحد صغير لايتسع لاكثر من ٥٠ سريرا .

اما اليوم فقد تم بناء مستشفى اسوان الجديد الذى يضم ٣٠٠ سرير ، والحق به قسم خاص لامراض الحميات يضم مائة سرير ، كما تم بناء مستشفيات مركزية في كل من كوم امبو ومدينة نصر وفي كل منهما ٦٠ سريرا ، كما اقيم مستشفى ثالث في ادفو يتسع لاكثر من ٣٠ سريرا . والحق بكل هذه المستشفيات المركزية قسم للرمد به ١٤ سريرا الى جانب مستشفيات الرمد المستقلة الاخرى التى يتراوح عدد الاسرة فيها بين ٢٥ و ٤٠ سريرا. هذا الى جانب الفروع التى اقيمت لعلاج الامراض المختلفة مثل الامراض الجلدية والتناسلية ، والامراض المتوطنه . وسيتم قريبا بناء مستشفى للامراض الصدرية يتسع لاكثر من مائة سرير . وقد انتشرت مراكز رعاية الطفل ودور الحضانة في أسوان وفي معظم مراكزها للاشراف على اطفال الامهات العاملات .

نشاط المراة

فقد خرجت المراة من بيتها لتشارك في اعمال

احدى الجمعيات التعاونية التي أقيمت في المدن السكنية الحديثة بأسوان .. وهى جمعيات مساهمة ، يملك أسهمها العاملون في مختلف الهيئات والمؤسسات ، وتوزع عليهم الارباح في نهاية كل عام .. ويجد سكان المدينة في هذه الجمعيات كل ما يحتاجون اليه من خضروات ولحوم وبقالة وباقى مختلف السلع





منظر لجانب من العمارات الحديثة التى شيدت في مدينة نصر ، احدى المدن السكنية الخمس في أسوان ، وهى تضم ٢٤ وحدة سكنية تتألف كل منها من ٢٤ شقة ، وقد خصصت هذه المدينة للعاملين بالسد بالمجان ، أما الراغبون في سكناها من أهالى المحافظة فيدفعون خمسة جنيهات ايجارا للشقة التى تتألف من ثلاث غرف فسيحة مزودة بالهواء المكيف .

الرجال . فعملت في المكتب والمصنع والحقل ، وفي كل مكان ..

ونشطت المرأة في أسوان الجديدة ، ويتركز نشاطها الآن في مؤسسة عيد الأسرة ، وجمعية الشابات المسلمات وجمعية تحسين الصحة ، والنهضة النسائية . وتقوم جمعية الشابات المسلمات بدور كبير في ميدان الخدمة الاجتماعية . وقد افتتحت الجمعية مقرها الجديد في شارع كورنيش النيل من العام الماضي ، وهى تقوم بتدريب الفتيات على الحياكة وتفصيل الملابس وشغل الابرة . كما يوجد بها قسم آخر للتريكو وقسم ثالث لمحو الأمية ، حيث يشرف الاعضاء على تدريس البنات واعدادهن للمستقبل .

وافتتحت الجمعية ايضا قسما للحضانة ، تترك فيه الأمهات العاملات أطفالهن عندما يذهبن الى عملهن في الصباح ، ثم يعدن لأخذهم بعد الانتهاء من العمل في المساء .

واهتمت الجمعية كذلك بالتوعية فأنشأت قسما خاصا لتنظيم الاسرة تشرف عليه مجموعة من الاخصائيات . وفي هذا القسم تجتمع الامهات

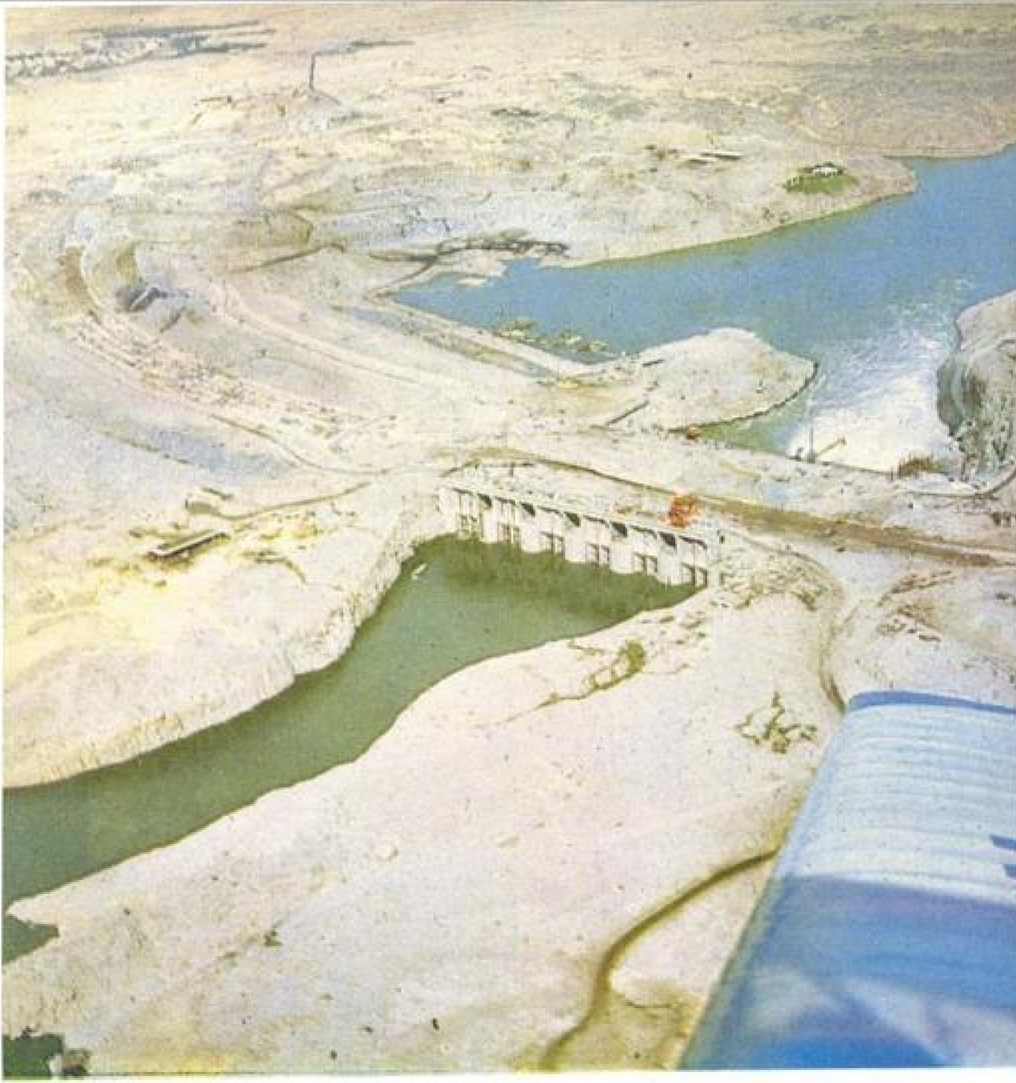


في موقع السد العالى ، التف العمال حول المدرب الذى راح يلقى عليهم درسا عمليا في كيفية اطفاء الحريق .





جانب من مدينة السد
العالي ، وقد انتشرت
الأشجار في شوارعها
المرصوفة ، كما قامت
حولها لتصد رمال
الصحراء عن سكانها .



أعلى الصفحة (الى اليمين)

محطة توليد الكهرباء بالسد العالى والمياه تخرج متدفقة من الانفاق وسوف يبدأ انتاج المحطة من الكهرباء في شهر اكتوبر المقبل بمعدل ٢٥٠٠ كيلوات ساعة في السنة ، وسيصل هذا الانتاج عندما ينتهى العمل في بناء المحطة في أواخر عام ١٩٦٩ الى عشرة مليارات كيلوات ساعة سنويا . اى ضعف الطاقة الكهربائية الموجودة حاليا في الجمهورية العربية المتحدة

الى أعلى : صورة من الجو لجسم السد ، أبرز معالم اسوان . وقد ظهرت فيها قناة التحويل التى انتقل اليها مجرى النهر الخالد لاول مرة منذ كان نهرا .. وسينتهى العمل في بناء السد في اوائل العام المقبل ، عام ١٩٦٨ .. لقد كان العمل في هذا المشروع الضخم مدرسة وجامعة .. لقد نمى روح الجماعة ، وطور شخصية العامل العربى الذى تغيرت حياته فاصبح يعمل وينتج ويجنى ثمرة كفاحه لقد خلق السد العالى جيلا جديدا وحياة جديدة .

ليستمعن الى المحاضرات التى تلقى عليهن في مزايا تحديد النسل ويقوم القسم بتوزيع حبوب منع الحمل للامهات بالمجان .

كما اقامت الجمعية قسما آخر للصناعات البيئية، حيث تقبل السيدات على الاشتراك فيه ،وتكلف كل واحدة منهن بعمل معين لانجازه في بيتها ، فاذا اكملته عادت به الى الجمعية لتتقاضي اجرها كاملا . ثم يعرض هذا الانتاج من اغطية ومفارش وقبعات وحقائب يد للسيدات في معرض عام لبيعه لحساب الجمعية .



جانب من مكتبة دار الثقافة بأسوان ، وهى تضم حوالى خمسة عشر الف كتاب ومرجع ومؤلف للكتاب والمؤلفين العرب ، وهى مفتوحة لجميع أبناء أسوان للقراءة والاطلاع .

المدن السكنية

وسرنا في شوارع المدينة وتنقلنا بين ضواحيها الجديدة .. بين المدن السكنية الضخمة التى قامت لتستوعب العاملين الكادحين في السد العالى وفي الشركات والمؤسسات الانتاجية وفي كل مرافق المحافظة ..

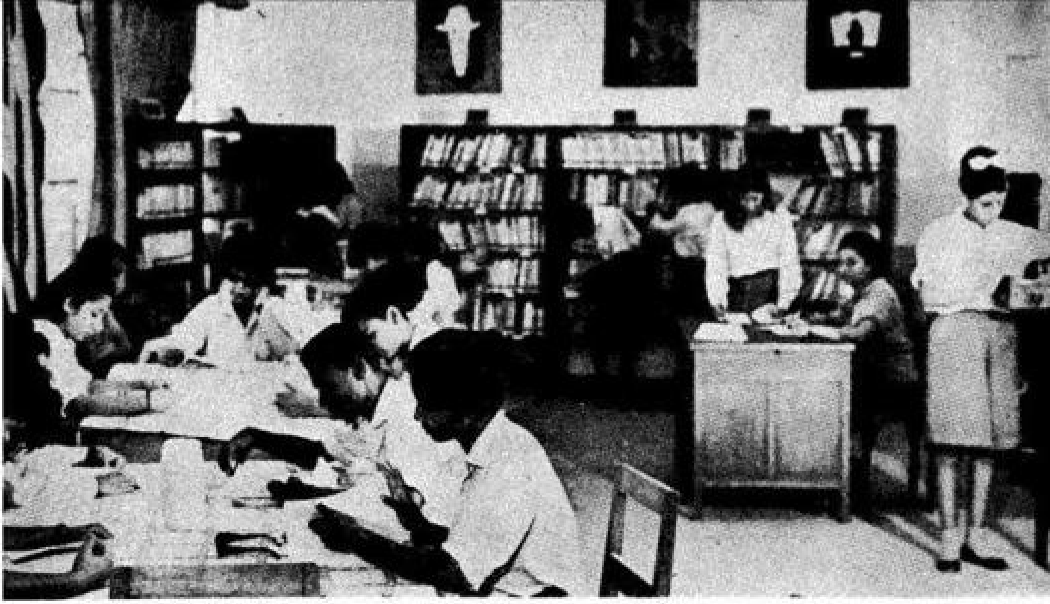
وفي أسوان الآن خمس مدن سكنية هى مدينة شركة الصناعات الكيماوية (كيما) ، ومدينة السيل ، ومدينة نصر ، ومدينة صحارى ستى ، ثم مدينة سكنية خامسة بالقرب من موقع السد العالى

ولنبدأ بالمدينة الاولى ، مدينة كيما ، وهى تمتد شمالى المصنع على جانبى خط السكة الحديد المتجه من أسوان الى الشلال ، وتضم ٧٢ وحدة سكنية ، تحتوى كل منها على ١٦ شقة. وتتألف كل شقة من غرفتين أو ثلاث . وتؤجر هذه المساكن للعاملين بالشركة بايجار زهيد حسب نظام الاولوية المعمول به بموجب لائحة الاسكان . وهذه المساكن مزودة بالكهرباء والماء وتكييف الهواء .

وعلى الجانب الآخر من خط السكة الحديد ، تقع مدينة السيل ، وهى تضم ٤٢ وحدة سكنية



التدريب العسكرى .. الفتيات والشبان جنبا الى جنب في طابور الصباح بمدرسة أسوان الثانوية ، حيث تتلقى الفتاة علومها مع الفتى في فصل واحد .



يقبل الطلبة والطالبات على القراءة في مكتبة المدرسة الثانوية للتعليم الفنى بأسوان . وقد خصصت فيها قاعات كبيرة للقراءة ، وهى تضم مجموعة ضخمة من الكتب الثقافية والعلمية ، ومن الطريف أننا وجدنا بها أعداد مجلة العربى مجلدة كاملة .

وكل وحدة تتألف من ٢٠ شقة ، وفي كل شقة ثلاث غرف . وقد بدأ العمل في بنائها في عام ١٩٦٢ ، وانتهى في عام ١٩٦٤ وخصص جزء من هذه المساكن للعاملين في السد العالى ، وجزء آخر لأهالى أسوان الذين يعملون في مختلف القطاعات وخاصة موظفى الحكم المحلى .

وعلى بعد حوالى كيلومترين تقريبا الى الجنوب تقع مدينة نصر ، التى انشئت في عام ١٩٦٤ ،وهى تضم ٢٤ وحدة سكنية ، وكل وحدة تتألف من عشر شقق ، وكل شقة تضم ثلاث غرف .

وقد خصصت مساكن هذه المدينة للعاملين في السد بالمجان ، أما الراغبون في سكناها من أصحاب الدخل المحدود من أهالى المحافظة فيدفعون خمسة جنيهات ايجارا للشقة التى تحوى ثلاث غرف فسيحة وصالة . وتقع مدينة نصر فوق ربوة عالية تشرف على المدينة كلها .

مدينتان في موقع السد

ونتجه الآن جنوبا الى موقع السد .. وهناك شيدت مدينتان سكنيتان ، واحدة على الجانب الشرقى لنهر النيل والاخرى على الجانب الغربى منه .. والاولى تقع بالقرب من موقع السد مباشرة ، وتتألف من ٤٠ وحدة سكنية ، أما الثانية فتقع على بعد خمسة كيلومترات من الموقع، وتضم ٦٥ وحدة سكنية من بينها ١٥ « فلته » لسكنى كبار المسئولين وعائلاتهم و٢٥ عمارة سكنية تضم كل منها أربع شقق ، أما باقى الوحدات فقد خصصت لسكنى العمال ، وهى تضم شققا صغيرة تتألف من غرفة واحدة وصالة ، للعمال غير المتزوجين، وغرفتين أو أكثر للعمال المتزوجين.

وقد شيدت مساكن المدينتين على أحدث طراز، وزودت بالتكييف المركزى ، وكل وسائل الراحة .

ويعيش المهندسون المصريون مع الخبراء الروس بالمدينة التى توافرت لها كل مقومات الاكتفاء الذاتى،اذ يوجد بها دار للسينما وناد ومستشفى وجمعية تعاونية استهلاكية ومسجد ومدرسة للاطفال العرب ، واخرى للاطفال الروس .

وهناك خط أوتوبيس منتظم يربط بين أسوان ومدينة صحارى ستى ، مارا بموقع السد ،وتنقل سيارات الاوتوبيس الركاب بالمجان .

٢٨ ألف عامل بالسد العالى

ولما كان عدد العاملين يزيد على ثمانية وعشرين الف مهندس وموظف وعامل ، فان هاتين المدينتين



العمال في موقع السد يستقلون سيارة الاوتوبيس التى تقلهم من منازلهم الى مقر عملهم في الصباح وتعود بهم بعد انتهاء العمل في المساء .. وتسير هذه السيارة ضمن اسطول كبير من السيارات المخصصة لنقل المهندسين والعمال بالمجان .

■ ■ ■

احدى غرف مستشفى أسوان الاميرى ، وقد انشىء فى عام ١٩٦٤ ، ويتسع لأكثر من ثلاثمائة سرير . ويضم المستشفى جميع الاقسام العلمية لعلاج مختلف الأمراض ، وسيكون نواة لكلية الطب الجديدة في أسوان مستقبلا .



لم تتمكنا من استيعاب هذا العدد الكبير ، مما اضطر الهيئة العامة للسد العالى الى توزيع السكان على الوحدات السكنية الأخرى في أسوان وبناء مدن سكنية لهم في مناطق اخرى ، مثل مدن كيما ونصر وغيرهما .

وفي موقع السد كان العمل يجرى كالمعتاد ، سالنا المهندس ابراهيم زكي قناوى مدير الهيئة العامة لبناء السد العالى : « كيف تتصور اسوان بعد خمس سنوات ؟ » .

قال : « أتصورها اضخم مدينة صناعية وسياحيةفي الجمهورية العربية المتحدة ،فالمستقبل لاسوان . وستشهد المدينة صناعات جديدة وفي مقدمتها الصناعات المعدنية والصناعات الخاصة بالتعدين ، ومحاجر للجرانيت والرخام . وغير ذلك من مختلف الصناعات الأخرى التى تعتمد على الكهرباء . ان هذه الطاقة الكبرى ستدخل كل مصنع قائم في اسوان ، لتحرك الاته وتدفع بانتاجه الى ارقام قياسية » .

الصناعات في أسوان

والصناعات الموجودة حاليا في أسوان ، وهى صناعة الاسمدة الكيماوية التى تنتجها شركة الصناعات الكيماوية المصرية « كيما » ، وتقوم مصانع الشركة الآن بانتاج سماد نترات النشادر الجيرى « نتروكيما » الذى تبلغ نسبة الازوت فيه ٢٦٪ . وقد وفرت هذه الصناعة لمصر حوالى ١٢ مليون جنيه سنويا من العملات الاجنبية ، ويعمل فيها الآن حوالى ثلاثة الاف مهندس وعامل .

وهناك مشروعات أخرى تحت التنفيذ لانتاج ٥ آلاف طن من كربيد الكلسيوم وثلاثة الاف طن من الفروسيليكين سنويا . كما أن هناك مشروعات للتوسع في صناعة الأسمدة الآزوتية ، وانتاج الأسمدة المركبة واستغلال الاوكسجين الفائض .

وقد اقيمت مصانع كيما ومدينتها السكنية على مساحة ١٥٠٠ فدان تشمل جميع المرافق من طرق مرصوفة ومحطات المياه والمجارى ومحطات شحن وتعبئة السماد اليا ، وشبكات الكهرباء تغذى المصانع بطاقة قدرها ٢٥٠ الف كيوات . وقد بدا انتاج هذه الشركة عام ١٩٦٠ وافتتحت رسميا في ١٠ يناير ١٩٦٣ .

وتولد الكهرباء الآن من محطة كهرباء خزان أسوان ، التى تعتبر الحلقة الاولى من سلسلة



قبر العقاد ، ويقع في قلب مدينة أسوان بميدان الشيخ محمود ، ويسهر على حراسة قبر الكاتب العربى الكبير ، طباخه المخلص احمد حمزه محمد . ان أمنية احمد أن يدفن بجوار صديقه العقاد الذى امضى فى خدمته ٢٧ عاما .

المشروعات التى تهدف لاستغلال مياه نهر النيل في توليد الكهرباء . وقد تقرر البدء في تنفيذ هـذا المشروع في نوفمبر عام ١٩٥٢ ، ويقدر متوسط جملة الطاقة الكهربائية السنوية الناتجة من المحطة بنحو ٢٥٠٠ مليون كيلوات ساعة . اما التكاليف الاجمالية للمحطة فتصل الى أكثر من ٣٠ مليون جنيه .

وهناك أيضا مناجم الحديد والصلب ، وتقع هذه المناجم في شرق اسوان وتبدأ المنطقة التى تشملها ، المناجم على بعد كيلومترين شمال شرق المدينةفي مساحة تقدر بحوالى ١٢٠٠ كيلومتر مربع . وهى تنتج خام الحديد اللازم لمصانع الحديد والصلب في حلوان ، ويبلغ عدد العاملين في هذه المناجم حوالى ١٢٠٠ شخص .

أما محطة كهرباء السد العالى التى سيبدأ انتاجها في شهر اكتوبر المقبل ، كما ذكرنا بمعدل ٢٥٠٠ كيلوات ساعة في السنة ، فسوف يصل انتاجها عندما ينتهى العمل فيها عام ١٩٦٩ الى ١٠ مليارات كيلووات،أى ضعف الطاقة الكهربائية الموجودة حاليا في البلاد .

وسوف تنقل هذه الطاقة ابتداء من الشهر المقبل الى مراكز الاستهلاك بسائر أنحاء الجمهورية عن طريق خطوط الكهرباء الجديدة التى تم تركيبها بالفعل .

هذه هى أسوان اليوم التى تعتبر أهم مركز تستثمر فيه الدولة أموالها ، فقد بلغت مجموع الاستثمارات في أسوان حتى اليوم ٦٠٠ مليون جنيه ، وينتظر أن ترتفع هذه الاستثمارات الى ١٠٠٠ مليون جنيه عندما تكتمل صورة أسوان الجديدة في السنوات القليلة المقبلة . ■■

منير نصيف

عائشة التيمورية

شاعرة القرن التاسع عشر

الدكتور محمد محمود الدش
مفتش بوزارة التربية ـ الكويت

■ الطليعة الكريمة التي قادت موكب اليقظة الادبية والنهضة الفكرية الحديثة ، تتالف من نخبة من الرجال أصحاب القرائح والمواهب والاقلام ، بينهم امرأة شانها في ذلك الوقت شان عجيب . فهي تدخل بينهم في الموكب الخالد ، وتسير في وسطهم عبر مشاهد التاريخ ، رغم ما كان يفصل بينهم وبينها من حجب اجتماعية وأستار تقليدية،يتمسك بها المجتمع ويحافظ عليها كما يتمسك بثروة عزيزة او يحافظ على كنز ثمين

نعوت لم ينعت بها سواها

ولعلني لا أبعد اذا قلت ان هذه السيدة التيمورية ظفرت بمجموعة من النعوت والالقاب ، في هذا المجال ، لم تظفر بها أخرى من بعد .

فهي الشاعرة الكبيرة ، والكاتبة القديرة ، وهي المثل الاعلى للمراة ، وهي النجم الساطع في سماء الادب النسوى ، أو رائدة هذا الادب في القرن الماضي ، أو طليعة اليقظة النسوية في الشرق العربي وأصل النهضة النسوية ، وأول من نبغ من المصريات في الشعر والادب .. هذا عدا ما يأتي في ثنايا كتابة الكتاب ودراسات الدارسين من صفات النبوغ والذكاء والهبة وما اليها . ونضم الى هذه المجموعة وصفا آخر هو اكثرها اعتدالا ، لاحد الكتاب الكبار يقول فيه : « اذا استثنينا البارودي اولا ، والساعاتي ثانيا ، فشعر السيدة عائشة يعلو الى أرفع طبقة من الشعر ارتفع اليها أدباء مصر في أواسط القرن التاسع عشر الى عهد الثورة العرابية » .

ونحن لا نعترض على هذه النعوت كثيرا ، ولكننا نحب ان نقف منها موقف الحاذر ان يخطيء منا المنهج او ينحرف عن الطريق ، متأثرا بمثل هذه الاحكام الجازمة ، او مندفعا وراء ما جاء في حيثياتها القاضية الصارمة .

والحقيقة ان الطريقة التي كتبت بها تلك الاحكام تدعو الى التريث والتأمل والوقوف الطويل ، بل الشك الكبير ، في دواعي هذا الصيت الادبي الذي ظفرت به عائشة تيمور وظفر به شعرها ، وخاصة اذا عرفنا الوعاء الاجتماعي الذي كانت تعيش فيه ، والتقاليد الصارمة الشديدة التي كانت مفروضة في غير هوادة او لين على المراة في الطبقتين الوسطى والارستقراطية .

الوعاء الاجتماعي الذي عاشت فيه ، وتقاليده الصارمة

وحسبنا ان نشير الى ما كان من فشو الجهل بحيث كاد يكون سمة عامة في جميع الطبقات ، وهو الزم والصق بين النساء والبنات . وما كان يسمح

آن تتخلى عن ذلك وتثور عليه ، وتتجه الى صناعة الادب وقراءة فنونه ، وفيه رسائل الغرام ،وقصائد الغزل والتشبيب ، ومقطوعات الصبابة وأبيات اللوعة والهيام ..

كيف تنحو البنت هذا النحو المخرب وتتجه هذا الاتجاه المفسد ..

بل كيف وهى الأرستقراطية ، تتعاطى هذه البضاعة ، بضاعة الشعر ، التى لا تليق الا بالعامة من المكتسبين بها ، مادحين وقاصدين أبواب المنح والعطاء .

رد عائشة على من عيرها بقول الشعر

لقد ردت التيمورية على هؤلاء الذين كانوا يعيرونها بقول الشعر فى مقدمة ديوانها ، فقالت « ان العدد الوافر من الفضلاء قد عانى الشعر تأدبا لا تكسبا ، وتفكها لا تطربا ، وقد سبقنى من ذوات القناع من رسخ لها فى الآداب أثبت قدم ، وأصبحت بحسن مطالعها فى دولة الأدباء كالقلم». وهى تذكر فى هذا المقام من الأديبات ليلى الاخيلية، وولادة بنت المستكفى ، وعائشة الباعونية ، ووردة اليازجى .

واشارت الى ذلك فى شعرها حين قالت :

ما ضرَّنى أدبى وحسنُ تعلمى
الا بكونى زهــرةَ الالبــاب
ما ساءنى خِدرى وعَقدُ عصابتى
وطــراز ثوبى واعتزاز رحابى
ما عاقنى حجلــى عن العليا ولا
سَدْلُ الخمــار بلمَّتى ونقــابى
عن طىِّ مضمار الرِّهان اذا اشتكت
صَعْبَ السباق مطامحُ الركّاب
ناهيك عــن ســرٍّ مَصُون كنهــه
شاعت غرابته لــدى الأغــراب

مولدها ونشأتها

ولدت عائشة سنة ١٨٤٠ م (١٢٥٦) هـ ، أى قبل وفاة محمد على والى مصر بتسعة أعوام ، وعاشت فترة من أهم فترات التاريخ الحديث لمصر وأخصبها بأسباب النهضة القومية والفكرية واحفلها بالأحداث الوطنية والسياسية، اذ عاصرت بعد محمد على حكم ابنه ابراهيم ، ثم عباس الاول وسعيد واسماعيل وتوفيق ، وعشرة أعوام من حكم عباس حلمى الثانى ، وتوفيت فى الثانى من مايو ١٩٠٢ (١٣٢٠ هـ .)

ولدت فى قصر والدها فى « درب سعادة » خلف دار محافظة القاهرة ، فى باب الخلق ، من أحياء قسم الدرب الأحمر ، تجرى فى عروقها دماء كردية وتركية وشركسية ، اذ ينتمى أبوها اسماعيل تيمور باشا الى أصل كردى من ناحية أبيه والى أصل تركى من ناحية امه . أما الدم الشركسى فقد جاءها من ناحية أمها التى يقال انها كانت معتوقة شركسية ، وكان الزواج من هؤلاء المعتوقات امرا شائعا حينذاك .

ورثت عائشة عشق الادب عن أبيها

ويبدو ان عائشة ورثت حب القراءة وعشق الادب عن أبيها ، الذى كان يشغل منصب رئيس القلم الافرنجى فى الديوان الخديوى لمعرفته الطيبة باللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية والانجليزية والايطالية ، ثم أصبح رئيسا عاما لهذا الديوان ، وكان كبار الكتاب والشعراء يجتمعون فى صالون قصره ، فتراهم الصبيَّة عائشة وتسرع الى مجالسهم رغم أن امها كانت تعنفها علىذلك وتحاول منعها عنه . كما كانت الصبية تأنس الى الكتاب الذين كانوا يحضرون الى مكتبة أبيها فينسخون له الكتب ، وتعجب بصرير أقلامهم ، ثم تعمد الى تقليدهم فى حجرتها حيث كانت تقوم بهذه اللعبة ، تواقة الى اليوم الذى تقرأ فيه هذه الكتب وتداعبها بأناملها وقلمها وعينها .

بداية شغفها بالأدب نقلا عن كتابها « نتائج الاحوال »

تقول عائشة فى كتابها « نتائج الاحوال فى الاقوال والافعال » عن بداية شغفها بالتاريخ والأدب منذ صباها المبكر : « فكنت أشغف بمسامرة الكبَّر من النساء لسماع أحسن الخبر ، والتقط من تلك النوادر أعاجيب القدر ، وأتأمل بمستطاع جهدى فيما يرد على من أنواع الجد والهذر ، واقتطف ما يسعه وعاء وعيى من ثمر ذلك السمر ، حيث لا طاقة لى على خلاف ذلك السماع ، ولا سبيل لسنى الى التمتع بغير ذلك المتاع ، فلما تهيأ العقل للترقى ، وبلغ الفهم درجة التلقى ،

تقدمت الى ربة الحنان والعفاف ، وذخيرة المعرفة والاتحاف،والدتى تغمدها الله بالرحمة والغفران، بأدوات التطريز والنسيج ، وصارت تجد في تعليمي وتجتهد في تفطيني وتفهيمي،وأنا لا استطيع التلقي، ولا اقبل في حرفة النساء الترقي ، وكنت افر منها فرار الصيد من الشباك ، وأتهافت على حضور محافل الكتاب بدون ارتباك، فأجد صرير القلم في القرطاس أشهى نغمة ، وأتحقق أن اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمة .. »

أمها تلاحقها ، فيفض أبوها بينهما النزاع

وتمضي عائشة فتحدثنا كيف كانت تعتكف لتقلد هؤلاء الكتاب ، وكانت أمها تلاحقها بالتعنيف والتهديد ، وهي لا تزداد الا نفورا مما تريدها أمها عليه . ولما رأى أبوها أن الأمور تتعقد بين البنت وأمها وانه لا بد أن يتدخل لفض الازمة ، عرض على الأم أن تترك له عائشة ليتعهدها بالطريقة التى يراها ، على أن تتعهد الأم البنت الاخرى أخت عائشة بالحياكة والتطريز ومهام البنات والنساء . وهكذا انتصرت ارادة الفتاة ، أو على الأصح ارادة موهبتها الأدبية ، وجيء لها باثنين من المعلمين ، يصقلان هذه الموهبة وينميانها ، أحدهما للقرآن الكريم والفقه والخط ، والآخر للنحو والصرف واللغة الفارسية ، وبذلك انزلقت أنامل الفتاة البضة على صفحات الكتب فتناولت مصادر الأدب واللغة والتاريخ ترشف من رحيقها وتنهل من زلالها ما حلا لها ذلكوما طاب ، فسفرت من حجابها العقلي والادبي ، وسفر لها رجال من التاريخ القريب والبعيد ، فيهم الاديب ، والشاعر أو الكاتب ، وفيهم العالم ومنهم الناقد ، من الوان شتى ، تجالس من تجالسه ، وتخالط من تخالطه ، تعشق منهم من تحب ، وترفض من تأباه نفسها وطبيعتها . وبذلك انفصلت عن حريم البيت وزائراته وأحاديثهن ، بل ثرثرتهن الخاوية الفارغة، بما يتسع لها من جهل ومن فراغ ومن اغتياب ، لا تخرج عن موضوعات الخطبة والزواج ، والولادة والموت ، والثروة والتحف والثياب ، وخصام الازواج ، وتنافر العائلات .. وما اليها .

أبوها يستمع لها ، ويعلمها ويرشدها

قيل ان البنت بدأت تعكف على الدرس منذ سن السابعة ، وكان لها في ذلك سمة الدأب والانكباب حتى بدأت موهبتها تنطلق بالشعر ، ويذكر لها شعر وهي في سن الثالثة عشرة ،ويبدو أن الاب كان معنيا بهذه الموهبة ، فكان يتابع ما تفيض به،فيما كان يجلس الى الفتاة كل ليلة ساعتين أو نحو ذلك يرى ما تقرأ وما تكتب ، ويعلمها ويرشدها . ولما سمع منها شعرها المبكر قال لها « اذا أتممت الكتب التى بدأت بها سآتيك بمعلمة تعلمك العروض ، واني لأتوسم فيك السرعة في تعلمه ما دامت عندك هذه الرغبة » بل كان يريد أن ينحي هذه الكتب أو ينحى البنت عنها لتبدأ بقراءة « متن الكافية » وكان له رغبة يحث الفتاة عليها في طريقة قرض الشعر وينصحها بأن « الشعر اذا لم يكن باللغات الثلاث : العربية والفارسية والتركية لا تكون له حلاوة » .

زواجها المبكر يقطعها عن صقل موهبتها

وانقطعت الصبية الشاعرة عن صقل موهبتها منذ أن تزوجت ، في سن الرابعة عشرة ، فاشتغلت في هذه السن المبكرة بعش الزوجية الجديد ، والولد ، اذ سرعان ما أنجبت بعد عام واحد من زواجها ابنتها توحيدة ، فانقطعت عن الدراسة ، وتوقف مدرسوها عن زيارتها وتعليمها ، وأخذها لون جديد من الحياة الاسرية التى يبدو أنها شغلتها كثيرا عن الشعر . والحقيقة أننا لا ندرى ما لون هذه الحياة الجديدة لأن شعرها وتاريخها لم يحفظ لنا من ذلك تفصيلات شافية ، مع أنها فترة مهمة من حياتها ، هي فترة الشباب الغض النابض . وان كان زوجها توفي وهي في زهرة هذا الشباب حين لم يتجاوز عمرها السادسة والثلاثين .

فجائع للموت تتوالى عليها

ويبدو أن الكهولة أو الشيخوخة اسرعت اليها في هذا الريعان ، لأن أباها توفي سنة ١٨٨٢ ، وبعده بثلاث سنوات توفي زوجها على نحو ما ذكرنا ، كما توفيت في هذه الفترة من حياتها والدتها ، وشقيقتها .

فجيعتها في ابنتها وبكاؤها عليها ٧ سنوات

وكانت الوفاة التى هزتها هزا شديدا ونالت

بفجيعتها منها نيلا عارما عنيفا هي وفاة ابنتها الكبرى ذات الثمانية عشر ربيعا ، توحيدة ، التى يسجل لنا شعرها في رثائها صورة نابضة لتلك الهزة وهذه الفجيعة ، ويروى انها ظلت تبكيها سبع سنوات كاملة ، اصابها فى غضونها داء شديد فى عينيها ، كما يروى أنها احرقت معظم شعرها وهى على تلك الحال النفسية السيئة ، ذلك الشعر الذى كانت تحتفظ به ابنتها فى بعض متاعها ، فاحرقته مع هذا المتاع . تقول التيمورية « اما أشعارى الماضية فقد احرقتها ولا اظن ان فى مكتبتى منها الا الشيء القليل بالعربية والتركية. فاما شعرى بالفارسية فانه كان فى محفظة فقيدتى وقد احرقت محفظتها كما احترق قلبى عليها » .

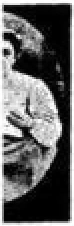
الأحزان الهبت شاعريتها

وعلى الرغم من ان هذه الفترة اصابت التيمورية بشواغل عائلية باعدت بينها وبين دراستها كما أصابتها بعد ذلك بالوان من الاحزان الشديدة ، فانني اعتقد ان تجربة الزواج والأمومة انضجت عاطفتها الفنية ورققتها وان ظلت كامنة كمون النار فى الزند ، كما أن تجربة الأحزان الهبت شاعريتها وقوت احاسيسها ، فانطلقت ذلك الانطلاق الذى خلف شعرها الموجود بين ايدينا ، وساعدها على ذلك لون من ألوان التفرغ مكنها من متابعة دراسة العروض والنحو على يد معلمتين استقدمتهما الى منزلها هما فاطمة الأزهرية ، وستيتة الطبلاوية « حتى برعت واتقنت بحوره واحسنت الشعر ، وصارت تنشد القصائد المطولة والأزجال المتنوعة » .

عقبات أربع اعترضت موهبتها الشاعرية

وعلى هذا نستطيع ان نلخص العقبات والازمات التى اعترضت موهبتها الشاعرية فى اربعة أدوار ، استطاعت هذه الموهبة القوية ان تتغلب فيها جميعا وأن تفرض وجودها ، حينما منعت عن حضور مجالس الكتاب والأدباء تحقيقا لتقاليد الحجاب القاسية . وحينما ارادتها امها على تعلم شئون البنات من تطريز وحياكة فنفرت من ذلك نفورا شديدا وتمردت عليه . وحينما شغلتها امور الزواج والولد .

وهنا يجدر ان نذكر انه حينما كبرت ابنتها توحيدة وحملت عنها بعض أعباء المنزل ، استقدمت



التيمورية معلمة تعلمها فن العروض ولكن المعلمة ماتت بعد ستة اشهر . ويبدو أن التيمورية كانت تريد أن تنشيء ابنتها على فن الأدب والشعر لأنها كانت تحضر معها هذه الدروس وكانت البنت تتفوق على أمها فى التحصيل . ولعل ذلك من الأسباب القوية التى زادت فجيعتها فيها ، لانها فقدت فيها مشجعا على تحصيل مبتغاها من الدرس ، كما فقدت فيها أملا كان يراودها فى ميدان الشعر والأدب ، تكسر به القيود الثقيلة المفروضة على الفتاة وتعلمها هذه الفنون .

ثم كانت بعد ذلك الازمة الرابعة ، حينما ألمت بها الأحزان المتتابعة ، التى الجاتها الى الانعزال والبكاء سنوات سبعا طويلة اسمتها سنوات المناحة، ولكن الشاعرية القوية الثائرة استطاعت أن تصمد لهذه الأزمات جميعا ، وأن تخرج منها صقيلة نامية ، فحققت لنا ما يمكن أن نقول عنه : انه كان أول صوت لأنثى يخرج من وراء الحجاب منطلقا بالكلمة الجميلة .

ثورتها الكبرى ، فى شعرها الغزلى

ولقد رأينا كيف أن اطلاعها على كتب الأدب ودواوين الشعر كان ثورة فى عصرها الحريمى ومجتمعها الارستقراطى وبيئتها النسوية ، كما كان قولها الشعر تحديا لذلك كله وثورة عليه ، اما ثورتها الكبرى فانها تتجلى فى قولها الشعر الغزلى .. وهو فن من فنون الشعر فى ديوانها امره عجيب ..

اذا قالت الشعر فى المناسبات والمجاملات ،فذلك أمر الى حد ما مقبول معقول . والحقيقة ان التيمورية لها ولع شديد بهذا اللون من الشعر ، تؤرخ فيه لطائفة من احداث عصرها السياسية والاجتماعية ، من تولية حاكم الى سفر امير ، الى قدوم رئيس ، الى ولادة وجيه ، الى زفاف قريب ، الى صدور صحيفة ، الى وفاة عالم ، كما تؤرخ لكثير من مناسبات اسرتها واصدقائها فى الولادة والزفاف والوفاة حتى مناسبات المرض والشفاء . وقد بلغ من ولعها بهذا الاتجاه انها كانت تكتب بطاقات الدعوة الى حفلاتها وبطاقات التهنئة والتعزية ولوحات الترحيب بضيوفها بل لوحات الترحيب بقدوم كبير فى شوارع المدن ، كل ذلك كانت تكتبه بالشعر ..

واذا قالت الشعر فى الرثاء او فى الزهد او فى

الأخلاق ، فهو شيء في حدود المقبول والمعقول . وكذلك اذا كتبت المقالات في جريدة المؤيد ، او راسلت ، في رسائل ادبية منمقة ، احدى اديبات عصرها مثل وردة بنت الشيخ ناصيف اليازجي .

أما اذا قالت الشعر في الغزل على هذا النحو :

روحي بقربك قد نالت من الأربِ
ما ترتضيه ، فمُرْها في الهوى تُجِبِ
لا تنكرنْ مزايا الحب ان له
في الراحتين لراحات من التعب
وانظرْ ترَ الصبَّ ملقىً لا حَراك به
باك تردّد بين الماء واللهب
من روح ربك روحٌ قد خصصت بها
فامنحْ بها مهجة ان تلتفت تَجِبِ
وقل لانسانك الجاني على تلفي :
بأي ذنب لقتلي زدت في الطلب
نصبت لحظًا لقلب مؤمن كلِفٍ
فصار في الحب مَهْديًا الى النُّصُبِ
نحن الخلودُ من العشاق ان رشفت
تلك الثنايا وما في ذاك من عجب

او قالت بنفس هذا النفس الهادىء وهذا القلب الظامىء الذي يهفو الى الغرام كما تهفو زهرة الصباح الى قطرات الندى البارد معخطرات النسيم الفواح ، ذلك الغرام الذي تلتذ الروح فيه بقرب الحبيب ، ولا ترتوى من منهل قربه ورضاه ورشف ثناياه مع طرفه القاتل ولحظه الفاتك : ذلك خلود العشق والعشاق .. حتى اذا قالت ــ ودار ذلك كثيرا في شعرها الغزلي الذي يستغرق اكثر من نصف الديوان :

طاب افتضاحي واني عاشق دَنِف
لا انتهى عنه في حِلّي ومرتحلي
دعهم ولَوْمِي وسَبي او فسفك دمي
اني مقر بلوعات الغرام مَلِي
وبدعة الحب اقوى بدعة عَهِدت
فمن يَلُمْ مستهاما بالغرام بَلِي
أفديه حين تحيلُ الخصر منه بدا
يهتزُّ من خوف ردف خَصٌّ بالثقل

يكثر الكميت اذا دارت بحضرته
من وجنتيه غدت حمراء في خجل
لو قابل البدرُ نشوانا بغرته
لطار طالعُ بَدْر الأفق في زحل

فذلك أمر يستحق التأمل والوقوف .

وقد تلبثت طويلا أمام هذا الغزل ودرت معه مدارات شتى ، بل درت به دورات متباينة . حقيقة ان شعرها الغزلي ليس عميق الفكرة ولا بعيد المعاني ولا محتدم العاطفة او مشبوبها ، ولكنه مع هذا شعر صادق واضح الصدق لم يكن ساذجه كذلك . تلك سمة بارزة في غزلها ، كما تبرز فيه نبرة الأسى ونغمة الألم والانين وطنين الحنين الحزين .

وتعليل الأسى والألم والانين سهل ميسور تابع من واقع حياتها ، ولكن تعليل الصدق في الغزل ــ والصدق لا يكون وليد التقليد او رياضة القول ــ يحتاج الى استبطان وتعمق لكثير من ظروف هذه الحياة ، وخاصة أن الذي يتغزل هنا أنثى محجبة داخل قيود الحذر واسواره . واعجب من ذلك انها تتغزل في أنثى ، على غير سنة الحياة وطبيعتها ــ تتغزل في مفاتن الانثى صراحة وتشتاق الى وصالها وتلتاع لفراقها وتتقمص شخصية الرجل الذي ينبض احساسه بصدق في ذلك كله .

مال الفؤاد لغصن باللَّمَى ثمل
من ميله لعبتْ أيدى النسيم به
امال جيد الظبا من لينه شغفا
والميل في الظبى من اقوى مذاهبه
من سحر اجفانه هاروت قابلني
ومد في صُدغه احدى عقاربه
وكنز مَبْسمه الزاهي ولؤلؤه
مرصَد بأفاع من ذوائبه

وهذه كلها مفاتن الأنثى المعروفة التي تثيرُ احاسيس الشاعرين . وهي دائما تتغزل في الجفن والأهداب وفي الطرف واللحظ والحواجب والخدود والوجنات ، وفي القد والخصر والأرداف ، وفي الشعر والذوائب والغدائر ، وفي الشفتين والثنايا . ومالنا نقف هنا ، وهناك حديثها الصريح في خطاب الانثى والتغزل فيها والتشبب بها ، واقرا معي قولها :

هيفاء لو خطرت بين الرياض سبت
روح الأسود بمياس من الأسل
فيا لها بانة جادت وما صرمت
حبائل الود من حل ومرتحل

وكذلك قولها :

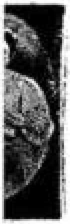
قالت وقد واصلت : ان كنت تألفنى
بأنفس العين حتى الفجر جيبنى
فقلت : قومى بحفظ الله سيدتى
لا أقبل الشرط لو كنت من العين

ولقد تساءلت : هل يمكن ان يكون هذا الغزل منها ـ ان جاز ذلك ـ فى ابنتها توحيدة ذات الشباب الغض والاهاب البض ، التى وهبتها جل حبها ؟ فيكون ذلك حب الأمومة وعشقها ، وفى شعرها ما يومىء الى ذلك قولها :

يا خالق الحب كم انقذت ولهانا
يا رافع السبع كم ارشدت حيرانا
يا من له أم موسى عندما طلبت
ازال عنها بجمع الشمل أحزانا
القت بيم النوى تابوت مهجتها
اسدلت لطفا يقى فى اليم انسانا
بحق أسرار عشاق لها شغف
بطلعة الحب أو ما بان احيانا
تغيث قلبى وتهدى عين باصرتى
ولا تدعنى بوادى التيه ولهانا

كما تساءلت ، على نحو ما ذهب آخرون ، ايمكن ان يكون لونا من الوان الحرمان من الاختلاط ، ونوعا من انواع الكبت الذى يمضى الى التنفيس والتصعيد عن طريق التخيل والشعر ، وفنا من فنون التسامى بالغرائز الحبيسة تتحول إلى عمل فنى ، فيكون ذلك غرام المحرومة بالخدر والحجاب المحروقة بالتطلع والاشتياق ؟

واحيانا كان يبدو لى فى شعرها هذا طيف ولدها محمود الذى كان يسليها فى وحدتها ، ويعزيها عند فقد حبيبتها ، وهو الذى طلب اليها ان يجمع شعرها ويدفعه الى المطبعة ، يريد بذلك ان يخرجها عن عزلتها ويبعد عنها وحشتها وآلام عينيها . تقول وقد شفيت عيناها :



لمرآة الجمال ووجه بدر
دعانى يوسف الثانى دعانى
وقد أعددت ما فى الكف طرا
لمن بقميص برئى قد حبانى
حبيبى بالذى أعطاك نورا
تقود به كما ترضى عنانى
ابعد الحب ترضى أم بوارى
فقول الصدق يهديكم بيانى
أموت ومقلتى ترأى عزيزى
ويغفر زلتى من قد برانى

ومن هذا اللون قولها ، حينما سافر ولدها :

قسما بحب لقائه قد جارا
ريم بما بين الجوانح سارا
بدر نأى عنى ويعلم اننى
فى صبح غرته أرى أقمارا
كلفت قلبى بالثبات وقد رأى
ركب النوى بحشاشتى قد طارا
ولهى يعنفنى باظهار الجوى
وتجلدى يأبى العويل جهارا

واحيانا تطالعنا من خلال هذا الشعر اطياف نور عينيها ، وخاصة حينما كان يعاودها مرضهما ثم تنكشف عنهما الضراء ، فتشعر بومضات النور من جديد وتحس بالحياة فى انسان عينيها ، فهى تقول فى ذلك مثلا :

سفينة العين قد فازت من الغرق
وأشرقت تزدهى من ساحل الحدق
ونورها ضاحك تبدو نواجذه
لما تنفس صبح الصحو عن شفق
قد ضم بالشوق محبوبا يعوذه
من الوشاة برب النور والفلق
فيا ولاة الهوى فى صدقكم شغفى
اذ اننى من ذهول الوجد لم أفق
وخبرونى انسانى صفا ودنا
لمستهام رماه البين بالأرق
نعم ببشر اللقا نهديك انفسنا
وقد دنا وصل من تهواه فاستفق

ولعل هذا المرض الذى كان يصيب عينيها من آن

لاخر هو الذى كان يثير شوقها وغرامها الى كتابها وقلمها وقرطاسها ، فتخاطبها او تخاطب احدها كما يخاطب العاشق معشوقته ، وتهفو اليه نفسها كما تهفو نفس المحب الى حبيبه ، ومن ذلك قولها:

غذائى راحتى نورى انيسى
دليلى بهجتى املى كمالى
فراقك صدنى عن كل قصد
وقد مُرَّ المذاقُ لكل حال

وقولها :

حُرمت مقاصدي ومُنعت عما
تميل لحسنه نفسي وعيني
وناهيك انطواء سجل كتبي
وتركي « للحديث » بحسرتين
نعاني ابيضُ القرطاس لما
جفاني اليوم نورُ الاسودين
واقلامي كم انشقت لأني
حُرمت مساسها بالاصبعين

ثم تعال ، فانظر معى الى هذا اللون من الغرام، حين تقول عائشة التيمورية :

رام الوشاة سلوى عن محبته
ولم أوفّ لهم عذلا ولم أرم
كيف استتار الجوى يا من تملكني
وشاهد العشق فى العشاق كالعلم
فيا لهُ معرضا عني ومُعترضا
بين الفراغ وقلبي وهو مُتهمي
حسبي من الحب ما أفضى الى تلفي
وما لقيت من الآلام والسقم

ذلك غرام الزاهدين وعشق العابدين ، انه لون من ألوان العشق الصوفى ، ومن الواضح أن التيمورية تعارض فى هذه القصيدة قصيدة البوصيرى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

واحسب أننا بذلك نكون قد أطلنا الطواف مع المعانى الغزلية ومناحيها من شعر التيمورية ، واحسب ايضا أننا وقفنا على هذه المناحي جميعا. وليس من السهل أن نزعم ان منحى واحدا فيها يمكن أن يوجه كل شعرها فى الغزل ، فسوف تظل أمامنا صورة هذه الفتاة ، او هذه الأنثى التى أشعلت الغرام وأججته فى صدر العاشقة التيمورية، بما لها من مفاتن انثوية قوية .

أدمنت التيمورية قراءة الغزل ، فلعله شغلها بمفاتن المرأة

ونستطيع أن نعود الى حياة التيمورية فى سن صباها المبكر حينما عشقت الصبية الأدب والشعر وجاهدت فى أن تنهل منهما فى شغف ونهم ، فازعم أن الفتاة عائشة قد أدمنت قراءة الشعر فى فن الغزل خاصة منذ تلك السن المبكرة ، فاخذ منها ومن عاطفتها الغضة الرقيقة كل ماخذ وهى تقول:

« كان أبى كلما رأى فى يدى ديوان شعر ، قال لى : انك اذا أكثرت من مطالعة الشعر الغزلى فسيكون سبب زوال كل دروسك من ذاكرتك » ، الى هذا الحد من الادمان ، حد الخوف على الفتاة من أن يزول كل ما تتعلم من ذاكرتها ، بسبب عشقها الشديد لشعر الغزل وادمانها قراءته .

اذن ، فقد عشقت الصبية الشاعرة الغزل ، فعشقت مع ادمانها مطالعته وحفظه مفاتن المراة وصفاتها الجميلة التى رددها الشعراء الغزليون حين أثارت هذه المفاتن والصفات منهم مواطن الاعجاب ودوافع التشبيب والافتتان ، وحين عشقت هى هذه الصفات من الانثى كان لعشقها - الى جانب ذلك الادمان وهو سبب قوى - ما يبرره من خدرها وحجابها وعدم اختلاطها بأتراب وأصحاب من الشباب أو الفتيان . وهى تقول : « لم يكن أبى يأذن لى بالخروج الى مجالس الرجال ، وتولى بنفسه تعليمى ، واختصنى بساعتين من وقته ، فى كل ليلة ، اقرأ فيها عليه» وهذه فضيلة ومكرمة من الأب ان يخصص هذه الفترة الطويلة من وقته لتعليم ابنته ، ولكنها فى الوقت نفسه وسيلة الى المحافظة عليها وعلى مشاعرها المراهقة من ادمان قراءة الشعر الغزلى من الناحية الاخرى . أو هكذا كانت التقاليد منه تريد وتحكم .

ولكن الفتاة المراهقة عرفت الهوى،واستشعرت الحب من تلك الأشعار التى قرأتها وحفظتها ،عن طول معاشرة ومصاحبة . فكان لها من بنات التاريخ الشعرى صواحب ومعشوقات ولعله كان لها أيضا من بنات سنها وصباها صواحب ومعشوقات .

وفيمن تتغزل هذه الفتاة التى أدركها العشق



واجج عاطفتها وشب فى فؤادها فنالت منها الصبابة ، وهى التى لا تختلط ولا تلتقى بالشباب والرجال ، فى حرمان مقصود ، وضغط مضروب ، وكبت مفروض ؟ فى بنات خيالها ، وفى جميلات التاريخ ، وفى فاتنات تتصورهن فتعشقهن .

زوجها ، لا أثر له فى حياتها الفنية

ليقل السيكولوجيون عن ذلك ما يقولون ، وليذهبوا فيه مذاهب ، وليطلقوا عليه ما شاءوا من المصطلحات ، فالتيمورية فى حياتها رجل ، هو زوجها ، ولكننا لا نلمح له اثرا فى حياتها الفنية ، بل نكاد لا نلمح له اثرا فيما وصل الينا من اخبارها الشخصية والعائلية ، وكل ما نعرفه هو اسمه وعمله ، وزواجه بها وانجابه منها . وفيما عدا ذلك فليس له صدى فى حياة التيمورية الفنية او الاجتماعية . اما اسباب ذلك فليس من داع يدفعنا الى مناقشتها أو تقصيها ..

واما مشاعر الفتاة ابنة الرابعة عشرة ، التى كانت تقرأ العشق وفنونا منه ، وتطالع الغرام وتحفظ فصولا عنه وقصائد فيه ، فليس فيها ترديد أو همس عن هذا الشاب الذى دخل الى حياتها فى هذه السن المبكرة ، ولا حتى بعد أن تعاشرا فى دفء الزوجية وضمتها بيتها العاطف اكثر من عشرين سنة . لقد رثت التيمورية اباها وامها واختها وابنتها ، بل رثت بشعرها الصادق اشخاصا من غير أسرتها ، مثل العالم الشيخ ابراهيم السقا ، والعالم الشيخ شمس الدين محمد الانباتى ، وغيرهما ، ومع ذلك فان ديوانها خلو من رثاء لزوجها الذى خلفها وهى فى سن السادسة والثلاثين .

اكاد أجزم بأن عائشة لم تعشق رجلا فى حياتها، وشعرها الذى وصل الينا كله شاهد ناطق فى وضوح بذلك ، أما أن يكون هذا العشق قد ضاع مع ما أحرقته من أشعارها فذلك شىء آخر .

ولكن الذى نستطيع أن نتحقق منه بما وصلت اليه أيدينا هو أنها اختارت محبوبتها او معشوقتها من نوعها أعنى من النساء . حكمت عليها بذلك قراءاتها الكثيرة فى اشعار الغزل والعشق على نحو ما صورنا ، وحكمت ظروف البيئة والتقاليد التى حجبتها وحبستها مع النساء ، حين كان الحجاب صنوا للعفة والشرف ، وشيئا تفخر به الانثى ، وهى التى تقول :

وما احتجابى عن عيب أتيت بـه
وانمـا الصـون من شأنى وغاياتى

كما تقول :

بيد العفـاف أصون عـز حجابى
وبعصمتى أسمو على اترابى

ويتكرر هذا المعنى كثيرا فى شعرها :

ونفس هذه التقاليد هى التى دفعتها ذات مرة أن تسجل فى شعرها أنها تركت العشق ، عشق الرجل طبعا ، عفة منها ، وخضوعا لظروف العصر:

تركت الحب لا عن عجز طول
ولا عن لوم واش أو رقيب
ولا من روع زفرات التصابى
ولا من خوف أجفان الحبيب
ولا حذر الفراق وخوف هجر
به تجرى المدامع كالصبيب
ولكنى اصطفيت عفاف نفس
تقر بصفوه عين الأريب
وذاك لأننى فى عصر قوم
به التهذيب كالامر العجيب

ان مكانة التيمورية الشعرية تنبع من احساسها الراقى الصافى وتعبيرها الصادق عن مشاعرها البسيطة .

حقا انها لا ترقى الى مكانة البارودى ، الذى عاصرها تماما ، من وجوه شتى فى الفن الشعرى ، لأن البارودى يقف وحده شامخا فى هذه الفترة ، متفردا بتلك الاشراقة الناصعة الوضيئة التى جلل بها وجه الشعر العربى ، فمسح عنه كل ما تراكم فوقه فى عصور الانحطاط من ضعف وتفاهة . ولكن التيمورية تتفرد فى الجانب النسائى من هذا الالهام الفنى وهذه الموهبة الايجابية المغالبة، لتصبح بذلك رائدة حقيقية لطائفة جديدة من شاعرات العربية من امثال ملك حفنى ناصف، ونازك الملائكة ، وفدوى طوقان ، وعزيزة رشيد وغيرهن ممن تعاطين الشعر مفتوحا بابه منذ سفرت عليه التيمورية فى عصر الحريم . ■■

محمد محمود الدش

دردشة



مدينة تعيش فوق فوهة بركان !

● بالرغم من أن حرب فيتنام لاتشكل خطرا مباشرا على غالبية أفراد الشعب الامريكي الا أنها ليست كذلك بالنسبة لسكان ميناء بورت شيكاجو ، وهي بلدة صغيرة تقع على خليج سان فرانسيسكو بأمريكا ويبلغ تعداد سكانها حوالى ثلاثة آلاف نسمة . فهذه الحرب التي تخوضها أمريكا الان على بعد آلاف الاميال من الاراضي الامريكية تهدد سكان هذه البلدة الصغيرة بالفناء في أية لحظة .

فقد كان سوء حظ بورت شيكاجو أن وقع عليها الاختيار لكي تصبح مخزنا للاسلحة والذخيرة التي تنقلها السفن الحربية الامريكية الى قواتها المحاربة في فيتنام بمعدل ١٣ مليون ونصف مليون رطل يوميا .

ويقف أهالي البلدة في صباح كل يوم يرقبون الروافع الضخمة وهي تحمل الصناديق المليئة بالقذائف والقنابل والديناميت من الرصيف الى السفن وهم يضعون أيديهم على قلوبهم . ولعل لهذه المخاوف التي تستبد بهم ، ما يبررها . فهم مازالوا يذكرون ماحدث لبلدتهم الصغيرة في عام ١٩٤٤ في أوج الحرب العالمية الثانية عندما انفجر ١١ مليون رطل من المواد المتفجرة على رصيف الميناء ، وأودى الانفجار المروع بحياة ٣٢٢ عاملا من عمال الميناء وأصاب عشرات آخرين بجروح خطيره .

ولقد كادت الكارثة تتكرر منذ بضعة أسابيع عندما اشتعلت النيران في سيارة نقل محملة بالديناميت ولولا عناية الله لتحولت « بورت شيكاجو » كلها الى أتون مستعر .

ان البحرية الامريكية تشعر بالخطر الداهم الذى يتهدد هذه البلدة المسكينه ، وقد حاولت أن تحولها كلها الى ترسانة حربية فعرضت على الاهالى ٧ مليون دولار مقابل اخلائها والبحث عن بلدة أخرى يعيشون فيها ويرتزقون !

ولكن هذا العرض قوبل بمقاومة شديدة فقد قامت حركة تدعو الى انقاذ البلدة من أيدى العسكريين الذين يريدون أن يشردوا أهلها ويحولوا بيوتهم الى مخازن للذخيرة !

وما زال الخطر باقيا ما بقيت تلك الحرب الخاسرة التى تخوضها أمريكا في فيتنام .

الدوق الشريد ..

● جاء دوق ودوقة وندسور الى لندن في شهر يونيو الماضي ، لحضور حفل ازاحة الستار عن النصب التذكارى للملكة مارى . ولم يأت الدوق وزوجته من تلقاء أنفسهما وانما جاءا بدعوة رسمية من الملكة اليزابيث ، ملكة بريطانيا . وفي الحفل التقى دوق ودوقة وندسور باعضاء الاسرة المالكة البريطانية لأول مرة منذ ثلاثين عاما .

وهذه أول مرة يزور فيها الدوق العجوز الذى ناهز السبعين من عمره ، بلاده بصفة رسمية منذ

السفاحون يبحثون عن جلادهم !



مارتن بورمان   جوان مارتينيز

● ليس من قبيل الصدفة أن تثير الصحف البريطانية والامريكية في هذا الوقت الذى تتعرض فيه الأمة العربية للعدوان الاسرائيلى . قصة مارتن بورمان ، نائب هتلر ، وأحد كبار زعماء النازى الذين قادوا حملة اضطهاد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية منذ أكثر من ربع قرن من الزمان !

فقد نشرت صحف الغرب قصة غريبة لشيخ عجوز ذى لحية بيضاء وعينين ذابلتين يدعى جوان مارتينيز عثروا عليه في مدينة جواتيمالا بأمريكا اللاتينية ، وقالت ان هناك من الدلائل ما يثبت بان هذا الشيخ هو نفسه مارتن بورمان الذى اشترك في جريمة قتل يهود المانيا بالجملة !!

وقد صدرت الاوامر الى الخبراء في المانيا الغربية في البصمات بالسفر فورا الى جواتيمالا لمضاهاة بصمات أصابع الشيخ مارتينيز ببصمات بورمان الذى كان اعتقل مع غيره من الزعماء النازيين عندما دخلت قوات الحلفاء برلين في عام ١٩٤٥ .

وقد اختلف الرواة في تحديد مصير بورمان ، فالبعض كان يؤكد انه قتل ، بينما يقول البعض الآخر انه تمكن من الهرب الى ايطاليا ومنها الى أمريكا اللاتينية ، وهو نفس الطريق الذى سلكه زميله ادولف ايخمان الذى تسلمته اسرائيل ، وقدمته للمحاكمة بتهمة اعدام الآلاف من اليهود وحكمت عليه بالاعدام !

ومع هذه القصة راحت صحف الغرب تنشر تفاصيل مثيرة عن الفظائع التى ارتكبها زعماء النازى ضد اليهود في الحرب الثانية ، وتروى اعترافات جديدة لزعيم نازى آخر هو فرانز ستانجل الذى تسلمته المانيا الغربية أخيرا من البرازيل حيث كان يعيش فيها طوال هذه السنوات. وقد أكد فرانز في اعترافاته أن بورمان لم يمت !

كما نشرت صحيفة أوبزرفر البريطانية Observer ثلاث صور لزعماء نازيين آخرين ، وقالت ان حملة واسعة النطاق قد بدأت الآن للبحث عنهم في دول أمريكا اللاتينية ، بعد أن جاءت الانباء تؤكد انهم ما زالوا أحياء يرزقون !!

من يدرى ، فلعلهم يؤكدون غدا أن هتلر لم يمت ، وأنهم يبحثون عنه في أرض الله الواسعة !!

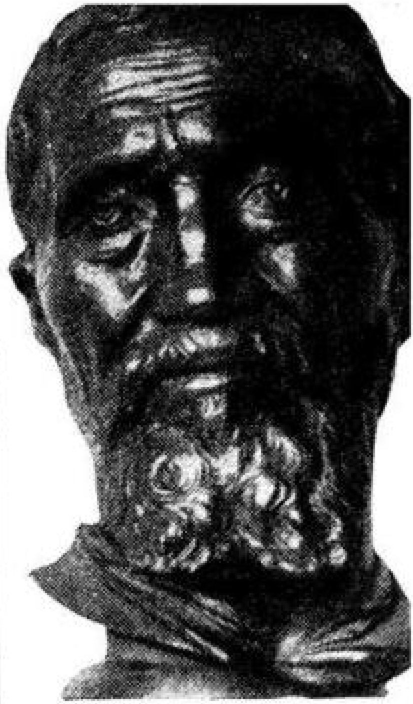
هل يعود نهائيا من منفاه

ان تنازل عن عرش بريطانيا لاخيه الملك جورج من اجل المرأة التى احبها في يوم ١١ ديسمبر من عام ١٩٣٦ . فقد ظل دوق وندسور أو الملك السابق ادوارد الثامن يعيش متنقلا بين مدن أوروبا وامريكا دون أن يسمح له بالعودة الى بلاده والاقامة فيها عقابا له على ما ارتكبه بزواجه من من امرأة مطلقة من عامة الشعب ، هى مسز سمبسون (دوقة وندسور الآن) !!

فماذا تعني زيارة الدوق الرسمية لبريطانيا بعد هذه الاعوام الطويلة ؟ انها تعنى نهاية حياة المنفى التى عاشها بعيدا عن بلاده . والحديث عن عودة دوق وندسور وزوجته من منفاهما بدأ منذ عامين تقريبا عندما جاء الدوق والدوقة الى لندن لاجراء عملية جراحية في احدى عينيه لانقاذها من العمى . فقد زارت الملكة عمها الدوق في المستشفى وقابلت زوجته مرتين .. وكانت هذه هى أول مرة تلتقى فيها الملكة بدوقة وندسور منذ أن كانت الملكة طفلة في عام ١٩٣٦ .

ان ملكة بريطانيا قد قررت أخيرا أن تضع بيدها خاتمة سعيدة للحياة الشريدة التى يعيشها عمها المسكين العجوز .

ماهو سر الحياة..



العبقرية

هل العمل الخلاق يتيح الحياة الطويلة، أم أن الحياة الطويلة؟

■ منذ ٧٥ عاماً مضت ، في ريودي جانيرو العاصمة القديمة لجمهورية البرازيل ، وجد شاب نحيف اسود العينين في التاسعة عشرة من عمره .. وجد نفسه يدفع دفعا الى منصة المايسترو ليقود أوبرا « عايدة » على اثر تغيب قائد الاوركسترا . وفي نهاية الحفل وقف الشاب الصغير يستمع الى هتافات الجماهير وتصفيقهم المدوي . وبين يوم وليلة اصبح المايسترو الجديد حديث المدينة كلها .

ولم يكن هذا الشاب سوى ارتورو توسكانيني Arturo Toscanini ، الذي ظل حتى يوم وفاته في عام ١٩٥٧ ، وخلال السنوات الطويلة التي عاشها ، حديث الجماهير . لم تكن ترضى بغيره . وكان يقدم لها رغم شيخوخته دائما اجمل الالحان . وكان توسكانيني يقود كل برنامج موسيقاه من الذاكرة ، وكان المايسترو الملهم ، موضع اعجاب كل الذين استمعوا اليه .

والفنان العظيم ، ميكل انجلو

ولكن هل كان توسكانيني هو الرجل الوحيد الذي قام بمثل هذا العمل العظيم في تلك السن المتقدمة ؟ والجواب لا ! كان هناك كثيرون غيره . ان تاريخ البشرية مليء بالادلة على ان المواهب التي تمنح للانسان تستمر في تفاعلاتها طالما ان العقل يدعوها الى هذا الاستمرار .

ولقد كان الفنان الايطالي العظيم ميكل انجلو Michel Anglo ، في الستين من عمره عندما

..الطَّوِيلَة؟

لَهَا أَعْمَار طَوِيلَة

تُتيح العمل الخلّاق ؟



سقف كنيسة « سيستين » ، وهي معبد من معابد الفاتيكان ، ويبلغ ارتفاعه حوالى ٧٠ قدما ومساحته ١٣٢ × ٤٣ قدما . وقد أمضى « ميكل أنجلو » شهورا وهو راقد على ظهره ، فوق منصة عالية ليرسم المناظر التى تزين هذا السقف

بدأ ينظم الشعر ، بعد أن كان برز فى معظم الفنون .

وفى سنوات حياته الاخيرة عين كبيرا للمهندسين فى كنيسة القديس بطرس فى روما .

وعندما بلغ السبعين أتم ميكل انجلو مجموعة التماثيل الرائعة « لوسى والعبيد » .

ولم تتخلَّ عنه ملكة الابداع ، كما لم تفارقه موهبته الرائعة وطاقته التى لم تهدأ حتى اليوم الذى فارق فيه الحياة فى سنة ١٥٦٤ عن ٨٩ عاما . فقد أكمل فى أيام حياته الأخيرة قبة كنيسة القديس بطرس بصورهـا الرائعة المشهورة ، ولوحة الدَّيْنونة The last Judgement وغيرهما من الأعمال الاخرى التى تكشف عن عبقريته .

الرسام الشهير تتيان

وبين كبار الاساتذة الفنانين أيضا الرسام المشهور تتيان Titian ، الذى ولد فى مدينة البندقية وبسط موهبة فُرْشته وفنه اللامع على لوحة قرن كامل من الزمان ، ومات فى سنة ١٥٧٦ عن ٩٩ عاما . لقد كانت صور تتيان تمثل دراسات سيكولوجية عميقة ، كما كانت لوحاته الدينية نموذجا رائعا للقدرة الخلاّقة ، مثله فى



ذلك مثل ميكل انجلو . فقد ظل تتيان يعمل ما بقى صدره يعلو ويهبط بانفاس الحياة ، وجاء الكثير من اعماله الرائعة فى سن متاخرة .

والشاعر لنج فلو

كتب الشاعر الامريكى لنج فلو Henry wads-worth Long fellow يوما لاحد اصدقائه يقول : « انت لا تعرف بعد كيف يكون شعور الانسان عندما يبلغ عامه السبعين . وانا اقول لك انها اشبه ما تكون بعملية تسلق جبال الالب . فانت تصل الى اعلى قمة يكسوها الجليد فى الجبل ، وفجاة تنظر خلفك فترى الوادى السحيق يمتد لأميال بعيدة على مدى البصر ، ثم تنظر امامك فترى قمما اخرى اعلى من القمة التى وصلت اليها واكثر بياضا . وقد تجد فى نفسك القوة لتسلقها والوصول اليها ، وقد تخذلك قواك . ان كل ما يستطيع المرء أن يقوله هو ان الحياة فرصة ! »

وعاش لنج فلو الى عامه الخامس والسبعين ، وهو ينتج . ومات فى سنة ١٨٨٢ .

تحديات السنين

وقد اعترف رجال العلم والادب معا بضرورة انتهاز فرص الحياة وتحديات السنين .

فقد ظل عالم الفلك جاليليو Galileo (١٥٦٤ – ١٦٤٢ م) يجرى تجاربه ويباشر نشاطه العلمى بالرغم من اصابته بالعمى عندما بلغ عامه الثالث والسبعين .

ولم ينجح لوثر بيربنك Luther Burbank العالم المشهور الذى درس علم فلاحة البساتين ، فى استنباط انواع الفواكه والزهور الا فى سنى حياته الاخيرة . وكان بربنك يعمل ويجرى تجاربه على نطاق واسع لم يفكر غيره فى اللجوء اليه حتى ان عدد زهور الزنبق فى حديقته بلغ فى يوم من الأيام ٨٠ الف زهرة يانعة ، قدر ثمنها بعدة الوف من الجنيهات . ولم يفقد نشاطه يوما ، فكان يخرج الى حديقته ويسير فى خطوات ثابتة وسط الطبيعة التى احدث فيها ثورة بعلمه وتجاربه ، حتى عندما بلغ السابعة والسبعين .

وكان توماس أدِسون Thomas Alva Edison المخترع الشهير وهو ولد فى عام ١٨٤٧ ، مشغولا فى سنوات حياته الأخيرة باضافة اختراع جديد الى سلسلة الاختراعات التى توصل اليها فى حياته . وفى عام ١٩٣٠ اي قبل وفاته بعام واحد وهو فى الثالثة والثمانين ، نجح ادسون فى انتاج نوع جديد من المطاط .

وقد مضى البرت أينشتين Albert- Einstein فى ابحاثه حتى بلغ العام الرابع والسبعين ، وكذلك كان صاموئيل مورس الذى وجد ما يشغله بعد ان اخترع الارسال البرقى الذى ادخله التاريخ ، فقد تمكن من انتاج ماكينة لقطع المرمر ، كما قام باجراء تجارب على ارسال البرقيات عن طريق الاسلاك الممتدة تحت الماء ، وقدم لامريكا فى النهاية عملية التصوير التى طورها لوى داجير Louis Daguerre ، على انه بعد هذا كله وجد الوقت الذى مكنه من ان يصبح احد مؤسسى احدى المدارس المشهورة .

★ ★ ★

« وان الاعوام الثلاثين الاولى تقدم لنا نص

الحياة ، بينما تعطينا الاعوام الثلاثين الثانيـــة التعليق على هذا النص . » هـــذا ما قاله الفيلسوف الالمانى الكبير شوبنهاور Arthur Schopenhauer ، الذى لم يتمتع بالشهرة ولم يعترف احـــد بكتاباته الفلسفية حتى النصف الثانى من حياته التى عانى خلالهـــا من القسوة والخوف ما عانى !

شو وتولستوى

وصفحات الكتب الأدبية مليئة باعمال الرجال الذين تخطوا مرحلة الشباب ، وكان آخر هؤلاء بطبيعة الحال الكاتب الارلندى جورج برنارد شو George Bernard Shaw ، الذى ظل قلمه يكتب حتى ألمّ به مرضه الأخير الذى مات مـن بعده فى عام ١٩٥٠ وقد بلغ الرابعة والتسعين .

وكذلك تولستوى Tolstoy ، الذى لم ينته من قصة « البعث » الا عندما جاوز عامه السبعين.

وعندما قال فولتير Voltaire :

« ان حرفتى هى ان اقول ما أشاء وما اعتقد انه الصواب » ، استمع اليـــه عالمه الذى كان يعيش فيـــه ، بدهشة وذهول ، ولكنهـــا كانت دهشة مشوبة بالغضب من هذه العبقرية النفاذة التى اتسمت بالطموح والشجاعة والعجرفة وسلاطة اللسان فى بعض الاحيان .



وقد القوا به فى غياهب سجن الباستيل وهو شاب فى الثالثة والعشرين من عمره ، ثم اضطر بعد ذلك للهرب من باريس لينجو بحياته . ولكنه عندمـــا بلغ الرابعة والثمانين من عمره كانت حشود الشعب التى امتلات بالحماس تحيط به فى كل مكان يذهب اليه ، وكان الناس يتهافتون على قراءة المنشورات التى يكتبها .

شجاعة سقراط

ان الحكمة تعتمد دائما على السن ، وفى سن السبعين عبر سقراط Socrates قديما عن تحديه للسنين ، بل لقد واتته الشجاعة فى هذه السن لكى يفضل شرب كاس من سم الشوكران على أن يستسلم لاعدائه .

والشاعر جوته Goethe ، صب كل نضوج روحه فى روايته فوست Faust التى توجت حياته والتى أتمها قبل موته مباشرة عن ٨٣ عاما .

وبقى ونستون تشرشل Winston Churchill شخصية سياسية جبارة الى ان وافته منيته فى العام الماضى عن ٩٨ عاما ، دون أن يشعر يوما باثر السنين او يمتثل لأية قيود تفرض عليه . وهكذا كان السياسى الامريكى الشهير ، بنيامين فرانكلين Benjamin Franklin ، فقد بقى عضوا عاملا فى مختلف الشئون السياسية حتى اللحظة التى فارق فيها الحياة فى عام ١٧٩٠ عن ٨٤ عاما .

ففى السبعين كان فرانكلين أحد اعضاء اللجنة التى صاغت اعلان الاستقلال الامريكى ، وبعـــد السبعين قام برحلة الى فرنسا مبعوثا للولايات المتحدة فترك اثرا عميقا بين الذين اجتمع بهـم وتحدث اليهم ، وكان ذلك قبيل الثورة الفرنسية ، ثم سافر الى لندن ليجرى المفاوضات الخاصـــة بمعاهدة الصلح بعد حرب الثورة .

والرئيس الامريكى ، توماس جيفرسون Thomas Jefferson ، تولى رئاسة الولايات المتحدة



تمثال الملاك الراكع الذى أقامه « ميكل انجلو » على قبر القديس دومينيك ، مؤسس مذهب « الدومينيكان » ، فى بولونيا . .

فترتين متتاليتين ، قرر بعدهما التقاعد ليقوم بعمل كان ينظر اليه دائما على انه من أهم الاعمال العظيمة التى انجزها ، الا وهو انشاء جامعة فرجينيا . وقد فعل . ومات سنة ١٨٢٦ عن ٨٣ عاما .

المرأة أيضا

ولم يكن الرجل وحده هو الذى سخر من السنين وآثارها ، فقد استطاعت المرأة أيضا أن تهزأ بها فوضعت مارى بيكر ايدى Mary Baker Eddy ، مؤسسة معهد «كريستيَن سَيَنْس» أو العلوم المسيحية ، مؤلفها بعنوان « العلوم والصحة ودليل الأسفار » Science & health with key to scriptures ، الذى سجل رقما قياسيا فى التوزيع بعد التوراة مباشرة ، وذلك بعد أن جاوزت مرحلة الشباب . وعندما بلغت التسعين أصدرت صحيفتها الدولية المشهورة الى اليوم « كريستيان سينس مونتيور » Christian Science Monitor . وهي ماتت عام ١٩١٠.

ثروة قومية

ومن بين كبار المؤلفين الموسيقيين فى عصرنا هذا جان سيبيليوس Jean Sibelius ، الفنلندى الذى كانت بلاده تعتبره « ثروة قومية » ، فقد استمر جان يؤلف موسيقاه الخالدة حتى يوم وفاته في عام ١٩٥٧ عن ٩١ عاما . وقد ذاق مرارة الفقر وهو صبي صغير ، ولكنه ما لبث أن أصبح حديث العالم حتى ان حكومة فنلندا قررت أن تصرف له معاشا قدره ١٠٠ ألف مارك ، وهو اكبر معاش تقاضاه أي مواطن غير رئيس الجمهورية .

وقليلون هم الذين استطاعوا أن يسيطروا على جماهير الشعب كما فعل المهاتما غاندى ، فقد ظل شعب الهند كله البالغ تعداده ٤٠٠ مليون نسمة فى ذلك الوقت يتطلع الى زعامة غاندى حتى يوم اغتياله عن ٧٩ عاما .

ترى هل اجبنا على السؤال الذى طرحناه فى بداية هذا المقال ؟

والجواب نعم ، ولا .

ومع هذا يترجح عندنا ان العمل الخلاق هو الذى يطيل الحياة . ■■

ترجمة : منير نصيف

أثر كتاب المعراج

على الكوميديا الإلهية



بقلم : عطا بكرى

■ كانت صقلية مركزا هاما لتلاقي الثقافتين الاسلامية والمسيحية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر . فكانت باليرمو تحت حكم روجر الثاني وفردريك الثاني مركزا ثقافيا كبيرا امها العديد من فحول الادب ورجال الفكر العرب الذين كانوا يتناقشون ويتبادلون الاراء مع اندادهم الاوربيين .

وكان هذا الاتصال الوثيق بين ثقافتي الشرق الاسلامي والغرب المسيحي قد ادى الى ظهور حركة عنيفة للترجمة من اللغة العربية الى اللاتينية فى كل من اسبانيا وصقلية .

ولقد أسس فردريك الثاني فى عام ١٢٢٤ بعد الميلاد فى نابولي مدرسة جمع فيها عددا كبيرا من المؤلفات العربية ، ترجم بعضها الى اللاتينية وارسلت نسخ منها الى باريس وبولونيا وغيرهما من المراكز الثقافية الرئيسية .

وفى هذه الفترة التى كانت فيها المؤثرات الثقافية بين الشرق والغرب على اشدها وُلد الشاعر الايطالى الشهير دانتى Dante فى فلورنسا فى عام ١٢٦٥ بعد الميلاد .

ولقد احتوى كتابه « الكوميديا الالهية » وصفا للجنة والجحيم كان متفقا مع ما جاء فى النصوص الاسلامية حول ذلك الموضوع تمام الاتفاق ، مخالفا لما جاء بالمسيحية من مفاهيم . لهذا فقد

نشب جدال عنيف حول المصدر الـذى استقى منـه دانتي فكـرة الكوميديا الالهية .

كان بلوشيه اول من نادى بوجـود علاقة قوية بين فكرة دانتى فى الكوميديا الالهية وبين ما جاء فى القرآن من وصف للجنـة والنار . فكتب مقالا بعنـوان « المصادر الشرقية للكوميديا الالهية » مؤكدا أثر الاسـلام على آراء دانتي . ولكن بلوشيه لم يَبْنِ آراءه تلك عـلى اسس متينة ولم يقدم البراهين الكافية التى تثبت نظريتـه .

فجاء الاب دون ميفويل آسين وحاول تكملة المهمة التى بداها بلوشيه بايراد براهين قاطعة تثبت صحة ادعائه بـأن دانتي كان متاثرا بالاراء الاسلامية عند تأليفه الكوميديا الالهية .

ففى عام ١٩١٩ وقف آسين فى المجمع العلمي الاسباني والقى محاضرة جريئة استهدف منها البرهنة على تأثر دانتى بالمؤثرات الشرقية . وكانت تلك المحاضرة المتسممة بالجراة والصراحة قد سببت جدلا عنيفا لما فى الموضوع من اهميـة قصوى ولانه موضوع حساس يدق على اوتار العواطف والغرور العنصرى ، اذ صعب على الكثيرين مجرد التفكير فى كون احد زعماء الفكر الغربيين قد استمـد فكرته من مصادر اجنبية .

ثم الف آسين كتابا سماه « الاسلام والكوميديا الالهية » حاول فيه ان يبرهن على تأثير ابن عربى الصوفى الشهير على دانتى . ومما يجعل احتمال ذلك التأثير كبيرا قرب عهديهما اذ كان ابن عربي قد توفي قبل ولادة الشاعر الايطالي العظيم ب ٢٥ سنة . حـاول آسين ان يبـرز الشبه الكبير بين اشعار دانتى وبين ما جاء فى « الفتوحات المكية » لابن عربي . كما انه حاول ان يثبت أثر « رسالـة الغفران » للمعرى على آراء دانتي ، ومما لا شك فيه ان رسالة الغفـران كانت مستمدة وحيها من قصة المعراج .

وكذلك حـاول آسين ان يثبت ان العديد من الاساطير التى كانت شائعـة عندئذ فى ايطاليا وفرنسا والمانيا وبقيـة الاقطـار الاوربيـة كـ « سفـرة سنت برانـدان » و « رؤيا سـنت بـول » و « رؤيا سنت باتريك » وغيرها مستمدة من مصـادر اسلامية .

ولقد اكد آسين ان هناك شواهـد تثبت وجود مصادر عديدة ، فى عصـر دانتي ، تميط اللثام عـن النظريـات والعقائد الاسلامية للمثقفين الاوربيين ، وهي فى متناول ايديهم . فلقـد الـف القـديس يولوجيوس كـتـابه الموسوم « دفاع الشهداء Apologetics Martyrum » الذى تضمن رسالة عن حياة محمد ، نبى الاسـلام .

والف الاسقف رودريكو جينميز دى رادا في طليطلة كتابا سماه Histori Arabum تنـاول فيـه تاريخ العرب وحياة الرسول محمد ومعجزاته ، وتطرق فيه الى قصة الاسراء والمعراج .

والف الاسقف سنت بيتر باشال كتابا بعنوان Impunacion De la seta de Mahomad تطرق فيه الى قصة المعراج وشرحهـا شرحا مفصلا وافيا .

فاستنادا على ما جاء بكتاب باشال اخذ الاب آسين يعدد نقاط الشبه بين

ما جاء بكتاب باشال عن الحياة الاخرة واوصاف الجنة والنار المستمدة من مصادر اسلامية ، خاصة المعراج وبين ما جاء في كتاب دانتي« الكوميديا الالهية » .

ولقد أكد آسين انه اذا كان ممكنا وجود شبه فى الفكرة العامة بين كتابات شخصين دون ان يكون احدهما متأثرا بالاخر ، فمن المستحيل ان تتشابه الاراء تشابها كليا بكل تفاصيلها دون وجود مؤثرات متبادلة .

وبالاضافة الى ما تقدم فان دانتي كان له صديق يدعى برونيتو لاتيني الف كتابا اسماه Tesoro بحث فيه تاريخ محمد وسرد معجزاته . ولقد الف هذا الرجل كتابه بعد عودته من طليطلة فى اسبانيا حيث كان يشغل وظيفة سفير لفلورنسا فى بلاط الفونسو العاشر . وكان اثناء اقامته فى طليطلة على اتصال وثيق بمدرسة الترجمة التى كانت قائمة هناك والتى كانت فيها حركة الترجمة من المصادر العربية الى اللغات الاوربية قائمة على قدم وساق آنذاك .

تدل كل هذه الحقائق دلالة واضحة على ان هناك احتمالا كبيرا على اطلاع دانتي على قصة المعراج . وانه من المستبعد ان تكون شخصية عظيمة مثل دانتي الذى وصفه امبرتوكوسمو بكونه « شديد التعطش لاكتساب المعرفة ، ومطلعا اطلاعا واسعا على جميع معارف زمانه » جاهلا مثل تلك القصة التى تعتبر أهم حدث فى حياة نبي الاسلام ، خاصة وان الثقافة الاسلامية كانت ، فى ذلك الزمان ، اهم مصادر المعرفة التى هي بمتناول ايدى المثقفين الاوربيين .

واخيرا اكد الدكتور ارماندو تيروني فى رسالته المسماة « دانتي ومحمد » معرفة دانتي بقصة المعراج . كما اكد الدكتور انريكو جيرولي بانه اكتشف فى مكتبتي الفاتيكان وجامعة اوكسفورد وكذلك بالمكتبة الوطنية فى باريس نسخا من كتاب بعنوان « كتاب المعراج » وهو ترجمة لقصة المعراج باللغتين الفرنسية واللاتينية . وان مترجم الكتاب هو بونا فنتتورا من سكان مقاطعة توسكانى التى عاصمتها فلورنسا التي هي مسقط راس دانتي . ولقد ظهر الكتاب فى عام ١٢٦٠ بعد الميلاد اى قبل ولادة دانتي بخمس سنوات ، وهذا مما يجعل وجود احتمال قوى جدا لان يكون دانتي على اطلاع بمضمون كتاب المعراج .

فمما تقدم ذكره من حقائق تحصل القناعة التامة بلا أدنى ريب في الدور الذى لعبه كتاب المعراج على بلورة الفكرة التى اوحت بنظم الكوميديا الالهية عند دانتي .

هذا وان تأثر دانتي بالمصادر الاسلامية لا يحط من شأنه كشاعر عملاق ذى شاعرية فائقة فذة واسلوب سليم العبارة ، او يقلل من اهمية الدور الذى لعبه فى تاريخ الثقافة البشرية . وانه يحتفظ دائما ، بمركزه الممتاز بين زعماء الفكر وحملة الوية الادب فى عصره ■■

بغداد — **عطا بكري**

تاليران

مضربُ المثل في البراعة الدبلوماسيّة وغموضِ الشخصيّة

بقلم : علي أدهم

■ الدبلوماسية معناها في العصور الحديثة تسوية العلاقات الدولية بين الامم بطريق المفاوضات، وهي من ثم تحاول البحث عن الحلول الملائمة للمشكلات الناشئة عن اختلاف السياسات وتصادم المصالح ، وتمهد السبيل لتذليل الصعاب وتهيئة الجو لايجاد العلاقات الحسنة .

وكلما نمت العلاقات التجارية والروابط الاقتصادية بين الأمم، وتشابكت مصالحها وتقاربت وتفاهمت زال جانب الوحشة الذى يَرِين دائما على العلاقات بين الغرباء ، وقل الميل الى الاكتفاء الذاتى ، والنزوع الى العزلة ، وازداد شعور الامم بحاجتها الماسة الى التفاهم الحسن وتحرت وجوهه وأسبابه .

ولا يكتفى في العصور الحديثة باختيار مندوبين من الحين الى الحين ليتولوا فض الخلافات وتسوية المشكلات ، وقد استدعى الأمر وجود مندوبين دائمين وممثلين رسميين بين مختلف الأمم . وقد اقتصر ذلك في باديء الأمر على الامم المتجاورة ، ثم تجاوز ذلك الى الامم البعيدة النائية والمختلفة في الدين والعادات والتقاليد ، وذلك تبعا لتحسين المواصلات وتيسير أسباب التقارب بين الأمم .

كلمة « دبلوما »

وكلمة « دبلوما » التى اشتقت منها كلمة دبلوماسية كان معناها الأصلى وثيقة من صورتين ، وقد اختلفت دلالة الكلمة على مر العصور شأن الكثير من الكلمات التى تكتسب معانى مختلفة على توالى الزمن ، ولكن كلمة الدبلوماسية ظلت محتفظة بدلالتها على «الاعمال العامة» مثل المعاهدات والتراخيص ، وقد يتسع معناها في المستقبل فيشمل ما هو أكثر من ذلك .

وقد أضيف اليها معنى آخر ، اذ صارت تدل على موقف التحفظ والاقتصاد في الحديث ووزن كل كلمة وتقدير ما وراءها من تبعة . ومن دواعى ظهور هذا المعنى أن المفاوضين كانوا دائما يحاولون التغلب على منافسيهم في حومة المفاوضة ، واستعمال

● انه الأسقف الذى رضي باستيلاء الدولة على أملاك الكنيسة .

● انه الدبلوماسي الذى صادق ميرابو خطيب الثورة الفرنسية وعايشها الى آخر عهدها .

● انه الرجل اللبق الذى أعان نابليون في الاستيلاء على الحكم ، ثم استوزره نابليون ، ثم سبه سبا مقذعا على الملأ .

● انه السياسي الذى اختلف فيه المؤرخون ، الى اليوم ، بين قادح ومادح .



كل ما في جعبتهم من أساليب البراعة في المناقشة، وادارة الحوار والعلم بالبواطن والأسرار والدخائل الخفية والاشارات المهمة والكاشفة التى تمكن المفاوض من أن يستميل المفاوض من الجانب الآخر الى جانبه ، ويحمله على الأخذ بوجهة نظره ،وكانت العلاقات القديمة بين الأمم تسوغ هذا التحفظ وتوصي الاقتصاد في الصراحة والامعان في التكتم والسرية ، وكان بعض رجال السلك الدبلوماسي يتهمون بالتجسس والعمل على تصيد الأسرار وكشف مواطن الضعف ، ورُمى بعضهم بمحاولة افساد ذمم الوزراء ليبوحوا لهم بأسرار الدولة ومستورياتها لتتمكن الأمم التى اوفدتهم من استغلال ذلك في توجيه سياستها ، وكان تفاوت العقليات بين الأمم المختلفة واختلاف العادات عقبة كأداء في سبيل الدبلوماسية الصريحة المكشوفة.وأغلب الظن أن الدبلوماسية الحديثة اقل امعانا في الخفاء والسرية من الدبلوماسية القديمة التى كان المكر والدهاء والكيد والدس لحمتها وسداها .

أهداف الدبلوماسي

وأول أهداف الدبلوماسي هى رعاية مصلحة أمته ، والمحافظة على مكانتها ، والتعبير في لباقة ومنطق متماسك عن آرائها ووجهات نظرها ،وبيان موقفها من مختلف المشكلات العالمية والقضايا

العامة في دقة واقناع وحسن بيان ، وأن يحسن دراسة الامة التي يقيم في بلادها. ويتفهم سياستها. ويتعرف تياراتها الفكرية ، وأحوالها الثقافية والاقتصادية، وميول أهلها وعواطفهم الغالبة عليهم، وان يرى الاشياء بنواظرهم ، وبذلك يستطيع أن يدل امته على منحى تفكيرهم ويصور آراءهم اصدق تصوير ، ولا يتيسر ذلك الا بمخالطة طبقات الامة التي يقيم ببلادها ، وذلك دون أن ينغمس في شؤونها السياسية الداخلية وخلافاتها الحزبية والمذهبية ، لانه اذ لم يتحرّ ذلك اصبح موضع الشك ومظنة الاتهام ، وهذا من غير شك من عوامل افساد العلاقات بين الأمم وتعكير الجو السياسي .

تاليران مضرب المثل في الدبلوماسية

وتتفق آراء المؤرخين ورجال السياسة والدبلوماسيين على أن شارل موريس دى تاليران بريجور Charles-mauris de tallayrand-perigord الفرنسي ، (١٧٥٤ – ١٨٣٨) ، الذى كان يوما ما اسقف أوتان Autun وأمير بنيفنت Bénévent كان مضرب المثل في التمثيل الدبلوماسي وما يستلزمه من دواعي الكياسة واللياقة والذكاء الحاد والفطنة البالغة .

ويقترن اسم تاليران على الدوام بكل ما هو لامع ومتألق في حسن التصرف الدبلوماسي وما يتطلبه ذلك من ضبط النفس ، وامتلاك زمام الأعصاب ، واخفاء التأثرات ، والمحافظة على سمت الوقار والاتزان ، وتناول الأمور بالبساطة المقترنة بالعمق والهدوء الخالي من جمود الحس وبلادة النفس . وقد أجاد تاليران في راى دارسي حياته ومتتبعي أخبار سيرته تمثيل هذا الدور ، ووصل به الى أقصى درجات الاجادة والاتقان . وموقفه في مؤتمر فيينا (١٨١٤ – ١٨١٥) الذى استطاع فيه ، وهو ممثل فرنسا حين هزمت جيوشها وهيض جناحها ، أن يسيطر على مجالس الحلفاء المنتصرين، لا يزال موضع الاعجاب ومناط الدهشة وقد تلاقت الآراء في الاعجاب بملكات الدبلوماسي القدير .

جشع وغدر وخيانة

ولكن اختلفت الآراء في تقديره من الناحية الأخلاقية ، وقرنته بعض المؤرخين بالغدر والخيانة والجشع في أخذ الرشى والتنكر للآراء والعقائد التى كان يدين بها . واستدلوا من أخبار حياته على أنه لم يف لأحد ، ولم يخلص لمبدأ ، وأنه عاش تهازا للفرص ، جاريا وراء متعة الجسد . وقد بدا حياته من هيئة كبار رجال الدين ،ولكنه كان يعيش عيشة ترف وفجور ، وكان مندوبا لرجال الاكليروس فخان عهدهم واشترك في عمل الدستور المدنى . وهو من الطبقة الارستقراطية. وتخلى عن طبقته وخدم الجمهورية ، وكان وزيرا في حكومة الديركتوار وائتمر بها وعمل على اسقاطها. وكان الخادم المخلص لنابليون ولكنه هجره ،وسعى في هدم بنيانه ، وتقويض دولته . وكان معروفا عنه انه من دعاة الاعتدال في السياسة ومجافاة التعصب ، ولكن ذلك لم يمنعه من الانضمام الى المتطرفين ضد حكومة لويس الثامن عشر التى كانت تمثل السياسة المعتدلة . وكان في طليعة أنصار الحكومة الشرعية ، وبرغم ذلك أزاح عن العرش الملك الشرعي شارل العاشر ليحل محله الملك البورجوازى لويس فيليب . وقد أخلص في خدمة الحكومة الاورليانية ، ولكن نقاده لم ينسوا له سالف مواقفه وماضي تقلباته .

وكانت سفارة لندن آخر ما شغله من المناصب، الحكومية ، وقد عمل بها أربع سنوات ، وادركته الوفاة بعد اعتزال الخدمة الحكومية بثلاث سنوات ونصف سنة .

واختلفت عن تاليران الأقوال ، قادح ومادح

وليس من المستنكر ان تثير مثل هذه السيرة العجيبة الاقاويل والشبهات حول حياة تاليران وتدفع من ناحية بعض المؤرخين الى الاسراف في التحامل عليه وتشويه سمعته ، كما تستحث من ناحية اخرى باحثين آخرين الى محاولة تحرّى الحقائق وتمحيص المعلومات لانصاف الرجل والعمل على كشف حقيقته وتفسير خفايا شخصيته .

واللورد جراى تشارلز Earl Charles Grey رئيس الوزارة البريطانية من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٣٤ – كان يقول عنه لأصدقائه المقربين « ان تاليران وكاسرى وبروجام أعظم أوغاد عرفها التاريخ » ، ولكن دوق ولنجتون قائد معركة

وترلو Waterloo المظفر ، وقد اتيحت له فرص لمخالطة تاليران والتعرف عليه من قرب ، صرح في مجلس اللوردات ردا على هجوم عنيف قام به بعض الاعضاء على تاليران ، وكان حينذاك سفيرا لفرنسا في بريطانيا ، قائلا : « في كل معاملة من المعاملات العظيمة التى حدثت في مؤتمر فيينا ، وفي كل مفاوضة شغلت بها مع الامير تاليران من أول الامر الى آخره ، لم اجد اصلب منه عودا ، وأعظم مقدرة في الدفاع عن مصالح بلاده ، كما لم اجد من هو اكثر منه استقامة ونبلا في جميع اتصالاته بوزراء البلاد الاخرى واضاف قائلا : انه يعتقد اعتقادا صادقا مخلصا أنه لم يفتر على رجل في حياته الخاصة والعامة كما افترى كثيرا على تاليران .

وهى شهادة لها قيمتها اذ لم يكن هناك سبب خاص يدعو دوق ولنجتون الى المصارحة بها وتأكيدها .

اختلف موقف المؤرخين من تاليران

وقد كثرت المواد التى قدمت للمؤرخين لاصدار حكمهم على الرجل ازاء محكمة التاريخ ، وقد طبعت مذكراته الخاصة التى كتبها في اواخر حياته سنة ١٨٩١ ولكن بعض المؤرخين يثيرون الشك في صحة المعلومات الواردة بها .

وتناول حياته السير هنرى ليتون Henry Lytton ، والمؤرخ الفرنسي البير سوريل Albert Sorle . وفي سنة ١٩٢١ ظهرت ترجمة حياته الوافية التى كتبها المؤرخ الفرنسي لاكور جاييه Lacour Gayet ، كما كتب عنه المؤرخ الفرنسي لويس مادلان Madelin . وقد عني بدراسة حياته السياسي البريطاني دف كوبر Alfred Duff Cooper وكتابه عنه من التراجم الشائقة الممتعة . والمؤرخ الايطالى جوليلمو فريرو .

ومما هو جدير بالملاحظة ان المؤرخين الفرنسيين بوجه عام يقفون من تاليران في اغلب الاوقات موقف الخصومة والعداء ، في حين ان المؤرخين الاجانب سواء من الانجليز او الامريكيين او الايطاليين او الالمان ، كانوا اكثر عطفا عليه ، واعظم تقديرا لمواهبه الدبلوماسية وحكمته السياسية ، وتساميه فوق النزعات الجامحة ، ونوبات الكراهة المدمرة التى كادت تقضي على المجتمع الاوروبى .

ميلاده ونشأته

وقد ولد تاليران في باريس يوم ٢ فبراير سنة ١٧٥٤ . وكان أكبر أولاد أسرة من أعظم الأسر الفرنسية ، وقد أهمله والداه منذ ميلاده وتركاه للمربية لأنهما كانا شديدى الاتصال بالبلاط الملكى . وحدث له وهو في الثالثة من عمره أن سقط من فوق صوان الثياب فاصيبت قدمه اصابة بالغة تركته يظلع في مشيته طوال حياته . وقد حال ذلك بينه وبين الانتظام في سلك الجندية حسب التقاليد التى كانت متبعة في أسرته .وقد ارغمه والداه على دخول الكنيسة وان يكون من رجال الاكليروس . وكان بطبيعته فلتورى النزعة، بعيدا عن الروح الدينية ، حريصا على الاستمتاع بالحياة . وكان لويس السادس عشر قد سمع عنه ما جعله يتردد في رفعه الى مرتبة اسقف اوتان . وقد قسم وقته بعد بلوغه تلك المرتبة بين طلب المتعة وخدمة الدولة ، ونجح في المجالين نجاحا ملحوظا.وقد عاش عشرين سنة قبل سقوط النظام الملكى في فرنسا في بذخ واسراف ، مضيفا يقدم لزائريه أشهى ألوان الطعوم ، وزائرا يسحر من يغشي قصورهم باحاديثه الجذابة الساحرة وملاحظاته الساخرة .

ولم يمنعه ظلعه من الكلف بالنساء ، بل ربما كان من اسباب عطفهن عليه ، ومن عجيب امره انه لم يتزوج باحدى النساء الفاتنات من حظياته بل اختار زوجة له مدام جران التى لم تكن موفورة الحظ من الجمال او الذكاء ، ولم يكن قد تم طلاقها من زوجها السابق .

ولكن الولع بالنساء ولعب الميسر والوان الاطعمة والمشروبات لم تمثل سوى جانب واحد من جوانب حياة هذا الباقعة ، فقد كان يدمن قراءة الكتب، وبخاصة الكتب التى تتناول الموضوعات السياسية والاقتصادية ويدرس طبائع الناس وأحوال المجتمع.

ينتظم في الاكليروس

وقد كان في مطالع شبابه حينما حضر حفل تتويج لويس السادس عشر في كاتدرائية ريمز سنة ١٧٧٥ ،وفي السنة نفسها صار طالبا في السوربون.

وبرغم كراهته للنظام الاكليروسي" التحق به في سنة ١٧٧٩ ، ومكنته المرتب الذى كان يتقاضاه من أن يعيش مستقلا عن والديه ، معيشة تلائم الطبقة التى كان ينتسب اليها أكثر من ملاءمتها للوظيفة التى كان يقوم بها . وفي سنة ١٧٨٠ . اختاره قساوسة تور مندوبا عاما عن رجال الاكليروس ، وقد اظهر براعة ملحوظة وقدرة عملية فائقة في القيام بفرائض هذه النيابة ،وعمل على التوفيق بين مصلحة الشعب ومصلحة رجال الدين .

صديقان

على أن القيام بواجبات النائب العام للقساوسة لم تكف لاشباع نهم هذا الرجل المطموح المتطلع الى توسيع دائرة نفوذه العملى ونشاطه السياسي.

وصادق في هذه الفترة رجلين من رجال فرنسا البارزين هما كالون Calonne الذى تولى الشئون المالية في فرنسا ، وعن طريق صداقته به استطاع تاليران أن يعرف الكثير عن الشئون الخارجية وأن يفيد من تلك المعرفة . والرجل الآخر الذى صادق تاليران هو ميرابو Mirabeau الذى صار فيما بعد أقدر خطباء الثورة الفرنسية وأحد أعلامها البارزين .

حين قامت الثورة الفرنسية

وحينما قامت الثورة كان أسقف أوتان قد أصبح من الرجال ذوى المكانة المرموقة في باريس والمعروفين بسرعة الخاطر والبديهة الحاضرة واللمعان في الصالونات والمقدرة العملية والفطانة السياسية . وكانت عراقة نسبه ، وصلاته الوثيقة بالكثير من ذوى النفوذ والمكانة العالية ، وذكاؤه اللماح وطموحه البعيد المدى ، وعدم تردده في سلوك السبل المفضية الى النجاح ، كانت كل هذه تنبىء بأنه سيكون خليفة لهذا الكاردينال العظيم الذى استطاع أن يسيطر على مصير فرنسا ويجمع في يديه أزمة السلطة وعرفه التاريخ باسم الكاردينال ريشيليو .

تاليران يختار نائبا عن القساوسة في الجمعية العمومية

وكانت الحكومة الفرنسية تعانى في ذلك الوقت أزمة مالية عسراء ، على حين كانت الكنيسةواسعة الثراء ، وبرغم ضخامة ثروتها كانت مرتبات رجال الدين غير متعادلة ، وكان معظم الأساقفة من الطبقة الارستقراطية ، ولهم مرتبات عالية ، في حين كانت تقتر الكنيسة على صغار القساوسة فتمنحهم مرتبات ضئيلة . وكانت الكنيسة مثل الأشراف تقاوم مطالب الاصلاح ، وبخاصة طلب المساواة في دفع الضرائب .

وانتخب تاليران نائبا عن القساوسة في الجمعية العمومية ، وحينما حضر الى فرساى في مايو سنة ١٧٨٩ لحضور جلساتها كانت تدور برأسه أفكار أطال دراستها وتمحيصها . كان يريد أن يكون لفرنسا نظام دستورى كالنظام السائد في انجلترا، وأن يكون الحكم الملكى محدود السلطة ، وأن يكون هناك مجلس نواب منتخب ومجلس آخر على نمط مجلس اللوردات في انجلترا ، له حق مراجعة القوانين وتنقيحها وقبولها أو رفضها . وكان هذا هو مثله الأعلى للنظام السياسي . ولذلك كان في مختلف ظروف حياته يعتقد أن التحالف بين فرنسا وانجلترا من ألزم ما يلزم لمصلحة فرنسا وتحسين احوالها ومعالجة مشكلاتها . وقد تحرى ذلك في سياسته منذ عهد الثورة الفرنسية الى نهاية حياته . وقد استبان له قبل نشوب الثورة أن أخلاق الملك والملكة ستكون عقبة دائما تعوق الإصلاح التدريجى ، وقد كان الملك طيب القلب ، وقد بولغ كثيرا فيما نسب الى الملكةماري‌انطوانيت من الاتهام بالاسراف الشديد ، ولكن طيبة قلب الملك لم تكن كافية لعلاج الموقف ، وكان الشعب الفرنسي يعتقد اعتقادا راسخا ان الملكة طائشة مبذرة ، وذلك في الوقت الذى كانت الأزمة المالية قد بلغت اشدها .

تاليران وميرابو يتفقان آراء

واتفقت آراء تاليران مع آراء ميرابو ، وكثر التقاؤهما في فرساى وفي باريس بعد ذلك ،وكان تاليران بطبيعته يكره العنف والقسوة ، ولكن كراهته للغباء كانت أشد وأقوى ، وقد أدرك أن غباوة البلاط الفرنسي هى التى ستجعل التطور السياسي السلمى غير ممكن وتؤدى حتما الى قيام الثورة الهوجاء .

تاليران يرى استيلاء الدولة على أملاك الكنيسة

ولما اشتد الدفع الثورى اخذ تاليران يشعر بالقلق ، وكان الرجل واقعيا لا يتأثر بالعواطف ويتناول امور الدنيا في ترفق وهدوء ، واصحاب هذا المزاج عرضة لان يتهمهم المتعصبون للافكار او للاشخاص بعدم الاخلاص للفكرة وقلة الولاء للاشخاص . وكان أول اتهام وجه لتاليران بالتخلى عن مراعاة مصلحة رجال الكنيسة حينما اعطى صوته في تأييد الرأى القائل باستيلاء الدولة على املاك الكنيسة ، وكان هذا الاستيلاء امرا محتوما لشدة حاجة الدولة الى المال ، وقد اطلق انصار الكنيسة عليه لقب « يهوذا الاعرج » لانهم عدوا موقفه خيانة لقضيتهم .

في انجلترا

وفي الاشهر التي كثرت فيها الاضطرابات سنة ١٧٨٩ بدأ سيل المهاجرين يتدفق على الشواطىء الفرنسية ، وفي خلال ذلك كان تاليران مقبلا على العمل في مختلف اللجان محاولا اصلاح العيوب وعلاج المشكلات بما افاد من خبرة وبما رزق من بصيرة نفاذة . ومن أعماله البارزة في تلك الفترة التقرير الذى قدمه عن اصلاح التعليم العام ، ومشاركته في تقديم الدستور المدني مما زاد سخط رجال الدين على هذا الاسقف الذى عد مرتدا . وفي مايو سنة ١٧٩١ اصدر الفاتيكان امرا بمنعه من مباشرة الشئون الدينية وعزله من طائفة رجال الدين اذا لم يكفر عن ذنبه في خلال اربعين يوما ، وكان ميرابو قد مات في العام السالف وقوى نفوذ المتطرفين ، واصبحت الاقامة في باريس صعبة على رجل نشأ نشأة ارستقراطية ، فاوصى الى رجال الدولة ابفاده الى لندن لتيسير سبيل التفاهم بين فرنسا وانجلترا اذا عجز عن عقد محالفة بينهما .

تاليران يرحل الى أمريكا مطرودا من وطنه ومن أوروبا

وعاد الى باريس بعد مصرع رجال الحرس السويسرى في ١٠ اغسطس ، وظل بها حتى شهر سبتمبر ، وعلم انه قد اتهم بممالأة الاسرة المالكة ، وان اسمه ورد في قائمة المنبوذين من حماية القانون ، فعاد الى انجلترا وظل في لندن حتى أجبرته الحكومة البريطانية على مبارحة الجزر البريطانية في يناير سنة ١٧٩٤ دون تحذير سابق ودون ذكر الاسباب الداعية الى طرده ، فبعث برسالة الى وليام بت رئيس الوزارة البريطانية في ذلك العهد يحتج على هذه المعاملة فلم يتنازل رئيس الوزارة الى الرد عليه ، فرحل الى امريكا مطرودا من وطنه ومن أوروبا خالي الوفاض ، واضطر الى أن يبدأ حياته من جديد وهو في الاربعين من عمره واستغرقت الرحلة ثمانية وثلاثين يوما ، وقصد فيلادلفيا ، وكان بها بعض المهاجرين من الفرنسيين المطرودين من بلادهم . وأراد ان يحظى بلقاء الزعيم الامريكى الكبير جورج واشنطن ، ولكنه رفض لقاءه ، وفي نوفمبر سنة ١٧٩٥ تلقى اخبارا من فرنسا تبعث على الطمأنينة وتشجع على العودة ، فانتظر حتى انقضت اشهر الشتاء وابحر الى هامبورج في آخر يوليو سنة ١٧٩٦ .

عاد تاليران الى فرنسا لما أسفرت الثورة فيها عن حكومة الديركتوار ، ليكون وزيرا للخارجية

وقد اسفرت الثورة الفرنسية عن حكومة الديركتوار ، وكانت هذه الحكومات من أشد الحكومات الفرنسية فسادا ، وقد ظلت تحكم فرنسا مدة اربع سنوات من نوفمبر سنة ١٧٩٥ الى نوفمبر سنة ١٧٩٩ وكان اكثر رجالها امعات ، ولذلك كانوا في حاجة الى رجل له مثل خبرة تاليران السياسية ، وتجاربه المتنوعة ، وقدرته على تصريف الشئون العملية ، وبرغم انه كان من النبلاء السابقين وهيئة رجال الدين ، ولا صديق له من ذوى النفوذ ، فقد وقع عليه الاختيار ليكون وزيرا للخارجية ، ويروى أن مدام دى ستايل الكاتبة المعروفة ساعدته على نيل هذا المنصب ، واغرت رجال حكومة الديركتوار بالاستفادة من مواهبه غير المنكورة ، وتجلت براعته في تفريج الازمات وتجنيب الدولة الكثير من المشكلات ، وقد عرف في الوقت نفسه كيف يستغل الظروف لمصلحته الخاصة واستطاع ان يجمع ثروة طائلة مكنته من ان يعيش طوال حياته في سعة من العيش .

وسرعان ما ادرك ان حكومة الديركتوار مع

عجزها وفسادها لن تستطيع البقاء ، وفي سنة ١٧٩٩ كان في طليعة العاملين على اسقاط تلك الحكومة واحداث انقلاب ١٨ بريمير 18Th Bru-maire الذى مكن نابليون من الاستيلاء على السلطة بوصفه القنصل الاول .

ثم وزيرا لنابليون

وعرف له نابليون هذه اليد الغراء فاختاره وزيرا للخارجية في عهد القنصلية ، وقد احتفظ بهذا المنصب في عهد الامبراطورية النابليونية حتى اتسعت شقة الخلاف بينه وبين رئيسه نابليون بونابرت ولم يجد بدا من الاستقالة بعد الانتهاء من معاهدة تلست Tilsit سنة ١٨٠٧ ، وبرغم ذلك ظل يوجه السياسة الفرنسية في العلاقات الخارجية خلال السنوات الحافلة بالازمات .

رأى المؤرخ لاكومب فيه

ويقول عنه المؤرخ برناردى لاكومب Bernar de Lacombe « كان هو الذى اوجد السلم في اوروبا ، وهو الذى وفق بين فرنسا الثورة وروسيا القياصرة وذلك بعقد الاتفاق مع القيصر بول الاول Paul1 وهو الذى أعد معاهدة لونفيل Luıville ومعاهدة اميتز Amiens . وهو الذى تولى المفاوضة لعقد الاتفاق مع البابا . وهو الذى نظم ايطاليا في مؤتمر ليون وكان حسب قول بارانت Barante موحي السياسة المتبعة ، وكان رجال الدبلوماسية جميعا يتقربون منه ويخطبون وده . وكان الصحافيون ونقلة الاخبار يسارعون الى التقاط كلماته ويبادرون الى اذاعتها بين الناس . وكانت الشعراء تهدى اليه الاماديح ، والسيدات الجميلات يقدمن لكلبه الصغير الحلوى ، وزوار باريس من الغرباء يسجلون ما يروى عنه من النكات البارعة والاقوال المأثورة » .

أعان نابليون لما أخلص للدولة ، وانقلب عليه لما غمرته مطامع التوسع

واعجابه في بادىء الامر بنابليون واخلاصه له ومساعدته في الوصول الى السلطة ومده له بالنصائح القيمة والوصايا الحكيمة يكاد ينعقد عليه اجماع المؤرخين ، فقد كان يرى ان الحكم الشخصي ضرورة لازمة ، وانه لا بد من ايجاد الحكومة القوية الفعالة بأية طريقة من الطرق ، وكان بطبيعته ميالا الى استقرار السلم ، وكان تثبيت مكانة فرنسا يستلزم في اول الامر ان تخرج من الحرب منتصرة ، لان قيمة الحرب في رأيه انها مقدمة للسلام الدائم . ولكن حينما ركب نابليون راسه ولم يستطع ان يكبح شهوة حب التوسع والغلبة بدأ تاليران يرى ان مصلحة فرنسا اصبحت متعارضة مع اهداف نابليون ومطامعه التوسعية ، وصار نابليون في رأيه غير مخلص لفرنسا ، وهذا هو موضع الخلاف بين المؤرخين الفرنسيين والمؤرخين الاجانب، فالمؤرخون الفرنسيون لم يستطيعوا ان يغتفروا له انقلابه على نابليون ، وعمله على تحرير فرنسا من نيره ، ولم يستطيعوا التفرقة بين نابليون والحكومة الفرنسية ، وهم من ثم يعتبرون تاليران خائنا للدولة لانه عمل على اسقاط نابليون ، ولكن المؤرخين الاجانب نظروا الى المسألة من زاوية اخرى ، وهم يرون ان تاليران كان محقا في سعيه لانقاذ فرنسا من مطامع نابليون الجنونية التي ادرك ببعد نظره وحصافته السياسية انها ستؤدى في النهاية الى سقوطه والاضرار بمصلحة فرنسا .

وادرك تاليران أن نابليون صائر الى نكبة بعد نكبة

وابتداء من سنة ١٨٠٤ بدأ تاليران يرى ان أيام المجد والانتصارات الباهرة ستسفر عن النكبات المتلاحقة والكوارث الرهيبة اذا لم يتخل نابليون عن رغبته في اخضاع القارة الاوروبية لسلطانه القاهر ، وفي ارفرت Erfurt اغتنم الفرصة للاتصال بالقيصر الاسكندر الاول من وراء ظهر نابليون ، وحرض القيصر على رفض الشروط التى عرضها عليه نابليون ، واستقال تاليران من وزارة الخارجية سنة ١٨٠٧ .

نابليون يجمع أعيان الدولة ليقول لهم ان مخالفة أحد رايه تعد جريمة

وفي سنة ١٨٠٩ حدث تقارب بين تاليران وفوشيه وزير الداخلية في عهد نابليون ، ولم

يكن ما بينهما قبل ذلك عامرا ، وكان التنافس بينهما على أشده والعداء مستحكما ، ولكنهما ادركا معا ما تنطوي عليه سياسة نابليون من الاخطار ، فتناسيا مؤقتا ما بينهما من خلاف ، وعلم نابليون وهو في اسبانيا بزيارة فوشيه لتاليران وترحيبه به ومبادلته الحديث معه منفردين ، فاكبر نابليون الامر ، وكان يعرف انهما اقدر وزرائه ، وقدر خطورة هذا التقارب ، فسارع الى العودة من اسبانيا ، ووصل الى قصر التويلري في ٢٣ يناير ، وبعد أيام من وصوله دعا اعيان الدولة الى جلسة سرية ، وفيهم تاليران وفوشيه ، وفي بعض الروايات انه دعا فوشيه على حدة ولامه لوما شديدا على هذا التقارب الجديد ، ثم بدا حديثه في الاجتماع المعقود بملاحظات عامة تضمنت رأيه في ان الوزراء واعيان الدولة ليس من حقهم ان يفكروا لانفسهم او ان يعبروا عن افكارهم ، وان الشك في صحة آرائه معناه بدء الخيانة ، وان مخالفة رأيه جريمة .

نابليون يصب الشتائم صبا على رأس تاليران

وتدفق بعد ذلك سيل من الشتائم الجارحة على تاليران ظل مدة نصف ساعة بغير انقطاع . وكان تاليران في خلال ذلك متكئا في عدم اكتراث على منضدة صغيرة ، ولم يترك نابليون نقيصة ولا جريمة دون ان يقذفه بها ، فهو لص وجبان وخائن ولم يحسن القيام بواجب واحد ، وانه لا يؤمن بالله ، وانه المسئول عن قتل دوق دانيان ، وانه خدع كل من عمل معهم وانه هو الذى اشار عليه بحرب شبه الجزيرة الاسبانية ، وضايق نابليون سكوته وعدم اكتراثه ففقد السيطرة على نفسه ، وعيّر الرجل بعرجه ، وخيانة زوجته له ، واخيرا هز قبضة يده كانه يهم بضربه قائلا « انه قذارة في جورب من الحرير » ... واستفظع الحاضرون ما حدث ، فقد اخرج الغضب نابليون الى غير ما هو لائق بمكانته . وانفض الاجتماع . وكان يبدو ان اقل الناس تأثرا بما حدث هو تاليران نفسه ، ولم يبد على وجهه اى أثر للتأثر او الانفعال ، وكانه لم يسمع شيئا ، والكلمة الوحيدة التى قالها تاليران وهو منصرف مع

احد الاعيان الخارجين « من دواعي الاسف ان يكون رجل عظيم سيىء التربية الى هذا الحد » .

ما حدث لم يمنع تاليران من غشيان مجالس الامبراطور

ولم يمنعه ذلك من الحضور فى اليوم التالى وكان يوم الاحد ، وكان نابليون يحب ان يلقى فيه الكثير من وزرائه وخاصة رجاله ، وبكر تاليران في الحضور وتعمد الامبراطور تجاهله ، وتحدث الى الجالس على يمينه والجالس على يساره . ولم يمنعه ذلك من موالاة الحضور . وفى احدى الليالى اخذ مكانه وتحدث نابليون مع جاره واهمله ، وسأل جاره فى بعض الامور ، وتردد الرجل فى الاجابة ، فاغتنم تاليران الفرصة وتولى الاجابة ؛ واعطى نابليون المعلومات اللازمة كأنهما كانا على احسن ما يكون من العلاقات .

نابليون يأسف ويشكر تاليران

وهكذا استطاع تاليران ان يكسر الثلج . وقد لام نابليونُ نفسه على فقده السيطرة على أعصابه وشكر لتاليران موقفه ، وربما ظن ان مثل هذه الشتائم والاهانات التى وجهها الى تاليران تنسى وتغتفر .

واستمرت الجفوة بين تاليران والامبراطور

وفى السنوات الخمس التالية لم يكن تاليران مرضيا عنه ، وفقد ثقة الامبراطور الذى كان يتلقى من الحين الى الحين ما يثبت انحرافه عنه ، ولكنه آثر الابقاء عليه . ولما سئل عن سبب ذلك قال انه لا يستطيع الاضرار به ، وانه لا يزال محتفظا بقليل من الميل اليه ، والواقع ان نابليون كانت له عيون على تاليران تحصى عليه كلماته وحركاته ، ومن ثم كان نابليون مطمئنا واثقا من ثبات مكانته ما دام يحرز الانتصارات المتوالية ، وفى حديث لنابليون مع الكونت موليه Cont Molet انكر على على تاليران كفايته السياسية ، وانتقد سيرته نقدا مرا ، وكان رد موليه على نابليون قوله انه « على الاقل يوافقني الامبراطور على انه بارع فى الحديث شائقه » فأجابه نابليون قائلا « هذا هو مصدر انتصاراته وهو يعرف ذلك » .

بعد العودة من روسيا يطلب نابليون أن يكون تاليران وزير خارجية فيرفض

وحينما عاد نابليون من روسيا كان في حاجة الى النصيحة ، ولما استدعى تاليران لاستشارته أشار عليه تاليران بالدخول في المفاوضة ، ودعاه نابليون الى العودة لوزارة الخارجية ، ولكنه اعتذر في برود قائلا « انه استبعد منذ سنوات ، وذلك لا يمكنه من أن يكون على بينة من سير الامور في الازمة الحادثة . » ولما قال له نابليون « انك تحاول خداعي » أجابه في صراحة « كلا ، أنا لا اتقلد الوظيفة لاني اعتقد انك تخالف الاراء التي ارى فيها سعادة بلادى ومجدها » ... وقد بذل تاليران ما يستطيع من الجهد ليثني عزم نابليون عن التورط في الحملة الروسية ، وحرص في سنة ١٨١٣ عن أن لا يمكن جواسيس نابليون من العثور على اى دليل يدينه بالخيانة ، وفي لقاء مع نابليون في يناير سنة ١٨١٤ تعرض لسيل آخر من الشتائم على غرار ما سبق أن حدث له « فهو كاذب وخائن ولص ولا يؤمن بالله » وقد حنى رأسه في أدب والتزم الصمت .

يمين ولاء آخر ، للملك لويس الثامن عشر

ولما زال عهد نابليون وتقدم تاليران ليقسم يمين الولاء للملك لويس الثامن عشر قال له « هذا يا سيدى يمين الولاء الثالث عشر ، وآمل أن يكون آخر يمين للولاء أقسم به » .

وبرغم ان أسرة البوربون لم تحسن معاملته فقد ظل محتفظا بمكانته بين كبار الساسة ورجال الدبلوماسية ، فظل مترنخ Metternich السياسى النمساوى دائم الصلة به ، وصادق القيصر الاسكندر ، وكان حسن العلاقة بالوزير البريطاني كاسلرى ، وقد ارغم الحلفاء في مؤتمر فيينا على أن يعاملوا فرنسا على قدم المساواة لا باعتبارها مجرمة حرب ، واستطاع ان يوقع بين ساسة الحلفاء خشية ان يتفقوا على انتزاع اجزاء من الحدود الفرنسية .

تاليران سفير فرنسا في انجلترا

وقد طلب منه لويس فيليب العودة الى وزارة الخارجية فآثر ان يكون سفيرا لفرنسا في انجلترا وظل بها حتى سنة ١٨٣٤ .

وفـــاته

وقد سوى هذا الدبلوماسي القدير الخلاف الذى قام بينه وبين الكنيسة ، وحضر وفاته في ١٧ مايو سنة ١٨٣٨ الاب ديبانلوب Dupanloup وكان تاليران قد بلغ الرابعة بعد الثمانين من عمره الحافل بالاحداث والمغامرات .

ويروى عنه قوله « أود ان يستمر طوال قرون قادمة البحث عما كنته وما فكرت فيه وما قصدته وقد مر على وفاته أكثر من قرن وربع قرن ولا يزال البحث التاريخى دائرا حول تقدير مواقفه ، واستجلاء غوامض شخصيته وخوافى سيرته .

تاليران يقول : ما تخليت عن حكومة خدمتها ، الا بعد أن تخلت هى عن نفسها

وقد استطاع تاليران ان يحتفظ بمكانته واستقلال تفكيره أمام شخصية نابليون العنيفة وعبقريته المحلقة ، وقد دافع تاليران عن اتهامه بالتقلب بقوله « انى لم اتخل قط عن حكومة خدمتها الا بعد ان تخلت هى عن نفسها ، وقد كنت على الدوام احرص على مصلحة فرنسا في تقديرى قبل أن أرعى مصلحة اى حزب او مصلحتي الخاصة او مصلحة اصدقائي . ومصلحة فرنسا في تقديرى لا تتعارض مع مصالح اوروبا الحقيقية » .. ويرى المدافعون عنه انه ربما كانت اساليبه ملتوية ، ولكن الهدف الذى كان يرقى اليه هدف سليم ، وانقاذ فرنسا كان يستلزم الموقف الذى وقفه من نابليون وقد غامر فيه بحياته كما يرى المؤرخ الايطالى فيريرو . ومن كلماته الاخيرة عن الدبلوماسية قوله « أود ان ابطل اعتقادا شائعا ، ان الدبلوماسية ليست الغش والخداع ، واذا كان الايمان الصادق لازما في اى أمر من الامور فهو لازم قبل كل شيء في السياسة ومعاملاتها لان هذا هو الذى يجعلها قائمة على أساس سليم ويكفل لها البقاء » . وقوله هذا خلاصة تجربة طويلة ، وثمرة حكمة عميقة فهو جدير بالتقدير . ■■

علي أدهم

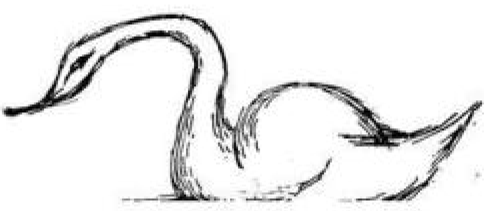
بَجْعَةُ البُحَيْرَة

بقلم : محمد هارون الحلو

■ لمعت كلمع الدر في الصدف ... بيضاء ، في حسن وفي ترف
كالزورق النشوان إن خطرت ... أو أشرقت ما بين مُنعطَف
وشراعها رأسٌ على عنق ... تَمضي به ، وتدور في صلَف
كم تشرئب به ، فيبهرنا ... وكأنه تاج على شَرَف
ووراءها المجداف يدفعها ... دفعا بلا وهْن ولا سَرَف
حورية ، خطرت بجنتّها ... قد حُمِّلت بالدر ، والصدف
منقارها المسنون لؤلؤة ... مثقوبة بيمين محترف
تَهوي به في كوثرٍ غدِق ... فيعبُّ منه غيرَ مُرتشِف
وتدير هذا الماء في عنق ... تدنيه أو تقصيه كالأنِف
أترَى الجلالَ يَزين مفرقها ... إن قرَّبتْ منا ، ولم تقف
وكأنما تخطو على وتر ... أو مِزْهر باللحن مؤتلف
هي ذات حسن ، في معاطفها ... من جوهر الفردوس ، والتُّحف
يمضي الدلال بها ، فيتبعها ... من كل قلب لاعج الشغَف
وجناحها الخفاق تبسطه ... فيشف عما في الضلوع خفي
يا ظبية في الماء شاردة ... ولها أليف غير منحرف
إن مال عنها في مُوادعة ... بين المروج الخضر ، والغرف
أخذت تلاحقه ، وتتبعه ... وتصيح في وجد ، وفي لَهَف
هو ذا الهوى ، فاقرأ عجائبه ... مسطورة في أبهج الصحف
إن شئت مِلْ بي نحوها لترَى ... ما شاقني من حسنها ، وصِف

■■

محمد هارون الحلو
المنيل ــ القاهرة





ناظر المدرسة ينهال باللوم على
الغلام ، المتهم بالسرقة ظلما ،
وقد نال الخجل منه كل منال .

التفتيش

من أدب الشاعر الروائي الروسى
فيدرو سولوجب

هذه الاقصوصة من ادب الشاعر الروائي الروسي فيدور سولوجب Feodor Sologub وهو من نوابغ الادباء الروسيين ، ولد سنة ١٨٦٣ وتوفي سنة ١٩٢٧ ، وقد نشأ في العهد القيصري فقيرا محروما ، وكان ابوه اسكافا وامه خادمة في مدينة بطرسبرج ، وقد غالب ظروف نشأته القاسية واستطاع ان يتوفر على التعليم ، ويحصل على اجازة التدريس ، وفي اثناء اشتغاله مدرسا باحدى المدارس الاقليمية نظم الكثير من جيد الشعر ، وكتب روايتين تعدان من طرائف الادب الروسي ، وهما رواية « الشيطان الصغير » و « الاسطورة المستحدثة » وبعض الروايات المسرحية والقصص القصيرة ، وكان له في حياته وفنه فلسفة خاصة ترى في الفن ملاذا من مساوىء الحياة وآلامها .

والاقصوصة الآتية من ثمار تجربته مدرسا ؟

■ ما يسر ويبهج في الحياة يمتزج بطريقة ما بما يسوء ويؤلم ، فمن بواعث المسرة ان يكون الانسان طالبا في الفرقة الاولى لان ذلك يعيي، له مكانة في الدنيا ، ولكن برغم ذلك فان حياة طالب الفرقة الاولى ليست خالية مما يكدر الصفو ويسوء النفس .

كان اول ما خالج نفس « شورا » حينما استيقظ في ذات صباح الشعور بعدم الارتياح ، فقد احس ان حالته ليست على ما يرام ، وحينما مال على احد جنبيه ازداد شعوره بما اصاب قميصه من الاضرار ، كان هناك خرق واسع تحت ابطه ، وفي الحال ادرك ان هذا الخرق قد امتد الى طرف القميص الاسفل .

احزن ذلك شورا ، وتذكر انه اخبر والدته في اليوم السابق عن حالة قميصه،فقالت له والدته: « ارتد هذا القميص يوما آخر »

فقطب ما بين عينيه ، وقال لوالدته وقد مسه الحزن « انه لا يحتمل ان نلبسه يوما آخر ، وغدا سابدو صعلوكا » .

فتضجرت والدته دون ان ترفع عينيها من العمل كانت منهمكة فيه ، وقالت « ارحني قليلا ، لقد وعدتك بتغير القميص في مساء الغد ، ولو كنت اقل شقاوة لاستطاعت ملابسك ان تبقى سليمة زمنا اطول ، انك تبلي الحديد » .

وكان شورا غلاما عاديا ، فهمهم قائلا : « لا يستطيع انسان ان يكون اقل شقاوة مني ، غير انه في بعض الاحايين لا يملك الانسان الا ان يكون شقياوفي مثل هذه الحالة تكون شقاوته معقولة » .

ولم تعبأ والدته بطلبه ، وكانت النتيجة ان اتسعت الخروق في القميص حتى صار لا يستطيع الشيء من جراء قلة تبصرها .

فقفز من فراشه ، وجرى الى الحجرة المجاورة وهو نصف عار حيث كانت والدته تهم بالخروج لاستحضار بعض الاشغال التي تكتسب منها ، وضايقت شورا فكرة الذهاب الى المدرسة وهو قلق النفس والانتظار حتى المساء .

وصرخ قائلا : « ماذا قلت لك ؟ انك لم تعطني قميصا حينما سألتك امس ، انظري الآن ماذا حدث ! »

فبلغ الضيق من والدته مبلغه ، ونظرت الى

شورا متذمرة ، وقالت : « الم تخجل وانت تعدو هكذا ؟ اخشي ان يكون من العبث تقويم اعوجاجك واصلاح شأنك ، انه يحلولك دائما ان تعترض طريقي حينما ابتدر اداء اى عمل من الاعمال » .

ولكن مع ذلك كان من الواضح انه ليس من المناسب على الاطلاق ان يذهب الغلام الى المدرسة في قميص مهلهل ، فبحثت عن قميص جديد واعطته لشورا في شيء من التردد ، لانها كانت تعتزم اعطاءه احد القمصان القديمة التي كان ميعاد احضارها من محل غسيل الملابس وكيها في مساء اليوم التالي .

سر شورا غاية السرور ، وقد جعله ارتداء القميص الجديد يشعر بالغبطة والابتهاج ، وكان كلما لمس قماش القميص الخشن جسمه وحك جلده يزيد ارتياحه ويستخفه الطرب ، واخذ يتبختر ويثب في الحجرة ، وهو يرتدى ملابسه ويبسم ويضحك ، ولم تكن والدته هناك لتوجه اليه قوارص اللوم ..

وكانت المدرسة تبدو مكانا عجيب الشان كمعهده بها ، كانت تدخل على نفسه السرور وتحزنه وتكربه في الوقت نفسه . كانت حافلة بالنشاط غير الطبيعي ، وكانت سارة في الفترات ما بين حصص التدريس ، ومملة الى اقصى حد اثناء التدريس .

وكانت موضوعات الدراسة غريبة شاذة عديمة الفائدة ، وكانت تدور حول الحديث عن قوم مضوا منذ عهد عهيد لم يصنعوا خيرا وهم احياء ، ولاسباب مجهولة كان يقتضي الامر التعريج على ذكراهم بعد ان طويت كل تلك القرون . وبرغم ان بعض هؤلاء الناس لم يوجدوا قط . وحول تصريف بعض الافعال مع بعض الاشياء وذكر اسماء منحرفة عن القواعد لسبب ما ، وهي مع ذلك لا مكان لها في الحديث الحي المألوف واللغة الدارجة . وذكر ارقام تتطلب اثبات شيء ليس هناك اى حاجة الى اثباته والكثير من امثال هذا الهراء الذي لا محصول له ولا خير فيه . ولم يكن في ذلك كله شيء لا يمكن الاستغناء عنه ،ولم يكن هناك تنسيق للوقائع ولا محاولة للاجابة الصريحة المباشرة على المشكلة الابدية ، مشكلة لماذا واين .

وفي باكورة صباح ذلك اليوم سأل ميتياكرينين شورا في حجرة الاجتماع قائلا : « حسن ، هل احضرته معك ؟ » .

وتذكر شورا انه وعد كرينين باحضار كتاب من كتب الاغاني الشعبية ، فاجابه قائلا : « انتظر قليلا ، لقد تركت الكتاب في معطفي » .

وانطلق يعدو الى حجرة الملابس،ودقت الاجراس في جميع انحاء البناء تستدعي الطلبة لاقامة الصلاة ، وكان التدريس لا يبدأ الا بعد الصلاة .

فاسرع شورا ودس يده في جيب المعطف ولكنه لم يجد شيئا ، ولما عرف انه دس يده خطأ في جيب معطف اخر صاح غاضبا قائلا : « هذا شيء ليس لي به سابق عهد ... لقد دسست يدى في جيب معطف طالب آخر ! »

واخذ يبحث في جيب معطفه .

وسمع ضحكة ساخرة ، فنظر فيما حوله ،وذهل حينما رأى دوتيكوف الشرير الذى اخذ يقول بصوته المنفر : « اهكذا ياولدى تدخل يدك في جيوب الناس ؟ »

فتراجع شورا الى الوراء ، ودمدم قائلا : « لا شأن لك بهذا ، ومهما يكن من الامر فاني لم اضع يدى في جيب معطفك » .

ووجد الكتاب ، وعاد مسرعا الى حجرة الاجتماع حيث كان الطلبة يستعدون لاقامة الصلاة وقد وقفوا صفوفا حسب طول قامتهم ، فالطلبةالاقصر قامة وقفوا بازاء صور القديسين ، والطلبةالاطول قامة وقفوا خلفهم ، وفي كل صف من الصفوف كان يقف الطلبة بالتدريج ، ففي اليمين الطلبة الطوال القامة ، وفي اليسار الطلبة القصار ، وكانت المدرسة تفرض عليهم ان يؤدوا الصلاةوهم مصطفون حسب طول قامة كل منهم ، وبدون ذلك كانت المدرسة لا تقر الصلاة .

وبعد ان قام الطلبة بالصلاة حدث ما يأتي :

كان الطالب ايفانوف من طلبة الفرقة الثانية ـ قد احضر معه الى المدرسة في ذلك الصباح مطواة يدها مرصعة باللؤلؤ وروبلة فضية، ولكنه لما بحث عنهما في جيبه لم يجدهما ، فاطلق صيحة وذهب يشكو .

وبدأ البحث

فذكر دوتيكوف انه رأى شورا دولينين يدس يده في جيوب بعض المعاطف ، فاستدعى شورا الى مكتب عميد المعهد .

وركز سيرجى ايفانوفتش عينيه المشتبهتين في

الطالب ، ووجد هذا المربي القديم في ذلك فرصة مناسبة للقبض على اللص ، وبذلك يثأر لنفسه من المضايقات التي يسببها له بعض الطلبة الاشقياء وسره ذلك ، فانهال على الغلام الذى نال منه الخجل كل منال بالاسئلة .

« لماذا كنت في غرفة الملابس في اثناء اقامة الصلاة ؟ »

فاجاب شورا قائلا وهو يبكي وبصوت المضطرب الخائف « قبل الصلاة » .

فقال العميد بلهجة الساخر « حسن ، ليكن قبل اقامة الصلاة ، ان ما اريد معرفته هو لماذا ذهبت الى حجرة الملابس ؟ »

فذكر له شورا سبب ذهابه .

فاسترسل العميد قائلا : « حسن جدا ، كنت تبحث عن كتاب ، ولكن لماذا بحثت عن الكتاب في جيب معطف طالب اخر ؟ »

فاجاب شورا وهو في غمة من امره « كان هذا خطا وقعت فيه » .

فقال العميد في جفاء : « خطا لطيف ، اعترف الآن ، الم تأخذ خطأ مطواة وروبيلة فضية ، من قبيل الخطا بطبيعة الحال ! ابحث في جيوبك يا ولدى »

فاخذ شورا يبكي ، وقال « اني لم اسرق شيئا »

فابتسم العميد ، وكان قد سره انه جعل الغلام يبكي وتسيل الدموع على وجنتيه متدفقة وقال : « اذا لم تكن قد سرقت شيئا فلماذا تبكي ؟ اني لا اقول انك سرقت ، اني افترض انك اخطات فحسب ، وانك امسكت بشيء وصل الى يدك ونسيت بعد ذلك كل شيء عنه ، ففتش جيوبك وابحث ما بها » .

فاخرج شورا في الحال كل ما احتوت عليه جيوبه من توافه الاشياء التي توجد في جيوب الغلمان ، وقلب جيوبه من الداخل الى الخارج ، وقال محزونا « لا شيء » .

فحدجه العميد بنظرة فاحصة وقال : « هل انت واثق من انه لم يسقط في ثيابك شيء ، فربما كانت المطواة قد سقطت في حذائك ؟ »

ودق الجرس ، فحضر احد الحراس .

كان شورا قد انخرط في البكاء ، وبدا له ان كل شيء حوله يسبح في غمامة حمراء في ذلك الجو غير المفهوم ، هدفه الحط من شانه وابتذال كرامته ، وشرعوا يفتشون ملابسه ، وشيئا فشيئا جردوه من ثيابه واخذوا فردتي حذائه وهزوهما ، وفعلوا ذلك بجوربه ، وفتشوا بعد ذلك قميصه وسرواله .

وخلال هذه المحنة القاسية والاذلال المؤلم كانت تلمع اشعة تدخل على نفسه شيئا من السرور وذلك ان القميص الممزق البالي كان في المنزل ، وان قماش القميص الجديد كان هو الذى يحدث الحفيف في يد المربي المتحمس .

ووقف شورا مرتديا قميصه ، وسمع جلبة وصخبا خلف الباب وصيحات تنم على السرور والابتهاج .

وفجاة فتح الباب ، ودخل مندفعا غلام متورد الوجنتين صغير الجرم وقد علت وجهه ابتسامة عريضة ، وسمع شورا وهو يعاني الشعور بالضعف ويذرى الدمع ويشيع في نفسه شيئا من السرور شعوره بأنه يلبس القميص الجديد ، سمع وهو يعاني هذه العواطف المختلطة صوتا مضطربا لاهثا يقول : « لقد وجدت المطواة والروبيلة الفضية ، وجدتا مع ايفانوف نفسه ، فقد كان هناك ثقب في جيبه ، ومن هذا الثقب سقطتا في حذائه .

فتغير الموقف في الحال ، ورقت حاشية العميد مع شورا ، وربت على رأسه ، وواساه ، وتلطف معه ، وساعده على ارتداء ملابسه ، واخذ شورا يبكي حينا ويضحك حينا . ولما ذهب الى المنزل عاد الى البكاء تارة والضحك تارة اخرى ، وشكا قائلا : « لقد جردت من ثيابي ، ولقد كان هذا قاسيا لو انى كنت مرتديا القميص الخَلِق ! »

وحدث بعد ذلك ان ذهبت والدته الى العميد ، وارادت ان تجاهر بالاحتجاج ، وان تقدم بعد ذلك شكوى في حق العميد ، ولكنها تذكرت وهي تسير في طريقها ان ابنها من الطلبة الذين يتعلمون مجانا فاحجمت عن الاحتجاج ، وفضلا عن ذلك فان العميد احسن لقاءها ، وقدم اعتذاره .

ولكن تاثير هذه المعاملة المهينة ظل عالقا بنفس الغلام ، وقد انطبعت جميع احداثها في ذاكرته ، فقد اتهم بالسرقة وفتش ، ووقف وهو يكاد يكون عاريا ، وفتش فيا للعار ! ولتعز بأن هذه المحنة كانت تجربة نافعة في الحياة .

وقالت له والدته وهي تبكي « من يدرى ؟ فحينما تشب وتكبر قد يحدث لك شيء من هذا القبيل ، فقد سمعنا بحوادث من امثال ذلك في عصرنا » . ■■

ترجمة : علي أدهم



من أخطاء القضاء

ضحية التردد

بقلم : حسن الجداوى

المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ لو أن رينشار رو حين عاد من رحلة الصيد ، ومر على منزل صديقته ، وفتح مسكنها بالمفتاح الذى يحمله فى جيبه ، ووجدها مقتولة ، قد بادر الى ابلاغ البوليس لما وقع فى المتاعب التي لاقاها . ولكنه انسحب - على اطراف اصابعه - وخرج من الشقة معتقدا أن احدا لن يعرف ما حدث وتبقى علاقته بالقتيلة سرا لايصل اليه احد .

ان رينشار رو مواطن عادى ، ميكانيكى ممتاز ، حسن السمعة كثير الاصدقاء ، مغرم بالصيد والحياة الخلوية . له زوجة فاضلة وابنة على قسط كبير من الجمال والوداعة . وقد مضى على زواجه من الزمن مايكفى لتحويل الغرام المتبادل بينه وبين زوجته الى صداقة متينة ، خالية من الحب العارم الذى بدأت به حياتهما الزوجية .

وقد اتجهت الزوجة بكليانها الى مشاغلها البيتية والعناية بابنتها الوحيدة ولم تعد تولى زوجها الحب والاهتمام الذى كان يلقاه منها فى بدء حياتهما الزوجية .

وحدث ما كان لابد أن يحدث فى مثل هذه الظروف . زوجته فى العقد الخامس - مشغولة ببيتها وابنتها - لاتعنى بمظهرها . فاذا بالزوج يتعرف الى ارملة جميلة فى السابعة والعشرين من عمرها وجد لديها ما افتقده من مظاهر الحب والحنان ، وسرعان ما تحولت المعرفة الى حب جارف انساه واجبه نحو زوجته وابنته ، واصبح كلما سنحت له الفرصة يسارع الى منزل صديقته يتبادل معها كؤوس الهوى . وقد حرص على ان تبقى علاقته هذه فى طى الخفاء محافظة على كرامة زوجته التي كان لايزال يحبها ، ومستقبل ابنته التي قد يؤذيها سلوك أبيها اذا افتضح .

وفى مساء يوم الخميس - وكان قد مضى على علاقة رينشار بصاحبته ثمانية عشر شهرا - خرج صاحبنا الى رحلة صيد مع « شلة » من اصدقائه تستغرق عطلة نهاية الاسبوع . وقصدوا ناديا للصيد على مسافة مائتى ميل من مسكنه . والعطلة الاسبوعية فى تلك البلاد تطول الى صباح يوم الاثنين .. ولكن رينشار بعد أن امضى يومى الجمعة والسبت فى هوايته المفضلة فضل ان يعود مساء يوم السبت ليمضى يوم الاحد مع اسرته - كما قال لاصدقائه - أو بنية أن يمضى ليلة الاحد مع صديقته كما يبدو أنه انتوى ذلك . بدليل انه - فى طريقه الى منزله - عرج على شقة صديقته . واوقف سيارته امام المبنى الذى تقيم فيه وصعد الى الدور الذى فيه شقتها وفتح الباب بالمفتاح الذى يحمله معه .

وما كاد يفتح الباب حتى وقف مذعورا . لقد



بريشة أحمد الوردجي

وجد صديقته جثة عارية على السرير وقد لف منديل حول رقبتها . وتبين ان وقتا طويلا قد مضى على وفاتها .. أو على الاصح .. قتلها .

وقف بجوار سريرها فاقد الوعي مذهولا من هول الصدمة . لقد جاء وفي رأسه خيالات من السعادة التي توقع ان يحظى بها فاذا بالفرحة التي استعد لها تنقلب حزنا والافكار تتضارب في رأسه .

اذا بلغ البوليس ـ كما كان يجب ان يفعل ـ فكيف يبرر وجوده في الشقة في تلك الساعة المتأخرة من الليل بتبرير لا يعرض مركزه بين اصدقائه للسخرية به . ولايفقده ثقة زوجته واحترام ابنته .

وتصور ان الحل السعيد الموافق ـ في ورطته هذه ـ هي ان يطفىء النور ويعود الى حال سبيله منسحبا ـ ولا من شاف ولا من رأى ـ وعاد فعلا الى منزله وقد طمأنه انه لم يقابل احدا لافي سلم المنزل ولا عندما ركب سيارته . عاد الى منزله وكأن شيئا لم يكن وجاهد في اخفاء ارتباكه وقلقه .

كما تصور أن البوليس حين يعثر على الجثة قد يعرف القاتل ويبقى هو بعيدا عن الاتهام . أو لا يعرفه وتقيد القضية ضد مجهول . وفي كلا الحالتين تبقى علاقته بالقتيلة في طي الكتمان .

وفي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاثنين عثر على الجثة وتبين للبوليس ان الوفاة لم تكن طبيعية

فبدأ يبحث عن القاتل .. وللوصول اليه أخذ البوليس بدرس حياة القتيلة . فان امرأة شابة وجميلة وطليقة ـ ككل ارملة او مطلقة ـ لابد أن يكون في حياتها صديق أو أصدقاء . واتجهت تحريات البوليس الى اكتشاف ذلك الصديق الذى كان ينتظر ان يتقدم من تلقاء نفسه . ولم يفعل .

وغريب أن تبلغ السذاجة برو أن يتصور انه ظل يتردد على منزل صديقته سنة ونصف دون ان يلحظه أحد الجيران . صحيح ان الجيران ـ في تلك البلاد ـ يتسامحون في مثل هذه الامور ولايتدخلون في الحياة الخاصة لجيرانهم ولكن ذلك لايمنع ان يتهامسوا فيما بينهم . اما وقد انقلب الامر الى جريمة فقد اصبح الهمس اشاعة يتناقلها الجيران .

وهكذا استطاع البوليس ان يجمع اوصاف ذلك العشيق الذى اختفى وبعض بيانات عن عمله وسيارته اوصلته الى استدعاء ريتشار رو لاخذ اقواله .

بدأ ريتشار بانكار كل صلة له بالقتيلة ولكنه ـ وقد احس بخطورة موقفه ـ ادرك انه لاجدوى من الانكار فروى للبوليس علاقته بالقتيلة وحضوره الى مسكنها مساء السبت وعثوره عليها بالحالة التي وجدها عليها البوليس والورطة التي وجد نفسه فيها وكيف انسحب في هدوء دون ان يلمس شيئا على أمل أن تبقى علاقته مجهولة .

واقتنع البوليس بروايته واخلى سبيله فورا وبدأ يبحث عن القاتل الحقيقى .

وطال بحث البوليس على غير جدوى . اذ لم يعثر في غرفة القتيلة على اوراق او مذكرات او حتى بصمات يسترشد بها .. فبدأ البوليس يعيد التفكير في امر ريتشار .

انه الشخص الوحيد الذى لديه مفتاح الشقة . والذى اعترف بانه دخلها . والذى كان يجب عليه أن يبلغ البوليس فور عثوره على الجثة .. فهو اذا القاتل .

لقد كانت الظروف كلها تشير الى براءة ريتشار وتبعد عنه التهمة .

لقد اثبت ـ بما لايدع مجالا لادنى شك ـ انه كان متغيبا عن المدينة من يوم الخميس حتى مساء السبت ـ على بعد مائتى ميل ـ بينما الظروف كلها تشير الى ان الجريمة تمت في مساء يوم الجمعة .

فقد ثبت ان القتيلة تعمل في محل ازياء وتحب عملها ولا تتغيب عنه الا مضطرة وتخطر صاحب المحل تليفونيا اذا حالت الظروف دون ذهابها لعملها .

وانها تركت محل عملها مساء الجمعة برفقة زميلتين معها اوصلاها الى منزلها وتركاها فيه وان احدا لم يرها بعد ذلك الا الشخص الذى قتلها .

وانها لم تحضر الى محل عملها صباح السبت ولا اعتذرت كعادتها .

وانها ذكرت لصديقتيها انها تعتزم زيارة امها في مساء السبت كعادتها في كل اسبوع وكانت امها تقيم في مدينة قريبة من محل عملها ولكنها لم تذهب لزيارة امها ولم تعتذر وقالت امها ان هذه أول مرة لاتحضر لزيارتها المعتادة ولاتعتذر عن عدم الحضور .

كما تبين ـ عند اكتشاف الجثة ـ ان ملابسها التي ارتدتها يوم الجمعة في العمل والتي كانت سترتديها يوم السبت للذهاب بها الى عملها موضوعة ومرتبة في غرفة نومها .

وهذه كلها ظروف وملابسات تقطع بان القتل حدث مساء يوم الجمعة مما يؤيد ان لايد لريتشار في جريمة القتل .

ولكن في مثل هذه الظروف يتوقف الامر كله على تقرير الطبيب الشرعى .

اذا قال الطبيب ان القتل حدث في يوم الجمعة وضحت براءة ريتشار . اما اذا ارجعه الى مساء السبت تحرج موقف ريتشار .

وكان من سوء حظ ريتشار ان الطبيب الذى كشف على الجثة اول الامر في يوم الاثنين ـ بعد الظهر ـ لم تكن لديه التجربة الكافية لتحديد وقت الوفاة . فقرر في البداية انه لم تمض على الوفاة الا بضع ساعات . ولما نوقش امام محكمة

اثبات الوفاة قال ربما ٧٢ ساعة . ومعنى ذلك ارجاع القتل الى ظهر يوم الجمعة .

اما الحانوتي الذى تولى دفن الجثة فقد شهد بانه تولى دفن عدة آلاف من الموتى وقال انه خلال تجربته الطويلة ـ اربعين سنة ـ لم يجد جثة وصلت الى تلك الدرجة من التحلل قبل مضى ثمانين ساعة على الاقل للوفاة .

ولكن المحلفين اخذوا باقوال الطبيب الذى كشف على الجثة بمجرد العثور عليها وادانوا ريتشار وحكم عليه بالاعدام .

واستانف ريتشار الحكم . وانقسم قضاة المحكمة العليا قسمين . اربعة منهم راوا تأييد حكم الاعدام وثلاثة ـ من بينهم رئيس المحكمة كان رأيهم الغاء الحكم وبراءته .

والقضاة ـ فى المحاكم الانجلو ساكسونية ـ لايلتزمون بسرية المداولة ـ بل ان كل قاض يكتب رايه ويدعمه بالحيثيات . وقد علل رئيس المحكمة الذى كتب حيثيات راى الاقلية التي رات الغاء الحكم ان رو « وجد نفسه متورطا فى مجموعة من الملابسات احاطت موقفه بالريبة واظهرته بمظهر المذنب مع ان كل واحدة من تلك الملابسات التي اتخذت دليل اثبات تصلح على العكس دليل براءة. بل ان دلالتها على البراءة اقوى من دلالتها على الادانة . وليس فى القانون ولا فى منطق الاشياء ما يسمح باعتبار مجموعة من ملابسات محاطة بالشكوك تنقلب الى دليل ادانة . فان الاصفار مهما تعددت لاتصبح رقما صحيحا . » ويستحيل ان نجد فى هذه القضية واقعة واحدة منسوبة للمتهم لاتصلح لاثبات براءته « كان ذلك منطق رئيس المحكمة وهو المنطق السليم . »

ولكن راى الاقلية ـ فى المحكمة العليا ـ جعل من المستحيل تنفيذ عقوبة الاعدام على ريتشار ولكنه لم يحل دون دخوله السجن بعد ان ابدل به حاكم الولاية عقوبة الاعدام .

وهكذا اصبح ريتشار رو ـ فى نظر الناس مجرما وارتدى ملابس السجن ووضع رقم على صدره وادخل زنزانة منفردة يجتر فيها الدقائق والثواني تمر عليه الساعات كأنها ايام والايام كأنها اشهر والاشهر كأنها اعوام وينتظر ماذا ؟ ينتظر ان يخرج الى العالم موصوما بالاجرام وقد تهدمت حياته وانهدم بيته وفقد سمعته . وامتلأت صفحات الجرائد باخبار محاكمته .

وكان من حسن حظ ريتشار ان كان محاميه شابا صلب العود لايعرف اليأس طريقه اليه . وقد ركز دفاعه امام المحكمة على ان الصفة التشريحية لم تجر فى الوقت المناسب اى والادلة لاتزال « حية » . وشكك فى اقوال الطبيب الكشاف . ولكن المحلفين لم ياخذوا بدفاعه ولم يفسروا الشك ـ وهو اقل ما كان يجب انيحدث ـ لمصلحة المتهم .

عند ذلك لجا المحامي الشاب الى رئيس تحرير احدى الصحف التي جعلت من ديدنها الاهتمام بتصحيح الاخطاء القضائية بطريقة عرضها على الراى العام وكانت تنشر تلك المقالات والابحاث تحت عنوان « محكمة الملجا الاخير » . وعرض عليه موضوع قضية ريتشار .

وعرض رئيس تحرير الصحيفة اوراق القضية برمتها على استاذ كبير في الطب الشرعى قدم له ، بعد فحصها ، تقريرا مدعما بالادلة العلمية اثبت فيه ان الوفاة حدثت يوم الجمعة .

كذلك عرضت الاوراق على رئيس قسم الطب الشرعى بجامعة هارفارد الذى انتهى الى النتيجة عينها .

ولجا رئيس تحرير الجريدة الى ممثل الاتهام الذى حقق القضية وطالب بالادانة . ولكنه تبين انه ـ وقد نجح فى الحصول على حكم بالادانة ـ غير مستعد لان يقبل انه قد اخطا وتسبب فى ادانة برىء . ومن مقتضى الروتين الحكومي وعدم المبالاة المنتشرة بين المسئولين ان احدا منهم لايتحرك لرفع ظلم الا اذا تقدم شخص مسؤول بعمل ايجابي .

وهكذا امتدت الاسابيع الى اشهر والاشهر الى سنوات وليس اقسى على الانسان من فقدان الحرية

مظلوما بغير ذنب . فان مما يخفف من الام المذنب احساسه بانه يستحق عقوبته .

واستمر محامي ريتشار يبذل جهوده وينشر في مختلف الصحف ادلته على براءة متهمه ويشرح عذابه والامه . وما كان يمكن ان تذهب تلك الجهود كصرخة في واد . بل اثمرت ثمارها وتحرك الرأى العام واخذ يطالب بقوة بضرورة انقاذ الرجل البريء .

وبعد مضى اربع سنوات اصدر حاكم الولاية قرارا بالاكتفاء بالعقوبة التي امضاها ريتشار وقد امسك الحاكم بالعصا من منتصفه . رد لريتشار حريته ايمانا منه بانه بريء وحرمه في نفس الوقت من الحصول على اى تعويض من الولاية .

وخرج ريتشار من السجن ، لا ليغير اسمه ، ويترك المدينة التي عاش فيها وينزوى عن اعين الناس . بل اتجه الى محاميه ليشكره . ثم استصحبه الى مقر رئيس تحرير الجريدة ليشكره. فلما علم انه في ضيعته في اجازة قاد سيارته لمسافة ثلاثة الاف ميل ومعه زوجته وابنته ومحاميه ليقدم شكره لرئيس التحرير . وعبثا حاول رئيس تحرير الجريدة ان يأويه في منزله تلك الليلة ولكنه صمم على ان يعود الى بيته ليستقبل جيرانه ويقف بينهم مرفوع الرأس مؤمنا ببراءته .

ووقفت زوجته الفاضلة بجواره ايمانا منها ببراءته وتناسيا منها لغلطته واعتقادا منها بمسؤليتها عن تلك الغلطة عملا بالمثل الصيني الذى يقول « اذا اخطأ الرجل فالزوجة غالبا هي السبب » .

ولما وصلت الاسرة الى المنزل اخذ جرس التليفون يدق . فلا يكاد يضع السماعة حتى يعود لرفعها لتلقى تهاني من اناس لايعرفهم ولم يسبق له سماع اسمائهم ، وحضر كثيرون الى داره يقدمون له التهاني والمساعدات المادية . وكثيرا ما كان بعض المارة يستوقفونه في الطريق ليشدوا على يده مهنئين بعد ان يتحققوا من انه هو ريتشار الذى ظهرت صورته في الصحف .

لقد استفاد ريتشار رو من علانية المحاكمة . لقد جرت محاكمته في علانية . وادانه المحلفون وادانته غالبية المحكمة العليا ولكن الرأى العام لم يدنه . وكانت الكلمة الاخيرة لحكم الشعب لا لحكم القضاء . ■■

حسن الجداوى

اعتراض مفحم

● استرسل الدكتور ماك الهانون Dr. Mc Elhanon في الحديث فيما كان يلقى أحد محاضراته في التاريخ ، في جامعة بيلر Baylor في الولايات المتحدة الامريكية ، وجعل يركز على موضوع العقوبات التى استوجبتها سرقة الدجاج في العهود الاولى من تاريخ بلاده .

قال العالم المحاضر . **كانت سرقة الدجاج جريمة كبرى تستوجب قطع يد السارق ، حتى اذا اقترف مثل هذه الجريمة مرة ثانية قطعت يده الاخرى .. اما اذا اقدم على سرقة الدجاج مرة ثالثة كان جزاؤه الاعدام ..**

احد الطلاب المستمعين ، بعد أن رفع يده واستأذن في السؤال : **لا غرابة في اقتراف هذه الجريمة مرة او مرتين .. اما ان يقدم أحدهم على سرقة الدجاج للمرة الثالثة .. فهذا ما لا افهمه .. اذ كيف يستطيع انسان ان يمسك بدجاجة وكلتا يديه مقطوعتان !!**

هذا العصر المتفجر

للدكتور قسطنطين زريق

بقلم : الدكتور محمود السمره

استاذ النقد والبلاغة بالجامعة الاردنية



■ هذا كتاب يضم بين دفتيه ثماني مقالات تتناول واقعنا وواقع الانسانية من زوايا مختلفة ، وهي مقالات فيها نفع كبير لمن يعيها وعياً تاماً من قراء العربية ، لانها تلقي الاضواء على واقعنا ، وتنير السبيل للمستقبل .

واولى هذه المقالات المقالة التي أطلق عنوانها أسماً لهذا الكتاب ، وسنبدأ بالوقوف عندها .

• • •

واظن ان من الواضح ان عصرنا الحاضر يتميز عن العصور السابقة بالتطورات السريعة فى شتى الميادين ، وقد كان الدكتور زريق موفقا عندما اطلق على هذه التطورات كلمة « التفجرات » وابرز هذه التفجرات ثلاثة :

تفجر العلم والمعرفة

و تفجر السكان

و تفجر الحاجات والآمال والمطامح

وقد وقف المؤلف عند كل واحد منها شارحاً محللا .

أما تفجر العلم والمعرفة فيبدو فى اطلاق طاقة الذرة ، وغزو الفضاء ، وغيرهما . وبالنظر فى أثر العلم فى حياة العصر ندرك هذه الحقيقة الهامة وهي : ان علينا ان نسعى سعياً حثيثاً جاداً لامتلاك ناصية العلم ، اذا اردنا ان تكون من أبناء هذا العصر .

وتتصف هذه الثورة العلمية بأربع صفات رئيسية هي : الشمول ، وعمق فعلها النظري ، وسعة فعلها التطبيقي ، وتزايد سرعتها واندفاع تقدمها .

والتفجر الثاني هو تفجر السكان .

ومع ان الثورة العلمية قد ساهمت مساهمة فعالة فى زيادة الانتاج ، الا ان الزيادة فى عدد السكان تفوق الزيادة فى الانتاج ، حتى أن ثلثي سكان العالم اليوم لا يجدون الغذاء الكافى . واذا استمرت الحال هكذا ، فكيف سيكون العالم فى المستقبل ؟ !

وقد ساهمت الثورة العلمية فى زيادة تفجر السكان بسبب ما استنبطته من وسائل للمحافظة على الصحة ، ومكافحة الامراض . وهذه الزيادة الهائلة فى عدد السكان توضحها الاحصائيات التالية : ففي مدى ثلاثين سنة (١٩٣٠ — ١٩٦٠) زاد عدد السكان من ألفي مليون الى ثلاثة آلاف مليون ، اي ان الزيادة بلغت ٥٠ ٪ . وتقول دائرة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للامم المتحدة انه اذا استمرت الزيادة على هذا المنوال فلن يكون للفرد بعد ستمائة سنة اكثر من مساحة متر مربع من الارض .

وتشكو الشعوب المتخلفة من هذه الزيادة أكثر من الشعوب المتقدمة ، لان جل جهدها ينصرف فى معالجة هذه المشكلة ، مما يعيق المحاولات التي تبذلها للحاق بغيرها .

والتفجر الثالث هو تفجر الحاجات والآمال والمطامح .

وهو تفجر من نتاج تفجر العلم والمعرفة ، وما رافقه من نقمة على الظلم ، والفقر ، والمرض ، والجهل ، ودعوة الى العدل والمساواة . فاذا كان الانسان فى الماضي قد احتمل الظلم والفقر والمرض والجهل حتى ألفها ، فانه اليوم قد ثار عليها . وهذه الثورة تزيد من مشاكل زيادة السكان ، لان متطلبات الافراد قد زادت . هذه ثلاث مشكلات رئيسية تواجه العالم اليوم .

ونحن العرب لا نستطيع ان نتغلب على هذه المشكلات الا اذا اكتسبنا عقلية قادرة على الوقوف فى وجه هذه التحديات . ولهذه العقلية خصائص منها : التخطيط الصحيح للمستقبل . ونحن لا نستطيع ان نخطط للمستقبل الا اذا كانت صورة هذا المستقبل صحيحة فى نفوسنا . وقد دلتنا احداث تاريخنا منذ مطلع هذا القرن أن صورة المستقبل فى نفوسنا لم تكن صحيحة . وعلينا هنا أن نذكر أن التخطيط الذى نضعه للمستقبل يجب ان يكون متطوراً حسب الاحداث ، وهذا التخطيط للمستقبل يعني ان نعيش لا لزماننا فحسب ، بل لما بعد زماننا ، بمعنى اننا لا نحسن البناء لعام ١٩٨٠ ، مثلا ، الا اذا كان المسؤولون فينا يعيشون ويفكرون بعقلية هذا العام . وما لم نكتسب هذه العقلية فاننا سنجد انفسنا فى موخرة الركب .

والخاصية الثانية لهذه العقلية القادرة على مجابهة المشكلات هي : عالميتها .

فالعلم قد جعل اجزاء العالم قريبة جدا من بعضها بعضا ، ولهذا لا يجوز لانسان هذا العصر أن ينظر الى مشاكل امته بمعزل عن مشاكل الامم الاخرى ،

وكثيرا ما نجد اليوم ان مشكلة امة من الامم هي نتيجة لمشكلة امة اخرى تبعد عنها آلاف الاميال .

والخاصية الثالثة لهذه العقلية هي : المرونة ، اي ان عقليتنا يجب الا تتخذ قوالب جامدة لا تحيد عنها . فعصرنا عصر سريع التغير ، ولا يستطيع أن يجاريه الا العقل اليقظ ، المرن ، القابل للنمو . ومن مظاهر العقلية المرنة الخضوع للحق والواقع ، ولهذا فان هذه العقلية ترفض رفضا باتا تطبيق مفاهيم القرن التاسع عشر ، مثلا ، على القرن العشرين ، لان المفاهيم يجب ان تتبدل مع تبدل الاوضاع .

والتاريخ الانساني يحدثنا ان الامم التي ساهمت في بناء الحضارة الانسانية، هي تلك الامم التى تمتعت بعقلية قابلة للنمو والتطور . ولا نعني هنا بقابلية التبدل عدم وجود موقف صريح معين ، بل نعني به قبول نتائج العلم والحق ، وان اختلف هذه النتائج عما تعودناه والفناه .

والحياة نفسها تؤكد هذه الحقيقة : فالحيوانات التى انتصرت على عوامل الفناء هي تلك الحيوانات التى كانت قادرة على التبدل مع الاوضاع الجديدة . وهذه الصفة هي التي مكنت الانسان، على الرغم من ضعف جسمه ، من ان يتغلب على سواه ، ويستمر فى بناء الحضارة .

والخاصية الرابعة لهذه العقلية : تقدير أهمية الانتاج والادخار .

ولهذا فان على هذه العقلية الجديدة ان تستثمر الموارد الطبيعية لسد الحاجات المتصاعدة ، كما ان عليها ان تستثمر ايضا الموارد البشرية . واذا كان من الجرم ان تبقى موارد الطبيعة غير مستغلة ، فان الجرم بعينه ان تبقى الموارد البشرية غير مستغلة ، ذلك لان فى عقول الكثرة من بني الانسان طاقات مخزونة مكبوته ، اذا فجرت عادت بالخير العميم على المجموع . ومن هنا يتضح لنا أن من واجبات القادة ان يعدّوا الناشئة لتتسم بالعقلية الانتاجية ، بتفجير ما فيها من طاقات وقدرات .

واذا كان القعود عن الانتاج جرم ، فان تبديد الانتاج واضاعة الثروات الشخصية والقومية على الشهوات ، اول الجرائم وعلى رأسها .

ومن صفات هذه العقلية الجديدة التى يجب ان نكتسبها ، انها علمية الطابع . ومن خصائص العقلية العلمية انها لا تؤمن الا بالحقيقة ، وتدير ظهرها للوهم ، وللمألوف اذا خالف الحقيقة . وطريق الحقيقة اشق من طريق الوهم ، ولهذا نجد جلّ الافراد والامم تؤثر الوهم على الحقيقة . ولكن الحقيقة تبقى هي الطريق السوي ، وهي طريق الخلاص للافراد وللامم . انها طريق العلم والعقل .

واذا اكتسبنا هذه العقلية فاننا عندها لا يمكن ان نرضى بالكلام يلقى على عواهنه ، واذا تناولنا قضية قومية فاننا لا نتناولها تناولاً عاطفياً ، بل ندرسها ونحللها بطريقة علمية .

ولكي يكتسب النشء هذه العقلية العملية فان على الدولة أن تهيىء له معاهد التعليم ، وتوفر له وسائله . ويجب أن تكون هذه المعاهد خالصة للعلم ، ليس لها من غاية سوى الحقيقة . وينضمّ الى هذه المعاهد معاهد للبحث تسهم فى نمو المعرفة البشرية ، فالامم الناشطة تتنافس فى ميدان البحث ، والكشف عن الجديد . وقد نقل العلم البشرية من حال الى حال : فاذا كانت الامم فى الماضي تقاس بكثرة عددها ، فانها اليوم تقاس بعدد العاملين الحقيقيين فيها .

واذا وضحت لنا هذه الحقيقة ،

ادركنا ان اي تضحية رخيصة ، وكل بذل هين ، فى سبيل اكتساب هذه العقلية العلمية .

ويجب ان تتصف هذه العقلية العلمية الجديدة بيقظة الضمير . فالضمير عندما يستيقظ ، يثور على الضلال ، والوهم ، والخداع ، والانخداع . وثورة الضمير هي التى تهيىء للثورات السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية ، ولولاها لما انتشر دين ولا قام اصلاح .

« ان اصوات من استيقظت ضمائرهم فى التاريخ لا تزال تحدث اثرها فى تنبيه الغافلين، واستنهاض المكبوتين والمعذبين، وزعزعة الاوضاع الفاسدة ، والحث على اقامة صروح للحياة امتن وافضل وازهى. وما اعظم الانقلاب الذى يحدث فى حياتنا لو انبعثت اليوم فى نفوسنا ثورة ضميرية صحيحة ، واخذ كل منا يسلك فى حياته الخاصة والعامة بوحي من ضمير واع حي !! . على ان سبيل الثورة الضميرية كسبيل الثورة العقلية ، صعبة شاقة ، لانها تتطلب محاسبة مستمرة للذات ، واستعداداً للخضوع لاحكامها ، ولانها ــ كما قال النبي العربي الكريم ــ تمثل الجهاد الاكبر ، جهاد النفس » .

ونحن اذا اكتسبنا هذه العقلية ، اصبح مجتمعنا سليماً ، واذا كان المجتمع معافى من الداخل ، فانه قادر على الوقوف فى وجه العواصف والاعاصير ، مهما ثارت واشتدت فى ثورتها . انه هنا مجتمع : فيه الفكر لا يخاف ، والراس يرتفع عالياً ، والمعرفة حرة طليقة ، والكلمات تنبعث من اعماق الحق .

هذه خلاصة لمقالة « هذا العصر المتفجر » .

ونحب بعد هذا ان نقف عند مقالة ثانية تمت الى السابقة بسبب وثيق وهي بعنوان « التراث الحضاري » .

ويعرف المؤلف التراث الحضارى بأنه : خلاصة ما بلغنا من مكاسب وتحقيقات فى سبيل الحياة الفاضلة .

والحياة الفاضلة تعني : الحياة المتحررة من قيود الطبيعة ، ومن تحكم الانسان ، ومن اهواء النفس ، والمرتقية بفضل هذا التحرر فى مراتب العقل ومدارج الروح .

والعناصر الايجابية التى تؤلف التراث الحضارى ثلاثة ، أولها : الجهود المنصرفة الى التحرير من قيود الطبيعة ، والى استثمار مواردها ، أي « التكنولوجيا » .

وثانيها : الجهود التى ترمي الى تحرير الانسان من ربقة الظلم والاستعباد التى يقيده بها سواه من الناس . ونحن اذا استعرضنا التاريخ الانساني منذ شريعة حمورابي الى حقوق الانسان التى سنتها منظمة الامم المتحدة ، وجدناه سلسلة متماسكة من الجهود لاقرار حقوق الافراد والجماعات وتحريرها من الاعتداء والاستعباد ، وبث التعاون المبني على العدل بدلاً من التسلط والاستغلال .

وثالثها : الجهود الرامية الى استكشاف الحقيقة ونشرها ، والتطلع الى الخير ومحاولة تحقيقه ، والتأمل فى الجمال وابداعه .

وهذه الجهود الثلاثة متصلة متآلفة يقوي بعضها بعضا « فالتقدم التقني الرامى الى استثمار الطبيعة ، مرتبط اشد ارتباط بالبحث العلمي النظري الساعي الى استكشاف الحقيقة ونشرها . والجهود الآيلة الى تحرير الانسان من الظلم والاستعباد متصلة اوثق اتصال بتحريات الفلاسفة ، ورؤى المبدعين ، ودعوات الانبياء والملهمين . جميعها تتآزر ، حتى على بعد فى الزمان والمكان ، وعلى اختلاف فى الظروف والاحوال ، فى خدمة الحياة الفاضلة وهي غاية كل حضارة ، ورمزها ، وعنوانها » .

وانطلاقاً من هذا فان التراث الحضارى القومي هو : خلاصة الفضائل

التـي يتحلى بها أبناء الوطـن أفـرادا ومجموعا ، واذا طبقنا هذا المفهوم على تراثنا ، وجدنا أن الفتوحات الباهرة فى حقول السياسة والحكم ، وفى ميادين العلم والادب والفن ، كانت نتيجة للجهود التى بذلها العاملون على اختلاف مراتبهم وفاعلياتهم ، من دعاة مصلحين ، وقادة ، وحكام ، وساسة ، وعلماء وأدباء ، وفنانين وصنعة ، وفلاحين ... فلما زالت الفضائل ، فتر الجهد وذبلت ازهار الحضاره .

والتاريخ شاهد على أن الهجمات الخارجية لا تؤثر فى المجتمع اذا كان سليما ، وهو يحدثنا أن أي شعب لا يستطيع التحكم فى شعب آخر ، الا اذا كان الشعب المحكوم المغلوب قد فقد فضائل المجتمع السليم بحيث أصبح لا يشعر بالظلم ، ولا يعمل للتخلص منه .

واخيرا علينا ان نذكر .

« ان شر خطأ يرتكبه الافراد والشعوب هو خداع النفس ، والاعتقاد بأنهم يستطيعون ان يخالفوا سنن الحياة بدون أن ينالهم عقاب . ان الحياة تحكم بعدل وانصاف ، فلا تصانع ولا تراوغ ، ولا تطيق المصانعة والمراوغة . فحرى بالافراد والشعوب ، الذين يطمحون الى حياة آمنة كريمة ، ان يلتزموا سننها ، ويتبعوا قواعدها ، وان يدركوا ان شيئا لا يأتي من لا شيء » . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

وهج الشباب

تأليف : ابراهيم خليل العلاف ــ الناشر مطابع مؤسسة مكة للطباعة والاعلام

● ديوان شعرى يحوى العديد من القصائد المتباينة ، تجرى على الوزن العربى المعروف ، وتطرق شتى الموضوعات الشعرية ، وتتحدث عن ربيع العمر ، وتمرد الانسان ، وصحبة الواقع ، وبلورة الذات مع الحرص الشديد فى تمثيل الشخصية والبيئة تمثيلا حيويا فنيا .

الى البيت يا ملاكى

تأليف / كيتى فرينجز / ترجمة / حلمى جورجى مراجعة وتقديم زكى طليمات / الناشر ، مكتبة الأنجلو المصرية / القاهرة .

● مسرحية تقع فى ثلاث فصول ، وهى فى الاصل قصة كتبها توماس ولف ثم قامت المؤلفة بمسرحتها. والمسرحية تعالج الضياع والقلق ، وتبدل القيم الاجتماعية ، بعد الحرب العالمية الأولى .وشخوص المسرحية متحف لنماذج بشرية متباينة لا يفتعلون الحوادث، ولكن ماجريات الحياة هى التى تفرضها حتى تصل بها الى النهاية .

ديوان الحويزى فى مدائح ومراثى أهل البيت

تأليف : عبد الحسين الحويزى. جمعه وعلق عليه: حميد مجيد هدو / الناشر مؤسسة الاعلمى للمطبوعات / كربلاء

● ديوان شعرى يحوى قصائد كثيرة ، فى مدائح ومراثى أهل البيت ، ومن تشيع لهم . والكتاب لا يتعرض لسرد حياة الشاعر ، ولا الى النواحى الفنية فى شعره لأنه أفرد الجزء الاول منه لهذا الغرض . ولقصائد هذا الجزء تأثير خاص فى نفس قارئها ، لانها منبعثة عن عاطفة جياشة ، وحب صادق لآل البيت ، والحرص على تطبيق تعاليمهم الاسلامية ، والتادب بآدابهم ..

المحمومون

تأليف محمد الراشد / الناشر / مطبعة الوطن العربى / حلب

● رواية تصور مأساة الانسان حيال دوامات التأزم الحضارى ، والضياع الانسانى ، والغاية من القصة هو كشف ما فى النفوس البشرية من خفايا ، وما استقر فيها من رواسب المعرفة والتجارب ، فى اطار من اشراقات الحب والفكر والوجدان ..

جمال الدين القاسمي

تأليف ظافر القاسمى*الناشر/مكتبة أطلس/دمشق

● يتضمن الكتاب ترجمة مستفيضة عن حياة جمال الدين القاسمى ، وعصره وآرائه وحياته الفكرية ، وطريقته فى الاصلاح . وقد استقى المؤلف مواد الكتاب من مصادر عديدة ، منها مؤلفات القاسمى الكثيرة ، ومذكراته اليومية ، وما كتب عن القاسمى بعد وفاته شعرا ونثرا . الى جانب القصص والاحاديث اليومية التى سمعها من أسرته التى تتعلق بحياته العامة والخاصة .

فصول فى الاحصاء الحيوى

تأليف الدكتور عدنان التكريتى والدكتور محمد هيثم الخياط / الناشر / المطبعة الجديدة /دمشق

● كتاب يحوى لمحة موجزة عن الدراسات الاحصائية الطبية ، واهميتها بالنسبة لمن يريد ان يكون رأيا فى الامور الاحصائية . وفصول الكتاب دراسة منهجية عن الاحصاء واهميته ، ومراحل البحث الاحصائى ، والنماذج الاحصائية الى جانب دراسة تطبيقية تختص بالنواحى الطبية الميدانية .

النور من الداخل

تأليف :

محمد الفايز / الناشر / مطبعة حكومة الكويت

● ديوان شعرى يتضمن العديد من القصائد استقاها الشاعر من اغنيات البحر وأهازيج البحارة ومراثى لعدد من الشعراء المحدثين . وفى القسم الآخر من الديوان اعاد المؤلف نشر مذكرات بحار التى كان لها صدى فى المحافل الادبية فى الكويت .

الدفاع المدني
بحث علمي في الملاجىء والتدابير الهندسية

تأليف : محمود شوقى الحمدانى

الناشر : مطبعة السعدون ـ بغداد

● كتاب يتناول مسالة الدفاع المدنى من الناحية العلمية والمواصفات التى يجب أن تتوفر فى الملاجىء والمخابىء من الناحية الهندسية وانواعها . ثم يشرح المؤلف طريقة الوقاية من الحرائق ومكافحتها والوقاية من الغازات السامة وابطال مفعولها ، ثم طريقة الوقاية من القصف النووى والغبار الذرى وطرق تلافيه .

شعراء الواحدة

تأليف : نعمان ماهر الكنعانى

الناشر : دار الجمهورية ـ بغداد

● مجموعة قصائد شهيرة فى الادب العربى للعديد من شعراء العربية الذين اشتهروا بهذه القصائد أو الذين اشتهرت لهم قصيدة واحدة أمثال الطغرائى والشنفرى وقتيلة بنت الحارث ومالك بن الريب وابن سناء الملك . وقد عرض المؤلف لهذه القصائد بالدراسة والتحليل وتقييمها فنيا وادبيا .

الفئات الخاصة
واساليب رعايتها
١ ـ المجرمون

تأليف : دكتور سعد المغربى/السيد أحمد الليثى

الناشر : مكتبة القاهرة الحديثة

● كتاب يعنى بالافراد والجماعات الذين يسميهم الناس بالشواذ أو المنحرفين والذين تنطوى شخصياتهم على سمات وخصائص قد تعمل على اعاقة نموهم وتفوقهم ، وتحول بينهم وبين المساهمة الايجابية في الحياة ، مثل المرضى بأمراض مزمنة، والمعوقين عضويا .

والكتاب يعرض لهذه الفئات ومشكلاتهم النفسية والاجتماعية بالنسبة للفرد والجماعة وموقف المجتمع تجاه هذه الفئات .

وقد اختار الكتاب فئة المجرمين الكبار فتناولهم بالعرض والتحليل،مبينا مشكلة السلوك الاجرامى ومناخ الاحداث والدوافع والعوامل المختلفة المؤدية لهذه الظاهرة ، ثم الاجراءات والتدابير الحديثة فى معاملة هذه الفئة وعلاجها ورعايتها .

القاضي الجرجاني
الاديب الناقــــد

تأليف : الدكتور محمود السمره
الناشر : المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع
بـيروت

● دراسة لأحد رواد النقد الادبى الاشهرين من القدماء ، تسعى الى جلاء آرائه النقدية وبيان مدى اصالتها . وقد عقد المؤلف صلة بين هــذه الآراء ومثيلاتها في النقد الادبى الغربى المعاصــر وقد مهد المؤلف لكتابه بدراسة لعصر الجرجانى والحياة الثقافية والفكرية من جميع مناحيها ، ثم مناقشة نظرية السرقات الادبية وانواعها عنــد الجرجانى ومعاصريه ، ونظرية السرقات الادبية بين الغربيين والعرب .

حصاد الفكر

تحرير / روبرت كازنس / ترجمة الدكتورة منيرة حلمى ـ الدكتور محمد على العريان ـ الدكتور محمد جمال الدين الفندى ـ رجائى نجيب مقار/ مراجعة وتقديم زكى نجيب محمود

● كتاب تعددت موضوعاته ، وتعدد كاتبوه ، والهدف من تحريره ، هو تنشيط فاعلية التفكير لدى الانسان . ويقع الكتاب فى اربعة انواع ، منها ما يتحدث عن العلم من بعض نواحيه ، وكيف يؤثر هذا العلم فى حياة الانسان . ومنها ما يتناول بعض جوانب التربية،ومنها ما يحلل عملية التفكير من حيث طبيعتها وطرائقه لتنميتها . ومنها ما يجول فى وقت الفراغ من حياة الانسان .

ديـوان
احمد الفقيه حسن

الناشر : مطابع وزارة الاعلام والثقافة
طرابلس ـ ليبيا

● ديوان شعرى يتضمن العديد من القصائد يبدأ بالمدائح النبوية والوطنيات والرثاء الحزين ثم التشبيب والفخر والحماسة والشعر القصصى وقد رتب الديوان على حروف المعجم وذكر لكل قصيدة تاريخها . وقد علق الشاعر على بعض هذه القصائد بقلمه تعليقا لغويا أدبيا .

طرائف عربية

علو همة

دخل عمارة بن حمزة يوما على المنصور ، وقعد فى مجلسه . فقام رجل وقال : مظلوم يا امير المؤمنين ! فقال : ومن ظلمك يا هذا ! فقال : « عمارة بن حمزة ، غصبني ضيعتي ، وانتهك اموالي » . فقال المنصور قم يا عمارة ، واقعد مع خصمك . فقال ما هو لى بخصم ، وان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها ، وان كانت لى فقد وهبتها له ولا اقوم من مقام شرفني به امير المؤمنين ،واقعد فى ادنى منه لاجل ضيعة!

احتار فى القضاء لاحدهما

سال الرشيد ابا الحرث عن الفالوذج واللوزنج ايهما اطيب فى المأكل . فقال يا امير المؤمنين لا اقضي على غائب . فامر خادمه باحضارهما فجعل ابو الحرث ياكل من هذا لقمة ومن هذا لقمة . ثم قال : يا امير المؤمنين كلما اردت ان اقضي لاحدهما اتى الآخر بحجته !

وكان المثل أبلغ

روى أن رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة فاتى الى المنصور فقال : اصلحك الله يا امير المؤمنين ،اأذكر لك حاجتى ام اضرب لك قبلها مثلا ؟ فقال : بل اضرب المثل ، فقال ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانما يفزع الى امه ، اذ لا يعرف غيرها ، وظنا منه ان لا ناصر له غيرها ، فاذا ترعرع واشتد كان فراره الى ابيه ، فاذا بلغ وصار رجلا وحدث به امر شكاه الى الوالى لعلمه انه اقوى من ابيه فاذا زاد عقله شكاه الى السلطان لعلمه انه اقوى ممن سواه ، فاذا لم ينصفه السلطان شكاه الى الله تعالى ، لعلمه انه اقوى من السلطان . وقد نزلت بي نازلة وليس احد فوقك اقوى منك الا الله ، فان انصفتني والا رفعت امري الى الله ، فاني متوجه الى بيته وحرمه ، فقال المنصور، بل ننصفك ، وامر ان يكتب الى واليه برد ضيعته عليه .

مباراة

خرج عبد الله بن جعفر ، والحسنان ، وابو دمينه الانصارى من مكة الى المدينة ، فاصابتهم السماء بمطر ، فلجأوا الى خباء اعرابي ، فأقاموا عنده ثلاثة ايام حتى سكنت السماء ، فذبح لهم الاعرابي شاة ، فلما ارتحلوا قال عبد الله للاعرابي اذا قدمت المدينة فسل عنا ، فاحتاج الاعرابي بعد سنين ، فقالت له امراته ، لو اتيت المدينة فلقيت اولئك الفتيان ، فقال نسيت اسماءهم

مكارم الاخلاق

● مكارم الاخلاق عشرة ، صدق الحديث ، وصدق اللسان، واداء الامانة، وصلة الرحم ، والمكافاة بالصنيع ، وبذل المعروف ، وحفظ الذمام للجار ، وحفظ الذمام للصاحب ، وقرى الضيف . ورأسهن الحياء .

كرم يؤدى الى بكاء

● قدم رجل من قريش من سفر فمر على رجل من الاعراب ، على قارعة الطريق ، قد اقعده الدهر واضر به المرض . فقال له ياهذا أعنا على الدهر فقال القرشي لغلامه : مابقى معك من النفقة فادفعه اليه ، فصب فى حجره اربعة آلاف درهم ، فهم ليقوم ، فلم يقدر من الضعف ، فبكى ، فقال له القرشي ما يبكيك ؟ لعلك استقللت ما دفعناه اليك فقال لا والله ، ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فأبكاني .

رد لاذع

● حكى ابن عبد ربه صاحب العقدالفريد قال : قدم عقيل بن ابى طالب على معاوية فأكرمه وقربه وقضى عنه دينه ثم قال له في بعض الايام ، يا عقيل أنا خير لك من اخيك علي ، قال صدقت اخي آثر دينه على دنياه ، وانت آثرت دنياك على دينك ، فانت خير لي من اخي ، واخى خير لنفسه منك لنفسك .

ذهب ليصلح معدته

● نزل رجل بصومعة راهب ، فقدم اليه الراهب اربعة ارغفة ، وذهب ليحضر العدس ، فحمله وجاء فوجده قد اكل الخبز ، فذهب واتى بخبز جديد فوجده قد اكل العدس ، وفعل ذلك مرات حتى شبع ، فساله الراهب اين مقصدك قال : الاردن ، قال لماذا ؟ قال : لقد بلغني ان بها طبيبا حاذقا اساله عما يصلح معدتي فاني قليل الشهية للطعام ! فقال له الراهب : ان لي اليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : «اذا ذهبت واصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك علي» !

في الكرم

فقالت : سل عن ابن الطيار . فأتى المدينة فلقى الحسن فأمر له بمائة ناقة ، ثم الى الحسين فقال له كفانا ابو محمد مؤونة الابل فأمر له بالف شاة . ثم اتى عبد الله بن جعفر فقال كفانا اخواني الابل والشياه ، فأمرله بمائة الف درهم . ثم اتى ابا دمينة فقال : ما عندى مثل ما اعطوك ولكن ائتني بابلك فأوقرها لك تمرا ، فلم يزل اليسار فى عقب الاعرابي من ذلك اليوم .

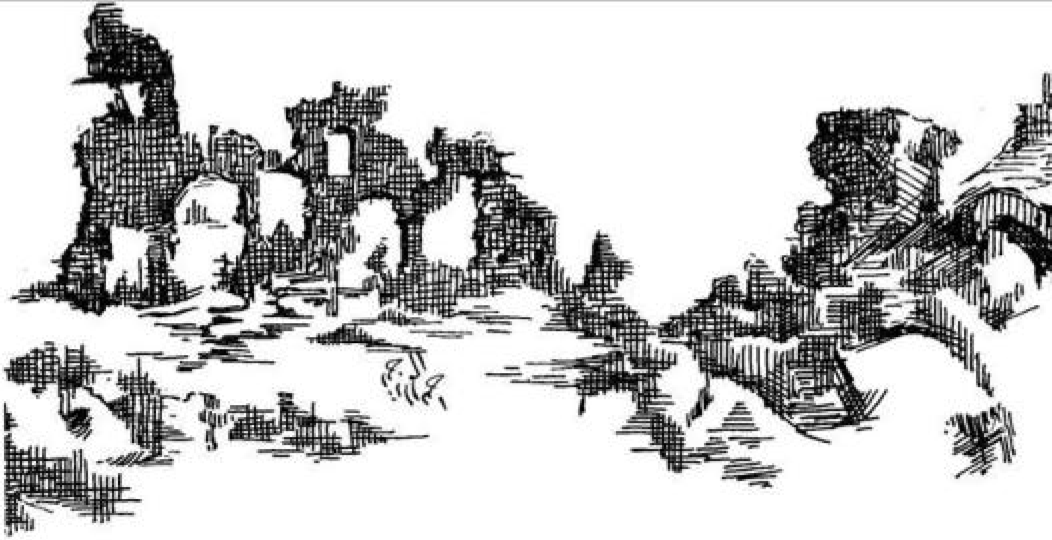


حَديث مع الأَطلال

بقلم : الدكتور نور الدين أبو ريشة

غادرتها طفلا .. وزرتها كهلا لأجدهـا
اطلالا تصدم ناظري وتنكأ جراحاتي ..

■ هجروها فأصبحت للرياح ... سكنا مُوحشا .. وللأشباح
ولعين تعودها لتراها ... في ذهول المروّع المُجتاح
مِزقا من هياكل بعثرتها ... ثم غارت بها بطون الساح
أي دار على السماح أقاموها ... وشادوا أساسها من صلاح ؟
أتداعت .. بعد الشموخ وأضحت ... حجرا يستريح فوق البطاح ؟
لم يزل بعض سورها يتحدّى ... مِعولَ الهدم والليالي المواحي
كعُقاب جناحه هِيض يوما ... هبط السفح مُثخنا بالجراح
كلما هم بالوثوب تردّى ... مُغضَبا يضرب الثرى بجناح
أنِف السفح مرقدا وتأبّى ... أن يجر الهوان بعد طمَاح
تلك أطلالها تُحدث عنها ... بوجوم .. ما ينقضي فضّاح
خيم الصمت والجلال عليها ... وكساها في رهبة بوشاح
تشرئب الأعناق منها على الهمس كأن الحديث غير مباح
ليت شعري .. كيف السبيل إلى ... الصمت وهذي مواطن الافصاح
أتقرّى الحياةَ تسحب برديها ... وتزهو بالبشر والأفراح



ونعيم يجري على راحتيها دفقاتٍ من عزة وسماح ....

■ ■ ■

لهفة أسكرت خوالج نفسي وتوهمت في الخيال مراحي
أأناجي ماضيا تلاشى صداه ؟ أم تُراني مع الصدى في تلاحي؟
ما لصمت الأطلال يصدم أشو اقي ويُدمي تطلعي وانفتاحي؟
لأرى مصرع الخيال بعيني فوق أنقاضها وتحت الصِفاح
خِربٌ ، تجمدُ الحياة عليها ويصبح الفناء دامي الجناح
مر طرفي .. فما استقر عليها خجلا من جلالها المستباح
قاومت شوكة الزمان وهدت كاهل الدهر بعد طول كفاح
ثم شاخت بها .. وكل بناء لانهيار .. ومُقبِل لرواح

■ ■ ■

أين يا دار مَن بنوك على العز وعافوك للزمان الماحي
فرقت شملهم صروف لياليـ ـك وامسوا وما لهم من صباح
حلم .. وانقضى ألمت رؤاه بجفوني .. ولم يعد بمتاح
عشت زهوي به ... ولما تولى أسلمتني أطيافه لبراح
وحنين الى الحِمَى جارفٍ ردَّ صِحاح الضلوع غير صِحاح ■■

نور الدين ابو ريشة

أنت تسأل .. ونحن نجيب

شارل ديجول

رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة

● نسمع أن ديجول رئيس فرنسا ، وقف أخيراً وقفات مشرفة يتاجر بها العرب ، وعدا هذا فموقفه على العموم تجاه أمريكا ومن يشايعها ، ليس موقف الحبيب ، فهل تتكرمون بكلمة قصيرة عن نشأة ديجول ؟

محمود عباس / بغداد

– اسمه بالكامل شارل اندريه جوزيف ماري ديجول Charles Andre Joseph Marie De Gaulle السياسي والعسكري الفرنسي . ولد بمدينة ليل في فرنسا في ٢٢ نوفمبر ١٨٩٠ ، فعمره الآن ٧٧ سنة وهو نورماندي الاصل ، وكان والده يعمل استاذا في كلية الجزويت Gesuit في باريس .

وقد تخرج ديجول في كلية سان سير Saint Syr العسكرية في عام ١٩٠٨ ، وحصل على مرتبة الشرف، ثم انضم الى فرقة المشاة بقيادة الكولونيل هنري فيليب بيتان Henry Phillipe Petain واشترك في الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، وجرح ثم اعتقل .. ولكنه تمكن من الهرب خمس مرات . وفي كل مرة كانوا ينقلونه ويعيدونه الى سجنه قبل أن ينجح في الوصول الى خطوط الحلفاء ، رغم محاولاته العديدة للتخفي ، ذلك لانه كان من السهل التعرف على ديجول الذي كان أطول ضابط في الجيش الفرنسي .

وعلى أثر سقوط فرنسا في عام ١٩٤٠ ، خلال الحرب العالمية الثانية، رفض ديجول أن يستسلم، وقاد قوات فرنسا الحرة التي اتخذت من انجلترا مقرا لقيادتها ، ونشط رجاله في مقاومة قوات الاحتلال النازية .. واستمرت المقاومة السرية حتى تحررت فرنسا .

ولكن ديجول ما لبث أن اختفى عن حياة فرنسا السياسية البرلمانية التي تلت ذلك من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٨ ، وكانت الخلافات الحزبية تمزق فرنسا خلال تلك الفترة التي تعاقبت فيها الحكومات حتى كان اليوم الذي قام فيه المستوطنون الفرنسيون في الجزائر بثورتهم احتجاجا على المفاوضات الخاصة بمنح الجزائر استقلالها . وجاءت هذه الثورة بديجول الى الحكم ، واصبح ذلك القائد العسكري الفرنسي رئيسا للجمهورية الفرنسية الخامسة . وكان اول عمل قام به هو بدء المفاوضات من جديد لتحقيق استقلال الجزائر بعد نجاحه في القضاء على تمرد الجنرالات الفرنسيين الذين عارضوا سياسته ونادوا بالجزائر فرنسية.

وتعتمد سياسة ديجول على المحافظة على هيبة فرنسا في المجتمع الدولي من ناحية ، وعلى الابتعاد عن ميدان الحرب الباردة بين الكتلتين

لماذا يستخدم الانسان

● لماذا يستخدم الانسان اليد اليمنى او الساق اليمنى اكثر مما يستخدم اليد او الساق اليسرى؟

حسين حيدر / الكويت

– الواقع أن السبب غير معروف ، ولو ان البعض يقول انها عادة عنصرية موروثة ، جاءت نتيجة لاستخدام اليد اليسرى في أعمال غير نظيفة مما جعلها غير صالحة لتناول الطعام وتبادل



الشيوعية والرأسمالية من ناحية اخرى . وقد كان أهم قرار اتخذه في حياته السياسية الاخيرة التي بدأت منذ عشر سنوات تقريبا هو مطالبتــه بوضع جميع المنشآت العسكرية والقوات الأجنبية في فرنسا تحت اشراف فرنسا . وقد كانت باريس مقرا لقوات حلف الاطلنطي في أوروبا .

ولكن أمريكا التي تسيطر على الحلف ، رفضت طلب فرنسا ، وكان من نتيجة ذلك أن تقــرر نقل مقر قيادة الحلف الى لوكسمبرج .

والواقع أن ديجول بهذا الاجراء قد اضعف موقف هذا الحلف الذى كان يرى في وجود مقره في الاراضي الفرنسية امرا يتعارض مع سيادة بلاده .

هذا فضلا عن رأى ديجول في الحلف نفسه ، فهو يؤمن بأن الظروف التى قام فيها هذا الحلف قد تغيرت بعد أن تضاءل خطر تشوب الحرب بين الاتحاد السوفييتي وأوروبا من ناحية ، وبعد أن تطورت أساليب الحرب الحديثة بفضل اختراع الصواريخ عابرات القارات التى لا تستطيع أن تصل الى اوروبا فحسب بل والى امريكا نفسها ، من ناحية اخرى .

واخرا ، ان معاهدة حلف شمال الاطلنطى قد تضمنت نصا يسمح لفرنسا بالانسحاب من الحلف في عام ١٩٦٩ ، وأخشى ما يخشاه الامريكيون أن يتخذ ديجول هذا القرار الخطير الذى سيصيب التحالف الامريكى ــ الاوروبى بضربة قاضية .

(م. ن)

يده اليمنى ؟

التحية الخ .. ولكن هذا القول لم يثبت علميا .

اما ما ثبت علميا بعد اجراء سلسلة من التجارب على جسم الانسان ، فهو أن النصف الايمن اثقل وزنا من النصف الأيسر بمقدار رطل تقريبا . فاذا افترضنا اننا ثنينا جسم الانسان بالطول بحيث تنطبق الاطراف على بعضها البعض ، لوجدنا أنه ليس هناك فارق اطلاقا بين الذراع الايسر والذراع الايمن وبين الساق اليسرى والساق اليمنى . ولكن اذا أردنا أن نحدد مركز الثقل في جسم الشخص العادى لوجدناه يتجه الى اليمين قليلا. وهذا يفسر لنا سيطرة اليمين على اليسار في جسم الانسان ، أو قل تفوق الذراع والساق الايمنين على الذراع والساق الايسرين . ولو أن بعض العلماء يرون أن هذا الفارق في الوزن بين النصف الايمن والنصف الايسر قد يكون نتيجة

لاستخدام اليمين واهمال اليسار ، وليست سببا لها .

واستخدام اليمين ليست عادة حديثة، فقد ثبت من الآثار التي اكتشفت، أن انسان العصر الحجري، كان يستخدم يمناه في صيد الحيوانات، لا يسراه. كما نجد أن هذه العادة ليست قاصرة على الانسان وحده ، وانما تشمل الحيوان ايضا . فالقرد البالغ يستخدم يده اليمنى اكثر من اليسرى في التقاط طعامه ، والفيل يحفر الارض بنابه الايمن، والعصفور يقف مدة أطول على رجله اليمنى .

(م. ن)

تنفيق العوائد ، ما هو مفهومه ومعناه ؟

● كثيرا ما أقرأ عن تنفيق العوائد النفطية دون أن أفهم معنى لذلك . فما هو المقصود بهذا التعبير على وجه التدقيق .

بهاء الدين الاسطواني ـ دمشق

ـ نشكرك يا أخ بهاء على سؤالك . فقد اتاح لنا الفرصة لايضاح تعبير اصطلاحي عم استعماله في السنوات الأخيرة ، دون أن يعم فهمه في الوقت نفسه . وحرصا منا على ان يأتي الجواب على سؤالك مستوفيا دون تطويل او تعقيد فقد طرحناه على خبير بوزارة المالية والنفط في الكويت حاليا ، فأجاب عليه مشكورا بالنقاط التالية :

١ ـ عوائد الزيت هي الحصة التي تحصل عليها الحكومة من انتاجه ، اما زيتا او نقدا ، بنسبة الثمن أي ٥ر١٢٪ . وتنال الحكومة هذه الحصة بصرف النظر عما اذا كانت اعمال انتاج الزيت المعنية رابحة بالنسبة للمنتج ام خاسرة. ولا تدفع الحكومة نفقات انتاج حصة الثمن هذه . وهي تحصل عليها من اجمال قيمة الزيت المنتج ، او كما يقولون من (رأس الكوم) . تلك هي العوائد او العائدات أو بالانجليزية Royalties

٢ ـ والتنفيق من نفقة كما لا يخفى وقد صيغت اللفظة لتفي بمفهوم الكلمة الانجليزية Expensing

زنوج أمريكا ودورهم في

● المعروف أن موطن الزنوج الاصلي في اواسط افريقيا ، فهل تخبروننا عن الطريقة التي وصلوا بها الى أمريكا ، وهل كان هذا قبل اكتشاف كولمبس أم بعده ؟

صالح حسين / الرياض

ـ زنوج أمريكا يشكلون احدى المجموعات المتناقضة التي يتالف منها سكان الولايات المتحدة الامريكية . وتبدأ قصة هؤلاء الزنوج مع رحلات استكشاف امريكا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ومع استعمار هذا العالم الجديد في القرنين السادس عشر والسابع عشر . فقد جاء بهم البرتغاليون والاسبان لاول مرة الى امريكا في أوائل القرن السادس عشر ، اذ كانت الحاجة اليهم ماسة ، للعمل في المناجم والمزارع في امريكا الجنوبية . وراحوا يبيعون ويشترون فيهم كما تشترى أي سلعة وتباع .

ولعل أهم دور تاريخي قام به الزنوج هو مساهمتهم بصورة مباشرة في اكتشاف هذا العالم الجديد ، فقد جاءوا مع كولمبس Columbus وبالبوا Balboa وكورتيز Cortes وبيزارو Pizarro

والمقصود بالتنفيق اذن انما هو اعتبار العوائد التي ذكرنا نفقات أو بحكم النفقات .

والنفقات أو التكاليف في غير حاجة الى تعريف. فهي تحسم في الاعمال التجارية العامة من اجمال الدخل لاحتساب صافي الربح . وهي تحسم كذلك من اجمال قيمة الزيت عند احتساب الارباح الصافية للشركة المنتجة لذلك الزيت .

وهذه الارباح الصافية هي التي تتقاضى الحكومة عليها ضريبة دخل (وهي الآن ٥٠٪ من هذه الارباح ، في عدد من البلدان) . ولا يخفى أن هذه الضريبة تختلف عن العوائد وتفوقها حجما .

بناء العالم الجديد



وغيرهم قادمين من أوروبا التى نقلهم اليها البرتغاليون والاسبان من موطنهم الاصلى فى افريقيا الغربية فى أوائل القرن الخامس عشر . ولقد لعب أحد هؤلاء الزنوج دورا حيويا فى اكتشاف ولايات امريكا الجنوبية الغربية ، وكان هذا المكتشف هو استيفانيكو Estevanico أو ستيفن الصغير .

وهكذا شارك بعض الزنوج فى اكتشاف أمريكا الجديدة التى عاشوا فيها وتوالدوا وتكاثروا حتى بلغ تعدادهم حسب احصائية عام ١٩٥٩ ، ١٥ مليون زنجى ، فى حين بلغ عدد سكان الولايات المتحدة الامريكية كلها بما فيهم الزنوج طبقا لنفس هذه الاحصائية ١٧٠ مليون نسمة .

ولكن زنوج امريكا عاشوا حياتهم فى هذا المجتمع الذى ساهموا فى بنائه ، كما يعيش العبيد حتى بعد أن حررهم ابراهام لنكولن ، وحتى بعد أن أعطاهم كنيدى حقوقهم المدنية . فقد بقيت هذه الحقوق حبرا على ورق ، لان الشعب لم يعطهم حقهم فى التعليم ولا حقهم الكامل فى الانتخاب ، كما لم يعطهم نصيبهم من عمل .. فكان حظهم الجهل والفقر . وهكذا بقى الزنوج على هذه الحال ، ولم يذوبوا أبدا فى المجتمع الابيض .. والسبب سواد جلدهم .

ومن أجل هذا ثار زنوج أمريكا اليوم ..

ومن أجل هذا سيثورون كل يوم ، حتى يحصلوا على حقوقهم كاملة ، كمواطنين ساهموا فى بناء هذا العالم الجديد .

(م . ن)

فهى تمثل بالاضافة الى تلك العوائد كل ما تجنيه الحكومة من انتاج الزيت فى بلادها .

٣ – ولقد درجت الشركات المنتجة للزيت ، بموجب الترتيب السابق ، على دفع تلك العوائد، بوصفها دفعة مسبقة من ضريبة الدخل اللاحقة. أى أن هذه الضريبة لم تكن تدفع كاملة ، نظرا لان قيمة تلك العوائد كانت تخصم من قيمة هذه الضريبة ، وكأن العوائد جزء من الضريبة لا حصة مستقلة عنها .

٤ – ولهذا فان تنفيق العوائد واعتبارها نفقات او بحكم النفقا يعنى دفعها ، لا بوصفها سلفة أو دفعة مسبقة من أصل ضريبة الدخل اللاحقة، وانما باعتبارها حصة أو دفعة مستقلة عن هذه الضريبة، فلا تخصم قيمة الاولى من قيمة الثانية . ولا يخفى أن تنفيق العوائد هذا يضمن للحكومة دفعتين اثنتين دفعة العوائد اولا ودفعة ضريبة الدخل الكاملة ثانيا ، وذلك خلافا للترتيب السابق الذى تمخض عمليا عن دفعة واحدة فقط . فضلا عن ذلك فان تنفيق العوائد هذا يضمن للحكومة زيادة ملحوظة فى مجموع ايراداتها البترولية .

ويلاحظ أن لفظة تنفيق لفظة حسابية المقصود بها اعتبار العوائد نفقة من النفقات العادية للشركة.

(ي . ز)

الكومنولث البريطانى

● أرجو اعطائى فكرة عن الكومنولث البريطانى، وما هى الدول المشتركة فيه ؟

محمد تهار القحطانى
الرياض ــ السعودية

ــ الكومنولث جمعية من الدول المستقلة ذات السيادة تضم ٣٦ دولة ، وقد كانت كل من هذه الدول الأعضاء فى الكومنولث ، تابعة للامبراطورية البريطانية فى الماضى ، ثم اضمحلت الامبراطورية ، ونالت بعض الدول التى كانت خاضعة لبريطانيا الحكم الذاتى ، وسميت دومنيون Dominion وما لبث هذا التعبير ان اختفى بعد غروب شمس الامبراطورية واستقلال معظم الدول التى كانت تستعمرها بريطانيا ، وقــام « الكومنولث » Commonwealth ، ومعناها الحرفى الثروة المشتركة .

والواقع ان الكومنولث ليس اتحادا فيدراليا لان مثل هذا الاتحاد تجمعه حكومة واحدة مركزية وقوة دفاعية واحدة ، كما انه ليس هيئة دولية مثل هيئة الأمم المتحدة ، التى يلتزم اعضاؤها بميثاق مكتوب فالكومنولث مجموعة من الدول لا يربطها اى دستور مكتوب .

والدول الأعضاء فى الكومنولث هى المملكة المتحدة (بريطانيا) ، وكندا واستراليا ونيوزيلندة ، وسيلان وماليزيا وسيراليون والهند وباكستان وغانا وقبرص وجامايكا وترينداد وتوباجو واوغندة ومالطا وجامبيا وجيانا ونيجيريا وزامبيا وتانزانيا وملاوى وسنغافورة وبوتسوانا . وكانت جنوب افريقيا ، ثم طردت من الكومنولث بسبب سياسة حكومتها العنصرية .

وبالرغم من تباين الديانات فى كل هذه الدول الأعضاء فى الكومنولث التى يبلغ تعداد سـكانها ثلث سكان العالم،وبالرغم من تنوع الأجواء واللغات والتقاليد والعادات فيها ، الا ان المصلحة المشتركة تجمعها « الى حين » والرغبة فى صيانة الحـرية والسلام والأمن فى ربوعها (ما دامت) تشدها الى بعضها البعض .

م٠ ن

جمهوريات

● كم عدد جمهوريات الاتحاد السوفييتى ، وما هو النظام الذى يربطها ببعضها البعض . ولماذا يسمى الاتحاد السوفييتى أحيانا باسم روسيا ؟

طه عثمان/القاهرة

ــ الاتحاد السوفييتى ، اتحاد فيدرالى يضم خمس عشرة جمهورية ، سوفييتية اشتراكية ، تتمتع كل منها بالحكم الذاتى ، ويحق لها الانفصال اذا شاءت ، وهو حق قائم من الناحية النظرية فقط، لان وجود الحزب الشيوعى كقوة منظمة حاكمة تضم ممثلين للاحزاب الشيوعية فى كل الجمهوريات، يجعل من المستحيل تنفيذ هذا الانفصال عمليـا بالوسائل السلمية ، كذلك يشرف الحزب على تنفيذ السياسة التى تضعها الحكومة المركزية فى موسكو

ويطلق اسم روسيا احيانا على الاتحاد كله ، ذلك لان جمهورية روسيا هى اكبر الجمهوريات اذ يبلغ تعداد سكانها ١١٨ مليون نسمة ، بين سكان جميع جمهوريات الاتحاد بما فيها روسيا ،ويبلغ نحو ٢١٠ مليون نسمة حسب تعداد عام ١٩٥٩ .

وقد اختصت الحكومة المركزية ومقرها موسكو العاصمـة ، طبقـا للدستور السوفييتى الذى وضـع فى عهد ستالين ، بالقـرارات المتعلقة بالعلاقات الدولية ، واعلان الحـرب والسلام ، والدفاع القومى ، والتجارة الخارجية والميزانية ، ثم الاشراف على الصناعات التى تهم جميع جمهوريات الاتحاد ، بينما تختص الحكومة المحلية فى كل جمهورية بالمسائل المتصلة بالصحة والتعليم والاسكان والصناعات المحلية ووسائل النقل فيها .

غير ان الحكومة السوفييتية أصدرت فى عام ١٩٤٤ ، قانونا يخول لكل جمهورية ، على حدة ،

الاتحاد السوفييتي



الحق في اتخاذ القرارات الخاصة بعلاقاتها الخارجية ، الا ان هذا القانون بقي حبرا على ورق من الناحية العملية ، وبقيت هذه العلاقات من اختصاص الحكومة المركزية في موسكو . وكان الهدف من هذا القانون هو المطالبة بتمثيل مستقل لكل جمهورية من الجمهوريات السوفييتية في الأمم المتحدة .

ولكن هذا الهدف لم يتحقق ، وبقيت حكومة الاتحاد السوفييتي الممثلة الوحيدة لهذه الدولة الكبرى ، ولو أن الامم المتحدة وافقت فيما بعد على ان يكون لكل من جمهوريتي روسيا البيضاء واوكرانيا ممثل مستقل في المنظمة الدولية .

وفيما يلي بيان باسماء جمهوريات الاتحاد السوفيتي وتعداد سكان كل جمهورية (حسب تعداد ١٩٥٩) :

اسم الجمهورية		تعداد سكان الجمهورية
روسيا	Russia	١١٨ مليون نسمة
اوكرانيا	Ukrania	٤٢ مليون نسمة
قوزاق	Kazakh	٩ ملايين
يزبك	Uzbek	٨ ملايين
روسيا البيضاء	Belorussia	٨ ملايين
جورجيا	Georgia	٤ ملايين
اذربيجان	Azerbaidzhan	٤ ملايين
مولدافيا	Moldavia	٣ ملايين
لتوانيا	Lithuania	٣ ملايين
لاتفيا	Latvia	٢ مليونان
قرغيز	Kirghiz	٢ مليونان
تاجيك	Tadzhik	٢ مليونان
ارمينيا	Armenia	٢ مليونان
تركمان	Turkmen	٥ر١ مليون ونصف
استونيا	Astonia	١ مليون



على كل عربي ان يحاكم نفسه

عن صحيفة البعث السورية :

● الفرد العربي بعد النكسة ، مدعوالى نسف كل الصيغ البالية للتفكير والعمل .. مدعو الى نبذ الاتكالية والقدرية نبذا نهائيا ، ومواجهة كل الامور المصيرية بجدية وتمعن ، والارتباط بالأمة ونظامها الاجتماعى ، والتلاحم مع الجماهير العاملة .

على كل فرد ان يسأل نفسه ، ما هودوري في المجتمع ، هل انا خلية عاملة تسهم ايجابيا في المجهود العام ، هل اناطاقة فعالة في عداد القوى المنتجة ، ام زائدة طفيلية تساهم في الاستهلاك ، وتزيد العبء على الجانب المعيل من الشعب ، هل انا جزء من جهاز الدفاع والتحرير يشارك في صد العدو وضرب اسلحته ؟

ان الوطن العربي منذور لحياة النضال الشاق ، للدفاع عن وجوده ، ازاء خطر رهيب ، تتلاقى فيه قوى التسلط والعدوان والغدر ، فلا بد للفرد العربي من تحمل مسؤولياته التاريخية ازاء هذا الخطر ، وذلك بأن يقف على قدميه ، وان يفتح عقله لاستيعاب الظروف ومواجهة التحديات ورؤية ابعادها ومتطلباتها كشرط للارتباط الصحيح بمعركة المصير .

لقد كشف العدوان الاخير عن الطبيعة الشاملة للخطر ، فليس من عربي ، يعتبر نفسه آمنا ... والذى كان فيما مضي يتوهم انه بعيد عن متناول العدو اصبح مدعوا الى نبذ هذا الوهم . فلنقف جميعا في ساحة النضال اشداء واعين مؤمنين بوجودنا القومي وبأنه جدير بكل تضحية .

الاعلام هو الميدان

عن صحيفة الطليعة الكويتية :

● عندما اشتعل الصدام بيننا وبين العدو ، كان المفروض ان يتحول اعلامنا على الفور بجميع اجهزته الى اعلام حربي ، بالمفهوم العلمي لهذه العبارة .. وان يصبح ميدانا رابعا للمعركة بعد الميدان الارضي والجوى .. وان يثير الشعوب الصديقة ويحرك غضبها وسخطها على العدوان وان يكسب عطف الراى العام العالمي ويجعله يقف الى جوارنا .

ولكنه لم يستطع ان يحقق شيئا من هذا ، لاننا كنا حتى الساعات القليلة

أين السوق العربية المشتركة !؟

عن صحيفة الحياة البيروتية :

● لا يسع الانسان العربى الا ان يشعر بغصة ... حينما ينظر الى سير الاحـداث الجادة في العالم فيتبين ان هناك دولا تتجمع في وحدات اقتصادية قوية ، هدفها الرخاء المشترك ، ودولا اخرى كانت متباعدة بدات التجمع لبناء وحدة أخرى للرخاء المشترك ، ثم يلتفت الانسان العربى فيجد ... ماذا يجد ؟ لا يجد الا ما يعصر القلب ويدمع العين .

فمنذ ايام وضع رؤساء تسع عشرة دولة امريكية حجر الاساس في بناء السوق الامريكية المشتركة ، والاتفاق على خطة لبناء وحدة اقتصادية كوسيلة للتغلب على المنازعات بينها . ويستعد رؤساء دول السوق الاوربية المشتركة لعقد مؤتمر قمة لمناسبة الذكرى العاشرة لانشاء هذه السوق .

سوق أوربية مشتركة تحتفل باكتمال بنيانها ، وسوق امريكية مشتركة تحتفل بارساء الحجر الاساسي لبنيانها ، فأين اذن السوق العربية المشتركة ؟ لقد وضع مشروعها قبل سنوات من ظهور فكرة السوق الاوربية واستكملت دراسة المشروع ، في مؤتمرات جامعة الدول العربية ، ولم يظهر لتلك الدراسات من نتائج الا اتفاقيات محدودة لم توضع موضع التنفيذ على الرغم من ان مقومات السوق العربية المشتركة أقوى منها في السوق الاوربية والسوق الامريكية .

وحتى في هذا الوقت الذى تبدو فيه الخلافات السياسية على أشدها ما زال المجال مواتيا للشروع في بناء السوق العربية المشتركة لوضع أسس حقيقية، لرابطةاقتصادية هدفها الرخاء المشترك.

واشتداد خطر اسرائيل انما يؤكد حاجة البلدان العربية الى التضامن اكثر منها فى اى وقت مضى،فان القوةالعسكرية لا تكسب حربا ان لم تستند الى قوة اقتصادية . ولا قيام لوحدة سياسية ان لم يكن لها كيان اقتصادى .

الرابع فى المعركة

السابقة للصدام كنا نحاول جمع شتات الصف العربي بل ان بعض اجهزتنا الاعلامية لم تكن في مستوى المعركة من حيث الاستعداد الآلي والبشرى .

والحقيقة انه يجب ان نكون صرحاء مع أنفسنا وان نسجل على بعض اجهزتنا الاعلامية الاخطاء التي ارتكبتها وفي مقدمتها الاساليب الاستهوائية النفسية كالمبالغة والتهويل وقرع الطبول والافتعال والضرب على أعصاب الجماهير ، ثم انها لم تقدم الحقائق الكاملة تلك الحقائق التى لم تلبث ان أعلنت عن نفسها بنفسها .

ان اول ما يجب ان نتنبه اليه عند التفكير في اعلام عربي فعّال هو ان يكون للاعلام العربى كله خطة واحدة اساسية تستمد عناصرها من الهدف الاسمى للامة العربية ، وان تتفرع الى خطط اخرى خاصة بكل جهاز وفق امكانياته ونوعية العمل فيه وفي مقدمة هذه الخطط عملية دعائية كبرى لتغيير اتجاه الراى العام العالمي من جانب العدو الى جانبنا ، ولن نعجز عن هذا لان العدو نفسه قد امدنا بها في الصدام الاخير . ■■



إضحك ..

تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك

مفاجأة .. غير سارة



الزوج للبائع : ارغب فى شراء قلم حبر ممتاز . فانا انوى تقديمه لزوجتى .

البائع : تريد أن تفاجئها به طبعا !

الزوج : بالضبط . اذ انها تتوقع أن أهديها معطفاً من الفراء ..

حسن تقدير

● شكا الشاعر البريطانى السير لويس موريس، لصديقه الكاتب الساخر المعروف أسكار وايلد ، عدم اهتمام الصحافة البريطانية بقصائده واغفالها التعليق عليها ، اذ قال : « انها مؤامرة ضدى يا أسكار ! هل ترى فى هذا الصمت والتجاهل شيئا غير التآمر ؟! ماذا عسانى أن افعل وما هى نصيحتك لى بصدد تلك المؤامرة يا مستر ويلد ؟!

أسكار ويلد : لا شىء ، سوى الاشتراك فيها ..

قصة نجاح

● قال المنتج للمخرج عقب عرض المنظر الأخير من الفلم الذى يجرى تصويره : « اهنئك على هذا النجاح ، فقد جاء منظر ثورة الشعب رائعا وطبيعيا للغاية ! » .

واجاب المخرج بسرعة : « اننا مدينون لك بهذا النجاح يا عزيزي ، فقد التقطت هذا المنظر للممثلين و « الكومبارس » عندما قررتَ تخفيض اجورهم بنسبة ٥٠٪ ! » .



اللصوص سرقوا الحارس

● **الرجل لصديقه :** « لقد سطا اللصوص على بيتى ليلة امس ! »

الصديق : « وهل سرقوا شيئا ! »

الرجل : « نعم ! لقد سرقوا الكلب الذى اشتريته اول امس لحراسة البيت ! »

بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

استقلال الكويت

● متى حصلت الكويت على استقلالها ، وكم عدد الدول التى اعترفت بدولة الكويت ؟ وما هو تعداد سكان العالم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما هو آخر تعداد فى القرن العشرين؟

عبد الرحمن على عبد الله / السعودية

العربى : ألغيت المعاهدة المبرمة بين الكويت وبريطانيا فى ١٩ حزيران (يونيو) عام ١٩٦١ ومنذ ذلك اليوم أصبحت الكويت دولة مستقلة ذات سيادة اعترفت بها جميع الدول المستقلة فى العالم. وأصبحت الكويت عضوا فى جامعة الدول العربية وفى الأمم المتحدة . أما تعداد سكان العالم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يمكن معرفته لانه لم تكن هناك احصائيات فى تلك الايام ، وأما تعداد سكان العالم اليوم فيربو على ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون نسمة .

المنطقة الشرقية

● اشارة الى ما نشرتموه في العدد ..١٠٠ من مجلة « العربى » الصادرة يوم اول مارس ١٩٦٧ في الاستطلاع عن المنطقة الشرقية من المملكةالعربية السعودية فانني اقدم شكرى الجزيل على ما اظهرتموه وعرفتموه للقارىء الكريم عن هــذه المنطقة ، وما اود الاشارة اليه هنا هو انكم ذكرتم في هذا الاستطلاع ان « بيت الاطفال » هو اسم روضة الأطفال الوحيدة في المنطقة الشرقية ، مع أن هناك العديد من الروضات والمدارس الاهلية التى تشرف عليها وزارة المعارف لقسم البنين والرئاسة العامة لقسم البنات ومن ضمنها مدرسة النهضة ومدارس التربية الأهلية بالدمام والخبر ومدرسة روضة اطفال الزهراء برحيمه ومدارس البنات النموذجية بالدمام والخبر بالاضافة الى مدرسة روضة الأطفال بالدمام وهذه مدرســة حكومية مجانية .

حسن حبيب الربيعان ـ سيهات

العربي

العدد ١٠٧
جمادى الثانية ١٣٨٧
اكتوبر
(تشرين الأول) ١٩٦٧



الاذاعة الكويتية : ضاعفت قوتها ٥٠٠ مرة !

جوائز ١٢

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرشا
[illegible]	[illegible]	[illegible]	الأردن	[illegible]	فلس	تونس	٢٠٠	مليم



صبى من الريف ينظر من نافذة

للفنان العالمى موريليو
(١٦٤٦ م)

عزيزى القارئ

● راينا ان نكف بعض حين عن تناول الأمــور العربية بالتعليق ، بسبب الرقابات الكثيرة القائمة . وحتى بغير هذه الرقابة يعسر على الكاتب بل يتعذر عليه أن يكتب والأجواء غير متهيئة للقول الحـــر الصريح .

ونحـن نرى ان المشــاكل العــربية اعمق مما قد يتراءى من ضحالتها ، والتبعات فيها اضخم ، وما كان الاعتداء الاسرائيلى الا كاشفا عن حال عناصرها التى لا ترْضَى ، تذهب الى الأعماق .

نسال الله العون ، ونساله الهداية للعرب ولعباده الآخرين الذين شاءت حكمته أن يسكنهم مكانا من هذه الأرض .

المحــرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

طب وعلوم :

اسلاميات :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 107 Octoper 1967 P.O.B 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

من هذا الاستوديو الصغير من استوديوات الاذاعة الكويتية ، وعبر الميكرفون الصغير ايضا ، ينطلق صوت اثنى عشر مذيعا ومذيعة ، بل صوت دولة الكويت العربية الفتية مدويا في مشارق الارض ومغاربها ، وخاصة في العالم العربي .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٢ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٢ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



لسنا وحدنا

● هكذا تحل بنا النكسة تلو النكسة نحن ابناء الشعب الفلسطيني خاصة وأمة العرب المجيدة عامة .. وهكذا يصبح الفلسطيني دون وطن حقا وتماما ، بعد أن كان له من وطنه قلبه وكان لعدوه باقي جسده .. أما اليوم فقد أصبح القلب والجسد لعدونا اللئيم وضاعت القدس بمقدساتها وكذلك بيت لحم والخليل ونابلس وكل بلدةعريقة من بلادنا في الضفة الغربية من أردننا الحبيب .

ويعود العرب الى الانتظار .. لكننا شعب امة لا تيأس ولا تعرف القنوط .. امة ستصل قمة اهدافها ولو خسرت اضعاف اضعاف ما خسرته في هذه الجولة من هذه الحرب المستديمة الى يوم نصافح به وطننا الحبيب بقلوبنا وارواحنا ..وان هذا اليوم آت مهما طال الانتظار .

كان لابد لأمتنا هذه من نكسة كتلك التى حلت بنا لكى تحقق اهدافها من العظمة والرفعة ولكى تصبح كما كانت امة ذات شأن وجانب مهاب . فلقد عانت الولايات المتحدة نفسها من الاستعمار والحرب الاهلية قبل أن تصبح دولة ذات قوة وجبروت وكذلك الحال بالنسبة لفرنسا وبالنسبة الى روسيا وحتى بالنسبة الى الصين التى عانت من الحروب مع اليابانيين والانجليز ما عانت . وغير هذه الامثلة كثير وهى تخفف من آلامنا فلسنا الوحيدين في هذا العالم .

سعيد عبد الرحيم العلى
الكويت

شاهد من أهله

● كان العدوان الثلاثى الأخير على العرب وانتهى ، لم يبق منه الا آثاره الناطقة وذكره ودرسا فيما حرى بنا نحن العرب أن نتعلمه علم فهم وتدبر ، لا علم حفظ وتذكر وحسب . لقد حاربتنا اسرائيل وأسيادها بالمخاتلة السياسية ، وحاربتنا بالغدر واللؤم ، وحاربتنا حرب الأعصاب وحرب الدعاية الفتاكة المغرضة ، وحاربتنا ب « طابورها الخامس » تارة ، و « المخابرات الامريكية » تارة أخرى .

والآن : أسوق اليكم كتابا منصفا عن « صحفى امريكى حر زار الجبهات العربية اثناء حرب فلسطين وشهد ما ارتكبه اليهود من فظائع ، وقد أوعزت اسرائيل الى جميع سفاراتها في الخارج بمصادرته واتلافه » عسى أن تسلطوا اضواءكم الكاشفة عليه ـ ليعى الحقيقة ـ حقيقة اسرائيل ـ كل من ينشدها .

وقد اختار المترجم ـ كعنوان للكتاب ، جملة طالما كانت تذاع في مكبرات الصوت في شوارع المدن الامريكية ، لحث الناس على التبرع لدولة البغى ، لعصابات اسرائيل وهى : « ادفع دولارا تقتل عربيا ! .. » اما اسم الكتاب ومؤلفه بالانكليزية : This Sword For Allah By Lawrence Griswold .

يقول الكاتب في الصفحة ١١٧ في معرض حديثه عن تغلغل الصهيونية في أمريكا ما نصه :

« .. فكنا ننفس عن مشاعرنا بأن نصب اللعنات على محتلى البيت الابيض واصدقائهم من الصهيونيين ، لقد صعب علينا ـ ههنا في الشرق الأوسط ـ أن

موقف البابا من تحديد النسل

● طالعت في العدد ١٠٣ (حزيران ١٩٦٧) من مجلتكم « العربى » ، صفحة ٦٠ ، ما نقلتموه الى القراء عن مجلة « تايم » الامريكية ، حول «موقف البابا من تحديد النسل وتحديد الملكية الفردية » في رسالته الجامعة Populorum Progressie الصادرة فى ٢٦ آذار ١٩٦٧ . فرايت ان الفت نظركم الى ان جريدة الفاتيكان ، « الاسرفاتوره رومانو » ، كانت قد سبقت فانتقدت تحريف « التايمز» لفكرة البابا ، وفي الوقت عينه، رايت ان ابعث لحضرتكم بنص الرسالة، في العربية وفي أصلها الفرنسي . ومنها ترون حقيقة رأى البابا .

١ ـ فالفقرة ٣٧ تتعلق بالنسل . ولا بد هنا من الالماح الى أن البابا ، في جميع منشوراته وخطاباته ، لا يذكر كلمة « تحديد النسل » ، بل تنظيم النسل ، والى انه لم يؤيد ، لا هنا ، ولا في اى وثيقة اخرى ، عملية تحديد النسل ، ولن يؤيدها ، والى انه لم يصدر حتى الآن البيان الرسمي المتوقع بشأن نتيجة ابحاث اللجان الدولية التى عينها لدرس موضوع تنظيم النسل بموجب الشريعة الادبية.

٢ ـ والفقرة ٢٦ تتعلق بمساوىء الراسمالية الحرة . وتبين للقراء ان البابا ، في شجبه لهذه المساوىء ، انما يعود الى ما تقدم به اسلافه ، ولو « بشدة وعنف » جديدين .

الاب جورج سابا
الرئيس الروحى لرعية اللاتين في مادبا

تصدق ان حكومتنا يمكن ان تجازف بمستقبل الولايات المتحدة من اجل الحصول على الرشوة التى يقدمها اليها الصهاينة : اعنى أصوات اليهود الانتخابية ، كان في استطاعتنا ان نفهم دناءة الصحافة الامريكية ، ولكن لم يكن في وسعنا ان نعذرها ، اما ان تتردى ادارة حكومية في حمأة الدناءة وتضحى عن سابق تصور وتصميم بمستقبل الأمة الامريكية نفسها لكى تبقى أحد الاحزاب في السلطة فهذا ما لم نستطع ان نفهمه او ان نلتمس لها العذر فيه ، لقد كان ذلك في نظرنا خيانة لم يقترف مثلها امريكى من قبل ، وهى لا تزال كذلك الى اليوم عندى انا شخصيا .. » .

محمد عادل رمضان
سورية

جمعية ألمانية ـ عربية في ألمانيا الغربية

● بعد الاتكال على الله العلى القدير ، اسسنا بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٣ جمعية المانية عربية مرخصة، مركزها مدينة مونستر Munster في المانيا الغربية .

تهدف هذه الجمعية الى :

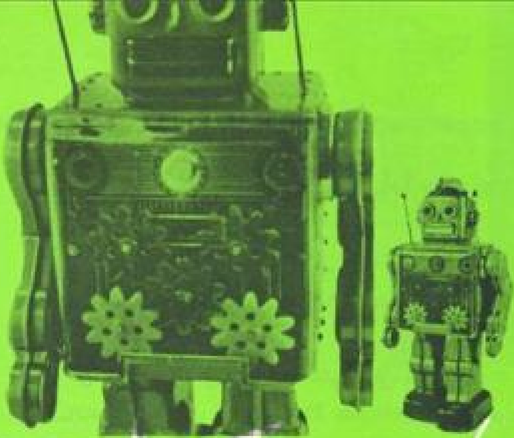
أ ـ مساعدة العرب الذين نكبوا في الحرب الاخيرة بين الدول العربية واسرائيل .

ب ـ تاسيس وتقوية العلاقات والروابط الثقافية والاجتماعية بين الشعبين العربى والالمانى .

ونريد ان نبين بوضوح تام بانه ليس لهذه الجمعية مقاصد ولا صفات سياسية .

ان اعضاء هذه الجمعية من العرب المقيمين في المانيا الغربية ومن افراد الشعب الالمانى . ولقد وصلتنا بعد تاسيس واعلان هذه الجمعية تبرعات مالية صغيرة وكبيرة .

الدكتور : م. عدنان منصور
الرئيس الثانى



حَديث الشهر

التكنِيّة

بقلم رئيس التحرير

■ اذا انت سالت ما الذى جعل بعض امم الأرض متقدما ، وبعضا متخلفا ، قيل لك انها التكنية .

واذا انت سالت ما الذى فرّق العزّة والذلة بين الأمم ، فبعض عزيز ، وبعض ذليل ، قيل لك انها التكنية .

واذا انت سالت ما الذى خالف بين انصبة الناس من ثروة وفقر ، وصحة ومرض ، وسعادة وتعاسة، قيل لك انها التكنية .

واذا انت سالت ما الذى جعل محصول هذه الأرض،في الشرق سبعا ،ومحصول تلك التى هى مثلها في الغرب سبعة عشر، والحب واحد مقدارا ، قيل لك انها التكنية .

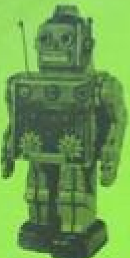
واذا انت سالت ما الذى جر العربة والعربات ، مقطورة وغير مقطورة ، بغير حصان يجر ولا حمار ، قيل انها التكنية.

واذا انت سألت وكيف ركب الانسان الجو بغير بساط سليمان ، قيل لك انها التكنية .

واذا انت سالت كيف امكن انسانا ان يحدث انسانا في الجانب الآخر من الأرض ، في ثوان من بعد طلبه ، وان يحدثه كانما جمعتهما الحجرة الواحدة، قيل لك انها التكنية .

واذا انت سالت ما الذى رفع الدور





جعلت من الأمم أغنياء وجعلت فقراء .

جعلت من الأمم أعزة وجعلت أذلة .

أنبتت في الناس علما وأنبتت جهلا .

القرى جعلتها مدنا ، والمدن جعلت منها عواصم .

أدخلت من الرفه في بيوت أواسط الرجال من أهل هذا العصر ما لم يدركه الأمراء في سوالف العصور .

اطباقا عشرا وعشرين وثلاثين ، واضاءها باسلاك تحمل اليها النور في أكواب الوف وملايين ، قيل لك انها التكنية .

واذا انت سألت ما الذى صنع هذه المدائن الكبيرة ، وزودها بكل هذه المرافق الحديثة الغريبة الكثيرة ، فاعلم انها التكنية .

ثم ضع يدك بعد ذلك في جيبك ، او تحسس بأصابعك . وسوف تجد هناك لا شك شيئا صغيرا دقاقا . انه يدق وحده . وقد يدق وانت تحمله السنين في معصمك ولا يتوقف ابدا. سل نفسك، هذه البدعة الصغيرة القليلة اليسيرة ،

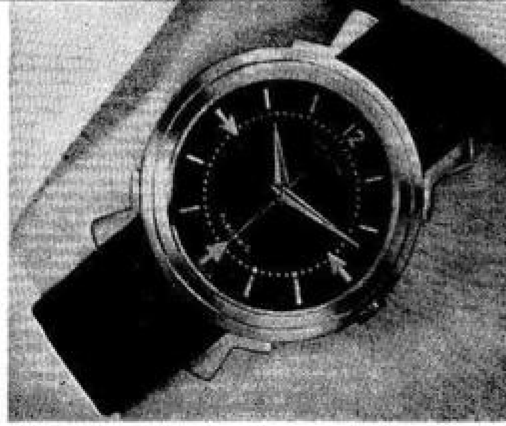


التى قلما يفطن حاملها اليها وهى تصاحبه العمر كله . سل نفسك ما الذى جعلها تساير الزمن حتى كأنها بعض نجوم هذه السماء في دورانها. ثم سل نفسك، كم قطعة توجد داخل هذه العلبة التى يتراءى لك وجهها من وراء زجاجة . مائة هى؟ مائتان ؟ مئات؟وكيف تركبت، وكيف تألفت ، وكيف سعى بعضها وراء بعض يحث خطاه ، بحيث لا تسرع فتسبق الشمس ، ولا تبطىء فتتخلف عنها .

وسيأتيك الجواب من بعد ذلك . انها التكنية .

ثم سل نفسك السؤال الاخير الحاسم: من صنع لك انت هذه الساعة الصغيرة القليلة ، التى حملها معصمك ، تلك التى تتحكم في كل شأنك ، وتنظم صحوك ونومك، والحركة لك والسكون. سل نفسك من صنعها . صنعها قومك ام غير قومك .

فعندئذ تعلم اين انت ، واين قومك مما اسموه بالتقدم . والتخلف في هذه الحياة الحاضرة .



هذه من اصغر ما ابتدعت التكنية الحديثة، تظل تدق ما بقيت على معصمك . هل علمت كم قطعة فيها ؟

التكنية قديمة حديثة

ان التكنية ولدت ، على حال ما ، منذ الف والف من السنين . انها ولدت منذ حاول انسان تلك الأزمان أن يصنع من الحجر شيئًا يقطع به أو يحفر، أو يصنع عجلة يحمل عليها الأثقال فتدرج على الارض،وهي مع الدرج والدوران تسير .

التكنية بهذا وامثال هذا قديمة قدم الدهر .

ولكن التكنيــة الحــديثة بدات منــذ قرنين أو ثلاثة . بدات قليلة ، ثم كثرت، ثم ازدادت كثـرة ، ثم ازدحمت بهـا الدنيا ذلك الازدحام الذى نراه في القرن العشرين .

والذي حفز انسان هــذه العصور الحديثة الى التكنية ، وفتح ابوابها ، وسعها أمامه شيئان :

١ ــ ظهور العلم الحديث ، وهو لم يكد يظهر الا في القرن السادس عشر بل السابع عشر .

٢ ــ تغيُّر مصدر القوة في صـــنع الاشياء ، وانجاز الاعمال . فقد كان العضل الانساني ، أو العضل الحيواني ، هو مصدر القوة الأساسي الواحد . ثم جاء البخار من الفحم ، وجاءت الكهرباء، ولحق بهما زيت الأرض : مصادر للقوة. فكأنما أطلق الانسان بها من قماقم ثلاثة . ماردا فماردا فماردا ، حملوا له على ظهورهم الألف طن في ساعة ، وكان لا يقدر ظهر الانسان على غير حمل طن واحد في الساعتين والثلاث . ثم لا يلبث أن يتعب ويكل ، والمارد لا يتعب ولايكل؛ لأنه ، فحما كان أو بترولا ، انما هـو خزين السنين ، خزنته الشمس طـاقة في الأرض ، كما يخزن الكنز الثمين ، ثم كشفه الانسان ، وأكثر من كشفه أنـه استطاع أن يستخدمه، بالعقل ،وبالفكر، وبالحيلة ، وبالعلم . فان كان للشمس الفضل في خزن هذه القوة الهائلة التى اعتمدت عليها تكنية هــــذا العصر ، فللانسان الفضل أكبر الفضل ، لأنـه هو صنع ، وهو ابتدع ، وهو انجب كل هذا المكن الدوّار .

ان الشمس اعطت المارد ذا القـوة

لم يكن للانسان من مصادر القوة في القديم من الزمان غير عضله وعضل حيوانه ، ثم استبدل بالعضل الفحم ، واستبدل به الزيت، فكان الانفجار الهائل في الصناعة الذى كان



الهائلة ، والساعد ذى العضل المفتول ؛ ولكن الانسان هو الذى علّم هذا المارد كيف يصنع بيديه ، وماذا يصنع . انه مارد أطلقته الشمس بلا ارادة ، فوضع الانسان في راسه الارادة .

والانسان وضعها على الأكثر للخير . ولكن للاسف وضعها كذلك ، واحيانا ، للشر والدمار .

اذكر أن احد العلماء قال : لقد هززنا شجرة المعرفة هزا متواصلا عنيفا، حتى سقطت منها آخر ثمرة عرفناها ، فكانت هى القنبلة الذرية .

والعالم الذى قال ذلك ، كان عالما ذريا ، نسيت من هو .

العلم والتكنية والفرق بينهما

لفظ العلم اذا أطلق هكذا ، اطلاقا ، عنى عند الكتّاب الأحدثين ما يعرف بلفظ Science عند اهل الغرب . واعوزنا بماثله فقلنا العلم ، والأصح ان نقول انه علم الكون الطبيعى . علم اشياء ومم تتألف ، وكيف تتخلق ، من جوامد غير ذات حياة ، ومن كل ذات حياة .

واذا قيل العلم البحت ، دلّ هذا بلفظ اصرح على العلم الذى نعنيه هنا ، مقارنا بالتكنية .

والعلم البحت يتمثل في علم الطبيعة، والكيمياء ، والحيوان ، والنبات ، والفلك ، وما اليها .

والعلم البحت يكشف عن حقائق الكون، كبيرها وصغيرها ، خطيرها وحقيرها ؛ بل لا يمكن ان يكون عنده ما يمكن تسميته بالحقير ما دام انه يفيد انسان هذه الارض في تصوّر دنياه .

والغاية الواحدة في العلم البحت هي المعرفة التى لا غاية لها غير تصور الدنيا، فهى لا تهدف الى نفع الانسان في ملبس أو مسكن او مطعم . فلا يصح أن يدخل أستاذ الى طالب بحث فينظر في بحثه ، وهو باحث بحت ، فيقول له ما فائدة هذا ، وان جاز ان يقول له ان هناك من البحوث ما هى أولى من بحثه في اكتمال تصور الدنيا .

اما التكنية فهى ما يخرج عن هذا العلم البحت من تطبيق ، مما ينفع الناس في عيشهم . فهى العلم مطبّقا . ففى الملبس هى الغازلة تقف الى اختها الغازلة فاختها فاختها في مصانعها الوفا مؤلفة تديرها الكهرباء الجبارة التى هى ايضا من صنع التكنية وعماد قوتها . والتكنية في المسكن هى الهندسة والتصميم ، وما يتبع ذلك من حساب قوة المواد ودرجة احتمالها . وهى كذلك الحديد مبروما وغير مبروم . وهى الاسمنت صنعته تكنية أخرى من طفل وجير .

والتكنية ، ونعنى بها دائما الحديثة الجديرة بهذا الاسم ، تتخذ المكنات تبتدعها للوصول الى غاياتها . ان الطبيعة لم تصنع للانسان من المكن غير يديه ، واحيانا رجليه . وهى كفت عهدا للانسان بدائيا اقتربت بساطة العيش فيه من بساطة البهائم التى يأويها . ولا نقول ذلك تحقيرا له ، ولا للبهائم . وكيف وهى المكنات الحية التى كفت الانسان كثيرا من حاجاته ، قبل أن يستبدل بها المكنات من الفولاذ ومن سائر المعادن .

التكنية في اللغة

والتكنية لفظ معرب عن أصل اللفظ الافرنجي الذى ابتدعه مبتدعوها . فالتكنية الحديثة غربية لا شك فيها . ونحن عندما نقول ذلك ندع السياسة جانبا . وندع كذلك الجهالة ، وندع العصبية في اكذب واسخف صورها . ونرتفع بكلمة الحق نقولها ، ولو بديهية،

الى مستوى الكرامة التى ارادها الله لانسان هذه الأرض .

واللفظ الافرنجي هو Technology وتستطيع ان تداوره على اكثر من لغة اوروبية. وعلى عادتنا نقطع الكلمة ،وهى يونانية الأصل ، الى نصفيها ، وهما Techn و Logy . أما Logy فمعناه العلم ، أو الحديث . وأما تكن Techn فالطريقة او نحو ذلك ، فانى اكتب حيث لا مراجع عندى الآن . وتكون معنى الكلمة « علم الطريقة » ، أو علم الوسيلة ، التى يتوسل بها الانسان لبلوغ شيء .

على أن اللفظ اكتسب ، معنى اصطلاحيا هو الذى سبق ان شرحناه في المقارنة بالعلم ، فلا داعى للرجوع الى معناه الأصيل الذى منه نبع . وهو اشبه بمعنى « علم الحيل » الذى كان عند العرب ، وقصدوا به علم الميكانيكا.

على كل حال صار اللفظ لفظا دوليا ، تقول به كل الأمم .

وعرّبناه فصار التكنية . ولا حاجة لتضمين لوجى Logy ففى صيغة المصدر الصناعى ما يدل عليها .

ولكن مركز التعريب التابع للجامعة العربية ، ومحله الدولة المغربية ، عرب هذا اللفظ فجعله التقنية . وهو مركز للتعريب له مكان ملحوظ لجهود له بذلها مشكورة .

والتقنية عليها اعتراضان . اولهما انه لفظ بالقاف ثقيل في النطق . وثانيهما اننا ما دمنا قد رضينا بالتعريب فلماذا نبعد عن اللفظ الافرنجي وهو « كاف » خفيفة ، لا « قاف » ثقيلة .

قيل لأنهم اكتشفوا في قواميس اللغة، في مادة القاف والنون والياء ، لفظا له معنى يشابه معنى اللفظ الافرنكى .

حجة تراءت لى كأحكام المحللات في الزواج . فصنت نفسي عن النزول الى هذا السبيل،فلم احاول ان افتح قاموسا لاتحقق مما يقولون .

ابلغ من حرصنا على ان تكون كلمات نستخدمها ، حتى فيما لم يستخدمه العرب ، له أصول عربية ، أن نسلك في ذلك سبيلا نفتعل فيه الصلات افتعالا يثير الضحك والسخرية . ايجوز عندنا، في آخر الدهر ، ان لا تصح في لغتنا كلمة الا اذا هى ولدت تحت خيمة وعلى رمال الصحراء ، وقرآننا الكريم ، في أول الدهر ، ارتضي كلمات من الفرس . ولدت على أسرة النعمة ، وحاطتها الرفاهة من كل جانب .

يذكرنى هذا بالصديق الكريم الراحل، الأستاذ على الجارم . كنا في مجمع اللغة العربية نبحث عن كلمة عربية لكلمة Machine فقلت نحن في القاهرة نقول مكنة ، بفتح الميم والكاف ،ونجمعها فنقول مكنا او مكنات . وبعد نقاش ، واعتراض الأخ الجارم ، ارتضي أخيرا لفظة مكنة ، على أن تكون مكنة ، بضم الميم وتسكين الكاف ، وذلك لأن هذا اللفظ موجود في القاموس بمعنى تمكين الانسان من عمل شيء . وهذا هو المراد. قلت له: ولكن الناس تقول مَكنة لامُكنة. قال تكتبها بدون شكل ، وليقراها الناس كما يريدون . فانطلقت منى ضحكة عالية ، تبعتها منه ضحكة أعلى . كان رحمه الله لطيفا ظريفا يضحك للنكتة حتى على نفسه .

التكنية والمجتمع

يجب ان نذكر دائما ان التكنية التى نعنى هى التكنية الحديثة ، تكنية العجلات الهائلة الدوارة ، تكنية المكنات، تكنية الفحم والزيت والكهرباء ، لا تلك التكنية القديمة التى حاول الانسان انشاءها منذ عهد آدم .

تلك التكنية التى نعنى بدأت من نحو ٣ قرون ، تزيد أو تنقص ، تبعا للقدر الذى ناله الانسان منها .



هؤلاء اصول المجتمع المنتج ، وما سائر المجتمع ، من شرطة ، ومحاكم ، وطب ، وتعليم ، مواصلات ، الا تبع .

المجتمع الانساني قبل هذه القرون القليلة كان مفرقا في قرى. ومدن صغيرة واسال ما كان تعداد القاهرة او بغداد او دمشق او لندن او باريس في تلك الايام تدرك معنى ما اقول .

جاءت التكنية الحديثة ، رويدا رويدا جعلت كل صغير كبيرا ، والقرية صارت مدينة ، والمدينة صارت عاصمة كبيرة . وبدانا نسمع بالملايين تتكتل في المساحة القليلة .

والسبب ؟

انظر معى الى المجتمع . ما المجتمع ، اى مجتمع ، في اى عصر ؟ انه يتألف من فئة تزرع ، ومن فئة تصنع ، وفئة تقوم بتوزيع نتاج زراعة او نتاج صناعة بين الناس ، ونسميهم بالتجار .

هذا هو المجتمع اصلا ، وما عداه من الفئات تبع . الموظفون عند التجار والزراع والصناع انما هم تبع. والقائمون بالمواصلات انما هم تبع. ورجال المحاكم والشرطة تبع . والطب والتعليم تبع . كل هذه خدمات استدعاها وجود الزارع والصانع والتاجر ، أولئك المتصلون بالانتاج عند مصادره الاولى .

جاءت التكنية الحديثة فقلبت وسائل الانتاج راسا على عقب . صارت الآلات وما يديرها من قوى هائلة ، تنتج في الساعة ما كان عجز عنه الانسان ان ينتجه في اشهر حتى لو انه درى كيف ينتج . وكثر الانتاج وزاد وفاض .

ولكن هذا الانتاج العظيم يحتاج الى مال كثير . ومن هنا نشأت الشركات . مال زيد الى مال عمرو الى مال خالد . وتألف من الاموال رؤوس اموال كبيرة ، انشأت المصانع العظيمة التى زادت الانتاج كثرة ووفرة .

والمصنع اليدوى الصغير الذى كان يستخدم العشرة والعشرين من العمال . صار يستخدم الالف والآلاف .

وتكتلت العمال ألوفا الوفا حول المصانع ، فنشأت المدن . ومع نشأة المدن زادت احجام كل الخدمات ، من شرطة ، من محاكم ، من طب، من تعليم ، من مواصلات .

وتفنن رجال التكنية فيما يصنعون فتنوعت المنتوجات ، وتعددت أصنافا ، وتعددت درجاتها .

وحاجات لم يكن لانسان هذه الأرض علم بها ، خلقتها المدنية ، بل التكنية ، خلقا ، فصارت من الضروريات . القطار والقاطرة . السيارة . الطيارة . السفينة الباخرة وغير الباخرة ، التلفون . التلغراف ذو السلك وغير ذى السلك . الرديو . التلفاز . وحتى الملابس وصنوفها. وحتى صنوف الطعام . انك لتدخل اليوم ما اسموه بالسوق المركزى ، فتجول بعينك في ارففه المالئة ، وتنظر الى الطعام في اكياسه وعلبه وعاريا ، فتحار فيما تأخذ وماذا تدع .

كل هذه الاشياء ، وقد ذكرنا منها بعضا قليلا ، وتركنا منها الكثير الاكثر ، كلها تحتاج الى مصانع ، والمصانع تحتاج الى صناع ، والنتاج نفسه يحتاج الى تسويق ، والتسويق يحتاج الى رجال .

من اجل كل هذا كان هذا التضخم في الاعمال ، وهذا التنوع . واذن فالتكتل بين السكان .

والعاملون ، في الانتاج المباشر او

ملحقاته ، في حاجة الى تعليم ، فالصناعة ترفض الجاهل . وفي حاجة الى تمريض وتصحيح ، فالصناعة ترفض المريض غير الصحيح .

والذى جرى في الصناعة جرى مثله في الزراعة ، لا سيما في هذا القرن العشرين .

وخلاصة كل ذلك ارتفاع مستوى المعيشة . ارتفع عند جمهور الناس وعند السواد من الرجال والنساء . ولا اذكر ارباب القصور . وحتى القدماء من ارباب القصور لم يعرفوا فضل التكنية ، التى هى من فضل العقل الانسانى ، الذى هو من فضل الله ، لم يعرفوا فضلها في عيشهم اليومى القديم ، كما عرفها الرجل من سواد الناس تختاره من هذا العصر الذى نحن فيه ، في امم نعتها بالمتقدمة ، ولو انا نعتناها بالتكنية المتقدمة لكنا ادق قولا .

التكنية لم تكن كلها خيرا

التكنية جاءت الناس بنعم لا تنكر . او الأصح أن نقول ان التكنية جاءت اصحابها بنعم لا تنكر . ثلث العالم نعم بها ، وبقى الثلثان يشقيان بغيبتها ، ويحاولان اللحاق .

ومع هذا فلو انك نظرت الى كثير من متاعب أهل الأرض الحالية ، لوجدتها ترد الى هذه التكنية .

مثال ذلك مشكلة العمل والعمال .

كان مما تنبه اليه العمال ، وازدادوا له تنبها في منتصف القرن الماضي ، زيادة الانتاج الذى هم احدثوه ، ونصيبهم من الكسب الكائن مقارنا بالذى يكسبه أصحاب رؤوس الاموال . والناس أخذت مستويات حياتهم ترتفع ، فما بال مستويات العمال ؟ ونشأت الخصومة التى لم تنته الى اليوم .

ومن هذه الخصومة ، او في ظلها ، نشأت المذاهب الاجتماعية الحديثة . وهى نشأت في منتصف القرن الماضي حيث كان العامل يكاد يعمل من مشرق الشمس الى مغربها ، ولا ينال من الأجر الا القليل . ولم يكن له من أمن الحياة شيء . ولا من رفهها ، بل من المعقول من مستوياتها شيء . وكان طبيعيا أن تنشأ في ظلال هذا الاجحاف البالغ ما تنشأ من مذاهب .

وناصر الكثير من رجال الاقتصاد مطالب العمال . ناصروها بناء على أسس انسانية ، وعلى اخرى اقتصادية قالوا : ان هذا الانتاج المتكاثر لا بد له في الأسواق من قوة شراء تستوعبه . وزيادة نصيب العمال من الكسب زيادة في قوة الشراء .

ومن امثلة ما شقي به الناس من التكنية ، ما كان من الأمم التى نعمت بها من سلوكها مسالكها المعروفة الاستعمارية .

التكنية أعطت اهلها كل وسائل القمع . أعطتها من وسائل الحرب والدمار ما لم يكن يخطر ببال انسان .

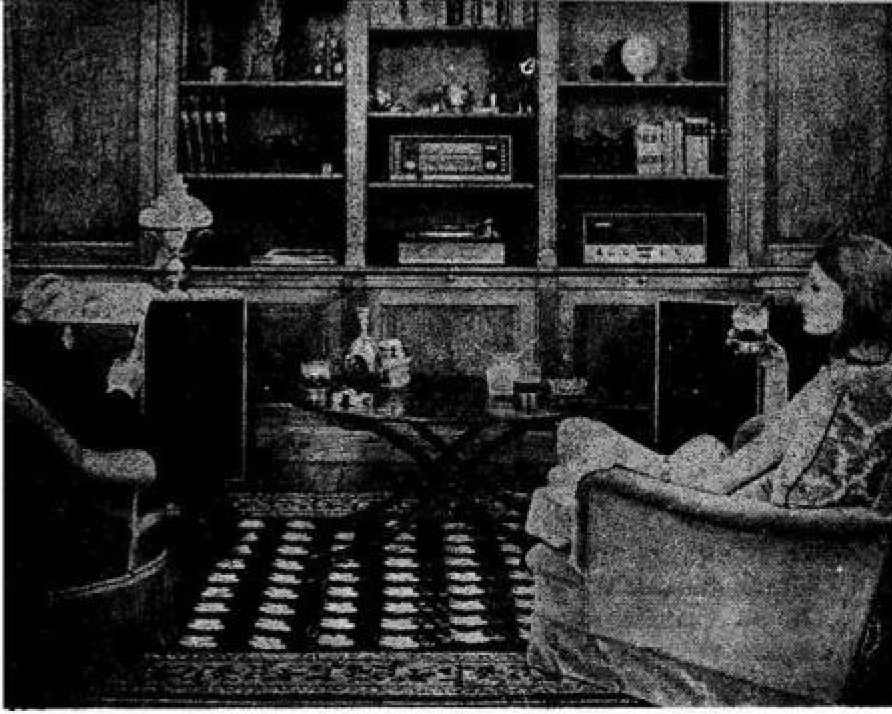
واجتمعت القدرة الكبيرة على الضعف الكثير ، فلم يكن لأكثر الأمم امام الهجوم الاستعمارى التكنى صمود . وكان من اخلاق الانسان في تلك الأيام ان يفخر بما اكسبه اياه الاستعمار . فدولة تفخر بأنها سيدة البحار ، وتفخر بأن الشمس لا تغيب ابدا عن حيث لها على ظهر الأرض ربوض ، واخرى تفخر بأن علمها لا بد منشور في كل الأرجاء .

ومن أمثلة ما شقى به الناس من التكنية ، ومن العلم الذى يسندها ، وسائل الدمار التى ابتدعها الانسان لأعدائه ، فاذا به يستيقظ على الحقيقة الرهيبة ، وقد ابدع الأعداء مثلها ، انها ليست لدمار أعدائه وحدهم ، وانما هي لدماره ودمارهم جميعا .

ونعنى بذلك بالطبع ، القنبلة الذرية ، والحاملات التى تحملها أو تقذف بها الى اى مكان في الأرض .

العلم والتكنية، لا يوصفان بالخير أو بالشر

وتسأل العلماء عن هذا العلم ، وعن هذه التكنية ، ما خطبهما ؟ فيقولون لك



هذا الصالون، ما كان ليكون، وعلى الرخص يكون ، ومع السرعة ، ومع الكثرة ، لولا تكنية هذا العصر .

ان العلم ، وان التكنية ، كلاهما ليس فيه الخير اصلا ، وليس فيه الشر . انهما كمشرط الجراح، يستطيع ان يقتل به ، او ان يجرح ليشفي . او هما كالماء، تستطيع أن تبل به الظمأ وتستطيع ان تسد به الأنفاس وتغرق .

اما الخير أو الشر ففي الانسان .

ويحدثونك عن الحكمة ، فيقولون انها تخلفت في الانسان ، وتقدّم عقله . ولا بد للحكمة ان تسبق حتى يتخلص الانسان من فواجع التكنية وينعم بالمكاسب وحدها .

واسموا التكنية بالمادية عجزا وقصر ذيل

وقوم من اهل الشرق الفوا العيشة التي يسميها اهل الأرض بالدنيا ، او الوضيعة ، عيشة التقشف ، ولو قد فرض عليهم غصبا . فهم لا يرون في هذه التكنية غير المادية . وقد يكونون في ذلك مثل الثعلب الذي نظر للعنب ، فوجده عاليا لا ينال ، فقال ، انه الحصرم المر . وذهب راغبا عنه ، وقد يكونون فيما يدعون زاهدين مخلصين، يرون الانسان يخرج عند ولادته من فناء لينتهي عند موته الى فناء ، وأن العيش يقظة النائم التي لا بد أن تنتهي وانها يقظة العمر ، والعمر قصير ، فما بال الانسان يهتم كل هذا الهم بحياة أول أوصافها القصر .

امثال هؤلاء يرون في العيش رأى المعرى، او راى عمر الخيام . وانا كثيرا ما تمر بى ساعات أرى الحق في هذا أبلج واضحا. ثم لا ألبث أن اقول : هذا الحق يحتاج الى صمود فوق ما تستطيعه قدرة انسان يعيش فوق هذه الأرض. وارتضاه المعرى ، وقدر عليه ، لأنه أولا : كان صاحب المحبسين، وليس الناس كذلك. ولأنه ثانيا كان ذلك الرجل الذى قال : هذا جناه أبى علىّ وما جنيت على أحد

لندن في ١٩٦٧/٧/١٥ . ■■

احمد زكى



١ ـ قصر الحمراء



٢ ـ جامع عمر المحضار



٣ ـ قبر خالد بن الوليد

مسابقة العربي

أين تقع هذه المعالم ؟

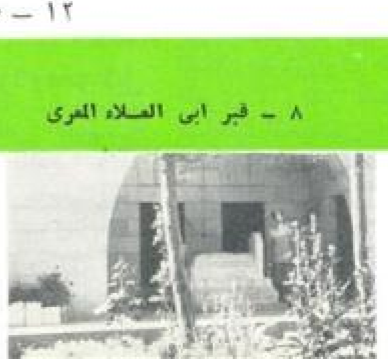
■ تنقلك مسابقة هذا العدد الى مدن واقطار مختلفة .. فعلى هاتين الصفحتين تجد ١٢ صورة لمعالم وآثار موجودة في مدن متباعدة .. والمطلوب منك معرفة اسماء هذه المدن الاثنتى عشرة ، او على الاقل اسماء عشر منها ، فقد يحالفك الحظ وتفوز باحدى الجوائز القيمة التى تقدمها لك العربي كل شهر ..

١ ـ قصر الحمراء
٢ ـ جامع عمر المحضار
٣ ـ قبر خالد بن الوليد
٤ ـ باب زويلة
٥ ـ قبر صلاح الدين
٦ ـ صومعة الكتبية
٧ ـ الاسكوريال
٨ ـ قبر ابى العلاء المعرى
٩ ـ ساحة الشهداء
١٠ ـ بوابة الجهراء
١١ ـ جامع الزيتونة
١٢ ـ طاق كسرى

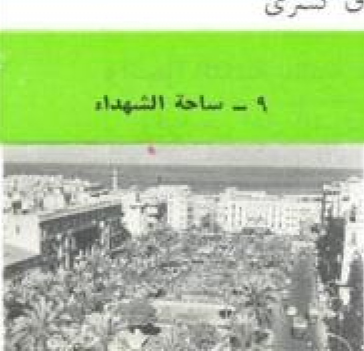
٧ ـ الاسكوريال



٨ ـ قبر ابى العلاء المعرى



٩ ـ ساحة الشهداء







٤ ـ باب زويلة　　٥ ـ قبر صلاح الدين　　٦ ـ صومعة الكتبية

كوبون المسابقة

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٠٧ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ .

كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

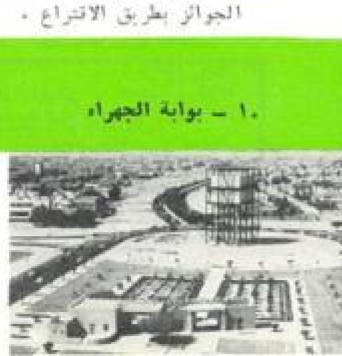
الجوائز ١٠٠ دينار

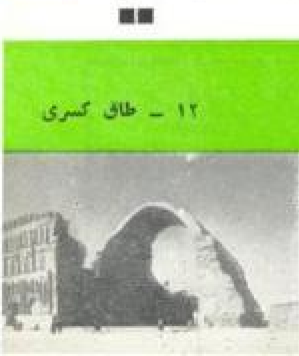
يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ، **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا ، **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

١٠ ـ بوابة الجهراء　　١١ ـ جامع الزيتونة　　١٢ ـ طاق كسرى





صفحة في اللغة

"الصَّدْرِيَّة" و "النَّصْفِيَّة" : لا "البلوزة" .. و"الجونلة" !

■ « عزيزى الزميل الكريم الدكتور احمد زكى تحية وشوقا ووُدًّا .

وبعد ، فانى أقرأ لك ما تكتب في « العربى » الاغر ، مؤتنسا بهذا اللقاء الفكرى على البعد، وكانى اجاذبك الحديث عن قرب ..

فهل أنت آذن" لى في بعض القول، حول ما جرى به قلمك في العدد الاخير من المجلة ، عدد مايو سنة ١٩٦٧ ؟

لقد صادفتُ في مقالك « حديث الشهر » كلمات ثلاثا ، هى :

« الموضة » ، و « البلوزة » ، و « الجونلة » .

فهالنى من امرها انك لم تعدل عنها ، وهى اعجمية دخيلة ، الى نظائرها العربية ، وهى : المُبتكرات ، والصَّدْرِيَّة ، والنَّصْفية .

هذا والمألوف منك حرص بالغ على ايثار الفصحى ، واشاعة البديل من الدخيل ، سواء فيما تكتب بقلمك ، وما تنشر لغيرك من الكرام الكاتبين .

وآية ذلك ، في هذا العدد عينه من المجلة ، انى صادفت في باب العلم والاختراع ، كلمات خمسا ، هى : علم الارض ، في مقابل « الجيولوجيا » .

واللدائن ، في مقابل « البلاستيك » .

والمِعْجَل ، في مقابل « الاكسلريتر » Accelerator

واشباه النجوم ، في مقابل « الكوازارات »

والناقلة فوق الصوتية ، في مقابل « السوبر سونيك » .

وان كانت المجلة مع ذلك ، في هذا الباب أيضا، قد استعملت «التلسكوب» ، وكان لديها مندوحة عنه باستعمال :

المِرْصَدَة او : المِرْقَب .

أتراك ، أيها السيد العزيز ، تؤثر الابقاء على الشائع المتعارف في مجال التعبير عن المسميات الحضارية العامة التى تدور في البيت والسوق ، وان يكن الشائع المتعارف أعجميا دخيلا ، على حين تحرص على الفصيح ، ما امكن ، في مواضعات العلم ومصطلحاته ؟

ام تراك ، في حديثك الشهرى ، وهو حديث اجتماعى أنيس ، تجنح الى التبسط والتمليح ، باستعمال العامى الاعجمى من الكلم ، أما في مقام البحث والدرس فالمجال ينفسح لاشاعة المصطلح العلمى العربى ؟

مهما يكن من أمر ، فانى أنتهزها فرصة ، لأقحم نفسي بينك وبين قارئيك ، لكى أروّج بعض الفاظ حضارية أعالج منذ سنوات جمعها أو انتقاءها أو وضعها ، بغية أن تأخذ مكانها في التعبير الأدبى والعلمى على السواء .

ومع كتابى هذا نموذج منها ، هو عشرة الفاظ ، فان طاب لك نشرها، ورأيت الاستزادة من أمثالها، تابعت ذلك الى « العربى » .

ولك اطيب التحايا ، وأجمل الأمانى . ■■

محمود تيمور

الالفاظ

١ ــ البلوزة ، أو الشميزيت ــ يقابلها : الصَّدْرِيَة .	٦ ــ الايشارب ، أو الفولار ــ يقابلها : غلالة العنق ، أو اللِّفاع ، أو الخِمار .
٢ ــ الجونلة ــ يقابلها : النَّصْفية .	٧ ــ البيجامة ــ يقابلها : المَنامَة .
٣ ــ البول أوفر ــ يقابلها : الصِّدار الصوفى .	٨ ــ السُّوتيان ، للسيدات ــ يقابلها : المِنْهَدَة ، أو : حَمّالة الصدر .
٤ ــ السُّويتر ــ يقابلها : المُرَقَّبَة .	٩ ــ الجيرسيه ــ يقابلها : المُكَرَّش .
٥ ــ الكاميزول ــ يقابلها : القميص التحتانى .	١٠ ــ الكريب ــ يقابلها : الكَرْبَشَة .

نتيجة مسابقة العدد ١٠٥

.. أسماء الفائزين بالجوائز

■ كثيرا ما تكشف المسابقات التي تنشرها « العربي » بين الحين والحين عن بعض الشخصيات الادبية او الاحداث التاريخية عن عناية عدد غير قليل من المشتركين فيها بالبحث والتحري والغوص على المعلومات واستقصاء الحقائق، وبذا تجيء اجاباتهم مستفيضة ومطولة بحيث يصلح بعضها ليكون موضوع كتاب لا مجرد اجابة سريعة على مسابقة .

ومن هذا النوع كانت مسابقة العدد الخامس بعد المائة .. فان كثيرا من المشتركين لم يكتفوا بالكتابة بافاضة عن الشخصيات المطلوبة فحسب ، بل تجاوزوا ذلك الى الكتابة عن اسماء الذين اشتركوا في اسم واحد وافاضوا في تاريخ كل منهم ، مثل ابن زهر (٦ أشخاص) وابن الاثير (٣ اشخاص) وابن زيدون (٣ أشخاص) وابن طباطبا وابن نباتة وغيرهم ممن اشتركوا في اسم واحد وان كان هذا الاسم قد غلب على احدهم دون سواه لشهرته .

وكنا نحب ان ننشر اسماء المشتركين الذين تجلت في اجاباتهم العناية والوعي والاهتمام بالبحث الادبي والتاريخي ، لولا انهم كثيرون يضيق بذكرهم المقام .. فلهم جميعا تقديرنا .

ومن بين الاجابات الصحيحة اجريت القرعة ففاز الآتية اسماؤهم :

الجائزة الأولى ، وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :

حمود عمر الجحيدلي : ضابط المخفر القبلي ــ الكويت .

الجائزة الثانية ، وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :

محمد غسان الايوبي ــ المدرس في مدرسة الارز الرسمية للصبيان ــ ابو سمرا ــ طرابلس ــ لبنان .

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :

عادل غلاب ١٥ شارع برفانص ــ اكدال ــ الرباط ــ المغرب .

٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ ديناراً ، وكل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ــ المحامي أيوب الحاج علي ــ علاوى الشورجة ــ بغداد .

٢ ــ المدرسة امينة حريتاني ــ حلب ــ الجمهورية السورية

٣ ــ عبد علي محمد جبيل ــ نادى سترة الثقافي ــ البحرين .

٤ ــ محمد عبد الهادى القمودى ص.ب ١٦٣٧ بنغازى ــ ليبيا .

٥ ــ محمد عبد الله المفرح ــ كلية الطب ــ برلين الغربية .

٦ ــ محمد حلمي محمود ــ ١٦ شارع الجلاء ــ طنطا ــ ج.ع.م .

٧ ــ نوال قاسم سيف ــ عدن .

٨ ــ علي الحمدان خليفات ــ البلقاء ــ السلط ــ الاردن .

وسوف ترسل الجوائز بالبريد الى مستحقيها . ■■

أزمة القيم

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم
استاذ الفلسفة بالجامعة الاردنية ــ عمان

■ هل تعرف الفارق بين رجل عُصابيّ (مصاب بمرض نفسي) لا يدري انه ضحية لعقدة نفسية ورجل عصابي آخر يعلم انه مريض يعاني عقدة نفسية ؟

وهل تعرف الفارق بين شخص كذوب يكذب ولا يدري انه يكذب ، وشخص كذوب آخر يكذب ولكنه يدرك انه يكذب؟

وهل تعرف الفارق بين انسان جبان يرتعد خوفا ولا يفطن الى انه خائف مذعور ، وانسان جبان آخر يرتعد خوفا ولكنه يشعر انه خائف مذعور ؟ . . .

اذا عرفت ذلك ، فقد ادركت قيمة « الوعي الذاتي » ، او نقد النفس ، مع ما يقترن به من عملية « تجاوز » او « تعد » Transcendence يكون من شأنها الانتقال بصاحبها الى ما وراء « موقف » كان مندمجا فيه ملتحما به . والحق ان اهم سمة تميز الموجود البشري انما هي ــ على وجه التحديد ــ هذه القدرة المستمرة على التحرك والتطور والانطلاق، وبالتالي فان من طبيعة الانسان ان يتخطى شتى المواقف التي اقتادته اليها حركته التطورية الدائبة . ولولا هذه العملية النفسية التي يسميها الفلاسفة وعلماء النفس باسم عملية « العلو » او « التجاوز » ، لبقي الانسان اسيرا لحالاته النفسية السابقة ، ومواقفه الشعورية الماضية ، دون ان يملك الخروج عنها ، او الحكم عليها . ولكن « الوعي الذاتي » او « نقد النفس » هو الذي يجيء فيسمح للموجود البشري بالانفلات من ماضيه ، والعمل على « تقييمه » ، في ضوء ما طرأ على حياته النفسية من ازمات وخبرات .

واغلب الظن ان النكسة الاخيرة التي طرأت على مجتمعنا العربي المعاصر قد القت أمامنا الآن الكثير من الأضواء على « ازمة القيم » التي كنا نعاني من وطأتها الأمرين ، فأصبح في وسعنا اليوم أن نتعرف أعراض هذه الأزمة ، وبالتالي أن نضع ايدينا على مواطن الداء . وسنحاول ــ في هذه العجالة القصيرة ــ ان نستعرض بوضوح اهم مظاهر هذه الأزمة الأخلاقية ، آملين ان نتمكن في مقال قادم باذن الله من العمل على تقديم

فى مجتمعنا العربى المعاصر

بعض الحلول ، واثقين من أن حسن وضع المشكلة انما هو البداية الصحيحة لحلها .

ضيق مفهوم « الأخلاق » عندنا

ولو اننا القينا نظرة سريعة على مفهومنا العربي للأخلاق ، لوجدنا ان هذا المفهوم لا يكاد يتجاوز دائرة « الحياة الجنسية » ، مع ما تتطلبه من تنظيم لعلاقات الرجال بالنساء . فالأخلاق عندنا مقصورة على مسائل العرض والشرف والعفاف والوفاء الزوجي،حتى ان « القيمة الخلقية » لا تكاد تعدو هذه الدائرة الضيقة من دوائر السلوك البشري . ولعل هذا ما حدا ببعض علماء الأخلاق الى القول بأن « الضمير » الأوحد الذى نلتقى به لدىأفراد المجتمع العربي انما هو « الضمير الجنسي » . واما أن يكون لكلمة « الشرف » معان اخرى غير ما يتصل بمسائل العرض والعفة، فهذا ما قلما يخطر لنا على بال . وآية ذلك اننا لا نعلق كبير اهمية على « الضمير المهنى » ، و « الضمير المدنى » و « الضمير القومى » ، و « الضمير العالمي » ، مقتصرين فى العادة على تنمية « ضميرنا الجنسي » وحده دون سواه . فنحن نلوم ـ مثلا ـ ذلك الشخص الذى يعد فتاة ما بالزواج دون ان يفى بوعده ، بينما لا يكاد يخطر على بالنا أن نلوم سياسيا لأنه غرر بشعبه ، أو ان ننحى باللائمة على شخص مسئول لأنه لم يف بتعهداته ، وهلم جرا ... ونحن نصب جام اللعنة على الزوج الخائن الذى يخدع زوجه ، ولكننا قلما نقسو فى أحكامنا على الموظف الخائن الذى يخدع امته . ونحن نتطلب من النساء والرجال ـ قبل الزواج وبعده ـ نمطا خاصا من انماط السلوك ، الا وهو نمط الوفاء والأمانة ، ولكننا قلما نتطلب هذا النمط الأخلاقي من انماط السلوك فى مجالات اخرىغير مجال « علاقة الرجل بالمرأة » . ومن هنا فاننا قلما نقسو فى الحكم على التاجر « الجشع » ، أو الطالب « الغشاش » ، أو الموظف « المرتشى » ، أو الزعيم « المخادع » .

الضمير المهنى

وليس من شك فى أن سوء الادارة الحكومية (فى الكثير من المجتمعات العربية) انما يرجع الى ضعف « الضمير المهنى » لدى القائمين على الأعمال الحكومية . وآية ذلك اننا لا نجد لدى الموظفين الحكوميين ـ فى كثير من الأحيان ـ احساسا بالواجب ، وشعورا

بالمسئولية ، ورغبة حقيقية فى خدمة الجمهور بل كثيرا ما نلتقى لديهم بمظاهر الاهمال والاستهتار وعدم الاكتراث ، مما يدل على انهم لا يكادون يتمتعون بأى « ضمير مهنى » ! وليس من قبيل المبالغة ان نقول ان فساد الادارة فى معظم اجهزة الدولة ، راجع أولا وبالذات الى عجز المواطن العربى عن فهم الدلالة الأخلاقية للعمل ، وفشل التربية العربية في تنمية « الضمير المهنى » لدى النشء . وهكذا بقيت القواعد الأخلاقية بمنأى عن دائرة العمل او النشاط المهنى ، وكأن ليس للعمل اصوله وقواعده ، وواجباته وحقوقه ، وتكاليفه ومسئولياته . ولن يتسنى لنا أن نخلص مجتمعنا العربي من هذا الفساد الادارى الذى يشيع فى معظم اجهزته الحكومية والسياسية ، اللهم الا يوم نكون قد نجحنا فى توسيع فهمنا للأخلاق ، بحيث يصبح للقيم الخلقية دورها الفعال فى شتى مجالات سلوكنا ، بما فيها مجالات العمل والانتاج والنشاط المهنى .. الخ .

قانون « الجهد الأقل » .. !

والحق أن عجز الكثيرين من بيننا عن فهم قيمة « العمل » (بوصفه نشاطا ذا طابع أخلاقي) قد ادى الى تمسك معظم العاملين عندنا بمبدأ « الجهد الأقل » . ونحن لا ننكر ـ بطبيعة الحال ـ ان الانسان أميل الى انتهاج أقصر الطرق للوصول الى غايته ، ولكننا نعلم انه حينما تصبح « الوصولية » ، و « الانتهازية » ، و « الماكيافيلية » هي اقصر الطرق ، فان المجتمع لا بد من أن يستحيل الى بؤرة فساد اخلاقي ! ولنضرب لذلك مثلا فنقول ان الموظف قد يجد ان اقصر الطرق للوصول الى غايته هي مجاملة رئيسه على حساب العمل ، كما ان الطالب قد يجد أن أيسر السبل لبلوغ النجاح هي تنمية علاقاته بأساتذته بدلا من الانصراف الى مواصلة البحث والاطلاع ، وهلم جرا ... وليس من شك في ان عدم الرغبة في بذل الجهد للوصول الى الغاية أو تحقيق النجاح ، انما هو عرض من اخطر أعراض الفساد الخلقي التي قد تدب فى أوصال اى مجتمع .

ولما كان النجاح الحقيقي لا بد من أن يكون حليف الجهد الشاق والعمل المتواصل ، فانه لمن الصعوبة بمكان أن يقتلع المربون والمصلحون من نفوس النشء هذا الايمان الضمنى بمبدأ « الجهد الاقل » . ولكن المجتمعات التى سبقتنا الى غرس مبدأ « العمل » فى نفوس أبنائها ، باعتباره « قيمة أخلاقية » ، انما هي تلك التي استطاعت ان تعهد الى كل فرد من افرادها بالعمل الذى يكون فى الوقت نفسه هوايته . وهكذا بدأ افرادها بحب « العمل » كما يحب المرء « هواية » تأخذ بمجامع قلبه ، ثم لم يلبث « العمل » أن اكتسب فيأنظارهم « قدسية » جعلت منه نشاطا جديا له قيمته . وسرعان ما صار الصراع ضد المادة ، والعمل على تحدى العوائق ، والاهتمام بالانتاج الجيد ، والتفنن في ابتكار الأعمال الأصيلة ، « قيما أخلاقية » يسعى العاملون فى سبيل تحقيقها بكل ما أوتوا من جهد وطاقة .

ولا غرو ، فان المهندس الناجح والطبيب البارع ، والمدرس الكفء ، والعامل الماهر ، والصانع الممتاز : كل هؤلاء « فنانون » يتقنون حرفهم ، ويقدمون لنا انتاجا اصيلا ، ويضعون بين أيدينا أعمالا مبتكرة . وحينما يستحيل « العمل » الى « فن » ، أو حينما يحل « النشاط الابداعى » محل « النشاط الآلى » ، فهنالك يكون مبدأ « الجهد

الاقل » قد تحول الى مبدأ « العمل المتقن » . وحينما يتزايد ولع كل عامل بالعمل المتقن ، فهنالك لا بد لكل عامل من ان يسعى جاهدا فى سبيل انجاز اكبر عدد ممكن من الاعمال الاصيلة المبتكرة . ولن يتسنى لنا بلوغ هذه الغاية اللهم الا اذا عملنا على خلق جيل من « الفنانين » الذين يحب كل منهم عمله ، ويتفنن فى ادائه ، ويجعل منه رسالة يحيا لها بقدر ما يحيا منها . ولا شك ان « الحرفة » اذا استحالت الى « فن » فان « العمل » لن يكون عندئذ مجرد « نشاط خلقى » ، بل قد يستحيل ايضا الى « نشاط جمالى » .

افتقارنا الى « الروح العلمية » ..

وعلى الرغم من ان معظم المجتمعات العربية قد اصبحت تحيا فى عصر التكنية العلمية ، بل على الرغم من اننا الآن قد افسحنا مجالا كبيرا – فى نطاق انظمتنا التعليمية والثقافية – للمناهج العلمية الحديثة، فاننا مع ذلك ما زلنا نفتقر الى « الروح العلمية » الحقة،مع ما تستلزمه من مبادىء اخلاقية سليمة . والحق ان انتشار « الروح العلمية » فى اى مجتمع من المجتمعات لا بد من ان يقترن بشيوع مبادىء الصدق ، والامانة ، والنزاهة ، والموضوعية ، وحب الحقيقة ، واحترام الواقعة ، واستبعاد الذات Self Elimination ، وغير ذلك من خصائص الروح العلمية . وقد لا نعدم – فى بعض المجتمعات العربية – تحمسا للعلم ، ومغالاة فى التمسك بقيم التكنية الحديثة، ولكننا قلما نلتقى بمحاولات جادة من اجل العمل على نشر « الروح العلمية » او بث اخلاق العلماء فى نفوس الابناء . ومن هنا فقد بقيت اجيالنا الناشئة مفتقرة الى الصفات الخلقية القديمة التي لا بد من ان يقوم عليها كل بناء قومى فى مجتمع حديث يزعم لنفسه انه « يحيا فى عصر العلم » .

وليس من شك عندنا فى ان افتقار المجتمع العربي المعاصر الى « الروح العلمية » الصحيحة هو السر الأوحد فى اننا ما زلنا صرعى لعاطفية الهوجاء ، والارتجال الاجوف ، والنزعات الذاتية المتطرفة ، والبرامج الخطابية التافهة ! والواقع اننا غالبا ما نعيش فى جو عاطفي ملؤه الأخيلة الجامحة ، والآمال الواهية ، والشعارات الزائفة، فضلا عن اننا مانزال نتمسك بعبادة الأفراد ، وتأويل الخلافات المذهبية على أنها مجرد صراع بين اشخاص ! وعلى الرغم من ان المثل العربي القديم كان يقول : « ليس المهم من قال بل ماذا قال » ، الا اننا كثيرا ما نتناسى هذا المثل ، لكى نتوقف عند « عبادة الأشخاص » . وقد يكون من الحديث المعاد ان نقول ان الكثير من دراساتنا التاريخية وابحاثنا العلمية يفتقر الى الدقة ، والنزاهة ، والموضوعية ، نظرا لاننا قلما ننجح فى رؤية الحقيقة مجردة عن آمالنا وآلامنا بعيدة عن مخاوفنا ومصالحنا ، خالصة تماما من شوائب الذاتية والميول الشخصية . وليست « ازمة القيم » عندنا سوى مظهر من مظاهر انعدام «الروح العلمية» الصحيحة لدى الكثيرين من روادنا واولى الأمر فينا ، مما ادى الى التباس « المعايير » واختلاطها على السواد الأعظم من ابناء قومنا . وحسبنا ان ننظر الى الكثير من احكامنا السياسية على الامم والشعوب ، فى المواقف الدبلوماسية المختلفة ، لكى نتحقق من أن هذه الأحكام قلما تستند الى دراسات علمية رزينة ، وتقييمات اخلاقية رصينة، بل هى كثيرا ما تكون بمثابة احكام عاطفية سريعة ،

واستجابات انفعالية هوجاء ، وكأن « السياسة » مجرد « مجال وجداني للعلاقات الشخصية بين الشعوب » ، على غرار العلاقات العاطفية فى دنيا الافراد ! .

والفساد الخلقي مظهر لانعدام التنظيم الاجتماعي ..

ولو أننا تصورنا « الأخلاق » على انها اداة اجتماعية لتنظيم العلاقات بين الافراد ، لكان في وسعنا ان نقول ان غلبة « الأنانية » و « الفردية » وشتى النزعات « الذاتية » المتطرفة على اى مجتمع من المجتمعات ، انما هى الدليل القاطع على تخلف هذا المجتمع خلقيا واجتماعيا . والحق ان الظاهرة الخلقية ليست مجرد ظاهرة فردية تعبر عن سمو هذا الفرد او ذاك فى سلّم القيم ، بل هى ايضا ظاهرة اجتماعية تعبر عن مدى « تماسك » هذا المجتمع او ذاك فى مضمار « التكامل الاجتماعي » . ومن هنا ارتبطت الأخلاق دائما بعملية تنمية « الوعى الاجتماعى » لدى الافراد ، بحيث يشعر كل فرد بمصالح مجتمعه كما يشعر بمصلحته الخاصة ، ويدرك ضرورة العمل من أجل تحقيق الغايات الجماعية كما يدرك تماما اهمية الجهد الذى يقوم به فى سبيل تحقيق غاياته الخاصة .

بيد أن انعدام العدالة الاجتماعية فى بعض مجتمعاتنا العربية قد عمل على اقامة ضرب من التعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، فأصبحت الأخلاق الاجتماعية عندنا « غير ذات موضوع » . ولا شك ان تفشى الفردية ، والانانية، وروح المصلحة الذاتية الضيقة، انما هي جميعا مظاهر لاحساس الفرد بانعدام شتى الأواصر بينه وبين مجتمعه. ولو كانت مجتمعاتنا تنمى لدى الفرد روح التضامن الاجتماعي وتشعره عمليا بأنها تضمن له أسباب الحياة الكريمة فى ظل نظام اخلاقي يحقق المساواة للجميع ، لما نشأت لدى الأفراد تلك النزعات « الفردية » المتطرفة التي تشيع في مجتمعاتنا الانانية والذاتية . ومعنى هذا انه لا ينبغي لنا أن ننتظر من « الفرد » تغليب « المصلحة الجماعية » على مصلحته الفردية الخاصة ، اللهم الا اذا عملنا منذ البداية علىتنمية احساس الفرد بأن المجتمع فى خدمته ، وان كل الانظمة الاجتماعية لا تخرج عن كونها وسائط لتنمية شخصيته وتحقيق سعادته . واما حين تشيع فى المجتمع مظاهر التفرقة ، والمحسوبية ، وشتى اعراض الظلم الاجتماعي ، فلا بد من ان تختلط القيم والمعايير على الناس ، وبالتالي لا بد من أن يحدث ضرب من الصراع بين المصالح الفردية والمصالح الاجتماعية . وعلى العكس من ذلك ، نلاحظ أنه حين تسود الانظمة الاجتماعية قوانين صارمة مطردة ، لا موضع فيها للصدفة او الاتفاق أو التلاعب ، فانه لا بد من ان يشعر كل فرد فى المجتمع بأن هناك عدالة اجتماعية تضمن لكل فرد حقه . وما دامت « الأخلاق » ضربا من ضروب التنظيم ، فستظل المجتمعات الفوضوية التي لا تكفل لأفرادها العدالة الاجتماعية فى ظل بعض الأنظمة الدقيقة الصارمة ، مجتمعات « لا اخلاقية » تسودها فوضي المعايير، وتنخر في عظامها ادواء الفساد الخلقى . .

« الأخلاق » بين « الضمير الفردى » و « الضمير الجماعى » ..

بيد أن « الأخلاق » ـ مع الأسف ـ لا يمكن ان تفرض على الناس بسطوة القانون ، كما انها لا يمكن أن تترتب ـ بطريقة تلقائية ـ على اى تعديل اجتماعي او اى تنظيم اقتصادى ، فلا سبيل اذن الى مواجهة اية فوضي اخلاقية بالاقتصار على اصدار بعض التشريعات او ادخال بعض التحسينات على الأوضاع الاجتماعية او النظم الاقتصادية . وانما الأمر الذى لا بد لنا من فهمه ـ فى هذه المرحلة الخطيرة التي نجتازها من مراحل تطورنا الاجتماعي ـ هو انه لا بد لنا من العمل على ارساء « تقاليد خلقية » راسخة تستمدها من تراثنا العربي القديم . فليس علينا ان نحشد قوانا الاعلامية لمواجهة الخطر الخارجي فحسب ، بل ان علينا ايضا ان نعبىء كل تلك القوى لمواجهة شتى الاخطار الداخلية ، بما فيها الفساد الخلقى ، وكافة مظاهر انحلال السلوك الفردى والجماعي . ولا بد للبيت والمدرسة من ان يتعاونا مع شتى اجهزة الاعلام من أجل العمل على تثبيت دعائم « اخلاق جديدة » تشيع بين أفراد المجتمع العربي قاطبة ، روح الصدق والنزاهة والنقاء الخلقي . ولا شك انه حين ينصّب الضمير الجماعي من نفسه قاضيا على ضمائر الأفراد ، وحينما يصبح الضمير الفردى نفسه على مستوى القيم الجماعية ، فانه لا بد من أن ينشأ فى المجتمع كله « وعى اخلاقي » يقف بالمرصاد لشتى ضروب الفوضى ، والانحلال والتواكل ، والتساهل والتواطؤ ، والاهمال . وليست أزمة القيم التي يجتازها الآن مجتمعنا العربي المعاصر سوى عرض من اعراض ذلك « المرض الخلقي » الذى زادتنا النكسة الأخيرة احساسا به . واذا كان « النقد الذاتى » مظهرا من مظاهر « الصحة الخلقية » فذلك لأنه يزيد من شعورنا بوطأة المرض ، وبالتالي فانه يضاعف من رغبتنا فى الشفاء . ونحن نعرف أن المريض الذى يريد ان يشفى لا بد من ان يجد السبيل الى الشفاء ، لأن ارادة الشفاء هي الخطوة الأولى الى التماس العلاج . ولم يكن مجتمعنا العربي فى يوم ما من الأيام اشد احساسا بالمرض منه فى هذه الآونة ، فقد تكشفت له اعراض المرض ، على آثار النكسة الأخيرة ، فى حدة وقوة ومرارة . ولكن مجتمعنا العربي أيضا اشد احساسا بحاجته الى الشفاء والنقاء ، في هذه الآونة ، منه في اى وقت مضى ، وهذا الاحساس نفسه هو السر فى كثرة ارتفاع الصيحات الداعية الى الاصلاح . ولا شك اننا لم نرد من وراء هذه النظرة السريعة الى « أزمة القيم » فى عالمنا العربي المعاصر ، سوى أن نعمق احساس المواطن العربي فى كل مكان بما يكمن وراء النكسة من « فساد خلقي » . وليست عملية اعادة « البناء الخلقي » مهمة يسيرة يمكن ان تتحقق في يوم وليلة ، وانما هي مهمة شاقة لا بد من ان تتضافر كل الجهود في سبيل العمل على انجازها . ■■

زكريا ابراهيم

أُمَّةَ الأَمْجَاد

للشاعر : مصطفى عبدالرحمن

■ أمّتى يا أمةَ الأمجادِ والماضى العريقِ
يا نشيدا في دمى يحيا ويجرى في عروقي
أذّن الفجرُ الذى شقّ الدياجى بشروقِ
وطريقُ النصرِ قد لاحَ .. فسيرى في الطريقِ

■■■

قبلة الأنظار يا أرض الهُدى والحقّ كُنْتِ
ومنارًا في دُجى الأيّام للعالم عِشتِ
أنتِ مهدُ النورِ .. مهد الفن والعرفان أنتِ
وستبقَينَ ويبقَى لكِ منّا ما أردتِ

■■■

لا تُبالى إنْ أساءَ الدهرُ يومًا لا تُبالى
قد صحونا لأمانينا ... صحونا لياليا
لك يا أرض البطولات ويا أمّ الرجالِ
ترخُص الأرواحُ في يومِ الفدى يوم النضال

■■■

للغد المشرقِ يتندّى بالأمانى والعطورِ

أمتي سيري إلى المجد وجدي في المسيرِ
حقّق بالعملِ البنّاءِ أحلام الدهورِ
واصْعدي بالعلمِ والأخلاقِ للنصرِ الكبيرِ

■ ■ ■

اصْعدي يا أرض أجدادي وأمي وأبي
اصْعدي يا قلعةً يحرُسها كل أبي
اصْعدي يا مشرق النور لأغلى مأرب
اصْعدي للقيمِ الشمّاء فوق الشُهب

■ ■ ■

أمتي يا أمة الأمجاد .. والماضي العريق
يا نشيدا في دمي يحيا ويجري في عروقي
أذن الفجر الذي شق الدياجي بشروق
وطريق النصر قد لاح فسيري في الطريق

■ ■

مصطفى عبد الرحمن



شنقيط أو «موريتانيا»

بقلم : الدكتور طه الحاجرى

استاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة الاسكندرية

■ جلا التحقيق الذى نشرته مجلة « العربى » عن « نواكشوط » عاصمة موريتانيا الاسلامية (١) صورة رائعة من صور الوطن العربى ، وجانبا مجهولا من جوانبه . وقد مضى « العربى » بذلك في الأسلوب الموفق الذى اصطنعه لتوثيق الصلة باجزاء هذا الوطن أو تجديدها ، مذكرا بالعلاقة الوثيقة التى تربط شعب موريتانيا بالأمة العربية، وهى العلاقة التى ظل الاستعمار يحاول قطعها أو توهينها منذ فرض على المغرب العربى كله نطاقا من العزلة الصارمة ، وأقام ذلك السد الحديدى الذى ما زال به يشيده ويشد جوانبه ويرمّ ثغراته ، ليحول بين شعوب المغرب وسائر الأمة العربية . وقد قدر في نفسه انه مستطيع وراء ذلك السد ، أن ينشىء جيلا يخلقه بيده ويصنعه على عينه، بحيث لا تلبث العروق الواشجة ان تذبل ، والصلات العريقة الوثيقة أن تهن وتضمحل .

وهذا الاسم الذى يطلق الآن على هذه البلاد ، «موريتانيا» هو اسم استحدثه الاستعمارالفرنسي، حين أطبق عليها وأنشب مخالبه فيها ، استحيا به اسما قديما يرجع الى عهد الاستعمار الرومانى للشمال الافريقى ، وهو الاستعمار الذى كان الاستعمار الفرنسي يرى نفسه احياء له ، وصورة مستأنفة من صوره .

علماء شنقيط

أما الاسم الذى كان يطلق من قبل على هذه البلاد فهو « شنقيط » ، الذى عرفه أهل المشرق والمغرب جميعا دالا على ذلك الاقليم من اقاليم العالم الاسلامى والعربى ، موحيا بتلك الصورة الرائعة المشرقة من صور النشاط العلمى والادبى، كما تتمثل في علمائه الذين يتألق بهم تاريخ الفكر الاسلامى ، وفي تلك الطائفة من العلماء والأدباء الذين كانوا ما يزالون يفدون على المشرق،ويبعثون في أرجائهألوانا من ذلك النشاط ، ولعل شيئا من أصدائه ما زال يتردد في ذاكرة بعض الشيوخ في مصر ، حين جاء اليها محمد محمود بن التلاميد الشنقيطى ،ومن بعدهاحمد بن الامين الشنقيطى، كما لا يزال علماء الازهر يذكرون آخر هذه الطبقة، وهو العالم المحدث الشيخ حبيب الله الشنقيطى، وقد كان من أساتذته الذين تركوا أثرا بليغا في أبنائه وطلابه .

فكأنما كان ابطال هذا الاسم ، واستبدال ذلك الاسم الرومانى به ، محاولة لمحق هذه

حلقة مجهولة فى تاريخ الأدب العربى

الصورة ، ووسيلة من الوسـائل التى أراد الاستعمار بها أن يفرض العزلة على هذه البلاد ، اذ يقطعها من ماضيها ، بازالة كل ما يذكر بهذا الماضي الذى هو ـ من ناحية أخرى ـ أقوى وجوه الاتصال بينها وبين المشرق العربى .

عروبة عريقة

ولا ريب أن شنقيط بلد عربى صادق العروبة ، منذ دخله الاسلام ، فاتخذه اهله دينا لهم ، كما اصبحت لغته هى اللغةالسائدة بينهم ،يصطنعونها في حياتهم اليومية ، وفي وجود نشاطهم الأدبي والفكرى ، واندمجوا به في الامة العربية التى انتشرت وانبثت عروقها ما بين حدود الهنـد وشواطىء المحيط الاطلسي ، وشاركوا في مشاعرها وفي تاريخها وفي صور نشاطها ، واصبحوا لا يعرفون غير الجنس العربى جنسا ينتمون اليـه ، حريصين عليه ، فخورين به . حتى أن قبائـل البربر . التى كانت تمثل أهل البلاد الأصليين الذين طرأ العرب عليهم حريصة على ألا ينتزعها وصف البربر من العروبة . بل انها لتغلو فيالانتماء اليها ، حتى لتذهب الى أنها اعرق عروبة مـن العرب الآخرين ، اذ ترجع بعروبتها هذه الىعرب اليمن القحطانيين ، وهم العرب العاربة ، أمـا العدنانيون فهم عرب مستعربة .

يقول السيد أحمد بن الامين الشنقيطى فـى كتابه : « الوسيط في تراجم أدباء شنقيط .. » في الفصل الذى عقده للكلام على « سكان شنقيط وجنسهم » ، بعد أن ذكر أن سكانها من حيث الجنس ـ في الاصل ـ قبائل من البربر التـى كانت تقطن صحراء المغرب ، ثم دخلها العـرب في الفتح الاسلامى ، فتغلبوا عليهم ، فصـاروا قسمين : عربا وبربرا ، ثم تجنسوا جنسـين : الزوايا والحسان .

« وحيث اوضحنا لك انقسامهم في الأصـل ، فلنتكلم على ما هم عليه الآن ، فنقول : ما رأينا احدا منهم يقر على نفسه بأن أصله من سكان تلك البلاد (أى من غير العرب) . الا أن قبيلة لمتونة حفظ لها التاريخ أصلها . والخلف في لمتونة بين المؤرخين قديم . فالأكثر أنهم من حمير ، ودخلـوا بلاد المغرب في الجاهلية » .

وما جاء في تحقيق « العربى » من المفاخرة بين العدنانيين والقحطانيين انما يرجع الى هذا الذى اشار اليه صاحب كتاب الوسيط ، وما ذكرناه من حرص جميع أهل شنقيط على الانتماء الى العروبة ، سواء في ذلك العرب وبقايا البربر .

واستعمار مغلوب

كما يدل هذا على أن الاستعمار الفرنسي لـم يستطع ـ مع كل ما توسل به الى اقتطاع هـذه

البلاد من الوطن العربى ، وانتزاع الشعب الشنقيطى من الأمة العربية ـ ان يبلغ من ذلك ما ظن انه بالغه . ذلك أن احساس هذا الشعب بعروبته احساس عميق ضارب في أغواره البعيدة . وربما كان احساسه بالعزلة التى فرضتها الطبيعة عليه ، والصحارى المترامية التى أحاطت به ، مما زاده تشبثا بهذه العروبة وحرصا عليها ، وعلى استبقاء العلاقة الباطنية التى تصله بالعالم العربى الذى يرى نفسه جزءا منه ، قوية وثيقة متجددة .

اجادة الفصحى ولا أمية

وكان من ذلك هذه العناية البالغة باللغة العربية تعليما ودرسا وتذوقا ، وهذا الحرص الشديد الذى ما زال يسيطر على الشعب الشنقيطى أن يحقق عروبته على خير وجه بتعلم العربية الفصحى واجادتها ، كما يتبين ذلك مما جاء في تحقيق « العربى » ان حاكم مدينة بو تلميث قال عن حالة التعليم في مدينته : « لا يوجد أمى واحد في مدينتنا ، فهم جميعهم يقرأون ويكتبون ، بل يحفظون ألفية ابن مالك » .

وهذه الصورة التى نراها اليوم تطابق الصورة التى رسمها لنا الشيخ احمد بن الأمين الشنقيطى قبل الاستعمار الفرنسي ، اذ يقول عمن يطلق عليهم اسم الزوايا . وهم احد جنسي الشعب الشنقيطى ـ كما أشرنا اليه منذ قليل ـ انه لا يوجد بينهم ذكر او انثى الا يقرأ ويكتب ، فلا أمية فيهم .

شريعة وأدب

على أن الأمر لا يقف ـ في هذه الصورة ـ عند تعلم القراءة والكتابة ـ بل يمضي قدما الى ما وراء ذلك من الدراسات الاسلامية والعربية المختلفة ، تبدأ بالقرآن حفظا له ، ودرسا لقراءاته ، ثم يختلف الأمر بعد ذلك بحسب القبائل والبلدان ، فمنهم من يأخذ في الدراسات الدينية ، ومنهم من يبدأ بالدراسات الادبية . « ولكل جهة اعتناء ببعض العلوم أكثر من بعضها » كما يقول الشيخ احمد بن الامين .

حب العلم

على أن أبرز ما في هذه الصورة وأقواه دلالة على قوة التطلع الى المعرفة، والحرص على الثقافة الاسلامية العربية عند شعب شنقيط، هو الجانب الذى يصور الجهد الشديد البالغ الذى يبذله كل من العالم والمتعلم في سبيل بث العلم وتحصيله. وهو جهد يتجاوز ما نعهد من حدود الطاقة ، ولا سبيل الى تفسيره الا بالحب الشديد العميق الجذور البعيد التغلغل في أخباء الضمير الشنقيطى للمعرفة العربية بألوانها المختلفة ، دينية وأدبية. فهذا الحب هو الذى يمنح طالب العلم الشنقيطى القدرة على مقاومة العقبات ومغالبة الصعاب ، اذ يترك اهله من اجل الاستاذ الذى اشتهر بالعلم، دون أن يكون معه من المال ما يعتمد عليه في اغترابه. وانما عليه ان يدبر امر معاشه بنفسه ، فيزاوج بين تلقى العلم ورعى البقر أو الابل : كما يمنح الأستاذ القدرة على مكابدة ما لا يحصى من الاتعاب، كما يقول الشيخ ابن الامين ، اذ يقضى يومه كله في التدريس متنقلا بين هؤلاء وأولئك من طلابه ، وبين هذا الكتاب وذاك من الكتب التى يشرحها لهم . ثم هو مع ذلك « مورد للضيوف وللمستفتين ولطلاب الحاجة . وليس للقاضي ولا للمدرس هناك أوقاف تصرف عليهما ، ولا يأخذ أحدهما من الطلبة ، بل قد يعطيهم من يده » .

ويبدو أن هذه العلاقة الشديدة بالعربية وفنونها والدين وعلومه لم يستطع الاستعمار الفرنسي على شدة دهائه وقوة سلطانه ، أن يقتلعها ، وان حاول أن يقمعها ، كما نرى ذلك في القصة التى قصها « العربى » في تحقيقه عن « رحلة الأهوال في سبيل العلم » ، وهى قصة جديرة بالتأمل ، لما تحمل من الدلالة على مبلغ ايمان الشناقطة بالعلم والعروبة ، واحتفاظهم بما رأينا من قدرتهم ـ قبل الاستعمار ـ على تحدى المخاطر في ذلك .

شعب كله شعراء

فالصورة التى قدمها «العربى» عن الشعب الشنقيطى في الوقت الحاضر ، لا تكاد تختلف عن الصورة التى أداها لنا صاحب « الوسيط » عن هذا الشعب في الماضي من ناحية الحوافز الاسلامية

والعربية التى تعمل في داخله ، وتوجه نشاطه . والتى جعلت منه شعبا شاعرا ، الى جانب كونه شعبا عالما . وهذه الشاعرية تصدر عن الحرص على العربية والتراث العربى ، الى جانب الموهبة الشعرية والمزاج الفنى .

واذا كانت هذه الشاعرية لم يتح لها في الوقت الحاضر من يصلنا بها ، ويرسم لنا بعض صورها، ويعرض لنا شيئا من نتاجها ، فلا نكاد نعرف عنها الا ما يشير اليه صاحب تحقيق « العربى » اذ يقول : « وسألناهم : كم عدد سكان موريتانيا ، فأجابونا :مليون شاعر . نعم ! فكل اهالي موريتانيا شعراء » ، فقد أتيح لنا أن نعرف هذه الشاعرية معرفة كافية ، ونتبين كثيرا من صورها فى خلال القرنين السابقين للاستعمار الفرنسي، اذ استطاع ان يجلوها لنا الكتاب الذى تعددت الاشارة اليه في هذا الفصل ، وهو كتاب « الوسيط في تراجم ادباء شنقيط » ، وهو ـ فيما اعلم ـ الكتاب الوحيد الذى ندين له بمعارفنا عن هذا الافق القصى الذى يقع فى أقصى اطراف العالم الاسلامي العربى .

مؤلف الوسيط

ويرجع تاليف هذا الكتاب الى اوائل هذا القرن . الفه في مصر احد علماء الشناقطة الذين كانوا يفدون عليها ، عابرين او مقيمين ، وهو الشيخ احمد بن الامين . وقد وفد على مصر بعد ان ادى فريضة الحج ، وطوف فى العالم الاسلامي ، يتصل بعلمائه ، ويطلع على خزائن الكتب في مختلف ارجائه ، حتى انتهى به المطاف في مصر ، وقد بلغها ـ فيما نقدر ـ سنة ١٩٠٢ ، فاستقر بها . وكانت مصر قد افاقت من الغاشية التى غشيتها بالاحتلال الانجليزى ، فجعلت تراجع نشاطها وتستجد الوانا من النشاط اخرى . فاجمع الشيخ امره على ان يشارك بما يملك من ثقافة اسلامية وعربية في هذا النشاط . فاخرج كتاب الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطى ، ثم لم يلبث ان راى مواطنه الذى كان قد سبقه الى المقام بمصر ، محمد محمود ابن التلاميد الشنقيطى ، يثير معركة لغوية نحوية على النحاة ، يخطئهم فيما ذهبوا اليه وقرروه في مختلف كتبهم واصبح من قواعد النحو الاولية من ان عمر ممنوع من الصرف ، وقد استطاع بهذه المعركة ان يثير جو الحياة الادبية في مصر ، حتى صارت حديث الناس جميعا بين جاد وساخر ، وكان ابن التلاميد عنيف الخصومة ، حاد الطبع ، سريع البادرة ، مبالغا في التهجم . وكان ذلك مما اتاح لهذه المعركة ان يشتد اوارها وان تتردد فى كل مكان اصداؤها . فلم يقف ابن الامين بمعزل عنها ، بل شارك فيها مشاركة علمية جادة بكتاب رد به على مواطنه ، سماه : « الدرر في منع عمر » .

ومضت حياة ابن الامين فى مصر نشيطة مثمرة ، كما تدل على ذلك قائمة كتبه التى أخرجها في خلال الاعوام العشرة التى امضاها فيها . وكانت سنة ١٩١١ ، قبل وفاته بعامين ، من أخصب سنى حياته في مصر ، فقد أخرج فيها اربعة كتب ، منها كتابان لابن مالك ، هما : « الاعلام بمثلث الكلام » و « تحفة المودود في المقصور والممدود » ، والثالث هو « كتاب شرح المعلقات العشر واخبار قائليها » واخيرا هذا الكتاب الذى يعرض لنا صورة من الحياة الادبية في شنقيط ، ويتيح لتاريخ الادب العربي هذا العالم الجديد من عوالم المغرب التى اغفلها ، اذ قامت الحجب بينه وبينها .

شعراء قرنين

واذا كان ابن الامين قد اصطنع في كتابه الاسلوب الذى يعتمد في تصنيف الشعراء قبائلهم التى ينتمون اليها ، فانا ـ مع ذلك ـ نستطيع ان نحدد الفترة التى عاش فيها هؤلاء الشعراء بالقرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ، او الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد ، وهى ـ فيما نحسب ـ الفترة التي استطاعت الرواية ـ وكانت

هي المصدر الاول للمؤلف ـ أن تحتفظ فيها بشعر هؤلاء الشعراء ، حتى أتيح له أن يدونه في هذا الكتاب ، واذ لم يسبقه الى مثل هذا الصنيع احد ، فقد وقفت معرفتنا بالحياة الادبية في هذا القطر عند هذه الفترة . ولو أتيح لهذه الحياة من قبل من يدون صور نشاطها لكان لنا ان نقف على نشأتها وتطورها حتى صارت الى هـــذه الصورة . ولو أتيح لها بعد ، في عهد الاستعمار الفرنســي ، من يعنى بتسجيلها لاستطعنا ان نتابع هذا التطور ، ونتبين وجوهه .

ولعل الله يقيض لهذا الافق من آفاق العروبة ، في نهضته الحاضرة ، من يعنى به من هذه الناحية ويسد بذلك هذه الثغرة في تاريخ الادب العربي .

حرص على التراث وعزلة

على أن الصورة الادبية التى أتيح لنا ان نراها لشنقيط في هذين القرنين جديرة أن تعدل الحكم الذى اتفق مؤرخو الادب العربي على اطلاقه على الادب العربي عامة في هذه الفترة ، فهو عندهم وكما تقضى آثاره التى بين ايديهم ، أدب يمثـل الضعف والركاكة والفسولة ، في صياغته وصوره ومعانيه . اذ كانت هذه الصورة تمثل لنا الادب في وضع مختلف يأبى هذا الحكم أشد الاباء ، فهو ـ في جملته ـ أدب جزل بعيد عن التهافت والفســولة .

وهذه الجزالة الواضحة في الشعر الشنقيطى الذى بين ايدينا ، عامة ، ترجع ـ فيما نحسب ـ الى الحرص على التراث الادبي القديم الذى يمثل العروبة في أنقى صورها وادقها ، وذلك ـ كما قلنا ـ وجه من وجوه الحرص على العروبة نفسها ، فهذا الحرص هو الذى جعل الاديب الشنقيطي وثيق الصلة بهذا التراث ، فكون له عالمه الباطـنى الخاص الذى يوجه شاعريته ، والذى يمده بالمادة اللفظية والصورية . والى جانب ذلك كان عالمه الخارجي الذى يعيش فيه عالما شديد الشبه بالعالم الذى صدر عنه الشعر الجاهلى الذى فرض مثله على الادب العربي القديم .

والى جانب هذا ظلت شنقيط معزولة تقريبا عن سائر العالم العربي ، وعن المشرق خاصة ، بعيدة عن التأثر بالعوامل التـى أضعفت الادب فيه ، بقدر ما كانت وثيقة الصلة بالمثل الفنية التى يمثلها الشعر القديم ، فهى تكاد تكـون مقصورة عليها .

فلا جرم كان هذا الشعر الذى يعرضه صاحب « الوسيط » يختلف اختلافا غير قليل عن الشعر في المشرق ، في هذه الفترة .

معارضة الاقدمين

وهذا الشبه القريب بين طبيعة الحيـاة في شنقيط وطبيعة الحياة في الجزيرة العربية ، كان مما اتاح لشعراء شنقيط ان يعارضوا شعـراء العرب الاولين ، معارضة اصيلة ، تبدو للقارىء وكان لاتكلف فيها ولا تصنع . وانما يمضى الشاعر فيها على سجيته ، ويمتح من طبيعته ، اذ كان يصدر فيها عن عالمه الباطنى الخاص الذى أشرنا اليه ، والعالم الخارجى ، جميعا .

والمعارضة ـ في حقيقتها ـ هي نوع من أنواع الاستلهام الفنى : يعيش الشاعر في قطعة مـن الشعر فلا تلبث ان تخالط شاعريته بموسيقاها وصورها وايحاءاتها والجو العام لها ، وتظل أصداؤها الصورية والموضوعية تتردد في جوانب نفسه ، فاذا شاعريته تنطلق من هذه « الحالة الفنية » التى سيطرت عليه واستغرقته ، ماضية معها ، وكأنما هى استمرار لها .

محمد بن الطلب اليعقوبى

ومن هذا القبيـل ـ فيما نحسب ـ كـانت معارضات الشاعر الشنقيطى محمد بن الطلب اليعقوبى لجيمية الشماخ بن ضرار ، وميمية حميد بن ثور ، ولامية الاعشى . وقد كان معتزا بها ، مغاليا بقيمتها الفنية ، يرى انها تستطيع ان تقف بازاء اسلافها في موقف سواء . فكان يقول ـ فيما حكى عنه ـ بعد أن أتم قصيدته الجيمية : « ارجو من الله أن اقعد أنا والشماخ ابن ضرار في ناد من أهل الجنة ، وننشد بـين أيديهم قصيدتينا ، ليعلم ايهما أحسن » . ومثل هذا قاله عن ميميته التى عارض بها ميميـة حميد بن ثور .

ومحمد بن الطلب اليعقوبي ، صاحب هذه

المعارضات ، شاعر من فحول شعراء شنقيط ، بل ان صاحب الوسيط يسميه « نابغة شنقيط ». ونستطيع ان نرى فيه صورة واضحة الملامح من صور الحياة الادبية في هذا الافق من آفاق العروبة في القرن التاسع عشر .

وكان اليعقوبي هذا لايكتفي بما تعرضه البيئة البدوية التي يعيش فيها من صور شديدة الشبه بالحياة العربية التي يمثلها الشعر القديم ، وما تفرضه من أساليب في الحياة أدنى الى أساليب العرب القدماء في باديتهم ، والتي جعلت شعره وما يرسم فيه من صور فنية أدنى الى ان يكون شعرا طبيعيا نابعا من صميم شاعريته ، لا تكلف فيه ولا افتعال . بل كان يأخذ نفسه فوق ذلك بالوان من الحياة لم تعرفها بلاده ، وانما كانت تفرضها عليه رغبته الشديدة في أن يكون صورة عربية شديدة العروبة ، فتتمثل في شخصيته جميع سماتها لايغادر منها شيئا . ومن ذلك ، مما يذكره ابن الامين عنه ، « انه كان يبرى النبال فيصطاد بها الوحش ، لشغفه باقتفاء العرب » .

فلا جرم جاء شعره ، سواء ما قصد به الى معارضة شعراء العرب الاوائل أم ما قاله ابتداء ، شعرا عربيا رصينا من ذلك الطراز الذي نعرفه عند شعراء الجاهلية ومن اليهم ، فالحياة الظاهرة التي كان يحياها حياة عربية بدوية اشبه بتلك الحياة ، والحياة الباطنية التي كانت تسيطر على مشاعره وتسود وجدانه حياة عربية خالصة ايضا ، والمثل الفنية التي انصرف اليها واستغرق فيها ، والتي نشأت شاعريته عليها . مثل عربية نقية .

أماكن ولكنها في وطنه

على ان في شعر اليعقوبي ظاهرة يختلف بها عما نعرفه عن شعر الشعراء التقليديين في المشرق عامة، ترجع الى ما ذكرنا من صلته ببيئته وصدوره عنها . فقد درجوا على ان يوشعوا شعرهم باسماء بعض الاماكن العربية البدوية كنجد والحاجر وسفح اللوى وابرق العلمين ، استكمالا للطابع البدوي الذي يريدونه له ويحاولون صوغ شعرهم عليه . اما اليعقوبي ـ وشأنه غير شأنهم ـ فليس عنده من ذلك الا اسماء الاماكن الشنقيطية التي يعيش فيها ، حريصا عليها حفيا بها . كأنما يعبر بها عن حبه وحنينه . وقد كان من أهل تيرس ، وهم ـ كما يقول صاحب الوسيط ـ اشد الناس كلفا ببلادهم . وكان يرى تخليدها في شعره من تمام الوفاء لها . كما نرى ذلك فيما يقوله ابن الامين في التعليق على كلمة « زَلّي » في هذين البيتين من قصيدته التي عارض بها لامية الاعشى :

هل ترى من جمائل باكرات
من لِوى المَوج عامدات الرِّفالِ
سالكات من نَقْبِ زَلّي عليها
كلّ جَيْدانة خَلُوبِ الدّلالِ

قال : « وزلى ـ بفتح الزاى وسكون اللام وياء منونة ـ جبل بتيرس معروف . يروى انه لما نظم هذا البيت بربر من فرحه ، وقال : كدت أموت وله على دين . لانه لم يذكره في شعره قبل هذا » .

فذلك وجه من وجوه صلة اليعقوبي ببيئته ، وانعكاسها في شعره .

موطن ثقافي جدير بالدراسة

وبعد ، فليس من شأننا في هذا الفصل أن ندرس الحياة الادبية في شنقيط ،فنتقصى أسبابها وملابساتها ، ونغرق في تحليلها وتعليلها ، فما كان بنا الا التنبيه الى هذا العالم المجهول من عوالم الادب العربي ، وهذا الموطن المنسي من مواطن الثقافة الاسلامية ، نلفت اليه نظر مؤرخي الادب والفكر الاسلامي ، ليتجهوا اليه ويعنوا به ، حتى يأخذ مكانه الجدير به ، وحتى نقضي بذلك حق العلم والعروبة ■■

طه الحاجري



أمريكا ، حيث الاستشفاء لا يكاد يقدر عليه غير الاغنياء

عن صحيفة النيوستيتسمان البريطانية :

● لقد بلغ الثمن الذى تستوجب دفعه الامراض في الولايات المتحدة الأمريكية حدًا باهظا مفزعا . على أن الأغنياء هناك لا يشعرون في هذا الصدد باى اشكال . وكذلك الفقراء الذين لا يلبثون أن يتحسسوا طريقهم الى استشفاء أو علاج من نوع ما . فالمشكلة المخيفة انما يعانيها افراد الطبقة الوسطى ، وهى الطبقة الكبرى عددا والمترفة نسبيا في تلك البلاد . فالمرض لايهدد افرادها في صحتهم فحسب ولكن في اوضاعهم المالية أيضا . ولعل مرضا خطيرا واحدا كفيل بحرمان اسرة من اسر تلك الطبقة كل ترفها ، بل وبجعلها في عداد الفقراء .

فمراجعة الطبيب في عيادته تكلف الكثير كما لا يخفى ، ولكن تكاليفها تتضاءل ، بل تتلاشى ، لدى مقارنتها بنفقات المستشفى ورسومه . فغرفة المستشفى « شبه الخاصة » ، وهى الغرفة التى يستشفى فيها عادة افراد الطبقة الوسطى التى ذكرنا ، تكلف نازلها ما يزيد على ٢٠ جنيها في اليوم الواحد ! ويقدر الخبراء أن رسوم غرفة كهذه سترتفع حتى تبلغ الأربعين جنيها في اليوم الواحد قبل حلول ١٩٧٠ !

فضلا عن ذلك فان رسوم الطبيب مستقلة عن نفقات الغرفة السالفة الذكر ، ولا مفر من أن تضاف اليها . ومثل ذلك يقال في الأدوية ، حتى حبوب الصداع منها ، والحقن ولفائف التضميد ، والفحص بالأشعة ، وتحليل الدم .. اذ كل ذلك والكثير غيره يعتبر في أمريكا ذا قيمة مستقلة عن رسوم الغرفة في المستشفى ولا بد من اضافة قيمة هذه وتلك الى كشف الحساب . أضف الى ذلك ان التخدير له رسوم أيضا ، غير رسوم العملية الجراحية التى قد تستوجبه . وقد تبلغ رسوم التخدير أحيانا ٥٠ جنيها استرلينيا !! اما غرفة العمليات فلها رسوم أو أجرة مستقلة عن رسوم العمليات التى تجرى فيها ، ويتم احتسابها تبعا للوقت الذى استغرقته العمليات فيها ، محسوبا بالدقائق !!

سوق افريقية

عن مجلة تايم الامريكية :

● لا ريب في أن المعاهدة التى وقعها مؤخرا رؤساء الدول الثلاث ، كينيا وتانزانيا واوغندا ، ستزيد الروابط السياسية بين تلك الدول متانة ووثوقا . اضف الى ذلك انها ستخلق سوقا مشتركة بين دول شرق افريقيا المذكورة ، لدى وضعها موضع التنفيذ في شهر ديسمبر القادم .

فقد نصت هذه المعاهدة على الاعفاء الجمركى لكافة المنتجات التى تنتجها اية دولة من تلك الدول والتى ترغب في استيرادها دولة أخرى منها . أما بنك التنمية التى دعت المعاهدة المذكورة الى انشائه ، فسيكون براسمال ضخم يعادل ٣٦ مليون دولار. وغنى عن البيان أن التصنيع الذى يستهدف تشجيعه هذا البنك سيصادف في اوغندا وتانزانيا

الارساليات والمبشرون فى أندونيسيا

عن مجلة تايم الامريكية :

● كان المبشرون المسيحيون هدفا لمؤامرات الشيوعيين و « ارهاب المسلمين » فى اندونيسيا ابان حكم الرئيس سوكارنو الدكتاتورى . ولا نغالى ان قلنا بأن اولئك المبشرين كانوا ايضا هدف اجراءات اعتباطية كانت تصدرها بحقهم حكومة عشوائية .

اما الآن فقد اصبحت اندونيسيا مسرحا لأكبر حركة تبشيرية مسيحية فى العصر الحديث على حد قول الصحيفة الامريكية ، برسبتريان لايف Prebyterian Life .

وتتابع مجلة تايم قولها فتقول ان خطورة هذا الأمر تتجلى اذا ذكرنا ان اندونيسيا امة اسلامية تكاد تكون خالصة ، اذ ان نسبة المسيحيين الأصليين بين سكانها المائة وعشرة ملايين ، نسبة لا تكاد تبلغ ١٠٪ .

ففى غضون الأشهر العشرين الاخيرة التى اعقبت ثورة اندونيسيا على الشيوعية ، والتى نشطت فيها اعمال التبشير ، بلغ عدد الأندونيسيين الذين تخلوا عن دينهم الاسلام واعتنقوا الدين المسيحى ...د.٢٥٠ نسمة !! ويشمل هذا الرقم الذين التحقوا بالكنيسة الكاثوليكية وبالكنيسة البروتستانتية على السواء .



وتجدر الاشارة الى ان نصيب جاوه وحدها من هؤلاء المتخلين عن دينهم تحت تأثير المبشرين المسيحيين لم يكن اقل من ... ٦٥ نسمة ! ولقد بلغ من اقبال الاندونيسيين المتحولين على الانجيل أن نفدت كمياته فى اندونيسيا ! فضلا عن ذلك فقد قرر مجلس الكنائس الوطنى فى الولايات المتحدة الأمريكية القيام بحملة تبرعات تهدف الى جمع ....د.٣٠٠دولار لصالح الطائفة البروتستانتية الأندونيسية !!

★ ★ ★

على هامش الحرب الفتنامية

عن صحيفة صن Sun البريطانية :

● يعم القلق بلدان أوروبا بسبب الحرب الفتنامية . اذ ليس من الضرورى أن يكون المرء من المعادين لأمريكا لكى يشعر بالنفور من هذه الحرب .

ومهما يكن من أمر عناد رئيس حكومة فتنام الشمالية ، ايو تشى منه Iio Chi Minh فان الشعور السائد هو أن امريكا لا تبذل من الجهد كل ما فى وسعها لوضع حد لهذه الحرب .

مشتركة

مزيدا من رواج نظرا لأن هاتين الدولتين تعتبران متخلفتين اقتصاديا لدى مقارنتهما بكينيا .

وتنص المعاهدة كذلك على تنسيق الجهود التى تبذلها الدول الموقعة فى مختلف المجالات العلمية والثقافية والمالية .

وتحل هذه المعاهدة محل الاتحاد الذى اقامته السلطات البريطانية سابقا بين تلك الاقطار ، قبل تحقيقها الاستقلال . ولم يتعد ذلك الاتحاد آنذاك شؤون الجمارك والمواصلات ، ولم يكن اداة فعالة على كل حال . فقد اقيمت مكاتبه كلها فى كينيا ، وأسندت مناصبه الرئيسية كلها الى مواطنين من كينيا .. وهذا هو ما حرصت المعاهدة الجديدة على تحاشيه وذلك بتوزيع مكاتب الوحدة الجديدة بين الدول الموقعة الثلاث .

الأوزاعي

بقلم : الدكتور احمد عبد المنعم البهى

استاذ بالدراسات العليا ــ كلية الشريعة ــ جامعة الازهر

■ فريق من الناس يظن او يعتقد ان المذاهب الفقهيه الاربعة هى كل ما للاسلام من ثروة في الفقه ، وفريق اخر يظن او يعتقد ايضا ان فقه المذاهب الاربعة هو الفقه الموثوق به ، وما عداه من اقوال الفقهاء والمجتهدين لا يعول عليه ولا يعمل به .

وهذا وذاك منشؤة الاكتفاء من الدراسات الفقهيه باليسير ، ذلك ان الثروة الفقهيه التى خلفها المجتهدون والفقهاء فوق ماتصوروا وما ظنوا ، وما طبع ونشر من ذاك دون مالم ينشر او يجمع مما خلفه المجتهدون وراءهم ، وعدت عليه عوامل الزمان ولم يبق منه الا القليل ، أو ضيعه تلامذه هؤلاء المجتهدين كما ضيع الاوزاعى تلامذته فلم يحرصوا على مذهبه وآثاره العلمية ، وقد ملأ مذهبه رحاب الشام اكثر من قرنين ، واستقر في الاندلس ايضا اكثر من قرن ، حتى استقر مذهب الشافعى عوضا عنه في الشام ، ومذهب مالك بديلا عنه في ارض الاندلس .

ومع اندثار مذهب الاوزاعى في هذين الموطنين بعد ان كان مذهبا معمولا به فيهما الا أن اقواله الفقهية وصل الينا بعضها في كتب الحديث والموسوعات الفقهية في مواطن متفرقة منها ، وحفظ لنا الشافعى في كتابه الام مؤلفه « كتاب السير » وهو متعة فكريه في بعض مسائل الفقه المتصلة بموضوع الكتاب كما سنبين ذلك في حينه .

مدارس ثلاث متعاصرة

واذا كان مالك رضي الله عنه قد اتخذ المدينة موطنا له ومقرا لمدرسته الفقهيه ، وابو حنيفة قد اتخذ من العراق موطنا له ايضا ومدرسة لفقهه ، فقد اتخذ الاوزاعى الشام موطنا ومدرسة فقهيه .

وكانت المدارس الثلاث متعاصرة كما كان الائمة الثلاثة متعاصرون وطالما جمعت بينهم المناسبات والدراسات وطالما جمعت تلامذتهم المناقشات والمناظرات .

طابع المدارس الثلاث

وهذه المدارس الثلاث وان وجدت في عصر واحد الا انه كان لكل منها طابع يميزها عما عداها ، وقد كانت مدرسة الاوزاعى اقرب الى مدرسة مالك من مدرسة ابى حنيفة ، مع أن قرب الشام من العراق ربما كان مرشحا لان تكون مدرسة الاوزاعى على نهج المدرسة الحنفية . بيد ان هذا التقارب في المكان لم يكن له اثر في التقارب في المذهبين ولا بين المدرستين .

والسر في أن مدرسة الاوزاعى كانت

فَقِيهُ الشَّام والأَنْدلس وإمامُهما

- مُصارحته لأبي جعفر المنصور بظلم العباسيين
- عَصْرُه ومدرسته وفقهه - وكيف ضاع مذهبه؟
- كتابه في الرّد على الإمام أبي حنيفة هو ما بقي من كتبه

اقرب لمدرسة مالك ان مدرسة ابى حنيفة كانت مدرسة راى ، ومن نهجها انها تقدم القياس على خبر واحد ، ومدرسة مالك كانت تعمل بالحديث ولا تعمل بالراى الا حيثما لاتجد نصا فيما يعرض لها من امر ، ولا تجد لاهل المدينة عملا فيه .

اما الاوزاعى فكان دائما يلجأ الى النص ولا يرى في عمل اهل المدينة حجة تقوم مقام النص عند فقده ، كما انه لم يكتف بما عند اهل الحجاز من حديث بل جمع الى ذلك ما عند اهل الشام وغيرهم واصبح كل ذلك عدته وذخيرته في الفتوى ومن ثمّ قال الشافعى عنه « ما رايت احدا اشبه فقه بحديثه من الاوزاعى » .

مكانة الاوزاعي

ومن هذا يتضح لنا ان الاوزاعى كان اماما في الفقه ، واماما في الحديث . وامامته في الفقه شهد بها معاصروه من اعلام الفقه ، فقد كان سفيان الثورى يتخذه استاذا له . روى ابو حاتم الرازى حدّث عثمان بن عاصم اخو على بن عاصم قال « رايت شيخا بين الصفا والمرْوة على ناقه ، وشيخا يقوده ، واجتمع اصحاب الحديث عليه ، فجعل الشيخ القائد يقول : « يا معشر الشباب كفّوا حتى نسل الشيخ » ـ اى نخرجه من الزحام . . فقلت : من هذا الراكب ؟ قالوا : هو الاوزاعى ، قلت : من هذا الذى يقوده ؟ قالوا : سفيان الثورى » .

واجتمع بمالك في مسجد المدينة وظلا يتدارسان الفقه والحديث من الظهر حتى صليا العصر ثم استأنفا مجلسهما حتى اديا صلاة المغرب .

وروى مالك عنه ما لم يكن عنده من الحديث ، وقال ابو بهر عن عقل بن زياد « اجاب الاوزاعى على سبعين الف مسألة » .

وكما اجتمع بمالك وتناظرا وتدارسا في الفقه كذلك اجتمع بابى حنيفة وتدارسا ايضا وتناظرا .

وقال ابو اسحق الرازى «كان الاوزاعى» اكثر توسعا » يعنى انه غير متزمت في فقهه وفتاويه ، وقال ابو عبد الملك القرطبى « كانت الفتيا تدور بالأندلس

على رأى الأوزاعي الى زمن الحكم بن هشام المتوفي سنة ٢٥٦ هـ » .

ومن هذا تتضح لنا مكانة الأوزاعي الفقهية ومنزلته بين معاصريه من الفقهاء والمجتهدين ، ويروى أحد تلامذته عبيد الله بن حيان قال « اتيت مجلس مالك ، وهو غائب عنه ، فقلت لأصحاب مالك ـ ما يقول ابو عبد الله ـ يعني مالكا ـ في مسألة كذا وكذا فأجابوه فيه ، فقلت ما هكذا قال ابو عمر ـ يعني الأوزاعي » .

قالوا وما قال ابو عمر ؟

قلت كذا وكذا بخلاف ما قالوه ، فتضاحكوا بى فكانى لكذلك ، اذ اقبل مالك ، فلما جلس ، قالوا يا ابا عبد الله الا تسمع ما يحدث الشامى عن الأوزاعي ؟

فقلت : ما تقول انت في مسألة كذا وكذا ، فأجاب بمثل جوابهم ، فقلت ما هكذا قال أبو عمرو قال : كلف الشيخ فتكلف ، فمرت بى ساعة الله اعلم بها .

وعلت مالك سكتة ، فاخذ براسه الى الارض مليا ، ثم رفع راسه وقال : القول ما قال ابو عمرو . فرايتهم وقد عاد ما كان بى بهم .

وقد يكون ايراد الرواية على هذا النحو فيه شيء من المبالغة في التعبير الا اننا قد نجد فيها ما يدل على منزلة الأوزاعي ومكانته الفقهية .

★ ★ ★

اما مكانته في الحديث وشهرته بين رجاله فالروايات تكاد تجمع على انه احد اربعة فيه ومن ذلك ما قاله عمر بن على ابن مهدى « الأئمة في الحديث أربعة » الاوزاعي ومالك والثورى وحماد بن يزيد » . وجاء في رواية اخرى عنه « ما كان بالشام أعلم بالسنّة منه » .

هل ألف الأوزاعي ؟

واذا كان طابع العصر الذى عاش فيه الأوزاعي قائما على الحفظ دون التدوين الا ان ذلك لم يمنع مالكا من تأليف كتابه الموطأ . وهذا يحملنا على القول بأن الأوزاعي الف ايضا ، بل قد ثبت هذا فعلا . فابن حجر العسقلاني يروى عن الوليد بن مسلم فيما رواه ابو عوانة في صحيحه «احترقت كتبه في زمن الرجفة، فأتى رجل بنسخها، وقال له هو اصلاحك بيدك فما عرض لشيء منها حتى مات » .

وهــذه الرواية تؤكد انه الف وان مؤلفاته قد احترقت في الزلزال الذى حدث في مدينة بيروت اثناء اقامته فيها .

ويؤكد صحة هذه الرواية ان الشافعي رضي الله عنه وصل اليه كتابه «السير» في الرد على ابي حنيفة عن طريق ما الفه ابو يوسف انتصارا لامامه وردا على الأوزاعي، وقد حرص الشافعي باثبات ذلك كله في كتابه الأم فحفظ لنا بهذا العمل المجيد ثروة فقهية عظيمة .

تلامذته ومذهبه

على ان الذى يدعو الى العجب حقا ان يكون للاوزاعي مذهب منتشر معمول به ما يزيد على القرنين في الشام ، واكثر من قرن في الأندلس ، ثم لا نجد كتبا مؤلفة في مذهبه . وقد كان عليه القضاء والفتوى فيهما ، الأمر الذى جعل الباحثين في حيرة امام هذه الظاهرة ، ومن هنا تضاربت الروايات فمنها ما يؤكد ان مذهب الأوزاعي قد دون ، واخذ بهذه الرواية الحجوى . وفي هذا الشأن يقول في مؤلفه الفكر السامى «ان الأوزاعي من اصحاب المذاهب المدونة » . وبعض الروايات يقول عكس ذلك ، وتؤكد أن هذا المذهب لم يدون .

الا اننا نفضل الأخذ بالرواية الاولى لانه من غير المعقول ان يبقى مذهبه وقد شرّق وغرّب دون تدوين في الوقت الذى غدا فيه التدوين وسيلة من وسائل حفظ العلم ورعايته ، غاية ما في الأمر ان المؤلفات في هذه المذهب لم يوجد لها من يعنى بها ويحرص عليها فضاعت في غمرة الأحداث والفتن والاضطرابات وعدت عليها يد الزمان .

مسلك الأوزاعى الفقهى

واذا كان قد ضاع مذهب الأوزاعى فان كتابه « السير » واقواله التى وعتها المبسوطات في الحديث والفقه تدلنا على نهجه ومسلكه في الفقه وانه كان بصورة عامة اقرب الى مسلك اهل الحجاز في تقديم النص على الراى ، بل تدلنا على انه كان خصما لأهل الراى وهذا يقول عنه بقية بن الوليد « انا لنمتحن الناس بالأوزاعى فمن ذكره بخير عرفنا انه صاحب سنة » .

مع كتاب سير الأوزاعى

وخير ما يؤيد خصومته لأهل الراى نهجه في كتاب « السير » الذى خصصه للرد على ابى حنيفة في خمس وثلاثين مسألة تتعلق بشؤون الحرب ، رد عليها ابو يوسف صاحب ابى حنيفة مصوبا راى ابى حنيفة مخطئا الأوزاعى . وجاء الشافعى فتصدى لانصاف الأوزاعى في اكثر مسائل هذا الكتاب وقدم للعلم مكرمة باثبات ذلك كله في كتابه الأم . والذى تلحظه في رد الأوزاعى على ابى حنيفة انه رد علمى صرف لم يحاول فيه مس أبى حنيفة او الانتقاص من مكانته العلمية او رميه بالغفلة أوالاساءة اليه ، بل اكثر من ذلك كان امينا في نقل ادلة ابى حنيفة .

ومسلكه في هذا الكتاب ان يقول ابو حنيفة يقول كذا ويسرد دليله او ادلته ، ثم يسوق هو رايه في المسألة ودليله على مخالفة راى ابى حنيفة ونسوق لك ما يوضح نهج الأوزاعى في مناقشة ابى حنيفة .

أمثلة من مناقشة الأوزاعى لأبى حنيفة

١ ــ قطع اشجار العدو

في هذه المسألة يقول ابو حنيفة رضي الله عنه « لا باس بقطع اشجار المشركين ونخيلهم وتحريق ذلك لان الله عز وجل يقول « ما قطعتم من لينة (نخلة) او تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله » .

ورد الأوزاعى : ابو بكر يتأول هذه الآية ، وقد نهى عن ذلك وامر بعدم قطع شجرة مثمرة ، وعمل بهذا ائمة المسلمين من بعده» .

٢ ــ احتماء العدو بأطفال المسلمين

اذا جاء العدو على سور دياره بأطفال المسلمين وتترس بهم ، قال ابو حنيفة يرمى المسلمون العدو بالمنجنيق والنبل يعمدون بذلك اهل الحرب ،ولايتعمدون بذلك اطفال المسلمين ، وقال الأوزاعى يكف المسلمون عن رميهم لقوله تعالى « لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات » الآية وقال كيف يرمى المسلمون من لا يرونه من المشركين ؟ .ومنع هذا .

٣ ــ ومن ذلك توزيع الغنيمة في دار الحرب

قال ابو حنيفة اذا غنم جند المسلمين غنيمة في ارض العدو من المشركين فلا يقسموها حتى يخرجوها الى دار الاسلام ويحوزوها .

ورد الأوزاعى بما يفيد ان الرسول عليه الصلاة والسلام ، لم يقفل من غزوة اصاب فيها مغنما الا وخمّسه قبل ان يعود الى دار الاسلام .

٤ ــ وسئل ابو حنيفه رحمه الله عن قوم من اهل الحرب خرجوا مستأمنين للتجارة فزنى بعضهم في دار الاسلام او سرق . قال : لا يحد ويضمن السرقة لأنه لم يصالح ولم تكن له ذمته .

ورد الأوزاعى رحمه الله بأن مثل هذا يقام عليه الحدود شأنه شأن المقيمين في دار الاسلام .

٥ ــ وقال ابو حنيفة رضي الله عنه في امراة اسلمت من اهل الحرب وخرجت الى دار الاسلام وليست بحبلى ، قال لا عدة عليها ولو ان زوجها طلقها لم يقع عليها طلاقه لأن اسلامها فسخ عقد زواجها .

وقال الأوزاعى بلغنا أن المهاجرات

قدمن على رسول الله وازواجهن بمكة مشركون ، فمن اسلم منهم فأدرك امرأته في عدتها ردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذه امثلة لما تصدى له الأوزاعي في الرد على ابى حنيفة رضي الله عنهما .

الا اننا نلحظ تحاملا من ابى يوسف رضي الله عنه في ردوده على الأوزاعي فمثلا نراه يقول في الرد عليه في مسألة « نصيب الفارس والراجل من الغنيمة » واما قول الاوزاعي « على هذا كانت ائمة المسلمين فيما سلف ، فهذا كما وصف من اهل الحجاز ، او راى بعض مشايخ الشام ممن لايحسن الوضوء ولاالتشهد، ولا اصول الفقه صنع هذا ، فقال الأوزاعي بهذا مضت السنة » .

اما الشافعي رضي الله عنه فقد انصف كل من يستحق الانصاف من الثلاثة ابو حنيفة والأوزاعي وابو يوسف مع اداء حق كل منهم خصوصا ، وان الثلاثة كانوا الى جوار ربهم في الوقت الذى تصدى لمناقشة ردود ابى يوسف على كتاب الاوزاعي . ومن اراد المزيد من متابعة هذه الدراسة الممتعة فليرجع الى الجزء السابع من كتاب الأم للشافعي .

مصارحته لأبى جعفر بظلم العباسيين

وقد شهد الأوزاعي نهاية الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية وشاهد ما يجرى من اراقة دماء الأمويين وتتبعهم بعد قيام الدولة العباسية واستقرارها ، ولعله سئل عن راى الشرع فيما يجرى فانكره . ولعل ذلك بلغ الخليفة عنه فأراد تخويفه ليرجع عن قوله كما يستفاد مما جاء على لسان الأوزاعي ، الا انه لم يأبه لتهديد ابى جعفر المنصور وصارحه بالحقيقة وبما يعتقد . يقول الأوزاعي « .. دخلت عليه ــ يعنى ابا جعفر المنصور ــ فرايت الرجال وقوفا بين يديه بالسيوف، فلما رايت ذلك لم أشك الا وانا مقتول :

قال لى : ما تقول في دماء بنى امية ؟

الأوزاعي : هي حرام ، قال رسول الله صلى اللهعليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم ، وحسابهم على الله .

قال : ويلك اليست الخلافة وراثة لنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت: لو كانت وراثة لكم ما حكم على الحكمين .

قال : قم

ويقول الأوزاعي عقب هذا اللقاء « فخرجت » .

كأنه يريد ان يقول ما يعنينى بعد ذلك ان يصيبنى أذى او مكروه فقد قلت قولة الحق وأديت واجب الدين والضمير .

وقد عاش الأوزاعي وما يعنيه ان يكون صاحب ثروة او مال ، وقد ارادوه على القضاء فأبى ، ولكنه كان غنيا بعلمه وعفة نفسه ، واختار بيروت لسكناه وفيها دفن وبها مسجده المعروف باسمه .

ويذكر بعض المؤرخين انه مات مختنقا في حمام داره عام ١٥٧ هـ الموافقة لسنة ٧٧٤ م اى بعد وفاة الامام ابى حنيفة بسبع سنوات .

والروايات تذكر انه ولد في سنة ٨٨هـ فتكون سنه عند وفاته ٦٩ سنة قضاها في جمع الحديث ونشر العلم والفتوى ، ومناظرة الائمة والفقهاء، وكانت له الى جوار الزعامة العلمية في الشام الزعامة الشعبية فيه، فكم رد عن اهله ظلم الولاة والحكام، وكم انصف الناس منهم ، وان الأوساط العلمية عموما والأوساط الفقهية بوجه اخص ليؤسفها ضياع مذهبه وتناثر اقواله هنا وهناك ، وحبذا لو تيسر لاهل هذا العصر جمع شيء من اصول مذهبه ومن فقهه، وتنظيم ما تيسر من مسائله .

■■

احمد عبد المنعم البهي



رولان

الحقائق

يطلبها كل إنسان
ولكن تحجبها عنه حُجب من نفسه، وَمن وقائع عيشه.



فرانسيس بيكون

بقلم : علي أدهم

■ فى كتاب قيم عنوانه « البحث عن الحق » يقول البحاثة الدكتور ابل جونز Abel j. jones عن العصر الحاضر « انه عصر الاكاذيب ، ولم يحدث قط فى تاريخ العالم ان قرا الرجال والنساء والاطفال وسمعوا اكاذيب كثيرة مثل الاكاذيب في العشرين من السنين الاخيرة (وهو يقصد السنوات السابقة لسنة ١٩٤٥ التى ظهرت فيها الطبعة الاولى من كتابه) ، ويستطرد قائلا : ففي الاجيال السالفة كانت الاكاذيب المروية تنتقل فى بطء من انسان الى انسان آخر ، اما اليوم فان اكذب الكذابين يمكن ان يسمعنوا فورا في جميع انحاء الارض ، والذين اتخموا بالاكاذيب والمفتريات يتشوقون الى معرفة الحق ، ولذلك من المناسب ان نبحث كيف واين والى اى مدى نستطيع ان نجده » .

الاذاعة يسرت ذيوع الاكاذيب

وواضح من كلام هذا البحاثة ان وسائل الاذاعة الحديثة وسهولة

المواصلات فى العصر الحاضر ، وتيسير اسباب التفاهم والتقارب بين مختلف الامم ومتباين الشعوب والسلالات ، قد زادت قدرة الاكاذيب على الذيوع والانتشار ، واتاحت لها من الفرص والمجالات ما لم يكن موجودا فى سالف العصور ، على أن كثرة شيوع الاكاذيب وانتشار المفتريات والاباطيل لا تقعد بالناس عن محاولة تحرى الحقائق ، ودحض الاكاذيب المصنوعة والاباطيل الملفقة ، بل لعلها كانت من أقوى البواعث على التماس الحقائق واظهارها ، وكشف الاكاذيب وابطالها ، لان الذين تتكاثر حولهم الاكاذيب سيدفعهم ذلك التكاثر الى التطلع الى الحقائق ويستحثهم على المجاهدة للوصول اليها .

البحث عن الحقائق

وبعض الباحثين يرى أن اكثر الناس لا يستميلهم البحثُ عن الحقائق ، وكان الكاتب الفرنسي الانساني النزعة « رومان رولان » (١٨٦٦ ــ ١٩٤٤) Romain Rolland يشك فى كثرة عدد الذين يخلصون فى طلب الحق ، ويبحثون عن الحقيقة فى نزاهة خالصة وتجرد تام ، ويكونون على استعداد لاحتمال العزلة الفكرية التى قد يستلزمها البحث الامين عن الحقيقة ، وكان أشد منه تشاؤما واكثر شكا فى حب الناس للحقيقة الشاعر البريطانى هوسمان (١) الذى قال « اضعف الميول البشرية هو حب الحق » وهى نغمة كثيرا ما رددها فى لزومياته شاعرنا العظيم ابو العلا المعرى وهو القائل :

غلب المَيْن ، منذ كان ، على الخلق
وماتت بغيظها الحكماءُ

والقائل :

وقد غلب الاحياءَ فى كل وجهة
هَواهم وان كانوا غطارفة غلبا

ويروى عن البحاثة الناقد والكاتب السياسي الانجليزى جون مورلى (١٩٣٨ ــ ١٩٢٣) john morley وقوله « لم اعرف سوى ثلاثة امضوا حياتهم فى طلب الحق باخلاص ، وهم شارلز داروين ، وهربرت سبنسر ولزلى ستيفن » وذكر الكاتب البريطانى تشسترتون (١٨٧٤ ــ ١٩٣٦) Chesterton فى احدى مقالاته انه لم يلق فى حياته سوى رجل واحد يعتقد انه باحث خالص النية فى طلب الحق » .

الحرب في ميدانين

وربما كانت آراء هؤلاء المفكرين لا تخلو من المبالغة والاسراف فى التشاؤم ، واذا كان هناك عدد قليل من المفكرين المخلصين ذوى العقول الكبيرة الراجحة قد وقفوا حياتهم على البحث عن الحق والتماسه فى فطانه ، فان هناك عددا ضخما من الناس او اغلبية ساحقة لم تمكنها ظروفها الخاصة وملابسات حياتها من القيام باعباء هذا البحث وتأدية فرائضه ، واحتمال تبعاته ، وعَدتهم عن ذلك عوادى الحياة ومطالب العيش وربما كذلك حب السلامة وتلافي مواجهة الاخطار والمتاعب ، والمسألة ليست مسألة اعراض عن الحقيقة او كراهة لها واستهانة بها ، وانما هي مسألة العجز عن الحرب فى ميدانين ، ميدان طلب المعيشة وميدان طلب الحقائق والتجرد له . والكثيرون لا يطيلون البحث عن الحقيقة لانهم لا يجدون لذلك متسعا من وقتهم ولا بقية موفورة من الجهد الذى يبذلونه فى البحث عن مطالب الحياة التى تستغرق اكثر مناشطهم وتستأثر بمعظم تفكيراتهم واحانيهم وتأملاتهم .

العلماء يرون اضواء الحقائق

ولعل أول ما يحسن ان يلتفت اليه الباحثون عن الحقيقة هو ان معرفة

(١) الفرد ادوارد هوسمان شاعر وأديب بريطانى عاش في سنة ١٨٥٩ الى سنة ١٩٣٦ وكان معروفا ميله الى المثل العليا الوثنية ونزعته التشاؤمية Alfred Edward Housman .

الحقيقة عن الكون واهداف الحياة لم تمنح لرجل واحد او اختص بها عصر من العصور او ظفرت بها خالصة امة من الامم ، وذلك لان البحث عن الحقيقة بحث موصول الحلقات مترابط الاجزاء ، أزلي ابدي ، والعلماء وكبار المفكرين واعلام الفلاسفة الذين كشفت عن بصيرتهم الحجب يستطيعون ان يروا اضواء الحقائق ، وان يعينوا غيرهم من الناس على مشاهدة هذا الضوء ومطالعة تلك الانوار .

التشبث بوجهات النظر

ومعرفة الحقائق او البحث عنها يستلزم ان يقضي العلماء والفلاسفة أوقاتهم فى هذا البحث ، ويتوفروا عليه توفرا تاما ، وهو ما لا تستطيعه الكثرة الكاثرة من الناس ، على أن العلماء والفلاسفة وكبار المفكرين لم يكونوا دائما عند حسن الظن بهم ، ولم يخلصوا في كل وقت الاخلاص التام في طلب الحقائق الخالصة ، فكثيرا ما سيطرت عليهم أوهامهم او اهواؤهم واغرتهم بالتشبث بوجهات نظرهم دون ان يستطيعوا التجرد في البحث عن الحق ويتخلصوا من رق النزعات والميول والاهواء ، فكم من عالم متمكن جعلته اهواؤه ينخدع في أشياء كان يمكن ان يتبين حقيقتها لو لم يغلبه هواه وتضله أوهامه ، وكم من مؤرخ جليل الشأن راسخ القدم قد قبل بعض الاكاذيب والمفتريات على انها حقائق ثابتة لأنها ترضي غروره القومي او تعصبه المذهبي.

والعلم الصادق الحقيقي يستلزم الملاحظة الدقيقة والتجربة والاثبات وصحة الاستنباط ، ولكن برغم ذلك فان الكثير من العلماء قد استاءوا الى العلم وابتعدوا عن طلب الحق لأنهم انكروا كل الحقائق التى قد لا تخضع للاساليب التى الفوها وآمنوا بها ، وذهبوا الى انكار اى معرفة غير المعرفة التى تأتى عن طريق الحواس او عن طريق التفكير الذى يستمد معلوماته مما تزوّده به الحواس.

وكل الناس ومن بينهم العلماء والفلاسفة والمفكرون يتأثرون سواء ادركوا ذلك او لم يدركوه بنشأتهم واحوال عصرهم وبيئتهم ، والبحث عن الحقائق يستلزم التخلص من آثار البيئة والنشأة واختبار النفس قبل الاقدام على التماس الحقائق ، وظروف الحياة القاسية لا تجعل ذلك ميسورا للكثيرين ، وقد لا تهون أثقال احتماله على من يحاول النهوض بتبعاته واحتمال تضحياته .

الفيلسوف فرنسيس بيكون

وقد كان الفيلسوف البريطانى فرنسيس بيكون (١٥٦١ — ١٦٢٦) من المفكرين الممتازين وقد عرف في تاريخ الفلسفة بانه موجد الطريقة الاستقرائية في البحث عن الحقائق، وفي طليعة القائلين بتنظيم البحث العلمى تنظيما منطقيا ، وكان آية في جودة الفهم ولمعان الذكاء وتعدد الجوانب، ولكن الظاهر من مجمل سيرته ان أخلاقه لم ترتفع الى مستوى كفايته العقلية . ومهما يكن نصيب ما اخذ عليه من الصحة ، من سقطات وعيوب ، فانه بوجه عام ممن خدموا الانسانية واعانوا على تقدم الفكر البشرى، وقد بذل جهده في تيسير زيادة سيطرة الانسان على الطبيعة عن طريق معرفة اسرارها واتباع الوسائل القمينة بذلك.

كتابه « القانون الجديد »

ومن أشهر كتبه في هذا الصدد الكتاب الذى أسماء « القانون الجديد » Novum organum وقد الفه ليعارض به طريقة ارسطو في البحث عن الحقائق وتصحيح الاوهام الفكرية في مذاهب البحث ، وهو يصف في هذا الكتاب العقبات الاربع القائمة في سبيل وصول الانسان الى الحقائق ، وقد اطلق على هذه العقبات اسم « الاوثان » .

أوثان القبيلة

والطائفة الاولى من الاوثان في رأيه

هي ما أسماه أوثان القبيلة . والطائفة الثانية هي أوثان الكهف . والطائفة الثالثة أوثان السوق . والطائفة الرابعة أوثان المسرح . وهذه الطوائف الأربع من الأوثان تعترض سبيل الانسان الى الحقائق . فأوثان القبيلة أساسها في الطبيعة الانسانية نفسها وفي تصورها للاشياء على صورة سابقة لا برهان عليها من التجربة والمشاهدة . وليست حواس الانسان هي مقياس الأشياء لأن هذه الحواس خاصة بالانسان وليست خاصة بالكون ، والعقل البشرى نفسه مرآة زاحفة تتلقى الأشعة في غير انتظام وتشوه طبيعة الأشياء باضافة طبيعتها الخاصة .

أوثان الكهف

وأوثان الكهف هي أوثان الفرد نفسه ، لأن كل انسان له أوهامه الخاصة التي يعيش بها علاوة على الأوهام التي يشارك فيها بيئته . وبيكون يشبه هذه الأوهام بالكهف الذي يحتوى الانسان ويشوه صور الطبيعة ، ومصدر هذه الأوهام طبيعة الانسان الخاصة او تربيته ونشأته او أحاديثه مع غيره من الناس ، او الكتب التي يقرؤها أو سلطان الذين يعجب بهم ويتبع آراءهم ، وما شابه ذلك وقاربه .

أوثان السوق

وأوثان السوق هي الأوهام التي تتسرب الى الانسان من مخالطته لغيره من الناس واحتكاكه بهم ، لأن الانسان مدفوع الى هذه المخالطة ولا مَحيدَ له عنها ، وهو يستعمل الكلمات والصيغ والعبارات التي يسمعها من الناس ، وسوء استعمال الألفاظ يقيم العقبات في سبيل الفهم .

أوثان المسرح

وأوثان المسرح هي الافكار الخاطئة والنظريات المضلة والمبادىء الزائفة التي تسرى الى عقول الناس وتملك عليهم سبل تفكيرهم . وبيكون يرى ان هذه النظريات والأفكار والمبادىء تشبه المسرحيات التي تمثل عوالم مبتكريها . وقد الحق بأوثان المسرح اسلوب ارسطو الذي يصوغ القواعد على حسب الاقيسة ثم يبحث عن صدقها في ظواهر الطبيعة ، وأسلوب أفلاطون الذي يجعل العالم المحسوس تابعا للعالم المتخيل قبل وجوده وسائر المذاهب القديمة التي لا تقوم على التجربة والمشاهدة .

وهذه الطوائف المختلفة من الأوثان في راى بيكون تحجب عن الانسان رؤية الحق . وربما كان بيكون غير دقيق في تنسيقها وتتبع اصولها، ولكنها بوجه عام ترينا تأثير المعتقدات والتقاليد والالفاظ والمصطلحات وقوة تسلطها على عقل الانسان . ويمكن ان نستخلص من ذلك أن الاقتراب من رؤية الحقائق يستلزم تخلص الانسان من رق افكاره السابقة ومعتقداته القديمة وتأثره بسحر الالفاظ وشائع الاراء ، ويتطلب ذلك قوة في العقل والاخلاق لم يظهر بها سوى افراد قلائل موهوبين في تاريخ الانسانية .

العرض المغرض

والواقع أن الباحث عن الحقائق في هذه الحياة تعترض طريقه أكاذيب كثيرة منوعة مختلفة العلل والأسباب والدوافع ، ومصدر جانب من هذه الاكاذيب قصور في تفكير البشر يجعل تبين الحق ومواجهته من الأمور الشاقة . كما أن هناك مجموعة من الاكاذيب كبيرة سببها عدم توفر الأمانة والاخلاص الكافيين في الانسان ، ومن بين هذه الاكاذيب طائفة يصح ان نسميها اكاذيب العرض المغرض ، فقد يعرض علينا انسانٌ موضوعا من الموضوعات يتحاشى فيه الكذب ويلتزم الصدق ، ولكنه لا يكتفى بتقرير الحقائق كما هي في ذاتها ، بل يعمد الى شيء من المبالغة والتهويل والضغط والتأكيد ليؤثر في نفوسنا ، والمبالغة في العرض مَدرَجة الكذب ، وسبيل الانحراف عن الحق ، وقد ينصحنا الأطباء

النطاسيون او العلماء النفسيون باتباع طرائق خاصة لمنع الأمراض الجسدية وتحاشي العلل النفسية، وهم في هذه الحالة يؤدون عملا جليلا جم النفع ، وحينما يلتزمون بجانب الحقائق العلمية التي أثبتها البحث وايدتها التجارب يكونون في اغلب الاوقات في جانب الحق ، ولكنهم قد يستميلهم الهوى لسبب من الأسباب المجهولة او المعروفة فيجاوزون الحقائق او يلونونها ويزخرفونها ويركنون الى المبالغة ليؤثروا في النفوس ويحملوا الناس على الأخذ بآرائهم أو النزول على رغباتهم .

الدعايات السياسية الكاذبة

وهناك الدعايات السياسية الكاذبة المتهمة التى تعتمد عليها الحكومات الباغية في تسويغ سياستها والدفاع عن اتجاهاتها ، وهى تقوم على تشويه الحقائق او انتقاصها واشاعة الأباطيل ، وقد عرفت العصور المختلفة امثلة شتى لهذه الدعايات قديما وحديثا ، والدول التى تقوم سياستها على الاستعمار واتباع السياسة الامبريالية تسمى طلب الحرية تمردا وتعد المطالبة باسترداد الحقوق المغتصبة تعصبا وخروجا على الأوضاع الدولية المحترمة والتقاليد السياسية المتبعة ، ورغبة في تعكير صفو السلام العالمى .

واكاذيب الحروب

وفي اثناء الحروب تكثر الاشاعات الباطلة والأكاذيب المتعمدة . والعجيب أن بعض هذه الأكاذيب يظل عالقا بالأذهان زمنا طويلا بعد انتهاء الحرب . من امثلة ذلك ما ذكرته الصحف فيما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٨ عن تدمير مكتبة لوفان برمتها في بلجيكا ، والذين زاروا هذه المكتبة بعد الحرب وجدوا أن الذى دمر منها جزء قليل ، ومع ذلك ظلت أخبار تدميرها الكلى تتردد على الالسنة زمنا طويلا بعد الحرب ، وطبيعة الحرب تقتضي كتمان بعض الأخبار أو اظهارها في صورة تخالف الواقع ، وهذا كله مما يمهد السبيل لانتشار الأكاذيب وبقائها زمنا طويلا، ومن هذا القبيل تلك الرواية التى شاعت وتواترت عن الخليفة العظيم عمر بن الخطاب ، والتى تعزو اليه أنه امر باحراق مكتبة الاسكندرية . وقد نقض هذه الرواية المؤرخ الانجليزى الفرد بتلر والمستشرق كازانوفا، ويرى الأستاذ العقاد في كتابه القيّم عن عبقرية عمر أن هذه الرواية ربما كانت مدسوسة على الرواة المتأخرين للتشهير بالخليفة المسلم وتسجيل التعصب الذميم عليه وعلى الاسلام .

اكاذيب للمحافظة على كيان الدولة

وهناك الأكاذيب التى يختلقها بعض كبار الساسة للمحافظة على ما يسمونه كيان الدولة ، وتشهد سير بعض هؤلاء الساسة انهم كانوا في حياتهم الخاصة من أهل الصدق والأمانة ، ولكنهم كانوا في السياسة يعلنون غير ما يبطنون لأن في اصطناع الكذب وترويجه ما ينفع بلادهم ويرفع من شأنها ، وقد عبر عن هذا السياسي الأيطالى المشهور كافور Cavour بقوله : « لو أننا عملنا من أجل أنفسنا ما صنعناه من أجل بلادنا لعدّنا الناسُ من الأوغاد » . وقد هاجم الانجليز مصر واعتدوا على استقلالها الذاتي واحتلوها في عهد وزارة السياسي البريطانى جلادستون، وكان جلادستون في عصره من كبار زعماء حزب الأحرار الانجليزى الذى يعارض سياسة التوسع الاستعمارى ، ولكنه قبِلَ مهاجمة مصر واحتلال ارضها صونا لمصلحة حزبه واستجابة لمطامع انصار الاستعمار البريطانيين .

والصحافة في الأمم الراقية خاضعة لأحزابها وأربابها

والمعروف ان الصحافة في الأمم الراقية وجدت لتنوير الراى العام وايقافه على الحقائق ، ولكن الجرائد الذائعة الصيت الشهرة في أكثر الأمم خاضعة لأحزاب

مختلفة تمدها بالمال وتسيطر على توجيهها وتملي عليها سياستها ، فهي تتناول الامور وتفسر الاخبار من وجهة النظر المفروضة عليها ، وروايتها للاخبار وطريقتها في عرضها وابراز اهميتها او اخفاء مكانتها تتأثر بوجهة النظر الغالبة عليها . وقد اراد مرة احد المفكرين الانجليز أن يدلل على ذلك بطريقة واضحة ، فاشار الى خبر اجتماع عقد خلال سنة ١٩٣٤ ، ونقل رواية الخبر في جريدة محافظة ،وجريدة من جرائد حزب الأحرار ، وجريدة ثالثة من جرائد الحزب الاشتراكي . واوضح انه بعد الاطلاع على هذه الروايات الثلاث للخبر الواحد يجد الانسان صعوبة في تعرف حقيقة هذا الاجتماع، فقد اختلفت هذه الجرائد في تحديد عدد الحاضرين وفي بيان قيمتهم ومكانتهم ، ووصفت احداها المناقشات التي دارت في الاجتماع بانها مناقشات لامعة نافعة ، وقالت جريدة اخرى بأنها مناقشات مملة تافهة تدل على التخلف عن متابعة حركة التقدم .

والأدعياء والدجالون

وهناك الأدعياء الذين يحشرون أنوفهم في كل شيء ، ويدعون ما لا يعرفون ، والدجالون الذين يتظاهرون بمعرفة طرائق علاج الامراض وحل المشكلات وتفريج الأزمات ، والمنجمون الذين يدعون علم الغيب والقدرة على كشف المخبآت والوصول الى بواطن الامور ، وبرغم تقدم العلوم الحديثة لا تزال لهم في مناطق كثيرة سيطرة على بعض النفوس سببها أن في الانسان ميلا طبيعيا الى معرفة المستقبل والتكهن بالحوادث القادمة .

والمتعصبون

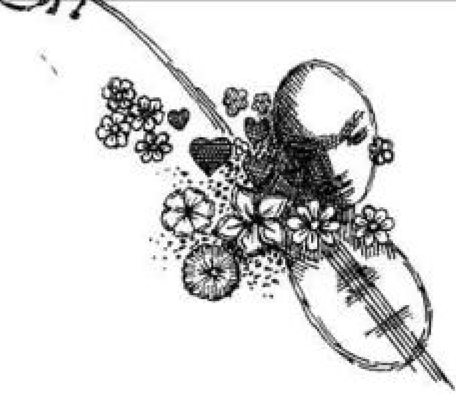
والمتعصبون لأفكارهم يساعدون على انتشار الاكاذيب سواء قصدوا ذلك او لم يقصدوه، وذلك لأن التعصب لفكرة من الافكار يعتمد اغفال كل الجوانب الأخرى من جوانب التفكير ، وينظر الى مختلف الأمور من زاوية محدودة بعينها ، وهذا مما يجعل آراء المتعصبين لأفكارهم عرضة للخطأ ، ولا نزاع في أن التعصب عقبة كبيرة في سبيل تعرف الحقائق .

وأصحاب المذاهب والعقائد

والانسان اجتماعي أو مدني بالطبع كما كان يؤثر أن يقول العلامة ابن خلدون، وقليل من الناس من يسير في طريق الحياة دون ان يتعلق بمذهب من المذاهب او يدين بعقيدة من العقائد أو ينتصر لقضية من القضايا ، وقد يتحمس الانسان ويذهب كل مذهب في تأييد ما يعتقده ويدين به . وكثير من الناس يعتقدون انهم يدافعون عن الحق ، وهم في الواقع انما يدافعون عن مذهب راقهم ، أو قضية من القضايا اجتذبتهم ، او اتجاه من الاتجاهات ملك عليهم عواطفهم واستأثر بتفكيرهم . والولاء والاخلاص للمذهب أو القضية من الأشياء المستحبة الموجبة للاعجاب ، ولكنها مع ذلك لا تخلو من الخطر فقد تقيم العقبات في سبيل البحث عن الحق،وتجعلنا ضيقي الفكر ، وتعرض احكامنا للخطأ ، وقد يكون للمذهب الذى ندين به ونداقع عنه قيمته وشأنه ونفعه وأثره الحميد ، ولكنه في الوقت نفسه لا يمكننا من رؤية جميع أوجه الحق . ومن بواعث الأسف في هذه الحياة أننا مضطرون على الدوام الى أن نكون حذرين في تعرف الأسباب الكامنة وراء عرض الحقائق وتقرير القضايا وشرح المذاهب حتى لا تخدع ولا تضلل ولا خفاء في أن الكثرة الغالبة من الناس يسعون الى تحقيق اغراضهم وبلوغ أهدافهم أكثر من سعيهم في طلب الحقائق والحرص عليها والتعلق بها ، ومن ثم هذا التقصير في طلب الحقائق الذى نتبينه خلال تاريخ الانسانية في العصور المختلفة والحضارات المتعاقبة .

■■

علي أدهم



يا حبيب العمر

للأمير عبد الله الفيصل

■ يا حبيبَ العمرِ هل ماتَ الهوى … في حنايانا وقد شئناه حيّا
أمْ هي الآمال تُمسِي لهفةً … خلفَ حُبٍّ كان بالأمسِ نديّا
كان حلماً نشتهيه أبداً … كان حبا جامحَ الشوقِ شهيّا
فغدا والريحُ تذروه هَبَاً … ذكرياتٍ مُرّةً فى أصغريّا

★★★

ياحبيبَ العمر ما عوّدتني … حُرمةَ الهجرِ وقد كنتَ الوفيّا
كنتَ لى طيراً أليفا غَرِدا … بسوى لَحْنِكَ ما هِمت فتيّا
كنت لى فرصةَ حبٍّ غامرٍ … تنثر السحر وتلقيه عليّا
كنت لى منتجع الرّى إذا … هدّنى سقمى وما صادفتُ ريّا
كنت همّى وانشغالى أبدا … كنت فجرا باسماً في مُقلتيّا
وأنا هل كنت إلا ألقا … ذاب فى عينيك وَهْجاً أبديّا
أو فُتوناً فوق خدّيك انتشى … بهجةٌ عاد بها الحِسُّ إليّا
وإذا بى بعد حب جارفٍ … أَلتقي وصلَك هجْراناً شجيّا
ينكر الأمس وما مرّ بنا … من أحاسيسَ عرفْناها سويّا
كيف لا أدرى ولا أنت به … عالمٌ كيف انطوى التّحنان طيّا
فمتى يرْجعكَ الوجْد إلى … قلبيَ الباكى وفيه تتفيّا
ويعود العدل عنا قاصراً … دون عهدٍ قد حفظناه قويّا
نتحدّى الريحَ في إعصارها … ونعيش العمرَ فرحاناً هنيّا
إنما العمر بلا حُبٍّ أسىً … جامحٌ لا يعرف الدمعَ العصيّا
وكلانا دون ما حُبٍّ نرى … أنّ كلَّ العمر لايَعدِل شيّا ■■

عبد الله الفيصل ـ السعودية

التَّفَاؤُل بَيْنَ.. والتَّشَاؤُم



بقلم : الدكتور علي أحمد علي

دكتوراه فى التوجيه النفسي والتربوى (جامعة كولمبيا بنيويورك)

■ التفاؤل والتشاؤم ظاهرة قديمة قدم الحياة الانسانية نفسها . فالانسان منذ القدم وهو يعيش فى ظروف صعبة ويصادف ظواهر جوية وطبيعية عجيبة لم يجد لها تفسيرا ،كان يلجأ الى التفاؤل والتشاؤم كضرب من ضروب التنبؤ بالغيب ومحاولة الكشف عما يخبئه له المستقبل وكمظهر لحيرته وقلقه . فمثلا حسب الاعتقاد الذى كان سائدا قديما فى الجزيرة العربية كان من الممكن التنبؤ بالخير الكثير اذا ظهر طائر معين فى السماء، وعلى العكس كان التنبؤ بالشر المستطير عند رؤية حيوان معين او سماع صوت طائر اعتبر في ذلك الوقت رمزا للتشاؤم.

التفاؤل والتشاؤم من أشياء معينة :

من الناس الكثيرون الذين يتشاءمون ويتفاءلون من أشياء معينة ، وقد تكون هذه الاشياء ظاهرة جوية او حيوانا او طائرا او رقما او صوتا او انسانا . وتختلف الشعوب فيما بينها فى الاشياء التي تسبب تفاؤلها أو تشاؤمها .. ففي مصر مثلا يتشاءم معظم الناس من البوم ويعتبرونه نذير شؤم وفراق . فى حين ان الكثير من الناس فى الولايات المتحدة الامريكية مثلا يتفاءلون من نفس الطائر ، لذلك طبعت صورته على الكثير من علب الدخان وعلب الاغذية وغيرها .

وبالرغم ان معظم اهل مصر يتشاءمون من البوم ، فقد وقف المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد الكاتب العربي يدافع عن هذا الطائر المظلوم . وقد زاد من تقديره له انه وضع تمثالين للبوم في منزله وكان يستبشر بهما خيرا . وقد خص البوم فى كتابه (فى بيتي) بكلمة رد فيها اعتبار الطائر حيث قال :

« وجعلت أسال الشؤم فى كل دعوى من دعاويه واولها دعواه الكبرى على

• كُوبٌ مَلِئَ نِصْفُهُ بِالمَاء:
قَالَ المُتَفَائِل إِنَّهُ نِصْف مَلِئ
وَقَالَ المتشَائم إِنَّه نِصْف فَارِغ

النَّاس

• البُومُ، تَشَاءَمَ النَّاس مِنْهُ،
وَرَدَّ العَقَّاد إِلَيْهِ اعْتِبَارَه

البومة المسكينة . ما لهذه الطريدة المظلومة وهي قد تركت الدنيا والنهار للانسان ولاذت منه بالليل والخلاء ؟ وما عيبه عليها وهي اوفى الطيور فى عشرة الاليف منها للاليف ؟ اليست هي احدى الاحياء النادرة التي يسكن الزوج منها الى زوجه مدى الحياة ؟اليست هي التي تغني لنور القمر ولعزلة الليل ولا تقحم صوتها على من يأباه ؟ألم تكن عند الاثينيين – وهم عباد الجمال – رمزا للمدينة ينقشونه على الدراهم مع اغصان الزيتون؟ فاذا جنى الظلم على سمعتها ، ولاحقها الظلم فى خلوتها ، فليصنع ما بدا له فاننا نتلقاه منها بالنتين لا بواحدة ، لانها لا تحب الفراق ، وان زعموها نذير الفراق . »

وليس البوم سوى نموذج للاشياء التي يتشاءم منها بعض الافراد . فهناك من يتشاءم من القط الاسود ويعتبرون رؤيته نذير شر وخطر قريب . وهناك من يتشاءم من احلام معينة فمثلا يعتقد البعض ان رؤية ميت فى الحلم واخذه لشيء معين من النائم يرمز الى فناء قريب لشخص محبوب ، مع أن العلم يقول أن الاحلام ما هي الا انعكاس لحياة صاحب الحلم ، وليس فيها من المستقبل او الدلالة عليه الا القليل مما يجهل تفسيره وتأويله .



وقد ذهب بعض الناس فى تشاؤمهم من اشياء معينة الى ابعد مما تقدم ذكره .. فمثلا يعتقد بعض الناس ان «رف العين» ــ وهو فى الحقيقة عبارة عن اضطراب وتوتر فى اعصاب جفون العين مما يسبب اهتزازها ــ دليل خطر وشر قريب ، خاصة اذا حدث ذلك فى جفن العين اليمنى . وقد يحدث الخطر او الشر بمجرد الصدفة فيزيد ذلك من تشاؤم هؤلاء الافراد من هذه الظواهر الوهمية ويربطون بينها وبين الاحداث ربطا خاطئا لا يقوم على اساس من العلم والمنطق .

ومن الناس من يجعل الكلمات التي تقال عفوا موضع تفاؤلهم وتشاؤمهم . وقد عرف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان ممن يتفاءلون عند سماع كلمات معينة تقال عفوا ، فمن ذلك ان رسولا من ميدان نهاوند اقبل عليه ذات يوم فسأله عن اسمه فقال « قريب » فسأله عن ابيه فقال « ظفر » . فقال عمر : «ظفر قريب ان شاء الله ولا قوة الا بالله » .

ويحكى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه حين هاجر الى المدينة ودنا منها سمع مناديا يقول:«يا سالم» ، فقال لاصحابه «سلمنا» . ولما دخلها عليه الصلاة والسلام سمع آخر يقول «يا غانم» فقال«غنمنا» . ولم يكن هذا تفاؤلا ولكنه استبشار .

لماذا يتفاءل أو يتشاءم بعض الناس من اشياء معينة ؟:

قد يتساءل البعض عن دوافع تفاؤل بعض الناس او تشاؤمهم من اشياء معينة . والواقع ان الدافع الى ذلك بالنسبة لبعض الافراد قد يرجع لاحداث خبرها الانسان فى حياته . فمثلا قد يرتبط رؤية احد الافراد لحيوان معين بحادث غير سار يقع له . وقد يكون وقوع هذا الحادث بمجرد الصدفة . ولكن الحيوان يرتبط فى ذهن هذا الفرد بالحادث الغير سار فيتشاءم كلما رآه .

والحال كذلك بالنسبة للتفاؤل من اشياء معينة ،فقد يتفاءل احد الاشخاص بمولوده الجديد لانه حصل على زيادة فى المرتب فى الاسبوع الذى قدم فيه هذا المولود . فيرتبط هذا الطفل فى ذهن ابيه بالخير وزيادة الرزق فيتفاءل به . وكلما اصاب الوالد خيرا فى المستقبل ارجعه الى المولود الجديد ، مع أن الواقع يقول انه لا علاقة بين المولود وبين الخير الذى يصيبه وانما هي مجرد صدفة ليس اكثر ولا اقل .

وقد يرجع تفاؤل وتشاؤم بعض الناس من اشياء معينة الى عوامل تاريخية او الى اتجاهات ومعتقدات موروثة عن الاسرة او عن المجتمع . فكراهية البوم والتشاؤم منه ليس بسبب خبرة شخصية لمختلف الافراد ولكنها اتجاهات ومعتقدات توارثها الابناء عن الآباء .

ومن المتوارث في المجتمعات تشاؤم الناس من الرقم ١٣ مثلا وخوفهم منه .

وخوفهم وتشاؤمهم هذا من رقم لا حول له ولا قوة .

اضرار التفاؤل والتشاؤم :

اذا كان بعض الناس يتفاءلون او يتشاءمون من اشياء معينة ، فما هو الضرر من وراء ذلك ؟ الواقع انه لا ضرر يلحق بالفرد اذا تشاءم او تفاءل مع فرض أن هذا يتم فى حدود ضيقه . ولكن اذا غالى الفرد فى هذا الاتجاه فان هذا يلحق به اشد الاضرار ذلك لانه يستنزف جهده فى الجرى وراء اشياء غير حقيقة يتفاءل او يتشاءم بها ، وبذلك يوجه سلوكه واتجاهاته فى الحياة توجيها خاطئا ...

وهذا يؤدي بالفرد في النهاية الى اتخاذ قرارات خاطئة ، يبنيها على هذا التفاؤل والتشاؤم، لا تقوم على اساس من المنطق والعلم . هذا بالاضافة الى ما في التشاؤم او التفاؤل من ضياع لطاقات الفرد وجهده الذي يبذله في توقع الخير والشر، وقد يأتي المستقبل على غير ما يتوقع .

نظرة التفاؤل والتشاؤم للحياة عموما :

نترك الان موضوع تفاؤل وتشاؤم بعض الناس من اشياء معينة الى موضوع آخر هو على قدر من الصلة بالموضوع الاول ، وهو نظرة التفاؤل او التشاؤم للحياة عموما . فبعض الناس ينظرون للحياة نظرة تفاؤل وينتظرون الخير الكثير في المستقبل ، في حين نجد البعض الاخر ينظرون الى الحياة نظرة كلها تشاؤم ويتوجسون خيفة من المستقبل ويتوقعون الشر .

يضرب المثل للمتفائل والمتشائم بكوب نصف مليء بالماء . فالمتفائل يقول « ارى امامي كوبا نصفه مليئا » ، في حين يقول المتشائم «ارى أمامي كوبا نصفه فارغا» . فالشخص المتفائل يرى الجانب الايجابي ويرى الحب والجمال والخير في هذه الحياة . اما الشخص المتشائم فيرى الجانب السلبي ويرى الكراهية والقبح والشر في هذه الحياة .

والشخص المتفائل يرى ان غده قد يأتي بخير من يومه اما المتشائم فلا يتوقع خيرا في المستقبل ويعيش في خوف مما قد يخبئه المستقبل له .

النظرة المتشائمة للحياة ودوافعها :

وعادة ما تكون النظرة المتشائمة للحياة نتيجة لاسباب عده اهمها : ـ

١ ـ نشأة الفرد في بيئة يسودها التشاؤم فيكتسب هذا الاتجاه المتشائم . فالوالدان المتشائمان والمعلمون المتشائمون لا يمكن ان يخلقوا جيلا تسوده روح التفاؤل .

٢ ـ كثرة الفشل الذي يعترض طريق الفرد قد يؤدي به الى حالة من التشاؤم وخيبة الامل .

٣ ـ ضعف الثقة بالنفس يؤدي الى عدم ثقة الفرد في المستقبل فتسيطر عليه روح التشاؤم .

٤ ـ المبالغة في حساب النفس وتعنيفها قد يدفع الانسان الى التشاؤم .

والنظرة المتشائمة للحياة لها اضرار كثيرة بالنسبة للفرد، لان تشاؤمه يحد من طاقاته في العمل والانتاج . كما ان تشاؤمه يجعله يرضى من حظه بالقليل ،وينطوي على نفسه ويعيش في عزلة عن أحداث يومه . فهو لا ينتظر خيرا في المستقبل ولا يتوقع خيرا من الناس الذين يتعامل معهم أو من المجتمع الذي يعيش فيه .

النظرة المتفائلة للحياة لها مساويء :

والناس الذين تسيطر على حياتهم واتجاهاتهم روح التفاؤل عادة ما يتمتعون بالصحة النفسية والاتزان النفسي . والنظرة المتفائلة للحياة تدفع الفرد الى العمل والانتاج والمشاركة في البناء .. ولكن التفاؤل يجب الا يغالى فيه ، لان المغالاة في التفاؤل لها اضرارها التي تلحق بالفرد . فالشخص شديد التفاؤل عادة ما يغفل العمل للمستقبل لانه يرى الخير كل الخير في المستقبل فلماذا اذن الحيطة والحذر والتأمين للمستقبل والعمل له ؟ وقد يؤدي هذا كله الى طريق الاستهتار والاسراف في كل شيء .

نصائح للقضاء على روح التشاؤم بين الافراد :

فيما يلي عدد من النصائح التي

تؤدى بالافراد الى حياة يسودها قدر من التفاؤل المعقول ، والمباعدة بينهم وبين نظرة التشاؤم للحياة التي تستنزف جهدهم وطاقاتهم وتثبط من هممهم وعزائمهم وتجعلهم يحيون حياة ليس فيها بهجة وسعادة ، ورضا واستقرار .

اولا : فيما يتصل بالتشاؤم من اشياء او ظواهر معينة :

يجب على الكبار من افراد الاسرة الا يظهروا تشاؤمهم من اشياء معينة امام الاطفال . فالطفل عادة ما يكتسب عادة التشاؤم من اشياء معينة عن طريق افراد الاسرة . فالطفل الذى يشاهد افراد اسرته يتشاءمون عند سماعهم صوت البوم ، مثلا ، عادة ما يشب على التشاؤم من صوت البوم . والطفل الذى يرى والده يتشاءم عند رؤية قط أسود قد يتبنى نفس الاتجاه والاعتقاد عندما يشب ويكبر .

ويجب ان نقنع الاطفال منذ الصغر بخطأ هذه المعتقدات وان يدركوا ان الخير والشر الذى ينتظر الانسان لا علاقة بينه وبين مختلف الاشياء والظواهر التي تواجه الانسان فى حياته .

ثانيا : فيما يتصل بالنظرة المتشائمة للحياة عموما :

١ ــ تدريب الاطفال منذ نعومة اظفارهم على انتظار الخير فى المستقبل ، والا يوجسوا منه خيفة .

٢ ــ المباعدة بين الافراد وبين الفشل المستمر لان هذا الفشل يؤدى الى النظرة المتشائمة للحياة . ويجب ان يكون واضحا ان كل فرد أيا كان مستوى قدرته واستعداده وامكاناته يستطيع ان يحقق نجاحا فى الكثير من الاعمال ، خاصة اذا تناسبت هذه الاعمال مع ما فى الفرد من المواهب العقلية والجسمية والانفعالية والنفسية وغيرها .

٣ ــ تعويد الفرد على ان ينظر الى المشكلات التي تواجهه نظرة علمية وان يتحرى اسباب هذه المشكلات بغية الوصول الى حل لها ، والا يسيء الربط بين مختلف الاحداث والظواهر التي تصادفه فى حياته .

٤ ــ كثرة الاحباطات التي تواجه الفرد فى حياته قد تؤدى به الى التشاؤم، لذلك يجب ان يدرب الفرد فى حياته على خلق اهداف بديلة اذا عجز عن الوصول الى اهدافه الاصيلة . كما يجب ان تكون لدى الفرد المرونة الكافية لكي يتنازل عن بعض اهدافه اذا ايقن انها غير ممكنة التنفيذ ، او ان الوصول اليها غير ممكن .

٥ ــ توجيه نظر الفرد الى نواحي الخير والجمال والحب التي تملأ العالم الذى نعيش فيه حتى لا يركز انتباهه على الجوانب السلبية دون الايجابية فى هذه الحياة .

٦ ــ مساعدة الفرد على الخروج عن انانيته وعن دائرة نفسه المغلقة ، وان ينسى نفسه فى سبيل مساعدة غيره ممن هم اقل منه حظا فى هذه الحياة .

٧ ــ التشاؤم عادة ما يلازم الافراد المنعزلين الخاملين . اما الافراد النشيطون الذين يملأون حياتهم بالعمل المثمر فنادرا ما يجد التشاؤم طريقه اليهم . فالعمل والنشاط خير علاج للمتشائم حيث يجد فى نتيجة عمله ونشاطه حياة له ولغيره ولأمته .

علي أحمد علي

عَبْدُ الكَرِيمِ بنُ مُحَمَّدٍ القَيْسِيُّ

الغِرْنَاطِيُّ

آخِرُ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ

الشَّاعِرُ الَّذِى أَدْرَكَ مِحْنَةَ غِرْنَاطَةَ الأَخِيرَة

بقلم : الدكتور محمود علي مكي

مدير مركز دراسات امريكا اللاتينية وزارة الثقافة ــ القاهرة

■ .. الأندلس على شفا المنحدر ! ..

الطبول التى كانت تدق معلنة عـزة الدولة الاسلامية في الأندلس وانتصاراتها المجيدة قد بعد بدويها العهد ، ولم تعد تسمع منها الا اصداء هامسة خفية .

وصور الأبطال الذين سطروا صفحات مجد الأندلس : عبد الرحمن الداخل صقر قريش ، وعبد الرحمن الناصر ، والمنصور بن أبى عامر ، ويوسف بن تاشفين ، ويعقوب المنصور .. قد عادت ذكريات باهتة شاحبة ..

والدولة التى كانت تمتد الى تخوم فرنسا في الشمال ، على جبال البرنات الوعرة التى يكللها الجليد قد تقلصت حتى أصبحت مثلثا صغيرا ، منحصرا في الجنوب الشرقى من شبه الجـزيرة ، قاعدته بين ''مالَقة والمرِيَّة ، ورأسه غرناطة .

لقد سقطت القواعد الأندلسية الكبرى تباعا منذ أواخر القرن الخامس الهجرى . ويأتى القرن السابع الهجرى فلا يبقى للاسلام الا تلك الرقعة الضيقة التى نهض بنو الأحمر ملوك غرناطة يدافعون عنها في بسالة طوال قرنين ونصف من الزمان ، حتى نفذ فيها قضاء الله اخيرا في سنة ٨٩٨هـ (١٤٩٢ م) .

ابن الخطيب : آخر عبقريات الاندلس

ولكن هذه البقية الباقية من الأندلس ظلت حفيظة لثقافة الاسلام وحضارته ، قيمة على ذلك التراث الجليل حتى آخر رمق لها .واستطاعت غرناطة في تاريخها الاخير المؤسي أن تخرج لنا عبقريات كانت آخر ومضات الثقافة العربية في هذه البلاد .

وكان آخر هذه العبقريات شخصية لسان الدين ابن الخطيب (٧١٣ – هـ = ١٣١٣ – ١٣٧٤ م) الذى اعتاد مؤرخو الفكر الاندلسي أن يختموا به ذلك التاريخ المجيد الرائع .

ابن زمرك : شاعر الحمراء

وأما في ميدان الشعر خاصة ، فلا يكاد يعرف بعد ابن الخطيب من أعلام الشعر الأندلسي الا ابن زَمْرَك (٧٣٤–٧٩٦هـ = ١٣٣٣ – ١٣٩٣ م) الذى يعتبر خفقة اخيرة لشعر كان يوشك على الاحتضار . ولابن زَمْرَك مكانة خاصة في تاريخ الشعر العربى في الاندلس ، فلعله هو الشاعر الوحيد الذى « طبع » جزء من ديوانه افخم « طبعة » يعرفها التاريخ لشاعر على مر العصور .. طبعة لم تسطر الفاظها في كتاب ، بل نقشت على جدران قصر الحمراء (١) آخر اثر عربى في الاندلس .

ولله مَبْنَاك الجميل فانه
يفوق على حُكْم السعود المبانيا
وكَمْ فيه للأبصار من مُتَنَزَّه
تُجِدُّ به نفسُ الحليم الأمانيا
وتَهوَى النجومُ الزُّهر لو ثَبتَتْ به
ولم تكُ في أفق السماء جَواريا
به البهو قد حاز البهاء وقد غدا
به القصر آفاق السماء مباهيا

غرناطة في القرن التاسع الهجرى

ويأتى القرن التاسع الهجرى على غرناطة ، وتدخل المملكة الاسلامية الصغيرة في مرحلة مظلمة من تاريخها : اسبانيا النصرانية تزداد قوة ، والغرناطيون يزدادون ضعفا . ونقلب صفحات تاريخ الأدب الاندلسي نبحث عن اديب له مكانته فلا نكاد نجد . لقد قسا الزمن على غرناطة بنى الأحمر خلال هذه الفترة . حتى أسماء السلاطين ومدد حكمهم لا نكاد نتبينها بوضوح .. تاريخ حزين ملأته الحروب الاهلية والثورات والفتن بينما اسبانيا المسيحية تتوحد وتنظم صفوفها استعدادا للوثبة الأخيرة ! ..

شعر يحتضر

وأما الشعر فمن الطبيعى أن تنعكس هذه الحالة على أوضاعه: لم يعد سلاطين غرناطة من الاهتمام بالأدب بحيث تشتمل بلاطاتهم على ادباء أو شعراء من طراز ابن الخطيب أو ابن زمرك . وكل ما وصلنا أخبار ومقتطفات قليلة ، لشعراء قل بينهم المجيد ، وان كان لشعرهم أو لنظمهم قيمة تاريخية لا بأس بها . وقد كان لشهاب الدين احمد المَقَّرى الفضل في الاحتفاظ لنا بهذه الثمالة الباقية في كتابيه «نفح الطيب» و«أزهار الرياض».

المغرب العربى مستودع الشعر الأندلسي

شعر قليل بقى لنا من نتاج هذا العصر المكفهر الكئيب ، تمثل لنا فيه مأساة الختام ..مقتطفات وقطع متناثرة في كتب التاريخ والأدب هنا وهناك ولكنا لا نكاد نجد ديوانا كاملا لشاعر من شعراء تلك الفترة التى ظلت حتى السنوات الأخيرة يجثم عليها ظلام كثيف .

أو هكذا كنا نعتقد ، حتى كشف لنا المغرب العربى عن كنوز الكتب المودعة في خزائنه ، وتبين لنا أن كثيرا من ذلك التراث الأندلسي العظيم قد لقى من المغرب الشقيق ، ذلك البلد المضياف الكريم ، مثلما لقى الأندلسيون انفسهم حينما اودت بأوطانهم المحنة ، فقد حافظ المغرب على هذا التراث غيورا عليه ، حفيًا به ، وحرص عليه مودعا اياه في مكتباته العامة والخاصة ، حتى أتيحت الفرصة أخيرا لاستخراج ذخائره واجلائها.

وكان لهذا العصر الاخير من تاريخ غرناطة المسلمة نصيب من مكتبات المغرب العربى ، فقد ظهر ديوان لاحد سلاطين غَرْناطة ، هو يوسف بن يوسف بن محمد الغنى بالله المعروف باسم يوسف الثالث ، والذى حكم مملكته في أوائل القرن التاسع الهجرى . وكان العثور على هذا

---

(١) يرى زائر الحمراء هذه الابيات وبقيتهامسطرة على بهو « الاختين » في قصر الحمراء كأنها نقشت بالامس، تحيط بها فروع من التوريق والزخارف .

الأثر الجليل في ناحية السلوس ، وتوفر على تحقيقه ودراسته والتقديم له العلامة المغربي الأستاذ عبد الله كنون،ونشر في تطوان سنة١٩٥٨.

كشف جديد لمخطوط نادر

ثم اذا بنا امام كشف آخر في هـذا الميدان لمخطوط فريد من نوعه ، من مخطوطات الاوقاف التي ضمت أخيرا الى الخزانة العامة بالرباط ، وهو مخطوط يتضمن ديوانا لشاعر غرناطي في القرن التاسع الهجري ، ادرك ـ أو كاد ـ سقوط غرناطة في أيدي النصارى .

اسم هذا الشاعر عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي ، ونبحث عنه في كتب التراجم الخاصة بهذا العصر فلا نجد أدنى اشارة اليـه ، ويكون علينا أن نتتبع تاريخ حياته من تلك الورقات السبعين التي يتألف منها ديوانه ، ومن الاشارات التاريخيه العابرة . ومما نذكره ان التاريـخ الوحيد المذكور فيهذا الديوان هو الثالثوالعشرون من ذى القعدة سنة ٨٣٦ هـ ، وهو يقابل الحادى عشر من يوليه سنة ١٤٣٣ م . وذلك بمناسبة الهجوم النصرانى على حصن اللقون من حصون وادى آش « أعادها الله » .

ويبدو على الأبيات التي قالها عبد الكـريم القيسي في رثاء حصن اللقون هذا طابع الشباب ، مما يدل على انه قالها في مستهل اشتغاله بالادب. ويمكن ان نستنتج من ذلك أن شاعرنا ولد في أوائل القرن التاسع الهجري .

بسطة : ثغر من ثغور غرناطة

وقد ولد عبد الكريم ونشأ في مدينة بسطة (بالاسبانية Baza) الواقعة على بعـد نحو ١٢٠ كيلو مترا الى الشمال الشرقى من غرناطة ، والتى كانت من أعمـال وادى آش Guadix ويصف لنا ابن الخطيب بسطة هذه فيقول :

« بلد خصيب ، ومدينة لها من اسمها نصيب، دوحها متهدل ، وطيب هوائها غير متبدل .. وحاميتها تنظر الى الهياج ، من خلف سياج ، فالعدو شديد الفتكات ، مهمل الحركات .. » .

وابن الخطيب يشير بهذه العبارات الأخيـرة الى موقع مدينة بسطة في الخطوط الأماميـة للدفاع عن مملكة غرناطة ، فقد كانت ثغرا على الحدود الفاصلة بينها وبين مملكة قشتالة Castilla ولهذا كانت غارات جيوش النصارى كثيرا ما تقتحم أرضها وتنسف بسائطها ، وكان أهلها في تأهب دائم لمواجهة اى هجوم مفاجيء .

وقد ظل عبد الكريم متعلقا ببلده بسطة ، وكثيرا ما عبر في أسره عن حنينه اليها ووصف معالمها والتغنى بربوعها :

مع ما أعانيـه ببعـدى دائمـا
عن بَسْطَةَ المأنُوسة الأرجـاء
حيـث البطاح كأنهـن (١)
رُقمـت بافريز من الأضـواء
حيث الطيور ترَنّمتْ في دوحها
فأتـت بمثل ترنّم الشعـراء
حيـث النسيمُ إذا سَرَى مالت به
طربـاً غصون البانَةِ الميسـاء
حيث الـتراب كأنّه مِنْ لؤلؤ
متناثر أو فضّة بيضـاء
جـلَّ الذى أبدى عجائب صنعه
فبدَتْ تُقيِّـدُ أعينَ النُظَرَاء

ويقول في قصيدة اخرى :

ودع الحنين لبسطةٍ وربوعهـا
إن الحنينَ يَهيج مِنـك غليـلا
واترك حديث « جنان رومة » جملة
وجنان « عين قلولش » تفصيـلا
حيث الجداول ماؤهـا متفجر
أضحى الصغير بها يفـوق النيلا

في غرناطة الف نيل

وهو ينص في هذه الابيات على موضوعين كانا في متنزهات بسطة المعروفة :

---

(١) كلمة ناقصة من الاصل المخطوط (الكاتب). لعلها شقائق (العربى) .

مرج رومة (بالاسبانية Praderas de Roma) وفحص قلولش او قنولش (بالاسبانية Caniles de Baza) ، وقد ورد هذان الموضعان في احدى الوثائق العربية الغرناطية التى ترجع الى سنة ٨٩٠ هـ . (١٤٨٥ م) (٢) .

ونحن نرى في البيت الاخير من القطعة الثانية صورة لهذه المبالغات التى اشتهر بها الاندلسيون حتى اليوم حينما يفخرون ببلادهم ويفضلونها على سائر البلاد ، فعبد الكريم يرى أن اصغر جداول بسطة يفوق النيل ، وهو بذلك يكرر ما ردده اهل غرناطة من التمدح بنهيرهم الصغير « شنيل » (بالاسبانيه Rio Genil) الذى تقع عليه مدينتهم . فمن الطريف ان اسم هذا النهر وهو احد فروع الوادى الكبير Guadalquivir يتالف من مقطعين : « الشين » وهو حرف بربرى يعنى الالف « ونيل » نهر مصر المشهور ، فمعنى اسمه عندهم « الف نيل » وقد نظم شعراؤهم ذلك فقال :

ان كـــان في مصر نيـــــل
فعنـــدنـــا الف نيـــــل !

عبد الكريم : شاعر فقيه يكافح في سبيل العيش

ونعود الى حياة عبد الكريم القيسي نتاملها من خلال ديوانه ، فنرى انه كان على ما يبدو من اسرة متواضعة قليلة الموارد ، فنحن نراه يجاهد في سبيل لقمة العيش جهادا مريرا ، وقد كانت حياة هؤلاء المسلمين من سكان الثغور الغرناطية كفاحا متواصلا شاقا سواء في سبيل الدفاع عن بقائهم ازاء جيرانهم النصارى الاقوياء ، او في سبيل الكسب الذى اصبحت موارده شاقة عسيرة في ظل الظروف الاقتصادية السيئة التى كانت تحيط بالمملكة الاسلامية الصغيرة .

اما الشعر فقد كانت سوقه في كساد ، فلم نعد نرى في هذا العصر من يجعل من الشعر حرفة ولا مكتسبا ، وكان على المتادبين أن يعملوا كتابا في ديوان انشاء متواضع فقير او بمهنة اخرى اكثر رواجا ، كان يعملوا فقهاء ، أو موثقين .

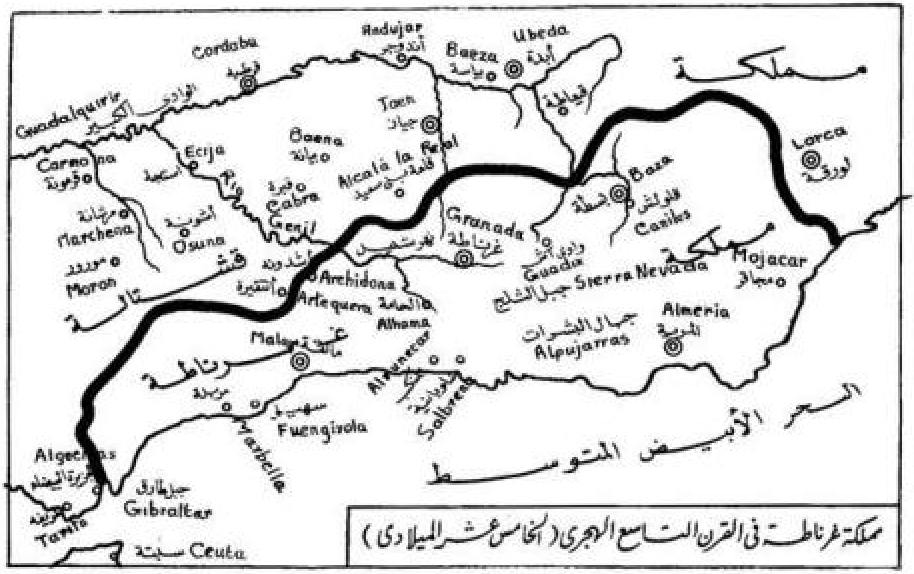
ويبدو أن عبد الكريم ضرب في الفقه وصناعة التوثيق بنصيب ، ونحن نراه منذ صباه الغض يضطر الى الكسب،اذ نجده ينتقل الى بلد صغير هو بَرْجَة Berja من أعمال المَرِيّة Almeria الواقع على جبال البشرات Alpujarras الشامخة، ويبدو أن اهل البلدة دعوه الى هناك ليقضي بينهم شهر رمضان ، مضطلعا بامامة مسجدهم والوعظ فيه . وقد قص عبد الكريم علينا خبره بين اهل برجة فى ابيات كتب بها الى ابيه فيها براءة الصبا وسذاجته :

وفي بَرْجَةَ مَثْوَايَ حيث تَبسمتْ
ثُغورُ الأَقَاحي مِن بكاءِ غمامِ
أَرُوحُ وأغْدو بين قوم تَواطَأُوا
قديمًا على إكرام كل إمـــامِ
أُمَثِّلُ شَخْصِي بينهم في حديقة
سَقَاهَا سَحابُ الجَوصَوْبَ سِجامَ
أؤمّ بهـا في مسجد بجماعـة
مقيمينَ للخمسِ الفُروضِ كِرام

... ومجاهد في سبيل الاسلام

ويعود عبد الكريم بعد ذلك الى بسطة ، ويجتمع شمله باهله ، ويبدو انه اراد أن يجرب حظه في هذه المرة في ميدان آخر بعيد عن العلم الذى لم يعد لسوقه كبير رواج . وقد رأينا ان بلده بسطه كان من ثغور مملكة غرناطة وخطوط دفاعها الأمامية . وقد احتفظ لنا ديوان عبدالكريم القيسي بعدد غير قليل من القصائد في مدح بعض القواد المجاهدين الذين كانوا يضطلعون بالدفاع عن بَسْطَة ، او توجيه حملاتهم منها ضد الاراضي النصرانية فى جَيّان ولُورقَة وقَرْطاجنّة نذكر من هؤلاء القواد الوزير الحاجب ابراهيم بن عبد البر الذى تشير المراجع النصرانية نفسها الى الدور الكبير الذى قام به في سياسة غرناطة وخططها

(٢) قام بتحقيق هذه الوثائق ودراستها وترجمتها الى الاسبانية المستشرق الغرناطي الاستاذ لويس سيكو دى لوثينا واضطلع بنشرها معهد الدراسات الاسلامية بمدريد (سنة ١٩٦١) ؛ وهى تلقى أضواء مجلية على تلك الفترة الغامضة المظلمة من تاريخ غرناطة في القرن الخامس عشر الميلادى .



مملكة غرناطة في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)

العسكرية خلال منتصف القرن التاسع الهجرى ، والقائدين محمد بن عثمان وابا الحسن الشريف ، اللذين توليا مشيخة الغزاة ، اى قيادة الحامية المغربية التى جرت العادة على أن يضعها ملوك المغرب من بنى مَرين في خدمة سلاطين غرناطة ومن أجل الدفاع عن كلمة الاسلام في مناطق الثغور.

ولعل صلة عبد الكريم القيسي بهؤلاء القادة العسكرين الذين رويت مآثرهم واخبار حملاتهم في المراجع النصرانية نفسها هي التي حملت شاعرنا على الاشتراك في الجهاد بيده فضلا عن لسانه . ولم يحدثنا الشاعر بتفاصيل هذه المشاركة ، غير اننا نجده فجاة وقع اسيرا للنصارى .

عبد الكريم أسير للنصارى في أبدة

وامضى عبد الكريم في اسره سنوات لا نعرف مداها على وجه التحقيق ، اما البلد الذى استقر فيه خلال تلك المدة فلا يبدو اسمه واضحا كل الوضوح في المخطوط . فهو يكتب في العادة « آبرة » والذى يقابل هذا الاسم هو مدينة Evora الواقعة في البرتغال على بعد نحو ١٤٠ كيلو مترا الى الشرق من لشبونة . غير اننا نستبعد ان تكون هذه هى المدينة المقصودة ، اذ اننا لم نعرف تدخلا للبرتغال في شؤون غرناطة الاسلامية ، ثم ان آبرة (وكانت تكتب بالعربية يابرة ويابورة) تفصلها مسافة بعيدة عن بسطة وعن حدود المملكة الغرناطية .

ولهذا فاننا نرجح ان يكون الاسم المقصود « أُبَّدَة » (بالاسبانية Ubeda) التى كانت تدعى على زمان قوة الاسلام في الاندلس « أُبَّدَة العرب » وهى من اعمال جَيَّان Jaen وتقع الى الشمال الغربى من بَسْطة ، ولا تفصلها عن هذا المدينة الا نحو ١٢٠ كيلو مترا ، ثم اننا نعرف ان ابدة كانت من مدن الثغور القشتالية، وكثيرا ما كانت تتوجه منها الحملات النصرانية الهاجمة لحدود غرناطة .

حياة الأسر

ويصف لنا عبد الكريم القيسي حياته في الاسر وصفا صادقا مؤثرا ، فيذكر خدمته للنصارى بعد ان امضى شبابه في خدمة القرآن وعلوم الدين، ويبكى ما انتهى اليه امره من ذلة وهوان :

وَاحَسْرَتى بعدَ اشتغالى بالعلو
م وَدَرْسِهَا وتلاوة القرآن
أمسى وأصبح خادماً مُتَصرفاً
لِعبَادةِ الأصنام والأوثانِ

إن لم أكنْ بالحفرِ مشتغلاً أكنْ
بالهدمِ مشتغلاً مع البنيانِ
والكنسِ في يومِ الجلوسِ صناعتي
والرشّ يتبعه مدى الأحيانِ
وبغسلِ أقذارِ الكلابِ تحرّمي
في أكثرِ الأوقاتِ والأزمانِ

ويبدو ان عبد الكريم قد عهد اليه بخدمة احدى الكنائس ويستوقف نظرنا ما يذكره هنا عن قيامه باعمال الهدم والبناء، وهذا يؤكد لنا حقيقة توصلنا اليها دراسة الفن الاسباني في اواخر العصور الوسطى . وهي ان كثيرا من روائع العمارة المسيحية من كنائس واديرة وقصور وقلاع انما اضطلع ببنائه المسلمون الخاضعون لسيطرة الحكم المسيحي ، وهم الذين اصطلح على تسميتهم « بالمدجنين » او « اهل الدجن » (بالاسبانية Mudejares) ، بل اليهم يرجع طراز فني جديد ، هو خليط من عناصر اسلامية ونصرانية يحمل اسم هؤلاء ، وما زالت كل انحاء اسبانيا شمالها وجنوبها نماذج رائعة لهذا الفن الذى استخدم ملوك اسبانيا المسيحية فيه وعظماؤها عمالا وبنائين وعرفاء من المسلمين .

ويقص علينا عبد الكريم في قصيدة اخرى محاورة تمت بينه وبين السيد النصرانى الذى كان اسيرا لديه .. يرويها الرجل في بساطة وواقعية تهز النفس وان لم يكن حفيا باسلوبه ولا صنعته ، نقتطف منها :

ويهزأ حتى إنه ليقول لي :ـ
بكمْ تفتدي من خدمتي وولائي؟
فأسكتُ عنه والجوانحُ تنطوي
على أعظمِ الأشجانِ والبرحاء
فيسألني حتى أقول له: بكمْ
تريد ولا تسلكْ سبيلَ جفاء ؟
فيطلب لي ألفاً من الصفرِ دائما
وعشرينَ علجاً في أقلّ فداء
وأقسم أنّي لستُ أملك عشرَها
وبعد غطائي دائما ووطائي
وأعظمُ ما أخشى وأحذرُ خطبه
دوامي أسيراً عنده وبقائي

وانه لخطب حقا .. ان ذلك العظيم النصرانى لا يرضى لفك اسار شاعرنا الا بالف « من الصفر» وعشرين اسيرا من اسرى النصارى المعتقلين في غرناطة ، فمن اين لصاحبنا المسكين مثل هذا المبلغ وهو لا يملك عشره حتى ولو باع كل ما احتوته داره ؟

مغامرة غرامية في قيود الأسر

وعلى الرغم من هذه الحياة القاسية وهو في الاسر فان عبد الكريم استروح نفحة من نفحات الحب،فهو يروى لنا كيف وقع في غرام فتاة نصرانية تدعى البيرة Elvira (وهو اسم لا يزال شائعا في الاندلس حتى اليوم) وهو يروى لنا خبرها في ابيات رقيقة جميلة .

وأعجبُ عبّادِ الصليبِ صبيةٌ
سبتني بوجهٍ مثلِ بدرٍ متمّمِ
فبتُّ حليفَ الهمّ من فرطِ حبها
وباتتْ بهجري في فراشِ تنعّمِ
وكمْ نعّمتني من لذيذ وصالها
بما لم تصلْ نفسي له بتوهّمِ
فقبّلتُ منها الخدّ وهو مورّدٌ
وثنّيتُ بالثغرِ المليح التبسّمِ

ولكن شاعرنا الغرناطى عفيف ، لا تسوقه الصبوة الى النزوة ، بل كان هواه للفتاة اشبه بما صوره لنا شعراء الحب العذرى :

ومالتْ بفرطِ السكْرِ وهي مريضةٌ
كميلِ الصَّبا صُبْحاً بغصنٍ منعّمِ
ولولا عفافي واتقاءُ عتابِها
تمتّعتُ منها بالمحلّ المحرّمِ

ويستجيب الله أخيرا لدعاء الأسير وصلاته ، فيطلق سراحه،ولا نعرف كيف تم له ذلك ، فلسنا نعتقد أنه استطاع أن يدفع لذلك « العقيم » النصراني تلك « الالف من الصفر » التى طلبها اليه .

صداقته لابن عاصم

نحن نراه مرة أخرى على كل حال في بلاده سليما معافى ساعيا وراء لقمة العيش ، كما كان يسعى من قبل ، مشتغلا بالتوثيق ، وقد وصلته هذه المهنة ببعض رجالات غرناطة ومشاهير علمائها، نذكر من بينهم اثنين سلفت اليهما الاشارة من قبل .

اما الأول فانه ابو يحيى محمد بن عاصم القيسي ، الملقب بابن الخطيب الثاني ، والذى ولى قضاء الجماعة بغرناطة في سنة ٨٥٧ (١٤٥٣ م) .

وتدلنا ابيات لعبد الكريم على أن ابن عاصم كان قد كتب اليه يطلب أن يرسل اليه شيئا من شعره حتى يضمنه بعض مؤلفاته ، ونحن نعلم مما ذكره المترجمون للعالم الغرناطي انه ألف كتابا بعنوان « الروض الأريض في تراجم ذوى السيوف والاقلام والقريض » ، ويقول المقرى في هذا الكتاب: «كأنه ذيل به احاطة ابن الخطيب» فلعل ابن عاصم انما اراد أن يثبت ترجمة لعبد الكريم القيسي ومنتخبات من شعره في ذلك الكتاب.

... ولابن الأزرق

واما الثاني فهو ابو عبد الله محمد بن على بن الازرق الذى ولى قضاء الجماعة ايضا ، ثم هاجر الى تلمسان ومنها الى مصر حينما بدأ حصار النصارى الأخير لغرناطة . ومما يستوقف النظر قصيدة نجدها في ديوان عبد الكريم يرثى بها هذا العالم الغرناطي الذى اتاه موته في مصر . وقد بحثنا عن تاريخ وفاة ابن الأزرق فلم نجد الا اشارة يوردها في ترجمته أحمد بابا التنبكتي في كتاب « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » ويقول فيها انه كان حيا في حدود سنة ٨٩٠ هـ(١٤٨٥م) اى قبل سقوط غرناطة في أيدى النصارى بنحو سبع سنوات . ولهذه الاشارة قيمة كبرى في الاهتداء على وجه التقريب الى التاريخ الذى ينبغى أن يكون قد وقعت فيه وفاة شاعرنا ،وذلك اننا لا نجد في شعره ما يدل على انه ادرك سقوط غرناطة في سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٢م) وماكان مثل هذا الحدث الهائل ليمضي دون أن يقول فيه شيئا ، بينما نراه قد سجل في شعره كثيرا من الاحداث السياسيه المختلفة . ونستدل من ذلك على أن عبد الكريم القيسي ينبغى أن يكون قد توفي ما بين موت ابن الأزرق وبين سقوط غرناطة اى بعد سنة ٨٩٠ هـ وقبل ٨٩٨ هـ .

وعلى الرغم من هذه الصداقة التى كانت تربط عبد الكريم القيسي بعدد من أعلام الدولة وكبرائها فانه لم يكن دائما موفقا في حياته الوظيفية ، اذ نرى من شعره أنه عزل عن منصبه بسبب لا نعرفه، وحبس عنه مرتبه ، مما حمله على هجاء قاضي بسطة الذى يدعوه « ابن الأحول » ، واضطره الى الانتقال عن بلده ، فاستقر زمنا في مالقة حيث نراه متوجها ببعض قصائده الى قاضيها أبى عمرو بن منظور ، شاكيا اليه ما لقى من ظلم ومستعطفا اياه قائلا : ان الحاجة الى النزول في فندق ابن سالم ــ وهو فندق متواضع ــ ما كان يليق بمثله ان ينزل به ، بل اننا نرى في ديوانه أبياتا كتبها على ظهر كتاب اضطر الى بيعه .

مطالب الحيـــاة

وهناك قصيدة أخرى وجهها الى القاضي أبى حامد ابن الحسن قاضي الجماعه بغرناطة ، نجد فيها تصويرا حيا للأزمة الاقتصادية التى كانت تأخذ بمخنّق اهل غرناطة من متوسطي الحال ، وهو يحدد لنا فيها النفقات التى عليه أن يتكفل بها :

رُبَّ بيـــتٍ أكـتريـــه ... لعيـــالى مـــع كَــرمٍ (١)

---

(١) يقصد بالكرم البيت الريفي الخلوى ،وهو اصطلاح اختصت به منطقة غرناطة ، ويدل على ما ذكرنا ، وان كان في الاصل مأخوذا من كرم العنب . وقد انتقل هذا اللفظ من العربية الى الاسبانية بهذه الصورة Carmen ، وما زال حتى الآن شائعا في اقليم غرناطة ، فضلا عن كونه اسم علم كثير الذيوع بين النساء .

ودقيــــــق أشتريــــه
مــــع ملــــح ثم لحــم

ولا يزال يعدد لنا وجوه النفقات المختلفة : زيت الوقود والحطب والفحم والعسل والسمن والشحم والخليع (١) .. الى آخر ذلك ، ويختم قصيدته بالكلام عن قيمة المال في هذا البلد الذى الحت عليه النكبات من كل لون :

درهمــــي أكثر رفقــــا
مــن أبي بــي مــع أمــــي
أنــــا للنــاس أخ مــــا
دام عنــدي وابــن عـــم
وإذا لــــم يــك عنــدي
هجــــروني دون جــــرم

شعر عبد الكريم وثيقة تسجل أحداث غرناطة

عبد الكريم القيسي - كما نرى - شاعر شعبي ينتمي الى الطبقة الوسطى في غرناطة ، بل الى ما دون الوسطى .. لم يكن شاعر بلاط ، ولا كاتبا في ديوان امير ، بل هو رجل من عامة ذلك الشعب الكافح في سبيل لقمة العيش ، ومن اجل ذلك كان من اشد الناس احساسا بمحنة وطنه ، ولهذا فاننا لانراه بمعزل عما يجرى في بلده من احداث سياسية ، بل هو رجل شارك في المعركة الكبرى الاخيرة التى كان شعب غرناطة المسلم يخوضها في سبيل البقاء .

نرى في شعره صدى لما كان يصيب بلده الصغير من كوارث متوالية كان اولها تلك الوقعه التى استولى فيها النصارى على حصن اللقون (المعروف فى الاسبانية باسم Castillo de Alicun في يوم الجمعة ٢٣ من ذى القعدة سنة ٨٣٦ (١١ يوليه ١٤٣٣) . وتحدثنا المراجع النصرانية بان القائد القشتالى جومث دى ربيرا Gomez de Ribera كان قد قام في ربيع سنة ١٤٣٣ بغارة عنيفة على بسائط مالقة وصل فيها الى حصن الحامة Algama وخرب كثيرا من قلاع هذه المنطقة ، ولكن حامية مالقة ومجاهديها دبروا كمينا لتلك الحملة استطاعوا فيه القضاء على الجيش النصرانى واستئصال شافته . غير أن القائد المسيحى لم يلبث ان قام في صيف هذه السنة بغارة انتقامية استولى فيها على ذلك الحصن من حصون وادي آش . ويسجل لنا عبد الكريم خبر تلك الوقعة فيقول :

يا أهلَ وادى الأشا لادَّر دَرَّكُمُ
ولابَرِحتُم لَقَىً للكَرْبِ والكَمَدِ
ضَيَّعتمُ سفهاً حِصنَ اللَّقُونِ ولمْ
تُراقبوا فيه حَقَّ الواحد الصَّمد

وتلت ذلك وقعة اخرى يسميها الشاعر « كائنة لورقة » التى قال فيها أبياتا مخمسة أولها :

لِمُصابِ أندلُسٍ تَصوبُ الأدْمُعُ
ولِمَا جرى فيها تَذوبُ الاضلعُ
فلها مع الاعداء حالٌ تُفْزِعُ
تَقضي بحسرةِ مَن يرى أو يَسمعُ
وتكاد مُهجتُه له تَتصدَّعُ

ونحن نرى انه يعني بذلك تلك الواقعة التى عرفت في المراجع المسيحية باسم « البورتشونس Alporchones التى حدثت في ٢٥ صفر سنة ٨٥٦ (١٧ مارس سنة ١٤٥٢) والتى هزم المسلمون فيها هزيمة منكرة » .

سقوط جبل طارق

وفي سنة ٨٦٤ (١٤٦٠) اشتدت وطاة النصارى على الأطراف الغربية لمملكة غرناطة ، وكان من اقسي ما وجه اليها من ضربات سقوط جبل طارق او جبل الفتح ، اذ بسقوط هذه القلعة المنيعة تمكن النصارى من قطع الامدادات والنجدات التى اعتاد أهل المغرب أن يشدوا بها أزْرَ اخوانهم مسلمى غرناطة ، وأحس عبد الكريم كما احس الشعب المسلم كله هناك بعظم الفاجعة ،

(١) الخليع هو ضرب من اللحم المطبوخ الذى يحفظ في الخل والافاويه ، وهذا اللفظ ما زال شائعا فى المغرب العربى على النحو الذى كان يستخدم به في الاندلس .

فقال يرثى جبل طارق :

وقائلـــة مالى أراك مُقطباً
كأنك للتقطيب هُددتَ بالذبحِ
فقلتَ دعينى الحزنُ فرضٌ على الورى
أما قد حوى أعداؤنا جبلَ الفتحِ ؟
حرامٌ علينا البشرُ والسَّمحُ بعده
وفى القلب من الامه أعظمُ الجرحِ

كارثة ارشذونة

ولم يمض على وقوع تلك الكارثة الا نحو سنتين حتى دوت في انحاء غرناطة أصداء حدث آخر هو سقـوط ارشذونة Archidona في سنة ٨٦٦ (١٤٦٢) بعد حصار طويل مرير ضربته عليها الجيوش النصرانية بقيادة لويس دى بيرنيا Luis de Pernia وديجـودى فيجـيريدو Diego de Figueredo وبدروفالدافيا Pedro Valdavia والكونت ديجو فرنانديث القرطبي Diego Fernandez de Cordoba ، وتعترف المراجع المسيحية نفسها بان أهل ارشذونة وقائدهم ابراهيم قد قاوموا الجيوش المحاصرة مقاومة مستبسلة ابدوا فيها كل الوان البطولة حتى انهم كادوا يهزمون مهاجميهم غير مرة ولكن العدو تكاثر عليهم ولم يكن لهم بد من الاستسلام .

ويصور لنا عبد الكريم القيسي هذه الوقعة في قصيدة مطلعها :

مخايلُ هذا الحال تُؤذن بالهُلْكِ
وتقضي لنا بالذلِّ والعزِّ للشركِ

وهو يتامل أحوال الأندلس وما كان يجرى بين امرائها من تنازع على السلطان وبين شعبها من تفرق الكلمة ونبذ لتعاليم الدين ، فيطلقها في وجوه أولئك المستهترين الظلمه صرخة احتجاج مستيئسة :

ونحن على نهجِ الشتات مسيرُنا
لإدراكِ مالِ المسلمين أو المُلكِ
وهيهاتَ من إدراك حق بباطلٍ
وغش وتدليس وبهتان وإفكِ

فوا أسفا للدين أُهمِلَ حقه
وقوبِلَ منه السترُ بالكشفِ والهتكِ
أفيقوا أفيقوا واهجروا النوم انه
حديثٌ صحيح ما أقول وما أحكي

ولكن أهل غرناطة ظلموا « على نهج الشتات » وبقى امراؤهم في خلافهم ونزاعهم ! .. وكان ما لا بد ان يكون، فلم تمض علىذلك ثلاثون سنة حتى نفذ قضاء الله ، لا دفع لامره ولا مرد لحكمه ، وسقطت غرناطة ، ولله وحده البقاء .

عبد الكريم القيسي آخر شعراء الأندلس

وبعد ، فان عبد الكريم القيسي هو آخر شاعر اسلامى احتفظ لنا التاريخ بشعره من أهل الاندلس ، وديوانه الذى عثرنا عليه ونعده الآن للنشر يعد وثيقة تاريخية جليلة ، تصور لنا هذا العصر الذى ضنت باخباره كتب التاريخ والادب ، ولهذا فان له قيمة كبيرة من هذه الناحية .

اما قيمته الادبية فعلينا الا نقسو في الحكم عليه . هو شعر ينتمى الى عصر تدهور وانحطاط لافي مملكة غرناطة المسكينة فحسب بل في سائر انحاء العالم العربى ، ولو اننا تاملنا الشعر في مصر او الشام أو العراق في هذه الفترة لما رأيناه خيرا مما خلفه لنا هذا الشاعر الغرناطي المتواضع.

ويكفى ان نذكر لشعره ميزة لم تتوفر للكثيرين من الشعراء ، وهى الصدق والاخلاص ، والبعد عن التكلف ، ثم انه برىء من عيب التكسب بشعره والوقوف به على أعتاب الملوك والكبراء ...

عبد الكـريم القيسي شـاعر شعبى صادق الاحساس ، واضح التعبير في غير التواء ولا تكلف .

وهو في النهاية آخر صوت انطلق بالشعر العربى في آخر قطعة بقيت للاسلام في الاندلس ... في مملكة متداعية كأنها كانت تنشد مع شاعرنا قوله :

إنمـــا الدنيا سـرابٌ
لاحَ أو أضغـاثُ حُلمِ

■■

محمود علي مكى



دردشة

أكبر مشكلة تواجه الخطيب !

● سألوا احد السياسيين يوما عن المتاعب التى تواجهه عندما يقف لالقاء خطاب في اجتماع عام ؟ فقال السياسي ان اكثر ما يضايقه هو ان تحاول امراة من بين المستمعين ان تقاطع خطابه ! ثم مضى يقول ان الرجال ليسوا مشكلة ، فكم من مرة قاطعوه ولكنه عرف كيف يخرسهم بسهولة .

اما المراة فمن الصعب اسكاتها لانها تعودت دائما ان تكون صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة .

ولكن اذا عرف الخطيب كيف يخاطب عاطفة المراة لا عقلها ، فيترك سؤالها جانبا ، ويحدثها عن ثوبها الانيق أو تسريحة شعرها الجميلة .. او صوتها الحلو ، او عما في سؤالها من ذكاء .. اذا عرف الخطيب أن يستميل هكذا محدثته فقد كسب المعركة ، اذ لا شيء يهدىء من ثورتها أكثر من كلمات المديح والاطراء التى تتوق كل امراة لسماعها .

اجازة أبدية

● اراد رئيس التحرير في احدى الصحف اليومية ان يكافيء المعلق السياسي والمخبر الصحفى على النصر الذى حققه عندما جاء بخبر انفردت به الصحيفة ونشرته على صفحاتها الاولى تحت عناوين عريضة ! فقال للمعلق صاحب النصر الصحفي : « سأمنحك اجازة بمرتب كامل لمدة ستة اسابيع ، رغم انك استنفدت كل اجازاتك » .

وكم كانت دهشة رئيس التحرير كبيرة ، عندما اعتذر الصحفى عن قبول هذه المكافأة ! .

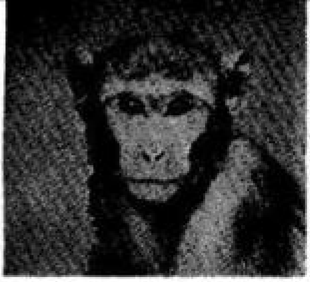
فساله هذا في حيرة : « ولماذا ترفضها ؟ » .

فقال : ان قبولى لها يعني أن تعليقى اليومى لن يظهر في الصحيفة طوال هذه المدة ، واخشي ان يؤثر احتجابه على التوزيع فيهبط . او الا يؤثر اطلاقا فتصبح اجازتى ابدية !!

من أين جاءت ألوان العلم الايطالى ؟

● الضرائب الجديدة هي احدى الوسائل التى تلجأ اليها الحكومات لسد العجز في ميزانياتها . ومن أجل هذا ترتفع أصوات دافعى الضرائب دائما بالشكوى كلما زادت النفقات على الايرادات . قال احد الايطاليين يوما لسائح امريكى اراد أن يعرف من اين جاءت الالوان الثلاثة في العلم الايطالى ، قال: « اللون الاخضر ، هو لون الاستمارة التى تحدد قيمة الضرائب المستحقة على المواطن ، اما اللون الابيض فهو لون وجه دافع الضريبة عندما يمتقع وهو يقرأ الرقم ، بقي اللون الاحمر ، وهو لون وجه هذا المواطن عندما يذهب ليدفع الضريبة وهو يغلى غضبا ! » .





تشرشل هدم سرا أسطورة القرود

● يروى عن ونستون تشرشل السياسي البريطاني الراحل ، انه كان دائم التفكير في كل صغيرة وكبيرة تتصل اتصالا مباشرا بمجد الامبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس !

فقد حدث أثناء الحرب العالمية الثانية ان تلقى تشرشل من مستشاريه العسكريين نبأ مزعجا عن القلعة البريطانية في جبل طارق !! قالوا لرئيس وزراء بريطانيا الاسبق أن عدد القرود في جبل طارق قد تناقص بصورة خطيرة ، ومعنى هذا ان الاسطورة التى عاشت اجيالا طويلة على وشك أن تتحقق !

وهى تقول : « اذا انقرض القردة من القلعة البريطانية ، فمعنى ذلك أن القوات الانجليزية سوف تجلو عن هذه القاعدة ! » .

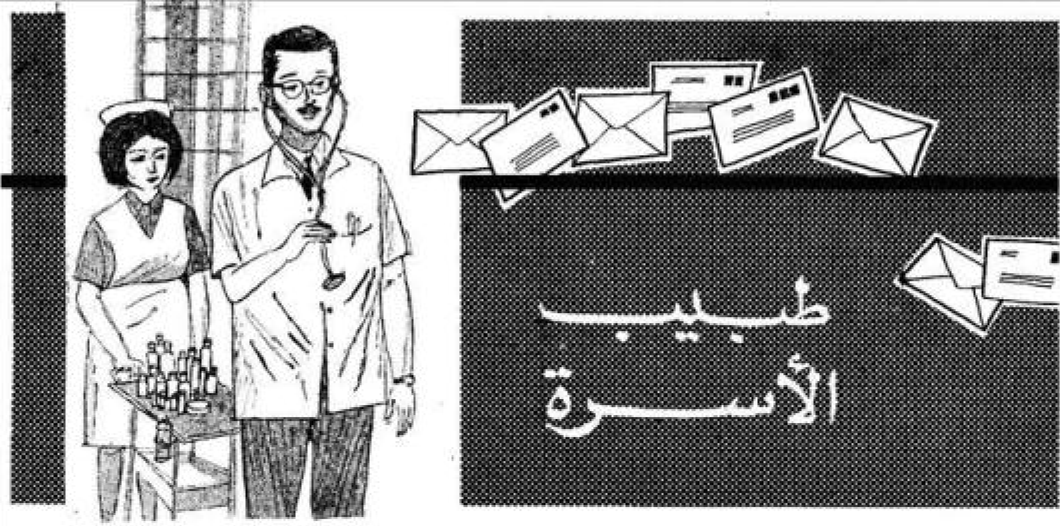
وبدأ تشرشل يعمل بسرعة لانقاذ الموقف ، فسأل أولا عن عدد القردة في القاعدة يومها . فقيل له انهم لا يزيدون على أصابع اليدين . وصدرت التعليمات فورا الى جميع الصحفيين والمراسلين بعدم الاشارة بكلمة واحدة الى القرود في جبل طارق ! ثم بعث تشرشل ببرقية سرية عاجلة يأمر فيها المسئولين بالعمل فورا على جمع أكبر عدد ممكن من القردة وارسالها الى جبل طارق . ونقل « المهاجرون » الجدد من شمال افريقيا بالطائرات والبواخر ، وامتلأت القاعدة بها ، واحتفظ الانجليز بقاعدتهم !

حلاقة الذقن هواية الانجليز !

● حلاقة الذقن هواية الرجل الانجليزى ، ويقولون ان الزوج في بريطانيا قد ينسي أن يقبل زوجته قبلة الصباح ، قبل أن يغادر الدار ، ولكنه لا ينسى ابدا أن يبدأ يومه بحلاقة ذقنه ! ولقد اجروا احصاء طريفا جاء فيه ان الرجل الانجليزى عندما يصل الى سن الستين يكون قد استهلك ٣٢٥٠ ساعة (حوالى نصف سنة) من عمره في حلاقة ذقنه . وأن عدد الشعيرات التى يحلقها تصل الى ٢٥٠ مليون شعرة .

واتضح من هذا الاحصاء ايضا أن الفرنسي أقل الرجال اهتماما بحلاقة الذقن ، فهو لا يحلق ذقنه أكثر من ثلاث مرات في الاسبوع .

وقد بلغ من اهتمام الانجليز بحلاقة ذقونهم ان فرضت الملكة اليزابيث الاولى ضريبة قدرها ثلاثة شلنات واربع بنسات على كل رجل يطلق لحيته حتى لو كان قسيسا ! وقد سبقها الى ذلك قيصر الروس . فقد دعا المواطنين الى حلق ذقونهم وجعل على من لا يطيع غرامة ، وذلك في دعوته الى ان تكون روسيا جزءا من اوروبا .



السمنة لها هرمونات تذهب بهـا ؟

● انا مريضة بالداء الذى لم يجد الاطباء الى اليوم له دواء ، ذلك داء السمنة الزائدة . انا لا انظر اليه من حيث انه تشويه للخلق ، ولكن انظر اليه من ناحية لا شك سوف تستغربها انها ناحية اقتصادية . فقد تخرجت ويا للأسف من كلية التجارة ، ودرست فيها الاقتصاد . وأرى في هذه الزيادة في اللحم والشحم التى أحملها حيثما ذهبت مضيعة للطاقة الجثمانية، وحملها يتطلب مني جهدا فوق الجهد الذى تتطلبه سائر نواحي الحيـاة . وما الفائدة من هذا الجهد الزائـد ، حمل شيء زائد لا نفع فيه !

الخلاصة : انى قرات انهم اخترعوا طريقة حاسمة لانقاص الوزن ، لا شك فيها ، وهي سريعة . وهى تتصل بهرمونات تحقن في جسم الرجل السمين والسمينة ، فتذهب بسمنتهما ، وترفع عنهما الكثير من اثقالهما .

فهل صحيح ما سمعت ؟ وأين يجده الانسان ، وعند من ؟

ـ تقدم الطب هـذا السريع أوحى للناس ان المرض لا يحتاج الا الى حقنة ، او الى اقراص او حبوب ليأتى بالشفاء المطلوب .

وانت يا سيدتي تطلبين تلك الحقنة العجيبة الساحرة التى ترفع عن الجسم كل ما اثقلـه من فائض لحم وشـحم لا حاجة له به .

نعم . ان الحقنة موجـودة . وهي ليست جديدة . يشيع خبرها ثم يختفي . ويشيع ثم يختفي . بداها طبيب ايطالي منذ عام ١٩٥٥ .

انه الهرمون الجنسي النسوى، تحقن منه في العضل جرعة كل يوم ، لنحـو ستة أسابيع .

وهذا الهرمون يستخرجونه من ابوال النساء الحبليات . وليس في ذلك ما يعيبه . وكان من آثار هذه الحقنة المتصلة أن تنقص من وزن الشخص السمين في المتوسط نحو من ٢٨ رطلا في اربعين يوما . ومجموعة أخرى من السمان ، كان متوسط النقص في أفرادها ١٧ رطلا في ثلاثة أسابيع فقط .

شيء جميل ، لا شك في هذا .

ولكن صبرا. أكان هذا هو كل ما أريد من السمان أن يفعلوه ؟

بالطبع لا .

كان عليهم أن لا يتعاطوا من الطعام أكثر مما يساوي ٥٠٠ سعر في اليوم الواحد . وهذا يساوي بالتقريب خمس الطعام الذي يحتاج اليه الشخص الصحيح في اليوم . ومعنى هذا انك بعد ستة أسابيع تكونين قد تناولت من الطعام فقط ما كان يكفيك لنحو أسبوع واحد .

اذن هو الجوع. وهو الجوع الشديد. وهو بالطبع ينزل بوزن الجسم نزولا كبيرا .

آه . لا بد انك قد حَذَرت ان الهرمونات لا بد تعطلى لتخفيف ألم الجوع . أو لعل للهرمونات أثرا في نقص الوزن خافيا لا ندريه .

وجاءوا بطائفة من السمان . وبطائفة أخرى من السمان مثلها . وأعطوا الطائفة الاولى حقنا من الهرمون . وأعطوا الطائفة الثانية حقنا من محلول ملح الطعام . ولم يدر هؤلاء ولا هؤلاء من أخذ هذه ، ومن أخذ هذا . ولا حتى الأطباء. كان السر عند الطبيب المشرف.

واتضح ان متوسط نقص الوزن ، بعد المدة المرسومة ، في الطائفتين ، كان واحدا .

أفهمت يا سيدتى :

ليس في الطب حقنة عجيبة ، ولا قرص سحرى ، يذهب بالسمنة .

لا يذهب بها الا الاعتدال في الطعام ، لا سيما ذلك الطعام النشوى السكرى الذي يزيد في الوزن .

وفرق بين الاعتدال والجوع .

انه « كيف » الطعام ، واعتدال في « الكم » .



عندى خفقان فى القلب

● كثيرا ما يضرب قلبي بقوة ، وبسرعة ، وأحس ضرباته في صدري . ويعتريني من ذلك خوف . فهل ذلك عن مرض في القلب ؟

القلب دائم الضربات ، ولكنك لا تحس بها . ولكنك اذا جريت ، أو أجهدت جسمك في عمل شيء ، زادت ضربات قلبك شدة ، وزادت سرعة . وسبب ذلك ان زيادة مجهود الجسم اقتضى من قلبك زيادة الضربات ، لتزيد دورة الدم، ولتزيد الطاقة الناتجة من احتراق الطعام في خلايا الجسم .

وسبب آخر للخفقان Palpitation هو اصابة الجسم بالحمى . ففى هذه الحالة أيضا يحتاج القلب الى عمل أشد.

وشرب القهوة ، والشاى ، والكحول،

وزيادة حرارة الطقس قد تزيد ضربات القلب .

وكذلك امراض القلب ، كثير منها ما يزيد في عدد ضربات القلب ، وشدة هذه الضربات . ولكن ليست امراض القلب هي في مقدمة الاسباب التى تحدث الخفقان . ان السبب الاكثر شيوعا في احداث الخفقان هو القلق .

والقلق العابر يحسه الرجل السليم، ويحس خفقانه . ثم يزول السبب والمسبب .

طالب يستمع الى أسماء الناجحين ، وينتظر ان يكون اسمه من بينهم . ام غاب عنها ابنها ، ويطرق ساعى البريد باب الدار ، يخفق قلبها فلعل الخطاب آت من ابنها .

وغير ذلك القلق المستديم .

والظاهر يا سيدى ، من خطابك الطويل ، أن الخفقان الذى عندك سببه القلق المزمن ، الذى سببه أن بقلبك مرضا .

وهذا من شر أنواع القلق .

انت تقلق على قلبك فيزيد خفقانه . ويزيد خفقان قلبك قلقك . انه ما يسمونه بالدائرة المفرغة .

لكي تطمئن اذهب الى طبيبك فلعله كاشف غمتك .

انفصلت شبكيّة عيني ، فهل تلحقها الثانية ؟



● انفصلت فى احدى عيني شبكيتها وأجريت عملية قدر لها النجاح والحمد لله بمقدار ما يكون نجاح فى هذه العمليات .

ولكن صديقا يحذرنى من انفصال الشبكية فى العين الاخرى . فهل هذا شيء متوقع ، او هو زيادة فى حرص صديقى)

ــ الذى حدث عادة هى ان الأسباب التى ادت الى انفصال الشبكية فى احدى العينين ، غالبا ما تكون موجودة فى العين الاخرى . وقد دل الاحصاء على ان نحو ثلث الذين انفصلت شبكيتهم فى عين واحدة ، ما لبثوا ان انفصلت شبكيتهم فى العين الاخرى .

ومع هذا ، فبالعناية والعلاج قد يستطيع الطبيب، ان يمنع حدوث ذلك.

تحول الرجل الى امرأة هل هو تحول صادق حقا

● نسمع عن الرجل الذى يتحول الى امراة ، فمتى كان هذا التحول فى عمر الرجل . هل هو بدأ منذ الولادة ، ام هو يحدث والعمر يجرى بالرجل .

ــ ان الذى يحدد جنس الوليد ، أهو امراة ام هو رجل ، انما هى البويضة عند التلقيح . هذا فى الادميين ، وغير الادميين .

ولكن يحدث فى الدجاج مثلا ان تصيب الغدد الجنسية امراض يتسبب عنها اضطراب فى انتاج الهرمونات الجنسية ، يتسبب عنه تغير وظيفي حقيقى فى جنس الدجاج .

والهرمونات قد تؤثر في الانسان فتغير من تلك الصفات التى نسميها بالثانوية (كبر الاثداء ، ظهور الشوارب



هل من فيتامين ،
للطفل الوليـــد ؟

● **ان طفلي حديث الولادة . وهو يرضع حتى الشبع . وينام طيبا . ولكن قيل لي انه يحسن لي ان اعطيه شيئا من الفيتامين ، يزيده قوة . فباى الفيتامينات تنصح ؟**

ـ يمكنك ان تبدئي بزيت كبد الحوت بمجرد ان يستقر ولدك بعـد ولادة في البيت : ويجرى العمل في البيت، مجرى روتينيا .

واحسن وقت لذلك يكون عنـد الاستحمام ، او وهو يغتســل ، حتى لا يقع الزيت على ملابسه .

وابدئي باعطائه قطرة او قطرتين في قليل من الماء في ملعقة شاى صغيرة ، وذلك كل يوم .

وهذا الزيت يحتوى على فيتامين (أ) A وفيتامين (د) D وهما ضروريان لنمو العظام والانسجة .

والمستحسن ان يظل الطفل يتعاطى هذا حتى سن الخامسة .

وكذلك فيتامين (ج) C يعطي على صورة قليل من عصير البرتقال كل يوم، او من الاشربة التى عند الصيادلة مثل ربينا Ribena او غيرها ، وذلك حتى يستقر الطفل على وجبات من الطعام المختلط .

واذا رفض الطفل الزيت او شراب البرتقال ، امكن اعطاؤه هذه الفيتامينات في مزيج مركز يسال عنه الصيدلي ، مثل Abidec يعطى له منه ٥ قطرات فى اليوم

على الشفة الخ) ، ولكنها لاتغير الوظيفة الجنسية للرجل او المراة ، تلك التـى حسمت فيها البويضة عندما تلقحت .

ونسمع بأن رجلا قد تحول فصـار امراة ، والظاهر هنا أن هذا الرجل لم يتحول وظيفة ، انه امراة ، وكان امراة ، ولكن الهرمونات الذكرية تغلبت فظهرت عليه الصفات الثانوية التى هي مظهـر الرجال ، فخاله الناظر اليه رجلا ، وما هو الا امراة قد تخفت .

ان الطب لايعلم الى اليوم حالة حدث فيها تغير وظيفى فى الناس قلب الوظيفة الاولى التى كانت لهم من اول الامر ، تلك التى قررتها الخلية التى منها نشأوا .





لدى الاذاعة الكويتية فرقة موسيقية قوامها ٣٠ عازفا وترى الى اليسار وهي تعزف للمطرب محمود الكويتي

الإذاعة الكويتية

تحظى برامج الاطفال والنساء بعناية المسئولين في الاذاعة الكويتية ، ويشرف عليها مراقبون مختصون .





تضاعف قوتها على البث ... ٥٠٠ مرة فى ١٥ عامًا!

بقلم : يوسف زعبلاوى **وتصوير : صلاح آدم**

غرفة الرقابة الرئيسية ومنها تنتقل برامج الاذاعة الى اجهزة الارسال



مذيعة كويتية امام الميكرفون



■ منذ مدة و « العربى » يتحين الفرصة ليوافي قراءه باستطلاع عن الاذاعة الكويتية مصوّر فالالمام بالدور الذى باتت تلعبه هذه الاذاعة العربية الفتية ، والتعرف الى النشاط الاذاعي ، كما يتمثل فيها ، والوقوف على مختلف اوجه هذا النشاط ومراحله ... ذلك كله لا يخلو من فائدة لقارىء « العربى » ، ولا يخلو من متعة . فالاذاعة ليست ، كما يحسب البعض ، مجرد لهو وغناء ، ولا هي ، كما يظن آخرون، مجرد كلام يلقيه المذيع أو يرتجله بلا عناء . انها سلسلة طويلة من جهود جادة هادفة ، قد لا يكشف عنها مذياع . اما حصيلة تلك الجهود الدائبة فهي المواد الاذاعية والبرامج ، الهادفة حينا الى ثقافة وتوجيه ، والرامية حينا آخر الى توعية واعلام ، والعاملة فى اكثر الاحيان على الترفيه والامتاع .. والاذاعة ، قبل ذلك او بعده ، أجهزة للبث والارسال ، واخرى للرقابة والتسجيل والالتقاط . والاذاعة أيضا موظفون ينتظمون ويعملون فى اقسام ، يسهر بعضها على هذه الاجهزة ، ويُعنى بعضها الآخر بشئون الادارة والمال ويضطلع اكثر تلك الأقسام باعباء تلك البرامج الاذاعية والمواد .

برامج الاذاعة : اقسامها واغراضها

ويتمثل النشاط الاذاعي ، الذى يستهدف هذا الاستطلاع استجلاءه ، فى اقسام البرامج فى دار الاذاعة الكويتية ، اكثر مما تمثل فى اقسامها الهندسية او الادارية والمالية . ويتجلى ذلك فى استئثار اعمال البرامج تلك بخمسة عشر قسما من اقسام دار الاذاعة ، اى بنحو نصف مجموع تلك الاقسام ، كما يتجلى فى استئثار اقسام البرامج هذه بنحو ١٨٠ موظفا ، اى بما يعادل ٢٪ مجموع الموظفين اجمالا . ويتجلى أيضا فى فوز اقسام البرامج واعمالها بنصيب الأسد من مخصصات دار الاذاعة الكويتية ، وقد بلغت نحو ٤٠٠٠٠٠ دينار كويتي سنويا !

وللاذاعة أغراض ثلاثة: التوعية والاعلام أخطرها، والثقافة والتوجيه ثاني تلك الأغراض ، والترفيه والامتاع ثالثها وأكثرها طغيانا على ساعات البث. وتتفاوت اقسام البرامج فى العمل من اجل هذه الاغراض ، وذلك من حيث الجمع بينها او التركيز على بعضها دون بعض . فمن تلك الأقسام ما يعمل على التوعية والاعلام دون اهتمام بتشويق او

لعل التمثيل الاذاعي يستهدف الايحاء بتمثيل ، اكثر مما يستهدف التمثيل نفسه . فهو محاكاة للواقع ، لا كما هو ، وانما على نحو ما قد يحاول للمستمع ان يتصوره .



امتاع ، كقسم الاخبار مثلا، ومنها ما يسعى الى الترفيه والامتاع دون حرص على تثقيف مباشر او توعية أو اعلام ، كقسم الموسيقى، ومنها ما ينشد الجمع بين هذه الاغراض وتلك بنسب من التركيز تختلف باختلاف تلك الاقسام ، ونذكر من هذه الأقسام الاخيرة قسم التمثيليات والبرامج الخاصة، وقسم الاركان على سبيل المثال .

الترفيه والامتاع

لعل قسم الموسيقى هو قسم الترفيه والامتاع الأول فى دار الاذاعة الكويتية . ويأتي بعده قسم المنوعات ويليهما قسم البرامج الشعبية او بالحرى فرع هذه البرامج التابع لقسم الموسيقى . ولا يخفى ان هذين الأخيرين موسيقيان ايضا . الا انهما يختلفان عن قسم الموسيقى ، الذى يضم عددا من الملحنين والمطربين ، ولديه فرقة موسيقية متكاملة (ثلاثون عازفا) ، وجوقة للغناء (كورس) ، ويلحن بالتالى المقطوعات الموسيقية والاغانى وما اليهما ويعمل على عزفها او غنائها .

اما قسم البرامج الشعبية أو فرعها فرائده جمع الأغانى الشعبية وبعث الالحان القديمة ، سواء ما اتصل منها باعمال الغوص وركوب البحر للتجارة ، وما رافق هذه وتلك من مشاعر الفراق والحنين ، او ما انطلق منها من اعماق البادية ، مجسدا فرحتها بتاهب لحرب ، او معبرا عن نشوتها بالفوز بالنصر . وقد يعمد هذا الفرع الى تعديل فى بعض تلك الأغانى والالحان بما يتفق وروح العصر .

واما قسم البرامج المنوعة فالالحان والاغانى هما تربته الخصبة . وان هو اضاف الى هذه المادة الموسيقية شيئا من الشرح والتعليق بالكلام ، على نحو ما يتجلى فى برنامج « ما يطلبه المستمعون » مثلا، أو برنامج « على الناصية » أو برنامج « تحية الصباح » او غيرها ، فما ذلك الا تفاديا للرتابة وطلبا لمزيد من التنويع والتشويق .

والجدير بالذكر ان الاذاعات عامة تنشد الترفيه والامتاع بوصفهما واسطة ايضا . فهما يساعدان على اجتذاب المستمعين واغرائهم على الاصغاء لبرامج الاذاعة الاعلامية والثقافية التى لا تحظى عادة باقبال كافة المستمعين ، لولا مواد الترفيه التى تسبقها او مواد الامتاع التى تعقبها .



احدى غرف الرقابة الملحقة بالاستوديوات ؛ وتبدو فيها الاجهزة الخاصة بلعب الاشرطة ، وهي الكفيلة بالاستمرار الاذاعي ، والاجهزة الاخرى الخاصة باصوات الاستوديو وموجات الميكروفون وارسال هذه الى غرفة الرقابة الرئيسية .

اضف الى ذلك ان اهتمام الاذاعات بمواد الترفيه والامتاع وعنايتها بالتالي بالموسيقى والاغاني والالحان يدفع بها الى الاسهام الفعال فى الحركة الفنية سواء عن طريق تشجيع سائر الملحنين والمطربين والعازفين ، الشهيرين منهم والناشئين ، او عن طريق انتاجها المباشر فى غناء او تلحين .

ويبلغ انتاج قسم الموسيقى فى الاذاعة الكويتية معدلا شهريا مساويا لمعدل قسم المنوعات . فالأول يمد البرنامج الاذاعي العام بما ينتجه من الاغانى والاناشيد والموشحات والابتهالات واغانى الاطفال فضلا عن المقطوعات الموسيقية والالحان بنحو ٧٢ قطعة جديدة كل شهر . والثاني يزود البرنامج العام كذلك بمثل ذلك العدد من مواده الموسيقية المنوعة الجديدة شهريا . اما قسم البرامج الشعبية فقد تمكن من تزويد برامج الاذاعة الكويتية بمعدل شهرى من انتاجه قدره ١٢ برنامجا جديدا .

ويذكر فى هذا الصدد ان نسبة ما تشغله البرامج الشعبية من ساعات البث اليومي لا تزيد على ٩٠ر١٪ فى حين ان نسبة البرامج المنوعة تلك ترتفع الى ١٠ر٥٪ . اما قسم الموسيقى في دار الاذاعة الكويتية فيستأثر بنسبة ٩٨ر٥٠٪ من ساعات

الى اليمين : محطة الرصد والالتقاط ايضا .. حيث ترصد اذاعة اسرائيل بمختلف برامجها ، وحيث تسجل اهم مواد تلك البرامج على نحو ما يبدو في الصورة



الى اليسار : جانب من مكتبة المسجلات في دار الاذاعة الكويتية ، وفيها من المواد والبرامج الاذاعية المسجلة ما يكفى لمد" الميكرفون ، باستمرار ودون تكرار ، وتسيير الاذاعة دون توقف ، طيلة اربعمائة يوم او تزيد .

قسم المراة والطفل ويقدم من البرامج الجديدة ما يلغ معدله ٣٤ برنامجا في الشهر وتتناول برامجه هذه طائفة من المواضيع التربوية والنفسية والاجتماعية والعائلية







بعض اجهزة الالتقاط Rx 5c في محطة الرصد والالتقاط في الاذاعة الكويتية ، وهي الاجهزة التي
تستقبل الانباء العالمية اشارات ترسلها الى اجهزة اخرى فتحولها هذه الى اخبار برقية مطبوعة .







لجنة الاعلام العليا هي التي ترسم السياسة الاعلامية للاذاعة وغيرها في أجهزة الاعلام ، وتعمل برئاسة سعادة وزير الارشاد والانباء ورعايته . وتظهر الصورة وكيل وزارة الارشاد والانباء السيد سعدون الجاسم وهو يتصدر اللجنة ويتولى رئاستها بالوكالة في احدى جلساتها .

البث اليومي . اى ان اكثر من نصف ساعات البث تملؤه المواد الموسيقية التي تكثر بينها المسجلات كما لا يخفى . ولا تختلف الاذاعة الكويتية في ذلك كثيرا عن غيرها من الاذاعات .

اقسام اخرى تجمع بين تثقيف واعلام ، وترفيه وامتاع

ثمة اقسام ثلاثة ايضا ، في دار الاذاعة الكويتية، تنشد برامجها التثقيف والتوجيه او الاعلام ، وتحرص في الوقت نفسه على الترفيه والتشويق والامتاع . تلك الاقسام هي قسم المراة والطفل ، وتتناول برامجه طائفة من المواضيع التربوية والنفسية والاجتماعية ، والعائلية ، وقسم الاركان او الزوايا الخاصة بفئات معينة من المستمعين « كركن الجيش » وركن «الشرطة في خدمة الشعب» و « مع الابناء » و « لقاء الاشقاء » و « المواطن والقانون » .. وثالث هذه الاقسام هو قسم التمثيليات والبرامج الخاصة، وقد قدم من البرامج الخاصة في أعقاب نكسة حزيران الاخيرة ما تجدر الاشارة اليه كبرنامج « الحرب كرٌ وفرٌ » و « برنامج بروتوكولات حكماء صهيون » وبرنامج « كل هذا ... هل يضيع ! ؟ »

وغني عن البيان ان الاذاعة ، اية اذاعة ، تتمتع بقدرة فريدة على الاعلام والتوعية عن طريق هذه الاقسام التى تجمع بين الفكرة او الغاية الثقافية الاعلامية وبين الاطار الممتع المشوِّق . فالتمثيل كان دائما مصدر متعة للانسان منذ ايام اليونان ، والمؤثرات الموسيقية والصوتية ، قد تفوق التمثيل

والدراما على هذا الصعيد . ومثل ذلك يقال في الحوار واسلوب القصة والمسلسلات والاحجيات وغيرها مما يكفل للبرامج الجامعة هذه ان تصبح برامج ممتعة مشوقة،فضلا عن كونها برامج تثقيف او اعلام .. وتجدر الاشارة هنا الى ان طاقات التوعية والاعلام الهائلة هذه لم تستغلها الاذاعات العربية بعد ، الى اقصى حدودها الممكنة ، رغم حاجتنا الماسة الملحة الى استغلالها ، على اوسع نطاق . ولعل السبب الأهم في ذلك هو قلة كتبة النصوص الاذاعية المختصين المجيدين في عالمنا العربي .

ولقد نجحت الاذاعة الكويتية في تدارك هذا النقص الى حد كبير ، بتشجيع عدد من كتبة النصوص الاذاعية،ونجحت اقسامها الجامعة التي ذكرنا في تزويد برنامج الاذاعة العام بالمواد الجديدة بمعدل شهري لا يستهان به على النحو التالي :

قسم المراة والطفل ٣٤ برنامجا جديدا في الشهر

قسم الاركان ٦٠ برنامجا جديدا في الشهر

قسم التمثيليات والبرامج الخاصة ٧٨ برنامجا جديدا في الشهر

اما نسبة ما تشغله برامج هذه الأقسام من ساعات البث اليومي فهي ٢ر١٠٪ لقسم المراة والطفل ، ٥ر٧٨٪ لقسم الاركان . وترتفع نسبة التمثيليات والبرامج الخاصة الى ٦ر٥٦٪ لتصبح النسبة الكبرى الثالثة ، لا تفوقها الا نسبة الموسيقى وهي الأولى، ونسبة الاخبار وهي الثانية.

الاعلام والتثقيف

ونخلص اخيرا الى اقسام الاذاعة الكويتية التي تستهدف الاعلام والتوعية او التثقيف والتوجيه ، دون ان تحفل كثيرا بترفيه او امتاع او تشويق . وهذه الاقسام ثلاثة ، اي بعدد اقسام الفئة التي سبقتها ، وهي : القسم الأدبي ، وقسم البرامج الموجهة المكلف باعداد التعليقات السياسية اليومية ، وقسم الاخبار بفرعيه ، فرع التحرير ، وفرع الالتقاط .

اما نسبة ما تملؤه هذه الأقسام من ساعات البث اليومي ومعدل ما تسهم به في البرنامج العام من مواد جديدة كل شهر فهو كما يلي :

القسم الأدبي	٤ر٠٧٪	٢٤ حديثا ٢٨ برنامجا
البرامج الموجهة	٢ر١٨٪	٣٠ تعليقا ٣٤ برنامجا
الاخبار	٩ر٦٦٪	٤ نشرات يومية ٥ موجزات يومية ٢ نشرتان يوميتان مطبوعتان بانباء الاذاعات

وقد يستغرب القارىء لهذه النسبة الكبيرة التي تشغلها نشرات الأخبار وموجزاتها من ساعات البث اليومي في الاذاعة الكويتية بالرغم من ان النشرة الاخبارية الكاملة لا تستغرق اكثر من ربع ساعة والموجز لا يحتاج الى اكثر من خمس دقائق . وستزيد دهشته عندما يعلم ان عدد الموظفين الذين يسهمون في اعداد نشرة الاخبار هذه وموجزها لا يقل عددهم عن ٦٤ موظفا !

الا ان هذا الاستغراب سرعان ما يتلاشى ويزول لدى التنويه بالخطورة التي تتسم بها اقسام الاخبار في سائر الاذاعات . اذ ما كان للاذاعة، اية اذاعة ، ان تصبح جهاز اعلام فعال ، بل في طليعة



وكيل وزارة الارشاد والانباء المساعد لشئون الاذاعة السيد عبد العزيز محمد جعفر ، وهو المشرف على ادارة اعمال الاذاعة الكويتية .

لأجهزة الاعلام ، لولا عنايتها بالاخبار،سواء المحلية منها او العالمية . وما كان للاذاعات ان تلعب الدور الحيوى الخطير الذى باتت تلعبه ابان الحروب والازمات لولا نشاط اقسام الاخبار فيها . واذا امست الاذاعة عامة والصوتية منها بصفة خاصة ، الناطق الرسمي بلسان حكومتها ،بل رمز وجودها وبقائها سواء في نظر العالم الخارجي او في نظر المواطنين ، فما ذلك الا لنشاط تلك الاذاعة الاخبارى قبل كل شيء .

وتتجلى هذه الخطورة في التدقيق البالغ التى تخضع له نشرات الاخبار وموجزاتها قبل اذاعتها من دار الاذاعة الكويتية ، وذلك حرصا على تفادى الاخطاء التى من شأنها ان تتضخم كثيرا ويتضاعف اثرها كثيرا اذا هى وردت في نشرة الاخبار .وتتجلى تلك الخطورة ايضا في الصلة الوثيقة التى تربط قسم الاخبار في الاذاعة الكويتية بوكيل الوزارة المساعد لشئون الاذاعة وبمراقب البرامج العام فيها . وهل ادل على خطورة نشاط قسم الاخبار هذا من الاهتمام والتوجيه الذى يلقاه من لجنة الاعلام العليا في وزارة الارشاد والانباء ، وهى اللجنة التى تضطلع بمسؤوليات الاعلام وترسم سياسته لمختلف أجهزته في دولة الكويت .

اما المصادر التى يعتمدها قسم الاخبار ، او بالحرى فرع التحرير فيه ، في اعداد هذه النشرات والموجزات ، فاهمها الرسائل البرقية Releases التى ترد باستمرار ، ليل نهار ، من وكالات الانباء العالمية الست وهى وكالة الشرق الاوسط ورويتر والاسوشيتدبرس واليونايتدبرس وتاس والاقليمية. وتلى هذه الرسائل نشرات فرع الالتقاط التى تتضمن اهم ما تذيعه الاذاعات العربية وبعض الاذاعات الاجنبية ، فضلا عن اذاعة اسرائيل ، مما له مساس بالشئون والقضايا العربية . اضف الى ذلك ما يرد الى الاذاعة الكويتية من رسائل وتقارير يوافيها بها مراسلوها او مندوبها لدى المنظمة الدولية .

ولعل في السبق الذى احرزته اذاعة الكويت فيما يتصل باذاعة بعض الاخبار الهامة دليلا على التعاون الوثيق القائم بين قسم الاخبار وغيره من الاقسام كقسم التنسيق وقسم المذيعين . ويذكر من تلك الاخبار نبأ وصول أول شحنة من صواريخ هوك الأمريكية الى اسرائيل (ابريل ١٩٦٥) ونبأ اغتيال الرئيس الأمريكى الأسبق كندى (نوفمبر ١٩٦٥) ، فضلا عن نبأ الهجوم الاسرائيلى الغادر صبيحة يوم الاثنين في ١٩٦٧/٦/٥ . فقد اذيعت هذه الانباء بعد ورودها بدقائق معدودة وسجلت اذاعة الكويت بذلك سبقا يستحق التقدير .

التخطيط والتنفيذ

على ان الحديث الذى سبق عن أوجه النشاط الاذاعى واهدافه كما يتمثل في اذاعة الكويت لا يغنى عن الحديث عن مراحل ذلك النشاط . ولعل هذه المراحل ابعد عن المستمعين بحيث تصبح الحاجة الى الوقوف عليها اشد ضرورة ومساسا.

ثمة أربع مراحل يمر بها العمل في اقسام البرامج في دار الاذاعة الكويتية ، أولاها التخطيط وثانيتها التنفيذ وثالثتها الاجازة ورابعتها الأداء . .

اما التخطيط فهو شرط الاعمال الاذاعية الأول . اذ لولاه لعمت الفوضى وفقدت الاذاعات كيانها وثقة المستمعين بها . والمقصود بالتخطيط بالمفهوم الاذاعى ، وضع المخططات المفصلة التى تحدد مسبقا المواد المقررة للاذاعة في كل ساعة من ساعات البث اليومى،بل وفي كل دقيقة من دقائقه، وذلك لا ليوم او اسبوع او شهر واحد فحسب ، وانما لمدة ثلاثة شهور كاملة ! فضلا عن ذلك فان التخطيط هو الذى يمهد السبيل لاعداد المواد الاذاعية مسبقا بحيث لا تفاجأ الاقسام المعنية بمناسبات او ظروف طارئة تأخذها على حين غرة ، فتضطرها الى الارتجال .

المراقب العام للبرامج في دار الاذاعة الكويتية ، السيد حمد المؤمن .



هذا والتخطيط شغل كبار المسئولين الشاغل في دار الاذاعة الكويتية . فهو موضع اهتمام وكيل شؤونها المساعد، وهو فيمقدمة اختصاصات مراقب برامجها العام ، وهو ايضا مهمة لجنة البرامج الاولى وهي لجنة تتألف من مراقبي الاقسام المختلفة ، وتعمل باشراف مراقب البرامج العام .

والتنفيذ ، وهو المرحلة الثانية ، يقصد به هنا متابعة الأمور وملاحقة الأعمال بغية وضع مخططات البرامج موضع التطبيق . ويقوم بأعمال التنفيذ هذه في دار الاذاعة الكويتية قسم التنسيق الذى تشمل اختصاصاته فيما تشمل، مراقبة سير الاذاعة، وتولي شئون الحجز في استوديوات التسجيل ، وغيرها ، فضلا عن اعداد برنامج الاذاعة اليومى بكافة تفاصيله ، كما ذكرنا .

وتشمل مرحلة التنفيذ هذه ايضا شتى الأعمال التى يتطلبها اعداد المواد والبرامج الاذاعية المختلفة . وتجدر الاشارة الى ان اكثر من نصف المواد التى تذيعها دار الاذاعة الكويتية هى من اعداد العاملين في هذه الدار .

وغنى عن البيان ان اعمال الاعداد هذه تتطلب وجود مكتبة تضم من المراجع والكتب ما تحتاج اليه تلك الأعمال . ولعل في مكتبة دار الاذاعة الكويتية وخاصة في فرع « المحفوظات » أو « الارشيف » منها ، مثلاً وقدوة . ففى هذا « الأرشيف » تجمع المعلومات المختلفة المستمدة من الصحف والمجلات ومن برامج الاذاعة نفسها ، لتنسق تنسيقا محكما يكفل سرعة الرجوع اليها عند الحاجة .

الاجازة والأداء

من البديهي الا يسمح باذاعة أية مادة من مواد البرامج في دار اذاعة الكويت الا بعد اجازتها . وتفترض هذه الاجازة صلاح المادة المجازة لا من النواحي اللغوية والاذاعية فحسب وانما على ضوء الاعتبارات الدينية والاجتماعية والسياسية فضلا عن المقتضيات الاعلامية ايضا .

والاجازة منوطة بمراقب القسم الذى تدخل المادة المجازة ضمن اختصاصه ، ثم بمراقب البرامج العام من بعده . وقد تدعو الحاجة احيانا ، وحين الضرورة ، للرجوع الى الوكيل المساعد لشؤون الاذاعة ، أو حتى الى وكيل وزارة الارشاد والانباء



بعض اجهزة التحويل الطابعة Teleprinters وهي التي تتسلم الانباء العالمية اشارات من جانب، فتحولها الى كلمات ثم تلفظها أخبارا مطبوعة كالبرقيات من جانب آخر . وفي الاذاعة الكويتية من هذه الاجهزة ١٢ جهازا عاملا و ٨ أجهزة احتياط

نفسه ، بقصد الاجازة النهائية لبعض المواد الاذاعية .

اما الأداء ، وهو المرحلة الاخيرة من مراحل النشاط الاذاعى فيأتي بعد الاجازة طبعا . انه باختصار كلام المذيعين والمذيعات وغناء المطربين والمطربات وما الى ذلك مما ينقله الميكروفون بشكل او بآخر الى غرفة الرقابة .

ولعل هذا الأداء هو محك العمل الاذاعى والقمة البارزة من قممه . يتجلى ذلك في مدى ما يضفيه المذيع المجيد على مادة اذاعية ضعيفة ومدى ما يسيء به مذيع غير مجيد الى مادة قوية . من ثم كان حرص الاذاعات على انشاء معاهد خاصة لتدريب المذيعين وتأهيلهم بقصد اجادة الاداء .

وتجدر الاشارة الى ان الأداء في الاذاعةالصوتية ليس اداء حيًا في كل الحالات ، بل انه اداء مسجل في معظمها . وباستثناء النشرات والموجزات الاخبارية ، وكذلك الاذاعات الخارجية ، يندر ان تلجأ الاذاعات الى الأداء الحي - اى غير المسجل سابقا .

وما دام البث الاذاعى المتواصل يعتمد على الأشرطة المسجلة الى هذا الحد ، كان لا بد للاذاعات من قسم يعنى بحفظ هذه الأشرطة

وتصنيفها وفق فهرس محكم يسهل معه الحصول على الشريط المطلوب فورا ، ودون عناء .

وقد لا يشعر المرء بقيمة هذا القسم الذى يسمونه في دار الاذاعة الكويتية بمكتبة التسجيلات او المسجلات . وقد يساعده على الشعور بتلك القيمة لو علم ان موجودات المكتبة المذكورة لا تقل عن ٣٠٠٠٠ شريط و ٧٠٠٠ اسطوانة ، او ، ان شئت التعبير الاذاعى الدقيق ، ٩١٧٠ ساعة من البث الاذاعى المتواصل غير المكرر !

ولعل في الالتفات قليلا الى الماضي والالمام بمراحل نشوء الاذاعة الكويتية وتطورها ما يساعد على تفهم المستوى الذى بلغه العمل الاذاعى في مختلف اقسامها .

قصة الاذاعة الكويتية

ثمة تاريخان رئيسيان لا تخلو منهما حياة انسان ، تاريخ الولادة ، وتاريخ الرشد ، ويصدق ذلك على الاذاعة الكويتية وقد ولدت عام ١٩٥١ وبلغت سن الرشد في عام ١٩٥٩ ، اى بعد مولدها بثماني سنين ، وقبل هذه السنة التى نحن فيها بثماني سنين .

بدات بث موادها الاذاعية بجهاز للارسال واحد ، لم تجاوز قوته نصف كيلواط . واستمرت على هذه الحال حتى سنة ١٩٥٨ ، حينما استبدلت الاذاعة بجهازها المذكور جهازين آخرين قوة الواحد منهما كيلواط واحد . ومثل ذلك يقال في ساعات البث وهى لم تزد على ٢١/٢ ساعة يوميا فى السنتين الاوليين (١٩٥١ – ١٩٥٢) وبلغت ٣١/٢ في اليوم طيلة السبع السنوات التالية (١٩٥٣ – ١٩٥٩) . اما عدد الموظفين الذى بلغ (١٥) موظفا سنة ١٩٥٨ ، فلم يجاوز الخمسة طوال الست السنوات السابقة (١٩٥٢ – ١٩٥٧) ، ولم يزد على اثنين فى سنتها الاولى .

وفجأة قفزت الاذاعة الكويتية قفزتها الحاسمة سنة ١٩٥٩ ، وقد اعتبرناها بمثابة سن الرشد فى حياتها ، للزيادة الكبيرة التى طرأت على عدد موظفيها ، الذين تضاعفوا اربعة أضعاف فاصبحوا ٦٤ موظفا ، ثم للزيادة الكبيرة الاخرى التي حققتها فى قوة ارسالها ، وقد تضاعفت خمسة اضعاف تبعا لمباشرتها البث على جهازين جديدين بقوة خمسة كيلواط لكل منهما . ولعل فى انتقال



مذيعة اخرى من مذيعات دار الاذاعة الكويتية . ولعل حرص الاذاعة على اكتشاف اصوات اذاعية جديدة لا يضاهيه الا حرصها على تقديم المواد الاذاعية الجديدة .

الاذاعة الكويتية الى دارها الرحبة الفسيحة التى ما زالت تشغلها حتى الآن باعثا هاما آخر على اعتبار سنة ١٩٥٩ سنة تحول جذرى في حياتها ، بقدر ما اسهم ذلك الانتقال على نحو فعال فى تحويلها من « هواية » الى دار للاذاعة متكاملة .

وانطلقت هذه الدار بعد ذلك تثب فى جراة وتقفز فى طموح ، فزادت موظفيها سنة بعد سنة حتى اصبحوا ١٥٩ موظفا سنة ١٩٦١ ، ثم ازدادوا حتى بلغ عددهم ٢٣٩ موظفا ، واحتفظوا بعددهم هذا حتى الآن . اما عدد ساعات البث اليومى فلم يلبث ان بلغ ١٦١/٢ ساعة سنة ١٩٦٠ ، ثم ازداد ثانية ، تبعا لاستحداث برنامجين فرعيين احدهما اوروبي والآخر محلي ، حتى أصبح بمجموعه ٢٤١/٢ ساعة ، وذلك اعتبارا من سنة (١٩٦٦) وحتى الآن .

ومن الطبيعي ان يرافق هذا التزايد فى ساعات البث تزايد فى قوة ذلك البث واجهزته . فلم تكد تحل سنة ١٩٦٠ حتى تضاعفت قوة الارسال في الاذاعة الكويتية ضعفين، فاصبحت ٢٠ كيلواط يولدها جهازان بالتساوى. ولم تلبث ان تضاعفت هذه القوة سبعة اضعاف او تزيد قليلا سنة ١٩٦١ ، حين باشرت الاذاعة الكويتية بث برامجها بواسطة

جهازين آخرين احدهما بقوة ٥٠ كيلواط (موجة قصيرة) والآخر بقوة ١٠٠ كيلواط (موجة متوسطة). وبقيت الامور علىهذه الحال الى العام الماضي (١٩٦٦) حينما اضيف الى تلك الاجهزة المرسلة جهاز للبث آخر بقوة (١٠٠) كيلواط بحيث اصبح لدى الاذاعة الكويتية جهازان يعملان على الموجة المتوسطة ، اما منفصلين او متصلين يدمج قوتهما جهاز الوصل والتوازى القائم بينهما لتصبح تلك القوة ٢٠٠ كيلواط .

ولن يمضي وقت طويل حتى يضاف الى اجهزة البث جهاز آخر بقوة مائة كيلواط من نوع Ampliphase يعمل على الموجة القصيرة.

أما التوسع الكبير المرتقب في قوة ارسال اذاعة الكويت فسيكون في محطة البث الجديدة التى يجرى العمل فيها منذ حين في موقع خارج المدينة يعرف بالصليبية . وستضم هذه المحطة من أجهزة البث اربعة بقوة ٢٥٠ كيلواط لكل منها وتعمل على الموجة القصيرة وثلاثة بقوة ٧٥٠ كيلواط لكل منها وتعمل على الموجة المتوسطة .

حكاية البث والارسال

وتقوم أجهزة الارسال هذه بمهمة بث البرامج الاذاعية وضمان وصولها الى مختلف الجهات . وهي مهمة خطيرة للغاية بالنسبة الى الاذاعة الكويتية والى غيرها من الاذاعات . اذ لا فائدة ترجى من البرامج الاذاعية ولا قيمة لها اذا لم تتوفر تلك الاجهزة .

اما كيف يتم ذلك البث ، بلا اسلاك وباسرع من لمح البصر ، فحكاية مثيرة ومشوقة ، تبدأ في استوديوات الاذاعة ، حيث الميكروفونات واصوات الموسيقى والمذيعين والمذيعات . فهذه الاصوات تحرك الهواء طبعا وتحدث فيه تموجات خفيفة ، لا تلبث ان تحرك بدورها جهازا دقيقا خاصا داخل الميكروفون . ويتولد تبعا لذلك تيار كهربائي . ولكن هذا التيار ضعيف جدا بحيث لو أنك اردت تحويله الى ضوء كهربائي بقوة ستين شمعة لاضطرك هذا الى تقوية ذلك التيار ومضاعفته نحوا من ٦٠٠٠ مليون مرة !

وعلى كل ضعف هذا التيار ، فانه هو بيت القصيد . فهو الموجة السمعية التى تستوعب اصوات المذيعين والمذيعات . بل انه البرامج الاذاعية نفسها ، ولكن بصورة ذبذبات .

وسرعان ما تنتقل الموجة السمعية هذه من الميكروفون في الاستوديو الى غرفة الرقابة حيث

قسم الالتقاط في دار الاذاعة الكويتية ، وشقيق محطة الرصد والالتقاط ، القائمة خارج المدينة ، ويظهر في الصورة بعض موظفيه الخمسة والثلاثين وهم يرصدون اذاعات عربية واخرى ناطقة بالعربية وغيرها ، ويكتبون ويسجلون أهم ما يمس الشئون والقضايا العربية من برامجها، فتتوفر الحصيلة التى يصدر بها القسم نشرتيه اليوميتين،ويعتمدها محررو الاخبار مصدرا من مصادر نشرات الاخبار والموجزات.





الحوار أسلوب اذاعي مشوق ، لا غنى للاذاعات عنه في كثير من برامجها ونشرات اخبارها .

تقويها أجهزة خاصة وتكبرها . ومن ثم تنتقل الى اجهزة البث والارسال التى تزيدها قوة وضخامة .

وبالرغم من هذه التقوية فان الموجات السمعية التى ذكرنا لا تستطيع الانطلاق ، ولا بد لها من موجات اخرى اقوى منها واسرع ، تحملها وتنطلق بها . وليست تلك الموجات الثانية الا الموجات الكهربائية المغناطيسية التى تسير بسرعة الكهرباء الخارقة (١٨٦٠٠٠) ميل في الثانية والتى تولدها أجهزة الارسال وتركب الموجات السمعية عليها .

ولا تلبث هذه الموجات الحاملة والمحمولة ان تصل الى مختلف الجهات فتلتقطها أجهزة الراديو، وتعزل الواحدة منها عن الاخرى ، ثم تعيد الموجات السمعية الى اصلها وتطلقها من مكبراتها الصوتية برامج اذاعية واصواتا .

وتجدر الاشارة الى ان في دار الاذاعة الكويتية ستة من الاستوديوات المستوفية للشروط الفنية والمقومات الصوتية . وتحاذى هذه الاستوديوات غرف الرقابة باجهزتها التي ذكرنا ومسجلاتها التي تكفل الاستمرار الاذاعي بتناوبها في لعب اشرطة معبأة بالمواد الاذاعية. وتتصل هذه الغرف بغرفة الرقابة الرئيسية حيث يتم نقل تلك البرامج، أو بالحرى الموجات السمعية ، الى اجهزة الارسال الكبيرة بواسطة مرسلات صغيرة من نوع(F.M.)

وتوجد اجهزة ارسال الاذاعة الكويتية الثلاثة الكبيرة هذه في محطتها في « المقوع » ، اى على بعد ٢٥ كيلومترا خارج المدينة . وتوجد بالقرب منها هوائياتها الثلاثة ومنها اثنان عموديان بارتفاع ٢٠٠ قدم ويخصان الموجة المتوسطة وجهازيها ، والثالث افقي بارتفاع ١٥ مترا ، وخاص بالموجة القصيرة وجهازها . وهذه المحطة محطة الارسال العاملة هى غير محطة الاحتياط الموجودة بعيدا عنها في موقع اسمه « الجيوان » .

على هامش الرصد والالتقاط

وثمة محطة اخرى تابعة لدار الاذاعة الكويتية وقريبة من محطة ارسال المقوع . بيد ان هذه المحطة ليست للارسال وانما للرصد والالتقاط . فهي تلتقط الاشارات الاخبارية البرقية التى ترسلها اليها وكالات الانباء العالمية الست التى اشرنا اليها من قبل . اما الاجهزة اللاقطة او المستقبلة في هذه المحطة فتسعة ، اكثرها من نوع RX5C . ولكل من هذه الاجهزة هوائيان يخصانه ، وموجهان لاحدى بلدان وكالات الانباء العالمية الست التى ذكرنا .

ولعل في حكاية التقاط الاخبار ما يبعث على شيء من العجب والدهشة ايضا . فالاشارات والذبذبات التى تلتقطها الاجهزة اللاقطة لا تلبث ان تغذى بها اجهزة التحويل البرقي الطابعة اى Teleprinters وان هي الا لحظة حتى تكون تلك الاشارات قد حولت الى الكلمات التى ترمز اليها ، وطبعت على ورق على نحو ما تكون الرسائل البرقية . اى ان الاشارات التى تدخل اجهزة



بعض سيارات الاذاعة الخارجية ، او بالحرى ، الاستوديوات المتنقلة الست في دار الاذاعة الكويتية .

التحويل من جانب ، تخرج رسائل اخبارية مطبوعة Releases من جانب آخر في تلك الأجهزة . وذلك بصورة اوتوماتيكية وبسرعة خارقة وعلى نحو مستمر طوال النهار والليل .

والجدير بالذكر ان وزارة الارشاد والانباء قد اعتمدت استيراد اجهزة حديثة يمكن بواسطتها تغذية ثمانية من اجهزة التحويل الطابعة Teleprinters باشارات جهاز واحد فقط من اجهزة الالتقاط ، بدلا من الاقتصار على تغذية جهاز واحد باشارات جهاز واحد ، كما كان الحال في السابق . وسيصبح في الامكان ، تبعا لذلك ، مد بعض الصحف المحلية بسيل مباشر من الرسائل الاخبارية المطبوعة او بالحرى بنسخة طبق الاصل عما تحصل عليه الاذاعة الكويتية من تلك الرسائل .

ويبلغ عدد اجهزة التحويل العاملة حاليا بمحاذاة قسم الاخبار ، في دار الاذاعة الكويتية ١٢ جهازا . أما الاحتياطي فيها فسبعة موجودة في

البرنامج الاوروبي في الاذاعة الكويتية برنامج فرعي يذيع الاخبار بالانجليزية والموسيقى الراقصة والكلاسيكية فضلا عن برامج اخرى اعلامية وثقافية وذلك طوال خمس ساعات يوميا .



محطة الالتقاط .

ولا بد من الاشارة الى الاستوديوات المتنقلة او سيارات الاذاعة الخارجية الست التي تمتلكها دار الاذاعة الكويتية والتي يمكن البث بواسطتها من خارج استوديوات الدار ، فضلا عن الاحتفالات الرسمية والشعبية في شتى المناسبات .

تلك هي معالم الاعمال الفنية التي تشرف عليها اقسام الهندسة السبعة في الاذاعة الكويتية ، وتلك هي بعض المسؤوليات التي يضطلع بها مهندسوها ومساعدوهم الفنيون وقد بلغ عددهم السبعين . على أن الحديث عن الاذاعة ، اية اذاعة، لا يعتبر مستوفيا اذا اقتصر على اقسام الهندسة هذه واقسام البرامج من قبلها .

اذ لا بد من الاشارة الى اعمال الادارة والمال وهي التي تؤديها اقسام عددها بعدد اقسام الهندسة ، ويقوم بها ستة وستون موظفا .. فرواتب الموظفين واجازاتهم ، ومكافآت المحدثين والممثلين وكتبة النصوص الاذاعية وسواهم ، فضلا عن طباعة ما يكتبه موظفو الاذاعة الكويتية كافة ... ذلك كله والكثير غيره انما يقع ضمن اختصاصات الاقسام الادارية والمالية .

واننا اذ نشكر اولي الامر والعاملين في الاذاعة الكويتية على المعلومات التي زودونا بها في هذا الصدد لنرجو ان نكون قد اتحنا للقارئ فرصة الالمام بالنشاط الاذاعي كما يتمثل في هذا الجهاز الاعلامي الناشط . ■■

يوسف زعبلاوي

المُسلِمُونَ في الأَندَلُس

بقلم :

محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

عَبدُالرَّحمنِ بنُ مُعاوِيَة

أَوَّلُ أَمِيرٍ أُمَوِيٍّ عَلَى بِلَادِ الأَنْدَلُس

نسبه ونشأته

■ هو : أبو المطرف ، صقر قريش،عبدالرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وأمه أم ولد بربرية من قبيلة « نفزه » اسمها « راح » ، ولد في سنة ١١٣هـ ، وتوفي أبوه وهو دون الخامسة من عمره ، فكفله جدُّه هشام مع اخوته ، فنشأوا جميعا في بيت الخلافة الاموية ، يتمتعون برغد العيش ، وعز السلطان ، وظلوا على تلك الحال حتى نكبت دولتهم، ولقيت مصرعها على آيدى بنى العباس سنة ١٣٢هـ ، وهو لما يتجاوز بعد العشرين من عمره ، ففرَّ الى شمال « أفريقية » ، ثم وصل الى بلاد « الاندلس » ، وانتزعها من يد واليها ، وأسّس الدولة الاموية ، التى نمت وازدهرت ، وقويت حتى نافست الخلافة العباسية في « بغداد » .

سياسته العامة وأخلاقه

اقام عبد الرحمن الدولة الاموية من جديد في بلاد « الاندلس » وكان عليه ان يثبت أركانها ويقوى دعائمها ، ويقيم بنيانها ويحافظ عليها ، وقد أحسَّ منذ اللحظة التى أصبحت فيها البلاد في قبضة يده بعظم المسئولية الملقاة على عاتقه ، لانه اقام دولته في ظروف سيئة واحوال مضطربة، ولذا آثر السياسة العملية التى قوامها : بعد

النظر ، والمرونة ، مع اتباع أساليب المكر والخداع تارة ، والالتجاء الى العنف والقسوة تارة اخرى ، فتغلب بهذه السياسة على كل ما صادفه من صعاب ، وما قابله من مشاكل ، فقضى على خصومه ، وتمكن من الاحتفاظ بسيادته وسلطانه على البلاد ، وضمن لدولته الناشئة الفتية الحياة في أمن وسلام .

ويظهر ان المحن القاسية التى اكتنفت حياته منذ فراره ، والنكبة المروعة التى لحقت بأسرته ، ثم الحروب الطويلة المريرة التى خاضها لتثبيت دولته منذ ولايته ، قد أفسدت طبيعته العربية السمحة ، وعكست في نفسه صورة سوداء للحياة ،

"الدَّاخِل"

فانقلب رجلا آخر ، يقسو ويظلم وينقض العهد .

اهم الاحداث في عهده

لم يتمتع عبد الرحمن بثمرة ما اكتسبه في هدوء ، فلم يتوطد سلطانه في البلاد ، لانه لم يصل الى الامارة الا بمساعدة مواليه ، وبمعونة حزب واحد من الاحزاب المتعددة ، وهو حزب اليمانيين من العرب ، ولم تكن معونتهم له الا رغبة في الانتقام من خصومهم القيسيين ، واداة لمحاولة اعادة سيادتهم التى فقدوها فترة طويلة ، فقد كانوا في صميم انفسهم يؤثرون أن يكون الامير منهم ، لولا غيرتهم بعضهم من بعض ، والتنافس الشديد بين زعمائهم ، ولم يكن خافيا على عبد الرحمن انهم لن يلبثوا أن يحاربوه متى فرغوا من عدوهما المشترك ، ويحاولوا تحطيمه ، وكان هذا ــ أيضا ــ شأن كل الاحزاب الموجودة بالبلاد ، فانها كانت تتربص به الدوائر ، وتهدف الى ما يهدف اليه اليمنيئون من القضاء عليه وتحطيم سلطانه ، ولذا لم يكد يجلس على كرسي الامارة حتى تعرّض للشدائد ، وقامت الثورات ضده من كل جانب ، ولولا قوة عزيمته ، وصلابة عوده ، وشدة بأسه ، واتخاذه لكل مفاجأة عدتها وما يقابلها ، لفقد امارته .

وكان من حسن حظ عبد الرحمن انعدام الاتحاد بين زعماء العرب ، الذين كانوا يعمدون الى السيف اما انتقاما لنوازع شخصية ، واما لمجرد نزوات وقتية تختلج في نفوسهم ، غير أنهم كانوا يشعرون بضرورة اتحادهم اذا أرادوا أن يتغلبوا على عبد الرحمن، ولكنهم لم يألفوا الاتحاد والعمل معا جنبا الى جنب .

ويرجع الفضل في محافظة عبد الرحمن على سلطانه الى هذا التفكك السائد بين منافسيه . كما يرجع ــ أيضا ــ الى نشاطه الذى لم يتطرق اليه الضعف ، والى سياسته التى اتبعها ، وهى سياسة تقدير الظروف وتكييفها ، فكان اعتماده على مواليه ، ومن انضم اليه من الزعماء ، ومن استقدمهم من جنود « افريقية » البربر .

ثورة الفهريين

تعتبر هذه الثورة من أخطر الثورات التى واجهت عبد الرحمن فى أول عهده بالامارة ، وقد تولى قيادتها هشام بن عذرة الفهرى ، ابن أحد حكام شبه الجزيرة السابقين ، من قوم يوسف حاكم « الاندلس » السابق .

أعلن هشام الثورة في سنة ١٤٤ هـ ، واستولى على « طليطلة » وطرد حاكمها ، وقد اهتم عبد الرحمن بهذه الثورة اهتماما كبيرا ، فخرج بنفسه لاخمادها ، وعندما وصل « طليطلة » حاصرها ، وضيّق الخناق على من بها من الثوار ، وضرب حولهم نطاقا حديديا بضعة أشهر ، حتى طلب زعيم الثوار الصلح ، فقبل عبد الرحمن بشرط أن يكون أحد أبناء هشام في يده رهينة تأكيدا لطاعته ، فرضخ هشام لهذا الشرط ، ففك عبد الرحمن الحصار ورجع الى « قرطبة » ، ولم يمض وقت قصير حتى نكث هشام عهده ، وأعلن الثورة من جديد ، فرجع عبد الرحمن ثانية وحاصر المدينة ، وقتل ابن هشام ، والقى برأسه من فوق سور المدينة ، راجيا بذلك أن يوهن عزم هشام ، ويفتّ في عضده منظر رأس ابنه ، ويحمله على الخضوع والتسليم ، غير أن

هشاما لم يضعف ولم يهن ، بل ثبت في موقفه .

واضطر الامير للرجوع الى « قرطبة » ليتمّ استعداده ، ثم يعاود الكرة من جديد ، وقبل أن ينفذ عبد الرحمن ما اعتزمه ، فوجىء بالثورة التي أعلنها العلاء بن مغيث اليحصبي ، داعية بني العباس ، فشغل به ، وترك أمر هشام الى ما بعد الانتهاء من القضاء على ثورة العلاء .

ثورة العلاء

ان العلاء لم يكن ثائرا على عبد الرحمن كغيره من ثوار الاندلس ، وانما كان واليا على شمال « افريقية » ، من قبل أبي جعفر المنصور ، فاراد أن يقضي على عبد الرحمن ويجعل «الاندلس» ولاية عباسية ، ولقد كان في سخط اليمنيين والقيسيين على عبد الرحمن ما يجعل الامل قويا عند العلاء في أن يستاصل شافة الامويين في المغرب، كما استاصل العباسيون شافتهم في المشرق .

اجتاز العلاء « أفريقية » الى « الاندلس » ، وارسى في ولاية « باجه » ، ورفع الاعلام العباسية السوداء ، التي لا تمثل حزبا دون حزب ، بل هي شعار المسلمين عامة ، واتخذ له مناصرين من بين الساخطين على عبد الرحمن ، المستعدين دائما للانضمام الى من يدعوهم لحربه .

واضطرمت « باجه » بثورة جامحة عنيفة ، والتفت حول الاعلام السوداء ، رمز الخلافة ، وقوى أمر العلاء واشتد بأسه ، وأصبح مصدر خطر حقيقي على عبد الرحمن ، الذى اشتد عليه الامر ، وازعجه هذا الخطر المفاجىء ، بيد أن شجاعته لم تخنه في وقت محنته ، فسار لقتال العلاء ، ونزل في حصن « قرمونة » الذى يعد في ذلك الوقت من أمنع حصون « الاندلس » وأقواها واتخذه مركزا للدفاع وتقدم العلاء صوب عبد الرحمن ، ومعه جموع جرّارة ، وحاصر « قرمونة » قرابة الشهرين ، وكان هذا الحصار شديد الخطر ، لان كل يوم يمرّ فيه كان يحمل الى أعدائه مددا جديدا .

ولكن عبد الرحمن كان عبقريا ، فما كاد يعلم أن طول الحصار قد انهك الكثيرين من رجال عدوّه . وأن أغلبهم قد رجعوا الى أوطانهم متلمّسين المعاذير ، حتى فكر في الخلاص من مأزقه ، فجمع نحو سبعمائة من أشجع رجاله ، ثم أوقد نارا عظيمة وصاح فيهم قائلا : « اننا الآن بين حالين : فاما الى نصر مؤزّر ، واما الى موت محقق » ، ثم القى بقراب سيفه في اللهب ، وتاثر أصحابه ، فالقوا بقراب سيوفهم في النار معه ، معلنين أنهم لن يضعوا سيوفهم في أغمادها حتى يفكّ حصارهم ، ثم انطلقوا خلف قائدهم، وهجموا على محاصريهم هجمة أرغمتهم على الفرار بدون انتظام ، بعد أن قتل قوادهم وسبعة آلاف رجل منهم ، كما يؤكد بعض المؤرخين ، وقتل في المعركة العلاء بيد عبد الرحمن ، وكان ذلك في سنة ١٤٦هـ .

وأراد عبد الرحمن أن يعطي المنصور الخليفة العباسي درسا عمليا في فشل محاولاته ضده ، وأن يحمله على نبذ التفكير في منازعته امارة « الاندلس » ، فوضع رأس العلاء ورءوس قواده في جوالق ، بعد أن أمر بتنظيفها وتتبيلها بالملح والكافور ، ووضع في اذن كل رأس منها رقعة تحمل اسم صاحبها ومكانته ، ومع الرءوس الاعلام العباسية ، وعهد المنصور باستعمال العلاء واليا على « الاندلس » ، ووضع معها – أيضا – تقريرا كتابيا عن هزيمة هؤلاءالمتمردين.

وأغرى بالمال تاجرا من أهل « قرطبة » ليحمل الجوالق الى « مكة » ، ووافق أن حج المنصور في هذا العام ، فوضعها على باب فسطاطه ، فلما رأى المنصور ما بداخل الجوالق اشتد غضبه ، ولكنه لم يستطع الا أن يقول : « الحمد لله الذى جعل بيننا وبين هذا الشيطان بحرا » .

وهكذا قدر لعبد الرحمن أن ينتصر على هذا الثائر ، وأن يسحق تلك الدعوة الخطرة ، لانها لم تكن دعوة حزب أو قبيلة ، وانما كانت دعوة الخلافة العباسية الشرعية .

وبعد أن فرغ عبد الرحمن من أمر العلاء ، أرسل قائديه : بدرا وتمام بن علقمة في جيش ضخم الى « طليطلة » التي استفحل أمر الثوار بها ، فوصل الجيش وضرب الحصار حولها ، وأرهق الثوار بشدة الحصار ، وأرغموا على طلب الصلح ، وأعلنوا استعدادهم للخضوع وتسليم زعماء الثورة،فرضي قواد الامير .وتسلموا زعماء الثورة ومن بينهم هشام ، وعادوا بهم الى « قرطبة » مكبلين بالاغلال ، فامر عبد الرحمن بقتلهم وصلبهم ، وسحقت الثورة في «طليطلة».

ودلت الطريقة التي اتبعها عبد الرحمن فيمعاقبة الخارجين على سلطانه والناقمين عليه ، دلالة

صريحة على عزمه على اتباع سياسة الارهاب والبطش في حكمه .

ثورة اليمنيين

لم يطق اليمنيون أن تنام أعينهم على تلك الكارثة الفادحة التي حلت بالعلاء أحد زعمائهم وجنده ، فهبوا لأخذ الثار ، واعلنوا الثورة ضد عبد الرحمن ، وقادهم سعيد اليحصبي ، ووضح خطر الثوار عندما هاجموا « اشبيلية » واستولوا عليها وطردوا حاكمها ، فأسرع عبد الرحمن بالتحرك نحوهم ، فاضطر سعيد الى مغادرة « اشبيلية » ، وتحصن بقلعة قريبة منها ، فحاصرها عبدالرحمن وضيّق الخناق عليه ، حتى صمم سعيد على الخروج من حصنه واختراق صفوف الجيش المحاصر ، فنشب عن تلك المحاولة الجريئة التي قام بها سعيد عدة معارك عنيفة ، كان من نتيجتها قتل سعيد ، وتولى قيادة الثوار أحد اعوانه ، خليفة بن مروان ، فقتله عبد الرحمن ودخل القلعة وهدمها ، ثم اتجه الى « شذونه » وحمل أهلها على الطاعة ، وبذلك هدأت الأحوال في «اشبيلية» و « شذونه » ، ورجع عبد الرحمن الى العاصمة « قرطبة » .

ثورة أبي الصباح اليحصبي اليمني

كان أبو الصباح يَمُنُّ على عبد الرحمن أن انضم اليه يوم مقدمه الى « الاندلس » ، وسلّم اليه «اشبيلية» وساعده بقواته في حروبه ،ووقف معه يوم موقعة المصارة ، وصارت له بذلك دالة على عبد الرحمن ، جعلته يتبرّم به ، ويرتاب في صدق ولائه ، ويشك في اخلاصه ، لما بلغه عنه يوم فتح « قرطبة » انه قال : « يا معشر يمن ، هل لكم الى فتحين في يومين ؟ ، فقد فرغنا من يوسف والصميل ، فلنقتل هذا الفتى المقدامة ابن معاوية فيصير الأمر لنا » ، واراد عبدالرحمن أن يبعد أبا الصباح فيعيّنه واليا على «اشبيلية» ثم لم يلبث أن عزله حين فرغ من جميع الثائرين ، ولم يعد يخشى أبا الصباح الذي استبد به الغضب، فدعا اليمنيين الى حمل السلاح ، وسرعان ما تبين عبد الرحمن أن نفوذ هذا الزعيم كان أكبر مما يتصوره ، وخشي سوء العاقبة اذا لم يسرع بعلاج الموقف ، للخروج من هذا المأزق الذي ينذر بالشر ، ورأى أن يأخذ خصمه بالحيلة والملاطفة قبل أن يخوض معه غمار المعركة ، فبعث اليه عبد الله بن خالد يدعوه الى مقابلته في « قرطبة » للتفاهم معه،وازالة ما بينهما من خلاف وخصومة، وبذل له من الوعود ما جعله يطمئن الى حسن نية صديقه وحليفه القديم ، وبخاصة أن عبد الله اراه أمانا بخط عبد الرحمن ، فمضى أبو الصباح الى « قرطبة » في اربعمائة رجل من قومه ، واذِنَ له بالدخول على عبد الرحمن ، بينما بقي رجاله خارج القصر ، ودار الحديث بينهما سرا ، ويقال انه كلمه فاغلظ له فاغضبه ، فاستل عبد الرحمن خنجره وحاول قتله بيده فلم يفلح لشدة مقاومة الزعيم الاشبيلي ، فاضطر لاستدعاء حرسه لمساعدته ، فقتلوه طعنا بالخناجر .

ولعله كان هناك شيء من سبق الاصرار في هذا القتل ، ثم استدعى عبد الرحمن وزراءه واخبرهم بأن أبا الصباح أسير في قصره ، وسألهم فيما اذا كان ينبغي عليه قتله ، فاجمعوا على الرفض ،ولم يشذ عن اجماعهم غير واحد من أقارب الامير ، اذ افصح عن مكنون نفسه بهذه الابيات .

يا ابن الخلائف اني ناصح لكمُ
في قتل ذي احن يرتاد للنقم
لا يفلتنك فيأتينا بائقة
اشدُدْ يديك به تبرأ من السقم
جلله عضبا من الهنديّ ذا شطب
ان الصرامة فيه فعلة الكرم

ويظهر أن وزراء عبد الرحمن لم يجمعوا على رفض فكرة القتل الا اشفاقا مما يجرّه هذا العمل الجريء على نفوس رفاقه ، وعندما علموا بقتله، ادركوا أن خوفهم ليس له أساس ، وذلك حينما خرج احد الخدم وصاح بالجنود أن مولاهم قد مات ، وانفض الجنود بدون أن يثوروا ، أو يعلنوا سخطهم لخيانة عبد الرحمن وغدره ، فكان موقفا ادهش حاشية عبد الرحمن واعوانه ، وليس ببعيد أن يكون قد عمد الى رشوة الجنود قبل أن يُغْدَر بصاحبهم .

بيد أن عبد الله استهجن هذه الخيانة المروعة التي كان هو نفسه اداة في سبيل اتمامها ، فلم يبرح منزله ، وظل مقيما به رافضا كل ما عرض عليه من الوظائف .

وما أشبه غدر عبد الرحمن بقائده وموقف أصحاب أبي الصباح منه بغدر المنصور بقائده أبي مسلم وموقف أصحابه منه ، ففي كلتا الحالين

باع القوم صاحبهم بدراهم معدودة ، متناسين واجب الامانة ، والوفاء لقائدهم .

وهكذا تفلتت مواهب الامير فى التخلص من خصمه القوى ، كما تفلتت مواهب معاصره المنصور على خصمه الداهية ، بنفس الاسلوب وبنفس الوسيلة ، وكأنما كان لهما رأى واحد ، غير أن أبا الصباح قتل طعنا بالخناجر ، وأبا مسلم قتل ضربا بالسيوف .

ثورة البربر

لم تنقض فترة وجيزة على مقتل أبى الصباح حتى اندلعت ثورة عظيمة بين البربر ، الذين كانوا لايزالون حتى ذلك الوقت راكنين الى الهدوء ، وقد أضرم نيران هذه الثورة فقيه من أهل «مكناسة» بالمغرب الاقصى ، يدعى « شقيا » ، وقد أطلق على نفسه اسم عبد الله بن محمد ، وادعى انه علوى النسب . وكان يدعى الاجتهاد لمعرفته للفقه والحديث والتفسير ،ونصب نفسه لتعليم الصبيان وارشاد الناس ، فذاع صيته بين البربر في غربى « الاندلس » ، وكان لهم بها جالية كبيرة ،وقضى عبد الرحمن ما يقرب من عشر سنوات في كبح جماح تلك الثورة ، عجز خلالها عن النيل من خصمه ، او اضعاف شأنه رغم مواصلة قتاله ، وتضييق الخناق عليه في أماكنه ، وتسرب الملل والضجر الى نفس عبد الرحمن،ويئس من التغلب على هذا الثائر ، خصوصا عندما هزم الامير نفسه أمام قواته مرتين ، واضطر الامير الى أن يلجأ الى اسلوبه السياسي الناجح ، أسلوب المكر والخداع، فاستدعى زعيم البربر في شرق الاندلس واقره على ما فى يده ، وولاه على ما فى يد الذى يدعى انه فاطمى، واقنعه بوجوب الدفاع عنه ،وتخليصه من هذا الثائر .

وبذلك بثّ عبد الرحمن الخلاف بين صفوف البربر ، وأوقع بينهم بأسهم ، فانفضّ عن الفاطمى اكثر اتباعه ، واضطر أن يتحصن بشعاب الجبال ، وانتهز عبد الرحمن الفرصة وجدّ في مطاردته ، وتعقب أنصاره ، ولكنه مع ذلك لم يستطع التغلب عليه رغم ضخامة جيشه ، وتعدد الحملات التى حملها عليه ، وظل الفاطمى يسيطر على الموقف رغم ضآلة من بقى معه ، وتسرب الفتنة والفساد بين قومه ، حتى قتل غيلة بيد اثنين من اتباعه ، احتزا رأسه وحملاه الى عبد الرحمن ، ويغلب على الظن أن يد الأمير لم تكن بعيده عن هذه المؤامرة .

وبذلك انفضت الجموع ، وخبت ثورة البربر، بعد أن كلّفت الأمير الكثير من الرجال ، والكثير من المال والجهد المضنى ، وهدّدت سلطانه بالفناء والضياع ، وطمع خصومه فيه .

غزو شارلمان للاندلس

في أثناء ثورة الفاطمى تحالف سليمان بن يقظان الكلبى الشهير بالأعرابى حاكم « برشلونة » ، والحسين بن يحيى الانصارى حاكم « سرقسطه »، وانضم اليهما عبد الرحمن بن حبيب الفهرى الشهير بالصقلبى ، صهر يوسف الفهرى حاكم « الاندلس » السابق ، وكانت كراهية هؤلاء الزعماء لعبد الرحمن شديدة ، حتى لقد صمموا على الاستعانة بشارلمان ، على الرغم من انه كان من اشد الناس عداء للاسلام والمسلمين ، ومضوا فى عام ١٦٠ هـ الى بلدة « بادربورن » حيث كان شارلمان عاقدا مؤتمر مايو ـ وهو مؤتمر سنوى اعتادوا عقده فى ربيع كل عام ، وكانت تذاع فيه المراسيم الملكية ، وتدبّر فيه الخطط الخاصة بالحملات الحربية ـ ذهبوا الى شارلمان ،وعرضوا عليه أن يتحالف معهم ضد امير « الأندلس » ،فلم يتوان شارلمان لحظة في الموافقة على اقتراحهم ، اذ لم يكن ثمّ ما يشغله حينئذ ، وكان يتطلع لفتوح جديدة بعد أن فرغ من السكسون ، الذين ظن أنهم قد خضعوا واذعنوا له ، ورأى شارلمان أن هذه فرصة مواتية لتحصين حدود مملكته من جهة الجنوب ، والتمكن من مراقبة تحركات المسلمين العسكرية ، والتدخل عن كثب في شئون المسلمين بحكم الجوار ، وبحجة رعاية المصالح المشتركة في الولايات الشمالية .

ودُبّر الامر على أن يعبر ابن حبيب الى «افريقية» لتكوين جيش ينزل به في مقاطعة « تدمير » ، بعد أن يضم القوات البربرية الى الجيش حيث يعاون حركات الزحف في الشمال، ويعلن دعوة العباسيين ويرفع الاعلام السوداء ، أعلام الخليفة العباسي بينما يقوم سليمان بتمهيد الطريق الى «سرقسطه» أمام جيوش شارلمان التى تعبر في نفس الوقت جبال « البرانس » .

كان هذا التحالف القوى الذى وضع خطة الهجوم بعد تمحيص شديد يهدد عبد الرحمن

تهديدا خطيرا لم يعهده في أى تحالف ضده من قبل ، بل لقد كان هذا التحالف عبارة عن مؤامرة دولية واسعة،تحاول الوقوف في وجه عبدالرحمن، والنيل من امارته ،ومحوها من الوجود ، غير ان الحظ ساعده ، اذ لم تسر العمليات الحربية وفق ما وضع لها من الترتيبات ، ذلك ان ابن حبيب تعجل العبور من «افريقية» الى«الاندلس»، ونزل بولاية « تدمير » واعلن الثورة ، وطلب من حليفه الاعرابى مساعدته فابى ، بحجة انه موكول اليه البقاء لمساعدة جيش شارلمان عند عبوره الى ارض « الاندلس » ، اما قبل ذلك فلا مساعدة طبقا للخطة الموضوعة المتفق عليها في « بادربورن » فنشا بسبب ذلك خلاف بين الحليفين ، وايقن ابن حبيب ان سليمان غادر به ، فاشتبكا في حرب هزم فيها ابن حبيب ، ولجا الى « تدمير » وفي اثناء رجوعه قتل غيلة بيد احد اعوانه ، كان شديد الثقة به ، واغلب الظن انه كان مدسوسا عليه من قبل عبد الرحمن .

كل هذا كان يجرى بين حلفاء شارلمان في«الاندلس» وهو جاد في جمع جيشه وتنظيمه استعدادا لتنفيذ الخطة الموضوعة ، ولرغبته في الانتهاء من هذه الحرب قبل مجيء فصل الشتاء ، وعندما اكمل استعداده ، واطمأن الى استقرار الأمور الداخلية في بلاده ، اجتاز جبال « البرانس » الى شبه جزيرة « الأندلس » ، على راس جيش كبير مؤلف من الفرنجة والجرمان واللومبارد ، واخترق في اثناء سيره ولاية « نافار » ـ بلاد البشكنس ـ وحاصر عاصمتها « بنبلونه » ، واستولى عليها ، ولقيه قبل ان يصل الى « سرقسطه » حليفه الاعرابى ، وقصداها سويا .

ولكن الامور تطورت مرة اخرى ، وذلك حينما رأى الانصارى ان شرفه العربى ، وسمعة اسرته (١) ودينه باعتباره مسلما ، توجب عليه الخروج من هذا الحلف ، والوقوف بجانب اهل مدينته الذين صمموا على الدفاع عنها وحمايتها بكل الوسائل والطرق ، واظهروا سخطهم على هذه المحالفة المشينة ، وبذلك اصبحت المحالفة ملغاة من جانب المسلمين من ناحيتها الواقعية ، وان كان يبدو انها لا تزال قائمة في شخص سليمان الذى وصل الى اسوار « سرقسطه » التى كانت ابوابها مغلقة ، واهلها على اهبة الاستعداد للدفاع عنها وحمايتها .

اسقط في يد سليمان ، ولم يجد منفذا للتخلص من هذا الموقف الحرج ، وعجز عن تبرير هذا العمل من جانب احد الحلفاء ، فشك شارلمان في نواياه ، واتهمه في موقفه ، فقبض عليه واخذه اسيرا .

وعندما كان يتاهب لمحاصرة « سرقسطه » اذ به يتسلم نبا قضى بالفشل على كل خططه ، ذلك هو عودةملك السكسون الى بلاده بعد ان كان ارغمه شارلمان على مغادرتها والتجائه الى امير دانيمركى ، وقد استجاب السكسون لدعوة مليكهم وحملوا السلاح ، واغتنموا فرصة غياب شارلمان بجيشه خارج البلاد ، واعملوا القتل والدمار في كل ما وجدوه ، وانسابوا متوغلين حتى بلغوا « الرين » واحتلوا مدينة « دوتيز » المواجهة لكولونيا ، فاضطر شارلمان الى رفع الحصار عن «سرقسطه» والعودة الى بلاده .

وفي اثناء عبور شارلمان جبال « البرانس » انقض على مؤخرة جيشه ـ وكان به معظم الأسرى ومعظم العتاد ـ جماعات كبيرة من المسلمين والبشكنس ، وقد افنت هذه الجموع مؤخرة جيش شارلمان باجمعها (٢) ، وقد قتل في هذه المعركة رولان والى اقليم « بريتانى » ، ثم انسلت هذه الجموع تحت جنح الظلام وتفرقوا في اماكن مختلفة في سرعة بالغة ، وقد حزن شارلمان على رولان حزنا شديدا .

ورولان هذا هو بطل الانشودة الشهيرة ، التى نظمت بالفرنسية فيما بعد ، لتصوير هذه الموقعة الطاحنة ، وتسجيل حوادثها ، وصارت هذه الأنشودة منبعا لا ينضب معينه لقصص الفروسية والملاحم الحربية في العصور الوسطى .

وعلى هذه الصورة السيئة أخفقت حملة شارلمان التى بدات في ظروف جد طيبة ، وقد ساهم الجميع في العمل على فشلها ، غير شخص واحد، هو عبد الرحمن الذى كانت الحملة موجهة ضده ، الا انه بادر بالانتفاع بالفوائد التى تهيأت له بفضل رعيته الثائرة في « سرقسطة » ، وبفضل البشكنس وملك السكسون ، وقد حالت مشاغل شارلمان الداخلية دون تفكيره من جديد في غزو

---

(١) هو من سلالة سعد بن عبادة الصحابي الانصارى .

(٢) وقد اطلقوا سراح الاسرى ، وكان من بينهم سليمان .

« الاندلس » سريعا ، ورأى عبد الرحمن ان يقطع على خصومه خط الرجعة باقامة تحالف جديد ضده ، فبعث الى شارلمان يدعوه الى التفاهم ، وعقد معاهدة ود وصداقة معه ، وطلب مصاهرته، فاجابه شارلمان الى المصالحة والمصادقة ، ولم تتم المصاهرة .

انتهز عبد الرحمن فرصة تصافيه مع شارلمان ، ووجه ضرباته المتلاحقة نحو خصومه في الداخل ، فزحف الى « سرقسطه » لاجبارها على الدخول في طاعته ، غير انه بلغه قبل وصوله اليها خبر مصرع سليمان مطعونا بالمسجد على يد الانصارى الذى كان يعد خائنا لدينه ، ثم ما لبث ان خضع الانصارى لعبد الرحمن الذى حاصره ، فرضي عنه واقره على « سرقسطة » وكانت تلك سياسته في الغالب مع خصومه حينما يذعنون له ، ويعلنون الطاعة والخضوع ، فيمنحهم عفوه ويتجاوز عن سيئاتهم ، ثم توجه الى الولايات الشمالية ، واخترق ولاية « نافار » وعاقب اهلها على خروجهم وفسادهم ، وملك عاصمتهم « بنبلونة » ، وخرب قلاعها ، واخضع اهلها وفرض عليهم الجزية ، ووطد هيبة الحكومة المركزية فى هذه الجهات ، والقى عليهم درسا عمليا قاسيا ، وذكرهم بان الاسلام لا يزال في منعة ، وان سلطانه قوى عزيز ، وبذلك ركدت ريح الثورة في الشمال الى حين .

ولكن الانصارى لم يلبث ان غدر بعهده واعلن الثورة على عبد الرحمن ، فتوجه اليه واسره ، ثم قتله سنة ١٦٧ هـ .

وهكذا خرج عبد الرحمن منتصرا في جميع المعارك التى خاضها ضد أعدائه ، واثار اعجابهم بنجاحه ، حتى لقد قال فيه المنصور ـ الخليفة العباسي ـ : « اما صقر قريش فهو عبد الرحمن ابن معاوية الذى تخلص بكيده عن سنن الأسنة وظباة السيوف ، يعبر القفر ، ويركب البحر ، حتى دخل بلدا أعجميا ، فمصّر الامصار ، وجند الأجناد ، وأقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه » ، وافتخر عبد الرحمن بنفسه في شعر نظمه ، فقد كان يقول الشعر :

شتّان من قام ذا امتعاض
منتضيَ الشفرتين نصلا
فجاب قفراً وشقّ بحراً
مساميا لجّة ومحلا
دبّر ملكا وشاد عزاً
ومنبرا للخطاب فصلا
وجنّد الجند حين أودى
ومصّر المصر حين اخلا
ثم دعا أهله اليه
حيث انتأوا أن هلمّ أهلا
فجاء هذا طريد جوع
شريد سيف يخاف قتلا
فنال أمنا ونال شبعا
ونال مالا ونال أهلا
ألم يكن حق ذا على ذا
أعظم من منعم على مولى ؟

مؤامرات

بعد هذه الفترة من الجهاد في سبيل تثبيت اركان الدولة ، اخذ عبد الرحمن ينعم فيما يشبه السلم بثمرات جهاده وانتصاره ، فقد اخضع بيد قوية وعزيمة فولاذية كل العناصر المعادية له في « اسبانيا » ، واسقط كل زعيم جرؤ على أن يرفع في وجهه سيفا،واثبت غير منازع انه سيد الموقف.

غير ان هذا السلم لم يدم طويلا ، فقد كان عبد الرحمن هدفا لضربات وجهت اليه من قرابته الاقربين الذين استدعاهم الى دولته ليبسط عليهم حمايته ويشملهم برعايته ، ويؤمنهم على حياتهم ، ففى سنة ١٦٣ هـ . اكتشفت مؤامرة ضده بزعامة اثنين من اقطاب اسرته ، هما : ابن اخيه عبيد الله بن ابان بن معاوية وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام ، وكان داخلا في المؤامرة كبير قواده أبو عثمان ، فقتل ابن اخيه وابن عمه ، وابقى على صديقه وحليفه القديم ابى عثمان ، لانه يدين له بعرشه .

ثم وقف على مؤامرة اخرى دبرت ضده فيسنة ١٦٧ هـ ، دبرها ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية بمعاونة هذيل بن الصميل ، فلم يتردد في قتلهما ومن معهما ، ونفى اخاه الوليد وأسرته الى بر العدوة (بلاد المغرب) ، وكان تآمر أهله ضده مثار دهشته .

وبمرور الايام وجد عبد الرحمن نفسه وحيدا مفردا ، فقد انفض عنه زعماء البربر والعرب على السواء ، وفسد ما بينه وبين مواليه ، وخانه أمسُّ الناس رحما به وأقربهم اليه .

كان في السنوات الاولى لحكمه يمشي وحيدا في شوارع العاصمة ، ويختلط باهلها ، اما الآن فانه لا يستطيع ان يندمج كعادته في زحام شوارع

« قرطبة » ، ولم يعد يبعد غالبا عن قصره ، فاذا خرج ، خرج في رهط كثيف من جنده من برابرة المغرب الذين اعتمد عليهم كل الاعتماد في حمايته وحروبه ، وكون منهم معظم جيشه ، وقد عرف كيف يضمن ولاءهم ، ويحافظ على اخلاصهم له .

وقد نظم عبد الرحمن في وحدته قصيدة يناجي فيها نخلة نقلها من أرض أجداده وغرسها في فناء قصره ، وهو في أبياته يحنو على النخلة في منفاها ويقول :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى
وطول ابتعادى عن بنىّ وعن أهلى
نشأت بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادى المزن من صوبها الذى
يسح ويستمرى السماكين بالوبل

أعماله الادارية

لم تترك الثورات المتلاحقة ، والاضطرابات المستمرة ، والفتن والحروب والمؤامرات ، فرصة لعبد الرحمن ينظر خلالها في استحداث انظمة لنظام الحكم والادارة ، فاضطر الى مجاراة اسلوب الخلافة في المشرق في النظم الادارية ، فاكتفى بمنصب الحاجب وتكوين هيئة استشارية من معاونيه وانصاره تتخذ شكل مجلس وزراء ، واكتفى بلقب أمير ، ولعله رغب في عدم احداث فرقة بين المسلمين في المشرق والمغرب بتعدد الخلفاء ، وتنازع السيادة الروحية في الأمة الاسلامية .

اصلاحاته الداخلية

بعد أن وحّد عبد الرحمن مملكته ، ونشر فيها لواء السلم ، وجه اهتمامه ناحية الاعمال السلمية ، فكان له فيها مقدرة تعادل مقدرته الحربية فجمّل المدن ، وحفر قناة للماء العذب تحمله الى العاصمة التى أحاطها بسور ضخم ، وانشأ « منية الرصافة » وقصرها المنيف في ضاحية « قرطبة » ، وأدخل زراعة نباتات غريبة كالخوخ والرمان واتخذ من هذه الضاحية الجديدة مقاما ومقرا لامارته .

وأسس قبل وفاته بعامين جامع « قرطبة » العظيم ، وأصبح هذا الجامع ـ بعد أن أنجز بناءه خلفاؤه ـ قبلة المسلمين في المغرب ، الى غير ذلك من الانشاءات التى قام بها عبدالرحمن ، والتى تعد دليلا محسوسا على عنايته بكل شئون الحياة في ولايته .

وفيما يتصل بالحياة الاجتماعية والثقافية ، نجد أن عبد الرحمن قد أولاهما من العناية ما لا يقل عن عنايته بالامور الاخرى ، فقد حاول أن يصبغ المجتمع الاندلسي بالصبغة القومية ، ويقضي على الفوارق الحادة بين الاجناس ، فلا فرق بين عربى وبربرى ، مسلم أو مسيحى ، فالكل سواء ، ولا بد من أن ينصرفوا الى الانشاء والتعمير ، وأن ينهضوا بامارتهم باعتبارهم أبناء وطن واحد ، ويؤلفون أمة واحدة ، ولكن عبد الرحمن قد توفى قبل أن يكتب لتلك الفكرة النجاح كما كان يحب .

والى عبد الرحمن يرجع الفضل في نمو الحركة الفكرية التى جعلت من « الاندلس » أحد المراكز الهامة في الثقافة العالمية ، ومبعث اشعاع حضارى له تأثيره الفعّال .

وفي يوم ٢٤ من شهر ربيع الثانى سنة ١٧٢ هـ ، توفى عبد الرحمن بن معاوية وهو في حدود الستين من عمره ، بعد أن حكم نحو ثلاثة وثلاثين عاما .

وهكذا تنطوى صفحة حياة أمير قضى معظم أيام ولايته في صراع عنيف مستمر بينه وبين خصومه ومنافسيه ، وأرغمته الاحداث المتلاحقة والفتن والدسائس والمؤامرات على أن يظل مرتديا ملابس الحرب ، لا يكاد يفرغ من معركة حتى يخوض غمار معركة أخرى ، ولا يقضي على فتنة حتى يفاجأ بمؤامرة ، ورغم ذلك لم يضعف ولم يهن ، بل ثبت أمام الشدائد والمحن ، واجتازها جميعا ظافرا منتصرا ، وانتزع بقوة عزيمته وحد سيفه امارته من المتكالبين عليها بعد أن صرعهم وسحقهم ، ولم يكن أمامه طريق غير ذلك لتوطيد حكمه بين المشاغبين من العرب والبربر ، ولم تكن لديه وسيلة لانتزاع الفوضى ، واقتلاعها من جذورها ، الا أن يقابل تلك الفوضى بالشدة والقوة ، لأن كلا الفريقين لم يعتد الحكم المنظم ، وأقام امارته التى أورثها بنيه وحفدته من بعده ، وفاز عبد الرحمن بفخر عصاميته وعظيم جهاده وحسن بلائه . ■

محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

رحلة إلى تلمسان وإلى دار ابنها المقرى صاحب نفح الطيب

بقلم : محمد عبد الله عنان

حرصت أثناء رحلتي القصيرة في الجزائر على ان ازور تلمسان ، وتلمسان بين مدن المغرب الأوسط ، الذى تحتل معظم رقعته اليوم ، جمهورية الجزائر الفتية ، من اعرقها تاريخا ، وابعدها صيتا ، وامجدها ذكرا ، وقد أحرزت تلمسان هذا المركز الممتاز ، ليس فقط بجمال موقعها بين الربى الخضر التى تغص بغابات الزيتون ، وجمال خططها العمرانية المشرقة ، وكونها كانت مدى عصور عاصمة لمملكة مستقلة زاهرة ، هي مملكة بنى عبد الواد، ولكنها احرزته قبل كل شيء بتراثها العلمي التالد ، وجمهرة ابنائها العلماء ، الذين يمثلون مثولا قويا في تاريخ الآداب والعلوم المغربية .

وهى في هذه السمعة العلمية العريقة، تعتبر قرينة زميلتها في المغرب الاقصى ، مدينة فاس ، موطن جامعة القرويين العظيمة .

ويكفى ان نذكر هنا من ابناء تلمسان الأعلام ، الخطيب بن مرزوق، وابن يحيى الونشريشي صاحب كتاب المعيار في فتاوى المغرب والأندلس ، والشاعر ابن خميس التلمسانى ، وابا العباس شهاب الدين المقرى صاحب نفح الطيب وازهار الرياض . وقد خص العلامة ابو عبد الله محمد بن محمد المليتى المديونى المعروف بابن مريم ، وهو من ابناء تلمسان ،علماء وطنه بمجلد ضخم ترجم فيه لنحو مائة من فقهاء تلمسان وعلمائها وادبائها وسماه « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » .

المقرى ، ابن تلمسان العظيم

وصلت الى تلمسان اذا ، وفى مخيلتى تتردد ذكرى ابنها العظيم المقرى ، وقد كانت هذه الذكرى اقرب الذكريات واحبها الى نفسي ، لأن المقرى هو مؤرخ الاندلس

ومجدد ذكرياتها بالمشرق ، وهو مؤرخ ابن الخطيب ومحيى تراثه ، وقد انفقت اعواما طويلة في العناية بتاريخ الأندلس وبتراث ابن الخطيب .

وقد غادر المقرى وطنه تلمسان ، فتى ، في شرخ الشباب ، وذهب الى فاس ليدرس ولينقب في مكتباتها العريقة ، وتولى بها امانة جامع القرويين حينا ، ثم غادرها الى المشرق في سنة ١٠٢٧ هـ (١٦١٨ م) . وبعد أن قضي فريضة الحج عاد الى مصر ونزل بالقاهرة .

وشاء القدر أن يقضي بها بقية حياته ، عدا فترات قصيرة قضاها في الحجاز والشام وبيت المقدس . وكتب المقرى في مصر كل كتبه ، ودرس بجامعها الأزهر ، وثوى بأرضها الثواء الأخير ، وخلف بها تراثه الادبي العريض .

وقد لبث المقرى طول حياته يذكر وطنه « تلمسان المحروسة » في حنين وحسرة ، ويذكر كيف ترك بها « طريفه وتلاده » . ويعرب عن آلامه النفسية من من الاغتراب . ولكن شاء القدر ان يموت بأرض الغربة ، دون أن يشهد وطنه مرة اخرى .

اسم تلمسان

ويقول لنا الوزير يحيى بن خلدون ، ان اسم تلمسان هو اسم بربرى مكون من مقطعين « تلم » ومعناه تجمع و « سن » ومعناه اثنان أى الصحراء والتل ، ويشيد بوصفها ابنها المقرى ، ويقول لنا أنها من احسن مدن المغرب ، وانها مدينة عريقة في التمدن ، لدنة الهواء ، عذبة الماء ، كريمة المنبت . ثم يقول « وبها ولدت وقرات ونشات ، الى أن ارتحلت عنها في زمن الشبيبة الى مدينة فاس سنة تسع والف » .

وقد انشأ العلامة الصوفي ابو عبد الله محمد بن خميس في مديح تلمسان قصيدة طويلة مطلعها :

تلمسان جادتك السحاب الروائح
وارست بواديك الرياح اللواقح
وسح على ساحات باب جيادها
ملث يصافي تربها ويصافح

تلمسان اليوم

وقد تطورت خطط تلمسان كما تطورت معظم المدن المغربية ، ولم يحتفظ منها بخططه القديمة داخل الأسوار سوى مدن قليلة مثل فاس ومراكش ومكناسة ، واصبحت تلمسان اليوم مدينة حديثة ؛ ولكنها ما زالت تحتفظ ببقية معالمها القديمة ، التى تمتاز بدروبها الضيقة المتشابكة ، وتقع تلك البقية القديمة من خطط تلمسان في ناحيتها الشمالية .

دار المقرى

ومن الطريف الشائق أن دار المقرى ما زالت قائمة معروفة في تلمسان ، وان كانت قد حلت فوق موقعها القديم أبنية جديدة . وقد زرت هذه الدار ، وهى تقع في احد الدروب القديمة ، وما زالت بعض ابنيتها القديمة قائمة منها اصطبل الدار القديم ، وبعض ابنية في الدور الاعلى وتدل ضخامة الدار وفناؤها الرحب على انها كانت دار أسرة عريقة ، وهى ما زالت تعرف اليوم في تلمسان « بدار المقرى » مما يدل على أن الرواية المتواترة بشأنها هى رواية صحيحة مقبولة .

مولد المقرى

وقد ولد المقرى في هذه الدار بتلمسان منذ اربعة قرون ، وقد كنا الى اعوام قليلة نجهل تاريخ مولده الحقيقى ، وكان البحث الحديث يكتفى بأن يضعه في نحو سنة ١٠٠٠ (الف) هـ (١٥٩٠ م) ، ولكن هذا التاريخ لا يتفق مع ما يذكره المقرى نفسه حسبما تقدم في كتابه نفح الطيب ، من انه رحل الى فاس في سنة ١٠٠٩ ، وهو في سن الشبيبة ، اذ لا يعقل أن تكون عشر سنين هى سن الشبيبة ، وقد وُفقتُ لحسن الطالع بعد بحوث جمة ، في مكتبة القرويين الى تحديد هذا التاريخ بصفة قاطعة وذلك من العثور على نص ورد في كتاب « مرآة المحاسن » للشيخ العربى الفاسي ، يذكر فيه أن المقرى اخبره ان مولده كان في سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٦م) ، واذن فيكون المقرى قد غادر وطنه تلمسان الى فاس في سنة ١٠٠٩ هـ ، وسنه أربع وعشرون سنة ، وهى بلا مراء سن الشبيبة ، الذى ينوه به في كتابه ، وقد توفي المقرى بمدينة القاهرة في سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ م) وهو في السادسة والخمسين من عمره .

مزار العلامة الورع أبو مدين

وتشتهر تلمسان بنوع خاص بمزار العلامة الورع الزاهد ابى مدين ، وهو الذى يضعه أهل تلمسان واهل المغرب عامة بين كبار الأولياء ذوى الكرامات الدائمة ، وقد غمرت صفة الولاية هذا العلامة حتى كادت شخصيته العلمية الحقيقية تختفى تحت اكداس القصص المغرق ، حول ما ينسب اليه من الكرامات والخوارق . والحقيقة انه هو العلامة الاندلسى الكبير شعَيب بن الحسين الأنصارى القطيانى المتوفي سنة ٥٩٤هـ ، وكان من اكابر الفقهاء والمحدّثين ، وقد وفد في شبابه على المغرب ونزل بفاس ، وقرأ بجامعها الشهير مدة ، ثم انتقل الى بجاية ، وذاع صيته العلمى في كل مكان ، واسبغ عليه ورعه البالغ حلة من القدسية ، وقيل انه لما ذاعت شهرته وقصده الناس من كل فج يأخذون عليه ويتبركون به ، نمى خبره الى الخليفة الموحدى يعقوب المنصور ، وحذّره بعض الفقهاء من عظيم نفوذه ، فاستدعاه لمقابلته ، فأخذ اليه ، وهو في حالة اعياء وضعف ، ولكنه توفي في طريقه عند احواز تلمسان ، ودفن هناك في ضاحيتها المسماة العباد او رباط العباد ، وما زال ضريحه قائما هناك على مقربة من تلمسان فوق ربوة تشرف عليها ، وقد أقيم له ضريح فخم يقصده الناس للبركة من كل صوب ، واقام هذا الضريح والمسجد الفخم القائم الى جواره السلطان ابو الحسن المرينى المتوفي سنة ٧٥٢ هـ . وقد زرت المسجد والضريح . والمسجد قطعة جميلة من الفن الأندلسي الغرناطى .

ويورد لنا المقرى في نفح الطيب ، ترجمة ضافية لأبى مدين ويشير اليه « بسيدى أبى مدين » ويفيض في ذكر كراماته ، ومنها انه مسح بيديه ذات يوم على عينى رجل اعمى ، فانقلب في الحال مبصرا .

تلمسان عاصمة مملكة صغيرة لبثت زهاء قرن ونصف قرن

وتحتل تلمسان الى جانب تراثها العلمى العريق في تاريخ المغرب مكانة ملحوظة ، فقد لبثت زهاء قرن ونصف عاصمة لمملكة صغيرة زاهرة ، يسهر

على مصايرها بنو عبد الواد ، أو بنو يغمراسن ابن زيان ، وذلك منذ أوائل القرن السابع الهجرى حتى أواخر القرن الثامن . وكان قيام هذه المملكة الصغيرة الزاهرة يجذب جيرانها الأقوياء من بنى مرين دائما الى التطلع اليها وامتلاكها . وقد افتتحها بنو مرين غير مرةواستردها بنو عبد الواد غير مرة ، وكان آخر من فتحها من بنى مرين السلطان عبدالعزيز المرينى وذلكفي سنة ٧٧٢ هـ (١٣٧١ م) . ولما توفي بعد ذلك بقليل عادت الى حوزة بنى عبد الواد . وكان من أواخر ملوكها السلطان العالم الأديب موسي بن يوسف ابن عبد الرحمن المعروف بأبى حمو ، وهو الذىوزر له الوزير الكاتب ابو زكريا يحيى بن خلدون أخو الفيلسوف المؤرخ ولى الدين بن خلدون ، وكتب في تاريخ أسرته كتابه الشهير « بغية الرواد في تاريخ الملوك من بنى عبد الواد » . ولهذا السلطان الأديب كتاب مشهور في السياسة الملكية عنوانه « كتاب واسطة السلوكفي تدبير سياسة الملوك »،يتحدث فيه عن قواعد الملك وأركانه ونظمه ، والوصايا والحكم المتعلقة بذلك ، كما يتحدث عن « الفراسة » في سياسة السلطان وتدبيره ، يتخلل ذلك طائفة من الأمثال والقصص والسوابق .

مسجد تلمسان الكبير

وما زال يقوم في وسط تلمسان مسجدها الكبير التالد ، الذى كان أول من وضع اسمه يوسف بن تاشفين المرابطى ، ثم زاد فيه الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على . بيد انه يدين بضخامته ومعظم اجنحته ، الى اسرة بنى عبد الواد وسلاطينها المتعاقبين ، وهو مسجد ضخم فسيح الجنبات ، ويمتاز بمحرابه الأثرى القديم الذى زوده به الخليفة عبد المؤمن . وتوجد بتلمسان كذلك عدة مساجد أثرية أخرى .

وقد فقدت تلمسان ، كما فقدت بجاية وقسنطينة وغيرها من مراكز الجزائر العلمية، في ظل الاحتلال الفرنسي الطويل المرهق،كثيرا من نشاطها العلمى القديم، ومع ذلك فان تلمسان ، استطاعت حسبما علمت ، ان تحتفظ بجذوة أخيرة من هذا النشاط ، وهى ما زالت كذلك تحتفظ بمستوى حسن من التخاطب باللغة العربية قلما تجده في المدن الجزائرية الأخرى ، وهى اليوم كسائر المدن الجزائرية والمغربية العريقة ، تستقبل عهدا جديدا ، وتتطلع الى احياء ماضيها العلمى الجليل .

محمد عبد الله عنان

أولادنا أكبادنا

● قيل أن معاوية غضب على يزيد فهجره ، فأقبل عليه الاحنف بن قيس وقال : يا امير المؤمنين اولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وارض ذليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ، فان غضبوا فارضهم ، وان سألوا فاعطهم ، وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك . فقال معاوية : يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرئه السلام ، واحمل اليه مائة الف درهم واثوابا وهدايا تسر العيون .

أنباء الطب والعلم والاختراع

الرادار
فى الكشف عن هجرة الطير
الخطرة على الطائرات

● بعض من حوادث الطيران تكون بسبب اصطدام الطائرة، لا سيما النفاثة السريعة، بالطير في السماء. فالصدمة كثيرا ما تكون عنيفة، وكثيرا ما تكون في موضع من الطائرة خطير.

وقد قام مركز البحوث العلمية بكندا بمسح السماء، في الفصول المختلفة، والشهور المختلفة والأيام، ليسجل كثافة الطير في هجرته من الشمال الى الجنوب، ومن الجنوب الى الشمال. وكانت وسيلته في ذلك الرادار والفوتغرافية. والصور المرفقة تصور كثافة الطير كما كشفها الرادار فوق المطارات، وفي طرق تسلكها الطيارات من مطار الى مطار.

واتخذوا من هذه الصور أساسا يتنبأون بناء عليه، بمقدار كثافة الطير المختلفة في الأشهر المختلفة.

وقسموا الصور المأخوذة من حيث الكثافة، الى ثماني درجات، مرفق منها صورة تمثل درجة الصفر، ثم درجة ٤ ودرجة ٦ ودرجة ٨. والدرجات ما بين ٥ الى ٨ تقع في منطقة الخطر.

ودل التسجيل على أن ١١٩ ساعة فقط من الساعات التى جرى فيها التسجيل الرادارى، وهى ٢٠٦٨ ساعة، هي وحدها التي فيها تبلغ التسجيلات من الكثافة حدّ الخطر، اى درجة ٥، ٦، ٧، ٨.

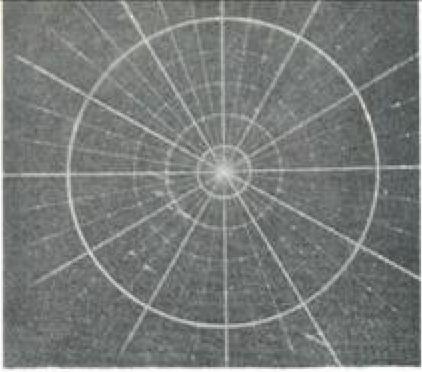
وفي سبتمبر، وهو الشهر الذى تشتد فيه هجرة الطير اكبر اشتداد، وجدوا أن عشرة في المائة فقط من ساعات سجلت فيها كثافات السماء من الطير، هي وحدها الساعات ذات الخطر على الطائرات.

الوطواط ليس أعمى
وفيه ذكاء

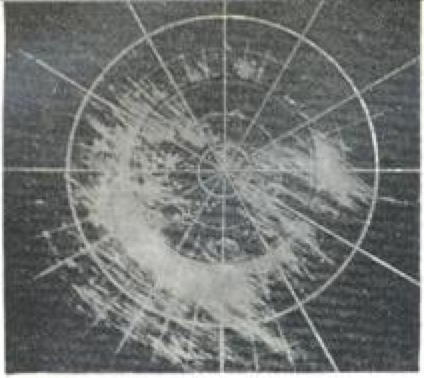
● بحث طريف قامت به احدى الجامعات فى الغرب البعيد.

انها وطاويط من المغرمات برحيق الازهار، واذن فكل شيء حلو.

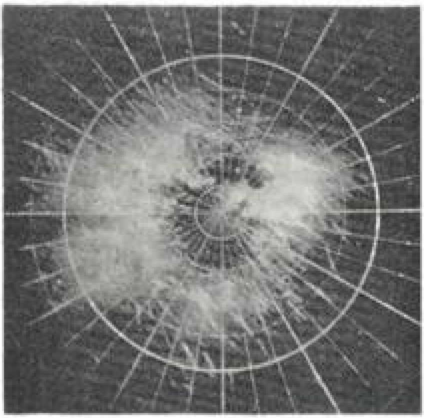
علّمت الجامعة طائفة منها التعرف على وعاء صغير به ماء بسكر، وذلك بوضعه في وعاء من ورائه لون اسود، حوله



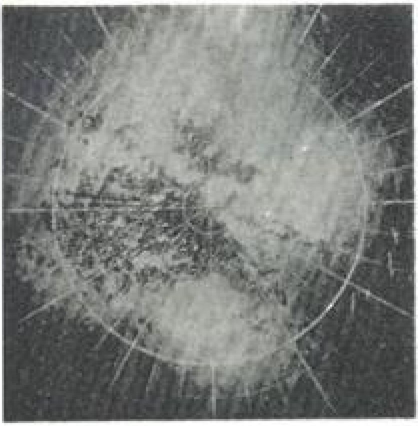
صفر



٤



٦



٨

صور اخذت بالرادار تبين كثافة الطير في السماء ، في فصول هجرته وهي تختلف باختلاف الايام والاشهر والفصول . والكثافة جعلوها درجات من صفر الى ثمان . وصفر ليس فيها طير ، وثمان فيها أكثف الطير . والصور الاربع هنا مرتبة وفق درجاتها : صفر ثم ٤ ، ثم ٦ ، ثم ٨. وتعد الكثافات من الدرجات ٥ الى ٨ اخطر على الطائرات وهي في الجو .

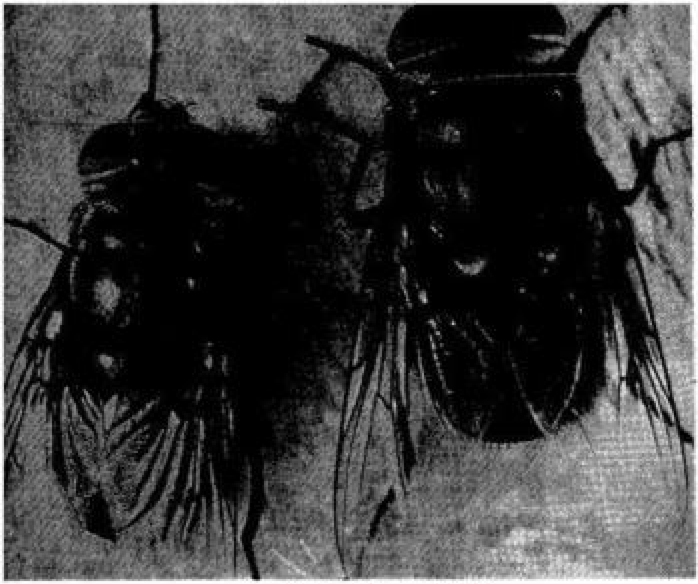
وتنبأوا بناء على هذه التساجيل . وبلغ التنبؤ من الصحة ما بين ٧٠ الى ٨٠ في المائة. فكأنما الطير ، عاداته لا تختلف كثيرا ، من حيث شهر بتخيره للهجرة ، وساعات وايام يفضلها للهجرة من شهر بذاته .

رقعة دائرية بيضاء يغمرها النور . وجمعت بين هذه الأوعية واخرى مثلها الا ان بها بدل الماء الحلو محلولا مرا به الكينا ذائبة ، والرقعة المضيئة حول الوعاء منها ، ليست دائرية الشكل ولكنها مربعة ، يغمرها النور كذلك .

وتعلمت الوطاويط كيف تفرق بين الشكل الدائرى المضيء ، والشكل المربع المضيء ، واذن عرفت سبيلها الى الماء الحلو وتجنبت المحلول المر .

وفي ٨٩ تجربة اهتدى وطواط من هذه الوطاويط الى ماء السكر ٨٣ مرة .

ووضعوا بدل السكر ماء صرفا في نفس هذه الأوعية ، فذهب اليه الوطواط مع ذلك . ومعنى هذا انه بالنظر وحده ، الى الرقعة الدائرية ، كان يهتدي لا بغير ذلك .



الذبابة ذات الدودة اللولبية

بالعقل يفنى الانسان أعداءه من انسان وحيوان

● يفني الانسان الانسان ، بالعقل ، ومع العقل العلم الحديث والتكنية الحديثة .

وكما يفعل الانسان باعدائه من الانسان ، هو يفعل ايضا باعدائه من الحيوان .

وخبر اليوم يتصل بخصومة قامت بين الانسان ، وبين ذبابة من الذبابات ، حشرة من الحشرات .

انها ذبابة تضع بيضها على كل حيوان مجروح ، صغر جرحه او كبر . وحتى لو كان خدشا في الجلد ، او عضة حشرة اخرى . ويفقس البيض فيخرج منه الدود فيأخذ يتغلغل في دم الحيوان ولحمه ، ويعيش عليه ، وهو حي ، حتى ينفق الحيوان .

والذبابة التى نحن بصددها تعرف بالذبابة ذات الدودة اللولبية .

وهي كانت متكاثرة في مرابي الماشية ، في الجنوب الشرقي والجنوب الغربي من الولايات المتحدة .

وكانت هذه المرابي تخسر في العام من الماشية ما قدر بنحو ١٥ مليونا من الدولارات ، وذلك قبل عام ١٩٥٨ ، ذلك العام الذى بدا العلماء فيه يكيدون لهذه الذبابة كيدا .

كانت طريقتهم في التخلص منها طريقة علمية ، طريقة فريدة .

بداوها بتربية هذه الذبابة ملايين ملايين ، في مختبرات خاصة ، مغلقة ؛ لا يدخلها الا مأذون له ، ولا يخرج منها عامل الا بعد استحمامه للتأكد من انه لا يخرج وفي طيات ملابسه من هذا الذباب شيء ، في اى طور من اطواره .

ونحن نعلم ان الذباب ، له اطوار . ذبابة ذات أجنحة ، ذكر ، تلتقي بأخرى انثى ، ثم يكون من هذا اللقاء البيض . ومن البيضة تخرج الدودة . والدودة تتغذى مما تقع عليه (ودودتنا هذه غذاؤها من لحم ودم ، يزودها به المختبر المذكور تزويدا) ، ثم تتحول الى عروس ، ومن العروس الى الفراشة ، ذبابة ذات اجنحة ، الذكر منها يطلب الانثى لتبيض . وهكذا دواليك .

يفعل المختبر بالدودة التي هي موضوع حديثنا كل هذا . حتى اذا بلغت دورة العروس ، وقبل ان تصبح فراشة ، عرضها للاشعاع الذرى الناتج من معدن الكوبلت ٦٠ فتصبح عقيمة ، اذا التقى ذكر منها بانثى لا يكون منهما خلف قط .

ويضعون الملايين من هذه الفراشات

في صناديق ، ثم تحملها الطائرات فتلقيها من الجو على المنطقة الموبوءة . فيلتقى منها الذكر بالانثى ، أو الانثى بالذكر ، واحدهما عقيم فيقل الخلف كثيرا .

وبعد مرة ومرة تنعدم الذرية .

والواقع انهم بداوا هذه المقاومة في عام ١٩٥٨ ، فما جاء الشهر السابع من عام ١٩٥٩ حتى خلت تلك المناطق من هذا الذباب .

ولكن هذه التدابير لا يمكن انهاؤها ، واغلاق ابواب المختبر ، فما دام ان هناك احتمالا بغزوة تأتي من الجيران ، وفي الجنوب مواطن لهذه الذبابة ، كان لا بد من استبقاء هذا المختبر للمفاجآت .

وقد وقعت المفاجاة هذا العام . دخلت الذبابة الى مربى للمواشي في جنوب الولايات ، وادرك الرجل اليقظ الخطر المنذر ، فما اسرع ما جاءت الطائرة تطلق على مرباه الذباب العقيم .

المختبر اذن قائم ، لدفع كل خطر محتمل . وهو ينتج ١٥٠ مليون ذبابة في الاسبوع الواحد ، ويعمل به ٣٠٠ شخص .

وسموا هذه الذبابة بذات الدودة اللوابية ، لان دودتها تحفر في لحم الضحية حفرا كما يحفر اللولب .

ولم تقتصر طريقة التعقيم هذه على دفع شرور الحشرات في هذه الذبابة وحدها ، فقد جربوها بنجاح في حشرات اخرى .

واهم الابحاث الجارية هي تلك التي يحاول العلماء فيها تخليص افريقيا من المرض الفظيع ، مرض ذبابة تسي تسي Tse Tse Fly ، تلك التي تحمل الى الناس مرض النوم المريع . انهم يجربون هذه الطريقة ، طريقة التعقيم ، في ابادة هذه الذبابة ، وهم لو نجحوا في ذلك لخلصوا مساحات هائلة من الاراضي الافريقية ، تبلغ الآلاف من الاميال المربعة لا تصلح اليوم للانتاج بسبب هذه الذبابة ، وهي تصلح كل الصلاح بعد ابادتها .

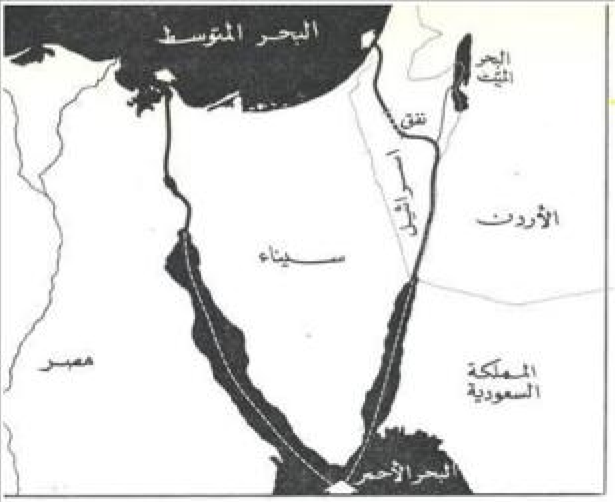
هذا هو العلم ، وهذا هو مطبقا ، ليصلح عليه الحيوان ، وليصلح الناس . وهو علم غربي ، لو قاطعناه كما يدعو الى ذلك فينا غير العارفين ، اذن لجدعنا انوفنا بايدينا ، وما اصاب اهل الغرب من ذلك اذى .



الدود الذي ياكل اللحم

ماشية وقد اخذ الدود يغور في لحمها وياكل منه





قناة سويس اسرائيلية !

بهذا تأتي الاخبار .

لم تأتنا هذه المرة في اخبار النشرات السياسية ، ولكن في النشرات العلمية . واذن لم يقصد بها على الارجح الى الدعاية ، الا ان تكون خفية .

وعلى كل حال من اولى بالاطلاع على امثال هذه الاخبار من العرب ، العرب المثقفين الذين يقراون هذه المجلة . أم يراد ان تغضب اعينهم حتى عن رؤية هذه الامور ، وهي تدق في جذور حياتهم في الصميم ، ثم قد لا يدركونها الا وقد جف الزرع ونضب الضرع ، ويقال ليت وما تنفع ليت .

الخبر اليوم هو خبر اعتزام اسرائيل حفر قناة بين ايلات على خليج العقبة ، واسدود على البحر الابيض المتوسط ، تجرى كلها في اسرائيل .

وقد نشر الاسرائيليون ملخصا من هذا المشروع في المجلة المسماة Technion وفي هذا المنشور قدّر ماير بتس Meir Batz ، وهو المهندس الاول لدائرة النقب التابعة للوكالة اليهودية « ببير سبع » قدر أن هذا القنال يمكن اتمامه في عام ١٩٨١ .

والهدف الذى يستهدفونه من حفر هذه القناة هو ربط البقاع الشمالية المتقدمة بالبقاع الجنوبية الفقيرة !

وعندهم أن قناة السويس الحاضرة ، حتى بعد تكبيرها ، لا تستطيع ان تتحمل مرور القدر الكبير من الحمولة السنوية التى قد تبلغ في ختام هذا القرن ... ٤٠ مليون طن من البضائع التي تحمّل فيما بين البحر المتوسط وافريقيا وآسيا .

واسرائيل تعد القناة التى تخطط لحفرها ذات خطر عظيم بالنسبة لها . وهى تزعم انها قد تتيح الفرصة لاسكان صحراء النقب، ففى قلب هذه الصحراء سوف تجرى القناة مسافة هي ثلثا امتداد اسرائيل من شمال الى جنوب .

وخططوا للقناة ان يكون طولها ٢٨٧ كيلومترا ، وان يكون عرضها ١٤٠ مترا ، وان يكون عمقها ٢٥ مترا .

وهذا يستدعى ازالة ... ١٠ مليون متر مكعب من المحفورات ، وتبلغ النفقة الكاملة ... ٣ مليون دولار ، مع اضافة نحو ٢٥ الى ٤٠ في المائة الى هذا المبلغ نفقات غير منظورة . وتستخدم الذرّة في حفر بعض اجزاء هذه القناة ، على الاخص عندما يزيد عمق الحفر على ٢٠٠ متر . وبهذا تستطيع السفن الى حمولة ... ١٥٥ طن ان تمر في القناة في ٣٦ ساعة .



خمس مشاكل في طريق الزواج

■ هل يستطيع الحب وحده أن يتغلب على أية مشكلة تظهر في حياة الزوجين ؟!

والزواج بصفة عامة لا يخلو من مشاكل ، لان الحياة نفسها سلسلة من المشاكل التى لا تنتهى . ولكن حل هذه المشاكل يعتمد اساسا على مدى ما يقوم بين الزوجين من تفاهم متبادل ، وما يظهرانه من رغبة صادقة في تخطى العقبات ، وما يتصفان به من صبر وجلد .

ولكن ليس هذا هو موضوعنا اليوم . فنحن لا نتحدث عن المشاكل الطارئة في حياة الزوجين وانما نتحدث عن مشاكل ما قبل الزواج .. عن المشاكل الماثلة التى يعرف كل من الزوجين انها هناك .. وبالرغم من هذا يحاولان تجاهلها ،ايمانا منهما بان عاطفة الحب التى ربطت بين قلبيهما قادرة على حل كل المشكلات والتغلب على جميع الصعاب !

خمس مشكلات أساسية

وهناك مشكلات أساسية ، كثيرا ما فشل الحب وحده في حلها ، وغالبا ما تسببت في تقويض دعائم الزواج .. اى زواج مهما بدا سعيدا .. وهذه المشاكل هى :

ـ اختلاف ديانة الزوجين

ـ اختلاف جنسية الزوجين .. فيتزوج الشرقى غربية أو العكس .

ـ وجود فارق كبير في السن .

ـ اختلاف المستوى الاجتماعى وتباين البيئة عند الرجل والمراة .

ـ الزواج الاجبارى ، كان ترغم الفتاة على الزواج من رجل لا تحبه أو العكس .

هذه هى المشاكل الخمس التى قام علماء النفس بدراسة تاثيرها على حياة الزوجين ، وخرجوا من دراساتهم وأبحاثهم بنتيجة هامة ، وهى أن وجود اى مشكلة من هذه المشاكل يحتاج الى جهد كبير وتضحيات مستمرة من جانب كل من الزوجين ، اذا ارادا لزواجهما أن يعيش .. فهى مشكلات قائمة وباقية ما بقى الزواج نفسه .. أى أنها لا يمكن أن تزول ، لأن زوالها يعنى نهاية الحياة الزوجية ..

اختلاف الاديان

ونبدا الان بمشكلة الزواج بين رجل وامراة

يعتنق كل منهما ديانة تختلف عن ديانة الاخر . وقد اثبتت التجربة صعوبة المهمة التى يواجهها الوالدان في اقناع الشاب والفتاةالمتحابين بخطورة المشكلة الناجمة عن اختلاف ديانتيهما ! هذا اذا افترضنا انه كان من الممكن منع هذا الزواج قبل حدوثه . فالخطيبان في هذه المرحلة يؤمنان بان حبهما الكبير قادر على هزيمة اى عقبة تقف في طريق زواجهما وسعادتهما !

وفي هذا الاعتقاد كثير من المغالطة ، لان الواقع شيء يختلف اختلافا اساسيا عن تلك النظريات الفلسفية التى يؤمن بها العروسان قبل الزواج .. ففترة ما قبل الزواج هى اخطر مرحلة يمر بها الخطيبان ، والشاب العاشق لا يرى ولا يسمع الا صوت قلبه ، ولا يقيم وزنا لما يمليه عليه عقله .. وكذلك حال الفتاة التى تعثر على فتى احلامها فلا ترى فى دنياها الصغيرة سواه .

ولكن ، ما ان تنقضي هذه الفترةالتي يستسلم فيها العروسان لاحلامهما ، حتى يجدا نفسيهما وقد استيقظا على الحقائق التى طالما حاولا أن يتجاهلاها ، وتبدأ المشكلة تبرز وتتعقد عندما يصل الطفل الاول .. ان المفروض أن يكون الطفل على دين أبيه . ولكن ماذا يحدث لو رفضت الزوجة . انهما لم يفكرا أبدا في هذا الموضوع من قبل ، ولم يحسبا لهذه اللحظة اى حساب في غمرة السعادة التى كانت تغمرهما !

وهنا يتدخل الأهل .. والد العروس ،ووالد العريس ، وتزداد المشكلة تعقيدا .. وقد يتفق الزوجان على حل وسط ، فيتبع الطفل ديانة ابيه اذا كان ذكرا ، أو ديانة أمه اذا كان انثى!

وقد لا يتفق الزوجان أبدا . فتتحول هذه اللحظة السعيدة التى ينتظرها كل زوجين بوصول طفلهما الاول ، الى ماساة قد تنتهي بالطلاق !



اختلاف جنسية الزوجين

ومثل هذا الزواج بين رجل وامراة لا يحملان نفس الجنسية غالبا ما يخلق مشكلة بعد الزواج. اذ يجد الزوج نفسه ضائما وسط هذا المجتمع الجديد الذى يعيش فيه ، اذا كان قد اختار الحياة في بلد زوجته ، وبين اهلها وذويها واصدقائها .

فالتقاليد تختلف والعادات تتباين وطريقة الحياة نفسها أبعد ما تكون عن تلك التى الفها ! وما يحدث للزوج يحدث للزوجة ، اذا اختارت هى الحياة في بلد زوجها .. بل قد تكون حياتها الجديدة بعيدا عن اهلها وبلدها ، اكثر صعوبة واشد قسوة عن حياته هو بعيدا عن أهله .

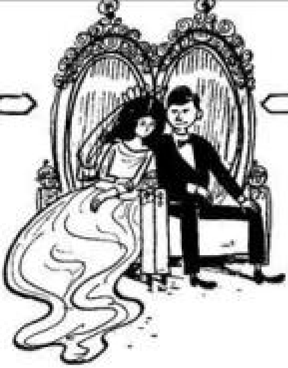
وهنا تبدأ شخصية الزوجين تتغير ، فينتاب الغريب عن بلده منهما ، الشعور بالضيق والملل ، وتتغير طباعه وينعكس شعوره بالغربة على تصرفاته ومعاملته لزوجته . ويزداد حنينه للعودة الىوطنه والى الحياة التى الفها والناس الذين عرفهم وعاش بينهم . وقد يحدث ان يحاول الزوجان في بعض الاحيان ، انقاذ زواجهما من الفشل ، من أجل أطفالهما ، اذا وجدوا ، فيعكف الزوج مثلا على دراسة هذا المجتمع الجديد الذى يعيش فيه مع زوجته ، ويحاول أن يكيف حياته .. وقد ينجح اذا كان قد بلغ مرحلة لا بأس بها منالنضوج العقلى والعاطفى !

اما اذا كانت المراة هى التى اختارت الحياة في بلد زوجها الغريب ، فاغلب الظن أن كل محاولة تبذلها في سبيل التغلب على عواطفها نحو بلدها وأهلها ، سوف تبوء بالفشل .

الفارق في السن

وهذه مشكلة أيضا طالما هددت زيجات كثيرة بالانهيار !

والزواج الطبيعى هو الذى لا يزيد فيه الفرق في السن على خمس سنوات أو نحو ذلك .فالشاب الذى بلغ الخامسة والعشرين يستطيع أن يتزوج فتاة في العشرين أو دونها بغير أن يشعر بحرج على الاطلاق . لان هذه السنوات الخمس التى يكبر بها زوجته هى في الواقع فارق لا بد من وجوده لان آثار الكهولة تظهر في العادة على المراة قبل الرجل .. فالمتبع اذن ان يكبر الزوج المراة ولم



تألف العكس ، سواء في مجتمعاتنا او حتى في المجتمعات القريبة عنا .

وقد يحدث أحيانا أن يزيد هذا الفارق في السن الى عشر سنوات او اكثر ، وهذه ظاهرة خطيرة الى حد ما ، وقد لا يشعر بها الزوجان في بداية حياتهما ، ولكنهما سوف يلمسان آثرها عندما تتقدم بهما السن في الخمسين او الستين .. عندئذ نجد أن نشاط الرجل قد تضاءل وضعفت حيويته بينما تكون زوجته ما زالت تتمتع بنشاطها وحيويتها .

وكثيرا ما نسمع عن شيخ في الستين تزوج من فتاة في مثل سن ابنته ، واقل ما يوصف به مثل هذا الرجل انه غير ناضج . فهو يعلم ان مثل هذا الزواج غير المتكافىء لن يعمر طويلا ، اذ لا بد ان ينتهي ، اما بموته ، أو بموت زواجه نفسه ، واما بفضيحة زوجية !

اختلاف المستوى الاجتماعي

وننتقل الآن الى الحديث عن الرجل الثرى الذى يتزوج من فتاة فقيرة ، محاولا أن يجعل منها « سندريلا » جديدة ، أو العكس !

ان مثل هذا الرجل لا يستطيع ابدا ان يتخلص من الشعور بان ثروته هى السبب المباشر في قبول هذه الفتاة الزواج به . فهو لا يفتأ يسأل نفسه : « ترى هل كانت تتزوجني لو انني لم اكن ثريا ؟ انها لا تحبني وانما هى تحب مالي » !

وكلنا يذكر قصة الثرى الذى كانت تجرى وراءه كل نساء العالم طمعا في ثروته ، فما كان منه الا ان انتحل شخصية سكرتيره ، واستقل طائرة وسافر بعيدا عن بلده ليبحث عن امراة ترضى به زوجا وهو السكرتير البسيط ، فلم يجدها !

اما الرجل الذى يتزوج امراة ثرية فيشعر دائما بانه ليس رجلا ! لان العرف جرى على ان يكون الرجل هو سيد البيت وعائل الاسرة ، اما في حالته هو فالامر يختلف تماما . فالمراة هي التي تأمر وتنهى ، وهى التى تعول الاسرة وتنفق عليها وتتحمل كل مسئوليات الرجل !

وحتى اذا استطاع مثل هذا الزوج أن يشق طريقه في الحياة العملية ، وينجح في وظيفته ، نسبوا هذا النجاح الى نفوذ زوجته واتصالاتها .

وتتم مثل هذه الزيجات عادة وسط أسر ثرية تعاني من عقد نفسية واجتماعية .. أسر انعدمت فيها الروابط التى تجمع عادة بين الأب وأبنائه والام وبناتها .. وابطالها دائما هما الابن المدلل الذى يقع في غرام ممرضته او الابنة التى حبسها والداها حتى لاتختلط بمن هم ليسوا من مستواها.

وتكون النتيجة أن تقع مثل هذه الفتاة في غرام اول رجل تقابله .. وكثيرا ما يكون هذا الرجل هو سائق سيارة والدها !

مثل هذا الزواج .. الفشل هو مصيره المحتوم !

الزواج الاجبارى

وهو ظاهرة خطيرة ما زلنا نعاني منها في مجتمعنا المحافظ . فكثيرا ما يحدث أن يتفق أهل الفتى والفتاة على اتمام مثل هذا الزواج دون أن يعطيا فرصة للعروس بأن تبدى رأيها في الرجل الذى سيشاركها حياتها ، ودون أن يسأل الشاب فيما اذا كان يرضى بمثل هذه الفتاة التى اختارها والداه زوجة له !

ويتزوج هذان « الغريبان » ، ولا تكاد تمر بضعة أشهر ، حتى يشعر الجميع بنتيجة الخطأ الكبير الذى وقعوا فيه ! ولا تلبث المأساة أن تصل الى ذروتها ، عندما تستعد الأم لاستقبال طفلها الاول .. لقد كان المفروض أن يكون هذا الطفل ثمرة الحب الذى يربط بين قلبي والديه ..

ولكنه في حالتنا هذه طفل غير مرغوب فيه .. انه ضحية تقاليد يجب أن يتخلص منها مجتمعنا الذى نعيش فيه .

ترى أى مستقبل مظلم ينتظر هذا الطفل البرىء المسكين الذى حرم من الحب قبل أن يرى النور .. اى مصير سيؤول اليه عندما يفتح عينيه فيجد البيت الذى يضمه وقد انهار وتهدم ؟!

■■

منير نصيف

حنين بن

شيخ المترجمين

بقلم : المحامى سليم طه التكريتى

■ لعبت حركة الترجمة التى ابتدأت فى العهد الاموى ، وازدهرت خلال الحكم العباسى ، دورا بارزا ، بالغ الاهمية فى تطوير الفكر العربي الاسلامي ، وفى ارساء قواعد العلوم التى كانت الاساس القوى الذى قامت عليه الحضارة الاسلامية الزاهرة ، تلك الحضارة التى انطلقت نفحاتها الى أوربا فايقظتها من سباتها العميق ، ونفخت فيها روح النهضة ، وكانت ركنا ركينا من اركان الحضارة الاوربية الحاضرة .

وقد اتسمت حركة الترجمة الاسلامية منذ بدايتها بسمة مميزة لها ، سمة نود لو اخذت الحكومات العربية بها الآن ، واعتمدتها فى عمليات النقل من اللغات الاجنبية الى العربية ، ذلك ان الاهتمام فى عصر الترجمة الاسلامية قد انصب على ترجمة الكتب العلمية فى الدرجة الاولى فلقد اختار المترجمون كتب الطب ، والرياضيات ، والفلك ، والطبيعيات ، والفلسفة ، ففضلوا ترجمتها على سائر الموضوعات الاخرى .

وهذا الاختيار السديد للكتب التى ترجمت هو الذى ارسى القواعد الرصينة للعلوم الاسلامية ، وساعد على تبحر المسلمين وتفوقهم فى ميادين رحبة من ميادين الفكر ، واتيانهم بالعديد من النظريات العلمية ، والاراء الفلسفية الخطيرة ، التي اخذتها عنهم أوربا واقامت عليها أسس حضارتها الراهنة .

بدء حركة الترجمة

بدأت حركة الترجمة فى الاسلام على يد خالد ابن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ هـ ـ ٧٠٤ م الذى استقدم طائفة من علماء الاسكندرية ، وعهد اليهم بترجمة بعض كتب الطب والكيمياء وغيرها . وانتعشت الترجمة فى العصر العباسي على يد ابى جعفر المنصور ، ثم بلغت اوجها فى عهدى الرشيد والمأمون وذلك بتأسيس « بيت الحكمة » الذى كان اول مجمع علمى منظم فى التاريخ .

والذى اتفق عليه الذين ارخوا لحركة الترجمة ان حذاق المترجمين فى الاسلام كانوا اربعة هم : حنين بن اسحاق العبادى ، ويعقوب بن اسحاق الكندى ، وثابت بن قرة الحرانى ، وعمر بن فرخان الطبرى .

نشأة حنين

يعد حنين بن اسحاق من العباقرة الكبار فى علوم الطب والفلسفة ، والترجمة عن اللغات اليونانية ، والسريانية ، والفارسية .

وقد ولد فى مدينة « الحيرة » سنة ١٩٤هـ ـ ٨٠٩م ولقب بالعبادى نسبة الى « العباد » وهم قوم من قبائل شتى اعتنقوا المسيحية ونزلوا فى ظاهر الحيرة وابتنوا لانفسهم فيها قصورا فخمة ونشأ حنين فى الحيرة يعمل مع أبيه فى تركيب ابن ماسويه الذى تولى رئاسة مدرسة جنديسابور سن الطفولة ، كان يضيق بها حانوت صغير فى مدينة صغيرة كالحيرة ولذلك كانت بغداد مطمح انظاره ، وموئل احلامه .

وحين بلغ حنين الخامسة عشرة من عمره كان

اسحاق

العرب

شوقه في الوصول الى بغداد قد اخذ يقض عليه مضاجعه. حتىاذا ما انبأه «حسين» مرشد القوافل ذات يوم انه سيصحبه الىبغداد ان هو اعطاه قنينة من مرهم الكافور ، كاد حنين ان يطير فرحا ، ولم يغمض له جفن في الليلة التي تقرر الرحيل فيها .

بين ابن ماسويه وحنين

كان في بغداد آنذاك الطبيب ابو زكريا يحيى ابن ماسويه الذى تولى رئاسة مدرسة جنديسابور والبيمارستان فيها . وكان جبريل بن بختيشوع الطبيب ـ الذى راس مدرسة جنديسابور قبلا وغدا طبيبا خاصا للخلفاء العباسيين ـ هو الذى ارسل وراء يحيى بن ماسويه يستقدمه الى بغداد حيث قدمه الى بلاط الخليفة المامون فعهد اليه المامون برئاسة قسم الترجمة في «بيتالحكمة» وبذلك غدت دار ابن ماسويه ملتقى الطبقة الخاصة من اهل بغداد .

وحين وفد حنين على بغداد اخذ يتردد على دار ابن ماسويه ، ويستمع فيها بشغف كبير الى كل ما يروى ويقال من الاحاديث .

وفي ذات يوم ثار ابن ماسويه ، وكان مشهورا بسلاطة اللسان ، على الفتى حنين لما ارهقه به من اسئلة فصرخ في وجهه « ما لاهل الحيرة والطب ؟ انت لا تصلح الا لتصريف النقود في الطريق مثل قومك . اترك مهنة الطب فهي مهنة ليست لعبادى ! »

وخرج حنين من عند ابن ماسويه باكيا واقسم ان ينتقم لشرفه وشرف العلم بالعلم ذاته .

وجد حنين ان المامه بعلوم الطب والحكمة يقتضيه ان يشخص الى المواطن الاصلية لتلك العلوم . وسرعان ما شد الرحال الى بلاد الاغريق وآسيا الصغرى فعكف على تعلم اللغة اليونانية وكان في ذات الوقت يجوب الكنائس والاديرة بحثا عن كتب جالينوس ، وابقراط ، وسقراط ، وارسطو ، وافلاطون ، وغيرهم من ائمة الطب والحكمة عند الاغريق .

وبعد أن امضى حنين ثلاث سنوات في الغربة عاد الى بغداد متخفيا في زى كاهن وقد اطلق لحيته وشاربيه .

اتقان اليونانية والسريانية والفارسية

حدث « يوسف الطبيب » فقال : زرت يوما اسحق بن الحسين فابصرت عنده انسانا له شعر قد جلله وستر وجهه . وكان يتمشى وينشد شعرا بالرومية لاوميروس الشاعر ، فشبهت نغمته بنغمة صبى كنت أعرفه فصحت فيه فأجاب » .

واذ تعارفا شتم حنين يحيى بن ماسويه امام يوسف الطبيب لان يحيى كان يقول « ان من المحال ان يتعلم الطب عبادى » . واردف حنين يقول « فانا برىء من ديني ان رضيت اتعلم الطب حتى احكم اللسان اليونانى ، وانا اسألك ان تستر امرى » ويكمل يوسف الطبيب حديثه بقوله « وبقيت ثلاث سنين لم أر حنينا فيها . ثم دخلت يوما على جبريل بن بختيشوع فوجدت حنينا عنده ، وقد ترجم اقساما قسمها بعض الروم في كتاب من كتب التشريح لجالينوس ، وجبريل يخاطبه بالتبجيل فاعظمت ما رأيت . وتبين جبريل ذلك مني فقال لي : لا تستكثر هذا مني في امر هذا الفتى . فوالله لئن مد له في العمرليفضحن سرجيوس .. وكان يقصد بذلك سرجيوس الراسعيني ممن نقلوا علوم اليونانيين الى اللسان السرياني .

ثم خرج حنين من عنده وخرجت من بعده فاذا حنين قائم ينتظرني فقال لي « قد كنت سألتك ستر امرى وانا الان اسألك اظهار ما سمعت من الرئيس جبريل . فقلت أخبر يحيى ما سمعت من مدحك ،فاخرج من كمه نسخة وقال : تدفع هذا الى يحيى فاذا رأيته قد اشتد اعجابه بها اعلمه انها اخراجي »:ففعلت من يومى . فلما

قرأ يحيى تلك الفصول ، وهي المسماة بالجوامع ، كثر تعجبه وقال . ترى أوحى الله في دهرنا الى احد !؟ . فقلت له : كيف ؟ قال : ليس هذا الا اخراج مؤيد بروح القدس . فقلت : هذا اخراج حنين بن اسحاق الذى طردته من مجلسك ،وامرته ان يبيع فلوسا » .

وحدثته عما سمعته من جبريل فتحير ،وسالنى التطلف في اصلاح ما بينهما، ففعلت ، فافضل عليه يحيى واحسن اليه .

ولم يكتف حنين باتقانه اللغة اليونانية الى جانب لغته السريانية التى يحذقها . فقد رحل الى جنديسابور وامضى فيها مدة كافية استطاع خلالها أن يتعلم الفارسية . وانتقل بعد ذلك الى البصرة فلزم الخليل بن احمد الفراهيدي ودرس عليه العربية ثم عاد الى بغداد ليوثق علائقه مع كبار العلماء والاطباء فيها .

اخوة يحبون العلماء

وقام الطبيب جبريل بن بختيشوع بتقديم حنين الى اولاد موسى بن شاكر ، وهم الاخوة الثلاثة محمد واحمد وحسين ، الذين اشتهروا بحبهم للعلم ورعايتهم للعلماء ، واهتمامهم بدراسة الفلك والرياضيات والطبيعيات وغيرها .

وكان أولاد موسى بن شاكر قد جمعوا طائفة من الكتب اليونانية والسريانية واستأجروا المترجمين لترجمتها الى اللغة العربية ، وانفقوا في سبيل ذلك المبالغ الطائلة . وكان حنين على رأس اولئك المترجمين . ونظرا لما لمسه ابناء موسى من نشاطه وعبقريته قدموه الى الخليفة ابى عبد الله المأمون سنة ٨٢٨ م فعينه المأمون مشرفا على ترجمة كتب الطب والفلسفة والمنطق ، واختاره رئيسا لبيت الحكمة .

اشراف واختيار

كان يعمل في بيت الحكمة آنذاك عدد كبير من النقلة عن اللغات اليونانية والسريانية والفارسية وحتى الهندية . وكان حنين يختار لكل واحد من هؤلاء النقلة نوع الكتب التى يترجمها ، ويفتح ما استغلق عليهم من الفاظها ، ويصحح ما يجده من اخطاء في نقولهم .

والى جانب الترجمة نبه ذكر حنين في الطب ايضا . ولذلك اختاره الخليفة المتوكل على الله طبيبا خاصا له بعد أن امتحنه بالضرب المبرح والتعذيب والسجن مدة قصيرة .

كان المتوكل قد استدعى حنينا اليه وبعد ان خلع عليه واقطع له قال له « اريد ان تصف لي دواء يقتل عدوا نريد قتله سرا » فرد عليه حنين يقول « ما تعلمت غير الادوية النافعة ، ولا علمت امير المؤمنين يطلب غيرها » .

ولم يقنع المتوكل بما رد به حنين ولذلك هدده ثم أمر بحبسه حيث امضى فيه سنة كاملة كان خلالها يترجم ويعلق ويفسر وهو غير مكترث بما هو فيه .

وامر المتوكل بعد تلك المدة باخراجه من السجن واحضر سيفا ونطعا وسائر ادوات العقوبات وأموالا كثيرة ثم قال لحنين « هذا شيء قد طال ولا بد لي مما قلته لك فان انعمت فزت بهذا المال وكان لك عندي اضعافه ، وان امتنعت عاقبتك وقتلتك . ورد حنين بما رد به من قبل ، وحين قال له المتوكل « انني اقتلك » اجاب حنين « الله يأخذ بحقي غدا في الموقف الاعظم فان اختار امير المؤمنين ان يظلم نفسه فليفعل » .

وتبسم المتوكل وافهمه أنه لم يقدم على ذلك الا لامتحانه خوفا من ان يكون احد ملوك الروم قد دس له شيئا على يد حنين وقال له « حذرنا من كيد الملوك ، فاردنا الطمأنينة اليك ، والثقة بك لننتفع بعلمك » .

وحين سأله المتوكل عن سبب امتناعه تلبية اوامره اجاب حنين انه « الدين والصناعة . فالدين يأمرنا باستعمال الخير والجميل مع اعدائنا فكيف ظنك بالاصدقاء ؟

والصناعة تمنعنا من الاضرار بابناء الجنس لانها موضوعة لنفعهم ، مقصورة على معالجتهم . ومع هذا في رقاب الاطباء عهد مؤكد بايمان مغلظة ان لا يعطوا دواء قتالا . فلم أر أن أخالف هذين الامرين الشريفين » .

ثروة علمية

خلف حنين وراءه ثروة فكرية هائلة معظمها تمثل ترجمات قام هو نفسه بنقلها لعدد كبير من الاطباء والحكماء الاغريق .

ولما كان حنين يشرف في بيت الحكمة على النقول الى العربية فقد نسبت اليه ترجمة كتب عديدة ترجمها تلامذته . كما أن بعض المترجمين الذين عملوا تحت امرته كانوا يضعون اسمه على بعض ما يترجمون .

ويذكر ابن النديم في فهرسه أن حنينا وضع كتابا ذكر فيه كل الكتب التى ترجمها هو نفسه . ويبدو أن هذا الكتاب هو مجموعة الرسائل التى بعث بها حنين سنة ٨٦٥ م الى علي بن يحيي المنجم ، وهو من المولعين بالترجمة وصاحب مكتبة نفيسة هائلة . وتمثل هذه الرسائل جانبا من حياة حنين ومصنفاته ومترجماته . وقد عثر المستشرق الالماني « برغشتر اسر » على هذه الرسائل في مخطوطة بمسجد ايا صوفيا باسطنبول فقام بنشرها وترجمتها الى الالمانية .

كذلك قام المستشرق الالماني الدكتور ماكس مايرهوف بتحليل هذه الرسائل في مجلة «ايزيس» الالمانية وادخالها مؤخرا في الفصل الذى كتبه في كتاب (تراث الاسلام) الذى اصدرته جامعة اكسفورد سنة ١٩٤٢ .

ويظهر مما عدده ابن النديم ، والقفطي ، وابن ابى اصيبعة ، وابن جلجل ، وغيرهم ممن ارخوا للحكماء والاطباء ، ان حنينا ترجم كل مؤلفات جالينوس ، وسبع كتب لابقراط ، والكتب السبعة التي وضعها بولس الاجانيطي وكتابين لاوريباسيوس وديسقورسدس كما قام حنين بترجمة التوراة اليونانية القديمة المعروفة باسم « السبعينية ... Suptuagint » كما ترجم المقولات ، والطبيعيات ، والاخلاق لارسطو .

عنايته بالترجمة

كان حنين فريد عصره في الترجمة . فهو ذو مقدرة عجيبة في النقل الى اللغتين العربية والسريانية في اسلوب سهل ، خال من التعقيد ، دقيق التعبير ، متحرر من الحشو .

وهذا التفوق الذى اصابه حنين في ميدان النقل قد جعل منه نموذجا نادرا يحتذى حتى صار تلامذته ومترجمون آخرون غيرهم ينسبون اليه ما كانوا ينقلونه عن اللغات الاخرى .

وكان حنين شديد التمحيص والتدقيق في اعمال الترجمة . فكان لا يكتفي بالاعتماد على فصل واحد لما يترجمه . وقد بلغ من شدة اعتنائه بهذه الناحية انه كان يقول « وددت لو كانت لدى دوما ثلاث نسخ يونانية من كل كتاب أنقله ليتسنى لي ان اقابل بينها ، واستخرج منها الاصل الصحيح » .

وهذا هو منتهى الامانة في النقل ، واستقصاء المفاهيم الصحيحة للعلوم .

وبحث عن المؤلفات

وفضلا عن ذلك كان حنين من المجدين في طلب العلم . فماعدا رحلاته العلمية التي قام بها الى آسيا الصغرى ، واليونان ، وايران لدراسة الطب واللغتين اليونانية والفارسية ، قام حنين برحلات عديدة الى الاقطار العربية وبلاد فارس والاغريق بحثا عن المؤلفات النادرة فيها .

ومما يروى عنه انه احتاج مرة الى نسخة من مؤلفات جالينوس فخرج يبحث عنها بنفسه . ويتحدث حنين عن متاعبه في سبيل الظفر بتلك النسخة فيقول . لقد كنت في أشد الحاجة اليها فسافرت بحثا عنها من العراق الى سوريا وفلسطين ومصر حتى وصلت الى الاسكندرية لكنني لم اوفق في العثور عليها اللهم الا نصف كتاب منها وجدته في دمشق .

ويبدو فضل حنين بارزا اذا ما علمنا ان سبعة من كتب جالينوس في علم التشريح قد ضاعت اصولها اليونانية لكنها عادت الى الظهور ثانية بفضل ترجمة حنين لها وهكذا تم الحفاظ على كل مؤلفات هذا الطبيب الاغريقي .

نهاية مفجعة

كانت نهاية حنين مؤسية مفجعة مثل نهاية اضرابه من عباقرة الفكر واساطين العلم في الغرب والشرق معا .

فقد دفعت الغيرة من علو منزلته ونباهة ذكره حساده الى الوشاية به عند المتوكل ، وايغار صدره عليه وكان (الطيفوري) ـ وهو طبيب نال مكانة لدى المتوكل ـ من اشد حساد حنين والمعادين له وقد دبر له مكيدة كان من نتيجتها ان أخذ المتوكل يشك في اخلاص حنين له ويرفض كل دواء يصنعه له مالم يشرف (الطيفوري) عليه .

وعز كثيرا على حنين ان تنطلي المكيدة على الخليفة، وان يهبط في عينه ، وفي الليلة التي احبك فيها الطيفوري مكيدته تلك في حضرة المتوكل ، عاد حنين الى داره مهموما فامضى ليلته تلك في غم شديد وتوفي فيها ، وقيل انه انتحر بتناوله السم فيها وهي ليلة الثلاثاء السادس من شهر صفر سنة ٢٦٠ الهجرية الموافقة لليوم الاول من شهر كانون الاول سنة ٨٧٢ الميلادية . ■■

بغداد : سليم طه التكريتي

أول صيدلية في بغداد

■ لعل ازهى القرون بالمدنية العربية الاسلامية كان القرن الواقع بين عام ٧٥٠ وعام ٨٥٠ ميلادية (١٣٣ ــ ٢٣٦ هـ) ، وهو القرن الاول من الدولة العباسية .

وبدأ القرن بالترجمة ، وبدأ بالنقل ، واهتم خلفاؤه الاولون ، لا سيما هارون وولده المامون ، بكافة شئون المعرفة والفنون .

ومن بين ذلك كان الطب .

فتح العرب مدينة جنديسابور بفارس ، ووجدوا فيها جامعتها الكبرى ، فلم يمسوها ، بل اعانوها على البقاء وعلى الحياة . ولهذا لم تلبث ان صارت مركزا لعلم الطب كبيرا . صارت اكبر مركز تركز فيه الطب فى الدولة العربية كلها .

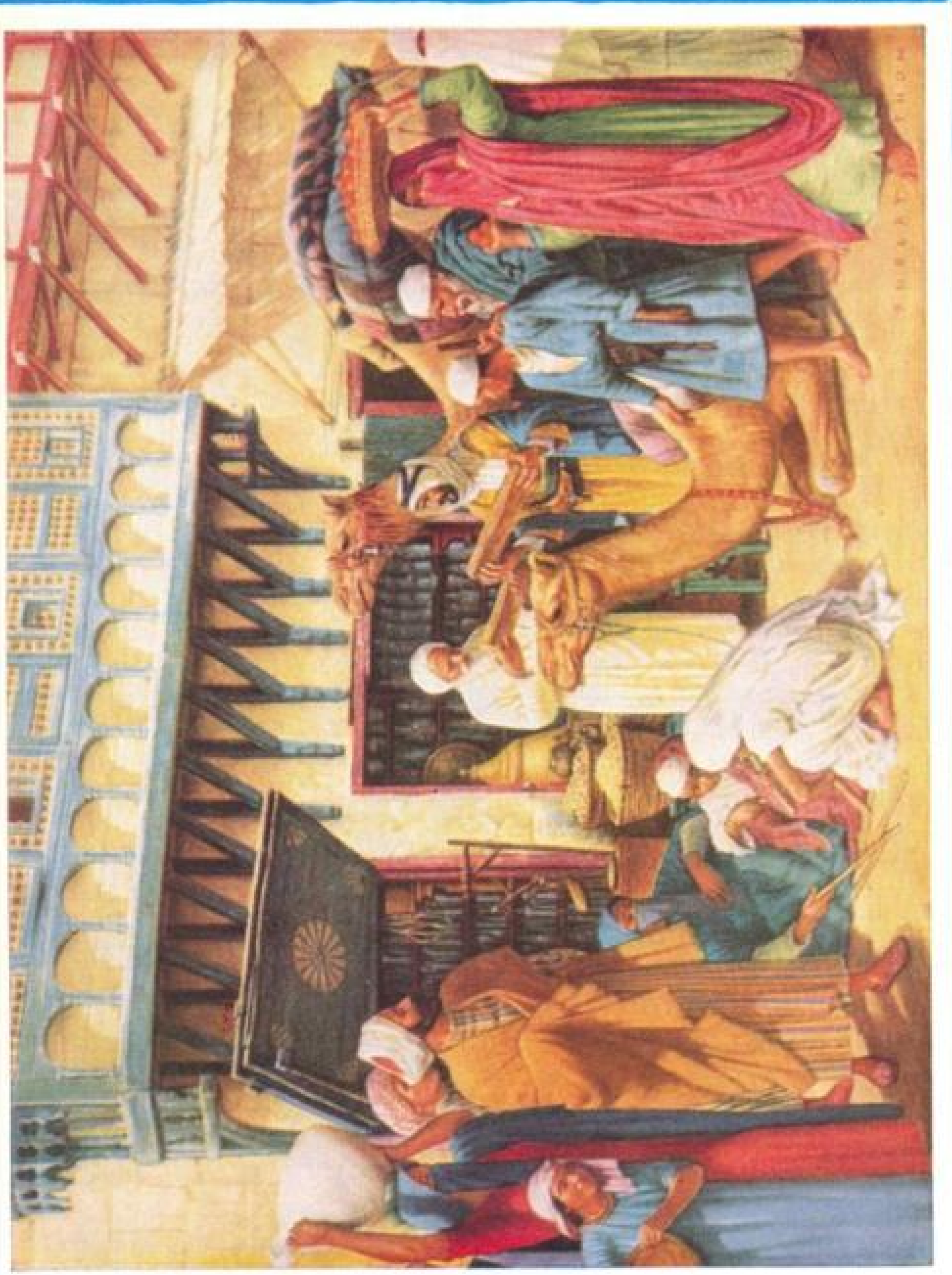
وزاد فى رحابة صدر العرب المسلمين ان مدرسي هذه الجامعة كانوا مسيحيين ويهودا . ورضي الشباب العربى بالقعود الى هؤلاء العلماء يسمعون ويعون ، ثم هم الى بلادهم يسعون فى نشر ما علموا . حتى كان منهم علماء ، وكان اطباء . ثم اخذت بغداد تستهوى هؤلاء العلماء والحكماء والأطباء من جنديسابور ، حتى عمرت بهم ، واحتلت هي مكان الصدارة ، فى طب وغير طب ، فى الدولة الاسلامية .

ولم يات عام ١١٦٠ ميلادية (٥٥٥هـ) حتى كان في بغداد نحو ٦٠ من المستشفيات . ودستور العقاقير الثانى ، او الفرماكوبيا الثانية التى نزل الينا علمها مع القرون ، صدرت هناك ، فى بغداد . اصدرها فى بغداد احد مستشفياتها ، وذلك فى عام ٨٦٩ ميلادية (٣٨٣ هـ) .

وكانت العقاقير عند ذلك اعشابا طبية ، ومستحضرات نباتية .

وانت واجد فى الصورة المقابلة صورة خالها فنان شركة بارك دافيس لأول صيدلية للعقاقير ظهرت فى بغداد ، فى اوائل الدولة العباسية . وسنتابع امثالا لهذه الصورة .

●●





★★ كيف يتم تحويل النكسة الى انتصار ★★

عن مجلة « الطليعة » السورية :

● لا شك أن المقابلات والمحاورات الجارية الآن بين قادتنا ، ظاهرة تدل على حيويتنا وقدرتنا على التحرك ، ولا شك أن هؤلاء القادة يعرفون ماذا تنتظر منهم أمتهم بملايينها المائة .

ان أول ما تنتظر منهم امتهم أن يرتفعوا فوق جراح النكسة ، وخلافات الماضي ، وفوق كل الانانيات للوصول الى بناء كيان يقود امتنا الى النصر ، ويتناسب مع الفرصة الرائعة المتاحة لنا الآن لتحقيق الكثير من أهدافنا التى عجزنا في حالة السلم عن تحقيقها . نريد منهم أن يوضحوا ويحددوا لنا طريق النصر ، وأن يصنعوا الخطط اللازمة ، ثم يشركونا في تحمل نتائج التنفيذ على ان تكون هذه الخطة بمستوى ما يقابلنا به الأعداء من ذكاء وقوة وقدرة على الخديعة .

ان أعداءنا هم المستعمرون والصهيونيون : الاولون ، يريدون الاستيلاء على ثرواتنا وتحويلنا الى مجموعة من الرعاة والحراس لثرواتنا الطبيعية ، والآخرون يريدون الاستيلاء على أراضينا ، وتحويلنا الى طبقة من العبيد ، ولكن كي ننتصر على هؤلاء جميعا ، لا بد لنا من استخدام العلم ، فالعلم وحده ، هو الطريق للقوة ، وهو الطريق للنصر .

★ الشخصية العربية بين المراهقة الفكرية والنضوج الفكرى ★

عن صحيفة « الجمهورية » القاهرية :

● لم يعد هناك جدال على أن الذاتية العربية هى العامل الحاكم في معركة النضال الثورى ، كما لم يعد هناك خلاف على أن الشخصية العربية ، هى وحدها القادرة على تحويل دروس النكسة ، الى طاقات مدخرة ، تمكنها من التغلب على هذا الشرخ الذى أصاب كيان الوطن ، في مرحلة من أهم مراحل تطوره الحضارى .

واذا كانت الثورة هى علم تغيير المجتمع ، فان الدروس المستفادة من شأنها العمل على تطوير الشخصية العربية الفكرى ، ونقلها من مرحلة المراهقة الفكرية الى مرحلة النضوج الفكرى ، شخصية تتصف بالمرونة وسرعة التكيف ، وبالقدرة على التحرك السريع من موقع الى موقع ، ومن تجربة الى تجربة ، وبهذا فقط تتمكن الشخصية العربية من مجابهة هذا التحدى السافر لارادتها ولاهدافها ومن اجتياز هذا الامتحان القاسي الذى قضى عليها أن تؤديه ، اختبارا لمعدنها ، وتدريبا لقدراتها ، وهى في سبيل ذلك لا بد لها من أن تتحمل مشقات وصعاب سنوات طويلة عجاف ، سنوات تكون لنا فيها جميعا قبلة أخرى الى جانب تلك القبلة التى تعودنا الاتجاه اليها في كل صلاة ..

والشخصية العربية في حاجة الى مراجعة لسماتها وملامحها في هذه المرحلة بالذات ، فهى حين تخوض معركة النفس الطويل ، تدرك تماما أنها تخوضها لا من أجل الانتقام وحده بل من أجل الحياة ذاتها .. ومن أجل مواصلة ما انقطع من حركة البناء .

★★ العمل العربى الموحد ★★

عن صحيفة « الجمهورية » العراقية :

● ان النكسة في تاريخ الأمة « أى أمة » لا بد أن تتفاعل مع آمالها وأمانيها ، لتعكس فيها حوافز جديدةخلاقة تقودها الىطريقالنصر.وتاريخ أمتنا العربية حافل بانتصارات باهرة ، حققتها في مراحل مختلفة من تاريخ كفاحها الطويل .

وان استقراء عابرا لظواهر انتصاراتها وينابيع دفقها وحوافزها ، ليجلو لنا بان العديد منها كان حصيلة نكسات ألمت بها في فترات متفاوتة من تاريخها ، ولكنها عركتها بايمانها العميق وجهادها الصابر بوعى متفتح يلوك النكسة لينطلق منها الى أبواب واسعة وآفاق رحبة .

يجب أن تكون لقاءات اليوم، لا كلقاءات الأمس، لقاء يغايرها في كل أغراضه ودواعيه . لقاء اليوم يجب أن يكون لقاء تخطيط موضوعى لكفاح مشترك يتناول أبعاد النكسة بوعى ويتدارس آثار العدوان بعمق ، ويقيم مواقفنا السياسية والعسكرية والاقتصادية ، ويخطط للطريق التى يتحتم على الأمة سلوكها لتنهض بمسئولياتها الكبرى .

ان الواقع العربى يدعو القادة والملوك والرؤساء الى تناسي خلافاتهم ونبذ حزازاتهم ، وأن تكون هذه اللقاءات عربية شجاعة ، لا لقاء عاطفة ومجاملة والتزام ، نريدها لقاءات داعية تنعقد في ساعة شجاعة تتفتح فيها النفوس صافية تتلمس الحقيقة والواقع الذى نعيشه بعمق وادراك ، نريده لقاء عربيا ينعقد في رحاب صحوة الضمير العربى ، قلبا وقالبا ، وروحا واحساسا .

ان الظروف والوقت يا قادة ، يتطلب مبادرة بناءة سريعة لعمل عربى موحد ، يلملم الشعب ، ويرأب الصدع ويوحد الصف . فقدراتنا كبيرة ، وأسلحتنا في المعركة كثيرة ، ومصادرنا عديدة ، فلنكن شجعانا ولو فيساعة تقرير المصير ،نستخلص العبرة من النكسة ، ونستلهم العدة للنصر .

★★ الصناعات الثقيلة فى الوطن العربى ★★

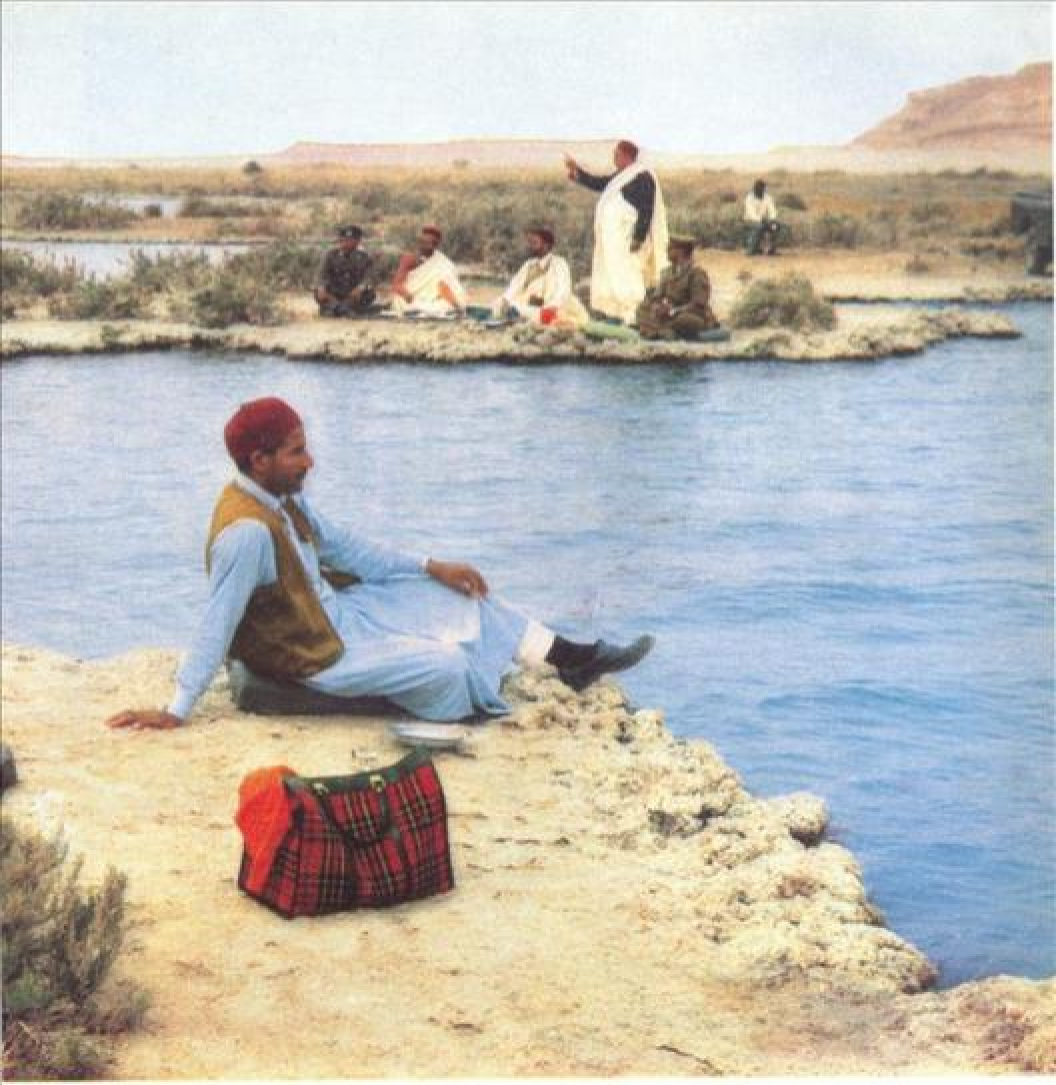
عن صحيفة « الانوار البيروتية »

● حديثنا اليوم هو حول انشاء صناعات ثقيلة في وطننا العربى ، تقوم على المواد التى تحويها أرضنا ، ونبنيها بأيدينا ، ونستعملها في حياتنا ، على أن تتعاون حكوماتنا وشعوبنا من أجل انجاح هذه الصناعات .

ان من أهم ما نستعمله في حياتنا في هذا العصر وسائل المواصلات ، وأهمها السيارة ، ولا شك أننا في جميع أوطاننا نستعمل ملايين من هذه السيارات التى نستوردها من جميع أنحاء العالم وندفع ثمنها عملات صعبة كان من الممكن أن تخلق فوق أرضنا مجالات واسعة للعمل لمواطنينا . ومن المعلوم أن في الجمهورية العربية المتحدة مصنعا للسيارات قام بناء على اتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة وشركة « فيات » الايطالية لصنع سيارات « نصر » للركاب ، وكذلك سيارات كبيرة للنقل ، كما يوجد فيالجزائر مركز تجميعلسيارات « رينو » الفرنسية ، ومركز لتجميع سيارات « بيرلييه » للنقل .

فاذا أردنا أن نقيم اقتصادا سليما يكون أساسا لتحرير أراضينا من الاستعمار والاستغلال ، فلا بد من أن نوجه مجهوداتنا لتوطيد وحدتنا الاقتصادية ، والمخلصون من أبناء وطننا الذين أعطاهم الله المال الكثير يستطيعون أنياتوا بأموالهم من الخارج ليشتركوا في توسيع هذه المصانع والاكثار منها ، بحيث تتمكن من انتاج جميع السيارات، وخاصة سيارات الركاب التيتستعمل في الوطن العربى ، وكذلك سيارات النقل .

ان هذه فكرة بسيطة ، ولكنها أساسية اذا أردنا أن نستفيد من النكسة ، واذا ما تعهدت كل حكومة عربية باستيراد عدد معين من هذه السيارات كل عام ، أمكن لهذه المصانع ، وما قد يقوم في المستقبل من أمثالها في بعض البلدان العربية الأخرى ، أن تنشط وتنمو وتكبر .

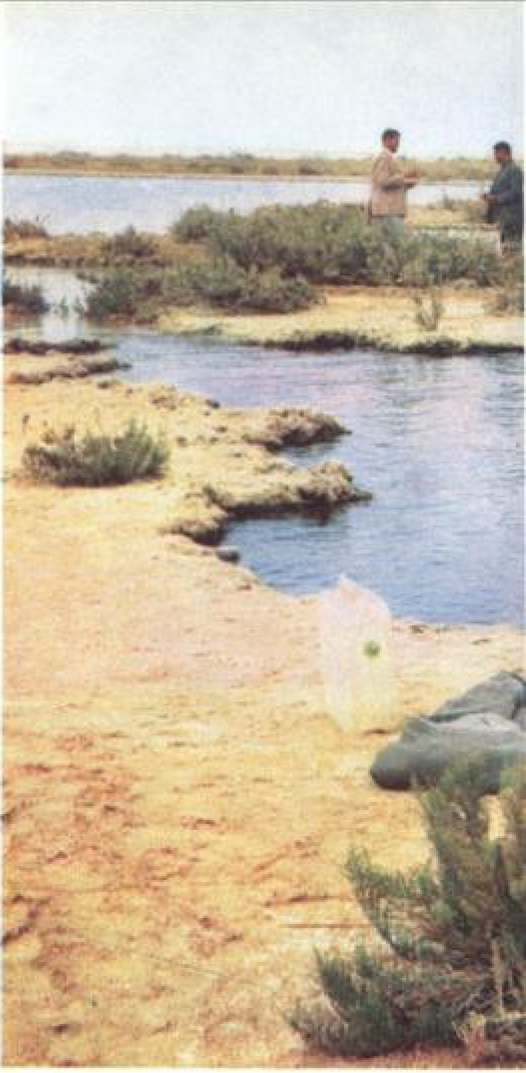


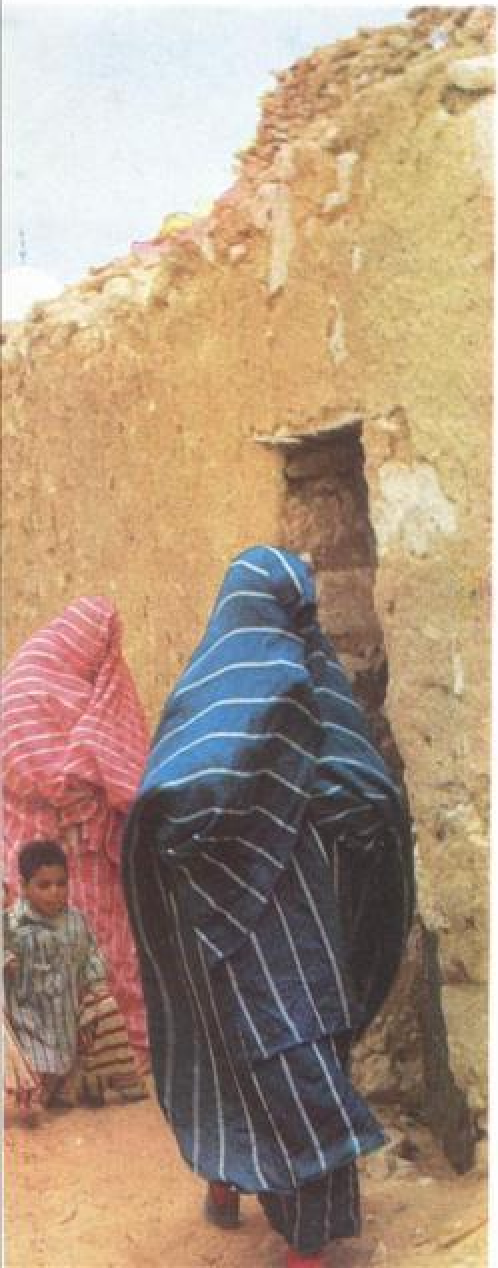
اعرف وطنك أيها العربي

الجَغبُوب

وَاحَةٌ مَنسِيَّة ، في الصَّحراءِ اللّيبيَّة

الجغبوب هى مفرد كلمة الجغابيب اى المنخفضات التي فيها عيون ماء ومستنقعات ، مثل الصورة التي الى اليمين .. والى اسفل بعض نساء الواحة يسرن بين المنازل القديمة وهن مرتديات الملاءات الملونة التي تغطيهن تماما ..





قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

اوسكار مترى

■ لا تكاد تخطو أول خطوة في واحة الجغبوب ، حتى تشعر وكأنك قد اخترقت حجب الزمان التى تعيدك الى عالم لا يمت الى دنيانا المعتمدة على المادة والكماليات.. عالم التعبد والروحانيات..!

انها دنيا أخرى .. ومجتمع يندر وجوده في عصرنا الذى امتلأ بالصخب والضجيج .. عالم يغار على ماضيه ، ويصر على التمسك باسلوبه الخاص في الحياة ..

الفلقة والكرباج !

فبعد الانتهاء من اداء صلاة الفجر وتلاوة الأوراد ومراجعة الدروس في المسجد ، تتحول الجغبوب الى معهد كبير للعلم .. وينقسم رجالها وشبابها الى قسمين : طلبة يتعلمون .. واساتذة يُعلّمون !

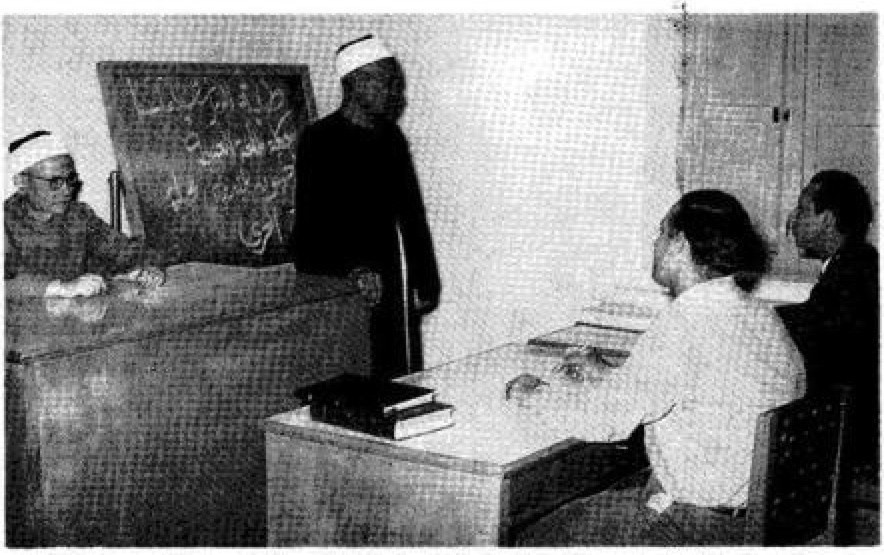
فالتعليم في الجغبوب هو كل شيء في حياة سكانها .. وهو تعليم دينى مقصود على الرجال فقط .. ويبدأ في « الكتّاب » حيث يتجمع الأطفال على الارض امام المدرس ، الذى ما زال يستعمل « الفلقة » والكرباج لمعاقبة التلميذ المسيء .. ومدة الدراسة في هذا « الكتّاب » خمس سنوات يحفظ خلالها التلميذ القرآن الكريم عن ظهر قلب ..

وبعد حفظه للقرآن ينضم الى المعهد الفرعي فيتعلم فيه بضع سنوات ، قبل سفره الى المعهد النظامي التابع للجامعة الاسلامية في مدينة البيضاء .. لاستكمال تعليمه الابتدائي والثانوي هناك .

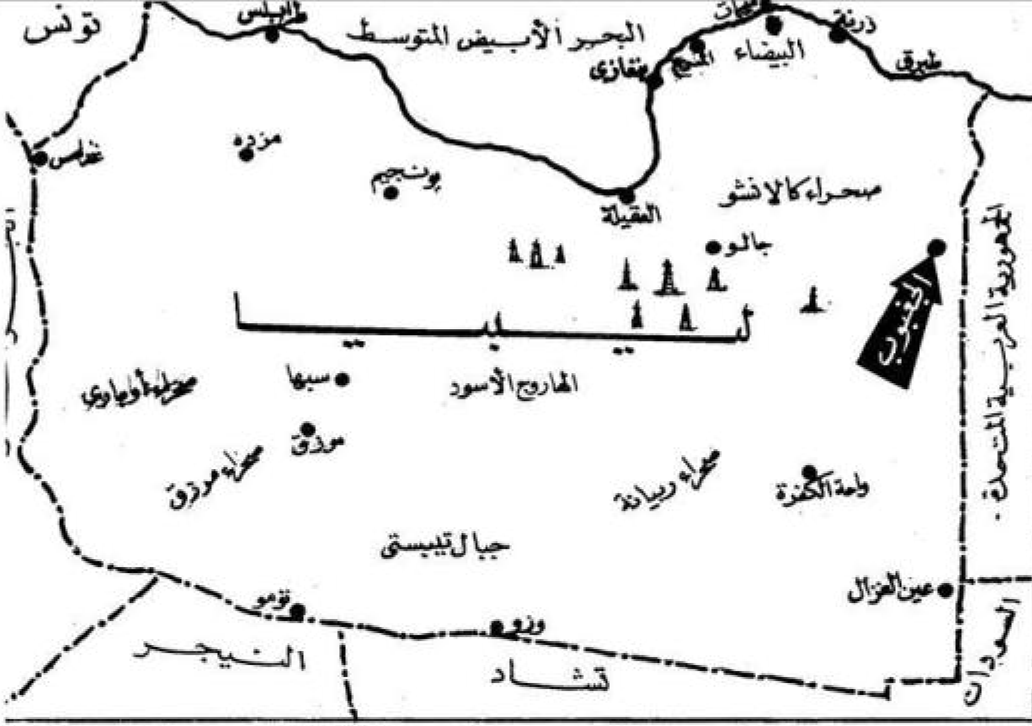
أساتذة من الأزهر

وفي شهر مارس من هذا العام ١٩٦٧ افتتح في الجغبوب قسم للدراسات العليا تابع لجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية ، ولا يقبل فيه الا حامل الشهادة العالية من الجامعة الاسلامية بدرجة جيد على الأقل ..

لقد بدأ تعليم الدراسات العليا في كليتين ، واحدة للشريعة ، واخرى للغة العربية .. وعدد الطلبة فيهما ١١ طالبا ، يقوم بتدريسهم أساتذة متخصصون ممن شغلوا مناصب رئيسية بجامعة الأزهر بالقاهرة ، ومنهم من كان عميدا ومنهم من كان وكيلا ومنهم من كان أستاذا كبيرا .. وعددهم اربعة وينتظر أن يصبحوا ١٨ أستاذا في مطلع هذا



استاذان وتلميذان .. انهم باكورة العمل في كلية اللغة العربية التى افتتحت هذا العام في واحة الجغبوب .. ويتلقى الطالبان دروسا في النحو والصرف والعروض .



توضح هذه الخريطة موقع واحة الجغبوب بين مختلف مدن المملكة الليبية .. وبجوارها ظهرت حقول النفط ، الذى اكتشف في شهر يونيو ١٩٥٩ ولكن تصديره لم يبدأ الا في عام ١٩٦١ . وليبيا هى ثالث الدول العربية حجما اذ تبلغ مساحتها ١ر٧٥٩ر٥٠٠ كيلو متر مربع ، بينما عدد سكانها ١ر٥٥٩ر٣٩٩ نسمة فقط ، (احصاء ١٩٦٤) اى اقل من شخص لكل كيلو متر مربع !

العام الدراسى ، بعد افتتاح الشعب الجديدة فى الكليتين .

طلبة فى الدرجة الرابعة !

ولا تكتفى الحكومة الليبية بجعل الدراسة مجانية فى الكليتين ، وانما تقدم مكافأة تشجيعية كبيرة للطلبة تصل الى ما يوازى أكثر من ٧٠ جنيها ليبيا فى الشهر ، وهو يقارب مرتب موظف الدرجة الرابعة هناك ! .

وما هذا التشجيع الا لاعادة المجد العلمى القديم الذى كانت تشتهر به الجغبوب ..

حر وبرد وتقاليد وعادات !

والحياة فى الجغبوب ليست سهلة أبدا ، فالتقاليد والعادات ، وطريقة الحياة نفسها ، وحرارة الجو التي ترتفع صيفا الى نحو ٤٨ درجة مئوية وتنخفض شتاء الى نحو درجة الصفر ، كلها عوامل تعرقل الى حد ما التطور الطبيعي لمجتمع الجغبوب ، وتؤثر تأثيرا مباشرا على القادمين الجدد ، سواء كانوا من الطلبة او الأساتذة ..

سوق فى سيارة !

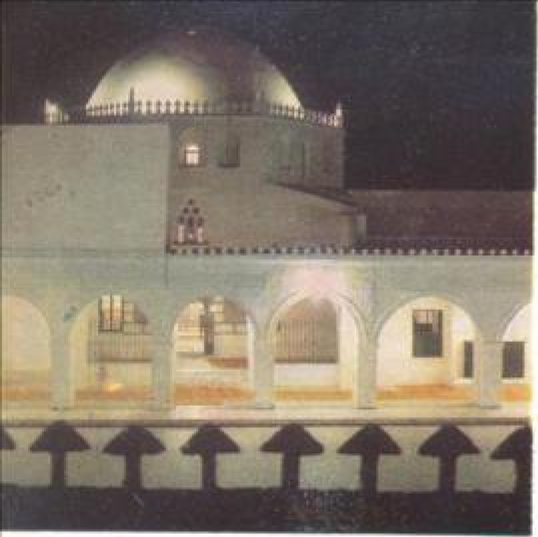
فالاساتذة الذين يذهبون الى المعاهد الثلاثة الموجودة في الجغبوب لتعليم الطلبة ، لا يكرسون كل وقتهم للعلم والتعليم ، بل يوزعونه بين القاء الدروس ، وبين شراء حاجيات المنزل ، من سيارة النقل الوحيدة التى تحمل الخضراوات والفواكه من طبرق الى الجغبوب مرتين في الاسبوع !!

والاسعار فى الجغبوب مرتفعة ، فلحم الضان والماعز يباع بتسعين قرشا (٩٠٠ فلس) او (١٨ شلنا) للكيلو جرام الواحد ، والموز والتفاح والطماطم يباع الكيلو منها بعشرين قرشا (٢٠٠ فلس) .

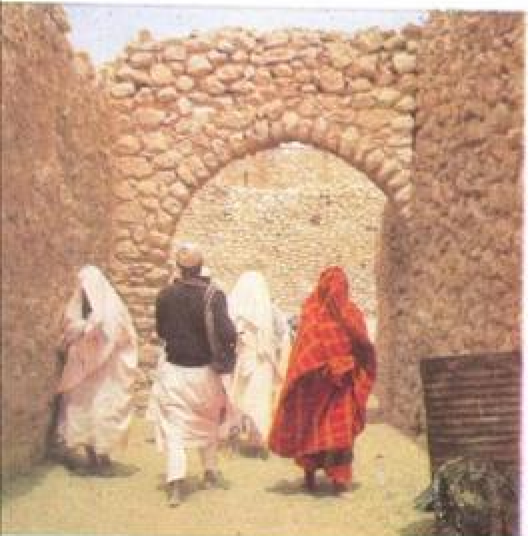
ان اهل الجغبوب يعتمدون على هذه السيارة

الى أسفل : صورة رائعة لضريح السيد محمد السنوسي التقطها مصورنا من القبة العالية المطلة على الضريح الذى يحيط به سياج من النحاس يقف خلفه الناس لقراءة الفاتحة والترحم على روح الفقيد الكبير .. لقد اصبح هذا الضريح جزءا من الزاوية السنوسية ، أى المركز السنوسي في الجغبوب . وتتكون الزاوية ، عادة ، من بيت خاص لرئيسها ، وآخر للضيوف (مضيفة) ، وحجرات لنوم الفقراء وعابرى السبيل ، وحجرات خاصة بالاولاد الذين يتعلمون القرآن ، ومسجد للصلاة ومخازن للتموين ، وبستان لزراعة الخضروات الضرورية .. ويوجد حاليا أكثر من مائة زاوية منتشرة في ليبيا وبعض البلاد العربية،تؤدى مهمة جليلة اذ تقوم باطعام الفقير وايواء عابر السبيل،وتعليم الصغار كتاب الله ومبادىء علوم الدين ، ويقوم رئيس الزاوية بفض الخصومات وحل المشاكل المعقدة بين الناس..





الى اليسار : ما يكاد الليـــل يرخي سدوله على الجغبوب حتى تسلط الاضواء الكاشفة على الجدران الخارجية للمسجد : وقبة ضريح السنوسي الكبير ، فيشهدهما السائر من مسافة بعيدة ، فيسترشد بهما وهو سائر وسط رمال الصحراء ..



الى اليسار : ما زالت الجغبوب القديمة ،التي شيدها السنوسي الكبير ، قائمة الى اليوم على نفس النمط الذى كانت عليه منذ اكثر من مائة عام .. وهذه الصورة توضح احد الازقة القديمة ، التي يسير فيها بعض الاهالي من الجنسين .. وهي من الصور النادرة اذ ان المرأة لا تسير خلال ساعات النهار الا للضرورة القصوى ! .



الى اليسار : كان السنوسي الكبير يحبب الزراعة لاتباعه ، ويقول لهم : **« الدرر في غرس الشجر »** وكان يوم الخميس من كل اسبوع مخصصا للعمل الزراعي أو الصناعي .. اما اليوم فقد غطت الرمال المتحركة عبر السنين الاشجار والنخل التي زرعها السنوسي الكبير في الواحة ..



لتمدهم بحاجتهم من الخضراوات ، لان الزراعة فى الواحة شبه مهجورة ولا تحظى بعناية ، يستثنى من ذلك بعض مزارع (الخاصة) التي تزرع ببعض أنواع الخضار ، فضلا عن البرسيم والتمور وان كانت كميات هذه وتلك ضئيلة جدا ..

ولا يكاد الأستاذ ينتهى من شراء ما يحتاج اليه حتى ينقل الحاجيات الى منزله ويعود لمتابعة القاء دروسه على الطلبة ! .

مسكينة المراة !

وهنا نتساءل : اين المراة ؟ .. واين دورها فى هذا المجتمع الذي يُبنى من جديد فى الجغبوب ؟ .

ـ « ان مكانها فى البيت لا تبرحه ! » .

ويقول أهل الجغبوب : ان المراة الفاضلة هي



من طبرق تأتي هذه السيارة الى الجغبوب مرتين في الاسبوع محملة بالخضر والفاكهة .. ويظل صاحبها واقفا بجوارها حتى ينتهي من بيع بضاعته .. ويقبل الاهالى بشدة على شراء الموز والبرتقال .

التي لم يقع على وجهها أبدا ضوء الشمس !! .

وسألناهم عن عملها وتعليمها .. فاجابوا : الجلوس فى البيت لتتعلم المهن المنزلية !! وهي لا تذهب الى المدارس ، ولم تتلق أى نصيب من العلم ، حتى المدارس القرآنية الخاصة للأطفال مُحرمة عليها ..

الأكل منفصل

ليس هذا فحسب ، بل هناك أيضا تقاليد وعادات تلعب دورا هاما فى تحديد شخصية المراة فى هذه البقعة من الأرض العربية ..

فقد قال لنا كبار أهل الجغبوب : « لم يحدث أبدا فى تاريخ الواحة ، أن جلست امرأة على مائدة واحدة لتأكل مع زوجها .. فالزوج يأكل مع أولاده .. والأم تأكل مع بناتها .. وفى حالة عدم وجود أبناء فان الزوج يأكل وحده ، والزوجة تأكل وحدها .. تأدبا وحياء ! » .

وهي قابعة طول النهار فى بيتها ، فلا تخرج منه الا عندما تغيب الشمس ، حينئذ تبدأ تتسلل من منزلها لزيارة صديقاتها ، فتسير مغطاة تماما ، وكأنها شبح يتحرك بين الأطلال التي تزدحم بها الجغبوب ! ؟ .

الغناء والزمر .. ممنوعان !

ولا تتزوج الفتاة الصغيرة قبل أختها الأكبر سنا ، والسن العادية للزواج هي ١٦ سنة للفتيات و ٢٠ سنة للرجال .. ولا يرى « العريس » عروسه قبل الزواج ، وانما تختارها له أخته أو أمه . والوالد هو الذى يخطب لابنه .. ولا يتعدى المهر ٦٠ جنيها .. وتستمر ليالى الفرح سبعة أيام اذا كانت العروس بكرا ، واذا سبق لها الزواج فان أيام الفرح تنخفض الى ثلاثة فقط ! .

ويطلق على الليلة الأولى كلمة « الرّمّي » وهي التى يحمل فيها أهل العريس الملابس والحلى والسمن والأرز وبعض الأغنام الى بيت العروس .. والليلة الثانية يطلق عليها « ليلة الحنة » وتأتى فيها أم العريس مع نساء الحى لتخضيب يدى العروس وقدميها بالحناء الحمراء ، وسط قرع الدفوف دون عزف على مزمار أو غناء ، فهما



علي حماد اتم تعليمه في معهد الجغبوب ثم ذهب في دورة الى بنغازى للتدرب على الرصد الجوى، وعاد الى الواحة ليعمل في مرصدها الذى افتتح منذ ثلاث سنوات .. واقصى درجة حرارة سجلت هى ٤٨ درجة مئوية ، اما الامطار فشحيحة لا تزيد عن ٢ مليمتر ، واحيانا لاتسقط طوال العام .



يانج جن كونج : الطبيب الصيني الذى يعمل في الجغبوب منذ ١٣ شهرا ، لقد اعلن اسلامه بعد ان قضى عشرة شهور فقط في الجغبوب .. انه يعالج الرجال في الصباح ، والنساء في الليل بمعونة زوجته التي تعمل ممرضة معه ، واكثر الامراض انتشارا هيالدوسنطاريا والعيونوالبرد.

ممنوعان في الجغبوب ! .. حتى الراديو لا يفتح الا لسماع نشرات الأخبار ! .

والليلة الثالثة تدعى « ليلة كابوسة على أهل العروسة » لان نساء أسرة « العريس » يأتين لأخذ العروس من بيت أبيها الى بيت زوجها !!.

وبعد الزواج تجلس الزوجة في بيتها تقوم بكل عمل ، فهي التي تطهو الطعام .. وهي التي تغسل الملابس .. وهي التي تنظف الارض وتمسحها .. وهي التي تغزل الصوف لتصنع منه ملابسها وملابس زوجها واطفالها !! .

وعد للعربي

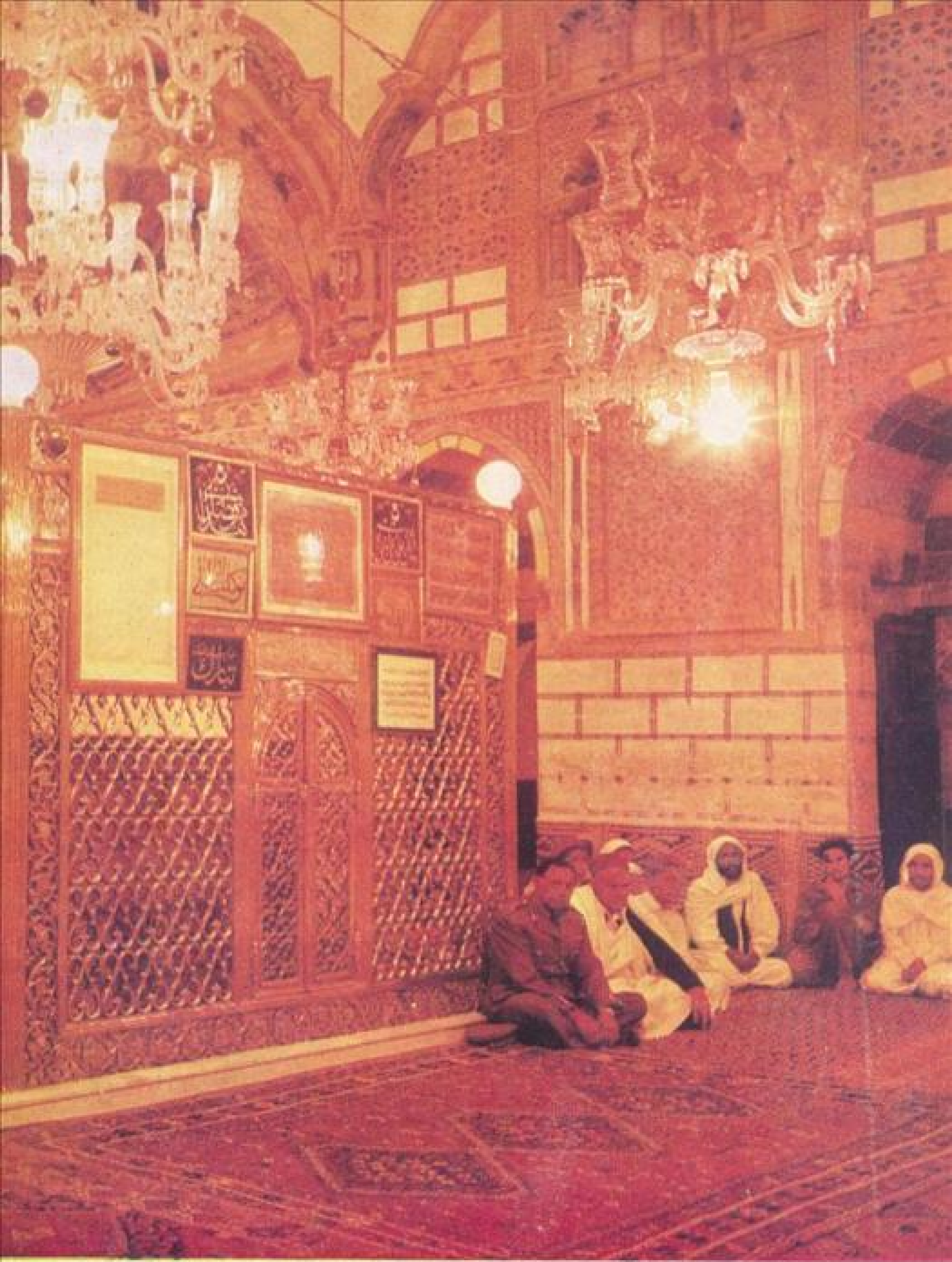
وتألمنا لحال المرأة في الجغبوب ، وانتهزنا فرصة وجودنا مع فضيلة الشيخ عبد الحميد عطية الدياني شيخ جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية في مدينة البيضاء ، فحدثناه عن وضع المرأة الجغبوبية ، وتساءلنا : « كيف يسمح للمرأة الليبية بحق التعليم في كل انحاء ليبيا ، بينما تحرم المرأة في الجغبوب من ممارسة هذا الحق ، حتى حفظ القرآن في المدرسة حرموه عليها ؟ ..

فاجابنا الشيخ الجليل : « اننا عازمون على الاكثار من فتح مدارس للبنات المسلمات في جميع انحاء المملكة الليبية لتزويدهن بقسط وافر من الثقافة والعلوم الاسلامية والتدبير المنزلي ، وذلك بعد الاقبال المتزايد على مثل هذه المدارس ، التي ستعمل على تعديل مناهج الدراسة فيها لرفع مستواها .. أما بالنسبة للجغبوب فسوف تفتح فيها مدرسة قرآنية لتعليم بناتها في القريب العاجل ان شاء الله » ..

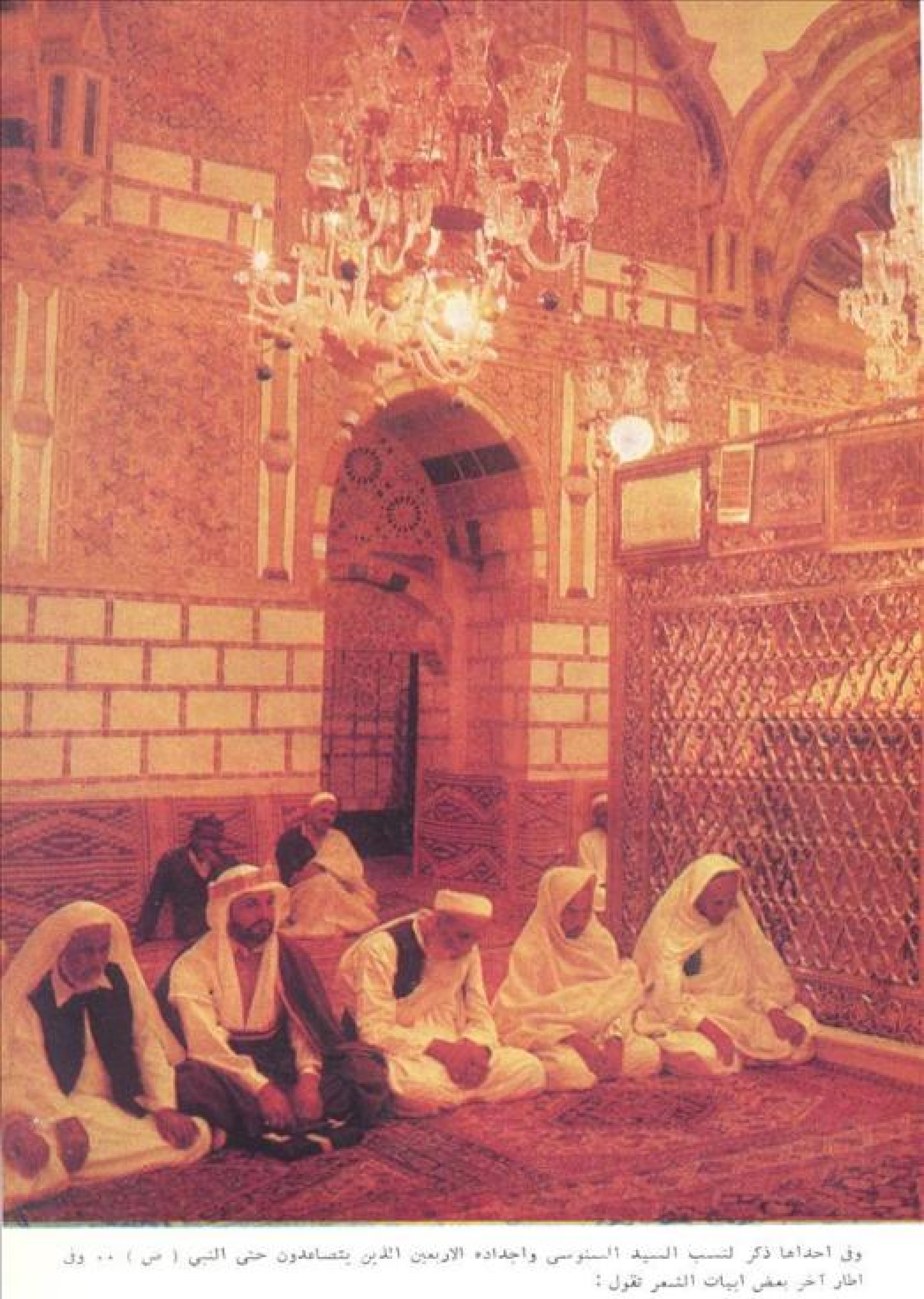
كل شيء عن الجغبوب

وقبل الاسترسال في الحديث عن حياة أهل واحة الجغبوب يحسن التحدث عن البلد نفسها ، فهي مجهولة اكثر من سكانها !! .

تكمن الجغبوب بين رمال الصحراء الليبية على



فى عام ١٢٧٦ هـ . (سبتمبر ١٨٥٩م .) توفى الامام محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية بعد حياة حافلة بالنشاط والاصلاح .. ودفن الجثمان بمحل خاص فى قبلة المسجد الذى شيده فى الجغبوب .. وبنى على القبر ضريح مؤقت ، وفى عام ١٢٨٢ هـ . قام السيد المهدى نجل الفقيد وخليفته ووالد ملك ليبيا الحالى ـ قام بتجديد بناء الضريح فجلب من الفونيسيا سياجا من النحاس البديع الصنع ووضعه حول الضريح ، ونقل الثريات الكبيرة على الجمال الى الجغبوب ، فاصبح ضريح السيد السنوسى



وفي احداها ذكر لنسب السيد السنوسي واجداده الاربعين الذين يتصاعدون حتى النبي (ص) .. وفي اطار آخر بعض ابيات الشعر تقول :

سلسلة من عسجد قد نضدت	بالجوهر المضيء من ضوء سما
فانبعثت تعشعشت من نورها	اجلت ظلاما كان من قبل قد طما
وانتجت بابن السنوسي الذي	شمس علاه باهرت شمس السما

بعد ٢٩٥ كيلو مترا من شاطيء البحر الأبيض المتوسط .. وهي الشقيقة التوأم لواحة (سيوه) الواقعة على بعد ١٥٠ كيلو مترا داخل أراضي الجمهورية العربية المتحدة ، والتي اشتهرت في التاريخ القديم بأنها مركز آمون معبود الفراعنة قديما .. بينما لم يرد ذكر الجغبوب في التاريخ القديم ! .

ويقول أهل الجغبوب ان اسم واحتهم هو مفرد كلمة الجغابيب أى المنخفضات التي فيها عيون الماء والمستنقعات الصغيرة .. (ولم نجد في كتب اللغة القديمة هذا المعنى) .. وكذلك تشتهر الجغبوب في خارج ليبيا باسم واحة جغبوب بدون (ال) التعريف .

ومساحة الواحة كيلو متر مربع واحد .. وعدد سكانها حوالي خمسمائة نسمة ، وان كان الأهالي يصرون على أن عددهم الف نسمة .. وهي مديرية تابعة لمتصرفية طبرق .. وارضها المستصلحة موقوفة كلها على الزاوية ، ومن ريعها ينفق على طلاب العلم ، واستضافة الزوار ، لأن « المدينة » خالية من الفنادق ..

ويشتهر أهالي الجغبوب بكرم الضيافة ، وقديما كان الضيف يقف على بعد ٤ أو ٥ كيلو مترات ريثما يتم تاليف لجنة الاستقبال وتنحر الذبائح له .. وينزل المسافر ضيفا على الزاوية لمدة ثلاثة أيام ، حتى ولو كان له شقيق أو قريب في الواحة ! .

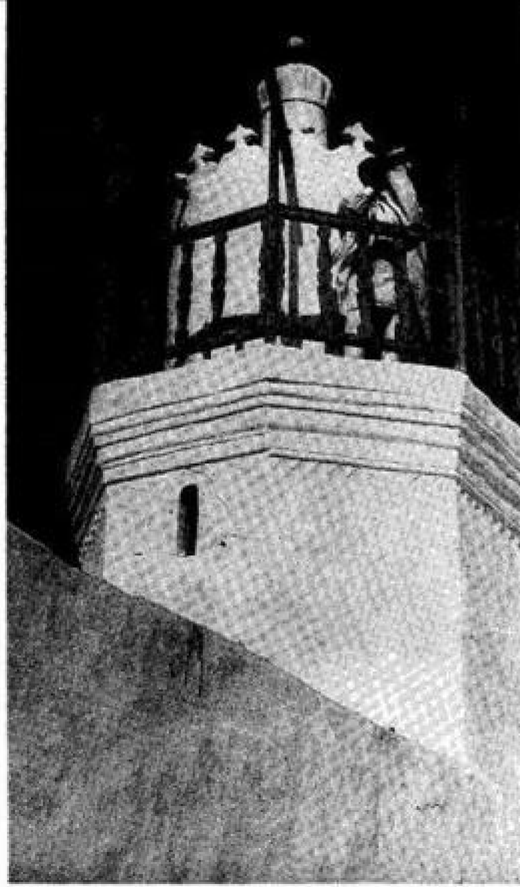
وكر اللصوص يصبح مركزا للعلم !

كانت هذه الواحة منذ مائة عام مضت وكرا لقطاع الطرق،يتخذونها نقطة ارتكاز لهم للانقضاض على القوافل التى تمر من هذا المكان الواقع على ملتقى طريقين هامين للقوافل : واحد كان يسلكه الحجاج والأهالي القادمون من المغرب العربي في طريقهم الى مصر والحجاز .. والثاني تسلكه القوافل القادمة من موانيء البحر المتوسط الى الواحات المنتشرة في الصحراء الكبرى وبلاد السودان جنوبا ..

وفجأة تحولت الجغبوب من وكر لقطاع الطرق الى مركز للعلم والتعبد والأمن والسلام .. بعد ان جاءها في عام ١٨٥٦ رجل مصلح جليل هو مولاى محمد بن علي السنوسي .. لقد وصلها وعمره ٧٠ عاما ، حاملا معه دعوته المسماة بـ « الطريقة السنوسية » التى أسسها عام ١٨٣٧ فجاءت من أحدث الطرق الدينية الاسلامية ، التي



ما زال طلبة المعهد الفرعى يعيشون في « الخلوة » اى الغرف التى شيدها الامام السنوسي الكبير لسكنى طلبة القرآن والعلم .. ويطلق على مجموعة هذه الخلوات كلمة « رباط » ..



ما زال المؤذن يصعد الى شرفة مئذنة الجامع القديم ، يؤدى الاذان ويدعو الناس الى الصلاة دون حاجة الى مكبر للصوت ، رغم اتساع الواحة وامتدادها ..



أبواب توصل بين ضريح السنوسي الكبير وساحة المسجد القديم .. وتتميز الابواب بنقوشها الرائعة التى نحتها في الواحة فنان جاء خاصة من مدينة كابول بأفغانستان منذ ٩٠ عاما

كان يبلغ عددها ثمانيا وثمانين طريقة فى ذلك الوقت .

الدعوة السنوسية

وتتلخص هذه الدعوة السنوسية فى الآتي :

« لا نجاة للعالم الاسلامي من أزماته الشديدة الا بعودة أهله للاسلام الصحيح ، وضرورة العمل بالقرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة ، وعدم الاكتفاء بالاوراد والاعتماد على مجرد التلاوة والذكر دون العمل الجدى ومراعاة أحكام الشريعة الاسلامية فى الاعمال الخاصة والعامة كما كان المهد فى أيام الرسول والخلفاء الراشدين من بعده » ..

ووجدت هذه الدعوة أرضا خصبة فى واحة الجغبوب ، وبين البدو المقيمين فى الواحات المجاورة ورأى السنوسي فى الجماعات الوثنية الموجودة فى السودان ميدانا فسيحا للتبشير بالدين الاسلامى ، فأرسل اليهم اعوانه واتباعه فكانوا خير ممثلين له وناشرين لدعوته ، فانتشرت الزوايا السنوسية فى جميع انحاء ليبيا ..

وتحولت الجغبوب من وكر لقطاع الطرق الى مركز للاشعاع الدينى فى ليبيا ، فاهتم السنوسى الكبير اهتماما زائدا بالواحة وبدأ فى بناء زاويته ، التي تضم جامعا كبيرا يتسع لستمائة شخص ، ومدرسة قرآنية لتحفيظ القرآن الكريم ، ومعهدا دينيا يلتحق فيه الطلبة



نزخر جدران وسقف المبنى المشيد حول ضريح السنوسي الكبير بالرسوم والنقوش الملونة الجميلة ، التي لم يجدد منها شيء منذ عام ١٢٨٣ هـ . اما الثريات القديمة التي نقلت على الجمال الى الجغبوب، فقد ابدلت شموعها وقناديلها باللمبات الكهربائية ..



الذين اتموا حفظ القرآن لدراسة علوم الشريعة الاسلامية وما تتطلبه من دراسة لغوية ومنطق وفلسفة وتاريخ وجغرافيا وفلك ومبادئ العلوم الرياضية ، وكل ما يساعد الطالب على تفهم حقيقة دينه نظريا وعمليا .. وكان يقوم بالتدريس في هذا المعهد اساتذة مشهود لهم بالكفاية العلمية ..

مجتمع جامعي !

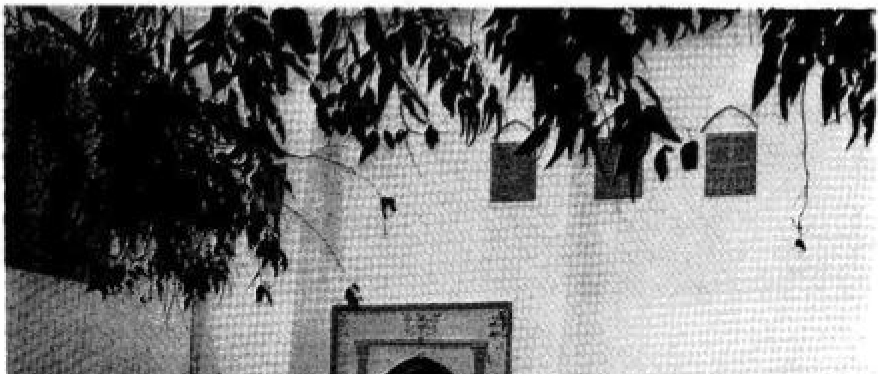
ولما كان جميع الطلبة الملتحقين بالمعهد غرباء عن الواحة فقد خصص لهم اماكن لسكناهم عرف كل منها باسم « خلوة » وكانت اشبه بنظام الأروقة في الأزهر » .. ومن مجموعة هذه الخلوات تكونت الأربطة ، كل رباط لبلد معين ، فكان هناك « رباط السوادين » اى القادمين من السودان .. ورباط « السيوية » اى القادمين من سيوة ..

وكان ملحقا بالمعهد مكتبة علمية تضم ١٤ الف مجلد ، واكثر من الف مخطوط ، معظمها كان خاصا بالشريعة الاسلامية وتفسير القرآن وعلوم الفلسفة والتاريخ والشعر وعلم الفلك ..

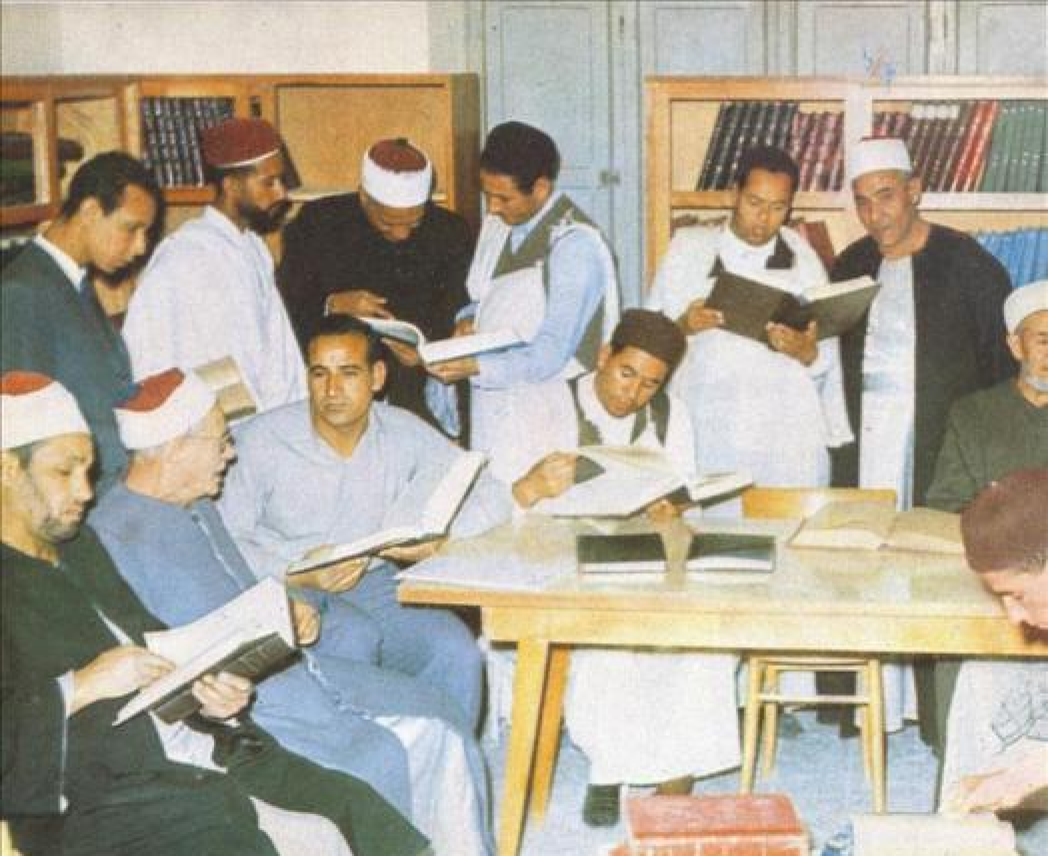
لقد استطاع السنوسي الكبير ان يخلق مجتمعا جامعيا فريدا من نوعه في الجغبوب ، نتج عنه جو علمي خالص كان وقفا على الرجال فقط ، فلم يكن مسموحا للعائلات بالوصول الى الجغبوب في ذلك الوقت .. واصبحت ليبيا تفخر بمعهدها في الجغبوب وتقول : اذا كان لمصر أن تفخر بجامع الازهر .. واذا كان لتونس أن تفخر بجامع الزيتونة .. والمغرب بجامع القرويين ، فان ليبيا تفخر وتعتز بمعهدها في الجغبوب ، الذى كان له فضل كبير في حماية اهلها من الزيغ الديني ، وتفهيم الناس حقيقة دينهم .

الجغبوب منذ مائة عام

لقد قفز عدد سكان الجغبوب في عهد السنوسي الكبير الى ألف نسمة بعد أن كان قلة لا تكاد تذكر ! وهنا ظهرت مشكلة تامين الاكل اللازم لهذا العدد

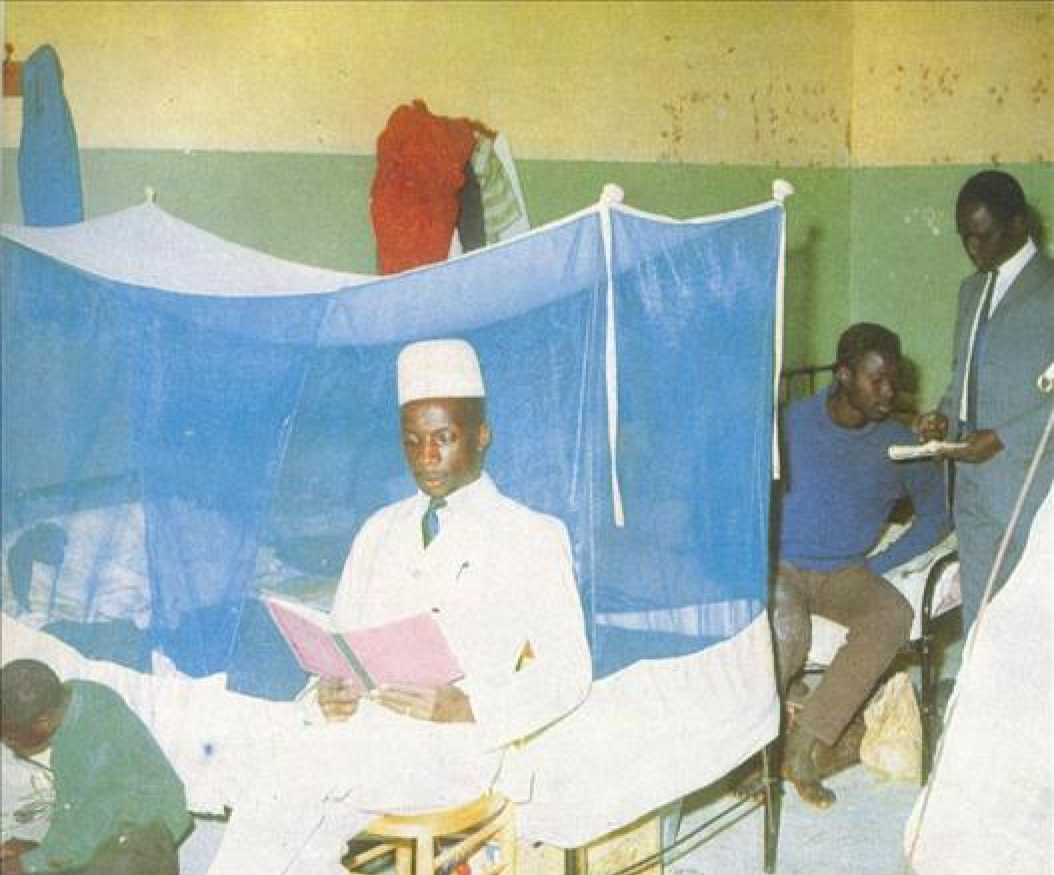


المصلون يخرجون من بوابة مسجد الجغبوب بعد اداء فريضة الظهر .. ومما يذكر ان بعض سكان واحة سيوه يأتون يوم الجمعة الى الجغبوب للاشتراك في الصلاة مع اخوانهم وجيرانهم !



بدأت الجغبوب في استعادة مجدها العلمي القديم ، ففي بداية هذا العام افتتح فيها قسم الدراسات العليا التابع لجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية في مدينة البيضاء ، ويقوم بالتدريس في هذا القسم اساتذة كبار ممن شغلوا مناصب رئيسية في جامعة الازهر بالقاهرة ، وتراهم في الصورة العليا مع بعض الطلبة في قاعة المكتبة الحديثة الخاصة بقسم الدراسات .. وفي الصورة اليمنى طلبة كلية الشريعة يستمعون الى الدرس الذي يلقيه عليهم استاذهم .







٤٣ طالبا جاءوا من غانا وجامبيا والسنغال والجزائر وموريتانيا واوغندا والكميرون والصومال ليتعلموا فى معهد الجغبوب الفرعي. وفى الصورة العليا ترى بعض طلبة الكاميرون ونيجيريا وجامبيا جالسين فى غرفة النوم .. والى جانب التعليم والمأكل والمشرب والمسكن يتقاضى كل طالب منهم ٦/١٫ جنيه ليبى شهريا .. اما الصورة اليسرى فهى المكتبة السنوسية القديمة التى اعيدت الى الجغبوب.

الكبير من السكان .. ! فالأرض في الجغبوب لا تصلح للزراعة في مجموعها ، ومياهها شحيحة قليلة ، وموقعها وسط الصحراء جعلها في معزل عن العالم .. ولكن السنوسي الكبير استطاع أن يحول الواحة الى مركز للعمل والانتاج ! لقد جعل من يوم الخميس يوم العمل الاسبوعي .. اى اليوم الذى يتحول فيه الطالب الى بناء أو نجار او حداد او نساج او اى عمل يدوى آخر نافع .. وبعضهم الآخر كان يهتم بالزراعة وحفر الآبار وغرس الاشجار وزراعة بعض أنواع الخضر والفواكه . واستخدم السنوسي الكبير ما لديه من ابل لاحضار المزيد من المؤن ، من مختلف المناطق البعيدة .. وكان ، على كبر سنه ، يدفع بنفسه بين أهل الحرف ويقول لهم جملا تطيب خواطرهم ــ وهو يشتغل معهم ــ مثل قوله :

« يظن أهل الاوريقات والسبيحات أنهم يسبقوننا عند الله ، لا والله لا يسبقوننا » .

يريد بأهل الأوريقات العلماء ، وأهل السبيحات العابدين والقانتين،فكأنه يريد أن يقول للمحترفين والصناع : لا تظنوا أنكم دون العلماء والزهاد مقاما ، بمجرد كونكم صناعا وعملة ، وكونهم علماء وقراء .. كان يقول لهم هذا الكلام ليزيدهم رغبة وشوقا ، ويعلم الناس حرفة الصناعة التي لا مدنية الا بها ...

حدث كل هذا منذ مائة عام مضت ..

وفي اليوم السابع من شهر سبتمبر ١٨٥٩ انتهت حياة السيد محمد بن علي السنوسي الحافلة بالنشاط والاصلاح ودفن بالجغبوب ..

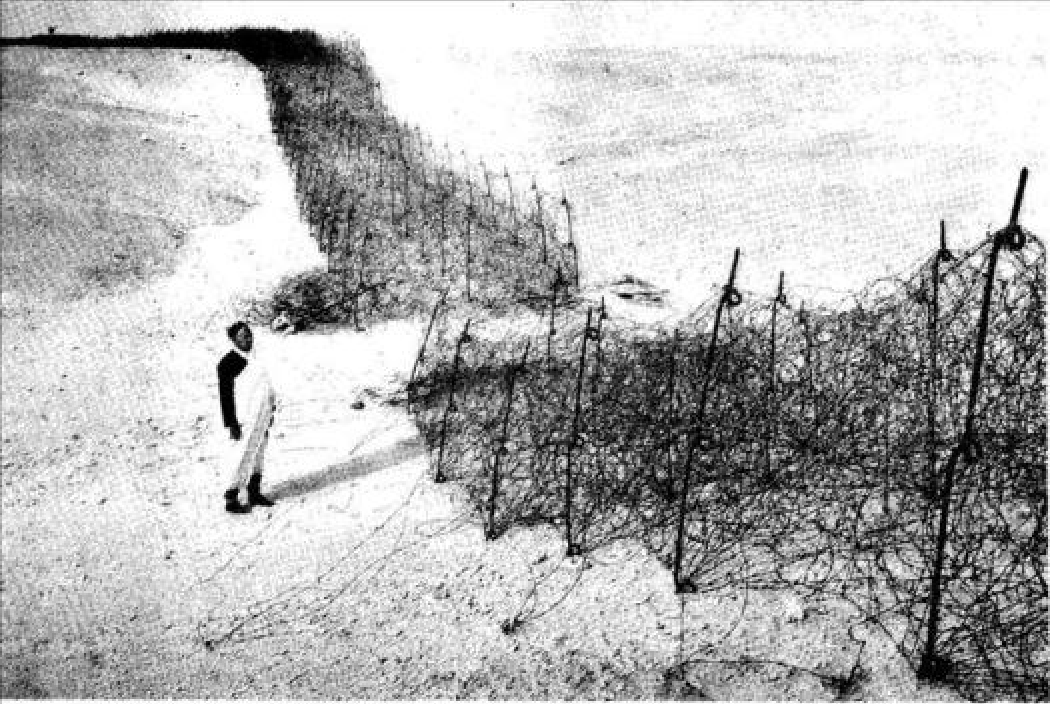
وجاء من بعده ابنه السيد محمد المهدى . الذى انتقل من الجغبوب للاقامة بواحة الكفرة حيث يوجد ضريحه ..



باب الكوادير ، والكادورة هى الهودج ، اى الباب الذى تمر منه الهوادج .. وهو احد البوابات السبع التى يضمها سور الجغبوب القديم ، وهناك باب آخر يطلق عليه اسم : باب الرحمة ، وهو لمرور الجنازات فقط !



كانت الجغبوب تضم ٥ مطاحن لطحن الحبوب والغلال، ثلاث منها تديرها الرياح والاثنتان الباقيتان تديرهما الدواب .. اما اليوم فقد اندثرت الطواحين ولم تبق الا احجارها الضخمة التى جلبت على ظهور الجمال منذ ١٠٠ عام ، من مسافة ٦٠٠ كيلو متر !



"الشبْرَدْق" : الاسم الذى يطلقه اهل الجغبوب على خط الاسلاك الشائكة الذى اقامته ايطاليا عام ١٩٣٢ على طول الحدود المصرية الليبية فمنعت بذلك المرور بين البلدين .. وما زال الجزء الاكبر من هذا الخط قائما الى اليوم .. ولكن الفجوات تتخلل اماكن كثيرة منه بحيث تسمح بالمرور من خلاله ، كما ترى في الصورة

بعد ٢٥ عاما

ثم جاء الايطاليون فى ١٩ أكتوبر ١٩١١ ووقف أسطولهم أمام بنغازى وقذفها بوابل من قنابله .. وظلت نار الحرب مستعرة بين القوات الايطالية المزودة بأحدث الأسلحة ، والأهالي المتسلحين بايمانهم وحقهم فى الحياة .. حتى سقطت الجغبوب بعد ٢٥ عاما فى أيدى الايطاليين ، أى فى عام ١٩٢٦ .

مصر تتنازل عن الجغبوب

وتحت الضغط البريطاني ، قامت وزارة زيور باشا المصرية التى اشتهرت بالضعف ، بقبول طلب ايطاليا التفاوض مع الحكومة المصرية لتتنازل لها عن الجغبوب .. وتألفت لجنة ايطالية كان أحد أعضائها ابن الماريشال بادوليو ، ولجنة اخرى مصرية يرأسها اسماعيل باشا صدقي وزير الداخلية وقتذاك ، واتفق المجتمعون على الحدود بين مصر وبرقة وتنازلت الحكومة المصرية عن واحة الجغبوب .

خط هائل يغلق الحدود

كانت الجغبوب الطريق الرئيسي للسلاح القادم الى المجاهدين في ليبيا ، ولكنه بعد احتلال الطليان لها بدأ السلاح يرد من مختلف النقاط على الحدود الطويلة بين مصر وليبيا ، ومنعا لتسرب هذه الأسلحة عمدت ايطاليا الى مد خط هائل من الأسلاك الشائكة يمتد مسافة ٣٠٠ كيلو متر ، من مياه البحر الأبيض المتوسط حتى جنوب الجغبوب .

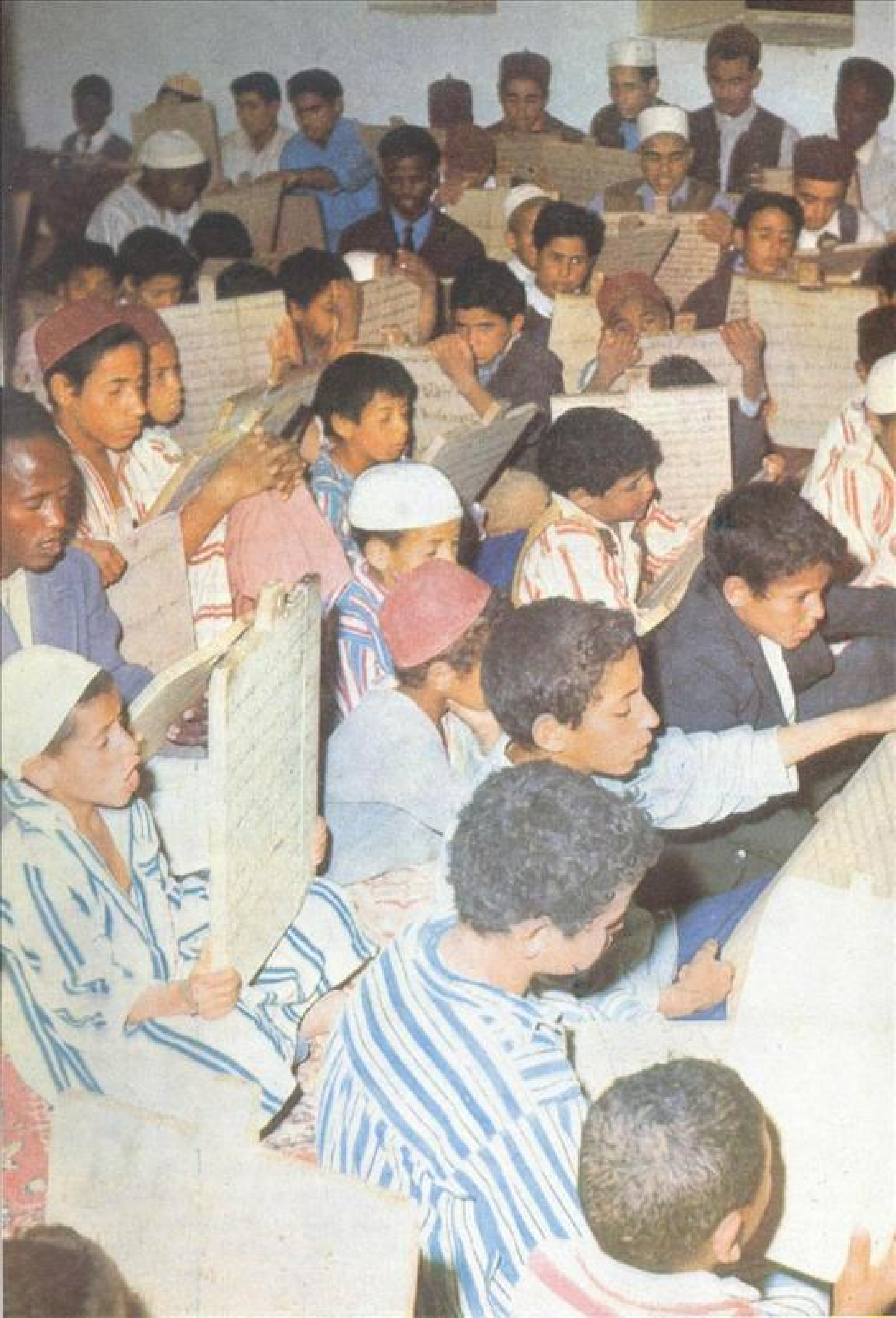
لقد عملت شركات ايطاليا خاصة على مد هذا الخط ، كل منها أخذ قطعة من الأرض ليتم العمل بسرعة .. وجيء لهذا العمل بعشرات الآلاف من العمال فضلا عن تجنيد الجنود الايطاليين أنفسهم للعمل فيه .. ويبلغ عرض هذا الخط ثلاثة امتار



بالرغم من مضى اكثر من مائة عام على تشييد السيد محمد ابن على السنوسى لاول « كتاب » فى الجغبوب ، بالرغم من طول هذه الفترة فان هذا « الكتاب » مازال يعمل الى اليوم على نفس الاسلوب القديم !! .. وعندما سألنا مدير المدرسة الاستاذ محمد نصيب عن السر فى هذا ، اجابنا :

« قد يتعجب القارىء عندما يرى مدرسة ما زالت تتبع نفس هذا النمط القديم الى اليوم ، ولكننا حاولنا تطبيق اساليب التعليم الحديث لتحفيظ القرآن ، ولكنها كلها لم تجد ، فرجعنا الى طريقة « الكتاب » الاولى ، التى ظهرت نتائجها الحسنة فى كثرة الطلبة الحفاظ مع جودة الحفظ .. فالطالب هنا يكتب الايات على اللوح الخشبى بالمداد المصنوع من الماء المخلوط بالرماد الاسود ، ويقدم اللوح للفقيه الذى يصحح المكتوب ، فيأخذه التلميذ معه الى كل مكان ليحفظه ويلقيه على المدرس مرة بعد مرة .. ولايمحوه الا بعد حفظه وعرضه على الفقيه ليأذن بمحوه .. » والى اليسار نرى بعض الاطفال جالسين على نفس الاماكن التى جلس عليها من قبلهم الكثير من العلماء والشعراء والمجاهدين فى التاريخ الليبي امثال عمر المختار ، والشيخ عمر الاشهب ، وابو مقرب .. وفى الصورة السفلى نرى الفقيه جالسا فوق صوف الغنم وبيده السوط يخيف به التلميذ المشاغب .. ولكنه لم يحدث ان ضرب به احدا ، فقد اصبح اداة للتخويف وليس اداة للضرب !





.. وكانت الدوريات الايطالية تراقبه ليل نهار ، اذ كان يضاء بالليل مثل النهار .. وبفضل هذا الخط استطاعت ايطاليا أن توقف الدخول والخروج على طول الحدود المصرية الليبية،وتلحق بالمجاهدين الليبيين أكبر ضربة .

وما زال جزء كبير من هذه الأسلاك قائما حتى اليوم على الحدود بين مصر وليبيا ..

كارثة علمية !

واستولت القوات الايطالية على المكتبة السنوسية الثمينة التي كانت تعد ثروة علمية هائلة فاتلفتها واضاعتها ، وكانت قد نقلت من الجغبوب الى واحة الكفرة قبل الاحتلال ، ويصف شاهد عيان هو الاستاذ محمد الطيب الاشهب في كتابه القيم عن « برقة العربية أمس واليوم » ، عملية السلب هذه بقوله :

« أخذ العساكر المحتلون يوزعون كتبها ذات اليمين وذات الشمال ، ويرمون بها الى الرياح لتعمل فيها عملها ، ويوقدون بها النار ، وقد كسيت جميع أرض الكفرة وغطيت المباني والاشجار بأوراق تلك الكتب الممزقة والمبعثرة .. وما من جندى ايطالي أو صومالي أو وطني الا وقد جاء بقسم كبير من هذه الكتب ليهديه كتذكار لاشتراكه في هذا الفتح أو لبيعه ، فامتلأت بذلك أسواق برقة بالكتب وما بقى من ذلك جمعته ايطاليا



لا توجد في الجغبوب اى وسيلة من وسائل الترفيه ، حتى الراديو لايسمع صوته الا أثناء الاحاديث ونشرة الاخبار ، اما الغناء فغير مسموح به بتاتا ! وتدخين السجائر يعتبر شيئا منكرا ! .. ومنذ بضعة شهور فقط احضر احد رعاة الماعز كلبين من طبرق لحراسة القطيع ، فكانا أول كلبين دخلا الى الواحة ! أما الرجال فتسليتهم الوحيدة بعد صلاة العصر هى الجلوس للدردشة على المصاطب المقامة عند باب كل منزل !

وجاءت به الى بنغازى على ظهر اربعين سيارة شحن (لورى) كبيرة ، وقافلة من الابل لا تحمل الا كتبا ، فملأت بها عدة غرف بقصر الحكومة فى بنغازى وهناك لعبت بها يد الفساد ، فصار الايطاليون يأخذون ما يروق لهم منها الى ايطاليا وأسواق أوربا .. وظلت الكتب تتخاطفها الايدى حتى استطاع الليبيون الاهتمام بها ، ولكنه فى أثناء الحرب العالمية الثانية أحرق الايطاليون ثلاثة آلاف كتاب من كتبها أثناء انسحابهم أمام جيوش الحلفاء ... » .

هذا هو ما حدث باختصار لتلك المكتبة الرائعة ، التي اهتمت الحكومة بعد الاستقلال بها فشرعت في البحث عن كتبها المبعثرة .. وفي شهر ابريل من هذا العام ١٩٦٧ نقلت سيارة شحن ٢٥٠٨ كتب هي كل ما أمكن العثور عليه من مكتبة السنوسي القديمة ، نقلتها الى مقرها الاصلي في الجغبوب لتكون مرجعا لكل من يريد الاطلاع والمراجعة .

الماء .. دواء !

لقد أصبحت الجغبوب اليوم متصلة مع العالم الخارجي بطريق معبد ممهد يصلها بطريق على البحر الأبيض المتوسط ، وعلى هذا الطريق بدأت الآمال كلها تتركز للنهوض بالجغبوب اقتصاديا واجتماعيا .. ولكن هناك مشكلة تبقى بدون حل ، انها مشكلة الماء ، فالماء فى الجغبوب يسبب اسهالا اذا شربه المرء ساخنا ، واذا شربه باردا سبب له امساكا ! لهذا يستعمله بعض اهالي طبرق كالدواء ، وينقلونه بالبراميل الى مدينتهم .. فيشربونه دون اى تأثير عليهم ..

وتجرى حاليا عملية تنقيب عن المياه الجوفية فى أراضي الجغبوب ، ولكنها حتى ساعة مغادرتنا للواحة ، لم تكن قد اظهرت آثار الماء ، رغم تعمقها فى الحفر الى ٦٠٠ متر تحت سطح الأرض ! .

وبجوار صحراء الجغبوب توجد بحيرات ماء كبيرة مالحة يطلقون عليها كلمة « الحَطية » .. وأشهرها « حَطية المَلفَى » التي ينتظر لها مستقبل باهر من الناحية السياحية .. اذ يمكن بناء مدينة سياحية حولها .. فماؤها البارد صيفا وسط رمال الصحراء الساخنة يجعلها جنة للسائحين والسائحات ..

باب لمرور الجنازات !

ويحيط بالجغبوب سور حجرى . يضم الزاوية والمسجد والضريح ، وبهذا السور سبعة ابواب يطلق عليها أسماء : الاستسقاء ، والعين ، والكرة ، والكوادير ، والبحرى ، والغربى ، والرحمة ، وهذا الباب الأخير تخرج منه الجنازات .

ولكن هذه البوابات لم تعد توصل الى خارج الواحة ، بل أصبحت داخل الجغبوب نفسها ، فقد ارتفع الكثير من العمارات حول السور ، من مبنى للمستشفى ، ومركز للبوليس ، ومركز للارصاد الجوية ، ومركز للمديرية ..

مدينة مقدسة

وفى أيام الاعياد ، وذكرى وفاة السنوسي الكبير ، يتهافت الآلاف من أهل ليبيا على الواحة الصغيرة فتمتلىء بهم الطرقات والساحات .. ولكن ما تكاد زيارتهم لضريح السنوسي الكبير تنتهي حتى يشربوا اقداح الشاى الأخضر ، ثم يعودوا بسرعة الى مدنهم التي قدموا منها ! اذ لا توجد اية احتفالات أو بدع من تلك التي نراها فى مثل هذه المناسبات فى أكثر مدن البلاد العربية .. وذلك لأن الجغبوب مدينة مقدسة فى راى أهل ليبيا من السنوسيين ..

وبانصراف الزوار يعود الهدوء الى الجغبوب .. وتغيب الشمس .. وينطلق صوت المؤذن الواقف فى شرفة المئذنة البيضاء للجامع الكبير .. ان صوته كان يصل الى جميع مناطق الجغبوب دون حاجة الى مكبرات الصوت .. اما اليوم ، وقد اتسعت الواحة ، وزاد عدد سكانها فقد اصبح مؤذن الجغبوب فى حاجة ماسة الى مكبر للصوت ينقل به صوته الى كل مكان من الواحة..

حذر .. وتردد !

ان الجغبوب تقف اليوم على عتبة عهد جديد .. تحن الى أمجاد الماضي العتيد ، وتتطلع بحذر شديد الى حضارة القرن العشرين التي تقف على بوابات سورها السبع ، تدق عليها فى رفق وتردد !! . ■■

سليم زبال

اليهودي العالمي

تأليف

هنري فورد

■ هذا كتاب كان له صدى بالغ عندمابدأت فصوله تظهر تباعا لعام ١٩٢١ في صحيفة Dearborn Independent .

وهي الصحيفة الناطقة باسم شركة فوردللسيارات : فقد وقف الامريكيون مذهولين امام المدى الذى وصلت اليـهالسيطرة اليهودية على مقدرات الولايات المتحدة خاصة ، والعالم عامة،كما نشطاليهود يحاربون ملك السيارات المليونير بكل ضراوة وشراسة .

والمعركة في حقيقتها تنافس علىالسيطرة : فاليهود كانوا قد احكموا تطويق الاقتصاد الامريكى ، فجاء هنرى فورد يحاول ان يكسر الطوق ، ويحرر الاقتصاد الامريكى من تبعيته لهم . ولكن نتيجةالمعركة اثبتتالحقيقة المرة التالية، وهي : ان اليهود كانوا قد بلغوا من القوةدرجة لم يستطع حتى الصناعى المشهور ان يقف امامهم ، ذلك لانه اخيراًاستخذى ، ونزل عند ارادتهم . وقام اليهود بجمع كل ما وقعت أيديهم عليهمن النسخ ، كما هى عادتهم دوما مع كل كتاب لا يرضون عنه .

وهذا الكتاب ، شانه شان بروتوكولات حكماء صهيون ، يجعل اليهود وراء كل حدث عالمى هام، بحيث يبدون للقارىء وكانهمقادرون على كل شيء. واذا كان هذان الكتابان يثيرانمخاوف غير اليهود، وكراهيتهم ، فانهما في الوقت نفسه ـ في رايي ـ يخدمان اليهود باسباغ كل هذا النفوذ ، وهذه القدرة ، عليهم .. بحيث يصيح المرء : هؤلاء القوم لا قبل لنا بهم !

ان الاقلال من نفوذ اليهود خطأ ، كما ان المغالاة في تقديره لدرجة تشل قدرتنا عن العمل ، ضارة ايضا .

وهذا الكتاب من الكتب التى يجب ان ننقلها الى لغتنا ، لان فيه اخبارا عن عدونا تنفعنا ، وتحليلا لاساليبه تفتح اعيننا ، على ان نقرا هذا الكتاب وامثاله بعين الناقد الخبير . ومن هنا كان شكرنا للمكتب التجارى ببيروت لقيامه بنشره ،



بقلم

الدكتور محمود السمره

استاذ النقد والبلاغة بالجامعة الاردنية

وللاستاذ خيرى حماد لقيامه بترجمته . والترجمة واضحة المعنى ، ولكن سبك العبارة العربية كان من الممكن ان يكون اكثر جودة ، بقليل من الجهد والعناية .

وينقسم الكتاب ، في رأيي ، الى قسمين متمايزين ، ثانيهما خير من أولهما : فاذا كان القسم الاول افكارا متناثرة يعوزها الترابط ، فان القسم الثاني يتناول افكارا ، وامثلة بعينها ، تكشف عن مدى سيطرة اليهود على الحياة الامريكية .

وفي الكتاب عيب واضح هو : التفكك ، وتكرار الفكرة الواحدة مرات في اماكن غير متباعدة ، ومصطلح « اليهودى العالمى » يوحى بمعنيين : اليهودى حيث يوجد في اى مكان من العالم ، او اليهوى المسيطر على العالم . والمعنى الثانى هو المقصود من عنوان الكتاب .

ومن الحقائق الهامة عن اليهود في امريكا : ان نيويورك أصبحت منذ عام ١٩١٤ أعظم مركز لليهود في العالم ، وكانت عاصمتهم قبلها باريس ، ثم لندن .

وقد بدأ اليهود بتوجيه جهدهم للسيطرة على الصحافة ، والمسرح ، والسينما ، بغية توجيه الذوق العام ، والتأثير في الجماهير ، دعاية لقضاياهم . والواقع انه قد تم لهم تكييف الرأى العام في امريكا على الصورة التى يريدونها ، حتى كتب صحفى امريكى اسمه «اميريكانوس» في السادس من اغسطس (آب) من عام ١٩٤٨ ، يقول : «في وسع الانسان أن يقول بسهولة ان الثقافة الامريكية في مجموعها قد اتخذت صورا يهودية معينة » ..

وبيد اليهود ٧٠٪ من صناعة اللحوم المعلبة ، واكثر من ٦٠٪ من صناعة الاحذية، ومعظم صناعات الادوات الموسيقية ، والمجوهرات ، والفولاذ ، وتجارة الحنطة ، والقطن ، والزيوت ، والمشروبات الروحية . وهم ما نحو القروض ، والمسيطرون على المصارف . ومنهم جل المحامين .

ورغم هذه السيطرة على الحياة الامريكية ، فان اليهود يعيشون حياتهم الخاصة ، ويحسون بالتفوق على الشعب الامريكى، ويسكنون منعزلين عن الاخرين في اماكن تعرف باسم « الغيتو » ، كما كانوا في أوروبا . ومع أنهم هم الذين آثروا العيش

في احياء خاصة بهم للسبب الذى أشرنا اليه ، الا انهم يستخدمون « الفيتو » للدعاية لانفسهم ، واثارة العطف عليهم ، مدعين ان الباعث الى هذه العزلة اضطهاد الاخرين لهم . ويكفي لتصور احساس اليهود بالتفوق ، والكراهية للاخرين ، انهم يقسمون البشر الى قسمين : يهود ، وغير يهود .

والنموذج الامثل لليهودى ، في نظر اليهود ، هو ذاك الذى يعيش في « الفيتو » ولهذا يحذر زعماؤهم اليهود ، الذين يقطنون مع الاخرين ، من الاندماج في حياتهم ، واكتساب عاداتهم .

وكما يستخدم اليهود « الفيتو » ، الذى هو من صنع أيديهم ، لاثارة العطف عليهم ، فانهم يستعملون كلمة «الاضطهاد الديني» للغاية نفسها، بينما هم في الحقيقة المضطهِدون لا المضطهَدين . وكلمة « الاضطهاد الديني » كانت جواز مرورهم عند بدء هجرتهم الى الولايات المتحدة الامريكية : فقد كانوا يثيرون مشاعر العطف عليهم بادعائهم ان هجرتهم انما هي فرار من الاضطهاد . وهذه الدعوى نفسها كانت حجتهم في الهجرة الى فلسطين ، وهي دعوى ليست سوى ستار لاخفاء اغتصابهم لاراضي وثروات العرب .

وقد اطلق اليهود على عداء الاخرين لهم اسم « اللاسامية » ، أى ان العداء موجه ضدهم لانهم ساميون . ويتضح بطلان هذا الادعاء اذا تذكرنا ان العرب يكرهون اليهود الصهيونيين كراهية لا صلة لها باللاسامية ، لان العرب انفسهم ساميون .

وولاء اليهودى هو أولا وأخيرا ليهوديته ، وتؤكد هذه الحقيقة اقوال زعمائهم :

فيقول ليوان ليفي : « ان اليهودى الذى يولد يهوديا يظل كذلك ، حتى ولو ابدل دينه بدين آخر » .

ويقول موسي هيس : « ان كل يهودى ، سواء ارغب في ذلك أم لم يرغب ، مرتبط ارتباطا وثيقا بالقومية اليهودية كلها » .

وورد في « دليل الصهيونية » : « .. واليهودى غير المتدين يظل يهوديا ، ولا يستطيع الا بمشقة كبيرة الخلاص من الولاء لقوميته ، عن طريق انكاره ليهوديته » .

ويتجلى النفوذ اليهودى في امريكا في منظمتين : منظمة « كهيلا نيويورك » و « اللجنة اليهودية الامريكية » .

وتعنى كلمة « كهيلا » : المجتمع ، أو الجمعية ، او الحكومة . ومنظمة « كهيلا نيويورك » لها التأثير الاول في الحياة السياسية في نيويورك خاصة . وهي في نيويورك حكومة داخل حكومة. وهذه المنظمة هي اقوى واضخم اتحاد لليهود في العالم . وهي بواقعها تؤكد ان كل ما يشاع عن وجود انقسام بين اليهود غير صحيح ، وان مثل هذه الاشاعة ليست الا للاستهلاك في أوساط غير اليهود .

وقد استمر نفوذ الكهيلا في الازدياد حتى أن عدد المنظمات التابعة لها بلغ عام ١٩٢١ أكثر من الف منظمة . وفي الكهيلا تختفى الظروف الطبقية بين اليهود ، ويرتبط الجميع في تضامن عجيب : فمثلا حضر مؤتمر عام ١٩١٨ كبار رجال المصارف ، والمحامين ، والصناعيين ، والصحفيين ، والقضاة، الى جانب أعضاء عاديين. لقد جلس أدولف أوحس، صاحب جريدة « نيويورك تايمس » ، الى جانب محرر صغير في صحيفة هزيلة تصدر بلغة «الايديش» Yiddish ، وهي لغة خاصة باليهود المقيمين في اوروبا ، ثم نقلوها معهم الى أمريكا .

وقد وسعت الكهيلا اعمالها ونفوذها عالميا ، واصبحت تعرف اليوم باسم « المؤتمر اليهودى العالمى » .

واما « اللجنة اليهودية الامريكية » فقد برزت الى الوجود عام ١٩٠٦ ، للدفاع عن اليهود ضد تهمة الاتجار بالرقيق الابيض ، وهي تهمة وجهها لليهود في نيويورك الجنرال بنغهام ، مدير شرطة المدينة آنذاك . وقد ورد في تقرير الجنرال ان خيرة الاسر اليهودية الثرية ، انما جمعت ثرواتها الضخمة عن هذا الطريق . وجاء في تقريره ايضا ان ٥٠٪ من الجرائم التى تقع في المدينة الضخمة هي من صنع اليهود .

وقد نشطت هذه اللجنة مع « كهيلا نيويورك » تدافعان عن اليهود بضراوة ، ونجحتا لدرجة أن الجنرال اختفى من الحياة العامة ، وطوى ملف التحقيقات الرسمية .

وتضم هذه اللجنة في عضويتها اصحاب اكثر الصحف نفوذا ، وموظفي الحكومة والادارات في الولايات والمدن،والموظفين البارزين الذين يسيطرون على المجالس العامة والاتحادات التجارية، والقضاة، وموظفي دوائر الشرطة ، ورجال المال ، ومديري المصارف والمؤسسات التجارية والصناعية، وزعماء العمال ، ومنظمي الاحزات السياسية من كل لون وشكل .

والحقيقة ان هذه اللجنة والكهيلا شيء واحد ، تكمل احداهما الاخرى ، ولهما اهداف معلنة محددة منها : الحيلولة دون المساس بالحقوق المدنية والدينية لليهود في اى جزء من أجزاء العالم ، وتقديم المساعدة اللازمة لهم حيثما كانوا .

ولم يكتف اليهود بان يكون لهم منظماتهم الخاصة بهم ، بل تسللوا الى المنظمات غير اليهودية ليسيطروا عليها من وراء ستار ، ومثل هذه المنظمات قدمت لليهود خدمات جلى ، لانها كانت تذهب في تأييدهم الى ابعد مما تستطيع ان تذهب اليه المنظمات اليهودية . ومنظمة تاماني خير مثال على هذا : فهي منظمة سياسية ظهرت عام ١٨٠٠، وسيطرت على مدينة نيويورك،وكانت اقوى منظمة سياسية عرفتها الولايات المتحدة في تاريخها ، وكانت زعامتها اولا بيد الايرلنديين ، ولكن هذه المنظمة لم تلبث أن أصبحت عنوانا للخداع السياسي ، بعد أن تسلل اليهود الى صفوفها .

وقد بدأ تفكير اليهود بالسيطرة على تاماني عندما جاء المالي اليهودى الالماني شوينبرغ الى امريكا ممثلا لمصالح آل روتشيلد ، فهاله ان يرى أن أقوى منظمة سياسية في أكبر مدينة يهودية ، ليست يهودية . وهكذا أخذ يسعى حتى أصبح عضوا في تاماني ، ولم يلبث ان اصبح زعيم هذه المنظمة من وراء ستار ، بسبب اغداقه الاموال عليها ، كما فتح الطريق امام كبار اصحاب المال ، والمحامين ، والسياسيين ، من اليهود ، ليصبحوا اعضاء فيها ، يسيطرون عليها دون ان يكشفوا عن حقيقة صلتهم بها . وعن طريق هذه المنظمة سيطروا على الحياة السياسية ، والقضائية ، وعلى المحكمة العليا . وبلغ من نفوذهم أن ضمنوا النجاح في الانتخابات لاى مرشح يهودى ، مهما كان الصف الذى يقف فيه .

وليس أدل على المدى الذى بلغه نفوذ اليهود في الولايات المتحدة من هاتين القصتين : قصة برنارد باروخ ، وقصة جيمس غوردون بنيت .

اما باروخ فيهودى ولد في العقد السابع من القرن الماضي في ولاية كارولينا الجنوبية ، لاب كان يعمل طبيبا هو الدكتور سيمون باروخ . وتخرج برنارد من جامعة نيويورك ، واقتحم « وول ستريت » ، شارع المال في نيويورك ، حيث عمل كاتبا وسمسارا ، واخذ يرتقي في دنيا المال الى أن احتل مقعدا في بورصة الاوراق المالية . ولعب دورا كبيرا في شراء عدد من شركات التبغ ، وشركات النحاس والفولاذ والمطاط وصهر المعادن ، وكان العامل الرئيسي في اقامة صناعة المطاط الضخمة في المكسيك . وهكذا جمع باروخ ثروة ضخمة .

ولا نعرف كيف اتصل باروخ بالرئيس الامريكي ولسون ، ولكننا نعرف انه كان في الحرب العالمية الاولى ساعده الايمن ، حتى انه اقوى رجل في امريكا ايام الحرب . وكان الرئيس الامريكي ينفذ له ما يريد ، بحيث اصبح القوة المسيطرة على الانتاج الامريكي .

ولم يكن نفوذ باروخ في زمن السلم ، اقل منه في زمن الحرب : فقد برز بروزا واضحا في مؤتمر فرساى ، حيث كان عضوا في الوفد الامريكي ، كما كان السبب في وجود عدد كبير من اليهود اعضاء في الوفدين البريطاني والامريكي ، وقد ادهشت هذه الظاهرة اعضاء الوفد الفرنسي لدرجة انهم اطلقوا على مؤتمر فرساى اسم « مؤتمر الكاشير » .

وهذه الظاهرة أيضا هي التى دفعت مراقبا ذكيا في المؤتمر هو الدكتور ديلون الى أن يقول في كتابه « القصة الخفية لمؤتمر الصلح » ، مايلي : « كان عدد كبير من المندوبين يعتقدون ان التاثيرات الحقيقية ، التى تقوم وراء الانجلو – سكسون ، هي يهودية في طابعها ..وكانت الامور في المؤتمر تسير بوحي من اليهود الذين اجتمعوا في باريس لغاية واحدة هي تحقيق برنامجهم المدروس دراسة

كاملة ، والذى تمكنوا من تنفيذه كما يريـدون تماما ... »

وقد لعب باروخ هذا الدور الهـام نفسه فى الحرب العالمية الثانية ، فكان اليد اليمنى للرئيس روزفلت ، طيلة سنوات رئاسته فى الحرب والسلم ، كما كان صديقا لونستون تشرشل ، رئيس وزراء بريطانيا .

لقد بلغ باروخ من النفوذ حدا جعله ينتشي بسلطانه ، فيقول مشيرا الى نفسه : « انظروا الى دزرائيلي الولايات المتحدة . » ودزرائيلي ــ كما هو معروف ــ يهودى كان رئيسا لوزراء بريطانيا فى القرن الماضي .

انعجب بعد هذا من التأييد المطلق الذى لقيته الصهيونية من الدولتين الكبيرتين ؟!

واما قصة جيمس غوردون بنيت فمثل على ما يمكن ان يفعلـه اليهود لمن يحـاول ان يقف فى طريقهم . انهم يبدأون بالمقاطعة ، فتشويه السمعة ، ثم التهديد ، مستخدمين فى هذا السبيل كل اجهزة الدعاية التى يملكونها ، أو يسيطرون عليها .

وجيمس غوردون بنيت هو صاحب صحيفـة « نيويورك هيرالد » ، وهي الصحيفة الوحيـدة التى حاولت الاحتفاظ باستقلالها عـن النفـوذ اليهودى فى نيويورك . وكانت « نيويورك هيرالد » من الصحف المحترمة ، الواسعة الانتشار ، الموثوق باخبارها . وكان معروفا عنها بين رجال الصحافة ان انباءها ، وتعليقاتها ، لاتباع ، ولا تتأثر بنفوذ .

وهـذه الصحيفة هى التـى بعثت بالمكتشف الصحفي هنرى ستانلي الى افريقيا ليبحث عن لفنغستـون ومولت حملـة جانيت الـى القطب الشمالي . ولكن خير ما يذكر لها انها تمكنت من المحافظة على استقلالها سنوات طويلة امام هجمات يهود نيويورك عليها ، وهي هجمات ليستبالهينة .

ولم يكن صاحبها جيمس غوردون بنيت متعصبا ضد اليهود ، ولم يحاول ابدا ان يثير غضبهم ، ولكنه لم يكن ، فى الوقت نفسه ، مستعدا للتخلي عن استقلال صحيفته ، والوقوف موقفا غير نبيل .

وتبدأ القصة يوم ان ظن اليهود انهم يستطيعون السيطرة على الصحيفة ، لانهم كانوا يغرقونهـا باعلاناتهم ، وكانوا مخطئين فى هذا ، لان المعلنين ــ كما هو معروف ــ يتسابقون للاعلان فى صحيفـة واسعة الانتشار مثل « نيويورك هيرالد » . وقد اثبتت الاحداث ، فيما بعد ، صحة هذا .

وكان اليهود يكرهون بنيت لاسباب ، منها : انه كان يرفض أن ينشر في صحيفته أخبار الاسـر اليهودية ، رغم غناها ، لانه كان مقتنعا بانها قـد جمعت ثروتها من طريق غير شريف . كما انه كان لايتردد فى نشر الفضائح التى تمس كبار افـراد الاسر اليهودية ، غير مبال بالتهـديد والوعيد . وبلغت عداوتهم له ذروتها يوم ان رشح اليهود يهوديا لرئاسة بلدية نيويورك ، وارسلت المنظمات اليهودية كتبا « سرية وخاصة » وتطلب فيها من اصحاب الصحف مؤازرة مرشحهم فى الانتخابات، والدعاية له . وقد رضخت الصحف لهذا الامر ، الا بنيت فاته نشر الرسالة « السرية الخاصة » ، وكتب تحتها ردا عليها ، خلاصته ان صحيفته لاتستطيع تأييد مرشح يمثل المصالح الشخصية ، لانها نذرت نفسها لخدمة المصلحة العامة .

هنا ثارت ثائرة زعماء اليهود ، وصمموا على الانتقام . وقد مثل اليهود فى هذه المعركة ناثان شتراوس ، وهو يهودى الماني صاحب شركة تجارية ضخمة ، ومن ورائه كل يهود نيويورك . وكان اول ما فعله اليهود ان سحبوا اعلاناتهم من الصحيفة ، ظانين انهم بهذا يحطمونها وصاحبها ، واتبعوا هذا بادعائهم ان بنيت كاره لليهود معاد للجنس السامي، ثم اخذوا فى تهديده . ولكـن بنيت كان خصما عنيدا ، اذ سرعان ما دفع بالاعلانات غير اليهودية التى كانت تنشر عادة فى زوايا غير بارزة ، الـى اماكن الاعلانات اليهودية . ولما راى اليهود ان سحب اعلاناتهم لم يؤثر علىالصحيفة ، بل بالعكس اضر بهم ، عادوا يرجون نشرها حيث كانت تنشر ، عارضين عليه اجورا اعلى من ذى قبل ، فاصـر بنيت على الرفض ، وقبل أن ينشروها فى تلـك الاماكن الداخلية المنزوية .

ولكن صحيفة « نيويورك هيرالد » كانت تستمد قوتها من قوة صاحبها ، ولهذا لم تستطع الصمود بعد وفاته في ما يو (أيار) من عام ١٩١٩ .

واكمل اليهود سيطرتهم على الصحف بشـراء اليهودى ادولف أوخس « نيويورك تايمس » .

وهكذا لم تبق فى نيويورك صحيفة واحدة تستطيع ان تنشر خبرا لايرضى عنه اليهود .

والصهيونية هي اكثر صور النشاط اليهودى الراهن دعاية واعلانا ، ولعلها اكثر قوة فى العالم تنظيما . ويحمل اليهود لها ولاء غير مشروط ، سواء اكانوا من الاغنياء أم من الفقراء . وقد اعتمدت الصهيونيـة فى تدعيم سلطانها علـى وسيلتين ، هما : المال ، والصحافة . وبلغ من نفوذها أن تسابقت الدول المتحاربة فى الحرب العالمية الاولى لاجتذابها الى صفها ، فوعدتها المانيا بان تمنح ارض فلسطين لليهود ، اذا انتصرت فى الحرب ، ولكن بريطانيا فازت فى سباق الوعود هذا ، وذلك بصدور وعد بلفور فى الثاني مـن نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩١٧ . وهو وعد اشرفت على صياغته الدوائر الصهيونية فـي بريطانيا وامريكا .

وعندما انتصرت بريطانيا فى الحرب ، ووضعت فلسطين تحت انتدابها ، كانت حكومة فلسطين ، منذ بداية الاحتلال البريطاني يهودية فى كل شيء ، فاول مندوب سام (وهو سير هربرت صمويل) كان يهوديا ، ورئيس الدائرة القضائية كان يهوديا ايضا ، حتى لنستطيع ان نقول : ان الحكومة فى فلسطين كانت يهودية ، واجراءات العمل يهودية ، والاساليب المستعملة يهودية .

وقد نشر اليهود فى كل ارجاء العالم معلومات خاطئة عن عرب فلسطين ، وهذا البرت لي . كلاى يكتب فى مجلة « اتلانتيك الشهرية » ، وهـي المجلة المحترمة ، قائلا : « ان جميع ما نتلقاه فى امريكا من معلومات عن فلسطين تصل الينا عـن طريق « وكالة الانباء اليهودية » التى تمثل دور الصحافة المتحدة لليهودية العالمية ، وعن طريق الدعاية الصهيونية . وقد تمكنت هذه الدعاية بقصصها المؤلفة عن الاضطهاد لليهود فى اوروبا ، وبصورها المشوهة عن الاوضاع فى الشرق الاوسط ، من خلق شعور من العطف على الصهيونية » .

وقد استطاعت الدعاية الصهيونية ان تقنع الامريكيين بان فلسطين هى ارض اليهود ، وان ما يحتاجون اليه هو مساعدتهم لهم للعودة اليها . ولم يكن باستطاعة هذه الدعاية ان تنجح لولا جهل الشعب الامريكى الفاضح ، ذلك لانمثل هذا الادعاء واضح بطلانه : ففلسطين لم تكن ارضا لليهود منذ اكثر من الفي سنة ، وهي لم تكن ارضهم قبل ذلك الا لفترة قصيرة جدا . وعند انتهاء الحرب العالمية الاولى ، لم يكن فى فلسطين سوى خمسين الف يهودى ، بينما كان فيها اكثر منستمائة الف عربى. ولم يكن لهذه الاقلية اليهودية اى سيطرة فى البلاد ، ولم تكن تملك من الارض شيئا يذكر . ولكن بريطانيا تصرفت بعد الحرب ، وكانها المالكة لفلسطين دون اكتراث باهلها العرب .

وفى فلسطين تحول « المضطهدون المعذبون » الى بغاة مضطهدين ، يحملون أحدث الاسلحة ليحاربوا بها العرب الذين جردتهم سلطات الاحتلال من كل سلاح . وقد مارست الصهيونية سلطات مكلفـة على اليهود فى فلسطين ، بحيث كانت « الوكالـة اليهودية » حكومة فوق الحكومة .

ومنذ بداية الاحتلال البريطانى لفلسطين نشر « مجلس الطائفة اليهودية » فى القدس اعلانا فى الصحف العبرية يأمر الاباء اليهود باخراج ابنائهم من المدارس غير اليهودية ، ويهدد المخالفين باشد العقوبات ، ومن هذه العقوبات التى اشار اليها الاعلان : اذا كانالوالد منالذين يتناولونالمساعدة من صندون الاغاثة الامريكية ، فان هذه المساعدة ستتوقف . وسيمنع الاطباء اليهود من زيارة الاسر التى تبعث باطفالها الى المدارس غير اليهودية . وسترسل اسماء هذه الاسر فى قوائم سوداء الى الاماكن التى يتم فيها الختان ، بحيث يحرم على اطفالها المولودين حديثا أن يختنوا . ويقاطع هؤلاء الاباء اذا كانوا يعملون فى التجارة . واذا كانوا عمالا يحرم عليهم العمل فى المشاريع ... وعلى كل من يرفض الاذعان لهذه التعليمات ان يعرف بانـه سيحرم من الحق فى أن يسمى يهوديا ، وسيعرض لكل انواع الحرب ...

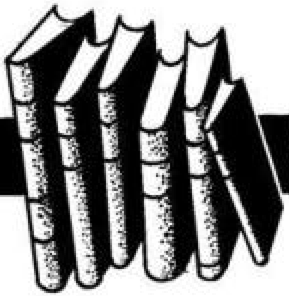
لقد حققت الصهيونية مـا حققته : بالتنظيم المحكم ، والقيادة التى اكتسبت بتصرفاتها ثقة شعبها ، وولاءه المطلق .

فهل نحن معتبرون ؟

■■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا



الواقعية في الادب

تأليف : عباس خضر

الناشر : دار الجمهورية ـ بغداد

● مجموعة مقالات تتحدث عن الواقعية في الادب بعامة واسباب ظهورها في العصر الحديث ، ثم دراسة عن نتاج الادباء والقصاص العرب ، وتقييم لأعمالهم الفنية في القصة والاقصوصة ثم حديث عن الشكل والمضمون في العمل الفني.

الشيعة والعقائد

تأليف : مجيد حسن الحائري

الناشر : مؤسسة الامام الصادق عليه السلام كربلاء ـ العراق

● يتناول هذا الكتاب بعض معتقدات الشيعة الامامية مثل التوحيد والعدل والنبوة والامامة والبداء والمعاد والعصمة والتقية وقد قام المؤلف بالشرح والتعليق وبيان الاصول الاصيلة لهذه العقائد .

بين جاهليتين

تأليف : درويش المقدادي

الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت

● مسرحية نثرية يحاول فيها المؤلف الربط بين جاهلية العرب في القرن السادس وجاهليتهم في القرن العشرين وابراز المتشابه بين العهدين .

زكي قنصل
شاعر الحب والحنين

تأليف : عبد اللطيف اليونس

الناشر : سان باولو ـ البرازيل

● دراسة وتحليل ونقد لزكي قنصل ونتاجه الادبي في الاغراض المختلفة من الشعر في الوطنيات والغزل والحنين .

ثورة في عالم الانسان

تأليف : كمال جنبلاط

الناشر : دار صادر ـ بيروت

● مجموعة مقالات ومعايتات لمواقع الانسان المعاصر من شؤون الحضارة والآلة والنظريات ترمي الى التركيز على العالم والاسس الحقيقية للحضارة التي تتوافق مع طبيعة الانسان الحسية والنفسية وأن يحقق كل ما من شأنه ان يسهم في نجاح حياة الانسان .

قصة السل في سؤال وجواب

تأليف : الدكتور فيصل دبدوب

الناشر : مطابع الجمهورية ـ الموصل ـ العراق

● محاورة طبية بين طبيب ومريض بالسل ترمي الى تبسيط القضايا العلمية المتعلقة بداء التدرن وادخالها الى ذهن القارىء باسلوب تقبله النفس ولا تمجه ، ويستوعبه الفكر ولا ينفر منه .

اغان على الدرب

شعر : محمد مصطفى الرزاق

الناشر : منشورات دار اللواء ـ مطبعة الرافدين القامشلي ـ سوريا

● مجموعة قصائد وطنية ثم حديث عن النفس والوجدان .

التخطيط التربوى
اصوله واساليبه وتطبيقاته في البلاد العربية

تأليف : الدكتور عبد الله عبد الدايم

الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت

● كتاب يتناول التخطيط التربوى والمفاهيم التي تتحدث عنه ، والتخطيط التربوى وأساليبه الفنية والمعلومات والبيانات المختلفة اللازمة لوضع خطة تربويه ، ومراحل هذه الخطة ، وانفاذها ، كما يمس الكتاب الجوانب التي تمس مشكلات التربية وأصولها وحلولها في البلاد العربية .

امارة الشارقة

تأليف : محمود بهجت سنان

الناشر : وزارة الثقافة والارشاد ـ بغداد

● دراسة تاريخية عن امارة الشارقة والدول التي تتابعت الحكم عليها والكتاب مقسم الى خمسة فصول يتناول الفصل الاول الناحية الجغرافية ثم الناحية الاجتماعية والاقتصادية ثم المعاهدات التي وقعت بين مشايخ الشارقة والحكومة البريطانية .

شعراء من كربلاء من القرن السابع حتى مطلع القرن الرابع عشر

تأليف : سلمان هادي الطعمة

الناشر: مطبعة الآداب ـ النجف الاشرف ـ العراق

● ترجمات لبعض شعراء كربلاء ونتاجهم الأدبي وقد قام المؤلف بتحليل وتقسيم ونقد نتاجهم مع ذكر عجالة موجزة لحياتهم الادبية وآثارها .

ليل الغرباء

تأليف : غادة السمان

الناشر : دار الآداب ـ بيروت

● مجموعة قصص قصيرة .

التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (البخاري ـ جزءان)

تأليف : الامام الحافظ المتقن أبي العباس الشهير بالحسين بن المبارك

والناشر : دار الارشاد ـ بيروت

● من الكتب القديمة المشهورة ، وقد فرغ من مؤلفه سنة ٨٨٩ هـ .

دليل العتبات المقدسة في لواء كربلاء اصدرته المتصرفية في العراق

● دليل للعتبات المقدسة في لواء كربلاء مزين بمجموعة قيمة من الصور والخرائط التوضيحية لضريح الامام الحسين في كربلاء وضريح الامام علي ابن ابي طالب في النجف وبيان ما تحويه هذه الأضرحة من تحف وهدايا ، ثم عرض لبعض المساجد الأثرية في كل من الكوفة وكربلاء .

((اجوانا)) او ايلة السحلية

تأليف : تنسي وليامز

ترجمة الدكتور فهمي فوزي فرج

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة

● مسرحية كل شخصياتها مرسومة غير متوافقة في حياتها ، بل انها أقرب الى الفشل ، والفشل يدفعها الى العزلة ، والعزلة تدفعها الى التعقيد، ولكنها جميعا مصرة على أن تواجه الفشل وأن تعيش ، وشخصيات المسرحية كلهم تعساء ولكنهم يريدون أن يخرجوا من التعاسة . ولكن احدا لا يستطيع فيعود كل انسان الى حياته من جديد .

المورد قاموس انكليزي ـ عربي

تأليف : منير البعلبكي

● وهو قاموس كبير ؟ ينتظم كل ما يحتاج اليه الطالب والمدرس والموظف والباحث من المصطلحات العلمية والفنية والحضارية الحديثة. وهو يشتمل على مائة الف كلمة انجليزية . وهو ينص على طريقة لفظ الكلمة الانجليزية وصيغة جمعها وعلى أصلها الاجنبي ونوعها الصرفي . وهو يجمع أكبر قدر ممكن من التعابير الاصطلاحية .

وهو فوق الالف صفحة .

والناشر ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ، والثمن ٢٢ ليرة لبنانية .

تعليم المعوقين بصريا في الفصول العادية للاسوياء

تأليف : انتوني ج. بيلون ترجمة : نظيرة حسن

مراجعة وتقديم : محمد السيد روحة

الناشر : دار النهضة العربية ـ القاهرة

● كتاب يوضح الاتجاه في تربية المعوقين بصريا ويدعو الى تعليمهم في فصول الاسوياء ، بعد أن يوضح ويبين بطريقة مفصلة جذابة الوان القصور والنقص البصرى المختلفة والبرامج الاضافية الخاصة التى ينبغى أن تشتمل عليها الرعاية للمعوقين بصريا في التربية الخاصة ، ويبين الدور الذى ينبغى أن يقوم به كل واحد من العاملين في المدرسة نحو هؤلاء المعوقين بصريا .

■■

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

سياسة ابادة .. لا مجرد تفرقة عنصرية !

● لنا أقارب هاجروا الى استراليا مؤخـرا . وهم يمتدحون ، في رسائلهم الينا ، الحياة في هذه القارة ، ويشيدون بذكر ما بلغته من حضارة وما حققته من رقي . ثم انهم يؤكدون أن التفرقة العنصرية لا وجود لها في تلك البلاد . فهل يعزى هذا التسامح الى ما أحرزوه من تقدم ، أم انه يرد الى عدم وجود أقلية من الملونين بينهم أصلا ؟!

سالم الخليل/اربد/الاردن

ـ سؤالك طريف ، واطرف ما فيه انه يفترض حقائق عن استراليا ، ويسلم بصحتها ، وهي لا تعدو كونها مغالطات !

ففي استراليا عدد من سكان البلاد الاصليين شبه ملونين ، يبلغ حاليا ٥٠٠٠٠ نسمة ، وقـد بلغ في تقدير المؤرخين نحوا من ٣٠٠٠٠٠ نسمة قبل مائتين من السنين ! والتفرقة العنصرية قائمة في تلك البلاد النائية الراقية ايضا ،بل لعلها تفوق ما هي عليه في بلاد التمييز العنصري الأخرى، نعرة وحدة .. تلك هي الحقيقة التي لا يغير منها ولا يبدل انطباعات أقربائك الذين استقروا طبعا في احدى المدن او القرى في المناطق المأهولة ولـم تسنح لهم الفرصة بعد للتجول في المناطق الشمالية شبه المعزولة ، حيث انطوى سكان استـراليا الأصليون وتقوقعوا امام مد هجـرة الاوروبيين البيض التي اكتسحت بلادهم في القرنين الاخيرين.

ولعلك محق يا أخ سالم في ظنك بأن السياسة التي ينهجها الاستراليون تجـاه سكان البلاد الأصليين ليست سياسة تفرقة عنصرية . اذ انها في واقع الحال سياسة افناء وابادة . يشهد على ذلك تناقص عدد اولئك السكان ، وقد سبقت الاشارة اليه ، بقدر ما يشهد عليه احجام الحكومة الاسترالية حتى الآن عن اقامة اية مدارس لتعليم ابنائهم ، بل عن بناء اية مساكن تساعد علـى بقائهم .

ويحضرنا في هذا الصدد ما تناقلته بعض المجلات الاجنبية مؤخرا من اقدام الحكومة الاسترالية على اجراء تعديلين اساسيين لاحكام دستورها ،وينص احد هذين التعديلين على « السماح للحكومـة المركزية (الاتحادية) باستعمال جزء من الايرادات العامة في الانفاق على اقامة المدارس والمساكن لسكان البلاد الأصليين » ، كما ورد هذا النص حرفيا في مجلة « تايم » الامريكية . وينص التعديل الآخر ، بالحرف الواحد ايضا ، على « عدم اسقاط سكان البلاد الأصليين من الاحصاء السنوى العام » .

وقد لا تشعر يا أخ سالم بخطورة هذا التعديل الدستورى الثانى لاول وهلة . ولو علمت ان الاحصاء العام في استراليا كان يشمل فيما مضى كل ما في البلاد من كلاب واغنام وخيول وخنازير ، دون أن يشمل من سكان البلاد الاصليين أحـدا ، وذلك وفق أحكام الدستور طبعا ، لو علمت ذلك لتبين لك ان نظرة اهل استراليا البيض الى السكان الاصليين لا تقف عند احتقارهم بوصفهم عنصرا من البشر دون عنصرهم ، بل تذهب الى

السياسى الهادىء

● تعرض أوثانت السكرتير العام للامم المتحدة لحملة من النقد عنيفة في صحف أمريكا وبعض صحف أوربا ، بسبب موقفه من حرب فيتنام ومن أحداث الشرق الاوسط . فهل لكم أن تقدموا لنا نبذة قصيرة عن حياة هذا الرجل ؟

زينب ــ القاهرة



ــ أوثانت سياسي هادىء متزن ، يعمل في صمت ويكره الاضواء التى يجدها دائما مسلطة عليه في كل مرة تنشب فيها أزمة دولية في أى مكان من العالم . فهو الرجل الذى وثقت به الدول الاعضاء في المجتمع الدولى ، والسياسي الذى وضعوا بين يديه مهمة اقرار السلام في هذا العالم المضطرب .

ولد اوثانت بمدينة بانتاناو Pantanaw في بورما يوم ٢٢ يناير ١٩٠٩ ، أى أن عمره الآن ٥٨ سنة ، وما كاد يتخرج في جامعة رانجون حتى عمل بالتدريس في احدى المدارس الثانوية ثم ما لبث ان عين ناظرا لهذه المدرسة . وعندما حصلت بورما على استقلالها عن بريطانيا في عام ١٩٤٨ ، تولى اوثانت منصب المستشار الاول لرئيس وزراء اول حكومة وطنية برئاسة اونو . وفى عام ١٩٥٧ عين مندوبا دائما لبلاده في الامم المتحدة ، ثم اختير قائما بأعمال السكرتير العام للامم المتحدة على أثر مصرع همرشولد السكرتير العام السابق في حادث سقوط طائرة فى الكونغو عام ١٩٦١ .

ان اوثانت يعيش الآن في شقة صغيرة انيقة في نيويورك مع زوجته وبنته « آى آى » Aye - Aye وهو يؤمن بتعاليم بوذا وكثيرا ما يستمد منها الحلول للمشكلات العالمية التى تواجه الامم المتحدة . وهو غير متحيز في آرائه ، وقد وقف دائما موقف الحياد التام بين المعسكرين الكبيرين المتصارعين ، ولعل هذا هو السبب في الحملات التى كثيرا ما يتعرض لها وخاصة من جانب أمريكا نتيجة لموقفه الاخير من حرب فتنام الذى نادى فيه بضرورة الكف عن استخدام القوة والعودة الى مائدة المفاوضات .

م . ن

■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■

تجاهلهم تجاهلا كليا باعتبارهم فئة من المخلوقات لا تكاد تبلغ مستوى الحيوانات !

ولا يبرر للاستراليين معاملتهم هذه طبعا زعمهم بأن سكان استراليا الاصليين متخلفون جدا ، بل قد يفوقون سائر الشعوب المتأخرة تخلفا . فهذا الزعم حجة عليهم حتى ولو كان بعض اولئك السكان لا يزالون يأكلون بعض أنواع الثعابين ويفترشون اغصان الشجر طلبا للنوم .. اذ ان

تخلفهم هذا انما هو نتيجة مباشرة لحرمانهم المتعمد من سائر فرص التقدم وأسبابه .

ولعل اطرف ما يذكر عن هؤلاء السكان انهم ينحدرون بصورة مباشرة من خلف « رجل نياندرتال » الذى عاش قبل ....د.٢ سنة ، وان تجويف المخ في جماجمهم يقل عن تجويفه في جماجم الآخرين بنسبة ٢٠٪ !

على أن هذا وذلك لا يشكل طعنا في قدرة هؤلاء على الأخذ بأسباب الحضارة . ولعل في لغتهم البالغة التنميق والتعقيد والمتشعبة القواعد « حيث الضمائر فيها ثمانية » والمتعددة اللهجات (..٥ لهجة) لعل في هذا ما ينفى عنهم صفة التخلف المتاصل المزمن .

ى . ز

مصائب قوم عند قوم فوائد !

● أدلى رئيس وزراء اليابان مؤخرا بتصريح ندد فيه بشدة بالحرب في فيتنام ، وأكد أن بلاده لن تظل مكتوفة اليدين حيال هذه الحرب الساحقة التى ما زالت تستعر بالقرب من حدودها ، والتى لا هدف لها الا محو حضارة عريقة من حضارات آسيا .. ترى ، هل قصد رئيس الوزراء اليابانى بتصريحه هذا الى تهديد الولايات المتحدة الامريكية ؟! والا فما الذى قصد اليه ؟

اسماعيل علبى/صيدا

ــ انت محق في حيرتك . فالتصريح الذى ذكرت غريب بالفعل ، ويزيده غرابة عدم اصدار الحكومة اليابانية اية تصريحات أخرى توضح ما جاء فيه أو تؤكده .

اما القول بان هذا التصريح ينطوى على تهديد موجه الى الولايات المتحدة الامريكية فاقل ما يقال فيه انه قول ساذج . ذلك أن اليابان بالرغم من كل صناعاتها واقتصادياتها الناشطة ، ما زالت عاجزة عن تهديد الولايات المتحدة . وهى أعجز من أن تخوض حربا ضدها . بل انها أبعد ما تكون عن الرغبة أو التفكير في شيء من هذا او ذاك .

ومن يدرى ، فقد يكون الباعث على ذلك التصريح رغبة اليابان في مواساة جارة لها او الظهور بمظهر المشاركة العاطفية لها بمحنة تعانيها عملا بقول الشاعر العربى :

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

على أن ما يجدر بنا أخذه بعين الاهتمام هو أن حرب فيتنام قد عادت بالارباح الطائلة والمكاسب الهائلة على اقتصاد اليابان. فلو قدر لهذه الحرب أن تتوقف فجاة ، لما تمكنت اليابان من الحفاظ على سلامة ميزانها التجارى أو ميزان مدفوعاتها ، ولباتت عرضة لأزمات مالية ونقدية خطيرة ، كما اكد ذلك مؤخرا أحد خبراء الاقتصاد اليابان .

ويقدر الخبراء ما جنته اليابان وما ستجنيه من هذه الحرب الفيتنامية خلال سنة ١٩٦٧ بنحو ٥٣٠ مليون جنيه . أضف الى ذلك أن قيمة الصادرات اليابانية عامة قد ارتفعت بسبب هذه الحرب الى ما لا يقل عن ١٩٠ مليون جنيه ، خلال السنة الماضية ١٩٦٦ . أما قيمة ما اشترته الولايات المتحدة الامريكية من اللوازم العسكرية من اليابان بسبب حربها في فيتنام ، فقد بلغت ١٧٠ مليون جنيه ، خلال السنة الماضية أيضا . ولعل هذه الارقام جميعا تتضاءل لو قورنت بنسبة الزيادة التى طرأت على صادرات اليابان الى فيتنام الجنوبية خلال سنة ١٩٦٦ وقد بلغت ١٨٧ ٪ . ولعل هذه النسبة نفسها تصغر وتتقلص بدورها لو هى قيست بالنسبة التى سجلتها أعمال اصلاح السفن الحربية الامريكية فى الاحواض اليابانية ، وقد ضربت هذه النسبة رقما قياسيا خياليا هو ٩٠٠ ٪ !

ولو عدنا الآن الى سؤالك الاول ، لما طالت حيرتنا ، على ما أعتقد ، ولما غفلنا عن المقصود بتصريح رئيس وزراء اليابان ،ولا عن الباعث عليه ولرددنا قول الشاعر « مصائب قوم عند قوم فوائد » !

ى . ز

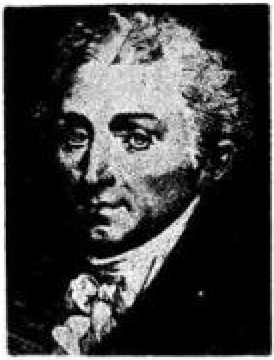
مبدأ مونرو

● نقرأ أحيانا عن مبدأ مونرو ، فما هو هذا المبدأ ، ولماذا سمي كذلك ، وما الغرض منه ؟

هيفاء ـ دمشق

ـ مبدأ مونرو The Monroe Doctrine صدر في عام ١٨٢٣ ، وقد سمي كذلك نسبة الى اسم واضعة رئيس الولايات المتحدة الامريكية في ذلك الوقت ، وهو جيمس مونرو James Monroe والهدف منه هو تحذير الدول الاوروبية بعدم التدخل في شئون نصف الكرة الغربي اى الامريكتين ، امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية .

ففى عام ١٨٢٣ كان قد مضى على قيام الولايات المتحدة الامريكية كدولة ، حوالى نصف قرن من الزمان بعد خروجها منتصرة من حرب التحرير ضد بريطانيا . وكانت دول امريكا الجنوبية او اللاتينية تغلى في ذلك الوقت بالثورات الداخلية ضد الاستعمار الاسباني . وخشيت امريكا تدخل الدول الاوروبية لمساعدة اسبانيا على قمع هذه الثورات فتقرر اصدار هذا المبدأ الذى وقف الرئيس جيمس مونرو يشرحه في رسالته الى الكونجرس الامريكي يوم ٢ ديسمبر عام ١٨٢٣ . وقد جاء فيه أنه في الوقت الذى تحترم فيه الولايات المتحدة الامريكية الاوضاع الراهنة في أمريكا الجنوبية ، تحذر الدول الاوروبية بانها



لن تسكت على اى تدخل جديد من جانبها في شئون هذه القارة .

وبهذا المبدأ فرضت الولايات المتحدة على نفسها وعلى امريكا الجنوبية سياسة العزلة ، وهى سياسة ظلت قائمة لنحو قرن من الزمان ، كما تحملت امريكا بمقتضاه مسئولية الدفاع عن هذا الجزء من العالم وحمايته .

م . ن

((ملاك)) دين بين فو

● قرأت في الصحف أخيرا تصريحا لامرأة فرنسية أسموها « ملاك دين فو » ، قالت فيه أن مصير امريكا في فيتنام لن يكون أفضل من مصير فرنسا في الهند الصينية . فمن تكون هذه المرأة وماذا تعنى بذلك ؟

عواطف ـ الزرقا ـ الاردن

ـ ملاك دين بين فو اسم اطلقوه على ممرضة فرنسية شهدت الكارثة الحربية التى حلت بفرنسا في الهند الصينية ، ووضعت نهاية للحكم الفرنسي في هذه البلاد ، في عام ١٩٥٤ . ودين بين فو هو اسم الموقعة الحربية التى هزمت فيها فرنسا امام قوات الثوار ، وكانت هذه الهزيمة أسوأ ما حدث للجيش الفرنسي منذ سقوط فرنسا كلها امام القوات الغازية في عام ١٩٤٠ .

أما اسم هذا « الملاك » الذى اطلقوه على هذه الممرضة ، فهو جنفيف دي جالار Genevieve De Gallard التى امضت ٩٥ يوما تعمل ليل نهار في تخفيف آلام الجرحى من الجنود الفرنسيين الذى امتلات بهم الخنادق ، حتى اذا ما سقطت الحامية يوم ٧ مايو عام ١٩٥٤ ، رفضت جنفيف أن تترك مكانها في ميدان القتال حتى يتم نقل آخر جندي مصاب .

لا بد انك ادركت الآن ماذا كانت تعنى جنفيف بقولها أن مصير امريكا في فتنام لن يكون افضل من مصير فرنسا في الهند الصينية .

جونسون .. لم اختاره الرئيس كنيدى نائبا له ؟

● قرأت نقلا عن صحيفة ابزرفر البريطانية ان جونسون فشل كرئيس للولايات المتحدة الامريكية . وقد جاءت الاخبار في نحو ١٢ أغسطس تفيد انهم أجروا استفتاء دل على هبوط شعبية الرئيس الامريكى الى ٣٩٪ فما تعليل ذلك ؟

محمود غنيم/ الاردن

ـ جئت بالسؤال عن طريق الابزرفر ، وقد رجعنا اليها فوجدنا الجواب هناك . وقد ذكرت الصحيفة اسبابا عديدة لفشل سياسة جونسون والحق انه « لم يحدث في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية أن تعرضت سياسة احد رؤسائها لحملة من النقد مثلما تتعرض له سياسة الرئيس الامريكى جونسون اليوم ، حتى بات البعض يشك في قدرة هذا الرجل على تسيير دفة السياسة لهذه الدولة الكبرى التى تعتبر اغنى واقوى دول العالم .

والواقع ان جونسون افقد بلاده كثيرا من سمعتها وهيبتها بسبب موقفه من حرب فيتنام ثم موقفه الأخير من الهجوم الاسرائيلى العدوانى على الدول العربية ، حتى ان بعض كبار المعلقين السياسيين في امريكا اصبحوا يؤكدون اليوم ان جونسون قد خسر معركة الرئاسة المقبلة في عام ١٩٦٨ قبل ان تبدأ . فقد هبطت شعبية الرجل بصورة لم يسبق لها مثيل منذ ان تولى رئاسة الولايات المتحدة الامريكية على اثر اغتيال كنيدى في ٢٢ نوفمبر من عام ١٩٦٣ .

لماذا فشل جونسون كسياسي ؟

والجواب على هذا السؤال ان الرئيس الامريكى لم يكن رجلا سياسيا في يوم من الأيام !

كانت مؤهلات جونسون لا تتجاوز تلك الدائرة المغلقة التى كان يعمل فيها داخل مجلس الشيوخ الامريكى . فقد كان زعيما للاغلبية الديمقراطية في الكونجرس منذ عام ١٩٥٣ ، ومن قبل عضوا به عندما انتخبوه نائبا عن ولاية تكساس في عام ١٩٣٧ . وقد أتاحت له هذه الفترة الطويلة من العمل في المجلس النيابى الامريكى فرصة اقامة علاقات وثيقة بالنواب والشيوخ ، وكثيرا ما ساعدت اتصالاته الشخصية وجهوده الخاصة في أروقة الكونجرس على تمرير مشروعات القوانين التى سنتها الحكومات المتعاقبة في امريكا ، حتى ارتبط اسمه بنجاح او فشل اى مشروع قانون معروض أمام الكونجرس .

ولقد كان هذا هو السبب الذى دفع جون



كنيدى الرئيس الامريكى السابق الى اختيار جونسون نائبا له في انتخابات الرئاسة الامريكية عام ١٩٦٠ ، وهى الانتخابات التى فاز فيها كنيدى على منافسه ريتشارد نيكسون .

فقد كان كنيدى سياسي بعيد النظر واسع الاطلاع في الشئون الخارجية ، وكان صاحب مدرسة جديدة في التفكير السياسي المتحرر المتزن. ولكنه كان يعلم ان ما ينقصه هو رجل مثل « جونسون » يستطيع أن يعاونه في التأثير على الكونجرس واقناعه بالموافقة على مشروعات القوانين التى كانت توصف احيانا بأنها مشروعات « ثورية » ، كما حدث في مشروع قانون الحقوق المدنية لزنوج امريكا .

ثم قتل كنيدى وتولى ليندون بينز جونسون Lyndon Baines Johnson رئاسة الجمهورية طبقا للدستور .. واصبحت القرارات السياسية الخطيرة في الداخل والخارج كلها من صنعه .. واصبح الكونجرس ، لما لجونسون من نفوذ فيه ، مجرد أداة طيعة في يده . حتى انه عندما طلب اليه مضاعفة الاعتمادات المخصصة لحرب فيتنام ، لم يتوان النواب والشيوخ في الموافقة على طلب الرئيس رغم حملة الهجوم العنيفة التى تتعرض لها سياسته في صحف امريكا بسبب هذه المذبحة التى تبتلع يوميا مئات من أبناء امريكا وأبناء فيتنام . ورغم الأصوات القوية التى ترتفع كل يوم منادية بالتخلى عن سياسة القوة والعودة الى مائدة المفاوضات .

م. ن

كل عين بليرة !

قصة بقلم
الدكتور بديع حقي

▪ كان (حمود) يسمع جيداً حديث عكازته الضاوية النحيلة الساعية امامه، وكان الحديث يحور احياناً الى همس يغص بالبكاء ، في اللحظة التى تسرى في راحته رعشة ضئيلة ــ لعلّها كانت تتحدّر من خلجة ذكرى منسابة في ذهنه ــ وتحرن العكازة، هنيهة ، خائفة، حائرة ، ثم تنغرز قليلا، قليلا في الأرض التربة كأنما تحاول أن تدفن في غيابتها نحيبها المكتوم . (تيك ، تيك ، تيك ، كنت فيما مضي من الزمان غصناً رطيباً اخضر) .

وامتدت العكازة تلغو ، تريق على الارض نقراتها المتواترة ــ فكرة ثابتة تلح على ضمير التراب ــ وخفق في راسها خاطر مفاجيء فجعلت تدب ، محتدة ، وتنقر الارض متعجلة ، وترآى طرفها كمنقار طائر جائع يلتقط حب سنبلة نثرته يد سمحة .

ورفع حمود راسه وخلص الى اذنه هدير (الباص) يسعى من (دوما) . ها هو ذا يقترب ، مدوياً ويفترس همسات العكازة ، شرساً . وشال حمود يده ولوّح بعكازته (لعله ان يشفق على فيقف من اجلى حين يعلم أننى اعمى)(١) ولملمت العكازة همساتها المبعثرة واتلعت عنقها مستطيلة ، ولكن الباص مرق كالسهم ، مخلفاً غبارا مجبولا برائحة (المازوت) الزخمة . وحنت العكازة راسها خجلى حسيرة ، وانزاحت ، منحرفة الى اليسار ، كأنما أوتيت انف كلب يتتبع رائحة غريبة، واختصمت نقراتها الرتيبة مع صداها الخافت على ارض اسفلتية صلدة .

واستنشق حمود الهواء ، ملء رئتيه وتنهد (سوف امضي ذات يوم الى دمشق، فلعلى ان القى اختى ولعلى أن اجد هناك رزقاً اوفر) . وومضت في ذهنه ملامح اخته . انه ليذكر ملامحها جيدا ، قبل ان يفقد بصره منذ عشر سنوات . كان وجهها آخر ما ادخرته ذاكرته من صور، انها ، الآن ، صبية ، ولكن صورتها المطبوعة في ذاكرته ما تزال تحمل قسمات طفلة صغيرة (كان هذا منذ عشر سنوات، الله يخرب بيت الساعة التى وضعت فيها

(١) كل ما وضع ضمن قوسين في القصة هو حوار داخلي يلهج به بطل القصة في ذات نفسه .

اللصقة الملعونة على عيني) . وانه ليذكر وجه امه المغضّن الحزين (الله يرحم ترابك يا امي) ، وانساقت الى ذهنه صورة (وابور الكاز) القابع في ركن من دكان الحلاق ابي صطيف ، تهدر في اعلاه نارٌ متلظّية ، صاخبة ، كأنها عواءُ ذئب مهدّدٍ يتضوّر سغباً . ويخطر ابو صطيف الحلاق ، تتقدمه كرش بارزةٌ مدوّرةٌ مزهوة ـ فصاحبها حلاق القرية وخاتن اطفالها وطبيب الأسنان والعيون فيها ـ انه يبحث عن ذرورٍ اسودَ وضعه في زجاجة ما ، ويتلفّت ، يمنةً ويسرة ، وتنزلق من قيود اهدابه نظرةٌ ثاقبة منقبة ، منحدرة من عل ، نظرةٌ جارحة كنظرة صقرٍ يبحث عن طريدة ، وتعثر بنظرة ذاهلة مستعطفة ، شاخصة الى فوق ، كنظرة حمامةٍ مستسلمة الى البراثن العتيّة ، ويواكب تصالبَ النظرتين ـ المنحدرة والشاخصة ـ هذه الكلمات :

ـ لا حاجة الى قطرة يا ام حمود ، خلّيك من هذه السخافة . ان ما يلزمه هو لصقةٌ حامية ، حامية ، من نقيع ذرورٍ كان ابي ـ الله يرحمه ـ يضعه على العين الرمداء فيمتص رمدها وتشفى باذن الله ، الا ترين الى عينيه كيف صارتا كبركتي دم ، اتكلي على الله وعليّ ، هل نسيت الليرتين ؟ وتسمّرت نظرته الثاقبة ، لحظةً ، بوجه ام حمود تنتظر جوابا مطمئنا ـ حسنا ، حسنا ، انا اداوي ، كما تعلمين ، كلّ عين بليرة .

وتدفّقتْ من شفتي امه كلمات متقطّعة :

ـ الا تكفي ليرة واحدة يا ابا صطيف ؟ انه يتيم ، صدقةٌ عن عيونك ، دخيلك .

وكان جوابه ممزوجا برائحة زيت (الكاز) و (الكلونيا) ، ورائحة اخرى كريهة تشبه رائحةَ القطران .

ـ والله لا آخذ منك سوى ثمن الذرور ، اما اجرة يدي فعلى الله . ليرتان فقط يا أم حمود ، الا تشترين شفاءَ عينيه من الرمد بليرتين ؟

وسكتت امه على مضضٍ ، واخرجت ليرتين فضيتين مشدودتين ، في عقدة محكمة بطرف طرحتها الزرقاء ، ووضعتهما في راحة الحلاق الضخمة المنبسطة ، وهي تغمغم بآية الكرسي ، وتنفخ في وجه ابنها وتتلمّس يدَها المرتجفة المعروقة يدُه الصغيرةَ في حنانٍ دافق غامر .

وتذكر حمود ان (وابور الكاز) لم يكن يشتعل وحده ، كانت عينا اخته تشتعلان ايضا ـ يذكي نيرانهما رفيف جفنيها القلقين ـ وكان يلوب على عينيها بنظراته الزائغة ، يستمد منهما عونا وطمأنينة ، وابو صطيف ما ينى يتنقل حواليه ، وكرشه المدورة تتحرك بطيئة ، متراخية . وكانت العينان المشتعلتان ، تختفيان تارةوراء الكرش المتحدّية المائلة ، ثم تظهران تارة اخرى اثر نقلتها المتمهلة كأنهما نجمان متألقان ، متجاوران في السماء ، يبدوان ويتواريان ، على هزة غصن تجاذبه الريح . بلى كانت عيناها تبحثان عنه ، وكان سوادهما يتسع ثم يضيق حتى يماثل في صغره الشامة السوداء المطلّة من خدها ثم يتفتت في رقّة جفنيها المتخلجين الخافقين . وتذكر ان حدقتي عينيها قد اتسعتا ، حين بكى ، ولمح طيفه يمثل في بؤبؤ السواد المتوامض يميل مهوّما ، مرتعشا ، غائما ، لقد غمرته موجة صغيرة ، دمعة حائرة ، مترجرجة ، فذاب وامّحى . ودفنت اخته راسها بكمها وجعلت تنتحب ، وتعالى صوت ابي صطيف :

ـ لا تخافي يا بنت ، لن نضع لك



لصقة ، اللصقة من أجل حمود .

وعاد وجه أخته يرامقه مشفقا ، ثم فصلت بينهما الكرش المدورة ، وتذكر حمود ، كيف انحنى ابو صطيف على القدر الحامية ، وغرف بالملعقة شيئا لزجا أسود ، ووضعه على خرقة بيضاء. لم ير ذلك ، مباشرة ، بل رآه معكوسا على سطح مرآة كبيرة متكئة على الجدار امامه ، وكان يشق صقال المرآة ، ثلمة كبيرة ذات أطراف متعرجة منتشرة كارجل عنكبوت ممتدة متحفزة للامساك بحشرة تقع في شباكها . وكان الى جانب المرآة منضدة صغيرة ، اصطفت فوقها ثلاث زجاجات ـ كانت احداها بطينة ككرش صاحبها ـ واستلقى أمامها مشط اهتم الاسنان ، ومقصان متعانقان في وضع مريب ، وموسى حلاقة يمضغ شعيرات غريقة في موجة مزبدة من الصابون .

وتهادت البطن المكورة المحدبة كظهر سلحفاة ، ودهمت سطح المرآة والتهمت مداه كله ، وانسابت راحة ضخمة ، حاملة خرقة بيضاء ، انساح فوقها شيء أسود ، شيء بغيض غريب الرائحة ، لن ينساها أبدا ، لعل سواده كان نذيرا بالسود الدائم الذى عاشت فيه عيناه ، شيء اسود امتصّ نور عينيه الذابلتين

الحزينتين (الله لا يعطيك عافية يا ابا صطيف) راى ذلك جيدا من خلال اهدابه المتصقة برمص الرمد ، وقد حاول الهرب فسد عليه زبون جالس امام باب الدكان مسالك النجاة، وامسكت به يدان صلبتان قسرتاه على الدخول ، فيما كان يعول ، يصرخ ، هلعا ، خائفا .

ما يزال وجه اخته اقرب وجه حبيب اليه ، انه يذكر قسماته البريئة الطيبة دوما ، كان يتراءى له ، آنذاك شاحبا تتاجج فيه عينان مضرمتان في رفيف مذعور .

وراى حمود ، حين انحنى عليه ابو صطيف وجها مكتنزا وشاربين متهدلين، يشيران الى ابتسامة كانها قدت من زجاج ، ولمح شيئا آخر ، لمح سلسلة ساعة متدلية من زنار يعانق الكرش المدورة . آه لولا خوفه الذي كان يستبد به لداعب السلسلة بأنامله الصغيرة ، فقد كانت جديرة بلمسة خاطفة . ثم راى جبين اخته ، تغزو مداه غديرة مشعة وتغطي ذؤابتها احدى عينيها ، بيد انها ظلت تتراءى من ثنايا الغديرة السوداء ، نبعا يفيض بالشرر ، وتذكر حمود انه احس ، حينما وضعت الخرقة الكريهة المتلظية على عينيه ، بالم لاذع مرعب، لم يعرف، عمره كله، مثيلا له .

وشد حمود على عكازته ، كان بقايا ذلك الالم ما تزال تسري في جسمه ثم تنساب في اهاب عكازته ، لتنهمر منها أنات شاكية :(تيك ، تيك ، تيك ، كنت فيما مضى من الزمان غصنا رطيبا اخضر ، واضحيت الآن ، عكازة ضاوية ، جافة ، خالية من الحياة) .

وانسدلت على ذاكرته ، اثر ذلك الالم الرهيب ستارة سوداء ، لا شك انه قد اغمي عليه ، ولما ثاب اليه وعيه ، الفى كل شيء ، كل شيء يغلفه الظلام (وبقي هذا الظلام ساكنا في عيني ، فقد ذهبت اللصقة اللعينة ببصري ، الله يخرب بيتك يا ابا صطيف ، لقد اطفات عيني ، كل عين بليرة ، أجَلْ كل عين بليرة) .

وقد سمع نحيب اخته ، يتردد الى جانبه ، خافتا ، متقطعا ، وسمع دعاء تلهج به امه، خفيضا ، مهموسا، ملوعا، وتناهى الى اذنيه صوت مقص الحلاق ، يئن بين انامله ، فيما كان يقص شعر الزبون ، كان صوتا رفيعا ، كصوت صرصار يخرش الصمت بثرثرته المتصلة السقيمة المملة .

★ ★ ★

بلى ، كان راس حمود ، وهو يغادر بيته في طريقه الى دمشق ، يماثل لفيفة خيوط من الذكريات، متعانقة متشابكة، وحاول ذهنه ان ينسل من بينها خيطا يتصل بملامح اخته ، ها هوذا وجهها الضاحك يستشرف خاطره ثم ينكفىء ويغيم ، ويهز عكازته لعلها تستطيع ، بحركتها الشبيهة بحركة المغزل ، ان تظفر بالخيط الضائع المنشود ، ان تجر اليه قسمات وجه اخته الحبيب ، ولكن عكازته كانت مشغولة بغزل ظلالها وحدها، وكانت تنسج ظلا طويلا متمطيا، خيطا كامدا في غلالة النور المطروحة على الارض ، فاذا همت ان تهبط ، انكمش ظلها وتقلص ولثم راس العصا في نقرة عاجلة يتلخص فيها طرف من لغوها الرتيب (تيك ، تيك ، تيك) .

وكان لا بد لحمود ، وهو يمضي، من المرور امام دكان الحلاق ابي صطيف ، وخلصت الى انفه رائحة الكلونيا الرخيصة ، مشوبة برائحة عفنة خاصة يتميز بها الدكان . وتناهى الى سمعه صوت ابي صطيف ، يتعالى مبحوحا ، متهدج النبرة ، كأن الفاظه ، تتجاوب في

حنايا كرشه الضخمة ثم تنقذف كالحصي من شفتيه الغليظتين .

واوسعت العكازة من خطاها تريد ان تنجو من فخ الرائحة الجاثم امام الدكان ، ولكنها تعثرت بصوت ابي صطيف يلعلع : تفضل حمود .

وتوقف حمود ، واجف القلب ، انه يشعر دوما بالخوف من هذا الصوت . لقد ترسب في اغوار نفسه منذ طفولته ، فصاحبه هو الذي لفع عينيه بالظلام ، وهو الذي ختنه ، وهو الذي قلع له قديما ، ضرسين متجاورين ، كان يشكو الما في احدهما ـ واذ لم يستطع ان يحدد ايهما الذي كان يوجعه ، فقد آثر ابو صطيف ان يقلعهما معا ، على سبيل الحيطة ـ وارتعدت العكازة ، وجلة ثم لاذت بقدمي حمود ، لعلها ان تجد لديهما امنا وحماية .

ـ عامر ان شاء الله ، انا ذاهب الى دمشق يا ابا صطيف .

ـ هاه ، لترى اختك ، اليس كذلك ؟

ـ بلى .

ونقر ابو صطيف بأصابعه على كرشه ، مفكرا ـ كانت كرشه بجرمها الممتليء ، على ضيقه ، احيانا ، بذروتها البارزة التى تقصي عن عينيه زبونه الجالس للحلاقة ـ كانت مصدر فائدة واعتزاز ، كانت ترفده بالافكار الصائبة حين تنقر عليها انامله . وسحب ابو صطيف كيس نقوده وسل منه ليرتين فضيتين ، وفحصهما بنظرة مودعة :

ـ خذ هاتين الليرتين يا حمود .

ـ لماذا ؟

ـ لعلك ان تحتاج اليهما في دمشق .

ـ لا يا سيدى كثر الله خيرك .

ـ خذ هاتين الليرتين .

وعصفت في كلماته لهجة آمرة ، لا مندوحة من الامتثال لها وغمغم حمود:

ـ الله يكثر خيرك يا ابا صطيف .

واحست راحته بثقل الليرتين المتجاورتين المتعانقتين ، وخلصت منهما ، وهما تتوثبان في راحته ، وسوسة هامسة وتنفس ابو صطيف الصعداء ، وشعرت كرشه بالارتياح ، كما لو ازيح عنها عبء ثقيل ، ثقيل ، لقد كانت الليرتان اللتان اخذهما من ام حمود ، ثمنا للصفقة التى ذهبت ببصر ابنها ، تلسعان كرشه وضميره ، منذ عشر سنوات ، ها هي ذي الفرصة تسنح ، الآن ، ليعيد الليرتين الى حمود ، ويبريء ذمته امام الله تعالى ، من انه اعماه واخذ من امه ليرتين ، وحدث ابو صطيف نفسه : اعدت اليه الليرتين ، الحمد لله ، طلعنا (خلاص) الله يعفو عنا جميعا .

وعاد مقصه يزغرد بين انامله ، منتشيا ، مثرثرا ، يقضم خصلة من الشعر نافرة . وسمع حمود صوت الزبون يورد نكتة ، تهانف لها ابو صطيف ، في ضحكة مجلجلة ، وتصور كرشه الناتئة ، تسبح في المرآة المسنودة الى الجدار ، مرتفعة ، منخفضة ، مرتجة ، متوازنة مع قرار الضحكة ، وسلسلة ساعته المتدلية من الزنار ، تنوس على رجة الكرش المهتزة .

وشد حمود الليرتين المعدنيتين وجعل يفركهما في حسرة ملتهبة (عادت الليرتان أخيرا ، كانتا ثمن عيني الرخيصتين ، ايه كل عين بليرة ، كل عين بليرة) وتنهد في حرقة ، وحدر الليرتين الى جيبه ، ليرة ، فليرة ، واحصت عكازته الليرتين بنقرتين ، متزنتين ، متناغمتين نقرة فنقرة ، ثم استأنفت همسها الرتيب : (تيك ، تيك ، تيك ، كنت فيما مضى من الزمان غصنا رطيبا اخضر) . ■■

دمشق : **بديع حقى**



تحية

من ديوان افواف الزهر

بقلم : الدكتورة عاتكه الخزرجي

عيدك يامولاى عيد الجمـــــال ٭ عيد الفتى الفردِ العزيزِ المنال

لازلت في يمـن وفي رفعـــــة ٭ تعنو لك الدنيا وفي خير حـــال

لازلت يامولاى نفحَ الهـــوى ٭ هَمْسا حنونا في شفاه الجمـــال

لازلت سرا في ضمير المُـــنى ٭ وَحْياً أمينا في بَنَات الخيـــال

لازلت مثلَ النور .. مثلَ النـدى ٭ ، مثل الشذّى ،مثلَ رفيق الظـلال

مثلَ الخفيف الحلو ، مثل الصبّـا ٭ مثل الربى مثل سُموق الجبـال

مثلَ ابتسام الورد ، مثل الـرُّؤى ٭ مثلَ المنى ، مثل غرور الــدلال

لازلت يا مولاى لـى ذاكـرا ٭ رغم النوى ، رغم الليالى الطوال

ولم أزل مولاى تلك الـــتى ٭ عرفت ، لن أنسى على أى حـال

■ ■ ■

لو مُثّل الحسن على صـــورة ٭ لكنتَهَا ، ياعزّهُ من مِثـــال

أنت على قدرتـــه آيـــــة ٭ بوركت بارِي الخلقِ ياذا الجلال

باسمك كم سبّحتُ يا خالقـــى ٭ ما خفَقَ القلبُ لهذا الجمـال ■■

عاتكة الخزرجي

طرائف عربية

معمر يعطيك تجاربه

● زعموا ان تبعا الفزارى كان من المعمّرين ، وانه دخل على بعض خلفاء بنى امية ، فقيل له : اخبرنا عما رايت في سالف عمرك . قال : رأت الناس بين جامع مال مفرّق ، ومفرق مال يجمع ، وبين قوى يظلم وضعيف يظلّم، وصغير يكبر ، وكبير يهرم ، وحىّ يموت ، وجنين يولد ، وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود .

الهوى

● الهوى باب تفتق به الاذهان، وينفسح به الجنان ، وله سَورة في القلب ، يحيا به اللب ، وقد يشجع الجبان ، ويسخى البخيل، ويطلق لسان العيى، ويقوى حزم العاجز ، ويخضع له المتجبر ، ويبرز له كل محتجب ، وينقاد له كل ممتنع ، وهو امير مطاع وقائد منيع .

قبيح الفعل .. حسن الاعتذار

● روى ان ملكا من الملوك امر ان يصنع له طعام، واحضر قوما من خاصته، فلما مدّ السماط ، اقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام . فلما قرب من الملك ادركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شيء على طرف ثوب الملك ، فاشتاط غيظا وامر بضرب عنقه ، فلما راى الخادم العزيمة على ذلك ، صب ما كان قد بقى على راس الملك ، فقال له : ويحك ما هذا ! فقال : ايها الملك انما صنعت هذا شحًا على عرضك ، وغيرة عليك ، لئلا يقول الناس ، ان ذنبى الذى تقتلني به خفيف لم يضره ، واخطأ فيه العبد ولم يقصده ، فتنسب الى الظلم والجور ، وصنعت ذلك لتعذر في قتلي، وترفع عنك الملامة . فاطرق الملك مليا ثم رفع راسه وقال : يا قبيح الفعل يا حسن الاعتذار ، قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك ، اذهب فانت حر لوجه الله .

تصدق

● اتى اعرابى الى على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فسأله شيئا ، فقال على : والله ما اصبح في بيتى شيء فضل عن قوتى ، فولّى الاعرابى وهو يقول : والله ليسالنك الله عن موقفى بين يديك يوم القيامة . فبكى علىّ بكاء شديدا ، وامر برده، وقال يا قنبر ائتنى بدرعى، فدفعها الى الاعرابى وقال : لا تخدعن

ليس شيء أضر بالسلطان من صاحب يحسن القول ، ولا يحسن الفعل ، ولا خير فى القول الا مع الفعل ولا فى المال الا مع الجود ، ولا فى الصدقة الا مع الوفاء ، ولا فى الفقه الا مع الورع ، ولا فى الصدقة الا مع حسن النية ، ولا فى الحياة الا مع االصحة .

حســـرة

● قيل ان ابا دُلف سار يوما مواخيه معقل ، فرايا امراتين تتماشيان، فقالت احداهما للاخرى: هذا ابو دلف ، قالت : نعم الذى يقول فيه الشاعر :

انما الدنيـــا ابو دلف   بـين باديه ومُحتضَره
فاذا ولّـــى ابو دلـــف   ولت الدنيـا على اثره

فبكى ابو دلف ، حتى جرت دموعه ، فقال له معقل مالك يا اخى تبكى ! فقال: لانى لم اقض حق الذى قال هذا . قال الم تعطه مائة الف درهم ؟ قال والله ما في نفسي حسرة الا لكونى لم اعطه مائـةالف دينار .

والكاظمين الغيظ

● امر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال : ما اقبح ان اقوم يوم القيامة من مثواى، فانظر الى صورتك هذه الحسنة، ووجهك هذا الذى يستضاء به ، فاتعلق باطواقك ، واقول ، اى رب ، سل مصعبالم قتلنى! فاطرق مصعب هنيهة ، وقال: اطلقوا سراحه . فلما اطلقوه قال : ايهاالأمير اجعل ما وهبت لى من حياتى في خفض عيش ، قال مصعب : قد امرتلك بمائة الف درهم .

الناس على دين ملوكهم

● كان الناس اذا اصبحوا في زمن الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا : من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد . وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع ومصانع، فكان الناس يتساءلون في زمانه ، عن البنيان والمصانع وشق الانهار وغرس الاشجار ، ولما ولى سليمان بن عبدالملك كان صاحب طعام وقيان ، فكان الناس يتحدثون ويتساءلون في الاطعمة الرفيعة، وفي اخبار القيان والسرارى ، ويعمرون مجالسهم بذكرهن ، ولما ارتقى عمر بن عبد العزيز الخلافة كان الناس يتساءلون: كم تحفظ من القرآن ؟ وكم وردك كل ليلة ؟ وكم يحفظ فلان ؟ وكم يصوم في الشهر ؟

بدرعه

عنها (اى لا يغشك احد في ثمنها) فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله. فقال قنبر : يا امير المؤمنين : كان يكفيه عشرون درهما . فقال على : يا قنبر، والله ما يسرنى ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به ، وقبل الله منى ذلك ، وانه يسألنى عن موقف هذا بين يدى .

اضحك



تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك

ضميره يوبخه لما اختلس

● **الزوج** : اذكرى ان السارق لا يلوم الا نفسه .. فهو لا يكاد يسرق شيئا او يختلسه حتى يقضى بقية عمره نادما على فعلته ..

الزوجة : (فى شيء من الدلال) لا تنس انك درجت على اختلاس القبلات مني ايام خطبتنا !

الزوج : الا ترين ان ما تذكرينه دليل على صحة ما ذكرته !!

سر النجاح

● مراسل صحفي لصاحب السيارات الشهير ، المستر هنرى فورد وعقيلته ، فى عيد زواجهما الخمسين : « ما هو السر فى نجاح حياتك الزوجية طيلة هذه السنين الخمسين ؟! » .

المستر فورد : سرّى فى حياتي العائلية كسرّى فى أعمالي الصناعية والتجارية . هو ان التزم (طرازا) واحدا لا يتغير ما امكنني ذلك ...

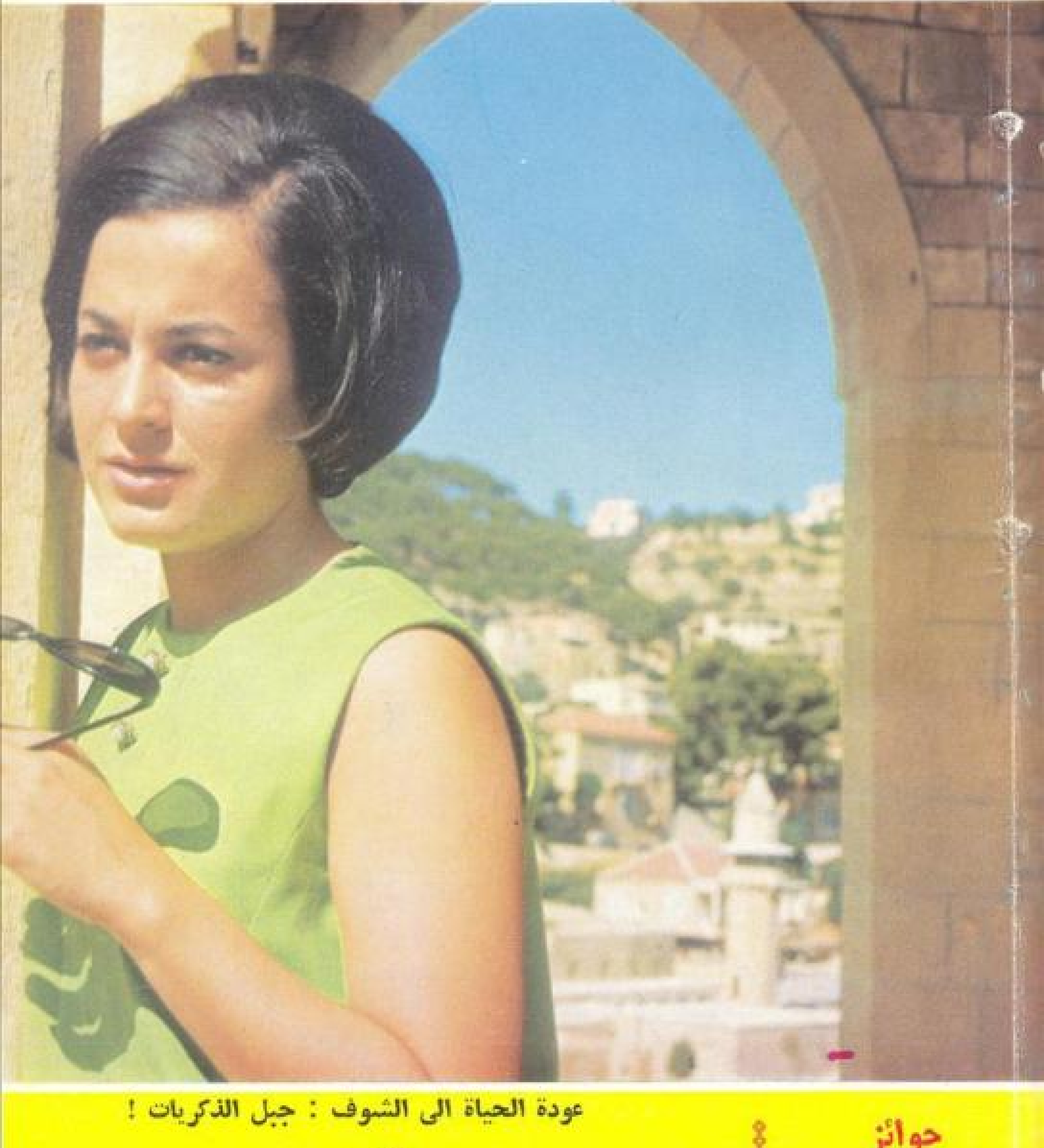
لم الحصر والتحديد

● **الابن** : هل تعلم يا ابى ان الرجل فى أواسط افريقيا لا يعرف زوجته مطلقا قبل الزواج منها ؟

الأب : أعرف ذلك طبعا ! ولكن لِمَ الحصر والتحديد ؟!

العربي

العدد ١٠٨
٢٨ رجب ١٣٨٧
نوفمبر
(تشرين الثاني) ١٩٦٧

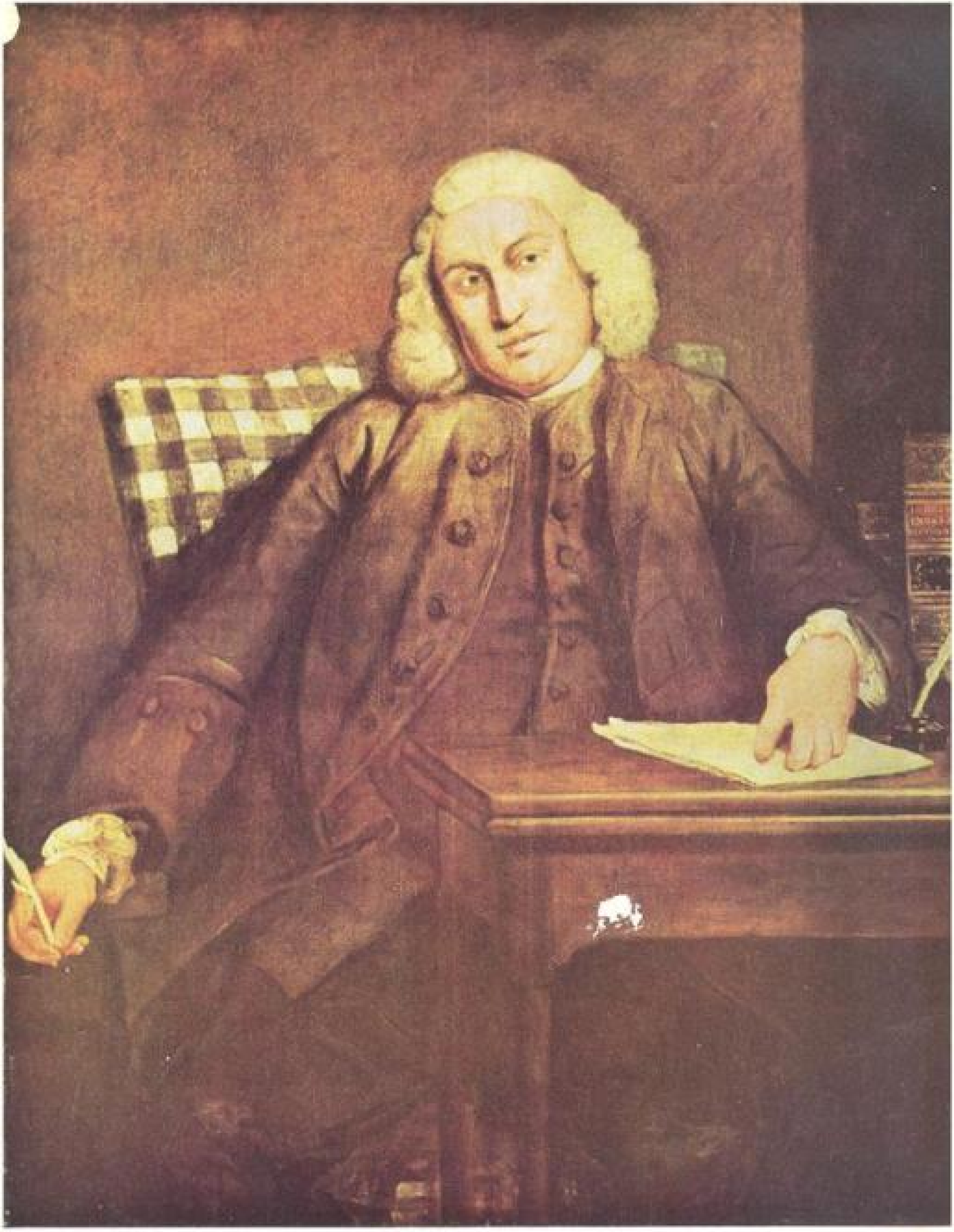


عودة الحياة الى الشوف : جبل الذكريات !

جوائز ١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قرو
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرش
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مل



● كان عميدا للادب الانجليزى .. عرف الفقر وذاق مرارة الحرمان فى حياته الاولى . وعندما مات ، قال عنه كارلايل : « لقد كان من اعظم الشخصيات القومية الانجليزية » . وكان محدثا بارعا بل كان اروع محدث جاد به عصره .

هذا هو صموئيل جونسون عميد الادب الانجليزى فى القرن الثامن عشر .

(اقرأ صفحة ١٣١)

عزيزي القارئ

● هذا عدد نوفمبر .. ومن بعده يأتي عدد ديسمبر .. وبذلك تكون مجلة « العربي » قد أتمت تسع سنوات كاملة ، في خدمة الأهداف التي صدرت من أجلها ، الا وهي أن تكون هدية الكويت الى الوطن العربي كله ، وسفارته المتنقلة عبر الصحاري والبحار ،يسهم بها في نشر الثقافة،وايقاظ الوعي القومي وتنميته ، وخاصة بين شباب هذا الجيل الذي تقع عليه مسئولية النهوض بوطنه الأكبر ، والسير به قدما نحو مستقبل افضل ، وغد اكثر اشراقا وازدهارا .

وقد درجت « العربي » على ان تستهل كل عام من أعوامها باصدار عدد ممتاز ، يكون طليعة لما تدخره لهذا العام من تحسينات وتجديدات ، تحرص على أن تكون مرآة صادقة لرغبات قرائها ، ولذلك تحب أن تشركهم معها في اقتراح ما يرون من تعديل أو تجديد ، للعام الجديد .

فاكتب الينا باقتراحك مهما يكن .. وكلما بكرت بارساله كان تنفيذه ممكنا .. فنحن سنبدا طبع العدد الممتاز بعد ايام قلائل ، حتى نستطيع ان نفرغ من طبع اكثر من مائة وخمسين الف نسخة ، في وقت يسمح بتداولها في الأسواق في اول يناير من العام الجديد .

وشكرا لك على كل حال .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

عـــروبة :

طب وعلـــوم :

اسلاميات :

فلسفة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 108 November 1967 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٣٩٤١١ ــ تلغرافيا « العربى »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف :

● فوق شرفة منزلها الاثرى ، وقفت احدى حفيدات عائلة الباز ، وهى من الأسر العريقة فى منطقة الشوف .. تلك المنطقة التى عاشت فيها بعثة « العربى » أياما لتقدم الاستطلاع المنشور فى هذا العدد ابتداء من صفحة (٧٦) .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣٫٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



بريد القراء

دعوة الى المحبة

● الى كل أخ عربي في كل وطن عربي : في هذه الفترة الخالدة من الزمن التى يسطر فيها التاريخ سطورا من نور في حياة الأمة العربية المجيدة .هذا النور الذى انبثق وسينبثق من صدور وقلوب وأرواح امنت وأخلصت وبذلت ومنحت في سبيل تحقيق الحلم الكبير والامنية الغالية التى يتوق اليها كل عربى آمن بالله وبعروبته ووطنه .. فى هذه الحقبة من الزمن نشعر باننا في مسيس الحاجة الى المحبة لتربط بين قلوبنا وتؤلف بين ارواحنا وتنزع ما فى صدورنا من غل وحقد وكراهية وأنانية حتى يفنى الكل فى الكل ونصبح كلنا رجلا واحدا وقلبا واحداً .

واني أهدي هذا النداء الى العالم المسكين الذى اوشك أن يحطم نفسه بنفسه فتصحو الانسانية من الهوة التى تردت فيها ويعود السلام الى الارض والى النفوس التى اقلقها الفزع وتحكم المحبة بيننا ويصبح العالم وكأنه امة واحدة دينها السلام ودستورها المحبة وانكار الذات .

القارئة مهجة القاضي
الجمهورية العربية المتحدة

هل اسلم ابو طالب ؟

● اطلعت بمجلتنا «العربي» في باب اسلاميات عن موضوع حمزة بن عبد المطلب عم النبى ورضيعه بقلم السيد / حسن الامين .

قرات أن ثلاثة من أعمام النبي محمد صلى الله عليه وسلم اسلموا . ولكن الحقيقة أنه لم يسلم الا الحمزة والعباس رضى الله عنهما أما أبو طالب فلم يسلم حتى أن الرسول طلب من عمه أبى طالب وهو على فراش المرض أن ينطق بالشهادة فلم يقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأستغفرن لك مالم انه عن ذلك » فتنزل قول الله تعالى في سورة التوبة « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى » .

محمود حواس / بور فؤاد

وقاية الشباب

● اني شاب عربي مخلص يؤلمني ما يحيط بأمتي العربية من قوى شريرة تريد الاطاحة بها ، ولكن هذا لن يتحقق أبدا اذا أخلص ادباؤها وكبار اعلامها ، أعنى مثقفيها ، وصحفييها حيث يركزون الجهد ويفعلون المستحيل لتوعية شبابها ، واني أشعر في الوقت الحاضر أن كثيرا من شبابنا لم تهتز مشاعرهم للنكسة العربية ولا يهمهم سوى قراءة المجلات العربية الغرامية التي ما جاءت لتوعية هذا الجيل وانما لتطفىء سراجه وتدمره وتجعله تائها فى غياهب الظلام .

اساليب المقاومة

● الا ترون أن الظروف الراهنة باتت تستدعي الكتابة الواضحة المفصلة حول المقاومة أسلوبا وتكتيكا .

اكتبوا لنا عن تجارب غيرنا من الشعوب في مقاومة المحتلين لبلادهم ، فلدى العالم تجارب خليقة بالدرس والشرح والتعقيب . وظروفنا تستدعي بالحاح ذلك .

ابو خالد – الكويت

امنعوا المجلات الخليعة

● ان الوقت قد حان لأكتب لكم عن التدهور المتزايد في أخلاق الشباب هذه الأيام ، ولكنني لا الومهم ، وانما الوم المسئولين عن السماح بدخول الصحف والمجلات التى دابت على نشر الصور الخليعة والموضوعات المثيرة للغرائز الجنسية . وانى أهيب بوزارة الارشاد والأنباء في دولة الكويت أن تولى هذا الموضوع الخطير عنايتها واهتمامها حرصا على أخلاق شبابها الذين يقبلون على شراء هذه المجلات .

على قاسم – الكويت

من سموم الاستعمار ■ ■ ■

واني اناشد وزير الاعلام الكويتي وزملاءه وزراء الاعلام العرب منع هذه المجلات ، كما اناشد الصحفيين والمثقفين والواعين من شباب هذه الامة العمل على كشف السموم التي يريد الاستعمار ادخالها الى هذه الامة . وفي مقدمتها ما جاء على شكل تقاليع فاجرة جعلت الشاب العربي يجرى وراءها ويفقد اهم شيء وهو دينه وعروبته ووطنه .

م . م . الشمرى

الكويت

استطلاعات عن العالم الخارجي

● لماذا لا يقدم لنا « العربى » استطلاعات مصورة عن دول العالم الخارجي ، على غرار « اعرف وطنك أيها العربى » . انني أعتقد أن مثل هذه الاستطلاعات الخارجية تساعدنا على تكوين صورة عن الحياة في مثل هذه البلدان البعيدة ، وتخرجنا من « قوقعة » وطننا العربى .

أحمد حسين أحمد / الاسكندرية

« العربى » : كل شيء موقوت بزمانه ..

وعن العراق

● انني من المعجبين بمجلة « العربى » ، اعجابا منقطع النظير ، وهذا هو الذى دفعني لأن اكتب اليكم متسائلا : لماذا لا تقوم مجلة « العربى » بعمل استطلاعات في العراق ، منبع الحضارات ومقر العرب في قديم الزمان . انني أريد أن أرى في « العربى » استطلاعا عن البصرة أو الموصل مثلا .

على حسن صالح/بغداد

« العربى » : زارت بعثة « العربى » العراق الشقيق مرات عديدة ، وقدمت استطلاعات كثيرة لقرائها ومن بينها استطلاع عن البصرة وآخر عن الموصل . وسنزوركم قريبا باذن الله .

تحية الى « العربى » القراء

سيرى على هام الحياة وحققى
املا تطاول فوق كل رجاء
وخذى لواء الفن ينشر ظله
ركب الهداة وموكب الشعراء
اشرقت في فجر الصحافة كوكبا
فتطلع الداني له والنائى
هذى الحياة وقد ملأت رحابها
بروائع الأفكار والآراء
سيرى بها تهفو اليك طليعة
من خيرة الآباء والأبناء !.

محمد خضرى الجابرى

المحامى بالقاهرة

المُسَاوَاة؟ وَلَكِن

بقلم رئيس التحرير

■ هذه العصور الحديثة ، وأعني القرن العشرين خاصة ، وربما ضممنا اليه القرن الذى سبقه ، جاءت الينا ، بأسماء جديدة ، لمبادىء جديدة ، يريد باحثوها ومردّدوها ان يلتزم الناس بها فى مجتمعاتهم ، وان تلتزم بها حكوماتهم . وسمّيناها أسماء جديدة ، والحق انها قديمة قدم الدهر ، ولكن علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة ، وكلها علوم في احجامها الحاضرة ، واعماقها الحاضرة ، ومساحاتها الحاضرة ، علوم لا شك حديثة ، هذه العلوم رمت بأضوائها على هذه الاسماء القديمة ، من اكثر من زاوية ، فكشفت فيها عن معان ما كان

هذا أرسطو ، واسمَوه المعلم الاول ، راى في المساواة انها تؤدى الى حكومة الغوغاء



ـــاواة ؟
نعَم ..
فِى أىِّ شَىْء ؟!

لاحد ان يتوهمها فى تلك الأزمان البعيدة .

ومن تلك الأسماء المساواة .

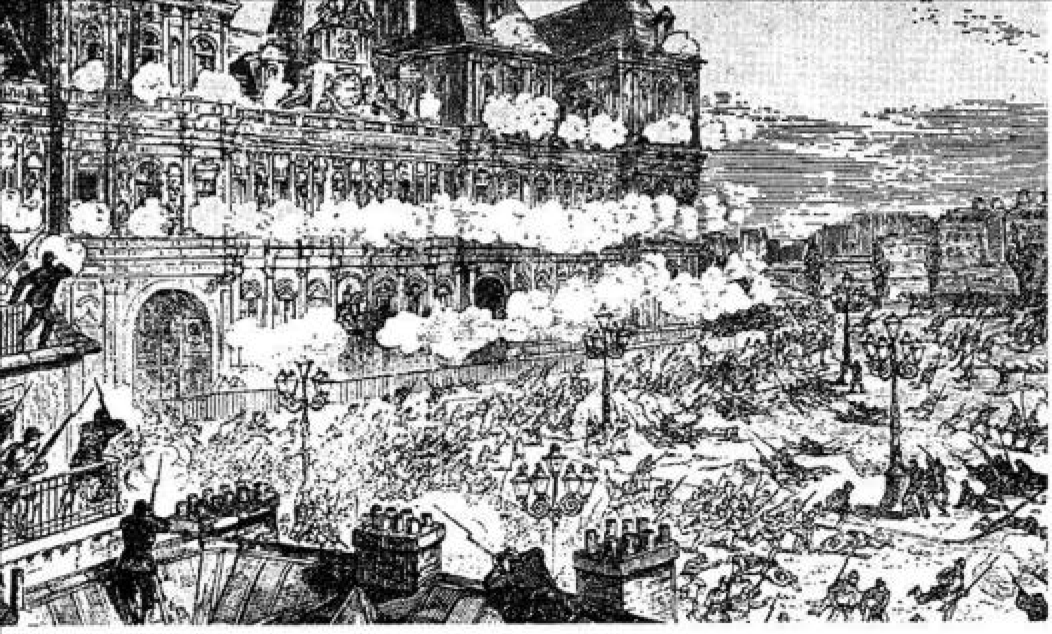
والمساواة اسم فى هذا العصر الحديث لمعنى حبيب ، يدخل الى نفوس البشر بغير استئذان .

ارسطو والمساواة

ولكنك تعجب ان ارسطو ، ويسميه الاوروبيون المعلم الاول ، ومنه ومن امثاله استقوا لحضارتهم الحاضرة ، ارسطو هذا رفض المساواة رفضا .

● **المساواة مساواة فى فرص حياة ، عند بدء وانتهاء ، وفيما بينهما . ينطلق الجميع من خط السباق منطلقا واحدا ، فسابق ولاحق ، ولكل ما كسب ، الا ما يقضي به التآخي من البذل للتقريب .**

● **والطبقات فى المجتمع قالوا بمحوها ، وانما قصدوا التقريب بينها ، ومحو تسلط واستغلال . وتولدت فى الامم الديمقراطية الحديثة طبقات مئات . ووقف كل لكل بالمرصاد ، فحل التوازن محل الغلبة والسيطرة ، وذلك في الامم المتعلمة المتمدينة المتقدمة اليقظة .**



الثورة الفرنسية : كان شعارها الحرية ، الاخاء ، المساواة

ورفضها في الحكم خاصة . قال ان المساواة في الشئون السياسية تؤدي الى حكم الغوغاء .

ولا اذكر ارسطو لكي ادعم رايه . ولست بداعم رايه ، ولا رايا ينقضه ، فانما انا حاكي .

المساواة عند ابى بكر

واذا تناولت هذا القديم البعيد ، وجب عليّ ان اتناول شيئا من القديم الأقرب . اخص قديم العرب .

ومنه اذكر قيام ابي بكر في القوم يخطب: « ان القوم منكم عندى ضعيف حتى آخذ الحق منه ، وان الضعيف منكم عندى قوى حتى آخذ الحق له » فهذا مثل للمساواة امام القانون .

المساواة والثورة الفرنسية

وانزل في الزمان الى القرون الأحدث، فاجد الثورة الفرنسية ، تلك التى ارتفعت فيها للمساواة صرخة مدوية . كان شعار الثورة : حرية،اخاء، مساواة Liberte , Fraternite , Egalites وأسميناها مدوية ، لأن أصداءها دوت في العالم اجمع .

والمساواة ، في الصرخة الفرنسية كان لها معنى عام . بحثها العلماء فيما بعد ، ومنهم من قال انها تعنى مساواة في كل شيء . وسمع آخرون هذا المعنى ، فقالوا انها اذن لا تعني شيئا . وآخرون راوا فيها أنها انما كانت صرخة عاطفية صرخها مقيّد عندما رمى بقيده بعد سنين امضاها في القيد طوال . ومن الباحثين الأحدثين من وصل في بحثه الى أن هذه الصرخة جمعت بين الحرية والمساواة ، وعندهم ان المساواة ، اذا طلبها الانسان كاملة ذهبت بالحرية كاملة .

المساواة فى اعلان الولايات استقلالها

ومن المصادر الحديثة التى اذاعت معنى المساواة واشاعتها ما جاء في وثيقة اعلان استقلال الولايات المتحدة . قالوا فيما قالوا : « ونحن نؤمن بأن الرجال جميعا خلقوا متساوين ، وان خالقهم

منحهم حقوقا لا يمكن انتزاعها، منها حق الحياة ، والحرية والسعي في طلب ما يسعد به الانسان » .

كان هذا الاعلان في عام ١٧٧٦ ، فهو سبق الثورة الفرنسية بأكثر من عشر سنين . وكان مثله ، صرخة المنتصر على ظلامة . وكانت الظلامة هنا ظلامة الاستعمار . الاستعمار البريطاني في هذه الحالة لأمريكا .

وسمينا المساواة هنا صرخة، كالمساواة التي جاءت بها الثورة الفرنسية ، لأن المساواة في كليهما كانت لفظا يحيطه الابهام من كل جانب .

مساواة ، نعم . ولكن في أي شيء ؟

وما كان أسرع ما انتقد هذا الاعلان منتقدوه. وانتقده رجلهم الامريكي الكبير، صاحب حرب الحرية واعتاق الرقيق ، رئيسهم ابراهام لنكلن Lincoln ، في خطاب له ألقاه عام ١٨٥٧ . قال عن هذا الاعلان ، اعلان الاستقلال : « ان المؤلفين لهذه الوثيقة الشهيرة العظيمة لم يقصدوا الى اعلان مساواة الرجال من كل وجه . انهم لم يقصدوا أن يقولوا ان الرجال سواسية في اللون ، وفي الحجم ، وفي العقل ، وفي النمو السلوكي ، وفي الكفاية الاجتماعية » .

انه لم ينف المساواة ، ولكنه منعها أن تكون عامة مطلقة بغير حدود .

لو ترك الناس على الطبيعة

اذن لساد فيهم من ساد ، وتخلف من تخلف ، وذلك بحكم ما فيهم من اختلاف . اختلاف في قوة جسم . اختلاف في طول ، وفي طول ذراع ، وطول باع . اختلاف في بطء وسرعة ، بعض يمشي مشية السلاحف ، وبعض يجري جرى الأرانب . اختلاف في جمود وتحول ، بعض كالثلج انجمد ، وبعض كالنهر الزاخر لا يفتأ يتدفق . اختلاف في العقل ، وفي الذكاء والفطنة . اختلاف في الحيلة والدهاء . اختلاف في الامل ، فقريب امله وبعيد. اختلاف في المحافظة على الكرامة ، فبعض يحفظ وآخر يضيع . اختلاف في النهوض الى الدفاع عن حقوق ، فرجل يقوم يدفع ، وآخر يؤثر الاستكانة والمهانة والسلامة .

وما النتيجة من كل هذا في المجال الحر ، تعمل فيه القوى المختلفة على سجيتها ، من غير وازع من خلق ، وما يزرع في أنفس الناس من الأخلاق ؟ النتيجة ظاهرة بينة : اختلاف حظوظ الناس من الحياة . بعض فوق ، في أعلى ما يستطيعه الفوق ، وبعض في ادنى ما يستطيعه التدني . لا في طعام وكساء وطيبات الحياة فحسب، ولكن في الموضع الذليل الحقير الذي أذن للحيوان فيه بأن يصبر ، وأعطى الصبر الذي به يطيق ، ولم يعط مثل ذلك للانسان .

ولا ننسى أن نذكر ما تصنع القدرة بصاحبها من بني الناس . انها أولا تحافظ على مكانتها باذلال الغير . وهي

ابراهام لنكلن

قال ان الرجال ليسوا سواء في القدرة العقلية ، ولا في الموهبة الاخلاقية ، ولا في الكفاية الاجتماعية



ثانيا تصطنع أعوانا تضعهم في مراكـــز القـــوة والنفوذ ليطيعوا عندما يؤمرون . وتصطنع الأقارب ، واقارب الأعوان ، فتصبح مفاتيـــح العيش ، لا في الايدى المستحقة ، التي يسو ّدها استحقاقها ، فتكون قمينة بالاحتفاظ بهذه المفاتيح ، ولكن فيالأيدى العابثة التى أيسر ما عليها تخريب الأقفال، وبتخريبها تنسد موارد العيش ، وتنضمر الروافد .

هكذا تكون حياة الناس على الطبيعة .

والسبب ؟ انهم ولدوا مختلفين ، لا متساوين .

تماما كما اختلفت الحيوانات . وقسا بعض على بعض كما تقسو الحيوانات .

ومن أجل هذا ارتفع الانسان عـــن حيوانيتـــه ، الى انســـانيته ، وطالب بالمساواة ، لأن الناس خلقوا مختلفين ؛ لا لأن الناس خلقوا متساوين .

وطلب الانسان المساواة ، ولم يطلبها قبيل الحيوان .

وطلب الانسان المساواة لما أودع الله في نفسه من معان خافية للرحمة، ومعان مستورة في قلبه تنعتها بالعدالة . ونحاول ان نعالجها بالمنطق ، فتتعب المنطق فلا يجد الى استكناهها سبيلا . ان الفـــرد القوى العاتى ، الذى لا رحمة في قلبه ، ولا معنى للعدل كمين في نفسه ، لا شك يسعد في حياته لأنه حرم الرحمـــة ، وحرم معنى العدل . وذلك بسبب انه انسان منقوص . أما الانسان الكامل ، الذى خلقه الله كاملا ، في جسده ، وعقله وقلبه ، فيعكر عليه صفوه، صفو الحياة، ان يعبث بالرحمة ، وان يعبث بالعدالة ، او أن يرى الرحمة وان يرى العـــدالة يعبث بهما عابث .

واعود فاكرر أننا نحن معشر الناس ، نطلب المساواة بين الناس ، لا لأنهـــم خلقوا متساوين ، ولكن لأنهم خلقـــوا مختلفين . ونطلب المساواة لا بناء على منطـــق ، ولكـــن بنـــاء عـــلى شـــعور مخلـــوق مـــع الانســـــان ، فى قلب الانسان ، دفين ، لا يستطيع أن يتخلص منه وان حاول . انه كالأنفاس ، تتردد وتتعدد وتتوالى على الرغم منه ما طلب أن تمتد به حياة .

المساواة أمام القانون

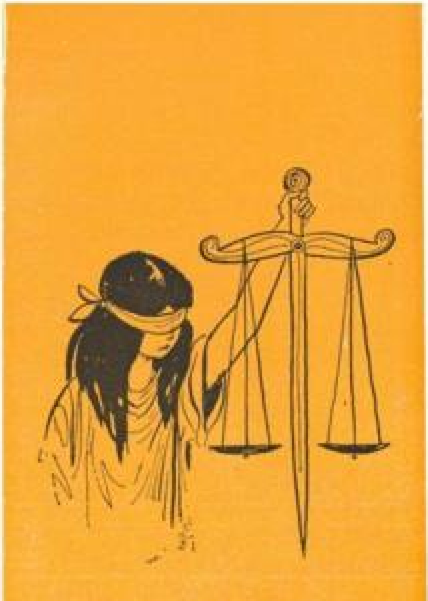
والمساواة صنوف .

ومنها المساواة أمام القانون .

ولعل هذه المساواة كانت من اقـــدم ما طلب الانسان من مســـاواة ، لأنها ابسط وجوه المساواة صورة ، ولأنهـــا عند التنفيذ ، مع وجود الرغبة العامة القائمة في ذلك ، اقل صنوف التنفيذ تعقيدا .

والمساواة أمام القانون لا يكفي فيها أن يدعى الخاصم والمخصوم ، فيقفا معـــا أمام القاضي ، على درجة سواء ، ليقضي بينهما . ان هذا المظهر يعطى الجو الملائم والمهيىء للعدالة ان تكون . ولكنه لايكفي. ان العدالة لا تكون في الاجراء وحده ، ولكنها كذلك ، وعلى الأخص في ما تقضي به القوانين . فالعدالة لا تبدأ عند القضاة في المحاكم ، ولكن عند واضعي القوانين ، وما على القاضي الا صحة التطبيق .

وواضـــعو القوانين ، وهـــم رجـــال البرلمانات ان تكن برلمانات ، أو رجـــال السياسة ان يكن هناك رجال سياسة ، هم الذين يحدّدون معنى الحق ومعنى الباطل ، ومعنى الحـــلال والحرام ، استمدوه من دين أو غير دين ، ومعنى الجريمة والعقاب . وامر المساواة في كل هذه المعاني ظاهر ، المهم فيها جميعـــا أن يكون الناس فيها سواء . ولست ازيد فأتنـــاول القوانين التي ظاهـــرها المساواة ، وباطنها استهداف قـــوم بعينهم . ولا في تلك الأخرى التى هـــى



المساواة امام القانون اقدم ما طلب الانسان من مساواة

للكبت ، وليس فيها من العدالة الا انها مساواة في تقسيط الشر على الجميع .

المساواة اذن يجب ان تكون امام القانون ، وفي القانون .

وانا العربي لا استطيع ، وانا اتحدث عن المساواة أمام القانون ان لا اذكر ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا ، وما جاء به الخلفاء من بعده ، وما جاء به الفقهاء انها أمثال تضرب في المساواة يغفلها دارسو الغرب اغفالا . اغفلوها عن جهالة وعن غير جهالة . ولم اجد دارسا عربيا بحث هذه المساواة ، المساواة أمام القانون ، اتكون او لا تكون ، لانهم عدُّوها بعض البديهيات المسلم بها اساسا . كالكوب يسقط منه الماء اذا هو مال ، ولا يسال احد لم الماء ينسكب .

ونذكر الاسلام ونذكر المسيحية ، فما دين جاء به كتاب ، الا وفيه العدل اساس والناس سواسية .

● حديث الشهر

المساواة في التعليم

اما التعليم من حيث هو ، فالهدف منه ظاهر ، فالتعليم تفهيم بالدنيا التى نحن فيها ، وتعريف بأحسن المسالك التى نسلكها في العيش على سطح هذا الكوكب ليكون لنا ، ما ظلت بنا نبضة نستطيع بها ان نتحرك بالحياة ، نصيب موفور من ذلك الشيء المبهم الذى نسميه سعادة العيش ، أو نصيب منقوص من ذلك الشيء الآخر الذى هو اقل ابهاما ، ذلك الذى نسميه بشقاء الحياة .

والتعليم يعطى القدرة على المزاحمة لاقتسام ثمرات هذا الوجود ، وثمرات ما يبذل الناس من جهود .

من اجل هذا نريد ان نعطى الناس قسطا سواء من كسب هذا العرفان الذى طريقه التعلم حتى تكون مزاحمة الحياة في كسب الثمرات مزاحمة عادلة ، بين قوى وقوى ، لا بين قوى بالعلم ، وضعيف بالجهل .

وقلت ان الناس ما خلقوا سواسية . وان مما اختلفوا فيه ، الذكاء والفطنة . والتعليم يقارب بين الناس في الذكاء والفطنة . وفي التعليم الذى يعم معنى المساواة عامة . المساواة في التسليح لمعركة الحياة . ولكل من بعد ذلك ثمرة جهاده .

فالتعليم اذن تصحيح للوضع الذى كان قائما عند ولادة .

ومن الاختلاف عند ولادة ان يكون ابو هذا ذا ثراء . وابو هذا ذا فقر . والمساواة فى التعليم ، بالمجان ، تقلل من فروق يجدها الأطفال فى آبائهم حين يولدون ، من غنى معه القدرة ، وفقر معه العجز . والمسألة ، من حيث الابناء الولائد ، مسألة حظوظ . فالوليد ذو الأب الثرى لم يكن له يد فى احداث هذا الثراء . والوليد ذو الأب الفقير لم يكن له يد فى احداث ذلك الفقر .

ومع كل هذا الاحتياط ، فليس معنى كل هذا ان الناس حين تولد ، وتفتح لها الأبواب هكذا وسعها على سواء ، ستتساوى ، عند انتهاء دراسة ، فطنة ومعرفة وانتاجا وحسن كسب للعيش . لن تكون مساواة في قدرة ، ولكن يكون تقريب قدرة من قدرة .

فانت قد تفتح الابواب للمساواة وسعها ، وبعض يقبل ويدخل ، وبعض يرفض وينصرف ، او يدخل ولكن لا يحسن دخولا واقبالا .

ومع هذا نرضى بهذا الواقع الذى لا مفرٌ منه .

نقول انها الفرص هيأناها للجميع واحدة .

وانه التقريب ، لا المطابقة بين الناس ، طلبناها لهم ، ارادة منا واحدة .

ومن عمل بعد ذلك ، فلنفسه ، ومن أساء فعليها .

المساواة السياسية

ومن السخرية فى هذا العالم الحاضر ان نتحدث عن المساواة السياسية ، فالمساواة السياسية من اول قواعدها انه ، عند الانتخاب ، لا يكون للفرد الواحد غير صوت واحد .

عند الانتخاب ؟ ! .

وقلِّب بصرك على خريطة الارض ، وعدَّ فيها كم دولة يجرى فيها اليوم انتخاب نستطيع ان نتحدث فيه عن مساواة . اعني انتخابا اى انتخاب ، لا اصفه بالحرية أو بنفيها .

ان اكثر اهل الأرض كفروا بحكم السواد من الناس ، فأقاموا عليهم قوّامين بالأمر ، اخذوا عنهم تبعة الحكم ، ريثما تعود الثقة الى اربابها .

ولن يمنعنا هذا ، مع كل هذا ، من متابعة دراسة المساواة السياسية ، وما تفرضه الديمقراطيات ، حتى التي لا تؤمن بالسواد ، من المساواة الانتخابية : رجل واحد ، له صوت واحد .

وهذا الراى ظاهر الحق ، حتى لكاد ان يكون بديهيا .

ومع هذا هناك من يعترض . هناك من يقول كيف تسوى بين عالم وجاهل . وبين كهل عركته السنون وشاب لم يكد يبلغ الثلاثين . وبين وبين . ومن هنا نشأت فكرة الانتخاب على درجتين لا درجة واحدة . ومعنى هذا قسمة الناس الى نصفين ، من اكتمل نضجه ومن لم يكتمل . وهذا هدم بالطبع للمبدأ الديمقراطي ، مبدأ المساواة .

ومع هذا ، فأكثر الديمقراطيين رضي المساواة البسيطة العامة ، بعض لتجربة في الاخرى فشلت ، أو لعلها تعقدت ، أو لعله امكن التأثير السياسي بالباطل فى النخبة القليلة المختارة الأولى من بعد اختيار ، وقبل أن تعود هى فتختار الممثلين فى البرلمان أو ما نسميه اليوم بمجلس الأمة القومي . وبعض الديمقراطيين رضي المساواة السياسية البسيطة ، لا يقبل عنها بديلا لأن عنده اعتقاد قائم دائم بأن الانسان ، ذا الجهل وذا العلم ، عنده الفطنة الطبيعية التي يميز بها بين الحق والباطل ، وعنده الحاسة الأخلاقية التي يفرق بها بين الخير والشر .

وهكذا اختلف الانسان في حقوق الانسان اختلافا بعيدا ، وكل فى موقفه يراه خير موقف ، ويرى رايه فيه احسن الراى .

وجاءت أدوات الاعلام الحديثة ، فقام عليها فى الديمقراطيات الحرة من يعبثون بالديمقراطية ، ويعبثون بالحرية ، بعقول الناخبين والمنتخبين فيوجهونهم كلَّ وجهة ، على ما سبق أن وصفنا فى مقال « الراى العام » بعدد « العربى » لشهر سبتمبر ١٩٦٧ .

وعندي ان سبب هذا الخبال ان المتحدثين الباحثين فى السياسة يطلبون لكل الأمم نظاما فيها واحدا ، على اختلاف هذه الأمم ، نشأة وثقافة ، وحضارة ، وتاريخا ، ومزاجا . وهم يفصلون لها الثوب الواحد ، وتلبسه أمة فيضيق عليها ، وتلبسه اخرى فتجده فضفاضا . او هو طويل عند هذه قصير عند تلك .

ومن اسباب هذا الخبال ، ان التعليم ، حتى فى الأمم الناهضة ، لا ينهض بجناحيه ، المادى والأدبى . فالجناح المادى اقوى كثيرا . وعناصر الشر فى الانسان لا يذهب بها تعليم ، وانما هو يخفيها ، وهي على استعداد دائما لأن تثور ، وهي في الأمم التي تدعي الديمقراطية تثور . فالحكومات دائما ، حتى على الديمقراطية مشغولة بدفع الشر .

ومن اسباب هذا الخبال ، ان الناس تطلب الكمال فى الحكم ، وتطلبه فى فى العيش . ويخيل الي فيما خبرت من الدنيا ، ان الكمال فكرة فلسفية يجب ان تحبس فى كتب الفلسفة فلا تخرج عنها ، فتغرى الناس بطلب المحال . وطلب المحال شقاء لا ينتهي .

المساواة الاجتماعية

واولها المساواة في الكرامة الانسانية فكل ما خلق الله كريم . والانسان احسن الخلق ، فهو اكرم الخلق جميعا .

فليس الفقر بمانع من كرامة . وليس الجهل بمانع من كرامة . والكرامة غير التكريم . فالكرامة في أمر الفقير والجاهل ، تكون فى الاحتفاظ بحرمة الفقير والجاهل ، وان لا تنظر الى الفقراء والجهال تلك النظرة الدنيا التي تهبط بهم عن مصاف الانسانية . ومن الكرامة رفع الفقر عنهم ورفع الجهل .

ومن المساواة الاجتماعية ان لا يكون



الطبقة معنى مستورد من اوروبا الغربية، استشرى على الاخص في الثورة الصناعية ، والتحول الى الراسمالية

في الناس قوم يقال لهم انهم السادة ، وذلك لأن آباءهم كانوا سادة، وكان آباء آبائهم سادة وان ابناءهم واحفادهم هم في اليوم والغد ، والى ابد الآبدين سادة ، وذلك بسبب الثراء واستغلاله والانفراد بالقوة . والى جانب هؤلاء اقوام يقال لهم انهم العبيد ، لأن آباءهم كانوا عبيدا ، وكان آباء آبائهم، وسوف يكون هكذا ابناؤهم والاحفاد .

ثم يكون من ذلك تكتل طبقي كالذى كان باوربا في العصور الوسطى ، وما تلاها . طبقة الأشراف تعمل لصالح اسرها ، وتستغل الآخرين لضعف فيهم، ولتفرق فيهم . فما كان الجهل يوما ، ولا كان الفقر بهما من القوة ما يأذن بتجمع وتكتل ، الا ان يفيض الكيل، كما وقع فى الثورة الفرنسية .

والطبقية معنى مستورة من اوربا الغربية ، وهى استشرت فيهم على الأخص فى العصور الأخيرة فى الثورة الصناعية والتحول الى الراسمالية ، وظهور البنوك والنشاط التجارى الذى

عم الأرض بسبب الاستعمار ، وتكدس الأموال من وراء ذلك .

ومن الغرب انتقلت الطبقية هذه العارمة الى شرقنا العربي ، ولكن ف حدود . لأن الشرق العربي كان مستعمرا ، والصناعة والتجارة والثراء والغنى لا ينمو في المواطنين حيث الاستعمار رابض . ومن اجل هذا كانت الطبقية العربية ، حيث وجدت ، متواضعة تجر ذيلا قصيرا .

والعرف العربي ، والدين العربي ، أعطيا للناس في ميزان الكرامة الانسانية اقساطا متساوية . فعمر ظل عمر . وابو بكر أبا بكر ، ومحمد محمدا ، ولم نسمع برفاعة بك وعلي باشا مبارك الا في القرون الحديثة القريبة ، ومع هذا ظلوا فلاحين ، يفترشون الأرض ويمصون اعواد القصب في الحقل مع الأحباب من اهل القرية والأصحاب .

وكدين محمد دين عيسى . وكدين عيسى سائر الأديان . الله وحده هو الأحد الفرد ، ولا معبود الا الله .

والطبقات لا تمحى
من حيث هي درجات من اهل العلم والفن تنفع الناس

وقالوا بمحو الطبقات .

وقالوا بتقريب الطبقات ، بعض من بعض .

وهم انما أرادوا من محو الطبقات محو تكتلها ، واستخدام هذا التكتل في استغلال الناس .

والطبقات ، من حيث أنها مراتب مختلفة ، يحتلها الناس ، بعض رفيع ، وبعض خفيض ، من حيث التأثير في انشاء الحياة ، ومن حيث الانتفاع بثمراتها ، هذه الطبقات كائنة كائنة ، تحت أى نظام سياسي ، من يميني متطرف ، الى يسارى متطرف ، وانظر اليوم في الأمم ذوات النظم المتناقضة المتباعدة ، تجد الناس فيها كأنما هي كتب على أرفف في خزانة ، بعض عال ، وبعض واطىء .

انما الذى حدث ، وكان من نتيجة الفكر الحديث ، انما هو تقارب هذه الطبقات . كان البعد بين الطبقة والطبقة الفا ، فصار مائة ، وصار عشرة . ومن حيث لقاء الناس وجها لوجه ، ومعاملة الناس بعض لبعض ، صار مترا واحدا وصفرا . الفت بينهم الصحبة الانسانية في العيش الواحد على اختلاف المراتب .

وأقول ان ذلك كان من نتاج الفكر الحديث ، وما هو في الواقع الا نظام قديم عرفه الانسان على الفطرة . فالفكر الحديث انما هدى الانسان الى فطرته الأولى .

وشيء آخر جرى ويجرى في الطبقات غير التقريب بينها . ذلك انفتاح أبواب هذه الطبقات لكل داخل فيها أو خارج منها . صار الارتفاع في ميزان الحياة لا بمن أبوك ومن عمك ومن خالك ، ولكن من أنت وما عملك وما تحسن من اشياء فيها نفع نفسك ونفع أسرتك ونفع المجتمع .

أصبحت المراتب ، لا مراتب اشخاص ولكن مراتب اعمال . والأعمال هي التي أصبحت طبقات منها الرفيع ومنها الخفيض . والرجال تحمل اليها حملا ، والنساء . وكل يوضع في الخانة التي يملؤها .

أقول اصبحت ، واريد أن اقول انها هكذا يجب أن تكون .

والمراتب ، في هذه العصور الحديثة ، صارت ، أو كادت ان تصير ، مراتب فنية . وان شئت سميتها طبقات .

فالساسة طبقة . والجيش طبقة . ورجال الأعمال طبقة ، بل طبقات عديدة



مجتمع اليوم طبقات مئات ، منها ما لو تكتل لاستطاع ان يهدم الحياة المدنية هدما

مثلتها اتحادات كثيرة . والمهندسون طبقة . والاطباء . والمعلمون. والتجار . والزراع طبقة . وهلم جرا .

انها طبقات عشرات ومئات . وهي طبقات متكتلة ، حتى ولو ضمتها وحدة شاملة . وهي طبقات ذات مصالح تتفق احيانا وتختلف احيانا ، والتناقض بينها قائم . والصراع بينها صراع دائم .

وقد عصفت كل هذه الطبقات بالمعنى القديم من طبقات الارستقراطية المستغلة المتحكمة . وعصفت بالطبقة الصناعية التي خلفت الارستقراطية في الاستغلال والتحكم . وانت واجد في بعض الامم الديمقراطية المتقدمة ، حتى على الرأسمالية ، ان تكتل طبقة واحدة من الطبقات التي ذكرناها يستطيع في ايام ان يهدم الحياة المدنية الحاضرة هدما . وانظر اليوم حيث أنا الى تهديد عمال السكة الحديدية ببريطانيا بالتوقف بسبب خلاف على الأجر ، وانظر الى تهديد الحمالين في الموانىء والى الطيارين في المطارات ، كل يطلب من الأجر وطيب المعاملة ما يراه عدلا ، وانظر من بعد ذلك ما يجره كل هذا من الضرر البالغ في المجتمع ، وحيرة رجال الحكم بين الرفض والقبول ، فأقول لنفسي ما كانت يوما طبقة واحدة بقادرة على ما قدرت عليه الطبقات في هذه الأيام .

شيء واحد فرّق بين العهدين . عهد الارستقراطية الزراعية المستغلة ، وعهد الارستقراطية الصناعية المستغلة ، وامثالهما ، كانت عهودا فيها الشعب يغط في نوم عميق ، زاد في ثقله الجهل وزاد الفقر . اما العهد الحاضر ، في الامم التي اعني ، فالشعب يقظ . ايقظه العلم ، وايقظته خبرة الحياة ومآسيها . وانتفع بهذه المآسي. ثم حلّ محل الطبقة الواحدة التي تطلب النفع لنفسها ، طبقاتٌ عدّةٌ كلها فتيٌّ ، اي بناؤها العمل ، حملت المجتمع على اكتافها .

انه توازن هذه القوى الجديدة ، منع قوة واحدة مستغلة ان تسود .

واعود فاكرر القول ان هذا لا يكون الا في الامم التي بلغت من اليقظة حدا كبيرا ، ايقظها العلم ، وايقظتها التكنية على ما وصفنا في « العربي » بعدد (اكتوبر ١٩٦٧) .

صفة العصر الحديث
الاستحقاقية مكان المحسوبية

معنى سبق ، ولكني أعود اليه لأزيده بعض تفصيل .

ان الاستحقاقية تهزم المحسوبية .

وانهزام المحسوبية معناه انهزام الطبقية ، بمعناها القديم ، لا بمعناها الحديث . أعنى بمعنى الاستغلال .

ان مصالح الدولة الحديثة تعددت ، وواجباتها تكاثرت واختلفت . واختلفت وجوه الانتاج التى تتولاها ، واختلفت

الخدمات وعز احصاؤها . وكل هذه يديرها رجال ، ومنها ما يديره النساء .

والمحسوبية تضع الرجل غير الصالح فى حيث يفسد العمل به ، انتاجا كان أو خدمة عامة . والرجل الصالح يؤخذ من القصر . كما يؤخذ من الكوخ . والرجل الصالح قد يؤخذ من بيت الوزير ومن بيت اللواء والمشير . وقد يؤخذ من بيت الخفير وبيت الجندى الصغير . واني لأذكر طبيبا كبيرا شهيرا تربى فى بيت اب كان بوابا يحرس باب الجامعة التي نشأ فيها .

وهذا الطبيب ارتفع غصبا ، من طبقة ابيه الى طبقة فى المجتمع ارفع ، لم يغلق احد دونه بابها .

فهذا ما يعنيه الذين يقولون بازالة الطبقية . وهذا ما يعنيه الذين يقولون بالمساواة ، فهي مساواة فرص للحياة . وهذا ما نعنيه عندما نقول ان الناس لم يخلقوا سواسية فالتجهز عند الجميع ليس واحدا ، وبعض بالعلم والعمل يرتفع ، وبعض ينخفض .

ولا حيلة لنا فى هذا ، ما دام ان الجميع فى الفرص متساوون . فى الفرص التي تؤهلهم للتساوى وليس علينا ، اذا رفضت الطبيعة ، ان لا يكونوا متساوين .

وليس علينا ان يرتفع بعض ، وينخفض بعض ، وتكون على هذا النحو الطبقات بمعناها الجديد .

اننا لا نستطيع اذا جمعنا بين الماء والزيت ، ان نمنع الزيت من ان يرتفع فوق الماء .

كل هذه معان ننعتها بالحديثة ، غلبة عادة ، وهى قديمة قديمة . انها عربية عتيقة .

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما

وهي اغريقية عتيقة ايضا .

قام بركليس Pericles ، رجل اليونان العظيم القديم ، يخطب فى اهل اثينا عام ٤٣١ قبل الميلاد قال : « ان القانون يؤمن للجميع عدلا متساويا فى خصوماتهم الشخصية . ولكن حق التفوق معترف به ، فاذا تميز مواطن فيكم ، كائنا من كان ، فضلناه فى الخدمة العامة ، لا بسبب تحيز شخصي له ، ولكن بحسبان ذلك مكافاة جدارة واستحقاق .

ورجل اليوم يعبر عن هذا المعنى بلفظ آخر . انه يقول ان المجتمع المدني الحديث لا بد ان يتقدم . وفى المنافسة والزحام الحاضر بين الامم ، لا بد للمجتمع ان لا يفتأ تقدماً ، فى علم وفى تكنية وفى انتاج هو ثمرة الحياة ، وكذلك فيما اسماه العصر الحديث بالخدمات . وهذا التقدم لا يكون الا بتلمس بذور الفطنة المبثوثة فى الأمة ، والبحث عن بشائر التفوق فى رجال ونساء ، فى اى بيت وجدت ، واى حي ، واى طبقة ، ودفع كل هؤلاء قدما بحسبانهم اكثر اهل الشعب نصيبا من تحمل تبعات الغد ، وهي تبعات ثقال . وبقدر التبعة تكون الحوافز ، وباختلاف الحوافز يختلف الناس فى انصبتهم من العيش .

فالناس تبدأ عند خط سباق واحد ، ولكن لا ينتهي السباق الطويل ، على السنين ، الا وقد اختلفت النتائج . ومع هذا تقارب بين الحظوظ ، يكون بالمنح الذى تزيد فى التآخى ، وهي نوع من الشكر لله يبذله من تميز على ما خصه به وحباه . ولن ننسى ابدا ان نصيب الفرد منا من ذكاء وغباء هو ايضا بعض حظوظ ميلاد . ■■

اكتوبر ١٩٦٧

احمد زكي

صفحة في اللغة

■ لا يجادل احد في ان اللغات يقتبس بعضها من بعض الفاظا ومصطلحات ، كما ان كثيرا من اللغات ترجع الى اصول واحدة .

والخصائص الوافية الدقيقة التى في تكوين اللغة العربية ، متمثلةً في نثرها ونظمها ، بقطع النظر عن المسميات المستحدثة في اوائل الاسلام ، لا يعقل ان تكون نتاج السنين القليلة ، ولا عشرات الاعوام ، وانما هي ربيبة عشرات القرون التى طوّرتها خلقا سويّا ، وجعلتها سليقة تدور مع المعاني المرادة في احكام دقيق .

استنبطوها من لغتهم وبلغتهم

واذن فحينما وضع العرب قواعد لغتهم لم يتناولوها من لغات قاصرة ، وانما استنبطوها من لغتهم العريقة ، الموغلة في القِدَم الى ما قبل أبي الانبياء ابراهيم عليه السلام ، ووضعوا لها مسمياتها من مشتقات اللغة نفسها : فعلا وفاعلا ... الى آخر ما صار عِلْماً متكامِل الحلقات ، لا هو من لغات بادت وبقيت آثارها ، ولا من لغات تشبه الاشباح المتداعية ، ولا من لغات تطورت وصارت واسعة الانتشار .

الامام علي وجّه ، وأبو الأسود بدأ

وكل ما يقال من نظريات لا يهدم اجماع الرواة والمؤرخين ان النحو العربي وضع مبداه ابو الأسْوَد الدؤلي، بتوجيه من الامام علي كرم الله وجهه ، ثم قام تلاميذ أبي الأسْوَد ، بالتوسّع في بنائه ، باعتباره مصطلحات وحدودا لشيء هو كائن موجود . وكل زعم ان السريانية مثلا هي صاحبة الفضل في النحو العربي انما هو زعم لا تصدقه البراهين ، فلم تبلغ السريانية ولا غيرها من اللغات المشتركة في بعض خصائص العربية ان تطاولها في مفرداتها ، ولا في جميع خصائصها ، لا في العصور القديمة ، ولا في ما اعقبها من عصور .

وفي العرب من وهب الله له من النبوغ ما يجعله ياتي بالباهر من الاعمال ، وهذا « الخليل بن احمد » وضع عِلْم العروض كاملا .

دعوى خاطئة

أقول ذلك لمناسبة ما جاء في مقال الأب اسحاق ساكا ، في مجلة « العربي » – العدد ١٠٦ – سبتمبر ١٩٦٧ « أثر اللغة السريانية في اللغة العربية » نقلا عن المؤرخ التركي أحمد رفيق قوله : « فذهب عندئذ ابو الأسْود الدؤلي الى البصرة ، وتعلم هناك اللغة السريانية الفصحى ، وعاد الى بغداد ، واسس ونظم اول نحو في اللغة العربية ، وقد اخذ منه العِلْم المذكور عيسه ، ومِنْ عيسه تعمم وانتشر ذلك العِلم ، وكَثُر فيه العلماء » . ثم يضيف الأب اسحاق : « .. وشهادة احمد رفيق هذه حريّةٌ بالاعتبار والاعتماد عليها لانها مستقاة من مخطوطات عربية قديمة » .

وهذا الكلام يهدم نفسه بنفسه .

فالبصرة أُنشِئت في عهد عمر بن الخطاب ، وسكانها كانوا كلهم عَرَبا ، وابو الأسود من ساكنيها الأولين في بدء نشأتها ، فلم تكن بالبصرةِ اذن سريانية فصْحى أو عامية .

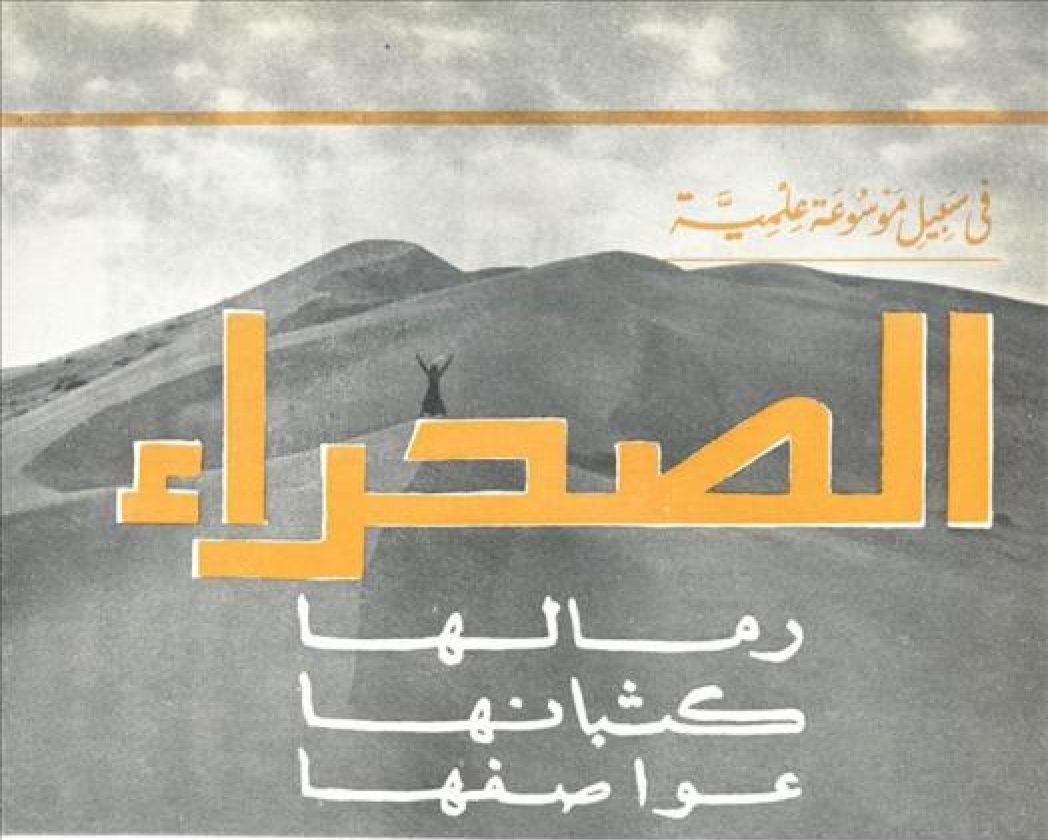
بغداد كانت قرية

وبغداد في أيام عمر ومن تلاه لم تكن الا قرية مجهولة ، لا علم فيها ولا مدارس ، ولم يَصِر لبغداد شان الا بعد أن بناها أبو جعفر المنصور العباسي ، وذلك بعد وفاة أبي الأسود بحوالى سبعين عاما .

واذن فالمخطوطات العربية التى استقى منها المؤرخ احمد رفيق واعتمدها الأب اسحاق ، ان كانت حقا مخطوطات ، هي من تاليف من لايعلمون ولا يفقهون شيئا من التاريخ الذي يُزيّف ما فيها .

هذا ولا يوجد من اسمه « عيسه » ، وانما هو عَنْبَسَة بن معدان الفيل ، أحد تلاميذ أبي الأسود ، الذين منهم أيضا ابنه عطاء ، ونصر بن عاصم ، وميمون الاقرن ، ويحيى بن يعمر . ■■

عبد الستار أحمد فراج



في سبيل موسوعة علمية

الصحراء

رمالها
كثبانها
عواصفها

والعواصف الغبارية هي في الكويت «طوز» . وفي مصر «خماسين» . وفي السودان «هبوب»

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ الرمال لا شك آتية أصلا من صخور الارض . من تفتتها . ومن صخورها النارية أولا ، ثم من صخورها الثانوية التى كانت نارية ثم تطورت .

فصخر نارى كالجرانيت عندما يتفتت، تخرج منه المكونات التى تألف منها، وهى صنوف من المركبات المعدنية عديدة .

وهذه المكونات تختلف كثافة ، وتختلف صفات وتفاعلات . وتعمل فيها عوامل الأجواء من حرارة وبرودة ، ومن ماء ، ومن ريح ، فتتفاصل فيما بينها .

وأكثر المواد التى تصنع الرمل كما نألفه مادة بيضاء ، هى مادة الكورتز Quartz وهى كيماويا أكسيد العنصر المعروف بالسلكون Silicon Dioxide ونقول ان لونه أبيض ، ولكن الرمل يميل الى الصفرة والحمرة . ومعنى هذا انه مختلط بمواد أخرى من مكونات الصخر الأول ، كاكسيد الحديد مثلا .

حجم حبات الرمل

ونطلق الرمل على الحصا الصغير الذي لا يزيد قطر حبته على نحو مليمترين ، وقد تصغر الى ان تبلغ ٥ .ر. من المليمتر .

فان زاد القطر عن ذلك ، او قل ، كان له أسماء أخرى ، يتميز بها من حيث ما يفعل به الريح او يفعل الماء الجارى في الارض .

ومن الرمل ، في بعض بقاع الأرض ، ما تغلب عليه مكونات أخرى من قديم الصخر الذى نشأ منه . هناك مثلا مساحات من الارض رملها من الجبس ، وحتى من الجبس النقى Gypsum كما في ولاية المكسيك الجديدة في الولايات المتحدة .

فعل الماء والريح في الرمل

والماء والريح واختلاف الحرارة هى التى جعلت من فتات الصخر رملا ، فالريح تهب ، فتحمل هذا الفتات فيحك بعضه بعضا فيبرى منه ما يبرى ، فيصغر حجما ، ويستدير شكلا . وكذا هو يفعل في الماء . ولكنه في الريح افعل كثيرا .

وقد زعموا أن مكعبا من الرمل ، من الكورت ، ضلعه نحو نصف مليمتر ، لا يتكور تماما الا اذا جرى مع اخوة له في الماء مسافة تبلغمحيط الارضخمسين مرة . ولكن في الريح تكون استدارته اسرع مائة مرة الى ألف مرة .

وأجروا تجارب أثبتوا فيها ان برى الحبة من الرمل لأختها في الماء ضعيف وذلك لخفة وزن الحبة في الماء .

ليست كل الصحراء رملا

ليس صحيحا ما يظن الناس عن الصحراء انها كلها رمال . ذلك انالواقع هو انالصحارى اكثرها منصخر لا نبات فيه ، اما الرمل السائب الذى عليها فلا يغطى منها الا ما بين ١/٨ مساحتها

هكذا تظهر كثبان الرمال في الصحراء الكبرى بشمال غرب افريقيا ، وهى لا تثبت على حال ، انها تتنقل دائما



(الصحراء الكبرى) أو ١/٣ مساحتها (صحراء الجزيرة العربية) .

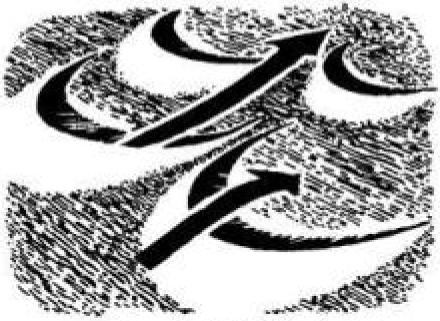
وفي غير هذه من الصحارى قد لا تزيد مساحة يغطيها الرمل السائب عن ١/١٠ مساحتها .

كثبان الرمال

الريح تهب قوية

والرمال تنزاح خفيفة

وتنقل الريح الرمال ، من مكان الى مكان ، اطنانا مئات ، واطنانا ملايين .



حيث الرمال أقل كثرة في الصحراء :
في الصورة العليا .. تهب الريح في اتجاه واحد ، فتصنع من الرمال اهلة

وفي الصورة السفلى تهب الريح في كل اتجاه ، فتصنع من الرمال اشباه النجوم



وتتراكم كثبانا صغيرة ، وكثبانا طويلة ، وأخرى عريضة .

وقد يبلغ طول الكثيب الواحد مائة ميل ، ويعرف بظهر الحوت . وترتفع الكثبان حتى لتبلغ ٢٠٠ متر علوا فما فوقها ، كما في صحراء الربع الخالى .

وتتشكل الكثبان اشكالا شتى ، فمنها ما يطول في وسط الصحراء كالسيف ، ومنها ما يكون اهلة . ومنها ما يكون له شكل النجم وكأنما تكونت له من تلألئه في السماء اسنة حداد .

والكثبان تنتقل . والسرعة التى بها يتحرك الكثيب تتوقف على قوة الريح في الناحية ، وعلى علو الكثيب ، والكثبان الصغيرة أسرع تنقلا .

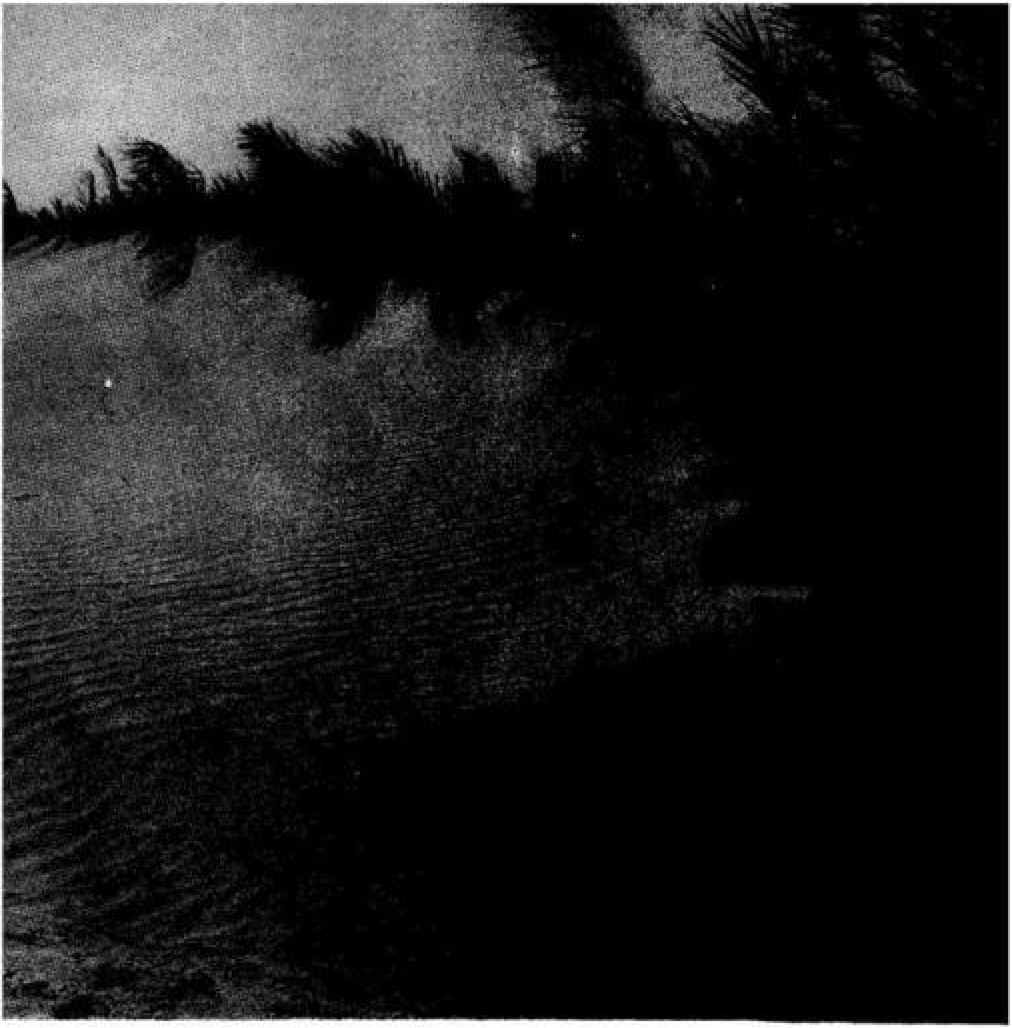
وليست الرمال موطنها آسيا وافريقيا ولا غير ذلك . فأوروبا بها رمال ، وامريكا بها رمال .

وقد حسبوا سرعتها في الدنمرك فكانت من ٨ الى ٢٠ قدما في العام .

وفي فرنسا ، عند خليج بسكاى ، تقدمت الرمال في تحركها مسافة بين ١٥ و ١٠٥ اقدام في العام ، وهي في تقدمها دفنت غابات ، ومزارع ، وكنائس ، وقرى كاملة .

ولأن هذه الكثبان تتحرك فمن المنتظر ان ينكشف ما اندفن عندما تتحرك الكثبان في طريقها قدما . وقد حدث هذا في الجانب الجنوبى من بحيرة متشجان بأمريكا ، فان الكثبان غطت غابات ثم كشفت عنها لما تزحزحت عنها في طريق سيرها .

ومما لا شك فيه أن بآسيا كثيرا من المدن ، من صغيرة وكبيرة ، هى اليوم دفينة تحت الرمال بسبب هذه الكثبان .



هكذا تزحف الرمال على الزراعة في القطيف في الجهة الشرقية من السعودية. ويدفعون الرمال بحاجز من الشجر القوى المتين وقد يقوم سد من الشجر وراء سد ، توكيدا للمقاومة

ويحسب الحاسب أن الريح تهب هوجاء ، وتهب لا هدف لها . وقد دلت بحوث جرت في رمال ليبيا أن الكثبان لها أشكال لها مواطن . فالشكل يتكرر ، والشكل الواحد يكرّن الشكل المثيل ، فكأنما الكثبان تتوالد كما يتوالد الانسان .

وهذا يدل على أن هذه المناطق تحكم رياحها ظروف قائمة دائمة متكررة .

زحف الكثبان على المزارع

والصحراء لا تزرع .

ليس في أرضها التربة الصالحة .

وليس فيها الماء. والريح تهب فتحمل ما قد يكون في الارض من ماء أو رطوبة ، فالصحراء اذن موطن الجفاف . والرجل قد يعمل في الصحراء ما يعمل، ولا يعرق لان كل عرق لا يكاد يخرج حتى يجف .

والصحراء تزحف برمالها على ما يزرع الانسان ، حتى لتأكل أرض الريف أكلا. كذلك هى فعلت في ليبيا ، وكذلك هى فعلت وتفعل في القطيف من المملكة العربية السعودية (راجع استطلاعنا في العدد ٩١ من العربى) وقد علمنا هناك من أولى الأمر وسائل وقف هذا الزحف . صف من الشجر أقاموه عند حافة المخضر من الارض ، من ورائه صف آخر . كلها صفوف دفاع تدفع عن الزرع الرمل الزاحف .

ومن طرق دفعه رش سطح الصحراء بخام الزيت ، زيت البترول ، أو بما نتج من خاماته ، فيمتزج بالرمل . ويتصلب . فعلوا ذلك في حماية سكة حديد الحجاز أو هم قائمون يفعلونه ، على أن يسووا اولا بين سطح السكة وسطح الصحراء على جانبيها حتى لا تقوم السكة بما عليها من قضبان عائقا يتجمع عنده الرمل كثبانا .

عواصف الرمال في الصحراء

وهى نوعان :

عواصف رمل .

وعواصف تراب أو غبار .

والتراب ادق من الرمل ، وأخف .

وكلاهما تثيره ريح قوية .

وان كان المحمول ترابا ، فهو يذهب في السماء عاليا ، مئات من الامتار .

وهو يحجب نور الشمس . ولخفته يبقى في السماء طويلا

وهو يعرف بالكويت خاصة بالطوز .

صورة فوتغرافية ، لعاصفة ترابية انظر كيف علا غبارها الى السماء

وقد علمت أن الطوز لفظ تركى معناه الغبار .

وهو يحجب النظر حتى لتتعذر بسببه في الطريق الرؤية ، فكأنه الضباب .

أما عواصف الرمل فلا تعلو هذا العلو بسبب ثقل الرمل. وهى قد تبدأ بخليط من تراب ورمل ، ثم ينزاح الضباب ، ويرى الرمل متحركا ، يعلو عن أرض الصحراء أقداما قليلة ، يكون الهواء فوقه صافيا ، حتى لترى من فوقه رؤوس الناس دون أجسامهم . وترى رؤوس النعام حتى لقد قيل انها خلقت طويلة الرقبة لتعلو بها عن هذا الرمل العاصف.

ومن العواصف ما يقع بين بين . ومن الباحثين من يدمج الصنفين تحت اسم واحد ، هو عواصف الرمال Dust Storms لأن الرمل لا بد ان يدق ليخف لتحمله الريح .

ومن هذه العواصف « خماسين » مصر .

ومن أشباهها « هبوب » السودان .

وهذا الرمل العاصف هو الذى يضرب الصخر في تلال الصحراء وآكامها وجبالها فيبريها حيث هى لينة رخوة ويبقى منها الجسم الصلد أشكالا عجيبة غريبة .

●●

احمد زكى





١ ـ غوليلمو ماركوني



٢ ـ اسحاق نيوتن



٣ ـ ماري كوري



٤ ـ كريستوف كولمبوس

مسابقة العربي

١٠ مخترعين ومكتشفين عالميين

■ مسابقة العدد تحوي أسماء ١٢ شخصية مختلفة ... منهم من اكتشفوا أمصالا وأدوية شافية ... ومنهم من اخترعوا آلات وقوة دافعة ... ومنهم من اكتشف أماكن نائية ..

والمطلوب منك هو أن تكتب أمام كل اسم من هذه الاسماء الاكتشاف أو الاختراع الذي اشتهر به صاحبه .

ورغبة منا في تسهيل الاجابة عليك ، جعلنا نسبة النجاح والاشتراك في القرعة النهائية ، مقصورة على القراء الذين يتعرفون على عشرة أجوبة فقط ..

وقد وضعنا صور هذه الشخصيات المعروفة على هاتين الصفحتين ، وتحت كل منهم اسمه وبجانبه رقما ... وفي نهاية هذا الكلام وضعنا جدولا بأسماء الاختراعات والاكتشافات التي قاموا بها ، وهي :

مكتشف ميكروب السل
اكتشف بحيرة فيكتوريا
اكتشفا قبر توت عنخ آمون
أحد مخترعي اللاسلكي
اخترع الجرامفون
اكتشف قانون الجاذبية

مكتشفة الراديوم
اكتشف مضيقا في الطرف الجنوبي من أمريكا
اخترع التليفون السلكي
حول البخار الى قوة دافعة
كاشف المصل الواقي من شلل الاطفال
اكتشف أمريكا

ـ جوناس سالك



٩ ـ جيمس وات



١٠ ـ كارتر وكارنفون





٧ ـ دافيد ليفنجستون



٦ ـ فرناند ماجلان



٥ ـ روبرت كوخ

وجوائز ١٠٠ دينار

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٠٨ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٧
٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

١١ ـ جراهام بل



١٢ ـ توماس اديسون



● أكثر المثقفين في بلادنا يرقصون على الألحان التي يعزفها صاحب السلطان !

مسؤوليات المثقفين العرب..

بقلم : سليمان موسى

■ ليست النكبة التي أصيب بها العرب في شهر حزيران الماضي من صنع رجل واحد أو عدد معيّن من الرجال ، كما قد يتبادر الى اذهان بعض الناس . ولا يجوز أن تلقى مسؤولية ما حدث على كاهل شخص واحد أو عدد معيّن من الأشخاص . ففي العصر الذي نعيش فيه قلت فعالية الفرد اذا عمل بمفرده ، أكثر بكثير مما كانت عليه في العصور السالفة ، لأن المدنيّة وأساليبها التكنولوجية أصبحت اليوم عملا جمّاعيا مشتركا ، يقوم بالدرجة الأولى على تعاون مجموعات كبيرة من الأشخاص . وما أشبه الأمة في أيامنا هذه بالآلة ذات الأجهزة المعقدة ، لا تعمل بالكفاءة التامة والفعالية المطلوبة الا اذا كانت جميع أجهزتها ، صغيرها وكبيرها ، صالحة للحركة المتناسقة المتآلفة مع بعضها البعض .

ولقد راجت في الآونة الأخيرة بين العرب موجة من ممارسة النقد الذاتي ، وهو أمر حسن وجميل ويدل على رغبة مخلصة في التبديل الى الأحسن والأفضل . ولكن يَحْسُن كثيرا بمن يمارسون عملية نقد الذات أن ينظروا الى الخشبة التي في عيونهم ، قبل أن ينظروا الى القشة التي في عيون الآخرين . ليست الأمم بزعمائها وحكوماتها ، بل بأفرادها . وقد تصدر الحكومات قوانين وأنظمة وتعليمات أفضل وأكمل ما تكون القوانين والأنظمة والتعليمات ، ولكن الحكومة لا تستطيع أن تفعل شيئا اذا لم يكن الشعب واعيا مسؤولياته الجماعية لا الفردية ، فلم يطبّق كل فرد من أنظمة الحكومة سوى ما يلائم مصلحته الخاصة .

• الكتّاب العرب لم يعرضوا قضية فلسطين، كما يعرض الصهاينة أباطيلهم بعد ترويقها!

.. بعد النكسة

المواطنة حقوق وواجبات

المواطنة الحقة حقوق وواجبات ، وكلما ازدادت غيرة المواطنين على اداء واجباتهم ـ وخاصة الجماعية منها ـ ازدادت الحقوق التي يتمتعون بها . ولما كان المواطنون فئات تتفاوت فيها القابلية والكفاءة والمواهب والمسؤوليات ـ فان توزيع المسؤولية يجب أن يتفاوت بين كل فئة من الفئات ، وبين افراد كل فئة بعينها ، على مقدار الطاقة التي يملكها كل مواطن . ومن هنا تبرز المسؤولية التي يتحملها المثقفون وحَمَلة الأقلام العرب ، وهم القائلون انهم أصحاب الفكر وقادة الراى والقائمون على التوجيه ، وهم الذين يضعون نتاج قرائحهم كل يوم بين أيدى القراء ، سواء على شكل كتب او عبر الاذاعات او فى الصحف والمجلات . ألم يطلق على الصحافة لقب « السلطة الرابعة » فى المجتمع ، بعد السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ؟ .

ولست أريد أن أبدأ باطلاق الأحكام العامة الشاملة ، التى كثيرا ما تكون بعيدة عن الانصاف وعن المنطق . ولكنني احب أن أعطي بعض النماذج واضرب بعض الأمثلة ، لعلني استطيع أن اضع المثقفين من خلالها امام مسؤولياتهم، ولعل القارىء يستطيع من خلالها ان يحكم اذا كان المثقفون العرب قد قاموا بما يفترض أن يقوموا به نحو امتهم وبلادهم .

رواية « الخروج » كعمل أدبى

ان الذى يطلع على ما ينتجه الكتّاب الصهيونيون من مؤلفات فى اللغات العالمية المختلفة، ويقارن فى ذلك بما ينتجه الكتّاب العرب ـ يدرك البون الشاسع بيننا وبينهم ومدى تقصير كتابنا ومثقفينا فى اداء واجباتهم . لقد احرزت رواية « الخروج » Exodus لمؤلفها ليون اوريس ـ وهذا على سبيل المثال لا الحصر ـ شهرة عالمية واعيد نشرها عدة مرات ثم حولها المخرجون الى فيلم سينمائي ناجح . ومع أن هذه الرواية تتضمن قدرا كبيرا من الأكاذيب والتزويرات ـ ليس ضد العرب فحسب بل ضد جميع الشعوب التى قدّر

لليهود أن يعيشوا بينها ويتصلوا بها ـ فان الرواية اخذت مكانتها كعمل ادبي ، وغزت أذهان الاف القراء الذين تأثروا بها دون شك ، ولم يتوقف كثيرون منهم ليتساءلوا عما فيها من اكاذيب وعما فيها من حقائق . ولم تكن هذه الرواية عملا هينا مريحا ، بل كان وراءها ـ كما يقول كاتبها ـ خمسون الف ميل من الأسفار ، وسنتان من العمل الشاق ، ومقابلات مع مئات الأشخاص وقراءة مئات الكتب (١) .

انني لا أعرف كاتبا عربيا أنتج بلغة أجنبية عملا أدبيا بهذا المستوى او قريبا من هذاالمستوى. أعرف مثلا كاتبة أجنبية من أصل ايرلندي هي السيدة « اثيل مانن » التي دفعتها صداقتها للعرب الىوضع روايتين تصوّران ناحيةمن نواحي وجهة النظر العربية هما «الطريق الى بئر السبع» و « الليل وما وسق » ولكن الانصاف يقتضي أن نقول ان مستوى أعمال هذه الصديقة لا يرتفع الى مستوى كتاب الطبقة الأولى في العالم ، لذلك كان نجاح الروايتين نجاحا محدودا (٢) .

مثقفو فلسطين .. وقضية فلسطين !

والقضية الفلسطينية ، قضية العرب وما لحق بهم من ظلم ومظالم على أيدى القوى الشريرة التى خلقتها ، هذه القضية ، هل استطاع الكتاب والمثقفون العرب أن يعرضوها على مسامع الرأى العام فى العالم وأمام أنظاره بالأسلوب العلمي المنطقي الرصين ؟ .

لا أريد هنا أن أقارن بين الجهد الصهيوني والجهد العربي في هذا المضمار . ولكنني أستطيع أن أقدم نموذجا يبرز واضحا من خلال كتاب « الطرق المتقاطعة الى اسرائيل (٣) » الذى وضعه قبل عامين كريستوفر سايكس ، نجل السير مارك سايكس (المعروف جيدا عند العرب بانه أحد اثنين اشتركا في وضع الاتفاقية المشهورة « اتفاقيه سايكس ـ بيكو » والتي وضعت اسس اقتسام اقطار الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا عام ١٩١٦) .. لقد اعتمد المؤلف فى تصنيف كتابه القيم على مصادر متعددة استوعب تسجيلها اربع صفحات ، ولكن من المؤلم أن تلك المصادر كانت كلها اجنبية ـ لمؤلفين يهود وغير يهود ـ باستثناء مصدرين اثنين لمؤلفين من بلاد العرب ، هما كتاب « اليقظة العربية » تأليف جورج انطونيوس (٤) وكتاب « نضال العرب فى سبيل الاستقلال » تأليف الدكتور زين نور الدين زين (٥) .

أى عذر نستطيع ان نلتمس للكتّاب وحملة الأقلام العرب ؟ أنقول ان دور النشر الأجنبية توصد ابوابها دون انتاجهم ، بينما تفتح تلك الأبواب للصهيونيين ومشايعي الصهيونية ؟ اذا قلنا هذا فاننا نجافي الحقيقة ، لأن الكتاب الجيد يفرض نفسه على الناشر . وعندنا أمثلة عديدة لكتّاب عرب وجدت كتبهم طريقها الى النشر باللغات الأجنبية فى دور النشر الأوربية والأمريكية . أنقول ان عدد المتعلمين عندنا قليل ؟ اذا قلنا هذا جافينا الحقيقة أيضا ، فحملة القاب الدكتوراه والماجستير والألقاب العلمية الاخرى كثيرون عندنا ، وهم يزدادون عاما بعد عام . واذا تصدى أحد لاحصاء حملة الدرجات العلمية العالية من بين أبناء فلسطين بالذات ، لأعياه الاحصاء والتعداد . فمن منهم ذلك الذى خرج بكتاب شامل مبنى على أصول البحث العلمى الرزين عن القضية الفلسطينية ، وقام بنشره فى احدى دور النشر الأجنبية المرموقة ، بحيث يفرض نفسه كمصدر معتمد موثوق لا يملك الباحثون الأجانب الا أن يستعينوا به ويشيروا اليه ؟ .

مذكرات الملك عبد الله

قبل ثلاثين عاما وضع الدكتور (...) كتابا باللغة العربية عن القضية الفلسطينية وكان تعليق أحد الباحثين عليه كما يلي : « المعلومات التي نقلها المؤلف عن المصادر الأجنبيةصحيحة وموثوقة، أما المعلومات التي جاء هو بها فقد كانت حافلة بالأخطاء » .

---

(١) Leon Uris, Exodus, New York, 1953, pp. 626

(٢) Ethel Mannin, The Road to Beersheba, London, 1963, pp. 256
Ethel Mannin. The Night and its Homing. London 1966, pp. 256

(٣) Christopher Sykes, Cross Roads to Israel, London, 1965 pp. 479

(٤) George Antonius, The Arab Awakening. London' pp. 471

(٥) Zeine N. Zeine, The Struggle for Arab Independence, Beirut, 1960, pp. 297

فهل يا ترى نجد الجواب على تساؤلاتنا السابقة ، في هذا التعليق ؟ .

يبدو لي اننا في هذه المسائل لا ناخذ الكتابة بالجدية الكافية والصرامة التي يفرضها علينا عصرنا . ويشترك في تحمل المسؤولية الناشرون مع الكتاب (هذا اذا طرحنا جانبا أولئك الذين ينشرون كتبهم بأنفسهم ، أو دور النشر التي تنشر الكتب بعد أن يتدبر المؤلف قضية التكاليف) .

نستطيع أن ناخذ مثالا على هذا من مذكرات الملك عبد الله بن الحسين التي نشرت باللغة العربية وظهرت لها ترجمة باللغة الانجليزية . ففي الطبعات العربية الأربع التي ظهرت خلال عشرين عاما ، لا تجد أن الناشر أضاف كلمة واحدة عن حياة صاحب المذكرات ، أو اهتم بوضع ملاحظة واحدة على الهامش لايضاح نقطة ما . بينما تجد ان الناشر الأجنبي اضاف ملحقا الى كل فصل ، وفيه كثير من الايضاحات الوافية المفيدة التي تجعل من الكتاب مرجعا مستوفيا لجميع الشروط العلمية (٦) .

وأكثر من هذا ، تجد دار نشر معروفة هي (دار المعارف بمصر) تنشر كتابا مترجما ، ولكن غلاف الكتاب لا يحمل سوى عنوانه واسم المترجم . اما اسم المؤلف فلا تجده الا فيالصفحة الثالثةالداخلية وبالحروف الصغيرة ، ثم في المقدمة . ولكن القارىء الذى لا يمعن النظر في الصفحة الثالثة أو لا يهتم بقراءة المقدمة ـ يظل على الفكرة التي كوّنها عند النظر الى الغلاف من ان الكتاب هو من تاليف « علي الجارم » وليس من ترجمته . وهذا كله لا يمكن أن يحدث في بلاد الغرب : فالمؤلف هو المؤلف في الأصل والترجمة ، وهو الذى يحمل الغلاف اسمه في الحالتين .

الكتب المترجمة .. وأمانة النقل

وعلى ذكر الترجمة ، لا بد من القول ان القليل من الكتب المترجمة الى اللغة العربية جدير بالثقة التامة . ويشترك في وصولنا الى هذه النتيجة المؤسفة المترجمون والناشرون على السواء . ذلك أن المترجم لا يتقيد بامانة النقل العلمية ، ولا يكلف نفسه عناء البحث عن حقيقة أسماء المصطلحات والأعلام . واذا قارن المرء بين أصل كتاب الجنرال جلوب « جندى مع العرب » وبين الترجمة العربية ، لبلغت منه الدهشة مبلغا عظيما فيما يتعلق بتسمية الوحدات العسكرية(٧). ومعروف لدى المطلعين ان للوحدات العسكرية تسميات تختلف بحسب احجامها من « حضيرة » الى « فئة » الى « مفرزة » الى « سرية » الى « كتيبة » الى « لواء » الى « فرقة » ، وكل اسم يقابله اسم في اللغات الأجنبية . ولكن مترجم ذلك الكتاب لم يبال أن يضع اسم المفرزة (وتعداد افرادها لا يتجاوز عشرين شخصا) في موضع اسم « الفرقة » وتعدادها يتراوح بين عشرة آلاف وخمسة عشر الف شخص !! .

وفي كتب اخرى يرى المرء العجب في تبديل أسماء الأعلام ، والجهل المطبق في نقلها مشوّهة محرّفة عن اللغة الانجليزية ـ مثلا ـ الى العربية، رغم أن أصلها عربي : فبير السبع تصبح « بير شيبا » واريحا « جريشو » والخليل « حبرون » وعودة ابو تايه « عودة أبو طي » وعبد الله الغمر « عبد الله الغير » ، وقس على ذلك .

وعدم وجود دور نشر تتحمل مسؤولياتها العامة على مستوى دور النشر الغربية ، شجّع ويشجع الكثيرين على الانتحال وادعاء التاليف ، حتى تجد كتابا يصدر بالعربية عن حياة المستشرق المعروف عبد الله فلبي ، وتطالعه فتجد أن مؤلفه العربي لم يفعل الا انه لخص كتابين من كتب فلبي هما « أيام عربية » و « أربعون عاما في القفر » ، واضاف الى التلخيص تعليقات تهجمية عاطفية ، صادرة عن هوى سياسي لا عن منطق علمي ، ثم نشر الكتاب على انه من تاليفه (٨) .

مسؤولية القارىء العربى

ومهما غالينا في لوم الكاتب والناشر في بلاد العرب ، فاننا يجب ان لا ننسى القارىء العادى ويجب أن لا نخلي طرفه من المسؤولية في هذا كله . ولا احسب انني اتجنى كثيرا اذا قلت ان المواطن العربي لا يميل الى القراءة بصورة عامة ، واذا

---

(٦) Memoirs of King Abdullah, Edited by p. Graves, London, 1950

(٧) Lt. General Sir J.B. Glubb, A soldier with the Arabs, London, 1957

(٨) Philby, H.St. John, Arabian Days, London, 1948
Philby, H.St. John., Forty Years in the Wilderness, London, 1957

قرأ فهو يقرأ الصحف ـ احدى الصحف ـ للاطلاع على الأنباء السياسية ، واذا زاد على ذلك فهو يقرأ مجلة اسبوعية أو شهرية من المجلات التي يغلب على موادها الطابع العام السهل التناول . ويعجب كثيرون عندما يعلمون ان مجلة « العربي » تطبع من أعدادها الممتازة ١٧٠ الف نسخة .. واعجب انا ايضا ! لكنهم يعجبون لاعتقادهم ان هذا كثير .. امـا انا فاعجب ليقيني أن هذا قليل ، وقليل جدا ! فمجلة مثل « العربي » التي تعتبر عندنا رائجة جدا بهذا المقدار من النسخ ، جديرة أن لا يكتفي سوق القراء منها باقل من خمسة ملايين نسخة لو كانت في بلد أوروبي !! ان الصحف الكبرى في بريطانيا ـ وعدد سكانها لا يزيد على نصف سكان الاقطار العربية من المحيط الى الخليج ـ تطبع كل واحدة منها بضعة ملايين . سواء اليومية او الاسبوعية .

والقارىء العربي يتحمل قسطا كبيرا من المسؤولية ، من حيث انه لا يقرأ كما يجب ، واذا قرأ فهو يقرأ للتسلية وازجاء الفراغ . ومن هنا لا يجد الكتاب الجيد الرواج الذى يستحقه ، لأن الكتاب الجيد في معظم الاحيان كثير التكاليف ، والناشر يريد أن يقدم المادة التي يقبل عليها القراء ، وهي المادة الخفيفة التي لا تكلف كثيرا . والكتاب العربي يطبع منه ما معدله ثلاثة آلاف نسخة ، والقليل القليل من الكتب يعاد طبعه اكثر من مرة . وفيما ندر يعاد طبع الكتاب قبل مرور سنتين أو ثلاث على تاريخ صدور الطبعة الاولى .

الكتاب العربي وكثرة الأخطاء

ومن الأمور التي تلازم الكتاب العربي عموما انعدام فهارس الأسماء من جهة ، وكثرة الأخطاء المطبعية من جهة ثانية . وكلما امعن الموضوع في الجدية ـ سواء في كتاب او مجلة ـ قل عدد قرائه . حتى ان احد الباحثين المختصين قرر انه لا توجد في البلاد العربية كلها سوى مجلة واحدة تعنى بالأبحاث العلمية المحضة هي « مجلة الجمهورية العربية المتحدة للكيمياء » . وهذه المجلة الوحيدة واحدة من بين ١٥٠٠ مجلة علمية في العالم .

عود الى قضية فلسطين

ومن الأمور التي تستلفت النظر حقا ، انه بالرغم من اهتمام المواطن العربي بقضية فلسطين ـ سياسيا ـ فان أيا من الكتب الثلاثة التي وضعها مراقبو هيئة الأمم المتحدة على خطوط الهدنة، لم يترجم ـ فيما اعلم ـ الى اللغة العربية، وبالمقابل لم يقم اى عضو من اعضاء لجان الهدنة المشتركة بوضع كتاب عن الأحداث الخطيرة التي وقعت على خطوط الهدنة منذ عام ١٩٤٩ حتى اليوم . ولو كان الناشرون يعتقدون أن القراء يقبلون على قراءة كتب كهذه ، بمقدار ما يقبلون على قراءة الروايات ، لاقبلوا دون شك على ترجمتها ونشرها (٩) .

ولا يجوز ان ننسى اهمية وجود المؤسسات الكبيرة ، تدعمها الحكومات او يدعمها الاخيار من المواطنين ، التي تعني بالتاليف العلمي والترجمة العلمية دون حساب الربح والخسارة . ان هذه المؤسسات تستطيع ان تساهم في اعطاء فرص عديدة للقادرين على البحث عن طريق المنح ، كما تفعل الأمم الراقية . وفي هذا المجال يمكن اعطاء المثل من ان جورج انطونيوس مؤلف كتاب «اليقظة العربية » الذى اشرنا اليه ، لم يتفرغ لوضع كتابه الا عن طريق مساعدة المستر شارلس كراين صديق العرب المعروف ، الذى انشا على نفقته ضريح الشيخ جمال الدين الأفغاني في استانبول .

في خدمة الأسياد فقط !

وجانب آخر لا يجوز ان يفوتنا وهو ان اكثر المثقفين العرب يرقصون على اللحن الذى يعزفه صاحب السلطان . قليلون هم رجال الفكر الذين يتخذون لهم مبدأ معينا يدافعون عنه حتى ولو بلغ الأمر باب السجن أو حبل المشنقة . ومع أهمية التاثير الذى يصنعه الكبت على الحرية الشخصية الا انه لا عذر ـ على الاقل ـ للكاتب الذى يضع قلمه في خدمة الأسياد المتعاقبين بالوانهم المختلفة . وهنا نذكر قول شوقي : « وانما الأمم الاخلاق » .

■■

عمان ـ سليمان موسى

---

(٩) Comdr. Hutchison, E.H., Violent Truce, 1959
Genera Burns, E.L.M., Between Arab & Israeli, 1962
General Carl Von Horn, Soldiering for peace, 1966

نتيجة مسابقة العدد ١٠٦

٩٠٪ من الاجابات صحيحة!

■ بالرغم من أننا طلبنا الاجابة على عشرة أسئلة فقط من أسئلة المسابقة، بالرغم من ذلك، جاءت أغلب الرسائل تحوى ردودا على العشرين سؤالا .. وكان أكثر من ٩٠٪ من الاجابات صحيحا، على النحو الآتى:

١ ـ **ابراهام لنكولن**: محرر العبيد في أمريكا

٢ ـ **فاسكودى جاما**: اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح

٣ ـ **اسكندر فلمنج**: اكتشف البنسلين كدواء مطهر

٤ ـ **بادن باول**: مؤسس حركة الكشافة العالمية

٥ ـ **كمال اتاتورك**: استعمل الحروف اللاتينية بدلا من العربية في الكتابة التركية

٦ ـ **برتراند راسل**: عالم وفيلسوف انجليزى

٧ ـ **مارى انطوانيت**: قطعوا رأسها بالمقصلة

٨ ـ **شامبليون**: أول من فك الحروف الهيروغلوفية

٩ ـ **شوبان**: مؤلف موسيقى بولوني

١٠ ـ **شاتوبريان**: من كبار الكتاب الفرنسيين

١١ ـ **جوتنبرغ**: مخترع الطباعة

١٢ ـ **فان جوخ**: رسام هولندى ذو فن حديث

١٣ ـ **بختنصر**: ملك كلدانى هزم اليهود وسباهم

١٤ ـ **طاغور**: شاعر هندى عالمي

١٥ ـ **كاروزو**: مغني أوبرا ايطالي

١٦ ـ **هدى شعراوى**: رئيسة جمعية نسائية رفعت شأن المرأة العربية

١٧ ـ **امين الريحانى**: أديب لبناني ورحالة عربى ومؤلف

١٨ ـ **ابن بطوطة**: رحالة مغربى طاف العالم المعروف في عهده

١٩ ـ **جان جاك روسو**: مؤلفاته كانت السبب في الثورة الفرنسية

٢٠ ـ **سليمان الحلبي**: اغتال الجنرال الفرنسي كليبر

اسماء الفائزين

وباجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة فاز الآتية أسماؤهم:

١ ـ الجائزة الاولى ومقدارها ثلاثون دينارا فاز بها: عبد المعطى أحمد مصطفى ـ مكتب بريد مطار عمان ـ الاردن.

٢ ـ الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا، فازت بها: سلوى محمد شنب ـ جامعة الرياض.

٣ ـ الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها: لبيب عزام ـ ملك هايل الحلبي ـ السويداء ـ سوريا.

٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا، وكل منها ٥ دنانير، فاز بها:

١ ـ دخيل ابراهيم محمد الجسار ـ الشامية ـ الكويت.

٢ ـ المحامى ابراهيم عثمان ـ شارع الرشيد ـ بغداد.

٣ ـ مجلدى ابراهيم محمد عزوز ـ الخرطوم ـ السودان.

٤ ـ سعاد محمد سليم ـ الاسكندرية ـ ج٠ع٠م٠

٥ ـ فكرت حافظ ـ شركة التنمية الوطنية ـ طرابلس ـ ليبيا.

٦ ـ الآنسة نوى الشهال ـ طرابلس ـ لبنان.

٧ ـ محمد عبده قايد ـ الشيخ عثمان ـ عدن.

٨ ـ احمد محمد امغار ـ مكناس ـ المغرب.

وسترسل قيمة الجوائز الى أصحابها بالبريد.

هذا « شن نج » مؤسس الصيدلة فى الصين قديما . قيل انه جرب ٣٦٥ عشبا فى نفسه ليكشف فعلها فى الجسم ، وانه هو الذى كتب اول تصنيف للنباتات . ولا تزال نقابات العقارات الشعبية فى الصين تنظر اليه نظرة الاكبار المزوج بلون من الوان العبادات .

صفحة من الطب المصور

الطب والصيدلة عند قدماء الصين

■ تاريخ الصيدلة والطب القديم فى الصين يدور حول الاسم شن نج Shen Nung . وهو اسم امبراطور قيل انه عاش فى الصين من ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد . وقيل بل ٢٠٠٠ من الاعوام .

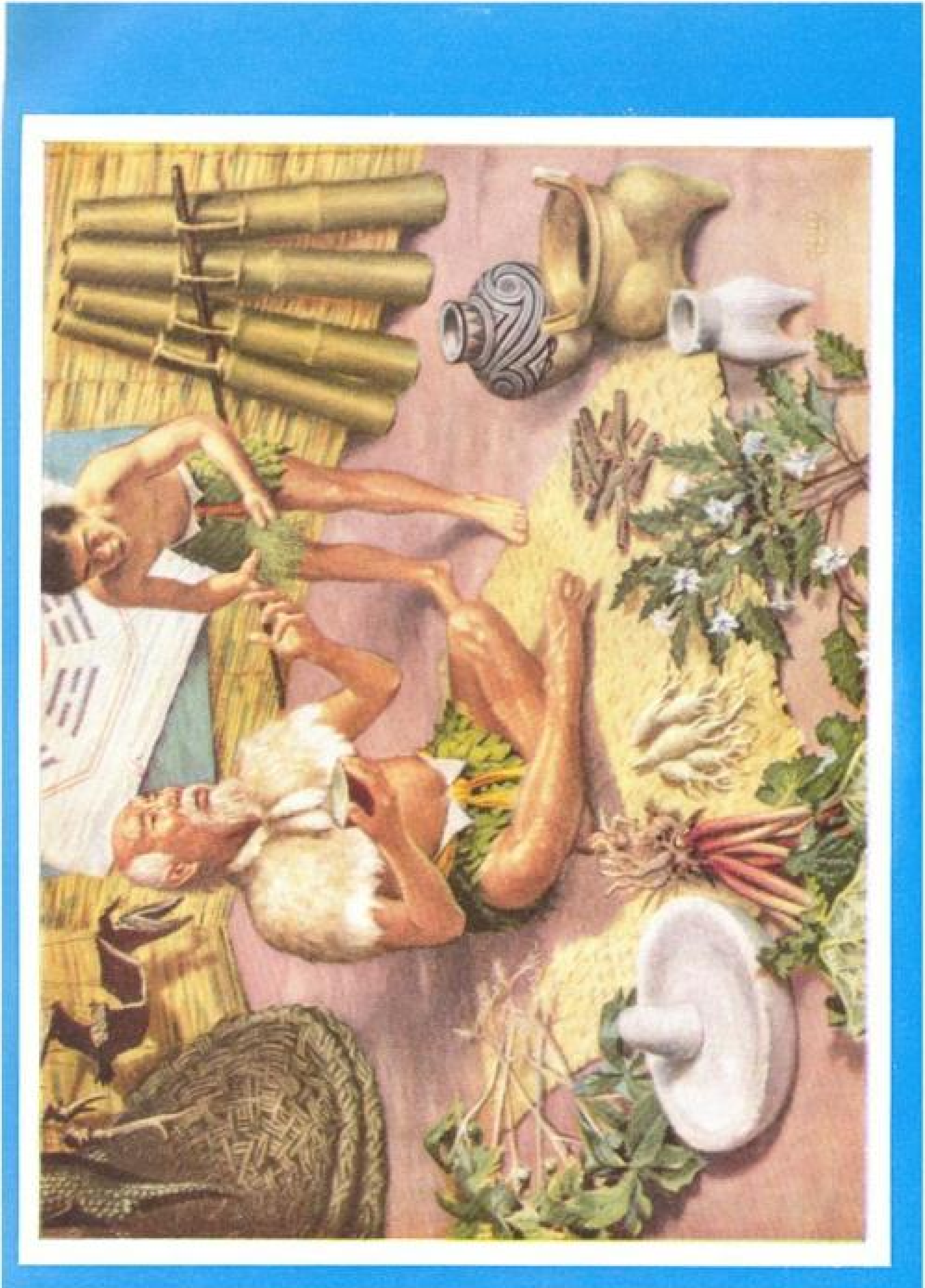
وشكت بحوث جديدة فى هذا التاريخ القديم ، ورأت أن يكون أقرب الى الصحة قولنا أنه عاش قبل عام ١٧٦٠ قبل الميلاد ، فى العصر الذى لم يكن لنا به علم فى التاريخ مسجل .

ويروون عن هذا الامبراطور أنه كان شديد الحرص على كشف الادوية ، وهدفه شفاء رعيته من الامراض . وقد الح فى هذا السبيل حتى شاع عنه قول الناس ، ان « شن نج » كان يختبر مائة عشب فى اليوم . ويقولون انه كان يختبر الاعشاب فى نفسه هو .

ويذكر المؤرخون ان الناس فى زمان الامبراطور لم يكونوا قد تقدموا فى الحرف والصناعة ، وكانوا يرتدون جلد الحيوانات .

والى شن نج تنسب أول مجموعة من الاعشاب الصينية ، وهي تحتوى على ٣٦٥ عقارا .

●●





سيدات جمعية الهلال الاحمر الكويتية امام اكداس من البطاطين والملابس والخيام التى أرسلت الى اللاجئين الذين شردهم العدوان في الاردن وسوريا .

الى اليسار : علب المجوهرات والحلى الذهبية التى قدمتها المرأة الكويتية للسفارة العربية في الكويت مساهمة منها في المجهود الحربى .

استطلاع الكويت

دَوْرُ المرْأة العَرَبيَّة

● أين كانت المرأة العربية خلال المعركة وما بعدها ؟

ماذا فعلت القلوب الرقيقة والايدى الناعمة ، لتخفف من آثار العدوان الاستعمارى الآثم الذى تعرضت له بعض اقطار الوطن العربي الكبير ؟

لقد عاشت المرأة العربية ساعات المعركة بقلبها ومشاعرها ووجدانها .. انفعلت بالاحداث واستجابت لنداء الواجب ، فخرجت من بيتها ، وانضمت الى صفوف العاملين والعاملات ، في الكويت ، وفي مصر ، وفي الاردن ، وسوريا ، وفي بقية البلدان العربية،من اجل تحقيق هدف واحد:

التخفيف من حدة الصدمة ، والمساهمة في ازالة آثار العدوان الغادر .

وكان ميدان العمل امام المرأة واسعا ومتشعبا .. فى جمعيات الهلال الاحمر حيث وقفت تتدرب على اسعاف المصابين ، وتتبرع بدمها ومالها لانقاذ الجرحى .. وفى الجمعيات الخيرية حيث كانت تواصل ليلها بنهارها فى اعداد الملابس وجمع التبرعات لاسر الشهداء .. واخيرا فى معسكرات التدريب ، على حمل السلاح واطلاق النار ، في فرق المقاومة الشعبية .

المرأة الكويتية فى المقدمة

وهنا فى الكويت ، كان انفعال المرأة العربية وفى مقدمتها المرأة الكويتية ، يستحق كل تقدير واعجاب . فقد وقفت تعمل فى صمت بعيدا عن



في المعركة ..

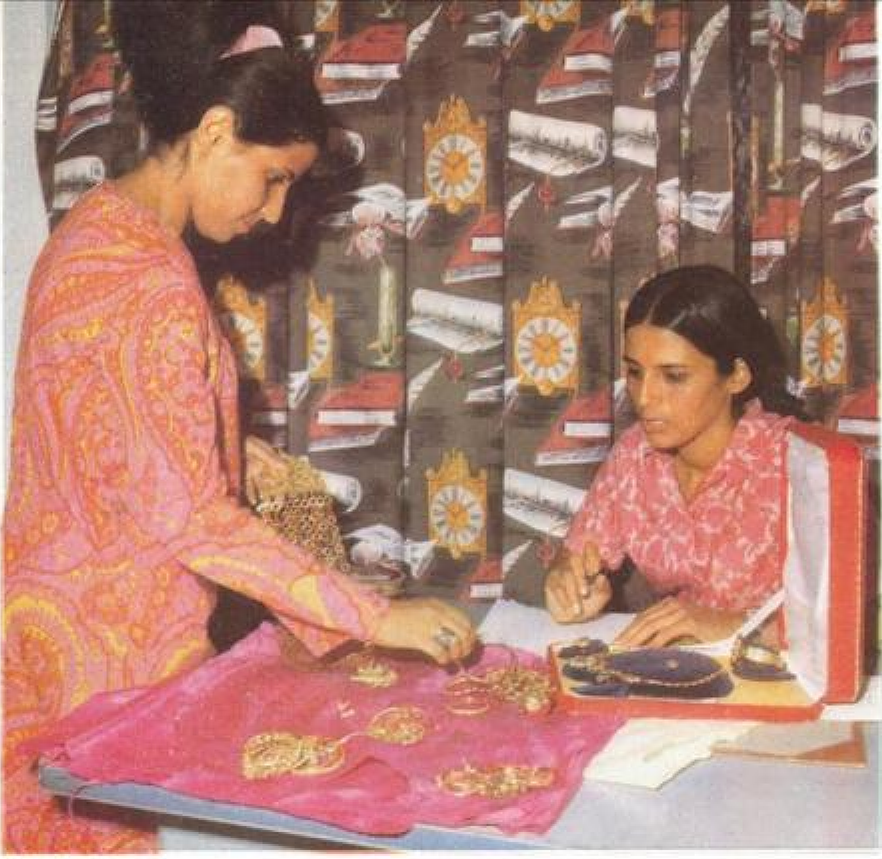
الاضواء وفي قلبها ايمان كبير بالرسالة التي اخذت على عاتقها القيام بها من اجل خير الوطن العربي كله ، ومن اجل الذود عن حريته وكرامته .

فقد قدمت المراة الكويتية حليها الذهبية ، وتبرعت بمالها عن طيب خاطر . وكم من سيدة من سيدات الاسر الكويتية رفضت ان تنشر الصحف شيئا عنها وهي تقدم صندوق مجوهراتها لتعزيز المجهود الحربي في معركة العرب المصيرية ضد العدو الغاصب .

وكم من ايصالات يوقعها المسئولون في الجمعيات وفي السفارات العربية في الكويت ، عن الاقراط والخواتم والاساور الذهبية ، وتبحث عن اسم صاحبتها فلا تجد سوى الصفة التقليدية التي اختارتها لنفس هذه الطائفة من السيدات المنكرات لذواتهن وهي : « مواطنة عربية » .

مواقف رائعة ومشرفة

« ولعل اصدق تصوير لمشاعر المراة العربية ما جاء على لسان حرم سفير الجمهورية العربية المتحدة في الكويت ، فقد قالت : « انني فخورة باختي العربية في كل مكان من الوطن العربي الكبير .. وخاصة اختي الكويتية . لقد انفعلت للاحداث وتفاعلت معها ، وجاء موقفها رائعا مشرفا يستحق كل تقدير واعجاب ، انها لم تضع لحظة واحدة تمر بلا عمل . وعندما بدات حملة التبرعات كانت في المقدمة . فقدمت مالها وحليها ، مساهمة



الآنسة نوار ملا حسين وكيلة الجمعية النسائية الثقافية الكويتية تتسلم من احدى السيدات الكويتيات مجموعة من الحلى الذهبية التى تبرعت بها للمجهود الحربي .

منها في المجهود الحربي ، وفي تخفيف آثار النكسة التى صنعت هذه الوحدة الرائعة .

« انى لن أنسى أبدا الحاجة » « أم براك »، تلك السيدة الطيبة القلب التى جاءت لتقابل السفير وتقدم له صندوق مجوهراتها مساهمة منها فى المجهود الحربي .وكان الصندوق مليئا بالحلي الذهبية التيقدمتها السيدة الكويتية الفاضلة عن طيب خاطر . ولم يجد السفير سوى كلمات الشكر والتقدير ، يتوجه بها اليها باسم العرب فيكل مكان .. وترقرقت في عين « أم براك » دمعة من فرط تأثرها .. ثم كانت المفاجأة عندما مدت الحاجة يدها لتخلع بها بقية الاساور الذهبية التي كانت تحلى بها معصمها ، ثم فتحت غطاء الصندوق ووضعتها فى هدوء وانصرفت » .

اموالنا واولادنا فداء العروبة

وفى بيت السفير العربي قابلنا الحاجة الرقيقة الطيبة ، ولم تكن وحدها ، وانما كانت معها ابنتها « حصة » الطالبة التى أكملت تعليمها الثانوى ، وهيتستعد الان للسفر الى الخارج لاتمام دراستها العليا .

قالت الابنة : « لقد كنتاعتزم الالتحاق باحدى الجامعات فى امريكا . اما الآن ، وبعد ان انكشف دور الولايات المتحدة الامريكية فى العدوان



فريق من سيدات الجمعية النسائية الثقافية يقدمن النتاجهن من ملابس واغطية ومفارش صنعنها بأيديهن

الى اسفل : لقد انفعلت المرأة العربية بالأحداث وتفاعلت معها ، فما كادت تحل النكسة بالوطن العربي الكبير حتى توافدت السيدات العربيات على السفارة العربية في الكويت ، وفي الصورة اليمنى حرم السفير العربي تتحدث مع السيدة دلال عبد العزيز الزاحم التي تبرعت ـ فيما تبرعت ـ بسوارها الذهبي « هدية زواجها » ، وفي الصورة اليسرى لفيف من السيدات المصريات اللواتي يقمن الآن باعداد منتجاتهن للسوق الخيري الكويتي الذي سيخصص ايراده للمجهود الحربي .





الاسرائيلي الاخير . فقد قررت ان أكمل دراستي في احدى الدول الصديقة . »

اما الأم الحاجة « أم براك » فقد قالت في حماس بالغ « اننا لن نبخل بشيء في سبيل نصرة العرب والعروبة .. كل غال يهون في هذا السبيل .. فالذهب وحده لايكفي . وانما نحن نقدم معه اولادنا وأرواحنا .. كل شيء فداء ارضنا المقدسة ووطننا الكبير »

ومثل الحاجة « أم براك » كثيرات ..

تتبرع بهدية زواجها

وهناك كثيرات عبرن عن انفعالهن بصورة او بأخرى ..

هناك مثلا السيدة دلال عبد العزيز الزاحم ، حرم السيد عبد اللطيف حمد الفلاح ..

لقد قرأت السيدة دلال مقالا في احدى المجلات جاء فيه ان ١٢ مليون دبلة ذهبية ، تكفي لتغطية دخل قناة السويس ، فأسرعت الى السفارة العربية ، وقدمت سوارها الذهبي الذى اهداه لها زوجها يوم زفافها .. ولم تكتف بهذا ، وانما راحت تطوف بيوت كل افراد اسرتها بيتا بيتا ، وتجمع بنفسها ما تقدمه لها كل سيدة من مال وحلي ومجوهرات .

قالت السيدة دلال : « لقد نصحني الاطباء باجراء عملية جراحية في الخارج .. وكنت قد اخترت امريكا في بادىء الامر .. اما الآن فلن أطأ بقدمي ارض هذا البلد . سوف ابحث عن طبيب يجرى لي هذه الجراحة في احد مستشفيات موسكو . ومن اجل هذا جئت اسأل حرم السفير العربي ، فقد علمت انها امضت ست سنوات

بعض عضوات اللجنة النسائية لجمعية الهلال الاحمر الكويتي في اجتماع بمقر الجمعية .. لقد تضاعف نشاط المرأة الكويتية بعد المعركة





حديث عن تنسيق الجهود للتخفيف من آثار النكسة ..
بين حرم السفير المصرى وبعض السيدات العربيات .

فى موسكو عندما كان زوجها يعمل مستشارا للسفارة العربية هناك »

تضامن المرأة العربية

وفى مقر الجمعية النسائية الثقافية الكويتية فى كيفان ، شاهدنا مظهرا آخر من مظاهر تضامن المرأة العربية . وهي أول جمعية نسائية من نوعها فى الكويت ، فقد تأسست فى عام ١٩٦٣ ، وهي تضم عددا كبيرا من فضليات السيدات الكويتيات ، وتفتح أبوابها امام كل سيدة عربية اخرى تريد ان تساهم فى مختلف اوجه نشاط الجمعية ، وفى مقدمتها التوعية ونشر الثقافة والاعمال الخيرية .

قالت الآنسة نوار ملا حسين وكيلة الجمعية :

« عندما تعرضت الامة العربية لهذا العدوان الصهيوني الاستعمارى فى يونيو الماضي ، عقدت العضوات اجتماعا طارئا بحثن فيه الموقف على ضوء الاحداث التي يمر بها وطننا العربي ، واستقر الرأى ، بطبيعة الحال ، فى هذا الاجتماع على تركيز كل نشاط الجمعية فى الاعمال الخيرية التي يمكن الاستفادة منها فى المجهود الحربي .

١٦ الف دينار

« والواقع ان نشاط الجمعية النسائية الكويتية ، بدأ قبل العدوان ، عندما كانت العضوات والمتطوعات العربيات يخرجن فى صباح كل يوم ويطرقن الابواب



هكذا تشترك السيدة الكويتية مع اختها المصرية والاردنية والسورية في تفصيل وحياكة الملابس التى ستعرض في السوق الخيرى الذى تقيمه الجمعية النسائية الثقافية الكويتية .

الى اسفل : من اهم ما قامت به المرأة العربية التدريب على اعمال التمريض والاسعاف . وهؤلاء لفيف من سيدات جمعية الهلال الاحمر الكويتي يتدربن على الاسعافات الاولية بالمستشفيات .



لجمع التبرعات من الاهالي . فاذا جاء المساء اجتمعن في مقر الجمعية لتسليم حصيلة ما جمعنه من تبرعات عينية ومادية » .

« ولكن مقر الاجتماع بالجمعية ما لبث ان ضاق بالمتطوعات العربيات اللواتي كان عددهن يتزايد يوما بعد يوم . فاتخذت الجمعية من المسرح العربي مقرا لاجتماعاتها ، ومضت تؤدي رسالتها . وتمكنت الجمعية من جمع مبلغ ١٦ الف دينار سلمتها للجنة الشعبية للتبرعات لتتولى ارسالها للجهات المعنية .

« وما كادت هذه العملية تتم ، حتى بدأت العضوات في جمع الملابس والبطاطين والخيام للاجئين الذين شردهم العدوان . وسلمت كل هذه التبرعات ايضا للهلال الاحمر الكويتي » .

سوق خيري

ومضت وكيلة الجمعية تقول : « لقد كانت جمعيتنا اساسا للسيدات الكويتيات ، غير انها تضم اليوم عددا كبيرا من السيدات المصريات والسوريات والفلسطينيات وغيرهن من السيدات العربيات اللواتي يقمن في الكويت . لقد اقبلن كلهن على الانضمام الينا ، والعمل معنا يدا واحدة بعد المعركة » .

ثم قالت الانسة نوار في حماس : « ان عملنا لم ينته بعد ، فنحن نستعد الان لاقامة سوق خيري في شهر ديسمبر المقبل ، نعرض فيه ما انتجته ايدينا من ملابس واغطية ومفارش للبيع . وسيخصص ايراد هذا السوق للمجهود الحربي ، وليس هذا فقط فهناك ايضا ما جمعناه ، نحن عضوات الجمعية فيما بيننا من الحلي الذهبية ، وسوف نقدمها الى الجمهورية العربية المتحدة ، مساهمة شخصية منا في الجهود التي تبذل لتدعيم المجهود الحربي » .

الوفد النسائي السوري

وفي مقر الجمعية التقينا بالوفد الشعبي النسائي للجمهورية العربية السورية ، وهو يضم ثلاث سيدات وقد جاء الوفد الى الكويت ، ومن قبلها زار السعودية ومنطقة الخليج العربي وليبيا وغيرها من الدول العربية . وكان الهدف من هذه الزيارات هو اقامة علاقات وطيدة دائمة بين الاتحاد النسائي في سوريا وسائر الاتحادات النسائية العربية في هذه الفترة العصيبة التي يمر بها العالم العربي ، الى جانب تنسيق الجهود وجمع التبرعات للمجهود الحربي .

اما جمعية الهلال الاحمر الكويتية فلم تأل جهدا في سبيل النهوض برسالتها الانسانية في هذه الظروف الحاسمة ، لقد تحول مبنى الجمعية المطل على البحر بمنطقة الشويخ الى خلية نحل . كل من فيه يعمل ، وكل من فيه يؤمن باهمية دوره في هذه المهمة السامية التي تضطلع بها جمعية الهلال الاحمر تحت رئاسة صاحب السمو امير البلاد المفدى .

عمل لايهدأ في الهلال الاحمر

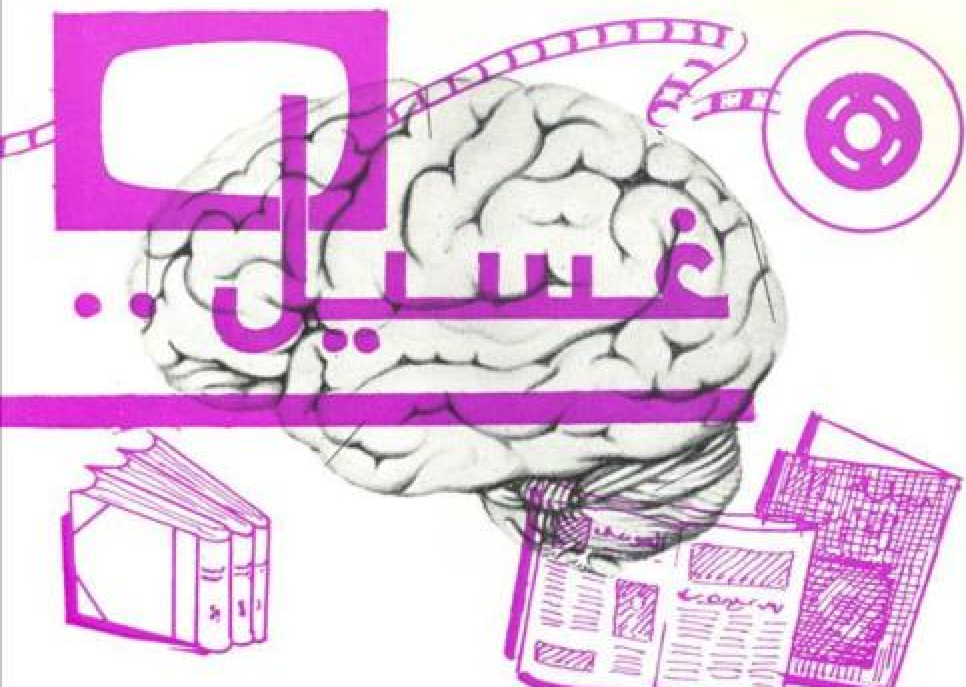
فقد تضاعف عدد المتطوعين والمتطوعات بعد المعركة ، وتألفت عدة لجان فرعية من اللجنة النسائية للهلال الاحمر ، وقامت كل منها بالدور الذي كلفت به فخرجت لجان لجمع التبرعات من الاهالي والتجار ، وخرجت لجان اخرى للتدريب على التمريض والاسعافات الاولية في المستشفيات ، ولجان ثالثة لجمع وتعبئة المواد الغذائية والملابس والبطاطين والخيام وغيرها ، وارسالها للاجئين الذين شردهم العدوان في الاردن وسوريا .

وتضم اللجنة النسائية عددا كبيرا من السيدات الكويتيات الفضليات ، وتشرف على نشاط هذه اللجنة الانسة فوزية العوضي .

هكذا عاشت المرأة العربية اثناء العدوان وهكذا تعيش ايام مابعد العدوان .. وهي حياة كلها عمل جاد وكلها تضحيات . انها تعيش هذه اللحظات الحاسمة في تاريخ وطننا بقلبها وبكل مشاعرها .

■■

منير نصيف



بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

اخصائي بالامراض العصبية والنفسية

■ « غسل الدماغ » Brain - Washing اصطلاح حديث يتردد استعماله كثيرا في السنوات الاخيرة ، وان كان يجرى حدوثه منذ اقدم المجتمعات البشرية . وهو اصطلاح يوحى للرجل العادى بانه عملية « غسل » او «تنظيف» للدماغ البشري بطريقة ما . وربما يشتط به الخيال الى تصور « مادة منظفة » لها القدرة على تخليص الدماغ من شوائبه او امراضه .. !! ، وهنا وجه الغموض وعدم الشمول في هذا الاصطلاح . وكثير من المصطلحات الاخرى ترددت وشاعت على الرغم من نواقصها .. ربما لسهولة في لفظها ، او لطرافة في معناها ، او ليسر في فهمها ، او لمجرد انها ترددت فاصبحت مالوفة اكثر من غيرها .. ، وفي كل ذلك ما ينطبق على اصطلاحنا هذا .

ولكن لغسل الدماغ مرادفات علمية اخرى ادق تعبيرا واوضح معنى .. ؛ منها « الاقناع الخفي Hidden Persuation .. ، ومنها « المذهبة » او « غرس العقائد Indoctrination » .. ، ومنها التحويل الفكرى Conversion وسنأتي على شرح اهمية هذه الاصطلاحات فيما بعد ..

وعملية غسل الدماغ وان كانت قديمة، فان اسسها العلمية لم تصبح واضحة الا في اوائل الثلاثينات من القرن الحالي ، وكان ذلك على خطوات ودروس متعاقبة . وقبل ان نعرف ما هو « غسل الدماغ » و « الاقناع الخفي » يجدر ان نعرف

.. الدماغ

العقل الإنساني يمكن أن يغسل، فتمحى منه أفكار ومذاهب، ليغرس مكانها ما يغرس من جديد العقائد، وهي ظاهرة قديمة في الناس حديثة

الاسس العلمية التي انبثقت عنها هذه العملية في الدماغ وعلى الدماغ . ولم نقل « على » الدماغ البشرى .. لان الخطوة الاولى كانت قد بدات على دماغ حيواني ..

الدرس الاول .. من الحيوان ..

.. كان ذلك في عهد العالم الروسي الشهير (بافلوف Pavlov) (١٨٤٩ - ١٩٣٦) الذي كان رائدا في ميدان الفسلجة والعصارات الهضمية والانعكاسات، وحائزا جائزة نوبل (١٩٠٤)؛ وكان يجرى تجارب كثيرة على الكلاب والاغنام وغيرها .. ، ويدرس الانعكاسات الفريزية فيها من جوع او عطش بالنسبة لظروف اصطناعية يجابهها بها .. ، ثم يبني على تلك الغرائز الاولية انعكاسات معقدة اخرى - اي يغرس فيها عادات جديدة لم تكن تعرفها تلك الحيوانات .

وفي احدى غرف مختبراته في (لينينجراد) كانت هنالك مجموعة من الكلاب ذوات العادات والانعكاسات المستحدثة التي تعلمتها بالتجربة ، .. ، وكانت الكلاب في اقفاصها عندما حدث فيضان (لينينجراد) الشهير في سنة ١٩٢٤ . وانساب الماء من تحت ابواب المختبر وارتفع في اقفاص الكلاب السجينة حتى بلغ رقابها .. ، فتملكها رعب واستبد بها الهيجان .. ، وكادت ان تموت غرقا لولا قدوم احد مساعدي (بافلوف) في اللحظة الاخيرة فأخرجها ونقلها الى محل امين ..

جاء (بافلوف) الى كلابه بعدئذ ليكمل تجاربه فوجد ان غالبيتها قد نسيت او فقدت العادات التي تعلمتها ، واصبحت في حالة مشوشة ، وكأن خلايا دماغها قد « غسلت » او نظفت من كل التجارب التي كان قد اجراها عالم الفسلجة والامراض النفسية. حقيقة جديدة هي ان الحيوانات تتعرض للقلق والعصاب ، وهو ما دعي باسم « عصاب الحيوان Animal Neurosis » . واصبحت تلك الواقعة النواة العلمية لعلم نفس تجريبي حول العصاب .. ، واطلق على العصاب الناتج عن تجربة مصطنعة اصطلاح « العصاب التجريبي » Experimental Neurosis .

واصبح بالامكان خلق ظروف واصطناع حوادث مهددة او مثبطة (كفيضان لينينجراد) لاحداث حالة من التهيج العقلي او العصاب او بالاحرى « غسل دماغ » للحيوانات تحت التجربة من فيران او ارانب او قطط او قردة ..

الدرس الثاني .. على الانسان

واتضحت لدى علماء النفس ظواهر مشوقة جدا عن العقل البشري كانت الحجر الاساسي لنظرية في علم نفس الشخصية والتعلم .. ، وهي ان الانسان يمتلك انعكاسات وغرائز بدائية «خلقية» .. ولكنه في كل لحظة من حياته يمر بتجارب ويتعلم دروسا هي بمثابة لبنات في بناء شخصيته وتفكيره - اي انه يبني فوق انعكاساته البدائية انعكاسات جديدة اخرى وعادات حديثة يكون لها الاثر الكبير في اسلوب تفكيره وعقيدته واتجاهاته في الحياة ..

ولكن هذه العادات والافكار المكتسبة ليست ثابتة وليست خالدة .. ، فهي عرضة للاهتزاز او التفتت او الاضمحلال . ومتى يحدث ذلك ؟ .. في الحالات التي يتعرض فيها الانسان الى ظروف قاهرة صعبة تجعل جهازه العصبي في حالة من التوتر او الحساسية الشديدة او التثبيط الحاد .. ، وفي هذه المرحلة الحرجة تصبح خلايا دماغه عاجزة عن الاحتفاظ بما اختزنته من عادات ، بل قد تصبح شبه مشلولة عن العمل والمقاومة .. ، بل ان مقاومتها للاذى والتهديد الواقع عليها قد ينقلب الى تقبل اشد واستسلام اسرع لعادات جديدة اخرى وانعكاسات غريبة قد يتصادف حدوثها في تلك الحالة .

اذن ، فالانسان - كحيوان المختبر - يتعلم ببناء الانعكاسات واحدة فوق الاخرى ، وانه يمكن ان تتداعى تلك الانعكاسات او تضطرب وترتبك في حالات التوتر العصبي او « العصاب الحاد » الذي ينتج عن عوامل مهددة او حوافز مرهقة متكررة تهز جهازه العصبي وتجعله كريشة في مهب الريح ، لا حول له ولا طول ، .. وعندئذ «يغسل دماغه» من افكاره القديمة واتجاهاته وميوله .. ، ويصبح قابلا للايحاء وفريسة لتعاليم جديدة ..

الدرس الثالث .. من الحياة

ورجع علماء النفس الى المختبر الكبير بعد ان كانوا يعملون في المختبر الصغير .. رجعوا الى الحياة وتاريخ البشرية ، فوجدوا ان « العصاب التجريبي » و « غسل الدماغ » الناتج عنه قد حدث ويحدث في مواقف عديدة من عمر البشرية . وكان اقرب مثال لهم الحربان العالميتان الاولى والثانية . فهنالك .. في ساحة المعركة اصيب جنود وضباط بحالات تهيج عصبي وعصاب حاد افقدهم توازنهم المعروف وشجاعتهم المسلم بها ، واصبحوا في حالات من ذعر او ذهول او اعراض جسمية غريبة ، وكأن تلك الظروف الحرجة اربكت حواسهم وجعلت من سلوكهم نماذج طفولية فجة او سخيفة . وتبين بأن لحظات معينة او ساعات خاصة اثناء المعركة اوصلت جهازهم العصبي الى تلك الدرجة من التحفز والتهيج فالانهيار بحيث «غسلت دماغهم» من تلك العادات و (الانعكاسات) و (المعاني) الحضارية المكتسبة التي تعلموها كالثبات والاتزان والحكمة والشجاعة . وقد اطلق على هذا النوع من العصاب اصطلاح (عصاب الحرب War Neurosis) ، أو « صدمة القنابل Shell - Shock » او « اعياء المعركة Combat exhaustion » .

ورجع الباحثون من قرنهم العشرين الى مئات السنين الغابرة .. ، ووجدوا بأن المعركة والمواقف الدقيقة قد فعلت نفس فعل الحروب الحديثة . ويذكر المؤرخون عن جيوش القيصر الروماني الذي كان يمتلك فصيلا من نخبة الشجعان المحاربين من حاملي الصقور .. ، وكيف ان بعضا منهم بعد سنين طويلة من البلاء الحسن والشجاعة انهاروا فجأة .. فترك احدهم الصقر بيد القيصر وهرب ، وهم الاخر بضرب القيصر نفسه عندما اعترض طريقه ..

وفي اثناء الغارات الجوية الشهيرة على

لندن في الحرب العالمية الثانية بلغ الارهاق والتوتر العصبي لدى الناس مبلغه وان كانوا في منتهى الصبر .. ، وكان التهديد المتكرر المتواصل قد اوصل عقول بعض العامة الى « الحافة الحرجة» الى موقف العصاب الحاد و « غسل الدماغ » فاصبحوا في وضع تقبل الايحاء. وكان الايحاء الخطير في ذلك الوقت هو « الاشاعات » التي تنتقل من فم الى فم او بالاحرى من عقل مغسول الى عقل مغسول . وكانت اهم الاشاعات التي تنقلت في ذلك الحين هي عين ما كان يذيعه راديو المانيا باسم « اللورد هو .. هو .. Lord Haw .. Haw » من دعايات مثبطة ومزيفة انطلت على العقول المغسولة .

تلك الامثلة وغيرها .. وغيرها .. اثبتت بأن العقل يمكن ان يغسل ، وان ما « يغسل » الدماغ عوامل كثيرة منفردة او مجتمعة هي :

الصدمات النفسية المفاجئة .. ، التهديد المستمر .. ، المواقف الشديدة المرعبة كالمعارك الدامية .. ، الارهاق العصبي المستمر كالسهر المتواصل او النوم المتقطع ، او الجوع والعطش .. ، او الآلام الجسمية والنفسية التي لا هوادة لها .. ، ثم مفعول بعض الادوية الخاصة . كل هذه العوامل تحفز أو ترهق او تخدر الخلايا الدماغية الى الحافة الحرجة بحيث يصعب عليها ان تحتفظ بما تعلمته ــ ويتم غسل الدماغ.

الى هنا فقط واصطلاح « غسل الدماغ » يفي بالمعنى ويشبع الفرض العلمي بدقة اذ انه يدل على عملية « تطهير او طرد » عادات وافكار وميول اكتسبها عقل الانسان في وقت مضى .. ولكن . لكن العملية كما هي في واقعنا ليست مجرد تطهير او طرد عادات بل تتبعها عملية اخرى لا تقل خطورة واهمية عن سابقتها الا وهي ادخال او « غرس » عادات وأفكار اخرى جديدة في ذلك العقل « المغسول » . وهي عملية شبه ايحائية تتسلط على العقل الذى أصبح نظيفا « ناصعا » وحساسا ــ بل لقمة سائغة لحشوة بأية فكرة او دعاية او عقيدة . وهنا يتجلى عجز اصطلاح «غسل الدماغ» عن وصف ما يجرى بالحقيقة .. ، وهنا ندرك ايضا بأن اصطلاحات « الاقناع الخفي » او « المذهبة » او « التحويل الفكرى » هي اشمل وادق علميا . والاقناع وغرس العقائد لا يمكن ان يتم بدون غسل الدماغ اولا .. ، كما ان غسله لوحده لا يحقق المطلوب ما لم يتبعه تحويل فكرى ..

ومنذ اول المجتمعات البشرية اكتشف الانسان بأن عملية التحويل الفكرى يمكن ان تتم بطريقة ما .. ، وكانت الطريقة القديمة حدسية او عن طريق الصدفة . واصبحت الطريقة الحديثة ــ بعد ان دخل علم النفس في المرحلة التجريبية ــ مبنية على نظريات علمية ومخططة ..

والاقناع القديم ..

هو « غسل الدماغ » وغرس افكار جديدة فيه او الاحتفاظ المستمر بما وصل اليه بدون تخطيط او ادراك لأسسه العلمية . وقد قلنا بأن الانسان منذ ان وجد وسط « جماعة » كان يتعرض بين الحين والاخر الى عمليات « غسل وتحويل » دماغي . فالرجل البدائي الذى يدخل حلبة الرقص وينشد الاناشيد ويصرخ ويرقص على دقات الطبول هو بالحقيقة في « اتون » التهيج العصبي الذى يوصله الى حافة «الغسل» حيث يكون اشد تقبلا واطاعة واستسلاما لتعاليم قبيلته او رئيسه الدينى او « الشامان » .. او الوثن الذى يوحي له بقوة سحرية خارقة ..

والصورة الحديثة لما يجرى في الثقافة البدائية هي حلقات « الزار » ومثيلاتها التي نعرفها في بلادنا العربية . ففي قمة الاحتفال ، ينتهي التهيج العصبي بحالة « شبه اغمائية » تجعل من العقل

البسيط فلما حساسا يلتقط الايحاءات والارشادات . وقد تنتهي هذه الايحاءات « بفوائد » ملموسة كشفاء من مرض بسيط او من عرض هستيري سابق .. الخ .

وتلجأ بعض الطوائف الدينية الى لم وربط اعضائها عن طريق الاحتفالات والطقوس المتكررة والتي تتخللها الاثارة الحسية ايضا . ففي ولاية « كارولينا الشمالية » طائفة تستعمل « الافاعي » في احتفالاتها . وتناول الافعي باليد ثم وضعها على الجبهة والرقبة والاكتاف تثير في المنتمي شتى الانفعالات التي « تغسل دماغه » وتجعله متهيئا دوما للتمذهب والايمان .. والايغال فيه . فالجماعة .. ، والاناشيد .. ، والرقص الجماعي .. ، والموسيقى .. ، والبخور .. ، وايقاع الطبول .. ، والافاعي .. ، كلها امثلة على كيفية « غرس العقائد » بطريقة حدسية عفوية ..

ويجب ان نذكر بأن « غسل الدماغ » العفوى و « الاقناع » غير المتعمد يجرى وقوعه الى يومنا هذا . واذكر على سبيل المثال ما يجرى احيانا في قاعات المحاكم حيث يصادف ان يتهم شخص ما بجريمة ما وتكون الادلة ضده قوية ، وكل دليل يمكن ان يكون مثبتا للجريمة او ان يفند باحتمال ضعيف جدا .. ، ويصادف ايضا ان يكون المتهم بسيطا او محدود الذكاء .. ، وتكون فترة احتجازه واستجوابه وتكرار التحقيق واجراءات الامن والشرطة ورهبة المحكمة .. عوامل متراكمة تؤدى الى « غسل دماغه » ثم الى تقبله الايحاء والاتهام بحيث ينهار فجأة ويعترف بأشياء لم يقم بها حقيقة ولكنه « يعتقد » بصحتها او لا ينفيها بعد ما تعرض له — دون قصد — من غسل دماغ واقناع ... ! ، وذهب ضحية ذلك ابرياء شنقوا ولم يستحقوا الشنق . وقد تناول بعض هذه القضايا بالنقد والتحليل كتاب معروفون في انكلتره منهم (ارثر كوسلر و رولف) (١) و (ليزلي هيل)(٢) .

والاقناع والتحويل الحديث ...

.. لا يختلف عما سبقه الا بكونه اصبح علميا او مقصودا تستخدمه مختلف الهيئات .. والفئات .. والحكومات .. والشعوب .. ، لتحقيق غرض ما ... وابسط الادلة على ذلك هي حرب الدعايات التي برزت في الحرب العالمية الثانية وبرع فيها (جوبلز) في المانيا .. ، فجعل من الاوهام حقائق انطلت على عقول الملايين في انحاء العالم . وأصبح غسل الدماغ شبه حرب فكرية دعائية ، واقتضى ان تبتكر وسائل مضادة للتحويل الفكرى ولزيادة مناعة الافراد ضد دعايات الآخرين ..

وفي مجرى حياتنا اليومية في هذا القرن العشرين امثلة اخرى عديدة و « مبسطة » لغسل الدماغ و « تحويل الافكار » .. ، منها ما تسلكه الشركات والمحلات التجارية عن طريق الصحف او السينما او التلفزيون ، من وسائل الدعاية والاقناع بأهمية وفائدة منتجاتها سواء أكان ذلك طعاما او ادوات للزينة او للتنظيف او اغاني او افلاما او سيارات .. وتستخدم المؤسسات والشركات في عملية « التحويل » هذه حيل وتأثير الالوان .. والاخراج المسرحي في التلفاز والسينما .. والموسيقى التصويرية .. والاصوات والاساليب الكلامية المغرية .. ، وكل هذه الحوافز تلعب في الجهاز العصبي للانسان وقد تنجح في تحويل او تبديل ميوله .

---

(1) Koestlsr, Arthur, & Rolph, C. H. ; (1961) " Hanged by the Neck." London Penguin Books.

(2) Hale. Leslie; (1961) " Hanged in error. " London. Penguins.

و « حيل الاقناع » تلك كانت جارية على قدم وساق فى العصور المظلمة والتي تلتها بصورة حدسية او « غريزية ». فالدجالون من « الاطباء المتجولين » كانوا « يحولون » افكار البسطاء للاعتقاد بفوائد عقاقيرهم وعطورهم ! ..

واذا كان ما ذكرناه هو «تحويل فكرى» مدبر ومخطط .. ، فان حوادث اخرى من غسل الدماغ تقع بصورة « روتينية » ولو استعنا بالخيال قليلا .. لامكننا ان نتصور رجل الغاب او الانسان البدائي قد انتقل الى احدى مدن الغرب .. ولبس البنطلون الضيق .. ودخل احد المراقص المتناثرة هنا وهناك .. ، فان من الهين عليه جدا ان « ينسجم » مع الصخب والالوان الصارخة والاضوية الخلابة .. ، بل يسهل عليه ايضا ان يشارك في رقصة الجاز والروك اند ـ رول والتويست . وما تلك الرقصات الا طبعة حديثة منقحة لنسخة قديمة . فقرع الطبول ، وضرب الصاج ، وارتعاش الجسم وتلويه ، مع الخمرة والدخان .. هي اشبه « بغسل الدماغ » البدائي الذى يجعل عشرات الناس تحت تأثير سحرى واحد يسيطر على تلك الحلبة .

.. وفى ميدان العلاج النفسي

يجرى « غسل دماغ » و « تحويل نفسي » مستمر ، ولكنه يرمي الى شفائه وليس الى « استغلال » عقلـه . وكان ذلك في ايام الحروب عندما يصاب رجال المعركة بـ « صدمة القنبلة » ويصبحون في حالة من اضطراب عصبي هستيرى حاد كالشلل الوقتي او فقدان الذاكرة او العمى الخ .. ، فيقوم الطبيب بعملية سريعة وناجحة للعلاج النفسي وهي « رد الفعل المعاكس Abreaction » او التطهير السريع Catharsis ، وذلك بأن يحقن المصاب بمادة معينة تهدىء من تهيج واضطراب خلايا دماغه .. ، وعندئذ وبينما يكون المريض بين النوم واليقظة .. ، تعاد على ذاكرته ما جرى له من حوادث فى المعركة ذاتها .. فيستعيد ذكرياتها و « يعيشها » مرة اخرى بمخاوفها ورعبها وتوترها . ويكون سرد الحادثة المؤلمة بمثابة « غسل دماغ » من التجارب القاسية ، وينتج عنه شفاء سريع ومرضٍ .

ويصف الكاتب الانكليزى المعروف (الدوس هكسلي) فى كتابه « مداخل الاحساس » تجاربه العقلية والحسية بعد ان تناول احدى تلك المواد ذات التأثير الفعال على الدماغ وهي (الميسكالين Mescaline) (١)

ويتهم الاطباء النفسانيون من الذين لا يؤمنون بمدارس ونظريات التحليل النفسي واللاشعور .. ، يتهمون زملاءهم المحللين النفسانيين بأن ما يقومون به من علاج نفسي انما هو « غسل دماغ » و « تحويل افكار » يجرى بين المحلل ومريضه . فالمريض يضع ثقته فى طبيبه .. ، وطبيبه يستدرجه الى حالة التطهير ـ اى سرد ذكرياته .. ، وبين حين وآخر يؤكد الطبيب لمريضه نقاطا خاصة فى اعترافاته او يدفعه فى اتجاه معين هو اتجاه مدرسته التي ينتمي اليها المحلل .. ، والنتيجة هي ان « يتحول » المريض الى ما يريده الطبيب ـ وهو المطلوب في العلاج النفسي ! . والحقيقة ان هذا التفسير التهكمي لا ينتقص شيئا من قيمة التحليل النفسي واهميته ، كما ان له ردودا مقنعة ليس هنا مجال بحثها . واذا شئنا التعميم على هذا القياس لقلنا بأن كل شد وجذب بين عقلين بشريين يتضمن شيئا من محاولة لغسل الدماغ وتحويلـه .. ■■

الدكتور فخري الدباغ
الموصل ـ العراق

---

(1) Huxely, Aldus; (1959). " The Doors of Perception." London, Penguin Books.



دردشة

أرملة موسوليني تتضور جوعا !

● عندما انهار الحكم الفاشستي في ايطاليا ، وقبضوا على موسوليني بالقرب من حدود سويسرا وقتلوه هو وعشيقته كلارا بتاتشي Clara pettaci ، وعلقوا جثتيهما في احد ميادين ميلانو في ابريل عام ١٩٤٥ ، بدأت حملة واسعة النطاق لتصفية ممتلكات الدكتاتور الراحل . فاستولوا على قصوره ومزارعه وصادروا امواله في البنوك ، ثم راحوا يبحثون عن كنوز موسوليني من الذهب والمجوهرات، ولكنهم لم يعثروا لها على أثر !

وقالوا وقتها : « لقد أخفتها ارملته راشيل Rachel .. دفنتها تحت التراب لتعود اليها عندما تعوزها الحاجة ! »

وعاشت الارملة ٢٢ عاما بعد انهيار الفاشية في ايطاليا دون أن تظهر عليها علامات الثراء ، والى ان التقى بها

كيف تؤثر الارقام على نفسيتك ؟



● يقول علماء النفس ان الارقام تلعب دورا كبيرا في التاثير على الحالة النفسية للانسان .

فانت تشعر بالبرد اذا زرت المنطقة القطبية مثلا .. ولكن احساسك ببرودة الطقس الذى تعيش فيه يتزايد اذا نظرت الى الترمومتر وعرفت منه ان درجة الحرارة قد هبطت الى عشرين درجة مئوية تحت الصفر !

ويؤكد الدكتور ألبرت شفايتزر Dr. Albert schweitzer الحائز على جائزة نوبل ، هذه النظرية العلمية . فقد حدث أن زاره في مستشفى لامبارين Lambarene للجذام بافريقيا الاستوائية،فريق من العلماء الاوروبيين الذين كانوا يشتركون معه في الابحاث الخاصة بهذا المرض ، واحس الضيوف بالحر يكاد يخنقهم ، فراحوا يبحثون عن الترمومتر ليروا فيه ما سجله ! ولما لم يجدوه راحوا يسالون الدكتور شفايتزر عن مكانه . فقال: لن تجدوا ترمومترا في هذا المكان ! »

ولم لا ؟

فقال : « لانني لو عرفت درجة الحرارة التي يسجلها الترمومتر ، لما بقيت هنا يوما واحدا !! »

الصحفيون اخيرا ، وعاد الحديث عن الكنوز المدفونة !

وجلست راشيل التي جاوزت اليوم عامها السابع والسبعين تروى مأساتها ، قالت :

« انني اتضور جوعا . لقد تقدمت الى الحكومة الايطالية اطلب صرف معاش لى بمقتضى القانون الذى صدر فى عام ١٩٥٥ بصرف معاشات لارامل الحرب بغض النظر عن الجانب الذى حارب فيه ازواجهن . ولكنهم رفضوا بحجة ان حقى فى هذا المعاش قد سقط ، نظرا لمرور أكثر من عشر سنوات على صدور هذا القانون . ثم عادوا فتجاوزوا عن هذه النقطة . ولكن المعاش لم يصرف ! فقد وجدت وزارة المالية الايطالية ان ارملة موسوليني تستحق مائة الف جنيه معاشا عن الفترة التي انقضت !!

« ومن اجل هذا توقف الصرف خوفا من ثورة الرأى العام ! »

قالوا فى المرأة

❊ المرأة القبيحة ترى وجهها فى المرآة ، والمرأة الجميلة ترى وجهها فى عيون الناس .

برنارد شو

❊ يقضى الرجل عمره كله فى جمع المال ، ليقدمه عن طيب خاطر للمرأة التي تستطيع أن توقعه فى شباكها !

مارك توين

❊ ثلاثة يصنعون الحروب ، الجبان والمغرور والمرأة اللعوب !

ادجار دالاس

❊ اذا حقدت المرأة تحولت الى أخطر سلاح . بما فى ذلك القنبلة الذرية نفسها .

آرثر ميللر



(مارك توين)



(مرضاه .. ابطال قصصه !)

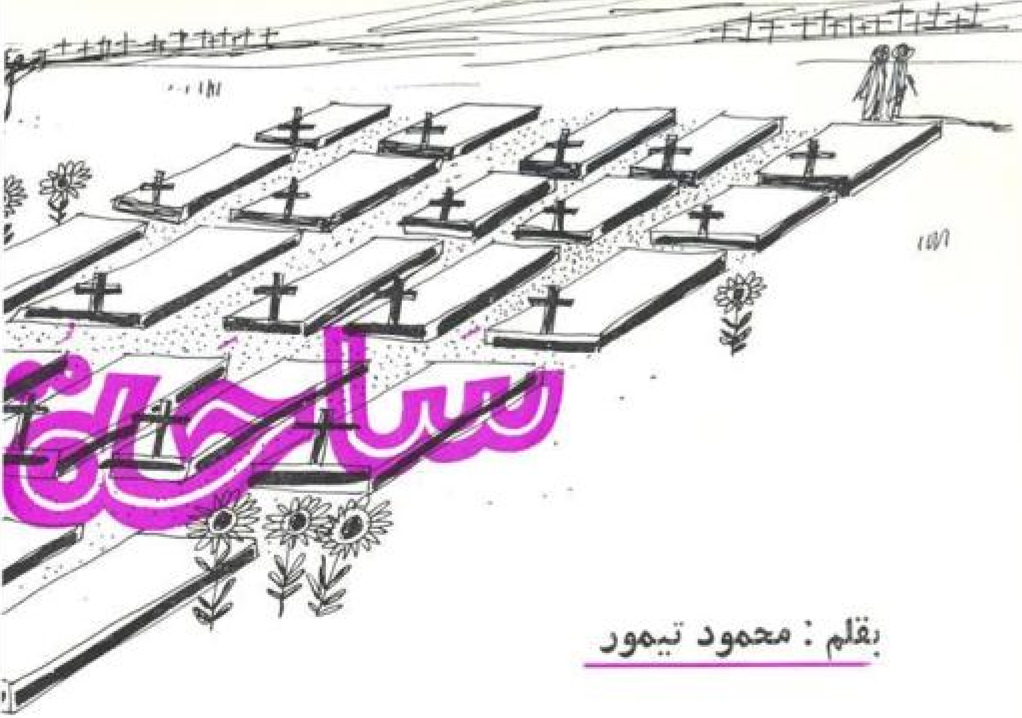
يروى عن الكاتب القصصى المشهور سير آرثر كونان دويل Sir arthur conan doyle مبتكر شخصية شارلوك هولز Sheriock holms ، الذى قدم للادب اروع قصص المغامرات ، انه كان يستوحى افكار قصصه الجديدة من شخصيات المرضى الذين كانوا يترددون على عيادته قبل ان يتحول من طبيب ناجح الى مؤلف قصصى !

فكان سير آرثر يجلس الى مرضاه ويستمع الى تاريخ مرضهم ويدون هذا كله على الورق حتى اذا انتهى المريض من سرد اعراض مرضه ، راح يتفرس فى ملامح وجهه ويدرس شخصيته ويحللها ثم يضع صاحبها فى المكان الذى يناسبه تماما فى قصته الجديدة !

وكثيرا ما كان ينسى بعد هذا العلة التي جاء يشكو منها المريض ، حتى اذا انتهى من الكشف عليه قدم له « الوصفة الطبية » ، فاذا بها تحوى موجزا لتاريخ حياته لا للدواء الذى سيشفيه من مرضه !

جاءه يوما رجل يسعل سعالا شديدا ، فما كادت عينا الطبيب الكاتب تقع عليه حتى صاح : « لقد وجدتها .. السعال ايقظه من نومه ، وهكذا فر اللص ، ولكنه ترك قفازه .. ووجد « شرلوك هولز » مفتاح الجريمة » !

اما من هو هذا المريض الذى اوحى لسير آرثر بشخصية شرلوك هولز فهذا مالا يعرفه احد !!



ساحة

بقلم : محمود تيمور

■ نحن على موعد مع الضحايا فى ساحتهم الخالدة ، ضحايا الاطماع السياسية ، والتوسع الاستعماري ، والتنازع الدولي ... ضحايا ما تغني به القادة والزعماء والساسة فترة من الزمن ، وسموه بالمجال الحيوي لهذه الدولة أو تلك ... أعني ضحايا موقعة « العلمين » .

لقد استقبلت ساحة « العلمين » وقعة حربية من اكبر وقائع الحروب ، واعظمها خطرا فى تقرير المصير لدول وشعوب .

وهل ننسى تلك الوقعة فى اغسطس سنة ١٩٤٢ بين قوات « بريطانيا » وقوات « المانيا » و « ايطاليا » فى غضون الحرب العالمية الثانية ؟

لقد انهارت على أثرها آمال عراض ، لو تاح لها أن تتحقق ، لتغيرت من جرائها معالم المصوَّرات الجغرافية فى العالم أجمع .

ربما كانت الخُدَع السياسية ، أو المهارات الحربية ، هي صاحبة السلطان فيما كان ، أو قل هو القدر ، رفع يده عاليا كما يفعل شرطي المرور ، فرد الهجمة ، ووقف الزحف ، وحسم الامر ...

بيد أن ألوفا من البشر قد لقوا مصارعهم ، وثروات ضخمة قد ذهبت أدراج الرياح ، ومعدات وآلات حربية ومدنية للبر والبحر والجو قد دمرت كل تدمير ، ولم يبق منها الا ركام وحطام .

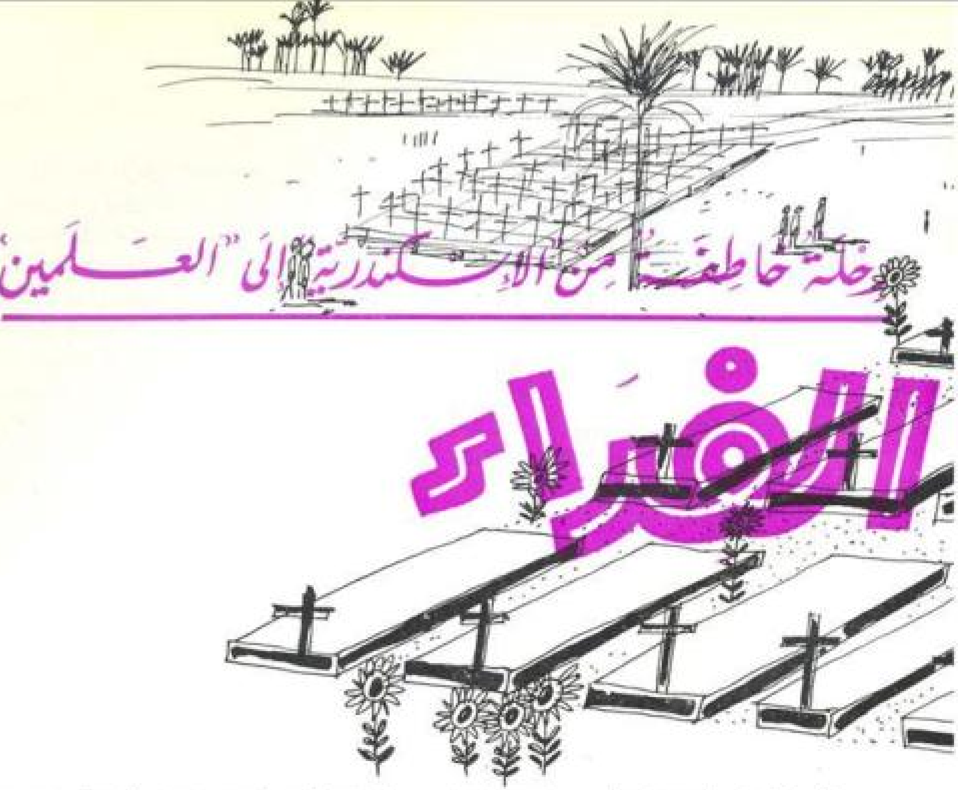
ولو أننا أحصينا ما قدمه القادة والزعماء والساسة من قرابين لآلهة الحرب ، اشباعا للمطامع ، وطلبا للظفر ، لهالنا ما فقدته الانسانية من الارواح ، وما خسرته من اقوات وذخائر تطايرت كالدخان فى الهواء ، ومعظم البشر يرقبون الفاجعة فى دهشة وذهول ، وهم يعانون الفاقة والبؤس والحرمان .

هكذا قالوا ، وهكذا قلنا ، وهكذا نلوك القول فى الغد القريب أو البعيد ، ونزعات النفوس هي النزعات ، مهما تبلغ من سمو العقول ، والدنيا هي الدنيا وان شمخت فى ارجائها نواطح السحب ، وسَرَبت فى جوفها قطارات الكهرباء ، وهام فى سمائها رواد الفضاء . وما يزال الشر يكشر عن أنيابه ـ وينفث سمومه ، وان اختبأ فى مسوح الاخيار ، وتنكر فى أقنعة الاطهار .

كان الله للناس فيما يلقون من أذى الناس !

لنمض الى تلك الساحة التي تثير الرهبة ، بل تلك البقعة التي تخيم عليها سكينة وصمت وركود.

انها اليوم كعبة للقصاد ، يبتغون بزيارتها تحية الموتى من زهرة الشباب الصريع ، أو يتبينون على ارض المعركة ما حوت من معالم وتذكارات .



رحلة خاطفة من الاسكندرية الى «العلمين»

الفداء

خطر لنا أن نزورها ،ونحن فى مصيفنا « بالاسكندرية » ، فكان علينا بادىء بدء أن نحث الخطا الى المكتبات ومراكز الاعلام ، نتزود منها بالمصورات والنشرات ، لتكون لنا عونا على التعرف والاهتداء ، فيما ينغلق علينا فهمه من المشاهد والمرئيات .

وضربنا فى « الاسكندرية » طولا وعرضا ، كأننا بعثة كشف تنقب عن أثر فريد مطمور فى جوف الثرى ، ولم تستطع « الاسكندرية » ـ على ما بذلناه من جهد جهيد ـ أن توافينا بالضالة المنشودة من مصوّر او نشرة او بيان .

ليس ثمة من ورقة تقص عليك نبأ « العلمين » ، أو رسم يمثل لك بعض ما كان من معركتها الكبرى فى التاريخ الحديث .

ياللعجب !

أترى أجهزة الاعلام والسياحة شاءت ـ عن عمد ـ أن تقيم بيننا وبين تلك المنطقة المرموقة ستارا يخفيها عن الاعين ، ويدعنا من أمرها فى جهالة وحيرة ، حتى يكون ذلك أدعى الى التطلع ، وأبعث على التشوق ، والا فما يحجم بها عن التعريف « بالعلمين » ، كما تعنى سائر الأمم بالتعريف بما فى بلادها من مواطن تاريخية يألفها الزوار على اختلاف الديار ؟

ما ان شكوت أمري ، حتى ابتدرني سيد يدّعي علم الأوائل والأواخر ، وهو يقول :

ماذا فى « العلمين » يستوجب التعريف والتنويه؟ وهل هنالك الا جبّانات ثلاث تنطوى على عظام نخِرات ؟

فانبرى له سيد سبق له ارتياد المنطقة ، وواجهه بقوله :

ما تسميه جبّانات لا شأن لها يَعُدّه البصراء متاحف عامرة بكنوز من حكمة الايام وعبرة التاريخ.

وأقلتنا السيارة لزيارة بلدة المدافن والضحايا، او على الاصح بلدة المتاحف والكنوز ... فانطلقت بنا فى طريق صحراوي ممهود ، وجزنا بضاحيتي « العجمى » و « هانوفيل » ، وهما منطقتان جميلتان للاصطياف والاستحمام ، حبت الطبيعة كلا منهما بشاطىء ناصع الرمل متألق الماء وخصتهما الهندسة العصرية بالطرائف من فن العمارة والبناء.

وتجلت لنا بعد ذلك مزارع التين ، وكنا كلما أوغلنا فى السير هزلت تلك المزارع وتضاءلت رقاعها ، وأحسسنا بالشجيرات العجاف ذات الثمر المصول تحاول بسيقانها الملوّحة ان تشق التربة اليابسة العطشى ، ولكان هذه التربة لا تجد لها من رى الا ما يصيبها من غيث السماء ، أو ما يجود به عليها جوف الارض من مسارب الماء

وطالعتنا الرمال البيضاء النقية على مرمى البصر ، وتبدى لنا النخيل فرادى وجماعات ، يحيينا على استحياء . وكذلك تراءت لنا دور متطامنة على الطريق ، تطارحنا السلام والابتسام .... هذا وصفحة البحر اللازوردية الصافية عن اليمين تصافح الاعين حينا وتستخفى بعض حين .

واشتد تصوع الرمل : ذوب' فضة, يفترش الارض ، فلا يدع فيها شبرا لتطفل الاعشاب .

وبرز لنا جوسق اصفر . انه عنوان « محطة الحمام » . ويا له من حمام عظيم ، انه مراد كل رائح وغاد ، بيد انه حمام بلا ماء .. حمام كاذب موهوم يجرى الاغتسال فيه ببخار الجو الحار !.. جزنا به سراعا ، لئلا تؤذينا انفاسه الملتهبة التي تشيعها وقدة الظهيرة .

وعدنا نشق طريقنا على حقاف الرمال البيض .

ولازمنا البحر ، يترقرق ماؤه الفيروزى ، فيأخذ البصر بصفاء زرقته .

ليس من حولك الا رمال من لجين ، ومياه من فيروز . ولا شيء غيرهما من انسان او حيوان او نبات ... حتى لقد اختفت اعمدة البرق والهاتف التي كانت تسايرنا كاحراس ، وتؤنسنا بما لها من وسوسة وحسيس .

انت في ذلك المحيط الشاسع وحيد بين احضان الطبيعة الخرساء ، تستمتع بما تسبغه عليك من سكون وهدوء .

والسيارة منطلقة على ظهر ذلك الافعوان الاسود الذي يسمونه الطريق !

وما أسرع ان تستغرق في تأملات عميقة ، فتدرك حقا انك اصبحت والطبيعة التي تحتويك كائنا واحدا ليس بينكما انفصام ... وفي تلك الجلوة الصوفية تتحقق لك وحدة الوجود ، وترى انك ما أنت الا نقطة ذائبة فيه .

وتظل كذلك وقتا ، حتى يزعجك صفير حاد كعواء الذئب ، فتتلفت حولك تستبين الامر ، فاذا طيف القطار الضئيل يعدو عن يسارك ، وكانك معه في سباق .

اى قطارنا العتيد ، يا عفريت الصحراء ... لقد الرتنا عن عالمنا السحري ، واعدتنا الى واقع حياتنا الدنيوية ، حيث الحقائق تتجسم كالحجارة الصماء ، او تصايح بما يشبهنعيب الغربان .... وجهتنا واياك واحدة ، بيد أن المسالك تتشعب ، والاغراض تتباين ، فامض عنا في امان .

وتباعد القطار ، وصفيره يمزق باصدائه الفضاء .

وتابعنا سيرنا ، بين بياض الرمل وزرقة الماء .

وبعد وقت لاحت مشارف « العلمين » ، بلدة أو شبه بلدة ، تستطيع ان تحصي عدد مبانيها على اصابعك .... وهي مبان حديثة ، تتبين منها « الاستراحة » قلب البقعة النابض بالحياة ، تاوى اليها ، فتجد طعامك وشرابك ومثواك ، مهيا لك على خير ما تحب . فاذا ما نلت بغيتك ، تاهبت لزيارة الجبانات الثلاث ، وتبدا باقربها منك مكانا :

جبانة الانجليز

تسلك الطريق المفروش بالحصباء ، على جانبيه ينمو نبات « الصبار » جافا ضامرا يرمز الى معنى الركون والاذعان ، ومن احوج الى ذلك المعنى من تلك الاشلاء الهامدة التي تسكن اطباق الثرى في البقعة الجرداء ؟

ويهبط بك الطريق الى مبنى شاهق ، ذى بوابات وقبوات ، وما أشبهه بدير متهيب ، على اعمدته منقوشة اسماء الذين احتوتهم الجبانة الواسعة ... وياله سجلا من حجر ، يحاول ان يغالب سطوة القدر !

فاذا اخترقت المبنى ، نفذت الى بسيط من الارض ، تتخلله دروب مزهرة .

انه حقا لمتحف للموتى في الهواء الطلق !

تلك هي صفائح القبور تتراص بصلبانها في انتظام واتساق ، كانها صفوف من الجند شاكية السلام ، تتاهب لخوض عراك ...

وتواصل خطاك ، والمقابر عن يمين وشمال ، ماثلة على مد النظر ، والورود الحمر تلطف بمراها البهيج ما يسود المكان من وحشة والقفار .

وينتهي بك السير الى مبنى صغير مقفل ، هو خاتمة المطاف .

وتقف على تخوم الصحراء ، وترمي ببصرك من حولك ، رمال كانها فراش من حصير ، ليس لها منتهى ، ورياح منطلقة بلا زمام تعابث الرمال في غير اشفاق ، وضوء ساطع غامر يكسر البصر بحدته ويجلو كل شيء حياله في قوة واقتدار ، وهمهمة حبيسة راتبة كانها نجوى الزمن وهمس التاريخ .

وتعود ادراجك ...

ويطيب لك أن تتوخى بعض القبور ، لتقرا ما على الواحها من عبارات الرثاء ... ان معظمها انات امهات ، وزفرات زوجات ، ونفثات حبائب

... لقد كان أولئك المحاربون لهؤلاء الامهات والزوجات والحبائب زهرات آمال لم تمهلها الأقدار .

وتبارح جبانة الانجليز وانت تستشعر الخشوع لطابعها المميز طابع البساطة فى التنسيق .

جبانة الالمان

وتقصد بعد ذلك جبانة الالمان ، وهي على مَبعدة منك ، تشق بالسيارة اليها طريقا غير معهد . وعلى هضبة مرتفعة يبدو امامك صرح فى هيئة برج شامخ الذرى ، يوحي اليك صورة الحصون والمعاقل فى العصور الخوالى . فاذا رقيت التل ، ودلفت من باب صغير يشبه الابواب الخفية فى القصور العتيقة ، واجهك لوح مذهب عظيم ، تجلت عليه بالفسيفساء الجميلة اشكال طير ، ورسوم دينية .... وتستقبلك اروقة ودهاليز ، محيطة بفناء فسيح ، سقفه السماء ، على طراز ما تراه فى معابد الاولين .

وفيما انت تجتاز الأروقة والدهاليز ، تطالعك مقاصير القبور ، وتعلم أن فى الطبقة التحتية من المبنى ضرائح تحوى توابيت ضخاما يضم كل منها رفات خمسمائة من قتلى الالمان .

وتلمح عن كثب منك لقائد الحملة « رومل » نصبا تذكاريا فى حظيرة بيضاء ، فاذا ما خرجت الى الفناء غير المسقوف وسط الصرح ، رأيت مسلة طريفة قائمة على قاعدة من حجر تحف بها تماثيل النسور .

فى هذا الجو الالماني الصميم تلمس على الفور صرامة النظام وجهامة الحياة وسلطان التقاليد ... وتحس وانت تزايل البقعة كان ارواحا من عالم الأساطير الحافل بالخوارق والتعاجيب ، تسايرك الى باب الخروج .

جبانة الطليان

لم تبق الا الجبانة الثالثة ، جبانة الطليان . الطريق اليها وسيع ، تتنفتر الخضرة على جانبيه . وهو ينتهي بك الى مبنى سامق ، مخروطي الشكل ، هندسته تشهد بذوق فى فن العمارة أصيل.وتمرق من الباب ، فاذا انت فى ردهة ذات قبة عالية من زجاج ، ينفذ الهواء من ثغرات تتخللها ، فتتجاوب فى الردهة اصداء كأنها نواح وانين تجدد به الريح احزان الثكالى والأيامى ممن فقدن اعزاءهن فى هذه الربوع .

وعلى حوائط الردهة نقشت أسماء أولئك الذين جندلتهم الحرب من الايطاليين ، وفى الصدر مُتنسك عليه تمثال لمريم العذراء مكلل بالازاهير .

وعلى الجانبين تمتد حجرتان ، جدرانهما ادراج تضم رفات الجنود ، ما أشبهها بتلك السراديب التي كان المسيحيون القدامى على عهد الاضطهاد الروماني يسمونها « كاتاكومب » يحتفرونها فى باطن الارض ، ويسوُّون منها رفوفا يتخذونها مدافن للموتى .

وتبرح المبنى، وقد اعتلجت فى نفسك اشجان..

وعلى الطريق غير بعيد يلقاك بناءان متخاصمان، الأول متحف حربى فيه بعض مخلفات الموقعة ومصوراتها الجغرافية ، والآخر مسجد صغير ، فيه ضريح لمن صرعتهم الحرب من المسلمين الليبيين الذين سيقوا الى القتال تحت سلطان الاستعمار الايطالى ، وليس لهم فى الامر ناقة ولا جمل ..

لقد عز على الايطاليين القائمين ببناء الصرح التذكارى الضخم الا يخصوا قتلى الحرب من اخواننا الليبيين بشيء يجبر الخاطر الكسير ، فانشأوا هذا المسجد عبرة وتذكرة . !

هذا مسجد ، او هو بالاحرى مسيجد ... ومبلغ علمي أن ليس فى العربية صيغة للتصغير بعد التصغير ، والا لآثرناها فى هذا المقام للابانة والتعبير .

مبنى يماثل تلك الأبنية الطريفة التى تعمر بها قرى الأقزام ، فى مدن الملاهي .. او كأنه لعبة من خشب وورق ، صنعها الصبيان بأيديهم عابثين لاهين !

مسجدنا هذا ناصع البياض ، له مئذنة رشيقة ، تستطيع ان تداعب ذروتها باطراف اصابعك ، اذا بسطت اليها قامتك ،ورفعت نحوها يدك !

انى لأتساءل : اين موقف المؤمن فى هذه المئذنة التى لا يتسع مدارها الا للعرائس من قطن ، أو للدمى فى مسرح البهاليل ؟

فى العالم النورانى ، تعارفت ارواح كانت تناكرت على الارض

ادبرنا عن الجبانات الثلاث ، وفى راسى تتناوح خطرات وذكريات ...

هذه الجبانات على تعددها وتخالفها اثر من آثار العداء والصراع والتطاحن فى حومة الوغى .. لقد وسعتها متلاقية مترافقة رقعة صغيرة من بطن الصحراء ، بعد ان ضاقت بتلاقيها وترافقها رحاب فساح على ظهر الارض . وانها الآن فى

اجتماعها لموضع اكبار وخشوع من كل من دب على هذه الرقعة من متباين الأجناس والأوطان ...

ان هذه الجبانات بمن حوت من أبناء الامم المختلفة ، تمثل معنى ارخاص النفوس والجود بالأرواح ، ذودا عن مصلحة وطنية ، واستجابة لارادة قومية ...

لقد كان فى حساب كل قوم من هؤلاء الأقوام انهم استشهدوا هنا فى حماس وسماح ، وأن استشهادهم كان قربانا للمصلحة العامة ، وفداء للشرف الوطنى .

أتراهم فى عالمهم النورانى ، وقد تعارفت أرواحهم جميعا فى السماء ، بعد ان تناكرت حينا على ظهر الأرض ، ما زالوا على عقائدهم الوطنية ، ومبادئهم القومية ، من أن الحروب التى خاضوا غمارها كانت لخير ، أم تبين لهم أنها كانت شرا كل الشر ؟

هل آمنوا بأن الحرب نقمة وبلاء ، أو عرفوا أنها فداء تشترك فيه أجناس البشرية ، من أجل سيادة المبدأ المحتوم ، مبدأ سيادة الأقوى ، وبقاء الأصلح ؟

هل بان لهم وجه الحقيقة فى فلسفة الحروب ، وفى ان الانسانية لم تكن لتبلغ مكانتها من التطور والمضى الى أمام ، لو لم يكن هذا التدافع المرير بين القوميات والوطنيات على مسار التاريخ ؟

أترى هذه الأرواح المختلفة الأصول والعناصر ، تحوم الآن فى هذا المكان ، على فكرة أنها جميعا ـ فيما اصطلت من معارك ـ فداء لذلك الهدف الذى أملته طبيعة المجتمع البشرى ، هدف التنازع من أجل مستقبل أكمل ، وغد أفضل ، ومدنية أشمل ، من أجل سيادة أوضاع ونواميس يترتب عليها عمران كونى عام ، وحضارة انسانية جامعة ؟

مهما يكن من أمر ، فلا شك فى أنها جميعا تحت راية الفداء على اختلاف دواعيه ومفاهيمه ، قد اشتركت فى أنبل معنى ، واشرف مسعى ، وأكرم غاية ... اشتركت فى تجربة شاقة اليمة من تجارب المجتمع الانسانى لتحقيق مثله الأعلى .

لم يبق علينا بعد الا أن نقصد الأثر الأخير الجدير بالزيارة بين هذه المعالم ، أريد الساحة الرهيبة التى دارت على أديمها رحى المعركة الفاصلة .

لقد تراءت فى مخيلتى ساحة القتال ، وقد تطايرت فيها جماجم واشلاء ، وانتثرت أسلحة ومعدات ، مما احتفظت به الرمال بعد العراك من بقايا وأنقاض ... تراءى فى مخيلتى موقع جهم تكسوه وحشة واكتئاب ، وتملأ جوه أرواح القتلى هائمة حيرى ... فما ان بلغنا المكان ، حتى تبددت تلك الصورة ، فما تقع العين هنالك الا على رمال ينحسر دونها البصر ، رمال بيضاء خطت الريح على سطحها طرائق متناسقة متموجة ، فكأنها بحر زاخر يسر الناظرين مرآه !

وقفت مليا أفتش عن ساحة الوغى .. عن أرض الموقعة الرهيبة ... عن أثر واحد يعيننى على رسم مشاهد القتال ، ويعيد الى صورة ذلك الماضى القريب ... عبثا فعلت .. هنالك بعض لافتات صغيرة تخطئها العين ، لم أبال بقراءة ما سطر عليها من بيان .

ليس لموقعة « العلمين » من عين ولا أثر .. من شىء محسوس أو مشهود ...

هى اليوم فى ذمة التاريخ .

هى اليوم سطور ورسوم وشارات فى بطون الصحف والكتب والمصورات ...

اذا رجعت اليها روت لك ما جرى فى تلك المنطقة من مأساة القتال ، وما تفتقت عنه عبقرية القواد من خطط وحيل ومكايد ، لكسب الحرب ، وتتويج الجباه بغار الانتصار ...

لقد انحبست موقعة « العلمين » بين دفات الأوراق ، فلم يعد لها من انطلاق ...

لقد أصبحت محنطة مكفنة هامدة فى أعماق النواويس !

ان أردت أن تستجلى حقيقة أمرها ، وتستعيد ما تشاء من صورها ، فدونك الماضى الحافل بالذكريات ...

اما هذه الساحة الممتدة التى تطرقها فى يومك الحاضر ، حافلة برمال الصحراء ، تلك التى استقبلت فى أمسها جحافل الجيوش ، وقامت فيها المعارك على قدم وساق ، فلن ترى فيها الآن الا صورة هادئة باسمة من الحياة ... صفحة مشرقة بالنور ... زاخرة بالهواء .. خفاقة بالآمال الجسام .

لا مكان لك اليوم بيننا يا « علمين » الحرب والخصام ...

واهلا بك ومرحبا يا « علمين » الوئام والسلام !

■■

محمود تيمور

« العربى » : مشى ، ان تكن حقا ، تكن أحسن المنى ..



أُمُّ الدَّرْدَاء الصُّغْرَى ...

بقلم : سنية قراعة

■ يحار الرواة ، وكتاب السير عندما يتحدثون عنها ، ولا يدرى أحدهم من أين يبدأ حديثه ، فالتراجم ، تعارفا ، وتقليدا ، تحدد أول ما تحدد تاريخ ميلاد من نترجم له ، وعصره ، لنتعرف العصر والظروف ـ أيا كانت هذه الظروف ـ المحيطة بذلك العصر ، ومدى تأثيرها فى حياة المترجم له ، وانعكاساتها على تفكيره ، وتطوراته الفكرية ثم الثقافية ، لتكون الصورة كاملة من كل الوجوه ...

ولكن أم الدرداء الصغرى ، لا يعرف أحد فى اى عام كان ميلادها ، وهل شهدت عصر الراشدين من بدايته أم من منتصفه ، أم حين زخر بالاضطراب ، والفتن ، واشتعل بنيران الصراع حتى انتهى بتعالى نجم بنى امية ، والمناداة برأسهم معاوية بن ابى سفيان اميرا للمؤمنين ...

ورغم هذا نستطيع ان نقول ان أم الدرداء الصغرى شهدت بعض عصر الراشدين ، وقد يكون عصر عثمان بن عفان رضى الله عنه على وجه التحديد ، وعاشت احداثه دون ان تدرى به أو تهتم ، لعدم بلوغها السن التى تشعرها بما يشعر به من وصلوا الى مراحل الشباب ، ثم عاشت بعد ذلك عصر « علي » كرم الله وجهه وأرضاه ، ومن بعده رضي الله عنه شهدت دولة الأمويين ...

فأم الدرداء اذا ، عاشت حياة زاخرة ، وسمعت ، وشهدت ، أروع احداث سجلها التاريخ الاسلامى واستنشقت نسائم فضل الراشدين ، وعاشت فى ظلال عدالتهم ، ووقر فى نفسها طابع تلك العهود الخالية ، وما تميزت به من اخلاص للدين ، ووفاء للملة ، وحب للشريعة وتمسك بالفضائل والمثاليات ، فلا عجب أن تاقت نفسها

الى العلم ، ومالت الى الاستماع ، وأحبت الحديث ...

والآن ، وبعد ما قدمنا ... لنترك قليلا ، العصر الذى ولدت أو عاشت فيه أم الدرداء الصغرى ، ولنتعرف عن دراسة أثره وتأثيره فى حياة المترجم لها ، لنقدمها هي .. ونعرف من كانت ، وماذا كان اسمها الأصلى ...

هي هجيمة بنت حيي الأوصابية الدمشقية ، « وأوصاب » هذه التي تنتسب اليها ، قبيلة من أعز قبائل حمير ، وأعلاها شأنا ، فيها ولدت ، وبين ربوعها نشأت ، متأثرة ببداوتها معتزة بعروبتها ، مفاخرة بانها كانت منها فقيل عنها الأوصابية ، وزادوا عليها « الدمشقية » لتحديد موقع القبيلة ، ومكان استقرارها فى دمشق بالذات ، فأصبحت هجيمة بذلك أوصابية دمشقية ...

وعند نسبة هجيمة الى دمشق الفيحاء نقف قليلا مرة أخرى ، لأنه فى الاشارة الى دمشق ما يعنى أن هجيمة دمشقية المولد والنشأة ، واننا لم نخطىء ونحن نقدم للحديث عنها ، فقلنا انها ولدت هناك بعد أن استقر الاسلام في ذلك الجزء من أجزاء الوطن العربي الكبير ، وترابطت أنحاؤه برباط اللغة والدين وتوحدت أهدافه ، ومصائر شعبه الواحد العظيم — وانها بعد هذا ، قد شهدت ولاية معاوية بن أبى سفيان على الشام وشهدت أيضا ولا شك ، تعاظم أمره هناك ، تعاظما جعله من القوة والمنعة ، والجاه العريض في ولايته ، بحيث استطاع بعد مقتل عثمان بن عفان في الفتنة الكبرى ، أن يقف في صف المعسكر المعارض لعلي بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ويخلع بيعته ، بل ويخرج عليه ...

فأم الدرداء الصغرى ، اذا ، هى هجيمة بنت حيى الأوصابية الدمشقية ... والتمييز لها بصفة الصغرى ، لا بد ان يعنى أن تكون قد سبقتها الى الوجود أم درداء كبرى ، بينهما صلة رحم ، جعلت هجيمة هذه تكنى بعد ذلك بالصغرى ...

والواقع أن هناك أم درداء كبرى ، لا قرابة ولا صلة غير صلة العروبة والاسلام ، تربطها بصاحبتنا هذه ... وان هذه الكبرى ، التي يقول عنها كتاب السير وأظهرهم ابن مشهر الدمشقي انه كان لها صحبة ورواية يسيرة — هي أم بلال ، ولا ندرى بعد هذا من يكون بلال ، وهل هو بلال بن رباح مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو غيره — المهم ان أم بلال هذا ، كانت هى « أم الدرداء الكبرى » وكانت من راويات الحديث فى حدود يسيرة ، ونطاق ضيق ، وانه كانت لها صحبة ، وهذا كل ما ذكره عنها الرواة ولكن ...

ولكن هل نكتفى فى بحثنا بهذه الالمامة غير المشبعة التي وردت عن أم الدرداء الكبرى ، ثم نقف موقف الحيرة أمام أمومتها لبلال هذا ، ولا نبحث فيمن يكون !! .

يقول الرواة ، ان أم الدرداء الكبرى ، كان لها صحبة ... وهذا يقطع أنها عاشت عصر النبوة ، وانها لا بد أن تكون زوج أبى الدرداء نفسه ، وقد يكون بلال هذا ، ابنا من أبنائها الأثيرين لديها ...

وأم الدرداء الكبرى ، كانت مسلمة ، مخلصة ، عاشت عصر الرسول ، وروت الحديث وكانت زاهدة عابدة ، لم تقم لعروض الدنيا ميزانا ، ولقد روى أنه لما آخى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين زوجها أبى الدرداء وبين سلمان الفارسى ، أن هذا الأخير زار أبا الدرداء فى داره فرأى زوجته أم الدرداء وعليها ثياب خلقة فعجب لأمرها ، واقبل عليها يسألها سر ذلك فاذا هى تقول ان أخاه أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا .

وكان أبو الدرداء فى ذلك الوقت خارج داره ، فلما عاد ، ولقى سلمان الفارسى فى ضيافته ، اقبل يحييه وقرب له طعاما ، ودعاه الى أكله وحده ، قائلا انه صائم ، واذا بسلمان الفارسي يرفض أن يقرب الطعام الا اذا أكل معه أبو الدرداء فأكل ...

ولما كان الليل ، قام أبو الدرداء للصلاة فاذا بصاحبه سلمان يقول له : نم .. فاطاع ، ونام ، ثم ما لبث أن عاد ، وقام ثانية للصلاة ، فعاد سلمان وقال له مرة ثانية : نم فنام ، فلما كان الصباح ، اذا بسلمان يقول لأبى الدرداء .. قم الآن .. فقاما وصليا معا ..

وجلس سلمان الفارسي الى أخيه أبى الدرداء بعد ذلك يتحدثان .. وتكلم سلمان ، واصغى أبو الدرداء اليه وسلمان يقول :

— ان لنفسك عليك حقا ، ولربك عليك حقا ،

ولضيفك عليك حقا ، ولاهلك عليك حقا فاعط لكل ذى حق حقه ...

وكان هذا ولا شك تنبيها من سلمان الفارسى الى اخيه أبى الدرداء ، بضرورة مراعاة زوجته أم الدرداء ، واعطائها حقها الواجب أن يكون لها ، فى كل شيء ترغبه المرأة ، وخاصة الملبس المناسب .

ولعل أبا الدرداء لم يقتنع بقول سلمان الفارسى فى ضرورة احقاق هذه الحقوق جمعاء كاملة غير منقوصة وفي حدود طاقة الانسان ، ولعلهما تجادلا فى ذلك وتحادثا ، ولم يجدا من يحسم القول ، غير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبا اليه وذكرا له ما كان ، واذا بمحمد الذى لا ينطق عن الهوى ، يقف الى جانب سلمان ، ويقول لأبى الدرداء : صدق سلمان ! .

وعرف أبو الدرداء أنه لم ينصف أم الدرداء الكبرى ، وأنه كان متجنيا فى تصرفه معها اذ فرض عليها ثيابا خلقة ، ظنا منه ، ان هذا مظهر من مظاهر العزوف عن الدنيا ، فى حين أن للانسان حقوقا يجب أن تراعى ، حقوقا يجب أن تباشر ، وأن القسط العادل ، لا يجب عليه أبدا ، أن يحترم حقا ، ويتهاون في حق ، مهما بدا له أن هذا الحق ، هين بسيط ...

وهكذا ، انتصف سلمان لأم الدرداء الكبرى ، ونبه صاحبه الى ضرورة اعطائها حقها ، تماما كما يعطى لكل ذى حق حقه ... !! .

وما دمنا قد اتينا بهذه العجالة اليسيرة على ذكر تلك « الكبرى » واوضحنا فى حدود ما بين أيدينا من روايات ومعلومات ، من هي ، ومن كانت – نعود من جديد الى صاحبة حديثنا هذا ، وهي « أم الدرداء الصغرى » لنسائل رواة سيرتها بعد هذا عن أصل « كنيتها » ومدى صلتها بالصحابي الجليل أبى الدرداء !! .

وأمام هذا السؤال ، يقف الرواة أمامنا موقف الصامت ، ولا يقول أحد منهم عن هجيمة بنت حيى الأوصابية الدمشقية اكثر من انها كانت طفلة يتيمة نشأت فى حجر أبى الدرداء ، فاذا ما طالبنا بمزيد من المعرفة يحدد لنا سر نشأتها فى حجر الشيخ ، لا نجد الجواب الشافي أبدا ،

فنهرع الى كلمة « أم » التي وصلت بينها وبين اسم الرجل ، فلا نجدها تشير الا الى شيء واحد ، وهو أن أبا الدرداء ربما تبناها ، والحقها به ، أو انها كانت من ذوى قرباه ، ومن هنا نشأت فى رعايته ونسبت اليه وكنيت باسمه وانه أشرف على تربيتها ، وكان له عليها حق الولاية والرعاية والتأديب ...

وطفلة يتيمة مثل هجيمة الاوصابية هذه ،نشأت فى حجر أبى الدرداء ، ماذا ينتظر منها أن تكون .. وعلى أى صفات نشأت ، وأى طريق تتبع ، وبمن تقتدى ، وبمن تستنير فى حياتها ...

كان أبو الدرداء صحابيا جليلا ، متعبدا ، مجاهدا ، شهد بزوغ شمس الاسلام وكان من السابقين اليه ، المستظلين بنوره ، المهتدين بهداه ، وانه كافح وجاهد ، وصحب الرواد الاوائل الفاتحين الذين خرجوا مجاهدين مبشرين بدين الله الحق ، وحملوا الى الأمم جمعاء مشاعل الهدى ، وأنوار التحضر الاسلامى ، وأضواء المبادىء السامية والمثاليات العظمى التي خرجت بالناس من الظلمات الى النور وهدتهم صراطا مستقيما ...

ولقد كانت حياة الرجل سلسلة كفاح متصل ثم اذا بنشاطها الجهادي يقف عند عهد الصراع بين أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان واذا بالشيخ يقف بعيدا ثم ... يستقر فى دمشق ويشهد مولد الدولة الأموية ، وحكم معاوية ، والمناداة به أميرا للمؤمنين – فيأخذ سمته الجديدة فى محيط الحياة الجديدة ، ويعكف على التعبد ، ويأخذ فى رواية ما وصل الى علمه من الحديث ، ولا يكون عجيبا بعد هذا ، أن تنشأ هجيمة ربيبته على ما شاهدت الشيخ عليه ، من صلاح وتقوى ، وتعبد واقبال على طلب العلم ، وعمل دائب على افادة الناس به ...

ومن هنا ... ومع مولد الدولة الأموية واستقرار الأمر لمعاوية ، وانتقال حاضرة الخلافة الى عاصمتها الجديدة فى دمشق – نستطيع أن نحدد بداية حياة أم الدرداء الصغرى التي تعنينا فى حديثنا هذا ، وأن نلم بها ، ونتعرف على مدى تأثرها بأبى الدرداء ، ثم بالبيئة التي عاشت

فيها ، وفى ذلك الوقت بالذات ، وهي بيئة كانت الى حد ما غريبة فى مظاهرها ، وسماتها على كثير من المسلمين ...

لقد كان ميلاد الدولة الأموية ، مولدا ، لعهد جديد فى قيمه ، ومبادئه ، واهدافه ... وكان مطلع عهدها الاول ، اشراقه مستفيضة ، لمفاهيم جديدة فى أساليب الحكم ، فلا عجب أن زخر العصر نفسه بالحركة ، وشغل بالجهاد والعمل ، وكان يقظة واعية من الحاكم لرعاية المحكومين ، ورأيا متواصلا منه لتجميع الشمل الاسلامى بكل وسائل التجميع بعيدة عن الاختلاف في الآراء ، والتي كان من فضل الله على الأمة أنها لم تمس الدين فى شيء ، بل دارت حول الشعارات الزمنية من جاه وحكم وسلطان ، حتى شاء الله أن تستقر الأمور فى نصابها أخيرا بفضل حكمة معاويـــة ودهائه ، وبعد نظره ، وكرمه الدافق ، وعطاياه التي تحدث بذكرها الركبان ، وكانت وسيلته بعد ذلك الى النظر فى أمور التوسع والفتح ، وحمل لواء الملة العظمى الى كثير من البلدان ، التي فتحها ، ودخل أهلوها فى دين الله ، وشهدوا بانه لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ...

عصر عظيم ... وعظمتـه كانت فى غرابتـه ، وتناقضاته ، فبينما كانت الجيوش الاســلامية تنطلق نحو الشمال الافريقي ، قوية كاعصار مدمر كاسح ، متماسكة كحصن منيع لا ينال ، تطهر الأرض من أرجاس العبودية ، وتحرر الشعوب من ذل الأسر ، وتطـرد أمامها فلول الوندال وشراذم الرومان ، وفى أثرهم كلابهم من اليهود ...

وبينما كانت العمائر البحرية العظمى ، تشيد وتقام في دور الصناعة الاسلامية ، ثم تنطلق بالغزاة العرب الفاتحين، مرة نحو القسطنطينية لحصارها وفتحها ، ومـرة أخرى لتحقق ســلسلة من الانتصارات البحرية الكبرى على عمائر الـروم وأساطيلهم ذات السيادة ...

فى هذه الأوقات الدقيقة ، ووسط محيط العمل الصاخب والداب المستمر ، فى سبيل تثبيت دعائم الفتوح والتقدم والانتصارات العربية الاسلامية فى شتى أنحاء العالم ـ كانت حاضرة الخلافة تنعم بلون جديد من ألوان الحياة ، لم يكن للمسلمين الأوائل به من عهد قبل أيام معاويـــة بن ابى سفيان ...

كانت هناك معارك بعد معارك ... هنا وهناك ، وفى كل صقع ومكان ، ولكل لونها الذى تفردت به ... واذا كانت المعارك فى ميادين القتال ، قد اتسمت بالضراوة والفدائية والاستبســال ، فانها فى حاضر الخلافة ، كانت معارك مرحة مستحبة ، لانها كانت معارك مساجلات وتبادل آراء ورد وأخذ على بحور القريض ...

كانت هناك معارك ادبية ، اذكت خيال الشعراء وخلفت منهم طائفـة طاولت شـعراء المعلقات ، وكادت تبلغ مبالغهم فى شتى افانين الشعـر ، ومهدت لظهور النوابغ أمثال جريـر والفرزدق والاخطل وعمر بن أبى ربيعة الذى تزعم طائفة الغزليين فكان منهم جميل بثينة وكثير عـزة ، وقيس لبنى ، ثم قيس ليلى العامرية ...

واهل الخيال هؤلاء من شـعراء وقصـاصين ، كانت لهم مجالاتهم ، وكان لهم أنصارهم وكانت لهم أحزاب ومشجعون ، وكانت أقوالهم تنتشر كالبرق ، اذ لا تكاد تنشد أو تروى حتى يتناقلها الناس ، هذا يرويها وذاك يتحزب لها ، وذاك يتغنى بها ...

ونشأ فى الدولة الجديدة لون جديد من ألوان الشعر لم يطرقه الســابقون أبدا ، ذلكم كان الشعر السياسي الذى تعاظم الى جانبه شان الشعر القصصي الذى طرق أبوابا مستحدثة وحوم فى أودية جديدة ، حتى لنحس انه كان البداية الموفقة للشعر التمثيلي والمآسى الشعرية التي خلدت على الزمان ...

لقد عاش العرب كافة مع مولد الدولة الأموية ، ثم رسوخ أقدامها بعد ذلك ، حياة جديدة فى كل شيء ... جديدة فى المظهر والهدف ، والغاية ... حياة بهرتهم وسـلبت منهم العقـــول وحازت الاعجاب ، فسايروها فى اخلاص ، واحبوا شتى مظاهرها ، وأحسوا أنهم يعيشون نهضة شاملة متطورة ، انتظمتهم جميعا ، وشغلتهم بنفسها عمن سواها وصرفتهم اليها بكافة اتجاهات تفكيرهم ،

فلم يتابعوا أعمال أولى الأمر فيهم ، ولم يلتفتوا الى ما بدا يحدثه الأمويون من تطورات فى أساليب الحكم ووسائل السلطان ...

تلك كانت سياسة بنى أميـــة ، وذلكم كان عهدهم ، وهـو عهد ، كان جديدا على الناس فى كل شيء ، فلا عجب أن انصرف اليه المظهريون وحدهم ، أما أصحاب الأصالة ، فظلوا حيث هم يرقبون ولكن ... فى صمت ...

كانت هناك دولة تبنى ، وامبراطورية تتسـع رقعتها فى سرعة خاطفـة ، وكان من الــلازم أن يساير الشعب ولاته ، ويقف الى جانبهم الى حد حد بعيد ...

وظل أمر النهضة التقدمية يتعاظم ، ومع كل يوم كان يتحقق للعرب فتح ونصر جديدان ...

وهكذا خالط الفاتحون فى تقدمهم السريع أمما وشعوبا لها حضـــارتها ، ولهـا تقاليدها وكما استطاع العرب الأمجاد أن يؤثروا بدينهم واخلاقهم وعاداتهم فى تلك الشعوب ، كذلـك عرفت هذه الشعوب كيف تؤثر فى العرب ، فأخذوا عنها أحسن ما تميزت به ، وقلدوها فى النافع المفيد وعملوا به ، وراحوا يمارسونه ، وكأنه من صميم عاداتهم المتوارثة ...

وتدفق المال .. وتعاظم الثراء ... وكثر التنقل وتعددت الأسفار ... وأخذ المسلمون يمارسون أساليب حكمهم العادل المدعم فى الأمصار المفتوحة بنجاح بعد أن تمرسوا بالفتح ، وتذوقوا حـلاوة الانتصارات ، فلم يكن عجيبا بعد هذا أن تسير الأمور كلها الى شيء جديد ...

ولكن ...

ولكن ، هـل اسـتطاعت هـذه المظهريات التى أثرت فى جماهير العامة ، أن تصل الى حيث كان لم يزل للروحانيات جلال ، وللمعنويات مرتبـة عالية ، وللايمان وشدة التمسك بالمثل الدينية العظمى مقام ، أى مقام ... ؟! .

الجواب ... لا ...

ودليل صحة « لا » هذه هو أن الماديات على مالها من أثر وتأثير سريع فى بعض من تأخذ بألبابهم المظاهر ، كانت أضعف من المعنويات الراسـخة فى قرارات النفوس وأعماق القلوب ، وكان سلطانها الوقتي ، أوهى من أن يصل الى اختراق الحجب التي حصنها الدين بسياجه ثم حمتها بالتوفر على تقوية الروح وابعادها عن محيط المظهريات الزائلة ، التي لا بقاء لها ولا دوام ...

اذا ... فلنتابع الطـريق المدعـم ، المعبد بالروحانية ، المعطر بعبير التقوى والصــلاح ، ولنتابع فيه خطوات شيخنا الصحابى الجليل ، أبى الدرداء ، لنبدأ مع مسيرة ترجمة حياة صاحبة حديثنا هذا ، « أم الدرداء الصــغرى » التي خلصنا الى أنها تربت فى حجر الشيخ الطيب ، ونشأت فى رعايته ، وقامت فى بيته ، ومع أهله ، وهم من تعرف أهل التقى والقناعة ــ فنهلت من نفس النبع الروحي الطاهر الفياض ، وتطبعت بطباعه منذ نشأتها الأولى ، وسارت على منواله ، ونهجه ، تقية ، نقية ، برة صـالحة ، متعبدة ، تحرص على الصلاة بوصفها عماد الدين ، وقوامه ، وخاصة صلاة الجماعة فى المسجد وهي فى عباءة أبى الدرداء .

وحين يقرر كتاب سيرة أم الدرداء الصغرى أنها كانت تذهب الى المسجد لتؤدى صلاة الجماعة وهي فى عباءة أبى الدرداء ، فان هذا يؤكد لنا أنها كانت طفلـــة ، أو أنها كانت تخطو نحو مراحل الشباب ، ثم هي تصلى فى صفوف الرجال ثـم تجلس بعدها الى حلقات الدرس .

ولما شبت الفتاة هجيمة الأوصابية ، وتخطت المرحلة التي كانت تمشى خلالها صفوف الرجال للصلاة الجامعة ، أمرها أبو الدرداء ، أن تلحق بصفوف النساء فى المسجد ...

ولحقت أم الدرداء الصغرى بصفوف النساء كما أمرها مربيها الطيب ، واعتكفت حيث أراد لها أن تعتكف ، وخلال فترة الاعتكاف هذه واظبت على المدارسة والاستماع ، وأقبلت فى شغف على دراسة الحديث بصفة خاصـة ، لأن مربيها أبا الدرداء كان من رواة الحديث بحكم الصـحبة الشريفة لسيدنا رسول الله ، وبقية صـحابته الكرام ...

وقد روت أم الدرداء الصغرى ، أول ما روت

من الحديث عن ابى الدرداء ثم عن اخيه فى الله سلمان الفارسي ، وعن ابى هريـرة ، وكعب بن عاصم الاشعرى ، كذلـك روت عن ام المؤمنـين السيدة عائشة رضى الله عنها ...

ورواية ام الدرداء الصغرى عن هؤلاء الصحابة، تعطى ما روت اهمية خاصـة وفى ذات الوقت ، تشعرها انها انما كانت فى مجلس صدق وامانة فحرصت على ان تكون حيث ارادت لنفسها ... صادقة محققة مدققة ، لا تقول الا ما كانت تثق فيه ، وتؤمن بصحته ...

وظلت صـاحبتنا على حالهـا من الدرس ، والبحث والتحقيق تنهل من موارد العلم ، وترشف من مناهل المعرفة ، حتى تقدمت الرجال ، ووصلت الى مرتبة العلماء العاملين ، بواسع اطـلاعها ، وموفور ذكائها ، وحبها لتحرى الحقيقة ، ودقتها فى ايراد الحديث عن خبرة ودراية وذكاء ...

وظلت هجيمة الاوصابية فى رعاية ابى الدرداء حتى لحـق الشـيخ الطيب بربه ، وفارق هذه الحياة الدنيا ، وقد تعاظم شان امير المؤمنـين معاوية ، وساد العالم العربي كله ، ووحد صفوف المسلمين ، وقضى على الفتن والمؤامرات ، وجمع الشمل ، حتى عاد السلام والصفاء يرفرفان على الجميع ..

ولعل امير المؤمنين معاوية بن ابى سفيان احب ان يكرم ذكرى ابى الدرداء فى شـخص هجيمة ، وان يرد للشيخ الطيب جميل وقوفه فى صـفه ، ومؤازرته له ، فتقدم لخطبة ام الدرداء الصغرى ، وقد كان هذا اقصى ما تطمع فيه شابة وضيئةذات ملاحة واصل عريق ونشاة فاضلة مثلها ولكن ...

ولكن هجيمة رفضت اليد التى امتدت اليها ، وابت ان تتزوج معاوية ، وقالت فى تبرير رفضها لامير المؤمنين واعظم الرجال فى زمنه واعلاهم شانا : انها تحب الا تلحق فى الدنيا باى رجل كان ، لان امالها كلها تتركز فى ان تظل هكذا لتكون فى الآخرة زوجة لابى الدرداء نفسه !! .

وانصرف معاوية عن ام الدرداء الصغرى الى شئون دولته المترامية ، التى كانت تتسع رقعتها ويعظم شانها يوما بعد يوم ، وانصرفت هجيمة الاوصابية الى طريق اختطته لنفسها واحبت ان تظل فيه الى اخر رمق لها فى الحياة ...

وكانت قد عرفت ، وتعلمت ، وها هي ذى تتنقل من طور الى طور ، ثم هـا هى ذى تاخذ مكان العالمة ، المعلمة ، وكما روت الحديث الدقيق عن اجل الصحابة راح يروى عنها علماء اجلاء مثـل جبير بن نفير وابن اخيها مهدى بن عبد الرحمن ، وابن ابى الهاجر ، وابو حازم بن دينار وعثمان ابن عطاء الدمشقي .

وعظم امر الراوية الصادقة ، واصبحت حجة ، حتى لقد روى لها مسلم وابو داود ، والترمذى وابن ماجه ...

وتحدث عنها كثيرون ... وشغلت اذهان كثيرين من اهل الرواية والفضل ، فتناولوها بالحديث والرواية ، وحققوا ما روته ، وما روى عنها حتى لقد قرر ابن سميع انها فى الطبقة الثانيـة من تابعى اهل الشام ، وهذا ولا شك يلقى الكثير من الضوء على ما كانت تستمتع به من مكانة علمية وفقهية ملحوظـة ، حتى عدت من تابعى الطبقة الثانية ، وهذا اقرار بالفضل عظيم ...

وعاشت ام الدرداء الصغرى حياتها فى المحيط الاموى ، فشهدت عصر معاوية الذهبى ، ثم ... شهدت عهد ابنه يزيد ... وما ادراثا ما يزيد بن معاوية ... يزيد الذى قيل فيه وقيل ... يزيد الذى عرف باسم يزيد الخمر ، ويزيد الضلال ويزيد الفجـور ... يزيد الذى تناول الناس اسمه باللعنات ، وباعدته ام الدرداء ما امكنها الى ذلك من سبيل ...

لقد كان تدنى يزيد ، واغراقه فى الخطيئـة ، وخروجه على الكثير من اوامر الدين السـمح ، واجتراؤه علانية على شرب الخمر ، مما غير عليه النفوس ، فما هكذا كانت تهون القيمويهذه السرعة المذهلة ... وان ام الدرداء العالمة الفقيهـة ، الفاضلة ، لتاخذ من خروج يزيد على العـرف الاسلامى ، وتعديه حدود الله درسا بليغا مؤثرا ... درسا جعلها تباعد الدنيا ، فالدنيا اصبحت فى ناظريها فتنة ، ومورد هلاك ، لمن يسعى اليها ، او من تسعى هي اليه فلا يصدها ولا يحمى نفسه من اغراضها ، وذلك بتمسكه باهداب الفضيلة ،

وتساميه الى مراتب المثالية العريقة والتحصن الديني ...

واستطاع يزيد باجترائه واغراقه في اللهو والفساد ، أن يمزق الاوصال ويشتت الجموع فتغيرت النفوس ، وتباعد أهل الفضل ، وعكف أهل التقى والصلاح على امور دينهم ثم ...

ثم قضى يزيد ... وجاء من بعده مروان بن الحكم طريد رسول الله ، فورث الملك الأموى وجعل الخلافة ، أموية مروانيـــة ... وبدات النفوس تشتعل من الداخل ، ولكن أهل الفضل تمسكوا بالصبر وبقوا على طريق الهدى ، حفظا للوحدة ، وتجنبا للتفكك والانهيار ...

لقد كان للتطور الذى اصاب الخلافة والخلفاء ، اثره البالغ فى نفس العالمة الفقيهة ، فتعلمت حيث كان يجب أن تتعلم ، وعرفت الكثير ، واكثر من الكثير الذى عرفته ...

لم تكن أم الدرداء الصغرى ، قبل حدوث هذا ، وقبل أن تسمع عن تدنى ولاة الأمر واغراقهـم انفسهم فى المعاصى ، والملذات ـ لم تكن تعرف عن امور الدنيا ، غير انها معبر يوصل الى الاخرة بالعمل الصالح ومرضاة الله ، فلما تهاوت النفوس واستطاعت العروض أن تؤثر فى الجوهر الصـافى ، تكشفت لها حقائق ما خطرت لها ببال ..

عرفت أم الدرداء الصغرى ما تعنيه كلمة الحياة الدنيا ... عرفت ان الدنيا ... الحقيرة ... التافهة ... الدنيئـة ... اذا اقبلت يجب أن نحصن نفوسنا بالخير والرضا والصلاح ضـد اقبالها حتى لا تؤثر فينا ، فلا تحول صاحب هدف عن هدفه ، ولا طالب كمال عن بغيته ...

عـرفت أن الدنيـا ، لمن يطلب الدنيا ، وان الآخرة لمن يطلب الآخرة ، وهيهات أن يجتمع الطالبان على طريق واحد ، فهذا بينه وبين ذاك آماد ... هذا يطلب الـزوال ، وذاك يتطلع الى الخلود ، وهيهات بين المطلبين ...

ومن هنا بدات العالمة الفقيهة تختط لنفسها طريقا فى الزهد الايجابي ، راحت تبشر به وتدعو اليه ، منادية بتحصين النفس وترويضـــها على الطاعـة ، لتدرأ عنها اقوال المعاصى والشرور وقسوة اقبال الدنيا ...

ومن هنا ايضـا نسـتطيع أن نقول ان أم الدرداء الصغرى ، استطاعت بزهدها ، وعلمها وآرائها فى التعبد والزهد ، أن تختط طريقا فى الوصول الى الكمال ، هو المدخل الى التصوف والتسامى ، فكانت بهذا أول من مهد الطريق للعابدات القانتات اللاتى سبقتهن هي الى طريق المعرفة ، واللاتى ، سبقتهن بسنين عديدة ، حتى ظهرن فى العصر العباسى ، وكانت اشهرهن رابعة العدوية ، ورائعة الشامية ، وميمونة ، وحيونة ، وغيرهن من العابدات الزاهدات المتصوفات اللاتى طلقن الدنيا ، وجانبن حلو مباهجهـا ، ورائـع محاسـنها ، واقبلت كل منهن بخالص قلبها على العبادة باسلوبها الخاص الذى شـقته بدمـوع الندم ، وآهات التوبـة وزفرات الاسـتغفار ، لتنال مرضـاة الله ، ورافع المثوبة وحسـن الجزاء ...

ومضت أم الدرداء الصغرى تشق طريقها الذى ارادته ، وارتضته مسلكا ومجازا يصل بها الى حيث ارادت أن تكون ، قريبة من قلبها ، قريبة من الله ...

ومضت الدولة الأموية فى طريقها ... وبدا حبل الأمور يختل بعض الشيء وكما خرج الامام الحسين من قبل غاضبا لدين الله جل وعلا ، كذلك خـرج من بعده عبد الله بن الزبير ، وخلع بيعة الأمويين، ونادى بنفسه اميرا للمؤمنين ، واقام دعائم دولـة اسلامية موحدة ، اخذت مكانها الى جانب الدولة الأموية ...

مثل هذه الأفعال وأشباهها ، اعطت أم الدرداء الصغرى صورة صادقة للحياة التي طغت مادياتها على الجوهر ، فكادت تطمس بريقه وتأتي على التماعه ... ويا لها كانت من حياة كرهتها العابدة العالمة الفقيهة ... حياة لم يسعدها فيها شيء قدر احساسها بالسعادة لأن المسلمين لم يختلفوا في الله ابدا ولكن اختلافهم انما كان في الدرهم والدينار وعروض الدنيا الزائلة ، وشارات الحكم والسلطان ...

من أجـل هذا ، أمعنت صـاحبة حديثنا فى

الابتعاد عن مظهريات الحياة الدنيا واخذت سمتها في المجال الذى ارادته ، فلم تتعبد لفرض التعبد بل لهداية الناس ، ومحاولة نصحهم وابعادهم عن الطريق الشائك ليعرفوا طريقهم الى الله ، والى الحياة الأخرى ...

فام الدرداء الصغرى ، لم تكن زاهدة من ذلك النوع القابع ، المنصرف عن مدار الفلك الدنيوى، بل كانت زاهدة ايجابية ، عملية ، حركية ، خرجت على شرعة العزلة التي طالما تمسك بها الزاهدون ، والنساك ، ورأت أن مخالطة الناس ، هي التوجيه الحق ، وهي الارشاد الى الحسنى والى طريق الخير ، فخالطت مريديها وعارفي فضلها ممن كانوا يتجمعون اليها في المسجد ، ويلتفون حولها ويصغون الى أحاديثها ، وهى تروى الحديث ، او توجه النصح ، أو تعمل علىالارشاد ، وتوجه الناس الى خير السبل الواجب أن يتبعوها في امور دينهم ودنياهم ، فصلاح امور الدنيا في نظر أم الدرداء الصغرى ، كان يوجب ضرورة صلاح امور الدين واتباعه في كل ما يامر به ..

وكما تولى عهد معاوية بن أبى سفيان ، ومن بعده عهد يزيد ثم معاوية بن ابى سفيان ، ومن مروان بن الحكم ، وخلفه من بعده ابنه عبد الملك ...

وكان عبد الملك ، حاكما طموحا ، واسع الأفق ، واسع الحيلة ، شديد الذكاء ، قوى الشكيمة ، يكره الفرقة، ويبغض التخريب ، فكره اول ما كره أن تقوم في الوطن العربي الكبير دولتان وخلافتان تناوىء كل منهما الأخرى ، وتحاول اضعافها والنيل منها ، ومن هنا وجه همه الى القضاء على خلافة عبد الله بن الزبير ...

لقد كان عبد الملك يعتبر ابن الزبير خارجا على الطاعة ، مخالفا للبيعة الاجمالية ، فوجه اليه همه ليقضي عليه ، ويعيد من جديد توحيد الدولة ، ليتجه بجيوشه وقواته ، وقادته الى الفتح الخارجي وتثبيت اقدام المسلمين في بلاد كثيرة ، كان أهلها يتوقون الى الحرية ويتعشقون الخلاص ، وتميل نفوسهم الى دخول الاسلام الذى سوى بين الناس ، وحرم الرق ، والتسلط والاستغلال ، ونادى بالتحرر ، والمساواة الكاملة في كل شيء ...

ووجه عبد الملك قائده الحجاج بن يوسف الثقفى لحرب ابن الزبير والقضاء على خلافته ..

وبدأت أم الدرداء الصغرى تشهد لونا بغيضا من الوان النضال بين أشقاء في الله واخوة في الاسلام ، فرقت بينهما المطامع ، وغلبت الدنيا تفكيرهما ، فكان الخروج على شرعة الاتحاد والتضافر ، وكانت العزلة ، والتفرد ، وحب الاستئثار بالسلطة ، الذى جعل من الدولة الموحدة دولتين متنازعتين تتربص كل منهما بالأخرى ...

وزادت الأحداث من وعى أم الدرداء وجعلتها ترى الدنيا بوجه جديد أضافته الى عديد من الوجوه التي عرفتها من قبل .. فاذا بها تزداد تباعدا عن حلبات النضال السياسي ، وتتجه الى شحذ قوى الخير ، وفاعلية الروح ، هادفة بذلك الى تنقية نفوس البشر ، وصرفهم عن التكالب على الحياة الدنيا الا بمقدار ..

وقد عرف خلفاء بنى أمية لأم الدرداء الصغرى سابغ فضلها ، وعظيم تأثيرها على نفوس المريدين جميعا ، فوقروها وبالغوا في احترامها وتعظيمها ، وكان أظهرهم في ذلك عبد الملك بن مروان الذى كان من عادته أن يواظب على حضور حلقاتها الدينية وكان يجلس في مؤخرة المسجد امعانا منه في التواضع.

وبلغ من تعظيم أمير المؤمنين عبد الملك لصاحبة حديثنا هذا ، أنه وصلها ، وأعانها على العيش الرغد ، وهيأ لها مطالبها وأغدق عليها سعة الى الحد الذى جعلها قادرة على التنقل في يسر ، فكانت تقيم النصف عام في دمشق الحاضرة الكبرى، وتقيم النصف الاخر في بيت المقدس حيث كان الخليفة يلقاها هناك أحيانا ويجالسها في المسجد ، ويستمع اليها في اصغاء شديد ، حتى اذا نودى للصلاة ، قامت وقام عبد الملك ، فتتوكا هى عليه، ويسيران معا مسيرة متواضعة ، حتى يصلا الى المسجد . فيفترقا .. أمير المؤمنين الى حيث اعتاد أن يؤم الناس ، وهى في المكان المخصص للنساء .

لقد كانت الاوصابية ، عابدة عرفت كيف

تصل .. وكيف تعرف طريق الوصول ، وكانت من الكرم بحيث لم تغلق على غيرها باب المعرفة الذى وصلت اليه ، بل حرصت على أن تدعو الناس الى دخوله ، لتستثير قلوبهم بحب الله .

وكانت محدثة بارعة ، لها في الطريق آراء وفي الوصول طرق .. وكانت تعرف كيف تأسر الباب من يتجمعون عندها، فتسحرهم بحديثها الصادق، حتى ليستقر في أعماق النفوس التى عرفت كيف تطهرها بالتعبد والقناعة ، وترك الدنيا ظهريا .

وكانت أم الدرداء الصغرى اذا تحدثت أفاضت، واذا افاضت تملكت السامعين ، ونسيت في غمرة اخلاصها ـ لما كانت تعظ به ـ مرور الزمن ،حتى لتمر الساعات ، فلا تحس هي بها ، ولا يشعر من جلس اليها من الناس ، وان أحدهم ، وهو في مجلس ذكر الله معها ذات مرة يقول وقد مرت بها وبمن حولها الساعات : لعلنا قد بعثنا اليك الملل .

ونظرت أم الدرداء الى محدثها وقالت : .. تزعمون أنكم امللتموني .. لا والله .. لقد طلبت العبادة في كل شيء ، فما وجدت أشفى لصدرى ، ولا أحرى أن أصيب به الذى أريد من مجالس ذكر الله .. وانى لأقول لكم ان أفضل العلم ، هو المعرفة ، فتعلموا الحكمة صغارا ، تعملوا بها كبارا ، وان كل زارع يحصد آخر ما زرع ، فان كان خيرا فخير ، وان كان شرا فشر .

هكذا كانت تدعو أم الدرداء الى الخير ، وبهذا نادت ، وذلكم كان منهاجها السديد القويم .. دعوة صادقة مؤمنة ، لم تكن صاحبتها تتمنى أكثر من أن تجد مواقعها في النفوس ، لأن صاحبة حديثنا كانت تؤمن بالخير، وتعتبره المعبر المستقيم الى كل فلاح ، وكل سعادة ، تنتظم المجتمع ، فالخير هو الخير ، وهو الدرع الواقى من كل الشرور ..

وكانت أم الدرداء الصغرى تعتبر ذكر الله الوسيلة لكل خير وانها في هذا لتقول لمريديها : ولذكر الله أكبر ، فان صليت فهو من ذكر الله ، وأفضل ذلك تسبيح الله .

وأم الدرداء ، كانت صوامة ، قوامة ، وكانت بعض الصالحات القانتات من نساء عصرها يجتمعن بها وتطيب لهن جلستها التعبدية ، وقد اعتادت أن تؤمهن للصلاة ، وكانت في صلاتها على العهد بها .. كثيرة القيام ، كثيرة الصلاة ، حتى أن صاحباتها كان يعتورهن الضعف فلا يستطعن مجاراتها في الصلاة ، الا مستعينات بما يساعدهن على كثرة القيام والركوع والسجود .

وكانت أم الدرداء الصغرى ، تعظ ، وتوجه ، وكانت تزجر لتقوم النفوس ، وتطهرها ، وقد يتساوى عندها أمير المؤمنين بغيره من رعيته ، وهي توجهه وتنصحه حتى أنه حدث ذات ليلة ، وهي في ضيافة عبد الملك بن مروان ، أن سمعته ليلا وهو ينادى أحد خدمه ، فابطأ عليه ذلك الخادم فلعنه .

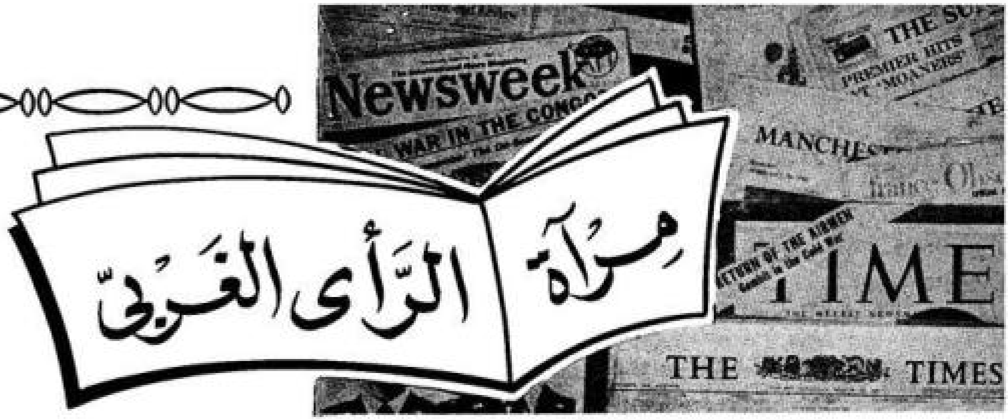
وأسفر الصباح عن نوره ، ولقيت أم الدرداء أمير المؤمنين ، فاستوقفته وقالت له انها سمعته في ليلته تلك يلعن خادمه .. ولم ينكر عبد الملك ذلك وقال في تبرير فعلته ، ان الخادم قد أبطأ عليه ولم يستجب لدعوته على وجه السرعة .. وعندها نهت العابدة الزاهدة المعلمة أمير المؤمنين عن لعن غيره وقالت له :

« سمعت أبا الدرداء يقول .. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللعانون لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة .. »

ووقرت النصيحة في نفس عبد الملك ، وعمل بالحديث الشريف طوال حكمه ، فلم يجسر بعدها على لعن أحد من خدمه أو عبيده ، أو من يعملون معه .

هكذا عاشت أم الدرداء الصغرى .. راوية حديث صحيح .. وموجهة نصح متمكنة وعابدة وزاهدة كان لها في التعبد والزهد طريق عمل فريد .. وقد بقيت حيث أرادت أن تكون في موضع الرعاية والتقدير من خلفاء بنى أمية ، حتى لحقت بربها راضية مرضيا عنها بعد عام ٨١ من الهجرة . وهى عذراء لم تتزوج ، ولم تقبل أن تمد يدها الى الايدى التى امتدت اليها ، ذلك لانها أحبت أن تبقى هكذا عذراء حتى تكون في الجنة زوجا لمعلمها ، ومربيها وموجهها ، أبى الدرداء . ■■

سنية قراعة



الكاتب اليهودى (منوهن)
يشجب العدوان الاسرائيلي

عن صحيفة لوس جانوس تايمز الأمريكية (فى عددها المؤرخ ١٩٦٧/٨/٣١) :

● فى رسالة مفصلة وجهها الى الصحيفة اليومية المسماة فوق هذا الكلام ، اعرب اليهودى موشي منوهن – مؤلف كتاب « انحلال اليهودية وتدهورها فى العصر الحديث » (١) عن مشاعره ازاء العدوان الاسرائيلي الغادر الذى شنه الصهاينة واسرائيل على الدول العربية فى مطلع شهر يونية الماضي (حزيران) ، فقال :

« انها لمأساة القرن العشرين ، ان يتمكن الصهاينة من العدوان والاستيلاء على اراضي العرب وبيوتهم واوطانهم فينزلوا افدح الكوارث والاضرار فى المزارعين والعمال والتجار على السواء ، وهم الذين اتخذوا من الخديعة والنفاق مبدأ ، ومن الدعاية المنمقة والمضللة اسلوبا ومن طمس الحقائق وتشويه التاريخ رسالة لهم فى الحياة .. وانها لمأساة القرن العشرين ايضا ان يكونوا قد تمكنوا من اصطناع « وطنهم القومي » والمضي فى توسيعه ، لا بقوة السلاح بقدر ما هو بالبطش والارهاب .

ويستشهد الكاتب فى مكان آخر من رسالته المسهبة بقول مأثور ، للفيلسوف اليهودى الشهير مارتن بوبر ، بقوله فيه : « لقد اثر الشعب اليهودى ، كله او اكثره ، اقتفاء اثر هتلر وقد اكد عدو اليهود اللدود هذا ان القوة الغاشمة لا الروح هى الدفعة المحركة فى التاريخ وان فى مقدور الشعب الذى يمتلك القوة بقدر كاف ان يقتل الآخرين ما وسعه التقتيل .. » .

ويختم المستر منوهن رسالته بقوله : « يا للفظاعة ! فالذى حدث غير معقول ويتنافى مع كل ما جاءت به التوراة .. ويا حبذا لو كان الرئيس الحالي للولايات المتحدة الامريكية لا يضع نصب عينيه أصوات اليهود فى انتخابات الرئاسة المقبلة لسنة ١٩٦٨ ، بل جعل رائده فيما يفكر فيه ويصدر احكامه بصدده ، تحقيق العدالة والاخاء وسائر القيم الانسانية الاخرى ، واستلهم فى هذا وذلك مسؤوليته الكبرى ازاء الامم المتحدة وازاء المثل الاعلى الذى ننشده جميعا : السلام العالمي » .

---

(١) انظر العدد ١٠٠ من العربى (ص ٦٦) .

رأى لابنة ستالين، سفتلانا فى مستقبل بلادها

عن صحيفة الاوبزرفر البريطانية :

● انا لست نبية ولا استطيع التنبؤ . الا انني اعتقد بان العقيدة الماركسية واللينينية ستتقلص في غضون نصف قرن فلا تبقى العقيدة الطاغية في المجتمع السوفياتي . ولا يخفى ان هذه العقيدة قد فقدت الكثير في غضون نصف القرن الماضي . فهي لم تعد في نظر الناس تجسيدا للروح التقدمية ولم تعد قادرة بالتالي على اجتذاب المزيد من الانصار المتحمسين لها .



ولست الوحيدة التي تاخذ بهذا الراى ، على كل حال . فانا انتمي الى جيل من الروس طالما شعر افراده بالاستياء وخاب املهم في العقائد الماركسية واللينينية التي ذكرنا ، الى ان اكتشفوا آخر الأمر ان هذه العقائد ضالة ، بل عقيمة وعاجزة عن اعطاء الشعب ما قد تعهدت له به .

نقمة الزنوج فى امريكا على الرئيس جونســون وعلى الصهاينة فيها وفى اسرائيل

عن صحيفة الهيرالد تريبيون الأمريكية :

● من المقررات التي اتخذها « مؤتمر السياسة الجديدة » ، او عدم التفرقة العنصرية ، وقد عقد في الولايات المتحدة قبل حين وحضره ٢٠٠٠ من الزنوج والبيض ، ما يلي :

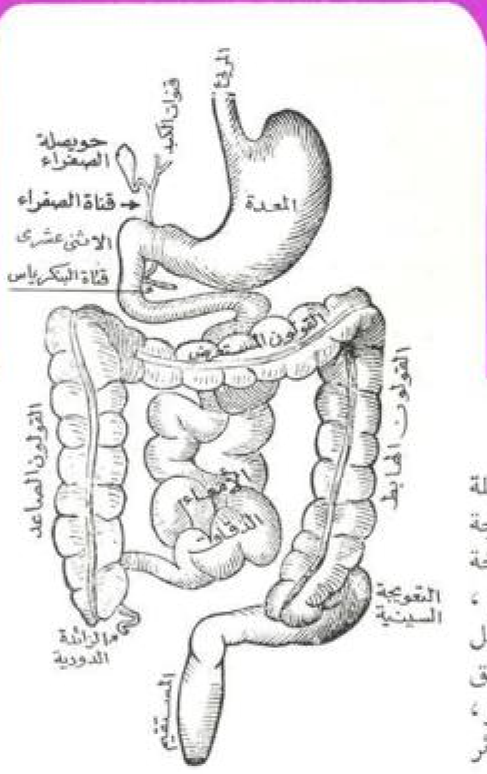
١ – انشاء لجان من البيض (دون الزنوج) للعمل في مجتمعات البيض الأمريكية جميعها ، مستهدفة السعي الى تمدين فئة كبيرة من الأمريكيين ، وقد غلبت عليهم فظاعة الوحوش ، والعمل على تهذيب نفوسهم وصقلها ، وقد طغت عليها شراسة البهائم . اذ لا بد من اعادة افراد هذه الفئة الى الطبيعة الانسانية التي فارقتهم ، لا سيما وانهم هم الحكام المطاعون من اقصى الولايات المتحدة الى اقصاها . ومن افراد هذه الفئة على سبيل المثال ، جورج لنكولن روكولز Lncoln Rockwells والرئيس لندون جونسون .

٢ – التاييد المطلق غير المشروط لكافة الحروب التحريرية ، او بالاحرى لجميع الشعوب المناضلة في سبيل الحرية ، سواء في افريقيا او آسيا او امريكا اللاتينية وبخاصة شعب فيتنام ...

٣ – شجب الحرب الاستعمارية الصهيونية التي قامت في الشرق الأوسط في شهر يونية (حزيران) الماضي ، فضلا عن اتاحة الفرصة لعرب فلسطين لتقرير مصيرهم وادانة اسرائيل ومطالبتها بالانسحاب من الاراضي العربية التي تحتلها ...

تجدر الاشارة هنا ان بعض اليهود المشتركين في هذا المؤتمر حاولوا التخفيف من حدة هذا القرار ولكنهم اذعنوا في النهاية لزملائهم الزنوج الذين اصروا على الابقاء على عبارات الشجب والادانة فيه . وتجدر الاشارة ايضا الى ان القرار الثالث قد نص ايضا على أن مؤتمر السياسة الجديدة هذا لا ياخذ باللاسامية ولا ينادى بها ، بل انه يدينها ايضا ويناهضها .

أَمْرَاضٌ شَائِعَةٌ



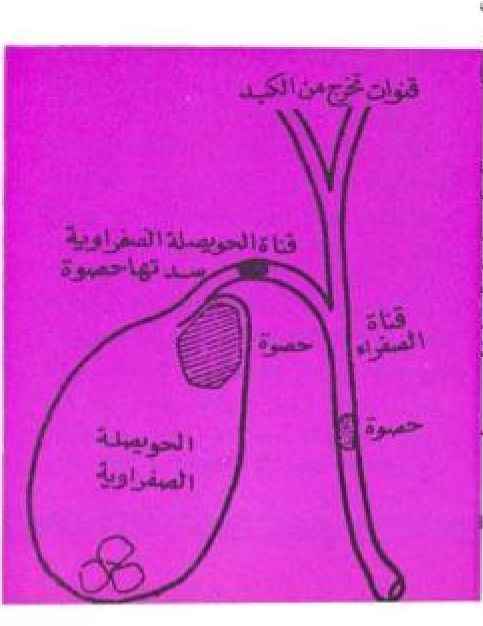
■ ليس من احد لا يعرف الحويصلة الصفراوية التى تكون مع كبد الدجاجة حين تجهزها الطابخة للطبخ . ان الطابخة تخرج من احشاء الدجاجة ما تخرج ، ومن بينها الكبد ، وهى تفصل عنها تلك الحويصلة في حذر ورفق خشية ان يندلع ما بها من سائل اصفر ، وهو مر ، فيعطى المرارة للكبد وسائر لحم الدجاجة .

فهذه الحويصلة هى التى تسمى حويصلة الصفراء بسبب هذا السائل الاصفر المر الذى بها . انه « الصفراء » .

وللانسان حويصلة صفراء مثل ما للدجاج ولكثير من الحيوانات .

وليس من احد لا يعرف كذلك ان الدم يتألف من خلايا حمراء ، سبب احمرارها مادة حمراء بها تسمى بالهيموجلوبين . وهى تحمل الاكسجين من الرئتين حيث يحدث التنفس وتوصله الى خلايا الجسم حيث يحدث احتراق الاغذية وخروج شتى صنوف الطاقة التى تصنع الحياة .

وهذا الهيموجلوبين يدخل في تركيبه عنصر الحديد .



الصَفْراء عَرَضٌ ومَرَضٌ

والمعلوم ان الخلايات الحمراء ، خلايا الهيموجلوبين ، تعمل في الدم ثم تعمل ، وكانما يصيبها الكلال فتاخذ تتحطم وتتحطم ، ويتولد مكانها كرات حمراء جديدة .

وهي تتحطم اكثر ما تتحطم في الطحال وفي نخاع العظام . فاذا وصل حطامها الى الكبد ، حولته ، وهو قد خلا من حديده الى مادة « الصفراء » .

وتخرج الصفراء من الكبد في انبوبة وهدفها المعَا . ولكن في الطريق ، بعد الخروج من الكبد بمسافة قصيرة جدا ، تلتقي بانبوبة فرعية تتصل بكيس تختزن فيه الصفراء الى حين الحاجة (انظر الشكل) .

فاذا اكل الانسان الطعام وحان خروج الصفراء الى المعا لتساعد على الهضم ، افرغت الحويصلة الصفراوية ، او ان شئت كيس الصفراء ، ما به من صفراء .

والصفراء في المعا تساعد على الهضم ، لا سيما هضم الدهون وامتصاصها .

ثم هي تخرج مع البراز . وصفرة البراز انما هي من صفرة الصفراء .

لفظ الصفراء

والصفراء لفظ يطلق على تلك المادة المختزنة في الحريصلة .

ولكن في المرض تنحبس الصفراء فلا تخرج الى المعا ، لاكثر من سبب ، وسنتحدث في ذلك ، واذن فهي تدور في الدم ، وتظهر في جلد الوجه وبياض العينين خاصة . وتحدث مرضا .

فسموا هذا المرض بمرض الصفراء Taundice .

ولكن اتضح ان ظهور الصفراء هكذا في وجه الانسان له اسباب عدة . فهي اذن أمراض عدة ، واذن فالصفراء ليست الا عرضا تشترك فيه امراض عدة .

ومع هذا فلا تزال الالسنة تجرى فتقول مرض الصفراء .

الصفراء بسبب التهاب الكبد

هذا المرض يحدث بسبب عدوى بالفيروس تصيب الكبد ، وهو يحدث في خلاياها اضطرابا يتعذر معه وصول المرارة الى قناتها ، فالى الحويصلة

الصفراوية ، فالمعا . ونتيجة ذلك تزايد مقدار صبغ المرارة التي في الدم ، فتحاول الكليتان أن تتخلصا منها بافرازها في البول ، فيخرج البول ، وله بسبب ذلك لون خشب المجنة، اى اصفر بني. اما البراز ، فان امتنعت المرارة عن الوصول الى قناتها فالحويصلة فالمعا ، اذن لكان لونه اسمر فاتحا كلون الصلصال .

ويصاب بهذا المرض الشباب عادة . وهو يبدأ باضطراب في البطن وبارتفاع درجة الحرارة . ويستمر المرض من ايام قليلة الى اسابيع . وهو لا يعدى الا في اول نشأته . واللون الطبيعي يعود الى البول والبراز قبل عودته الى الجلد . ويفقد المريض في هذا المرض بعض وزنه . ومن اعراضه ميل المريض لحك جلده ، وعند الطبيب تلطيف ذلك .

الصفراء بسبب انسداد مسالك المرارة بالحصو

وهذا سبب واضح . فالحصي يتكون في الحويصلة الصفراوية مرضا، وتحاول الحصوة أن تخرج الى القناة الصفراوية فتسدها ، فتنحبس الصفراء فلا تصل الى المعا . ويكون من هذا الم شديد ويظهر تحت الضلوع في القفص الصدرى. وقد تنجح الحصوة في المرور وينتهي الاشكال ، والا فالجراحة .

والالم قد يأتي على صورة مغص متقطع كلما حاولت الحصوة المرور .

وانحباس الصفراء هكذا في الدم يظهر اثره ، عدا تلوين الجلد بالصفرة ، في البول وفي البراز معا .

اما البول فيكتسب لون خشب المجنة كاملا للذى تفرزه الكليتان فيه صبغ المرارة .

واما البراز فلا يصله بسبب الانسداد من الصفراء شيء ، فيظهر فاتح اللون كأنه الصلصال .

وهذا الداء يظهر على الاكثر في النساء السمان ، في الكهولة .

الصفراء بسبب انسداد المسالك بعوامل اخرى

ويقع الانسداد المذكور كذلك بسبب تضخم غدة قريبة من الكبد ، أو ورم سرطاني ينشأ في البنكرياس وهو اشبه بالانسداد بسبب الحصي ، من حيث لون البول والبراز ، وصفرة البدن بالطبع .

وهذا المرض يأتي رويدا ، ويزداد رويدا ، ويفقد المريض معه وزنه ويفقد شهيته .

وهو نادر ، وهو بالاشياخ اشبه .

الصفراء بسبب تحطيم خلايا الدم

ويحدث هذا بسبب زيادة طارئة في القدر الذى تتحطم به خلايا الدم الحمراء لتستجد غيرها. ويقع هذا بسبب اشكال من امراض فقر الدم ، وبسبب عدوى دموية كالملاريا، أو بسبب سموم خاصة.

العلاج

اما علاج هذه الامراض فيختلف باختلاف المرض. وهو من عمل الطبيب. انما نذكر ما ذكرنا من ذلك من باب اعطاء فكرة للقارىء عما يجب أن يفهمه اذا هو سمع بالصفراء ، وأن فلانا مريض بها او انه هو المريض. انه بعض زاد الرجل المثقف ، جئنا به في ايجاز شديد . ●●

أمانة

للشاعرة الدكتورة عائكة الخزرجي

■ يهون عليك اليومَ مثلي ولم أكن ... لأحسب يوما أني سأهون
يلذُّ لكم ذلي فأُنكر عزتي ... لديكم ويقسو قلبُكم وألين
فحتام أرجو والرجاءُ يخونني ... وقلبي على العِلاَّت ليس يخون ؟
فديتُكَ ، هل تُرجَى لمثلي شفاعةٌ ... لديك وهل لى في هواك مُعين
وكيف اصطباري عنك والشوق عقَّني ... وأمرك أعياني فلستُ أُبين
وهذي النوى ترمي المرامِيَ بيننا ... وتلك سهولٌ دوننا وحزون ؟
تمنيت لو أني وإياكَ نلتقي ... لو ان المُنى مقضيةٌ فتكون
وأن يلتقي طَرْفي وطرفُك لحظةً ... فترتاح نفسٌ أو تَقَرَّ عيون
وإلا فطيفٌ من خيالك طارقي ... إذا جَنَّ ليل واستُثير حنين
فديتُكَ ، ذا قلبي لديكَ أمانةٌ ... وأنت عليها ، ما حييتُ ، أمين ■■

د . عائكة الخزرجي





تريد ان تقتل زوجها

● انا اكره زوجي ، وارجو منك ان تدلني على سم قاتل ، لا يقع تحت سلطة القانون ، لاستريح منه ..

ـ انه خطاب غريب . وهو طويل . وكان من المنتظر ان لا يكون فيه امضاء الا حرفين . ومن يدرى فلعلهما كاذبان .

على كل انا عندى سم قاتل . وهو حقا لا يوقع السيدة الفاضلة تحت سيطرة القانون . نقول الفاضلة ؟ نعم الفاضلة ، فلعلها فاضلة ، ولعلها تكره زوجها بحق ، فمن الازواج من يستحق الشنق (هذا بصرف النظر عن طلبها السم فليس هذا من الفضل فى شيء) . والدنيا ، كما تقول فى خطابها الطويل ، دنيا رجال .

ذكرت ان عندى كتابا بالانجليزية اسمه Haw Not To kill Your Husband اى كيف تعملين على ان لا تقتلي زوجك . فقمت اطلبه . ومنه اقتبست ردى على السيدة الفاضلة ، ببعض تحوير .

فيا سيدتي الفاضلة ، هذه ٨ نصائح لو اتبعتيها قتلت زوجك ، ولم تقعي تحت طائلة القانون .

(اولا) اتركيه ينام فى الصباح ، ثم ايقظيه متأخرا ، واجعليه يجرى ، ليلحق بالسيارة او القطار فى السبيل الى عمله .

(ثانيا) فى يوم العطلة الاسبوعية حمّليه من الاعمال والأشغال ما ينوء به ظهره . اجعليه يحفر فى الحديقة ، او يدهن سقف المطبخ او الحمام بالبوية .

(ثالثا) عامليه معاملة الأبله ، واحرصي دائما على اغضابه حتى يثور .



(رابعا) عند النوم افتحي عليه اغلاق متاعبك كلها ، ومتاعبه ، حتى لا ينام نوما هنيئا .

(خامسا) شجعيه على التدخين حتى يدخن فكأنه مدخنة في الشتاء لا يقف دخانها .

(سادسا) اعطيه اكثر ما يمكن من الدهن في طعامه .

(سابعا) رتبي للخروج به كل يوم استجابة لدعوة ، او حضور حفل ، او نحو ذلك . وذلك عقب مجيئه آخر اليوم متعبا من عمله .

(ثامنا) امنعيه من اخذ يوم راحة واحد من عمله ، ولو احس بعض الشيء باختلال مزاجه .

هذه ياسيدتي بعض النصائح . بالطبع تحتاج منك الى تنقيح . لأنها نصائح صنعها صانعها لغير بلادنا . وعندك لا شك القدرة والذكاء على استنباط ما هو انكى . على كل حال هذا هو السبيل .

وانا موافقك ياسيدتي على ماذكرت من ان الجنس الذكر هو الجنس الأضعف . وأؤكد قولك ذلك بأن أطلب اليك ان تعدّي مَنْ حولك من الأرامل . ان النساء فيهم اكثر كثيرا من الرجال . وهل تعلمين ياسيدتي ان المرضى بمرض القلب ، مرض الشريان التاجي ، من الرجال ، يبلغون اضعاف المرضى من النساء .. او تعرفين ما ، ومن ، سبّب لهم هذا ؟ اترك لك الجواب .

الرضاع
من الثدى ام من الزجاجة

● جاءني في هذه الايام اول ولد ، وانا حائرة فيه من حيث التغذية ، من ذلك ان جماعة من صديقاتي ينصحونني بارضاعه ، واخريات يقلن بانها عادة قديمة منعتها المدنية والتقدم الحاضر ، والفترات ما بين رضعة ورضعة اختلفن فيها .. ثم ...

ـ اما مسألة المدنية والتقدم فدعيهما جانبا ، فالمسألة ليست مسألة موضة ثياب او تنسيق شعر عند حلاق . ودعي كذلك مسألة القِدَم والحداثة ، فرب قديم نافع ورب حديث ضار . الا ان تكون الحداثة معناها ان شيئا كان يتّبع اعتباطا ، ثم



الرقبة ! الرقبة ! احرصوا عليها

● لي اخ ، له ابن شاب ، اغرم بالرياضة . وكان اشد اغراما بالسباحة والغطس العالي . وكان دائما رشيقا في غطسه . ثم حدث ما لم نكد نصدقه ابدا . غطس مرة من علوه المعتاد في حمام النادي ، واصيب على التو بما يشبه الشلل . وقيل ان الشلل اصابه في عنقه . فكيف يقع مثل هذا ، فما سمعنا بشلل قط يقع على هذه الصورة ، علما بان حوض الحمام كان مليئا بالماء كل الملء .

ـ نعم . انه حادث نادر حقا . فالذي وقع لابن اخيك ، على الأغلب ، ان النخاع الشوكي الذي تحميه الفقرات الشوكية التي بالعنق قد اصيب ، فأحدث في الشاب ذلك الشلل الذي تذكر .

نعم انها الرقبة قد اصيبت ، واصابة الرقبة لا يخطر على بال الناس الا ان تكون حادثة عنيفة تهد الجسم وتحطمه. وفي مثل الغطس يتصور الناس ان الرقبة لا تصاب الا اذا هي وصلت الى قاع الحوض ، وبه القدر غير الكافي من الماء ، فاندق راس الغاطس في القاع .

قل ان يخطر للناس ان الرقبة عضو خطير ، وانه في خطورته عضو رقيق . اما خطورته ففي ان النخاع الفقرى يمر بها ، وهو يصل بين اعصاب الجسم جميعا ، فيما هو اسفل الرقبة وبين المخ . واما رقة الرقبة فهي غير ظاهرة لان العنق محاط بعضلات قوية ،لاسيما عند محترف الرياضة . تحمي النخاع من الاصابات .

ولكن الواقع ان بهذه الرقبة ضعفا .

كشف العلم الحديث عن خطأ فيه ، فوجب الكف عنه الى شيء أحق باتباع .

واعود الى ما تسألين فيه من تغذية طفلك الوليد .

ان الاطباء اختلفوا ، بعضهم اختلف بناء عن علم ، وبعضهم بناء على انفعال بقدم او حداثة . وممن ينفعلون بالقدم من يقولون ان الرضاعة من تدبير الطبيعة ، واذن فهي أحق باتباع . ويرد عليهم المتأثرون بالحداثة ، او بالخبرة التي جناها النساء من ارضاع اطفالهن لبن البقر بدل لبن الأم ، هؤلاء يردون فيدفعون الحجاج المبنىّ على الطبيعة ، وانها الاولى بالاتباع . ويقولون مثلا ان نمو الشعر طبيعي ، ونمو الشوارب واللحى كذلك ، ومع هذا نحن نقص الشعر ونحلق الشوارب واللحى .

اختلفوا وما زالوا مختلفين . ولعل سبب ذلك ان كلا الطريقتين ادت في تجربة الانسان الطويلة ، لا سيما بين اهل الغرب والامريكتين ، الى اطفال اصحاء اقوياء .

وكثير من النساء يرى ان اعمالهن زادت بحيث لم يبق لهن متسع لان يكن جاهزات دائما لارضاع الطفل ، في كل ساعة . وزاد في ذلك ان النساء في الغرب يخرجن للعمل طلبا للرزق ، فهن يتركن أولادهن في محاضن يتولاهن نساء مدربات .



انها ارق ما تكون ، ونخاعها اقـرب الى الى الاصابة ، اذا تحركت الراس بغتة ، فى حادث ما ، لا الى الامام ، ولكن الى الوراء .

نضرب مثلا بالفتى الغاطس . ان بعض الفتيان عند الغطس يرمي براسه الـى الوراء ، ولا يدرى ما فى ذلك من خطر . ان الراس ان ظـل مائـلا الى الوراء . ووصل الى الماء فاندق فيها ، زاد اندفاع الرقبة الى الوراء . فاصيب النخاع . فوقع الشلل . وكأني بهذا ، هو الذى حدث للشاب المسكين .

ومثل آخر . انت فى سيارة . ووصلت فجاة الى حيث النور الاحمر ، وتوقفت فجاة . وجاءت عربة من ورائك فدقت عربتك قبل ان تقف انت تماما . انهـا دفعت عربتك فى سرعتها بقوة ، فتحرك جسمك ، وانطرح راسك الى الوراء . ففي هذه الحالة ، اذا لم تكن يقظا ، فقد يصاب عنقك بانطراحه بغتة الى الوراء . ومثل ثالث نافع . مثلُ الاشياخ . ان الشيخوخة تضيّق قناة العمود الشوكى التى يجرى فيها النخاع فى الرقبة . وقد يسقط الشيخ ، وما اسرع ما يسقط لضعف اتزانه ، فتصاب فيما تصـاب رقبته ، ويصاب نخاعه .

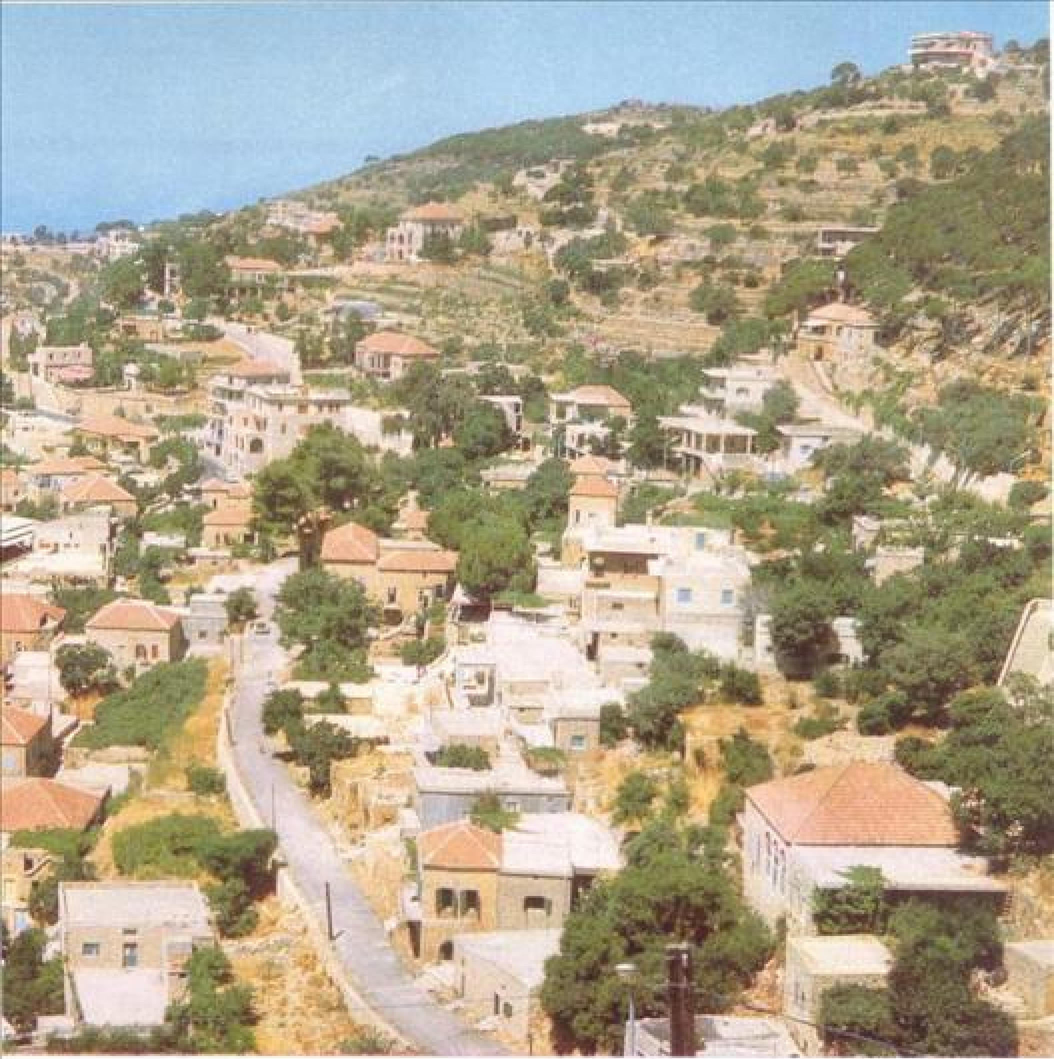
ومع هـذا ، فنحمـد الله ان هـذه الحوادث نادرة . ولعـل هـذا بسبب يقظة الجسم ، دون ان يدرى صاحبه ، وتحفزه الى العمل لصيانة عنقه ، وما فيه من نخاع .

فاصنعي ياسيدتي مع طفلك ما هـو اصلح لك ، واكثر انسجاما مع ظروفك . ابدئـي بالارضــــاع . فـان استطعت استمرارا ، ونجح الرضاع فبها ، والا فتحولى الى اللبن المسحوق ، وهو كثير فى الاسواق ، او الى لبن البقر بعد جعله اقرب ما يكون الى لبن الأم .

اما الكميـة التى يتطلبها الطـفل فى الوجبة الواحدة ، فالطفل هو اعلم الناس بها . وهو قد يزيد فيها وقد ينقص ، مثلك يا سيدتي تماما . وفى الوجبـة الواحدة لا تفصبيه على زيادة ان هو كف . راجعيه ، فان رفض ، فلا شك انه اكتفى .

اما فترة ما بين الوجبات فتختلف بين الاطفال . من الاطفال ما يصبر اربع ساعات ، ومنهم من يريد لبنه اسرع من ذلك . والخير فى أن تدعيه ينام ما شاء ، فان استيقظ ، استيقظ جائعا . فاعطيه لبنه . اما ان كنت ممن يرون تنظيـم الوقت لحاجـة لديك الى ذلك ، كـان تطعميه كـل ٤ ساعات ، فعلت ذلك ، واؤكد لك انه سوف يتعاون معك فى هذا التنظيم .

وتسالين فى خطابك عـن ارضاعـه في الليل . والراى عندى ان ترضعيه ان هو استيقظ . ومـا أسرع ما يتعـود على اسقاط هذه الوجبة لينام من الليل ساعات اطول .

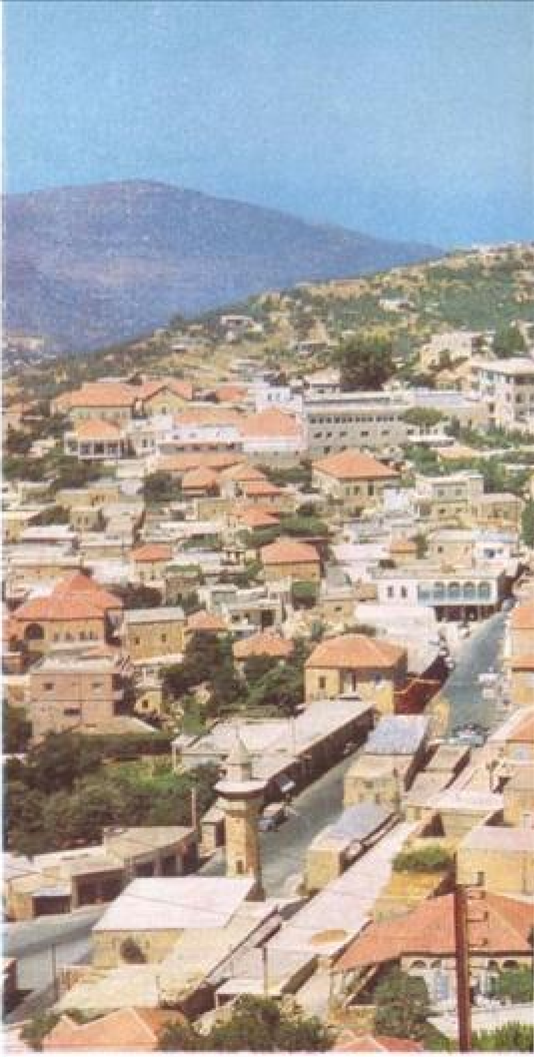


اعرف وطنك أيها العربي

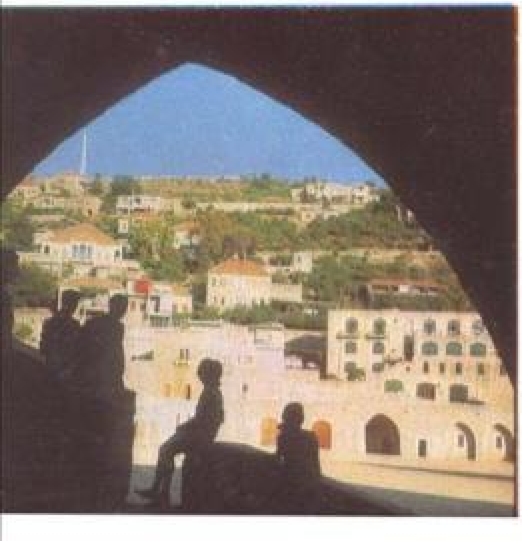
الشُّوف

جبل ومائة قرية ، صحت من نومها





بعد طول هجران وحرمان ، بدأت الحياة تعود الى مدن الشوف وقراه وفي مقدمتها مدينة « دير القمر » ، التي تبدو منازلها في الصورة اليمنى .. وشاركت المرأة في النهضة لتخرج من جمودها لتزرع وتعمل من اجل رفعة بلدها .. وامتدت المدن الاثرية واستمتثلها لترى في الصورة السفلى وهي لمنازل « بيت الدين » اشهر قرى الشوف ..



قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

أوسكار متري

لتأخذ مكانها في لبنان الحديث

■ تنقلك « العربي » في هذا الاستطلاع الى ١٠١ بلدة وقرية عربية ، تعاقبت عليها الحروب والفتن زهاء ٤٠٠ عام .. وبعدها راحت المنطقة في سبات عميق تضمد جراحها .. واستمرت اغفاءتها خمسين عاما استيقظت بعدها مذعورة مرتعبة .. لقد نسيها الناس ، وهجرها أهلها ، وبدأت عوامل الزمن تسعى للقضاء عليها !

ووسط هذا الظلام برق قبس من شعاع ماض مجيد في قلوب ابنائها ، فتفتحت عيونهم واذهانهم وقلوبهم الى مسقط راسهم ، فبدأوا يعودون .. الواحد بعد الآخر يداعبهم الامل في انعاش قريتهم ومدينتهم التي هجروها .. عادوا وفي رؤوسهم صورة الماضي الحافل بالأمجاد والاثار التي خلفها لهم الآباء والأجداد .

العاصمة : دير القمر

كان الشوف هو لبنان القديم تقريبا ، وكانت دير القمر عاصمته ، ومركز حكم الاسرتين : المعنية والشهابية اللتين لعبتا دورا خطيرا في الفترة التي تربط التاريخ اللبناني القديم بتاريخه الحديث .

انها فترة الاحتلال والمد التركي الذي استمر ٤٠٢ عام (١٥١٦ — ١٩١٨) لقد اتخذ المعنيون والشهابيون « دير القمر » عاصمة لبعدها عن البحر ، لأن بيروت كانت تتعرض دائما لهجمات وغزوات القراصنة المالطيين .. ولم يكتف المعنيون بتحاشي البقاء في بيروت ، بل ردم الأمير فخرالدين المعنى ميناءها بالحجارة لمنع سفن القراصنة من الرسو فيها .. ولكن الأمير الشهابي عاد فجعلها مرفأ لبنانيا ، وعاصمة شتوية له .. وبقيت دير القمر العاصمة الصيفية للشوف الذي اختلف أهله في معرفة أصل تسميته بهذا الاسم ، فالبعض يقول انها كلمة سريانية آرامية بمعنى السهل أو الخراب .. والبعض يقول انها تحريف لكلمة الجوف بلفظها العربي ، لوقوعها في جوف لبنان ..ولكن الشائع أن الامير معن (جد الاسرة المعنية) عندما جاء للاقامة في هذه المنطقة ، وقف فوق ربوة تطل على المنطقة مع الأمير التنوخي الذي أشار الى الارض بأصبعه قائلا : (شوف) بلغة العامة ، أي تطلع فسمي الشوف ..

وقد أطلقت على الشوف أسماء أخرى مثل . جبل المعنى ، وجبل الدروز ، وشوف صيدا ، والشوف البياضي .. وغيرها .

٢٠٠٠ شخص زيادة !

كانت مساحة الشوف في الماضي أكبر منها اليوم، فقد اقتطعت منه أجزاء كثيرة مثل قضاء عاليه الذي كان تابعا له ..

ورغم هذا الاقتطاع ظل الشوف أكبر دائرة انتخابية في لبنان ، بفضل عدد سكانه الذين بلغوا ١٦٨ ١٤٣ نسمة ، منهم ٦٩٨ ٧٥ رجلا والبقية من النساء ..

وبتزايد سكان الشوف بمعدل الفى نسمة كل ستة شهور ، فقد دلت الاحصاءات على أن المواليد في الستة الشهور الاولى من العام الماضي بلغوا ٢٤٨٧ بينما لم تزد الوفيات عن ٣٧٨ حالة ..

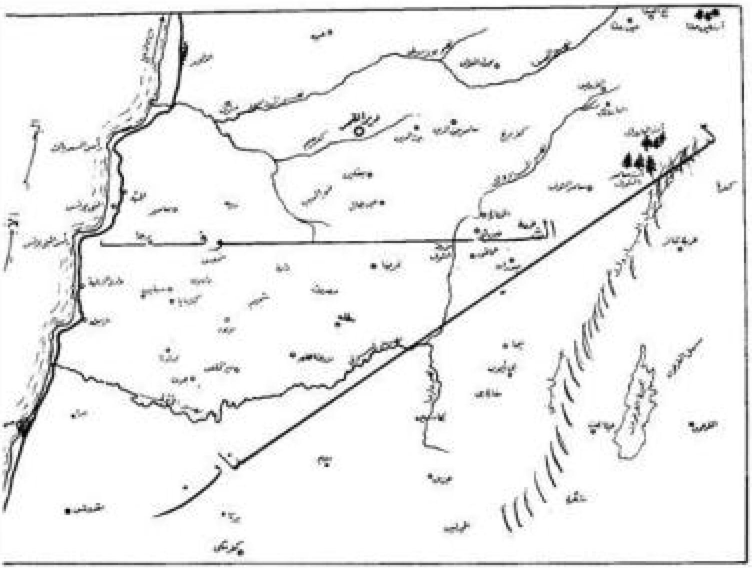
ويعيش أهل الشوف في ١٠١ بلدة وقرية .. أكبرها دير القمر ، وعدد سكانها ١١٠٩٢ نسمة وأصغرها «خربة بسرى» وعدد سكانها ٦٦ نسمة .

ويتميز أهل الشوف بالذكاء ودماثة الخلق والاعتداد بالنفس ، والطموح الذي دفعهم الى الارتفاع ٣ آلاف قدم عن مدن الساحل ، وبالتفاخر





الأميران فخر الدين المعنى الثاني — الى اليمين — والأمير بشير الشهابي الكبير .. في عهدهما ازدهر الشوف وتقدم واتسع .



خريطة قضاء الشوف بلبنان .. وفيها تبدو المعالم الهامة التي جاء ذكرها في المقال ، كما يظهر الواديان الرئيسيان اللذين تنساب فيهما المياه من مصادر متعددة ، فيأخذان هيئة نهرين صغيرين يحملان أسماء مختلفة خلال جريانهما.

بالماضي الذي مازالوا يعتبرونه حاضرا، فيتخيل كل منهم نفسه أميرا وشيخا .. أليسوا هم أحفاد فخر الدين ، والشهابي الكبير ؟

ثم المنازل التي يعيشون فيها اليوم ، أليست هي نفس المنازل التي ضمت بالأمس أمراء هاتين الأسرتين ؟

ضربة فادحة ..

وتنتشر قرى الشوف فوق رؤوس الجبال والوديان وأشهرها الدامور ، وبيت الدين ، الشهيرة بقصرها التاريخي ، ولنا معه عودة . وبعقلين ، وشحيم ، والباروك ، والمختارة ، وجون ، ونبع الصفا ، وعين زحلتا ، ومعاصر الشوف ، ومزرعة الشوف ، والجية ، ونيحا ، وكترمايا ، وبرجا ، وعماطور ، وبرجا الشهيرة بأنوالها المنتشرة في معظم بيوتها .. وغيرها الكثير من القرى التي خرج منها رؤساء جمهوريات ، ووزراء وفنانون ، وأدباء وشعراء .. ولكن رغم هذا العدد الكبير من أبنائه الذين تولوا أضخم المناصب ، كان الشوف أقل المناطق اللبنانية حظا من الرعاية والمشاريع ، لأن هذه الشخصيات البارزة كانت تحجم عن التقدم بأي مشروع لاصلاح المنطقة خوفا من اتهامهم بالمحسوبية ..

انها احدى الضرائب الفادحة التي دفعها الشوف ، وما زال يدفعها ، من أجل الحفاظ على حسن سمعة أبنائه المسئولين ..

تسلية .. وتسلية !

ان تسلية الجماهير في البلاد العربية تختلف من لعب كرة القدم وكرة السلة وتتبع نتائج مبارياتهما الى الاستماع للاغاني ومشاهدة برامج التلفزيون .. اما ابن الشوف فهوايته المفضلة هي الانتخابات .. ولا شيء الا الانتخابات ! .. ما يكاد يخرج من انتخابات، حتى يستعد للانتخابات الجديدة التي ستجري بعد أربع سنوات !!

حتى في قسم احصاء النفوس بقائمقامية الشوف، لا تجد احصاء لعدد السكان ، وانما احصاء لعدد الناخبين والناخبات !! وكان من جراء هذا التنافس على المقاعد النيابية الثمانية المخصصة لقضاء الشوف ، أن عم الانقسام والتكتل ، وتفشت الحزبية بين أبناء المنطقة .. حتى أصبح المثل السائد هناك : « ضدي في الانتخابات .. ضدي في الحياة ! » .

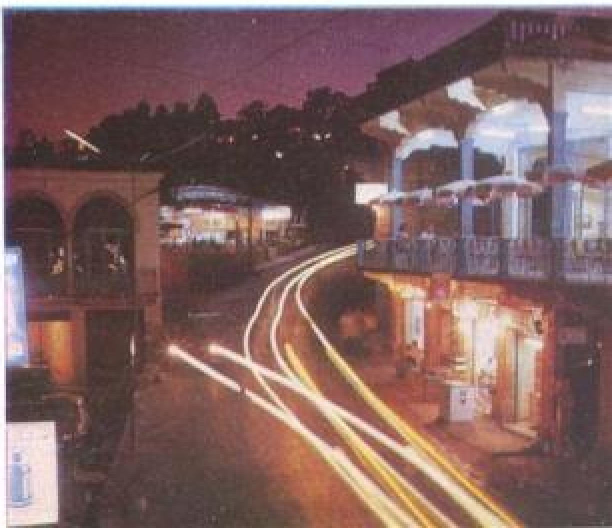
هذا هو حال المنطقة التي منها انبعثت كلمات رشيد نخلة بالنشيد الوطني اللبناني : كلنا للوطن .. للعلى للعلم !

قتل بالجملة !

والحديث عن الحزبية يدفعنا دفعا الى كتب التاريخ لأنه في هذه المنطقة ولدت أول حركه حزبية في لبنان ، فبعد أن قتل الأمير فخر الدين الثاني خنقا على أيدي رجلين أخرسين في باحة المسجد باستنبول عام ١٦٢٥ م . انقسم الناس من بعده الى أحزاب وشيع ظلت تتطاحن حتى عم القتل والنهب والسلب، مما جعل المؤرخ الشدياق يقول : « .. وخلت الشوف والغرب والمتن والجرد من السكان .. » .



على علو ألف متر من سطح البحر ، تتفجر ينابيع الباروك التي تمد سكان ٤٥٠ قرية ومدينة بحاجتهم من الماء العذب المثلج الذى لا يحتاج الى أى تعقيم .. ويندفع ماء الباروك في جداول متشعبة بين سبعة مقاه كبيرة مقامة حول العين الرئيسية وعلى صوت خرير المياه تتفتح شهية الجالسين فيقبلون على التهام أطباق الكبة والتبولة وورق العنب والمتبل والحمص .. ويتحول فائض المياه الى نهر يجرى ليلتقي بالبحر ، يسمى نهر الاولى .



الى اليمين : دير القمر في الليل .. أضواء السيارات تخترق الطريق الرئيسي في المدينة متجهة الى بيت الدين .





هل تصدق أن « الشوف » يحوي ثلاث غابات كبيرة مجهولة لشجر الأرز الخالد؟ .. وان أصغر هذه الغابات ، أكبر من غابة الأرز الشهيرة في شمال لبنان ؟ .. وهذه الصورة لبعض أهالي « معاصر الشوف » يتناولون طعامهم تحت ظلال أرز قريتهم .. اما الناطور (الحارس) الواقف بينهم فيعمل على منع الماعز من التهام الأرز الصغير ، وفي نفس الوقت يغرمك ٥٠ ليرة اذا قطعت غصنا من اغصان الشجرة الخالدة .

الى اليسار : « كركرة » النرجيلة وهدير مياه نبع الصفا ، يكونان أعذب الالحان في جبل لبنان .

وتدخلت بعض الدول لتوقف التطاحن ، فوافق العثمانيون على جعل جبل لبنان ولايه مستقلة (متصرفية) يحكمها متصرف (افندينا او سيدنا) يعينه الباب العالى ، ويرتبط بالصدر الأعظم مباشرة ، وتوافق سبع دول اوروبية على تعيينه .

زراعة الجبل ..

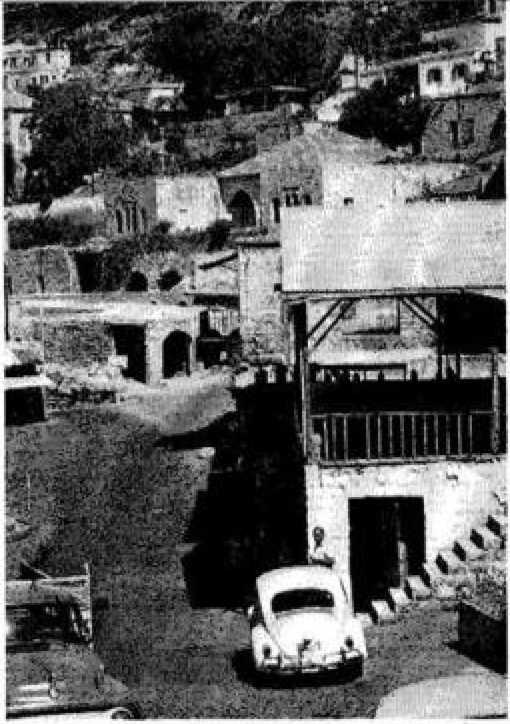
ولكن « لبنان المتصرفية » أرادوا له الموت قبل ولادته ، فقد اقتطعوا منه أخصب أراضيه الزراعية (البقاع) وعزلوه عن البحر ، بتحويل بيروت وطرابلس وصيدا الى أقضية تابعة لولاية سوريا .. ومع ذلك فان أبناء الشوف والجبل لم ييأسوا ، بل عمدوا الى صخور الجبال الجرداء فحولوها الى جنائن وجلال (مدارج) زرعوها بالكروم والفواكه والحبوب ، فصارت أشبه بالحدائق المعلقة ، حتى أطلق المثل المشهور : « هنيئا لمن له مرقد عنزة في جبل لبنان .. »

تفتح على الحضارة

وفي نفس الوقت الذى كان ابن الشوف يزرع صخور الجبال ، بدأ شقيقه يهاجر من الجبال نفسها الى جهات العالم الاربع ! لقد شعر أن الرقعة الصغيرة التى تركوها له في الجبل ، أشبه ما تكون بسجن يحبس نشاطه وحيويته ، فترك البلاد الضيقة الى عالم أوسع .. وهناك ابتسم له الحظ ، ولكنه لم ينس « مرقد عنزته » ،فكان يرسل الاموال الى أهله ، وينقل اليهم معها اخبار تلك المدنية العصرية التى ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر في اوروبا .. وصادفت هذه الأخبار هوى وتجاوبافي نفوس أهل الشوف فبدأوا ينهلون من معين هذه الحضارة الحديثة ، التى نقلها لهم اخوتهم وابناؤهم .. فدخلت المطابع ، وامتدت الطرق حتى أعالى الجبال، وأوصلت أسلاك البرق . وفتحت المستشفيات والمدارس حتى الجامعة .. وبدأت أفواج الخريجين تتنافس وتكثر ، حتى أصبح من الصعب الا تجد اليوم بين أبناء قرية من قراهم من لا يحمل شهادة عليا ..

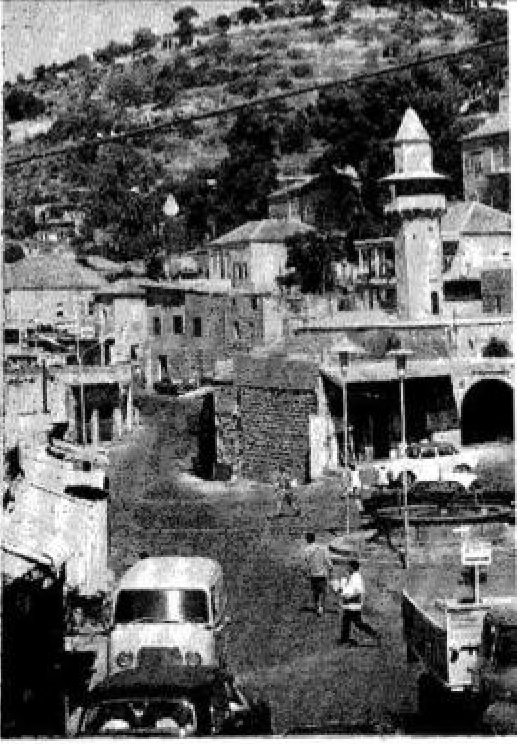
جوعان .. جوعان !

ولكن ما كادت تركيا تدخل الحرب العالميه



حو لهذا الميدان كانت تقوم أسواق دير القمر القديمة : القديمة اختفت خلف المبانى الحديثة ، وتنوى البلدية تنوى هدم جميع المنازل الحديثة ، لاظهار آثار السوق المزترقة من سكمان ، ولاوند ، وأرناؤوط .. ويعتقد يحاول بعضهم الحفر تحته خلسة أثناء الليل ، علهم

الأولى الى جانب الألمان ، حتى تغير وجه الشوف ووجه لبنان كله .. فقد ظهر السفاح جمال باشا الذى احتل لبنان وأقام حكما عسكريا عنيفا تضاءل امامه كل ما سبق أن عاناه لبنان من قبل !! ولم يكتف بهذا بل قطع كل اتصال مع الخارج ،وفرض الخدمة العسكرية الاجبارية . نقلت المواد الغذائية واختفت السلع من الأسواق وبدأ تجار الحبوب يستغلون الموقف ، فبرز شبح المجاعة المخيف في شتاء ١٩١٦ وتحول منظر الرجال الذين كانوا يسيرون بخيلاء في شوارع دير القمر مرتدين سراويلهم الواسعة وقنابيزهم المقلمة ، وبجانبهم نساؤهم بملابسهن الحريريه الملونة وطنطورهن العالى على رؤوسهن .. تحول هذا المنظر وتبدل ، أصبحوا يسيرون في مجموعات من الجائعين الهابطين من الشوف الى مدن الساحل ، يبحثون عن أى شيء في صناديق القمامة ، لعلهم يعثرون على ما يشغلون به المعد الفارغة ، من قشور الموز وبقايا



وخاصة سوق صناعة الاحذية والحرير .. ولكن المباني
اقامة تمثال للامير فخر الدين وسط هذه الساحة ، كما
القديم ومسجد الامير فخر الدين الذى بناه لجنود
بعض سكان المنطقة أن تحت هذا المسجد كنزا كبيرا اهذا
يعثرون على الكنز ؟!

البطاطا والليمون والصبير (التين الشوكى) حتى الجيف النتنة كانوا يلتهمونها !

وفي الليل كان الالوف منهم يفترشون الارض في شوارع بيروت وازقتها ينتظرون الموت .. ومن افواههم كانت تخرج حشرجة الموت : جوعان .. جوعان !

مائة الف ميت !

ومن لم يمت من الجوع مات بغيره .. مات بالتيفوس والطاعون والملاريا ، التي انتشرت بشكل أوبئة ، وضاعف من الكارثة قدوم أرجال الجراد التي ظلت تحجب ضوء الشمس اياما عديدة . حتى اذا ما رحلت كانت الخضرة قد زالت وتعرت الأشجار من أوراقها !! وقدروا الوفيات فكان عددهم مائة الف شخص ماتوا من الجوع ، من مجموع عدد السكان الذين لم يكن عددهم يتجاوز ٤٥٠ الفا في ذلك الوقت !

القرميد الاحمر ؟

وفي ايلول عام ١٩١٨ شاهد السكان فلول الجيش التركى تركض في حالة مزرية من الذعر متجهة نحو طرابلس ، هاربة بعد هزيمتها في الحرب ..

وانقشعت الغمة اخيرا وسارع « لبنان المهجر » بارسال ملايين الدولارات لاعادة بناء لبنان الاصيل الكبير ..

وبدأ الشوف يتنفس الصعداء ، وارتفعت البيوت المسقوفة بالقرميد الاحمر في اغلب القرى ، واصبح هذا القرميد الأحمر يرمز الى معنى كبير .. فهو الدليل على ان البيت قد بني باموال الاهل في المهجر !!

ورغم هذا السيل المتدفق من الاموال لم تتوقف هجرة اهل الشوف الى المدن ، وخاصة الى بيروت التى كان عدد سكانها خمسة آلاف نسمة في مطلع هذا القرن فاصبح اليوم اكثر من خمسمائة الف يعيشون في بيروت : بوابة الشرق !

انتقال مركز الثقل

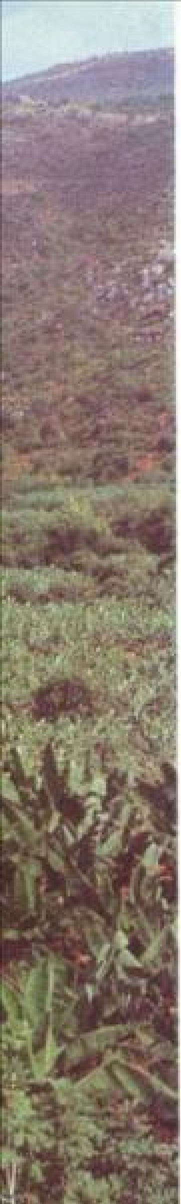
وقابل هذا الازدهار الهائل ، لمدن الساحل تدهور فظيع لبلاد الشوف وقراها .. فالمحاكم انتقلت لبيروت .. ومئات الصناع الذين كانت تفخر بهم دير القمر ، نزحوا هم ايضا اليها .. حتى الفلاحون ، وبالاختصار انتقل مركز الثقل من دير القمر الى بيروت ، واحتل الشوفيون احياء باكملها في العاصمة الجديدة كحى فرن الشباك ، الذى يراس بلديته احد ابناء الشوف !

وقلما تجد ميدانا من ميادين العمل في بيروت لم يلمع فيه احد ابناء الشوف ، رؤساء نقابات : الأطباء والصيادلة ورئيس مجلس القضاء الأعلى ، ورئيس مجلس الشورى ، كلهم من الشوف ..

الجنازات تعيد أبناء الشوف !

لقد ثبت ان ثلاثة ارباع سكان دير القمر يعملون في بيروت .. اى ان الذين بقوا في دير القمر لا يزيد عددهم على ربع عدد السكان .. وكان معنى استمرار هذا الوضع هو الحكم بالاعدام نهائيا على الشوف !

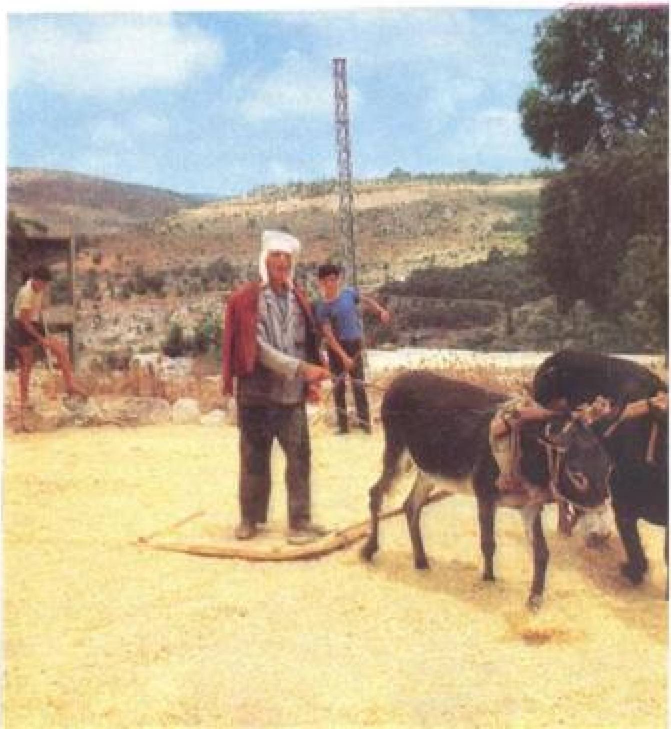
وجاء الحل تلقائيا ، فقد قرر ابناء المنطقة عدم الاشتراك فى افراح او السير فى



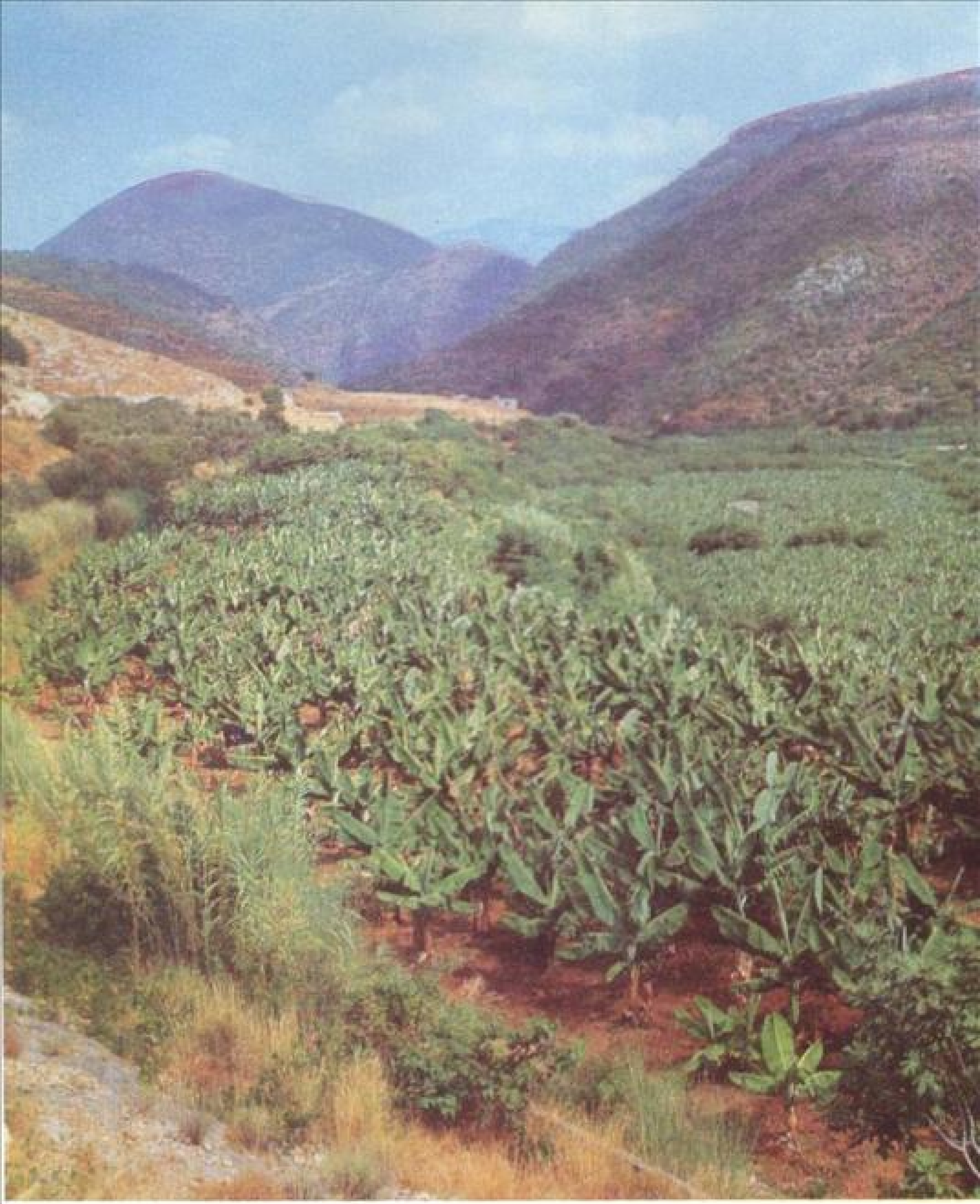




في الوديان، وعلى سفوح جبال الشوف تنمو الأشجار المحملة بجميع انواع الفواكه ، وخاصة التفاح والحمضيات ... اما اشجار الزيتون والجوز تترافق المناظر حتى «جون» في الجزء الجنوبي من الشوف ، ويبلغ عمر بعضها الف سنة ، ومع ذلك ما زالت تعطي الثمار .. وبنفس الطريقة التي كان يتبعها اجداده يقف الفلاح اللبناني الصميم فوق « النورج » القديم ، ويظل الحمار والبقرة في الدوران حتى يتفرط الحب من السنابل ، وبعدها تبدأ عملية التذرية التقليدية التي ينفصل فيها الحب عن بقايا السنابل ، بالقائه في الجو ..



نهران في الشوف يرويان الموز والتفاح والحمضيات



هنا في سهل الدامور كانت ترتفع أشجار التوت التي تصنع الحياة لدودة القز ، فاشتهرت المنطقة بانتاج الحرير الطبيعي .. وفجأة اختفى الحرير الطبيعي بعد انتاج الحرير الصناعي .. واقتلع الفلاح أشجار التوت ، وزرع مكانها لأول مرة في لبنان أشجار الموز ، الذي نجحت زراعته بشكل مذهل فغطت وادي الدامور ، بأكمله ، وأصبح لبنان يصدر الموز بدلا من استيراده .. ويروى هذا الوادي من نهر الدامور الذي يمده نبع الصفا بجزء من مياهه .. وهناك نهر آخر في الشوف هو نهر الاولي ينبع من قرب قرية الفراديس .. ويأخذ معه فائض مياه الباروك وجزين ويسير بها مسافة ٥٠ كيلومترا ، يصب بعدها في البحر الابيض المتوسط شمال مدينة صيدا



منذ ثلاث سنوات والعمل مستمر في اعادة ترميم قصر ابن الأمير الشهابي الكبير في بيت الدين ، واعداده ليصبح مجمعا سياحيا متكاملا .



تشهد دير القمر مهرجانات صيفية اللبنانية والأجنبية ، داخـــل

جنازات هؤلاء الذين يتنكرون لقريتهم الجبلية ويستقرون في المدينة !

منزلان ... !

ونجحت هذه المقاطعة ، ولم يجد ابناء الشوف بدءاً من الجمع بين منزلين ... منزل في بيروت للشتاء والعمل ... « ومرقد عنزة » في الشوف للاصطياف ...

ولكن هذا « المرقد » لم يعد ساكنا هادئا في الصيـف ... لقد تحرك شباب الشـوف ، واستيقظوا من سباتهم العميق ، فقد وجدوا ان الحكومة لن تتحرك الا اذا تحركوا هم ، والبلديات هي المركز الوحيد الذى يمكن ان ينطلقوا منه ... انهم يُحمّلون البلديات القديمة مسئولية تدهور الشـوف ، لهذا تقدموا في انتخابات اعضائها ، ففازوا باغلبية ساحقة ، وتحولوا الى اعضـاء ورؤساء في بلديات الشوف التي يبلغ عددها ٦٣ بلدية ، وفازت محامية شابة برئاسة احداها .

عقبات .. وروتين

ولكن اندفاع الشباب في الشوف يصـطدم بمصاعب جمة ، فهنالك الجيل القديم الذى ما زال متمسكا « بمكاسبه السابقة » ، والقوانين والقواعد المتوارثة التي تكبل نشاط البلديات وتجعلها تحت وصاية « قائمقامية » عتيقة تعيش في منزل أثري ، وتفكر بعقلية أثرية ، وتمنع أى تقدم سريع للمنطقة ! ! .

نقطة ارتكاز

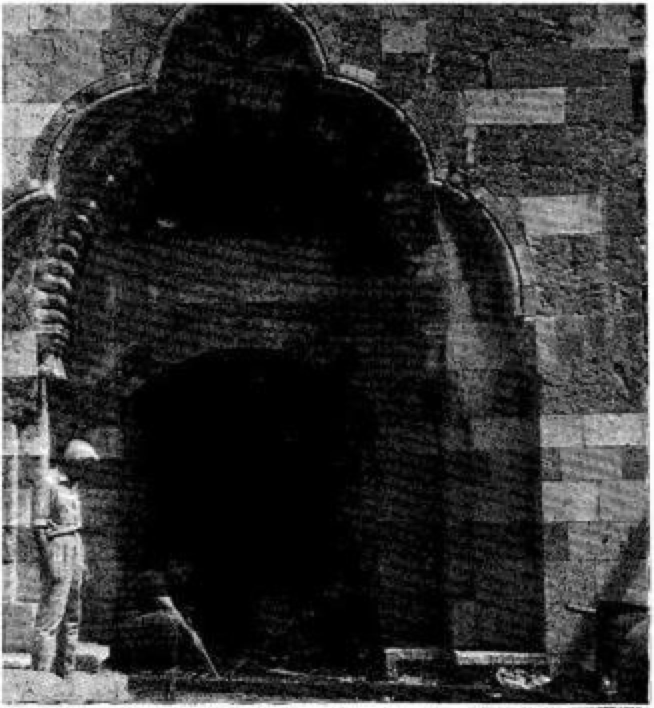
وتنقسم البلديات في الشوف الى نوعين : بلدية غنية بالمال وفقيرة بالنشاط ، وبلدية فقيرة بالمال وغنية بالنشاط ! .

واقدم هذه البلديات واكثرها نشاطا بلدية دير القمر ... انها تبني لتجعل من مدينتها نقطة اشعاع للشوف كله ... وهذا الكلام يثير غيرة أهل القرى المجاورة ، ولكن الواقع شيء ، والغيرة شيء آخر ... !

ان هواء دير القمر الجاف ، وآثار دير القمر التاريخية ، ومياه دير القمر الصحية ، وجمال دير القمر الطبيعي ، وحيوية بلديته الدافقة ، كل هذا يؤهله ليصبح نقطة الارتكاز التي يعتمد عليها مستقبل الشوف .



موسيقية وتمثيلية تؤديها الفرق القصور التاريخية ...



أغلب منازل دير القمر أثرية ، وهذا منزل شقيق الأمير فخر الدين ، وقد تحول الى مصنع للحدادة ، ولكن دائرة الآثار ستقوم بترميمه .

الطاولة .. و « البوظة » !

وكان أهالي دير القمر على استعداد في هذا الصيف لاستقبال ثلاثة آلاف شاب وشابة من السياح ، ولكن « النكسة » قضت على النشاط السياحي .. ولكن دير القمر لم تصب بأضرار زائدة نتيجة لكساد الموسم ، ذلك لان المصطاف الرئيسي فيها ، هو ابنها المقيم في بيروت شتاء ، والذي يهرع الى جبله في الصيف هربا من حر وتقاليد المدينة ... فهو يجلس في المقهى يلعب طاولة الزهر ، ويتريض على الطريق الرئيسي الموصل الى بيت الدين .. يشترى البوظة (الجيلاتي) ويأكل لقمة القاضي « الزلابية » في الطريق ، الذي يعج بالحسان اللواتي يلثغن بالفرنسية على صدى الالحان الموسيقية الغربية المنطلقة من مكبرات الصوت في المقاهي .

وعند الغروب يتجمع المتنزهون فوق الجبل الذي يزهو بالألوان التي تنسجها له الشمس عند غروبها فمرة يبدو ارجوانيا ، ومرة فضيا ، ومرة أصفر في لون الذهب ...

وما تكاد الشمس تغيب حتى تضاء الأنوار وتمتلىء المرابع الحمراء (ويسمونها الستيريو) بشبان هذا الزمان ، يرقصون ويتمايلون على انغام الجاز التي تنقلهم الى عالم آخر ، لا يمت بصلة الى عالمهم المحافظ التقليدي ! .

ريو دى جانيرو فى دير القمر

وترتدى دير القمر اجمل حللها يوم ذكرى تأسيس بلديتها ... وفيه يسهر الناس ويرقصون فى الشوارع حتى مطلع الفجر ... وعلى الأرصفة تجلس النسوة حاملات المدق الخشبي وامامهن الجرن لدق « الكبة » ... بينما تشتعل النيران تحت التنور لخبز المرقوق الخفيف .. وتدور اطباق التبولة على السائحين والسائحات وأبناء البلاد الذين يمتطون ظهور الحمير ويتجولون بين الازقة. ويستخف الطرب ببعضهم فيخلعون أحذيتهم ويقفزون فوق المدرجات القديمة التي تتميز بها طرقات دير القمر .. والتي تحافظ عليها البلدية بغيرة زائدة ..

قفص حجرى .. ومجتمع فردى

والمرأة فى دير القمر كادت تنافس أختها فى بيروت ، بعد أن كانت فى الماضي القريب تعيش





يحتوى المنزل اللبنانى التقليدى على « حوش » كبير مفتوح على السماء ، وعلى جانبه سلم حجرى يؤدى الى الطابق الثانى .

تحتل « دير القمر القديمة » نصف مساحة المدينة الحالية ، وما زالت المنازل والطرقات « المقنطرة » التى شيدها المعنيون والشهابيون قائمة الى يومنا هذا ، يعيش فيها الاحفاد والاقارب .. والصورة العليا للمنزل الاثرى الجميل الذى يملكه الاستاذ فؤاد افرام البستانى ، مدير الجامعة اللبنانية الحالى .. والى اليمين منزل من العهد الشهابى ، يمر من تحته طريق عبر قنطرة جميلة ، مشيدة مع المنزل بالاحجار الجبلية المقطوعة .. لقد قرر المجلس البلدى الحالى هدم واجهات المنازل الحديثة المبنية بالاسمنت ، والاستعاضة عنها بالاحجار ، كى لايضيع المخطط التجميلى لدير القمر .. ولقد لقى هذا القرار تجاوبا من جميع السكان







مياه .. مياه .. مياه .. وخضرة تتبعها في كل مكان بالشوف .. ان عدد ينابيع الماء الكبيرة في الشوف ١٧ نبعا ، ولبنان كله يحوي ٢٥٠ نبعا .. وهذا نبع مرشد قرب قرية المختارة .. وتذهب هذه المياه المثلجة الى مجرى نهر الاولي لتروي المزارع والاشجار .. اما عند المصب فمقهى متواضع تقليدي: نارجيلة ، ومقاعد ، ومكبر للصوت ، تنطلق منه اغاني فيروز ، ووديع الصافي ، ونصري شمس الدين ، لانهم من مواليد الشوف .. وعند الظهر تظهر الاطباق التي تحوي المأكولات اللبنانية الشهية ...

الى اليمين : يقبل العروسان على بعقلين لشراء « جهازهم » .. لقد اشتهرت بعقلين بكونها مركزا لتجهيز العروس بكل ما يلزمها من اشغال يدوية ، وباسعار اقل من نصف اسعار بيروت .. وقد قامت جمعية بعقلين النسائية الخيرية برعاية العاملات وتنظيم بيع منتوجاتهن ، فحققن ارباحا طيبة في العام الماضي ، ونرى هنا رئيسة الجمعية حرم عادل تقي الدين ومعها المديرة حرم سهيل حماد وعضوتين .



اذا صادف وجودك في لبنان يوم ١٤ يوليو (تموز)،

حبيسة منزلها الحجرى العازل للحرارة ، الذى كان يشيده لها زوجها ، ليصون بجدرانه السميكة جمالها ، « الذى ينافس جمال القمر » ... !! من عيون الفضوليين !! .

ويحاول مجتمع الشوف التخلص من النزعة الانفرادية العميقة التي وصمه بها الاحتلال التركي الطويل ، والحروب والفتن المستمرة التي ولدت عنده شعورا عميقا بالعمل لنفسه فقط لا من أجل المجتمع الذى يعيش فيه .

كما ان انتشار الفنادق والمطاعم في المناطق الجبلية قوى هذه النزعة ، واضعف الكثير من صفات الكرم والضيافة العربية الاصيلة ، فانت لم تعد تسمع كلمات : « شرفوا ... تفضلوا ... أهلا وسهلا ... ومرحبا » .. الا من أصحاب المتاجر التى تمتلىء بها دير القمر !.

اما الدعوات والمآدب فاصبح فندق الهنود الهادىء الجميل هو مركزها ..

وانتقلت عدوى التحرر النسوى الى بقية قرى الشوف ، فاستبدلت المراة بالقمباز والطنطور « الجوب والبلوز » ... ولكن تغيير الزى لم يغير كثيرا من عقلية بعض بنات الشوف ! .

ارز فى الشوف !

ويتباهى سكان الشوف بجبالهم التي تكلل هاماتها أشجار الأرز .. نعم اشجار الارز ، التي اقترن اسمها باسم لبنان ، واوحت اليه بشعاره القومي .. وتعجبنا من وجود مثل هذه الأشجار فى الشوف ، وتساءلنا عن عددها ، واماكنها ، والسر فى اغفال الدعايةاليها ، فاجابنا اهل الشوف وقد ارتسمت على شفاههم المرارة والحسرة : « لقد افسحنا مجال الدعاية والتكريم لأرز الشمال ، لانه ليس عندهم هناك أى شيء آخر الا الأرز .. أما هنا فعندنا ما ليس عندهم من نسيم عليل ، ومناخ جاف ، وآثار تاريخية ، ونشاط اجتماعي وثني لا ينقطعان » !؟ .

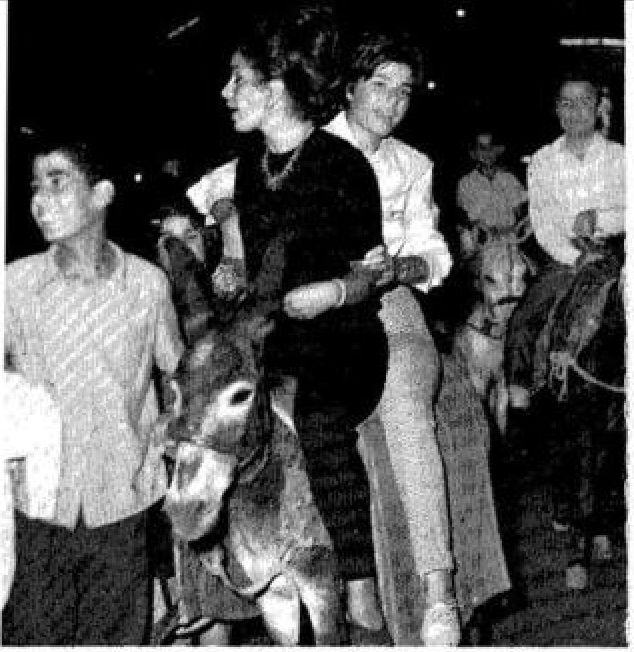
وينخفض صوت محدثنا وهو يقول : « واشجار ارزنا مقسمة الى اربع غابات متصلة مع بعضها .. غابة عين زحلتنا ، وعدد أشجارها ٤٠ الفا ، وغابة معاصر الشوف وتحوى ٣٣٠٠ ارزة ، اما غابة ارز الباروك فتضم مليونى شجرة ! ؟ » .

وهالنا الرقم ، ولم نصدقه ، ولكن محدثنا اصر عليه ، واردف قائلا : « كان عددها أكثر من هذا بكثير ، ولكن سليمان الحكيم الذى عاش منذ ثلاثة الاف عام ، أرسل ١٨٣ الف عبد وعامل من عماله لقطع أشجار ارز الشوف لمعبده ... وهذا الرقم الهائل من العمال يدلنا على مدى كثرة الأشجار فى الشوف .

« أما الاشوريون والفراعنة ، فقد قطعوا أشجار أرز الشمال لعمل عروشهم ومقاعدهم .. وعلاقة الفراعنة مع ميناء جبيل فى الشمال ، مثبوتة على الآثار الفرعونيــة التي عثروا عليها فى تلك المنطقة ... » .

برودة الماء تفجر البطيخ !

واتجهنا بالسيارة الى الباروك ، لنرى غابة المليوني أرزة هناك .. وبدانا الصعود متتبعين آثار طريق قديم جرفته السيول والأمطار .. ولكن السيارة لم تستطع متابعة السير ، لانه لم يعد امامها الا كتل من الصخور والأحجار ... وعدنا الى الباروك وجلسنا فى احد مقاهيه السبعة المقامة بجوار عين المياه الباردة الغزيرة ... ان برودة مياه هذا النبع هي أجمل شيء فى قرية الباروك ، التى تضم ٢٨٢٤ نسمة ، والتى اشتق اسمها من بروك الجمال بجوار عينها للشرب ... أما اليوم فلم تعد الجمال تبرك .. انما يجلس آلاف الناس في مقاهيها ، يجيئون من مختلف مدن لبنان ،





فلا تنس الصعود الى دير القمر للاشتراك في « الليلةالقروية » التى تقام كل عام احتفالا بمولد البلدية .

لقضاء يوم ممتع بجوار الماء البارد ، حاملين معهم الأواني والصواني الكبيرة العامرة بالكبة، والتبولة والفتوش ، وورق العنب ، والحمص بطحينة ، والمتبل ..

ومن النادر أن تأتي العائلة بدون شمامة أو بطيخة كبيرة يمسكها رب العائلة ويضعها في مجرى الماء البارد .. وبعد فترة وجيزة تتشقق البطيخة بسبب برودة الماء الزائدة ! .

السيرف والشيكن مكان العتابا والميجانا ؟!

وتتحول المقاهى أيام العطل والاعياد الى برج بابل ! حركة وحياة ، والناس يتحدثون بصوت مرتفع ، حتى لا تطغى عليه الأغاني المنبعثة مرة واحدة ، من مكبرات الصوت السبعة المثبتة في أعلى مكان من كل مقهى ... ولم تعد تسمع في هذه المقاهى الا أغاني « السيرف » و « الشيكن » و « المونكى » .. يرقص على أنغامها الفتية والفتيات ، وسط حلقات المتفرجين .. اما فيروز وعبد الوهاب وفريد الأطرش ، فقد أزيحوا عن عروشهم التقليدية في مقاهى الباروك ! ؟ ..

ثروة .. وفقر

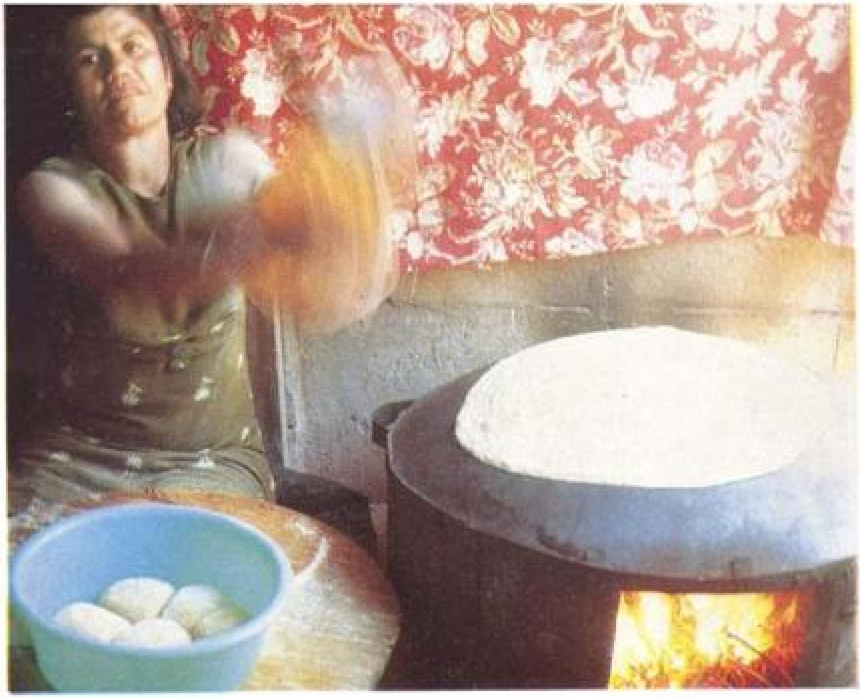
وفي ركن من هذه المقاهى يجلس أبناء الباروك يتحدثون في حسرة عن بلدتهم ، ان موقعها يؤهلها لتصبح أجمل مكان في لبنان ... فعلى بعد سبعة كيلو مترات منها تقع أكبر غابة أرز في لبنان .. ومن وسط اراضيها يتفجر أكبر نبع للماء العذب ، وأراضيها الطيبة تنتج مائة ألف صندوق سنويا من التفاح والانجاص «الكمثرى» والعنب والدراق والكرز ، ومع ذلك تعيش الباروك مثل افقر القرى واقلها شانا !! .

وبلديتها في حيرة من أين تبدأ ... تريد اضاءة الشوارع بالفلورسنت .. وتريد بناء مسلخ كبير وتريد بناء ثانوية للطلبة .. وتريد شق الشوارع والطرق .. لكنها تدرك أن نهضة الباروك تنطلق في المرحلة الأولى السريعة بشق الطريق الى غابة الأرز ، ليرى الناس هذه الغابة المختفية عن الانظار !!! .

وهذا الطريق سيتكلف ٢٢٠. ألف ليرة ، تتحمل منها البلدية ٧٠. ألفا ، والباقي على عاتق الحكومة، وامتداد هذا الطريق يتصل بالطريق القادم من البقاع الجنوبي ، أى أن سهل البقاع سيتصل بالساحل ، فينتج عنه ازدهار اقتصادى كبير .

مدينة وسط الأرز

ومن المشاريع الاخرى لاحياء الباروك مشروع المدينة السياحية التي كان المرحوم اميل البستاني



احدى سيدات دير القمر تقوم بعمل الخبز « المرقوق » ، او خبز الصاج كما يسمونه .. كان كل منزل يصنع خبزه لنفسه بهذه الطريقة ، التي تحتاج الى حذق ومهارة وخفة يد ، اما اليوم فقد اصبح الخبز العربي الذي يصنع في الافران ، هو الخبز المستعمل في اغلب المنازل .







« منزل في جبل الشوف اقضي فيه الصيف » هو امنية اغلب اهالي بيروت .. وهذه عائلة مصطافة ، اجتمعت عندها جاراتها وجلسن يتحدثن ويدخن النارجيلة على شرفة المنزل في دير القمر .. والى اليسار عائلة تصطاف في الباروك .. لاحظ البناء الحجري المانع للحرارة ..

الى اليمين : ادفع ٢٠٠ ليرة شهريا ، واترك طفلك في ايد امينة ، ينام ويلعب ويتعلم ، وسافر انت الى اوروبا اذا اردت ! ، ان هذه المدرسة موجودة في اجمل بقعة من دير القمر وتقبل طلبة ابتداء من « عامين » حتى ١٨ عاما !

ينوى اقامتها في غابة الأرز ... لقد تقدمت شركة سياحية عالمية لبناء هذه المدينة بمبلغ ١٢ مليون ليرة على أن تستغلها لمدة ٩٩ سنة ، ولكن شركة اخرى عرضت استغلال ٣٠ مليون ليرة في بناء المدينة على أن تستغلها لمدة ٤٠ عاما ...

وهكذا لن يستطيع أحد التمتع برؤية أرز الباروك الا بعد الموافقة على مشروع بناء المدينة السياحة الذي ما زال متارجحا .

ضياع

والى جانب الباروك توجد قرية « معاصر الشوف » وسميت كذلك لكثرة معاصر زيت الزيتون فيها .. انها قرية هادئة تعيش بدون بلدية منذ سنتين ، وأهميتها تنحصر في انها واقعة على الطريق المعبدة المؤدية الى « غابة ارز معاصر الشوف » ، التي تحوى اشجارا عمرها ٦ آلاف سنة ، وأشجارا أخرى عمرها ٣٠ سنة ، ومع هذا لا يزيد ارتفاعها عن متر ونصف ! .

واياك والصعود الى ارز معاصر الشوف ـ ارتفاع ٢٢٢٢ مترا ـ دون أن تأخذ معك طعامك وشرابك .. لقد كان هناك مقهى منذ سنتين ، ولكن بلدية معاصر الشوف ، أرادت اقامة مقهى حديث ، فسحبت الرخصة من صاحب المقهى العتيق ، وكأنما انتقمت له الأقدار ، ففي نفس العام انفرط عقد البلدية .. وهكذا ضاع المقهى وضاعت البلدية ، وجاعت السائحة ، وعطش السائح ... وقل الاقبال على زيارة أرز المعاصر ! .

خسارة في المساكن

وكلما اتجهنا جنوبا في الشوف ، قل عدد السكان ، وزادت نسبة الجمال .

وفي بلدة جون ـ وهي غير جونية ـ تعيش أجمل فتيات لبنان ... ومن تحت هذه البلدة تحرك البركان الداخلي في عام ١٩٥٦ فاهتزت له الروابي السبع المقامة عليها منازل البلدة ، التي لم يتبق منها منزل دون أن ينهار أو يصاب باضرار فادحة ...

وكان رد الاهالي على الزلزال ، هو اعادة بناء جون على أحدث طراز ، رافضين عرضا حكوميا لبناء بلدة أخرى لهم ، ومتمسكين بقريتهم التي ما زالت رائحة الكبريت تفوح من باطن أرضها !!

.. وخسارة فنية

ومن وسط الاتربة والجهد والعرق ، ظهرت في جون أقوى فرقة للرقص الشعبي في لبنان .. ولكنها للاسف تدهورت بنفس السرعة التي لمعت فيها ، ولم يعد احد يستطيع جمع شمل اعضائها .. الذين لعبت خمر النجاح برؤوسهم فتفرقوا شيعا ، وأصبحوا أفرادا في الفرق الشعبية اللبنانية الأخرى ..



جاء بعض الخبراء الالمان الى شجرة الارز هذه ، الموجودة في غابة معاصر الشوف ، وقالوا ان عمرها ٦ آلاف سنة . ووقوف هؤلاء الناس حول جذعها يبين لك مدى ضخامته .



تعتبر هذه الطرق المدرجة القديمة ثروة سياحية كبرى لدير القمر .. وقد حدث أثناء زيارة ٢٢ ماتيكان نمساوية لمنطقة الشوف ، أن أعجبن بهذه السلالم فخلعن أحذيتهن ليصعدن وينزلن حافيات على درجاتها ، التى تجرى وسطها مياه السيول

الحصانان اللذان ياكلان الفستق !

وبجوار قرية جون عاشت امراة انجليزية غريبة الأطوار هجرت بلدها بعد خيبة أمل عاطفية قاسية ... وجاءت الى منطقة جون واقامت فى بيت شيدته على طراز قلعة ، ومعها خدمها من الزنوج السود والألبانيين الأشداء ، كانت ترتدى الملابس العربية والعقال ، وترافق قوافل الجمال الى تدمر وبعلبك والقدس ، حتى أطلق عليها لقب « ملكة تدمر » ... وقد استطاعت هذه المراة ، واسمها هستر ستانهوب، أن تفرض سيطرة تامة على أهل القرى المجاورة لها ، حتى أن ابراهيم باشا طلب منها البقاء على الحياد قبل فتحه لسوريا ولبنان ... وفى قصرها بجون قابلها الشاعر الفرنسي لامارتين ... ومن غرائب اطوارها احتفاظها بحصانين ابيضين مسرجين دائما ، أطلقت عليهما اسم « ليلى » و « لولو » ، تسقيهما ماء الورد ، وتطعمهما « الفستق والبندق وكل شيء ! » .. لانها كانت تعتقد ان المسيح المنتظر سينزل عندها ليركب احد الحصانين ، وهى تسير بجانبه على الحصان الثانى !؟!

وتوفيت هذه السيدة عام ١٨٩٣ ، وأصبحت قصصها تروى كالأساطير في أوروبا، فاقبل السياح على زيارة قبرها المحفور فى حديقة منزلها ، اما اليوم فلم يعد احد يستطيع الوصول للقبر الا بشق الأنفس ، لعدم وجود طريق معبد بالرغم من الاهمية السياحية لهذا المبنى ... ولكن بلدية جون تأمل فى مد الطريق ، بمجرد الانتهاء من اصلاح اضرار زلزالها الكبير .

هجرة من الأرض الطيبة

وتنتشر حول جون الأراضي الزراعية الخصبة التى ما زالت تنتج الزيتون والعنب والخوخ والمشمش والحبوب .. رغم المصاعب الكبيرة التى نشأت من قلة اليد العاملة ... فالفلاح القديم فى الشوف رجل طموح ، يريد الخير لابنه ، ويؤمن ان الطريق الأفضل هو التعليم ... وما يكاد « الابن » يحصل على البكالوريا حتى يتوظف كمباشر فى العدلية أو موظف فى المالية ، ويصبح « ترسا » فى دولاب الديوان الحكومي ... متناسيا أرضه وأهله ، ومعتقدا بأن العودة لمهنة والده ، وحراثة الأرض ، عار كبير !! .

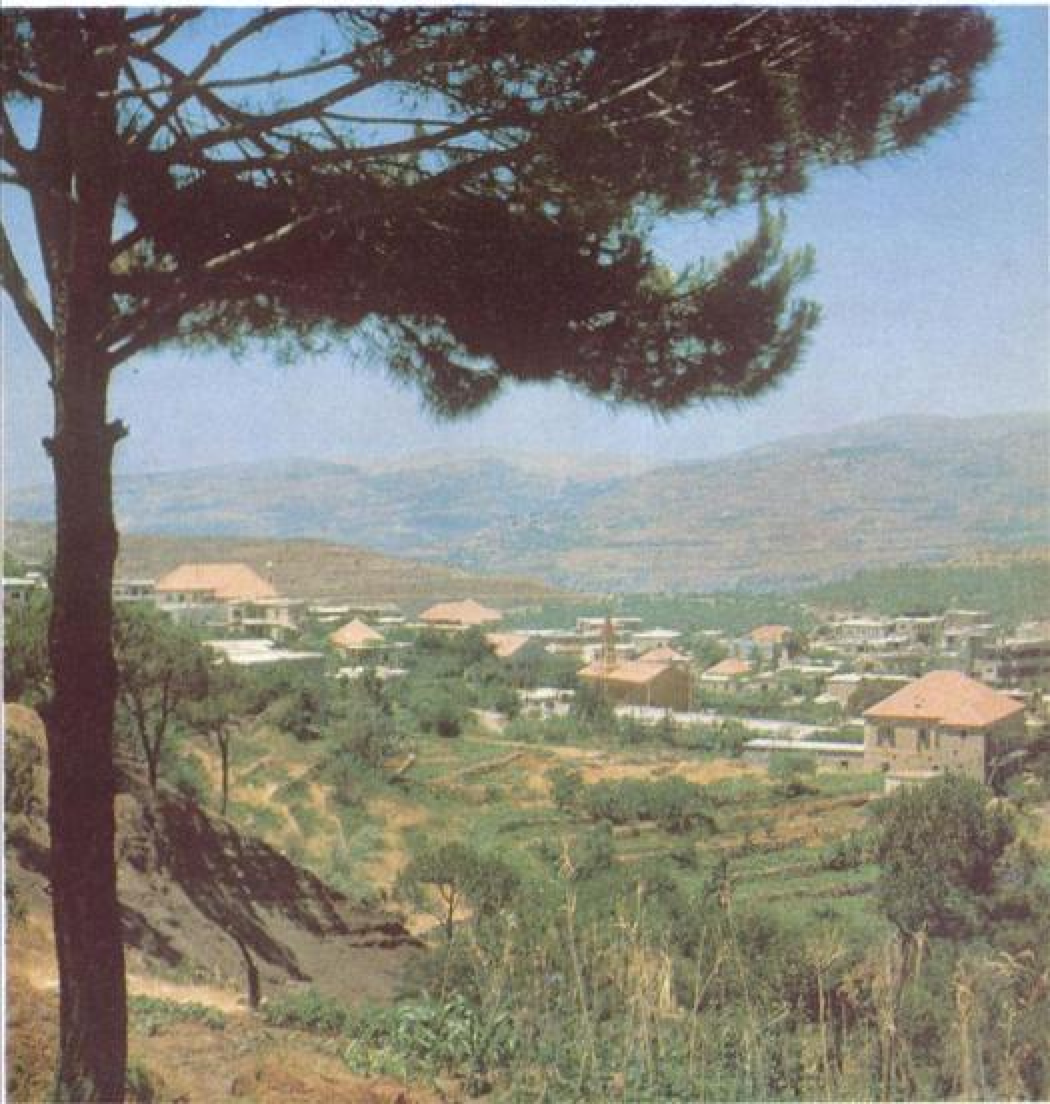
وهذه المشكلة انتشرت في أغلب بلادنا العربية ولا حل لها الا أن ننظر الى العامل والصانع والفلاح ، بنفس العين التي ننظر بها للمهندس والطبيب والمحامي ...

أشجار التوت تتهاوى ..

لقد كان الشوف مركزا لصناعة الحرير الطبيعي ... وكانت الأرض والجبال مغطاة باشجار التوت التي تعيش عليها دودة القز ، وكان لبنان يصدر لأوروبا ، وبلاد الشرق مليون أقة من الحرير ، تدر عليه مليون ليرة ذهبية ، وكانت دير القمر مشهورة بصناعة الحرير الخشن الذى تستعمله أوروبا فى صناعة النسيج المخملي وقد احصوا فى دير القمر فقط ..) تول يتوى ..



الى اليمين : احد شباب قرية جون « يزرنق » الماء من الابريق الفخارى .. انها الطريقة التى يتباهى بها اهل لبنان .. وكلما ابعد الشارب ابريقه عن فيه ، كان هذا دليلا على مهارته الفائقة .. ويتعلم الاطفال « الزرنقة » من صغرهم .. لاحظ ثياب الشاب الوطنية ، قميص مخطط فوق سروال من الخام الاسود المشدود بنطاق من الجلد ، وعلى الرأس لبادة بنية اللون ، مشدودة عليها الكوفية ..





الى اسفل : بين اشجار الصنوبر ، التي تحيط بها من كل جانب ، تنام « **عين زحلتا** » آمنة هادئة .. وعند سفوح جبالها يقع نبع « **عين الصفا** » ، بمياهه الغزيرة التي تغذى نهر الدامور ، وبيت الدين ، ودير القمر بالماء البارد . وفي عام ١٧٦٧ حدث زلزال رهيب هز سفح الجبل ، فانحرف نهر نبع الصفا عن مجراه الاصلي ومال الى المجرى الحالي ..

ما زال قصر الشيخ بشير الجنبلاطي ، بطرازه القديم الجميل ، قائما في بلدة المختارة .. انها بلدة صغيرة تضم ١٣٠٠ نسمة ، ومع هذا فاسمها اكبر بكثير من عدد سكانها، انها مركز الجنبلاطيين ..





شباب من فرنسا وهولندا وبلجيكا وتشيكوسلوفاكيا وانجلترا ، جاءوا الى بيت الشباب في دير القمر ، يعملون ويتعرفون على الشباب اللبنانى ، ويقدم لهم البيت الاكل والشرب والنوم مجانا ، وهم يقدمون اعمالا خفيفة .. جدا !!



جميع أنواع الأثاث المعدني يصنعها معمل الفولاذ في دير القمر ... انه أول مصنع فتح في المنطقة التي تأمل أن تنتقل اليها مصانع أخرى من بيروت

وظلت شجرة التوت هي المفضلة في لبنان حتى عام ١٩٢٥ عندما انتشر استعمال الحرير الصناعي الذي قضى على الحرير الطبيعي قضاء مبرما ... فتلاشى موسم الحرير ... وبدأ الفلاح يقتلع اشجار التوت ليزرع مكانها اشجار التفاح بصورة مذهلة ، وصلت الى حد ان وادي نبع الصفا أصبح كله اشجار تفاح يزيد عددها عن ربع مليون شجرة ، بينما مجموع اشجار التفاح في لبنان يقرب من أربعة ملايين شجرة !

وهكذا تحول التفاح الى مشكلة كبرى ، تطل براسها مع نهاية كل صيف فيجتمع مجلس الوزراء ويتخذ الاجراءات المؤقتة لحل الازمة ...

لقد كان ثمن كيلو التفاح ٢٠ قرش لبناني عندما اقتلع الفلاح اللبناني اشجار التوت ، اما اليوم فقد انخفض ثمن كيلو التفاح حتى وصل الى عشرة قروش لبنانية فقط هذا العام !!

سياحة وتصنيع !

اما مستقبل الشوف فهو في السياحة والتصنيع.

ويقول لك أهل الشوف : لينقلوا المصانع التي تخنق بيروت الى الجبل ، وعندها تعود الحياة الى الجبال المهجورة ...

وتحمس مهندسان لفكرة اقامة مصنع للفولاذ بجوار دير القمر ، وكانت النتيجة رائعة : جميع أنواع الأثاث المعدني ، ومقاعد دور السينما ، وحتى القوارب البخارية ، اصبحت تصنع في الجبل وتنقل الى الساحل .. واصبحت ٨٠ عائلة من دير القمر تعيش على دخل ابنائها العاملين في هذا المصنع ، الذي كان انشاؤه عملية رابحة ... فثمن الأرض والمباني الكثيرة المقامة عليها في دير القمر ، تساوي ثمن الارض فقط في بيروت .. واليد العاملة في الجبل متوفرة أكثر منها في بيروت ... والهواء الطيب في الصيف يعطي العامل نشاطا مضاعفا عن نشاطه في بيروت ... والشتاء لا يؤثر على ابن المنطقة لانه معتاد عليه ، وحركة العمل الدائبة تضيع كل أثر لبرودة الجو ...

ولكن كل هذه لن تؤثر على جلب المصانع من بيروت ، أنما الذي يؤثر عليها هو اعفاؤها من بعض الرسوم في حالة انتقالها للجبل ، ومساعدتها على تصريف انتاجها بزيادة تطبيق الحماية الجمركية على الصناعة الأجنبية المماثلة ...

أرض الغد

وبجوار المصنع وقفنا نودع جبال الشوف ... تلك الجبال التي تحمل طابعا وطنيا مقدسا ، لان النضال اللبناني من اجل الاستقلال كان في داخلها ... وهبت ريح باردة تحمل مع نسماتها صدى قولهم : « هنيئا لمن كان له مرقد عنزة في الجبل » وقلنا ونحن نسمع هدير الريح : « لا بل سعيد ذلك الذي أختار لنفسه مكانا في الجبل ... جبل الشوف الخالد ... فهو أرض اليوم ... والغد .. وكل يوم ! » . ■■

سليم زبال

لا تسلني

بقلم

محمد زهير البابلي

■ لا تسلني يا حبيبي عن دموعي لا تسلـني
عشـت أيامي أناجي طيفك الشارد مـني
دمعة العاشق تنبي في الهوى والحب عـني

يا حبيبي قلبي الخفاق أضناه السهـــر
لم أزل أذكر لقيـانا إلى وقـت السحر
يرقص النجم حوالينا ويرعانـا القمـر

★★★

يا حبيبي سل ليالي الوجد والشوق الجميل
سل دموع الفجر يا حبي سل العشب البليل
سل فؤادا صافح القلب على الحب الأصيل

همسنا العاشق مازال بأصداء الوجود
شفنا الوجد فسرنا في متاهات الخلود
آه لو يدري سوانا .. ليس للحب حدود

★★★

حبنا الحالم لحن عزفته شفتانا
قد طعمناه غراماً .. واشتياقا .. وحنانا
في مكان شاعري لم يكن فيه سوانا

يا حبيبي كل ما في الكون يشدو حولنا
لا تسلني يا حبيبي عن غرامي والمنى
فادن مني يا حبيبي واسقني كأس الهنا

★★★

يا حبيبي قم نروّ الحب من خمر الشفاه
في عناق أبدي يشعل الحب هواه
واشتياق لست أدري يا حبيبي منتهاه

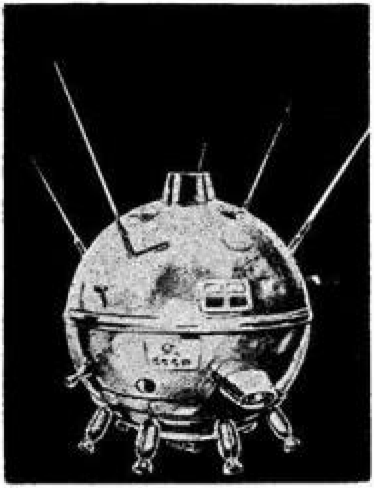
لا تسلني يا حبيبي عن دموعي لا تسلـني
عشت أيامي أناجي طيفك الشارد مـني
دمعة العاشق تنبي في الهوى والحب عني ■■

كفر الشيخ — **محمد زهير البابلي**



أنباء الطب والعلم والاختراع

الاقمار الصناعية
سوف تستخدم قريبا
في المواصلات الحربية



● كل شيء يهدف الى الحرب .

ومعنى السلام في العالم معنى يطلقه مطلقوه للتخدير .

فهذه الاقمار الصناعية، قالوا وكرروا القول ، انها لن تكون اداة حرب . بمعنى انه لن يلقى أحد منها قنابل (والمقصود قنابل ذرية) على أحد . وصدّق الناس، ولا يزالون يصدقون .

ولكن فكرة استخدام هذه التوابع ، هذه الاقمار الصناعية ، في الحرب ، وتيسير الحرب، بأى شكل من الاشكال، بقيت تراود رجال الحرب في الامم التى تملك زمام العلم والتكنية . ان القوة تغرى . وكذا القوة المستمدّة من العلم .

واليوم يفكرون ، بل فكروا فعلا ، في استخدام الاقمار الصناعية لتسهيل ادارة الحرب ، كالحرب القائمة في فتنام . تسهيل المواصلات التى تجرى بين مسيِّرى دورة الحروب ، اينما كانوا ، وبين قادة الحرب حيث الحرب قائمة . ثم بين الجنرالات والجند فى مختلف أرجاء الميادين .

ان قمرا صناعيا أطلقته الولايات فى يوليه الماضي ، بدأت الولايات المتحدة تجربه في اعادة ارسال ما ترسله اليه من الرسالات الى الارض . وقد بلغ من نجاح التجربة ان امرت ادارة الجيش في الولايات شركة الراديو الامريكية الشهيرة Radio Corporation of America أن تصنع لها الأجهزة اللازمة لذلك فى غضون ١٢ شهراً .

ان المواصلات تجرى اليوم باللاسلكي في ميادين الحروب . ولكن يتدخل لتعويقها امور كثيرة كالجبال والشجر والجو اذا اعتكر . ولهذا وجب على رجال

المواصلات في الجيش ان يستخدموا قوة للارســال كبيرة ، وان يحملوا أجهــزة استقبال ثقيلة .

أما المواصلات بالقمر الصناعي، فرغم البعد ، ستأتي أوضـح واضمن . ان المرسل يرسل الى القمر الرسالة، والقمر يقويها ويعيد ارسالها .

والقمـر الصناعي الذي يؤدى هـذا الهدف في يسر هو القمر الذي يدور حول الارض ويسايرها في سرعتها ، فالناظر اليه من تحته ، في فتنام مثلا ، يحسب انه معلق ثابت في سمام فتنام ، في نقطة لا يبرحها .

● يقـول الدكتـور وليـم وورد William ward ، بالمعهد الشهير معهد ماسا شوست التكنولوجي Massachusetis institute of technology حيث صنع القمر الصناعى الذى استخدم في التجربة ، يقول :

ان هذا القمر الجديد سيقلب الصورة التى تدار بها الحروب رأسا على عقب . والنتيجة امتناع الاعتداء ، وسـيادة السلم في الارض .

وابتسمت لما قرات هذا .

وقلت في نفسي : أيها السلم ، كم اختلف الناس في تعريفك !

كم ساعة من النوم
تشحذ العقــل وترهف الاحاسيس

● انها تجربة قام بها عالم نفسانى .

وهو اجراها في طائفة من البحارة .

وهدفها كشف أثر الساعات ينامهـا الرجل في عملية يجريها ، او شيء يتصل بأحاسيسه يدركه .



وهو جاء بهؤلاء البحارة ، وامتحـن عقلهـم ، بعمليات حسـاب يجرونهـا ، وامتحن حسهم ، بالاصغاء الى صوت ، فيدركون ما يصيبه من ضعف او قوة .

وانامَهم الساعةَ ، او الســاعتين ، والثلاث، والاربع ، والخمس، والست، الى سبع ساعات ونصف الساعة .

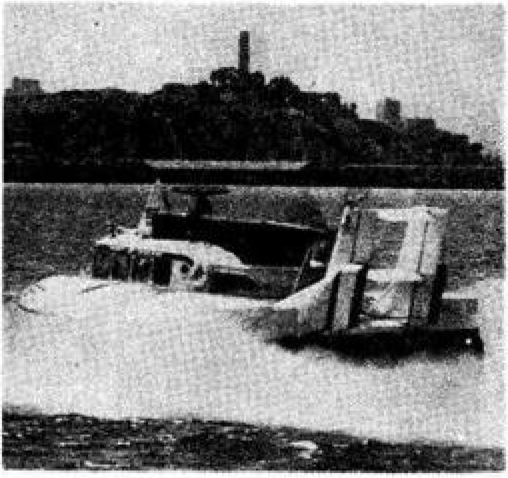
وقد وجد ان قدرتهم على الجمـع الحسابي ازدادت بزيادة النوم ، مـن ساعة الى ثلاث ساعات ، ثم توقفت .

لم يزدهم النوم فوق الثلاث الساعات شحذَ عقل .

وغير ذلك ، كانت تجربة الاحاسيس، كالاستماع الى الصوت . كان الاستماع سيئا عند من نام ساعتين فقط . كان من السوء مثله عند من لم ينم قط . ثم ازداد الاستماع رهافة بعـد نوم ٣ ساعات ، فنوم أربع ، فنوم خمس ، ولم يزد عند من نام فوق ذلك حتى نوم سبع ساعات ونصف .

ولم يقل العالم الباحث مدى ما صمدت هـذه الرهافة بعـد ذلك من الوقت . نحسب انه لدوامها يجب أن يمتد النوم من خمس ساعات الى سبع ونصف .

الهوفر كرافت
سيارة هى ، أم سفينة ، أم طائـــرة



● احسب اننا لا نزال نذكر تلك العربة التى تجري على وسادة من هواء . محركات بها تحرك مراوح تضرب الارض بتيار قوى من الهواء يرفع المركبة عن الارض قدمين أو ثلاثا، ومحركات أخرى تحركها على المستوى الافقي ، فتسير كما تسير السيارة . ولكن بدون عجلات . لأن وسادة الهواء حلت محل العجلات .

اذن فهي سيارة .

ولكنها تسير مرتفعة عن الارض .

واذن فهي طيارة .

ولكنها قد تسير ، بدل سيرها على الارض البسيطة ، فوق الماء ، اذن فهي سفينة .

على هذا النحو ، اختلف رجال القانون والادارة في الدول التى صارت هذه المركبة شيئا واقعا فيها ، ودخلت شبكة المواصلات فيها ، فهي تنقل الناس فوق الارض من مكان الى مكان، والاغلب انها تنقلهم عبر البحر من ساحل الى ساحل .

وعهد المركبات ذات الوسادات الهوائية التى وصفناها في « العربى » ، تنقل

تنشيط المخ بالرديو

● الحس، انتقاله من نواحي الجسم، الى مراكز الفهم فى المخ ، كهرباء .

ورد الفعل ، بالأمر يصل من المخ الى اليد فتعمل ، كهرباء .

وافعال الجسم جميعا تتخللها الكهرباء .

فعندما تسمع اليوم أن العلماء يمارسون البحث ليعرفوا اثر اللاسلكى (الرديو) في المخ عندما يوجه اليه فلا تعجب .

والخبر الجديد انه في المؤتمر الدولى للمهندسين الكهربائيين والالكترونيين ، أفضي الاستاذ دلجادو بما اهتدى اليه من هذه البحوث ، هو وجماعته ، في جامعة ييل Yale . وملخص ذلك انهم اهتدوا الى طريقة ينشطون بها المخ ، واسطتها الرديو . وهم فيها يزرعون قطبين في المخ ، يصلانهما بمستقبل اذاعى صغير جدا بحيث يربط في عنق الحيوان او الانسان الذى تجرى به التجارب .

واستخدمت هذه الجماعة التي يقودها الاستاذ دلجادو هذا الجهاز في تغيير

الناس عبر المانش، بين انجلترا وفرنسا، عهد قريب .

المشكلة التى نشأت في هـذه الدول تختص بالادارة التى تتولى شئون هذا النوع من المواصلات الجديد .

ان تكن سيارة، فهى تتبع دائرة المرور والشرطة .

وان تكن طيارة فهي تتبع ادارة الطيران .

وان تكن سفينة فهي غالبا تتبع خفر السواحل .

والذى حدث في انجلترا انهم اعتبروها طائرة ، وهي لا بد ان تسجل وتطلب الرخصة لتسييرها من دائرة الطيران . ومع هذا ، فقد تدخلت البحرية ترسم لها شروطا للسير بحسبانها سفينة ، لأنها تمخر الماء بين السفن .

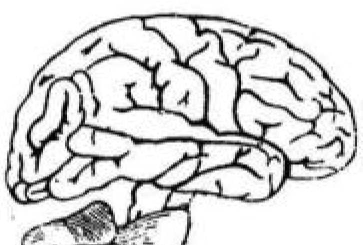
وكذلك صنعوا في كندا. تقوم مصلحة المواصلات الهوائية باعطاء رخصة السير، ولكن الذى يقوم بالتفتيش على المركبة (السفينة) انما هو قسم البحرية من ادارة المواصلات .

● وزاد الامر خبالا في الولايات المتحدة،وفيها اليوم يقوم خط مواصلات يجرى بين سان فرنسيسكو واوكلاند . فقد اجتمعت ٧ ادارات معا لتفتى فيمن المختص بهذا الخط الجديد من هـذه المركبات الغريبة التى لو كانت شيئا حيا ما درى أحد امرأة هي أم رجل . طائر هي ، أم زاحف ، أم سابح .

والادارات التـي اجتمعت لتحـل الاشكال تضمنت : اللجنة البحرية . الادارة البخارية . وكالة الطيران الفدرالية. لجنة ما بين الولايات من علاقات تجارية . مصلحة الطيران المدنـي . مصلحة خفر السواحل . مصلحة الجمارك .

وانتهى الامر بما يلي : أما الرقابة فلخفر السواحل ، لأن المركبة تسير فوق الماء . ويشارك في الرقابة مصلحة الطيران المدنى ، لأن المركبة تسير في مثل الخط الذى تخدمه طائرات الهيلوكبتر . ودخلت مصلحة الجمارك ، لأن المركبة سفينة تأتى من عرض البحر الى الساحل .

اما الدول التى تستخدم هذه المركبة في خطوط مواصلاتها ، غير انجلترا وكندا والولايات المتحدة ، فهى النرويج ، واسكتلندة ، واليابان ، والمانيا الغربية .



تطبّع وتخلق الفئران والقطط والقردة والانسان .

واكد الاستاذ دلجادو ان التنشيط بالكهرباء لن يخلق في الحيوانات طبعا جديدا ، وانما هى تجرى التطبع على أساليب عرفها المخ سبقت . وهى تميل بالمخ من اسلوب الى اسلوب ، كلاهما قديم مألوف .

مثال ذلك ان تنشيط الشق الاوسط من المخ حدا بقردة ام ان تغفل وليدها نحوا من ٢٠ دقيقة .

وطرق اخرى من طرائق التنشيط هبطت بالرغبة التى كانت فى بعض القردة من ميل للتعدى . حتى لقد حدث في جماعة من القردة ان تعلمت كيف تضغط على الزر ، الذى يؤثر في مخ القرد الزعيم فيها . فتهدىء من اهتياجه عندما يهيج فيها .

وتساءل الناس: هل في الامكان التأثير

في عقول الدكتاتوريين المتحكمين في الناس بهذه الطريقة .

واجاب دلجادو بأن هذه الطريقة جزبت في الآدميين . وضرب مثلا ان تنشيطا لموضع معروف في المخ ، لمدة عشر ثوان،ذهب برغبة المريض فيالاعتداء مدة زادت الى ٤٨ ساعة .

وسئل الأستاذ دلجادو فيما تثيره هذه الطرق الجديدة من مشاكل في المجتمع ، فقال : « انا ندرك ما تواجهه في الناس هذه الطريقة من مسائل خلقية واخرى فلسفية وثالثة علمية، وما تتضمنه هذه المسائل من اخطار . ولكن يجب أن لا ننسي ما قد تحتويه هذه الطريقة من وسائل قد تؤدى الى علاج الصرع ، والآلام غير المعروفة السبب ، والحركات غير الارادية . وكذا امراض العقول ، فقد يكون فى هذه الطريقة وامثالها شفاؤها .

البيض والسود كانوا ملّة واحدة، ثم افترقوا

● كتب الدكتور لوميس Loomis ، بجامعة براندیس Brandeis في المجلة الشهيرة « العلم » Science يقول :

ان الجسم يصنع الهرمون المرموز اليه بالحرف د D في الجلد ، وذلك تحت تأثير الاشعة الفوق البنفسجية في ضوء الشمس . وهو يرى أن لعل مقدار ما يصنع في الجلد من هذا الفيتامين هو العامل الذى فرّق بين الوان البشر فوق سطح هذه الارض .

ان النقص في هذا الفيتامين ينتهي باصابة الانسان بداء الكساح . وهو داء اكتسح اكتساحا من فوق سطح الارض بسبب اضافة هذا الفيتامين الى اللبن واطعمة اخرى .

وكذلك الزيادة فيهذا الفيتامين تحدث في الجسم ارتباكات تؤدى الى الموت بسبب مرض الكليتين .

ويرى الدكتور ان الانسان ، في قديم الزمان ، لما هاجر الى المناطق الشمالية، كان فيه ، الافتح في اللون والاعتم . اما الاعتم ، وبه كثير من فيتامين D فوق ما تحتاجه البيئة الجديدة ، فقد اصابه مرض الكلى . والح هذا المرض على النازحين حتى فنوا رويدا رويدا . اما الافتح في اللون ، فقد واءموا البيئة ،



وانسجموا معها . وزادوا انسجاما لقلة الشمس هناك ، فنشات بذلك الشعوب البيضاء .

ومثل ذلك حدث في النازحين ناحية خط الاستواء . الافتح منهم ، عجزوا بالذى بجلدهم من قليل من فيتامين د ، عن مواءمة البيئة فأصابهم الكساح . والح هذا المرض على النازحين فانقرضوا . اما الاعتم لونا فقد واءموا البيئة . وانسجموا مع الشمس الساطعة .

هذا رأى عالم . قد يصح أولا يصح .

ولكنه يؤكد الصلة ما بين السواد والبياض ، ويؤكد ما بينهما وبين خطوط العرض على سطح هذه الارض . لا بد ان اختلاف اللون يتصل بجغرافية الارض . ومن الجغرافية الاجواء . ●●

اعرف عدوك

تاريخ اليهود

كما يلقنه الصهاينة لأبنائهم

بقلم : شريف يوسف

من الكتب التاريخية المقرر تدريسها فى المدارس اليهودية فى اميركة كتاب بعنوان « كيف نما الشعب اليهودى » How the Jewish People grew up لمؤلفه مردخاى آى . سولوف Mordecai I. Soloff مدير معارف معبد (بيت ايل) Beth-El فى ولاية (سنسناتي) فى الولايات المتحدة الاميركية .

يقع هذا الكتاب فى ٢٨٣ صفحة ، ويقسم الى خمسة وعشرين فصلا . لقد درست الكتاب بانعام النظر لاقف على الطريقة المتبعة فى صيغة حوادث التاريخ وتوجيه افكار النشء الجديد من الصهاينة وردهم الى الماضي وربط ماضيهم بحاضرهم ، وسأحاول جاهدا شرح اهم ما جاء فى بعض فصول الكتاب ، واملي ان يعنى مؤرخونا بهذا الذى يتخذه القوم فى تعليم ابنائهم تاريخ شعبهم .

حرفة اليهود فى اول عهدهم وعقيدتهم

يذكر المؤلف فى الفصل الاول من كتابه هذا كيف ان الشعب اليهودى الذى نزح الى فلسطين من بلاد الرافدين فى حدود الالف الرابعة قبل الميلاد بقيادة ابراهيم (عليه السلام) لم يكن عددهم آنذاك يتجاوز اربعة آلاف شخص ، وهو شعب قبلي لا يعرف الزراعة ولا

الصناعة ، بل يعتمد في عيشه على رعاية الاغنام ، كما أنه لم يكن مدركا لعقيدة التوحيد ، ولم يتسن له مثل هذا الا بعد مئات من السنين حين جاءه النبي موسى (عليه السلام) يبشر بدين الله . ثم يقول في هذا الفصل : « لقد اصبحت عدة الشعب اليهودي اليوم ستة عشر مليون نسمة ، وهم منتشرون في جميع بقاع العالم ، كما اصبح هذا الشعب ذا حول وقوة في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة ، وتقدم كثيرا في العلوم والمعارف حتى صار له كيان يذكر بين الامم . »

تعذيب الآشوريين والبابليين لهم

وفي الفصل الثاني من الكتاب يتطرق المؤلف الى ما اصاب اليهود بعد نزوحهم الى فلسطين فيقول : « بعد أن استوطن اليهود أرض فلسطين وعمروها ، وبنوا معبد سليمان في اورشليم (القدس) دهمهم الآشوريون ودمروا بلادهم تدميرا ، واعقبهم على مثل هذا البابليون ، حيث قتلوا منهم خلقا كبيرا وهدموا (المعبد) وسيق من بقي منهم الى بابل زمرا . وهكذا ظلوا في الاسر حتى قيض الله لهم بعد خمسين سنة ملكا من ملوك الفرس يدعى (كورش) Cyrus ، الذى فتح بلاد بابل وسمح لليهود بالعودة الى فلسطين ليعمروها كرة أخرى ويجددوا لها مجدها الغابر . »

الصعوبات التي واجهتهم بعد عودتهم وكيف تغلبوا عليها

وبعد هذا يقول المؤلف : « **لقد لاقى اليهود العائدون الى فلسطين صعوبات جمة في اعمار ما دمره اعداؤهم ، حيث وجدوا معظم الاراضي الصالحة للزراعة قد خرجت من أيديهم واصبحت ملكا للشعوب التى استوطنت فلسطين في اثناء غيابهم عنها ،** من هؤلاء : الفلسطينيون والامونيون Ammonites والموآبيون Moabites ، كما أن ضعف الشعب اليهودي في ذلك الوقت جعله عرضة لهجمات الشعوب القوية المحيطة به ، ونهب مملكاته بين الحين والحين . كادت هذه الصعاب الثقال ان تحبط من عزم بعض اليهود ، فراحوا يتشبثون بالعودة الى بلاد بابل وغيرها من البلاد التي فاءت الى ظلال الاستقرار ، ولكن الثقة بالنفس واصرار اغلبية الشعب اليهودي على الثبات حملتا هذا الشعب على ان يلوذ بالصبر وتحمل الارزاء .

وقد كان للمساعدات المادية التى جاد بها عليه اليهود المياسير في الخارج اثر بليغ في تذليل كثير من العقبات . لذلك قام هذا الشعب باعمار ما بقي عنده من الاراضي ، وأعاد تشييد معبد سليمان على جبل (صهيون) بعد سبعين عاما من هدم البابليين له . الا ان الاقوام التي كانت تسكن بلاد سورية المعروفة قديما باسم ارض السامريين Samaritans ظلت تقض مضجعهم فتغير عليهم بين حين وآخر . »

بعد ذلك يشرح المؤلف في الفصل الثالث الصعوبات التي واجهها اليهود اثر عودتهم من الاسر البابلي فيذكر الهجمات التي كانت تشنها عليهم الاقوام المحيطة بهم دوما ، وكيف انهم لم يقووا على صدها بادىء الامر ، ولكن ملك الفرس سرعان ما هب لمساعدتهم ودافع عنهم وارسل الجيوش للمحافظة عليهم

وعلى ممتلكاتهم باعتبار هذه البلاد جزءا من امبراطوريته ، ولأن الشعب اليهودى كان يدفع الضرائب للملك عن رضا وطواعية . وعلى الرغم من ذلك وهنت ، بعد مدة من الزمن ، عزيمة كثير من اليهود لصعوبة اعمار الاراضي الجبلية الجرداء وما كان ينتاب محاصيلهم الزراعية القليلة من آفات ، فندموا على تركهم بلاد بابل الخصبة ومصدر الخيرات .

بهذه الصورة يريد المؤلف ان يرسم فى اذهان الطلاب اليهود العائدين اليوم الى فلسطين ، ويبين لهم ان وضعهم الراهن ليس بالوضع الجديد ، وان اسلافهم قد ذاقوا الامرين وهم يصدون هجمات الاعداء ، ويسعون الى اعمار الارض . لذا نراه يعود فى الفصل الرابع من الكتاب الى شرح كيفية التغلب على تلك الصعاب فى تلكم الايام فيقول :

« عندما اعلن (الكاتب) السوفير عزرا عزمه على السفر من بلاد بابل الى أورشليم لحق به عدد كبير من اليهود القاطنين فى بلاد فارس ، وزوده من تخلف منهم عن ذلك بما استطاع من مال وهدايا ليوصلها الى ابناء جلدتهم المهاجرين الى فلسطين . فبلغ عدد الذين هاجروا معه الفا وخمسمائة شخص . ان أول عمل قام به عزرا الكاتب هو التأكيد على وجوب التمسك بأهداب الديانة الموسوية والتقيد بتعاليمها ، وحث الذين تزوجوا بغير اليهوديات على التخلص من زوجاتهم مهما كلف الأمر والزامهم الزواج باليهوديات . وقد زاد من عزم اليهود قوة مجيء الحاكم اليهودى (نحميا) Nehemiah الذى كان ذا حظوة كبيرة عند ملك الفرس . فاستطاع هذا ان يدفع الاعتداء الذى كان ينصب على شعبه من الأقوام المحيطة به ، كما قام بترميم حصن مدينة أورشليم وزاد فى تسليح اليهود وامر بتحرير من كان مملوكا منهم عند الأغنياء ، ووزع عليهم الأراضي ، ليزرعوها وبنى لهم البيوت وعمر القرى والأرياف » .

وضع التوراة

وينتقل المؤلف بعد هذا الى الفصل الخامس من كتابه ليعلم النشء اليهودى كيفية وضع (التوراة) بصيغته الحالية فيقول : « عرض عزرا الكاتب على الحاكم (نحميا) فكرة تكوين مجلس من ربانيى الدين الموسوى لدراسة ما بين ايديهم من نسخ التوراة القديمة وتمحيصها واقرار نسخة منقحة من التوراة . وهكذا تم تاليف المجلس قبل الفين واربعمائة سنة وضم جماعة اطلق عليهم (رجال واعلام الكنيس الأعظم) Anshe keneset Ha-gedolah . فكان أول كتاب وضعه هذا المجمع هو التوراة Torah ويطلق عليه اسم (كتب موسى الخمسة) ايضا ، ويحتوى على الأسفار التالية :

سفر التكوين	Genesis
سفر الخروج	Exodus
سفر الاحبار	Levitibus
سفر العدد	Numbers
سفر تثنية الاشتداع	Deuteronomy

الكتاب الثاني (نبييم)

اما الكتاب الثاني الذى وضعه المجمع فهو الكتاب المسمى (نبييم) Nabiim ويتكون من واحد وعشرين سفرا ، يحمل كل منهــا اســم أحد الانبياء او الأبطال اليهود منهم :

دابوره Dabarah ، صموئيل الأول Samuel 1 ، صموئيل الثاني ، جدعون Gudeon ، جفثال Jephthal ، الملوك الاول King 1 ، الملوك الثاني ، شمشون Samson ، شعيا Isaiah ، جرميا Jeremiah ، حزقيال (ذو الكفل) Ezek iel . اما الأحد عشر سـفرا الباقية فجاءت بأسماء انبياء مشهورين عندهم أيضا مثل : جوئيل Joel ، عموس Amos ، عوبديا Obediah ، حاقيا Haggai ، زخريا Zechariah ، ملاخي Malachi ، حسيا Hasea .

وقد جمعت هذه الأسفار جميعها فى لفيفة واحدة Scroll .

والقسم الثالث والأخـير من الكتاب المقدس يسمى (كتبيم) Ketubim ويتكون من ثلاثة عشر سفرا هى المزامير: Psalmo ، الأمثـــال Proverbs ، ايـوب Jop ، نشيد الانشـــاد Song of Songs المواساة Ruth ، سفر مراثي آرميا Lamentations ، سفر الجامعــة Ecclisiastes اســـتير Esther ، دانيال Daniel ، عزرا Ezra ، نحميا Nehmiah ، سفر الاخبار الأول Chronicles 1 ، سفر الأخبار الثاني . وعلى هذا يكون الكتاب المقدس Bible مؤلفا من تسعة وثلاثين سفرا ومقسما الى ثلاثة اقســام هي : التوراة والبنييم والكتبيم . »

ثم يذكر المؤلف ان من الأسفار التي تطيب نفوس اليهود الى قراءتها فى عيد (البوريم) Purim ، سفر (استير) . فهذا السـفر يشرح كيف أن ملك الفرس (اهاسورس) Ahasuerus ، الذى تولى الملك بعد (كورش) ، عندما بلغته وشاية ضد اليهود من احد مستشاريه المدعو (هامان) Haman أمر بالقضاء على جميع اليهود القاطنين فى بلاد فارس فى اليوم الثالث عشر من شهر آذار ، وما أن علمت زوجه اليهودية (أستير) بالأمر حتى أسرعت الى الملك تتوسل اليه الا يصدق هذه الوشـــاية واقنعته بأنها لا تعدو أن تكون افكا وبهتانا ، وأن (هامان) لا يعدو أن يكون خائنا للملك . ومـــا أن سمع الملك ذلك حتى امر باعدام (هامان) والعفو عن اليهود فى اليوم الرابع عشر من آذار . لذلك أصبح هـذا اليوم من احب الأعياد عند اليهـود ، يحتفلون به كل عـــام احتفالا عظيما ، ويقرءون فيه سفر أستير ، وتوزع الهدايا ويعم الفرح البيوت والعائلات كلها . ومن هذا يتبين ان اليهود يعدون ايام حكم الفرس عليهم من أسعد الأيام .

محنة اليهود بعد تفرقهم

الا أن الحالة هذه والاستقرار لـم يكتب لهما الديمومة ، فلقد تفرق الشعب اليهودى شيعا واحزابا وتوالت عليــه النكبات وتعاقبت عليه المصائب والمحن . فيشرح الفصل السادس من الكتاب ما أصاب اليهود من مصـــائب بعد حكـم الفرس فيقول : « استولى الاسـكندر المقدوني على البـلاد التي كانت تحت حكم الفرس ومن ضـمنها فلسـطين ، وعندمـا أراد الاســكندر أن يدخـل

(أورشليم) دخول الفاتح المنتصر ، خرج لاستقباله الحاكم اليهودى المسمى كادول Kohen Gadol مع جمع كبير من علماء الدين (الكوهنيين) Kohanim (واللاويين) Levites مقدمين الخضوع والطاعة للفاتح الجديد ، **على فرض أن تبدل الحاكم لن يغير شيئا من وضعهم القائم ، فالجزية التى كانت تدفع الى الفرس هى الآن الى الاغريق »** .

ولكن المصائب بدات تتوالى على الشعب اليهودى بعد وفاة الاسكندر واشتداد التنافس بين قواده . حيث استقل احدهم في سورية وآخر في مصر ووقعت بينهما الحروب على ارض فلسطين ، وعندما استولى ملك مصر المقدوني على أورشليم قتل عددا كبيرا من اليهود وخرب المدن والمزارع ودمر الأرض . ثم ينتصر بعد هذا ملك سورية على غريمه ملك مصر فيستولى على فلسطين ويصيب الشعب اليهودى بسبب هذه الحرب شيء من الدمار الكثير والمهانة . وعلى الرغم من هذا كله فلا ينكر استفادة اليهود من تسلط الأغريق عليهم . لقد تعلموا منهم أصول التجارة ودرسوا العلوم والمعارف التي كان يحملها علماء الاغريق الى البلاد التي يفتحونها ، وبعد اتقانهم ما تعلموه تمكنوا من تولى بعض وظائف الحكومة وتحسنت احوالهم المعاشية وصاروا يقلدون الهلينيين Hellenists فى طراز معاشهم واسلوب حياتهم . فأطلق على الجماعة المقلدة من اليهود اسم (اليهود اليهلينيين) اما الذين تمسكوا بتقاليدهم اليهودية ولم تؤثر فى نفوسهم هذه الثقافة الطارئة فقد سموا (حاسديم) Hasidim اى الجماعة الورعة .

محاولة تخلص اليهود من حكم الاغريق

بعد هذا ينتقل المؤلف الى كيفية تخلص اليهود من حكم ملك الاغريق فى سورية فيقول: «اراد ملك سورية الاغريقى (انطيوخس) Antiochus أن يظهر بمظهر الملوك العظام على غرار ما فعل الاسكندر ، فجهز جيشا لجبا وزوده بالسلاح المعروف يومئذ وادوات حرب ، ولكنه وجد نفسه بحاجة الى المال اللازم لتجهيز هذا الجيش ، ففرض الضرائب الفادحة على الشعب اليهودى وأمر بعزل الحاكم اليهودى الكاهن كادول Kohen Gadol وعين أخاه بدلا منه باعتباره من طائفة اليهود الهيلينيين . فمكنه هذا من جمع الأموال الطائلة من اليهود ، واجبرهم على الأخذ بأعراف الأغريق وعاداتهم وعبادة آلهتهم . فثار اليهود على الحاكم ، واشاعوا فى المدينة خبر موت الملك (انطيوخس) ، وتجمعوا حول معبد سليمان ، وهاجموا الحراس ، وقتلوا من وقع منهم فى أيديهم أسيرا ، واجبروا الحاكم على الفرار . ولما علم الملك بمكر اليهود وفتكهم بجنده حمل عليهم حملة شعواء ، وقتل عددا كبيرا منهم ، وخص بالتنكيل طائفة اليهود المتزمتين (هاسيد) ، وكان للأسرى العذاب الأليم . ثم يقول المؤلف : « ولكن الله الذى لا ينسى (شعبه المختار) قيض له بطلا من الأبطال يدعى (متاتياس) Mattathias وأولاده : يهودا Judah ومكابى Maccabee وجوناثان Jonathan وسمعان Simon الذين ضحوا بأرواحهم واحدا اثر واحد

في سبيل انقاذ الشعب اليهودي من ظلم ملك سورية واعادة الحرية له . فأعادوا بناء معبد سليمان وازاحوا منه الأصنام التي وضعها الاغريق للاله (زوس) Zeus (رب الأرباب) واشعلوا القناديل في المعبد في اليوم الخامس والعشرين من شهر (كسلاو) Kisleu الذي يوافق شهر كانون الأول ، واصبح هذا اليوم عيدا من الأعياد وسمى ب (عيد حنوكه) Hanukkah أي التكريس ، ويستمر هذا العيد عند اليهود ثمانية أيام » .

عهد الاستقلال

وفي الفصل الثامن من الكتاب شرح (لعهد الاستقلال) اذ يقول المؤلف : لقد نال اليهود استقلالهم التام لدى ظهور (الأسرة المكابية)Maccabee . ففي هذا الدور كان الحكام يحرصون على الالتزام بتعاليم الدين ، وكان لهم مجلس استشاري يسمى (سنهدرين) Sanhedrin مؤلف من القادة ، وتتمثل فيه فئتان : تسمى الفئة الأولى (سادوسي) Sadducees وهي الفئة المتمسكة بتعاليم الدين على أتم وجه ، ومهمتها دفع الناس الى الزهد والتعبد ، والفئة الثانية وتسمى (بيروشيم) Perushim وهي التي تدفع الناس الى ناحية العمل والكسب والاثراء ليصبح الشعب اليهودي ذا قوة مادية ، ولا يكتفى بدفع اعتداءات أعدائهم المجاورين لهم ، بل يقدم على فتح ما أمكن فتحه من البلاد المجاورة لفلسطين . وقد قام اليهود في هذا الدور بانشاء مرفأ (يافا) وبنوا السفن لتحمل البضائع الى البلاد المختلفة الواقعة على البحر المتوسط ، فازدهرت التجارة ، وتنوعت الصناعة في البلاد ، وساعد على ذلك اجتماع التجار اليهود في مختلف الأقطار في اورشليم أيام الأعياد ، لتبادل الآراء في موضوع التجارة وأمور التسويق . وهكذا توفر العمل لجميع الطبقات ، وعم الخير والرخاء .

الحرص على تثقيف أبناء اليهود

من أهم الفصول في الكتاب ذلك الفصل الذي يوصي بضرورة تثقيف أبناء اليهود اذ جاء فيه :

« ان من أهم الأعمال الخالدة للمجلس الاستشاري (سنهدرين) المار الذكر تشريعه قانون التعليم الالزامي فما أعظمها من خدمة أسداها أولئك الراشدون الى أبناء شعبهم قبل الفي سنة ، فلولاه لبقي اليهود كالعرب لا يعنون بتعليم أبنائهم ، فليس هناك ما يجبر الآباء على ارسال اولادهم الى المدارس ، وهذا سبب تأخرهم وفقرهم » .

القضاء على استقلالهم وتشريدهم

اما الفصل العاشر من الكتاب فقد انفرد بشرح أسباب القضاء على استقلال اليهود وتشريدهم في انحاء المعمورة ، اذ جاء فيه : « لقد ختم عهد الاستقلال عندما دب النزاع على السلطان بين الأخوين اليهوديين الحاكمين (هيركان) Hyrcan و (ارسطوبل) Aristobul فالأول وهو الأسن كان رجلا ضحل التفكير غير مؤهل للحكم والادارة ، بينما كان الثاني قائدا محبوبا من الجميع ، ولا سيما آحاد الجيش . حدث هذا النزاع بين الأخوين في الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية الرومانية آخذة في الاتساع فاستغل الرومان هذه الفرقة في صفوف

اليهــود والنزاع بينهــم ، فأسروا الأخ الصغير ونصبوا الكبير حاكما على اليهود لمديد من الدهر ، وبعد ذلك ازاحوه عن الحكم ونصـبوا يهوديا ممقوتا يسـمى (هيرود) Herod مكانه . وقد كان هذا فظا غليظا فى حكمه ، يفـرض الضرائب الفادحة على الشعب اليهـودى ، وقتل عددا كبيرا منهم ولـم يتوان عن قتـل زوجته واولاده واقرب الناس اليـه . فاستغاث اليهود بامبراطور الـرومان ، وطلبوا منه أن يزيح هذا الحاكم اليهودى، ويحكم البـلاد مباشرة . وهكذا فعل ، فانتهى بذلك ((عهد الاستقلال)) **وقد بقي الشعب اليهـودى قـرونا عديدة يسعى جاهدا فى سبيل معاودة اعمار ما دمـر من بلاده ، ولكنه لم يفلح فى ذلك الا منذ خمسين سنة حين ظهرت بوادر العمل الجاد ، وعرف كل يهودى واجبه بازاء وطنــه . وأنت أيها الطالب اليهـودى ! ان دورك آت قريب،وستضطلع بواجبك بازاء وطنك وشيكا))** .

نكتفى بهذا القــدر مما جــاء فى هذا الكتاب التاريخي وما يشـيعه الآباء فى نفوس ابنائهم بصـدد تاريخ شـعبهم ، والفات نظر اطفالهم الى الأخطـاء التي ارتكبها أسلافهم ، والى وجوب تحاشيها ، وبيين واجبهم بازاء وطنهم فى حاضرهم ومستقبلهم .

ونحن اذ نشرح هذا كله نتساءل اما آن الأوان لأساتـذة التـاريخ العــرب ان يضعــوا كتبــا تاريخية ، لأبنــاء شعبهم بعامة وابناء فلسطين بخاصـة ، شارحين فيها تاريـخ الأرض المقدسـة المغتصبة واهميتها بالنسبة الى بقيـة البلاد العربية ، فاضحين فيها دعـوى الصهاينة بأن الأرض ارضهم لا تعدو أن تكون زيفا وبهتانا وأن لا سند لهم فى ذلك من واقع وتاريخ .

شريف يوسف

هــزة كريم

● يحكى أنه اتى الى عبيد الله بن عباس سائل وهو لا يعرفه فقال له : تصدق ، فانى نبئت أن عبيد الله بن عباس اعطى سائلا الف درهم ، واعتذر اليه ، فقال له : واين أنا من عبيد الله ؟ قال : اين انت منه في الحسب ام كثرة المال ؟ ، قال منهما ، قال : اما الحسب في الرجل فمروءته وفعله ، واذا شئت فعلت ، واذا فعلت كنت حسيبا ، فأعطاه الفى درهم ، واعتذر له من ضيق الحال ، فقال له السائل ، ان لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه ، وان كنت هو فانت اليوم خير منك أمس ، فأعطاه الفا اخرى فقال السائل : هذه هزة كريم حسيب ، والله لقد نقرت حبة قلبى فافرغتها في قلبك ، فما اخطأت الا باعتراض الشك بين جوانحى .

طفلك

● هل عدت يوما الى « البوم » صور العائلة لترى فيه طفولتك ؟ هل توقفت مرة امام صورة ذلك الطفل الجميل وهو يحبو في شهور حياته الاولى ، ثم تساءلت : « ترى اينا كان هذا « المتشرد » الصغير ، انا أم أخي ؟ فيأتيك الجواب بسرعة : « هذا انت يا بني عندما كنت في الشهر السابع من عمرك . لقد كنت ولدا « شقيا » يملأ البيت بصياحه طول النهار ولا يهدأ أبدا الا عندما أضمه الى صدرى ، واغني له ، فيغمض عينيه وينام ... ولكن لفترة قصيرة يصحو بعدها اكثر نشاطا واشد اصرارا على سماع اغنية جديدة ! » .

اللحظات السعيدة

تلك هي اللحظات السعيدة التي تمر بحياة كل ام ، وتبقى عالقة في ذهنها لا تفارقه ابدا .

فمنذ تلك اللحظة التى تضع فيها الأم طفلها .. وينصرف الطبيب ، وتذهب المرضة ، ويخرج الأقارب والأصدقاء ... تشعر الأم لأول مرة أن هذا المخلوق الصغير قد أصبح لها وحدها ..

وهكذا تبدأ مسئولية الأم نحو طفلها . مسئولية العناية به والمحافظة على صحته في تلك الشهور الأولى التي تعتبر أجمل واسعد ايام حياته .

وهي مسئولية جديدة وكبيرة بالاضافة الى ما تتحمله الأم من مسئوليات الاشراف على شئون البيت ، والعناية بباقي أفراد الأسرة ، فماذا تفعل الأم ، كيف تواجه كل هذه الأعباء ؟ .

الضيف الجديد

ان عمل البيت كبير ، واكبر منه العناية بهذا الضيف الجديد الذى يملأ البيت ببكائه .. فهو يبكي اذا فات موعد رضاعته ، ويبكي اذا اراد ان ينام ولم يجد يدا تهزه في مهده . ويبكي اذا صحا من نومه ولم يجد امه بجانبه لتغير له ملابسه المبتلة . يبكي في الليل ويوقظ ببكائه كل من في البيت .. ويبكي في النهار اذا غفلت عنه امه ولو لبضع لحظات. انه مخلوق صغير ، ولكنه في حاجة الى عناية ورعاية كبيرتين ، وخاصة في تلك الشهور الأولى من حياته .

وتحار الأم . كيف تستطيع أن تواجه كل هذه الالتزامات ؟ وتتطوع احدى صديقاتها باخراجها من هذه الورطة ، فتنصحها بالبحث فورا عن مربية لطفلها ، أو بدعوة احدى قريباتها للقيام بهذه المهمة بالنيابة عنها .

أكبر خطأ ترتكبه الأم

ويؤكد العلماء والمهتمون بتربية الأطفال ان الام ترتكب أكبر خطأ في حياتها ، عندما تترك مهمة العناية بتربية طفلها لامراة أخرى ، مهما كانت الصلة التي تربطها بها ، حتى لو كانت اقرب قريباتها .

فالأم تستطيع أن تتخلى عن أى عمل آخر في البيت ، ولكنها لا يجب أبدا أن تتخلى عن واجبها الأول كزوجة وام لهذا الطفل . فهو في حاجة الى كل العطف وكل الحنان الذى لا يمكن أن تقدمه له غير امراة واحدة هي أمه ! .

وكم من امهات لعن اليوم الذى تركن فيه مهمة تربية اطفالهن لنساء أخريات ! لماذا ؟ .

لا تتركي لغيرك تربيته

معنى الأمومة

لأن مفهوم كلمة الأمومة لا يتمشى أبدا مع تلك الرغبة الملحة التي تستبد بالأم في التخلص من عبء العناية بطفلها .

فالأمومة تبدأ باللحظة التي تحمل فيها الأم الجنين بين احشائها .. وواجباتها لا تنتهي ابدا بمولد هذا الطفل بعد أن يكتمل نموه .. انها تبدا مرة أخرى ، ولكن بصورة جديدة . لقد كانت مسئولة عن المحافظة عليه ، وهو يسكن هذا « البيت الصغير » في بطنها .. ثم أصبحت مسئولة عنه وعن العناية به وتغذيته بعد أن خرج الى النور واطلق صرخته الأولى ساعة لقائه بهذه الدنيا ! .

أعظم عاطفة في الدنيا

وفي شهور حياته الأولى ، يتعلق الطفل باليد التي تمتد لتهزه في فراشه ، وبالصدر الذى



يضمه في حنان اليه ، وبالوجه الذى يبتسم له ، ويخفف عنه آلامه اذا مرض .

فتلك هي اللحظات التي تنمو فيها أعظم عاطفة في الدنيا .. عاطفة الحب بين الطفل وامه . فهو لا يرى امامه غيرها ، ولا يرتاح لسواها ، ولا يغمض له جفن الا اذا احس بوجودها بجواره ، وانفاسها الهادئة تدغدغ وجهه .. واصابعها تداعب جبينه ! .

ثم ، هناك لحظات تمر في حياة الطفل ، أثناء نموه ، وهي لحظات من أسعد ما تحرص الأم ـ كل أم ـ على تسجيلها ... لأنها لن تعود ابدا ... ! كاللحظة التي يحبو فيها لأول مرة على أرض الغرفة مثلا عندما يشتد عوده ويبدأ في البحث عن كل شيء يثير اهتمامه ، في تلك الشهور التي يتحول فيها من مجرد « حيوان » يريد أن يملأ بطنه الصغير لينام ، الى انسان يعرف امه ويتهلل وجهه فرحا بوصول أبيه من عمله . ويرقب حركات اخوته من حوله بعينين صغيرتين لامعتين تنطقان بما يعتمل في نفسه من انفعالات ..

وكل أم لا تريد أن يفوتها ذلك اليوم الذى يخطو فيه طفلها خطوته الأولى .. أو منظر أول سن تنبت في فمه الصغير . وأخيرا تلك الكلمة الجميلة وهي تخرج من شفتيه عندما يناديها « ماما » وهي كلمة طالما تاقت لسماعها ، طوال تلك الأشهر التي حملته فيها ، وارضعته وسهرت معه وحدها عندما ينام كل من في البيت ويصحو هو ! .

الطفل الطبيعي

مثل هذا الطفل الذى سهرت امه على تربيته واعطته من عطفها وحنانها كل ما يحتاج اليه الطفل في شهور حياته الأولى ، ينمو طفلا طبيعيا ، ويعيش بعد هذا حياة خالية من العقد النفسية التي تصيب الأطفال نتيجة افتقارهم الى حنان الأم ، الذى فقدوه منذ ذلك اليوم الذى جاءت فيه « المربية » لتنوب عن امه في القيام باقدس واجباتها ! .

فعقل الطفل أشبه ما يكون بورقة بيضاء لا خطوط فيها ولا تعاريج .. هكذا يكون عندما يبدأ حياته على هذه الأرض . وعلى هذه الورقة تظهر آثار الأحداث التي تمر به والانفعالات التي يتعرض لها في هذه السن المبكرة ! .

عندما ينسى الطفل أمه

وكثيرا ما يحدث أن يتعلق الطفل بمربيته ، اذا احسنت تربيته ، فتقوم بينها وبينه ، بدافع من الشفقة على هذا المخلوق الضعيف ، تلك العلاقة التي لا تقوم الا بين الأم وطفلها ... وتكون النتيجة أن ينسى الطفل أمه ، فيبكى اذا اقتربت منه ويصرخ اذا هي حملته بين ذراعيها ! .

فلا يكفي أن تقول الأم هذا طفلي ثم تترك غيرها ليقوم نحو طفلها هي بكل ما كان يجب عليها أن تقوم به ... فعاطفة الأمومة ليست مجرد عاطفة غريزية يشعر بها الطفل نحو امه ، وتشعر بها هي نحو طفلها . ولكنها أيضا عاطفة تنمو وتقوى ويصبح لها جذور عميقة تمتد الى أغوار النفس البشرية .

مسئولية الأم

والصحف مليئة بقصص ابناء خرجوا على طاعة والديهم او قسوا عليهم ، وكثيرا ما نسمع أن أحد الأبناء ترك والديه وتخلى عنهما في سن اصبحا فيها احوج ما يكونان الى عطفه ! او ابنة ضربت بنصائح والديها عرض الحائط ، فتركت لهما البيت ، وهربت لتتزوج بمن تحب ! .

مثل هؤلاء الأبناء ، كانوا ضحية أم ساذجة ، ظنت في يوم من الايام انها تستطيع أن تترك مهمة تربية أطفالها لامرأة أخرى قادرة على القيام بها .

الأم العاملة

وقد يتساءل البعض : « ماذا تفعل الأم العاملة، التي يضطرها عملها الى ترك طفلها في رعاية غيرها ؟ » .

والواقع ، انه حتى هذه الأم أيضا ، التي تترك طفلها عند أقاربهـا أو مع مربيتـه أو في دور الحضانة ... حتى هذه الأم تستطيع أن تعطي طفلها من الحب والعطف والرعاية أثناء وجودها معه ، ما يعوضه عن الساعات التي أمضتها بعيدا عنه . فيكون طفلها وحده هو شغلها الشـاغل ، عندما تعود الى بيتها .

فالأم العاملة أيضا يجب أن تذكر أن واجبها الأول هو تربية طفلها ، فاذا تعارض عملها مع هذا الواجب ، لم تتردد لحظة واحدة في أن تضحي بوظيفتها من أجل طفلها .

عطف الأبناء

ليس هناك قوة تستطيع أن تمحو من ذاكرة الابن تلك التضحيات الضخمة التي قدمتها أمه عن طيب خاطر في شهور حياته الأولى ... ان الاحاسيس والانفعالات التي طبعت على تلك الورقة البيضاء ستبقى دائما وأبدا ، الحافز الذي يدفعه الى تقديم كل ما يملك من حب وعطف وحنان لهذه الأم التي أحبته وأفنت حياتها من أجله ! .

مثل هذه الأم وحدها ، هي التي تستطيع أن تعيش مع ذكرياتها السعيدة طوال أيام حياتها .. وهي وحدها التي تستطيع أن تعود الى ألبوم صور العائلة وتتطلع الى ابنائها في حنان ، وقد ارتسمت على وجهها ابتسـامة تحمل كل معاني الحب والعطف ، وهي تتذكر اللحظات السعيدة التي سـجلت فيها كل صـورة من هذه الصـور الجميلة . ■■

(م . ن)

ان بعد العسر يسرا

● قال مسلم بن الوليد : كنت جالسا عند خياط بازاء منزلي فمر بي انسان أعرفه فسلمت عليه وجئت به الى منزلي لأضيّفه وليس معي درهم ، ولا عندي شيء سوى زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتي فباعتهما واشترت بثمنهما ما تيسر من الخبز واللحم ، وجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق ، فنظرت من شق البـاب واذا بانسان يسأل أهذا منزل فلان ؟ ففتحت الباب وخرجت ، فقال « أنت مسلم بن الوليد » قلت : « نعم » ، فاخرج الي كتابا وقال « هذا من الامير يزيد بن مَزْيَد » ، فاذا فيه : « قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف تتجمل بها لقدومك علينا » .. ثم توجهت من ساعتها الى يزيد بالرقة واذن لي بالمثول امامه وقال لي : أتدري لِمَ احضرتك ؟ قلت « لا ادري » قال : كنت عند الرشيد منذ مدة فسألني من قائل هذه الابيات :

سَلَّ الخليفـة سيفـا مـن بنـي مضـر
يمضي فيخـتـرق الاجسـام والهامـا

كالدهـر لاينثـني عمـا يهيـم بـه
قـد اوسـع النـاس انعاما وارغـاما

فقلت « لا ادري يا امير المؤمنين » : فقال « سبحان الله ! أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله » ؟ فسألت فقيل لي هو مسلم ابن الوليد فانهض معي الى الرشيد ، فسرنا اليـه واستؤذن لنا فدخلنا وانشدته قصيدة فأمر لي بمائة الف درهم وامر لي يزيد بتسعين الفا وقال : «ما ينبغي لي أن اساوي أمير المؤمنين في العطاء » .

من أخطاء القضاء

ضحية التقصير

بقلم : حسن الجداوى

المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ قال النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه » . وفى هذه القضية التى سوف نعرض وقائعها لم يكن الخطأ القضائى ليقع لو ان محققها وقاضيها قد اتقنا عملهما .

نحن بمدينة باريس حيث يسكن السيد لوفيك تاجر مجوهرات برقم ١٧ بشارع لوميرسيبيه . وفى ساعة مبكرة من صباح يوم ٨ ديسمبر سنة ١٨٩٨ خرج السيد المذكور من منزله ـ كعادته ـ متجها الى متجره .

وفى زاوية من الشارع اختبا شريران ـ من ذوى السوابق ـ يترقبان خروجه . وما كاد يبتعد بضع خطوات حتى دخلا منزله وفاجآ زوجته وامسكا بها واوثقا رباطها وكمما فمها حتى لا تصرخ ثم انهال عليها احدهما بعصا محشوة بالرصاص الى ان كسرت العصا واغمى على السيدة واعتقد اللصان انها قضت نحبها . ثم بدآ يفتشان المنزل ويستوليان على ما به من نقود وحملا معهما ما استطاعا حمله مما خف وزنه وغلا ثمنه وانصرفا آمنين مطمئنين الى أن لا عين رات ولا اذن سمعت .

الا انه ـ لسوء حظهما وحسن حظ العدالة ـ لم تمت السيدة لوفيك . بل ان جراحها ذاتها لم تكن خطرة . فما ان استردت وعيها حتى اخذت تحل وثاقها وارتفع صراخها فخف اليها بواب المنزل الذى ساعدها على التخلص من رباطها واسرع يخطر رجال الشرطة فجاءوا على الفور .

★ ★ ★

وعثر رجل البوليس ـ بدون كبير عناء ـ على بقايا العصا المكسورة لان المجرمين اللذين حاولا قتل الضحية حتى لا ترشد عنهما اغفلا جمع تلك البقايا وتركاها كبطاقة زيارة او بصمة ترشد عن صاحبها . فقد تعرف رجل الشرطة الذى كان مكلفا بمراقبة بعض ذوى السوابق ان احدهم واسمه كادرون كان يحمل عصا شبيهة بتلك العصا فلم يشك لحظة فى انه احد الفاعلين .

واستمع المحقق الى اوصاف المجرمين من مدام لوفيك وتبين ان اوصاف احدهما تنطبق تماما على كادرون هذا . ولان من بين ذوى السوابق الذين شوهدوا مع كادرون اثناء مراقبته السابقة شخصا اسمه رابيبه سبق الحكم عليه سنة ١٨٩٥ من محكمة الجنايات بالسجن ثلاث سنوات لاخفائه اشياء مسروقة جزم رجال الشرطة انه ـ ولا شك ـ الشخص الثانى فى ارتكاب هذه الجريمة خاصة وقد شوهد ـ قبل بضعة اسابيع ـ يحوم



مع كادرون حول منزل تاجر مجوهرات آخر اسمه ويلى .

★★★

وعرض رجل الشرطة صورا فوتوغرافية لكادرون ورابييه على مدام لوفيك فتعرفت ـ لاول وهلة ـ على كادرون ولكنها نفت لاول وهلة ان يكون رابييه احد اللذين اعتديا عليها .

وهنا لم يعد هناك محل لاتهام رابييه . بل ما كان هناك محل لعرض صورته من البداية على السيدة لوفيك فهي تقول ان الذى اعتدى عليها مديد

القامة بينما رابييه قصيرها وانـه بدين بينما رابييه نحيف القوام ولكن البوليس ـ رغم ذلك ـ قبض عليه مع كادرون وقدمهما للمحقق . واعترف كادرون ان شريكه في الجريمة شخص اسمه دوكين قبض عليه وانطبقت اوصافه على الاوصاف التى ادلت بها مدام لوفيك ثم تعرفت عليه حين عرض عليها .

لم يعد هناك ما يسمح للظن بأن لرابييه يدا فى الجريمة . ولكن البوليس وقد امسك بفريسة لا يريد ان تفلت من بين يديه . دلت التحريات على ان شخصا جاء الى بواب المنزل ـ قبل الحادث بأسبوع ـ يستفسر منه عن عادات السيد لوفيك ومواعيد وجوده بالمنزل . واعتقد البوليس ـ بل جزم ـ بأن هذا الشخص لا بد ان يكون هو رابييه فعرض صورته على بواب المنزل فقال البواب بعد تردد لعله هو . ولكن رابييه انكر ولما ووجه بالبواب عدل البواب عن تعرفه وقال انه ليس هو .

افلت رابييه من قبضة البوليس باعتباره فاعلا اصليا . وافلت مرة ثانية من ان يكون محرضا على الجريمة او مدبرا لها فلماذا لا يكون قد اشترك فيها باخفاء الاشياء المسروقة ؟؟ لجا البوليس الى وسائله وابسطها تحريض المتهمين بعضهم على البعض الآخر . يكفى لذلك ان يوهم كادرون ان رابييه هو الذى ارشد عنه بأن يقال له ان العصا التى ضبطت بقاياها شوهدت معه اثناء مراقبته السابقة هو ورابييه .

وانطلت الحيلة على كادرون فبدأ يتهم رابييه بانه هو الذى دله على الجريمة ورتب له طريقتها فلما لم يتعرف البواب على رابييه عدل عن ذلك الى القول بأنه سلم رابييه حصيلة السرقة .

جاءت هذه التهمة على لسان كادرون بعد ان كان المحقق قد امر بتفتيش منزل رابييه وعثر فيه على ساعة من الصلب المطفى اعتقد لوفيك انها ساعته . وما كان كادرون ليعلم بأمر ذلك لو لم يفض اليه رجل الشرطة بذلك .

★ ★ ★

ووصل الى البوليس خطاب غفل من التوقيع يزعم مرسله ان المجوهرات المسروقة وصلت الى مدينة لندن . فحرر رجل الشرطة محضر استدلال نسب تلك المعلومات الى نفسه ثم اوحى الى كادرون بأن يدلى بأقوال تسندها فأكد كادرون فى استجواب لاحق انـه سـلم المجوهرات الى رابييـه .

وكان يمكن للمحقق ـ لو انه اتقن عمله ـ ان يتبين ان كادرون انما ينطق بإيحاء من البوليس . من تردد كادرون فى اقواله فهو يزعم مرة انـه سـلم المجوهرات على الرصـيف امـام محطـة سالازار ومرة اخرى ان ذلك كان فى مبولة بداخل المحطة . ولكن المحقق نفسه كان ـ عن جهل او عن مجاراة للاتهام ـ يوجه لكادرون اسئلة ايحائية نأتى هنا على امثلة منها .

س ـ اشرح لنا دور رابييه فى الجريمة . ان اقوالك معقولة لأنها تنطبق على اخلاق رابييـه التى نعرفها مـن التقارير التى وصلت الينا . ونحن نعتبر ان رابييه مـن الاشخاص الـذين يقترحون الجريمـة ويختارون مكانهـا ولكنهـم ينفذونها بواسطة الآخرين .

ج ـ هذا ما حدث فعلا . فرابييه هو الذى اقترح على السرقة التى حدثت بشارع سـان مارتن . وكان يود ان اقوم بها بمفردى ولا يفعل هو شيئا .

س ـ الدليل على صحة ما تقول ان رابييـه كان يمدك بالنقود وقد فعل ذلك على دفعتين .

ج ـ اذكر انه اعطانى نقودا مرة واحدة .

س ـ دلت المراقبة انه اعطاك نقـودا عـلى دفعتين .

ج ـ ربمـا .

س ـ هل رابييه هو الذى اعطاك العصا التى كنت تحملها ؟

ج ـ ان العصا التى تتحدثون عنها والتى عثر على بقاياها فى منزل مدام لوفيك ليست عصاى بل عصا رابييه وقد اعدتها اليه فى آخر يوم كنت اراقب فيـه .

س ـ نتيجة اقوالك وما يستخلص منها ان رابييه هو الذى كان يمدك بالمال وبالسلاح . ونحن لا نقول انك اردت قتل تلك السيدة بل مجرد افقادها الوعى حتى لا تتعرف عليك ؟ (كذا)

جـ ـ هذا هو الذى حدث .

من المؤلم حقا ان نرى قاضيا مهمته البحث عن الحقيقة ينساق بهذه الطريقة المخجلة وراء فكرة أوعز له بها رجل الشرطة فينقلب اداة اتهام باطل.

لقد ظل كادرون ثلاثة اسابيع كاملة لا يدرى اية تهمة يوجهها الى رابييه فلما تبين رغبة المحقق انحلت عقدة لسانه وجرى مع خياله .

★ ★ ★

عرضت اقوال كادرون على رابييه فانكرها بشدة وعرض ان يثبت

ا) انه لم يكن موجودا بباريس يوم ارتكاب الجريمة .

ب) وانه لم يكن موجودا بحى سالازار فى اليوم المدعى بتسليم المجوهرات اليه فيه .

جـ) وان الساعة التى وجدت بمنزله هى ساعته اشتراها بزمن طويل قبل الحادث وان بها علامات مميزة هى :

١ ـ آثار كيس من الكاوتشوك كان يضعها فيه

٢ ـ أثر من محاولة فتح غطائها بسكين .

٣ ـ الاستشهاد بساعاتى اعطيت له لاصلاحها .

٤ ـ انها تقدم عدة دقائق فى كل اربع وعشرين ساعة .

وكان واجب المحقق ـ تحقيقا للعدالة واتقانا لعمله ـ ان يبحث هذا الدفاع ولكنه من اسف لم يفعل وقدم القضية لغرفة المشورة لاحالتها الى محكمة الجنايات .

★ ★ ★

وامام غرفة المشورة قدم رابييه مذكرة باعتراضاته هذه كلها وطلب منها ان تقرر بأن لا وجه لاقامة الدعوى ضده او ان تعيد القضية لتحقيق دفاعه . ولكن غرفة المشورة حققت فى هذه المرة سوء ظن رجال المحاماة بهـا من انها مجرد قنطرة احالت القضية بقرار من سطرين لم تتعرض فيه لدفاع رابييه بالنفى او الاثبات ، احالتـه الى محكمـة الجنايات كما لو كانت التهمة مخالفة اشغال طريق او القاء قمامة عقوبتها غرامة بسيطة .

واعجب العجب ان محكمة الجنايات التى اثار رابييه امامها جميع اعتراضاته تأثرت بسابقة الحكم عليه وبتقارير البوليس عنه وباقوال كادرون واصدر المحلفون قرارهم بادانته وصدر الحكم عليه بالسجن سبع سنوات . ووقع المحظور .

عجز رابييه عن اقناع قضاته ببراءته . ولكنه نجح فى تحريك ضمير كان المعتقد انه ضمير ميت . ذلك هو ضمير كادرون. لقد صدر عليه حكم بالسجن المؤبد من قضاة الارض . وفى الوقت نفسه صدر عليه حكم بالاعدام من قضاء السماء . لقد ظهر انه مريض بمرض لا يرحم . فلما احس بانه ملاق ربه وشيكا اخذ يراجع نفسه والى عليها أن لا يموت قبل ان يصحح خطاه . لقد ادرك بعد ان لم يعد واقعا تحت تاثير البوليس انه خدع وانه كذب فى اتهامه فاستقر رايه على اصلاح ما افسده . فاخذ يؤكد لكل من يلاقيه فى السجن من مسجونين وسجانين وضباط سجن انه تسبب فى ادانة برىء وان رابييه لا يد له فى الجريمة التى حكم عليه من اجلها .

★ ★ ★

ثم كتب الى النائب العام خطابا يقول فيه :

« لقد عاونت على ادانة برىء . ان رابييه برىء براءة مطلقة ليس فقط فى قضية لوفيك بل ايضا فى القضية التى سبق ان حكم عليه فيها . لقد لفق البوليس ولفق المحقق كل ما جاء بالقضيتين وعاونتهم على ضلالهم حين قالوا لى ان العصا التى عثر على بقاياها بمكان الجريمة شوهدت معى اثناء مراقبتهم لرابييه فاوهمونى ان رابييه هو الذى ارشد عنى . فجاريتهم فى اتهام رابييه . فلم اكن استطيع ان ازعم اننى سلمته المجوهرات المسروقة وانا لم اكن اعلم انه كان فى باريس لو لم يذكر لى ذلك المسيو لوميسييه . كذلك من اين كان لى ان اعلم ان ساعة ضبطت بمنزله وان المسيو لوفيك تعرف عليها ؟ واقسم لك باغلظ الايمان ان شيئا من ذلك لم يحدث . فاننى لم اكن قد قابلت رابييه او رأيتـه منذ اكثر من ثلاثـة اسابيع من قبل الحادث . »

★ ★ ★

لم يكتف كادرون بهذا الخطاب بل واصل الكتابة الى النائب العام والى محامى رابييه وطلب مأمور السجن وأدلى اليه باقوال مفصلة . وطلب قسيس

السجن واعترف له بجرمه وباتهامه الباطل. واخيرا انتقل اليه في سجنه قاضي جزيرة سان مارتن حيث كان منفيا فاثبت فى محضر قضائي جميع اقوال كادرون التى شرح فيها تفاصيل الجريمة وملابساتها وطريقة تنفيذها ودوره ودور زميله دوكين بطريقة لا تدع مجالا للشك فى صحة اقواله .

حاول النائب العام ان يصم اذنيه لهذه الدعوة وبقدر مسارعته لتصديق اقوال كادرون حين كان يكذب بقدر تباطئه فى تصديقه حين كان يقرر الحقيقة . ولكن الظلم الذى وقع على رابيبه اصبح يتردد بين جدران السجون وعلى صفحات الجرائد ولم يعد من الممكن كتم ذلك الصوت . فتقدم النائب العام ـ على مضض ـ بطلب الى وزير العدل لاستصدار قرار من رئيس الجمهورية بالافراج عن رابيبه . واعفائه من تنفيذ باقى العقوبـة .

★ ★ ★

ولكن رابيبه البرىء الذى ادين ظلما لم يقنع برد حريته اليه وتقدم الى محكمة النقض يطلب اعادة محاكمته ليثبت براءته . وحققت محكمة النقض فى شكواه وتبينت ما فى حكم الادانة مـن قصور واهدار لحق الدفاع فامرت باعادة محاكمته امام محكمـة جنايات اخـرى . وحققت محكمـة الجنايات دفاع رابيبه كاملا .

اثبت انه لم يكن موجودا وقت ارتكاب الجريمة ولا بمكانها بشهادة زوجته والمحامى الذى كان بمكتبه وشهود آخرين . واثبت أن السـاعة التى عثر عليها بمنزله هى ساعته اشتراها من زمن طويل قبل الحادث باقوال من باعها له . ومن اصلحها عنده . وعينت المحكمة خبيرا اقر العلامات والمميزات التى قال عنها رابيبه ولم تعرها المحكمة الاولى التفاتا وسمعت المحكمة اقوال لوفيك فعدل عن توكيداته السابقة . واكتشفت المحكمة ان تقرير البوليس عن ارسال المجوهرات الى لندن مصدره خطاب غفل من التوقيع صيغ بطريقة توهم ان البوليس قام بتحريات صحيحة .

★ ★ ★

وامام محكمة الجنايات تحامل رابيبه على قاضي التحقيق الاول وحمله مسئولية كل ما حدث وقال انه لو كان قد قام بواجبه لما وصلنا الى ما وصلنا اليـه .

وقال لـه رئيس المحكمـة فى شىء من الخجل والاحساس بالتضامن فى المسئولية « انك تنسى ان القاضي انما يتلقى معلوماته من البوليس وان البوليس يجمع تحرياته كيفما اتفق . »

★ ★ ★

واعطيت الكلمة لممثل الاتهام فقال « لقد اتضح الآن ان لا يد لرابيبه في الجريمة التى ارتكبت منذ اربع سنوات . ولو أن هذه الامور التى تكشفت من تحقيقكم ومن اقوال الشهود والخبراء كانت قد وضحت كما وضحت الآن لصدر الحكم منذ ذلك الوقت ببراءته . ثم اخذ يداور ويحاور ليضع عبء الخطأ القضائي كله على كادرون . . » وانتهى الى طلب الحكم ببراءة رابيبه .

ولم يرض محامى رابيبه هذا الموقف المائع من ممثل الاتهام وكان يتوقع منه ان يعترف بصراحة بالخطأ الذى ارتكب فى حق موكله فافتتح مرافعته بعتاب شديد بل بتعنيف قوى قال :

«لن اشكر ممثل الاتهام لطلبه الحكم ببراءة رابيبه. فلن يكفينى منه ـ وهو يمثل الهيئة الاجتماعية ويتكلم باسمها ـ ان يقر بوقوع الخطأ القضائي الذى ادى الى ادانة برىء ظلما وعدوانا وافقده حريته وحمله من العذاب ما تحمله موكلى . بل كنت انتظر منه أن يكون ذلك الاعتراف صريحا واضحا لا تحفظ فيه ولا محاولة للتنصل من مسئوليته .

فمن حق موكلى ان يشكو وأن يحتج لأن الاقرار بالخطأ القضائي جاءكم متعثرا وعلى مضض بالرغم من وضوحه وضوحا لا يحتمل اى تردد . فلا قيمة لاعتراف شابه من الاشارات والتلميحات وطريقة الادلاء به ما افقده قيمته وقلل من خطورته .

ان براءة رابيبه لم تعد في حاجة الى اثبات . انه برىء الآن كما كان بريئا منذ اللحظة الاولى فلن اضيع وقتى ووقتكم لافتح امامكم بابا مفتوحا أو اثبت ما هو ثابت. ان لدى ما هو اهم من ذلك. انتى اقف الآن لاثبت لكم انه اذا كان رابيبه برىء فهناك مذنبون آخرون يجب ان يدينهم حكمكم تذكرة وعبرة لغيرهم .

لقد ثبت الخطأ القضائي واعترف به ممثل الاتهام ولكن الاهم هو ان نبحث عن اسباب وقوع الخطأ ـ وانا اسميه خطأ تجوزا ـ واسـباب لاخطـاء العديدة التى ارتكبت فى المدة الطويلة التى امتدت

من وقت اقحام رابييه على هـذه القضية لحين الافراج عنه .

وسابين لكم بوضوح ان موكلي كان ضحية خطا لا يعزى الى الظروف والملابسات وتصاريف القدر بل هو خطأ كان يمكن تجنب الوقوع فيه بقليل من التدقيق من جانب المحقق وقليل من التبصر من جانب المحكمة التى ادانته .

ان من الاخطاء القضائية ما يكون دور المحققين والقضاة فيها دورا ثانويا جدا تتكاتف الظروف والملابسات السيئة لاحداثها حتى ليصبح اعوان العدالة انفسهم من ضحاياها . ولا كذلك الخطأ الذى ادى الى ادانة رابييه .

★ ★ ★

يقول ممثل الاتهام ان براءة رابييه اصبحت واضحة بعد التحقيقات التكميلية وسماع شهود النفي وتقرير الخبراء .. ولكنها ـ كلها ـ امور كان يمكن ان يقوم بها المحققون منذ البداية ـ انني اقول بحق ان ما حدث لرابييه لم يكن خطأ قضائيا بل هو خطأ قضائي متعمد .

سوف اثبت لكم من ملف التحقيق ذاته ـ وبغير استناد الى عدول كادرون عن اقواله وعن اتهامه الباطل ـ انه كان في مقدور المحقق ان يتبين براءة رابييه وان كادرون كان يكذب ويختلق الوقائع اثناء سير التحقيق ويؤلف روايات من خياله ويتلون في اقواله بطريقة ما كان يصح ان تجوز على محقق فطن يبحث عن الحقيقة .

لقد عُرض رابييه على المجنى عليها مدام لوفيك فاكدت انه ليس احد اللذين اعتديا عليها وكان الوضع يقتضي الافراج عنه فورا .. ولكن المحقق استبقاه مسجونا . ثم قبض على دوكين وانطبقت اوصافه على الاوصـاف التـى ادلت بهـا المجنى عليهـا واستعرفت عليه واعترف هو باشتراكه في الجريمة ولم تعد هناك اية شبهة تدين رابييه ولكن المحقق بتاثير البوليس اغمض عينيه عن الحقيقة واستمر القبض على رابييه .

وتردد البوليس في شان رابييه . فهـو فاعل اصلي . فلما سقط هذا الاتهام.قال بل هو محرض ومدبر. فلما سقط هذا الاتهام ايضا بشهادة بواب المنزل قالوا انه اخفى الاشياء المسروقة .

لو أن رابييه وقف مكتوف اليدين امام اتهامه لو انه وقف موقفا سلبيا لالتمسنا لهم عذرا . ولكنه كافح وبذل جهودا جبارة ليثبت براءةلم يكن مطالبا باثباتها اذ الانسان برىء حتى تثبت ادانته. ولكن القائمين على شئون العدالة آنذاك رأوا فيه مذنبا مطالبا باثبات براءته لا بريئا مطلوبا منهم اثبات ادانته . وهم ـ مع ذلك ـ لو حققوا دفاعه ـ كما حققتم ـ لتبينوا براءته.ولما دفعونا للوقوف منهم هذا الموقف المؤلم لنا ولكم . ومن عجب انهم بقدر مبادرتهم للاستماع الى اقوال كادرون التى كان البوليس يوحى اليه بها حين كان يتهم بالباطل بقدر تراخيهم في تصديقه حين تنبه ضميره وبدأ يلاحقهم باعترافاته وخطاباته .

★ ★ ★

وصدر قرار المحلفين بالبراءة وتضمنت حيثيات حكم القضاء لوما شديدا على تصرفات المحقـق السابق .

ولما اعطيت الكلمة لمحامي رابييه ليبرر مطالبته بالتعويض قال :

« ان التعويض المطلوب ليس واجبا ادبيا تؤديه الهيئة الاجتماعية لاحد افرادها الذى اصابه ضرر من باب العطف عليه او التضامن في المسئولية . انني باسم رابييه ارفض هذا العطف فهو صاحب حق يطلبـه منكم . لقد قام بينـه وبين الهيئة الاجتماعية معركة. معركة بين قوى متحكم وضعيف يدافع عن نفسه . وكان يجب ان يفسح له مجال الدفاع . بل كان يجب على المحقق الذى كان يستجوبه وعلى القاضي الـذى كان يحاكمـه ان يساعداه على اثبات حقه لا ان ينقلبوا خصوما عليه .

لقد نسوا ان عبء اثبات ادانته يقع على عاتقهم فطالبوه باثبات براءته وسدوا امامه الابواب التى كان يستطيع ان ينفذ منها الى اظهار الحقيقة . طالب باستدعاء شهوده فلم يمكنوه.وطالب بتعيين خبراء فلم يقروه على طلبه فوقعوا في الخطا لانهم اصموا آذانهم عن صوت الحق واغمضوا اعينهم فلم تر الحقيقة .

انه يطلب تعويضا عن ضرر اصابه ـ يكاد يكون متعمدا ـ لا عن خطأ ارتكب .

وقضت له المحكمة بطلباته . ■■

حسن الجداوي



★★ عقيدة نتصارع عليها أم ماذا ؟ ★★

عن مجلة « آخر ساعة » القاهرية :

● نتمنى أن يشذ الجنوب العربي عن القاعدة التي حكمت تصرفات الشمال العربي ، نتمنى أن يدرك المناضلون أن الوحدة الوطنية اهم من اى خلاف ، وان فى اضطراب هذه الوحدة او فى تفككها نذيرا بشرور استعمارية جديدة. نتمنى ان تعي المنظمات السياسية ، انها لم تكن لتستطيع شيئا بدون الشعب .. فالشعب هو الذى حمل السلاح ، وهو الذى ضحى واراق الدم الطاهر ، لذلك لا يجوز ان يزج به فى صراع داخلي وهو بعد لم يلتقط انفاسه من الصراع العنيف مع الاجنبي .

كان فى وسع الشمال العربي أن يكون قوة كبيرة ودولة كبرى منذ سنوات ، ولكنه استسلم الى مؤامرات المستعمرين ، واستغرق فى الخلافات والصراعات ، ولولا هذه الصراعات لما قام وجود عدواني فى ربوعه . ولما استطاع تحدى ارادته .

الجنوب العربي يقف اليوم على عتبة المرحلة التي وقف عليها الشمال العربي، ارضه طهرها لهب الكفاح ، رجاله عركتهم الأحداث ، وصرامة النضال ، فعرف الشعب من منهم المخلص فاستبقاه ، ومن منهم غير المخلص فاستبعده . جماهيره ، صهرها الجهاد كتلة واحدة ، تريد أن تبنى حياتها وتبنى بلادها .

ما الذى يدفع بنا اذن الى صراع آخر ، يضع الفئات الوطنية وجها لوجه، بدلا من أن تكون زندا لزند ، وذراعا مع ذراع ؟ بعضهم يقول : هذا صراع عقائدى .. كلمة حق اريد بها باطل .. ما هي العقائد التي نتصارع عليها ، او على الأصح ما هي عقيدتنا نحن ؟ وهل نملك فى هذه المرحلة من تاريخنا ان يكون لنا أكثر من عقيدة واحدة ؟ واذا كنا جميعا مؤمنين بالحرية ومؤمنين بالعدالة والمساواة فهل بقي شيء نختلف عليه ونتصارع من أجله ؟ لا والله الشمال العربى قاسي كثيرا ، من استخدام بعض الكلمات فى غير مواضعها .. من محاولة تبديل معانيها ، لكننا نعيذ الجنوب العربى من التردى في هذا الخطأ .. والمهم كذلك ان ندرك أن صراعاتنا قوة لاعدائنا وفي وحدتنا دمار لهم .

★★ مخاطر أزمة الشرق الاوسط ★★

عن صحيفة « الجمهورية » العراقية :

● يخطىء من يظن أن أزمة الشرق الأوسط مجرد نزاع بين العرب وعصابات اسرائيل ، وانما تمتد جذور هذه الأزمة الخطيرة الى أصل المسألة الشرقية ، التى بدأت في أوائل القرن التاسع عشر ، يوم اشتد النزاع الدولى على هذه المنطقة التى اجتمع فيها من المزايا والموارد مالم يجتمع في غيرها .

ولقد رأت الدول الاستعمارية أن استمرار العرب في تحررهم وتنمية قوتهم وبناء وحدتهم القومية ، سوف يحرمها من منافع كثيرة ، ويجعل هذه المنطقة جبهة منيعة قادرة على المنافسة في شتى المجالات . لذلك عاجلت الدول الطامعة الأمة العربية بانواع المشكلات ، وزرعت طريق تقدمها بمختلف الالغام . واتخذت من اسرائيل رأس خنجر مسموم ، تهدد به كلما شهدت من البلاد العربية بوادر التكامل في التنسيق السياسي والوحدة الاقتصادية وتوحيد القوى العسكرية .

فالصراع ليس كما يبدو لبعض الدول المخدوعة ان اسرائيل جرثومة فساد في السلم ، وقاعدة عدوان في الحرب ، بل ان هناك خطة تستهدف ابقاء هذه المنطقة متخلفة او مشتعلة باضطرابات حتى تتمكن الدول الاستعمارية من التدخل الظاهر او الخفي في شئونها الداخلية .

كذلك عز على تلك الدول ان تتحرر العلاقات العربية من قيود الاحلاف والقواعد والمعاهدات والامتيازات ، وتنطلق في آفاق واسعة ورحبة تمارس حقوقها بحرية .

وليس من شك في أن أزمة الشرق الأوسط سوف تطول كثيرا ، وتأخذ اوضاعا عديدة ، لان هذه الدول الاستعمارية ترمي في اهدافها ومقاصدها الى فناء مصير امة ، وبسط النفوذ الاستعماري ليس على الوطن العربي فحسب ، بل على اجزاء اخرى لا تزال داخلة ضمن المخطط القديم .. فالدول العربية مدعوة الى العمل البناء الموحد على مستوى الأخطار التى تحملها أزمة الشرق الأوسط في تضاعيفها ، وقد تكشف جوانب لم تعد موضع جدل واجتهاد ، وانما ابرزت دواعي العمل القومي المشترك ، وابدت ما ينطوى تحت لسان الاستعمار وبين معسول كلامه من لؤم ، وكيد لجميع الاقطار العربية بلا استثناء .

★★ الأغنية العربية ★★

عن صحيفة « الدستور » الاردنية :

● الاغاني العربية التي تتخلل برامج الاذاعات ، وتلتهم النصيب الاكبر منها ، بات معظمها شيئا مستهلكا باليا ، متخلفا ، ممجوجا ، وغير ذي موضوع ، لأنها لا تخاطب الاذن العربية التي افاقت واهتزت على زلزلة حزيران.

اغاني المرأة والحرير والغزل ، ليست من حقنا اليوم ! من منا يستسيغها الآن . ومن يستجيب لها ؟ كذلك اغاني العزة القعساء والكرامة والسيف ، ليست من حقنا اليوم . قاموسنا لم يعد معاصرا بل يجب ان يتغير . كيلا يظل الكثير من كلماته مجرد طفح على الجلد ، وبثور تعشش فيها امراض التفاهة والسطحية .

ما المطلوب اذن ؟ انلغى الاغنية ، ام نستبدل بها الخطابة والوعظ والمحاضرات ، كلا . بل ان نجددها ونبث فيها الحياة ، ونكتبها من جديد ، بحيث تخاطب اعماقنا ، وتسجل حياتنا وتعيش واقعنا وتنفعل بأحاسيسنا .

اما ان نحتفظ بها وبكل ادوات التوعية القديمة كما هي ، فمهزلة معناها ، ان نظل نحاول الطيران الى اعلى ، واجنحتنا محطمة ، واقدامنا غارقة فى الوحل ! أليس فينا شعراء وموجهون وادباء ؟ ألم يتجرع هؤلاء تجربة حزيران ليكتبوا ؟ اذن ماذا ينتظرون ؟ ■■

مذهب الوجودية

بقلم : الدكتور عفيف بهنسى

● عدد وفير من المثقفين تحلو لهم المقارنة بين الفن الحديث والوجودية ، وعدد أوفر يربط بين الاتجاهات المتطرفة فى الفن وبين التطبيقات المتطرفة للوجودية ، حتى سمعت بعض الكتاب يتحدث عن فن وجودى ، وهم يدلون على الفن السريالي أو الفن الداداتي .

والواقع ان هذه المقارنة كثيرا ما تكون مقبولة اذا نحن تبصرنا جيدا فى أسباب الوجودية ودققنا فى عناصرها ثم اذا نظرنا الى الفن الحديث على انه مظهر صادق من مظاهر العصر الحديث .

على ان ما يراه هؤلاء المثقفون عند الحديث عن علاقة الوجودية بالفن الحديث يختلف تماما عن حقيقة هذه العلاقة ويرجع ذلك الى أسباب فاسدة بنيت عليها نظرة هؤلاء الى الوجودية والفن الحديث .

الخصوم وسوء الفهم :

ولقد تكونت هذه الاسباب الفاسدة بفعل خصوم الوجودية من جهة ، وهم الشيوعيون والدينيون واليمينيون ، وخصوم الفن الحديث من جهة آخرى وهم الواقعيون والكلاسيون .

فلقد حاول خصوم الوجودية أن يثبتوا ضلال هذا المذهب أو هذه الفلسفة ، وانها انذار بانحلال الحضارة أو انها تركيز للبرجوازية التي كادت تحطمها الماركسية . وفى رأيهم « انه مهما حاول ذلك الكاتب الماجن الذى هو سارتر أن يدعو للوجودية ويحرض الشباب والشابات للانتساب اليها فانه لم يستطع ترقيع ثغرات نظريته التي تدعو للانحلال فى الوقت الذى يعيش فيه الانسان أعظم مآسي الوجود وهو الفاقة والاستغلال والاستعمار ... »

اما أعداء الفن الحديث فلعلهم أشد قسوة فى محاربتهم للاتجاهات الابداعية الجديدة . ولئن هدأت ثورتهم قليلا بعد انتصار الابداع هذا الانتصار الرائع ، فان بعضا منهم مازال يردد استغاثة المفكرين والفنانين والنقاد فى أواخر القرن الماضي وهم يطالبون « بايقاف هذا الانهيار الجارف الذى يصيب الفن » . وبادعاء هؤلاء أن الاتجاهات المتطرفة الحديثة هي صورة من صور اجهاض الخيال . هذا الخيال المريض الذى يعيش فوضى الافكار والاراء وقلق المصير .

وسوء التطبيق :

هذه الافكار الهجومية التي اصابت الوجودية والفن الحديث معا هي التي سببت لها سوء الفهم أولا وسوء التطبيق ثانيا . وكانت سببا فى

والفن الحديث والعلاقة بينهما

« الحرية ، في نظر الوجودية ، ليست وسيلة لاحلال الفوضى والانعتاق من الواجبات الانسانية »

■■■

« يرى السرياليون أن وظيفة الفن الحديث هي ان تقتلع الاشياء من اوضاعها الثابتة وتضعها في أوضاع جديرة غير مالوفة لم ترها العين من قبل »

اعتبارهما مظهرين من مظاهر الانحلال الحضاري . فلقد فهم شباب السان جرمان دوبريه ورواد الحي اللاتيني ، أن الوجودية نوع من التحرر التام من جميع القيود والاعراف وانها رغبة في الحياة وفق الهوى وتبعا للهيجان الشخصي ، وانها فوهة لانطلاق الغرائز من كبتها . كل ذلك لكي يستطيع الانسان ان يتحسس وجوده وأن « يخلقه هو » على حد تاويلهم . وهكذا كانت الاقبية القذرة المظلمة الرطبة ملاذهم ، وكانت الاردية الضيقة المهملة والشعر المشعث والاحذية العارية واللحى المسترسلة من شعاراتهم ، وتحلوا بالسمات الشاذة ، فبعد ساعة أو ساعتين من منتصف ليل قار كانت مجموعة من الفتيات الشابات والفتيان المائعين يحملون ديوان رامبو واشعار فيرلين يتلذذون بها بانجذاب مخدر . والمثقفون منهم كانوا يلجأون الى زوايا احد المقاهي يقرأون بنهم يوميات روكنتان التي كتبها سارتر في قصة الغثيان ويقرأون قصة (لافكاديو) بطل اندره جيد أو قصة توماس بطل كوكتو ، هؤلاء الابطال السكارى الذين يتحدثون فقط عن ابتذالهم واهوائهم .

من سلوك هؤلاء وانحرافهم فهم اكثر الناس الوجودية فراحوا يطلقون هذه التسمية على كل بدعة جديدة تظهر في عالم الفن او الصناعة ويرون فيها انحرافا وانهيارا للاخلاق والقيم الاجتماعية والمثل العليا ، بل أخذ هؤلاء ينسبون كل عمل ابداعي الى هذا الانحلال الذي رأوه على يد الشباب الوجوديين . ولكن المعتدلين منهم يرون انه كما كان للوجودية اتباع حرفوا مفاهيمها واسسها كان في الفن من ابتعد عن جادة المنطق والجمال واصل فكرة الابداع الفني .

ماهي الوجودية ؟

ولهذا فاننا نرى من الافضل عرض الوجودية بشكل ملخص لكي نفهمها فهما سليما ، يسمح لنا بالتالي بربطها بالفن الحديث واتجاهاته المتطرفة .

ليس من الممكن ان نحكي قصة الوجودية كاملة الان . فهي منذ كيركفارد وهيدغر وغبرييل مارسيل لم تستقر كمذهب صحيح ، ولم يكتب لها الظهور والنجاح الا في عهد معلمها الفذ جان بول سارتر . والحق أن الوجودية لم تعرف الا من خلال الكتب والقصص التي اخرجها سارتر ككتاب (الوجود والعدم) والتخيل ، والوجودية فلسفة انسانية ، وكقصة الغثيان وهي قصة رواها على لسان روكنتان ابرز فيها ثورة الوجودية على القيم الثابتة وعلى عبودية الفرد للمجتمع والصيغ العرفية .

يعرف سارتر الوجودية « بانها مذهب يجعل الحياة الانسانية ممكنة » . ويرى ايضا ان كل عمل أو حقيقة يتضمن وسطا وذاتية انسانية ، ــ وبهذا نستطيع ان نفهم الوجودية على انها توكيد للذاتية ، بل انها محاولة لعدم الفصل بين الذات والموضوع ، وعندما ينادى الوجوديون باسبقية الوجود على الماهية ، فانهم يدعون الى البحث عن حقيقة فردية هي غير الحقيقة العامة ، انهم يرغبون من الفرد أن يكون مثله الخاص . غير خاضع لقانون وغير مرتكز على اسس جاهزة . ولهذا فهم يرفضون تنظيمات هيغل للوجود ويرفضون ، وخاصة كيركيفارد ، ما يراه هيغل من وجود واقع حقيقي وكامل . ويرون أن الحقيقة ذاتية وخاصة وجزئية ، ولذلك فان سارتر ايضا يطالب الانسان بالانطلاق من القوالب الجاهزة التي صاغها فيه المجتمع والعادات ، ويرى انه بذلك سيكون حرا ، ولكن حريته هذه ستجعله مجردا من كل المبررات الكافية لعدمه او تفاهته وسيرى نفسه أمام مسؤولية هائلة مسؤلية بناء قيم ذاتية خاصة . ان فكرة اختيار « أوضاع » جديدة التي جاء بها الوجوديون لم تفهم مع الاسف الفهم الصحيح ، وكثير من المثقفين فهموها على أنها محاولة لبث الذعر والتشاؤم في النفوس ، وانها طريق الى اثارة القلق الذى يدعو الى الجنون والانتحار .

ولكن ما يهمنا من الوجودية الان ، هو علاقتها بالعمل الحر من جهة وعلاقتها بالالتزام من جهة اخرى .

الالتزام والاختيار :

يرى سارتر أن كل فرد يختار نوع الانسان الذى يريد أن يكونه ، ولئن كانت هناك حالات سابقة للاختيار كالطبقة ومستوى الذكاء والقدرة الجسدية لا يمكن تعديلها ورفضها ، الا انه من الممكن اختيار الموقف الخاص بالنسبة لهذه الحالات الثابتة . وعلى هذا فان الانسان يختار دائما ماهيته التي يريد أن يكون عليها ، وحرية الاختيار هذه لاحد لها .

ويرفض سارتر جميع المقاييس التي اعتمد عليها الفلاسفة لتنظيم وتحديد الاختيار . فالابيقوريون يعتمدون اللذة مقياسا لهم ، واغوست كونت يرى القريبة أساسا للاختيار ، ويرى الدينيون أن الانسان حر لانه يختار وجه الله . ولكن سارتر يرفض اى قاعدة مسبقة او اساس او مقياس موضوع ، ويرى ان في ذلك تعارضا مع معنى الحرية . أما القواعد الاخلاقية والاجتماعية فان الفرد هو الذى يقررها دون الرجوع الى اساس سابق لاتجاهه المحض ولوجدانه الخاص .

ولكن ليست مسؤولية الاختيار بالامر السهل ، يقول سارتر على لسان روكنتان في قصة الغثيان « انني حر ، وعلى هذا لم يبق لي اى سبب لكي اعيش » . بهذا القول ليست الحرية بنظر الوجودية وسيلة لاحلال الفوضى والانعتاق من الواجبات الانسانية ، بل على العكس تماما هي نوع من التحديد اكثر منها نوع من الاطلاق . فعندما يعرض سارتر في قصة الغثيان واقع سكان مدينة بوفيل وهم البورجوازيون الذين املأ متحف بوفيل بصورهم (الجليلة الوقورة) .

أراد أن يبرز حياة الكتلة التي يضيع فيها وجود الفرد المستقل ، وتضيع بداهته ويفقد دوره . فهو اذا دعا الى الحرية فلكي يستطيع هذا الفرد المغمور أن ينجو بنفسه من حياة الكتلة الآلية ، فينخرط في العمل البادر منه مباشرة ، ويستقل بتحمل مسؤولية اختياره الحر ، هذا

الاختيار الذى يدفعه الى تجاوز وضعه الحالي الى وضع جديد .

الحرية والمسؤولية :

ان فكـرة الحرية اذن تحمل في اعماقها معنى المسؤولية الكبرى ، فليست هي نوعا من الحياد والعقم ، ليست الحرية في ان تعمل او لا تعمل . الحرية التي ارادها سارتر هي وضع الانسان امام نفسه ، فاما أن يختـار الماضي واما ان يختار المستقبل ، وفي الماضي سكون العدم وفي المستقبل حركة الحياة . وما يختاره الانسان يحدد وضعه الوجودى الخاص ، ولذلـك فاننا لانستطيع ان ننظر الى العمل منفصلا عن صاحبه بشخصيته وتاريخه وظروفه . وهكذا صور سارتر بودلير على انه وشعره تجربة موحدة عاشها وانتجها شعـرا بوقت واحد . فان ميرلو بونتي عندما صور سيزان خائفا من الحياة يهرع الى امه تارة والى اختـه او ابنه تارة اخرى ، ثم يعود الى اكس ينشـد طمانينته الروحية ، كان بذلـك انما يحاول ان يعرف طريقته الفنية القلقة التي لم يكتب لهـا الاستقرار بل بقيت طريقا لـم يعبد للمدارس اللاحقة ، وبقيت اسلوبا تائهـا تتوزعه القيـود الواقعية من جهة اخرى .

ومع ذلك فان مجلة « الازمنة الحديثة » التي يصدرها سارتر كانت تذكر ان سيزان بطل وجودى انعشه القلق ودفعه دوما لتقرير مصيـره كفنان عظيم .

ويرى جان فال « ان عاطفة الاعجاب التي نشعر بها أمام آثر فان غوغ أو سيزان لايمكن ان تنفصل عن شعورنا باننا اذ نقف امام انتاجهما نقف ايضا امامهما كشخصين موجودين . »

وامام فكرة المسؤولية التي تأتي بالضرورة مع الحرية بحسب رأى سارتر ، فاننـا نستطيع ان نفهم مدى اساءة فهم الوجودية عند دعوة الشباب المتفسخين لمجانبة الاوضاع التى يعيشونها .

ان سارتر على النقيض يرفض الانتاج الحيادى او السلبي ويرى في بودلير ومالارميه ورامبو هاربين



جان بول سارتر

من المسؤولية الى التاملات السلبية . « ان اهمية العمل الفني بما يحدثه من تغيير » . ولعل سارتر عندما تكلم عن الالتزام فرق بين الشعر كفن وبين النثر كادب واراد للشعر ان يلتزم الجمال ، واراد من الادب ان يحمل مسؤولية الفعل الايجابي ، والواقع ان الفـن يتضـمن دائما معنى الابداع المجرد ، وفي هذا مسؤولية كبيرة يتحملها الفنان لكي يفسح المجال امام الجمهور للرؤية الجمالية المطلقة ، اما بالنسبة للادب فان ثمة افكارا جديدة وخاصة تتضمن في الواقع تجربة صادقة هي كسب كبير للاديب من جهة وللجمهور من جهة اخرى .

هـذا مجمل النظرية الوجودية عرضناها مـن الزاوية التي تهمنا . وهنا نرى الضرورة صريحة لكي نحلـل الفـن الحديث ونبحث عـن عناصره الاساسية لكي نصل بالنهاية الى ايضاح العلاقة بينه وبين الوجودية .

الحديث الجديد :

منذ تسعين عاما تقريبا استفاق الناس على

حدث جديد فى عالم الفن لم يكن من المتوقع ظهوره واصبحت الصحف والمحافل الثقافية تردد كثيرا اسم مونيه ـ مانيه ـ بيسارو ـ سيزان ـ سيسلي ـ رنوار وسرت هذه الاسماء فى جميع الاوساط يتسلون بها ويتندرون دون أن يخطر بذهن احد فى ذلك الوقت ان هذه هي اسماء الرواد الابطال فى تاريخ الفن الحديث . ولم يلبث هؤلاء طويلا حتى بدأ الجمهور يفاجأ كل يوم باتجاهات لم تكن فى حسبانه . وهكذا انتشرت الوحشية والتكعيبية والسريالية والتجريدية دون أن يستطيع النقاد المتزمتون رد هذا التيار العارم الذى انطلق من باريس ورفدته اتجاهات مماثلة من جميع انحاء العالم .

أسس الفن الحديث :

على أن ما نستطيع عرضه الان هو الاسس العامة التي ارتكز عليها الفن الحديث ، فمن حيث الوظيفة فقد تحرر الفن اولا من واجبات الدين ، ثم تحرر من التزاماته امام الطبيعة . ولم يلبث أن رفض القيام بدور التمثيل والمحاكاة وخاصة بعد أن ظهرت الالة المصورة ، واراد ان يمثل وجهة نظره الخاصة التي احسها والتي انعكست فى نفسه اثر معاناة فردية مستقلة . والفكرة الجديدة التي نادى بها الفنان الحديث هي فكرة الابداع ، فلم يعد من طبيعته التقليد بل انه وقد تحرر من جميع القيم التشكيلية المفروضة والثابتة اراد ان يبتكر اساليب وموضوعات لم تكن لتخطر على الفنان الاتباعي . ولم يعد الواقع بالنسبة اليهم لكى يقدم اشكالا جاهزة بل لكى يساعد على ابراز علاقات جمالية محضة . وهكذا حلل الفنان الحديث الشكل ثم اخذ ينظر اليه نظرة كلية خاصة واصبح يرى فيه وسيلة لتحقيق الانطباعات الصميمية الخاصة به . اما عن علاقة الفنان بالجمهور فلم تعد وسيلة الفنان الى الجمهور الواقع والجمال المألوف ، بل الصدق فى الشعور والبراعة فى الاداء والجديد فى التكنيك . واصالة الفنان هي المعيار الصحيح الذى يحدد علاقته بالجمهور دون الاهتمام بالشكل المبتكر الذى يلجأ اليه . وهكذا فان الفنان الحديث قد ناقض جميع الاسس التي اعتمد عليها الفنان الكلاسيكي . فلم يعد الشكل هو الشكل الرصين المطابق للواقع ، ولم تعد الوظيفة هي المحاكاة والتزام الاوضاع والمفاهيم الثابتة .بل اصبح لكل فنان خصوصيته ولكل انتاج حقيقته فى اعماق الفنان ، وهذا ما دعا ريفردى لان يقول :

« اننا نعيش انقلابا جذريا فى الفن ، وهو ليس مجرد تحول عاطفي بل ولادة جديدة لتركيب جديد وغاية جديدة ولقد بات علينا ان ندرك الاشكال والمعاني ، ادراكا جديدا . » والواقع ان الناس لم يألفوا الفن كما الفوا الحياة ولذلك نجحت الاشكال التي عبرت عن واقع الحياة . وعندما ترتبط اجزاء التركيب الفني وتنسجم مع طبيعة التجربة الفردية فان هذا العمل يصبح منطقيا .

على أن هذه الثورة التي قام بها الفنانون التشكيليون والتي لقيت الى حد بعيد تأييد كثير من المفكرين والفلاسفة ، قد تعارضت مع بعض الاتجاهات الفاسدة والتي استثمرت حرية الابداع ضد الجمال وضد المسؤولية الابداعية .

قلق الفن :

ولعل القلق الذى جاء عقب الحرب الثانية والذى أظهر الوجودية بمظهر المنقذ من ضلالة اليأس هو نفسه الذى سهر عقب الحرب الاولى والذى بدأ عن طريق الدادائيين نوعا من اللامبالاة بالقيم والقواعد التي هزتها الحرب الاولى وهدمتها . ولذلك فقد اتجه الدادائيون الى غير المعقول ، الى العبث . وقد فسر قانون ويستر الدادا على انها « الرفض المطلق لقواعد الجمال والنظم الاجتماعية المتبعة ، ومعارضة التعبير التشكيلي الشائع . »

ولئن برز من هؤلاء دوكان الفرنسي وبيكابيا الايطالي وآرب الفرنسي وبول كلي السويسرى ولكن هذه النزعة التي دعت الى رفض المسؤولية

قد شوهت كثيرا من أهمية الفن الحديث وان لم يكتب لها ان تعيش وقتا طويلا اما السريالية فهي فى الواقع محاولة لتثبيت وتدعيم الاتجاه الدادائي . وقد ارادت أن تعتمد على حركات اللاشعور وعلى مخالفة المألوف مخالفة مقصودة . ويقول الشاعر السريالي اندريه بريتون : « ان الحقيقة المثلى يجب ان تكون ثمرة تحقيق رغبتنا فى وضع كل شيء فى غير موضعه ، ان وظيفة الفن حسب رأى السرياليين هي ان تقتلع الاشياء من أوضاعها الثابتة وتضعها فى اوضاع جديدة غير مالوفة لم ترها العين فيها قبلا الا عن طريق الاحلام . »

هنا أيضا يتضح لنا كم كان سوء فهم الحرية سببا فى ظهور انماط من الاتجاهات الفنية لم تثبت كثيرا مع الزمن .

ويبدو لنا أن الاتجاهات الحديثة كانت تستفيد دائما من بعض المقولات الوجودية ، ولكنها اذا كانت اساءت فهم دلالة هذه المقولات عند الدادائية والسريالية ، فلقد حاولت أن تكون منسجمة مع الافكار الرئيسية للوجودية في باقي الاتجاهات .

والواقع أننا لانستطيع انكار القلق الكبير الذى أصبح يشمل جميع الناس فى جميع انحاء العالم فى هذا العصر . فكلما اوغل الانسان فى اكتشافاته العلمية اصبح مصير الحياة مرتبطا بالتفه الاحداث . ولم ينج من هذا القلق الانسان العادى نفسه . ولكن ما كان يعانيه الانسان المفكر او المبدع من قلق ، كان يختلف من حيث موضوعه ، لقد فلسف المفكر مشكلة الموت وفلسف مشكلة العدم وادرك تفاهة وجوده على أقسى ما يدركها الانسان العادى . ولم تكن الفلسفات والافكار التي سميت تشاؤمية كذلك فعلا بل انها نظرت الى الحياة من نفس المنظار الذى يجب أن تتطلع فيه الى الحياة الحديثة المتطورة . ولقد زادت الحربان العالميتان من شدة الشعور بهذا القلق العميق يوم انهارت جميع الصفات التي كان يتحلى بها المجتمع الهادىء المستقر الامن ، فالدمار والموت والجوع وانهيار الاخلاق خلال سنوات طويلة مريرة هو الذى زلزل اليقين واعدم الشعور بالامل ، ودفع بالتالي الى الذات للاستدلال بواسطتها عن قيم جديدة وعن مفاهيم جديدة بعد أن اندرست جميع القيم وزالت جميع المفاهيم .

لقد ارادت الوجودية فى الواقع ان تكشف الغطاء عن حقيقة الانسان المعاصر ، هذا الانسان المجرد عن الامل بالسراب والمجهز فقط بقدرته الخاصة على تجاوز جميع الاخطاء وجميع الصيغ التي كانت هدفا لصوابها .

الفردية :

ومن زاوية اخرى اصبح الفن تجربة خاصة وسلوكا فرديا يميز صاحبه ويعطي الدلالة الخاصة عليه ، لم يعد الفنانون مجموعة من النساخين المتازين كما كان افراد المدينة مجموعة من اصحاب السيرة الحميدة يقيمون الصلاة ويكرمون الضيف ويدفعون الضرائب ، بل اصبح الفرد كيانا مستقلا بمشاعره وعواطفه وتجاربه ومسؤولياته ، لقد علمته المصائب الكبيرة انه وحيد فى هذا العالم لايملك الا اختياره الحر .

ان الانسان المبدع فى الواقع اقرب من الانسان العادى فى معاناة الشعور بهذه الفردية ، فالموضوع امامه يحمل دلالات تختلف كل الاختلاف عن الدلالات المألوفة الشائعة ، وتعبيره فى الموضوع هو انعكاس لحالة وجدانية خاصة تتفاعل فيها جميع انطباعاته واحاسيسه وعواطفه وافكاره الخاصة التي تخمرت بعد التجارب العميقة العديدة ، لذلك فاننا نرى في الفنانين شواهد ثابتة عند تحليل الوجوديين للانسان وان كان سارتر لم يعن كثيرا بالفن التشكيلي وقصر حديثه فى الفن على الشعر فى كتاب بودلير والمتخيل .

التجربة والمعاناة :

ان المشكلة العميقة التى يعيشها الفنان الحديث هى المشكلة التى يعالجها الوجوديون . فلم يعد امام الفنان الحديث مجال للاستعانة بالاصول الواقعية والقواعد المتبعة ولم يعد يرى حوله الا

اتجاهات متنوعة ومختلفة ما أن يستمد منها حتى ينبذ من الجمهور ويحتقر كسارق ومقلد . هذا في مجال الشكل ، وفي مجال الموضوع أصبح الفن العظيم هو القدرة على الايحاء والرمز للدلالة على الافكار المطلقة . ولهذا فان الفنانين كانوا يغوصون الى أعماق تجاربهم لكي يستخرجوا الانطباعات الصادقة الخاصة كما فعل فان غوغ في بوريناج وقد انخرط مع عمال المناجم يعيش سواد حياتهم في اعماق الارض ، ويشاركهم شقاءهم وبؤسهم لكي يصبح بعد ذلك اعظم مصور للشقاء الانساني. وكما قاسى غوغان في تاهيتي من أمراض وأوجاع واضطهاد من السلطة المستعمرة كان يغنى عنها وهو المحاسب القدير الذى أنعم الله عليه بحياة مستقرة مع زوجه واولاده . ودلوترك هذا الفنان الذى ينتمي الى أعرق الاسر لو أصبح يعيش في المواخير والملاهي لكي يعرف حقيقة هؤلاء الذين ينبذهم المجتمع لأنهم يبيعون اللذة الى سادة الاخلاق في المجتمع ، ومع ذلك فان احدا لا يعرف امرهم في ذلهم وفي صلفهم الا من يقترب منهم ويراقب حياتهم .

فالتجربة الصادقة الصميمة التى عاشها الفنان الحديث هى من أهم العوامل التى تجعل العمل الابداعي قريبا من الحياة،قريبا من معنى الوجود. ولقد أنكر سارتر وكثير من الكتاب الذين سبقوه أمثال باسكال وجيد ومالرو وبيراندللو ، أنكروا على الانسان اختفاءه وراء ستر تحجب عجزه وتبرز شهرته ، ولقد أطلق سارتر على أولئك اسم الأنذال . هؤلاء الذين لم يشعروا يوما بالقلق ولم يحاولوا تحدى القيم الجامدة . والذين يبررون وجودهم بما قاموا به من صلاح يرضي الناس . ان تجارب هؤلاء مزيفة وهى تقليدية لا معنى فيها ، انهم منافقون ـ كما يقول اندره جيد وهم يعبرون عن الحياة وعن وجودهم . ولذلك يطالب سارتر بالصراحة والاخلاص وبالشعور بالمسؤولية .

ولقد اتفق الفن الحديث الى حد بعيد مع الوجودية على هذه القواعد ، ونلمس ذلك في رسائل فان غوغ وفي مؤلفات كاندينسكي وفي جميع المنفستات التى أصدرها الدادائيون والسرياليون، كذلك في مبادىء المنظمات الفنية الالمانية كجماعة الجسر أو جماعة الفارس الازرق أو الباو هاوس .

الوجودية الفنية :

لقد اتفق الجميع على أن الانسان يبقى متلاشيا ما لم يتحقق بالعمل الذى يعبر عن هويته أو عن موقفه ودوره من العالم والوجود .

والحق ان المشاكل الفنية أصبحت منتزعة من صميم القضايا الفلسفية ولم تعد عملية الابداع تفهم بنفس المعنى القديم يوم كانت مهمة الفنان النقل والمحاكاة .

ان فكرة « الشيء في ذاته » التى وصفها سارتر هى نفسها الفكرة التى تبناها الفنان الحديث . فلم يعد الشيء الجميل أو العظيم هو محور الاهتمام . اذ ليس من شيء جميل أو عظيم في ذاته بل انما هو كذلك بفعل الفنان. وكذلك فعلت الوجودية،لقد افرغت كل المواصفات من مضمونها فلم تبق الا العبث .

ويبقى دور الانسان أن يحقق وجوده في هذه الاشياء .

من المؤكد أن الفلسفة الوجودية وأن جميع المذاهب الفنية على اختلاف اتجاهاتها ظهرت في هذا العصر مكثفة ويرجع ذلك على ما يبدو الى الأزمات التى أصابت الانسانية خلال الحروب والى التطور الحضارى السريع الذى يكاد يجرف جميع المعتقدات والقبليات . فلقد فقد الانسان الايمان بكل شيء وأصبح وحيدا بلا سند فكان عليه أن يشد عزمه لتحمل مسؤولية الابداع من جديد.ونحن لا نستطيع أن نقرر الان ما اذا كان فنان هذا العصر أو اديبه أو فيلسوفه ، استطاع أن يحل المشكلات الحضارية الحديثة . ولكننا نقدر أن الوعى وصل الى حد الارهاف ، ولعل القلق الذى أثاره الفن الحديث والفلسفة الوجودية هو من طبيعة هذا العصر الا انه ولا شك يحمل دورا ايجابيا أو هكذا نريد . وجميع مظاهر الفن الحديث سجلات لهذا القلق وهذا النفور من العالم الخارجي الثابت ، وذلك لكي تثير الحركة والاندفاع والابداع عند الانسان . ■■

عفيف بهنسي

الدكتور صموئيل جونسون

عميد الأدب الإنجليزي في القرن الثامن عشر



للدكتور عيسى سليم المصو

■ لعل عصرا ما من عصور الادب الانكليزي لم يظفر بما ظفر به القرن الثامن عشر من حيث الوعي الفكري ، ومن حيث الاهتمام بنواحي المنطق والاحساس والاخلاق والواقعية . وما أن بزغ فجر هذا العصر حتى بدا انه يمتاز على ما سبقه من العصور باضطراب احوال المعيشة فيه وانحطاط القيم الاخلاقية بصورة عامة . ولكن ما ان أشرف العصر على منتصفه حتى انهالت المطالب لابطال سيئات القانون وموبقاته ، واذا بالثنتي عشرة منها يبطل مفعولها،واذا بالناس يعكفون على المطالعة والتحصيل العلمي ، واذا بكاتب يوميات يذكر في مذكراته ان عربات الفلاحين التي كانت تغشى مدينة لندن محملة بالخضراوات والفواكه تعود الى قراها ومدنها الاقليمية محملة كتبا وقصصا . ومنذ ذلك الوقت ما عتم القراء يزدادون رغبة في القراءة والدرس .

لندن : المركز الثقافي

ثم ان الحياة الثقافية في مدن الاقاليم في هذا العصر صادفت رواجا كبيرا ، ساعدتها على ذلك الصحف ومؤسسات النشر المحلية التي ارتقت الى مكانة لا بأس بها . على أن لندن ظلت محتفظة بزعامتها التقليدية ، بل قل ان زعامتها الادبية ثبتت دعائمها واجتاح انتاجها الادبي الاوساط الاخرى ، وقد لاحظ الدكتور جونسون Samuel Johnson هذا التفوق وكان معجبا به ، ولم يكن ليرضى عن لندن بديلا .

القرن الثامن عشر

ويمتاز القرن الثامن عشر بتجنبه لكل ما لا ينطبق على الواقع وما لا يتساوق واحكام العقل . وهو شديد العداء للمواطف المتأججة الثائرة . وبما أن الشعر صورة اكثر حيوية للمشاعر الدافقة

من النثر ، فلقد رجحت كفة النثر على الشعر في هذا العصر ، وحتى ما جادت به قرائح الشعراء لم يتسم بالعاطفة بقدر ما اتسم بمهارة الصنعة وحسن الاداء ودقة البناء . وهذه كلها خصال (بوب Pope) الشعرية ، وهو يعد من أكبر شعراء هذا العصر ان لم يكن أكبرهم ، ويعتبر بحق من شعراء المرتبة الثانية في اللغة الانكليزية بعد شكسبير وملتون . ولا عجب اذن أن يهزأ ادباء هذه العصر بأساطير (ادمند سبنسر) الدالة على الفروسية وأن يستخفوا بالفردوس المفقود وباشارات ملتون الى الاساطير الاغريقية ، وذلك لتعلقهم الشديد بالحجةالدامغة والمذهبالواقعي.

المراحل الاولى لحياته

ومما لا مراء فيه انه ليس من أديب كجونسون مثل اتجاهات العصر الادبية أصدق تمثيل من شعر ونثر . وبالرغم من نبوغه الأدبي ، وعظمته الفكرية ، واحتلاله محل الصدارة بين أدباء القرن الثامن عشر الا أن خلوده انما يعود على الأغلب الى شخصيته أكثر مما يعود الى آثاره الكتابية . اما ولادته فكانت في بلدة لتشفيلد في الثامن عشر من شهر سبتمبر سنة ١٧٠٩ ، أما والده فكان بائع كتب ، وهكذا سنحت الفرصة له بان يأخذ بنصيب وافر من القراءة . وبعد أن اجتاز مراحل التعليم الاولى التحق بجامعة اكسفورد وهو في سن العشرين . ولكن أباه ما لبث أن توفي ، وكان قليل الثراء مع أن منزلته بين مواطنيه كانت منزلة مرموقة ، فاضطر ابنه الى مغادرة الجامعة دون أن ينال شهادتها . ثم حاول التدريس ولكن احتياجه الى شهادة ، ومزاجه الحاد ، وغرابة أخلاقه ، وصحته المتداعية ، كل ذلك لم يؤهله للتدريس . وعندما بلغ السادسة والعشرين من العمر تزوج أرملة تكبره عشرين سنة . وفي سنة ١٧٣٧ ذهب الى لندن مع تلميذه (جاريك Garrik) الذي ما برح أن غدا أبرع ممثلي عصره .

تقدير الدولة لخدماته

على أن مراحل حياته الاولى لابسها كثير من الغموض . فان بزْول Boswell مؤلف ترجمته لم يتصل به الا وهو في الرابعة والخمسين من العمر . ولم يستطع شخص حتى بزول نفسه أن يخترق السجف التي اكتنفت حياته الاولى في لندن ، ولكن من المؤكد انه ذاق مضض العيش وغصص الكرب في أول عهده ، فمن فقر مدقع ، الى كسل قد يبلغ حد الشطط ، الى مزاج معتكر. وتوفيت امرأته سنة ١٧٥٢ وامتد حزنه عليها الى آخر أيامه ، ولم يبتسم له الدهر الا بعد أن امدته الحكومة بمعاش مقداره ثلاث مئة جنيه سنويا تقديرا لخدماته في ميدان الأدب ، وكان اذ ذاك في الثالثة والخمسين من العمر ، وظل يتناول هذه المنحة الى يوم وفاته . وهذا ، بالاضافة الى ريع كتبه ، جعله في مأمن من الكد في سبيل تحصيل رزقه . وعندما بلغ الرابعة والخمسين من العمر تعرف بمواضعسيرته بزْول. وكان موت جونسون في اليوم الثالث عشر من ديسمبر (كانون أول) سنة ١٧٨٤ ودفن في كنيسة (وست منستر أبى) .

أعماله الادبيـة

وقد أثرت حياته في أدبه تأثيرا بالغا ، ففي أيام فشله كمدرس وضع مسرحيته الوحيدة (ايرينى) التى اصطحبها معه الى لندن وفي جيبه بنسان ونصف ! وقد قضى سنوات طويلة مليئة بشظف العيش والعناء في وضع معجمه الكبير . وقد جاء في مخطط هذا المعجم الذى وجهه الى اللورد تشسترفيلد ، وهو من أولياء الأدب ، قوله : ان الغرض الرئيسي من هذا المعجم هو المحافظة على نقاوة الاصطلاحات الانجليزية والتأكد من معانيها .. فهذه يا مولاى هى فكرتى عن المعجم الانكليزى : انه معجم يثبت كيفية لفظ اللغة ، ويسهل تعلمها ..

جونسون وتشسترفيلد

وقصة جونسونمعاللورد تشسترفيلد معروفة، فقد كان اللورد قد أعرض عنه وحجب عنهمساعدته أيام فقره وعوزه واكبابه على وضع المعجم ، وما ان أضحى المعجم على حافة النشر حتى أخذ اللورد يتقرب اليه آملا في أن يهديه المعجم ، فقد كانت العادة آنئذ أن تهدى الكتب ، فقد كان الناشئون من الأدباء يرفدهم « أولياء نعم » ، فما كان من جونسون الا أن رد على اللورد برسالة أدبية خالدة رفض فيها ان يكون اللورد ولى نعمته ، جاء فيها : ان هذه الرعاية التى تفضلت بها على عملى لو جاءت مبكرة لكانت طيبة ، ولكنها تأخرت حتى

اصبحت لا اباليها او استطيع الاستمتاع بها ، وتاخرت حتى اصبحت معروفا وفي غير حاجة اليها .. وكان من نتائج هذه الرسالة ان قضت على نظام الرعاية الأدبية الذى سادت دولته اكثر من قرنين .

ومن آثاره الأدبية قصته الوحيدة (راسيلاس) او أمير الحبشة التى كتبها ليدفع من ريعها نفقات جنازة امه . وهذه قصة شرقية أقرب ما تكون الى الاستعارة منها الى القصة ، واسلوبها متزن ولكن حوادثها غامضة . ومن اشهر قصائده قصيدة (لندن) التى لفتت انتباه الشاعر بوب ، وقد اردفها بقصيدة (غرور الرغبات الانسانية) التى تنطوى على تعبير أقوى وانضج لنواحي شخصيته ، ولكن هذه النواحي اتضحت بجلاء في مجلتـــه (المتجول) التى كان يصدرها مرتين في الاسبوع ولمدة سنتين،ولم ترج كثيرا نظرا لصعوبتها ، فهى تحتاج الى صبر ومعاناة ، ومعظم ما جاء فيها من مقالات من قلمه ، واخذ فيها على عاتقه وضــع الأسس للغة أدبية سليمة ، وقال عنها جونسون : ان أعمالي الأدبية الاخرى هى مزيج من النبيــذ والماء ، وأما (المتجول) فهى نبيذ خالص .

جونسون وشكسبير وترجمات الشعراء

على انه من المعروف ان مقدمة جونسون عـن شكسبير هى من أصح ما كتب في النقد ، وتدل ملاحظاته على شخصيات شكسبير الروائية على نبوغ غريب ، وعلى فهم عميق لنفسياتهم .وآخر ما كتبه (ترجمات الشعراء الانجليز) (١٧٧٩ ـ ١٧٨١) وهو الكتاب الذى يعتبره بعض النقـاد أهم ما كتب في النقد في اللغة الانكليزية . وفيه يوازن بين حياة الشاعر وأدبه موازنة تجلب الانتباه. والكتاب مفعم بالحكمة والتجارب والنضوج ، بل ان من الجائز اعتباره تفسيرا لمصير الانسان . وتتلخص موازينه الأدبية فيما قاله وهو في موضوع الكلام عن (ريشارد سافج) ، فهو يمدح فيـــه الأصالة الأدبية وجلال الاسلوب ، ولكنه يلم فيه عدم السلاسة في الاداء وغلظة القول .

حلقـة اصدقائه

وبعد ، فان عميد الأدب هذا هو مزيج عجيب من الأخلاق الغريبة ، وطالما اتهم بالخشونة في مسلكه ، ولكنه متحدث بارع واجتماعى من الطراز الأول قيل عنه انه أروع محدث جاد به عصــره ، وقد ضمت حلقة اصدقائه رجالا مثل (رينولدز) الفنان الشهير و (فوكس) السياسي الداهية ، و(بيرك) الفيلسوف ، والمؤرخين (روبرتسون) و(جيبون) ، واسقف (كيلالو) و (جولد سمث) الشاعر الروائى ، و (شريدان) الروائى و(جاريك) ممثل القرن الثامن عشر الشهير و(بزول)مؤلف ترجمته، وكانوا بجملتهم آذانا صاغية عندما يتكلم العميد. ومن النادر جدا ان تجد أديبا في عصره لم يتصل به اتصالا مباشرا . ومن أقواله المأثورة : ان الرجال والنساء هم مواضيع بحثي . واذ سئل مرة عن امنيته المثلى قال : أرغب في أن أركب عربة مريحة وأن أسافر بسرعة بصحبة امرأة جميلة . ومن أقواله في الزواج : ان للزواج مشاقه ولكن ليس للعزوبة ملذاتها .

ترجمة بزول

وماكولى Macauly الذى حمل على بزول حملة عنيفة شعواء انما يعترف له بفضله في ترجمته لجونسون . ويقر ماكولى نفسه بأن بزول يتفوق بسهولة على جميع كتاب التراجم قديمهم وحديثهم. وعندما يكتب بزول عن صديقه فانه يظهر شخصيته بطريقة يبدو هو مع صاحبه فيها كاوضح ما يكون. ومن المشهور عن كتابه انه فتح فتحا جديدا في عالم التراجم ، فترجمته تلذ قراءتها للرجال والنساء على السواء ومن مختلف الاعمار ، كما أن عـدد المعجبين بها في تزايد مستمر .

خاتمـة

يقول (بيجوت) المؤرخ الدستورى الكبير في احدى تعقيباته اللاذعة انه كان يوما ينظر الى رئيس الوزراء كشخص ملك من الادراك أكثر مما ملك أى شخص آخر . فاذا كانت هذه النظرة صائبة في القرن الثامن عشر فيمكن اذن اعتبار جونسون رئيس وزراء الادب او رئيس وزراء الحياة ان صح هذا التعبير ، وذلك كما يقول (بيلى) في كتابه (جونسون وحلقة أصدقائه) . وقد مثل جونسون اخلاق الرجل الانكليزى أتم تمثيل ، ولذا فانه من الناحية القومية بمثابة البطل في مخيلة الانكليزى ، فهو اذن ـ على رأى كارلايل Carlyle ـ من أكبر الشخصيات القومية الانكليزية . ■■

عيسى سليم المصو

أَنْتَ تَسْأَلُ .. وَنَحْنُ نُجِيبُ

لا خوف على البشرية من مجاعة ما دام فى الدنيا بحار

● كثيرا ما نقرأ في المجلات عن كارثة المجاعة الكبرى التي ستحل بالبشرية في أواخر هذا القرن ، كما يقولون ، أي حينما تنفجر الارض بسكانها ، فلا يبقى للفرد من الناس الا مساحة ضئيلة ، أضيق من أن تكفى صاحبها غذاء بل ومكانا ..

وكثيرا ما نقرأ أيضا أن البحار والمحيطات هي التي ستكفل حينئذ الغذاء الكافي للشعوب والافراد .. فما المقصود بذلك ؟ وهل في البحار والمحيطات من الحشائش والأعشاب ما يفي بحاجة الانسان الى الفيتامينات والبروتينات ، وهل فيها ما يكفي ويكفل وقاية البشرية كلها شر المجاعة على مر الأجيال ؟!!

شفيق القمبرجى / بيروت

ـ هذا سؤال هام وخطير ، لانه يتعرض لمشكلة طالما أثارت الجزع في النفوس نظرا لما سيترتب عليها من مجاعة كبرى تشمل البشرية بأسرها .

فسكان العالم الذين يبلغ عددهم حاليا ٣٫٥٠٠ مليون نسمة تقريبا ، يتكاثرون باستمرار دون أن يصحب تكاثرهم هذا تزايد مماثل في مواد غذائهم أو في مصادر تلك المواد . ويقدر ذوو الاختصاص ان الرقم الذى ذكرنا سيتضاعف ضعفين تقريبا ، فيصبح عدد سكان العالم نحوا من ٧٠٠٠ مليون نسمة قبل حلول سنة ٢٠٠٠ ميلادية . ويذهب بعض أولئك الخبراء الى أن البشرية ستمنى ، في أواخر الجيل القادم ، بمجاعة شاملة ، يحتمها انفجار السكان . ويؤكد آخرون أن في وسع البشرية تفادى تلك المجاعة والتغلب عليها ، ما دام في الدنيا بحار ومحيطات ، تعج بمختلف المخلوقات ، وشتى الثروات ، وتزخر بمصادر وفيرة للغذاء ، لن ينضب لها معين اذا هى لقيت ما تستحقه من اهتمام الأفراد وعناية الهيئات والحكومات .

ولعل في المساحة الهائلة التى تغطيها المياه من سطح كرتنا الارضية ما يزيدنا اطمئنانا في هذا الصدد . فهى تبلغ ١٣٩ ١/٢ مليون ميل مربع وتكبر مساحة اليابسة التى لا تجاوز ٥٧ ١/٢ مليون ميل مربع بنحو ٢٤٠٪ !

على أن ثروات البحار تلك ، ومصادر الغذاء التى يتحدث عنها أولئك الخبراء والعلماء ليست هى الحشائش البحرية والأعشاب المائية ، وما قد تحتويه هذه وتلك أو لا تحتويه من بروتينات وفيتامينات . فالاهتمام الذى تحظى به هذه النباتات انما يعزى الى ما تحتويه من مواد كيماوية

ابراهام لنكولن

● هل لكم أن تكتبوا لنا نبذة عن ابراهام لنكولن محرر العبيد في أمريكا بمناسبة تلك المجازر القائمة اليوم في الولايات المتحدة بين البيض والسود هناك ؟!

سليم قاقيش/الكويت

ـ ابراهام لنكولن Abraham Lincoln يعد من أعظم رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وخلال السنوات الاربع التى تولى فيها رئاسة الولايات كان لنكولن يضطر في بعض الأحيان الى التصرف كما لو كان دكتاتورا . لقد اعاد تنظيم الجيوش التى كانت قد مزقتها الحرب الاهلية في امريكا ، وفرض قانون التجنيد لاول مرة في تاريخ الولايات المتحدة .

ولعل أعظم عمل قام به هو تحرير العبيد . ـ زنوج أمريكا اليوم ـ ، فقد كان العبد وقتها يعد ضمن الممتلكات الخاصة للبيض ، تماما كما

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

اولية تفيد منها بعض الصناعات ، وخاصة صناعات الأصبغة ،ومعجون الأسنان ، واطارات السيارات . أما الثروات والمصادر الكفيلة بتوفير الغذاء للبشرية ووقايتها شر المجاعات ، فهي الأسماك وما اليها من حيوانات ..

فنحن ما زلنا نجهل الكثير عن حياة هذه المخلوقات المائية وعن طباعها وخصائصها . بل ان خبرتنا بها ، أو تخبطنا العشوائي ازاءها ، فضلا عن الاساليب البالية التي ننهجها في صيدها ، لا تختلف كثيرا ولا قليلا عما كانت عليه قبل ١٠٠٠٠ سنة أو تزيد . ولو تسنى لنا أن نتعرف الى مجاهل هذه العوالم المهملة ، أو بالحرى لو تسنى لحكوماتنا أن تولي البحار والمحيطات من اهتمامها وعنايتها بعض ما توليه عالم الفضاء الخارجي ، وتخصنا ولو بجزء بسيط مما ترصده لغزو هذا الفضاء ، لو تسنى هذا وذلك لاكتشفنا عاجلا أو آجلا ، مدى قدرة الثروة السمكية على توفير الغذاء الكافي للبشرية وعلى تفادي كارثة المجاعة المتوقعة .

فانواع الاسماك لا تعد ولا تحصى . وهي تتكاثر بنسب خارقة يكاد الا يستوعبها خيال . فانثى سمك المكارل Mackerel مثلا تبيض عدة مرات في السنة وتضع في كل مرة ما قدروه بنحو ٥٠٠٠٠٠ بيضة ! أما سمكة الشمس Sun Fish فتضع في حياتها ما قدروا مجموعة بنحو ٣٠ مليون بيضة !

ولكن هذه الوفرة الضخمة من البيض لا تلبث أن تلتهم معظمها حيوانات البحر قبل أن تتحول الى أسماك . والذى يفلت من تلك الحيوانات بيضا ، قد لا يفلت منها فراخا .. ومع ذلك فالأسماك والحمد لله كثيرة ووفيرة ..

لو كان راسا من الماشية . وكان ثمنه يسجل في الدفاتر أمام اسمه ، ويدفع عنه صاحبه الضريبة المستحقة . ثم جاء لنكولن ليعلن نهاية العبودية بعبارته المشهورة : « لقد خلقنا الله سواسية »، ويصدر التعديل الثالث عشر للدستور الأمريكي الذي نص على أن لا عبودية بعد اليوم في اى مكان داخل الولايات المتحدة الأمريكية او اى مكان آخر يخضع لسلطتها الشرعية .

ولد لنكولن في احدى المزارع بولاية كنتكي Kentucky يوم ١٢ فبراير عام ١٨٠٩ وكان له شقيقة تكبره وتدعى ساره ، وعاش الطفلان سنوات حياتهما الاولى وسط المزارع الخضراء الواسعة . الى أن كان عام ١٨١٦ عندما باع والده توماس لنكولن كل ممتلكاته في المزرعة واتجه هو وولداه وأمهما « نانسي » الى ولاية انديانا . ولكن الأم ما لبثت أن وافتها منيتها . وعمل لنكولن مع والده في الارض ، وذهب الى المدرسة ليتعلم، وكان يقطع الأميال سيرا على الاقدام ليستعير من زملائه القادرين الكتب التي يحب قراءتها .

وكبر الصبي وعمل ملاحا فوق قارب صغير بناه بنفسه لينقل الناس وامتعتهم في نهر أوهيو Ohio ثم اشتغل بالتجارة ، الى أن انتقل أخيرا للحياة في مدينة سبرنجفيلد بولاية الينوى Illinois التي عاش فيها ربع قرن كامل من الزمان . وفي الينوى درس المحاماة ، وتزوج ورزق بولد ، واشترى بيتا لأسرته الصغيرة وبدأ يمارس المحاماة ويشتغل بالسياسة ، حتى كان عام ١٨٤٧ عندما انتخب لنكولن عضوا في مجلس النواب الامريكي. وكان هذا بداية الطريق الطويل الذي أوصله الى البيت الابيض الامريكي .

م. ن



الا أن في الامكان حماية جانب كبير من ذلك البيض وتلك الأسماك وما اليها من الحيوانات المائية ، بانشاء الجحور والاوكار الخاصة في اماكن من الشواطيء والبحار مختارة . ولقد اثبتت التجارب العملية مدى فعالية هذه المآوى السمكية لا من حيث زيادة الثروة السمكية ومضاعفتها فحسب ، وانما من حيث الحيلولة دون انقراض انواع عديدة منها ايضا .

فضلا عن ذلك فان في الامكان ايضا مضاعفة تكاثر الأسماك بأساليب اصطناعية ، على كثرة تكاثرها اصلا ، وفي الامكان كذلك اطعامها مستحضرات خاصة تغذيها وتسمنها وتزيد قيمتها الغذائية للانسان . ولعل فيما حققته اليابان من هذا القبيل بالنسبة الى اللؤلؤ لدليلا على ما يمكن فعله في عالم الأسماك .

غير أن تلك الجحور والأوكار تشترط فيما تشترط القيام بمسح دقيق شامل لبعض مناطق البحار ، وبجرد الثروات السمكية في تلك المناطق من حيث أنواعها وكمياتها ، وتشترط أيضا دراسة وافية لخصائص الأسماك وطباعها التي قد تختلف باختلاف أنواعها . وتجدر الاشارة هنا الى الدراسات التي قام بها بعض الأفراد في هذا المجال، والتي أثبتت أن الأسماك العادية تفضل لسكنها على سبيل المثال ، الجحور والأوكار المصنوعة من المعادن ، كهياكل السيارات ، في حين أن السرطان يؤثر من المآوى ما كان مصنوعا من المطاط ، كالاطارات وما اليها . ودراسات كهذه تمكننا ، كما لا يخفى ، من انشاء جحور الأسماك واوكارها وفق رغبات هذه الأسماك ، وتكفل لها بالتالي ، اجتذاب تلك المآوى لأكبر كمية ممكنة من تلك الأسماك .

وتأتي بعد ذلك كله أعمال الصيد . فبدلا من حصد المناطق السمكية حصدا وعلى غير هدى ، كما نفعل حاليا وكما كان يفعل الانسان الأول تماما ، تصبح أعمال صيد السمك هذه أعمالا هادفة ترمي الى صيد أنواع من السمك معينة ، وبكميات مقدرة ومقررة ، مستهدفة الأصلح لتغذية الانسان ومرجئة الأقل صلاحا الى حين يكبر وينضج .

نكتفي بهذا القدر يا أخ شفيق ، راجين ان نكون قد وضعنا حدا لمخاوفك ازاء كارثة المجاعة وانفجار السكان ..

ى . ز

سوريا .. متى تصبح

● سمعنا مؤخرا أن البترول قد اكتشف في سوريا بكميات ذات بال ، بحيث لن يمضي وقت طويل حتى تصبح الجمهورية العربية السورية في عداد الدول المنتجة والمصدرة له .. ترى متى يكون ذلك..... ؟ وما هي الكميات التي يقدرونها لمخزون هذا البترول العربي في سوريا ؟! .

جميل خلف / اللاذقية

ــ نؤكد لك يا أخ جميل أن ما سمعته صحيح . فسوريا ستصبح قريبا في عداد الدول البترولية ، انتاجا وتصديرا ، وهي التي لم يعثر للبترول فيها على اثر قبل منتصف هذا القرن العشرين .

ذلك ان أعمال البحث عن النفط والتنقيب ، التي انطلقت في سوريا منذ نحو عشر سنين ، قد

العرب فى صقلية

*** فى اى عام فتح العرب صقلية ؟ .. وكيف تم انسحابهم منها ؟**

صديق الشيخ/تونس

ــ فى عام ٢١٢ هـ . اقلع اسطول عربي مكون من مائة سفينة حربية من ميناء سوسه بتونس قاصدا صقلية لفتحها .. وكان تحت قيادة أسد بن الفرات .. وقد استمر القتال بين جنود هذا الاسطول العربى وبين أهالي الجزيرة مدة اربعة اعوام سقطت فى نهايتها مدينة (بالرمو) وبسقوطها سقطت بقية مدن الجزيرة ..

وبعد مضي ٢٤٨ عاما اى فى عام ٤٦٤ هـ (١٠٧٢)م كان التناحر والقتال والاختلاف لاتفه الاسباب بين القواد العرب هي السبب في مهاجمة النورمان للجزيرة .. ولكنهم رغم هذا لم يستطيعوا الاستيلاء عليها الا بعد عشرين عاما من القتال ! .. اى فى عام ١٠٩١ الميلادى .

س . ز

فى عداد دول البترول ؟!

ادت" الى اكتشاف ثلاثة حقول للبترول في شمال شرق البلاد . ويقدر الخبراء احتياطي هذه الحقول بنحو ....د....د....١ (ألف مليون طن) من البترول الخام .

على انه تردد في الأوساط البترولية مؤخرا نبأ اكتشاف حقل جديد للبترول في الصحراء الشمالية الشرقية من سوريا ، أى بين تدمر الواقعة وسط البلاد ومدينة دير الزور القريبة من الحدود العراقية . وينتسب الى المراجع الحكومية السورية في هذا الصدد قولها : « وتدل التقديرات الاولية على ان الحقل الجديد اكبر كثيرا من حقول الزيت الثلاثة الاخرى مجتمعة ... » .

والجدير بالذكر ان انتاج البترول من حقوله الثلاثة الأولى سيبدأ في شهر فبراير المقبل . على ان الجهود والأعمال القائمة على قدم وساق في هذا الاتجاه لم تحل" دون العمل بخطة أخرى أوحت بها المكتشفات الجديدة ، وتستهدف السعي لاسهام سوريا في الأسواق العالمية على نحو واسع فعال بوصفها دولة بترولية ذات شان ، وذلك في غضون عام .

ولا يخفى أن الحكومة السورية تملك كافة حقولها بلا استثناء . اذ أنها أممت تلك الحقول منذ سنوات ، كما يعلم الجميع ، واصبح لديها خبراء يعملون جنبا الى جنب مع زملائهم الخبراء السوفيات .

ى . ز

اكبر دولة فى العالم مساحة

❋ ماهي مساحة الدول الكبرى فى العالم ؟ وهل روسيا اكبر مساحة من الصين ومن الولايات المتحدة .. وماهى اكبر دولة فى العالم من ناحية المساحة ؟ وماهي مساحة اكبر دولة عربية ؟

اسعد الفايز/بيروت

ــ اكبر الدول مساحة فى العالم هي روسيا التي تبلغ مساحتها ...ر٤٠٢ر٢٢ كيلو متر مربع .. وبعدها تأتي كندا ومساحتها ١٧٧ر٩٧٦ر٩ كيلو مترا مربعا .. وثالثة الدول مساحة هي الصين ،اذ تبلغ مساحتها ...ر٥٦١ر٩ كيلومتر مربع اما الولايات المتحدة فترتيبها الرابعة اذ تبلغ مساحتها ٣٥٣ر٣٦٣ر٩ كيلو مترا .. ثم تأتي البرازيل وبعدها استراليا ..

اما اكبر الدول العربية مساحة فهي السودان ، الذى تبلغ مساحته ٨١٣ر٥٠٥ر٢ كيلو مترا مربعا تليه الجزائر ثم المملكة العربية السعودية ..

س . ز

تاج العروس فى ٥٠ مجلداً

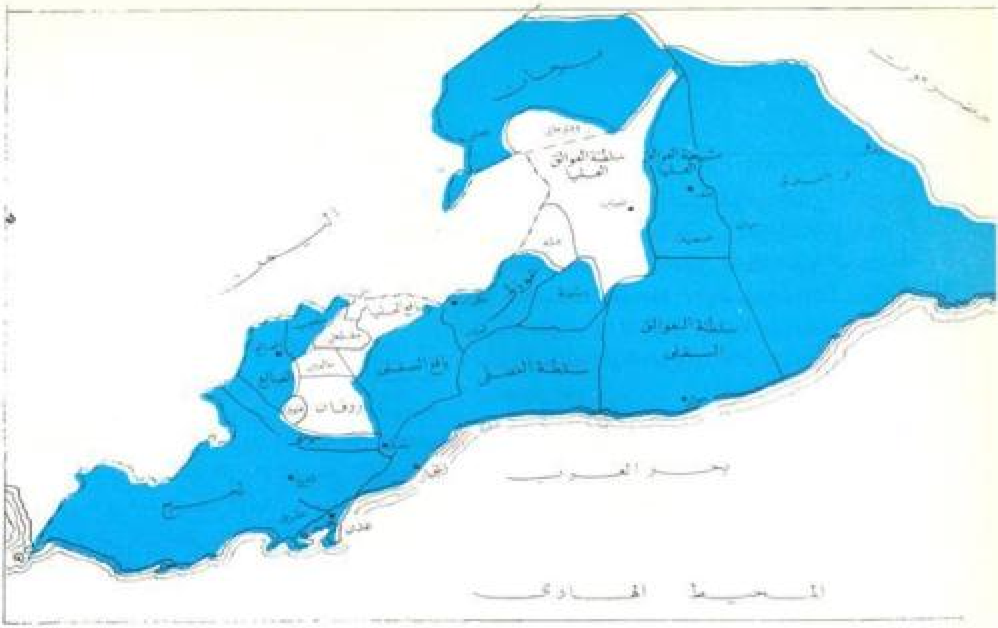
❋ لقد صدر الجزء الاول من كتاب تاج العروس شرح جواهر القاموس فى الكويت ، فهل صدرت اجزاء اخرى منه أو توقف طبعه ؟ واذا كان لا يزال يصدر فما هي اجزائه التي ستصدر ؟ وما هي المدة التى سيصدر بها الكتاب باكمله ؟

احمد توفيق بابللي/سوريا

ــ صدر من تاج العروس ايضا الجزء الثاني والجزء الثالث ، والجزء الرابع اوشك على الظهور ، والجزء الخامس يجمع فى المطبعة . وهكذا تتوالى اجزاؤه فى الظهور فى عناية واتقان لازالة ما كان يملأ الطبعة القديمة من آلاف الأخطاء .

اما عدد اجزائه التي ستصدر فستكون ان شاء الله ، بفهارسه الوافية فى حدود خمسين مجلداً .. والمدة التى يصدر فيها يحكمها عمل المحققين والمراجعين واعتماد اللجنة الفنية بوزارة الارشاد والانباء بدولة الكويت ، وظروف المطبعة ونرجو أن ينتهي طبعه فى بضعة اعوام والله الموفق .

ع . ف



كل شيء عن اتحاد الجنوب العربي المنهار

*** كيف بدأ اتحاد الجنوب العربي المنهار ؟ومتى تأسس ؟ .. وما هي الامارات التي بدأت بالانضمام اليه ؟ وكم عددها ؟ وعدد سكانها ؟وهل يمكنكم رسم خريطة لهذه الامارات حتى نعرف اماكنها الحقيقية ؟**

رسمي شهاب
الدامور ــ لبنان

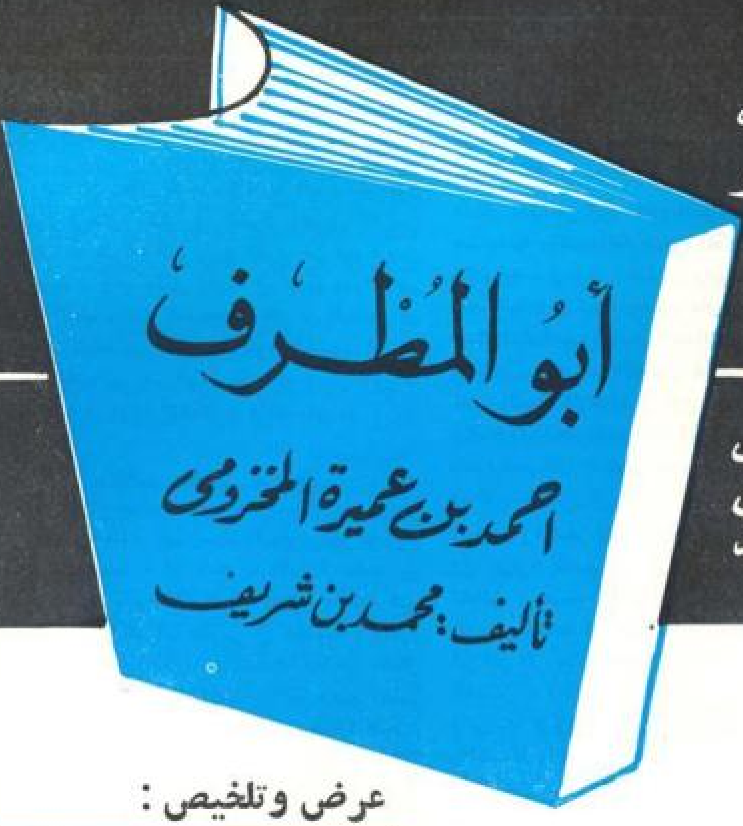
ــ بدأت قصة هذا الاتحاد عام ١٩٥٤ عندما اجتمع حكام الامارات والمشايخ في عدن للبحث في توثيق الروابط بينهم .. وفي ١١ فبراير عام ١٩٥٩ اتحدت ست امارات مع بعضها ، وكونت ما يسمى باتحاد الجنوب العربي .. وهذه الامارات هي : سلطنة العوذلي ، وامارة الضالع ، وسلطنة يافع السفلى ، ومشيخة العوالق العليا ، وامارة بيحان .. وما كادت تمضى فترة قصيرة حتى انضمت اليها امارة لحج (عام ١٩٥٩) ومشيخة العقربي وسلطنة العوالق السفلى وامارة الدثينة (عام ١٩٦٠) وسلطنة الواحدى (عام ١٩٦٢)وعدن (عام ١٩٦٣) ومعها سلطنة الحوشبي ، ومشيخة شعيب ..

وبهذا اصبح الاتحاد مكونا من ١٤ امارة ومشيخة وسلطنة .. وبلغت مساحته ٦٠٠٠٠ ميل مربع ومجموع عدد سكانه ٧١٢٠٠٠ نسمة ، مقسمة على الشكل الآتي : بيحان ٢٨٠٠٠ ، العوذلي ١٥٠٠٠ ، الفضلي ٥٥٠٠٠ ، الضالع ٦٤٠٠٠ ، العوالق العليا ١٢٠٠٠ ، اليافعي ١٣٢٠٠٠ ، العبدلي (أي لحج) ٣٩٠٠٠ ، العوالق السفلى ١٤٠٠٠ ، دثينة ١٢٠٠٠ ، العقربي ٥٠٠٠ ، الواحدى ٧٠٠٠٠ ، عدن ٢٥٠٠٠٠ ، الحوشبي ١٠٠٠٠ ، شعيب ٦٠٠٠ وفوق هذا الكلام تجد الخارطة التي توضح موقع هذه الامارات بالتقريب .

س . ز

كتاب الشهر

كتاب مغربي جديد



عرض وتلخيص :

محمد اديب السلاوى

■ تاريخ المغرب القديم ، والمعاصر ، عرّف الكثير من الأدباء ، والعلماء والفقهاء الذين وقفوا جهودهم ، وبذلوا طاقتهم من أجل انماء الحضارة الاسلامية ، بمدلولاتها الفلسفية والأدبية والمادية هنا في الشط الغربي للعروبة ..

فجهود أبناء المغرب ـ ابتداء من قيام الدولة الادريسية الى اليوم ، ولو أنها ما زالت متجاهلة في الشرق العربي ـ لاتقل في مجموعها اهمية ولا مكانة عن جهود أبناء الشرق الأعزاء الذين نفتخر بمعرفتنا ونعتز باطلاعنا على تراثهم الذى نعتبره تراثنا المشترك سواء منه الفلسفى ، أو الادبي او الديني ..

نهضات المغرب العربي

فالمغرب عرف في مختلف العصور نهضات فكرية ذات قيم ، ومثل انسانية ، ما زال صداها يتردد مع المنتوج الفكرى العالمي ، ولو ان هذه النهضات لم تنعكس على الدراسات الجديدة التى ظهرت حول تاريخ الثقافة العربية في الشرق ، ولم يذكر لها اثر في كتب تاريخ الادب العربي التي دُوّنت اخيرا في دمشق والقاهرة وبغداد ، فانها اخذت باهتمام رجال الاستشراق في فرنسا وايطاليا واسبانيا ، ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر ، حيث اخذ هذا الاهتمام يتزايد في صمت الى ان أصبح ما دوّنه رجال الاستشراق عن الفكر المغربي خلال مدة وجيزة بشكل تراثا حضاريا قيما ، وحلقة من اخصب الحلقات الفكرية الانسانية ..

عتاب له ما يبرره

وإذا كان رجال البحث المغاربة اليوم يتوجهون باللوم لرجال الفكر في الشرق العربي الذين أهملوا ما للتراث العربي في المغرب من قيم، ومن خصوبة، ومن مثل رفيعة في كتبهم ودراساتهم حول الأدب والفكر العربيين، فان من البديهي أن يتوجه الباحثون المغاربة باللوم لأنفسهم أيضا لعدم اهتمامهم هم أيضا بالبحث عن التراث المتشتت في زوايا الاهمال، والنسيان..

كتاب جامعي منهجي

والكتاب الذى بين أيدينا اليوم، ولو أنه جاء دراسة جامعية، اذ تقدم به الاستاذ محمد بن شريفة لنيل دبلوم الدراسات العليا، فانه فتح أعيننا على ما للتراث المغربي من خصوبة، ونظرة انسانية، وما للمغاربة والمشارقة معا من اهمال لهذا التراث الانساني القيم، كما وضع أيدينا على الطريقة المثلى التي يجب أن نتخذها للبحث عن تراثنا، واستخراجه واحيائه، ويكفي للدلالة على ذلك ما أكده الأستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس، الذى قدم هذا الكتاب، والذى اعتبر دراسة المؤلف لحياة وآثار «أبو المطرف» أهم ما صدر عن باحث مغربي في العصر الحاضر، ذلك لأن المنهج الذى اتخذه الاستاذ ابن شريفة في بحثه اعتمد استيعاب كل ما يتعلق بأبي المطرف في كتب الأدب والتاريخ، واستقصاء كل المراجع المطبوعة والمخطوطة التى استطاع الاطلاع عليها بالاضافة الى مناقشته لمختلف النصوص المتصلة بحياته، ونسبه، وتآليفه، وتنقلاته، مناقشة علمية منهجية، الشيء الذى أعطى هذه الدراسة طابع الجدة، والشيء الذى ميزها عن باقي الدراسات الأخرى المتعلقة بتراثنا المغربي..

من هو أبو المطرف ؟

فمن هو احمد بن عميرة المخزومي الملقب بأبي المطرف ؟..

ما هي حياته ؟ وما هي آثاره ؟..

ذلك هو موضوع هذه الدراسة القيمة التي صدرت للأستاذ محمد بن شريفة ضمن منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي في اطار احياء التراث المغربي..

ابن عميرة من ابرز أعلام الفكر الأندلسي ولد ــ حسب ما يؤكده العديد من المصادر الاندلسية والعربية ــ في جزيرة شقر، وهى قرية من الضفة الاسبانية، في شهر رمضان عام ٥٨٢ هـ ١١٨٦ م حيث ادرك أحفل العصور أحداثا تاريخيه في الغرب الاسلامي عامة، والاندلس خاصة، فحين ولد كانت الدولة الموحدية في أوج عظمتها، وقوتها، وكانت المساحة الجغرافية التى تشغلها تمتد من حدود مصر الى التخوم المجاورة للممالك المسيحية في الأندلس.

وبجزيرة شقر نشأ، وتلقى تعليمه الاول بها، وفي جزيرة بلنسية في شرق الاندلس أتم تعليمه العالي، حيث جالس هناك العديد من أعلام الأدب والثقافة في الاندلس، أمثال الشيخ علي ابن أبي الربيع الكلاعي، والامام احمد بن واجب القيسي، والأديب الفقيه عمر بن عات الشاطبي وأبى بكر عزيز بن حطاب، وغيرهم من أعلام الأدب والفلسفة والفقه في عصره.

ولتدرك المستوى الثقافي الذى حصل عليه أبو المطرف احمد بن عميرة المخزومي، أورد لنا المؤلف ــ بجانب سرده لحياة المترجم له بدقة، وبمناقشة تامة للنصوص، وباثبات كل المراجع المتصلة بالموضوع ــ مدخلا تاريخيا للناحية السياسية، والحالة الثقافية التى ميزت العصر الذى نشأ فيه ابن عميرة المخزومي متعلما، وطالبا، فأكد أن الحياة الثقافية في عهد الموحدين وصلت ذروتها العليا، وبلغت مداها البعيد الذى جمع زبدة الحقب الماضية، وعاشت على زاده العصور التالية، اذ استوت في ذلك العصر الشخصية العلمية للغرب الاسلامي في صورتها التامة، وازدهرت الوان المعرفة، وكثر عدد العلماء، وظهر قدر كبير من المؤلفات في كل علم وفن، كما أورد الكثير من اسماء الاعلام، وعناوين المؤلفات القيمة التى زخر بها ذلك العصر، ووقف على بعض الامثلة الادبية والعلمية التي ميزت عصر ابن عميرة من خلال مناقشته للمراجع التاريخية المطبوعة والمخطوطة التى وصلتنا عن ذلك العصر الزاخر الغابر.

ومن خلال آراء رجال الاستشراق، وبعض رجال الفكر العربالذين افتتنوا بالفكر الأندلسي،

واتكبوا على دراسته واحياء تراثه في هذه الفترة الزاخرة بالاحداث ، والمشرقة بالانوار الفكرية عموما ، والادبية على الخصوص .

فالمؤلف بعد ان يجول بنا جولة علمية تامة مزخرفة بالمراجع والمصادر على مختلف ازمنتها ، ولغاتها في عصر ابن عميرة ، ونشاته ودراسته ونسبه وبلده ، وأسرته ، يقف بنا وقفة ليست بالقصيرة على حياته الادارية ، وهي الحياة التى مارسها ابن عميرة بعد اتمام تعليمه مباشرة ، وهي حياة متقطعة ، ومتفرقة بين الاندلس ، والمغرب ، وافريقية ، ومليئة بالأحداث السياسية والأدبية التى لا تخلو من اهمية تاريخية بالنسبة للباحث في هذه الحقبة الخطيرة من تاريخ المغرب في العصور المتاخرة ..

مراحل حياته

ففي سنة ٦٠٧ هـ فرغ ابن عميرة من حياة الدرس والتحصيل ورسم لنفسه خطة للعيش ، ارضاء لطموحه الأدبي ، فقرر احتراف الكتابة ، لما كانت توفره لصاحبها من الثراء والجاه والنفوذ في المجتمع الاندلسي ، فالتحق على التوبدار الامارة بحاضرة بلنسية ثم بديوان امير المسلمين ابن عبد الله بن هود الى ان تقلد منصب القضاء بشاطبة الذى بقي فيه الى نهاية سنة ٦٣٧ .

اما المرحلة الثانية من حياته ، فكانت بالمغرب ، وتبتدىء بسنة ٦٣٧ ، وتنتهي في سنة ٦٤٦ اذ تقلد في اثنائها الكتابة في ديوان الخليفة الرشيد الموحدى بمراكش ، ثم انتقل الى القضاء في هيلانة ، والرباط ، وسلا ، ومكناس ، الى أن رحل الى سبتة حيث اشتغل مع صاحبها أبي الحسن احمد بن خلاص في ديوانه كاتبا بارزا ..

وفي نهاية سنة ٦٤٦ رحل الى افريقية ليقضي فيها بقية حياته متنقلا بين القضاء في قابس وقسنطينة ، والعمل في ديوان الخليفة الحفصي مستشارا ، ونديما ، وكاتبا ..

وقد افرد المؤلف كلا من هذه المراحل بفصل خاص من دراسته عن ابن عميرة ، اذ وقف على كل حدث ، وكل تاريخ ، وكل علم كان لابن عميرة اتصال به من قريب او بعيد ، مقارنا ذلك بالمراجع والمصادر الضرورية ، ومناقشا كل رأى برزانة ، ومنهجية جامعية رائعة ، الشيء الذى اضفى على هذه المراحل المتقدمةمنسنة ٦٠٧ الى ٦٥٨ هـ طابعا مميزا في كل الدراسة ، والشيء الذى مهد للصورة التى رسمها لنا المؤلف بعناية فيما بعد لشخصية ابن عميرة الفكرية والسياسية .

شخصيته وثقافته

وقبل أن ننتقل للحديث عن تراث ابن عميرة الأدبي ، نقف قليلا على شخصيته ، وثقافته التي رسمهما لنا الاستاذ ابن شريفة بكامل العناية والدقة ، حسب ما سمحت له به المادة القليلة التى توافرت لديه عن طبيعته وسيرته الذاتية والاخلاقية .

لقد نشا ابن عميرة في بيئة اجمعت المصادر التاريخية على انها كانت تتسم بطابع الجد ، وتميل الى مظهر الوقار ، والتزمت ، ومع ذلك تمكن من أن يصبح على شيء كبير من الظرف ، وخفة الروح ، والبساطة ، وبراعة الحديث ، والانبساط للفكاهة والنكتة والاحاديث الطريفة بعد أن تم تحصيله ، وهى بعض مؤهلاته التي جعلت منه فيما بعد صديقا محبوبا لدى رجال عصره ، ونديما مقربا الى الامراء والملوك الذين تمكن من معاشرتهم والعمل في دواوينهم .

ويمكن اعتبار هذه المؤهلات الأخلاقية عاملا اساسيا في تطوير طموحه ، الذى يتمثل في اقباله على الدين والتحصيل ، والتبحر في مختلف الوان المعرفة ، مما اهله فيما بعد لشغل ارفع المناصب والوظائف ، والى عدم الاكتفاء بما أخذه في بلده ، وبالتالى الى التجول في ارجاء الاندلس والمغرب وافريقية ، للمزيد من الكسب العلمي والمادى ..

ويبدو طموحه اكثر وضوحا في قصة حياته الادارية ، فهو كما رأينا لم يشأ أن يركن الى حياة التدريس الهادئة الوادعة مثل شباب عصره ، بل سعىالى حياة القصور ،وخدمةالامراء والملوك الى أن اكتسب بفضل ثقافته الأدبية والعلمية من جهة ، وحنكته الادارية من جهة ثانية ، شهرة واسعة لدى رجال العصر من امراء ، وعلماء ، وادباء ، وفقهاء ..

اما من حيث ثقافته ، فقد كان خزانة من خزائن

العلوم ، متفننا ، مدققا ، محدثا ، متبحرا في التاريخ ، قائما على العربية واللغة ، بارعا في الأدب وفنونه ، وعلما من أعلام المنطق والفلسفة والفلك والطب ، اذ وصفه الامام الغبريني في (عنوان الدّراية) ، بأنه أعلم العلماء وتاج الأدباء ..

وقد كانت شهرته العلمية سببا في اقبال كثير من طلبة العلم على الأخذ عنه . وطلب اجازته ، اذ يؤكد مترجموه بأنه درس وأجاز في مُرْسِيّة ، وسَبْتَة ، وفاس ، وبِجَايَة ، وتونس ، وذلك في اثناء قيامه بالمهمات الرسمية ، كما تؤكد مختلف المراجع التي تحدثت عنه ، أن نظرة النقاد اليه ، سواء منهم المعاصرون له ، او الذين أتوا من بعده ، كانت نظرة تقدير ، واعجاب ، وثناء، وقد أورد الاستاذ ابن شريفة في دراسته عنه رأيين أحدهما لابن الأبار ، وهو يمثل رأي معاصريه ، والثاني لابن الخطيب ، من الذين أتوا من بعده ، وكلاهما ، تقدير واطراء لمعالم هذه الشخصية التي كاد يتجاهلها تاريخنا المعاصر .

الأدب الأندلسي

بعد هذه الجولة يدخل بنا المؤلف في عالم الأدب ، أدب ابن عميرة ، ويمهد ذلك بوقفة قصيرة في الأدب الاندلسي خلال القرنين السادس والسابع ، فيلقي في البداية نظرة اجمالية على تطور النثر الفنى في الادب الاندلسي ، والمراحل الكبرى التي مر بها ، فيلاحظ أن التراث الكبير الباقي من النثر الاندلسي ، لم يدرس الى الآن دراسةعلمية شاملة تبين مراحله، وتبرز خصائصه، وهو لم ينل الا حظا يسيرا في المحاولات التى أرخ لها أصحابها للنثر الفني في الأدب العربي على اختلاف عصوره ، واقاليمه ، كما لاحظ ان مؤرخي الأدب العربي ، والذين حاولوا تأريخ الأدب الاندلسي أيضا مختلفون في تقدير عدد مراحل النثر الفني ، وتحديد زمنها وتمييز خصائصها بصورة دقيقة ، وننفى بعد هذه الملاحظة ادعاء بعض المؤرخين الشرقيين في كون النثر والادب الاندلسي عامة تقليد للنماذج المشرقية ، مؤكدا ان أصحاب هذا الرأى لم يتمكنوا من الاطلاع على التراث الاندلسي ، ولم يدرسوه دراسة موضوعية متعمقة ، كما اكد من جهة أخرى ان الأدب الاندلسي عنوان للشخصية الاندلسية ولمقوماتها الفكرية ، ولأبعادها النفسية البسيكولوجية ، كما أن الاندلسيين أحدثوا طرقا جديدة في فن الكتابة ، ومن ذلك طريقة ابن دَرّاج القسْطلي ، وطريقة ابن عبد الغفور الكلاعي ، وغير ذلك من الطرق التى شاهدت مراحل تطور النثر في الاندلس ..

النثر على عهد الموحدين

وبعد هذا ينتقل بنا المؤلف للحديث عن النثر على عهد الموحدين ، وهى المرحلة التى عرف فيها النثر الاندلسي التكلف والاسراف في الصناعة ، اذ كانت ابرز ظاهرة عند كتاب ذلك العصر ، ذوى الثقافة العامة والدينية منها بصفة خاصة ، استعمال الغريب في اللفظ ، والالوان الغامضة في البديع ، الشيء الذى افقد النثر الادبى روح الخفة والرواء التى نجدها عند كتاب العصور السالفة ، وقد علل ذلك المؤلف بعلل عدة ، منها الروح الدينية التى طغت على طرق التعليم واساليبه ، والصراع الذى كان قائما بين الاسلام والصليبية في العالم الاسلامى عامة ، والاندلس على الخصوص، وفي ذلك ـ كما يقول المؤلف ـ ما يدعو الى اصطباغ الأدب شعرا ونثرا بصبغة الحماسة الدينية .

نثر ابى المطرف وآثاره الكتابية

ومن ثم ينتقل الاستاذ ابن شريفة للحديث عن كتابة ابن عميرة الديوانية التى قضى فيها شطرا كبيرا من حياته ، متنقلا بين مختلف الامارات ، اذ كتب عن السادة الموحدين بالاندلس وفي بلاطهم بمراكش ، وعند الحفصيين بتونس الشيء الذى جعله يترك ثروة كبيرة ، ومهمة من الرسائل ، والبيعات ، والعقود ، والظهائر التى تشكل ـ زيادة على اهميتها الادبيه ـ مجموعة من الوثائق التاريخية الهامة ، فصنفها ، حسب موضوعاتها المبتدئة برسائله الاخوانية والادارية ، والمنتهية برسائل الثناء والشكر والتعازى ، والتهانى ، والعتاب ، والالغاز والاحاجي . ومنها في الاخير حسب ما جاءت به المراجع والمصادر المتحدثة عنها في مختلف العصور .

حلقة في تطور النثر

ويفهم من خلال هذا التصنيف العلمى المنهجي

لأعمال ابن عميرة النثرية ، أنه يمثل حلقة مهمة في سلسلة تطور النثر الاندلسي ، وهي حلقة يؤكد المؤلف أنها ما زالت مجهولة الى الآن ..

فالذين أرخوا لهذه الفترة ـ ومن ضمنهم الدكتور شوقي ضيف ـ تجاهلوا ، أو تناسوا هذه الحقبة الطويلة الخطيرة من تاريخ تطور النثر في الاندلس ، فكثير منهم ينتقل ـ في حديثه عن هذا النثر ـ مباشرة من ابن زيدون الى لسان الدين ابن الخطيب ، دون أدنى اشارة الى الحقبة الفاصلة بينهما ، تلك الحقبة التي تمثل مدرسة لها طابعها الخاص ، أشبه ما تكون بمدرسة القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني في الشرق .

والواقع أن دارس رسائل الكتاب الذين أتوا بعد ابن عميرة في القرن الثامن الهجرى سواء في المغرب او الاندلس ، كابن هانى ، والغرناطي ، وابن الخطيب ، سيلاحظ مع المؤلف ـ تأثير ابن عميرة القوى الواضح في رسائلهم ، وكتاباتهم الأدبية والادارية .

أغراض شعره

ومن نثر ابن عميره ، ننتقل مع الاستاذ محمد ابن شريفة الى شعره ، فابن عميرة ، عالم أديب ، وكاتب نحرير ، ولكنه الى جانب ذلك زاحم الشعراء في ميدان القريض ، ونافسهم في صياغة القوافي ، ونظم الكثير من القصائد في مختلف الاغراض الشعرية فهو ـ وان لم يترك ديوانا مستقلا ـ قد حرص الذين اعتنوا بانتاجه وبحياته ، ورحلاته من المؤرخين والنقاد على ذكر امثلة من شعره عند الحديث عنه ، ذلك لأن هذا الشعر له صلات قوية بسيرته ، وعقليته ، وطموحه ، واخلاقه ، فابن عميرة شاعر فحل ، تناول في شعره المدح والرثاء والاخوانيات والحكم والعظات والغزل ، وله الى جانب ذلك شعر صوفي رقيق ، الا أن المدح من اكثر الموضوعات التي طرقها ، حيث اكد المؤلف انه كان يميل اليه بدافع التكسب والتقرب احيانا .

والنصوص التى أوردها له الأستاذ ابن شريفة تدل على ان ابن عميرة مدح عددا من الملوك والأمراء والرؤساء الذين عاصرهم ، سواء في المغرب او افريقية او الاندلس ، الا أن معانيه الشعريه لم تأت بجديد ، حيث ردد المعاني المعروفة لدى الشعراء في هذا الباب ، اما من حيث الشكل فقد احتفل بالصياغة احتفالا ظاهرا ، اذ نزع منزع القدماء في جزالة الألفاظ وفخامة الأسلوب والوزن .

وثاني الأغراض الرئيسية التى نظم فيها ابن عميرة ، الرثاء ، فقد رثى الاشخاص من أصدقائه، واهله ورؤسائه ، كما رثى المدن التى حل بها وهو في رثائه يذهب مذهب الرثاء العادى من ندب وتفجع ، وتعزية .

اما الأغراض الاخرى التى نظم فيها الشعر ، فتتوزع بين الأخوانيات (الحنين والشكوى والعتاب) ثم الوصف ، والغزل ، والحكم ، وفيما يخص خصائص شعره يرى الأستاذ ابن شريفة أنها خصائص كانت سائدة عند شعراء عصره ، سواء في المغرب أو المشرق ، وهى خصائص في أغلبها تقوم على الصنعة البديعية ، وتعنى بالناحية اللفظية ، وتكثر من استعمال الالفاظ والمصطلحات العلمية ، وتهتم اهتماما بالغا بالجناس ، والطباق، والتورية ، وغيرها من الوان الزخرفة اللفظية وكل هذه المظاهر رأيناها في الأمثلة التى صاغها المؤلف في الباب الخاص الذى افرده لشعر ابن عميرة وأنواعه ، واغراضه .

ممن دونوا آثاره وخزائنها

ولابن عميرة المخزومي آثار اخرى قيمة في الرسائل، والتاريخ والدين ، ولهذه الآثار افرد الأستاذ محمد بن شريفة القسم الرابع والأخير من كتابه الضخم هذا .

واذا كان ابن عميرة لم يعن بتدوين آثاره الأدبية من نثر وشعر ، وترتيبها حسب موضوعاتها ، كما كان يفعل كتاب العصر ، فقد قيض الله لتدوين بعضها رجالا كانوا يقدرون ما لها من قيمة أدبية وتاريخية .

ويذكر لنا المؤلف من هؤلاء تلميذه وصديقه الأديب البلنتشي ابو جعفر احمد بن شنيف العقيلى الذى لازم ابن عميرة في أثناء الفترة التى قضاها (بتونس) وظل معه الى أن توفي سنة ٦٥٨هـ وكذلك المؤرخ المغربى الكبير ابن عبد الملك المراكشي والأديب المؤرخ المقترى والأديب الشهير بن هاني السبتي ، والقاضي الشيخ ابن المرابط ، كما تذكر لنا المصادر التي اثبتت رسائله وعلقت عليها،

وحفظتها من الضياع ، واستعرض المجموعات الثلاث من رسائله الموجودة بالخزائن العالمية ، كالأسكوريال ، والخزانة العامةبالرباط ،والخزانة الملكية باسبانيا مشيرا الى اشكال هذه المجموعات وخطوطها ، والملفين في طرّاتها وهوامشها ..

مؤلفاته

ومن رسائل ابن عميرة ينتقل بنا المؤلف الى مؤلفاته اولا باول ، مثبتة بكتابه التنبيهات على ما للتبيان من التمويهات) الذى الفه في الرد على كتاب (التبيان في علم البيان) لابن محمد الزملكاني وهو أحد أعلام البلاغة في القرن السابع ، ثم يقارن بين الكتابين ، ويلخص محتواهما بكامل الدقة ، مؤكدا أن ابن عميرة في هذا الكتاب كان ناقدا بارعا ، عالج موضوعه في النقد بسخرية تامة ، وبجدل علمى ، وببراعة في المناقشة ، ومنه يتفرغ للحديث عن الكتاب الثانى المسمى (التنبيه على المغالطة والتمويه ، واقامة أعمال عن طريق الاعتدال بالبرهان الكافي والبيان الشافي) وهو كتاب لا توجد منه الا نسخة واحدة فريدة محفوظة بمكتبة الاسكوريال . منسوب الى أبى المطرف .

وقد اهتم المؤلف الأستاذ ابن شريفة بهذا الكتاب اهتماما كثيرا ، ذلك لأنه كان محل خلاف في تسميته ، وفي اثبات اسم مؤلفه من طرفرجال الاستشراق ، والباحثين العرب الذين اهتموا بالأدب الاندلسي في الأونة الأخيرة ، لدرجة أنه يعلن في النهاية متمنياته في أن تتاح له أو لغيره فرصة التوصل الى الحقيقة ، كما يعلن ان الكتاب المذكور من البعيد أن يكون لأبى المطرف بن عميرة.

كتبه التاريخية

ومن النقد الى التاريخ ، من كتب ابن عميرة النقدية الى كتبه التاريخية ، هكذا بوب الأستاذ ابن شريفة القسم الاخير من كتابه عن أحمد بن عميرة المخزومى .

وكتبه التاريخية ككتبه النقدية ليست كثيرة ، بل لا تتعدى كتابين اولهما كتابه المؤلف في(كائنة مَيُورقة وتغلب العدو عليها) وهو كتاب مفقود ، الفه اثر المصيبة التى ألمّت بالمسلمين في الاندلس وخصوصا منهم أهل شرق الاندلس من جرّاء سقوط ميُورقة أمّ الجزر الشرقية في يد ملك (أرَغون) الملقب بالفاتح سنة ٦٢٧ ، وقد صور فيه ما اظهره اهل الجزيرة المذكورة من مقاومة باسلة ، ومن دفاع مجيد رغم شدة الحصار وانواع المحن التى قاسوا منها .

ويبدو أن ابن عميرة بما كان يتصف به من بعد النظر ودقة الحس ، وصدق الحدس - كما يقول المؤلف - قد هزه حادث سقوط (ميورقة) هزا عنيفا ، لأنه قدر ببصيرته النفاذة ما سيكون له من عواقب على مصير شرق الاندلس كله ، ولذلك عمد الى تأليف هذا الكتاب ، ليشرح فيه الاسباب والظروف التى وقعت فيها الحادثة المشؤومة ، التى كانت انذارا خطيرا يهدد جميع المدن الاسلامية في شرق الاندلس .

وقد ظل هذا الكتاب متداولا الى عهد متاخر فيما يبدو ، اذ أشار اليه ونقل عنه مختلف النقاد والمؤرخين في كل العصور المتعاقبة على عهد ابن عميرة .

اما الكتاب التاريخى الثانى والاخير الذى أثبته الاستاذ ابن شريفة في مؤلفه الضخم فهو (اقتضاب من تاريخ المريدين) الذى اختصره ابن عميرة عن كتاب، ثورة المريدين لابن صاحب الصلاة الذي يتناول تاريخ المرابطين وقيام المريدين عليهم في غرب الاندلس ، وهو كتاب له أهمية قصوى في مجال التاريخ المغربى ، وخاصة الفترة المتعلقة بثورة المهدى بن تومَرت .

كتبه الدينيـة

وكتبابن عميرةالدينيةلاتتعدى‌هى الاخرى‌اثنين ، الأول تعقيب على كتاب (المعالم للفخر الرازى) ويعتبر من الكتب التى فقدتها الثقافة العربية خاصة انه يعارض المدرسة الكلامية والاصولية التى اتى بها الفخر الرازى من الشرق العربى .

اما الكتاب الثانى فهو (مجموعة من المواعظ) نحا فيها ابن عميرة المخزومى منحى ابن الجوزى ، وصديقه ابن الأبّار اذ احتفل فيها بالصناعة اللفظية ، وبالاشارات التاريخية والتضمينات المختلفة وباستعمال الرموز المختلفة .

مؤلف ألقى الضوء على عصره

ذلك هو ابن عميرة المخزومى الذى حاول الأستاذ ابن شريفة عن طريقدراستهالقيمة لحياته وآثاره

آن يضعه في اطاره العلمي ، وأن يلقي الضوء من خلاله على العصر الذي عاشه ، وعانى منه أحداثه السياسية والادبية والاجتماعية ، ويتراءى لي كقارىء مخلص لهذه الدراسة ان الواجب كان يقتضي على الباحثين الذين اهتموا بعصر ابن عميرة المخزومي أن يخصوا هذه الشخصية بدراسة كهذه لكي لا تبقى صورة عصره ناقصة .

فابن عميرة كما وصفه لنا الأستاذ ابن شريفة كان من أبرز الشخصيات التي لا يستغنى عنها الباحث خلال دراسته لعصره ، فهو كما رأينا من كبار رجال الدولة والسياسة في الغرب الاسلامي ومرسلا موهوبا ، وشاعرا فحلا زاحم شعراء أهل زمانه ، ومثقفا كاملا ، مشاركا في مختلف العلوم النقلية والعقلية التي كانت تطبع عصره ، ورحالا كبيرا فرض نفوذه العلمي على ثلاث دول كانت شعاع الحضارة الاسلامية في هذه البقعة من العالم.

دعوة للاهتمام برجالاتنا وتراثنا

اننا هنا في غرب العروبة ما زلنا في حاجة ماسة الى تطويع انفسنا على البحث عن تراثنا ، وتراث أجدادنا لنتمكن بعمق من معرفة عصور حضارتنا الغابرة ، ذلك لان احمد بن عميرة المخزومي ليس وحده الذي كان مجهولا بل هنالك الى الآن عشرات بل مئات الاعلام في شرق وغرب العروبة ما زالوا في زوايا الاهمال ، وما زالوا ينتظرون اليد البيضاء والعقل المنهجي العلمي الذي سيخرجهم الى الوجود ، والى نور الحضارة الحديثة ليتفاعلوا معها ، بنفس المساهمة التي أسهموا فيها في الماضي .

والآن .. اذ اصفق بحرارة لهذا العمل المشكور الذي أسداه الاستاذ ابن شريفة الى الأدب المغربي، والى الخزانة العربية ، ارجو كما تمنى ذلك قبلي الأستاذ الفاسي في تقديمه لهذا العمل ، ان يتمكن الاستاذ ابن شريفة من الالتفات الى انتاج ابن عميرة سواء منه ، رسائله ، أو كتبه ، أو شعره ، لتحقيقه ، ونشره بين الناس في اطار احياء تراثنا الذهبي ، ذلك التراث الذي يعطي العالم الوجه الحقيقي للحضارة العربية في الغرب الاسلامي . ■■

الرباط ــ محمد أديب السلاوي



علم الادوية في مداواة الفم والاسنان

تأليف : الدكتور أكرم المهايني

الناشر: منشورات مديرية الكتب الجامعية/دمشق

● كتاب في علم الادوية وضع ليكون عونا لطالب طب الفم والاسنان حيث يرى فيه الطالب لمحة سريعة عن الفارماكوبيا وشروحا كافية لمختلف أدوية الفم والاسنان ومقاديرها الى جانب جملة من الآراء العالمية المستوحاة من التماس الحقيقي مع المرضى والمشاهدة العلمية الدقيقة . ثم دراسة مستفيضة لمختلف الادوية التي تهم الطالب والطبيب على السواء .

عقد العمل في الدول العربية دراسة مقارنة

تأليف : هشام رفعت هاشم

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ــ القاهرة

● كتاب في فقه قانون العمل وفي مجال تطبيقه وقد قام المؤلف بدراسة هذا الموضوع دراسة مقارنة بين دولتين عربيتين ، وهما الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية السودانية .والكتاب دراسة علمية لموضوع عقد العمل اعتمد فيها مؤلفه على ما استقر عليه الفقه في التفسير والقضاء في التطبيق . والكتاب مقسم الى سبعة فصول تناولت بيان المقصود بعقد العمل الفردي وتحديد نطاقه . ■■

«سنة أولى» جامعة!

قصة
بقلم: حسن فتحي خليل

■ كان أكبر ما يشغل بال الأم هو اقامة ابنتها بالاسكندرية ، وذلك بعد وصول خطاب مكتب التنسيق بقبولها بكلية الآداب فيها .. فهم يقيمون في بلدة بالريف قريبة من طنطا ، وليس لهم بالاسكندرية اقارب او اصدقاء ..

البنت فرحة لأنها ستلتحق بالجامعة ، حلمها الدائم . والأم موافقة . ولكن ماذا تفعل فتاة بمفردها في هذه السن ، في بلدة غريبة كبيرة كالاسكندرية ؟

وحل « بيت الطالبات » المشكلة . فالبنت مستوفية لشروط الاقامة به،فلم تكد تتقدم بطلبها حتى قبل ، واطمان بال الأم نوعا ما . وظلت توصيها قبل سفرها ، وتؤكد لها انها تثق فيها ثقة عمياء ، فيجب أن تلتفت الى دروسها ، وأن تبتعد عن مزالق الشر كل الابتعاد .

وهي وان كانت ما تزال تشعر بنوع من الخوف الا أنها كانت تثق فيها حقيقة . فمنذ نعومةاظفارها واحسان لا تخفى عنها شيئا مما يقع لها او تتناوله أحاديثها مع زميلاتها ، او ما يجيش به صدرها وتحدثها به نفسها وخيالاتها .

ولكن قلب الأم دائم القلق ..

وودعتها .. وهي تدعو الله أن يحفظها دائما .

ولما وصلت احسان الى الاسكندرية ، بهرتها المدينة بنظافتها وبشاطيء البحر الممتد طويلا ، والعمارات الكبيرة ، والحركة الدائبة .. كما بهرتها الكلية بمبانيها الضخمة والاعداد الكبيرة من الطلبة والطالبات .. ولمست أول ما لمست الحياة الجامعية بما فيها من اختلاط بين الجنسين .. ولقد ساورها الخوف في مبدأ الأمر ، فهي لم تكن معتادة على هذا الاختلاط الجماعي الكبير .. ولكنها بدأت تعتاده شيئا فشيئا في المدرجات والممرات وفي حجرات الاساتذة والموظفين و«البوفيه» .. وتأكدت ان الحياة الدراسية والاجتماعية بالكلية تتطلب حتما مزيدا من هذا الاختلاط .. ورأت أنها يجب أن تساير الواقع ولا تنطوي على نفسها ، ولو أن رواسب من القلق والرهبة كانت ما تزال تملأ فؤادها ..

● ● ●

وأحست به .. انه أحد زملائها بالسنة الاولى .. يحوم حولها دائما .. يلاحظ قلقها .. وهي يكاد يرتج عليها أحيانا ، أو وهي تبدو وكأنها تائهة تبحث عن شيء ..

حتى تقدم اليها يوما في رفق ورقة وقال : أنا تحت أمرك .

قالت وقد اصطبغ وجهها بالدم : اشكرك .

قال : لا شكر على واجب .. انت ما زلت جديدة، ولكنى أعلم بدقائق الكلية .. تأكدى بأننى اتمنى اية خدمة .. في المحاضرات أو لدى المسجل أو أى شيء تريدينه .

وعرفت منه أن هذه ليست سنته الاولى مثلها، فقد خانه الحظ في العام الماضي ورسب ، ولكنه أكد لها أن رسوبه يرجع الى ظروف خاصة ، وأنه على استعداد لأن يعاونها لما لمسه من طيبة أخلاقها واختلافها عن الاخريات .

سألته : وبماذا أختلف عنهن ؟

قال : بخجلك ، وعدم جرأتك .

وانتهزتها فرصة فقالت : كان الاستاذ يحاضر في



ومازالت يدها بين يديه .. وما زال صوته ينساب الى اذنيها « تعالى يا احسان .. تعالى .. » ولكن .. نفسها ثائرة .. واضطرابها يزداد .. وقلبها يدق في عنف .. ومشاعرها جياشة .

سرعة بالامس فلم اتمكن من متابعته ، ولم اكتب المحاضرة جيدا ..

فاخذ كراسة محاضراتها وتاملها ثم قال : اتركيها لى .

قالت : ولكن ..

قال مبتسما : لا اعتراض ..

وفي اليوم التالى سلمها الكراسة وقد اعاد كتابة المحاضرة كاملة بخط جميل نظيف منسق .

فقالت وهي خجلة : لا اعرف كيف اشكرك !

قال : لا شكر على واجب .. نحن زملاء .

قالت : ولكن يبدو انك سهرت فيها حتى أتممتها هكذا ..

قال : السهر من أجلك سعادة لى .

فاحمر وجهها .. ولم تعرف كيف تجيبه .

وعاد يقول : اعتبريني دائما في خدمتك .

فسالته ، هل الجامعة هكذا دائما ؟

فاجابها : طبعا .. تعاون صادق بين الزملاء .

ولقد كان عند كلمته هذه . لقد وفر عليها الكثير من المتاعب التى يقابلها الطالب الغريب الجديد بالكلية ، اطلعها على كل شيء ، وافهمها ما كانت تحتاج الى فهمه ، وحدثها عن الاساتذة والطلبة والطالبات .

كان معها دائما ، ما ان يشعر انها تريد شيئا حتى يقدمه اليها ، ما ان يحس أنها لا تفهم درسا حتى يقضي وقت الفراغ في الكلية جالسا بجانبها يشرحه لها في اسهاب .

ووجدت نفسها تأنس اليه .. كان لطيفا ومتعاونا كما كان حسن المظهر . ووجدت انها تبادله هذا الاهتمام وانها تعودت رؤيته يوميا . ولعله كان يتعمد التغيب يوما ليعرف شعورها نحوه ، فكانت تحس في غيابه كان شيئا ينقصها ..

كان يسعدها أن تجلس بجانبه ، وكان يخالجها شعور من الراحة وهى معه ، وكانت أذنها تلتقط دائما كلماته التى يعرف كيف ينتقيها . لم يكن كغيره من الطلبة الذين بدات تسمع عنهم من زميلاتها ، بل كان يبدو دائما بهذه الصورة المشجعة ، فمالت اليه وحرصت على أن تكون معه دائما .

وعرف هو كيف يكسب ثقتها ، وكانت كلما لاحظت غمزات الزملاء اذ يرونهما معا ، اخبرها بالا تهتم بهم واردف قائلا .

ـ لا أدرى لماذا يعتقد هؤلاء الناس انه لا يمكن قيام علاقة بريئة طاهرة بين زميل وزميلة .. انهم يغيرون من زمالتنا قطعا .

وكانت تصدق كلامه ، حقيقة أن علاقتهما علاقة زمالة بريئة ، حتى اذا ما حدث أن تلامست أيديهما فجاة كانت ترجع ذلك الى العفوية او الصدفة .

وحدث يوما أن كانت لديهما محاضرة بعد الظهر ، وكان جوها خانقا ، فالمادة نفسها ثقيلة والاستاذ متوتر الاعصاب . وما أن انتهت حتى هرع الطلبة الى خارج المدرج وهم يتنفسون الصعداء .

وسارت احسان مع جلال الى خارج الكلية ..

وسمعته يقول لها فجاة الى اين انت ذاهبة ؟

قالت : ساعود الى بيت الطالبات .

قال : دعك من بيت الطالبات الآن .

قالت : ماذا تقصد ؟

قال : يعنى ماما تنتظرك هناك ؟

قالت : ولكنه بيتى .

قال : بيتك طبعا .. ولكن لاداعى للاستعجال مادام ليس هناك من يستعجل عودتك .

قالت : ولكنى اعتدت العودة من الكلية الى البيت كما تعلم .

قال : اليوم سماح .. تعالى نمش قليلا .. فالجو لطيف كما ترين .. والمحاضرة كانت متعبة .. الا تروحين عن نفسك قليلا ؟

● ● ●

وفكرت : حقيقة انا في احتياج الى أن أمشى قليلا ، فالمحاضرة كانت ثقيلة الظل ، والجو هادىء .. والنسمات المنعشة تهب من ناحية البحر .. وانا في احتياج حقا الى ان أجدد ذلك الجو الخانق داخل المدرج .. وتأخر نصف ساعة مثلا عن موعد عودتى الى المنزل لن يضيرني

شيئا ، بعكس ما لو عدت راسا وانا بهذه الحالة لعل تعبى يزداد ..

● ● ●

وسارا معا في هوادة .. كان الشارع الذى يسلكانه نظيفا طويلا متسعا .. على جانبيه اشجار ضخمة يهفهف النسيم اغصانها في لطف .. ولم تعد احسان تشعر بخطواتها .. كانت .. تعب الهواء النقى عبا ، وهى تستمع الى جلال الذى كان ينمق الكلمات كعادته .. حتى اصبحت تشعر انها لا تسير بجانبه ، انما هى كالسابحة او كالطائرة ..

وانساب حديث جلال .. تناول كل شيء .. بدأه بالاساتذة والمحاضرات .. والزملاء .. والزميلات .. وانهاه عنها هى شخصيا .. عن زمالتهما الحلوة وارتباطهما الدراسى .. وفرط اهتمامه بها .. وشعور السعادة الذى يحسه فى وجودها .. ورغبته فى ان تكون دائما بجانبه ..

وكانت تستمع وهى تشعر براحة عميقة تملأ نفسها . واحساسات جميلة تدغدغ حواسها .. وتبدد التعب .. ونسيت المحاضرة الثقيلة والاستاذ المصبى .. والدروس .. والكلية .. وكل شيء .. ولم تعد تسمع سوى صوته .

وتلفتت حولها عفوا .. فوجدت انهما فى حديقة واسعة .. كانت الزهور تتمايل على وقع النسمات ، وكانها تشاركها سعادتها التى كانت تحس بها .. ولكنها سالته فجاة :

ـ انا لا اعرف هذا الطريق .. لعلى لن اعرف كيف اعود .

قال ضاحكا : اذن انت تتهميننى بقلة الذوق .

قالت : كيف ؟

قال : هل تتصورين انى سأدعك تعودين بمفردك ؟

قالت : هل ستوصلنى ؟

قال : حتى قرب بيت الطالبات ..

وضحكا معا .

كانت سعيدة بهذه الصداقة البريئة الجميلة بينها وبين جلال ..

ما اسعد الفتاة اذا ما صادفت شابا نبيلا كجلال .. اين امى الآن .. لاخبرها حتى تغير فكرتها عن الشبان الذين تحذرنى منهم دائما..»

وفجاة .. تخضبت جوانب السماء بالحمرة القانية .

« ما بالها بعد ان كانت زرقاء صافية قد اصطبغت بهذا اللون الذى يفزعنى .. انا لا احب هذا اللون الاحمر .. ان لونى المحبوب هو الازرق .. الصافي .. الهادىء .. »

● ● ●

ان اللون الاحمر يبعث فى نفسها القلق دائما ، لطالما احست بانها تشعر حياله وكانها تخاف شيئا مبهما .. لا تدرى كنهه تماما ..

وفجاة امتلات نفسها بشعور من الضيق وصحت من خيالاتها .. ولم تفطن اثناء سيرها الى انهما قد تركا الحديقة الى عدة شوارع .

وتلفتت .. فوجدت جلالا قد توقف

ونظرت اليه فى تساؤل ..

قال : تفضلى .

قالت : الى اين ؟

قال : انظرى .

ووجدت أنهما واقفان امام باب منزل وسمعته يقول ـ هذا بيتى .. هل تسمحين بزيارتى قليلا ؟

فقالت وقد اصابها ارتباك :

ـ ازورك ؟ .. اين يا جلال ؟

قال ـ شقتى .. فوق .. اطمئنى .. اطمئنى .. انا اقيم بمفردى ولا يوجد معى أحد .. تعالى .. تعالى .. بودى أن ترى كيف أعيش .. ان تضفى لمساتك على مسكنى المتواضع .

وامسك بيدها .. وكانت ما تزال فى ذهولها ..

وقالت فى صوت خفيض أهذا هو الترويح الذى كنت تحدثنى عنه ؟

فاجابها فى كلمات ناعمة : طبعا .. دعينا نروح عن انفسنا .. سيكون العالم كله ملك يدينا .. هيا يا احسان .. انت تعلمين مقدار حبنا .

(البقية على صفحة ١٥٢)

طرائف عربية

خطبة للحجاج

● دخل الحجاج الكوفة ، وصعد المنبر ، فانكسر تحت قدمه لوح ، فعلم انهم تطيروا له بذلك ، فالتفت الى الناس قبل ان يحمد الله وقال : شاهت الوجوه ، وتبّت الايدى ، وبؤتم بغضب من الله . . اذا انكسر عود جذع ضعيف، تحت قدم اسد شديد ، تفاءلتم بالشؤم، واني على اعداء الله لأنكد من الغراب الابقع ، واشأم من يوم نحس مستمر .

واني متوجه الى امير المؤمنين ، وقد وليت عليكم اخى محمد بن يوسف ، وامرته بخلاف ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فى اهل اليمن ، فانه امره ان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، وقد امرته ان يسيء الى محسنكم وان يتجاوز عن مسيئكم ، وانا اعلم انكم تقولون بعدى لا احسن الله له ، وانا معجل لكم الجواب ، لا احسن الله عليكم الخلافة . اقول قولى هذا واستغفر الله لي ولكم .

صياد دراهم الملوك

● قال الاصمعي : كنت عند الرشيد اذ دخل عليه اسحاق الموصلى فانشده :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى
فليس الى ما تأمرين سبيل

فمالى فعال المكثرين تجملا
ومالى كما قد تعلمين قليل

فكيف اخاف الفقر او احرم الغنى
وراى امير المؤمنين جميل

فقال له الرشيد : لله در ابيات تأتينا بها ! ما احسن اصولها ، وابين فصولها ! يا غلام اعطه عشرين الفا .
قال : والله لا اخذت منها درهما واحدا .
قال الرشيد : ولماذا ؟ قال : لأن كلامك والله يا امير المؤمنين خير من شعرى
قال : أعطوه اربعين الفا !

قال الاصمعي : « فعلمت والله انه اصيد لدراهم الملوك مني » !

حيلة

● بلغ عضد الدولة ، ان قوما يقطعون الطريق ، ويقيمون فى جبال شامخة ولا يقدر عليهم احد ، فاستدعى احد التجار ودفع له بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة وامره ان يسير مع القافلة ويظهر ان هذه الهدية لاحد نساء

● احزم الملوك من قهر جده هزله ،وغلب رايه هواه ،وجعل له الفكر صاحبا يحسم له العواقب ، واعرب عن ضميره فعله ، ولم يخده رضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن كيده .

هاتف في المنام

● قال بعض جلساء المعتمد : كنا بين يديه ليلة فخفق راسه بالنعاس فقال : لا تبرحوا حتى اغفى سويعة ،فغفا ساعة ثم افاق جزعا مرعوبا ، وقال : امضوا الى السجن وائتوني بمنصور الجمال ، فجاءوا به فقال له : كم لك فى السجن ؟ قال : «سنة ونصف» قال : « على ماذا ؟ » قال : « انا جمال من اهل الموصل ضاق على الكسب ببلدى فاخذت جملى وتوجهت الى بلد غيره لاعمل ، فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمي الحال كانوا يقطعون الطريق ، فدفع واحد منهم شيئا للجند فاطلقوه وامسكوني عوضه، واخذوا جملى فناشدتهم الله فابوا ،وسجنت انا والقوم فاطلق سراح بعضهم ومات بعضهم » !

فدفع له المعتمد خمسمائة دينار ،واجرى له ثلاثين دينارا فى كل شهر ، وقال : « اجعلوه على جمالنا » ثم قال :« اتدرون ما سبب فعلى هذا » ؟ قلنا : لا . قال : « رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مغف يقول لى : اطلق منصورا الجمال من السجن واحسن اليه » .

احتياط واجب !

● كان لرجل غلام من اكسل الناس، فارسله يوما يشترى له عنبا وتينا ، فابطأ عليه حتى عيل صبره . ثم جاءه باحدهما دون الاخر ، فضربه ووبخه وقال له : ينبغى لك اذا استقضيتك حاجة ان تقضي حاجتين !

وبعد ذلك بايام مرض الرجل فامر الغلام ان ياتيه بطبيب ، فغاب طويلا ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فساله مولاه عنه ، فقال اما ضربتنى وامرتنى ان اقضى حاجتين فى حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله فبها ، والا حفر حفر لك هذا قبرك ، فهذا طبيب وهذا حفار !

نـاجحة

الامراء . ففعل التاجر ذلك ، وسار امام القافلة ، ونزل القوم وسطوا على الامتعة والاموال ثم انفرد احدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى ، فقبح على نفسه ان ينفرد بها دون اصحابه ، فاستدعاهم فاكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم واخذ اصحاب المال اموالهم .

سنة اولى جامعة

(بقية المنشور على صفحة ١٤٩)

كانت هذه هى المرة الاولى التى يوجه اليهـا فيها مثل هذا الكلام ..

● ● ●

« حبنا ؟ .. نعم .. لعله هو هذا الشعور الذى بدأ يجتاحنى فى الأيام الاخيرة .. ولكن .. هل هذا الحب يوجب أن ازوره فى شقته .. منفردين ؟ .. »

كان ما يزال يقبض على يدها وهو يتابع حديثه عن الحب ..

« ان قلبى يدق عنيفا .. لم اجرب هذا الشعور من قبل .. انى مضطربة .. مترددة .. لا أدرى ماذا أفعل .. هل اقبل .. هل أرفض .. آه .. لو كانت امى معى الآن .. كلما صعب على امر او اغلق على فهمه اسر به اليها لتهدينى .. »

وما زالت يدها بين يديه .. وما زال صوته ينساب الى اذنيها «تعالى يا احسان .. تعالى ..»

ولكن .. نفسها ثائرة .. واضطرابها يزداد .. وقلبها يدق فى عنف .. ومشاعرها جياشة ..

وحاولت أن تضبط عواطفها قليلا .. أن توقف هذه المشاعر الهادرة المضطربة .. وأن تكبح جماحها وأن تفكر فى الموقف فى هدوء .. وفى تريث .

« حقيقة .. أشعر بسعادة حين أكون معه .. ولكن وسط الزملاء .. فى الكلية .. أو وسط الناس فى الشارع .. اما منفردين فى شقته ! ؟ .. كيف خطر له أن يعرض علىّ هذه الفكرة . ؟ ماذا يظننى ! ؟ انى اشعر ان كرامتى قد جرحت .. نعم .. من يظننى ؟ .. من يظننى ؟ .. هل يحسبنى احدى فتيات الشوارع ؟ ..

« احذرى الشبان يا احسان ومعسول اقوالهم .. لا تنسى كلمات امك .. احذرى الشبان .. فكثير منهم ذئاب .. ذئاب .. »

● ● ●

ونظرت اليه .. لقد تغير كل شىء فيه فى هذه اللحظة .. ان وجهه الهادىء الجميل اصبح كالحا وغادرته وسامته ، ان ابتسامته التى كانت تحبها حلت محلها ابتسامة صفراء . ان عينيه اللتين كانت تحب التطلع اليهما اصبحتا تقدحان بلهب غريب لم تره من قبل .. ان وجهه كله تحول تحولا عجيبا الى وجه جديد .. وجه لم تره من قبل .. وجه ذئب .

وكان ما يزال ممسكا بيدها ... فاحست لاصابعه فجأة لسعة النار على يدها ..

● ● ●

« انى أثق فيك يا احسان .. ولولا ثقتى فى اخلاقك وتصرفاتك لما وافقت على سفرك والتحاقك بالكلية .. »

« اطمئنى يا ماما .. لقد وضعت ثقتك فى محلها .. لم اعد صغيرة .. لا تخافى علىّ انى أثق فى نفسى انا الاخرى »

ومـر عـلى خاطرهـا شريط سريع عن قصص وروايات قرأتها او سمعتها او شاهدتها .. عن الذئاب والفتيات ...

وفجأة ماتت كل العواطف الجميلة التى كانت تحملها له فى قلبها ..

« كلا .. كلا .. ليس هذا هو الحب .. الحب انبل واعظم من هذا .. »

وسحبت يدها فجأة .. أبعدتها عن اللهب الذى كاد يحرقها ..

وتركته وراحت تحث الخطى .. وهو يناديها .. ولكن خطواتها تزداد سرعة .. والنداء يكاد يصم اذنيها ..

ــ احسان .. تعالى .. سنسعد معا ..

« كلا .. كلا .. كان بودى أن نسعد حقيقة .. ولكن .. لقد تكشف كل شىء .. لم يكن حبا .. لم يكن حبا .. يا الهى .. يا الهى .. »

واذا بها تجرى .. وهى لا تشعر بنفسها او بمن حولها .. خائفة .. مذعورة .. كانها تهرب من كابوس ثقيل يتابعها .. الى أن وجدت (تاكسى) .. فاسـرعت تركبـه .. وأوصلهـا الـى بيت الطالبات ..

وأسرعت الى حجرتها .. اغلقتها عليها .. وارتمت على فراشها تجهش ببكاء طويل .. ■■

الاسكندرية ــ **حسن فتحى خليل**

دع نقودك تربح
فائدة مأمونة
٥½٪
في حساب الودائع

يدر عليك حساب الودائع في بنك لومبارد فائدة بنسبة جيدة مع سلامة تامة لرأس مالك تضمن لك الطمأنينة المالية. وطالما نقودك مودعة في هذا الحساب، فإنها تحظى بفائدة على الدوام، وتستطيع ان تسحبها بسهولة وفقاً للشروط التي تتفق عليها عند فتح الحساب. لا تخصم منها أية ضريبة دخل في المملكة المتحدة. ويمكنك ان تودع مبالغ اضافية في الحساب في اي وقت تشاء، مما يتيح لك طريقة ممتازة لاستثمار رأس مالك.

والربح ٥½٪ سنوياً، يبلغ الحد الأدنى لمهلة السحب ٦ أشهر، سوى ان المائة جنيه الأولى يمكن سحبها لدى الطلب. ويدعم ودائعك في مؤسسة لومبارد المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطات تتجاوز ١٢،٥٠٠،٠٠٠ من الجنيهات الاسترلينية. أطلب من المدير العام مزيداً من التفاصيل، ونسخة من كتيب حساب رقم AO.182

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: P.O. Box 1.EU, LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON, W.1.
GROsvenor 4111 (30 lines)

City Office: 31 LOMBARD STREET, LONDON, E.C.3. MINCING LANE 4111 (10 LINES)



إضحك ..

تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك

شــهامة !!

● احتفل أسقف انجليزى بعيد زفافه الخامس والعشرين . وحضر الاحتفال احد كبار الفنانين من الفرنسيين . والتقى الفرنسى الفنان الكبير فى الحفل بشاب هو ابن اخ الاسقف ، فقال له الفرنسي : ان الاحتفال عندكم ايها الانجليز بعيد الزفاف الخامس والعشرين له فى ذهنى شىء من الابهام ، فما معناه بالضبط عندكم ؟

الشاب : معناه ان عمى وعمتى هذين عاشا معا ٢٥ عاما ولم يفترقا يوما واحدا .

الفرنسي الفنان: واليوم هو يتزوجها . برافو .. برافو .

مساكين الصحفيين !

● كراهية السياسيين للصحفيين ليس لها حدود ، وقلما وجدت رجلا مشتغلا بالسياسة يحب الصحافة والصحفيين . وقد حدث أن مات صحفى كبير معدم ، ولم يجد اصدقاؤه تكاليف تشييع جنازته ، فأسرعوا يجمعون مبلغا من المال لسد نفقات الجنازة ، وقرروا ان يدفع كل متبرع دينارا واحدا !

وقصد الأصدقاء الى سياسى معروف وطلبوا اليه ان يساهم بدينار فى دفن هذا الرجل الذى خدم الصحافة أعواما طويلة !

فقال السياسى على الفور : « هذه ورقة من فئة الخمسة دنانير،لكى تدفنوا بها خمسة صحفيين لا صحفيا واحدا ! »

درس فى قواعد اللغة

المدرس : ما هو الفعل الماضي لجملة« انا أعيش » ؟

التلميذ : انت ميت ياسيدى !

يحيا العدل !



مدرس الحساب : « اذا سمعت كلمة اخرى واحدة في الفصل ، فلن اتردد في ان اطرد صاحبها ، وأعيده الى بيته فورا ! » .

التلميذ الذى يكره حصة الحساب : « يحيا العدل ! » .

أحلام اليقظة

زوج لصديقه : لقد حلمت زوجتي ليلة البارحة بأنها قد تزوجت من ثري يتحكم في الملايين ..

الصديق : انت محظوظ . فزوجتي تحلم مثل ذلك الحلم ولكن في وضح النهار ..

حل معقول

الأب : « آسف ، لا استطيع ان ادفع لك مليما واحدا اكثر مما تحصل عليه الآن ! » .

الابن : « المسألة في غاية البساطة اذن ، فانت تستطيع ان تدفع لي مصروفي كل ثلاثة ايام بدلا من كل اسبوع ! » .



من المضروب ؟!

الأم : لا بد ان اذهب الى المدرسة لابحث عن الولد الذي ضربك ! وما عليك الا ان تشير اليه باصبعك .. وسوف القنه درسا لن ينساه .

الابن : لا داعي لذلك ، فسوف تعرفينه حتما ، لأن هناك هالة سوداء فوق عينه اليسرى ، كما ان اسنانه الثلاثة الامامية مكسورة !!

العربي

العدد ١٠٩
٢٩ شعبان ١٣٨٧
ديسمبر
(كانون الاول) ١٩٦٧

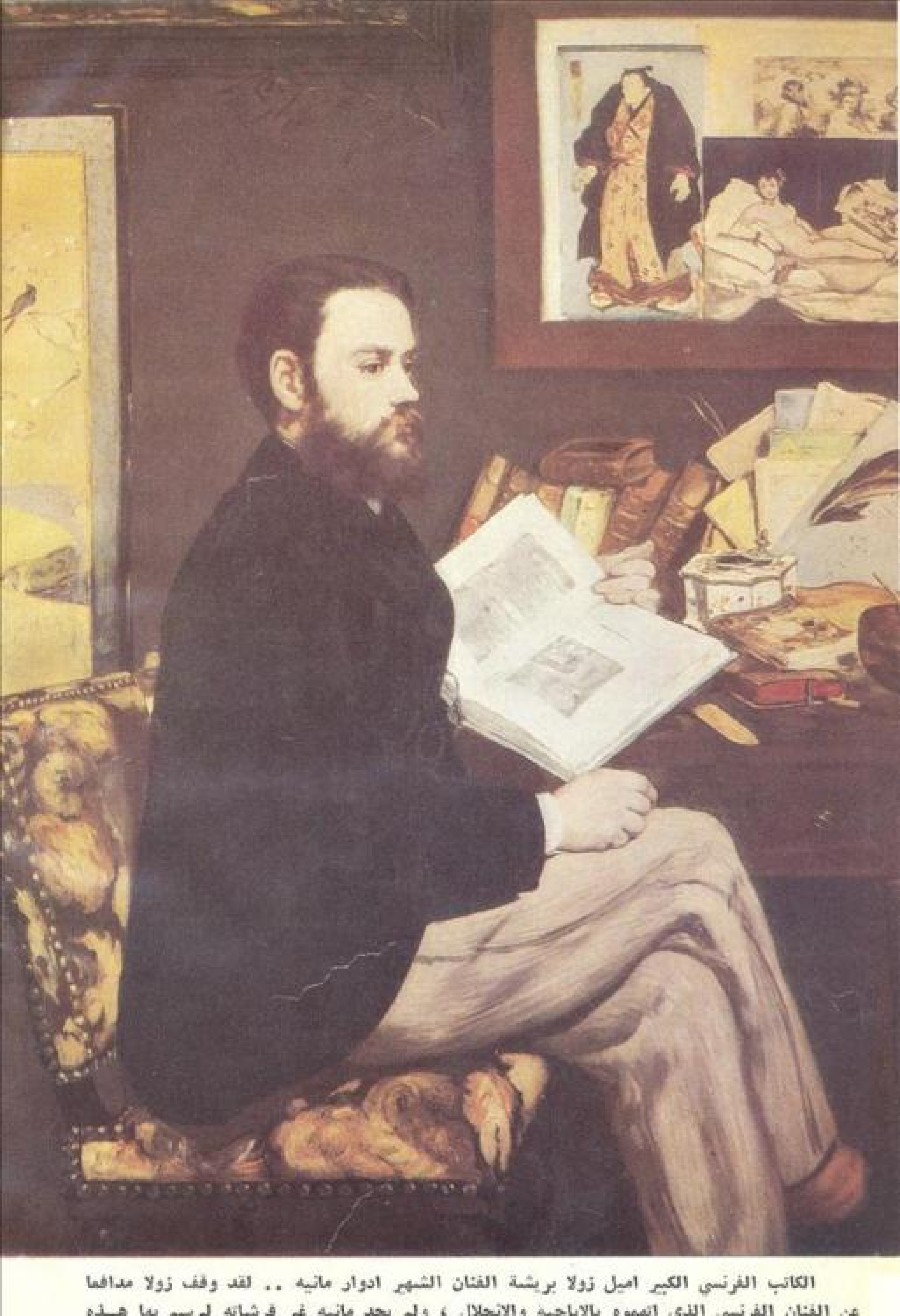


اردنية في الجامعة ..

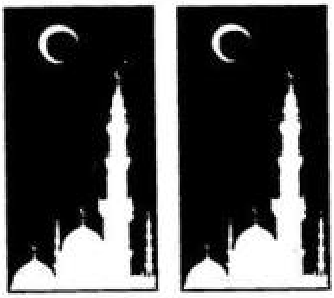
جوائز ١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٥ر٢	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم
العراق	١٢٠	فلسا	[illegible]	١٠	[illegible]	المغرب	٢	[illegible]



الكاتب الفرنسي الكبير اميل زولا بريشة الفنان الشهير ادوار مانيه .. لقد وقف زولا مدافعا عن الفنان الفرنسي الذى اتهموه بالاباحة والانحلال ، ولم يجد مانيه غير فرشاته ليرسم بها هذه اللوحة الرائعة اعترافا منه بالجميل . (اقرأ المقال ص ١٥١) .



عزيزى القارىء

العدد القادم

عدد رأس السنة ١٩٦٨

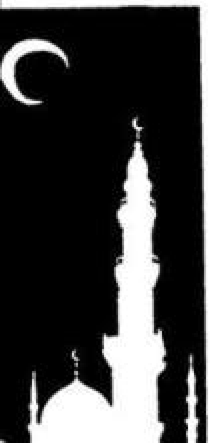
عدد ممتاز

مع هدية رائعة ملونة ، منفصلة

تهم العالم الاسلامى أجمع

فى أول يوم من أيام عيد الفطر المبارك ١٣٨٧ هـ

١٦٠,٠٠٠ نسخة



وكل عام وأنتم بخير

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

اسلاميات :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

فلسفة :

تربية وعلم نفس :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 109 Decembre 1967 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

العدد القادم من العربي عدد ممتاز

طب وعلوم :

ركن الأسرة والمرأة :

شعر :

كتب :

قصص :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٢ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٢ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

تحية عربية من أمريكا

● انا أميركي الجنسية غير انني لم انس لغتي العربية التي هي قسم من تراث أجدادي .

تصل اليَّ مجلة « العربي » بين حين وحين فاقرأها بشوق زائد ومتعة قوية .

هنيئا للمؤسسة التي تصدر « العربي » ، وهنيئا لكم بالسعادة الفكرية التي يقدمها « العربي » الى عقل المجتمع لأنها السعادة التي نفتقر اليها في هذا العالم المضطرب .

تمنياتي لكم وللمجلة .

بديع فريد مسوح

هاجر أم اسماعيل

● كتبت الاخت سنية قراعة متحدثة عن هاجر ام اسماعيل في العدد ١٠٤ وعن قصة حياتها . ومن جملة ما كتبته « ان هاجر آمنت بالحنفية ، وهاجر المسلمة الخاشعة » فهل نستطيع أن نركن الى صحة ما قالته الكاتبة ، وأن ابراهيم كان حنفيا منذ ذلك الحين حتى ان هاجر آمنت بالحنفية وأسلمت على يده ؟ مع أن هذا هو الشيء الذي ينفيه الدكتور طه حسين وينكره حتى أنه يقول لا أساس للحنفية والاسلام قبل مجيء الرسول (صلعم) وذهب الى انه يجب علينا ان نكذب كل قول يخص هذه الناحية بالذكر ، وذلك في كتابه « الادب الجاهلي » .

ولذلك أتساءل اي القولين يجب أن نصدق ، قول الدكتور الاديب الكبير طه حسين أم قول هذه الكاتبة سنية قراعة ، ؟ وما هي غاية طه حسين من النكران والنفي ؟

وأريد أن أذكر الكاتبة أن شعبا جاء من صلب اسحق وهم بنو اسرائيل والمسلمون جدهم اسماعيل ، مع أن الاثنين أولاد ابراهيم الحنيف على حد تعبير الكاتبة . فهل من المحتمل أن سارة وابنها اسحق خرجا على طاعة ابراهيم ؟ فاذا كان هذا محتملا فعلى الكاتبة أن تكشف الحقيقة وتخرجنا من أوهاد الشك الذي يؤدي بنا احيانا الى الكفر بما تقوله الكاتبة ونحن نتجنب ذلك .

القارىء : محمود خوري ـ سوريا

آينشتاين . ؟!

● قرأت في صفحة ١٤٠ ـ ١٤١ من العدد ١٠٥ من مجلة « العربي » القراء ، كلمة في الرد على احد قراء « العربي » الكرام ، حيث استفسر عن صحة نزعة ـ آينشتاين ـ الصهيونية ، كما أشارت الى ذلك بعض الصحف الأجنبية .. وكان رد « العربي » : « ان آينشتاين لم يكن ابدا من أنصار الصهيونية السياسية أو مؤيدا لها ، وهو لم يختلف عن معظم المفكرين الآخرين في ادانة الصهيونية .. ثم نقلت « العربي » نبذة من مذكراته حيث يقول :

« ان الآفة القاتلة في زمننا الحاضر انما هي القومية المتطرفة النابعة دوما من مشاعر البغضاء والكراهية العمياء .. واني لأؤثر التفاهم بين العرب واليهود والتعايش السلمي بينهما على أية

مغربى يبحث عن أسرته فى مصر

● يسرنى أن أكتب اليكم وقلبى يخفق املاورجاء فى أن رسالتى هذه سيكون لها الصدى الذى أتمنى من خلال مطلبى،وفيما يلىاستسمحكملان اقدم لكم تفاصيل موضوع رسالتى باختصار :

اسمى : المتولى محمد بالحاج محمد سليمانبالقمح

عنوانى : بالحى المحمدى المقاطعة الثالثة عمارة٢٩ ، شقة ٢ بمراكش / المغرب

طلبى : ابحث عن أسرتى حيث مسقط رأسوالدى ومنبت أسرته هناك بربوع القطر المصرى الشقيق ، ورجائى أن تعملوا على توجيه ندائىهذا بوسائلكم الخاصة . راجيا أن يجمعنى الله بأسرتى التى فارقتها منذ أمد بعيد .

المتولى محمد بالحاج محمد سليمان بالقمح

أثر اللغة السريانية

● ورد فى مقال « أثر اللغة السريانية فى اللغة العربية » للأب اسحاق ساكا فى العدد ١٠٦ من المجلة الغراء ، وتحت باب النحو : « فذهب أبو الأسود الدؤلى الى البصرة ، وتعلم هناك اللغة السريانية الفصحى ، وعاد الى بغداد » .

فمن المعروف أن أبا الأسود كان من أصحاب الامام على بن أبى طالب ، وقد ذكر فى أول الباب انه توفى سنة ٦٩ هـ ، وبهذا يكون تاريخ وفاته هو ٦٩٢ م . فمتى ذهب الى بغداد التى بنيت فى عهد بنى العباس الذين استولوا على السلطة سنة ٧٥٠ م ؟ نرجو التنبه الى ذلك ، والعفو عن الخطأ .

عبد الله محمد حمود

بيت ليف ـ لبنان

يطلب زيادة أعداد العربى

● الى مجلة « العربى » صديقة كل عربى أقول :

نحن أبناء السودان نؤمن بهذه الدرة التى خرجت لتنير لنا الطريق ، ونشكو من قلة عدد النسخ التى ترسل من مجلتكم الى السودان ، فعدد قراء « العربى » فى تزايد مستمر ، نرجوكم ان تضاعفوا الاعداد التى ترسلونها الى السودان، حتى تكون فى متناول يد كل قارىء يطلب العلم والمعرفة .

الفاتح يوسف عثمان

واد مدنى ـ السودان

والصهيونية

دولة يهودية يسعى الصهاينة الىخلقها ، فالديانة اليهودية كما افهمها تتنافى وقيام الدولة اليهودية، والذى أخشاه هو الانحلال الداخلى الذى سيحل باليهودية نتيجة للروح القومية الضيقة التى ستظهر وتتفشى فى الدولة اليهودية اذا هى خرجت الى حيز الوجود . »

لقد كنت أعتقد شخصيا مثل هذا الاعتقاد ، وكنت أنزه آينشتاين عن كل عصبية يهودية أو نزعة صهيونية ، ولكننى عدت فغيرت رأيى تماما عندما قرأت كتابا باللغة الانجليزية بقلم الكاتب الأمريكى اليهودى ـ وليام كهن ـ حيث وجدت آينشتاين فى هذا الكتاب يهوديا يعتز بيهوديته ، وصهيونيا يعتز بصهيونيته .. وعرفت من هذا الكتاب أن آينشتاين هو احد اقطاب الصهيونية الذين أرسوا قواعد الدولة الاسرائيلية .

وهذه مقتطفات من كلام المؤلف :

١ ـ ونتيجة لتجاربه الكثيرة المتزايدة مع أعداء السامية ، اقتنع آينشتاين الذى يكره القومية بأهمية الحركة الصهيونية وذلك فى منتصفحياته.

٢ ـ وخصص آينشتاين بكل ما يستطيع من قوة وقتا للحركة الصهيونية وجمع التبرعات للوطن القومى اليهودى .

وكان يقول : انه لا يكفى أن نقوم بالواجب كافراد ، بل يجب علينا ان نقوم بالواجب بصورة لا تقوم بها سوى الأمم ككل .

٣ ـ وعندما اقترح أن يقوم الدكتور وايزمان

(البقية على صفحة ١٥٤)

حديث الشهر

البروباجندة

بقلم رئيس التحرير

■ البروباجندة

واسموها الدعوة

واسموها الدعاية

واسموها النشر

واخيرا تلطفنا واسميناها الاعلام .

والفاظ اللغة العربية ، والفاظ كل اللغات : توضع أول الأمر لمعان خاصة محدودة ، ثم تكتسب من الاستعمال على السنة الناس ، وفى اغراض عيشهم ، ظلالا ، تخف ، وتثقل . ومن الظلال ما يثقل حتى يكاد يحجب المعنى الأصيل الأول الذى وضعت الكلمة له .

ومن هذه الكلمات : البروباجندة .

فهذه الكلمة اوروبية : لا شك فى هذا . وهى لم تجر على السنة الناس هناك الا فى عام ١٦٢٢ . ففى ذلك العام انشا البابا جريجورى الخامس عشر GregoryXV مجمعا للبروباجندة الدينية في روما De Propaganda Fide . وهذا المجمع تالف من كردنالات كان من واجبهم « نشر التعاليم الكاثوليكية فى أرض الوثنية » .

فلفظ البروباجندة كان معناه أول ما استخدم معني بريئا . هو النشر . نشر الدعوة كائنة ما كانت . وبقي هذا المعنى بريئا الى اليوم فى اللفظ الانجليزى Propagate والفرنسي Propager وأمثالهما . ومن معانيها النشر ، ولا شيء غير النشر .

ولكن النشر يكون حقا وباطلا ، ويكون صدقا وكذبا . فلما اخذت الناس تنشر الأمور ذات الوان ، وفقا للهوى ، اكتسبت البروباجندة معنى لها غير برىء .

ومع هذا ، فقد ظل هذا اللفظ

البُروباجندة لفظ بَرِيء، صَافٍ كالمَاءِ في الزُّجَاج، وَتَدخُله السِّيَاسَة فَيتَلوَّن.

النَّاس في بَراءَتِها تُصَدِّق ما تَسمَع، وَهِيَ لا تُكلِّف نَفسَها البَحث عَنِ المَصَادِر.

كانَت عكاظ سُوق دِعَايَة لِلعَرَب كُبرَى، وِعَاؤُهَا الشِّعْر قبلَ الصُّحُف وَالإِذاعَة.

الصِّدق في الإِذاعة أَسلَم عَاقِبَة، وَأَجدَر بِكَسْب ثِقَة النَّاس. وَلكِن هَيهَات.

يستخدم الى اليوم فى اللغات ذات الأصول اللاتينية فى امريكا الجنوبية، مبرأ من اى ظل غير محمود.

الدعوة والدعاية

والذى حدث للفظ البروباجندة حدث للفظ الدعوة.

لفظ الدعوة لفظ بريء معناه الدعوة الى فكرة، فهو كالزجاجة، لا لون لها، حتى تملأها بالأبيض والأسود والأخضر والأحمر من الشراب، وغلبت الدعوة فى أول أمرها على كل دين أو مذهب محمود تدعو اليه. ثم دخلتها السياسة فأخذت تتلوّن بما يحب وما يكره الناس من الوان. والذين كرهوا سموها دعاية.

الاعلام

ومنذ سنوات باغتتنا الجامعة العربية بلفظ جديد هو الاعلام. ولم نستطع أن نقراه، فهو خرج غير مشكول، ولم يستطع الناس. ثم علمنا انها الف مكسورة وعين ساكنة، وان الكلمة مصدر لفعل اعلم يُعلم، كاخبر يخبر. فالاعلام اذن هو الاخبار. وهو بذلك يلتقى بوكالات الاخبار Information فى دول الغرب.

ولسنا ندرى هل هو لفظ وجدوه فى لسان العرب او المحيط فبعثوه من رقدته هناك ام هو لفظ ابتدعوه. فان يكن لفظا ابتدعوه فلا شك ان اختيارهم للفظ غريب على اللسان العربى، فغريب على القلم الصحفي، انما كان اختياره هربا من الظلال التى لصقت فى مثل لفظ الدعاية ولفظ البروباجندة.

فالاعلام اذن هو البروباجندة التى بالف معناها أهل الارض، منقوص منها ظلالها غير الحميدة.

البروباجندة قديمة قدم الانسان

انه اينما وجد رجل يقول، وآذان تسمع، وجدت البروباجندة جزءا من طبيعة الحياة.

وهى توجد فى حياة الرجل الخاصة،

الداعية الكذاب يجب أن لا ينسى، ومع هذا فالجماهير الساذجة قد تسبقه إلى النسيان .

وفى الحياة العامة . وهي توجد فى الحيّ الصغير ، وفى القرية ، وفى الدولة ، وبين الدول .

فحيثما وُجدت منافسة بين انسان وانسان ، استعان احدهما على الآخر بالبروباجندة يصنعها ضد منافسه ، أو هو يصنعها لصالح نفسه . ولا يفوتك انه يذكر ما يذكر من محامد نفسه، ويختم ما يذكر بأنه من فضل الله يؤتيه من يشاء .

وانت فى المكتب ، او فى النادى ، او فى اى مجتمع كائنا ما كان ، تسمع الخبر عن الناس ، وفيه ما يسيء اليهم ، وفيه ما يسر ، وكثيراً ما يكون حامل الخبر ، صح او لم يصح ، يمارس البروباجندة، عمداً على المستوى الشخصى الصغير .

والناس تتأثر بما تسمع . وهي أقرب الى التصديق بما تسمع . وهى لا تكلف نفسها تعب البحث عن المصادر .

وحسن السمعة بين الناس يهدف اليه كل حيّ ، لأن حسن السمعة يسهل للأب والابن والبنت سبيل الحياة ، وما اشقه على الكثيرين .

وأبو العلاء المعرى قال في قصيدته الشهيرة :

ولا يبالي الميت فى قبره
بذمة شيّع أم حمده

وهذا صحيح فيما يختص بالمعرى وامثاله ، ممن قالوا ويقولون مثله :

« هذا جناه ابى علىّ ،
وما جنيت على احد »

فهو رفض ان يتزوج ، ولم يترك خلفا .

وانى لأحسب ان الميت الذى ترك خلفا وراءه ، لو انه احس فى قبره ، لبالى بالحمد او الذم يتركه وراءه ، لابن ، ولا سيما لابنة يقال لها من كان ابوك او من كانت أمك ؟

ويحضرنى فى هذا قصة الأعشى .

كان الأعشى شاعرا عربيا فى الجاهلية أعمى، وكان يوافى سوق عكاظ كل سنة . وكان المحلق الكلابى رجلا لم يخلف غير اناث، فقالت له امرأته وقد علمت بمجيء الأعشى : ما يمنعك التعرض لهذا الشاعر فلعله يصيبنا منه خير . فقال لها المحلق: ويحك ما عندى غير ناقتى . قالت له زوجته : يخلفها الله علينا . فخرج المحلق حتى اذا التقى بالأعشى وجده فوق راحلته وابنه يسوقها ، فأخذ المحلق بخطام الدابة . فأحس الأعشى بذلك فقال من هذا الذى غلبنا على خطامنا ؟ قال : المحلق . قال : شريف كريم .

ونزل الأعشى عنده فنحر له ناقته ، وسقاه واكرمه . واحاطت بناته به، فقال الأعشى : ما هذه الجوارى . قال المحلق: بنات أخيك ، وهن ثمان، تبعتهن كبيرة .

فخرج الأعشى من عند المحلق ولم يقل شيئا . وفى عكاظ قال قصيدته الشهيرة، فاذا بها :

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار فى يفاع تحرّق
تشبّ لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق

فسلم عليه المحلق ، فقال له : مرحبا

قال الأعشى : من الذى غلبنا على خطامنا ؟



أخيبُ الدُّعاةِ مَنْ يدخُلُ بالمَنطِقِ إلى عُقولِ السَّامِعين، لاسيَّما في الأُمَمِ المتخلِّفة.

يا سيدى بسيد قومه. ونادى : يا معاشر العرب ، هل فيكم مذكار يزوج ابنه الى الشريف الكريم . فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة الا وقد زوجها .

والشعر كان فى الجاهلية العربية وسيلة التواصل الكبرى ، فكان أداة الدعاية الكبرى كذلك . كان العرب اميين ، وكانوا للشعر حفظة ، ويقال الشعر فى عكاظ فتتردد اصداؤه فى اطراف الجزيرة .

وما كانت سوق عكاظ الا مركز دعاية كبرى ، تجرى على السنة الشعراء والخطباء من كل صقع . والفخر ، اذ يفخر الشاعر بنفسه ، او يفخر بقبيلته ، ما كان الا نوعا من الدعاية ، كان لا بد منها فى مجتمع لا يسوده السلام، فهو كل يوم فى حرب . والحروب من أسلحتها الكبرى الدعاية .

الدعوة السياسية عند العرب

على ان كل هذه الصنوف التى ذكرنا من الدعاية جاءت بحكم الطبع ، فلم يكن لها فى ذلك الزمان البعيد تنظيم وتخطيط ، ورسم له اهداف .

وبدا هذا التخطيط والتنظيم عندما انتظم الحكم عند العرب أو عند غير العرب .

وهو بدأ عند العرب دعوة ، ظاهرها ديني وباطنها سياسي . وصارت الدعاية حرفة ، وصار لها دعاة . وكان الدعاة وراء كل انقلاب وقع في الدول الاسلامية المتعاقبة . فمنذ اختلاف عليّ ومعاوية بدات الدعوة التى انتهت بقيام الدولة العباسية (لا الفاطمية) مكان الدولة الأموية .

وليس أدلّ على ما كان في هذه الدعوة من ضراوة مثلُ قول سديف بن هيمون لعبد الله السفاح ، أول الخلفاء العباسيين :

لا يغرنّك ما ترى من أناس
ان تحت الضلوع داءً دويّا
فدع السوط وارفع السيف حتى
لا ترى فوق ظهرها امويّا

فما سمع الخليفة منه ذلك حتى قام واجهز على ما كان لديه منهم .

وقامت الدولة العباسية واستمرت مع ذلك الدعوة الفاطمية قوية ، نجد آثارها فى قول ابن الرومي وهو يخاطب خلفاء بنى العباس ، فى رثائه ابى الحسن يحيى بن عمر بن حسين بن زيد بن على ، وكانوا اتهموا بقتله .

ايحيى العلى ، لهفى لذكراك لهفة
يباشر مكواها الفؤادَ فينضجُ
لمن تستجدُّ الارض بعدك زينةً
فتصبح فى اثوابها تتبرّجُ
أجنّوا بنى العباس من شنآنكم
وأوكوا على ما فى العياب وأشرجوا
نظارِ لكم ، ان يرجع الحقُّ راجع
الى أهله يوما فتشقوا كما شقوا
غرّرتم لان صدّقتم ان حالة
تدوم لكم : والدهر لونان ، أخرجُ
لعلّ قلوبا قد أطلتم غليلها
ستظفر منكم بالشفاء فتثلجُ

الدعوة السياسية عند الغرب

وكما نشطت الدعوة السياسية عند العرب ، نشطت عند أهل الغرب ، بل واهل المشارق جميعا .

حتى هيرودوتس Herodotus ، المؤرخ اليوناني الشهير ، وصاحب تاريخ الرجال المعروف ، يحدثنا التاريخ بأنه

انما كان داعية للدولة الاثينية عندما كتب ما كتب .

وهذا وأمثاله جعل الكثير من الناس يشكون فيما نزل اليهم من قصص وتواريخ ، أيها التاريخ الصادق : وأيها البروباجندة ؟ ومن البروباجندة ما ينشرها حتى الرجل الأمين ايمانا بها .

وفى الرومان ، كان أوكتافيوس، وكان مارك انطونيوس صاحب كيلوبطرة ، خبيرين عظيمين فى شئون البروباجندة وتحريك الجماهير الرومانية فى الناحية التى يريدان .

وفى العصر الاوروبى الوسيط نذكر ما كان بين الملك فيليب الاسبانى والملكة اليزابيث، كل اطلق من السنة الدعاية ما اراد به أن يزحزح مكانة صاحبه من أهله ثم من أهل أوروبا . حتى لبلغ من الملك فيليب ان اذاع أن اسطوله قهر الاسطول البريطانى فى حين كان الاسطول البريطانى قضى على الاسطول الاسبانى المعروف بالأرمادا Armada قضاءه التاريخى المشهور .

ونابليون تناول من الدعاية ما تناول ومن دعايته اسكات صحف خصومه وترك صحفه تمجد من عظمته وعظمة امته .

وبسمارك فى العصور القريبة عمد الى الدعاية لضم اجزاء المانيا بكل وسيلة ، ولم يتحرج . وحتى لقد حاول أن يسيء الى سمعة الملكة فكتوريا فى أوروبا . وحرّف من نص تلغراف شهير بقصد اشعال الحرب .

ان عند الدعاة ان الوسيلة تبرر الغاية .

الدعاية فى القرن العشرين

ومع كل هذا فلم تبلغ الدعاية : حتى تلك العهود القريبة ، من دقة الفن ، ومن حسن التخطيط ، ومن الدرس ، ما بلغته فى القرن العشرين .

وقد اعان على هذا بالطبع وسائل الاعلام جميعا ، القديم منها والجديد . أما القديم فالصحف والكتب : وهذه



بسمارك : حاول فى دعايته ان يسىء الى الملكة فكتوريا ، وحرف فى نص برقية ليشعل الحرب !

ازدادت واتسعت وازدهرت . وأما الجديد فالسينما ثم الاذاعة واخيرا جاء التلفاز . وكلها من ولائد هذا القرن . حتى السينما ، وهى اقدمها ، فهى فى حكم الوليدة فيه .

والتكنية وتقدمها، وارخاصها الأشياء، اعان على نشر وسائل الاعلام هذه . وحرصت الحكومات آخر الدهر على ان يكون فى كل بيت تلفاز ، لأنه صوت الداعى الى آذان الشعب : وناقل صور الأحداث والرموز والشعارات الدعاوية جميعا .

الدعاية السياسية فى الحرب العالمية الأولى وفى الحرب العالمية الثانية وما بينهما

وكانت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) أول مظهر ظهرت فيه خطورة الدعاية السياسية الحديثة فى حياة الأمم . انها حرب اتصلت بها حياة كل أمة على ظهر هذه الأرض . ودعاة السياسة فيها استفادوا فيما سبق هذه الفترة من دعاة التجارة ، الذين كان هدفهم ترويج البضائع بالاعلان عنها فى أممهم ، وفى غير أممهم . ان الدعاية صارت عند هؤلاء الدعاة من قبل حرب فنا وعلما ، اتصلت بشتى فنون العرفان، من علم طبيعي ، وعلم اجتماعي ، وعلم نفس ، وعلم أجناس وأمم . وهذه العلوم الأخيرة لم تزدهر كمثل ازدهارها فى القرن العشرين .

فالداعى اليوم لا يقوم الى المكروفون على الفور فيدعو . الا أن يكون عربيا من

سبيل الدعوة عند العامة هو مس العاطفة، وإيقاظ الأحقاد والأهواء.

أولئك الذين يريدون أن يثبتوا انهم من ذلاقة اللسان فى حيث كان يقف سحبان. ان الدعوة اليوم مهنة، واليوم لا يقوم الداعي الا لتوضيح نقطة، هي حرف من كلمة، هي كلمة من سطر، هو سطر من صفحة، هي صفحة من مخطط رسمته الدولة وأقره دعاتها.

وأنتهت الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٨، لتبدأ الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩. فكان بين الحربين نحو من عشرين عاما، دخل العالم فيها فى صنف من الحكم جديد هو حكم الدكتاتوريات. ونصفها بالجديدة لأنها فرض فيها انها للشعب، ولخير الشعب وحده، وبنوها على مذاهب سموها أديالية وسميناها عقائدية.

ولأنها عقائدية كان سبيلها عند أصحابها الاقناع. والاقناع وسيلة الدعوة. والدعوة هي الدعاية وهي البروباجندة. وقامت الدكتاتوريات الثلاث الكبرى، من بلشفية، الى نازية، الى فاشية، على الدعاية. وقامت على الدعاية العنيفة. وكثيرا ما عجزت على عنفها فوجب عندهم أن يعينها الدم المسفوح.

المهم أنه فى فترة العشرين عاما، مابين الحربين، بلغت الدعاية، فى هذه الدكتاتوريات الثلاث، مبلغا من الدقة والرقة وسرعة الاجهاز لم يكن لها من قبل.

وجاءت الحرب العالمية الثانية، فكانت الدعاية من أسلحتها الأولى. وكثيرا ما كانت السلاح الأقطع، عند الطرفين، الطرف الذى احتوى الجانب الغربي الحر، والطرف الدكتاتوري الديمقراطي.

وأسمينا دول الغرب بالجانب الحر، وهو اسم دعاية. وأسمينا الجانب الدكتاتوري بالدكتاتوري الديمقراطي، وهو كذلك اسم دعاية، وهو على كل حال اسم جديد فى علم السياسة، جمعوا فيه بين الدكتاتورية والديمقراطية، وهم يقولون فى تعليل ذلك ان لعلها دكتاتورية ترضاها شعوبها، والله أعلم.

ما هى البروباجندة ؟

اختلف الباحثون فى تعريفها باختلاف محتوياتها وأهدافها على العصور. ولكن لسنا نبعد كثيرا اذا نحن قلنا انها محاولة لتغيير أفكار الناس، أو عاداتهم أو نظراتهم الى وجه أو أكثر من الوجوه فى الحياة، ووسيلة ذلك الكلمة، أو القصة، أو بالطبع الخبر. وبما أن الناس عندما تعمل فى الحياة انما تعمل ما توجيه اليه أفكارها، فهدف الدعاية الاخيرة انما هو حمل الناس عندما تعمل (أو لا تعمل) على عمل شيء خاص بأسلوب خاص هو الذى أوحت به الدعاية.

والدعاية صريحة ظاهرة، وخبيثة خافية. ومن الدعايات الصريحة التى لا يحتاج الداعى اليها الى خفاء، الاعلان عن بضاعة يراد حمل الناس على شرائها وبسبب وضوح الهدف من الاعلان التجارى قل من يمسى الاعلان عنه دعاية. والى جانب هذه الدعايات الصريحة دعايات خافية، يزيد نصيبها من الخفاء ويقل. وهى أكثر ما تكون خفاء عند ما يكون الهدف منها اجتماعيا أو سياسيا. وقد يسمع حتى المختصون بالدعاية، أو يرونها ان كانت مما تنظر، فلا يدركون ما خفى منها وما بطن. وقد يدركون ذلك بعد أن تكون نالت بالنفع

او الضرر اهدافها . وقد لايكون هذا الا بعد سنين .

والدعاية قديقوم بها فردواحد،لحاجة واحدة عابرة ، وقد تقوم بها جماعة فى غير تخطيط . وكل هذه لاتبلغ من الخطورة مبلغا كبيرا . وهى كثيرا ما تشف عما تحتها فيرى الناظر اليها باطنها كما يرى ظاهرها . فهى اذن دعاية صريحة ظاهرة ساذجة .

وغير هذه الدعايات التى تقوم فيها الجماعات المتخصصة ، التى تحرص كل الحرص على أن لا يعرف عنها أنها مصدر لنشر او اعلان كائنا ما كان . ولان هذه الدعايات تحتاج الى مال وفير وعلم كثير، تقوم بها فى الأمم الكبيرة وكالات ترصد لها الاموال رصدا. ثم هى لا حدّ لما ترصد لها من مال . وهذا من بعض عجز الأمم الصغيرة عن العيش ومصارعة الاهواء فى دنيا الاغنياء الأثرياء .

الدعاية كم يَصْدق فيها الداعى وكم يكذب

يقال ان رئيس الولايات المتحدة الأسبق ، الرئيس روزفلت ، عندما اعلنت امريكا الحرب على المانيا وحلفائها اوصى اهل الدعاية من اهله ان لا يقولوا عن العدو غير الصدق . وهو فى ذلك كان يرى ان الصدق احسن آخر الأمر عاقبة . والانجليز اقرب الى هذا الراى، ولكن وقائع الحياة ، فى سلمها وحربها ، كثيرا ما تكون اقوى من ان يثبت رجل عند نصيحة او يصمد عند راى .

والمسألة عند الاثنين ، من امريكان وانجليز ، لم تكن ولن تكون مسألة أخلاق ، ولكن مسألة منفعة . وهي أن يكسبوا ثقة سامعيهم من اهل الارض ، وهي فى السياسة أمر عظيم .

وفى الحروب كَذَب الحلفاء (الانجليز ومن معهم) على رجال المحور (الالمان ومن معهم) بمثل ما كذب رجال المحور على الحلفاء .

فمما قاله الحلفاء عن الالمان فى الحرب



قال الالمان لجنودهم فى الحرب العالمية الاولى : ان الاسكتلنديين ذوو انوثة ولين ، فلما التقوا بهم عرفوا غير ذلك .

العالمية الأولى أنه لقلة الدهن عند الالمان كانوا يسيحون اجسام قتلى الحرب ليستخرجوا منها الدهن يستكملون به فى مطابخهم طبخ الطعام . وتنتهي الحرب ونعلم انها انما كانت فرية حرب اذيعت لغاية ! .

والالمان سمعوا بأن جماعة الاسكتلنديين نازلون الى الميدان . وهم رجال يلبسون اشباها مما تلبس النساء من جيبات او اسكرتات Skirts ، فزعم اهل الدعاية الالمان لجندهم ان هذا انما كان للين فيهم يشبه انوثة النساء . فلما التقوا بهم خاب ظنهم فيهم . فقد أعطى الاسكتلنديون الالمان درسا فى قسوة القتال ذكروه طويلا .

على ان الكذب ، لا اقول ماذون به فى الدعاية ، ولكنه امر واقع . والذى يمارسه كمن يمارس خلط طعام بسم . والداعى قد يصنع الدعاية لأهله ، فهو ان زاد قتل ، وكان المقتول من اهله .

الكذب والنسيان لا يجتمعان

والمثل يقول ان تكن كذوبا فكن ذكورا ، وذلك حتى لا تنسى ما قلت بالأمس ، فتقول ما ينقضه اليوم .

ويقال ان هتلر ، وهو في الدعاية خبير كبير ، كان ينصح بأن يجمل الداعى

أهمّ من الدّعاية الخارجيّة عند بعض الأمم الدّعاية الدّاخليّة، وهي تغذّي جماهيرها بالذي تشاؤه هي، وتمنع ما تشاء.

مسافة بين دعاية واخت لها في موضوع واحد ، حتى لا يكون في الثانية ما يفضح الأولى ، فيذكر الناس .

الكذب ، ايجاب وسلب

والكذب يكون ايجابا وسلبا . والايجاب هو ما نذكر . اما السلب فهو ما تحذف من الخبر ، وقد يكون أخطر ما فيه . وتسأل الداعي فيقسم لك بالله انه لم يقل الا صدقا . وقد صدق .

على أن اكثر الأمم تحاول أن يكون ما في دعايتها من الصدق اكثر كثيرا مما فيها من تحوير وتزوير ، وذلك ابقاء على قيمة الدعاية وقيمة مصدرها ، وان يبقى له احترامه . فقد تسوء الدعاية بالبعد عن الواقع ، لا سيما في الدعايات الداخلية ، حتى يصبح في الأمة من يقول : « لا يا أخي ، هذا كلام جرائد » ، أو « هذه كذا وكذا . والخير لك أن تنصت لاذاعة كذا ففيها الخبر اليقين » .

الدعاية كم يخاطب فيها الداعي العقل ، وكم العاطفة ؟

المتبادر الى الذهن أن يخاطب الداعي ، فيما يدعو اليه ، العقل والمنطق .

ولكن خبراء الدعاية يقولون لك عكس ذلك . انهم قد يلجأون الى المنطق ، والى المعقول ، ولكن ليس أولا . والدعاية عندهم انما تكون للجماهير ، والجماهير تقف العواطف والانفعالات عند آذانها ، فهي ما أسرع ما تغلق آذانها دون ما لا تحب أن تسمع .

ان الكلام يستأذن للدخول الى القلب اولا ، ومن بعد قلب قد يكون له الى العقل مسلك . هذا اذا احتاجت الدعاية الى العقل . فعند الخبراء أن عقائد الناس يثبتها في النفس من حولها غراء ، لا من منطق ، ولكن من انفعال وعاطفة .

والداعي لا بد أن يدرس اولا البيئة التي يدعو فيها . ما مفاهيمها الجارية ؟ ما عادات الفكر فيها ؟ ما العملة المتداولة بين فكر وفكر ؟ ممّ يخاف الناس ؟ وان كان فيهم قلق فما أسبابه ؟ والداعي يستغل كل هذا .

وهو يضرب على هذا النغم ليرضى به السامع ويرضي القارىء فلا يغلق المذياع او يلقى بالصحيفة . وفي الناس احترام سابق لمعان ، واحترام سابق لأشخاص ،



كان هتلر ، وكان موسوليني خبيرين بالدعاية عظيمين ، وكان هتلر ينصح بالكذب ، على أن يكون بين القولين المتناقضين مدة يؤمن فيها على الكذبة أن تفتضح .

والداعي يستغل هذا . فهو مثلا يحاول أن يربط ما يدعو اليه بدين القوم ومفهومه الشائع فيهم أو يحاول أن يربطه براى زعيم حاضر ، محبوب ، وعلى الأخص بزعيم رحل .

ويسهل هذا الأمر انالجماهير جماهير طيبة دائما ، ساذجة دائما ، مؤمنة دائما بما يقول الداعي الذي يستطيع أن يدخل أولا الى عواطفها . انها جماهير قريبة التصديق ، لا تأذن لها الحياة او تكلفها بالرجوع الى الفحص والتدقيق .

والداعى اذا تحدثفيجمهور راسمالى يكفيه أن يصف انسانا بأنه « يساري معروف » حتى يكسب نصف معركة التكريه فيه عند المستمعين . واذا تحدث في جمهور اشتراكي يكفيه أن يصف صاحبه بأنه راسمالي رجعى مستغل حتى يكسب نصف معركته . السامعون يرتاحون الى هذا وهم يطلبون المزيد .

يستثنى من هذا جماهير واعية عودناها على غير هذا ، تتألف فيها قلةمن الزعامة الشعبية ترفض ان تساق هكذا كالأغنام الى حيث يريد الدعاة . اقول هذا واعلم فى تجربتي الطويلة لأطوار من الحكم متعددة أنه ندر من رجال الحكم من أحب شعبا يقول أحيانا لا ، ويقولها بملء فيه . ان أكثر الحكام الذين عرفت، ولا أقول كلهم ، والذين عنهم سمعت فى الدنيا الواسعة ، أحبوا الشعوب تقول لا قبل أن يتولوا هم الحكم ، فاذا تولوه ، انقلبوا ، واحبوا الشعوب التي تقول نعم ، وتقولها دائما ابدا .

الدعاية والكتل العاملة التي تتالف منها الدولة

وانا هنا ارسم فى خيالي دولة مكتملة ، لا شرقية ولا غربية ، الحكم فيها مؤسس فى آخر السلسلة على راى الشعب ، بصرف النظر عن نظام الحكم القائم ، دكتاتورى هو أو ديمقراطي أو غير ذلك .

والدولة المكتملة كل فرد فيها ينتمي الى جماعة . فهو من الحيّ الذي يسكنه قد يكون فى جماعة . وهو من هوايته قد يكون فى جماعة ، موسيقيا أو لاعب كرة . وهيمن ناديه قد يكون فى جماعة. ولكن هناك جماعة هو ينتسب اليها تعلو على هذه الجماعات كلها خطرا ، تلك جماعة الرزق الواحد . فالمدرسون فى الدولة المكتملة يتكتلون فهذه جماعة كل مدرس . والاطباء فى الدولة المكتملة يتكتلون ، فهذه هى جماعة كل طبيب . وهكذا المهندسون ، والمحامون والقضاة ، وسائقو القطارات وائمة المساجد ، والصيادلة، والتجار وكل صناعة بذاتها ، وكل عمل وكل عمال بذواتهم . صنوف مئات من الكتل تقوم فى الدولة المكتملة ، تتعاون في صالح الدولة ، وتتنافس وقد تتخاصم فى صالح الدولة كذلك .

والحكَم الذى يقضي بينهم ، ويقضي بالعدل ويوزع الأرزاق ، هم الناس جملة واحدة .

ومن هنا كانت حاجة كل طائفة عاملة الى أن تعلن عن نفسها . ومن حقها الاعلان والاعلام . ومن حق الناس أن تسمع وان تعلم . وفى المعرض الحر لانتجة الطوائف ، يقضي لكل طائفة بحقها ، ولا تميّز طائفة طمعا أو خوفا .

وفوق كلهؤلاء الطائفة العامةالكبرى، تلك الحكومة ، التي يكون عملها الموازنة بين الطوائف . ومن حقها كذلك أن تعلن عن نفسها ، وأن تبرر احكامها . ولكن لدى مَن ؟ لدى الناس جملة واحدة . لدى جمهور الناس اجمع .

الدعاية والحكومات

هذه هي الحال التى وجبت أن تكون فى الدولة المكتملة من حيث الدعاية والاعلان .

ولكن من ينظر اليوم فى الأرض ، وفيما بها من أمم ودول ، لا يستطيع أن يخرج بعد دراسة الكثير من الامم ، الا باحدى فكرتين : اما ان هذه الامم الكثيرة ، التى أعنى ، غير مكتملة ، واما ان حكوماتها

تدعي الاكتمال لنفسها والنقص كل النقص لشعوبها .

والأمم في هذا الأمر صنفان . صنف فيه الدعوة والدعاية والاعلام استئثار واحتكار ، وصنف فيه الدعوة حرة ولكن يركبها من سباع الغاب ذئب ونمر .

وفي الصنف الأول من هذه الأمم تتولى حكوماتها عن شعوبها كل نشر ، وكل دعوة ، وكل دعاية ، والدعاية عند هذه الأمم ، دعاية داخلية .

الحكومة تغذي شعبها بالخبر ، والأخبار التي تجيزها ، سواء من داخل الدولة او من خارجها ، اخبار مما يأتلف وما تريد الحكومة ان يسمع شعبها . وشعبها عندها كالطفل تخشى عليه الخروج في السن الباكرة الى اوسط الطريق ، حيث تعبر السيارات الجامحات . يكفيه الرصيف . ومن الحكومات من تأبى على شعوبها حتى الخروج الى الرصيف .

وقد تأذن ببعض الصحف والمجلات تأتيها من الخارج ، ولكن بعد ان يعمل فيها المقص . وهي لو استطاعت ان تنشيء شعبها على الأمية حتى لا يقرأ – كما كان اجدادنا ينشئون امهاتنا على الامية خشية مراسلة الأجانب – لفعلت .

ولا يكون لهذه الحكومات حيلة تمنع بها الشعب من الاستماع الى الاذاعات تأتي من وراء الحدود ، فيتجه الشعب يستمع الى الاذاعات تأتي من وراء الحدود . ويأخذ يسمع من وراء الحدود ما لم يكن يسمع . ويسمع اكثر مما كان يسمع . ويسمع ما يخاله اقرب الى التصديق مما سمع .

سبيل العلم والتعليم ، والفقه والتفقه ، والسمو والتسامي ، في نظر هذه الحكومة هو ما تنشره هذه الحكومة عن طريق صحفها هي ، واذاعاتها هي وتلفازاتها ان يكن بها تلفاز . ثم ليس في الدنيا بعد ذلك ما يستأهل أن يقرأ او يسمع او يعلم .

وقد يرتفع الستار عن هذه المأساة بغتة .

فاذا هو يكشف عن جهل وصفته الحكومة بالعلم . وفقر وصفته الحكومة بالغنى ، وتخلف زعمته الحكومة تقدما . واختصارا تكشف عن وجوه للخراب شاملة .

فهذا مثل من حكومات تحتقر شعبها احتقارا .

وامم في الارض اخرى ، فيها الشعوب اكثر وعيا ، واكثر تعلما وعلما ، واحرص على حرية . وهم يحرصون على الحرية حتى لو نجم أحيانا فساد وافساد ، فكل فساد عندهم لا يوازيه فساد الحرية .

في هذه الأمم ، والشعوب فيها من التثقف بحيث لا يمكن ان تحتقر ، تجد ابواب الدعاية ، وبوابات الخبر مفتوحة أوسع ما تكون ، فهي كانت جديرة بأن تتخذ فيها الدعوة ، من كل صنف ، شكلا صالحا مكتملا .

وهي كذلك في أغلب الاحيان ، لا سيما فيما يتصل بصالح الشعب نفسه ، صالح رجل الشارع .

ومع هذا فوسائل الاعلام في هذه الامم تقع تحت ضغوط من أصحاب رؤوس الاموال الكبيرة تحد من حريتها ، وتجعلها حتى فيما يختص بصالح الطوائف في البلاد ، متقطبة ، تميل الى ناحية ، يفعل المال في توجيهها مايفعل المغناطيس في ابرة الفولاذ .

والمال في انجلترا وفي الولايات المتحدة وغيرهما يملك الصحافة ، ويملك السينما . وهو في امريكا يملك سائر وسائل المواصلات الفكرية كالاذاعة والتلفاز . وفي كلتا الدولتين النشر متشابك المصالح حتى فيما يتصل بالكتب . وراس المال ابن عم راس المال مهما اغترب .

ومن اجل هذا اصاب الدعاية عور . في الامم التي تدعي حرية الفكر كبير . ذئاب ركبتها وسباع ، مخلفات من عصور الغاب ، حين لم يكن في الدنيا علم ، ولا تكنية ، ولا حضارة ولا مدنية . ●●

احمد زكي

مسابقة العربي

أسماؤهم ... هل تعرفها
وجوائز ١٠٠ دينار

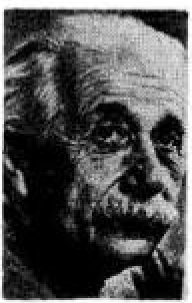
■ على هاتين الصفحتين يجد القارىء ٢٠ صورة لعشرين شخصية مختلفة بين عربية واجنبية ..

والمطلوب ان تذكر لنا اسماء هذه الشخصيات ، التى عاش اصحابها فى فترات مختلفة ، ولمعت اسماؤهم ، كل فى محيطه او فيما تخصص فيه ..

واذا فشلت فى معرفة اسماء العشرين ، فلا بأس أن تعرف اسماء عشرة اشخاص على الاقل ليكون لك حق الاشتراك فى القرعة التى ستجرى بين الاجابات الصحيحة قبل الفوز باحدى الجوائز الثمينة المخصصة للقراء ..



١



٣



٢



٤

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل الصفحة المقابلة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الاتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت مسابقة العدد ١٠٩

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر يناير ١٩٦٨

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار توزع كالاتى : الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير . ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ..

■■



٥



٦



٧



٨



٩



١٠



١١



١٢



١٣



١٤



١٥



١٦



١٧



١٨



١٩



٢٠

كوبون مسابق

● المسجد النبوى بالمدينة
كان فى مقدمة المساجد الجامعية
يتسابق إليه العلماء
منذ العصور الأولى من كل مكان

● الجامعة الأوربية بدأت
على نمط المساجد الجامعة
لكنها لم تلبث أن تحررت
من الصبغة الدينية

● فى جوامع الأندلس درس كثير
من الطلاب المسيحيين، من بينهم
الراهب "جربير" الذى تولى البابوية !

المساجد الجامعة

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ نستطيع أن تقول ، ان الجامعة الأوروبية بدأت على نفس النمط الذى كانت تسير عليه الجامعة الاسلامية . فقد بدأت يغلب عليها الطابع الدينى وان كانت قد تحررت منه بسرعة . واذا كانت الجامعة الاسلامية قد بدأت بالمسجد الجامع ، واستمرت عصورا مستقرة بين عقوده ، فانها مع ذلك لم تقف عند المنهج الدينى الذى بدأت به ، بل تطورت مع العصور ، حتى أضحت تجمع بين العلوم الدينية والمدنية .

وتاريخ المساجد الجامعة يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الآداب العربية والتفكير الاسلامى . ولا يمكن لمؤرخ الآداب العربية أن ينسى ذلك الدور العظيم ، الذى أدته المساجد الجامعة في نشر العلوم والثقافة وفي المساهمة في تكوين الحضارة الاسلامية .

ذلك أن المسجد الجامع كان في نفس الوقت هو الجامعة الاسلامية . وقد بدأت المساجد الجامعة في مختلف حواضر العالم الاسلامى ، في تأدية هذه المهمة العلمية الجليلة في عصر مبكر . وكان اضطلاعها بها في البداية من الامور



آزهر القرن العاشر : لوحة تاريخية بريشة الفنان ولهلم جنتر
تمثل احدى حلقات الدرس في الازهر في القرن العاشر

والدور الذى أدته فى تكوين الحضارة الإسلامية

الطبيعية التى تتفق مع روح الثقافة الاسلامية الاولى ، وهى ثقافة كان يغلب عليها الطابع الدينى ، وتقوم في جوهرها على علوم القرآن والسنة ، وقد كان من الطبيعي ان يكون المسجد الجامع ، او بعبارة اخرى المسجد الرئيسي مركزا لهذا النوع من الثقافة الدينية في عصر ، كانت الدولة الاسلامية ، تتسم فيه بالطابع الدينى ، وتتخذ من الاسلام ورسالته ، شعارها الرسمى .

فلما انتهى العصر الاول ، واخذ الطابع الدنيوى يغلب على الدولة الاسلامية ، وبدات العلوم المدنية تاخذ مكانتها الى جانب العلوم الدينية بقى المسجد الجامع ، كما كان في الماضي ، مثوى لهذه العلوم الجديدة . واستحالت المساجد الجامعة ، في انحاء العواصم الاسلامية الكبرى ، الى نوع من الجامعات الدينية والمدنية معا ، تدرس فيها الى جانب علوم القرآن والسنة ، علوم اللغة والآداب وما اليها . وهكذا رسخت صفة المسجد الجامعية بمضي الزمن ، ولم يبق فقط مثوى للصلاة والعبادة ، ولكنه غدا في نفس الوقت مدرسة او جامعة يجتمع فيها مختلف العلماء ، ويقصدها الطلاب ، في غير اوقات الصلاة ، للدرس والقراءة على ايدى اولئك الاساتذة ، وقد كانوا على الأغلب اقطاب عصرهم في العلم والدين .



اسرة جامعة الزيتونة ، عميدا واساتذة وطلابا ، في احد

مساجد ومراكز للقضاء الأعلى

وقد كانت المساجد الجامعة في القرون الثلاثة الاولى من الهجرة ، فوق صفتها الدينية تعتبر مركز القضاء الاعلى ، ويتخذ كل من القاضي والمحتسب بها مركزه في ايام واوقات معلومة ، وكذلك الاساتذة والطلاب ، يعقدون فيها حلقاتهم فى ايام واوقات أخرى ، ويخطب فيها الامير فى الناس،ايام الجمعة،ويجتمع فيها الناس كلما جد أمر من الامور الهامة، أو كلما اقتضي الأمر الشورى في الجليل من الشئون ..

كان المسجد الجامع يجمع بين تلك المظاهر والمهام الخطيرة ، على ان الصفة الجامعية كانت تغلب فى بعض المساجد الجامعة على اية صفة او مهمة اخرى . وقد اتشح بهذه الصفة بالاخص بعض الجوامع الشهيرة في تاريخ العلوم العربية الاسلامية ، مثل جامع عمرو والجامع الأزهر بمصر ، وجامع القرويين بفاس ، وجوامع قرطبة ، واشبيلية ، وطليطلة ، بالاندلس .

المسجد النبوى بالمدينة المنورة

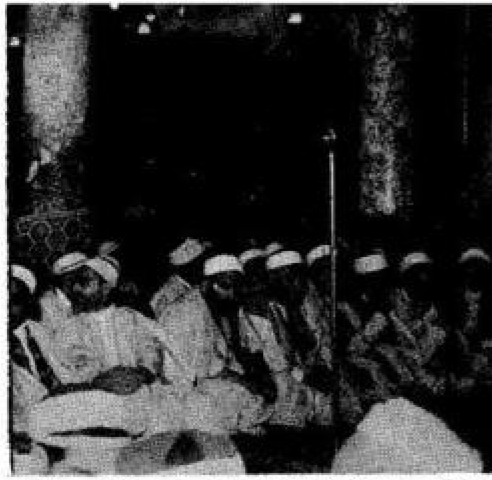
ويجب قبل ان نعرض الى ذكر هذه المساجد ، الا ننسى ان المسجد النبوى بالمدينة كان منذ العصور الاولى ، في مقدمة المساجد الجامعية ، وان حلقاته في الحديث والفقه ، كانت بين اشهر حلقات المشرق . وقد كان الفوز بحضور هذه الحلقات يعتبر دائما شرفا علميا يتسابق سائر العلماء الوافدين على البقاع المقدسة لاحرازه . وما يزال المسجد النبوي الى اليوم ، يضطلع بهذه المهمة العلمية الجليلة ، وما زالت حلقاته عامرة بالأساتذة والمستمعين .

جامع عمرو بالقاهرة كان الجامعة المصرية القديمة

وأما بمصر فقد بدأت الدراسات العربية الاسلامية بجامع عمرو . وكانت في البداية تقتصر على العلوم الدينية ثم تطورت بمضي الزمن حتى شملت سائر العلوم الادبية التى كانت معروفة يومئذ. وكان جامع عمرو هو الجامعة المصرية الكبرى،حتى اواخر القرن الرابع الهجرى، وكان منذ انشائه قلب الفسطاط الفكرى. وكانت حلقاته يومئذ اشهر الندوات العلمية والأدبية . وقد تخرج فيه معظم العلماء والمفكرين الذين ظهروا في تلك الفترة . ولسنا نبالغ اذا قلنا ان جامع عمرو قد قام بأعظم دور في تاريخ الحركة العقلية بمصر في القرون الاربعة الأولى للهجرة . وبين جدرانه كانت توجه حركة التفكير والآداب مدى عصور . وبالرغم من قيام الأزهر بمدينة القاهرة منذ منتصف القرن الرابع الهجرى ، وتحوله بسرعة الى جامعة جديدة ، فقد لبث جامع عمرو الى جانب الأزهر يؤدى وظيفته الدراسية والعلمية مدى عصور أخرى .

الأزهر يجمع كل مقومات الجامعات الحديثة

وقد اضطلع الجامع الأزهر ، بمهمته الجامعية منذ اواخر القرن الرابع الهجرى ، وما يزال الى يومنا ، بعد الف عام ، قائما بها ، والكلام على الأزهر وعلى مهمته الجامعية ، وعلى الدور العظيم الذى اضطلع به في نشر العلوم



احتفالات الجامعة بختام العام الدراسي منذ سنوات

العربية والاسلامية حرى بان يطول . بيد أنه يكفى ان نقول ان الجامع الأزهر قد لبث مدى قرون طويلة اعظم الجامعات الاسلامية ، وقد تخرجت فيه اجيال متعاقبة من اقطاب العلماء ، من سائر انحاء العالم الاسلامي ، وقد ترك في تاريخ الآداب العربية والعلوم الاسلامية اعظم الآثار .

والجامع الأزهر فوق صفته الدينية كمسجد من اعظم المساجد الاسلامية الجامعة ، هو ابرز مثل للجامعة الدينية والمدنية في العصور الوسطى ، وقد كانت تدرس فيه في تلك العصور ، فضلا عن علوم الدين واللغة ، طائفة من العلوم المدنية المحضة ، كالطب والكيمياء ، والرياضة والفلك والموسيقى .

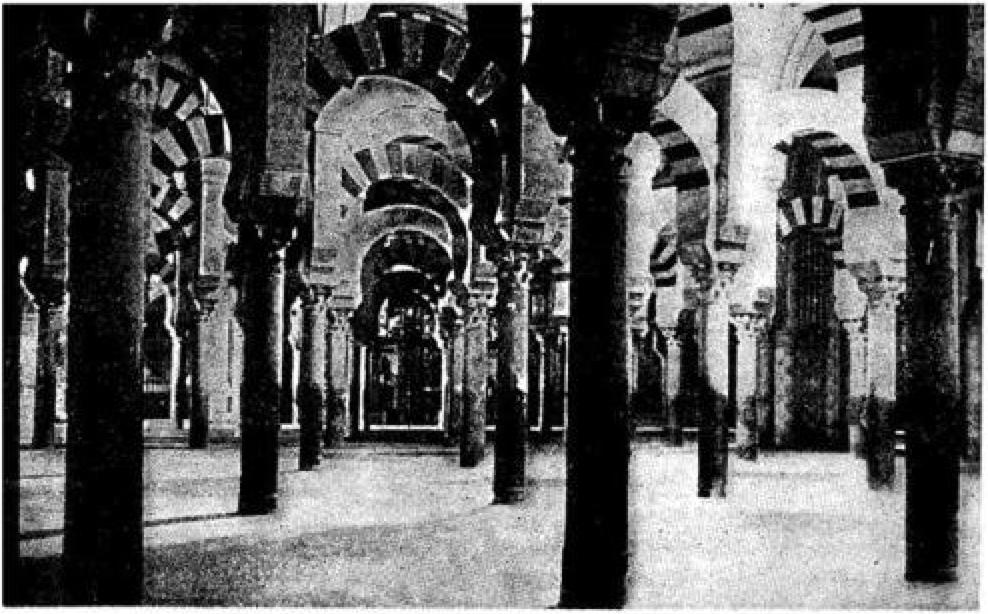
ومن ناحية القدم ، فان الجامع الأزهر ، يحتل مكانته الجامعية ، قبل ان تظهر الجامعة الأوروبية بأكثر من قرنين ، ومعظم الجامعات الأوروبية العريقة يرجع الى القرن الثاني عشر الميلادى ، ومن ذلك جامعة اكسفورد ، وجامعة باريس ، وجامعة بلونيا ، وترجع جامعة شلمنقة اقدم الجامعات الاسبانية الى أوائل القرن الثالث عشر . وقد كانت هذه الجامعات التالدة كلها ، تتسم في بداية عهدها بالطابع الديني ، وتدرس فيها العلوم الدينية والقوانين الكنسية ، وكانت الفلسفة تدرس باكسفورد الى جانب العلوم الدينية ، ثم تطورت هذه الجامعات بسرعة ، واتخذت طابعها المدنى الحديث .

جامع القرويين في فاس

هذا ، وقد قام جامع القرويين بفاس ، وهو اقدم من الجامع الأزهر ، بالمغرب ، بمثل الدور العلمي الخطير ، الذى قام به الأزهر في المشرق ، وقد لبث عصورا جامعة المغرب الكبرى ، وما يزال الى يومنا يؤدى دوره العلمى الجليل ، في صورة جامعة متجددة ، تاخذ الى جانب العلوم العربية والدينية ، بقسط من العلوم العصرية .

البابا سلفستر الثانى درس في مسجدى اشبيلية وقرطبة

واما في الأندلس ، فقد كانت المساجد الجامعة ، منذ قيامها ، على ما كانت عليه في المشرق ، مراكز لدراسة العلوم الدينية واللغوية . بيد انها ما لبثت ان استحالت بسرعة الى جامعات علمية حقة ، يغلب عليها الطابع المدنى المتحرر . ومنذ اوائل القرن الرابع الهجرى ، نرى جوامع الأندلس ، تبدو في صفتها الجامعية الواضحة ، وتجذب اليها الطلاب ، ليس فقط في سائر انحاء شبه الجزيرة الأسبانية والمغرب ، بل ومن سائر انحاء الأمم الأوروبية ، ومنهم كثير من الطلاب المسيحيين ، الذين كانوا يرون مثلهم الأعلى في الدراسات الأندلسية ، التى كانت يومئذ تتفوق في مناهجها وموادها على دراسات الأديار ، وهى يومئذ مركز العلوم والدراسات الأوروبية . وقد كان من هؤلاء الطلاب احبار اعلام مثل الراهب جربير ، الذى درس في معاهد قرطبة واشبيلية ايام المنصور بن ابى عامر ، وتولى البابوية فيما بعد ، باسم سلفستر الثانى وقد كان جامع قرطبة حاضرة الأندلس يومئذ ،



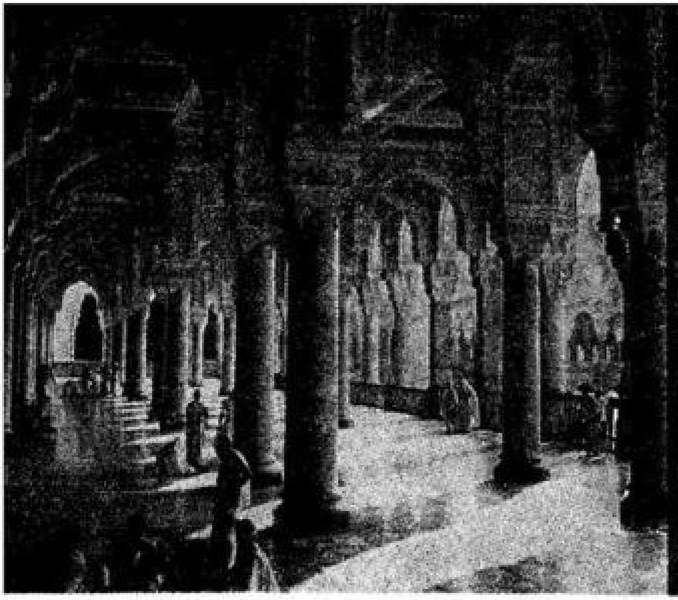
بالطبع هو كبرى الجامعات الاندلسية ؛ وكانت الدراسات الجامعية ، قد نظمت فيه قبل ذلك بقليل ، ايام الخليفة الحكم المستنصر ؟ اكمل تنظيم ، واحتشد فيه رهط من اعظم الأساتذة ، وفيه كانت تدرس سائر العلوم الدينية والمدنية التي كانت معروفة يومئذ ، ومنها طائفة من العلوم المحضة ، كالطب والرياضة والطبيعة والفلك ، وهي علوم بلغت يومئذ بالأندلس ذروة التقدم ، وكانت تجذب أنظار الهيئات العلمية الأوروبية بازدهارها وتفوقها . وفي وسعنا أن نذكر جموعا حاشدة من الأسماء اللامعة التي نبغت في مختلف العلوم ، ودرست في اروقة جامع قرطبة ، التى ما زالت اعمدته وابهاؤه الصامتة ، تقوم حتى اليوم ، شاهدا بجلاله وروعته كمسجد جامع ، وجامعة كبرى .

وكانت ثمة الى جانب جامع قرطبة طائفة اخرى من المساجد الجامعة في اشبيلية وطليطلة وبلنسية وسرقسطة وغيرها من قواعد الأندلس ، تؤدى نفس المهمة الجامعية والثقافية الجليلة ، وكلها تزدحم بالطلاب من سائر انحاء شبه الجزيرة ، وانحاء البلدان الأوروبية المختلفة .

وقد كانت المساجد الجامعة تجرى منذ البداية على نظام الحلقات والدروس الخاصة ، التى تعقد في أروقة المجلس ، وفيما بين عقوده ، ويجتمع فيها الطلاب حول استاذهم المختار . وقد اشتهر هذا النوع من الدراسة ، ولبث متبعا في سائر المساجد الجامعة طوال العصور الوسطى ، بل لقد لبث اساس الدراسة في الجامع الأزهر حتى عصرنا ، وقد كان هذا النظام الذى اختفى اليوم ، امام المظاهر والنظم العصرية ، جامعيا في روحه ، وكان يمثل المدرج الجامعى في صورته الأولى .

المدارس النظامية
بعد المساجد الجامعة

ومما يجدر ذكره ان المدارس النظامية اخذت تظهر في مختلف الحواضر الاسلامية منذ القرن الخامس الهجرى ، واخذت تنتشر بسرعة . وقد كان قيام



تميز مسجد قرطبة في حالته الراهنة بكثرة الاعمدةوالاقواس المزدوجة التى بداخلـه حتى يخيل اليك انها تؤلف غابة من الغابات .

جانب من احد الاروقة الجديدة بالمسجد الحرام بعد توسيعه

هذه المدارس ، يمثل طورا جديدا فـى سبيل نشر العلوم الاسلامية . بيد ان قيامها لم يؤثر كثيرا في مهمة المساجـد الجامعة . وتبدو هذه الظاهرة بالأخص في تاريخ التعليم بمصر . ذلك ان قيـام المدارس العديدة بها منذ القرن السـادس الهجرى ، لم ينسخ صفة الأزهر العلمية ، ولا مهمته الجامعية بل بالعكس قـامت لتكملها وتوطدها ، بما كانت تمتاز بـه من ضروب التخصص في فروع معينة من الدراسات الدينية ، وما كانت تخص بـه من الأوقاف والرواتب الخاصة ، التى كانت تمكنها من تأدية مهمتها العلميـة بصفة منظمة ميسورة .

دراسة بلا رسوم او نفقات

وقد كان من أعظم الميزات والظواهر الجليلة المقترنة بالدراسـة بالمساجـد الجامعة ان هذه الدراسة كانت حرة ، لا يتجشم الطلاب فيها شيئا من الرسوم او النفقات . وكانت مهمتها العلميـة ، كمهمتها الدينية تعتبر من شئون الدولة العامة تضطلع بها ، وتؤدى اليها كل ما تحتاج اليه من ضروب النفقة والرواتب. بل لقد كان الطلاب في أحيان كثيـرة ، يحصلون فوق ذلك على الكتب ، وعلى الطعام والكساء ، وكانت ترصد لذلك اوقاف واعتمادات جليلة ، سـواء من بيت المـال ، او مـن هبـات الأكابر والخاصة . وتاريخ الجامع الأزهر فـى ماضيه الطويل ، وفي حاضره ، يوضح لنا هذه الظاهرة أروع ايضاح . .

وهكذا قامت المساجد الجامعـة في ثوبها العلمى والجامعى بأعظم دور في نشر العلوم والثقافة . ولبثت خلال قرون طويلة ، موئل العلوم والدراسات الممتازة . وكان لها بلا ريب اعظم اثر في سير الحركة العقلية ، وفي تطورها ، في سائر انحاء العالم الاسلامى . ثم كان لهذه الحركة العقلية والحضارية العظيمة التي ساهم المسجد الجامع في تكوينها بأعظم قسط ، بدورها اثرها القوى في سير التفكير الأوربى وتطوره ، وفي تكوين الحضارة الأوروبية الحديثة .

محمد عبد الله عنان



الحل العسكرى

عن صحيفة « أخبار اليوم » القاهرية :

● خلال سنوات طويلة كنا دائما نواجه سؤالا يقفز امامنا بين الحين والحين : لماذا لا يقوم الشعب الفلسطيني بتحرير وطنه كما فعل شعب الجزائر ؟

وكان هذا التساؤل فيه مغالطة ، وفيه ظلم للشعب الفلسطيني . الوضع فى الجزائر لا يمكن مقارنته بالوضع فى فلسطين ... ولا يمكن بالتالى عقد اى مقارنة بين مهمة الشعب الفلسطيني والمهمة التي قام بها الشعب الجزائرى فى تحرير وطنه ...

كان الشعب الجزائرى يقيم على ارضيه ويقاتل داخل وطنه، والشعب الفلسطيني شرد من ارضه ويقيم خارج وطنه ، فاذا قاتل فيجب أن يقاتل من وراء الحدود اى أن يهاجم من الخارج والقتال من داخل الوطن ضد قوة محتلة يعتبر « ثورة » ، اما القتال من الخارج فيسمى حربا .

ودون تساؤل جديد بدأ الشعب العربي يؤدى مهمته فى مواجهة الاحتلال ... وبدأت عمليات الفدائيين على نطاق واسع . ولكن عمليات الفدائيين مهما بلغت بطولتها واتساعها لا يمكن ان تنهي وحدها الاحتلال الاسرائيلي ، بل سيبقى الحل الاخير، هو الحل العسكرى الشامل .

من افواه المدافع

عن مجلة « الصياد » اللبنانية :

● ربما كانت الحكومة الامريكية غير جلفة الى الحد الذى تتهم به ، ولا راغبة فى تحدى العرب واستغلال وضعهم ، بالشكل الذى تظهره شروطها على العرب لحمل اسرائيل على الانسحاب ، ولكن ما حيلة المسؤولين الأمريكيين اذا كانوا بشرا ، واذا كان لصمودهم حدود امام أغراءات الواقع العربي !

ما حيلتهم اذا كانوا هنا لا يكادون يسمعون رصاصة واحدة بين آلاف الكلمات عن الحل السياسي ، بينما هم يتحرقون في فيتنام لسماع كلمة واحدة عن الحل السياسي وسط آلاف الطلقات؟

ان اللحظة التي أخرس فيها صوت المدفع هي اللحظة التي انطلق فيها منطق الحل السياسي ، وسيظل هذا المنطق يتردد ، وامكانات الحل المشرف تتبدد طالما تنطفىء جذوة القتال وتخرس أصوات المدافع فمن افواه المدافع ، ومنها خاصة ، يولد الحل المشرف .

التخطيط أولا

عن صحيفة « لواء الحرية » العراقية :

في المجتمعات المتحضرة المتعددة الوجوه والنشاطات ، المتشابكة المصالح والأعمال، لا يمكن ان تترك الأمور لتجرى على هواها دون رقابة وتوجيه ، كما لا يصح ان تتقرر المسائل وتعالج المعضلات دونما دراسة وتخطيط .

والتخطيط اولا وقبل كل شيء ... وفى كل مجال ، وفى كل موضوع ... سواء فى ذلك بالنسبة للامور الصغيرة والكبيرة .

فحين ينعدم التخطيط العلمي والدرس القائم على الاحصائيات الدقيقة والبيانات التي تتضافر فيها اسباب الاحاطة والشمول ، حين تنعدم هذه المقومات والأسس فى اى عمل من الأعمال وفى اى مشروع أو تشريع ، يمكن الحكم على ذلك الموضوع ، ومن البداية ، بالفشل والسقوط .

وفى مجتمعاتنا الصاعدة النامية ، ما أحوجنا الى التخطيط فى كل عمل نقوم به ، فالارتجال كان ولا يزال ـ للأسف الشديد ـ هو الطابع الذى تتسم به معظم أعمالنا ومشروعاتنا ، وحتى القوانين والأنظمة التي نشرعها ، ولهذا ، فلا غرابة حين ينتهي الكثير من هذه المقررات بالفشل الذريع .

فلنخطط اذن لكل عمل قبل ان نقدم عليه ، ولندرسه دراسة علمية مستفيضة .. ندرس مقوماته وعناصر انتاجه واخراجه الى حيز الوجود ، وندرس نتائجه وفوائده وآثاره على المدى القريب وعلى المدى البعيد .. وباختصار ، نخطط له بداية كاملة باخلاص حقيقى ، وتأمل وتفكير ، ونعمل كل ما فى وسعنا من اجل ان ينجح النجاح المنشود .

الروتين والعقلية الروتينية

عن صحيفة « الثورة » السورية :

نكتب عن الروتين لانه حالة تكاد تكون مستعصية الشفاء ... ان الروتين عقلية فقدت اى احساس بالحركة وبقيمة الزمن وبالعمل .. انه توقف ذاتي ، وايقاف لكل ما يجب ان ينجز على نحو طبيعي لوتحررنا منه ...

ان التقيد بحرفية النظام ، واعتبار الواجب على انه صورة قالبية وميكانيكية فقدت اى حافز ذاتي للحركة ، والغاء الدور الانساني ، وتصوير الواجب كأنه يافطات والاختباء وراءها ... ان هذه العقلية التي تتربع خلف المكاتب الأنيقة وتخاطب الآخرين من الأعلى ، او تتصرف وكأنها صاحبة المسئولية الحقيقية ، ان هـذا النمط من الناس الذين يقدمون للمواطن الدرس فى الواجب والتقيد بالتعليمات يتجاهلون الفرض الذي من أجله يراجع المواطن المسئول الحقيقي .

ان مشكلة الروتين هي فى الواقع ليست فقط بقايا القوانين التي فقدت مرتكزاتها فى حياتنا الراهنة ، حيث كان الفرض منها اقامة الجدران العالية بين المواطن والمسئولين ، وانما ايضا تلك العقلية التي تعتاش على هامش هذه القوانين وتتصور نفسها تعيش فى مملكة خالدة .

ان ازالة ظاهرة الروتين من مجالات حياتنا يجب ان تتناول ايضا ازالة العقلية الروتينية التي اصبحت مدرسة لها تقاليدها وعلاقاتها وبيروقراطيتها واسلوبها فى التعامل مع الناس .

أمراضٌ شائعة

الجلوكوما

كانت تودي بصاحبها إلى العمى

ثم جاء لطف الله، علماً، عند علماء

■ الجلوكوما هي باختصار مرض يصيب العين ، اذا لم يعالج في أوانه ، أدى الى العمى . وهو كان يؤدى الى العمى الى ان اكتشف له العلاج ، شريطة ان لا يأتي العلاج متأخرا .

وسبب المرض ضغط يحصل في سائل العين يكون من نتيجته الاساءة الى أجهزة الابصار ، سيما الياف العصب البصرى .

واللفظ لفظ اغريقى ، يتضمن معنى الخضرة . وسبب ذلك ان المرضي عندما كانوا قديما ينتهون الى العمى ، كانت قزحية عينهم تتراءى خضراء .

العين

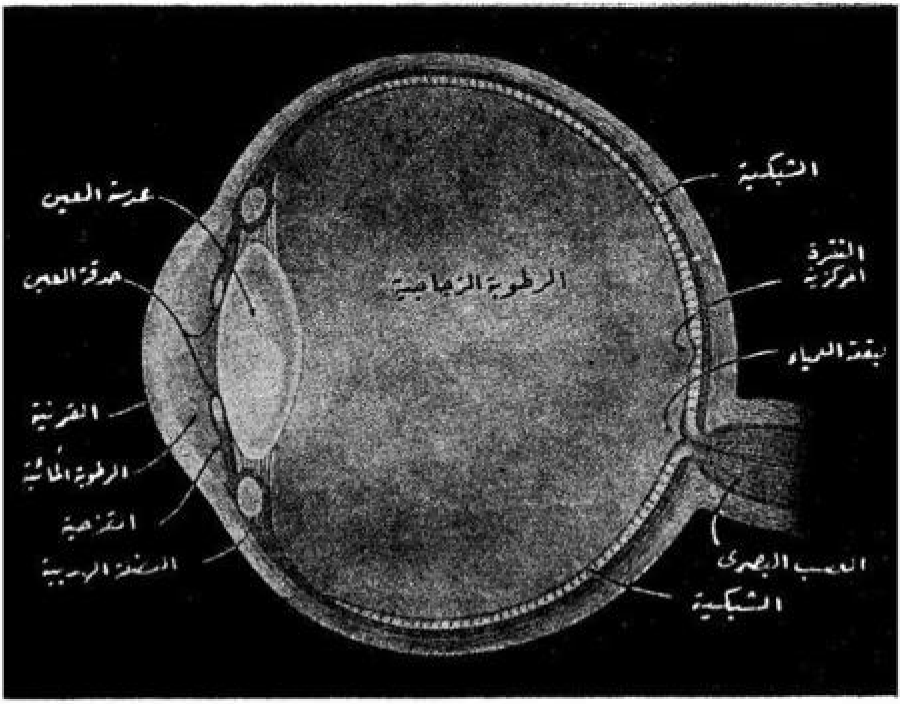
ولكي نفهم كيف يحدث هذا الداء ، لا بد من ان تتذكر العين ، تركيبها ، وما يجرى فيها .

وأنت في الصورة المرفقة ترى رسما ايضاحيا . مقتطعا راسيا فيها ، والرجل صاحب العين واقف .

ان العين شكلها شكل الكرة تقريبا ، حتى ليُسمَّى جرمها هذا بكرة العين Eyeball وهذه الكرة قسمان أو خزانتان ، خزانة كبيرة ، وهي ملآنة بمادة شفافة جيلاتينية أطلق عليها قديما عبارة الرطوبة الزجاجية . والماء عند القدماء رطوبة . ثم خزانة في مقدمة العين صغيرة ، بها ماء وملح وغير ذلك ، تسمى بالرطوبة المائية ، وهي بالماء أشبه .

ويلاحظ أنه يفصل الخزانتين ، الخلفية والأمامية ، عدسة العين والروابط التى تتصل بالعضلة الهدبية (في كل من الناحيتين) . وهذه العضلة للتحكم في تحدُّب العدسة الذى يقتضيه بُعْدُ الشيء المرئي أو قربه ، لكي تتبوأ صورته واضحة على الشبكية الموجودة في خلف العين ، أو في قاعها على ما يقولون .

والذى يهمنا الحديث فيه الساعة هو الخزانة الامامية للعين . انظرها بادئا من خلف . فهناك العدسة وروابطها



بالعضلة الهدبية ، أو الجسم الهدبي ، تليها القزَحية ، وهي التي تعطي العين لونها الاسود أو العسلي أو الازرق .

وفي القزحية الفتحة المعروفة بحدقة العين ، ومنها تدخل أشعة الجسم المنظور . ثم تأتي بعد ذلك القرنية ، وهي غشاء شفاف أكثر تقوسا من سائر كرة العين .

وهذه الخزانة الامامية فجوتان : فجوة واقعة بين العدسة والقزحية والجسم الهدبي (ويتضمن العضلة الهدبية) ، وفجوة واقعة بين العدسة والقزحية من خلف ، والقرنية من أمام . والفجوتان تملؤهما الرطوبة المائية .

الجلوكوما

ان هذه الخزانة الامامية بفجوتَيْها هي الهدف من كل هذا الحديث عن العين، الذى منه نصل الى وصف الداء ، الجلوكوما . فالداء خلل يبدأ أساسا في هذه الخزانة ورطوبتها المائية .

ان الرطوبة المائية ماء به ملح واشياء اخرى ترفع ضغطه عن ضغط الدم (بلازما الدم)في الجسم . وهو ماء شفاف.

والجسم الهدبي هو الذى يزود هذه الخزانة برطوبتها المائية .

ولكي تبقى الرطوبة المائية عند ضغط معلوم (١) لا بد لها من مصرف . وهذه الرطوبة تخرج من قناة (غير موجودة في الرسم) تعرف بقناة شليم Shlemm Canal .

وتبقى العين سليمة ما تساوى داخلها بالخارج منها .

ولكن يحدث أن تحدث في العين أمور

(١) الضغط في السوائل هو الضغط الازموزى الذى يفرض على المحاليل حركة الماء فيها . فمثلا لو وضعنا ماء به ملح في وعاء مسامي، ووضعنا هذاالوعاء في ماء صاف ، تحرك الماء ، فدخل الى حيث الماء والملح ، فكانما الملح يضغط على مائه ليفسح لدخول ماء جديد اليه ، ليستوى الضغطان.

تعطل خروج الرطوبة الزائدة، كأن تنسد قناة شليم . واذن تختل العين كأداة للابصار . انها صنعت لتعمل تحت هذا القدر من الضغط،وبزيادته تتأثر القرنية (وهي تعمل في الحقيقة كعدسة تكسر الاشعة فتعين عدسة العين في مركزة أي بؤرة صور الأشياء على الشبكية ، وتتأثر كذلك العدسة فهى لا تستطيع عندئذ ان تتشكل كما يجب لكل حالة ، وتتعطل العضلة الهدبية فلا تقوى على تشكيل العدسة . والعصب البصرى نفسه يصيبه التلف .

فهذه هي الجلوكوما .

الجلوكوما الحادة والمزمنة

والجلوكوما قد يصاب بها صاحبها بغتة . والاصابة تأتى عادة في الليل . وتظهر على صورة الم شديد يصيب العين الواحدة . وقد لا يكون الالم في العين ، ولكن في الراس ، يمرق فيها كالسهم من جنب الى جنب. وقد يخال المريض ان الالم يخرج من الانف ، او من سن . وقد يكون الالم من الشدة بحيث يقيء المريض ويظهر كأنما اعتراه مغص صفراوى .

والبصر لا يلبث أن ينقص ، وكرة العين تخال جامدة عند الجس، والعين تحمر ، والقرنية تتغبش ، وحدقة العين تتسع .

والجلوكوما قد تأتي المريض تسللا ، يصحبها قليل من الالم بحيث يغفل عنها المريض ، وحتى الطبيب ، فلا ينتبهان اليها الا وقد قطعت مرحلة طويلة مزعجة .

وقد يصاب صاحبها بآلام تأتى ثم تزول ، فلا يصحو لها .

وكثيرا ما حدث أن المريض ، قبل ان ينضج الداء كان شكا من ضعف بصره ، وغيّر نظارته ، ثم غيّرها بعد مدة قصيرة ، فأخرى قصيرة قبل ان ينتبه الى الداء .

والمريض قد يشكو تغبشا فيما يرى، ويرى هالات ذات الوان حول شعلة بيضاء او مصدر للنور ابيض .

وتوكيد كل هذا يكون عند طبيب العيون بالكشف عن زيادة في ضغط العين ، وبفقدان الجزء الأوسط من حقل الرؤية ، وكذلك من النظر الى العصب البصرى في قاع العين ، فهو يكون قد تراجع الى الوراء بحيث صنع شيئا أشبه بنقرة .

علاج الجلوكوما

لم يكن لها علاج قبل عام ١٨٥٧ ، أى قبل نحو قرن من الزمان .

كانت تنتهي بالعمى .

وفي هذا العام جاء فن جراف Von Graafe بعلاجه . وهو أحداث شق في الخزانة الامامية ، حيث الرطوبة المائية ، يخرج منها السائل الذى بسببه زاد الضغط ، وبذلك يهبط الضغط الى ما كان عليه والعين صحيحة .

والشق الذى أحدثه ، أحدثه عند ملتقى القرنية بالقزحية ، وبسببه اقتطع جزءا يسيرا من القزحية .

والجراحة الاحدث تشبه الجراحة التى ابتدعها (فن جراف) ، الا أن الذى يقتطع منه ليس القزحية ، وانما الطبقة الصلبة التي تغلف كرة العين من خارجها، والتى القرنية امتداد لها .

علاج بالدواء

وعندما يكون تقدم المرض بطيئا جدا، والى أن تتهيأ العين للجراحة ، أو عندما تتعذر الجراحة ، يمكن ضبط المرض وربطه فلا يزيد ، وذلك بقطرات تقطر كل يوم في العين صباحا ومساء ، من محلول من العقار اسرتين Esertine ، تركزه واحد في المائة .

ويستحسن قطر العينين معا، فالأغلب ان العين الاخرى تتأثر بسبب ما اعترى المريض من القلق الذى اصابه بمرض العين هذا . فكثيرا ما يكون القلق هو حافز المرض اول مرة .

والعلاج بالقطرات لا ضرر من مداومة المريض عليه ، اشهرا أو سنوات . انه يضبط ضغط السائل فى العين كلما سقط فيها .

●●

نتيجة مسابقة العدد ١٠٧

مسابقة سهلة .. وإجابات قليلة .. وأخطاء كثيرة !

■ رغم ما تميزت به مسابقة العددالسابع بعد المائة من يسر وسهولة ، فان عدد الاجابات التي تلقيناها كان اقل مماكنا نتوقع ، كما ان نسبة الاجابات الصحيحة كانت دون المستوى المعتاد .

وهذه هي الاجابات الصحيحة : قصرالحمراء فى غرناطة ـ جامع عمر المحضار فى تريم بالسلطنة الكثيرية ـ قبر خالد بن الوليد فى مدينة حمص ـ باب زويلة فى القاهرة ـ قبر صلاح الدين فى دمشق ـصومعة الكتبية فىمراكش ـ الاسكوريال فى مدريد ـ قبر ابي العلاء فى معرةالنعمانبسوريا ـ ساحة الشهداء فى بيروت ـ بوابة الجهراء فى الكويت ـ جامع الزيتونةفى تونس ـ طاق كسرى بمدينة طيسفون القديمة قرب بغداد .

وبعد اجراء القرعة بين الاجاباتالصحيحة فاز القراء الآتية اسماؤهم :

● **الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا ، فاز بها :** ياسين محجوب عبد الرحيم / ص . ب ٢٠١٤ الخرطوم/السودان

● **الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا ، فازت بها :** بدريةابراهيممحمد الجسار/ الكويت

● **الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير ، فاز بها :** الحبيب سعيد العالية/ولاية بنزرت/تونس

ثماني جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا ، وكل منها ٥ دنانير ، فاز بها :

١ ـ نبوية عبدروس بركات/الشيخ عثمان/عدن

٢ ـ احمد احمد حسان/بالدية بنغازى/ليبيا

٣ ـ فيصل عبد الغني الوهبي/ بغداد/العراق

٤ ـ قاسم الخطيب/جامعة دمشق/ سوريا

٥ ـ عادل محمد خالد حسين / شبرا مصر/ج ٠ ع ٠ م

٦ ـ فاتن محمد علي صفي الدين/ بيروت/لبنان

٧ ـ عبد المحسن الطريقي /الزلفي/ المملكة السعودية

٨ ـ احمد محمد امفاز/المغرب

وسوف ترسل الجوائز بالبريد الى اصحابها . ■■

أُغْنِيَةٌ إِلَى وَطَنِي

تمنَّيْتُ ياوطني أن أكون رداءً يُغطِّيكَ في الهاجــــره
تمنَّيْتُ لو كنتُ ألف ذراعٍ يسورُ أبعادكَ السَّاهره
تمنَّيْتُ لو كنتُ ما أشتهي
لهيباً يثورُ ولا ينتهي
تمنيْتُ لو كنتُ حقلاً عليه اخضرارُ البراعم ألْفُ امتداد
ولو كنتُ خُبْزاً لكلِّ جنودِكَ عبْر حدودكَ خلْف العتاد
تمنيْتُ لو كنتُ ألْف صباح
وألف جناحٍ .. وألْف سلاح
لأكتب فوق الرمال ملاحم شعبي الذي ثار حتى انتصرْ
ملاحم شعبي الذي كبلوه فكسَّر أصفاده ما انكســر
ملاحمَ تبدأ من ههنا :
أردْنا الضياء لنا موطنا ..
فَجُنَّ جنونُ الذين استراحوا على جثث النور خلف الظلام
وثاروا جنوداً لليل الدمار ..وثُرْنا جنوداً لفجر السلام
وقالوا هو الشرقُ مَنْ حرّكه ؟
فقلنا : نداء من المعركه
جدَلْنا من الأذرع العارياتِ حبالاً مشانقَ للغاصبين

للشاعر
محمد أحمد العزب



ومن أعيُن الساهرين حرائق تصفعُ مليون ليلٍ طعين
وقلنا لأطفالنا : يارجالْ
فكانوا رجالاً كصخر الجبال
تحدّى الذى في « ثمانٍ » و « سبعٍ » مداراتهِ واستوى يافعا
كأن السنين كما شاء جيلي يُحركُها .. راجعاً .. طالعا
ومن كبرياءٍ .. إلى كبرياءْ
ومن مبدعين إلى شهداءْ
لنا موعد فوق خيل السنين يداهُ على سيفهِ المُنتظرْ
وفي مقلتيه يضجّ انفعالُ الحنين إلى جيلنا المُنتصرْ
سنحتاجُ حتى المُحالَ إليه
لننفض أشواقنا في يديه
ونحكي له قصة الشعب حين بنى السّجنَ ليلاً لسجانه
وهرول يحتضن النور خلف تخوم الظلام وقضبانه
ليعرف أنّا عشقنا الحياه
فكنّا كما شاء صوتُ الإلهْ

القاهرة محمد احمد العزب

صفحة من الطب المصور

الطب والصيدلة عند قدماء المصريين ...

تمثل هذه الصورة الجانب الذي كان يخصص في معابد قدماء المصريين للصيدلة وتحضير العقاقير ، ويرى قائما في الصورة الكاهن الصيدلي يرشد العمال ، وفي نفس الوقت يملي على الكاتب ، وهو قاعد متربع على الارض ، الادوية المختلفة ، ما هي ، وكيف تصنع ، ولاي الامراض هي . ومن وراء الكاتب تمثال اله ذلك الزمان الذي كان يرجى عونه في الهدى والارشاد .

■ التواتر يقول ان الطب عند قدماءالمصريين بدأ بعصر امحوتب Imhotep الطبيب المصرى الكبير والحكيم الشهير الذى عاش قبل المسيح بنحو ٣٠٠٠ عام ، وقد الهه المصريون بعد موته بنحو ٢٥٠٠ عام (التأليه هنا لابد ان نحاول فهمه على غير ما يتبادر من اللفظ) .

ولكن لم ينزل الينا مع الزمن شيء من الطب مكتوب الا عن عام ١٩٠٠ قبل الميلاد فالقرون التي تلته ، الى عام ١١٠٠ قبل الميلاد .

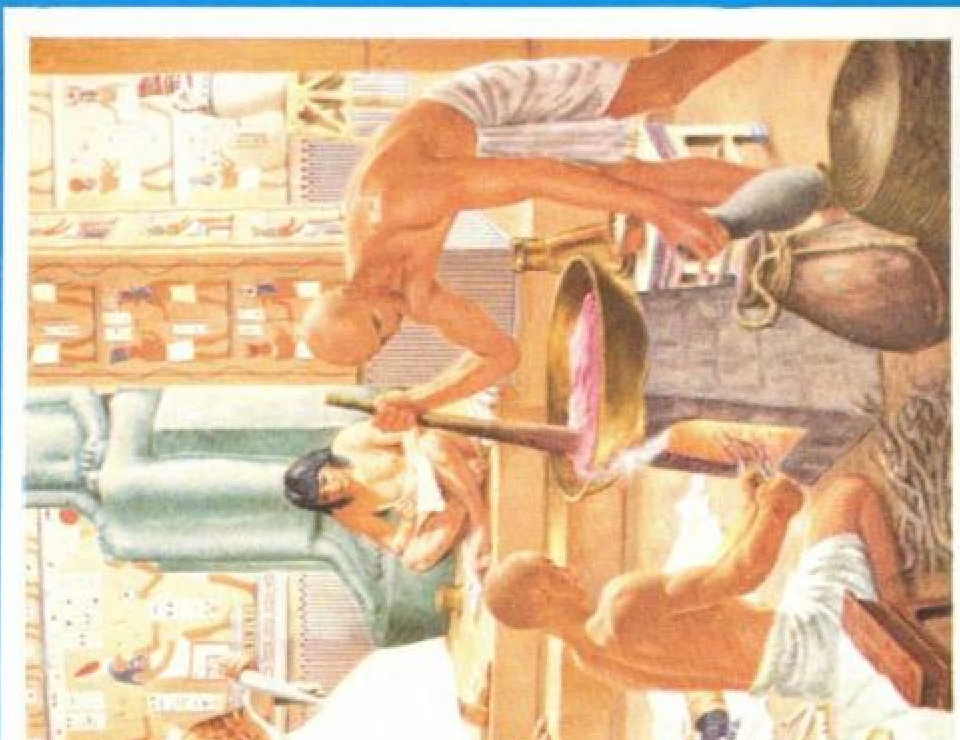
وهي صحائف من البردى مكتوبة ، اشهرها البردى الشهير المعروف ببردى ابيرس ، ذلك الذى كشفه جورج ابيرس George Ebers في عام ١٨٧٥ ، وهو كتب حول عام ١٥٠٠ قبل الميلاد . وهو نسخة من امثال له سبقت لاشك كثيرة .

وهو يحتوى على ٨١١ وصفة طبية ، وبه وصف ٧٠٠ عقار من اصول معدنية ونباتية وحيوانية . وبه ادوية للغرغرة ، وللشم ، وللاستنشاق ، ولبوسات المستقيم ونحوه ، وللتبخير ، وللحقن الشرجية ، واللبخات ، والمستنقعات والادهان من كل صنف ، وغير ذلك .

ومن هذه ما لا يزال مستخدما في الطب الى اليوم .

ويذكر فن كلين Von Klein ان قسما كبيرا من الامراض الحديثة التي نعرفها اليوم وصفها المصريون القدماء بدقة وصنفوا اعراضها .

ومواد التجميل لم ينسها المصريون ، وهي اقرب ما تكون الى عمل الصيدلي ، وفي البردى ٧٤ وصفة تتعلق بالشعر وغسله وبالاصباغ والزيوت ، والحقوف .



في سبيل موسوعة علمية

حبتان

تسيطران على طعام الإنسان

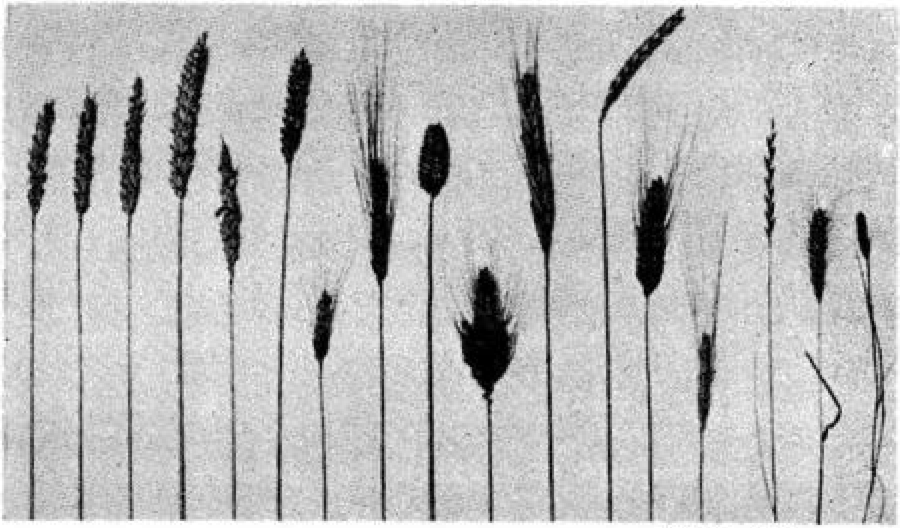
حبة قمح و حبة أرز

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ سألنى : ما سيد طعام اهل الارض؟ قلت : من حيوان او من نبات ؟
قال : من نبات ؟
قلت : حبة القمح .
قال : بل حبة الأرز .
قلت : القمح اكثر ، ياكله من الناس الاقل .
والأرز اقل ، ياكله من الناس الاكثر.
قال : اوضح .
قلت : ان الارض المزروعة فوق سطح هذا الكوكب تقدر بنحو ٢٦٠٠ مليون فدان ، يستخدم نحو نصفها في انتاج الحبوب ، وهى تعطى الناس من الطعام نحوا من ٨٠ في المائة من الطاقة التى ينفقونها في العيش .

ونحو خمسَي هذه المساحة ، التى تزرع حبوبا ، او نحو ٤٥٠ مليون فدان، يزرع قمحا .

اما المساحة التى تزرع ارزا فهى نحو ٢٥٠ مليون فدان .



القمح ، كالارز .
كانا حشيشتين ، فجاءتهما عناية الانسان فكان منهما ما نعرف اليوم
وهذه صور لنبات القمح ، الثلاث الاولى منها للحشيشة البرية ،
والصور الاخرى لما استنبت من هذه الحشائش على مدى السنين والقرون

والناتج من القمح يزن أكثر مما ينتجه الناس من الأرز .
ولكن آكلى الأرز اكثر من آكلى القمح عددا فوق سطح هذه الارض .

أيهما اقدم في التاريخ حبة القمح ، أم حبة الأرز ؟

وراح صاحبى يسأل : فأيهما اقدم خلقا ؟

قلت : علم ذلك عند الله . وانما هما حشيشتان ، وجدهما الانسان في البرية في قديم الزمان . فلما أدرك أن النبات انما ينبت من الحب ، جرّب حظه . فخرج النبات . واخذ يختار من النبات الأصلح ، فيعطيه الحب الأصلح ، وهكذا دواليك ، حتى جاء على قمح ليس كالذى وجده أول مرة . وعلى أرز ليس كالذى وجده اول مرة .

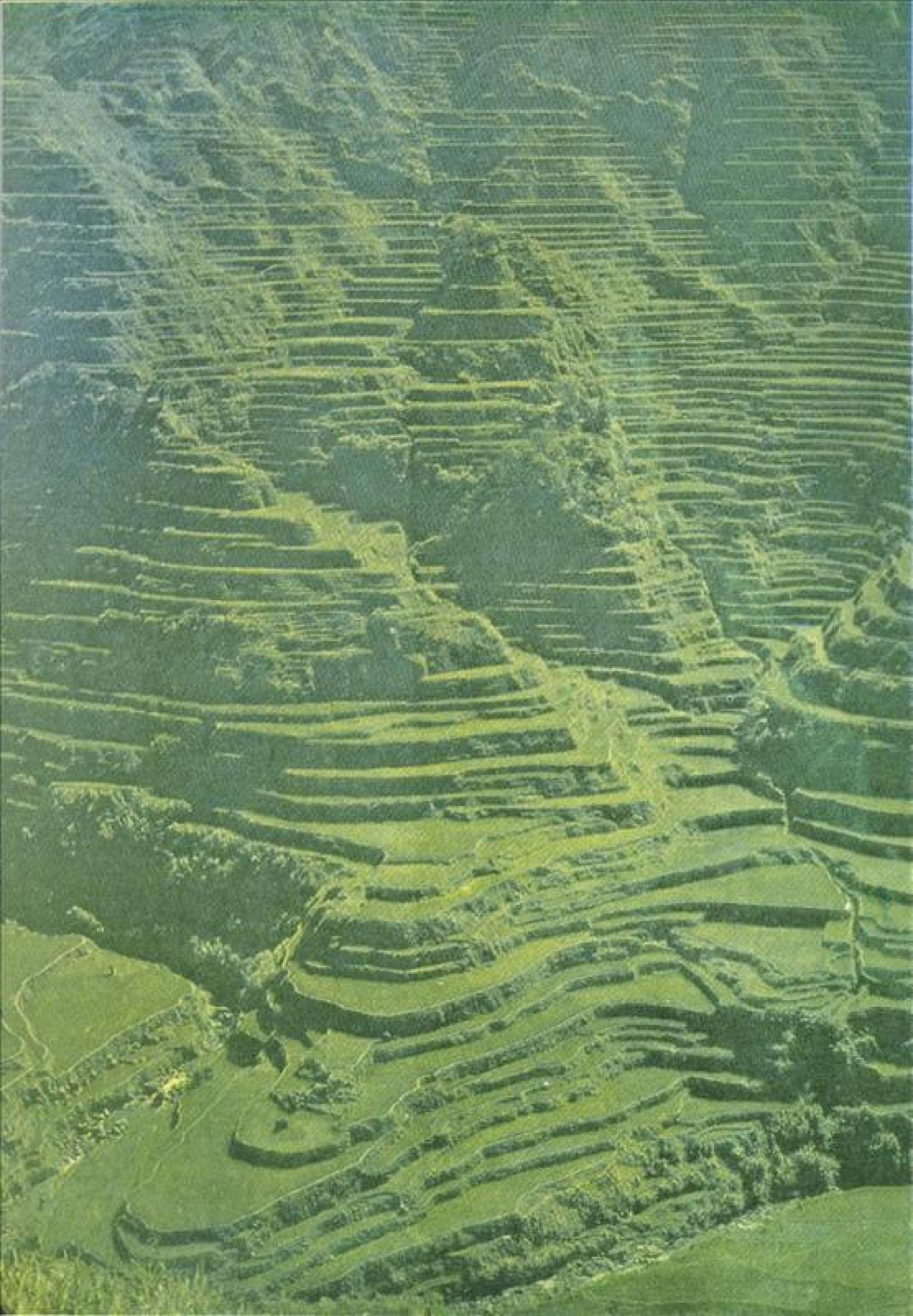
وكتب التاريخ تتحدث عن القمح فتقول ان اغلب الظن انه بدأ مع الانسان عندما ترك حياة البدو الرحل وراء الطعام ، الى حياة الزرع والارتباط بالارض . ويقدرون أن هذا وقع في العصر الحجرى الحديث Neolithic Period من نحو ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ عام مضت .

ويذكرون ان المصريين زرعوه قبل بناء الاهرامات . وكانت مصر مقمحة اليونان والرومان في عصورها القديمة . والعراق زرعته قبل المسيح بنحو ٣٠٠٠ عام ، والصين بنحو ٢٧٠٠ عام .



صورة تجمع ستا من البذور ؛ وهي من نِعَم الحياة الاولى التى تنشق عنها الارض . القمح على الرحى ، ثم البسلة الخضراء ، ثم العدس الاحمر . اما في الوعاءين الخشبيين فالشوفان والشعير . وفي السبت الاقرب الى اليمين فالارز . والى الوراء سنابل القمح ، سيد طعام أهل الارض .

عزّ الطعام وضاقت الارض ، فعمدوا الى الجبل يفرّجونه ، اسطحا من دونها أسطح ، ليقف عندها المطر فلا ينحدر ويضيع . وفي هذه الاسطح زرعوا الارز ، في جزائر الفلبين .



وتقول كتب التاريخ ان كولمبس نقل زراعته الى الدنيا الجديدة عند اكتشافها. وفي هذا الكفاية عن قدم القمح غذاء لبنى الناس .

والظاهر أن الأرز لا يقل قدما . والمنتظر بالطبع ، وهو غذاء مئات الملايين من سكان آسيا ، أن تكون آسيا موطنه الأول .

وقد ذكر الأرز اول مرة في التاريخ في عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد عندما أصدر امبراطور الصين امرا بالاحتفال بزراعة الأرز .

ودارسون آخرون ردوا أصل الارز الى نبات زرع في الهند عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

وانتقلت زراعة الأرز الى الجنوب من اوروبا بانتقال أهل الشرق اليها .

المنتجون للقمح وللارز

اما منتجو القمح في عصرنا هذا الحاضر فأولهم الولايات المتحدة ، ولديها فضل كبير للتصدير . وكالولايات كندا وقد كانت من اول المصدرين للقمح . ثم استراليا وفرنسا وايطاليا واسبانيا والمانيا ، كلها تنتج القمح . والصين والهند وتركيا وباكستان تنتجه . والروس ينتجونه والارجنتين .

اما التصدير فيتوقف على مقدار ماتجود به الارض كل عام .

فالصين مثلا كانت في العام قبل الماضي تستورد القمح لسوء المحصول بسبب الجفاف . اما هذا العام المنصرم فجادت الارض وكان منها فضل كثير .

وكذا روسيا عام تستورد ، وعام تستعد لتعين بالتصدير ، لا سيما الى تلك الأماكن المنكوبة بالجفاف .

والأرز ، الأمم الاكثر انتاجا له هي الصين والهند واليابان وباكستان واندونيسيا وتيلاند وبرما .

أيهما خير طعاما القمح أم الأرز ؟

للاجابة على هذا نورد نتيجة تحليل كل منهما في المختبر الكيماوى : فيما يتصل بأصول الطعام الثلاثة ، البروتين ، والنشا ، والدهن .

	البروتين	النشا	الدهن	
دقيق القمح	١١ر٢	٧٧ر٥	١ر٥	في المائة
الارز الجاف	٦ر٢	٨٦ر٨	١ر٠	في المائة

وهذه متوسطات تعطينا فكرة عامة

اما الدهن فيمكن اغفاله في كليهما ، فما طلب احد قمحا أو ارزا لدهن فيه .

اما النشا فكلاهما مصدر عظيم له ، وهو مصدر الاحتراق في الجسم ، ومصدر الطاقة والعمل ، والارز يزيد فيه بمقدار عن القمح .

اما البروتين ، وهو لبناء الجسم وبناء خلاياه ، فهو في القمح ضعف ما هو في الارز تقريبا ، وهذا بيت القصيد .

والقمح لا يمتاز فقط بمقدار بروتينه ولكن بنوعه ، فهو في القمح على صورة

جسم يتلزّج اذا مزج بالماء ، وهو يتمطط بين الاصابع تمطط المطاط . واسمه جلوتين Gluten . ولفظ جلوتين لفظ اغريقى معناه الغراء . وبالجلوتين في العجين يمكن صنع دقيق القمح أرغفة من بعد اختمار . وهو عند الاختمار يمسك غاز اكسيد الكربون المتصاعد : فاذا أدخل الى النار انتفخ ، وصار الرغيف الافرنجي خفيفا بالنسبة لما به من فقاعات هواء . اما الرغيف البلدى فينفصل طبقتين .

والأرز لايصنع من دقيقه ارغفة هكذا .

والرغيف القمح له طعم لذيذ ، فهو قد يؤكل وحده وبدون ادام ، لا سيما وهو خارج من فرن ، ولا طعم للارز المسلوق الا ان يمزج بالدسم او بمرق اللحم . على الأقل هذا ما يقول من عادتهم اكل القمح ويأكلون الأرز أحيانا .

وبسبب هذا الجلوتين تصنف القمح اصنافا عامة ثلاثة ، القمح الطرى Soft Wheat وهو يفضل لعمل الكعك وما شابهه . والقمح الجامد Hard Wheat ، ومنه يصنع الرغيف او منه ومن القمح الطرى مخلوطين . والقمح الأشد جمودة Durum ، وتصنع منه المكرونة واشباهها .

ولا تصنع المكرونة من الأرز .

ومع هذا فلا يزال الأرز لكثير من اهل الأرض خيرا وبركة . يكفيه ما سبق ان قلنا ان آكليه اكثر من آكلى القمح .

حبةُ القمح ، وحبةُ الأرز ، وبيضةُ الدجاجة ، كلها في هدف الحياة الأول أشباه

البيضة ، ما البيضة ؟

انها تحتوى الجرثومة الحية ، لا نكاد نراها او ننظر اليها عندما نكسر البيضة عند القلي في السمن مثلا . وهي التي تتحول الى جنين فالى فرخ . ثم في البيضة الصفار والبياض ، وهما ليسا من الحياة في الشيء ، انهما هناك ، يملآن كل هذه القشرة ، ليكونا غذاء للجنين الذي ينشأ من الجرثومة الحية ، ذلك الجنين الذي يصبح في آخر الأمر دجاجة كاملة .

وحبةُ القمح ، ما حبة القمح ؟

وحبة الأرز ، ما حبة الارز ؟

انهما اصلان من أصول الحياة . كالبيضة تماما .

الجرثومة هناك في كل منهما ، وهي صغيرة ، وهي قليلة ، وهي من بروتين ، وما النشا الكثير نسبيا الا غذاء للجرثومة عندما تدفن في الارض الرطبة فتدب فيها الحياة . وبدبوب الحياة الجوع . وغذاؤها ، في سائر الحبة ، تنهض عليه نباتا يرتفع في الهواء عودا كانما يقول اناهنا . انا الحياة .

البيضة لفرخ من حيوان .

والحبة لفرخ من نبات .

ثم يأتى الانسان ليشارك .

وتقضي الحكمة ان يخرج من القمح والارز الف حبة . فضل كبير . انه فضل لغذاء الانسان . والانسان انما يعيش على افضال النبات والحيوان . حياة تحيا من حياة .

احمد زكى ●●



الف ليلة وليلة

جنى على المرأة أسوأ جناية وصور المرأة أقبح صورة

بقلم : ألفة الادلبي

■ لما كانت اهمية اى اثر ادبي تقيم بمدى قدرته على الصمود امام الزمن ، وبسعة انتشاره على الصعيد العالمي ، ثم بمدى تأثيره على المجتمع ، وعلى الاداب الاخرى ، ودرجة تفاعلها معه كان كتاب الف ليلة وليلة اكثر تراثنا الادبى قيمة واهمية .

الف ليلة صمد على الزمان طويلا

لقد ترجم هذا الكتاب الى اكثر لغات العالم ، واستطاع ان يصمد امام الزمن فلا تبلى جدته مدى ستة قرون ـ هذا اذا اعتبرنا عُمرَه منذ جمع ، بينما عُمر بعض حكاياته يذهب الى ابعد من ذلك بكثير جدا ـ . ظل هذا الاثر الادبى العجيب خلال هذه المدة الطويلة يُلهم ، ويعلم ، ويظفر باعجاب نوابغ الادباء والفنانين فى الغرب والشرق . وما نزال نلمح تأثيره فى بعض نتاجهم الى يومنا هذا . فقد استلهمت منه قطع رائعة للمسرح والباليه والموسيقى والسينما ولوحات وتماثيل . كما استنبط من حكاياته قصص اتخذت شخوصها رموزا لآراء فلسفية ، فاذا ما كنا نلمسه فى الكتاب من سطحية وهزل ينقلب عمقا وجدا . ولعل اروع ما فى ادبنا العربى الرمزى الحديث ـ لا سيما المسرحي ـ هو ما استلهم ايضا من الف

ليلة وليلة . عدا هذا كله فقد كان للكتاب أثر بالغ في حركة الاستشراق ، تقول الدكتورة سهير القلماوي في كتابها عن الف ليلة وليلة :

الف ليلة وأثره البالغ في الاستشراق

« لسنا نبالغ اذا قلنا ان كتاب الف ليلة وليلة كان الحافز الاهم لعناية الغرب بالشرق عناية تتعدى النواحي الاستعمارية والتجارية والسياسية . بل لسنا نبالغ اذا ارجعنا كثيرا من حركة الاستشراق وانتشارها الى ما ترك هذا الأثر في نفوس الغربيين » .

كتاب من اخلاط اجنبية ، تأقلم في الاجواء العربية

ولا غرو أن يبلغ الكتاب هذا الشأو من الأهمية فهو من نتاج أدباء امم عريقة في الحضارة . فقد قسم دارسو الف ليلة وليلة ـ وجلهم من الغربيين ـ حكايات الكتاب الى طبقات : الهندية، والفارسية ، والعربية ، وهذه قسمت بدورها الى حكايات بغدادية ، ودمشقية ، ومصرية . وقد اتفقوا جميعا على أن الكتاب قد تأقلم بالاجواء العربية الصرفة فهو يصور لنا المجتمع العربي في القرون الوسيطة . وان ما كنا نفتقره في كتبنا التاريخية الرصينة نجده في حكايات الليالي صورا مؤثرة بالحياة ، تصور لنا العادات والتقاليد ، والأزياء والأثاث ، والمراسم في الولائم والأعراس والمآتم والاسواق والمحاكم .

يقول الاستاذ الالماني (فريدريك فون درلاين) في كتابه « الحياة الخرافية » :

« كلما توغل الانسان في حكايات الف ليلة وليلة ازداد احساسا بأنفاس الروح العربي ، فالطبيعة العربية تأسرنا حينئذ الى درجة اننا نستسلم اليها راغبين بها وحدها عن طواعية ، ونغفل الا نشعر بغيرها ، فهي صور واضحة للحياة العربية خلال ستة قرون » .

كتاب ، من مساوئه محاربة المرأة

وعلى الرغم من ذلك كله فالكتاب لا يخلو من مآخذ كبيرة ، فهو ككل شيء في هذه الدنيا لا يمكن أن يكون خيرا صرفا ولا شرا صرفا بل تتعاوره مناقب ومثالب . وكان لا بد لنا أن نبدأ بحثنا بهذه المقدمة لتجلو بعض مآثر الكتاب كي لا نتهم بالتجني على هذا التراث العالمي القديم . وكم يسوؤنا أن نقول : ان مساوىء هذا الكتاب قد تربو على حسناته ! .. ولعل من أكبر جرائره هو موقفه من المرأة .. ! لقد حارب المرأة حربا ضروسا ، لا هوادة فيها ولا رفق ، وظلت المرأة قرونا عديدة تنوء تحت عبء ما حملها هذا الكتاب من آثام وجرائم .

يقول الاديب الكبير الاستاذ احمد حسن الزيات في دراسة له عن الف ليلة وليلة :

« ان أسوأ ما سجله الف ليلة وليلة من ظلم الانسان وجور النظم هو القسوة الجائرة على المرأة ، فان حظها منه منكود ، وصورتها فيه بشعة » .

ليس هاما أن يظلم كتاب" ما المرأة ، فما أكثر ظلاّمها بين الكتب .. ! ولكن هذا الكتاب بالذات كان له أثر عجيب على المجتمع الشرقي وبخاصة العربي منه .. فمن سوء حظ المرأة ان الكتاب شائق الاسلوب كان يجذب العامة ببساطته وصراحته وبما فيه من غرائب وعجائب ، ووصف فاجر ، وكلام فاحش بذيء يتملق به شهواتهم ، ويدغدغ غرائزهم . وهذه أيضا احدى المآخذ الكبرى على الكتاب . كما كان يجذب الخاصة بما فيه من خيال مجنح جامح ، وفن قصصي أصيل ، وبما في طياته من حكم ورموز رائعة مستقاة من واقع الحياة . وقد شاع في عصور كان فيها السمر والسهر وقص الحكايات اكثر وسائل الترفيه عن النفس شيوعا .

حكايات بشعة تواكب الطفل منذ تفتحه حتى الشيخوخة

فكانت حكاياته تواكب الطفل منذ تفتحه حتى شيخوخته ، كانت تقصها عليه أمه أو جدته قبل أن ينام وهي تدرك ما ترسم في ذهن وليدها من صور شنيعة لبنات جنسها فاذا كبر الطفل قليلا سمع هذه الحكايات تتداولها السوامر في السهرات ، فاذا خرج الى المقاهي سمع القصاصين أي

(الحكواتية) يقصونها على جماهيرهم وهي لا تشبع من تردادها أبدا . وقلما تخلو حكاية من حكاياتها من الطعن بالمرأة فترسخ في ذهن الطفل من وراء الشعور صورة مخيفة للمرأة .. فاذا رآها عجوزا تمثلت في خاطره عجائز الف ليلة وليلة اللواتي لا عمل لهن الا ان ينقلن الفتنة من مكان الى مكان .. يدخلن البيوت بحجة ان الصلاة قد أدركتهن ، فاذا أنست بهن ربة البيت ،ووثقت بطيبتهن ، رحن يفسدنها ويقدمنها الى الخطيئة ، ولا أحب الى نفوسهن من أن يصلن المنكر بين الرجال والنساء .. وما اكثر نماذجهن في حكايات الليالي .

واذا رآها كهلة راحت تتمثل في خياله لصة شريرة كدليلة المحتالة ، او زينب النصابة او سليطة اللسان لئيمة كزوجة معروف الاسكافي ، أو داهية خبيثة تحوك المؤامرات وتدير المكائد التي لا تخطر على بال الرجال ، كشواهي ذات الدواهي في قصة عمر النعمان والتي انتهى امرها الى أن تصلب على باب مدينة بغداد . الى آخر ما تصور حكايات الليالي نساء من هذا القبيل .

أما اذا رآها صبية جميلة فكانت تتمثل له الخيانة بعينها . فالمرأة الجميلة في حكايات الليالي غالبا خائنة لزوجها لا ترعى له عهدا ولا ذماما ، مخلصة فقط لعشيقها ترتكب في سبيل الوصول اليه افظع الجرائم ، وتسلك اقذر الطرق ، تجيد السحر وتلجأ اليه لتحقق مآربها الدنيئة فتمسخ الآدميين من اعدائها كلابا وقرودا ، أو احجارا صماء . وماذا تنتظر من كتاب بني على خيانة المرأة أن ينصف المرأة .

الكتاب يبدأ بخيانة المرأة زوجها

ففي مقدمة الكتاب أن الملك شهريار حين رأى أن زوجه تخونه مع أحد عبيده كما فعلت من قبل زوجة أخيه شاه زمان اعتراه القرف والاشمئزاز من الدنيا ، فزهد وأخوه بالملك ، وخرجا متخفيين يسيران في الارض مثل الزهاد من عباد الله ، ليريا هل حدث لغيرهما مثلما حدث لهما ؟؟ وينتهي بهما المسير الى شاطىء بحر موحش فيجدان هناك شجرة ضخمة فيتسلقانها ليناما عليها . واذا البحر يهيج ويموج فيخرج منه جني طويل القامة ، عريض الهامة ، واسع الصدر يحمل على كتفه صندوقا ، ويقعد تحت الشجرة ثم يفتح الصندوق ويخرج منه علبة كبيرة ، ثم يفتح العلبة فتبرز منها صبية رائعة الجمال . تجلس مع الجني فيتنادمان ، ويتغازلان ثم ينام الجني متخذا من حضن الصبية وسادة لرأسه ، فاذا غرق في نومه ترفع الصبية راسها ، وتتأمل الشجرة فترى الرجلين فتشير اليهما بأن ينزلا ، والا توقظ الجني ليقتلهما شر قتله ، فينزلا اليهما خائفين وجلين ، واذا هي ترفع رأس الجني عن حضنها وتضعه على حجر غير مبالية به ، ثم تقعد مع الملكين المتخفيين تغازلهما وترتكب معهما الخطيئة، ثم تأخذ خاتميهما لتضيفهما الى عقد تخرجه من جيبها فاذا فيه خمسمائة وسبعون خاتما . وتقول لهما :

لقد عشقني هذا الجني يوم عرسي فخطفني ووضعني في علبة وضعها في صندوق عليه سبعة أقفال ، ثم رماني في قعر البحر ، ولا أحد يستطيع أن يفتح علي الصندوق غيره . وعلى الرغم من ذلك كله استطعت أن أخونه كلما غفل عني مثل غفلته هذه مع اصحاب هذه الخواتم كلها . ثم تقول : ان المرأة منا اذا أرادت أمرا لم يغلبها أحد .

ويقول الملك شهريار لأخيه شاه زمان : ما أهون أمرنا الى جانب امر هذا الجني .. ! اني لاتصور قاصا ماهرا يلقي هذه القصة في أحد المقاهي على جمهرة من الرجال كانوا يصغون اليه مأخوذين ببراعة القائه التمثيلي فاذا فرغ منها نظر الرجال في عيون بعضهم بعضا مرتاعين ثم يروحون يعلقون على الحكاية ويكيلون أقذع السباب لجنس النساء ثم ينهون كلامهم بالرأي المعروف :

« المرأة شر ، وشر منها أن لا غنى عنها .. ولتفادي هذا الشر يجب عزل المرأة عن مجتمع الرجال ، ولتبق قعيدة بيتها » .

الكتاب يصور الزوج المخدوع في امرأته شهما جميلا ، والرجل الخادع عبدا بشعا

وكي يزيد الكتاب في النقمة على المرأة نجده في كثير من الحكايات ، حين يصور الزوج المخدوع – كما في قصة الصياد والعفريت – يصوره

لنا شابا بارع الجمال ملكا أو أميرا نظيفا كريما شهما . وحين يصور العشيق يصوره عبدا بشعا ، له شفتان غليظتان تلتقطان الرمل عن الحصى . قذرا يسكن كوخا حقيرا تنبعث منه الروائح الكريهة . ويجعل الاميرة الجميلة تضع كل يوم البنج فى شراب زوجها لتخدره وتخرج من قصرها المنيف لتلتقى بعشيقها القذر فى كوخه الحقير . ثم ترتكب من أجل هذا العشيق ابشع الجرائم . فذات مرة تبعها زوجها ـ وكان قد أوهمها انه شرب المخدر ، فلما رأى عشيقها ضربه بالسيف ضربة لم تقض عليه ، فاذا هي تسحر زوجها في الحال فتجعل نصفه الأسفل من حجر وتظل تضربه كل يوم بالسوط حتى يسيل دمه وهو يصيح ويتضرع اليها لتعفو عنه . فتقول له : كيف تريدني أن أشفق عليك ، وانت لم تشفق على حين ضربت عشيقى بالسيف حتى جرحته جرحا لم يبرأ منه الى الآن ؟؟ ولم تكتف بذلك بل سحرت أيضا رعايا زوجها كلهم فجعلتهم سمكا متعدد الالوان فى بحيرة نائية .

وقصة تمتحن فيها امراة عشيقها باغرائه بحب اختها

في حكاية أخرى تريد امراة أن تمتحن عشيقها لترى مدى اخلاصه لها فتصطحب معها حين تذهب اليه اختها الصبية الصغيرة الجميلة ، وتظل تغريه بها ، وتغريها به وتسقيهما الخمر حتى يسكرا ويستجيبا لاغرائها . وعندئذ تتقد فيها نار الغيرة فاذا نام العاشقان تستل سكينا خبأتها لهذا الغرض فتذبح بها اختها دون رحمة أو شفقة ، ثم تضع السكين فى يد الشاب ليتهم بالجريمة ثم تولي هاربة .

ولا يتورع الكتاب عن أن يتهم بالجريمة الدنيئة شخصيات نسوية لها قيمتها التاريخية . كزبيدة زوج هارون الرشيد حين غارت من الجارية قوت القلوب فانتهزت فرصة غياب الخليفة عن القصر وامرت بواد الصبية فى خرابة . وهذه نماذج من صور المراة فى حكايات الليالى ، واكثرها مشحون بامثال هذه الجرائم البشعة الدنيئة التى ترتكبها المراة في سبيل الوصول الى لذات خسيسة .

كتاب زرع فى قلوب الرجال الشك فى نسائهم

ترى أى أثر تتركه هذه الحكايات فى نفوس أناس من العامة ظلت تتردد على مسامعهم اطفالا ومراهقين وشبانا وشيوخا ؟؟ لا شك انه ثبت في نفوسهم ، ووقر في اذهانهم أن المراة عنصر شر ولا سبيل الى تفادى هذا الشر الا بحبسها فى بيتها والحكيم الاريب هو الذى لا يدعها تخرج منه الا مرتين فقط ، مرة من بيت أبيها الى بيت زوجها ومرة أخرى من بيت زوجها الى القبر .. !! لقد زرع هذا الكتاب الشك في قلوب الرجال فجعلهم لا يأتمنون النساء أبدا . والأدهى من ذلك أنه شكك المراة في نفسها ، فلطالما سمعنا العجائز يرددن هذا المثل (الحية والمرية لا ترفع عنهم العصية) ..

وكان من جراء ذلك كله ان حرمت المراة من العلم ، كانوا يقولون : وماذا تفيد المراة من العلم سوى أن تكتب مكاتيبالغرام ، او طلاسم السحر ؟؟ وبعد هذا كله ، أنكون مغالين اذا قلنا : ان هذا الكتاب كان من أكبر العوامل التي دعت الى تاخر المراة فى الشرق الاسلامي بعامة ، وفى الشرق العربي بخاصة ؟ ألا تربو هذه السيئة وحدها على حسنات الكتاب كلها ؟! .

العلم حرّر المراة من وصمة الليالي

غير ان العلم الصحيح وحده حرر المراة مما وصمها به مؤلفو الليالي . حين تثقف الرجل ثقافة واعية ادرك ان المجتمع لا ينهض الا بتثقيف المراة فراح المصلحون يكافحون ليزيلوا من الاذهان ما علق بها طوال قرون عديدة من أضاليل واكاذيب بحق المراة لا يقرها خلق أو دين . وتدول في عصرنا دولة هذا الكتاب بعض الشيء بين العامة حين لم يعد لقص الحكايات شان يذكر بعد السينما والراديو والتلفزيون ومجلات التسلية ومجلات الاطفال فيفقد كثيرا من تاثيره على المجتمع .. ويصبح الكتاب للخاصة اكثر منه للعامة .

الكتاب تحدث عن الجوارى ، لا على النساء المحصنات

ولا يصعب على الخاصة ان تدرك الاسباب التي دعت مؤلفي الليالي لان يتخذوا هذا الموقف الجائر من المراة . كانوا حين يصفون المراة يصفون حقيقة واقعها في عصور الانحطاط ، اى في احلك العصور التي مرت على المراة ، يوم طغت الجوارى على الحرائر ، واصبحت المراة الحرة قعيدة بيتها ، معزولة عن المجتمع ، لا يؤبه لها أبدا ، محرومة من العلم والثقافة . اما الجارية فما هي ايضا الا امراة ضعيفة لا حول لها ولا طول ، تباع وتشترى وهي مغلوبة على امرها ، وقد دربت على افانين الاغراء منذ صغرها ، وتثقفت ثقافة تصلح لمنادمة الرجال في أوقات لهوهم . وكلما تداولتها الايدى ماتت فى نفسها الكرامة والمروءة ، ومن كان هذا شانها كان لا بد لها ان تلجا الى ما يلجا اليه الاذلاء الضعفاء من كذب ونفاق ، وخداع ودس واغراء ، ومؤامرات دنيئة ، لتعزز مكانتها في قلوب الرجال . وكان هذا لا بد أن يدفع بعض الحرائر لأن ينهجن نهج الجوارى ليستطعن مجاراتهن ويعززن ايضا مكانتهم فى قلوب رجالهن .

هذه الظاهرة تبرز واضحةفي التاريخ الاجتماعي للقرون الوسيطة فى شرقنا العربى . وحين نقول ظاهرة نعني الاكثرية الغالبة . وهذا لا يمنع ايضا من وجود بعض الحرائر أو الجوارى اللواتي ساعدتهن ظروف خاصة لأن يعشن حياة كريمة عزيزة تجعلهن فى غنى عن التردى فى مثل هذه الصغائر ، ولكن على كل حال كن اقلية ضئيلة لا تمثل وجه المراة الصحيح في تلك العصور ، وتجيء حكايات الليالي بما فيها من جاذبية أخاذة تصف هذا الواقع مع كثير من الغلو والمبالغة كان يقضي بهما الفن الادبى وبخاصة القصصي السائد آنذاك فكان لهذا كله أثره البالغ على المجتمع ، وكان من جراء ذلك ان ساعدت هذه الحكايات على الاستمرار في ظلم المراة والحد ما أمكن من حريتها عصورا طويلة .

ومع هذا ، فالمراة على الضعف والمذلة والكبت ، تنتقم عند اتاحة الفرصة

وبعد هذا كله الا نجد ان صورة المراة فى حكايات الليالي ما هي الا رمز للانسان الضعيف الذليل المغلوب على امره ، والذى يتراكم فى اعماقه الكبت فوق الكبت أجيالا بعد اجيال حتى يصبح حقدا أسود ، فاذا سنحت له الفرص راح يضرب ضربته اللئيمة النكراء كما كانت تتصرف النساء في حكايات الف ليلة وليلة .

ما الفارق بين تلك الصبية المنكودة الحظ التي خطفها الجنيّ يوم عرسها ووضعها فيصندوق عليه سبعة أقفال ثم رماها فى قعر البحر فراحت كلما سنحت لها الفرص تنتقم من جلادها أفظع انتقام ، وبين الكثيرات من الصبايا اللواتي كن فى ربيع العمر يزوجن أو يبعن على الرغم منهن لرجال قد يكونون أشد بشاعة وانانية من ذاك الجني ، فيحبسونهن في بيوت أو قصور ويسدون عليهن الأبواب والنوافذ ثم يجعلون منهن أداة متعة ولذة حتى يقتلوا فيهن كل كرامة ، أو شعور بالانسانية. فاذا اتيحت الفرص لهؤلاء السجينات انتقمن من ظلامهن كما انتقمت المراة الفاجرة عشيقة الجنيّ . والذى يعزز قولنا هذا هو اننا نجد المراة فى حكايات الليالي تفي وتخلص للرجل الذى تختاره وتحبه بمحض ارادتها ولو كان عبدا ذليلا ، وتفضله على ذلك الذى يفرض عليها فرضا زوجا كان او مالكا لها مهما يكن رفيع الشان عزيز الجانب ، بارع الجمال .فحين كان يخيرها الخليفة بين العيش فى قصره وبين الزواج بمن تحب ، كانت تفضل دائما الزواج بمن تحب ولو كان فقيرا معدما . كما فعلت الجوارى الخمس مع المأمون ، وتودد الجارية مع الرشيد وقوت القلوب مع الرشيد أيضا .

والكتاب يضفى علىالمراة الذكاء الخارق ، وعلى الرجل الغباء

والذى نلاحظه هو ان الكتاب يضفي على المراة ذكاء خارقا مشوبا دائما بالخبث والدهاء يبدو امامه الرجل غبيا بليدا . ولذا كان يلجا دائما الى القوة الغاشمة ليعوض عن هذا النقص الفادح ، ومن جراء ذلك نجد ان الصراع لا يفتر بين المراة والرجل فى أكثر الحكايات .

شهرزاد وحدها ، هي مثل المرأة الرائعة

غير ان الذى يبرر لمؤلفي الليالي ما جنوه على المرأة هو ابتكارهم شخصية شهرزاد . وهي شخصية رئيسية فى الكتاب تواكبه منذ المقدمة حتى آخر كلمة فيه . هذه الشخصية الفذة تجعلنا نؤمن بأن المرأة حين تكون ضعيفة ، ذليلة ، جاهلة ، يكون واقعها كما تصوره حكايات الليالي.

اما حين تكون عزيزة الجانب ، واسعة الثقافة ، حرة فى تصرفها فتستطيع حينئذ ان تكون تلك الانسانة الرائعة شهرزاد التى لم يستطع ابوها ان يثنيها عن عزمها حين اصرت على الزواج من الملك العاتي شهريار الذى ظل ثلاث سنوات بعد ان رأى ما فعلته المرأة الفاجرة عشيقة الجني يتزوج كل ليلة صبية ثم يقتلها عند الصباح حتى يفجع أهل البلد من هذا الظلم الفادح فيهربوا ببناتهم ، فلما لم يجد الوزير فى المدينة كلها بنتا تصلح للزواج ليقدمها الى الملك ، يعود الوزير الى بيته حزينا كئيبا يخشى ان يغضب عليه الملك فيقتله شر قتله . عندئذ تتقدم ابنته الكبرى شهرزاد فتقول له : أنا يا أبتي سأتزوج من الملك شهريار عسى أن يجعل الله خلاصك وخلاصي وخلاص بنات المسلمين على يدى .

تقدم شهرزاد على هذه المغامرة الخطرة واثقة من دهائها وذكائها لتنقذ اباها وبنات جنسها من شر الرجل العاتي شهريار .. تبدو لنا شهرزاد فى كتاب الف ليلة وليلة رمز التضحية والتفاني فى سبيل الاخرين ، كما انها تبدو رمز العاطفة والتسامح والغفران . وما ابشع الحياة واقساها بدون ذلك كله ، لم تحاول شهرزاد ان تنتقم لبنات جنسها من الرجل العاتي شهريار فتدس له السم مثلا وهي الداهية الاريب ، أو تغرس فى قلبه خنجرا حين يغفو وهي الشجاعة المقدامة ، بل غفرت له آثامه الفظيعة وراحت تمسح بيدها الناعمة العطوف على جبهته المتعبة ، وتداوى نفسه المريضة لتعيده الى صوابه ، فتقص عليه الحكايات المشوقة المسلية ، وحين يدركها الصباح كانت تسكت عن كلامها المباح فيرجيء الملك قتلها الى الغد حتى تتم الحكاية . وما تتمها حتى تبدا اخرى اكثر اغراء وطرافة ، وتظل ثلاث سنوات تحكي الحكايات وتبتكر الاقاصيص بصبر انثوي عجيب ، وهي مهددة بالقتل كل صباح ، فلا تبالي بنفسها حتى تروض بقدرة خارقة الوحش الكامن فى الرجل شهريار . تروضه بما فطرت عليه الانثى من دهاء ومداورة ورقة وعطف ولين حتى يستانس بها ويعفو عنها ، وعندئذ تنتهي حكايات الليالي .

لقد زال تأثير كتاب الف ليلة وليلة عن مجتمعنا ، وراحت المرأة تنطلق من القيود التى كبلها بها هذا الكتاب ، لكن شخصية شهرزاد الانثى المعطاء ، والوجه المشرق فى الحياة ستظل الرمز الخالد للمرأة أبد الدهر . ■■

دمشق : الفة الادلبي

اللَّيلُ والمِصْباح

■ أنا إن يَجِف الزّيتُ من مصباحِيَ النّمِلِ الوحيدْ
ولئن تعثر خَطْوِيَ الوهانُ للدَّربِ البعيدْ
أنا إن ترامى الشوك من حولى وزاغت مقلتاىْ
وهوتْ يداى من الأسى المقرور وانْهَدَّت قُواىْ
ولئنْ ، وإنِ ، فلسوفَ أولَدُ مِنْ جديدٍ ، مِنْ جَديدْ !

اللّيلُ تَنْبُضُ في شرايينى يَموتُ بِلا صَدَى
وأنا أسيرٌ مع الحياةِ ولم أزِدْ إلاّ صَدَى
يَرمِي بِيَ الليلُ الضَّريرُ إلى الصباحِ ، ولا صباحْ
الزّيت كادَ يجِفُّ والمِصباح تملؤه الجِراحْ
وأكاد أبصِر بيضَ أيامي وقد ضاعت سُدَى

أنا لستُ أنسى أنني سأظل في الدنيا غريبَهْ
لاخِلّ لى أبداً يؤانسنى ولا ذِكرَى حبيبَهْ
والنّاس في عيْنِي سرابٌ قد تَعلّقَ في سرابْ
وغداً سيغشاه التّراب وإن تَمسَّك بالتُّرابْ
أأنا الغبيّة إن تأملتُ الحياة ، أمِ اللبيبَهْ ؟

لاشيء أعرِفه سوى أنى أتيْتُ إلى الحياهْ
وبجانبِي المصباح يلْهَثُ لم تَعُدْ عينى تَراهْ
واللّيلُ في روحي ، وفي قلبِي بقَايا أغنياتْ
ماتت على ثغرى ، وإن كانت لُحونا غافياتْ
هذا الذى أدرِيهِ في الدنيا ، ولاشيءَ سِواهْ !! ■■



وفاء السنديوني

اليهود والحضارة

بقلم : محمد محمود الدش



■ اذا ذكرت كلمة الحضارة ، فان ذلك يعني على الفور تلك القيم والأفكار والأعمال التي تقارب بين الانسان وبين الكمال،وتضعه على طريق الحياة الراقية في اسسها واهدافها .

والحضارة قبل كل شيء تعتمد على الفكرة وعلى الدعوة ثم على التنفيذ او التجريب ، وبعد ذلك او قبله تعتمد على الظرف أو الوعاء ...

اما الفكرة فينبغي ان تكون فكرة قيمة في في جوهرها وفي غايتها ، مثالية او واقعية شريفة ، واما الدعوة فيجب أن تعتمد على عنصرى الاخلاص لها ، والمنافحة من أجلها بكل وسيلة مشروعة، وأما التجريب فحقيق به أن يعتمد على فهم كامل دقيق للفكرة ، ووسائل الدعوة وغاياتها جميعاً من أجل البناء الانساني الكامل . وأما العماد الرابع الذى ترتكز عليه الحضارة ، واسميناه بالظرف فليس سوى البيئة الاجتماعية ، بما فيها من جماهير متضامنة واعية .

وكل حضارة في القديم او في الحديث يمكن قياسها بهذا المعيار الرباعى ، وكلما اقتربت فكرة الحضارة ووسائل دعوتها واهداف تطبيقها وثقة جماعتها ، من الكمال ، دل ذلك على قيمة

« ان لم تطردوا سكان الأرض من امامكم ، يصبح الذين تستبقونهم منهم أشواكا في اعينكم ، ومناخس في جوانبكم ، ويضايقونكم على الارض التى انتم ساكنوها » .

التوراة

« ومتى أصبحنا أسيادا فاننا لن ندع في الوجود غير ديانتنا . ولذا يجب علينا ان نزيل الأديان الاخرى ونجعل اهلها عبرة ودرسا حتى تخضع الشعوب جميعا لسيادتنا المطلقة » .

هرتسل

فاعليتها ، وقوة اثرها في الحضارة الانسانية العامة ، وغايتها من بناء الانسان الراقي والمجتمع الكامل . وعكس ذلك صحيح ايضا ، بنفس القدر في تحديد العلاقة بين أسس الحضارة اذا انتقص بعضها ، وبين بُعْدِها عن غايتها الانسانية .

تقويم الحضارات

فنحن نستطيع مثلا ان نقوّم الحضارة المصرية بمقدار ما توافر لها من هذه العناصر الأربعة ، اى بما تضمنت من أفكار لها قيمتها المثالية والواقعية النبيلة ، ومن اخلاص وايجابية في الدعاء الى هذه الافكار ، ومن وسائل اتخذت من أجل تطبيقها وتحقيقها ، ومن التفاف الجماعة أو الجماهير حولها .

ومثل ذلك يمكن تفصيله وتحقيقه بالنسبة للحضارة اليونانية ، وحضارات الصين والهند والنهرين ، والحضارة العربية ، حتى الحضارة الغربية الحديثة ، وذلك بحصر الجوانب المشرقة المضيئة من أجل الانسان ، وحصر الجوانب المضادة له بما فيها من ظلم وظلام . وهكذا يمكن حساب الدور الذى قامت به كل حضارة بتصنيف ما لها وما عليها ، ما ادته من اعمال وافكار خدمت بها الانسانية ، وما ادته من اعمال وافكار اخرت بها الموكب الحضارى أو ضللته فيها وخدعته عن الطريق الصحيح .

ونحن لا نستطيع بطبيعة الحال أن نسجل هنا التقدير الكامل لحضارة ما ، ولكننا نستطيع ان نقدم الأسس المهمة والافكار الرئيسية والخطوات الحقيقية التي تؤدى الى تقويم صحيح .

ولقد قضى العلماء والباحثون أجيالا ، وسوف تمضي أجيال أخرى، في الحديث عن نشاة الحضارة المصرية ، ومحاسبة الشعب المصرى الذى خلقها ، عما قدمه للحضارة الانسانية في المجالات المختلفة. وبنفس الهمة يمضي موكب العلم والبحث في محاسبة الشعب اليوناني والشعب العربي وغيرهما من الشعوب الحضارية .

واذا قلنا على سبيل المثال : ان الشعب العربي أوجد حضارة جديدة ، وفى نفس الوقت حفظ للانسانية حضارات الامم السالفة في مصر والنهرين والصين والهند واليونان وغيرها واضاف اليها اضافات مهمة جدا فى العلوم المختلفة وفى الفنون والآداب ، فاننا نردد قولا مكرورا افاض فيه الباحثون من العرب ومن الغربيين وغيرهم افاضات شتى ، وسوف تظل مواكب أخرى منهم تفيض من

ثرة حول دقائق هذه الحضارة وتفصيلاتها وأسرارها التي تتكشف يوما بعد يوم .

البحث عن القيم العظمى

ولن يعدم القارىء اذا فتح كتابا ، أي كتاب ، عن الحضارة العربية ، أن يجد باقة من القيم العالية والافكار الرائعة التي تقود السلوك الفردي والسمت الجماعي – على مستوى الجماعات الوطنية أو العلاقات الدولية في المجتمع العربي – الى الانسانية الراقية الكريمة . ولن يعدم أن يجد حديثا فائضا عن القيم العظمى التي ظلت البشرية قرونا تعاني آلاما فظيعة في سبيل البحث عنها والشوق اليها ، ويعلم الله كم ستظل تعاني وتشتاق اليها ، بعضها أو كلها ، في وسط هذه الامواج المتلاطمة من طبقات الظلام التي تثيرها المذاهب والأفكار والعقائد المصطرعة .

وهل تنشد الانسانية شيئا أو تشتاق الى شيء سوى الحياة الآمنة الكريمة ، التي ترتكز على قوائم ثابتة ودعائم قوية ، من أفكار العرب الاسلامية في العدل والحرية والمساواة والأخوة التي تقود الى نظم سياسية واقتصادية واجتماعية سليمة ؟ .

مذهب الاسلام في الانسان

يقول الأستاذ Harold B. Smith في بحثه عن مذهب الاسلام في الانسان بعد تفصيل عن الحرية والمسئولية ، وعبقرية الأخلاق الاسلامية، والمساواة الكاملة بين البشر ، والترابط الاجتماعي، والعدالة الاقتصادية .. الخ :

« ان الحضارة الاسلامية ذات أساس متين يمكّن من الاصلاح في ميدان السياسة الاجتماعية، فان ما في نظام الاسلام من مساواة ومن ديمقراطية يصلح أن يتخذ باعثا مناسبا على أية حركة اجتماعية .. » .

« وفي الميدان القانوني يستطيع المجتمع الاسلامي أن يدرك وهو مطمئن أن وراء جميع القوانين الانسانية قانونا الهيا ثابتا .. متذكرا دائما المبادىء الخالدة : المساواة والعدالة والرحمة .. » .

« أما في الميدان السياسي فان العالم الاسلامي في وضع يسمح له أن ينمّي فلسفته الخاصة المتميزة .. » .

« أما من حيث العلاقات الدولية فان الامم الاسلامية ، أو الجماعة الاسلامية الكبرى يجب أن تكون في طليعة المتحمسين لخلق نوع من المجتمع العالمي ، من الأمم ومن العاملين على ايجاد مثل ذلك المجتمع الذي ينظمه ، ويسيطر عليه قانون دولي ، كما أوضح ذلك خير ايضاح الاستاذ نورثروب Northrop في كتابه Taming of Nations رياضة الأمم » .

والاقوال في هذا المجال من الشرقيين والغربيين كثيرة لا تنفد ، وحسبنا أن نوجز رأيا للدكتور Alford carletar حين يقول : أن العالم العربي يملك موارد انسانية عظيمة ، بماضيه المجيد ، وموقعه الاستراتيجي ، وشعبه الجريء المماق ، وزعمائه الصالحين ، وآماله العريضة ، والاخلاص المطرد الذي تمتاز شعوبه بضروب واسعة منه » .

التاريخ شاهد على اخلاص العرب

والتاريخ شاهد على أن العرب حملوا أمانة أفكارهم وقيمهم بكل اخلاص ، ودعوا اليها دعوة واسعة في الشرق والغرب على السواء ، بهمة وشجاعة ، ونافحوا في سبيل ذلك منافحة جريئة ، فيها كل أنواع التضحية . وفي مجال التنفيذ والتطبيق ، على الصعيد الفردي والجماعي يسجل التاريخ لهم صفحات لا تنفد من أمجاد الاخلاص والامانة والعدالة والحرية والاخاء والرحمة والمثابرة ..

حتى اذا تسلم الغرب مشعل الحضارة ، بعد تنقله بين الأمم في مراحلها المختلفة، وجدنا الغربيين يعتمدون على مبادىء العرب والاسلام في حركاتهم وثوراتهم . مطنطنين لها ، متشدقين بها ،محتمين وراءها ، كما اعتمدوا في نهضتهم العلمية على التراث العربي دون مراء ، ولكنهم أحالوا المشعل العربي المشرق بالنور الوضاء الهادىء الى نار تحرق وتدمّر وتبيد . ونحن لا نشك لحظة في أن اليهود يقفون في دأب ومثابرة من وراء هذه الغاية المدمرة التي أحالت مشعل الحضارة ، من نور يهدي الى نار تبيد ، وتاريخهم وأفكارهم ودعوتهم وخطتهم شاهد أكبر لنا ولغيرنا على ما نقول .

حضارة اليهود

ولنا أن نتساءل قبل ذلك عما يراد بالحضارة اليهودية قبل أن نوغل في تقديرها ووضعها بين الحضارات الأخرى التي تنبنى عليها الحضارة الانسانية .

ان اليهود يتحدثون عن « حضارة يهودية مستقبلية » ترتكز بطبيعة الحال ، وحسب دعايتهم الواسعة العريضة ، على تاريخهم وعلى افكارهم وعلى خططهم وآمالهم . ويمكن أن نعتبر أن أول خطوة ايجابية نحو تحقيق هذه الحضارة كانت حينما دعا اليهودى النمساوى دكتور تيودور هرتسل الى عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة (بال) بسويسرا ، حيث اجتمع اكثر من ثلاثمائة من حكماء اليهود سنة ١٨٩٧ ، وقرروا وضع خطة سرية تمكن اليهود من فرض سيطرتهم على العالم كله ، لتحقيق اقامة دولة يهودية ملكية يقوم عليها ملك من نسل داود ، هذه الخطة السرية هي التي تسمى (بروتوكولات حكماء صهيون) . والفكرة التى تعتمد عليها دعوتهم من أجل هذه الحضارة المستقبلة تعتمد أساسا على نظريتهم القائلة أن الحضارة المسيحية الغربية في طريقها الى الانقشاع ، لكى تقوم مقامها حضارة أخرى يهودية ، أكثر امعانا في المادية ، وتسيطر على العالم .

دعوة هرتسل

يقول هرتسل : « ومتى أصبحنا أسيادا ، فاننا لن ندع في الوجود غير ديانتنا ، التى تنادى بالاله الذى يتعلق به مصيرنا ، لأننا شعب الله المختار . وان مصيرنا ليقرر مصير العالم ولذا يجب علينا أن نزيل الأديان الأخرى من طريق اقامة كفرة محدثين ، تجعلهم عبرة ودرسا لشعوب لا بد أن تخضع لدين موسى القوى ، الذى يوصلنا الى سيادة مطلقة على الشعوب جميعا » .

أصل اليهود وتاريخهم

ولكن .. هل في تاريخ اليهود وافكارهم ما يؤدى الى تنفيذ هذه الخطة وتحقيق هذه الآمال ؟ .

ان اليهود يعودون بأصلهم وتاريخهم في أعمق أغواره الى ابراهيم عليه السلام والى المكان الذى نشأ فيه وهو أرض العراق . ثم ينسبون انفسهم مرة الى يعقوب بن اسحاق أبن ابراهيم ، وهو الملقب باسرائيل الله ، ومرة أخرى الى يهودا الابن الرابع ليعقوب ، أى من الاسباط الاثنى عشر ، ومن هنا فهم يسمون باليهود مرة وبالاسرائيليين مرة أخرى ، وثالثة بالعبريين ، وكانت لغتهم اللغة العبرية وهى احدى اللغات السامية من اللغات الكنعانية ، وهي غير لغتهم الحديثة « العبرية » التى تعود الى أصول جرمانية .

ومن المعروف أن يعقوب عليه السلام والأسباط نزحوا الى مصر ، حين اشتد القحط على أرض كنعان ومصر ، بعد أن دعاهم يوسف عليه السلام للاقامة هناك، وقد قوى نفوذه وعلت كلمته وأصبح صاحب الأمر منذ وثق الملك في رأيه وفي حكمته ، فأنزلهم منزلا كريما ، وأقامهم في (غوش) بالشمال الشرقي من مصر ، واشتغلت ذراريهم بالزراعة والرعى ، حتى كثر عددهم ، وجرت الأرزاق اليهم ، وسالت بين أيديهم .

فرعون أذل اليهود

ويبدو أن النعمة أبطرتهم ، وأفسدهم الحرص عليها ، وأصابهم انحلال خلقي، وانفصام اجتماعي، لأننا نرى فرعون مصر، ويقال انه رمسيس الثانى، قد ضجر منهم ، وسئم طباعهم ، فعمل على ايقاف نسلهم ، يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، وجاء موسى بعد رحلته الى مدين وزواجه منها ، ليوحد صفوفهم ويجعلهم من خلفه ، ويهديهم الى الحق . ويهدى آل فرعون ، ويدفعهم جميعا عن عبادة (رع) اله الشمس ، وعبادة العجل (أبيس) ، الى عبادة الله الخالق الواحد . وبذل في ذلك جهودا كبيرة ، سخر الله له فيها الآيات والمعجزات،فآمن به بعض المصريين ونفر من الاسرائيليين ، فقادهم هو وأخوه هرون الى الخروج من مصر ، هربا من فرعون وجبروته ، اذ أراد أن يهلكهم بجيشه ، ولكنهم استطاعوا اللجوء الى سيناء ، ويبدو أن بنى اسرائيل لم يكن خروجهم عن ايمان بموسى ورسالته وانما كان هروبا من اذلال فرعون لهم ، ويبدو أيضا انهم نهبوا الكثير من ثروات المصريين الذين كانوا يعيشون معهم أو يجاورونهم . فأخذوا من النساء حليهن وجواهرهن وذهبا وفضة ، كما

انضم اليهم ساعة الهروب نفر من الخارجين على القانون المصرى من اللصوص والقتلة والمجرمين .

ضلالة وكفران

ولما عاد موسى من الطور بعد أن تلقى كلمات ربه ، وجد قومه على حالهم من الضلالة والكفران، اذ صنع لهم (السامرى) من الحلي عجلاً طلبوه منه ليعبدوه بنفس الصورة التي كانوا يعبدون بها أبيس الفراعنة ، وكانوا قد هموا بقتل هرون الذى استخلفه موسى عليهم لولا انه خلّى بينهم وبين عجلهم يعبدونه ، وفرّ السامرى ، والقى موسى عجلهم في اليم ، ثم اراد ان يقودهم الى ارض تصلح للحياة ، فوجههم الى ارض الميعاد ، حيث يعيش الكنعانيون، ولكنهم استكانوالطبيعتهم في الجبن والاستخذاء ، وخافوا منقومها الجبارين، وطلبوا اليه مطلبا غريبا ، وقالوا : يجب انيخرجوا منها أولا ، وقالوا : « يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها ، فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » . وبان القوم على حقيقتهم من الكفر والذلّة والجُبْن . فحرّمت عليهم ارض الميعاد ، وظلوا تائهين ضائعين ، يتقاتلون ، في بيداء التيه اربعين عاما ، حتى جاء الجيل اللاحق ، فقاده (يوشع بن نون) فتى موسى ، عبده او خادمه ، الى ارض كنعان حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م .

اول كيان لليهود

وبرز لهم اول كيان سياسي حينما اصبح شاؤول (طالوت) ملكا عليهم حوالي سنة ١٠٩٥ - ١٠٥٥ ق.م ، واتخذ من حبرون (الخليل) عاصمة لملكه ، ولكن داود ، الذى جاء بعده ، نقل العاصمة الى مدينة يبوس (القدس) سنة ١٠٤٩ ق.م. ويعتبر سليمان بن داود أعظم ملوك هذه الدولة بلا منازع ، وهو الذى بنى الهيكل ، واستغرق ذلك البناء نحو سبع سنين ، احضر فيها العمال والمهندسين من مصر والجزيرة وفينيقيا ، فشيدوه ضخما عظيما على غرار الآثار الموجودة في بلادهم . ويدل ذلك على أن عصره كان عصر سلام ورخاء ، وان ذكرت كتب التاريخ انه فرض ضرائب ثقيلة مما اثار سخط بعض القبائل وخاصة في الشمال .

وبموت سليمان خ ٩٣٢ ق.م. انقسمت دولة اليهود الصغيرة دولتين : الأولى في الشمال ، مملكة اسرائيل ، وعاصمتها شكيم (نابلس) ثم السامرة . والأخرى في الجنوب ، مملكة يهودا ، وعاصمتها أورشليم . وتناحرت الدويلتان نحو قرنين من الزمان ، بحيث دب فيهما الضعف والاشراف على الفناء ، مما مكن الامبراطور الاشورى سرجون - ح ٧٢٢ق.م - من الاستيلاء على المملكتين ، فقام بنفي معظم اليهود من الارض.

الأسر البابلي

وبعد أن سقطت نينوى في ايدى الكلدان - ح ٦١٤ ق.م - تابر اليهود على الايقاع بين المصريين الذين كانوا قد استولوا على أرض كنعان ، وبين الكلدانيين . ولكن نبوخذ نصر ملك بابل - ح ٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م - هزم المصريين ، ثم انزل باليهود غضبه ، فخرب اورشليم وهدم الهيكل ونهب كل ما فيه ، وساق اليهود الى برج بابل - ح ٥٨٦ - ق.م - ماسورين ، وهذا ما يسمى في تاريخ اليهود بالأسر البابلى . وظلوا هناك ردحا من الزمان حتى فك اسارهم الملك الفارسى قورش ، وهو ابن اليهودية فعاد نفر منهم الى بلادهم ، واعادوا بناء الهيكل - ح ٥١٦ ق.م - .

وفي العصر الهيليني ظل اليهود محطا للغارات والفتك من الخارج ، ونهبا للفوضى والصراع بين الصدوقيين والفريسيين من الداخل ، حتى دهمهم القائد الروماني المعروف فيطس فهدم بلادهم ودمر اورشليم - ح ٧٠ بعد الميلاد - وشتت شملهم ، وساقهم عبيدا الى روما .

مولد المسيح

في هذه الفترة ولد السيد المسيح ، وجاهد في نشر دعوته جهادا كبيرا ، وكان اليهود أعتى مر تصدى لدعوته بالتكذيب والتضليل ، ولشخصه بالايذاء والسخرية ، وجاهدوا في قتله ، فاسلموه الى الوالى بيلاطس الذى قام بجلده ، ثم سلمه اليهم ليصلبوه على أذرع الههم (يهوه) - والثابت انهم « ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

اما اليهود فقد كان آخر العهد بهم في فلسطين ، حين هدم الامبراطور الروماني ادريانوس مدينتهم من اساسها ، وقتل نحو خمسمائة الف يهودى ،

وباع نفرا آخرين يقدرون بخمسين الفا . سنة ١٣٥ م .

ولم يكن تفكير اليهود ومسلكهم بالنسبة للسيد المسيح ودعوته ، ومحاولتهم القضاء عليه وعلى دعوته ، بافضل من تفكيرهم ومسلكهم مع محمد عليه الصلاة والسلام ، حين اخذوا جانب المقاومة الضارية لهذه الدعوة في حصونهم ومعاقلهم القوية، في المدينة وخيبر وتيماء ووادى القرى وفدك ، واستخدموا كل وسائلهم في الحرب والنفاق والايقاع والفتنة ، وسخروا كل اموالهم وحذلقتهم في معارضة الاسلام ، ومحاولة القضاء عليه.وبذلوا محاولات شتى في سبيل قتل النبي الكريم ، الذى عاملهم منذ بدء الدعوة معاملة طيبة سمحة نبيلة ، فلم يُجْدِ ذلك معهم فتيلا ، وهم الذين قتلوا من قبل الأنبياء زكريا ويحيى وغيرهما .

« لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » .

اليهود التائهون

وتفرقت اشتات اليهود في بقاع الأرض المختلفة، في أوروبا وافريقيا وغربي آسيا ، يعيشون داخل انفسهم ، وداخل قواقعهم الاجتماعية ، حبيسى افكارهم واحقادهم على الجنس البشرى ، تذلهم امة وتتسامح معهم اخرى ، « ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا ، الا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الانبياء بغير حق ، ذلكبما عصوا وكانوا يعتدون».

وفي اعقاب سقوط الدولة الرومانية قامت دول جديدة ، فظهر اليهود في غرب أوربا ، ولعبوا فيها دورا مهما فيالاقتصاد والفكر ، وخاصة في أسبانيه بين القرنين التاسع والثاني عشر .

يقول صاحب (الفكر اليهودى) : « يرجع اضطهاد العنصر اليهودى الى فجر العهد الذى تسلمت فيه المسيحية ادارة الشئون المدنية ، اذ ظلت كراهية اليهود لمدة قرون رمزا من رموز الصلاح والتقوى عند المسيحيين . لقد هاجمتهم جميع الامم المسيحية فأشبعتهم امتهانا واحتقارا .. فلم يجدوا ملجأ الا الاندلس ، حيث احاطهم امراء الاسلام بعطف خاص . لكن عندما احتل النصارى الأندلس انهدم هذا الملاذ الوحيد .. اذ تقرر اخراج اليهود منها .. وقد بذل رجال الكنيسة كل جهودهم في سبيل طرد العنصر اليهودى .. ففى أقل من ثلاثة أشهر ارغم جميع اليهود الذين لم يعتنقوا المسيحية على مغادرة أسبانيا ، ومن بقي حكم عليهم بالاعدام » .

والحقيقة انهم بعد سقوط الحكم العربي في الأندلس ظلوا ضائعين مضطهدين ، ولم تكن اسبانيا بدعا في قتلهم وتشريدهم ، ولكن دولا كثيرة في هذه الفترة ، مثل انجلترا وفرنسا والمجر والنمسا وايطاليا والمانيا وروسيا سلكت معهم نفس السبيل كلما اقامت طائفة منهم في دولة نبذتهم ولفظتهم بعد حين ، فيفزع من بقي منهم الى دول اخرى ، وقد يتحينون بعض الفرص ويعودون ، وهكذا .

وقد طفوا بعد ذلك في هولندا وبولندا وفي بلاد الدولة العثمانية المسلمة .

أسباب اضطهاد اليهود

ويعزو المؤرخون الثقات ، وفيهم يهود ، ذلك الاضطهاد الى عوامل في داخل الطائفة اليهودية ذاتها،منها طبيعتهم الانعزالية ، واخلاقهم السيئة، فهم لا يندمجون مع الطوائف الأخرى ، بل لا يتعاملون معهم على أسس الاخلاص والوفاء والتعاون ، سلوكهم مع الغير دائما معيب . وحبهم لاغتصاب حقوق الآخرين ليس له حدود .

كما يعزونها الى افكارهم وتعاليمهم التي يتاوصون بها سرا ويتمسكون بها في سلوكهم ومعاملاتهم الى درجة غالية ، فالتلمود ، وهو شرح التوراة الذى كتب بعد الميلاد بخمسة قرون ، يوصيهم أن الله منحهم السلطة على مقتنياتوحياة كل الشعوب . وأنه كما يسمو الانسان على الحيوان فان اليهودى يسمو على باقي أهل الأرض ذوى الطبقة البهيمية . وأن أملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذى يحق لليهودى أن يتملكه. وان الله امرهم باستعمال الربا ضد القوييم (غير اليهود) وحرم عليهم اقراض المال بلا فوائد ، وأوجب ارهاق الآخرين .

حقيقة أن من تعاليمهم في أسفار التوراة

والشروح ما يحث على الفضيلة ، كالصدق وحب الخير والسعى فيه والحث على العمل والاحسان والنظافة وتجنب الشرور واتباع طرائق الحكمة والعلم وما اليها ، ولكن يبدو انها تعاليم خاصة ، مقصورة على التعامل داخل القوقعة اليهودية، لاننا نجد ان تعاليمهم الخاصة بمعاملة الغير على المستوى الاجتماعي الأرحب تناقض تماما التعاليم الفاضلة ، وتعتمد على ارتياد كل الرذائل وارتكاب كل الآثام مع الآخرين ، بما يجعل كل حرام في جميع القيم والمبادىء حلالا عليهم تجاه الطوائف الأخرى .

لا حياة أخرى بعد الموت !

ومن عجب انه ليس فى تعاليمهم الدينية ولا شريعتهم ذكر للروح ، ولا اعتراف بحياة أخرى بعد الموت ، ولم يرد فى دينهم شيء عن الخلود ، وهم يؤمنون بالاله (يهوه) وهو اله خاص بهم وحدهم دون الآخرين . وهكذا تطغى المادية على عقيدتهم طغيانا عجيبا . يقول يهوه : « لا بعث فى حياة أخرى ، وما الموت الا نوم عميق بلا يقظة » .

ولقد جاء عليهم حين من الدهر ، بعد ان اخذوا تحررهم تدريجيا ، وخصوصا بعد قيام الثورتين الفرنسية والأمريكية اللتين دعتا الى التسامح واحترام حقوق الانسان ، ان وقفوا بهمة وراء الأعمال الاقتصادية الكبرى ، بما امكنهم من وسائل النشر والدعوة، فافادوا بذلك فائدة كبرى فى اغراق عوالم الفكر والسياسة بآراء وافكار شاذة وغريبة. ثم ظهرت فكرة الصهيونية التى دعا اليها تيودور هرتسل ١٨٩٦ ، ودعا موسى مندلسون الى نهضة ثقافية ، أو حضارة يهودية ، وقد راينا كيف دعا هرتسل الى القضاء على الأديان الأخرى حتى تكون لليهود السيادة المطلقة على الشعوب جميعا. وليس من شك فى ان هذا هو الأساس الأول ، بل الهدف الأوحد ، الذى يسعى اليه اليهود ، حينما يغتصبون جهود البشرية وحضاراتها الانسانية ليضعوا فى النهاية لافتة كبرى مكتوبا عليها الحضارة اليهودية .

يقول الدكتور أوسكار ليفي : « نحن اليهود لسنا الا مفسدى العالم ومحركى الفتن فيه وجلاديه » .

بروتوكول حكماء صهيون

أما وسائلهم فى دعوتهم فاننا نجدها مدونة فى بروتوكول حكماء صهيون ، اذ يقول :

« .. ان الشباب قد انتابه الخبال ، لانغماسه المبكر فى الفسق ، الذى دفعه اليه اعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتى يعملن فى بيوت الاثرياء والموظفين ، والنساء اللاتى يعملن فى أماكن اللهو ، ونساء المجتمع المزعومات اللواتى يقلدنهن فى الفسق والترف » .

كما يقول أحد البروتوكولات : « لقد اقمنا على أطلال الأرستقراطية الطبقية ارستقراطية يهودية على أساس امتلاك نواصي الثروات . وبذلك اقمنا ارستقراطية جديدة على الثروة التي نتسلط عليها ، وعلى العلم الذى يروجه علماؤنا . اننا فى صلاتنا بالناس كنا دائما نستثير مرض ضحايانا من أجل المنافع ، ونحرك شرههم ونهمهم وحاجاتهم المادية » ـ « ولضمان الرأى العام يجب أولا أن نحيره كل الحيرة بتغيرات من كل النواحى ، لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الأمميون ـ غير اليهود ـ فى متاههم ، وعندئذ يفهمون ان خير ما يسلكون هو ألا يكون لهم رأى فى المسائل السياسية . هذه المسائل لا يقصد منها أن يدركها الشعب بل يجب أن تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب » .

خطة اليهود ودعوتهم

والذى يتأمل هذا الكلام جيدا ، وغيره مما جاء فى البروتوكولات ، يجد أن دعوة اليهود ، وخططهم الحضارية المزعومة تقوم على هدم الحكومات فى كل الدول واقامة حكومات ملكية استبدادية ، تقوم باضطهاد الشعوب ، ثم اغراء الشعوب بالثورة على الحكومات،من طريق الجمعيات الدينية والسياسية، والعمل على نشر المذاهب المتطرفة المتزمتة او الانحلالية ، ووضع جميع امكانات الاعلام ووسائله والاقتصاد واغراضه فى يد اليهود ، واشعال نار الحروب ، والأزمات الاقتصادية ، لتتم لهم فى النهاية سيادة شعب الله المختار .

والواقع ان هذه الافكار والنزوات ليست جديدة الا فى اسلوبها وطريقة صياغتها ، فانالتوراة تقول : « ان لم تطردوا سكان الأرض من امامكم

يصبح الذين تستبقونهم منهم أشواكا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنوها » . ويقول المزمور التاسع والاربعون بعد المائة : « ليبتهج بنو صهيون بملكهم ـ كى ينزلوا نقمتهم بالأمم ، وتاديباتهم بالشعوب، ويأسروا ملوكهم بقيود ، واشرافهم باغلال من حديد ، وينفذوا بهم الحكم المكتوب » .

ما عدا الذهب !

هى ابادة البشر من غير اليهود ، اذن ، تلك التي ينعتونها بالحضارة ، تقوم على الحرب والتخريب بالقول والفكر والمال،واشاعة الفوضى والفسق والاباحية والانحلال ، واهدار كل القيم الغالية التي جاء بها الانبياء والمصلحون والمفكرون .. جاء فى سفر يوشع : « أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وامراة وطفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير ـ واحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار ـ الا الذهب والفضة وآنية النحاس » .

وجاء في التلمود : « ان عملية السرقة غير محرمة مع الأجانب » ـ « ان قسم اليمين أمام الأجانب غير محرم لان اليهودى يقسم أمام بهائم » .

وجاء فى التوراة أيضا : « لا تقطعوا لهم عهدا ، ولا تبقوا لهم نسمة حية في الارض ، بل اهدموا المدن والقرى ، ولا تبقوا مقيما ولا شريدا ، ولا تتركوا قباصة الا واستخدموها » .

سلوك اليهود وخلقهم

تلك أفكارهم ومذاهبهم تجاه الغير ، ومبادىء تعاملهممع الآخرين ، أما سلوكهم الفردى ، وخلقهم الشخصى ، فيتمثل فى التعليمات التي تحث على المتعة واللذة فى حياة ليس بعدها جزاء . « ليس للانسان خير من أن يأكل ويشرب .. وليس من جزاء بعد أن مات ونسى ذكره » ـ « ان من الجنون ان يضحى بالساعة الراهنة فى سبيل اوهام باطلة » ـ « فاذهب كل خبزك بفرح ، واشرب خمرك بقلب مسرور » ـ « تمتع بجميع حياتك الفانيـة مع المراة التي أحببتها وأوتيتها تحت الشمس . لتقضى أيامك الفانية فان ذلك حظك من الحياة ، فليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التي انت ذاهب اليها » ـ « وكرهت جميع ما عانيت تحت الشمس من تعب لأنني سأتركه لانسان يخلفني » ـ « ومن يدرى هل يكون حكيما او أحمق ، مع انه سيستولى على كل عملي الذى افرغت فيه تعبي وحكمتي تحت الشمس . هذا أيضا باطل » . وغير ذلك كثير .

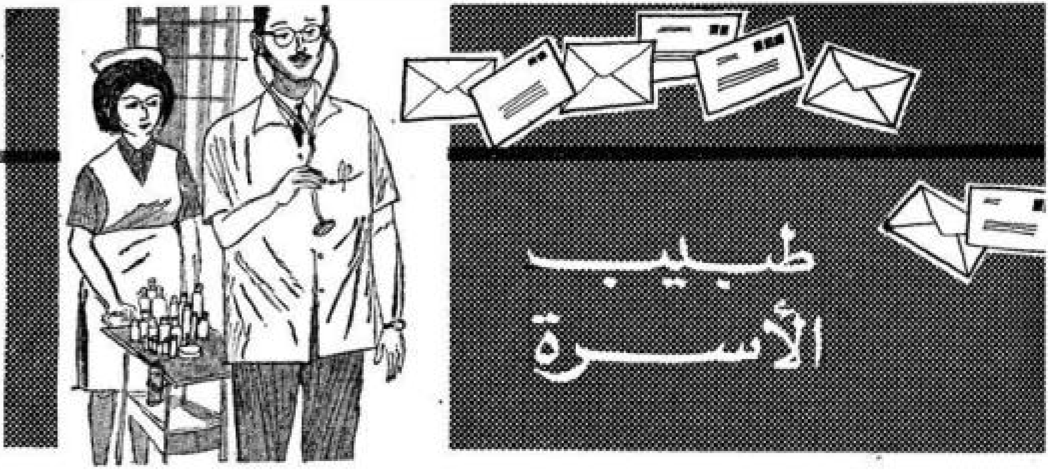
ارأيت الى العناصر الحضارية التي حدثتك عنها فى مطلع هذا الحديث ، من فكـرة شريفة ، ودعوة مخلصة ، وتجريب أمين ، وجماعة واعية ؟ اذن فابحث معي في آثارهم وافكارهم عن المذاهب والعقائد التي تصلح لبناء حضارة ما ، وعن الخطة التي يمكن أن تؤدى الى هذا البناء ، وعن الشعب المضطلع به ، أين تعيش جماهيره ، وما الاعمال التي يتولاها ويمارسها ، ولماذا تضيق عليهم الأرض بما رحبت ؟! .

«واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ان ربـك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم » . ذلك حكم الناموس الاعظم فيهم ، وعلينا بعد ذلك ان نعمل ونعمل ، حتى يرسل المشعل نوره المشرق الوضيء ، ويأبى الله سبحانه الا أن يتم نوره . ■■

محمد محمود الدش

تعليل طريف

● مر طفيلي بسكة النخع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة، فاقتحم عليهم الدار وأخذ مجلسه مع من دعى فأنكره من بالمجلس فقالوا له : لو تأنيت أو وقفت حتى يؤذن لك او يبعث اليك ؟ قال الطفيلي انما اتخذت البيوت ليدخل اليها ، ووضعت الموائد ليؤكل عليها : وما وجهت بهدية فأتوقع الدعوة ، والحشمة قطيعة ، واطراحها حلة ، وقد جاء فى الاثر « صل من قطعك ، واعط من حرمك » !



الطعام الاخشن والطعام الانعم

● وصف الطبيب مرضي ، وقال فيما قال : ان من أسباب اسهالي حساسية المعا . ونصحني بالاغذية التي لا تخلف بقية تثير المعا . فهل تتكرموا بذكر هذه الاغذية ومن اى نوع هي؟ علما بان الطب دائما ينصح بالاغذية التي تتبقى منها في القناة بقية خشنة.

ـ أما ان الطب ينصح عادة بالاغـذية الخشنة فهذا صحيح . لأنه ينصح بذلك عند المصابين بالامساك ، وهم كثرة كبيرة في الناس . والفضلة الخشنة من الطعام تحرك المعا ، فيتحرك ويتحرك معـه الطعام .

اما في ناس آخرين لهم مثل حساسية معاك ، فالطعام الخشن يسيء الى المعـا فيكون سبب ذلك الاسهال وغير ذلك ، لا سـيما ان كان أصاب المعـا مرض ، كالتهاب أو تقرّح .



واعلم يا سيدى أولا أن الطعام الذى أنت آكله ، ينهضم في المعدة وفي الجزء الاعلى من المعا الدقيق . والطعام المغذى الاساسي يمتص غالبه في الجزء الباقي من المعا . ويتبقى من بعد امتصاص بقية ليس لها قيمة غذائية فهذه تذهب الى المعـا الغليظ وهناك يحدث لهـا بعض التغير ، ثم تطلق خارج الجسم .

والاغذية العادية بها بقية غير قليلة من الفضلات الخشنة ، وهي مطلوبة للجسم عادة الا أن يكون المعا مثـل معاك الذى تصف .

ان البقيـة الخشـنة ، وهي مـن سليولوز غالبا ، توجد في الخضراوات اليافـا ، وكذلك في الفواكه الخشـناء لا سيما الفجّة ، وكذلك في الجلد ، جلد الفاكهة .

والطعام تتوقف الخشونة التي به على مقدار ما ينال من طبخ . والحلة ذات الضغط تذهب عن الطعـام بكثير مـن خشونته .

والطعام الذى لا يتبقى منه بقية خشنة

كثير الاصناف . مثال ذلك : اللحم الطرى ، والسمك ، والبيض ، والارز المطحون ، والمكرونة واللبن وغير ذلك كثير .

على ان هناك دليلا على خشونة الطعام او نعومته ، تلك تجربتك انت لهذا الطعام او ذاك وما تجد من اثره في جسمك .

سكرتيرة تشكو الضرب على الآلة الكاتبة

● انا سكرتيرة في مؤسسة صناعية. ومن واجباتي الاساسية الكتابة على الآلة الكاتبة . ورؤسائي يظنون ان الكتابة على الآلة عمل من اسهل الاعمال، وانه لا يرهق ، وانه بناء على ذلك لا باس من تكديس الاعمال التى تكتب عندى ، وطلب انجازها قبل انتهاء ساعات العمل . فما رأيكم ؟

ـ الحقيقة التي لا شك فيها ان الكتابة على الآلة الكاتبة ، كعمل نهار بأسره ، ليس بالعمل السهل .

وقد سالت شابا يكتب على الآلة ان يبدى في هذا رأيا . فقال ان عمل الكاتب او الكاتبة هو الدق على الاحرف بسرعة فائقة ، ثم هو يحرك اسطوانة الآلة كلما فرغ من سطر . هذا غير العين التى تنظر فيما ينقل ، ثم فيما يكتب ، ثم فيما ينقل ، وهلم جرا . . ويدوم هذا الساعة بعد الساعة . ان عملا كهذا ، يرهق عضلا ، ويرهق عقلا .

وانا اوافق على هذا الرأى .

ان التعب انواع . وليس الذى يتعب فقط هو الحامل الذى يحمل البضائع من البر الى السفينة ، او الذى يحمل الفحم من المخزن الى العربة المنتظرة . ان عضلات الجسم جميعها معرضة للتعب ، كبيرها والصغير . .

عضلات الظهر والساعد قد تتعب على ضخامتها . ولكن كذلك عضلات الاصابع تتعب ، ويصيبها الاجهاد على رقتها .

والمخ ، الذى هو من وراء كل ذلك . . يصيبه التعب . ومن التعب نوع نسميه بالسأم .

لي فم جاف



● لي فم جاف ، ويقول طبيب اسنانى ان فمى جاف جدا . فكيف أصنع لاعوض على فمي رطوبته التى لا بد منها عند مضغ الطعام ؟

ـ اقرب شيء لزيادة الريق هو اللادن او اللبان ، تمضغينه ، فهو يدر الريق . هذا على فرض ان لك اسنانا قوية ، وان اسنانك طبيعية لا صناعية .

ووسيلة اخرى ان تشربى قليلا من الماء وبه عصير الليمون محلى بالسكر قليلا .

ولكن . لم لا تأكلين الطعام الذى به مرق او لبن حليب . ثم الماء ، اين الماء . اشربى قليلا من الماء مع الطعام .

الاحــلام
هل هي ضرورية في الحياة ؟



● **سمعت طبيبا نفسانيا يقول ان الاحلام ضرورية للعيش . واننا اذا لم نحلم لم نستطع أن ننام ، وذلك لأن متناقضاتنا النفسية الداخلية توقظنا رغما عنا .**

ــ قام علماء نفسانيون بتجارب دلتهم على أن كل انسان يحلم في فترة كبيرة من الزمن الذي يقضيه في النوم . وان النائم اذا اوقظ عند بدء الحلم (وهم يستنتجون ذلك من حركة كرة العين) ، حرم بذلك من حلمه . وان هذا اذا تكرر ليلة بعد ليلة ، فانه يصبح قلقا ، سريع الاثارة ، يعجز عن تركيز فكره . الى اعراض عصبية أخرى .

واجروا هذه التجارب نفسها، ولكنهم ايقظوا فيها النائم ، لا عند بدء الحلم ، ولكن عند انتهائه ، فلم يصب بشيء من ذلك .

اذن لم تكن قلة النوم هي سبب هذه الأعراض ، ولكن قلة الاحلام او منعها .

الاحلام اذن لها وظيفتها في الحياة

■ ■ مضار التدخين

● **رجاني ان تحدثني عن الدخان ، وعن اعراض من يبلغ به التدخين حد التسمم ، لكثرة ما يدخن من السجاير في اليوم .**

ــ ان العنصر الفعال في الدخان هو النيكوتين ، وهو يؤثر في القلب ، وفي الاوعية الدموية ، وفي الجهاز الهضمي ، وفي الكليتين ، وفي الجهاز العصبي . وبه غير ذلك ، مقادير صغيرة من مواد يمكن ان تحدث السرطان . وبه بالطبع مهيجات لها فعلها في قنوات التنفس في الرئتين .

وقد جربوا صبغ جلود بعض الحيوانات بالقار المتخلف من الدخان ، وكرروا ذلك ، فأحدث في الجلد سرطانا .

والسرطان الذي يصيب الصدر ، هو اكثر ورودا في المدخنين منه في غير المدخنين . ويزداد احتمال الموت

الفواق
ما سببه ؟ وما خطره ؟

● **تعتريني الزغطة من حين لحين ، فما اسبابها ؟ علما باني لا اتعاطى الخمور .**

ــ الزغطة هي باللغة الفصيحة الفواق، وهي الحزيقة بلغة سوريا . وهي تحدث بدخول مقدار من الهواء الى الرئتين ، دخولا سريعا ، بسبب تقبض باغت غير ارادي يحدث في الحجاب الحاجز ، وهو ذلك الغشاء العضلي الذي يفصل ما بين الصدر ، وبه القلب والرئتين ، وبين سائر الاحشاء من معدة ومعا وكبد وكليتين وغير ذلك .

ومنافعه ▪ ▪

بالسرطان كلما ازداد عدد ما يدخنه المدخن من السجاير في اليوم .

وليست السجاير وحدها هي التى تسبب سرطان الصدر ، ولكن اذا امتنع الناس عن التدخين ، فان عدد الموتى بداء سرطان الصدر ينقص الى نحو العشر مما هو عليه الآن .

والتهاب الشعب الصدرية مرض يؤدي بالكثر من الناس ، من الكهول والاشياخ ، الى الموت . والمعرّض لهذا الداء هم المدخنون ، لا سيما مدخنى السجاير ، وهم اكثر تعرضا من غير المدخنين .

ومرض القلب ، مرض الشريان التاجي ، هو أسرع الى القبر بالمدخنين منه بغير المدخنين .

ولو أن غير المدخنين هم الذين يصابون به عادة .

والدخان يؤثر في حركة الجهاز



الهضمى . وقد يسبب الاحساس بالقىء ، وقد يذهب بالشهية للطعام .

والظاهر ان التدخين لا يتسبب في الاصابة بالقرحة في المعدة او الاثنى عشرى ، ولكنها اذا حدثت فالدخان يعطل التئامها .

والنساء المدخنات يلدن الاطفال أقل وزنا ، او هكذا هو الاتجاه الغالب .

اما منافع التدخين فهي منافع نفسانية واجتماعية .

ودخول الهواء هذا الباغت ينتهي كذلك بغتة بطقة مسموعة تحدث بسبب انغلاق الاحبال الصوتية . وهذه الطقة المسموعة هى التى تثير انتباه الغير .

وسبب الفواق اهتياج يصيب الاعصاب الواصلة الى الحجاب الحاجز ، والواقع اننا يمكننا احداث الفواق باهاجة العصب الواصل الى الحجاب او الواصل الى الصندوق الصوتى فى الحنجرة .

اما السبب العادى للفواق فهو عادة يتصل بالهضم . كأن يهيّج جدار المعدة شراب ساخن ، او بهار لاذع ، او خمر واشربه كحولية شتى .

كذلك يسبب الفواق احيانا رياح تنفخ المعدة . وكذا اشكال شتى تصيب المعا الدقيق ، او المعا الغليظ ، تهيجه او تحبس مرور الطعام وبقاياه فيه .

كذلك في الصدر ، وفيه يمر عصب الحجاب الحاجز ، قد يصيب هذا العصب ما يهيجه فيحدث الفواق .

واذا طال الفواق ، والح ، ولم يذهب ، فقد يدل ذلك على ما هو اخطر : مرض في الكلية ، فهى في هبوط ، او مرض في المخ .

او يدل على هستيريا ، ولكن في هذه الحالة يقف الفواق وصاحبه نائم . في حين تلك الاسباب الاخرى ، يلح فيها الفواق ليل نهار ، ويمنع من النوم .

على ان هذه الاسباب الخطرة نادرة .

واكثر الحالات يأتى فيها الفواق ، ولا يلبث ان يرحل .

الحِيَلُ النَّفْسِيَّة

بقلم : الدكتور علي احمد علي

دكتوراه فى التوجيه النفسي والتربوى (جامعة كولمبيا ـ نيويورك)

من الاساطير اليونانية القديمة المعروفة ان ثعلبا عجوزا كان يسير بجوار بستان به عنب ، وكان هذا البستان محاطا باسوار عالية لم يستطع معها الثعلب اقتحاما ، فنظر الثعلب آسفا للعنب وهو يبتعد عنه متحسرا وهو يقول « على كل حال يظهر عليك انك حامض المذاق يا عنب » .

فالثعلب اراد ان يخدع نفسه ، واراد ان يحتفظ بمداركه عن نفسه كثعلب مكار له قدرات معينة ، فأخذ يبرر موقفه المتخاذل وعدم قدرته على الوصول الى الهدف بحموضة مذاق العنب .

وفى حياتنا ما اكثر بنى الانسان الذين يلجاون الى نفس اساليب الثعلب السابق . فالكثيرون من الافراد يحاولون خداع انفسهم بمختلف الطرق والوسائل وذلك لتخفيض ما يعانونه من توتر نفسى ، ولتقليل القلق والاضطراب الذى يقاسونه نتيجة لمواجهتهم لمختلف مشاكل الحياة .

والناس فى مواجهتهم لمختلف مشكلات الحياة يلجاون الى الكثير من الطرق والاساليب المتنوعة . فمنهم من يواجه هذه المشكلات عن طريق تحليل المشكلة ، وجمع كل البيانات والمعلومات التى تمكن من الوصول الى الحل السليم . ومن الناس من يواجه مشكلات الحياة بالتكيف مع هذه المشكلات والتعايش معها ، ولكن غالبيتهم يلجاون الى التحايل على هذه المشكلات او الهروب منها دون الحاجة الى مواجهتها ، وهم فى ذلك مثلهم كمثل النعامة التى تدفن راسها فى الرمال اذا داهمها خطر قاتل .

اساليب خداع النفس

والانسان فى خداعه لنفسه يلجأ لعدد من الحيل النفسية اللاشعورية يسعى بها الى تبرير تصرفاته والتقليل من قلقه وتوتره النفسى واعفاء نفسه من تبعة الكثير من تصرفاته . كما ان هذه الحيل النفسية تساعد الانسان على الاحتفاظ

التي يخدع بها المرء نفسه

بثقته فى نفسه . ومن هذه الحيل النفسية :

التبرير

كل انسان يود ان تكون تصرفاته معقولة وان تقوم هذه التصرفات على اساس من الدوافع المقبولة . ولهذا فان الفرد حين يخرج بتصرفاته عن الحد المقبول ، ويصدر فى سلوكه عن دوافع لايرضيه ان يقرّ بها او يعترف بنسبتها اليه ، فانه يعمد الى تفسير سلوكه تفسيرا يبين للناس أن سلوكه لاغبار عليه ،وانه ما دفعه اليه الا دوافع مقبولة غيْرها الناس ، وبذلك يلتمس لنفسه الاعذار المنطقية وهذا ما يسمى بعملية التبرير Rationalization .

ومن امثلة التبرير الطالب الذى يرسب فى الامتحان فيبرر رسوبه بصعوبة الامتحان تارة ، او باهمال المعلمين وعدم قيامهم بالعمل على اكمل وجه تارة اخرى. وقد يلقى اللوم على اى فرد او اى شيء ، ولكنه يعفى نفسه من كل لوم . وهو بذلك لايحاول ان يواجه المشكلة مواجهة ايجابية ولا يعترف بان رسوبه كان نتيجة لاهماله وتقصيره في الدرس والتحصيل .

ومن امثلة التبرير المشهورة العامل الذى ينخفض مستوى صنعته فيلقى اللوم على الآلات تارة وعلى الخامات تارة اخرى . وهناك مثل انجليزى يقول : (The poor labourer blames his toole) اى ان العامل ضعيف الصنعة يلوم دائما ادواته وآلاته .

ومن امثلة التبرير ايضا الشاب الذى يتقدم لخطبة احدى الفتيات فيقابل طلبه بالرفض ، فيذيع بين اصدقائه واقاربه بانه هو الذى رفض الزواج بالفتاة لسوء خلقها مثلا او لان مستواها الاجتماعى دون مستواه . وهو فى ذلك كاذب ظالم . ولكنه يفعل هذا حتى يقى نفسه نتيجة الفشل ويحتفظ بثقته فى نفسه ويقلل من توتره النفسى .

وقد يتساءل القارىء : هل التبرير شر كله لاخير فيه ؟

والجواب أن التبرير اذا سار فى حدود ضيقة لاضرر منه لانه يساعد الفرد — كما سبق ان اوضحنا — على ان يحتفظ بثقته بنفسه ويعمل على تخفيض توتره النفسى . ولكن اذا تمادى الفرد فى التبرير فانه بذلك يبتعد عن الواقع ولا يواجه مشكلاته مواجهة ايجابية ، فيلحق بنفسه فى المدى البعيد اشد الاضرار . فمثلا الطالب الذى يرسب ويبرر رسوبه على الدوام ولايعمل على تلافى اسباب رسوبه فى المستقبل فان مصيره يكون الرسوب ومزيدا من الفشل .

الفرق بين التبرير والكذب

ويجب ان يتضح فى الاذهان الفرق بين التبرير والكذب . فالشخص الذى يلجأ للتبرير يعتقد في صحة ما يقوله أو يعتقده ، اما فى حالة الكذب فيكون الشخص على علم بانه يقول غير الحق . فمثلا فى حالة الطالب الذى يبرر رسوبه بمختلف الطرق فانه يعتقد فى صحة المبررات التى يسوقها . اما فى حالة الكذب فان ذلك يعنى أن الطالب يلقى

تبعة رسوبه على غيره مع انه يعلم تمام العلم بأن تبعة الرسوب تقع على عاتقه وليس على أحد سواه .

الاسقاط PROJECTION

ومـن الحيل النفسية اللاشعورية الاخرى التى يلجأ اليهـا الفرد لخـداع النفس والهرب مـن مواجهتهـا حيلة الاسقاط . فكل انسان له خلة مذمومة وصفة غير مرغوب فيها او خلق لايرضيه او يعترف به . ولا بد ان يكفى نفسه مئونة الاعتراف بمثل هذه النقائص . ويتحقق ذلك عن طريق حيلة دفاعية تعرف بالاسقاط ، وهو ان ينسب الفرد ما في نفسه من صفات غير مقبولة الى غيره من الناس بعد أن يجسمها ويضاعف من شأنها وبذلك تبدو مشاعره وتصرفاته منطقية ومعقولة .

ومن امثلة الاسقاط حالة الموظف الذى يصرح بأن زملاءه يكرهونه ويشنون به لدى رؤسائه ويدبرون له المكائد . والواقع يقول غير ذلك . فزملاء الموظف لم يخطر ببالهم فى يوم من الايام ايقاع الأذى به . ولكن هذا الموظف يسقط مشاعره المذمومة على الغير ليقنع نفسه ان شعوره العدائى تجاه زملائه هو نتيجة منطقية لكرههم لهوحقدهم عليه .

احلام اليقظة DAYDREAMING

ومن الحيل النفسية التى يستخدمها الفرد ليخدع بها نفسه « أحلام اليقظة » فهذه الاحلام تمكن الفرد من ان يعفى نفسه من مواجهة المشكلات مواجهة حقيقية ، حيث يلجأ الى احلام اليقظة يشبع بها بعض دوافعه النفسية ويتوهم فيها ما يشاء من حلول لمشكلاته الحقيقية .

والواقع انه لا يوجد انسان لم يقض بعض ساعات من حياته فى احلام اليقظة . وهذا الامر لاخطر منه . ولكن اذا تمادى الانسان فى احلام اليقظة فانه بذلك يعزل نفسه عن الواقع ويسعى لحل مشكلاته الحقيقية حلاوهميا . اما اذا لجأ الفرد الى احلام اليقظة في حدود ضيقة فعادة ما تكون ذات قيمة بناءه بالنسبة له . فعن طريق احلام اليقظة يمكن ان يطلق الفرد لنفسه العنان فى التخيل ، كما تساعد الفرد على اشباع بعض رغباته المكبوتة والهروب ولو لفترة قصيرة من مواقف الحياة الصعبة .

وتختلف محتوى احلام اليقظة باختلاف مراحل النمو . فالطفل عادة ما تتضمن احلام يقظته اللعب والحلوى ورفاق اللعب . وقد تتضمن الانتقام من الافراد الذين يقفون فى وجه اشباع حاجاته الاساسية ـ الفسيولوجية منها والاجتماعية .

والمراهق كثيرا ما تتضمن احلام يقظته السعى وراء القوة البدنية والشهوة وحب الجنس الاخر ومساعدة الضعفاء والانتقام من الافراد الذين يحولون بينه وبين احساسه بالاستقلال والرجولة .

ابدال العدوان
DISPLACED AGGRESSION

ومن الحيل التي يلجأ اليها الفرد هروبا من مواجهة النفس ومحاسبتها وخداعها فى معظم الاوقات ما يسمى بابدال العدوان .

فالفرد حين يفشل فى عمل من الاعمال او يواجه الاحباط فى موقف من المواقف فبدلا من ان يواجه نفسه ويوجه اللوم والعدوان اليها فانه يعمل على تحويل هذا العدوان الى اشياء او افراد ليس لهم علاقة ولم يكونوا سببا فيما يعانيهمن فشل او احباط .

من امثلة العدوان ما تفعله الام حين يسقط من يدها كوب مثلا فينكسر ،فانها تلقى اللوم على طفلها الذى كان يتحدث معها لحظة سقوط الكوب بدلا من ان توجه اللوم الى نفسها .

ومن امثلة ابدال العدوان ايضا الطفل الذى يود ان يوجه عدوانه الى والديه

اللذين حرماه من الاهتمام ومن الحب بعد حضور اخيه المولود الجديد . ولكنه لايستطيع ان يوجه عدوانه اليهما لانه يعتمد عليهما في معيشته وحمايته وامنه، لذلك فانه قد يوجه هذا العدوان الى لعب لديه يحطمها ، او حيوان أليف في المنزل يعذبه بالضرب ، او الى الخادم الصغير يسبه ويشتمه .

وهناك مثل شائع لابدال العدوان نشاهده في الموظف الذي يغضبه رئيسه ويؤنبه على اهماله وعدم اهتمامه بعمله ، ولكن الموظف لايستطيع ان يفعل شيئا تجاه هذا الرئيس الذي اغضبه نظرا لما للرئيس من نفوذ وسلطة عليه ، لذلك قد يلجأ هذا الموظف الى توجيه عدوانه الى زوجته واولاده عندما يعود الى بيته ويتهمهم بانهم سبب شقائه وعدم توفيقه في عمله . وقد يعتدي على زوجته او أولاده بمختلف انواع الاهانات واحيانا بالضرب ، وهو في هذا كله يخدع نفسه ، لانه لايواجه الموقف مواجهة حقيقية .

النكوص REGRESSION

يحاول بعض الناس اذا لم يستطيعوا ان يشبعوا حاجاتهم ورغباتهم واذا شعروا بالقلق وانعدم شعورهم بالامن وعجزوا عن حل المشكلات التي تواجههم، ان يعيشوا في الايام السعيدة الماضية The good old days وهذا ما يعرف بالنكوص هو حيلة نفسية يلجأ اليها الفرد للهروب من الواقع المؤلم الى أيام الطفولة حيث الحماية والامن . وبذلك يهرب الفرد من مواجهة نفسه ومواجهة الواقع . والفرد حين يلجأ الى النكوص قد يرتد في سلوكه الى مرحلة نمو سابقة لمرحلة النمو التي يعيشها الان ، كالبكاء او التبول اللاارادى ومواجهة المواقف الصعبة بانفعالات الطفولة التي تركها من زمن بعيد .

الكبت REPRESSION

يعتبر الكبت احد الوسائل التي يلجأ اليها الانسان ليعفي نفسه نتيجة الصراعات والشعور بالذنب . والكبت هو الوسيلة التي يتقي بها الانسان ادراك نوازعه ودوافعه التي يفضل انكارها وتسبب له الشعور بالذنب عند تذكرها .

والكبت وان كان يشبه النسيان الا انه يختلف عنه في بعض النواحي . فالنسيان قد يتم نتيجة لعامل الزمن وحده او لعدم أهمية المعلومات التي نسيت او لانها غير سارة . اما الخبرات المكبوتة فعادة ما تكون غير متفقة مع قيم وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه الفرد.

الحيل النفسية المرضية

واحيانا كثيرة يلجأ الفرد للحيل النفسية المرضية هروبا من بعض المواقف التي تسبب له قلقا او احباطا ومن بين هذه الحيل المرضية صداع «الساعة ٧» والقيء وغيرهما من الأمراض التي لها مظهر عضوي ولكن اساسها نفسي .

فالطفل الذي يعاني بعض المشكلات في مدرسته تجعله يكره الذهاب اليها كعجزه عن الوصول الى مستوى مناسب للتحصيل الدراسي ، مما يجعله مثار سخرية واستهزاء زملائه ، او خوفه من العقاب البدني او الاهانات التي يوجهها اليه احد المعلمين ، مثل هذا الطفل قد يلجأ الى « صداع الساعة ٧ » ليعفي مما يقاسيه من اساءة نتيجة لذهابه للمدرسة . والواقع ان هذا الصداع ولو ان ليس له اسباب عضوية او مرضية الا انه صداع يعاني منه الطفل ويؤلمه حقيقة . وهذا الصداع لا يمكن القضاء عليه الا اذا حلت المشكلات التي يواجهها الطفل في مدرسته.

وهناك بجانب الصداع حالات من القيء تصيب الطلاب قبل الامتحان مباشرة . وهذا القيء يعتبر احيانا احد الحيل

النفسية المرضية التي يلجأ اليها الطالب ليخدع بها نفسه حتى اذا رسب في الامتحان القى تبعة رسوبه على مرضه. وقد يعفيه المرض عن حضور الامتحان نهائيا .

وتعتبر الامراض النفسية الجثمانية Psychosomatics مسئولة تقريبا عن نصف ما يعانيه الناس من اوجاع وآلام في ايامنا الحاضرة ومن اكثر هذه الامراض انتشارا الصداع ، وآلام الظهر وقرح المعدة وغيرها .

كيف نباعد بين الافراد وخداع النفس

ويقع على الآباء والمربين مسئولية كبيرة نحو مساعدة الجيل الجديد من ابنائنا على مواجهة انفسهم مواجهة صريحة دون الحاجة الى الالتجاء لمختلف طرق واساليب خداع النفس . وهي ولا شك مسئولية كبيرة وصعبة . والنصائح التالية قد تعين على تحقيق الهدف المنشود .

اولا : اذا اكثر الاطفال في استخدام الحيل النفسية السابق الاشارة اليها من تبرير واسقاط وحيل مرضية وغيرها والتي تعتبر نوعا من خداع النفس فانه يجب على الآباء والمربين ان يتحروا دوافع سلوك هؤلاء الاطفال .

ثانيا : تعويد الاطفال منذ الصغر على مواجهة مواقف الحياة مواجهة واقعية وعدم التهرب من مسئولية ما يقومون به من اعمال .

ثالثا : معاملة الابناء معاملة ديمقراطية خالية من الضغط والارهاب سواء في البيت او في المدرسة فقد وجد ان الحيل النفسية المختلفة يكثر استخدامها بين الافراد الذين يعيشون في بيئة مدرسية او منزلية يسودها عدم التسامح والقسوة والقسر .

رابعا : تعويد الآباء والمدرسين على ان يكونوا اكثر تسامحا واكثر تقديرا للظروف الخاصة بكل طفل وكل تلميذ . والا يشتدوا في محاسبتهم على الأخطاء التي ترتكب بحسن نية وبغير قصد .

خامسا : تدريب الأطفال منذ الصغر على محاسبة أنفسهم وعدم التهرب من هذه المحاسبة .

سادسا : معاملة الأفراد على اساس انهم مختلفون في مختلف النواحي العقلية والجسمية والنفسية والانفعالية وغيرها .

سابعا : الايمان بأنه لا يوجد انسان بلا اخطاء . وعلى هذا فاذا أخطأ اى فرد فليس هناك حاجة لخداع النفس والتهرب من الخطأ بالقاء تبعته على الغير .

ثامنا : تدعيم ثقة الفرد بنفسه وذلك عن طريق التربية المنزلية السليمة ومساعدة الفرد على تبين نواحي القوة في نفسه وتزكيتها وتدعيمها ، وتبين نواحي الضعف والعمل على معالجتها .

وتعتبر السنوات الاولى من حياة الطفل ذات اهمية كبيرة في مجال تدعيم ثقة الفرد بنفسه . فالطفل يشتق مداركه عن نفسه من خلال ما يسمعه في السنوات الاولى من حياته من تعليقات عن شخصه بواسطة الابوين والأخوة والاقارب وغيرهم من المحيطين به . وكذلك فالطفل يشتق مداركه عن نفسه عن طريق ما يحققه من نجاح فيما يوكل اليه من أعمال ايا كان مستواها .

والواقع ان الطفل الذى يخبر النجاح كثيرا في حياته عادة ما يشب على الثقة بالنفس . ومن الممكن ان نزيد ثقة الطفل بنفسه بوضعه في مواقف في مستوى قدراته وامكانياته ونضجه بحيث يستطيع ان يحقق نجاحا في مواجهة هذه المواقف .

ولا شك ان الثقة بالنفس تباعد بين الفرد وبين خداع النفس والتهرب من المسئولية وتشويه الواقع وتجعله اكثر شجاعة وقدرة في مواجهة نفسه وفي مواجهة ظروف الحياة . ■■

على احمد على

هِربرت رِيد

أحد مفكري هذا العصر..

ورأيه في الفن وفلسفة الفن

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة بالجامعة الأردنية ـ عمان

نشأته وتاريخ حياته

■ هربرت ريد Herbert Read مفكر انجليزى معاصر ، ولد بمقاطعة يوركشاير سنة ١٨٩٣ ، من أسرة ريفية كان اهلها يحترف الزراعة . وقد اتم ريد تعليمه بمسقط رأسه ، ثم التحق بجامعة ليدز Leads حينما اشتعلت نيران الحرب العالمية الاولى ، فكان أن انضم ريد الى سلاح المشاة ،واشتغل ضابطا بالجيش البريطاني فى كل من فرنسا وبلجيكا ، واستطاع ان يحصل على بعض الاوسمة الحربية لبطولته فى الحرب العالمية الاولى . وعلى أثر انتهاء الحرب ، شغل ريد عدة مناصب فى الخدمة المدنية ، فقضى نحو عشر سنوات أمينا لمتحف فكتوريا والبرت بلندن ، استطاع خلالها أن يتخصص فى فن الخزف والزجاج الملون .

وفى عام ١٩٣١ عين ريد استاذا للفنون الجميلة بجامعة ادنبره . ولكنه لم يقتصر فى نشاطه العلمي على التدريس بهذه الجامعة ، بل اخذ حاضر أيضا فى احدى كليات جامعة كمبردج خلال عامي ١٩٢٩ و ١٩٣٠ ، الى جانب انه حصل على درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة ليدز ، كما ألقى بعض المحاضرات فى الفنون الجميلة بالمتحف القومي بمدينة واشنجطن سنة ١٩٥٤ . وفضلا عن ذلك ، فقد عمل ريد حينا من الزمن رئيسا لتحرير مجلة برلنجتون Burling- ton magazine ، كما شغل منصب مدير المعهد العالى للدراسات الفنية .. ولا يزال يواصل نشاطه العلمي والفني حتى اليوم .

ريد ، الشاعر الروائي الاديب

... وليس هربرت ريد مجرد فيلسوف او عالم جمال ، بل هو ايضا شاعر ، وروائى ، واديب ، وناقد فني . ولهذا فاننا نجد قائمة مؤلفاته كثيرة التنوع : لانها تضم مجموعة من القصائد : Collected pcems ، ورواية بعنوان « الطفل الاخضر » The gree i child وسيرة ذاتية بعنوان : « حولياتالبراءة والخبرة !: Annals of Innocence & Experience ودراسات فى النقد الادبي مثل كتابه : « العقل والرومنتيكية » Reason & Romaticism ، وكتابه « وردسورث » Wordsworth ، وكتابه « دفاع عن شلي » In def.nce of shelley ، وكتابه «مراحل الشعر الانجليزى» Phases of English Poetry ، وكتابه « الشكل فى الشعر الحديث » Form in Monern Poetry وغيرها .

كتبه فى الفن

واما الكتب التى وقفها على دراسة فلسفة الفن وعلم الجمال ، فربما كان أهمها : « فلسفة الفن الحديث » سنة ١٩٢٥ : The Philosophy Of Modern Art ، و « معنى الفن » The Meaning of Art سنة ١٩٣١ ، « والفن اليوم » Art now سنة ١٩٣٣ ، و « الفن والصناعة » Art & Industry (سنة ١٩٣٤) ، و « الفن والمجتمع » Art & Society (سنة ١٩٣٧) ، و « التربية من خلال الفن » Education through Art (سنة ١٩٤٣) ، و « جذور الفن الخضراء » The grass roots of art (سنة ١٩٤٧) ، و « فن العمارة » Art of Sculpture . وأخيرا « أشكال الاشياء المجهولة » The Forms of things unknown سنة ١٩٦٠ .

كتبه في السياسة

ومع ذلك فان هذه القائمة الطويلة لا تستوعب كل انتاج هربرت ريد الفكرى لأن له كتبا أخرى ذات طابع سياسي ، مثل كتابه « سياسة اللاسياسي » The Politics of The Unpolitical وكتابه« الفوضى والنظام » Anarchy & Order وكتابه : « نهاية حرب » The End of a War

كتبه فى النقد

كما أن له دراسات تاريخية ونقدية عن بعض المصورين ، مثل كتابه عن « كلي » Klee ، وكتابه عن « جوجان » Gauguin ، وكتابه عن « كاندينسكي » Kandinsky ، فضلا عن ان له مجموعة من المقالات جمعت فى كتاب بعنوان : « فصول فى النقد الادبي » Collected Essays in Literary Criticism .

على رأس المفكرين المعاصرين

وكل هذه المؤلفات التى خطها يراع ريد انما هي الدليل على خصوبة فكره ، ووفرة انتاجه ، وتعدد مظاهر نشاطه ، مما جعل بعض مؤرخى الفكر الانجليزى المعاصر يضمونه على رأس قائمة المفكرين المعاصرين الذين كان لآرائهم فى النقد الادبي وفلسفة الفن وعلم الجمال اصداء هامة فى الفكر العالمي كله .

لم يكن ريد اقليميا فى تفكيره

ولم يكن هربرت ريد اقليميا فى تفكيره ، بل لقد خضع للكثير من التأثيرات الاجنبية ، فتأثر فى مطلع حياته بتولستوى وبرجسون ، قبل أن يحتك احتكاكا مباشرا بفلهلم فورنجر Wilhelm Worringer الذى ترجم كتاب « مشكلة الفن فى الفن القوطي » . وقد وقع ريد فى تلك الفترة تحت تأثير علماء ألمان آخرين مثل ليبس Lipps كما اهتم في الوقت نفسه بتعميق فلسفة كروتشه الجمالية ، مع تحريرها من شوائب الهيجلية التى

كانت تتعارض في نظره مع التطور الدقيق للخبرة الجمالية .

ثم جاءت المرحلة الحاسمة في تطور هربرت ريد الروحي ، فكان ان تأثر تأثرا عميقا بأبحاث كل من كونراد فيدلر : Conrad Fiedler ، وسوزان لانجر Langer . ولم يلبث ريد أن اقدم على دراسة فلسفة الظواهر (أو الفنومنولوجيا) متأثرا بفلسفة ماكس شلر Max Scheler ،

وسرعان ما قادته هذه الدراسة الى الاهتمام بالفلسفة الوجودية ، فقرأ كلا من كيركجارد ، وهيدجر ، وسارتر ، ويسبرز ، وحملته هذه الاهتمامات الجديدة الى الثورة على كل فلسفة وضعية أو علمية متطرفة ، فهاجم بشدة مذاهب الوضعيين المنطقيين وغيرهم من أنصار « الفلسفة العلمية » ، ودعا الى اقامة « فلسفة جمالية » تقوم على أسس وجودية .

ما قال عن فلسفته التى انتهى اليها

ولئن كانت فلسفة هربرت ريد الجمالية قد خضعت للكثير من التطورات خلال كل هذه المراحل ، الا ان الملاحظ بصفة عامة ان هذا المفكر الانجليزي المعاصر قد اتخذ نقطة انطلاقه من دراسته للشعر ، ثم لم يلبث ان اهتم بدراسة التصوير والنحت ، وانتهى في خاتمة المطاف الى اقامة فلسفة عامة على دعامة من هذه الدراسات الجمالية . ولعل هذا هو ما عبر عنه ريد نفسه حينما كتب يقول : « انني لاأتردد في تسمية فلسفتي باسم الفلسفة الوجودية لانني لم اشتقها من الوجوديين ، بل من تأملاتي الطويلة في وقائع الفن : تاريخية كانت ام سيكولوجية . ولهذا فانني أوثر أن أسميها باسم الفلسفة الجمالية زاعما في الوقت نفسه انها تقوم على أساس بعض « المعطيات » Dada التى لا تقل موضوعية عن وقائع العلم التجريبية (١) .

التفرقة بين العلم والفن

والحق أن أصحاب الفلسفة العلمية قد دأبوا على اقامة تفرقة حاسمة بين « العلم » و « الفن » بحجة ان الالفاظ العلمية رموز كاملة تدل حتما على وجود مسمياتها وجودا فعليا في دنيا الاشياء ، في حين ان الالفاظ الفنية هي مجرد كلمات وجدانية لا تشير الى اشياء قائمة في عالم الاشياء الخارجية ، بل تشير الى حالات نفسية يحسها قائلها ، دون أن يكون لها مدلول موضوعي قائم في الوجود العيني . ولعل هذا ما عبر عنه ريشنباخ حينما كتب يقول : « ان الموضوعات الجمالية لا تخرج عن كونها رموزا تعبر عن حالات وجدانية . فالفنان ــ مثله في ذلك كمثل الشخص الذى يشاهد بعض الاعمال الفنية او يستمع اليها ــ انما يقحم بعض المعاني العاطفية على موضوعات فيزيائية تتمثل في مجموعة من الاصباغ الموزعة على قطعة من القماش أو في بعض الاصوات المنبعثة من بعض الآلات الموسيقية . وليس من شك في ان التعبير الرمزى عن المعاني العاطفية هدف طبيعي ، بمعنى أنه يمثل « قيمة » نسعى جميعا في سبيل الاستمتاع بها . فالتقييم Valuation سمة عامة من سمات النشاط البشرى في سعيه نحو بلوغ بعض الاهداف ، ولكن ربما كان من الافضل لنا ان ندرس الطبيعة المنطقية لهذه العملية في صيغتها العامة الكلية ، بدلا من أن نقصرها على تحليل الفن » (ريشنباخ : « نشأة الفلسفة العلمية » ، ١٩٥٦ ، ص ٣١٢) . وتبعا لذلك فان ريشنباخ لا يقتصر على القول بأن الفن هو مجرد «تعبير عاطفي » ، بل هو يضيف الى ذلك أيضا أن عملية « التقييم » لا تمثل أى نشاط علمي ، ولا تشير الى أى فعل منطقي ، لأنها عبارة عن تأكيد لبعض الرغبات ، أو تعبير عن بعض العواطف ، فلا موضع لادخالها في دائرة النشاط العلمي او الجهد الموضوعي .

عند ريد : ان الفن كالعلم ، كل منهما نشاط ذهني

بيد ان هربرت ريد لا يرى في هذا الرأى سوى مجرد استمرار لنظرية عتيقة في الفن ، الا وهي تلك النظرية التعبيرية التى انتشرت حينا من الزمن في الفكر الالماني ، ثم جاء الفيلسوف

(١) H. Read : « The Forms of Things Unknown. » Faber, London, 1960, P. 28.

الايطالي بندتوكروتشـه Bendetto Croce فصاغها صياغة مثالية ، وبذلك نأى بها تماما عن عالم الواقع . ولئن كان ريد لا ينكر ان العمل الفني هو بمعنى ما من المعاني تجسيم لبعض العواطف ، الا انه يؤكد ان وظيفة العمل الفنى لا تنحصر في تزويدنا ببعض الانفعالات مـن أجل العمل على تذوقها والاستمتاع بها ، بل هي تنحصر في امدادنا ببعض الشحنات الوجدانية من أجل العمل على استخلاص دلالاتهـا والتعرف عـلى معانيها . ومن هنا فان مثل الفن كمثل العلـم من حيث ان كلا منهما نشاط ذهني نقوم فيـه بادخال بعض مضامين العالم الى مملكة المعرفة الصحيحة القابلة للتحقق الموضوعي ، وان كان من شأن الفن أن يقوم بهذه المهمة بالنسبة الى المضمون الوجداني للعالم . واذن فانه ليس من شأن الفن أن يزود « المدرك » بأى ضرب من ضروب اللذة ، مهما كان من نبلها ، بل ان مهمته (على حد تعبير بنش Baensh) هي ان يوفر له شيئا لم تسبق له معرفته من قبل ....

عند ريد : ان الفن ليس تقييما ، ولا اشباع لذة ، بل هو كالعلم اثبات حقائق

صحيح ان الفن ـ بمعناه العام ـ « تعبير » : لأنه يستعين بمجموعة من العلامات Signs من أجل توصيل بعض المعاني ، مثله في ذلك كمثل العلم ، وكل ما عداه من مظاهر النشاط البشرى الذهني ، ولكن من المؤكد انه ما يحدد طبيعة اى نشاط انما هو هدفه او وظيفته ، وبالتالي فان ريشنباخ قد جانب الصواب حين قال ان وظيفة الفن هي القيام بعملية « تقييم » ، او العمل على اشباع لذة . والحق ان الهدف الاسمى للفنان ـ مثله في ذلك كمثل العالم ـ انما هو تقرير حقيقة ، كما ان الهدف الاسمى لتذوق الاعمال الفنية ليس هو الاستمتاع ببعض القيم ، بل هو الوصول الى التثبت من بعض الحقائق ، ويمضى هربرت ريد الى حد ابعد من ذلك فيقرر انه ليس ثمة معايير للحقيقة تنطبق على العلم وحده دون الفن : لانه اذا كان للعلم لغته القائمة على العلامات Signs ، فان للفن لغته القائمة على الرموز Symbols ، ومثل هذه اللغة الرمزية لابد من ان يكون لها نسقها الخاص من القواعد ، وان كان الاصل في هذا النسق هو العرف أو المواضعات . هذا الى ان للخيال الابداعى منطقا قد لايقل صرامة عن منطق الاستدلال العلمى ، كما انـه لا بـد في النشاط الفنى ـ كما هو الحال تماما في النشاط العلمي ـ من توافر مثل اعلى للوضوح Clarity .

وفضلا عن ذلك فقد يكون في استطاعتنا ان نقول ان « القابلية للتحقق » Varifiability هي عنصر ضرورى من عناصر الابداع الفنى كما هى في الوقت نفسه مقوم اساسى من مقومات المنهج العلمي . واذا كان قد قدر لبعض الاعمال الفنية ان تظل خالدة عبر التاريخ ، فما ذلك لانها كانت تحمل تعبيرات عن الرغبة او تقييمات للسلوك ، بل لانها كانت تنطوى على حقائق كلية استطاع ابداعها بعض كبار الفنانين ، فكانت بمثابة بنايات عينية او تركيبات واقعيـة احتلت مكانها تحت الشمس ! ولسنا نعنى ان هذه الاعمال الفنيـة قد جاءت خلوا من كل انفعال ، او انها لم تكـن تنطوى على مظاهر خير وشر ، او انها لم تقترن ببعض امارات الالم والسرور ، وانما كل ما نعنيه ان هذه « الوظائف التعبيرية » لم تكن هى المضمون الحقيقي لتلك الاعمال الفنية . والواقع انه اذا كان ثمة شيء يقبل التحقيق في العمل الفنى ، فذلك هو الشكل القابل للادراك، اعنى تلك الصورة التى تنقل الينا معنى من معانى الوجود ، او قطعة من الحقيقة هي من صنع الانسان : A man-made piece of reality. (1) .

وعند ريد : ليس بالفن قيم تعسفية ، وانما قيم بنائية

حقا ان الفنان لايصدر في ابداعه الفنى عن بعض القواعد الصارمة المحددة ، كما انه لا ينتظر من احد غيره ان يملى عليه اتجاهه الفنى او ان يعين له اللوحة التى لابد له من رسمها ، ولكن هذا لايعنى ان يكون العمل الفنى مجرد نشاط تعسفى او انتاج

---

(1) H. Read: « The Forms of Things Unknown. » Ch. 1., P. 22.

اعتباطى لايحمل اى بناء او تركيب . وعلى الرغم من انه ليس ثمة « قيم جمالية » اولية او قبلية A Priori لا يكون على الفنان سوى العمل على تجسيمها فى لوحاته ، الا ان العمل الفنى المتحقق لابد من ان يجىء منطويا على ضرب من « الاتساق » الذى تشع من خلاله « القيم » : اذ يتم التوافق فى صميم الموضوع الجمالى بين رغبة الفنان فى الابداع من جهة ، والنتيجة المتحققة من جهة اخرى ، وعندئذ ياخذ العمل الفنى مكانه بين غيره من الاعمال الفنية الاخرى التى حققها الفنان ، ويكون فى وسعنا ان نكتشف ما فيه من شكل وطراز وجمال .

وهذه كلها ليست قيما تعسفية بل هى قيم بنائية Constructive . وربما كان الفارق الاساسي بين الموضوع الجمالى والموضوع العلمي هو ان الاول منهما موضوع « مبدع » او« مخلوق » Created object ، فى حين ان الثانى منهما موضوع « معطى »Given ، فى عالم التجربة . ولكن الفنان قد لا يجد ادنى صعوبة في القول بان موضوعه هو الاخر لايخلو من « موضوعية » لان الواقعة التى يخلقها أو يبدعها انما هى « المقابل الموضوعي » للعاطفة او الانفعال او الفكرة او الحدس او الحالة النفسية ، فهى بمثابة تحقق عينى لحالة من حالات الشعور . ومعنى هذا ان المهمة الكبرى التى تقع على عاتق الفنان انما هى العمل على تطهير معانيه وتوضيح افكاره وتنقية حدوسه بحيث يقدم لنا رموزا دقيقة مضبوطة . او ربما كان الادنى الى الصواب ان يقال ان الموضوع الذى يخلقه الفنان والوعى الموجود لديه عن هذا الموضوع انما هما شىء واحد ، بمعنى ان هذا الموضوع لم يظهر اولا فى الشعور ، ثم خرج بعد ذلك الى عالم الوجود ، بل هو قد نما وتطور فاصبح حالة شعورية بمجرد ما تشكل على صورة فنية . ولا شك ان ما يعمل على نضج الموضوع الفني انما هو احساس الفنان بالموقف او السياق او البناء ، ولكن المهم ان الموضوع بمجرد ما يتحقق فانه يستحيل الى واقعة ملموسة قد عملت على خلقها ارادة الفنان ، وليست « واقعية » الفن ــ بهذا المعنى ــ سوىمجرد اشارة الىتلك الموضوعات التى نمت وتطورت على هذا النحو فى الوعى او الشعور ، فاصبحت بمثابة حقائق عينية ماثلة فى صميم التجربة .

قيمة العمل الفني : موضوع واقعي له وجوده تحت الشمس

وهنا قد يقال ان فى استطاعة المتأمل لاى عمل من الاعمال الفنية ان يخلع عليه ما شاء من دلالات ، او ان ينسب اليه ما يحلو له من معان ، ولكن من المؤكد مع ذلك ان العمل الفنى من حيث هو واقعة جمالية انما يمثل « موضوعا » له من ضروب الانسجام والتناسب ما يسمح لنا بأن ننسب اليه ضربا من « الواقعية » ، وبالتالي فان في وسعنا ان نتحقق من مدى اصالته بالرجوع الى صميم الواقع . ولهذا يقرر ريد ان ما يكون قيمة اى عمل فنى ليس هو تعبيره عن الانفعالات او اشباعه لبعض الرغبات ، او اثارته لبعض الاهداف ، بل هو كونه يضع بين ايدينا « موضوعا » واقعيا لهوجوده تحت الشمس ، اعنى ذلك « الشىء » الذى انتزعه الفنان من مجرى الحياة الوجدانية ، ونجح فى احالته الى شىء واقعى موضوعى .

وريد هنا يتلاقى مع عالم الجمال الفرنسي سوريو Souriau فيقرر أن وجود العمل الفنى واستمراره فى البقاء انما هو فى حد ذاته دليل على واقعيته . وهو يتلاقى أيضا مع المفكر الفرنسي أندرية مالرو Malraux ، فيؤكد ان من شأن الفن أن يعمل على ايجاد عالم جديد مستقل تماما عن عالم الطبيعة . حقا ان ريد لا يذهب مع مالرو الى حد القول بان الفنان يخلق الطبيعة من جديد ، وكأن « الفن درس للآلهة » ، بل هو يقتصر على القول بأن النشاط الفني يوسع من دائرة العالم ، ويزود الواقع بحقائق جديدة ، ويوفر للوجود من العناصر ما يضفي على الخبرة البشرية ضربا من الاستمرار او الاتصال . ولكن بيت القصيد هنا ان ريد يرفض التفرقة بين العلم والفن على اساس اعتبار الظاهرة العلمية « واقعة موضوعية » واعتبار الظاهرة الجمالية مجرد « حالة نفسية » أو مجرد « عملية تقيم » .

الانسان حيوان رامز

والحق ان المحاولات العلمية العديدة التى قام بها هربرت ريد من اجل فهم الفن وتفسير

الظاهرة الجمالية ، قد جعلته يعدل عن القول بأن الفن حدس Intuition أو انه « خلق لأشكال سارة » أو انه مجرد « ارادة تشكيل » : Will-to-form (١) ، من أجل القول بأنه « لغة رمزية » Symbolic language ـ على حد تعبير كاسيرر ـ .

وليس من شك في أن هذا التعريف يستند الى النظرية القائلة بان الانسان « حيوان رامز »، بمعنى انه ينشد دائما التواصل مع الآخرين ، أو نقل مشاعره وأفكاره الى اشباهه من الناس .

الفرق بين الرمز والعلامة

ولكن ريد يفرق بين « الرمز » « والعلامة » Sign فيقول ان من شان « الرمز » أن يجعلنا نتصور موضوعه ، في حين ان كل ما ترمي اليه « العلامة » انما هو ان تجعلنا نتعامل مع ما تشير اليه أو تدل عليه . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان لغة الفن لغة نوعية خاصة تقوم على « الرموز » ، لا على « العلامات » : لان من شان هذه اللغة أن تجعلنا نتصور بعض الموضوعات عن طريق وسائط لغوية ، وآية ذلك أن للاعمال الفنية وظيفة خاصةفي مضمار التواصل الاجتماعي، نظرا لان في وسعها التعبير عن معارف أو قيم هي فيما وراء العالم اللغوي . وحين يقول ريد ان الفن « نشاط عرفاني » Cognitive activity فانه لا يعني بذلك ان وظيفة الفن هي تجميل الانماط اللغوية من التعبير ، أو العمل على زيادة شدتها وتقوية أساليبها ، بل هو يعني بذلك ان الفن ضرب خاص من « المقال » ، أو أسلوب متمايز من أساليب التواصل ، فهو يوصلنا الى مجالات جديدة من المعرفة غير تلك التى اعتدنا الوقوف عليها في مضمار المقال اللفظي .

الفن ليس مجرد تكرار لحقيقة جاهزة

ولئن كانت هذه الحقيقة قد تجلت بوضوح في انتاج فلاسفة شعراء من امثال جيته وشلي ، الا انها لم تشرح شرحا فلسفيا عميقا الا على يد فيدلر Fiedler ، وكاسيرر : Cassirer (في كتابه « فلسفة الاشكال الرمزية ») . وقد بين لنا هذان المفكران كيف أن الفن ليس مجرد تكرار لحقيقة جاهزة او ترديد لواقع قائم من ذي قبل ، بل هو اكتشاف لحقيقة جديدة وتعبير عنها بلغة رمزية . وعلى الرغم من ان فنا كالشعر يستخدم الالفاظ ، ويصطنع مادة المقال العقلي ، الا ان من المؤكد انه لا بد للكلمات في الشعر من أن تفقد كل ثقلها العادى ، لكي تستحيل الى صور رمزية . ولعل هذا هو السبب في أن نوع الاشراق الذى ينبثق في وعي الشاعر ، فيعبر عنه ببعض الكلمات او العبارات ، لا يكاد يختلف عن ذلك الاشراق الذى يرد الى المصور أو النحات ، فيعبر عنه ببعض الصور المرئية ، ان لم نقل بانه لا يكاد يختلف أيضا عن ذلك الاشراق الذى يرد الى الموسيقار ، فيعبر عنه ببعض الصور السمعية .

ومن هنا فان للقصيدة ـ مثلها في ذلك كمثل اللوحة او المقطوعة الموسيقية ـ شكلا فريدا في نوعه ، هو بمثابة مؤلف من الصور والايقاعات ، وهذا الشكل هو بمثابة تجسيم لمشاعر الفنان ، فضلا عن انه يشتمل على بعض المعاني التى لا تسير بالضرورة جنبا الى جنب مع المعاني العقلية أو الدلالات الذهنية المتضمنة في الالفاظ المستخدمة . ولعل هذا هو السبب في ان القصيدة تعني دائما شيئا أكثر مما تعنيه ترجمتها النثرية ، ما دام فيها من البناء الموسيقي ما يجعل منها « شكلا رمزيا » أو مجموعة متسقة من « العلامات غير المنطوقة » .

الفنون غير اللفظية

وأما اذا نظرنا الى الفنون غير اللفظية ، فاننا لن نجد أدنى صعوبة في التحقق من أن النشاط الفني نشاط ذهني أصيل مستقل تماما عن كل ما عداه من مظاهر النشاط الذهني .

والحق ان من شان الفنون البصرية ـ كما لاحظ فيدلر ـ أن تمدنا بمعرفة عن الواقع هي « نسيج وحدها » Generis : لان هذه المعرفة متمايزة كل التمايز عما يوفره لنا العلم أو ما

---

(١) Herbert Read : « The Meaning of Art, » Pelican, 1954. P. 20-21.

يزودنا به النظر الفلسفي من معرفة عن الواقع . وآية ذلك ان الاعمال الفنية تجسم في « موضوعات عينية » صورة حرة مستقلة من صور التجربة الحسية . وهناك أشخاص ممتازون قد جادت عليهم الطبيعة بمنحة نادرة ، فوهبتهم من رهافة الحس ورقة الشعور ما يستطيعون معه أن يحققوا ضربا من الاتصال المباشر بالطبيعة . ومثل هؤلاء الاشخاص لا يدركون من أى موضوع من الموضوعات بعض العلاقات الجزئية المنبثقة عن بعض التأثيرات المحدودة ، بل هم يدركون — على العكس من ذلك — صميم وجود الموضوع ، وبالتالي فانهم يشعرون به ككل ، قبل ان يعمدوا الى تجزئة هذا الشعور العام واحالته الى بعض الاحساسات المنفصلة .

التسامي فوق الاحساسات الفردية

والواقع ان ما يجعل من الفنان فنانا انما هو قدرته على التسامي بنفسه فوق مستوى الاحساسات الفردية . واذا كان من شأن العلم أن يمدنا بضرب من « السيطرة الفكرية » (أو التصورية) Conceptual mastery على العالم ، فان من شأن الابداع الفني أن يمدنا بضرب من « السيطرة الادراكية » Perceptual على العالم . وعلى حين ان العلماء قد دأبوا على اعتبار النشاط الادراكي صورة دنيا من صور النشاط ، اللهم الا اذا كان من شأنه أن يقودنا الى توضيح بعض المفاهيم المتحكمة في الادراك الحسي ، نجد ان الفنانين يريدون أن يتوقفوا عند مرحلة الادراك الحسي دون الانتقال الى مرحلة التجريد : لأنهم يرون أن في امكاننا الوصول الى معرفة حقيقية حتى في مستوى الادراك الحسي .

وعلى الرغم من ان المعرفة المحصلة عن طريق التجربة الادراكية مختلفة عن المعرفة المحصلة عن طريق التجريد ، الا ان هذه المعرفة مع ذلك معرفة حقيقية لا تقل قيمة عما عداها من معارف .

وما يميز الفنان عن كل من الرجل العادى والعالم انما هو تمسكه بخبراته الادراكية ، بدلا من الانسياق وراء الاحساس أو وراء التجريد . وحسبنا ان نرجع الى تصريحات فنان مثل سيزان (المصور الفرنسي المشهور) لكي نتحقق من ان الفن عنده كان يعني اسلوبا في المعرفة متمايزا عن كل من المعرفة العلمية والمعرفة الفلسفية ، ولهذا فانه كان يحذر المصورين من الانسياق وراء التأملات الفلسفية أو الادبية ، كما كان يفرق بين التعبيرات الادبية القائمة على التجريدات ، والتعبيرات التصورية القائمة على تجسيم الاحساسات والادراكات ، عن طريق الخطوط والاشكال والالوان . وهربرت ريد يؤكد لنا ان الشواهد كثيرة على شعور الفنانين — حينما ينعكسون على خبرتهم الابداعية — بأنهم يستخدمون لغة لا علاقة لها على الاطلاق باللغة الادبية : لغة التصورات أو المفاهيم ، وان كان في استطاعة هذه اللغة التعبير عن أعمق الحقائق الوجودية الا وهى تلك الحقائق التى لا سبيل الى التعبير عنها بلغة المفاهيم أو التصورات . ولا شك ان الجهد الاكبر الذى يقوم به الفنان انما ينحصر في العمل على اجادة هذه اللغة ، بحيث يصل الى مستوى الوضوح أو النصاعة في تعبيره عن الحقيقة .

وظيفة الفن باعتباره لغة الرموز

ويشرح لنا ريد وظيفة الفن باعتباره لغة « الرموز » أو « العلامات غير اللفظية » فيقول ان النشاط الفني لا يبدأ الا حينما يجد المرء نفسه وجها لوجه أمام العالم المرئي ، وكأنما هو بازاء شفرة غامضة أو حقيقة مجهولة مغلقة بالاسرار . وهنا تجيء الضرورة الباطنة فتملى على الفنان استخدام قواه الذهنية من أجل التصارع مع تلك الكتلة الغامضة المهوشة الماثلة في العالم المرئي ، فلا يلبث أن يعمل على تشكيلها وصياغتها في صورة ابداعية . والحق ان الانسان حين يقدم على ابداع أى عمل فني فانه انما يقبل على معركة يصارع فيها الطبيعة ، ولكن لا من أجل وجوده المادى ، بل من أجل وجوده الذهني . ومن هنا فان بداية العمل الفنى ونهايته انما تكمنان في عملية ابداع تلك الاشكال أو الصور التى يستطيع الفنان من خلالها الوصول الى كبد الوجود ! وليس من شأن الفنان ان يخلق عالما ثانيا يضمه الى جوار ذلك العالم الآخر الذى يوجد بذاته دون حاجة الى نشاط الفنان ، وانما يجيء الفن فيقدم لنا العالم نفسه وقد أعاد خلقه الوعى الفني ، وكأنما هو قد صنع خصيصا من أجل

الفنان وبفضل الفنان ! ومعنى هذا ان الفن يبدع أشكال تلك الموضوعات التي لم توجد بعد بالنسبة الى العقل البشرى ، اذ يجيء النشاط الفني فيخلع ضربا من « الوجود » على تلك الموضوعات التى ظلتمفتقرة الى « الشكل » أو « الصورة » : Form . ولكن الفن لا يتخذ نقطة انطلاقه من الفكر المجرد لكي لا يلبث أن ينتهي الى الاشكال او الصور ، وانما هو يرقى من الشيء المختلط الذى لا صورة له ، الى الشيء المتحدد الذى اكتسب صورة ، محققا كل معناه الذهنى في صميم هذه العملية .

والواقع ان النشاط الفني هو الكفيل باظهارنا على ان حدود اللغة ليست هي بالضرورة الحدود النهائية للخبرة البشرية ، ما دامت الاشياء التى قد لا تنجح اللغة في التعبير عنها ، قد تلقى عند الفنان أشكالا موفقة تكون بمثابة لغة رمزية تفصح عن مكنوناتها . ومعنى هذا ان فى التعبير الفني لغة رمزية أصيلة تعيننا على الكشف عن بعض الجوانب الخفية من تجربتنا الحية ، مما قد لا تنجح التصورات العقلية فى ازاحة النقاب عنه . ولعل هذا ما حدا بالفيلسوف الالمانى الكبير كارل يسبرز Karl Jaspers الى القول باننا لا نكون خبرة صحيحة عن الطبيعة والانسان اللهم الا حين نلتقى بهما فى صميم ماهيتهما على نحو ما تكشف لنا عنها فنون النحت والرسم والتصوير . ولكن يسبرز يفرق بين نوعين من الفن : فن هو بمثابة مجموعة من الرموز التى تكشف لنا عن الواقع كشفا ميتافيزيقيا ، وفن هو عبارة عن مهارة تكنيكية لا صلة لها بالفلسفة وهذه التفرقة شبيهة الى حد ما بتلك التفرقة العادية بين « الفن » و « التسلية » . وهربرت ريد لا يرى مانعا من القول مع يسبرز بأن كل فن عظيم انما هو بالضرورة فن ميتافيزيقى (ان صح هذا التعبير) ليس من النشاط الفلسفى في شيء ، بل هو « نشاط ذهنى أصيل كل الاصالة ، مستقل تمام الاستقلال عن كل ما عداه من ضروب النشاط الذهني ، بما فيها الفلسفة ، أو التفكير العقلي القائم على « التصورات » .

مدى العناية التى يوليها الناس للنشاطين

ولو اننا نظرنا الآن الى مدى العناية التى يوليها المجتمع لكل من هذين النشاطين ، لوجدنا اننا قد اعتدنا توجيه كل اهتمامنا الى النشاط الذهني القائم على المنطق أو المفاهيم العقلية ، فى حين اننا قلما نحفل بذلك النشاط الذهنى القائم على اللغة الرمزية أو العلامات غير المنطوقة. ومن هنا فاننا نتوهم ان الوسيلة الوحيدة لتحقيق التواصل بين الناس انما هي الوسيلة اللغوية ، وان المعرفة الوحيدة التي لا بد لنا من العمل على تحصيلها انما هي المعرفة القائمة على بعض العلامات المنطقية . وهذا هو السبب فى اننا ننظر الى أولئك الذين يشغلون انفسهم بالاساليب غير اللفظية من الفهم والمعرفة على انهم طائفة شاذة من الناس لا تفيد البشرية كثيرا من وراء محاولاتهم العميقة فى سبيل التعبير عن المعاني والدلالات بلغة الاشكال والألوان والاصوات !

وقد انعكس هذا الاتجاه على اساليبنا التربوية، فاصبحنا ننمى في نفوس النشء القدرة على تكوين التصورات ونشجعهم على القيام بشتى عمليات التجريد ، دون ان نحفل كثيرا بتنمية قدرتهم على الادراك الحسي ، أو تشجيع ميولهم الادراكية على التعبير عن الحقيقة الحسية بلغة الرموز غير المنطوقة . وليس من شك فيان المبالغة في الاهتمام بالتصور العقلى والتجريد الذهنى هى التى عملتعلىاضعاف قدرتنا علىالادراك الحسي، واهتمامنا بالبحث عن الجزئيات والافراد ، بدلا من الوقوف عند الكليات والمدركات العامة . ولكننا لو عمدنا الى الاهتمام بالتربية الفنية — الى جانب عنايتنا بشتى مظاهر النشاط الذهنى الاخرى من علم وفلسفة وسياسة واخلاق ودين وقانون وتكنولوجيا وغير ذلك — لكان في وسعنا ان ننمى لدى الافراد القدرة على ادراك الجزئيات ، وتمييز الافراد ، وفهم القيم النوعية للاشياء ... الخ . ومهما كان من قيمة المعارف الكلية القائمة على العلامات اللفظية ، فان من المؤكد ان الانسان الحديث في حاجة ايضا الى التزود بتلك المعرفة الادراكية القائمة على العلامات غير المنطوقة . واذا كان اختراع الكتابة قد اعفى الانسان من تمثيل الاشياء المحسوسة بمجموعة من الصور المرئية ، فان ترقى احساسات الانسان ومشاعره قد اوجد لديه الحاجة الى التعبير عن وعيه المترقى بلغة رمزية تفوق في دقتها ورقتها لغة الكتابة . ولعل هذا هو السبب في ان الانسانية قد وضعت

جنبا الى جنب افلاطون ومصمم البارثنون ، القديس توما الاكويني ومصمم كنيسة شارتر ، فرنسيس بيكون وميكائيل انجيلو ، اسبينوزا ورمبرانت ، برجسون وسيزان .. الخ . ولكن على الرغم من اننا نضع كل هؤلاء الفنانين على قدم المساواة مع اولئك الفلاسفة وكبار المفكرين ، الا اننا ما زلنا نفتقر الى تقدير صحيح لتلك المعرفة الادراكية Perceptual cognition التى قامت عليها جهود أولئك الفنانين . وقد تزايد في القرنين الاخيرين اهمال الناس لكل جهد ادراكى ، فلم يعد في وسع الكثيرين منهم تحقيق اى تآزر ايجابى بين اليد والعين ، او القيام بأى كشف بصرى للعالم ، او العمل على استخدام خبرتهم الادراكية استخداما بنائيا فعالا . وهكذا قامت الحاجة من جديد الى استعادة ذلك الاسلوب القديم من اساليب التواصل : الا وهو لغة العلامات غير المنطوقة « Non-vocal signs » .

دور الابداع الفنى في تعريف الانسان بنفسه

ولا يتسع المقام لشرح تلك الاراء القيمة التى بسطها هربرت ريد في حديثه عن دور التربية الفنية في المجتمع الحديث ، ولكن حسبنا ان نشير الى المحاولات العديدة التى قام بها هذا المفكر الانجليزى الكبير من اجل تاكيد دور الابداع الفنى بوصفه منهجا من المناهج المثالية في العمل على تعريف الانسان بنفسه واتاحة الفرصة له من اجل الوقوف على شخصيته . والواقع انه لما كان النشاط الفني في صميمه عملية تركيب للخبرة الادراكية على صورة انماط ذات معان او أشكال ذات دلالات ، فليس بدعا أن تكون لمثل هذا النشاط قيمته الكبرى في بناء الشخصية، وتحقيق التكامل النفسي . ولا غرو ، فان الشخصية المتكاملة لا بد من ان تكون شخصية خلاقة مبدعة ، اعنى شخصية فعالة قادرة على تجسيم افكارها وتحقيق معانيها ، وبالتالى فانها لا بد من ان تكون قديرة على تحويل المواد المرنة الكائنة في العالم المادى الى « رموز » او « ادوات تواصل » تنقل عبرها شتى حالاتها الشعورية الى الاخرين . وربما كان من بعض افضال التربية الفنية على الشخصية انها تتيح لها الفرصة لتكوين علاقة ايجابية عملية بينها وبين العالم الخارجي ، ان لم نقل بينها وبين الوسط الاجتماعى نفسه . والحق ان الفن ليس مجرد اداة فعالة لتحقيق ضرب من الامتزاج بين ما هو كائن وما ينبغي ان يكون ، او بين العالم الداخلى والعالم الخارجي ، وانما هو ايضا وسيلة ناجعة لاعطاء الحقيقة الذاتية الباطنية صورة خارجية ، حتى يكون في الامكان تقاسمها ، واختبارها ، والتحقق منها . واذا كان البعض قد حرص على القول بان من شأن الفن ان يغير من الطبيعة ، فان هربرت ريد يؤكد بصفة خاصة ان ما يعدل منه الفن انما هو الطبيعة البشرية نفسها . وآية ذلك ان النشاط الفنى يحطم تلك الهوة التى تفصل «الذات» في العادة عن غيرها من «الذوات» فيشعر المرء بأن في وسعه اختراق حدود المكان ، وتحقيق ضرب من الاتحاد بين « الانا » و « الاخر ». ولكن ربما كان من أعجب مفارقات الابداع الفنى انه يتيح للذات الشعور بشخصيتها كاعمق ما يكون الشعور ، مع الاحساس في الوقت نفسه بما بينها وبين شخصيات الاخرين من وحدة بشرية قوامها التفاهم بلغة الرموز غير المنطوقة . واخيرا يقرر هربرت ريد أن العمل الفنى انما هو على وجه التحديد تلك النقطة الخارجية الساطعة التى تتلاقى عندها انظار سائر القوى المتنبهة الواعية، فهو بمثابة الوسيلة الناجعة لتحقيق ضرب من الاتحاد العميق بين النفوس البشرية في كل زمان ومكان .

وهكذا كانت تأملات هربرت ريد الطويلة في الفن، والابداع الفنى والتربية الجمالية ، وعلاقة الفنان بالمجتمع ، وصلة الفن بالعلم ، وقيمة المعرفة الفنية .. الخ بمثابة دوائر متعاقبة اخذت تتسع يوما بعد يوم ، خلال حياة علمية طويلة ، حتى استحال علم الجمال على يديه الى فلسفة حياة ، أو الى فلسفة عامة ، ثم لم تلبث هذه الفلسفة العامة ان قادتهالى اعتاب حكمة ميتافيزيقية كانت هى في خاتمة المطاف الكلمة الاخيرة لسلسلة طويلة من الابحاث الجمالية التى قام بها فيلسوفنا خلال نصف قرن من الزمان .. ■

زكريا ابراهيم

تعليم مختلط



مراجعة الدروس والمحاضرات تحت ظلال أشجار السرو والصنوبر والفاكهة التى تنتشر بكثرة بين مباني الجامعة ؛ وموقع الجامعة من أجمل المواقع فى الاردن .

الى اسفل :

على هؤلاء الشباب يعتمد الاردن .. انهم نواة المستقبل .. لقد فتحت الجامعة الاردنية أبوابها خصيصا من أجلهم ليغترفوا منها العلم والمعرفة.. وتراهم جالسين بالروب الجامعي ـ الذى هو مظهر المساواة بين الطالبة والطالب ـ يستمعون الى محاضرة من الدكتور محمود السمرة الاستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بالجامعة .





على الطريق الرئيسي ؛ وقبل الوصول الى عمان ببضعة كيلو مترات ؛ تقوم مباني الجامعة الاردنية .. وهؤلاء بعض الطالبات أمام البوابة الرئيسية للجامعة ..

وسط الحدائق وأشجار السرو العالية

الجامعة الأردنية

منارة للعلم والسيدة ٤

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
أوسكار متري



■ في جو شاعري هادىء بعيد عن الضوضاء ، ووسط مليون و ٢٠٠ الف متر مربع من الحدائق ، تقوم جامعة فريدة في نوعها .. أشجار الكرز والمشمش تستقبلك عند دخولك اليها .. تسير بعدها تحت ظلال أشجار السرو المتعالية ، وأشجار الليمون المتمايلة التي يسرى عبيق زهورها العطر المنعش في غرف ومباني الجامعة .

تلك هي الجامعة الأردنية .

أسرة كبيرة متحابة متفاهمة .. كبيرها يعطف على صغيرها .. وأستاذها يساعد تلميذها ... وفتاتها تتعاون مع فتاها ..

انهم جميعا من أبناء القرن العشرين يُعلّمون ويتعلمون ، في جامعة هي وليدة قرنهم ، فتراهم يعيشون حياة هذا القرن : علم ومعرفة ، وبحث واطلاع .. لقد تركوا حياة القرون الماضية ، ورفضوا أن يظلوا مكبلين باغلال من العرف والتقاليد والأنظمة الجامدة ، بعد أن أحسوا بأنه طالما كان هناك أناس يتعلمون ، وطالما كانت هناك عقول تفكر ، وتنتج وتبتكر ، فسوف ينعم الانسان العربي بالحرية والرفاهية ..

حتى ادارة الجامعة ترفض الجمود ، فتجدها تعيد النظر - كل سنة - في أنظمتها ومناهجها ، لأنها تؤمن أنه لا يكفى أن تبدأ الجامعة بداية حديثة ، بل يجب أن تظل دائما حديثة ! .. ولا يكون ذلك الا باستمرار النمو والتطور والمراجعة ، واعادة النظر ، والنقد الذاتي ، والاعتراف بالخطأ ومحاولة اصلاحه .

العناية بالثروة البشرية

لقد أصبحت الجامعة الاردنية - رغم حداثتها - بمثابة المصنع البشرى الضخم ، الذى سيتخرج منه قادة الفكر والثقافة ، والعلماء والباحثون والفنيون الاردنيون في شتى المرافق والميادين .

والعناية « بالثروة البشرية » المحلية في الاردن هي السبيل الوحيد لاستغلال ثرواته الطبيعية ، التي بدون استغلالها لا يمكن أن يتم استقلال اقتصادى أو بناء كيان اجتماعي .

لهذا كان تأسيس جامعة أردنية عربية تجسيدا لحلم طالما داعب العقول والنفوس ..

مولد الجامعة

لقد تحقق هذا الحلم في غالبية اقطارنا العربية .. وكان الأردن يستمع ويتطلع الى هذه الدول ويتحسر . لأن التفكير في انشاء جامعة اردنية بدأ من زمن طويل قبل تفكير كثير من تلك الدول ، ولكن الفكرة هنا في الأردن ، ظلت حبيسة العقول والنفوس ، ما تكاد تحاول الانطلاق حتى ترتفع أصوات بعض الخبراء الأجانب محذرة من الاقدام على مثل هذه الخطوة المتهورة - في نظرهم - !!

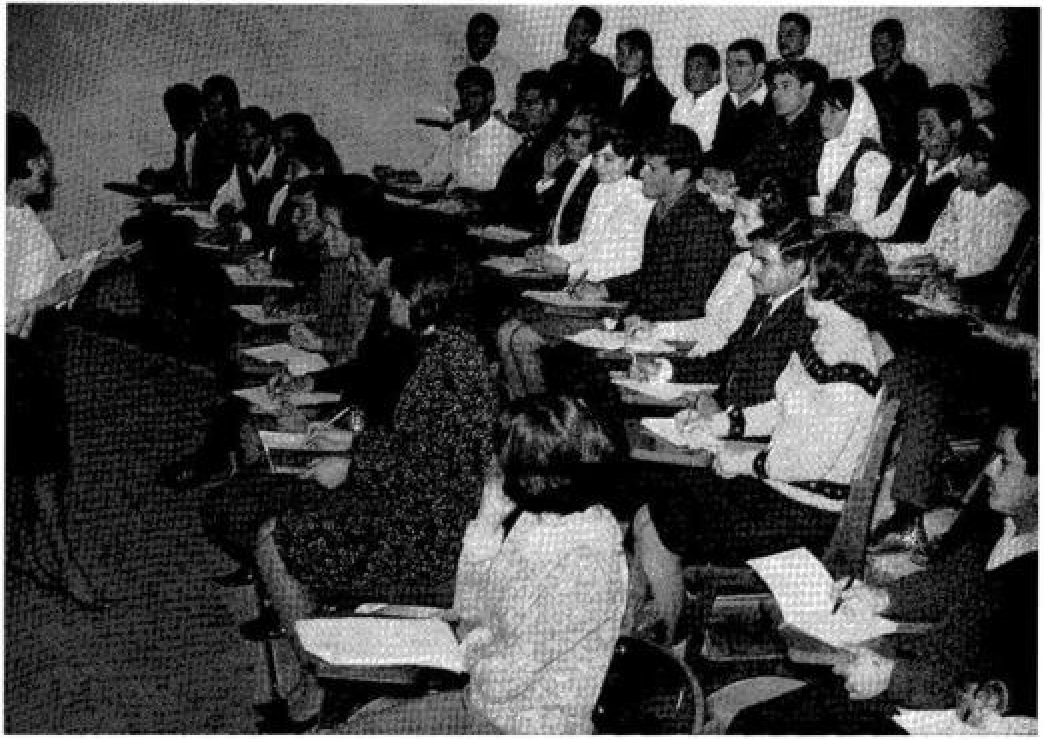
ولكن الحاجة الماسة الى جامعة وطنية قضت على كل معارضة وتردد .. وفي صباح الثاني من سبتمبر ١٩٦٢ صدرت الارادة الملكية معلنة مولد جامعة أردنية ..

القضاء على المشكلة

وارتسمت الفرحة الكبرى على وجوه أبناء



الدكتور ناصر الدين الاسد ،
رئيس مجلس الجامعة الاردنية



الدكتورة ليلى حنانية ، تلقى محاضرة على طلبة كلية العلوم .. انها من بنات الاردن اللواتى حصلن على درجة الدكتوراه في الكيمياء ..

الاردن ، الذين تنفسوا الصعداء ، فقد كان عدد الذين ينهون منهم دراساتهم الثانوية يتزايد بالآلاف سنويا،لا يلتحق منهم بالجامعات العربية، أو الأجنبية ، الا القادرون على تحمل النفقات الباهظة التى يتطلبها التعليم في الخارج ، والتى كانت تثقل كاهل الآباء ..

أما العاجزون عن دفع هذه النفقات فكانوا يضطرون لقطع دراساتهم العالية ، والاكتفاء بوظيفة صغيرة .. ومن هنا كان في افتتاح الجامعة الاردنية قضاء على هذا الوضع الشاذ ، اذ أتاح فرصة التعليم العالي لجميع أبناء الشعب بالمجان، دون أى تمييز بينهم، اللهم الا في التفوق والتقدم.

الكلية .. تصبح ثلاث كليات !

وافتتحت الجامعة الأردنية أبوابها ، لأول مرة في منتصف شهر ديسمبر من عام ١٩٦٢ لتستقبل ١٤٩ طالبا و١٨ طالبة ، جاءوا ليلتحقوا بكلية الآداب .. الكلية الوحيدة اذ ذاك .

كان عدد الأساتذة ثمانية .. المتفرغون منهم ثلاثة فقط ، والباقون غير متفرغين حتى المبانى لم تكن غير مبنيين قديمين : أحدهما للادارة ، والآخر للطلبة .. والميزانية لم تكن تتعدى الخمسين ألف دينار ..

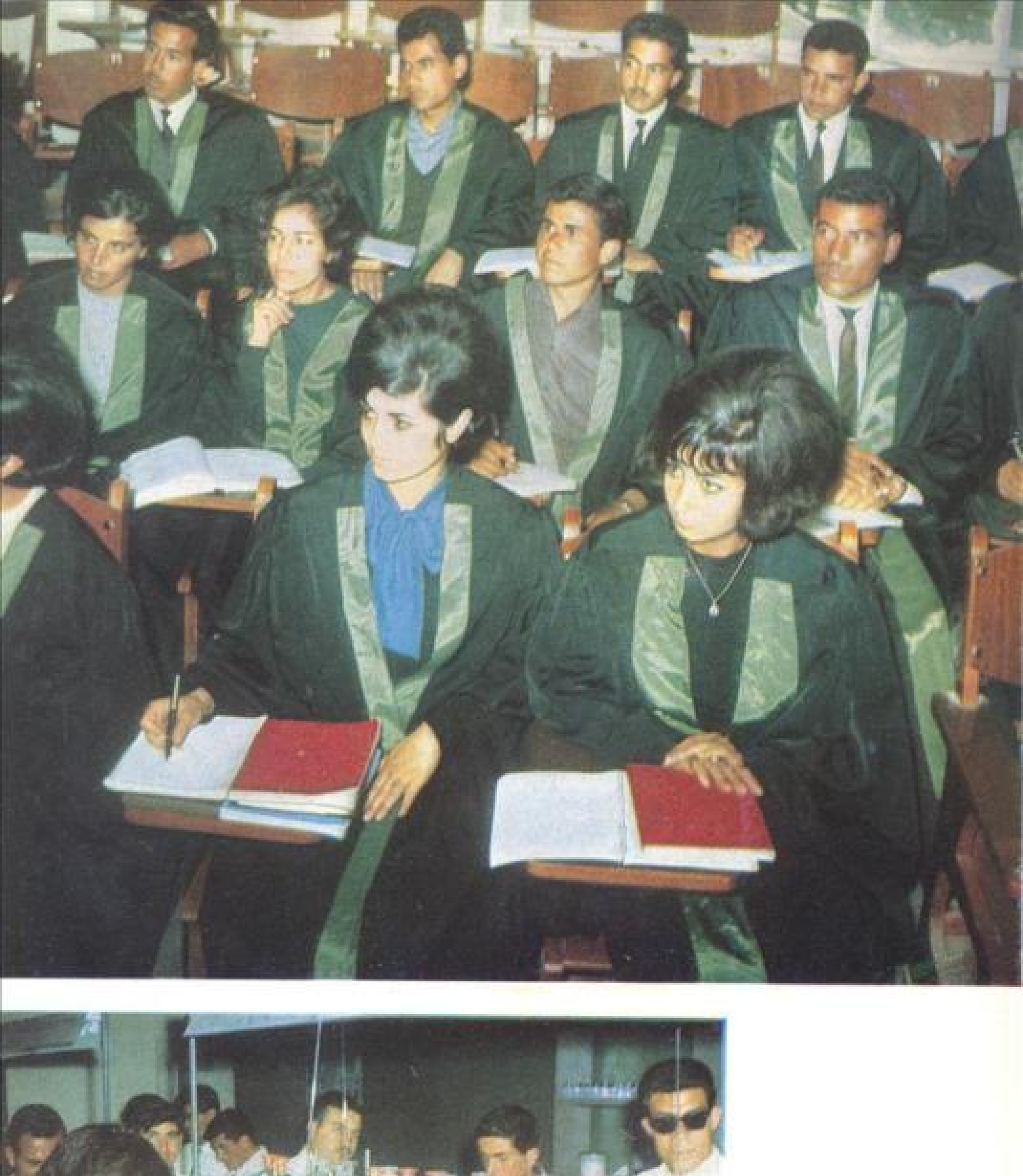
كانت هذه حال الجامعة الاردنية عندما فتحت أبوابها .. اذ كان الرائد هو تحقيق الفكرة بأسرع وقت .. ومن ثم ينظر في أمر التوسع .. وفعلا لم تكد تمر ثلاث سنوات فقط حتى أضيفت كلتيتان جديدتان الى كلية الآداب ، هما كلية العلوم ، وكلية الاقتصاد والتجارة .. وأصبحت الجامعة مكونة من ثلاث كليات ، تضم ٢٢٥٠ طالبا ، ثلثهم من الطالبات . وارتفع عدد اعضاء هيئة التدريس الى ١٠٠ عضو ، والميزانية قفزت من ٥٠ ألف دينار ، الى مليون دينار ، والمبانى



كان عدد الطالبات عند افتتاح الجامعة ١٨ طالبة ، أصبحن اليوم نحو ٥٠٠ طالبة يتلقين العلم جنبا الى جنب ، مع الطلبة .. لقد أدى الاختلاط الى أحسن النتائج في الجامعة الاردنية .. (الصورة العليا ، والصورة اليسرى) .

الى أسفل : منظر جوي لحرم الجامعة الاردنية وتبدو فيه الاشجار الكثيرة المحيطة بالمباني .. وتبعد الجامعة سبعة كيلومترات عن العاصمة ، ومساحة أراضيها مليون و٢٠٠ ألف متر مربع ، مما سوف ييسر لها فرص النمو والتوسع مستقبلا .







الى اليسار : الفيزياء، والكيمياء، وعلم الاحياء، والرياضيات .. انها المواد التي يدرسها الطلبة في السنة الاولى بكلية العلوم .. وهؤلاء طلبة السنة الثانية في المعمل .

أصبحت ١٢ مبنى حديثا .. وتضاعفت مساحة الحرم الجامعي ، من ٦٠٠ دونم الى ١٢٠٠ دونم (الدونم = الف متر مربع) .

اى ان الجامعة الاردنية قطعت في خلال خمس سنوات شوطا كبيرا في سبيل استكمال شخصيتها.

ان كل شيء فيها حديث .. المباني والمقاعد والمجاهر والمعامل .. حتى غسيل الأواني في مطعمها الانيق يتم بطريقة اوتوماتيكية ، داخل الاجهزة الالية دون أن تكون عرضة للمس بالايدى !

ويقدم هذا المطعم الجامعي أكثر من ٣٥٠ وجبة طعام يومية ، والف « سندوتش » .. تقدم كلها للطلبة نظيفة ومتقنة وبسعر التكلفة !

من أين يأتى المال ؟

في نفس الوقت الذى يقال فيه ان الجامعة الأردنية هى جامعة الدولة ، نجد انها مستقلة تماما عن الدولة : ماديا واداريا وعلميا ! .. وليس معنى هذا انها مؤسسة خاصة أو اهلية ، وانما استقلالها هو استقلال ذاتى ، لها مجلس أمناء خاص مكون من عشرة اشخاص يقوم بتدبير مواردها المالية وصيانة استقلالها واتخاذ جميع الوسائل التى تؤدى الى رفع شأنها .

والى جانب مجلس الأمناء يوجد « مجلس الجامعة » المؤلف من رئيس الجامعة وعمداء الكليات وأستاذ منتخب من كل كلية ووكيل وزارة التربية والتعليم . وفي العام الماضي عين الاستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد أول رئيس للجامعة الاردنية .. وهو الذى يمثل الجامعة أمام الهيئات الاخرى ، ويتولى ادارة شئون الجامعة التعليمية والادارية والمالية .

وايرادات الجامعة تأتيها من مصادر متعددة ، بينها الحكومة التى تساعدها بمنحة سنوية مقدارها ١٠٠ الف دينار أردنى ، من مجموع ميزانية الجامعة البالغة اكثر من مليون دينار اردنى .

كما تأتيها اعانات وهبات وتبرعات تقدمها المؤسسات والأفراد . وقد خصصت ضريبة مقدارها ١٪ على جميع البضائع المستوردة لدعم صندوق الجامعة .

وفي السنين الأولى تلقت الجامعة تبرعات نذكر منها ٢٠٠ الف دينار من الحكومة الكويتية ،ونحو ١٩٠ الف دينار من مصنع الاسمنت الاردنى ،



راهبات وطالبات في آن واحد ، يجلسن بين الطلبة والطالبات ..



الى اليسار : بعد أن تم انشاء وافتتاح كلية العلوم، التى تشمل علوم الفيزياء ، والكيمياء ، والاحياء ، والرياضيات .. بدأت الدراسات من اجل تأسيس كليات تطبيقية اخرى فى الجامعة الاردنية .. ونرى هنا الطالبات والطلبة فى معمل الاحياء بكلية العلوم .

ومثلها من مصفاة البترول الأردنية ، و ٥٠ الف دينار من الشيخ شخبوط ... الخ ..

وتشرف الجامعة على شئون أموالها بنفسها ، وتتصرف فيها وتنفق منها وفق نظام مالي خاص بها . ان المساعدات المالية للجامعة الأردنية يجب أن تستمر ، بل أن تتضاعف ، حتى تستطيع أداء رسالتها ، لا بالنسبة لطلابها فقط ، بل وللمجتمع الأردنى كله الذى هو فى أشد الحاجة الى خدماتها ..

نشاط الطلبة

وليس بالعلم وحده يتزود الطالب في الجامعة ، بل تعمد الجامعة الى بناء خلقه وتقويمه وصقل مواهبه ، وتنمية شخصيته ، وتحقيق الاستقلال في تفكيره .. كل هذا عن طريق المواظبة والعمل المنتظم والتعاون مع الآخرين ..

وتطلب الجامعة من كل طالب وطالبة الانضمام الى هيئة من الهيئات الخمس ، التى تمثل كل منها لونا من ألوان النشاط المختلفة : الثقافي ، والاجتماعى ، والفنى ، والرياضى ، والرحلات .

وقد حاز فريق الجامعة لكرة السلة على لقب « أقوى فريق في الاردن » ، اذ أنه لم يهزم مرة واحدة طوال العامين الماضيين ..

نجاح الاختلاط

لقد قضينا عدة أيام داخل حرم الجامعة الأردنية ، لمسنا خلالها ذلك الشعور الدافق من المحبة والالفة بين الطلبة ، واقبالهم على الجو العلمى العابق برائحة الازهار ..

شاهدنا الطلبة يختلطون بأساتذتهم ويناقشونهم في مختلف القضايا المتصلة بدروسهم أو البعيدة عنها على السواء .

وشاهدنا الطلبة يجلسون بجوار الطالبات تحت ظلال أشجار الصنوبر والسرو ، يتناقشون ، ويتجادلون فى شتى المواضيع التى أثيرت اثناء المحاضرات او الاجتماعات ..

ان الاختلاط في الجامعة الأردنية كان ناجحا



اشهى المأكولات واطيبها ، يقدمها مطعم الجامعة بأسعار زهيدة للطلبة والطالبات ، الذين يقومون بخدمة انفسهم على طريقة Self Service اي يحملون ما يشترونه من مأكولات على صينية ، ويجلسون للاكل على الموائد المتناثرة في ارجاء قاعة الطعام.. وللاساتذة قاعة مجاورة لقاعة الطلبة .



مشكلة كبيرة ، اذ بلغ عدد الطلبة الذين تقدموا لكلية الآداب ـ مثلا ـ أربعة أضعاف عدد الذين قبلناهم ، وهو ٢٥٠ طالبا فقط . وكان قبول هؤلاء على أساس معدلاتهم ، ومجموع أرقامهم في الامتحانات ، دون أية مراعاة لأى شخص .

« ونحن نقبل في كلياتنا الطلبة الذين تعلموا في كليات اخرى تناظرها في الجامعات العربية ، شريطة أن يكونوا من الناجحين الى السنة الثانية أو الثالثة فقط .. وبشرط أن تكون دراساتهم في كلياتهم الأصلية دراسة منتظمة ، لا دراسة انتساب » ..

حل مشكلة الانتساب .. ولكن

قلنا : « سمعنا أنكم لا توافقون على مبدأ الانتساب الى الجامعة بالرغم من الحاجة الماسة الى فتح باب الانتساب .. فما هو السبب في رفض الجامعة الأردنية لهذا المبدأ ؟ »

وأجابنا رئيس الجامعة مباشرة بقوله :

« الحياة الجامعية ليست تلقين علم ، أو الاكتفاء بقراءة ما بين دفتي كتاب ، بل هي بناء فكر وتكوين شخصية .. وهذا يتطلب ضرورة الحياة في الحرم الجامعي ، والاتصال بالأساتذة ، والاستماع الى محاضراتهم ، والاشتراك مع الطلبة في ممارسة مختلف أوجه النشاط الثقافي والرياضي والاجتماعي .. كل هذا لتكوين فكر الطالب وبناء شخصيته الواعية .. هكذا نفهم الحياة الجامعية ، وهكذا نريدها في جامعتنا ، ومن أجل ذلك نرفض مبدأ انتساب الطالب للجامعة ..

« ولكننا في نفس الوقت نؤمن بضرورة اتاحة الفرصة لاكبر عدد ممكن من الطلبة لاستكمال دراستهم متى سمحت مؤهلاتهم لهم بذلك .. والعمل على تحقيق ذلك ممكن .. ـ في رأينا ـ بطريقين : أولهما : انشاء دراسات مسائية تتوافر لها شروط الدراسات الصباحية ، من اتصال بالأساتذة ، وممارسة مختلف أوجه النشاط الثقافي والاجتماعي والرياضي .

« والطريق الثانى انشاء دورات دراسية صيفية تتوافر لها الشروط السابقة نفسها ، على أن تعتبر كل ثلاث أو اربع دورات صيفية معادلة لسنة جامعية .

« ونرجو أن نستطيع تحقيق هذا العمل قريبا عندما تتوفر لدينا الامكانيات » ..



فريق كرة السلة بالجامعة من أقوى الفرق الرياضية في الاردن .. ومن بين أفراده ثلاثة لاعبين دوليين ..

الخريجون في عام ١٩٦٩

ان فتح باب الانتساب بهذه الطريقة العلمية ـ في حالة توفر الامكانيات ـ انما هو احد المشاريع العديدة التى تؤمل الجامعة في تحقيقها .

وفي مقدمة مشاريع المستقبل الملحة ، مشروع استكمال السنوات اللازمة للدراسة في كلية العلوم وكلية الاقتصاد والتجارة .

لقد أصبح في كل كلية منهما ثلاث سنوات



الى اليسار : ٥١ طالبة من خارج عمان ، يعشن داخل الحرم الجامعي، انهن طالبات الداخلية .. وترى مجموعة منهن واقفات امام المبنى المخصص لنومهن وتدفع الواحدة منهن ٢٧ دينارا من كل شهرين اجرة اقامتها في هذا المنزل .. وعلى مسافة بعيدة من منزل الطالبات يقوم منزل الطلبة الذين يدرسون في الجامعة ، ويقيمون خارج عمان .

• • •

الى أسفل : يحيا طلبة الجامعة الاردنية حياة جامعية بأوسع معانيها .. حياة لا تتوقف على قراءة ما بين دفتي الكتب ، وحفظ العلوم ، وانما حياة جامعية تبنى فكرا وتكوّن شخصية .. وهذا يتطلب الحضور الى حرم الجامعة والاختلاط مع الطلبة والطالبات ، والاتصال بالاساتذة ، وممارسة النشاط الرياضي والثقافي والاجتماعي .. وترى هنا بعض أبناء الجامعة في ساحة الحرم الجامعي ، تحيط بهم مباني الكليات ، وكلها مشيدة بالاحجار العازلة للحرارة ..

في القسم الداخلي بالجامعة الاردنية







غرفة نظيفة صحية ، واسرة مع اغطيتها الصوفية .. تعيش فيها الطالبات .. كل ثلاث مع بعضهن ، كما تنص اللوائح ..



.. وفي مكان آخر بعيد عن بيت الطالبات،يعيش الطلبة القادمون من الخارج في غرف صحية مماثلة لغرف الطالبات،وهؤلاء ثلاثة من أبناء ساحل عمان يتلقون علومهم في الجامعة الاردنية ..



دراسية ، اما السنة الرابعة فسوف تبدأ في مطلع العام الدراسي القادم ١٩٦٨ وفي نهاية ذلك العام الدراسي ، اى في يونيو (حزيران) ١٩٦٩ سوف تتخرج أول دفعة من الخريجين من هاتين الكليتين.

وهذا التوسع يحتاج الى مبان خاصة مزودة بالمختبرات والأجهزة اللازمة للدراسة .. وقد انتهت الدراسات الاولية : العلمية والفنية والكهربائية والميكانيكية لمبنى قسم الكيمياء الذى افتتح هذا العام .. وفي مطلع العام الدراسي القادم ١٩٦٨ سيفتتح مبنى قسم الفيزياء والرياضيات . وفي عام ١٩٧٠ سيكون مبنى قسم الاحياء (الحيوان والنبات) جاهزا للاستعمال في مطلع شهر سبتمبر من ذلك العام ..

اما مباني كلية الآداب وسنواتها الدراسية فمكتملة تماما .

وليس هناك أى خوف من نقص في الارض اللازمة لأن الحرم الجامعي يقع على أرض كبيرة واسعة تبلغ مساحتها مليونا و٢٠٠ الف متر مربع .. كما سبق وذكرنا .

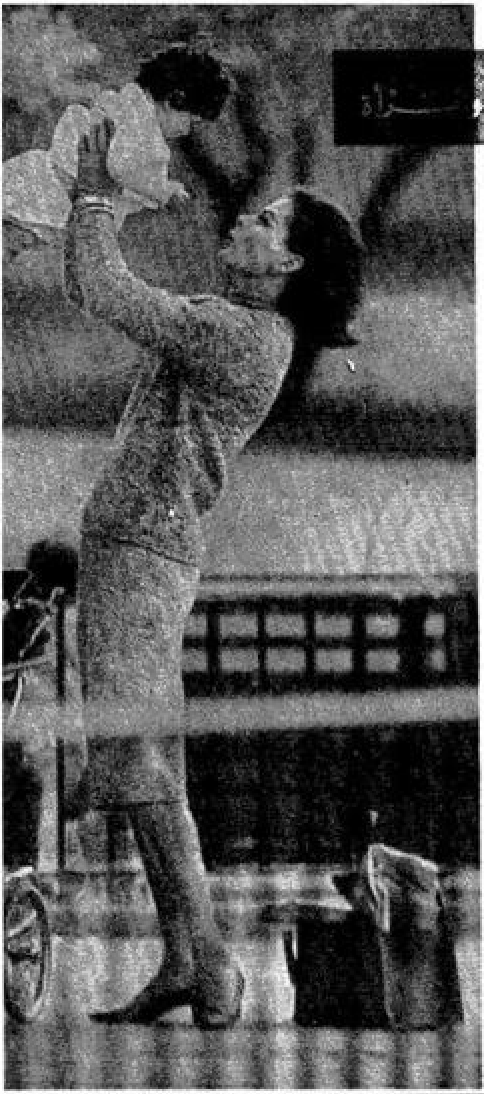
كليات في الطريق

وتجرى حاليا دراسة (متأنية) من أجل وضع خطة لتأسيس كليات تطبيقية ، بعد انشاء كلية العلوم التى شملت علوم الفيزياء والكيمياء والاحياء والرياضيات .. ومن المنتظر ان يتم تأسيس كلية الزراعة قبل عام ١٩٧٠ ثم تليها كلية الهندسة ، وكلية الطب ، وكلية الصيدلة ، وغيرها من الكليات..حتى تصبح الجامعة الأردنية جامعة عملاقة متكاملة ..

سليم زبال



مشهد من «تابلوه» فني، يشترك فيه الطلبة والطالبات.. لقد تكونت الجمعية الفنية حديثا ، لهذا يواظب أعضاؤها على التمارين حتى ينجحوا في اكتساب التصفيق من زملائهم ، الذين لا يرحمون حداثة عهد أفراد الجمعية بالمسرح !



بِكَمْ مِنَ الأَطْفَال

تَسْعَد الأُمّ وَيَسْعَد الأَب وَيَرْضَى المجْتَمَع

■ دخلت سيدة شابة لم تتجاوز عامها الثانى والعشرين الى عيادة أحد الأطباء تشكو علةمجهولة! قالت انها تشعر بهبوط وضعف شديدين حتى لم تعد قادرة على الوقوف على قدميها !

وجلس الطبيب يتفرس في مريضته .. كان وجهها شاحبا وعيناها غائرتين ، وقد بدا عليها الارهاق الشديد . وكما يفعل كل طبيب عندما يستقبل مرضاه ، راح يسألها عن تاريخ مرضها ، ومتى بدأت تشعر بالآلام التى تشكو منها . وما هى الأمراض التى أصيبت بها من قبل الى آخر ما هنالك من الأسئلة التى لا بد منها لكل طبيب قبل أن يوقع الكشف الطبى ويحدد نوع المرض ويصف لمريضه العلاج .

وما كاد الطبيب ينتهى من هذا كله حتى قال : « أنت لست مصابة بمرض معين يا سيدتى ، ولكنك تعانين حالة من الارهاق الشديد أثرت على صحتك وأعصابك .. وعلاجك الوحيد هو التغذية والراحة التامة » .

وقالت السيدة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة شقية باهتةتحمل كل معانيالالموالحسرة: « ومن اين لى بهذا يا دكتور ؟ وانا ام لسبعة اطفال اكبرهم في التاسعة ، واجر زوجى لا يكاد يكفى قوت يومنا !! »

وذهل الطبيب ، ولم يدر ما يقول .

ان مثل هذه السيدة كثيرات ..

انها لجريمة ارتكبتها هذه الام في حق نفسها وفي حق هؤلاء الاطفال الذين انجبتهم للبؤس والشقاء، ثم في حق المجتمع الذى تعيش فيه .

سبعة افواه جائعة ، وسبعة اجسام عارية ، والأب المسكين يشقى ويكدح في سبيل توفير الغذاء والكساء لافراد اسرته وما يكاد !

هذا مثل لأسرة تعسة ! ولو أن الأب كان كثير الانتاج كبير الدخل من ذلك ، لهان الأمر ، ولامكن أن نقول ، رغم ما في انجاب هذا العدد الكبير من الاطفال من ارهاق للام المسكينة ، ومن تأثير سيىء على صحتها .. « لا بأس ، طالما أن رب الأسرة قادر على ان يوفر لها أسباب الحياة السعيدة ».

انها المشكلة التى تختص اليوم بعناية كل الدول ، حتى اصبحت بحق مشكلة الساعة التى تشغل بال الحكومات لا سيما في البلاد الفقيرة التى تحاول ان تاخذ بأسباب التقدم والرفاهية .

ان الأسرة هى الوحدة التى منها يتألف المجتمع، والأسرة الكبيرة الفقيرة لا تصنع الا المجتمع الفقير التعس ، والفقر يتزايد ويستشرى كلما تزايد عدد الافواه الجديدة الجائعة .

من هنا اذن بدأت الجهود لتنظيم الأسرة والنسل ، وهو شيء لم يكن العالم يسمع به صوتا عاليا منذرا الا بعد ختام الحرب العالمية الثانية .. بعدها بدأ ناقوس الخطر يدق في قوة وعنف. اذ تبين للباحثين ان العالم كله مهدد بمجاعة اذا استمرت الزيادة في تعداد سكان هذه الارض مع عجز المحاصيل عن اشباع كل الافواه الجائعة .

« بدع » العلماء

ولنعد مرةأخرى الىالسيدة امالاطفال السبعة» التى بدأنا بها هذا الحديث ..

ماذا يقول علماء النفس في مثل هذه الأم ؟ لقد خصص فريق كبير من العلماء جانبا من وقتهم وجهدهم لدراسة مشكلة تنظيم النسل .. وهى كما ذكرنا « مشكلة » معقدة لان عددا كبيرا من الناس لا يؤمنون بتلك « البدع » التى يقدمها لهم العلم من أجل المحافظة على كيان الأسرة ومستواها الاجتماعي ، وخاصة فى الدول الفقيرة التى تحتاج أكثر من غيرها لتطبيق البرامج العلمية التى تعتمد على تنظيم النسل ، كخطوة أولى في سبيل النهوض بمستوى المجتمعات في تلك الدول .

من هنا كانت المشكلة معقدة ودقيقه ! ولهذا تبذل الدول والحكومات جهودا جبارة في سبيل توعية الأزواج بمزايا تنظيم النسل !

ويقول علماء النفس انه لا بد من اقناع الزوجة قبل الزوج بهذه المزايا . فالمرأة في رأيهم اقوى ارادة من الرجل ، ثم يجب الا ننسى انها الأرض التى تنمو فيها البذرة لتقدم لنا الثمرة ! فالرجل يتزوج ليصنع أسرة .. ولكن المرأة وحدها هى التى تستطيع أن تحدد أفراد هذه الأسرة . فاذا عرفت الزوجة متى وكيف تفعل ذلك ، لم تعد هناك مشكلة !

واذا نحن انتقلنا من موضوع تنظيم النسل العام الى مجال الأسرة الخاص ، وجدنا الكثير من التساؤل يرد على خاطر الزوج ، وخاطر الزوجة خاصة ، فيما يتصل بتفصيل ذلك التنظيم .

مثال ذلك زوجة تسأل متى انجب طفلى الأول .. وأخرى تسأل كم من الاطفال انجب ؟

الطفل الأول

ويقول العلماء ان كل زوجين سعيدين يريدان

ان يجنيا ثمرة حبهما وسعادتهما بوصول طفلهما الاول .. وقد اختلفت الآراء في موعد وصول هذا الطفل ، فالبعض يرى أن وصوله مبكرا ، أى بعد الزواج مباشرة يساهم في اكتمال السعادة الزوجية بين الرجل وامرأته ..

والبعض الآخر يرى ، أنه يجب أن تمر فترة من الوقت ، تكون بمثابة فترة انتقال للعروس من حياتها في بيت والديها ، بلا مسئوليات وبلا أعباء ، الى حياتها الجديدة في بيت الزوجية ، وهى مليئة بهذه المسئوليات قبل وصول طفلها الأول.

مسئوليات جديدة

وعندما يصل الطفل الاول ، يبدأ الوالدان يشعران بمسئولية جديدة لا عهد لهما بها من قبل .. وهي ولا شك مسئولية كبيرة تتطلب جهدا من الأب والأم على السواء ، ولو أن الجانب الاكبر منها يقع على عاتق الأم التى تسهر على تربية هذا الطفل وتنشئته !

ويرى بعض العلماء أن وصول الطفل الثانى يمكن أن يتم بعد مجيء الطفل الاول بعامين أو ثلاثة ويرى البعض الآخر انه كلما تاخر وصوله كان هذا أفضل بالنسبة للام ولطفلها الاول على السواء ، ولكن بشرط الا تزيد الفترة بين موعد وصول الطفلين على خمس سنوات باى حال من الأحوال حتى لا يكون هناك فارق كبير بين عمريهما وتفكيرهما . وحتى تتوفر لهما روح « الزمالة » التى يحتاج اليها الأطفال في هذه السن المبكرة . وهذه « الاستراحة » التى تحصل عليها الأم تجدد نشاطها وتعيد اليها صحتها وتجعلها قادرة على تحمل عبء المسئولية الجديدة التى ستبدأ بوصول طفلها الثانى .

طفلان .. لا ثلاثة

هل تنجب الأم طفلا ثالثا ؟

ويختلف العلماء في الاجابة على هذا السؤال ، ففريق منهم يرى أن الأسرة تستطيع أن تكتفى بطفلين ، بل ان أصحاب هذا الرأى يرون أن الأسرة المثالية هى تلك التى لا يزيد عدد الاطفال فيها على اثنين وخاصة اذا كان أحدهما ولدا والآخر بنتا . ولكن قد يحدث ان يكون الطفلان من نوع واحد . وفي هذه الحالة تجد الأم نفسها مدفوعة دفعا الى ارضاء رغبتها في المحاولة مرة اخرى لعلها تفلح في انجاب النوع الثانى الذى افتقدته في طفليها .. وقد تنجح وقد لا تنجح .. ولكن الذى يجب الا تفكر فيه بعد ذلك هو القيام باية محاولة جديدة ، والا فسوف تجد نفسها فجاة وقد اصبحت اما لنصف دستة من الاطفال ليس بينهم « البنت » التى حرمت منها أو « الولد » الذى يريده والده لكى يحمل اسمه !

عبء الأطفال ومشاكلهم

طفلان اذن يصنعان أسرة مثالية سعيدة .. وثلاثة هو أقصى عدد يجب أن تضمه الأسرة من أطفال . وكلما قل عدد الاطفال في الأسرة ، استطاع الوالدان أن يوفرا لهم حياة أسعد وارقى .

فالأطفال عبء كبير ، وكلما كبر الطفل كبرت مشاكله وازدادت نفقاته وكم من أسر محدودة الدخل حرمت نفسها من الاطفال لان حالتها المادية لا تسمح لها بتحمل هذا العبء الكبير . فالأطفال نعمة .. والأطفال نقمة .. وهم يكونون نعمة اذا احس الوالدان انهما قادران على أن يوفرا لهم حياة رغيدة ويصنعا منهم مواطنين عاملين في المجتمع ..

ولكن هذه النعمة تصبح نقمة ، اذا شعر الوالدان انهما أضافا الى أعبائهما عبئا جديدا أعجزهما أو كاد عن مواصلة حياتهما التى لم تخل من دين وهم وقلق واضطراب !

يقول الخبراء : « اذا استطاعت الزوجة أن توفر ثلث دخل زوجها في العام الاول لزواجهما .. « فاهلا بمولودها السعيد ! » . ■■

م • ن

المدّ والجزر عند العرب

بقلم : الدكتور أنور عبد العليم

استاذ ورئيس قسم علوم البحار بكلية العلوم ـ جامعة الاسكندرية

■ « كتب الأستاذ الدكتور احمد زكي في العدد ١٠٥ من مجلة «العربي» مقالا ممتعا عن المد والجزر واسبابه ونظرياته وعن استخدام قوى المد والجزر في توليد الكهرباء وادارة الآلات . وقد رأينا استكمالا للفائدة ان نكتب هذا البحث عن آراء الجغرافيين العرب في العصور الوسطى في المد والجزر ، وكيف أن العرب كانوا أول من استفاد بقوى المد والجزر في ادارة الطواحين والسواقى وذلك منذ أكثر من ألف عام » .

البحار في مؤلفات العرب

لا يكاد يخلو كتاب من كتب الجغرافيا الوصفية او الاقليمية التى وضعها المؤلفون العرب الأول في القرون الوسطى من ذكر باب او فصل عن البحار وعن المد والجزر . ولقد عرفت هذه الكتب تحت اسماء « تقويم البلدان » او « المسالك والممالك »

ولعل اقدم من كتب في هذا الفن هو ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، اللغوى المشهور المتوفي عام ٢٢٥ هـ (٨٦٩ م) في كتاب له عرف تحت اسم « كتاب الأمصار » .

ويليه من الناحية الزمنية احمد بن محمد ابن الطيب السَّرَخْسِي المتوفي عام ٢٨٦ هـ (٩٨٩م) وهو تلميذ الكندى الفيلسوف المشهور ، وله رسالة في « البحار والمياه والجبال » يشير اليها المسعودى في « مروج الذهب » ويقتبس منها رايا للكندى وتلميذه في المد والجزر فيقول : « .. وذلك أن مد الجنوب جزر الشمال ، ومد الشمال جزر الجنوب . فان وافق القمر بعض الكواكب السيارة في أحد المَيْلين تزايد الفعلان وقوِىَ الحَمْىُ (وربما نفسّر نحن الحَمْى هنا بقوة الجذب) واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر الى الجهة المخالفة للجهة التى ليس فيها الشمس » قال المسعودى : فهذا راى يعقوب بن اسحاق الكندى واحمد بن الطيب السَّرَخْسِي فيما حكاه عنه : « ان البحر يتحرك بالرياح » .

ورغم أن كتاب الجاحظ ورسالة السَّرَخْسِي قد فُقِدا منذ وقت متقدّم الا ان المؤلفين المتاخرين قد أشاروا اليهما في كتبهم . وأول مؤلف جغرافي يصل الينا بصورته الكاملة هو كتاب « المسالك والممالك » لأبى القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خُرْدَاذْبَة المتوفي حوالى عام ٣٠٠هـ(٩١٢م). ويبدو أن ابن خُرْدَاذْبَة قد كتب هذا الكتاب حوالى عام ٢٣٢ هـ (٨٤٦ م) وفيه

• كانَ العَرَب أوَّل مَنِ اسْتفادَ بقُوَى المدِّ والجَزْرِ في إدَارَةِ الطواحين والسَّواقي منذ أكثرِ مِنْ عَشْرَةِ قُرُون.

يَرِدُ لأول مرة ذكر ظاهرة بحرية على جانب كبير من الاهمية كما سنرى قريبا .

وبعد ذلك بنصف قرن أتم ابن الفقيه الهمداني كتابه الشهير بعنوان « كتاب البلدان » وذلك في عام ٢٩٠هـ (٩٠٣م) وقد اشار هو الآخر الى الجاحظ كثيرا في هذا الكتاب . ويحتل أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى الذى أشرنا اليه من قبل ، المكانة الاولى بين جغرافيي القرن العاشر الميلادى، وقد وضع هو الآخر كتابه المعروف « مروج الذهب » حوالى عام ٣٣٦ هـ (٩٤٧م) وعقد فيه فصولا عن المدّ والجزر والبحار « وتنازع الناس في المدّ والجزر ، وجوامع ما قيل في ذلك وذكر البحار ووصف ما قيل في طولها وعرضها وابتدائها وانتهائها ومبادىء تكوين البحار».

وفي نفس الوقت الذى ظهر فيه كتاب المسعودى، وُلِدَ ببيت المقدس شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي الذى قُدّر له أن يكون ألمع الجغرافيين قاطبة في العصور الوسطى ، وقد ألف وهو في الاربعين كتابه المشهور بعنوان « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ويرجع تاريخ المسوّدة الاولى منه الى عام ٣٧٥هـ (٩٨٥م) . ويمثل المقدسي خاتمة المدرسة الكلاسيكية الاسلامية في علم الجغرافيا .

ولا نستطيع أن نستطرد في هذا المقام في ذكر باقى المؤلفين العرب القدامى الذين كتبوا في علم الجغرافيا ، بل نكتفي بالاشارة الى عالم واحد هو الادريسي من علماء القرن الثاني عشر الميلادى وقد نال هو الآخر شهرة واسعة عند علماء الغرب بمؤلفه المعروف باسم « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذى كتبه في صقلية في عام ٥٤٨ هـ (١١٥٤م) على عهد الملك روجر من ملوك النورمان، وفيه يصف بحيوية الأقاليم السبعة وبحارها وبلدانها وجبالها وانهارها وغلاتها واجناسها ، كما يشير فيه أيضا الى قصة « الاخوة المغرورين » الذين قاموا برحلة في بحر الظلمات زاروا فيها بعض الجزر القريبة من الشاطىء الافريقى ... ويعتبر كتاب الادريسي في نظر المؤلفين الغربيين « أفضل رسالة في الجغرافيا في العصور الوسطى ».

القصص البحرى وكتب العجائب

ورد ذكر المد والجزر أيضا في القصص البحرية العربية وفي كتب العجائب ، وهى التى تعكس مغامرات الملاحين والتجار والرحالة العرب في البحار والجزر والسواحل النائية ، وتصف في نفس الوقت أهوال البحر وعجائب البر والبحر . وأقدم هذه المؤلفات هى القصة المعروفة « برحلة التاجر سليمان » ويرجع تاريخ تأليفها لحوالى عام ٢٣٧ هـ (٨٥١ م) وهى لتاجر أبحر من سيراف على الخليج العربى الى مسقط ، ومن هناك الى ساحل المليار ، ثم الى سيلان وعبر خليج البنغال الى جزر نيكوبار ، ومنها الى سايجون ، ثم الى ميناء « خانفو » أو كانتون الحديثة في الصين . ثم ظهرت بعد ذلك بنصف قرن مجموعة أخرى من القصص البحرية عرفت باسم « عجائب الهند » لبزرج بن شهريار وهو ربان من رامهرمز على الخليج العربى . وقد تمخضت مثل هذه القصص عن أسفار السندباد المشهورة .

ولقد تعرف الملاحون والتجار العرب بطريق مباشر من خلال أسفارهم البحرية على كثير من الظواهر الطبيعية ، واستطاعوا عن طريق الخبرة والتجربة الشخصية أن ينقضوا كثيرا من التصورات اليونانية القديمة عن البحار . وفي ذلك يقول المسعودى :

« ووجدت نواخذة (ربابنة) بحر الصين والهند

والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة من السيرافين والعمانيين يخبرون عن البحر الحبشي في أغلب الأمور على خلاف ما ذكرته الفلاسفة « اليونان » وغيرهم ممن حكينا عنهم المقادير والمساحة ، وأن ذلك لا غاية له » .

تعريف المد والجزر عند العرب

عرّف المسعودى المدّ بانه « مضيّ الماء في فيْحَتِه وسَيْحته وسنن جَرْيتِه » ، والجزر بانه « رجوع الماء على ضد سَنَن مضيه ، وانكشاف ما مضى عليه في هيجه ، وذلك كبحر الحبش الذى هو الصينى والهندى ، وبحر البصرة وفارس المتقدم ذكره قبل هذا الباب » .

ويستطرد المسعودى فيقول ان البحار على ثلاثة انواع : « منها ما ياتى فيه الجزر والمد ويظهر ظهورا بيّنا ، ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد ويكون خفيفا مستترا ، ومنها ما لا يجزر ولا يمد » .. والواقع أن علماء العرب تكلموا عن المد والجزر بمعنيين مختلفين كما استطعنا ان نستنبط من المصادر القديمة المختلفة :

١ ــ الأول منهما يتعلق بالحركة الراسيةللمياه وهى ظاهرة ارتفاع مستوى سطح البحر وانخفاضه مرتين في كل يوم وليلة ، وربطوا بين هذه الحركة وحركة القمر ، ويعرف هذا المدّ بالمدّ نِصف النهارى ، كما لم يغفلوا أثر الشمس على هذه الحركة أيضا كما يتضح من كلام المسعودى المتقدم ذكره .

٢ ــ والثانى يتعلق بالحركة الأفقية للمياه ، ونعنى بها حركة التيارات البحرية بعامة ، والتيارات الموسمية المنعكسة في المحيط الهندى بصفة خاصة . وجدير بالذكر أن العرب فيالقرون الوسطى ، على ما نعلم ، لم يستعملوا اصطلاح « التيار البحرى » الذى نستعمله نحن اليوم ، وانما عبّروا عن ذلك بالمد ايضا . وفي ذلك يقول الربان العربى سليمان المهرى (القرن ١٦ م) « تفاوت المركب في الجرْى اما لمد لك أو عليك » كما ربط العرب بين المد بمعنى التيار البحرى وبين حركة الرياح . وفي ذلك ايضا يقول الربان العربى احمد بن ماجد (القرن ١٥ م) « والحذر كل الحذر أن تقرب سهيلى (جنوبى) سقطرة (جزيرة سوقطرة) في مابة وخمسين النيروز .. فان عليها مدا شديدا ربما توه مركبا في ذلك المكان » .

المد والجزر نصف النهارى

وأول اشارة الى المد والجزر نصف النهارى ترد في رحلة التاجر سليمان (٨٥٥ م) وهى التى اقتبس منها ابن الفقيه (٩٠٣ م) وصفه للطريق البحرى بين سيراف وكانتون وفيها يقول الأخير « ومن صندر فولات الى الصين مسافة شهر ، الا أن الجبال التى تمر بها السفن مسيرة سبعة أيام، فاذا جاوزت الأبواب صرت الى ماء عذب (مصب) يقال له خانفو (كانتون) يكون فيه مد وجزر في اليوم والليلة مرتين » .

ويصف المقدسي (٩٨٥ م) هذا المد والجزر ايضا في قوله :

« ولهذا البحر الصينى زيادات في وسط الشهر واطرافه وفي كل يوم وليلة مرتين . ومنه جزر البصرة ومدها . فاذا زاد دَفَع دجلة فانقلبت افواه الأنهار وسقت الضياع ، فاذا نقص جَزَرَ الماء » .

ويصف الدمشقى الصوفي (١٣٢٥ م) هذا المد بتفصيل اكبر في كتابه « نخبة الدهر » في قوله : « وكل هذه الأنهار (التى تصب في الخليجالعربى) تمد وتجزر في كل يوم وليلة مرتين ، فاذا مد البحر جرى الماء في شط العرب شمالا وزاد وارتفع فامتلات جميع الانهار والسواقى . ومن اراد ان يسقى ارضه وبستانه فتح وأسقى ، ثم سد ، ولا يزال كذلك الى مضى ست ساعات ثم يقف الماء قليلا ويجزر فيعود جريانه جنوبا كما كان اولا وينقص ، وتفيض الانهار وتخلو السواقى ولا يزال كذلك الى اكثر من ست ساعات ، فان زمان الجزر اكثر من زمان المد . ثم يقف ويعود الى المد وهكذا ابدا ، ويدور المد والجزر في الايام والليالى مثل ما يكون أول يوم أول ساعة وثانى يوم في ثانى ساعة او دونها وكذلك تجزر » .

ومن ذلك نرى أن الدمشقى قد دَوّن ملاحظات دقيقة لأول مرة عن تخلف ميعاد المد والجزر فيكل يوم وليلة عن سابقه بما هو دون الساعة .

المد الفيضي

ثم نجد بعد ذلك جغرافيًا عربيا لامعا هو عماد الدين اسماعيل أبو الفدا المتوفي عام ٧٣٢ هـ ياخد قياسات للذبذبة المدّية ، ويفرق بين المد العالى الذى يحدث في اواسط الشهر العربى وفي آخره وبين المد الذى يحدث بين هذه الاوقات

وذلك في كتابه المعروف بتقويم البلدان فيقول : « ويقع في جميع البحر الشرقي وبحر فارس المذكور المد والجزر في كل نهار وليلة ، وهو أن يرتفع البحر نحو عشرة أذرع ثم يهبط حتى يرجع الى مقداره الأول » ويستطرد فيقول « ان أهل المغرب يسمون هذا المد الذي يحدث في أواسط الشهر العربي فيضا » . ويعتبر هذا الاصلاح مرادفا للاصطلاح الانجليزي الحديث Spring Tide .

الفورة المدية

ويتكلم المسعودي في القرن العاشر الميلادي أيضا عن الموجة المدية التي تدخل مصب الأنهار محدثة دويا وصخبا ، وفيها يرتفع مستوى الماء القادم من البحر على مستوى ماء النهر نفسه . وتعرف هذه الظاهرة عند الاوروبيين باسم Bore فيقول المسعودي « وكذلك المدّ يرد بين البصرة والاهواز في الموضع المعروف بالباسيان وبلاد القندر ، ويسمى هنالك الثنب ، له ضجيج ودوي وغليان عظيم يفزع منه أصحاب السفن »

العرب أول من وصفوا ظاهرة انعكاس التيارات البحرية في المحيط الهندي

وعلى الرغم من أن اليونان القدامى وأمما أخرى غيرهم،قد سوّحت مراكبهم في المحيط الهندي،منذ القرن الأول الميلادي ، الا أن العرب وحدهم كان لهم فضل اكتشاف ظاهرة انعكاس التيارات البحرية في النصف الشمالي من هذا المحيط . وتعتبر هذه الظاهرة من أهم الظواهر التي تميّز هذا المحيط . اذ تسير التيارات البحرية فيه من الشرق الى الغرب في فصل الشتاء ، ومن الغرب الى الشرق في فصل الصيف . ويتبع هذا النظام هبوب الرياح الموسمية في المحيط الهندي بصفة منتظمة .

وأقدم وصف مدوّن لهذه الظاهرة يَرِد في كتاب ابن خُرْدَاذْبَة المتقدم ذكره في منتصف القرن التاسع الميلادي وفيه يقول المؤلف :

« وسئل اشتيامو (جمع اشتيام وهي كلمة فارسية بمعنى الربان أو صاحب السفينة) البحر عن المد والجزر فذكروا أنه انما يكون في بحر فارس على مطالع القمر ، وانه لا يكون في البحر الأعظم (المحيط الهندي) الا مرتين في السنة . مرة يمد في شهور الصيف شرقا بالشمال ستة أشهر ، فاذا كان ذلك طما الماء في مشارق البحر بالصين وانحسر عن مغارب البحر ، ومرة يمد في شهور الشتاء غربا بالجنوب ستة أشهر ، فاذا كان ذلك طما في مغارب البحر وانحسر بالصين»

وليس أبدع في الواقع من هذا الوصف لنظام التيارات آنفة الذكر ، وهو وصف استقاه ابن خرداذبه من أفواه الربابنة ، ولئن دل على شيء فعلى أن العرب قد أفادوا مباشرة من الخبرة والتجربة الشخصية وضربوا صفحا بنظريات فلاسفة اليونان كما ألمحنا من قبل . وكان هذا الأمر في حد ذاته عاملا قويا على تقدم المعلومات الجغرافية في العالم في ذلك الزمن .

آراء العوام في المد والجزر

ومن الطريف ان نذكر أيضا آراء العوام في المد والجزر في تلك الحقبة من الزمن . قال قوم عن سبب المد والجزر ان ملكا موكلا بقاموس البحر اذا وضع ابهامه (وفي رواية عصبه) في بحر الصين فاض وكان المد ، واذا رفعها غاض وكان الجزر . وقال آخرون : ان الحوت يتنفس فيشرب الماء ويرفعه الى منخريْه فذلك الجزر ، ثم يتنفس فيُخرجه من منخريه فذلك المد . ولم يتورع البعض عن نسبة هذه الآراء الى « ابن عباس » و « كعب الاحبار » .

الافادة من قوى المد والجزر

الا ان المقدسي يفند هذه الآراء في القرن العاشر الميلادي ، ويعزو المد والجزر لنظرية القمر ، بل ويخبرنا عند الكلام على اقليم العراق بان أهل البصرة كانوا يفيدون بقوى المد والجزر في ادارة الطواحين – ولعلهم بذلك كانوا أسبق الامم في الافادة من هذه القوة الطبيعية . وفي ذلك يقول المقدسي:«والجزر والمد أعجوبة على أهل البصرة ونعمة ، يزورهم الماء في كل يوم وليلة مرتين ، ويدخل الانهار ، ويسقي البساتين ، ويحمل السفن الى القرى . فاذا جزر أفاد أيضا عمل الأرحية (جمع رَحَى وهي الطاحونة) لأنها على أفواه الأنهار ، فاذا خرج الماء أدارها . ويبلغ الماء الى حدود البطائح ، وله وقت يدور مع دور الاهلة » . ■■

أنور عبد العليم

أنباء الطب والعلم والاختراع

الجوع وأثره في المخ والذكاء

● ان العلماء في اول هذا القرن تساءلوا في امر الجوع ، بسبب الفقر ، ما اثره في الرجال . في امخاخهم . وكان الجواب : ان الأثر غير بالغ .

والى اليوم يرى العلماء هذا الراى ، في البالغين .

ولكن ما بال الاطفال النامين ؟

وهذه قصة اخرى، لم تذكر من قبل.

وبدأ العلماء يجرون البحوث على طوائف في الأطفال حيث الجوع والفقر مقيمان لا يبرحان .

ومن هذه البحوث بحث جرى في طائفتين من عنصر واحد من الناس ، الفرق بينهما ، فرق فقر وستر .

وانتخبوهم وهم في المدارس صبية .

اما الطائفة الاولى فنشأت على الكفاف فما دونه .

واما الطائفة الثانية فنشأت على الشبع .

وكان الفرق بين الطائفتين بيّنا .

الفرق في محيط الجمجمة من ذوى الاعمار الواحدة بلغ بوصة واحدة . ومعنى هذا أن الصبية ذوى اليسار كانوا اكبر جمجمة ، فأكبر مخا .

والذكاء قاسوه . فكانت الطائفة التي نشأت في طفولتها على الفقر لها من الذكاء ما يعادل نحو ٦٠ في المائة فقط ، مما عند الطائفة الاخرى .

سرطان الدم ينقل الى الحيوان لأول مرة

● نجح العلماء أخيرا في نقل سرطان الدم الى الهمستر Hamster : وهو حيوان يشبه الفئران الكبيرة . وهذه اول مرة ينجح فيها العلماء في نقل هذا المرض الى حيوان . اما خطر ذلك فكبير ، فهو سيفتح الباب للباحثين للبحث في هذا الداء الوبيل في الحيوانات ، وهى تعطى العالم الباحث حرية أكثر ، واكثر كثيرا مما يعطيه البحث في المصاب بالمرض من الانسان .

والعلاج ، ان وجد ، ووجب امتحانه، أمكن امتحانه في الحيوان . وفقط بعد التأكد من صلاحه ، يجرب في الانسان .

الثعبان يعرف فريسته بالشم

● هذا ما وجده الاستاذ بورجارت Gordon Burghart بجامعة شيكاجو .

فعنده ان كل ثعبان ، به وحدة من وحدات الوراثة ، المسماة بالجينات ، يتوارثها ابا عن جد ، تدله على الفريسة التى اعتاد جنسه أن يقتات بها . وهى تظهر في الثعبان حديث الولادة .

وهو اهتدى الى ذلك بعد دراسة

الاسنان هل لها لقاح قريب يمنع من تسوسها ؟

● تقول في اللغة العامية ان السن تسوست ، أو اصابها السوس ، ولا نعني بذلك ان السوس قد دخل فيها ، كما نراه يدخل في الحب، كالقمح، فيتلفه. انما نعني ان السن تخرقت . حدث فيها خرق ، وراءه فجوة ، ووراءها فسادها ، والالم منها ، ثم الحشو ، او الاقتلاع .

ويحدثنا اطباء الاسنان فيقولون ان النخر الذى يحدث في السن سببه البكتير . صنوف منه ، هى التى تخرق، وهى التى تحدث التجاويف ، وتأكل باطن السن اكلا .

وقد حدث هذه الايام ان الدكتور فجنر Morris Wagner بجامعة نتردام Notre-Dame اهتدى الى لقاح منع من احداث امثال هذه الفجوات في اسنان الفئران .

ومن اسنان الفئران الى اسنان الانسان شوط قريب .

جاء بفئران ، وقسمها طائفتين ، وانشأهما نشأتين مختلفتين . طائفة انشأها في ظروف عاديه ، وجو عادي ، والاخرى انشأها في جو خال من البكتير . واطعمهما طعاما واحدا به كثير من النشويات والسكريات التى تحدث التسوس في الاسنان . ووجد ان الطائفة الأولى وحدها هى التى نال اسنانها التسويس.

ثم هو جمع بين الطائفة التي عاشت بغير بكتير ، وبين بكتير خاص اسمه العلمى Streptococus Faecalis فحدث ان اسنانها اصابها التسوس .

ثم جاء فجنر بشيء من هذا البكتير ، وصنع منه لقاحا ، بقتله ، ثم حقن هذه الفئران بمستحلب هذا اللقاح ، فتوقف على الفور فساد اسنانها .

لقد اعطاها اللقاح مناعة .

وهل معنى هذا ان مسألة التسوس وجد لها الحل الشافي ؟

بالطبع لا .

فالعلماء السويديون وعلماء الولايات المتحدة عدوا من البكتير الذى يصيب الاسنان ما بين ٢٥ الى ٣٠ نوعا من البكتير . فكيف يكون اللقاح من كل هذا العدد من البكتير .

ويجيب الدكتور فجنر على هذا ، بانه في الامكان اختصار هذا العدد من البكتير الى خمس او ست مجموعات . وهو عدد صغير ليس من الصعوبة بمكان صنع لقاح منه .



ولائد كثيرة لخمسة عشر جنسا من الثعابين .

وهذا العلم الخفى ، الذى اختزنته الوراثة ، وثبتت عليه ، من الصعب تغييره فى الثعبان . انه غريزة .

وقد أعاش الاستاذ بوجارت ثعابين ، مدة ستة اشهر ، غصبا على طعام من اكباد . ومع هذا ظلت الثعابين ترفضها، حتى اذا وضع قريبا منها دودا ، وهو غذاؤها الطبيعى، فما أسرع ما هاجمته ، والتهمته . هذا علما بأن هذه الثعابين ما كانت رات دودا في حياتها قط .

وقد اضاف الدكتور بوجارت بذلك مثلا جديدا كثر مثله فى العصر الحديث ، يؤكد ان لونا واحدا ، او شمًا من نوع ، قد يثير في الحيوان ، انفعالا يؤدى به الى الاعتداء والحرب ، أو الى طلب المغازلة والحب . وهذه توجد في الحيوانات ، على الاقل الدنيئة ، طبيعة.

الهرمون الذكرى فى الرجال والنساء، على السواء

ان الهرمون الذكرى هو الهرمون الذى تنتجه الذكور في اجسامهم، وهو الذى يعطيهم صفات الذكورة التى بهم من اصيلة ومن ثانوية . حتى الشوارب واللحى هى نتائج من عمل هذا الهرمون.

والنساء لهن الهرمون الأنثوى، ينتجنه مع غيره . واليه تنسب انوثتهن .

والمعتقد ان الرجال والنساء ينتجون من الهرمونات هرمونات سواء . الا ان الهرمون الذكرى الذى ينتجه الرجل في جسمه يزيد مقداره ٢٠ مرة عما تنتجه المرأة من هذا الهرمون .

ومن النساء نساء ينتجن من هذا الهرمون اكثر مما تنتج سائر النساء، ويظهر على هؤلاء مظهر الرجولة .

وقد درس الدكتور سذرن Louis Southern واعوانه مقدار ما في دم الرجال من الهرمون الذكرى في ساعات النهار وساعات الليل، فوجد ان مقداره يرتفع ويهبط، وانه يكون اكثر هبوطا عند منتصف الليل، واكثر ارتفاعا عند شروق الشمس . أما عند النساء فلا ـ يكاد يختلف .

ولهذا البحث غايتان : اولاهما : انه يساعد على كشف بعض السلوك الجنسي للذكور والاناث، وثانيتهما : ان الهرمونات تحقن بها النساء والرجال، في التداوى من الأمراض، ومعرفة اختلاف مقدار الهرمونات في ساعات اليوم تؤخذ في الاعتبار عند الضرورة .

افريقيا وآسيا كانتا شيئا واحدا، ثم انفصلتا

اظن اننا ما زلنا نذكر البعثة العلمية الدولية التى قامت ببحث المحيط الهندى فيما بين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٣ .

فقد كان من نتائج هذه البعثة ظهور نظرية تقول ان البحر الاحمر وخليج عدن، كلاهما انشقت عنه الارض، لما تزحزحت الاراضي الآسيوية عن الاراضي الافريقية، وذلك منذ نحو ٦٠ مليون عام .

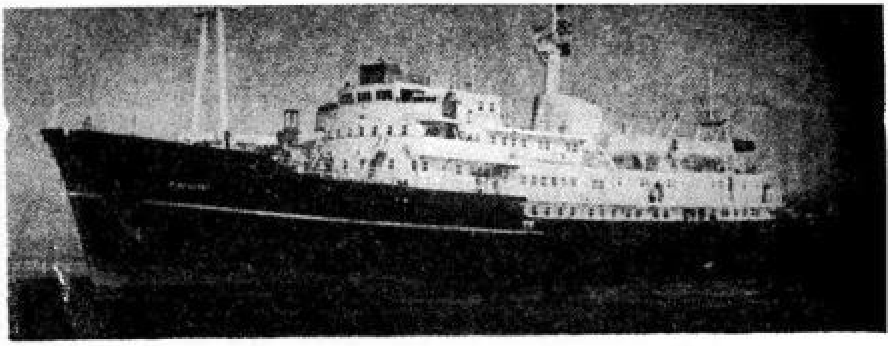
بحث في علاج القلق العنصرى

انها دراسات قام بها الدكتور ليفين Levine ليكشف أسباب الاضطرابات العنصرية التى لا تفتأ تثور في الولايات المتحدة .

وهو يتحدث عن الزنوج فيقول : ان الزنوج يسمعون ما تصدره حكومة الولايات مما يتصل بتوكيد حقوق الانسان، ثم بما ترسمه حكومة الولايات من برامج لمحو الفقر في البلاد، ثم هم ينظرون بعد ذلك في عيشهم اليومى الواقعى، فلا يرون فيه أى تغيير حدث بناء على هذه القوانين وتلك البرامج . عندئذ هم يضيقون ثم يغضبون ثم يثورون .

وهو يقترح على الحكومة الفدرالية انشاء ٤٠٠ مركز في البلاد تنفق عليها الولايات تعدّه لاسكان الزنوج، وتقلهم من احيائهم القذرة الى مساكن محترمة، يكون فيها رفه الحياة، ويكون فيها تأمين العمل للعامل .

وهو يقدر ان النفقة التى يحتاجها مشروع كهذا، تبلغ نحوا من ٢ بليون دولار . ويقول ان ميزانية الولايات لمحو الفقر في العام القادم مرصود لها مثل هذا المبلغ .



انها النظرية التى تقول ان القارات ما فتئت تتحرك منذ ملايين السنين ، وحتى اليوم ، على ضعف تلك الحركة اليوم .

اما خبر اليوم فهو عن سفينة البحث العلمي البريطانية المعروفة ، المسماة الاستكشاف Discovery فهذه السفينة قد عادت من بعد رحلة دامت ١١ شهرا في البحر الاحمر وخليج عدن ، قضتها في اختبار قيعان المياه هناك ، ثم من حيث بنائها ، ومن حيث كيميائها .

وقد كشفت البعثة عن حقائق تؤيد هذه النظرية السابقة الذكر .

العنصر الجديد رقم ١٠٢ اكتشفوا له ٨ نظائر

● يظهر ان تعليم العلوم لا يسير سيرا مرضيا في بعض نواحي الوطن العربي . فقد كنت ذكرت في احدى المقالات ، الكربون الذى وزن ذرته (أو وزنه الذرى) ١٤ . فجاءني خطاب من مدرسة ثانوية يخطئني ، ويقول : ان وزنه الذرى الذى درسناه هو ١٢ . فكتبت اليه اقول له : اسأل مدرسك يخبرك الخبر اليقين . فجاءني ، ويا أسفي على ما جاء ، كتاب منه يقول : انه هو نفسه مدرس الكيمياء في هذه المدرسة الثانوية . واخذ يعدد لى اسماء كتب الكيمياء الافرنجية التى بها الوزن الذرى للكربون هو ١٢ وليس ١٤ . عندئذ اضطررت ان اذكر له ان الكربون له ذرات « نظائر » ، منها ذرتان مختلفتان ، احداهما بنواتها ٦ بروتونات بها شحنة كهرباء موجبة ، وست نيوترونات لا شحنة بها ، لا موجبة ولا سالبة . وهذه هى التى تقول ان وزنها الذرى ١٢ . ولكن الذرة الأخرى بنواتها فوق ما في نواة الذرة الاولى نيوتران اثنان لا يؤثران في شحنة الذرة . فلا يؤثران اذن في خواصها الكيماوية ، فالخواص مبنية على الشحنة . والذرة هذه تكون مثل الاولى كيماويا . انها « نظير » . ولكن وزنها الذرى زاد . انه ١٤ (٦+٦+٢) .

وكلاهما رقمه في ترتيب العناصر ، هو ٦ وهو عدد ما في نواته من بروتونات . انها « الرقم الذرى » .

هذه معلومات شائعة في طلبة المدارس الثانوية High Schools في الامم المتقدمة ، فكيف يجهلها مدرس كيمياء فيها ، ويحاجج بأن الذى وقع منا لا بد ان يكون خطأ مطبعيا .

على كل حال هذه مقدمة وجبت علينا قبل ان نتقدم بالخبر الجديد .

انه يتعلق بالعنصر «المصنوع» الجديد الذى أسموه نوبليوم Nobelium الذى رقمه الذرى في ترتيب العناصر ١٠٢ .

علماء ومهندسون يخشون المستقبل

● اتدرى ما يخشون ؟

انهم يخشون تقدم العلم ، فهؤلاء هم العلماء .

وهم يخشون تقدم التكنية ، فهؤلاء هم المهندسون .

وتفسير ذلك ان العلم والتكنية يتقدمان بسرعة شديدة، فهم لايستطيعون أن يلاحقوهما .

وهم يقدرون ان العلم والتكنية يتقدمان بنسبة ٥ في المائة كل عام . اى بعد ١٠ سنين يتغير نصف العلم الذى تعلموه في جامعاتهم ، او نصف التكنية التى تدربوا عليها .

اذن هم يصبحون نصف كفاة .

واذن هم يخشون البطالة .

وقد أجرى استفتاء في نحو ١٠٠٠ من أصحاب المهن العلمية والهندسية، فأقر ٨٩ في المائة منهم انهم يجدون مشقة كبرى في ملاحقة ما يستجد من معلومات جديدة .

وسئلوا عما ترتبه الجامعات والشركات



من لقاءات للنقاش وتبادل الراى، فرأى المستفتون ان هذه فيها نفع قليل ، وان النفع كل النفع في متابعة التقدم في المجالات العلمية، وحضور الاجتماعات الفنية، وفي الاتصالات الشخصية .

الا يا اهل الشرق : هكذا يشكو اهل الغرب من صعوبة اللحاق . فما قصتكم انتم . انا اعرف منكم من يتابع ، ولكنى اعرف منكم كذلك من لم يفتح كتابا فنيا بعد مغادرته الجامعة .

واسموه نوبليوم عندما صنعوه او ان شئت خلقوه ، لان الذى خلقه هم رجال معهد نوبل للفزياء بعاصمة السويد . وهو العنصر العاشر الجديد بعد آخر عنصر صنعته الطبيعة ، أعنى اليورنيوم، ورقم اليورنيوم في الترتيب ٩٢ .

والخبر يقول ان مختبر لورنس للاشعاع Lawrence Radiation Laboratory بكلفورنيا كشف عن أن هذا العنصر الجديد يوجد على صورة نظائر ثمانية ، ورقمها الذرى (اى رقم ترتيبها في العناصر ؛ وهو كذلك عدد ما في ذرتها من بروتونات) هو ١٠٢ ، اما أوزانها الذرية فتبدأ من ٢٥١ الى ٢٥٨ . والوزن الذرى هو عدد ما بها من بروتونات ونيوترونات معا ، كما سبق ان ذكرنا في الكربون .

هذا ، علما بأن كل العناصر التى هى اثقل من اليورنيوم لا توجد في الطبيعة بمقادير تدرك ، وانما جاءت تخليقا في المختبرات ، من اليورنيوم فصاعدا .

والعلماء كشفوا بالطبع العنصر الثالث بعد المائة (١٠٣) . وكان كشفه في مختبر لورنس المذكور فسموه من اجل ذلك لورنسيوم .

●●

كامل كيلاني

الرائد العربى لأدب الأطفال

بقلم : عبد الغنى
محمد حسنين بدوى

انفعُ الناسَ وحسبي
أنني أحيا لأنفعْ
انفعُ الناسَ ومالي
غيرُ نفع الناس مطمع

كامل كيلاني

نشأته

■ ولد كامل كيلاني في العشرين من شهر اكتوبر عام ١٨٩٧م ، ففى مثل هذا الشهر كان ميلاده منذ سبعين عاما .

والده عبد القادر الكيلاني (الجيلانى) ، وكان يعمل مهندسا . وكانت السيدة والدته تقول الزجل ، سكن في حى القلعة في حضن الجبل وكانت له مربية يونانية مثقفة جدا ، فحكت له الاقاصيص العجيبة التى ملأت كل خياله .

واساتذته منذ صغره هم : الشيخ احمد ابو بكر ـ وهو شاعر ربابه ، وحفظ أيضا قصائد الشاعر الصوفي عبد الغنى النابلسي ، والشيخ محمود الملاح ، والاسطى ، ومحمد الشيخ ، والعرجي .

ذهب الى الكتاب ، واخذ يحفظ القرآن الكريم في المكتب ، ثم اتجه الى المدرسة ، فدخل مدرسة أم عباس الابتدائية ، فمدرسة القاهرة الثانوية ، ونال شهادة البكالوريا ، وعكف على دراسة الادب الانجليزى وحفظ الشعر الذى شغف به ابان نشأته وصباه . ثم تعلم الفرنسية ، وانتسب الى الجامعة المصرية القديمه ، وكان متفوقا في دراسته ، وزميلا لطائفة من رجال الادب من بينهم الدكاترة : زكى مبارك ، عبد الوهاب عزام ، عبد الحميد العبادى ، حسن ابراهيم حسن ، وفريد الرفاعى .

وبعد تخرجه اشتغل مدرسا في المدرسة التحضيرية اذ كان معلما للانجليزية والترجمة ، ثم نقل مدرسا في مدرسة الاقباط الثانوية بدمنهور .



كامل كيلانى بين اثنين من أحفاده واحدى قصصه للاطفال

وفي عام ١٩٢٢ وظف في وزارة الاوقاف وظل فيها حتى يناير عام ١٩٥٤ ، وكان آخر مناصبه بالوزارة منصب سكرتير عام مجلس الاوقاف الاعلى .

عمل كامل كيلاني بالصحافة ، والفن خلال تلك المدة ، فاشتغل رئيسا لنادى التمثيل الحديث عام ١٩١٨ ، ورئيسا لتحرير جريدة الرجاء عام ١٩٢٢ ، ثم سكرتيرا لرابطة الادب العربى من عام ١٩٢٩ الى عام ١٩٣٢ .

كان عمالا دؤوبا

وكامل بطبيعته رجل معتزل ، يحب الوحدة ، ويصرفها في البحث والدراسة ، وكان دؤوبا لا يهدأ ولا يتوقف ، فقد أصبح عمله هذا هواية وغاية طوال حياته : فلم يضيع دقيقة واحدة من عمره سدى ، قال عن نفسه : « ما ضاع من عمري شيء قط . كنت اعمل حتى في يوم المرض ، حيث افكر واتأمل ، وارسم خطط العمل ، فكنت اذهب الى جبل المقطم ومعى كتاب ، وانا في ذلك أومن بالقاعدة التى تقول : العلم اذا اعطيته كلك أعطاك بعضه ، واذا اعطيته بعضك لم يعطك شيئا » .

ظل « كامل كيلانى » يوصل عمله ، حتى بلغ به الجهد يوما ما ، فتوقف بصره مدة اربع سنوات ، ثم رده الله اليه ، لايمانه بالله ، وشغفه بالعمل الذى كان رائده الاول ، وهدفه الاسمى .

وكان من رايه ان المعركة بين اديبين من شأنها أن تجعل الادب يفقد اثنين من

رجاله ، ولذلك كان يؤثر الصمت حين يهاجمه أحد النقاد ، وهو كان يرى بهذا الصنيع يخسر الادب رجلا واحدا .. وشعاره دائما هو : ان يعمل ، ويعمل دائما .

الاسطورة دعامة حياته

وكانت الأسطورة دعامة حياته، ويرجع هذا الى انه ولد في أحضان جبل المقطم. وكان الابن الرابع عشر لأمه ، ولم يظفر بالحياة سواه ، فنشأ في جو صحراوى سحرى يعبق بالأساطير والاغانى ، فألف منذ طفولته العزلة الباكرة ، وفلسفته في هذا انه لا يرتبط مع العالم الا في الضرورة القصوى ، مما أتاح له ان يقرأ ويستوعب ، ويحفظ اكثر من عشرين الف بيت من عيون الشعر العربى ، بخلاف الروائع الأدبية والحكم والامثال ، وحصيلة كبيرة من الفكاهات والاقاصيص .

على الحياد

وطبع كامل كيلانى على الحياد ، فلم يتعصب لاديب بعينه ، ولم يفضل ادبا على أدب، ولا كاتبا على آخر ، ولاقصيدة على أخرى ، اذ كان يرى ان (آية الجمال أنك تعيش مع كل عظيم ، فتراه أشبه بالحسناء التى تنسيك الحسان) .

عاش كامل كيلانى اثنين وستين عاما واشهرا ، حافلة بالعلم والمعرفة ، وكانت وفاته مساء يوم الجمعة، وشيعت الجنازة الى المقر الأخير صبيحة يوم السبت الموافق العاشر من شهر أكتوبر عام ١٩٥٩ .

مواهبه الأدبية

قرا كامل كيلانى : عنترة ، وسيف ابن ذى يزن ، وفيروز شاه ، وحمزة البهلوان ، والظاهر بيبرس ، ثم اندفع يقرأ الأساطير في الأدب الاوروبى ، روبنسون كروزو ، جليفر ، وغيرهما من أساطير الهند واليونان بالاضافة الى قراءة كتب الأدب العربى القديمة مثل : الامالى، والكامل للمبرد ، والعقد الفريد، وقرا أمهات كتب التاريخ .

وبداية كامل كيلانى لحياته الأدبية أوحت الينا بانه سيأخذ مكانه الطبيعى بين صفوف الأدباء والمؤرخين ، بل ان اتجاهه التاريخى كان غالبا عليه في البداية على اتجاهه الأدبى ، تشهد له بذلك مؤلفاته التاريخية، ملوك الطوائف، مصارع الخلفاء ، مصارع الأعيان .

ثم ابرز اتجاهه الى الشعر ، فهو شاعر يخفى آثاره الشعرية ويحتفظ بها لنفسه ، وقد راجع ابن زيدون ، وابن الرومى ، ثم اتصل بالادب الأندلسى ، وترجم كتاب: نظرات في التاريخ الاسلامى، لدوزى ، ثم اتجه بعد ذلك بشغف الى ابى العلاء المعرى وعاش معه طويلا ، وأخرج رسالة الغفران .

شغف الكيلانى بشخصيتين في الأدب العربى ، وكلف بهما كلفا عجيبا وهما : المعرى ، وجحا ، ونراه يقول في ذلك : انهما يجمعان في نفسه اهواءه وأصداء نفسه ، فهو جماع بين المعرى العابس المتجهم ، وجحا الباسم الساخر .

وقد ضاق ذرعا بما أدلى به الأدب الانجليزى من التقدير لشخصية : نصر الدين خوجه : (جمال التركى) . في حين أن جحا العربى : (أبا الغصن دجين بن ثابت) اقدم منه تاريخا ، وأن اغلب ما نسب الى نصر الدين ، انما هو في الحقيقة من آثار أبى الغصن .

الكيلانى آثر القراءة على الكتابة

قال الكيلانى : علينا ان نذكر أن النهار طويل ، والليل أطول ، ومثلى لا يضيع جزءا من وقته في غير طائل ، ومتعتى هى القراءة الموصولة التي تؤدى بطبيعة الحال الى الكتابة الموصولة ، وروافد الثقافة متعددة ، وينابيع المعرفة كثيرة ، فأنا أرافق منذ عهد بعيد أمثال شكسبير وموليير والمعرى ، ودانتى ، وهوجو ،

وموسيه ، وبايرون ، وشيلي ، وديكنز ، وماكولي ، وغيرهم .

ومن هذه المرافقة أفدت كثيرا ، وثارت في ذهني وخاطري مواد مختلفة من علم ومعرفة .

اما عن الكتابة فيقول الكيلاني : ليس لي وقت خاص اكتب فيه ، ولا مكان خاص ، ولا طريقة خاصة ، على ان خير الاوقات التي تحلو لي فيها الكتابة هي الأوقات التي أشعر فيها بأن صحتي احسن ؛ وأن الضعف الجسماني ـ الذي كاد يلازمني ـ قد حل مكانه شيء من النشاط والصحة .. وكثيرا ما اكتب ليلا ، أو نهارا ، او سحرا ، على شريطة الاضطرار الى الكتابة اضطرارا ، وربما حسبتني لكثرة ما اكتب انني مشغوف بالكتابة ، والحقيقة انني ازهد الناس في الكتابة ، ولست اتعب في كتابة الموضوع ، وان كنت اتعب في التفكير فيه قبل كتابته .

وقد حارب الكيلاني اللغة العامية (منذ ربع قرن قبل وفاته) ابان المعركة اللغوية ، فنجده يقول : « أنا أحارب اللغة العامية التي يدعون اليها » أحاربها بكل ما استطيع ، ولكن أسلوبي في محاربتها كما قلت في غير مرة هو (حرب البناء الذي يصنع لبناة التاريخ) .

اتجاهه القصصي وعنايته بادب الأطفال

الواقع أن الاتجاه القصصي عند كامل كيلاني كان نتيجة طبيعية لمعالم شخصيته ولو انه لم يكتب القصة لعق فطرته ، ولظل في عداد الأدباء ، ولم يقفز الى صفوف الرواد .

وفي الحقيقة ان كل اثر من آثار كامل كيلاني ، في مستهل حياته الادبية ، يعطينا ملمحا من ملامح شخصيته القصصية ، قبل أن تندفع بعد ذلك قوية خلاقة ، عندما ابدع هذا اللون الجديد في الادب العربي ، أعني قصص الأطفال . ذلك ان التاريخ ، والشعر ، والأدب ، وكل ما حصل الكيلاني من ذلك ، كلها كانت نوافذ على الفن القصصي واعدادا له . وتفتحت روحه على الأسطورة العربية . فاندفع يقرا كل أسطورة في كل ادب .

ومن طريف ما يروى ، حافزا له على كتابة القصة للاطفال ، انه قص على ابنه الأكبر قصة فرآه بعد ايام يقصها على الخادم بحذافيرها محافظا على أدق اجزائها . وزادت دهشته حينما علم انه قصها مرات على جميع لداته ، لم يحذف منها شيئا فأراد أن يعم هذا النفع لبنيه وسائر الأبناء ، وتوالت قصصه للاطفال من ذلك الحين ، حيث بلغت اكثر من مائتى قصة مطبوعة بخلاف المخطوطات التى تنتظر النشر ، لترى النور والضياء .

وقد بنى الكيلاني قصصه على اسس ثلاثة وهى :

١ ـ الجانب اللغوى
٢ ـ الجانب المعنوى والخلقى
٣ ـ الجانب الموضوعى الهادف

ولقد عني الكيلاني بتنشئة الاطفال ، لانه يعتقد أن طالب الاصلاح في امة يجب ان يبدا عند اول الطريق ، واول الطريق الطفل ، فالعناية به اليوم عناية بالأمة جميعا في غدها .

لقد احس المربى الكبير ان الطفل يقرا قصصه فيعيش فيها ، ويرى فيها الخير دائما ينتصر ، ثم يكبر ويدخل معترك الحياة ، فيجدها كلها صراعا وشرا ، فيصاب عندئذ بصدمة يقف معها مشلولا امام الخديعة التى ظل يعيش فيها كل طفولته وصباه .

ولهذا أخذ الكيلاني نفسه بأن يضع الشر دائما بجوار الخير فى قصصه هو ، ويصور للطفل الصراع العنيف الذى يدور بينهما حتى يكاد يتوقع أن الشر لا بد منتصر ، وتنتهى القصة . ثم هو يجعل الخير ينتصر في النهاية .

وكان هدفه في ذلك ان يغرس في نفوس الأطفال حقيقة الحياة الواقعة ، وهي : ان الحياة لا تخلو من شر ، ولكن على صاحب الحياة بذكائه وحيلته أن ينتصر على شرور الحياة .

وطنيته ورحلاته ودعوته للوحدة العربية

عاصر الكيلاني النهضة الفكرية منذ بدايتها ، وساهم فيها منذ قيامها ، واوذي في سبيلها . ولما اشتعلت الثورة المصرية الاولى ، قذف في اتونها بقصائد من الشعر الحماسي الجديد ، دلالة على وطنيته الصادقة .

وعبر الكيلاني عن رحلاته في العالم العربي بأسلوب فياض ، يطرب منه القارىء لما فيه من سلامة في اللفظ ورشاقة في المعنى ، فهو يصف لنا البلاد العربية عندما زارها وصفا بديعا ويذكر الايام التي قضاها في : فلسطين ولبنان وسوربة . ففي كتابه (مذكرات الاقطار الشقيقة) ، الذي الفه عام ١٩٣٤ بعد عودته من تلك الاقطار يقول : « هي أيام بهيجة قضيتها في فلسطين ولبنان وسورية ، تتضاءل بهجة الأعياد والمواسم اذا قيست الى بهجتها ، وقد مرت على طولها ــ قصيرة ، كما تمر الاحلام الشهية تاركة وراءها أعذب الذكريات ، وابدع الاماني » .. ثم تكلم عن القومية العربية وعواملها ، وعن القومية العربية ووحدة اللغة ، وعن نهضة الشرق ، والدعوة للوحدة العربية الشاملة .

وكانت له ندوة يقصدها الأدباء مساء كل سبت ، يجتمعون فيها لابداء الرأى ، والنقد الادبى ، وغيرها .

اعماله تتلخص فيما يلي

١ ــ مجموعة قصص الأطفال ، وتشتمل على : قصص رياض الاطفال ــ حكايات الأطفال ــ حكايات جحا ــ قصص الجيب ــ قصص مختارة ــ اساطير الحيوان ــ عجائب القصص ــ قصص جحا ــ قالت شهرزاد ــ قصص جغرافية ــ أساطير افريقية ــ قصص من الف ليلة ــ قصص فكاهية ــ قصص هندية ــ قصص تمثيلية ــ قصص عربية ــ قصص شكسبير ــ اشهر القصص ــ أساطير العالم ــ قصص علمية .

٢ ــ مكتبة الكيلاني للشباب : نذكر منها : ملوك الطوائف ــ نظرات في تاريخ الاسلام ــ ديوان ابن الرومي ــ مصارع الخلفاء ــ مصارع الاعيان ــ ديوان ابن زيدون ــ نظرات في الادب الاندلسي ــ ذكريات الاقطار الشقيقة ــ موازين النقد الأدبي .

٣ ــ المكتبة العلائية : منها : رسالة الغفران ، حديقة ابى العلاء ــ على هامش الغفران ، رسالة الهناء .

٤ ــ مجموعة من حياة الرسول : مما هو جدير بالذكر أن يختم كامل كيلاني حياته باخراج السيرة النبوية العطرة في مسرحية مسلسلة تحت عنوان : « من حياة الرسول » لكي ينتفع بها الطفل ، ويكون على بصيرة بالشريعة الاسلامية السمحة من خلال حياة الرسول الاعظم ، هادى البشرية محمد عليه السلام .

٦ ــ المترجمات من العربية الى الاوروبية وبالعكس : قام الكيلاني بترجمة كثير من الأدب الغربي الى الادب العربي لكي يجمع القارىء بين الثقافتين ، وجمعا للنفع .

ونظرا لأهمية مؤلفات الكيلاني وقصصه ، فقد ترجمت بعض كتبه الى لغات شرقية واوروبية ، وقد حازت تلك المجموعات التقدير في مؤتمر طشقند للكتاب ، ومعارض الكتاب العالمية مثل : معرض جاكرتا ، ومعرض طوكيو .

رحم الله كامل كيلاني في يوم ذكراه ، واكرم مثواه ، جزاء ما قدم للناس من علم وعرفان . ■■

عبد الغنى محمد حسنين بدوى
بالقاهرة

دردشة



★★ لقاء فى الآخرة ! ★★

● اكتشفت ارملة رجل امريكي ثري،ان زوجها قد ترك معظم ثروته لاحدى الجمعيـات الخيريـة ؛ وثارت الأرملـة واسرعت تستقل سيارة الى المقابر التي ووري فيها جثمان زوجها منذ بضـعةايام . وقالت الزوجة لحارس المقبرة : « اريد ان أغير ما كتبته على شاهد قبرزوجي ! » .

فقال الحارس : « آسف يا سيدتي ،لقد طلبت ان تكتب : « نم في سـلام يا عزيزي فرانس ! » ولا نسـتطيع ان نغير شيئا الآن ! .

الزوجة : « لا اريد منك الا ان تضيف اليها عبارة : « الىان نلتقي مرةاخرى!!» .

أقوال لاذعة

● ان من لا يـريد أن يفكـر متعصب أعمى البصيرة ، ومن لا يستطيع ان يفكر ابله ! اما من لا يجرؤ على التفكير فهو عبد ! .

سير وليم دراموند

ثمن النجاح !

سالوا هنرى لوس رئيس تحرير مجلة تايم الامريكية ، الذى توفى اخيرا ، فى عيد ميلاده الستين : ماهى الامنية التي تتوق لتحقيقها فى هذه السن ؟

فقال : « ان اعـود محررا . فقد كنت اعمـل ثماني سـاعات فى اليوم ولا احمل هـم شىء فى الدنيا ، ثم اصبحت رئيسا للتحرير ، فاصبحت اعمل ١٦ ساعة يوميا واحمل هموم الدنيا كلها فوق راسى !!

★ حمار ستيفنسون ! ★

● قال روبرت لويس سـتيفنسون Robert Louis Stevenson القصصي الاسكتلندى المشهور ، ومؤلف « جزيرة الكنوز » Treasure Island والاختطـاف Kidnapped ودكتور جبكل ومستر هايد Dr. Jekyll & Mr Hyde انه اكتشـف أن حماره الصغير Modestine ، الـذى استخدمه فى معظم رحلاته ، كان افضل بكثير من عدد كبير من الاصدقاء الذين عرفهم خلال حياته القصيرة،وقد كان هذا الحمار نفسه هو الذى أوحى له باسم قصته الأولى التي كتبها فى ريف فرنسا .

وعندما مات ستيفنسون فى عام ١٨٩٤ عن ٤٤ عاما ، أوصى بجزء من ثروته الكبيرة لحماره العزيز ! .

سألوه يوما ، كيف عثر على حماره ؟

فقال : لقد كان حمارا يتيما تائها . . ولقد عثر هو علي !!

★★ أيهما أهم البقشيش أم خطاب تشرشل؟ ★★

● يروى أصدقاء ونستون تشرشل السياسي البريطاني الراحل قصة طريفة وقعت حوادثها عندما كان تشرشل رئيسا للوزارة أثناء الحرب العالمية الثانية .

فقد اضطر تشرشل يوما الى ان يستقل سيارة تاكسي الى مجلس العموم بسبب عطب مفاجىء أصاب سيارته . وما كاد سائق التاكسي يصل الى المجلس حتى طلب اليه رئيس الوزراء الانتظار لأنه يريد العودة بسرعة الى مكتبه في ١٠ داونتج ستريت .

ولكن سائق التاكسي رفض الانتظار ، وقال انه يريد ان يعود الى البيت ليستمع الى خطاب رئيس الوزراء فى الراديو ! وكان واضحا ان السائق لم يتنبه الى ان راكب سيارته هو رئيس الوزارة نفسه ؟

وسر تشرشل وأجزل للسائق العطاء!.

وهنا حدثت المفاجاة عندما قال السائق فجاة : « سوف انتظرك يا سيدى ، وليذهب تشرشل وخطابه الى الجحيم ! » .

الزوجة القاتلة التي سخرت من لورد اتلي !


اتلى ايام كان محاميا

● كان كليمنت اتلي Clement Attlee زعيم حزب العمال البريطاني الذى توفي فى شهر اكتوبر الماضي ، محاميا قبل ان يشتغل بالسياسة ، ومارس المحاماة أربع سنوات كاملة بعد تخرجه من كلية الحقوق عام ١٩٠٥ .

سألوه يوما عن اهم القضايا التي ترافع فيها ؟ فقال : « لقد كانت قضية امراة متهمة بقتل زوجها ، وقبلت الدفاع عنها بعد ان اقتنعت بأنها كانت ضحية زوج سكير يدمن الخمر ، حتى اذا لعبت براسه انهال عليها ضربا . وفى احدى الأمسيات ، حاولت « المسكينة » أن تدافع عن نفسها، فاستلت سكينا لتخيفه بها ، ولكن ما لبثت ان استقرت في قلبه ومات ! .

« هكذا صورت لي الزوجة ظروف الجريمة وطبيعتها ، ورأفت المحكمة بها ، وقضي المحلفون ببراءتها من جريمة القتل العمد مع سبق الاصرار » .

« ثم مضت ثلاث سنوات ، وحدثت المفاجاة عندما شاهدت نفس المراة تقف فى قفص الاتهام مرة ثانية متهمة بقتل زوجها ! » .

وانضممت الى محامي المجنى عليه ، وطلبت اعادة التحقيق فى القضية التي حكم فيها بالبراءة . وكم كانت دهشتي ودهشة القاضي والمحلفين عندما اكتشفنا ان الزوجة « البريئة » قد قتلت زوجيها الاول والثاني عمدا مع سبق الاصرار ... فحكم عليها بالاعدام شنقا ! » .

وقال لورد اتلي : « وكانت هذه آخر قضاياى ، فقد اعتزلت بعدها المحاماة » .

مونبليه

بقلم : الدكتور يوسف هيكل

■ من عرف مونبليه Montpellier قبل الحرب العالمية الثانية وزارها اليوم يراها كما هي ، مع تغيير في الظاهر طفيف وفي الحقيقة عميق ، سيما في حياة سكانها وطريقة معيشة الطلاب فيها . ومونبليه مدينة ظريفة ، قضيت فيها ثلاث سنوات طالبا قبل الحرب العالمية الثانية ، وازورها كلما استطعت الى ذلك سبيلا ، وآخر زيارة لي لها كانت خلال الايام الاولى من شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٦ .

موقع المدينة ومعنى اسمها

تقع مونبليه على هضبة في جنوبي فرنسا وعلى مسافة متساوية تقريبا بين مرسيليا شرقا والحدود الاسبانية غربا ، وعلى بعد ثمانية كيلو مترات عن البحر الابيض المتوسط .

وسبب انشاء مدينة مونبليه على تلك الهضبة هو انه كان عليها كنيسة صغيرة للعذراء ، وكان الحجاج الذاهبون الى روما او الى القدس يمرون بهذه الكنيسة ويستريحون من عناء السفر .

ووجود الكنيسة ومرور الحجاج بها ادى الى قدوم التجار وسكناهم قرب الكنيسة ، وتبع ذلك قدوم المزارعين وانشاء المدينة .

ومونبليه ليست من المدن العريقة في القدم اذ يرجع تاريخ انشائها الى النصف الثاني من القرن العاشر . وحينما فتح العرب جنوبي فرنسا ، في الربع الثاني من القرن الثامن لم تكن موجودة ، وقد

وعلاقة العرب بجامعتها التاريخية

اصبح لهم علاقة وثيقة بها فيما بعد ..

ويختلف الباحثون عن معنى مونبليه ولم سميت المدينة بهذا الاسم . ومن التفسيرات ان اصل اسم مونبليه هو (مونبلاروم) Allans Puellarum: ومعناه هضبة البنات الجميلات ، اطلقت على الهضبة الواقعة عليها المدينة بسبب الجمال الذى اشتهر به نساؤها .. ثم تحور هذا الاسم الى « مونبليه » Montpellier الاسم الحالى للمدينة .

العرب من سكانها الاصليين :

وقبل عام ٧٣٢ ، تاريخ معركة « تور » بين العرب بقيادة عبد الرحمن الغافقي ، وبين الفرنج بقيادة شارل مارتل ، التى استشهد فيها القائد العربي فادى ذلك الى ارتداد العرب عن شمالي فرنسا ، فتح العرب جنوبي فرنسا واسسوا فيها حكما عربيا دام اكثر من قرن .

ومن المدن التي كانت فى حكم العرب مدينة « ناربون » و « ماكيلون » و « آرل » . وفي زمن شارل مارتل حصن والي « ناربون» يوسف بن عبد الرحمن، مدينة آرل وشيد على المدرج الروماني (الانفيتياتر) الشهير الى اليوم والمستدير الشكل ، اربع حصون منيعة، كل حصنين متقابلين ، وواقعين على اعلى اقسام المدرج . وهذه الحصون لا تزال قائمة ، وقد زرتها ونظرت من اعلاها الى المدينة والقرى الواقعة فى سهولها ، والتي كانت زمنا من التاريخ عربية .

اما مدينة « ماكيلون » Maguelonu فقد هدمت الحروب حصونها واحرقت بيوتها ، وما يزال الى اليوم بعض آثارها منظورا قرب شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وعلى مسافة قريبة من مونبليه التي ساعد سكان المدينة المهدومة على انشائها فى اواخر القرن العاشر . وقد ورثت مونبليه اهمية مدينة « ماكيلون » العريقة فى القدم والاهمية والازدهار والثراء ايام الرومان ، وكانت واقعة فى جزيرة بين البحر الابيض المتوسط والمستنقعات المنتشرة فى تلك المنطقة .

وعندما ما تقلص الحكم العربي من جنوبي فرنسا ظل فيه قسم من العرب مواطنين فى القرى والمدن الواقعة فى تلك المنطقة ومنها « مونبليه » .. وتقاسيم سكان جنوب فرنسا تختلف كثيرا عن تقاسيم سكان شمالي فرنسا . وسكان جنوبى فرنسا هم الى العرب اشبه منهم الى سكان شمالي فرنسا .

وقد ذكر الحاخام الاسباني « بنجامين دى توديل » Benjamin de tudele الذى زار فى الربع الثالث من القرن الثاني عشر المدن الواقعة على الشواطىء الشمالية للبحر الابيض المتوسط ، وصفا لمونبليه هذا ترجمته :

« انها مكان ملائم للتجارة ، حيث يأتي للمبادلة التجارية ، جموع من المسيحيين والمسلمين ، حيث يؤمها بكثرة عرب من المغرب ، وتجار من لمباردى ، ومن مملكة روما ، ومن جميع انحاء مصر ومن فلسطين ، ومن اليونان ، ومن بلاد الغول ، ومن اسبانيا ، ومن جنوا ، ومن بيزا ، ويتكلمون فيها جميع اللغات » .

ومونبليه اليوم عاصمة ولاية « هيرول » Herault وكانت فى

مدى تاريخها « مدينة تجارة » و« مدينة علم » و « مدينة سلطة » و « مدينة مرح » .

ومع السنين ازدهرت مدينة مونبليه وزادت اهميتها بازدهار تجارتها فاصبحت معروفة بانها «مدينة تجارة». وظهور كلية الطب فيها فى اوائل القرن الثاني عشر ، وانشاء كلية الحقوق عام (١١٦٠) ادى الى اشتهارها بانها « مدينة علم » . وفى عام (١٢٨٩) قدر البابا نيكولاس الرابع اهمية كليات مونبليه فمنحها رسميا اسم الجامعة وسلطاتها . . وفى عام (١٣٤٦) اتخذها ممثل ملك فرنسا في الجنوب عاصمة ادارية فاصبحت مونبليه «مدينة سلطة» وتلا تطور المدينة واشتهارها بالتجارة والعلم وبانها مركز ادارى هام ، أن اصبحت « مدينة مسرح » تجذب طلابه من اماكن مختلفة عديدة ، وظلت كذلك حتى اواخر الربع الاول من القرن العشرين . ومما هو جدير بالذكر أن مونبليه كانت خلال القرن التاسع عشر « مشتى » يؤمه أثرياء الانكليز ، قبل أن تنظم السياحة فى نيس والشاطىء الازورى الفرنسي .

علاقة العرب بجامعة مونبليه

ان حكم العرب لجنوبي فرنسا مدة من الزمن ، ومجاورتهم لفرنسا فى الاندلس مدة ثمانية قرون ادى الى استمرار الاتصال « المدني » بين العرب وجنوبي فرنسا ، سيما وأن عددا من العرب بقوا فى جنوبي فرنسا بعد عودة السيادة فى المنطقة الى الحكم الفرنسي .

وللعرب فى الاندلس علاقة بتأسيس جامعة مونبليه التاريخية اذكر ما سمعته عنها :

عندما كنت طالبا فى جامعة مونبليه ، القى البرفسور دالماس ، عميد كلية الطب ، محاضرة فى قاعة محاضرات البلدية عن انشاء جامعة مونبليه عامة وكلية الطب فيها خاصة . واثناء محاضرته قال ما معناه :

« عندما اراد أهل مونبليه في أوائل القرن الثاني عشر ، انشاء جامعتهم ، وجدوا أن ليس في مدينتهم الاساتذة والعلماء ذوو الكفاءة اللازمة لانشاء الجامعة والقاء المحاضرات العلمية العالية ، ففكروا بالاستعانة بجامعات اخرى لهذه الغاية . نظروا اولا الى باريس فراوا انها ليست احسن حالا منهم ، ثم فكروا فى روما فوجدوا انهم احسن حالا منها ، اما انكلترا والمانيا فكانتا لا تزالان فى الاشواط الاولى من العلم والثقافة . وبعد بحث قرروا ان لا مناص لهم من طلب تلك المساعدة الفنية من البلد الوحيد الذى يستطيع أن يمدهم بالاساتذة والخبراء الاكفاء ، وهو الدولة العربية فى الاندلس . اتصلوا بها ، وعرضوا عليها وضعهم فلبت الحكومة العربية طلبهم ، وارسلت الى مونبليه ثلاثة من كبار الاساتذة المشهورين بالطب والعلوم والفلسفة . عكف هؤلاء على مهمتهم ، واخذوا ينظمون الجامعة ، سيما كلية الطب ، مع الاساتذة الفرنسيين ، كما القوا المحاضرات العلمية فيها ، خلال ثلاث سنوات . وبعد ذلك وجدوا أن في امكان الاساتذة الفرنسيين الاستمرار فى عملهم دون الحاجة اليهم ، فاستأذنوا فى العودة الى اعمالهم فى جامعاتهم فى اسبانيا العربية » .

ويدعو قول البروفسور دالماس الى التعليق بأن المساعدات الفنية او العلمية التى تقوم بها الولايات المتحدة الاميركية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، بموجب منهاج « النقطة الرابعة » ليست جديدة ، بل كانت معروفة عند العرب خلال القرون الوسطى . والجديد فى « النقطة الرابعة » ليس مضمونها وانما الاتجاه الذي سارت فيه . فقد كانت من الشرق الي الغرب ، وهي اليوم من الغرب الى الشرق .

معالم المدينة

والمدن الفرنسية كغيرها من المدن الاوروبية تتميز احداها عن الاخرى بمعالمها الخاصة ، خلافا لوضع المدن في امريكا ، اذ بينها تشابه كبير ، ومن يرى مدينة كانه راى جميعها .

ولمونبليه مميزاتها الخاصة ومنها متنزه « البيرو » ، الواقع على هضبة مشرفة على البحر الابيض المتوسط ، وعلى جبال البرنيه وجبال الالب . وهذا المتنزه الظريف هو مكان لنزهة سكان المدينة ، سيما الطلبة منهم ، فانهم ينتشرون فيه قبيل الظهر وفي الاصيل حتى ما بعد المغيب . وفي وسط البيرو تمثال كبير من البرونز للويس الرابع عشر يمثله ممتطيا جواده . ولصانع هذا التمثال قصة : لقد نسي الفنان ان يضع ركابا للسرج ، ولذا يشاهد الملك على ظهر جواده ورجلاه لا تستندان الى ركاب . ولما فطن الفنان الى سهوته ، حزن وتألم وانتحر .. وامام مدخل المتنزه قوس نصر جميل شيد على شرف لويس الرابع عشر . وفي الجهة الغربية من المتنزه « قصر الماء » وهو بناء انيق امامه بركة ماء واسعة « يتخطر » على مائها البجع الابيض الظريف . ويتصل بقصر الماء « مجرى » للماء ، بني من الحجر واقيم في القرن الثامن عشر على اقواس حجرية ..... Aguedue جميلة طولها (٨٨٠) مترا ، يأتي بالماء من عين بعيدة . ومنها بستان النبات (..... Botanical Garden) وهو أقدم بستان من نوعه في فرنسا ، انشىء في عهد هنري الرابع . ونرى فيه الطلبة يدرسون تحت ظلال الاشجار ويتنزهون .. ومنها الكتدرائية التي يرجع عهدها الى القرن الرابع عشر ، وبجانبها كلية الطب التي تشغل بناء دير الرهبان البندكيين ، ومنها ايضا « ساحة التياترو » وهي مستطيلة الشكل وفي وسطها متنزه مبلط بيضوي الشكل في وسطه تمثال « العذارى الثلاث » . وعلى جوانب هذه الساحة بناء التياترو الجميل وابنية تجارية مختلفة .

والمدينة القديمة لا تزال قائمة ، وابنيتها التي ترجع الى القرن الخامس عشر والسادس عشر ، لا تزال كما هي تعتز بجمالها واناقتها ، وتمر بينها الشوارع الضيقة والمعبدة بالحجارة المستطيلة ، والتي في بعضها اهم المتاجر الحديثة الشكل والتنظيم ، تقف فيها البائعات الانيقات الجميلات يعرضن على الزائرين نفائس ما لديهن من بضائع .. غير ان انتشار الأحياء الجديدة حول المدينة القديمة آخذ بالاتساع ، ولا غرابة في ذلك اذ كان عدد سكان مونبليه ايام ما كنا طلابا فيها قبل الحرب العالمية الثانية ، حوالي ثمانين الف مواطن ، بينهم حوالي خمسة آلاف طالب . اما اليوم فعدد السكان حوالى مائة وخمسين الفا بينهم حوالي خمسة عشر الف طالب .

ان زيادة عدد الطلبة في جامعة مونبليه الى ثلاثة اضعاف عددهم ، حمل وزارة المعارف على انشاء ابنية جديدة لبعض الكليات . فأقامت ابنية حديثة خارج مونبليه القديمة ، احداها لكلية الآداب ، وهكذا ، تمكنت كلية الحقوق ، الواقعة في حي من احياء المدينة القديمة ، من التوسع باستغلال الجزء الذي كانت تشغله من بنائها كلية الآداب ، وشيدت بناء آخر لكلية العلوم ، وثالثا لكلية الصيدلة . كما اقامت ابنية للمختبرات ، ولسكن الطلبة ولمطاعمهم ، ولنواديهم .. فالقسم الاكبر من الجامعة هو اليوم في الاحياء الحديثة لمدينة مونبليه . اما كلية الطب ففي مكانها الاصلي الملاصق للكتدرائية ، غير ان وزارة المعارف انشأت بناء واسعا جدا وملاصقا للبناء القديم خصصته لمختبرات ومحاضرات تلك الكلية ■■

يوسف هيكل

طرائف عربية

تهرب

● كان احد البخلاء يقول لزواره اذا اتوه :

هل تغديتم اليوم ؟ فان قالوا : نعم ، قال : « والله لولا انكم تغديتم لاطعمتكم لونا ما اكلتم مثله ولكن ذهب اول الطعام بشهوتكم » . وان قالوا : لا قال : «والله لولا انكم لم تتغدوا لسقيتكم اقداحا من نبيذ الزبيب ما شربتم مثله » فلا يصير فى ايديهم منه شيء .

تزوج بعشرة !!

● قال رجل لحيوة بن شريح : انى اريد ان اتزوج ، فماذا ترى ؟ قال : كم المهر ؟ قال : مائة دينار . قال حيوة : لا تفعل يا هذا تزوج بعشرة ، وابق تسعين للملمات فان وافقتك ربحت التسعين ،وان لم توافقك تزوجت عشرا ، فلا بد فى عشرة نسوة من واحدة توافقك وترضى بك

قال له الحوت ... !

● بينا قوم جلوس عند رجل من اهل المدينة ياكلون عنده حيتانا اذ استأذن عليهم اشعب فقال احدهم ان من شان اشعب البسط الى اجل الطعام ، فاجعلوا كبار هذه الحيتان فى قصعة بناحية ، ويأكل معنا الصغار ، ففعلوا واذن له فقالوا له : كيف رايك فى الحيتان ، فقال والله ان لي عليها لحردا شديدا وحنقا لان ابى مات فى البحر واكلته الحيتان . قالوا له : دونك خذ بثأر ابيك . فجلس ومد يده الى حوت صغير ثم وضعه عند اذنه ، وقد نظر الى القصعة التى فيها الحيتان الكبار فى زاوية المجلس فقال : اتدرون ما يقول لي هذا الحوت ؟ قالوا لاندرى ، قال : انه يقول : انه لم يحضر موت ابي ولم يدركه ولكن قال لي : عليك بتلك الكبار التى في زاوية البيت فهى ادركت اباك واكلته !

ديك

● ولى رجل قضاء الاهواز ، فابطات عليه ارزاقه وحضر عيد الاضحى وليس عنده ما يضحى به ، ولا ماينفق ، فشكا ذلك الى امراته واخبرها بما هو فيه من الضيق : وانه لا يقدر على الاضحية فقالت له : لا تغتم فان عندى ديكا جليلا قد سمنته ، فاذا كان يوم الاضحى ذبحناه .

● ليس شيء اضر بالسلطان من صاحب يحسن القول ولا يحسن الفعل ، ولا خير فى القول الا مع الفعل :ولا فى المال الا مع الجود ، ولا فى الصدق الا مع الوفاء ، ولا فى الفقه الا مع الورع ، ولا فى الصدقة الا مع حسن النية ، ولا فى الحياة الا مع الصحة .

ما القلب الا للحبيب الاول

● تزوج رجل امراة حديثة على امراة له قديمة فكانت جارية الحديثة تمر على باب القديمة وتقول :

وما تستوى الرِّجلان رجْلٌ صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشُلَّتِ

ثم تعود وتقول :

وما يستوى الثوبان ثوب به البلى وثوب بأيدى البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على الحديثة وانشدت :

نَقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل

يرسب ويطفو

● اختصم الى زياد بنو راسب وبنو طفاوة فى غلام ادعوه ، واقاموا جميعا البينة عند زياد . فاشكل على زياد الامر . فقال احد الجالسين : اصلح الله الامير ، قد تبين لي فى هذا الغلام القضاء ، ولقد شهدت البينة لبنى راسب وان طفا فهو للطفاوة ، فغلب على قال : وما عندك فى ذلك ؟ قال : ارى ان يلقى فى النهر ، فان رسب فهو لبنى راسب ان طفا فهو للطفاوة ، فغلب على زياد الضحك ثم قال له الم انهك عن المزاح فى مجلسى ؟ قال : اصلح الله الامير : حضرني امر خفت ان انساه ، فضحك زياد .

كريم

فبلغ جيرانه الخبر فاهدوا له ثلاثين كبشا وهو فى المسجد لا يعلم ، فلما صار الى منزله ورأى ما فيه من الاضاحى قال لامراته . من اين لك هذا ؟ فقالت له : اهدى لنا فلان وفلان حتى سمتهم له قال لها : ياهذه تحفظى بديكنا هذا فهو كريم لانه فدى بثلاثين كبشا !

لكل مثل قصة

بقلم : سلمى الحفار الكزبرى

■ يعتبر (مجمع الامثال) لاحمد الميداني النيسابوري مصدرا يكاد يكون فريدا لامثالنا ، وقد صدر في القرن الثاني عشر للميلاد وضم ستة آلاف مثل ونيفا . فاذا أعرناه بعضا من اهتمامنا وجدنا فيه من القصص الطريفة ما يغرى بالتأمل والدرس .

وكثيرا ما تتردد على السنتنا امثال جميلة معبرة ، من غير أن نتحرى عن الباعث الاصلي لها ، فاذا فعلنا وجدنا انها خلاصة لحادث تاريخي او اجتماعي يجدر بنا أن نقف عليه ، لاهميته من جهة ، ولطرافته وحسن صياغته من جهة ثانية . ومن امثلة ذلك : ــ

« كل فتاة بابيها مُعجَبة »

انها جملة مأثورة كانت العجفاء بنت علقمة السعدي أول من قالها ، فذهبت مثلا ذاع بين الناس ، وخلّد على مر العصور ، يضرب في عُجب الانسان برهطه وعشيرته .

كان الدافع لقول العجفاء هذا انها خرجت للتنزه ذات مساء مع ثلاث نسوة من قومها ، وكانت العجفاء من ذوات الأدب والظرف والذكاء ، فجلسن يتبادلن اطراف الحديث ، فتساءلن :

ــ أى النساء ياترى أفضل ؟

فقالت احداهن :

ــ الخرَوُد الودود الولود .

وقالت الثانية : خيرهن ذات الغناء ، وطيب الثناء ، وشدّة الحياء .

وقالت الثالثة : خيرهن السَّموع الجَموع النّفوع غير المَنوع .

وقالت العجفاء : خير النساء الجامعة لاهلها ، الوادعة ، الرافعة لا الواضعة .

ثم تساءلن عن افضل الرجال ، فقالت احداهن :

ــ ان أبي يكرم الجار ، ويعظّم النار ، ويَنحر العِشار ، ويحمل الامور الكبار .

وقالت الثانية : ان ابى عظيم الخطر ، منيع الوَزَر ، عظيم النفر ، يُحمَد منه الورد والصَدَر .

وقالت الثالثة : ان ابى صدود اللسان ، كثير الاعوان ، يروى السنان عند الطعان .

فقالت العجفاء عندئذ : (كل فتاة بأبيها مُعجَبَة) .

(رجع بخفّي حنَين)

كثيرا ما نستشهد بهذا المثل في مختلف البقاع العربية عندما نصف من يكلّف بمهمة او يذهب الى حاجة فيرجع خائبا. قصة هذا المثل ان اسكافا اسمه حنين اختلف مع اعرابي في بيع خف من صنعه اذ ساومه الاعرابي على ثمنه مساومة

شديدة : فغضب حنين وعزم على الكيد للاعرابي والسخر منه . وكان يعرف وجهة مسير الاعرابي ، فسبقه الى الطريق ووضع شقا من الخف فيه ، والقى الشق الآخر على مسافة من الشق الاول واختبأ بين موضع الخفين فلما مر الاعرابي نظر الى الخف وقال :

ـ ما اشبه هذا الخف بخف الاسكاف حنين !

ومضى في طريقه ، فلما عثر على الخف الثاني ندم على ترك الاول ، فعقل ناقته واخذ الخف بيده وعاد من حيث اتى في طلب الاول . عندئذ خرج حنين من مخبئه واخذ الناقة وما عليها ومضى مسرعا وعندما رجع الاعرابي الى قومه سألوه :

ـ بماذا اتيت من سفرك :

فاجاب متحسرا : رجعت بخفي حنين . !

(لا عطر بعد عروس)

اذكر اني رددت هذا المثل اكثر من مرة قبل ان اكون عرفت معناه الصحيح، فكلمة (عروس) كانت الداعي للالتباس، اذ ان عروس اسم لرجل كان زوجاً لاسماء بنت عبد الله العذرية فمات عنها وتزوج بها رجل اسمه نوفل ، كان بخيلا دميما بخلاف الاول . فلما رحل بها نوفل مرت على قبر عروس وجلست تبكي وترثيه ، فأمرها زوجها بالنهوض وسقطت منها قارورة عطر كانت تحملها، فقال لها : (خذي قارورة العطر) فاجابت : (لا عطر بعد عروس !) .

(وافق شنٌ طبقة)

انه مثل قديم جميل نستشهد به في معرض الاستهزاء ، أغلب الاحيان ، بينما تشير قصته الى انه اطلق على التوافق التام في المزايا وطيب الخصال بين الرجل والمرأة . كان شَنّ رجلا من دهاة العرب فعاهد نفسه على ان يتزوج فتاة في مثل مستواه ، واخذ يجوب البلاد باحثا عن امنيته . وذات يوم شد الرجال برفقة احد اصحابه قاصدا بلدة ذلك الرجل ، وكانت الطريق طويلة فقال له شن :

ـ اتحملني ام احملك ؟

فسكت الرجل واحتار في الجواب لانه لم يفهم قصده . وعندما مرا على زرع محصود سأل شن رفيقه :

ـ أآكل هذا الزرع ام لا ؟

فلم يفهم الرجل قوله وظل صامتا . وبينما كانا يجتازان قرية مرت بهما جنازة فقال شن لرفيقه :

ـ احيٌ من على هذا النعش ام ميت ؟

فذهل الرجل وازداد حيرة في امر صاحبه . ولما بلغا دار الرجل دخل هذا على آله وقص عليهم حكايته مع ضيفه شن ، وكانت للرجل ابنة اسمها طبقة فقالت لابيها :

ـ يا ابت ما هذا الرجل الا فطنٌ داهٍ ، فقد اراد بقوله « احملك أم تحملني » احدثك أم تحدثني ، لنخفف عنا عناء السفر . واراد بقوله (أآكل هذا الزرع ام لا) هل باعه صاحبه واكل بثمنه أم لا . وقصد بتساؤله عند مشاهدة الجنازة : هل للميت أولاد يحيون ذكره ام انه لم يخلف احدا .

فخرج الرجل الى شن ونقل له قول ابنته ، فاعجب شن بذكائها وخطبها في الحال ، ثم حملها الى اهله مسرورا ، فقالوا بعد ان راوها ووقفوا على فطنتها : (وافق شنٌ طبقة) .

وهكذا نرى ان اكثر امثالنا ظلت حية تتناقلها الاجيال دون أن تعرف مصدرها . كما ان بعض هذه الامثال اصبحت تستعمل في غير المواضع او المناسبات التي قيلت فيها اصلا اذ طرا على مراميها بعض التحريف . ولكن المهم في الامر ان معظم امثالنا القديمة ما زالت تتمتع بجدتها وطلاوتها على مر العصور . ■■

سلمى الحفار الكزبري



رمضان كريم

قصة بقلم : حسين القبانى

■ ان السيد كمال يعيش هذه الايام فى دهشة تنم عليها ملامحه ، ويكشف عنها حديثه مع كل من يانس فى الحديث اليه .

وهو يقول لك مؤكدا انه لا يكاد يصدق ما طرا عليه من تغيير هائل فى هذه الفترة الاخيرة .. فى سبعة أيام فقط من شهر رمضان .

ولكن المؤكد انه يذكر تماما اللحظة التى بدات فيها بوادر هذا التغيير العجيب الذى جعله هذه الايام فى دهشة من أمره .

لقد استيقظ فجاة من نومه العميق فى سكون الليل .. وفتح عينيه وتلفت حوله فلم يجد زوجته بجواره . ولكنه لم يلبث ان سمعها وهى تصلى بجوار الفراش تدعو له بالهداية والاستقامة والتوفيق ، وتطلب من الله أن يرضى عنه ، وان يهديه سواء السبيل ، وان يجعله من الذين يرزقهم بغير حساب .

ولم تكن تلك أول مرة يسمع فيها السيد كمال زوجته وهى تتوضأ وتصلى فى سكون الليل .. احيانا فى الفجر ، واحيانا قبيل الفجر .. وكان فى كل مرة يستدير بظهره اليها ، ويحاول أن يعود الى استغراقه فى النوم وهو يتمتم لنفسه قائلا :

« ولية مجذوبة .. ! » .

ولكنه فى هذه المرة لم يستطع أن يستدير بظهره اليها ، ولم يجد فى نفسه رغبة فى العودة الى النوم أو الاستغراق فيه ، وانما أحس بشعور غريب يخامره ويملأ نفسه بنوازع غامضة ساحرة كانها ـ كما حاول أن يصفها ـ أصابع نورانية تفتح فى أعماق روحه أبوابا كانت مغلقة .

وظل في مكانه متظاهرا بالنوم .. أو لعله ابى ــ في غير وعي منه ــ أن يخرج نفسه من هــذا الاحساس النوراني الجميل ..

وسرعان ما ضج المسكن بالحركة رغم تلــك الساعة المتأخرة من الليل . ولم يعجب السيد كمال لهذه الحركة .. فقد كانت زوجته والاولاد يتأهبون لتناول السحور استعدادا لصيام أول يوم من شهر رمضان .

ولولا ذلك الاحساس الجديد الذى يغمره لصاح فيهم ، كعادته فى كل عام ، أن يكفوا عن هــذا الضجيج ، وأن يحرصوا على راحته .. ولكنه فى هذه الليلة أحس بما يشبه الاستمتاع وهو ينصت الى ضجيجهم وأحاديثهم المترنمة بالبهجة والسرور بسبب مقدم أحب الشهور الى نفوسهم .

حتى ناجى ، أصغر أطفاله !

كان أكثر اخوته ضجيجا وابتهاجا . وقد سمعه يقول لأمه بذلك الفضول المعروف عنه :

ــ « هوا بابا حا يسحر معانا ؟ » .

وهمست الأم بصوتها الحانى الرقيق :

ــ لا يا حبيبى . بابا تعبان ..

ويعود الطفل الماكر الى القول فى الحاح :

ــ أبدا يا ماما .. دا بابا صحته كويسة و .. وتخين كمان .

ونهرت الأم طفلها وطلبت منه الا يتدخل فيما لا يعنيه .

وهز السيد كمال رأسه وهو يردد كلمات ابنه الصغير : بابا صحته كويسة وتخين كمان .

ان الطفل ببراءته لم يذكر غير الحقيقة .

والحقيقة هى أن السيد كمال صحيح الجسم، بدين الى حد ما ..

وأهم من هذه الحقيقة انه لم يفكر يوما فى صوم رمضان .

انه لا يدرى سر اصراره على الافطار فى رمضان .. فهو لم يجرب الصوم فى حياته . ليعرف ان كان يطيقه أم لا .. وهو لا يذكر منذ طفولته ان أحدا طلب منه أن يصوم .

ربما لانه عاش يتيما لا يهتم بأمره أحد ، وربما لانه نشأ في بيت عمه .. وكان عمه رجلا واسع الثراء منحرف التفكير ، يعتقد أن مظاهر الحضارة تتعارض مع ممارسة الشعائر الدينية ..

أيا كان سر امتناعه عن الصوم فى رمضان ، فانه ليتساءل في نفسه لاول مرة عن سر هذه البهجة التى تمتلىء بها نفس اولاده وزوجته كلما هل شهر رمضان ، وكلما شرعوا فى حرمان انفسهم من الطعام والشراب أكثر من اثنتى عشرة ساعة كل يوم !

لقد كاد أن يخرج عن طوره في العام السابق حين رأى ابنه « سالم » الذى لم يكن قد بلغ التاسعة من عمره ، يلهث ظمأ قبيل الغروب ، ومع ذلــك تحمل قسوة الظمأ حتى لحظة الافطار ..

وقد حاول فى هذا العام ، كعادته فى كل عام ، أن يغرى بعض أبنائه بالافطار ولكنه باء بالفشل المعتاد في كل عام .

وكان يرجع فشله الى تدين زوجته وقدرتها العجيبة على بث جانب من هذا التدين فى نفوس ابنائها .

ولكن ما باله في هذه الليلة ساكن لا يريــم ، ولا يحتج على صخب الاولاد وضــجة ابتهاجهم بالسحور !

ثم ما بال هذا الاحساس الجديد الذى ملأ نفسه بنوازع غامضة ساحرة كأنها ــ كما حاول أن يصفها ــ أصابع نورانية تفتح في أعماق روحه أبوابا كانت مغلقة .

ثم ما باله هو يتمتم لنفسه فجأة وكأنه مدفوع بقوة غامضة قائلا « نويت صيام غد من شهر رمضان ايمانا واحتسابا لوجه الله الكريم » .

نفس صيغة النية التى طالما سمعها تتردد على شفاه زوجته .

وتنفس بعمق ، وخامره احساس الانسان الذى ازيح عن كاهليه عبء ثقيل كان ينوء به سنوات وسنوات ..

ونهض فى الصباح خفيفا طــروبا ، على غير العــادة ..

ونظرت اليه زوجته فى عجب خفيف وهى تراه

يطلب ما يريد بصوت هادىء ووجه اقرب الى الابتسام منه الى العبوس .

وهو لا ينسى في حياته نظرة الدهشة الممزوجة بالفرحة الغامرة التى اطلت من عينيها حين طلب منها الا تعد له افطار الصباح .. لانه صائم !

ويبدو ان الصغير الماكر ناجي سمع اباه ، فاذا هو يثب من فراشه ويصفق فى زئاط قائلا :

ـ بابا صايم .. بابا صايم . !

واسرع السيد كمال بالخروج الى مقر عمله قبل أن يتمادى الابناء في الاعراب عن دهشتهم وسرورهم ..

ورأى فى الطريق ما كان يراه عادة من هـذه المظاهر التى طالما ثار عليها واحس بالرغبة فى مقاومتها باللفظ العنيف .. ولكنه في هذه المرة كان هادىء النفس وهو يسمع بعض العبارات القاسية التى وجهها سـائق السيارة لاحـدى الراكبات الفقيرات، وبهذا الهدوء النفسي استطاع ان يجعل السـائق يعتذر للسيدة قبل هبوطها من السيارة .

ولم يشعر بالغضب كعادته حين لمح ساعي مكتبه ينهض متكاسلا لاستقباله ، بل لقد حياه فى مودة ووضع يده على كتفه وهنأه بشهر الصوم ، ثـم دس فى جيبه ورقة مالية وطلب منه أن يشترى بها بعض الحلوى والفطائر لأولاده ، وأخيرا ، طلب منه الا ينهض واقفا كلما رآه داخلا او خارجا من مكتبـه .

ودخل غرفة مكتبه الفاخرة تاركا السـاعي يغمغم فى دهشة وعجب ، ثم يضرب كفـا بكف ويهمس لزميل له قائلا :

ـ الريس النهار ده مش طبيعي خالص .. و

ورد الزميل عليه فى تساؤل :

ـ ازاى .. ماله ؟

ـ زى ما يكون واحد تانى ..

ـ عجيبة !

ـ هدوء ايه .. وطيبة ايه .. وسماحة وشإيه .. انا يا عالم مش مصدق ..

وفى خلال نصف ساعة ، كان مثل هذا الحديث الذى دار بين الساعي وزميله يدور بين مرؤوسى السيد كمال فى غرفتهم الخاصة .

لقد ذهب احد مرؤوسيه اليه بالملفات وبعض القرارات لتوقيعها . واكتشف السيد كمال خطا في احداها .. وتوقع الموظف ـ كالمعتاد ـ ان يسمع من العبارات ما هو اسوا من السهام على القلب . وهيا نفسه للموافقة على انه كذا وكذا من اصناف الحيوانات وانه انسان فاشل ، وانه مهمل ، وانه غبى .. الى آخر مجموعة العبارات التى اصبح يحفظها عن ظهر قلب .

واغمض عينيه نصف اغماضة كما يفعل البعض حين يتوقعون الاذى المباشر . ولكنه لشد ما كانت دهشته حين سمع السيد كمال يقول له بصوت هادىء :

ـ انت صايم يا عبده افندى ؟

ـ ايوه يا فندم .. الحمد لله ..

ـ طيب يا سيدى .. كل سنة وانت طيب رمضان كريم .

ـ الله اكرم يا فندم .. وسيادتك بخير ..

ـ روح صلح الغلط دا .. وتعال .. والمفروض ان الصيام يخلي الواحد يفتح ولا يغلطش .

ـ تمام يا فندم تمام ..

ـ اتفضل مع السلامة .

وراح الموظفون يتبادلون الاحاديث عن هـذا « الانقلاب » العجيب الذى طـرأ على رئيسهم « المؤذى » .. وقال احدهم .

ـ يمكن صايم ..

ـ ورد آخر :

ـ مش ممكن .. دا عمره ما عملها ..

وقال آخر :

ـ نسأل السـاعي ..

وجاء الساعي وسألوه ، فاجاب :

ـ ايوه .. الرئيس صايم النهار ده .. دخلت له بالقهوة ، فقال لى بالحرف الواحد :

وأردف الساعي قائلا وهو يقلد صوت السيد كمال :

ـ ما تنساش يا مرسى اننا فى رمضان !

وتضاعفت دهشة المرؤوسين حين راوا السيد كمال ـ لاول مرة فى حياته ـ يدخل عليهم ، ويصافحهم ، ويقول لهم كل عام وهم بخير ..

وشعر السيد كمال بعد الظهيرة بدوار ضعيف وبثقل فى راسه ، وبالرغبة الشديدة فى النوم . ولكن ذلك الاحساس الجديد جعله يستهين بهذا كله .. بل جعله يدهش من هذه القوة الغامضة التى امتلأت بها ارادته .. انه ليشعر باشد الحنين الى التدخين .. وان علبة السجائر فى جيبه ، وهناك اخرى فى درج مكتبه ، وان فى مقدوره ان يدخن ببساطة دون ان يراه احد ، بل دون ان يبالى باحد .. ولكنه يابى ـ وربما فى اول مرة فى حياته ـ ان يخضع لرغبات نفسه بقوة ارادته وبمحض اختياره واحس فى تلك اللحظات بانه انسان قوى .. وان قوة الانسان ليست فى عضلاته بقدر ما هى فى عزيمته وارادته ، وادرك بوضوح انه بقدر سيطرة الانسان على رغباته ، يمكنه ان يحقق ما يشاء من آمال ..

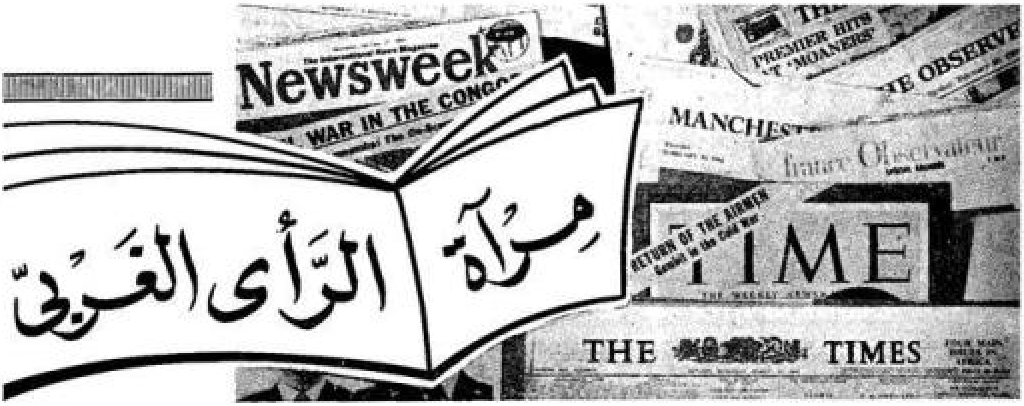
والصوم من أهم الوسائل لتربية الارادة وترويض النفس !

هذه هى الحقيقة التى اهتدى اليها بنفسه بعد ان سمعها كثيرا دون ان يؤمن بها .

وعاد الى بيته خفيفا طروبا كما خرج منه .. واطمأنت زوجته حين رأته هكذا على انه لا يزال صائما .. ونام قليلا ثم استيقظ ليشارك أولاده بهجة الاستعداد للافطار وجلس مترقبا اطلاق المدفع لاول مرة فى حياته .. ولما سمع الطلقات ، احس بتلك الفرحة التى يشعر بها الانسان .. كل انسان عندما يتحقق الشىء الطيب الذى يترقبه .

ولاول مرة يجد للطعام فى فمه مذاقا طيبا جديدا بعد ان كاد يفتقد فيه طيب المذاق بحكم الاعتياد .. ولاول مرة يفهم المعنى الحقيقى لعبارة «رمضان كريم وكل عام وانتم بخير» ■■

القاهرة — حسين القبانى



حكم القانون فوق كل الأحكام

عن صحيفة « نيوز أوف ذى وارلد » البريطانية :

لقد اصطدم أولياء أمور الطلبة بالسلطات الحكومية المحلية فى انفلد Enfield ، أحدى مدن بريطانيا، ثلاث مرات متتالية فى غضون الشهور القليلة الماضية . بل انهم لجأوا الى المحاكم واحتكموا الى قضاتها ، بصدد منهاج التعليم الشامل الذى سعت السلطات المذكورة ، ومن ورائها وزارة التربية البريطانية ، الى تطبيقه فى مدرسة انفلد كما طبقته فى غيرها من المدارس .

وتجدر الاشارة الى ان القرارات التى اصدرتها المحاكم في تلك القضايا الثلاث جميعا قد اقرت أولياء الطلبة على وجهة نظرهم ومطالبهم وانتقدت بل اتحت باللائمة على تلك السلطات وعلى من يساندها من رجال دولة ووزراء .

ومما جاء في القرار الصادر فيالقضية الثالثة الأخيرة قول القاضي : « انواجب المحاكم، وهو واجب تحرص كل الحرص على عدم التخلى عنه ، هو التأكد من ان دفة الحكم في هذه البلاد ، على كلا الصعيدين المحلي والقومى العام ، انما تسير وفق مشيئة البرلمان ، اى طبقا لأحكام القانون » .

ولم يكن القرار الخاص بالقضية الثانية أقل من الذى ذكرنا حدة وصرامة، وقد اكد ان «الوزراء والدوائر والهيئات الرسمية يتوجب عليهم مراعاة القانون ، والا قضى الواجب باكراههم على ذلك . وقد بات من الضرورى ان يوضع للبيروقراطية حد ، فتلتزم حدودها ولا تتعداها » .

اما قرار القضية الأولى من تلك القضايا الثلاث فقد اعلن « بان هم المحكمة الوحيد بصدد التحول الى المنهاج الشامل في التعليم ، ان كان لا بد من تحول ، انما هو ضمان تحقيق ذلك التحول وفقا للقانون » .

انقلاب اليونان الأخير لا يروق للامريكيين

عن صحيفة «لويزفيل كوريير» الأمريكية :

الأمريكيون غير راضين في الغالب عن الأوضاع الراهنة في اليونان ، وهى الأوضاع التى ادى اليها الانقلاب العسكرى الذى وقع في تلك البلاد في فصل الربيع الماضي .

فالقائمون على الحكم لا يتمتعون ، حسب الظاهر ، بأية موهبة للحكم او اية خبرة في شؤونه . اضف الى ذلك أن ما أخذ به نظام الحكم هناك من تقشف وجمود يبدو سخيفا . امّا ما عمد اليه من سحق لكل معارضة فيبدو كريها الى ابعد الحدود .

العقل الالكتروني يهدد المجتمع الانساني

عـن صـحيفة « الهيرالد التريبون » الأمريكية :

ثمة اقتراح تقدمت به مؤخرا لجنة الدراسات الخاصة بتنظيم شئون السلام ، وهي اللجنة الأهلية التي شكلها فريق من رجال القانون الدولي الموثوقين. اما الاقتراح الذي رفعته هذه اللجنة الى هيئة الأمم المتحدة ، فيوصي بمبادرة المنظمة الدولية الى تأسيس وكالة دائمة تكون مهمتها تدارس وطأة العلم والتكنية Technology على حقوق الانسان !

والفكرة بلا ريب فكرة صالحة . اذ ليس من الصعب على المرء ان يستبق الحوادث ويستشف يوما من الأيام المقبلة ، تنصب فيه نقمة الجماهير لا على سجن البستيل الذي لا يتسع ، مهما اتسع ، الا لعدد من الناس ضئيل، وانما على الأجهزة المنسقة للمعلومات ، او ان شئت « العقول الالكترونية » Computers التي تسجن الناس جميعا : بل تسجن ارواحهم كافة وبلا استثناء .

ذلك أن الأجهزة المذكورة لم تقف عند حد حفظ المعلومات وتنسيقها وابراز المطلوب من تلك المعلومات، بل تعدت ذلك كله فشرعت تصدر الاحكام وتتخذ القرارات ، وبدأت تتمتع بالتالي بما يتمتع به رجال الحكم وقادة المجتمع من قوة وسلطان !

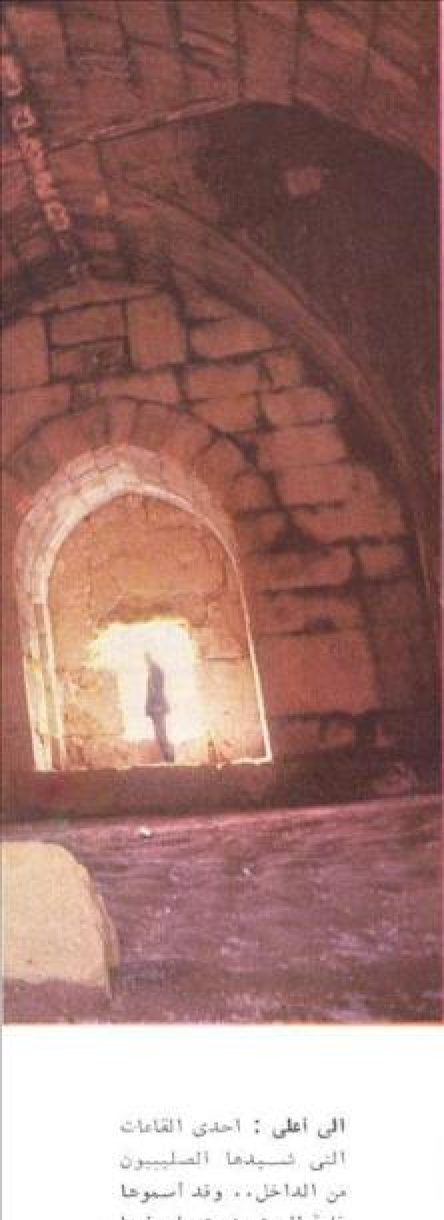
■ ■ ■

الاوضاع المقلوبة في نظر وزير الخارجية الامريكية

عـن صـحيفة « الالـزاس الجـديد » الفرنسية :

● لا ريب فى أن الأعمال التى قام بها رجال الفيتكونج فى فيتنام الجنوبية ، فى الآونة الأخيرة ، قد دلت على أن قوة هذه المنظمة المناضلة لم تضعف، كما زعموا ، بل ازدادت فعالية وعنفوانا ، ولم تتقلص هنا او هناك ، بل نشطت وانتشرت فى كل مكان . وفى هذا ما يبعث على مزيد من الرثاء للرئيس جونسون وللسياسة التى ينتهجها فى فيتنام . ولعل هذه الحرب كانت والدبلوماسية الأمريكية منذ البدء على طرفى نقيض : فلا روح مبادرة تتمثل فيها ، ولا خيال خصب ، ولا استعداد للصبر على مكاره زائلة طلبا لمكاسب آجلة .

وهكذا انقلبت الأوضاع . فبدلا من ان تستهدف الدبلوماسية وضع حد للحرب اصبح الهدف من هذه الحرب احراز مكاسب دبلوماسية . وبدلا من ان يسمح للمساعى الدبلوماسية بأن تتحسس مخرجا من هذا المأزق، وتبحث عن طعم يغرى بالمفاوضة من أجل احلال السلم ، نرى أن المستر دين رسك، وزير الخارجية وموجه دفة الدبلوماسية الأمريكية ، يحرص على استمرار الحرب فى فيتنام ، وعلى المضي فى غزوها عسكريا ابتغاء نصر دبلوماسى يحرزه نتيجة الظفر العسكرى الذى يتوخاه ، دون أن يدرك ، طبعاً : مدى استحالة ذلك الظفر .





جانب من أسوار القلعة من الخارج . لقد صنع الجبل بعضها .. وأكملت يد الانسان ما صنعه الجبل!

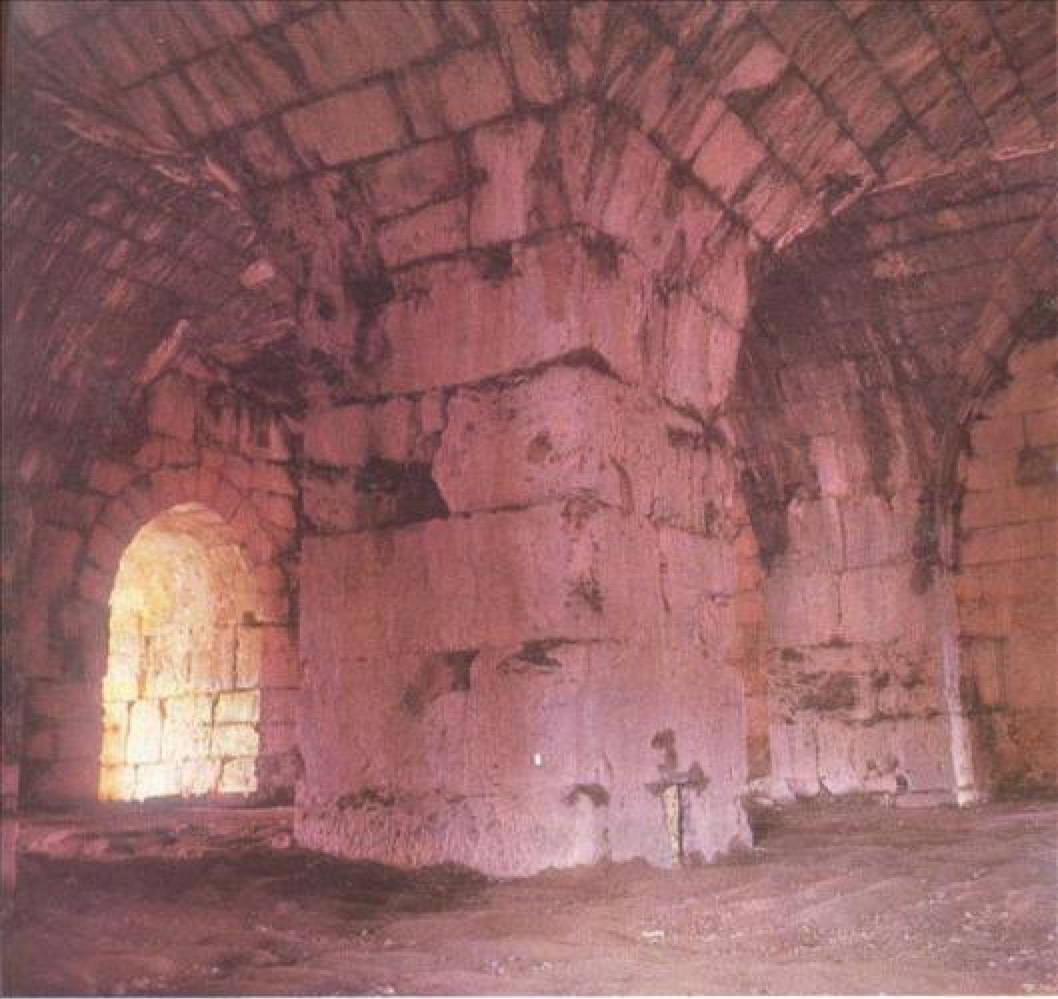
الى أسفل : هناك فوق قمة هذا الجبل الشامخ بدت قلعة صلاح الدين الايوبي.. الحصن الذي بناه الصليبيون في عشرين عاما واقتحمه القائد العربي في أربعة أيام .



الى أعلى : احدى القاعات التي شيدها الصليبيون من الداخل.. وقد أسموها قاعة العرش ، وتتجلى فيها ضخامة البناء .

قام بهذا الاستطلاع

منير نصيف



قلعة صلاح الدين

الحصن الذى بناه الصليبيون فى ٢٠ عاما

واحتله العرب فى أربعة أيام

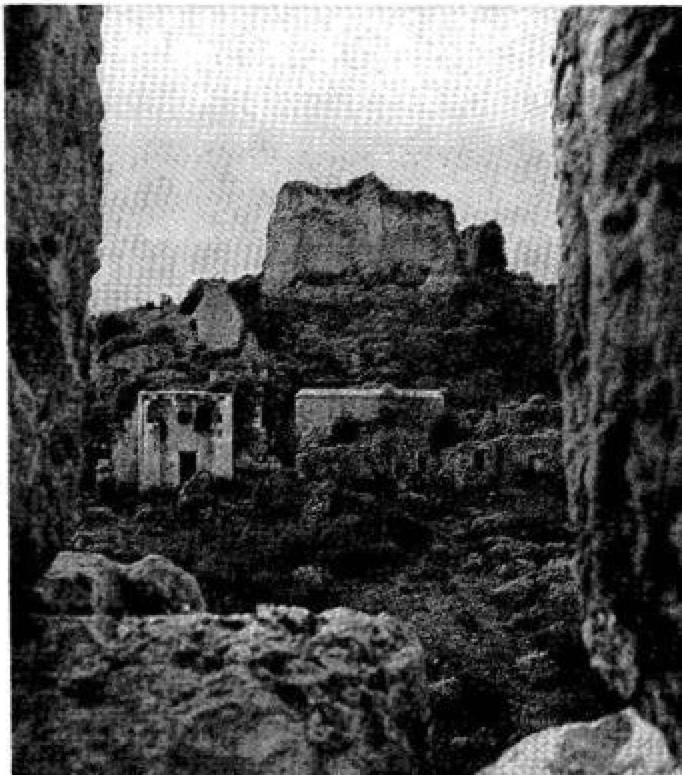
■ هنا حطم صلاح الدين الايوبى اسطورة الصليبيين .. من هذا المكان الذى طارت اليه بعثة العربى لتقدم لك قصة من قصص بطولة العرب ، وقف القائد الكبير يدمر في اربعة أيام فقط ما بناه الصليبيون في عشرين عاما . وفوق قمة الجبل الذى يبعد ٣٥ كيلومترا عن مدينة اللاذقية اقتحم صلاح الدين الحصن الذى ظل رابضا يتحدى قدرة البشر !

وعندما وصلنا الى قلعة صهيون او قلعة صلاح الدين شعرنا أن عشرة قرون من الزمان تطل علينا من قلب هذا المكان التاريخي .

هنا وقفنا وجها لوجه أمام القلعة المنيعة التى قرأنا عنها في كتب التاريخ . ولكي تصل اليها لا بد أن تتسلق جبلا كبيرا ثم تهبط الجبل وتعود فتتسلق جبلا آخر حتى تصل الى أعلى قمة فيه. وبالرغم من المشقة التى يتكبدها الزائر في الوصول اليها، فان السائحين يجيئون من جميع أنحاء الدنيا ويمضون الساعات الطويلة في صعود الجبل وهبوطه ثم صعوده مرة أخرى لكى يشاهدوا هذا الاثر التاريخي الهام .

اعجاب ودهشة

ولا تملك وأنت تتطلع الى هذا البناء الضخم الا أن تبدى اعجابك ودهشتك معا .. الاعجاب بقوة وشجاعة القائد العربى الذى انهارت أمام جنوده أسوار الحصن المنيع ، والدهشة لهذا الذى أمكن أن تصنعه يد الانسان بالجبل منذ مئات السنين . فقد شق الصليبيون الجبل بصخوره الى قسمين ، وجعلوا من أحدهما قاعدة للقلعة التى ترتفع



مراكز الحراسة او خط الدفاع الاول خارج القلعة، وقد بدت من خلال سورها الكبير !

فوقه وتشرف على السهول الممتدة امامها ، وكأنها نمر كبير يطل براسه ويستعد للانقضاض على فريسته ! وبين قسمي الجبل امتد نفق يبلغ طوله ١٥٦ مترا وعرضه ١٧ مترا ، يتوسطه حائط ضخم بنوه من الصخور والاحجار .

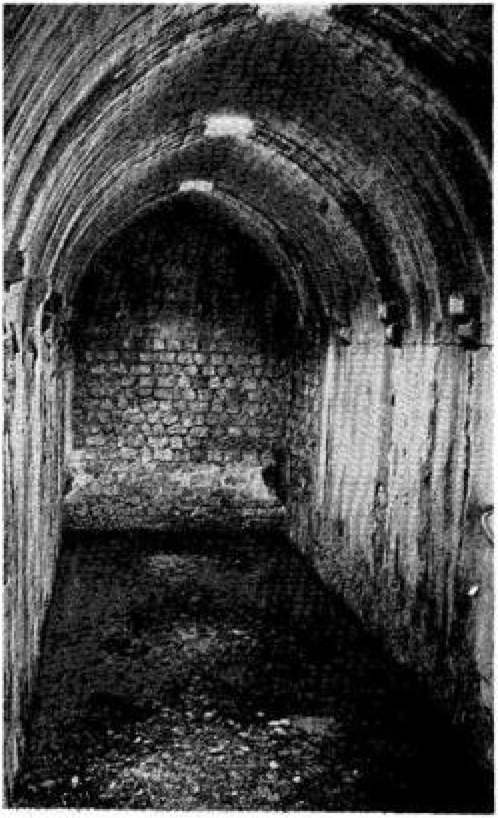
ومن القلعة على الجانب الايمن كان الصليبيون ينزلون جسرا خشبيا يمتد حتى يصل الى الجانب الايسر من الجبل فيسير عليه جنودهم ويدخلون القلعة بعد عودتهم من الصيد ، ثم يرفع الجسر وتغلق الابواب الصخرية فتصبح القلعة ومن فيها في عزلة عن العالم كله .

وقبل أن ندخل القلعة قمنا بجولة حولها من الخارج فشاهدنا السور الكبير الذى يحيط بها من كل جانب والذى لا يزال يحتفظ بشكله حتى اليوم رغم مضي مئات السنين . ونظرنا الى السفح فوجدنا قنوات تحيط بالجبل وكان الطبيعة شاءت أن تساهم بدورها في تحصين القلعة فأطلقت الماء من جوف الارض ليحيط بالجبل الذى يقوم الحصن فوق قمته .

والتقينا بأهل الجبل حول القلعة .. انهم بضعة الوف من ابناء سورية يعيشون في خمس قرى صغيرة تحيط بالقلعة ، وهى قرى القموحية وجديد ، وخدلو ، والميزة والكريك ، ويعمل الاهالى هناك فى زراعة القمح والتفاح والزيتون .

الباب السرى

ودرنا حولها حتى وصلنا الى باب القلعة السرى الذى غطاه الصليبيون بأغصان الشجر الذى ينتشر في هذه المنطقة الجبلية . وراعنا منظر الجدران الصخرية السميكة التى قضوا الاعوام



احد المخازن التي شيدها الصليبيون لخزن مياه الامطار التى يحتاجون اليها لموسم الجفاف ..

الطويلة في بنائها . لقد حملوا الاحجار الضخمة التى يزيد حجم الواحد منها على متر مكعب ، ووضعوها فوق بعضها البعض كما فعل قدماء المصريين بأحجار الاهرام . وشيدوا القصور بقاعاتها الضخمة وبنوا السجون للاسرى من جنود الاعداء وحفروا الخنادق واقاموا الابراج ومراكز المراقبة والحمامات للرجال والنساء ، ومخازن لمياه الامطار كما بنوا الكنيسة الصغيرة التي تتوسط القلعة والتى ما لبثت أن تحولت الى مسجد بعد الفتح العربى .

قصة بطولة

وثمة سؤال واحد كان يلح علينا ونحن



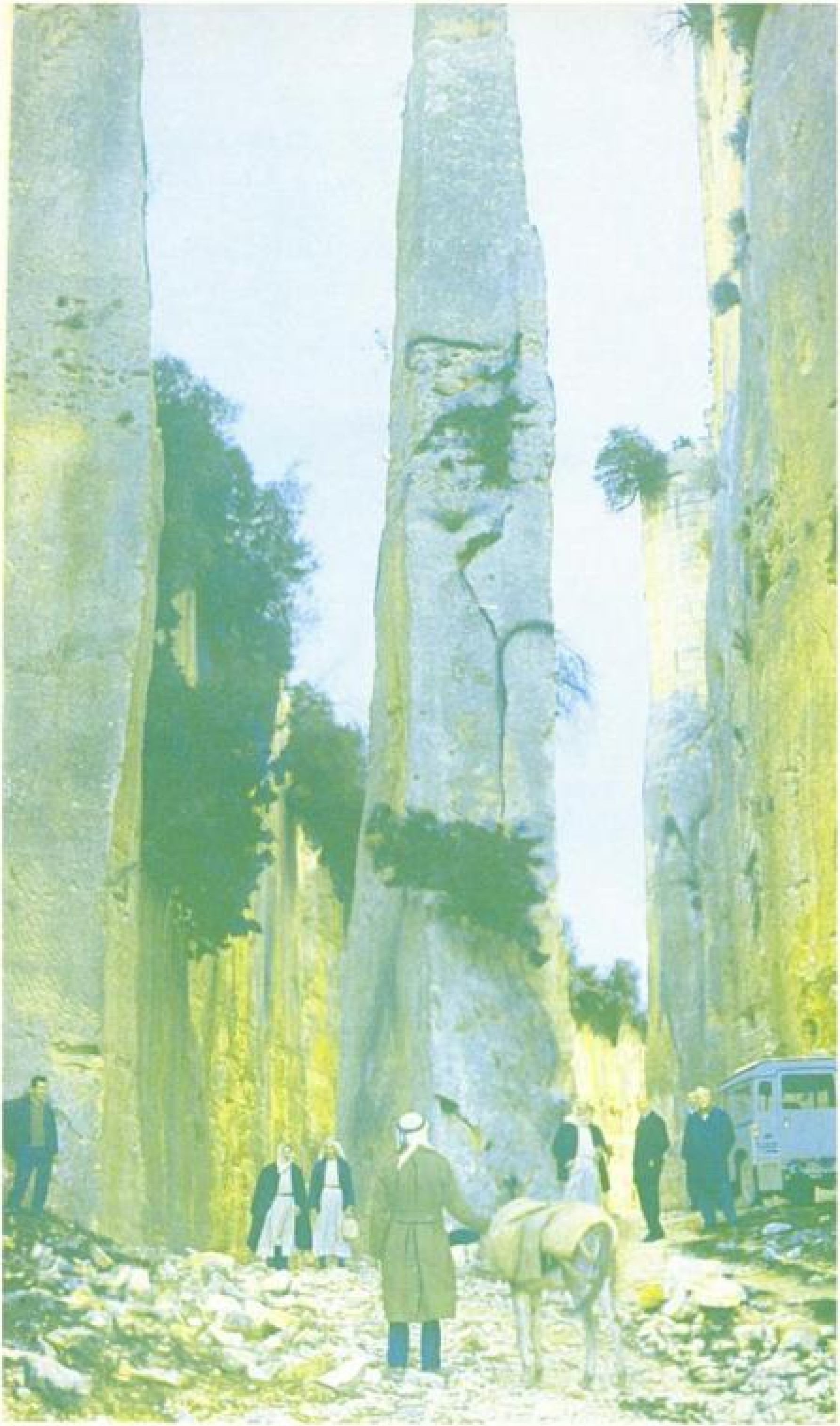
منظر من الداخل .. وترى سمك الجدران التي شيدت بالاحجار التي يزيد مساحةالواحد منها على متر مربع



الى اليسار : كان الجبل يمتد على طول هذه القمة وعرضها ، فشقوه بصخوره الى قسمين .. وجعلوا من احدهما (الى اليمين) قاعدة القلعة المنيعة.. وبين القسمين نفق يبلغ طوله ١٥٦ مترا وعرضه ١٧ مترا يتوسطه حائط بنوه من الصخور والاحجار !

الى اليمين : فريق من السائحين في طريقهم الى القلعة التاريخية . والطريق اليها شاق وعر ، فلا بد للزائر من ان يتسلق جبلا ثم يهبطه ليعود فيتسلق جبلا آخر حتى قمته .

تصوير أوسكار متري



نسير بين جدران القلعة واسوارها الضخمة . كيف استطاع صلاح الدين الايوبي ان يقتحم هذا الحصن الذى يشعر المرء امامه بعظمة الانسان وتفاهته في وقت واحد ؟ وجاءنا الجواب بسرعة من الدليل الثائر العجوز الذى جاوز السبعين . لقد دخل السجن أيام الاستعمار الفرنسي ثم خرج منه ليعمل في شرح تاريخ بلاده للزائرين والسائحين .

قال الدليل وهو يشير باصبعه الى قمة الجبل المجاور للقلعة : « هنا وقف صلاح الدين على راس جيشه وظل يمطر القلعة بوابل من الحجارة الضخمة والسهام التى كانت تنفذ الى صدور الصليبيين في حصنهم . واستمر هجوم العرب اربعة أيام واربع ليال حتى بدات مقاومة الصليبيين تنهار ، واسرع جنود صلاح الدين فمدوا جسرا من الجبل الى القلعة وانطلقوا فوق الجسر حتى بلغوا اسوارها الخارجية فتسلقوها بالحبال . وكان العرب يقاتلون بأجسامهم وايديهم وسيوفهم في كل ركن وفي كل شبر منها، وما لبث أن تقهقر الصليبيون تاركين جثث قتلاهم تروى الارض بدمائهم .

ودخل القائد المنتصر ، والقى بقوات العدو في سجون القلعة التى كان الصليبيون قد اعدوها لجنوده . وهكذا سجل صلاح الدين صفحة من صفحات البطولة في كتب التاريخ » .

١٤ برجا

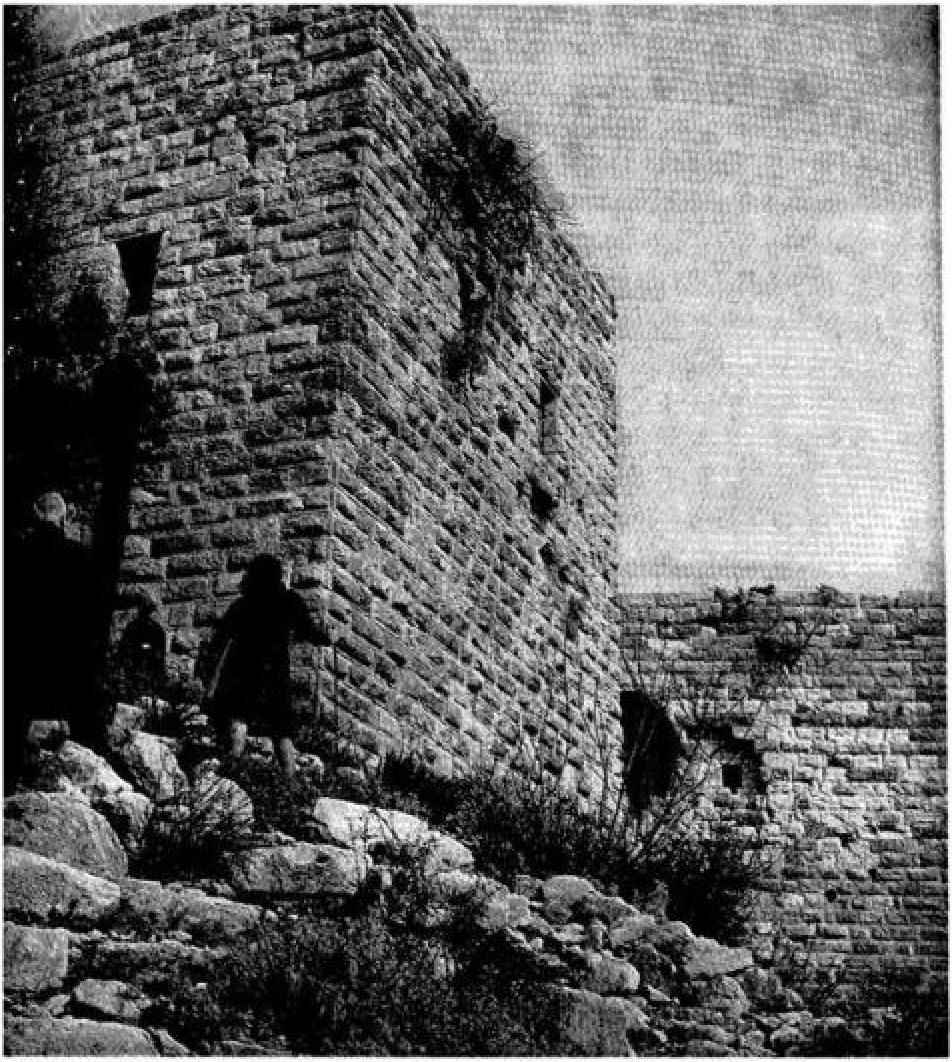
هذه هى قصة قلعة صلاح الدين التى بدأ البيزنطيون في بنائها في القرن العاشر الميلادى عندما شيدوا برجا كبيرا احاطوه بسورين وبضعة مبان صغيرة متناثرة هنا وهناك . ثم جاء الصليبيون في القرن الثاني عشر وبدأ شكل القلعة يكتمل عندما شيدوا فيها ١٤ برجا يبلغ ارتفاع الواحد منها ٢٥ مترا وطوله ٢٥ مترا وعرضه ٢٥ مترا أيضا وسمك جدرانه خمسة أمتار ونصف متر . كما بنوا أيضا قصرا كبيرا تحيط به ثكنات الجنود من كل مكان ، واسطبلا للخيل وكنيسة ومستودعات مختلفة للجنود وفرنا ومعصرة للزيت .

قصر البنات

ثم بدأ الفتح العربى وجاء صلاح الدين الايوبى لاستعادة الساحل السورى في عام ١١٨٨م فاحتل مدينة اللاذقية ثم زحف بجنوده واحتل معظم مدن المحافظة وقراها ، حتى كان صباح يوم ٢٤ تموز (يوليو) عندما بدأ هجومه على قلعة صهيون « وبعد قتال دام اربعة أيام



من داخل سجون القلعة وقفا يتأملان الارض التى ارتوت بدماء العرب وهم يسجلون صفحة من صفحات البطولة في كتب التاريخ ... لقد امتلأت هذه السجون بجنود العدو بعد أن انهارت القلعة أمام صلاح الدين الايوبى وجنوده الابطال .



سائح وسائحة في طريقهما الى القلعة عن طريق
بابها السري الذي غطاه الصليبيون بالاشجار ..

انهارت مقاومة القلعة وتم له احتلالهـا وبقيت في ايدي المسلمين العرب حتى القرنين الثالث والرابع عشر بعد الميلاد، فأضافوا اليها ابنية جديدةأهمها المسجد والحمامات والابراج التي اطلقوا على واحد منها اسم « قصر البنات » .

وقد قررت مديرية الآثار اخيرا ان تحول هذا « القصر » الى مقصف لاستقبال السائحين، كما بدأت في رصف طريق جديد في قلب الجبل حتى يستطيع السائحون الوصول الى القلعة بسياراتهم. وعندما ينتهي العمل في هذا الطريق سيتمكن الزائر من الوصول الى القلعة من مدينة اللاذقية في اقل من ساعة .

■■

منير نصيف



أنت تسأل .. ونحن نجيب

هل اكتشف البترول في القطب الشمالى ؟

● قرات فى احدى المجلات مؤخرا ان الروس قد اكتشفوا البترول الخام بكميات ذات بال فى قاع بحر الشمال ... فهل هذا الخبر صحيح أوهل من شأنه ، ان كان صحيحا ، أن يحد من طلب الاسواق الاوروبية على بترولنا العربى فى مستقبل قريب أو بعيد !!

محمد المصرى ــ ليبيا

ــ لعل الخبر الذى قرات ، يا اخ محمد ، هو خبر اكتشاف السوفيات لمكامن جديدة للبترول والغاز ، لا فى بحر الشمال ، وانما فى القطب المتجمد الشمالى بالذات . فقد روت صحيفة الفايناشال تايمز البريطانية مؤخرا ان علماء طبقات الارض السوفيات قد عثروا على تلك المكامن الضخمة فى شبه جزيرة يامال Yamal الواقعة ضمن المنطقة القطبية الشمالية . ونسبت الصحيفة المذكورة الى احد المسئولين في وزارة الابحاث الجيولوجية السوفياتية تأكيده بان الاعماق التى اكتشف فيها البترول الخام والغاز الذى ذكرنا لا تتعدى طاقة أجهزة الحفر والاستغلال المستعملة حاليا ، وان المستقبل غير البعيد كفيل باستخراج تلك الثروات بكميات كبيرة من قاع المحيط المتجمد الشمالى ، ومن تحت جليده وثلوجه المتراكمة .

وعلى اهمية هذا الاكتشاف فان سائر الصحف المعنية والمجلات البترولية لم تشر اليه ولم تورد اية تفاصيل عن الكميات المقدرة لتلك المكامن او عن أعماقها . ولعل الباعث على هذا الصمت هو الشعور بان الاكتشاف المذكور ما زال فى مراحله الاولية ، وفى حاجة الى تعزيز وتثبيت باكتشافات اخرى مماثلة .

وتجدر الاشارة هنا الى حقول (تيومن Tyumen) وقد اكتشفها السوفيات قبل حين في غرب سيبريا وبالقرب من جبال أورال . ويقدرون مخزون هذه الحقول من البترول الخام والغاز بكميات هائلة للغاية .

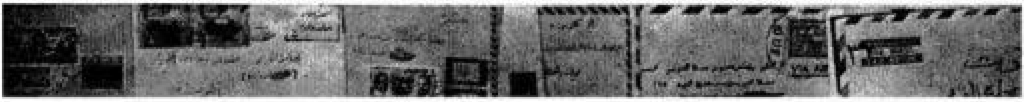
الا أن الخبر الذى قرات قد يكون متصلا بمكتشفات بحر الشمال الاخيرة . غير أن هذه المكتشفات لا صلة للروس بها اطلاقا ، وقد عثرت عليها مجموعة من شركات البترول العالمية العملاقة ، وهى فى الغالب بريطانية وامريكية كشركة بى بى B. P. P. وشركة شل ، وشركة اسو ، وشركة فيلبس الخ ..

فضلا عن ذلك فان مكتشفات بحر الشمال ، قديمها وحديثها ، كانت كلها من الغاز الطبيعي ولم يكن للبترول الخام اى نصيب منها ، حتى الآن .

وغني عن البيان ان بحر الشمال هذا ، وهو المعروف بعواصفه وتقلباته الهوجاء ، كان مسرحا لاعمال البحث والتنقيب عن الغاز والبترول منذ نحو سنتين . وبلغت تلك الاعمال من النشاط ان قدروا مجموع المبالغ التى انفقتها عليها الشركات ، وتلك التى ستنفقها قبل حلول عام ١٩٧٠ ، بنحو ٢٥٠ مليون جنيه . ولم تذهب هذه الجهود والاموال عبثا ، على ما يبدو ، فقد تكللت باكتشاف مخزونات ضخمة من الغاز الطبيعي قدروها بنحو ٣٠ تريليون (اى مليون مليون) قدم مكعب . ولو ذكرنا ان كل ما يتصاعد من الغاز الطبيعي فى الكويت مثلا لا يجاوز ١٠٠٠ مليون قدم مكعب في اليوم ، لتجلت لنا ضخامة الثلاثين مليون مليون قدم مكعب التى ذكرنا .

اما فيما يتصل بمستقبل بترولنا العربي فيكاد يجمع الخبراء على ان طلب أوروبا الغربية عليه لن ينقص بل سيتزايد ، رغم كل تلك المكتشفات .

ويعزون ذلك الى اسباب مختلفة . منها قلة تكاليف انتاج البترول الخام فى البلاد العربية وارتفاع تلك التكاليف ارتفاعا كبيرا في أمريكا وفنزويلا والاتحاد السوفييتي . ولم يعد سرا ان نفقات استخراج البترول الخام فى هذه الاقطار الثلاثة تفوق تكاليف استخراجه من الحقول العربية بما



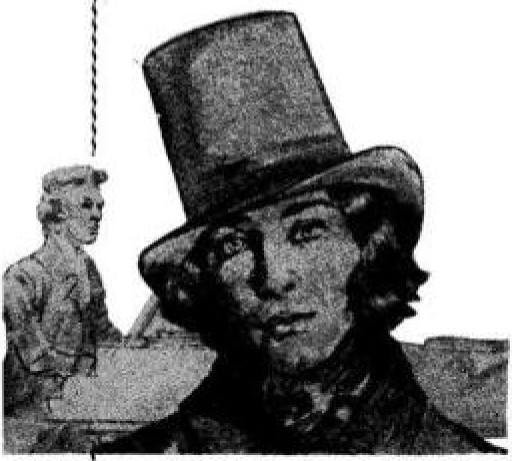


يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

جورج ساند هل هو رجل أم امرأة ؟

● اختلفت مع صديقي في تحديد نوع « جورج ساند » هل هو رجل أم امرأة ؟ فهل يمكنكم الحكم بيننا .. مع اعطائنا فكرة عن جورج ساند وأطواره، لأني موقن أنه رجل !

احمد المؤمن ــ الكويت



ــ اولا يؤسفنا ان نقول لك انك على خطأ ، لأن جورج ساند امرأة ، وهذا اسمها الأدبي ، اما اسمها الحقيقي فهو : ارمادين لوسيل اورور دوبان Armadine Lucile Aurore Dupin وهي كاتبة فرنسية كتبت اكثر من ١٠٠ كتاب ومسرحية ..!

وعاشت حياة حافلة كان لها تأثير كبير عليها ، فوالدها كان رجلا ارستقراطيا تزوج بنت بائع عصافير فقير ! .. وزواجها هي كان فاشلا لأنها تزوجت وعمرها ١٨ عاما ورزقت بطفلين ، ولكن ادمان زوجها على الخمر أنهى حياتهما بالانفصال .. وكانت فرصة استغلتها ارمادين لتحيا بحرية، فعملت كأول محررة في جريدة الفيجارو ، وارتدت ملابس الرجال لتتشبه بزملائها العاملين في الجريدة .. واتخذت لها اسما أدبيا اشتقته من اسم زميلها الصحفي جول ساندرو Jules Sandreau الذي الف معه كتابا .. ثم نشرت كتابها انديانا Indiana الذي اكسبها شهرة واسعة .. وفي عام ١٨٣٣ تعرفت الى الكاتب الفرنسي الفريد دي موسيه Alfredde de Musset ولكن صداقتهما لم تطل ..

واعتكفت في جزيرة مايوركا وانكبت على التأليف، وهناك التقت بالموسيقار العالمي فريدريك شوبان الذي كان مصابا بداء السل ، فعملت له كممرضة حتى عوفي فأصبحا صديقين حميمين ، ولكن هذه الصداقة انتهت بمشاجرة قوية قبل موت شوبان مباشرة عام ١٨٤٩ اما ارمادين « جورج ساند » فتوفيت عام ١٨٧٦ عن عمر ناهز ٧٢ عاما وكانت آخر كلماتها : « لا تحطموا الخضرة » .

(س . ذ)

لا يقل عن ٥ اضعاف، وما قد يبلغ أحيانا الخمسين ضعفا !! ولولا هذا الرخص البالغ لاستغنى الغرب عن البترول العربي ببترول روسيا وفنزويلا وربما ببترول (أثاباسكا Athabaska) المختلط بالرمال في كندا) ، وبترول القطب الشمالي .

ومن تلك الاسباب ايضا مرونة البترول بصفة عامة وكثرة قابلياته واستعمالاته الممكنة . فقد اصبح البترول ضروريا في عدة صناعات كيماوية ولعله سيصبح في مستقبل غير بعيد الخامة التي تصنع منها الالواح والصفائح والقضبان البلاستيكية التي ينتظر ان تحل محل المنتجات الفولاذية والحديدية والخشبية ، لا في صناعة السيارات فحسب ، ولكن في شتى اعمال البناء والتعمير ايضـا .

ي . ذ .



٤ احصاءات للسكان في الكويت

● كم عدد سكان الكويت ؟ وما هي نسبة عدد أبناء الكويت الى عدد السكان .. ؟

محمد الوردي ـ البصرة

ـ اجريت في الكويت اربعة احصاءات للسكان كان اولها في شهر فبراير ١٩٥٧ وكان المجموع فيه ٢٠٦٤٧٣ منهم ١١٣٦٢٢ مواطن عربي كويتي ..
والاحصاء الثاني اجرى في مايو ١٩٦١ وكان مجموع السكان ٣٢١ ٦٢١ نسمة منهم ٩٠٩ ١٦١ مواطن عربي كويتي ..
والاحصاء الأخير اجرى في شهر ابريل ١٩٦٥ وفيه بلغ عدد السكان ٣٢٩ ٤٦٧ نسمة منهم ٥٩ . ٢٢٠ مواطن عربي كويتي .

(س . ز)

ما هو الاصل في كلمة رادار ؟

● تسمع دائما عن الرادار .. فما معنى الكلمة نفسها .. ومن أين اشتقت .. وهل يمكن اعطاؤنا فكرة موجزة عن الرادار .. ؟

احمد سليم ـ البحرين

ـ كلمة الرادار ماخوذة من الحروف الأربعة الاولى لأربع كلمات انجليزية هي Radio Detection and Rancing وتعني الكشف وايجاد المدى بالراديو .. لقد اكتشفه اثناء الحرب العالمية الثانية عالم انجليزي ولكنه لم يستعمل في ميدان الطيران المدني الا بعدالحرب العالمية الثانية فاعطى نتائج باهرة في اجواء المطارات المزدحمة بالحركة .. ويعمل الرادار بارسال نبضات قوية لاسلكية في الجو ، تنتشر بسرعة الضوء ، حتى اذا ما اصطدمت باى جسم ارتد جزء منها الى جهاز الاستقبال الحساس ، معلنا عن وجود شيء اصطدمت به النبضة ، فيظهر مكانه على شاشة الرادار كنقطة او شرطة ..
وهوائي الرادار هو الذي نراه يدور باستمرار حول نفسه .. اما اجهزة الرادار فتقع في غرفة تحت الهوائي .. هذا شرح موجز مبسط لعمل الرادار ..

(س . ز)

ماتجنيه الجامعات

● هل صحيح أن الاعمال التجارية في الولايات المتحدة الامريكية لم تعد مقصورة على التجار والشركات ، بل امتدت الى المعاهد العلمية والجامعات ؟ !! هذا ما يؤكده لنا بعض الاصدقاء الذين عادوا حديثا من تلك البلاد ، وقد تخرجوا من جامعاتها بعد أن أمضوا فيها بضع سنوات .. فهل لديكم ما ينفي هذا الخبر الغريب أو يؤكده ؟

نعيم الرافعي ـ دمشق

ـ لعل اكثر الجامعات في الولايات المتحدة الامريكية لم تعد تكتفي بالرسوم التى تتلقاها أو التبرعات التى تجمعها بالرغم من ضخامتها .ولعل التعامل بالاسهم والسندات وتعاطى أعمال البيع والشراء بالنسبة الى الاموال غير المنقولة والاملاك، من بين الأعمال التى أخذت تمارسها بعض تلك الجامعات . ولعل من العسير الحصول على معلومات مفصلة عنهذه الاعمال لأن الجامعات تكتم امرها ، فضلا عن انها تمارسها عن طريق مكاتب للوساطة ، مبالغة في الكتمان .
على ان ثمة اعمالا اخرى تمارسها الجامعات في

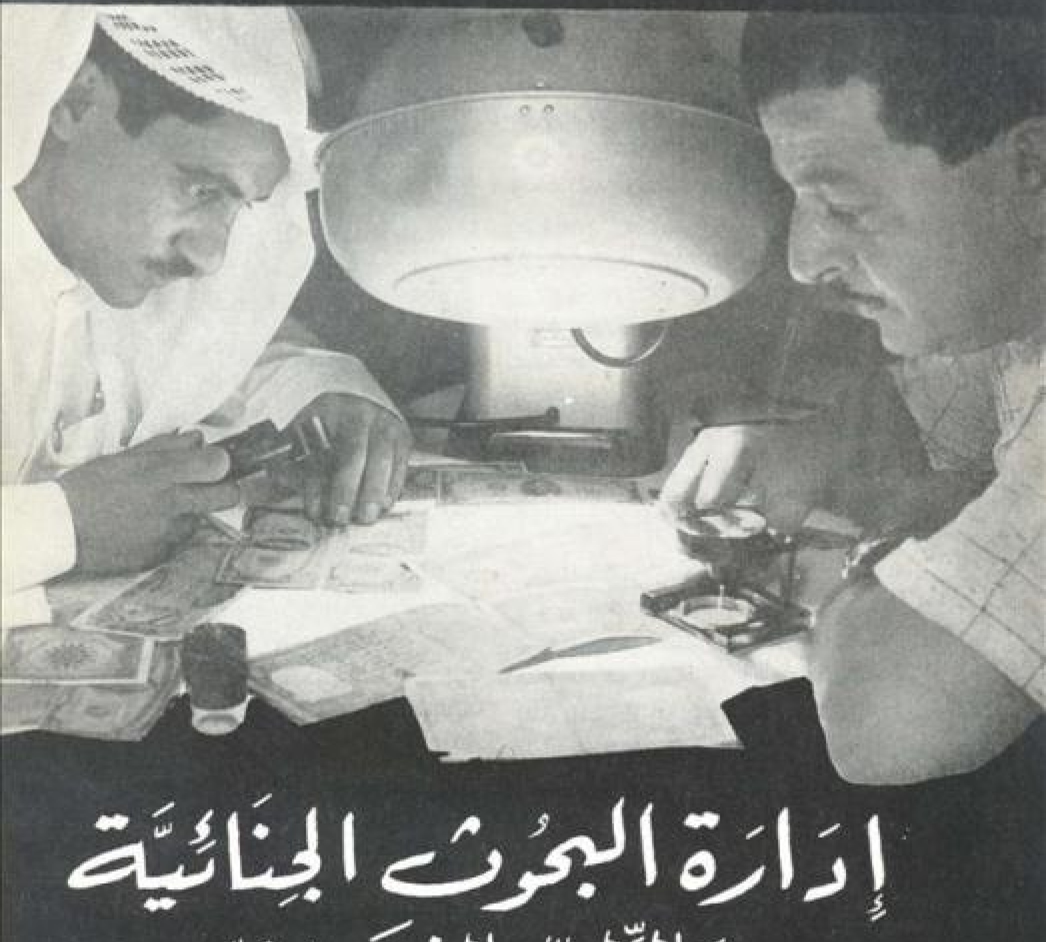
مقدار الزيادة فى السكان ؟

❋ يتحدثون عن ازدياد النسل فى العالم .. فهل يمكنكم اعطاؤنا فكرة عن مقدار تزايد السكان في العالم وعددهم في كل قارة ؟

مناحي مشيب الشهراني

ـ كان عدد سكان العالم فى عام ١٩٣٠ لايزيد عن ٢٫٠٧٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة ارتفعوا الى ٢٫٢٩٥٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة عام ١٩٤٠ . وبعد عشر سنوات اخرى بلغ عددهم ٢٫٥١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ . وفى عام ١٩٦٠ قفز الرقم الى ٣٫٠٠٣٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة وآخر احصاء لهم فى عام ١٩٦٥ كان ٣٫٢٨٥٫٠٠٠٫٠٠٠

أما توزيعهم على القارات حسب احصائية عام ١٩٦٥ فهو كالاتى :



إدارة البحوث الجنائية والطب الشرعي

تكشف الجريمة بالعلم والتكنية

■ تطورت الكويت بعد تفجر النفط من اراضيها وشهدت رخاء اسطوريا ، جلب لها افواجا من الناس جاءوا اليها من ٧٠ دولة مختلفة .. جاءوا اليها ليعملوا ، وفي نفس الوقت جلبوا معهم انواعا جديدة من الجرائم لم يكن يعرفها المجتمع الكويتي .. جرائم : مخدرات .. وتزوير .. وسرقة .. وقتل .. وهتك عرض .. !

وبدأت هذه الجرائم في الازدياد .. فكلما قلت فرص الحصول على العمل زادت نسبة السرقة .. وكلما سُنت القوانين ، زادت جرائم التزوير للتحايل على هذه القوانين ..

تطور وسائل مكافحة الجريمة

ولم يقف المسئولون عن الامن مكتوفي الأيدي امام تطور انواع الجرائم في الكويت ، بل عمدوا بدورهم الى تطوير اجهزة الامن وفق احدث الأساليب ، لمنع الجريمة ، والقبض على الجاني .

وفي عام ١٩٦١ ولدت بوزارة الداخلية بالكويت ادارة جديدة ، أطلقوا عليها اسم ادارة البحوث الجنائية والطب الشرعي .. وما كادت تنقضي بضع سنوات على مولدها حتى أصبحت المركز الذى يستطيع اثبات التهمة على الجاني بطريقة علمية فنية ، دون تعذيب ، أو ارهاب ، وانما باخضاع الآثار التى يُعثر عليها في مسرح الجريمة، لتحاليل واختبارات علمية دقيقة .

العلم يكشف الجريمة ..

ومن خلال الحوادث التى رواها لنا ضابط ادارة البحوث الجنائية والطب الشرعي ، الملازم أول عيسى القربللى ، لمسنا الدور الخطير الذى تلعبه هذه الادارة في الكشف عن خبايا الجرائم في الكويت .. قال ضابط الادارة : « عثر رجال الشرطة على طفل قتيل على قارعة الطريق ، واشتبهوا بأن سيارة تنقل الماء كانت سائرة قتلته ، ولكن سائقها أنكر التهمة المنسوبة اليه .. ونقلوا السيارة الينا لفحصها ، فلم نجد أى أثر للدماء عليها ، ولكن على أحد اطاراتها وجدنا شعرة .. فرفعناها بكل حرص وأخذناها الى أحد أقسام ادارة البحوث ، وهو « القسم السيرولوجي » وهناك عكف الخبير على فحص الشعرة ، ثم طلب شعرة من رأس الطفل القتيل ، وتحت المجهر وضعنا شعرة الطفل لمعرفة خواصها، ثم وضعنا الشعرة التى وجدناها على اطار السيارة لمعرفة خواصها هى الاخرى .. ونقلنا الشعرتين ووضعناهما تحت المجهر المقارن ،الذى التقط صورتهما مكبرتين ٥٠٠ مرة .. وبعدها بدأنا عملية المقارنة بين الشعرتين ، فكانت النتيجة أن بشرتهما ، وقشرتهما ، ونخاعهما متشابهين تماما ، أى انهما لنفس الشخص .. وفي الحال أرسلنا تقريرنا الى النيابة ، التى واجهت المتهم بهذه الأدلة الدامغة،فاعترف على الفور بجريمته!»

أسرار ٢٥٩٤ جريمة !

وليس الأمر مقصورا على هذه القصة ، ولكن هناك عشرات القصص المجهولة التى قام خبراء ادارة البحوث الجنائية والطب الشرعي بالكشف عنها في مختلف مجالات التزييف والتزوير ،وفحص الأسلحة ، والسموم والمخدرات ، والجرائم الأخلاقية ..

لقد استطاع هؤلاء الخبراء الكشف عن خبايا وأسرار ٢٥٩٤ قضية وجريمة في العام الماضي .

عبارة مطموسة في أحد المستندات ، أخفى الطمس فيها كل أثر .. وما كاد المستند يتعرض للأشعة تحت الحمراء التى نفذت فى طبقة المادة الطامسة ، حتى ظهر ما وراءها من عبارة كانت مختفية .





بين القتل والانتحار

وكان نصيب الطب الشرعى من هذه الحالات ١١٤٨ حالة ..

والطب الشرعى فرع من فروع الطب الحديث، الذى يوضح لرجال القانون المسائل الطبية المعقدة المتصلة بالجريمة .

ويعتقد البعض ان وظيفة الطب الشرعى مقصورة على تشريح الجثث لمعرفة اسباب الوفاة ، ولكن اعمالا كثيرة اخرى يقوم بها ، مثل تقدير عمر المتهمين والمجني عليهم فى القضايا المختلفة .. وفحص الاصابات لمعرفة اسبابها ، ومدى ما يتخلف عنها من عاهات ، لتقدير درجة العجز فى المصابين .. وفضح حالات الاصابات التي يفتعلها بعض الناس باجسامهم للايقاع بالابرياء .. وتحديد مسئوليات العلاج الخاطىء ... والكشف عن المجني عليهم فى القضايا الاخلاقية .

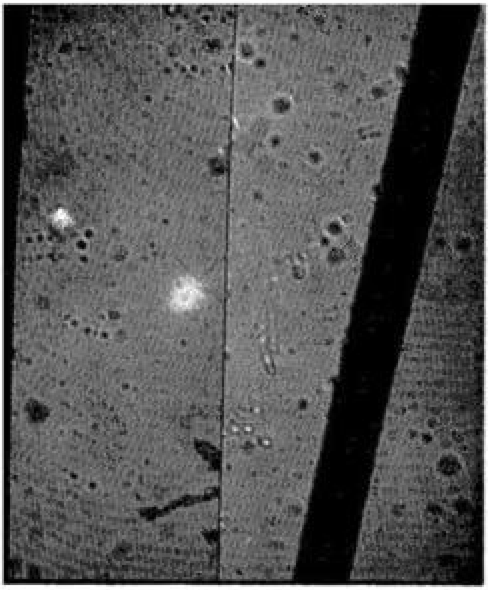
والتقارير الطبية التيىصدرها الطبيب الشرعى، بعد الاستعانة بالخبراء الكيماويين العاملين في الادارة ، تعتبر « الفيصل » لاثبات التهمة او نفيها .. لهذا تراعي الدقة المتناهية فى اعدادها .. وكثيرا ما يكشف الطب الشرعي الغوامض التي تصاحب الجناية ، فمثلا في كثير من الحوادث يعتقد الناس انها انتحار ، ولكن الطبيب الشرعي يثبت انها جناية مع سبق الاصرار !! ..

الكيمياء والتزوير

وفى قسم التزوير والتزييف تم كشف اسرار ١٧٢ حادثا في العام الماضي .. وينظر خبير هذا القسم الى حالات التزوير ، نظرة فنية بحتة ، لا ترتبط باشخاص او بضخامة العملية ، انما المهم هو فضح التزوير مهما بلغ من درجات الاتقان والكمال ..

لقد تطورت طرق التزوير مع تطور الكويت ! فمن « الكشط » المفضوح ، انتقل المزورون الى استعمال المواد الكيماوية ، لمحو كل أثر للكتابة يمكن أن تراه العين المجردة ..

ولكن ما يكاد المستند المشكوك فيه يتعرض لأجهزة الاشعة غير المرئية ، كالأشعة تحت الحمراء ،

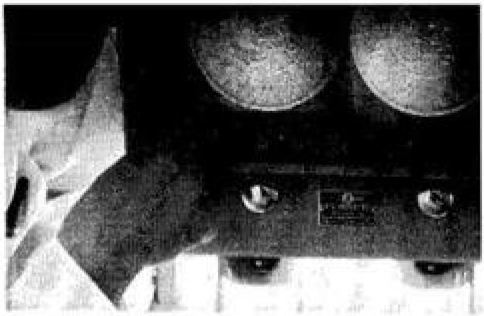


الشعرة التى عثر عليها فوق اطار السيارة مكبرة ٥٠٠ مرة ، وبجانبها الشعرة المنزوعة من رأس الطفل القتيل ، وبمقارنتهما تحت المجهر المقارن في ادارة البحوث الجنائية والطب الشرعى ثبت تماثلهما ، وبالتالى ثبتت التهمة على السائق

• • •

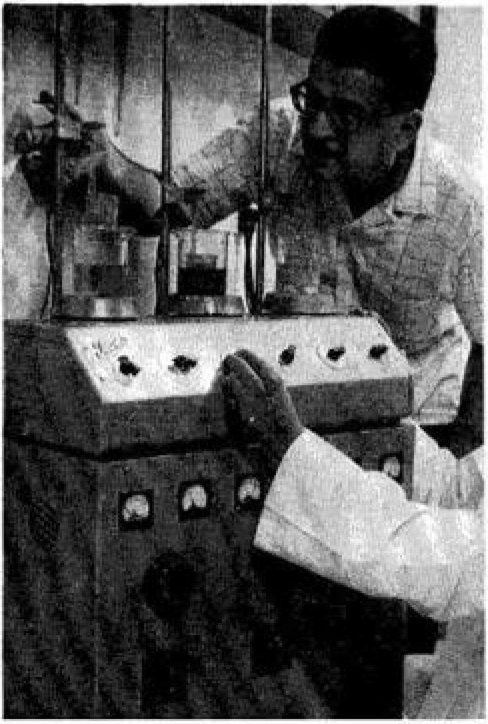
الملازم أول عيسي الغربللى ضابط ادارة البحوث الجنائية والطب الشرعى ، تعرض عليه مضبوطات احدى القضايا المطلوب فحصها بالادارة لتوجيهها بمعرفته الي القسم المختص ، واعطاء التقارير اللازمة عنها .





جهاز التكبير المقارن للعملات المعدنية : لايضاح العيوب الفنية الموجودة في النقود الزائفة ... وهذه العيوب تخلو منها تماما العملات الرسمية الصحيحة .. ويرى الى جانب الجهاز الشاب الكويتي كاظم حيدر الذي يتدرب في هذا القسم .

جهاز التحليل الكهربائي للسبائك التي تصنع منها العملات المعدنية .. ومهمته تحديد أنواع ونسب المعادن الداخلة في تركيب هذه العملات المعدنية ، لمعرفة المزيف منها .. ونرى هنا خبير التزييف والتزوير الدكتور مصطفى شفيق يجري احدى التجارب على الجهاز ، يعاونه جمال صقر من الشباب الكويتي ..



وفوق البنفسجية ، والاشعة السينية ، حتى يفتضح ما خفي على العين ، ويظهر على المستند « البرىء » تفاصيل المحو والتزوير ..

الاجازات والتاشيرات !

وقد اتسعت اعمال التزوير فى الكويت عندما اشتدت قبضة القانون .

فعندما ضج الناس من كثرة المتسللين الى أرض الكويت ، ظهرت القوانين اللازمة للحد من هذه الهجرة غير المشروعة ... وكانت النتيجة انتشار التزوير والتعديل فى تواريخ وارقام تأشيرات الدخول والاقامة فى الكويت ..

ومرة ثانية ضج الناس من حوادث السيارات ، التى قارب عددها ..١ الف سيارة في الكويت ، وتشددت ادارة المرور فى اعطاء الاجازات وتراخيص القيادة ... وكانت النتيجة تزوير هذه التراخيص للتحايل على القانون !

ترويج .. لا تزييف

وتزييف العملة في الكويت معدوم ، لأن نشاط الشرطة وسهرها يحولان دون اقامة معامل او تنظيم عصابات للتزييف .. ولكن ترويج العملة الزائفة المتسللة من وراء الحدود موجود على نطاق ضيق ..

واكثر الأوراق تزييفا هي اوراق العملات الأجنبية ، وخاصة اوراق العملة الامريكية . والقانون الكويتي صريح فى معاقبة مزورى العملة سواء كانت محلية ام اجنبية ، لأن الكويت منضمة الى الاتفاقية الدولية لمكافحة التزوير والتزييف .

ويستعمل المزور في طباعته لعملاته المزورة ، احبارا مماثلة فى اللون لتلك المستخدمة فى طباعة العملات الصحيحة ، دون ان يتنبه لاختلاف التركيب الكيماوى للاحبار .. لهذا ما يكاد جهاز الأشعة فوق البنفسجية فى ادارة البحوث ، يسلط اشعته على الاوراق حتى تظهر فى الحال الاوراق المزيفة من الاوراق الصحيحة ، نتيجة الاختلاف فى تركيب احبار الطباعة والورق المستعمل .



انابيب Alcotest اى اختبار الكحول ، وهى أسرع واحدث وسيلة لاكتشاف آثار الكحول، المنبعث من زفير السكارى .. بالانبوبة مادة صفراء يمر عليها بالنفخ زفير المخمور ، فيتغير اللون الى لون أخضر بدرجات متفاوتة ، بسبب ما بالزفير من كحول ، وبذلك يتم الكشف المطلوب .. وترى هنا خبير قسم المخدرات والسموم الدكتور حسن طاهر على، يوقع التقارير عن المخمورين بعد تحديد نسبة الكحول، يعاونه في ذلك مشارى عبد الله المشارى احد الشباب الكويتى الذى يتدرب في ادارة البحوث ..

اياك وشرب الخمر !

ومن قسم التزييف انتقلنا الى قسم السموم والمخدرات،وفيه تجرى عملية فحص المواد المخدرة والمواد السامة المشتبه فيها ، وهل هي من الممنوعات قانونا ام لا ؟

وقد زود هذا القسم اخيرا بأحدث واسرع طريقة للكشف عن الشخص المخمور .. لأن تعاطي الخمور ممنوع في الكويت وشاربها يقع تحت طائلة القانون ... فما يكاد المشتبه فى سكره يصل مع الجندى الى ادارة البحوث ، حتى يأخذون له عينات من الدم والبول ، ويطلبون منه النفخ في انبوبة صغيرة بها مادة خاصة صفراء اللون..فاذا كان الزفير الخارج من فم المتهم مخلوطا باية كمية من الكحول ، يتحول لون المادة الصفراء الموجودة فى الأنبوبة الصغيرة الى لون اخضر .. ودرجة تغير اللون تتناسب مع كمية الكحول المختلطة مع زفير الشخص الذى تجرى عليه هذه التجربة .. لأن الجسم ــ كما هو معروف ــ يتخلص من آثار الكحول عن طريقين : الزفير والبول .. أما اذا كان المتهم غير مخمور فان اللون الاصفر يبقى كما هو ..

ومثل هذه الأنبوبة اصبحت مستعملة في جميع ارجاء اوربا مع تغيير فيها يؤدى ليس فقط الى كشف ان الرجل مخمور أو غير مخمور ، فشرب الخمر هناك مأذون به ، ولكن الى كم من الخمر هو قد شرب وكم بقي في دمه من الكحول فاصبح خطرا على المارة ، وعلى الاطفال خاصة ، وهو يقود السيارة ..

من أين انطلقت الرصاصة ؟

وفى قسم السلاح يجرى فحص الاسلحة النارية والمقذوفات والخراطيش ، ونعنى بالخراطيش الاغلفة التى تضم البارود... وتحت الميكروسكوب المقارن ، وهو من احدث الوسائل للكشف عن آثار الجريمة ، تجرى عملية مقارنة لمعرفة اذا كانت الرصاصة المستعملة فى الجريمة قد انطلقت من



جهاز الطيف ذو المناشير الثلاثة Three prisms-pectrograph وفي هذا الجهاز تحرق المادة المشتبه فيها بشرر كهربائي يخرج من بين قطبين من الكربون بينهما جهد كهربائي عالي ، والضوء المشع من الاحتراق يجرى الى المناشير ، ويتحلل الى طيف يكشف عما في المادة المحترقة من معادن ، فلكل معدن خطوط في الطيف خاصة تدل عليه ، كما وكيفا .. وهذه العملية تكشف عن المواد المضبوطة التى قد يكون لها علاقة بالجريمة مثل السموم المعدنية وأشباهها

نفس السلاح الذى فى حوزة المتهم ، ام من سلاح غيره ؟

وهذه العملية تتطلب فحص ما يسمى بالحزوز الموجودة على الطلقة وهذه الحزوز ناتجة عن احتكاك الرصاصة الموجودة بماسورة السلاح المشتبه فى استعماله بالجريمة .

آثار واحدة

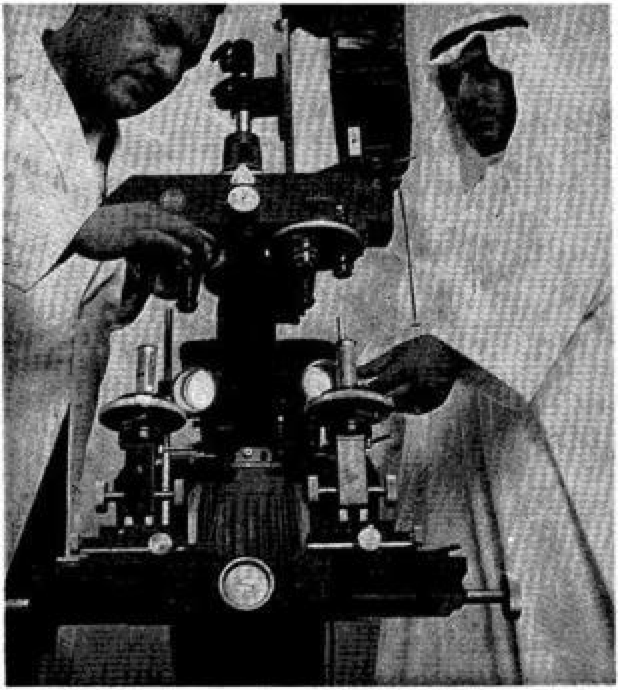
ان الميكروسكوب المقارن يمكنه الكشف عن الجريمة بسهولة كبيرة عن طريق اصغر اثر .. فمثلا عثرت الشرطة على سيارة مكسورة الزجاج ومسروق ما كان بداخلها ... وحامت الشبهات حول احد الرجال ، ولكنه انكر معرفته بالحادث ، وبتفتيشه عثروا معه على « مفك » ... واخذ خبير قسم السلاح فى فحص نافذة السيارة المكسورة فوجد عليها آثار آلة حادة ... فعمد الى بقعة بجوار الأثر ، واحدث اثرا آخر بالمفك الذى عثروا عليه مع المشتبه فيه .. وقام الميكرسكوب المقارن ، بأخذ صورة للأثرين الضئيلين بعد تكبيرها ٥٠٠ مرة ومن الصورة ظهر ان الآثار الموجودة على نافذة السيارة ناتجة عن استعمال المفك الذى وجد فى جيب المتهم ..

اثبات البنوة .. والحمل المبكر

وفى القسم السيرولوجي Serelogy اى علم الامصال ومكوناتها ، وما يتبعها من ابحاث طبية اخرى ، يوجد معمل كبير يقوم بفحص وتحليل البقع الموجودة على ملابس المتهمين والمجني عليهن فى القضايا الاخلاقية ، لمعرفة نوع هذه البقع وفصيلتها ، وبالتالى نفي التهمة او اثباتها ..

ومن الاعمال الاساسية فى هذا القسم فحص وتحليل بقع الدم التى يعثر عليها فوق الآلات المستعملة في الجرائم لمعرفة ما اذا كانت لانسان او حيوان...فاذا ثبت انها دم آدمى شرع علىالفور في تحديد فصيلته لمقارنته بفصيلة دماء القتيل او المجني عليه ..

اما عملية اثبات البنوة فتتم عن طريق اخذ



المجهر المقارن Comparison Microscope لعله من احدث الأجهزة البصرية التى تساعد في فحص نموذجين في آن واحد للمقارنة بين خصائصهما .. وهو في الحقيقة يتكون من مجهرين جمعت بين صورتيهما مجموعة من « المنشورات الزجاجية »مكنت الفاحص منرؤيتهما بعينواحدة وفي آن واحد .. ونرى هنا خبير السلاح الدكتور محمد الزناتى يقوم بمقارنة آثار طلقة الزناد على قاعدة«خرطوشتين» احداهما وجدت في مسرح الجريمة ، والثانية أطلقت من السلاح المشتبه فيه .

عينات من دم الاطراف المتنازعة (الأب والأم والطفل) وتحدد فصائلها وتقارن ببعضها ، لنفي او اثبات بنوة الطفل ... والنفي فى هذه الحالة يكون قاطعا ..

وتجرى فى معمل قسم السيرولوجي تحاليل لمعرفة الحمل المبكر عند المراة فى الاسابيع الاولى من حدوثه .. ويجرى هذا النوع من التحليل فى جرائم هتك العرض التى يتسبب عنها احتمال حدوث حمل .

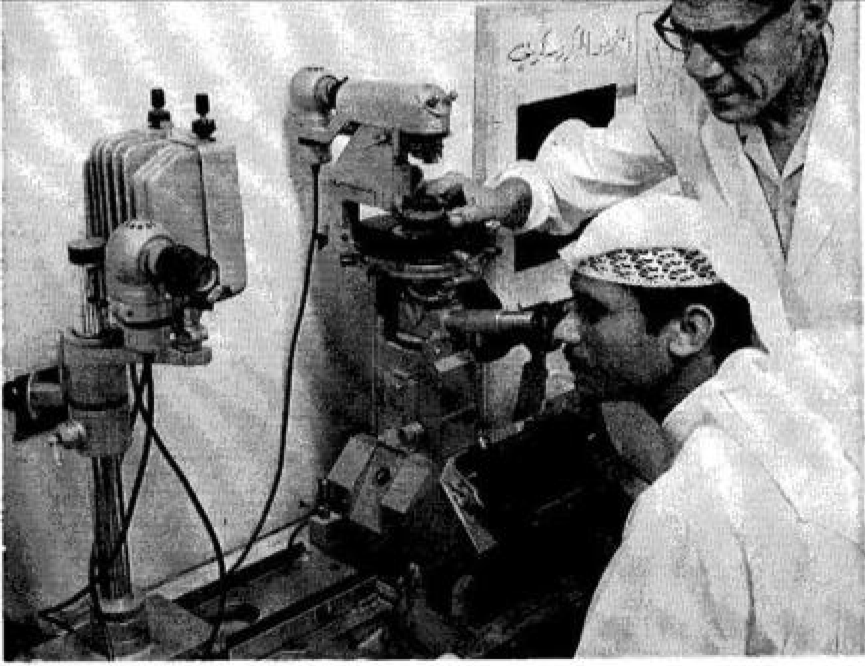
وفي نفس المعمل تجرى عملية تحليل مقارن للخيوط والاقمشة والحبال التى يعثر عليها فى مسرح الجريمة ، ومقارنتها بملابس المتهمين وموجوداتهم ..

عماد المستقبل

والى جانب البحث عن اسرار وخبايا الجرائم يقوم الخبراء الستة العاملون في الادارة والمنتدبون من مصلحة الطب الشرعي بالجمهورية العربية

صقر الغانم أحد الشباب الكويتى يتدرب بقسم السيرولوجى على فحص بعض الملابس بمصباح الأشعة فوق البنفسجية ، لاظهار البقع المشتبه بها،تمهيدا لتحليلها.

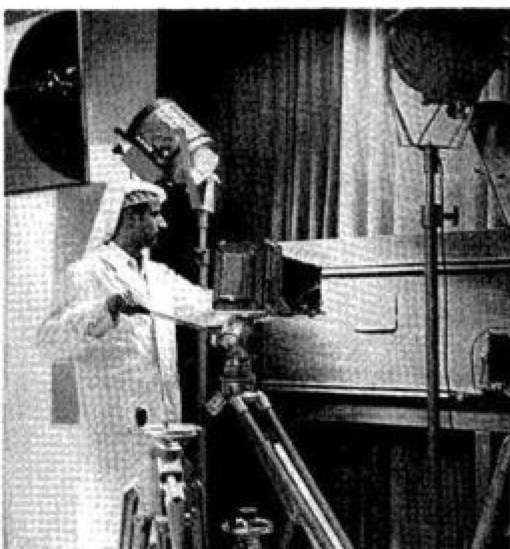




خبير السيرولوجي الدكتور حسن عثمان البنهاوي ، يشرف على تمرين شاب كويتي على احد استعمالات الميكرسكوب الخاص Universal Micrscope وهو على درجة عالية من الدقة يعمل بالضوء العادي والأشعة فوق البنفسجية ، لاظهار بعض مكونات المواد التي لا يمكن كشفها بالمجاهر العادية .. ومن ضمنها فحص محتويات البقع المشتبهة بالملابس التي تضبط في الجرائم .. وتصل درجة تكبير هذا الميكرسكوب الى أكثر من ألف ضعف .

● ● ●

تضم ادارة البحوث قسما كاملا للتصوير يقوم بالتقاط صور حوادث السيارات والحريق والقتل وتصوير المستندات والاوراق النقدية المزيفة .. ونرى هنا « غلوم خير الله » رئيس القسم يلتقط صورة أحد المستندات .



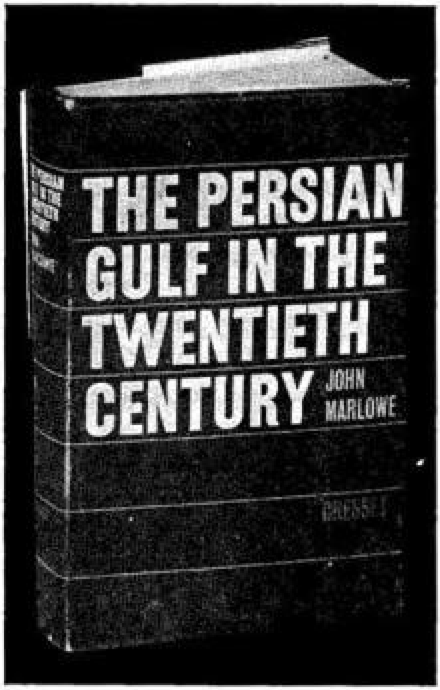
المتحدة ،وكلهم من المتخصصين ذوي الكفاءة العالية الذين امضوا سنين طويلة يعملون في هذه المجالات ... يقوم هؤلاء الخبراء بتدريب وتدريس مجموعة مختارة من الشباب الكويتي على الاعمال الفنية والادارية في مختلف الاقسام .

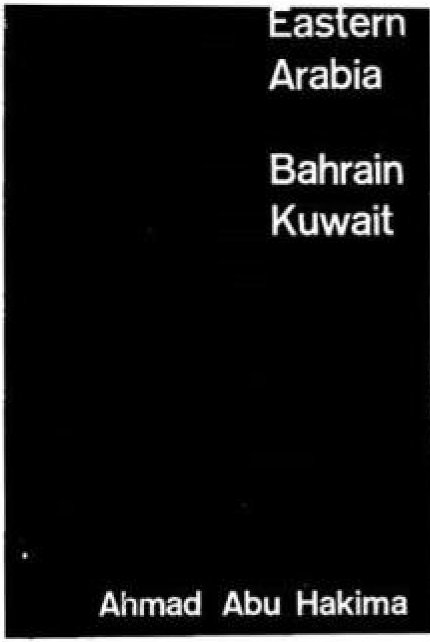
وقد اتم بعض هؤلاء الشباب تدريبهم ، ووزارة الداخلية بصدد ارسالهم في بعثات تكميلية الى الخارج ليزدادوا خبرة ومعرفة .

الجريمة لا تفيد في الكويت

والخلاصة ان ادارة البحوث الجنائية والطب الشرعي ، استطاعت أن تجعل من الجريمة في الكويت عملية لا يمكن ان تمر دون ان يلقى المتهم جزاء ما اقترفت يداه ... ■■

س. ز.





كتابان عن :

تاريخ الخليج العربي (١)

بقلم : الدكتور محمود السمره

الاستاذ بالجامعة الاردنية

■ هذان كتابان يجمع بينهما أمران : أولهما انهما يؤرخان لفترتين من تاريخ منطقة الخليج العربى، وثانيهما انهما قد صدرا باللغةالانجليزية. وهما حسب السبق في الظهور :

« الخليج العربى في القرن العشرين » : لجون مارلو ، وقد صدر في يونيه (حزيران) ١٩٦٢ و « تاريخ شرق الجزيرة العربية » (في القرن الثامن عشر): للدكتور أحمد ابو حاكمة ، وقد صدر سنة ١٩٦٥ .

وقبل أن أتناول كلا من الكتابين بالتحليل ، احب أن اشير الى انه اذا كان ليس من العسير التاريخ لهذه المنطقة في القرن العشرين ، لوفرة المصادر ، فان من العسير جدا كتابة تاريخها في القرن الثامن عشر ، لتوزع المصادر أولا ،

(1) John Marlowe, The Persian Gulf in The Twentieth Century.
Ahmad Abu Hakima, History of Eastern Arabia.

وخفائها ثانيا . وهذا هو السبب الذى كان يصرف المؤرخين عن التصدّى لهذا الموضوع ، والانصراف الى موضوعات أقرب تناولا ، وأكثر اغراء .

ورغم العقبات التى تجابه المؤرخ الذى يتصدى لكتابة تاريخ هذه المنطقة في القرن الثامن عشر ، والتسهيلات المتوفرة لمؤرخ تاريخها في القرن العشرين ، فاننا ننتهى بعد قراءة الكتابين الى ان الدكتور أبو حاكمة كان أكثر توفيقا في بحثه ، وأكثر احاطة بالمصادر ، وأدق منهجا .

ونحن اليوم نجد منطقةالخليج العربي تستهوى المؤرخين ، والسياسيين، والصحفيين علىالسواء، لأسباب واضحة . فاذا كانت هذه المنطقة في الماضي بالغة الأهمية بالنسبة لبريطانيا من أجل تامين مواصلاتها الى الهند ، فانها اليوم أكثر أهمية لها ، بسبب مصالحها النفطية فيها ، حتى لنستطيع أن نقول انه اذا كانت الهند في الماضي قد عرفت بانها « درة التاج البريطاني » ، فان نفط الخليج هو اليوم عماد الجنيه الاسترليني ، والقوة التى تحرك صناعة غرب أوروبا .

★ ★ ★

وكتاب جون مارلو نافع مفيد لما فيه من معلومات عن هذه المنطقة الهامة المحيطة بالخليج ، التى تنتج نحو ربع النفط في العالم ، وهو نفط لم يستطع أن يقلل من أهميته ، بالنسبة لغرب أوروبا ، اكتشاف النفط الليبى .

ورغم محاسن الكتاب ، فان من عرف جون مارلو في كتابيه القيمين عن القضية الفلسطينية ، وعن القومية العربية والاستعمار البريطاني (١) ، يصاب بخيبة أمل هنا ، ويجد أن هذا الكتاب دونهما في المستوى للاسباب التالية :

فهو يتحاشى مناقشة كثير من القضايا الهامة التى تفرض نفسها على كل من يتناول هذا الموضوع ، بحيث يتحول الكتاب الى دليل نافع للقارىء المهتم بتاريخ المنطقة في القرن العشرين ، بدلا من أن يكون دراسة تحليلية للاوضاع القائمة في المنطقة .

وهو يتحدث عن الماضي أكثر من الحاضر والمستقبل ، كما يعانى من نقص لا يخلو منه كتاب يتصدّى للحديث عن منطقة تتسارع فيها الأحداث وتتدافع ، وأعنى بذلك ان الكتاب لم يكد يصدر حتى جدّت احداث جعلته يبدو غير مواكب للحاضر الماثل ، وأبسط مثال على ذلك ان المؤلف لا يجرى ذكرا لامارة أبى ظبى ، التى برزت مؤخرا كاحدى الامارات الهامة المنتجة للنفط .

ثم ان المؤلف يركز تركيزا خاصا على ايران والعراق ، وهو في هذا انما يختار السبيل الهيّن، لأنهما سبق ان درسا دراسة جيدة ، وكان الأفضل لو وجّه همه لدراسة امارات الخليج التى يكاد يكون تاريخ بعضها مجهولا .

ومن أبرز عيوب الكتاب أيضا : تكرار الفكرة الواحدة في عدة أماكن ، والحاقه ملاحظات لكل فصل ، ولكنها ملاحظات لا تضيف جديدا ، ولا تنير سبيلا ، ولو أغفلها المؤلف لما احسّ القارىء انه فقد شيئا هاما .

وفي الكتاب أخطاء تاريخية واضحة ، منها على سبيل المثال :

١) عندما يناقش مارلو المعاهدة التى عقدت في يناير (كانون الثاني) ١٩٢١ ، بين روسيا وايران ، يقع في خطأ شائع حين يقول : « واهم بند في المعاهدة هو ذاك الذى يسمح لروسيا بان ترسل قواتها الى ايران ، اذا استعمل فريق ثالث ارض ايران قاعدة للهجوم على روسيا ، اى أن ايران قد تخلت بهذا البند عن حماية بريطانيا لها ضد اى هجوم روسي » .

وموطن الخطأ في هذا القول ان هذا البند قد وضّح بتفسير لاحق أعلنه الطرفان ، فيه يحددان بوضوح أن المقصود بالفريق الثالث هم « الروس البيض » .

٢) ويقول مارلو : « وأما العتوب الذين استولوا على البحرين ، واخذوها من الايرانيين سنة ١٧٨٣ ، فقد جاءوا أصلا من الحسا ، وهى المنطقة التى يرجّح أن الكويتيين جاءوا منها ».

---

(١) كتابا جون مارلو هما :

The Seat of Pilate
Arab Nationalism and British Imperialism

وهذه العبارة مضللة ، وتحتاج الى تفسير ، والتاريخ يحدثنا ان ثلاثة من العتوب هم الصباح، وآل خليفة ، والجلاهمة ، قد حلوا الكويت في مطلع القرن الثامن عشر ، ثم ارتحل آل خليفة الى البحرين .

٣) ويقول مارلو : « ان أول ما ظهر النفط في السعودية ، كان في الدمام » والحقيقة انه ظهر اولا في الظهران .

٤) وهو يورد خبرا متناقضا حين يقول في صفحة ١٧٨ : « ان واحة البريمى تتكون من ثماني قرى : ست منها لأبى ظبى، والثنتان لمسقط.

ثم يقول في صفحة ١٩٧ : « وتتكون واحة البريمى من عشر قرى كلها لأبى ظبى » .

وحقيقة الامر ان واحة البريمى تتكون من عشر قرى ، منها ثمانى قرى لأبى ظبى والثنتان لمسقط.

واخيرا نستطيع ان نقول : ان عنوان الكتاب لا يتفق تماما مع مادته ، فهو يكاد يكون مقصورا على ايران ، والعراق ، والسعودية ، وحديثه عن السعودية سطحى . وهو دائم التنقل بين موسكو وبغداد والقاهرة وغيرها ، كما يتطرق لموضوعات لا صلة لها بمنطقة الخليج العربى .

★ ★ ★

والكتاب الثانى هو أول دراسة مسهبة لتاريخ هذه المنطقة التى كاد نموها السريع في النصف الثانى من القرن العشرين ، ان يحجب عن العيون تاريخها الغابر ، حتى ليبدو للرائى انه لم يكن لها تاريخ يذكر قبل اكتشاف النفط . وهذا الكتاب يبدد هذا الوهم ، فيتناول بالدراسة والتحليل بزوغ نجم العتوب في النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، واقامتهم دولة في الكويت، ثم في البحرين . والعتوب أهم أجداد الأسرتين الحاكمتين اليوم في الكويت والبحرين .

والكتاب في ستة فصول ، وخاتمة وملحق :

والفصل الأول يتناول الأوضاع التى كانت سائدة في شرق الجزيرة العربية ، والخليج عامة ، في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، ويشرح العوامل التى ادت الى هجرة العتوب ، واستقرارهم في الكويت .

وفي الفصل الثانى يتحدث المؤلف عن أصل العتوب ، ويحاول ان يجيب على كثير من التساؤلات الدائرة حول نشوء الكويت ، وظهور عائلة الصباح ، وحكمها للكويت سنة ١٧٥٢ .

ويصف الفصل الثالث كيف ان آل خليفة ، اقارب عائلة الصباح ، هاجروا سنة ١٧٦٦ الى الجنوب ، واسسوا الزبارة في قطر . وقد رافقتهم في هجرتهم هذه عائلات أخرى من العتوب. وفي هذا الفصل أيضا حديث عن تجارة العتوب ، وازدهارها .

وفي الفصل الرابع حديث شيق عن تجارة العتوب المزدهرة التي اتخذت من الكويت، والزبارة، مركزا لها ، مما أثار حسد القبائل العربية المقيمة على طول ساحل الخليج . وقد ادى هذا التنافس الى نشوب حرب بين العتوب وهذه القبائل ، كان من نتيجتها أن احتل العتوب البحرين عام ١٧٨٢. وبهذا النصر اصبح العتوب اقوى قوة بحرية في الخليج .

وموضوع الفصل الخامس : الوهابيون ، والصراع بينهم وبين بنى خالد ، وصلة الوهابيين بالعتوب .

أما الفصل السادس فهو عبارة عن تجارة العتوب ، وفيه تحليل طيب للاسباب التى مكنت العتوب من احتكار تجارة شرق الجزيرة العربية .

ولا ينسى المؤلف أن يبرز العوامل الخارجية التى شاركت في صنع تاريخ المنطقة . واذا كان المؤلفون الغربيون لا يرون المنطقة الا من الخارج، ويجعلونها خاضعة لمؤثرات خارجية تعبث بها كما تريد ، دون ان يولوا ما كان قائما داخل المنطقة أهمية تذكر ، فان هذا الكتاب ينظر الى المنطقة من الداخل، مطلا منها على الخارج .

ومما يذكر للمؤلف انه اعتمد في تاريخه لهذه الفترة من تاريخ المنطقة ، على مصادر عربية كثيرة متنوعة ، وعلى وثائق غربية ، وعلى معرفته الشخصية للمنطقة التى اقام فيها عدة سنوات . وكل هذه مجتمعة ، بالاضافة الى وعى المؤلف للمنهج التاريخى ، تجعل من هذا الكتاب مصدرا

لا يستغنى عنه مؤرخ ، ولا مهتم بتاريخ هـــذه المنطقة .

★ ★ ★

واذا كان الكتاب الغربيون قد اعتمدوا في ما كتبوه عن المنطقة على مصادر افرنجية ، كما اعتمد الكتاب العرب على مصادر عربية ، فان هذا الكتاب يجمع بين الاثنين ، فيعتمد على المصادر العربية والافرنجية ، ويزيد عليها مصادر ووثائق لم يعرض لها احد من المؤرخين قبله .

ويمكن قسمة مصادر الكتاب الى ما يلي :

١) مصادر عربية معاصرة ، أو شبه معاصرة .

٢) تقاليد محلية موروثة .

٣) سجلات حكومة الهند بلندن .

٤) ما كتبه الرحالة الاوروبيون .

٥) وثائق أوروبية .

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن كل هـــذه المصادر التى استقى منها المؤلف مادته ، ولهذا سنقصر حديثنا على المصادر العربية المعاصـرة وشبه المعاصرة .

★ ★ ★

واول ما نلاحظ على هذه المصادر أن أكثرها ما زال مخطوطا ،وما نشر منها ظهر في صـــور مختصرة ، أو هو نادر ندرة تجعله شبيها بالمخطوط. والأمر الهام في هذه المصادر انها لا تتناول منطقة شرق الجزيرة العربية ، او العتوب ، تناولا مباشرا ، بل ان الأحداث التى تتناولها وثيقة الصلة بهما .

وجل مؤرخي القرن الثامن عشر ، ومطلع القرن التاسع عشر ، الذين نجد في آثارهم اشارة الى هذه المنطقة ، هم من نجد والعراق . والظاهرة الواضحة في المؤرخين النجديين أنهم يوجهـــون همهم للحركة الوهابية ، بينما نجد أثر الحكم العثماني واضحا في المؤرخين العراقيين .

★ ★ ★

واشهر المؤرخين النجديين اثـــان ، هما حسين ابن غنام ، وعثمان بن عبد الله بن بشر .

وحسين بن غنام هو أول من سجّل تاريـــخ الحركة الوهابية في كتابه «روضة الأفكار والافهام»، في جزاين ، وهو مخطوط موجود في المتحـــف البريطانى بلندن ، وطبع سنة ١٩١٩ في بومبى بالهند .

وعثمان بن عبد الله بن بشر هو صاحب كتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد » ، وهو كتاب يؤرّخ للحركة الوهابية منذ ظهورها حتى سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥١ م،ومنه نسخة مخطوطة بالمتحف البريطانى. وتاريخ ابن بشر مرتّب حسب السنوات ، فهو يورد تحت كل سنة ما وقع فيها من أحداث . ومع انه يعتمد اعتمادا كبيرا على ابن غنام ، ويقتبس منه ، الا أنه لا يعترف بذلك ، ولا يذكر اسمه . ويتميز هذا الكتاب باهتمامه بتسجيل أعمال القرصنة في الخليج .

وهذان المصدران هامّان لكل من يتصدى لكتابة تاريخ العتوب ، لانهما يتناولان العلاقـــات بين الوهابيين وبني خالد ، وبنو خالد هؤلاء كانوا لفترة من الزمن الحاجز الحامى للعتوب منهجمات الوهابيين . ويؤرّخ هذان الكتابان أيضا لهجمات الوهابيين على العتوب ، ورد العتوب عليهم . وبما أن هذين المؤرخين وهابيان ، فانهما يتناولان الأحداث من وجهة نظرهما .

ويمثّل المؤرخـــون العراقيون وجهـة النظـر العثمانية .

ويقف على رأس هؤلاء المؤرخين يس بن خيرالله الخطيب العمرى ، صاحب « الدر المكنون في مآثر الماضية من القرون » . وقد ولد العمـرى بالموصل سنة ١١٥٨ هـ /١٧٤٥ م. وكان طاعنا في السن يوم بدأ الوهابيون غاراتهم على العـراق ، في مطلع القرن التاسع عشر . ويبدأ « الدر المكنون » بالعام الأول للهجرة ، ويقف عند عام ١٢٢٦ هـ /١٨١١ م . وبسبب طول المدة التى يؤرّخ لأحداثها ، كان حديثه مقتضبا جدا . ومع أن ما كتبه عن الأحداث المعاصرة موجـــزا أيضا الا انه هام لأنه يسجّل لنا موقف العثمانيين من الوهابيين . ويوجد من هذا الكتاب نسختان

مخطوطتان بالمتحف البريطاني ، ونسخ اخرى في القاهرة ، وبرلين ، وباريس ، والموصل .

والمصدر الثاني من هذا النوع من المصادر هو كتاب « مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود » ، لمؤلفه عثمان بن سند البصري . وقد وضع ابن سند كتابه هذا نزولا عند رغبة والي بغداد التركي داود باشا ، وذلك سنة ١٢٤١هـ / ١٨٢٥ م . ومن أجل هذه المهمة غادر البصرة الى بغداد . وهذا الكتاب سجل لتاريخ العراق ، وصلته بالبلاد المجاورة، ابتداء من ١١٨٨هـ/١٧٧٤م، وهي سنة ميلاد داود باشا، الى ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م، وهي سنة وفاة المؤلف .

ولابن سند كتاب آخر اكثر اهمية من هذا الكتاب ، بالنسبة للمهتم بتاريخ شرق الجزيرة العربية ، وهو « سبائك العسجد في اخبار احمد نجل رزق الأسعد » .

واحمد بن رزق هذا من تجار العتوب الأغنياء، وكان ـ حسب رواية المؤلف ـ من الذين اعانوا خليفة بن محمد (مؤسس حكم آل خليفة في البحرين) في تأسيس مدينة الزبارة . ولكن آل خليفة ينكرون دعوى ابن سند هذه ، ويقولون ان احمد بن رزق كان امام مسجد آل خليفة في الزبارة، زمن حكم أحمد بن خليفة . وقد طبع هذا الكتاب في بومبي سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧ م .

وهذا المصدر هو أقدم مصدر يتحدث عن العتوب ، وتأسيسهم مدينة الزبارة ، وهو المصدر العربي الوحيد الذي يتحدث عن تجارة العتوب ، وكيف أن خليفة بن محمد أعفى التجار من دفع الجمارك . ونحس ، ونحن نقرأ الكتاب، أن المؤلف كان يعرف معظم التجار الذين يتحدث عنهم معرفة وثيقة . وهو بلا شك من المصادر الشائعة المعروفة عند المهتمين بتاريخ الكويت والبحرين .

★ ★ ★

ونجد معلومات مسهبة وثيقة عن تاريخ شرق الجزيرة العربية في كتاب « لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب » ، ومنه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني ، وهو لمؤلف مجهول . ويعنى هذا الكتاب بتاريخ الجزيرة العربية عامة ، وان كان عنوانه يوحي بغير هذا ، ولا تحتل سيرة محمد ابن عبد الوهاب قدرا كبيرا من صفحاته . وميزة هذا الكتاب على كل ما تقدم ذكره من مصادر ، انه يقف موقفا محايدا بين الطرفين : فلا هو يتعصب للوهابية ، ولا هو يتبنى وجهة نظر عثمانية . ومن ميزاته أيضا انه افرد ابوابا خاصة لحالة القبائل العربية ، وتحدث عن بعضها بتفصيل لا نعرف له نظيرا في أي مرجع آخر . وهو فوق هذا قد تحرى الدقة في تسجيل الأحداث . ونظرا لقيمته التاريخية ، واهميته ، فقد قام الدكتور ابو حاكمة بتحقيقه ، وقامت بنشره هذا العام « دار الثقافة » ببيروت .

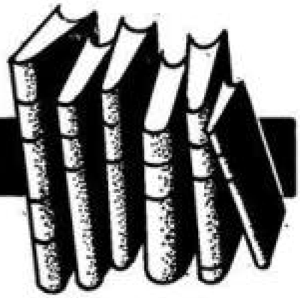
وشبيه بهذا الكتاب في موضوعيته كتاب « عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد » لمؤلفه ابراهيم بن فصيح الحيدري البغدادي . وكان ابن فصيح ، قبل أن يتفرغ لكتابة مؤلفه ، قد قام بزيارة للبلاد التي يريد أن يكتب عنها ، كما زار سوريا ومصر وتركيا .

★ ★ ★

ولا نستطيع أن ننهي الحديث عن هذه المصادر دون الاشارة الى مؤلفات مؤرخ عماني هو حميد ابن محمد بن زريق . وميزة مؤلفات ابن زريق انها تمثل وجهة نظر العمانيين ، بالنسبة لاحداث شرق الجزيرة العربية ، ومنطقة الخليج عامة ، واولها كتاب « الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعيديين » ، وقد ترجمه بدجر Badger الأستاذ بجامعة كمبردج ، سنة ١٨٧١ ، وكتب له مقدمة ضافية .

ولابن زريق كتابان آخران هما : « السيرة الجلية المسماة سعد السعود البوسعيدية » ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة كمبردج، و«الصحيفة القحطانية » ، ومنه نسخة مخطوطة بجامعة اكسفورد أهداها لها سلطان زنجبار في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٩ . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

محاضرات قانونية

الناشر : كتابة الدولة للعدل : تونس

● مجموعة محاضرات قانونية صدرت في ملازم من بعض قضاة تونس النابهين وهي على النحو الآتي :

١ ـ الامم المتحدة واقرارها للسلم ٢ ـ وسائل مقاومة الجريمة واصلاح المنحرفين ٣ ـ النظام العام ٤ ـ قوة الامر المقضي ٥ ـ دور المحامي في المجتمع ٦ ـ الاصل التجارى ٧ ـ عقد العمل الفردى ٨ ـ عقوبة الاعدام بين المناهضة والتحبيذ ٩ ـ تأمين المسئولية المدنية ١٠ ـ الكمبيالة في القانون التجارى ١١ ـ حفظ الملكية العقارية ١٢ ـ نظرية الشروع في الجريمة ١٣ ـ الكمبيالة في القانون التجارى ١٤ ـ المواطن في التشريع التونسي .

((مجلة قصص))

● وصلنا العدد الاول والثاني من المجلة الدورية « قصص » التى يصدرها نادى القصة « النادى الثقافي ابو القاسم الشابى » وهي من منشورات الدار التونسية للنشر وتقوم هذه المجلة بعرض وتحليل قصص الناشئة في فن القصة .

غادة افاميا

تأليف : عدنان مردم بك

الناشر : منشورات عويدات / بيروت

● مسرحية شعرية تقع في اربعة فصول والمسرحية تدور حول فكرة قومية وانسانية معا وتمثل كفاح الشعب السورى بجميع طبقاته وحربه ضد المستعمر ، والمؤلف قد اختار في مسرحيته الابحر الشعرية القصيرة ليسهل الحوار بها ويميل في تحليله للاحداث الى التحليل النفسي واحلال الفكرة موضع الصدارة .

ديوان البلبل والوكر

تأليف : ابراهيم أسطى عمر ـ جمعه : عبدالباسط سليمان الدلال وعبد اللطيف محمد شاهين .

الناشر :

مطبعة م . ك الاسكندرية

● ديوان شعرى يحوى مجموعة قيمة من المقطوعات الشعرية الوطنية مثل الجندى في ميدان القتال ونشيد النصر ، ورهين المحبسين ، ثم مجموعة مراثي لبعض الشخصيات الوطنية ومتفرقات اخرى .

كتاب العين

تأليف : الخليل بن احمد الفراهيدى ـ تحقيق : الدكتور عبد الله درويش الناشر : مطبعة العاني بغداد

● اول معجم وصلنا في اللغة العربية وقد رتب بطريقة فريدة تميل الى الناحية الرياضية والى الترتيب الصوتي من الناحية العملية وقد رتب الخليل الابجدية العربية الى مجموعات صوتية وكان ترتيب الخليل هذا مبنيا على أساس مخارج الاحرف فقدم المجموعات الصوتية بحسب عمقها في الحلق ثم تدرج حتى الحروف الشفوية ثم حروف العلة .

فرنسا شعبها وارضها

تأليف : ليليان ج براجدون ـ ترجمة : أحمد عبد الحميد . مراجعة : الدكتور عز الدين فريد ـ

الناشر : مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة

● كتاب يعطي صورة لطيفة عن بلاد فرنسا وسكانها وتطورها التاريخي والمؤلف يأخذ القارىء في جولة سريعة حول فرنسا ليصف له مناظرها الخلابة وآثارها المعمارية وعادات اهاليها في اجزائها المختلفة والكتاب كذلك يلقي بعض الضوء على شخصيات هامة في فرنسا امثال لافاييت ونابليون وغيرهما من الاعلام .

مَـانِيه .. وَزُولا

فنانٌ عَظيمٌ لفظهُ المجتمع

وأديبٌ كبيرٌ بدأ حياته فاشلاً!

(انظر الصورة صفحة ٢)

■ كانت زرقة المياه تثيره وغيوم السماء ساعة الأصيل تشده اليها .. فكان يمضي الساعات الطويلة على الشاطىء يتأمل هذه اللوحة الرائعة ، وفي قلبه أمنية طالما تاق الى تحقيقها . « ليتني استطيع ان أعيش وسط هذا الجمال الذى رسمه الخالق بريشته الخالدة ! »

وحانت الفرصة أخيرا عندما قرأ اعلانا صغيرا عن حاجة البحرية التجارية الى ضباط للعمل على سفنها .. وتقدم للعمل ، وقبلوه وركب البحر ، وكان شابا يافعا لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره في ذاك الوقت .. وعاش ادوار مانيه Edouard Manet شهورا طويلة على ظهر السفينة التى كانت تعبر به الاطلسي جيئة وذهابا ! وخلال هذه الفترة تعلم مانيه الرسم .. رسم الأمواج والطيور والسحب والشمس عند الغروب، فكان يترك عمله ليختلي بنفسه مع لوحته وريشته، الى أن زهد هذا المنظر الذى لا يتغير ، وقرر أن يترك وظيفته .!

وعندما رست سفينته على شواطىء فرنسا بحثوا عنه فلم يجدوه !

ومضت بضع سنوات قبل أن يظهر الشاب فجأة في مرسم توماس كوتير Thomas Couture الفنان الفرنسي المشهور . وفي هذا المرسم تعلم مانيه الرسم على يد هذا الأستاذ الفنان الكبير .. كان يميل الى الفن الاوروبى من أمثال تيتيان Titian ، وبيتر بول روبينز Peter Paul Robens وديجو فيلاسكويز Diego Velazquez وغيرهم ..

ولكنه ما لبث أن ملّ التنقل .. فقرر أن يترك باريس مسقط رأسه ويشد رحاله الى بعض دول أوروبا .. فزار هولندا والمانيا وايطاليا واسبانيا ، وكان يمضي أيامه كلها متنقلا بين أعمال كبار الفنانين الذين سبقوه وعاصروه ، وبين الصور التى يراها حوله من حياة الناس في هذه البلاد .. وكان يعود الى فرشاته في نهاية كل يوم ليسجل انفعالاته وانطباعاته على الورق والقماش!

واستغرقت رحلاته التى بلورت شخصيته سنوات عديدة قبل أن يعود الى باريس مرة أخرى، وكان قد اشتد به الحنين الى بلده ووالديه، فكان اول عمل فنى له في فرنسا بعد عودته ، لوحة رائعة لأبيه وأمه ، ثم لوحة أخرى أسماها « عازف الجيتار » ، لموسيقار فرنسي يعمل في ناد ليلى .

ومضت بضعة أشهر قبل أن يتعرض مانيه لأعنف حملة من الهجوم تعرض لها فنان في حياته

بسبب لوحتيه الشهيرتين أوليبا Olympia والغذاء فوق الحشائش الخضراء !

وكانت الاولى تمثل امراة عارية وامامها خادمتها بينما جلست قطة سوداء على الارض تتأمل في اعجاب لوحة جويا الشهيرة « ماجا العارية » . Nude Maja .

اما الثانية فقد كانت لامراة عارية تماما كما ولدتها امها ، وقد جلست هى الأخرى تتناول الغداء على الحشائش الخضراء في احدى الحدائق، بين رجلين بكامل ملابسهما .. ومن بعيد ظهرت امراة اخرى نصف عارية خرجت لتوها من الماء حيث كانت تغتسل !

وقاطعوه ، وحاربوه ، وأوصدوا الأبواب في وجه لوحاته « الفاجرة » .. وكان هذا في عام ١٨٦٣ . ولكن القدر ارسل له صحفيا شابا وكاتبا جريئا ناشئا ، كان من الشجاعة بحيث وقف يدافع عن الفنان الموهوب الذى لفظه المجتمع! فكتب عدة مقالات في صحيفة « بيتى جورنال » Petit Journal ولافي باريزيين La vie parisienne والفيجارو Figaro وغيرها يدافع فيها عن مانيه واعماله الفنية الرائعة ..

ولم يكن هذا الصحفى الشاب سوى أميل زولا Emile Edouard Charles Antoine الكاتب الفرنسي الكبير الذى قدم للادب عشرات المؤلفات الأدبية الرائعة ..

لقد ولد أميل زولا في باريس عام ١٨٤٠ اى بعد مولد مانيه بحوالى ثمانى سنوات ، فقد ولد الأول في يناير ١٨٣٢ .. وعاصر الصحفى الصغير الفنان الشاب ! ولكن أميل كان في شغل شاغل عنه بمشاكله الخاصة في بداية حياته !

فقد بدا أميل زولا حياة فاشلة ، بعد تعثره في الدراسة الجامعية ، فعمل كاتبا صغيرا ، ثم بائعا في دار هاشيت للنشر ، وذاق مرارة الفقر والحرمان ، قبل ان يكتشف نفسه وسط الكتب التى كان يعيش بينها في هاشيت .. فراح يقرأ ويدرس الادب في مقر عمله الجديد .. ثم بدا قلمه يجرى على الورق .. فكتب القصة .. ووجدت قصصه القصيرة طريقها الى الصحف الصغيرة ثم راحت الصحف الكبرى بعد ذلك تتسابق على نشر أعماله وفي هذه الفترة ظهرت مقالات اميل زولا التى وقف فيها مدافعا عن الفنان مانيه ، قبل أن ينتقل الى التاليف ليقدم أروع المؤلفات واشهرها أسرار مارسيليا les mysteres De Marseille وصوت ميتة Le Voeu D'une Morte « وتيريز راكان » Therese Raquin ومادلين فيرا Madeleine Ferat وعشرات غيرها .. الى ان وضع اخيرا سلسلة مؤلفاته التى امضى في اعدادها ربع قرن كامل من الزمان .. وهى تقع في ٢٠ مجلدا وتتناول المراحل المختلفة للحياة الحديثة في فرنسا .. وقد قال عنها النقاد : « انها تاريخ طبيعى واجتماعي للاسرة في ظل الجمهورية الفرنسية الثانية » ..

وكتب زولا للمسرح « الورثة رابوردين » في عام ١٨٧٤ .

وجرته السياسة ، فلم يستطع ان يقف متفرجا اثناء محاكمة درايفوس Dreyfus ، فكتب مدافعا عنه لاقتناعه ببراءته . وقبضوا عليه وقدموه هو للمحاكمة ، وحكم عليه بالسجن والغرامة ، ولكن محكمة الاستئناف قضت بالغاء الحكم .

هذه نبذة سريعة عن حياة المؤلف الفرنسي الشهير أميل زولا ! وحياة صديقه الفنان ادوار مانيه .. لقد انفعل الاثنان بحياة الناس فسجلاها في الكتب واللوحات التى خلدت بعد وفاتهما .. وعندما مات مانيه في عام ١٨٨٣ عن ٥١ عاما ، قالوا عنه : « لقد كان واحدا من أعظم الفنانين الطبيعيين التاثريين الذين أنجبتهم فرنسا » .

اما أميل زولا ، فقد رثاه النقاد بقولهم :«لقد كان يكتب بقلبه ودمه ووجدانه .. وترك للبشرية تراثا لن يموت». ■■

م. ن.

إربح فائدة مأمونة

٥½٪

في حساب الودائع

يدر عليك حساب الودائع في بنك لومبارد فائدة بنسبة جيدة مع سلامة تامة لرأس مالك تضمن لك الطمأنينة المالية. وطالما نقودك مودعة في هذا الحساب، فإنها تحظى بفائدة على الدوام، وتستطيع ان تسحبها بسهولة وفقاً للشروط التي تتفق عليها عند فتح الحساب. لا تخصم منها أية ضريبة دخل في المملكة المتحدة. ويمكنك ان توزع مبالغ اضافية في الحساب في اي وقت تشاء، مما يتيح لك طريقة ممتازة لاستثمار رأس مالك.

والربح ٥½٪ سنوياً، يبلغ الحد الأدنى لمهلة السحب ٦ أشهر، سوى ان المائة جنيه الأولى يمكن سحبها لدى الطلب. ويدعم ودائعك في مؤسسة لومبارد المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطات تتجاوز ١٢،٥٠٠،٠٠٠ من الجنيهات الاسترلينية. أطلب من المدير العام مزيداً من التفاصيل، ونسخة من كتيب حساب رقم AO.182

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: P.O. Box 1.EU, LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON, W.1.
GROsvenor 4111 (30 lines)
City Office: 31 LOMBARD STREET, LONDON, E.C.3. MINCING LANE 4111 (10 LINES)

(بقية المنشور على صفحة ٧)

وآينشتاين بزيارة أمريكا لجمع التبرعات لفلسطين، وخاصة للجامعة العبرية هناك ، وافق آينشتاين على ذلك الاقتراح ، وفي ابريل ١٩٢١ وصل آينشتاين وزوجته والدكتور وايزمان وحاشيتهم الى أمريكا .

٤ ـ واهتمام آينشتاين لم يكن مقصورا على دنيا العلم بل كان من اهتماماته الاجتماعية والانسانية الكثيرة ، سعيه الثابت لصالح الشعب اليهودى ، وبالأخص لدولة اسرائيل الجديدة .

٥ ـ ولم يشغل آينشتاين شاغل ، كما شغلته دولة اسرائيل الصغيرة ، فهو من سنى حياته الأولى ، ومنذ أن قدمه حاييم وايزمان لضرورة الوطن القومى اليهودى ، وهو متحمس بقوة لهذه القضية . وقد قال عنه سفير اسرائيل في أمريكا ـ ابا ايبان ـ : الدكتور آينشتاين العالم وآينشتاين اليهودى يمثلان انسجاما تاما ، وهذان العاملان ، مضافا اليهما تأثره العميق بالنكبة اليهودية في أوروبا ، يوضحان الغيرة العظمى التى يحملها ويؤيد بها انعاش اسرائيل القومى .

٦ ـ كان آينشتاين عالما مجتهدا وكان مربيا وكان صديقا لاسرائيل .

٧ ـ وعندما سئل عن شعوره في وجود تمثاله مع تماثيل القديسين في كنيسة ريفر سايد الكبرى بنيويورك قال: انا فخور بهذا الشرف لا لأهميتى، ولكن لأننى يهودى .

نرى من كل هذا أن الفكرة الصهيونية التى يعتنقها آينشتاين بعيدة كل البعد عن الفكرة الانسانية التى يتغنى بها في مذكراته التى أشارت اليها مجلة « العربى » القراء . ■■

فاضل خلف

سفارة دولة الكويت بتونس